

المجلد الثاني من اللباب لابن عادل

٥٦

الجزء الخامس من الكتاب

سورة التوبة مدنية

وهي مائة وثلاثون آية وأربعة آلاف وثمان وتسعون كلمة وعشرة آلاف وأربع
مائة وثمان وثمانون حرفاً ولها عدة أسماء براءة التوبة المقشقشة
المبعثرة المشردة المخزية الفاضحة المبشرة الحافرة
المنكلة المدمدمة سورة العذاب قال الزمخشري لأن فيها
التوبة على المؤمنين وهي تقشقش من النفاق أي تبرئ منه وتبعثر عن أسرار المنافقين
وتبحث عنها وتنشرها وتحفر عنها وتفضحهم وتنكلهم وتشردهم
وتخزيهم وتدمدم عليهم وعن حذيفة إنكم تسمونها سورة التوبة
والله ما تركت أحداً إلا نالت منه وعن ابن عباس رضي الله
عنهما في هذه السورة قال إنها الفاضحة ما زالت تنزل وتريهم حتى خشينا
أنها لا تدع أحداً وسورة الأنفال نزلت في بدر وسورة الحشر نزلت في بني النضير

فصل ذكروا في سقاط التسمية من أولها وجوهاً الأول روي ابن عباس قال قلت لعثمان
بن عفان ما حملكم على أن عمدتم إلى براءة وهي من المئين وإلى الأنفال وهي من المثاني فقرنتم بينهما وما فصلتم
بسم الله الرحمن الرحيم قال كان النبي صلى الله عليه وسلم كلما نزلت عليه سورة يقول ضعوها في موضع
كذا فكان براءة من آخر القرآن نزولاً فتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يبين موضعها وكانت قصتها
شبيهة بقصتها فقرنت بينهما قال ابن العربي هذا دليل على أن القياس أصل في الدين ألا ترى إلى عثمان وأعيان
الصحابة كيف لجأوا إلى قياس الشبه عند عدم النص ورأوا أن قصة براءة مشبهة بقصة الأنفال فألحقوها بها فإذا كان
الله تعالى قد بين دخول القياس في تأليف القرآن فما ظنك بسائر الأحكام قال القاضي لا يبعد أن يقال إنه
عليه السلام بين كون هذه السورة تالية لسورة الأنفال لأن القرآن مرتب من قبل الله تعالى
ومن قبل رسوله على الوجه الذي نقل ولو جوزنا في بعض السور أن لا يكون
ترتيبها من الله على سبيل الوحي لجوزنا مثله في سائر السور وفي آيات السورة الواحدة
وتجويزه يطرق ما يقوله الإمامية من تجويز الزيادة والنقصان
في القرآن وذلك يخرجه عن كونه حجة والصحيح أنه عليه السلام أمر بوضع

هذه السورة بعد سورة الأنفال وحياً فإنه عليه السلام حذف بسم الله الرحمن الرحيم من أول هذه السورة وحياً الوجه الثاني روي
عن أبي بن كعب أنه قال إنما توهموا ذلك لأن في الأنفال ذكر العهود وفي براءة نبذ العهود فوضعت إحداهما بجنب الأخرى والسؤال
المذكور عائد هنا لأن هذا الوجه إنما يتم إذا قلنا إنهم إنما وضعوا هذه السورة بعد الأنفال من قبل أنفسهم لهذه العلة الوجه الثالث
أن الصحابة اختلفوا في أن سورة الأنفال وسورة براءة أهما سورة واحدة أم سورتان فقال بعضهم سورة واحدة لأن كليهما نزلتا
في القتال ومجموعهما هو السورة السابعة من الطوال وهي سبع وما بعدها المئون وهذا قول ظاهر لأنهما معاً مائتان وست آيات
فهما بمنزلة سورة واحدة ومنهم من قال سورتان وما كتبوا بسم الله الرحمن الرحيم تنبيهاً على قول من يقول هما سورة واحدة وعلى هذا القول
لا يلزم منه تجويز مذهب الإمامية لأنه لما وقع الاشتباه في هذا المعنى بين الصحابة لم يقطعوا بأحد القولين وهذا يدل على أن هذا
الاشتباه كان حاصلاً [illegible] بهذا القدر من الشبهة يدل على أنهم كانوا متشددين في ضبط القرآن عن التحريف والتغيير وذلك
يبطل قول الإمامية الوجه الرابع أنه تعالى ختم سورة الأنفال بإيجاب موالاة المؤمنين بعضهم بعضاً وأن يكونوا منقطعين عن
الكفار بالكلية ثم إنه تعالى صرح بهذا المعنى في قوله براءة من الله ورسوله فلما كان هذا عين ذلك الكلام وتأكيداً له وتقريراً لزم
رفع الفاصل بينهما وكان إيقاع الفاصل بينهما تنبيهاً على أن هذا المعنى هو عين ذلك المعنى الوجه الخامس قال القرطبي قيل إنه كان من شأن
العرب في الجاهلية إذا كان بينهم وبين قوم عهد فأرادوا نقضه كتبوا إليهم كتاباً ولم يكتبوا فيه بسملة فلما نزلت سورة براءة بنقض العهد
الذي كان بين النبي صلى الله عليه وسلم وبين المشركين أمر النبي صلى الله عليه وسلم بكتابتها بغير بسملة وبعث بها علي بن أبي طالب رضي الله عنه
فقرأها عليهم في الموسم ولم يبسمل على ما جرت به عادتهم في نقض العهد من ترك البسملة قال ابن عباس سألت علياً رضي الله عنه لم لم تكتب
بسم الله الرحمن الرحيم ههنا قال لأن بسم الله الرحمن الرحيم أمان وهذه السورة بالسيف ونبذ العهد وليس فيها أمان ويروى أن سفيان بن عيينة
ذكر هذا المعنى وأكده بقوله تعالى ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمناً فقيل له أليس أن النبي عليه السلام كتب إلى أهل الحرب بسم الله
الرحمن الرحيم فأجاب عنه بأن ذلك ابتداء منه يدعوهم إلى الله تعالى ولم ينبذ إليهم عهدهم ألا تراه قال في آخر الكتاب والسلام على من اتبع
الهدى وأما هذه السورة فقد اشتملت على المقاتلة ونبذ العهد فظهر الفرق الوجه السادس قالت الشافعية [illegible] المعلمين بعض
الناس إنهم يتنازعون في كون بسم الله الرحمن الرحيم من القرآن أمر بأن لا تكتب ههنا تنبيهاً على كونها آية من كل سورة [illegible] آية من
هذه السورة وجب كونها آية من كل سورة وقد يحكى عليهم ذلك فيقال لو كانت آية من كل سورة لما أسقطها من هذه السورة قال القرطبي
وروي عن عثمان وقال مالك فيما رواه ابن وهب وابن القاسم وابن عبد الحكم أنه لما سقط أولها سقط بسم الله الرحمن الرحيم معه وروي ذلك
عن عجلان أنه بلغه أن سورة براءة كانت تعدل البقرة أو قربها فذهب منها فلذلك لم يكتب بينهما بسم الله الرحمن الرحيم وقال سعيد بن جبير
كانت مثل سورة البقرة قال القرطبي والصحيح أن البسملة لم تكتب لأن جبريل عليه السلام ما نزل بها في هذه السورة قال القشيري وفي
قول عثمان رضي الله عنه قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يبين لنا أنها منها دليل على أن براءة [illegible] عهد من النبي
صلى الله عليه وسلم لما عاجله من الحال قبل تبيينه ذلك وكانتا تدعيان القرينتين فوجب أن تجمعا وتضم إحداهما إلى الأخرى للوصف الذي
لزمهما من الاقتران ورسول الله صلى الله عليه وسلم حي **قوله تعالى** براءة من الله ورسوله الآية الجمهور على رفع براءة وفيه وجهان
أحدهما أنه رفع بالابتداء والخبر قوله إلى الذين وجاز الابتداء بالنكرة لأنها تخصصت بالوصف بالجار بعدها وهو قوله من الله كما تقول
رجل من بني تميم في الدار والثاني أنه خبر ابتداء مضمر أي هذه الآيات براءة ويجوز في من الله أن يكون متعلقاً بنفس براءة لأنها مصدر كالشناءة
والدناءة وهذه المادة تتعدى بمن تقول برئت من فلان أبرأ براءة أي انقطعت العصمة بيننا وعلى هذا فيجوز أن يكون المسوغ للابتداء
بالنكرة في الوجه الأول هذا وإلى الذين متعلق بمحذوف على الأول لوقوعه خبراً وبنفس براءة على الثاني ويقال برئت وبرأت من الدين
بالكسر والفتح وقال الواحدي ليس فيها لغة واحدة كسر العين في الماضي وفتحها في المستقبل وليس كذلك بل فيهما أهل اللغة وقرأ عيسى
بن عمر براءة بالنصب على إضمار فعل أي اسمعوا براءة وقال ابن عطية أي الزموا براءة وفيه معنى الإغراء وقرئ من الله بكسر النون على أصل
التقاء الساكنين وعلى الإتباع لميم من وهي لغية فإن الأكثر فتحها مع لام التعريف وكسرها مع غيرها نحو من ابنك وقد حكي الأمرين فيهما
وحكى أبو عمرو عن أهل نجران أنهم يقفون كذلك بكسر النون مع لام التعريف **فإن قيل** ما السبب في أن نسب البراءة إلى الله ورسوله
ونسب المعاهدة إلى المشركين فالجواب قد أذن الله في معاهدة المشركين فاتفق المسلمون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وعاهدوهم
ثم إن المشركين نقضوا العهد فأوجب الله النبذ إليهم فخوطب المسلمون بما يجدد من ذلك وقيل لهم اعلموا أن الله ورسوله بريئان مما عاهدتم
من المشركين **فصل** روي أن النبي صلى الله عليه وسلم لما خرج إلى تبوك وتخلف المنافقون وأرجفوا الأراجيف جعل المشركون
ينقضون العهد فأمر الله تعالى بنقض عهودهم قال الزجاج براءة أي قد برئ الله ورسوله من إعطائهم العهود والوفاء بها إذا نكثوا
فإن قيل كيف يجوز أن ينقض النبي عليه السلام العهد فالجواب لا يجوز أن ينقض العهد إلا على ثلاثة أوجه الأول أن يظهر له
منهم خيانة مستورة ويخاف ضررهم فينبذ العهد إليهم حتى يستووا في معرفة نقض العهد لقوله وإما تخافن من قوم خيانة فانبذ إليهم
على سواء وقال أيضاً ينقضون عهدهم في كل مرة الثاني أن يكون قد شرط لبعضهم في وقت العهد أن يقرهم ما أقرهم الله تعالى

قطع العهد بينهم وقطع لاجل الشرط الثالث ان يكون موجلا فينقضي العهد وتنقضي المدة ويكون الغرض من اظهار البراءة ان
يطمعوا بان لا يعودوا الى العهد وانه على عزم المحاربة والمقاتلة فاما في وراء هذه الاحوال الثلاثة لا يجوز نقض العهد البتة لانه
يجري مجرى الغدر وخلف القول والله ورسوله بريا منه ولهذا المعنى قال تعالى الا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيئا
ولم يظاهروا عليكم احدا فاتموا اليهم عهدهم الى مدتهم وقيل اكثر المشركين نقضوا العهد الا بنو ضمرة وبنو كنانة **قوله تعالى**
الى الذين عاهدتم من المشركين الخطاب مع اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وان كان النبي صلى الله عليه وسلم هو الذي عاهدهم
وعاقدهم لانه عاهدهم واصحابه بذلك راضون فكانهم عقدوا وعاهدوا **قوله** فسيحوا قال ابن عباس الانباري هذا على
اضمار القول اي قيل لهم سيحوا ويكون التفاتا من الغيبة الى الخطاب كقوله وسقاهم ربهم شرابا طهورا ان هذا كان لكم جزاء ويقال
ساح يسيح سياحة وسيوحا وسيحانا اي انساب كسيح الماء في الاماكن المنبسطة قال طرفة ● لو خفت هذا منك ما نلتني ●
حتى ترى خيلا امامي تسيح ● **قوله** اربعة اشهر ظرف لسيحوا وقرئ غير معجزي الله بنصب الجلالة على ان النون حذفت
تخفيفا وقد تقدم تخريجه **فصل** المعنى قل لهم سيحوا في الارض مقبلين ومدبرين آمنين غير خائفين اربعة اشهر
واعلموا انكم غير معجزي الله اي غير فائتين ولا سابقين وان الله مخزي الكافرين اي مذلهم بالقتل في الدنيا والعذاب في الاخرة واختلفوا
في هذه الاشهر الاربعة فقال الزهري ان براءة نزلت في شوال وهي اربعة اشهر شوال وذو القعدة وذو الحجة والمحرم والصواب الذي
عليه الاكثرون ان ابتداء هذا الاجل يوم الحج الاكبر وانقضاؤه الى عشر ربيع الآخر ومن لم يكن له عهد فانما اجله انسلاخ الاشهر
الحرم وذلك خمسون يوما وقيل ابتداء المدة كان من عشر ذي القعدة الى عشر من ربيع الاول لان الحج كان في تلك السنة كان في ذلك
الوقت بسبب النسيء الذي كان فيهم ثم صار في السنة الثانية في ذي الحجة وهو حجة الوداع ويدل عليه قوله عليه السلام الا ان الزمان
قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض **فصل** اختلف العلماء في هذا التاجيل وفي هولاء الذين برئ
الله ورسوله اليهم والتي كانت بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الجماعة هذا تاجيل المشركين فمن كانت مدة عهده
اقل من اربعة اشهر رفع الى اربعة اشهر ومن كانت مدته اكثر من اربعة اشهر حطه الى اربعة اشهر ومن كانت مدة عهده بغير اجل محدود
حده باربعة اشهر ثم هو حرب بعد ذلك لله ولرسوله يقتل حيث ادرك ويوسر الا ان يتوب وقال الكلبي انما كانت الاربعة اشهر لمن كان
له عهد دون اربعة اشهر فاتم له اربعة اشهر فاما من كان عهده اكثر من اربعة فهذا امر باتمام عهده بقوله فاتموا اليهم عهدهم الى
مدتهم قال الحسن امر الله رسوله صلى الله عليه وسلم بقتال من قاتله من المشركين فقال وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم
وكان لا يقاتل الا من قاتله ثم امر بقتال المشركين والبراءة منهم واجلهم اربعة اشهر فلم يكن لاحد منهم اجل اكثر من اربعة اشهر لا من
كان له عهد قبل البراءة ولا من لم يكن له عهد فكان الاجل لجميعهم اربعة اشهر واحل دماء جميعهم من اهل العهد وغيرهم بعد انقضاء
الاجل والمقصود من هذا الاعلام امور اولها ان يتفكروا لانفسهم ويحتاطوا في هذا الامر ويعلموا انه ليس لهم بعد هذه المدة
الا الاسلام او قبول الجزية او السيف فيصير ذلك حاملا لهم على الاسلام وثانيها لئلا ينسب المسلمون الى نكث العهد وثالثها
اراد الله ان يعم جميع المشركين بالجهاد فعم الكل بالبراءة واجلهم اربعة اشهر وذلك لقوة الاسلام وتخويف للكفار ولا يصح ذلك
الا بنقض العهود ورابعها اراد النبي صلى الله عليه وسلم ان يحج في السنة الآتية فامر بلطائر هذا اليه لئلا يشاهد وقيل نزل هذا
قبل تبوك وقال محمد بن اسحق ومجاهد وغيرهما نزلت في اهل مكة وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم عاهد قريشا عام الحديبية على
ان يضعوا الحرب عشر سنين يامن فيها الناس ودخلت خزاعة في عهد النبي صلى الله عليه وسلم ودخل بنو بكر في عهد قريش ثم عدت
بنو بكر على خزاعة فنالت منها واعانتهم قريش بالسلاح فلما تظاهر بنو بكر وقريش على خزاعة ونقضوا عهدهم خرج عمرو بن سالم الخزاعي
حتى وقف على رسول الله صلى الله عليه وسلم وانشد فقال هذه الابيات

● لاهم اني ناشد محمدا ● حلف ابينا وابيه الاتلدا ●
● كنت لنا ابا وكنا ولدا ● ثمت اسلمنا ولم ننزع يدا ●
● فانصر هداك الله نصرا ابدا ● وادع عباد الله ياتوا مددا ●
● فيهم رسول الله قد تجردا ● في فيلق كالبحر يجري مزبدا ●
● ابيض مثل الشمس ينمو صعدا ● ان سيم خسفا وجهه تربدا ●
● ان قريشا اخلفوك الموعدا ● ونقضوا ميثاقك المؤكدا ●
● هم بيتونا بالوتير هجدا ● وقتلونا ركعا وسجدا ●
● وزعموا ان لست تدعو احدا ● وهم اذل واقل عددا ●

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا نصرت ان لم انصرك ثم تجهز الى مكة ففتح مكة سنة ثمان من الهجرة فلما كان سنة تسع اراد رسول
الله صلى الله عليه وسلم ان يحج ثم قال انه يحضر المشركون فيطوفون عراة فبعث ابا بكر تلك السنة اميرا على الموسم ليقيم للناس الحج وبعث

معه اربعين اية من صدر سورة براءة ليقراها على اهل الموسم ثم بعده بعث عليا على ناقته العضباء ليقرا على الناس براءة وامره
ان يؤذن بمكة ومنى وعرفة ان قد برئت ذمة الله وذمة رسول الله صلى الله عليه وسلم من كل مشرك وان لا يطوف بالبيت عريان
فرجع ابو بكر فقال يا رسول الله بابي انت وامي انزل في شيء قال لا ولكن لا ينبغي لاحد ان يبلغ هذا الا رجل من اهلي اما ترضى يا ابا بكر انك
كنت معي في الغار وانك صاحبي على الحوض قال بلى يا رسول الله فسار ابو بكر اميرا على الحاج وعلي ليؤذن ببراءة فلما كان قبل التروية
بيوم خطب ابو بكر الناس وحدثهم عن مناسكهم واقام للناس الحج والعرب في تلك السنة على منازلهم التي كانوا عليها في الجاهلية من الحج
حتى اذا كان يوم النحر قام علي بن ابي طالب فاذن في الناس بالذي امر به وقرا عليهم سورة براءة قال زيد بن يثيع سالنا عليا باي شيء
بعثت في الحجة قال بعثت باربع لا يطوف بالبيت عريان ومن كان بينه وبين النبي صلى الله عليه وسلم عهد فهو الى مدته ومن لم يكن له
عهد فاجله اربعة اشهر ولا يدخل الجنة الا نفس مؤمنة ولا يجتمع المشركون والمسلمون بعد عامهم هذا ثم حج النبي صلى الله عليه وسلم
سنة عشر حجة الوداع وكان السبب في بعث النبي صلى الله عليه وسلم عليا ان العرب تعارفوا فيما بينهم في العهود ونقضها ان لا يتولى
ذلك الا سيدهم او رجل من رهطه فبعث عليا ازاحة للعلة لئلا يقولوا هذا خلاف ما نعرفه فينا في نقض العهود والدليل على ان ابا بكر
كان هو الامير ان عليا لما لحقه قال امير او مامور فقال مامور ثم ساروا وقال ابو هريرة بعثني ابو بكر في تلك الحجة في مؤذنين يوم النحر
يؤذن بمنى لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان **قوله** واذان رفع بالابتداء اي اذان صادر او اعلام واصل
من الله اما صفة او متعلق به والى الناس الخبر ويجوز ان يكون خبر مبتدا محذوف اي وهذه اعلام والجاران متعلقان به كما تقدم
في براءة قال ابو حيان ولا وجه لقول من قال انه معطوف على براءة كما لا يقال عمرو معطوف على زيد في زيد قائم وعمرو قاعد وقرا
الضحاك وعكرمة وابو المتوكل واذن بكسر الهمزة وسكون الذال وقرا العامة ان الله بفتح الهمزة على حذف حرف الجر اي باكون ان خبرا
لاذان الاعلام من الله براءة من المشركين وضعف ابو حيان هذا الوجه ولم يذكر تضعيفه واما على حذف حرف الجر اي بان الله
ويتعلق هذا الجار اما بنفس المصدر واما بمحذوف على انه صفة ويوم منصوب بما تعلق به الجار في قوله الى الناس وزعم بعضهم
انه منصوب باذان وهو فاسد من جهتين احدهما وصف المصدر قبل عمله والثاني الفصل بينه وبين معموله باجنبي وهو الخبر
وقرا الحسن والاعرج بكسر الهمزة وفيه المذهبان المشهوران مذهب البصريين اضمار القول ومذهب الكوفيين اجراء الاذان مجرى
القول والتقدير بري الله ورسوله من المشركين **قوله** من المشركين متعلق بنفس بري كما يقال برئت منه وهذا بخلاف
قوله براءة من الله فانها هناك يحتمل هذا ويحتمل ان تكون صفة للبراءة **قوله** ورسوله الجمهور على رفعه وفيه
ثلاثة اوجه احدها انه مبتدا والخبر محذوف اي ورسوله بري منهم وانما حذف للدلالة عليه والثاني انه معطوف على الضمير
المستتر في الخبر وجاز ذلك للفصل المسوغ للعطف فرفعه على هذا بالفاعلية **فصل** والاذان الاعلام
قال الازهري يقال اذنته ايذانا فالاذان اسم يقوم مقام الايذان وهو المصدر الحقيقي ومنه اذان الصلاة ومنه قوله
على الدار اللاتي عفل ابنة زينب فاما فرعتم باي اعلمتني فلما فرعنا اذناه اعلناه والاذان معروف ونقل النووي في التهذيب
عن الجوهري قال ويقال فيه الاذان والاذين والايذان قال وقال الاذين هو المؤذن المعلم باوقات الصلوات فعيل
بمعنى مفعل وقوله عليه السلام ما اذن الله كاذنه ... وقوله بفتح الهمزة والذال وسكونها اذ الحيوان ...
وقصد اذنيه واذن في قوله عليه السلام فلا اذن حرامكاه وجواب كتب بالنون وانما وقفت على اذن قلنا كما تقول رايت
زيدا الجوهري **فصل** من المشركين الثالث انه معطوف على محل اسم ان وهذا عند من يجيز ذلك في المفتوحة قياسا على
المكسورة قال ابن عطية ومذهب الاستاذ يعني ابا الحسن بن الباذش على مقتضى كلام سيبويه ان لا موضع لما دخلت عليه ان اذ هو
معرب قد ظهر فيه عمل العامل وانه لا فرق بين ان وبين ليت والاجماع ان لا موضع لما دخلت عليه هذه قال ابو حيان وفيه تعقب
لان كون ان لا موضع لما دخلت عليه ليس لظهور عمل العامل ولانه لا فرق بين ان وبين ليت بدليل ليس زيد بقائم وما في الدار من رجل
فانه ظهر عمل العامل ولهما موضع وقوله بالاجماع يريد ان ليت لا موضع لما دخلت عليه بالاجماع وليس كذلك لان الفراء خالف وجعل
حكم ليت ولعل واخواتها جميعها حكم ان بالكسر قال شهاب الدين قوله بدليل ليس زيد بقائم الى اخره قد يظهر الفرق بينهما فان هذا العامل
وان ظهر عمله فهو في حكم المعدوم اذ هو زائد فلذلك اعتبرنا الموضع معه بخلاف ان بالفتح فانه عامل غير زائد وكان ينبغي ان يرد
عليه قوله وانه لا فرق بين ان وبين ليت فان الفرق قائم وذلك ان حكم الابتداء قد انتسخ مع ليت ولعل وكان لفظا ومعنى بخلافه
مع ان وان فان معناه معهما باق وقرا عيسى بن عمر وزيد بن علي وابن ابي اسحق ورسوله بالنصب وفيه وجهان اظهرهما انه عطف على لفظ
الجلالة والثاني انه مفعول معه قاله الزمخشري وقرا الحسن ورسوله بالجر وفيها وجهان احدهما انه مقسم به اي ورسوله ان الامر
كذلك وحذف جوابه لفهم المعنى والثاني انه على الجوار كما انهم نعتوا واكدوا على الجوار وقد تقدم تحقيقه وهذه القراءة يبعد
صحتها عن الحسن لايهامها حتى يحكى ان اعرابيا سمع رجلا يقرا ورسوله بالجر فقال الاعرابي ان كان الله قد برئ من رسوله فانا بريء منه
فلببه القارئ الى عمر رضي الله عنه فحكى الاعرابي الواقعة فحينئذ امر عمر بتعليم العربية وحكي هذه ايضا عن امير المؤمنين علي وابي الاسود

الدولي قال ابو البقاء ولا يكون عطفا على المشركين لانه يؤدي الى الكفر وهذا اوضح **فصل** قال بعض المفسرين
قوله براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين جملة تامة مخصوصة بالمشركين وقوله واذان من الله ورسوله الى الناس يوم الحج
الاكبر جملة اخرى ثانية معطوفة على الجملة الاولى وهي عامة في حق جميع الناس لان ذلك يجب ان يعرفه المؤمن والمشرك من حيث ان
الحكم المتعلق بذلك يلزمهما جميعا فيجب على المؤمنين ان يعرفوا الوقت الذي يباح فيه القتال من الوقت الذي يحرم فيه فامر تعالى
بهذا الاعلام يوم الحج الاكبر وهو الجمع العظيم ليصل ذلك الخبر الى الكل ويشتهر وفي هذا العطف الاشكال الذي ذكره ابو حيان في
صدر الاية عند قوله واذان من الله **فصل** اختلفوا في يوم الحج الاكبر فقال ابن عباس في رواية عكرمة انه يوم عرفة
وهو قول عمر وسعيد بن المسيب وابن الزبير وعطاء وطاوس ومجاهد واحدى الروايتين عن علي ورواه المسور بن مخرمة عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم عشية عرفة فقال اما بعد فان هذا يوم الحج الاكبر وقال عليه السلام
الحج عرفة ولان اعظم اعمال الحج الوقوف بعرفة لان من ادركه فقد ادرك الحج ومن فاته فقد فاته الحج وقال ابن عباس في رواية عطا
يوم الحج الاكبر يوم النحر وهو قول النخعي والشعبي والسدي واحدى الروايتين عن علي وقول المغيرة بن شعبة وسعيد بن جبير لان معظم
افعال الحج فيه وروي ان النبي عليه السلام وقف يوم النحر عند الجمرات هذا يوم الحج الاكبر وروى ابن جريج عن مجاهد انه قال يوم الحج الاكبر
ايامه كلها وهو مذهب سفيان الثوري وكان يقول يوم الحج الاكبر ايامه كلها كما يقال يوم صفين ويوم الجمل يراد به الحين والزمان
واما تسميته بيوم الحج الاكبر فان قلنا انه يوم عرفة فلانه اعظم واجباته ومن فاته فاته الحج الاكبر وكذلك ان قلنا انه يوم النحر لان
معظم افعال الحج تفعل فيه وقال الحسن سمي بذلك لاجتماع المسلمين والمشركين فيه وموافقته لاعياد اهل الكتاب ولم يتفق ذلك
قبله ولا بعده فعظم ذلك اليوم في قلب كل مؤمن وكافر وطعن الاصم في هذا الوجه وقال عيد الكفار فيه سخط وهذا الطعن ضعيف
لان المراد ان ذلك اليوم استعظم جميع الطوائف فلذلك وصف بالاكبر وقيل سمي بذلك لان المسلمين والمشركين حجوا في تلك السنة
وقيل الاكبر الوقوف بعرفة والاصغر النحر قاله مجاهد ونقل عن مجاهد الاكبر القران والاصغر الافراد **قوله**
قوله براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين وقوله ان الله بريء من المشركين ورسوله لا فرق بينهما فما فائدة هذا التكرار فالجواب
من وجوه الاول ان المقصود من الاول البراءة من العهد ومن الثاني البراءة التي هي نقيض الموالاة ويدل على هذا الفرقان
في البراءة الاولى برئ اليهم وفي الثانية برئ منهم الثاني انه تعالى في الكلام الاول اظهر البراءة عن المشركين الذين عاهدوا ونقضوا
العهد وفي هذه الاية اظهر البراءة عن المشركين بغير ان يوصفهم بوصف معين تنبيها على ان الموجب لهذه البراءة كفرهم وشركهم
قوله تعالى فان تبتم عن الشرك واخلصتم التوحيد فهو خير لكم وان توليتم اعرضتم عن الايمان فاعلموا انكم غير معجزي الله
وذلك وعيد عظيم ثم قال وبشر الذين كفروا بعذاب اليم في الاخرة والبشارة ههنا وردت على سبيل الاستهزاء كما يقال تحيتهم
الضرب واكرامهم الشتم **قوله تعالى** الا الذين عاهدتم من المشركين في هذه الاستثناء ثلاثة اوجه احدها انه استثناء منقطع
والتقدير لكن الذين عاهدتم فاتموا اليهم عهدهم والى هذا نحا الزمخشري فانه قال فان قلت مم استثني قوله الا الذين عاهدتم قلت
وجهه ان يكون مستثنى من قوله فسيحوا في الارض لان الكلام خطاب للمسلمين ومعناه براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم
من المشركين فقولوا لهم سيحوا الا الذين عاهدتم منهم ثم لم ينقصوكم فاتموا اليهم عهدهم والاستثناء بمعنى الاستدراك كانه
قيل بعد ان امروا في الناكثين ولكن الذين لم ينكثوا فاتموا اليهم عهدهم ولا تجروهم مجراهم الثاني انه استثناء متصل وقبله
جملة محذوفة تقديره اقتلوا المشركين المعاهدين الا الذين عاهدتم وفيه ضعف قاله الزجاج فانه قال انه عائد الى قوله براءة
من الله ورسوله الى المشركين المعاهدين الا الذين لم ينقضوا العهد الثالث انه مبتدأ والخبر قوله فاتموا اليهم قاله ابو البقاء وفيه
نظر لان الفاء تزاد في غير موضعها اذ المبتدأ لا يشبه الشرط لانه لا تأتي باعيانهم وانما يمشي على راي الاخفش اذ يجوز زيادتها مطلقا
والاولى انه منقطع لانا لو جعلناه متصلا لاستثني من المشركين في اول السورة لادى الى الفصل بين المستثنى والمستثنى منه بجمل كثيرة
قوله تعالى ثم لم ينقصوكم شيئا الجمهور ينقصوكم بالصاد المهملة وهو يتعدى لواحد ولاثنين ويجوز ذلك فيه هنا
فكم مفعول اول وشيئا اما مفعول ثان واما مصدر اي شيئا من النقصان او لا قليلا ولا كثيرا من النقصان وقرأ عطاء بن السائب
الكوفي وعكرمة وابو السميفع وابو زيد ينقضوكم بالضاد المعجمة وهي على حذف مضاف اي ينقضوا عهدكم فحذف واقيم المضاف
اليه مقامه قال الكرماني وهي مناسبة لذكر العهد اي ان النقض يطابق العهد وهي قريبة من قراءة العامة فان من نقض العهد
فقد نقص من المدة الا ان قراءة العامة اوقع لمقابلتها التمام **فصل** ومعنى قوله الا الذين عاهدتم من المشركين وهم بنو ضمرة
حي من كنانة امر الله رسوله باتمام عهدهم الى مدتهم وكان قد بقي من مدتهم تسعة اشهر وكان السبب فيه انهم لم ينقضوا شيئا من عهدهم
الذي عاهدتم عليه ولم يظاهروا يعاونوا عليكم احدا من عدوكم فاتموا اليهم عهدهم اي وفوا لهم بعهدهم الى مدتهم الى اجلهم الذي
عاهدتموهم ان الله يحب المتقين اي ان هذه الطائفة لما اتقوا النقض ونكث العهد استحقوا من الله ان يصان عهدهم ايضا من النقض
والنكث **قوله تعالى** فاذا انسلخ الاشهر الحرم الاية قال الليث يقال انسلخنا الشهر اذا خرجنا منه والانسلاخ ههنا احسن

الاستعارة وقد بين ذلك ابو الهيثم فقال يقال اهللنا شهر كذا اذا دخلنا فيه فنحن نزداد كل ليلة منه الى مضي نصفه لباسا
ثم نسلخه عن انفسنا جزءا فجزءا الى ان ينقضي وينسلخ وانشد • اذا ما سلخت الشهر اهللت مثله • كفى قاتلا سلخي الشهور واهلالي
والالف واللام في الاشهر يجوز ان يكون للعهد والمراد بها الاشهر المتقدمة في قوله فسيحوا في الارض اربعة اشهر والعرب اذا ذكرت
نكرة ثم ارادت ذكرها ثانيا اتت بضميره او بلفظه معرفا بال ولا يجوز ان تصفه حينئذ بصفة تشعر بالمغايرة فلو قيل رايت رجلا
واكرمت الرجل الطويل لم ترد بالثاني الاول وان وصفته بما لا يقتضي المغايرة جاز كقولك فاكرمت الرجل المذكور ومنه هذه الاية فان الاشهر
قد وصفت بالحرم وهي صفة مفهومة من فحوى الكلام فلم تقتض المغايرة ويجوز ان يراد بها غير الاشهر المتقدمة فلا تكون ال للعهد
وقد ذكر المفسرون الوجهين قالوا المراد بالاشهر الحرم الاربعة رجب وذو القعدة وذو الحجة والمحرم وقال مجاهد وابن اسحاق هي شهور
العهد فمن كان له عهد فعهده اربعة اشهر ومن لا عهد له فاجله الى انقضاء المحرم خمسون يوما وقيل لها حرم لان الله تعالى حرم فيها
على المؤمنين دماء المشركين والتعرض لهم **فان قيل** هذا القدر بعض الاشهر الحرم والله تعالى يقول فاذا انسلخ الاشهر الحرم
قيل لما كان هذا القدر متصلا بما مضى اطلق عليه اسم الجمع ومعناه مضت المدة المضروبة التي يكون معها انسلاخ الاشهر الحرم
فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد اعلم انه تعالى امر بعد انقضاء الاشهر الحرم باربعة
اشياء اولها قوله تعالى فاقتلوا المشركين اي على الاطلاق في اي وقت كان في الحل والحرم وثانيها وخذوهم اي بالاسر وثالثها واحصروهم
والحصر المنع اي امنعوهم من الخروج ان تحصنوا قاله ابن عباس وقال الفراء امنعوهم من دخول مكة والتصرف في بلاد الشام ورابعها قوله تعالى
واقعدوا لهم كل مرصد في انتصاب كل وجهان احدهما انه منصوب على الظرف المكاني قال الزجاج نحو ذهبت مذهبا ورد عليه الفارسي
هذا القول من حيث انه ظرف مكان مختص والمكان المختص لا يصل اليه الفعل بنفسه بل بواسطة في نحو صليت في الطريق وفي البيت ولا يصل
بنفسه الا في الفاظ محصورة بعضها ينقاس وبعضها يسمع وجعل هذا نظير ما فعل سيبويه في بيت ساعدة • لدن بهز الكف يعسل متنه •
فيه كما عسل الطريق الثعلب • وهو انه جعله مما حذف فيه الحرف اتساعا لا على الظرف لانه ظرف مكان مختص قال ابو حيان انه ينتصب
على الظرف لان معنى واقعدوا ليس المراد به حقيقة القعود انما يراد ارصدوهم واذا كان كذلك فقد اتفق العامل والظرف في المادة
ومتى اتفقا في المادة لفظا او معنى وصل اليه بنفسه تقول جلست مجلس القاضي وقعدت مجلس القاضي والاية من هذا القبيل والثاني
انه منصوب على اسقاط حرف الجر وهو على اي على كل مرصد قاله الاخفش وجعله مثل قول الاخر • تحن فتبدي ما بها من صبابة •
واخفي الذي لولا الاسى لقضاني • وهذا لا ينقاس بل يقتصر فيه على السماع كقوله تعالى لاقعدن لهم صراطك اي على صراطك اتفق الكل على انه
على تقدير على وقال بعضهم هو على تقدير الباء اي بكل مرصد نقله ابو البقاء وحينئذ تكون الباء بمعنى في فينبغي ان يقدر في لا الباء
المعنى عليها وجعله نظير قول الشاعر • نغالي اللحم للاضياف نيا • ونرخصه اذا نضج القدور • والمرصد مفعل من رصده
يرصده اي رقبه يرقبه وهو يصلح للزمان والمكان والمصدر قال عامر بن الطفيل • ولقد علمت وما اخالك ناسيا •
ان المنية للفتى بالمرصد • والمرصاد المكان المختص بالترصد والرصد يقع على الواحد سواء كان مفردا ام مثنى ام مجموعا ولذلك
يقع على المرصود وقوله تعالى فانه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا يحتمل كل ذلك وكانه في الاصل مصدر فلذلك التزم فيه
الافراد والتذكير ومعنى الاية اقعدوا لهم على كل طريق والمرصد الموضع الذي يرقب فيه العدو يريد كونوا لهم رصدا لتاخذوهم
من اي وجه توجهوا **قوله** فان تابوا واقاموا الصلوة واتوا الزكوة فخلوا سبيلهم اي دعوهم فليتصرفوا في امصارهم ويدخلوا
مكة ان الله غفور لمن تاب رحيم به واحتجوا بهذه الاية على قتل تارك الصلوة لان الله تعالى اباح دماء الكفار مطلقا ثم حرمها عند التوبة
واقام الصلوة وايتاء الزكوة فاذا لم يوجد الثلاثة فاباحة الدم باقية قال الحسين بن الفضل هذه الاية نسخت كل اية في القران فيها
ذكر الاعراض والصبر على اذى الاعداء **قوله تعالى** وان احد من المشركين استجارك فاجره الاية روي عن ابن عباس ان رجلا
من المشركين قال لعلي بن ابي طالب رضي الله عنه ان اردنا ان ناتي الرسول بعد انقضاء هذا الاجل لسماع كلام الله او لحاجة اخرى فهل نقتل
فقال علي رضي الله عنه لا لان الله تعالى قال وان احد من المشركين استجارك فاجره اي فامنه حتى يسمع كلام الله فتقرير النظم انه لما اوجب
بانسلاخ الاشهر الحرم قتل المشركين دل ذلك على ان حجة الله تعالى قد قامت عليهم وان ما ذكر عليه السلام قبل ذلك من الدلائل
كفى في ازالة عذرهم وذلك يقتضي ان احدا من المشركين لو طلب الدليل والحجة لا يلتفت اليه بل يطالب اما بالاسلام واما بالقتل
فذكر الله تعالى هذه الاية ازالة لهذه الشبهة وبين ان الكافر اذا جاء طالبا للدليل والحجة او طالبا لاستماع القران فانه يجب امهاله وحرم
قتله قوله تعالى وان احد كقوله تعالى ان امرؤ هلك في كونه من باب الاشتغال عند الجمهور وقال ابن الخطيب احد مرتفع بفعل مضمر يفسره
الظاهر وتقديره وان استجارك احد ولا يجوز ان يرتفع بالابتداء لان ان من عوامل الفعل لا تدخل على غيره **قوله تعالى** حتى
يسمع كلام الله حتى يجوز ان تكون ههنا للغاية وان تكون للتعليل وعلى كلا التقديرين متعلق بقوله فاجره وهل يجوز ان تكون هذه المسالة
من باب التنازع ام لا وفيه غموض وذلك انه يجوز من حيث المعنى ان يتعلق حتى بقوله استجارك او بقوله فاجره حتى يسمع كلام الله والجواب انه لا يجوز
عند الجمهور لامر لفظي من جهة الصناعة لا معنوي فانا لو جعلناه من التنازع واعملنا الاول لزم ان لا احتاج الثاني اليه مضمرا على ما تقرر

وحينئذ يلزم حتى يجر المضمر وحتى لا تجر إلا في ضرورة شعر كقوله • فلا والله لا يلقى أناس • فتى حتاك يا ابن أبي يزيد • وأما
عند من يجيز أن يجر المضمر فلا يمتنع ذلك عنده ويكون من إعمال الثاني لحذفه ويكون كقولك فرحت ومررت بزيد أي فرحت به ولو
كان من إعمال الأول لم يحذف من الثاني وقوله كلام الله من باب إضافة الصفة لموصوفها لا من باب إضافة المخلوق للخالق وما منه
يجوز أن يكون مكانا أي مكان أمنه وأن يكون مصدرا أي ثم أبلغه أمنه **فصل** معنى الآية وإن استجارك أحد من المشركين
الذين أمرتك بقتالهم وقتلهم أي استأمنك بعد انسلاخ الأشهر الحرم ليسمع كلام الله فأجره وأمنه حتى يسمع كلام الله فيما له وعليه
من الثواب والعقاب ثم أبلغه مأمنه أي إن لم يسلم أبلغه الموضع الذي يأمن فيه وهو دار قومه فإن قاتلك بعد ذلك وقدرت عليه
فاقتله ذلك بأنهم قوم لا يعلمون أي لا يعلمون دين الله وتوحيده فهم محتاجون إلى سماع كلام الله قال الحسن هذه الآية محكمة إلى يوم القيمة

فصل قال المعتزلة هذه الآية تدل على أن كلام الله يسمعه الكافر والمؤمن والزنديق والصديق والذي يسمعه
جمهور الخلق ليس إلا هذه الحروف والأصوات فدل ذلك على أن كلام الله ليس إلا هذه الحروف والأصوات ثم من المعلوم بالضرورة
أن الحروف والأصوات لا تكون قديمة لأن تكلم الله بهذه الحروف إما أن يكون معا أو على الترتيب فإن تكلم بها معا لم يحصل منه
هذا الكلام المنتظم لأن الكلام لا يحصل منتظما إلا عند دخول هذه الحروف في الوجود على التعاقب فلو حصلت معا
لما حصل الانتظام فلم يحصل الكلام وإن حصلت متعاقبة لزم أن ينقضي المتقدم ويحدث المتأخر وذلك يوجب الحدوث
فدل هذا على أن كلام الله محدث قالوا فإن قلتم إن كلام الله شيء مغاير لهذه الحروف والأصوات فهو باطل لأن الرسول عليه السلام
ما كان يشير بقوله كلام الله إلا إلى هذه الحروف والأصوات وقال آخرون ثبت بهذه الآية أن كلام الله ليس إلا هذه الحروف والأصوات
وثبت أن كلام الله قديم فوجب القول بقدم الحروف والأصوات وقال ابن فورك إنا إذا سمعنا هذه الحروف والأصوات فقد سمعنا
مع ذلك كلام الله تعالى وأنكروا عليه هذا القول لأن الكلام القديم إما أن يكون نفس هذه الحروف والأصوات أو لا نعلم بالضرورة
إلا عند سماع هذه الحروف وإما أن يكون شيئا آخر مغايرا لها والأول قول الزجاج وهو باطل لأن ذلك لا يليق بالعقلاء والثاني
باطل لأنا على هذا التقدير لما سمعنا هذه الحروف والأصوات فقد سمعنا شيئا آخر مخالفا لماهية هذه الحروف والأصوات لكنا
نعلم بالضرورة أنا عند سماع هذه الحروف والأصوات لم نسمع شيئا آخر سواها ولم ندرك سمعنا شيئا آخر مغايرا لها فسقط هذا
الكلام والجواب عن كلام المعتزلة أن يقال هذا الذي نسمعه ليس عين كلام الله على مذهبكم لأن كلام الله ليس إلا الحروف
والأصوات التي خلقها أولا بل تلك الحروف والأصوات انقضت وهذه التي نسمعها حروف وأصوات فعلها هذا الإنسان فما
ألزمتموه علينا فهو لازم عليكم

فصل قال الفقهاء إذا دخل الكافر الحربي دار الإسلام كان مغنوما
مع ماله إلا أن يدخل مستجيرا لغرض شرعي كاستماع كلام الله رجاء الإسلام أو دخل التجارة فإن دخل بأمان صبي أو مجنون
فأمانهما شبهة أمان فيجب تبليغه مأمنه وهو أن يبلغ محروسا في نفسه وماله إلى مكانه الذي هو مأمن له ومن دخل
منهم دار الإسلام رسولا فالرسالة أمان له ومن دخل ليأخذ مالا له في دار الإسلام ولماله أمان فأمان ماله أمان له
كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله الآية في خبر يكون ثلاثة أوجه أظهرها أنه كيف وعهد اسمها والخبر هنا
واجب التقديم لاشتماله على ما له صدر الكلام وهو الاستفهام بمعنى الاستنكار كقولك كيف يستفتي مثلك أي لا ينبغي
أن يستفتي وللمشركين على هذا متعلق بما يكون عند من يجيز في كان أن يعمل في الظرف وشبهه وأما بمحذوف لأنها صفة لعهد
في الأصل فلما قدمت نصبت حالا وعند يجوز أن تكون متعلقة بيكون أو بمحذوف على أنها صفة لعهد أو متعلقة بنفس
عهد لأنه مصدر الثاني أن يكون الخبر للمشركين وعند على هذا فيها الأوجه المتقدمة ويزيد وجها رابعا وهو أنه يجوز أن يكون
ظرفا للاستقرار الذي تعلق به للمشركين والثالث أن يكون الخبر عند الله وللمشركين على هذا إما تبيين وإما متعلق بيكون عند
من يجيز ذلك كما تقدم وإما حال من عهد وإما متعلق بالاستقرار الذي تعلق به الخبر ولا يبالي بتقديم معمول الخبر على الاسم لكونه
حرف جر وكيف على هذين الوجهين الأخيرين مشبهة بالظرف أو بالحال كما تقدم تحقيقه في كيف تكفرون ولم يذكروا هنا
وجها رابعا وكان ينبغي أن يكون هو الأظهر وهو أن يكون الكون تاما بمعنى كيف يوجد عهد للمشركين عند الله والاستفهام
هنا بمعنى النفي ولذلك وقع بعده الاستثناء بإلا ومن مجيئه بمعنى النفي أيضا قوله • فهذي سيوفي يا هدي بن مالك •
كثير ولكن كيف بالسيف ضارب • أي ليس ضارب بالسيف وفي الآية محذوف تقديره كيف يكون للمشركين عهد مع إضمار الغدر
فيما وقع من العهد **قوله** إلا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام في الاستثناء وجهان أحدهما أنه منقطع أي لكن
الذين عاهدتم فإن حكمهم كيت وكيت والثاني أنه متصل وفيه حينئذ احتمالان أحدهما أنه منصوب على أصل الاستثناء
من المشركين والثاني أنه مجرور على البدل منهم لأن معنى الاستفهام المتقدم نفي أي ليس يكون للمشركين عهد إلا للذين لم ينكثوا
وقياس قول أبي البقاء فيما تقدم أن يكون مرفوعا بالابتداء والجملة من قوله فما استقاموا خبره **فصل**
معنى الآية أي لا يكون لهم عهد عند الله ولا عند رسوله وهم يغدرون وينقضون العهد ثم استثنى فقال إلا الذين

عاهدتم عند المسجد الحرام قال ابن عباس هم قريش وقال قتادة هم أهل مكة الذين عاهدهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
يوم الحديبية قال الله تعالى فما استقاموا لكم أي على العهد فاستقيموا لهم فنقضوا العهد وأعانوا بني بكر على خزاعة فضرب لهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد الفتح أربعة أشهر يختارون من أمرهم إما أن يسلموا وإما أن يلحقوا بأي بلاد شاءوا فأسلموا قبل الأربعة
أشهر وقال السدي والكلبي وابن إسحق هم من قبائل بكر بنو خزيمة وبنو مدلج وبنو ضمرة وبنو الديل الذين كانوا قد دخلوا في عهد
قريش يوم الحديبية فلم يكن نقض إلا قريش وبنو الديل من بني بكر فأمر بإتمام العهد لمن لم ينقض وهم بنو ضمرة وهذا القول أقرب
إلى الصواب لأن هذه الآيات نزلت بعد نقض قريش العهد وبعد فتح مكة وكيف يقول لشيء قد مضى فما استقاموا لكم فاستقيموا
لهم وإنما هم الذين قال الله عز وجل إلا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيئا كما نقضكم قريش ولم يظاهروا عليكم أحدا
كما ظاهرت قريش بني بكر على خزاعة وحلفاء رسول الله صلى الله عليه وسلم **قوله تعالى** فما استقاموا يجوز فيها أن تكون مصدرية
ظرفية وهي في محل نصب على ذلك فاستقيموا لهم مدة استقامتهم لكم ويجوز أن تكون شرطية وحينئذ ففي محلها وجهان أحدهما
أنها في محل نصب على الظرف الزماني والتقدير أي زمان استقاموا لكم فاستقيموا لهم ونظره أبو البقاء بقوله ما يفتح الله للناس
من رحمة فلا ممسك لها والثاني أنها في محل رفع بالابتداء وفي الخبر الأقوال المشهورة وفاستقيموا جواب الشرط وهذا نحا إليه الحوفي
ويحتاج إلى حذف عائد أي أي زمان استقاموا لكم منه فاستقيموا لهم وقد جوز ابن مالك في ما المصدرية الزمانية أن تكون
شرطية جازمة وأنشد على ذلك • فما تحي لا أسأم حياة وإن تمت • فلا خير في الدنيا ولا العيش أجمعا • ولا دليل فيه لأن الظاهر
الشرطية من غير تأويل بمصدرية وزمان قال أبو البقاء ولا يجوز أن تكون نافية لفساد المعنى إذ يصير المعنى استقيموا لهم لأنهم لم
يستقيموا لكم ثم قال تعالى إن الله يحب المتقين أي من اتقى الله يوفي بعهده لمن عاهده **قوله تعالى** كيف وإن يظهروا
عليكم لا يرقبوا فيكم إلا ولا ذمة الآية المستفهم عنه محذوف لدلالة المعنى عليه فقدره أبو البقاء كيف تطمئنون أو كيف يكون لهم
عهد وقدره غيره كيف لا يقاتلونكم والتقدير الثاني من تقديري أبي البقاء أحسن لأنه من جنس ما تقدم فالدلالة عليه أقوى وقد
جاء الحذف في هذا التركيب كثيرا وتقدم منه قوله تعالى فكيف إذا جمعناهم فكيف إذا جئنا وقال الشاعر •
وخبرتماني أنما الموت بالقرى • فكيف وهاتا هضبة وكثيب • أي كيف مات وقال الحطيئة • فكيف ولم أعلمهم خذلوكم •
على معظم ولا أديمكم قدوا • أي كيف تلومونني في مدحهم قال أبو حيان وقدر أبو البقاء الفعل بعد كيف بقوله كيف تطمئنون
وقدره غيره فكيف لا يقاتلونهم قال شهاب الدين ولم يقدره أبو البقاء بهذا وحده بل به وبالوجه المختار كما تقدم عنه **قوله**
كيف وإن يظهروا أي كيف تكرار لاستبعاد ثبات المشركين على العهد وحذف الفعل لكونه معلوما أي كيف يكون لهم عهد وحالهم أنهم
إن يظهروا عليكم بعد ما سبق لهم من تأكيد الأيمان والمواثيق لم ينظروا في حلف ولا عهد ولا يبقوا عليكم والجملة الشرطية من قوله
إن يظهروا في محل نصب على الحال أي كيف يكون لهم عهد وهم على حالة تنافي ذلك وقد تقدم تحقيق هذا عند قوله وإن يأتهم عرض مثله
يأخذوه ولا يرقبوا جواب الشرط وقرأ زيد بن علي وإن يظهروا مبنيا للمفعول من أظهره عليه أي جعله غالبا له يقال ظهرت على فلان
إذا علوته وظهرت على السطح إذا صرت فوقه قال الليث الظهور الظفر بالشيء وأظهر الله المسلمين على المشركين أي أعلاهم عليهم قال تعالى
فأصبحوا ظاهرين وقوله تعالى ليظهره على الدين كله أي ليعليه **قوله تعالى** لا يرقبوا قال الليث رقب الإنسان يرقب رقبة
ورقوبا هو أن ينتظر والمعنى لا ينتظروا قال الضحاك ورقيب القوم حارسهم وقوله ولم ترقب قولي أي لم تحفظه وقال قطرب
لا يراعوا فيكم إلا قوله إلا مفعول به بيرقبوا وفي الإل أقوال أحدها أن المراد به العهد قاله أبو عبيدة وابن زيد والسدي وكذلك
الذمة إلا أنه كرر لاختلاف اللفظين ومنه قول الشاعر • لولا بنو مالك والإل مرقبة • ومالك فيهم الآلاء والشرف •
أي الحلف وقال آخر • وجدناهم كاذبا إلهم • وذو الإل والعهد لا يكذب • وقال آخر •
أفسد الناس خلوف خلفوا • قطعوا الإل وأعراق الرحم • وفي حديث أم زرع بنت أبي زرع وفي الإل كريم الخل برود الظل
أي وفي العهد الثاني أنه القرابة قاله ابن عباس والضحاك وقاله الفراء وأنشد لحسان • لعمرك إن إلك من قريش •
كإل السقب من رأل النعام • وأنشد أبو عبيدة على ذلك قوله قطعوا الإل وأعراق الرحم والظاهر أن المراد به العهد
كما تقدم لئلا يلزم التكرار الثالث أن المراد به الله تعالى أي هو اسم من أسمائه واستدلوا على ذلك بحديث أبي بكر لما عرض عليه
كلام مسيلمة لعنه الله إن هذا الكلام لم يخرج من إل أي الله عز وجل قاله أبو مجلز ومجاهد وكان عبيد بن عمير يقول جبرإل
بالتشديد يعني عبد الله ولم يرتض هذا الزجاج قال لأن أسماءه تعالى معروفة في الكتاب والسنة ولم يسمع أحد يقول يا إل افعل
كذا الرابع أن الإل الجؤار وهو رفع الصوت عند التحالف وذلك أنهم كانوا إذا تماسحوا وتحالفوا جأروا بذلك جأرا ومنه
قول أبي جهل • لإل علينا واجب لا نضيعه • متين قواه غير منتكث الحبل • الخامس أنه من أل البرق أي لمع قال الأزهري الأليل
البريق يقال أل يؤل أي صفا ولمع ومنه الآلة للمعانها وقيل الإل من التحديد ومنه الآلة للحربة وذلك لحدتها وقد جعل
بعضهم بين هذه المعاني قدرا مشتركا يرجع إليه جميع ما تقدم وقال الزجاج حقيقة الإل عندي على ما توجبه اللغة التحديد

للنبي من ذلك الا آلة الحربة وادن مو لله فالال تخرج من جميع ما فسر من العهد والقرابة والجوار ومن هذا فاذا قلت في العهد فيهما
الى فتاوبلهما واحدا في العهود وكذلك في الجوار والقرابة وقال الراغب الال كل حالة ظاهرة من عهد وحلف وقرابة يئل
اي يلمع وال الفرس اسرع والالة الحربة اللامعة وانشد غيره على ذلك قول حسان بن قيس يوم فتح مكة ● ان تعلموا اليوم فالي علة
عدا سلاح كامل واله ● وذو غرارين سريع السله ● قال وقيل الال والايل اسمان لله تعالى وليس ذلك بصحيح قال الازهري ايل من اسماء
الله تعالى بالعبرانية فجاز ان يكون عرب فقيل ال وقال اللان صحيحا السكن انتهى وجمع الال في القلة على ال والاصل الل بزنة
افلس فابدلت الهمزة الثانية الفا لكونها بعد اخرى مفتوحة وادغمت اللام في اللام وفي الكثرة على الال كذئب وذياب والال بالفتح
قيل منه القنوط قال الهروي في الحديث عجب ربكم من الكم وقنوطكم قال ابو عبيد المحدثون يقولونه بكسر الهمزة والمحفوظ عندنا
فتحها وهو اشبه بالمصادر كانه اراد من شدة قنوطكم ويجوز ان يكون من رفع الصوت يقال ال يؤل الا والالا اذا رفع صوته
بالبكا ومنه يقال له الويل والاليل ومنه قول الكميت ● وانت ما انت في غبراء مظلمة ● اذا دعت الليها الكاعب الفضل ●
انتهى وقرأت فرقة الا بالفتح وهو على ما ذكر من كونه مصدرا من ال يؤل اذا عاهد وقرا عكرمة ايلا بكسر الهمزة بعدها يا
ساكنة وفيه ثلاثة اوجه احدها انه اسم الله تعالى ويؤيده ما تقدم من جبرئيل واسرافيل ان المعنى عبد الله والثاني انه يجوز ان يكون
مشتقا من ال يؤل اذا صار الى اخر الامر او من ال يؤل اذا ساس قال ابن جني اي لا يرقبون فيكم سياسة ولا مداراة وعلى التقديرين
سكنت الواو بعد كسرة فقلبت ياء كريح الثالث هو الال المضعف وانما استثقل التضعيف فابدل احد حرفيه ياء كقولهم
امليت الكتاب واملدته وقال الشاعر ● يا ليتما امنا شالت نعامتها ● ايما الى جنة ايما الى نار ●
ولا ذمة الذمة قيل العهد فيكون ما كرر لاختلاف لفظه اذا قلنا ان الال العهد ايضا فهو كقوله تعالى صلوات من ربهم
ورحمة وقول الشاعر ● والفى قولها كذبا ومينا ● وقوله ● وهند اتى من دونها الناي والبعد ● وقيل الذمة الضمان
يقال هو في ذمتي اي في ضماني وبه سمي اهل الذمة لدخولهم في ضمان المسلمين ويقال له ذمة وذمام ومذمة وهي الذم
قال ذلك ابو عبيدة وانشد لاسامة بن الحارث ● يصبح بالاسحار من كل صارخ ● كما ناشد الذم الكفيل المعاهد ● وقال الراغب
الذمام ما يذم الرجل على اضاعته من عهد وكذلك الذمة والمذمة والمذمة بالفتح والكسر وقيل لي مذمة فلا تهتكها
وقال غيره سميت ذمة لان كل حرمة يلزمك من تضييعها الذم يقال لها ذمة وتجمع على ذمم كقوله كما ناشد الذمم وعلى ذمم
وذمام وقال ابو زيد مذمة بالكسر من الذمام وبالفتح من الذم وقال الازهري الذمة الامان وفي الحديث ويسعى بذمتهم
ادناهم قال ابو عبيدة الذمة الامان ههنا يقول اذا اعطى ادنى الناس امانا لكافر نفذ عليهم ولذلك اجاز عمر رضي الله عنه
امان عبد على جميع العسكر وقال الاصمعي الذمة ما لزم ان يحفظ ويحمى **قوله تعالى** يرضونكم فيه وجهان احدهما
انه مستانف وهذا هو الظاهر اخبر انهم حالهم كذلك والثاني انه في محل نصب على الحال من فاعل لا يرقبون قال ابو البقا
وليس بشيء لانهم بعد ظهورهم لا يرضون المؤمنين ومعنى الاية يعطونكم بالسنتهم خلاف ما في قلوبهم وتابى قلوبهم يقال
ابى يابى اي اشتد امتناعه فكل اباء امتناع من غير عكس قال ابا الله الا عدله ووفاءه فلا النكر معروف ولا
العرف ضايع وقال اخر ● ابى الضيم والنعمان يحرق نابه عليه فافضى والسيوف معاقله ● فليس من فسر
مطلق الامتناع بمصيب ويجي المضارع منه على يفعل بفتح العين شاذ ومثله قلى يقلى في لغة **فصل**
الفقه ويابى قلوبهم الايمان واكثرهم فاسقون وفيه سوالان **فان قيل** ان الموصوفين بهذه الصفة كفار والكفر
اقبح واخبث من الفسق فكيف يحسن وصفهم بالفسق في معرض المبالغة والسوال الثاني ان الكفار كلهم فاسقون فلا يبقى
لقوله واكثرهم فاسقون فايدة والجواب عن الاول ان الكافر قد يكون عدلا في دينه وقد يكون فاسقا خبيث النفس في دينه
والمراد ان هولاء الكفار الذين من عادتهم نقض العهود اكثرهم فاسقون في دينهم وذلك يوجب المبالغة في الذم والجواب
عن الثاني مثل الاول لان الكافر قد يكون محترزا عن الكذب ونقض العهد والمكر والخديعة وقد يكون موصوفا
بذلك ومثل هذا الشخص يكون مذموما عند جميع الناس وفي جميع الاديان ومعنى الاية ان اكثرهم موصوفون بهذه الا..
الذميمة وقال ابن عباس لا يبعد ان يكون بعض اوليك الكفار قد اسلم وتاب فلهذا السبب قال واكثرهم فاسقون ليخرج
عن هذا الحكم اوليك الذين اسلموا **قوله** اشتروا بايات الله ثمنا قليلا قال مجاهد اطعم ابو سفيان حلفاءه ونقض عهد
رسول الله صلى الله عليه وسلم فنقضوا العهد الذي كان بينهم بسبب تلك الاكلة وقال ابن عباس ان اهل الطايف امدوهم
بالاموال ليقووهم على حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل لا يبعد ان يكون طايفة من اليهود اعانوا المشركين
على نقض العهود فكان المراد من هذه الاية ذم اوليك اليهود وهذا هو اللفظ في القران كالمختص باليهود ويؤكد هذا
بان الله تعالى اعاد قوله لا يرقبون في مومن الا ولا ذمة ولو كان المراد منه المشركين لكان هذا تكرارا محضا واذا حمل على اليهود
لم يكن تكرارا فكان اولى ثم قال انهم ساء اي بيس ما كانوا يعملون قال ابو حيان يجوز ان يكون على بابها من التصرف والتعدية ومفعولها

محذوف اي ساء عملهم الذي كانوا يعملونه او عملهم وان تكون الجارية مجرى بيس فتحول الى فعل بالضم ويمتنع تصرفها وتصير للذم
ويكون المخصوص بالذم محذوفا كما تقرر مرارا **قوله** لا يرقبون في مومن الا ولا ذمة اي لا يبقوا عليهم اذا المومنون
لا يبقون عليكم لو ظهروا واوليك هم المعتدون بنقض العهد وتعديهم ما حده الله في دينه وما يوجبه العقد والعهد **قوله**
فان تابوا واقاموا الصلوة واتوا الزكوة فاخوانكم في الدين لما بين حال من لا يرقب في الله الا ولا ذمة وينقض العهد ويتعدى ما حد له
بين بعده انهم ان تابوا واقاموا الصلوة واتوا الزكوة فهم اخوانكم في الدين **فان قيل** المعلق على الشي بكلمة ان عدم عند عدم
ذلك الشي فهذا يقتضي انه متى لم توجد هذه الثلاثة لا تحصل الاخوة في الدين وهو مشكل لانه ربما كان فقيرا او كان غنيا ولكن
قبل انقضاء الحول لا تلزمه الزكوة فالجواب انه قد تقدم في تفسير قوله ان تجتنبوا كباير ما تنهون عنه ان المعلق على الشي بكلمة
ان لا يلزم فيه عدم ذلك الشي كذلك هاهنا ومن الناس من قال المعلق على الشي بكلمة ان عدم عند عدم ذلك الشي وها هنا قال المواخاة
بين المسلمين موقوفة على ان الصلوة والزكوة جميعا فان الله شرطهما في اثبات المواخاة ومن لم يكن اهلا لوجوب الزكوة وجب عليه
ان يقر بحكمها فاذا اقر بهذا الحكم دخل في الشرط الذي به تجب الاخوة **قوله** فاخوانكم خبر مبتدا محذوف اي فهم اخوانكم والجملة
الاسمية في محل جزم على جواب الشرط وفي الدين متعلق باخوانكم لما فيه من معنى الفعل **فصل** قال ابو حاتم قال
اهل البصرة اجمعون الاخوة في النسب والاخوان في الصداقة وهذا غلط يقال للاصدقا والاصدقا اخوة واخوان قال الله
تعالى انما المومنون اخوة ولم يعن النسب وقال تعالى او بيوت اخوانكم وهذا في النسب قال ابن عباس حرمت هذه الاية دما اهل القبلة
ومعنى قوله فاخوانكم اي فهم اخوانكم في الدين لهم ما لكم وعليهم ما عليكم قال ابن مسعود امرتم بالصلوة والزكوة فمن لم يزك
فلا صلاة له وروى ابو هريرة قال لما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان ابو بكر وكفر من كفر من العرب فقال عمر كيف تقاتل الناس
وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله فمن قالها فقد عصم مني ماله ونفسه الا بحقها
وحسابه على الله فقال والله لاقاتلن من فرق بين الصلوة والزكوة فان الزكوة حق المال والله لو منعوني عناقا كانوا يودونها
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم على منعها قال عمر فوالله ما هو الا ان قد شرح الله صدر ابي بكر للقتال فعرفت انه الحق
قوله تعالى ونفصل الايات لقوم يعلمون قال الزمخشري وهذا اعتراض واقع بين الكلامين والمقصود الحث والتحريض
على تامل ما فصل من احكام المشركين المعاهدين وعلى المحافظة عليها **قوله تعالى** وان نكثوا ايمانهم نقضوا عهودهم
والايمان جمع يمين بمعنى الحلف من بعد عهدهم عقدهم يعني مشركي قريش قال الاكثرون المراد نكثهم لعهد رسول الله صلى الله عليه
وسلم وقيل المراد حمل العهد على الاسلام ويويده قراءة من قرا وان نكثوا ايمانهم نقضوا عهودهم والايمان جمع يمين بمعنى الحلف
من بعد عهدهم عقدهم ● بكسر الهمزة والاول اولى للقراءة المشهورة ولان الاية وردت في ناقض العهد وقوله وطعنوا في دينكم اي
عابوه وهذا دليل على ان الذمي اذا طعن في دين الاسلام ظاهرا لا يبقى له عهد **قوله تعالى** فقاتلوا ايمة الكفر اي متى فعلوا
ذلك فافعلوا هذا وقرا نافع وابن كثير وابو عمرو ايمة بهمزتين ثانيتهما مسهلة بين بين ولا الف بينهما والكوفيون وابن ذكوان
عن ابن عامر بتحقيقهما من غير ادخال الف بينهما وهشام كذلك الا انه ادخل بينهما الفا هذا هو المشهور بين القراء السبعة وفي بعضها
كلام ياتي ان شاء الله تعالى ونقل ابو حيان عن نافع ومن معه انهم يبدلون الثانية ياء محضة وانه قد نقل عن نافع المد بينهما
اي بين الهمزة والياء فاما قراءة التحقيق وبين بين فقد ضعفها جماعة من النحويين كابي علي الفارسي وتابعيه ومن القراء ايضا من
ضعف التحقيق مع روايته له وقراءته به لاصحابه ومنهم من انكر التسهيل بين بين فلم يقرا به لاصحاب التحقيق وقرا بياء خفيفة
الكسر نصوا على ذلك في كتبهم فاما القراءة بالياء فهي التي ارتضاها الفارسي وهولاء الجماعة لان النطق بالهمزتين في كلمة واحدة ثقيل
وهمزة بين بين بزنة المخففة والزمخشري جعل القراءة بصريح الياء لحنا وتحقيق الهمزتين غير مقبول عند البصريين قال فان قلت
كيف لفظ ايمة قلت همزة بعدها همزة بين بين اي بين مخرج الهمزة والياء وتحقيق الهمزتين قراءة مشهورة وان لم تكن مقبولة
عند البصريين واما التصريح بالياء فلا يجوز ان يكون ومن قرا بها فهو لاحن محرف قال ابو حيان وذلك دابه في تلحين
المقريين وكيف يكون لحنا وقد قرا بها راس النحاة البصريين ابو عمرو بن العلا وقاري اهل مكة ابن كثير وقاري اهل المدينة
... قال شهاب الدين لا ينقم على الزمخشري شي فانه انما قال انها غير مقبولة عند البصريين ولا يلزم من ذلك انه لا يقبلها
... في الباب انه نقل عن غيره واما التصريح بالياء فانه معذور فيه لما تقدم من انها لم تشتهر بين القراء التسهيل بين بين
لا الابدال المحض حتى ان الشاطبي جعل ذلك مذهبا للنحويين لا للقراء قال الزمخشري انما اختار مذهب القراء لا مذهب النحاة
في هذه اللفظة وقد رد ابو البقا قراءة التسهيل بين بين فقال ولا يجوز ههنا ان تجعل بين بين كما جعلت همزة ايذا لان
الكسرة ههنا منقولة وههنا اصلية ولو حققت الهمزة الثانية على القياس لقلبت الفا لانفتاح ما قبلها ولكن تركت ذلك
لتحرك بحركة الميم في الاصل قال شهاب الدين قوله منقولة لا يفيد لان النقل ههنا لازم فهو كالاصل وقوله ولو حققت على
القياس لجاز لا يفيد ايضا لان الاعتنا بالادغام سابق على الاعتنا بتخفيف الهمزة ووزن ايمة افعلة لانها جمع امام كحمار

والحمرو والاصل ائممه فالتقى ميمان فاريد ادغامها فنقلت حركة الميم الاولى للساكن قبلها وهو الهمزة الثانية فادى
ذلك الى اجتماع همزتين ثانيتهما مكسورة فالنحويون البصريون يوجبون ابدال الثانية ياء وغيرهم حققوا ويسهل بين بين
ومن ادخل الالف فللخفة حتى يفرق بين الهمزتين ولا اصح حينئذ ان يكون ذلك في التحقيق كقراءة هشام واما ما رواه ابو حيان
عن نافع من المد مع نقله عنه انه يصرح بالياء فللمبالغة في الخفة **قوله تعالى** لا ايمان لهم قرا ابن عامر لا ايمان بكسر الهمزة
وهذا مصدر امن يومن ايمانا من الامان وفي معناه حينئذ وجهان احدهما انهم لا يومنون في انفسهم اي لا يعطون امانا
بعد نكثهم وطعنهم ولا سبيل الى ذلك والثاني الاخبار بانهم لا يوفون لاحد بعهد يعقدونه له او من التصديق اي انهم لا اسلام
لهم واختار مكي التاويل الاول لما فيه من تجديد فائدة لم يتقدم لها ذكر لان وصفهم بالكفر وعدم الايمان قد سبق وعرف وقرا
الباقون بالفتح وهو جمع يمين وهذا مناسب للنكث وقد اجمع على فتح الثانية ومعنى نفي الايمان عن الكفار انهم لا يوفون بها
وان صدرت منهم وثبتت وهذا كقول الشاعر — وان حلفت لا ينقض النأي عهدها — فليس لمخضوب البنان يمين
وبذلك قال الشافعي وحمله ابو حنيفة على حقيقته ان اليمين الكافر لا يكون يمينا شرعية وعند الشافعي يمين شرعية **فصل**
معنى الاية قاتلوا الكفار باسرهم وانما خص الائمة السادة بالذكر لانهم الذين يحرضون الاتباع على الافعال الباطلة قال ابن عباس
نزلت في ابي سفيان بن حرب والحارث بن هشام وسهيل بن عمرو وعكرمة بن ابي جهل وسائر رؤساء قريش يومئذ الذين نقضوا العهد
وهم الذين هموا باخراج الرسول وقال مجاهد هم اهل فارس والروم وقال حذيفة بن اليمان ما قوتل اهل هذه الاية ولم يات
اهلها بعد انهم لا ايمان لهم اي لا عهد لهم ولا عهود لهم لعلهم ينتهون وهو متعلق بقوله فقاتلوا ائمة الكفر اي ليكن
غرضكم في مقاتلتهم بعد ما وجد منهم من العظائم ان تكون المقاتلة سببا في انتهائهم عن الكفر **قوله تعالى** الا تقاتلون قوما
نكثوا ايمانهم لانه لما قال قاتلوا ائمة الكفر اتبعه بذكر السبب الباعث على مقاتلتهم فقال الا تقاتلون قوما نكثوا ايمانهم
نقضوا عهودهم وهم الذين نقضوا عهد الصلح بالحديبية واعانوا بني بكر على خزاعة وهموا باخراج الرسول من مكة حين اجتمعوا
في دار الندوة وقيل المراد من المدينة لما اقدموا عليه من المشورة والاجتماع على قصده بالقتل وقيل بل هموا على اخراجه من حيث
اقدموا على ما يدعوه الى الخروج وهو نقض العهد واعانة اعدائه فاسند الاخراج اليهم توسعا لما وقع منهم من الامور الداعية
اليه وقوله هموا باخراج الرسول اما بالفعل واما بالعزم عليه وان لم يوجد ذلك الفعل بتمامه واعلم ان الله تعالى ذكر ثلاثة اشياء
كل واحد منها يوجب مقاتلتهم اذا انفرد فكيف اذا اجتمعت احدها نكثهم العهد والثاني انهم هموا باخراج الرسول وهذا من
اوكد موجبات القتال والثالث قوله وهم بدؤكم اول مرة يعني بالقتال يوم بدر لانهم حين سلم العير قالوا لا ننصرف حتى
نستاصل محمدا ومن معه وقال جماعة من المفسرين اراد انهم بدؤوا بقتال خزاعة حلفاء رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال الحسن
لا يجوز ان يكون المراد منه ذلك لان سورة براءة نزلت بعد فتح مكة وقوله اول مرة نصب على ظرف الزمان واصلها المصدر
من مر يمر كما تقدم **قوله تعالى** اتخشونهم فالله احق ان تخشوه الجلالة مبتدأ وفي الخبر اوجه احدها احق وان تخشوه
على هذا بعد اسقاط الجار بدل اشتمال والمفضل عليه محذوف والتقدير بخشية الله احق من خشيتهم الثاني ان احق خبر مقدم وان
تخشوه مبتدا مؤخر والجملة خبر الجلالة الثالث ان احق مبتدا وان تخشوه خبره والجملة ايضا خبر الجلالة قال ابن عطية وحسن
الابتداء بالنكرة لانها افعل التفضيل وقد اجاز سيبويه ان تكون المعرفة خبرا للنكرة في نحو اقصد رجلا خير منه ابوه الرابع
ان ان تخشوه في محل نصب او جر بعد اسقاط الخافض اذ التقدير احق بان تخشوه وقوله ان كنتم مومنين شرط حذف جوابه او قدم
على حسب الخلاف **فصل** هذا الكلام يقوي داعية القتال من وجوه الاول ان تقرير الموجبات القوية وتفصيلها
مما يقوي هذه الداعية الثاني انك اذا قلت للرجل اتخشى خصمك فكانك تحرضه على القتال اي لا تخف منه الثالث قوله فالله
احق ان تخشوه اي ان كنت تخشى احدا فالله احق ان تخشاه لكونه في غاية القدرة فالضرر المتوقع منهم غايته القتل واما المتوقع من
الله العقاب الشديد في القيامة والذم اللازم في الدنيا والرابع قوله ان كنتم مومنين اي ان كنتم مومنين بالايمان وجب عليكم
القتال اي انكم ان لم تقدموا على القتال وجب ان لا تكونوا مومنين **فصل** حكى الواحدي عن اهل المعاني انهم قالوا
اذا قلت لا تفعل كذا فانما يستعمل ذلك في فعل يقدر وجوده واذا قلت الست تفعل فانما يقول ذلك في فعل تحقق وجوده
والفرق بينهما ان لا ينفى بها المستقبل فاذا دخلت عليها الالف لتحقيق الحالة **فصل** نقل عن ابن عباس انه قال
قوله الا تقاتلون قوما ترغيب في فتح مكة وقوما نكثوا ايمانهم اي عهدهم يعني قريشا حين اعانوا بني الديل بن بكر على خزاعة كما تقدم
وقال الحسن لا يجوز ان يكون المراد منه ذلك لان سورة براءة نزلت بعد فتح مكة **فصل** قال الاصم دلت الاية
على انهم كرهوا هذا القتال لقوله كتب عليكم القتال وهو كره لكم فامنهم الله تعالى بهذه الايات قال القاضي انه تعالى قد يحث
على فعل الواجب من لا يكون كارها له ولا مقصرا فيه فان اراد ان مثل هذا التحريض على الجهاد لا يقع الا وهناك كره للقتال لا يصح
ايضا لانه يجوز ان يحث تعالى بهذا الحث على الجهاد لكيلا يحصل الكره الذي لولا هذا التحريض كان يقع **فصل** قال القرطبي

استدلوا بهذه الاية على وجوب قتل كل من طعن في الدين اذ هو كافر والطعن هو ان ينسب اليه ما لا يليق به او يعترض بالاستخفاف
على ما هو من الدين لما ثبت بالدليل القطعي على صحة نقوله واستقامة **فصل** قال ابن المنذر اجمع عوام اهل العلم
على ان من سب النبي صلى الله عليه وسلم انه يقتل قال القرطبي واما الذمي اذا طعن في الدين انتقض عهده في المشهور من مذهب مالك
لقوله تعالى وان نكثوا ايمانهم من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم الاية فامر بقتلهم وقتالهم وهو مذهب الشافعي وقال ابو حنيفة
يستتاب وان مجرد الطعن لا ينتقض به العهد الا مع وجود النكث **فصل** اذا حارب الذمي انتقض عهده وكان ماله وولده
فيئا معه **فصل** قال القرطبي اكثر العلماء على ان من سب النبي صلى الله عليه وسلم من اهل الذمة او عرض او استخف بقدره
او وصفه بغير الوجه الذي كفر به فانه يقتل لانا لم نعطه الذمة والعهد على هذا لقوله تعالى وان نكثوا الاية وقال ابو حنيفة والثوري
واتباعهما من اهل الكوفة لا يقتل لان ما هو عليه من الشرك اعظم ولكن يؤدب ويعزر **فصل** قال القرطبي اختلفوا فيما
اذا سبه ثم اسلم تقية من القتل فقيل يسقط القتل باسلامه وهو المشهور من المذهب لان الاسلام يجب ما قبله بخلاف المسلم اذا
سبه ثم تاب قال تعالى قل للذين كفروا ان ينتهوا الاية وقيل لا يسقط الاسلام قتله قاله في العتبية **قوله تعالى** قاتلوهم
يعذبهم الله بايديكم الاية اعلم ان الله تعالى لما قال في الاية الاولى الا تقاتلون وذكر الاشياء التي توجب ودعاهم على القتال ذكر في هذه
الاية خمسة انواع من الفوائد كل واحد منها يعظم موقعه اذا انفرد فكيف اذا اجتمعت فاولها قوله يعذبهم الله بايديكم وسمى ذلك
عذابا لان الله تعالى يعذب الكافرين ان شاء عجله في الدنيا وان شاء اخره في الاخرة والمراد من هذا التعذيب القتل تارة والاسر اخرى
واغتنام الاموال ثالثا **فان قيل** اليس قد قال تعالى وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم على الاستئصال فكيف قال هاهنا
يعذبهم الله بايديكم فالجواب المراد وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم عذاب الاستئصال والمراد من قوله يعذبهم الله بايديكم عذاب
القتل والحرب والفرق بين البابين ان عذاب الاستئصال قد يتعدى الى غير المذنب وان كان في حقه سببا لمزيد الثواب اما
عذاب القتل فالظاهر انه مقصور على المذنب **فصل** احتج اهل السنة على ان فعل العبد مخلوق لله تعالى بقوله
يعذبهم الله بايديكم فان المراد من هذا التعذيب القتل والاسر وظاهر هذا النص يدل على ان ذلك القتل والاسر فعل الله تعالى يحدثه
في الوجود على ايدي العباد اجاب الجبائي عنه فقال لو جاز ان يقال انه تعالى يعذب الكفار بايدي المومنين لجاز ان يقال انه
يعذب المومنين على السنتهم لانه تعالى خالق لذلك فلما لم يجز ذلك عند العدم علم انه تعالى لم يخلق اعمال العباد وانما نسب ما ذكر الى
نفسه على سبيل التوسع من حيث انه حصل بامره والطافه كما يضيف جميع الطاعات اليه بهذا التفسير واجيب بان الذي الزمتموه
علينا فالامر كذلك الا انا لا نقول باللسان كما نعلم انه تعالى هو الخالق لجميع الاجسام ثم انا لا نقول يا خالق الابوال والعذرات ويا مكون
الخنافس والديدان فكذا هاهنا وايضا توافقنا على ان الزنا واللواط وسائر القبائح انما حصل باقدار الله وتمكينه ثم لا يجوز ان
يقال يا مسهل الزنا واللواط ويا رافع الموانع عنها واما قوله والمراد الاقدار والاذن فهذا صرف عن ظاهره وذلك لا يجوز الا لدليل
والدليل القاهر من جانبنا فان الفعل لا يصدر الا عند الداعية الحاصلة وحصول تلك الداعية ليس الا من الله تعالى وثانيها
قوله ويخزهم اي يذلهم بالاسر والقهر وقال الواحدي اي بعد قتلهم اياهم وهذا يدل على ان الاخزاء وقع بهم في الاخرة وهذا ضعيف
لما تقدم من ان الاخزاء حاصل في الدنيا وثالثها قوله وينصركم عليهم اي لما حصل لهم الخزي بسبب كونهم مقهورين فقد حصل النصر
للمسلمين بسبب كونهم قاهرين **فان قيل** لما كان حصول الخزي مستلزما لحصول النصر كان افراده بالذكر عبثا فالجواب
ليس الامر كذلك لانه يحتمل ان يحصل الخزي لهم من جهة المومنين الا ان المومنين يحصل لهم آفة بسبب آخر فلما قال وينصركم عليهم دل على
انهم ينتفعون بهذا النصر والفتح والظفر ورابعها قوله ويشف صدور قوم مومنين قرا الجمهور بياء الغيبة ردا على اسم الله تعالى
وقرا زيد بن علي ونشف بالنون وهو التفات حسن وقال قوم مومنين شهادة للمخاطبين بالايمان فهو من باب الالتفات واقامة
الظاهر مقام المضمر حيث لم يقل صدوركم والمعنى يبرئ داء قلوب قوم مومنين مما كانوا ينالونه من الاذى منهم ومعلوم ان
من طال تاذيه من خصمه ثم مكنه الله منه على احسن الوجوه فانه يعظم سروره به ويصير ذلك سببا لقوة النفس وثبات العزيمة
وقال مجاهد والسدي اراد صدور خزاعة حلفاء رسول الله صلى الله عليه وسلم وخامسها قوله ويذهب غيظ قلوبهم كربها ووجدها
بمعونة قريش بكرا عليهم **فصل** قوله ويشف صدور قوم مومنين معناه انه يشفي من الم الغيظ وهذا هو عين اذهاب
الغيظ فكان قوله ويذهب غيظ قلوبهم تكرارا فالجواب انه تعالى وعدهم بحصول هذا الفتح فكانوا في زحمة الانتظار كما قيل الانتظار
الموت الاحمر فشفى صدورهم من زحمة الانتظار فظهر الفرق بين قوله ويشف صدور قوم مومنين ويذهب غيظ قلوبهم
فهذه المنافع الخمسة ترجع الى تسكين الدواعي الناشئة من القوة الغضبية وهو التشفي ودرك الثار وازالة الغيظ ولم يذكر فيها
وجدان المال والفوز بالمطاعم والمشارب لان العرب جبلوا على الحمية والانفة فرغبهم في هذه المعاني لائقة بطباعهم وقرا
الجمهور ويذهب بضم الياء وكسر الهاء من اذهب وغيظ مفعول به وقرئ ويذهب بفتح الياء والهاء جعله مضارعا لذهب غيظ فاعل
به وقرا زيد بن علي كذلك الا انه رفع الفعل مستانفا ولم ينسقه على المجزوم قبله كما قرا ويتوب بالرفع عند الجمهور **قوله**

ويتوب الله على من يشاء قرأ الجمهور بالرفع وقرأ زيد بن علي والاعرج وابن ابي اسحق وعمرو بن عبيد وعمرو بن فايد وعيسى الثقفي
وابو عمرو في رواية ويعقوب ويتوب بالنصب فاما قراءة الجمهور فانها استيناف اخبار ولذلك رفع فانه قد اسلم ناس كثيرون
كابي سفيان وعكرمة بن ابي جهل وسهيل بن عمرو وغيرهم قال الزجاج وابو الفتح وهذا امر موجود سواء قوتلوا او لم يقاتلوا ولا
وجه لادخال التوبة في جواب الشرط الذي في قاتلوهم يعنيان بالشرط ما فهم من الجملة الامرية قال ونظيره وان يشاء الله يختم على قلبك
تم الكلام ثم استانف فقال ويمحو الله الباطل واما قراءة زيد ومن ذكر معه فان التوبة تكون داخلة في جواب الامر من طريق المعنى
وفي توجيه ذلك غموض فقال بعضهم انه لما امرهم بالمقاتلة شق ذلك على بعضهم فاذا اقدموا على المقاتلة صار ذلك العمل جاريا مجرى
التوبة من تلك الكراهة قال لا اسمه فيصير المعنى ان تقاتلوهم يعذبهم ويتب عليكم من تلك الكراهة لقتالهم وقال اخرون في توجيه
ذلك ان حصول الظفر وكثرة الاموال لذة تطلب بطريق حرام فلما حصلت لهم بطريق حلال كان ذلك داعيا لهم الى التوبة مما تقدم
فصارت التوبة معلقة على المقاتلة وقال ابن عطية في توجيه ذلك يتوجه عندي ان التوبة يراد بها هنا ان قتل الكافرين
والجهاد في سبيل الله هو توبة لكم ايها المؤمنون وكمال لايمانكم فيدخل التوبة على هذا في شرط القتال قال ابو حيان وهذا الذي
قدروه من كون التوبة تدخل تحت جواب الامر هو بالنسبة للمؤمنين الذين امروا بقتال الكفار والذي يظهر ان ذلك بالنسبة الى الكفار
والمعنى على من يشاء من الكفار لان قتال الكفار وغلبة المسلمين اياهم قد يكون سببا لاسلام كثير الا ترى الى فتح مكة كيف اسلم لاجله
ناس كثيرون وحسن اسلام بعضهم جدا كابن ابي سرح ومن تقدم ذكره وغيرهم فيصير المعنى ان تقاتلوهم يتب الله على من يشاء من الكفار
اي يسلم من يشاء منهم والمراد بالتوبة هنا الهداية الى الاسلام كما ذكره جمهور المفسرين ثم قال والله عليم حكيم يعلم بكل ما يفعل في ملكه
حكيم مصيب في احكامه وافعاله **قوله تعالى** ام حسبتم ان تتركوا الاية قال الفراء من الاستفهام الذي يتوسط الكلام ولو اريد به
الابتداء لكان بالالف او بهل **فصل** هذا ترغيب في الجهاد قيل هذا خطاب للمنافقين وقيل للمؤمنين الذين
شق عليهم القتال فقال ام حسبتم ان تتركوا فلا تؤمروا بالجهاد ولا تمتحنوا ليظهر الصادق من الكاذب ولما يعلم الله اي يرى الله
الذين جاهدوا منكم وذكر العلم والمراد منه المعلوم فالمراد ان يتصف الجهاد منهم لانه لما كان وجود الشيء يلزمه معلوم الوجود
عند الله لا جرم جعل علم الله بوجوده كناية عن وجوده **قوله** ولم يتخذوا يجوز في هذه الجملة وجهان احدهما انها داخلة
في حيز الصلة لعطفها عليها اي الذين جاهدوا ولم يتخذوا الثاني انها في محل نصب على الحال من فاعل جاهدوا اي جاهدوا حال
كونهم غير متخذين وليجة ومفعول لم يتخذوا من دون الله اما مفعول ثان ان كان الاتخاذ بمعنى التصيير واما متعلق بالاتخاذ ان كان
على بابه والوليجة فعيلة من الولوج وهو الدخول فالوليجة من يداخلك في باطن امورك وقال ابو عبيدة كل شيء ادخلته في شيء
وليس منه فهو وليجة والرجل في القوم وليس منهم فهو وليجة والرجل في القوم وليس منهم يقال له وليجة ويستعمل بلفظ واحد للمفرد
والمثنى والمجموع وقد يجمع على ولايج وولج كصحيفة وصحايف وصحف وانشد لعبادة بن صفوان الغنوي قال
ولايجهم في كل مبدى ومحضر الى كل من يرجى ومن يتخوف **فصل** معنى الاية ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله
ولا المؤمنين وليجة بطانة واولياء يوالونهم ويفشون اليهم اسرارهم وقال قتادة وليجة خيانة وقال الضحاك خديعة
والمقصود من ذكر هذا الشرط ان المجاهد قد يجاهد ولا يكون مخلصا بل يكون منافقا باطنه خلاف ظاهره فبين انه لا بد وان
ياتي بالجهاد مع الاخلاص خاليا عن الريا والنفاق والتودد الى الكفار والمقصود بيان انه ليس الغرض من ايجاب القتال فقط
بل الغرض ان يؤتى به انقيادا لامر الله ولحكمه وتكليفه ليظهر به بذل النفس والمال في طلب رضوان الله فحينئذ يحصل به الانتفاع
قوله تعالى والله خبير بما تعملون وقرا الحسن بما يعملون بالغيبة على الالتفات وبها قرا يعقوب في رواية سلام اي عالم بنياتهم
واغراضهم لا يخفى عليه منها شيء قال ابن عباس ان الله لا يرضى ان يكون الباطن خلاف الظاهر ولا الظاهر خلاف الباطن وانما يريد
من خلقه الاستقامة كما قال ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا قال ولما فرض القتال تميز المنافق من غيره وتميز من يوالي المؤمنين
ممن يعاديهم **قوله تعالى** ما كان للمشركين ان يعمروا مساجد الله الاية اعلم انه تعالى ابتدا السورة بذكر البراءة من الكفار
وبالغ في ذلك وذكر من انواع قبائحهم ما يوجب تلك البراءة ثم انه تعالى حكى عنهم شبها احتجوا بها في ان هذه البراءة غير جائزة وانه
تجب مخالطتهم ومناصرتهم فاولها هذه الاية وذلك انهم ذكروا انهم موصوفون بصفات حميدة يوجب مخالطتهم ومعاونتهم ومناصرتهم
ومن جملة تلك الصفات كونهم عامرين للمسجد الحرام قال ابن عباس لما اسر العباس يوم بدر عيره المسلمون بالكفر وقطيعة الرحم
واغلظ له علي القول فقال العباس ما لكم تذكرون مساوينا ولا تذكرون محاسننا فقال له علي الكم محاسن فقال نعم انا لنعمر المسجد
الحرام ونحجب الكعبة ونسقي الحاج ونفك العاني فانزل الله تعالى ردا على العباس ما كان للمشركين ان يعمروا مساجد الله اي ما ينبغي
للمشركين ان يعمروا اوجب على المسلمين منعهم من ذلك لان المساجد انما تعمر لعبادة الله وحده واعلم ان عمارة المسجد قسمان اما لزومها
وكثرة اتيانه يقال فلان يعمر مجلس فلان اذا اكثر غشيانه واما بالعمارة المعروفة بالبنا فان كان المراد به الاول كان المعنى انه ليس
للكافر ان يقعد على مرمة المسجد لان المسجد موضع العبادة فيجب ان يعظم والكافر يهينه وايضا فالكافر نجس في الحكم لقوله تعالى

انما المشركون نجس وتطهير المسجد واجب لقوله تعالى ان طهرا بيتي للطائفين وايضا فالكافر لا يحترز من النجاسة فدخوله المسجد
تلويث للمسجد وقد يؤدي الى فساد عبادة وايضا اقدامه على مرمة المسجد يجري مجرى الانعام على المسلمين ولا يجوز ان يصير الكافر
صاحب المنة على المسلمين وقد ذهب جماعة منهم الواحدي الى ان المراد منه العمارة المعروفة من بناء المسجد ومرمته عند
الخراب فيمنع منه الكافر حتى لو اوصى به لا يمتثل ويمنع من دخول المساجد وان دخل بغير اذن مسلم استحق التعزير وان دخل باذن لم يعزر والاولى
تعظيم المساجد ومنعهم منها وقد انزل النبي صلى الله عليه وسلم وفد ثقيف وهم كفار وشد ثمامة بن اثال الحنفي في سارية من سواري المسجد وهو
كافر وحمل بعضهم العمارة على الاول **قوله تعالى** ان يعمروا اسم كان قرا ابن السميفع يعمروا بضم اليا وكسر الميم من اعمر رباعيا والمعنى ان
يعينوا على عمارته وقرا ابن كثير وابو عمرو مسجد الله بالافراد وهي تحتمل وجهين ان يراد به مسجد بعينه وهو المسجد الحرام لقوله وعمارة المسجد
الحرام دخولا اوليا وقرا الباقون مساجد بالجمع وهي ايضا محتملة للامرين ووجه الجمع اما لان كل بقعة من المسجد الحرام يقال لها مسجد واما
لانه قبلة سائر المساجد فصح ان يطلق عليه لفظ الجمع كذلك قال الفراء ربما ذهب العرب بالواحد الى الجمع وبالجمع الى الواحد الا ترى ان
الرجل يركب البرذون فيقول اخذت في ركوب البراذين وفلان يجالس الملوك وهو لا يجالس الا ملكا واحدا ويقال فلان كثير الدرهم
والدنانير يريد الدراهم والدنانير **قوله تعالى** شاهدين الجمهور على قراءته باليا نصبا على الحال من فاعل يعمروا اراد وهم
شاهدون وقرا زيد بن علي شاهدون بالواو رفعا على خبر ابتداء مضمر والجملة حال ايضا **قوله تعالى** على انفسهم الجمهور على
انفسهم جمع نفس وقرئ انفسهم بفتح الفا وتوجيهها ان يراد بالانفس هو الاشرف الاجل من النفاسة ورسول الله صلى الله عليه وسلم
قيل لانه ليس بطن من بطون العرب الا ولد فيهم ولادة وهذا المعنى منقول في تفسير قراءة الجمهور ايضا وهو مع هذه القراءة اوضح
فصل قال الحسن لم يقولوا نحن كفار ولكن كلامهم بالكفر شاهد عليهم بالكفر وقال الضحاك عن ابن عباس شهادتهم على
انفسهم بالكفر سجودهم للاصنام فكانوا يطوفون بالبيت عراة وكانت اصنامهم منصوبة خارج البيت الحرام عند القواعد
وكلما طافوا شوطا سجدوا للاصنام ولم يزدادوا بذلك من الله الا بعدا وقال السدي شهادتهم على انفسهم بالكفر هو ان النصراني يسال
من انت فيقول انا نصراني واليهودي فيقول انا يهودي ويقال للمشرك ما دينك فيقول مشرك وقيل انهم كانوا يقولون لبيك لا شريك
لك الا شريكا هو لك تملكه وما ملك ونقل عن ابن عباس انه قال المراد انهم يشهدون على الرسول بالكفر قال وانما جاز هذا التفسير
لقوله تعالى لقد جاءكم رسول من انفسكم قال القاضي هذا عدول عن الحقيقة وانما يجوز المصير اليه لو تعذر اجراء اللفظ
على حقيقته ولما بينا ان ذلك جائز لم يجز المصير الى هذا المجاز **قوله** اولئك حبطت اعمالهم لانها لغير الله ثم قال
وفي النار هم خالدون هذه جملة مستانفة وفي النار متعلق بالخبر وقدم للاهتمام به ولاجل الفاصلة وقال ابو البقا اي وهم
خالدون في النار وقد وقع الظرف بين حرف العطف والمعطوف وفيه نظر من حيث انه يوهم ان هذه الجملة معطوفة على ما قبلها عطف المفرد
على مثله تقديرا وليس كذلك بل هي مستانفة واذا كانت مستانفة فلا يقال فيها فصل الظرف بين حرف العطف والمعطوف انما ذلك
في المتعاطفين المفردين او ما في تاويلهما وقد تقدم تحقيقه في قوله تعالى في الدنيا حسنة وفي الاخرة حسنة وفي قوله واذا حكمتم بين
الناس ان تحكموا بالعدل وقرا زيد بن علي خالدين باليا نصبا على الحال من الضمير المستتر في الجار قبله لان الجار صار خبرا كقولك في الدار
زيد قاعدا فقد رفع زيد شاهدين ونصب خالدون عكس قراءة الجمهور فيهما **فصل** احتج اهل السنة بهذه الاية
على ان الفاسق من اهل الصلاة لا يخلد في النار من وجهين الاول ان قوله وفي النار هم خالدون يفيد الحصر انهم فيها خالدون لا غيرهم لان
هذا الكلام ورد في حق الكفار الثاني انه تعالى جعل الخلود في النار للكافر جزاء على كفرهم ولو كان هذا الحكم ثابتا لغير الكافر لما صح
تهديد الكافر به **قوله تعالى** انما يعمر مساجد الله جمهور القراء على الجمع وقرا الجحدري وحماد بن ابي سلمة عن ابن كثير بالافراد
والتوجيه يؤخذ مما تقدم والظاهر ان الجمع هنا حقيقة لان المراد جميع المؤمنين العامرين لجميع مساجد اقطار الارض
فصل اعلم انه تعالى لما بين ان الكافر ليس له ان يشتغل بعمارة المسجد بين ان المشتغل بهذا العمل يجب ان يكون موصوفا
بصفات اربع فقال انما يعمر مساجد الله من امن بالله واليوم الاخر واقام الصلوة واتى الزكوة ولم يخش الا الله فبين انه لا بد من الايمان
بالله لان المسجد عبارة عن الموضع الذي يعبد الله فيه والكافر يمتنع منه ذلك ولا بد من كونه مؤمنا باليوم الاخر لان عبادة الله انما
تفيد في القيمة فمن انكر القيمة لم يعبد الله ومن لم يعبد الله لم يبن بناء لعبادة الله لم لم يذكر الايمان بالرسول
عليه السلام فالجواب من وجوه الاول ان المشركين كانوا يقولون ان محمدا انما ادعى الرسالة طلبا للرياسة فذكر ههنا الايمان بالله
واليوم الاخر وترك ذكر النبوة كانه يقول مطلوبي من تبليغ الرسالة ليس الا الايمان بالمبدا والمعاد فذكر المقصود الاصلي
وحذف ذكر النبوة تنبيها للكفار على انه لا مطلوب له من الرسالة الا هذا القدر الثاني انه لما ذكر الصلوة والصلوة لا تتم الا
بالاذان والاقامة والتشهد وهذه الاشيا مشتملة على ذكر النبوة لكان كافيا الثالث انه ذكر الصلوة والمفرد المحلى بالالف واللام
ينصرف الى المعهود السابق والمعهود عند المسلمين هي الاعمال التي كان ياتي بها محمد عليه السلام فكان ذكر الصلوة دليلا على النبوة واما
قوله واقام الصلوة فلان المقصود الاعظم من بناء المسجد اقامة الصلوة واما قوله واتى الزكوة فلان الانسان اذا كان مقيما

للصلوة فانه يحضر في المسجد وفي المسجد طوايف الفقرا والمساكين لطلب اخذ الزكوة فيحصل عمارة المسجد وان حملنا العمارة على
البنا فلان الظاهر ان الانسان اذا لم يود الزكوة لا يعمر مسجدا واما قوله ولم يخش الا الله اي لا يبني المسجد لاجل الريا والسمعة
ولكن يبنيه لمجرد طلب رضوان الله روي ان ابا بكر رضي الله عنه بنا في اول الاسلام على باب داره مسجدا فكان يصلي فيه ويقرا
القران والكفار يوذونه بسببه فيحتمل ان يكون المراد منه تلك الحالة ولما حصر عمارة المساجد فيمن كان موصوفا بهذه الصفات
الاربع نبه بذلك على ان المسجد يجب صونه عن غير العبادة فيدخل فيه فضول الحديث واصلاح مهمات الدنيا قال عليه السلام
ياتي في اخر الزمان ناس من امتي ياتون المساجد فيقعدون فيها حلقا ذكرهم الدنيا وحب الدنيا لا تجالسوهم فليس لله بهم حاجة
وقال عليه السلام قال الله تعالى ان بيوتي في الارض المساجد وان زواري فيها عمارها فطوبى لعبد تطهر في بيته ثم زارني فحق
على المزور ان يكرم زايره وقال عليه السلام من الف المساجد الفه الله وقال عليه السلام اذا رايتم الرجل يتعاهد المسجد فاشهدوا
له بالايمان وقال عليه السلام من اسرج في مسجد سراجا لم تزل الملايكة وحملة العرش يستغفرون له ما دام في ذلك المسجد ضووه
وهذه الاحاديث نقلها الزمخشري **قوله** فعسى اوليك ان يكونوا من المهتدين قال المفسرون عسى من الله واجب لكونه
متعاليا عن الشك والتردد وقال ابو مسلم عسى ههنا راجع الى العباد وهو يفيد الرجا فكان المعنى ان الذين ياتون بهذه
الطاعات انما ياتون بها على رجاء الفوز بالاهتدا لقوله تعالى يدعون ربهم خوفا وطمعا والتحقيق فيه ان العبد عند الاتيان
بهذه الاعمال لا يقطع بالفوز بالثواب لانه يجوز من نفسه انه قد اخل بقيد من القيود المعتبرة في حصول القبول وقال
الزمخشري المراد منه تبعيد المشركين عن مواقف الاهتدا وحسم اطماعهم عن الانتفاع باعمالهم التي استعظموها وافتخروا بها فبين
تعالى ان الذين امنوا وضموا الى ايمانهم العمل بالشرايع والخشية من الله فهولا صار حصول الاهتدا لهم دايرا بين لعل وعسى
فما بال هولا المشركين يقطعون بانهم مهتدون ويجزمون بفوزهم بالخير عند الله **قوله** اجعلتم سقاية الحاج وعمارة
المسجد الحرام الاية الجمهور على قراءة سقاية وعمارة مصدرين على فعالة كالصيانة والوقاية والتجارة ولم تقلب الياء همزا
لبناء التانيث بخلاف رداء وعباء لطروها على التانيث فيهما قاله الزمخشري واعلم ان السقاية فعل وقوله من امن بالله اشارة
الى الفاعل فظاهر اللفظ يقتضي تشبيه الفعل بالفاعل والصفة بالموصوف وانه محال وحينيذ فلا بد من حذف مضاف
اما من الاول واما من الثاني ليتصادق المجعولان والتقدير اجعلتم اهل سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن امن او اجعلتم
السقاية والعمارة كايمان من امن او كعمل من امن ونظيره ليس البر ان تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من امن بالله وقيل
السقاية والعمارة بمعنى الساقي والعامر اي اجعلتم ساقي الحاج وعامر المسجد الحرام كمن امن بالله وهذا كقوله والعاقبة للتقوى
اي للمتقين ويدل عليه قراءة ابي وابن الزبير والباقر كما ياتي قريبا وقرا ابن الزبير والباقر وابو وجزة سقاة وعمرة بضم
السين والعين وبعد الالف تاء التانيث وعمرة بفتح العين والميم دون الف وهما جمع ساق وعامر كما يقال قاض وقضاة
ورام ورماة وبار وبررة وفاجر وفجرة والاصل سقية فقلبت الياء الفا لتحركها وانفتاح ما قبلها ولا حاجة الى تقدير حذف
مضاف والحاجة اليه في قراءة الجمهور وقرا سعيد بن جبير كذلك الا انه نصب المسجد الحرام بعمرة وحذف التنوين لالتقاء
الساكنين كقوله ولا ذاكر الله الا قليلا وقوله تعالى قل هو الله احد الله الصمد وقرا الضحاك سقاية بضم السين وعمرة
وهما جمعان ايضا وفي جمع ساق على فعالة نظر لا يخفى والذي ينبغي ان يقال انه جعل هذا جمعا لسقي والسقي هو الني
كالرغيف والطحين وفعيل يجمع على فعال فالوا ظير وطوار وكان من حقه ان لا يدخل عليه تاء التانيث كما لم تدخل في طوار ولكنه
انث في قولهم حجارة وجمالة ولا بد حينيذ من تقدير مضاف اي اجعلتم اصحاب الاشيا المسقية كمن امن **فصل**
روى النعمان بن بشير قال كنت عند منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رجل ما ابالي ان لا اعمل عملا بعد ان اعمر المسجد الحرام
وقال اخر الجهاد في سبيل الله افضل مما قلتم فزجرهم عمر وقال لا ترفعوا اصواتكم عند منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهو يوم الجمعة ولكن اذا صليتم دخلت واستفتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما اختلفتم فيه فدخل فانزل الله
عز وجل هذه الاية الى قوله والله لا يهدي القوم الظالمين وقال ابن عباس ان عليا اغلظ الكلام للعباس حين اسر يوم بدر
فقال العباس لين سبقتمونا بالاسلام والهجرة والجهاد لقد كنا نعمر المسجد الحرام ونسقي الحاج فانزل الله هذه الاية واخبرت
عمارتهم المسجد الحرام وقيامهم على السقاية لا ينفعهم مع الشرك بالله وان الايمان بالله والجهاد مع نبيه خير مما هم عليه وقال
الحسن والشعبي ومحمد بن كعب القرظي نزلت في علي بن ابي طالب والعباس وطلحة بن شيبة افتخروا فقال طلحة انا صاحب البيت بيدي
مفتاحه ولو اردت بت فيه وقال العباس انا صاحب السقاية والقايم عليها وقال علي لا ادري ما تقولون لقد صليت الى القبلة
ستة اشهر قبل الناس وانا صاحب الجهاد فانزل الله هذه الاية وقيل ان عليا قال للعباس بعد اسلامه يا عم الا تهاجرون
الا تلحقون برسول الله فقال الست في افضل من الهجرة اسقي الحاج واعمر البيت الحرام فنزلت هذه الاية وقال العباس ما اراني
الا تارك سقايتنا فقال عليه السلام اقيموا على سقايتكم فان لكم فيها خيرا وقيل ان المشركين قالوا لليهود نحن سقاة الحجيج

وعمار المسجد الحرام فنحن افضل ام محمد واصحابه فقالت اليهود لهم انتم افضل قال ابن الخطيب هذه المفاضلة يحتمل ان
تكون جرت بين المسلمين ويحتمل ان تكون جرت بين المسلمين والكفار اما كونها جرت بين المسلمين فلقوله تعالى بعد ذلك اعظم
درجة عند الله وهذا يقتضي ان يكون للمرجوح درجة ايضا عند الله وذلك لا يليق الا بالمومنين واما احتمال كونها جرت
بين المومنين والكفار فلقوله تعالى كمن امن بالله وهذا هو يدل على ان المفاضلة وقعت بين من لم يومن بالله وبين من امن بالله
وهذا هو الاقرب لان المفسرين نقلوا في تفسير قوله انما يعمر مساجد الله من امن بالله ان العباس احتج على فضايل نفسه بانه عمر
المسجد الحرام وسقى الحاج فاجاب الله عنه بوجهين الاول ما تقدم في الاية الاولى ان عمارة المسجد الحرام توجب الفضيلة اذا
كانت صادرة عن المومن اما اذا صدرت عن الكافر فلا فايدة فيها البتة والثاني هذه الاية وهو ان يقال سلمنا ان عمارة المسجد
الحرام وسقي الحاج توجب نوعا من الفضيلة الا انها بالنسبة الى الايمان بالله والجهاد كمقابلة الشي الوضيع الخسيس بالشي
الحقير التافه جدا وانه باطل وبهذا الطريق حصل النظم الصحيح لهذه الاية بما قبلها **فصل** روى عكرمة
عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء الى السقاية فاستسقى فقال العباس يا فضل اذهب الى امك فات رسول الله
صلى الله عليه وسلم بشراب من عندها فقال اسقني قال يا رسول الله انهم يجعلون ايديهم فيه فقال اسقني فشرب منه ثم اتى
زمزم وهم يسقون ويعملون فيها فقال اعملوا فانكم على عمل صالح ثم قال لولا ان تغلبوا لنزلت حتى اضع الحبل على هذه يعني عاتقه
واشار الى عاتقه وعن بكر بن عبد الله المزني قال كنت جالسا مع ابن عباس عند الكعبة فاتاه اعرابي فقال ما لي ارى بني عمكم
يسقون العسل واللبن وانتم تسقون النبيذ امن حاجة بكم ام من بخل فقال ابن عباس الحمد لله ما بنا من حاجة ولا بخل قدم النبي
صلى الله عليه وسلم على راحلته وخلفه اسامة فاستسقى فاتيناه باناء من نبيذ فشرب وسقى فضله اسامة وقال احسنتم
واجملتم كذا فاصنعوا فلا نريد تغيير ما امر به رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الحسن كانت السقاية نبيذ زبيب وعن عمر
انه وجد نبيذ السقاية من الزبيب شديدا فكسره بالما وقال اذا اشتد عليكم فاكسروه بالما واما عمارة المسجد الحرام
فهي تجهيزه وتحسين صورة جدرانه **قوله** لا يستوون عند الله في الجملة وجهان اظهرهما انها مستانفة اخبر تعالى
بعدم تساوي الفريقين والثاني ان يكون حالا من المفعولين للجعل والتقدير سويتم بينهم في حال تفاوتهم
ولما نفى المساواة بينهما وذلك لا يفيد من هو الراجح فنبه على الراجح بقوله والله لا يهدي القوم الظالمين اي الكافرين
ظلموا انفسهم لانهم تركوا الايمان ورضوا بالكفر فكانوا ظالمين لان الظلم عبارة عن وضع الشي في غير موضعه وايضا
ظلموا المسجد الحرام فانه تعالى جعله موضعا لعبادة الله تعالى فجعلوه موضعا لعبادة الاوثان **قوله تعالى**
الذين امنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله الاية لما ذكر ترجيح الايمان والجهاد على السقاية وعمارة المسجد الحرام على
طريق الرمز اتبعه بذكر هذا الترجيح بالتصريح اي من كان موصوفا بهذه الصفات الاربع كان اعظم درجة عند الله ممن
اتصف بالسقاية والعمارة والسبب فيه ان الانسان ليس له الا الروح والبدن والمال فاما الروح فانه لما زال عنه
الكفر وحصل فيه الايمان فقد وصل الى مراتب السعادات واما البدن والمال فبالهجرة والجهاد صارا معرضين للهلاك
ولا شك ان النفس والمال محبوبا الانسان والانسان لا يعرض عن محبوبه الا للفوز بمحبوب اكمل من الاول فلولا ان
طلب الرضوان اتم عندهم من النفس والمال والا لما رجحوا جانب الاخرة على النفس والمال الطالب لمرضات الله تعالى ولا مناسبة
بين هذه الدرجة وبين الاقدام على السقاية والعمارة بمجرد الاقتدا بالاباء وطلب الرياء والسمعة **قوله تعالى** اعظم
درجة عند الله ولم يقل اعظم درجة من المشتغلين بالسقاية والعمارة لانه لو ذكرهم اوهم ان تلك الفضيلة بالنسبة اليهم
فلما ترك ذكر المرجوح دل ذلك على انهم افضل من كل من سواهم على الاطلاق **فان قيل** لما اخبرتم بان هذه الصفات كانت بين
المسلمين والكافرين فكيف قال في وصفهم اعظم درجة فالجواب من وجوه الاول ان هذا ورد على ما قدروا لانفسهم من
الدرجة والفضيلة عند الله ونظيره قوله تعالى الله خير اما يشركون وقوله اذلك خير نزلا ام شجرة الزقوم الثاني ان المراد اولئك
اعظم درجة من كل من لم يكن موصوفا بهذه الصفات تنبيها على انهم لما كانوا افضل من المومنين الذين ما كانوا موصوفين
بهذه الصفات فبان لا يقاسوا الى الكفار اولى الثالث ان المراد ان المومن المهاجر المجاهد افضل ممن على السقاية والعمارة والمراد منه
ترجيح تلك الاعمال على هذه الاعمال ولا شك ان السقاية والعمارة من اعمال الخير وانما بطل ثوابها في حق الكفار لان الكفر منع من ظهور
ذلك الاثر ثم بين تعالى انهم هم الفايزون وهذا الحصر اي انهم هم الفايزون بالدرجة العالية المشار اليها بقوله عند الله وليس
المراد منه العندية بحسب الجهة والمكان وقد تقدم اختلاف القراء في يبشرهم وتوجيه ذلك في ال عمران وكذلك الخلاف في رضوان
وقرا الاعمش ورضوان بضم الراء والضاد وردها ابو حاتم وقال لا يجوز وهذا غير لازم للاعمش فانه رواها وقد وجد ذلك في لسان
العرب قالوا السلطان بضم السين واللام **قوله تعالى** لهم فيها نعيم يجوز ان تكون هذه الجملة صفة لجنات وان تكون صفة
لرحمة لانهم جوزوا في هذه الهاء ان تعود للرحمة وان تعود للجنات وجوز مكي ان تعود على البشرى المفهومة من قوله يبشرهم كانه قيل لهم

في تلك البراري وعلى هذا تكون الجملة صفة لذلك المصدر المقدر ان قدرته نكرة وحالا ان قدرته معرفة ويجوز ان يكون
نعيم فاعلا بالجار قبله وهو اولى لانه يصير من قبيل الوصف بالمفرد ويجوز ان يكون مبتدا وخبره الجار قبله وقد تقدم تحقيق ذلك
مرارا **قوله** خالدين فيها ابدا حال من الضمير في لهم واستدل اهل السنة بهذه الاية على ان الخلود يدل على طول المكث ولا يدل على
التابيد قالوا لانه لو كان الخلود يفيد التابيد لكان ذكر التابيد بعد ذكر الخلود تكرارا وانه لا يجوز **قوله تعالى** يا ايها الذين
امنوا لا تتخذوا اباءكم واخوانكم اولياء الاية والمقصود من هذه الاية ان تكون جوابا عن شبهة اخرى ذكروها في ان البراءة من الكافرين
غير ممكنة فان المسلم قد يكون ابوه كافرا وابنه او اخوه مسلما والمقاطعة بين الرجل وابيه وابنه واخيه كالمتعذر فازال الله تعالى
هذه الشبهة بهذه الاية ونقل المفسرون عن ابن عباس ان الله تعالى لما امر المسلمين بالهجرة قبل فتح مكة فمن لم يهاجر لم يقبل الله ايمانه
حتى يجانب الاباء والاقرباء ان كانوا كفارا قال ابن الخطيب وهذا مشكل لان الصحيح ان هذه السورة انما نزلت بعد فتح مكة فكيف
يمكن حمل هذه الاية على ما ذكروه والاقرب ان الله تعالى امر المومنين بالتبري عن المشركين بسبب الكفر لقوله ان استحبوا الكفر على الايمان
اي اختاروا الكفر على الايمان والاستحباب طلب المحبة يقال استحب بمعنى احب كانه طلب محبته ولما نهى الله تعالى عن مخالطتهم
وكان النهي يحتمل ان يكون نهي تحريم وان يكون نهي تنزيه ذكر ما يزيل الشبهة فقال ومن يتولهم منكم فاولئك هم الظالمون قال ابن عباس
يريد مشركا مثلهم لانه رضي بكفرهم والرضا بالكفر كفر كما ان الرضا بالفسق فسق قال القاضي هذا النهي لا يمنع ان يبر المرء اباه في امر
الدنيا كما لا يمنع من قضاء ديون الكافر ومن استعماله في الاعمال **قوله تعالى** ان كان اباؤكم وما عطف عليه اسم كان واحب
خبرها وهو منصوب وكان الحجاج بن يوسف يقرؤها بالرفع ولحنه يحيى بن يعمر فنفاه قال ابو حيان انما لحنه باعتبار مخالفة القراء
النقلة والا فهو جائز في العربية بضمير في كان اسما وهو ضمير الشان ويرفع ما بعدها على المبتدا والخبر وحينئذ تكون الجملة خبرا
عن كان قال شهاب الدين فيكون كقول الشاعر • اذا مت كان الناس صنفان شامت • واخر مثن بالذي كنت اصنع •
وهذا احد تاويلي البيت والاخر ان صنفان خبر منصوب وجاء به على لغة بني الحرث ومن وافقهم والحكاية التي اشار اليها الشيخ
من لحن يحيى للحجاج وهو ان الحجاج كان يدعي فصاحة عظيمة فقال يوما ليحيى بن يعمر وكان لعظمه هل تجدني الحن فقال الامير
اجل من ذلك فقال عزمت عليك الا ما اخبرتني وكانوا يعظمون عزايم الامراء فقال نعم فقال في اي شيء فقال في القران
فقال ويلك لكل قبيح في اي اية قال سمعتك تقرا قل ان كان اباؤكم الى ان انتهيت الى احب فرفعتها فقال اذن لا تسمعني الحن
بعدها فنفاه الى خراسان فمكث بها مدة وكان بها حينئذ يزيد بن المهلب بن ابي صفرة فجاء جيش فكتب الى الحجاج كتابا
وفيه وقد جاءنا العدو فتركناهم بالحضيض وصعدنا عروة الجبل فقال الحجاج ما لابن المهلب ولهذا الكلام فقيل له ان يحيى
هناك فقال اذن ذاك وقرا الجمهور عشيرتكم بالافراد وابو بكر عن عاصم عشيراتكم جمع سلامة ووجه الجمع ان لكل من المخاطبين
عشيرة فحسن الجمع وزعم الاخفش ان عشيرة لا تجمع بالالف والتاء انما تجمع تكسيرا على عشاير وهذه القراءة حجة عليه وهي قراءة
عبد الرحمن السلمي وابي رجاء وقرا الحسن عشايركم قيل وهي اكثر من عشيراتكم **والعشيرة** هي الاهل الادنون وقيل هم اهل الرجل
الذي يتكثر بهم اي يصيرون له بمنزلة العدد الكامل وذلك ان العشرة هي العدد الكامل وكذلك ان العشيرة فصارت العشيرة
اسما لاقارب الرجل الذي يتكثر بهم سوا بلغوا العشرة ام فوقها وقيل هي الجماعة المجتمعة بنسب او عقد او وداد كعقد العشيرة
فصل هذه الاية تقرير الجواب المذكور في الاية الاولى لان جماعة من المومنين قالوا يا رسول الله كيف يمكن البراءة
منهم بالكلية وهذه الاية توجب انقطاعنا عن ابائنا واخواننا وعشايرنا وان نحن فعلنا ذلك ذهبت تجارتنا وهلكت اموالنا
وخربت ديارنا فانزل الله تعالى قل ان كان اباؤكم وابناؤكم واخوانكم وازواجكم وعشيرتكم واموال اقترفتموها اكتسبتموها وتجارة
تخشون كسادها ومساكن ترضونها اي تستطيبونها يعني القصور احب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا فانتظروا
حتى ياتي الله بامره قال عطا بقضائه وقال مجاهد ومقاتل بفتح مكة وهذا امر تهديد فبين تعالى انه يجب تحمل جميع هذه المضار
في الدنيا ليبقى الدين سليما ثم قال والله لا يهدي القوم الفاسقين اي الخارجين عن الطاعة وهذه الاية تدل على انه اذا وقع
التعارض بين مصلحة واحدة من مصالح الدين وبين مهمات الدنيا وجب ترجيح الدين على الدنيا **قوله تعالى** لقد نصركم الله في
مواطن كثيرة الاية لما ذكر في الاية المتقدمة انه يجب الاعراض عن مخالطة الاباء والابناء والاخوان والعشيرة وعن الاموال
والتجارات والمساكن رعاية لمصالح الدين وعلم تعالى ان هذا يشق على النفوس ذكر ما يدل على ان من ترك الدنيا لاجل الدين فانه تعالى
يوصله الى مطلوبه وضرب لهذا مثلا وذلك ان عسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم في واقعة حنين كانوا في غاية الكثرة والقوة
فلما اعجبوا بكثرتهم صاروا منهزمين فلما تضرعوا في حال الانهزام الى الله تعالى قواهم حتى هزموا عسكر الكفار وذلك يدل على
ان الانسان متى اعتمد على الدنيا فاته الدين والدنيا ومتى اطاع الله ورجح الدين على الدنيا اتاه الله الدين والدنيا على احسن الوجوه
فكان هذا تسلية لاولئك المامورين بمقاطعة الاباء والابناء لاجل مصلحة الدين ووعدا لهم بانهم ان فعلوا ذلك اوصلهم الله تعالى
الى اقاربهم واموالهم ومساكنهم على احسن الوجوه قال الواحدي النصر المعونة على العدو خاصة **والمواطن** جمع موطن كما في وكذا

اسم مصدر ومكانه لاعتلال فايه كالموعد قال • وكم موطن لولاي طحت كما هوى • باجرامه من قلة النيق منهوي • اسم واد بين
مكة والطايف فلذلك صرفه وبعضهم جعله اسما للبقعة فمنعه في قوله • نصروا نبيهم وشدوا ازره • بحنين يوم تواكل الابطال •
وهذا كما قال الاخطل في حرا اسم الجبل المعروف اعتبارا بتانيث البقعة في قوله • السنا اكرم الثقلين رجلا • واعظمهم ببطن حراء نارا •
فصل المراد بالمواطن الكثيرة غزوات رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقال انها ثمانون موطنا فاعلمهم انه تعالى
هو الذي تولى نصر المومنين ومن نصره الله فلا غالب له ثم قال ويوم حنين اي واذكروا يوم حنين من جملة تلك المواطن حال ما اعجبتكم
كثرتكم وحنين واد بين مكة والطايف وقيل الى جنب ذي المجاز قال الرواة لما افتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة وقد بقيت ايام
من شهر رمضان خرج متوجها الى حنين لقتال هوازن وثقيف في اثني عشر الفا عشرة الاف من المهاجرين والفان من الطلقاء وقال
عطا عن ابن عباس كانوا ستة عشر الفا وقال الكلبي كانوا عشرة الاف وكان هوازن وثقيف اربعة الاف وعلى هوازن مالك بن عوف
النضري وعلى ثقيف كنانة بن عبد يا ليل الثقفي فلما التقى الجمعان قال رجل من الانصار يقال له سلمة بن سلامة بن وقش لن نغلب
اليوم عن قلة وهو المراد من قوله اذ اعجبتكم كثرتكم فساء رسول الله صلى الله عليه وسلم كلامه ووكلوا الى كلمة الرجل وفي رواية لم يرض
الله قوله ووكلوا الى انفسهم فاقتتلوا قتالا شديدا فانهزم المشركون وخلوا عن الذراري ثم نادوا يا حماة السواد اذكروا الفضايح
فتراجعوا وانكشف المسلمون قال قتادة وذكر لنا ان الطلقاء انجفلوا يوميذ بالناس **قوله تعالى** ويوم حنين فيه اوجه
احدها انه عطف على محل قوله في مواطن عطف ظرف الزمان من غير واسطة في على ظرف المكان المجرور بها وعلى غرو في نسق ظرف زمان
على مكان او العكس تقول سرت امامك ويوم الجمعة الا ان الاحسن ان يترك العاطف في مثله الثاني زعم ابن عطية انه يجوز ان يعطف
على لفظ مواطن بتقدير وفي يوم حنين فحذف حرف الخفض وهذا لا حاجة اليه الثالث قال الزمخشري فان قلت كيف عطف الزمان
على المكان وهو يوم حنين على المواطن قلت معناه وموطن يوم حنين او في ايام مواطن كثيرة ويوم حنين الرابع ان يراد بالمواطن
الاوقات فحينئذ انما عطف زمان على زمان قال الزمخشري بعد ما تقدم عنه ويجوز ان يراد بالمواطن الوقت كمقتل الحسين على ان
الواجب ان يكون يوم حنين منصوبا بفعل مضمر لا بهذا الظاهر وموجب ذلك ان قوله اذ اعجبتكم بدل من يوم حنين فلو جعلت ناصبه
هذا الظاهر لم يصح لان كثرتهم لم تعجبهم في جميع تلك المواطن ولم يكونوا كثيرين في جميعها فبقي ان تكون ناصبه فعلا خاصا به
قال شهاب الدين لا ادري ما حمله على تقدير احد المضافين او على تاويل الموطن بالوقت ليصح عطف زمان او مكان على مكان
اذ يصح عطف احد الظرفين على الاخر واما قوله على ان الواجب ان يكون الى اخره كلام حسن وتقريره ان الفعل تقيد بظرف المكان
فاذا جعلنا اذ بدلا من يوم كان معمولا له لان البدل يحل محل المبدل منه فيلزم انه نصرهم اذ اعجبتهم كثرتهم في مواطن كثيرة
والغرض انهم في بعض هذه المواطن لم يكونوا بهذه الصفة الا انه قد يقدح فانه تعالى لم يقل في جميع المواطن حتى يلزم ما قاله
ويمكن ان يكون اراد بالكثيرة الجميع كما يراد بالقلة العدم **قوله تعالى** بما رحبت ما مصدرية اي برحبها وسعتها وقرا زيد
بن علي في الموضعين رحبت بسكون العين وهي لغة تميم يسكنون عين فعل فيقولون في ظرف ظرف والرحب بالضم السعة وبالفتح
الشي الواسع فقال رحب المكان يرحب رحبا ورحابة وهو قاصر فاما تعديه في قولهم رحبتكم الدار فعلى التضمين لانه بمعنى
وسعتكم **فصل** قوله فلم تغن عنكم شيئا الاغناء اعطاء ما يدفع الحاجة اي فلم يعطكم شيئا الاغناء اعطاء
ما يدفع الحاجة اي فلم يعطكم شيئا يدفع حاجتكم والمعنى انه تعالى اعلمهم انهم لا يغلبون بكثرتهم وانما يغلبون بنصر الله فلما
اعجبوا بكثرتهم صاروا منهزمين ثم قال وضاقت عليكم الارض بما رحبت اي مع رحبها وما ههنا مع الفعل بمنزلة المصدر
والمعنى انكم لشدة ما لحقكم من الخوف ضاقت عليكم الارض فلم تجدوا فيها موضعا يصلح لفراركم عن عدوكم قال البراء بن عازب
كانت هوازن رماة فلما حملنا عليهم انكشفوا واكببنا على الغنايم فاستقبلونا بالسهام وانكشف المسلمون عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم ولم يبق معه الا العباس بن عبد المطلب وابو سفيان بن الحرث قال البراء والذي لا اله الا هو ما ولى رسول الله صلى الله
عليه وسلم قط قال ولقد رايته وابو سفيان اخذ بالركاب والعباس اخذ بلجام بغلته البيضاء وهو يقول انا النبي لا كذب انا ابن عبد المطلب
وطفق يركض بغلته نحو الكفار ثم قال للعباس ناد المهاجرين والانصار وكان العباس رجلا صيتا فجعل ينادي يا عباد الله
يا اصحاب الشجرة يا اصحاب سورة البقرة فجاء المسلمون حين سمعوا صوته عنقا واحدا واخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم
بيده كفا من الحصباء فرماهم بها وقال شاهت الوجوه فما زال امرهم مدبرا وحدهم كليلا حتى هزمهم الله تعالى ولم يبق منهم احد
يوميذ الا وقد امتلات عيناه من ذلك التراب فذلك قوله ثم انزل الله سكينته على رسوله وعلى المومنين والمراد بالسكينة
ما يسكن اليه القلب ويوجب الامنة ووجه الاستعارة فيه ان الانسان اذا خاف فر وفواده متحرك واذا امن سكن وثبت
فلما كان الامن موجبا للسكون جعل لفظ السكينة كناية عن الامن ثم قال تعالى وانزل جنودا لم تروها والمراد انزال الملايكة
وليس في هذه الاية ما يدل على عدة الملايكة كما هو في قصة بدر فقال سعيد بن جبير امد الله نبيه بخمسة الاف من الملايكة
ولعله انما قاسه على يوم بدر وقال سعيد بن المسيب حدثني رجل كان في المشركين يوم حنين قال لما كشفنا المسلمين جعلنا

اسم مصدر

نصرتهم فلما انتهينا الى صاحب البغلة الشهباء لقينا رجال بيض الوجوه فقالوا شاهت الوجوه ارجعوا فرجعنا فركبوا اكتافنا وكانوا
وان الملائكة هل قاتلوا في ذلك اليوم فالذي روي عن سعيد بن المسيب انه قاتلهم قاتلوا وقال آخرون ان الملائكة ما قاتلوا الا يوم
بدر وفائدة نزولهم في هذا اليوم هو القاء الخواطر الحسنة في قلوب المؤمنين ثم قال تعالى وعذب الذين كفروا والمراد من هذا التعذيب
قتلهم واسرهم واخذ اموالهم وسبي ذراريهم وهذه الآية تدل على ان فعل العبد خلق لله تعالى لان المراد من هذا التعذيب ليس الا الاخذ
والاسر وقد نسب تلك الاشياء الى نفسه **قوله تعالى** وذلك جزاء الكافرين تمسك الحنفية في مسألة الجلد مع التغريب بقوله الزانية
والزاني فاجلدوا قالوا الفاء تدل على كون الجلد جزاء والجزاء اسم للكافي فلو كان الجلد كافيا يمتنع كون غيره مشروعا معه واجيبوا
بان الجزاء ليس اسما للكافي لانه تعالى سمى هذا التعذيب جزاء مع ان المسلمين اجمعوا على ان العقوبة الدائمة في القيمة مدخرة لهم
فدلت هذه الآية على ان الجزاء ليس اسما لما يقع به الكفاية **قوله تعالى** ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء اي ان الله تعالى
مع كل ما جرى عليهم من الخذلان يتوب عليهم بان يزيل عن قلبهم الكفر ويخلق فيه الاسلام وقال القاضي معناه انه بعد ما جرى
عليهم ما جرى اذا اسلموا وتابوا فان الله يقبل توبتهم وهذا ضعيف لان قوله ثم يتوب الله ظاهره يدل على ان تلك التوبة انما تحصل
لهم من قبل الله تعالى وتمام الكلام على هذا المعنى في البقرة عند قوله فتاب الله عليه ثم قال والله غفور اي لمن تاب رحيم لمن آمن
وعمل صالحا **قوله تعالى** يا ايها الذين آمنوا انما المشركون نجس الآية اعلم انه عليه السلام لما امر عليا ان يقرأ على مشركي مكة
اول سورة براءة وينبذ اليهم عهدهم وان الله بريء من المشركين ورسوله قال اناس يا اهل مكة ستعلمون ما تلقونه من الشدة
لانقطاع السبل وفقد الحمولات فنزلت هذه الآية لرفع هذه الشبهة واجاب الله تعالى عنها بقوله وان خفتم عيلة اي فقرا وحاجة
فسوف يغنيكم الله من فضله قال الاكثرون لفظ المشركين يتناول عبدة الاوثان وقال قوم يتناول جميع الكفار وقد تقدم ذلك
قال الضحاك وابو عبيدة نجس قذر وقيل خبيث وهو مصدر يستوي فيه الذكر والانثى والتثنية والجمع جعلوا انفس النجس
على المبالغة او على حذف مضاف وقرأ ابو حيوة نجس بكسر النون وسكون الجيم ووجهه انه اسم فاعل في الاصل على فعل مثل كتف
وكبد ثم خفف بسكون عينه بعد اتباع فائه ولا بد من حذف موصوف حينئذ فاقامت هذه الصفة مقامه اي فريق نجس او جنس نجس
قال البغوي ولا يقال على الانفراد بكسر النون وسكون الجيم انما يقال رجس نجس فاذا افرد قيل نجس بفتح النون وكسر الجيم وقرأ ابن السميفع
انجاس بالجمع وهي تحتمل ان يكون جمع قراءة الجمهور او جمع قراءة ابي حيوة واراد به نجاسة الحكم لا نجاسة العين سموا انجاسا على الذم وقال
ابن عباس وقتادة سماهم نجسا لانهم يجنبون فلا يغتسلون ويحدثون فلا يتوضؤن ونقل الزمخشري عن ابن عباس ان اعيانهم
نجسة كالكلاب والخنازير وعن الحسن من صافح مشركا توضأ وهذا قول الهادي من ائمة الزيدية واما الفقهاء فقد اتفقوا على طهارة ابدانهم
وهذا الخلاف ظاهر القرآن فلا يرجع عنه الا بدليل منفصل ولا يمكن ادعاء الاجماع فيه لما بينا من الخلاف واحتج القاضي على طهارتهم
بما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم شرب من اوانيهم وايضا لو كان نجسا لما تبدل ذلك بالاسلام واجاب القائلون بالنجاسة بان القرآن
مقدم على خبر الواحد وبتقدير صحة الخبر يجب ان نعتقد ان حل الشرب من اوانيهم كان متقدما على نزول هذه الآية من وجهين الاول
ان هذه السورة من آخر ما نزل من القرآن وايضا كانت المخالطة مع الكفار جائزة فحرمها الله تعالى وكانت المعاهدة حاصلة معهم
فازالها الله فلا يبعد ان يقال ايضا الشرب من اوانيهم كان جائزا فحرمه الله الثاني ان الاصل حل الشرب من اي اناء كان فلو قلنا
انه حرم بحكم الآية ثم حل بحكم الخبر فقد حصل نسخان اما لو قلنا انه كان حلالا بحكم الاصل والرسول شرب من آنيتهم بحكم الاصل
ثم جاء التحريم بهذه الآية لم يحصل النسخ الا مرة واحدة فوجب ان يكون هذا اولى واما قولهم لو كان الكافر نجس العين لما تبدلت
النجاسة بالطهارة بسبب الاسلام فهذا قياس في معارضة النص الصريح وايضا فالخمر نجسة العين فاذا انقلبت بنفسها خلا طهرت
وايضا ان الكافر اذا اسلم وجب عليه الاغتسال ازالة للنجاسة الحاصلة بحكم الكفر وهذا ضعيف فان الاعيان النجسة لا تقبل
التطهير بالغسل انما يطهر بالغسل ما تنجس **فصل** قال الحنفية اعضاء المحدث نجسة نجاسة حكمية
وبنوا عليه ان الماء المستعمل في رفع الحدث نجس ثم روى ابو يوسف عن ابي حنيفة انه نجس نجاسة خفيفة وروى الحسن بن زياد
انه نجس نجاسة غليظة وهذه الآية تدل على فساد هذا القول لان كلمة انما للحصر فاقتضى ان لا نجس الا المشرك فالقول بان اعضاء
المحدث نجسة يخالف هذا النص والعجب ان هذا النص صريح في ان المشرك نجس وفي ان المؤمن ليس بنجس ثم ان قوما قلبوا القضية وقالوا
المشرك طاهر والمؤمن حال كونه محدثا نجس فزعموا ان المياه التي يستعملها المشركون في اعضائهم بقيت طاهرة مطهرة والمياه
التي يستعملها اكابر الانبياء في اعضائهم نجسة نجاسة غليظة مع مخالفة قوله عليه السلام المؤمن لا ينجس حيا ولا ميتا واجمعوا
على انا لو حملنا محدثا في صلوتنا لم تبطل صلاتنا ولو كانت يده رطبة فمسها في صلاته بيد محدث لم تنجس يده ولو عرق المحدث ووصل
العرق الى ثوبه لم ينجس الثوب فالقرآن والخبر والاجماع تطابقوا على القول بطهارة اعضاء المحدث فكيف يمكن مخالفته
فصل قيل المراد بالمسجد الحرام نفس المسجد وقيل جميع الحرم وهو الاقرب لقوله تعالى وان خفتم عيلة فسوف
يغنيكم الله من فضله وذلك لان موضع التجارات ليس هو عين المسجد فلو كان المقصود من هذه الآية المنع من المسجد خاصة

لما خافوا بسبب هذا المنع من العيلة وانما يخافون العيلة اذا منعوا من حضور الاسواق والمواسم ويؤكد هذا قوله تعالى
سبحان الذي اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام مع انهم اجمعوا على انه انما رفع الرسول من بيت ام هاني ويؤيده قوله عليه السلام لا يجتمع
دينان في جزيرة العرب وهي من اقصى عدن ابين الى ريف العراق طولا ومن جدة وما والاها من ساحل البحر الى اطراف الشام عرضا واعلم انه
جملة بلاد الاسلام في حق الكفار ثلاثة اقسام احدها الحرم فلا يجوز للكافر ان يدخله بحال ذميا كان او مستأمنا لظاهر هذه الآية
واذا جاء رسول من دار الكفر الى الامام والامام في الحرم لا ياذن له في دخول الحرم بل يبعث اليه من يسمع رسالته خارج الحرم وان دخل
مشرك الحرم متواريا فمرض فيه اخرجناه مريضا وان مات ودفن ولم نعلم نبشناه واخرجنا عظامه اذا امكن وجوز اهل الكوفة المعاهد
دخول الحرم والقسم الثاني من بلاد الاسلام الحجاز فيجوز للكافر دخولها بالاذن ولكن لا يقيم اكثر من ثلاثة ايام مقام السفر لما روي
عن عمر بن الخطاب انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لئن عشت ان شاء الله لاخرجن اليهود والنصارى من جزيرة العرب حتى لا ادع
الا مسلما فمضى رسول الله صلى الله عليه وسلم واوصى فقال اخرجوا المشركين من جزيرة العرب فلم يتفرغ لذلك ابو بكر واجلاهم عمر
في خلافته واجل لمن يقدم منهم تاجرا ثلاثا والقسم الثالث سائر بلاد الاسلام يجوز للكافر ان يقيم فيها بذمة او امان ولكن لا يدخلون
المساجد الا باذن مسلم **فصل** والمراد بقوله بعد عامهم هذا يعني العام الذي حج فيه ابو بكر بالناس ونادى علي بالبراءة
وهو سنة تسع من الهجرة **قوله تعالى** وان خفتم عيلة العيلة الفقر يقال عال الرجل يعيل عيلة اذا افتقر والمعنى ان خفتم فقرا
بسبب منع الكفار فسوف يغنيكم الله من فضله قال مقاتل اسلم اهل جدة وصنعاء وجرش من اليمن وجلبوا الميرة الى مكة فكفاهم الله ما
كانوا يخافون وقال الحسن والضحاك وقتادة عوضهم الله منها الجزية وقيل اغناهم بالفيء وقال عكرمة انزل الله عليهم المطر وكثر خيرهم
فصل الغرض بهذا الخبر ازالة الخوف بالعيلة وقوله ان شاء يمنع من افادة هذا المقصود والجواب من وجوه الاول ان لا
يحصل الاعتماد الا على حصول هذا المطلوب فيكون الانسان ابدا متضرعا الى الله تعالى في طلب الخيرات وفي دفع الآفات الثاني
ان المقصود من ذكر هذا الشرط تعليم رعاية الادب كقوله لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين الثالث المقصود التنبيه على ان
حصول هذا المعنى لا يكون في كل الاوقات وفي جميع الامكنة لان ابراهيم عليه السلام قال في دعائه وارزق اهله من الثمرات وكلمة من
للتبعيض فقوله ههنا ان شاء المراد منه ذلك التبعيض ثم قال ان الله عليم اي باحوالكم حكيم اي لا يعطي ولا يمنع الا عن حكمة وصواب
قوله تعالى قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر الآية لما بين تعالى حكم المشركين في اظهار البراءة عنهم وفي نفسهم وفي
وجوب مقاتلتهم وفي تبعيدهم عن المسجد الحرام ذكر بعده حكم اهل الكتاب وهو ان يقاتلوا الى ان يعطوا الجزية قال مجاهد نزلت حين
امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتال الروم فغزا بعدها غزوة تبوك وقال الكلبي نزلت في قريظة والنضير من اليهود فصالحهم
فكانت اول جزية اصابها اهل الاسلام واول ذل اصاب اهل الكتاب بايدي المسلمين **فان قيل** اهل الكتاب يؤمنون بالله
واليوم الآخر فكيف نفى عنهم الايمان بهما فالجواب لا يؤمنون كايمان المؤمنين فانهم اذا كانوا يقولون عزير ابن الله والمسيح ابن الله لا يكون ذلك
ايمانا بالله **قوله تعالى** ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله اي لا يحرمون ما حرم الله في القرآن وسنة الرسول وقال ابو زيد
لا يعملون بما في التوراة والانجيل بل حرفوها واتوا باحكام كثيرة من قبل انفسهم **قوله تعالى** ولا يدينون دين الحق اي الدين الحق
اضاف الاسم الى الصفة وقال قتادة الحق هو الله عز وجل اي لا يدينون دين الله ودينه الاسلام قال ابو عبيدة معناه ولا
يطيعون الله طاعة اهل الحق **قوله تعالى** من الذين اوتوا الكتاب بيان للموصول قبله والمراد اليهود والنصارى حتى يعطوا الجزية
وهي الخراج المضروب على رقابهم والجزية فعلة لبيان الهيئة كالركبة قال الواحدي الجزية ما يعطي المعاهد على عهده وهي فعلة
من جزى يجزي اذا قضى ما عليه **قوله** عن يد حال اي يعطوها عن قهر اذلاء وكذلك وهم صاغرون قال الزمخشري
قوله عن يد اما ان يراد به يد المعطي او يد الآخذ فان كان المراد يد المعطي ففيه وجهان احدهما ان المراد عن يد مواتية غير ممتنعة لان من
ابى وامتنع لم يعط عن يده بخلاف المطيع المنقاد وثانيهما حتى يعطوها عن يد الى يد نقدا غير نسيئة ولا مبعوثا على يد احد
ولكن عن يد المعطي الى يد الآخذ وان كان المراد به يد الآخذ ففيه وجهان الاول حتى يعطوا الجزية عن يد قاهرة مستولية للمسلمين
عليهم كما تقول اليد في هذا لفلان وثانيهما ان المراد عن انعام عليهم لان قبول الجزية منهم وترك ارواحهم عليهم نعمة عظيمة عليهم
قوله تعالى وهم صاغرون اي يؤخذ الجزية منهم على الصغار والذل والهوان ياتي بها بنفسه ماشيا لا راكبا ويسلمها
وهو قائم والمسلم جالس ويؤخذ بلحيته ويقال له اد الجزية وقال الكلبي اذا اعطى صفع في قفاه وقيل يجب ويجر الى موضع الاعطاء
بعنف وقيل اعطاؤه اياها هو الصغار وقال الشافعي الصغار جريان احكام الاسلام عليهم **فصل** الكفار فريقان
منهم عبدة الاوثان وعبدة ما استحسنوا فهؤلاء لا يقرون على دينهم باخذ الجزية ويجب قتالهم حتى يقولوا لا اله الا الله ويصيروا
مؤمنين والثاني اهل الكتاب وهم اليهود والنصارى فهؤلاء يقرون بالجزية واما السامرة والصابئون فهم في اهل الكتاب
كاهل البدع فينا فيقروا ايضا بالجزية والمجوس ايضا سبيلهم سبيل اهل الكتاب لقوله عليه السلام سنوا بهم سنة اهل الكتاب
واخذ الجزية من مجوس هجر **فصل** اتفقت الامة على جواز اخذ الجزية من اهل الكتاب وهم اليهود والنصارى

اذا لم يكونوا عربا واختلفوا في الكتابي العربي وفي غير اهل الكتاب من كفار العجم فذهب الشافعي الى ان الجزية على الاديان
لا على الانساب فيؤخذ من اهل الكتاب عربا كانوا او عجما ولا تؤخذ من اهل الاوثان بحال لان النبي عليه السلام اخذها من اكيدر
دومة وهو رجل من العرب يقال من غسان واخذ من اهل ذمة اليمن وعامتهم عرب وذهب مالك والاوزاعي الى انها تؤخذ
من جميع الكفار قال ابو حنيفة تؤخذ من اهل الكتاب على العموم وتؤخذ من مشركي العجم ولا تؤخذ من مشركي العرب وقال ابو يوسف
لا تؤخذ من العربي كتابيا كان او مشركا واما المجوسي فاتفقت الصحابة على اخذ الجزية منهم لقوله عليه السلام سنوا بهم سنة
اهل الكتاب وروي عن علي انه كان لهم كتاب يدرسونه فاصبحوا وقد اسري على كتابهم فرفع من بين اظهرهم واتفقوا على تحريم
ذبائح المجوس ومناكحتهم بخلاف اهل الكتابيين **فصل** قال انس قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم على كل محتلم دينارا وقسم
عمر على الفقراء من اهل الذمة اثني عشر درهما وعلى الاوساط اربعة وعشرين وعلى اهل الثروة ثمانية واربعين ولما بعث رسول
الله صلى الله عليه وسلم معاذا الى اليمن امره ان ياخذ من كل حالم دينارا اي بالغ ولم يفصل بين الغني والفقير والوسط وذلك
دليل على انها لا تجب على الصبيان وكذلك لا تجب على النسوان انما تؤخذ من الاحرار البالغين العقلاء من الرجال **فصل**
تؤخذ الجزية عند ابي حنيفة في اول السنة وعند الشافعي في اخرها وتسقط الجزية بالاسلام والموت عند ابي حنيفة
لقوله عليه السلام ليس على المسلم جزية وعند الشافعي لا تسقط **فصل** قال بعض العلماء هؤلاء انما
اقروا على دينهم الباطل باخذ الجزية حرمة لابائهم الذين انقرضوا على الحق من شريعة التوراة والانجيل وايضا فكتابهم في ايديهم
فربما تفكروا فيه فيعرفون صدق محمد ونبوته فامهلوا لهذا المعنى **فصل** طعن بعض الملحدين في القرآن وقال
انه ذكر في تعظيم كفر النصارى قوله تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا ان دعوا للرحمن ولدا فبين
ان اظهارهم هذا القول بلغ الى هذا الحد ثم انه لما اخذ منهم دينارا واحدا اقرهم وما منعهم منه والجواب ليس المقصود من اخذ
الجزية تقريرهم على الكفر بل المقصود حقن دمهم وامهالهم مدة رجاء انهم ربما وقفوا في هذه المدة على محاسن الاسلام وقوة دلائله
فينتقل من الكفر الى الايمان **قوله** وقالت اليهود عزير ابن الله الاية قرا عاصم والكسائي عزير منونا والباقون
من غير تنوين فاما القراءة الاولى فيحتمل ان تكون اسما عربيا مبتدا وابن خبره فتنوينه على الاصل ويحتمل ان يكون اعجميا
ولكنه خفيف اللفظ كنوح ولوط فصرف لخفة لفظه وهذا قول ابي عبيد يعني انه تصغير عزر فحكمه حكم مكبره وقال هذا ليس
منسوبا الى ابيه انما هو كقولك زيد ابن الامير وزيد ابن اختنا فعزير مبتدا وما بعده خبره ورد هذا بانه ليس بتصغير انما هو اعجمي
جاء على هيئة التصغير في لسان العرب كسليمان جاء على مثال عثمان وعمران واما القراءة الثانية فتحتمل حذف التنوين
للتخفيف وانشدوا ثلاثة اوجه احدها انه حذف لالتقاء الساكنين على حد قراءة قل هو الله احد الله الصمد قالوا النون
التنوين في عزير ساكنة والباء في قوله ابن الله ساكنة فالتقى ساكنان فحذف نون التنوين للتخفيف وانشدوا
لفيته غير مستعتب ولا ذاكر الله الا قليلا وهو اسم منصرف مرفوع بالابتداء وابن خبره الثاني ان تنوينه حذف لوقوع الابن
صفة له فانه مرفوع بالابتداء وابن صفته والخبر محذوف اي عزير ابن الله نبينا او امامنا او رسولنا وقد تقدم انه متى وقع
الابن صفة بين علمين غير مفصول بينه وبين موصوفه حذف الفه خطا وتنوينه لفظا ولا تثبت الا ضرورة وتقدم الا
ستشهاد عليه اول المائدة وهو ان يكون عزير خبر مبتدا مضمر اي نبينا عزير وابن صفة او بدل او عطف بيان الثالث انه
انما حذف لكونه ممنوعا من الصرف للتعريف والعجمة ولم يرسم في المصحف الا ثابت الالف وهي تنصر من جعله خبرا وقال الزمخشري
عزير ابن مبتدا وخبر كقولك المسيح ابن الله وعزير اسم اعجمي كعزرائيل وعيزار ولعجمته وتعريفه امتنع من صرفه ومن صرفه
جعله عربيا وقول من قال بسقوط التنوين لالتقاء الساكنين كقراءة قل هو الله احد او لان الابن وقع وصفا والخبر
محذوف وهو معبودنا فتعسف مندوحة **فصل** لما حكم تعالى في الاية المتقدمة على اليهود والنصارى
بانهم لا يؤمنون بالله شرح ذلك في هذه الاية بان نقل عنهم انهم اثبتوا لله ابنا ومن جوز ذلك في حق الاله فقد انكر الاله
في الحقيقة وايضا بين تعالى انهم بمنزلة المشركين في الشرك وان كانت طرق القول بالشرك مختلفة اذ لا فرق بين من يعبد
الصنم وبين من يعبد المسيح وغيره لانه لا معنى للشرك الا ان يتخذ الانسان مع الله معبودا وهذا معنى الشرك بل لو تاملنا
لعلمنا ان كفر عابد الوثن اخف من كفر النصارى لان عابد الوثن لا يقول ان هذا الوثن خالق العالم بل يجريه مجرى الشيء الذي يتوسل
به الى طاعة الله والنصارى يثبتون الحلول والاتحاد وذلك كفر قبيح فثبت انه لا فرق بين هؤلاء الحلولية وبين سائر المشركين
فصل اليهود قسمان منهم مشبهة ومنهم موحدة كما ان المسلمين كذلك فهب ان المشبهة منهم منكرون لوجود الاله
فما قولكم في موحدة اليهود فالجواب اولئك لا يكونون داخلين تحت هذه الاية وانما وجبت الجزية عليهم لانه لما ثبت وجوب
الجزية على بعضهم وجب القول به في حق الكل لانه لا قائل بالفرق واما النصارى فيقولون بالاب والابن وروح القدس
والحلول والاتحاد وذلك ينافي الالهية فانما خص الله الطائفتين بقبول الجزية منهم لانهم في الظاهر الصقوا انفسهم بموسى

وعيسى

وعيسى عليهما السلام وادعوا انهم يعملون بالتوراة والانجيل فلاجل تعظيم هذين الرسولين المعظمين وكتابيهما المعظمين
ولتعظيم اسلاف هؤلاء اليهود والنصارى لانهم كانوا على الدين الحق حكم الله بقبول الجزية منهم والا ففي الحقيقة لا فرق بينهم
وبين المشركين **فصل** في قول اليهود عزير ابن الله اقوال احدها قال عبيد بن عمير انما قال هذا القول رجل واحد
من اليهود واسمه فنحاص بن عازوراء وهو الذي قال ان الله فقير ونحن اغنياء وثانيها روى سعيد بن جبير وعكرمة عن ابن عباس
قال اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم جماعة من اليهود سلام بن مشكم والنعمان بن اوفى وشاس بن قيس ومالك بن الصيف فقالوا
كيف نتبعك وقد تركت قبلتنا ولا تزعم ان عزيرا ابن الله فنزلت هذه الاية وعلى هذين القولين فالقائل بهذا بعض اليهود
وانما نسب ذلك الى اليهود بناء على عادة العرب في ايقاع اسم الجماعة على الواحد يقال فلان يركب الخيول ويجالس السلاطين
ولعله لم يركب ولم يجالس الا واحدا وثالثها لعل هذا المذهب كان فاشيا فيهم ثم انقطع فحكى الله ذلك عنهم ولا عبرة بانكار
اليهود ذلك فان حكاية الله اصدق والسبب في ذلك ما روى عطية العوفي عن ابن عباس ان اليهود اضاعوا التوراة
وعملوا بغير الحق فانساهم الله التوراة ونسخها من صدورهم ورفع التابوت فتضرع عزير الى الله وابتهل اليه فعاد حفظ التوراة
الى قلبه فانذر قومه به فلما جربوه وجدوه صادقا فيه ثم ان التابوت نزل بعد ذهابه منهم فلما راوا التابوت عرضوا ما كان
فيه على الذي كان يعلمهم عزير فوجدوه مثله فقالوا ما اوتي عزير هذا الا انه ابن الله وقال الكلبي لما قتل بخت نصر علماءهم
فلم يبق منهم احد يعرف التوراة وكان عزير اذ ذاك صغيرا فاستصغره فلم يقتله فلما رجع بنو اسرائيل الى بيت المقدس
وليس منهم من يقرا التوراة بعث الله عزيرا ليجدد لهم التوراة وتكون لهم اية بعد ما اماته مائة سنة فقال اتاه ملك باناء فيه ماء
فسقاه فمثلت التوراة في صدره فلما اتاهم وقال انا عزير كذبوه وقالوا ان كنت كما تزعم فامل علينا التوراة فكتبها لهم ثم ان
رجلا قال ان ابي حدثني عن جدي ان التوراة جعلت في خابية ودفنت في كرم فانطلقوا معه حتى اخرجوها فعرضوها على
ما كتب عزير فلم يغادر منه حرفا فقالوا ان الله لم يقذف التوراة في قلب رجل الا انه ابنه فقالوا عزير ابن الله **فصل**
واما قول النصارى المسيح ابن الله فظاهر وفيه اشكال وهو انا نقطع ان المسيح عليه السلام كان مبرا من دعوة الناس الى الابوة
والبنوة فان هذا اخس انواع الكفر فكيف يليق باكابر الانبياء واذا كان كذلك فكيف يعقل اطباق محبي عيسى من النصارى عليه
ومن الذي وضع هذا المذهب الفاسد واجاب المفسرون عن هذا بان اتباع عيسى عليه السلام كانوا على الحق بعد رفع عيسى حتى وقع
حرب بينهم وبين اليهود وكان في اليهود رجل شجاع يقال له بولس قتل جمعا من اصحاب عيسى ثم قال لليهود ان كان الحق مع عيسى
فقد كفرنا والنار مصيرنا ونحن مغبونون ان دخلوا الجنة ودخلنا النار واني احتال فاضلهم حتى يدخلوا النار وكان له فرس
يقال له العقاب يقاتل عليه فعرقب فرسه واظهر الندامة ووضع التراب على راسه فقال له النصارى من انت قال بولس عدوكم
فنوديت من السماء ليس لك توبة الا ان تتنصر وقد تبت فادخلوه الكنيسة ودخل بيتا ومكث سنة لا يخرج ليلا ولا نهارا
حتى تعلم الانجيل وقال نوديت ان الله قبل توبتك فصدقوه واحبوه ثم مضى الى بيت المقدس واستخلف عليهم رجلا اسمه نسطور
وعلمه ان عيسى ومريم والاله كانوا ثلاثة وتوجه الى الروم وعلمهم اللاهوت والناسوت وقال ما كان عيسى انسانا ولا جسما
ولكنه ابن الله وعلم رجلا يقال له يعقوب ذلك ثم دعا رجلا يقال له ملكا فقال ان الاله لم يزل ولا يزال عيسى ثم دعا هؤلاء
الثلاثة وقال لكل واحد منهم انت خالصتي ادع الناس الى نحلتك ولقد رايت عيسى في المنام ورضي عني واني غدا اذبح نفسي لمرضاة
عيسى ثم دخل المذبح فذبح نفسه فلما كان يوم ثالثه دعا كل واحد منهم الناس الى نحلته فتبع كل واحد منهم طائفة فاختلفوا
واقتتلوا هذا ما حكاه الواحدي وغيره قال ابن الخطيب والاقرب عندي ان يقال لعله ورد لفظ الابن في الانجيل على سبيل
التشريف ثم ان القوم لاجل عداوة اليهود ولاجل ان يقابلوا غلوهم الفاسد في احد الطرفين بغلو فاسد في الطرف الثاني
فبالغوا وفسروا لفظ الابن بالبنوة الحقيقية والجهال قبلوا ذلك وفشا هذا المذهب الفاسد في اتباع عيسى والله اعلم بحقيقة
الحال **قوله تعالى** ذلك قولهم بافواههم واعلم ان كل قول انما يقال بالفم فما تخصيصهم بهذه الصفة والجواب من وجوه
احدها ان معناه قول لا يعضده برهان وانما هو لفظ يفوهون به فارغ من معنى معتبر تحته لان اثبات الولد لله مع انه
منزه عن الحاجة والشهوة والمضاجعة والمباضعة قول باطل ليس له تاثير في العقل ونظيره قوله تعالى يقولون بافواههم ما ليس
في قلوبهم وثانيها ان الانسان قد يختار مذهبا اما على سبيل الرمز او على سبيل الكناية اما اذا صرح بلسانه فهو الغاية في اختيار
ذلك المذهب ولا يخفونه البتة وثالثها ان المعنى انهم دعوا الخلق الى هذه المقالة حتى وقعت هذه المقالة في الافواه والالسنة
والمراد مبالغتهم في دعوة الخلق الى هذا المذهب قال اهل المعاني لم يذكر الله قولا مقرونا بالافواه والالسن الا كان ذلك زورا
قال ابن العربي في هذه الاية من قول ربنا تبارك وتعالى على ان من اخبر عن كفر غيره الذي لا يجوز لاحد ان يبتدئ بالنطق به على سبيل
الاستعظام له والرد عليه ولو شاء ربنا ما تكلم به احد فاذا امكن من اطلاق الالسنة به فقد اذن في الاخبار عنه على معنى انكاره
بالقلب واللسان والرد عليه بالحجة **قوله تعالى** يضاهئون قرا العامة يضاهون بضم الهاء بعدها واو وعاصم

بها ومكسورة بعدها همزة مضمومة بعدها واو وفعيل جمعا بمعنى واحد وهو المشابهة وفيه لغتان ضاهات وضاهيت
بالهمزة والياء والهمز لغة ثقيف وقيل الياء فرع عن الهمزة كما قالوا قرات وقريت وتوضات وتوضيت واخطات واخطيت وقيل بل يضاهون
بلا همز ماخوذ من يضاهيون فلما ضمت الياء قلبت همزة وهذا خطا لان مثل هذه الياء لا تثبت في هذا الموضع حتى تقلب همزة بل يودي تصريفه
الى حذف الياء نحو يرامون من الرمي ويناسون من التنسي وزعم بعضهم انه ماخوذ من قولهم امراة ضهيا بالقصر وضهياء بالمد والهمزة وضهياة
بالمد والتانيث وضهيا بالقصر وهي التي لا تحيض او التي لا ثدي لها سميت بذلك لمشابهتها الرجال وشذ الجمع بين علامتي تانيث في هذه اللفظة
حكى اللغة الثالثة الجرمي عن ابي عمرو الشيباني قيل وقول من زعم ان المضاهاة بالهمز ماخوذة من امراة ضهيا في لغاتها الثلاث خطا
لاختلاف المادتين فان الهمزة في امراة ضهيا زائدة وفي اللغات الثلاث وهي في المضاهاة اصلية فان قيل لم لا تدعي ان همزة ضهيا اصلية
وياؤها زائدة فالجواب ان فعيلا بفتح الياء لم تثبت فان قيل فلم لا تدعي ان وزنها فعلل كجعفر فالجواب انه قد ثبت زيادة الهمزة في ضهيا
بالمد فتثبت في اللغة الاخرى وهذه قاعدة تصريفية والكلام على حذف مضاف تقديره يضاهي قولهم قول الذين فحذف المضاف
واقيم المضاف اليه مقامه فانقلب ضمير رفع بعد ان كان ضمير جر والجمهور على الوقف على بافواههم ويبتدي يضاهيون وقيل
الباء متعلق بالفعل بعدها وعلى هذا فلا يحتاج الى حذف هذا المضاف واستضعف ابو البقاء قراءة عاصم ولم يحتج للتواتر وقال
احمد بن يحيى لم يتابع احد عاصما على الهمز والمضاهاة المشابهة في قول اكثر اهل اللغة وقال ثم المضاهاة المتابعة يقال فلان
يضاهي فلانا اي يتابعه **فصل** قال مجاهد يضاهون قول المشركين من قبل كانوا يقولون اللات والعزى
بنات الله وقال قتادة والسدي ضاهت النصارى قول اليهود من قبل فقالوا المسيح ابن الله كقول اليهود من قبل عزير ابن الله لانهم
اقدم منهم وقال الحسن شبه كفرهم بكفر الذين مضوا من الامم الكافرة كما قال في مشركي العرب كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم
تشابهت قلوبهم وقال القتيبي يريد ان من كان في عصر النبي صلى الله عليه وسلم من اليهود والنصارى يقولون ما قال اسلافهم
قوله تعالى قاتلهم الله قال ابن عباس لعنهم الله وقال ابن جريج قتلهم الله وقيل هذا بمعنى التعجب من شناعة قولهم كما يقال
لمن ركبوا شيئا عجيبا قاتلهم الله ما اعجب فعلهم وهذا التعجب انما هو راجع الى الخلق والله تعالى لا يتعجب من شيء ولكن هذا الخطاب على عادة
العرب في مخاطباتهم والله عجب نبيه من تركهم الحق واصرارهم على الباطل انى يوفكون اي كيف يصرفون عن الحق بعد قيام الادلة
عليه **قوله تعالى** اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله الاحبار العلماء قال ابو عبيد الاحبار الفقهاء واختلفوا
في واحده فقال بعضهم حبر وقال بعضهم حبر قال الاصمعي لا ادري اهو الحبر او الحبر وكان ابو الهيثم يقول واحد الاحبار حبر بالفتح
لا غير وينكر الكسر وكان الليث وابن السكيت يقولان حبر وحبر للعالم ذميا كان او مسلما بعد ان يكون من اهل الكتاب وقال اهل
المعاني الحبر العالم الذي صناعته تحبير المعاني بحسن البيان عنها واتقانها ومنه ثوب محبر اي جمع الزينة والراهب الذي تمكنت
الخشية والرهبة من قلبه وظهرت اثار الرهبة على وجهه ولباسه في عرف الاستعمال فصار الاحبار مختصا بعلماء اليهود من ولد
هارون والرهبان بعلماء النصارى اصحاب الصوامع ومعنى اتخاذهم اربابا انهم اطاعوهم في اوامرهم ونواهيهم واتبعوا ما احلوا
وحرموا ما حرموا قال اكثر المفسرين ليس المراد من الارباب انهم اعتقدوا الهيتهم بل المراد انهم اطاعوهم في اوامرهم ونواهيهم
قال عدي بن حاتم اتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي عنقي صليب من ذهب وهو يقرا سورة براءة فقال يا عدي اطرح
هذا الوثن من عنقك فطرحته ثم انتهى الى قوله اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله فقلت انا لسنا نعبدهم فقال
اليس يحرمون ما احل الله فتحرمونه ويحلون ما حرم الله فتستحلونه فقلت بلى قال ذلك عبادتهم وقال الربيع قلت لابي العالية
كيف كانت تلك الربوبية في بني اسرائيل قال انهم ربما وجدوا في كتاب الله ما يخالف قول الاحبار والرهبان وكانوا ياخذون
باقوالهم ويتركون حكم كتاب الله تعالى **فان قيل** انه تعالى لما كفرهم بسبب طاعتهم الاحبار والرهبان فالفاسق يطيع
الشيطان فوجب الحكم بكفره كما هو قول الخوارج فالجواب ان الفاسق وان كان يطيع الشيطان الا انه لا يعظمه لكن يلعنه
ويظهر العرف **قوله** والمسيح ابن مريم عطف على رهبانهم والمفعول الثاني محذوف والتقدير اتخذوا اليهود احبارهم
اربابا والنصارى رهبانهم والمسيح ابن مريم اربابا وهذا لا من اللبس خلط الضمير في اتخذوا وان كان منقسما لليهود والنصارى
وهذا مراد ابي البقاء في قوله اي اتخذوا المسيح ربا فحذف الفعل واحد المفعولين وجوز فيه ايضا ان يكون منصوبا بفعل
مقدر اي وعبدوا المسيح ابن مريم قال وما امروا الا ليعبدوا الها واحدا لا اله الا هو سبحانه عما يشركون اي سبحانه ان يكون
له شريك في الامر والتكليف وفي كونه معبودا او في وجوب نهاية التعظيم **قوله تعالى** يريدون ان يطفئوا نور الله
الاية ذكر عن روساء اليهود والنصارى نوعا اخر من افعالهم القبيحة وهو سعيهم في ابطال امر محمد صلى الله عليه وسلم
والمراد من النور قال الكلبي هو القران ان يردوا القران بالسنتهم تكذيبا وقيل النور الدلائل الدالة على صحة نبوته وزعمه
وقوع دينه وسمى الدلائل نورا لان النور يهتدي به الى الصواب **قوله تعالى** ويابى الله الا ان يتم نوره ان يتم مفعول به
وانما دخل الاستثناء المفرغ في الموجب لانه في معنى النفي فقال الاخفش الصغير معنى يابى يمنع وقال الفراء دخلت الا لان في الكلام

طرفا من الحمد

طرفا من الحمد وقال الزمخشري اجرى ابى مجرى لم يرد الا ترى كيف قوبل يريدون ان يطفئوا بقوله ويابى الله واوقع موقع ولا يريد الله
الا ان يتم نوره لان الاباء يفيد زيادة عدم الارادة وهي المنع والامتناع والدليل عليه قوله عليه السلام وان ارادوا ظلما ابينا
فامتدح بذلك ولا يجوز ان يمدح بانه يكره الظلم لان ذلك يصح من القوي والضعيف وقال الزجاج ان المستثنى منه محذوف تقديره
ويابى الله كل شيء الا ان يتم نوره وقد جمع ابو البقاء بين مذهب الزجاج ومذهب غيره فجعلهما مذهبا واحدا فقال يابى بمعنى
يكره ويكره بمعنى يمنع فلذلك استثنى لما فيه من معنى النفي والتقدير يابى كل شيء الا اتمام نوره اي يعلي دينه ويظهر كلمته ويتم الحق الذي
بعث به محمدا صلى الله عليه وسلم ولو كره الكافرون **قوله تعالى** هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق يعني الذي يابى الا اتمام
دينه هو الذي ارسل رسوله محمدا بالهدى اي بالقران وقيل ببيان الفرائض ودين الحق وهو الاسلام ليظهره على الدين ليعليه ويظهره
على الدين كله على سائر الاديان كلها ولو كره المشركون **فصل** ظاهر قوله ليظهره على الدين كله يقتضي كونه غالبا لجميع الاديان
وليس الامر كذلك فان الاسلام لم يصر غالبا لسائر الاديان في ارض الهند والصين والروم وسائر اراضي الكفر فالجواب من وجوه احدها
قال ابن عباس الهاء في ليظهره عائدة الى الرسول صلى الله عليه وسلم اي يعلمه شرائع الدين كلها فيظهره عليها حتى لا يخفى عليه منها شيء وثانيها
قال ابو هريرة والضحاك هذا وعد من الله تعالى بانه يجعل الاسلام غالبا على جميع الاديان وتمام هذا يحصل عند خروج عيسى عليه
السلام روى ابو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم في نزول عيسى قال ويهلك في زمانه الملل كلها الا الاسلام وروى المقداد قال سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يبقى على ظهر الارض بيت مدر ولا وبر الا ادخله الله كلمة الاسلام اما بعز عزيز واما بذل ذليل اما يعزهم
فيجعلهم من اهله فيعزوا به واما ان يذلهم فيدينون له وقال السدي ذلك عند خروج المهدي لا يبقى احد الا دخل في الاسلام
او ادى الخراج وثالثها ليظهره على الدين كله في جزيرة العرب وقد حصل ذلك فانه تعالى ما ابقى فيها احدا من الكفار ورابعها انه
لا دين يخالف دين الاسلام الا وقد قهرهم المسلمون وظهروا عليهم في بعض المواضع وان لم يكن ذلك في جميع مواضعهم فقهروا اليهود
واخرجوهم من بلاد العرب وغلبوا النصارى على بلاد الشام وما والاها الى ناحية الروم والغرب وغلبوا المجوس على ملكهم وغلبوا عباد
الاصنام على كثير من بلادهم مما يلي الترك والهند وخامسها ليظهره على الدين كله بالحجة والبيان وهذا ضعيف لان هذا وعد
بانه تعالى سيفعله والقوة بالحجة والبيان كانت حاصلة من اول الامر ويمكن ان يجاب عنه بان في مبدا الامر كثرت الشبهات
بسبب ضعف المومنين واستيلاء الكفار ومنعهم للناس من التامل في تلك الدلائل واما بعد قوة الاسلام وعجز الكفار ضعفت
الشبهات وقوي ظهور دلائل الاسلام **قوله تعالى** يا ايها الذين امنوا ان كثيرا من الاحبار والرهبان لياكلون
اموال الناس بالباطل الاية لما وصف اليهود والنصارى بالتكبر والتجبر وادعاء الربوبية وصفهم في هذه الاية
بالطمع والحرص على اخذ اموال الناس بالباطل فقوله كثيرا يدل على ان هذه طريقة بعضهم لا طريقة الكل فان العالم لا يخلو عن
الحق واطباق الكل على الباطل كالممتنع وهذا يدل على ان اجماع هذه الامة على الباطل لا يحصل وكذلك في سائر الامم وعبر
عن اخذ الاموال بالاكل لان المقصود الاعظم من جميع الاموال الاكل فسمي الشيء باسم اعظم مقاصده واما لان من اكل شيئا فقد ضمه
الى نفسه ومنع غيره من الوصول اليه واما لان من اخذ اموال الناس اذا طولب بردها قال اكلتها فلهذه الوجوه سمي الاخذ بالاكل
واختلفوا في تفسير هذا الباطل فقيل كانوا ياخذون الرشا في تخفيف الاحكام والمسامحة في الشرائع وقيل كانوا يدعون
عند العوام منهم انه لا سبيل الى الفوز بمرضاة الله تعالى الا بخدمتهم وطاعتهم وبذل الاموال في مرضاتهم والعوام كانوا يغترون
الايات الدالة على مبعث محمد صلى الله عليه وسلم وعلى صدقه ويذكرون في تاويلها وجوها فاسدة ويطيبون قلوب
عوامهم بهذا السبب وياخذون الرشوة عليها وقيل كانوا يحرفون كتاب الله ويكتبون بايديهم كتبا يقولون هذه
من عند الله وياخذون بها ثمنا قليلا من سفلتهم **قوله تعالى** ويصدون يحتمل ان يكون متعديا اي يصدون
الناس وان يكون قاصرا كذا قاله ابو حيان وفيه نظر لانه متعد فقط وانما يحذف مفعوله مرادا ولا يراد كقوله كلوا واشربوا
قوله تعالى والذين يكنزون الجمهور على قراءته بالواو وفيها تاويلان احدهما انها استينافية والذين مبتدا ضمن
معنى الشرط ولذلك دخلت الفاء في خبره والثاني انه من اوصاف الكثير من الاحبار والرهبان وهو قول عثمان ومعاوية قال زيد
ابن وهب مررت بابي ذر بالربذة فقلت يا ابا ذر ما انزلك هذه البلاد فقال كنت بالشام فقرات والذين يكنزون الذهب
والفضة فقال معاوية هذه الاية في اهل الكتاب فقلت انها فيهم وفينا فصار ذلك سببا للوحشة بيني وبينه فكتب
الى عثمان ان اقبل الي فلما قدمت المدينة انحرف الناس عني كانهم لم يروني من قبل فشكوت ذلك الى عثمان فقال لي تنح قريبا
فقلت والله اني لم ادع ما كنت اقول ويجوز ان يكون الذين منصوبا بفعل مقدر يفسره فبشرهم وهو راجح لمكان الامر
وقرا طلحة بن مصرف الذين بغير واو وهي تحتمل الوجهين المتقدمين وذلك كونه من اوصاف الكثير من الاحبار والرهبان
اظهر من الاستيناف عكس التي بالواو الجمع والضم ومنه ناقة كناز اي منضمة الخلق ولا يختص بالذهب والفضة
بل يقال لجمعهما ولغيرهما وان غلب عليهما قال الشاعر * لا در دري ان اطعمت جائعهم * قرف الحتي وعندي البر مكنوز *

قرن الحق هو سو بن المقل يقول انه بن ربيعه وكان قراه عندهم سو بن المقل فلما رابه قال ذلك وقال الاخر * على شديد لحمه كاذ
بات يرتجي على اوفاز قوله ولا ينفقونها تقدم شيان وعاد الضمير على واحد فقيل انه من باب ما حذف فيه لدلالة الكلام عليه
والتقدير والذين يكنزون الذهب ولا ينفقونه والفضة ولا ينفقونها وقيل يعود على المكنوزات ودل على هذا جزوه المذكور لان المكنوز
اعم من النقدين وغيرهما فلما ذكر الجزء دل على الكل فعاد الضمير جمعا بهذا الاعتبار ونظيره قول الاخر *
ولو حلفت بين الصفا ام عامر * ومروة بالله برت يمينها * اي ومروة مكة عاد الضمير عليها لما ذكر جزؤها وهو الصفا
كذا استدل به ابن مالك وفيه احتمال وهو ان يكون الضمير عائدا على الصفا وانث حملا على المعنى اذ هو في معنى البقعة والحدبة
وقيل الضمير يعود على الذهب لان تانيثه اشهر ويكون قد حذف بعد الفضة ايضا وقيل ان كل واحد منهما جملة وافية دنانير
ودراهم فهو كقوله وان طائفتان من المومنين اقتتلوا وقيل التقدير ولا ينفقون الكنوز وقال الزجاج ولا ينفقون تلك
الاموال وقيل يعود على الزكوة وقال القرطبي قال ابن الانباري قصد الاغلب والاعم وهي الفضة ومثله قوله واستعينوا
بالصبر والصلاة وانها لكبيرة الا على الخاشعين رد الكناية الى الصلوة لانها اعم ومثله واذا راوا تجارة او لهوا انفضوا
اليها فاما ردها الى التجارة لانها الاعم ورد هذا بعضهم قال ليس هذا نظيره لان او فصلت التجارة عن اللهو فحسن عود الضمير
على احدهما واما تخصيص الذهب والفضة بالذكر من بين سائر الاموال لانهما الاصل المعتبر في الاموال وهما اللذان يقصدان
بالكنز قوله فبشرهم بعذاب اليم اي فاخبرهم على سبيل التهكم لان الذين يكنزون الذهب والفضة انما يكنزونهما ليتوسلوا
بهما الى تحصيل الفرج يوم الحاجة فقيل هذا هو الفرج كما يقال تحيتهم ليس الا الضرب واكرامهم ليس الا الشتم وايضا فالبشارة
عبارة عن الخبر الذي يوثر في القلب فيتغير بسببه لون بشرة الوجه وهذا يتناول تغير البشرة بالفرح او بالغم قوله تعالى
يوم يحمى منصوب بقوله بعذاب اليم وقيل بمحذوف يدل عليه عذاب اي يعذبون يوم يحمى او اذكر يوم يحمى وقيل هو منصوب
باليم وقيل الاصل عذاب يوم وعذاب بدل من عذاب الاول فلما حذف المضاف اقيم المضاف اليه مقامه وقيل منصوب بقول
مضمر وسياتي بيانه ويحمى يجوز ان يكون من حميت او احميت ثلاثيا ورباعيا يقال حميت الحديدة واحميتها اي اوقدت عليها
لتحمى والفاعل المحذوف النار تقديره يوم تحمى النار عليها فلما حذف الفاعل ذهبت علامة التانيث لذهابه كقولك رفعت القصة
الى الامير ثم تقول رفع الى الامير وقيل لان تانيث النار مجازي والفعل غير مسند في الظاهر اليه بل الى قوله عليها فلهذا حسن التذكير
والتانيث وقيل المعنى يحمى الوقود وقرا الحسن تحمى بالتاء من فوق اي النار وهي تويد التاويل الاول وقرا ابو حيوة يكوى بالياء
من تحت لان تانيث الفاعل مجازي وقرا الجمهور جباههم بالاظهار وقرا ابو عمرو في بعض طرقه بالادغام كما ادغم سلككم ومناسككم
ومثل جباههم وجوههم المشهور الاظهار قوله تعالى هذا ما كنزتم لانفسكم معمول لقول محذوف اي يقال لهم ذلك يوم
يحمى وقوله ما كنتم تكنزون اي جزاء ما كنزتم لان المكنوز لا يذاق وما يجوز ان تكون بمعنى الذي فالعائد محذوف وان تكون
مصدرية وقرئ تكنزون بضم عين المضارع وهما لغتان يقال كنز يكنز ويكنز كيقتل فصل اصل
الكنز في كلام العرب الجمع وكل شيء جمع بعضه الى بعض فهو مكنوز واختلف علماء الصحابة في المراد بهذا الكنز المذموم فقال
الاكثرون هو المال الذي لم تؤد زكوته قال عمر بن الخطاب ما ادي زكوته فليس بكنز وان كان تحت سبع ارضين وكل ما لم تود
زكوته فهو كنز وان كان فوق الارضين وقال ابن عباس في قوله ولا ينفقونها في سبيل الله يريد الذين لا يودون زكوة اموالهم
وروى ابو هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يودي منها حقها الا اذا كان يوم
القيمة صفحت له صفائح من نار فاحمي عليها في نار جهنم فتكوى بها جبهته وجنبه وظهره كلما ردت اعيدت في يوم كان
مقداره خمسين الف سنة حتى يقضى بين العباد فيرى سبيله اما الى الجنة واما الى النار قال القاضي تخصيص هذا المعنى
بمنع الزكوة لا سبيل اليه بل الواجب ان يقال الكنز هو المال الذي ما اخرج منه ما وجب اخراجه ولا فرق بين الزكوة
وبين ما يجب من الكفارات وبين ما يلزم من نفقة الحج والجمعة وبين ما يجب اخراجه في الديون والحقوق والانفاق على
الاهل والعيال وضمان المتلفات واروش الجنايات فيجب دخول كل هذه الاقسام في هذا الوعيد وروي عن علي بن ابي طالب
انه قال كل مال زاد على اربعة الاف درهم فهو كنز اديت منه الزكوة او لم تود وما دونها نفقة وروي عن ابي ذر انه كان
يقول من ترك بيضا او حمراء كوي بها يوم القيمة وقيل ما فضل عن الحاجة كنز لما روى ابو امامة قال مات رجل
من اهل الصفة فوجد في مئزره ديناران فقال النبي صلى الله عليه وسلم كيتان والقول الاول اصح لقوله عليه السلام
نعم المال الصالح للرجل الصالح وقوله عليه السلام ما ادي زكوته فليس بكنز وروى مجاهد عن ابن عباس قال لما نزلت
هذه الاية كبر ذلك على المسلمين وقالوا ما يستطيع احد منا ان يدع لولده شيئا فذكر ذلك عمر لرسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال ان الله لم يفرض الزكوة الا ليطيب بها ما بقي من اموالكم وسئل ابن عمر عن هذه الاية فقال كان هذا قبل ان تنزل الزكوة
فلما نزلت جعلها الله طهرا للاموال وقال ابن عمر ما ابالي لو ان لي مثل احد ذهبا اعلم عدده ازكيه واعمل بطاعة الله عز وجل

وكان في زمان الرسول عليه السلام جماعة مياسير كعثمان وعبد الرحمن بن عوف وكان عليه السلام يعدهم من اكابر المومنين
ويندب عليه السلام الى اخراج الثلث او اقل في المرض ولو كان جمع المال محرما لكان عليه السلام يامر المريض بالصدقة بكله بل كان
يامر الصحيح في حال صحته بذلك وقال عليه السلام لسعد بن ابي وقاص انك ان تدع ورثتك اغنياء خير من ان تدعهم عالة يتكففون
الناس فصل اختلفوا في وجوب الزكوة في الحلي فقال مالك واحمد واسحق وابو ثور وابو عبيد لا زكوة فيه
وهو قول الشافعي بالعراق ووقف فيه بعد ذلك بمصر وقال الثوري وابو حنيفة والاوزاعي فيه الزكوة فان فيها من لم يزك ولم ينفق
في سبيل الله وان في المعاصي هل يكون حكمه في الوعيد حكم من كنز ولم ينفق في سبيل الله قيل ان ذلك اشد فان من بذر ماله في المعاصي
عصى من جهتين بالانفاق والتناول كشراء الخمر وشربها بل من جهات اذا كانت المعصية مما يتعدى كمن اعان على ظلم مسلم من قتله
او اخذ ماله فان قيل لم خصت هذه الاعضاء فالجواب من وجوه احدها ان المقصود من كسب الاموال حصول فرح القلب
فيظهر اثره في الوجه وحصول الشبع فينتفخ بسببه الجنبان ولبس ثياب فاخرة يطرحونها على ظهورهم فلما طلبوا تزيين هذه الاعضاء
الثلاثة حصل الكي على الجباه والجنوب والظهور وثانيها ان هذه الاعضاء الثلاثة مجوفة وفي داخلها الات ضعيفة
يعظم تالمها بسبب وصول ادنى اثر اليها بخلاف سائر الاعضاء وثالثها قال ابو بكر الرازي خصت هذه المواضع بالذكر لان
صاحب المال اذا راى الفقير قبض جبينه واذا جلس الفقير بجنبه تباعد عنه وولاه ظهره ورابعها انهم يكوون على الجهات
الاربع اما من قدمه فعلى الجبهة واما من خلفه فعلى الظهر واما من يمينه ويساره فعلى الجنبين قوله ان
عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا الاية العدة مصدر بمعنى العدد وعند الله منصوب بها اي في حكمه واثنا عشر خبر ان وقرا
هبيرة عن حفص وهي قراءة ابي جعفر اثنا عشر بسكون العين مع ثبوت الالف قبلها واستكرهت من حيث الجمع بين ساكنين
على غير حدهما كقولهم التقت حلقتا البطان باثبات الالف من حلقتا واطلاقه بسكون الشين كانه حمل عشر في المذكر على
عشرة في المونث وشهرا انتصب على التمييز وهو موكد لانه قد فهم ذلك من الاول فهو كقولك عندي من الدنانير عشرون دينارا
والجمع متغاير في قوله عدة الشهور وفي قوله اثنا عشر شهرا لان هذا جمع كثرة وذاك جمع قلة قوله في كتاب الله يجوز ان تكون
صفة لاثني عشر والتقدير اثنا عشر مثبتا في كتاب الله ثم يجوز ان يعني بهذا الكتاب كتابا من الكتب لانه متعلق بقوله يوم خلق
السموات واسماء الاعيان لا تتعلق بالظروف فلا تقول غلامك يوم الجمعة بل الكتاب مصدر والتقدير ان عدة الشهور
عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله اي في حكمه الواقع يوم خلق السموات والارض ويجوز ان يكون بدلا من الظرف قبله وهذا لا يجوز
او ضعيف لانه يلزم منه ان يخبر عن الموصول قبل تمام صلته فان عدة الجار متعلق به على سبيل البدلية وعلى تقدير صحة
ذلك من جهة الصناعة كيف يصح من جهة المعنى ولا يجوز ان يكون في كتاب الله متعلقا بعدة لما يلزم من الفصل بين المصدر ومعموله
بخبره وقيل من جوز ابداله من الظرف انه يجوز هذا وقد صرح بجوازه الحوفي قوله تعالى يوم خلق السموات يجوز فيه
ان يتعلق بكتاب على انه يراد به المصدر لا الجثة ويجوز ان يتعلق بالاستقرار في الجار والمجرور وهو في كتاب الله ويكون
الكتاب جثة لا مصدرا وجوز الحوفي ان يكون متعلقا بعدة وهو مردود بما تقدم ويجوز ان يتعلق بفعل مقدر اي كتب
ذلك يوم خلق فصل هذه الاية ايضا من شرح قبائح اعمال اليهود والنصارى والمشركين وهو اقدامهم على تغيير
احكام الله تعالى لانه تعالى حكم في كل وقت بحكم خاص فاذا غيروا تلك الاوقات بسبب النسيء كان ذلك سعيا منهم في تغيير حكم
السنة بحسب اهوائهم وارائهم فكان ذلك زيادة في كفرهم وحزنهم فان السنة عند العرب عبارة عن اثني عشر شهرا القمرية ويدل
عليه هذه الاية وقوله تعالى هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب فجعل
تقدير القمر بالمنازل دليلا على السنين وانما يصح ذلك اذا كانت السنة معلقة بسير القمر وقال تعالى يسئلونك عن الاهلة قل
هي مواقيت للناس والحج وعند سائر الطوائف السنة عبارة عن المدة التي تدور الشمس فيها دورة تامة والسنة القمرية
اقل من السنة الشمسية بمقدار معلوم وبسبب ذلك النقصان تنتقل الشهور القمرية من فصل الى فصل فيكون الحج واقعا
في الشتاء مرة وفي الصيف اخرى فشق الامر عليهم بهذا السبب وايضا اذا حضروا الحج حضروا للتجارة فيختل اسباب تجاراتهم
بهذا السبب فلهذا السبب اقدموا على اعتبار السنة الشمسية فلذلك بقي زمان الحج مختصا بوقت معين موافق لمصلحتهم وانتفعوا
بتجاراتهم ومصالحهم فهذا النسيء وان كان سببا لحصول المنافع الدنيوية الا انه لزم منه تغيير حكم الله تعالى لانه خص
الحج باشهر معلومة على التعيين وكان بسبب ذلك النسيء يقع في سائر الشهور فغيروا حكم الله تعالى وابطال تكليفه فلهذا المعنى
استوجبوا الذم العظيم في هذه الاية والمراد بالكتاب حكمه وايجابه قال ابن عباس انه اللوح المحفوظ وقيل القران فصل
قال القرطبي قوله تعالى الشهور وهي جمع شهر فاذا قال الرجل لاخيه لا اكلمك الشهور وحلف على ذلك فلا يكلمه حولا قاله بعض العلماء
وقيل لا يكلمه ابدا قال ابن العربي وارى ان لم يكن له نية ان يقتضي ذلك ثلاثة اشهر لانه اقل الجمع الذي يقتضيه صيغة
فعول في جمع فعل قوله تعالى منها اربعة حرم هذه الجملة يجوز فيها ثلاثة اوجه احدها ان يكون صفة لاثنا عشر

الثاني ان يكون حالا من الضمير في الاستقرار الثالث ان تكون مستانفة والضمير في منها عايد على اثنا عشر شهرا لانه
اقرب مذكور لا على الشهور والضمير في فيهن عايد على اثنى عشر ايضا وقال الفرا وقتادة يعود على الاربعة الحرم وهذا
احسن لوجهين احدهما انها اقرب مذكور والثاني انه قد تقرر ان معاملة ضمير الواحد والجمع الكثير بالعكس جمع القلة غير العاقل
معاملة جماعة الاناث احسن من معاملة ضمير الواحدة والجمع الكثير بالعكس تقول الاجذاع انكسرن والجذوع انكسرت ويجوز العكس

فصل اجمعوا على ان هذه الاربعة ثلاثة منها سرد وهي ذو القعدة وذو الحجة والمحرم وواحد فرد وهو رجب
ومعنى حرمها ان المعصية فيها اشد عقابا والطاعة فيها اشد ثوابا والعرب كانوا يعظمونها حتى لو لقي الرجل قاتل ابيه فيها لم يتعرض
له فان قيل اجزاء الزمان متشابهة في الحقيقة فما السبب في هذا التمييز فالجواب هذا المعنى غير مستبعد في الشرايع كامتياز
البلد الحرام عن ساير البلاد بمزيد الحرمة وميز يوم الجمعة عن ساير الايام بمزيد الحرمة وميز يوم عرفة عن ساير الايام بعبادة
مخصوصة وميز شهر رمضان عن ساير الشهور بمزيد حرمة وميز بعض ساعات اليوم والليلة بوجوب الصلوة فيها وميز
ليلة القدر عن ساير الليالي وميز بعض الاشخاص باعطاء الرسالة فاي استبعاد في تخصيص بعض الاشهر بمزيد الحرمة وفيه
فايدة وهي ان الطباع مجبولة على الظلم والفساد وامتناعهم من القبايح على الاطلاق شاق عليهم فخص تعالى بعض الاوقات
وبعض الاماكن بمزيد التعظيم والاحترام صونا لان الانسان ربما امتنع في تلك الازمنة وفي تلك الامكنة عن فعل القبايح
وذلك يوجب انواعا من الفوايد احدها ان ترك القبايح في تلك الاوقات تقليل القبايح وثانيها انه يحصل في تلك الاوقات
ربما صار سببا لميل طبعه الى الاعراض عنها مطلقا وثالثها انه اذا اتى بالطاعات فيها واعرض عن المعاصي فيها
فبعد انقضاء تلك الاوقات لو شرع في المعاصي صار شروعه فيها سببا لبطلان ما تحمله من المشقة في اداء تلك الطاعات
في تلك الاوقات والظاهر من حال العاقل ان لا يرضى بذلك فيصير ذلك سببا لاجتنابه من المعاصي بالكلية فهذا هو
الحكمة في تخصيص بعض الازمنة وبعض الامكنة بمزيد التعظيم **قوله تعالى** ذلك الدين القيم اي الحساب المستقيم
يقال الكيس من دان نفسه اي حاسبها وقال الحسن ذلك الدين القيم الذي لا يبدل ولا يغير فالقيم ههنا بمعنى القايم
الدايم الذي لا يزول وهو الدين الذي فطر الناس عليه **قوله تعالى** ولا تظلموا فيهن انفسكم بفعل المعصية
وترك الطاعة قال ابن عباس المراد فلا تظلموا في الشهور الاثنى عشر انفسكم والمراد منع الانسان من الاقدام على الفساد
في جميع العمر وقال الاكثرون الضمير في قوله فيهن عايد على الاربعة الحرم وقد تقدم وقيل المراد بالظلم النسي الذي
كانوا يعملونه فينقلون الحج من الشهر الذي امر الله باقامته فيه الى شهر اخر وقيل المراد بالظلم ترك المقاتلة في هذه الاشهر
قوله تعالى وقاتلوا المشركين كافة ونصب كافة على الحال اما من الفاعل او من المفعول وقد تقدم ان كافة
لا يتصرف فيها بغير النصب على الحال وانها لا يدخلها ال لانها بمعنى قولك قاموا جميعا وقاموا معا وانها لا تثنى ولا تجمع
وكذلك كافة الثانية ومعنى كافة اي جميعا **فصل** معنى الاية قاتلوهم باجمعكم مجتمعين متوافقين
في مقاتلة الاعدا وقال ابن عباس قاتلوهم بكليتهم ولا تحابوا بعضهم بترك القتال كما انهم يستحلون قتال جميعكم واعلموا
ان الله مع المتقين اي مع اوليايه الذين يخشونه في اداء الطاعات والاجتناب عن المحرمات واختلفوا في تحريم القتال
في الاشهر الحرم فقيل كان محرما ثم نسخ بقوله تعالى وقاتلوا المشركين كافة اي فيهن وفي غيرهن وهو قول قتادة وعطا
الخراساني والزهري وسفيان الثوري وقالوا لان النبي صلى الله عليه وسلم غزا هوازن بحنين وثقيفا بالطايف
وحاصرهم في شوال وبعض ذي القعدة وقال اخرون انه غير منسوخ قال ابن جريج حلف بالله عطا ابن ابي رباح ما يحل للناس
ان يغزوا في الحرم ولا في الاشهر الحرم الا ان يقاتلوا فيها وما نسخت **قوله تعالى** انما النسي زيادة في الكفر في النسي قولان
احدهما انه مصدر على فعيل من انسا اي اخر كالنذير من انذر والنكير من انكر وهذا ظاهر قول الزمخشري فانه قال
النسي تاخير حرمة الشهر الى شهر اخر وحينيذ فالاخبار عنه بقوله زيادة واضح لا يحتاج الى اضمار وقال الطبري النسي
بالهمز معناه الزيادة لانه تاخير في المدة فيلزم منه الزيادة ومنه النسيية في البيع يقال انسا الله اجله ونسا في اجله
اي اخر وهو ممدود عند اكثر القرا الثاني انه فعيل بمعنى مفعول من نساه اي اخره فهو منسوء ثم حول مفعول الى فعيل
كما حول مقتول الى قتيل والى ذلك نحا ابو حاتم والجوهري وهذا القول رده الفارسي بانه يكون المعنى انما المؤخر زيادة والمؤخر
الشهر ولا يكون الشهر زيادة في الكفر واجيب عن هذا بانه على حذف مضاف اما من الاول اي انما النسي زيادة في الكفر
واما من الثاني اي انما النسي ذو زيادة وقرا الجمهور النسي بهمزة بعد اليا وقرا ورش عن نافع النسي بابدال الهمزة
يا وادغام اليا فيها وروي هذه عن ابي جعفر والزهري وحميد وذلك كما خففوا برية وخطية وقرا السلمي وطلحة والاشهب
وشبل النسا باسكان السين وقرا مجاهد والسلمي وطلحة ايضا النسو بزنة فعول بفتح الفا وهو التاخير وفعول في المصادر
قليل قد تقدم منه الفاظ في اوايل البقرة وتقدم في البقرة اشتقاق هذه المادة وهو هنا عبارة عن تاخير بعض الشهور

عن بعض قال * السنا الناسين على معد شهور الحل نجعلها حراما * وقال اخر * ونسا والشهور بها وكانوا اهلها *
من قبلكم والعز لم يحول **قوله تعالى** يضل به قرا الاخوان وحفص وابو عمرو في رواية ابن مقسم يضل مبنيا للمفعول
وله ثلاثة اوجه احدها يضل الله به الذين كفروا والثاني يضل الشيطان به الذين كفروا والثالث يضل به الذين كفروا تابعيهم
والباقون مبنيا للفاعل والموصول فاعل به وقرا ابن مسعود والحسن ومجاهد وقتادة ويعقوب وعمرو بن ميمون يضل مبنيا
للفاعل من اضل وفي الفاعل وجهان احدهما ضمير الباري تعالى اي يضل الذين كفروا والثاني ان الفاعل الذين كفروا وعلى هذا
فالمفعول محذوف اي يضل الذين كفروا اتباعهم وقرا ابو رجا يضل بفتح اليا والضاد وهي من ضللت بكسر اللام اضل بفتحها
والاصل اضلل اضللت فنقلت فتحة اللام الى الضاد لاجل الادغام وقرا النخعي والحسن في رواية محبوب نضل بضم نون العظمة والذين
مفعول وهذا يقوي ان الفاعل ضمير الله تعالى في قراءة ابن مسعود **قوله** يحلونه فيه وجهان احدهما ان الجملة تفسيرية
للضلال والثانية انها حالية وقوله ليواطيوا في هذه اللام وجهان احدهما انها متعلقة بيحرمونه وهذا مقتضى مذهب
البصريين فانهم يعملون الثاني من المتنازعين والثاني انها متعلق بالفعلين معا فانهما يعني من حيث المعنى لا اللفظ وقرا ابو
جعفر ليواطيوا بكسر الطاء وضم اليا الصريحة والصحيح انه ينبغي ان يقرا بضم الطا وحذف اليا لانه لما ابدل الهمزة يا استثقل
الضمة عليها فحذفها فالتقى ساكنان فحذفت اليا وضمت الطا لتجانس الواو والمواطاة الموافقة والاجتماع يقال تواطوا على كذا
اي اجتمعوا عليه كان كل واحد يطا حيث يطا الاخر ومنه قوله تعالى ان ناشية الليل هي اشد وطا وقرى وطا وسيا تي
ان شا الله تعالى وقرا الزهري ليواطيوا بتشديد الطا هكذا ترجموا قراءته وهي مشكلة حتى قال بعضهم فان لم يرد به شدة بيان اليا
وتخليصها من الهمز دون التضعيف فلا اعرف وجهها وهو كما قال **قوله** زين الجمهور على بنائه للمفعول والفاعل
المحذوف هو الشيطان وقرا زيد بن علي زين ببنائه للفاعل وهو الشيطان ايضا وسوء مفعوله **فصل**
معنى النسي هو تاخير تحريم شهر الى شهر اخر وذلك ان العرب كانت تعتقد تعظيم الاشهر الحرم وكان ذلك مما تمسكت من
ملة ابراهيم وكان معايشهم من الصيد والغارة فكان يشق عليهم الكف عن ذلك ثلاثة اشهر متوالية وربما وقعت لهم
حرب في الاشهر الحرم يكرهون تاخير حربهم فنسوا اي اخروا تحريم ذلك الشهر الى شهر اخر وكانوا يوخرون تحريم المحرم الى صفر
فيحرمون صفر ويحلون المحرم فاذا احتاجوا الى تاخير تحريم صفر اخروه الى ربيع هكذا شهرا بعد شهر حتى استدار
التحريم على السنة كلها فقام الاسلام وقد رجع المحرم الى موضعه الذي وضعه الله عز وجل وذلك بعد دهر طويل فخطب
النبي صلى الله عليه وسلم وقال الا ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض السنة اثنا عشر شهرا منها
اربعة حرم ثلاثة متواليات ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان الحديث فامرهم بالمحافظة
عليه لئلا يتبدل في مستانف الايام واختلفوا في اول من نسا النسي فقال ابن عباس والضحاك وقتادة ومجاهد اول من
نسا بنو مالك بن كنانة وقال الكلبي اول من فعل ذلك رجل من بني كنانة يقال له نعيم بن ثعلبة وكان يكون على الناس
بالموسم فاذا هم الناس بالصدور قام فخطب فقال لا مرد لما قضيت وانا الذي لا اعاب ولا اجاب فيقول له المشركون
لبيك ثم يسالونه ان ينسيهم شهرا يغيرون فيه فيقول فان صفر العام حرام فاذا قال ذلك حلوا الاوتار ونزعوا الاسنة
والازجة فان قال حلال عقدوا الاوتار وشدوا الازجة واغاروا وكان من بعد نعيم رجل يقال له جنادة بن عوف
وهو الذي ادرك النبي صلى الله عليه وسلم وقال عبد الرحمن بن زيد بن اسلم هو رجل من كنانة يقال له القلمس قال شاعرهم
ومنا ناسي الشهر القلمس وكانوا لا يفعلون ذلك الا في ذي الحجة اذا اجتمعت العرب للموسم وقال جويبر عن الضحاك
عن ابن عباس اول من سن النسي عمرو بن لحي بن قمعة بن خندف ثم قال انما النسي زيادة في الكفر اي زيادة كفر على كفر يضل به الذين
كفروا تقدم الكلام عليه يحلونه عاما يعني النسي ويحرمونه عاما ليواطيوا اي ليوافقوا عدة ما حرم الله اي انهم لم يحلوا
شهرا من الاشهر الحرم الا حرموا مكانه شهرا من الحرم لئلا يكون الحلال ولم يحرموا شهرا من الحلال الا احلوا مكانه شهرا من الحرم
لئلا يكون الحرم اكثر من اربعة اشهر فتكون الموافقة في العدد زين لهم سوء اعمالهم قال ابن عباس زين لهم الشيطان والله
لا يهدي القوم الكافرين **قوله تعالى** يا ايها الذين امنوا ما لكم اذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم الاية لما ذكر
فضايح الكفار عاد الى الترغيب في مقاتلتهم قال ابن عباس نزلت هذه الاية في غزوة تبوك وذلك لانه عليه السلام
لما رجع من الطايف اقام بالمدينة وامر بجهاد الروم وكان ذلك الوقت زمان شدة الحر وطابت ثمار المدينة واستعظم الناس
غزو الروم وهابوه وكان ذلك في حر شديد وسفر بعيد ومفاوز وعدو كثير وذلك حين طابت ثمار المدينة وظلالها
فامرهم ليتاهبوا اهبة غزوهم فشق عليهم الخروج وتثاقلوا فنزلت هذه الاية ومعنى اذا قيل لكم اي قال لكم رسول الله صلى
الله عليه وسلم انفروا اخرجوا وامر القوم الذين يخرجون النفير **قوله** اثاقلتم اصله تثاقلتم فلما اريد الادغام
سكنت التا فاجتلبت همزة الوصل كما تقدم في اداراتم والاصل تداراتم وقرا الاعمش تثاقلتم بهذا الاصل في قوله

ما لكم استفهامية وفيها معنى الانكار وقيل فاعل المجرور هو الرسول كانه قدم وانا قلتم ملقي اللفظ مضارع المعنى اي تتثاقلون
وهو في موضع الحال وهو عامل في الظرف اي ما لكم متثاقلين وقت القول وقال ابو البقا اثاقلتم ماض بمعنى المضارع اي ما لكم
تتثاقلون وهو في موضع نصب اي اي شيء لكم في التثاقل او في موضع جر على راي الخليل وقيل هو في موضع حال قال ابو حيان وهذا
ليس بجيد لانه يلزم منه حذف ان لانه لا ينسبك مصدر الا من حرف مصدري والفعل وحذفان في نحو هذا قليل جدا او ضرورة
واذا كان التقدير في التثاقل فلا يمكن عمله في اذا لان معمول المصدر الموصول لا يتقدم عليه فيكون الناصب لاذا والمتعلق به
في التثاقل ما تعلق به لكم الواقع خبرا لما وهي اثاقلتم بالاستفهام بمعنى الانكار وحينئذ لا يجوز ان يعمل في اذا لان ما بعد
حرف الاستفهام لا يعمل فيما قبله فيكون العامل في هذا الظرف اما الاستقرار المقدر في لكم او مضمر مدلول عليه باللفظ والتقدير
ما تصنعون اذا قيل لكم واليه نحا الزمخشري والظاهر ان تقدير ما لكم تتثاقلون اذا قيل ليكون مدلولا عليه من حيث اللفظ
والمعنى وقوله الى الارض ضمن معنى الميل والاخلاد فعدي بالى والمعنى تباطاتم الى الارض اي لزمتم ارضكم ومساكنكم وملتم الى الدنيا
وشهواتها وكرهتم مشاق الجهاد ومتاعبه ونظيره قوله اخلد الى الارض واتبع هواه قال المفسرون معناه اثاقلتم الى نعيم الارض
والى الاقامة بالارض وكذا قوله اصبروا وصابروا وقوله امرتم معك وقوله يا اسفا على يوسف وقوله اسلمت مع سليمان وقوله تعالى
اعرض ونا بجانبه واذا مسه الشر فذو دعاء عريض وقوله على علم على العالمين وقوله مالك الملك **قوله تعالى** ارضيتم بالحياة
الدنيا التخفيض الدنيا ودعتها وقوله الى الارض رضيتم حياة الدنيا **قوله تعالى** من الاخرة تظافرت اقوال المعربين والمفسرين
على ان من معنى بدل كقوله لجعلنا منكم ملايكة اي بدلكم ومثله قول الاخر ٭ جارية لم تاكل المرققا ٭
ولم تذق من البقول الفستقا ٭ وقول الاخر ٭ فليت لنا من ماء زمزم شربة ٭ مبردة باتت على طهيان ٭
الا ان اكثر النحويين لم يثبتوا لها هذا المعنى ويتاولون ما اوهم ذلك والتقدير هنا اعتضتم من الاخرة راضين بالحيوة وكذلك
بانها وقال ابو البقا من الاخرة في موضع الحال اي بدلا من الاخرة فقدر المتعلق كونا خاصا ويجوز ان يكون اراد تفسير المعنى
ثم قال فما متاع الحيوة الدنيا اي لذاتها وقوله في الاخرة متعلق بمحذوف من حيث المعنى تقديره فما متاع الحيوة الدنيا محسوبا
في الاخرة فمحسوبا حال من متاع وقال الحوفي انه متعلق بقليل وهو خبر المبتدا قال وجاز ان يتقدم الظرف على عامله المقرون
بالا لان الظرف يعمل فيه رايحة الافعال ولو قلت ما زيدا الا اضرب لم يجز **فصل** الدليل على ان متاع
الدنيا في الاخرة قليل ان لذات الدنيا خسيسة في انفسها ومشوبة بالافات والبليات ومنقطعة عن قريب لا محالة ومنافع الاخرة
شريفة عالية خالصة عن كل الافات دايمة ابدية سرمدية وذلك يوجب القطع بان متاع الدنيا في جنب متاع الاخرة قليل حقير
قوله تعالى الا تنفروا يعذبكم عذابا اليما في الاخرة وقيل هو احتباس القطر عنهم في الدنيا قال القرطبي هذا شرط
فلذلك حذفت منه النون والجواب يعذبكم ويستبدل قوما غيركم وهذا تهديد شديد ووعيد لتارك النفير ويستبدل قوما غيركم
خيرا منكم واطوع قال ابن عباس هم التابعون وقال سعيد بن جبير هم ابناء فارس وقيل هم اهل اليمن ولا تضروه شيئا بترككم النفير
قال الحسن الكناية راجعة الى الله تعالى اي لا تضروا الله وقال غيره تعود الى الرسول لان الله عصمه من الناس ولا يخذله ان تثاقلتم
والله على كل شيء قدير قال الحسن وعكرمة هذه الاية منسوخة بقوله تعالى وما كان المؤمنون لينفروا كافة وقال المحققون
الصحيح ان هذه الاية خطاب لمن استنفرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم ينفروا وعلى هذا فلا نسخ **قوله تعالى**
الا تنصروه فقد نصره الله هذا الشرط جوابه محذوف لدلالة قوله فقد نصره عليه والتقدير الا تنصروه فسينصره وذكر الزمخشري
فيه وجهين احدهما ما تقدم والثاني قال انه اوجب له النصرة وجعله منصورا في ذلك الوقت فلن يخذله من بعده قال ابو حيان
وهذا لا يظهر منه جواب الشرط لان ايجاب النصرة له امر سبق والماضي لا يترتب على المستقبل فالذي يظهر الوجه الاول ومعنى هذا
الكلام ان الله المتكفل بنصر رسوله واعزاز دينه اعانوه او لم يعينوه وانه قد نصره عند قلة الاولياء وكثرة الاعداء فكيف به
اليوم وهو في كثرة من العدد والعدد وقوله اذ اخرجه الذين كفروا اي انهم جعلوه كالمضطر الى الخروج من مكة حين مكروا به
وارادوا اجتياحه وهموا بقتله **قوله تعالى** ثاني اثنين منصوب على الحال من مفعول اخرجه وقد تقدم معنى الاضافة
في نحو هذا التركيب عند قوله ثالث ثلاثة وقرات جماعة ثاني اثنين بسكون اليا قال ابو الفتح حكاها ابو عمرو ووجهها ان
يكون سكن اليا تشبيها لها بالالف وبعضهم يخصه بالضرورة والمعنى هو احد الاثنين والاثنان احدهما رسول الله صلى الله عليه وسلم
والاخر ابو بكر الصديق **قوله تعالى** اذ هما في الغار اذ بدل من اذ الاولى فالعامل فيها فقد نصره قال ابو البقا ومن منع ان
يكون العامل في البدل هو العامل في المبدل منه قدر عاملا اخر اي نصره اذ هما في الغار **والغار** نقب يكون في الجبل وهو
هنا نقب في جبل ثور بمكة ويجمع على غيران ومثله تاج وتيجان وقاع وقيعان والغار ايضا نبت طيب الريح والغار ايضا
الجماعة والغاران البطن والفرج والف الغار عن واو **قوله تعالى** اذ يقول بدل ثان من اذ الاولى وقال ابو البقا
اذ هما في الغار واذ يقول ظرفان لثاني اثنين **فصل** روى حبيب بن عمير قال اتيت ابن عمر فسمعته يقول قال

رسول الله صلى الله عليه وسلم لابي بكر انت صاحبي في الغار وصاحبي على الحوض وقال الحسين بن فضل من قال ان ابا بكر لم يكن
صاحب رسول الله فهو كافر لانكاره نص القران وفي ساير الصحابة اذا انكر يكون مبتدعا لا كافرا فان قيل ان الله تعالى وصف الكافر
بكونه صاحبا للمؤمن في قوله تعالى قال له صاحبه وهو يحاوره فالجواب ان هناك وان وصفه بكونه صاحبا الا انه اردفه بما يدل على الاهانة
والاذلال وهو قوله اكفرت اما هاهنا بعد ان وصفه بكونه صاحبا له ذكر ما يدل على الاجلال والتعظيم وهو قوله لا تحزن ان الله
معنا فاي مناسبة بين البابين روي ان قريشا لما بيتوا النبي صلى الله عليه وسلم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر في الليل
الى الغار وامر عليا ان يضطجع على فراشه ليمنعه السواد من طلبه فجعل ابو بكر يمشي ساعة بين يديه وساعة خلفه وقال له رسول الله
صلى الله عليه وسلم ما لك يا ابا بكر فقال اذكر الطلب فامشي خلفك ثم اذكر الرصد فامشي بين يديك فلما انتهيا الى الغار دخل ابو بكر
اولا يلتمس ما في الغار فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لك فقال بابي انت وامي الغيران ماوى السباع والهوام فان كان فيه شي كان
بي لا بك وكان في الغار حجر فوضع عقبه عليه لئلا يخرج ما يوذي الرسول فلما طلب المشركون الاثر وقربوا بكى ابو بكر خوفا على رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال عليه السلام لا تحزن ان الله معنا فقال ابو بكر وان الله لمعنا فقال الرسول نعم فجعل يمسح الدموع عن خده
ولم يكن حزن ابي بكر جبنا منه وانما كان اشفاقا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ان اقتل فانا رجل واحد وان قتلت هلكت
الامة وروي ان الله تعالى بعث حمامتين فباضتا في اسفل باب الغار والعنكبوت نسجت عليه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اللهم اعم ابصارهم فجعلوا يترددون حول الغار ولا يرون احدا **فصل** دلت هذه الاية على فضيلة ابي بكر
رضي الله عنه من وجوه احدها انه عليه السلام لما ذهب الى الغار كان خايفا من الكفار ان يقتلوه فلولا انه عليه السلام كان قاطعا
بان ابا بكر من المؤمنين المحققين الصادقين الصديقين والا لما اصحبه نفسه في ذلك الموضع لانه لو جوز ان يكون باطنه بخلاف
ظاهره لخافه من ان يدل اعداءه عليه او لخاف من ان يقدم هو على قتله فلما استخلصه لنفسه في تلك الحالة دل على انه عليه السلام كان
قاطعا بان باطنه على وفق ظاهره وثانيها ان الهجرة كانت باذن الله وكان في خدمة رسول الله صلى الله عليه وسلم جماعة من المخلصين
وكانوا في النسب الى شجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم اقرب من ابي بكر فلولا ان الله تعالى امره ان يستصحب ابا بكر في هذه الواقعة الصعبة
والا لكان الظاهر ان لا يخصه بهذه الصحبة وتخصيص الله اياه بهذا التشريف يدل على علو منصبه في الدين وثالثها ان كل من
سوى ابي بكر فارق رسول الله صلى الله عليه وسلم اما ابو بكر فما فارق رسول الله كغيره ولا تخلف عنه كغيره بل صبر على مؤانسته
وملازمته عند الخوف الشديد الذي لم يبق معه احد وذلك يوجب الفضل العظيم ورابعها ان الله تعالى سماه ثاني اثنين فجعله
ثاني محمد عليه السلام حال كونهما في الغار والعلما ذكروا انه عليه السلام في اكثر المناصب الدينية وانه صلى الله عليه وسلم لما ارسل الى
الخلق وعرض الاسلام على ابي بكر فامن ثم ذهب وعرض الاسلام على طلحة والزبير وعثمان وجماعة من كبار الصحابة فامن الكل على يديه ثم انه
جاء بهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ايام قلايل فكان هو رضي الله عنه ثاني اثنين في الدعوة الى الله تعالى وكلما وقف رسول
الله صلى الله عليه وسلم في غزوة وكان ابو بكر يقف في خدمته فكان ثاني اثنين في المواقف كلها وكلما صلى رسول الله صلى الله عليه
وسلم وقف خلفه ثاني اثنين هناك وكلما جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم قام بمقامه في الامامة فكان ثاني اثنين ولما مات
دفن في جنبه وكان ثاني اثنين هناك وطعن بعض الحمقى من الروافض في هذا الوجه وقال ثاني اثنين للرسول لا يكون اعظم من كون الله
رابعا لكل ثلاثة في قوله تعالى ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم الاية ثم ان هذا الحكم عام في حق الكافر والمؤمن فلما لم يكن هذا
المعنى من الله دالا على فضيلة الانسان فلان لا يدل من النبي صلى الله عليه وسلم على فضيلة الانسان اولى فالجواب لان هذا
تعسف بارد لان المراد هناك كونه تعالى مع الكل بالعلم والتدبير وكونه مطلعا على ضمير كل احد اما هاهنا فالمراد بقوله تعالى ثاني
اثنين تخصيصه بهذه الصفة في معرض التعظيم **قوله تعالى** فانزل الله سكينته عليه فالضمير في عليه يعود على ابي بكر
لان رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت عليه السكينة دايما وقد تقدم القول في السكينة والضمير في ايده للنبي صلى الله عليه وسلم
وهو اشارة الى قصة بدر وهو معطوف على قوله فقد نصره الله وقرا مجاهد وايده بالتخفيف ولم يروها صفة لجنود **قوله**
وجعل كلمة الذين كفروا السفلى كلمتهم الشرك هي السفلى الى يوم القيمة وكلمة الله هي العليا الى يوم القيمة قال ابن عباس هي قول
لا اله الا الله وقيل كلمة الذين كفروا ما قدروا في انفسهم من الكيد وكلمة الله وعده انه ناصره والجمهور على رفع كلمة الله على الابتدا وهي
يجوز ان تكون مبتدا ثانيا والعليا خبرها والجملة خبر الاول ويجوز ان تكون هي فصلا والعليا الخبر وقرا يعقوب وكلمة الله بالنصب
نسقا على مفعولي جعل اي وجعل كلمة الله هي العليا قال ابو البقا وهو ضعيف لثلاثة اوجه احدها وضع الظاهر موضع المضمر اذ الوجه
ان يقال وكلمته الثاني ان فيه دلالة على ان كلمة الله كانت سفلى فصارت عليا وليست كذلك الثالث ان توكيد مثل ذلك
هي بعيد اذ ليس القبيح ان يكون اياها قال شهاب الدين اما الاول فلا ضعف فيه لان القران ملان من هذا النوع وهو من احسن
ما يكون لان فيه تعظيما وتفخيما واما الثاني فلا يلزم ما ذكر وهو ان يكون الشي المصير على الضد الخاص بل يدل التصيير على انتقال
ذلك الشي المصير عن صفة ما الى هذه الصفة واما الثالث فهي ليست تاكيدا البتة انما هي ضمير فصل على حالها وكيف يكون تاكيدا

وقد نص النحويون على انه المطرد ثم قال والله عزيز حكيم اي قاهر غالب حكيم لا يفعل الا الصواب **قوله تعالى** انفروا
خفافا وثقالا الاية لما توعد من لا ينفر مع الرسول اتبعه بهذا الامر الجزم فقال انفروا خفافا وثقالا ونصبهما على الحال من
فاعل انفروا قال الحسن والضحاك ومجاهد وقتادة وعكرمة شبانا وشيوخا وعن ابن عباس نشاطا وغير نشاطة وقال عطية
العوفي ركبانا ومشاة وقال ابو صالح خفافا من المال اي فقراء وثقالا اغنياء وقال ابن زيد الذي له الضيعة والخفيف الذي
لا ضيعة له وقيل خفافا من السلاح اي مقلين منه وثقالا مستكثرين منه وقال مرة الهمداني صحاحا ومراضا وقال يمان بن رئاب
عزابا ومتاهلين وقيل غير ذلك والصحيح ان الكل داخل فيه لان الوصف المذكور وصف كلي فيدخل فيه كل هذه الجزئيات
وروي ان ابن ام مكتوم قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم اعلي ان انفر قال نعم ما انت الا خفيفا وثقيلا فرجع الى اهله ولبس سلاحه
ووقف بين يديه فنزل قوله ليس على الاعمى حرج وقال مجاهد ان ابا ايوب شهد بدرا مع الرسول ولم يتخلف عن الغزوات مع المسلمين
وتبوك قال الله تعالى انفروا خفافا وثقالا فلا اجدني الا خفيفا او ثقيلا وعن صفوان بن عمرو قال كنت واليا على حمص
فلقيت شيخا قد سقط حاجباه من اهل دمشق على راحلته يريد الغزو فقلت يا عم انت معذور عند الله فرفع حاجبيه وقال يا ابن اخي
استنفرنا الله خفافا وثقالا الا انه من احبه ابتلاه وعن الزهري خرج سعيد بن المسيب الى الغزو وقد ذهبت احدى عينيه
فقيل له انك عليل صاحب ضرر فقال استنفر الله الخفيف والثقيل فان عجزت عن الجهاد كثرت السواد وحفظت المتاع وقيل
للمقداد بن الاسود وهو يريد الغزو انت معذور فقال انزلت علينا سورة براءة انفروا خفافا وثقالا والقائلون بهذا القول
يقولون ان هذه الاية نسخت بقوله ليس على الاعمى حرج وبقوله ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون
ما ينفقون حرج وقال عطاء الخراساني نسخت بقوله وما كان المومنون لينفروا كافة ولقائل ان يقول اتفقوا على ان هذه
الايات نزلت في غزوة تبوك واتفقوا على انه عليه السلام خلف النساء وخلف من الرجال اقواما فدل ذلك على ان هذا الوجوب
ليس على الاعيان بل من فروض الكفايات فمن امره الرسول بالخروج لزمه خفافا وثقالا ومن امره بان يبقى ترك النفير وحينئذ
لا حاجة الى التزام النسخ وايضا فقوله وسيحلفون بالله لو استطعنا لخرجنا معكم دليل على ان قوله انفروا خفافا وثقالا
انما تناول من كان قادرا متمكنا اذ لو لم يكن الاستطاعة معتبرة في ذلك التكليف لما امكنهم جعل عدم الاستطاعة عذرا في
التخلف فدل على عدم النسخ فيها **قوله تعالى** وجاهدوا باموالكم وانفسكم في سبيل الله فيه قولان الاول انها تدل على ان
الجهاد يجب على من له المال والنفس ومن لم يكن له ذلك لم يجب عليه الجهاد والثاني ان الجهاد بالنفس اذا انفرد وقوي عليه
وجب بالمال اذا اضعف عن الجهاد بنفسه يلزمه ان يبعث من يغزو بنفقة من عنده وذهب الى هذا كثير من العلماء ثم قال ذلكم
خير لكم ان كنتم تعلمون **فان قيل** كيف يصح ان يقال الجهاد خير من القعود عنه ولا خير في القعود **فالجواب**
من وجهين الاول ان لفظ الخير يستعمل في شيئين احدهما خير من الاخر والثاني انه خير في نفسه كقوله تعالى اني لما انزلت الي
من خير فقير وقوله وانه لحب الخير لشديد وعلى هذا سقط السؤال والثاني سلمنا ان المراد كونه خيرا من غيره الا ان التقدير ان
ما يستفاد من نعيم الاخرة بالجهاد خير مما يستفيده القاعد عنه من الراحة والدعة والنعيم ولذلك قال تعالى ان كنتم تعلمون
قوله تعالى لو كان عرضا قريبا الاية اعلم انه تعالى لما بالغ في ترغيبهم في الجهاد وامرهم بالنفير عاد الى تقرير كونهم متثاقلين بقوله
لو كان عرضا اسم كان ضمير يعود على ما دل عليه السياق اي لو كان ما دعوتهم اليه والعرض ما عرض لك من منافع الدنيا والمراد
هنا غنيمة قريبة المتناول وسفرا قاصدا اي سهلا قريبا هينا لاتبعوك فخرجوا معك ومثل بالقاصد لان المتوسط بين
الافراط والتفريط يقال له مقتصد قال تعالى فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومعنى القاصد ذو قصد كقولهم لابن وتامر
ولكن بعدت وقرا عيسى بن عمرو والاعرج بعدت بكسر العين وقرا عيسى الشقة بكسر الشين ايضا قال ابو حاتم هما لغة تميم والشقة الارض
التي تشق ركوبها اشتقاقا من المشقة وقال الليث وابن فارس هي الارض البعيدة المسير اشتقاقا من الشق او من المشقة والمعنى
بعدت عليهم المسافة وهذه الاية نزلت في المنافقين الذين تخلفوا عن غزوة تبوك **قوله تعالى** وسيحلفون بالله الجار متعلق
بسيحلفون وقال الزمخشري بالله متعلق بسيحلفون اذ هو من جملة كلامهم والقول مراد في الوجهين اي سيحلفون يعني المتخلفين
عند رجوعك معتذرين يقولون بالله لو استطعنا او وسيحلفون بالله يقولون لو استطعنا وقوله لخرجنا سد مسد جواب
القسم ولو جميعا قال ابو حيان قوله لخرجنا سد مسد جواب القسم ولو جميعا ليس بجيد بل للنحويين في هذا مذهبان احدهما
ان لخرجنا جواب القسم وجواب لو محذوف على قاعدة اجتماع القسم والشرط اذا تقدم القسم على الشرط وهذا اختيار ابن عصفور
والاخر ان لخرجنا جواب لو ولو وجوابها جواب القسم وهذا اختيار ابن مالك اما ان لخرجنا سد مسدهما فلا اعلم احدا
ذهب الى ذلك ويحتمل ان يتاول كلامه على انه لما حذف جواب لو وقرا الاعمش وزيد بن علي لو استطعنا بضم الواو كانهما
فرا من الكسرة على الواو وان كان الاصل وشبها واو لو بواو الضمير كما شبهوا واو الضمير بواو لو حيث كسروها نحو اشتروا الضلالة
لالتقاء الساكنين وقرا الحسن اشتروا الضلالة ولو استطعنا بفتح الواو تخفيفا **قوله تعالى** يهلكون انفسهم في هذه الجملة ثلاثة

الوجه

اوجه احدها انها حال من فاعل سيحلفون اي سيحلفون مهلكين انفسهم والثاني انها بدل من الجملة قبلها وهي سيحلفون الثالث
انها حال من فاعل لخرجنا وقد ذكر الزمخشري هذه الاوجه الثلاثة فقال يهلكون اما ان يكون بدلا من سيحلفون او حالا بمعنى
مهلكين والمعنى انهم يوقعون في الهلاك انفسهم بحلفهم الكاذب ويحتمل ان يكون حالا من فاعل خرجنا اي لخرجنا وان اهلكنا
انفسنا وجاء بلفظ الغائب لانه مخبر عنهم الا ترى انه لو قيل سيحلفون بالله لو استطاعوا لخرجوا لكان سديدا يقال حلف بالله
ليفعلن ولافعلن فالغيبة على حكم الاخبار والتكلم على الحكاية قال ابو حيان اما كون يهلكون بدلا من سيحلفون فبعيد لان
الاهلاك ليس مرادفا للحلف ولا هو نوع منه ولا على معنى انه بدل اشتمال وذلك لان الحلف سبب للاهلاك فهو مشتمل عليه
فابدل المسبب من سببه لاشتماله عليه وله نظائر كثيرة منها قوله • ان علي الله ان تبايعا • تؤخذ كرها او تجي طايعا •
فتوخذ بدل من تبايع بدل اشتمال بالمعنى المذكور وليس احدهما نوعا من الاخر ثم قال ابو حيان واما كونه حالا من قوله لخرجنا فيه
ضمير المتكلم فالذي يجري عليه انما يكون بضمير المتكلم فلو كان حالا من فاعل لخرجنا لكان التركيب نهلك انفسنا اي مهلكي انفسنا
واما قياسه بضمير المتكلم ذلك على حلف زيد ليفعلن ولافعلن فليس بصحيح لانه اذا اجراه على ضمير الغيبة لا يخرج منه الى ضمير
المتكلم لو قلت لو حلف زيد ليفعلن وانا قايم على ان يكون وانا قايم حالا من ضمير ليفعلن لم يجز وكذا عكسه نحو حلف زيد لافعلن
يقوم زيد قايما لم يجز واما قوله وجاء به على لفظ الغائب لانه مخبر عنهم فغالطه ليس مخبرا عنهم بقوله لو استطعنا لخرجنا بل هو
حال لفظهم ثم قال الا ترى لو قيل لو استطاعوا لخرجوا لكان سديدا الى اخره كلام صحيح لكنه تعالى لم يقل ذلك اخبارا عنهم
بل حكاية والحال من جملة كلامهم المحكي فلا يجوز ان يخالف بين ذي الحال وحاله لاشتراكهما في العامل لو قلت قال زيد خرجت يضرب
خالدا تريد اضرب خالدا لم يجز ولو قلت قالت هند خرج زيد اضرب خالدا تريد خرج زيد يضرب خالدا لم يجز انتهى الرابع انها جملة
استينافية اخبر الله عنهم بذلك **فصل** معنى الاية انه لو كانت المنافع قريبة والسفر قريبا لاتبعوك طمعا منهم
في الفوز بتلك الغنايم ولكن طال السفر فكانوا كالايسين من الفوز بالغنيمة بسبب استعظامهم غزو الروم فلهذا تخلفوا ثم
اخبر تعالى انه اذا رجع من الجهاد يجدهم يحلفون بالله لو استطعنا لخرجنا معكم اما عند معاتبتهم بسبب التخلف واما ابتداء على طريقة
اقامة العذر في التخلف ثم بين انهم يهلكون انفسهم بسبب الكذب والنفاق وهذا يدل على ان الايمان الكاذبة توجب الهلاك
ولذلك قال عليه السلام اليمين الغموس تدع الديار بلاقع ثم قال تعالى والله يعلم انهم لكاذبون في قولهم ما كنا نستطيع الخروج
فانهم كانوا مستطيعين فكانوا كاذبين في ايمانهم وايمانهم **فصل** قالوا الرسول عليه السلام اخبر عنهم انهم سيحلفون
وهذا اخبار عن غيب يقع في المستقبل والامر لما وقع كما اخبر كان اخبارا عن الغيب فكان معجزا **قوله تعالى** عفا الله عنك لم
اذنت لهم الاية لما بين تعالى بقوله لو كان عرضا قريبا وسفرا قاصدا لاتبعوك انه تخلف قوم عن ذلك العذر وليس فيه
بيان ان ذلك التخلف كان باذن الرسول ام لا فلما قال تعالى عفا الله عنك لم اذنت لهم دل هذا على ان فيهم من تخلف باذنه **قوله**
لم اذنت لهم لم ولهم كلاهما متعلق باذنت وجاز ذلك لان معنى اللامين مختلف فالاولى للتعليل والثانية للتبليغ وحذفت
الفها الاستفهامية لانجرارها وتقديم الجار الاول واجب لانه جر ما له صدر الكلام ومتعلق الاذن محذوف يجوز ان يكون
الخروج اي لم اذنت لهم في القعود ويدل عليه السياق من اعتذارهم عن تخلفهم عنه عليه السلام ويجوز ان يكون الخروج
اي لم اذنت لهم في الخروج لان خروجهم فيه مفسدة من التخذيل وغيره يدل عليه لو خرجوا فيكم ما زادوكم الا خبالا **قوله تعالى**
حتى يتبين يجوز ان تكون للغاية ويجوز ان تكون للتعليل وعلى كلا التقديرين فهي جارة اما بمعنى الى واما اللام وان مضمرة
بعدها ناصبة للفعل وهي متعلقة بمحذوف قال ابو البقا تقديره هلا اخرتهم الى ان يتبين او ليتبين وقوله لم اذنت لهم يدل
على المحذوف ولا يجوز ان تتعلق حتى باذنت لان ذلك يوجب ان يكون اذن لهم الى هذه الغاية او لاجل التبيين وذلك لا يعاتب
عليه وقال الحوفي حتى غاية لما تضمنه الاستفهام اي ما كان له ان ياذن لهم حتى يتبين له العذر وفي هذه العبارة نقص عما صحة
فصل احتج بعضهم بهذه الاية على صدور الذنب عن الرسول عليه السلام من وجهين الاول انه تعالى قال عفا الله
عنك والعفو يستدعي عاقبة الذنب والثاني انه تعالى قال لم اذنت لهم وهذا استفهام بمعنى الانكار فدل على ان ذلك الاذن
كان ذنبا وقال قتادة وعمرو بن ميمون اثنان فعلهما رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يومر فيهما بشيء اذنه للمنافقين واخذه
الفدا من المشركين الاسارى فعاتبه الله كما تسمعون وقال سفين بن عيينة انظروا الى هذا اللطف بدا بالعفو قبل ان يعيره بالذنب
والجواب عن الاول لا نسلم ان قوله عفا الله عنك يوجب الذنب بل يدل على المبالغة في تعظيمه وتوقيره بافتتاح الكلام بالدعاء
له كما يقول الرجل اذا كان كريما عنده معظما عفا الله عنك ما صنعت في امري ورضي الله عنك ما جوابك عن كلامي وغرضه من هذا
الكلام مزيد التبجيل والتعظيم قال علي بن الجهم فيما خاطب به المتوكل وقد امر بنفيه قال

• عفى الله لا حرمة معود بعفوك • يا ابن العلا الم تر عبدا •
• عدا طوره ومولى عفا ورشدا • هذا اقلني اقالك من لم يزل يقيك ويصرف عنك الردا •

والجواب عن الثاني ان نقول لا يجوز ان يكون المراد بقوله لم اذنت لهم الانكار لانا نقول اما ان لا يكون صدر عنه ذنب بقوله عفى الله عنك يدل على حصول العفو عنه وبعد حصول العفو يستحيل ان يتوجه الانكار عليه فعلى جميع التقادير يمتنع ان يقال ان قوله لم اذنت لهم يدل على كون الرسول مذنبا وعند هذا يحمل قوله لم اذنت لهم على ترك الاولى به والاكمل لا سيما وهذه الواقعة كانت من جنس ما يتعلق بالحروب ومصالح الدنيا **فصل** احتجوا بهذه الاية على ان الرسول عليه الصلاة والسلام كان يحكم بالاجتهاد في بعض الوقايع ولا دخوله عليه السلام تحت قوله تعالى فاعتبروا يا اولي الابصار والرسول عليه السلام كان سيدا لهم فقالوا اما ان يقال انه تعالى اذن له في ذلك الاذن ومنعه عنه او ما اذن له فيه وما منعه عنه فالاول باطل والا امتنع ان يقال انه حكم بغير ما انزل الله فيدخل تحت قوله ومن لم يحكم بما انزل الله الايات وذلك باطل بصريح العقل فلم يبق الا انه عليه السلام اذن ان تلك الواقعة من تلقاء نفسه فاما ان يكون ذلك عن اجتهاد او لا والثاني باطل لانه حكم بمجرد التشهي وهو باطل لقوله تعالى فخلف من بعدهم خلف اضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فلم يبق الا انه عليه السلام اذن في تلك الواقعة بالاجتهاد **فصل** فالاية تدل على انه لا يجوز له الاجتهاد لانه تعالى منعه بقوله لم اذنت لهم والجواب انه تعالى ما منعه من الاذن مطلقا لقوله حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين والحكم المغيا بغاية يجب انتهاؤه عند حصول الغاية فدل على صحة قولنا فان قالوا لم لا يجوز ان يكون المراد من ذلك التبين هو التبين بطريق الوحي قلنا ما ذكرتموه محتمل الا انه على تقديركم يصير تكليفه ان لا يحكم البتة حتى ينزل الوحي فلما ترك ذلك كان كبيرة وعلى تقديرنا يكون ذلك الخطا خطا في الاجتهاد فيوجر عليه لقوله ومن اجتهد فاخطا فله اجر فكان حمل الكلام عليه اولى **فصل** دلت هذه الاية على وجوب التثبيت وعدم العجلة والتاني وترك الاغترار بظواهر الامور والمبالغة في التفحص حتى يمكن معاملة كل فريق بما يستحقه **فصل** قال قتادة عاتبه الله كما تسمعون في هذه الاية ثم رخص له قال ابو مسلم الاصفهاني قوله لم اذنت لهم ليس فيه ما يدل على ان الاذن لماذا فيحتمل ان بعضهم استاذن في القعود فاذن ويحتمل ان بعضهم استاذن في الخروج فاذن مع ان ما كان خروجهم معه صوابا لكونهم عيونا للمنافقين على المسلمين وكانوا يثيرون الفتن فلهذا ما كان خروجهم مع الرسول مصلحة قال القاضي هذا بعيد لان هذه الاية نزلت في غزوة تبوك على وجه الذم للمتخلفين والمدح للمبادرين وايضا ما بعد هذه الاية يدل على ذم القاعدين وبيان حالهم **قوله تعالى** لا يستاذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الاخر الاية اي لا يستاذنوك في التخلف فالله عليم بالمتقين **قوله تعالى** ان يجاهدوا فيه وجهان اظهرهما انه متعلق الاستيذان اي لا يستاذنوك في الجهاد بل يمضون فيه غير محذوف وان يجاهدوا مفعول من اجله مترددين قالوا فيحذف والتقدير في ان يجاهدوا وحسن الحذف لظهوره والثاني ان متعلق الاستيذان اي لا يستاذنوك في الجهاد بل يمضون فيه غير محذوف فان يجاهدوا مفعول من اجله تقديره لا يستاذنك المؤمنون في الخروج والقعود كراهة ان يجاهدوا اجل اذا امرتهم بشيء بادروا اليه وقال بعضهم لا بد في الكلام من اضمار اضمار لان ترك استيذان الامام في الجهاد غير جائز ولا بد من اضمار والتقدير لا يستاذنك هؤلاء في ان لا يجاهدوا الا انه حذف حرف النفي كقوله يبين الله لكم ان تضلوا ويدل على هذا المحذوف ان ما قبل الاية وما بعدها يدل على ان هذا الذم انما كان على الاستيذان في القعود **قوله تعالى** انما يستاذنك الذين لا يؤمنون بالله الاية بين ان هذا الاستيذان لا يصدر الا عند عدم الايمان بالله واليوم الاخر ولما كان عدم الايمان قد يكون بسبب الشك فيه وقد يكون بسبب القطع والجزم بعدمه بين تعالى ان عدم ايمان هؤلاء انما كان بسبب الشك والريب فدل على ان الشاك المرتاب غير مؤمن وقد تقدم الكلام على هذه المسئلة في سورة الانفال عند قوله اولئك هم المؤمنون حقا ثم قال فهم في ريبهم يترددون اي متحيرين **قوله تعالى** ولو ارادوا الخروج لاعدوا له عدة قرا العامة عدة بضم العين وتاء التانيث وهي الزاد والراحلة وجميع ما يحتاج اليه المسافر وقرا محمد بن عبد الملك بن مروان وابنه معاوية عده كذلك الا انه جعل مكان تاء التانيث ها ضمير غائب يعود على الخروج واختلف في تخريجها فقيل اصلها كقراءة الجمهور بتاء التانيث ولكنهم يحذفونها للاضافة كالتنوين وجعل الفراء من ذلك قوله تعالى واقام الصلوة ومنه قول زهير • ان الخليط اجدوا البين فانجردوا • واخلفوك عد الامر الذي وعدوا • يريد عدة الامر وقال صاحب اللوامح لما اضاف جعل الكناية نائبة عن التاء فاسقطها وذلك لان العد بغير تاء ولا تقديرها هو البثر الذي يخرج في الوجه وقال ابو حاتم هو جمع عدة كبر جمع برة ودر جمع درة والوجه فيه عدد ولكن لا يوافق خط المصحف وقرا زر بن حبيش وعاصم في رواية ابان عنه عدة بكسر العين مضافا الى هاء الكناية قال ابن عطية هو عندي اسم لما يعد كالذبح والقتل وقري ايضا عدة بكسر العين وتاء التانيث والمراد عدة من الزاد والراحلة والسلاح مشتقا من العدد **قوله تعالى** ولكن كره الله انبعاثهم الاستدراك هنا يحتاج الى تامل فلذلك قال الزمخشري فان قلت كيف موقع حرف الاستدراك قلت لما كان قوله ولو ارادوا الخروج معطيا نفي خروجهم واستعدادهم للغزو وقيل

ولكن كره الله كانه قيل ما خرجوا ولكن تثبطوا عن الخروج لكراهة انبعاثهم كما احسن زيد الي ولكن تثبطوا عن الخروج لكراهة انبعاثهم كما احسن زيد الي ولكن اساء الي انتهى يعني ان ظاهر الاية يقتضي ان ما بعد لكن موافق لما قبلها وقد تقرر فيها انها لا تقع الا بين ضدين او نقيضين او خلافين على خلاف في هذا الاخير فلذلك احتاج الى الجواب المذكور قال ابو حيان وليست الاية نظير هذا المثال يعني ما احسن زيد الي ولكن اساء لان المثال واقع فيه لكن بين متفقين من جهة المعنى قال شهاب الدين مرادهم بالنقيضين النفي والاثبات لفظا وان كانا يتلاقيان في المعنى ولا يعد ذلك اتفاقا والانبعاث الانطلاق يقال بعثت البعير فانبعث اي نفذ فيه **فان قيل** التعويق يقال ثبطت زيدا اي عقته عما يريده من قولهم ناقة ثبطة اي بطيئة السير والمراد بقوله اقعدوا التخلية وهو كناية عن تباطئهم وانهم تشبهوا بالنساء والصبيان والزمنى وذوي الاعذار وليس المراد نفس القعود كقوله دع المكارم لا ترحل لبغيتها • واقعد فانك انت الطاعم الكاسي • والمعنى انه تعالى كره خروجهم مع الرسول فصرفهم عنه **فان قيل** خروجهم مع الرسول اما ان يقال انه كان مفسدة او مصلحة فان كان مفسدة فلم عاتب الرسول في اذنه لهم بالقعود وان كان مصلحة فلم قال تعالى انه كره انبعاثهم وخروجهم فالجواب ان خروجهم مع الرسول ما كان مصلحة لانه تعالى صرح بعد هذه الاية بذكر المفاسد بقوله لو خرجوا فيكم ما زادوكم الا خبالا بقي ان يقال فلما كان الاصلح ان لا يخرجوا فلم عاتب الرسول في الاذن فنقول قد حكينا عن ابي مسلم انه قال ليس في قوله لم اذنت لهم انه عليه السلام قد اذن لهم بالقعود بل يحتمل ان يقال انهم استاذنوه في الخروج معه فاذن لهم وعلى هذا سقط السؤال قال ابو مسلم ويدل على صحة ما قلنا ان هذه الاية دلت على ان خروجهم معه كان مفسدة فوجب حمل ذلك العتاب على انه عليه السلام اذن لهم في الخروج معه ويؤكد ذلك قوله تعالى فان رجعك الله الى طايفة منهم فاستاذنوك للخروج فقل لن تخرجوا معي ابدا ولن تقاتلوا معي عدوا وقوله تعالى سيقول المخلفون اذا انطلقتم الى مغانم لتاخذوها ذرونا نتبعكم فاندفع السؤال على طريق ابي مسلم واما الجواب على طريقة غيره وهو ان نسلم ان العتاب في قوله لم اذنت لهم انه يوجب انه عليه السلام اذن لهم في القعود فنقول ذلك العتاب ما كان لاجل ان ذلك القعود كان مفسدة بل لاجل ان اذنه عليه السلام بذلك القعود مفسدة وبيانه من وجوه الاول انه عليه السلام اذن قبل اتمام التفحص واكمال التامل ولهذا قال تعالى لم اذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين والثاني ان التقدير انه عليه السلام ما كان ياذن لهم في القعود فهم كانوا يقعدون من تلقاء انفسهم فكان يصير ذلك القعود علامة على نفاقهم فاذا اظهر نفاقهم احترز المسلمون منهم ولم يغتروا بقولهم فلما اذن الرسول في ذلك القعود بقي نفاقهم خفيا وفاتت تلك المصالح والثالث انهم لما استاذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم غضب عليهم وقال اقعدوا مع القاعدين ثم انهم اغتنموا هذه اللفظة وقالوا قد اذن لنا فقال تعالى لم اذنت لهم اي لم ذكرت عندهم هذا اللفظ الذي امكنهم ان يتوسلوا به على غرضهم الرابع ان الذين يقولون ان الاجتهاد غير جائز على الانبياء عليهم السلام قالوا انما اذن بمجرد الاجتهاد وذلك غير جائز لانهم لما تمكنوا من الوحي كان الاقدام على الاجتهاد مع التمكن من الوحي جاريا مجرى الاقدام على الاجتهاد مع حصول النص فلما كان هذا غير جائز فكذا ذاك ثم قال تعالى وقيل اقعدوا مع القاعدين واختلفوا في قايل هذا القول فقيل هو الشيطان على طريق الوسوسة وقيل قاله بعضهم لبعض وقيل قاله الرسول عليه السلام لما اذن لهم في التخلف تعاتبه الله وقيل القايل هو الله تعالى لانه كره خروجهم لاجل الافساد فامرهم بالقعود عن هذا الخروج المخصوص ثم بين ذلك بقوله ولو خرجوا فيكم ما زادوكم الا خبالا اي في جنسكم او في جمعكم وقيل في بمعنى مع اي معكم **قوله تعالى** الا خبالا اجوزوا فيه ان يكون استثناء متصلا وهو مفرغ لان يتعدى لاثنين قال الزمخشري المستثنى منه غير مذكور فالاستثناء من اعم العام كانه قيل ما زادوكم شيئا الا خبالا واجوزوا فيه ان يكون منقطعا والمعنى ما زادوكم قوة ولا شدة ولكن خبالا وهذا يجيء على قول من قال انه لم يكن في عسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم خبال قال ابو حيان وفيه نظر لانه اذا لم يكن في العسكر خبال اصلا فكيف يستثنى شيء لم يكن ولم يتوهم وجوده وتقدم تفسير الخبال في ال عمران قال الكلبي الا شرا وقال يمان الا مكرا وقيل الا جبنا وقال الضحاك الا غدرا وقرا ابن ابي عبلة ما زادكم الا خبالا اي ما زادكم خروجهم **قوله تعالى** ولاوضعوا خلالكم الايضاع الاسراع يقال اوضع البعير اذا اسرع في سيره قال امرؤ القيس • ارانا موضعين لامر غيب • ونسحر بالطعام وبالشراب • وقال اخر • يا ليتني فيها جذع • احب فيها واضع • ومفعول اوضعوا محذوف اي اوضعوا ركايبهم لان الراكب اسرع من الماشي قال الواحدي قال اكثر اهل اللغة ان الايضاع حمل البعير على العدو ولا يجوز ان يقال اوضع الرجل اذا سار بنفسه سيرا حثيثا يقال وضع البعير اذا عدا واوضعه الراكب اذا حمله عليه وقال الفراء العرب تقول وضعت الناقة واوضع الراكب وربما قالوا للراكب وضع وقال الاخفش وابو عبيد يجوز ان يقال اوضع الرجل اذا سار بنفسه سيرا حثيثا من غير ان يراد وضع ناقته روى ابو عبيد ان النبي صلى الله عليه وسلم افاض من عرفة وعليه السكينة واوضع في وادي محسر قال الواحدي والاية تشهد لقول الاخفش وابي عبيدة والمراد من الاية السعي بينهم بالعداوة والنميمة

والخلال جمع خلل وهي الفرجة بين الشيئين ومنه قوله تعالى فترى الودق يخرج من خلاله وقرئ من خلله وهي
مخارج نصب القطر ويستعار في المعاني فيقال في هذا الامر خلل وقرا مجاهد ومحمد بن زيد ولاوفضوا وهو الاسراع ايضا
من قوله تعالى الى نصب يوفضون وقرا ابن الزبير ولارفضوا بالراء والفاء والضاد المعجمة من رفض اي اسرع ايضا قال حسان

• بزجاجة رقصت بما في جوفها • رقص القلوص براكب مستعجل •

• وقال الراقصات الى منى فالغبغب •

يقال رفض في مشيه رفضا ورفضانا **فان قيل** كيف كتب في المصحف ولااوضعوا بزيادة الف قال الزمخشري ان
الفتحة كانت الفا قبل الخط العربي والخط العربي اخترع قريبا من نزول القران وقد بقي من ذلك الالف اثر في الطباع
فكتبوا صورة الهمزة الفا وفتحها الفا اخرى ونحوه ولاذبحنه في زيادة الف بعد لا وهذا لا يجوز القراءة به ومن قرا به
متعمدا يكفر **قوله** يبغونكم في محل نصب على الحال من فاعل وضعوا اي لاسرعوا فيما بينكم حال كونهم باغين اي طالبين
الفتنة ها هنا افتراق الكلمة **قوله تعالى** وفيكم سماعون لهم هذه الجملة يجوز ان تكون حالا من فاعل يبغونكم او من مفعوله
وجاز ذلك لان في الجملة ضميرين يجوز ان تكون مستانفة والمعنى ان فيكم من يسمع لهم ويصغي لقولهم فان قيل كيف يجوز ذلك
على المومنين مع قوة دينهم فالجواب ان تكون مستانفة لا يمتنع فيمن قرب عهده بالاسلام ان يوثر قول المنافقين فيهم او يكون
بعضهم مجبولا على الجبن والفشل فيوثر قولهم فيهم او يكون بعض المسلمين من اقارب روساء المنافقين فينظرون بعين
التعطف فهذه الاسباب توثر قول المنافقين فيه ويجوز ان يكون المراد وفيكم جواسيس منهم يسمعون لهم الاخبار منكم
فاللام على الاول للتقوية لكون العامل فرعا وفي الثاني للتعليل اي لاجلهم ثم قال تعالى والله عليم بالظالمين الذين
ظلموا انفسهم بكفرهم ونفاقهم وظلموا غيرهم بسعيهم في القاء غيرهم في وجوه الافات **قوله تعالى** لقد ابتغوا الفتنة
من قبل اي طلبوا صد اصحابك عن الدين وردهم الى الكفر وتخذيل الناس عنك قبل هذا اليوم كفعل عبد الله بن ابي يوم احد
حين انصرف عنك باصحابه وقال ابن جريج هو ان اثني عشر رجلا من المنافقين وقفوا على ثنية الوداع ليلة العقبة
ليفتكوا بالنبي صلى الله عليه وسلم **قوله تعالى** وقلبوا لك الامور وقرا مسلمة بن محارب وقلبوا مخففا والمراد بتقليب الامر
تصريفه وترديده لاجل التدبر والتامل فيه اي اجتهدوا في الحيلة والكيد لك يقال للرجل المتصرف في وجوه الحيل فلان
حول قلب اي يتقلب في وجوه الحيل ثم قال تعالى حتى جاء الحق اي النصر والظفر وقيل القران وظهر امر الله دين الله وهم
كارهون حال والرابط الواو اي كارهون لمجيء الحق ولظهور امر الله **قوله تعالى** ومنهم من يقول ائذن لي ولا تفتني الاية
من يقول ائذن كقوله يا صالح ائتنا من انه يجوز تخفيف الهمزة وابدالها واوا للضمة ما قبلها وان كانت منفصلة من كلمة اخرى
وهذه الهمزة هي فاء الكلمة وكان قبلها همزة وصل سقطت درجا قال ابو جعفر اذا دخلت الواو والفاء على ائذن فهجاؤها
الف وذال ونون بغير ياء او ثم فالهجاء الف وياء وذال ونون والفرق ان ثم يوقف عليها وينفصل بخلافهما
قال شهاب الدين يعني انه اذا دخلت واو العطف او فاؤه على هذه اللفظة اشتد اتصالهما بها فلم يعتد بهمزة الوصل فرسموا
لها صورة قال شهاب الدين وكان هذا الحكم الذي ذكره مع ثم مختص بهذه اللفظة والا فغيرها مما فاؤه همزة تسقط
صورة همزة وصله خطا وتكتب الامر الاتيان مع ثم هكذا ثم اتوا وكان القياس على ثم ائذن ثم ايتوا وفيه نظر وقرا عيسى
بن عمرو بن السميفع واسمعيل المكي فيما روي عنه ابن مجاهد ولا تفتني بضم حرف المضارعة من افتنه رباعيا قال ابو حاتم
هي لغة تميم وقيل افتنه ادخله فيها وقد جمع الشاعر بين اللغتين فقال • لئن فتنتني فهي بالامس •
افتنت سعيدا فامسى قد علا كل مسلم • ومتعلق الاذن القعود اي ائذن لي في القعود والتخلف عن الغزو ولا تفتني
خروجي معك اي لا تهلكني بخروجي معك فان الزمان شديد الحر ولا طاقة لي به وقيل لا تفتني فاني ان خرجت معك هلك
مالي وعيالي وقيل نزلت في جد بن قيس المنافق وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم لما تجهز لغزوة تبوك قال له يا ابا وهب
هل لك في جلاد بني الاصفر يعني الروم تتخذ منهم السراري ووصفا فقال جد يا رسول الله لقد عرف قومي اني رجل مغرم
بالنساء واني اخشى ان رايت بنات الاصفر لا اصبر عنهن ائذن لي في القعود ولا تفتني بهن واعينكم بمالي قال ابن عباس
اعتل جد بن قيس ولم يكن علة الا النفاق فاعرض عنه النبي صلى الله عليه وسلم وقال قد اذنت لك فانزل الله عز وجل
ومنهم من يقول ائذن لي الاية **قوله تعالى** الا في الفتنة سقطوا اي في الشرك والاثم وقعوا بنفاقهم وخلافهم
امر الله ورسوله وفي مصحف ابي سقط لان لفظة من موحد اللفظ مجموع المعنى وفيه تنبيه على ان من عصى الله لغرض فانه
تعالى يبطل عليه ذلك الغرض لان القوم انما اختاروا القعود لئلا يقعوا في الفتنة فبين الله تعالى انهم واقعون ساقطون
في عين الفتنة ثم قال وان جهنم لمحيطة بالكافرين مطبقة **قوله تعالى** ان تصبك حسنة نصر وغنيمة تسؤهم
تحزنهم يعني المنافقين وان تصبك مصيبة نكبة وشدة وهزيمة يفرحوا ويقولوا قد اخذنا امرنا من قبل اي حذرنا ويتولوا

يدبروا عن مقام التحدث بذلك الى اهليهم وهم فرحون مسرورون ونقل عن ابن عباس ان الحسنة في يوم بدر والمصيبة
في يوم احد فان ثبت ان المراد هذا الخبر وجب المصير اليه والا فالواجب حمله على كل مصيبة **قوله** قل لن يصيبنا الا ما كتب
الله لنا قال عمرو بن سفيان سمعت اعين قاضي الري يقرا لن يصيبنا بتشديد النون قال ابو حاتم ولا يجوز ذلك لان النون لا تدخل
مع لن ولو كانت لطلحة بن مصرف لجاز لانها مع هل قال الله تعالى هل يذهبن كيده ما يغيظ يعني ابو حاتم ان المضارع يجوز توكيده
بعد اداة الاستفهام وابن مصرف يقرا هل بدل لن وهي قراءة ابن مسعود وقد اعتذر عن هذه القراءة بانها حملت لن على لم ولا
النافيتين ولم ولا يجوز توكيد الفعل المنفي بعدهما اتفاقا وقد تقدم الكلام عليها في الانفال واما لم فقد سمع ذلك وانشدوا

• يحسبه الجاهل ما لم يعلما • شيخا على كرسيه معمما •

اراد يعلمن فابدل الخفيفة الفا بعد فتحة كالتنوين وقرا القاضي ايضا وطلحة هل يصيبنا بتشديد الياء قال الزمخشري
ووجهه ان يكون تفعيل لا تفعل لانه من ذوات الواو لقولهم الصواب وصاب يصوب ومصاوب في جمع مصيبة فحق تفعل
منه تصوب الا ترى الى قولهم صوب وايه الا ان يكون من لغة من يقول صاب السهم يصيب كقوله سهمي الصائبات والصيب يعني ان
اصله تصويب فاجتمعت الواو والياء وسبقت احداهما بالسكون فقلبت الواو ياء وادغم فيها وهذا كما تقدم في تحيز ان اصله
تحيوز واما اذا اخذناه من لغة من يقول صاب السهم يصيب فهو من ذوات الياء فوزنه على هذه اللغة تفعل **فصل**
المعنى قل لهم يا محمد لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا اي علينا وقدره في اللوح المحفوظ او يكون المعنى لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا
اي في عاقبة امرنا من الظفر بالعدو والاستيلاء عليهم وقال الزجاج المعنى اذا صرنا مغلوبين صرنا مستحقين للاجر العظيم والثواب
الكثير وان صرنا غالبين صرنا مستحقين للثواب في الاخرة وفزنا بالمال الكثير والثناء الجميل في الدنيا والصحيح الاول ثم قال هو
مولانا ناصرنا وحافظنا وقال الكلبي هو اولى بنا من انفسنا في الحياة بالموت وعلى الله فليتوكل المومنون وهذا كالتنبيه
على ان حال المنافقين بالضد من ذلك وانهم لا يتوكلون الا على الاسباب الدنيوية الفانية **قوله تعالى** قل هل تربصون
بنا الا احدى الحسنيين اما النصر والغنيمة فيحصل لنا الفوز بالاموال في الدنيا والنصر والثواب العظيم في الاخرة **قوله**
الا احدى الحسنيين مفعول تربص فهو استثناء مفرغ وقرا ابن محيصن الا احدى بوصل الف احدى اجراء للهمزة القطع مجرى
همزة الوصل فهو كقول الشاعر • ان لم اقاتل فالبسوني برقعا • وقول الاخر • يا ابا المغيرة رب امر معضل •
فرجته بالمكر مني والدعا • **قوله تعالى** ونحن نتربص بكم احدى السوايين اما ان يصيبكم الله بعذاب من عنده فيهلككم
كما اهلك الامم الخالية او بايدينا اي بايدي المومنين ان اظهرتم ما في قلوبكم من النفاق فيقع بكم القتل والنهب مع الخزي
والذل ومفعول التربص ان يصيبكم ثم قال فتربصوا اي احدى الحالتين الشريفتين انا معكم متربصون اي مواعيد الله من اظهار
دينه واستيصال من خالفه فقوله فتربصوا وان كان صيغة الامر الا ان المراد منه التهديد كقوله ذق انك انت العزيز الكريم
قوله تعالى قل انفقوا طوعا او كرها مصدران في موضع الحال اي طائعين او كارهين وقرا الاخوان كرها بالضم وقد
تقدم تحقيق ذلك في النساء وقال ابو حيان هنا وقرا الاعمش وابن وثاب كرها بضم الكاف وهذا يوهم انها لم تقرا في السبعة
قال الزمخشري هو امر في معنى الخبر كقوله فليمدد له الرحمن مدا ومعناه لن يتقبل منكم انفقتم طوعا او كرها ونحوه قوله تعالى
استغفر لهم وقول كثير عزة • اسيئي بنا او احسني لا ملومة • اي لن يغفر الله لهم استغفرت او لم تستغفر ولا نلومك احسنت الينا
او اسات وفي معناه قول القائل • اخوك الذي ان قمت بالسيف عامدا • بنصرته لم يستغثك في الرد • وقال ابن عطية
هذا امر في ضمنه جزاء وهذا مستمر في كل امر معه جزاء والتقدير ان تنفقوا لن يتقبل منكم واما اذا عري الامر من الجواب فليس يصحبه
تضمن الشرط قال ابو حيان ويقدح في هذا التخريج ان الامر اذا كان فيه معنى الشرط كان الجواب كجواب الشرط فعلى هذا يقتضي ان يكون
التركيب فلن يتقبل بالفاء لان لن لا يقع جوابا للشرط الا بالفاء فكذلك ما ضمن معناه الا ترى جزمه الجواب في نحو اقصد زيدا
يحسن اليك قال شهاب الدين انما اراد ابو محمد تفسير المعنى والا فلا يجهل مثل هذه الواضحات وايضا فلا يلزم ان يعطى الامر المقدر
حكم الشيء الظاهر من كل وجه وقوله انكم وما بعده جار مجرى التعليل فقوله لن يتقبل منكم يحتمل ان يكون المراد ان الرسول عليه
السلام لا يتقبل تلك الاموال منهم ويحتمل ان يكون المراد انها لا تصير مقبولة عند الله تعالى قيل نزلت في جد بن قيس حين
استاذن في القعود وقال اعينكم بمالي والمراد بالفسق هنا الكفر لقوله بعده وما منعهم ان تقبل منهم نفقاتهم الا انهم
كفروا **قوله تعالى** وما منعهم ان تقبل منهم نفقاتهم الا ان تقبل فيه وجهان احدهما انه مفعول ثان لمنع اما على تقدير
اسقاط حرف الجر اي من ان تقبل واما لوصول الفعل اليه بنفسه لانك تقول منعت زيدا حقه ومن حقه والثاني انه بدل
من هم في منعهم قاله ابو البقاء كانه يريد بدل الاشتمال ولا حاجة اليه وفي فاعل منع وجهان اظهرهما انه الا انهم كفروا اي
ما منعهم قبول نفقتهم الا كفرهم والثاني انه ضمير الله تعالى اي وما منعهم الله ويكون الا انهم منصوب على اسقاط حرف
الجر اي لانهم كفروا وقرا الاخوان ان يقبل بالياء من تحت والباقون بالتاء من فوق وهما واضحتان لان التانيث مجازي وقرا

زيد بن علي كالاحوى الا انه او ذا النفقة وقرا الاعرج تقبل بالتاء من فوق نفقتهم بالافراد وقرا السلمي يقبل مبنيا
للفاعل وهو الله تعالى وقرئ نقبل بنون العظمة نفقتهم بالافراد **فصل** ظاهر اللفظ يدل على ان منع القبول
معلل بمجموع الامور الثلاثة وهي الكفر بالله وبرسوله واتيان الصلوة وهم كسالى والانفاق على سبيل الكراهة ولقايل
ان يقول الكفر بالله سبب مستقل بالمنع من القبول فلا يبقى لغيره اثر فكيف يمكن اسناد الحكم الى السببين الباقيين وجوابه
ان هذا الاشكال انما يتوجه على قول المعتزلة حيث قالوا ان الكفر لكونه كفرا يوثر في هذا الحكم واما عند اهل السنة فان
شيئا من الافعال لا يوجب ثوابا ولا عقابا وانما هي معرفات واجتماع المعرفات الكثيرة على الشي الواحد جايز **فصل**
دلت الاية على ان شيئا من اعمال البر لا يقبل مع الكفر بالله تعالى فان قيل كيف الجمع بينه وبين قوله فمن يعمل مثقال ذرة
خيرا يره فالجواب ان يصرف ذلك الى تاثيره في تخفيف العقاب ودلت الاية على ان الصلوة تجب على الكافر لانه تعالى
ذم الكافر على فعل الصلوة على وجه الكسل قال الزمخشري كسالى بالضم والفتح جمع كسلان نحو سكارى قال المفسرون
معنى هذا الكسل انه ان كان في جماعة صلى وان كان وحده لم يصل وقوله ولا ينفقون الا وهم كارهون اي لا ينفقون
لغرض الطاعة بل رعاية للمصلحة الظاهرة **قوله تعالى** فلا تعجبك اموالهم الاية لما قطع في الاية الاولى رجا المنافقين
عن جميع منافع الاخرة بين هنا ان الاشياء التي يظنونها من منافع الدنيا فانه تعالى جعلها اسبابا لتعذيبهم في الدنيا
والاعجاب هو السرور بالشي مع نوع من الافتخار به ومع اعتقاد انه ليس لغيره ما يساويه **قوله تعالى** في الحيوة الدنيا
فيه وجهان احدهما انه متعلق بيعجبك ويكون قوله انما يريد الله ليعذبهم بها جملة اعتراض والتقدير فلا تعجبك في الحيوة
ويجوز ان يكون الجار حالا من اموالهم والى هذا نحا ابن عباس ومجاهد وقتادة والسدي وابن قتيبة قالوا في الكلام
تقديم وتاخير والمعنى فلا تعجبك اموالهم ولا اولادهم في الحيوة الدنيا انما يريد الله ليعذبهم في الاخرة قال ابو حيان
الا ان تقييد الاعجاب المنهي عنه الذي يكون ناشيا عن اموالهم واولادهم من المعلوم انه لا يكون الا في الحيوة الدنيا فيبقى ذلك
كانه زيادة تاكيد بخلاف التعذيب فانه قد يكون في الدنيا كما يكون في الاخرة ومع ان التقديم والتاخير يخصه اصحابنا
بالضرورة قال نهاية الدين كيف يقال مع نص من قدمت ذكرهم واصحابنا يخصون ذلك بالضرورة على انه ليس من التقديم
والتاخير الذي يكون في الضرورة في شي انما هو اعتراض والاعتراض لا يقال فيه تقديم ولا تاخير بالاصطلاح الذي يخص
بالضرورة وتسميتهم اعني ابن عباس ومن معه رضي الله عنهم انما يريدون به الاعتراض المشار اليه الا انما يخصه اهل الصناعة
بالضرورة والثاني ان في الحيوة متعلق بالتعذيب والمراد الا انما يخصه اهل الصناعة بالضرورة والثاني ان في الحيوة
متعلق بالتعذيب والمراد بالتعذيب الدنيوي مصايب الدنيا ورزاياها او ما الزمهم من التكاليف الشاقة فانهم لا يرجون
عليها ثوابا قاله ابن زيد وما فرض عليهم من الزكوات قاله الحسن وعلى هذا فالضمير في بها يعود على الاموال فقط وعلى الاول
يعود على الاموال والاولاد **فان قيل** اي تعذيب في المال والولد وقيل لابد من تقدير حذف بان يقال اراد
بالتعذيب وهما من جملة النعم فالجواب على القول بالتقديم والتاخير فالسوال زايل وعلى الثاني المصايب الواقعة
في المال والولد وقيل لابد من تقدير حذف بان يقال اراد بالتعذيب بها من حيث كانا سببا للعذاب اما في الدنيا من احب
شيئا كان تالمه على فراقه شديدا وايضا يحتاج في تحصيلها الى تعب شديد ومشاق عظيمة ثم في حفظها كذلك واما في الاخرة
فالاموال حلالها حساب وحرامها عذاب فان قيل هذا المعنى حاصل للكل فما فايدة تخصيص المنافقين فالجواب ان المنافق
لا يومن بالله ولا باليوم الاخر فلا ينفق في سبيل الله لانه يراه ضياعا لا يرجو ثوابه واما المومن فينفق ماله طيبة به نفسه
يرجو الثواب في الاخرة والمنافق لا يجاهد في سبيل الله خوفا من ان يقتل والمومن يجاهد يرجو ثواب الاخرة ثم قال وتزهق
انفسهم وهم كافرون اي تخرج انفسهم وهم كارهون اي يموتون على الكفر **قوله** ويحلفون بالله انهم لمنكم على دينكم وما
هم منكم اي ليسوا على دينكم ولكنهم قوم يفرقون يخافون ان يظهروا ما هم عليه فيقتلوا **قوله تعالى** لو يجدون ملجا
او مغارات الملجا الحصن وقال عطا المهرب وقال الحرز وهو مفعل من لجا اليه ملجا اي انحاز اليه الجانه الى كذا اي اضطره
اليه فالتجا والملجا يصلح للمصدر والزمان والمكان والظاهر ههنا المكان والمغارات جمع مغارة وهي الموضع
الذي يغور الانسان فيه اي يستتر قال ابو عبيدة كل شي جزت فيه فغبت فهي مغارة لك ومنه غار الماء في الارض وغارت
مفعلة من غار يغور فهي كالغار في المعنى وقيل المغارة السرب في الارض كنفق اليربوع والغار النقب في الجبل والجمهور
على فتح ميم مغارات وقرا عبد الرحمن بن عوف مغارات بالضم وهو من اغار واغار يكون لازما تقول العرب اغار بمعنى غار
اي دخل ويكون متعديا تقول اغرت زيدا اي ادخلته في الغار فعلى هذا يكون من اغار المتعدي والمفعول محذوف اي
اماكن يغيرون فيها انفسهم اي يغيبونها والمدخل مفتعل من الدخول وهو بناء مبالغة في هذا المعنى والاصل مدتخل فادغمت
الدال في تاء الافتعال كادان من الدين وقرا قتادة وعيسى بن عمرو والاعمش مدخلا بتشديد الدال والخاء معا وتوجيهها

ان الاصل متدخلا من تدخل بالتضعيف فلما ادغمت التاء في الدال اللفظ مدخلا نحو مدين وقرا الحسن ايضا ومسلمة
بن محارب وابن ابي اسحق وابن محيصن وابن كثير في رواية مدخلا بفتح الميم وسكون الدال وفتح الخاء خفيفة من دخل وقرا الحسن
في رواية محبوب كذلك الا انه ضم الميم جعله من ادخل وهذه ابدع النظم ذكرا ولا الاعز الاعم وهو الملجا اي نوع كان ثم ذكر
الغيران التي يختفي فيها اعلا الاماكن وهي الجبال ثم الاماكن التي يختفي فيها في الاماكن السافلة وهي السروب وهي التي عبر عنها
بالمدخل وقال الزجاج يصح ان يكون المغارات من قولهم حبل مغار اي محكم الفتل ثم يستعار ذلك في الامر المحكم المبرم يجي
التاويل على هذا لو يجدون نصرة او امورا مسددة مرتبطة تعصمهم منكم وجعل المدخل ايضا قوما يدخلون في جملتهم وقرا ابي
متدخلا بالنون بعد الميم من اندخل قال • ولا يدي في حميت السمن تندخل • وانكر ابو حاتم هذه القراءة عنه وقال انما هي
بالتاء وهو معتذر لان انفعل قاصر لا يتعدى فكيف يبنى منه اسم مفعول وقرا الاشهب العقيلي لوالوا اي لتابعوا واسرعوا
وكذلك رواها ابن ابي عبيدة بن معوية بن نوفل عن ابيه عن جده وكانت له صحبة من الموالاة وهذا مما جاء به فعل وفاعل
بمعنى وضعفه قال سعيد بن مسلم اظنها لوالوا بهمزة مفتوحة بعد الواو من وال اي التجا وهذه القراءة نقلها الزمخشري
عن ابي وقرها بما تقدم من لالتجاوا **الجموح** النفور باسراع ومنه فرس جموح اذا لم يرد باللجام قال سوحا جموحا وحضارها
فالمعمعة السعف الموقد • وقال اخر • وقد جمحت جماحا في دمايهم • حتى رايت ذوي احسابهم خمدوا • وقرا انس بن
مالك والاعمش يجمزون قال ابن عطية يهرولون في مشيهم وقيل يجمزون ويجمحون ويقفزون بمعنى وفي الحديث فلما
اذلقته الحجارة جمز وقال رؤبة • اما تريني اليوم ام حمزة • قاربت من عنقي وجمزي • ومنه الجمزى وهو الحمار يجمع رجليه
معا ويثب بنفسه هذا اصله في اللغة وقوله اليه عاد الضمير على الملجا او على المدخل لان العطف باو ويجوز ان يعود على
المغارات لتاويلها بمذكر ومعنى الاية انهم لو يجدون مخلصا منكم او مهربا لفارقوكم **قوله** ومنهم من يلمزك في الصدقات
الاية قرا العامة يلمزك بكسر الميم من لمزه يلمزه اي عابه واصله الاشارة بالعين قال الازهري اصله الدفع لمزته دفعته
وقال الليث هو الغمز في الوجه ومنه همزة لمزة اي كثير هذين الفعلين وقال ابو بكر الاصم اللمز ان يشير الى صاحبه
بعيب جليسه والهمز ان يكسر عينيه على جليسه يشير الى صاحبه وقرا يعقوب وحماد بن سلمة عن ابن كثير والحسن وابو رجا
رويت عن ابي عمرو بضمها وهما لغتان في المضارع وقرا الاعمش يلمزك من المزه رباعيا وروى حماد بن سلمة يلامزك على المفاعلة
من واحد كسافر وعاقب **فصل** هذا شرح نوع اخر من افعالهم القبيحة وهو طعنهم في الرسول بسبب اخذ الصدقات
نزلت في ذي الخويصرة التميمي واسمه حرقوص بن زهير اصل الخوارج قال ابو سعيد الخدري بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقسم مالا اذ جاءه ذو الخويصرة التميمي فقال يا رسول الله اعدل فقال ويلك فمن يعدل اذا لم اعدل فنزلت هذه الاية وقال
الكلبي قال رجل من المنافقين يقال له ابو الجواظ لرسول الله تزعم ان الله امرك ان تضع الصدقات في الفقرا والمساكين
فلم تضعها في رعاة الشاء فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ابا لك انما كان موسى راعيا انما كان داود راعيا
فانزل الله تعالى الاية فلما ذهب قال عليه السلام احذروا هذا واصحابه منافقون وروى ابو بكر الاصم في تفسيره انه
عليه السلام قال لرجل من اصحابه ما علمك بفلان فقال ما لي به علم الا انك تدنيه في المجلس وتجزل له العطا فقال عليه
السلام انه منافق اداريه عن نفاقه واخاف ان يفسد علي غيره فقال لو اعطيت فلانا بعض ما تعطيه فقال عليه السلام
انه مومن اكله الى ايمانه واما هذا فمنافق اداريه خوف فساده قال ابن عباس يلمزك يغتابك وقال قتادة يطعن
عليك وقال الكلبي يعيبك في امرها قال ابو علي الفارسي هاهنا محذوف والتقدير يعيبك في تفريق الصدقات
فان اعطوا كثيرا فرحوا وان اعطوا قليلا اذا هم يسخطون لانه قال انها ظرف مكان وفيه نظر تقدم في نظيره
قوله تعالى ولو انهم رضوا الظاهر ان جواب لو محذوف تقديره لكان خيرا لهم وقيل جوابها وقالوا والواو مزيدة وهذا
مذهب الكوفيين والمعنى ولو انهم رضوا ما اتاهم الله ورسوله اي قنعوا بما قسم لهم وقالوا حسبنا الله كفانا الله سيوتينا
الله من فضله ورسوله ما نحتاج اليه انا الى الله راغبون في ان يوسع علينا من فضله فيغنينا عن الصدقة
وغيرها من اموال الناس وقوله سيوتينا الله انا الى الله راغبون هاتان الجملتان كالشرح لقولهم حسبنا الله فلذلك لم
يتعاطفا لانهما كالشي الواحد فشدة الاتصال منعت العطف **قوله** انما الصدقات للفقراء والمساكين الاية اعلم ان
المنافقين لما لمزوا الرسول عليه السلام في الصدقات بين لهم ان مصرف الصدقات هولاء ولا تعلق لي بها ولا اخذ لنفسي نصيبا
منها وذكر العلماء في الحكمة في وجوب الزكوة امورا منها قالوا شكر النعمة عبارة عن صرفها الى مرضاة المنعم والزكوة شكر النعمة
فوجب القول بوجوبها لان شكر المنعم واجب ومنها ان ايجاب الزكوة يوجب حصول الالف والمودة وزوال الحقد والحسد بين الملي
وهذه وجوه معتبرة في الحكمة المناسبة لوجوب الزكوة ومنها ان الفاضل عن الحاجات الاصلية اذا امسكه الانسان عطله عن
المقصود الذي لاجله خلق المال وذلك سعي في المنع من ظهور حكمة الله تعالى وهو غير جايز فامر الله بصرف طايفة منه الى الفقرا

حتى لا تتعطل تلك الحكمة ومنها ان الفقراء عيال الله لقوله تعالى وما من دابة في الارض الا على الله رزقها والاغنياء خزان
الله لان الاموال التي في ايديهم لله تعالى ولولا ان الله تعالى القاها في ايديهم والا لما ملكوا منها حبة واحدة ومنها ان المال بالكلية
في يد الغني مع انه غير محتاج اليه واهمال جانب الفقير العاجز عن الكسب بالكلية لا يليق بحكمة الرحيم فوجب ان يجب على الغني صرف
طائفة من ذلك المال الى الفقير ومنها ان الاغنياء لو لم يقوموا بمهمات الفقراء احملهم شدة الحاجات ومضرة المسكنة على الالتحاق
باعداء المسلمين او على الاقدام على الافعال المنكرة كالسرقة وغيرها فايجاب الزكوة يفيد هذه الفائدة فوجب القول بوجوبها وقيل
غير ذلك **فصل** صيغة انما للحصر فدلت على انه لا حق في الصدقات لاحد غير هؤلاء الاصناف الثمانية وذلك مجمع عليه
ويدل على ان كلمة انما للحصر لانها مركبة من ان وما وان للاثبات وما للنفي فاجتماعهما يوجب بقاءهما على ذلك المفهوم
ولذلك تمسك ابن عباس في نفي ربا الفضل بقوله انما الربا في النسيئة وتمسك بعض الصحابة في ان الاكسال لا يوجب الاغتسال
بقوله عليه السلام انما الماء من الماء ولولا افادتها الحصر لما كان كذلك وقال الله تعالى انما الله اله واحد فدلت على نفي الالهية
لغيره وقال الاعشى ولست بالاكثر منهم حصى * وانما العزة للكاثر * وقال الفرزدق * انا الذائد الحامي الذمار وانما
يدافع عن احسابهم انا او مثلي * فدلت هذه الوجوه على ان كلمة انما للحصر وروى زياد بن الحارث الصدائي قال اتيت رسول الله
صلى الله عليه وسلم فبايعته فاتاه رجل فقال اعطني من الصدقة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله لم يرض
بحكم نبي ولا غيره في الصدقات حتى حكم فيها هو فجزاها ثمانية اجزاء فان كنت من تلك الاجزاء اعطيتك حقك **فصل**
مذهب ابي حنيفة انه يجوز صرف الصدقة الى بعض الاصناف وهو قول عمر وحذيفة وابن عباس وسعيد بن جبير وابي العالية
والنخعي قال سعيد بن جبير لو نظرت الى اهل بيت من المسلمين فقراء متعففين فجبرتهم بها كان احب الي وقال الشافعي لا بد من صرفها
الى الاصناف الثمانية وهو قول عكرمة والزهري وعمر بن عبد العزيز واحتج بظاهر الاية قال ولا بد في كل صنف من ثلاثة فان
دفع سهم الفقراء الى فقيرين ضمن نصيب الثالث وهو ثلث سهم الفقراء ولا بد من التسوية في انصباء هذه الاصناف الثمانية
مثاله لو وجد خمسة اصناف ولزمه ان يتصدق بعشرة دراهم لزمه ان يجعل العشرة خمسة اسهم واختلفوا في صفة الفقير
والمسكين فقال ابن عباس والحسن ومجاهد وعكرمة والزهري الفقير الذي لا يسأل والمسكين السائل قال ابن عمر ليس بفقير
من جمع الدرهم الى الدرهم والتمرة الى التمرة ولكن من انقى نفسه وثيابه لا يقدر على شيء يحسبهم الجاهل اغنياء من التعفف وقال قتادة
الفقير المحتاج الزمن والمسكين الصحيح المحتاج وروي عن عكرمة الفقراء من المسلمين والمساكين من اهل الكتاب وقال الشافعي
الفقير من لا له مال ولا حرفة تقع منه موقعا زمنا كان او غير زمن والمسكين من له مال او حرفة لا تغنيه سائلا كان او غير
سائل واستدل بقوله اما السفينة فكانت لمساكين فاثبت لهم ملكا وكان عليه السلام يتعوذ من الفقر وقال كاد الفقر
ان يكون كفرا وكان يقول احيني مسكينا وامتني مسكينا فكيف كان يتعوذ من الفقر ويسأل ما هو دونه هذا تناقض وقال
اصحاب الراي الفقير احسن حالا من المسكين وقيل الفقير من له المسكن والخادم والمسكين من لا ملك له وقالوا كل محتاج الى شيء فهو
فقير اليه وان كان غنيا من غيره قال تعالى انتم الفقراء الى الله والمسكين المحتاج الى كل شيء الا ترى كيف حض على طعامه
وجعل طعام الكفارة له ولا فاقة اشد من الحاجة الى سد الجوعة وقال ابراهيم النخعي الفقراء هم المهاجرون والمساكين من لم يهاجروا
وقيل لا فرق بين الفقراء والمساكين فالله تعالى وصفهم بهذين الوصفين والمقصود شيء واحد وهو قول ابي يوسف
ومحمد وفائدة الخلاف تظهر في مسئلة وهو انه لو اوصى لفلان وللفقراء والمساكين قالوا لفلان الثلث والذين قالوا الفقراء
هم المساكين قالوا لفلان النصف واختلفوا في حد الغنى الذي يمنع اخذ الصدقة فقال الاكثرون حده ان يكون عنده
ما يكفيه وعياله سنة وهو قول مالك والشافعي وقال اصحاب الراي حده ان يملك مائتي درهم وقيل من ملك خمسين درهما
لا يحل له اخذ الصدقة لما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من سأل الناس وله ما يغنيه جاء يوم القيمة ومسئلته
في وجهه خموش او خدوش قيل وما يغنيه قال خمسون درهما او قيمته من الذهب وهو قول الثوري وابن المبارك واحمد
واسحق وقالوا لا يجوز ان يعطى الرجل من الزكوة اكثر من خمسين وقيل اربعون درهما لقول النبي صلى الله عليه وسلم من سأل
وله اوقية او عدلها فقد سأل الحافا **قوله تعالى** والعاملين عليها وهم السعاة لجباية الصدقات يعطون بقدر اجور امثالهم
وقال مجاهد والضحاك يعطون الثمن ولا يجوز ان يكون العامل على الصدقة هاشميا ولا مطلبيا لان الرسول عليه السلام
ابى ان يبعث ابا رافع عاملا على الصدقات وقال اما علمت ان مولى القوم منهم **قوله تعالى** والمؤلفة قلوبهم قال ابن عباس
هم قوم اشراف من الاحياء اعطاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين وكانوا خمسة عشر رجلا ابو سفيان والاقرع بن حابس
وعيينة بن حصن وحويطب بن عبد العزى وسهيل بن عمرو من بني عامر والحارث بن هشام وسهيل بن عمرو الجمحي وابو السنابل وحكيم
بن حزام ومالك بن عوف وصفوان بن امية وعبد الرحمن بن يربوع والجد بن قيس وعمرو بن مرداس والعلاء بن الحارث اعطى رسول
الله صلى الله عليه وسلم كل رجل منهم مائة من الابل ورغبهم في الاسلام الا عبد الرحمن بن يربوع اعطاه خمسين من الابل واعطى حكيم

بن حزام سبعين من الابل فقال يا رسول الله اعطيتك الاولى التي رغبت عنها خير ام هذه التي قنعت بها فقال عليه السلام بل التي
رغبت فقال والله لا اخذ غيرها فقيل مات حكيم وهو اكثر قريش مالا وسوق على رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك العطايا لكن تالفهم
بتلك قال ابن الخطيب وهذه العطايا انما كانت يوم حنين ولا تعلق لها بالصدقات ولا ادري لم ذكر ابن عباس هذه القصة
في تفسير هذه الاية وانما ذكر ابن عباس ذلك بيانا للمؤلفة منهم فذكر ذلك تمثيلا واعلم ان المؤلفة قسمان مسلمون وكفار فاما
المسلمون فيعطون لاجل قوة ايمانهم او معونتهم على اخذ الزكوة ممن يمتنع عن دفعها او ترغيبا لامثالهم في الاسلام واما الكفار
فيعطون ترغيبا لهم في الاسلام او خشية من شرهم كما اعطى النبي صلى الله عليه وسلم ابن امية لما يرى من ميله في الاسلام قال
الواحدي ان الله تعالى اغنى المسلمين عن تألف قلوب المشركين فان رأى الامام في ذلك مصلحة يعود نفعها على المسلمين اذا كانوا مسلمين
جاز ويعطون من الفيء لا من الزكوة وقالت جماعة من اهل العلم ان المؤلفة منقطعة وسهمهم ساقط وروي ذلك عن عمر وهو قول الشعبي
وبه قال مالك والثوري واصحاب الراي واسحق بن راهويه وقال قوم سهمهم ثابت يروى ذلك عن الحسن وهو قول الزهري وابي جعفر
محمد بن علي وابي ثور وقال احمد يعطون ان احتاج المسلمون الى ذلك **قوله تعالى** وفي الرقاب قال الزجاج فيه محذوف والتقدير
وفي فك الرقاب وقد تقدم الكلام في تفسير الرقاب في قوله والسائلين وفي الرقاب ثم في تفسير الرقاب اقوال احدها
انهم المكاتبون يعتقون من الزكوة وقال مالك وغيره انه يعتق الرقاب يشترى به عبيد فيعتقون وقال ابو حنيفة واصحابه لا
تعتق من الزكوة رقبة كاملة ولكن يعطي منها في رقبة ويعان بها مكاتب لان قوله في الرقاب يقتضي ان يكون له فيه مدخل
وذلك ينافي كونه تاما فيه وقال الزهري سهم الرقاب نصفان نصف للمكاتبين المسلمين ونصف يشترى به رقاب ممن صلوا
وصاموا قال بعض العلماء والاحتياط في الرقاب الدفع الى السيد باذن المكاتب لانه تعالى اثبت الصدقات للاصناف
الاربعة المقدم ذكرهم بلام التمليك بقوله انما الصدقات للفقراء والمساكين ولما ذكر الرقاب ابدل حرف اللام بحرف في فقال وفي
الرقاب فلا بد لهذا الفرق من فائدة وهي ان الاصناف الاربعة يدفع اليهم نصيبهم واما الباقون فيصرف نصيبهم في المصالح
المتعلقة بهم لا اليهم قال الزمخشري فان قلت لم عدل عن اللام الى في في الاربعة الاخيرة قلت للايذان بانهم ارسخ في استحقاق
الصدقات عليهم ممن سبق ذكره لان في للوعاء فنبه على انهم احقاء بان توضع فيهم الصدقات ويجعلوا مظنة لها ومصبا
ثم قال وتكرير في في قوله في سبيل الله وابن السبيل فيه فضل ترجيح لهذين على الرقاب والغارمين **قوله** والغارمين قال
الزجاج اصل الغرم في اللغة لزوم ما يشق والغرام العذاب اللازم وسمي العشق غراما لكونه شاقا على الانسان ولازما له
ومنه فلان مغرم بالنساء اذا كان مولعا بهن وسمي الدين غرما لكونه شاقا والمراد بالغارمين المديونون فالدين يحصل بسبب
معصية لا يدخل في الاية لان المقصود من صرف المال اليه الاعانة والمعصية لا تستوجب الاعانة وان حصل لا بسبب
معصية فهو قسمان دين حصل بسبب نفقات ضرورية او في مصلحة ودين حصل بسبب حمالات واصلاح ذات بين والكل
داخل في الاية وروى الاصم في تفسيره ان النبي صلى الله عليه وسلم لما قضى بالغرة في الجنين قالت العاقلة لا نملك الغرة يا رسول الله
فقال لحمل بن مالك بن النابغة اعنهم بغرة من صدقاتهم وكان حمل على الصدقة يومئذ **قوله تعالى** وفي سبيل الله قال
المفسرون يعني الغزاة قال اكثر العلماء يجوز له ان ياخذ من الزكوة وان كان غنيا وقال ابو حنيفة وصاحباه لا يعطى الغازي
الا مع الحاجة ونقل القفال في تفسيره عن بعض الفقهاء انهم اجازوا صرف الصدقات الى جميع وجوه الخير من تكفين الموتى وبناء
الحصون وعمارة المساجد لان قوله وفي سبيل الله عام في الكل وقال اكثر اهل العلم لا يعطى منه شيء في الحج وقال قوم يجوز ان
يصرف سهم سبيل الله الى الحج يروى ذلك عن ابن عباس وهو قول الحسن واحمد واسحق **قوله تعالى** وابن السبيل وهو كل من
يريد سفرا مباحا ولم يكن له ما يقطع به المسافة يعطى له قدر ما يقطع به تلك المسافة وان كان ذا يسار في بلده وقال قتادة
ابن السبيل هو الضيف وقال فقهاء العراق ابن السبيل الحاج المنقطع واعلم ان مال الزكوة لا يخرج عن هذه الثمانية واختلفوا
هل يجوز وضعها في بعض الاصناف كما سبق واذا قلنا يجوز وضعها في بعض الاصناف فانما يجوزه في غير العامل فاما وضع
الكلية في العامل فلا يجوز بالاتفاق **فان قيل** ما الحكمة في انه تعالى ذكر الاصناف الستة وهم الفقراء والمساكين والعا
ملون والمؤلفة والرقاب والعاملون والغارمون بصيغة الجمع وذكر الصنفين الاخيرين وهما في سبيل الله وابن السبيل
بصيغة الافراد فالجواب ان المراد بهما الجنس وهو جمع حقيقة ولا يقال فهلا ذكر الاصناف الستة بصيغة الافراد و
يكون المراد الجنس كهذين لانا نقول لو افرد في الجمع فلا يخلو اما ان يفردهم معرفين بالالف واللام او منكرين فان عرفهم
بالالف واللام احتمل ان يكون الالف واللام للعهد فينصرف فهم السامع الى صرف الزكوة الى معهود سابق معين وليس هو
المقصود من الاية بالاجماع وان افردهم منكرين لزم منه ان الزكوة لا يجوز دفعها الا الى فقير واحد ومسكين واحد
وكذلك سايرها ولا يجوز دفعها الى اثنين فما زاد وهو خلاف الاجماع **فصل** والسبيل الطريق ونسب
المسافر اليها لملازمته اليها ومروره عليها قال بعض العلماء اذا كان المسافر غنيا في بلده ووجد من يسلفه فلا يعطى

وقيل يعطى وهو الصحيح ولا يلزمه ان يتحصل تحت منه احد اذا وجد منه الله تعالى **فصل** اذا جاء وادعى
وصفا من الاوصاف الثمانية هل يقبل قوله او يقال له اثبت ما تقول اما الدين فلا بد ان يثبته واما التعبه فظاهر الحال
يكفي **قوله تعالى** فريضة واجبة في نصبها وجهان احدهما انه مصدر على المعنى لان معنى انما الصدقات للفقراء في قوة
فرض الله ذلك والثاني انها حال من الفقراء قاله الكرماني وابو البقاء يعنيان من الضمير المستكن في الجار لوقوعه خبرا اي انما الصدقات
كائنة لهم حال كونها فريضة اي مفروضة ويجوز ان يكون فريضة حينئذ بمعنى مفعوله وانما دخلت التاء جريا بها مجرى الاسماء
كالنطيحة ويجوز ان يكون مصدرا واقعا موقع الحال ونقل عن سيبويه ان فريضة منصوب بفعلها مقدرا اي فرض الله ذلك
فريضة ونقل عن الفراء انها منصوبة على القطع ثم قال والله عليم بمقادير المصالح حكيم لا يشرع الا ما هو الاصوب والاصلح
فصل وهذه الاية تدل على ان المراد بها فريضة الزكوة فاما صدقة التطوع فيجوز دفعها الى هولاء والى غيرهم
من بني هاشم ومواليهم ومن لا يجوز له اخذ الزكوة اذا كان غارما او مولفا او عاملا او هدية ممن اخذها **قوله تعالى** ومنهم
الذين يوذون النبي الاية وهذا نوع اخر من طعن المنافقين كانوا يوذون النبي ويقولون في رسول الله انه اذن نزلت في جماعة
من المنافقين كانوا يوذون النبي صلى الله عليه وسلم ويقولون ما لا ينبغي فقال بعضهم لا تفعلوا فانا نخاف ان يبلغه
ما نقول فيقع بنا فقال الجلاس بن سويد نقول ما شئنا ثم ناتيه وننكر ما قلنا ونحلف فيصدقنا بما نقول انما محمد اذن
اي اذن سامعة يقال فلان اذن واذنه على وزن فعله اذا كان يسمع كل ما قيل ويقبله واصله من اذن ياذن اذا استمع
وقال محمد بن اسحق بن يسار نزلت في رجل من المنافقين يقال له نبتل بن الحرث وكان رجلا ادلم ثائر الشعر احمر العينين اسفع
الخدين مشوه الخلقة وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم من اراد ان ينظر الى الشيطان فلينظر الى نبتل بن الحرث وكان ينم
حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المنافقين فقيل له لا تفعل فقال انما محمد اذن من حدثه شيئا صدقه فنقول
ما شئنا ثم ناتيه فنحلف له فيصدقنا فنزلت الاية قال الاصم اظهر الله عن المنافقين وجوه كفرهم التي كانوا يوذونها
ليكون محمد الرسول وليزجروا فقال ومنهم من يلمزك في الصدقات ومنهم الذين يوذون النبي ومنهم من عاهد الله الى
غير ذلك من الاخبار عن الغيوب وكل ذلك دليل على كونه نبيا حقا من عند الله ومعنى اذن اي انه ليس له ذكاء ولا بعد
غور بل هو سليم القلب سريع الاغترار بكل ما يسمع **قوله تعالى** قل اذن خير اذن خبر مبتدا مضمر محذوف اي قل هو
اذن خير والجمهور على جر خير بالاضافة وقرأ الحسن ومجاهد وزيد بن علي وابو بكر عن عاصم اذن بالتنوين خير بالرفع وفيها
وجهان احدهما انها وصف لاذن والثاني ان يكون خبرا بعد خبر وخير يجوز ان يكون وصفا من غير تفضيل اي اذن
ذو خير لكم ويجوز ان يكون للتفضيل على بابها اي اكثر خير لكم وجوز صاحب اللوامح ان يكون اذن مبتدا وخير خبرها
وجاز الابتداء هنا بالنكرة لانها موصوفة تقديرا اي اذن لا يواخذكم خير لكم من اذن يواخذكم ويقال للرجل اذن اي يسمع
كل ما يقال وفيه تاويلان احدهما انه سمي بالجارحة لانها آلة السماع وهي معظم ما يقصد منه كقولهم للجاسوس عين
وقيل المراد بالاذن هنا الجارحة وحينئذ يكون على حذف مضاف اي ذو اذن والثاني ان الاذن وصف على فعل كانف
وشلل يقال اذن ياذن فهو اذن قال الشاعر • وقد صرت اذنا للوشاة سميعة • ينالون من عرضي ولو شئت ما نالوا
ومعنى قراءة عاصم اي ان كانوا يقولون انه اذن فاذن خير يقبل منكم ويصدقكم من ان يكذبكم ومعنى قراءة الجر اي هو
اذن خير لا اذن شر وقرأ نافع اذن ساكن الذال في كل القران والباقون بالضم وهما لغتان مثل عنق وظفر ثم بين كونه
اذن خير بقوله يومن بالله ويومن للمومنين ورحمة للذين امنوا منكم فجعل تعالى هذه الثلاثة كالموجبة لكونه عليه
السلام اذن خير اما قوله يومن بالله فلان كل من امن بالله كان خائفا من الله والخائف من الله لا يودي بالباطل وقوله
ويومن للمومنين اي يسلم للمومنين قولهم اذا توافقوا على قول واحد وهذا بيان كونه سليم القلب فان قيل لم عدى الايمان
بالله بالباء والى المومنين باللام فالجواب ان الايمان بالله المراد منه التصديق الذي هو نقيض الكفر فعدي بالباء
والايمان المعدى الى المومنين معناه الاستماع منهم والتسليم لقولهم فعدي باللام كقوله وما انت بمومن لنا وقوله
فما امن لموسى الا ذرية من قومه وقوله انومن لك واتبعك الارذلون وقوله امنتم له قبل ان اذن لكم وقال قتيبة هما زائدتان
والمعنى يصدق بالله ويصدق المومنين وهذا مردود ويدل على عدم الزيادة تغاير الحرف الزائد فلو لم يقصد معنى
مستقل لما غاير بين الحرفين وقال المبرد هي متعلقة بمصدر مقدر من الفعل كانه قيل وايمانه للمومنين وقيل يقال امنته
بمعنى صدقته ومنه وما انت بمومن لنا قال شهاب الدين وعندي ان هذه اللام في ضمنها فالمعنى ويصدق للمومنين
بما يخبرونه به وقال ابو البقاء واللام في للمومنين زائدة دخلت ليفرق بين يومن بمعنى يصدق وبين يومن بمعنى يثبت
الايمان واما قوله ورحمة للذين امنوا فهذا ايضا يوجب الخيرية لانه يجري امركم على الظاهر ولا يبالغ في التفتيش عن بواطنكم
ولا يهتك استاركم فثبت هذه الاوصاف الثلاثة على وجوب كونه اذن خير وقرأ الجمهور ورحمة رفعا نسقا على اذن اي

وهو

وهو رحمة للذين امنوا وقال بعضهم هو عطف على يومن لان يومن في محل رفع صفة لاذن تقديره اذن يومن
ورحمة وقرأ حمزة والاعمش ورحمة بالجر نسقا على خير المخفوض باضافة اذن اليه والجملة على هذه القراءة معترضة بين
المتعاطفين تقديره اذن خير ورحمة وقرأ ابن ابي عبلة ورحمة نصبا على انه مفعول من اجله والمعلل محذوف اي ياذن
لكم رحمة بكم فحذف لدلالة قوله قل اذن خير فان قيل كل رحمة خير فاي فائدة في ذكر الرحمة عقيب ذكر الخير كقوله وملائكته
وجبريل وميكائيل كونه سببا للرحمة والخير بين ان كل من اذاه استوجب العذاب الاليم لانه يسعى في ايصال الخير والرحمة اليهم
وهم يقابلون احسانه بالاساءة وخيره بالشر فلذلك استوجبوا العذاب الاليم **قوله تعالى** يحلفون بالله لكم ليرضوكم
الاية وهذا نوع اخر من قبائح افعال المنافقين منهم جلاس بن سويد ووديعة بن ثابت وقعوا في النبي صلى الله عليه وسلم
وقالوا ان كان ما يقول محمد حقا فنحن شر من الحمير وكان عندهم غلام من الانصار يقال له عامر بن قيس فحقروه وقالوا
هذه المقالة فغضب الغلام وقال والله ان ما يقول محمد حق وانتم شر من الحمير ثم اتى النبي صلى الله عليه وسلم فجعل عامر يدعو
يقول اللهم صدق الصادق وكذب الكاذب فانزل الله هذه الاية وقال مقاتل والكلبي نزلت في رهط من المنافقين تخلفوا
عن غزوة تبوك فلما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم اتوا يعتذرون ويحلفون فانزل الله تعالى الاية **قوله تعالى**
والله ورسوله احق ان يرضوه انما افرد الضمير في يرضوه وان كان الاصل في العطف بالواو المطابقة لوجوه احدها ان رضى
الله ورسوله شيء واحد من اطاع الرسول فقد اطاع الله ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله فلذلك جعل الضميرين ضميرا
واحدا تنبيها على ذلك الثاني ان الضمير عائد على المثنى بلفظ الواحد بتاويل المذكور كقول روبة • فيها خطوط من سواد وبلق •
كانه في الجلد توليع البهق • اي كان ذلك المذكور وقد تقدم بيان هذا في اوائل البقرة الثالث قال المبرد في الكلام تقديم
وتاخير تقديره والله احق ان يرضوه ورسوله وهذا على راي من يدعي الحذف من الثاني الرابع وهو مذهب سيبويه انه
حذف خبر الاول وابقى خبر الثاني وهو احسن من عكسه وهو قول المبرد لان فيه عدم الفصل بين المبتدا وخبره ولان فيه
ايضا الاخبار بالشيء عن الاقرب اليه وايضا فهو متعين في قول الشاعر • نحن بما عندنا وانت بما عندك •
راض والراي مختلف • اي نحن راضون فحذف راضون لدلالة خبر الثاني عليه قال ابن عطية مذهب سيبويه انهما
جملتان حذفت الاولى لدلالة الثانية عليها قال ابو حيان ان كان الضمير في انهما عائدا على كل واحد من الجملتين فكيف
تقول حذفت الاولى والاولى لم تحذف وانما حذف خبرها وان كان عائدا على الخبر وهو احق ان يرضوه فلا يكون جملة الا
باعتقاد ان يكون ان يرضوه مبتدا وخبره احق مقدما عليه ولا يتعين هذا القول اذ يجوز ان يكون الخبر مفردا بان يكون
التقدير احق بان يرضوه قال شهاب الدين انما اراد ابن عطية التقدير الثاني وهو المشهور عند المعربين يجعلون احق خبرا
مقدما عليه ولا يتعين هذا القول اذ يجوز ان يكون الخبر مفردا وان يرضوه مبتدا موخرا والله ورسوله ارضاه احق وقد
تقدم نحو هذا في قوله فالله احق ان تخشوه وقوله ان كانوا مومنين شرط جوابه محذوف او تقدم **فصل**
قال القرطبي تضمنت هذه الاية قبول يمين الحالف وان يلزم المحلوف له الرضى واليمين حق للمدعي وان يكون اليمين بالله عز وجل
حسب قال النبي صلى الله عليه وسلم من حلف فليحلف بالله او ليصمت ومن حلف فليصدق **قوله تعالى** الم يعلموا انه من
يحادد الله ورسوله الاية والمقصود من هذه الاية شرح احوال المنافقين الذين تخلفوا عن غزوة تبوك قرأ الجمهور يعلموا
بياء الغيبة ردا على المنافقين وقيل الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم واتى بصيغة الجمع تعظيما كقوله •
فان شئت حرمت النساء سواكم • وهذه التقادير الثلاثة يختلف معنى الاستفهام فعلى الاول يكون الاستفهام للتقريع
والتوبيخ كقول الانسان من حاول تعليمه مدة وبالغ في ذلك التعليم فلم يعلم يقال له الم تعلم وانما حسن ذلك لانه قال
مكث رسول الله صلى الله عليه وسلم معهم وكثر تحذيره من معصية الله وترغيبه في طاعة الله وعلى الثاني يكون للتعجب من حالهم
وعلى الثالث يكون للتقرير والعلم هنا يحتمل ان يكون على بابه فتكون ان سدت مسد مفعوليه عند سيبويه ومسد احدهما والاخر
محذوف عند الاخفش وان يكون بمعنى العرفان فتسد ان مسد مفعوله ومن شرطية فان له نار جهنم وفتحت ان بعد الفاء المقدرة
في الانعام والجملة الشرطية في محل رفع خبر ان الاولى وهذا التخريج واضح وقد عدل عن هذا التخريج جماعة الى وجوه اخر فقال
الزمخشري ويجوز ان يكون فان له معطوفا على انه على ان جواب من محذوف تقديره الم يعلموا انه من يحادد الله ورسوله
يهلك فان له وقال الجرمي والمبرد ان الثانية مكررة للتوكيد كان التقدير فله نار جهنم وكررت ان توكيدا وشبه ابو البقاء
بقوله تعالى ثم ان ربك للذين عملوا السوء ثم قال ان ربك من بعدها قال والفاء على هذا جواب الشرط ورد ابو حيان على الزمخشري
قولهم بانهم نصوا على انه اذا حذف جواب الشرط لزم ان يكون فعل الشرط ماضيا او مضارعا مقرونا بلم والجواب على قوله محذوف
وفعل الشرط مضارع غير مقترن بلم وايضا فانا نجد الكلام تاما بدون هذا الذي قدره ونقل عن سيبويه انه قال الثانية
بدل من الاولى وهذا لا يصح عن سيبويه فانه ضعيف وممتنع وقد ضعفه ابو البقاء بوجهين احدهما ان الفاء تمنع من ذلك والحكم

زيادتها ضعيف والثاني ان جعلها بدلا يوجب سقوط جواب من الكلام وقال ابن عطية وهذا يعترض بان الشيء
لا يبدل منه حتى يستوفى والاولى في هذا الموضع لم يات بخبرها بعد اذ لم يات جواب الشرط وتلك الجملة هي الخبر وايضا فان الفا
مانع البدل فهي معنى اخر غير البدل فيمتنع البدل وقال بعضهم فتحت على تقدير اللام اي فلان له نار جهنم وهذه كلها تكلفات
لا يحتاج اليها فالاولى ما تقدم وهو ان يكون له نار جهنم في محل رفع بالابتدا والخبر محذوف وينبغي ان يقدر متقدما عليها
كما فعل الزمخشري وغيره اي فحق ان له نار جهنم في محل رفع بالابتدا والخبر محذوف وينبغي ان يقدر متقدما عليها كما فعل الزمخشري
ويقدره غير متاخر اي فانه له نار جهنم واجب كذا قدره الاخفش وردوه عليه بانها لا يبتدأ بها وهذا لا يلزمه فانه لا
يجيز الابتدا بان المفتوحة من غير تقدم خبر وغيره لا يجيز الابتدا بها الا بشرط تقدم اما نحو اما انك ذاهب فعندي او بشرط
تقدم الخبر نحو عندي انك منطلق وقيل فان له خبر مبتدا محذوف اي فالواجب ان له وهذه الجملة التي بعد الفا مع الفا
في محل جزم جوابا للشرط وقرا ابو عمرو فيما رواه ابو عبيدة والحسن وابن ابي عبلة فان بالكسر وهي قراءة حسنة قوية تقدم انه
قرا بعض السبعة في الانعام وتقدم هناك توجيهها **المحادة** المخالفة والمعاندة ومجاوزة الحد والمعاداة قيل
مشتقة من الحد وهو حد السلاح الذي يحارب به من الحديد وقيل من الحد الذي هو الجهة كانه في حد غير حد صاحبه كقولهم
شاقه اي كان في شق غير شق صاحبه وعاداه اي كان في عدوة غير عدوته قال ابن عباس معناه يخالف الله وقيل يحارب الله
وقيل يعاند الله وقيل يعادي الله واختار بعضهم قراءة الكسر بانها لا تحوج الى اضمار ولم يرد قوله • فمن يك سائلا عني فاني •
وجروة ولا ابعار ولا اباع الا بالكسر وهذا غير لازم فانه جاء على احد الجائزين خالدا نصب على الحال قال الزجاج ويجوز
كسرها على الاستيناف بعد الفا وجهنم من اسماء النار وحكى اهل اللغة عن العرب ان البير البعيدة القعر تسمى الجهنام فيجوز
ان تكون ماخوذة من هذا اللفظ ومعنى بعد قعرها انه لا اخر لعذابها وتقدم معنى الخلود والخزي فقد يكون بمعنى الندم
وبمعنى الاستحيا والمراد به هاهنا الندم لقوله واسروا الندامة لما راوا العذاب **قوله تعالى** يحذر المنافقون الاية
قال قتادة هذه السورة كانت تسمى الفاضحة والحافرة والمبعثرة والمثيرة اثارت مخازيهم ومثالبهم قال ابن عباس انزل الله
تعالى ذكر سبعين رجلا من المنافقين باسمائهم واسماء ابائهم ثم نسخ ذكر الاسماء رحمة على المؤمنين لئلا يعير بعضهم بعضا
لان اولادهم كانوا مؤمنين وقال الجبائي اجتمع اثنا عشر رجلا من المنافقين على النفاق واخبر جبريل الرسول باسمائهم
فقال عليه السلام ان ناسا اجتمعوا على كيت وكيت فليقوموا وليعترفوا وليستغفروا ربهم حتى اشفع لهم فلم يقوموا
فقال عليه السلام بعد ذلك قم يا فلان ويا فلان حتى اتى عليهم ثم قالوا نعترف ونستغفر فقال الان انا كنت في اول
الامر اطيب نفسا بالشفاعة والله كان اسرع في الاجابة اخرجوا عني اخرجوا عني فلم يزل يقول حتى خرجوا بالكلية وقال
الاصم ان عند رجوع النبي عليه السلام من تبوك وقف له على العقبة اثنا عشر رجلا ليفتكوا به فاخبره جبريل
وكانوا متلثمين في ليلة مظلمة وامر ان يرسل من يضرب وجوه رواحلهم فامر حذيفة بذلك فضربها حتى نحاهم ثم قال من
عرفت من القوم فقال لم اعرف منهم احدا فذكر النبي عليه السلام اسماءهم وعدهم له وقال ان جبريل اخبرني بذلك فقال
حذيفة الا تبعث اليهم فتقتلهم فقال اكره ان تقول العرب قاتل باصحابه حتى اذا ظفر صار يقتلهم بل يكفيناهم الله بالدبيلة
فان قيل المنافق كافر فكيف يحذر نزول الوحي على الرسول عليه السلام فالجواب من وجوه احدها قال ابو مسلم
هذا حذر اظهره المنافقون استهزاء حين راوا الرسول عليه السلام يذكر كل شيء ويدعي انه عن الوحي وكان المنافقون
يكذبون بذلك فيما بينهم فاخبر الله تعالى رسوله بذلك وامره ان يعلمهم انه مظهر سرهم الذي حذروا ظهوره ويدل على
ذلك قوله استهزءوا وثانيها ان القوم وان كانوا كافرين بدين الرسول الا انهم شاهدوا ان الرسول عليه السلام كان
يخبرهم عما يضمرونه فلهذه التجربة وقع الحذر والخوف في قلوبهم وثالثها قال الاصم انهم كانوا يعرفون كونه رسولا
حقا من عند الله الا ان كفرهم حسدا وعنادا ورابعها معنى الحذر الامر بالحذر اي ليحذر المنافقون ذلك وخامسها
انهم كانوا شاكين في صحة نبوته والشاك خائف فلهذا خافوا ان ينزل عليه في امرهم ما يفضحهم **قوله تعالى** ان
تنزل مفعول به ناصبه يحذر فان يحذر متعد بنفسه لقوله تعالى ويحذركم الله نفسه لولا انه متعد في الاصل لواحد
لما اكتسب بالتضعيف مفعولا ثانيا ويدل عليه ايضا ما انشده سيبويه • حذر امورا لا تضير وآمن • ما ليس منجيه من الاقدار •
وفي البيت كلام قيل انه مصنوع وقال المبرد ان حذر لا يتعدى قال لانه من هيئات النفس كفزع وهذا غير لازم فان لنا
من هيئات النفس ما هو متعد كخاف وخشي فان تنزل عند المبرد على اسقاط الخافض اي من ان تنزل وقوله تنبئهم في موضع
الرفع صفة لسورة قال الزمخشري الضمير في قوله عليهم وتنبئهم للمؤمنين وفي قوله في قلوبهم للمنافقين ويجوز ايضا ان
تكون الضماير كلها للمنافقين لان السورة اذا نزلت في معناهم فهي نازلة عليهم ومعنى تنبئهم بما في قلوبهم ان السورة كانها تقول
لهم في قلوبكم كيت وكيت يعني انها تذيع اسرارهم اذاعة ظاهرة فكانها تخبرهم بها ثم قال قل استهزءوا وهذا امر تهديد ان الله مخرج

مظهر ما تحذرون **قوله تعالى** ولئن سالتهم ليقولن انما كنا نخوض ونلعب الاية قال الكلبي ومقاتل وقتادة ان
النبي صلى الله عليه وسلم كان يسير في غزوة تبوك وبين يديه ثلاثة نفر من المنافقين اثنان يستهزئان بالقران والرسول
والاخر يضحك قيل كانوا يقولون ان محمدا يزعم انه يغلب الروم ومدائنهم وانه نزل في اصحابنا المقيمين بالمدينة قران وانما هو قوله وكلامه
فاطلع الله نبيه صلى الله عليه وسلم على ذلك فقال احبسوا الركب علي فدعاهم وقال لهم قلتم كذا وكذا فقالوا انما كنا نخوض
ونلعب اي كنا نتحدث ونخوض في الكلام كما يفعل الركب لقطع الطريق بالحديث واللعب قال ابن عمر رايت عبد الله بن ابي يشتد
قدام النبي صلى الله عليه وسلم والحجارة تنكبه وهو يقول انما كنا نخوض ونلعب ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ابالله واياته
ورسوله كنتم تستهزءون ما يلتفت اليه وقال ابو مسلم قوله يحذر المنافقون ان تنزل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم ان القوم
اظهروا هذا الحذر استهزاء فبين تعالى في هذه الاية انه اذا قيل لهم لم فعلتم ذلك قالوا لم نقل ذلك الا لاجل انا كنا نخوض ونلعب
فصل قال الواحدي اصل الخوض الدخول في مايع مثل الما والطين ثم كثر حتى صار اسما لكل دخول فيه تلويث واذى
والمعنى انا كنا نخوض ونلعب في الباطل من الكلام كما يخوض الركب لقطع الطريق فاجابهم الرسول بقوله ابالله واياته ورسوله
كنتم تستهزءون **قوله تعالى** ابالله متعلق بقوله تستهزءون وتستهزءون خبر كان وفيه دليل على تقديم خبر كان عليها لان
تقديم المعمول يؤذن بتقديم العامل وقد تقدم معمول الخبر على كان فليجز تقديمه بطريق الاولى وفيه بحث وذلك ان مما
يقدح في هذا الدليل قوله تعالى فاما اليتيم فلا تقهر واما السائل فلا تنهر فاليتيم والسائل قد تقدما على لا الناهية
والعامل فيهما ما بعدها ولا يجوز تقديم ما بعد لا الناهية لكونه مجزوما بها فقد تقدم المعمول حيث لا يتقدم العامل وكذا
ذلك عند استدلالهم على جواز تقديم خبر ليس بقوله الا يوم ياتيهم ليس مصروفا عنهم **فصل** فرق بين قولك
استهزئ بالله وبين قولك ابالله تستهزئ فالاول يقتضي الانكار على عمل الاستهزاء والثاني يقتضي الانكار على ايقاع الاستهزاء
في الله لانه يقول هب انك تقدم على الاستهزاء الا انه كيف اقدمت على ايقاع الاستهزاء في الله كقوله تعالى لا فيها غول المقصود
ليس نفي الغول بل نفي ان يكون خمر الجنة محلا للغول ومعنى الاستهزاء بالله الاستهزاء بتكاليف الله تعالى والاستهزاء بذكر
الله فان اسماء الله قد يستهزئ بها الكافر كما ان المؤمن يعظمها والمراد بالاستهزاء باياته هو القران وسائر ما يدل على الدين
والرسول معلوم **قوله تعالى** لا تعتذروا قد كفرتم نقل الواحدي عن اهل اللغة في لفظ الاعتذار قولان الاول انه عبارة
عن محو اثر الذنب واصله من تعذرت المنازل اي درست يعني اثارها قال ابن احمر • قد كنت تعرف ايات فقد جعلت • اطلال الفك بالوعساء
تعتذر • فالمعتذر يزاول محو ذنبه والثاني قال ابن الاعرابي اصله من العذر وهو القطع ومنه العذرة لانها تقطع بالا
نزاع ويقولون اعتذرت المياه اي انقطعت فكان المعتذر يحاول قطع الذم عنه **قوله تعالى** قد كفرتم بعد ايمانكم يدل
على ان الاستهزاء بالدين كيف كان يكون كفرا لانه استخفاف بالدين والعمدة في الايمان تعظيم الله تعالى ويدل على ان القول
الذي صدر منهم كان كفرا في الحقيقة فان قيل كيف قال كفرتم بعد ايمانكم وهم لم يكونوا مؤمنين فالجواب قال الحسن اظهرتم
الكفر بعدما اظهرتم الايمان **فصل** قال ابن العربي لا يخلو اما قالوا ما قالوا من ان يكون جدا وهزلا وهو كيفما كان
كفرا فان الهزل بالكفر كفر بلا خلاف بين الامة قال تعالى اتتخذنا هزوا قال اعوذ بالله ان اكون من الجاهلين **فصل**
اختلفوا في الهزل في سائر الاحكام كالبيع والنكاح والطلاق فقيل يلزم وقيل لا وقيل يفرق بين البيع وغيره فيلزم في النكاح
والطلاق ولا يلزم في البيع وحكى ابن المنذر الاجماع في ان جد الطلاق وهزله سواء وروى ابو داود والترمذي والدارقطني
عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث جدهن جد وهزلهن جد النكاح والطلاق والرجعة قال الترمذي حديث
حسن والعمل على هذا عند اهل العلم من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وغيرهم قال القرطبي وفي الموطا عن سعيد بن المسيب
قال ثلاث ليس فيهن لعب النكاح والطلاق والعتق **قوله تعالى** ان يعف عن طائفة منكم نعذب بنون العظمة نعذب كذلك
طائفة نصبا على المفعولية وهي قراءة عبد الرحمن السلمي وزيد بن علي وقرا الباقون بالياء من تحت في الموضعين مبنيا
للمفعول ورفع طائفة على قيامها مقام الفاعل في الفعل الاول الجار بعده وقرا الجحدري اي يعف بالياء من تحت فيهما
مبنيا للفاعل وهو ضمير الله تعالى ونصب طائفة على المفعول به وقرا مجاهد تعف بالتاء من فوق فيهما مبنيا للمفعول
ورفع طائفة لقيامها مقام الفاعل وفي القائم مقام الفاعل في الفعل الاول وجهان احدهما انه ضمير الذنوب اي ان
تعف هذه الذنوب والثاني انه الجار وانما انث الفعل حملا على المعنى قال الزمخشري الوجه التذكير لان المسند اليه الظرف
كما تقول سير بالدابة ولا تقول سيرت بالدابة ولكنه ذهب الى المعنى كانه قيل ان ترحم طائفة فانث لذلك وهو غريب
فصل قال محمد بن اسحاق الذي عفي عنه رجل واحد وهو مخشي بن حمير الاشجعي يقال هو الذي كان يضحك ولا يخوض
وكان يمشي مجانبا لهم وينكر بعض ما يسمع فلما نزلت هذه الاية تاب من نفاقه وقال اللهم اني لا ازال اسمع اية تقرا عني بها تقشعر
منها الجلود وتجب منها القلوب اللهم اجعل وفاتي قتلا في سبيلك لا يقول احد انا غسلت انا كفنت انا دفنت فاصيب يوم اليمامة

اليمامة

فما احد من المسلمين الا عرف مدعه غيره

فصل ثبت بالروايات ان الطايفتين كانوا ثلاثة فوجب ان يكون احدى الطايفتين انسانا واحدا قال الزجاج الطايفة في اللغة اصلها الجماعة لانها المقدار التي يمكنها ان تطيف بالشي ثم يجوز ان يسمى الواحد بالطايفة قال تعالى وليشهد عذابهما طايفة من المومنين واقله الواحد وروى الفرا باسناده عن ابن عباس انه قال الطايفة الواحد فما فوقه وقال تعالى وان طايفتان من المومنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما قال ابن الانباري العرب توقع لفظ الجمع على الواحد فتقول خرج فلان الى مكة على الجمال وقال تعالى الذين قال لهم الناس يعني نعيم بن مسعود ثم انه تعالى علل تعذيبه لهم بانهم كانوا مجرمين **قوله تعالى** المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض الاية لما شرح انواع قبايح افعالهم بين ان اناثهم كذكورهم في تلك الافعال المنكرة فقوله بعضهم من بعض مبتدا وخبر اي من جنس بعض ومن هنا لبيان الجنس وقيل للتبعيض اي انهم انما يتوالدون بعضهم من بعض اي هم على دين واحد وقيل امرهم واحد بالاجتماع على النفاق ثم فصل هذا الكلام فقال يامرون هذه الجملة لا محل لها لانها مفسرة لقوله بعضهم من بعض وكذلك ما عطف عليه يامرون ولفظ المنكر يدخل فيه كل قبيح ولفظ المعروف يدخل فيه كل حسن الا ان الاعظم هاهنا من المنكر الشرك والمعصية والمراد الاعظم هاهنا من المعروف الايمان بالرسول ويقبضون ايديهم اي يمسكونها عن الصدقة والانفاق في سبيل الله نسوا الله فنسيهم تركوا طاعة الله فتركهم من توفيقه وهدايته في الدنيا ومن رحمته في العقبى وانما حملنا النسيان على الترك لان من نسي شيا لم يذكره فجعل اسم الملزوم كناية عن اللازم ولان النسيان ليس في وسع البشر وهو في حق الله تعالى محال فلا بد من التاويل وهو ما ذكرنا من الترك لانهم تركوا امر الله حتى صار كالشي المنسي فجازاهم ان صيرهم كالشي المنسي كقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها ثم قال ان المنافقين هم الكاذبون الفاسقون اي الكاملون في الفسق **قوله تعالى** وعد الله المنافقين والمنافقات الاية قال القرطبي وغيره يقال وعد الله بالخير وعدا ووعد بالشر وعيدا وقيل لا يقال في الشر الا اوعد توعدا وتوعدون وهذه الاية رد عليه لما بين في المنافقين والمنافقات انهم نسيهم اي جازاهم على تركهم التمسك بطاعة الله اكد هذا الوعيد وضم الكفار الى المنافقين فيه فقال وعد الله المنافقين الاية فقوله خالدين حال من المفعول الاول للوعد وهي حال مقدرة لان هذه الحال لم تقارن الوعد وقوله هي حسبهم لا محل لهذه الجملة الاستينافية والمعنى تلك العقوبة كافية لهم ولا شي ابلغ منها ولا يمكن الزيادة عليها ثم قال ولعنهم الله ابعدهم الله من رحمته ولهم عذاب مقيم دايم فان قيل معنى المقيم والخالد واحد فيكون تكرارا فالجواب من وجهين الاول ان لهم نوعا اخر من العذاب المقيم الدايم سوى العذاب بالنار والخلود المذكور اولا يدل على ان العذاب بالنار دايم وقوله ولهم عذاب مقيم يدل على ان لهم مع ذلك نوعا اخر من العذاب فان قيل هذا مشكل لانه قال في النار الخالدة هي حسبهم وكونها حسبهم يمنع من ضم شي اخر اليه **قوله تعالى** انها حسبهم في الايلام ومع ذلك يضم اليه نوع اخر زيادة في تعذيبهم والثاني ان المراد بقوله ولهم عذاب مقيم العذاب العاجل الذي لا ينفك عنهم وهو ما يقاسونه من الخوف من اطلاع الرسول على بواطنهم وما يحذرونه من انواع الفضايح **قوله** كالذين من قبلكم فيه اوجه احدها ان هذه الكاف في محل رفع تقديره انتم كالذين فهي خبر مبتدا محذوف الثاني انها في محل نصب قال الزجاج المعنى وعدكم كما وعد الذين من قبلكم فهو متعلق بوعد قال ابن عطية وهذا قلق وقال ابو البقا ويجوز ان يكون متعلقا بتستهزءون وفي هذا بعد كبير وقوله كالذين كانوا اشد تفسير لشبههم بهم وتمثيل لفعلهم بفعلهم وجعل الفرا محلها نصبا باضمار فعل قال التشبيه من جهة الفعل اي فعلتم كما فعل الذين من قبلكم فيكون الكاف في محل نصب وقال ابو البقا الكاف في موضع نصب لمصدر محذوف وفي الكلام حذف مضاف تقديره وعدا كوعد الذين وذكر الزمخشري وجه الرفع المتقدم والوجه الذي تقدم عن الفرا وشبهه بقول النمر بن تولب • كاليوم مطلوبا ولا طالبا • باضمار لم ار **قوله** كما استمتع الكاف في محل نصب نعتا لمصدر محذوف اي استمتاعا كاستمتاع الذين **قوله تعالى** كالذي خاضوا الكاف كالتي قبلها وفي الذي وجوه احدها ان المعنى وخضتم خوضا كخوض الذين خاضوا فحذفت النون تخفيفا او وقع المفرد موقع الجمع وقد تقدم تحقيقه في اوايل البقرة فحذف المصدر الموصوف والمضاف الى الموصول وعايد الموصول تقديره خاضوه والاصل خاضوا فيه لانه يتعدى بفي فاتسع فيه فحذف الجار فاتصل الضمير بالفعل فساغ حذفه ولولا هذا التدريج لما ساغ الحذف لما تقدم من انه متى جر العايد بحرف اشترط في جواز حذفه جر الموصول بمثل ذلك الحرف وان يتحد المتعلق مع شروط اخر تقدمت الثاني صفة لمفرد مفهم للجمع اي وخضتم خوضا كخوض الفوج الذي خاضوا والكلام في العايد كما سبق قبل قال بعض المفسرين الذي اسم ناقص مثل ما ومن يعبر به عن الواحد والجمع كقوله تعالى كمثل الذي استوقد نارا ثم قال ذهب الله بنورهم الثالث ان الذي من صفة المصدر والتقدير وخضتم خوضا كالخوض الذي خاضوه وعلى هذا فالعايد منصوب من غير وساطة حرف جر وهذا الوجه ينبغي ان يكون هو الراجح اذ لا محذور فيه والرابع ان الذي تقع مصدرية والتقدير وخضتم خوضا كخوضهم ومثله • فثبت الله ما اتاك من حسن • في المرسلين ونصرا كالذي نصروا • اي كنصرهم وقول

الاخر

الاخر • يا ام عمرو جزاك الله مغفرة • ردي علي فوادي كالذي كانا • اي ككونه وقد تقدم ان هذا مذهب الفرا ويونس وقد تقدم تاويل البصريين لذلك قال الزمخشري فاي فايدة في قوله فاستمتعوا بخلاقهم وقوله كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم مغن عنه كما اغنى كالذي خاضوا عن ان يقال كالذين خاضوا قلت فايدته ان يذم الاولين بالاستمتاع بما اوتوا ورضاهم بها عن النظر في العاقبة وطلب الاخرة والفلاح في الاخرة وان يخسس امر الاستمتاع ويهجن امر الراضي به ثم شبه حال المخاطبين بحالهم واما وخضتم كالذي خاضوا فمعطوف على ما قبله ومستند اليه مستغن باسناده اليه عن تلك المقدمة يعني انه استغنى عن ان يكون التركيب وخاضوا فخضتم كالذي خاضوا وفي قوله كما استمتع الذين ايقاع الظاهر موقع المضمر لنكتة وهو ان كان الاصل فاستمتعتم بخلاقكم كما استمتعوا بخلاقهم فابرزهم بصورة الظاهر تحقيرا لهم كقوله تعالى لا تعبد الشيطان ان الشيطان كان للرحمن عصيا وكقوله قبل ذلك المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض ثم قال ان المنافقين هم الفاسقون وهذا كما يدل بايقاع الظاهر موقع المضمر على التفخيم والتعظيم يدل به على عكسه وهو التحقير **فصل** معنى الاية فعلتم كفعل الذين من قبلكم بالعدول عن امر الله تعالى والامر بالمنكر والنهي عن المعروف وقبض الايدي عن الخيرات وكانوا اشد منكم قوة وبطشا ومنعة واكثر اموالا واولادا فاستمتعوا مدة بالدنيا باتباع الشهوات ورضوا به عوضا عن الاخرة فاستمتعتم بخلاقكم والخلاق النصيب وهو ما قدر للانسان من خير كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم وسلكتم سبيلهم وخضتم في الباطل والكذب على الله وتكذيب رسله والاستهزاء بالمومنين كالذي خاضوا اي كما خاضوا اولئك حبطت اعمالهم في الدنيا والاخرة اي بطلت حسناتهم في الدنيا بسبب الموت والفقر والانتقال من العز الى الذل ومن القوة الى الضعف وفي الاخرة لانهم لا يثابون بل يعاقبون اشد العقاب واولئك هم الخاسرون حيث اتعبوا انفسهم في الرد على الانبياء ولم يجدوا منه الا فوت الخير في الدنيا والاخرة فكما حبطت اعمالهم وخسروا حبطت اعمالكم وخسرتم روى ابو سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لتتبعن سنن من قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب تبعتموهم قلنا يا رسول الله اليهود والنصارى قال فمن وفي رواية ابي هريرة فهل الناس الا هم قال ابن مسعود انتم اشبه الامم ببني اسرايل سمتا وهديا تتبعون عملهم حذو القذة بالقذة غير اني لا ادري اتعبدون العجل ام لا **قوله تعالى** الم ياتهم نبا الذين من قبلهم الاية لما شبه المنافقين بالكفار المتقدمين بين اولئك الكفار من هم فقال الم ياتهم يعني المنافقين نبا خبر الذين من قبلهم الامم حين عصوا رسلنا وخالفوا امرنا كيف عذبناهم واهلكناهم ثم ذكرهم فقال قوم نوح بدل من الموصول قبله وهو يحتمل ان يكون بدل كل من كل ان كان المراد بالذين ما ذكر بعده خاصة وان يكون بدل بعض من كل ان اريد به اعم من ذلك اهلكوا بالطوفان وعاد اهلكوا بالريح وثمود بالرجفة وقوم ابراهيم بسلب النعمة وهلاك نمرود واصحاب مدين يعني قوم شعيب اهلكوا بعذاب يوم الظلة والموتفكات المنقلبات التي جعلنا عاليها سافلها وهم قوم لوط يقال افكته فانتفك اي قلبته فانقلب والمادة تدل على التحول والتصرف ومنه يوفك عنه من افك اي يصرف والضمير في اتتهم يجوز ان يعود على من تقدم وخصه بعضهم بالموتفكات اتتهم رسلهم بالبينات فكذبوهم وعصوهم كما فعلتم يا معشر الكفار فاحذروا النقمة فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون اي تعذيبهم ما كان ظلما من الله وانما استحقوا بافعالهم القبيحة **قوله تعالى** والمومنون والمومنات بعضهم اولياء بعض الاية لما بالغ في وصف المنافقين بالافعال الخبيثة وذكر وعيدهم في الدنيا والاخرة ذكر بعده كون المومنين موصوفين بصفات الخير على ضد صفات المنافقين فان قيل ما الفايدة في صفة المنافقين بان بعضهم من بعض وقال في صفة المومنين بعضهم اولياء بعض ولم يذكر في صفة المنافقين لفظة الاولياء **فالجواب** ان قوله في صفة المنافقين بعضهم من بعض يدل على ان نفاق الاتباع وكفرهم حصل بالتقليد للاكابر وبسبب مقتضى الطبيعة والعادة واما الموافقة الحاصلة بين المومنين فانها انما حصلت لا بالميل والعادة بل بسبب المشاركة والاستدلال والتوفيق والهداية فلهذا قال في المنافقين بعضهم من بعض وقال في المومنين بعضهم اولياء بعض اذ لا ولاية بين المنافقين فقوله اولياء بعض اي في الدين واتفاق الكلمة والعون والنصر يامرون بالمعروف وينهون عن المنكر يامرون بالمعروف بالايمان والطاعة والخير وتقدم الكلام على يامرون وينهون عن المنكر عن الشرك والمعصية وما لا يعرف في الشرع ويقيمون الصلاة المفروضة ويوتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله اولئك سيرحمهم الله فالسين للاستقبال اذ المراد رحمة خاصة وهي ما خبا لهم في الاخرة وادعى الزمخشري انها تفيد وجوب الرحمة وتوكيد الوعد والوعيد يعني سانتقم منك يعني انك لا تفوتني وان تباطا ذلك ونظيره قوله سيجعل لهم الرحمن ودا ولسوف يعطيك ربك سوف يوتيهم اجورهم ثم قال ان الله عزيز حكيم وذلك يوجب المبالغة في الترغيب والترهيب لان العزيز هو الذي لا يمنع من مراده في عباده من رحمة او عقوبة والحكيم هو المدبر امر عباده على ما تقتضيه الحكمة **قوله** وعد الله المومنين والمومنات جنات تجري من تحتها الانهار والاقرب الى ان تعالى اراد بها البساتين التي يتناولها المناظر لانه تعالى قال بعده ومساكن طيبة في جنات عدن والمعطوف يجب ان يكون مغايرا للمعطوف عليه فتكون مساكنهم في جنات عدن ومناظرهم الجنات التي هي البساتين ويكون فايدة وصفها بانها عدن انها تجري مجرى الدار السكنى والاقامة وقوله خالدين حال مقدرة كما تقدم وقوله ومساكن طيبة اي منازل طيبة في جنات عدن اي خلد

وإقامة وفي عدن قولان أحدهما أنه اسم علم لموضع معين في الجنة قال عبد الله بن عمر إن في الجنة قصرا يقال له العدن حوله
البروج والمروج وله خمسة آلاف باب لا يدخله إلا نبي أو صديق أو شهيد قال الزمخشري وعدن علم بدليل قوله جنات عدن التي وعد
الرحمن عباده والقول الثاني أنه صفة للجنة قال الأزهري العدن مأخوذ من قولك عدن بالمكان إذا أقام به يعدن عدنا وتقول
تركت إبل بني فلان عوادن بمكان كذا وهو أن تلزم الإبل المكان فتألفه ومنه المعدن لمستقر الجواهر ويقال عدن عدونا فله
مصدران هذا أصل هذه اللفظة لغة وذكر المفسرون لها معان كثيرة وقال الأعشى في معنى الإقامة • وإن يستضيفوا إلى حكمه
يضافوا إلى راجح قد عدن • أي ثبت واستقر ومنه عدن لمدينة باليمن لكثرة المقيمين بها قوله تعالى ورضوان من الله أكبر
التنكير يفيد التقليل أي أقل شيء من الرضوان أكبر من جميع ما تقدم من الجنات ومساكنها ثم قال ذلك هو الفوز العظيم أي هذا هو الفوز
العظيم لا ما يطلبه المنافقون والكفار من التنعم بطيبات الدنيا روى أبو سعيد الخدري أن النبي صلى الله عليه وسلم قال يقول الله
عز وجل لأهل الجنة يا أهل الجنة هل رضيتم فيقولون ربنا وما لنا لا نرضى وقد أعطيتنا ما لم تعط أحدا من خلقك فيقول ألا
أعطيكم أفضل من ذلك فيقولون ربنا وأي شيء أفضل من ذلك فيقول أحل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعده أبدا قوله تعالى
يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين الآية لما وصف المنافقين بالصفات الخبيثة وتوعدهم بالعقاب ثم ذكر المؤمنين
بالصفات الحسنة ووعدهم بالثواب عاد إلى شرح أحوال الكفار والمنافقين في هذه الآية فإن قيل مجاهدة المنافقين غير جائزة
فإن المنافق يستر كفره وينكره بلسانه فالجواب من وجوه أحدها قال الضحاك مجاهدة المنافق تغليظ القول وهذا بعيد
لأن ظاهر قوله جاهد الكفار والمنافقين يقتضي الأمر بجهادهما معا وكذا ظاهر قوله واغلظ عليهم راجع إلى الفريقين
وثانيها أن الجهاد عبارة عن بذل الجهد وليس في اللفظ ما يدل على أن الجهاد بالسيف أو باللسان أو بطريق آخر فقال ابن مسعود
بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وقال لا تلق المنافق إلا بوجه مكفهر وقال ابن عباس باللسان وترك الرفق
وثالثها قال الحسن وقتادة بإقامة الحدود عليهم قال القاضي وهذا ليس بشيء لأن إقامة الحدود واجبة على من ليس بمنافق
قوله تعالى ومأواهم جهنم قال أبو البقاء إن قيل كيف حسنت الواو هنا والفاء أشبه بهذا الموضع ففيه ثلاثة أجوبة أحدها
أن الواو واو الحال والتقدير افعل ذلك في حال استحقاقهم جهنم وتلك الحال حال كفرهم ونفاقهم والثاني أن الواو جيء بها
تنبيها على إرادة فعل محذوف تقديره واعلم أن مأواهم جهنم الثالث أن الكلام قد حمل على المعنى أنه قد اجتمع لهم عذاب الدنيا
بالجهاد والغلظة وعذاب الآخرة بجعل جهنم مأواهم ولا حاجة إلى هذا كله بل هي جملة استئنافية قوله تعالى يحلفون بالله
ما قالوا الآية قال ابن عباس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا في ظل حجرة فقال إنه سيأتيكم إنسان ينظر إليكم بعيني شيطان
فإذا جاء فلا تكلموه فلم يلبثوا إلى أن طلع رجل أزرق فدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال علام تشتمني أنت وأصحابك فانطلق
الرجل فجاء بأصحابه فحلفوا بالله ما قالوا فأنزل الله عز وجل الآية وقال الكلبي نزلت في جلاس بن سويد وذلك أن رسول الله صلى
الله عليه وسلم خطب ذات يوم بتبوك فذكر المنافقين فسماهم رجسا وعابهم فقال جلاس لئن كان محمد صادقا فنحن شر من الحمير
فسمعه عامر بن قيس فقال أجل إن محمدا لصادق وأنتم شر من الحمير فلما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يحلفا عند المنبر فقام
الجلاس عند المنبر بعد العصر فحلف بالله الذي لا إله إلا هو ما قاله ولقد كذب علي عامر فقام عامر فحلف بالله الذي لا إله إلا
هو لقد قاله وما كذبت عليه ثم رفع عامر يديه إلى السماء فقال اللهم أنزل على نبيك الصادق منا المصدق فقال النبي صلى الله عليه
وسلم والمؤمنون آمين فنزل جبريل عليه الصلاة والسلام قبل أن يتفرقا بهذه الآية حتى بلغ فإن يتوبوا يك خيرا لهم فقام الجلاس
فقال يا رسول الله اسمع الله قد عرض علي التوبة صدق عامر بن قيس فيما قاله لقد قلته وأنا أستغفر الله وأتوب إليه فقبل رسول
الله صلى الله عليه وسلم ذلك منه ثم تاب وحسنت توبته وقيل نزلت في عبد الله بن أبي لما قال لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن
الأعز منها الأذل وأراد به الرسول عليه الصلاة والسلام فهم عمر بقتل عبد الله بن أبي فجاء عبد الله وحلف أنه لم يقل فنزلت
الآية وقال القاضي الأولى أن تحمل هذه الآية على ما روي أن المنافقين هموا بقتله عند رجوعه من تبوك وهم خمسة عشر رجلا
تعاهدوا أن يدفعوه عن راحلته إلى الوادي بالليل وكان عمار بن ياسر آخذا بخطام راحلته وحذيفة خلفها يسوقها فسمع
حذيفة وقع أخفاف الإبل وقعقعة السلاح فالتفت فإذا قوم متلثمون فقال إليكم يا أعداء الله فهربوا والظاهر
أنهم لما اجتمعوا لذلك الغرض فقد طعنوا في نبوته ونسبوه إلى الكذب في ادعاء الرسالة وذلك هو قولهم كلمة الكفر وهذا
القول اختيار الزجاج فإن قيل قوله وكفروا بعد إسلامهم يدل على أنهم أسلموا من قبل وهم لم يكونوا مسلمين فالجواب
أن المراد منه الإسلام الذي هو ضد الحرب لأنهم لما نافقوا فقد أظهروا الإسلام وقوله وهموا بما لم ينالوا أطبقوا على الفتك
بالرسول عليه السلام والله سبحانه وتعالى أخبر الرسول بذلك حتى احترز عنهم ولم يصلوا إلى مقصودهم وقال السدي هو قولهم
إذا قدمنا المدينة عقدنا على رأس عبد الله بن أبي تاجا فلم يصلوا إليه قوله تعالى وما نقموا إلا أن أغناهم الله ورسوله في
الاستثناء وجهان أحدهما أنه مفعول به أي وما كرهوا وعابوا إلا أن أغناهم الله أي هو من باب قولهم ما لي عندك ذنب

إلا أن أحسنت إليك أي إن كان ثم ذنب فهو هذا فهو تهكم بهم كقوله • ولا عيب فينا غير عرق لمعشر • كرام وأنا لا نخط على النمل
وقول الآخر • ما نقموا من بني أمية إلا • أنهم يحلمون إذا غضبوا • وأنهم سادة الملوك ولا • يصلح إلا عليهم العرب •
والثاني أنه مفعول من أجله وعلى هذا فالمفعول به محذوف تقديره وما نقموا منهم الإيمان إلا لأجل إغناء الله إياهم وتقدم
الكلام على نقم قيل إن مولى الجلاس قتل فأمر له رسول الله صلى الله عليه وسلم بديته اثني عشر ألفا فاستغنى وقال الكلبي كانوا
قبل قدوم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة في ضنك من العيش فلما قدم عليهم النبي صلى الله عليه وسلم استغنوا بالغنائم قوله
فإن يتوبوا أي من نفاقهم يك خيرا لهم وإن يتولوا أي يعرضوا عن التوبة يعذبهم الله عذابا أليما في الدنيا بالخزي وفي الآخرة
أي وفي الآخرة بالنار وما لهم في الأرض من ولي ولا نصير أي إن عذاب الله إذا حق لم ينفعه ولي ولا نصير قوله ومنهم
من عاهد الله الآية عاهد الله فيه معنى القسم فلذلك أجيب بقوله لنصدقن وحذف جواب الشرط لدلالة هذا الجواب
عليه واللام للتوطئة ولا يمتنع الجمع بين القسم واللام الموطئة له وقال أبو البقاء فيه وجهان أحدهما تقديره لئن آتانا والثاني
أن يكون عاهد بمعنى قال إذ العهد قول ولا حاجة إلى هذا قوله تعالى لنصدقن ولنكونن قرأهما الجمهور بالنون الثقيلة
والأعمش بالخفيفة قال الزجاج الأصل لنتصدقن ولكن التاء أدغمت في الصاد لقربها منها قال الليث المصدق المعطي والمتصدق
السائل قال الأصمعي والفراء هذا خطأ فالمتصدق هو المعطي قال سبحانه وتعالى وتصدق علينا إن الله يجزي المتصدقين
واعلم أن هذه السورة نزل أكثرها في شرح أحوال المنافقين فلهذا ذكرهم على التفصيل فقال ومنهم الذين يؤذون النبي ومنهم
من يلمزك في الصدقات ومنهم من يقول ائذن لي ولا تفتني ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله والمشهور في نزول هذه الآية
ما روى أبو أمامة قال جاء ثعلبة بن حاطب الأنصاري إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ... ويحك يا ثعلبة قليل تؤدي شكره خير
من كثير لا تطيقه ثم أتاه بعد ذلك فقال له أما لك في رسول الله أسوة حسنة والذي نفسي بيده لو أردت أن تسير الجبال معي
ذهبا وفضة لسارت ثم راجعه بعد ذلك فقال يا رسول الله ادع الله أن يرزقني مالا والذي بعثك بالحق نبيا لئن
رزقني الله مالا لأعطين كل ذي حق حقه فقال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم ارزق ثعلبة مالا قال فاتخذ غنما فنمت كما ينمى
الدود حتى ضاقت بها المدينة فتنحى عنها ونزل واديا من أوديتها وكان يصلي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الظهر والعصر
ويصلي في غنمه سائر الصلوات ثم كثرت ونمت فتباعد أيضا حتى كان لا يشهد جمعة ولا جماعة فكان إذا كان يوم الجمعة خرج
يتلقى الناس عن الأخبار فذكره رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم فقال ما فعل ثعلبة فقالوا يا رسول الله اتخذ غنما ما يسعها
واد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ويح ثعلبة يا ويح ثعلبة فأنزل الله آية الصدقات فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم
رجلا من بني سليم ورجلا من جهينة وكتب لهما أسنان الصدقة كيف يأخذان وقال لهما مرا بثعلبة فخذا الصدقة وأقرآه كتاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما هذه إلا جزية ما هذه إلا أخت الجزية انطلقا حتى تفرغا ثم عودا إلي فانطلقا وسمع بهما
السلمي فنظر إلى خيار أسنان إبله فعزلها للصدقة ثم استقبلهما بها فلما رأوها قالوا ما هذا عليك فقال خذاه فإن نفسي
بها طيبة فمرا على الناس وأخذا الصدقات ثم رجعا إلى ثعلبة فقال أروني كتابكما فقرأه ثم قال ما هذه إلا جزية ما هذه
إلا أخت الجزية اذهبا حتى أرى رأيي فأقبلا فلما رآهما النبي صلى الله عليه وسلم قبل أن يكلماه قال يا ويح ثعلبة ثم دعا
للسلمي بخير فأخبراه بالذي صنع ثعلبة فأنزل الله عز وجل فيه ومنهم من عاهد الله الآية إلى قوله وبما كانوا يكذبون وعند رسول
الله صلى الله عليه وسلم رجل من أقارب ثعلبة فسمع ذلك فخرج حتى أتاه فقال ويحك يا ثعلبة قد أنزل الله عز وجل فيك
كذا وكذا فخرج ثعلبة حتى أتى النبي صلى الله عليه وسلم فسأله أن يقبل منه صدقته فقال إن الله عز وجل منعني أن أقبل منك
صدقتك فجعل يحثو على رأسه التراب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أمرتك فلم تطعني فرجع إلى منزله فقبض رسول الله
صلى الله عليه وسلم ثم أتى أبا بكر بصدقته فلم يقبلها اقتداء بالرسول صلى الله عليه وسلم فقبض أبو بكر ثم لم يقبلها عمر اقتداء
بالنبي صلى الله عليه وسلم وأبي بكر ثم لم يقبلها عثمان وهلك ثعلبة في خلافة عثمان وقال ابن عباس وسعيد بن جبير وقتادة
أتى ثعلبة مجلسا من الأنصار فأشهدهم لئن آتاني الله من فضله آتيت كل ذي حق حقه وتصدقت منه ووصلت منه القرابة
فمات ابن عم له فورثه مالا فلم يف بما قال فنزلت الآية وقال الحسن ومجاهد نزلت في ثعلبة بن حاطب ومعتب بن قشير وهما
من بني عمرو بن عوف خرجا على ملأ قعود وقالا والله لئن رزقنا الله لنصدقن فلما رزقهما بخلا به والمشهور الأول فإن قيل
إن الله أمر بإخراج الصدقة فكيف يجوز للرسول أن لا يقبلها منه فالجواب لا يبعد أن يقال إن الله تعالى منع الرسول
عليه الصلاة والسلام من قبول الصدقة منه إهانة له ليعتبر غيره به فلا يمتنع عن أداء الصدقة أو أنه أتى بتلك الصدقة
على وجه الرياء لا على وجه الإخلاص وأعلم الله الرسول بذلك فلذلك لم يقبل تلك الصدقة ويحتمل أيضا أن الله تعالى لما قال
خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها كان هذا غير حاصل في ثعلبة مع نفاقه فلهذا امتنع الرسول عليه الصلاة والسلام
من أخذ تلك الصدقة فإن قيل المنافق كافر والكافر لا يمكنه أن يعاهد الله فالجواب أن المنافق قد يكون عارفا بالله إلا أنه

كان يشك في نبوة محمد عليه الصلاة والسلام كان كافرا واكثر العالم مقرون بوجود الصانع ولعله حين عاهد الله كان مسلما
ثم لما بخل بالمال ولم يف بالعهد صار منافقا ولفظ الاية يدل على ذلك لقوله فاعقبهم نفاقا فان قيل هل من شرط المعاهدة
ان يتلفظ بها في اللسان او تكفي النية **فصل** قال بعضهم تكفي النية وان قوله ومنهم من عاهد الله كان مما نوى في انفسهم
لقوله الم يعلموا ان الله يعلم سرهم ونجواهم وقال المحققون هذه المعاهدة مقيدة بالتلفظ باللسان لقوله عليه الصلاة
والسلام ان الله عفى لامتي ما حدثت بها انفسها ما لم تتكلم بها او تعمل وايضا فقولهم لئن اتانا من فضله لنصدقن يشعر انهم
قالوه باللسان فان قيل المراد بالصدقة اخراج المال وهو على قسمين واجب وغير واجب والواجب قسمان واجب باصل الشرع
كالزكوات والنفقات الواجبة وقسم لم يجب الا اذا التزمه العبد كالنذر فقوله لنصدقن هل يتناول الاقسام الثلاثة
ام لا **فالجواب** ان الصدقات التي ليست واجبة غير داخلة في الاية لقوله بخلوا به والبخل في عرف الشرع عبارة عن منع الواجب
ولانه تعالى ذمهم بهذا الترك وتارك المندوب لا يذم فبقي القسمان الواجبان فالواجب باصل الشرع داخل في الاية لا محالة
بقي الواجب بالنذر والظاهر ان هذا اللفظ لا يدل عليه لانه ليس في الاية الا قوله لئن اتانا من فضله لنصدقن وهذا ليس فيه
اشعار بالنذر لان الرجل قد يعاهد ربه في ان يقوم بما يلزمه من الزكوات والنفقات الواجبة ان وسع الله عليه فان قيل لفظ
الاية يدل على ان هذا الذي لزمهم انما لزمهم بسبب هذا الالتزام وانما يلزم بسبب ملك النصاب وحلول الحول **فصل**
قوله لنصدقن لا يوجب ان يفعلوا ذلك على الفور لانه اخبار عن ايقاع هذا الفعل في المستقبل وهذا القدر لا يوجب
الفور فكانهم قالوا لنصدقن في وقته كما قالوا ولنكونن من الصالحين اي في اوقات لزوم الصلوات فثبت بما قررنا ان الداخل
تحت هذا العهد اخراج الاموال الواجبة باصل الشرع ويؤكد هذا ما روي في سبب النزول ان الاية انما نزلت في حق من امتنع
من اداء الزكوة **فصل** المراد من الفضل ههنا اما المال باي طريق كان اما بتجارة او غنيمة وغيرها لكن المراد بالصدقة
الواجبة كما قدمنا والمراد بالصالحين فالصالح ضد المفسد والمفسد عبارة عن بخل بما يلزمه في التكليف فالصالح من يعمل
بعمل اهل الصلاح من صلة الرحم والنفقة في الخير ونحو ذلك ثم قال تعالى فلما اتاهم من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون

قوله تعالى فاعقبهم نفاقا في قلوبهم الى يوم يلقونه قال الليث يقال اعقبت فلانا ندامة اذا صيرت عاقبة
امره ذلك قال الهذلي • اودى بني واعقبوني حسرة • بعد الرقاد وعبرة لا تقلع • ويقال اكل فلان اكلة اعقبته سقما
واعقبه الله خيرا والمعنى اعقبهم نفاقا في قلوبهم اي صير عاقبة امورهم النفاق وقيل عاقبهم بنفاق في قلوبهم يقال
عاقبته واعقبته بمعنى **قوله تعالى** فاعقبهم فعل ولا بد من اسناده الى شيء تقدم ذكره والذي تقدم ذكره هو الله تعالى
والمعاهدة والتصدق والصلاح لان هذه الثلاثة اعمال الخير فلا يجوز جعلها مؤثرة في حصول النفاق في القلب لان
النفاق عبارة عن الكفر وهو جهل وترك بعض الواجب لا يكون مؤثرا في الوجود ولان البخل والتولي والاعراض قد يوجد
في كثير من الفساق مع انه لا يحصل معه النفاق ولان هذا الترك لو اوجب حصول الكفر في القلب لاوجبه سواء كان
هذا الترك جائزا شرعا او محرما شرعا لان سبب اختلاف الاحكام الشرعية لا يخرج المؤثر عن كونه مؤثرا ولانه تعالى قال
بما اخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون فلو كان فعل الاعقاب مسندا الى البخل والتولي والاعراض لصار تقدير
الاية فاعقبهم بخلهم وتوليهم واعراضهم نفاقا في قلوبهم بما اخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون فلو كان فعل
الاعقاب مسندا الى البخل والتولي والاعراض وذلك لا يجوز لانه فرق بين التولي وحصول النفاق في القلب بسبب التولي
ومعلوم انه كلام باطل فثبت بهذه الوجوه انه لا يجوز اسناد الاعقاب الى شيء من الاشياء المتقدم ذكرها الا الى الله تعالى
فوجب اسناده اليه فصار المعنى ان الله تعالى هو الذي يعقب النفاق في قلوبهم وذلك يدل على ان خالق الكفر في القلوب
هو الله تعالى وهو الذي قاله الزجاج ان معناه انهم لما اضلوا في الماضي فهو الله تعالى اضلهم عن الدين في المستقبل
ويؤكد ذلك قوله تعالى فاعقبهم نفاقا في قلوبهم الى يوم يلقونه فالضمير في قوله يلقونه عائد الى الله تعالى فكان الاولى
ان يكون قوله فاعقبهم مسندا الى الله تعالى قال القاضي المراد من قوله فاعقبهم نفاقا في قلوبهم اي فاعقبهم العقوبة
على النفاق وتلك العقوبة هي حدوث الغم في قلوبهم وضيق الصدر وما ينالهم من الذل والذم ويدوم ذلك بهم الى الاخرة
وهذا بعيد لانه عدول عن الظاهر من غير دليل فان ذكروا دليلا عقليا قوبلوا بدليل عقلي والله اعلم **فصل**
ظاهر الاية يدل على ان نقض العهد وخلف الوعد يورث النفاق فيجب على المسلم الاحتراز عن ذلك ويجتهد في الوفاء به
ومذهب الحسن البصري انه يوجب النفاق لا محالة لهذه الاية ولقوله عليه الصلاة والسلام من كن فيه كان منافقا وان
صلى وصام وزعم انه مؤمن اذا حدث كذب واذا وعد اخلف واذا ائتمن خان ونقل ان واصل بن عطاء بن ابي [illegible] قال اتى
رجل الحسن فقال له ان اولاد يعقوب حدثوه في قولهم اكله الذيب فكذبوه ووعدوه في قولهم وانا له لحافظون فاخلفوه
وائتمنهم ابوهم على يوسف فخانوه فحكم بكونهم منافقين قيل فتوقف الحسن في مذهبه وقد عمرو بن عبيد الحديث فقال

اذا حدث عن الله كذب عليه وعلى دينه ورسوله واذا وعد اخلف كما ذكر الله فيمن عاهد الله واذا ائتمن على دين الله خان في السر
فكان قلبه على خلاف لسانه **قوله تعالى** الى يوم يلقونه قال الجبائي تمسكوا في اثبات الرؤية بقوله تعالى تحيتهم يوم يلقونه سلام
قالوا واللقاء عبارة عن الرؤية بدليل قوله في صفة المنافقين الى يوم يلقونه واجمعوا على ان الكفار لا يرونه فدل على ان اللقاء
ليس عبارة عن الرؤية ويؤيده قوله عليه الصلاة والسلام من حلف على يمين كاذبة ليقتطع بها مال امرئ مسلم لقي الله وهو عليه
غضبان واجمعوا على ان المراد من اللقاء ههنا لقاء ما عند الله من العقاب فكذا ههنا قال ابن الخطيب وهذا دليل ضعيف لانا
انما تركنا حمل لفظ اللقاء على الرؤية في هذه الاية وفي الخبر لدليل منفصل فلا يلزمنا في سائر الصور كما انا اذا دخلنا التخصيص في
بعض العمومات لدليل منفصل فلا يلزمنا التخصيص جميع العمومات من غير دليل فكذا لا يلزمنا هذا الا بدليل فلذلك **قوله**
بما اخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون مخففا وابو رجاء مثقلا **قوله تعالى** الم يعلموا ان الله يعلم سرهم ونجواهم
الاية قرا الجمهور يعلموا بالياء من تحت وقرا علي بن ابي طالب والحسن والسلمي بالخطاب التفاتا للمؤمنين دون المنافقين والسر ما
ينطوي عليه صدورهم والنجوى ما يفاوض فيه بعضهم بعضا فيما بينهم ماخوذ من النجوة وهو الكلام الخفي كان المتناجيين
منعا ادخال غيرهما معهما ونظيره قوله تعالى وقربناه نجيا وقوله تعالى فلما استياسوا منه خلصوا نجيا وقوله ولا تتناجوا
بالاثم والعدوان ومعصية الرسول وتناجوا بالبر والتقوى فالمعنى ان الله تعالى يعلم سرهم ونجواهم فكيف يجترون على النفاق
الذي الاصل فيه الاستسرار والتناجي فيما بينهم مع علمهم بانه تعالى يعلم ذلك من حالهم كما يعلم الظاهر وانه يعاقب عليه كما يعاقب
على الظاهر ثم قال وان الله علام الغيوب والعلام مبالغة في العلم والغيب ما كان غائبا عن الخلق **قوله تعالى** الذين
يلمزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات الاية في محل رفع بالابتداء ومن المؤمنين حال من المطوعين وفي الصدقات متعلق
بيلمزون والذين لا يجدون نسق على المطوعين اي يعيبون المياسير والفقراء وقال مكي والذين خفض عطفا على المؤمنين
ولا يحسن عطفه على المطوعين لانه لم يتم اسما بعد لان فيسخرون عطف على يلمزون هكذا ذكره النحاس في اعرابه وهو
عندي وهم منه قال شهاب الدين والامر فيه كما ذكر فان المطوعين قد تم من غير احتياج لغيره وقوله فيسخرون نسق على الصلة
وخبر المبتدا الجملة من قوله سخر الله منهم هذا الظاهر اعراب قيل هنا وقيل والذين لا يجدون نسق على الذين يلمزون ذكره ابو البقا
وهذا لا يجوز لانه يلزم الاخبار عنهم بقوله سخر الله منهم وهذا لا يكون الا ان كان الذين لا يجدون منافقين واما اذا كانوا
مؤمنين كيف يسخر الله منهم وقيل والذين لا يجدون نسق على المؤمنين قاله ابو البقا قال ابو حيان وهو بعيد جدا ووجه بعده
انه يفهم ان الذين لا يجدون ليسوا مؤمنين لان اصل العطف الدلالة على المغايرة فكانه قال يلمزون المطوعين من هذين الصنفين
المؤمنين لان اصل العطف والذين لا يجدون فيكون الذين لا مطوعين غير مؤمنين وقال ابو البقا في الصدقات متعلق بيلمزون
ولا يتعلق بالمطوعين لئلا يفصل بينهما باجنبي وهذا فيه نظر اذ قوله من المؤمنين حال والحال ليست باجنبي وانما يظهر في رد
ذلك ان تطوع انما يتعدى بالباء لا بفي وكون في بمعنى الباء خلاف الاصل وقيل فيسخرون خبر المبتدا ودخلت الفاء لما تضمنه المبتدا
من معنى الشرط وفي هذا الوجه بعد من حيث انه يقرب من كون الخبر في معنى المبتدا فان من عاب انسانا وغمزه علم انه يسخر منه فيكون
كقولهم سيد الجارية مالكها الثالث ان يكون محله نصبا على الاشتغال باضمار فعل يفسره سخر الله منهم من طريق المعنى نحو عاب
الذين يلمزون سخر الله منهم الرابع ان ينتصب على الشتم الخامس ان يكون مجرورا بدلا من الضمير في سرهم ونجواهم وقرئ يلمزون بضم
الميم وقد تقدم انها لغة وقرا الجمهور جهدهم بضم الجيم وقرا ابن هرمز وجماعة جهدهم بالفتح فقيل اللغتان بمعنى واحد وقيل
المفتوح المشقة والمضموم الطاقة قاله القتيبي وقيل المضموم شيء قليل يعاش به والمفتوح وقوله سخر الله يحتمل ان يكون خبرا
محضا وان يكون دعا **فصل** اعلم ان هذا نوع اخر من اعمالهم القبيحة وهو لمزهم من ياتي بالصدقات قال المفسرون
حث رسول الله صلى الله عليه وسلم على الصدقة فجاء عبد الرحمن بن عوف باربعة الاف درهم فقال يا رسول الله مالي ثمانية الاف
جئتك باربعة الاف فاجعلها في سبيل الله وامسكت اربعة الاف لعيالي فقال صلى الله عليه وسلم بارك الله لك فيما اعطيت وفيما
امسكت فبارك الله في مال عبد الرحمن حتى انه خلف امراتين يوم مات فبلغ ثمن ماله لهما مائة وستين الفا وتصدق يومئذ
عاصم بن عدي العجلاني بمائة وسق من تمر وجاء ابو عقيل الانصاري واسمه الحباب بصاع من تمر وقال يا رسول الله بت
ليلتي اجر بالجرير الماء حتى نلت صاعين من تمر فامسكت احدهما لاهلي واتيتك بالاخر فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ينثره
في الصدقات فلمزهم المنافقون وقالوا ما اعطى عبد الرحمن وعاصم الا رياء وان كان الله ورسوله لغنيين عن صاع ابي عقيل
ولكنه احب ان يذكر بنفسه ليعطى من الصدقات فانزل الله تعالى الذين يلمزون المطوعين اي يعيبون المطوعين اي المتطوعين
المتبرعين من المؤمنين في الصدقات يعني عبد الرحمن بن عوف وعاصما والذين لا يجدون الا جهدهم اي طاقتهم والجهد شيء
قليل يعيش به المقل والجهد بالفتح والجهد بالضم بمعنى واحد يعني ابا عقيل فيسخرون منهم سخر الله منهم اي جازاهم على
السخرية وقال الاصم المراد انه تعالى قبل من هؤلاء المنافقين ما اظهروه من اعمال البر مع انه لا يثيبهم عليها فكان

ذلك كالسخرية ولهم عذاب اليم **قوله تعالى** استغفر لهم او لا تستغفر لهم الاية قال ابن عباس ان عند نزول الاية
الاولى في المنافقين قالوا يا رسول الله استغفر لنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ساستغفر لكم فنزل قوله استغفر لهم
او لا تستغفر لهم لفظه امر ومعناه خبر تقديره استغفرت لهم ام لا تستغفر لهم قال الضحاك لما نزلت هذه الاية قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان الله قد رخص لي فلازيدن على السبعين لعل الله ان يغفر لهم فانزل الله عز وجل سواء عليهم استغفرت
لهم ام لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم ذلك بانهم كفروا بالله ورسوله والله لا يهدي القوم الفاسقين **قوله** سبعين
مرة منصوب على المصدر كقولك ضربته عشرين ضربة فهو لعدد مراته وقوله استغفر لهم او لا تستغفر لهم قد تقدم الكلام
على هذا عند قوله قل انفقوا طوعا او كرها لن يتقبل منكم وانه نظير قوله • اسيئي بنا او احسني لا ملومة • لدينا ولا مقلية ان تقلت •
قوله تعالى فرح المخلفون بمقعدهم الاية بمقعدهم متعلق بفرح وهو يصلح للمصدر بعد وزمانه ومكانه قال الجوهري
يقال قعد قعودا ومقعدا اي جلس فاقعده غيره المخلف المتروك اي خلفهم الله وثبطهم او خلفهم رسوله عليه الصلاة والسلام
والمومنون لما علموا تثاقلهم عن الجهاد والمراد بالمقعد ههنا المصدر اي بقعودهم واقامتهم بالمدينة وقال ابن عباس يريد
المدينة فعلى هذا هو اسم المكان فان قيل انهم احتالوا حتى تخلفوا عن رسول الله فكان الاولى ان يقال فرح المتخلفون **فالجواب**
من وجوه احدها ان الرسول عليه الصلاة والسلام منع اقواما من الخروج معه لعلمه بانهم يفسدون ويشوشون وكان هذا
في غزوة تبوك فهؤلاء كانوا مخلفين لا متخلفين وثانيها ان اولئك المتخلفين صاروا مخلفين في قوله بعد هذه الاية فان رجعك
الله الى طائفة منهم فاستاذنوك للخروج فقل لن تخرجوا معي ابدا ولن تقاتلوا معي عدوا فلما منعهم الله من الخروج صاروا مخلفين
وثالثها ان من يتخلف عن الرسول صلى الله عليه وسلم بعد خروجه الى الجهاد يوصف بانه مخلف من حيث انه لم ينهض وبقي واقام
قوله خلاف رسول الله فيه ثلاثة اوجه احدها انه منصوب على المصدر بفعل مقدر مدلول عليه بقوله بمقعدهم
لانه في معنى تخلفوا اي تخلفوا خلاف رسول الله صلى الله عليه وسلم الثاني ان خلاف مفعول من اجله والعامل فيه اما فرح واما
مقعد اي فرحوا لاجل مخالفتهم رسول الله حيث مضى هو للجهاد وتخلفوا هم عنه او بقعودهم لمخالفتهم له واليه ذهب
الطبري والزجاج ومؤرج وقطرب ويؤيد ذلك قراءة من قرا خلف بضم الخاء وسكون اللام والثالث انه منتصب على الظرف
اي بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم يقال اقام زيد خلاف القوم اي تخلف بعد ذهابهم قال الاخفش وابو عبيدة ان
خلاف بمعنى خلف وان يونس رواه عن عيسى بن عمر وان معناه بعد رسول الله ويؤيده قراءة ابن عباس وابي حيوة وعمرو بن ميمون
خلف بفتح الخاء وسكون اللام وعلى هذا القول الخلاف اسم للجهة المعينة كالخلف وذلك ان المتوجه الى قدامه لجهة خلفه مخالفة
لجهة قدامه في كونها جهة متوجها اليها وخلاف بمعنى خلف مستعمل وانشد ابو عبيدة للاحوص • عقب الربيع خلافهم فكانما
بسط الشواطب بينهن حصيرا • وقول الاخر • فقل للذي يبقى خلاف الذي مضى • تاهب لاخرى مثلها فكان قد •
قوله وكرهوا ان يجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله اي انهم فرحوا بسبب التخلف وكرهوا الذهاب الى الغزو
واعلم ان الفرح بالاقامة يدل على كراهة الذهاب الا انه اعاده للتاكيد ولعل المراد انه طبعه مال الى الاقامة لاجل الف
البلد واستيناسه باهله وولده وكره الخروج الى الغزو لانه تعريض بالمال والنفس للقتل وايضا منعهم من الخروج شدة
الحر في وقت خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو المراد من قوله لا تنفروا في الحر فاجاب الله عن هذا الاخير بقوله قل نار جهنم
اشد حرا لو كانوا يفقهون اي يعلمون وكذلك هو في مصحف عبد الله بن مسعود اي بعد هذه الدار دار اخرى وبعد هذه الحياة
حياة اخرى وايضا هذه مشقة منقضية وتلك مشقة باقية وانشد الزمخشري لبعضهم • مسرة احقاب تلقيت بعدها •
مساءة يوم اريها شبه الصاب • فكيف بان تلقى مسرة ساعة • وراء تقضيها مساءة احقاب • **قوله** فليضحكوا
قليلا وليبكوا كثيرا الاية قليلا وكثيرا فيهما وجهان اظهرهما انهما منصوبان على المصدر اي ضحكا قليلا وبكاء كثيرا فحذف
الموصوف وهو احد المواضع المطردة فيها حذف الموصوف واقامة الصفة مقامه والثاني انهما منصوبان على الظرف في الزمان
اي زمانا قليلا وزمانا كثيرا والاول اولى لان الفعل يدل على المصدر بصيغته بلفظه ومعناه بخلاف ظرف الزمان
فانه لا يدل عليه بلفظه بل بهيئته الخاصة بلفظه وهذا وان ورد بصيغة الامر الا ان معناه الاخبار بانه ستحصل
هذه الحالة لقوله تعالى بعده جزاء بما كانوا يكسبون **قوله** جزاء فيه وجهان الاول قال الزجاج مفعول لاجله اي سبب
الامر بقلة الضحك وكثرة البكا جزاؤهم بعملهم وبما متعلق بجزاء لتعديته به ويجوز ان يتعلق بمحذوف لانه صفته والثاني
ان ينتصب على المصدر بفعل مقدر اي يجزون جزاء بما كانوا يكسبون في الدنيا من النفاق **قوله تعالى** فان رجعك الله الاية
رجع يتعدى كهذه الاية الكريمة ومصدره الرجع كقوله والسماء ذات الرجع ولا يتعدى نحو والينا ترجعون في قراءة من بناه
للفاعل والمصدر الرجوع كالدخول والمعنى فان ردك الله من غزوة تبوك الى المدينة ومعنى الرجع مصير الشيء الى المكان الذي
كان فيه يقال رجعته رجعا كقولك رددته ردا وقوله الى طائفة منهم انما خص لان جميع من اقام بالمدينة ما كانوا منافقين

بل كان بعضهم مخلفين معذورين فاستاذنوك للخروج معك في غزوة اخرى فقل لهم لن تخرجوا معي ابدا في سفر ولن تقاتلوا
معي عدوا وهذا يجري مجرى الذم واللعن لهم ومجرى اظهار نفاقهم وفضائحهم لان ترغيب المسلمين في الجهاد امر معلوم بالضرورة
من دين محمد عليه الصلاة والسلام ثم لما منعوا هؤلاء من الخروج الى الغزو بعد الاستئذان كان ذلك تصريحا بكونهم خارجين
عن الاسلام ونظيره قوله تعالى سيقول المخلفون اذا انطلقتم الى قوله قل لن تتبعونا ثم انه تعالى علل ذلك المنع بقوله انكم
رضيتم اي لانكم رضيتم بالقعود اول مرة في غزوة تبوك قال ابو البقا اول مرة ظرف قال ابو حيان ظرف زمان وهو بعيد قال
شهاب الدين لان الظاهر انها منصوبة على المصدر وفي التفسير اول خرجة خرجها رسول الله صلى الله عليه وسلم فالمعنى اول مرة
من الخروج قال الزمخشري فان قلت مرة نكرة وضعت موضع المرات قلت اكثر اللغتين ان يقال هند اكبر النساء وهي اكبرهن ثم ان قولك
هي كبرى امراة لا يكاد يعثر عليه ولكن هي اكبر امراة واول مرة واخر مرة والمعنى ان الحاجة في المرة الاولى الى مرافقتكم اشد وبعد ذلك
زالت تلك الحاجة فلما تخلفتم عند مسيس الحاجة الى حضوركم فبعد ذلك لا نقبلكم ولا نلتفت اليكم **قوله** مع الخالفين هذا الظرف
يجوز ان يكون متعلقا باقعدوا ويجوز ان يتعلق بمحذوف لانه حال من فاعل اقعدوا والخالف المتخلف بعد القوم قال الاخفش
وابو عبيدة الخالفون جمع واحدهم خالف وهو من يخلف الرجل في قومه والمعنى مع الخالفين يقال عبد خالف وصاحب خالف
اذا كان مخالفا لهم وقال الليث يقال هذا رجل خالفة اي مخالف كثير الخلاف فاذا جمعت قلت الخالفون وقال الاصمعي الخالف
هو الفاسد يقال خلف فلان عن كل خير يخلف خلوفا اذا فسد وخلف اللبن وخلف النبيذ اذا فسد ومنه خلوف فم الصائم والمراد
بهم النساء والصبيان والرجال العاجزون فلذلك جاز جمعه للتغليب وقال قتادة الخالفون النساء وهو مردود لاجل الجمع
وقرا عكرمة ومالك بن دينار مع الخلفين مقصورا من الخالفين كقوله • مثل النقا لبده ضرب الظلل • وقوله • عردا بردا
يريد الظلال وعاردا باردا **قوله تعالى** ولا تصل على احد منهم الاية منهم صفة لاحد وكذلك الجملة من قوله مات في موضع
جر ايضا كانه قيل على احد منهم ميت ويجوز ان يكون منهم حالا من الضمير في مات اي مات حال كونه منهم اي متصفا بصفة
النفاق كقولهم انت مني يعني على طريقتي وابدا ظرف زمان منصوب بالنهي وهذا الظرف متعلق بقوله احد والتقدير ولا
تصل ابدا على احد منهم **فصل** اعلم انه تعالى امر رسوله ان يهينهم ويذلهم بمنعهم من الخروج معه الى الغزو وان ثم
منعه في هذه الاية من ان يصلي على من مات منهم روى ابن عباس انه لما اشتكى عبد الله بن ابي بن سلول عاده رسول الله صلى الله
عليه وسلم فطلب ان يصلي عليه اذا مات ويقيم على قبره ثم انه ارسل الى الرسول صلى الله عليه وسلم وطلب منه قميصه ليكفن
فيه فارسل اليه القميص الفوقاني فرده وطلب الذي يلي جلده ليكفن فيه فقال عمر تعطي قميصك للرجس النجس فقال النبي
صلى الله عليه وسلم ان قميصي لا يغني عنه من الله شيئا ولعل الله يدخل به الفا في الاسلام وكان المنافقون لا يفارقون عبد الله
فلما راوه يطلب القميص منه يرجو ان ينفعه اسلم منهم يومئذ الف فلما مات جاء ابنه يعرفه فقال صلى الله عليه وسلم لابنه
صل عليه وادفنه فقال ان لم تصل عليه يا رسول الله لم يصل عليه مسلم فقام صلى الله عليه وسلم ليصلي عليه فجاء عمر فقام
بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين القبلة لئلا يصلي عليه فنزلت الاية واخذ عمر بثوبه وقال لا تصل على احد منهم
مات ابدا وهذا يدل على منقبة عظيمة من مناقب عمر وذلك لان الوحي نزل على وفق قوله في ايات كثيرة منها اية اخذ الفدا عن
اسارى بدر كما سبق ومنها اية تحريم الخمر ومنها اية تحويل القبلة ومنها اية امر النساء بالاحتجاب وهذه الاية فصار نزول الوحي
على مطابقة قول عمر منصبا عاليا ودرجة رفيعة في الدين ولهذا قال صلى الله عليه وسلم لو لم ابعث لبعثت يا عمر نبيا قال القرطبي
ان قال قائل كيف قال له عمر اتصلي عليه وقد نهاك الله ان تصلي عليه ولم يكن تقدم نهي عن الصلاة عليهم قيل له يحتمل ان
يكون ذلك وقع له في خاطره ويكون من قبيل الالهام والتحدث الذي شهد له به رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد كان القران
ينزل على وفق مراده كما قال وافقت ربي في ثلاث وجاء في اربع فيكون هذا من ذلك ويحتمل ان يكون فهم ذلك من قوله
استغفر لهم او لا تستغفر لهم الاية ويحتمل انه فهم ذلك من قوله ما كان للنبي والذين امنوا فان قيل كيف يجوز ان يرغب الرسول
عليه الصلاة والسلام في الصلاة عليه بعد علمه بانه كافر وقد مات على كفره وان صلاة الرسول عليه الصلاة والسلام
في الصلاة عليه تجري مجرى الاجلال والتعظيم وايضا فالصلاة عليه تتضمن الدعاء له وذلك محظور لانه تعالى اعلمه
انه لا يغفر للكافر البتة وايضا دفع القميص اليه يوجب اعزازه **فالجواب** لعل السبب فيه انه لما طلب من الرسول صلى الله
عليه وسلم القميص الذي يمس جلده ليدفن فيه غلب على ظن الرسول صلى الله عليه وسلم انه انتقل في ذلك الوقت توبة
الفاجر وايمان الكافر فلما راى منه اظهار الاسلام وشاهد منه هذه الامارة التي دلت على اسلامه غلب على ظنه اسلامه فبنا
على هذا الظن ورغب في الصلاة عليه واما دفع القميص اليه فقيل ان العباس عم الرسول صلى الله عليه وسلم [illegible] بانه
مات على كفره ونفاقه فامتنع من الصلاة عليه واما دفع القميص لما اسر ببدر لم يجدوا له قميصا وكان رجلا طويلا فكساه
عبد الله قميصه وقيل ان المشركين قالوا له يوم الحديبية انا لا ننقاد لمحمد ولكنا ننقاد لك فقال لا ان لي في رسول الله

اسوة حسنة فشكر رسول الله له ذلك قال ابن عيينة كانت له عند النبي صلى الله عليه وسلم يد فاحب ان يكافيه وقيل
ان الله تعالى امره ان لا يرد سائلا لقوله تعالى واما السائل فلا تنهر فلما طلب القميص منه دفعه اليه لهذا المعنى وقيل ان
منع القميص لا يليق باهل الكرم وذلك ان ابنه عبد الله بن عبد الله بن ابي كان من الصالحين فالرسول اكرمه لمكان ابنه
وقيل لعل الله تعالى اوحى اليه انك اذا دفعت قميصك اليه صار ذلك سببا لدخول نفر من المنافقين في الاسلام ففعل
لهذا الغرض كما روي فيما تقدم وقيل ان الرافة والرحمة كانت غالبة عليه صلى الله عليه وسلم لقوله تعالى وما ارسلناك
الا رحمة للعالمين فامتنع من الصلاة عليه لامر الله تعالى ودفع القميص رافة ورحمة واعلم ان قوله ولا تصل على احد
منهم مات ابدا يحتمل تابيد النفي ويحتمل نفي التابيد والاول هو المقصود لان قراين هذه الاية دالة على ان المقصود
منعه من ان يصلي على احد منهم منعا كليا دائما ثم قال تعالى ولا تقم على قبره فيه وجهان الاول قال الزجاج كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم اذا دفن الميت وقف على قبره ودعا له فمنع منه ههنا الثاني قال الكلبي لا تقم باصلاح مهمات قبره
ولا تتول دفنه من قولهم قام فلان بامر فلان اذا كفاه امره ثم انه تعالى علل المنع من الصلاة عليه والقيام على قبره
بانهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون فان قيل الفسق ادنى حالا من الكفر فلما علل بكونه كافرا فما فايدة وصفه
بعد ذلك بالفسق **فالجواب** ان الكافر قد يكون عدلا في دينه وقد يكون فاسقا في دينه خبيثا ممقوتا عند قومه
بالكذب والخداع والمكر وهذه امور مستقبحة في جميع الاديان فالمنافقون لما كانوا موصوفين بهذه الصفات وصفهم
الله تعالى بالفسق بعد ان وصفهم بالكفر تنبيها على ان طريقة النفاق طريقة مذمومة عند جميع العالمين فان قيل قوله
بانهم كفروا بالله صريح بان تلك النهي معلل بهذه العلة وذلك يقتضي تعليل حكم الله تعالى وهو محال فان حكم الله قديم
وهذه العلة محدثة وتعليل القديم بالمحدث محال **فالجواب** ان البحث في هذه المسالة في الصلاة على الكفار وليس فيه
دليل على الصلاة على المومنين واختلفوا هل يوخذ من مفهومه وجوب الصلاة على المومنين فقيل يوخذ لانه علل المنع
من الصلاة على الكفار بكفرهم لقوله لانهم كفروا بالله ورسوله فاذا زال وجبت الصلاة كقوله تعالى كلا انهم عن ربهم يومئذ
لمحجوبون يعني الكفار فدل على ان غير الكفار يرونه وهم المومنون وقيل انما توخذ الصلاة من دليل خارج وهو الاحاديث
والاجماع ومنشا الخلاف القول بدليل الخطاب وتركه **فصل** جمهور العلماء على ان التكبير ثلاثا فرادوا واحدة
وعن ابن مسعود وزيد بن ارقم يكبر خمسا وعن علي ست تكبيرات **فصل** قال القرطبي ولا قراءة في صلاة الجنازة
في المشهور من مذهب مالك وابي حنيفة والثوري لقوله عليه الصلاة والسلام اذا صليتم على الميت فاخلصوا له الدعاء
وذهب الشافعي واحمد واسحق ومحمد بن مسلمة واشهب وداود الى انه يقرا بالفاتحة لقوله عليه الصلاة والسلام لا صلوة
لمن لم يقرا بفاتحة الكتاب والسنة ان يقف الامام عند راس الرجل وعند عجيزة المراة **قوله تعالى** ولا تعجبك اموالهم واولادهم
الاية قيل هذه تاكيد للاية السابقة وقال الفارسي ليست للتاكيد لان تلك في قوم وهذه في اخرين وقد تغاير لفظ الايتين
فههنا ولا بالواو لمناسبة عطف نهي على نهي قبله في قوله ولا تصل ولا تقم ولا تعجبك فناسب ذلك الواو وهناك
بالفاء لمناسبة عطف نهي قبله في قوله ولا تصل ولا تقم ولا تعجبك فناسب ذلك الواو وهناك بالفاء لمناسبة تعقب
قوله ولا ينفقون الا وهم كارهون اي للانفاق فهم معجبون بكثرة الاموال والاولاد فنهاه عن الاعجاب بفاء التعقيب
وهنا واولادهم دون لا لانه نهي عن الاعجاب بهما مجتمعين ومنفردين قال ابن الخطيب السبب فيه ان مثل هذا الترتيب
يبتدا فيه بالادنى ثم يرقى الى الاشرف فيقال لا يعجبني امر الوزير ولا امر الامير وهذا يدل على انه عليه الصلاة كان اعجاب
اولئك الاقوام باولادهم فوق اعجابهم باموالهم وهذه الاية تدل على عدم التفاوت بين الامرين عندهم وهنا قال ان يعذبهم
وهناك ليعذبهم فاتى باللام المشعرة بالعلية ومفعول الارادة محذوف اي انما يريد الله اختبارهم بالاموال والاولاد
واتى بان لان مصب الارادة التعذيب اي انما يريد الله تعذيبهم فقد اختلف متعلق الارادة في الايتين هذا هو الظاهر
وقال ابن الخطيب فايدته التنبيه على ان التعليل في احكام الله تعالى محال وانه اينما ورد حرف التعليل زايدا ومعناه ان كقوله
تعالى وما امروا الا ليعبدوا الله اي وما امروا الا بان يعبدوا الله وهناك في الحيوة الدنيا وهنا سقطت الحيوة تنبيها
على خسة الدنيا وانها لا تستحق ان تسمى حياة لا سيما وقد ذكرت بعد ذكر موت المنافقين فناسب ان لا تسمى حيوة **قوله**
واذا انزلت سورة الاية واذا لا تقتضي تكرارا بوضعها وان كان بعض الناس فهم منها ذلك هنا وقد تقدم ذلك اول البقرة
وانشد • اذا وجدت اوار الحب في كبدي • وان هذا انما يفهم من القراين لا من وضع اذا **قوله تعالى** ان امنوا فيه وجهان
احدهما انها تفسيرية لانه قد تقدمها ما هو بمعنى القول لا حروفه والثاني انها مصدرية على حذف حرف الجر اي بان امنوا وفي
قوله استاذنك اولوا الطول منهم التفات من غيبة الى خطاب وذلك انه قد تقدم لفظ رسوله فلو جاء على الاصل لقيل استاذنه **فصل**
اعلم انه تعالى بين في الايات المتقدمة احتيال المنافقين في التخلف عن الرسول عليه الصلاة والسلام والقعود عن الغزو

وقالوا

وقالوا وزاد هنا انه متى نزلت اية فيها الامر بالغزو مع الرسول استاذن اولوا الثروة والقدرة منهم في التخلف عن الغزو
وقالوا للرسول عليه الصلاة والسلام ذرنا نكن مع القاعدين اي مع الضعفاء من الناس والساكنين في البلد والسورة يجوز ان
يراد تمامها وان يراد بعضها كما يقع القران والكتاب على كله وبعضه وقيل المراد بالسورة براءة لان فيها الامر بالايمان والجهاد
قوله رضوا بان يكونوا مع الخوالف الخوالف جمع خالفة من صفة النساء وهذه صفة ذم كقول زهير •
وما ادري وسوف اخال ادري • اقوم ال حصن ام نساء • فان تكن النساء مخبات • فحق لكل محصنة هداء • وقال اخر
كتب القتل والقتال علينا • وعلى الغانيات جر الذيول • وقال النحاس يجوز ان يكون الخوالف من صفة الرجال بمعنى انها جمع خالفة
يقال رجل خالفة اي لا خير فيه وهذا مردود فان فواعل لا تكون جمعا لفاعل وصفا لفاعل الا ما شذ من نحو فوارس ونواكس
وهوالك ثم قال تعالى وطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون وقد تقدم الكلام في الطبع والختم اول البقرة **قوله** لكن الرسول
والذين امنوا معه الاية ومعنى هذا الاستدراك انه ان تخلف هؤلاء المنافقون عن الغزو فقد توجه اليه من هو خير منهم
ونظيره فان يكفر بها هؤلاء فقد وكلنا بها قوما ليسوا بها بكافرين وقوله فان استكبروا فالذين عند ربك يسبحون له بالليل
والنهار ولما وصفهم بالمسارعة الى الجهاد ذكر ما حصل لهم من الفوائد وهي انواع اولها فقد وكلنا بها قوما ليسوا بها بكافرين
واولئك لهم الخيرات والخيرات جمع خيرة على فعلة بسكون العين وهو المستحسن من كل شيء وغلب استعماله في النساء ومنه قوله تعالى
فيهن خيرات حسان وقول الشاعر • ولقد طعنت مجامع الربلات • ربلات هند خيرة الملكات • قال المفسرون هي الحوار
الحسان والجنة وقال ابن عباس الخيرات لا يعلم معناه الا الله كما قال جل ذكره فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين وقيل المراد بالخيرات
الثواب وثانيها قوله واولئك هم المفلحون والمراد منه الخلاص من العقاب وثالثها قوله تعالى اعد الله لهم جنات تجري من تحتها
الانهار خالدين فيها يحتمل ان تكون هذه الجنات كالتفسير للخيرات والفلاح ويحتمل ان تحمل الجنات على ثواب الاخرة والفلاح
على منافع الدنيا كالعز والثروة والقدرة والغلبة والفوز العظيم عبارة عن كون تلك الحالة مرتبة رفيعة ودرجة عالية
قوله وجاء المعذرون من الاعراب الاية لما شرح احوال المنافقين الذين كانوا في المدينة شرح في هذه الاية احوال
المنافقين من الاعراب قرا الجمهور المعذرون بفتح العين وتشديد الذال وهي تحتمل وجهين ان يكون وزنه فعل مضعفا
ومعنى التضعيف فيه التكليف والمعنى انه يوهم ان له عذرا ولا عذر له والثاني ان يكون وزنه افتعل والاصل اعتذر
فادغمت التاء في الذال بان قلبت تاء الافتعال ذالا ونقلت حركتها الى الساكن قبلها وهو العين ويدل على هذا قراءة سعيد
بن جبير المعتذرون على الاصل واليه ذهب الاخفش والفراء وابو عبيد وابو حاتم والزجاج وابن الانباري والاعتذار قد
يكون بالكذب كما في قوله تعالى يعتذرون اليكم اذا رجعتم اليهم وكان ذلك الاعتذار فاسدا لقوله تعالى قل لا تعتذروا وقد
يكون بالصدق كقول لبيد • ومن يبك حولا كاملا فقد اعتذر • يريد فقد جاء بعذر صحيح وقرا زيد بن علي والضحاك
والاعرج وابو صالح وعيسى بن هلال وهي قراءة ابن عباس ومجاهد ايضا ويعقوب والكسائي المعذرون بسكون العين وكسر
الذال مخففة من اعذر يعذر كاكرم يكرم وهم المبالغون في العذر وقرا مسلمة المعذرون بتشديد العين والذال من تعذر
بمعنى اعتذر قال ابو حاتم اراد المعتذرون والتاء لا تدغم في العين وهي غلط منه او عليه **قوله** ليوذن متعلق بجاء
وحذف الفاعل واقيم الجار مقامه للعلم به اي ليأذن لهم الرسول **فصل** اما قراءة التخفيف فهم الكاذبون
في العذر واما قراءة التشديد فمحتملة لان يكونوا صادقين وان يكونوا كاذبين قال ابن عباس هم الذين تخلفوا بعذر
باذن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قول بعض المفسرين ايضا قال المعذرون كانوا صادقين لانه تعالى لما ذكرهم قال
بعده وقعد الذين كذبوا الله ورسوله فلما ميزهم عن الكاذبين دل على انهم ليسوا كاذبين وقال الضحاك هم رهط عامر بن الطفيل
جاؤا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم دفاعا عن انفسهم فقالوا يا نبي الله ان نحن غزونا معك تغير اعراب طي على حلايلنا واولادنا
ومواشينا فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم قد نباني الله من اخباركم وسيغنيني الله عنكم وروى الواحدي عن ابي عمرو
انه لما قيل له هذا الكلام قال ان اقواما تكلفوا عذرا بباطل فهم الذين عناهم الله بقوله وجاء المعذرون وتخلف اخرون
لا بعذر ولا بشبهة عذر جراءة على الله تعالى فهم المرادون بقوله وقعد الذين كذبوا الله ورسوله فاوعدهم الله بقوله
سيصيب الذين كفروا منهم في الدنيا بالقتل وفي الاخرة بالنار وانما قال منهم لانه تعالى كان عالما بان بعضهم سيؤمن
فذكر لفظة من الدالة على التبعيض وقرا الجمهور كذبوا بالتخفيف اي كذبوا في ايمانهم وقرا الحسن في المشهور عنه وابي واسمعيل
كذبوا بالتشديد اي لم يصدقوا ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم عن ربه ولا امتثلوا امره ثم ذكر اهل العذر فقال ليس على
الضعفاء قال ابن عباس يعني الزمنى والمشايخ والعجايز وقيل هم الصبيان وقيل النسوان ولا على المرضى وهم اصحاب العمى
والعرج والزمانة ومن كان موصوفا بمرض يمنعه من التمكن من المحاربة ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون يعني الفقراء
لان حضورهم كلا ووبالا على المجاهدين حرج مائم وقيل ضيق عن القعود في الغزو ثم انه تعالى شرط في جواز هذا التاخير

شرطًا معينًا فقال اذا نصحوا لله ورسوله قرا ابو حيوة نصحوا الله بدون لام وقد تقدم ان نصح يتعدى بنفسه وباللام والنصح اخلاص العمل من الغش ومنه التوبة النصوح قال بعضهم نصح الشيء اذا خلص ونصح له في القول اخلصه له قال عليه الصلاة والسلام الدين النصيحة ثلثا قالوا لمن قال لله ولكتابه ولرسوله ولائمة المسلمين قال العلماء النصيحة لله اخلاص الاعتقاد في الوحدانية ووصفه بصفات الالهية وتنزيهه عن النقايص والرغبة في محابه والبعد عن مساخطه والنصيحة لرسوله التصديق بنبوته والتزام طاعته في امره ونهيه وموالاة من والاه ومعاداة من عاداه وتوقيره ومحبته ومحبة آل بيته وتعظيمه وتعظيم سنته واحياؤها بعد موته بالبحث عنها والتفقه فيها والذب عنها ونشرها والدعا اليها والتخلق باخلاقه الكريمة وكذا النصح لكتاب الله قراءته والتفقه فيه والذب عنه وتعليمه واكرامه والتخلق به واما النصح لائمة المسلمين ترك الخروج عليهم وارشادهم الى الحق وتنبيههم فيما اغفلوه من امور المسلمين ولزوم طاعتهم والقيام بواجب حقهم واما النصح للعامة فهو ترك معاداتهم وارشادهم وحب الصالحين منهم والدعا لجميعهم وارادة الخير لكافتهم والمعنى انهم اذا اقاموا لا يلقوا الاراجيف ولا يثيروا الفتن ويسعوا في ايصال الخير لكافتهم الى المجاهدين ويقوموا باصلاح مهمات بيوتهم ويسعوا بايصال الاخبار السارة من بيوتهم اليهم ويخلصوا الايمان والعمل لله فهذه امور جارية مجرى الاعانة على الجهاد ثم قال تعالى ما على المحسنين من سبيل فاعل بالجار قبله لاعتماده على النفي ويجوز ان يكون مبتدا والجار قبله خبره وعلى كلا القولين فمن مزيدة فيه اي ما على المحسنين سبيل والمعنى انه لا اثم عليه بسبب القعود عن الجهاد والله غفور رحيم قال قتادة نزلت في عايذ بن عمرو واصحابه وقال الضحاك نزلت هذه الاية في عبد الله بن ام مكتوم وكان ضريرًا

فصل

قال بعضهم في هذه الاية نوع من البديع يسمى التلميح وهو ان يشار الى قصة مشهورة او مثل سائر او شعر نادر يحوي كلامك من غير ذكره وهو قوله • اليوم خمر ويبدو بعده خبر • والدهر من بين انعام وابآس • يشير لقول امرئ القيس لما بلغه قتل ابيه اليوم خمر وغدا امر وقول الاخر • فوالله ما ادري احلام نائم • المت بنا ام كان في الركب يوشع • يشير الى قصة يوشع عليه الصلاة والسلام واستيقافه الشمس وقول الاخر • المستجير بعمرو عند كربته • كالمستجير من الرمضاء بالنار • اشار الى البيت المشهور • لعمرو مع الرمضاء والنار تلتظي • ارق واحفى منك في ساعة الكرب • فكان قوله ما على المحسنين من سبيل ما هو بمعناه بين الناس فاشار اليه من غير ذكر لفظه ولما ذكر ابو حيان التلميح لم يقيده بقوله من غير ذكره ولا بد منه لانه اذا ذكره بلفظه كان اقتباسًا وتضمينًا

فصل

اختلفوا في قوله ما على المحسنين من سبيل هل يفيد العموم فقال بعضهم لا لان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب والمحسن هو الاتي بالاحسان وراس ابواب الاحسان قول لا اله الا الله فكل من قالها واعتقدها كان من المسلمين فاقتضت نفي جميع السبل فدل هذا اللفظ بعمومه على ان الاصل حرمة القتل وحرمة اخذ المال وان لا يتوجه عليه شيء من التكاليف الا بدليل منفصل فصارت هذه الاية بهذا الطريق اصلًا معتبرًا في الشريعة في تقرير ان الاصل براءة الذمة الى ان يرد نص خاص

قوله تعالى ولا على الذين فيه اوجه احدها ان يكون معطوفًا على الضعفاء ولا على الذين اذا ما اتوك فيكونون داخلين في خبر ليس مخبرًا عنهم بما اخبر به عنهم وهو حرج الثاني ان يكون معطوفًا على المحسنين فيكونون داخلين فيما اخبر به عن قوله من سبيل فان من سبيل يحتمل ان يكون مبتدا وان يكون اسمًا مجازيه ومن مزيدة في الوجهين الثالث ان يكون الكلام ولا على الذين خبر لمبتدا محذوف تقديره ولا على الذين اذا ما اتوك الى اخر الصلة حرج او سبيل وحذف لدلالة الكلام عليه قاله ابو البقا ولا حاجة اليه لانه تقدير مستغنى عنه اذ قد قدر شيئًا يقوم مقامه هذا الموجود في اللفظ والمعنى وهذا الموصول اعني في قوله ولا على الذين اذا ما اتوك يحتمل ان يكون مندرجًا في قوله ولا على الذين اذا ما اتوك لا يجدون ما ينفقون الا انهم لم يجدوا مركوبًا وقرا معقل بن هارون لنحملهم بنون العظمة وفيها اشكال اذ كان مقتضى التركيب قلت لا اجد ما احملكم عليه الله قلت فيه اربعة اوجه احدها ان جواب اذا الشرطية واذا وجوابها في موضع الصلة وقعت الصلة جملة شرطية وعلى هذا فيكون قوله تولوا جوابًا لسؤال مقدر كان قايلًا قال ما كان حالهم اذا اجيبوا بهذا الجواب فاجيب بقوله تولوا الثاني انه في موضع نصب على الحال من كاف اتوك اي اذا اتوك وانت قايل لا اجد ما احملكم عليه وقد مقدرة عند من يشترط ذلك في الماضي الواقع حالًا كقوله او جاؤوكم حصرت صدورهم في احد الاوجه كما تقدم والى هذا نحى الزمخشري الثالث ان يكون معطوفًا على الشرط فيكون في محل جر باضافة الظرف اليه بطريق النسق وحذف حرف العطف والتقدير وقلت وقد تقدم الكلام على هذه المسالة والى هذا ذهب الجرجاني وتبعه ابن عطية الا انه قدر العاطف الفا اي فقلت الرابع ان يكون مستانفًا قال الزمخشري فان قلت هل يجوز ان يكون قوله قلت لا اجد استينافًا مثله يعني رضوا بان يكونوا مع الخوالف كانه قيل اذا ما اتوك لتحملهم تولوا فقيل ما لهم تولوا باكين قلت نعم ويحسن انتهى قال ابو حيان ولا يجوز ولا يحسن في كلام العرب فكيف في كلام الله وهو فهم اعجمي قال شهاب الدين وما ادري ما سبب منعه وعدم

استحسانه

استحسانه له مع وضوحه وظهوره لفظًا ومعنى وذلك لان توليهم على حالة فيض الدمع ليس مرتبًا على مجرد مجيئهم له عليه الصلاة والسلام لهم ذلك سبب في بكائهم فحسن ان يجعل قوله قلت لا اجد ما احملكم جوابًا لمن سال عن علة توليهم واعينهم فايضة دمعًا وهو المعنى الذي قصده ابو القاسم وعلى هذه الاوجه الثلاثة المتقدمة في قلت يكون جواب الشرط قوله تولوا وقوله لتحملهم علة لاتوك وقوله لا اجد هي المتعدية لواحد لانها من الوجد وما يجوز ان تكون موصولة او موصوفة

فصل

قال ابو العباس المقري ورد لفظ التولي في القران على اربعة اوجه الاول بمعنى الانصراف قال تعالى تولوا واعينهم تفيض من الدمع ومثله قوله تعالى ثم تولى الى الظل اي انصرف الثاني بمعنى ابى قال تعالى فان تولوا فاعلم انما يتبعون اهواءهم اي ابوا ان يؤمنوا ومثله قوله تعالى فان تولوا فخذوهم واقتلوهم الثالث بمعنى اعرض قال تعالى ومن تولى فما ارسلناك عليهم حفيظا الرابع الاعراض عن الاقبال قال تعالى فلا تولوهم الادبار قوله تعالى واعينهم تفيض من الدمع في محل نصب على الحال من فاعل تولوا قال الزمخشري تفيض من الدمع كقولك تفيض دمعًا وقد تقدم هذا في المائدة مستوفي عند قوله ترى اعينهم تفيض وانه جعل من الدمع تمييزًا ومن مزيدة وتقدم الرد عليه في ذلك هناك قوله تعالى حزنًا في نصبه ثلاثة اوجه احدها انه مفعول من اجله والعامل فيه تفيض قال ابو حيان لا يقال ان الفاعل هنا قد اختلف فان الفيض مسند للاعين والحزن صادر من اصحاب الاعين واذا اختلف الفاعل وجب جره بالحرف لانا نقول ان الحزن يسند للاعين ايضًا مجازًا يقال عين حزينة وسخينة وعين مسرورة وقريرة في ضد ذلك ويجوز ان يكون الناصب له تولوا وحينئذ يتحد علا العلة والمعلول حقيقة الثاني انه في محل نصب على الحال اي تولوا حزينين او تفيض اعينهم حزينة على ما تقدم من المجاز الثالث انه مصدر ناصبه لهذا المصدر هي ايضًا في محل نصب على الحال اما من فاعل تولوا واما من فاعل تفيض قوله تعالى الا يجدوا فيه وجهان احدهما انه مفعول من اجله ان لا يجدوا علة المعلة يعني انه يكون علل فيض الدمع بالحزن وعلل الحزن بعدم وجدان النفقة وهو واضح وقد تقدم نظير ذلك في قوله جزاء بما كسبا نكالا من الله والثاني انه متعلق بتفيض قال ابو حيان قال ابو البقا ويجوز ان يتعلق بتفيض ثم قال ابو حيان ولا يجوز ذلك على اعراب حزنًا مفعولًا له والعامل فيه تفيض اذ العامل لا يقتضي اثنين من المفعول له الا بالعطف والبدل

فصل

قال المفسرون هم سبعة نفر سموا البكائين معقل بن يسار وصخر بن خنسا وعبد الله بن كعب الانصاري وعلبة بن زيد الانصاري وسالم بن عمير وثعلبة بن عنمة وعبد الله بن معقل المزني اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله ان الله قد ندبنا للخروج معك فاحملنا واختلفوا في قوله لتحملهم قال ابن عباس سالوه ان يحملهم على الدواب وقيل سالوه ان يحملهم على الخفاف المرقوعة والنعال المخصوفة ليغزوا معه فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا اجد ما احملكم عليه تولوا وهم يبكون فدعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم واعطاهم ذودًا فقال ابو موسى الست حلفت يا رسول الله فقال اما اني ان شاء الله لا احلف بيمين فارى غيرها خيرًا منها الا اتيت الذي هو خير وكفرت عن يميني ولما قال تعالى ما على المحسنين من سبيل قال في هذه الاية انما السبيل بالعقوبة على الذين يستاذنوك في التخلف وهم اغنياء قوله تعالى رضوا فيه وجهان احدهما انه مستانف كانه قال قايل ما بالهم استاذنوك في التخلف بالقعود وهم قادرون على الجهاد وهو المراد بقوله رضوا بان يكونوا مع الخوالف واليه مال الزمخشري والثاني انه في محل نصب على الحال وقد مقدرة في قول وتقدم الكلام في الخوالف وطبع الله على قلوبهم وقوله انما السبيل على الذين فاتى بعلى وان كان قد يصل بالى لان على تدل على الاستعلاء وقلة منعة من يدخل عليه نحو لي سبيل عليك ولا سبيل لي عليك بخلاف الى فاذا قلت لا سبيل عليك فهو مغاير لقولك لا سبيل اليك ومن مجيء الى معه قوله • الا ليت شعري هل الى ام سالم • سبيل فاما الصبر عنها فلا صبر • وقوله • انما السبيل • هل من سبيل الى خمر فاشربها • ام من سبيل الى نصر بن حجاج • قوله تعالى يعتذرون اليكم اذا رجعتم اليهم روي ان المنافقين الذين تخلفوا عن غزوة تبوك كانوا بضعة وثمانين نفرًا فلما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم جاؤوا يعتذرون بالباطل قال الله قل لا تعتذروا لن نؤمن لكم لن نصدقكم قوله تعالى قد نبانا الله فيها وجهان احدهما انها غير زايدة والتقدير قد نبانا الله اخبارًا من اخباركم كذبًا ونحوه قال ابو البقا قد تتعدى الى ثلاثة والاثنان الاخران محذوفان تقديره اخبارًا من اخباركم مثبتة على المحذوف وليست من زايدة اذ لو كانت زايدة لكانت مفعولًا ثانيًا والمفعول الثالث محذوف وهو خطا لان المفعول الثاني متى ذكر في هذا الباب لزم ذكر الثالث وقيل من بمعنى عن قال شهاب الدين قوله ان حذف الثالث خطا ان عنى حذف الاقتصار فمسلم وان عنى حذف الاختصار فممنوع وقد تقدم مذاهب الناس في هذه المسالة وقوله قد نبانا الله من اخباركم فيما سلف ثم قال وسيرى الله عملكم ورسوله في المستانف اتتوبون من نفاقكم ام تقيمون عليه ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة فان قيل لما قال وسيرى الله عملكم ورسوله فلم لم يقل ثم تردون اليه فالجواب ان في وصفه تعالى بكونه عالم الغيب والشهادة ما يدل على كونه مطلعًا على بواطنهم الخبيثة وضمايرهم

المملوءة من الكذب والكيد وفيه تخويف شديد وزجر عظيم لهم **قوله تعالى** سيحلفون بالله لكم اذا انقلبتم اليهم الاية
لما حكى عنهم انهم يعتذرون اليكم ذكر هنا انهم كانوا يوكدون تلك الاعذار بالايمان الكاذبة اذا انقلبتم انصرفتم اليهم
من ما قدروا على الخروج لتعرضوا عنهم اي لتصفحوا عنهم ولا تؤنبوهم ثم قال تعالى فاعرضوا عنهم قال ابن عباس يريد ترك
الكلام والسلام وقال مقاتل قال النبي صلى الله عليه وسلم حين قدم من الحديبية لا تجالسوهم ولا تكلموهم ثم ذكر العلة في وجوب
الاعراض فقال انهم رجس والمعنى ان خبث باطنهم رجس روحاني فكما يجب الاحتراز عن الارجاس الجسمانية فوجوب الاحتراز
عن الارجاس الروحانية اولى وقيل ان عملهم قبيح وماويهم جهنم اي منزلهم قال الجوهري الماوي كل مكان يؤوي
اليه شيئا ليلا او نهارا وقد اوي فلان الى منزله ياوي اويا على فعول وايوا واويته اذا انزلته بك فعلت وافعلت
بمعنى عن ابي زيد وماوي الابل بكسر الواو لغة في ماوي الابل خاصة وهو شاذ **قوله تعالى** جزاء يجوز ان ينتصب على المصدر
بفعل من لفظه مقدر اي يجزون جزاء وان ينتصب بمضمون الجملة السابقة لان كونهم ياوون في جهنم في معنى المجازاة
ويجوز ان يكون مفعولا من اجله **قوله تعالى** يحلفون لكم لترضوا عنهم الاية لما قال في الاية الاولى انهم يحلفون بالله
ليعرض المسلمون عن ايذائهم بين هنا ايضا انهم يحلفون ليرضى المسلمون عنهم ثم نهى المسلمين عن ان يرضوا عنهم وذكر العلة
في ذلك النهي وهي ان الله لا يرضى عن القوم الفاسقين **قوله تعالى** الاعراب اشد كفرا ونفاقا الاية لما ذكر الله
تعالى احوال المنافقين ذكر من كان خارجا منها ونائيا عنها من الاعراب شدة كفر ونفاق فقال كفرهم اشد قال
قتادة لانهم ابعد عن معرفة السنن ولانهم اقسى قلبا واجفى قولا واغلظ طبعا وابعد عن سماع التنزيل ولذلك قال
تعالى في حقهم واجدر اي احق واحرى ان لا يعلموا ولما دل ذلك على نقصهم عن المرتبة الكاملة عن سواهم ترتب على ذلك
احكام منها انه لا حق لهم في الفيء والغنيمة لقوله عليه الصلاة والسلام في حديث بريدة ولا يكون لهم في الغنيمة
والفيء شيء الا ان يجاهدوا مع المسلمين ومنها اسقاط شهادة اهل البادية عن الحاضرة لتحقق التهمة واجازها ابو حنيفة
لانها لا تراعي كل تهمة والمسلمون عنده كلهم عدول واجازها الشافعي اذا كان عدلا وهو الصحيح **فصل**
الاعراب صيغة جمع وليس جمعا للعرب قاله سيبويه وذلك لئلا يلزم ان يكون الجمع اخص من الواحد فان العرب هذا
الجيل الخاص سواء سكن البوادي ام سكن القرى واما الاعراب فلا يطلق الا على لفظه فقيل اعرابي لمن سكن البوادي
فقط وقد تقدم ذلك عند قوله رب العالمين اول الفاتحة ولهذا الفرق نسب الى الاعراب على لفظه فقيل
اعرابي وقيل جمع على اعاريب قال اهل اللغة يقال رجل عربي اذا كان نسبه في العرب وجمعه العرب كما يقال مجوسي
ويهودي ثم يحذف ياء النسب في الجمع فنقول المجوس واليهود ورجل اعرابي بالالف اذا كان بدويا يطلب مساقط
الغيث والكلاء سواء كان من العرب او من مواليهم ويجمع الاعرابي على الاعراب والاعاريب والاعرابي اذا قيل يا اعرابي
غضب فمن استوطن القرى العربية فهم عرب ومن نزل البادية فهم اعراب ويدل على الفرق قوله عليه الصلاة
والسلام حب العرب من الايمان واما الاعراب فقد ذمهم الله تعالى في هذه الاية وايضا لا يجوز ان يقال للمهاجرين
والانصار اعراب انما هم عرب وهم متقدمون في مراتب الدين على الاعراب قال عليه الصلاة والسلام لا يؤمن
امراة رجلا ولا فاسق مؤمنا ولا اعرابي مهاجرا **فصل** قال بعض العلماء الجمع المحلى بالالف واللام
الاصل فيه ان ينصرف الى المعهود السابق فان لم يوجد المعهود السابق حمل على الاستغراق للضرورة قالوا لان صيغة
الجمع تكفي في حصول معناها الثلاثة فما فوقها والالف واللام للتعريف فان حصل جمع هو معهود سابق وجب
المصير اليه وان لم يوجد حمل على الاستغراق دفعا للاجمال قالوا واذا ثبت هذا فقوله الاعراب المراد منه جمع معينون
من منافقي الاعراب كانوا يوالون منافقي المدينة فانصرف هذا اللفظ اليهم **فصل** سمي العرب عربا لان
اباهم يعرب بن قحطان وهو اول من نطق بالعربية وقيل سموا عربا لان ولد اسماعيل نشؤوا بعربة وهي من تهامة فنسبوا
الى بلدهم وكل من يسكن جزيرة العرب وينطق بلسانهم فهو منهم لانهم انما تولدوا من اولاد اسماعيل وقيل سموا عربا لان
السنتهم معربة عما في ضمائرهم وهذه الاقوال ليست بشيء اما الاول فان اسمعيل يوم ولدته هاجر نزلت عندهم جرهم
فربي بينهم وكانوا عربا قبل اسمعيل ولان يعرب من ولد اسماعيل وكان اسمعيل عربيا واما الثاني فلان اسماعيل تعلم
العربية من جرهم حين نزلوا عند هاجر بمكة والصحيح ان العرب العاربة قبل اسمعيل منهم عاد وثمود وطسم وجديس وجرهم
والعماليق وادم يقال انه كان ملكا وانه اول من سقف البيوت بالخشب المنشور وكانت الفرس تسميه ادم الاصغر وبنوه
قبيلة يقال لها وبار هلكوا بالرمل انهال عليهم فاهلكهم وطم مناهلهم وفي ذلك يقول بعض الشعراء

• وكر دهر على وبار • فهلكت جهرة وبار •

واما الثالث فكل لسان معرب عما في ضمير صاحبه وانما يظهر ما قاله النسابون من ان سام بن نوح ابو العرب وفارس

والروم فدل على ان العرب كانوا موجودين من زمان سام بن نوح قال بعضهم والصحيح ان شاء الله تعالى ان ادم نطق
بالعربية وغيرها من الالسن لقوله تعالى وعلم ادم الاسماء كلها ولا شك ان اللسان العربي مختص بانواع من الفصاحة
والجزالة لا توجد في ساير الالسنة قال بعض العلماء حكمة الروم في ادمغتهم لانهم يقدرون على التركيبات العجيبة وحكمة الهند
في اوهامهم وحكمة اليونان في افئدتهم لكثرة ما لهم من المباحث العقلية وحكمة العرب في السنتهم لحلاوة الفاظهم وعذوبة
عباراتهم **فصل** اعلم انه تعالى حكم على الاعراب بحكمين الاول انهم اشد كفرا ونفاقا والسبب فيه وجوه احدها
ان اهل البدو يشبهون الوحوش وثانيها استيلاء الهوى الحار اليابس عليهم وذلك يزيد في التيه والتكبر والفخر والطيش
عليهم وثالثها انهم ما كانوا تحت سياسة سايس ولا تاديب مؤدب فنشؤوا كما شاؤوا ومن كان كذلك خرج على اشد الجهات
فسادا ورابعها ان من اصبح وامسى مشاهدا لوعظ رسول الله صلى الله عليه وسلم وبياناته الشافية كيف يكون مساويا
لمن لم ير اثر هذا الخير ولم يسمع خبره وخامسها قابل الفواكه الجبلية بالفواكه البستانية ليعرف الفرق بين اهل الحضر والبادية
واشد اصله اشدد وقد تقدم وقوله كفرا نصب على الحال ونفاقا عطف عليه واجدر عطف على اشد والحكم الثاني قوله
واجدر ان لا يعلموا اجدر اي احق واولى يقال هو جدير واجدر وحقيق واحق وخليق واخلق وقمن بكذا كله بمعنى واحد
قال الليث جدر يجدر جدارة فهو جدير ويؤنث ويثنى ويجمع قال الشاعر • بخيل عليها جنة عبقرية • جديرون يوما ان ينالوا
فيستعلوا • وقد نبه الراغب على اشتقاق هذه المادة وانها من الجدار اي الحائط فقال والجدير المنتهى لانتهاء الامر اليه
انتهاء الشيء الى الجدار والذي يظهر ان اشتقاقه من الجدر وهو اصل الشجر فكانه ثابت كثبوت الجدر في قولك جدير بكذا
وقوله الا يعلموا اي بان لا يعلموا فحذف حرف الجر وفيه الخلاف المشهور بين الخليل والكسائي مع سيبويه والفراء والمراد بالحدود
ما انزل الله على رسوله وذلك لبعدهم عن سماع القران ومعرفة السنن والله عليم بما في قلوب خلقه حكيم بما فرض من فرائضه
قوله تعالى ومن الاعراب من يتخذ ما ينفق مغرما نزلت في اعراب اسد وغطفان وتميم ومن مبتدا وهي اما موصولة واما
موصوفة ومغرما مفعول ثان لان اتخذ هنا بمعنى صير والمغرم الخسران مشتق من الغرام وهو الهلاك لانه سببه ومنه ان
عذابها كان غراما وقيل اصله الملازمة ومنه الغريم للزومه من يطالبه والمغرم مصدر كالغرامة والمغرم التزام ما لا يلزم
قال عطا لا يرجون على اعطائه ثوابا ولا يخافون على امساكه عقابا وانما ينفق خوفا ورياء ويتربص عطف على يتخذ فهو اما
صلة واما صفة والتربص الانتظار وقوله بكم الدواير فيه وجهان اظهرهما ان الباء متعلقة بالفعل قبلها والثاني انها
حال من الدواير قال ابو البقا وليس بظاهر وعلى هذا فتتعلق بمحذوف على ما تقرر والدواير جمع دايرة وهي ما يحيط بالانسان
من مصيبة ونكبة تصورا من الدايرة المحيطة بالشيء من غير انفلات منها واصلها داورة لانها من دار يدور اي احاط ومعنى تربص
الدواير انتظار المصايب قال • تربص بها ريب المنون لعلها • تطلق يوما او يموت حليلها • قال يمان بن رباب يعني ينقلب
الزمان عليكم فيموت الرسول ويظهر عليكم المشركون **قوله تعالى** عليهم دايرة السوء هذه الجملة معترضة بين جمل هذا القصص
وهي دعاء على الاعراب المتقدمين وقرا ابن كثير وابو عمرو هنا السوء وكذا الثانية في الفتح بالضم والباقون بالفتح واما
الاولى في الفتح وهو ظن السوء فاتفق على فتحها السبعة فاما المفتوح فقيل هو مصدر قال الفراء فتح السين هو الوجه
لانه مصدر يقال سوته سوا ومساوة وسوائية ومسائية وبالضم الاسم كقولك عليهم دايرة البلاء والعذاب قال ابو البقا
وهو الضرر وهو مصدر في الحقيقة يعني انه في الاصل كالمفتوح في انه مصدر ثم اطلق على كل ضرر وشر وقال مكي من فتح السين
فمعناه الفساد والرداءة ومن ضمها فمعناه الهزيمة والبلاء والضرر وظاهر هذا انهما اسمان لما ذكر ويحتمل ان يكونا في الاصل
مصدرا ثم اطلقا على ما ذكر وقال غيره المضموم العذاب والضرر والمفتوح الذم الا ترى انه اجمع على فتح في قوله
ما كان ابوك امرأ سوء اذ لا يليق ذكر العذاب بهذا الموضعين وقال الزمخشري فاحسن المضموم العذاب والمفتوح ذم الدايرة
كقولك رجل سوء في نقيض رجل عدل لان من دارت عليه ذام لها يعني انها من باب اضافة الموصوف الى صفته فوصفت في الاصل
بالمصدر مبالغة ثم اضيفت لصفتها كقوله تعالى ما كان ابوك امرأ سوء قال ابو حيان وقد حكي بالضم وانشد الاخفش
وكنت كذيب السوء لما راى دما • بصاحبه يوما احال على الدم • وفي الدايرة مذهبان اظهرهما انها صفة على فاعلة
كقائمة وقال الفارسي يجوز ان يكون مصدرا كالعافية قال ولو لم تضف الدايرة الى السوء والسوء عرف فيها معنى السوء
لان دايرة السوء لا تستعمل الا في المكروه والمعنى يدور عليهم البلاء فلا يرون في محمد ودينه الا ما يسوءهم ثم قال والله
سميع لقولهم عليم بنياتهم **قوله تعالى** ومن الاعراب من يؤمن بالله واليوم الاخر الاية لما بين ان في الاعراب من يتخذ انفاقه
في سبيل الله مغرما بين هنا ان منهم ايضا من يؤمن بالله واليوم الاخر قال مجاهد هم بنو مقرن من مزينة وقال الكلبي اسلم
وغفار وجهينة وروى ابو هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم واسلم وغفار وشيء من بني جهينة ومزينة خير عند الله
يوم القيمة من تميم واسد من خزيمة وهوازن وغطفان **قوله تعالى** ويتخذ ما ينفق قربات مفعول ثان ليتخذ

كامر في مغرمًا ولم يختلف القراء السبعة في ضم الراء من قربات في راء قربة كما سيأتي فيحتمل ان يكون هذه جمعًا للقربة بالضم كما هي قراءة ورش عن نافع ويحتمل ان يكون جمعًا للساكنها وانما ضمت اتباعًا كغرفات وقد تقدم التنبيه على هذه القاعدة وشروطها عند قوله في ظلمات اول البقرة قال الزجاج يجوز في القربات ثلاثة اوجه ضم الراء واسكانها وفتحها والمعنى انهم يتخذون ما ينفقونه سببًا لحصول القربات عند الله قوله تعالى عند الله في هذا الظرف ثلاثة اوجه اظهرهما انه متعلق بمحذوف لانه صفة لقربات قوله تعالى وصلوات الرسول فيها وجهان اظهرهما انه نسق على قربات وهو ظاهر كلام الزمخشري فانه قال والمعنى ان ما ينفقه سبب لحصول القربات عند الله وصلوات الرسول لانه كان يدعو للمتصدقين بالخير كقوله اللهم صل على آل ابي اوفى والثاني وجوزه ابن عطية ولم يذكر ابو البقاء غيره انها منسوقة على ما ينفق اي ويتخذ بالاعمال الصالحة صلوات الرسول قربة قوله تعالى الا انها قربة لهم الضمير في انها قيل عائد على الصلوات وقيل على النفقات اي المفهومة من ينفقون وقرأ ورش قربة بضم الراء والباقون بسكونها فقيل لغتان وقيل الاصل السكون والضم اتباع وقد تقدم الخلاف بين اهل التصريف هل يجوز تثقيل فعل الى فعل وان بعضهم جعل عسر ويسر بضم السين فرعين على سكونها وقيل الاصل قربة بالضم والسكون تخفيف نحو كتب ورسل على لغة العرب اذ مبناها الهرب من الثقل الى الخفة وفي استئناف هذه الجملة وتصديرها بحرفي التنبيه والتحقيق المؤذنين بثبات الامر وتمكنه شهادة من الله بصحة ما اعتقد من انفاقه قال معناه الزمخشري قال وكذلك سيدخلهم وما في السين من تحقيق الوعد ثم قال ان الله غفور رحيم بهم حيث وفقهم لهذه الطاعة

قوله تعالى والسابقون الاولون الاية والسابقون فيه وجهان اظهرهما انه مبتدأ وفي خبره ثلاثة اوجه اظهرها ان الجملة الدعائية من قوله رضي الله عنهم والثاني انه الخبر قوله الاولون والمعنى والسابقون الى الهجرة الاولون من اهل هذه الملة او السابقون الى الجنة الاولون من اهل الهجرة الثالث ان الخبر قوله من المهاجرين والانصار والمعنى فيه الاعلام بان السابقين من هذه الامة من المهاجرين والانصار ذكر ذلك ابو البقاء وفي الوجهين الاخيرين تكلف الثاني من وجهي السابقين ان يكون نسقًا على من يؤمن بالله اي ومنهم السابقون وفيه بعد والجمهور على جر الانصار نسقًا على المهاجرين يعني ان السابقين من هذين الجنسين وقرأ جماعة كثيرة اجلاء عمر بن الخطاب وقتادة والحسن وسلام وسعيد بن ابي سعيد وعيسى الكوفي وطلحة ويعقوب والانصار برفعها وفيه وجهان احدهما انه مبتدأ خبره رضي الله عنهم والثاني عطفه على السابقون وقد تقدم ما فيه فيحكم عليه بحكمه قوله تعالى باحسان رضي الله عنهم متعلق بمحذوف لانه حال من فاعل اتبعوهم وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يرى ان الواو ساقطة من قوله والذين اتبعوهم ويقول ان الموصول صفة لمن قبله حتى قال له زيد بن ثابت انها بالواو فقال ائتوني بابي فاتوه به فقال له تصديق ذلك في كتاب الله في اول الجمعة وآخرين منهم لما يلحقوا بهم واوسط الحشر والذين جاءوا من بعدهم واخر الانفال والذين امنوا من بعد وهاجروا وروي انه سمع رجلًا يقرأها بالواو فقال من اقرأك فقال ابي فدعاه فقال اقرأنيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وانك لتبيع القرظ بالبقيع قال صدقت وان شئت قل شهدنا وغبتم ونصرنا وخذلتم واوينا وطردتم ومن ثم قال عمر رضي الله عنه لقد كنت ارانا رفعنا رفعة لا يبلغها احد بعدنا

فصل لما ذكر فضائل الاعراب الذين يتخذون ما ينفقون قربات عند الله وما اعد لهم بين ان فوق منزلتهم منازل اعلى واعظم منها وهي منازل السابقين الاولين واختلفوا فيهم فقال ابن عباس وسعيد بن المسيب وقتادة وابن سيرين وجماعة الذين صلوا الى القبلتين وقال عطاء بن ابي رباح اهل بدر وقال الشعبي هم الذين شهدوا معه بيعة الرضوان بالحديبية وقال ابو مسلم من تقدم موته بعد الاسلام من الشهداء وغيرهم قال ابن الخطيب والصحيح عندي انهم السابقون في الهجرة والنصرة لكونه وصفهم بكونهم مهاجرين وانصارًا واختلفوا هل بينا والجميع الصحابة لانهم موصوفون بكونهم سابقين اولين بالنسبة الى سائر المسلمين وكلمة من ليست للتبعيض بل للتبيين كقوله واجتنبوا الرجس من الاوثان وذهب الى هذا كثير من الناس روي عن حميد بن زياد انه قال قلت يومًا لمحمد بن كعب القرظي الا تخبرني عن اصحاب الرسول فيما كان بينهم واردت الفتن فقال ان الله قد غفر لجميعهم واوجب لهم فقال سبحان الله الا تقرأ قوله والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار الى اخر الاية فاوجب الله لجميع اصحاب النبي عليه الصلاة والسلام الجنة والرضوان وشرط على التابعين شرطًا قلت وما ذاك الشرط فقال شرط عليهم ان يتبعوهم باحسان وهو ان يقتدوا بهم في عين ذلك ويقال المراد ان يتبعوهم باحسان في القول وهو ان لا يقولوا فيهم سوءًا وان لا يوجهوا الطعن فيما اقدموا عليه قال حميد بن زياد فكاني ما قرأت هذه الاية قط قال ابو منصور البغدادي التميمي اصحابنا مجمعون على ان افضلهم الخلفاء الاربعة ثم الستة الباقون الى تمام العشرة ثم البدريون ثم اصحاب احد ثم اهل بيعة الرضوان بالحديبية

فصل اختلفوا في اول من امن برسول الله صلى الله عليه وسلم فقال جابر اول من امن وصلى علي بن ابي طالب قال مجاهد وابن اسحاق اسلم وهو ابن عشر سنين وقال ابن عباس وابراهيم النخعي والشعبي اول من امن بعد خديجة ابو بكر الصديق وقال الزهري وعروة بن الزبير اول من اسلم زيد بن حارثة وكان اسحق بن ابرهيم الحنظلي يجمع بين هذه الاخبار فيقول اول من اسلم من الرجال ابو بكر ومن النساء خديجة ومن الصبيان علي ومن العبيد زيد بن حارثة قال ابن اسحق لما اسلم ابو بكر اظهر اسلامه ودعا الى الله والى رسوله وكان رجلا محببًا سهلا وكان انسب قريش واعلمها بما كان فيها وكان تاجرًا ذا خلق ومعروف وكان رجال قومه يأتونه ويألفونه لغير واحد من الامر لعلمه وحسن مجالسته فجعل يدعو الى الاسلام من وثق به من قومه فاسلم على يديه فيما بلغني عثمان والزبير بن العوام وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن ابي وقاص وطلحة بن عبيد الله فجاء بهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اسلموا وصلوا فكان هؤلاء الثمانية نفر الذين سبقوا الى الاسلام ثم تتابع الناس في الدخول في الاسلام اما السابقون من الانصار فهم الذين بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة وكانوا ستة في العقبة الاولى وسبعين في الثانية والذين امنوا حين قدم عليهم ابو زرارة مصعب بن عمير يعلمهم القران فاسلم معه خلق كثير وجماعة من النساء والصبيان والمراد بالمهاجرين الذين هجروا قومهم وعشيرتهم وفارقوا اوطانهم والانصار الذين نصروا رسول الله صلى الله عليه وسلم على اعدائه واووا اصحابه والذين اتبعوهم باحسان قيل هم بقية المهاجرين والانصار سوى السابقين الاولين وهذا على ان من للتبعيض وقيل هم الذين سلكوا سبيلهم في الايمان والهجرة والنصرة الى يوم القيامة وهذا على ان من للتبيين وقال عطاء هم الذين يذكرون المهاجرين والانصار بالترحم والدعاء قال بعض العلماء دلت هذه الاية على تفضيل السابقين الى كل منقبة من مناقب الشريعة في علم او دين او شجاعة او غير ذلك من المناقب ثم جمع الله في الثواب فقال رضي الله عنهم ورضوا عنه واعد لهم جنات تجري تحتها الانهار قرأ ابن كثير من تحتها بمن الجارة وهي مرسومة في مصاحف مكة والباقون تحتها بدونها ولم ترسم في مصاحفهم واكثر ما جاء القران موافقًا لقراءة ابن كثير في غير موضع

قوله تعالى وممن حولكم من الاعراب منافقون الاية لما شرح احوال منافقي المدينة ذكر بعده احوال منافقي الاعراب ثم بين ان في الاعراب من هو مؤمن ثم بين ان رؤساء المؤمنين هم المهاجرون والانصار ذكر هنا ان حول المدينة قومًا من الاعراب منافقون وانكم لا تعلمونهم وهم مزينة وجهينة واشجع واسلم وغفار كانوا نازلين حول المدينة قوله تعالى وممن حولكم خبر مقدم ومنافقون مبتدأ ومن يجوز ان تكون الموصولة او الموصوفة والظرف صلة او صفة وقوله من الاعراب لبيان الجنس قوله تعالى ومن اهل المدينة يجوز ان يكون نسقًا على المجرور بمن فيكون المجروران مشتركين في الاخبار عن المبتدأ وهم منافقون بهما كانه قيل المنافقون من قوم حولكم ومن اهل المدينة وعلى هذا هو من عطف المفردات اذ عطفت جارًا على جار وعلى هذا فيكون قوله مردوا مستأنفًا لا محل له ويجوز ان يكون الكلام تم عند قوله منافقون ويكون قوله ومن اهل المدينة خبرًا مقدمًا والمبتدأ بعده محذوف قامت صفته مقامه وحذف الموصوف واقامة صفته مقامه وهي جملة مطرد مع من التبعيضية وقد تقدم تحقيقه نحو منا ظعن ومنا اقام والتقدير ومن اهل المدينة قوم او ناس مردوا وعلى هذا فهو من عطف الجمل ويجوز ان يكون مردوا على الوجه الاول صفة لمنافقون وقد فصل بينه وبين صفته بقوله ومن اهل المدينة والتقدير وممن حولكم ومن اهل المدينة ماردون قال ذلك الزجاج وتبعه الزمخشري وابو البقاء ايضًا واستبعده ابو حيان للفصل بالمعطوف بين الصفة وموصوفها قال فيصير نظير في الدار زيد وفي القصر العاقل يعني فتفصل بين زيد والعاقل بقولك وفي القصر وشبه الزمخشري حذف المبتدأ الموصوف في الوجه الثاني واقامة صفته مقامه بقوله انا ابن جلا قال ابو حيان ان عنى في مطلق حذف الموصوف فحسن وان كان شبهه به في خصوصيته فليس بحسن لان حذف الموصوف مع من مطرد وقوله انا ابن جلا ضرورة كقوله • ترمي بكفي كان من ارمى البشر • والبيت المشار اليه هو قوله • انا ابن جلا وطلاع الثنايا • متى اضع العمامة تعرفوني • وللنحاة في هذا البيت تاويلات احدها ما تقدم والاخر ان هذه الجملة محكية لانها قد سمي بها هذا الرجل فان جلا فيه ضمير فاعل ثم سمي بها وحكيت كما قالوا شاب قرناها وذرى حبا وقوله • نبئت اخوالي بني يزيد • ظلمًا علينا لهم فديد • والثالث هو مذهب عيسى بن عمر انه فعل فارغ من الضمير وانما لم ينون لانه عنده غير منصرف فانه يمنع بوزن الفعل المشترك فلو سمي بضرب وقتل منعهما اما لمجرد الوزن من غير نقل من فعل فلا يمنع به البتة نحو جمل وجبل والمراد باهل المدينة الاوس والخزرج ومردوا اي مهروا وتمرنوا وثبتوا على النفاق وقال ابن اسحق لجوا فيه وابوا غيره وقال ابن زيد اقاموا عليه ولم يتوبوا وقد تقدم الكلام على هذه المادة في النساء عند قوله شيطانًا مريدًا قوله تعالى لا تعلمهم هذه الجملة في محل رفع ايضًا صفة لمنافقون ويجوز ان يكون مستأنفة والعلم هنا يحتمل ان يكون على بابه فيتعدى لاثنين اي لا تعلمهم منافقين فحذف الثاني للدلالة عليه بتقديم ذكر المنافقين ولان النفاق من صفات القلب لا يطلع عليه وان يكون بمعنى العرفان فيتعدى لواحد قاله ابو البقاء واما نحن نعلمهم فلا يجوز ان يكون الا على بابها لما تقدم في الانفال وان كان الفارسي في ايضاحه صرح باسناد المعرفة اليه تعالى وهو محذور لما تقدم قوله تعالى سنعذبهم

من بين تقدم الكلام في نصب مرتين وانه من وجهين اما المصدرية واما الظرفية وكذلك هذا وهذه التثنية
يحتمل ان يكون المراد بها شفع الواحد وعليه الاكثر واختلفوا في تفسيرها وان لا يراد بها التثنية الحقيقية بل يراد
بها التكثير كقوله تعالى فارجع البصر كرتين اي كرات بدليل قوله ينقلب اليك البصر خاسئا وهو حسير اي مزدجرا وهو كليل ولا
يصيبه ذلك الا بعد كرات ومثله لبيك وسعديك وحنانيك وروى عباس عن ابي عمرو سنعذبهم بسكون الباء وهي على عادته
في تخفيف توالي الحركات كنصركم وبابه وان كان باب ينصركم احسن تسكينا لكون الراء حرف تكرار فكانه توالي ضمتان بخلاف
غيره وقد تقدم تحريره وقال ابو حيان وفي مصحف انس سيعذبهم بالياء وقد تقدم ان المصاحف كانت مهملة من النقط
والضبط بالشكل فكيف يقال هذا **فصل** واما اختلافهم في هذا العذابين فقال الكلبي والسدي قام النبي صلى الله
عليه وسلم خطيبا يوم الجمعة فقال اخرج يا فلان فانك منافق اخرج يا فلان اخرج من المسجد ناسا وفضحهم فهذا العذاب
الاول والثاني عذاب القبر وقال مجاهد الاول القتل والسبي والثاني عذاب القبر وعنه رواية اخرى عذبوا بالجوع مرتين
وقال قتادة الدبيلة في الدنيا وعذاب القبر وقال ابن زيد المصائب في الاموال والاولاد في الدنيا والاخرى عذاب
الاخرة وعن ابن عباس الاولى اقامة الحدود عليهم والاخرى عذاب القبر وقال ابن اسحق هو ما يدخل عليهم من غيظ الاسلام
ودخولهم فيه من غير حسبة ثم عذاب القبر وقيل احدهما ضرب الملائكة وجوههم وادبارهم عند قبض ارواحهم ثم عذاب
القبر وقيل الاولى احراق مسجدهم مسجد الضرار والاخرى احراقهم بنار جهنم ثم يردون الى عذاب جهنم يخلدون فيه
وقال الحسن الاولى اخذ الزكوة من اموالهم ثم عذاب القبر **قوله تعالى** واخرون اعترفوا بذنوبهم الاية واخرون
نسق على منافقون اي وممن حولكم اخرون او ومن اهل المدينة اخرون ويجوز ان يكون مبتدأ واعترفوا صفته والخبر
قوله خلطوا قوله واخرون نسق على عملا قال الزمخشري فان قلت قد جعل كل واحد منهما مخلوطا فما المخلوط به قلت
كل واحد مخلوط ومخلوط به لان المعنى خلط كل واحد منهما بالاخر كقولك خلطت الماء واللبن تريد خلطت الماء باللبن
واللبن بالماء ثم قال ويجوز ان يكون من قولهم بعت الشاء شاة بدرهم قال شهاب الدين لا يريد ان الواو بمعنى الباء وانما
هذا تفسير معنى قال ابو البقاء ولو كان بالباء جاز ان تقول خلطت الحنطة والشعير وخلطت الحنطة بالشعير
قوله تعالى عسى الله يجوز ان تكون الجملة مستأنفة ويجوز ان تكون في محل رفع خبرا لاخرون ويكون قوله خلطوا
في محل نصب على الحال وقد معه مقدرة اي قد خلطوا فتخلص في اخرون انه معطوف على منافقون او مبتدأ والخبر
عنه خلطوا او بالجملة الرجائية **فصل** قيل انهم قوم من المنافقين تابوا عن النفاق لانه عطف على قوله وممن
حولكم من الاعراب منافقون والعطف يوهم التشريك الا انه تعالى وفقهم للتوبة وقيل انهم قوم من المسلمين تخلفوا
عن غزوة تبوك كسلا لا نفاقا ثم ندموا على ما فعلوا وتابوا فروي انهم كانوا ثلاثة ابو لبابة ومروان بن عبد المنذر
ووديعة بن حزام وروى عطية عن ابن عباس كانوا خمسة احدهم ابو لبابة وقال سعيد بن جبير كانوا ثمانية وقال
قتادة والضحاك كانوا سبعة وقالوا جميعا احدهم ابو لبابة وقال قوم نزلت في ابي لبابة خاصة وروي عن علي بن
ابي طالب عن ابن عباس كانوا عشرة فسبعة اوثقوا انفسهم لما بلغهم ما نزل في المتخلفين فاوثقوا انفسهم بسواري المسجد
فقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخل المسجد وصلى ركعتين وكانت عادته كلما قدم من سفر فراهم موثقين
فسال عنهم فقالوا هؤلاء تخلفوا عنك فعاهدوا الله ان لا يطلقوا انفسهم حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم
يطلقهم ويرضى عنهم فقال وانا اقسم ان لا احلهم حتى يؤمر فيهم فنزلت هذه الاية فاطلقهم وعذرهم فقالوا يا
رسول الله هذه اموالنا التي خلفتنا عنك فتصدق بها عنا وطهرنا فقال ما امرت ان اخذ من اموالكم شيئا فنزل قوله
خذ من اموالهم الاية والاعتراف عبارة عن الاقرار بالشيء عن معرفة ومعناه انهم اقروا بذنوبهم والعمل الصالح هو توبتهم
واعترافهم بذنبهم وربطهم انفسهم والعمل السيء هو تخلفهم وقيل العمل الصالح خروجهم مع الرسول عليه الصلاة والسلام
الى سائر الغزوات والسيء تخلفهم عن غزوة تبوك **فصل** قال المفسرون عسى من الله تدل على الوجوب قالوا لان
الكلام يرد على عرف الناس فالسلطان العظيم اذا التمس المحتاج منه شيئا فانه لا يجيب الا بالترجي بلعل وعسى تنبيها
على انه ليس لاحد ان يلزمني شيئا بل كلما افعله فانما افعله على سبيل التفضل فهذا المعنى هو فائدة ذكر عسى والاعتراف
بمجرده لا يكون توبة الا اذا اقترن به الندم على الماضي والعزم على تركه في المستقبل **فصل** دلت هذه الاية
على عدم القول بالاحباط وان الطاعة تبقى موجبة للمدح والثواب والمعصية تبقى موجبة للذم والعقاب
لان قوله تعالى خلطوا عملا صالحا واخر سيئا يدل على ان كل واحد منهما باقي كما كان من غير ان يتأثر احدهما بالاخر
لانه وصفهما بالاختلاط والمختلطان لا بد ان يكونا باقيين حال اختلاطهما لان الاختلاط صفة للمختلطين وحصول
الوصف حال عدم الموصوف محال فدل على بقاء العملين حال الاختلاط **فصل** قوله عسى الله ان يتوب عليهم

يقتضي ان هذه التوبة انما تحصل في المستقبل وقوله واخرون اعترفوا بذنوبهم يدل على ان ذلك الاعتراف حصل
في الماضي وذلك يدل على ان ذلك الاعتراف ما كان مقرونا بنفس التوبة بل كان متقدما على التوبة والتوبة انما حصلت
بعده **قوله تعالى** خذ من اموالهم صدقة قال الحسن هذا راجع الى الذين تابوا لانهم بذلوا اموالهم للصدقة فاوجب
الله تعالى اخذها وصار ذلك معتبرا في كمال توبتهم ليكون جاريا مجرى الكفارة وليس المراد منها الصدقة الواجبة وانما
هي كفارة الذنب وهذا بناء على القول بانهم ليسوا منافقين ويدل عليه قوله عليه الصلاة والسلام ما امرت
ان اخذ من اموالكم شيئا فلو كانت واجبة لم يقل ذلك وايضا روي انه عليه الصلاة والسلام اخذ الثلث وترك
الثلثين والواجبة ليست كذلك وقيل ان الزكوة كانت واجبة عليهم فلما تابوا من تخلفهم عن الغزو وحسن اسلامهم
وبذلوا الزكوات امر الله رسوله ان ياخذها منهم وهذا بناء على انهم كانوا منافقين وقيل هذا كلام مبتدأ والمقصود منه
ايجاب اخذ الزكوات من الاغنياء وعليه اكثر الفقهاء واستدلوا بقوله خذ من اموالهم صدقة امرا باخذ تلك الصدقات
فدل على ان الماخوذ بعض تلك الاموال لا كلها لان من للتبعيض ثم ان مقدار ذلك البعض غير مصرح به بل المصرح به قوله صدقة
وليس المراد منه التنكير حتى يكفي اي جزء كان وان كان في غاية القلة مثل الحبة الواحدة من الحنطة او الجزء الحقير
من الذهب فوجب ان يكون المراد منه صدقة معلومة الصفة والكيفية والكمية عندهم حتى يكون قوله خذ من اموالهم
صدقة امرا باخذ تلك الصدقة المعلومة لكي يزول الاجمال وليست الا الصدقة التي وصفها رسول الله صلى الله عليه وسلم
بان يوخذ في خمس وعشرين بنت مخاض وفي ست وثلاثين بنت لبون الى غير ذلك واجاب الاولون بان النبي عليه الصلاة والسلام
بينها باخذ الثلث فزال الاجمال وظهر تعلق الاية بما قبلها وعلى قولكم لا يظهر تعلق الاية بما قبلها **قوله تعالى** من اموالهم
يجوز فيه وجهان احدهما انه متعلق بخذ ومن تبعيضية والثاني ان يتعلق بمحذوف لانها حال من صدقة اذ هي في الاصل
صفة لها فلما قدمت نصبت حالا والصدقة ماخوذة من الصدق اذ هي دليل على صحة ايمانه وصدق باطنه مع ظاهره
وانه ليس من المنافقين الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات **قوله تعالى** تطهرهم وتزكيهم يجوز ان تكون
التاء في تطهرهم خطابا للنبي عليه الصلاة والسلام وان يكون للغيبة والفاعل ضمير الصدقة فعلى الاول تكون الجملة
في محل نصب على الحال من فاعل خذ ويجوز ان يكون ايضا صفة لصدقة ولا بد حينئذ من حذف عائد تقديره تطهرهم بها
وحذف بها لدلالة ما بعده عليه وعلى الثاني تكون الجملة صفة لصدقة ليس الا واما وتزكيهم فالتاء فيه للخطاب لا غير
لقوله بها فان الضمير يعود على الصدقة فاستحال ان يعود الضمير من تزكيهم على الصدقة وعلى هذا فتكون الجملة حالا
على حد قولنا ان تطهرهم حال منه وان التاء فيه للخطاب ويجوز ان يكون صفة ان قلنا ان تطهرهم صفة والعائد منها
محذوف وجوز مكي ان تكون تطهرهم صفة لصدقة على ان التاء للغيبة وتزكيهم حال من فاعل خذ على ان التاء للخطاب
وردوه عليه بان الواو عاطفة اي صدقة مطهرة ومزكيا بها ولو كان بغير واو جاز ووجه الفساد ظاهر فان الواو
مشركة لفظا ومعنى فلو كانت وتزكيهم عطفا على تطهرهم للزم ان يكون صفة كالمعطوف عليه اذ لا يجوز اختلافهما ولكن
يجوز ذلك على ان تزكيهم خبر مبتدأ محذوف وتكون الواو للحال تقديره وانت تزكيهم وفيه ضعف لقلة نظيره في كلامهم
وتلخص من ذلك ان الجملتين يجوز ان يكونا حالين من فاعل خذ على ان تكون التاء للخطاب وان يكونا صفتين لصدقة
على ان التاء للغيبة والعائد محذوف من الاولى وان يكون تطهرهم حالا او صفة وتزكيهم حالا على ما جوزه مكي وان
يكون تزكيهم خبر مبتدأ محذوف والواو للحال وقرا الحسن تطهرهم مخففا من اطهر عداه بالهمزة **فصل** دلت
هذه الاية على ان الزكوة تتعلق بالمال لا بالعروض لقوله تعالى خذ من اموالهم فلو مات اخذت من التركة وقال الشافعي
انها تتعلق بالذمة فلو فرط حتى هلك النصاب وجبت الزكوة ودلت الاية ايضا على ان الزكوة انما وجبت طهرة للاثام
فلا تجب الا على البالغ وهو قول ابي حنيفة فانه يقول اذا وجبت بالمال وجبت في مال الصبي وفي مال المديون **فصل**
معنى التطهير ما روي ان الصدقة اوساخ الناس فاذا اخذ الصدقة فقد اندفعت تلك الاوساخ فكان دفعها
جاريا مجرى التطهير والتزكية قيل مبالغة في التطهير وقيل التزكية بمعنى الانماء وقيل الصدقة تطهرهم من نجاسة
الذنب والمعصية والرسول يزكيهم ويعظم شانهم ويثني عليهم عند اخراجها الى الفقراء ولذلك يقول الساعي اجرك الله
فيما اعطيت وبارك لك فيما ابقيت وجعله لك طهورا **قوله تعالى** وصل عليهم ان صلواتك سكن لهم قرا الاخوان
وحفص ان صلاتك وفي هود اصلاتك تامرك بالتوحيد والباقون ان صلواتك اصلواتك بالجمع فيهما وهما
واضحتان لان الصلوة هنا الدعاء وفي تلك العبادة قال ابو عبيد وقراءة الافراد اولى لان الصلاة اكثر قال تعالى
اقيموا الصلوة والصلوات جمع قلة تقول ثلاث صلوات وخمس صلوات قال ابو حاتم وهذا غلط لان بناء الصلوات
ليس للقلة قال تعالى ما نفدت كلمات الله ولم يرد القليل وقال وهم في الغرفات وقال المسلمين والمسلمات و[illegible]

الطمانينة وقال ابن عباس رضي الله عنه رحمة لهم وقال ابو عبيدة تثبيت لقلوبهم ومنه الطمانينة قوله يا جارة الحي الا كنت
لي سكنا اذ ليس بعض من الجيران اسكنني فعل بمعنى مفعول كالقبض بمعنى المقبوض والمعنى يسكنون اليها قال ابو البقا
ولذلك لم يونثه لكن الظاهر انه هنا بمعنى فاعل لقوله لهم ولو كان كما قال لكان التركيب سكن اليها اي يسكنون اليها
فقد ظهر ان المعنى سكينة لهم **فصل** قال ابن عباس معنى الصلاة عليهم ان يدعو لهم وقال اخرون معناه ان يقول
اللهم صل على فلان ونقل عن النبي صلى الله عليه وسلم ان آل ابي اوفى لما اتوه بالصدقة قال اللهم صل على آل ابي اوفى واختلفوا
في وجوب الدعاء على الامام عند اخذ الصدقة فقال بعضهم يجب وقال بعضهم يستحب وقال بعضهم يجب في صدقة الفرض
ويستحب في التطوع وقيل يجب على الامام ويستحب للفقير ان يدعو للمعطي ثم قال والله سميع عليم **قوله تعالى** الم يعلموا
ان الله هو يقبل التوبة عن عباده الاية لما قال في الاية الاولى عسى الله ان يتوب عليهم ولم يصرح في قبول توبتهم صرح في
هذه الاية بانه يقبل التوبة وانه ياخذ الصدقات اي يقبلها قال ابو مسلم قوله الم يعلموا وان كان بصيغة الاستفهام
الا ان المقصود منه التقرير في النفس ومن عادة العرب في افهام المخاطب وازالة الشك عنه ان يقول اما علمت ان من
علمك يجب عليك خدمته اما علمت ان من احسن اليك وجب عليك شكره فبشر الله هولاء التائبين بقبول توبتهم وصدقاتهم
ثم زاد تاكيدا بقوله هو التواب الرحيم وقرا الحسن قال ابو حيان وفي مصحف ابي الم تعلموا بالخطاب وفيه احتمالات
احدها ان يكون خطابا للمتخلفين الذين قالوا ما هذه الخاصية التي اختص بها هولاء وان يكون التفاتا من غير اضمار
قول والمراد التائبون وان يكون على اضمار قول اي قل لهم يا محمد الم تعلموا **قوله تعالى** هو يقبل هو مبتدا ويقبل
خبره والجملة خبر ان وان وما في حيزها سادة مسد المفعولين او مسد الاول ولا يجوز ان يكون هو فصلا لان ما بعده
لا يوهم الوصفية وقد تقدم تحرير ذلك **قوله تعالى** عن عباده يتعلق بيقبل وانما تعدى بعن فقيل لان معنى من
ومعنى عن متقاربان قال ابن عطية وكثيرا ما يتوصل في موضع واحد بهذه وبهذه نحو لا صدقة الا عن غنى ومن غنى
وفعل ذلك فلان من اشره وبطره وعن اشره وبطره وقيل لفظة عن تشعر ببعد ما تقول جلس عن يمين الامير اي مع نوع
من البعد والظاهر ان عن للمجاوزة على بابها والمعنى يتجاوز عن عباده بقبول توبتهم كما حدثنا العلم عن زيد فمعنا
المجاوزة قوله منه فمعناه ابتداء الغاية قال القاضي لعل عن عباده ابلغ لانه ينبي عن القبول مع تسهيل سبيله الى التوبة
التي قبلت **قوله تعالى** وياخذ الصدقات فيه سوال وهو ان ظاهر هذه الاية يدل على ان الاخذ هو الله تعالى وقوله
خذ من اموالهم صدقة يدل على ان الاخذ هو الرسول عليه الصلاة والسلام وقوله عليه الصلاة والسلام لمعاذ خذها
من اغنيائهم يدل على ان اخذ تلك الصدقات معاذ واذا وقعت الصدقة الى الفقير فالحس يشهد ان اخذها هو الفقير
فكيف الجمع بين هذه الالفاظ **فالجواب** من وجهين الاول انه تعالى لما قال خذ من اموالهم ثم ذكر هنا ان الاخذ هو الله
علم منه ان اخذ الرسول قائم مقام اخذ الله والمقصود منه التنبيه على عظم شان الرسول عليه الصلاة والسلام
ونظيره قوله تعالى ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله والثاني انه اذا اضيف الى الرسول فمعناه انه يامر باخذها
ويبلغ حكم الله في هذه الواقعة الى الناس واضيف الى الفقير بمعنى انه هو الذي يباشر الاخذ ونظيره انه اضاف التوفي
الى نفسه بقوله تعالى وهو الذي يتوفاكم واضافه الى ملك الموت بقوله قل يتوفاكم ملك الموت واضافه الى الملائكة الذين
هم اتباع ملك الموت بقوله حتى اذا جاء احدكم الموت توفته رسلنا فاضيف الى الله بالخلق والى ملك الموت بالرياسة في ذلك
النوع من العمل والى اتباع ملك الموت بالمباشرة التي عندها يخلق الله الموت فكذا هنا **قوله تعالى** هو التواب الرحيم
يجوز ان يكون فصلا وان يكون مبتدا الخلاف ما قبله **فصل** روى ابو هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول والذي نفسي بيده ما من عبد **وصل** كسب طيب ولا يقبل الله الا طيبا ولا يصعد الى السماء الا الطيب
الا كانما يضعها في يد الرحمن فيربيها كما ان احدكم يربي فلوه حتى ان اللقمة لتاتي يوم القيمة وانها لمثل الجبل العظيم ثم قرا ان الله
هو يقبل التوبة عن عباده وياخذ الصدقات **قوله تعالى** وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله الاية قال ابن الخطيب
هذا كلام جامع للترغيب والترهيب لان المعبود اذا كان لا يعلم افعال العباد لم ينتفع العبد بفعله ولهذا قال ابراهيم
عليه الصلاة والسلام لابيه لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر وليس المقصود من هذه الحجة التي ذكرها ابراهيم عليه الصلاة
والسلام القدح في الاهية الصنم لان كل احد يعلم بالضرورة انه حجر وخشب وانه عرضة لتصرف المتصرفين فمن شاء احرقه
ومن شاء اكرم ومن كذلك كيف يتوهم العاقل كونه الها بل المقصود ان اكثر عبدة الاصنام كانوا في زمن ابراهيم عليه الصلاة
والسلام اتباع الفلاسفة القائلين بان اله العالم موجب بالذات وليس موجدا بالمشيئة والاختيار فقال الموجب بالذات
اذا لم يكن عالما بالجزئيات لم يحصل للعابد الفوائد العظيمة وذلك لان العبد اذا اطاع علم المعبود طاعته وقدر
على ايصال الجزاء اليه في الدنيا والاخرة وان عصاه علم المعبود ذلك وقدر على ايصال العقاب اليه في الدنيا والاخرة قوله

قل اعملوا فسيرى الله عملكم ترغيب عظيم للمطيعين وترهيب عظيم للمذنبين فكانه قال اجتهدوا في المستقبل فان لعملكم في الدنيا
حكما وفي الاخرة حكما اما حكمه في الدنيا فهو ان يراه الله ويراه الرسول ويراه المومنون فان كان طاعة حصل له منه الثنا العظيم
في الدنيا والثواب العظيم في الاخرة وان كان معصية حصل منه الذم العظيم في الدنيا والعقاب الشديد في الاخرة فثبت ان
هذه اللفظة جامعة لجميع ما يحتاج اليه المرء في دينه ودنياه ومعاده **فصل** دلت هذه الاية على كونه تعالى
رائيا للمرئيات لان الروية المعداة الى مفعول واحد هي الابصار والمعداة الى مفعولين هي العلم كقولك رايت زيدا فقيها وههنا
الروية معداة الى مفعول واحد فيكون بمعنى الابصار فدلت على كونه مبصرا للاشياء كما ان قول ابراهيم عليه الصلاة والسلام
لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر يدل على كونه مبصرا للاشياء ويقوي هذا انه تعالى وصف نفسه بالعلم بعده فقال وستردون الى
عالم الغيب والشهادة فلو كانت هذه الروية هي العلم لزم التكرار الخالي عن الفائدة **فصل** دلت هذه الاية على ان كل
موجود فانه يصح رويته لما بينا من ان الروية هي العلم معداة الى مفعول واحد والقوانين اللغوية شاهدة بان الروية المعداة
الى المفعول الواحد معناه الابصار فكانت هذه الروية معناها الابصار ثم انه تعالى عداها الروية الى عملهم والعمل ينقسم
الى اعمال القلوب كالارادات والكراهات والخواطر والى اعمال الجوارح كالحركات والسكنات قيل له فيلزمك كونه تعالى رائيا
للكل واما الجبائي فانه استدل بهذه الاية على كونه سبحانه وتعالى رائيا الحركات والسكنات قيل له فيلزمك كونه تعالى
رائيا الاعمال القلوب فاجاب بانه تعالى عطف عليه قوله ورسوله والمومنون وهم انما يرون افعال الجوارح فلما تقيدت
هذه الروية باعمال الجوارح في حق المعطوف وجب تقييدها بهذا القيد في حق المعطوف عليه وهذا استدلال ضعيف لان
العطف لان العطف لا يفيد الا اصل التشريك فاما التسوية في كل الامور فغير واجب لان دخول التخصيص في المعطوف
لا يوجب دخول التخصيص في المعطوف عليه ويمكن ان يقول الجبائي روية الله تعالى حاصلة في الحال ولفظ الاية
مختص بالاستقبال لقوله فسيرى الله عملكم ورسوله فدل على ان الاية المراد ليس هو الروية بل المراد الجزاء المذكور على
الاعمال اي فسيوصل اليكم جزاء اعمالكم وقد يجاب بان ايصال الجزاء المذكور بقوله فينبئكم بما كنتم تعملون فلو حملنا
هذه الروية على ايصال الجزاء لزم التكرار وهو غير جائز **فصل** ذكروا في الفائدة في ذكر الرسول والمومنين بعد ذكر
الله في انهم يرون اعمال هولاء التائبين وجهين الاول ان احد ما يدعو المرء الى العمل الصالح هو ما يحصل له من المدح والتعظيم
فاذا علم انه اذا فعل ذلك الفعل عظمه الرسول والمومنون عظم فرحه بذلك وقويت رغبته فيه فكانه قيل ان كنت
من المحقين في عبودية الحق فاعمل الاعمال الصالحة لله تعالى وان كنت من الضعفاء المشغولين بثناء الخلق فاعمل الاعمال
الصالحة للفوز بثناء افضل الخلق وهو الرسول والمومنون الثاني ما ذكره ابو مسلم ان المومنين شهداء الله يوم القيمة لقوله
جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس والرسول شهيد الامة لقوله وجئنا بك على هولاء شهيدا وثبت ان الرسول
والمومنين شهداء الله يوم القيمة والشهادة لا تصح الا بعد الروية فذكر الله ان الرسول والمومنين يرون اعمالهم والمقصود
التنبيه على انهم يشهدون يوم القيمة عند حضور الاولين والاخرين بانهم اهل الصدق والسداد والعفاف والرشاد
وستردون الى عالم الغيب والشهادة قال ابن عباس عالم الغيب والشهادة ما تسرونه وما تظهرونه قال حكماء الاسلام الموجودات
الغائبة علل او كالعلل للموجودات المحسوسة وعندهم ان العلم بالعلة علة للعلم بالمعلول فوجب كون العلم بالغيب سابقا
على العلم بالشهادة فلهذا السبب انما جاء هذا الكلام في القران كان الغيب مقدما على الشهادة **فصل** ان حملنا
قوله فسيرى الله عملكم على الروية ظهر ان معناه مغاير لمعنى قوله فستردون الى عالم الغيب والشهادة وان حملنا تلك الروية
على العلم او على ايصال الثواب كان قوله وستردون الى عالم الغيب والشهادة جاريا مجرى التفسير لقوله فسيرى الله عملكم
ومعناه باظهار المدح والثناء والاعزاز في الدنيا او باظهار اضدادها وقوله وستردون الى عالم الغيب والشهادة اي
ما يظهر في القيامة من حال الثواب والعقاب فينبئكم بما كنتم تعملون اي يعرفكم احوال اعمالكم ثم يجازيكم عليها لان المجازاة
من الله تعالى لا تحصل في الاخرة الا بعد التعريف ليعرف كل احد ان الذي وصل اليه عدل لا ظلم **قوله تعالى**
واخرون مرجون الاية قرا ابن كثير وابو عمرو وابن عامر وابو بكر عن حفص مرجون بهمزة مضمومة بعدها واو ساكنة والباقون
مرجون دون همز وهذا كقراءتهم في الاحزاب ترجئ والباقون بدونه وهما لغتان يقال ارجاته وارجيته كاعطيته
ويحتمل ان يكونا اصلين بنفسيهما وان تكون الياء بدلا من الهمزة لانه قد عهد تخفيفها كثيرا كقران وقريت وتوضات
وتوضيت والارجاء التاخير وسميت المرجئة بهذا الاسم لانهم لا يجزمون القول بمغفرة التائب ولكن يوخرونها الى مشيئة
الله تعالى وقال الاوزاعي لانهم يوخرون العمل عن الايمان **قوله تعالى** اما يعذبهم يجوز ان تكون هذه الجملة في محل
رفع خبر المبتدا ومرجون يكون على هذا نعتا للمبتدا ويجوز ان يكون خبرا بعد خبر وان يكون في محل نصب على الحال
اي هم مرجون اما معذبين واما متوبا عليهم واما هنا للشك انما بالنسبة الى المخاطب فان الناس يقولون هلكوا اذ لم يقبل

الله لهم عذاب واخرون يقولون عسى الله ان يغفر لهم واما الابهام بالنسبة الى انهم على المخاطبين **فصل**
اعلم انه تعالى قسم المتخلفين ثلاثة اقسام احدها المنافقون الذين مردوا على النفاق والثاني التائبون وهم المرادون
بقوله واخرون اعترفوا وبين انه تعالى قبل توبتهم والثالث الذين بقوا موقوفين وهم المذكورون في هذه الاية والفرق
بين هؤلاء وبين القسم الثاني ان هؤلاء لم يسارعوا الى التوبة والاعتذار واولئك سارعوا اليها قال ابن عباس نزلت هذه الاية
في الذين خلفوا كعب بن مالك ومرارة بن الربيع وهلال بن امية لم يسارعوا الى التوبة والاعتذار كما فعل ابو لبابة فوقفهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسين ليلة ونهى الناس عن مخالطتهم حتى شفهم القلق وضاقت عليهم الارض بما رحبت وكانوا
من اهل بدر فجعل ناس يقولون هلكوا واخرون يقولون عسى الله ان يغفر لهم وصاروا مرجئين لامر الله اما يعذبهم واما
يرحمهم حتى نزلت توبتهم بعد خمسين ليلة والله عليم حكيم عليم بما في قلوب هؤلاء المرجئين حكيم بما حكم فيهم فان قيل انهم ندموا
على تاخرهم عن الغزو وتخلفهم عن الرسول عليه الصلاة والسلام وعلى هذا لا يكون توبتهم صحيحة فاستمر قبول توبتهم الى ان نزل
مدحهم تعبد ذلك ندموا على المعصية لنفس كونها معصية فحينئذ صحت توبتهم **فصل** احتج الجبائي بهذه الاية
على انه تعالى لا يعفوا عن غير التائب لانه قال في حق هؤلاء المذنبين اما يعذبهم واما يتوب عليهم وذلك يدل على انه لا يحكم
الا باحد هذين الامرين وهو اما التعذيب واما التوبة واما العفو عن الذنب من غير توبة فهو قسم ثالث فلما اهمل الله تعالى
ذكره دل على بطلانه واجيب بانا لا نقطع بحصول العفو عن جميع المذنبين بل نقطع بحصول العفو في الجملة واما في حق كل
واحد فذلك مشكوك قال تعالى ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فقطع بغفران ما سوى الشرك لكن لا في حق كل احد بل في
حق من يشاء فلم يلزم من عدم العفو في حق هؤلاء عدم العفو على الاطلاق وايضا فعدم الذكر لا يدل على العدم الا
نرى قوله تعالى وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة وهم المؤمنون ووجوه يومئذ عليها غبرة ترهقها قترة
اولئك هم الكفرة الفجرة فذكر المؤمنين والكافرين ثم ان عدم ذكر القسم الثالث لم يدل عند الجبائي على نفيه فكذا
ههنا **قوله تعالى** والذين اتخذوا مسجدا ضرارا الاية قرا نافع وابن عامر الذين اتخذوا بغير واو والباقون بواو العطف
فاما قراءة نافع وابن عامر فلموافقة مصاحفهم فان مصاحف المدينة والشام حذفت منها الواو وهي ثابتة في مصاحف
غيرهم فمن اسقط الواو ففيه اوجه احدها انها بدل من اخرون قبلها وفيه نظر لان هؤلاء الذين اتخذوا مسجدا ضرارا
لا يقال في حقهم انهم مرجون لامر الله لانه روي في التفسير انهم من كبار المنافقين كابي عامر الراهب الثاني انه مبتدا
وفي خبره حينئذ اقوال احدها انه افمن اسس بنيانه والعائد محذوف تقديره بنيانه الثاني انه لا يزال بنيانهم
قاله النحاس والحوفي وفيه بعد لطول الفصل الثالث انه لا تقم فيه قاله الكسائي قال ابن عطية ويتجه باضمار اما في
اول الاية واما في اخرها تقديره لا تقم في مسجدهم الرابع ان الخبر محذوف تقديره يعذبون ونحوه قاله المهدوي الوجه الثالث
انه منصوب على الاختصاص كقوله تعالى والمقيمين الصلاة وسياتي هذا الوجه ايضا في قراءة الواو واما قراءة الواو
ففيها ما تقدم الا انه يمتنع وجه البدل من اخرون لاجل العاطف وقال الزمخشري فان قلت والذين اتخذوا ما محله
من الاعراب قلت محله النصب على الاختصاص كقوله تعالى والمقيمين الصلوة وقيل هو مبتدا وخبره محذوف معناه
فيمن وصفنا الذين اتخذوا كقوله والسارق والسارقة يريد على مذهب سيبويه فان تقديره فيما يتلى عليكم السارق
فحذف الخبر وابقى المبتدا كهذه الاية قال القرطبي والذين اتخذوا مسجدا معطوف اي ومنهم الذين اتخذوا مسجدا عطف
جملة على جملة **قوله تعالى** ضرارا فيه ثلاثة اوجه احدها انه مفعول من اجله اي مضارة لاخوانهم الثاني انه مفعول ثان
لاتخذ قاله ابو البقا الثالث انه مصدر في موضع الحال من فاعل اتخذوا اي اتخذوه مضارين لاخوانهم ويجوز ان ينتصب
على المصدر ريثما اي يضرون بذلك غيرهم ضرارا ومتعلقات هذه المصادر محذوفة اي ضرارا لاخوانهم وكفرا بالله **فصل**
قال ابن عباس ومجاهد وقتادة وعامة المفسرين الذين اتخذوا مسجد الضرار كانوا اثني عشر رجلا من المنافقين وديعة بن ثابت
وخدام بن خالد ومن داره اخرج هذا المسجد وثعلبة بن حاطب وجارية بن عمرو وابناه مجمع وزيد ومعتب بن قشير
وعباد بن حنيف اخو سهيل بن حنيف وابو حبيبة بن الازعر ونبيل بن الحرث وبجاد بن عثمان ورجل يقال له بخرج بنوا
هذا المسجد ضرارا يعني مضارة للمؤمنين وكفرا بالنبي عليه الصلاة والسلام وما جاء به قال ابن عباس ومجاهد وقتادة
وغيرهم ان ابا عامر الراهب كان خرج الى قيصر وتنصر ووعدهم قيصر انه سياتيهم فبنوا مسجد الضرار يرصدون مجيئه
فيه وقال غيره اتخذوه ليكفروا فيه بالطعن عليه الصلاة والسلام والاسلام وتفريقا بين المؤمنين اي يفرقون
بواسطته جماعة المؤمنين يصلون في مسجد قبا فيؤدي ذلك الى اختلاف الكلمة وابطال الالفة وكان يصلي بهم مجمع
بن جارية فلما فرغوا اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يتجهز الى تبوك فقالوا يا رسول الله انا بنينا مسجدا
لذي العلة والحاجة والليلة المطيرة والليلة الشاتية وانا نحب ان تاتينا تصلي لنا فيه وتدعوا بالبركة

فقال

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني على جناح سفر ولو قدمنا ان شاء الله اتيناكم فصلينا لكم فيه **فصل**
قال القرطبي سطر مالك رحمه الله هذه الاية وقال لا تصلي جماعتان في مسجد واحد بامامين خلافا لسائر العلماء وروي
عن الشافعي المنع لان ذلك تشتيت للكلمة وابطال لهذه الحكمة وذريعة الى ان يقول من يريد الانفراد عن الجماعة كان له عذر
فيقيم جماعة ويقدم امامه فيقع الخلاف بينهم ويبطل النظام وخفي ذلك عليهم **قوله** وارصادا لمن حارب الله ورسوله
من قبل قوله الانتظار قاله الزجاج وقال ابن قتيبة الانتظار مع العداوة قالوا والمراد به ابو عامر الراهب وهو ابو حنظلة
غسيل الملائكة وكان قد ترهب في الجاهلية وتنصر ولبس المسوح فلما قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة قال له ابو عامر
ما هذا الذي جئت به قال جئت بالحنيفية دين ابراهيم قال ابو عامر انا عليها فقال النبي صلى الله عليه وسلم انك لست عليها
قال بلى ولكنك ادخلت في الحنيفية ما ليس منها فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما فعلت ولكن جئت بها بيضاء نقية
فقال ابو عامر امات الله الكاذب طريدا وحيدا غريبا فقال النبي صلى الله عليه وسلم امين وسماه ابا عامر الفاسق فلما كان
يوم احد قال ابو عامر لرسول الله صلى الله عليه وسلم لا اجد قوما يقاتلونك الا قاتلتك معهم فلم يزل يقاتله الى يوم
حنين فلما انهزمت هوازن يئس وخرج هاربا الى الشام وارسل الى المنافقين ان استعدوا بما استطعتم من قوة وسلاح
وابنوا لي مسجدا فاني ذاهب الى قيصر ملك الروم فاتي بجند من الروم فاخرج محمدا واصحابه فبنوا مسجد الضرار الى جنب مسجد
قبا فذلك قوله وارصادا لمن حارب الله ورسوله وهو ابو عامر الفاسق ليصلي فيه اذا رجع من الشام **قوله تعالى** من قبل
فيه وجهان احدهما وهو الذي لم يذكر الزمخشري غيره انه متعلق بقوله اتخذوا اي اتخذوا مسجدا من قبل ان ينافق هؤلاء
والثاني انه متعلق بحارب اي حارب من قبل اتخاذ هذا المسجد **قوله تعالى** وليحلفن ان اردنا وان نافية ولذلك وقع
بعدها الا والحسنى ليحلفن جواب قسم مقدر اي والله ليحلفن وقوله ان اردنا جواب لقوله ليحلفن فوقع جواب القسم
المقدر فعل قسم مجاب بقوله ان اردنا وان نافية ولذلك وقع بعدها الا والحسنى صفة لموصوف محذوف اي الا الخصلة
الحسنى جعله مفعولا او لا الارادة الحسنى جعله علة فكانه ضمن اراد معنى قصد اي ما قصدوا ببنائه شيئا من الاشياء الا
الارادة الحسنى قال وهذا وجه متكلف وارادوا بالفعلة الحسنى الرفق بالمسلمين والتوسعة على اهل الضعف والعلة
والعجز عن المسير الى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم انا بنينا مسجدا لذي العلة
والحاجة والليلة المطيرة ثم قال تعالى والله يشهد انهم لكاذبون اي ان الله اطلع الرسول عليه الصلاة والسلام على انهم
حلفوا كاذبين وروي انه لما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم من تبوك فنزل بذي اوان موضع قريب من المدينة
اتوه فسالوه اتيان مسجدهم فدعا بقميصه ليلبسه ويأتيهم فانزل عليه القرآن واخبره خبر مسجد الضرار وما هموا
به فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم مالك بن الدخشم ومعن بن عدي وعامر بن السكن والوحشي قاتل حمزة وقال انطلقوا
الى هذا المسجد الظالم اهله فاهدموه واحرقوه فخرجوا سريعا حتى اتوا سالم بن عوف وهم رهط مالك بن الدخشم فقال مالك
انظروني حتى اخرج اليكم بنار من اهلي فدخل اهله فاخذ سعفا من النخل فاشعل فيه نارا ثم خرجوا يشتدون حتى دخلوا المسجد
وفيه اهله فحرقوه وهدموه وتفرق عنه اهله وامر النبي صلى الله عليه وسلم ان يتخذ ذلك كناسة يلقى فيها الجيف والنتن
والقمامة ومات ابو عامر بالشام وحيدا غريبا وروي ان بني عمرو بن عوف الذين بنوا مسجد قبا اتوا عمر بن الخطاب رضي الله عنه
في خلافته ليأذن لمجمع بن جارية فيؤمهم في مسجدهم فقال لا والله ولا نعمة عين اليس بامام مسجد الضرار فقال له مجمع يا امير
المؤمنين لا تعجل علي والله لقد صليت فيه وانا لا اعلم ما اضمروا عليه ولو علمت ما صليت معهم فيه كنت غلاما قارئا
للقرآن وكانوا شيوخا لا يقرؤون فصليت ولا احسب الا انهم يتقربون الى الله ولم اعلم ما في انفسهم فعذره عمر وصدقه
وامره بالصلاة في مسجد قبا قالوا لما فتح الله على عمر بن الخطاب الامصار امر المسلمين ان يبنوا المساجد وامرهم ان لا يبنوا
في مدينتهم مسجدين يضار احدهما صاحبه **قوله تعالى** لا تقم فيه ابدا قال ابن عباس لا تصل فيه منع الله نبيه صلى
الله عليه وسلم ان يصلي في مسجد الضرار قال ابن جريج فرغوا من اعمار ذلك المسجد يوم الجمعة فصلوا فيه ذلك اليوم ويوم
السبت والاحد وانهار في يوم الاثنين ثم انه تعالى بين العلة في هذا النهي وهي ان احد المسجدين لما كان مبنيا على التقوى
من اول يوم وكانت الصلاة في مسجد اخر يمنع من الصلاة في مسجد التقوى علم بالضرورة انه يمنع من الصلاة في المسجد الثاني
فان قيل كون احد المسجدين افضل لا يوجب المنع من اقامة الصلوة في المسجد الثاني **فصل** علة المنع وقعت
بمجموع امور احدها كون مسجد الضرار سببا للمفاسد المذكورة وهي المضارة والكفر والتفريق بين المؤمنين وارصاده لمن حارب
الله ورسوله وكون مسجد التقوى يشتمل على الخيرات الكثيرة **فصل** قال القرطبي قال علماؤنا لا يجوز ان
يبنى مسجد الى جنب مسجد ويجب هدمه والمنع من بنائه لئلا ينصرف اهل المسجد الاول فيبقى شاغرا الا ان تكون المحلة
كبيرة ولا يكفي اهلها مسجد واحد فيبنى حينئذ وكذلك قالوا لا ينبغي ان يبنى في المصر الواحد جامعان وثلاثة ويجب

منع الثاني ومن صلى فيه الجمعة لم تجزه وقال علماؤنا كل مسجد بني على ضرار ورياء او سمعة فهو في حكم مسجد الضرار لا تجوز الصلاة
فيه **فصل** قال النقاش ويلزم من هذا ان لا يصلى في كنيسة ولا بيعة ونحوها لانها بنيت على شر قال القرطبي
وهذا لا يلزم لان الكنيسة لم يقصد ببنائها الضرر بالغير وان كان اصل بنائها على شر وانما اتخذت النصارى الكنيسة
واليهود البيعة موضعا للعبادة بزعمهم كالمسجد لنا فافترقا وقد اجمع العلماء على ان من صلى في كنيسة او بيعة على موضع طاهر
ان صلاته صحيحة جائزة وذكر البخاري ان ابن عباس كان يصلي في بيعة اذا لم يكن فيها تماثيل وذكر ابو داود عن عثمان
ابن ابي العاص ان النبي صلى الله عليه وسلم امره ان يبني مسجد الطائف حيث كان طواغيتهم **فصل** قال القرطبي
قال علماؤنا من كان اماما لظالم لا يصلى وراءه الا ان يظهر عذره او يتوب لان بني عمرو بن عوف الذين بنوا مسجد قبا
سالوا عمر بن الخطاب في خلافته ان ياذن لمجمع بن جارية ان يصلي بهم في مسجدهم فقال لا والله ولا نعمة عين اليس بامام
مسجد الضرار فقال له مجمع يا امير المومنين لا تعجل علي فوالله لقد صليت فيه وانا لا اعلم ما اضمروا عليه ولو علمت ما
صليت بهم فيه كنت غلاما قارئا للقران شابا وكانوا شيوخا قد عتوا على جاهليتهم كانوا لا يقرؤون من القران شيئا
فصليت ولا احسب ما صنعت اثما ولم اعلم ما في انفسهم فعذره عمر وصدقه وامره بالصلاة في مسجد قبا **فصل**
قال القرطبي قال العلماء اذا كان المسجد الذي يتخذ للعبادة وحض الشارع على بنائه بقوله من بنى لله مسجدا بنى الله له بيتا
في الجنة يهدم اذا كان فيه ضرر بغيره فما ظنك بسواه بل هو احرى ان يزال ويهدم كمن بنى فرنا او رحى او حفر بئرا وغير
ذلك مما يدخل ضررا على الغير والضابط فيه ان من ادخل ضررا على اخيه منع فان ادخل على اخيه ضررا بفعل ما كان
له فعله في ماله فاضر ذلك بجاره او غير جاره نظر الى ذلك الفعل فان كان تركه اكثر ضررا من الضرر الداخل على الفاعل
قطع اكثر الضررين مثل فتح كوة في منزله يطلع منها على دار اخيه وفيها العيال والاهل ومن شان النساء في بيوتهن التجرد
من بعض ثيابهن والانتشار في حوائجهن ومعلوم ان الاطلاع على العورات محرم نهى الشارع عن الاطلاع على العورات
فراى العلماء ان يغلقوا الكوة وان كان فيها منفعة وراحة لان ضرر الكوة اعظم من ضرر سدها خلافا للشافعي
فان اصحابه قالوا لو حفر في ملكه بئرا فنزف منها ماء البئر الاولى جاز لان كل واحد منهما حفر في ملكه فلا يمنع ومثله
عندهم لو حفر الى جنب بئر جاره كنيفا يفسد عليه بئره لم يكن له منعه لانه تصرف في ملكه والقران والسنة
يردان هذا القول ومن هذا النوع من الضرر الذي منع العلماء منه دخان الفرن والحمام وغبار الاندر والدود
المتولد من الزبل المنشور في الرحاب فانه يمنع منه ما كثر ضرره وخشي تماديه **قوله تعالى** لمسجد فيه وجهان احدهما
لام الابتداء والثاني انها جواب قسم محذوف تقديره والله لمسجد اسس اي بني اصله على التقوى وعلى التقديرين
فيكون لمسجد مبتدا واسس في محل رفع نعتا له واحق خبره والقائم مقام الفاعل ضمير المسجد على حذف مضاف
اي اسس بنيانه من اول متعلق به وبه استدل الكوفيون على ان من لابتداء الغاية في الزمان واستدلوا ايضا
بقوله • من الصبح حتى تطلع الشمس لا ارى • من القوم الا خارجيا مسوما • وقول الاخر •
تخيرن من ازمان يوم حليمة • الى اليوم قد جربن كل التجارب • وقد تاوله البصريون على حذف مضاف اي من تاسيس اول
يوم ومن طلوع الصبح ومن مجيء ازمان يوم قال القرطبي من عند النحويين مقابلة منذ فمنذ في الزمان بمنزلة من
في المكان اي من تاسيس اول الايام فدخلت على مصدر الفعل الذي هو اسس كقوله • لمن الديار بقنة الحجر •
اقوين من حجج ومن دهر • واذا دعا الى هذا من اصول النحويين ان من لا يجر بها الازمان وانما تجر الازمان منذ تقول
ما رايته منذ شهر ومنذ سنة قال ابو البقا وهذا ضعيف لان التاسيس المقدر ليس بمكان حتى لا يكون لابتداء غايته
ويدل على جواز ذلك قوله لله الامر من قبل ومن بعد وهو كثير في القران وغيره قال شهاب الدين البصريون انما فروا
من كونها لابتداء الغاية في الزمان وليس في هذه العبارة ما يقتضي انها لا تكون الا لابتداء الغاية في المكان حتى
يرد عليهم بما ذكر والخلاف في هذه المسالة قوي ولابي علي فيها كلام طويل وقال ابن عطية ويحسن عندي ان يستغني
عن تقدير وان يكون من تجر لفظة اول لانها بمعنى البداءة كانه قال من مبتدا الايام وقد حكي في هذا الذي اخترته
من بعض ائمة النحو وقوله احق ليس للتفضيل بل بمعنى حقيق اذ لا مفاضلة بين المسجدين وقال القرطبي احق هو افعل من
الحق وافعل لا تدخل الا بين شيئين مشتركين لاحدهما مزية في المعنى الذي اشتركا فيه على الاخر فمسجد الضرار وان كان
باطلا لا حق فيه فقد اشتركا في الحق من جهة ذاتية او من جهة اعتقاد من كان يظن ان القيام فيه جائز للمسجدية لكن
احد الاعتقادين باطل باطنا عند الله والاخر حقا باطنا وظاهرا ومثله قوله تعالى اصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا
واحسن مقيلا ومعلوم انه لا خيرية في النار ولكنه جرى على اعتقاد كل فرقة انها على خير وان مصيرها اليه خير
اذ كل حزب بما لديهم فرحون وان تقوم اي بان تقوم والتاء لخطاب الرسول عليه الصلاة والسلام وفيه متعلق به

قو

قوله تعالى فيه رجال يجوز ان يكون فيه صفة لمسجد ورجال فاعل وان يكون حالا من الهاء في فيه ورجال فاعل به ايضا
وهذان اولى من حيث ان الوصف بالمفرد اصل والجار قريب من المفرد ويجوز ان يكون فيه خبرا مقدما ورجال مبتدا مؤخر
وفي هذه الجملة ايضا ثلاثة اوجه احدها الوصف والثاني الحال على ما تقدم والثالث الاستيناف وقرا ابن عبيد الله بن زيد
فيه بكسر الهاء وفي الثانية بضمها وهو الاصل جمع بذلك بين اللغتين وفيه ايضا رفع توهم التاكيد ورفع توهم ان رجالا
مرفوع بتقوم وقوله يحبون صفة لرجال وان مفعول به وقرا طلحة بن مصرف والاعمش يطهروا بالادغام وعلي بن ابي طالب
المتطهرين بالاظهار عكس قراءة الجمهور في اللفظين **فصل** معنى اسس اي بني اصله على التقوى من اول يوم بني ووضع
اساسه احق ان تقوم فيه مصليا واختلفوا في المسجد الذي اسس على التقوى فقال ابن عمر وزيد بن ثابت وابو سعيد
الخدري هو مسجد النبي صلى الله عليه وسلم ويدل عليه ما روى حميد الخراط قال سمعت ابا سلمة بن عبد الرحمن قال مر بي عبد
الرحمن بن ابي سعيد الخدري قال قلت له كيف سمعت اباك يذكر في المسجد الذي اسس على التقوى قال قال ابي دخلت على
رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيت بعض نسائه فقلت يا رسول الله اي المسجد الذي اسس على التقوى قال فاخذ كفا من
حصباء فضرب الارض ثم قال مسجدكم هذا المسجد المدينة قال فقلت اشهد اني سمعت اباك هكذا يذكره وهذا قول سعيد بن المسيب
وقال قوم انه مسجد قبا وهي رواية عطية عن ابن عباس وهو قول عروة بن الزبير وسعيد بن جبير وقتادة لما روي عن ابن
عمر قال كان النبي صلى الله عليه وسلم ياتي مسجد قبا كل سبت ماشيا وراكبا وكان عبد الله يفعله وزاد نافع عن ابن عمر عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم فيصلي فيه ركعتين قال القاضي يصح دخولهما معا فيه وقوله فيه رجال يحبون ان يتطهروا
اي من الاحداث والجنابات والنجاسات قال عطا كانوا يستنجون بالماء ولا ينامون الليل على جنابة روى ابو هريرة عن النبي
صلى الله عليه وسلم قال نزلت هذه الاية في اهل قبا فيه رجال يحبون ان يتطهروا قال كانوا يستنجون بالماء فنزلت فيهم
هذه الاية والله يحب المطهرين وروى الزمخشري ان النبي صلى الله عليه وسلم وقف على باب مسجد قبا ثم قال يا معشر الانصار
ان الله اثنى عليكم فما الذي تصنعون في الوضوء قالوا نتبع الماء الحجر فقرا النبي عليه الصلاة والسلام فيه رجال يحبون ان
يتطهروا الاية قالوا المراد منه الطهارة بالماء بعد الحجر وقيل المراد منه الطهارة من الذنوب والمعاصي وقيل محمول على كلا
الامرين فان قيل لفظ الطهارة حقيقة في ازالة النجاسات ومجاز في البراءة عن المعاصي واستعمال اللفظ الواحد في
الحقيقة والمجاز معا لا يجوز **فالجواب** ان لفظ التطهر يستعمل وهذا القدر مفهوم مشترك **قوله تعالى** افمن
اسس بنيانه قرا نافع وابن عامر اسس مبنيا للمفعول والثاني مبنيا للفاعل بنيانه مفعول به والفاعل ضمير من وقرا
عمارة بن عائذ الاول مبنيا للمفعول والثاني مبنيا للفاعل وبنيانه مرفوعا على الاولى ومنصوبا على الثانية لما تقدم
وقرا نصر بن علي ونصر بن عاصم اسس بنيانه جمع اس وروي عن نصر بن عاصم ايضا اس بهمزة مفتوحة وسين مضمومة وقرئ
اساس بالكسر وهي جموع اضيفت الى البنيان وقرئ اساس بفتح الهمزة واس بضم الهمزة وتشديد السين وهما مفردان اضيفا
الى البنيان والاس والاساس القاعدة التي يبنى عليها الشيء ويقال كان ذلك على اس الدهر كقولهم على وجه الدهر ويقال
اس مضعفا اي جعل له اساسا واسس بزنة فاعل والبنيان فيه قولان احدهما انه مصدر كالغفران والشكران
واطلق على المفعول كالخلق بمعنى المخلوق واطلاق المصدر على المفعول مجاز مشهور يقال هذا ضرب الامير اي مضروبه
ومنسوجه والثاني انه جمع واحده بنيانة قال الشاعر • كبنيانة القاري موضع رحلها • واثار مسعاها من الدف بلق •
يعنون انه اسم جنس كقمح وقمحة **قوله تعالى** على تقوى يجوز فيه وجهان احدهما انه متعلق بنفس اسس فهو مفعول
في المعنى والثاني انه متعلق بمحذوف على انه حال من الضمير المستكن في اسس اي قاصدا ببنيانه التقوى كذا قدره ابو البقا
وقرا عيسى بن عمر تقوى منونة وحكى هذه القراءة سيبويه ولم يرتضها الناس لان الفها للتانيث فلا وجه لتنوينها
وقد خرجها الناس على ان تكون الفها للالحاق قال ابن جني قياسها ان تكون الفها للالحاق كارطى **قوله تعالى** خير
خبر المبتدا والتفضيل هنا باعتبار معتقدهم وام متصلة ومن الثانية عطف من الاولى واسس بنيانه كالاولى **قوله**
على شفا جرف كقوله على تقوى في وجهيه والشفا هو الشفير وشفا الشيء حرفه يقال اشفى على كذا اذا دنا منه وتقدم
الكلام عليه في آل عمران وقرا حمزة وابن عامر وابو بكر عن عاصم جرف بسكون الراء والباقون بضمها فقيل لغتان وقيل
الساكن فرع على المضموم كعنق في عنق وطنب في طنب وقيل العكس كعسر ويسر **والجرف** البئر التي لم تطو وقيل هو الهوة
وما يجرفه السيل من الاودية قاله ابو عبيدة وقيل هو المكان الذي ياكله الماء فيجرفه اي يذهب به ورجل جراف اي كثير
النكاح كانه يجرف في ذلك العمل قاله الراغب **قوله تعالى** هار نعت لجرف وفيه ثلاثة اقوال احدها وهو المشهور انه
مقلوب بتقديم لامه على عينه وذلك ان اصله هاور او هاير بالواو والياء لانه سمع فيه الحرفان قالوا هار يهور ويهار
وهار يهير وتهور البناء وتهير فقدمت اللام وهي الواو والياء على العين وهي الالف فصار كغاز ورام فاعل بالنقص

كاعلالما فوزنه بعد القلب فالع ثم توزنه بعد الحذف فيقال الثاني انه حذفت عينه اعتباطا اي بغير موجب وعلى هذا
فيجري بوجوه الاعراب ايضا كالذي قبله كما تقول هذا باب ورايت بابا ومررت بباب فيقال هذا هار ورايت هارا ومررت
بهار ووزنه ايضا فال والثالث انه لا قلب فيه ولا حذف وان اصله هورا او هير بزنة كتف فتحرك حرف العلة وانفتح ما قبله
فقلبت الفا فصار مثل قولهم كبش صاف اي صوف ويوم راح اي روح وعلى هذا فيجري بوجوه الاعراب ايضا كالذي قبله كما تقول
هذا باب ورايت بابا ومررت بباب وهذا اعدل الوجوه لاستراحته من ادعاء القلب والحذف اللذين هما على خلاف الاصل
لولا انه غير مشهور عند اهل التصريف ومعنى هار اي ساقط متداع منهار قال الليث الهور مصدر هار الجرف يهور اذا انصدع
من خلفه وهو ثابت في مكانه وهو جرف هار هاير فاذا سقط فقد انهار وتهور ومعناه الساقط الذي يتداعى بعضه في
اثر بعض كما ينهار الرمل والشيء الرخو **قوله تعالى** فانهار فاعله اما ضمير البنيان والهاء في به على هذا ضمير المؤسس الثاني
اي فسقط بنيان الباني على شفا جرف هار واما ضمير الشفا واما ضمير الجرف اي فسقط الشفا او سقط الجرف والهاء في به
للبنيان ويجوز ان يكون للباني المؤسس والاولى ان يكون الفاعل ضمير الجرف لانه يلزم من انهياره انهيار الشفا والبنيان
جميعا ولا يلزم من انهيارها او انهيار احدهما انهياره والباء في به يجوز ان تكون المعدية وان تكون التي للمصاحبة وقد
تقدم الخلاف في اول الكتاب ان المعدية عند بعضهم تستلزم المصاحبة واذا قيل انها للمصاحبة هنا فتتعلق بمحذوف
لانها حال اي فانهار مصاحبا له **فصل** معنى الاية ان من اسس بنيان دينه على قاعدة قوية محكمة وهي الحق الذي
هو تقوى الله ورضوانه خير امن اسس على قاعدة هي اضعف القواعد واقلها بقاء وهو الباطل والنفاق الذي مثله مثل
شفا جرف هار وكان مشرفا على السقوط ولكونه على طرف جهنم كان اذا انهار فانما ينهار في قعر جهنم فالمعنى ان احد البنائين
قصد بانيه ببنائه تقوى الله ورضوانه والبناء الثاني خبيثا والحيا لهدم فلا يرى مثال احسن مطابقة لامر المنافقين
من هذا المثال والله لا يهدي القوم الظالمين **قوله تعالى** لا يزال بنيانهم الذي بنوا ريبة في قلوبهم اي ذلك البنيان
صار سببا لحصول الريبة في قلوبهم وبنيانهم يحتمل ان يكون مصدرا على حاله اي لا يزال مبناهم بسبب ريبة وقوله الذي
بنوا ريبة تاكيد دفعا لوهم من يتوهم انهم لم يبنوا حقيقة وانما دبروا امورا من قولهم كم ابني وتهدم وعليه قوله
متى يبلغ البنيان يوما تمامه • اذا كنت تبنيه وغيرك يهدم **فصل** في كونه سببا للريبة وجوه احدها
ان المنافقين فرحوا ببناء مسجد الضرار فلما امر الرسول عليه الصلاة والسلام بتخريبه ثقل عليهم وازداد بغضهم له
وازداد ارتيابهم في نبوته وثانيها ان الرسول عليه الصلاة والسلام لما امر بتخريبه ظنوا انه انما امر بتخريبه حسدا
فارتفع امانهم عنه وعظم خوفهم منه وصاروا مرتابين في انه هل يتركهم على ما هم فيه او يامر بقتلهم ونهب اموالهم
وثالثها انهم اعتقدوا كونهم محسنين في بناء ذلك المسجد كما حبب العجل الى قوم موسى فلما امر الرسول عليه الصلاة والسلام
بتخريبه بقوا شاكين مرتابين في انه لاي شيء امر بتخريبه قال ابن عباس وقال الكلبي ريبة اي حسرة وندامة لانهم ندموا على
بنائه وقال السدي لا يزال هدم بنيانهم ريبة في كل وقت الا وقت تقطيع قلوبهم او في كل حال الا حال تقطيعها وقرا
ابن عامر وحمزة وحفص تقطع بفتح التاء والاصل تتقطع بتائين فحذفت احداهما وعن ابن كثير تقطع بفتح التاء وسكون القاف
قلوبهم بالنصب اي تفعل انت بقلوبهم هذا الفعل وقرا الباقون تقطع بضمها وهو مبني للمفعول مضارع قطع بالتشديد
وقرا ابي تقطع مخففا من قطع وقرا الحسن ومجاهد وقتادة ويعقوب الى ان بالي الجارة وابو حيوة كذلك وهي قراءة واضحة
في المعنى الا ان ابا حيوة قرا تقطع بضم التاء وفتح القاف وكسر الطاء مشددة والفاعل ضمير الرسول قلوبهم نصبا على المفعول
به والمعنى ذلك انه يقتلهم ويتمكن منهم كل تمكن وقيل الفاعل ضمير الريبة اي الى ان تقطع الريبة قلوبهم وفي مصحف عبد الله
ولو قطعت وبها قرا اصحابه وهي مخالفة لسواد مصاحف الناس والمعنى ان هذه الريبة باقية في قلوبهم ابدا ويموتون
على النفاق وقيل معناه الا ان يتوبوا توبة تتقطع بها قلوبهم ندما واسفا على تفريطهم وقيل حتى تبقى قلوبهم غما وحسرة
والله عليم باحوالهم حكيم في الاحكام التي يحكم بها عليهم **قوله تعالى** ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان
لهم الجنة الاية لما شرح احوال المنافقين عاد الى بيان فضيلة الجهاد وقيل هذا تمثيل كقوله تعالى اولئك الذين اشتروا
الضلالة بالهدى قال محمد بن كعب القرظي لما بايعت الانصار رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة بمكة وهم سبعون
نفسا قال عبد الله بن رواحة يا رسول الله اشترط لربك ولنفسك ما شئت فقال اشترط لربي ان تعبدوه ولا تشركوا به شيئا
واشترط لنفسي ان تمنعوني مما تمنعون منه انفسكم واموالكم قالوا فاذا فعلنا ذلك فما لنا قال الجنة قالوا ربح البيع لا
نقيل ولا نستقيل فنزلت ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة قال مجاهد والحسن ومقاتل ثامنهم
فاغلا ثمنهم **قوله تعالى** بان لهم متعلق باشترى ودخلت الباء هنا على المتروك على بابها وسماها ابو البقاء بالمقابلة كقولهم
باء العوض وباء الثمنية وقرا عمر بن الخطاب والاعمش بالجنة قال اهل المعاني لا يجوز ان يشتري الله شيئا في الحقيقة لانه مالك

وقال الحسن

وقال الحسن انفسا هو خلقها واموالا هو رزقها وانما ذكر الله تعالى لحسن التلطف في الدعاء الى الطاعة لان المؤمن
اذا قاتل في سبيل الله حتى يقتل فتذهب روحه وينفق ماله في سبيل الله جعل الله تعالى جزاءه في الاخرة الجنة فكان هذا
استبدالا وشراء قال الحسن والله بيعة رابحة وكفة راجحة بايع الله بها كل مؤمن والله ما على الارض مؤمن الا وقد دخل في
هذه البيعة وفيه لطيفة وهي ان المشتري لا بد وان يغاير البائع هو الله تعالى والمشتري هو الله سبحانه وتعالى وهذا
انما يصح في حق القيم بامر الطفل الذي لا يمكنه رعاية مصالحه وصحة هذا البيع مشروطة برعاية الغبطة فهذا جار مجرى التنبيه
على كون العبد كالطفل الذي لا يهتدي الى رعاية مصالح نفسه وانه تعالى هو المراعي لمصالحه بشرط الغبطة التامة
فصل قال القرطبي هذه الاية دليل على جواز معاملة السيد مع عبده وان كان الفعل للسيد لكن اذا ملكه
عاملة فيما جعل اليه وجاز بين العبد وسيده ما لا يجوز بينه وبين غيره لان ما له له وله انتزاعه **فصل**
اصل الشرى من الخلق ان يعوضوا عما خرج من ايديهم ما كان انفع لهم او مثل ما خرج عنهم في النفع فاشترى الله سبحانه
من العباد اتلاف انفسهم واموالهم في طاعته يتعارفونه في البيع واتلافهما في رضائه واعطاهم الجنة عوضا عنها اذا فعلوا
ذلك وهو عوض عظيم لا يدانيه العوض فاجرى ذلك على مجرى ما يتعارفونه في البيع والشرى فمن العبد تسليم النفس
والمال ومن الله الثواب والنوال فسمي هذا شراء **فصل** قال بعض العلماء كما اشترى من المؤمنين البالغين
المكلفين كذلك اشترى من الاطفال فالمهم واسقمهم لما في ذلك من المصلحة وما في الاعتبار للبالغين فانهم لا يكونون عند
شيء اكثر صلاحا واقل فسادا منهم عند الالم للاطفال وما يحصل للوالدين من الثواب فيما ينالهم من الهم ويتعلق بهم من
التربية ثم ان الله تعالى يعوض هؤلاء الاطفال عوضا اذا صاروا اليه **قوله تعالى** يقاتلون يجوز ان يكون مستانفا
ويجوز ان يكون حالا وقال الزمخشري يقاتلون فيه معنى الامر كقوله تجاهدون في سبيل الله باموالكم وانفسكم
وعلى هذا فيتعين الاستيناف لان الطلب لا يقع حالا وقد تقدم في فيقتلون ويقتلون في ال عمران قرا حمزة والكسائي
فيقتلون بتقديم الفاعل على معنى يقتل بعضهم ويقتل الباقون وقرا الاخرون بتقديم الفاعل **قوله تعالى** وعدا
منصوب على المصدر المؤكد لمضمون الجملة لان معنى اشترى بمعنى وعدهم بذلك فهو نظير هذا ابني حقا ويجوز ان
يكون مصدرا في موضع الحال وفيه ضعف وحقا نعت له وعليه حال من حقا لانه في الاصل صفة لو تاخر **قوله تعالى**
في التوراة فيه وجهان احدهما انه متعلق باشترى وعلى هذا فيكون كل امة قد امرت بالجهاد ووعدت عليه الجنة والثاني
انه يتعلق بمحذوف لانه صفة للوعد اي وعدا مذكورا وكائنا في التوراة وعلى هذا فيكون الوعد بالجنة لهذه الامة
مذكورا في كتب الله المنزلة وقال الزمخشري في اثناء كلام لا يجوز عليه نبخ قط قال ابو حيان استعمل قط في غير موضعه لانه
اتى به مع قوله لا يجوز عليه وقط ظرف ماض فلا يعمل فيه الا الماضي قال شهاب الدين ليس المراد هنا زمنا بعينه ثم قال
تعالى ومن اوفى بعهده من الله اي نقيض العهد كذب ومكر وخديعة وكل ذلك من القبائح وهي قبيحة من الانسان
مع احتياجه اليها فالغني عن كل الحاجات اولى ان يكون منزها عنه اي لا احد اوفى بعهده من الله وهذا يتضمن الوفا
بالوعد والوعيد ولا يتضمن وقال الرازي بالكل فاما وعده فللجميع فاما وعيده فمخصوص ببعض المذنبين وببعض
الذنوب في بعض الاحوال **قوله تعالى** فاستبشروا فيه التفات من الغيبة الى الخطاب لان في خطابهم بذلك تشريفا
لهم واستفعل هنا ليس للطلب بل بمعنى افعل كاستوقد واوقد والمعنى اظهروا السرور بذلك والبشارة اظهار السرور
في البشرة وقد تقدم وقوله الذي بايعتم به توكيد لقوله الذي بيعكم على هذا البيع بعينه **قوله تعالى**
التائبون الاية لما بين انه اشترى من المؤمنين انفسهم بين ان اولئك المؤمنين هم الموصوفون بهذه الصفات
التسع وقال جماعة الاية الاولى مستقلة بنفسها يقع تحت تلك المبايعة كل موحد قاتل في سبيل الله لتكون كلمة الله هي
العليا وان لم يتصف بهذه الصفات في هذه الاية او باكثرها قوله التائبون فيه خمسة اوجه احدها انه مبتدا وخبره
العابدون وما بعده اوصاف واخبار متعددة عند من يرى ذلك الثاني ان الخبر قوله الامرون الثالث ان الخبر
محذوف اي التائبون الموصوفون بهذه الاوصاف من اهل الجنة اي من لم يجاهد غير معاند ولا قاصد لترك الجهاد
فله الجنة قاله الزجاج وهو حسن كانه وعد الجنة للجميع كقوله وكلا وعد الله الحسنى ويؤيده قوله وبشر المؤمنين
وهذا عند من يرى ان هذه الاية منقطعة مما قبلها وليست شرطا في المجاهدة واما من زعم انها شرط في المجاهدة
كالضحاك وغيره فيكون اعراب التائبين خبر مبتدا محذوف اي هم التائبون وهذا من باب قطع النعوت وذلك
ان هذه الاوصاف عند هؤلاء القائلين من صفات المؤمنين في قوله تعالى من المؤمنين ويؤيد ذلك قراءة ابي
وابن مسعود والاعمش التائبين بالياء ويجوز ان تكون هذه القراءة على القطع ايضا فيكون نصبا بفعل مقدر وقد
صرح الزمخشري وابن عطية بان التائبين في هذه القراءة رفعت للمؤمنين الرابع ان التائبون بدل من الضمير

المستترفي بقائمون ولم يذكر لهذه الاوصاف متعلقا فلم يقل التائبون من كذا ولا العابدون لله لفهم ذلك
الاصفي لامر والنهي مبالغة في ذلك ولم يات بعاطف لتباين ما بينهما فان الامر طلب فعل والنهي طلب ترك او كف
وكذا الحافظون عطفه وذكر متعلقه واتى بترتيب هذه الصفات في الذكر على احسن نظم وهو ظاهر بالتامل فانه
قدم التوبة اولا ثم ثنى بالعبادة الي اخرها وقيل انما دخلت الواو لانها واو الثمانية كقوله وثامنهم كلبهم وقوله
وفتحت ابوابها لما كان للجنة ثمانية ابواب اتى معها بالواو وقال بعض النحويين هي لغة فصيحة لبعض العرب يقول اذا
عد واحد اثنان ثلاثة اربعة خمسة ستة سبعة وثمانية تسعة عشرة قال القرطبي هي لغة قريش وقال ابو البقا اعادخلت
الواو في الصفة الثامنة اي سبعة ادرج في غاية اشبارد انادت الواو على ذلك لانما الواو تؤذن بان ما بعدها
غيرما قبلها ولذلك دخلت في باب عطف النسق وهذا قول ضعيف جدا لا تحقيق له **فصل** في تفسير
هذه الصفات قوله التائبون قال ابن عباس التائبون من الشرك وقال الحسن من الشرك والنفاق وقيل التائبون
الراجعون عن الحالة المذمومة قال القرطبي الراجع الى الطاعة افضل من الراجع عن المعصية لجمعه بين الامرين وقال
الاصوليون التائبون من كل معصية لانها صفة عموم محلاة بالالف واللام فيتناول الكل فالتخصيص تحكم والعابدون
قال ابن عباس الذين يودون العبادة الواجبة عليهم وقال غيره المطيعون الذين اخلصوا العبادة لله تعالى وقال
الحسن هم الذين عبدوا الله في السراء والضراء السائحون قال ابن مسعود هم الصائمون وقال ابن عباس ما ذكر في القران
من السياحة فهو الصيام وقال عليه الصلاة والسلام سياحة امتي الصيام وعن الحسن ان هذا صوم الفرض وقيل هم
الذين يديمون الصيام قال سفين بن عيينة انما سمي الصائم سائحا لتركه اللذات كلها من المطعم والمشرب والنكاح وقال
عطا السائحون هم الغزاة في سبيل الله وهو قول ابي مسلم وقال عكرمة هم طلبة العلم ينتقلون من بلد الى بلد وقوله
الراكعون الساجدون يعني المصلين وقوله الامرون بالمعروف بالايمان والناهون عن المنكر عن الشرك وقيل
المعروف السنة والمنكر البدعة **قوله تعالى** والحافظون لحدود الله القائمون باوامر الله وقال الحسن
اهل الوفا ببيعة الله وبشر المومنين **قوله تعالى** ما كان للنبي والذين امنوا ان يستغفروا للمشركين الايات
لما بين في اول السورة الى هذا الموضع وجوب البراءة عن احياء المشركين والمنافقين من جميع الوجوه بين في هذه الاية
وجوب البراءة عن امواتهم وان كانوا في غاية القرب من الانسان كالاب والام كما اوجب البراءة عن الاحياء منهم
قال ابن عباس لما فتح الله مكة اتى قبر امه امنة فوقف عليها حتى حميت الشمس رجاء ان يوذن له يستغفر لها فنزلت
ما كان للنبي والذين امنوا ان يستغفروا للمشركين وعن ابي هريرة قال زار النبي صلى الله عليه وسلم قبر امه فبكى
وابكى من حوله فقال استاذنت ربي في ان استغفر لها فلم يوذن واستاذنته في ان ازور قبرها فاذن لي فزوروا القبور
فانها تذكر الموت قال قتادة قال النبي صلى الله عليه وسلم لاستغفرن لابي كما استغفر ابراهيم لابيه فانزل الله هذه
الاية وروى سعيد بن المسيب عن ابيه قال لما حضرت ابا طالب الوفاة جاءه رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجد
عنده ابا جهل وعبد الله بن ابي امية بن المغيرة فقال اي عم قل لا اله الا الله كلمة احاج لك بها عند الله فقال ابو جهل
وعبد الله بن ابي امية اترغب عن ملة عبد المطلب فلم يزل النبي صلى الله عليه وسلم يعرض عليه ويعيد له تلك المقالة
حتى قال ابو طالب اخر ما كلمهم على ملة عبد المطلب وابى ان يقول لا اله الا الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لاستغفرن لك ما لم انه عنك فانزل الله هذه الاية **قوله تعالى** انك لا تهدي من احببت وفي رواية قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمه قل لا اله الا الله اشهد لك بها يوم القيمة قال لولا ان تعيرني قريش يقولون
انما حمله على ذلك الجزع لاقررت بها عينك فنزل قوله انك لا تهدي من احببت الاية وقد استبعده الحسن بن الفضل
لان هذه السورة من اخر القران نزولا ووفاة ابي طالب كان بمكة في اول الاسلام قال ابن الخطيب وليس هذا ببستبعد
فانه يمكن ان يقال ان النبي صلى الله عليه وسلم بقي يستغفر لابي طالب من ذلك الوقت الى حين نزول انك لا تهدي من
احببت وروي عن علي بن ابي طالب انه سمع رجلا يستغفر لابويه وهما مشركان فقال اليس قد استغفر ابراهيم لابويه
وهما مشركان فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الاية وفي رواية فانزل الله عز وجل قد كانت لكم
اسوة حسنة في ابراهيم الى قوله الا قول ابراهيم لابيه لاستغفرن لك **فصل** قال القرطبي تضمنت هذه
الاية قطع موالاة الكفار حيهم وميتهم لان الله تعالى لم يجعل للمومنين ان يستغفروا للمشركين فطلب الغفران
للمشركين لا يجوز فان قيل فقد صح ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يوم احد حين كسروا رباعيته وشجوا وجهه
اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون فكيف الجمع بين الاية والخبر **فالجواب** ان ذلك القول من النبي صلى الله عليه
وسلم كان على سبيل الحكاية عمن تقدمه من الانبياء بدليل ما رواه مسلم عن عبد الله قال كاني انظر الى النبي صلى الله عليه
وسلم يحكي ان نبيا من الانبياء ضربه قومه وهو يمسح الدم عن وجهه ويقول رب اغفر لي ولقومي فانهم لا يعلمون
وروى البخاري نحوه وهذا صريح في الحكاية عمن تقدمه قبله من الانبيا بدليل ما رواه مسلم عن عبد الله قال القرطبي الا
انه قال ابتدا من نفسه وجواب ثان ان المراد بالاستغفار في الاية الصلاة قال عطا بن ابي رباح الاية في النهي عن الصلاة
على المشركين والاستغفار هنا المراد به الصلاة جواب ثالث ان الاستغفار للاحياء جائز لانه يرجى ايمانهم ويمكن تالفهم
بالقول الجميل وترغيبهم في الدين بخلاف الاموات **قوله تعالى** ولو كانوا اولي قربى كقوله اعطوا السائل ولو على فرس
وقد تقدم انها حال معطوفة على حال مقدرة وقوله من بعد ما تبين لهم انهم اصحاب الجحيم كالعلة للمنع من الاستغفار لهم
قوله تعالى وما كان استغفار ابراهيم لابيه الا عن موعدة في تعلق هذه الاية بما قبلها وجوه احدها انه لا يتوهم انسان
ان الله تعالى منع محمدا من بعض ما اذن لابراهيم فيه وثانيها انه تعالى لما بالغ في وجوب الانقطاع الكلي لو عد وثالثها
عن المشركين الاحيا والاموات بين ههنا ان هذا الحكم غير مختص بدين محمد عليه الصلاة والسلام على وجوب الانقطاع مشروع
ايضا في دين ابراهيم فتكون المبالغة في وجوب الانقطاع اكمل واقوى وثالثها انه تعالى وصف ابراهيم بكونه حليما اي قليل
الغضب وبكونه اواها اي كثير التوجع والتفجع عند نزول المضار بالناس ومن كان موصوفا بهذه الصفة كان ميل قلبه
الى الاستغفار لابيه شديدا فكانه قيل ان ابراهيم مع جلالة قدره وكونه موصوفا بالاواهية والحليمية منعه الله من الاستغفار
لابيه الكافر فمنع غيره اولى **قوله تعالى** وعدها اياه اختلف في الضمير المرفوع والمنصوب المنفصل فقيل وهو
الظاهر ان المرفوع يعود على ابراهيم والمنصوب على ابيه يعني ان ابراهيم كان وعد اباه ان يستغفر له ويؤيد هذا قراءة
الحسن وحماد الراوية وابن السميفع وابي نهيك ومعاذ القارئ وعدها اباه بالباء الموحدة وقيل المرفوع لابي ابراهيم
والمنصوب لابراهيم يعني ان ابا ابراهيم وعد ابراهيم انه يؤمن فلذلك طمع في ايمانه **فصل** دل القران
على ان ابراهيم استغفر لابيه لقوله واغفر لابي وقوله ربنا اغفر لي ولوالدي يوم يقوم الحساب وقال سلام عليك
ساستغفر لك ربي وقال ايضا لاستغفرن لك والاستغفار للكافر لا يجوز فاجاب تعالى عن هذا الاشكال بقوله وما
كان استغفار ابراهيم لابيه الا عن موعدة وعدها اياه والمعنى ان اباه وعده ان يؤمن فلذلك استغفر له فلما تبين له
انه لا يؤمن وانه عدو لله تبرا منه وقيل ان الواعد ابراهيم وعد اباه ان يستغفر له رجاء اسلامه وقد تقدم هذان
الوجهان في الاعراب وقيل في الجواب وجهان اخران الاول ان المراد من استغفار ابراهيم لابيه دعاؤه له الى الاسلام
وكان يقول له امن حتى تتخلص من العقاب ويدعو الله ان يرزقه الايمان فهذا هو الاستغفار فلما اخبره تعالى بانه يموت
كافرا ترك تلك الدعوة والثاني ان من الناس من حمل قوله ما كان للنبي والذين امنوا ان يستغفروا للمشركين على صلاة الجنازة
لا على هذا الطريق قالوا ويدل عليه قوله ولا تصل على احد منهم مات ابدا **فصل** اختلفوا في السبب الذي تبين
لابراهيم به ان اباه عدو لله فقيل بالاصرار والموت وقيل بالاصرار وحده وقيل بالوحي فكانه تعالى يقول لما تبين لابراهيم
ان اباه عدو لله تبرا منه فكونوا كذلك لاني امرتكم بمتابعة ابراهيم في قوله اتبع ملة ابراهيم **قوله تعالى** ان ابراهيم لاواه حليم
الاواه كثير التاوه وهو من يقول اواه وهو انسب لان اوه بمعنى اتوجع فالاواه فعال مثال مبالغة من ذلك وقياس
فعله ان يكون ثلاثيا لان امثلة المبالغة انما تطرد في الثلاثي وقد حكى قطرب فعله ثلاثيا فقال يقال اه يؤوه كقام
يقوم اوها وانكر النحويون هذا القول على قطرب وقالوا لا يقال من اوه بمعنى اتوجع فعل ثلاثي انما يقال اوه تاويها وتاوه
تاوها قال الراجز • فاوه الداعي وضوضا اكلبه • وقال المثقب العبدي • اذا ما قمت ارحلها بليل • تاوه اهة الرجل الحزين •
وقال الزمخشري اواه فعال من اوه • كلال من اللولو • وهو الذي يكثر التاوه قال ابو حيان وتشبيهه اواه من اوه كلال
من اللولو ليس بجيد لان مادة اوه موجودة في صورة اواه ومادة لولو مفقودة في لال لاختلاف التركيب ولال
ثلاثي ولولو رباعي وشرط الاشتقاق التوافق في الحروف الاصلية قال شهاب الدين لال ولولو كلاهما من الرباعي المكرر
اي ان الاصل لالا وهمزة ثم كررنا غاية ما في الباب انه اجتمع الهمزتان في لال فادغمت ولاهما في الاخرى وفرق بينهما في لولو
وقال ابن الانباري في قوله عليه الصلاة والسلام اوه عين الربا كلمة يقولها الرجل عند الشكاية والتوجع وهي ساكنة
الواو مكسورة الهاء وربما قلبوا الواو الفا فقالوا اه وربما حذفوا الها فقالوا او وبعضهم يفتح الواو مع التشديد
فيقول اوه وقال الجوهري وبعضهم يقول اواه بالمد والتشديد بفتح الواو ساكنة الها لتطويل الصوت بالشكاية وربما
ادخلوا فيه التا فقالوا اوتاه يمد ولا يمد **فصل** قال عليه الصلاة والسلام الاواه الخاشع المتضرع
وعن عمر انه سال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الاواه فقال الدعاء وروي ان زينب تكلمت عند رسول الله صلى الله
عليه وسلم بما تغير به لونه فانكر عمر فقال عليه الصلاة والسلام دعها فانها اواهة فقيل يا رسول الله وما الاواهة
قال الداعية الخاشعة المتضرعة وقيل معنى كون ابراهيم اواها كلما ذكر لنفسه تقصيرا او ذكر له شيء من شدائد الاخرة

كان يتأوه اشفاقا واستعطافا له وعن ابن عباس الاواه المؤمن بالحبشية وقال عطا عكرمة هو الموقن وقال مجاهد
والنخعي هو الفقيه وقال الكلبي وسعيد بن المسيب هو المسبح الذي يذكر الله في الارض القفر الموحشة وقال ابو ذر هو
المتأوه لانه كان يقول آه من النار قبل ان ينفع آه والحليم معلوم وانما وصفه بهذين الوصفين ههنا لانه تعالى وصفه
بشدة الرقة والشفقة والخوف ومن كان كذلك فانه تعظم رقته على ابيه واولاده ثم انه مع هذه الصفات تبرا من ابيه
وغلظ قلبه عليه لما ظهر له اصراره على الكفر فانتم بهذا المعنى اولى **قوله تعالى** وما كان الله ليضل قوما الاية
لما منع المسلمين من ان يستغفروا للمشركين والمسلمون كانوا قد استغفروا للمشركين قبل نزول هذه الاية فلما نزلت هذه الاية
خافوا بسبب ما صدر عنهم قبل ذلك من الاستغفار للمشركين وايضا فان اقواما من المسلمين الذين استغفروا للمشركين
كانوا ماتوا قبل نزول هذه الاية فوقع الخوف في قلوب المسلمين في انه كيف يكون حالهم فازال الله ذلك عنهم بهذه الاية
وبين انه لا يواخذهم بعمل الا بعد ان يتبين لهم انه يجب عليهم ان يتقوه ويحترزوا عنه فهذا وجه النظم **فصل**
معنى الاية ما كان الله ليحكم عليكم بضلال بترك الاوامر وباستغفاركم للمشركين وايضا فان اقواما من المسلمين الذين
استغفروا للمشركين كانوا ماتوا قبل نزول هذه الاية فوقع الخوف في قلوب المسلمين حتى يبين لهم ما يتقون اي يتقدم
الحكم بالنهي فاذا بين ولم ياخذوا به بعد ذلك يستحقون الضلال قال مجاهد بيان الله للمؤمنين في ترك الاستغفار
للمشركين خاصة وبيانه لهم في معصيته وطاعته عامة فافعلوا وذروا وقال الضحاك ما كان الله ليعذب قوما حتى
يبين لهم ما ياتون وما يذرون وقال مقاتل والكلبي هذا في المنسوخ وذلك ان قوما قدموا على النبي صلى الله عليه وسلم
واسلموا ولم تكن الخمر حراما ولا القبلة مصروفة الى الكعبة فرجعوا الى قومهم وهم على ذلك ثم حرمت الخمر وصرفت
القبلة ولا علم لهم بذلك ثم قدموا بعد ذلك المدينة فوجدوا الخمر قد حرمت والقبلة قد صرفت فقالوا يا
رسول الله قد كنت على دين ونحن على غيره فنحن ضلال فانزل الله تعالى وما كان الله ليضل قوما بعد اذ هداهم
حتى يبين لهم الناسخ وقيل المعنى انه اضله عن طريق الجنة اي صرفه عنه ومنعه من التوجه اليه وقالت المعتزلة المراد
من هذا الاضلال الحكم عليهم بالضلال واحتجوا بقول الكميت ● وطايفة قد اكفروني بحبكم ● وقال ابن الانباري
وهذا التاويل فاسد لان العرب اذا ارادوا ذلك المعنى قالوا ضلل يضلل واحتجاجهم ببيت الكميت باطل لانه لا يلزم
من قولنا اكفر في الحكم صحة قولنا اضل وليس كل موضع صح فيه فعل صح فيه افعل فانه يجوز ان يقال كفر وقتل ولا يجوز
اكفر واقتل بل يجب فيه الرجوع الى السماع **قوله تعالى** ان الله له ملك السموات والارض الاية فيها فوايد احدها انه
تعالى لما امر بالبراءة من الكفار بين ان له ملك السموات والارض فاذا كان هو ناظركم وناصركم فلا يقدرون
على اضراركم وثانيها ان المسلمين قالوا لما امرتنا بالانقطاع عن الكفار فحينئذ لا يمكننا ان نختلط بابائنا واولادنا
واخواننا فكانه قيل ان صرتم محرومين من معاونتهم ومناصرتهم فالاله المالك للسموات والارض المحيي والمميت
ناصركم فلا يضركم انقطاعهم عنكم وثالثها انه تعالى لما امر بهذه التكاليف الشاقة فكانه قال وجب عليكم
ان تنقادوا لحكمي لكوني الهكم ولكونكم عبيدا لي **قوله** لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والانصار الاية
لما شرح احوال غزوة تبوك واحوال المتخلفين عنها عاد الى شرح ما بقي من احكامها فقال لقد تاب الله على النبي الاية
تاب الله تجاوز وصفح ومعنى توبته على النبي صلى الله عليه وسلم باذنه للمنافقين بالتخلف عنه وقال عفى الله عنك
لم اذنت لهم وعلى المؤمنين من ميل قلوب بعضهم الى التخلف عنه وقيل توبته عليهم استنقاذه من شدة العسرة
وقيل خلاصهم من نكاية العدو وعبر عن ذلك بالتوبة وان خرج عن عرفها لوجود معنى التوبة فيه وهو الرجوع الى الحالة
الاولى وقيل افتتح الكلام به لانه كان سبب توبتهم فذكره معهم كقوله تعالى فان لله خمسه وللرسول وقيل لا يبعد
ان يكون صدر عن اولئك الاقوام انواع من المعاصي الا انه تاب عليهم وعفى عنهم لاجل تحملهم مشاق السفر في شدة الحر
للجهاد ثم انه تعالى ضم ذكر الرسول الى ذكرهم تنبيها على عظم مراتبهم في الدين وانهم قد بلغوا الى الدرجة اي لاجلها
ضم الرسول عليه الصلاة والسلام اليهم في قبول التوبة **قوله تعالى** اتبعوه يجوز فيه وجهان احدهما انه اتباع
حقيقي ويكون عليه الصلاة والسلام خرج اولا وتبعه اصحابه وان يكون مجازا اي اتبعوا امره ونهيه وساعة
العسرة عبارة عن وقت الخروج الى الغزو وليس المراد حقيقة الساعة بل كقولهم ● يوم الكلاب وعشيه فارعنا جذام ●
فاستعيرت الساعة لذلك كما استعير الغداة والعشي في قوله ● غداة طعنت على بكر بن وائل ● عشية فارعنا جذام
وحميرا ● اذا جاء يوما وارث يبتغي الغنا ● **فصل** في المراد بساعة العسرة قولان الاول انها غزوة تبوك
والمراد منها الزمان الذي صعب الامر عليهم جدا في ذلك السفر **والعسرة** تعذر الامر وصعوبته قال جابر حصلت
عسرة الظهر وعسرة الماء وعسرة الزاد اما عسرة الظهر فقال الحسن كانت العشرة من المؤمنين يخرجون على بعير يعتقبونه

بينهم واما عسرة الزاد فربما مص التمرة الواحدة جماعة يتناوبونها حتى لا يبقى من التمرة الا النواة وكان معهم شيء من شعير
مسوس فكان احدهم اذا وضع اللقمة في فيه اخذ انفه من نتن اللقمة واما عسرة الماء فقال عمر خرجنا في قيظ شديد واصابنا
فيه عطش شديد حتى ان الرجل لينحر بعيره فيعصر فرثه فيشربه وهذه تسمى غزوة العسرة ومن خرج فيها فهم جيش العسرة وجهزهم
عثمان وغيره من الصحابة والثاني قال ابو مسلم يجوز ان يكون المراد بساعة العسرة جميع الاحوال والاوقات الشديدة على الرسول
وعلى المؤمنين فيدخل فيه غزاة الخندق وغيرها وقد ذكر الله تعالى بعضها في القران كقوله تعالى واذ زاغت الابصار
وبلغت القلوب الحناجر وقوله تعالى لقد صدقكم الله وعده اذ تحسونهم باذنه حتى اذا فشلتم الاية والمقصود منه
وصف المهاجرين والانصار بانهم اتبعوا الرسول عليه الصلاة والسلام في الاوقات الشديدة والاحوال الصعبة
وذلك يفيد نهاية المدح والتعظيم **قوله تعالى** من بعد ما كاد تزيغ قلوب فريق منهم حمزة وحفص عن عاصم يزيغ بالياء
من تحت والباقون بالتاء من فوق فالقراءة الاولى يحتمل ان يكون اسم كاد ضمير الشان وارتفاع قلوب بيزيغ والجملة
في محل نصب خبرها وان يكون اسمها ضمير القوم او الجمع الذي دل عليه ذكر المهاجرين والانصار ولذلك قدره ابو البقا
وابن عطية من بعد ما كاد القوم وقال ابو حيان في هذه القراءة فتعين ان يكون في كاد ضمير الشان وارتفاع قلوب بيزيغ
لامتناع ان يكون قلوب اسم كاد ويزيغ في موضع الخبر لان النية به التاخير ولا يجوز من بعد ما كاد قلوب يزيغ بالياء
قال شهاب الدين ولا يتعين ما ذكر في هذه القراءة لما تقدم من انه يجوز ان يكون اسم كاد ضميرا عايدا على الجمع والقوم والجملة
الفعلية خبرها ولا محذور يمنع من ذلك وقوله لامتناع ان يكون قلوب اسم كاد يعني انا لو جعلنا قلوب اسم كاد لزم ان يكون
يزيغ خبرا مقدما فيلزم ان يرفع ضميرا عايدا على قلوب ولو كان كذلك للزم تانيث الفعل لانه حينئذ مسند الى ضمير مؤنث
مجازي لان جمع التكسير يجري مجرى المؤنث مجازا واما قراءة التاء من فوق فيحتمل ان يكون في كاد ضمير الشان كما تقدم
وقلوب مرفوع بتزيغ وانث لتانيث الجمع وان يكون قلوب اسمها وتزيغ خبر مقدم ولا محذور في ذلك لان الفعل قد انث
قال ابو حيان وعلى كل واحد من هذه الاعاريب الثلاثة اشكال على ما تقرر في علم النحو من ان خبر افعال المقاربة لا يكون
الا مضارعا رافعا ضمير اسمها فبعضهم اطلق وبعضهم قيد بغير عسى من افعال المقاربة ولا يكون سببيا وذلك بخلاف
كان فان اسمها يرفع الضمير والسببي لاسم كان فاذا قدرنا فيها ضمير الشان كانت الجملة في موضع رفع على الخبر والمرفوع
ليس ضميرا يعود على اسم كاد بل ولا سببيا له وهذا يلزم من قراءة الياء ايضا واما توسط الخبر فهو مبني على جواز مثل هذا
التركيب في مثل كان يقوم زيد وفيه خلاف والصحيح المنع واما الوجه الاخر فضعيف جدا من حيث اضمر في كاد ضميرا ليس
له على من يعود الا بتوهم ومن حيث يكون خبر كاد واقعا سببيا قال شهاب الدين كيف يقول والصحيح المنع وهذا التركيب
موجود في القران كقوله تعالى ما كان يصنع فرعون وكان يقول سفيهنا وفي قول امرء القيس ● وان يك قد ساءتك
مني خليقة ● فهذا التركيب واقع لا محالة وانما اختلفوا في تقديره هل هو من باب تقديم الخبر ام لا فمن منع لانه كباب
المبتدا والخبر والخبر الصريح متى كان كذلك امتنع تقديمه على المبتدا لئلا يلتبس بباب الفاعل فكذلك بعد نسخه
ومن اجاز فلامن اللبس ثم قال ابو حيان ويتخلص من هذا الاشكال اعتقاد كون كاد زايدة ومعناها مراد ولا عمل
لها اذ ذاك في اسم ولا خبر فيكون مثل كان اذا زيدت يراد معناها ولا عمل لها ويويد هذا التاويل قراءة ابن مسعود من
بعد ما زاغت باسقاط كاد وقد ذهب الكوفيون الى زيادتها في قوله تعالى لم يكد يراها مع تاثرها بالعامل وعملها
فيما بعدها فاحرى ان يدعى زيادتها وهي ليست عاملة ولا معمولة قال شهاب الدين زيادتها اباه الجمهور وقال به من
البصريين الاخفش وجعل منه اكاد اخفيها وتقدم الكلام على ذلك وقرا الاعمش والجحدري تزيغ بضم التاء وكانه جعل
ازاغ وزاغ بمعنى وقرا ابي كادت بتاء التانيث **فصل** كاد عند بعضهم تفيد المقاربة وعند اخرين
تفيد المقاربة مع عدم الوقوع والزيغ الميل اي من بعد ما كاد تميل قلوب فريق منهم اي بعضهم ولم يرد الميل عن الدين
بل اراد الميل للتخلف والانصراف فهذه التوبة توبة عن تلك المقاربة واختلفوا في الذي وقع في قلوبهم فقيل هم بعضهم
عند تلك الشدة العظيمة ان يفارقوا الرسول عليه الصلاة والسلام لكنه صبر واحتسب فلذلك قال تعالى ثم تاب
عليهم لما صبروا وندموا على ذلك الامر اليسير وقال اخرون بل كان ذلك بحديث النفس الذي كان مقدمة العزيمة
فلما نالتهم الشدة وقع ذلك في قلوبهم ومع ذلك تلافوا ذلك اليسير خوفا من ان يكون معصية فلذلك قال تعالى
ثم تاب عليهم فان قيل ذكر التوبة في اول الاية وفي اخرها فما فايدة التكرار **فالجواب** من وجوه احدها انه
تعالى ابتدا بذكر التوبة قبل ذكر الذنب تطييبا لقلوبهم ثم لما ذكر الذنب اردفه مرة اخرى بذكر التوبة تعظيما
لشانهم وثانيها انه اذا قيل عفى السلطان عن فلان ثم عفى عنه دل على ان ذلك العفو متاكد بلغ الغاية القصوى في الكمال
والقوة قال عليه الصلاة والسلام ان الله ليغفر ذنب الرجل المسلم عشرين مرة وهذا معنى قول ابن عباس من تاب الله عليه

لم يعد به ايضا وثالثها انه قال لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والانصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة وهذا
الترتيب انما يدل على ان المراد انه تعالى تاب عليهم من الوساوس التي كانت تقع في قلوبهم في ساعة العسرة ثم انه تعالى
زاد عليه فقال من بعد ما كاد تزيغ قلوب فريق منهم فهذه الزيادة افادت حصول وساوس قوية فلا جرم اتبعها
تعالى بذكر التوبة مرة اخرى لئلا يبقى في خاطر احد شك في كونهم مواخذين بتلك الوساوس ثم قال تعالى انه بهم
رؤف رحيم وهما صفتان لله تعالى ومعناهما متقاربان ويمكن ان تكون الرأفة عبارة عن ازالة الضرر والرحمة عبارة
عن ايصال المنفعة وقيل احداهما السالفة والاخرى المستقبلة **قوله تعالى** وعلى الثلاثة الذين خلفوا الاية
يجوز ان يكون وعلى الثلاثة نسقا على النبي اي تاب على النبي وعلى الثلاثة وان ينسق على الضمير في عليهم اي ثم تاب عليهم
وعلى الثلاثة ولذلك كرر حرف الجر وقراءة جمهور الناس خلفوا مبنيا للمفعول مشددا من خلفه يخلفه وقرا ابو مالك
كذلك الا انه خفف اللام وقرا عكرمة وزر بن حبيش وعمرو بن عبيد وعكرمة بن هارون المخزومي ومعاذ القاري
خلفوا مبنيا للفاعل مخففا من خلفه والمعنى الذين خلفوا اي فسدوا من خلوف الفم ويجوز ان يكون المعنى انهم خلفوا
الغازين في المدينة وقرا ابو العالية وابو الجوزاء كذلك الا انهما شددا اللام وقرا ابو رزين وعلي بن الحسين وابناه
زيد ومحمد الباقر وابنه جعفر الصادق خالفوا بالالف اي لم يوافقوا الغازين في الخروج قال الباقر ولو خلفوا لم يكن لهم
وقرا الاعمش وعلى الثلاثة المخلفين والظن هنا بمعنى العلم كقوله • فقلت لهم ظنوا بالفي مدجج • سراتهم كالفارسي
المسرد • وقوله الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم لانه تعالى ذكر هذا الوصف في معرض المدح والثناء ولا يكون ذلك
الا مع علمهم وقيل هو على بابه لانه عليه الصلاة والسلام وقف امرهم على الوحي فلم يعلموا ان الله ينزل في شانهم قرانا
بل كانوا مجوزين لذلك او كانوا قاطعين بان الله ينزل براءتهم من النفاق ولكنهم جوزوا ان تطول المدة في بقائهم
في الشدة فالظن عائد الى تجويز كون تلك البراءة طويلة او قصيرة قوله ان لا ملجا ان هي المخففة سادة مسد المفعولين
ولا وما في حيزها الخبر ومن الله خبرها ولا يجوز ان يتعلق بملجا ويكون الا اليه الخبر لانه كان يلزم اعرابه لانه
يكون مطولا وقد قال بعضهم انه يجوز تشبيه الاسم المطول بالمضاف فينزع ما فيه من تنوين ونون كقوله
اراني ولا كفران لله اية • وقوله عليه الصلاة والسلام لا صمت يوما الى الليل برفع يوما وقد تقدم ذلك
الا اليه استثناء من ذلك العام المحذوف اي لا ملجا لاحد الا اليه كقولك لا اله الا الله

فصل هؤلاء الثلاثة هم المذكورون في القرآن في قوله تعالى واخرون مرجون لامر الله واختلفوا في السبب
الذي لاجله وصفوا بكونهم مخلفين فقيل ليس المراد انهم امروا بالتخلف او حصل الرضا من الرسول بذلك بل هو كقولك
لصاحبك اين خلفت فلانا فيقول بموضع كذا لا يريد به انه امره بالتخلف بل لعله قد نهاه عنه وانما يريد انه تخلف
عنه وقيل لا يمتنع ان هؤلاء الثلاثة كان عزمهم الذهاب الى الغزو فاذن لهم الرسول عليه الصلاة والسلام في قدر
تحصيل الالات فلما بقوا مدة ظهر التواني والكسل فصح ان يقال خلفهم الرسول وقيل انه حكى قصة اقوام وهم الموصوفون
بقوله واخرون مرجون لامر الله والمراد من كون هؤلاء مخلفين كونهم مرجئين في قبول التوبة قال كعب بن مالك
وهو احد الثلاثة قول الله في حقنا وعلى الثلاثة الذين خلفوا ليس من تخلفنا انما هو تاخير رسول الله صلى الله عليه
وسلم امرنا ليشير الى قوله واخرون مرجون لامر الله **فصل** هؤلاء الثلاثة كعب بن مالك الشاعر وهلال
بن امية الذي نزلت فيه اية اللعان ومرارة بن الربيع يجمع اوائل اسمائهم مكة واواخرها اباهم عكة وفي قصتهم
قولان الاول انهم ذهبوا خلف الرسول عليه الصلاة والسلام قال الحسن كان لاحدهم ارض ثمنها مائة الف درهم فقال
يا ارضاه ما خلفني عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الا امرك فاذهبي في سبيل الله ولاكابدن المفاوز حتى اصل الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم وفعل وكان للثاني اهل فقال يا اهلاه ما خلفني عن رسول الله الا حبك لا جرم والله لاكابدن
المفاوز حتى اصل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وفعل وكان للثالث ما كان له اهل ولا مال فقال
ما لي سبب الا الظن بالحياة والله لاكابدن المفاوز حتى اصل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل قوله واخرون
مرجون لامر الله والثاني وهو قول الاكثرين انهم ما ذهبوا خلف الرسول عليه الصلاة والسلام قال كعب كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب حديثي فلما ابطات عنه في الخروج قال عليه الصلاة والسلام ما الذي حبس كعبا
عنا فلما قدم المدينة اعتذر المنافقون فعذرهم واتيته وقلت ان كراعي وزادي كان حاضرا واحتبست بذنبي
فاستغفر لي فابى رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك ثم انه عليه الصلاة والسلام نهى عن مجالسة هؤلاء الثلاثة
وامر بمباينتهم حتى امر بمباينة نسائهم فضاقت عليهم الارض بما رحبت وجاءت امراة هلال بن امية وقالت يا رسول
الله لقد بكى حتى خفت على بصره حتى اذا مضى خمسون يوما انزل الله تعالى لقد تاب الله على النبي والمهاجرين وقوله تعالى

وعلى الثلاثة الذين خلفوا حين بقي الثلث الاخير من الليل فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى حجرته
وهو عند ام سلمة فقال الله اكبر قد انزل الله عذر اصحابنا فلما صلى الفجر ذكر ذلك لاصحابه وبشرهم بان الله تاب
عليهم فانطلقوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فتلا عليهم ما نزل فيهم فقال كعب توبتي الى الله تعالى ان اخرج مالي
صدقة فقال لا فقلت نصفه قال لا قلت فثلثه قال نعم **فصل** معنى ضاقت الارض عليهم بما رحبت
تقدم تفسيره في هذه السورة وسببه اعراض الرسول عنهم ومنع المؤمنين من مكالمتهم وامر ازواجهم باعتزالهم وبقاؤهم
على هذه الحالة خمسين يوما وقيل اكثر وضاقت عليهم انفسهم اي ضاقت صدورهم بالهم والغم ومجانبة الاولياء ونظر
الناس اليهم بعين الاهانة وظنوا اي تيقنوا ان لا ملجا لا مفزع من الله الا اليه قال ابن الخطيب يقرب معناه من قوله
عليه الصلاة والسلام اعوذ برضاك من سخطك وبعفوك من عقوبتك وبك منك **قوله تعالى** ثم تاب عليهم ليتوبوا فيه
وجوه احدها قال اهل السنة المراد منه ان فعل العبد مخلوق لله تعالى فقوله تاب عليهم يدل على ان التوبة فعل الله
وقوله ليتوبوا يدل عليه على انه فعل العبد فهو نظير قوله فليضحكوا قليلا مع قوله انه هو اضحك وقوله كما اخرجك
ربك من بيتك مع قوله اذ اخرجه الذين كفروا وقوله هو الذي يسيركم مع قوله قل سيروا وثانيها تاب الله عليهم في
الماضي ليكون داعيا لهم الى التوبة في المستقبل وثالثها اصل التوبة الرجوع اي تاب عليهم ليرجعوا الى حالهم وعادتهم
في الاختلاط بالمؤمنين وزوال المباينة فتسكن نفوسهم عند ذلك ورابعها تاب عليهم ليتوبوا اي ليداوموا على التوبة
ولا يراجعوا ما يبطلها وخامسها تاب عليهم ليتوبوا بالتوبة ان الله هو التواب الرحيم واعلم ان ذكر الرحيم عقيب ذكر التواب
يدل على ان قبول التوبة لمحض الرحمة والكرم لا لاجل الوجوب كما تقوله المعتزلة وذلك يقوي انه لا يجب عقلا على الله قبول
التوبة **قوله تعالى** يا ايها الذين امنوا اتقوا الله الاية لما قبل توبة هؤلاء الثلاثة ذكر ما يكون كالزاجر عن فعل مثل
ما مضى وهو التخلف عن رسول الله في الجهاد اي اتقوا الله في مخالفة امر الرسول وكونوا مع الصادقين اي مع النبي واصحابه
في الغزوات ولا تتخلفوا عنها وتجلسوا مع المنافقين في البيوت قال نافع مع الصادقين اي مع محمد وقال سعيد بن
جبير مع ابي بكر وعمر وقال ابن جريج مع المهاجرين لقوله تعالى للفقراء المهاجرين الى قوله اولئك هم الصادقون وقال
ابن عباس مع الذين صدقت نياتهم فاستقامت قلوبهم واعمالهم وخرجوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى تبوك باخلاص
نية وقيل من الذين صدقوا في الاعتراف بالذنب ولم يعتذروا بالاعذار الكاذبة **فصل** دلت الاية على
فضيلة الصدق وكمال درجته قال ابن مسعود الكذب لا يصلح في جد ولا هزل ولا ان يعد احدكم صبيه شيئا ثم لا ينجز له
اقرؤوا ان شئتم وقرا الاية وروي ان رجلا جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم وقال اني اريد ان اومن بك الا اني احب الزنا والخمر
والسرقة والكذب والناس يقولون انك تحرم هذه الاشياء ولا طاقة لي على تركها باسرها فان قنعت مني بترك واحد منها
امنت بك فقال عليه الصلاة والسلام اترك الكذب فقبل ذلك ثم اسلم فلما خرج من عند النبي صلى الله عليه وسلم عرضوا عليه
الخمر فقال ان شربت الخمر فسالني رسول الله صلى الله عليه وسلم عن شربها وكذبت فقد نقضت العهد وان
صدقت اقام الحد علي فتركها ثم عرضوا عليه الزنا فجاء ذلك الخاطر فتركه وكذا في السرقة فعاد الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال ما احسن ما قلت لما منعتني من الكذب انسدت ابواب المعاصي علي وتاب عن الكل وقال ابن مسعود عليكم بالصدق فانه
يقرب الى البر والبر يقرب الى الجنة وان العبد ليصدق فيكتب عند الله صديقا واياكم والكذب فان الكذب يقرب الى الفجور
والفجور يقرب الى النار وان الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذابا الا ترى انه يقال صدقت وبررت وكذبت وفجرت
وقيل في قول ابليس فبعزتك لاغوينهم اجمعين الا عبادك منهم المخلصين ان ابليس لو لم يذكر هذا الاستثناء لصار كاذبا
في ادعاء اغواء الكل فكانه استنكف عن الكذب فذكر هذا الاستثناء واذا كان الكذب شيئا يستنكف منه ابليس فالمسلم اولى
ان يستنكف عنه ومن فضائل الصدق ان الايمان منه لا من سائر الطاعات ومن معايب الكذب ان الكفر منه لا من سائر الذنوب
قوله تعالى ما كان لاهل المدينة ومن حولهم من الاعراب الاية لما وجب عليهم موافقة الرسول في جميع الغزوات والمشاهد
اكد ذلك بالنهي في هذه الاية قال المفسرون ظاهره خبر ومعناه نهي كقوله تعالى وما كان لكم ان تؤذوا رسول الله ومن حولهم
من الاعراب سكان البوادي مزينة وجهينة واشجع واسلم وغفار قاله ابن عباس وقيل بل جميع الاعراب الذين كانوا
حول المدينة فان اللفظ عام والتخصيص تحكم ليس لهم ان يتخلفوا عن رسول الله اذا غزا ولا يرغبوا بانفسهم عن نفسه اي لا يطلبوا
لانفسهم الحفظ والدعة حال ما يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحر والمشقة والمعنى ليس لهم ان يكرهوا لانفسهم ما يرضاه
الرسول عليه الصلاة والسلام لنفسه يقال رغبت بنفسي عن هذا الامر اي توقفت عنه وتركته وارغب بفلان عن هذا الامر
اي ابخل به عليه ولا اتركه له وظاهر الاية وجوب الجهاد على الكل الا ما خصه الدليل من المرضى والضعفاء والعاجزين ولما منعهم
من التخلف بين انهم لا يصيبهم في ذلك السفر نوع من المشقة الا وهو يوجب الثواب العظيم عند الله تعالى وذكر امورا منها

ذلك بانهم مبتدأ وخبر والاشارة الى ما تضمنه انتفاء التخلف من وجوب الخروج معه لا يصيبهم ظمأ وهو
العطش يقال ظمئ يظمأ ظماء فهو ظمآن وهي ظمأى وفيه لغتان القصر والمد وبالمد قرا عمرو بن عبيد نحو سفه سفاها والظماء
ما بين الشربتين ومنها قوله ولا نصب اي اعياء وتعب ولا مخمصة في سبيل الله اي مجاعة شديدة يظهر بها ضمور البطن
يقال فلان خميص البطن ومنها قوله ولا يطؤن موطئا يغيظ الكفار موطئا مفعل من وطئ ويحتمل ان يكون مصدرا بمعنى
الوطء وان يكون مكانا والاول اظهر لان فاعل يغيظ يعود عليه من غير تاويل بخلاف كونه مكانا فانه يعود على المصدر
وهو الوطء الدال عليه مكان الموطئ والمعنى لا يضع الانسان قدمه ولا يضع فرسه حافره ولا يضع بعيره خفه بحيث يصير
ذلك سببا لغيظ الكفار **قوله** يغيظ الكفار قال ابن الاعرابي يقال غاظه وغيظه واغاظه بمعنى واحد
وقرا زيد بن علي يغيظ بضم الياء وقوله ولا ينالون من عدو نيلا النيل مصدر فيحتمل ان يكون على بابه وان يكون
واقعا موقع المفعول به وليس باؤه مبدلة من واو كما زعم بعضهم بل نال ينول له مادة اخرى ومعنى اخر وهو المناولة
يقال نلته انوله اي تناولته ونلته انيله اي ادركته والمعنى ولا ينالون من العدو اسرا او قتلا او هزيمة قليلة او
كثيرة الا كتب لهم عمل صالح اي كان ذلك قربة عند الله تعالى لهم قال قتادة هذا الحكم من خواص رسول الله صلى الله عليه
وسلم اذا غزا بنفسه فليس لاحد ان يتخلف عنه الا بعذر وقال ابن زيد هذا حين كان المسلمون قليلين فلما كثروا نسخها الله
بقوله وما كان المؤمنون لينفروا كافة وقال عطية ما كان لهم ان يتخلفوا عن رسول الله اذا دعاهم وهذا هو الصحيح
لان اجابة الرسول واجبة وكذلك غيره من الائمة قال الوليد بن مسلم سمعت الاوزاعي وابن المبارك وابن جابر وسعيد بن عبد
العزيز يقولون في هذه الاية انها لاول هذه الامة واخرها وذلك لانا لو سوغنا للمندوب ان يتقاعد لم يختص بذلك
بعض دون بعض فيؤدي ذلك الى تعطيل الجهاد **قوله** ولا ينفقون نفقة صغيرة ولا كبيرة اي تمرة فما
فوقها او علاقة سوط فما فوقها ولا يقطعون واديا قال الزمخشري الوادي كل منفرج بين جبال واكام يكون منفذا
للسيل والجمع اودية وهو في الاصل فاعل من ودي اذا سال ومنه الودي وقد شاع في استعمال العرب بمعنى الارض وجمع على
اودية وليس بقياس وكان قياسه اوادي كاواصل جمع واصل والاصل وواصل فقلبت الواو الاولى همزة وهم قد
يستثقلون واحدة حتى قالوا اقيت في وقيت وحكى الخليل وسيبويه في تصغير واصل اسم رجل اويصل ولا يقولون غيره
قال النحاس ولا اعرف فاعلا وافعلة سواه وقد استدرك هذا عليه فراد وافراد وانديه وانشدوا •

• وفيهم مقامات حسان وجوههم • واندية ينتابها القول والفعل •

والنادي المجلس وقال الفراء يجمع على اوداه كاصاحب واصحاب وانشد لجرير **قوله** •

• عرفت ببرقة الاوداء رسما • محيلا طال عهدك من رسوم •

وزاد الراغب في فاعل وافعلة ناج وانجية فقد كملت ثلاثة الفاظ في فاعل وافعلة ويقال واداه اي اهلكه كانهم
تصوروا منه اسالة الدم وسميت الدية دية لانها في مقابلة اسالة الدم ومنه الودي وهو ماء النخل عند الملاعبة
وما يخرج عند البول والودي بكسر الدال وتشديد الياء لصغار النخل **قوله** الا كتب لهم هذه الجملة في محل نصب على الحال
من ظماء وما عطف عليه اي لا يصيبهم ظماء الا مكتوبا وافرد الضمير في به وان تقدمه اشياء اجراء له مجرى اسم الاشارة اي
كتب لهم بذلك عمل صالح قال ابن عباس بكل روعة تنالهم في سبيل الله سبعين الف حسنة وقوله الا كتب كنظيره والضمير
يحتمل ان يعود على العمل الصالح المتقدم وان يعود على احد المصدرين المفهومين من ينفقون ويقطعون اي الا
كتب لهم الانفاق والقطع وقوله ليجزيهم متعلق بكتب وقوله احسن ما كانوا يعملون فيه وجهان الاول ان الاحسن
من صفة فعلهم وفيه الواجب والمندوب دون المباح والثاني ان الاحسن صفة للجزاء اي يجزيهم جزاء هو احسن
من اعمالهم وافضل وهو الثواب روى خريم بن فاتك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من انفق نفقة في سبيل الله
كتب الله له سبعمائة ضعف **قوله** وما كان المؤمنون لينفروا كافة الاية يمكن ان يقال هذه الاية من بقية
احكام الجهاد ويمكن ان يقال انه كلام مبتدأ لا تعلق له بالجهاد اما الاول فنقل عن ابن عباس انه عليه الصلاة والسلام
كان اذا خرج الى الجهاد لم يتخلف عنه الا منافق او صاحب علة فلما بالغ الله تعالى في عيوب المنافقين في غزاة تبوك
قال المؤمنون والله لا نتخلف عن شيء من الغزوات مع الرسول ولا عن سرية فلما قدم الرسول عليه الصلاة والسلام المدينة
وامر السرايا الى الكفار نفر المسلمون جميعا الى الغزو وتركوه وحده بالمدينة والمعنى لا يجوز للمؤمنين ان ينفروا كلهم الى الجهاد
بل يجب ان يصيروا طائفتين طائفة تبقى في خدمة الرسول وطائفة اخرى تنفر للجهاد وذلك لان الاسلام في ذلك الوقت
كان يحتاج الى الجهاد وانما التكاليف كانت تنزل ويبلغها للعاملين وبهذا الطريق يتم امر الدين وعلى هذا القول فيه احتمالان
احدهما ان تكون الطائفة المقيمة هم الذين يتفقهون في الدين لملازمتهم الرسول عليه الصلاة والسلام ومشاهدتهم

التنزيل فكلما نزل تكليف وشرع حفظوه وعرفوه فاذا رجعت الطائفة النافرة من الغزو انذرتهم الطائفة المقيمة ما تعلموه
من التكاليف والشرائع وعلى هذا فلا بد من اضمار والتقدير فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة واقام طائفة ليتفقه المسلمون
في الدين ولينذروا قومهم يعني النافرين الى الغزو اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون معاصي الله تعالى والاحتمال الثاني ان التفقه
صفة للطائفة النافرة قال الحسن والمعنى فهلا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقه المسلمين في الدين ولينذروا قومهم يعني المسلمين
النافرين الى الغزو لعلهم يحذرون معاصي الله تعالى والمعنى فهلا نفر من كل فرقة منهم طائفة حتى تصير هذه الطائفة النافرة
فقهاء في الدين اي انهم اذا شاهدوا ظهور المسلمين على المشركين مع قلة عدد المسلمين وعددهم يعلمون ان العالم المشركين يستقر
ويعلمون ان ذلك بسبب ان الله تعالى لما بين في هذه السورة امر الهجرة ثم امر الجهاد وهما عبادتان بالسفر بين ايضا عبادة التفقه
من جهة الرسول وله تعلق بالسفر فقال وما كان المؤمنون لينفروا كافة الى حضرة الرسول عليه الصلاة والسلام ليتفقهوا في
الدين بل ذلك غير واجب وليس حاله كحال الجهاد مع الرسول الذي يجب ان يخرج فيه كل من لا عذر له ثم قال فلولا نفر من كل فرقة
منهم يعني من الفرق الساكنين في البلاد طائفة الى حضرة الرسول عليه الصلاة والسلام ليتفقهوا في الدين وليعرفوا الحلال
والحرام ويعودوا الى قومهم لكي يرجعوا عن كفرهم وعلى هذا فالمراد وجوب الخروج الى حضرة الرسول عليه الصلاة والسلام
للتفقه والتعلم فان قيل افتدل الاية على وجوب الخروج للتفقه والتعلم في كل زمان **فصل** متى عجز عن التفقه
الا في السفر وجب عليه السفر وفي زمان الرسول عليه الصلاة والسلام كان الامر كذلك لان الشريعة ما كانت مستقرة فاذا
امكنه تحصيل العلم في الوطن لم يجب السفر **قوله** فلولا نفر من كل فرقة لولا تحضيضية والمراد به الامر لان لولا
اذا دخل على الفعل كان بمعنى التحضيض مثل هلا لان هلا كلمتان هل وهو استفهام وعرض لانك اذا قلت للرجل هل تاكل
كانك عرضت ذلك عليه ولا وهو جحد فهلا مركب من امرين عرض وجحد فاذا قلت هلا فعلت كذا فكانك قلت هلا فعلت
كذا ومعناه لاي ما فعلت ففيه تنبيه على وجوب الفعل وتنبيه على انه حصل الاخلال بهذا الواجب وهذا الكلام
في لولا لانك اذا قلت لو دخلت علي ولو كان عندي ايضا عرض واخبار عن سرور كبير لو فعل وهذا الكلام في لوما ومنه
قوله تعالى لوما تاتينا بالملائكة فلولا وهلا ولوما الفاظ متقاربة والمراد بها الترغيب والتحضيض ومنهم يجوز ان
يكون صفة لفرقة وان يكون حالا من طائفة لانها في الاصل صفة لها وعلى كلا التقديرين فيتعلق بمحذوف والذي
ينبغي ان يقال ان من كل فرقة حال من طائفة ومنهم صفة لفرقة ويجوز ان يكون من كل متعلقا بنفر وفي الضمير من قوله
ليتفقهوا قولان احدهما انه للطائفة النافرة والثاني انه للطائفة القاعدة على ما تقدم والضمير في رجعوا عائد
على النافرة قال ابن العربي والقاضي ابو بكر والشيخ ابو الحسن ان الطائفة ههنا واحد ويعضدون به على وجوب العمل بخبر
الواحد وهو صحيح لا من جهة ان الطائفة تطلق على الواحد ولكن من جهة ان خبر الشخص الواحد والاشخاص خبر واحد
وان مقابله وهو التواتر لا ينحصر قال القرطبي تاما ما يستدل به على ان الواحد يقال له طائفة قوله تعالى وان طائفتان
من المؤمنين اقتتلوا اي نفران بدليل قوله فاصلحوا بين اخويكم فجاء بلفظ التثنية واما الضمير في اقتتلوا وان كان ضمير
جماعة فاقل الجماعة اثنان في احد القولين **فصل** دلت هذه الاية على ان خبر الواحد حجة لان كل ثلاثة
فرقة وقد اوجب الله تعالى ان يخرج من كل فرقة طائفة والخارج من الثلاثة يكون اثنين او واحدا على معنى تفسير طائفة
اما اثنين او واحدا ثم انه تعالى اوجب العمل بخبرهم لقوله ولينذروا قومهم وهو عبارة عن اخبارهم وقوله لعلهم يحذرون
ايجاب على قومهم ان يعملوا باخبارهم وذلك يقتضي ان يكون خبر الواحد او الاثنين حجة في الشرع قال القاضي لا تدل الاية
على وجوب العمل بخبر الواحد لان الطائفة قد تكون جماعة يقع بخبرها الحجة ولان قوله ولينذروا قومهم يصح وان لم يجب
القبول كان الشاهد الواحد تلزمه الشهادة وان لم يلزم القبول لان الانذار يتضمن التخويف وهذا القدر لا يقتضي
وجوب العمل به **فصل** انا بينا ان كل ثلاثة فرقة وقد اوجب ان يخرج من كل فرقة طائفة فلزم كون الطائفة
اما اثنين او واحدا فبطل كون الطائفة جماعة يحصل العلم بخبرهم فان قيل انه تعالى اوجب العمل بقول اولئك الطوائف
فلعلهم بلغوا في الكثرة الى حيث يحصل العلم بخبرهم **فالجواب** انه تعالى اوجب على كل طائفة الى قوم خاص ثم انه تعالى
اوجب العمل بقول تلك الطائفة وهو المطلوب واما قوله ولينذروا قومهم بل بقوله لعلهم يحذرون فانه ترهيب منه
تعالى في الحذر بناء على ذلك الانذار فيقتضي ايجاب العمل على وفق ذلك الانذار **فصل** الفقه معرفة احكام
الدين وهو ينقسم الى فرض عين وفرض كفاية ففرض العين مثل علم الطهارة والصلاة والصوم فعلى كل مكلف معرفته قال
عليه الصلاة والسلام طلب العلم فريضة على كل مسلم وكذا كل عبادة اوجبها الشرع على واحد يجب عليه معرفة علمها
مثل علم الزكوة ان كان له مال وعلم الحج ان وجب عليه واما فرض الكفاية هو ان يتعلم حتى يبلغ رتبة الاجتهاد ودرجة
الفتيا فاذا قعد اهل بلد عن تعلمه عصوا جميعا واذا قام من كل بلد واحد بتعلمه سقط الفرض عن الاخرين وعليهم تقليده

فيما يقع لهم من الحوادث قال عليه الصلاة والسلام فضل العالم على العابد كفضلي على ادناكم وقال عليه الصلاة
والسلام فقيه واحد اشد على الشيطان من الف عابد وتقدم الكلام على حد الفقه في اللغة في سورة الانعام عند قوله لا يكادون
يفقهون حديثا **قوله تعالى** يا ايها الذين امنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار الاية نقل عن الحسن انه قال هذه الاية
نزلت قبل الامر بقتال المشركين كافة ثم نسخ وانكر المحققون هذا النسخ وقالوا انه تعالى لما امر بقتال المشركين كافة ارشدهم في ذلك
الى الطريق الاصلح وهو ان يبتدؤا بالاقرب فالاقرب منتقلا الى الابعد فالابعد الا ترى ان امر الدعوة وقع على هذا الترتيب
قال تعالى وانذر عشيرتك الاقربين وامر الغزوات وقع على هذا الترتيب لانه عليه الصلاة والسلام حارب قومه اولا
ثم انتقل الى غزو سائر العرب ثم انتقل منهم الى غزو الشام والصحابة لما فرغوا من امر الشام دخلوا العراق والعلة في الابتداء
بالاقرب وجوه احدها ان مقاتلة الكل دفعة واحدة متعذرة والكل متساو في وجوب القتال لما فيهم من الكفر والمحاربة والجمع
متعذر والقرب مرجح ظاهر كما في الدعوة وثانيها ان النفقات في الاقرب اقل والحاجة الى الدواب والالات اقل وثالثها
ان المجاهدين اذا تجاوزوا من الاقرب الى الابعد فقد عرضوا الذراري الى الفتنة واموالهم الى النهب ورابعها ان المجاورين
لدار الاسلام اما ان يكونوا اقوياء او ضعفاء فان كانوا اقوياء كان تعرضهم للمسلمين اشد واكثر من تعرض الابعدين والشر الاكثر
اولى بالدفع وان كانوا ضعفاء كان استيلاء المسلمين عليهم اسهل وكان الابتداء بهم اولى وخامسها ان القريب يعلم حاله
اكثر من علم حال البعيد فيكون غزوه اسهل وسادسها ان دار الاسلام واسعة فاذا اشتغل اهل كل بلد بقتال من يليهم
من الكفار كانت المؤنة اسهل وسابعها انه اذا اجتمع واجبان قدم ايسرهما حصولا وثامنها ما تقدم من ان النبي صلى الله
عليه وسلم امر بابتداء الدعوة بالاقرب وبالغزو بالاقرب وفي جميع المهمات كذلك حتى ان الاعرابي الذي جلس على المائدة
وكان يمد يده الى الجوانب البعيدة من تلك المائدة قال له عليه الصلاة والسلام كل مما يليك فدلت هذه الاية على ان الابتداء
بالاقرب واجب فان قيل ربما كان التخطي من الاقرب الى الابعد اصلح لان الابعد يقع في قلبه انه انما تجاوز الاقرب لانه
لا يقيم لهم وزنا **فالجواب** ان ذلك الاحتمال واحد وما ذكرنا احتمالات كثيرة ومصالح الدنيا مبنية على ترجيح الاكثر
مصلحة وهذا الذي قلناه انما هو فيما اذا تعذر الجمع بين مقاتلة الاقرب والابعد فاما اذا امكن الجمع بين الكل
فالاولى هو الجمع **قوله تعالى** وليجدوا فيكم هو من باب لا اريتك ههنا وتقدم شرحه وغلظة قرأ الجمهور غلظة بكسر
العين وهي لغة اسد وقرأ الاعمش وابان بن تغلب والمفضل كلاهما عن عاصم بفتحها وهي لغة الحجاز وقرأ ابو حيوة والسلمي
وابن ابي عبلة والمفضل وابان في رواية عنهما بالضم وهي لغة تميم وحكى ابو عمرو اللغات الثلاث والغلظة اصلها في الاجرام
فاستعيرت هنا للشدة والصبر والتجلد قال المفسرون شجاعة وقيل عنفا وقيل شدة والغلظة ضد الرقة وفائدتها
انها اقوى تأثيرا في الزجر والمنع عن القبيح وهذا غير مطرد بل يحتاج تارة الى الرفق واللطف وتارة الى العنف ولهذا
قال وليجدوا فيكم غلظة تنبيها على انه لا يجوز الاقتصار على الغلظة البتة فانه ينفر ويوجب تفرق القوم فقوله
وليجدوا فيكم غلظة كانه قيل لا بد وان يكونوا بحيث لو فتشوا عن اخلاقكم وطبائعكم لوجدوا فيكم غلظة وهذا الكلام
انما يصح فيمن اكثر احواله الرحمة والرافة ومع ذلك فلا يخلو عن نوع غلظة وهذه الغلظة انما تعتبر فيما يتعلق بالدعوة
الى الدين اما باقامة الحجة واما بالقتال فاما ما يتعلق بالبيع والشراء ونحوه فلا ثم قال واعلموا ان الله مع المتقين اي بالعون
والنصر ويكون اقدامه على القتال بسبب تقوى الله لا بسبب طلب المال والجاه **قوله تعالى** واذا ما انزلت سورة
فمنهم من يقول الاية لما ذكر مخازي المنافقين واعمالهم القبيحة قال واذا ما انزلت سورة ما صلة موكدة فمنهم اي فمن
المنافقين من يقول فقيل يقول بعضهم لبعض ليثبتوهم على النفاق وقيل يقولونه لعوام المسلمين ليصرفوهم عن الايمان
وقيل يقولوا ذلك على سبيل الهزؤ **قوله تعالى** ايكم الجمهور على رفع ايكم بالابتداء وما بعده الخبر وقرأ زيد بن علي وعبيد
بن عمير بالنصب على الاشتغال ولكن يقدر الفعل متاخرا عنه من اجل ان له صدر الكلام والنصب عند الاخفش
في هذا النحو احسن من الرفع لانه يجري اسم الاستفهام مجرى الاسماء المسبوقة باداة الاستفهام نحو ازيدا ضربته في ترجيح
اضمار الفعل **قوله تعالى** فاما الذين امنوا فزادتهم ايمانا اي يقينا وتصديقا لانهم يقروا بها ويعترفوا
بانها حق من عند الله وتقدم الكلام في زيادة الايمان ونقصانه في اول سورة الانفال ثم قال وهم يستبشرون
اي يفرحون بنزول القرآن وقيل بثواب الاخرة وقيل بالنصر والظفر والاستبشار استدعاء البشارة لانه كلما تذكر
النعمة حصلت البشارة فهو بالتذكر يطلب تجدد البشارة ثم ذكر للمنافقين امرين مقابلين للامرين المذكورين
في المؤمنين فقال واما الذين في قلوبهم مرض اي شك ونفاق فزادتهم رجسا الى رجسهم والمراد بالرجس ههنا العقائد
الباطلة واما الاخلاق المذمومة فعلى الاول المعنى انهم كانوا مكذبين بالسور النازلة قبل ذلك والان صاروا مكذبين
بهذه السورة الجديدة فقد انضم كفر الى كفر وعلى الثاني انهم كانوا في الحسد والعداوة واستنباط وجوه المكر والكيد

والان زادت تلك الاخلاق الذميمة بسبب نزول هذه السورة الجديدة والامر الثاني انهم يموتون على كفرهم
وهذه الحالة مضادة للاستبشار الذي يحصل للمؤمنين وهذه الحالة اقبح من الحالة الاولى لان الحالة الاولى عبارة عن
ازدياد الرجاسة وهذه الحالة عبارة عن مداومة الكفر وموتهم عليه قال مجاهد في هذه الاية الايمان يزيد وينقص
وكان عمر ياخذ بيد الرجل والرجلين من اصحابه فيقول تعالوا نزدد ايمانا وقال علي بن ابي طالب رضي الله عنه ان الايمان
يبدو لمظة بيضاء في القلب فكلما ازداد الايمان عظما ازداد ذلك البياض حتى يبيض القلب كله وان النفاق يبدو
لمظة سوداء في القلب فكلما ازداد النفاق ازداد ذلك السواد حتى يسود القلب كله وايم الله لو شققتم عن قلب مؤمن
لوجدتموه ابيض ولو شققتم عن قلب منافق لوجدتموه اسود **قوله تعالى** اولا يرون قرأ حمزة ويعقوب ترون
بتاء الخطاب وهو خطاب للذين امنوا والباقون بياء الغيبة رجوعا على الذين في قلوبهم مرض والرؤية هنا تحتمل
ان تكون قلبية وان تكون بصرية قال الواحدي في قوله اولا هذه الف الاستفهام دخلت على واو العطف فهو متصل
بذكر المنافقين وهو خطاب على سبيل التنبيه قال سيبويه عن الخليل في قوله الم تر ان الله انزل من السماء ماء فكان كذا
وكذا **قوله تعالى** انهم يفتنون في كل عام مرة او مرتين اي يبتلون في كل عام مرة او مرتين بالامراض والشدائد
ثم لا يتوبون عن ذلك النفاق ولا يتعظون كما يتعظ المؤمن اذا مرض فانه يتذكر ذنوبه وموقفه بين يدي الله فيزيده
ذلك خوفا وايمانا قاله ابن عباس وقال مجاهد يفتنون بالقحط والشدة والجوع وقال قتادة بالغزو والجهاد لانهم
اذا تخلفوا وقعوا في السنة الناس باللعن والخزي والذكر القبيح وان ذهبوا الى الغزو مع كونهم كافرين فقد عرضوا
انفسهم للقتل واموالهم للنهب من غير فائدة وقال مقاتل يفضحون باظهار نفاقهم وقال عكرمة ينافقون ثم يؤمنون
ثم ينافقون وقال يمان ينقضون عهدهم في السنة مرة او مرتين ثم لا يتوبون من نقض العهد ولا يرجعون الى الله
من النفاق ولا هم يذكرون اي لا يتعظون بما يرون من تصديق وعد الله بالنصر والظفر للمسلمين **قوله تعالى** واذا
ما انزلت سورة الاية وهذا نوع اخر من مخازي المنافقين وهو انه كلما نزلت سورة مشتملة على ذكر فضائح المنافقين
وسمعوها تاذوا من سماعها ونظر بعضهم الى بعض نظرا مخصوصا دالا على الطعن في تلك السورة والاستهزاء بها وتحقير
شأنها ويحتمل انهم كانوا يبغضون القرآن كله فكلما سمعوا سورة استهزءوا بها وطعنوا فيها وتغامزوا وتضاحكوا وقيل نظر بعضهم
الى بعض يريدون الهرب **قوله تعالى** هل يراكم من احد في محل نصب بقول مضمر اي يقولون هل يراكم وجملة القول في محل
نصب على الحال ومن احد فاعل والمعنى انهم عند سماع تلك السورة يتاذون ويريدون الخروج من المسجد فيقول بعضهم
لبعض هل يراكم من احد من المؤمنين ان قمتم فان لم يرهم احد خرجوا من المسجد وان علموا ان احدا يراهم قاموا وثبتوا وقيل
انهم كانوا اذا نزلت سورة اشتد كفرهم ونفاقهم بتلك النظرة الدال على ما في الباطن من الانكار الشديد والنفرة التامة
فخافوا ان يرى احد من المسلمين ذلك النظر وتلك الاحوال الدالة على النفاق والكفر فعند ذلك قالوا هل يراكم من احد
اي لو راكم احد على هذا النظر وهذا الشكل لضركم جدا ثم انصرفوا عن الايمان بتلك السورة وقيل انصرفوا عن مواضعهم
التي يسمعون القرآن فيها ثم قال تعالى صرف الله قلوبهم قال ابن عباس عن كل رشد وخير وهدى وقال الحسن طبع الله على قلوبهم
وقال الزجاج اضلهم الله تعالى مجازاة على فعلهم ذلك بانهم قوم لا يفقهون عن الله دينه قال ابن عباس لا تقولوا اذا صليتم
انصرفنا من الصلاة فان قوما انصرفوا فصرف الله قلوبهم ولكن قولوا قضينا الصلوة والمقصود التفاؤل بترك هذه
اللفظة الواردة فيما لا ينبغي والترغيب في تلك اللفظة الواردة قال تعالى فاذا قضيتم الصلوة **قوله تعالى**
لقد جاءكم رسول من انفسكم الاية لما امر رسوله عليه الصلاة والسلام ان يبلغ التكاليف الشاقة في هذه السورة الى الخلق
وهو مما يعسر تحملها الا لمن خصه الله بالتوفيق ختم السورة بما يوجب سهولة تحمل تلك التكاليف وهو ان هذا الرسول منكم
فكلما حصل له من العز والشرف فهو عائد اليكم فهو كالطبيب المشفق لكم والاب الرؤوف الرحيم في حقكم واذا كان كذلك
صارت تلك التكاليف وتلك التاديبات جارية مجرى الاحسان **قوله تعالى** من انفسكم صفة لرسول اي من صميم العرب
قال ابن عباس ليس من العرب قبيلة الا وقد ولدت النبي صلى الله عليه وسلم وله فيهم نسب وقال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ما ولدني من سفاح اهل الجاهلية شيء ما ولدني الا نكاح كنكاح الاسلام وقرأ ابن عباس وابو العالية والضحاك
وابن محيصن ومحبوب عن ابي عمرو والزهري وعبد الله بن قسيط المكي ويعقوب من بعض طرقه وهي قراءة رسول الله صلى الله
عليه وسلم وفاطمة وعائشة بفتح الفاء اي من اشرفكم من النفاسة **فصل** اعلم انه تعالى وصف الرسول
في هذه الاية بخمس صفات اولها قوله من انفسكم وفيه وجوه احدها ما تقدم عن ابن عباس والمراد منه ترغيب العرب في نصره
والقيام بحقه اي كلما يحصل له من الدولة والرفعة في الدنيا فهو سبب لعزكم فانه منكم ومن نسبكم وثانيها يريد انه
بشر مثلكم والمعنى انه لو كان من جنس الملائكة لتصعب الامر بسببه على الناس كما تقرر في الانعام وثالثها ان هذا الخطاب

لاهل الحرم لان العرب كانوا يسمون اهل الحرم اهل الله وخاصته وكانوا يخدمونهم فكانه قيل للعرب كنتم قبل مقدمه
مجتهدين في خدمة اسلافه فلم تتكاسلون عن خدمته مع انه اعلى في الشرف من اسلافه والصفة الثانية قوله عزيز فيه
وجوه احدها انه صفة لرسول وفيه انه تقدم غير الوصف الصريح وقد يجاب ان من انفسكم متعلق بجاء وما يجوز ان يكون مصدرية
او بمعنى الذي وعلى كلا التقديرين هي فاعل بعزيز اي يعز عليه عنتكم والذي عنتموه اي عنتم بسببه بحذف العائد على
التقديرين وهذا كقوله • يسر المرء ما ذهب الليالي • وكان ذهابهن له ذهابا • اي يسره ذهاب الليالي ويجوز ان يكون
عزيز خبرا مقدما وما عنتم مبتدا مؤخرا والجملة صفة لرسول لقوله بعد ذلك حريص فلم يجعل خبرا لغيره وادعاء كونه خبر
مبتدا مضمر اي هو حريص لا حاجة اليه قال الفراء ما في قوله ما عنتم في موضع رفع اي عزيز عليه عنتكم اي يشق عليه مكروهكم
وقال القتيبي ما اعنتكم وضركم وقال ابن عباس ما اضللتم وقال الضحاك والكلبي اثمتم والصفة الثالثة قوله حريص عليكم
والحريص يمتنع ان يكون متعلقا بذواتهم بل المراد حريص على ايصال الخيرات اليكم في الدنيا والاخرة وعلى هذا التقدير يكون
قوله عزيز عليه ما عنتم اي شديد عليه بقوته عن وصول شيء من آفات الدنيا والاخرة اليكم لان العزيز هو الغالب الشديد وبهذا
التقدير لا يحصل التكرار والصفة الرابعة والخامسة **قوله تعالى** بالمؤمنين رؤوف رحيم بالمؤمنين متعلق برؤوف
ولا يجوز ان يكون المسألة من التنازع لان من شرطه تاخر المعمول عن العاملين وان كان بعضهم قد خالف ويجيز زيدا ضربت
وشتمته على التنازع واذا فرعنا على هذا الضعيف فيكون من اعمال الثاني لا الاول لما عرف انه متى اعمل الاول اضمر في الثاني
من غير حذف **فصل** قال ابن عباس سماه الله تعالى هاهنا باسمين من اسمائه والمعنى رؤوف بالمطيعين رحيم بالمذنبين
فان قيل كيف يكون كذلك وقد كلفهم في هذه السورة بانواع من التكاليف الشاقة التي لا يقدر على تحملها الا من وفقه الله تعالى
فالجواب انه تقدم هذا المعنى مثل الطبيب الحاذق والاب المشفق والمعنى انه فعل بهم ذلك ليتخلصوا من العقاب المؤبد
ويفوزوا بالثواب المؤبد فان قيل لما قال عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم فهذا النسق يوجب ان يقال رؤوف رحيم بالمؤمنين
فلم ترك هذا النسق وقال بالمؤمنين رؤوف رحيم **فالجواب** ان هذا يفيد الحصر اي لا رافة ولا رحمة وهذا كالمتمم
لما ورد في هذه السورة من التغليظ كانه يقول اني وان بالغت في التغليظ على الكفار والمنافقين واما رافتي ورحمتي
فمخصوصة بالمؤمنين فقط **قوله تعالى** فان تولوا يعني المشركين والمنافقين اي اعرضوا عنك وقيل تولوا عن طاعة
الله تعالى وتصديق الرسول عليه الصلاة والسلام وقيل تولوا عن قبول التكاليف الشاقة المذكورة في هذه السورة وقيل
تولوا عن نصرتكم في الجهاد فقل حسبي الله لا اله الا هو اي انه لا يدخل في قلب الرسول حزن ولا اسف لان الله حسبه وكافيه
في نصره على الاعداء عليه توكلت اي لا اتوكل الا عليه وهو رب العرش العظيم فان قيل العرش غير محسوس فلا يعرف وجوده
الا بعد ثبوت الشريعة فكيف يمكن ذكره في معرض شرح عظمة الله تعالى **فالجواب** وجود العرش امر مشهور والكفار
سمعوه من اليهود والنصارى وايضا لا يبعد انهم كانوا سمعوه من اسلافهم وقرأ الجمهور بجر الميم من العظيم صفة للعرش
وقرأ ابن محيصن برفعها نعتا للرب ورويت هذه قراءة عن ابن كثير قال ابو بكر الاصم وهذه القراءة اعجب الي لان جعل
العظيم صفة لله تعالى اولى من جعله صفة للعرش وايضا فان جعلناه صفة للعرش كان المراد من العظمة وجوب الوجود
والتقديس عن الحجمية والاجزاء والابعاض وكمال العلم والقدرة وكونه منزها عن ان يتمثل في الاوهام او تصل اليه افهام
فصل روي عن ابي بن كعب والحسن قال اخر ما نزل من القرآن هاتان الآيتان لقد جاءكم رسول الى آخرها
وقال ابي بن كعب هما احدث الآيات بالله عهدا وفي رواية اقرب القرآن من السماء عهدا وهو قول سعيد بن جبير وقيل اخر ما
نزل من القرآن قوله تعالى واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله قال القرطبي يحتمل ان يكون قول ابي اقرب القرآن من السماء عهدا بعد
قوله واتقوا يوما والله اعلم ونقل عن حذيفة انه قال انتم تسمون هذه السورة بالتوبة وهي سورة العذاب ما تركت احدا
الا نالت منه قال ابن الخطيب وهذه الرواية يجب تكذيبها لانا لو جوزنا ذلك لكان ذلك دليلا على تطرق الزيادة والنقصان
الى القرآن وهو باطل روت عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انه ما نزل علي القرآن الا آية آية وحرفا حرفا
خلا سورة براءة وقل هو الله احد فانهما انزلتا علي ومعهما سبعون الف صف من الملائكة كلا يقول يا محمد استوص بنسبة الله خيرا

سورة يونس عليه السلام مكية

في قول عكرمة وعطاء وجابر وقال ابن عباس الا ثلاث آيات وقال مقاتل الا آيتين من قوله فان كنت في شك مما انزلنا اليك

وقال

وقال الكلبي انها مكية الا قوله ومنهم من يؤمن به ومنهم من لا يؤمن به وربك اعلم بالمفسدين فانها مدنية نزلت
في اليهود وقالت فرقة نزلت من اولها نحو من اربعين اية بمكة وباقيها بالمدينة وهي مائة وتسع آيات وعدد كلماتها
الف وثمانمائة واثنتان وثلاثون كلمة وعدد حروفها سبعة الاف وخمسمائة وسبعة وستون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم
الر تقدم الكلام على الحروف المقطعة في اول الكتاب واختلف القراء في امالة هذه الحروف اذا كان في آخرها وهي را وطا
ها ويا وحا فامال را من جميع سورها امالة محضة الكوفيون الا حفصا وابو عمرو وابن عامر وامال الاخوان
وابو بكر طا من جميع سورها نحو طسم طه ويا من يس وافقهم ابن عامر والسوسي على يا من كهيعص بخلاف عن السوسي وامال
الاخوان وابو عمرو وورش وابو بكر ها من طه وكذلك اما لها من كهيعص ابو عمرو والكسائي وابو بكر دون حمزة وورش
وامال ابو عمرو وورش والاخوان وابو بكر وابن ذكوان حا من جميع سورها السبع الا ان ابا عمرو وورشا يميلان بين بين
وللقراء في هذا عمل كثير مذكور في كتب القرآن وكلها لغات صحيحة قال الواحدي الاصل ترك الامالة في هذه الكلمات نحو ما
ولا لان الفاتها ليست منقلبة عن الياء واما من امال فلان هذه الالفاظ اسماء للحروف **فصل** اتفقوا
على ان قوله الر وحده ليس اية واتفقوا على ان قوله طه وحده اية والفرق ان قوله الر لا يشاكل مقاطع الاي التي بعده
قال ابن عباس والضحاك الر معناه انا الله ارى وقيل انا الرب لا رب غيري وقال سعيد بن جبير الر وحم ونون حروف اسم الرحمن
مفرقة ورواه ايضا يزيد عن عكرمة عن ابن عباس قال الراوي فحدثت به الاعمش قال عندك اشباه هذا ولا تخبرني به
قوله تعالى تلك آيات الكتاب تلك يحتمل ان يكون اشارة الى آيات هذه السورة وان يكون اشارة الى ما تقدم هذه
السورة من آيات القرآن لان تلك اشارة الى غائب مؤنث وقيل تلك بمعنى هذه تلك آيات ومنه قول الاعشى •
تلك خيلي وتلك ركابي • هن صفر اولادها كالزبيب • اي هذه خيلي وهذه ركابي والكتاب يحتمل ان يكون المراد
به القرآن ويحتمل ان يراد به الكتاب المخزون المكنون عند الله الذي منه نسخ كل كتاب لقوله انه لقرآن كريم في كتاب
مكنون وقوله وانه في ام الكتاب لدينا وقوله وعنده ام الكتاب وقيل المراد من الكتاب الحكيم التوراة والانجيل
والمعنى ان القصص المذكورة في التوراة والانجيل لحصول هذه الموافقة لا يمكن الا اذا خص الله محمدا بانزال الوحي عليه
وقال ابو مسلم قوله تلك اشارة الى حروف التهجي فقوله الر تلك آيات الكتاب يعني ان هذه الحروف هي الاشياء التي جعلت
آيات وعلامات هذا الكتاب الذي وقع به التحدي فلولا امتياز هذا الكتاب عن كلام الناس بالوصف المعجز والا لكان
اختصاصه بهذا النظم دون سائر الناس القادرين على التلفظ بهذه الحروف محالا **قوله تعالى** الحكيم قيل ذو الحكم
بمعنى اشتماله على الحكم وقيل وصف الكتاب بصفة من تكلم به كقول الاعشى • وغريبة تاتي الملوك حكيمة •
قد قلتها ليقال من ذا قالها • فيكون فعيل بمعنى مفعل وقال الاكثرون الحكيم بمعنى الحاكم فعيل بمعنى فاعل لقوله تعالى
وانزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس وقيل بمعنى المحكوم فعيل بمعنى مفعول اي محكم والمحكم معناه المنع من الفساد
فيكون المعنى لا تغيره الدهور والمراد براءته عن الكذب والتناقض وقال الحسن حكم فيه بالعدل والاحسان وايتاء
ذي القربى ونهى فيه عن الفحشاء والمنكر والبغي وحكم فيه بالجنة لمن اطاعه وبالنار لمن عصاه فعلى هذا الحكيم
يكون بمعنى المحكوم فيه وقيل الحكيم في اصل اللغة عبارة عن الذي يفعل الحكمة والصواب فمن حيث انه يدل على هذه المعاني
صار كانه هو الحكيم في نفسه **قوله تعالى** اكان للناس عجبا الهمزة للانكار وان اوحينا ان والفعل في تقدير المصدر
وهو اسم كان وعجبا خبرها وللناس متعلق بمحذوف على انه حال من عجبا لانه في الاصل صفة له او متعلق بعجبا ولا يضر
كونه مصدرا لانه يتسع في الظرف وعديله ما لا يتسع في غيرهما وقيل لان عجبا مصدر واقع موقع اسم الفاعل واسم
المفعول ومتى كان كذلك جاز تقديم معموله وقيل هو متعلق بكان الناقصة وهذا على راي من يجيز فيها ذلك وهذا
مرتب على الخلاف في دلالة كان الناقصة على الحدث فان قلنا انها تدل على ذلك فيجوز والا فلا وقيل هو متعلق
بمحذوف على التبيين والتقدير في الاية اكان ايحاؤنا الى رجل منهم عجبا لهم ومنهم صفة لرجل وقرأ رؤبة رجل بسكون
الجيم وهي لغة تميم يسكنون فعلا نحو سبع وعضد وقرأ عبد الله بن مسعود عجب وفيها تخريجان اظهرهما انها التامة
اي احدث للناس عجب وان اوحينا متعلق بعجب على حذف لام العلة اي عجب لان اوحينا او يكون على حذف من اي من ان
اوحينا والثاني ان تكون الناقصة ويكون قد جعل اسمها النكرة وخبرها المعرفة على حد قوله يكون مزاجها عسل وماء
وقال الزمخشري والاجود ان تكون التامة وان اوحينا بدل من عجب يعني به بدل الاشتمال او كل من كل لانه جعل هذا
نفس العجب مبالغة والتخريج الثاني لابن عطية **فصل** التعجب حالة تعتري الانسان من رؤية شيء على خلاف
العادة وسبب نزول الاية ان الله تعالى لما بعث محمدا صلى الله عليه وسلم رسولا تعجب كفار قريش وقالوا الله اعظم من ان
يكون رسوله بشرا فانكر الله تعالى عليهم ذلك التعجب اما بيان تعجبهم من تخصيص محمد بالرسالة فمن وجوه الاول قوله تعالى

وعجبوا ان جاءهم منذر منهم الى قوله ان هذا لسحر مبين والثاني ان اهل مكة كانوا يقولون ان الله تعالى ما وجد رسولا
الى الخلق الا يتيم ابي طالب والثالث انهم قالوا لولا انزل هذا القران على رجل من القريتين عظيم فانكر الله عليهم هذا التعجب
بقوله اكان للناس عجبا والمراد بالناس اهل مكة والالف فيه للتوبيخ فان قيل لم يقل اكان عند الناس عجبا معناه انهم
جعلوه لانفسهم اعجوبة يتعجبون منها ويعينونه وينصبونه للاستهزاء والتعجب اليه وليس في قوله اكان عند الناس عجبا
هذا المعنى وقوله ان اوحينا الى رجل منهم يعني محمدا صلى الله عليه وسلم **قوله تعالى** ان انذر الناس يجوز ان تكون المصدرية
وان تكون التفسيرية ثم ان في المصدرية اعتباران احدهما ان تجعلها المخففة من الثقيلة واسمها ضمير الامر والشان
محذوف كذا قال ابو حيان وفيه نظر من حيث ان اخبار هذه الاحرف لا تكون الاجملة طلبية حتى لو ورد ما يوهم ذلك يؤول
على اضمار القول كقوله * ولو اصابت لقالت وهي صادقة * ان الرياضة لا تنصبك للسبب * وقول الاخر *
ان الذين قتلتم امس سيدهم * لا تحسبوا ليلهم عن ليلكم ناما * وايضا فان الخبر في هذا الباب اذا وقع جملة فعلية فلا
بد من الفصل باشياء تقدمت في المائدة ولكن ذلك الفاصل هنا متعذر والثاني انها التي بصدد ان تنصب الفعل المضارع
وهي توصل بالفعل المتصرف مطلقا نحو كتبت اليه بان قم وقد تقدم البحث فيه ولم يذكر المنذر به وذكر المبشر به لان المقام
يقتضي ذلك وقدم الانذار على التبشير لان ازالة ما لا ينبغي مقدمة في الرتبة على ما ينبغي فالانذار للكفار والفساق
ليرتدعوا عن فعل ما لا ينبغي والتبشير لاهل الطاعة والتقوى يرغبهم فيها **قوله تعالى** ان لهم قدم ان وما في خبرها هي المبشر بها
اي بشرهم باستقرار قدم صدق فحذفت الباء الجارة في محلها المذهبان والمراد بقدم صدق السابقة والفضل والمنزلة
الرفيعة واليه ذهب الزجاج والزمخشري ومنه قول ذي الرمة * لكم قدم لا ينكر الناس انها * على الحسب العالي طمت على البحر *
لما كان السعي والسبق بالقدم سمي السعي المحمود قدما كما سميت اليد نعمة لما كانت صادرة عنها واضيفا الى الصدق دلالة على فضله
وهو من باب رجل صدق ورجل سوء وقيل هو سابقة الخير التي قدموها ومنه قول وضاح اليمن * مالك وضاح دائم الغزل *
الست تخشى تقارب الاجل * صل لذي العرش واتخذ قدما * ينجيك يوم العثار والزلل * وقيل هو التقدم في الشرف
ومنه قول العجاج * ذل بنو العوام من ال الحكم * وتركوا الملك لملك ذي قدم * اي ذي تقدم وشرف قال ابن عباس
اجرا حسنا بما قدموا من اعمالهم وروي عن علي بن ابي طلحة عن ابن عباس هو السعادة في الذكر الاول وقال زيد بن اسلم
هو شفاعة الرسول عليه الصلاة والسلام وقال عطاء مقام صدق لا زوال له ولا بؤس فيه واضيف القدم الى الصدق
وهو نعته كقولهم مسجد الجامع وحب الحصيد وقال ابو عبيد كل سابق في خير او شر فهو عند العرب قدم يقال لفلان قدم
في الاسلام وله عندي قدم صدق وقدم سوء وهو يؤنث فيقال قدم حسنة وقدم صالحة ولهم خبر مقدم وقدم
اسمها وعند ربهم صفة لقدم ومن جوز ان يتقدم معمول خبر ان على اسمها اذا كان حرف جر كقوله * فلا تلحني فيها فان بحبها
اخاك مصاب القلب جم بلابله * قال فبحبها متعلق بمصاب وقد تقدم على الاسم فكذلك هنا يجوز ان يكون متعلقا بعند
ربهم لما تضمن من الاستقرار ويكون عند ربهم هو الخبر **قوله تعالى** قال الكافرون ان هذا لسحر مبين لما جاءهم
رسول منهم فانذرهم وبشرهم قالوا متعجبين ان هذا لسحر قرا نافع وابو عمرو وابن عامر لسحر والباقون لساحر فمن قرا لسحر يجوز
ان يكون اشارة الى القران وان يكون اشارة للرسول على القراءة الاولى ولكن لا بد من تاويل على قولنا هو اشارة
للرسول اي ذو سحر او جعلوه اياه مبالغة على القراءة الثانية فالاشارة للرسول عليه الصلاة والسلام فقط واعلم ان
اقدامهم على وصف القران بانه سحر يحتمل انهم ذكروه في معرض الذم ويحتمل انهم ذكروه في معرض المدح فلهذا قال بعض
المفسرين ارادوا انه كلام مزخرف حسن الظاهر لكنه باطل في الحقيقة ولا حاصل له وقال اخرون ارادوا انه لكمال فصاحته
وتعذر مثله جار مجرى السحر وهذا كلام فاسد فلذلك لم يذكر جوابه وبيان فساده انه عليه الصلاة والسلام كان
منهم ونشا بينهم وما غاب عنهم ولم يخالط احدا سواهم ولم تكن مكة بلد العلماء حتى يقال انه تعلم السحر منهم او تعلم العلوم
الكثيرة منهم فقدر على الاتيان بمثل هذا القران واذا كان الامر كذلك كان حمل القران على السحر كلاما في غاية الفساد
فلهذا ترك جوابه **قوله تعالى** ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض في ستة ايام الاية لما حكى عن الكفار تعجبهم
من الوحي والبعثة والرسالة ازال ذلك التعجب بانه لا يبعد ان يبعث خالق الخلق اليهم رسولا يبشرهم على الاعمال
الصالحة بالثواب وعلى الاعمال الباطلة بالعقاب وهذا الجواب انما يتم بامرين احدهما اثبات ان لهذا العالم
الها قادرا قاهرا نافذ الحكم بالامر والنهي والتكليف والثاني اثبات الحشر والنشر والبعث والقيامة حتى يحصل الثواب
والعقاب اللذان اخبر الانبياء عليهم الصلاة والسلام عن حصولهما فلذلك ذكر ما يدل على تحقيق هذين الامرين
اما اثبات الاله فبقوله تعالى ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض واما اثبات المعاد فبقوله تعالى اليه مرجعكم
جميعا وعد الله حقا وهذا ترتيب في غاية الحسن فان قيل كلمة الذي وضعت للاشارة الى شيء معروف عند السامع كما اذا

قيل

قيل لك من زيد فتقول الذي ابوه منطلق فهذا التعريف انما يحسن لو كان كون ابيه منطلقا امرا معلوما عند السامع
والعرب ما كانوا عالمين بذلك فههنا لما قال ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض في ستة ايام يوجب ان يكون ذلك
امرا معلوما عند السامع والعرب ما كانوا عالمين بذلك فكيف يحسن هذا التعريف **فالجواب** ان هذا كان مشهورا عند
اليهود والنصارى لانه مذكور عندهم في التوراة والانجيل والعرب كانوا يخالطونهم فالظاهر انهم سمعوه منهم
فلهذا حسن هذا التعريف فان قيل ما الفائدة في بيان الايام التي خلق الله فيها السموات والارض مع انه تعالى قادر
على خلق جميع العالم في اقل من لمح البصر **فالجواب** على قول اهل السنة انه تعالى يحسن منه كلما ارادوا ولا يعلل شيئا
من افعاله بشيء من الحكمة والمصالح واما على قول المعتزلة وهو ان افعاله تعالى مشتملة على المصالح والحكمة فقال القاضي
لا يبعد ان يكون خلق الله تعالى السموات والارض في هذه المدة المخصوصة ادخل في الاعتبار في حق بعض المكلفين ثم قال
فان قيل فمن المعتبر ثم اجاب فقال اما المعتبر فهو انه لا بد من مكلف خلقه الله تعالى قبل خلقه السموات والارض والا
لكان خلقها عبثا فان قيل فهلا جاز ان يخلقها لاجل حيوان يخلقه من بعد قلنا انه تعالى لا يخاف الفوت فلا يجوز
ان يقدم على خلق لاجل حيوان يحدث بعد ذلك وانما يصح ذلك منا في مقدمات الامور لانا نخاف الفوت ونخشى العجز لانا نخاف
لانا نخشى الفوت ونخاف العجز قال واذا ثبت هذا فقد صح ما روي في الخبر ان خلق الملائكة والجن كان سابقا على خلق السموات
والارض فان قيل اولئك الملائكة لا بد لهم من مكان وقبل خلق السموات والارض لا مكان فكيف يكون وجودهم بلا مكان
قلنا الذي يقدر على تسكين العرش والسموات والارض في امكنتها كيف يعجز عن تسكين اولئك الملائكة في احيازها بقدرته وحكمته
واما وجه الاعتبار في ذلك فهو انه لما حصل هناك معتبر لم يمتنع ان يكون اعتباره بما شاهده حالا بعد حال اقوى لانه
اذا حدث على هذا الوجه فانه يدل على انه صادر من فاعل حكيم واما المخلوق دفعة واحدة فانه لا يدل على ذلك فان قيل
هذه الايام كايام الدنيا او كما قال ابن عباس انها ستة ايام من ايام الاخرة كل يوم منها الف سنة مما تعدون **فصل**
قال القاضي الظاهر انه تعريف لعباده مدة خلقه لها ولا يجوز ان يكون ذلك تعريفا الا والمدة هذه الايام المعلومة ويمكن
ان يقال لما وقع التعريف في الايام المذكورة في التوراة والانجيل وكان المذكور هناك ايام الاخرة لا ايام الدنيا لم يكن
ذلك قادحا في صحة التعريف فان قيل هذه الايام انما تتقدر بحسب طلوع الشمس وغروبها وهذا المعنى مفقود قبل خلقها
فكيف يعقل هذا التعريف **فالجواب** التعريف يحصل بما انه لو وقع حدوث السموات والارض في مدة لو حصل هناك
افلاك دائرة وشمس وقمر لكانت المدة مساوية لستة ايام فان قيل فهذا يقتضي حصول مدة قبل حصول العالم يحدث
فيها حصول العالم وذلك يوجب قدم المدة **فالجواب** ان تلك المدة غير موجودة بل هي مفروضة موهومة لان
تلك المدة المعينة حادثة وحدوثها لا يحتاج الى مدة اخرى والا لزم اثبات ازمنة لا نهاية لها وذلك محال فكل ما
يقولونه في حدوث المدة فنحن نقوله في حدوث العالم هو اليوم بليلته **قوله تعالى** ثم استوى على العرش قال ابن
الخطيب لا يمكن حمل هذه الاية على ظاهرها لان الاستواء على العرش معناه كونه مستقرا عليه بحيث انه لولا العرش لسقط ونزل
واثبات هذا المعنى يقتضي كونه محتاجا الى العرش وانه لولا العرش لسقط ونزل وذلك محال لاجماع المسلمين على انه تعالى
هو الممسك له والحافظ له وايضا لما حدث الاستواء في هذا الوقت دل على انه تعالى كان قبل هذا الوقت مضطربا متحركا
وذلك من صفات المحدثات وايضا ظاهر الاية يدل على انه تعالى انما استوى على العرش بعد خلق السموات والارض
لان كلمة ثم للتراخي وذلك يدل على انه تعالى كان قبل العرش غنيا عن العرش ومن كان كذلك امتنع انه لما خلق العرش
امتنع ان تنقلب حقيقته وذاته من الاستغناء الى الحاجة فوجب ان يبقى بعد خلق العرش غنيا عن العرش ومن كان كذلك
امتنع ان يكون مستقرا على العرش فثبت بهذه الوجوه المكان والجهة واذا تقرر فقال جمهور المفسرين المراد بالعرش فيها هو
الجسم العظيم الذي في السماء وهو مخلوق قبل السموات والارض بدليل قوله وكان عرشه على الماء وقيل المراد من العرش الملك
يقال فلان على عرشه اي ملكه وقال ابو مسلم الاصفهاني المراد بالعرش انه تعالى لما خلق السموات والارض سطحها ورفع
سمكها فان كل بناء يسمى عرشا وبانيه يسمى عارشا قال تعالى ومن الشجر ومما يعرشون اي يبنون وقال فهي خاوية على عروشها
والمراد ان القرية خلت منهم مع سلامة بنائها وقيام سقفها وقال وكان عرشه على الماء اي بناؤه على الماء وانما ذكر الله
تعالى ذلك لانه اعجب في القدرة لان الباني يبعد عن الماء الى الارض الصلبة لئلا ينهدم بناؤه والله تعالى بنى السموات
والارض على الماء لتعرف العقلاء كمال قدرته فالمراد بالاستواء على العرش هو الاستعلاء عليه بالقهر لقوله تعالى وجعل
لكم من الفلك والانعام ما تركبون لتستووا على ظهوره ثم تذكروا نعمة ربكم اذا استويتم عليه فوجب حمل اللفظ على ذلك
ولا يجوز حمله على العرش الذي في السماء لان الاستدلال على وجود الصانع يجب ان يكون بشيء معلوم ومشاهد والعرش
الذي في السماء ليس كذلك واما اجرام السموات والارض فهي مشاهدة محسوسة فكان الاستدلال باحوالها على وجود

الصانع يجب ان يكون منعوتا بالحسنى وبهذا الوجه تصير هذه الاية موافقة لقوله ءانتم اشد خلقا ام السماء بناها
الاية **قوله تعالى** يدبر الامر فيه ثلاثة اوجه احدها انه في محل رفع خبرا ثانيا لان الثاني انه حال الثالث انه مستانف
لا محل له من الاعراب ومعنى يدبر الامر وحده يقتضيه على حسب مقتضى الحكمة اي يدبر احوال الخلق واحوال ملكوت السموات
والارض **قوله تعالى** ما من شفيع الا من بعد اذنه اي يدبر الاشياء لا بشفاعة شفيع ولا بتدبير مدبر فان قيل
كيف يليق ذكر الشفيع مع ذكر مبدا الخلق وانما يليق ذكره باحوال القيمة **فصل** قال الزجاج ان الكفار كانوا
مخاطبين بهذه الاية معناه ان الشفعاء لا يشفعون الا باذنه وهذا رد على النضر بن الحارث كان يقول اذا كان يوم القيمة
يشفعني اللات والعزى وقال ابو مسلم الشفيع هنا هو الثاني ماخوذ من الشفع الذي يخالف الوتر كما يقال الزوج
والفرد فمعنى الاية خلق السموات والارض وحده ولا شريك له يعينه ثم خلق الملائكة والجن والبشر وهو المراد من قوله
الا من بعد اذنه اي لم يحدث احد ولم يدخل في الوجود الا من بعد ان قال له كن حتى كان ثم قال ذلكم الله ربكم فاعبدوه
مبينا بذلك ان العبادة لا تصلح الا لله وانه هو المستحق لجميع العبادات لانه هو المنعم بجميع النعم التي ذكرها ثم قال افلا
تذكرون دالا بذلك على وجوب التفكر في تلك الدلائل القاهرة الباهرة **قوله تعالى** اليه مرجعكم جميعا الاية لما ذكر
الدلائل الدالة على اثبات المبدا اردفه بما يدل على صحة القول بالمعاد فقوله اليه مرجعكم المرجع بمعنى الرجوع وجميعا
نصب على الحال اي ذلك الرجوع يحصل حال الاجتماع وهذا يدل على ان المراد بالرجوع القيمة لا الموت وقوله وعد الله
منصوب على المصدر المؤكد لان معنى اليه مرجعكم وعدكم بذلك وقوله حقا مصدر اخر مؤكد لمعنى هذا الوعد وناصبه
مضمر اي حق ذلك حقا وقيل انتصب حقا بوعد على تقدير في اي وعد الله في حق يعني على التشبيه بالظرف وقال الا
عشى النقدير وفي حق وانشد • احقا عباد الله ان لست ذاهبا • ولا والجا الا علي رقيب •
قوله تعالى انه يبدا الجمهور على كسر الهمزة للاستيناف وقرا عبد الله وابن القعقاع والاعمش وسهل بن شعيب بفتحها
وفيه تاويلات احدها ان يكون فاعلا بما نصب حقا اي حقا حقا بدا الخلق ثم اعادته كقوله • احقا عباد الله ان لست
جائيا • البيت وهو مذهب الفرا فانه قال والتقدير يحق انه بدا الخلق الثاني انه منصوب بالفعل الذي نصب
وعد الله قوله تعالى بدا الخلق ثم اعادته والمعنى لاعادة الخلق بعد بدئه الثالث انه على حذف لام الجر اي لانه ذكر هذه
الاوجه الثلاثة الزمخشري وغيره لان المصدر المؤكد لا عمل له الا اذا ناب عن فعله وفيه بحث السادس ان يكون حقا
مشبها بالظرف خبرا مقدما وانه في محل رفع مبتدا مؤخرا كقولهم احقا انك ذاهب قالوا لتقديره افي حق ذهابك وقرا
ابن ابي عبلة حق انه برفع حق وفتح ان على الابتدا والخبر حق قال ابو حيان وكون حق خبر مبتدا وانه هو المبتدا هو
الوجه في الاعراب كما تقول صحيح انك تخرج لان ان معرفة والذي تقدمها في نحو هذا المثال نكرة وظاهر هذه العبارة
تشعر بجواز العكس وهذا قد ورد في باب ان كقوله • وان حراما ان اسب مجاشعا • باباي الشم الكرام الخضارم • وقوله
وان سفاها ان سفهها • وهل عند رسم دارس من معول • على جعل ان سفهها لانه معرفة وقد اخبر في وان عن نكرة
معرفة كقوله • ولا يك موقف منك الوداعا • وقوله • يكون مزاجها عسل وماء • قال مكي واجاز الفرا رفع وعد
بجعله خبر المرجعكم واجاز رفع وعد وحق على الابتدا والخبر وهو حسن ولم يقرا به احد قال شهاب الدين نعم لم يرفع
وعد وحق معا احد ولما رفع حق وحده فقد تقدم ان ابن ابي عبلة قراه وتقدم توجيهه ولا يجوز ان يكون وعد
الله عاملا في انه لانه قد وصف بقوله حقا قاله ابو الفتح وقرئ وعد الله بلفظ الفعل الماضي ورفع الجلالة
فاعله وعلى هذه تكون انه يبدا معمولا له ان كان هذا القارئ يفتح انه والجمهور على يبدا بفتح اليا من بدا وابن ابي طلحة
يبدئ من ابدا وبدا وابدا بمعنى **فصل** في هذه الاية اضمار تقديره انه يبدا الخلق لياممرهم بالعبادة ثم يميتهم
ثم يعيدهم كقوله في البقرة كيف تكفرون بالله وكنتم امواتا فاحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم الا انه تعالى حذف ذكر الامر
بالعبادة هنا لانه تعالى قال من قبله ذلكم الله ربكم لا اله الا هو فاعبدوه وحذف ذكر الاماتة لان ذكر الاعادة
تدل عليه وهذه الاية تدل على انه تعالى يعيد جميع المخلوقات واعادتها لا يمكن الا بعد اعدامها والا لزم ايجاد
الموجود وهو محال ونظيره قوله تعالى يوم نطوي السماء كطي السجل للكتاب كما بدانا اول خلق نعيده فحكم بان الاعادة
تكون مثل الابتدا **قوله تعالى** الخلق متعلق بقوله ثم يعيده وبالقسط متعلق بيجزي ويجوز ان يكون حالا اما من
الفاعل او من المفعول اي يجزيهم ملتبسا بالقسط او ملتبسين به والقسط العدل **فصل** قال الكعبي اللام في
قوله ليجزي الذين امنوا يدل على انه تعالى خلق العباد للثواب والرحمة وايضا فانه ادخل لام التعليل على الثواب
ولم يدخلها على العقاب بل قال والذين كفروا لهم شراب من حميم فدل على انه خلق الخلق للرحمة والثواب لا للعقاب وذلك
يدل على انه تعالى ما اراد منهم الكفر ولم يخلق الكفر فيهم **فالجواب** ان لام التعليل في افعال الله تعالى محال لانه تعالى

لو فعل فعلا لعلة لكانت تلك العلة ان كانت قديمة لزم قدم الفعل وان كانت حادثة فيلزم التسلسل وهو محال
فصل في تفسير القسط وجهان الاول انه العدل كما تقدم فان قيل العدل هو الذي يكون لا زائدا ولا ناقصا
وذلك يدل على انه تعالى لا يزيدهم على ما يستحقونه باعمالهم ولا يتفضل عليهم ابتداء بشيء **فالجواب** ان الثواب ايضا
محض التفضل وايضا فتقدير ان يساعد على حصول الاستحقاق الا ان لفظ القسط يدل على توفية الاجر فاما المنع من الزيادة
فلفظ القسط لا يدل عليه فان قيل لم خص المؤمنين بالقسط مع انه تعالى يجازي الكافرين ايضا بالقسط **فالجواب**
ان تخصيص المؤمنين يدل على مزيد العناية في حقهم وعلى كونهم مخصوصين بمزيد الاحسان الوجه الثاني في تفسير القسط
ان المعنى ليجزي الذين امنوا بقسطهم وبما اقسطوا وعدلوا ولم يظلموا انفسهم حين امنوا وعملوا الصالحات لان الشرك ظلم
قال تعالى ان الشرك لظلم عظيم والعصاة ايضا قد ظلموا انفسهم قال تعالى فمنهم ظالم لنفسه وهذا اقوى لانه في مقابلة قوله
بما كانوا يكفرون **قوله تعالى** والذين كفروا يحتمل وجهين احدهما ان يكون مرفوعا بالابتدا والجملة بعده خبره والثاني
ان يكون منصوبا عطفا على الموصول قبله وتكون الجملة بعده مبينة لجزائهم وشراب يجوز ان يكون فاعلا وان يكون مبتدا
والاول اولى **قوله تعالى** بما كانوا الظاهر تعلقه بالاستقرار المضمن في الجار الواقع خبرا والتقدير استقر لهم شراب
من حميم وعذاب اليم بما كانوا وجوز ابو البقا فيه وجهين ولم يذكر غيرهما الاول ان يكون صفة اخرى لعذاب الثاني
ان يكون خبر مبتدا محذوف وهذا لا معنى له ولا حاجة الى العدول عن الاول قال الواحدي الحميم الذي اسخن بالنار حتى انتهى
حره يقال حممت الماء اي اسخنته احمه فهو حميم ومنه الحمام **فصل** دلت الاية على انه لا واسطة بين ان يكون
المكلف مؤمنا وبين ان يكون كافرا لانه اقتصر في الاية على ذكر هذين القسمين واجاب القاضي بان ذكر هذين القسمين
لا ينفي القسم الثالث لان قوله تعالى والله خلق كل دابة من ماء فمنهم من يمشي على بطنه ومنهم من يمشي على رجلين ومنهم
من يمشي على اربع ذكر ما عداه اذا كان قد بين في موضع اخر وقد بين الله تعالى حال القسم الثالث في سائر الايات
فالجواب انما يترك القسم الذي يجري مجرى النادر ومعلوم ان الفساق اكثر من اهل الطاعة فكيف يجوز ترك ذكرهم
في هذا الباب واما قوله تعالى والله خلق كل دابة فانما ترك ذكر القسم الرابع لان اقسام دواب الارض كثيرة فكان ذكرها
باسرها يوجب الاطناب بخلاف مسئلتنا فانه ليس هنا الا القسم الثالث وهو الفاسق الذي يزعم الخصم انه لا مؤمن
ولا كافر فظهر الفرق **قوله تعالى** هو الذي جعل الشمس ضياء الاية لما ذكر الدلائل الدالة على الالهية وهي التمسك
بخلق السموات والارض ثم فرع صحة القول بالحشر والنشر لانه تعالى اثبت الحشر والنشر بناء على انه لا بد من ايصال الثواب
الى اهل الطاعة والعقاب الى الكفار وانه يجب تمييز المحسن على المسيء ثم ذكر في هذه الاية انه جعل الشمس ضياء والقمر نورا
وقدره منازل ليتوصل المكلف بذلك الى معرفة السنين والحساب فيترتب مهمات معاشه من زراعته وحراثته وتعد
مهمات الشتاء والصيف فكانه تعالى يقول تمييز المحسن عن المسيء اوجب واولى من تعليم احوال السنين والشهور فلما اقتضت
الحكمة خلق الشمس والقمر لهذا المهم الذي لا نفع له فبان تقتضي الحكمة والرحمة تمييز المحسن عن المسيء بعد الموت مع انه النفع
الابدي والسعادة السرمدية اولى فلما كان الاستدلال باحوال الشمس والقمر من الوجه المذكور في هذه الاية مما يدل على
التوحيد من وجه وعلى صحة القول بالمعاد من الوجه الذي ذكرناه لا جرم ذكر الله تعالى هذا الدليل بعد ذكر الدليل
على صحة المعاد **قوله** ضياء اما مفعول ثان على ان الجعل للتصيير واما حال على انه بمعنى الانشاء والجمهور على
ضياء بصريح اليا قبل الالف واصلها واو لانه من الضوء وقرا قنبل عن ابن كثير هنا وفي الانبياء ضئاء والقصص
بقلب اليا همزة فتصير الف بين همزتين واولت على انه مقلوب قدمت لامه واخرت عينه فوقعت اليا طرفا
بين الف زائدة فقلبت همزة على حد رداء وان شئت قلت لما قلبت الكلمة صارت ضياوا بالواو وعادت العين الى اصلها
من الواو لعدم موجب قلبها ياء وهو الكسر السابق لها ثم ابدلت الواو همزة على حد كساء وقال ابو البقاء انها قلبت الفا ثم
قلبت الالف همزة لئلا يجتمع الفان واستبعدت هذه القراءة من حيث ان اللغة مبنية على تسهيل الهمز فكيف يتحيلون
في قلب الحرف الخفيف الى اثقل منه ولا عرف في ذلك فقد قلبوا حروف العلة الالف والواو والياء همزة في مواضع لا
تحصر الا بعسر الا انه ثقيل هنا لاجتماع همزتين واكثر الناس على تغليط القراءة هذه لان ضياء منقلبة عن واو
مثل ياء قيام وصيام فلا وجه للهمز فيها قال ابو شامة وهذه قراءة ضعيفة فان قياس اللغة الفرار من اجتماع همزتين
الى تخفيف احدهما فكيف يتخيل بتقديم وتاخير يؤدي الى اجتماع همزتين لم يكونا في الاصل هذا خلاف حكم اللغة
وقال ابو بكر بن مجاهد وهو ممن قرا على قنبل قرا ابن كثير وحده ضئاء بهمزتين في كل القران الهمزة الاولى قبل الالف
والثانية بعدها كذلك قرات على قنبل وهو غلط وكان اصحاب البزي وابن فليح ينكرون هذا ويقرؤون ضياء
مثل الناس قال شهاب الدين كثيرا ما يجري ابو بكر على شيخه ويغلطه وسيمر بك مواضع من ذلك وهذا لا ينبغي ان يكون

فان قيل لا المكان الذي يمنع ان يتكلم فيه احد وقوله في جانب الشمس ضياء لان الضوء اقوى من النور وقد تقدم ذلك
اول البقرة وضياء ونورا يحتمل ان يكونا مصدرين وجعلا نفس الكوكبين مبالغة كما يقال للكريم انه كرم وجود او على
حذف مضاف اي ذات ضياء وذا نور وضياء يحتمل ان يكون جمع ضوء كحوط وسياط وحوض وحياض **قوله** منازل
نصب على ظرف المكان وجعله الزمخشري على حذف مضاف اما من الاول اي قدر مسيره واما من الثاني اي قدره ذا منازل
فعلى التقدير الاول يكون منازل ظرفا كما مر وعلى الثاني يكون مفعولا ثانيا على تضمين قدر معنى صير ذا منازل بالتقدير
وقال ابو حيان بعد ان ذكر التقديرين ولم يعربهما الزمخشري او قدر له منازل فحذف واوصل الفعل اليه فانتصب
بحسب هذه التقادير على الظرف او الحال او المفعول كقوله والقمر قدرناه منازل وقد سبقه الى ذلك ابو البقاء والضمير
في قدرناه يعود على القمر وحده لانه هو عمدة العرب في تواريخهم وقال ابن عطية ويحتمل ان يريدهما معا بحسب انهما
يتصرفان في معرفة عدد السنين والحساب لكنه اجتزي بذكر احدهما كقوله تعالى والله ورسوله احق ان يرضوه
وكما قال الشاعر • رماني بامر كنت منه ووالدي • بريا ومن اجل الطوي رماني • **قوله تعالى** لتعلموا متعلق
بقدره وسئل ابو عمرو عن الحساب انصبه ام تجره فقال ومن يدري ما عدد الحساب يعني سئل هل تعطفه على عدد فتنصبه
او على السنين فتجره فكانه قال لا يمكن جره اذ يقتضي ذلك ان يعلم عدد الحساب ولا يقدر احد ان يعلم عدده
فصل معنى الاية هو الذي جعل الشمس ضياء بالنهار والقمر نورا بالليل وقيل جعل الشمس ذات ضياء والقمر
ذا نور وقدره منازل اي قدر له يعني هيأ له منازل لا يجاوزها ولا يقصر دونها ولم يقل قدرهما قيل تقدير المنازل
ينصرف اليهما واكتفى بذكر احدهما لما مر وقيل ينصرف الى القمر خاصة لان بالقمر يعرف انقضاء الشهور والسنين لا بالشمس
ومنازل القمر هي المنازل المشهورة وهي الثمانية والعشرون منزلة وهذه المنازل مقسومة على البروج الاثني عشر
لكل برج منزلتان وثلث فينزل القمر كل ليلة منها منزلا فيستتر ليلتين ان كان الشهر ثلاثين وليلة واحدة ان كان
الشهر تسعة وعشرين فيكون انقضاء الشهر مع نزوله تلك المنازل ويكون مقام الشمس في كل منزلة ثلاثة عشر يوما فيكون
انقضاء السنة مع انقضائها واعلم ان الشمس سلطان النهار والقمر سلطان الليل وبحركة الشمس تنفصل السنة الى الفصول
الاربعة بالفصول الاربعة ينتظم مصالح هذا العالم وبحركة القمر تحصل الشهور وباختلاف حاله في زيادة ضوءه
ونقصانه تختلف احوال رطوبات هذا العالم وبحركة القمر تحصل الشهور وباختلاف حاله وبسبب الحركة اليومية
تحصل النهار والليل فالنهار زمان للكسب والطلب والليل زمان للراحة وهذا يدل على كثرة رحمة الله تعالى
للخلق وعظم عنايته بهم قال حكماء الاسلام هذا يدل على انه تعالى اودع في اجرام الافلاك والكواكب خواص معينة
وقوى مخصوصة باعتبارها ينتظم مصالح هذا العالم السفلي اذ لو لم يكن لها اثار وفوائد في هذا العالم لكان خلقها
عبثا وباطلا لا يعود فائدة وهذه النصوص نص في ذلك **قوله تعالى** ما خلق الله ذلك الا بالحق ذلك اشارة الى المخلوق
والتقدير او ذلك المذكور الا ملتبسا بالحق فيكون حالا اما من الفاعل واما من المفعول وقيل الباء بمعنى اللام اي للحق
ولا حاجة اليه والمعنى لم يخلقه باطلا بل اظهارا لصنعته ودلالة على قدرته **قوله تعالى** نفصل قرا ابن كثير وابو عمرو
وابو جعفر يفصل بياء الغيبة جريا على اسم الله تعالى والباقون بنون العظمة التفاتا من الغيبة الى التكلم للتعظيم
ومعنى التفصيل هو ذكر هذه الدلائل الباهرة واحدة عقب اخرى مع الشرح والبيان ثم قال لقوم يعلمون قيل المراد
منه العقل الذي يعم الكل وقيل المراد منه من يكفر وعلم فوائد مخلوقاته واثار احسانه لان العلماء هم المنتفعون
بهذه الدلائل كقوله انما انت منذر من يخشاها مع انه عليه الصلاة والسلام كان منذرا للكل **قوله تعالى** ان
في اختلاف الليل والنهار الاية اعلم انه تعالى استدل على التوحيد والالهية اولا بتخليق السموات والارض وثانيها
باحوال الشمس والقمر وثالثها في هذه الاية بالمنافع الحاصلة من اختلاف الليل والنهار وقد تقدم تفسيره في سورة البقرة
عند قوله ان في خلق السموات والارض واعلم ان الحوادث الحادثة في العناصر الاربعة ويدخل فيها احوال الرعد والبرق
والسحاب والامطار والثلوج ويدخل فيها احوال البحور واحوال المد واحوال الصواعق والزلازل والخسف وثانيها
احوال المعادن وهي عجيبة كثيرة وثالثها اختلاف احوال النبات ورابعها اختلاف احوال الحيوانات وكلها داخلة في قوله
تعالى وما خلق الله في السموات والارض ثم قال لآيات لقوم يتقون خصها بالمتقين لانهم يحذرون العاقبة **قوله تعالى**
ان الذين لا يرجون لقاءنا الاية لما ذكر الدلائل القاهرة على اثبات الالهية وعلى صحة القول في المعاد والحشر والنشر
شرع بعده في احوال من يكفر بها ومن يؤمن بها فاما شرح احوال الكفار فهو هذه الاية وصفهم فيها باربع صفات الاولى
قوله ان الذين لا يرجون لقاءنا قال ابن عباس ومقاتل والكلبي معناه لا يخافون البعث لانهم لا يؤمنون به
والرجا الخوف لقوله تعالى انما انت منذر من يخشاها وقوله وهم من الساعة مشفقون وقال تعالى ما لكم لا ترجون لله وقارا

ابن الخطيب ان الانتقال من لفظ الحضور الى لفظ الغيبة فانه يدل على المقت والتبعيد وهو اللائق بحال هؤلاء
لان من كان صفته انه يقابل احسان الله سبحانه اليه بالكفران كان اللائق به ذلك والاولى كما في الفاتحة فان قوله
الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم ملك يوم الدين خطاب غيبة ثم قال اياك نعبد واياك نستعين وهذا يدل على ان
العبد كانه انتقل من مقام الغيبة الى مقام الحضور وهو يوجب علو الدرجة وكمال القرب ثم قال ريح طيبة لينة وفرحوا
بها اي بالريح جاءتها اي جاءت الفلك او جاءت الريح اللينة على ما تقدم ريح عاصف شديدة ولم يقل عاصفة لاختصاص
الريح بالعصوف وقيل الريح تذكر وتؤنث قال الفراء والزجاج يقال ريح عاصف وعاصفة وقد عصفت عصوفا واعصفت
فهي معصوف ومعصفة وعصفت الريح اشتدت واصل العصف السرعة يقال ناقة عاصف وعصوف سريعة وانما قيل ريح
عاصف لانه يراد ذات عصوف كما قيل لابن دارم ولان لفظ الريح تذكر وتؤنث فان قيل الضمير في جاءتها يعود على الفلك
وهو ضمير الواحد والضمير في قوله وجرين بهم عائد على الفلك وهو ضمير جمع فالفائدة فيه **فالجواب** من وجهين
الاول لا نسلم ان الضمير في جاءتها عائد على الفلك بل يعود على الريح الطيبة الثاني سلمنا ذلك لان لفظ الفلك يصلح للواحد
والجمع ثم قال وجاءهم الموج اي ركاب السفينة الموج وهو حركة الماء واختلاطه وقيل الموج ما ارتفع من الماء فوق البحر وظنوا
ايقنوا انهم احيط بهم اي ظنوا القرب من الهلاك دعوا الله مخلصين له الدين اي اخلصوا لله تبارك وتعالى الدعاء ولم يدعوا
احدا سواه قال ابن عباس رضي الله عنهما يريد ترك الشرك ولم يشركوا به من الهتهم شيئا وقال الحسن دعوا الله مخلصين جاريا مجرى الايمان
الاضطراري قال ابن زيد هؤلاء المشركون يدعون مع الله سبحانه ما يدعون فاذا جاءهم الضر والبلاء لم يدعوا الا الله تبارك
وتعالى وعن ابي عبيدة قال ان المراد من ذلك الدعاء قولهم اهيا شراهيا اي يا حي يا قيوم وقالوا لئن انجيتنا يا ربنا من هذه الريح
العاصفة او من هذه الامواج او من هذه الشدائد وهذه الالفاظ وان لم يسبق ذكرها الا انه يدل سبق ما يدل عليها لنكونن
من الشاكرين بالايمان لك والطاعة واعلم انه يمكن ان يقدر في الاية اضمار تقديره دعوا الله مخلصين له الدين مريدين ان
يقولوا لئن انجيتنا ويمكن ان يقال لا حاجة الى الاضمار لان قوله دعوا الله يصير مفسرا لقوله لئن انجيتنا من هذه لنكونن
من الشاكرين لانهم في الحقيقة ما قالوا الا هذا القول والمحكي عنهم هذا التضرع الكامل ذكر انهم بعد الخلاص عن تلك البلية
اقدموا في الحال على البغي في الارض بغير الحق قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما يريد الفساد والتكذيب والجراءة على الله سبحانه
قوله تعالى يا ايها الناس انما بغيكم على انفسكم متاع الحيوة الدنيا اي وباله راجع اليها اي الى انفسكم وقيل المراد بغي بعضكم
على بعض منفعة الحيوة الدنيا ولا بقاء لها والبغي من منكرات المعاصي قال صلى الله عليه وسلم اسرع الخير ثوابا صلة الرحم واعجل
الشر عقابا البغي في اليمين الفاجرة وروي ثنتان يعجلهما الله سبحانه في الدنيا البغي وعقوق الوالدين وعن ابن عباس رضي الله
عنهما لو بغى جبل على جبل لدك الباغي منهما وقال محمد بن كعب رضي الله عنه ثلاث من كن فيه كن عليه البغي والنكث والمكر
قال الله تعالى انما بغيكم على انفسكم وقال عز وجل وما يمكرون الا بانفسهم وقال تعالى ومن نكث فانما ينكث على نفسه **قوله**
متاع الحيوة الدنيا قرا حفص متاع بالنصب ونصبه على خمسة اوجه احدها انه نصب على الظرف الزماني نحو مقدم الحاج
اي زمان متاع الحيوة والثاني انه منصوب على المصدر الواقع موقع الحال اي متمتعين والعامل في هذا الظرف وهذه
الحال الاستقرار الذي في الخبر وهو عليكم ولا يجوز ان يكونا منصوبين بالمصدر لانه يلزم منه الفصل بين المصدر ومعموله
بالخبر وقد تقدم انه لا يخبر عن الموصول الا بعد تمام صلته والثالث نصبه على المصدر المؤكد بفعل مقدر يدل عليه
المصدر اي يبغون متاع الحيوة الدنيا الرابع انه منصوب على المفعول به بفعل مقدر يدل عليه المصدر اي يبغون
متاع الحيوة الدنيا ولا يجوز ان ينتصب بالمصدر لما تقدم الخامس ان ينتصب على المفعول من اجله اي لاجل متاع والعامل
فيه اما الاستقرار المقدر عليكم واما بفعل مقدر ويجوز ان يكون الناصب حال جعله ظرفا او حالا او مفعولا من اجله
نفس البغي لا على جعل على انفسكم خبرا بل على جعله متعلقا بنفس البغي والخبر محذوف لطول الكلام والتقدير انما بغيكم
على انفسكم متاع الحيوة الدنيا مذموم او مكروه او منهي عنه وقرا الباقون في السبعة متاع بالرفع وفيه اوجه اظهرها انه خبر
بغيكم وعلى انفسكم متعلق بالبغي ويجوز ان يكون عليكم خبرا ومتاع خبرا ثانيا ويجوز ان يكون خبرا مقدرا بمحذوف اي هو
متاع فيكون خبر مبتدا مضمر كقوله لم يلبثوا الا ساعة من نهار بلاغ اي هذا بلاغ وقرا ابن ابي اسحق متاع الحيوة بنصب متاع
والحيوة فمتاع على ما تقدم واما الحيوة فيجوز ان يكون مفعولا بها والناصب لها المصدر ولا يجوز والحالة هذه ان يكون
متاع مصدرا مؤكدا لان المؤكد لا يعمل ويجوز ان ينتصب الحيوة على البدل من متاعا لانها مشتملة عليه وقرئ ايضا
متاع الحيوة بجر متاع وخرجت على النعت لانفسكم ولا بد من حذف مضاف حينئذ تقديره على انفسكم ذوات متاع الحيوة
كذا خرجه بعضهم ويجوز ان يكون مما حذف فيه حرف الجر وابقاء عمله قليل وهذه القراءة وبقي عمله اي انما بغيكم على انفسكم لاجل
متاع ويدل على ذلك قراءة النصب في وجه من يجعله مفعولا من اجله وحذف حرف الجر وابقاء عمله قليل وهذه القراءة لا

تتقاعد عنه وقال ابو البقا ويجوز ان يكون المصدر بمعنى اسم الفاعل اي متمتعات يعني انه جعل المصدر نعتا
لانفسكم من غير حذف مضاف بل على المبالغة او على جعل المصدر بمعنى اسم الفاعل ثم قال ويضعف ان يكون بدلا اذ
امكن ان يجعل صفة قال شهاب الدين واذا جعل بدلا لا اضعفه فمن اي قبيل البدل يجعل والظاهر انه بدل الاشتمال
ولا بد من ضمير محذوف وحينئذ اي متاع الحيوة الدنيا لها ثم قال الينا مرجعكم اي ما وعدنا من المجازاة على اعمالكم فننبئكم
بما كنتم تعملون والانبا الاخبار وهو ههنا وعيد بالعذاب كقول الرجل لغيره ساخبرك بما فعلت **قوله تعالى**
انما مثل الحيوة الدنيا الاية لما قال تعالى انما بغيكم على انفسكم متاع الحيوة الدنيا ضرب هذا المثل لمن اغتر بالحيوة الدنيا
واشتد تمسكه بها واعرض عن التاهب للاخرة فقال انما مثل وهذه الجملة سيقت لتشبيه الدنيا بنبات الارض وقد
شرح الله تعالى وجه التشبيه بما ذكر قال الزمخشري هذا من التشبيه المركب في اصطلاح البيانيين اما ان يكون طرفاه
مركبين اي تشبيه مركب بمركب كقول بشار بن برد • كان مثار النقع فوق رؤسنا • واسيافنا ليل تهاوي كواكبه •
وذلك انه شبه الهيئة الحاصلة من هوي اجرام مشرقة مستطيلة متناسبة المقدار متفرقة في جوانب شي مظلم بليل
سقطت كواكبه واما ان يكون طرفاه مختلفين بالافراد والتركيب وتقسيماته من غير هذا الموضوع **قوله** كماء هو خبر
المبتدا وانزلناه صفة لماء ومن السماء متعلق بانزلناه ويضعف جعله حالا من الضمير المنصوب وقوله فاختلط به في هذه
الباء وجهان اصحهما انها سببية وقال الزمخشري فاشتبك بسببه حتى خالط بعضه بعضا وقال ابن عطية وصلت
فرقة النبات بقوله فاختلط اي اختلط النبات بعضه ببعض بسبب الماء والثاني انها للمصاحبة بمعنى ان الماء يجري
مجرى الغذاء له فهو مصاحبه وزعم بعضهم ان الوقف على قوله فاختلط على ان الفاعل ضمير عائد على الماء ويبتدى به
نبات الارض على الابتدا والخبر والضمير في به على هذا يجوز عوده على الماء وان يعود على الاختلاط الذي تضمنه الفعل
قاله ابن عطية قال ابو حيان والوقف على قوله فاختلط لا يجوز وخاصة في القران لانه تفكيك للكلام المتصل الصحيح
والمعنى الفصيح وذهاب الى اللغو والتعقيد **قوله** مما ياكل فيه وجهان احدهما انه متعلق باختلط وبه قال الحوفي
والثاني انه حال من النبات قاله ابو البقا وهو الظاهر والعامل فيه محذوف على القاعدة المستقرة اي كائنا او مستقرا
مما ياكل ولو قيل انه من لبيان الجنس لجاز وقوله حتى غاية فلا بد لها من شي مغيا والفعل الذي قبلها وهو اختلط لا يصلح
ان يكون مغيا لقصر زمنه فقيل ثم فعل محذوف اي لم يزل النبات ينمو حتى كان كيت وكيت وقيل يجوز في فاختلط
معنى فدام اختلاطه حتى كان كيت وكيت واذا بعد حتى هذه تقدم التنبيه عليها **قوله** وازينت قرا الجمهور وازينت
بوصل الهمزة وتشديد الزاي والياء والاصل وتزينت فلما اريد ادغام التاء في الزاي بعدها قلبت زايا وسكنت فاجتلبت
همزة الوصل لتعذر الابتدا بالساكن فصار ازينت وتقدم تحرير هذا عند قوله تعالى وقرا ابي بن كعب وعبد الله وزيد بن علي
والاعمش وتزينت على تفعلت وهو الاصل المشار اليه وقرا سعد بن ابي وقاص والسلمي وابن يعمر والحسن والشعبي وابو العالية
ونصر بن عاصم وابن هرمز وعيسى الثقفي وازينت على وزن افعلت وافعل هنا بمعنى صار كاحصد الزرع واغد البعير والمعنى
صارت ذات زينة اي حضرت زينتها وحانت وكان من حق الياء على هذه القراءة ان تقلب الفا فيقال ازانت كابانت فتعل
بنقل حركتها الى الساكن قبلها فتحرك حينئذ وينفتح ما قبلها فتنقلب الفا كما تقدم في نحو اقام وابان الا انها صحت شذوذا
كقولهم اغيمت السماء واغيلت المراة وقد ورد ذلك في القران نحو استحوذ وقياسه استحاذ كاستقام وقرا ابو عثمان النهدي
وعزاها ابن عطية لفرقة غير معينة وازيانت بهمزة وصل بعدها زاي ساكنة بعدها ياء مفتوحة خفيفة بعدها همزة مفتوحة
بعدها نون مشددة قال والاصل وازيانت بوزن احمارت بالفتحة ولكنهم كرهوا الجمع بين الساكنين فقلبت الالف
همزة كقراءة الضالين وجان وعليه قولهم احمارت بالهمزة وانشد • اذا ما الهوادي بالعبيط احمارت •
وقد تقدم هذا مشبعا في اخر الفاتحة وقرا اشياخ عوف بن ابي جميلة وازيانت بالاصل المشار اليه وعزاها ابن عطية
لابي عثمان النهدي وقري وازاينت فادغم وقوله اهلها اي اهل نباتها **قوله** اتاها فهو جواب اذا فهو العامل
فيها وقيل الضمير عائد على الزينة وقيل على الغلة اي القوت فلا حذف حينئذ وليلا ونهارا ظرفان للاتيان
او للامر والجعل هنا تصيير وحصيدا فعيل بمعنى مفعول ولذلك لم يؤنث بالتاء وان كان عبارة عن مونث كقولهم امراة
جريح **قوله** كان لم تغن هذه الجملة يجوز ان تكون حالا من مفعول جعلناها الاول وان تكون مستانفة جوابا لسوال
مقدر وقرا مروان بن الحكم تتغن بتائين بزنة تتفعل كقول الاعشى • طويل الثواء طويل التغن • وهو بمعنى الاقامة وقد
تقدم في الاعراف وقرا الحسن وقتادة كان لم يغن بياء الغيبة وفي هذا الضمير ثلاثة اوجه اجودها ان يعود على
الحصيد لانه اقرب مذكور وقيل يعود على الزخرف اي كان لم يقم الزخرف وقيل يعود على النبات او الزرع الذي قدر
مضافا اي كان لم يغن زرعها او نباتها وبالامس المراد به الزمن الماضي لا اليوم الذي قبل يومك كقول زهير •

واعلم علم اليوم والامس قبله • ولكنني عن علم ما في غد عمي • لم يقصد بها حقايقها والفرق بين الامسين ان الذي
يراد به قبل يومك مبني لتضمنه معنى الالف واللام وهذا معرب يدخل عليه ال ويضاف وقوله كذلك نفصل نعت مصدر
اي مثل هذا التفصيل الذي فصلناه في الماضي نفصل في المستقبل **فصل** معنى الاية انما مثل الحيوة الدنيا
في فنائها وزوالها كماء انزلناه من السماء فاختلط به اي بالمطر نبات الارض قال ابن عباس نبت بالماء من كل لون مما ياكل الناس
من الحبوب والثمار والانعام من الحشيش حتى اذا اخذت الارض زخرفها حسنها وبهجتها وظهر الزهر اخضر واحمر واصفر وابيض
وازينت شبهها بالعروس اذا لبست الثياب الفاخرة من كل لون وظن اهلها انهم قادرون عليها على جذاذها وقطافها
وحصادها والكناية الى الارض والمراد النبات اذ كان مفهوما وقيل الى الغلة وقيل الى الزينة اتاها امرنا قضاونا
باهلاكها ليلا او نهارا فجعلناها حصيدا اي محصودة مقطوعة وقال ابو عبيدة الحصيد المستاصل كان لم تغن بالامس
اي كان لم **فصل** اعلم ان تشبيه الحيوة الدنيا بالنبات يحتمل وجوها لخصها القاضي احدها ان عاقبة هذه
الحياة التي ينفقها المرء في هذه الدنيا كعاقبة هذا النبات الذي حين عظم الرجا في الانتفاع به وقع الياس لان المتمسك
بالدنيا اذا عظمت رغبته فيها ياتيه الموت وهو معنى قوله حتى اذا فرحوا بما اوتوا اخذناهم بغتة وثانيها انه تعالى بين انه
كما لم يحصل لذلك الزرع عاقبة تحمد فكذلك المغتر بالدنيا والمحب لها لا يحصل له عاقبة محمودة وثالثها ان هذا التشبيه
كقوله تعالى وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا اي لما صار سعي هذا الزارع باطلا بسبب حدوث المهلك
فكذا سعي المغتر بالدنيا ورابعها ان مالك هذا البستان لما اتعب نفسه في عمارته وكد الروح وعلق قلبه بالانتفاع به
فاذا حدث السبب المهلك صار العنا الشديد الذي تحمله في الماضي سببا لحصول الشقا الشديد له في المستقبل وهو ما
يحصل في قلبه من الحسرات فكذلك من احب الدنيا واتعب نفسه في تحصيلها فاذا مات وفاته كلها فات صار العناء الذي
تحمله في تحصيل الدنيا لحصول الشقاء العظيم له في الاخرة وخامسها لعله تعالى انما ضرب هذا المثل لمن لا يومن بالمعاد لانا
نرى الزرع الذي انتهى الى الغاية في الحسن ثم ان ذلك الحسن يزول بالكلية ثم تصير تلك الارض موصوفة بتلك الزينة مرة
اخرى فذكر تعالى هذا المثال ليدل انه من قدر على ذلك كان قادرا على اعادة الاحيا في الاخرة ليجازيهم على اعمالهم
قوله تعالى والله يدعوا الى دار السلام الاية لما نفر العقلاء عن الميل الى الدنيا رغبهم في الاخرة بهذه الاية قال قتادة
السلام هو الله وداره الجنة في ذاته وصفاته وسمي الله تعالى بالسلام لوجوه احدها انه لما كان واجب الوجود لذاته
فقد سلم من الفنا والتغير وسلم في ذاته وصفاته من الافتقار الى الغير وهذه الصفة ليست الا له سبحانه وثانيها
وصف بالسلام اي ان الخلق سلموا من ظلمه ولان كل ما سواه فهو ملكه وتصرف المالك في ملك نفسه لا يكون ظلما وثالثها
قول المبرد وصف بالسلام اي لا يقدر على السلام الا هو والسلام عبارة عن تخليص العاجزين عن الافات وهو المنتصف
للمظلومين من الظالمين وعلى هذا التقدير السلام مصدر سلم وقيل سمي الجنة دار السلام لان من دخلها سلم من الافات
وقيل المراد بالسلام التحية لانه تعالى يسلم على اهلها قال تعالى سلام قولا من رب رحيم والملائكة يسلمون عليهم ايضا
قال تعالى والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم وهم يحيون بعضهم بعضا بالسلام قال تعالى تحيتهم
فيها سلام وروى جابر قال جاءت ملائكة الى النبي صلى الله عليه وسلم وهو نايم فقالوا ان لصاحبكم هذا مثلا مثله
كمثل رجل بنى دارا وجعل فيها مادبة وبعث داعيا فمن اجاب الداعي دخل الدار واكل من المادبة ومن لم يجب الداعي لم يدخل
الدار ولم ياكل من المادبة فالدار الجنة والداعي محمد فمن اطاع محمدا فقد اطاع الله ومن عصى محمدا فقد عصى الله قال الجنان
سبع دار الجلال ودار السلام وجنة عدن وجنة الماوى وجنة الخلد وجنة الفردوس وجنة النعيم ثم قال تعالى
ويهدي من يشاء الى صراط مستقيم وهو الاسلام وروى علي بن ابي طالب قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
الصراط المستقيم كتاب الله وقال قتادة ومجاهد هو الحق وقيل رسول والايمان بقضاء الله لانه تعالى بين في هذه
الاية انه دعا جميع الخلق الى دار السلام ثم بين انه ما هدى الا بعضهم فهذه الهداية الخاصة يجب ان تكون مغايرة لتلك
الدعوة العامة ولا شك ان الاقدار والتمكين وارسال الرسل وانزال الكتب امور عامة فوجب ان تكون الهداية الخاصة
مغايرة لكل هذه الاشياء وما ذاك الا انه تعالى خصه بالعلم والمعرفة دون غيره واجاب القاضي بوجهين الاول ان
المراد ويهدي الله من يشاء اجابة تلك الدعوة اي ان من اجاب الدعا واطاع واتقى فان الله يهديه اليها والثاني ان
المراد بهذه الاية الالطاف واجيب عن هذين الوجهين بان عندكم يجب على الله تعالى فعل هذه الهداية وما يكون واجبا
لا يكون معلقا بالمشيئة فامتنع حمله على ما ذكرتم **قوله** تعالى للذين احسنوا الحسنى وزيادة الاية لما دعا الى دار السلام
ذكر السعادات الحاصلة لهم فيها فقال للذين احسنوا الحسنى اي احسنوا العمل في الدنيا اتوا المامورات واجتنبوا المنهيات
وقال ابن عباس ذكروا كلمة لا اله الا الله فاما الحسنى فهي الجنة واما الزيادة فقال ابو بكر الصديق وحذيفة وابو موسى وعبادة

بالقيامة هي النظر الى وجه الله الكريم وبه قال الحسن وعكرمة وعطا ومقاتل والضحاك والسدي لما روي ابن ابي ليلى
عن صهيب قال قرا رسول الله صلى الله عليه وسلم الاية للذين احسنوا الحسنى وزيادة قال اذا دخل اهل الجنة الجنة واهل
النار النار نادى مناد يا اهل الجنة ان لكم عند الله موعدا يريد ان ينجزكموه قالوا ما هذا الموعد الم يثقل موازيننا ويبيض
وجوهنا ويدخلنا الجنة ويجرنا من النار قال فيرفع الحجاب فينظرون الى وجه الله عز وجل قال فما اعطوا شيئا احب اليهم
من النظر اليه ويؤيد هذا قوله تعالى وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة وقالت المعتزلة لا يجوز حمل الزيادة على الرؤية
لوجوه احدها ان الدلايل العقلية دلت على ان رؤية الله تعالى ليست من جنس نعيم الجنة وثالثها ان الحديث المروي يوجب
التشبيه لان النظر عبارة عن تقليب الحدقة الى جهة المرئي وذلك يقتضي كون المرئي في الجهة ولان الوجه اسم للعضو
المخصوص وذلك يوجب التشبيه فثبت ان اللفظ لا يمكن حمله على الرؤية فوجب حمله على شيء اخر قال الجبائي الحسنى هي الثواب
المستحق والزيادة ما يزيدهم الله تعالى على ذلك الثواب من التفضيل لقوله تعالى ليوفيهم اجورهم ويزيدهم من فضله
ونقل عن علي رضي الله عنه قال الزيادة غرفة من لؤلؤة واحدة وعن ابن عباس الحسنى هي الجنة والزيادة عشر امثالها
وعن الحسن عشر امثالها الى سبعمائة ضعف وعن مجاهد الزيادة مغفرة من الله ورضوان وعن زيد بن اسلم الزيادة ان تمر
السحابة باهل الجنة فيقول ما تريدون ان امطركم فلا يريدون شيئا الا امطرتهم واجاب اهل السنة عن هذه
الوجوه فقالوا اما قولهم ان الدلايل العقلية دلت على امتناع رؤية الله تعالى فهذا ممنوع لما بيناه في كتب الاصول
ان تلك الدلايل في غاية الفتور وثبت بالاخبار الصحيحة اثبات الرؤية كقوله عليه الصلاة والسلام هل تضارون
في رؤية الشمس ليس دونها حجاب حين سالوه عن رؤية الله تعالى وقوله عليه الصلاة والسلام هل تضارون في رؤية
القمر ليلة البدر فوجب اجراؤها على ظواهرها وقولهم الزيادة يجب ان يكون من جنس المزيد عليه اذا كان مقدارا بمقدار
معين كانت الزيادة من جنسها واذا كان مقدرا بمقدار غير معين وجب ان تكون الزيادة مخالفة لها مثال الاول
قول الرجل اعطيتك عشرة امداد من الحنطة وزيادة فتكون تلك الزيادة من الحنطة ومثال الثاني في قوله اعطيتك
الحنطة وزيادة فيجب ان يكون الزيادة غير الحنطة فلفظ الحسنى وهي الجنة مطلقة غير مقدرة بقدر معين
فتكون الزيادة شيئا مغايرا لما في الجنة وقولهم الحديث يدل على اثبات الوجه وذلك يوجب التشبيه فنقول
قام الدليل على انه تعالى ليس بجسم ولم يقم الدليل على امتناع الرؤية فوجب ترك العمل بما قام الدليل على فساده

فصل قال ابو العباس المقري وقد وردت الحسنى على اربعة معان الاول بمعنى الجنة قال تعالى للذين
احسنوا الحسنى الثاني الحسنى الصلاح قال تعالى وليحلفن ان اردنا الا الحسنى اي الصلاح الثالث البنون قال تعالى
وتصف السنتهم الكذب ان لهم الحسنى اي البنون الرابع الخلف في النفقة قال تعالى فاما من اعطى واتقى وصدق بالحسنى
اي بالخلف ومثله وكذب بالحسنى **قوله** ولا يرهق فيه ثلاثة اوجه احدها انها مستانفة والثاني انها في
محل نصب على الحال والعامل في هذه الحال الاستقرار الذي تضمنه الجار وهو للذين لوقوعه خبرا عن الحسنى قاله ابو البقا
وقد يعود استقر لهم الحسنى مضمونا لهم السلامة وهذا ليس بجائز لان المضارع متى وقع حالا منفيا بلا امتنع دخول
واو الحال عليه كالمثبت وان ورد ما يوهم ذلك تؤول باضمار مبتدا وقد تقدم تحقيقه مرارا والثالث انها في محل
رفع نسقا على الحسنى ولا بد حينيذ من اضمار حرف مصدري يصح جعله معه مخبرا عنه بالجار والتقدير للذين احسنوا
الحسنى وان لا يرهق اي وعدم رهقهم فلما حذفت ان رفع الفعل المضارع لانه ليس من مواضع اضمار ان ناصبة
وهذا كقوله تعالى ومن اياته يريكم اي ان يريكم وقوله • تسمع بالمعيدي خير من ان تراه • وقوله •
الا ايها ذا الزاجري احضر الوغا • اي ان احضر ويروى برفع احضر ونصبه ومنع ابو البقا هذا الوجه وقال ولا
يجوز ان يكون معطوفا على الحسنى لان الفعل اذا عطف على المصدر احتاج الى ان ذكرا وتقديرا وان غير مقدرة
لان الفعل مرفوع بقوله وان غير مقدرة لان الفعل مرفوع ليس بجيد لان قوله تعالى ومن اياته يريكم معه ان
مقدرة ومع انه مرفوع ولا يلزم من اضمار ان نصب المضارع بل المشهور انه اذا اضمرت ان في غير المواضع التي نص
النحويون على اضمارها فيها ناصبة ارتفع الفعل والنصب قليل جدا

فصل والرهق الغشيان يقال
رهقه يرهقه رهقا اي غشيه بسرعة ومنه ولا ترهقني من امري فلا يخاف بخسا ولا رهقا يقال رهقته
وارهقته نحو ردفته واردفته ففعل وافعل بمعنى ومنه ارهقت الصلاة اذا اخرتها حتى غشي وقت الاخرى ورجل
مرهق اي يغشاه الاضياف وقال الازهري الرهق اسم من الارهاق وهو ان يحمل الانسان على نفسه ما لا يطيق ويقال
ارهقته عن الصلاة اي اعجلته عنها وقال بعضهم اصل الرهق المقاربة ومنه غلام مراهق اي قارب الحلم ومنه الحديث
ارهقوا القبلة اي قربوا منها ومنه رهقت الكلاب الصيد اي لحقته والقتر الغبار معه سواد وانشدوا •

للفرزدق

للفرزدق • متوج برداء الملك يتبعه • موج ترى فوقه الرايات والقترا • اي غبار العسكر وقيل القتر الدخان
ومنه قتار القدر وقيل القتر التقليل ومنه لم يسرفوا ولم يقتروا ويقال قترت الشيء واقترته وقترته اي قللته
ومنه وعلى المقتر قدره وقد تقدم والقترة ناموس الصايد وقيل الحفرة ومنه قول امري القيس • رب رام من بني ثعل •
متلج كفيه في قتره • اي في حفرته التي يحفرها وقرا الحسن وعيسى بن عمر وابو رجا والاعمش قتر بسكون التا وهما لغتان
قتر وقتر كقدر وقدر

فصل المعنى ولا يغشى وجوههم قتر غبار جمع قترة وقال ابن عباس وقتادة سواد الوجوه
ولا ذلة هوان وقال قتادة كابة قال ابن ابي ليلى هذا بعد نظرهم الى ربهم اوليك اصحاب الجنة هم فيها خالدون اشارة الى
ان هذا النعيم دايما امنا من الانقطاع **قوله تعالى** والذين كسبوا السيات الاية لما شرح احوال المحسنين شرح بعده حال
المسيين فوكروا والذين كسبوا فيه سبعة اوجه احدها ان يكون والذين نسقا على للذين احسنوا اي للذين احسنوا الحسنى
وللذين كسبوا السيات جزاء سيئة بمثلها فيتعادل التقسيم كقولك في الدار زيد والحجرة عمرو وهذا يسميه النحويون عطفا
على معمولي عاملين وفيها ثلاثة مذاهب احدها الجواز مطلقا وهو قول الفرا والثاني المنع مطلقا وهو مذهب سيبويه
والثالث التفصيل بين ان يتقدم الجار نحو في الدار زيد والحجرة عمرو فيجوز او لا فيمتنع نحو ان زيدا في الدار وعمرا الحجرة
في القصر اي وان عمروا في القصر وسيبويه واتباعه يخرجون ما ورد منه على اضمار الجار كقوله تعالى واختلاف الليل والنهار
ايات نصب ايات في قراءة الاخوين على ما سياتي وكقوله • اكل امري تحسبين امرا • ونار توقد بالليل نارا •
وقول الاخر • اوصيت من برة قلبا حرا • بالكلب خيرا والحماة شرا • وسياتي لهذا مزيد بيان ان شاء الله وممن ذهب
الى ان هذا الموصول مجرور عطفا على الموصول قبله ابن عطية والزمخشري والثاني ان الذين مبتدا وجزاء سيئة مبتدا
ثان وخبره بمثلها والبا فيه زايدة اي وجزاء سيئة مثلها كما زيدت في الخبر كقوله

• فلا تطمع ابيت اللعن فيها • ومنعكها بشيء يستطاع • اي شيء يستطاع

وكقول امري القيس • فان تنا عنها حقبة لا تلاقها • فانك مما احدثت بالمجرب • اي المجرب وهذا
قول ابن كيسان في الاية الثالث ان البا ليست بزايدة والتقدير مقدر بمثلها او مستقر بمثلها والمبتدا الثاني وخبره
خبر عن الاول الرابع ان خبر جزاء سيئة محذوف فقدره الحوفي بقوله لهم جزاء سيئة قال ودل على تقدير لهم قوله للذين
احسنوا الحسنى حتى يتشاكل هذه بهذه وقدره ابو البقا جزاء سيئة بمثلها واقع وهو وخبره ايضا خبر عن الاول وعلى هذين
التقديرين فالبا متعلقة بنفس جزا لان هذه المادة تتعدى بالبا قال تعالى جزيناهم بما كفروا وجزاهم بما صبروا
الى غير ذلك فان قلت اين الرابط من هذه الجملة والموصول الذي هو المبتدا قلت على تقدير الحوفي هو الضمير المجرور باللام
المقدر خبرا وعلى تقدير ابي البقا هو محذوف تقديره جزاء سيئة بمثلها منهم واقع نحو السمن منوان بدرهم وهو حذف
مطرد لما عرف الخامس ان يكون الخبر الجملة المنفية من قوله ما لهم من الله من عاصم ويكون من عاصم اما فاعلا بالجار قبله
لاعتماده على النفي واما مبتدا وخبره الجار مقدما عليه ومن مزيدة فيه على كلا القولين ومن الله متعلق بعاصم
وعلى كون هذه الجملة خبر الموصول يكون قد فصل بين المبتدا وخبره بجملتي اعتراض وفي ذلك خلاف عن الفارسي
تقدم التنبيه عليه وكما استدل به عليه السادس ان الخبر هو الجملة التشبيهية من قوله كانما اغشيت وجوههم وكانما
حرف مكفوف وما هذه زايدة تسمى كافة ومهيئة وتقدم ذلك وعلى هذا الوجه فيكون قد فصل بين المبتدا وخبره
بثلاث جمل اعتراض السابع ان الخبر هو الجملة من قوله اوليك اصحاب النار وعلى هذا القول فيكون قد فصل باربع جمل معترضة
وهي جزاء سيئة بمثلها الثانية وترهقهم ذلة الثالثة ما لهم من الله من عاصم الرابعة كانما اغشيت وينبغي ان لا يجوز
الفصل بثلاث جمل فضلا عن اربع **قوله تعالى** وترهقهم فيها وجهان احدهما انها في محل نصب على الحال ولم يبين
ابو البقا صاحبها وصاحبها هو الموصول او ضميره وفيه ضعف لمباشرته الواو الا ان يجعل خبر مبتدا محذوف والثاني
انها معطوفة على كسبوا قاله ابو البقا وهو ضعيف لان المستقبل لا يعطف على الماضي فان قيل هو بمعنى الماضي فضعيف
جدا وقرئ ويرهقهم باليا من تحت لان الذلة تانيثها مجازي **قوله** قطعا قرا ابن كثير والكسائي قطعا بسكون
الطا والباقون بفتحها فاما القراءة الاولى فاختلفت عبارات الناس فيها فقال اهل اللغة القطع ظلمة اخر الليل وقال
الاخفش في قوله بقطع من الليل بسواد من الليل وقال بعضهم طايفة من الليل وانشد الاخفش •

• افتحي الباب فانظري في النجوم • كم علينا من قطع ليل بهيم •

واما قراءة الباقين فجمع قطعة نحو دمنة ودمن وكسرة وكسر وعلى القراءتين يختلف اعراب مظلما فانه على قراءة الكسائي
وابن كثير يجوز ان يكون حالا وفيه اربعة اوجه احدها انه حال من قطعا وجاز ذلك لتخصصه بالوصف بالجار وحده
وهو من الليل والثاني انه حال من الليل والثالث انه حال من الضمير المستتر في الجار لوقوعه صفة الرابع ان يكون صفة

لقطعا على المبالغة والتاكيد ايضا لان الاظلام مفهوم من لفظ القطع قال الزمخشري فان قلت اذا جعلت
مظلما حالا من الليل فما العامل فيه قلت لا يخلو اما ان يكون اغشيت من قبل ان من الليل صفة لقوله قطعا
فكان افضاؤه الى الموصوف كافضائه الى الصفة واما ان يكون معنى الفعل في من الليل قال ابو حيان اما الوجه
الاول فهو بعيد لان الاصل ان يكون العامل في الحال هو العامل في ذي الحال والعامل في من الليل هو الاستقرار
واغشيت عامل في قوله قطعا الموصوف في قوله من الليل فاختلفا فلذلك كان الوجه الاخير اولى اي قطعا مستقرة من
الليل او كائنة من الليل في حال اظلامه قال شهاب الدين ولا يعني الزمخشري بقوله ان العامل اغشيت لان الموصوف
وهو قطعا معمول لاغشيت وهي صاحبة الحال والعامل في الحال هو العامل في ذي الحال فجاء من ذلك ان العامل في الحال
هو العامل في صاحبها بهذه الطريقة ويجوز ان يكون قطع جمع قطعة اي اسم جنس لها فيجوز حينئذ وصفه بالتذكير نحو نخل
منقعر واما التانيث نحو نخل خاوية ولقراءة الباقين فقال مكي وغيره ان مظلما حال من الليل فقط ولا يجوز
ان يكون صفة لقطعا ولا حالا لانه ولا من الضمير في من الليل لانه كان يجب ان يقال فيه مظلمة يعنون ان الموصوف
حينئذ جمع وكذا صاحب الحال فيجب المطابقة واجاز بعضهم ما منعه هؤلاء وقالوا جاز ذلك لانه في معنى الكثير وهذا
تعسف وقرا ابي يغشى وجوههم قطع بالرفع مظلم وقرا ابن ابي عبلة كذلك الا انه فتح الطاء واذا جعلت مظلما نعتا لقطعا
فيكون قد قدم النعت غير الصريح على الصريح قال ابن عطية فاذا كان نعتا يعني مظلما نعتا لقطع فكان حقه ان يكون
قبل الجملة ولكن قد يجيء بعد هذا وتقدير الجملة قطعا استقر من الليل مظلما على نحو قوله وهذا كتاب انزلناه مبارك
قال ابو حيان ولا يتعين تقدير العامل في المجرور بالفعل فيكون جملة بل الظاهر ان يقدر باسم الفاعل فيكون من قبيل
الوصف بالمفرد والتقدير قطعا كائنا من الليل مظلما قال شهاب الدين المحذور تقديم غير الصريح على الصريح ولو كان
مقدرا بمفرد وقطعا منصوب باغشيت مفعولا ثانيا **فصل** المعنى والذين كسبوا السيئات جزاء
سيئة بمثلها كقوله ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها والفرق بين الحسنات والسيئات انه اذا زاد في الحسنات
يكون متفضلا وذلك للحسن وفيه ترغيب في الطاعة واما الزيادة على قدر الاستحقاق على السيئات فهو ظلم والله
منزه عنه ثم قال وترهقهم ذلة اي هوان وتحقير ما لهم من الله من عاصم اي ما لهم عاصم من الله في الدنيا والاخرة
كانما اغشيت وجوههم قطعا من الليل مظلما والمراد سواد الوجه وقال حكماء الاسلام المراد من هذا السواد سواد
الجهل وظلمة الضلالة فان العلم طبعه طبع النور والجهل طبعه طبع الظلمة قيل المراد بقوله والذين كسبوا السيئات
الكفار لان سواد الوجه من علامة الكفر قال تعالى فاما الذين اسودت وجوههم اكفرتم بعد ايمانكم وقال وجوه
يومئذ عليها غبرة ترهقها قترة اولئك هم الكفرة الفجرة وقال القاضي قوله والذين كسبوا السيئات عام يتناول
الكافر والفاسق واجيب بان الصيغة وان كانت عامة الا ان الدلائل التي ذكرناها مخصصة ثم قال اولئك اصحاب
النار هم فيها خالدون **قوله** ويوم نحشرهم جميعا الاية يوم منصوب بفعل مقدر اي خوفهم او ذكرهم يوم والضمير
عائد على الفريقين اي الذين احسنوا والذين كسبوا وجميعا حال ويجوز ان يكون تاكيدا عند من عدها من الفاظ التاكيد
قوله مكانكم اسم فعل يفسر بالزموا فيتحمل ضميرا ولذلك اكد بقوله انتم وعطف عليه شركاؤكم ومنه قول الشاعر
وقولي كلما جشأت وجاشت ❊ مكانك تحمدي او تستريحي ❊ اي اثبتي ويدل على ذلك جزم جوابه وهو تحمدي وقدره الزمخشري
بالزموا قال مكانكم اي الزموا مكانكم لا تبرحوا حتى تنظروا ما يفعل بكم قال ابو حيان وتقديره له بالزموا ليس بجيد
اذ لو كان كذلك لتعدى كما يتعدى ما ناب هذا عنه بان اسم الفعل يعامل معاملة مسماه ولذلك لما قدروا عليك
بمعنى الزم عدوه تعديته نحو عليك زيدا قال شهاب الدين فالزمخشري قد سبق بهذا التفسير والعذر لمن قدر بذلك
انه قصد تفسير المعنى قال الحوفي مكانكم نصب باضمار فعل اي الزموا مكانكم او اثبتوا وكذلك فسر ابو البقا فقال
مكانكم ظرف مبني لوقوعه موقع الامر اي الزموا وهذا الذي ذكره من كونه مبنيا فيه خلاف للنحويين منهم من ذهب الى ما
ذكر ومنهم من ذهب الى انها حركة اعراب وهذان الوجهان مبنيان على خلاف في اسماء الافعال هل لها محل من الاعراب
او لا فان قلنا لها محل كانت حركات الظرف حركات اعراب وان قلنا لا موضع لها كانت حركات بناء واما تقديره بالزموا
فتقدم جوابه **قوله** انتم فيه وجهان احدهما انه تاكيد للضمير المستتر في الظرف لقيامه مقام الفاعل كما تقدم
التنبيه عليه والثاني اجازه ابن عطية وهو ان يكون مبتدا وشركاؤكم معطوف عليه وخبرهما محذوف على تقدير انتم
وشركاؤكم مهانون او معذبون وعلى هذا نوقف على قوله مكانكم ثم يبتدأ بقوله انتم وهذا لا ينبغي ان يقال لان
فيه تفكيكا لافصح كلام من غير داعية الى ذلك ولان قراءة من قرا وشركاءكم نصبا يدل على ضعفه اذ لا يكون الا من
الوجه الاول وقوله فزيلنا بينهم فهذا يدل على انهم امروا هم وشركاؤهم بالثبات في مكان واحد حتى يحصل التزييل

بينهم وقال ابن عطية ايضا ويجوز ان يكون انتم تاكيدا للضمير الذي في الفعل المقدر الذي هو قفوا ونحوه قال ابو حيان
وهذا ليس بجيد اذ لو كان تاكيدا لذلك الضمير المتصل بالفعل لجاز تقديمه على الظرف اذ الظرف لم يتحمل ضميرا على هذا القول
فيلزم تاخيره وهو غير جائز لا تقول انت مكانك ولا يحفظ من كلامهم والاصح انه لا يجوز حذف المؤكد في التاكيد المعنوي
فكذلك هذا لان التاكيد ينافي الحذف وليس من كلامهم انت زيدا لمن رايته قد شهر سيفا وانت تريد اضرب انت زيدا انما كلام العرب
زيدا تريد اضرب زيدا قال شهاب الدين لم يعن ابن عطية ان انت تاكيد لذلك الضمير في قفوا من حيث ان الفعل مراد غير منوب عنه
بل لانه ناب عنه هذا الظرف فهو تاكيد له في الاصل قبل النيابة عنه بالظرف وانما قال الذي هو قفوا تفسيرا للمعنى المقدر وقرات
فرقة وشركاءكم نصبا على المعية والناصب له اسم الفعل **قوله** فزيلنا اي فرقنا وميزنا كقوله تعالى لو تزيلوا لعذبنا
واختلفوا في زيل هل وزنه فعل او فيعل والظاهر الاول والتضعيف فيه للتكثير لا للتعدية لان ثلاثيه متعدي بنفسه
حكى الفراء زلت الضان من المعز فلم يزل ويقال زلت الشيء من مكانه ازيله وهو على هذا من ذوات اليا والثاني انه فيعل كبيطر
وبيقر وهو من زال يزول والاصل زيولنا فاجتمعت اليا والواو وسبقت احداهما بالسكون فاعلت بقلب الواو يا وادغام
اليا فيها كميت وسيد في ميوت وسيود وعلى هذا فهو من مادة الواو والى هذا ذهب ابن قتيبة وتبعه ابو البقا وقال مكي لا
يجوز ان يكون فعلنا من زال يزول لانه من الواو فيكون زولنا وهذا صحيح وقد تقدم تحريره او مثله في فيعل وزاد ابو
حيان كونه فيعل بان فعل اكثر من فيعل ولان مصدره التزييل ولو كان فيعل لكان مصدره فيعلة كبيطرة لان فيعل
ملحق بفعلل ولقولهم في معناه زايل ولم يقولوا زاول بمعنى فارق انما قالوا بمعنى حاول وخالط وحكى الفراء فزايلنا وبها قرات فرقة
قال الزمخشري مثل صاعر خده وصعره وكالمته وكلمته يعني ان فاعل بمعنى فعل وزايل بمعنى فارق وقال العداوي ❊
اما انت عما وكان الذباب كالخليط يزايله ❊ وقال اخر ❊ لعمري لموت لا عقوبة بعده ❊ لذي البث اشفى من هوى لا يزايله
اي لا يفارقه وقوله تعالى فزيلنا وقال هذان الفعلان ماضيان لفظا مستقبلان معنى لعطفهما على مستقبل وهو ويوم
نحشرهم وهما نظير قوله تعالى يقدم قومه يوم القيمة فاوردهم وايانا مفعول مقدم قدم للاهتمام به والاختصاص وهو
واجب التقديم على ناصبه لانه ضمير منفصل لو تاخر عنه لزم اتصاله وقد تقدم الكلام على ما بعد هذا من كونها ان
المخففة واللام التي بعدها بما يغني عن الاعادة **فصل** المعنى ويوم نحشر العابد والمعبود ثم ان المعبود
يتبرا من العابد ويبين انه ما فعل ذلك بعلمه وارادته ونظيره قوله تعالى اذ تبرا الذين اتبعوا من الذين اتبعوا وقوله
ثم نقول للملائكة اهؤلاء اياكم كانوا يعبدون قالوا سبحانك انت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن والحشر الجمع من كل
جانب الى موقف واحد ثم نقول للذين اشركوا مكانكم انتم وشركاؤكم يعني الاوثان حتى تسالوا فزيلنا بينهم اي ميزنا وفرقنا بينهم
وجاءت هذه الكلمة على لفظ الماضي بعد قوله ثم نقول وهو مستقبل لان ما حكم الله عليه بانه سيكون صار كالكائن الان
كقوله ونادى اصحاب الجنة واضاف الشركاء اليهم لانهم جعلوا لهم نصيبا من اموالهم وقيل لان الاضافة يكفي فيها ادنى تعلق
فلما كان الكفار هم الذين اثبتوا هذه الشركة حسنت اضافة الشركاء اليهم وقيل لما خاطب العابدين والمعبودين بقوله مكانكم
صاروا شركاء في هذا الخطاب قال بعض المفسرين المراد بهؤلاء الشركاء الملائكة لقوله ثم نقول للملائكة اهؤلاء اياكم كانوا
يعبدون وقيل هم الاصنام ثم اختلف هؤلاء كيف ذكرت الاصنام هذا الكلام فقيل ان الله تعالى يخلق فيها الحياة
والعقل والنطق وقيل يخلق فيهم الروح من غير حياة حتى يسمعوا منهم ذلك فان قيل اذا احياهم الله فهل يبعثهم او يفنيهم
فالجواب ان الكل محتمل ولا اعتراض على الله في افعاله واحوال القيمة غير معلومة الا القليل ولا شك ان هذا الخطاب
تهديد في حق العابدين وهل يكون تهديدا في حق المعبودين قالت المعتزلة لا يجوز ذلك لانه لا ذنب للمعبود ومن لا
ذنب له يقبح تهديده وتخويفه وقال اهل السنة لا يسال عما يفعل فان قيل قول الشركاء ما كنتم ايانا تعبدون وهم
كانوا قد عبدوهم يكون كذبا وقد تقدم في سورة الانعام اختلاف الناس في ان اهل القيمة هل يكذبون ام لا **فالجواب**
هاهنا انهم قالوا المراد من قولهم ما كنتم ايانا تعبدون بامرنا وارادتنا لانهم استشهدوا بالله في ذلك بقولهم وكفى بالله شهيدا
بيننا وبينكم وبقولهم ان كنا عن عبادتكم لغافلين ومن الناس من اجرى الاية على ظاهرها وقالوا ان الشركاء اخبروا ان
الكفار ما عبدوها لوجوه الاول ان ذلك الموقف موقف دهشة وحيرة فذلك الكذب جار مجرى كذب الصبيان
والمجانين المدهوشين الثاني انهم ما اقاموا لاعمال الكفار وزنا وجعلوها لبطلانها كالعدم فلهذا قالوا ما عبدتمونا
الثالث انهم تخيلوا في الاصنام التي عبدوها صفات كثيرة فهم في الحقيقة انما عبدوا ذواتا موصوفة بتلك الصفات
ولما كانت ذواتها خالية عن تلك الصفات فهم ما عبدوها وانما عبدوا امورا تخيلوها ولا وجود لها في الاعيان وتلك
الصفات التي تخيلوها في الاصنام انها تضر وتنفع وتشفع عند الله **قوله تعالى** هنالك تبلو كل نفس ما اسلفت الاية
هنالك وجهان اظهرهما بقاؤه على اصله من دلالته على ظرف المكان اي في ذلك الموقف المدهش وقيل هو هنا ظرف زمان

على سبيل الاستعارة ومثله هنالك ابتلي المومنون اي في ذلك الوقت وكقوله

• واذا الامور تعاظمت وتشاكلت • فهناك يعترفون اين المفزع •

واذا امكن بقاء الشي على موضوعه فهو اولي وقرا الاخوان تتلوا بتائين من فوق اي تطلب وتتبع ما اسلفته من اعمالها ومن هذا قوله • ان المريب يتبع المريبا • كما رايت الذيب يتلو الذيبا • اي يتبعه ويتطلبه ويجوزان يكون من التلاوة المتعارفة اي تقرا كل نفس ما عملته مسطرا في صحف الحفظة لقوله تعالي يا ويلتنا مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها وقوله ونخرج له يوم القيمة كتابا يلقاه منشورا اقرا كتابك وقرا الباقون تبلوا من البلاء وهو الاختبار اي تعرف عملها اخير هو ام شر وقرا عاصم في رواية نبلوا بالنون والباء الموحدة اي نختبر نحن وكل منصوب على المفعول به وقوله ما اسلفت على هذه القراءة يحتمل ان يكون في محل نصب على اسقاط الخافض اي بما اسلفت فلما سقط الخافض انتصب مجروره كقوله • تمرون الديار فلم تعوجوا • كلامكم علي اذا حرام • ويحتمل ان يكون منصوبا على البدل من كل نفس ويكون بدل الاشتمال ويجوز ان يكون نبلو من البلاء وهو العذاب اي نعذبها بسبب ما اسلفت وما يجوزان تكون موصولة اسمية او حرفية او نكرة موصوفة والعائد محذوف على التقدير الاول والاخر دون الثاني على المشهور وقرا ابن وثاب وردوا بكسر الراء تشبيها للعين المضعفة بالمعتلة نحو قيل وبيع مثله وما حل من جهل حبا حلمائنا بكسر الراء وقد تقدم بيان ذلك **قوله** الي الله لا بد من مضاف اي الي جزاء الله وموقف جزائه والجمهور على الجر وقرئ منصوبا على احد وجهين اما القطع واصله انه تابع فقطع باضمار امدح كقولهم الحمد لله اهل الحمد واما انه مصدر موكد لمضمون الجملة المتقدمة وهو ردوا الي الله واليه نحا الزمخشري قال كقولك هذا عبد الله الحق لا الباطل على التاكيد لقوله ردوا الي الله قال مكي ويجوز نصبه على المصدر ولم يقرا به وكانه لم يطلع على هذه القراءة وقوله ما كانوا يفترون ما يحتمل الاوجه الثلاثة **فصل** المعنى هنالك في ذلك الوقت تبلوا اي تختبر والمعنى يفعل بها فعل المختبر وعلى القراءة الاخرى ان كل نفس تختبر اعمالها في ذلك وردوا الي الله اي ردوا الي جزاء الله قال ابن عباس مولاهم بالحق اي الذي يجازيهم بالحق وقيل جعلوا ملجئين الي الاقرار بالالهية مولاهم الحق اي اعرضوا عن المولي الباطل ورجعوا الي المولي الحق وقد تقدم تفسير مولاهم الحق اي اعرضوا عن المولي الباطل ورجعوا الي المولي الحق في الانعام وضل عنهم زال وبطل ما كانوا يفترون اي يعبدون ويعتقدون انهم شفعاء فان قيل وقد قال وان الكافرين لا مولي لهم قيل المولي هناك هو الناصر وههنا بمعنى المالك **قوله تعالي** قل من يرزقكم من السماء والارض الاية لما ذكر فضايح عبدة الاوثان اتبعها بذكر الدلايل الدالة على فساد هذا المذهب وهي احوال الرزق واحوال الحواس واحوال الموت والحياة اما الرزق فانه انما يحصل من السماء والارض اما من السماء فنزول المطر الموافق واما من الارض فلان الغذا اما ان يكون نباتا او حيوانا اما النبات فلان الارض تنبته واما الحيوان فهو محتاج ايضا الي الغذا ولا يمكن ان يكون غذا كل حيوان حيوان اخر والا لزم التسلسل وهو محال فثبت ان غذا الحيوان يجب انتهاؤه الي النبات والنبات انما يتولد من الارض فثبت ان الرزق انما يحصل من السماء والارض ولا مدبر لهما الا الله تعالي واما الحواس فكذلك قال علي رضي الله عنه سبحان من بصر بشحم واسمع بعظم وانطق بلحم **قوله** من السماء يجوزان يكون لابتداء الغاية وان يكون للتبعيض وان يكون لبيان الجنس ولا بد على هذين الوجهين من تقدير مضاف محذوف اي من اهل السماء **قوله** ام هذه المنقطعة لانه لم يتقدمها همزة استفهام ولا تسوية ولكن انما تقدر ببل وحدها دون الهمزة وقد تقرر ان المنقطعة عند الجمهور يقدر ببل والهمزة وانما لم تقدر هنا ببل والهمزة لانها وقع بعدها اسم استفهام صريح وهو من فهو كقوله تعالي اماذا كنتم تعملون والاضراب هنا على القاعدة المقررة في القرآن انه اضراب انتقال لا اضراب ابطال **قوله** ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي قيل يخرج الانسان من النطفة والطاير من البيضة ويخرج الميت من الحي يخرج النطفة والبيضة من الانسان والطاير وقيل يخرج المومن من الكافر والكافر من المومن ثم قال ومن يدبر الامر وهذا كلام كلي لان تدبير اقسام الله تعالي في العالم العلوي والسفلي امور لا نهاية لها وذكرها كالمتعذر فلما ذكر بعض تلك التفاصيل عقبها بالكلام الكلي ليدل على الباقي ثم بين ان الرسول عليه الصلاة والسلام اذا سألهم عن مدبر هذه الاحوال فسيقولون هو الله اذا فكروا وانصفوا فقل ابعد ذلك فلا تتقون اي الا تخافون عقابه وقيل فسيقولون انه هو الله وهذا يدل على ان المخاطبين بهذا الكلام كانوا يعرفون الله تعالي ويقرون به وهم الذين قالوا في عبادتهم الاصنام انها تقربنا الي الله زلفي وانهم شفعاؤنا عند الله وكانوا يعلمون ان هذه الاصنام لا تنفع ولا تضر فعند ذلك قال لرسوله قل فلا تتقون الشرك مع هذا الاقرار وقيل افلا تخافون عقابه في شرككم **قوله** فذلكم الله ربكم الذي يفعل هذه الاشيا هو ربكم الحق **قوله** فماذا بعد يجوزان يكون ماذا كله اسما واحدا لتركبهما وغلب الاستفهام على اسم الاشارة وصار معنى الاستفهام هنا النفي ولذلك اوجب بعده بالا ويجوزان يكون ذا موصولا بمعنى الذي والاستفهام ايضا بمعنى النفي والتقدير

ما الذي بعد الحق الا الضلال واذا ثبت ان الله هو الحق وجب ان يكون ما سواه ضلالا اي باطلا لان النقيضين يمتنع ان يكونا حقين وان يكونا باطلين فاذا كان احدهما حقا وجب كون ما سواه باطلا ثم قال فاني تصرفون اي كيف تعدلون عن عبادته وانتم مقرون بذلك قال الجبائي دلت هذه الاية على بطلان قول المجبرة انه تعالي يصرف الكفار عن الايمان لانه لو كان كذلك لما جاز ان يقول اني تصرفون كما لا يقول اذا عمي احدهم اني عميت وسيأتي جوابه **فصل** المعني ان الذي يفعل هذه الاشياء هو ربكم الحق لا ما اشركتم معه قال بعض المتقدمين ظاهر هذه الاية يدل على ان ما بعد الله هو الضلال لان اولها فذلكم الله ربكم الحق واخرها فماذا بعد الحق الا الضلال فهذا في الايمان والكفر ليس في الاعمال وقال بعضهم ان الكفر تغطية الحق وكلما كان غير الحق جرى هذا المجرى فالحرام ضلال والمباح هدي فان الله هو المبيح والمهدي **فصل** قال القرطبي روي عن مالك في قوله تعالي فماذا بعد الحق الا الضلال قال اللعب بالشطرنج والنرد من الضلال وسيل مالك عن الرجل يلعب في بيته مع امراته باربع عشرة فقال ما يعجبني ليس من شان المومن قال تعالي فماذا بعد الحق الا الضلال وسيل مالك عن اللعب بالشطرنج فقال لا خير فيه وهو من الباطل واللعب كله من الباطل وقال الشافعي لاعب الشطرنج وغيره اذا لم يكن على وجه القمار لا ترد شهادته اذا كان عدلا ولم تظهر منه ريبة ولا كبيرة فان لعب بها قمارا وكان معروفا بذلك سقطت عدالته لاكله المال بالباطل وقال ابو حنيفة يكره اللعب بالشطرنج والنرد والاربعة عشر وكل اللهو فان لم يظهر من اللاعب بها كبيرة وكانت مساويه قليلة تقبل شهادته قال ابن العربي قال بعض الشافعية ان الشطرنج يخالف النرد لان فيه اكداد القهر واستعمال القريحة واما الشطرنج فلا يعلم ما يخرج له فيه فهو كالاستقسام بالازلام وان النرد هو الذي يعرف ما يخرج له فيه ويعرف في الجاهلية بالاردشير ويعرف ايضا بالنرد وروي ان ابن عمر مر بغلمان يلعبون بالكجة وهي حلق فيها حصي يلعبون فيها فسالابن عمر ونهاهم عنها ذكر الهروي في باب الكاف والجيم وقال ابن الاعرابي الكجة هي ان ياخذ الصبي خرقة فيدورها كانها كرة ثم يتقامرون بها **قوله** كذلك حقت الكاف في محل نصب نعتا لمصدر محذوف والاشارة بذلك الي المصدر المفهوم اي مثل صرفهم عن الحق بعد الاقرار به في قوله تعالي فسيقولون الله وقيل اشارة الي الحق قال الزمخشري كذلك مثل ذلك الحق حقت كلمة ربك **قوله تعالي** انهم لا يومنون فيه اربعة اوجه احدها انها في محل رفع خبر المبتدا محذوف اي الامر عدم ايمانهم الثالث انها في محل نصب بعد اسقاط حرف الجر الرابع انها في محل جر على اعمال المحذوف اذ الاصل لانهم لا يومنون تعليل اي لانهم وهذا بناء على مذهبه وقرا ابو عمرو وابن كثير والكوفيون كلمت بالجمع وكذا في اخر السورة وتقدم ذلك في الانعام وقرا ابن عبلة انهم لا يومنون بكسر ان على الاستيناف وفيها معنى التعليل وهذه تقوي لوجوه الصايرة الي التعليل **فصل** احتج اهل السنة بهذه الاية على ان الكفر بقضاء الله وارادته لانه اخبر عنهم قطعا انهم لا يومنون فلو آمنوا لكان اما ان يبقى ذلك الخبر صدقا اولا والاول باطل لان الخبر بانه لا يومن يمتنع ان يبقى صدقا حال ما يوجد الايمان والثاني باطل لان انقلاب خبر الله تعالي كذبا وهو محال فثبت ان صدور الايمان منهم محال والمحال لا يكون مرادا فثبت انه تعالي ما اراد الايمان من هذا الكافر وانه اراد الكفر منه ثم نقول ان كان قوله اني تصرفون يدل على صحة مذهب القدر فهذه الاية الموضوعة بجنبه تدل على فساده وقد كان من الواجب على الجبائي مع قوة خاطره حين استدل بتلك الاية على صحة قوله ان يذكر هذه الحجة ويجيب عنها حتى يحصل مقصوده والمراد بالكلمة حكمه السابق على الذين فسقوا اي كفروا **قوله** قل هل من شركائكم من يبدؤا الخلق ثم يعيده الاية وهذا هو الحجة الثانية عليهم فان قيل القوم كانوا منكرين للاعادة والحشر والنشر فكيف احتج عليهم بذلك فالجواب انه تعالي قدم في هذه السورة ما يدل عليه وهو وجوب التمييز بين المحسن والمسيء وهذه الدلالة دلالة ظاهرة قوية لا يمكن العاقل دفعها فلاجل قوتها وظهورها تمسك بها سواء ساعد الخصم عليها ام لا فان قيل لم امر رسوله ان يعترف بذلك والالزام انما يحصل لو اعترف الخصم به **فالجواب** ان الدليل لما كان ظاهرا جليا فاذا اورد على الخصم في معرض الاستفهام كان بنفسه يقول الامر كذلك فكان هذا تنبيها على ان هذا الكلام بلغ في الوضوح الي حيث لا حاجة فيه الي اقرار الخصم به وانه سواء اقروا او انكروا فالامر متقرر ظاهر **قوله** قل الله يبدؤا الخلق هذه الجملة جواب لقوله هل من شركائكم من يبدؤا الخلق وانما اتى بالجواب جملة اسمية مصرحا بجزئيها معادا فيها الخبر مطابقا للخبر اسم الاستفهام للتاكيد والتثبيت ولما كان الاستفهام قبل هذا لا مندوحة لهم عن الاعتراف به جاءت الجملة محذوفا منها احد جزئيها في قوله فسيقولون الله ولم يحتج الي التاكيد بتصريح جزئيها **فصل** ومعنى الاية هل من شركائكم من يبدؤا الخلق ينشئه من غير اصل ولا سبق مثال ثم يعيده يحييه من بعد الموت كهيئته فان اجابوك والا فقل انت الله يبدؤا الخلق ثم يعيده ثم قال فاني توفكون اي تصرفون عن قصد السبيل والمراد التعجب منهم في الدنيا من هذا الامر الواضح الذي دعاهم الهوي والتقليد الي مخالفته لان الاخبار عن كون الاوثان الهة كذب وافك والاشتغال بعبادتها مع انها لا تستحق العبادة ايضا افك **قوله** هل من شركائكم من يهدي الي الحق الاية وهذه حجة ثالثة واعلم ان الاستدلال على وجود

الصانع بالخلق اولا ثم بالهداية ثانيا عادة مطردة في القران قال تعالى حكاية عن الخليل عليه الصلاة والسلام
الذي خلقني فهو يهدين وحكى عن موسى عليه الصلاة والسلام في جوابه لفرعون ربنا الذي اعطى كل شي خلقه ثم هدى
وامر محمدا عليه الصلاة والسلام فقال سبح اسم ربك الاعلى الذي خلق فسوى والذي قدر فهدى واعلم ان الانسان
له جسد وروح فالاستدلال على وجود الصانع باحوال الجسد حصول الهداية للروح كما قال تعالى والله اخرجكم من بطون
امهاتكم لا تعلمون شيئا وجعل لكم السمع والابصار والافئدة لعلكم تشكرون وهذا كالتصريح بانه تعالى انما خلق الجسد
واعطى الحواس ليكون الة في اكتساب المعارف والعلوم **قوله** يهدي الى الحق قد تقدم في اول الكتاب ان هدى يتعدى
لاثنين ثانيهما اما باللام او بالى وقد يحذف الحرف تخفيفا وقد جمع بين التعديتين هنا بحرف الجر فعدى الاول بالى
والثاني باللام وحذف المفعول الاول من الافعال الثلاثة والتقدير هل من شركائكم من يهدي غيره الى الحق قل الله
يهدي من يشاء للحق امن يهدي غيره الى الحق وزعم الكسائي والفراء وتبعهما الزمخشري ان يهدي الاول قاصر وانه بمعنى
اهتدى وفيه نظر لان مقابله وهو قل الله يهدي متعد وقد انكر المبرد ايضا مقالة الكسائي والفراء وقال لا نعرف
هدى بمعنى اهتدى قال شهاب الدين والكسائي والفراء ائمة منه بالنقل ولكن انما ضعف ذلك هنا كون مقابله
متعديا وقد تقدم ان التعدية بالى او اللام من باب التفنن في البلاغة ولذلك قال الزمخشري يقال هداه للحق والى
الحق فجمع بين اللغتين وقال غيره انما عدي المسند الى الله باللام **قوله تعالى** احق ان يتبع خبر لقوله افمن يهدي وان
في موضع نصب او جر بعد حذف الخافض والمفضل عليه محذوف وتقديره افمن يهدي الى الحق احق بان يتبع ممن
لا يهدي ذكره مكي بن ابي طالب ويجعل احق هنا على بابها من كونها للتفضيل وقد منع ابو حيان كونها للتفضيل هنا
فقال واحق ليست للتفضيل بل المعنى حقيق بان يتبع وجوز مكي ايضا في المسالة وجهين اخرين احدهما ان يكون من مبتدا
ثانيا وان في محل رفع بدلا منها بدل اشتمال واحق خبر على ما كان والثاني ان يتبع في محل رفع بالابتدا واحق خبره
مقدم عليه وهذه الجملة خبر لمن يهدي فتحصل في المسالة ثلاثة اوجه **قوله** امن لا يهدي نسق على افمن وجاء هنا
على الافصح من حيث انه قد فصل بين ام وبين ما عطفت عليه بالخبر كقولك ازيد قائم ام عمرو ومثله اذلك خير ام جنة
الخلد وهذا بخلاف قوله تعالى اقريب ام بعيد ما توعدون وسياتي هذا في موضعه وقرا ابو بكر عن عاصم بكسر يا يهدي
وهائه وحفص بكسر الهاء دون اليا فاما كسر الهاء فلالتقاء الساكنين وذلك ان اصله يهتدي فلما قصد ادغامه سكنت
اليا والهاء قبلها ساكنة فكسرت الهاء لالتقاء الساكنين وابو بكر اتبع اليا للهاء في الكسر وقال ابو حاتم في قراءة حفص هي لغة
سفلى مضر ونقل عن سيبويه انه لا يجوز يهدي ويجوز تهدي ونهدي واهدي قال لان الكسرة تثقل في اليا يعني انه
يجيز كسر حرف المضارعة من هذا النحو نحو نهدي وتهدي واهدي اذ لا ثقل في ذلك ولم يجزه في اليا لثقل الحركة
المجانسة لها عليها وهذا فيه غض من قراءة ابي بكر لكنه قد تواتر قراءة فهو مقبول وقرا ابو عمرو وقالون عن نافع بفتح اليا
واختلاس فتحة الهاء وتشديد الدال وذلك انهما لما نقلا الفتحة للادغام اختلسا الفتحة تنبيها على ان الهاء ليس اصلها
الحركة بل السكون وقرا ابن كثير وابن عامر وورش باكمال فتحة الهاء على اصل النقل وقد روي عن ابي عمرو وقالون اختلاس
كسرة الهاء على اصل التقاء الساكنين والاختلاس للتنبيه على ان اصل الهاء السكون كما تقدم وقرا اهل المدينة خلا ورشا
بفتح اليا وسكون الهاء وتشديد الدال وهذه القراءة استشكلها جماعة من حيث الجمع بين الساكنين قال المبرد من رام هذا
لا بد ان يحرك حركة خفية وقال ابو جعفر النحاس لا يقدر احد ان ينطق به قال شهاب الدين وقد قال في التيسير والنص
عن قالون بالاسكان قلت ولا بعد في ذلك فقد تقدم ان بعض القراء يقرا نعما ولا تعدوا بالجمع بين الساكنين وتقدم
قراءة كثيرة في قوله يخطف ابصارهم وسياتي مثل هذا في يخصمون وقرا الاخوان يهدي بفتح اليا وسكون الهاء وتخفيف
الدال من هدى يهدي وفيه قولان احدهما ان هدى بمعنى اهتدى والثاني انه متعد ومفعوله محذوف كما تقدم وتقدم
قول الكسائي والفراء في ذلك ورد المبرد عليهما وقال ابن عطية والذي اقول ان قراءة حمزة والكسائي يحتمل ان يكون المعنى
امن لا يهدي احدا الا ان يهدى ذلك الاحد بهداية الله واما على غيرها من القراءات التي مقتضاها امن لا يهتدي الا
ان يهدى فيتجه المعنى على ما تقدم ثم قال وقيل تم الكلام عند قوله امن لا يهدي اي لا يهدي غيره ثم قال الا ان
يهدى استثناء منقطع اي لكنه يحتاج الى ان يهدى كما تقول فلان لا يسمع غيره الا ان يسمع اي لكنه يحتاج الى ان يسمع
انتهى ويجوز ان يكون استثناء متصلا لانه اذ ذاك يكون فيهم قابلية الهداية بخلاف الاصنام ويجوز ان يكون استثناء
من عام المفعول له اي لا يهتدي بشي من الاشياء الا لاجل ان يهدى بغيره **قوله** فما لكم مبتدا وخبر ومعنى الاستفهام
هنا الانكار والتعجب اي اي شي لكم في اتخاذ هؤلاء اذ كانوا عاجزين عن هداية انفسهم فكيف يمكن ان يهدوا غيرهم وقد تقدم
ان بعض النحويين نص على ان مثل هذا التركيب لا يتم الا بحال نحو فما لهم عن التذكرة معرضين وما لنا لا نؤمن الى غير ذلك وهنا لا يمكن

ان تقدر الجملة بعد هذا التركيب لاسم لا حال بعده حالا لانها استفهامية والاستفهامية لا تقع حالا وقوله كيف
تحكمون استفهام اخر اي كيف تحكمون بالباطل وتجعلون لله اندادا وشركا **فصل** المعنى هل من شركائكم من يهدي
من يرشد الى الحق فاذا قالوا لا ولا بد لهم من ذلك قل الله يهدي للحق اي الى الحق افمن يهدي الى الحق احق ان يتبع امن لا
يهدي الا ان يهدى اي الله الذي يهدي الى الحق احق بالاتباع ام الصنم الذي لا يهتدي الا ان يهدى فان قيل الاصنام
جمادات لا تقبل الهداية فكيف قال الا ان يهدى والصنم لا يتصور ان يهدي ولا ان يهدى **فالجواب** من وجوه
احدها ان المراد من قوله هل من شركائكم من يهدي الى الحق رؤساء الكفر والضلالة والدعاة اليها لقوله تعالى اتخذوا احبارهم
ورهبانهم اربابا من دون الله الى قوله سبحانه عما يشركون اي ان الله تعالى هدى الخلق الى الدين بالدلائل العقلية والنقلية
وهؤلاء الدعاة لا يقدرون ان يهدوا غيرهم الا اذا هداهم الله فكان التمسك بدين الله اولى من قبول قول هؤلاء الجهال
وثانيها ان معنى الهداية في حق الاصنام الانتقال والهدى عبارة عن النقل والحركة يقال اهديت المراة الى زوجها اذا نقلت
اليه والهدي ما يهدى الى الحرم من النعم وسميت الهدية هدية لانتقالها من شخص الى غيره وجاء فلان يهادى بين رجلين
اذا كان يمشي معتمدا عليهما لضعفه وتمايله واذا ثبت ذلك فالمراد انها لا تنتقل من مكان الى مكان الا ان تحمل وتنقل
يبين عجز الاصنام وثالثها انه ذكر الهداية على وجه المجاز لان المشركين لما اتخذوا الاصنام الهة وانها تشفع لهم في الاخرة
وانزلوها منزلة من يعقل فلذلك عبر عنها كما يعبر عمن يعلم ويعقل ورابعها ان يحمل ذلك على التقدير اي انها لو كانت بحيث
يمكنها ان تهتدي فانها لا تهدي غيرها ثم قال فما لكم كيف تحكمون اي تقضون حين زعمتم ان لله شريكا **قوله تعالى**
وما يتبع اكثرهم الا ظنا الاية اي يقولون ان الاصنام الهة وانها تشفع لهم في الاخرة ظنا لم يرد به كتاب ولا رسول واراد
بالاكثر جميع من يقول ذلك وقيل وما يتبع اكثرهم في اقرارهم بالله الا ظنا لانه قول غير مستند الى برهان عندهم بل سمعوه من
اسلافهم وهذا القول اولى لانا في الاول نحتاج الى ان نفسر الاكثر بالكل **قوله** لا يغني جزاء وشيئا منصوب على المصدر
اي شيئا من الاغناء ومن الحق نصب على الحال من شيئا لانه في الاصل صفة له ويجوز ان يكون بمعنى بدل اي لا يغني بدل الحق
وقرا الجمهور يفعلون على الغيبة وقرا عبد الله تفعلون خطابا وهو التفات بليغ ومعنى الاية ان الظن لا يدفع عنهم
من عذاب الله شيئا وقيل لا يقوم مقام العلم **فصل** تمسك نفاة القياس بهذه الاية فقالوا العمل بالقياس
عمل بالظن فوجب ان لا يجوز لهذه الاية واجيبوا بان الدليل الذي دل على وجوب العمل بالقياس معلوما فلم يكن العمل بالقياس
مظنونا فاجابوا بانه لو كان الحكم المستفاد من القياس يعلم كونه حكم الله تعالى لكان تارك العمل به كافرا لقوله تعالى ومن لم
يحكم بما انزل الله فاولئك هم الكافرون ولما لم يكن كذلك بطل العمل به ثم عبروا عن هذه الحجة فقالوا الحكم المستفاد من القياس
اما ان يعلم كونه حكم الله تعالى او يظن او لا يعلم ولا يظن والاول باطل والا لكان من لم يحكم به كافرا لقوله تعالى ومن لم يحكم
بما انزل الله فاولئك هم الكافرون وبالاتفاق ليس كذلك والثاني باطل لان الحكم بالظن لا يجوز لقوله تعالى ان الظن لا يغني
من الحق شيئا والثالث باطل لانه اذا لم يكن ذلك الحكم معلوما ولا مظنونا كان مجرد التشهي فكان باطلا لقوله تعالى اضاعوا
الصلاة واتبعوا الشهوات واجاب مثبتو القياس بان حاصل هذا الدليل يرجع الى التمسك بالعمومات والتمسك بالعمومات
لا يفيد الا الظن فاذا دلت العمومات على المنع من التمسك بالظن لزم كونها دالة على المنع من التمسك بها وما افضى ثبوته
الى نفيه كان متروكا فان قيل دلت هذه الاية على ان من كان ظانا في مسائل الاصول ولم يكن قاطعا فانه لا يكون مؤمنا
فان قيل فقول اهل السنة انا مؤمن ان شاء الله يمنع من القطع فوجب ان يلزمهم الكفر **فالجواب** من وجوه الاول انه مذهب
الشافعي ان الايمان عبارة عن مجموع الاعتقاد والاقرار والعمل والشك انما هو في ان هذه الاعمال هل هي موافقة
لامر الله تعالى والشك في احد اجزاء الماهية لا يوجب الشك في تمام الماهية الثاني ان الغرض من قوله ان شاء الله بقاء
الايمان عند الخاتمة الثالث الغرض منه هضم النفس وكسرها **قوله تعالى** وما كان هذا القران ان يفترى من دون الله
الاية لما تقدم قول القوم ويقولون لولا انزل عليه اية من ربه وذكروا ذلك لاعتقادهم ان القران ليس بمعجز وان محمدا انما
اتى به من عند نفسه افتعالا واختلاقا وذكر تعالى اجوبة كثيرة عن هذا الكلام واستدت تلك البينات الى هذا الموضع
بين تعالى هنا ان اتيان محمد عليه الصلاة والسلام بهذا القران ليس هو افتراء على الله تعالى وانما هو وحي نازل عليه
من عند الله ثم احتج على صحة هذا الكلام بقوله قل فاتوا بسورة من مثله وذلك يدل على انه معجز من عند الله وانه مبرا
عن الافتعال والافتراء قوله ان يفترى فيه وجهان احدهما انه خبر كان تقديره وما كان هذا القران افتراء اي ذا افتراء
او جعل نفس المصدر مبالغة او يكون بمعنى مفترى والثاني زعم بعضهم ان ان هذه هي المضمرة بعد لام الجحود والاصل وما
كان هذا القران ليفترى فلما حذفت لام الجحود ظهرت ان وزعم ان اللام وان يتعاقبان فتحذف هذه تارة وتثبت الاخرى
وهذا قول مرغوب عنه وعلى هذا القول يكون خبر كان محذوفا وان وما في حيزها متعلقة بذلك الخبر وقد تقدم تحرير ذلك

ومن دون الله متعلق بيفترى والقائم مقام الفاعل ضمير عائد على القرآن **قوله** ولكن تصديق تصديق عطف على
خبر كان ووقعت لكن هنا احسن موقع اذ هي بين نقيضين وهما الكذب والتصديق المتضمن للصدق وقرأ الجمهور تصديق
وتفصيل بالنصب وفيه وجوه احدها العطف على خبر كان كما تقدم ومثله ما كان محمد ابا احد من رجالكم ولكن رسول الله والثاني
انه خبر كان مضمرة تقديره ولكن كان تصديق واليه ذهب الكسائي والفراء وابن سعدان والزجاج وهذا كالذي قبله في المعنى
والثالث انه منصوب على المفعول من اجله بفعل مقدر اي وما كان هذا القرآن ان يفترى ولكن انزل للتصديق والرابع
انه منصوب على المصدر بفعل مقدر ايضا والتقدير ولكن يصدق تصديق الذي بين يديه من الكتب وقرأ عيسى بن عمر تصديق
بالرفع وكذلك التي في يوسف ووجهه الرفع على خبر مبتدأ محذوف اي ولكن هو تصديق ومثله قول الشاعر

• ولست الشاعر السفساف فيهم • ولكن مدره الحرب العوان •

برفع مدره على تقدير انا مدره وقال مكي ويجوز عندهما اي الكسائي والفراء الرفع على تقدير ولكن هو تصديق كانه لم
يطلع على انها قراءة وقد ورد في قراءات السبعة التخفيف والتشديد في لكن نحو ولكن الشياطين ولكن الله رمى **قوله**
لا ريب فيه اوجه احدها ان يكون حالا من الكتاب وجاز مجيء الحال من المضاف اليه لانه مفعول في المعنى وتفصيل الكتاب
منفيا عنه الريب والثاني انه مستانف فلا محل له من الاعراب والثالث انه معترض بين تصديق وبين من رب العالمين
قلت هو داخل في حيز الاستدراك كانه قيل ولكن كان تصديقا وتفصيلا منتفيا عنه الريب كائنا من رب العالمين ويجوز
ان يراد ولكن كان تصديقا وتفصيلا من رب العالمين متعلقا بتصديق وتفصيل ويكون لا ريب فيه اعتراضا كما تقول
زيد لا شك فيه كريم انتهى **قوله** من رب يجوز فيه اوجه احدها ان يكون متعلقا بتصديق او بتفصيل ويكون المسألة
من باب التنازع او يصح ان يتعلق بكل من العاملين من جهة المعنى وهذا هو الذي اراد الزمخشري بقوله فيكون من رب متعلقا
بتصديق وتفصيل يعني انه متعلق بكل منهما من حيث المعنى واما من حيث الاعراب فلا يتعلق الا باحدهما واما الآخر فيعمل
في ضميره كما تقدم تحريره والاعمال هنا حينئذ انما هو للثاني بدليل الحذف من الاول والوجه الثاني ان من رب حال ثانية
والثالث انه متعلق بذلك الفعل المقدر اي انزل للتصديق من رب **فصل** المعنى وما ينبغي لمثل هذا القرآن
ان يفترى من دون الله كقوله وما كان المؤمنون لينفروا كافة وما كان الله ليذر المؤمنين وما كان الله ليطلعكم على
الغيب اي ليس وصف هذا القرآن وصف شيء يمكن ان يفترى على الله والافتراء افتعال من فريت الاديم اذا قدرته للقطع
ثم استعمل في الكذب كما استعمل قولهم اختلق فلان الحديث في الكذب ثم انه تعالى احتج على صحة الدعوى بامور الاول قوله
ولكن تصديق الذي بين يديه اي ان محمدا عليه الصلاة والسلام كان رجلا اميا لم يتعلم العلم وما كانت مكة بلد
العلماء وليس فيها شيء من كتب العلم ثم انه عليه الصلاة والسلام اتى بهذا القرآن المشتمل على اقاصيص الاولين والقوم
كانوا في غاية العداوة له فلو لم تكن هذه الاقاصيص موافقة لما في التوراة والانجيل لقدحوا فيه وبالغوا في الطعن فلما لم
يقل احد ذلك مع شدة حرصهم على الطعن فيه علمنا انه اتى بتلك الاقاصيص مطابقة للتوراة والانجيل مع انه ما طالعهما
ولا تلمذ لاحد فيها فدل ذلك على انه انما اتى بهذه الاشياء من قبل الوحي الحجة الثانية ان كتب الله المنزلة دلت على مقدم محمد
عليه الصلاة والسلام كما تقدم في تفسير قوله واوفوا بعهدي اوف بعهدكم فكان مجيء محمد عليه الصلاة والسلام موافقا
لما في تلك الكتب ومصدقا لما فيها من البشارة بمجيئه فكان هذا عبارة عن تصديق الذي بين يديه الدليل الثاني قوله تعالى
وتفصيل كل شيء واعلم ان العلوم اما ان تكون دينية او ليست دينية والقسم الاول ارفع حالا واعظم شانا من القسم
الثاني والدينية اما ان تكون علم العقائد والاديان او علم الاعمال فاما علم العقائد والاديان فهو عبارة عن معرفة
ذاته ومعرفة صفات جلاله وصفات افعاله واحكامه واسمائه والقرآن مشتمل على دلائل هذه المسائل وتفاريعها وتفاصيلها
على وجه لا يساويه شيء من الكتب ولا يقرب منه واما علم الاعمال فهو اما عبارة عن علم التكاليف الظاهرة وهو علم الفقه
ومعلوم ان جميع الفقهاء انما استنبطوا مباحثهم من القرآن واما عبارة عن علم الباطن ورياضة القلوب ففي القرآن من مباحث
هذا العلم ما لا يكاد يوجد في غيره كقوله خذ العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين وقوله ان الله يامر بالعدل والاحسان
الآية الى غير ذلك فثبت ان القرآن مشتمل على تفاصيل جميع العلوم الشريفة وكان ذلك معجزا ثم قال لا ريب فيه من رب العالمين
وذلك ان الكتاب الطويل المشتمل على العلوم الكثيرة لا بد وان يقع فيه نوع من التناقض وحيث خلا هذا الكتاب عنه علمنا انه
من عند الله قال تعالى ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا **قوله** ام يقولون افتراه لما اقام الدلائل
على ان هذا القرآن لا يليق بحاله ان يكون مفترى اعاد مرة اخرى بلفظ الاستفهام على سبيل الانكار ابطال هذا القول
فقال ام يقولون افتراه وقد تقدم تقرير هذه الحجة في البقرة عند قوله وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا **قوله**
ام يقولون في ام هذه وجهان احدهما انها منقطعة فتقدر ببل والهمزة عند سيبويه واتباعه والتقدير بل أتقولون انتقل

عن الكلام الاول واخذ في انكار قول آخر والثاني انها متصلة ولا بد حينئذ من حذف جملة ليصح التعادل
والتقدير اتقرون به ام يقولون افتراه وقال بعضهم ام هذه بمنزلة الهمزة فقط وعبر بعضهم عن ذلك فقال الميم زائدة
على الهمزة وهذا قول ساقط اذ زيادة الميم قليلة جدا لا سيما هنا وزعم ابو عبيدة انها بمعنى الواو والتقدير ويقولون
افتراه **قوله** قل فاتوا جواب شرط مقدر قال الزمخشري قل ان كان الامر كما تزعمون فاتوا انتم على وجه الافتراء
بسورة مثله فانتم مثله في العربية والفصاحة والابلغية وقرأ عمرو بن فايد بسورة مثله فانتم مثله باضافة سورة
الى مثله على حذف الموصوف واقامة الصفة مقامه والتقدير بسورة كتاب مثله او بسورة كلام مثله ويجوز ان يكون
التقدير فاتوا بسورة بشر مثله فالضمير يجوز ان يعود في هذه القراءة على القرآن وان يعود على النبي صلى الله عليه وسلم
واما في قراءة العامة فالضمير للقرآن فقط فان قيل لم قال في البقرة فاتوا بسورة من مثله وقال هاهنا فاتوا بسورة مثله
فالجواب ان محمدا عليه الصلاة والسلام كان اميا لم يتلمذ لاحد ولم يطالع كتابا فقيل في سورة البقرة فاتوا بسورة
من مثله اي فليأت انسان يساوي محمدا في هذه الصفات وعدم الاشتغال بالعلوم بسورة تساوي هذه السورة وحيث لا
يقدرون على ذلك فظهر ان مثل هذه السورة من انسان مثل محمد عليه الصلاة والسلام في عدم التلمذ والتعلم يكون معجزا
وههنا بين ان السورة في نفسها معجزة فان الخلق وان تلمذوا وتعلموا فانه لا يمكنهم الاتيان بمعارضة سورة واحدة من هذه السور
فلذلك قال تعالى هاهنا فاتوا بسورة مثله **فصل** تمسكت المعتزلة بهذه الآية على ان القرآن مخلوق قالوا انه عليه
الصلاة والسلام تحدى العرب بالقرآن والمراد بالتحدي انه يطلب الاتيان بمثله منهم فاذا عجزوا عنه ظهر كونه حجة من عند
الله تعالى دالة على صدقه وهذا انما يمكن اذا كان الاتيان بمثله صحيح الوجود في الجملة ولو كان القرآن قديما لكان الاتيان
بمثل القديم محالا لان نفس الامر يوجب ان لا يصح التحدي به واجيبوا بان القرآن اسم دال بالاشتراك على الصفة القديمة
القائمة بذات الله تعالى وعلى هذه الحروف والاصوات المحدثة ولا نزاع في ان هذه الكلمات المركبة من هذه الحروف والاصوات
محدثة مخلوقة والتحدي انما وقع بها لا بالصفة القديمة ثم قال تعالى وادعوا من استطعتم من تعبدون من دون الله
ليعينوكم على ذلك ان كنتم صادقين في ادعاء افترائه والمراد منه كيف يمكن الاتيان بهذه المعارضة لو كانوا قادرين
عليها وتقريره ان الجماعة اذا تعاونت وتعاضدت صارت تلك العقول الكثيرة كالعقل الواحد فاذا توجهوا نحو شيء
واحد قدر مجموعهم على ما يعجز عنه كل واحد عند انفراده فكأنه تعالى يقول هب ان عقل الواحد والاثنين منكم لا يفي بالتحدي
معارضة القرآن فاجتمعوا وليعن بعضكم بعضا في هذه المعارضة فاذا عرفتم عجزكم حالة الاجتماع وحالة الانفراد
عن هذه المعارضة فحينئذ يظهر ان تعذر هذه المعارضة انما كان لان قدرة البشر عاجزة عنها فحينئذ يظهر ان ذلك
فعل الله لا فعل البشر وظهر بما تقرر ان مراتب تحدي رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقرآن ست الاولى انه تحداهم
بكل القرآن في قوله قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان ياتوا بمثل هذا القرآن لا ياتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا
وثانيها انه عليه الصلاة والسلام تحداهم بعشر سور في قوله فاتوا بعشر سور مثله مفتريات وثالثها انه تحداهم بسورة واحدة
في قوله فاتوا بسورة مثله ورابعها تحداهم بحديث مثله في قوله فلياتوا بحديث مثله وخامسها ان في تلك المراتب الاربع
كان يطلب منهم ان ياتي بالمعارضة رجل يساوي رسول الله في عدم التلمذ والتعليم ثم في سورة يونس طلب منهم معارضة
سورة واحدة من اي انسان كان سواء تعلم العلوم او لم يتعلمها وسادسها ان في المراتب المتقدمة تحدى كل واحد من الخلق
وفي هذه المرتبة تحدى مجموعهم وجوز ان يستعين البعض بالبعض في الاتيان بهذه المعارضة كما قال وادعوا من استطعتم
من دون الله فهذا مجموع الدلائل التي ذكرها الله تعالى في اثبات القرآن معجز ثم انه تعالى ذكر السبب الذي لاجله كذبوا
بالقرآن فقال بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه يعني كذبوا بالقرآن ولم يحيطوا بعلمه **قوله** ولما ياتهم تاويله جملة حالية
من الموصول اي سارعوا الى تكذيبه حال عدم اتيان التاويل قال الزمخشري فان قلت ما معنى التوقع في قوله تعالى ولما ياتهم
تاويله قلت معناه انهم كذبوا به على البديهة قبل التدبر ومعرفة التاويل ثم قال ايضا ويجوز ان يكون المعنى ولم ياتهم بعد
تاويله فيه من الاخبار بالغيوب اي عاقبته حتى يتبين لهم اكذب هو ام صدق انتهى وفي وضعه لم موضع لما نظر لما عرف ما بينهما
من الفرق ونفي جملة الاحاطة بلم وجملة اتيان التاويل بلما لان لم للنفي المطلق على الصحيح ولما لنفي الفعل المتصل بزمن الحال
فالمعنى ان عدم التاويل متصل بزمن الاخبار **فصل** قيل المعنى بل كذبوا بالقرآن ولما ياتهم تاويله اي عاقبة ما وعد
الله في القرآن انه يؤول اليه امرهم من العقوبة يريد انهم لا يعلمون ما يؤول اليه عاقبة امرهم وقيل كلما سمعوا شيئا من القصص
قالوا ليس في هذا الكتاب الا اساطير الاولين ولم يعرفوا ان المقصود منها ليس هو نفس الحكاية بل امور اخر وهو بيان قدرة الله تعالى
على التصرف في هذا العالم ونقل اهله من العز الى الذل ومن الذل الى العز وذلك دليل على القدرة الكاملة وايضا فيه اعلى ان
الدنيا فانية غير باقية كما قال تعالى لقد كان في قصصهم عبرة لاولي الالباب وايضا فيها دلالة على المعجز لكون النبي عليه الصلاة

والسلام لم يتعلم ولم يتلمذ لاحد فدل ذلك على انه وحي من الله تعالى كما قال في سورة الشعرا بعد ذكر القصص وانه لتنزيل رب العالمين نزل به الروح الامين على قلبك لتكون من المنذرين وقيل انهم كلما سمعوا حروف التهجي في اوايل السور ولم يفهموها ساء ظنهم بالقران فاجاب تعالى بقوله هو الذي انزل عليك الكتاب منه ايات محكمات وقيل انهم لما سمعوا القران ينزل شيا فشيا ساء ظنهم فقالوا لولا نزل عليه القران جملة واحدة فاجاب تعالى بقوله كذلك لنثبت به فوادك وقيل ان القران لما كان مملوا من اثبات الحشر والنشر وكانوا الفوا الحياة فاستبعدوا حصول الحياة بعد الموت فكذبوا بالقران وقيل ان القران لما كان مملوا بالامر بالصلوة والزكوة والعبادات قال القوم ان اله العالم غني عنا وعن طاعتنا وانه تعالى اجل ان يامرنا بشي لا فايدة فيه فاجاب الله عنه بقوله ان احسنتم احسنتم لانفسكم وان اساتم فلها وبالجملة فشبهات الكفار كثيرة فهم لما راوا القران مشتملا على امور ما عرفوا حقيقتها ولم يطلعوا على وجه الحكمة فيها لا جرم كذبوا بالقران **قوله** كذلك نعت لمصدر محذوف اي مثل ذلك التكذيب كذب الذين من قبلهم اي قبل النظر والتدبر وقوله فانظر كيف كان كيف خبر كان والاستفهام معلق للنظر قال ابن عطية قال الزجاج كيف في موضع نصب على خبر كان ولا يجوز ان يعمل فيها انظر لان ما قبل الاستفهام لا يعمل فيه هذا قانون النحويين لانهم عاملوا كيف في كل مكان معاملة الاستفهام المحض في قولك كيف زيد ولكيف تصرفات اخر تتحمل فيها معنى المصدر الذي هو كيفية وتخلع معنى الاستفهام ويحتمل هذا الموضع ان يكون منها ومن تصرفاتها قولهم كن كيف شئت وانظر قول البخاري كيف كان بدء الوحي فانه لم يستفهم انتهى فقول الزجاج لا يجوز ان يعمل انظر في كيف يعني لا يتسلط عليها ولكن هو يتسلط على الجملة المنسحب عليها حكم الاستفهام وهكذا سبيل كل تعليق قال وقول ابن عطية هذا قانون النحويين الى اخره ليس كما ذكر بل لكيف معنيان احدهما الاستفهام المحض وهو سوال عن الهيئة الا ان يعلق عنها العامل فمعناها معنى الاسماء التي يستفهم بها اذا علق عنها العامل والثاني الشرط كقول العرب كيف تكون اكون وقوله ولكيف تصرفات الى اخره ليس كيف تحمل المصدر ولا لفظ كيفية هو مصدر انما ذلك نسبة الى كيف وقوله ويحتمل ان يكون هذا الموضع منها ومن تصرفاتها قولهم كن كيف شئت لا يحتمل ان يكون منها لانه لم يثبت لها المعنى الذي ذكر من كون كيف بمعنى كيفية وادعاء مصدر كيفية واما كن كيف شئت فكيف ليست بمعنى كيفية وانما هي شرطية وهو المعنى الثاني الذي لها وجوابها محذوف التقدير كيف شئت فكن كما تقول قم متى شئت فمتى اسم شرط ظرف لا يعمل فيه قم والجواب محذوف التقدير متى شئت فقم وحذف الجواب لدلالة ما قبله عليه كقولهم اضرب زيدا ان اساء اليك فاضربه وحذف فاضربه لدلالة اضرب المتقدم عليه واما قول البخاري كيف كان بدء الوحي فهو استفهام محض اما على سبيل الحكاية كان سائلا ساله فقال كيف كان بدء الوحي واما ان يكون من قوله كانه سال نفسه كيف كان بدء الوحي فاجاب بالحديث الذي فيه كيفية ذلك وقوله الظالمين من وضع الظاهر موضع المضمر ويجوز ان يراد به ضمير من عاد عليه ضمير بل كذبوا وان يراد به الذين من قبلهم ومعنى الاية انهم لما طلبوا الدنيا وتركوا الاخرة فلما ماتوا فاتتهم الدنيا والاخرة فبقوا في الخسار العظيم وقيل المراد عذاب الاستيصال الذي نزل بالامم السالفة **قوله** ومنهم من يومن به الاية لما قال فانظر كيف كان عاقبة الظالمين والمراد منه تسليط العذاب عليهم في الدنيا اتبعه بقوله ومنهم من يومن به تنبيها على ان الصلاح عنده تعالى كان في هذه الطايفة والاقرب ان الضمير في قوله به يرجع الى العذاب لانه المذكور من قبل وقيل الى القران واختلفوا في قوله ومنهم من يومن به لان يومن يصلح للحال والاستقبال فحمله بعضهم على الحال اي ومنهم من يومن بالقران باطنا لكنه يتعمد الجحد ومنهم من باطنه كظاهره وقيل المراد الاستقبال اي منهم من يومن به في المستقبل بان يتوب عن الكفر ومنهم من يصر على الكفر وربك اعلم بالمفسدين اي باحوالهم هل يبقوا على الكفر او يتوبوا ثم قال وان كذبوك فقل لي عملي ولكم عملكم انتم بريون مما اعمل وانا بري مما تعملون هذا كقوله تعالى لنا اعمالنا ولكم اعمالكم وقوله لكم دينكم ولي دين ومعنى الكلام الردع والزجر وقيل معناه استمالة قلوبهم قال مقاتل والكلبي هذه الاية منسوخة باية السيف وهذا بعيد لان شرط الناسخ ان يكون رافعا لحكم المنسوخ ومدلول هذه الاية اختصاص كل واحد بافعاله وبثمراتها من الثواب والعقاب وذلك لا يقتضي حرمة القتال فما رفع شيا من مدلولات هذه الاية فكان القول بالنسخ باطلا **قوله** ومنهم من يستمعون اليك الاية لما قسم الكفار في الاية الاولى الى من يومن ومن لا يومن قسم ههنا من لا يومن الى قسمين منهم من يكون في نهاية البغض والعداوة ومنهم من لا يكون كذلك فوصف ههنا القسم الاول فقال ومنهم من يستمعون اليك مع انه يكون كالاصم من حيث انه لا ينتفع البتة بذلك الكلام فان الانسان اذا قوي بغضه لانسان اخر كان معرضا عن سماع كلامه ولا يلتفت اليه كما ان الصمم في الاذن يمنع ادراك الصوت والعمى في العين يمنع ادراك البصر فكذا البغض الشديد يمنع من الوقوف على محاسن كلامه ويمنع الوقوف على محاسن من يعاديه **قوله** من يستمعون اعاد الضمير جمعا مراعاة لمعنى من والاكثر مراعاة لفظه كقوله ومنهم من ينظر اليك قال ابن عطية جاء ينظر على لفظ من واذا جاء على لفظها جاز ان يعطف عليه اخر على المعنى واذا جاء اولا على معناها فلا يجوز ان يعطف

باخر على اللفظ لان الكلام يلتبس حينئذ قال ابو حيان وليس كما قال بل يجوز ان تراعي المعنى اولا فتعيد الضمير على حسب ما يريد به من المعنى من تانيث وتثنية وجمع ثم تراعي اللفظ فتعيد الضمير مفردا مذكرا وفي ذلك تفصيل تقدم اول البقرة

فصل اخبر تعالى في الايتين ان الايمان والتوفيق به لا يحصل الا بمشية الله تعالى فقال ومنهم من يستمعون اليك باسماعهم الظاهرة ولا ينفعهم افانت تسمع الصم يريد صم القلب ولو كانوا لا يعقلون ومنهم من ينظر اليك بعينه الظاهرة ولا ينفعه افانت تهدي العمي يريد عمي القلب ولو كانوا لا يبصرون وهذه تسلية من الله عز وجل لنبيه عليه الصلاة والسلام يقول انك لا تقدر ان تسمع من سلبته السمع ولا ان تهدي من سلبته البصر ولا ان توفق للايمان من حكمت عليه بانه لا يومن والمقصود اعلام الرسول عليه الصلاة والسلام بانهم قد بلغوا في مرض العقل الى حيث لا يقبلون العلاج فالطبيب اذا راى مريضا لا يقبل العلاج اعرض عنه ولم يستوحش من عدم قبوله للعلاج فكذلك انت لا تستوحش من حال هولاء الكفار

فصل احتج اهل السنة بهذه الاية على ان افعال العباد من الله تعالى لان الاية دلت على ان قلوب الكفار بالنسبة الى الايمان كالاصم بالنسبة الى سماع الكلام وكالاعمى بالنسبة الى نظر الاشياء فكما ان هذا ممتنع فكذلك حصول الايمان في القلب ليس باختيار الانسان واحتج المعتزلة على صحة قولهم بقوله تعالى بعدها ان الله لا يظلم الناس شيا ولكن الناس انفسهم يظلمون فدل ذلك على انه تعالى ما الجاهم الى ان يفعلوا القبايح ولكنهم يقدمون عليها باختيارهم واجاب الواحدي بانه تعالى انما نفى الظلم عن نفسه بانه يتصرف في ملكه بنفسه ومن كان كذلك لم يكن ظالما وانما قال ولكن الناس انفسهم يظلمون لان الفعل منسوب اليهم بسبب الكسب

فصل احتج ابن قتيبة بهذه الاية على ان السمع افضل من البصر لانه تعالى قرن بذهاب السمع ذهاب العقل ولم يقرن بذهاب النظر الا ذهاب البصر فكان السمع افضل من البصر ورده ابن الانباري بان الذي نفاه الله من السمع بمنزلة ما نفاه من البصر لان الله تعالى اراد ابصار القلوب ولم يرد ابصار العيون والذي يبصره القلب هو الذي يعقله واحتج ابن قتيبة بحجة اخرى فقال كلما ذكر الله السمع في القران فانه غالبا يقدم السمع على البصر فدل على ان السمع افضل من البصر وذكر بعض الناس في تفضيل السمع على البصر وجوها اخر احدها ان العمى قد وقع في حق الانبياء عليهم الصلاة والسلام واما الصمم فغير جائز عليهم لانه يخل باداء الرسالة لانه اذا لم يسمع كلام السايل تعذر عليه الجواب فيعجز عن تبليغ الشرايع وثانيها ان القوة السامعة تدرك المسموعات من جميع الجهات والقوة الباصرة لا تدرك المرئي الا من جهة المقابلة وحدها وثالثها ان الانسان انما يستفيد العلم من استاذه الا بقوة السمع ولا يتوقف على قوة البصر فكان السمع افضل ورابعها انه تعالى قال ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب او القى السمع وهو شهيد والمراد بالقلب ههنا العقل فجعل السمع قرينا للعقل ويويده قوله تعالى وقالوا لو كنا نسمع او نعقل ما كنا في اصحاب السعير فجعلوا السمع سببا للخلاص من عذاب السعير وخامسها ان المعنى الذي به يمتاز الانسان من ساير الحيوانات هو النطق وانما ينتفع بذلك القوة السامعة فمتعلق السمع النطق الذي شرف الانسان به ومتعلق البصر ادراك الالوان والاشكال وذلك امر يشترك فيه الناس وساير الحيوانات فوجب ان يكون السمع افضل من البصر وسادسها ان الانبياء عليهم الصلاة والسلام يراهم الناس ويسمعون كلامهم فنبوتهم ما حصلت بما معهم من الصفات المرئية وانما حصلت بما معهم من الاقوال المسموعة وهو تبليغ الشرايع والاحكام فوجب ان يكون المسموع افضل من المرئي فلزم كون السمع افضل من البصر وقال اخرون البصر افضل من السمع لوجوه الاول قولهم في المثل ليس وراء العيان بيان فدل على ان اكمل وجوه الادراك هو البصر الثاني ان اله القوة الباصرة هي النور واله القوة السامعة هي الهوي والنور اشرف من الهوي فالقوة الباصرة اشرف من القوة السامعة الثالث ان عجايب حكمة الله تعالى في تخليق العين التي هي محل الابصار اكثر من عجايب خلقته في الاذن التي هي محل السماع فانه تعالى جعل تمام روح واحد من الارواح السبعة الدماغية من العصب اله الابصار وركب العين من سبع طبقات وثلاث رطوبات وجعل لحركات العين عضلات كثيرة على صور مختلفة والاذن ليس كذلك وكثرة العناية في تخليق الشي يدل على كونه افضل من غيره الرابع ان البصر يرى ما فوق سبع سموات والسمع لا يدرك ما بعد منه على فرسخ فكان البصر اقوى وافضل وبهذا البيان يدفع قولهم ان السمع يدرك من كل الجوانب والبصر لا يدرك الا من الجانب الواحد الخامس ان كثيرا من الانبيا عليهم الصلاة والسلام سمع كلام الله في الدنيا واختلفوا هل راه احد منهم في الدنيا وايضا فان موسى عليه الصلاة والسلام اسمعه كلامه من غير سبق سوال ولما سال الروية قال لن تراني فدل على ان حال الروية اعلا من حال السمع السادس قال ابن الانباري كيف يكون السمع افضل من البصر وبالبصر يحصل جمال الوجه وبذهابه يذهب عنه وذهاب السمع لا يورث في الانسان عيبا والعرب تسمي العينين كريمتين ولا تصف السمع بمثل ذلك ومنه الحديث من اذهب كريمتيه فصبر واحتسب لم ارض له ثوابا دون الجنة **قوله** لا يظلم الناس شيا يجوز ان ينتصب شيا على المصدر اي شيا من الظلم قليلا ولا كثيرا وان ينتصب مفعولا ثانيا ليظلم بمعنى لا ينقص الناس شيا من اعمالهم **قوله** ولكن الناس قرا الاخوان بتخفيف لكن ومن ضرورة ذلك كسر النون لالتقاء الساكنين وصلا ورفع الناس والباقون بالتشديد ونصب الناس وتقدم توجيه

ذلك في البقرة ومعنى لا يظلم الناس شيئا لانه في جميع افعاله متفضل او عادل ولكن الناس انفسهم يظلمون بالكفر
والمعصية **قوله** ويوم يحشرهم الآية لما وصف الكفار بقلة الاصغا وترك التدبر اتبعه بالوعيد فقال ويوم
يحشرهم يوم منصوب على الظرف وفي ناصبه اوجه احدها انه منصوب بالفعل الذي تضمنه قوله كان لم يلبثوا الثاني
انه منصوب بيتعارفون الثالث انه منصوب بمقدر اي اذكر يوم وقرا الاعمش وحفص عن عاصم يحشرهم بياء الغيبة
والضمير لله تعالى لتقدم اسمه في قوله ان الله لا يظلم **قوله** كان لم يلبثوا تقدم الكلام على كان هذه وهي المخففة
من الثقيلة والتقدير كانهم لم يلبثوا المخفف وكقوله وكان قد ولكن اختلفوا في محل هذه الجملة على اوجه احدها انها في محل
نصب صفة للظرف وهو يوم قاله ابن عطية قال ابو حيان لا يصح لان يوم يحشرهم معرفة والجمل نكرات ولا تنعت المعرفة بالنكرة
ولا يقال ان الجمل التي يضاف اليها اسماء الزمان نكرة على الاطلاق لانها ان كانت في التقدير تنحل الى معرفة وان كان ما
اضيف اليها اسما الزمان نكرة على الاطلاق لانها ان كانت في التقدير تنحل الى معرفة وان ما اضيف اليها تعرف وان كانت
تنحل الى نكرة كان ما اضيف اليها نكرة تقول مررت في يوم قدم زيد الماضي فتصف يوم بالمعرفة وجئت ليلة قدم زيد المبارك
علينا وايضا فكان لم يلبثوا لا يمكن ان يكون صفة لليوم من جهة المعنى لان ذلك من وصف المحشورين لا من وصف يوم حشرهم
وقد يتكلف بعضهم تقدير رابط يربطه فقدره كان لم يلبثوا قبله فحذف قبله اي قبل اليوم وحذف مثل هذا الرابط لا
يجوز قال شهاب الدين قوله بعضهم هو مكي بن ابي طالب فانه قال الكاف وما بعدها من كان صفة لليوم وفي الكلام
حذف ضمير يعود على الموصوف تقديره كان لم يلبثوا قبله فحذف قبل فصارت الهاء متصلة بيلبثوا فحذفت لطول الاسم
كما تحذف من الصلات ونقل هذا التقدير ايضا ابو البقا ولم يسم قائله فقال وقيل فذكره والوجه الثاني ان تكون
الجملة في محل نصب على الحال من مفعول يحشرهم مشبهين بمن لم يلبث الا ساعة هذا تقدير الزمخشري ومجوز الحالية ايضا
ابن عطية ومكي وابو البقا وجعله بعضهم هو الظاهر الوجه الثالث ان تكون الجملة نعتا لمصدر محذوف والتقدير
يحشرهم حشرا كان لم يلبثوا ذكر ذلك ابن عطية وابو البقا ومكي وقدر مكي وابو البقا العايد محذوفا كما قدراه حال جعلها
الجملة صفة لليوم وقد تقدم ما في ذلك الرابع قال ابن عطية ويصح ان يكون قوله كان لم يلبثوا كلاما مجملا لم يبين الفعل
الذي يتضمنه كان لم يلبثوا قال ابو حيان ولعله اراد ما قاله الحوفي من ان الكاف في موضع نصب بما تضمنه من معنى
الكلام وهو السرعة انتهى قال فيكون التقدير ويوم يحشرهم يسرعون حالا من مفعول يحشرهم ويكون كان لم يلبثوا حالا
من فاعل يسرعون ويجوز ان يكون كان لم مفسرة ليسرعون المقدرة **فصل** قال الضحاك كان لم يلبثوا في
الدنيا الا ساعة من النهار وقال ابن عباس كان لم يلبثوا في قبورهم الا قدر ساعة من النهار وقال القاضي الاول اولى
لوجهين احدهما ان حال المومنين كحال الكافرين في انهم لا يعرفون مقدار لبثهم بعد الموت الى وقت الحشر فيجب ان يحمل
ذلك على امر يختص به الكفار وهو انهم لما لم ينتفعوا بعمرهم استقلوه والمومن لما انتفع بعمره فكانه لا يستقله الثاني
انه قال يتعارفون بينهم والتعارف انما يضاف الى حال الحيوة لا الى حال الموت وفي سبب هذا الاستقلال وجوه الاول
قال ابو مسلم انهم لما ضيعوا اعمارهم في طلب الدنيا والحرص على لذاتها لم ينتفعوا بعمرهم البتة فكان وجود ذلك العمر
كالعدم فلهذا استقلوه ونظيره قوله تعالى وما هو بمزحزحه من العذاب ان يعمر الثاني قال الاصم انهم لما شاهدوا
اهوال الاخرة وعظم ما عظم خوفهم فنسوا امور الدنيا والانسان اذا عظم خوفه نسي الامور الظاهرة الثالث قل عندهم
مقامهم في الدنيا في جنب مقامهم في الاخرة الرابع قل عندهم مقامهم في الدنيا لطول وقوفهم في الحشر **قوله تعالى**
يتعارفون فيه اوجه احدها ان الجملة في محل نصب على الحال من الضمير في يلبثوا وهو العامل كانه قال متعارفين
والمعنى اجتمعوا متعارفين والثاني انها حال من مفعول يحشرهم اي يحشرهم متعارفين فالعامل فعل الحشر وعلى هذا
من جوز تعدد الحال جوز ان يكون كان لم حالا اولى وهذه حال ثانية ومن منع ذلك جعل كان لم على ما تقدم من غير
الحالية قال ابو البقا وهي حال مقدرة لان التعارف لا يكون حال الحشر والثالث انها مستانفة اخبر تعالى عنهم بذلك
قال الزمخشري فان قلت كان لم يلبثوا ويتعارفون كيف موقعهما قلت اما الاولى فحال منهم اي يحشرهم مشبهين بمن لم يلبث
الا ساعة واما الثانية فاما ان يتعلق بالظرف يعني فيكون حالا واما ان يكون مبينة لقوله كان لم يلبثوا الا ساعة
لان التعارف لا يبقى مع طول العهد وينقلب تناكرا **فصل** في هذا التعارف وجوه الاول يعرف بعضهم
بعضا كما يعرفون في الدنيا الثاني يعرف بعضهم بعضا ما كانوا عليه من الخطا والكفر ثم تنقطع المعرفة اذا عاينوا العذاب
ويتبرا بعضهم من بعض فان قيل كيف يوافق هذه الآية قوله ولا يسأل حميم حميما **فالجواب** من وجهين احدها
انهم يتعارفون بينهم توبيخ بعضهم بعضا فيقول كل فريق للآخر انت اضللتني يوم كذا وزينت لي الفعل القبيح الفلاني
فهو تعارف توبيخ وتباعد وتقاطع لا تعارف عطف وشفقة واما قوله ولا يسأل حميم حميما اي سؤال رحمة وعطف والثاني

ان يحمل هاتين الآيتين على حالتين وهو انهم يتعارفون اذ بعثوا ثم تنقطع المعرفة فلذلك لا يسأل حميم حميما
قوله قد خسر فيه وجهان احدهما انها مستانفة اخبر تعالى بان المكذبين بلقائه خاسرون لا محالة ولذلك
اتى بحرف التحقيق ويكون هذا شهادة من الله عليهم بالخسران والمعنى ان من باع آخرته بدنياه فقد خسر لانه اعطى
الكثير الباقي في اخذ الخسيس الفاني والثاني ان يكون في محل نصب باضمار قول اي قائلين قد خسر الذين ثم لك في هذا
القول المقدر وجهان احدهما انه حال من مفعول يحشرهم اي يحشرهم قائلين ذلك والثاني انه حال من مفعول يتعارفون
وقد ذهب الى الاستيناف والحالية من فاعل يتعارفون الزمخشري فانه قال هو استيناف فيه معنى التعجب كانه قيل ما اخسرهم
ثم قال فقد خسر على ارادة القول اي يتعارفون بينهم قائلين ذلك وذهب الى انها حال من مفعول يحشرهم ابن عطية **قوله**
وما كانوا مهتدين يجوز فيه وجهان احدهما ان تكون معطوفة على قوله قد خسر فيكون حكمه حكمه والثاني ان تكون معطوفة
على صلة الذين وهي كالتوكيد للجملة التي وقعت صلة لان من كذب بلقاء الله غير مهتد والمراد من الخسران خسران النفس ولا شيء
اعظم منه **قوله** واما نرينك قد تقدم الكلام على اما هذه وقال ابن عطية ولاجلها اي لاجل زيادة ما جاز دخول
النون الثقيلة ولو كانت ان وحدها لم يجز اي ان توكيد الفعل بالنون مشروط بزيادة ما بعد ان وهو مخالف لظاهر
كلام سيبويه وقد جاء التوكيد في الشرط بغير ان كقوله ٭ من يثقفن منهم فليس بآيب ٭ ابدا وقتل بني قتيبة شاف ٭
قال ابن خروف اجاز سيبويه الاتيان بما وان لا يوتى بها والاتيان بالنون مع ما وان لا يوتى بها والاراءة هنا بصرية
ولذلك تعدى الفعل الى اثنين بالهمزة اي نجعلك رائيا بعض الموعودين او بعض الذي نعدهم من العذاب او نتوفينك
قبل ان نريك ذلك فانك ستراه في الآخرة قال مجاهد فكان البعض الذي اراه قتلهم ببدر وسائر انواع العذاب
بعد موته **قوله** فالينا مرجعهم مبتدا وخبر وفيه وجهان اظهرهما انه جواب الشرط وما عطف عليه اذ معناه
صالح لذلك والى هذا ذهب الحوفي وابن عطية والثاني انه جواب لقوله او نتوفينك قبل ان نريك ذلك فانك ستراه
في الآخرة قال مجاهد فكان البعض الذي اراه قتلهم ببدر وسائر انواع العذاب بعد موته **قوله** فالينا
مرجعهم مبتدا وخبر وفيه وجهان اظهرهما انه جواب الشرط فنحن نريك في الآخرة قال ابو حيان فجعل الزمخشري في الكلام
شرطين لهما جوابان ولا حاجة الى جواب محذوف لان قوله فالينا مرجعهم صالح لان يكون جوابا للشرط والمعطوف عليه
وايضا فقول الزمخشري فذاك هو اسم مفرد ولا ينعقد منه جواب شرط فكان ينبغي ان ياتي بجملة يصح منها جواب الشرط
اذ لا يفهم من قوله فذاك الخبر الذي حذف وهو الذي يحصل به فائدة الاسناد قال شهاب الدين قد تقرر ان اسم الاشارة قد
يشار به الى شيئين فاكثر وهو بلفظ الافراد فكان ذاك واقع موقع الجملة الواقعة جوابا ويجوز ان يكون قد حذف الخبر
لدلالة المعنى عليه اذ التقدير فذاك المراد والمعنى او نحوه وقوله اذ لا يفهم الخبر الذي حذف الى آخره ممنوع بل هو مفهوم
كما بينا وهو شيء يتبادر اليه الذهن **قوله** ثم الله شهيد ثم ليست هنا للترتيب الزماني بل هي لترتيب الاخبار
لا لترتيب القصص في انفسها قال ابو البقا كقولك زيد عالم ثم هو كريم وقال الزمخشري فان قلت الله شهيد على ما
يفعلون في الدارين فما معنى ثم قلت ذكرت الشهادة والمراد مقتضاها ونتيجتها وهو العقاب كانه قيل ثم الله معاقب
على ما يفعلون وقرا ابراهيم بن ابي عبلة ثم بفتح الثا جعله ظرفا لشهادة الله فيكون ثم منصوبا بشهيد اي الله شهيد عليهم
في ذلك المكان وهو مكان حشرهم ويجوز ان يكون ظرفا لمرجعهم اي فالينا مرجعهم يعني رجوعهم في ذلك المكان الذي يثاب فيه
المحسن ويعاقب فيه المسيء **قوله تعالى** ولكل امة رسول الآية لما بين حال محمد عليه الصلاة والسلام في قومه بين ان
حال كل الانبياء عليهم الصلاة والسلام مع اقوامهم كذلك وهذه الآية تدل على ان كل جماعة ممن تقدم فقد بعث الله
اليهم رسولا ولم يهمل امة من الامم ويؤيده قوله تعالى وان من امة الا خلا فيها نذير فان قيل كيف يصح هذا مع ما نعلم من احوال
الفترة **فالجواب** ان الدليل الذي ذكرنا لا يوجب ان يكون الرسول حاضرا مع القوم لان تقدم الرسول اليهم
لا يمنع من كونه رسولا اليهم كما لا يمنع تقدم رسولنا من كونه مبعوثا الينا الى آخر الابد وفي الكلام اضمار تقديره اذا جاء
رسولهم وبلغ وكذبه قوم وصدقه آخرون قضي بينهم اي حكم وفصل والمراد من الآية اما بيان ان الرسول اذا بعث الى كل امة
فانه بالتبليغ واقامة الحجة يزيح عللهم ولم يبق لهم عذر فيكون ما يعذبون به في الآخرة عدلا لا ظلما ويدل عليه قوله
وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا وقوله رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل واما ان يكون
المراد ان القوم اذا اجتمعوا في الآخرة جمع الله بينهم وبين رسولهم وقتا للمحاسبة وبيان الفضل بين المطيع والعاصي ليشهد
عليهم بما شاهده منهم وليقع منهم الاعتراف بانه بلغ رسالات ربه ويدل عليه قوله تعالى لتكونوا شهداء على الناس ويكون
الرسول عليكم شهيدا **قوله تعالى** ويقولون متى هذا الوعد الآية وهذه شبهة خامسة من شبهات منكري النبوة فانه
عليه الصلاة والسلام كلما هددهم بنزول العذاب ومر زمان ولم يظهر ذلك العذاب قالوا له متى هذا الوعد فاحتجوا

بعد ظهوره على القدح في نبوته واعلم انهم قالوا ذلك على وجه التكذيب للرسول عليه الصلاة والسلام لما اخبرهم
بنزول العذاب على الاعداء ونصرة الاولياء على وجه الاستبعاد وتدل الاية على ان كل امة قالت لرسولها مثل ذلك
القول بدليل قوله تعالى ان كنتم صادقين لانه جمع وهو موافق لقوله ولكل امة رسول ثم انه تعالى امره بان يجيب عن هذه
الشبهة بجواب يحسم المادة وهو قوله قل لا املك لنفسي ضرا ولا نفعا الا ما شاء الله والمعنى ان انزال العذاب على الاعداء واظهار
النصر للاولياء لا يقدر عليه الا الله سبحانه وانه تعالى ما عين لذلك وقتا معينا بل تعيين الوقت مفوضا الى الله سبحانه
بحسب مشيئته **قوله** الا ما شاء الله فيه وجهان احدهما انه استثناء منقطع اي ولكن ما شاء الله من ذلك كائن
فكيف املك لكم الضرر وجلب العذاب **فصل** احتج المعتزلة بقوله قل لا املك لنفسي نفعا ولا ضرا الا ما شاء الله
بان هذا الاستثناء يدل على كون العبد مستقلا بهما واجيبوا بان هذا الاستثناء منقطع اي ولكن ما شاء الله كائن من ذلك
قوله لكل امة اجل اي مدة مضروبة فاذا جاء اجلهم وقت فناء اعمارهم قرا ابن سيرين فاذا جاء آجالهم فلا يستاخرون
ساعة ولا يستقدمون اي لا يتاخرون ولا يتقدمون وهذه الاية تدل على ان احدا لا يموت الا بانقضاء اجله **فصل**
قوله اذا جاء اجلهم شرط وقوله فلا يستاخرون ساعة ولا يستقدمون جزاء والفاء في الجزاء وجب دخالها في الجزاء فدلت الاية
على ان الجزاء يحصل مع حصول الشرط لا يتاخر عنه وان حرف الفاء لا يدل على التراخي وانما يدل على كونه جزاء واذا ثبت هذا
فنقول اذا قال لامراة اجنبية ان تزوجتك فانت طالق قال بعضهم لا يصح هذا التعليق لان هذه الاية دلت على ان الجزاء
انما يحصل حال حصول الشرط فلو صح هذا التعليق لوجب ان يحصل الطلاق مقارنا للنكاح لما ثبت ان الجزاء يجب حصوله
مع حصول الشرط وذلك يوجب الجمع بين الضدين ولما بطل هذا اللازم وجب ان لا يصح هذا التعليق وقال ابو حنيفة
يصح **قوله** قل ارايتم ان اتاكم عذابه الاية وهذا جواب ثان عن قولهم متى هذا الوعد وقد تقدم الكلام على ارايت
هذه وانها تضمن معنى اخبرني فيتعدى الى اثنين ثانيهما غالبا جملة استفهامية ينعقد منها مع ما قبلها مبتدا وخبر
كقولهم ارايتك زيدا ما صنع وتقدم مذاهب الناس فيها في سورة الانعام ومفعولها الاول في هذه الاية محذوف والمسالة
من باب الاعمال لانه تنازع ارايت واتاكم في عذابه والمسالة من اعمال الثاني اذ هو المختار عند البصريين ولما اعمل الثاني اضمر
في الاول وحذفه لان ابقاءه مخصوص بالضرورة او جائز الذكر على قلة عند آخرين ولو اعمل الاول لاضمر في الثاني اذ الحذف
منه لا يكون الا ضرورة او في قليل من الكلام ومعنى الكلام قل لهم يا محمد اخبروني عن عذاب الله ان اتاكم اي شيء تستعجلون
منه وليس شيء من العذاب يستعجل به لمرارته وشدة اصابته فهو مقتض لنفور الطبع منه قال الزمخشري فان قلت بم
تعلق الاستفهام واين جواب الشرط قلت تعلق بارايتم لان المعنى اخبروني ماذا يستعجل منه المجرمون وجواب الشرط
محذوف وهو تندموا على الاستعجال وتعرفوا الخطا فيه قال ابو حيان وما قدره غير سائغ لانه لا يقدر الجواب الا مما
تقدمه لفظا او تقديرا تقول انت ظالم ان فعلت التقدير ان فعلت فانت ظالم وكذلك وانا ان شاء الله لمهتدون
التقدير ان شاء الله نهتدي فالذي يسوغ ان يقدر ان اتاكم عذابه فاخبروني ماذا يستعجل منه المجرمون وقال
الزمخشري ايضا ويجوز ان يكون ماذا يستعجل منه المجرمون جوابا للشرط وماذا يستعجل منه المجرمون اعتراضا والمعنى
ان اتاكم عذابه امنتم به بعد وقوعه حين لا ينفعكم الايمان قال ابو حيان اما تجويزه ان يكون ماذا جوابا للشرط فلا
يصح لان جواب الشرط اذا كان استفهاما فلا بد فيه من الفاء تقول اذا زارنا فلان فاي رجل هو وان زارنا فلان فاي
يد له بذلك ولا يجوز حذفها الا ان كان في ضرورة والمثال الذي ذكره وهو ان اتيتك ماذا تطعمني هو من تمثيله
لا من كلام العرب واما قوله ثم تتعلق الجملة بارايتم ان عنى بالجملة ماذا يستعجل فلا يصح ذلك لانه قد جعلها جوابا للشرط
وان عنى بالجملة جملة الشرط فقد فسر هو ارايتم بمعنى اخبروني واخبروني يطلب متعلقا مفعولا ولا تقع جملة الشرط
موقع مفعول اخبرني واما تجويزه ان يكون اثم اذا ما وقع امنتم به جوابا للشرط وماذا يستعجل منه المجرمون اعتراضا
فلا يصح ايضا لما ذكرنا من ان جملة الاستفهام لا تقع جوابا للشرط الا ومعها فاء الجواب وايضا فثم هنا هي حرف عطف
تعطف الجملة التي بعدها على التي قبلها فالجملة الاستفهامية معطوفة واذا كانت معطوفة لم يصح ان يقع جواب الشرط
وايضا فارايتم بمعنى اخبروني هو الظاهر المشهور وقال الحوفي الرؤية من رؤية القلب التي بمعنى العلم لانها داخلة على الجملة
من الاستفهام التي معناها التقرير وجواب الشرط محذوف وتقدير الكلام ارايتم ما يستعجل من العذاب المجرمون ان اتاكم
عذابه اي شيء فهذا الظاهر في ان ارايتم غير مضمنة معنى الاخبار وان الجملة الاستفهامية سدت مسد المفعولين ولكن
المشهور الاول **قوله** ماذا يستعجل قد تقدم الكلام على هذه الكلمة ومذاهب الناس فيها وجوز بعضهم هنا ان يكون
مبتدا وخبرا وهو موصول بمعنى الذي ويستعجل صلته وعائده محذوف تقديره اي شيء الذي يستعجله منه اي من العذاب
او من الله تعالى وجوز مكي وغيره ان يكون ماذا كله مبتدا اي يجعل الاسمان بمنزلة اسم واحد والجملة بعده خبر قال ابو علي

وهو ضعيف لخلو الجملة من ضمير يعود على المبتدا كقولك زيدا اخذت منه درهما قال شهاب الدين ومثل ابي علي لا يخفى
عليه مثل ذلك الا انه لا يرى عود الهاء على الموصول لان الظاهر عودها على العذاب قال ابو حيان والظاهر عود الضمير
في منه على العذاب وبه يحصل الرابط لجملة الاستفهام بمفعول ارايتم المحذوف الذي هو مبتدا في الاصل وقال مكي وان شئت
جعلت ماذا بمنزلة اسم واحد في موضع رفع بالابتداء والجملة التي بعده الخبر والهاء في منه تعود ايضا على العذاب قال شهاب
الدين فقد ترك المبتدا بلا رابط لفظي حيث جعل الهاء عائدة على غير المبتدا فيكون العائد عنده محذوفا لكنه قال بعد ذلك فان
جعلت الهاء في منه تعود على الله جل ذكره وماذا اسما واحدا كانت ما في موضع نصب بيستعجل والمعنى اي شيء يستعجل المجرمون
من الله فقوله هذا يؤذن بان الضمير لما عاد على غير المبتدا جعله مفعولا مقدما وهذا الوجه بعينه جائز فيما اذا جعل الضمير
عائدا على الله تعالى اذ العائد الرابط مقدر كما تقدم التنبيه عليه **فصل** حاصل الجواب ان يقال لاولئك
الكفار الذين يطلبون نزول العذاب بتقدير ان يحصل هذا المطلوب ما الفائدة لكم فيه فان قلتم نؤمن عنده فذلك باطل
لان الايمان في ذلك الوقت لا يفيد نفعا البتة لانه ايمان في وقت الجاء النفس فثبت ان الذي تطلبونه لو اتاكم لم يحصل
منه الا العذاب في الدنيا ثم يحصل عقيبه يوم القيامة عذاب اخر اشد منه ثم يقرن ذلك العذاب بكلام يدل على الاهانة
وهو قوله هل تجزون الا بما كنتم تكسبون فالحاصل ان هذا الذي تطلبونه محض الضرر العاري عن جهات النفع والعاقل
لا يفعل ذلك وقوله بياتا اي ليلا يقال بات يبيت ليلتي افعل كذا لان الظاهر ان الانسان يكون في البيت بالليل فجعل هذا
اللفظ كناية عن الليل والبيات مصدر مثل التبييت كالوداع والسراح ويقال في النهار ظللت افعل كذا لان الظاهر
ان الانسان يكون في النهار في الظل وانتصب بياتا على الظرف اي وقت بيات **قوله** اثم قد تقدم خلاف الزمخشري للجمهور
في ذلك حيث يقدر جملة بين همزة الاستفهام وحرف العطف وثم حرف عطف واعلم ان دخول حرف الاستفهام على ثم كدخوله
على الواو والفاء في قوله او امن اهل القرى افامن اهل القرى وهو يفيد التقريع والتوبيخ وقال الطبري اثم هذه
بضم الثاء الا انه قد قرا طلحة بن مصرف اثم بفتح الثاء وحينئذ يصح تفسيرها بمعنى هنالك **قوله** الان وقد تقدم
الكلام في الان وقرا الجمهور الان بهمزة استفهام داخلة على الان وقد تقدم مذاهب القراء في ذلك والان نصب
بمضمر تقديره الان امنتم ودل على هذا الفعل المقدر الفعل الذي تقدمه وهو قوله اثم اذا ما وقع امنتم به ولا يجوز
ان يعمل فيه امنتم الظاهر لان ما قبل الاستفهام لا يعمل فيما بعده كما ان ما بعده لا يعمل فيما قبله لان له صدر الكلام
وهذا الفعل المقدر معمول على اضمار قول اي قيل لهم اذا امنوا بعد وقوع العذاب امنتم الان به وقرا عيسى وطلحة
امنتم به الان بوصل الهمزة من غير استفهام وعلى هذه القراءة فالان منصوب بامنتم هذا الظاهر **قوله** وقد كنتم
به تستعجلون وقد كنتم به تستعجلون يعني تكذبون لان استعجالهم كان على جهة التكذيب والانكار فجعل من باب
الكناية لانه دلالة على الشيء بلازمه نحو هو طويل النجاد كنيت به عن طول قامته لان طول نجاده لازم لطول قامته وهو
باب بليغ وقوله ثم قيل للذين ظلموا هذه الجملة على قراءة العامة عطف على ذلك الفعل المقدر الناصب للان وعلى قراءة طلحة
هو استئناف اخبار عما يقال لهم يوم القيامة وذوقوا وهل تجزون كله في محل نصب بالقول وقوله الا بما هو المفعول الثاني
لتجزون والاول قائم مقام الفاعل وهو استثناء مفرغ **فصل** دلت الاية على ان الجزاء موجب العمل اما عند
الفلاسفة فلانه اثر العمل واما عند المعتزلة فلان العمل الصالح يوجب استحقاق الثواب على الله تعالى واما عند
اهل السنة فلان ذلك الجزاء بحكم الوعد المحض قالت المعتزلة ودلت الاية على كون العبد مكتسبا وعند اهل السنة معناه
ان مجموع القدرة مع الداعية الحاصلة توجب الفعل **قوله تعالى** ويستنبئونك احق هو الاية لما اخبر تعالى عن الكفار
بانهم يقولون متى هذا الوعد واجاب عنه بما تقدم حكى عنهم انهم رجعوا الى الرسول مرة اخرى في هذه الواقعة وسالوه
عن ذلك السؤال مرة اخرى وقالوا احق هو واعلم انهم سالوا اولا عن زمانه ووقوعه وههنا سالوا عن تحققه في نفسه ولهذا
اختلف جوابهما فاجاب عن الاول وهو السؤال عن الزمان بقوله ولكل امة اجل واجاب عن الثاني بتحققه بالقسم بقوله
ولكل امة اجل واجاب عن الثاني بتحققه بالقسم بقوله اي وربي انه لحق وفائدته ان يستميلهم ويتكلم معهم بالكلام
المعتاد لان الظاهر ان من اخبر عن شيء واكده بالقسم فقد اخرجه عن الهزل الى الجد وايضا فان الناس طبقات فمنهم من لا
يقر بشيء الا بالبرهان الحقيقي ومنهم من ينتفع بالاشياء الاقناعية نحو القسم **قوله تعالى** احق هو يجوز ان يكون
حق مبتدا وهو مرفوع بالفاعلية سد مسد الخبر وحق وان كان في الاصل مصدرا ليس باسم فاعل ولا مفعول لكنه في قوة
ثابت فلذلك رفع الظاهر ويجوز ان يكون حق خبرا مقدما وهو مبتدا مؤخرا واختلف في يستنبئونك هذه هل هي متعدية الى
واحد او الى اثنين او الى ثلاثة فقال الزمخشري ويستنبئونك فيقولون احق وظاهر هذه العبارة انها تتعدى لواحد وان
الجملة الاستفهامية في محل نصب بذلك القول المضمر المعطوف على يستنبئونك وكذا هو عند ابي حيان اعني تعديها لواحد وقال

يستنبئونك بمعنى يستخبرونك فاذا جعلت يستنبئونك
مكي احق هو ابتدا وخبر في موضع المفعول الثاني اذا جعلت
بمعنى يستعلمونك كان احق هو ابتدا وخبر في موضع المفعولين لان انبا اذا كان بمعنى اعلم كان متعديا الى ثلاثة مفعولين
يجوز الاكتفاء بواحد ولا يجوز الاكتفاء باثنين دون الثالث واذا كانت انبا بمعنى اخبر تعدت الى مفعولين لا يجوز الاكتفاء
بواحد دون الثاني وانبا ونبا في التعدية سوا وقال ابن عطية معناه يستخبرونك وهو على هذا تعدى الى مفعولين
احدهما الكاف والاخر في الابتدا والخبر فعلى ما قال يستنبئونك معلقة بالاستفهام واصل استنبا ان يتعدى الى
مفعولين احدهما بعن تقول استنبات زيدا عن عمرو اي طلبت منه ان ينبئني عن عمرو ثم قال والظاهر انها تحتاج الى ثلاثة
مفعولين احدها الكاف والابتدا والخبر سد مسد المفعولين قال ابو حيان وليس كما ذكر لان استعلم لا يحفظ كونها متعدية
الى مفاعيل لا انه لا يحفظ استعلمت زيدا عمرا قايما فتكون جملة الاستفهام سدت مسد المفعولين ولا يلزم من كونها بمعنى
يستعلمونك ان يتعدى الى ثلاثة لان استعلم لا يتعدى كما ذكرنا وقد سبق ابن عطية الى هذا مكي كما تقدم عنه والظاهر
جواز ذلك ويكون التعدي الى ثالث قد حصل بالسين لانهم نصوا على ان السين تعدي فيكون الاصل علم زيد عمرا قايما
ثم تقول استعلمت زيدا عمرا قايما الا ان النحويين نصوا على انه لا يتعدى الى ثلاثة الا علم واري المنقولتين بخصوصية
همزة التعدي الى ثالث وانبا ونبا واخبر وخبر وحدث وقرا الاعمش الحق بلام التعريف قال الزمخشري وهو ادخل في الاستهزاء
لتضمنه معنى التعريض بانه باطل وذلك لان اللام للجنس فكانه قيل اهو الحق لا الباطل او هو الذي تسمونه الحق والضمير
اعنى هو عايد اما على العذاب او على الشرع او القران او الوعيد او امر الساعة **قوله** اي وربي اي حرف جواب بمعنى
نعم ولكنها تختص بالقسم اي لا تستعمل الا في القسم بخلاف نعم قال الزمخشري واي بمعنى نعم في القسم خاصة كما كان هل بمعنى
قد في الاستفهام خاصة وسمعتهم يقولون في التصديق ايو فيصلونه بواو القسم ولا ينطقون به وحده وقال ابو حيان
لا حجة فيما سمعه لعدم الحجة في كلام من سمعه لفساد كلامه وكلام من قبله بازمان كثيرة وقال ابن عطية هي لفظة تتقدم
القسم بمعنى نعم ويجي بعدها حرف القسم وقد لا يجي تقول اي وربي اي ربي **قوله** وما انتم بمعجزين يجوز ان تكون
الحجازية وان تكون التميمية لخفا النصب او الرفع في الخبر وهذا عند غير الفارسي واتباعه اعني جواز زيادة البا في خبر
التميمية وهذه الجملة تحتمل وجهين احدهما ان تكون معطوفة على جواب القسم بجملتين احدهما مثبتة بان واللام والاخرى
منفية موكدة بزيادة البا والثاني انها مستانفة سيقت للاخبار بعجزهم عن التعجيز ومعجز من اعجز فهو متعد لواحد
كقوله تعالى ولن نعجزه هربا فالمفعول ههنا محذوف اي بمعجزين الله ومعجز من عجز فهو متعد لواحد وقال الزجاج اي ما انتم
ممن يعجز من يعذبكم ويجوز ان يكون استعمال اللازم لانه قد كثر فيه حذف المفعول حتى قالت العرب اعجز فلان
اذا ذهب في الارض فلم يقدر عليه قال بعض المفسرين المعنى ما انتم بمعجزين اي بفايتين من العذاب لان من عجز عن شي فقد
فاته **قوله تعالى** ولو ان لكل نفس ظلمت ما في الارض لا بتطلت اي تركت ما في الارض لافتدت به الا ان ذلك متعذر
لانه في القيمة لا يملك شيا لقوله تعالى ولا يوخذ منها عدل وقوله ظلمت في محل جر صفة لنفس اي لكل نفس ظالمة وما في
الارض اسم ان ولكل هو الخبر **قوله** لافتدت به افتدى يجوز ان يكون متعديا وان يكون قاصرا فاذا كان مطاوعا
لفدى كان قاصرا تقول فديته فافتدى ويكون بمعنى فدى فيتعدى لواحد والفعل ههنا يحتمل الوجهين فان جعلناه
متعديا فمفعوله محذوف تقديره لافتدت به نفسها وهو في المجاز كقوله كل نفس تجادل عن نفسها **قوله** واسروا قيل
اسر من الاضداد يستعمل بمعنى اظهر كقول الفرزدق • ولما راى الحجاج جرد سيفه • اسر الحروري الذي كان اظهرا •
وقول الاخر • فاسررت الندامة يوم نادى • برد جمال غاضرة المنادي • ويستعمل بمعنى
اخفى وهو المشهور في اللغة كقوله تعالى يعلم ما يسرون وما يعلنون وهو في الاية يحتمل الوجهين وقيل انه ماض على بابه
قد وقع وقيل بمعنى المستقبل لانها لما كانت واجبة الوقوع جعل مستقبلها كالماضي وقد ابعد بعضهم فقال اسروا الندامة
اي بدت بالندامة اسرة وجوههم اي تكاسير جباههم **قوله تعالى** لما راوا يجوز ان يكون حرفا وجوابها محذوف لدلالة
ما تقدم عليه او هو المتقدم عند من يرى تقديم جواب الشرط جايزا ويجوز ان يكون بمعنى حين والناصب لها اسروا
فصل اذا قرنا الاسرار بالاخفا ففيه وجوه الاول انهم لما راوا العذاب الشديد صاروا مبهوتين لم
يطيقوا بكاء ولا صراخا سوى اسرار الندامة كمن يذهب به ليصلب فانه يبقى مبهوتا لا ينطق بكلمة الثاني انهم اسروا الندامة
من سفلتهم واتباعهم حياء منهم وخوفا من توبيخهم فان قيل مهابة ذلك الموقف تمنع الانسان من هذا التدبير فكيف
اقدموا عليه **فالجواب** ان هذا الكتمان قبل الاحتراق فاذا احترقوا تركوا هذا الاخفا واظهروه لقوله تعالى
ربنا غلبت علينا شقوتنا الثالث انهم اسروا الندامة لانهم اخلصوا لله في تلك الندامة ومن اخلص في الدعاء اسره
وفيه تهكم بهم وباخلاصهم اعني انهم انما اتوا بهذا الاخلاص في غير وقته ومن فسر الاسرار بالاظهار فانهم انما اظهروا الندامة على الكفر

والفسق

والفسق في الدنيا لاجل حفظ المال والرياسة وفي القيمة يبطل هذا الغرض فوجب الاظهار **قوله تعالى** وقضي يجوز ان يكون
مستانفا وهو الظاهر ويجوز ان يكون معطوفا على راوا فيكون داخلا في حيز لما والضمير في بينهم يعود على كل نفس في المعنى
وقال الزمخشري بين الظالمين والمظلومين دل على ذلك ذكر الظلم وقيل يعود على الروسا والاتباع **قوله تعالى** بالقسط
يجوز ان تكون للمصاحبة وان تكون للالة وقوله واليه ترجعون تقديم الجار للاختصاص اي اليه لا الى غيره ترجعون ولاجل
الفواصل وقرا العامة ترجعون بتا الخطاب وقرا الحسن وعيسى بن عمر يرجعون بيا الغيبة **قوله تعالى** الا ان لله
ما في السموات وما في الارض الاية قيل تعلق هذه الاية بما قبلها هو انه تعالى لما قال ولو ان لكل نفس ظلمت ما في الارض
لافتدت به قال ههنا ليس للظالم شي يفتدي به فان الاشيا كلها ملك لله وقيل انه تعالى لما قال ويستنبئونك احق هو
قال له قل اي وربي انه لحق اتبعه بهذا البرهان القاطع على اثبات الاله القادر الحكيم وهو قوله الا ان لله ما في السموات
والارض الاية فدل على ان كل ما سواه فهو ملكه وملكه ولم يذكر الدليل على ذلك لانه قد استقصى تقريره في اول السورة
وقوله ان في اختلاف الليل والنهار الاية وقوله هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا فاكتفى بذكره هناك واذا كان الامر
كذلك كان قادرا على كل الممكنات عالما بكل المعلومات غنيا عن جميع الحاجات فيكون قادرا على صحة المعاد وعلى انزال
العذاب على الكفار في الدنيا والاخرة ويكون قادرا على تاييد رسوله بالدلايل القاطعة والمعجزات الباهرة وكان كلما وعد
به فهو حق لا بد وان يقع وانه منزه عن الخلف في وعده فلما اخبر عن نزول العذاب بهولا الكفار وبحصول الحشر والنشر وجب
القطع بوقوعه فثبت بهذا البيان ان قوله الا ان لله ما في السموات والارض يوجب الجزم بصحة قوله الا ان وعد الله حق
ثم قال ولكن اكثرهم لا يعلمون اي غافلون عن هذه الدلايل ثم اكد هذا الدليل بقوله يحيي ويميت واليه ترجعون اي انه لما
قدر على الاماتة والاحيا فاذا اماته وجب ان يبقى قادرا على احيايه ثانيا فظهر امر نبيه بان يقول اي وربي انه لحق **قوله**
يا ايها الناس قد جاتكم موعظة الاية اعلم انه تعالى لما بين ان الرسول حق وصدق بظهور المعجزات على يديه في قوله وما كان هذا
القران ان يفترى من دون الله الى قوله ان كنتم صادقين وصف القران ههنا بصفات اربع اولها كونه موعظة وثانيها كونه
شفاء لما في الصدور وثالثها كونه هدى ورابعها كونه رحمة للعالمين **قوله تعالى** من ربكم يجوز ان تكون من لابتدا الغاية
فيتعلق حينئذ بجاتكم وابتدا الغاية مجاز ويجوز ان يكون للتبعيض فيتعلق بمحذوف على انها صفة لموعظة اي موعظة
كاينة من مواعظ ربكم وقوله موعظة من ربكم وشفاء وهدى ورحمة من باب ما عطف فيه الصفات بعضها على بعض اي قد جاتكم
موعظة جامعة لهذه الاشيا كلها وشفاء في الاصل مصدر جعل وصفا مبالغة اي وهو اسم لما يشفى به اي يداوى فهو
كالدواء لما يداوى به ولما في الصدور يجوز ان يكون صفة لشفاء فيتعلق بمحذوف وان تكون اللام زايدة في المفعول
لان العامل فرع اذا قلنا بانه مصدر وقوله للمومنين يحتمل التنازع بين الوجهين وهو من التنازع لان كلا من الهدى والرحمة
يطلبه **فصل** اما كون القران موعظة فلاشتماله على المواعظ القصص وكونه شفاء اي دواء
لجهل ما في الصدور اي شفاء لعمى القلوب والصدر موضع القلب وهو اعز موضع في الانسان لجوار القلب قال تعالى
فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور وكونه هدى اي من الضلالة ورحمة للمومنين والرحمة هي
النعمة على المحتاج فانه لو اهدى ملك الى ملك شيا فانه لا يقال له رحمة وان كان ذلك نعمة فانه لم يضعها في المحتاج **قوله**
قل بفضل الله وبرحمته في تعلق هذا الجار اوجه احدها ان بفضل الله وبرحمته متعلق بمحذوف تقديره بفضل الله و
رحمته ليفرحوا فبذلك فليفرحوا والتكرير للتاكيد والتقرير وايجاب اختصاص الفضل والرحمة بالفرح دون ما عداهما
من فوايد الدنيا فحذف احد الفعلين لدلالة المذكور عليه والفا داخلة لمعنى الشرط كانه قيل ان فرحوا بشي فليخصوهما
بالفرح فانه لا مفروح به احق منهما الثاني ان الجار الاول متعلق ايضا بمحذوف دل عليه السياق والمعنى لا نفس الفعل الملفوظ
به والتقدير بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا اي فبمجيئهما فليفرحوا قال ابو حيان اما اضمار فليعتنوا فلا دليل
عليه قال شهاب الدين الدليل عليه من السياق واضح وليس شرط الدلالة ان تكون لفظية وقال ابو حيان واما تعلقه
بقوله قد جاتكم فينبغي ان يقدر محذوف بعد قل ولا يكون متعلقا بجاتكم الاولى للفصل بينهما بقل وهذا الرد
واضح ويجوز ان يكون بفضل الله صفة لموعظة اي موعظة مصاحبة او ملتبسة بفضل الله الرابع قال الحوفي الباء
متعلقة بما دل عليه الكلام المعنى اي قد جاتكم الموعظة بفضل الله الخامس ان الفاء الاولى زايدة وان قوله بذلك
بدل مما قبله وهو بفضل الله وبرحمته واشير بذلك الى اثنين كقوله لا فارض ولا بكر عوان بين ذلك وقول الشاعر
• ان للخير وللشر مدى • وكلا ذلك وجه وقبل •
وفي هاتين الفاءين اوجه احدها ان الاولى زايدة وقد تقدم في الوجه الخامس الثاني ان الفاء الثانية مكررة للتوكيد
فعلى هذا لا تكون الاولى زايدة ويكون اصل التركيب فبذلك فليفرحوا وعلى القول الاول قبله الثالث قال ابو البقا الاولى

مرتبطة بما قبلها والثانية بفعل محذوف تقديره فليعجبوا بذلك فليفرحوا كقولهم زيدًا فاضربه اي تعمد زيدًا فاضربه والجمهور على فليفرحوا بيا الغيبة وقرا عثمان بن عفان وابي وانس والحسن وابو رجا وابن هرمز وابن سيرين بتاء الخطاب وهي قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الزمخشري وهو الاصل والقياس وقال ابو حيان انها لغة قليلة يعني ان القياس ان يومر المخاطب بصيغة افعل وبهذا الاصل قرا ابي فافرحوا وهي في مصحفه كذلك وهذه قاعدة كلية وهي ان الامر باللام كثير في الغايب والمخاطب المبني للمفعول مثال الاول ليقم زيد وكالاية الكريمة في قراءة الجمهور ومثال الثاني لتعن بحاجتي ولتزه يا زيد فان كان مبنيا للفاعل كان قليلا كقراءة عثمان ومن معه وفي الحديث لتاخذوا مصافكم بل الكثير في هذا النوع الامر بصيغة افعل نحو قم يا زيد وقوموا وكذلك يضعف الامر باللام للمتكلم وحده او معه غيره فالاول نحو لاقم تامر نفسك بالقيام ومنه قوله عليه الصلاة والسلام قوموا فلاصل لكم ومثال الثاني لنقم اي نحن وكذلك النهي ومنه قول الشاعر • اذا ما خرجنا من دمشق فلا نعد • لها ابدا ما دام فيها الجراضم • ونقل ابن عطية عن ابن عامر انه قرا فليفرحوا خطابا وهذه ليست مشهورة عنه وقرا الحسن وابو التياح فليفرحوا بكسر لام الامر وهو الاصل

قوله تعالى هو خير مما يجمعون هو عايد على الفضل والرحمة وان كانا شيئين لانهما بمعنى شيء واحد عبر عنه بلفظين على سبيل التاكيد ولذلك اشير اليهما باشارة الواحد وقرا ابن عامر تجمعون بتاء الخطاب وهو يحتمل وجهين احدهما ان يكون من باب الالتفات فيكون في المعنى كقراءة الجماعة فان الضمير يراد به من يراد بالضمير في قوله فليفرحوا والثاني انه خطاب لقوله يا ايها الناس قد جاءتكم وهذه القراءة تناسب قراءة الخطاب في قوله فليفرحوا كما نقلها ابن عطية عنه ايضا

فصل قال مجاهد وقتادة فضل الله الايمان ورحمته القران وقال ابو سعيد الخدري فضل الله القران ورحمته ان جعلنا من اهله وقال ابن عمر فضل الله الاسلام ورحمته التزيين وقيل فضل الله الايمان ورحمته الجنة فبذلك فليفرحوا اي ليفرح المومنون ان جعلهم من اهله هو خير مما يجمعون اي خير مما جمعه الكفار من الاموال لان الاخرة خير وابقى وما كان عند الله فهو اولى بالطلب

قوله تعالى قل ارايتم ما انزل الله لكم من رزق الاية قال ابن الخطيب ذكر الناس في تعلق هذه الاية بما قبلها وجوها ولا احسن واحدا منها والذي يخطر بالبال وجهان الاول ان المقصود من هذا الكلام ذكر طريق ثالث في اثبات النبوة وذلك انه عليه الصلاة والسلام قال للقوم انكم تحكمون بحل بعض الاشياء وحرمة بعضها فهذا الحكم تقولونه افتراء على الله ام تعلمون انه حكم حكم الله به فالاول باطل بالاتفاق فلم يبق الا الثاني ومن المعلوم انه تعالى ما خاطبكم به من غير واسطة ولما بطل هذا ثبت ان هذه الاحكام انما وصلت اليكم بقول رسول ارسله الله اليكم ونبي بعثه الله اليكم وذلك يدل على اعترافكم بصحة النبوة والرسالة فكيف تبالغون هذه المبالغات العظيمة في انكار النبوة الوجه الثاني انه عليه الصلاة والسلام لما ذكر الدلايل الكثيرة على صحة نبوة نفسه وبين فساد سوالاتهم وشبهاتهم في انكارها اتبع ذلك ببيان فساد طريقتهم في شرايعهم واحكامهم وبين التمييز بين هذه الاشياء بالحل والحرمة مع انه لم يشاهد بذلك لا عقل ولا نقل يدل على انه طريق باطل وانهم ليسوا على شيء

قوله تعالى ارايتم هذه بمعنى اخبروني وقوله ما انزل يجوز ان تكون ما موصولة بمعنى الذي والعايد محذوف اي ما انزله وهي في محل نصب مفعولا اول والثاني هو الجملة من قوله الله اذن لكم والعايد من هذه الجملة على المفعول الاول محذوف تقديره الله اذن لكم فيه واعترض على هذا بان قوله قل يتبع من وقوع الجملة بعدها مفعولا ثانيا واجيب عنه بانه كرر توكيدا ويجوز ان تكون ما استفهامية منصوبة المحل بانزل وهي حينئذ معلقة لارايتم والى هذا ذهب الحوفي والزمخشري ويجوز ان يكون ما والظاهر من هذه الاوجه هو الاول لان فيه ابقاء ارايت على بابها من تعديها الى اثنين وانها موثرة في اولهما بخلاف جعل ما استفهامية فانها معلقة لارايت وسادة مسد المفعولين

قوله تعالى من رزق يجوز ان تكون حالا من الموصول وان تكون من لبيان الجنس وانزل على بابها او على حذف مضاف اي انزله من رزق فهو المطر وقيل يجوز بالانزال عن الخلق كقوله وانزلنا الحديد وانزل لكم من الانعام

قوله تعالى ام على الله تفترون في ام هذه وجهان احدهما انها متصلة عاطفة تقديره اخبروني الله اذن لكم في التحليل والتحريم وانكم تفعلون ذلك باذنه ام تكذبون على الله في نسبة ذلك اليه والثاني ان تكون منقطعة قال الزمخشري ويجوز ان تكون الهمزة للانكار وام منقطعة بمعنى بل اتفترون على الله تقريرا للافتراء والظاهر هو الاول اذ المعادلة بين هاتين الجملتين اللتين بمعنى المفردين واضحة اذ التقدير اي الامرين واقع اذن الله لكم في ذلك ام افتراؤكم عليه

فصل المراد بالشيء الذي جعلوه حراما ما ذكروه من تحريم السايبة والوصيلة والحام وقولهم هذه انعام وحرث حجر وجعلوا لله مما ذرا من الحرث والانعام نصيبا وقولهم ما في بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على ازواجنا وقوله ثمانية ازواج من الضان اثنين ويدل على ذلك ان قوله فجعلتم منه حراما وحلالا اشارة الى امر تقدم منهم ولم يحك الله تعالى عنهم الا هذا فوجب توجيه الكلام اليه ثم لما حكى تعالى ذلك عنهم قال لرسوله قل الله اذن لكم ام على الله

تفترون

تفترون وهذه قسمة صحيحة لان هذه الاحكام اما ان تكون من الله تعالى او لم تكن فان كانت من الله فهو المراد بقوله اذن لكم وان كانت ليست من الله فهو المراد بقوله ام على الله تفترون

فصل استدل نفاة القياس بهذه الاية على بطلان القياس قال القرطبي وهو بعيد لان القياس دليل من الله تعالى فيكون التحليل والتحريم من الله تعالى عند وجود دلالة نصبها الله تعالى على الحكم فان كان القياس دليلا لله تعالى فهو خروج عن هذا الغرض ورجوع الى غيره

قوله وما ظن الذين يفترون ما مبتداة استفهامية وظن خبرها ويوم منصوب بنفس الظن والمصدر مضاف لفاعله ومفعولا الظن محذوفان والمعنى واي شيء يظن الذين يفترون يوم القيمة اني فاعل بهم انجيهم من العذاب ام انتقم منهم وقيل ايحسبون ان الله لا يواخذهم به ولا يعاقبهم عليه فالمراد منه تعظيم وعيد من يفتري وقرا عيسى بن عمر وما ظن الذين جعله فعلا ماضيا والموصول فاعله وما على هذه القراءة استفهامية ايضا في محل نصب على المصدر وقدمت لان الاستفهام له صدر الكلام والتقدير اي ظن ظن المفترون وما الاستفهامية قد تنوب عن المصدر ومنه قول الشاعر •

• ماذا يغير ابنتي ربع عويلهما • لا ترقدان ولا بوسى لمن رقدا •

ويقول ما تضرب زيدا تريد اي ضرب تضربه قال الزمخشري اتى به فعلا ماضيا لانه واقع لا محالة فكان قد وقع وانقضى وهذا لا يستقيم هنا لانه صار نصا في الاستقبال لعمله في الظرف المستقبل وهو يوم القيمة وان كان بلفظ الماضي ثم قال ان الله لذو فضل على الناس باعطاء العقل وارسال الرسل ولكن اكثرهم لا يشكرون لا يستعملون العقل في التامل في دلايل الله ولا يقبلون دعوة انبياء الله ولا ينتفعون باستماع كلام الله

قوله وما يكون في شان الاية لما اورد الدلايل على فساد مذاهب الكفار وامر الرسول بالجواب عن شبهاتهم وتحمل اذاهم والرفق بهم ذكر هذا الكلام ليحصل به تمام السرور للمطيعين وتمام الخوف للمذنبين وهو كونه تعالى عالما بعمل كل واحد وما في قلبه من الدواعي والصوارف

قوله تعالى وما تكون في شان وما تتلوا ما نافية في الموضعين ولذلك عطف باعادة لا النافية واوجب بالا بعد الافعال لكونها منفية وفي شان خبر تكون والضمير في منه عايد على شان ومن قران تفسير للضمير وخص من العموم لان القران هو اعظم شون النبي صلى الله عليه وسلم وقيل يعود على التنزيل والتقدير وما تتلو من القران من قران وفسر بالقران لان كل جزء منه قران وانما اضمر قبل الذكر تعظيما له وقيل يعود على الله اي وما تتلو من عند الله من قران وقال ابو البقاء من الشان اي من اجله ومن قران مفعول تتلو ومن زايدة يعني انها زيدت في المفعول به ومن الاولى جارة للمفعول من اجله تقديره وما تتلو من اجل الشان قرانا وزيدت لان الكلام غير موجب والمجرور نكرة وقال مكي منه الهاء عند الفرا تعود على الشان على تقدير حذف مضاف تقديره وما تتلو من اجل الشان اي يحدث لك شان فتتلو القران من اجله والشان مصدر شان يشان شانه اي قصد يقصد قصده واصله الهمز ويجوز تخفيفه والشان ايضا الامر ويجمع على شوون والشان الحال تقول العرب ما شانت شانه اي ما علمت علمه قال ابن عباس وما يكون يا محمد في شان اي في عمل من اعمال البر وقال الحسن في شان من شان الدنيا

قوله تعالى ولا تعملون من عمل وهذا خطاب للنبي وامته وخص النبي عليه الصلاة والسلام بالخطاب اولا ثم عمم الخطاب مع الكل لان تخصيصه وان كان في الظاهر مختصا بالرسول الا ان الامة داخلون فيه لان رئيس القوم اذا خوطب دخل قومه في ذلك الخطاب كقوله تعالى يا ايها النبي اذا طلقتم

قوله تعالى الا كنا هذه الجملة حالية وهو استثناء مفرغ وولي هنا الا الفعل الماضي دون قد لانه قد تقدمها فعل وهو مجوز لذلك وقوله اذ هذا الظرف معمول لشهودا ولما كانت الافعال السابقة المراد بها الحالة الدايمة وتنسحب على الافعال الماضية كان الظرف ماضيا وكان المعنى وما كنت وما تلوت ولا عملتم الا كنا عليكم شهودا اذ افضتم فيه واذ تخلص المضارع لمعنى المضي ومعنى تفيضون اي تدخلون وتخوضون فيه والافاضة الدخول في العمل يقال افاض القوم في الحديث اذا اندفعوا فيه وقد افاضوا من عرفة اذا دفعوا منها بكثرتهم فان قيل اذ هنا بمعنى حين فيصير التقدير الا كنا عليكم شهودا حين تفيضون فيه وشهادة الله تعالى عبارة عن علمه فيلزم منه انه تعالى ما علم الاشياء الا عند وجودها وذلك باطل **فالجواب** ان هذا السوال بناء على ان شهادة الله عبارة عن علمه وهذا ممنوع فان الشهادة لا تكون الا عند وجود المشهود عليه اما العلم فلا يمتنع تقدمه على الشيء ويدل على ذلك ان الرسول لو اخبرنا عن زيد انه ياكل غدا كنا من قبل حصول تلك الحالة عالمين بها ولا نوصف بكوننا شاهدين بها

قوله تعالى وما يعزب عن ربك قرا الكسائي هنا وفي سبا يعزب بكسر الزاي والباقون بضمها وهما لغتان في مضارع عزب يقال عزب يعزب ويعزب اي غاب حتى خفي ومنه الروض العازب قال ابو تمام •

• وقلقل نأي من خراسان جاشها • فقلت اطمئني انضر الروض عازبه •

وقيل للغايب عن اهله عازب حتى قالوا لمن لا زوج له عازب وقال الراغب العازب المتباعد في طلب الكلا ويقال رجل عزب وامراة عزبة وعزب عنه حلمه اي غاب وقوم يعزبون اي عزبت عنهم ابلهم وفي الحديث من قرا القران في اربعين يوما

الحتمة وقال قريب منه الهروي فانه قال اي يبعد عنه ما ابتدا منه وابطا في تلاوته

ب حال قال فالعازب البعيد منه الذهاب في المرعي والحابل التي ضربها الفحل فلم تحمل الجدوبة

حنا بارض عزيبة صحرا اي بعيدة المرعي ويقال للمال الغايب عازب وللحاضر عاهن والمعنى في الاية

عن ذلك ومن مثقال فاعل ومن مزيدة فيه اي ما يبعد عنه مثقال والمثقال ههنا اسم

وزن ذرة ومثقال الشي ما يساويه في الثقل والمعنى ما يساوي ذرة والذر صغار النمل

الوزن نجدا فان قيل لم قدم الله ذكر الارض ههنا على ذكر السما وقال في سبا لا يعزب عنه

الارض **فالجواب** حق السما ان يقدم على الارض الا ان الله تعالى لما ذكر في هذه الاية

واعمالهم ثم وصل ذلك بقوله لا يعزب عنه ناسب ان يقدم الارض على السماء في هذا الموضع

ولا اكبر قرا حمزة برفع را اصغر واكبر والباقون بفتحها فاما الفتح ففيه وجهان احدهما

كان بالفتحة لانه لا ينصرف للوزن والوصف والجر لاجل عطفه على المجرور وهو اما مثقال

وان لا نافية للجنس واصغر واكبر اسمها فهما مبنيان على الفتح واما الرفع ففي وجهين ايضا انهما

ثقال اذ هو مرفوع بالفاعلية ومن مزيدة فيه كقولك ما قام من رجل ولا امراة بجر امراة ورفعها

ذلك المذهب افتراء على الله تعالى فبين ان من هذا حاله فانه لا يفلح البتة اي لا ينجح في سعيه ولا يفوز بمطلوبه بل خاب
وخسر **قوله** متاع في الدنيا يجوز رفع متاع من وجهين احدهما انه خبر مبتدا محذوف والجملة جواب لسوال مقدر
فهي استينافية كان قايلا قال كيف لا يفلحون وهم في الدنيا مفلحون بانواع مما يتلذذون به فقيل ذلك متاع والثاني
انه مبتدا والخبر محذوف تقديره لهم متاع وفي الدنيا يجوز ان يتعلق بنفس متاع اي تمتع في الدنيا ويجوز ان يتعلق بمحذوف
على انه نعت لمتاع فهو في محل رفع ولم يقرا بنصبه هنا بخلاف قوله متاع الحيوة الدنيا في اول السورة وقوله بما كانوا الباء
للسببية وما مصدرية اي بسبب كونهم كافرين **قوله تعالى** واتل عليهم نبا نوح الاية لما بالغ في تقرير الدلايل والجواب
عن الشبه شرع في بيان قصص الانبياء لوجوه الاول ان الكلام اذا طال في تقرير نوع من انواع العلوم فربما حصل نوع من
الملالة فاذا انتقل الانسان من ذلك الفن الى فن اخر انشرح ووجد في نفسه رغبة جديدة الثاني ليتاسى الرسول واصحابه بسلف
الانبيا فان الرسول اذا سمع ان معاملة هولاء الكفار مع الرسول ما كان الا على هذا الوجه خف ذلك على قلبه كما يقال المصيبة
اذا عمت خفت الثالث ان الكفار اذا سمعوا هذه القصص وعلموا ان الجهال وان بالغوا في ايذاء الانبياء المتقدمين الا ان الله
تعالى اعانهم بالاخرة ونصرهم وايدهم وقهر اعداءهم كان سماع هولاء الكفار هذه القصص سببا لانكسار قلوبهم ووقوع
الخوف في صدورهم فحينيذ يقللون من الاذى والسفاهة الرابع ان محمدا عليه الصلاة والسلام انما عرفها بالوحي والتنزيل
وحذفت الواو من واتل لانه امر **قوله تعالى** اذ قال يجوز ان يكون اذ معمولة لنبا ويجوز ان يكون بدلا من نبا بدل اشتمال
وجوز ابو البقا ان يكون حالا من نبا وليس بظاهر ولا يجوز ان يكون منصوبا باتل لفساده اذ اتل مستقبل واذ ماض
ولقومه اللام اما للتبليغ وهو الظاهر واما للعلة وليس بظاهر قال المفسرون قوم نوح هم ولد قابيل **قوله**
كبر عليكم مقامي من باب الاسناد المجازي كقولهم ثقل على ظله وقرا ابو رجا وابو مجلز وابو الجوزا مقامي بضم الميم
والمقام بفتح الميم مقام القيام وبالضم مكان الاقامة او الاقامة نفسها وقال ابن عطية ولم يقرا هنا بضم الميم كانه
لم يطلع على قراءة هولاء وقال الواحدي يقال كبر يكبر كبرا وكبارة قال ابن عباس ثقل عليكم وشق عليكم واراد بالمقام
هنا مكثه وسبب هذا الثقل امران الاول انه عليه الصلاة والسلام مكث فيهم الف سنة الا خمسين عاما والثاني
ان اوليك الكفار كانوا قد الفوا تلك المذاهب الفاسدة ومن الف طريقة في الدين فانه يثقل عليه ان يدعى الى خلافها
فان اقترن بذلك طول مدة الدعا كان اثقل واشد وقوله وتذكيري بايات الله بحججه وبيناته فعزمتم على قتلي وطردي
قوله تعالى فعلى الله جواب الشرط وقوله فاجمعوا عطف على الجواب ولم يذكر ابو البقا غيره واستشكل عليه انه متوكل على
الله دايما كبر عليهم مقامه او لم يكبر وقيل جواب الشرط قوله فاجمعوا وقوله فعلى الله توكلت جملة اعتراضية بين الشرط
وجوابه وهو كقول الشاعر •
• فاما تريني قد نحلت ومن يكن • غرضا لاطراف الاسنة ينحل •
• فلرب ابلج مثل بعلك بادل • ضخم على ظهر الجواد مهبل •
وقيل الجواب محذوف اي فافعلوا ما شيتم وقرا العامة فاجمعوا امر من اجمع بهمزة القطع يقال اجمع في المعاني
وجمع في الاعيان فيقال اجمعت امري وجمعت الجيش هذا هو الاكثر قال الحرث بن حلزة اجمعوا امرهم بليل فلما اصبحوا
اصبحت لهم ضوضا وقال الاخر • يا ليت شعري والمنى لا تنفع • هل اغدون يوما وامري مجمع •
وهل اجمع متعد بنفسه او بحرف فجر ثم حذف اتساعا فقال ابو البقا من قولك اجمعت على الامر اذا عزمت عليه الا انه
حذف حرف الجر فوصل الفعل اليه وقيل هو متعد بنفسه في الاصل وانشد قول الحرث وقال ابو فيد السدوسي اجمعت الامر
افصح من اجمعت عليه وقال ابو الهيثم اجمع امره جعله مجموعا بعدما كان متفرقا قال وتفرقته انه يقول مرة افعل كذا
ومرة افعل كذا واذا عزم على امر واحد فقد جمعه اي جعله جميعا فهذا هو الاصل في الاجماع ثم صار بمعنى العزم
حتى وصل بعلى فقيل اجمعت على الامر اي عزمت عليه والاصل اجمعت الامر وقرا العامة وشركاكم نصبا وفيه اوجه احدها
انه معطوف على امركم بتقدير حذف مضاف اي وامر شركايكم كقوله واسيل القرية ودل على ذلك ما تقدم من ان اجمع
للمعاني والثاني انه عطف عليه من غير تقدير حذف مضاف قيل لانه يقال ايضا اجمعت شركاي الثالث انه منصوب
باضمار فعل لايق اي واجمعوا شركاكم بوصل الهمزة وقيل تقديره وادعوا وكذلك هي في مصحف ابي وادعوا فاضمر
فعلا لايقا كقوله والذين تبووا الدار والايمان اي واعتقدوا الايمان ومثله قول الاخر •
• فعلفتها تبنا وماء باردا • حتى غدت همالة عيناها •
اي وسقيتها ماء وكقوله • يا ليت زوجك قد غدا • متقلدا سيفا ورمحا •
وقول الاخر • اذا ما الغانيات برزن يوما • وزججن الحواجب والعيونا •
يريد ومعتقلا رمحا وكحلن العيونا وقد تقدم ان في هذه الاماكن غير هذا التخريج الرابع انه مفعول معه اي مع شركايكم

قال

وقال الفارسي وقد ينتصب الشركا بواو مع كما قالوا جاء البرد والطيالسة ولم يذكر الزمخشري غير قول ابي علي قال
الزجاج معناه فاجمعوا امركم مع شركايكم فلما ترك مع انتصب قال ابو حيان وينبغي ان يكون هذا التخريج على انه مفعول معه
من الفاعل وهو الضمير في فاجمعوا الذي هو امركم وذلك على تهرا لاستعمالين لانه يقال اجمع الشركا امرهم ولا يقال جمع الشركا
امرهم الا قليلا قال شهاب الدين يعني اذا جعلناه مفعولا معه من الفاعل كان جايزا بلا خلاف وذلك لان النحويين اشترطوا
في صحة نصب المفعول معه ان يصلح عطفه على ما قبله فان لم يصلح عطفه لم يصح نصبه مفعولا معه فلو جعلناه من المفعول لم يجز
على المشهور اذ لا يصلح عطفه على ما قبله اذ لا يقال اجمعت شركاي بل جمعت وقرا الزهري والاعمش والاعرج والجحدري وابو رجا
ويعقوب والاصمعي عن نافع فاجمعوا بوصل الالف وفتح الميم من جمع يجمع وشركاكم على هذه القراءة يتضح نصبه نسقا على ما
قبله ويجوز فيه ما تقدم في القراءة الاولى من الاوجه قال صاحب اللوامح اجمعت الامر اي جعلته جميعا فكان الاجماع في الاحداث
والجمع في الاعيان وقد يستعمل كل واحد مكان الاخر وفي التنزيل فجمع كيده قال شهاب الدين وقد اختلف القرا في قوله تعالى فاجمعوا
كيدكم فقرا السبعة بقطع الهمزة جعلوه من اجمع وهو موافق لما قيل ان اجمع في المعاني وقرا ابو عمرو وحده فاجمعوا بوصل الالف
وقد اتفقوا على قوله فجمع كيده ثم اتى فانه من الثلاثي مع انه متسلط على معنى لا عين ومنهم من جعل الثلاثي بمعنى غير بمعنى الرباعي
فقال في قراءة ابي عمرو من جمع يجمع ضد فرق يفرق وجعل قراءة الباقين من اجمع امره اذا احكمه وعزم عليه ومنه قول الشاعر
• يا ليت شعري والمنى لا تنفع • هل اغدون يوما وامري مجمع •
وقيل المعنى فاجمعوا على كيدكم بحذف حرف الجر وقرا الحسن والسلمي وعيسى بن عمر وابن ابي اسحق وسلام ويعقوب وشركاكم
رفعا وفيه تخريجان احدهما انه نسق على الضمير المرفوع باجمعوا قبله وجاز ذلك اذ الفصل بالمفعول سوغ العطف والثاني
انه مبتدا محذوف الخبر تقديره وشركاكم فليجمعوا امرهم وشذت فرقة فقرات وشركايكم بالخفض ووجهت على حذف المضاف
وابقاء المضاف اليه مجرورا على حاله كقوله • اكل امرء تحسبين امرا • ونار توقد بالليل نارا • اي وكل نار
فتقدير الاية وامر شركايكم فحذف الامر وابقى ما بعده على حاله ومن راى راي الكوفيين جوز عطفه على الضمير في امركم من غير
تاويل وقد تقدم ما فيه من المذاهب اعني العطف على الضمير المجرور من غير اعادة الجار في سورة البقرة **قوله تعالى** غمة
يقال غم وغمة نحو كرب وكربة قال ابو الهيثم هو من قولهم غم علينا الهلال فهو مغموم اذا التمس فلم ير قال طرفة بن العبد •
• لعمرك ما امري علي بغمة • نهاري ولا ليلي علي بسرمد •
وقال الليث يقال هو في غمة من امره اذا لم يتبين له **قوله تعالى** ثم اقضوا مفعول اقضوا محذوف اي اقضوا الى ذلك الامر
الذي تريدون ايقاعه بي كقوله تعالى وقضينا اليه ذلك الامر فعداه لمفعول صريح وقرا السدي ثم افضوا بقطع الهمزة
والفا من افضى يفضي اذا انتهى يقال افضيت بها اليك قال تعالى وقد افضى بعضكم الى بعض فالمعنى ثم افضوا الى بشركم
اي انتهوا به الي وقيل معناه اسرعوا به الي وقيل هو من افضى اي خرج الى الفضا اي فاصحروا به الي وابرزوا الي كقوله •
• اني الصنم والنعمان عرف بابه • عليه فافضى والسيوف معاقله •
ولام الفضا واو لانه من فضى يفضو اي اتسع **فصل** المعنى فاحكموا امركم واعزموا عليه وادعوا شركاكم
اي الهتكم فاستعينوا بها ليجتمع امركم معكم وروى الاصمعي عن نافع فاجمعوا ذوي الامر منكم فحذف المضاف واجري على المضاف
اليه ما كان يجري على المضاف لو ثبت قال ابن الانباري المراد من الامر هنا وجوه كيدهم ومكرهم والتقدير لا تتركوا من
امركم شيا الا احضرتموه والمراد من الشركا اما الاوثان لانهم كانوا يعتقدون انها تضر وتنفع واما ان يكون المراد من كان
على مثل دينهم ثم لا يكن امركم عليكم غمة اي خفيا مبهما من قولهم غم الهلال على الناس اي اشكل عليهم ثم اقضوا الي اي اقضوا ما
في انفسكم وافرغوا منه يقال قضى فلان اذا مات وقضى دينه اذا فرغ منه وقيل معناه توجهوا الي بالقتل والمكروه
وقيل فاقضوا ما انتم قاضون كقول السحرة لفرعون فاقض ما انت قاض اي اعمل ما انت عامل قال القفال وجاز دخول
كلمة الي في هذا الموضع من قولهم برئت اليك وخرجت اليك من العهد وفيه معنى الاخبار فكانه قال ثم القوا الي ما استقر
رايكم عليه محكما مفروغا منه ثم لا تنظرون اي لا تمهلون ولا تؤخرون وقد نظم القاضي هذا الكلام على احسن الوجوه
فقال انه عليه الصلاة والسلام قال في اول الامر فعلى الله توكلت فاني واثق بوعد الله جازم بانه لا يخلف الميعاد فلا
تظنوا ان تهديدكم اياي بالقتل والايذا يمنعني من الدعا الى الله ثم انه عليه الصلاة والسلام اورد عليهم ما يدل
على صحة دعواه فقال فاجمعوا امركم كانه يقول اجمعوا كل ما تقدرون عليه من الاشياء التي توجب حصول مطلوبكم ثم
لم يقتصر على ذلك بل امرهم ان يضموا الى انفسهم شركاهم الذين كانوا يزعمون ان حالهم يقوى بمكانهم وبالتقرب اليهم ثم لم يقتصر
على هذين بل ضم اليهما ثالثا وهو قوله ثم لا يكن امركم عليكم غمة اراد ان يبلغوا فيه كل غاية في المكاشفة والمجاهرة ثم لم يقتصر
على ذلك حتى ضم اليه رابعا فقال ثم اقضوا الي والمراد ان وجهوا كل تلك الشرور الي ثم ضم الى ذلك خامسا وهو قوله ولا تنظرون

اي عجلوا ذلك باشد ما تقدرون عليه من غير انتظار ومعلوم ان مثل هذا الكلام يدل على انه عليه الصلاة والسلام
كان قد بلغ في الغاية في التوكل على الله وانه كان قاطعا بان كيدهم لا يضره ولا يصل اليه ومكرهم لا ينفذ فيه **قوله**
فان توليتم اعرضتم عن قولي وقبول نصحي فما سألتكم على تبليغ الرسالة والدعوة من اجر جعل وعوض ان اجري ما اجري وثوابي الا
على الله قال المفسرون وهذا اشارة الى انه ما اخذ منهم مالا على دعواهم الى دين الله وكلما كان الانسان فارغا عن الطمع كان قوله اقوى
تاثيرا في القلب قال ابن الخطيب وعندي فيه وجه آخر وهو انه عليه الصلاة والسلام بين انه لا يخاف منهم بوجه من الوجوه
وذلك لان الخوف انما يحصل باحد شيئين اما بايصال الشر او بقطع المنافع فبين فيما تقدم انه لا يخاف شرهم لان الخوف انما يحصل
وبين في هذه الآية بسبب ان يقطعوا عنه خيرا لانه ما اخذ منهم شيئا فكان يخاف ان يقطعوا عنه خيرهم قال ان اجري الا على الله
وامرت ان اكون من المسلمين وفيه قولان الاول انكم سواء قبلتم دين الاسلام او لم تقبلوه فانا مامور بان اكون على دين الاسلام
الثاني اني مامور بالاستسلام لكل بلاء يصل الي لاجل هذه الدعوة وهذا الوجه اليق بهذا الموضع لانه لما قال اقضوا الي
بين انه مامور بالاستسلام لكل ما يصل اليه **قوله** فكذبوه فنجيناه ومن معه في الفلك لما حكى كلام نوح مع الكفار
ذكر تعالى ما آل امرهم اليه اما في حق نوح واصحابه فنجاهم وجعلهم خلائف اي يخلفون من هلك بالغرق واما في حق الكفار فانه
تعالى اغرقهم واهلكهم وهذه القصة اذا سمعها من صدق الرسول ومن كذب به كان زاجرا للمكذبين فانهم يخافون ان ينزل بهم
مثل ما نزل بقوم نوح ويكون داعية للمؤمنين الى الثبات على الايمان ليصلوا الى مثل ما وصل اليه قوم نوح **قوله تعالى**
في الفلك يجوز فيه وجهان احدهما ان يتعلق بنجيناه اي وقع الانجاء في هذا المكان والثاني ان يتعلق بالاستقرار الذي تعلق
به الظرف وهو معه لوقوعه صلة اي والذين استقروا معه في الفلك وقوله وجعلناهم اي صيرناهم وجمع الضمير في
جعلناهم حملا على معنى من وخلائف جمع خليفة اي يخلفون الفارقين **قوله** ثم بعثنا من بعده اي بعد نوح رسلا
الى قومهم ولم يسم الرسل وقد كان منهم هود وصالح وابراهيم ولوط وشعيب فجاؤهم بالبينات وهي المعجزات القاهرة
وبالبينات متعلق بجاؤهم او بمحذوف على انه حال اي ملتبسين بالبينات فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا به من قبل اي ان
حالهم بعد بعثة الرسل كحالهم قبلها في كونهم اهل جاهلية قال القرطبي التقدير بما كذب به قوم نوح من قبل وقيل بما
كذبوا به اي من قبل يوم الذر فانه كان فيهم من كذب بقلبه وان قال الجميع بلى قال النحاس احسن ما قيل في هذا انه لقوم
باعيانهم مثل انه برئ منهم لم يشدد عليهم لا يؤمنون واتى بلام الجحود في ليؤمنوا توكيدا والضمير في كذبوا عائد على من عاد
عليه الضمير في كانوا وهم قوم الرسل وقال ابو البقاء ومكي ان الضمير في كان يعود على قوم الرسل وفي كذبوا يعود على قوم
نوح والمعنى فما كان قوم الرسل ليؤمنوا بما كذب به قوم نوح اي بمثله ويجوز ان تكون الها عائدة على نوح نفسه من غير حذف
مضاف والتقدير فما كان قوم الرسل بعد نوح ليؤمنوا بنوح اذ لو آمنوا به لآمنوا بانبيائهم ومن قبل متعلق بكذبوا
اي من قبل بعثة الرسل وقيل الضمائر كلها تعود على قوم الرسل بمعنى آخر وهو انهم بادروا رسلهم بالتكذيب كلما جاء رسول
لجوا في الكفر وتمادوا عليه فلم يكونوا ليؤمنوا بما سبق به تكذيبهم من قبل لجهم في الكفر وتماديهم وقال ابن عطية ويحتمل
اللفظ عندي معنى آخر وهو ان تكون ما مصدرية والمعنى فكذبوا رسلهم فكان عقابهم من الله ان لم يكونوا ليؤمنوا
بتكذيبهم من قبل اي من سببه ومن جرائه ويؤيد هذا التاويل كذلك نطبع وهو كلام يحتاج لتامل قال ابو حيان
والظاهر ان ما موصولة ولذلك عاد الضمير عليها في قوله بما كذبوا به ولو كانت مصدرية بقي الضمير غير عائد على غير
مذكور فيحتاج ان يتكلف ما يعود عليه الضمير قال شهاب الدين الشيخ بناه على قول جمهور النحاة في عدم كون ما
المصدرية اسما فيعود عليها ضمير وقرأ العامة نطبع بالنون الدالة على تعظيم المتكلم وقرأ العباس بن الفضل
بياء الغيبة وهو الله تعالى ولذلك صرح به في موضع آخر كذلك يطبع الله والكاف في نعت لمصدر محذوف او حال من
ضمير ذلك المصدر على حسب ما تقدم من الخلاف اي مثل ذلك الطبع المحكم الممتنع زواله يطبع على قلوب المعتدين
على حلوله **فصل** احتج اهل السنة على انه تعالى قد يمنع المكلف من الايمان بهذه الآية قالت المعتزلة
فقد قال تعالى بل طبع الله عليها بكفرهم فلا يؤمنون الا قليلا ولو كان هذا الطبع مانعا لما صح هذا الاستثناء وقد
تقدم البحث في ذلك عند قوله تعالى ختم الله على قلوبهم **قوله تعالى** ثم بعثنا من بعدهم موسى وهارون الآية
قرأ مجاهد وابن جبير ان هذا الساحر اسم فاعل والاشارة بهذا حينئذ الى موسى اشير اليه لتقدم ذكره وفي قراءة الجماعة
المشار اليه السحر الذي جاء به موسى مبالغة حيث وصفوا المعاني بصفات الاعيان كقولهم شعر شاعر وجد جده فان قيل
ان القوم لما قالوا ان هذا لسحر مبين فكيف حكى موسى عنهم انهم قالوا اسحر هذا الى آخره كانهم قالوا اجئتما بالسحر تطلبان به
الفلاح ولا يفلح الساحرون كقول موسى عليه الصلاة والسلام للسحرة ما جئتم به السحر ان الله سيبطله والثاني ان معمول
القول محذوف مدلول عليه بما تقدم ذكره وهو ان هذا السحر مبين ومعمول القول يحذف للدلالة عليه كثيرا كما يحذف

نفس القول كثيرا ويكون تقدير الآية ان موسى عليه الصلاة والسلام قال لهم اتقولون للحق لما جاءكم ما تقولون ثم حذف
منه مفعول ما يقولون لدلالة الحال عليه ثم قال اسحر هذا وهو استفهام على سبيل الانكار ثم احتج على انه ليس بسحر بقوله
ولا يفلح الساحرون وقيل الاية في حذف المقول قول الشاعر • نحن الاولى فاجمع جموعك • ثم وجههم الينا
وفي كتاب سيبويه متى رأيت او قلت زيدا منطلقا على اعمال الاول وحذف معمول القول ويجوز اعمال القول بمعنى الحكاية فيقال
متى رأيت او قلت زيد منطلق وقيل القول في الآية بمعنى العيب والطعن والمعنى اتعيبون الحق وتطعنون فيه وكان من حقكم
تعظيمه والاذعان له من قولهم فلان يخاف القالة بين الناس تقاول اذا قال بعضهم لبعض ما يسوءه ونحو القول الذكر في قوله
سمعنا فتى يذكرهم وكل هذا ملخص من كلام الزمخشري **قوله** قالوا يعني فرعون وقومه اجئتنا لتلفتنا اللام متعلقة
بالمجيء اي اجئت لهذا الغرض انكروا عليه مجيئه لهذه العلة واللفت الليّ والصرف لفته عن كذا اي صرفه ولواه عنه وقال الازهري
لفت الشيء وفتله لواه وهذا من المقلوب قال شهاب الدين ولا يدعى فيه قلب حتى يرجح احد اللفظين في الاستعمال على الآخر
ولذلك لم يجعلوا اجذب وجبذ وحمد ومدح من هذا القبيل لتساويهما ومطاوع لفت التفت وقيل انفتل وكانهم استغنوا
بمطاوع فتل عن مطاوع لفت وامرأة لفوت اي تلتفت لولدها عن زوجها اذا كان الولد لغيره واللفيتة ما يغلظ من
العصيدة والمعنى انهم قالوا لا نترك الذي نحن عليه لانا وجدنا آباءنا عليه فتمسكوا بالتقليد ودفعوا الحجة الظاهرة
بمجرد الاصرار **قوله تعالى** وتكون لكما الكبرياء اسم كان ولكما الخبر وفي الارض جوز فيها ابو البقاء خمسة اوجه احدها ان
تكون متعلقة بنفس الكبرياء الثاني ان تتعلق بنفس تكون الثالث ان تتعلق بالاستقرار في لكما لوقوعه خبرا الرابع ان تكون
حالا من الكبرياء الخامس ان تكون حالا من الضمير في لكما لتحمله اياه والكبرياء مصدر على وزن فعلياء ومعناها العظمة
قال عدي بن الرقاع • • سودد غير فاحش لا يدانيه • تجبارة ولا كبرياء •
وقال ابن الرقيات يمدح مصعب بن الزبير • ملكه ملك رأفة ليس فيه • جبروت منه ولا كبرياء •
يعني ليس هو ما عليه الملوك من التجبر والتعظيم والجمهور على تكون بالتاء مراعاة لتانيث اللفظ وقرأ ابن مسعود والحسن
واسمعيل وابو عمرو وعاصم في رواية ويكون بالياء من تحت لانه تانيث مجازي قال المفسرون والمعنى ويكون لكما الملك
والعز في ارض مصر والخطاب لموسى وهارون قال المفسرون قال الزجاج سمي الملك كبرياء لانه اكبر ما يطلب من امر الدنيا وايضا
فالنبي اذا اعترف القوم بصدقه صارت مقاليد امر امته اليه فصار اكبر القوم واعلم ان القوم لما ذكروا هذين
السببين في عدم اتباعهم وهما التقليد والحرص على طلب الرياسة صرحوا بالحكم فقالوا وما نحن لكما بمؤمنين ثم شرعوا
في معارضة معجزات موسى عليه الصلاة والسلام بانواع من السحر ليظهر عند الناس ان ما اتى به موسى من باب السحر فقال فرعون
ائتوني بكل ساحر عليم قرأ الاخوان سحار وهي قراءة ابن مصرف وابن وثاب وعيسى بن عمر فلما جاء السحرة قال لهم موسى القوا ما
انتم ملقون فان قيل كيف امرهم بالسحر والسحر كفر **فالجواب** انه عليه الصلاة والسلام امرهم بالقاء الحبال والعصي
ليظهر للخلق ان ما اتوا به عمل فاسد وسعي باطل لا انه عليه الصلاة والسلام امرهم بالسحر فلما القوا حبالهم وعصيهم قال لهم
موسى ما جئتم به السحر والغرض منه انهم لما قالوا لموسى ان ما جئت به سحر فقال موسى عليه الصلاة والسلام ان ما ذكرتموه باطل
بل الحق الذي جئتم به هو السحر الذي يظهر بطلانه ثم اخبرهم بان الله يحق الحق ويبطل الباطل **قوله تعالى** ما جئتم
به السحر قرأ ابو عمرو وحده السحر بهمزة الاستفهام وبعدها الف محضة وهي بدل عن همزة الوصل الداخلة على لام التعريف
ويجوز ان تسهل بين بين وقد تقدم تحقيق هذين الوجهين في قوله الذكرين وهي قراءة مجاهد واصحابه وابي جعفر
وقرأ باقي السبعة بهمزة وصل تسقط في الدرج فاما قراءة ابي عمرو ففيها اوجه احدها ان ما استفهامية في محل رفع
بالابتداء وجئتم به الخبر والتقدير اي شيء جئتم كانه استفهام انكار وتقليل للشيء المجاب به والسحر بدل من اسم الاستفهام ولذلك
اعيد معه اداته لما تقرر في كتب النحو وذلك ليساوي المبدل منه في انه استفهام كما تقول كم مالك اعشرون ام ثلاثون
فجعلت اعشرون بدلا من كم ولا يلزم ان يضمر للسحر خبرا لانك اذا ابدلته من المبتدأ صار في موضعه وصار خبر المبتدأ خبرا عنه
الثاني ان يكون السحر خبر مبتدأ محذوف تقديره السحر هو ذكر هذين الوجهين ابو البقاء وذكر الثاني مكي وفيهما بعد الرابع
ان تكون ما موصولة بمعنى الذي وجئتم به صلتها والموصول في محل رفع بالابتداء والسحر على وجهيه من كونه خبر مبتدأ محذوف
او مبتدأ محذوف الخبر تقديره الذي جئتم به السحر هو وهذا الضمير هو الرابط كقولك الذي جاءك ازيد هو قاله
ابو حيان قال شهاب الدين قد منع مكي ان تكون ما موصولة على قراءة ابي عمرو فقال وقد قرأ ابو عمرو والسحر بالمد
فعلى هذه القراءة يكون ما استفهاما مبتدأ وجئتم به الخبر والسحر خبر ابتداء محذوف اي هو السحر ولا يجوز ان تكون ما
بمعنى الذي على هذه القراءة اذ لا خبر لها وليس كما ذكر بل خبرها الجملة المقدر احد جزئيها وكذلك الزمخشري وابو البقاء
لم يجيزا كونها موصولة الا في قراءة غير ابي عمرو ولكنهما لم يتعرضا لعدم جوازه الخامس ان تكون ما استفهامية في محل نصب

بفعل مقدر بعدها لان لها صدر الكلام وجئتم به مفسر لذلك الفعل المقدر وتكون المسالة حينئذ من باب الاشتغال
والتقدير اي شي اتيتم جئتم به ثم السحر على ما تقدم ولو قري بنصب السحر على انه بدل من ما لجاز هذا التقدير لكان له وجه لكنه لم يقرا
به فيما علمنا وسياتي فيما حكاه مكي عن الفرا من جواز نصبه لمدرك اخر لا على انها قراءة منقولة عن الفرا واما قراءة الباقين
ففيها اوجه احدها ان تكون ما بمعنى الذي في محل رفع بالابتدا وجئتم به صلته وعايده والسحر خبره والتقدير الذي جئتم
به السحر ويويد هذا التقدير قراءة ابي وما في مصحفه ما اتيتم به سحر وقراءة عبد الله بن مسعود والاعمش ما جئتم به سحر
الثاني ان تكون ما استفهامية في محل نصب باضمار فعل على ما تقرر والسحر خبر ابتدا مضمر او مبتدا مضمر الخبر الثالث
ان تكون ما في محل رفع بالابتدا والسحر على ما تقدم من كونه مبتدا او خبرا والجملة خبر ما الاستفهامية قال ابو حيان
بعد ما ذكر الوجه الاول ويجوز ان تكون عندي في هذا الوجه استفهامية في موضع رفع بالابتدا او في موضع نصب
على الاشتغال وهو استفهام على سبيل التحقير والتقليل لما جاوا والسحر خبر مبتدا محذوف اي هو السحر قال شهاب الدين
ظاهر عبارته انه لم ير غيره حيث قال عندي وهذا قد جوزه ابو البقا لما ذكر قراءة غير ابي عمرو ويقرا بلفظ الخبر وفيه
وجهان ثم قال ويجوز ان تكون ما استفهامية والسحر خبر مبتدا محذوف وقال مكي في قراءة غير ابي عمرو بعد ذكره كون ما
بمعنى الذي ويجوز ان تكون ما رفعا بالابتدا وهي استفهام وجئتم به الخبر والسحر خبر مبتدا محذوف اي هو السحر ويجوز ان
تكون ما في موضع نصب على اضمار فعل بعد ما تقديره اي شي جئتم والسحر خبر ابتدا محذوف الرابع ان تكون هذه القراءة
كقراءة ابي عمرو في المعنى اي انها على نية الاستفهام ولكن حذفت اداته للعلم بها وعلى هذا الذي ذكره يكون الاعراب
على ما تقدم واعلم انك اذا جعلت ما موصولة بمعنى الذي امتنع نصبها بفعل مقدر على الاشتغال قال مكي ولا يجوز ان
تكون ما بمعنى الذي في موضع نصب لان ما بعدها صلتها والصلة لا تعمل في الموصول ولا تكون تفسيرا للعامل في
الموصول ولا يكون تفسيرا للعامل في الموصول وهو كلام صحيح فتلخص من هذا انها اذا كانت استفهامية جاز ان تكون
في محل رفع او نصب واذا كانت موصولة تعين ان تكون محلها الرفع بالابتدا وقال مكي واجاز الفرا نصب السحر تجعل
ما شرطية وتنصب السحر على المصدر وتضمر الفا مع ان الله سيبطله وتجعل الالف واللام في السحر زايدتين وذلك
كل بعيد وقد اجاز علي بن سليمان حذف الفا من جواب الشرط في الكلام واستدل على جوازه بقوله تعالى وما اصابكم
من مصيبة بما كسبت ايديكم ولم يجزه غيره الا في ضرورة شعر قال شهاب الدين واذا مشى مع الفرا فتكون ما شرطا مرادا
بها المصدر تقديره اي سحر جئتم به فان الله سيبطله وتبين ان ما مراد بها السحر قوله السحر ولكن تعلق قوله ان نصب
السحر على المصدرية فيكون تاويله انه منصوب على المصدر الواقع موقع الحال ولذلك قدره بالنكرة وجعل ال مزيدة
فيه وقد نقل عن الفرا ان هذه الالف واللام للتعريف وهو تعريف العهد قال الفرا وانما قال السحر بالالف واللام
لان النكرة اذا اعيدت اعيدت بالالف واللام يعني ان النكرة قد تقدمت في قوله ان هذا السحر مبين وبهذا صرح
ابن عطية قال ابن عطية والتعريف هنا في السحر ارتب لانه قد تقدم منكرا في قولهم ان هذا لسحر مبين فجا هنا بلام العهد
كما يقال اول الرسالة سلام عليك قال ابو حيان وما ذكراه هنا في السحر ليس من تقدم النكرة ثم اخبر عنها بعد ذلك
لان شرط هذا ان يكون المعرف بال هو المنكر المتقدم ولا يكون غيره كقوله تعالى كما ارسلنا الى فرعون رسولا فعصى
فرعون الرسول وتقول زارني رجل فاكرمت الرجل لما كان اياه جاز ان ياتي بضمير بدله فتقول اكرمته والسحر هنا
ليس هو السحر الذي في قولهم ان هذا لسحر لان الذي اخبروا عنه بانه سحر هو ما ظهر على يدي موسى من معجزة العصا والسحر
الذي في قول موسى انما هو سحرهم الذي جاوا به فقد اختلف المدلولان اذ قالوا هم عن معجزة موسى وقال موسى ما جاوا به
ولذلك لا يجوز ان ياتي هنا بالضمير بدل السحر فيكون عايدا على قولهم لسحر قال شهاب الدين **والجواب** ان الفرا
وابن عطية انما ارادا السحر المتقدم الذكر في اللفظ وان كان الثاني هو غير عين الاول في المعنى ولكن لما اطلق عليهما
لفظ السحر جاز ان يقال ذلك ويدل على هذا انهم قالوا في قوله تعالى والسلام علي ان الالف واللام للعهد لتقدم ذكر
السلام في قوله تعالى وسلام عليه وان كان السلام الواقع على عيسى هو غير السلام الواقع على يحيى لاختصاص كل سلام
بصاحبه من حيث اختصاصه به وهذا النقل المذكور عن الفرا في الالف واللام ينافي ما نقله عنه مكي فيهما اللهم الا
ان يقال يحتمل ان يكون له مقالتان وليس ببعيد فانه كلما كثر العلم اتسعت المقالات **قوله** ان الله سيبطله
اي سيهلكه ويظهر فضيحة صاحبه ان الله لا يصلح عمل المفسدين اي لا يقويه ولا يكمله وقوله المفسدين من وقوع
الظاهر موقع ضمير المخاطب اذ الاصل لا يصلح عملكم فابرزهم في هذه الصفة الذميمة شهادة عليهم بها ثم قال ويحق
الله الحق اي يظهره ويقويه بكلماته اي بوعده موسى وقيل بما سبق من قضائه وقدره وقري بكلمته بالتوحيد
وتقدم نظيره **قوله تعالى** فما امن لموسى الفا للتعقيب وفيها اشعار بان ايمانهم لم يتاخر عن الالقا بل وقع عقيبه

لان

لان الفا تفيد ذلك وقد تقدم توجيه تعديه امن باللام والضمير في قومه فيه وجهان اظهرهما انه يعود
على موسى لانه هو المحدث عنه ولانه اقرب مذكور ولو عاد الى فرعون لم يكرر لفظه ظاهرا بل كان التركيب على حرف
منه والى هذا ذهب ابن عباس وغيره قالوا المراد مومني بني اسرائيل الذين كانوا بمصر وخرجوا معه قال ابن عباس لفظ الذرية
يعبر به عن القوم على وجه التحقير والتصغير ولا سبيل لحمله على التحقير على وجه الاهانة ههنا فوجب حمله على التصغير
بمعنى قلة العدد قال مجاهد كانوا اولاد الذين ارسل اليهم موسى من بني اسرائيل هلك الاباء وبقي الابناء وقيل هم قوم نجوا من
قتل فرعون وذلك ان فرعون لما امر بقتل ابناء بني اسرائيل كانت المراة من بني اسرائيل اذا ولدت ابنا وهبته لقبطية خوفا
من القتل فنشوا عند القبط واسلموا في اليوم الذي غلبت فيه السحرة والثاني ان الضمير يعود على فرعون ويروى عن
ابن عباس ايضا ورجح ابن عطية هذا وضعف الاول فقال ومما يضعف عود الضمير على موسى ان المعروف من اخبار بني
اسرائيل انهم كانوا قد فشت فيهم النبوات وكانوا قد نالهم ذل مفرط وكانوا يرجون كشفه بظهور مولود فلما جاءهم موسى
اتفقوا عليه وتابعوه ولم يحفظ ان طايفة من بني اسرائيل كفرت بموسى فكيف تعطي هذه الاية ان الاقل منهم كان الذي
امن فالذي يترجح عوده على فرعون ويويده ايضا ما تقدم من محاورة موسى ورده عليهم وتوبيخهم قيل المراد بالذرية
اقوام كان اباوهم من قوم فرعون وامهاتهم من بني اسرائيل فجعل الرجل يتبع امه واخواله **وروي** عن ابن عباس انهم
كانوا سبعين اهل بيت من القبط قال الفرا سموا ذرية لان اباءهم كانوا من القبط وامهاتهم من بني اسرائيل كما يقال لاولاد
اهل فارس الذين سقطوا الى اليمن الابناء لان امهاتهم من غير جنس ابائهم وقيل المراد بالذرية من ال فرعون اسية امراته
ومومن ال فرعون وخازنه وامراة خازنه وماشطته واعلم انه تعالى انما ذكر ذلك تسلية لمحمد عليه الصلاة والسلام
لانه كان يغتم بسبب اعراض القوم عنه واستمرارهم على الكفر فبين ان له في هذا الباب اسوة بسائر الانبياء لان الذي
ظهر من موسى كان في الاعجاز في مراي العين اعظم ومع ذلك فما امن منهم الا الذرية **قوله تعالى** على خوف حال اي امنوا
كائنين على خوف والضمير في ملايهم فيه اوجه احدها انه عايد على الذرية وهذا قول ابي الحسن واختيار ابن جرير اي
خوف من ملا الذرية وهم اشراف بني اسرائيل الثاني انه يعود على قومه بوجهيه اي سواء جعلنا الضمير في قومه لموسى
او لفرعون اي وملا قوم موسى وملا قوم فرعون الثالث ان يعود على فرعون لانهم انما كانوا خايفين من فرعون
واعترض على هذا بانه كيف يعود ضمير جمع على مفرد واعتذر ابو البقا عن ذلك بوجهين احدهما ان فرعون
لما كان عظيما عندهم عاد الضمير عليه جمعا كما يقول العظيم نحن نامر وهذا فيه نظر لانه لو ورد ذلك من كلامهم
محكيا عنهم لاحتمل ذلك والثاني ان فرعون صار اسما لاتباعه كما ان ثمود اسما للقبيلة كلها وقال مكي وجهين
اخرين قريبين من هذين ولكنهما اخلص منهما قال انما جمع الضمير في ملايهم لانه اخبار عن جبار والجبار يخبر عنه
بلفظ الجمع وقيل لما ذكر فرعون علم ان معه غيره فرجع الضمير عليه وعلى من معه وقد تقدم نحو من هذا عند قوله
الذين قال لهم الناس الثالث ان المراد بالقايل نعيم بن مسعود لانه لا يخلو من مساعد له على ذلك القول الرابع انه
يعود على مضاف محذوف وهو ال تقديره على خوف من ال فرعون وملايهم قاله الفرا كما حذف في قوله واسال القرية
قال ابو البقا بعد ان حكى هذا ولم يعزه لاحد وهذا عندنا غلط لان المحذوف لا يعود اليه ضمير اذ لو جاز ذلك
لجاز ان تقول زيد قاموا وانت تريد غلمان زيد قاموا قال شهاب الدين لان المحذوف لا يعود اليه ضمير ممنوع بل
اذا حذف مضاف فللعرب فيه مذهبان الالتفات اليه وعدمه وهو الاكثر ويدل على ذلك انه قد جمع
بين الامرين في قوله تعالى وكم من قرية اهلكناها اي اهل قرية ثم قال او هم قايلون وقد حققت ذلك في موضعه
المشار اليه وقوله لجاز زيد قاموا ليس نظيره فان فيه حذفا من غير دليل بخلاف الاية وقال ابو حيان بعد ان
حكى كلام الفرا ورد عليه بان الخوف يمكن من فرعون ولا يمكن سوال القرية فلا يحذف الا ما دل عليه الدليل وقد
يقال ويدل على المحذوف جمع الضمير في ملايهم معنى ثم رد على الفرا بالفرق بين واسال القرية وبين هذه
الاية بان سوال القرية غير ممكن فاضطرنا الى تقدير المضاف بخلاف الاية فان الخوف يمكن من فرعون فلا اضطرار
يحملنا على مضاف محذوف وجواب هذا ان الحذف قد يكون لدليل عقلي او لفظي على انه قيل واسال القرية انه
حقيقة اذ يمكن النبي ان يسال القرية فتجيبه الخامس ان ثم معطوفا محذوفا حذف للدلالة عليه والدليل كون
الملك لا يكون وحده وعساكر وجند فكان التقدير على خوف من فرعون وقومه وملايهم اي ملا فرعون
وقومه وهو منقول عن الفرا ايضا قال شهاب الدين حذف المعطوف قليل في كلامهم ومنه عند بعضهم قوله تعالى
تقيكم الحر اي والبرد وقول الاخر * كان الحصى من خلفها وامامها * اذا حذفته رجلها حذف اعسرا *
اي ويدها **قوله تعالى** ان يفتنهم اي يصرفهم عن دينهم وفيه ثلاثة اوجه احدها انه في محل جر على البدل

من فرعون وهو بدل اشتمال تقديره على خوف من فرعون فتنته كقولك اعجبني زيد علمه الثاني انه في موضع نصب
على المفعول به بالمصدر اي خوف فتنته واعمال المصدر المنون كثير كقوله او اطعام في يوم ذي مسغبة يتيما
وقول الاخر • فلولا رجاء النصر منك ورهبة • عقابك قد كانوا لنا بالموارد • الثالث انه منصوب على المفعول
من اجله بتقدير حذف اللام ويجري فيها الخلاف المشهور وقرأ الحسن ونبيح يفتنهم بضم الياء من افتن وقد تقدم ذلك قوله
وان فرعون لعال في الارض اي متكبر او ظالم او قاهر وفي الارض متعلق بعال كقوله • فاعمد لما تعلو فما لك بالذي •
لا تستطيع من الامور يدان • اي لما يقهر ويجوز ان يكون في الارض متعلقا بمحذوف لكونه صفة لعال فيكون مرفوع
المحل ورجح الاول قوله ان فرعون علا في الارض ثم قال وانه لمن المسرفين المجاوزين الحد لانه كان عبدا فادعى الربوبية
وقيل لانه كان كثير القتل والتعذيب لمن يخالفه والغرض منه بيان السبب في كون اولئك المؤمنين **قوله تعالى** وقال
موسى يا قوم ان كنتم آمنتم بالله الاية قوله فعليه جواب الشرط الاول والشرط الثاني وهو ان كنتم مسلمين
شرط في الاول وذلك ان الشرطين متى لم يترتبا في الوجود فالشرط الثاني شرط في الاول وقد تقدم تحقيق ذلك
قال الفقهاء المتوخر يجب ان يكون متقدما والمتقدم يجب ان يكون متوخرا مثاله قول الرجل لامرأته ان دخلت الدار
فانت طالق ان كلمت زيدا فالمجموع قوله ان دخلت الدار فانت طالق فلو حصل هذا المعلق قبل ان كلمت زيدا لم يقع الطلاق
فقوله ان كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا ان كنتم مسلمين يقتضي ان يكون كونهم مسلمين شرطا لان يصير المخاطبين بقوله
ان كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا فكانه تعالى يقول للمسلم حال اسلامه ان كنت من المؤمنين بالله فعلى الله توكل والامر
كذلك لان الاسلام عبارة عن الاستسلام وهو الانقياد لتكاليف الله وترك التمرد والايمان عبارة عن معرفة
القلب بان واجب الوجود لذاته واحد وما سواه محدث تحت تدبيره وقهره واذا حصلت هاتان الحالتان فعند
ذلك يفوض العبد جميع اموره الى الله تعالى ويحصل في القلب نور التوكل على الله تعالى **فصل** انما
قال فعليه توكلوا ولم يقل توكلوا عليه لان الاول يفيد الحصر كانه عليه الصلاة والسلام امرهم بالتوكل عليه
ونهاهم عن التوكل على الغير ثم بين تعالى ان موسى لما امرهم بذلك قبلوا قوله وقالوا على الله توكلنا اي توكلنا
عليه واعتمدنا ولم يلتفتنا الى احد سواه ثم اشتغلوا بالدعاء وطلبوا من الله شيئين احدهما قولهم ربنا لا تجعلنا
فتنة للقوم الظالمين وفيه وجوه الاول لا تسلطهم علينا فرعون وقومه لانك لو سلطتهم علينا لوقع في قلوبهم انا لو كنا
على الحق لما سلطتهم علينا فيصير ذلك شبهة قوية في اصرارهم على الكفر فيكون ذلك فتنة لهم الثاني لو سلطتهم
علينا لاستوجبوا العقاب الشديد في الاخرة وذلك يكون فتنة لهم الثالث ان المراد بالفتنة المفتون لان اطلاق
لفظ المصدر على المفعول جائز كالخلق بمعنى المخلوق والتقدير لا تجعلنا مفتونين بان يقهرونا بالظلم على ان ننصرف
عن هذا الدين الحق الذي قبلناه ويؤكد هذا قوله فما آمن لموسى الا ذرية من قومه على خوف من فرعون وملائهم ان
يفتنهم واما المطلوب الثاني فهو قولهم ونجنا برحمتك من القوم الكافرين فيدل على ان اهتمامهم بامر دينهم كان فوق
اهتمامهم بامر دنياهم لانا اذا حملنا قولهم لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين على تسليط الكفار عليهم وصيرورة
ذلك التسليط شبهة للكفار في ان هذا الدين باطل فتضرعوا الى الله تعالى في صون الكفار عن هذه الشبهة وتقديم
هذا الدعا على طلب النجاة لانفسهم يدل على ان اهتمامهم بمصالح اديانهم **قوله تعالى** واوحينا الى موسى واخيه
ان تبوءا لقومكما بمصر بيوتا الاية لما شرح خوف المؤمنين من الكفار وما ظهر منهم من التوكل على الله اتبعه بان امر موسى
وهارون باتخاذ المساجد والاقبال على الصلوات **قوله تعالى** ان تبوءا يجوز ان تكون المفسرة فيكون في موضع
نصب باوحينا مفعولا به اي اوحينا اليهما التبوء والجمهور على الهمز في تبوءا وقرأ حفص بياء خالصة وهي بدل من الهمزة
وهو تخفيف غير قياسي اذ قياس تخفيف مثل هذه الهمزة ان تكون بين الهمزة والالف وقد انكر هذه الرواية عن
حفص جماعة من القراء وخصها بعضهم بحالة الوقف وهو الذي لم يحك ابو عمرو الداني والشاطبي غيره وبعضهم يطلق
ابدالها عنه وصلا ووقفا وعلى الجملة فهي قراءة ضعيفة في العربية وفي الرواية والتبوء النزول والرجوع
يقال تبوأ المكان اذا اتخذه مباءة وقد تقدمت هذه المادة في قوله تعالى تبوئ المؤمنين والمعنى اجعلا بمصر بيوتا
لقومكما ومرجعا ترجعون اليه للعبادة **قوله تعالى** لقومكما يجوز ان تكون اللام زائدة في المفعول الاول و
بيوتا مفعول ثان بمعنى بوءا قومكما بيوتا اي انزلوهم وفعل وتفعل بمعنى مثل علقها وتعلقها قاله ابو البقاء وفيه
ضعف من حيث انه زيدت اللام والعامل غير فرع ولم يتقدم المعمول الثاني انها غير زائدة وفيها حينئذ وجهان احدهما
انها حال من البيوت والثاني انها وما بعدها مفعول تبوءا **قوله تعالى** بمصر جوز فيه ابو البقاء وجهين احدهما انه
متعلق بتبوءا وهو الظاهر الثاني انه حال من ضمير تبوءا واستضعفه ولم يبين وجه ضعفه لو صح الثالث انه

حال من البيوت والرابع انه حال من لقومكما وقد ثنى الضمير في قوله تبوءا وجمع في قوله واجعلوا واقيموا وافرد في قوله
وبشر لان الاول امر لهما والثاني لهما ولقومهما والثالث لموسى فقط لان اخاه تبع له ولما كان فعل البشارة شريفا خص به
موسى لانه هو الاصل وقيل وبشر المؤمنين يا محمد **قوله تعالى** ولقد بوأنا بني اسرائيل مبوأ صدق الاية لما ذكر خاتمة
قوم فرعون ذكر خاتمة بني اسرائيل فقال ولقد بوأنا اي اسكنا بني اسرائيل مبوأ صدق اي مكانا محمودا ويجوز ان يكون مبوأ
صدق منصوبا على المصدر اي بوأناهم مبوأ صدق وان يكون مكانا اي مكان تبوء صدق ويجوز ان ينتصب مبوأ على انه
مفعول ثان كقوله تعالى لنبوئنهم من الجنة غرفا اي لننزلنهم وصف المبوأ بكونه صدقا لان عادة العرب اذا مدحت شيئا
اضافته الى الصدق تقول رجل صدق وقدم صدق قال تعالى رب ادخلني مدخل صدق واخرجني مخرج صدق والمراد من
المبوأ الصدق قيل مصر وقيل الاردن وفلسطين وهي الارض المقدسة ورزقناهم من الطيبات الحلال فما اختلفوا يعني اليهود
الذين كانوا في عهد النبي صلى الله عليه وسلم في تصديقه وانه نبي حتى جاءهم العلم يعني القران والبيان بانه رسول الله صدق
ودينه حق وسمي القران علما لانه سبب العلم وتسمية المسبب باسم السبب مجاز مشهور وقال ابن عباس هم قريظة والنضير وبني
قينقاع انزلناهم منزل صدق ما بين المدينة والشام ورزقناهم من الطيبات وهو ما في تلك البلاد من الرطب والتمر الذي لا
يوجد مثله في البلاد وقيل المراد بني اسرائيل الذين [illegible] فرعون من الناطق والصامت والحرث والنسل كما قال واورثنا القوم
الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها **قوله تعالى** فلولا كانت قرية آمنت الاية لما بين بقوله
ان الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون ولو جاءتهم كل اية اتبعه بهذه الاية لانها دالة على ان قوم يونس آمنوا بعد كفرهم
وانتفعوا بذلك الايمان فدل ذلك على ان الكفار فريقان فريق حتم له بالايمان وفريق حتم له بالكفر وكل ما قضى الله
به فهو واقع قوله فلولا هنا تحضيضية وفيها معنى التوبيخ كقول الفرزدق • تعدون عقر النيب افضل مجدكم •
بني ضوطرى لولا الكمي المقنعا • وفي مصحف ابي وعبد الله وقرأ كذلك فهلا وهي نص في التحضيض وزعم علي بن عيسى والنحاس
ان لولا ها هنا بمعنى النافية وحملا على ذلك هذه الاية اي ما كانت قرية نقله ابن قاسم وهو منقول ايضا عن الهروي
وكانت هنا تامة وآمنت صفة للقرية وفنفعها عطف نسق على الصفة **قوله تعالى** الا قوم يونس فيه وجهان احدهما
انه استثناء منقطع واليه ذهب سيبويه والكسائي والاخفش والفراء ولذلك ادخله سيبويه في باب ما لا يكون فيه
الا النصب لانقطاعه وانما كان منقطعا لان ما بعد الا لا يندرج تحت لفظ قرية والثاني انه متصل قال الزمخشري
استثناء من القرى لان المراد اهاليها وهو استثناء منقطع بمعنى ولكن قوم يونس ويجوز ان يكون متصلا والجملة في
معنى النفي كانه قيل ما آمنت قرية من القرى الهالكة الا قوم يونس وقال ابن عطية هو بحسب اللفظ استثناء منقطع
وكذلك رسمه النحويون وهو بحسب المعنى متصل لان تقديره ما آمن اهل قرية الا قوم يونس قال شهاب الدين وتقدير
هذا المضاف هو الذي يصحح كونه استثناء متصلا ولذلك قال ابو البقاء ومكي وابن عطية وغيرهم واما الزمخشري فان
ظاهر عبارته ان المصحح لكونه متصلا كون الكلام في معنى النفي وليس كذلك بل المسوغ كون القرى يراد بها اهاليها من باب
اطلاق المحل على الحال وهو احد الاوجه المذكورة في قوله واسأل القرية وقرأت فرقة الا قوم بالرفع قال الزمخشري وقرئ
بالرفع على البدل من قرية فظاهر هذه العبارة انها قراءة منقولة وظاهر قول مكي وابي البقاء انها ليست قراءة
وانما ذلك من الجائز وجعلا الرفع على وجه اخر غير البدل وهو كون الا بمعنى غير في وقوعها صفة قال مكي ويجوز الرفع
على ان يجعل الا بمعنى غير صفة للاهل المحذوفين في المعنى ثم يعرب ما بعد الا باعراب غير لو ظهرت في موضع الا وقال
ابو البقاء ولعله اخذه منه ولو كان قد قرئ بالرفع لكانت الا فيه بمنزلة غير فتكون صفة وقد تقدم في ان يونس
ثلاث لغات قرئ بها **فصل** قال البغوي المعنى فلم تكن قرية لان في الاستفهام ضربا من الجحد اي اهل قرية آمنت
عند معاينة العذاب فنفعها ايمانها في حال البأس الا قوم يونس فانه نفعهم ايمانهم في ذلك الوقت وقوم نصب على
الاستثناء المنقطع اي ولكن قوم يونس فانه نفعهم ايمانهم في ذلك الوقت لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحيوة
الدنيا ومتعناهم الى حين وهو وقت انقضاء آجالهم واختلفوا في انهم هل رأوا العذاب عيانا ام لا فقوله كشفنا عنهم عذاب
الخزي والكشف يكون بعد الوقوع او اذا قرب **قوله** ولو شاء ربك يا محمد لآمن من في الارض كلهم جميعا واعلم
ان هذه السورة من اولها الى هنا في بيان شبهات الكفار في انكار النبوة والجواب عنها وكانت احدى شبهاتهم ان
النبي عليه الصلاة والسلام كان يتهددهم بنزول العذاب على الكفار وبعد اتباعه بنصرهم وعلو شانهم وتقوية
جانبهم ثم ان الكفار ما راوا ذلك فجعلوا ذلك شبهة في الطعن في نبوته وكانوا يبالغون في استعجال نزول العذاب
على سبيل السخرية ثم ان الله تعالى بين ان تاخير الموعود به لا يقدح في صحة الوعد وضرب لهذا امثلة وهي قصة
نوح وموسى الى ها هنا ثم في هذه الاية بين ان جد الرسول في دعوتهم الى الايمان لا ينفع ومبالغته في تقرير الدلائل

قوله وان اقم يجوز على اضمار فعل اي واوحي الي ان اقم بذلك فيان وجهان احدهما ان تكون تفسيرية
لتلك الجملة المقدرة وكذا قاله ابو حيان وفيه نظر اذ المفسر لا يجوز حذفه وقد رد هو بذلك في موضع غير هذا والثاني
ان تكون المصدرية فتكون هي وما في حيزها في محل رفع بذلك الفعل المقدر ويحتمل ان تكون ان مصدرية فقط وهي على
هذا معمولة في محل رفع لقوله امرت مراعى فيها معنى الكلام لان قوله ان اكون من المؤمنين ووصل ان بصيغة
الامر جايز كما تقدم تحريره وقال الزمخشري فان قلت عطف قوله وان اقم على ان اكون فيه اشكال لان ان لا تخلو اما ان تكون
التي للعبارة او التي تكون مع الفعل في تاويل المصدر فلا يصح ان تكون التي للعبارة او التي تكون مع الفعل وان كان الامر
مما يتضمن معنى القول لان عطفها على الموصولة يابى ذلك والقول بكونها موصولة مثل الاولى لا يساعد عليه لفظ الامر وهو اقم
لان الصلة حقها ان تكون جملة تحتمل الصدق والكذب قلت قد سوغ سيبويه ان توصل ان بالامر والنهي وشبه ذلك بقولهم
انت الذي تفعل على الخطاب لان الغرض وصلها بما يكون معه في تاويل المصدر والامر والنهي دالان على المصدر دلالة غيرهما
من الافعال قال شهاب الدين وقد تقدم الاشكال في ذلك وهو انه اذا قدرت بالمصدر فاتت الدلالة على الامر والنهي ورجح ابو حيان
كونها مصدرية على اضمار فعل كما تقدم تقريره قال [illegible] فلو العطف لوجود الكاف اذ لو كان وان اقم عطفا على ان اكون لكان
التركيب وجهي بياء المتكلم ومراعاة المعنى فيه ضعف واضمار الفعل اكثر قال ابن الخطيب قوله وامرت ان اكون قايما مقام قوله
وقيل كن من المؤمنين ثم عطف عليه وان اقم وجهك وقيل ان قوله وان اقم وجهك قايم مقام قوله وامرت باقامة الوجه
فيصير التقدير وامرت بان اكون من المؤمنين وباقامة الوجه فيصير التقدير وامرت بان اكون من المؤمنين وباقامة الوجه
للدين حنيفا **قوله تعالى** حنيفا يجوز ان يكون حالا من الدين وان يكون حالا من فاعل اقم او مفعوله **فصل**
قال ابن عباس معنى قوله وان اقم وجهك للدين اي عملك وقيل استقم على الدين حنيفا قال ابن الخطيب اقامة الوجه كناية
عن توجيه العقل بالكلية الى طلب الدين لان من يريد ان ينظر الى شيء نظرا استقصاء فانه يقيم وجهه في مقابلته بحيث
لا يصرفه عنه لانه لو صرفه ولو بالقليل فقد بطلت تلك المقابلة اختل الابصار فلهذا جعل اقامة الوجه كناية
عن صرف العقل بالكلية الى طلب الدين وقوله حنيفا اي مايلا الميل كليا معرضا عما سواه اعراضا كليا ثم قال ولا تكونن
من المشركين وهذا لا يمكن ان يكون نهيا عن عبادة الاوثان لان ذلك مذكور في قوله اول الاية لا اعبد الذين تعبدون
من دون الله فلا بد من حمل هذا الكلام على فايدة زايدة وهي ان من عرف مولاه لو التفت بعد ذلك الى غيره كان ذلك شركا
وهذا هو الذي تسميه اصحاب القلوب بالشرك الخفي قال ابن الخطيب قوله وما انا عليكم بوكيل اي بكفيل يحفظ اعمالكم
وما يجوز ان تكون الحجازية او التميمية لخفاء النصب في الخبر قال ابن عباس هذه الاية نسختها اية القتال ثم قال تعالى
واتبع ما يوحى اليك واصبر حتى يحكم الله امره باتباع الوحي والتنزيل حتى يحكم الله من نصرك وقهر عدوك واظهار دينه
وهو خير الحاكمين لانه حكم بقتل المشركين وبالجزية على اهل الكتاب يعطونها عن يد وهم صاغرون روى ابي بن كعب قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة يونس اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد من صدق بيونس وكذب به وبعدد
من غرق مع فرعون

سورة هود مائة وثلاث وعشرون اية مكية

سورة هود عليه السلام مكية الا قوله تعالى اقم الصلاة طرفي النهار وهي مائة وثلاث وعشرون اية وعدد كلماتها
الف وستمائة وخمس وعشرون كلمة وعدد حروفها سبعة الاف وستمائة وستة احرف وههنا سؤالان الاول ان سورة القصص
لم يقص فيها سوى قصة واحدة وهي قصة موسى وفي هذه السورة قص فيها قصصا كثيرة فكان تسمية هذه بالقصص اولى
من تسمية تلك وكان ينبغي ان يسمى القصص بسورة موسى كما سميت سورة يوسف وسورة نوح السؤال الثاني انه في هذه السورة
قصصا كثيرة فما الحكمة في انه خصت باسم هود دون غيره من الانبياء المذكورين فيها **فصل** يجوز في هود مرادا
به السورة الصرف وتركه وذلك باعتبارين وهما انك ان عنيت انه اسم للسورة تعين منعه من الصرف وهذا راي الخليل وسيبويه
وكذلك نوح ولوط اذا جعلتهما اسمين للسورتين المذكورتين فيهما فيقول قرات هود ونوح وتبركت بهود ونوح ولوط
فان قلت قد نصوا على ان المؤنث الثلاثي الساكن الوسط نحو هند ودعد والاعجمي الثلاثي الساكن الوسط نحو نوح ولوط
يجوز فيه الصرف وتركه مع ان الصحيح وجوب صرف نوح فالجواب ان شرط ذلك ان لا يكون المؤنث منقولا من مذكر الى مؤنث
فلو سميت امراة بزيد تحتم منعه وشرط الاعجمي ان لا يكون مؤنثا فلو كان مؤنثا تحتم منعه نحو ماه وجور وهود ونوح من
هذا القبيل فان هودا في الاصل المذكر وكذلك نوح ثم سمي بهما السورة وهي مؤنثة وان كان ثانيهما اعجميا وان اعتبرت
انها على حذف مضاف وجب صرفه فتقول قرات هودا ونوحا يعني سورة هود وسورة نوح وقد جوز الصرف بالاعتبار الاول

عيسى بن عمر وفيه ضعف ولا خفاء انك اذا قصدت بهود ونوح النبي نفسه صرفت فقط عند الجمهور في الاعجمي
واما هود فانه عربي فيتحتم صرفه وقد عقد النحويون لاسماء السور والالفاظ والاحياء والقبايل والاماكن بابا
في منع الصرف وعدمه حاصله انك ان عنيت قبيلة او اما او بقعة او سورة او كلمة منعت وان عنيت حيا او ابا او مكانا او
غير سورة او لفظا صرفت بتفصيل مذكور في كتب النحو

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى الر كتاب احكمت اياته الاية كتاب يجوز ان يكون خبرا للالف لام را اخبر عن هذه الاحرف بانها الكتاب موصوف بكيت
وكيت قال الزجاج هذا غلط لان الر ليس هو الموصوف بهذه الصفة وحده قال ابن الخطيب وهذا اعتراض فاسد
لانه ليس من شرط كون الشيء مبتدا ان يكون خبره محصورا فيه ويجوز ان يكون خبر ابتدا مضمر تقديره ذلك كتاب قال
ابن الخطيب وهذا اعتراض فاسد وهو عندي ضعيف لوجهين الاول ان على هذا التقدير يبقى قوله الر كلاما باطلا
لا فايدة فيه والثاني انك اذا قلت هذا كتاب فقولك هذا يكون اشارة الى الايات المذكورات وذلك هو قولك الر فيصير
حينئذ الر مخبرا عنه بانه كتاب احكمت اياته وقد تقدم الكلام في ذلك عند قوله ذلك الكتاب **قوله تعالى** احكمت
اياته في محل رفع صفة لكتاب والهمزة في احكمت يجوز ان يكون للنقل من حكم بضم الكاف اي صار حكيما بمعنى جعلت حكيمة
كقوله تعالى تلك ايات الكتاب الحكيم ويجوز ان يكون من قولهم احكمت الدابة اذا وضعت عليها الحكمة لتمنعها من الجماح كقول
جرير

ابني حنيفة احكموا سفهاءكم ... اني اخاف عليكم ان اغضبا

فالمعنى انها منعت من الفساد ويجوز ان يكون لغير النقل من الاحكام وهو الاتقان كالبناء المحكم المرصف والمعنى انها
نظمت نظما رصينا متقنا ويجوز ان يكون قوله احكمت اي لم تنسخ بكتاب كما نسخت الكتب والشرايع به قال ابن عباس
قوله تعالى ثم فصلت ثم على بابها من التراخي لانها احكمت ثم فصلت بحسب اسباب النزول وقرا عكرمة والضحاك
والجحدري وزيد بن علي وابن كثير في رواية فصلت بفتحتين خفيفة العين قال ابو البقاء والمعنى فرقت كقوله تعالى
فلما فصل طالوت اي فارق وفسرها غيره بمعنى فصلت بين المحق والمبطل وهو احسن وجعل الزمخشري ثم للترتيب في الا
خبار لا للترتيب الوقوع في الزمان فقال فان قلت ما معنى ثم قلت ليس معناها التراخي في الوقت ولكن في الحال كما تقول
هي محكمة احسن الاحكام ثم مفصلة احسن التفصيل وفلان كريم الاصل ثم كريم الفعل وقرئ ايضا احكمت اياته
ثم فصلت باسناد الفعلين الى تاء المتكلم ونصب اياته مفعولا به اي احكمت انا اياته ثم فصلتها حكى هذه القراءة الزمخشري
فصل قال الحسن احكمت بالامر والنهي ثم فصلت بالوعد والوعيد وقال قتادة احكمها الله فليس فيها اختلاف
ولا تناقض وقال مجاهد فصلت اي فسرت وقيل فصلت اي انزلت شيئا فشيئا كقوله تعالى فارسلنا عليهم الطوفان
والجراد والقمل والضفادع والدم ايات مفصلات وقيل جعلت فصولا حلالا وحراما وامثالا وترغيبا وترهيبا
ومواعظ وامرا ونهيا **فصل** احتج الجبائي بهذه الاية على ان القران محدث مخلوق من ثلاثة اوجه
الاول قال المحكم هو الذي اتقنه فاعله ولولا ان الله تعالى خلق هذا القران والا لم يصح ذلك لان الاحكام لا يكون
الا في الافعال ولا يجوز ان يقال كان موجودا غير محكم ثم جعله الله محكما لان هذا يقتضي في بعضه الذي جعله محكما
ان يكون محدثا ولم يقل احد ان القران بعضه قديم وبعضه محدث الثاني ان قوله فصلت يدل على انه حصل فيه انفصال
وافتراق ويدل على ان ذلك الانفصال والافتراق انما حصل بجعل جاعل الثالث قوله تعالى من لدن حكيم خبير
والمراد من عنده والقديم لا يقال انه حصل من عند قديم اخر لانهما ان كانا قديمين لم يكن القول بان احدهما حصل
من عند الاخر اولى من العكس واجيب بان هذه النعوت عايدة الى هذه الحروف والاصوات ونحن نعترف بانها مخلوقة وانما الذي
يدعي قدمه امر اخر سوى هذه الحروف والاصوات **قوله تعالى** من لدن اي من عنده ويجوز ان يكون صفة ثانية لكتاب
وان يكون خبرا ثانيا عند من يرى جواز ذلك ويجوز ان يكون معمولا لاحد الفعلين المتقدمين اعني احكمت او فصلت
ويكون ذلك من باب التنازع ويكون من اعمال الثاني اذ لو اعمل الاول لاضمر في الثاني واليه نحا الزمخشري فقال
وان يكون صلة احكمت وفصلت اي من عنده احكامها وتفصيلها والمعنى احكمها حكيم وفصلها اي شرحها وبينها خبير بكيفيات
الامور قال ابو حيان لا يريد ان من لدن يتعلق بالفعلين معا من حيث صناعة الاعراب بل يريد ان ذلك من باب الاعمال
فهي متعلقة بهما من حيث المعنى وهو معنى قول ابي البقاء ايضا ويجوز ان يكون مفعولا والعامل فيه فصلت **قوله تعالى**
ان لا تعبدوا فيها اوجه احدها ان تكون ان مخففة من الثقيلة ولا تعبدوا جملة نهي في محل رفع خبر لان المخففة
واسمها على ما تقدم ضمير الامر والشان محذوف الثاني انها المصدرية الناصبة ووصلت هنا بالنهي ويجوز ان تكون لا
نافية والفعل بعدها منصوب بان نفسها وعلى هذه التقادير فان اما في محل جر او نصب او رفع فالنصب والجر على انه لا
لان لا تعبدوا فلما حذف الخافض جرى الخلاف المشهور والعامل اما فصلت وهو المشهور واما احكمت عند الكوفيين

تكون المسئلة من باب الاعمال لان المعنى احكمت لئلا تعبدوا او بان لا تعبدوا او فصلت لان لا تعبدوا او بان لا تعبدوا
وقيل نصب بفعل مقدر تقديره ضمن الكتاب ان لا تعبدوا فان لا تعبدوا هو المفعول الثاني لضمن والاول قام مقام
الفاعل والرفع من اوجه احدها انه مبتدا وخبرها محذوف فقيل تقديره من النظر ان لا تعبدوا الا الله وقيل تقديره
في الكتاب ان لا تعبدوا الا الله والثاني خبر مبتدأ محذوف فقيل تقديره تفصيله ان لا تعبدوا الا الله وقيل تقديره
هي ان لا تعبدوا الا الله والثالث انه مرفوع على البدل من آياته قال ابو حيان واما من اعرب انه بدل من لفظ او من موضعها
يعني انها في الاصل مفعول لها فموضعها نصب وهي مسئلة خلاف هل يجوز ان يراعى اصل المفعول القائم مقام الفاعل
فيتبع لفظه تارة وموضعه اخرى فيقال ضربت هند العاقلة بنصب العاقلة باعتبار المحل ورفعها باعتبار اللفظ لا
مذهبان المشهور اعتبار اللفظ فقط والوجه الثالث ان تكون تفسيرية لان في تفصيل الآيات معنى القول فكانه
قيل قال لا تعبدوا الا الله او امركم وهذا اظهر الاقوال لانه لا يحوج الى اضمار **قوله تعالى** منه في هذا الضمير وجهان
اظهرهما انه يعود على الله تعالى اي اني لكم من جهته نذير وبشير نذير للعاصين وبشير للمطيعين قال ابو حيان فيكون
في موضع الصفة فيتعلق بمحذوف اي كائن من جهته وهذا على ظاهره ليس بصحيح لتقدمه على الموصوف فكيف يجعل صفة لنذير
وكانه يريد انه صفة في الاصل لو تاخر ولكن لما تقدم صار حالا وكذا صرح به ابو البقاء فكان صوابه ان يقول كي فيكون
في موضع الحال والتقدير كائنا من جهته الثاني انه يعود على الكتاب اي نذير لكم من مخالفته وبشير منه لمن آمن وعمل
صالحا وفي متعلق هذا الجار ايضا وجهان احدهما انه حال من نذير فيتعلق بمحذوف كما تقدم والثاني انه متعلق بنفس
نذير اي انذركم منه ومن عذابه ان كفرتم وابشركم بثوابه ان آمنتم وقدم الانذار لان التخويف اهم اذ يحصل به الانزجار **قوله
تعالى** وان استغفروا فيها وجهان احدهما انه عطف على ان الاولى سواء كانت لا بعدها نفيا او نهيا فيعود ذلك الاوجه
المقولة فيها الى ان هذه والثاني ان تكون منصوبة على الاغراء قال الزمخشري في هذا الوجه ويجوز ان يكون كلاما مبتدأ
منقطعا عما قبله على لسان النبي صلى الله عليه وسلم اغراء منه على اختصاص الله تعالى بالعبادة ويدل عليه قوله تعالى
انني لكم منه نذير وبشير كانه قال ترك عبادة غير الله انني لكم منه نذير كقوله تعالى فضرب الرقاب **قوله تعالى** ثم توبوا
عطف على ما قبله من الامر بالاستغفار وثم على بابها من التراخي لانه يستغفر اولا ثم يتوب ويتجرد من ذلك الذنب المستغفر
منه قال الزمخشري فان قلت ما معنى ثم في قوله تعالى ثم توبوا اليه قلت معناه استغفروه من الشرك ثم ارجعوا اليه
بالطاعة او استغفروا والاستغفار توبة ثم اخلصوا التوبة واستقيموا عليها كقوله تعالى ثم استقاموا قال [illegible]
قوله او استغفروا والى آخره يعني ان بعضهم جعل الاستغفار والتوبة بمعنى واحد فلذلك احتاج الى تاويل توبوا
باخلصوا التوبة قال الفراء ثم هنا بمعنى الواو اي وتوبوا اليه لان الاستغفار هو التوبة والتوبة هي الاستغفار وقيل
وان استغفروا ربكم في الماضي ثم توبوا اليه في المستأنف وقيل انما قدم الاستغفار اولا لان المغفرة هي الغرض
المطلوب والتوبة هي السبب اليها فالمغفرة اول في المطلوب وآخر في السبب ويحتمل ان يكون المعنى استغفروه من الصغائر
ثم توبوا اليه من الكبائر **قوله تعالى** يمتعكم جواب للامر وقد تقدم الخلاف في الجازم هل هو نفس الجملة الطلبية او حرف
شرط مقدر وقرا الحسن وابن هرمز وزيد بن علي وابن محيصن يمتعكم بالتخفيف من امتع وقد تقدم ان نافعا وابن عامر
قرأ فامتعه قليلا في البقرة بالتخفيف كهذه القراءة **قوله تعالى** متاعا في نصبه وجهان احدهما انه منصوب على المصدر
بحذف الزوائد اذ التقدير تمتيعا فهو كقوله تعالى انبتكم من الارض نباتا والثاني انه ينتصب على المفعول به والمراد بالمتاع
اسم ما يتمتع به فهو كقولك متعت زيدا ثوبا قال المفسرون معناه يعيشكم عيشا في خفض ودعة وامن وسعة الى اجل مسمى
يعني الموت **فان قيل** اليس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر وقال ايضا خص البلاء بالانبياء
ثم الاولياء ثم الامثل فالامثل وقال تعالى ولولا ان يكون الناس امة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا
من فضة ودلت هذه النصوص على ان نصيب المطيع عدم الراحة في الدنيا فكيف الجمع بينهما فالجواب من [illegible] والثاني
انه تعالى يوصل اليه الرزق كيف كان واليه الاشارة بقوله وامر اهلك بالصلوة واصطبر عليها لا نسالك رزقا نحن نرزقك
الثالث ان المشتغل بالعبادة مشتغل بحب شيء ممتنع تغيره وزواله وفناؤه وكلما كان تمكنه في ذلك الطريق اتم
كان انقطاعه عن الخلق اتم واكمل وكلما كان الكمال في هذا الباب اكثر كان الابتهاج والسرور اكمل لانه آمن من تغير مطلوبه
وآمن من زوال محبوبه واما من اشتغل بحب غير الله تعالى كان ابدا في الم الخوف من فوات المحبوب وزواله فكان عيشه
منغصا وقلبه مضطربا ولذلك قال تعالى في صفة المشتغلين بخدمته فلنحيينه حيوة طيبة **فان قيل** هل يدل قوله
الى اجل مسمى على ان للعبد اجلين وانه يقع في ذلك التقديم والتاخير فالجواب لا والمعنى الاية انه تعالى حكم بان هذا العبد
لو اشتغل بالعبادة لكان اجله في الوقت الفلاني ولو اعرض عنها لكان اجله في وقت آخر لكنه تعالى عالم بانه يشتغل بالعبادة

فلا جرم كان عالما بان اجله ليس الا في ذلك الوقت المعين فثبت ان لكل انسان اجلا واحدا وسمى منافع الدنيا متاعا
تنبيها على حقارتها وقلتها وانها منقضية بقوله تعالى الى اجل مسمى **قوله تعالى** ويؤت كل ذي فضل فضله اي ثوابه
كل مفعول اول وفضله مفعول ثان وقد تقدم للسهيلي خلاف في ذلك والضمير في فضله يجوز ان يعود على الله تعالى
اي يعطي كل صاحب فضل فضله اي ثوابه وان يعود على لفظة كل اي يعطي كل صاحب فضل جزاء فضله لا يبخس منه شيئا
اي جزاء عمله قال المفسرون ويعط كل ذي عمل صالح في الدنيا اجره وثوابه في الآخرة وقال ابو العالية من كثرت طاعاته
في الدنيا زادت درجاته في الجنة لان الدرجات تكون بالاعمال وقال ابن عباس من زادت حسناته على سيئاته دخل الجنة
ومن زادت سيئاته على حسناته دخل النار ومن استوت حسناته وسيئاته كان من اهل الاعراف ثم يدخلون الجنة
ثم قال تعالى وان تولوا فاني اخاف عليكم عذاب يوم كبير وهو يوم القيمة وقرا الجمهور تولوا بفتح التاء والواو واللام
المشددة وفيها احتمالان احدهما ان الفعل مضارع تولى وحذفت منه احدى التاءين تخفيفا نحو تنزل وقد تقدم ايهما المحذوف
وهذا هو الظاهر ولذلك جاء الخطاب في قوله تعالى عليكم والثاني انه فعل ماض مسند لضمير الغائبين وجاء الخطاب على اضمار
القول اي فقل لهم اني اخاف عليكم ولولا ذلك لكان التركيب واني اخاف عليهم وقرا اليماني وعيسى بن عمر تولوا بضم التاء وفتح
الواو وضم اللام وهو مضارع ولي كقولك زكى يزكي ونقل صاحب اللوامح عن اليماني وعيسى وان تولوا بثلاث ضمات
مبنيا للمفعول ولم يبين ما هو ولا تصريفه فهو فعل ماض ولما بني للمفعول ضم اوله على الفاعل وضم ثانيه ايضا لانه مفتتح
بتاء مطاوعة وكلما افتتح بتاء مطاوعة ضم اوله وثانيه وضمت اللام ايضا وان كان اصلها الكسر لاجل واو الضمير والاصل
توليوا نحو تدحرجوا فاستثقلت الضمة على الياء فحذفت فالتقى ساكنان فحذفت الياء لانها اولهما فبقي ما قبل واو الضمير
فضم ليجانس الضمير فصار وزنه تفعوا بحذف لامه والواو قائمة مقام الفاعل وقرا الاعرج تولوا بضم التاء وسكون
الواو وضم اللام مضارع اولى وهذه القراءة لا يظهر لها معنى طائل هنا والمفعول محذوف تقديره [illegible] وكبير صفة
ليوم مبالغة لما يقع فيه من الاهوال وقيل بل كبير صفة لعذاب فهو منصوب وانما خفض على الجوار كقولهم جحر ضب خرب
بجر خرب وهو صفة لجحر وقول امرئ القيس • كان ثبيرا في عرانين وبله • كبير اناس في بجاد مزمل • بجر مزمل وهو
صفة لكبير وقد تقدم البحث في ذلك في سورة المائدة ثم قال الى الله مرجعكم وهو على كل شيء قدير وهذا فيه تهديد وبشارة
فالتهديد قوله تعالى الى الله مرجعكم يدل على ان مرجعنا اليه وهو قادر على جميع المقدورات لا دافع لقضائه ولا مانع لمشيئته والرجوع
الى الحاكم الموصوف بهذه الصفة مع العيوب الكثيرة والذنوب العظيمة مشكل واما البشارة فان ذلك يدل على قدرة عالية
وجلالة عظيمة لهذا الحاكم وعلى ضعف تام وعجز عظيم لهذا العبد والملك القادر القاهر العالي اذا راى احدا اشرف على الهلاك
فانه يخلصه من تلك الهلكة ومنه المثل المشهور ملكت فاسجح **قوله تعالى** الا انهم يثنون صدورهم الاية لما قال تعالى
وان تولوا عن طاعة الله وعبادته بين بعده صفة ذلك التولي فقال تعالى الا انهم يعني الكفار يثنون صدورهم يقال ثنيت
الشيء اذا عطفته وطويته وقراءة الجمهور بفتح الياء وسكون الثاء المثلثة وهو مضارع ثنى يثني ثنيا اي طوى وزوى وصدورهم
مفعول به والمعنى يحرفون صدورهم ووجوههم عن الحق وقبوله والاصل يثنيون فاعل بحذف الضمة عن الياء ثم حذف
الياء لالتقاء الساكنين وقرا سعيد بن جبير يثنون بضم الياء وهو مضارع اثنى ولا يعرف في اللغة الا ان يقال معناه عرضوها
للاثناء كما يقال ابعت الفرس اذا عرضته للبيع وقال صاحب اللوامح ولا يعرف الاثناء في هذا الباب الا ان يراد بها وجدتها
مثنية مثل احمدته وامجدته ولعله فتح النون اي ولعل ابن جبير قرا ذلك بفتح نون يثنون فيكون مبنيا للمفعول وهو
معنى قوله وهذا مما فعل بهم اي وجدوا كذلك فعلى هذا يكون صدورهم بنزع الخافض اي في صدورهم اي يوجد الثني
في صدورهم ولذلك جوز رفعه على البدل كقولك ضرب زيد الظهر ومن جوز تعريف التمييز لا يبعد عنده ان ينتصب
صدورهم على التمييز بهذا التقدير بالحذف فتدبره وقرا ابن عباس وعلي بن الحسين وابناه زيد ومحمد وابنه جعفر ومجاهد
وابن يعمر وعبد الرحمن بن ابزي وابو الاسود تثنوني مضارع اثنوني على وزن افعوعل من الثني كاحلولى من الحلاوة وهو
بناء مبالغة صدورهم بالرفع على الفاعلية ونقل عن ابن عباس وابن يعمر ومجاهد وابن ابي اسحق يثنوني صدورهم بالياء والتاء
لان التانيث مجازي فتذكير الفعل باعتبار تاويل فاعله بالجمع وتانيثه باعتبار تاويل فاعله بالجماعة وقرا ابن عباس
ايضا وعروة وابن ابي ابزي والاعشى يثنون بفتح الياء وسكون الثاء وفتح النون وكسر الواو وتشديد النون الاخيرة
والاصل يثنونن بوزن يفعوعل من الثن وهو ما هش وضعف من الكلأ يريد مطاوعة نفوسهم للشيء كما يثني الهش من النبات
او اراد ضعف ايمانهم ومرض قلوبهم وصدورهم بالرفع على الفاعلية وقرا مجاهد وعروة ايضا كذلك الا انهما جعلا مكان
الواو المكسورة همزة مكسورة فاخرجاها مثل يطمئن وفيها تخريجان احدهما ان الواو قلبت همزة لاستثقال الكسرة عليها
ومثله اعاء واشاح في وعاء ووشاح لما استثقلوا الكسرة على الواو ابدلوها همزة والثاني ان وزنه تفعيل من الثن وهو ما ضعف

من النبات كما تقدم وذلك انه مضارع لاثنان مثل احمار واصغار وقد تقدم ان من العرب من يقلب مثل هذه الالف همزة كقوله بالعبيط ادهامت بجامضارع اثنان على ذلك كقولك احمار يحمير كاطمان يطمين واما صدورهم فبالرفع على ما تقدم وقرا الاعشى ايضا تثنون بفتح التا وسكون المثلثة وفتح النون وهمزة مضمومة وواو ساكنة بزنة تفعلون كيذهبون صدورهم بالنصب قال صاحب اللوامح ولا اعرف وجهه لانه يقال ثنيت ولم اسمع ثنات ويجوز انه اقلب اليا الفا على لغة من يقول اعطات في اعطيت ثم همز الالف على لغة من يقول ولا الضالين وقرا ابن عباس ايضا تثنوي بفتح التا وسكون المثلثة وفتح النون وكسر الواو بعدها ياء ساكنة بزنة ترعوي وهي قراءة مشكلة جدا حتى قال ابو حاتم وهذه القراءة غلط لا يجوز وانما قال انها غلط لانه لا معنى للواو في هذا الفعل اذ لا يقال ثنوته فانثوى كرعوته اي كففته فارعوى اي فانكف ووزنه افعل كاحمر وقرا نصر بن عاصم وابن الجحدري وابن ابي اسحق يثنون بتقديم النون الساكنة على المثلثة وقرا ابن عباس ايضا ليثنون بلام التاكيد في خبر ان وفتح اليا وسكون المثلثة وفتح النون وسكون الواو وبعدها نون مكسورة وهي بزنة يفعوعل كما تقدم الا انها حذفت اليا التي هي لام الفعل تخفيفا كقولهم لا ادر وما ادر وصدورهم فاعل كما تقدم وقرات طايفة يثنؤن بفتح اليا ثم مثلثة ساكنة ثم نون مفتوحة ثم همزة مضمومة ثم نون مشددة مثل يعرون وهو من ثنيا لانه قلب اليا واوا لان الضمة تناسبها فجعلت الحركة على مجانسها فصار اللفظ يثنوون ثم قلبت الواو المضمومة همزة كقولهم اجوه في وجوه واقتت في وقتت فصار يثنؤن فلما اكد الفعل بنون التوكيد حذفت نون الرفع فالتقى ساكنان وهما واو الضمير والنون الاولى من نون التوكيد فحذفت الواو وبقيت الضمة تدل عليها فصار تثنون كما ترى وصدورهم منصوب مفعولا به فهذه احدى عشرة قراءة مضبوطة قوله تعالى ليستخفوا منه فيه وجهان احدهما ان هذه اللام متعلقة بيثنون وكذا قاله الحوفي والمعنى انهم يفعلون ثني الصدور لهذه العلة والثاني ان اللام متعلقة بمحذوف قال الزمخشري ليستخفوا منه يعني ويريدون ليستخفوا من الله فلا يطلع رسوله والمومنون على ازورارهم ونظير اضمار يريدون لعود المعنى الى اضماره الاضمار في قوله تعالى ان اضرب بعصاك البحر فانفلق معناه فضرب فانفلق قال شهاب الدين ليس المعنى الذي يعودنا الى اضمار الفعل هناك كالمعنى هنا لان ثم لا بد من حذف معطوف يضطر العقل الى تقديره لانه ليس من لازم الامر بالضرب انفلاق البحر فلا بد ان يتعقل فضرب فانفلق واما في هذه فالاستخفاء علة صالحة لثنيهم صدورهم فلا اضطرار بنا الى اضمار الارادة والضمير في منه فيه وجهان احدهما انه عايد على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ظاهر على تعلق اللام بيثنون والثاني انه عايد على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ظاهر على تعلق اللام بيثنون والثاني انه عايد على الله تعالى كما قال الزمخشري قوله تعالى الا حين يستغشون في هذا الظرف وجهان احدهما ان ناصبه مضمر فقدره الزمخشري بيريدون كما تقدم فقال ومعنى الا حين يستغشون ثيابهم ايضا كراهة لاستماع كلام الله كقول نوح عليه السلام جعلوا اصابعهم في اذانهم واستغشوا ثيابهم وقدره ابو البقا فقال الا حين يستغشون ثيابهم يستخفون والثاني ان الناصب له يعلم اي الا يعلم سرهم وعلنهم حين يفعلون كذا وهذا معنى واضح وكانهم انما جوزوا غيره لئلا يلزم تقييد علمه تعالى سرهم وعلنهم في وقت التغشية الذي يخفى فيه لهم فاولى في غيره وهذا بحسب العادة والا فالله تعالى لا يتفاوت علمه وما يجوز ان تكون مصدرية وان تكون بمعنى الذي والعايد محذوف اي يسترونه ويعلنونه

فصل

قال ابن عباس نزلت في الاخنس بن شريق وكان رجلا حلو الكلام حلو المنظر يلقى رسول الله صلى الله عليه وسلم بما يحب ويطوي بقلبه على ما يكره فقوله تعالى يثنون صدورهم اي يخفون ما في صدورهم من الشحناء والعداوة قال عبد الله بن شداد نزلت في بعض المنافقين كان اذا مر برسول الله صلى الله عليه وسلم ثنى صدره وظهره وطاطا راسه وغطى وجهه كي لا يراه النبي صلى الله عليه وسلم قال قتادة كانوا يحنون صدورهم لكيلا يسمعوا كتاب الله ولا ذكره وقيل كان الرجل يدخل بيته ويرخي ستره ويحني ظهره ويتغشى بثوبه ويقول هل يعلم الله ما في قلبي وقال السدي يثنون اي يعرضون بقلوبهم من قولهم ثنيت عناني وقيل يعطفون ومنه ثني الثوب ليستخفوا منه اي من رسول الله وقال مجاهد ليستخفوا من الله كما تقدم في الاعراب الا حين يستغشون ثيابهم يغطون رؤسهم بثيابهم ولا كلمة تنبيه اي الا انهم يستخفون حين يستغشون ثيابهم ثم ذكر انه لا فايدة لهم في استخفايهم فقال يعلم ما يسرون وما يعلنون انه عليم بذات الصدور وقال الازهري معنى الاية من اولها الى اخرها ان الذين اضمروا عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يخفى علينا حالهم قال ابن جريج اخبرني محمد بن عباد بن جعفر انه سمع ابن عباس يقرا الا انهم تثنوني صدورهم قال اناس كانوا يستحيون ان يتخلوا فيفضوا الى السما وان يجامعوا نساهم فيفضوا الى السماء فنزل ذلك فيهم قوله تعالى وما من دابة في الارض الاية لما ذكر انه تعالى يعلم ما يسرون وما يعلنون اردفه بما يدل على انه تعالى عالم بجميع المعلومات وهو ان رزق كل حيوان انما يصل اليه من الله تعالى لانه لو لم يكن عالما بجميع المعلومات لما حصلت هذه المهمات قال الزجاج

الدابة

الدابة اسم لكل حيوان ماخوذ من الدبيب وبنيت هذه اللفظة على هاء التانيث هذا موضعها اللغوي ومن صلة الاعلى الله رزقها هو المتكفل بذلك فضلا وهو الى مشيئته ان شاء رزق وان شاء لم يرزق وقيل على بمعنى من اي من الله رزقها قال مجاهد ما جاءها من رزق فمن الله وربما لم يرزقها حتى تموت جوعا ويعلم مستقرها ومستودعها قال ابن مقسم ويروى عن ابن عباس مستقرها المكان الذي تاوي اليه وتستقر فيه ليلا ونهارا ومستودعها الموضع الذي تدفن فيه اذا ماتت وقال عبد الله بن مسعود المستقر ارحام الامهات والمستودع المكان الذي تموت فيه وقال عطا المستقر ارحام الامهات والمستودع اصلاب الاباء ورواه سعيد بن جبير وعلي بن ابي طلحة وعكرمة عن ابن عباس وقيل المستقر الجنة او النار والمستودع القبر لقوله تعالى في صفة الجنة والنار حسنت مستقرا وساءت مستقرا ومقاما كل في كتاب مبين قال الزجاج معناه كل ذلك ثابت في علم الله وقيل كل ذلك مثبت في اللوح المحفوظ قبل ان يخلقها قوله تعالى مستقرها ومستودعها يجوز ان يكونا مصدرين اي استقرارها واستيداعها ويجوز ان يكونا مكانين اي مكان استقرارها واستيداعها ويجوز ان يكون مستودعها اسم مفعول لتعدي فعله ولا يجوز ذلك في مستقر لان فعله لازم ونظيره في المصدرية قول الشاعر الم تعلم مسرحي القوافي اي تسريحي وكل المضاف اليه محذوف تقديره كل دابة ورزقها ومستقرها ومستودعها في كتاب مبين قوله تعالى وهو الذي خلق السموات والارض الاية لما اثبت الدليل المتقدم على كونه عالما بالمعلومات اثبت بهذا الدليل كونه قادرا على كل المقدورات وقد مضى تفسير خلق السموات والارض في ستة ايام في اول يونس قوله تعالى وكان عرشه على الماء قال كعب خلق الله عز وجل ياقوتة خضراء ثم نظر اليها بالهيبة فصارت ماء ترتعد ثم خلق الريح فجعل الماء على متنها ثم وضع العرش على الماء وقال ضمرة ان الله عز وجل كان عرشه على الماء ثم خلق السموات والارض وخلق القلم فكتب به ما هو خالق وما هو كاين من خلقه قالت المعتزلة في الاية دلالة على وجود الملائكة قبل خلق السموات والارض لان خلقها اما ان تكون لمنفعة او لا لمنفعة والثاني عبث فبقي انه خلقها لمنفعة وتلك المنفعة اما ان تكون عايدة الى الله تعالى وهو محال لكونه متعاليا عن النفع والضر فلزم ان يكون نفعها مختصا بالغير فوجب كون الغير حيا لان غير الحي لا ينتفع وكل من قال بذلك قال كان ذلك الحي من الملائكة فان قيل وما الفايدة في ذكر ان عرشه كان على الماء قبل خلق السموات والارض فالجواب ان فيه دلالة على كمال القدرة من وجوه احدها ان العرش مع كونه اعظم من السموات والارض كان على الماء فلولا انه تعالى قادر على امساك الثقيل بغير عمد لما صح ذلك وثانيها انه تعالى امسك الماء لا على قرار والا لزم ان يكون اجسام العالم غير متناهية فدل على كمال القدرة وثالثها ان العرش الذي هو اعظم المخلوقات قد امسكه الله تعالى فوق سبع سموات من غير دعامة تحته ولا علاقة فوقه فدل على كمال القدرة قوله تعالى ليبلوكم في هذه اللام وجهان احدهما انها متعلقة بمحذوف فقيل تقديره اعلم بذلك ليبلوكم في هذه اللام وجهان احدهما انها متعلقة بمحذوف فقيل تقديره اعلم بذلك ليبلوكم وقيل تقديره وخلقكم ليبلوكم والثاني انها متعلقة بخلقكم قال الزمخشري اي خلقهن لحكمة بالغة وهي ان يجعلها مساكن لعباده وينعم عليهم فيها بصنوف النعم ويكلفهم فعل الطاعات واجتناب المعاصي فمن شكر واطاع اثابه ومن كفر وعصى عاقبه ولما اشبه ذلك اختبار المختبر قال ليبلوكم يريد ليفعل بكم ما يفعل المبتلي لاحوالكم واعلم انه لما بين انه انما خلق هذا العالم لاجل ابتلاء المكلفين وامتحانهم وجب القطع بحصول الحشر والنشر لان الابتلاء والامتحان يوجب الرحمة والثواب للمحسن والعقاب للمسيء وذلك لا يتم الا بالاعتراف بالقيمة والمعاد والقيمة فعند هذا خاطب محمدا صلى الله عليه وسلم وقال ولين قلت انكم مبعوثون من بعد الموت ليقولن الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين اي انكم تنكرون هذا الكلام وتحكمون بفساد القول بالبعث قوله تعالى ايكم احسن مبتدا وخبر في محل نصب باسقاط الخافض لانه تعلق بقوله ليبلوكم قال الزمخشري فان قلت كيف جاز تعليق فعل البلوى قلت لما في الاختبار من معنى العلم لانه طريق اليه فهو ملابس له كما تقول انظر ايهم احسن وجها واسمع ايهم احسن صوتا لان النظر والاستماع من طرق العلم وقد اخذ ابو حيان في تمثيله بقوله واسمع فقال لم اعلم احدا ذكر ان اسمع تعلق وانما ذكروا من غير افعال القلوب سل وانظر وفي جواز تعليق راى البصرية خلاف قوله تعالى ولين قلت هذه لام الموطية للقسم وليقولن جوابه وحذف جواب الشرط لدلالة القسم عليه وانكم محكي بالقول فلذلك كسرت في قراءة الجمهور وقرئ بفتحها وفيها تاويلان ذكرهما الزمخشري احدهما انها بمعنى لعل قال من قولهم ايت السوق انك تشتري لحما اي لعلك اي ولين قلت لهم لعلكم مبعوثون بمعنى توقعوا بعثكم وظنوه لا تبتوا القول بانكاره لقالوا والثاني ان تضمن قلت معنى ذكرت يعني فيفتح الهمزة لانها مفعول لذكرت قوله تعالى ان هذا الا سحر قد تقدم انه قرئ سحر وساحر فمن قرا سحر فهذا اشارة الى البعث المدلول عليه بما تقدم او اشارة الى القران لانه ناطق بالبعث ومن قرا ساحر فالاشارة بهذا الى النبي صلى الله عليه وسلم ويجوز ان يراد بهذا في القراءة الاولى النبي صلى الله عليه وسلم ايضا ويكون جعلوه سحرا مبالغة

او على حذف مضاف اي الا ذو سحر ويجوز ان يراد بساحر نفس القران مجازا كقولهم شعر شاعر وجد جده فان قيل
كيف يمكن وصف هذا القول بانه سحر فالجواب من وجوه احدها ان القفال قال معناه ان هذا القول خديعة منكم وضعتموها
لمنع الناس من لذات الدنيا واحرازا لهم الى الانقياد لكم والدخول تحت طاعتكم وثانيها ان قولهم ان هذا الا سحر مبين
معناه ان السحر امر باطل قال تعالى حاكيا عن موسى عليه السلام ما جئتم به السحر ان الله سيبطله وثالثها ان القران هو الحاكم
بحصول البعث وطعنوا في القران بكونه سحرا والاصل والطعن في الاصل يفيد الطعن في الفرع ورابعها قرا حمزة والكسائي
ان هذا الا ساحر والساحر كاذب **قوله تعالى** ولئن اخرنا عنهم العذاب قال الحسن حكم الله انه لا يعذب احدا من هذه
الامة بعذاب الاستيصال واخر ذلك العذاب الى القيمة فلما اخر عنهم العذاب قالوا على سبيل الاستهزاء ما الذي
حبسه عنا وقيل المراد بالعذاب ما نزل بهم يوم بدر واصل الامة الجماعة قال تعالى وجد عليه امة من الناس وقوله
تعالى وادكر بعد امة اي انقضاء امة فكانه قال الى انقراض امة ومجي اخرى وقيل اشتقاق الامة من الام وهو القصد
كانه يعني الوقت المقصود بايقاع الموعود فيه ليقولن ما يحبسه اي اي شي يحبسه يقولونه استعجالا للعذاب واستهزاء
يعنون انه ليس بشي **قوله تعالى** ليقولن هذا الفعل معرب على المشهور لان النون مفصولة تقديرا اذ الاصل ليقولونن
النون الاولى للرفع وبعدها نون مشددة فاستثقل توالي ثلاثة امثال فحذفت نون الرفع لانها لا تدل على معنى على
ما دل عليه نون التوكيد فالتقى ساكنان نحو الواو والتي هي ضمير الفاعل لالتقائهما وقد تقدم تحقيق ذلك وما محله
استفهام فاستبد بحبسه خبره وفاعل الفعل ضمير اسم الاستفهام والمنصوب يعود على العذاب والمعنى اي شي من الاشياء
يحبس العذاب **قوله تعالى** الا يوم ياتيهم يوم منصوب بمصروفا الذي هو خبر ليس وقد استدل به جمهور البصريين
على جواز تقديم خبر ليس عليها ووجه ذلك ان تقديم المعمول يؤذن بتقديم العامل ويوم منصوب بمصروفا وقد تقدم
على ليس فليجز تقديم الخبر بطريق الاولى لانه اذا تقدم الفرع فاولى ان يتقدم الاصل وقد رد بعضهم هذا الدليل
بشيئين احدهما ان الظرف يتوسع فيه ما لا يتوسع في غيره والثاني ان هذه القاعدة منخرمة اذ لنا موضع يتقدم فيها
المعمول ولا يتقدم فيها العامل واورد من ذلك نحو قوله تعالى فاما اليتيم فلا تقهر واما السائل فلا تنهر فاليتيم منصوب
بتقهر والسائل منصوب بتنهر وقد تقدما على لا الناهية ولا يتقدم العامل وهو المجزوم على لا وللبحث في هذه المسئلة
موضع يليق به قال ابو حيان وقد تتبعت جملة من دواوين العرب فلم اظفر بتقدم خبر ليس عليها ولا بمعموله الا ما دل
عليه ظاهر هذه الاية وقول الشاعر ● فيابى فما يزداد الا لجاجة ● وكنت ابيا في الخنا لست اقدم ●
واسم ليس ضمير عايد على العذاب وكذلك فاعل ياتيهم والتقدير الا ليس العذاب مصروفا عنهم يوم ياتيهم العذاب
وحكى ابو البقا عن بعضهم ان العامل في يوم ياتيهم محذوف تقديره اي لا يصرف عنهم العذاب يوم ياتيهم ودل على
هذا المحذوف سياق الكلام بو حق قال وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن ذكرها في لفظ الماضي مبالغة في التاكيد
والتقرير وان خبر الله تعالى واقع لا محالة **قوله تعالى** ولئن اذقنا الانسان منا رحمة الاية لما ذكر ان عذاب
الكفار وان تاخر لا بد وان يحيق بهم ذكر بعده ما يدل على كفرهم وعلى كونهم مستحقين لذلك العذاب فقال ولئن
اذقنا الانسان قيل المراد به مطلق الانسان لانه استثنى منه الا الذين صبروا ولانه موافق لقوله تعالى ان الانسان
لفي خسر الا الذين امنوا ولقوله ان الانسان خلق هلوعا ولان مزاج الانسان مجبول على الضعف والعجز قال ابن جريج
في تفسير هذه الاية يا ابن ادم اذا نزلت بك نعمة من الله فانت كفور واذا نزعت عنك فيؤس قنوط وقيل المراد به
الكافر لان الاصل في المحلى المعرف بالالف واللام ان يعود على المعهود السابق الا ان يمنع مانع منه وههنا لا مانع
فوجب حمله على المعهود السابق وهو الكافر المذكور في الاية المتقدمة وايضا فالصفات المذكورة في الانسان
هنا لا يليق الا بالكافر لانه وصفه بكونه كفورا وهو تصريح بالكفر ووصفه عند وجدان الراحة بقوله ذهب
السيئات عني وذلك جراءة على الله تعالى ووصفه بكونه فرحا والله لا يحب الفرحين ووصفه بكونه فخورا وذلك
ليس من صفات اهل الدين واذا كان كذلك وجب حمل الاستثناء المذكور في هذه الاية على الاستثناء المنقطع واعلم
ان لفظ الاذاقة والذوق يفيد اقل ما يوجد من الطعم فكان المراد ان الانسان بوجدان اقل القليل من الخير
في العاجلة يقع في الكفر والطغيان وبوجدان اقل القليل من البلا يقع في الاياس والقنوط فقال تعالى ولئن
اذقنا الانسان منا رحمة نعمة وسعة ثم نزعناها منه سلبناها عنه انه ليؤس قنوط في الشدة كفور بالنعمة ولئن اذقناه
نعماء قال الواحدي النعماء انعام يظهر اثره على صاحبه والضراء مضرة يظهر اثرها على صاحبها لانها خرجت مخرج الاحوال
الظاهرة نحو حمراء وسوداء وهذا هو الفرق بين النعمة والنعماء والمضرة والضراء والمعنى اذا اذقناه نعماء بعد بلاء
اصابه ليقولن ذهب السيئات عني زالت الشدائد عني انه لفرح فخور اشر بطر والفرح لذة في القلب لنيل المشتهى والفخر

هو

هو التطاول على الناس بتعديد المناقب وذلك منهي عنه **فصل** اعلم ان احوال الدنيا ابدا في التغير والزوال
والتحول والانتقال فاما ان يتحول الانسان من النعمة الى المحنة او العكس فاما الاول فهو المراد بقوله تعالى ولئن اذقنا
الانسان منا رحمة ثم نزعناها منه انه ليؤس كفور اي انه حال زوال تلك النعمة يؤسا لان الكافر يعتقد ان السبب في حصول
تلك النعمة سبب اتفاقي ثم انه يستبعد حدوث ذلك الاتفاق مرة اخرى فلا جرم يستبعد عود تلك النعمة فيقع في الياس
واما المسلم فيعتقد ان تلك النعمة انما حصلت من فضل الله واحسانه فلا ييأس بل يقول لعله تعالى يردها الي احسن
واكمل مما كانت واما ان الانسان يكون كفورا حال تلك النعمة فان الكافر لما اعتقد ان حصولها كان على سبيل الاتفاق وانه
حصلها بجده واجتهاده فحينئذ لا يشتغل بشكر الله تعالى على تلك النعمة والمسلم يشتغل بشكر الله تعالى والحاصل ان الكافر
يكون عند زوال النعمة يؤسا وعند حصولها كفورا واما انتقال الانسان من المحنة الى النعمة فالكافر يكون فرحا فخورا لان
منتهى طبع الكافر هو الفوز بهذه السعادات البدنية وهو منكر للسعادات الاخروية **قوله تعالى** لفرح قرا الجمهور بكسر الراء
وهو قياس اسم الفاعل من فعل اللازم بكسر العين نحو اشر فهو اشر وبطر وقري شاذا لفرح بضم الراء نحو يقظ ويقظ وندس
وندس **قوله تعالى** الا الذين صبروا فيه ثلاثة اوجه احدها انه منصوب على الاستثناء المتصل والمراد بجنس
الانسان لا واحد بعينه والثاني انه منقطع اذ المراد بالانسان شخص معين وهو على هذين الوجهين منصوب المحل والثالث
انه مبتدا والخبر الجملة من قوله اولئك لهم مغفرة وهو منقطع ايضا والمعنى ان هؤلاء يكونون عند البلاء من الصابرين وعند
الراحة والخير من الشاكرين قال الفراء هو استثناء منقطع معناه لكن الذين صبروا وعملوا الصالحات فانه ان نالتهم
شدة صبروا وان نالوا نعمة شكروا ثم قال اولئك لهم مغفرة يجوز ان يكون مغفرة مبتدا ولهم الخبر والجملة خبر اولئك
ويجوز ان يكون لهم خبر اولئك ومغفرة فاعل بالاستقرار فجمع لهم بين شيئين احدهما زوال العقاب بقوله لهم مغفرة والثاني
الفوز بالثواب بقوله واجر كبير **قوله تعالى** فلعلك الاحسن ان تكون على بابها من الترجي بالنسبة الى المخاطب وقيل هي
للاستفهام كقوله عليه السلام لعلنا اعجلناك فان قيل لعلك كلمة شك فما فايدتها فالجواب ان المراد منها الزجر والعرب
تقول للرجل اذا ارادوا ابعاده عن امر لعلك تقدر ان تفعل كذا مع انه لا شك فيه ويقول لولده لعلك تقصر فيما امرتك
ويريد توكيد الامر فمعناه لا تترك وقوله تعالى وضايق به صدرك عدل عن ضيق ولو كان اكثر من ضايق
قال الزمخشري ليدل على انه ضيق عارض غير ثابت ومثله سيد وجواد تريد السيادة والجود الثابتين المستقرين فاذا
اردت الحدوث قلت سايد وجايد قال ابو حيان وليس هذا الحكم مختصا بهذه الالفاظ بل كل ما يبنى من الثلاثي للثبوت
والاستقرار على غير فاعل رد اليه اذا اريد به معنى الحدوث تقول حاسن وثاقل وسامن في حسن وثقل وسمن وانشد
بمنزلة اما اللئيم فسامن بها ● وكرام الناس باد شحوبها ● وقيل انما عدل عن ضيق الى ضايق ليناسب وزن تارك والهاء
في به يعود على بعض وقيل على ما وقيل على التكذيب وصدرك فاعل الضايق ويجوز ان يكون ضايق خبرا مقدما
وصدرك مبتدا موخرا والجملة خبر عن الكاف في لعلك فيكون قد اخبر بخبرين احدهما مفرد والثاني جملة عطفت على مفرد
اذ هي بمعناه فهو نظير ان زيدا قايم وابوه منطلق اي ان زيدا ابوه منطلق **قوله تعالى** ان تقولوا في محل نصب
او جر على الخلاف المشهور في ان بعد حذف حرف الجر او المضاف تقديره كراهة او مخافة ان يقولوا او لئلا يقولوا او بان
تقولوا وقال ابو البقا لان يقولوا اي لان قالوا فهو بمعنى الماضي وهذا لا حاجة اليه وكيف يدعى ذلك فيه ومعه ما هو
نص في المضي الاستقبال وهو الناصب تحضيضية وجملة التحضيض منصوبة بالقول **فصل**
المعنى فلعلك يا محمد تارك بعض ما يوحى اليك فلا تبلغهم اياه وذلك ان كفار مكة لما قالوا ايت بقران غير هذا ليس فيه
سب الهتنا هم النبي صلى الله عليه وسلم ان يدع الهتهم ظاهرا فانزل الله تعالى فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك يعني سب
الالهة وضايق به صدرك اي ولعل لضيق صدرك ان تقولوا اي لان يقولوا لولا انزل عليه كنز ينفقه او جاء معه ملك يصدقه
قاله عبد الله بن امية المخزومي وروي عن ابن عباس ان روسا مكة قالوا يا محمد اجعل لنا جبال مكة ذهبا ان كنت رسولا وقال
اخرون ايتنا بالملائكة ليشهدوا بنبوتك فقال لا اقدر على ذلك فنزلت هذه الاية واجمع المسلمون على انه لا يجوز على
الرسول عليه السلام ان يخون في الوحي والتبليغ وان يترك بعض ما يوحى اليه لان تجويزه يودي الى الشك في كل الشرايع وذلك
يقدح في النبوة وايضا فالمقصود من الرسالة تبليغ التكاليف والاحكام فاذا لم تحصل هذه الفايدة فقد خرجت الرسالة
عن ان تفيد فايدتها واذا ثبت ذلك وجب ان يكون المراد من قوله فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك شيئا اخر سوى انه فعل
ذلك وذكروا فيه وجوها قيل انهم كانوا لا يقبلون القران ويتهاونون به فكان يضيق صدر الرسول عليه السلام ان يلقي
اليهم ما لا يقبلونه ويضحكون منه فاهاجه الله لاداء الرسالة وطرح المبالاة بكلماتهم الفاسدة وترك الالتفات الى استهزايهم
والغرض منه التنبيه على انه ان ادى ذلك الوحي وقع في سفاهتهم وان لم يود ذلك الوحي وقع في ترك وحي الله تعالى

وفي ايقاع الخيانة في وحي الله تعالى وانه لا بد من تحمل احد الضررين فتحمل ضرر سفاهتهم اسهل من تحمل ايقاع الخيانة
في وحي الله والغرض من ذكر هذا الكلام التنبيه على هذه الدقيقة لان الانسان اذا علم ان كل واحد من طرفي الفعل والترك
تشتمل على ضرر عظيم ثم علم ان الضرر في جانب الترك اعظم واقوى سهل عليه ذلك الفعل وخف فان قيل الكنز كيف يزل
فالجواب ان المراد ما يكثر وجرت العادة بان المال الكثير يسمى كنزا فقال القوم ان كنت صادقا في انك رسول الله الذي يصفه
بالقدرة على كل شيء وانك عزيز عنده فهلا انزل عليك ما تستغني به في مهماتك وتعين انصارك وان كنت صادقا
فهلا انزل الله معك ملكا يشهد لك على صدق قولك ويعينك على تحصيل مقصودك وتزول الشبهة في امرك فلما لم يفعل
لك ذلك فانت غير صادق فبين الله تعالى انه رسول منذر بالعقاب ومبشر بالثواب وليس له قدرة على ايجاد هذه المطلوبات
والذي ارسله هو القادر على ذلك فان شاء فعل وان شاء لم يفعل ولا اعتراض لاحد عليه ومعنى وكيل حفيظا اي يحفظ
عليهم اعمالهم حتى يجازيهم بها ونظير هذه الآية قوله تعالى وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا الى قوله تعالى
قل سبحان ربي هل كنت الا بشرا رسولا **قوله تعالى** ام يقولون افتراه قل فاتوا بعشر سور مثله مفتريات الآية لما طالبوا
منه المعجز قال المعجز هو هذا القرآن فلما حصل المعجز الواحد كان طلب الزيادة تعنتا وجهلا وفي ام هذه وجهان احدهما
انها منقطعة فتقدر ببل والهمزة والتقدير بل ايقولون افتراه والضمير في افتراه لما يوحى والثاني انها متصلة
فتقدر وهو بمعنى اتكتفون بما اوحينا اليك من القرآن ام يقولون انه ليس من عند الله **قوله** مثله نعت لسور
ومثل وان كانت بلفظ الافراد فانه يوصف بها المثنى والمجموع والمؤنث كقوله تعالى انؤمن لبشرين مثلنا ويجوز المطابقة
قال تعالى وحور عين كامثال وقال تعالى ثم لا يكونوا امثالكم وقال ابن الخطيب مثله بمعنى امثاله حملا على كل واحدة
من تلك السور ولا يبعد ايضا ان يكون المراد المجموع لان مجموع السور العشر شيء واحد والهاء في مثله يعود لما يوحى ايضا
ومفتريات صفة لسور جمع مفتراة كمصطفيات في مصطفاة فانقلبت الالف ياء كالتثنية **فصل** قال ابن
عباس هذه السور التي وقع بها هذا التحدي سور بعينها وهي سورة البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والانعام والاعراف
والانفال والتوبة ويونس وهود فقوله فاتوا بعشر سور مثله مفتريات اشارة الى هذه السور وهذا فيه اشكال لان هذه السورة
مكية وبعض السور المتقدمة مدنية فكيف يمكن ان يكون المراد هذه العشر عند نزول هذا الكلام فالاولى ان يقال التحدي وقع
بمطلق السور فان قيل قد قال في سورة يونس فاتوا بسورة مثله وقد عجزوا عنه فكيف قال فاتوا بعشر سور فهو كرجل يقول
لآخر اعطني درهما فيعجز فيقول اعطني عشرة فالجواب قد قيل نزلت سورة هود اولا وانكر المبرد هذا وقال بل سورة يونس اولا
وقال معنى قوله في سورة يونس فاتوا بسورة مثله اي مثله في الخبر عن الغيب والاحكام والوعد والوعيد فعجزوا فقال لهم في سورة هود
ان عجزتم عن الاتيان بسورة مثله في الاخبار والاحكام والوعد والوعيد فاتوا بعشر سور مثله من غير وعد ولا وعيد وانما هي
مجرد البلاغة **فصل** اختلفوا في الوجه الذي لاجله كان القرآن معجزا فقيل هو الفصاحة وقيل الاسلوب وقيل عدم
التناقض وقيل اشتماله على الاخبار عن الغيوب والمختار عند الاكثرين ان القرآن معجز من جهة الفصاحة واستدلوا بهذه
الآية لانه لو كان اعجازه هو كثرة العلوم او الاخبار عن الغيب او عدم التناقض لم يكن لقوله مفتريات معنى اما اذا كان وجه
الاعجاز هو الفصاحة صح ذلك لان فصاحة الفصيح تظهر بالكلام سواء كان صدقا او كذبا ثم انه لما قرر وجه التحدي
قال وادعوا من استطعتم واستعينوا بمن استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين فان لم يستجيبوا لكم يا اصحاب محمد
وقيل لفظه جمع والمراد به الرسول عليه السلام وحده والمراد بقوله فان لم يستجيبوا لكم اي الكفار ويحتمل ان من يدعون
من دون الله لم يستجيبوا **قوله تعالى** واعلموا انما انزل ما يجوز ان تكون كافة مهيئة وفي انزل ضمير يعود على ما يوحى
اليك وبعلم حال اي ملتبسا بعلمه ويجوز ان تكون موصولة اسمية او حرفية اسما لان والخبر الجار تقديره فاعلموا ان
تنزيله او ان الذي انزله ملتبس بعلم وقرا زيد بن علي نزل بفتح النون والزاي المشددة وفاعل نزل ضمير الله تعالى وان
لا اله الا هو نسق على ان قبلها ولكن هذه مخففة واسمها محذوف وجملة النفي خبرها **فصل** ان قلنا هذا الخطاب
مع المؤمنين فالمعنى ابقوا على العلم الذي انتم عليه لتزدادوا يقينا وثبات قدم على انه منزل من عند الله وقوله
فهل انتم مسلمون اي مخلصون وقيل فيه اضمار اي فقولوا ايها المسلمون للكفار اعلموا انما انزل بعلم الله يعني القرآن وقيل
انزله وفيه علمه وان قيل ان هذا خطاب مع الكفار فالمعنى ان الذين تدعونهم من دون الله اذا لم يستجيبوا لكم في الاعانة
على المعارضة فاعلموا ايها الكفار ان هذا القرآن انما انزل بعلمه فهل انتم مسلمون فقد قامت الحجة عليكم وان لا اله
الا هو فاعلموا ان لا اله الا هو فهل انتم مسلمون لفظه استفهام ومعناه امر اي اسلموا قال بعض المفسرين وهذا القول اولى
لان القول الاول يحتاج فيه الى اضمار القول وهذا لا يحتاج الى اضمار وايضا فعود الضمير الى اقرب مذكور اولى وايضا
فالخطاب الاول كان مع الكفار بقوله من استطعتم من دون الله وايضا فالاولى الامر بالثبات فان قيل اي تعلق للشرط

المذكور في هذه الآية واين ما فيها من الجزاء فالجواب ان القوم ادعوا كون القرآن مفترى على الله لوجب ان يقدر الخلق
على مثله ولما لم يقدروا عليه ثبت انه من عند الله فقوله انما انزل بعلم الله كناية عن كونه من عند الله ومن قبله كما يقول الحاكم
هذا الحكم جرى بعلمي فان قيل اي تعلق لقوله وان لا اله الا هو بعجزهم عن المعارضة فالجواب من وجهين احدهما
انه تعالى لما امر محمدا صلى الله عليه وسلم بان يطالب من الكفار ان يستعينوا بالاصنام في تحقيق المعارضة ثم ظهر عجزهم عنها
فحينئذ ظهر انها لا تنفع ولا تضر في شيء من المطالب البتة ومن كان كذلك فقد بطل كونه الها فصار عجز القوم عن
المعارضة بعد الاستعانة بالاصنام مبطلا لالهية الاصنام ودليلا على اثبات نبوة محمد عليه السلام فكان قوله
وان لا اله الا هو اشارة الى ظهور فساد الهية الاصنام وثانيهما انه ثبت في علم الاصول ان القول بنفي الشريك عن الله من
المسائل التي يمكن اثباتها بقول الرسول فكانه قيل لما ثبت عجز الخصوم عن المعارضة ثبت كون القرآن حقا وثبت كون محمد
صادقا في دعوى الرسالة واذا ثبت ذلك فاعلموا يا محمد ان لا اله الا الله واتركوا الاصرار على الكفر واقبلوا على الاسلام
ونظيره قوله تعالى في سورة البقرة عند ذكر آية التحدي فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس
والحجارة اعدت للكافرين **قوله تعالى** من كان يريد الحيوة الدنيا وزينتها الآية قيل انها مختصة بالكفار لقوله
اولئك الذين ليس لهم في الآخرة الا النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون وهذا ليس الا للكفار فيكون
التقدير من كان يريد الحيوة الدنيا وزينتها فقط اي يكون ارادته مقصورة على حب الدنيا وزينتها ومن طلب
السعادات الاخروية فكان حكمه كذا وكذا واختلف القائلون بهذا القول فقال الاصم المراد منكروا البعث فانهم
ينكرون الآخرة ويرغبون في سعادات الدنيا وقيل المراد المنافقون كانوا يطلبون بغزوهم مع الرسول الغنايم
من غير ان يؤمنوا بالآخرة وقال انس المراد اليهود والنصارى وقال القاضي المراد من كان يريد بعمل الخير الحيوة الدنيا
وزينتها واعمال الخير قسمان العبادات وايصال المنفعة الى الحيوان كالبر وصلة الرحم والصدقة وبناء القناطر وتسوية
الطرق ودفع الشر واجراء الانهار فهذه الاشياء اذا اتى بها الكافر لاجل الثناء في الدنيا فان بسببها تصل الخيرات
والمنافع الى المحتاجين وهي من اعمال الخير فقد تصدر من المسلم والكافر واما العبادات فانما تكون طاعات بنيات
مخصوصة فاذا لم يوت بتلك النية وانما اتى بها طلبا لزينة الدنيا وتحصيل الريا والسمعة فلا تكون طاعة ووجودها
كعدمها بل شر منه وعلى هذا فالمراد منه الطاعات التي يصح صدورها من الكافر وقيل الآية على ظاهرها في العموم فيندرج
فيه المؤمن الذي ياتي بالطاعات ريا وسمعة ويندرج فيه الكافر الذي هذا صفته ويشكل على هذا قوله في آخر الآية اولئك
الذين ليس لهم في الآخرة الا النار بسبب الاعمال الفاسدة والافعال الباطلة والقائلون بهذا القول اكدوا قولهم بما
روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال تعوذوا من جب الحزن قيل وما جب الحزن قال واد في جهنم يلقى فيه القراء المراؤون
وقال عليه السلام اشد الناس عذابا يوم القيمة من يرى الناس ان فيه خيرا ولا خير فيه وعن ابي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال اذا كان يوم القيمة يؤتى برجل جمع القرآن فيقال له ما عملت فيه فيقول يا رب قمت به آناء الليل والنهار فيقول
الله تعالى كذبت اردت ان يقال فلان قارئ وقد قيل ذلك ويؤتى بصاحب المال فيقول الله الم اوسع عليك فماذا
عملت فيما آتيتك فيقول وصلت الرحم وتصدقت فيقول كذبت اردت ان يقال فلان جواد وقد قيل ذلك ويؤتى بمن
قتل في سبيل الله فيقول قاتلت في الجهاد حتى قتلت فيقول الله كذبت بل اردت ان يقال فلان جريء فقال ابو هريرة
ثم ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ركبتي وقال يا ابا هريرة اولئك الثلاثة اول خلق تسعر بهم النار يوم القيمة وروي
ان ابا هريرة ذكر هذا الحديث عند معاوية قال الراوي فبكى حتى ظننا انه هالك ثم افاق وقال صدق الله ورسوله
من كان يريد الحيوة الدنيا وزينتها نوف اليهم اعمالهم فيها **فصل** نقل القرطبي عن بعض العلماء ان معنى
هذه الآية هو قوله عليه السلام انما الاعمال بالنيات وهذا يدل على ان من صام في رمضان لا عن رمضان لا يقع
عن رمضان ويدل على ان من توضأ للتبرد والتنظف لا يقع عن جهة الصلوة وكذلك كل ما كان في معناه
قوله نوف الجمهور على نوف بنون العظمة وتشديد الفاء من وفى يوفي وطلحة بن ميمون بياء الغيبة
وزيد بن علي كذلك الا انه خفف الفاء من اوفى يوفي والفاعل في هاتين القراءتين ضمير الله تعالى وقرئ يوف بضم
الياء وفتح الفاء مشددة من وفى يوفي مبنيا للمفعول اعمالهم بالرفع قائما مقام الفاعل والجزم في نوف على هذه
القراءات لكونه جوابا للشرط كما في قوله تعالى من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته
وزعم الفراء ان كان زائدة قال ولهذا جزم جوابه ولعل هذا لا يصح اذ لو كانت زائدة لكان يريد هو الشرط ولو كان شرطا
لانجزم فكان يقال من كان يرد وزعم بعضهم انه لا يؤتى بفعل الشرط ماضيا والجزاء مضارعا الا مع كان خاصة ولهذا
لم يجئ في القرآن الا كذلك وهذا ليس بصحيح لوروده في غير كان قال زهير ومن هاب اسباب المنايا ينلنه

ولوازم اسباب السماء بسلم • واما القران فجاء من باب الانفاق انه كذلك وقرا الحسن البصري نوفي بتخفيف الفاء
وثبوت الياء من اوفي ثم هذه القراءة محتملة لان يكون الفعل مجزوما وقد جزم بحذف الحركة المقدرة كقوله •
الم ياتيك والانباء تنمي • بما لاقت لبون بني زياد • على ان ذلك قد ياتي في السعة نحو انه من يتقي ويصبر وسياتي مجزوما
في سورته ويحتمل ان يكون الفعل مرفوعا لوقوع الشرط ماضيا كقوله • وان سل ريعان الجميع مخافة •
نقول جهارا ويحكم لا تنفروا • وكقول زهير • وان اتاه خليل يوم مسئلة • يقول لا غايب مالي ولا حرم
وهل الرفع لانه على نية التقديم وهو مذهب سيبويه او على نية الفاء كما هو مذهب المبرد خلاف مشهور ومعنى نوف
اليهم اعمالهم فيها اي نوف لهم اجور اعمالهم في الدنيا بسعة الرزق ودفع المكاره وما اشبهها وهم فيها لا يبخسون
اي في الدنيا لا ينقص حظهم روي انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله لا يظلم المؤمن حسنة يثاب عليها
الرزق في الدنيا ويجزي بها في الاخرة واما الكافر فيطعم بحسناته في الدنيا حتى اذا افضى الى الاخرة لم يكن له حسنة
يعطى بها خيرا **قوله تعالى** اولئك الذين ليس لهم في الاخرة الا النار وحبط ما صنعوا فيها في الدنيا وباطل
ما كانوا يعملون هذه الاية اشارة الى التخليد في النار والمؤمن لا يخلد لقوله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر
ما دون ذلك لمن يشاء الاية **قوله تعالى** وحبط ما صنعوا فيها يجوز ان يتعلق فيها بحبط والضمير على هذا
يعود على الاخرة اي وظهر حبوط ما صنعوا في الاخرة ويجوز ان يتعلق بصنعوا فالضمير على هذا يعود على الحياة
الدنيا كما عاد عليها في قوله نوف اليهم اعمالهم فيها وما في ما صنعوا يجوز ان يكون بمعنى الذي فالعايد محذوف
اي الذي صنعوه وان تكون مصدرية اي وحبط صنعهم **قوله تعالى** وباطل ما كانوا يعملون قرا الجمهور برفع
الباطل وفيه ثلاثة اوجه احدها ان يكون باطل خبرا مقدما وما كانوا يعملون مبتدا مؤخر وما يحتمل ان
تكون مصدرية اي وبطل كونهم عاملين وان تكون بمعنى الذي والعايد محذوف اي يعملونه وهذا على ان
الكلام من عطف الجمل عطف هذه الجملة على ما قبلها الثاني ان يكون باطل مبتدا وما كانوا يعملون خبره قاله
مكي ولم يذكر غيره وفيه نظر الثالث ان يكون باطل مبتدا وما كانوا يعملون خبره قاله مكي ولم يذكر غيره وفيه نظر
الثالث ان يكون باطل عطفا على الاخبار قبله اي اولئك باطل ما كانوا يعملون وما كانوا يعملون فاعل بباطل
ويرجح هذا ما قرا به زيد بن علي وبطل ما كانوا يعملون جعله فعلا ماضيا معطوفا على حبط وقرا ابي وابن مسعود
وباطلا قال مكي وهي في مصحفهما كذلك ونقلها الزمخشري عن عاصم وباطلا نصبا وفيها ثلاثة اوجه احدها
انه منصوب بيعملون وما مزيدة والى هذا ذهب مكي وابو البقاء وصاحب اللوامح وفيه تقديم معمول خبر كان
على كان وهي مسئلة خلاف والصحيح جوازها كقوله تعالى اهؤلاء اياكم كانوا يعبدون فالظاهر ان اياكم
منصوب بيعبدون والثاني ان تكون ما ابهامية وينتصب بيعملون ومعناه باطلا اي باطل كانوا
يعملون ذكره هذين الوجهين الزمخشري ومعنى قوله ما ابهامية انها هنا صفة للنكرة قبلها ولذلك قدرها
باطلا اي باطل فهو كقوله وحديث ما على قصره ولامر ما جدع قصير انفه وقد قدم نحو ذلك في قوله تعالى
مثلا ما بعوضة **قوله تعالى** افمن كان على بينة من ربه الاية وتقدير تعلقها بما قبلها افمن كان على بينة
من ربه كمن يريد الحيوة الدنيا وزينتها **قوله تعالى** افمن كان فيه وجهان احدهما انه مبتدا والخبر محذوف
تقديره افمن كان على هذه الاشياء كغيره كذا قدره ابو البقاء واحسن منه افمن كان كذا كمن يريد الحيوة الدنيا
وزينتها وحذف المعادل للذي دخلت عليه الهمزة كثير نحو افمن زين له سوء عمله امن هو قانت الى غير ذلك وهذا
الاستفهام بمعنى التقرير والية نحا الزمخشري ان هذا معطوف على شيء محذوف قبله تقديره امن كان يريد الحيوة
الدنيا وزينتها كمن كان على بينة اي لا يعقبونهم في المنزلة ولا يقاربونهم يريد ان بين الفريقين تفاوتا
والمراد من امن من اليهود كعبد الله بن سلام وهذا على قاعدته من تقدير معطوف بين همزة الاستفهام وحرف
العطف وهو مبتدا ايضا والخبر محذوف كما تقدم تقريره **قوله تعالى** ويتلوه اختلفوا في هذه الضماير
اعني في يتلوه وفي منه وفي قبله فقيل الهاء في يتلوه تعود على من والمراد به النبي صلى الله عليه وسلم وكذلك الضمير
في منه وقبله والمراد بالشاهد لسانه عليه السلام والتقدير ويتلوا ذلك الذي على بينة اي ويتلوا محمدا
اي صدق محمد لسانه ومن قبله اي قبل محمد وقيل الشاهد جبريل والضمير في منه لله تعالى وفي قبله للنبي وقيل
الشاهد الانجيل وكتاب موسى عطف على شاهد والمعنى ان التوراة والانجيل يتلوان محمدا في التصديق وقد
فصل بين حرف العطف والمعطوف بقوله من قبله والتقدير شاهد منه وكتاب موسى من قبله وقد تقدم الكلام
على الفصل بين حرف العطف والمعطوف مشبعا في النساء وقيل الضمير في يتلوه القران وفي منه لمحمد عليه السلام وقيل

الجبيل والتقدير ويتلوا القران شاهد من محمد وهو لسانه او من جبريل والهاء في قبله ايضا للقران وقيل الهاء
في يتلوه تعود على البيان المعهود المدلول عليه بالبينة وقيل المراد بالشاهد اعجاز القران فالضماير الثلاثة للقران
وقيل غير ذلك وقرا محمد بن السايب الكلبي كتاب موسى بالنصب وفيه وجهان اظهرهما معطوف على الهاء في يتلوه اي يتلوه
ويتلو كتاب موسى وفصل الجار بين العاطف والمعطوف والثاني انه منصوب باضمار فعل قال ابو البقاء وقيل تم
الكلام عند قوله منه وكتاب موسى اي ويتلو كتاب موسى فقدر فعلا مثل الملفوظ به وكانه لم ير الفصل بين العاطف
والمعطوف فلذلك قدر فعلا وتماما ورحمة منصوبان على الحال من كتاب موسى سواء قرئ رفعا او نصبا واولئك اشارة
الى من كان على بينة جمع على معناها وهذا ان اريد بمن كان النبي وصحابته وان اريد هو وحده فيجوز ان يكون عظمه
بالاشارة والجمع كقوله • فان شيت حرمت النساء سواكم • والهاء في به يجوز ان تعود على كتاب موسى وهو اقرب
مذكور وقيل بالقران وقيل بمحمد وكذلك الهاء في به الثانية والاحزاب الجماعة التي فيها غلظ كانهم لكثرتهم وصفوا
بذلك ومنه وصف حمار الوحش بحزابية لغلظه والاحزاب جمع حزب وهو جماعة الناس **فصل** قيل في الاية
حذف والتقدير افمن كان على بينة من ربه كمن يريد الحيوة الدنيا وزينتها او من كان على بينة من ربه كمن هو في
الضلالة والمراد بالذي هو على بينة النبي صلى الله عليه وسلم ويتلوه شاهد منه اي معه من يشهد له بصدقه
واختلفوا في هذا الشاهد فقال ابن عباس وعلقمة وابراهيم ومجاهد وعكرمة والضحاك واكثر المفسرين انه جبريل
عليه السلام وقال الحسن وقتادة هو لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم وروى ابن جريج عن مجاهد قال هو ملك يحفظه
ويسدده وقال الحسين بن الفضل هو القران فقال له رجل وانت ايش نزل عليك قال ويتلوه شاهد منه وقيل هو الانجيل
ومن قبله اي من قبل مجيء محمد صلى الله عليه وسلم وقيل من قبل نزول القران كتاب موسى اي كان كتاب موسى اماما ورحمة
لمن بعده اي التوراة وهي مصدقة للقران شاهدة للنبي صلى الله عليه وسلم اولئك يؤمنون به يعني اصحاب محمد صلى الله عليه
وسلم وقيل اراد الذين اسلموا من اهل الكتاب ومن يكفر به اي بمحمد صلى الله عليه وسلم وقيل القران من الاحزاب من الكفار
من اهل الملل كلها فالنار موعده اسم مكان وحده قال حسان اوردتموها حياض الموت ضاحية فالنار موعدها والموت
ساقيها قال عليه السلام والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي احد من هذه الامة ولا يهودي ولا نصراني ومات ولم يؤمن
بالذي ارسلت به الا كان من اصحاب النار **قوله تعالى** فلا تك في مرية اي شك والمرية بكسر الميم وضمها الشك لغتان
اشهرهما الكسر وهي لغة اهل الحجاز وبها قرا الجمهور والضم لغة اسد وتميم وبها قرا السلمي وابو رجاء وابو الخطاب والمعنى فلا
تك في مرية منه اي من صحة هذا الدين ومن كون هذا القران نازلا من عند الله وقيل فلا تك في مرية من ان موعد الكفار
النار **قوله تعالى** ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا الاية اوردة في معرض المبالغة دليلا على ان الافتراء على الله تعالى
اعظم انواع الظلم وكذب باياته يعني القران اولئك يعني الكاذبين والمكذبين يعرضون على ربهم فيسالهم عن اعمالهم
وخصهم بهذا العرض وان كان العرض عاما في كل العباد لقوله وعرضوا على ربك صفا لانهم يعرضون فيفتضحون
بان يقول الاشهاد عند عرضهم هؤلاء الذين كذبوا على ربهم فيلحقهم من الخزي والنكال ما لا مزيد عليه والاشهاد
جمع شاهد كصاحب واصحاب او جمع شهيد كشريف واشراف والمراد بالاشهاد قال مجاهد هم الملايكة الحفظة وقال
قتادة ومقاتل الاشهاد الناس وقيل الانبياء **فصل** اذا لم يجز ان يكون الله تعالى في مكان فكيف قال
يعرضون على ربهم فالجواب انهم يعرضون على الاماكن المعدة للحساب والسؤال ويجوز ان يعرضوا على من شاء الله
من الخلق بامر الله من الملايكة والانبياء والمؤمنين ثم لما اخبر عن حالهم في عقاب القيمة اخبر عن حالهم في الحال فقال الا لعنة الله
روى عبد الله بن عمر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله يدني المؤمن يوم القيمة فيستره من الناس فيقول اي
عبدي تعرف ذنب كذا وكذا فيقول نعم حتى اذا قرره بذنوبه قال فاني سترتها عليك في الدنيا وقد غفرتها
لك اليوم ثم يعطى كتاب حسناته واما الكفار والمنافقون فيقول الاشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم الا لعنة
الله على الظالمين الذين يصدون عن سبيل الله يمنعون عن دين الله ويبغونها عوجا اي يطلبون لانفسهم بالتمام
الكفر والضلال فقد اضافوا اليه المنع من الدين الحق والقاء الشبهة وتعويج الدلايل المستقيمة لانه لا يقال في العاصي
يبغي عوجا وانما يقال لمن في العالم بكيفية الاستقامة وكيفية العوج بسبب القاء الشبهات ثم قال وهم بالاخرة
هم كافرون قال الزجاج كرر كلمة هم تاكيدا لشانهم في الكفر اولئك لم يكونوا معجزين قال الواحدي معنى الاعجاز المنع
من تحصيل المراد يقال اعجزني فلان اي منعني من مرادي ومعنى معجزين في الارض اي لا يمكنهم ان يهربوا من عذابنا
فان هرب العبد من عذاب الله تعالى محال لانه تعالى قادر على جميع الممكنات وقال ابن عباس سابقين وقال قتادة ومقاتل
فايتين في الارض وما كان لهم من دون الله من اولياء يعني انصارا يحفظونهم من عذابنا يضاعف لهم العذاب اي يزاد في عذابهم

وقيل تضعيف العذاب عليهم لاضلالهم الغير وقيل سبب تضعيف عذابهم انهم كفروا بالبعث والنشور **قوله**
تعالى ما كانوا يستطيعون السمع يجوز في ما هذه ثلاثة اوجه احدها ان تكون نافية نفى عنهم ذلك لما لم ينتفعوا
به وان كانوا ذوي اسماع وابصار ويكون متعلق السمع والبصر شيئا خاصا والثاني ان يكون مصدرية وفيها
حينئذ تاويلان احدهما انها قائمة مقام الظرف اي مدة استطاعتهم ويكون ما منصوبة بيضاعف اي يضاعف لهم
العذاب مدة استطاعتهم السمع والابصار والتاويل الثاني انها منصوبة المحل على اسقاط حرف الجر كما يحذف من ان
وان اختيها واليه ذهب الفراء وذلك الجار متعلق ايضا بيضاعف اي يضاعف لهم بكونهم كانوا يسمعون ويبصرون
ولا ينتفعون الثالث ان يكون ما بمعنى الذي ويكون على حذف حرف الجر ايضا اي بالذي كانوا وفيه بعد لان حذف
الجر لا يطرد والجملة من قوله يضاعف مستانفة وقيل ان الضمير في قوله كانوا يعود على اوليائهم وهم الهتهم اي فما كان
لهم في الحقيقة من اولياء وان كانوا يعتقدون انهم اولياء فعلى هذا يكون يضاعف لهم العذاب معترضا **فصل**
احتجوا بهذه الاية على انه تعالى قد يخلق في المكلف ما يمنعه من الايمان روي عن ابن عباس انه قال انه تعالى منع الكافر
من الايمان في الدنيا وفي الاخرة اما في الدنيا ففي قوله ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون واما في الاخرة
ففي قوله يدعون الى السجود فلا يستطيعون ثم قال تعالى اولئك الذين خسروا انفسهم اي انهم اشتروا عبادة الالهة
بعبادة الله فكان هذا الخسران اعظم وجوه الخسران وضل عنهم ما كانوا يفترون يزعمون من شفاعة الملائكة
والاصنام **قوله تعالى** لا جرم في هذه اللفظة خلاف بين النحويين ويتلخص ذلك في خمسة اوجه احدها وهو
مذهب الخليل وسيبويه وجماهير الناس انهما ركبتا من لا النافية وجرم وبنيا على تركيبهما تركيب خمسة عشر وصار
معناهما معنى فعل وهو حق فعلى هذا يرتفع ما بعدهما بالفاعلية فقوله تعالى لا جرم اي حق وثبت كون النار
لهم واستقرارها لهم الوجه الثاني ان لا جرم بمنزلة لا رجل في كون لا نافية للجنس وجرم اسمها مبني معها على الفتح
وهي واسمها مبني معها على الفتح وهي واسمها في محل رفع بالابتداء وما بعدهما خبر لا النافية وصار معناهما لا محالة
ولا بد قاله الفراء الثالث كالذي قبله الا ان ان وما بعدها في محل نصب وجر بعد حذف الجار اذ التقدير لا محالة
في انهم في الاخرة اي في خسرانهم الرابع ان لا نافية لكلام متقدم تكلم به الكفرة فرد الله عليهم ذلك بقوله لا كما يرد لا هذه
قبل القسم في قوله لا اقسم وقوله تعالى فلا وربك لا يؤمنون وقد تقدم تحقيقه ثم اتى بعدها بجملة فعلية
وهي جرم ان لهم كذا وجرم فعل ماض معناه كسب وفاعله مستتر يعود على فعلهم المدلول عليه بسياق الكلام وان
وما في حيزها في موضع المفعول به لان جرم يتعدى اذ هو بمعنى كسب قال الشاعر •

• نصبنا راسه في جذع نخل • بما جرمت يداه وما اعتدينا •

اي بما كسبت وقد تقدم تحقيق ذلك في المائدة وجريمة القوم كاسبهم قال الشاعر

• جريمة ناهض في راس نيق • ترى لعظام ما جمعت صليبا •

فتقدير الاية كسبهم فعلهم او قولهم خسرانهم وهذا قول ابي اسحق الزجاج وعلى هذا فالوقف على قوله لا ثم يبتدا
بجرم بخلاف ما تقدم الوجه الخامس ان معناها لا صد ولا منع ويكون جرم بمعنى القطع تقول جرمت اي
قطعت فيكون جرم اسم لا مبني معها على الفتح كما تقدم وخبرها ان وما في حيزها او على حذف حرف الجر
اي لا منع من خسرانهم فيعود فيه الخلاف المشهور وفي هذه اللفظة لغات فقال لا جرم بفتح الجيم ولا جرم بضمها
ولا جر بحذف الميم ولا ذا جرم ولا ان ذا جرم ولا ذو جرم ولا عن ذا جرم ولا ان جرم ولا عن جرم ولا ذا جرم
والله لا افعل ذلك وعن ابي عمرو لا جرم ان لهم النار على وزن لا كرم بضم الراء ولا جر فالحذف لكثرة الاستعمال
كما قالوا سو ترى اي سوف ترى وقولهم الاخسرون يجوز ان يكون هم فصلا وان يكون توكيدا وان يكون مبتدا وما
بعده خبره والجملة خبر ان **قوله تعالى** ان الذين امنوا وعملوا الصالحات واخبتوا لما ذكر عقوبة الكافرين
وخسرانهم اتبعه بذكر احوال المؤمنين والموصول اسم ان والجملة من قوله اولئك اصحاب الجنة خبرها والاخبات
الاطمئنان والتذلل والتواضع والخشوع والخضوع واصله من الخبت وهو المكان المطمئن اي المنخفض من الارض
واخبت الرجل دخل في مكان خبت كالخلاء وانهم اذا دخل في انجد ثم المكان ثم توسع فيه فقيل خبت ذكره
اي خمد ويقال للشيء الدني الخبيث قال الشاعر • ينفع الطيب القليل من الرزق ولا ينفع الكثير الخبيث •
هكذا ينشدون هذا البيت في هذه المادة الزمخشري وغيره والظاهر انه بالثاء المثلثة ولا سيما المقابلة
بالطيب ولكن الظاهر من عبارتهم انه بالتاء المثناة لانهم يسوقونه في هذه المادة ويدل على ان معنى البيت انما هو
على التاء المثناة قول الزمخشري وقيل التاء فيه بدل من الثاء ومن مجيء الخبت بمعنى المكان المطمئن قوله

فاطم لو شهدت ببطن خبت • وقد قتل الهزبر اخاك بشرا • وفي تركيب البيت قلق وحله لو شهدت ببطن خبت
اخاك بشرا وقد قتل الهزبر ففاعل قتل ضمير يعود على اخاك واخبت يتعدى بالى كهذه الاية وباللام كقوله
تعالى فتخبت له قلوبهم ومعنى الاية قال ابن عباس خافوا وقال قتادة انابوا وقال مجاهد اطمانوا وقيل خشعوا
الى ربهم اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون **قوله تعالى** مثل الفريقين الاية لما ذكر الفريقين ذكر لهما مثالا مطابقا
مثل الفريقين مبتدا وكالاعمى خبره ثم هذه الكاف يحتمل ان تكون هي نفس الخبر فيكون التقدير مثل الفريقين
مثل الاعمى ويجوز ان يكون مثل بمعنى صفة ومعنى الكاف معنى مثل فيقدر مضاف محذوف اي كمثل الاعمى وقوله
مثل الفريقين كالاعمى يجوز ان يكون من باب تشبيه شيئين بشيئين فقابل العمى بالبصر والصمم بالسمع وهو من الطباق
وان يكون من تشبيه شيء واحد بوصفيه تشبيه بشيء واحد بوصفيه وحينئذ يكون قوله كالاعمى والاصم وقوله والبصير
والسميع من باب عطف الصفات كقوله • الى الملك القرم وابن الهمام • وليث الكتيبة في المزدحم •
وقد احسن الزمخشري في التعبير عن ذلك فقال شبه فريق الكافرين بالاعمى والاصم وفريق المؤمنين بالبصير والسميع
وهو من اللف والطباق وفيه معنيان ان يشبه الفريقين تشبيهين اثنين كما شبه امرؤ القيس قلوب الطير
بالحشف والعناب وان يشبهه بالذي جمع بين العمى والصمم والذي جمع بين البصر والسمع على ان تكون الواو
في والاصم وفي والسميع لعطف الصفة على الصفة كقوله • الصابح فالغانم فالايب •
يريد بقوله اللف انه لف المؤمنين والكافرين الذين هما مشبهان بقوله الفريقين ولو فرقهما لقال مثل الفريقين
المؤمن كالبصير والسميع ومثل الكافر كالاعمى والاصم وهي عبارة مشهورة في علم البيان لفظتان متقابلتان
اللف والنشر واشار لقول امرئ القيس • كان قلوب الطير رطبا ويابسا • لدى وكرها العناب والحشف البالي •
اصل الكلام كان الرطب من قلوب الطير العناب واليابس منها الحشف فلف ونشر واللف والنشر في علم البيان
تقسيم كبير ليس هذا موضعه واشار بقوله الصابح فالغانم الى قوله • يا ويح زيابة للحارث • الصابح فالغانم فالايب •
وقد تقدم ذلك في اول البقرة فان قيل لم قدم تشبيه الكافر على المؤمن فالجواب لان المتقدم ذكر الكفار
فلذلك قدم تمثيلهم فان قيل ما الحكمة في العدول عن هذا التركيب لو قيل كالاعمى والبصير والاصم
والسميع ليتقابل كل لفظة مع ضدها ويظهر بذلك التضاد فالجواب انه تعالى لما ذكر انسداد العين اتبعه
بانسداد الاذن ولما ذكر انفتاح العين اتبعه بانفتاح الاذن وهذا التشبيه احد الاقسام وهو تشبيه
امر معقول بامر محسوس وذلك انه تشبيه عمى البصيرة وصممها بعمى البصر وصمم السمع ذاك متردد في ظلم الضلالات
كان هذا متحير في الطرقات **قوله** مثلا تمييز وهو منقول من الفاعلية والاصل هل يستوي مثلهما
كقوله تعالى واشتعل الراس شيبا وجوز ابن عطية ان يكون حالا وفيه بعد صناعة ومعنى لانه على معنى من
لا على معنى في ثم قال تعالى افلا تذكرون منبها على انه يمكنه علاج هذا العمى وهذا الصمم واذا كان
العلاج ممكنا وجب على العاقل ان يسعى في ذلك العلاج بقدر الامكان **قوله تعالى** ولقد ارسلنا نوحا
الى قومه اني لكم نذير مبين اعلم انه جرت عادته تعالى في القران بانه اذا اورد على الكافر الدلائل اتبعها بالقصص
ليوكد تلك الدلائل وقد بدا بذكر هذه القصة في سورة يونس واعادها ههنا لما فيها من زوايد الفوايد
قوله تعالى اني لكم قرا ابن كثير وابو عمرو والكسائي بفتح همزة اني والباقون بكسرها فاما الفتح فعلى اضمار
حرف الجر اي باني لكم قال الفارسي في قراءة الفتح خروج من الغيبة الى الخطاب وقال ابن عطية وفي هذا نظر
وانما هي حكاية مخاطبة لقومه وليس هذا حقيقة الخروج من غيبة الى مخاطبة ولو كان الكلام اذ انذرهم او نحوه
لصح ذلك وقد قال بهذه المقالة اعني الالتفات مكي فانه قال الاصل باني والجار والمجرور في موضع المفعول الثاني
وكان الاصل انه لكنه جاء على طريقة الالتفات ولكن هذا الالتفات غير الذي ذكر ابو علي فان ذاك من غيبة
الى خطاب وهذا من غيبة الى تكلم وكلاهما غير محتاج اليه وان كان قول مكي اقرب وقال الزمخشري الجار والمجرور
صلة لحال محذوفة والمعنى ارسلناه ملتبسا بهذا الكلام وهو قوله اني لكم نذير مبين بالكسر فلما اتصل به الجار فتح
كما فتح في كان والمعنى على الكسر في قولك ان زيدا كالاسد واما الكسر فعلى اضمار القول اي فقال وكثيرا ما يضمر وهو
غني عن الشواهد والنذير قيل المراد به كونه مهددا للعصاة بالعقاب والمبين كونه مبينا ما اعد الله للمطيعين
من الثواب والمبين بين ذلك الانذار على اكمل طرقه ثم بين تعالى ان ذلك الانذار انما هو نهيهم عن عبادة غير الله
والامر بعبادة الله تعالى لان قوله لا تعبدوا الا الله استثناء من النهي فهو موجب نفي غير المستثنى وايجاب المستثنى
قوله تعالى ان لا تعبدوا كقوله ان لا تعبدوا في اول السورة ويريد هنا شيئا اخر وهو انها على قراءة من فتح اني

يحتمل وجهين احدهما ان تكون مفسرة والمفسرة اما ارسلنا واما نذير واما على قراءة من كسر فيجوز ان تكون
المصدرية وهي معمولة لارسلنا والثاني ان تكون بدلا من قوله اني لكم اي ارسلناه بان لا تعبدوا ويجوز ان تكون
المفسرة بحاليها **قوله تعالى** اليم اسناد الالم الى اليوم مجاز لوقوعه فيه لا به وقال الزمخشري فاذا وصف به
العذاب قلت مجاز مثله لان الاليم في الحقيقة هو المعذب ونظيرهما قولك نهارك صائم قال ابو حيان وهذا
على ان يكون اليم صفة مبالغة من الم وهو من كثر الله وان كان اليم بمعنى مؤلم فنسبته لليوم مجاز وللعذاب
حقيقة **فصل** قال ابن عباس بعث نوح بعد اربعين سنة ولبث يدعو قومه تسع مائة وخمسين
سنة وعاش بعد الطوفان ستين سنة وكان عمره الفا وخمسين سنة وقال مقاتل بعث وهو ابن مائة سنة
وقيل بعث وهو ابن خمسين سنة وقيل وهو ابن مائتين وخمسين سنة ومكث يدعو قومه تسع مائة وخمسين وعاش
بعد الطوفان مائتين وخمسين سنة فكان عمره الفا واربعمائة وخمسين سنة **قوله تعالى** فقال الملأ الذين
كفروا من قومه الملأ الاشراف والرؤساء ما نراك يجوز ان تكون هذه الرؤية قلبية وان تكون بصرية فعلى الاول
تكون الجملة من قوله اتبعك في محل نصب مفعولا ثانيا وعلى الثاني في محل نصب على الحال وقد مقدرة عند من يشترط
ذلك والاراذل فيه وجهان احدهما انه جمع الجمع والثاني جمع فقط والقائلون بالاول اختلفوا فقيل جمع لارذل
وارذل جمع لرذل نحو كلب واكلب واكالب وقيل بل جمع لارذال وارذال جمع لرذل ايضا والقائلون بانه ليس جمع
جمع بل جمع فقط قالوا هو جمع لارذل وانما جاز ان يكون جمعا لارذل لجريانه مجرى الاسماء من حيث انه هجر موصوفه
كالابطح والابرق وقال بعضهم هو جمع ارذل الذي للتفضيل وجاء جمعا كما جاء اكابر مجرميها واحاسنكم اخلاقا
ويقال رجل رذل ورذال كرجل ورجال وهو المرغوب عنه لرداءته قال الواحدي هو الدون من كل شيء في منظره
وحالاته والاصل فيه ان يقال هو ارذل من كذا فكثر حتى قالوا هو الارذل فصارت الالف واللام عوضا من الا
ضافة **قوله تعالى** بادي الرأي قرأ ابو عمرو وعيسى الثقفي بادئ بالهمز والباقون بياء وتأمل من اول وهلة
واما من لم يهمز فيحتمل ان يكون اصله كما تقدم ويحتمل ان يكون من بدا يبدو اي ظهر والمعنى ظاهر الرأي دون
باطنه اي لو تؤمل لعرف باطنه وهو في المعنى كالاول وفي انتصابه على كلتا القراءتين ستة اوجه احدها انه
منصوب على الظرف وفي العامل فيه على هذا ثلاثة اوجه احدها نراك اي وما نراك في اول رأينا على قراءة ابي عمرو
او فيما يظهر لنا من الرأي في قراءة الباقين والثاني من الاوجه الثلاثة ان يكون منصوبا باتبعك اي ما نراك
اتبعك اول رأيهم او ظاهر رأيهم وهذا يحتمل معنيين احدهما ان يريدوا اتبعوك في ظاهر امرهم وبواطنهم ليست معك
والثاني انهم اتبعوك باول نظر وبالرأي البادي دون تثبت ولو تثبتوا لما اتبعوك الثالث من الاوجه الثلاثة
ان العامل فيه اراذلنا والمعنى اراذلنا باول نظر منهم او بظاهر الرأي نعلم ذلك اي ان رذالتهم مكشوفة ظاهرة لكونهم
اصحاب حرف دنية والرأي على هذا من رأي العين لا من رأي القلب ويتأكد هذا بما نقل عن مجاهد انه قرأ الا الذين
هم اراذلنا بادي الرأي للعين ثم القائل بكون بادي ظرفا يحتاج الى اعتذار فانه اسم فاعل وليس بظرف في الاصل
فقال مكي وانما جاز ان يكون فاعل ظرفا كما جاز ذلك في فعيل نحو قريب ومليء وفاعل وفعيل يتعاقبان كراحم
ورحيم وعالم وعليم وحسن ذلك في فاعل لاضافته الى الرأي والرأي يضاف اليه المصدر وينتصب المصدر معه
على الظرف نحو اما جهد رأيي فانك منطلق اي في جهد رأيي وقال الزمخشري وانتصابه على الظرف اصله وقت حدوث
اول رأيهم او وقت حدوث ظاهر رأيهم فحذف ذلك واقيم المضاف اليه مقامه الوجه الثاني من الستة ان
ينتصب على المفعول به بحذف حرف الجر مثل واختار موسى قومه قاله مكي وفيه نظر من حيث انه ليس هنا فعل
صالح للتعدي الى اثنين الى ثانيهما باسقاط الخافض الثالث من الستة ان ينتصب على المصدر ومجيء المصدر على فاعل
ليس بالقياس والعامل في هذا المصدر كالعامل في الظرف كما تقدم ويكون من باب ما جاء فيه المصدر
من معنى الفعل لا من لفظه تقديره رؤية بدء او ظهور او اتباع بدء او ظهور او رذالة بدء الرابع من الستة
ان يكون نعتا لبشرا اي ما نراك الا بشرا مثلنا بادي الرأي اي ظاهره او مبتدأ فيه وفيه بعد للفصل بين النعت
والمنعوت بالجملة المعطوفة الخامس انه حال من مفعول اتبعك اي وانت مكشوف الرأي اي ظاهره لا قوة فيه ولا
حصافة لك السادس انه منادى والمراد به نوح عليه السلام كانهم قالوا يا بادي الرأي اي ما في نفسك ظاهر لكل احد
قالوا ذلك على سبيل الاستهزاء به والاستقلال له السابع ان العامل فيه مضمر تقديره اتقول ذلك بادي الرأي
ذكره ابو البقاء والاصل عدم الاضمار مع الاستغناء عنه وعلى هذه الاوجه الاربعة الاخيرة هو اسم فاعل من غير
تاويل بخلاف ما تقدم من الاوجه فانه ظرف او مصدر واعلم انك اذا نصبت بادي على الظرف او المصدر بما قبل

الا احتجت الى جواب عن اشكال وهو ان ما بعد الا لا يكون معمولا لما قبلها الا ان كان مستثنى منه نحو ما قام الا زيد
القوم او مستثنى نحو قام القوم الا زيدا او تابعا للمستثنى منه نحو ما جاءني احد الا زيد احسن من عمرو وبادي الرأي
ليس شيئا من ذلك وقال مكي فلو قلت في الكلام ما اعطيت الا زيدا درهما فاوقعت اسمين مفعولين بعد الا لم يجز لان الفعل
لا يصل الى مفعولين انما يصل الى اسم واحد كسائر الحروف الا ترى انك لو قلت مررت بزيد عمرو فاوصلت الفعل اليهما
بحرف واحد لم يجز ولذلك لو قلت استوى الماء والخشبة الحائط فتنصب اسمين بواو مع لم يجز الا ان تأتي في جميع ذلك
بواو العطف فيجوز وصول الفعل والجواب الذي ذكروه هو ان الظروف يتسع فيها ما لا يتسع في غيرها وهذا جماع
القول في هذه المسألة باختصار والرأي يجوز ان يكون من رؤية العين ومن الفكر والتأمل **فصل**
اعلم ان الله تعالى حكى عن قوم نوح شبهات الاولى انهم قالوا انه بشر مثلهم وان التفاوت الحاصل بين آحاد البشر يمتنع انتهاؤه
الى حيث يصير الواحد منهم واجبا لطاعة لجميع العالمين الثانية كونه لم يتبعه الا اراذل القوم كالحاكة واهل الصنائع
الخسيسة فلو كنت صادقا لاتبعك الاشراف والرؤساء ونظيره قوله تعالى في سورة الشعراء انؤمن لك واتبعك الارذلون
الثالثة قولهم وما نرى لكم علينا من فضل لا في العقل ولا في رعاية المصالح العاجلة ولا في قوة الجدل فاذا لم نشاهد
فضلك في شيء من هذه الاحوال الظاهرة فكيف نعرف فضلك علينا في اشرف الدرجات واعلم ان الشبهة الاولى لا تليق
الا بالبراهمة الذين ينكرون نبوة البشر على الاطلاق وتقدم الكلام على الملأ في الاعراف وتقدم الكلام على الشبهة
الاولى في الانعام اعلم انه لو بعث الى البشر ملكا رسولا لكانت الشبهة اقوى في الطعن عليه في رسالته لانه يخطر بالبال
ان هذه المعجزة التي ظهرت على يد هذا الملك اتى بها من عند نفسه لان قوته اكمل فلهذا ما بعث الله الى البشر رسولا الا من
البشر واما قولهم ما نراك اتبعك الا الذين هم اراذلنا فهذا ايضا جهل لان الرفعة في الدين لا تكون بالحسب ولا با
لمال ولا بالمناصب العالية بل الفقراء اعون على الدين من الغني والانبياء ما بعثوا الا لترك الدنيا والاقبال على
الاخرة فكيف يجعل الفقر في الدنيا طعنا في النبوة والرسالة واما قولهم وما نرى لكم علينا من فضل فهو ايضا
جهل لان الفضيلة المعتبرة عند الله تعالى ليست الا بالعلم والعمل فكيف اطلعوا على بواطن الخلق حتى عرفوا نفي
هذه الفضيلة ثم قالوا لنوح واتباعه بل نظنكم كاذبين وهذا خطاب مع نوح وقومه والمراد منه تكذيب نوح
في دعوى الرسالة وقيل خطاب مع الاراذل اي كذبوهم في ايمانهم واتباعه **قوله تعالى** قال يا قوم ارأيتم
ان كنت على بينة من ربي واتاني رحمة من عنده وهذا جواب عن شبهتهم والمعنى ان حصول المساواة في البشرية لا يمنع
من حصول المفارقة في صفة النبوة والرسالة ثم ذكر الطريق الدال على امكانه وهو كونه على بينة من معرفة الله وصفاته
وما يجب وما يمتنع ويجوز واتاني رحمة من عنده وهي اما النبوة واما المعجزة الدالة على النبوة فعميت عليكم اي صارت
مظلمة خفية والتبست عليكم **قوله تعالى** من ربي نعت لبينة اي بينة من بينات ربي وقوله رحمة من عنده
يجوز في الجار ايضا ان يكون نعتا لرحمة وان يكون متعلقا باتاني **قوله تعالى** فعميت قرأ الاخوان وحفص
بضم العين وتشديد الميم والباقون بالفتح والتخفيف فاما القراءة الاولى فاصلها عماها الله عليكم اي ابهمها
لكم ثم بني الفعل لما لم يسم فاعله فحذف فاعله للعلم به وهو الله تعالى واقيم المفعول وهو ضمير الرحمة مقامه
ويدل على ذلك قراءة ابي بهذا الاصل فعماها الله عليكم وروي عنه ايضا وعن الحسن وعلي والسلمي فعماها
من غير ذكر فاعل لفظي وروي عنه ايضا عن الاعمش وابن وثاب وعميت بالواو دون الفاء واما القراءة الثانية
فانه اسند الفعل اليها مجازا قال الزمخشري فان قلت ما حقيقته قلت حقيقته ان الحجة كما جعلت
بصيرة ومبصرة قال تعالى فلما جاءتهم اياتنا مبصرة جعلت عمياء قال تعالى فعميت عليهم الانباء لان الاعمى لا
يهتدي ولا يهدي غيره فالمعنى فعميت عليكم البينة فلم تهدكم كما لو عمي على القوم دليلهم في المفازة بقوا بغير هاد
وقيل هذا من باب القلب واصلها فعميتم انتم عنها كما تقول ادخلت القلنسوة في رأسي وادخلت الخاتم في اصبعي
وهو كثير وقد تقدم الخلاف فيه وانشدوا على ذلك • ترى الثور فيها مدخل الظل رأسه • قال ابو علي وهذا
مما يقلب اذ ليس فيه اشكال وفي القران فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله وبعضهم يخرج البيت على الاتساع في
الظرف واما الاية فلان مخلف يتعدى لاثنين فانت بالخيار بين ان تضيفه الى ايهما شئت فليس من باب القلب
وقد رد بعضهم كون هذه الاية من باب المقلوب بانه لو كان كذلك لتعدى بعن دون على الا ترى انك تقول
عميت عن كذا لا على كذا واختلف في الضمير في عميت هل هو عائد على البينة او على الرحمة او عليهما معا وجاز ذلك
وان كان بلفظ الافراد لان المراد بهما شيء واحد واذا قيل بانه عائد على البينة فيكون قوله واتاني رحمة جملة
معترضة بين المتعاطفين اذ حقه على بينة من ربي فعميت واتاني رحمة فعميت قال الزمخشري واتاني رحمة باتيان

البينة في نفسها هي الرحمة ويجوز ان يريد بالبينة المعجزة وبالرحمة النبوة فان قلت فوله فعميت
ظاهر على الوجه الاول فما وجهه على الوجه الثاني وحقه ان يقال فعميا قلت الوجه ان تقدر فعميت بعد البينة وان
يكون حذفه للاقتصار على ذكره مرة انتهى وقد تقدم الكلام على ارايتم هذه في الانعام وتلخيصه هنا انه ايتم
تطلب البينة منصوبة وفعل الشرط يطلبها مجرورة بعلى فاعمل الثاني واضمر في الاول والتقدير ارايتكم البينة
من ربي ان كنت عليها انلزمكموها فحذف المفعول الاول والجملة الاستفهامية هي في محل الثاني وجواب الشرط
محذوف للدلالة عليه **قوله تعالى** انلزمكموها اتي هنا بالضميرين متصلين وتقدم ضمير الخطاب
لانه اخص ولو جي بالغايب اولا لانفصل الضمير وجوبا وقد اجاز بعضهم الاتصال واستشهد بقول عثمان
اراهمني الباطل شيطانا وقال الزمخشري يجوز ان يكون الثاني منفصلا كقوله انلزمكم اياها ونحو فسيكفيكهم الله
ويجوز فسيكفيك اياهم وهذا الذي قاله الزمخشري ظاهر قول سيبويه وان كان بعضهم منعه واشباع الميم في مثل
هذا التركيب واجب ويضعف سكونها وعليه اراهمني الباطل وقال ابو البقا وقري باسكان الميم فرارا من توالي
الحركات فقوله هذا يحتمل ان يكون اراد سكون ميم الجمع لانه قد ذكر ذلك بعد ما قال ودخلت الواو هنا تتمة للميم
وهو الاصل في ميم الجمع وقري باسكان الميم انتهى وهذا ان ثبت قراءة فهو مذهب ليونس يجوز الدرهم اعطيتكمه
وعرهم باياه ويحتمل ان يريد سكون ميم الفعل ويدل عليه ما قال الزجاج اجمع النحويون البصريون على انه
لا يجوز اسكان حركة الاعراب الا في ضرورة الشعر فاما ما روي عن ابي عمرو فلم يضبطه عنه الفرا وروي عن سيبويه
انه كان يخفف الحركة ويختلسها وهذا هو الحق وانما يجوز الاسكان في الشعر نحو قول امري القيس • فاليوم اشرب غير
مستحقب • وكذا قال الزمخشري ايضا وحكي عن ابي عمرو اسكان الميم ووجهه ان الحركة لم تكن الا خلسة خفيفة
فظنها الراوي سكونا والاسكان الصريح لحن عند الخليل وسيبويه وحذاق البصريين لان الحركة الاعرابية لا يسوغ
طرحها الا في ضرورة الشعر قال شهاب الدين وقد حكى الكسائي والفرا انلزمكموها بسكون هذه الميم وقد تقدم الكلام
في ذلك مشبعا في البقرة اعني تسكين حركة الاعراب وكيف يجعلونه لحنا والزم يتعدى لاثنين اولهما ضمير الخطاب
والثاني ضمير الغيبة وانتم لها كارهون جملة حالية يجوز ان يكون للفاعل او لاحد المفعولين وقدم الجار لاجل الفوا[صل]
وفي الاية قراآت شاذة مخالفة للسواد اضربت عنها كذلك والمعنى انلزمكم البينة واسمها كارهون لا يريدونها
قال قتادة لو قدر الانبيا ان يلزموا قومهم لالزموا ولكن لم يقدروا **قوله تعالى** ويا قوم لا اسئلكم عليه مالا
الضمير في عليه يجوز ان يعود على الانذار المفهوم من نذير وان يعود على الدين الذي هو الملة وان يعود على التبليغ
وهذا جواب عن الشبهة الثانية وهي قولهم اتبعك الارذل فقال انا لا اطلب على تبليغ الرسالة مالا حتى يتفاوت
الحال بسبب كون المستجيب فقيرا او غنيا وانما اجري على هذه الطاعة على رب العالمين واذا كان كذلك فسواء
كان فقيرا او غنيا لم يتفاوت الحال في ذلك ويحتمل انه قال لهم انكم لما نظرتم الى هذه الامور وجدتموني فقيرا ظننتم
اني انما اتيت بهذه الامور لاتوسل بها الى اخذ اموالكم وهذا الظن منكم خطأ فاني لا اسالكم على تبليغ الرسالة اجرا ان
اجري الا على رب العالمين فلا تحرموا انفسكم من سعادة الدين بهذا الظن الفاسد **قوله تعالى** وما انا بطارد
الذين قري بطارد الذين بتنوين طارد قال الزمخشري على الاصل يعني ان اصل اسم الفاعل بمعنى الحال والاستقبال
العمل وهو ظاهر قول سيبويه قال ابو حيان ويمكن ان يقال الاصل الاضافة لا العمل لانه قد اعتوره شبهان
احدهما شبهه بالمضارع وهو مشبه بغير جنسه والاخر شبهه بالاسماء اذا كانت فيه الاضافة فكان الحاقه بجنسه
اولى وقوله انهم ملاقوا ربهم استينافا يفيد التعليل ويجهلون صفة لا بد منها اذ الاتيان بهذا الموصوف دون صفته
لا يفيد واتي بها معه لا يدل على التجدد كل وقت **فصل** قوله وما انا بطارد الذين آمنوا كالدليل
على ان القوم سالوا طردهم ليلا يشاركوا الفقرا فقال عليه السلام ما انا بطارد الذين آمنوا وايضا قولهم
وما نراك اتبعك الا الذين هم اراذلنا كالدليل على انهم طلبوا منه طردهم مكانهم يقولون لو اتبعك الاشراف
لوافقناهم ثم ذكر ما يوجب الامتناع من طردهم وهو انهم ملاقوا ربهم وهذا الكلام يحتمل وجوها منها انهم
قالوا هم منافقون فيما اظهروا فلا تغتر بهم فاجاب بان هذا الامر ينكشف عند لقاء ربهم في الاخرة ومنها انه
جعله علة في الامتناع من الطرد واراد انهم ملاقوا ربهم ما وعدهم فان طردتهم استخصموني في الاخرة ومنها انه
نبه بذلك على انا نجتمع في الاخرة فاعاقب على طردهم فلا اجد من ينصرني ثم بين انهم بنوا امورهم على الجهل بالعوا[قب]
والاغترار بالظواهر فقال ولكني اراكم قوما تجهلون ثم قال ويا قوم من ينصرني من الله ان طردتهم من يمنعني
من عذاب الله ان طردتهم افلا تذكرون تتعظون والمعنى ان العقل والشرع تطابقا على تعظيم المؤمن المتقي واهانة

الفاجر الكافر وطرد المؤمن واهانته كنت على ضد ما امر الله تعالى فاستوجب حينئذ العقاب العظيم فمن الذي
ينصرني من الله ومن الذي يخلصني من عذاب الله واحتج قوم بهذه الاية على صدور الذنب من الانبياء عليهم السلام
فقالوا دلت الاية على ان طرد المؤمنين لطلب مرضاة الكفار معصية ثم ان محمدا صلى الله عليه وسلم طرد المؤمنين لطلب
مرضاة الكفار حتى عاتبه الله تعالى في قوله ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي والجواب يحمل الطرد
المذكور في هذه الاية على الطرد المطلق المؤبد والطرد المذكور في واقعة محمد عليه السلام على التقييد في اوقات
معينة رعاية للمصلحة ثم اكد هذا البيان فقال ولا اقول لكم عندي خزاين الله فاتي منها بما تطلبون ولا اعلم
الغيب فاخبركم بما تريدون وقيل انهم لما قالوا لنوح ان الذين آمنوا معك انما اتبعوك في ظاهر ما ترى منهم
اجابهم نوح فقال لا اقول لكم عندي خزاين غيوب الله التي يعلم منها ما تضمر الناس ولا اعلم الغيب فاعلم ما يسرونه
في انفسهم فسبيلي قبول ما ظهر من ايمانهم ولا اقول اني ملك وهذا جواب لقولهم ما نراك الا بشرا مثلنا وقيل معناه
ولا اقول اني ملك حتى اعظم بذلك عندكم بل طريقي الخضوع والتواضع ومن كان طريقه كذلك فانه لا يستنكف
عن مخالطة الفقرا والمساكين واحتج قوم بهذه الاية على تفضيل الملائكة على الانبيا قالوا لان الانسان اذا قال
لا ادعي كذا وكذا انما يحسن اذا كان ذلك الشي ارفع من احوال ذلك القايل ثم اكد هذا البيان بطريق اخر فقال ولا
اقول للذين تزدري اعينكم لن يوتيهم الله خيرا وهذا كالدلالة على انهم يعيبون اتباعه ويحتقرونهم فقال لا اقول
للذين تحتقرونهم لن يوتيهم الله خيرا اي توفيقا وايمانا واجرا الله اعلم بما في انفسهم لان ذلك من باب الغيب
لا يعلمه الا الله تعالى فربما كان باطنهم كظاهرهم فيوتيهم الله ملك الاخرة فاكون كاذبا فيما اخبر به فاني ان
فعلت ذلك كنت من الظالمين لنفسي **قوله تعالى** لا اعلم الغيب الظاهر ان هذه الجملة لا محل لها عطفا على
قوله ولا اقول لكم كانه اخبر عن نفسه بهذه الجمل الثلاث وقد تقدم في الانعام ان هذا هو المختار وان الزمخشري
قال ان قوله تعالى ولا اعلم الغيب معطوف على عندي خزاين الله ولا اقول انا اعلم الغيب **قوله** تزدري تفتعل
من زري يزري اي حقر فابدلت تاء الافتعال دالا بعد الزاي وهو مطرد ويقال زريت عليه اذا عبته وازريت
به اي قصرت به وعايد الموصول محذوف اي تزدريهم اعينكم اي تحتقرهم وتقصر بهم قال الشاعر •

• ترى الرجل النحيف فتزدريه • وفي اثوابه اسد هصور • وقال اخر •

• يباعده الصديق وتزدريه • حليلته وينهره الصغير •

واللام في الذين للتعليل اي لاجل الذين ولا يجوز ان تكون التي للتبليغ اذ لو كانت لكان القياس لن يوتيكم
بالخطاب **قوله تعالى** قالوا يا نوح قد جادلتنا فاكثرت جدالنا قرا ابن عباس فاكثرت جدلنا لقوله اكثر
شي جدلا ونقل ابو البقا انه قري جدلتنا فاكثرت جدلنا بغير الف فيهما قال وهو بمعنى غلبتنا بالجدل وقوله
تعالى بما تعدنا يجوز ان يكون بمعنى الذي فالعايد محذوف اي تعدناه ويجوز ان تكون مصدرية اي بوعدك
ايانا وقوله تعالى ان كنت جوابه محذوف او متقدم وهو فاتنا **فصل** دلت هذه الاية على انه
عليه السلام كان قد اكثر في الجدال معهم وذلك الجدال كان في بيان التوحيد والنبوة والمعاد وهذا يدل على ان
المجادلة في تقرير الدلايل وفي ازالة الشبهات حرفة الانبياء وان التقليد والجهل والاصرار حرفة الكفار ودلت
على انهم استعجلوا العذاب الذي كان يتوعدهم به فقالوا فاتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين ثم انه عليه السلام
اجابهم بقوله انما ياتيكم به الله ان شاء اي ان انزال العذاب ليس الي وانما هو خلق الله فيفعله ان شاء واذا اراد
انزال العذاب فان احدا لا يعجزه اي يفوته ثم قال ولا ينفعكم نصحي نصيحتي ان اردت ان انصح لكم ان كان الله يريد
ان يغويكم اي يضلكم **قوله تعالى** ان اردت ان انصح لكم ان كان قد تقدم حكم توالي الشرطين واذا نا بهما
قيد في الاول وانه لا بد من سبقه للاول وقال الزمخشري هنا ان كان الله جزاوه ما دل عليه قوله لا ينفعكم
نصحي وهذا الدليل في حكم ما دل عليه فوصل بشرط كما وصل الجزا بالشرط في قوله ان احسنت الي احسنت اليك ان
امكنتني وقال ابو البقا حكم الشرط اذا دخل على الشرط ان يكون الشرط الثاني والجواب جوابا للشرط الاول نحو ان اتيتني
ان كلمتني اكرمتك فقولك ان كلمتني اكرمتك جواب ان اتيتني جميع ما بعده واذا كان كذلك صار الشرط الاول
في الذكر موخرا في المعنى حتى ان اتاه ثم كلمه لم يجب الاكرام ولكن ان كلمه ثم اتاه وجب الاكرام وعلة ذلك ان الجواب
صار معوقا بالشرط الثاني وقد جاء في القران منه ان وهبت نفسها للنبي ان اراد النبي قال شهاب الدين اما قوله
ان وهبت ان اراد فظاهره وظاهر القصة المروية يدل على اشتراط تقدم الشرط الثاني على الاول وذلك ان ارادته
عليه السلام للنكاح انما هو مترتب على هبة المراة نفسها له وكذا الواقع في القصة لما وهبت اراد نكاحها ولم يرو

اراد ان ينكحها فوهبت وهو يحتاج الى جواب وسياتي ان شاء الله تعالى في موضعه وقال ابن عطية هنا وليس
نصحي لكم بنافع ولا ارادتي الخير لكم مغنية اذا اراد الله تعالى بكم الاغواء والشرط الثاني اعتراض بين الكلام وفيه
بلاغة من اقتران الارادتين وان ارادة البشر غير مغنية وتعلق هذا الشرط هو بنصحي وتعلق الاخر بلا ينفع ولخص من
ذلك ان الشرط مدلول على جوابه بقوله ولا ينفعكم لانه عقبه وجواب الثاني ايضا ما دل على جواب الاول وكان التقدير
وان اردت ان انصح لكم ان كان الله يريد ان يغويكم فان اردت ان انصح لكم ان كان الله يريد ان يغويكم فلا ينفعكم
نصحي وهو من حيث المعنى كالشرط اذا كان بالفاء نحو ان كان الله يريد ان يغويكم فان اردت ان انصح لكم فلا ينفعكم
نصحي وقرا الجمهور نصحي بضم النون وهو يحتمل وجهين احدهما المصدرية كالشكر والكفر والثاني انه اسم لا مصدر
وقرا عيسى بن عمر نصحي بفتح النون وهو مصدر فقط وفي غضون كلام الزمخشري اذا عرف الله وهذا لا يجوز
لان الله تعالى لا يسند اليه هذا الفعل ولا يوصف بمعناه وقد تقدم غير ذلك في غضون كلام ابي حيان وللمعتزلة
ان يقول لا يتعين ان تكون ان شرطية بل هي نافية والمعنى ما كان الله يريد ان يغويكم قال شهاب الدين ولا اظن
احدا يرضى بهذه المقالة **فصل** دلت هذه الاية على ان الله تعالى قد يريد الكفر من العبد فاذا اراده منه
ذلك امتنع صدور الايمان منه لان نوحا قال ولا ينفعكم نصحي ان كان الله يريد ان يغويكم قالت المعتزلة ظاهر
الاية يدل على انه تعالى اذا اراد اغواء القوم لم ينتفعوا بنصح الرسول وهذا مسلم فانا نعلم ان الله تعالى لو اراد
اغواءه فانه لا ينفعه نصح الناصح لكن لم قلتم انه تعالى اراد هذا الاغواء والنزاع ما وقع الا فيه بل نقول
ان نوحا عليه السلام انما ذكر هذا الكلام ليدل على انه تعالى ما اغواهم بل فوض الاختيار اليهم وبيانه من وجهين
الاول انه لو اراد اغواءهم لما بقي في النصح فايدة ولو لم يكن فيه فايدة لما امره بنصح الكفار واجمع المسلمون على انه
مامور بدعوة الكفار ونصحهم فعلمنا ان هذا النصح لا يخلو عن الفايدة واذا لم يخل عن الفايدة وجب القطع بانه
تعالى ما اغواهم الثاني انه لو ثبت الحكم عليهم بان الله تعالى اغواهم لصار هذا عذرا لهم في عدم الاتيان بالايمان ولصار
نوح منقطعا في مناظرتهم لانهم يقولون له انك سلمت ان الله اذا اغوانا فانه لا يبقى في نصحك ولا في اجتهادنا
فايدة فاذا ادعيت ان الله تعالى اغوانا فقد جعلتنا معذورين فلم يلزم منا قبول هذه الدعوة فثبت ان الامر
لو كان كما قال الخصم لصار هذا حجة للكافر على نوح فثبت بما ذكرنا ان هذه الاية لا تدل على قول المجبرة ثم انهم
ذكروا تاويلات الاول ان اولئك الكفار مجبرة وكانوا يقولون ان كفرهم بارادة الله تعالى فعند هذا قال
نوح ان نصحي لا ينفعكم ان كان الامر كما تقولون ومثاله ان يعاقب الرجل ولده على ذنبه فيقول الولد
لا اقدر على غير ما انا عليه فيقول الوالد فلن ينفعك اذن نصحي وليس المراد انه يصدقه على ما ذكره بل على
وجه الانكار لذلك الثاني قال الحسن معنى يغويكم اي يعذبكم والمعنى لا ينفعكم اليوم اذا نزل بكم العذاب فامنتم
في ذلك الوقت لان الايمان عند نزول العذاب لا يقبل وانما ينفعكم نصحي اذا امنتم قبل مشاهدة العذاب
الثالث قال الجبائي الغواية هي الخيبة من الطلبة بدليل قوله فسوف يلقون غيا اي خيبة من خير الاخرة قال الشاعر
ومن يغو لا يعدم على الغي لايما **قوله** الرابع انه اذا اصر على الكفر وتمادى عليه منعه الله الالطاف وفوضه
الى نفسه فهذا شبيه ما اذا اراد اغواءه فلهذا السبب حسن ان يقال ان الله اغواه هذا جملة كلام المعتزلة في هذا الباب
وتقدم الجواب عن امثال هذه الكلمات فلا فايدة في الاعادة ثم قال هو ربكم واليه ترجعون فيجازيكم باعمالكم
وهذا نهاية الوعيد والتهديد **قوله تعالى** ام يقولون افتراه اختلقه وافتعله يعني نوحا قال ابن عباس
وقال مقاتل يعني محمدا صلى الله عليه وسلم والهاء ترجع الى الوحي الذي بلغه اليهم قل ان افتريته فعلي اجرامي اي اثمي ووبال
جرمي والاجرام كسب الذنب وهذا من باب حذف المضاف لان المعنى فعلي عقاب اجرامي وفي الاية محذوف اخر
وهو ان المعنى ان كنت افتريته فعلي عقاب جرمي وان كنت صادقا وكذبتموني فعليكم عقاب ذلك التكذيب
الا انه حذف هذه البقية لدلالة الكلام عليه **قوله تعالى** فعلي اجرامي مبتدا وخبر او فعل وفاعل والجمهور
على كسر همزة اجرامي وهو مصدر اجرم واجرم هو الفاشي ويجوز جرم ثلاثيا وانشد

طريد عشيرة ورهين ذنب ✱ بما جرمت يدي وجنى لساني ✱

وقرئ في الشاذ اجرامي بفتح الهمزة حكاه النحاس وخرجه على انه جمع جرم كقفل واقفال واعلم ان قوله ان افتريته
فعلي اجرامي لا يدل على انه كان شاكا الا انه قول يقال على وجه الانكار عند الياس من القبول **قوله تعالى**
واوحي الى نوح الجمهور على اوحي مبنيا للمفعول والقايم مقام الفاعل انه لن يؤمن اي اوحي اليه عدم ايمان بعض القوم
وقرا ابو البرهسم اوحي مبنيا للفاعل وهو الله تعالى انه بكسر الهمزة وفيها وجهان احدهما وهو اصل البصريين انه على

اضمار

اضمار القول والثاني هو اصل الكوفيين انه على اجراء اوحي مجرى القول **قوله تعالى** فلا تبتئس هو تفتعل
من البؤس ومعناه لا تحزن في استكانة ويقال ابتاس فلان اي بلغه ما يكرهه قال الشاعر

✱ ما يقسم الله اقبل غير مبتئس ✱ منه واقعد كريما ناعم البال ✱

وقال اخر

✱ وكم من خليل او حميم رزيته ✱ فلم نبتئس والرزء فيه جليل ✱

فصل دلت هذه الاية على صحة القول بالقضاء والقدر لانه تعالى اخبر انهم لا يؤمنون بعد ذلك
فلو حصل ايمانهم لكان اما مع بقاء هذا العلم علما او مع انقلاب الخبر كذبا ومع انقلاب هذا العلم جهلا والاول
باطل لان وجود الايمان مع ان يكون الاخبار عن عدم الايمان صدقا ومع كون العلم بعدم الايمان حاصلا حال
وجود الايمان جمع بين النقيضين والثاني ايضا باطل لان انقلاب علم الله تعالى جهلا وخبره كذبا محال ولما كان
صدور الايمان منهم محالا مع انهم كانوا مامورين به وايضا فالقوم كانوا مامورين بالايمان ومن الايمان تصديق
الله في كل ما اخبر عنه وقد اخبر انه لن يؤمن من قومك الا من قد امن فيلزم ان يقال انهم كانوا مامورين بان يؤمنوا
بانهم لا يؤمنون البتة وذلك تكليف بالجمع بين النقيضين **قوله تعالى** واصنع الفلك باعيننا ووحينا
باعيننا حال من فاعل اصنع اي محفوظا باعيننا وهو مجاز عن كلاءة الله له بالحفظ وقيل المراد بهم الملائكة تشبيها
لهم بعيون الناس اي الذين يتفقدون الاخبار والجمع حينئذ حقيقة وقرا طلحة بن مصرف باعينا مدغما
فصل قوله تعالى واصنع الفلك الظاهر انه امر ايجاب لانه لا سبيل الى صون روح نفسه وارواح
من عنده من الهلاك الا بهذا الطريق وصون النفس من الهلاك واجب وما لا يتم الواجب الا به فهو واجب ويحتمل ان يكون
امر اباحة وهو بمنزلة ان يتخذ الانسان لنفسه دارا ليسكنها او يكون ذلك تعليما له ولمن بعده كيفية عمل السفينة
ولا يكون ذلك من باب ما لا يتم الواجب الا به فان الله تعالى خلص نوحا وقومه من الطوفان من غير سفينة وكان
ذلك معجزة له واما قوله تعالى باعيننا فلا يمكن اجراؤه على ظاهره لوجوه احدها انه يقتضي ان يكون لله اعين كثيرة
وهذا يناقض قوله تعالى ولتصنع على عيني وثانيها انه يقتضي ان يصنع الفلك بتلك الاعين كقولك قطعت بالسكين
وكتبت بالقلم ومعلوم ان ذلك باطل وثالثها انه تعالى منزه عن الاعضاء والابعاض فوجب المصير الى التاويل
وهو من وجوه الاول معنى باعيننا اي بنزول الملك يعرفه بخبر السفينة يقال فلان عين على فلان اي ناظر عليه
الثاني انه من كان عظيم العناية بالشيء فانه يضع عينه عليه فلما كان وضع العين على الشيء سببا لمبالغة الحفظ
جعل العين كناية عن الاحتفاظ فلهذا قال المفسرون معناه بحفظنا اياك حفظ من يراك ويملك دفع السوء
عنك وحاصل الكلام ان عمل السفينة مشروط بامرين احدهما ان لا يمنعه اعداؤه من ذلك العمل والثاني ان يكون عالما
بكيفية تاليف السفينة وتركيبها وقوله ووحينا اشارة الى انه تعالى يوحي اليه كيفية عمل السفينة وقوله تعالى ولا تخا
طبني في الذين ظلموا انهم مغرقون فقيل لا تطلب مني تاخير العذاب عنهم فاني قد حكمت عليهم بهذا الحكم فلما علم نوح ذلك
دعا عليهم بعد ذلك وقال رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا وقيل لا تخاطبني في تعجيل العذاب فاني لما
قضيت عليهم انزال العذاب في وقت معين كان تعجيله ممتنعا وقيل المراد بالذين ظلموا امراته وابنه **قوله تعالى**
ويصنع الفلك قيل هذه حكاية حال ماضية اي في ذلك الوقت كان يصدق عليه انه يصنع الفلك فاقتصر على قوله
يصنع قيل ان جبريل اتى نوحا عليهما السلام فقال ان ربك يقول اصنع كما مع بعيني بامرك ان تصنع الفلك
قال كيف اصنع ولست بنجار فقال ان ربك يقول اصنع فانك بعيني فاخذ القدوم وجعل يصنع لا يخطي وقيل اوحي
اليه ان يصنعها مثل جؤجؤ الطاير وروي ان نوحا عليه السلام لما دعا على قومه وقال رب لا تذر على الارض من
الكافرين ديارا استجاب الله دعاءه وامره ان يغرس شجرا ليعمل منه السفينة فغرسه وانتظره مائة سنة ثم نجره في مائة
اخرى وقيل في اربعين سنة وكانت من خشب الساج وفي التوراة انها من الصنوبر قال الثوري وامره ان يجعل طولها
ثمانين ذراعا وعرضها خمسين ذراعا وان يطلي ظاهرها وباطنها بالقار وقال قتادة كان طولها ثلاثمائة ذراع
وعرضها خمسون ذراعا وقال الحسن ستمائة ذراع في عرض ثلاثمائة ذراع وعن ابن عباس الف ومائتا ذراع في عرض
ستمائة ذراع وقيل الفا ذراع في عرض مائة ذراع واتفقوا كلهم على ان ارتفاعها ثلاثون ذراعا وكانت ثلاث
طبقات كل واحدة عشرة اذرع والسفلى للدواب والوحوش والوسطى للناس والعليا للطيور ولها غطاء من فوقها
يطبق عليها قال ابن الخطيب والذي نعلمه ان السفينة كانت سعتها بحيث تسع المؤمنين من قومه ولما يحتاجون اليه ولحصول
زوجين من كل حيوان لان هذا القدر مذكور في القران فاما تعيين ذلك القدر فغير معلوم **قوله تعالى** وكلما
مر العامل في كلما سخر وقال مستانف اذ هو جواب لسؤال سائل وقيل العامل في كلما قال وسخر على هذا اما

صفة للالا وما بعده من مر وهو بعيد جدا اذ ليس بجره في معنى المرور ولا هو هو فكيف يبدل منه والجملة من قوله
كلما الي اخرها في محل نصب على الحال اي يصنع الفلك والحال انه كلما مر **فصل** اختلفوا فيما لاجله كانوا يسخرون
فقيل انهم كانوا يقولون له كنت تدعي الرسالة فصرت بعد ذلك نجارا وقيل كانوا يقولون لو كنت صادقا في دعواك
لكان الهك يعينك على هذا العمل الشاق وقيل انهم ما راوا السفينة قبل ذلك وما عرفوا كيفية الانتفاع بها
فكانوا يتعجبون منه ويسخرون وقيل ان تلك السفينة كانت كبيرة وكان يصنعها في موضع بعيد من الماء جدا
فكانوا يقولون ليس ههنا ماء ولا يمكنك نقلها الي البحار فكانوا يعدون ذلك من باب السخرية وقيل انه
لما طال مكثه فيهم وكان ينذرهم من الغرق وما شاهدوا من ذلك المعنى خبرا ولا اثرا غلب على ظنونهم كذبه في ذلك
القول فلما اشتغل بعمل السفينة سخروا منه وكل هذه الوجوه محتملة ثم انه تعالى حكى عنه انه كان يقول ان تسخروا منا فانا
نسخر منكم اي مثل سخريتكم اذا غرقتم في الدنيا ووقعتم في العذاب يوم القيمة وقيل ان حكمتم علينا بالجهل فيما نصنع فانا
نحكم عليكم بالجهل فيما انتم عليه من الكفر والتعرض لسخط الله وعذابه فانتم اولى بالسخرية منا فان قيل كيف تجوز
السخرية من النبي فالجواب هذا ازدواج للكلام يعني ان تستجهلوني فاني استجهلكم اذا نزل بكم العذاب وقيل معناه
ان تسخروا منا فسترون عاقبة سخريتكم وقيل سمي المقابل سخرية كقوله تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها **قوله تعالى**
فسوف تعلمون من ياتيه عذاب يخزيه في من وجهان احدهما ان تكون موصولة والثاني ان تكون استفهامية وعلى
كلا التقديرين فتعلمون اما من باب اليقين فيتعدي لاثنين واما من باب العرفان فيتعدي لواحد فاذا كانت عرفانية
ومن استفهامية كانت من وما بعدها سادة مسد مفعول واحد وان كانت متعدية لاثنين كانت سادة مسد
المفعولين واذا كانت تعلمون متعدية لاثنين ومن موصولة كانت في موضع المفعول الاول والثاني محذوف
قال ابن عطية وجائز ان تكون المتعدية الي مفعولين واقتصر على الواحد هذه العبارة ليست جيدة لان الاقتصار
في هذا الباب على احد المفعولين لا يجوز لما تقرر من انهما مبتدا وخبر في الاصل والحذف اختصارا فهو ممتنع
ايضا اذ لا دليل على ذلك وان كانت متعدية لواحد ومن موصولة فالامر واضح **قوله تعالى** ويحل عليه
اي يجب عليه وينزل به عذاب مقيم دائم وحكى الزهراوي ويحل بضم الحاء بمعنى يجب ايضا **قوله تعالى** حتى
اذا جاء امرنا اي بعذابنا الارض من سائر اقطارها حتى نبعث الينابيع التي هي محل النار وفار التنور اختلفوا في التنور
قال عكرمة والزهري هو وجه الارض عذابا ووقته او قولنا كان وروي عن علي قال التنور طلوع الفجر ونور الصبح
وقيل التنور اشرف مكان في الارض واعلاه وقيل فار التنور يحتمل ان يكون معناه اشتد الحر كما يقال حمي الوطيس
ومعنى الاية اذا رايت الامر يشتد والماء يكثر فانج بنفسك ومن معك الي السفينة وقال الحسن ومجاهد والشعبي
انه التنور الذي يخبز فيه وهو قول اكثر المفسرين ورواه عطية عن ابن عباس قال الحسن كان تنورا من حجارة كانت
حواء تخبز فيه فصار الي نوح واختلفوا في موضعه فقال مجاهد والشعبي انه بناحية الكوفة وعن علي انه بمسجد الكوفة
وقال مقاتل بموضع يقال له عين وردة بالشام وقيل عين بالهند قال الزمخشري حتى هي التي يبتدا بعدها
الكلام ادخلت على الجملة من الشرط والجزاء ووقعت غاية لقوله ويصنع الفلك اي وكان يصنعها الي ان جاء وقت
الموعد والالف واللام في التنور قيل للعهد وقيل للجنس ووزن تنور قيل تفعول من لفظ النور فقلبت
الواو الاولى همزة لانضمامها ثم حذفت تخفيفا ثم شددوا النون كالعوض عن المحذوف ويعزى هذا لثعلب
وقيل وزنه فعول ويعزى لابي علي الفارسي وقيل هو اعجمي وعلى هذا فلا اشتقاق له والمشهور انه مما اتفق
فيه لغة العرب والعجم كالصابون ومعنى فار اي غلا فوره وشدة تشبيها بغليان القدر عند فوره النار ولا شبهة
في ان نفس التنور لا يفور فالمراد فار الماء في التنور قال الليث التنور اسم بكل لسان وصاحبه تنار قال
الازهري وهذا يدل على ان الاسم يكون اعجميا فتعربه العرب فيصير عربيا والدليل على ذلك ان الاصل
تنار ولا يعرف في كلام العرب تنور ونظيره مما دخل في كلام العرب من كلام العجم الديبار والديباج والسندس
والاستبرق فان العرب تكلموا بها فصارت عربية قيل ان امراته كانت تخبز في ذلك التنور فاخبرته بخروج
الماء من ذلك التنور فاشتغل في الحال بوضع هذه الاشياء في السفينة **قوله تعالى** قلنا احمل فيها من كل
زوجين اثنين قرا العامة باضافة كل لزوجين وقرا حفص بتنوين كل فاما العامة فقيل ان مفعول احمل
اثنين ومن كل زوجين في محل نصب على الحال من المفعول لانه كان صفة للنكرة فلما قدم عليها نصب حالا وقيل
من زائدة وكل مفعول به واثنين نعت لزوجين على التاكيد وهذا انما يتم على قول من يرى زيادة من مطلقا
او في كلام موجب وقيل قوله زوجين بمعنى العموم اي من كل ما له ازدواج هذا معنى قوله من كل زوجين وتقول العرب

وهو قول الفارسي وغيره قال ابن عطية ولو كان المعنى احمل فيها من كل زوجين حاصلين اثنين لوجب ان يحمل من
كل نوع اربعة والزوج في مشهور كلامهم للواحد مما له ازدواج قال تعالى ومن كل شيء خلقنا زوجين وتقول للمراة
زوج قال تعالى وخلق منها زوجها يعني المراة وهو زوجها وقال وانه خلق الزوجين الذكر والانثى فالواحد يقال
له زوج قال تعالى ثمانية ازواج من الضان اثنين ومن المعز اثنين ومن الابل اثنين ومن البقر اثنين فالزوجان
عبارة عن كل اثنين لا يستغني احدهما عن الاخر يقال لكل واحد منهما زوج يقال زوج خف وزوج نعل والمراد
بالزوجين ههنا الذكر والانثى واما قراءة حفص فمعناها من كل حيوان او من كل صنف زوجين مفعول به
واثنين نعت على التاكيد كقوله تعالى لا تتخذوا الهين اثنين ومن كل على هذه القراءة يجوز ان يتعلق باحمل وهو
الظاهر وان يتعلق بمحذوف على انه حال من زوجين وهذا الخلاف والتخريج جاريان ايضا في سورة قد افلح
فصل اختلفوا في انه هل دخل في قوله زوجين اثنين غير الحيوان ام لا فالحيوان مراد ولا يبعد ان النبات
فاللفظ لا يدل عليه الا انه بقرينة الحال لا يبعد دخوله لان الناس محتاجون الى النبات بجميع اقسامه قال ابن
الخطيب وروي عن ابن مسعود انه قال لم يستطع نوح ان يحمل الاسد حتى القيت عليه الحمى وذلك ان نوحا قال يا رب
فمن اين اطعم الاسد اذا حملته قال الله تعالى فسوف اشغله عن الطعام فسلط عليه الحمى وامثال هذه الكلمات الاولى
تركها فان حاجة الفيل الي الطعام اكثر وليس به حمى وروي زيد بن اسلم عن ابيه مرسلا ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال لما حمل نوح في السفينة من كل زوجين اثنين قال اصحابه وكيف نطمئن او تطمئن المواشي ومعنا الاسد
فسلط الله عليه الحمى فكانت اول حمى نزلت الارض ثم شكوا الفارة فقالوا ان الفويسقة تفسد علينا طعامنا ومتاعنا
فاوحى الله الي الاسد فعطس فخرجت الهرة منه فتخبات الفارة منها **قوله تعالى** واهلك الا من سبق عليه القول في قراءة
من اضاف كلا لزوجين وعلى زوجين في قراءة من نون كلا وقوله تعالى الا من سبق استثناء متصل في موجب
فهو واجب النصب على المشهور وقوله تعالى ومن امن مفعول به نسقا على مفعول احمل **فصل** روي ان نوحا
قال يا رب كيف احمل من كل زوجين اثنين فحشر الله اليه السباع والطير فجعل يضرب بيديه في كل جنس فيقع الذكر
في يده اليمنى والانثى في يده اليسرى فيجعلهما في السفينة والمراد باهله ولده وعياله الا من سبق عليه القول بالهلاك
يعني امراته واعلة وابنه كنعان ومن امن يعني واحمل من امن بك قال تعالى وما امن معه الا قليل قال
قتادة وابن جريج ومحمد بن كعب القرظي لم يكن في السفينة الا ثمانية نفر نوح وامراته وثلاثة بنين سام وحام
ويافث ونساؤهم وقال الاعمش كانوا سبعة نوح وثلاثة بنين وثلاث كناين وقال ابن اسحق كانوا عشرة سوى نسائهم
نوح وسام وحام ويافث وستة اناس ممن كان امن به وازواجهم جميعا وقال مقاتل كانوا اثنين وسبعين نفرا
رجلا وامراة وبنيه الثلاثة ونساؤهم وعن ابن عباس كان في سفينة نوح ثمانون رجلا احدهم جرهم يقال ان
في ناحية الموصل قرية يقال لها قرية الثمانين سميت بذلك لانهم لما خرجوا من السفينة بنوها فسميت بهم وقال
مقاتل حمل نوح معه جسد ادم فجعله معترضا بين الرجال والنساء وقال الحسن لم يحمل نوح في السفينة الا ما يلد ويبيض
فاما ما يتولد من الطين كالحشرات والبق والبعوض لم يحمل منه شيء قال تعالى الا من سبق عليه القول يعني حكم الله
عليه بالهلاك وهو ابنه وزوجته وكانا كافرين فاما ابنه فهو يام وتسميه اهل الكتاب كنعان وهو الذي
اعتزل عنه واما امراة نوح فهي ام اولاده كلهم حام وسام ويافث ويام وهو الذي اعتزل وغرق وعابر وقد
مات قبل الطوفان فقيل انها غرقت مع من غرق وكانت ممن سبق عليه القول بكفرها وعند اهل الكتاب انها كانت
في السفينة فيحتمل انها كفرت بعد ذلك فان قيل الانسان اشرف من سائر الحيوانات فما الفائدة في الابتداء
بذكر الحيوانات فالجواب ان الانسان عاقل وهو بعقله كالمضطر الي دفع اسباب الهلاك عن نفسه فلا حاجة
الي المبالغة في الترغيب فيه بخلاف السعي في تخليص سائر الحيوانات فلهذا وقع الابتداء به فان قيل الذين دخلوا
السفينة كانوا جماعة فلم لم يقل قليلون كما في قوله تعالى ان هؤلاء لشرذمة قليلون فالجواب كلا اللفظين جائز
والنقدير ههنا وما امن معه الا نفر قليل **فصل** احتجوا بقوله تعالى الا من سبق عليه القول في اثبات القضاء
السابق والقدر الواجب لان قوله سبق عليه القول يدل على ان من سبق عليه القول فانه لا يتغير عن حاله فهو كقوله
عليه السلام السعيد من سعد في بطن امه والشقي من شقي في بطن امه **قوله تعالى** وقال اركبوا فيها يجوز ان
يكون فاعل قال ضمير نوح عليه السلام ويجوز ان يكون ضمير الباري تعالى اي وقال الله لنوح ومن معه وفيها يتعلق
باركبوا وعدي بفي لتضمنه معنى ادخلوا فيها راكبين او سيروا فيها وقيل تقديره اركبوا الماء فيها وقيل في زائدة
للتوكيد والركوب العلو على ظهر الشيء ومنه ركوب الدابة وركوب السفينة وركوب البحر وكل شيء علا شيئا فقد ركبه

و يقال ركبه الدين وقال الليث وتسمي العرب من يركب السفينة ركاب السفينة واما الركبان والركب من ركب
الدواب قال الواحدي ولفظة في قوله اركبوا فيها لا يجوز ان تكون من صلة الركوب لانه يقال ركبت السفينة ولا يقال
ركبت في السفينة بل الوجه ان يقال المفعول اركبوا محذوف والتقدير اركبوا الما في السفينة وايضا يجوز ان يكون
فايدة هذه الزيادة انه امرهم ان يكونوا في جوف الفلك لا على ظهرها فلو قال اركبوها لتوهموا انه امرهم ان يكونوا على
ظهر السفينة قال قتادة ركبوا السفينة يوم العاشر من شهر رجب فسارت مائة وخمسين يوما واستقرت بهم على
الجودي شهرا وكان خروجهم من السفينة في يوم عاشورا من المحرم **قوله تعالى** بسم الله مجراها ومرساها يجوز ان
يكون هذا الجار والمجرور حالا من فاعل اركبوا او من ها فيها ويكون مجراها ومرساها فاعلين بالاستقرار الذي تضمنه
الجار لوقوعه حالا ويجوز ان يكون بسم الله خبرا مقدما ومجراها مبتدا مؤخرا والجملة ايضا حال مما تقدم وهي على كلا
التقديرين حال مقدرة كذا اعربه ابو البقا وغيره الا ان مكيا منع ذلك لخلو الجملة من ضمير يعود على ذي الحال اذا اعربنا
الجملة او الجار حالا من فاعل اركبوا قال ولا يجوز ان تكون هذه الجملة حالا من فاعل اركبوا لانه لا عايد في الجملة يعود
على المضمر في اركبوا الا ان المضمر في بسم الله ان جعلته خبر المجراها فانما يعود على المبتدا وهو مجراها فان رفعت مجراها
بالظرف لم يكن فيه ضمير لها في مجراها وانما يعود على الضمير في فيها واذا نصبت مجراها على الظرفية عمل فيه بسم الله وكانت
الجملة حالا من فاعل اركبوا وقيل بسم الله حال من فاعل اركبوا ومجراها ومرساها في موضع الظرف المكاني والزماني
والتقدير اركبوا فيها مسمين موضع جريانها ورسوها او وقت جريانها ورسوها والعامل في هذين الظرفين حينئذ
ما تضمنه بسم الله من الاستقرار والتقدير اركبوا فيها متبركين بسم الله في هذين المكانين او الوقتين ولا يجوز ان
يكون العامل فيهما اركبوا لانه لم يرد اركبوا فيها في وقت الجري والرسو انما المعنى سموا اسم الله في وقت الجري والرسو
ويجوز ايضا ان يكون مجراها ومرساها مصدرين لبسم الله حال كما تقدم رافعا لهذين المصدرين على الفاعلية
اي استقر بسم الله اجراوها وارساوها ولا يكون الجار حينئذ الا حالا من ها في فيها لوجود الرابط ولا يكون حالا
من فاعل اركبوا لعدم الرابط وعلى هذه الاعاريب يكون الكلام جملة واحدة ويجوز ان يكون اسم الله مجراها ومرساها
جملة مستانفة لا تعلق لها بالاولى من حيث الاعراب ويكون قد امرهم في الجملة الاولى بالركوب واخبر ان مجراها ومرساها
بسم الله قال بسم الله مجراها فجرت واذا اراد ان ترسو قال بسم الله مرساها قال بعض المفسرين كان نوح اذا اراد جري
السفينة قال بسم الله مجراها فجرت واذا اراد ان ترسو قال بسم الله مرساها فرست فالجملتان محكيتان بقال وقرا
الاخوان وحفص مجراها بفتح الميم والبا فوق نقطها واتفق السبعة على ضم ميم مرساها وقرا ابن مسعود
وعيسى الثقفي وزيد بن علي والاعمش مرساها بفتح الميم ايضا فالضم فيهما لانهما من اجري وارسي والفتح لانهما من
جرت ورست وهما اما ظرفا زمان او مكان او مصدران على ما سبق من التقادير وقرا الضحاك والنخعي وابن
وثاب ومجاهد وابو رجا والكلبي والجحدري وابن جندب مجريها ومرسيها بكسر الرا والسين بعدهما يا صريحة
وهما اسما فاعلين من اجري وارسي وتخريجها على انهما بدلان من اسم الله تعالى وقال ابن عطية وابو البقا ومكي انهما
نعتان لله تعالى وهذا الذي ذكروه انما يتم على تقدير كونهما معرفتين بمحض الاضافة وقد قال الخليل ان كل
اضافة غير محضة قد تجعل محضة الا اضافة الصفة المشبهة فلا تتمحض وقال مكي ولو جعلت مجراها ومرساها
في موضع اسم الفاعل لكانت حالا مقدرة ولجاز ذلك وكانت في موضع نصب على الحال من اسم الله تعالى والرسو
الثبات والاستقرار يقال رسا يرسو وارسيته انا قال • فصبرت نفسا عند ذلك حرة • ترسو اذا نفس
الجبان تطلع • اي تثبت وتستقر عندما تضطرب وتتحرك نفس الجبان **قوله تعالى** ان ربي لغفور رحيم
فيه سوال وهو ان ذلك كان وقت اهلاك واظهار الغرق فكيف يليق به هذا الذكر والجواب لعل القوم الذين
ركبوا السفينة اعتقدوا في انفسهم انا انما نجونا ببركة علمنا فالله تعالى نبههم بهذا الكلام لازالة ذلك العجب
فان الانسان لا ينفك من انواع الزلات وظلمات الشهوات في جميع الاحوال فهو محتاج الى اعانة الله وفضله
واحسانه وان يكون غفورا لذنوبه رحيما لعقوبته **قوله تعالى** وهي تجري بهم في هذه المسالة ثلاثة
اوجه احدها انها مستانفة اخبر الله تعالى عن السفينة بذلك والثاني انها في محل نصب على الحال من الضمير
المستتر في بسم الله اي جريانها استقر بسم الله حال كونها جارية والثالث انها حال من شي محذوف تضمنته
جملة دل عليها سياق الكلام قال الزمخشري فان قلت بم اتصل قوله وهي تجري بهم قلت بمحذوف دل عليه قوله
تعالى اركبوا فيها بسم الله كانه قيل فركبوا فيها يقولون بسم الله وهي تجري بهم وقوله بهم يجوز فيه وجهان احدهما
ان يتعلق بتجري والثاني انه متعلق بمحذوف اي تجري ملتبسة بهم ولذلك فسره الزمخشري بقوله اي تجري

وهم فيها وقوله تعالى كالجبال صفة للموج **فصل** قال ابن عمر وغيره ان الطوفان كان في ثالث عشر
شهر اب في حارة القبط وان الما ارتفع على اعلا جبل في الارض خمسة عشر ذراعا وهو الذي عند اهل الكتاب
وقيل ثمانين ذراعا وعم جميع الارض طولا وعرضا والموج جمع موجة والموج ما ارتفع من الماء اذا اشتدت عليه
الريح وهذا يدل على انه حصل في ذلك الوقت رياح عاصفة فان قيل الجريان في الموج يوجب الغرق فالجواب
ان الامواج لما احاطت بالسفينة من جوانبها شبهت تلك السفينة كانها جرت في داخل تلك الامواج **قوله
تعالى** ونادى نوح ابنه الجمهور على كسر تنوين نوح لالتقاء الساكنين وقرا وكيع بضمه اتباعا لحركة الاعراب
واستوذ لا ابو حاتم هذه القراءة وقال هي لغة سو لا تعرف وقرا العامة ابنه بوصل هاء الكناية بواو وهي اللغة
الفصيحة الفاشية وقرا ابن عباس بسكون الهاء وقال بعضهم هذا مخصوص بالضرورة وانشد قوله •
• واشرب الماء ما بي نحوه عطش • الا لان عيونه سيل واديها •
وبعضهم لا يخصه بها وقال ابن عطية انها لغة لازد السراة ومنه قوله •
• ومطواي مشتاقان له ارقان •
وقال بعضهم هي لغة عقيل وبني كلاب وقرا السدي وابناه بالف وهاء السكت قال ابن جني وهو على النداء
وقال ابو البقا ابناه على الترثي وليس بندبة لان الندبة لا تكون بالهمزة وهو كلام مشكل في نفسه وان الهمزة
هنا ان عنى همزة النداء فلا نسلم ان المقدر من حروف النداء هو الهمزة لان النحاة نصوا على انه لا يضمر من حروف النداء
الا يا لانها ام الباب وقوله الترثي هو قريب في المعنى من الندبة وقد نصوا على انه لا يجوز حذف النداء من المندوب
وهذا شبيه به وقرا علي عليه السلام ابنها اضافة الى امراته كانه اعتبر قوله تعالى ليس من اهلك وقوله ابني من اهلي لا يدل
لاحتمال ان يكون ذلك لاجل الحنو وهو قول الحسن وجماعة وقرا محمد بن علي وعروة والزبير ابنه بهاء مفتوحة
دون الف وهي كالقراءة قبلها الا انه حذف الفها مجتزيا عنها بالفتحة كما تحذف اليا مجتزا عنها بالكسرة قال ابن
عطية هي لغة وانشد • اما تقود بها شاة فتاكلها • او ان تبيعه في بعض الاراكيب •
يريد تبيعها فاجتزا بالفتحة عن الالف كما اجتزا الاخر عنها في قوله انشده ابن الاعرابي على ذلك قوله •
• فلست براجع ما فات مني • بلهف ولا بليت ولا لو اني •
يريد بالهفا فحذف وهذا يخصه بالضرورة ويمنع في السعة يا غلاما في يا غلاما وسياتي في نحو يا ابت بالفتح هل
تم الفتحة وقرا ام لا وتقدم خلاف في نحو يا ابن ام ويا ابن عم هل تم الفتحة وقرا ام لا وتقدم خلاف في نحو
يا ابن ام مجتزيا عنها بالفتحة ام لا فهذا ايضا كذلك ولكن الظاهر عدم اقتياسه وقد خطا النحاس ابا حاتم في حذف
هذه الالف وفيه نظر **قوله تعالى** وكان في معزل جملة في موضع نصب على الحال وصاحبها هو ابنه والحال يا في
من المنادى لانه مفعول به والمعزل بكسر الزاي اسم مكان العزلة وكذلك اسم الزمان ايضا وبالفتح هو المصدر قال
ابو البقا ولم اعلم ان احدا قرا بالفتح قال شهاب الدين لان المصدر ها هنا ولا ظرف فكيف يقرا به الا بمجاز بعيد
واصله من العزل وهو التنحية والابعاد تقول كنت بمعزل عن كذا اي بموضع قد عزل عنه قيل كان في معزل من
السفينة لانه كان يظن ان الجبل يمنعه من الغرق وقيل كان في معزل عن ابيه واخوته وقومه وقيل كان في معزل
من الكفار انفرد منهم فظن نوح ان ذلك محبة لمفارقتهم **فصل** اختلفوا في انه هل كان ابنا له فقيل
كان ابنه حقيقة لنص القران وصرف هذا اللفظ الى انه رباه صرف للكلام من حقيقته الى مجازه من غير ضرورة
والمخالف لهذا الظاهر انما خالفه استبعادا الا ان يكون ولد الرسول كافرا وهذا ليس ببعيد فانه قد ثبت
بنص القران ان والد الرسول عليه السلام كان كافرا ووالد ابراهيم عليه السلام كان كافرا فكذلك ها هنا فان
قيل لما دعا وقال رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا فكيف نادى ابنه مع كفره فالجواب من وجوه الاول
انه كان ينافق اباه فظن نوح انه مومن فلذلك ناداه ولولا ذلك ما احب نجاته الثاني انه عليه السلام كان يعلم
انه كافر لكن ظن انه لما شاهد الغرق والاهوال العظيمة فانه يقبل الايمان فكان قوله يا بني اركب معنا كالدلالة
على انه طلب منه الايمان وتاكد هذا بقوله ولا تكن مع الكافرين اي تابعهم في الكفر واركب مع المومنين الثالث
ان شفقة الابوة لعلها حملته على ذلك النداء والذي تقدم من قوله الا من سبق عليه القول كان كالمجمل فلعله جوز
ان لا يكون داخلا فيه وقيل كان ابن امراته ويدل عليه ما تقدم من القراءة وقال قتادة سالت الحسن عنه فقال
والله ما كان ابنه فقلت ان الله حكى عنه انه قال ان ابني من اهلي وهذا يدل على قولي وقيل ولد على فراشه وانت
تقول ما كان ابنا له فقال لم يقل انه ابني مني وانما قال من اهلي وهذا يدل على قولي وقيل ولد على فراشه

قالوا لقوله تعالى في امراة نوح وامراة لوط فخانتاهما قال ابن الخطيب وهذا خبيث يخل بمنصب الانبيا عليهم السلام
عن هذه الفضيحة لاسيما وهو على خلاف نص القران واما قوله تعالى فخانتاهما فليس فيه ان تلك الخيانة
كانت بالسبب الذي يذكرونه قيل لابن عباس كيف كانت تلك الخيانة فقال كانت امراة نوح تقول ان زوجي
مجنون وامراة لوط تدل الناس على ضيفه اذا اتوا ليه ومما يدل على فساد القول قوله تعالى الطيبات للطيبين والطيبون
للطيبات والخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات وقوله تعالى الزانية لا ينكحها الا زان او مشرك وحرم
ذلك على المؤمنين قوله تعالى يا بني اركب معنا قرا البزي وقالون وخلاد باظهار باء اركب قبل ميم معنا
والباقون بادغامها في الميم وقرا عاصم هنا يا بني بفتح اليا واما في غير هذه السورة فان حفصا عنه فعل ذلك
والباقون بكسر اليا في جميع القران الا ابن كثير فانه في الاول من لقمان وهو قوله يا بني لا تشرك بالله فانه سكنه
وصلا ووقفا وفي الثاني كغيره اعني انه كسر ياءه وحفص على اصله من فتحه وفي الثالث وهو قوله يا بني اقم
الصلاة اختلف عنه فروى عنه البزي كحفص وروى عنه قنبل السكون كالاول هذا ضبط القراءة واما
توجيهها فمن فتح فقيل اصلها يا بنيا بالالف فحذفت الالف تخفيفا واجتزا عنها بالفتحة كما تقدم وقيل بل
حذفت لالتقاء الساكنين لانها وقع بعدها راء اركب وهذا التعليل فاسد لسقوطها في سورة لقمان في ثلاثة مواضع
حيث لا ساكنان وكان هذا المعلل لم يعلم بقراءة عاصم في غير هذه السورة ولا بقراءة البزي في لقمن وقد نقل ذلك
ابو البقا ولم ينكره وكذلك الزمخشري ايضا واما من كسر فحذفت اليا ايضا اما تخفيفا وهو الصحيح واما لالتقاء
الساكنين وقد تقدم فساده واما من سكن فلما راى من الثقل مع مطلق الحركة ولا شك ان السكون اخف من
اخف الحركات ولا يقال فلم وافق ابن كثير عن حفص في ثاني لقمان ووافق حفصا في الاخيرة في رواية البزي عنه
وسكن الاول لان ذلك جمع بين اللغات والمعرق آت بمحال واصل هذه اللفظة بنيي بثلاث ياآت الاولى
للتصغير والثانية لام الكلمة وهل هي ياء بطريق الاصالة او مبدلة من واو خلاف تقدم تحقيقه اول الكتاب
في لام ابن ما هي والثالثة ياء المتكلم مضاف اليها وهي التي طرا القلب الفا ثم الحذف او الحذف وهي باجالها

فصل لما حكى عن نوح انه دعا ابنه الى ركوب السفينة حكى عن ابنه انه قال ساوي الى جبل يعصمني والمعنى
الى جبل يعصمني من الماء يمنعني من الغرق وهذا يدل على ان الابن كان مصرا على الكفر فعند هذا قال نوح
لا عاصم اليوم من امر الله اي من عذاب الله الا من رحم وههنا سوال وهو ان الذي رحمه الله معصوم فكيف
يحسن استثناء المعصوم من العاصم والجواب من وجوه احدها انه استثناء منقطع وذلك ان يجعل عاصم
على حقيقته ومن رحم هو المعصوم وفي رحم ضمير مرفوع يعود على الله تعالى ومفعوله ضمير الموصول وهو من
حذف لاستكمال الشروط والتقدير لا عاصم اليوم البتة من امر الله لكن من رحمه الله فهو معصوم الثاني ان يكون
المراد بمن رحم هو الباري تعالى كانه قيل لا عاصم اليوم الا الراحم الثالث ان عاصما بمعنى معصوم وفاعل
قد يجي بمعنى مفعول نحو ماء دافق اي مدفوق وانشدوا • بطي القيام وخم الكلام • امسى فوادي به فاتنا •
اي مفتونا ومن مراد بها المعصوم والتقدير لا معصوم اليوم من امر الله الا من رحمه الله فانه يعصم الرابع ان
يكون عاصم هنا بمعنى النسب اي ذا عصمة نحو لابن وتامر وذو العصمة ينطلق على العاصم وعلى المعصوم والمراد
به هنا المعصوم وعلى هذا التقادير استثناء متصل وقد جعله الزمخشري متصلا لمدرك آخر وهو حذف مضاف
تقديره لا يعصمك اليوم معتصم قط من جبل ونحوه سوى معتصم واحد وهو مكان من رحمهم الله ونجاهم
يعني في السفينة واما خبر لا فالاحسن ان يجعل محذوفا وذلك لانه اذا دل عليه دليل وجب حذفه عند تميم
وكثر عند الحجاز والتقدير لا عاصم موجود وجوز الحوفي وابن عطية ان يكون خبرها هو الظرف وهو اليوم
قال الحوفي ويجوز ان يكون اليوم خبرا فيتعلق بالاستقرار وبه يتعلق من امر الله وقد رد ابو البقا ذلك فقال
فاما خبر لا فلا يجوز ان يكون اليوم لان ظرف الزمان لا يكون خبرا عن الجثة بل الخبر من امر الله واليوم معمول
من امر الله واما اليوم ومن امر الله فقد تقدم ان بعضهم جعل احدهما خبرا فيتعلق الآخر بالاستقرار الذي
يتضمنه الواقع خبرا ويجوز في اليوم ان يتعلق بنفس من امر الله لكونه بمعنى الفعل وجوز الحوفي ان يكون اليوم
نعتا لعاصم وهو فاسد بما افسد به وقوعه خبرا عن الجثة وقرئ الا من رحم مبنيا للمفعول وهي تقوية
لقول من يدعي ان من رحم في قراءة العامة المراد به المرحوم لا الراحم كما تقدم تاويله ولا يجوز ان يكون اليوم
ولا من امر الله متعلقين بعاصم وكذلك لو لحدهما لانه كان يكون الاسم مطولا ومتى كان مطولا اعرب ومن
اعرب نون ولا عبرة بخلاف الزجاج حيث زعم ان اسم لا يعرب حذف تنوينه تخفيفا ثم قال تعالى وحال بينهما

الموج

الموج فكان فصار من المغرقين وروي ان الماء على رؤوس الجبال بقدر اربعين ذراعا وقيل خمسة عشر **قوله**
وقيل يا ارض ابلعي ماءك هذا مجاز لانها موات وقيل جعل فيها ما تميز به والذي قال انه مجاز قال لو فتش كلام العرب
والعجم ما وجد فيه مثل هذه الاية على حسن نظمها وبلاغة وصفها اشتمال المعاني فيها والبلع معروف والفعل منه مكسور
العين ومفتوحها بلع وبلع حكاهما الكسائي والفراء قيل والفصيح بلع بكسر اللام يبلع بفتحها والاقلاع الامساك
ومنه اقلعت الحمى وقيل اقلع عن الشيء اي تركه وهو قريب من الاول والغيض النقصان ويقال غاض الماء يغيض
غيضا ومغاضا اذا نقص وغضته انا وهذا من باب فعل الشيء وفعلته انا ومثله فغر الفم وفغرته ودلع اللسان
ودلعته ونقص الرزق ونقصته وفعله لازم ومتعد فمن اللازم قوله تعالى وما تغيض الارحام وقيل بل هو هنا
متعد ايضا وسياتي ومن المتعدي هذه الاية لانه لا يبنى للمفعول من غير واسطة حرف الجر الا المتعدي بنفسه والجودي
جبل بعينه بالموصل وقيل بل كل جبل يقال له جودي ومنه قول عمرو بن نفيل قوله •

• سبحانه سبحانا نعود له • وقبلنا سبح الجودي والجمد •

قال شهاب الدين ولا ادري ما في ذلك من الدلالة على انه عام في كل جبل وقرا الاعمش وابن ابي عبلة بتخفيف
ياء الجودي قال ابن عطية وهما لغتان والصواب ان يقال خففت ياء النسب وان كان لا يجوز ذلك في كلامهم
الفانيه **قوله** بعدا منصوب على المصدر بفعل مقدر اي وقيل ابعدوا بعدا فهو مصدر بمعنى الدعا
عليهم نحو جدعا يقال بعد يبعد بعدا اذا اهلك قال الشاعر •

• يقولون لا تبعد وهم يدفنونه • ولا بعد الا ما توارى الصفائح •

واللام اما تتعلق بفعل محذوف ويكون على سبيل البيان كما تقدم سقيا لك ورعيا واما ان تتعلق بقيل
اي لاجلهم هذا القول قال الزمخشري ومجي اخباره على الفعل المبني للمفعول للدلالة على الجلال والكبرياء وان
تلك الامور العظام لا تكون الا بفعل فاعل قادر يكون قاهرا وان فاعل هذه الافعال فاعل واحد لا يشارك
في افعاله فلا يذهب الوهم الى ان يقول غيره يا ارض ابلعي ماءك ولا ان يقضي ذلك الامر الهائل الا هو ولا
ان تستوي السفينة على الجودي وتستقر عليه الا بتسويته واقراره ولما ذكرنا من المعاني والنكت استفصح
علماء البيان هذه الاية ورقصوا لها رؤوسهم لتجانس الكلمتين وهما قوله ابلعي واقلعي وذلك وان كان الكلام
لا يخلو من حسن فهو كغير الملتفت اليه بازاء تلك المحاسن التي هي اللب وما عداها

فصل في هذه
الاية الفاظ كل واحد منها دال على عظمة الله تعالى فاولها قوله وقيل وهذا يدل على انه سبحانه في الجلالة
والعظمة بحيث انه متى قيل لم ينصرف العقل الا اليه ولم يتوجه الفكر الا الى ذلك الامر فدل من هذا الوجه على
انه مقرر في المعقول انه لا حاكم في العالمين ولا متصرف في العالم العلوي والسفلي الا هو وثانيها قوله
يا ارض ابلعي ماءك ويا سماء اقلعي قال الحسن يدل على عظمة هذه الاجسام والحق تعالى مستول عليها متصرف
فيها كيف شاء واراد فصار ذلك سببا لوقوف القوة العقلية على كمال جلال الله تعالى وعلو قدرته وقدرته
وهيبته وثالثها ان السماء والارض من الجمادات فقوله يا ارض ويا سماء مشعر بحسب الظاهر على ان امره وتكليفه
نافذ في الجمادات واذا كان كذلك حكم الوهم بان نفوذ امره على العقلاء اولى وليس المراد منه انه تعالى يامر الجماد
فان ذلك باطل المراد ان توجيه صيغة الامر بحسب الظاهر على هذه الجمادات القوية الشديدة تقرر في الوهم قدرة
عظمته وجلالته تقريرا كاملا ورابعها قوله تعالى وغيض الماء ومعناه ان الذي قضى به وقدره في الازل
قضاء جزما فقد وقع ذلك يدل على ان كل ما قضى الله تعالى به فهو واقع في وقته وانه لا دافع لقضائه
ولا مانع من نفاذ حكمه في ارضه وسمائه فان قيل كيف يليق بحكمة الله تعالى انه اغرق الاطفال بسبب جرم الكفار
فالجواب من وجهين الاول قال اكثر المفسرين ان الله تعالى عقم ارحام نسائهم قبل الغرق باربعين سنة فلم يغرق
الا من بلغ سنه الى اربعين ولقائل ان يقول لو كان كذلك لكان آية عجيبة قاهرة ويبعد مع ظهورها استمرارهم
على الكفر وايضا فهب ان الامر كما ذكرتم فما تقولكم في اهلاك الطير والوحش مع انه لا تكليف عليها البتة الجواب
الثاني انه لا اعتراض على الله تعالى في افعاله لا يسئل عما يفعل واجاب المعتزلة بان اغراق الاطفال والحيوانات
كاذنه في ذبح هذه البهائم وفي استعمالها في الاعمال الشاقة وقوله تعالى وقضي الامر اي فرغ منه وهو هلاك
القوم وقوله تعالى واستوت على الجودي اي استوت السفينة على جبل بارض الجزيرة بقرب الموصل يقال له الجودي
قيل استوت يوم عاشوراء وقيل بعدا للقوم الظالمين قيل هذا من كلام الله تعالى قال لهم ذلك على سبيل اللعن
والطرد وقيل من كلام نوح واصحابه لان الغالب فيمن يسلم من الامر الهائل بسبب اجتماعهم مع الظلمة فاذا هلكوا

ونجا منهم قال مثل هذا الكلام قال ابن عباس لما عرف نوح ان الماء قد نضب هبط الى اسفل الجودي فابتنى قرية وسماها ثمانين بعدد من كان معه من المومنين فاصبحوا ذات يوم وقد نطقت السنتهم على ثمانين لغة احدها لغة العرب وكان بعضهم لا يعقل كلام بعض فكان نوح عليه السلام يعبر عنهم **قوله** ونادى نوح ربه الاية فقال عطف على نادى قال الزمخشري فان قلت واذا كان النداء هو قوله رب فكيف عطف قال رب على نادى بالفاء قلت اريد بالنداء ارادة النداء ولو اريد النداء نفسه لجاء كما جاء في قوله تعالى اذ نادى ربه نداء خفيا قال رب بغير فاء **فصل** تقدم الكلام في انه هل كان له ابنا ام لا فقوله رب ان ابني من اهلي وقد وعدتني ان تنجيني واهلي وان وعدك الحق لا خلف فيه وانت احكم الحاكمين حكمت على قوم بالنجاة وعلى قوم بالهلاك قال يا نوح انه ليس من اهلك اي ليس من اهل دينك لانه لما ثبت بالدليل انه كان ابنا له وجب ان يكون المراد انه ليس من اهل دينك وقيل ليس من اهلك الذين وعدتك ان انجيهم معك **قوله** انه عمل غير صالح قرا الكسائي عمل فعلا ماضيا وغير نصبا والباقون عمل بفتح الميم وتنوينه على انه اسم وغير بالرفع فقراءة الكسائي الضمير فيها يتعين على ابن نوح وفاعل عمل ضمير يعود عليه ايضا وغير مفعول به ويجوز ان يكون نعتا لمصدر محذوف تقديره عمل عملا غير صالح كقوله واعملوا صالحا وقيل انه ذو عمل باطل فحذف المضاف لدلالة الكلام عليه واما قراءة الباقين ففي الضمير اربعة اوجه اظهرها انه عائد على ابن نوح ويكون في الاخبار عنه بالمصدر المذاهب في رجل عدل وزيد كرم وجود والثاني يعود على النداء المفهوم من قوله ونادى اي نداؤك وسؤالك والى هذا ذهب ابو البقاء ومكي والزمخشري وهذا فيه خطر عظيم كيف يقال ذلك في حق نبي من الانبياء فضلا عن اول رسول ارسل الى اهل الارض بعد ادم عليهما السلام ولما حكاه الزمخشري قال ولقد اصاب واستدل لمن قال بذلك ان في حرف عبد الله بن مسعود انه عمل غير صالح ان تسالني ما ليس لك به علم وهذا المخالف للسواد الثالث انه يعود على ركوب ابن نوح المدلول عليه بقوله اركب معنا الرابع انه يعود على ترك الركوب وكونه مع المومنين اي ان ترك الركوب مع المومنين وكونه مع الكافرين عمل غير صالح وعلى الاوجه الثلاثة لا يحتاج في الاخبار بالمصدر تاويل لان كليهما معنى من المعاني وعلى الوجه الرابع ان يكون من كلام نوح عليه السلام اي ان نوحا قال ان كونك مع الكافرين وتركك الركوب معنا عمل غير صالح بخلاف ما تقدم فانه من قول الله تعالى وفقط هكذا قاله مكي وفيه نظر بل الظاهر ان الكل من كلام الله تعالى وقال الزمخشري فان قلت فهلا قيل انه عمل فاسد قلت لما نفاه من اهله نفى عنه صفتهم بكلمة النفي التي يستبقى معها لفظ النفي واذن بذلك انه انما نجا من نجى بصلاحهم لا لكونهم باهلك **قوله** فلا تسالني قرا نافع وابن عامر ولا تسالن بتشديد النون مكسورة من غير ياء وابن كثير بتشديدها مع الفتح وابو عمرو والكوفيون بنون مكسورة خفيفة ويا وصلا لابي عمرو وبدون ياء في الحالين للكوفيين وفي الكهف فلا تسالني عن شيء قراءة ابو عمرو والكوفيون كقراءتهم هنا ووافقهم ابن كثير في الكهف واما نافع وابن عامر فكقراءتهما هنا ولابن ذكوان خلاف في ثبوت الياء وحذفها وانما قرا ابن كثير التي في هود بالفتح دون التي في الكهف لان الياء في هود ساقطة في الرسم فكانت قراءته بفتح النون محتملة بخلاف الكهف فان الياء ثابتة في الرسم فلا يوافق فيه فتحها وقد تقدم خلاف ابن ذكوان في ثبوت الياء في الكهف فمن خفف النون فهي نون الوقاية وحدها ومن شددها فهي نون التوكيد وابن كثير لم يجعل في هود الفعل متصلا بياء المتكلم والباقون جعلوه فلزمهم الكسر وقد تقدم ان سال يتعدى لاثنين اولهما ياء المتكلم والثاني ما ليس لك به علم وقوله ان تكون على حذف حرف الجر اي من ان تكون او لاجل ان وقوله ما ليس لك به علم يجوز فيه ان يتعلق بعلم قال الفارسي ويكون مثل قوله كان جزائي بالعصا ان اجلد ويجوز ان يتعلق بالاستقرار الذي تعلق به لك والباء بمعنى في اي ما ليس لك فيه علم وفيه نظر ثم قال اني اعظك ان تكون من الجاهلين يعني ان تدعو بهلاك الكفار ثم تسال نجاة كافر قال رب اني اعوذ بك ان اسالك ما ليس لك فيه علم وهذا اخبار عما في المستقبل وهو العزم على الترك **قوله** والا تغفر لي لم تمنع لا من عمل الجازم كما لم يمنع من عمل الجار في نحو جئت بلا زاد قال ابو البقاء لانها كالجزء من الفعل وهي غير عاملة في النفي وهي تنفي ما في المستقبل وليس كذلك ما فانها تنفي ما في الحال فلذلك لم يجز ان تدخل ان عليها **قوله** قيل يا نوح الخلاف المتقدم في قوله تعالى واذا قيل لهم امنوا وشبهه عائد اي في كون القائم مقام الفاعل الجملة المحكية او ضمير مصدر الفعل **قوله** بسلام حال من فاعل اهبط اي ملتبسا بسلام ومنا صفة لسلام فيتعلق بمحذوف او هو متعلق بنفس سلام وابتداء الغاية مجاز وكذلك عليك يجوز ان تكون صفة لبركات او متعلقا بها ومعنى اهبط انزل من السفينة ثم وعده عند الخروج

بالسلامة

بالسلامة او لانها بالبركة ثانيا والبركة ثبوت الخير ومنه بروك البعير ومنه البركة لثبوت الماء فيها ومنه تبارك الله اي ثبت تعظيمه وقيل البركة هو ان الله تعالى جعل ذريته هم الباقين الى يوم القيمة ثم لما بشره بالسلامة والبركة شرح بعد حال اوليك الذين كانوا معه فقال وعلى امم ممن معك قيل المراد الذين معه وذرياتهم وقيل ذريته من معه **قوله** ممن معك يجوز في من ان تكون لابتداء الغاية اي ناشية من الذين معك وهم المومنون الى اخر الدهر ويجوز ان تكون من لبيان الجنس فيراد الامم الذين كانوا معه في السفينة لانهم كانوا جماعات وقري اهبط بضم الباء وقد تقدم اول البقرة وقرى الكسائي فيما نقل عنه وبركة بالتوحيد **قوله تعالى** وامم يجوز ان يكون مبتدا وسنمتعهم خبره وفي مسوغ الابتداء وجهان احدهما الوصف التقديري اذ التقدير وامم منهم اي ممن معك كقولهم السمن منوان بدرهم فمنوان مبتدا والوصف ثم نعته تقديره والثاني ان المسوغ لذلك التفصيل نحو الناس رجلان رجل اهنت واخر اكرمت ومنه قول امرى القيس

اذا ما بكى من خلفها انحرفت له ❊ بشق وشق عندنا لم يحول ❊

ويجوز ان يكون مرفوعا بالفاعلية عطفا على الضمير المستتر في اهبط واغنى القصد عن التاكيد بالضمير المنفصل قاله ابو البقا قال ابو حيان وهذا التقدير والمعنى لا يصلحان لان الذين كانوا مع نوح في السفينة انما كانوا مومنين لقوله تعالى ومن امن ولم يكونوا كفارا ومومنين فيكون الكفار مامورين بالهبوط الا ان قدر ان من المومنين من يكفر بعد الهبوط واخبر عنهم بالحال التي يوولون اليها فيمكن على بعد وقد تقدم ان مثل ذلك لا يجوز في قوله اسكن انت وزوجك لامر صناعي وسنمتعهم على هذا صفة لامم والواو يجوز ان تكون للحال قال الاخفش كما يقول كلمت زيدا وعمرو جالس ويجوز ان يكون بمجرد النسق واعلم انه تعالى اخبر بان الامم الناشية من الذين كانوا مع نوح لا بد وان ينقسموا الى مومن وكافر ثم قال تلك من انباء الغيب وقد تقدم الكلام فيها عند قوله ذلك من انباء الغيب في ال عمران تلك في محل رفع على الابتداء ومن انباء الغيب الخبر ونوحيها اليك خبر ثان وما بعده ايضا خبر **قوله تعالى** ما كنت تعلمها يجوز في هذه الجملة ان تكون حالا من الكاف في اليك وان يكون حالا من المفعول في نوحيها وان يكون خبرا بعد خبر والمعنى ما كنت تعلمها انت يا محمد ولا قومك اي انك ما كنت تعرف هذه القصة وقومك ايضا ما كانوا يعرفونها كقول الانسان لاخر لا تعرف هذه المسئلة لا انت ولا اهل بلدك فان قيل قصة الطوفان كانت مشهورة عند اهل العلم فالجواب انها كانت مشهورة بحسب الاجمال اما التفاصيل المذكورة فما كانت معلومة ثم قال تعالى فاصبر يا محمد انت وقومك على اذى اوليك الكفار ان العاقبة اخر الامر بالنصر والظفر للمتقين فان قيل ذكر هذه القصة في سورة يونس ثم اعادها فما فايدة هذا التكرار فالجواب ان القصة الواحدة قد ينتفع بها من وجوه ففي السورة الاولى كان الكفار يستعجلون نزول العذاب فذكر تعالى قصة نوح وبين ان قومه كانوا يكذبونه بسبب ان العذاب ما كان يظهر ثم في العاقبة ظهر فكذا في واقعة محمد عليه السلام وفي هذه السورة ذكر القصة لبيان ان اقدام الكفار على الايذاء والايحاش كان حاصلا في زمن نوح فلما صبر نال الفتح والظفر فكن يا محمد كذلك لتنال المقصود فلما كان الانتفاع بالقصة في كل سورة من وجه لم يكن تكريرها خاليا عن الفايدة **قوله** والى عاد اخاهم هودا القصة معطوفة على قوله لقد ارسلنا نوحا الى قومه فهي عطف مرفوع على مرفوع ومجرور على مجرور كقولك ضرب زيد عمروا وبكر خالدا وليس من باب ما فصل فيه بين حرف العطف والمعطوف بالجار والمجرور نحو ضربت زيدا وفي السوق عمروا فيجي الخلاف المشهور وقيل بل هو على اضمار فعل اي وارسلنا الى عاد هودا وهذا اوفق لطول الفصل وهودا بدل او عطف بيان لاخاهم وقرا ابن محيصن يا قوم بضم الميم وهي لغة بعضهم ببنا المضاف للياء على الضم كقوله تعالى قل رب احكم بضم الباء ولا يجوز ان يكون غير مضاف للياء كما سياتي في موضعه ان شاء الله تعالى وقوله من اله غيره تقدم في الاعراف **فصل** كان هود اخاهم في النسب لا في الدين لانه كان من قبيلة عاد وهم قبيلة من العرب بناحية اليمن كما يقال للرجل يا اخا تميم ويا اخا سليم والمراد رجل منهم فان قيل انه تعالى قال في ابن نوح انه ليس من اهلك فبين ان قرابة النسب لا تفيد اذا لم تحصل قرابة الدين وهنا اثبت هذه الاخوة مع الاختلاف في الدين فما الفرق فالجواب ان المراد من هذا الكلام استمالة قوم محمد عليه السلام لان قومه كانوا يستبعدون في محمد انه احد منهم من قبيلتهم ان يكون رسولا اليهم من عند الله فذكر الله تعالى ان هودا كان واحدا من عاد وان صالحا كان واحدا من ثمود لازالة هذا الاستبعاد قال يا قوم اعبدوا الله وحده ولا تعبدوا غيره فان قيل كيف دعاهم الى عبادة الله قبل اقامة الدلالة على ثبوت الاله

تعالى فالجواب انه لا يلزم وجود الله تعالى ظاهر وهي دلايل الافاق والانفس وقل ما يوجد في الدنيا طايفة يكرون وجود الاله ولذلك قال تعالى في صفة الكفار ولين سالتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله ثم قال ان انتم ما انتم الا مفترون كاذبون في اشراككم ثم قال يا قوم لا اسألكم عليه اجرا اي على تبليغ الرسالة جعلا ان اجري الا على الذي فطرني وهذا عين ما ذكره نوح وقرا نافع والبزي فطرني وابو عمرو وقنبل باسكانها ومعنى فطرني خلقني افلا تعقلون اي مصيب في المنع من عبادة الاوثان ثم قال ويا قوم استغفروا ربكم الهداية والاستغفار وههنا معنى الايمان وقال الاصم استغفروا ربكم اي اسألوه ان يغفر لكم ما تقدم من شرككم ثم توبوا من بعده بالندم على ما مضى وبالعزم على ان لا تعودوا الى مثله فاذا فعلتم ذلك فالله تعالى يكثر النعم عليكم قوله يرسل السماء عليكم مدرارا نصب مدرارا على الحال ولم يؤنثه وان كان من مؤنث لثلاثة اوجه احدها ان المراد بالسماء السحاب فذكر على المعنى الثاني ان مفعالا للمبالغة فيستوي فيه المذكر والمؤنث كصبور وشكور وفعيل والثالث ان الهاء حذفت من مفعال على طريق النسب قاله مكي وتقدم ايضا في الانعام والمعنى يرسل عليكم المطر متتابعا مرة بعد اخرى في اوقات الحاجة ويزدكم قوة الى قوتكم اي شدة مع شدتكم وقيل المراد بالقوة المال وذلك ان الله تعالى لما بعث هودا اليهم وكذبوه حبس الله المطر عنهم سنين واعقم ارحام نسائهم فقال لهم ان امنتم بالله احيا الله بلادكم ورزقكم المال والولد فذلك قوله تعالى يرسل السماء عليكم مدرارا والمدرار الكثير الدر وهو من ابنية المبالغة فان قيل ان هودا عليه السلام قال لو استغلتم عن عبادة الله تعالى لفتح عليكم ابواب الخيرات الدنيوية وليس الامر كذلك لقوله عليه السلام خص البلاء بالانبياء ثم الاولياء ثم الامثل فالامثل فكيف الجمع وايضا فقد جرت عادة القران بالترغيب في الطاعات بالخيرات الدنيوية والاخروية فاما الترغيب في الطاعات بالخيرات الدنيوية فلا يليق بالقران فالجواب لما كثر الترغيب في سعادات الاخرة لم يبعد الترغيب ايضا في خير الدنيا بقدر الكفاية قوله الى قوتكم يجوز ان يتعلق بيزدكم على التضمين اي يضف الى قوتكم قوة اخرى او يجعل الجار والمجرور صفة لقوة فيتعلق بمحذوف وقدره ابو البقا مضافة الى قوتكم وهذا ياباه النحاة لانهم لا يقدرون الا الكون المطلق في مثله او يجعل الى بمعنى مع اي مع قوتكم كقوله تعالى الى اموالكم ثم قال تعالى ولا تتولوا مجرمين اي ولا تدبروا وانتم مصرين على الكفر قالوا يا هود ما جئتنا ببينة اي ببرهان وحجة واضحة على ما تقول والبا في ببينة يجوز ان تكون للتعدية فتتعلق بالفعل قبلها اي ما اظهرت لنا بينة قط ويجوز ان تتعلق بمحذوف على انها حال اذ التقدير مستقرا او ملتبسا ببينة قوله وما نحن بتاركي الهتنا عن قولك اي وما نترك الهتنا صادرين عن قولك فيكون عن قولك حالا من الضمير في تاركي ويجوز ان يكون عن للتعليل كهي في قوله تعالى الا عن موعدة اي الا لاجل موعدة والمعنى هنا بتاركي الهتنا لقولك فيتعلق بنفس تاركي وقد اشار الى التعليل ابن عطية وحكى المختار الاول ولم يذكر الزمخشري غيره قوله وما نحن لك بمؤمنين بمصدقين ان نقول الا اعتراك بعض الهتنا بسوء الظاهر ان ما بعد الا مفعول بالقول قبلهم اذ المراد ان نقول الا هذا اللفظ فالجملة محكية نحو قولك ما قلت الا زيد قايم وقال ابو البقا الجملة مفسرة لمصدر محذوف التقدير ان نقول الا قولا هو اعتراك ويجوز ان يكون موضعها نصبا اي ما نذكر الا هذا القول وهذا غير مرضي لان الحكاية بالقول معنى ظاهر لا يحتاج الى تاويل ولا الى تضمين القول بالذكر وقال الزمخشري اعتراك مفعول نقول والا لغو اي ما نقول الا قولنا اعتراك انتهى يعني بقوله لغو انه استثناء مفرغ والذي وتقديره بعد ذلك تفسير معنى لا اعراب او ظاهره يقتضي ان تكون الجملة منصوبة بمصدر محذوف وذلك المصدر منصوب بنقول هذا الظاهر ويقال اعتراه يكذا يعتريه اذا اصابه وهو افتعل من عراه يعروه والاصل اعترو مثل ما عترو من العرو فتحرك حرف العلة وانفتح ما قبله فقلب الفا وهو يتعدى لاثنين ثانيهما بحرف الجر والمعنى انك شتمت الهتنا فجعلتك مجنونا وافسدت عقلك قال لهم هود اني اشهد الله على نفسي واشهدوا انا قوم اني بريء مما تشركون من دونه يعني الاوثان قوله اني بريء يجوز ان تكون من باب الاعمال لان اشهد يطلبه واشهدوا يطلب ايضا والتقدير اشهد الله على اني بريء واشهدوا انتم عليه ايضا ويكون من باب اعمال الثاني لانه لو اعمل الاول لاضمر في الثاني ولا عبرة في تنازع المختلفين في التعدي ومما تشركون يجوز ان تكون ما مصدرية اي من اشراككم الهة من دونه اي انتم الذي تجعلونها شركاء وقوله جميعا حال من فاعل فكيدوني وانتم ايها القرابا فكيدوني في الحالين فحذفوها في الموصلات وهذا نظير ما قاله نوح

عليه

عليه السلام لقومه فاجمعوا امركم وشركاءكم الى قوله ولا تنظرون وهذا معجز قاهر لان الرجل الواحد اذا اقبل على القوم العظام وقال لهم بالغوا في عداوتي وفي ايذائي ولا تؤجلون فانه لا يقول هذا الا اذا كان واثقا من الله بانه يحفظه ويصونه عن كيد الاعداء وهذا هو المراد بقوله تعالى اني توكلت على الله ربي وربكم اي اعتمادي على الله ربي وربكم ما من دابة الا هو اخذ بناصيتها قال الازهري الناصية عند العرب منبت الشعر في مقدم الراس ويسمى الشعر الناصب هناك ايضا باسم منبته ونصوت الرجل اخذت بناصيته فلامها واو ويقال بايها الفا في الاخذ بالناصية عبارة عن الغلبة والتسلط وان لم يكن لم ثم والعرب اذا وصفوا انسانا بالذلة والخضوع قالوا ما ناصية فلان الا بيد فلان اي انه مطيع له ومعنى اخذ بناصيتها قال الضحاك يحييها ويميتها وقال الفرا مالكها والقادر عليها وقال القتيبي يقهرها ان ربي على صراط مستقيم يعني وان كان ربي قادرا عليهم فانه لا يظلمهم ولا يعمل الا بالاحسان والعدل فيجازي المحسن باحسانه والمسيء بعصيانه وقيل معناه دين ربي صراط مستقيم وفيه اضمار اي ان ربي يحثكم ويحملكم على صراط مستقيم قوله فان تولوا اي تتولوا فحذف احدى التاءين ولا يجوز ان يكون ماضيا لقوله تعالى ابلغتكم ولا يجوز ان يدعى فيه الالتفات اذ هو ركاكة في التركيب وقد جوز ذلك ابن عطية فقال ويحتمل ان يكون تولوا ماضيا ويجي في الكلام رجوع من غيبة الى خطاب قال شهاب الدين ويجوز ان يكون ماضيا لكن لمدرك اخر غير الالتفات وهو ان يكون على اضمار القول اي فقل لهم قد ابلغتكم ويترجح كونه ماضيا بقراءة عيسى الثقفي والاعرج فان تولوا بضم التاء واللام مضارع ولي الاصل تتوليوا فاعل قال الزمخشري فان قلت الابلاغ كان قبل التولي فكيف وقع جزاء للشرط قلت معناه وان يتولوا لم اعاتب على تفريط في الابلاغ وكنتم محجوجين بان ما ارسلت به قد بلغكم فابيتم الا التكذيب قوله ويستخلف العامة على رفعه استينافا وقال ابو البقا هو معطوف على الجواب بالفاء وقرا عبد الله بن مسعود بتسكينه وفيه وجهان احدهما ان يكون سكن تخفيفا لتوالي الحركات والثاني ان يكون مجزوما عطفا على الجواب المقترن بالفاء اذ محله الجزم وهو نظير قوله تعالى فلا هادي له ويذرهم وقد تقدم تحقيقه الا ان القراتين ثم في التواتر والمعنى ان تتولوا اهلككم الله ويستبدل في ما غيركم اطوع منكم يوحدونه ويعبدونه قوله ولا تضرونه العامة على النون لانه مرفوع على ما تقدم وابن مسعود بجذفها وهذا يعني ان يكون سكون يستخلف جزما ولذلك لم يذكر الزمخشري غيره لانه ذكر جزم الفعلين ولما لم يذكر ابو البقا الجزم في تضرونه جوز الوجهين في يستخلف وشيئا مصدر اي شيئا من الضرر والمعنى ان هلاككم لا ينقص من ملكه شيئا لان وجودكم وعدمكم عنده سواء وقيل لا تضرونه شيئا بتوليكم واعراضكم انما تضرون انفسكم ان ربي على كل شيء حفيظ اي يحفظ اعمال العباد حتى يجازيهم وقيل يحفظني من شركم ومكركم وقيل حفيظ من الهلاك اذا شاء ويهلك اذا شاء قوله ولما جاء امرنا اي عذابنا وهو ما نزل بهم من الريح العقيم عذبهم الله بها سبع ليال وثمانية ايام يدخل في مناخرهم ويخرج من ادبارهم ونصرعهم على الارض على وجوههم حتى صاروا كاعجاز نخل خاوية نجينا هودا والذين امنوا معه وكانوا اربعة الاف برحمة منا بنعمة منا وقيل المراد بالرحمة ما هداهم اليه من الايمان وقيل المراد انه لا ينجو احد وان اجتهد في الايمان والعمل الصالح الا برحمة الله ثم قال ونجيناهم من عذاب غليظ فالمراد بالنجاة الاولى هو النجاة من عذاب الدنيا والنجاة الثانية من عذاب القيامة والمراد بقوله ونجيناهم اي حكمنا بانهم لا يستحقون ذلك ولما ذكر قصة عاد خاطب قوم محمد صلى الله عليه وسلم فقال وتلك عاد جحدوا بايات ربهم وهو اشارة الى قبورهم واثارهم كانه قال سيحوا في الارض فانظروا اليها واعتبروا قوله جحدوا جملة مستانفة سيقت للاخبار عنهم بذلك وليست حالا مما قبلها وجحد يتعدى بنفسه ولكنه ضمن معنى كفر فيتعدى بحرفه كما ضمن كفر معنى جحد فتعدى بنفسه في قوله تعالى بعد ذلك كفروا ربهم وقيل ان كفر كشكر في تعديه بنفسه تارة وبحرف الجر اخرى واعلم انه تعالى وصفهم بثلاث صفات الاولى قوله جحدوا بايات ربهم اي جحدوا دلايل المعجزات على الصدق او جحدوا دلالة المحدثات على وجود الصانع الحكيم والثانية قوله وعصوا رسله ومعناه انهم اذا عصوا رسولا واحدا فقد عصوا جميع الرسل لقوله تعالى لا نفرق بين احد من رسله والثالثة قوله واتبعوا امر كل جبار عنيد والمعنى ان السفلة كانوا يقلدون الروسا في قولهم ما هذا الا بشر مثلكم وتقدم اشتقاق الجبار والعنيد والعنود والمعاند المنازع المعارض قال ابو عبيدة وهو الطاغي المتجاوز في الظلم من قولهم عند يعند اذا جاد عن الحق من جانب الى جانب قيل ومنه عندي الذي هو ظرف لانه في معنى جانب في قولك عندي كذا اي في جانبي ثم قال تعالى واتبعوا في هذه الدنيا لعنة اي اردفوا اللعنة تلحقهم وتصاحبهم في الدنيا وفي الاخرة واللعنة هي الابعاد والطرد من الرحمة بقرينة السبب في نزول هذه الاحوال بهم فقال الا ان عادا كفروا ربهم

هودا

اي كفروا بربهم فحذف الباء وقيل هو من حذف المضاف اي كفروا نعمة ربهم ثم قال الا بعدا لعاد قوم هود وقيل
بعدا من رحمة الله وقيل هلاكا للبعد معنيان احدهما ضد القرب يقال منه بعد يبعد بعدا والاخر بمعنى الهلاك
يقال منه بعد يبعد بعدا وبعدا فان قيل اللعن هو البعد فلما قال واتبعوا في هذه الدنيا لعنة ويوم القيمة
فما فايدة قوله الا بعدا لعاد فالجواب ان التكرير بلفظين مختلفين يدل على غاية التوكيد فان قيل ما الفايدة
في قوله تعالى لعاد قوم هود فالجواب كانوا عادين فالاولى هم قوم هود الذي ذكرهم في قوله تعالى اهلك عادا
الاولى والثانية هم اصحاب ارم ذات العماد وقيل المبالغة في التنصيص يدل على مزيد التاكيد **قوله**
والى ثمود اخاهم صالحا القصة الكلام على اولها كالذي قبله والعامة على منع ثمود الصرف هنا العلتين وهما
العلمية والتانيث ذهبوا به مذهب القبيلة والاعمش ويحيى بن وثاب صرفوه ذهابا به مذهب الحي وسياتي بيان
الخلاف ان شاء الله تعالى **قوله** هو انشاكم من الارض يجوز ان يكون من لابتداء الغاية اي ابتدا انشاكم
منها اما انشا اصلكم وهو آدم قال ابن الخطيب وفيه وجه آخر وهو اقرب منه وذلك لان الانسان مخلوق من الدم
والدم انما تولد من الاغذية والاغذية اما حيوانية واما نباتية والحيوانات حالها كحال الانسان فوجب انتهاء الكل
من النبات والنبات انما تولد من الارض فثبت انه تعالى انشانا من الارض ولان كل احد خلق من تربته او لان غذاءهم
وسبب حياتهم من الارض وقيل من بمعنى في ولا حاجة اليه **قوله** واستعمركم فيها اي جعلكم عمارها وسكانها
وقال الضحاك اطال اعماركم فيها وقال مجاهد اعمركم من العمرى اي جعلها لكم ما عشتم وقال قتادة اسكنكم فيها
قال ابن العربي قال بعض علمائنا الاستعمار طلب العمارة والطلب المطلق من الله تعالى على الوجوب قال القاضي ابو بكر ياتي
كلمة استفعل في لسان العرب على معان منها استفعل بمعنى طلب الفعل كقوله استحملته اي طلبت منه حملانا وبمعنى اعتقد
كقولك استسهلت هذا الامر اي اعتقدته سهلا او وجدته سهلا واستعظمته اي اعتقدته عظيما ووجدته
وبمعنى اصبت كقوله استجدته اي اصبته جيدا وبمعنى فعل كقوله قر في المكان واستقر بالواو قوله في حق الخالق يرجع
الى انه خلق لانه الفايدة وقد يعبر به عن الشيء بفايدته مجازا ولا يصح ان يقال انه طلب من الله بعمارتها فان هذا لا يجوز في حقه
ويصح ان يقال استدعى عمارتها وفي الاية دليل على الاسكان والعمرى ثم قال فاستغفروه ثم توبوا اليه وقد تقدم
تفسيره ان ربي قريب مجيب اي قريب بالعلم والسمع مجيب دعاء المحتاجين بفضله ورحمته ولما قرر صالح هذه
الدلايل قالوا يا صالح قد كنت فينا مرجوا قبل هذا اي كنا نرجوا ان تكون سيدا فينا وقيل كنا نرجوا ان تعود الى ديننا
وذلك انه كان رجلا قوي الخاطر وكان من قبيلتهم فقوي رجاؤهم في ان ينصر دينهم ويقوي طريقتهم فلما دعاهم
الى الله تعالى وترك الاصنام زعموا ان رجاءهم انقطع منه فقالوا اتنهانا ان نعبد ما يعبد اباؤنا من الالهة فتمسكوا
بطريق التقليد ونظير تعجبهم هذا ما حكاه الله تعالى عن كفار مكة في قولهم اجعل الالهة الها واحدا ان هذا
لشيء عجاب **قوله** واننا لفي شك هذا هو الاصل ويجوز واننا بنون واحدة مشددة كما في السورة
الاخرى وينبغي ان يكون المحذوف النون الثانية من ان لانه قد عهد حذفها دون اجتماعها مع نا فحذفها
مع نا اولى وايضا فان حذف بعض الاسماء ليس بسهل وقال الفراء قال اننا اخرج الحرف على اصله لان كناية
المتكلمين نا فاجتمع ثلاث نونات ومن قال انا استثقل اجتماعها فاسقط الثالثة وابقى الاولتين انتهى وقد
تقدم الكلام في ذلك **قوله** مريب اراب الرجل اي صار ذا ريبة ووصف الشك بكونه مريبا بالمعنيين المتقدمين
مجازا فالشك هو ان يبقى الانسان متوقفا بين النفي والاثبات والمريب هو الذي يظن به السوء والمعنى انه
لم يترجح في اعتقادهم فساد قوله وهذا مبالغة في تزييف كلامه **قوله** ارايتم ان كنت تقدم نظيره
والمفعول الثاني هنا محذوف تقديره اعصيه ويدل عليه ان عصيته وقال ابن عطية هي من رؤية القلب والشرط
الذي بعده وجوابه يسد مسد مفعولين لارايتم قال ابو حيان والذي تقرر ان رايت ضمن معنى اخبرني وعلى
تقديره لا يتعين ان تسد جملة الشرط والجواب مسد مفعولي علمت واخواتها **قوله** ان كنت على بينة
من ربي ورد بحرف الشك وكان على يقين تام في امره لان خطاب المخالف على هذا الوجه اقرب الى القبول فكانه
قال قدروا اني على بينة من ربي واني في علمي على الحقيقة وانظروا ان تابعتكم وعصيت امر ربي فمن يمنعني من عذاب
الله فما تزيدونني على هذا التقدير غير تخسير **قوله** غير تخسير الظاهر ان غير مفعول ثان لتزيدونني
قال ابو البقا الاقوى هنا ان يكون غير استثناء في المعنى وهي مفعول ثان لتزيدونني اي فما تزيدونني الا تخسيرا
ويجوز ان يكون غير صفة لمفعول محذوف اي شيئا غير تخسير وهو جيد في المعنى ومعنى التفعيل هنا النسبة والمعنى
غير ان اخسركم اي انسبكم الى التخسير قال الزمخشري قال الحسين بن الفضل لم يكن صالح في خسارة حتى قال فما تزيدونني

غير تخسير وانما المعنى ما تزيدونني بما تقولون الا نسبتي اياكم الى الخسارة والتفسيق والتفجير في اللغة النسبة الى
الفسق والفجور فكذلك وقيل هو على حذف مضاف اي غير بصارة تخسيركم قال ابن عباس معناه غير بصارة في خسارتكم
قوله ويا قوم هذه ناقة الله لكم آية لكم في محل نصب على الحال من آية لانه لو تاخر لكان نعتا لها فلما قدم
انتصب حالا قال الزمخشري فان قلت بم يتعلق لكم قلت باية حالا منها متقدمة لانها لو تاخرت لكانت صفة لها فلما
تقدمت انتصبت على الحال قال ابو حيان وهذا متناقض لانه من حيث تعلق لكم باية كان معمولا لاية واذا كان معمولا
لها امتنع ان يكون حالا منها لان الحال يتعلق بمحذوف قال شهاب الدين ومثل هذا كيف يعترض به على مثل الزمخشري
بعد ايضاحه المعنى المقصود باية التعلق المعنوي واية نصب على الحال بمعنى علامة والناصب لها اما ها التنبيه
او اسم الاشارة لما تضمناه من معنى الفعل او فعل محذوف **فصل** اعلم ان العادة فيمن يدعي النبوة لا بد
وان يطلبوا منه معجزة فطلبوا منه ان يخرج ناقة عشراء من صخرة معينة فدعا صالح فخرجت ناقة عشراء وولدت في الحال
ولدا مثلها وهذه معجزة عظيمة من وجوه احدها خلقها من الصخرة وثانيها خلقها في جوف الجبل ثم شق عنها الجبل وثالثها
خلقها على تلك الصورة دفعة واحدة من غير ولادة ورابعها انه كان لها شرب يوم وخامسها انه كان يحصل منها لبن كثير
يكفي الخلق العظيم ثم قال فذروها تاكل في ارض الله من العشب والنبات فليس عليكم مؤنتها وقرئ تاكل بالرفع اما على
الاستيناف واما على الحال **فصل** قال القرطبي استدل العلماء لما اخبر الله العذاب عن قوم صالح ثلاثة
ايام على ان المسافر اذا لم يجمع على الاقامة اربع ليال قصر لان الثلاثة ايام خارج عن حكم الاقامة ولا تمسوها بسوء ولا
تصيبوها بعقر فياخذكم ان قتلتموها عذاب قريب يريد اليوم الثالث فعقروها فقال لهم صالح تمتعوا في داركم
اي في دياركم فالمراد بالدار البلد لانه يدار فيها اي يتصرف يقال ديار بكر اي بلادهم وقيل المراد بالدار الدنيا وقيل
هو جمع دار كما جاء انه داع بمكة مشتغل واخر فوق داريه ينادي ثلاثة ايام ثم تهلكون والتمتع التلذذ بالمنافع
والملاذ ذلك وعد غير مكذوب **قوله** مكذوب يجوز ان يكون مصدرا على زنة مفعول وقد
جاء منه الفاظ نحو المجلود والمعقول والميسور والمفتون ويجوز ان يكون اسم مفعول على بابه وفيه حينئذ تاويلان
احدهما غير مكذوب فيه ثم حذف حرف الجر فاتصل الضمير فوقع مستترا في الصفة ومثله يوم مشهود وقول الاخر

* ويوم شهدناه سليما وعامرا * قليل سوى الطعن النهال نوافله *

والثاني انه جعل هو نفسه غير مكذوب لانه قد وفي به فاذا وفي به فقد صدق **فصل** قال ابن عباس
لما امهلهم ثلاثة ايام قالوا وما علامة ذلك قال تصبحون في اليوم الاول وجوهكم مصفرة وفي اليوم الثاني محمرة
وفي اليوم الثالث مسودة ثم ياتيكم العذاب في اليوم الرابع فكان كما قال فان قيل كيف يعقل ان يظهر هذه
العلامات مطابقة لقول صالح ثم يبقون مصرين على الكفر فالجواب ما دامت الامارات غير بالغة الى حد اليقين لم يمتنع
بقاؤهم على الكفر فاذا صارت يقينية قطعية فقد انتهى الامر الى حد الالجاء والايمان في ذلك الوقت غير مقبول
فلما جاء امرنا اي عذابنا وتقدم الكلام على مثله وقوله ومن خزي متعلق بمحذوف اي ونجيناهم من خزي
وقال الزمخشري فان قلت علام عطف قلت على نجينا لان تقديره ونجيناهم من عذاب غليظ اي وكانت التنجية
من خزي وقال غيره انه متعلق بنجينا الاول وهذا لا يجوز عند البصريين غير الاخفش لان زيادة الواو غير ثابتة
وقرا نافع والكسائي بفتح ميم يومئذ على انها حركة بناء لاضافته الى غير متمكن كقوله

* على حين عاتبت المشيب على الصبى * وقلت الما اصح والشيب وازع *

وقرا الباقون بخفض الميم فمن قرا بالفتح فلان يوم مضاف الى اذ واذ مبني والمضاف الى المبني يجوز جعله مبنيا الا
ترى ان المضاف يكتسي من المضاف اليه التعريف فكذا هاهنا واما الكسر فالسبب فيه انه يضاف الى الجملة من المبتدا والخبر
تقول جئتك اذ الشمس طالعة فلما قطع عنه المضاف اليه نون ليدل التنوين على ذلك ثم كسرت الذال لسكون التنوين
واما قراءة الكسر فعلى اضافة الخزي الى اليوم ولم يلزم من اضافته الى المبني ان يكون مبنيا لان هذه الاضافة غير لازمة
وكذلك الخلاف جار في سال سايل وقرا طلحة وابان بن تغلب بتنوين خزي ويومئذ نصب على الظرف بالخزي
وقرا الكوفيون ونافع في النمل من فزع يومئذ بالفتح ايضا والكوفيون وحدهم بتنوين فزع ونصب يومئذ
به وتحتمل في قراءة من نون ما قبل يومئذ ان تكون الفتحة فتحة اعراب او فتحة بناء واذ مضافة لجملة
محذوفة عوض منها التنوين تقديره اذ جاء امرنا وقال الزمخشري ويجوز ان يراد يوم القيمة كما فسر العذاب
الغليظ بعذاب الاخرة قال ابو حيان وهذا ليس بجيد لانه لم يتقدم ذكر يوم القيمة ولا ما يكون فيها فيكون
هذا التنوين عوضا من الجملة التي تكون يوم القيمة قال شهاب الدين قد تكون الدلالة لفظية وقد تكون معنوية

وهو من المعنوية والخزي الذل العظيم حتى يبلغ حد الفضيحة كما قال تعالى في المحاربين ذلك لهم خزي في الدنيا
ثم قال ان ربك هو القوي العزيز وانما حسن ذلك لانه تعالى بين انه اوصل العذاب الى الكافر وصان اهل الايمان
منه وهذا لا يصح الا من القادر الذي يقدر على قهر طبايع الاشياء فيجعل الشيء الواحد بالنسبة الى الانسان بلاء
وعذابا وبالنسبة الى انسان آخر راحة وريحانا **قوله** واخذ الذين حذفت تاء التانيث اما لكون الموت
مجازيا او للفصل بالمفعول او لان الصيحة بمعنى الصياح والصيحة فعلة تدل على المرة من الصياح وهي الصوت
الشديد صاح يصيح صياحا اي صوت بقوة قال ابن عباس المراد الصاعقة وقيل صيحة عظيمة هالة سمعوها
فهلكوا جميعا فاصبحوا جاثمين في ديارهم وجثومهم سقوطهم على وجوههم وقيل الجثوم السكون يقال للطير
اذا باتت في اوكارها جثمت ثم ان العرب اطلقوا هذا اللفظ على ما لا يتحرك من الموات فان قيل ما السبب
في كون الصيحة موجبة للموت والجواب من وجوه احدها ان الصيحة العظيمة انما تحدث عند سبب قوي يوجب تموج
الهوى وذلك التموج الشديد ربما يتعدى الى صماخ الانسان فيمزق غشاء الدماغ فيورث الموت وثانيها انه شيء مهيب
فيحدث الهيبة العظيمة عند حدوثه والاعراض النفسانية اذا قويت اوجبت الموت وثالثها ان الصيحة العظيمة
اذا حدثت من السحاب فلا بد وان يصحبها برق شديد محرق وذلك هو الصاعقة التي ذكرها ابن عباس ثم قال
كان لم يغنوا فيها اي بانهم لم يوجدوا والمغنى المقام الذي يقيم الحي فيه فيقال غني الرجل بمكان كذا **قوله**
الا ان ثمودا قرا حمزة وحفص هنا وفي الفرقان وعادا وثمودا وفي العنكبوت وعادا وثمود وقد تبين لكم
وفي النجم وثمود فما ابقى جميع ذلك بمنع الصرف ووافقهم ابو بكر على الذي في النجم وقوله تعالى الا بعدا لثمود ومنعه
القراء الا الكسائي فانه صرفه وقد تقدم ان من منع الصرف جعله اسما للقبيلة ومن صرفه جعله اسما للحي او الى الاب
الاكبر وانشد على المنع **قوله** • ونادى صالح يا رب انزل • بآل ثمود منك غدا عذابا •
وانشد على الصرف **قوله** • دعت ام عمرو امر شر علمته • بارض ثمود كلها فاجابها •
وقد تقدم الكلام على اشتقاق هذه اللفظة في سورة الاعراف **قوله** ولقد جاءت رسلنا ابراهيم
بالبشرى القصة قال النحويون دخلت كلمة قد هاهنا لان السامع لقصص الانبياء عليهم السلام يتوقع قصة
وقد للتوقع ودخلت اللام في لقد تاكيدا للخبر **فصل** ولفظ رسلنا جمع واقله ثلاثة فهذا
يدل على انهم كانوا ثلاثة والزايد على هذا القدر لا يثبت الا بدليل آخر واجمعوا على ان الاصل فيهم كان جبريل عليه
السلام قال ابن عباس كانوا ثلاثة جبريل وميكاييل واسرافيل وهم المذكورون في الذاريات هل اتاك حديث
ضيف ابراهيم وفي الحجر ونبيهم عن ضيف ابراهيم وقال الضحاك كانوا تسعة وقال محمد بن كعب كان جبرايل ومعه
سبعة وقال السدي كانوا احد عشر وقال مقاتل اثني عشر ملكا على صور الغلمان الوضا وجوههم بالبشرى بالبشارة
باسحق ويعقوب وقيل بسلامة لوط وباهلاك قومه **قوله تعالى** قالوا سلاما في نصبه وجهان احدهما انه
مفعول به ثم هو يحتمل لامرين احدهما ان يراد قالوا هذا اللفظ بعينه وجاز ذلك لانه يتضمن معنى الكلام
والثاني انه اراد قالوا معنى هذا اللفظ وقد تقدم نحو ذلك في قوله تعالى وقولوا حطة وثاني الوجهين ان يكون
منصوبا على المصدر بفعل محذوف وذلك الفعل في محل نصب بالقول تقديره قالوا اسلمنا سلاما وهو من باب
ما ناب فيه المصدر عن العامل فيه وهو واجب الاضمار **قوله** قال سلام في رفعه وجهان احدهما انه
مبتدا وخبره محذوف اي سلام عليكم والثاني انه خبر مبتدا محذوف اي امري او قولي سلام وقد تقدم
ان الرفع ادل على الثبوت من النصب والجملة بامرها وان كان احد جزئيها محذوفا في محل نصب بالقول كقوله
اذا ذقت فاها قلت طعم مدامة • وقرا الاخوان قال سلم هنا وفي سورة الذاريات بكسر السين وسكون
اللام ويلزم بالضرورة سقوط الالف قال الفراء هما لغتان كحرم وحرام وحل وحلال وانشد
• مررنا فقلنا انه سلم فسلمت • كما اكتل بالبرق الغمام اللوايح •
يريد سلام بدليل فسلمت وقال الفارسي السلم بالكسر ضد الحرب وناصب ذلك لانهم لما امتنعوا من تناول
ما قدمه اليهم فنكرهم واوجس منهم خيفة فقال انا سلم اي مسالمكم غير محارب فلم تمتنعون من تناول طعامي
قال ابن الخطيب وهذا بعيد لان على هذا التقدير ينبغي ان يكون تكلم ابراهيم عليه السلام بهذا اللفظ
بعد احضار الطعام والقران يدل على ان هذا الكلام قبل احضار الطعام لانه تعالى قال فقالوا سلاما
فما لبث ان جاء بعجل حنيذ والفاء للتعقيب فدل على انه جاءهم بالعجل الحنيذ بعد السلام **فصل**
اكثر ما يستعمل سلام عليكم منكرا لانه في معنى الدعاء كقولهم خير بين يديك فان قيل كيف جاز الابتداء

بالنكرة فالجواب اذا وصفت جاز فاذا قلت سلام عليكم فالتنكير هنا يدل على الكمال والتمام فكانه قيل سلام
كامل تام عليك ونظيره قوله تعالى سلام عليك ساستغفر لك ربي وقوله تعالى سلام قولا من رب رحيم وقوله تعالى
والملايكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم اكمل من قوله السلام عليكم لان التنكير يفيد المبالغة والتمام والتعريف
لا يفيد الا الماهية **قوله** فما لبث يجوز في ما هذه ثلاثة اوجه اظهرها انها نافية وفي فاعل لبث وجهان
احدهما انه ضمير ابراهيم عليه السلام اي فما لبث ابراهيم وان جاء على اسقاط الخافض فقدروه بالباء وبعن
وبفي اي فما تاخر او ما ابطا عن ان والثاني ان الفاعل قوله ان جاء والتقدير فما لبث اي ما ابطا ولا تاخر مجيئه
بعجل سمين وثاني الاوجه انها مصدرية وثالثها انها بمعنى الذي وهي في الوجهين الاخيرين مبتدا وان جاء خبره
على حذف مضاف تقديره فلبثه او الذي لبثه قدر مجيئه قال القرطبي قوله ان جاء معناه حتى جاء والحنيذ
المشوي بالرضف في اخدود كفعل اهل البادية يشوون في حفرة من الارض بالحجارة المحماة يقال حنذ الشاة
احنذها حنذا فهي حنيذ اي محنوذة وقيل حنيذ بمعنى يقطر دسمه من قولهم حنذت الفرس اي سقيته شوطا او
شوطين ويضع عليه الجل في الشمس ليعرق ثم قال تعالى فلما راى ايديهم لا تصل اليه اي الى العجل وقال الفراء الى الطعام
وهو العجل **قوله** نكرهم اي انكرهم فهما بمعنى وانشد وا **قوله**
• وانكرتني وما كان الذي نكرت • من الحوادث الا الشيب والصلعا •
وفرق بعضهم بينهما فقال الثلاثي فيما يرى بالبصر والرباعي فيما لا يرى من المعاني وجعل البيت من ذلك فانها
انكرت مودته وهي من المعاني التي لا ترى ونكرت شيبه وصلعه وهما يبصران ومنه قول ابي ذويب
• فنكرنه فنفرن وامترست به • هوجاء هادية وهاد جرشع •
والايجاس حديث النفس واصله من الدخول كان الخوف داخله وقال الاخفش خامر قلبه وقال الفراء استشعر
واحس والوجيس ما يعتري النفس اوايل الفزع ووجس في نفسه كذا اي خطر بها يجس وجسا ووجوسا ووجيسا
وتوجس وتجسس بمعنى تسمع وانشدوا
• وصادفتا سمع التوجس للسرى • للمح خفي او لصوت مندد •
وخيفة مفعول به اي احس خيفة او اضمر خيفة **فصل** اعلم ان الاضياف انما امتنعوا من
الطعام لانهم ملايكة فلا ياكلون ولا يشربون وانما اتوه في صور الاضياف ليكونوا على صفة يحبها فانه كان
محبا للضيافة واما ابراهيم فاما ان يقال انه ما كان يعلم انهم ملايكة بل كان يعتقد انهم من البشر او يقال انه
كان عالما بانهم ملايكة فعلى الاول سبب خوفه امران احدهما انه كان ينزل بطرف من الارض بعيدا من الناس فلما
امتنعوا من الاكل خاف ان يريدوا به مكروها والثاني ان من لا يعرف اذا حضر وقدم له طعام فان اكل حصل
الامن وان لم ياكل حصل الخوف وان كان عارفا بانهم ملايكة فسبب خوفه ايضا امران احدهما انه خاف ان يكون
نزولهم لامر انكره الله تعالى عليه والثاني خاف ان يكون نزولهم لتعذيب قومه والاول اقرب لانه سارع الى احضار
الطعام ولو عرف كونهم من الملايكة لما فعل ذلك ولما استدل بترك الاكل على حصول الشر وايضا فانه رآهم في صورة
البشر قالوا لا تخف يا ابراهيم انا ملايكة الله ارسلنا الى قوم لوط **فصل** في هذه القصة دليل على تعجيل قرى
الضيف وعلى تقديم ما تيسر من الموجود في الحال ثم يتبعه بغيره ان كان له جدة ولا يتكلف ما يضر به والضيافة من
مكارم الاخلاق وابراهيم اول من اضاف وليست الضيافة واجبة عند عامة اهل العلم لقوله عليه السلام من كان يومن
بالله واليوم الآخر فليكرم جاره ومن كان يومن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه واكرام الجار ليس بواجب
فلذلك الضيف وقيل الضيافة واجبة لقوله عليه السلام ليلة الضيف حق وقال ابن العربي وقال قوم ان الضيافة
كانت واجبة في صدر الاسلام ثم نسخت **فصل** اختلفوا في المخاطب بالضيافة فقال الشافعي ومحمد بن
الحكم المخاطب بها اهل الحضر والبادية وقال مالك ليس على اهل الحضر ضيافة قال سحنون انما الضيافة على اهل القرى
واما الحضر فالفندق ينزل فيه المسافر لما روى ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الضيافة على اهل الوبر
وليست على اهل المدر قال القرطبي قال ابو عمر بن عبد البر هذا صحيح قال ابن العربي الضيافة حقيقة فرض على الكفاية
فصل ومن ادب الضيافة ان يبادر الضيف بالاكل لان كرامة الضيف التعجيل بتقديم الضيافة
كما فعل ابراهيم عليه السلام ولما قبضوا ايديهم نكرهم ابراهيم **قوله** وامراته قايمة في محل نصب على الحال
من مرفوع ارسلنا وقال ابو البقاء من ضمير الفاعل في ارسلنا وهي عبارة غير مشهورة اذ مفعول ما لم يسم فاعله لا يطلق
عليه فاعل على المشهور وعلى الجملة فجعلها حالا غير صحيح بل هي استيناف اخبار ويجوز جعلها حالا من فاعل قالوا اي

قالوا ذلك في حال قيام امراته وهي ابنة عم ابراهيم عليه السلام وقوله قايمة اي تخدم الاضياف وابراهيم جالس معهم ويؤكد هذا التاويل قراءة ابن مسعود وامراته قايمة وهو قاعد **قوله** فضحكت العامة بكسر الحاء وقرا محمد بن زياد الاعرابي رجل من مكة بفتحها وهي لغتان يقال ضحِك وضحَك وقال المهدوي الفتح غير معروف والجمهور على ان الضحك على بابه واختلف المفسرون في سببه فقال القاضي ان ابراهيم لما خاف قالت الملايكة لا تخف انا ارسلنا الى قوم لوط فعظم سرورها بسبب سروره ومثل هذه الحال قد يضحك الانسان فكان ضحكها بسبب ان قول الملايكة لابراهيم لا تخف كان كالبشارة فقيل لها نجعل هذه البشارة ايضا بحصول الولد الذي كنتم تطلبونه من اول العمر الى هذا الزمان وقيل انها كانت عظيمة الانكار على قوم لوط لكفرهم وعملهم الخبيث فلما اخبروا انهم جاوا لاهلاكهم لحقها السرور فضحكت وقيل انهم بشروها بحصول مطلق الولد فضحكت اما تعجبا فانه يقال انها كانت في ذلك الوقت بنت تسع وتسعين سنة وابراهيم ابن مائة سنة واما على سبيل السرور ثم لما ضحكت بشرها الله بان ذلك الولد هو اسحق ومن وراء اسحق يعقوب وقيل انها ضحكت من خوف ابراهيم من ثلاثة نفر حال ما كان معه حشمه وخدمه وقيل هذا على التقديم والتاخير تقديره وامراته قايمة فبشرناها باسحق فضحكت سرورا بسبب تلك البشارة فقدم الضحك ومعناه التاخير وقال مجاهد وعكرمة ضحكت بمعنى حاضت وانكره ابو عبيدة وابو عبيد والفرا قال ابن الانباري هذه اللغة ان لم يعرفها هولاء فقد عرفها غيرهم حكى الليث في هذه الاية فضحكت طمثت وحكى الازهري عن بعضهم ان اصله من ضحاك الطلعة يقال اضحكت الطلعة اذا انشقت وانشدوا

• وضحك الارانب فوق الصفا • كمثل دم الجوف يوم اللقا •

وقال اخر

• وعهدي بسلمى ضاحكا في لبابة • ولم يعد حقا ثديها ان تحلما •

اي حايضا وضحكت الكافورة تشققت وضحكت الشجرة سال صمغها وضحك الحوض امتلا وفاض وظاهر كلام ابي البقا ان ضحك بالفتح مختص بالحيض فانه قال بمعنى حاضت يقال ضحكت الارنب بفتح الحاء **قوله** ومن وراء اسحق يعقوب قرا ابن عامر وحمزة وحفص عن عاصم بفتح البا والباقون برفعها فاما القراءة الاولى فاختلفوا فيها هل الفتحة علامة نصب او جر والقايلون بانها علامة نصب اختلفوا فقيل هو منصوب عطفا على قوله باسحق قال الزمخشري كانه قيل ووهبنا له اسحق ومن وراء اسحق يعقوب على طريقة قوله

• ليسوا مصلحين عشيرة ولا ناعب •

يعني انه عطف على التوهم فنصب كما عطف الشاعر على توهم وجود البا في خبر ليس فجر ولكنه ليس بقياس وقيل منصوب بفعل مقدر اي ووهبنا يعقوب وهو على هذا غير داخل في البشارة ورجحه الفارسي وقيل منصوب عطفا على محل باسحق لان موضعه نصب كقوله تعالى وارجلكم بالنصب عطفا على برؤسكم والفرق بين هذا والوجه الاول ان الاول ضمن الفعل معنى وهبنا توهما وهنا باق على مدلوله من غير توهم ومن قال بانه مجرور جعله عطفا على باسحق والمعنى انها بشرت بهما وفي هذا الوجه والذي قبله بحث وهو الفصل بالظرف بين حرف العطف والمعطوف وقد تقدم ذلك مستوفى في النسا ونسب مكي الخفض للكسائي ثم قال وهو ضعيف الا باعادة الخافض لانك فصلت بين الجار والمجرور بالظرف فقوله باعادة الخافض يعني ذلك لازم اذ لو قدم ولم يفصل لم يلزم الاتيان واما قراءة الرفع ففيها اوجه احدها انه مبتدا وخبره الظرف السابق فقدره الزمخشري مولود او موجود وقدره غيره بكاين ولما حكى النحاس هذا قال والجملة حال داخلة في البشارة والثاني انه مرفوع اي بشرناها باسحق متصلا به يعقوب والثاني انه مرفوع على الفاعلية بالجار قبله وهذا يجي على راي الاخفش والثالث ان يرتفع باضمار فعل اي ويحدث من وراء اسحق يعقوب ولا مدخل له في البشارة والرابع انه مرفوع على القطع يعنون الاستيناف وهو راجع لاحد ما تقدم من كونه مبتدا وخبرا او فاعلا بالجار او بفعل مقدر وفي لفظ وراء قولان اظهرهما وهو قول الاكثر ان معناه بعد اي ومن بعد اسحق يعقوب والثاني ان الوراء ولد الولد **قوله** ذكر المفسرون ان اسحق ولد ولامه مائة سنة بعد اخيه اسمعيل باربع عشرة سنة وكان عمر امه سارة حين بشرت به تسعين سنة وذكر اهل الكتاب ان اسحق لما تزوج رفقا بنت بتوايل في حيوة ابيه كان عمره اربعين سنة وانها كانت عاقرا فدعا الله لها فحملت فولدت غلامين توامين اولهما سموه عيصو وتسميه العرب العيص وهو والد الروم الثانية والثاني خرج وهو اخذ بعقب اخيه فسموه يعقوب وهو اسرايل الذي ينتسب بنو اسرايل **قوله تعالى** قالت يا ويلتى الظاهر كون الالف بدلا من ياء المتكلم ولذلك امالها ابو عمرو وعاصم

في

النصب والرفع فالنصب لغة اهل الحجاز وعليه الاكثر والرفع لغة تميم وعليه اثنان من القرا قال ابو حيان وهذا الذي طول به لا تحقيق فيه فانه اذا لم يقصد اخراجها من المامورين بالاسراء ولا من المنهيين عن الالتفات وجعل استثناء منقطعا كان من المنقطع الذي لم يتوجه عليه العامل بحال وهذا النوع يجب فيه النصب على كلتا اللغتين وانما تكون اللغتان فيما جاز توجه العامل عليه وفي كلا النوعين يكون ما بعد الا من غير الجنس المستثنى فكونه جاز فيه اللغتان دليل على انه يمكن ان يتوجه عليه العامل وقد فرض انه لم يقصد بالاستثناء اخراجها من المامورين من الاسراء ولا من المنهيين عن الالتفات فكان يجب فيه اذ ذاك النصب قولا واحدا قال شهاب الدين اما قوله انه لم يتوجه عليه العامل من حيث ليس يسلم بل يتوجه عليه في الجملة والذي قاله النحاة مما لم يتوجه عليه العامل من حيث المعنى ما زاد الا ما نقص وما نفع الا ما ضر وهذا فليس من ذاك فكيف يعترض به على ابي شامة واما النصب ففيه ثلاثة اوجه احدها انه مستثنى من باهلك واستشكلوا عليه اشكالا من حيث المعنى وهو انه يلزم ان لا يكون سرى بها لكن الغرض انه سرى بها يدل عليه انها التفتت ولو لم تكن معهم لما حسن الاخبار عنها بالالتفات فالالتفات يدل على كونها سرت معهم قطعا وقد اجيب عنه بانه لم يسر هو بها ولكن لما سرى هو وبناته تبعتهم فالتفتت ويؤيد انه استثناء من الاهل ما قرا به عبد الله وسقط من مصحفه فاسر باهلك بقطع من الليل الا امراتك ولم يذكر قوله ولا يلتفت منكم احد والثاني انه مستثنى من احد وكان الاحسن الرفع الا انه جاء كقراءة ابن عامر ما فعلوه الا قليلا منهم بالنصب مع تقدم النفي الصريح وقد تقدم هناك تخريج اخر لا يمكن هنا والثالث انه مستثنى منقطع على ما تقدم عن ابي شامة وقال الزمخشري وفي اخراجها مع اهله روايتان روي انه اخرجها معهم وامر ان لا يلتفت منهم احد الا هي فلما سمعت هدة العذاب التفتت وقالت يا قوماه فادركها حجر فقتلها وروي انه امر ان يخلفها مع قومها ولم يسر بها واختلاف القراءتين على اختلاف الروايتين من انه سرى بها او لم يسر بها وهذا تكاذب في الاخبار يستحيل ان تكون القراءتان وهما من كلام الله تعالى يترتبان على التكاذب قال شهاب الدين وحاش لله ان تترتب القراءتان على التكاذب ولكن ما قاله الزمخشري صحيح الغرض من اتحاد القولين في التفسير ولا يلزم من ذلك التكاذب لان من قال انه سرى بها يعني انها سرت بنفسها مصاحبة لهم في اوايل الامر ثم اخذها العذاب فانقطع سرها ومن قال انه لم يسر بها فقد اجاب الناك بهذا وهو حسن وقال ابو شامة ووقع لي في تصحيح ما اعربه النحاة معنى حسن وذلك ان يكون في الكلام اختصار نبه عليه اختلاف القراءتين فكانه قيل فاسر باهلك الا امراتك وكذا روى ابو عبيدة وغيره انها في مصحف عبد الله هكذا وليس فيها ولا يلتفت منكم احد فهذا دليل على استثنائها من السرى بهم ثم كانه سبحانه وتعالى قال فان خرجت معكم وتبعتكم غير ان تكون انت سريت بها فانه اهلك عن الالتفات غيرها فانها ستلتفت فيصيبها ما اصاب قومها فكانت قراءة النصب دالة على المعنى المتقدم وقراءة الرفع دالة على المتاخر ومجموعهما دال على جملة المعنى المشروح وهو كلام حسن يشهد لما ذكرته **قوله** انه مصيبها ما اصابهم الضمير ضمير الشان ومصيبها خبر مقدم وما اصابهم مبتدا مؤخر وهو موصول بمعنى الذي والجملة خبر ان لان ضمير الشان يفسر بجملة مصرح بجزئيها واعرب ابو حيان مصيبها مبتدا وما اصابهم الخبر وفيه نظر من حيث الصناعة فان الموصول معرفة فينبغي ان يكون المبتدا ومصيبها نكرة لانه عامل تقديرا فاضافته غير محضة ومن حيث المعنى ان المراد الاخبار عن الذي اصابهم انه مصيبها من غير عكس ويجوز عند الكوفيين ان يكون مصيبها مبتدا وما الموصولة فاعل لانهم يجيزون ان يفسر ضمير الشان بمفرد عامل فيما بعده نحو انه قايم ابواك **قوله تعالى** ان موعدهم الصبح اي موعد هلاكهم وقرا عيسى بن عمر الصبح بضمتين فقيل لغتان وقيل بل هي اتباع وقد تقدم **قوله** فلما جاء امرنا قيل المراد الامر حقيقة وقيل المراد بالامر العذاب قال بعضهم لا يمكن حمله هنا على العذاب لان قوله تعالى فلما جاء امرنا جعلنا فالجعل هو العذاب فكان الامر شرطا والعذاب جزاء والشرط غير الجزاء فالامر غير العذاب فدل على ان الامر هو ضد النهي ويدل على ذلك قول الملايكة انا ارسلنا الى قوم لوط فدل على انهم امروا بالذهاب الى قوم لوط وبايصال العذاب اليهم فان قيل لو كان كذلك لقال فلما جاء امرنا جعلوا عاليها سافلها لان الفعل صدر عن المامور فالجواب ان فعل العبد فعل الله تعالى وايضا فالذي وقع منهم انما وقع بامر الله وباقداره فلا يمتنع اضافته الى الله تعالى لان الفعل كما يحسن اضافته الى المباشر يحسن اضافته ايضا الى المسبب **قوله** عاليها سافلها مفعولا الجعل الذي بمعنى التصيير وسجيل قيل هو في الاصل مركب من سنك وكل وهو بالفارسية حجر وطين فعرب وغيرت حروفه كما عربوا الديباج والديوان والاستبرق وقيل سجيل اسم السماء وهو ضعيف او غلط لوصفه بمنضود

وقيل من اسجل اي ارسل فيكون فعيلا او قيل هو من التسجيل والمعنى انه مما كتب الله وسجل ان يعذب به قوم لوط
وسجل الاول تفسير ابن عباس انه حجر وطين كالآجر المطبوخ وعن ابي عبيدة هو الحجر الصلب وقيل سجيل موضع الحجارة
وهي جبال مخصوصة قال تعالى من جبال فيها من برد وقال الحسن كان اصل الحجر هو الطين الا انه تصلب وراهوي
عليه وقيل سجيل اي من سجين اي من جهنم ابدل النون لاما ومنضود منه لسجيل والنضد جعل الشيء بعضه
فوق بعض ومنه وطلح منضود اي متراكب والمراد وصف الحجارة بالكثرة ومسومة نعت للحجارة وحينئذ يلزم
تقدم الوصف غير الصريح على الصريح لان من سجيل صفة الحجارة والاولى ان يجعل حالا من حجارة وسوغ مجيئها
من النكرة تخصيص النكرة بالوصف والتسويم العلامة قيل علم على كل حجر اسم من يرمى به وتقدم اشتقاقه في آل
عمران في والخيل المسومة وقال الحسن والسدي كان عليها امثال الخواتيم قال ابن صالح رايت منها عند ام هانئ
وهي حجارة فيها خطوط حمر على هيئة الجزع وقال ابن جريج كان عليها سمات لا تشبه حجارة الارض وعنده اما منصوب
بمسومة واما مجرور على انها صفة لمسومة **قوله** وما هي الظاهر عود هذا الضمير على القرى المهلكة
وقيل يعود على الحجارة وهي اقرب مذكور وقيل يعود على العقوبة المفهومة من السياق ولم يؤنث ببعيد اما
لانه في الاصل نعت لمكان محذوف تقديره وما هي بمكان بعيد بل هو قريب والمراد به اما والقرى المهلكة اي وما
تلك القرى المهلكة من كفار مكة ببعيد لان تلك القرى في الشام وهي قريب واما لان العقوبة والعقاب واحد
واما التاويل الحجارة بعذاب وبشيء بعيد والمقصود بالاية كفار مكة اي انه تعالى يرميهم بهذه الحجارة قال انس سأل
رسول الله صلى الله عليه وسلم جبريل عن هذا فقال ما من ظالم منهم الا وهو بعرض حجر يسقط عليه من ساعة الى ساعة
وقال قتادة وعكرمة يعني ظالمي هذه الامة والله ما اجار الله منها ظالما بعد وروي ان الحجر اتبع شذاذهم ومسافريهم
اي كانوا في البلاد ودخل رجل منهم الحرم وكان الحجر معلقا في السماء اربعين يوما حتى خرج فاصابه فاهلكه
قوله والى مدين اخاهم شعيبا القصة اي ارسلنا الى قبيلة مدين وهو اسم ابن لابراهيم عليه السلام
ثم صار اسما للقبيلة وقال كثير من المفسرين مدين اسم مدينة وعلى هذا فتقديره وارسلنا الى اهل مدين فحذف
اهل كقوله واسئل القرية اي اهل القرية واعلم ان الانبياء عليهم السلام اول ما يبدءون بالدعوة الى التوحيد
يشرعون في الاهم فالاهم ولما كان المعتاد في اهل مدين البخس في المكيال والميزان دعاهم الى ترك هذه العادة
فقال تعالى ولا تنقصوا المكيال والميزان **قوله** ولا تنقصوا نقص يتعدى لاثنين الى اولهما بنفسه
والى ثانيهما بحرف الجر وقد يحذف تقول نقصت زيدا من حقه وحقه وهو هنا كذلك اذ المراد ولا تنقصوا
الناس من المكيال ويجوز ان يكون متعديا لواحد على المعنى والمعنى لا تقللوا وتطففوا ويجوز ان يكون المكيال
مفعولا اول والثاني محذوف وفي ذلك مبالغة والتقدير ولا تنقصوا المكيال والميزان حقهما الذي وجب
لهما وهو ابلغ في الامر بوفائهما **قوله تعالى** اني اراكم بخير قال ابن عباس موسرين في نعمة وقال مجاهد
في خصب وسعة يحذرهم زوال النعمة وغلاء الاسعار وحلول النقمة ان لم يتوبوا واني اخاف عليكم عذاب يوم
محيط يحيط بكم فيهلككم قال ابن عباس قوله اخاف اي اعلم وقال غيره المراد الخوف لانه يجوز ان يترك ذلك العمل
خشية حصول العذاب قوله محيط صفة لليوم ووصف به من قولهم احاط به العدو وقوله واحيط بثمره وقال
الزمخشري ان وصف اليوم بالاحاطة ابلغ من وصف العذاب بها قال لان اليوم زمان يشتمل على الحوادث فاذا
احاط بعذابه فقد اجتمع للمعذب ما اشتمل عليه كما اذا احاط بنعيمه وزعم قوم انه جر على الجوار لانه في المعنى
صفة للعذاب والاصل عذاب يوم محيط وقال آخرون التقدير عذاب يوم محيط عذابه قال ابو البقاء وهو بعيد
لان محيطا قد جرى على غير من هو له فيجب ابراز فاعله مضافا الى ضمير الموصوف واختلفوا في المراد بهذا العذاب
فقيل عذاب يوم القيامة وقيل عذاب الاستيصال في الدنيا كما في حق سائر الامم والاقرب دخول كل عذاب فيه
واحاطة العذاب بهم كاحاطة الدائرة بما فيها **قوله** ويا قوم اوفوا المكيال والميزان بالقسط اي
بالعدل فان قيل وقع التكرار ههنا من ثلاثة اوجه فقال ولا تنقصوا المكيال والميزان ثم قال
تعالى اوفوا المكيال والميزان وهو عين الاول ثم قال تعالى ولا تبخسوا الناس اشياءهم وهو عين الاول فما
فائدة التكرار فالجواب من وجوه الاول ان القوم كانوا مصرين على ذلك العمل فمنع منه بالمبالغة في التاكيد
والتكرير يفيد التاكيد وشدة العناية والاهتمام الثاني ان قوله تعالى ولا تنقصوا المكيال والميزان
امر بايفاء العدل والنهي عن الشيء امر بضده وليس لقائل ان يقول النهي ضد الامر فكان التكرير لازما من هذا
الوجه لانا نقول الجواب من وجهين احدهما انه تعالى جمع بين الامر بالشيء وبين النهي عن ضده للمبالغة كما

نقول

في رواية وبها قرأ الحسن يا ويلتي بصريح الياء وقيل هي الف الندبة ويوقف عليها بهاء السكت وكذلك الالف
في يا ويلتنا ويا عجبا قال القفال اصل الويل هو الخزي يقال ويل لفلان اي خزي الهلاك وقيل الخزي وقع فيه قال
الخليل ولم يسمع على مثاله الا ويح وويس وويه وويك وهذه كلمات متقاربة في المعنى **قوله** أألد قرا ابن كثير ونافع
ونافع وابو عمرو أالد بهمزة ومدة والباقون بهمزتين بلا مد وقوله تعالى وانا عجوز وهذا بعلي شيخا الجملتان في محل
نصب على الحال من فاعل الد اي كيف تقع الولادة في هاتين الحالتين المنافيتين لها والجمهور على نصب شيخا وفيه وجهان
المشهور انه حال والعامل فيه اما التنبيه واما الاشارة واما كلاهما والثاني انه منصوب على خبر التقريب عند الكوفيين
وهذه الحال لازمة عند من لا يجهل الخبر اما من جهله فهي غير لازمة وقرا ابن مسعود والاعمش وكذلك في مصحف
ابن مسعود شيخ بالرفع وذكروا فيه وجوها اما خبر بعد خبر او خبران في معنى خبر واحد نحو هذا حلو حامض او خبر هذا
وبعلي بيان او بدل او شيخ بدل من بعلي او بعلي مبتدا وشيخ خبره والجملة خبر الاول او شيخ خبر مبتدا مضمر اي هو
شيخ والشيخ خبر بقابله عجوز ويقال شيخة قليلا كقوله
وتضحك مني شيخة عبشمية
ولجموع كثيرة فالصريح منها اشياخ وشيوخ وشيخان وشيخة عند من يرى ان فعلة جمع لا اسم جمع كغلمة وفتية
ومن اسماء جمعه مشيخة ومشيخة ومشيوخا وبعلها زوجها سمي بذلك لانه قيم امرها قال الواحدي وهذا من لطيف
من لطائف النحو وغوامضه فان كلمة هذا للاشارة فكان قوله وهذا بعلي شيخا قائم مقام ان يقال اشير الى بعلي
حال كونه شيخا والمقصود تعريف هذه الحالة المخصوصة وهي الشيخوخة ثم قال تعالى ان هذا لشيء عجيب فان قيل
هذه الحالة المخصوصة وهي الشيخوخة كيف تتعجب من قدرة الله تعالى والتعجب من قدرة الله تعالى يوجب الكفر
لان المتعجب من قدرة الله تعالى يدل على جهله لقدرة الله تعالى وذلك يوجب الكفر فالجواب انها انما تعجبت بحسب
العرف والعادة لا بحسب القدرة فان الرجل المسلم لو اخبره رجل صادق بان الله تعالى يقلب هذا الجبل ابريزا فلا شك انه
يتعجب نظرا الى العادة لا استنكارا للقدرة ثم قالت الملائكة اتعجبين من امر الله اي لا تعجبي من امر الله فان الله
اذا اراد شيئا كان **قوله** رحمة الله وبركاته عليكم اهل البيت اي بيت ابراهيم والمعنى رحمة الله
عليكم متكاثرة وبركاته عندكم متوالية متعاقبة وهي النبوة والمعجزات القاهرة فاذا خرق الله تعالى العادة
في تخصيصكم بهذه الكرامات العالية الرفيعة فلا تعجبي من ذلك وقيل هذا على معنى الدعاء من الملائكة
وقيل على معنى الخبر والرحمة النعمة والبركات جمع البركة وهو ثبوت الخير فان قيل ما الحكمة في افراد الرحمة وجمع
البركات وكذلك افراد السلام في التشهد وجمع البركات فالجواب قد تقدم في البقرة عند قوله تعالى اولئك عليهم صلوات
من ربهم ورحمة وقال ابن القيم هنا والسلام اما مصدر محض فهو شيء واحد فلا معنى لجمعه واما اسم من اسماء الله تعالى
فيستحيل ايضا جمعه وعلى التقديرين لا سبيل الى جمعه واما الرحمة فمصدر كما تقدم واما البركة فانها لما كانت تتجدد شيئا
بعد شيء كان لفظ الجمع اولى بها لدلالتها على المعنى المقصود بها ولهذا جاءت في القرآن كهذه الاية وكذلك السلام
في التشهد في قوله السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته وقوله عليكم حكى سيبويه عليكم بكسر الكاف لمجاورتها الياء
نقله القرطبي وفيه دليل على ان الازواج من اهل البيت **قوله** اهل البيت في نصبه وجهان احدهما انه منادى
والثاني انه منصوب على المدح وقيل على الاختصاص وبين النصبين فرق وهو ان المنصوب على المدح لفظ يتضمن
بوضعه المدح كما ان المنصوب على الذم لفظ يتضمن بوضعه الذم والمنصوب على الاختصاص لا يكون الا لمدح او ذم لكن لفظه
لا يتضمن بوضعه المدح ولا الذم كقوله
بنا تميما يكشف الضباب
كذا قاله ابو حيان واسند الى سيبويه جعلهما في بابين وفيه نظر ثم قال انه حميد مجيد فالحميد المحمود الذي
تحمد افعاله والمجيد فعيل مثال مبالغة من مجد يمجد مجدا ومجادة ويقال مجد كشرف واصله الرفعة وقيل
من مجدت الابل تمجد مجادة ومجدا اي شبعت وانشدوا لابي حية النميري
تزيد على صواحبها وليست • بماجدة الطعام ولا الشراب
اي ليست بكثيرة الطعام ولا الشراب وقيل مجد الشيء اي حسنت اوصافه وقال الليث مجد فلان عظم ومجده
اي كرمه والمجيد الماجد وهو ذو الشرف والكرم **قوله** فلما ذهب عن ابراهيم الروع اي الفزع قال الشاعر
اذا احدثتها هدة الروع امسكت • بمنكب مقدام على الهول اروعا
يقال راعه يروعه اي افزعه قال عنترة
ما راعني الا حمولة اهلها • وسط الديار تسف حب الخمخم
وارتاع افتعل منه قال النابغة
فارتاع من صوت كلاب فبات له • طوع الشوامت من خوف ومن صرد

واما الرُوع بالضم فهي النفس لانها محل الرَوع ففرق بين الحال والمحل وفي الحديث ان روح القدس نفث في رُوعي
قوله تعالى وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَى عطف على ذهب وجواب لما على هذا محذوف اي فلما كان كيت وكيت اجترى على
خطابهم او فطن لمجادلتهم وقوله تعالى يجادلنا على هذا جملة مستانفة وهي الدالة على ذلك الجواب المحذوف وقيل تقدير
جواب لما اقبل يجادلنا او اخذ يجادلنا فيجادلنا على هذا حال من فاعل اقبل وقيل جوابها قوله تعالى يجادلنا واوقع
المضارع موقع الماضي وقيل الجواب قوله تعالى وجاءته البشرى والواو زائدة وقيل يجادلنا حال من ابرهيم وكذلك
قوله وجاءته البشرى وقد تقدر ويجوز ان يكون حالا من ضمير المفعول في جاءته **قوله تعالى** في قوم لوط اي في شانهم
فلما ذهب عن ابراهيم الروع هذا اول قصة لوط والمعنى انه لما زال الخوف وحصل السرور بسبب مجيء البشرى بحصول الولد
اخذ يجادل رسلنا اي يجادل رسلنا يعني يكلمنا لان ابراهيم لا يجادل ربه انما يسأله ويطلب منه بدليل مدحه عقيبا لاية
بقوله ان ابراهيم لحليم اواه منيب ولو كان جدلا مذموما لما مدحه بهذا المدح العظيم وكانت مجادلته ان قال
للملائكة ارايتم لو كان في مداين لوط خمسين من المؤمنين اتهلكونهم قالوا لا قال او اربعون قالوا لا قال او ثلاثون قالوا لا
حتى بلغ العشرة قالوا لا قال ارايتم لو كان فيها رجل مسلم اتهلكونهم قالوا لا فعند ذلك قال ان فيها لوطا قالوا نحن
اعلم بمن فيها لننجينه واهله الا امراته ثم قال تعالى ان ابراهيم لحليم اواه منيب والحليم هو الذي لا يستعجل بمكافاة
من يوذيه ومن كان كذلك يتاوه اذا شاهد وصول الشدايد الى الغير فلما راى مجيء الملايكة لاهلاك قوم لوط عظم
حزنه واخذ يتاوه فوصفه الله تعالى بانه منيب لان من ظهرت منه هذه الشفقة العظيمة على الخلق فانه يتوب
ويرجع الى الله عز وجل في ازالة ذلك العذاب او لان من لا يرضى بوقوع غيره في الشدايد فبان لا يرضى بوقوع نفسه
فيها اولى ولا طريق الى تخليص النفس من الوقوع في عذاب الله الا بالتوبة والانابة فقالت الرسل عند ذلك لابراهيم يا ابراهيم
اعرض عن هذا اي اعرض عن هذا المقال انه قد جاء امر ربك اي عذاب ربك وحكم ربك وانهم اتيهم نازل بهم
عذاب غير مردود اي غير مصروف عنهم **قوله تعالى** اتيهم عذاب يجوز ان تكون جملة من مبتدا وخبر في محل
رفع خبر لانهم ويجوز ان يكون اتيهم الخبر وعذاب المبتدا وجاز ذلك لتخصيصه بالوصف وتنكير اتيهم
لان اضافته غير محضة ويجوز ان يكون اتيهم خبر ان وعذاب فاعل به ويدل على ذلك قراءة عمرو بن هرم وانهم
اتاهم بلفظ الفعل الماضي **قوله** وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا قال ابن عباس انطلقوا من عند ابراهيم
الى لوط وبين القريتين اربع فراسخ ودخلوا عليه على صورة غلمان مرد حسان الوجوه **قوله تعالى** سيء بهم
فعل مبني للمفعول والقايم مقام الفاعل ضمير لوط من قولك ساءني كذا اي حصل لي سوء وبهم متعلق به اي بسببهم
يقال سوته فسيء كما يقال سررته فسر ومعناه ساءه مجيئهم وساء يسوء فعل لازم قال الزجاج اصله سوئ
الا ان الواو سكنت ونقلت كسرتها الى السين وذرعا نصب على التمييز وهو في الاصل مصدر ذرع البعير بيديه يذرع
بيديه في سيره اذا سار على قدر خطوه اشتقاقا من الذراع ثم توسع فيه فوضع موضع الطاقة والجهد فقيل
ضاق ذرعه اي طاقته قال • فاقدر بذرعك وانظر اين تنسلك • وقد يقع الذراع موقع
قال • اليك اليك ضاق بها ذراعا • اذا التيار ذو العضلات قلنا •
وقيل هو كناية عن ضيق الصدر والعصيب والعصب والعصبصب والعصوب اليوم الشديد الكثير الشر
الملتف بعضه ببعض قال الشاعر • وانت في الدار خصم لم اعد • وقد سلكوك في يوم عصيب •
وعن ابي عبيد سمي عصيبا لانه يعصب الناس بالشر كانه عصب به الشر والبلاء اي شد والعصابة الجماعة من الناس
سموا بذلك لاحاطتهم احاطة العصابة والمعنى ان لوطا لما نظر الى حسن وجوههم وطيب روايحهم اشفق عليهم من قومه
ان يقصدوهم بالفاحشة وعلم انه سيحتاج الى المدافعة عنهم فلذلك ضاق بهم ذرعا اي قلبا يقال ضاق
ذرع فلان بكذا اذا وقع في مكروه لا يطيق الخروج منه **قوله** وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ يهرعون
في محل نصب على الحال والعامة على يهرعون مبنيا للمفعول وقرات فرقة بفتح الياء مبنيا للفاعل من لغة هرع
والاهراع الاسراع ويقال هو المشي بين الهرولة والجمز وقال الهروي هرع واهرع واستحث وقيل الاهراع هو الاسراع
مع الرعدة قيل هذا من باب ما جاء بصيغة الفاعل على لفظ المفعول ولا يعرف له فاعل نحو اولع فلان وارعد زيد وزهي
عمرو من الزهو وقيل لا يجوز ورود الفاعل على لفظ المفعول وهذه الافعال عرف فاعلوها تاويل اولع فلان اي
اولعه حبه وارعد زيد اي ارعده غضبه وزهي عمرو اي جعله ماله زاهيا واهرع اي اهرعه خوفه او حرصه **فصل**
روي انه لما دخلت الملايكة دار لوط عليه السلام مضت امراته فقالت لقومه دخل دارنا قوم ما رايت احسن منهم وجوها
ولا اطيب رايحة منهم فجاءه قومه يهرعون اليه ومن قبل كانوا يعملون السيئات اي من قبل مجيئهم الى لوط كانوا ياتون الرجال

في ادبارهم فقال لهم لوط حين قصدوا اضيافه فظنوا انهم غلمان يا قوم هؤلاء بناتي هن اطهر لكم يعني
بالتزويج **قوله** هَؤُلَاءِ بَنَاتِي جملة براسها وهن اطهر لكم جملة اخرى ويجوز ان يكون هؤلاء مبتدا
وبناتي بدل او عطف بيان وهن مبتدا واطهر خبره والجملة خبر الاول ويجوز ان يكون هن فصلا واطهر خبرا
اما لهؤلاء او لبناتي والجملة خبر الاول ويجوز ان يكون وقرا الحسن وزيد بن علي وسعيد بن جبير وعيسى بن عمر
والسدي اطهر بالنصب وخرجت على الحال فقيل هؤلاء مبتدا وبناتي هن جملة في محل خبره واطهر حال والعامل
اما التنبيه واما الاشارة وقيل هن فصل بين الحال وصاحبها وجعل من ذلك قولهم اكثر اكلي التفاحة هي نضيجة
ومنعه بعض النحويين وخرج الاية على ان لكم الخبر المذكور على ان نضيجة منصوبة بكان مضمرة **قوله**
قال قتادة المراد بناته لصلبه وفي اضيافه ببناته وكان في ذلك الوقت تزويج المسلمة من الكافر جايزا كما زوج النبي
صلى الله عليه وسلم ابنتيه من عتبة بن ابي لهب واخيه عتيبة وزوج ابنته زينب من ابي العاص بن الربيع قبل الوحي
وكانا كافرين وقال الحسين بن الفضل عرض بناته عليهم بشرط الاسلام وقال مجاهد وسعيد بن جبير اراد نساءهم
واضاف الى نفسه لان كل نبي ابو امته وفي قراءة ابي النبي اولى بالمؤمنين من انفسهم وازواجه امهاتهم وهو اب
لهم وهذا القول اولى لان اقدام الانسان على عرض بناته على الاوباش والفجار امر مستبعد لا يليق باهل المروة فكيف
الانبياء وايضا فبناته من صلبه لا يكفي الجمع العظيم اما بنات امته ففيهن كفاية للكل وايضا فلم يكن له سوى بنتين
واطلاق البنات على البنتين لا يجوز لما ثبت ان اقل الجمع ثلاثة وقال بعضهم
ذكر ذلك على سبيل الدفع لا على التحقيق فان قيل ظاهر قوله هن اطهر لكم يقتضي كون عملهم طاهرا ومعلوم
انه فاسد لانه لا طهارة في نكاح الرجل فالجواب هذا جار مجرى قولنا الله اكبر اي كبير وكقوله تعالى اذلك خير
ام شجرة الزقوم ولا خير فيها ولما قال ابو سفيان يوم احد اعل هبل اعل هبل قال النبي صلى الله عليه وسلم الله اعلى واجل
ولا مقاربة بين الله وبين الصنم **قوله** وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي قرا ابو عمرو ونافع باثبات ياء الاضافة
في تخزون على الاصل والباقون بحذفها للتخفيف ودلالة الكسرة عليه والضيف في الاصل مصدر كقولك رجل
صوم ثم اطلق على الطارق لميلانه الى المضيف ولذلك يقع على المفرد والمذكر وضديهما بلفظ واحد وقد يثنى
فيقال ضيفان ويجمع فيقال اضياف وضيوف كابيات وبيوت وضيفان كحوض وحيضان والضيف هاهنا
قايم مقام الاضياف كما قام الطفل مقام الاطفال في قوله تعالى او الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء
فصل قال ابن عباس المعنى خافوا الله ولا تفضحون في اضيافي يريد انهم اذا هجموا على اضيافه
بالمكروه لحقته الفضيحة وقيل معناه لا تخجلون فيهم لان مضيف الضيف يلحقه الخجل من كل فعل قبيح يتوجه
الى الضيف يقال خزي الرجل اذا استحيا ثم قال اليس منكم رجل رشيد اي صالح سديد يقول الحق ويرد هؤلاء
الاوباش عن اضيافي وقال عكرمة رجل يقول لا اله الا الله وقال ابن اسحق رجل يامر بالمعروف وينهى عن المنكر قالوا
لقد علمت يا لوط ما لنا في بناتك من حق اي لسن ازواجا لنا فنستحقهن بالنكاح وقيل ما لنا في بناتك من حق
لانك دعوتنا الى نكاحهن بشرط الايمان وقيل ونحن لا نجيبك الى ذلك فلا يكون لنا فيهن حق **فصل**
من حق يجوز ان يكون مبتدا والجار خبره وان يكون فاعلا بالجار والمجرور قبله لاعتماده على نفي ومن مزيدة
على كلا القولين قوله ما نريد يجوز ان تكون ما مصدرية وان تكون موصولة بمعنى الذي والعلم عرفان فلذلك
يتعدى لواحد اي لتعرف ما نريد من اتيان الرجال **فصل** لو ان جوابها محذوف تقديره لفعلت بكم وصنعت
كقوله تعالى ولو ان قرانا سيرت به الجبال **قوله تعالى** او اوي يجوز ان يكون معطوفا على المعنى تقديره او اني
اوي قاله ابو البقا والحوفي ويجوز ان يكون معطوفا على قوة لانه منصوب في الاصل باضمار ان فلما حذفت
ان رفع الفعل كقوله ومن اياته يريكم واستضعف ابو البقا هذا الوجه لعدم نصبه وقد تقدم جوابه ويدل
على اعتبار ذلك قراءة شيبة وابي جعفر او اوي بالنصب كقوله
• فلولا رجال من رزام اعزة • وال سبيع او اسوك علقما •
وقولها • للبس عباءة وتقر عيني • احب الي من لبس الشفوف •
ويجوز ان يكون عطف هذه الجملة الفعلية على مثلها ان قدرت ان ان مرفوعة بفعل مقدر بعد لو عند المبرد
والتقدير لو استقر او ثبت استقرار القوة او اوي ويكون هذان الفعلان ماضيي المعنى لانها تقلب المضارع
الى المضي واما على راي سيبويه في كون ان في محل الابتداء فيكون هذا مستانفا وقيل او بمعنى بل وهذا عند
الكوفيين وبكم متعلق بمحذوف لانه حال من قوة اذ هو في الاصل صفة للنكرة ولا يجوز ان يتعلق بقوة لانها

مصدر والركن بسكون الكاف وضمها الناحية من جبل وغيره ويجمع على اركان واركن قال
ورحم ركنيك شديد الاركن **فصل** المعنى لو ان لي قوة البدن او القوة بالاتباع وتسمية
موجب القوة بالقوة جائز قال تعالى واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل والمراد السلاح او اوي الى
ركن شديد اي موضع حصين وقيل الضم الى عشيرة مانعة فان قيل كيف عطف الفعل على الاسم فالجواب
قد تقدم قال ابو هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم ما بعث الله بعده نبيا الا في منعة من عشيرته وروى ابو هريرة
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يغفر الله للوط ان كان ليأوي الى ركن شديد قال ابن عباس والمفسرون اغلق لوط بابه
والملائكة معه في الدار وهو يناظرهم ويناشدهم من وراء الباب وهم يعالجون تسور الجدار فلما رات الملائكة ما يلقى
لوط بسببهم قالوا يا لوط ان ركنك لشديد وانا رسل ربك لن يصلوا اليك اي بسوء ومكروه فانا نحول بينهم وبين ذلك
فافتح الباب ودعنا واياهم ففتح الباب فدخلوا واستاذن جبرائيل ربه في عقوبتهم فاذن له فقام في الصورة
التي يكون فيها فنشر جناحه وعليه وشاح من در منظوم وهو براق الثنايا اجلى الجبين وراسه مثل المرجان كانه
الثلج بياضا وقدماه الى الخضرة فضرب بجناحه وجوههم فطمس اعينهم فاعماهم فصاروا لا يعرفون الطريق فانصرفوا
وهم يقولون النجا النجا فان في بيت لوط اسحر قوم في الارض سحرونا وجعلوا يقولون يا لوط كما انت حتى تصبح وسترى
ما تلقى منا غدا فقال لوط للملائكة متى موعد هلاكهم قالوا الصبح قال اريد اسرع من ذلك فلو اهلكتموهم الآن
فقالوا اليس الصبح بقريب **قوله تعالى** فاسر قرا نافع وابن كثير فاسر باهلك هنا وفي الحجر وفي الدخان
فاسر بعبادي وقوله ان اسر في طه والشعراء جميع ذلك بهمزة الوصل تسقط درجا وتثبت مكسورة ابتداء والباقون
بهمزة القطع تثبت مفتوحة درجا وابتداء والقراءتان ماخوذتان من لغتي هذا الفعل فانه يقال سرى
ومنه والليل اذا يسر واسرى ومنه سبحان الذي اسرى وهل هما بمعنى واحد او بينهما فرق خلاف فقيل هما بمعنى
واحد وهو قول ابي عبيد وقيل اسرى لاول الليل لا آخره وهو قول الليث واما سار فمختص بالنهار وليس مقلوبا
من سرى **قوله تعالى** باهلك يجوز ان تكون الباء للتعدية وان تكون للحال اي مصاحبا لهم وقوله بقطع حال
من اهلك اي مصاحبين لقطع على ان المراد به الظلمة وقيل الباء بمعنى في والقطع هنا نصف الليل لانه قطعة
منه مساوية لباقيه وانشد
ونائحة تنوح بقطع ليل • على رجل بقارعة الصعيد •
وقال نافع بن الازرق لعبد الله بن عباس اخبرني عن قول الله بقطع من الليل قال هو آخر الليل سحر وقال قتادة بعد
طائفة من الليل وتقدم في يونس ثم قال ولا يلتفت منكم احد في الالتفات وجهان احدهما نظر الانسان الى ما
وراءه فيكون المراد انه كان لهم في البلد اموال فنهوا عن الالتفات اليها والثاني المراد بالالتفات الانصراف كقوله
تعالى اجئتنا لتلفتنا اي لتصرفنا والمراد نهيهم عن التخلف **قوله تعالى** الا امراتك قرا ابن كثير وابو عمرو
برفع امراتك والباقون بنصبها وفي هذه الآية كلام كثير اما قراءة الرفع ففيها وجهان اشهرهما عند المعربين انه
بدل من احد وهو احسن من النصب لان الكلام غير موجب وهذا الوجه رده ابو عبيد بانه يلزم منه انهم نهوا عن
الالتفات الا المراة فانها لم تنه عنه وهذا لا يجوز ولو كان الكلام ولا يلتفت لكان الاستثناء بالبدلية واضحا
لكنه لم يقرا برفع يلتفت احد واستحسن ابن عطية هذا الالزام من ابي عبيد وقال انه وارد على القول باستثناء المراة
من احد سواء رفعت المراة او نصبتها وهذا صحيح فان ابا عبيد لم يرد الرفع لخصوص كونه رفعا بل لفساد المعنى
وفساد المعنى دائر مع الاستثناء من احد وابو عبيد يخرج النصب على الاستثناء من باهلك ولكنه يلزم من ذلك
ابطال قراءة الرفع ولا سبيل الى ذلك لتواترها وقد انفصل المبرد عن هذا الاشكال الذي اورده ابو عبيد بان
النهي في اللفظ لاحد وهو في المعنى للوط عليه السلام اذ التقدير لا تدع منهم احدا يلتفت كقولك لخادمك لا يقم احد
النهي لاحد وهو في المعنى للخادم اذ المعنى لا تدع احدا يقوم فآل الجواب الى ان المعنى لا تدع احدا يلتفت الا امراتك
فدعها تلتفت هذا مقتضى الاستثناء كقولك لا تدع احدا يقوم الا زيدا معناه فدعه يقوم وفيه نظر اذ المحذور
الذي فر منه ابو عبيد موجود هو او قريب منه هنا والثاني ان الرفع على الاستثناء المنقطع فالقراءتان عنده
على حد سواء ولنورد كلاما فيه الذي يظهر ان الاستثناء على كلتا القراءتين منقطع لم يقصد به اخراجها عن
المامور بالاسراء بهم ولا من المنهيين عن الالتفات ولكن استوجب الاخبار عنها فالمعنى لكن امراتك يجري لها كذا
وكذا ويؤيد هذا المعنى ان مثل هذه الآية جاءت في سورة الحجر وليس فيها استثناء البتة قال تعالى فاسر باهلك
الآية فلم يقع العناية في ذلك الا بذكر من انجاهم الله تعالى فجاء شرح حال امراته في سورة هود تبعا لا مقصودا
بالاخراج بما تقدم واذا اتضح هذا المعنى علم ان القراءتين وردتا على ما تقتضيه العربية في الاستثناء المنقطع وفيه

النصب

تقول صل قرابتك ولا تقطعهم فدل هذا الجمع على غاية التوكيد وثانيها لا نسلم ان الامر كما ذكرتم لانه يجوز
ان ينهى عن التنقيص وينهى ايضا عن اصل المعاملة فهو تعالى منع من التنقيص وامر بايصال الحق ليدل ذلك على انه
تعالى لم يمنع من المعاملات ولم ينه عن المبايعات وانما منع عن التطفيف ومنع الحقوق فكانت المبايعات مخرجة
بالكلية فلاجل هذا منع في الآية الاولى بالنقصان في المكيال والميزان ثم انه تعالى امر في الاخرى بالايفاء واما
قوله تعالى ثالثا ولا تبخسوا الناس اشياءهم فليس بتكرير لانه تعالى خص المنع في الآية الاولى بالنقصان في المكيال
والميزان ثم انه تعالى عمم الحكم في جميع الاشياء فدل ذلك على انها غير مكررة بل في كل واحدة فائدة زائدة الوجه
الثالث انه تعالى قال في الآية الاولى ولا تنقصوا المكيال والميزان وفي الثانية قال اوفوا المكيال والميزان والايفاء
عبارة عن الاتيان به على الكمال والتمام ولا يحصل ذلك الا اذا اعطى زائدا على الحق ولهذا المعنى قال الفقهاء
انه تعالى نهى في الآية الاولى عن النقصان وفي الثانية امر باعطاء شيء من الزيادة فكانه تعالى نهى اولا
عن سعي الانسان في ان يجعل مال غيره ناقصا ليحصل له تلك الزيادة وفي الثانية امر بان يسعى في تنقيص مال نفسه
ليخرج ماله من غير العوض وقوله تعالى بالقسط يعني بالعدل ومعناه الامر بايفاء الحق بحيث يحصل معه اليقين
بالخروج من العهدة بالامر بايتاء الزيادة على ذلك والبخس هو التنقيص ثم قال تعالى ولا تعثوا في الارض مفسدين
فان قيل العثي الفساد التام فقوله تعالى ولا تعثوا في الارض مفسدين جار مجرى قولك ولا تفسدوا في الارض
مفسدين فالجواب من وجوه الاول ان من سعى في ايصال الضرر اليه فقوله ولا تعثوا في الارض مفسدين اي ولا
تسعوا في افساد مصالح الغير فان ذلك في الحقيقة سعي منكم في افساد مصالح انفسكم والثاني ان يكون قوله ولا تعثوا
في الارض مفسدين مصالح دنياكم وآخرتكم والثالث ولا تعثوا في الارض مفسدين مصالح الاديان والرابع ثم قال
تعالى بقية الله خير لكم ان كنتم مؤمنين العامة على تشديد ياء بقيت وقرا اسماعيل بن جعفر عن اهل المدينة تخفيفها
قال ابن عطية هي لغة وهذا لا ينبغي ان يقال بل يقال انه لم يقصد الدلالة على المبالغة جيء بها مخففة وذلك ان فعيل
بكسر العين اذا كان لازما فقياس الصفة منه فعل بكسر العين نحو شجيت المراة فهي شجية فان قصدت المبالغة قيل شجية
لان فعيلا من امثلة المبالغة وكذلك بقية وبقيه بالتشديد والتخفيف قال المفسرون بقية الله هي تقواه قال
ابن عباس يعني ما ابقى الله لكم من الحلال بعد ايفاء الكيل والوزن خير مما تاخذونه بالتطفيف وقال مجاهد
بقية الله اي طاعة الله خير لكم من ذلك القدر القليل لان منفعة الطاعة تبقى ابدا **قوله تعالى** ان كنتم
مؤمنين قال ابن عطية وجواب هذا الشرط متقدم يعني على مذهب من يراه لا على مذهب جمهور البصريين وانما
شرط الايمان في كونه خيرا لهم لانهم ان كانوا مؤمنين مقرين بالثواب في العقبى عرفوا ان السعي في تحصيل الثواب وفي الحذر
من العقاب خير لهم من السعي في تحصيل ذلك القليل والمعلق بشرط عدم عند عدم الشرط فدل ظاهر الآية على ان
من لم يحذر عن هذا التطفيف لا يكون مؤمنا **قوله تعالى** وما انا عليكم بحفيظ اي نصحتكم وارشدتكم
الى الخير وما علي منعكم من هذا الفعل القبيح وقيل لما قال لهم ان البخس والتطفيف يزيل النعم قال وما انا عليكم
بحفيظ اي ان لم تتركوا هذا العمل زالت نعم الله عنكم وانا لا اقدر على حفظها عليكم في تلك الحالة **قوله تعالى**
اصلواتك تامرك ان نترك ما يعبد آباؤنا قرا حمزة والكسائي وحفص عن عاصم اصلاتك بغير واو والباقون بالواو على
الجمع **قوله** او ان نفعل العامة على نون الجماعة او التعظيم في نفعل ونشاء وقرا زيد بن علي وابن ابي عبلة
والضحاك وقيس بتاء الخطاب فيهما وقرا عبد الرحمن وطلحة الاول بالنون والثاني بالتاء فمن قرا بالنون فيهما
عطفه على مفعول نترك وهو ما الموصولة والتقدير اصلواتك تامرك ان نترك ما يعبد آباؤنا او ان نترك ان
نفعل في اموالنا ما نشاء وهو بخس الكيل والوزن المتقدم ذكرهما واو للتنويع او بمعنى الواو قولان ولا يجوز عطفه
على مفعول تامرك وان يكون معطوفا على مفعول نترك والتقدير اصلواتك تامرك ان تفعل انت في اموالنا ما تشاء
انت ومن قرا بالنون في الاول وبالتاء في الثاني كان ان تفعل معطوفا على مفعول تامرك فقد صار ذلك ثلاثة
اقسام قسم يتعين فيه العطف على مفعول نترك وهي قراءة النون فيهما وقسم يتعين فيه العطف على مفعول تامرك
وهي قراءة النون في نفعل والتاء في تشاء وقسم يجوز فيه الامران وهي قراءة التاء فيهما والظاهر من حيث المعنى في قراءة
التاء فيهما او في تشاء ان المراد بقولهم ذلك هو ايفاء الكيال والميزان لانه كان يامرهم به وقال الزمخشري المعنى
تامرك بتكليف ان نترك ما يعبد آباؤنا فحذف المضاف لان الانسان لا يؤمر بفعل غيره واعلم ان قولهم ان نترك
ما يعبد آباؤنا اشارة الى انه امرهم بالتوحيد وقولهم ان نفعل في اموالنا ما نشاء اشارة الى انه امرهم بترك البخس
قيل المراد بالصلوة هنا الدين والايمان لان الصلوة اظهر شعار الدين فجعلوا ذكر الصلوة

كناية عن الدين وقيل اصل الصلاة الاتباع ومنه اخذ المصلي من خيل المسابقة وهو الذي يتلو السابق لان رأسه يكون على صلوي السابق وهما ناحيتا الذنب والمعنى دينك يأمرك وقيل المراد هذه الافعال المخصوصة روي ان شعيبا عليه السلام كان كثير الصلوة فكانوا اذا راوه يصلي يتغامزون ويتضاحكون فقصدوا بقولهم اصلوتك تأمرك السخرية والاستهزاء انك لانت الحليم الرشيد قال ابن عباس ارادوا السفيه الغاوي والعرب تصف الشئ بضده وقيل قالوه على وجه الاستهزاء انك لانت الحليم الرشيد كما يقال للبخيل الخسيس لو راك حاتم لسجد لك وقيل الحليم الرشيد بزعمك وقيل على الصحة اي انك يا شعيب فينا حليم رشيد لا يحمل بك شق عصى قومك ومخالفتهم لدينهم كقول قوم صالح قد كنت فينا مرجوا قبل هذا **قوله تعالى** ارأيتم قد تقدم مرارا وقال الزمخشري هنا فان قلت اين جواب ارأيتم وما له لم يثبت كما ثبت في قصة نوح وصالح قلت جوابه محذوف وانما لم يثبت لان اثباته في القصتين دل على مكانه ومعنى الكلام ينادي عليه والمعنى اخبروني ان كنت على حجة واضحة ويقين من ربي وكنت نبيا على الحقيقة ايصح ان لا آمركم بترك عبادة الاوثان والكف عن المعاصي والانبياء لا يبعثون الا لذلك قال ابو حيان وتسمية هذا جوابا لارأيتم ليس بالمصطلح بل هذه الجملة التي قدرها في موضع المفعول الثاني لارأيتم اذا ضمنت معنى اخبرني تتعدى الى مفعولين والغالب في الثاني ان يكون جملة استفهامية تنعقد منها ومن المفعول الاول في الاصل جملة ابتدائية كقول العرب ارأيتك زيدا ما صنع وقال الحوفي وجواب الشرط محذوف لدلالة الكلام عليه تقديره اضل كما ضللتم او اترك تبليغ الرسالة ونحو هذا مما يليق بهذه المحاجة قال ابو حيان وليس قوله اضل جوابا للشرط لانه ان كان مثبتا فلا يمكن ان يكون جوابا لانه لا يترتب على الشرط وان كان استفهاما حذف منه الهمزة فهو في موضع المفعول الثاني لارأيتم وجواب الشرط محذوف تدل عليه الجملة السابقة مع متعلقها **فصل** المعنى ان ايتم ان كنت على بينة بصيرة وبيان من ربي ورزقني منه رزقا حسنا حلالا وقيل كان شعيب كثير المال وقيل الرزق الحسن العلم والمعرفة اي لما اتاني جميع هذه السعادات فهل ينبغي لي مع هذا الانعام العظيم ان اخون في وحيه وان اخالف امره ونهيه واذا كان العز من الله والاذلال من الله وذلك الرزق انما حصل من عند الله فانا لا ابالي بمخالفتكم ولا افرح بموافقتكم وانما اكون على تقرير دين الله وايضاح شرايعه **قوله تعالى** وما اريد ان اخالفكم قال الزمخشري خالفني فلان الى كذا اذا قصده وانت مول عنه وانت قاصده ويلقاك الرجل صادرا عن الماء فتسأله عن صاحبه فيقول خالفني الى الماء يريد انه ذاهب اليه واردا وانا ذاهب عنه صادرا ومنه قوله تعالى وما اريد ان اخالفكم الى ما انهاكم عنه يعني ان اسبقكم الى شهواتكم التي نهيتكم عنها لاستبد بها دونكم وهذا الذي ذكره الزمخشري معنى حسن لطيف ولم يتعرض لاعراب مفرداته لان الذي يفهم المعنى يفهم الاعراب ويجوز ان يكون قوله ان اخالفكم في موضع مفعول باريد اي وما اريد مخالفتكم ويكون فاعل بمعنى فعل نحو جاوزت الشئ وجزته اي وما اريد ان اخالفكم اي اكون خلفا منكم وقوله الى ما انهاكم يتعلق باخالفكم ويجوز ان يتعلق بمحذوف على انه حال اي مائلا الى ما انهاكم عنه وكذلك قدر بعضهم محذوفا يتعلق به هذا الجار تقديره واميل الى ان اخالفكم ويجوز ان يكون ان اخالفكم مفعولا من اجله ويتعلق الى بقوله اريد بمعنى وما اقصد لاجل مخالفتكم الى ما انهاكم عنه وكذلك قال الزجاج وما اقصد بخلافكم الى ارتكاب ما انهاكم عنه ويجوز ان يراد بان اخالفكم معناه من المخالفة ويكون في موضع المفعول به باريد ويقدر مائلا الى والمعنى وما اريد فيما آمركم به وانهاكم عنه الا الاصلاح ما استطعت **قوله تعالى** ما استطعت يجوز في ما هذه وجوه احدها ان تكون مصدرية ظرفية اي مدة استطاعتي الثاني ان تكون ما موصولة بمعنى الذي بدلا من الاصلاح والتقدير ان اريد الا المقدار الذي استطيعه الثالث ان يكون على حذف مضاف اي الا الاصلاح اصلاح ما استطعت وهو ايضا بدل الرابع انها مفعول بها بالمصدر المعرف اي ان اريد الا ان اصلح ما استطعت اصلاحه كقوله

ضعيف النكاية اعداءه . يخال الفرار يراخي الاجل

ذكر هذه الاوجه الثلاثة الزمخشري في الاصل الا ان اعمال المصدر المعرف قليل عند البصريين ممنوع اعماله في المفعول به عند الكوفيين وتقدم الجاران في عليه واليه للاختصاص اي عليه لا على غيره واليه لا الى غيره **فصل** اعلم ان القوم كانوا قد اقروا بانه حليم رشيد لانه كان مشهورا بهذه الصفة فكانه عليه السلام قال لهم انكم تعرفون من حالي اني لا اسعى الا في الاصلاح وازالة الفساد فلما امرتكم بالتوحيد وترك ايذاء الخلق فاعلموا انه دين حق وانه ليس غرضي منه ايقاع الخصومة واثارة الفتنة وانتم تعرفون اني ابغض ذلك

الطريق

الطريق ولا اسعى الا الى ما يوجب الصلاح بقدر جهدي وطاقتي وذلك هو الابلاغ والانذار واما الاجبار على ايقاعه فلا اقدر عليه ثم اكد ذلك بقوله تعالى وما توفيقي الا بالله والتوفيق تسهيل سبل الخير عليه توكلت اعتمدت واليه انيب ارجع فيما ينزل بي من النوايب وقيل في المعاد **قوله تعالى** لا يجرمنكم العامة على فتح ياء المضارعة من جرم ثلاثيا وقرأ الاعمش وابن وثاب بضمها من اجرم وقد تقدم ان جرم يتعدى لواحد ولاثنين مثل كسب فيقال جرم زيد مالا نحو كسبه وجرمته ذنبا اي كسبته اياه فهو مثل كسب وانشد الزمخشري على تعديه لاثنين قوله

ولقد طعنت ابا عيينة طعنة . جرمت فزارة بعدها ان يغضبوا

فتكون الكاف والميم هو المفعول الاول والثاني هو ان يصيبكم اي لا يكسبنكم عداوتي اصابة العذاب وقد تقدم ان جرم واجرم بمعنى او بينهما فرق ونسب الزمخشري ضم الياء من اجرم لابن كثير والعامة ايضا على ضم لام مثل نعتا على انه فاعل يصيبكم وقرأ مجاهد والجحدري بفتحها وفيها وجهان احدهما انها فتحة بناء وذلك انه فاعل كحاله في القراءة المشهورة وانما بني على الفتح لاضافته الى غير متمكن كقوله تعالى انه لحق مثل ما انكم وكقوله

لم يمنع الشرب منها غير ان نطقت . حمامة في غصون ذات اوقال

وقد تقدم تحقيق هذه القاعدة في الانعام والثاني انه نعت لمصدر محذوف فالفتحة للاعراب والفاعل على هذا مضمر يفسره سياق الكلام اي يصيبكم العذاب اصابة مثل ما اصاب **فصل** والمعنى لا يكسبنكم شقاقي خلافي ان يصيبكم عذاب الاستيصال في الدنيا مثل ما اصاب قوم نوح من الغرق او قوم هود من الريح او قوم صالح من الصيحة والرجفة او قوم لوط من الخسف **قوله تعالى** وما قوم لوط منكم ببعيد اتى ببعيد مفردا وان كان خبرا عن جمع لاحد اوجه اما الحذف مضاف تقديره وما اهلاك قوم واما باعتبار زمان اي بزمان بعيد لان اهلاك قوم لوط اقرب الاهلاكات التي عرفها الناس في زمان شعيب واما باعتبار مكان اي بمكان بعيد لان بلاد قوم لوط قريبة من مدين واما باعتبار موصوف غيرهما اي بشئ بعيد كذا قدره الزمخشري وتبعه ابو حيان وفيه اشكال من حيث ان تقديره بزمان يلزم منه الاخبار بالزمان عن الجثة وقال الزمخشري ايضا ويجوز ان يسوي في بعيد وقريب وقليل وكثير بين المذكر والمؤنث لورودها على زنة المصادر التي هي كالصهيل والنهيق ونحوهما ثم قال تعالى واستغفروا ربكم اي من عبادة الاوثان ثم توبوا الى الله عن البخس والنقصان ان ربي رحيم بأوليائه ودود الودود بناء مبالغة من ود الشئ يوده ودا وودادا وودادة اي احبه واثره والمشهور وددت بكسر العين وسمع الكسائي وددت بفتحها والودود بمعنى فاعل اي يود عباده ويرحمهم قال ابن الانباري الودود في اسماء الله تعالى المحب لعباده من قولهم وددت الرجل اوده وقيل بمعنى مفعول بمعنى ان عباده يحبونه ويوادون اولياءه فهم بمنزلة المواد مجازا قال الازهري في كتاب شرح اسماء الله تعالى الحسنى ويجوز ان يكون ودود فعول بمعنى مفعول اي ان عباده الصالحين يودونه ويحبونه لكثرة افضاله واحسانه على الخلق قال ابن الخطيب واعلم ان هذا الترتيب الذي راعاه شعيب في ذكر هذه الوجوه الخمسة ترتيب لطيف لانه ذكر اولا ان ظهور البينة له وكثرة الانعام عليه في الظاهر والباطن يمنعه من الخيانة في وحي الله ويصده عن التهاون في تبليغه ثم بين ثانيا انه مواظب على العمل بهذه الدعوة ولو كانت باطلة لما اشتغل هو بها مع اعترافكم بكونه حليما رشيدا ثم بين صحته بطريق آخر وهو انه كان معروفا بتحصيل موجبات الصلح والصلاح واخفاء موجبات الفتن فلو كانت هذه الدعوة باطلة لما اشتغل بها ثم لما بين صحة طريقته اشار الى نفي العارض وقال لا يحملكم عداوتي على مذهب ودين تقعون بسببه في العذاب الشديد من الله كما وقع اقوام الانبياء المتقدمين ثم لما صحح مذهب نفسه بهذه الدلائل عاد الى تقرير ما ذكره اولا وهو التوحيد والمنع من البخس فاشار الى التوحيد بقوله واستغفروا ربكم والى المنع بقوله من البخس بقوله ثم توبوا اليه ثم بين لهم ان سبق الكفر والمعصية منهم لا ينبغي ان يمنعهم من الرجوع الى الطاعة لانه تعالى رحيم ودود يقبل الايمان من الكافر والفاسق لان رحمته بعباده وحبه لهم يوجب ذلك وهذا تقريب في غاية الكمال **قوله تعالى** يا شعيب ما نفقه كثيرا مما تقول قيل المعنى ما نفقه كثيرا مما تقول لانه كان يعبئوا عن افهامهم لشغف نفوسهم من كلامه كقوله تعالى وجعلنا على قلوبهم اكنة ان يفقهوه وقيل انهم فهموه ولكن ما اقاموا له قدرا على سبيل الاستهانة كقول الرجل لمن لم يعبأ بحديثه ما ادري ما تقول وقيل ما نعرف صحة الدليل الذي ذكرته على صحة التوحيد والنبوة والبعث وما يجب من ترك الظلم والسرقة **فصل** استدلوا بهذه الاية على ان الفقه اسم لعلم مخصوص وهو معرفة غرض المتكلم من كلامه لانه اضاف الفقه الى القول ثم صار اسما لنوع

معنى من علوم الدين وقيل انه اسم لمطلق الفهم يقال فلان فقيه في الدين اي فهيم قال عليه السلام ونفقهه
في الدين اي فهمه تاويله ثم قالوا وانا لنراك فينا ضعيفا قيل الضعيف الذي يتعذر عليه منع القوم
من نفسه وقيل هو الاعمى بلغة حمير وهذا ضعيف لانه ترك للظاهر بغير دليل وايضا فقولهم فينا يبطل هذا
الوجه لانهم لو قالوا انا لنراك اعمى فينا كان سمجا لان الاعمى فيهم وفي غيرهم وايضا فقولهم بعد ذلك ولولا رهطك
لرجمناك نفوا عنه القوة التي اثبتوها في رهطه وهي النصر فوجب ان تكون القوة التي نفوها عنه هي النصر واستدل
بعض العلماء بهذه الاية على تجويز العمى على الانبياء وذلك لا يدل لما بيناه قال بعض المعتزلة لا يجوز العمى على الانبياء
لان الاعمى لا يمكنه التحرز عن النجاسات ويخل بجواز كونه حاكما وشاهدا فلان يمنع من النبوة اولى قوله تعالى
ولولا رهطك لرجمناك الرهط جماعة الرجل وقيل الرهط والراهط لما دون العشرة من الرجال ولا يقع الرهط
والعصبة والنفر الا على الرجال وقال الزمخشري من الثلاثة الى العشرة وقيل الى السبعة ويجمع على ارهط
وارهط على اراهط قال الشاعر • يا بؤس للحرب التي وضعت اراهط فاستراحوا • قال الرماني
واصل الكلمة من الرهط وهو الشد ومنه الرهط وهو شدة الاكل والراهطاء اسم لجحر من جحرة اليربوع لانه يتوثق به
ويخبأ فيه اولاده فصل المعنى ولولا حرمة رهطك عندنا لكونهم على ملتنا لرجمناك والرجم في اللغة
عبارة عن الرمي وذلك قد يكون بالحجارة عند قصد القتل فلما كان الرجم سببا للقتل سموا القتل رجما
وقد يكون بالقول الذي هو القذف كقوله تعالى رجما بالغيب وقوله تعالى ويقذفون بالغيب وقد يكون
بالشتم واللعن ومنه الشيطان الرجيم وقد يكون بالطعن قال تعالى رجوما للشياطين فعلى هذه الوجوه
يكون المعنى لقتلناك او لشتمناك او لطعنا عليك قوله تعالى وما انت علينا بعزيز قال الزمخشري
وقد دل ايلاء ضميره حرف النفي على ان الكلام واقع في الفاعل لا في المفعول كانه قيل وما انت بعزيز علينا
بل رهطك هم الاعزة علينا ولذلك قال في جوابهم ارهطي اعز عليكم من الله ولو قيل وما عززت علينا لم يصح
هذا الجواب والمعنى انك لما لم تكن علينا عزيزا سهل علينا الاقدام على قتلك وايذائك واعلم ان هذه الوجوه
التي ذكروها ليست مانعة لما قرره شعيب من الدلائل بل هي جارية مجرى مقابلة الدليل والحجة بالشتم والسفاهة
قوله تعالى يا قوم ارهطي اعز عليكم من الله واتخذتموه وراءكم ظهريا اعلم انهم لما خوفوه بالقتل
وزعموا انهم انما تركوا قتله رعاية لجانب قومه قال انتم تزعمون انكم تتركون قتلي اكراما لرهطي فالله تعالى اولى
ان يتبع امره اي حفظكم اياي رعاية لامر الله اولى من حفظكم اياي رعاية لحق رهطي قوله تعالى واتخذتموه
يجوز ان تكون المتعدية لاثنين اولهما الهاء والثاني ظهريا ويجوز ان يكون الثاني هو الظرف وظهريا حال
وان تكون المتعدية لواحد فيكون ظهريا حالا فقط ويجوز في وراءكم ان يكون ظرفا للاتخاذ وان يكون حالا
من ظهريا والضمير في اتخذتموه يعود على الله لانهم يجهلون صفاته فجعلوه اي امره ظهريا اي منبوذا وراء
ظهورهم والظهري هو المنسوب الى الظهر والكسر من تغييرات النسب كقولهم في النسبة الى امس امسي بكسر
الهمزة والى الدهر دهري بضم الدال وقيل الضمير يعود على العصيان اي واتخذتم العصيان عونا على عداوتي
فالظهري على هذا بمعنى المعاون القوي ثم قال تعالى ان ربي بما تعملون محيط اي عالم باحوالكم فلا يخفى
عليه شيء منها قوله تعالى ويا قوم اعملوا على مكانتكم والمكانة الحالة التي يتمكن بها صاحبها
من عمله اي اعملوا حال كونكم موصوفين بغاية المكنة والقدرة وكل ما في وسعكم وطاقتكم من ايصال الشر الي
فاني ايضا عامل بقدر ما اتاني الله من القدرة سوف تعلمون اينا الجاني على نفسه والمخطئ في فعله قوله
من يأتيه تقدم نظيره في قصة نوح قال ابن عطية بعد ان حكى عن الفراء ان تكون موصولة مفعولة بتعلمون
وان تكون استفهامية مبتداة معلقة لتعلمون والاول احسن ثم قال والمقتضي لكونها موصولة ان المعطوف
عليها موصولة لا محالة وهي قوله ومن هو كاذب قال ابو حيان ولا يتعين ذلك اذ من الجائز ان تكون الثانية
استفهامية ايضا معطوفة على الاستفهامية قبلها والتقدير سوف تعلمون اينا يأتيه عذاب واينا هو كاذب
وقال الزمخشري فان قلت اي فرق بين ادخال الفاء ونزعها في سوف قلت ادخال الفاء وصل ظاهر
بحرف موضوع للوصل ونزعها وصل خفي تقديري بالاستئناف الذي هو جواب لسؤال مقدر كانهم
قالوا فماذا يكون اذا عملنا نحن على مكانتنا وعملت انت على مكانتك فقيل سوف تعلمون فوصل تارة بالفاء
وتارة بالاستئناف كما هو عادة البلغاء من العرب واقوى الوصلين وابلغهما الاستئناف لانه اكمل في
باب الفصاحة والتهويل ثم قال تعالى وارتقبوا اني معكم رقيب اي وانتظروا العذاب اني معكم منتظر

والرقيب بمعنى الراقب من رقب كالضريب والصريم بمعنى الضارب والصارم وبمعنى المراقب او بمعنى المرتقب
كالفقير والرفيع بمعنى المفتقر والمرتفع قوله تعالى ولما جاء امرنا قال الزمخشري فان قلت ما بال ساقتي
قصة عاد وقصة مدين جاءتا بالواو والساقتان الوسطيان بالفاء قلت قد وقعت الوسطيان بعد ذكر
الوعد وذلك قوله تعالى ان موعدهم الصبح ذلك وعد غير مكذوب فجاء بالفاء الذي للتسبيب كما تقول وعدته فلما
جاء الميعاد كان كيت وكيت واما الاخريان فلم تقعا بتلك المنزلة وانما وقعتا مبتداتين فكان حقهما ان يعطفا بحرف
الجمع على ما قبلهما كما تعطف قصة على قصة قوله تعالى نجينا شعيبا والذين امنوا معه برحمة منا روى الكلبي
عن ابن عباس لم يعذب الله امتين بعذاب واحد الا قوم شعيب وقوم صالح فاما قوم صالح فاخذتهم الصيحة من تحتهم وقوم شعيب
اخذتهم من فوقهم فقوله تعالى ولما جاء امرنا يحتمل ان يكون المراد ولما جاء وقت امرنا ملكا من الملائكة بتلك الصيحة ويحتمل ان
يكون المراد من الامر العذاب وعلى التقديرين فاخبر الله تعالى انه نجى شعيبا ومن معه من المومنين وفي قوله تعالى برحمة منا وجهان
الاول انه تعالى لما خلصه من العذاب كان ذلك بمحض رحمته تنبيها على ان كل ما يصل الى العبد ليس الا بفضل الله ورحمته والثاني
ان المراد من الرحمة الايمان والطاعة وهي ايضا ما حصلت الا بتوفيق الله تعالى ثم قال تعالى واخذت الذين ظلموا الصيحة وعرف
الصيحة بالالف واللام اشارة الى المعهود السابق وهي صيحة جبريل فاصبحوا في ديارهم جاثمين كان لم يغنوا فيها تقدم الكلام
على ذلك وانما ذكر هذه اللفظة وحالهم على ثمود لانه تعالى عذبهم بمثل عذاب ثمود قوله تعالى كما بعدت العامة على كسر
العين من بعد يبعد بكسر العين في الماضي وفتحها في المضارع بمعنى هلك قال الشاعر •

• يقولون لا تبعد وهم يدفنونه • ولا بعد الا ما توارى الصفائح •

ارادت العرب ان تفرق بين المعنيين بتغيير البناء فقالوا بعُد بالضم ضد القرب وبعِد بالكسر ضد السلامة والمصدر
البَعَد بفتح العين وقرا السلمي وابو حيوة بعُدت بالضم اخذوه من ضد القرب لانهم اذا هلكوا فقد بعدوا ومن هذا قول الشاعر

• من كان بينك في التراب وبينه • شبران فهو بغاية البعد •

وقال النحاس المعروف في اللغة بعِد يبعَد بعَدا اذا هلك وبعُد يبعُد في ضد القرب وقال ابن قتيبة بعِد يبعَد اذا
كان بعده هلكة اذا نأى فهو موافق للنحاس وقال المهدوي يستعمل بعُد في الخير والشر وبعِد في الشر خاصة وقال
ابن الانباري من العرب من يسوي بين الهلاك والبعد الذي هو ضد القرب فيقول فيهما بعُد يبعُد وبعِد يبعَد
وانشد واقول مالك

• يقولون لا تبعد وهم يدفنونني • واين مكان البعد الا مكانيا •

قيل روي لا تبعد بالوجهين وفي هذه الاية نوع من علم البيان يسمى عند علماء البيان الاستطراد وهو ان يمدح شيئا
او يذمه ثم يأتي في اخر الكلام بشيء هو غرضه في اوله قالوا ولم يات في القران غيره وانشدوا في ذلك قول حسان

• ان كنت كاذبة الذي حدثتني • فنجوت منجى الحارث بن هشام
ترك الاحبة ان يقاتل دونهم • ونجا براس طمرة ولجام •

قوله تعالى ولقد ارسلنا موسى باياتنا وسلطان مبين القصة قيل المراد بالايات التوراة مع ما فيها
من الشرائع والاحكام والسلطان المبين المعجزات الباهرة وقيل المراد بالايات المعجزات والبينات وبالسلطان
الحجة كقوله تعالى ان عندكم من سلطان بهذا وقوله تعالى ما انزل الله بها من سلطان وقيل المراد بالسلطان المبين
العصا لانها ابهر الايات وذلك انه تعالى اعطى موسى تسع ايات بينات وهي العصا واليد والطوفان والجراد
والقمل والضفادع والدم ونقص من الثمرات والانفس ومنهم من ابدل نقص الثمرات والانفس باظلال الجبل واختلفوا
في تسمية الحجة بالسلطان فقيل لان صاحب الحجة يقهر من لا حجة معه عند النظر كما يقهر السلطان غيره وقال
الزجاج السلطان هو الحجة وسمي السلطان سلطانا لانه حجة الله في ارضه واشتقاقه من السليط الذي يستضاء
به ومنه قيل للزيت السليط وقيل مشتق من التسليط والعلماء سلاطين بسبب كمالهم بالقوة والعلمية والملوك
سلاطين بسبب قدرتهم ومكنتهم الا ان سلطنة العلماء اكمل وابقى من سلطنة الملوك لان سلطنة العلماء لا
تقبل النسخ والعزل وسلطنة الملوك تقبلهما وسلطنة العلماء من جنس سلطنة الانبياء وسلطنة الملوك من جنس
سلطنة الفراعنة وسلطنة الملوك تابعة لسلطنة العلماء فان قيل اذا حملتم الايات على المعجزات والسلطان
على الدلائل والمبين ايضا معناه كونه سببا للظهور فما الفرق بين هذه المراتب الثلاث فالجواب ان الايات
اسم للقدر المشترك بين العلامات التي تفيد الظن وبين الايات التي تفيد اليقين واما السلطان فهو اسم
لما يفيد القطع واليقين وكانت معجزات موسى هكذا فلا جرم وصفها الله تعالى بانها سلطان مبين ثم قال
الى فرعون وملائه اي جماعته فاتبعوا امر فرعون قيل امره اياهم بالكفر بموسى وقيل الامر الطريق ثم قال

وما امر فرعون برشيد اي برشيد الى خير وقيل ذو رشد لانه كان دهريا نافيا للصانع والمعاد فلهذا
كان خاليا عن الرشد بالكلية ثم وصفه فقال يقدم قومه يوم القيمة يقال قدم فلان فلانا بمعنى تقدمه
ومنه قادمة الرجل كما يقال قدمه بمعنى تقدمه ومنه مقدمة الجيش والمعنى ان فرعون كان قدوة لقومه في الضلال
ويجوز ان يكون معنى قوله وما امر فرعون برشيد اي وما امره بصالح حميد العاقبة ويكون قوله تعالى يقدم
قومه تبيينا لذلك وايضاحا اي كيف يكون امره رشيدا مع ان عادته هكذا **قوله تعالى** فاوردهم النار
يجوز ان تكون هذه المسئلة من باب الاعمال وذلك ان يقدم ان يتسلط على النار بحرف الجر اي يقدم قومه الى النار
وكذا اوردهم يصح تسلطه عليها ايضا ويكون قد اعمل الثاني للحذف من الاول ولو اعمل الاول لتعدى بالى ولاضمر
في الثاني ولا محل لاوردهم لاستينافه وهو ماض لفظا مستقبل معنى لانه عطف على ما هو نص في الاستقبال والهمزة
في اورد للتعدية لانه قبلها يتعدى لواحد قال تعالى ولما ورد ماء مدين وقيل اوقع المستقبل بلفظ الماضي هنا
لتحققه وقيل بل هو ماض على حقيقته وهذا قد وقع وانفصل وذلك انه اوردهم في الدنيا النار قال تعالى
النار يعرضون عليها غدوا وعشيا وقيل اوردهم موجبها واسبابها وفيه بعد لاجل العطف بالفاء والورد يكون
مصدرا بمعنى الورود ويكون بمعنى الشيء المورود كالطحن والرعي ويطلق ايضا على الوارد وعلى هذا ان جعلنا الورد
مصدرا بمعنى الورود ويكون بمعنى الشيء او بمعنى الوارد فلا بد من حذف مضاف تقديره وبئس مكان الورد المورود
وهو النار وانما احتيج الى هذا التقدير لان تصادق فاعل نعم وبئس ومخصوصهما شرط فلا يقال نعم الرجل الفرس
وقيل بل المورود صفة للورد والمخصوص بالذم محذوف تقديره بئس الورد المورود النار جوز ذلك ابو البقا
وابن عطية وهو ظاهر كلام الزمخشري وقيل التقدير بئس القوم المورود بهم هم فعلى هذا الورد مراد به الجمع الواردون
قال تعالى ونسوق المجرمين الى جهنم وردا والمورود صفة لهم والمخصوص بالذم الضمير المحذوف وهو هم فيكون
ذلك للواردين لا لموضع الورود كذا قال ابو حيان وفيه نظر من حيث انه كيف يراد بالورد الجمع الواردون ثم يقول
والمورود صفة لهم وفي وصف مخصوص نعم وبئس خلاف بين النحويين منعه ابن السراج وابو علي قال الواحدي لفظ
النار مونثة فكان ينبغي ان يقال وبئست الورد المورود الا ان لفظ الورد مذكر فكان التذكير والتانيث جايز
كما تقول نعم المنزل دارك ونعمت المنزل دارك من ذكر على المنزل ومن انث على الدار **فصل** والمعنى
ادخلهم النار وبئس المدخل المدخول وذلك لان الورد انما يراد لتسكين العطش وتبريد الاكباد والنار بضده ثم قال
واتبعوا في هذه الدنيا لعنة ويوم القيمة هم من المقبوحين ثم قال تعالى بئس الرفد المرفود والكلام فيه كالذي قبله
وقوله ويوم القيمة عطف على موضع في هذه والمعنى انهم الحقوا لعنة في الدنيا وفي الاخرة ويكون الوقف على هذا تاما
ويبتدا بقوله بئس وزعم جماعة ان التقسيم هو ان لهم في الدنيا لعنة ويوم القيمة بئس ما يرفدون به فهي لعنة اولا
وقبيح ارفاد اخر وهذا لا يصح لانه يودي الى اعمال بئس فيما تقدم عليها وذلك لا يجوز لعدم تصرفها اما لو تاخر لجاز كقوله

• ولنعم حشو الدرع انت اذا • دعيت نزال ولج في الذعر •

والرفد العطا والمعونة ومنه رفادة قريش رفدته ارفده رفدا ورفدا بكسر الراء وفتحها اعطيته واعنته
وقيل بالفتح مصدر وبالكسر اسم كالذبح والذبح ويقال رفدت الحايط اي دعمته وهو بمعنى الاعانة **قوله تعالى**
ذلك من انباء القرى نقصه الاية ذلك اشارة الى الغايب والمراد منه هاهنا الاشارة الى القصص المتقدمة لان
الجواب عنه تقدم في قوله تعالى ذلك الكتاب لا ريب فيه ولفظ ذلك اشارة الى الواحد والجماعة كقوله تعالى لا فارض
ولا بكر عوان بين ذلك ويحتمل ان يكون ذلك الذي ذكرناه هو كذا وكذا قال الزمخشري ذلك مبتدا ونقصه
عليك خبر بعد خبر اي ذلك المذكور بعض من انباء القرى مقصوص عليك وقال شهاب الدين يجوز ان يكون
نقصه خبرا ومن انباء حال ويجوز العكس قيل وثم مضاف محذوف اي من انباء اهل القرى ولذلك اعاد الضمير
عليهم في قوله وما ظلمناهم قال ويجوز في ذلك اوجه احدها انه مبتدا كما تقدم والثاني انه منصوب بفعل مقدر
يفسره نقصه فهو من باب الاشتغال اي نقص ذلك في حال كونه من انباء القرى وقد تقدم في قوله ذلك من انباء
الغيب نوحيه اليك اوجه وهي عايدة هنا **قوله تعالى** منها قايم وحصيد حصيد مبتدا محذوف الخبر لدلالة
خبر الاول عليه اي ومنها حصيد وهذا الضرورة المعنى والحصيد بمعنى المحصود وجمعه حصدى وحصاد مثل مرضى
ومرضى ومراض وهذا قول الاخفش ولكن باب فعيل وفعلى ان يكون في العقلا نحو قتيل وقتلى والضمير في قوله
منها عايد الى القرى شبه ما بقي من آثار القرى وجدرانها بالزرع القايم على ساقه وما عفا منها وبطل بالحصيد
والمعنى ان تلك القرى بعضها بقي منها شيء وبعضها هلك وما بقي منه اثر وحصيد لا يرى له اثر ثم قال وما ظلمناهم

اي

اي بالعذاب والاهلاك ولكن ظلموا انفسهم بالكفر والمعصية وقيل الذي نزل بالقوم ليس بظلم من الله
بل هو عدل وحكمة لان القوم اولا ظلموا انفسهم باقدامهم على الكفر والمعاصي فاستوجبوا بتلك الاعمال من الله
ذلك العذاب وقال ابن عباس المعنى وما نقصناهم في الدنيا من النعم والرزق ولكن نقصوا حظ انفسهم حيث استخفوا
بحقوق الله تعالى فما اغنت عنهم آلهتهم التي يدعون من دون الله من شيء اي ما نفعتهم تلك الالهة في شيء البتة
قوله تعالى لما جاء امر ربك اي عذاب ربك قال الزمخشري لما منصوب بما اغنت وهو بناء منه على ان لما
ظرف والظاهر ان ما نافية اي لم تغن ويجوز ان تكون استفهامية ويدعون حكاية حال اي التي كانوا يدعون وما
زادوهم الضمير المرفوع للاصنام والمنصوب لعبدتها وعبر عنهم بواو العقلاء لانهم نزلوهم منزلتهم والتتبيب
التخسير يقال تب الرجل خسر اذا وقفه في الخسران يقال تبه غيره وتب هو بنفسه فيستعمل لازما ومتعديا
ومنه تبت يدا ابي لهب وتب وتببته تتبيبا اي خسرته خسارا قال لبيد • ولقد بليت وكل صاحب جدة • تبلى بعود
وذاكم التتبيب • وقيل التتبيب التدمير والمعنى ان الكفار كانوا يعتقدون في الاصنام انها تنفع وتدفع
المضار ثم انهم عند الحاجة الى المعين ما وجدوا منها شيئا لا جلب نفع ولا دفع ضر وانما وجدوا ضد ذلك وهذا
اعظم الخسران **قوله تعالى** وكذلك خبر مقدم واخذ مبتدا مؤخر والتقدير ومثل ذلك الاخذ اي اخذ الله
الامم السالفة اخذ ربك واذا ظرف متمحض ناصبه المصدر قبله وهو قريب من حكاية الحال والمسئلة من باب
التنازع فان الاخذ يطلب القرى والفعل ايضا يطلبها وتكون المسئلة من اعمال الثاني للحذف من
الاول وقرا عاصم وابو رجا والجحدري اخذ ربك اذ اخذ جعلهما فعلين ماضيين وربك فاعل وقرا طلحة بن
مصرف قال ابن عطية وهي قراءة متمكنة المعنى ولكن قراءة الجماعة تعطي الوعيد واستمراره في الزمان
وهو الباب في وضع المستقبل موضع الماضي وقوله وهي ظالمة عايد الى القرى وهو في الحقيقة عايد الى اهلها
كقوله تعالى وكم قصمنا من قرية كانت ظالمة وكم اهلكنا من قرية بطرت معيشتها ثم لما بين كيفية اخذ الامم
الظالمة اكده بقوله تعالى ان اخذه اليم شديد فوصف ذلك العذاب بالايلام والشدة ثم قال ان في ذلك لاية
لمن خاف عذاب الاخرة قال القفال تقدير الكلام ان يقال ان هولاء انما عذبوا في الدنيا على ذلك وهي دار العمل فلان
يعذبوا وانما عذبوا في الدنيا لتكذيبهم الانبيا واشراكهم بالله فاذا عذبوا في الدنيا على ذلك وهي دار العمل فلان يعذبوا
عليه في الاخرة التي هي دار الجزاء كان اولى وهذا قول كثير من المفسرين قال ابن الخطيب وعلى هذا الوجه الذي ذكره القفال
يكون عذاب الاستيصال في الدنيا دليلا على ان القول بالقيمة والبعث حق وظاهر الاية يقتضي ان العلم بان القيمة حق
كالشرط في حصول الاعتبار بعذاب الاستيصال اصلا للعلم بان القيمة حق فيبطل ما ذكره القفال والاصوب عندي
ان يقال العلم بان القيمة حق موقوف على العلم بان المؤثر في وجود هذه السموات والارض فاعل مختار لا موجب بالذات
وما لم يعلم الانسان ان اله العالم فاعل مختار قادر على كل الممكنات وان جميع الحوادث الواقعة في السموات والارض
لا تحصل الا بتكوينه وقضائه لا يمكنه ان يعتبر بعذاب الاستيصال لان الذين يذهبون الى ان المؤثر في الوجود
لهذا العالم موجب بالذات لا فاعل مختار يزعمون ان هذه الاحوال التي ظهرت في ايام الانبيا كالغرق والخسف والمسخ
والصيحة كلها انما حدثت بسبب قرانات الكواكب واتصال بعضها ببعض واذا كان كذلك فحينئذ لا يكون حصولها دليلا
على صدق الانبياء فاما المؤمن بالقيمة فلا يتم له ذلك الا اذا اعتقد ان اله العالم فاعل مختار عالم بجميع الجزئيات
واذا كان كذلك لزمه القطع بان حدوث هذه الوقايع العظيمة انما كان بسبب ان اله العالم خلقها واوجدها لا بسبب
طلوع الكواكب واتصالاتها وحينئذ ينتفع بهذه القصص ويستدل بها على صدق الانبياء فثبت بهذا صحة قوله
ان في ذلك لاية لمن خاف عذاب الاخرة **قوله تعالى** ذلك يوم مجموع له الناس ذلك اشارة الى يوم القيمة المدلول
عليه بالسياق من قوله عذاب الاخرة ومجموع صفة لليوم جرت على غير من هي له فلذلك رفعت الظاهر وهو الناس
وهذا هو الاعراب نحو مررت برجل مضروب غلامه واعرب ابن عطية الناس مبتدا مؤخرا ومجموع خبر مقدم عليه
وفيه ضعف اذ لو كان كذلك لقيل مجموعون كما يقال الناس قائمون ومضروبون ولا يقال قايم ومضروب الا
بضعف وعلى اعرابه يحتاج الى حذف عايد اذ الجملة صفة لليوم اي الناس مجموع فيه ومشهود متعين لان يكون
صفة فكذلك ما قبله وقوله مشهود من باب الاتساع في الظرف بان جعله مشهودا وانما هو مشهود فيه وهو كقوله

• ويوم شهدناه سليما وعامرا • قليل سوى الطعن النهال نوافله •

والاصل مشهود فيه وشهدنا فيه فاتسع فيه بان وصل الفعل الى ضميره من غير واسطة كما يصل الى المفعول به
قال الزمخشري فان قلت اي فايدة في ايثار اسم المفعول على فعله قلت لما في اسم المفعول من دلالة على ثبات

معنى الجمع لليوم وانه لا بد ان يكون ميعادا مضروبا لجمع الناس له وانه هو الموصوف بذلك صفة لازمة
قال ابن عباس يشهده البر والفاجر وقيل يشهده اهل السموات واهل الارض **قوله تعالى** وما نؤخره الضمير
في نؤخره يعود على يوم وقال الحوفي على الجزاء وقرا الاعمش ويعقوب وما يؤخره بالياء اي الله تعالى الا لاجل معدود
وكل ما له عدد فهو متناه وكل ما كان متناهيا فلا بد ان يفنى فتاخير القيمة ينتهي الى وقت لا بد وان يقيم الله
القيمة فيه وكل ما هو آت قريب **قوله تعالى** يوم ياتي قرا ابو عمرو والكسائي ونافع ياتي باثبات الياء وصلا
وحذفها وقفا وقرا ابن كثير باثباتها وصلا ووقفا وباقي السبعة قروا بحذفها وصلا ووقفا وقد وردت
المصاحف باثباتها وحذفها ففي مصحف ابي اثباتها وفي مصحف عثمان حذفها واثباتها هو الوجه لانها لام
الكلمة وانما حذفوها في القوافي والفواصل لانها محل وقوف وقالوا لا ادر ولا ابال نقال الزمخشري الاجتزا
بالكسرة عن الياء كثير في لغة هذيل وانشد ابن جرير في ذلك قول الشاعر

• كفاك كف ما يليق درهما • جودا واخرى تعط بالسيف الدما •

والناصب لهذا الظرف فيه اوجه احدها انه لا تكلم والتقدير لا تكلم نفس يوم ياتي ذلك اليوم وهذا معنى
جيد لا حاجة الى غيره والثاني ان ينتصب باذكر مقدرا والثالث ان ينتصب بالانتهاء المحذوف في قوله الا لاجل
اي ينتهي الاجل يوم ياتي والرابع انه منصوب بلا تكلم مقدرا ولا حاجة اليه والجملة من قوله لا تكلم في محل نصب
على الحال من ضمير اليوم المتقدم في مشهود او نعتا له لانه نكرة والتقدير لا تكلم نفس فيه الا باذنه قاله الحوفي
وقال ابن عطية لا تكلم نفس يصح ان يكون جملة في موضع الحال من الضمير الذي في ياتي وهو العائد على قوله ذلك
يوم ويكون على هذا عائد محذوف تقديره لا تكلم نفس فيه ويصح ان يكون قوله لا تكلم نفس صفة لقوله تعالى
يوم ياتي وفاعل ياتي فيه وجهان اظهرهما انه ضمير يوم المتقدم والثاني انه ضمير الله تعالى كقوله تعالى هل ينظرون
الا ان ياتيهم الله وقوله تعالى او ياتي ربك والضمير في قوله فمنهم الظاهر عوده على الناس في قوله مجموع له الناس
وجعله الزمخشري عائدا على اهل الموقف وان لم يذكروا قال لان ذلك معلوم ولان قوله تعالى لا تكلم نفس يدل
عليه وكذا قال ابن عطية وقوله وسعيد خبره محذوف اي ومنهم سعيد كقوله تعالى منها قائم وحصيد **فصل**
هذه الاية توهم المناقضة لقوله تعالى يوم تاتي كل نفس تجادل عن نفسها وكقوله تعالى هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن
لهم فيعتذرون وقولهم والله ربنا ما كنا مشركين والجواب قال بعضهم انه حيث ورد المنع عن الكلام فهو محمول على
الجوابات الصحيحة قال تعالى لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن وقال صوابا وقيل ان ذلك اليوم يوم طويل وله
مواقف ففي بعضها يجادلون عن انفسهم وفي بعضها تختم على افواههم وتكلم ايديهم وتشهد ارجلهم وقيل ورد المنع
عن الكلام مطلقا وورد مقيدا بالاذن فيحمل المطلق على المقيد **قوله تعالى** فمنهم شقي وسعيد قال الزمخشري
الضمير في قوله منهم لاهل الموقف ولم يذكر لانه مفهوم ولان قوله لا تكلم نفس الا باذنه يدل عليه ولانه مذكور
في قوله تعالى مجموع له الناس واستدل القاضي بهذه الاية على فساد القول بان اهل الاعراف لا في الجنة ولا في النار
وجوابه ان الاطفال والمجانين ايضا خارجون عن هذا التقسيم لانهم لا يحاسبون فلم لا يجوز ايضا ان يقال اصحاب
الاعراف خارجون عنه ايضا لانهم لا يحاسبون لان الله تعالى علم من حالهم ان ثوابهم يساوي عذابهم فلا فائدة
في حسابهم واستدل القاضي بهذه الاية ايضا على ان كل من حضر عرصة القيمة فلا بد وان يكون ثوابه زايدا وعقابه
زايدا فاما من كان ثوابه مساويا لعقابه وان كان جايزا في العقل لان هذا النص يدل على انه غير موجود واجيب
بان تخصيص هذين القسمين بالذكر لا يدل على نفي القسم الثالث لان اكثر الايات مشتمل على ذكر المؤمن والمنافق
وليس فيه ذكر ثالث لا يكون مومنا ولا كافرا مع ان القاضي يثبته فاذا لم يلزم من عدم ذكر الثالث عدمه فكذلك
لا يلزم من عدم ذكر هذا الثالث عدمه **فصل** روى عبد الرحمن السلمي عن علي بن ابي طالب
رضي الله عنه قال خرجنا على جنازة فبينا نحن بالبقيع اذ خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وبيده مخصرة
فجاء فجلس ثم نكت بها في الارض ساعة ثم قال ما من نفس منفوسة الا قد كتب مكانها من الجنة او النار والا قد كتبت
شقية او سعيدة قال فقال رجل افلا نتكل على كتابنا وندع العمل قال لا ولكن اعملوا فكل ميسر اما اهل الشقاوة
فييسرون لعمل اهل الشقاوة واما اهل السعادة فييسرون لعمل اهل السعادة قال ثم تلا فاما من اعطى واتقى
وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى واما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى **قوله تعالى**
فاما الذين شقوا الجمهور على فتح الشين لانه من شقي فعل قاصر وقرا الحسن بضمها فاستعمله متعديا فيقال شقاه
الله كما يقال اشقاه الله وقوله تعالى لهم فيها زفير في هذه الجملة احتمالان احدهما انها مستانفة كان سايلا سال

حين اخبر انهم في النار ماذا يكون لهم فقيل لهم كذا والثاني انها منصوبة المحل وفي صاحبها وجهان احدهما انه الضمير
في الجار والمجرور وهو قوله ففي النار والثاني انها حال من النار والزفير بمنزلة ابتداء صوت الحمار والشهيق اخره وقال روبة

• حشرج في الصدر صهيلا وشهق • حتى يقال ناهق وما نهق •

وقال ابن فارس الزفير ضد الشهيق لان الشهيق رد النفس والزفير اخراج النفس من شدة الحزن ماخوذ من الزفر وهو الحمل
على الظهر لشدته وقال الزمخشري نحوه وانشد للشماخ • بعيد مدى التطريب اوله زفير • ويتلوه شهيق محشرج •
وقيل الشهيق النفس الممتد ماخوذ من قولهم جبل شاهق اي عال وقال الليث الزفير ان يملا الرجل صدره حال كونه في الغم
الشديد من النفس ويخرجه والشهيق ان يخرج ذلك النفس بشدة وهو قريب من قولهم تنفس الصعداء قال ابن الخطيب ان الا
نسان اذا عظم غمه انحصر روح قلبه في داخل القلب فتقوى الحرارة وتعظم فعند ذلك يحتاج الانسان الى النفس القوي
لاجل ان يستدخل هواء باردا حتى يقوى على ترويح تلك الحرارة فلهذا السبب يعظم في ذلك الوقت استدخال الهواء في
داخل الصدر وحينئذ يرتفع صدره ولما انحصرت الحرارة الغريزية والروح الحيواني في داخل القلب استولت البرودة
على الاعضاء الخارجة فربما عجزت النفس عن ذلك الهواء الكثير فيبقى ذلك الهواء الكثير منحصرا في الصدر فعلى قول الاطبا
هذا الامر يحصل من استيصال الهواء الكثير لترويح الحرارة الحاصلة في القلب بسبب انحصار الروح فيه والشهيق هو ان عاج
ذلك الهواء وخروجه عند مجاهدة الطبيعة في اخراجه وكل واحد من هاتين الحالتين يدل على كرب شديد وقال ابو العالية والربيع
ان الزفير في الحلق والشهيق في الصدر وقيل الزفير للحمار والشهيق للبغل وقال ابن عباس الزفير الصوت الشديد والشهيق الصوت
الضعيف وقال الضحاك ومقاتل الزفير اول نهيق الحمار والشهيق اخره اذا ردده في جوفه وقال الحسن الزفير لهب جهنم يرفعهم بقوته
حتى اذا وصلوا الى اعلاها جهنم وطمعوا في ان يخرجوا منها ضربتهم الملائكة بمقامع من حديد وردوهم الى الدرك الاسفل من جهنم
وهو كقوله تعالى كلما ارادوا ان يخرجوا منها اعيدوا فيها فارتفاعهم في النار هو الزفير وانحطاطهم مرة اخرى هو الشهيق وقال
ابو مسلم الزفير ما يجتمع في الصدر من النفس عند البكاء الشديد فينقطع النفس والشهيق هو الصوت الذي يظهر عند اشتداد
الكرب وربما تبعه الغشية وربما حصل عقيبه الموت وروي عن ابن عباس في قوله لهم فيها زفير وشهيق اي ندامة ونفسا عاليا
وبكاء لا ينقطع وحزنا لا يندفع **قوله تعالى** خالدين منصوب على الحال المقدرة فانها بعد الدخول ولا حاجة الى قولهم
مقدرة وانما الحاجة الى التقدير في مثل قوله فادخلوها خالدين لان الخلود بعد الدخول بخلاف هنا **قوله تعالى**
ما دامت ما مصدرية ظرفية اي مدة دوامها ودام هنا تامة لانها بمعنى بقيت **فصل** اختلفوا في تاويل هذا
فقالت طائفة منهم الضحاك المعنى ما دامت سموات الجنة وارضها والسماء كل ما علاك واظلك والارض ما استقر عليه قدمك
قال تعالى واورثنا الارض نتبوا من الجنة حيث نشاء وقيل اراد السماء والارض المعهودتين في الدنيا واجرى ذلك على عادة العرب
في الاخبار عن دوام الشي وتابيده كقولهم لا اتيك ما جن ليل او سال سيل وما اختلف الليل والنهار وعن ابن عباس ان جميع الاشياء
المخلوقة اصلها من نور العرش **فصل** قال ابن الخطيب قال قوم ان عذاب الكفار منقطع وله نهاية واحتجوا بالقران
والمعقول اما القران فايات منها هذه الاية والاستدلال بها من وجهين احدهما قوله تعالى ما دامت السموات والارض يدل على ان مدة
عقابهم مساوية لمدة بقاء السموات والارض ثم اتفقنا على ان مدة بقاء السموات والارض متناهية فلزم ان يكون مدة عقاب
الكفار منقطعة والثاني قوله الا ما شاء ربك استثناء من مدة عقابهم وذلك يدل على زوال ذلك العقاب في وقت
هذا الاستثناء ومنها قوله تعالى لابثين فيها احقابا بين تعالى انهم يلبثون في ذلك العذاب لا يكون الا احقابا والاحقاب معدودة
واما العقل فمن وجهين الاول انه معصية الكفر متناهية ومقابلة الجرم المتناهي بعقاب لا نهاية له ظلم وانه لا يجوز الثاني
ان ذلك العقاب ضرر خال عن النفع فيكون قبيحا بيان خلوه عن النفع ان هذا النفع لا يجوز ان يرجع الى الله تعالى لتعاليه عن النفع
والضرر ولا الى المعذب لانه في حقه ضرر محض ولا الى غيره لان اهل الجنة مشغولون بلذاتهم فلا فائدة لهم بالالتذاذ بالعقاب
الدائم في حق غيرهم فثبت ان ذلك العذاب ضرر خال عن جميع جهات النفع فوجب ان لا يجوز وهذا قول عمر بن الخطاب وعبد الله
بن مسعود وابي هريرة وابي سعيد الخدري وانس بن مالك رضي الله عنهم وذهب اليه الحسن البصري وحماد بن سلمة وبه قال علي بن طلحة الوالبي وجماعة
من المفسرين رواه عنهم ابن تيمية واما الجمهور الاعظم من الامة فقد اتفقوا على ان عذاب الكافر دائم وعند هذا احتاجوا الى
الجواب عن التمسك بهذه الاية وذكروا جوابين احدهما قالوا المراد سموات الاخرة وارضها قالوا والدليل على ان في الاخرة سموات
وارضا قوله تعالى يوم تبدل الارض غير الارض والسموات وقوله تعالى واورثنا الارض وللقائل ان يقول التشبيه انما يحسن
ويجوز اذا كان حال المشبه به مقررا معلوما فيشبه غيره به تاكيدا لثبوت الحكم في المشبه ووجود السموات والارض
في الاخرة غير معلوم وبتقدير ان يكون وجوده معلوما الا ان بقاءهما على وجه لا يفنى البتة غير معلوم فاذا كان اصل وجودهما
مجهولا لاكثر الخلق ودوامهما ايضا مجهول للاكثر كان تشبيه عقاب الاشقياء به في الدوام بهما كلاما عديم الفايدة اقصى

ما في الباب ان يقال لما ثبت بالقران وجود سموات وارض في الاخرة وثبت دوامهما وجب الاعتراف به وحينئذ تحصل
التشبيه الا انا نقول لما كان الطريق في اثبات سموات اهل الاخرة ودوام ارضهم هو السمع ثم السمع دل على دوام عقاب الكفار
فحينئذ الدليل الذي دل على ثبوت الحكم في الاصل حاصل بعينه في الفرع وفي هذه الصورة لم يبق على ان القياس ضايع والتشبيه
باطل فكذا ههنا الوجه الثاني في الجواب قالوا ان العرب يعبرون عن الدوام والابد بقولهم لا آتيك ما دامت السموات
والارض ونظايرهم ما اختلف الليل والنهار وما طما البحر وما اقام الجبل فانه تعالى خاطب العرب على عرفهم في كلامهم فلما ذكروا
هذه الاشياء بناء على اعتقادهم انها باقية ابدا فعلمنا ان هذه الالفاظ في عرفهم تفيد الابد والدوام ولقايل ان يقول
هل تسلمون ان قول القايل خالدين فيها ما دامت السموات يمنع من بقائها موجودة بعد فناء السموات وتقولون انه لا يدل على
هذا المعنى فان كان الاول فالاشكال لازم لان النص لما دل على انه يجب ان تكون مدة بقائهم في النار مساوية لمدة بقاء
السموات ويمنع من حصول بقائهم في النار بعد فناء السموات وثبت انه لا بد من فناء السموات فحينئذ يلزمكم القول بانقطاع
ذلك العقاب وان قلتم ان هذا لا يمنع من بقائهم في النار بعد فناء السموات فلا حاجة بكم الى هذا الجواب البتة فثبت
ان هذا الجواب على كلا التقديرين ضايع قال والحق عندي ان المفهوم من الاية انه متى كانت السموات والارض دائمتين كان كونهم
في النار باقيا وهذا يقتضي انه كلما حصل الشرط حصل المشروط ولا يقتضي انه اذا عدم الشرط انه يعدم المشروط الا ترى انا نقول
ان كان هذا انسانا فهو حيوان فان قلنا لكنه انسان فانه ينتج انه حيوان اما اذا قلنا لكنه ليس بانسان لم ينتج انه ليس بحيوان
لانه ثبت في علم المنطق ان استثناء نقيض المقدمة لا ينتج شيئا فكذا ههنا اذا قلنا ما دامت السموات والارض دام عقابهم
فاذا قلنا لكن السموات والارض ما بقيت لم يلزم عدم دوام عقابهم فان قالوا فاذا كان العقاب حاصلا سواء بقيت السموات والارض
او لم تبق لم يبق لهذا التشبيه فايدة قلنا بل فيه اعظم الفوايد وهو انه يدل على بقاء ذلك العذاب دهرا دايما وزمانا طويلا لا يحيط
العقل بطوله وامتداده فاما انه هل يحصل له اخر ام لا فذلك يستفاد من دليل آخر واما الشبهة الثانية وهي تمسكهم بقوله تعالى
الا ما شاء ربك فذكروا عنه اجوبة احدها قال ابن قتيبة وابن الانباري والفراء هذا استثناء استثناه الله تعالى ولا
يفعله البتة كقولك والله لاضربنك الا ان ارى غير ذلك وعزيمتك ان تضربه والقايل ان يقول هذا ضعيف لانه اذا قيل
لاضربنك الا ان ارى غير ذلك معناه لاضربنك الا اذا رايت ان الاولى ترك الضرب وهذا لا يدل البتة على ان هذه
الروية قد حصلت ام لا بخلاف قوله خالدين فيها ما دامت السموات والارض الا ما شاء ربك معناه الحكم بخلودهم فيها
الى المدة الا ما شاء ربك فههنا اللفظ يدل على ان هذه المشية قد حصلت جزما فكيف يحسن بناء هذا الكلام على ذلك الكلام
وثانيها قال الزمخشري فان قلت ما معنى الاستثناء في قوله ما معنى الاستثناء في قوله الا ما شاء ربك وقد ثبت خلود اهل
الجنة والنار في الابد من غير استثناء قلت هو استثناء من الخلود في عذاب النار ومن الخلود في نعيم اهل الجنة وذلك ان
اهل النار لا يخلدون في عذابها وحده بل يعذبون بالزمهرير وبانواع آخر من العذاب وبما هو اغلظ من ذلك وهو سخط الله
عليهم وكذا اهل الجنة لهم مع نعيم الجنة ما هو اكبر منه لقوله تعالى ورضوان من الله اكبر والدليل عليه قوله تعالى عطاء غير
مجذوذ وهو في مقابلة ان ربك فعال لما يريد اي يفعل بهم ما يريد من العذاب كما يعطي اهل الجنة ما لا انقطاع له قال
ابو حيان ما ذكره في اهل النار قد يتمشى لانهم يخرجون من النار الى الزمهرير فيصح الاستثناء واما اهل الجنة فلا يخرجون
من الجنة فلا يصح فيهم الاستثناء قال شهاب الدين والظاهر انه لا يصح فيهما الا ان اهل النار مع كونهم يعذبون
بالزمهرير هم في النار ايضا وثالثها انه استثناء من الزمان الدال عليه قوله خالدين فيها ما دامت السموات والارض والمعنى
الا الزمان الذي شاءه الله فلا يخلدون فيها ورابعها انه استثناء من الضمير المستتر في الجار والمجرور وهو قوله تعالى
ففي النار وففي الجنة لانه لما وقع خبرا تحمل ضميرا للمبتدا وخامسها انه استثناء من الضمير المستتر في الحال وهو خالدين وعلى
هذين القولين تكون ما واقعة على من يعقل عند من يرى ذلك او على انواع من يعقل كقوله تعالى ما طاب لكم من النساء
والمراد بما حينئذ العصاة من المومنين في طرف اهل النار واما في طرف اهل الجنة فيجوز ان يكونوا هم او اصحاب الاعراف
لانهم لم يدخلوا الجنة لاول وهلة ولا خلدوا فيها خلود من دخلها اولا وسادسها قال ابن عطية قيل ان ذلك على طريق
الاستثناء الذي ندب الشارع الى استعماله في كل كلام فهو كقوله لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله امنين استثناء في
واجب وهذا الاستثناء هو في حكم الشرط كانه قال ان شاء الله فليس يحتاج ان يوصف بمتصل ولا بمنقطع وسابعها
هو استثناء من طول المدة ويروى عن ابن مسعود وغيره ان جهنم تخلو من الناس وتخفق ابوابها فذلك قوله الا ما شاء
ربك وهذا مردود بظاهر الكتاب والسنة وما ذكر عن ابن مسعود فتاويله ان جهنم في الدرك الاعلى وهي تخلو من
العصاة المومنين هذا على تقدير صحة ما نقل عن ابن مسعود وثامنها ان الا حرف عطف بمعنى الواو والمعنى وما شاء
ربك زايدا على ذلك وتاسعها ان الاستثناء منقطع فيقدر بلكن او بسوى ونظروه بقولك لي عليك الف درهم الا الالفان

التي

التي كنت سلفتك اي سوى تلك فكانه قيل خالدين فيها ما دامت السموات والارض ما شاء ربك زايدا على ذلك
وقيل سوى ما اعد لهم من عذاب غير عذاب النار كالزمهرير ونحوه وعاشرها انه استثناء من مدة السموات والارض التي
فرطت لهم في الحيوة الدنيا وحادي عشرها انه استثناء من البرزخ الذي بين الدنيا والاخرة وثاني عشرها انه استثناء
من المسافات التي بينهم في دخول النار اذ دخولهم انما هو زمرا بعد زمر وثالث عشرها انه استثناء من قوله ففي النار كانه
قال الا ما شاء ربك من تاخر قوم عن ذلك وهذا مروي عن ابي سعيد الخدري وجابر ورابع عشرها ان الا ما شاء بمنزلة
كما شاء كقوله ما نكح اباؤكم من النساء الا ما قد سلف اي كما قد سلف وخامس عشرها ان معناه لو شاء ربك لاخرجهم منها
ولكنه لا يشاء لانه حكم لهم بالخلود فتكون منافية وسادس عشرها انه استثناء من قوله ففي النار وفي الجنة اي الا الزمان
الذي شاءه الله فلا يكون في النار ولا في الجنة ويمكن ان يكون هذا الزمان المستثنى هو الزمان الذي يفصل الله
فيه بين الخلق يوم القيمة اذا كان الاستثناء من الكون في النار وفي الجنة لانه زمان يخلو فيه الشقي والسعيد من دخول
النار والجنة واما ان كان الاستثناء من الخلود فيمكن ذلك بالنسبة الى اهل النار ويكون الزمان المستثنى هو الزمان
الذي فات اهل النار العصاة من المومنين الذين يخرجون من النار ويدخلون الجنة فليسوا خالدين في النار اذ قد
اخرجوا منها وصاروا الى الجنة وهذا مروي عن قتادة والضحاك وغيرهما والذين شقوا على هذا شامل للكفار والعصاة
هذا في طرف الاشقياء العصاة ممكن واما الطرف الاخر فلا يتاتى هذا التاويل فيه اذ ليس منهم من يدخل الجنة ثم لا يخلد فيها
قال ابو حيان يمكن ذلك باعتبار ان يكون اريد الزمان الذي فات اهل النار العصاة من المومنين والذي فات اصحاب الاعراف
فانهم بفوات تلك المدة التي دخل المومنون فيها الجنة وخلدوا فيها صدق على العصاة المومنين واصحاب الاعراف انهم
ما خلدوا في الجنة تخليد من دخلها لاول وهلة ثم قال ان ربك فعال لما يريد وهذا احسن اطلاقه على هذه الاية
اذا حملنا الاستثناء على اخراج الفساق من النار كانه تعالى يقول اظهر القهر والقدرة ثم اظهر المغفرة والرحمة لاني
فعال لما يريد وليس علي حكم البتة **قوله تعالى** واما الذين سعدوا قرا الاخوان وحفص سعدوا بضم السين والباقون
بفتحها فالاولى من قولهم سعده الله اي اسعده حكى الفراء عن هذيل انها تقول سعده الله بمعنى اسعده وقال الجوهري سعد
فهو سعيد كسلم فهو سليم وسعد فهو مسعود وقال ابن القشيري ورد سعده الله فهو مسعود واسعده فهو مسعد
وقيل يقال سعده واسعده فهو مسعود استغنوا باسم مفعول الثلاثي وحكي عن الكسائي انه قال هما لغتان
بمعنى فعل وافعل وقال ابو عمرو بن العلاء يقال سعد الرجل كما يقال حسن وقيل سعده لغة مهجورة وقد ضعف
جماعة قراءة الاخوين قال المهدوي من قرا سعدوا فهو محمول على مسعود وهو شاذ قليل لانه لا يقال سعده الله انما
يقال اسعده وقال بعضهم احتج الكسائي بقولهم مسعود قيل ولا حجة فيه لانه يقال مكان مسعود فيه ثم حذف فيه
وسمي به وكان علي بن سليمان يتعجب من قراءة الكسائي سعدوا مع علمه بالعربية والعجب من تعجبه وقال مكي قراءة
حمزة والكسائي سعدوا بضم السين حملا على قولهم مسعود وهي لغة قليلة شاذة وقولهم مسعود انما جاء على حذف الزوايد
كانه من اسعده الله لا يقال سعده وهو مثل قولهم احبه الله فهو محبوب اي على جنه الله وان كان لا يقال ذلك كما لا يقال
سعده الله وضم السين بعيد عند اكثر النحويين الا على حذف الزوايد وقال ابو البقا وهذا غير معروف في اللغة ولا هو
مقيس **فصل** قال ابن الخطيب الاستثناء في باب السعداء يجب حمله على كل الوجوه المذكورة فيما تقدم وههنا
وجه آخر وهو انه ربما اتفق لبعضهم ان يرفع من الجنة الى المنازل الرفيعة التي لا يعلمها الا الله تعالى لقوله تعالى وعد
الله المومنين والمومنات جنات الى ان قال ورضوان من الله اكبر **قوله تعالى** عطاء نصب على المصدر موكد من معنى
الجملة قبله لان قوله ففي الجنة خالدين يقتضي اعطاء وانعاما فكانه قيل يعطيهم عطاء وعطاء اسم مصدر والمصدر
في الحقيقة الاعطاء على الافعال او يكون مصدرا على حذف الزوايد كقوله تعالى انبتكم من الارض نباتا او منصوب
بمقدر موافق له اي فنبتم نباتا ولكن لك هنا يقال عطوت بمعنى تناولت وغير مجذوذ نعته والمجذوذ المقطوع
ويقال لفتات الذهب والفضة والحجارة جذاذ من ذلك وهو قريب من الجد بالمهملة في المعنى الا ان الراغب
جعل جد بالمهملة بمعنى قطع الارض المستوية ومنه جد في سيره يجد جدا ثم قال وتصور من جددت القطع
المجرد فقيل جددت الثوب اذا قطعته على وجه الاصلاح وثوب جديد اصله المقطوع ثم جعل لكل ما احدث
انشاوه والظاهر ان المادتين متقاربتان في المعنى وقد ذكر لهما نظاير نحو عتي وعثي وكبت وكبد **فصل**
قال ابن زيد اخبرنا الله بالذي يشاء لاهل النار وقال ابن مسعود لياتين على جهنم زمان ليس فيها احد وذلك بعد
ما يلبثون فيها احقابا وعن ابي هريرة مثله وقد تقدم ومعناه عند اهل السنة ان لا يبقى فيها احد من اهل الايمان
واما مواضع الكفار فممتلية ابدا **قوله تعالى** فلا تك في مرية اي شك مما يعبد هولاء لما شرح احوال الاشقياء

عبدة الاوثان واتبعه باحوال الاشقيا واحوال السعداء شرح للرسول عليه السلام احوال الكفار من قومه فقال تعالى
فلا تك في مرية مما يعبد هؤلاء وحذف النون لكثرة الاستعمال ولان النون اذا وقعت طرف الكلام لم يبق عند التلفظ
به الا مجرد الغنة فلاجرم اسقطوه وما في مما يعبد وفي كما يعبد مصدرية ويجوز ان يكون الاولى اسمية دون الثاني
والمعنى انهم ضلال لما يعبدون الا كما يعبد وفيه اضمار اي كما كان يعبد اباؤهم من قبل وانا لموفوهم نصيبهم حظهم من جزاء
غير منقوص ويحتمل ان يكون المراد انهم وان كفروا واعرضوا عن الحق فانا موفوهم نصيبهم من الرزق والخيرات الدنيوية ويحتمل
ان يكون المراد انا موفوهم نصيبهم من ازاحة العذر واظهار الدلائل وارسال الرسل وانزال الكتب **قوله تعالى** غير منقوص
حال من نصيبهم وفي ذلك احتمالان احدهما ان يكون حالا موكدة لان لفظ التوفية يشعر بعدم النقص فقد استفيد معناها
من عاملها وهو شان الموكدة والثاني ان تكون حالا مبينة قال الزمخشري فان قلت كيف نصب غير منقوص حالا عن النصيب
الموفى قلت يجوز ان يوفى وهو ناقص ويوفى وهو كامل الا تراك تقول وفيته شطر حقه وثلث حقه وحقه كاملا
وناقصا وظاهر هذه العبارة انها مبينة اذ عاملها يحتمل لمعناها ولغيره الا ان ابا حيان قال تعالى كلامه هذا وهذه
مغلطة اذا قال وفيته شطر حقه فالتوفية وقعت في الشطر وكذا في الثلث والمعنى اعطيته الشطر والثلث كاملا لم
ينقصه شيئا واما قوله وحقه كاملا وناقصا اما كاملا فصحيح وهي حال موكدة لان التوفية فيه تقتضي الاكمال واما وناقصا
فلا يقال لمنافاة التوفية قال شهاب الدين وفي منع الشيخ ان يقال وفيته حقه ناقصا نظر اذ هو سائغ في تركيبات الناس
المعتبر قولهم لان المراد بالتوفية مطلق التادية **قوله تعالى** ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه الاية لما بين
اصرار كفار مكة على انكار التوحيد وبين اصرارهم على انكار نبوة محمد عليه السلام وتكذيبهم بكتابه بين ان هؤلاء الكفار
كانوا على هذه السيرة الفاجرة مع كل الانبياء عليهم السلام وضرب لذلك مثلا وهو انزال التورية على موسى فاختلفوا
فيه فقبله بعضهم وانكره اخرون وذلك يدل على ان عامة الخلق كانوا هكذا **قوله تعالى** فاختلف فيه اي في الكتاب
وفي على بابها من الظرفية وهو هنا مجاز اي في شانه وقيل هي سببية اي هو سبب اختلافهم كقوله تعالى يذرؤكم
فيه اي يكثركم بسببه ومعنى اختلافهم فيه اي منهم من يصدق به ومن يكذب كما فعل قومك بالقران تعزية لنبيه صلى الله عليه
وسلم وقيل في بمعنى على ويكون الضمير لموسى عليه السلام اي فاختلف عليه ولولا كلمة سبقت من ربك في تاخير العذاب
عنهم لقضي بينهم اي عذبوا في الحال لكن قضاؤه اخر ذلك عنهم في دنياهم وقيل المعنى ان الله تعالى انما يحكم بين المختلفين
يوم القيمة ولولا ذلك لكان من الواجب تمييز المحق من المبطل في دار الدنيا وقيل المعنى ولولا ان رحمته سبقت غضبه ولا لقضي
بينهم ثم قال وانهم لفي شك منه مريب يعني ان كفار قومك لفي شك من هذا القران مريب من اراب اذا حصل الريب لغيره
او صار هو في نفسه ذا ريب وقد تقدم **قوله تعالى** وان كلا لما ليوفينهم هذه الاية الكريمة مما تكلم الناس فيها
قديما وحديثا وعسر على اكثرهم تلخيصها قراءة وتخريجا فقرا نافع وابن كثير وابو بكر عن عاصم وان بالتخفيف والباقون
بالتشديد واما لما فقراها مشددة هنا وفي يس وفي الزخرف وفي سورة الطارق ابن عامر وعاصم وحمزة الا ان عن ابن عامر
في الزخرف خلافا فروي عنه هشام وجهين وروي عنه ابن ذكوان التخفيف فقط والباقون قرؤا جميع ذلك بالتخفيف
وتلخص من هذا ان نافعا وابن كثير قرآ وان ولما مخففتين وان ابا بكر عن عاصم خفف ان وثقل لما وان ابن عامر وحمزة وحفصا
عن عاصم شددوا ان ولما معا وان ابا عمرو والكسائي شددا ان وخففا لما فهذه اربع مراتب للقراء في هذين الحرفين هذه
في المتواتر واما في الشاذ فقد قرئ اربع قرات اخر احدها قراءة ابي والحسن وابان بن تغلب وان كل بتخفيفها ورفع كل
لما بالتشديد الثانية قراءة الزهري وسليمان بن ارقم لما مشددة منونة ولم يتعرضوا لتخفيف ان ولا لتشديدها
الثالثة قراءة الاعمش وهي في حرف ابن مسعود كذلك وان كل الا بتخفيف ان ورفع كل الرابعة قال ابو حاتم الذي في
مصحف ابي وان من كل الا ليوفينهم وقد اضطرب الناس في تخريج هذه القرات من اشكل الايات قال شهاب الدين فاما
قراءة الحرميين ففيها اعمال ان المخففة وهي لغة ثابتة عن العرب قال سيبويه حدثنا من نثق به انه سمع من العرب من يقول
ان عمرا لمنطلق كما قال كان ثدييه حقان قال ووجهه من القياس ان ان مشبهة في نصبها بالفعل والفعل يعمل محذوفا
منه كما يعمل غير محذوف منه نحو لم يك زيد منطلقا فلا تك في مرية وكذلك لا ادر قال شهاب الدين وهذا مذهب البصريين
اعني ان هذه الاحرف اذا خفف بعضها جاز ان تعمل وان تهمل كان والاكثر الاهمال وقد اجمع عليه في قوله وان كل لما
جميع لدينا وبعضها يجب اعماله كان بالفتح وكان ولكنها لا يعملان في مظهر ولا مضمر بارز الا ضرورة وبعضها يجب
اهماله عند الجمهور كلكن واما الكوفيون فيوجبون الاعمال في ان المخففة والسماع حجة عليهم بدليل هذه القراءة المتواترة
وقد انشد سيبويه على اعمال هذه الحروف مخففة قوله • كان ظبية تعطو الى وارق السلم • قال الفراء لم نسمع
العرب تخفف وتعمل الا مع المكني كقوله • فلو انك في يوم الرخاء سألتني • طلاقك لم ابخل وانت صديق •

قال

قال لان المكني لا يظهر فيه اعراب واما مع الظاهر فالرفع وقد تقدم ما انشده سيبويه وقول الاخر
• كان ثدييه حقان • وكان وريديه رشاء خلب • الرشاء الحبل والخلب الليف هذا ما يتعلق بان واما لما
في هذه القراءة فاللام فيها هي لام ان الداخلة في الخبر ويجوز ان تكون ما موصولة بمعنى الذي واقعة على من يعقل
كقوله تعالى فانكحوا ما طاب لكم من النساء فاوقع ما على العاقل واللام في ليوفينهم جواب قسم مضمر والجملة من القسم
وجوابه صلة الموصول والتقدير وان كلا للذين والله ليوفينهم ويجوز ان تكون ما نكرة موصوفة والجملة القسمية
وجوابها صفة لما والتقدير وان كلا لخلق او لفريق والله ليوفينهم والموصول وصلته او الموصوف وصفته خبر
لان وقال بعضهم واللام الاولى هي الموطئة للقسم ولما اجتمع اللامان واتفقا في اللفظ فصل بينهما بما كما الاولى
هي الموطئة للقسم فصل بالالف بين النونين في نضربنان وبين الهمزتين في نحو آانت فظاهر هذه العبارة ان ما هنا
زائدة جيء بها للفصل اصلاحا للفظ وعبارة الفارسي مؤدية لهذا الا انه جعل اللام الاولى لام ان فقال العرف
ان تدخل لام الابتداء على الخبر والخبر هنا هو القسم وفيه لام تدخل على جوابه فلما اجتمع اللامان والقسم محذوف
واتفقا في اللفظ وفي تلقي القسم فصلوا بينهما بما كما فصلوا بين ان واللام ونص الحوفي على انها لام ان وصرح الزمخشري
بذلك فقال واللام في لما موطئة للقسم وما مزيدة وقال ابو شامة واللام في لما هي الفارقة بين المخففة من الثقيلة
والنافية وفي هذا نظر لان الفارقة انما يؤتى بها عند التباسها بالنافية والالتباس انما يجيء عند اهمالها نحو ان
زيد لقائم وهي في الاية الكريمة معملة فلا التباس بالنافية فلا يقال انها فارقة فتلخص في كل من اللام وما ثلاثة اوجه
احدها في اللام انها للابتداء الداخلة على خبر ان الثاني لام موطئة للقسم الثالث انها جواب القسم كررت تاكيدا والاول
من اوجه ما انها موصولة الثاني انها نكرة الثالث انها مزيدة للفصل بين اللامين واما قراءة ابي بكر ففيها اوجه احدها
قول الفراء وجماعة من نحاة البصرة والكوفة وهو ان الاصل لمن ما بكسر الميم على انها من الجارة دخلت على ما الموصولة او الموصوفة
كما تقرر اي لمن الذين والله ليوفينهم او لمن خلق والله ليوفينهم فلما اجتمعت النون ساكنة قبل ميم ما وجب ادغامها
فيها فقلبت ميما وادغمت فصار في اللفظ ثلاثة امثال فخففت الكلمة بحذف احدها فصار اللفظ كما ترى لما
قال نصر بن علي الشيرازي وصل من الجارة بما فانقلبت النون ايضا ميما للادغام فاجتمعت ثلاث ميمات فحذفت
احداهن فبقي لما بالتشديد قال وما هنا بمعنى من وهو اسم لجماعة الناس كما قال تعالى فانكحوا ما طاب لكم من النساء
اي من طاب والمعنى وان كلا من الذين ليوفينهم ربك اعمالهم او جماعة ليوفينهم ربك اعمالهم وقد عين المهدوي الميم
المحذوفة فقال حذفت الميم المكسورة والتقدير لمن خلق ليوفينهم الثاني قول المهدوي ومكي ان يكون الاصل لمن ما
بفتح ميم من على انها موصولة او موصوفة وما بعدها مزيدة قال فقلبت النون ميما وادغمت في الميم التي بعدها فاجتمع
ثلاث ميمات فحذفت الوسطى منهن وهي المبدلة من النون فقيل لما قال مكي والتقدير وان كلا لخلق ليوفينهم ربك اعمالهم
فيرجع الى معنى القراءة الاولى بالتخفيف وهذا هو الذي حكاه الزجاج عن بعضهم فقال زعم بعض النحويين ان اصله لمن ما
ثم قلبت النون ميما فاجتمعت ثلاث ميمات فحذفت الوسطى قال وهذا القول ليس بشيء لان من لا يجوز حذف بعضها لانها اسم
على حرفين وقال النحاس قال ابو اسحق هذا خطأ لانه يحذف النون من من فيبقى حرف واحد وقد رده الفارسي ايضا فقال
اذا لم يقو الادغام على تحريك الساكن قبل الحرف المدغم في نحو قدم مالك فانه لا يجيزه احد وقال علي ان في هذه السورة ميمات
اجتمعت في الادغام اكثر مما كانت تجتمع في لمن ما ولم يحذف منها شيء وذلك في قوله تعالى وعلى امم ممن معك فاذا لم يحذف
شيء من هذا فان لا يحذف ثم اجدر قال شهاب الدين اجتمع في امم ممن معك ثمانية ميمات وذلك ان امما فيها ميمان وتنوين
والتنوين يقلب ميما لادغامه في ميم من ومعنا نونان نون من الجارة ونون من الموصولة فيقلبان ايضا ميما لادغامهما
في الميم بعدهما ومعنا ميم معك فيحصل معنا ثماني ميمات ملفوظ بها وثلاثة منقلبة احداها عن تنوين واثنتان
عن نون واستدل الفراء على ان اصل لما لمن ما كقول الشاعر • واما لمن ما تضرب الكبش ضربة •
على راسه يلقي اللسان من الفم • وكقول الاخر • لمما لمن • واني لمن ما اصدر الامر وجهه •
اذا هو عيا بالسبيل مصادره • وقد تقدم في ال عمران في قراءة من قرا واذ اخذ الله ميثاق النبيين لما اتيتكم
بتشديد لما ان الاصل لمن ما ففعل فيه ما تقدم وهذا احد الاوجه المذكورة في تخريج هذا الحرف هناك فالتفت
اليه وقال ابو شامة ما قاله الفراء استنباط حسن وهو قريب من قولهم في لكنا هو الله ربي ان اصله لكن انا ثم حذفت
الهمزة وادغمت النون في النون وكذا قولهم اما انت منطلقا انطلقت قالوا المعنى لان كنت منطلقا وفيما قاله نظر لانه
ليس في حذف البتة وانما كان يحسن التنظير لو كان فيما جاء به ادغام ثم حذف ولما مجرد التنظير بالقلب والادغام
فغير طائل ثم قال ابو شامة ومما احسن ما استخرج الشاهد من البيت يعني الفراء ثم الفراء اراد ان يجمع بين قراءتي التخفيف

والتشديد من لما في بعني ولحد فقال ثم يخفف كما قرا بعض القراء والبغي يعظكم بحذف الياء انشد في الكسائي

واشمت العداة بنا فاضحوا • لدي يتباشرون بما لقينا • تحذفت ياوه لاجتماع

اليائات قال شهاب الدين الاولى ان يقال حذفت ياء الاضافة من لدي فبقيت الياء الساكنة قبلها المنقلبة عن الالف في لدي وهو مثل قراءة من قرا ابني بالاسكان كما سبق واما الياء من يتباشرون فثابتة لدلالتها على المضارعة ثم قال الفراء ومثله كان من اخرها القادم يريد الى القادم فحذف اللام عند اللام وتوجيه قولهم من اخرها القادم ان الى يحذف درجا فلما التقيا حذف اولهما فالتقى لامان ولام التعريف فحذفت الثانية على راي والاولى حذفا لاولى لان الثانية دالة على التعريف فلم يبق من حرف الى غير الهمزة فاتصلت بلام القادم فبقيت الهمزة على كسرها فلهذا تلفظ بهذه الكلمة من اخرها القادم ان الى حذفت لالتقاء الساكنين لان الى ساكنة ولام التعريف من القادم ساكنة وهمزة الوصل حذفت درجا فلما التقيا حذف اولهما فالتقى لامان لام الى ولام التعريف فحذفت الثانية على راي فلهذا تلفظ بهذه الكلمة من اخرها القادم بهمزة مكسورة ثابتة درجا لانها همزة قطع قال ابو شامة وهذا قريب من قولهم ملكذب وعلما بنو فلان وبلعنبر يريدون من الكذب وعلى الماء بنو فلان وبنو العنبر قال شهاب الدين يريد قوله •

ابلغ ابا دختنوس مالكة • غير الذي قد يقال ملكذب • المالكة الرسالة • وقول الاخر •

فاسبق الفيسي من سوء فعله • ولكن طفت علماء غرلة خالد • العزلة القلعة • وقول الاخر •

غداة طفت علماء بكر بن وائل • وعجنا صدور الخيل نحو تميم • يريد من الحي البرزي في شرح الحماسة وهذا مقيس وهو ان

لام التعريف اذ ظهرت في الاسم حذفوا الساكن قبلها لان الساكن لا يعمل في الساكن نقول اكلت ملخبز وركبت ملخيل وحملت علجمل وقدر بعضهم قول الفراء بان نون من لا تحذف الا في ضرورة وانشد ملكذب الثالث ان اصلها لما بالتخفيف ثم شددت والى هذا ذهب ابو عثمان قال الزجاج وهذا ليس بشي لانا لسنا نثقل ما كان على حرفين وايضا فلغة العرب على العكس من ذلك يخففون ما كان مثقلا نحو رب في رب وقيل في توجيهه انه لما وقف عليها شددها كما قالوا رايت فرجا وقصبا ثم اجري الوصل مجرى الوقف وفي هذا نظر لان التضعيف انما يكون في الحرف اذا كان اخرا والميم هنا حشو لان الالف بعدها الا ان يقال انه اجرى الحرف المتوسط مجرى المتاخر كقوله • مثل الحريق وافق القصبا •

يريد القصب فلما اشبع الفتحة تولد منها الف وضعف الحرف وكذلك قوله • ببازل وجناء او عيهل •

واحوه كانهم اواها على الكلكل • شدد اللام مع كونها حشوا بالاطلاق وقد تفرق بان الالف والياء في هذين البيتين في حكم المطرح لانهما نشا من حركة بخلاف الف لما فانها اصلية ثابتة وبالجملة فهو وجه ضعيف جدا الرابع ان اصلها لما بالتنوين ثم بني منه فعلى فان جعلت الفه للتانيث لم تصرفه وان جعلتها للالحاق صرفته وذلك كما قالوا في تترى بالتنوين وعدمه وهو ماخوذ من قولك لممته اي جمعته والتقدير وان كلا جميعا ليوفينهم ويكون جميعا فيه معنى التوكيد ككل ولا شك ان جميعا تفيد معنى زائدا على كل عند بعضهم قال ويدل على ذلك قراءة من قرا لما بالتنوين الخامس ان الاصل لما بالتنوين ايضا ثم ابدل التنوين الفا وقفا ثم اجري الوصل مجرى الوقف وقد منع من هذا الوجه ابو عبيد قال لان ذلك انما يجوز في الشعر يعني ابدال التنوين الفا وصلا اجراء له مجرى الوقف وسياتي توجيه قراءة لما بالتنوين وقال ابن الحاجب استعمال لما في هذا المعنى بعيد وحذف التنوين من المنصرف في الوصل ابعد فان قيل لما فعلى من اللمم ومنع الصرف لاجل الف التانيث والمعنى فيه مثل معنى لما المنصرف فهو ابعد اذ لا يعرف لما فعلى بهذا المعنى ولا بغيره ثم كان يلزم هولاء ان يميلوا لمن امال وهو خلاف الاجماع وان يكتبوها بالياء وليس ذلك بمستقيم السادس ان لما زايدة كما تزاد الا قاله ابو الفتح وغيره وهذا وجه لا اعتبار به فانه مبني على وجه ضعيف ايضا وهو ان الا تاتي زايدة السابع ان ان فيه بمنزلة ما ولما بمعنى الا فهي كقوله ان كل نفس لما عليها اي ما كل نفس الا عليها وان كل ذلك لما متاع اي ما كل ذلك الا متاع واعترض على هذا الوجه بان ان النافية لا تنصب الاسم بعدها وهذا اسم منصوب بعدها واجاب بعضهم عن ذلك بان كلا منصوب باضمار فعل فقدره قوم منهم ابو عمرو ابن الحاجب وان ارى كلا وان اعلم ونحوهما قال ومن ههنا كانت اقل اشكالا من قراءة ابن عامر لقبول لها هذا الوجه الذي غير مستبعد ذلك الا استبعاد وان كان في نصبا الاسم الواقع بعد حرف النفي استبعاد ولذلك اختلف في مثل قوله •

الا رجلا جزاه الله خيرا • يدل على محصلة تبيت • فان قيل هل هو منصوب بفعل مقدر او نون ضرورة فاختار الخليل اضمار الفعل واختار يونس التنوين للضرورة وقدره بعضهم بعد لما من لفظ ليوفينهم والتقدير وان كلا الا ليوفين ليوفينهم وفي هذا التقدير بعد كبير او امتناع لان ما بعد الا لا يعمل فيما قبلها واستدل على مجي لما بمعنى الا بنص الخليل وسيبويه على ذلك ونصره الزجاج قال بعضهم وهي لغة هذيل يقولون سالتك

بالله لما فعلت اي الا فعلت وانكر الفراء وابو عبيد ورود لما بمعنى الا قال ابو عبيد اما من شدد لما بتاويل الا فلم نجد هذا في كلام العرب ومن قال بهذا لزمه ان يقول قام القوم لما اخاك يريد الا اخاك وهذا غير موجود وقال الفراء اما من جعل لما بمنزلة الا فهو وجه لا نعرفه وقد قالت العرب في اليمين بالله لما قمت عنا والا قمت عنا فاما في الاستثناء فلم نقله في شعر ولا غيره الا ترى ان ذلك لو جاز لسمعت في الكلام ذهب الناس لما زيدا فابو عبيد انكر مجي لما بمعنى الا مطلقا والفراء جوز ذلك في القسم خاصة وتبعه الفارسي فقال في تشديد لما ههنا لا يصلح ان يكون بمعنى الا لان لما هذه لا تفارق القسم ورد الناس قوله بما حكاه الخليل وسيبويه وبانها لغة هذيل مطلقا وفيه نظر فانهم لما حكوا لغة هذيل حكوها في القسم كما تقدم من نحو نشدتك بالله لما فعلت واسالك بالله لما فعلت وقال ابو علي ايضا مستشكلا لتشديد لما في هذه الاية على تقدير ان لما بمعنى الا لا تختص بالقسم ما معناه ان تشديد لما ضعيف سوا شددت ان او خففت قال لانه قد نصب بها كلا واذا نصب بالمخففة كانت بمنزلة المثقلة فكما لا يحسن ان زيدا الا منطلق لان الايجاب بعد نفي ولم يتقدم هنا الا ايجاب موكد فكذا لا يحسن ان زيدا لما منطلق لانه بمعناه وانما ساغ نشدتك الله الا فعلت ولما فعلت لان معناه الطلب فكانه قال ما اطلب منك الا فعلك فحرف النفي مراد مثل تالله تفتو ومثل ذلك ايضا بقولهم شر اهر ذا ناب اي ما اهر ذا ناب الا شر قال وليس في الاية معنى النفي ولا الطلب وقال الكسائي لا اعرف وجه التثقيل في لما قال الفارسي ولم يبعد فيما قال وروي عن الكسائي ايضا انه قال الله عز وجل اعلم بهذه القراءة لا اعرف لها وجها الثامن قال الزجاج قال بعضهم قولا ولا يجوز غيره ان لما في معنى الا مثل ان كل نفس لما عليها حافظ ثم اتبع ذلك بكلام طويل مشكل حاصله يرجع الى معنى ان زيد لمنطلق فاجريت المشددة كذلك في هذا المعنى اذا كانت اللام في خبرها وعملها النصب في اسمها باق بحاله مشددة ومخففة والمعنى نفي ان واثبات باللام التي بمعنى الا ولما بمعنى الا وقد تقدم انكار ابي علي على جواز الا في مثل هذا التركيب فكيف يجوز لما التي بمعناها واما قراءة ابن عامر وحمزة وحفص ففيها وجوه احدها انها ان المشددة على حالها فلذلك نصب ما بعدها على انه اسمها واما لما فالكلام فيها كما تقدم من ان الاصل لمن ما بالكسر او لمن ما بالفتح وجميع تلك الاوجه المذكورة تعود هنا والقول بكونها بمعنى الا مشكل كما تقدم من تخريج عن ابي علي وغيره الثاني قال المازني ان هي المخففة ثقلت وهي نافية بمعنى ما كما خففت ان ويعنا فا المثقلة ولما بمعنى الا وهذا قول ساقط جدا لا اعتبار به لانه لم يعهد تثقيل ان النافية وايضا فكلا بعدها منصوب والنافية لا تنصب الثالث ان لما هنا هي الجازمة للمضارع حذف مجزومها لفهم المعنى قال ابو عمرو بن الحاجب في اماليه لما هذه هي الجازمة حذف فعلها للدلالة عليه لما ثبت من جواز حذف فعلها في قولهم خرجت ولما وسافرت ولما وهو سائغ فصيح فيكون المعنى وان كلا لما يهملوا او يتركوا لما تقدم من الدلالة عليه من تفصيل المجموعين بقوله فمنهم شقي وسعيد ثم فصل الاشقيا والسعدا ومجازاتهم ثم بين ذلك بقوله ليوفينهم ربك اعمالهم قال وما اعرف وجها اشبه من هذا وان كانت النفوس تستبعده من جهة ان مثله لم يرد في القران قال والتحقيق يابى استبعاده قال شهاب الدين وقد نص النحويون على ان لما يحذف مجزومها باطراد قالوا لانها لنفي قد فعل وقد يحذف بعدها الفعل كقوله •

افد الترحل غير ان ركابنا • لما تزل برحالنا وكان قد •

اي وكان قد زالت فلذلك منفية وممن نص عليه الزمخشري على حذف مجزومها وانشد يعقوب على ذلك في كتاب معاني الشعر له قول الشاعر •

فجئت قبورهم بدا ولما • فناديت القبور ولم يجبنه • قال قوله بدا اي سيدا وبدا القوم اي سيدهم وبدا الجزور خير انصبائها قال وقوله ولما اي ولما اكن سيدا الا حين ماتوا فاني سدت بعدهم وكقول الاخر •

خلت الديار فسدت غير مسود • ومن العناء تفردي بالسودد •

فاذهب الكرام وساد غير السيد • مالت ما فذلك الا بعد ما •

قال ونظير السكوت على لما دون فعلها السكوت على قد دون فعلها في قول النابغة افد الترحل البيت قال شهاب الدين وهذا الوجه لا خصوصية له بهذه القراءة بل يجي في قراءة من شدد لما سواء شدد ان او خففها واما قراءة ابي عمرو والكسائي فواضحة جدا فانهما ان المشددة عملت عملها واللام الاولى لام الابتداء الداخلة على خبر ان والثانية جواب قسم محذوف اي وان كلا للذين والله ليوفينهم وقد تقدم وقوع ما على العقلاء مقررا ونظير هذه الاية قوله تعالى وان منكم لمن ليبطئن غير ان اللام في لمن داخلة على الاسم وفي لما داخلة على الخبر وقال بعضهم ما هذه زائدة زيدت للفصل بين اللامين لام التوكيد ولام القسم وقيل اللام في لما موطئة للقسم مثل اللام في قوله تعالى لئن اشركت ليحبطن عملك والمعنى وان جميعهم والله ليوفينهم ربك اعمالهم من حسن وقبيح وايمان وجحود وقال الفراء عند ذكره هذه القراءة جعل ما اسما للناس كما جاز فانكحوا ما طاب لكم من النساء ثم جعل اللام التي فيها جوابا لان وجعل اللام

التي في ليوفينهم لاماً دخلت على نية يمين فيما بين ما وصلتها كما تقول هذا من ليذهبن وعندي ما لغيره خير منه
ومثله وإن منكم لمن ليبطئن ثم قال بعد ذلك ما يدل على أن اللام مكررة فقال إذا عجلت العرب باللام في غير موضعها
أعادوها إليه نحو إن زيداً لإليك لمحسن ومثله • ولو أن قومي لم يكونوا أعزة • لبعض لقد لاقيت لا بد منه •
قال أدخلها في بعض وليس بموضعها وسمعنا أبا الجراح يقول إني لبحمد الله لصالح وقال الفارسي في توجيه هذه القراءة
وجهها بين وهو أنه نصب كلاً بإن وأدخل لام الابتداء في الخبر وقد دخلت في الخبر لام أخرى وهي التي يتلقى بها القسم
وتختص بالدخول على الفعل فلما اجتمعت اللامان فصل بينهما كما فصل بين إن واللام فدخلت ما وإن كانت زائدة
للفصل ومثله في الكلام إن زيداً لما لينطلق فهذا ما تلخص من توجيه هذه القراآت الأربع وقد طعن بعض الناس
في بعضها بما لا تحقيق له ولا ينبغي أن يلتفت إلى كلامه قال المبرد وهي جراءة من هذا النحوي يعني تشديدها قال لأن العرب
لا تقول إن زيداً لما خارج وهذا مردود عليه قال أبو حيان وليس تركيب الآية كتركيب المثال الذي قال وهو أن
زيداً لما خارج هذا المثال لحن قال ثعلب أي أنه ليس مثله في كونه دخلت لما المشددة على خبر إن فليس كذلك
بل هو مثله في ذلك فتلحينه في المثال المذكور ليس بصواب لأنه يلزم ما لا يجوز أن يقال وقال أبو جعفر القراءة
بتشديدهما عند أكثر النحويين لحن حكي عن محمد بن يزيد أنه قال إن هذا لا يجوز ولا يقال إن زيداً إلا لأضربنه ولا لما لأضربنه
قال وقال الكسائي الله عز وجل أعلم لا أعرف لهذه القراءة وجهاً وقد تقدم أيضاً أن الفارسي قال كما لا يحسن إن زيداً إلا
لمنطلق لأن إلا إيجاب بعد نفي ولم يتقدم هنا إلا إيجاب مؤكد فكذا لا يحسن إن زيداً لما منطلق لأنه بمعناه وإنما
ساغ نشدتك بالله لما فعلت إلى آخر كلامه وهذه أقوال مرغوب عنها لأنها معارضة للمتواتر القطعي وأما القراآت
الشاذة فأولها قراءة أبي ومن معه وإن كل لما بتخفيف إن ورفع كل على أنها إن النافية وكل مبتدأ ولما مشددة بمعنى
إلا وليوفينهم جواب قسم محذوف وذلك القسم وجوابه خبر المبتدأ وهي قراءة واضحة كقراءة وإن كل لما جميع ومثله
وإن كل ذلك لما متاع ولا التفات إلى قول من نفى أن لما بمنزلة إلا فقد تقدمت أدلته وأما قراءة اليزيدي وابن أرقم
لما بالتشديد منونة فلما فيها مصدر من قولهم لممته أي جمعته لماً ومنه قوله تعالى وتأكلون التراث أكلاً لماً ثم في تخريجه
وجهان أحدهما ما قاله أبو الفتح وهو أن يكون منصوباً بقوله ليوفينهم يعني أنه منصوب على حد قولهم قياماً لأقومن
وقعوداً لأقعدن والتقدير توفية جامعة لأعمالهم ليوفينهم يعني أنه منصوب على المصدر الملاقي لعامله في المعنى
دون الاشتقاق والثاني ما قاله أبو علي الفارسي وهو أن يكون وصفاً لكل وصفاً بالمصدر مبالغة وعلى هذا فيجب
أن تقدر المضاف إليه كل نكرة ليصح وصف كل بالنكرة إذ لو قدر المضاف معرفة لتعرفت كل ولو تعرفت لامتنع
وصفها بالنكرة فلذلك قدر المضاف إليه نكرة ونظير ذلك قوله تعالى وتأكلون التراث أكلاً لماً فوقع لماً نعتاً لأكلاً
وهو نكرة قال أبو علي ولا يجوز أن يكون حالاً لأنه لا شيء في الكلام عامل في الحال وظاهر عبارة الزمخشري أنه تأكيد
تابع لكلا كما يتبعها أجمعون أو أنه منصوب على النعت لكلا فإنه قال وإن كلاً لماً ليوفينهم كقوله أكلاً لماً [illegible]
بمعنى مجموعين كأنه قيل وإن كلا جميعاً كقوله تعالى فسجد الملائكة كلهم أجمعون انتهى لا يريد بذلك أنه تأكيد صناعي
بل فسر معنى ذلك وأراد أنه صفة لكلا ولذلك قدره بمجموعين وقد تقدم في بعض توجيهات لما بالتشديد من غير تنوين
أن المنون أصلها وإنما أجري الوصل مجرى الوقف وقد عرف ما فيه وجرى على هذه القراءة في جملة القسم المقدر من جواز
سواء في ذلك تخريج أبي الفتح وتخريج غيره وأما قراءة الأعمش فواضحة جداً وهي مفسرة لقراءة الحسن المتقدمة لولا ما فيها
من مخالفة سواد الخط وأما قراءة ما في مصحف أبي كما نقلها أبو حاتم فإن فيها نافية ومن زائدة في النفي وكل مبتدأ وليوفينهم
مع قسم المقدر خبرها فتؤول إلى قراءة الأعمش لو قبلها إذ يصير التقدير بدون من وإن كل إلا ليوفينهم والتنوين في
كلا عوض من المضاف إليه قال الزمخشري يعني وإن كلهم وإن جميع المختلفين فيه وقد تقدم أنه على قراءة لما بالتنوين في
تخريج أبي علي له لا يقدر المضاف إليه كلا إلا نكرة لأجل نعتها بالنكرة وقد تضمنت هذه الآية الكريمة من التأكيدات فيها
التوكيد بإن وبكل وبلام الابتداء الداخلة على خبر إن وبزيادة ما على رأي وبالقسم المقدرة وباللام الواقعة جواباً له
وبنون التوكيد وبكونها مشددة وإردافها بالجملة التي بعدها من قوله إنه بما يعملون خبير فإنه يتضمن وعيداً
شديداً للعاصي ووعداً صالحاً للطائع وقرأ العامة يعملون بياء الغيبة جرياً على ما تقدم من المختلفين وقرأ ابن هرمز
بما تعملون بالخطاب فيجوز أن يكون التفاتاً من غيبة إلى خطاب ويكون المخاطبون هم الغيب المتقدمين ويجوز أن يكون
التفاتاً من غيبة إلى خطاب غيرهم **فصل** ومعنى الآية أن من عجلت عقوبته ومن أخرت ومن صدق الرسل
ومن خالفهم سواء في أنه تعالى يوفيهم جزاء أعمالهم في الآخرة فجمعت الآية الوعد والوعيد بأن توفية جزاء الطاعات وعد
عظيم وتوفية جزاء المعاصي وعيد عظيم وقوله إنه بما تعملون خبير توكيد الوعد والوعيد فإنه لما كان عالماً بجميع المعلوم

كان عالماً بمقادير الطاعات والمعاصي فكان عالماً بالقدر اللائق بكل عمل من الجزاء فحينئذ لا يضيع شيء من الحقوق
وذلك نهاية البيان **قوله تعالى** فاستقم كما أمرت الآية لما شرح الوعد والوعيد قال لرسوله فاستقم كما أمرت
وهذه كلمة جامعة لكل ما يتعلق بالعقائد والأعمال سواء كان مختصاً به أو متعلقاً بتبليغ الوحي وبيان الشرائع
ولا شك أن البقاء على الاستقامة الحقيقية مشكل جداً قال ابن الخطيب وأنا أضرب لذلك مثلاً ليقرب معرفته هذا المعنى
إلى العقل السليم وهو أن الخط المستقيم الفاصل بين الظل وبين الضوء جزء واحد لا يقبل القسمة في العرض وذلك الخط
مما لا يدركه الحس فإنه إذا قرب طرف الظل من طرف الضوء اشتبه البعض بالبعض في الحس فلم يقدر الحس على إدراك ذلك الخط بعينه
بحيث يتميز عن كل ما سواه وإذا عرفت هذا في المثال فاعرف مثاله في جميع أبواب العبودية فأولها معرفة الله وتحصيل
هذه المعرفة على وجه يبقي العقل مصوناً في طرف الإثبات عن التشبيه وفي طرف النفي عن التعطيل في غاية الصعوبة واعتبر
سائر مقامات المعرفة من نفسك فالقوة الغضبية والقوة الشهوانية حصل لكل واحد منهما طرف إفراط وطرف تفريط وهما
مذمومان والفاضل هو المتوسط بينهما بحيث لا يميل إلى أحد الجانبين والوقوف عليه صعب فثبت بأن معرفة الصراط
المستقيم في غاية الصعوبة لا جرم قال ابن عباس ما نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم في جميع القرآن آية أشق من هذه
ولهذا قال صلى الله عليه وسلم شيبتني هود وأخواتها روي عن بعضهم قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام فقلت
له روي عنك أنك قلت شيبتني هود فقال نعم فقلت بأي آية فقال قوله تعالى فاستقم كما أمرت **قوله تعالى**
كما أمرت الكاف في محل النصب إما على النعت لمصدر محذوف كما هو المشهور عند المعربين قال الزمخشري أي استقم استقامة
مثل الاستقامة التي أمرت بها على جادة الحق غير عادل عنها وإما على الحال من ضمير ذلك المصدر والسين هنا للطلب كأنه
قيل اطلب الإقامة على الدين قال كما تقول استغفر أي اطلب الغفران **قوله تعالى** ومن تاب معك فيه وجهان
أحدهما أنه منصوب على المفعول معه كذا ذكره أبو البقاء ويصير المعنى استقم مصاحباً لمن تاب مصاحباً لك وفي هذا المعنى
نبو عن ظاهر اللفظ والثاني أنه مرفوع بأنه نسق على المستتر في استقم وأغنى الفصل بالجار عن تأكيده بضمير منفصل في
صحة العطف وقد تقدم هذا البحث في قوله اسكن أنت وزوجك وأن الصحيح أنه من عطف الجمل لا من عطف المفردات ولذلك
قدره الزمخشري فاستقم أنت وليستقم من تاب فقدر الرافع له فعلاً لائقاً برفعه الظاهر وقال الواحدي محلها الابتداء
تقديره ومن تاب معك فليستقم **فصل** معنى الآية فاستقم كما أمرت على دين ربك والعمل به والدعاء
إليه كما أمرت ومن تاب معك أي من آمن معك فليستقيموا قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه الاستقامة أن تستقيم على
الأمر والنهي ولا تروغ روغان الثعلب روى هشام بن عروة عن أبيه عن سفيان بن عبد الله الثقفي قال قلت يا رسول
الله قل لي في الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحداً بعدك قال قل آمنت بالله ثم استقم **فصل** هذه الآية
أصل عظيم في الشريعة وذلك أن القرآن لما ورد بترتيب الوضوء في اللفظ وجب اعتبار الترتيب فيه لقوله فاستقم كما أمرت
ولما ورد الأمر في الزكاة بأداء الإبل من الإبل والبقر من البقر وجب اعتبارها وكذلك القول في كل ما ورد أمر الله به قال ابن
الخطيب وعندي أنه لا يجوز تخصيص النص بالقياس لأنه لما دل عموم النص على حكم وجب الحكم بمقتضاه لقوله تعالى
فاستقم كما أمرت فالعمل بالقياس انحراف عنه ثم قال ولا تطغوا أي لا تجاوزوا أمري ولا تعصوني وقيل لا تغلوا
فتزيدوا على ما أمرت ونهيت والطغيان تجاوز الحد وقيل لا تطغوا في القرآن فتحلوا حرامه وتحرموا حلاله وقال
ابن عباس تواضعوا لله ولا تتكبروا على أحد إنه بما تعملون بصير قرأ العامة تعملون بالتاء جرياً على الخطاب المتقدم وقرأ
الحسن والأعمش وعيسى الثقفي بياء الغيبة وهو التفات من خطاب لغيبة عكس ما تقدم في بما تعملون خبير **قوله تعالى**
ولا تركنوا قرأ العامة بفتح التاء والكاف والماضي من هذا ركن بكسر العين كعلم وهذه هي الفصحى كذا قال الأزهري قال
غيره وهي لغة قريش وقرأ أبو عمرو في رواية تركنوا بكسر حرف المضارعة وقد تقدم ذلك في قوله نستعين وقرأ قتادة وطلحة
والأشهب ورويت عن أبي عمرو تركنوا بضم العين وهو مضارع ركن بفتحها كقتل يقتل وقال بعضهم هو من التداخل
يعني أن من نطق ركن بكسر العين قال يركن بضمها وكان من حقه أن يفتح فلما ضم علمنا أنه استغنى بلغة غيره في المضارع عن
لغته وأما في هذه القراءة فلا ضرورة بنا إلى ادعاء التداخل بل ندعي من فتح الكاف أخذه من ركن بالكسر ومن ضمها أخذه من
ركن بالفتح فلذلك قال الراغب والصحيح أنه يقال ركن يركن بالفتح وركن يركن بالفتح فيهما وهو من التداخل فتحصل
من هذا أنه يقال ركن بكسر العين وهي اللغة العالية كما تقدم وركن بفتحها وهي لغة قيس وتميم زاد الكسائي [illegible] في المضارع
ثلاث الفتح والكسر والضم وقرأ ابن أبي عبلة تركنوا مبنياً للمفعول من ركنه إذا أماله فهو من باب لا أرينك ههنا فلا تكن
في صدرك حرج وقد تقدم والركون الميل ومنه الركن للاستناد إليه **قوله تعالى** فتمسكم منصوب بإضمار أن
في جواب النهي وقرأ ابن وثاب وعلقمة والأعمش في آخرين فتمسكم بكسر التاء وقد تقدم **قوله تعالى** وما لكم

هذه الجملة يجوز ان تكون حالية اي تمسكم حال انتفاء ناصركم ويجوز ان تكون مستانفة ومن اولياء من فيه زايدة اما
في الفاعل واما في المبتدا لان الجار اذا اعتمد على اشيا احدها النفي رفع الفاعل قوله تعالى ثم لا تنصرون العامة على
ثبوت نون الرفع لانه فعل مرفوع اذ هو من باب عطف الجمل عطف جملة فعلية على جملة اسمية وقرا زيد بن علي رضي الله عنهما
بحذف نون الرفع عطفه على تمسكم والجملة على ما تقدم من الحالية او الاستيناف فتكون معترضة وافي بثم تنبيها على
تباعد الرتبة فصل معنى الاية قال ابن عباس ولا تميلوا والركون هو المحبة والميل بالقلب قال ابو العالية
لا ترضوا باعمالهم وقال السدي لا تداهنوا الظلمة وعن عكرمة لا تطيعوهم وقيل لا تسكنوا الى الذين ظلموا فتمسكم
النار وما لكم من دون الله من اولياء اي ليس لكم اولياء اعوان تخلصونكم من عذاب الله ثم لا تجدوا من ينصركم قوله تعالى
واقم الصلوة طرفي النهار الاية لما امر بالاستقامة اردفه بالامر بالصلوة وذلك يدل على ان اعظم العبادات بعد الايمان
بالله هو الصلوة قوله تعالى طرفي النهار ظرف لاقم ويضعف ان يكون ظرفا للصلوة كانه قيل اقم الصلوة الواقعة في هذين
الوقتين والظرف وان لم يكن ظرفا ولكنه لما اضيف الى الظرف اعرب باعرابه وهو كقولك اتيته اول النهار واخره ونصف
الليل بنصب هذه كلها على الظرف لما اضيفت اليه وان كانت ليست موضوعة للظرفية وقرا العامة زلفا بضم الزاي وفتح
اللام وهي جمع زلفة بسكون اللام نحو غرف في جمع غرفة وظلم في جمع ظلمة وقرا ابو جعفر وابن ابي اسحق بضمهما وفي هذه
القراءة ثلاثة اوجه احدها انه جمع زلفة ايضا والضم للاتباع كما قالوا بسر بضم السين اتباعا للضمة الباء والثاني
انه اسم مفرد على هذه البنية كعنق ونحوه والثالث انه جمع زليف قال ابو البقا وقد نطق به يعني انهم قالوا زليف وفعيل
يجمع على فعل نحو رغيف ورغف وقضيب وقضب وقرا مجاهد وابن محيصن باسكان اللام وفيها وجهان
احدهما انه يحتمل ان تكون هذه القراءة مخففة من ضم العين فيكون فيها ما تقدم والثاني انه سكون اصلي من باب
اسم الجنس نحو بسرة وبسر من غير اتباع وقرا مجاهد وابن محيصن ايضا في رواية زلفى بزنة حبلى جعلوها على صيغة الواحدة
المونثة اعتبارا بالمعنى لان المعنى على المنزلة الزلفى اي القريبة وقد قيل انه يجوز ان يكون ابدال التنوين الفا اجراء
الوصل مجرى الوقف فانهما يقرآن بسكون اللام وهو محتمل وقال الزمخشري والزلفى بمعنى الزلفة كما ان القربى بمعنى القربة
يعني انه مما تعاقب فيه تاء التانيث والفه وفي انتصاب زلفا وجهان اظهرهما انه نسق على طرفي فينتصب الظرف
اذ المراد بها ساعات الليل القريبة والثاني ان ينتصب انتصاب المفعول به نسقا على الصلوة قال الزمخشري بعد ان ذكر
القراات المتقدمة وهو ما يقرب من اخر الليل ومن الليل وقيل زلفا من الليل وقربا من الليل وحقها على هذا التفسير
ان تعطف على الصلوة اي اقم الصلوة طرفي النهار واقم زلفا من الليل على معنى صلوة تتقرب بها الى الله عز وجل في بعض
الليل والزلفة اول ساعات الليل فكل ساعة منه زلفة فلم يخصصاه باول الليل وقال العجاج •
• ناج طواه الاين مما وجفا • طي الليالي زلفا فزلفا • سماوة الهلال حتى احقوقفا •
واصل الكلمة الزلفى وهي القرب يقال ازلفه فازدلف اي قربه فاقترب قال تعالى وازلفنا ثم الاخرين
وفي الحديث ازدلفوا الى الله بركعتين وقال الراغب والزلفة المنزلة والحظوة وقد استعملت الزلفة في معنى العذاب
كاستعمال البشارة ونحوها والمنازل الزلف في وسميت ليلة المزدلفة لقربهم من منى بعد الافاضة وقوله من الليل صفة
لزلفا فصل معنى طرفي النهار اي الغداة والعشي قال مجاهد طرفي النهار صلوة الصبح والظهر والعصر وزلفا
من الليل المغرب والعشا وقال ابن عباس طرفي النهار الغداة والعشي يعني صلوة الصبح والمغرب فصل قال ابن
الخطيب لا شك ان الصلوات التي في طرفي النهار هما الفجر والعصر وذلك لان احد طرفي النهار طلوع الشمس والثاني غروب الشمس
فالاول هو صلوة الفجر والطرف الثاني لا يجوز ان يكون صلوة المغرب لانها داخلة تحت قوله وزلفا من الليل فوجب حمل
الطرف الثاني على صلوة العصر واذا تقرر هذا كانت الاية دليلا على قول ابي حنيفة رضي الله عنه في ان التنوير في صلوة
الفجر افضل وفي ان تاخير العصر افضل لان ظاهر الاية يدل على وجوب اقامة الصلوة في طرفي النهار وبينا ان طرفي
النهار الزمان الاول لطلوع الشمس والزمان الاول لغروب الشمس واجمعت الامة على ان اقامة الصلوة في ذلك الوقت
من طرفي النهار لان ما يقرب من الشي يجوز ان يطلق عليه اسمه واذا كان كذلك فكل وقت كان اقرب لطلوع الشمس والى
غروبها كان اقرب الى ظاهر اللفظ واقامة صلوة الفجر عند التنوير اقرب الى وقت الطلوع من اقامتها عند التغليس
وكذلك اقامة صلوة العصر عند ما يصير ظل كل شي مثليه والمجاز كلما كان اقرب الى الحقيقة كان حمل اللفظ عليه
اولى فصل قال القاضي ابو بكر الباقلاني ان الخوارج تمسكوا بهذه الاية في اثبات ان الواجب ليس الا الفجر
والعشا من وجهين الاول انهما واقعان على طرفي النهار فوجبان يكون هذا المعنى كافيا فان قيل وقوله تعالى وزلفا
من الليل يوجب صلوة اخرى قلنا لا نسلم لان طرفي النهار موصوفا بكونهما زلفا من الليل فان ما لا يكون نهارا يكون ليلا

غاية

غاية ما في الباب ان هذا يقتضي عطف الصفة على الموصوف وذلك كثير في القران والشعر الوجه الثاني انه
تعالى قال ان الحسنات يذهبن السيئات وهذا يقتضي ان من صلى طرفي النهار كان اقامتها كفارة لكل ذنب فيتقدر
ان يقال ان ساير الصلوات واجبة الا ان اقامتها يجب ان يكون كفارة لترك ساير الصلوات وهذا القول باطل
باجماع الامة فلا يلتفت اليه فصل قيل في قوله تعالى وزلفا من الليل انه يقتضي الامر باقامة الصلوة
في زلف من الليل واقل الجمع ثلاثة والمغرب والعشاء والوتر فيجب الحكم بوجوب الوتر قوله تعالى ان الحسنات
يذهبن السيئات قال ابن عباس ان الصلوات الخمس كفارة لساير الذنوب بشرط اجتناب الكباير وروي عن مجاهد ان
الحسنات هي قول العبد سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر وروي انها نزلت في اليسر قال اتتني امراة تبتاع
تمرا فقلت ان في بيتي تمرا اطيب منه فدخلت معي البيت فاهويت اليها فقبلتها فاتيت ابا بكر فذكرت ذلك له فقال
استر على نفسك وتب فاتيت عمر فقال استر على نفسك وتب فلم اصبر فاتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرت
ذلك له فقال اخلفت غازيا في سبيل الله في اهله بمثل هذا حتى ظن انه من اهل النار فاطرق رسول الله صلى الله عليه
وسلم حتى اوحي اليه واقم الصلوة طرفي النهار الاية فقال اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اهذا له خاصة ام للناس
عامة فقال بل للناس عامة وعن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول الصلوة الخمس والجمعة الى الجمعة ورمضان
الى رمضان مكفرات لما بينهن اذا اجتنب الكباير وعن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ارايتم لو ان نهرا
بباب احدكم يغتسل كل يوم خمس مرات هل يبقى من درنه شي قالوا لا قال فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بها الخطايا
فصل احتج من قال ان المعصية لا تضر مع الايمان بهذه الاية لان الايمان من الحسنات واعظمها وافضلها
ودلت الاية على ان الحسنات يذهبن السيئات والايمان يذهب الكفر الذي هو اعلا درجة في العصيان فلان يذهب
المعصية التي هي اقل درجة اولى فان لم يفد ازالة العقاب بالكلية فلا اقل من ان يفيد ازالة العذاب الدايم المؤبد ثم
قال تعالى ذلك ذكرى اي ذلك الذي ذكرنا وقيل هو اشارة الى القران ذكرى موعظة للذاكرين اي لمن ذكره واصبر
يا محمد على ما تلقى من الاذى وقيل على الصلوة نظيره وامر اهلك بالصلوة واصطبر عليها فان الله لا يضيع اجر المحسنين
في اعمالهم وقال ابن عباس يعني المصلين قوله تعالى فلولا كان من القرون من قبلكم الاية لما بين ان الامم
المتقدمين حل بهم عذاب الاستيصال بين ان السبب فيه امران الاول انه ما كان فيهم قوم ينهون عن الفساد في
الارض فقال فلولا كان من القرون من قبلكم لولا تحضيضية دخلها معنى التفجع عليهم وهو قريب من مجاز قوله تعالى
يا حسرة على العباد وما يروى عن الخليل انه قال كل لولا في القران فمعناها هلا الا التي في الصافات فلولا انه لا يصح عنه
لورودها كذلك في غير الصافات لولا ان تداركه ولولا ان ثبتناك ولولا رجال ومن القرون يجوز ان يتعلق بكان
لانها هنا تامة اذ المعنى فهلا وجد من القرون او حدث ونحو ذلك ويجوز ان يتعلق بمحذوف على انه حال من اولو بقية
لانه لو تاخر عنه لجاز ان يكون نعتا له ومن قبلكم حال من القرون ويتهون حال من اولو بقية لانه لو تاخر عنه لجاز ان
يكون نعتا له ومن قبلكم حال من القرون وينهون حال من اولو بقية لتخصصه بالاضافة ويجوز ان يكون نعتا
لاولو بقية وهو اولى ويضعف ان يكون كان هنا ناقصة لبعد المعنى من ذلك وعلى تقديره يتعين تعلق من
القرون بالمحذوف على انه حال لان كان الناقصة لا تعمل عند جمهور النحاة ويكون ينهون في محل نصب خبرا لكان
وقرا العامة بقية بفتح الباء وتشديد الياء وفيها وجهان احدهما انها صفة على فعيلة للمبالغة على بمعنى فاعل ولذلك
دخلت التاء فيها والمراد بها جنس تنجيد وخيار وانما قيل الجيد وخيار بقية في قولهم فلان بقية الناس وبقية
الكرام لان الرجل يستبقي مما يخرجه اجوده وافضله والرجل يبقي بعده ذكر جوده وفضله حمل بيت الحماسه
• ان تذنبوا ثم ياتيني بقيتكم • وفي المثل في الزوايا خبايا • وفي الرجال بقايا •
والثاني انها مصدر بمعنى التقوى قال الزمخشري ويجوز ان تكون البقية بمعنى البقوى كالتقية بمعنى التقوى
اي فهلا كان منهم ذو ابقاء على انفسهم وصيانة لها من سخط الله وعقابه والمعنى فهلا كان منهم اولو مراقبة وخشية
من انتقام الله وقرات فرقة بقية بتخفيف الياء وهي اسم فاعل من بقي كشجية من شجي فالتقدير اولو طايفة بقية
اي باقية وقرا ابو جعفر وشيبة بقية بضم الفاء وسكون العين وقرئ بقية على المرة من المصدر وفي الارض
متعلق بالفساد والمصدر المقترن بال يعمل في المفاعيل الصريحة فكيف في الظروف ويجوز ان يتعلق بمحذوف
على انه حال من الفساد فصل المعنى فهلا كان من القرون التي اهلكناهم من قبلكم اولو تمييز وقيل
اولو طاعة اي من فيه خير يقال فلان على بقية من الخير اذا كان على خصلة محمودة وينهون عن الفساد في الارض
اي يقومون بالنهي عن الفساد ومعناه جحد اي لم يكن فيهم اولو بقية قوله تعالى الا قليلا فيه وجهان

احدهما ان يكون استثناء منقطعا وذلك ان يحمل التحضيض على حقيقته واذا حمل على حقيقته تعين ان يكون
الاستثناء منقطعا لئلا يفسد المعنى قال الزمخشري معناه لكن قليلا ممن انجينا من القرون نهوا عن الفساد
وسائرهم تاركوا النهي ثم قال فان قلت هل لوقوع هذا الاستثناء متصلا وجه يحمل عليه قلت ان جعلته متصلا على ما
عليه ظاهر الكلام كان المعنى فاسدا لانه يكون تحضيضا لاولي البقية على النهي عن الفساد الا للقليل من الناجين
منهم كما تقول هلا قرأ قومك القرآن الا الصلحاء منهم تريد استثناء الصلحاء من المحضضين على قراءة القرآن
ويؤول الكلام الى ان الناجين لم يحضوا على النهي عن الفساد وهو معنى فاسد والثاني ان يكون متصلا وذلك
بان يؤول التحضيض بمعنى النفي فيصح ذلك الا انه يؤدي الى النصب في غير الموجب وان كان غير النصب اولى قال
الزمخشري فان قلت في تحضيضهم على النهي عن الفساد معنى نفيه عنهم فكانه قيل ما كان من القرون اولو بقية الا قليلا
كان استثناء متصلا ومعنى صحيحا وكان انتصابه على اصل الاستثناء وان كان الافصح ان يرفع على البدل ويؤيد
ان التحضيض هنا في معنى النفي قراءة زيد بن علي الا قليل بالرفع لاحظ معنى النفي على الافصح كقوله تعالى ما فعلوه
الا قليل منهم وقال الفراء المعنى فلم يكن لان في الاستفهام كانه لاحظ النفي ومن في ممن انجينا للتبعيض ومنع الزمخشري
ان تكون للتبعيض بل للبيان فقال حقها ان تكون للبيان لا للتبعيض لان النجاة انما هي للناهين وحدهم بدليل
قوله تعالى انجينا الذين ينهون عن السوء واخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس فعلى الاول تتعلق بمحذوف على انها
صفة لقليلا وعلى الثاني تتعلق بمحذوف على سبيل البيان اي اعني **قوله تعالى** واتبع الذين ظلموا ما اترفوا
فيه هذا السبب الثاني في نزول عذاب الاستئصال قرأ العامة واتبع بالهمزة وقيل وتاء مشددة وباء مفتوحة
فعلا ماضيا مبنيا للفاعل وفيه وجهان انه معطوف على مضمر والثاني ان الواو للحال لا للعطف ويتضح ذلك
بقول الزمخشري فان قلت علام عطف قوله واتبع الذين ظلموا قلت ان كان معناه واتبعوا الشهوات كان معطوفا
على مضمر لان المعنى الا قليلا ممن انجينا منهم نهوا عن الفساد واتبع الذين ظلموا شهواتهم فهو عطف على نهوا وان كان
معناه واتبعوا جزاء الاتراف فالواو للحال كانه قيل انجينا القليل وقد اتبع الذين ظلموا جزاءهم ويجوز في قوله
ما اترفوا وجهين احدهما انه مفعول من غير حذف مضاف وما واقعة على الشهوات وما بطروا بسببه من النعم
والثاني على انه حذف مضاف اي جزاء ما اترفوا ورتب على هذين الوجهين القول في واتبع والاتراف افعال
من الترف وهو النعمة يقال صبي مترف اي منعم البدن واترفوا نعموا وقيل الترف التوسع في النعمة وقال مقاتل
بن حيان اترفوا خولوا وقال الفراء عودوا اي واتبع الذين ظلموا ما عودوا من النعيم وايثار اللذات على الاخرة
وقرأ ابو عمرو في رواية الجعفي وابو جعفر واتبع بضم همزة القطع وسكون التاء وكسر الباء مبنيا للمفعول ولا بد
حينئذ من حذف مضاف اي اتبعوا جزاء ما اترفوا فيه وما يجوز ان تكون بمعنى الذي وهو الظاهر لعود الضمير
في فيه عليه ويجوز ان تكون مصدرية اي اتبعوا اترافهم وكونهم مجرمين والثاني انه عطف على اتبع اي اتبعوا
شهواتهم وكانوا مجرمين بذلك لان تابع الشهوات مغمور بالآثام الثالث ان تكون اعتراضا وحكما عليهم بانهم قوم مجرمون
ذكر ذلك الزمخشري قال ابو حيان ولا يسمى هذا اعتراضا في اصطلاح النحو لانه آخر الآية فليس بين شيئين يحتاج
احدهما الى الآخر **قوله تعالى** وما كان ربك ليهلك القرى بظلم الآية في ليهلك وجهان المشهوران وهما زيادة
اللام في خبر كان دلالة على التاكيد كما هو رأي الكوفيين او كونها متعلقة بخبر كان المحذوف وهو مذهب البصريين
وبظلم متعلق بيهلك والباء سببية وجوز الزمخشري ان تكون حالا من فاعل ليهلك وقوله تعالى واهلها مصلحون
جملة حالية **فصل** قيل المراد بالظلم هنا الشرك قال تعالى ان الشرك لظلم عظيم وتعين انه تعالى
لا يهلك اهل القرى بمجرد شركهم اذا كانوا مصلحين في المعاملات فيما بينهم ولهذا قال الفقهاء ان حقوق الله
تعالى مبناها على المسامحة وحقوق العباد مبناها على التضييق والشح ويقال ان الملك يبقى على الكفر ولا يبقى
على الظلم ويدل على هذا التاويل ان قوم هود وصالح ولوط وشعيب انما نزل بهم عذاب الاستئصال لما حكى الله تعالى
عنهم من ايذاء الناس وظلم الخلق وهذا تاويل اهل السنة وقالت المعتزلة انه تعالى لو اهلكهم حال كونهم مصلحين لكان
ظلما وما كان متعاليا عن الظلم لاجرم انه انما يهلكهم لاجل سوء افعالهم وقيل معنى الآية لا يهلكهم بظلم منه وهم مصلحون
في اعمالهم ولكن يهلكهم بكفرهم وركوبهم السيئات وهذا معنى قول المعتزلة ثم قال تعالى ولو شاء ربك لجعل الناس امة
واحدة كلهم على دين واحد ولا يزالون مختلفين على اديان شتى يهودي ونصراني ومجوسي ومشرك ونحو ذلك وقد تقدم الكلام
على ذلك **قوله تعالى** الا من رحم ربك ظاهره انه متصل وهو استثناء من فاعل يزالون او من الضمير في مختلفين وجوز
الحوفي ان يكون استثناء منقطعا اي لكن من رحم لم يختلفوا ولا ضرورة تدعو الى ذلك **قوله تعالى** ولذلك في المشار اليه

اقوال اظهرها انه للاختلاف المدلول عليه بمختلفين كقوله • اذا نهي السفيه جرى اليه • وخالف والسفيه الى خلاف •
رجع الضمير من اليه على السفيه المدلول عليه بلفظ السفيه ولا بد من حذف مضاف على هذا اي ولثمرة الاختلاف خلقهم واللام
في الحقيقة للصيرورة اي خلقهم ليصير امرهم الى الاختلاف وقيل المراد به المجموع منهما واليه نحا ابن عباس رضي الله تعالى
عنهما والقولان عن ذلك وقيل اشارة الى ما بعده من قوله تعالى وتمت كلمة ربك ففي الكلام تقديم وتاخير وهو قول
مرجوح لان الاصل عدم ذلك **فصل** قال الحسن وعطاء وللاختلاف خلقهم وقال اشهب سالت مالكا رحمه
الله عن هذه الآية فقال خلقهم ليكون فريق في الجنة وفريق في السعير قال ابو عبيدة الذي اختاره قول من قال خلق فريقا
لرحمته وفريقا لعذابه ويؤيده قوله تعالى وتمت كلمة ربك لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين وقوله صلى الله عليه وسلم
ان الله خلق الجنة وخلق لها اهلا وخلق النار وخلق لها اهلا وقال ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد وقتادة والضحاك وللرحمة
خلقهم يعني الذين رحمهم قال الفراء خلق اهل الرحمة للرحمة واهل الاختلاف للنار ومحصول الآية ان اهل الباطل مختلفون
واهل الحق متفقون فخلق اهل الحق للاتفاق واهل الباطل للاختلاف وذهب المعتزلة الى قول ابن عباس وهو انه
خلقهم للرحمة قالوا ولا يجوز ان يقال للاختلاف خلقهم لوجوه الاول ان عود الضمير الى اقرب مذكور وهو هنا الرحمة
والاختلاف والثاني لو خلقهم للاختلاف واراده منهم لم يجز ان يعذبهم عليه وكانوا مطيعين له بذلك الاختلاف الثالث
اما اذا فسرنا الآية بالرحمة كان مطابقا لقوله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون وان قيل لو كان المراد وللرحمة خلقهم
قلنا ان تانيث الرحمة ليس حقيقيا فكان محمولا على الفضل والغفران لقوله تعالى هذا رحمة من ربي وقوله تعالى ان رحمة الله
قريب من المحسنين **فصل** احتج من قال بان الهداية والايمان لا يحصلان الا بخلق الله تعالى بهذه الآية
وذلك لانها تدل على ان زوال الاختلاف في الدين لا يحصل الا لمن الله رحمه لقوله تعالى ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك
وتلك الرحمة ليست عبارة عن اعطاء القدرة والعقل وارسال الرسل وانزال الكتب وازاحة العذر فان ذلك حاصل للكفار
فلم يبق الا ان يقال تلك الرحمة هو انه تعالى يخلق فيه تلك الهداية والمعرفة قال القاضي معناه الا من رحم ربك بان يصير
من اهل الجنة والثواب برحمة الله بالالطاف وتسهيله وهذان الجوابان في غاية الضعف اما الاول فلان قوله تعالى ولا يزالون
مختلفين الا من رحم ربك يفيد ان ذلك الاختلاف انما زال بسبب هذه الرحمة فوجب ان كون هذه الرحمة جارية مجرى السبب
المتقدم على زوال الاختلاف والثواب شيء متاخر عن زوال الاختلاف فالاختلاف جار مجرى المسبب له فحمل هذه
الرحمة على الثواب لا يجوز واما الثاني وهو حمل هذه الرحمة على الالطاف التي فعلها في حق المؤمن فهو مفعول ايضا في حق الكافر
وهذه الرحمة امر اختص به المؤمن فوجب ان يكون سببا زائدا على تلك الالطاف وايضا فحصول تلك الالطاف هل يوجب
رجحان وجود الايمان على عدمه ام لا يوجبه فان لم يوجبه كان وجود تلك الالطاف وعدمها بالنسبة الى حصول هذا
المقصود سيئان لم يكن لطفا منه وان اوجب الرجحان فقد ثبت في العقليات انه متى حصل الرجحان فقد صح حينئذ
ان يكون حصول الايمان من الله ومما يدل على ان حصول الايمان لا يكون الا بخلق الله انه لما لم يتميز الكفر والعلم عن الجهل
ام القصد الى تكوين الايمان والعلم وهذا الايثار انما يحصل اذا علم كون احدهما ذا الاعتقاد مطابقا للمعتقد وكون
الآخر ليس كذلك وانما يصح هذا العلم اذا عرف ان ذلك المعتقد كيف يكون وهذا يوجب ان لا يصح من العبد القصد الى تكوين
العلم بالشيء الا بعد ان كان عالما وذلك يقتضي تكوين الكائن وتحصيل الحاصل وهو محال فثبت ان زوال الاختلاف في الدين
وحصول العلم والهداية لا يحصل الا بخلق الله تعالى ثم قال وتمت كلمة ربك وتم حكم ربك لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين
فقوله اجمعين تاكيد لان ان يسبق بكل وقد جاء هنا دونها والجنة والجن قيل واحد والتاء فيه للمبالغة وقيل الجنة جمع جن
فيكون مثل كم للجمع وكماة للواحد **قوله تعالى** وكلا نقص عليك الآية لما ذكر القصص الكثيرة في هذه السورة
ذكر في هذه الآية نوعين من الفائدة احدهما تثبيت الفؤاد على اداء الرسالة وعلى الصبر واحتمال الاذى وذلك لان الانسان
اذا ابتلي بمحنة وبلية فاذا رأى له مشاركا خف ذلك على قلبه كما يقال المصيبة اذا عمت خفت فاذا سمع الرسول صلى الله عليه وسلم
ذا بما هذه القصص وعلم ان حال جميع الانبياء عليهم الصلاة والسلام مع اتباعهم هكذا سهل عليه تحمل الاذى من قومه وامكنه
الصبر عليه والفائدة الثانية قوله وجاءك في هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين قوله تعالى وكلا نقص عليك في نصبه
اوجه احدها انه مفعول به والمضاف اليه محذوف عوض منه التنوين تقديره وكل نبأ نقص عليك ومن انباء بيان له او صفة
اذا قدر المضاف اليه نكرة وقوله ما نثبت يجوز ان يكون بدلا من كلا وان يكون خبر مبتدا مضمر اي هو ما نثبت او منصوب
باضمار اعني الثاني انه منصوب على المصدر اي كل اقتصاص نقص ومن انباء صفة او بيان وما هو مفعول نقص الثالث
كما تقدم الا انه تجعل ما صلة والتقدير وكلا ما نقص من انباء الرسل نثبت به فؤادك كذا اعربه ابو حيان وقال الكبي في قوله
قليلا ما يذكرون الرابع ان يكون كلا منصوبا على الحال مما نثبت وهي في معنى جميعا وقيل بل هي حال من الضمير في به وقيل

بل هي حال من ابنا وهذان الوجهان انما يجوزان عند الاخفش فانه يجوز تقديم حال المجرور بالحرف عليه كقوله تعالى
والسموات مطويات بيمينه في قراءة من نصب مطويات وقول الشاعر • رهطا ابن كوز محقبي ادراعهم • فيهم ورهط ربيعة بن حذار •
فصل المعنى وكل الذي يحتاج اليه من انباء الرسل من اخبارهم واخبار اممهم نقصها عليك ما نثبت به فؤادك
ليزيدك يقينا ويقوي قلبك وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم اذا سمعها كان في ذلك تقوية لقلبه على الصبر على اذى
قومه وجاءك في هذه الحق قال الحسن وقتادة في هذه الدنيا وقال الاكثرون في الحق في جميع الرسل السور وقيل في هذه الاية
والمراد بالحق البراهين الدالة على التوحيد والعدل والنبوة وموعظة اي وجاءتك موعظة وذكرى للمؤمنين والمراد
بالذكرى الاعمال الباقية الصالحة في الاخرة ثم قال تعالى وقل للذين لا يؤمنون اعملوا على مكانتكم وهذا
تهديد ووعيد لانه تعالى لما بالغ في الاعذار والترغيب اتبع ذلك بان قال الرسول صلى الله عليه وسلم وقل للذين لا
يؤمنون ولم يؤثر فيهم هذه البيانات البالغة اعملوا على مكانتكم انا عاملون وهذا عين ما حكاه الله تعالى عن شعيب
عليه السلام انه قال لقومه والمعنى فعلوا كلما تقدرون عليه في حقي من الشر فنحن ايضا عاملون وقوله اعملوا ان
كانت صيغة امر فالمراد بها التهديد كقوله تعالى واستفزز من استطعت منهم بصوتك وكقوله تعالى فمن شاء فليؤمن ومن شاء
فليكفر وانتظروا ما يعدكم الشيطان من الخذلان انا منتظرون ما وعدنا الرحمن من الغفران والاحسان قال ابن عباس
رضي الله عنهما وانتظروا الهلاك فانا منتظرون لكم العذاب وقيل انتظروا ما يحل بنا من رحمة الله انا منتظرون
ما يحل بكم من نقمة ثم انه تعالى ذكر خاتمة شريفة عالية جامعة لكل المطالب الشريفة فقال تعالى ولله غيب السموات
والارض علم ما غاب عن العباد اي ان علمه نافذ في جميع الكليات والجزئيات والمعدومات والموجودات واليه يرجع
الامر كله في المعاد قرا نافع وحفص يرجع بضم اليا وفتح الجيم اي يرد وقرا الاخرون بفتح اليا وكسر الجيم اي يعود الامر كله
اليه حتى لا يكون للخلق امر فاعبده وتوكل عليه وما ربك بغافل عما يعملون قرا نافع وابن عامر وحفص تعملون بالخطاب
لان قبله اعملوا والباقون بالغيبة رجوعا على قوله للذين لا يؤمنون وهذا الخلاف ايضا اخر النمل قال كعب خاتمة التوراة
خاتمة سورة هود روى عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال ابو بكر رضي الله عنه يا رسول الله قد شبت قال صلى الله عليه
وسلم شيبتني هود والواقعة والمرسلات وعم يتساءلون واذا الشمس كورت ويروى شيبتني هود واخواتها ويروى
شيبتني هود واخواتها الحاقة والواقعة وعم يتساءلون وهل اتاك حديث الغاشية قال الحكيم الترمذي الفزع يورث
الشيب وذلك ان الفزع يذهل النفس فينشف رطوبة الجسد وتحت كل شعرة منبع ومنه تعرق فاذا انشف الفزع
رطوبته يبست المنابع فيبس الشعر وابيض كما يروى الزرع سقياه فاذا ذهب سقياه يبس وابيض وانما يبيض
شعر الشيخ لذهاب رطوبته ويبس جلده والنفس تذهل بوعيد الله بالاهوال فيذهب وينشف ماءها ذلك الوعيد
والهول الذي جاء به ومنه يشيب قال تعالى يوما يجعل الولدان شيبا وقال الاصم ما حل باهل اليقين اذ تلوها
مما على قلوبهم من ملكه وسلطانه وبطشه باعدائه فلو ماتوا من الفزع لحق لهم ولكن الله تبارك وتعالى يلطف
بهم في تلك الاحيان حتى يقروا كلامه كذا ذكر اخر اية سورة هود فان تلاوة هذه السورة مما يكشف لقلوب العارفين
من سلطانه وبطشه ما تذهل منه النفوس وتشيب منه الرؤوس قال القرطبي وقيل ان الذي شيب النبي صلى الله عليه وسلم
من سورة هود هو قوله تعالى فاستقم كما امرت وقال عمرو بن ابي عمرو العبدي قال لي يزيد بن ابان رضي الله عنه رأيت النبي
صلى الله عليه وسلم في المنام فقرات عليه سورة هود فلما ختمتها قال يا يزيد قرات فاين البكا واسند ابو محمد الدارمي
في مسنده عن كعب رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقروا سورة هود يوم الجمعة تمت بكلة والله على ما نقول وكيل

سورة يوسف عليه السلام مكية وهي مائة واحدى عشر

بسم الله الرحمن الرحيم • سورة يوسف صلوات الله عليه مكية وقال ابن عباس
وقتادة الا اربع ايات منها وهي مائة واحدى عشرة آية وعدد كلماتها الف وسبع مائة وست وسبعون كلمة وعدد
حروفها سبعة الاف ومائة وستة وستون حرفا قوله تعالى الر تلك ايات الكتاب المبين قد تقدم الكلام
على الر تلك ايات الكتاب في اول يونس والاشارة بتلك الى ايات هذه السورة على الابتداء والخبر وقيل الر اسم
للسورة اي هذه السورة الر تلك ايات الكتاب المبين والمراد بالكتاب القران واما قوله المبين فيحتمل ان يكون
من بان بمعنى ظهر اي البين حلاله وحرامه وحدوده واحكامه قال قتادة رحمه الله مبين والله بركته وهداه

ورشده وقال الزجاج من ابان بمعنى اظهر اي ابان الحق والباطل والحلال من الحرام وقصص الاولين ويحتمل
ان يكون من البينونة بمعنى التفريق اي فرق بين الحق والباطل والحلال والحرام قوله تعالى انا انزلناه قرانا
عربيا يعني الكتاب وفي نصب قرانا ثلاثة اوجه احدها ان يكون بدلا من ضمير انزلناه او حالا موطئة منه والضمير
في انزلناه ضمير المصدر وعربيا نعت للقران وجوز ابو البقا ان يكون حالا من الضمير في قرانا اذا احتمل ضميرا بمعنى
اذا جعلناه حالا مؤولا بمشتق اي انزلناه مجتمعا في حال كونه عربيا والعربي منسوب للعرب لانه نزل بلغتهم وواحد
العرب عربي كما ان واحد الروم رومي اي انزلناه بلغتكم لكي تعلموا معانيه وتفهموا ما فيه وعربة بفتح الراء ناحية
دار اسماعيل النبي صلوات الله عليه قال الشاعر • وعربة ارض ما يحل حرامها • من الناس الا اللوذعي الحلاحل •
لكن راها صلوة فيجوز ان يكون العربي منسوبا الى هذه البقعة احتج الجبائي بهذه الاية على كون القران مخلوقا لقوله
تعالى انا انزلناه والقديم لا يجوز انزاله وتحويله من حال الى حال ولانه تعالى وصفه بكونه عربيا والقديم لا يكون
عربيا ولان قوله تعالى انا انزلناه قرانا عربيا يدل على انه سبحانه كان قادرا ان ينزله لا عربيا ولان قوله تعالى تلك
ايات الكتاب يدل على انه من الايات والكلمات والمركب محدث قال ابن الخطيب والجواب عن هذه الوجوه ان نقول المركب من الحروف
والكلمات محدث وذلك لا نزاع فيه انما الذي ندعي قدمه شيء اخر فسقط هذا الاستدلال قوله تعالى لعلكم
تعقلون قال الجبائي كلمة لعل يجب حملها على اللام والتقدير انا انزلناه قرانا عربيا لتعقلوا معانيه في امر الدين اذ لا يجوز
ان يراد بلعلكم تعقلون الشك لانه على الله محال فثبت ان المراد لكي تعرفوا الام له وذلك يدل على انه سبحانه وتعالى
اراد من كل العباد ان يعقلوا توحيده وامر دينه من عرف منهم ومن لم يعرف قال ابن الخطيب والجواب هب ان الامر على
ما ذكرتم الا انه يدل على انه تعالى انزل هذه السورة واراد منهم معرفة كيفية هذه القصة لكن لم قلتم انها تدل على انه
تعالى اراد من الكل الايمان والعمل الصالح قوله تعالى نحن نقص عليك احسن القصص الاية نحن نقص مبتدا وخبر
والقاص الذي يتبع الاثار ويأتي بالخبر على وجهه قال تعالى وقالت لاخته قصيه اي اتبعي اثره فارتدا على اثارهما
قصصا اي اتباعا وسميت الحكاية قصصا لان الذي يقص الحديث يذكر تلك القصة شيئا شيئا كما يقال تلا القران
اذا قراه لانه يتلو اي يتبع ما حفظ منه اية بعد اية والمعنى نبين لك اخبار الامم السالفة والقرون الماضية روى
سعد بن ابي وقاص رضي الله عنه قال لما انزل القران على رسول الله صلى الله عليه وسلم فتلا عليهم زمانا فقالوا يا رسول
الله صلى الله عليك وسلم لو حدثتنا فانزل الله عز وجل ذكره الله نزل احسن الحديث فقالوا يا رسول الله صلى الله وسلم
عليك لو ذكرتنا فانزل الله عز وجل الم يان للذين امنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله قوله تعالى احسن في انتصابه
وجهان احدهما ان يكون منصوبا على المفعول به وذلك اذا جعلت القصص مصدرا واقعا موقع المفعول كالخلق بمعنى
المخلوق او جعلته فعلا بمعنى مفعول كالقبض والنقض بمعنى المقبوض والمنقوض اي نقص عليك احسن الاشياء المقتصة
فيكون معنى كونه احسن القصص لما فيه من العبر والنكت والحكم والعجائب التي ليست في غيرها فاحدى الفوائد في هذه القصة
انه لا دافع لقضاء الله ولا مانع من قدر الله وانه تعالى اذا قضى لانسان بخير فلو اجتمع العالم لم يقدروا على دفعه
والفائدة الثانية انها تدل على ان الحسد سبب الخذلان والنقصان والفائدة الثالثة ان الصبر مفتاح الفرج
كما في حق يعقوب عليه الصلوة والسلام فانه لما صبر فاز بمقصوده وكذلك يوسف صلوات الله وسلامه عليه
والوجه الثاني ان يكون منصوبا على المصدر المبين اذا جعلت القصص مصدرا غير مراد به المفعول ويكون المقصوص
على هذا محذوفا اي نقص عليك احسن الاقتصاص وعلى هذا فالحسن يعود الى حسن البيان لا الى القصة والمراد بهذا الحسن
كون هذه الالفاظ فصيحة بالغة في الفصاحة الى حد الاعجاز الا ترى ان هذه القصة مذكورة في كتب التواريخ مع ان
شيئا منها لا يشبه هذه السورة في الفصاحة والبلاغة يجوز ان يكون افعل تفضيل على بابها وان يكون لمجرد الوصف
بالحسن ويكون من باب اضافة الصفة لموصوفها اي القصص الحسن قال العلماء رضي الله عنهم ذكر الله اقاصيص الانبياء في
القران وكررها بمعنى واحد في وجوه مختلفة بالفاظ متباينة على درجات المبالغة وقد ذكر قصة يوسف عليه
السلام ولم يكررها فلم يقدر مخالف على معارضة ما تكرر ولا على معارضة غير المكرر فصل قال القرطبي
وذكر العلماء لكون هذه القصة احسن القصص وجوها احدها انه ليس قصة في القران تتضمن من العبر والحكم ما تتضمن
هذه القصة لقوله تعالى في اخرها لقد كان في قصصهم عبرة لاولي الالباب وثانيها حسن مجاوزة يوسف اخوته وصبره على
اذاهم وعفوه عنهم بعد التقائهم عن ذكر فعلهم وكرمه في العفو عنهم حتى قال لا تثريب عليكم اليوم وثالثها ان فيها ذكر
الانبياء عليهم الصلاة والسلام والصالحين والملائكة والجن والشياطين والانس والطير وسير الملوك والممالك
والتجار والعلماء والجهال والرجال والنساء وحيلهن ومكرهن وذكر التوحيد والفقه والسير وتعبير الرؤيا والسياسة

والمعاشرة وتدبير المعاش وجمل الفوائد التي تصلح للدين والدنيا ورابعها ان فيها ذكر الحبيب والمحبوب وسيرهما
وخامسها ان احسن هنا بمعنى اعجب وسادسها سميت احسن القصص لان من ذكر فيها كان مآله الى السعادة انظر الى يوسف
وابيه واخوته وامراة العزيز وقيل والملك ايضا اسلم بيوسف وحسن اسلامه ومعبر الرؤيا الساقي والشاهد فيما
يقال فما كان امر الجميع الا الى خير والله اعلم **قوله تعالى** بما اوحينا الباء سببية وهي متعلقة بنقص وما مصدرية اي
بسبب ايحائنا **قوله تعالى** هذا القرآن يجوز فيه وجهان اظهرهما ان ينتصب على المفعول به باوحينا والثاني
ان يكون المسئلة من باب التنازع اعني بين نقص وبين اوحينا فان كلا منهما يطلب هذا القرآن ويكون المسئلة من
اعمال الثاني وهذا انما يتاتي على جعلنا احسن منصوبا على المصدر ولم نقدر لنقص مفعولا محذوفا **قوله تعالى**
وان كنت من قبله الى آخره تقدم اعراب نظيره والمعنى وكنت من قبله اي من قبل وحينا لمن الغافلين اي لمن الشاهدين
عن هذه القصة لا تعلمها وقيل لمن الغافلين عن الدين والشريعة قبل ذلك كقوله تعالى ما كنت تدري ما الكتاب
ولا الايمان قال بعض المفسرين سمى قصة يوسف احسن القصص لما فيها من العبر والحكم والنكت والفوائد التي تصلح للدين
والدنيا من سير الملوك والمماليك والعلماء ومكر النساء والصبر على اذى الاعداء وحسن التجاوز عنهم بعد الالتقاء وغير
ذلك من الفوائد قال خالد بن معدان سورة يوسف وسورة مريم يتفكه بهما اهل الجنة في الجنة وقال ابن عطاء رحمه الله
لا يسمع سورة يوسف محزون الا استراح لها **قوله تعالى** اذ قال يوسف لابيه الاية روي ان علماء اليهود قالوا لكبراء
المشركين سلوا محمدا لم انتقل يعقوب من الشام الى مصر وعن كيفية قصة يوسف عليه السلام فانزل الله تعالى هذه السورة
وفي العامل في اذ وجوه اظهرها انه منصوب بقال يا بني اي قال يعقوب يا بني وقت قول يوسف له كيت وكيت وهذا
اسهل الوجوه اذ فيه ابقاء اذ على كونها ظرفا ماضيا وقيل الناصب له الغافلين قاله مكي وقيل هو منصوب بنقص اي
نقص عليك وقت كيت وكيت وهذا فيه اخراج اذ عن المضي وعن الظرفية وان قدرت المفعول محذوفا اي نقص عليك الحال
وقت قوله لم تخرجها عن المضي وقيل هو منصوب بمضمر اي اذكر وقيل هو منصوب اي اذكر وقيل هو منصوب على انه
بدل من احسن القصص بدل اشتمال قال الزمخشري لان الوقت يشتمل على القصص وهو المقصوص ويوسف اسم عبراني
ولذلك لا ينصرف وقيل هو عربي فقال الزمخشري الصحيح انه اسم عبراني لانه لو كان عربيا لانصرف وسئل ابو الحسن
الاقطع عن الاسف قال الاسف في اللغة الحزن والاسيف العبد واجتمعا في يوسف فسمي به روي ابن عمر عن النبي صلى
الله عليه وسلم قال الكريم بن الكريم بن الكريم يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم صلوات الله عليهم **قوله تعالى**
يا ابت قرا ابن عامر بفتح التاء والباقون بكسرها وهذه التاء عوض من ياء المتكلم ولذلك لا يجوز الجمع بينهما وهذه تختص
بلفظين يا ابت ويا امت ولا يجوز في غيرهما من الاسماء لو قلت يا صاحبت لم يجز البتة كما اختصت لفظة الام والعم
بحكم في نحو يا ابن ام ويجوز الجمع بين التاء وبين كل من الياء والالف ضرورة كقوله • يا ابتا علك او عساكا •
وقول الاخر • يا ابتا لا تزل عندنا • فانا نخاف بان تخترم • وقول الاخر •
الا يا ابي لا زلت فينا فانما • لنا امل في العيش ما دمت عائشا • وكلام الزمخشري موذن بان الجمع بين التاء
والالف ضرورة فانه قال فان قلت فما هذه الكسرة قلت هي الكسرة كانت قبل التاء في قولك يا ابي فزحلقت الى التاء
لاقتضاء تاء التانيث ان يكون ما قبلها مفتوحا فان قلت فما بال الكسرة لم تسقط بالفتحة التي اقتضتها التاء
وتبقى التاء ساكنة قلت امتنع ذلك فيها لانها اسم والاسماء حقها الحركة لاصالتها في الاعراب وانما جاز تسكين
الياء واصلها ان تحرك تخفيفا لانها حرف لين واما التاء فحرف صحيح نحو كاف الضمير فلزم تحريكها فان قلت يشبه الجمع
بين هذه التاء وبين هذه الكسرة الجمع بين العوض والمعوض منه لانها في حكم الياء اذا قلت يا غلام فكما لا يجوز يا ابتي
لا يجوز يا ابت قلت الياء والكسرة قبلها شيئان والتاء عوض من احد الشيئين وهو الياء والكسرة غير متعرض لها فلا يجمع
بين العوض والمعوض منه فالكسرة ابعد من ذلك فان قلت فقد دلت الكسرة في يا غلام على الاضافة لانها قرينة الياء
ولصيقها فان دلت على مثل ذلك في يا ابت فالتاء المعوضة لغو وجودها كعدمها قلت بل حالها مع التاء كحالها
مع الياء اذا قلت يا ابي وكذا عبارة ابي حيان فانه قال وهذه التاء عوض من ياء الاضافة فلا يجتمعان ويجامع الالف
التي هي بدل من الياء كما قال • يا ابتا علك او عساكا • وفيه نظر من حيث ان الالف كالياء لكونها بدلا منها فينبغي
ان لا يجمع بينهما وهذه التاء اصلها للتانيث قال الزمخشري فان قلت ما هذه التاء قلت تاء تانيث وقعت عوضا
من ياء الاضافة والدليل على انها تاء تانيث قلبها هاء في الوقف قرا ابن كثير وابن عامر والباقون وقفوا عليها
بالتاء كانهم اجروها مجرى تاء الالحاق في بنت واخت وممن نص على كونها للتانيث سيبويه فانه قال سالت الخليل
عن التاء في يا ابت فقال هي بمنزلة التاء في يا خالة ويا عمة يعني انها للتانيث ويدل على كونها للتانيث ايضا كتبهم اياها هاء

وقياس من وقف بالتاء ان يكتبها تاء كبنت واخت ثم قال الزمخشري فان قلت كيف جاز الحاق التانيث بالمذكر
قلت كما جاز في قولك حمامة ذكر وشاة ذكر ورجل ربعة وغلام يفعة يعني انها جيء بها لمجرد تانيث اللفظ كما في
الالفاظ المستشهد بها ثم قال الزمخشري فان قلت فلم ساغ تعويض تاء التانيث من ياء الاضافة قلت لان التانيث
والاضافة يتناسبان في ان كل واحد منهما زيادة مضمومة الى الاسم في آخره قال شهاب الدين وهذا قياس بعيد لا يعمل
عند الحذاق فانه يسمى الشبه الطردي اي انه شبه في الصورة وقال الزمخشري انه قرئ يا ابت بالحركات الثلاث فاما الفتح
والكسر فقد تقدم ذكر من قراهما واما الضم فغريب جدا وهو يشبه من يبني المنادى المضاف للياء المتكلم على الضم كقراءة
من قرا قل رب احكم بضم الباء وياتي توجيهها هناك ان شاء الله تعالى ولم قلنا انه مضاف للياء ولم نجعله مفردا من غير
اضافة وقد تقدم توجيه كسر هذه التاء بما ذكره الزمخشري من كونها هي الكسرة التي قبل التاء زحلقت الى التاء وهذا احد
المذهبين والمذهب الآخر انها كسرة اجنبية جيء بها للدلالة على الياء المعوض منها واما الفتح ففيه اربعة اوجه ذكر الفارسي
منها وجهين احدهما انه اجتزا بالفتحة عن الالف المنقلبة عن الياء كما اجتزا عنها الاخر بقوله •
فلست براجع ما فات مني • بلهف ولا بليت ولا لواني • يا ابن ام ويا ابن عم • والثاني انه رخم بحذف الياء ثم اقحمت
التاء مفتوحة كقول النابغة • كليني لهم يا اميمة ناصب • وليل اقاسيه بطيء الكواكب • بفتح تاء اميمة
الثالث ما ذكره الفراء وابو عبيدة وابو حاتم وقطرب في احد قوليه وهو ان الالف في يا ابتا للندبة ثم حذفها
مجتزيا عنها بالفتحة وهذا قد ينفع في الجواب عن الجمع بين العوض والمعوض منه ورد بعضهم هذا بان الموضع ليس
موضع ندبة الرابع ان الاصل يا ابة بالتنوين فحذف التنوين لان النداء باب حذف والى هذا ذهب قطرب في القول
الثاني ورد هذا بان التنوين لا يحذف من المنادى المنصوب نحو يا ضاربا رجلا وقرا ابو جعفر يا ابي بالياء ولم
يعوض منها التاء وقرا الحسن والحسين وطلحة بن ابي سليمان رضي الله عنهم احد عشر بسكون العين كانهم قصدوا التنبيه
بهذا التخفيف على ان الاسمين جعلا اسما واحدا **قوله تعالى** والشمس والقمر يجوز فيه وجهان احدهما ان تكون
الواو عاطفة وحينئذ يحتمل ان يكون من باب ذكر الخاص بعد العام تفصيلا له لان الشمس والقمر دخلا في قوله
احد عشر كوكبا فهو كقوله تعالى وجبريل وميكال بعد قوله تعالى وملائكته ويحتمل ان لا يكون كذلك ويكون الواو
لعطف المغاير فيكون قد راى الشمس والقمر زيادة على الاحد عشر بخلاف الاول فانه يكون راى الاحد عشر ومن جملتها
الشمس والقمر وهذان الاحتمالان نقلهما الزمخشري والوجه الثاني ان تكون الواو بمعنى مع لانه مرجوح لانه متى امكن
العطف من غير ضعف ولا اخلال بمعنى رجح على المعية وعلى هذا فيكون كالوجه الذي قبله بمعنى انه راى الشمس والقمر
زيادة على الاحد عشر **قوله تعالى** رايتهم لي ساجدين يحتمل وجهين احدهما انها جملة كررت للتوكيد لما طال
الفصل بالمفاعيل كررت كما كررت انكم في قوله تعالى ايعدكم انكم اذا متم وكنتم ترابا وعظاما انكم مخرجون كذا قاله ابو حيان
وسياتي تحقيقه ان شاء الله تعالى والثاني انه ليس بتوكيد واليه نحا الزمخشري فانه قال فان قلت ما معنى تكرار رايتهم
قلت ليس بتكرار انما هو كلام مستانف على تقدير سؤال وقع جوابا له كان يعقوب عليه الصلوة والسلام قال له عند
قوله اني رايت احد عشر كوكبا والشمس والقمر كيف رايتها سائلا عن حال رؤيتها فقال رايتهم لي ساجدين وهذا الظاهر لانه متى
دار الكلام بين الحمل على التاكيد او التاسيس فحمله على التاسيس اولى وساجدين صيغة جمع العقلاء فقيل لانه لما عاملهم
معاملة العقلاء في اسناده فعل العقلاء اليهم جمعهم جمعهم والشيء قد يعامل معاملة شيء اخر اذا شاركه في صفة ما كما قال في صفة
الاصنام وتراهم ينظرون اليك وهم لا يبصرون وكقوله عز وجل يا ايها النمل ادخلوا مساكنكم والرؤية هنا منامية
وقد تقدم انها تنصب مفعولين كالعلمية وعلى هذا يكون قد حذف المفعول الثاني من قوله رايت احد عشر كوكبا ولكن
حذفه اقتصارا ممتنع فلم يبق الا اختصارا وهو قليل او ممتنع عند بعضهم وقال بعضهم ان احداهما من الرؤية
والاخرى من الرؤيا قال القفال ذكر الرؤية الاولى لتدل على انه شاهد الكواكب والشمس والقمر والثانية لتدل على
مشاهدة كونها ساجدة له **فصل** ذكر المفسرون ان يوسف عليه الصلاة والسلام راى في المنام
احد عشر كوكبا والشمس والقمر يسجدون له وكان له احد عشر من الاخوة يستضاء بهم كما يستضاء بالنجوم ففسروا
الكواكب بالاخوة والشمس والقمر بالاب والام والسجود بتواضعهم له ودخولهم تحت امره وانما حملنا الرؤية على رؤيا
المنام لان الكواكب لا تسجد في الحقيقة ولقول يعقوب عليه الصلاة والسلام لا تقصص رؤياك على اخوتك وقال
السدي القمر خالته والشمس ابوه لان امه راحيل كانت قد ماتت وقال ابن جريج القمر ابوه والشمس امه لان الشمس مؤنثة
والقمر مذكر قال وهب بن منبه رضي الله عنه ان يوسف عليه الصلاة والسلام راى وهو ابن سبع سنين ان احد عشر

عصي طوالا كانت مركوزة في الارض كهيئة الدايرة واذا عصي صغيرة وثبت عليها حتى اقتلعتها فذكر ذلك لابيه
فقال اياك ان تذكر هذا لاخوتك ثم راي وهو ابن اثنتي عشرة سنة الشمس والقمر والكواكب تسجد له فقصها على ابيه فقال
لا تذكرها لهم فيكيدوا لك كيدا روى الزمخشري رضي الله عنه ان يهوديا جاء الى النبي المصطفى صلوات الله البر الرحيم
وسلامه عليه فقال يا محمد اخبرني عن النجوم التي راهن يوسف فسكت صلى الله عليه وسلم تسليما كثيرا دايما ابدا فنزل جبريل
عليه الصلاة والسلام فاخبره بذلك فقال صلوات الله وسلامه عليه لليهودي ان اخبرتك بذلك هل تسلم قال نعم •
فقال صلى الله عليه وسلم وشرف ومجد وعظم • جريان • والطارق • وقابس • وعمودان • والفليق • والمصبح • والضروح
والفرغ • ووثاب • وذو الكتفين • راها يوسف والشمس والقمر نزلن من السماء وسجدن فقال اليهودي اي والله

والذيال م

انها لاسماؤها واعلم ان كثيرا من هذه الاسماء غير مذكور في الكتب المصنفة في صور الكواكب **فصل** ذهبت طايفة
من العلماء الى انه لم يكن في اولاد يعقوب نبي غير يوسف عليه الصلاة والسلام وباقي اخوته لم يوح اليهم واستدلوا
بظاهر ما ذكر من افعالهم وحالهم في هذه القصة ومن استدل على نبوتهم بقوله تعالى امنا بالله وما انزل الينا وما
انزل الى ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط وزعم ان هولاء هم الاسباط فهو استدلال ضعيف لان
المراد بالاسباط شعوب بني اسرائيل وما كان يوجد فيهم من الانبياء الذي ينزل عليهم الوحي وايضا فان يوسف هو
المخصوص من بين اخوته بالرسالة والنبوة لانه نص على نبوته والايحا اليه في ايات القران ولم ينص على احد من اخوته
سواه فدل على ما ذكرناه **فصل** في الاية دليل على تحذير المسلم اخاه المسلم ولا يكون ذلك داخلا في
معنى الغيبة لان يعقوب قد حذر يوسف ان يقص رؤياه على اخوته فيكيدوا له كيدا وفيها ايضا دليل على جواز
ترك اظهار النعمة عند من يخشى غايلته حسدا وفيها ايضا دليل على معرفة يعقوب عليه السلام بتاويل الرؤيا فانه
علم من تاويلها انه سيظهر عليهم **قوله تعالى** يا بني لا تقصص قرا حفص يا بني بفتح اليا والباقون بالكسر وقرا العامة
تقصص بالصادين وهي لغة الحجاز وقرا زيد بن علي بصاد واحدة مشددة والادغام لغة تميم وقد تقدم تحقيق هذا في
المايدة عند قوله من يرتد منكم والرؤيا مصدر كالعقبى وقال الزمخشري رضي الله عنه الرؤيا بمعنى الرؤية الا انها مختصة
بما كان في النوم دون اليقظة فرق بينهما بحرفي التانيث كما قيل القربة والقربى وقرا العامة الرؤيا مهموزة من غير امالة
وقراها الكسائي في رواية الدوري عنه بالامالة واما الرؤيا ورؤياي الاثنتان في هذه السورة فاما لهما الكسائي
من غير خلاف في المشهور وابو عمرو يبدل هذه الهمزة واوا في طريق السوسي وقال الزمخشري وسمع الكسائي رويا وريا
بالادغام وضم الراء وكسرها وهي ضعيفة لان الواو في تقدير الهمزة فلم يقع ادغامها كما لم يقع ادغام اتزر من الازار واتجر
من الاجر يعني ان العارض لا يعتد به وهذا هو الغالب وقد اعتد القرا بالعارض في مواضع ياتي بعضها ان شا الله تعالى
نحو ريا في قوله تعالى اثاثا ورييا عند حمزة وعادا الاولى واما كسر الراء فلئلا يؤدي الى يا ساكنة بعد ضمة واما الضم
فهو الاصل والياء قد استهلكت بالادغام **قوله تعالى** فيكيدوا منصوب في جواب النهي وهو في تقدير شرط وجزا
ولذلك قدره الزمخشري بقوله ان قصصتها عليهم كادوك كيدا وفيه وجهان اظهرهما انه مصدر مؤكد وعلى هذا
ففي اللام في قوله لك تحتمل اوجها احدها ان يكون يكيد ضمن معنى ما يتعدى باللام لانه في الاصل متعد بنفسه قال فكيدوني
جميعا والتقدير فيحتالوا لك بالكيد قال الزمخشري مقررا لهذا الوجه فان قلت هلا قيل فيكيدوك كما قيل
فكيدوني قلت ضمن معنى فعل يتعدى باللام ليفيد معنى فعل الكيد مع افادة معنى الفعل المضمن فيكون اكد وابلغ
في التخويف وذلك نحو فيحتالوا لك الا ترى الى تاكيده بالمصدر الوجه الثاني من اوجه اللام ان تكون معدية ويكون هذا
الفعل مما يتعدى بحرف الجر تارة وبنفسه اخرى كنصح وشكر كذا قاله ابو حيان وفيه نظر لان ذاك باب لا ينقاس انما
يقتصر فيه على ما ذكره النحاة ولم يذكروا منه كاد الثالث ان اللام زايدة في المفعول به كزيادتها في قوله تعالى ردف
لكم قاله ابو البقا وهو ضعيف لان اللام لا تزاد الا باحد شرطين تقديم المعمول او كون العامل فرعا الرابع ان تكون اللام
للعلة اي فيكيدوا من اجلك وعلى هذا فالمفعول محذوف اقتصارا واختصارا الخامس ان تتعلق بمحذوف لانها حال
من كيدا اذ هي في الاصل يجوز ان تكون صفة له لو تاخرت الوجه الثاني من وجهي كيدا ان يكون مفعولا به اي فيصنعوا
كيدا اي امرا يكيدونك به وهو مصدر في موضع الاسم ومنه فاجمعوا كيدكم اي ما تكيدون به ذكره ابو البقا وعلى
هذا ففي اللام في لك وجهان فقط كونها صفة في الاصل ثم صارت حالا او هي للعلة واما الثلاثة الباقية
فلا تاتي لامتناعها واضح ثم قال ان الشيطان للانسان عدو مبين اي ظاهر العداوة لان الشيطان يحملهم على الكيد بعداوته
القديمة **فصل** قال ابو سلمة كنت ارى الرؤيا فتمرضني حتى سمعت رسول الله صلوات الله البر الرحيم وسلامه عليه

يقول الر

يقول الرؤيا الصالحة من الله تعالى فاذا راى احدكم ما يحب فلا يحدث به الا من يحب واذا راى ما يكره فلا يحدث به
وليتفل عن يساره وليتعوذ بالله من الشيطان الرجيم ومن شر ما راى فانها لن تضره وقال صلوات الله وسلامه عليه
الرؤيا جزء من اربعين او ستة واربعين جزءا من النبوة وهي على رجل طاير فاذا حدث بها وقعت قال الراوي واحسبه
قال لا يحدث بها الا حبيبا او لبيبا قال الحكما الرؤيا الردية يظهر تعبيرها عن قرب والرؤيا الجيدة انما يظهر تعبيرها
بعد حين قالوا والسبب فيه ان رحمة الله تعالى تقتضي ان لا يحصل الاعلام بوصول الشر الا عند قرب وصوله حتى يقل الحزن
والغم الحاصل بسبب توقعه واما الاعلام بالخير فيحصل متقدما على ظهوره بزمان طويل حتى يكون السرور الحاصل
بسبب توقع حصوله كثيرا **فصل** قال القرطبي الرؤيا حالة شريفة ومنزلة رفيعة قال صلوات الله
وسلامه عليه لم يبق بعدي من المبشرات الا الرؤيا الصالحات يراها العبد الصالح او ترى له وقال صلوات الله وسلامه
عليه اصدقكم رؤيا اصدقكم حديثا وحكم صلى الله عليه وسلم بانها جزء من ستة واربعين جزءا من النبوة وروي من سبعين
جزءا وروي من اربعة واربعين وروي من خمسين جزءا وروي من ستة وعشرين جزءا وروي من اربعين جزءا من النبوة
والصحيح حديث الست والاربعين ويتلوه في الصحة حديث السبعين فان قيل ان يوسف عليه الصلاة والسلام كان صغيرا
والصغير لا حكم لفعله فكيف يكون لرؤياه حكم حتى يقول له ابوه لا تقصص رؤياك على اخوتك فالجواب ان الرؤيا
ادراك حقيقة فيكون من الصغير كما يكون منه الادراك الحقيقي في اليقظة واذا اخبر عما راى في المنام وروي
ان يوسف صلوات الله وسلامه عليه كان ابن اثنتي عشرة سنة **فصل** في الاية دليل على ان الرؤيا لا تقص
على غير شفيق ولا ناصح ولا على من لا يحسن التاويل فيها وروى الترمذي ان النبي صلوات الله وسلامه عليه قال الرؤيا
معلقة برجل طاير ما لم يحدث بها صاحبها فاذا حدث بها وقعت فلا تحدثوا بها الا عارفا او محبا او ناصحا **قوله**
وكذلك يجتبيك ربك الكاف في موضع نصب او رفع فالنصب اما على الحال من ضمير المصدر المقدر وقد تقدم
انه راي سيبويه واما على النعت لمصدر محذوف والمعنى مثل ذلك الاجتباء العظيم يجتبيك على انه خبر ابتدا مضمر
اي الامر كذلك وقد تقدم نظايره **قوله تعالى** ويعلمك من تاويل مستانف ليس داخلا في خبر التشبيه
والتقدير وهو يعلمك والاحاديث جمع تكسير فقيل لواحد ملفوظ به وهو حديث ولكنه شذ جمعه على احاديث
وله اخوات في الشذوذ كاباطيل واقاطيع واعاريض في باطل وقطيع وعروض وزعم ابو زيد ان لها واحدا مقدرا
وهو احدوثة ونحوه وليس باسم جمع لان هذه الصيغة مختصة بالتكسير واذا كانوا قد التزموا ذلك فيما لم يصرح له
بمفرد من لفظه نحو شماطيط وابابيل ففي احاديث اولى ولهذا رد على الزمخشري قوله وهي اسم جمع الحديث وليس بجمع
احدوثة بما ذكرنا ولكن قوله ليس بجمع احدوثة صحيح لان مذهب الجمهور خلافه على ان كلامه قد يريد به ظاهره
من قوله اسم جمع **فصل** قال الزجاج الاجتبا مشتق من جبيت الشي اذا خلصته لنفسك ومنه جبيت
الماء في الحوض والمعنى كما رفع منزلتك بهذه الرؤيا العظيمة الدالة على الشرف والعز كذلك يجتبيك ربك يصطفيك
ربك بالنبوة وقيل باعلاء الدرجة ويعلمك من تاويل الاحاديث يريد تعبير الرؤيا سمي تاويلا لانه يؤول امره الى ما راى
في منامه والتاويل ما يؤول اليه عاقبة الامر وكان عليه افضل الصلاة والسلام غاية في علم التعبير وقيل تاويل
الاحاديث في كتبه تعالى والاخبار المروية عن الانبياء المتقدمين عليهم الصلاة والسلام وقيل الاحاديث جمع
حديث والحديث هو الحادث وتاويلها مالها ومال الحوادث الى قدرة الله تعالى وتكوينه وحكمته والمراد من تاويل
الاحاديث كيفية الاستدلال باصناف المخلوقات على قدرة الله تعالى وحكمته وجلالته **قوله تعالى**
ويتم نعمته عليك يجوز ان يكون عليك متعلقا بيتم وان يتعلق بنعمته وكرر على في قوله وعلى ال ليمكن العطف
على الضمير المجرور وهذا مذهب البصريين وقوله من قبل اي من قبلك واعلم ان من فسر الاجتبا بالنبوة لا يمكنه
ان يفسر اتمام النعمة هنا الا بالسعادات الدنيوية والاخروية اما سعادات الدنيا فالاكثار من الاولاد
والخدم والاتباع والتوسع في المال والجاه والجلالة في قلوب الخلق وحسن الثناء والحمد واما سعادات
الاخرة فالعلوم الكثيرة والاخلاق الفاضلة وقيل المراد من اتمام النعمة خلاصه من المحن ويكون وجه
التشبيه بابراهيم واسحق ويعقوب عليهم الصلاة والسلام هو انعام الله تعالى على ابراهيم بانجايه من النار
وعلى ابنه اسحق بتخليصه من الذبح وقيل ان اتمام النعمة هو وصل نعم الدنيا بنعم الاخرة بان جعلهم في الدنيا
انبياء وملوكا ونقلهم عنها الى الدرجات العلى في الجنة وقيل تمام النعمة على ابراهيم الخلة وعلى اسحق باخراج
يعقوب والاسباط من صلبه ومن فسر الاجتبا بالدرجات العالية فسر اتمام النعمة بالنبوة لان الكمال المطلق
والتمام المطلق في حق البشر ليس الا النبوة ويدل عليه قوله وعلى ال يعقوب اي على اولاده فان اولاده كلهم كانوا

ابنيا ، وقوله تعالى كما اتمها على ابويك من قبل ابراهيم واسحق والنعمة التامة التي بها حصل امتياز ابراهيم واسحق
عن سائر الناس ليس الا النبوة فوجب ان يكون المراد باتمام النعمة هو الكلمة النبوة وعلى هذا فيلزم الحكم بان اولاد
يعقوب كلهم كانوا انبيا ، لقوله تعالى ويتم نعمته عليك وعلى آل يعقوب فان قيل كيف يجوز ان يكونوا انبيا وقد
اقدموا على ما اقدموا عليه في حق يوسف فالجواب ان ذلك وقع قبل النبوة والعصمة انما تعتبر في وقت النبوة
لا قبلها **قوله تعالى** ابراهيم واسحق يجوز ان يكون بدلا من ابويك او عطف بيان او على اضمار اعني ثم لما وعد عليه
الصلوة والسلام بهذه الدرجات الثلاث ختم الكلام بقوله ان ربك حكيم عليم فقوله حكيم اشارة الى انه مقدس
عن العيب فلا يضيع النبوة الا في نفس قدسية فان قيل هذه الاشارات التي ذكرها يعقوب هل كان قاطعا
بصحتها ام لا فان كان قاطعا بصحتها فكيف حزن على يوسف وكيف جاز ان يشتبه عليه ان الذئب اكله وكيف
خاف عليه من اخوته ان يهلكوه وكيف قال لاخوته اخاف ان ياكله الذئب وانتم عنه غافلون مع علمه بان الله تعالى
سينجيه ويبعثه رسولا وان قلنا انه عليه الصلوة والسلام ما كان عالما بهذه الاحوال فكيف قطع بها وكيف حكم
بوقوعها جزما من غير تردد فالجواب قال ابن الخطيب لا يبعد ان يكون قوله وكذلك يجتبيك ربك مشروطا بان لا
يكيدوه لان ذكر ذلك قد تقدم وايضا فيبعد ان يقال انه عليه الصلاة والسلام سيصل الى هذه المناصب
الا انه لا يمتنع ان يقع في المضايق الشديدة ثم يتخلص منها ويصل الى تلك المناصب وكان خوفه بهذا السبب ويكون
معنى قوله وكذلك يجتبيك ربك الزجر عن التهاون في حقه وان كان يعلم ان الذئب لا يصل اليه **قوله تعالى**
لقد كان في يوسف واخوته الاية قال الزمخشري اسماء اخوة يوسف عليهم السلام • يهودا • وروبيل • وشمعون • ولاوي
وزبالون • ويشجر • وامهم ليا بنت ليان وهي ابنة خال يعقوب وولد له من سريتين تسمى احديهما زلفة والاخرى
بلهة اربعة اولاد • دان • ونفتالي • وجاد • واشر • فلما توفيت ليا تزوج يعقوب اختها راحيل فولدت
له يوسف وبنيامين **قوله تعالى** ايات قرا ابن كثير اية بالافراد والمراد بها الجنس والباقون بالجمع تصريحا
بالمراد لانها كانت علامات كثيرة وزعم بعضهم ان ثم معطوفا محذوفا تقديره للسائلين ولغيرهم ولا حاجة اليه
وللسائلين متعلق بمحذوف نعتا للايات ومعنى ايات للسائلين اي عبرة للمعتبرين فانها تشتمل على حسد اخوة يوسف
وما آل اليه امرهم من الحسد وتشتمل على رؤياه وما حقق الله منها وتشتمل على صبر يوسف عن قضاء الشهوة وعلى الرق
والسجن وما آل اليه امره من الملك وتشتمل على حزن يعقوب وصبره وما آل اليه امره من الوصول الى المراد وغير ذلك
وقيل ايات للسائلين اي دلالة على نبوة الرسول صلوات الله البر الرحيم وسلامه عليه وقال ابن عباس رضي الله عنهما
دخل حبر من اليهود على رسول الله صلى الله عليه وسلم فسمع منه قراءة يوسف فعاد الى اليهود فاعلمهم انه سمعه كما في
التوراة فانطلق نفر منهم فسمعوا كما سمع فقالوا له من علمك هذه القصة فقال صلوات الله وسلامه عليه الله علمني
فنزل لقد كان في يوسف واخوته ايات للسائلين قال ابن الخطيب وهذا الوجه عندي بعيد لان المفهوم من الاية
ان في واقعة يوسف عليه الصلاة والسلام وعلمها قلنا ما كانت الايات في قصة يوسف بل كانت الايات في اخبار
محمد صلوات الله وسلامه عليه عنها من غير تعلم الثاني ان اكثر اهل مكة كانوا اقارب الرسول صلوات الله وسلامه
عليه وكانوا ينكرون نبوته ويظهرون العداوة الشديدة معه بسبب الحسد فذكر قوله تعالى هذه القصة
وبين ان اخوة يوسف بالغوا في ايذائه لاجل الحسد وبعد ذلك ان الله نصره وقواه وجعلهم تحت يده ومثل هذه
الواقعة اذا سمعها العاقل كانت زاجرة له عن الاقدام على الحسد الثالث ان يعقوب عليه السلام لما عبر رؤيا يوسف
وقع ذلك التعبير ودخل في الوجود بعد ثمانين سنة فكذلك ان الله تعالى كما سعى لما وعد محمدا صلوات الله وسلامه عليه
بالنصر والظفر كان الامر كما قدره الله تعالى لا كما سعى فيه الاعدا في ابطال امره **قوله تعالى** ليوسف واخوه
احب الى ابينا منا اللام في ليوسف لام الابتدا افادت توكيد المضمون للجملة ارادوا ان زيادة محبته لهما امر ثابت
لا شبهة فيه واخوه بنيامين وانما قالوا اخوه وهم جميعا اخوة لان امهما كانت واحدة واحب افعل تفضيل وهو
مبني من حب المبني للمفعول وهو شاذ واذا بنيت افعل التفضيل من مادة الحب والبغض تعدى الى المفعول المعنوي
باللام او بفي فاذا قلت زيد احب الي من بكر يعني انك تحب زيدا اكثر من بكر فالمتكلم هو الفاعل وكذلك هو ابغض
الي منه انت المبغض واذا قلت زيد احب لي من عمرو واحب في منه اي ان زيدا يحبني اكثر من عمرو وقال امرؤ القيس

لعمري لسعد حيث حلت دياره • احب الينا منك يا فرس حمر •

وعلى هذا جاءت الاية الكريمة فان الاب هو فاعل المحبة واحب خبر المبتدا وانما يطابق لما عرفت من حكم افعل
التفضيل وقيل اللام في ليوسف جواب القسم تقديره والله ليوسف واخوه والواو في ونحن عصبة للحال فالجملة

بعدها

بعدها في محل نصب على الحال والعامة على رفع عصبة خبر نحن وقرا امير المؤمنين علي رضي الله عنه بنصبها
على ان الخبر محذوف والتقدير ونحن نرى او نجتمع فيكون عصبة حالا الا انه قليل جدا وذلك لان الحال لا تسد
مسد الخبر الا بشروط ذكرها النحاة نحو ضربي زيدا قائما واكثر شربي السويق ملتوتا قال ابن الانباري هذا كما
تقول العرب انما العامري عمته اي يتعمم عمته قال ابو حيان وليس مثله لان عصبة ليس بمصدر ولا هيئة فالاولى
ان يكون من باب حكمك مسمطا قال لهم ابا ادري ليس مراد ابن الانباري الا التشبيه من حيث انه حذف الخبر وسد شيء
اخر مسده في غير المواضع المنقاس فيها ذلك ولا نظر لكون المنصوب مصدرا او غيره وقال المبرد هو من باب حكمك
مسمطا اي لك حكمك مسمطا قال الفرزدق يا لهذم حكمك مسمطا قال واستعمل هذا فكثر حتى حذف استخفافا لعلم
السامع ما يريد القائل كقولك الهلال والله اي هذا الهلال والمسمط المرسل غير المردود وقدره غير المبرد
حكمك ثبت مسمطا وفي هذا المثال نظر لان النحويين يجعلون من شرط سد الحال مسد الخبر ان لا يصلح جعل الحال خبرا لذلك
المبتدا نحو ضربي زيدا قائما بخلاف ضربي زيدا شديدا فانها ترفع على الخبرية وتخرج المسئلة من ذلك وهذه الحال اعني
مسمطا يصلح جعلها خبرا للمبتدا اذ التقدير حكمك مرسل لا مردود فيكون هذا المثال على ما تقرر من كلامهم شاذا
والعصبة ما زاد على العشرة عن ابن عباس وعنه رضي الله عنهما وعنه ما بين عشرة الى اربعين وقيل الثلاثة نفر فاذا زادت
على ذلك الى تسعة فهو رهط فاذا بلغوا العشرة فصاعدا فعصبة وقيل ما بين الواحد الى العشرة وقيل من عشرة الى خمسة عشر
وقيل ستة وقيل سبعة والمادة تدل على الاحاطة من العصابة لاحاطتها بالراس **فصل** بينوا
السبب الذي لاجله قصدوا ايذاء يوسف وهو ان يعقوب عليه السلام كان يفضل يوسف واخاه على سائر اولاده
في الحب فتاذوا منه لوجوه احدها كانوا اكبر سنا منهما وثانيها انهم كانوا اكثر قوة واكثر قياما بمصالح الاب منهما
وثالثها انهم القائمون بدفع المضار والافات المشتغلون بتحصيل المنافع والخيرات واذا كانوا كذلك لا جرم قالوا
ان ابانا لفي ضلال مبين قال ابن الخطيب وههنا سؤالات السؤال الاول ان من المعلوم ان تفضيل بعض الاولاد على بعض
يورث الحقد والحسد وهما يورثان الافات فلما كان يعقوب عليه السلام عالما بذلك فلم اقدم على هذا التفضيل
وايضا فالاسن والاعلم والانفع مقدم فلم قلبت هذه القضية والجواب انه عليه السلام ما فضلهما على سائر
الاولاد الا في المحبة والمحبة ليست في وسع البشر فكان معذورا فيه ولا يلحقه بسبب ذلك لوم قال عليه السلام اللهم
هذا قسمي فيما املك فلا تلمني فيما لا املك حتى كان يحب عائشة رضي الله عنها السؤال الثاني ان اولاد يعقوب
ان كانوا قد امنوا بكونه رسولا حقا من عند الله فكيف اعترضوا وكيف ذهبوا طريقه وطعنوا في فعله وان كانوا
مكذبين بنبوته غير مقرين بكونه رسولا حقا من عند الله تعالى فهذا يوجب تكفيرهم والجواب انهم كانوا مؤمنين
بنبوته مقرين بكونه رسولا حقا من عند الله الا انهم لعلهم جوزوا للانبياء ان يفعلوا افعالا مخصوصة بمجرد
اجتهادهم ادى الى تخطيته اياهم في ذلك الاجتهاد وذلك لانهم كانوا يقولون هما صبيان ما بلغا العقل الكامل
ونحن متقدمون عليهما في السن والعقل والكفاية والمنفعة وكثرة الخدمة والقيام بالمهمات فاصراره على تقديم
يوسف علينا يخالف هذا الدليل واما يعقوب عليه السلام فلعله كان يقول زيادة المحبة ليست في الوسع والطاقة
فليس لله علي فيه تكليف واما تخصيصهما بمزيد البر فيحتمل انه كان لوجوه احدها ان امهما ماتت وهم صغار وثانيها
انه كان يرى فيه من اثار الرشد والنجابة ما لم يجد في سائر الاولاد والحاصل ان هذه المسئلة كانت اجتهادية وكانت
بميل النفس وموجبات الفطرة فلا يلزم من وقوع الاختلاف فيها طعن احد الخصمين في دين الاخر او في عرضه
السؤال الثالث انهم نسبوا اباهم الى الضلال المبين وذلك مبالغة في الذم والطعن ومن بالغ في الطعن في الرسول
كفر لا سيما اذا كان الطاعن ابنا فان حق الابوة يوجب مزيد التعظيم والجواب المراد من الضلال غير رعاية مصالح
الدين لا البعد عن طريق الرشد والصواب السؤال الرابع ان قولهم ليوسف واخوه احب الى ابينا منا محض الحسد
والحسد من امهات الكبائر لا سيما وقد اقدموا بسبب ذلك الحسد على تضييع ذلك الاخ الصالح والقائه في ذل
العبودية وتبعيده عن الاب المشفق والقوا اباهم في الحزن الدائم والاسف العظيم واقدموا على الكذب واتوا بهذه
الخصال المذمومة وكل ذلك يقدح في العصمة والنبوة والجواب ان المعتبر عصمة الانبياء في وقت حصول النبوة
فاما قبلها فذلك غير واجب **قوله تعالى** اقتلوا يوسف او اطرحوه ارضا الاية في نصب ارضا ثلاثة اوجه
احدها ان تكون منصوبة على اسقاط الخافض تخفيفا اي في ارض كقوله لاقعدن لهم صراطك وقوله

لدن بهز الكف يعسل متنه • فيه كما عسل الطريق الثعلب •

واليه ذهب الحوفي وابن عطية قال النحاس الا انه في الاية حسن كثير لانه يتعدى الى مفعولين احدهما بحذف فلم

فإذا حذفت الحرف تعدى الفعل إليه والثاني النصب على الظرفية قال الزمخشري أرضاً منكورة مجهولة بعيدة
من العمران وهو معنى تنكيرها وإخلائها من الناس ولإبهامها من هذا الوجه نصبت نصب الظروف المبهمة ورد ابن
عطية هذا الوجه فقال وذلك خطأ لأن الظرف ينبغي أن يكون مبهماً وهذه ليست كذلك بل هي أرض مقيدة بأنها
بعيدة أو قاصية أو نحو ذلك فزال بذلك إبهامها ومعلوم أن يوسف لم يخل من الكون في أرض فتبين أنهم أرادوا
أرضاً بعيدة غير التي هو فيها قريبة من أبيه واستحسن أبو حيان هذا الرد وقال وهذا الرد صحيح لو قلت جلست
داراً بعيدة أو مكاناً بعيداً لم يصح إلا بواسطة في ولا يجوز حذفها إلا في ضرورة شعر أو مع دخلت على الخلاف في
لازمة أم متعدية وفي الكلام من نظر إذ الظرف المبهم عبارة عما ليس له حدود تحصره ولا أقطار تحويه وأرضاً
في الآية لكن غير من هذا القبيل الثالث أنها مفعول ثان وذلك أن تضمن اطرحوه أنزلوه وأنزلوه يتعدى لاثنين
قال تعالى أنزلني منزلاً مباركاً وتقول أنزلت زيداً الدار والطرح الرمي ويعبر به عن الاقتحام في المخاوف قال
عروة بن الورد • ومن يك مثلي ذا عيال ومقتراً • من المال يطرح نفسه كل مطرح •
والمعنى اطرحوه إلى أرض تبعد من أبيه وقيل في أرض تأكله السباع ويخل لكم جواب الأمر وفيه الإدغام والإظهار
وتقدم تحقيقهما عند قوله يبتغ غير الإسلام قوله وتكونوا يجوز أن يكون مجزوماً نسقاً على ما قبله وأن يكون منصوباً
بإضمار أن بعد الواو في جواب الأمر **فصل** اعلم أنه لما قوي الحسد وبلغ النهاية قالوا لا بد من
تبعيد يوسف من أبيه وذلك لا يحصل إلا بأحد طريقين القتل أو التغريب ثم ذكروا العلة فيه وهي قوله
يخل لكم وجه أبيكم أي أن يوسف شغله عنا وصرف وجهه إليه فإذا فقده أقبل علينا بالميل والمحبة وتكونوا
من بعد قتل يوسف قوماً صالحين أي نتوب بعد قتله وقيل يصلح شأنكم وتتفرغوا لإصلاح مهماتكم واختلفوا
في تأويل هذا القول فقيل شاوروا أجنبياً فأشار عليهم بقتله ولم يقل أحد من إخوته ذلك وقيل القائل بعض
إخوته واختلفوا فيه فقال وهب شمعون وقال كعب دان وقال مقاتل روبيل فإن قيل كيف يليق هذا بهم وهم
أنبياء فأجاب بعضهم بأنهم كانوا في هذا الوقت مراهقين لم يبلغوا وهذا ضعيف فإنه يبعد في مثل نبي الله يعقوب
أن يبعث جماعة من الصبيان من غير أن يكون معهم قائم عاقل يمنعهم من القبائح وأيضاً فإنهم قالوا وتكونوا من
بعده قوماً صالحين وهذا يدل على أنهم قبل التوبة لا يكونوا صالحين وذلك ينافي كونهم من الصبيان وأيضاً قالوا
يا أبانا استغفر لنا ذنوبنا إنا كنا خاطئين والصغير لا ذنب له فأجاب بعضهم بأن هذا من باب الصغائر وهذا
أيضاً ضعيف لأن إيذاء الأب الذي هو نبي معصوم والكيد معه والسعي في إهلاك الأخ الصغير كل واحد
من ذلك من أمهات الكبائر بل الجواب الصحيح أنهم ما كانوا أنبياء وإن كانوا أنبياء إلا أن هذه الواقعة أقدموا عليها
قبل النبوة ثم إن قائلاً منهم قال لا تقتلوا يوسف قيل إنه روبيل وكان ابن خالة يوسف وكان أحسنهم رأياً فيه
فمنعهم من قتله وقيل يهوذا وكان أقدمهم في الرأي والعقل والسن وهو الصحيح **قوله تعالى** في غيابة الجب
قرأ نافع غيابات بالجمع في الحرفين من هذه السورة جعل ذلك المكان أجزاء وسمى كل جزء غيابة لأن للجب أقطاراً ونواحي
فيكون فيها غيابات والباقون بالإفراد لأن المقصود موضع واحد من الجب يغيب فيه يوسف وابن هرمز كنافع إلا أنه
شدد الياء والأظهر في هذه القراءة أن يكون سمي باسم الفاعل الذي للمبالغة فهو وصف في الأصل وألحقه الفارسي
بالاسم الجائي على فعّال نحو ما ذكر سيبويه من الفياد قال ابن جني ووجدت من ذلك الفخار الخزف وقال صاحب اللوامح
يجوز أن يكون على فعالات كحمامات ويجوز أن يكون على فيعالات كشيطانات جمع شيطانة وكل للمبالغة وقرأ الحسن
غيبة بفتح الياء وفيها احتمالان أحدهما أن يكون في الأصل مصدراً كالغلبة والثاني أن يكون جمع غائب نحو
صانع وصنعة قال أبو حيان وفي حرف أبي غيبة بسكون الياء وهي ظلمة الركية قال شهاب الدين والضبط أمر حادث
فكيف يعرف ذلك من المصحف وتقدم نحو ذلك والغيابة قال الهروي شبه لحف أو طاق في البئر فويق الماء يغيب
ما فيه عن العيون وقال الكلبي الغيابة تكون في قعر الجب لأن أسفله واسع ورأسه ضيق فلا يكاد الناظر يرى ما في
جوانبه وقال الزمخشري هي غوره وما غاب منه عن عين الناظر وأظلم من أسفله قال المنخل
• فإن أنا يوماً غيبتني غيابتي • فسيروا بسيري في العشيرة والأهل •
أراد غيابة حفرته التي يدفن فيها والجب البئر التي لم تطو وسمي بذلك إما لكونه محفوراً في جبوب الأرض
أي ما غلظ منها وإما لأنه قطع في الأرض والجب القطع ومنه الجب في الذكر وقال الأعشى
• لئن كنت في جب ثمانين قامة • ورقيت أسباب السماء بسلم •
ويجمع على جِبَب وجِباب وأجباب والألف واللام في الجب تقتضي المعهود السابق واختلفوا فيه فقال قتادة هو جب

وقيل م

بيت المقدس وقيل بأرض الأردن وقال مقاتل هو على ثلاثة فراسخ من منزل يعقوب وإنما عينوا ذلك
الجب للعلة التي ذكروها وهي قولهم يلتقطه بعض السيارة لأن تلك البئر كانت معروفة يردون عليها كثيراً وكان
يعلم أنه إذا طرح فيها يكون إلى السلامة أقرب لأن السيارة إذا وردوها شاهدوا ذلك الإنسان فيه فيخرجوه ويذ
هبوا به فكان إلقاؤه فيها أبعد من الإهلاك **قوله تعالى** يلتقطه قرأ العامة يلتقطه بالياء من تحت وهو الأصل
وقرأ الحسن ومجاهد وأبو رجاء وقتادة بالتاء من فوق لتأنيث المعنى وللإضافة إلى مؤنث وقالوا قطعت بعض أصابعه
قال الشاعر • إذا بعض السنين تعرقتنا • كفى الأيتام فقد أبي اليتيم • وتقدم الكلام بأشبع
من هذا في الأنعام والأعراف والالتقاط تناول الشيء المطروح ومنه اللقطة واللقيط قال الشاعر
ومنهل وردته التقاطاً **فصل** والسيارة جمع سيار وهو مثال مبالغة وهم الجماعة الذين
يسيرون في الطريق في السفر قال ابن عباس رضي الله عنهما يريد المارة ومفعول فاعلين محذوف أي فاعلين ما يحصل
غرضكم وهذا إشارة إلى القول أن لا يفعلوا شيئاً من ذلك وأما إن كان ولا بد فاقتصروا على هذا القدر ونظيره قوله
تعالى وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به يعني الأولى أن لا يفعلوا ذلك قوله تعالى قالوا يا أبانا ما لك لا تأمنا
الآية لا تأمنا حال وتقدم نظيره وقرأ العامة تأمنا بالإخفاء وهو عبارة عن تضعيف الصوت بالحركة والفصل
بين النونين لأن النون تسكن رأساً فيكون ذلك إخفاء لا إدغاماً قال الداني وهو قول عامة أئمتنا وهو الصواب لتأكيد
دلالته وصحته في القياس وقرأ بعضهم ذلك بالإشمام وهو عبارة عن ضم الشفتين إشارة إلى حركة الفعل مع الإدغام
الصريح كما يشير إليها الواقف وفيه عسر كثير قالوا وتكون الإشارة إلى الضمة بعد الإدغام أو قبل كماله والإشمام يقع
بإزاء معان هذا من جملتها ومنها إشمام الكسرة شيئاً من الضم نحو قيل وغيض وبابه وقد تقدم أول البقرة ومنها
إشمام أحد حرفين شيئاً من الآخر كإشمام الصاد زاياً في الصراط ومن أصدق وبابهما وقد تقدم في الفاتحة والنساء
فهذا خلط حرف بحرف كما أن ما قبله خلط حركة بحركة ومنها الإشارة إلى الضمة في الوقف خاصة وإنما يراه البصير دون
الأعمى وقرأ أبو جعفر بالإدغام الصريح من غير إشمام وقرأ الحسن ذلك بالإظهار مبالغة في بيان إعراب الفعل وللمحافظة
على حركة الإعراب اتفق الجمهور على الإخفاء أو الإشمام كما تقدم تحقيقه وقرأ ابن هرمز لا تأمنا بضم الميم نقل حركة
النون الأولى عند إرادة إدغامها بعد سلب الميم حركتها وخط المصحف بنون واحدة ففي قراءة الحسن مخالفة لها
وقرأ أبو رزين وابن وثاب لا تيمنا بكسر حرف المضارعة إلا أن ابن وثاب سهل الهمزة قال أبو حيان ويجيئه بعد ما لك
والمعنى هنا على أنه نفي لا نهي وليس كقولهم ما أحسنا في التعجب لأنه لو أدغم لالتبس التعجب بالنفي قال شهاب الدين
وما أبعد هذا عن توهم النهي حتى ينص عليه وقوله لالتبس بالنفي صحيح **فصل** هذا الكلام يدل على أنه
يعقوب صلوات الله الرحيم وسلامه كان يخافهم على يوسف ولولا ذلك لما قالوا هذا القول واعلم أنهم لما أحكموا
العزم أظهروا عند أبيهم أنهم في غاية المحبة ليوسف وفي نهاية الشفقة عليه وكانت عادتهم أن يغيبوا عنه مرة إلى رعي
فسألوه أن يرسله معهم وكان يعقوب عليه السلام يحب تطييب قلب يوسف فاغتر بقولهم وأرسله معهم حين قالوا
له وإنا له لناصحون والنصح هنا القيام بالمصلحة وقيل البر والعطف أي عاطفون عليه قائمون بمصلحته
نحفظه حتى نرده إليك قيل للحسن أيحسد المؤمن قال ما أنساك ببني يعقوب ولهذا قيل الأب جلاب والأخ سلاب
وعند ذلك أجمعوا على التفريق بينه وبين ولده بضرب من الاحتيال وقالوا ليعقوب يا أبانا ما لك لا تأمنا على
يوسف وقيل لما تناوضوا وافترقوا على رأي المتكلم الثاني عادوا إلى يعقوب عليه السلام وقالوا هذا القول وفيه
دليل على أنهم سألوه قبل ذلك أن يخرج معهم يوسف فأبى **قوله تعالى** أرسله معنا غداً نرتع ونلعب في نرتع
ونلعب أربع عشرة قراءة إحداها قراءة نافع بالياء من تحت وكسر العين الثانية قراءة قنبل وقد اختلف عليه البزي
عن ابن كثير نرتع ونلعب بالنون وكسر العين الثالثة قراءة قنبل وقد اختلف عليه فنقل عنه بثبوت الياء بعد
العين وصلاً ووقفاً فيوافق البزي في أحد الوجهين عنه وعنه قراءة ذات الخامسة قراءة أبي عمرو وابن عامر
نرتع ونلعب بالنون وسكون العين والباء السادسة قراءة الكوفيين يرتع ويلعب بالياء وروي عن ابن كثير
وقرأ العلاء بن سيابة يرتع ويلعب بالياء فيهما وكسر العين وضم الباء وقرأ مجاهد وقتادة وابن محيصن نرتع
ويلعب بالياء والفعلان في هذه القراءات كلها مبني للفاعل وقرأ زيد بن علي يُرتع ويُلعب بالياء من تحت
فيهما مبنيين للمفعول وقرئ نرتعي ويلعب بثبوت الياء ورفع الباء وقرأ ابن أبي عبلة نرعى ونلعب فهذه أربع
عشرة قراءة منها ست في السبع المتواترة وثمان في الشاذ فمن قرأ بالنون أسند الفعل إلى إخوة يوسف سئل أبو عمرو بن
العلاء كيف قالوا ونلعب وهم أنبياء قال كان ذلك قبل أن ينبأهم الله عز وجل وقال ابن الأعرابي الرتع الأكل

بثرة وقيل انه الخصب وقيل المراد من اللعب الاقدام على المباحات وهذا يوصف به الانسان كما روي
عن النبي المصطفى صلوات الله الرحيم وسلامه عليه انه قال لجابر فهلا بكرا تلاعبها وتلاعبك وقيل
كان لعبهم الاستباق والغرض منه تعلم المحاربة والمقاتلة مع الكفار ويدل عليه قولهم انا ذهبنا نستبق
وانما سموه لعبا لانه في صورة اللعب واما من قرا بالياء اسند الفعل اليه دونهم لمعنى انه يبصر رعي الابل ويتدرب
بذلك مرة يرتعي ومرة يلعب كفعل الصبيان ومن كسر العين اعتقد انه جزم بحذف الحركة وجعله ماخوذا من
رتع يرتع اذا اتسع في الخصب قال • واذا يخلو له لحمي رتع • ومن سكن الباء جعله مجزوما ومن رفعها جعله
مرفوعا على الاستيناف اي وهو يلعب ومن غاير بين الفعلين فقرا بالياء من تحت في يلعب دون نرتع فلان
اللعب مناسب للصغار ويرتع افتعال من رعيت يقال رعى الماشية الكلا ترعاها رعيا اذا اكلته فالارتعا
للمواشي واضافوه الى انفسهم لانهم بالعون ومن قرا يرتع رباعيا جعل مفعوله محذوفا اي يرعي مواشينا ومن بناها
للمفعول فالوجه انه اضمر المفعول الذي لم يسم فاعله وهو ضمير الغد والاصل يرتع فيه ويلعب فيه ثم اتسع فيه
بحذف حرف الجر فتعدى اليه الفعل بنفسه فصار يرتعه ويلعبه فلما بناه للمفعول قام الضمير المنصوب مقام
فاعله فانقلب مرفوعا واستتر في رافعه فهو في الاتساع كقولـــه • ويوم شهدناه سليما وعامرا •
ومن رفع الفعلين جعلهما حالا مقدرة واما اثبات الياء في يرتع مع جزم يلعب وهي قراءة قنبل فقد تجرا بعض
الناس وردها وقال ابن عطية هي قراءة ضعيفة لا تجوز الا في الشعر وقيل هي لغة من يجزم بالحركة المقدرة وانشد •
الم ياتيك والانبا تنمي • وقد تقدمت هذه المسألة ويرتع يحتمل ان يكون وزنه نفتعل من الرعي وهو اكل المرعى
كما تقدم ويكون على حذف مضاف اي نرتع مواشينا او من المراعاة للشيء قال الشاعـــر •

• ترتعي السفح فالكثيب فذاقا • ر فروض القطا فذات الرمال •

ويحتمل ان يكون وزنه نفعل من رتع يرتع اذا اقام في خصب وسعة ومنه قول الغضبان ابن القبعثري
القيد والرتعة وقلة المنعة وقال الشاعـــر • اكفرا بعد رد الموت عني • وبعد عطائك المائة الرتاعا •
قوله تعالى وانا له لحافظون جملة حالية والعامل فيها احد شيئين اما الامر واما جوابه فان قيل هل يجوز
ان تكون المسألة من الاعمال لان كلا من العاملين يصح تسلطه على الحال فالجواب لا يجوز ذلك لان الاعمال
يستلزم الاضمار والحال لا تضمر لانها لا تكون الا نكرة او مؤولة بها **قوله تعالى** ان تذهبوا به فاعل ليحزنني
اي يحزنني ذهابكم وفي هذه الاية دلالة على ان المضارع المقرون بلام الابتدا لا يكون حالا والنحاة جعلوها
من القرائن المخصصة للحال ووجه الدلالة ان ان تذهبوا مستقبل لاقترانه بحرف الاستقبال وهو مع ما في حيزها
فاعل فلو جعلنا ليحزنني حالا لزم سبق الفعل لفاعله وهو محال واجيب عن ذلك بان الفاعل في الحقيقة مقدر
حذف هو وقام المضاف اليه مقامه والتقدير ليحزنني توقع ذهابكم وقرا زيد بن علي وابن هرمز وابن محيصن
ليحزني بالادغام وقرا زيد بن علي تذهبوا بضم التاء من اذهب وهو كقوله تنبت بالدهن في قراءة من ضم التاء
فتكون التاء زائدة او حالية والذيب يهمز ولا يهمز وبعدم الهمز قرا السوسي والكسائي وورش وفي الوقف لا
يهمز حمزة قالوا وهو مشتق من تذأبت الريح اذا هبت من كل جهة لانه ياتي كذلك ويجمع على ذئاب وذؤبان
واذؤب قال الشاعـــر • وازور يمطو في بلاد بعيدة • تعاوي به ذؤبانه وثعالبه •
وارض مذأبة كثيرة الذئاب وذؤابة الشعر لتحركها وتقلبها من ذلك وقوله وانتم عنه غافلون جملة
حالية العامل فيها ياكله **فصـــل** لما طلبوا منه ارسال يوسف معهم اعتذر اليهم بشيئين
احدهما ان ذهابهم به مما يحزنه لانه كان لا يصبر عنه ساعة والثاني خوفه عليه من الذئب اذا غفلوا
عنه برعيهم ولعبهم او لقلة اهتمامهم به فقيل انه راى في النوم ان الذيب شد على يوسف فكان يحذره فلاجل
هذا ذكر ذلك وقيل ان الذئاب كانت كثيرة في ارضهم فلما قال يعقوب عليه الصلاة والسلام هذا الكلام
اجابوا بقولهم لئن اكله الذئب ونحن عصبة انا اذا لخاسرون وفي اللام في لئن من وجهين احدهما انه كلمة
ان تفيد كون الشرط مستلزما للجزاء اي ان وقعت هذه الواقعة فنحن خاسرون فهذه اللام دخلت لتاكيد
هذا الاستلزام والثاني قال الزمخشري رحمه الله هذه اللام تدل على اضمار القسم تقديره والله لئن اكله
الذئب لكنا خاسرين والواو في ونحن عصبة واو الحال فتكون الجملة من قوله ونحن عصبة جملة حالية وقيل
معترضة وانا اذا لخاسرون جواب القسم وحذف جواب واذا حرف جواب وقد تقدم الكلام فيه مشبعا
ونقل ابو البقا انه قري عصبة بالنصب وقدر ما تقدم في الاية الاولى وفي المراد من قولهم انا اذا لخاسرون

وجوه الاول عجزة ضعفة نظيره قوله تعالى لئن اطعتم بشرا مثلكم انكم اذا لخاسرون اي لعاجزون الثاني
انهم يكونون مستحقين لان يدعى عليهم بالخسار والدمار وان يقال اخسرهم الله ودمرهم حين اكل الذيب اخاهم
وهم حاضرون عصبة عشرة تعصب بهم الامور وتكفى الخطوب بمثلهم الثالث اذا لم نقدر على حفظ اخينا فقد هلكت
مواشينا وخسرنا الرابع انهم كانوا قد اتعبوا انفسهم في خدمة ابيهم واجتهدوا في القيام بمهماته ليفوزوا منه بالدعا
والثنا فقالوا لو قصرنا في هذه الخدمة فقد احبطنا كل تلك الاعمال وخسرنا كل ما صدر منا من انواع الخدمة فان
قيل ان يعقوب عليه السلام اعتذر بعذرين شدة حبه واكل الذيب له فلم اجابوا عن احدهما دون الاخر فالجواب
ان حقدهم وغيظهم كان بسبب المحبة فتغافلوا عنه **قوله تعالى** فلما ذهبوا الاية لا بد من الاضمار في هذه
الاية موضعين الاول التقدير قالوا لئن اكله الذيب ونحن عصبة انا اذا لخاسرون فاذن لهم وارسله معهم ثم يتصل
به قوله تعالى فلما ذهبوا به الثاني في جواب لما ذهبوا اوجه احدها انه محذوف اي عرفناه واوصلنا اليه الطمانينة
وقدره الزمخشري فعلوا به ما فعلوا من الاذى وقدره غيره فتنتهم والحزن جعلوه فيها وهذا اولى لدلالة الكلام
عليه الثاني ان الجواب مثبت وهو قوله يا ابانا انا ذهبنا اي لما كان كيت وكيت قالوا وفيه لبعد الكلام من بعضه
الثالث ان الجواب هو قوله واوحينا والواو فيه زايدة اي فلما ذهبوا به اوحينا وهو راي الكوفيين وجعلوا من ذلك
قوله تعالى فلما اسلما وتله اي تله وناديناه اي ناديناه وقوله عز وجل حتى اذا جاوها وفتحت وقول امري القيس •

• فلما اجزنا ساحة الحي وانتحى • بنا بطن خبت ذي قفاف عقنقل •

ان يجعلوه مفعول اجمعوا

اي عزموا على ان يجعلوه لانه يتعدى بنفسه وبعلى فان يحتمل ان يكون على حذف الحرف وان لا يكون بمعنى الالقاء وان
يكون بمعنى التصيير فعلى الاول يتعلق في غيابة بنفس الفعل قبله وعلى الثاني بمحذوف والفعل من قوله واجمعوا ان
يكون معطوفا على ما قبله وان يكون حالا وقد معه مضمرة عند بعضهم والضمير في اليه الظاهر عوده على يوسف وقيل
يعود على يعقوب وقرا العامة لتنبئنهم بتاء الخطاب وقرا ابن عمر بياء الغيبة اي الله سبحانه وتعالى قال ابو حيان وكذا
في بعض مصاحف البصرة وقد تقدم ان النقط حادث فان قال المصحف حادث غير منقوط عثمان رضي الله عنه فليس الكلام
في ذلك وقرا سلام لننبئنهم بنون الخطاب بالنون وهذه صفة لامرهم وقيل بدل وقيل بيان **قوله تعالى** وهم لا
يشعرون جملة حالية يجوز ان يكون العامل فيها اوحينا اي اوحينا اليه من غير شعور اخوته بالوحي وان يكون العامل
لتنبئنهم اي تخبرهم وهم لا يشعرون لبعد المدة وتغير الاحوال **فصـــل** في المراد بقوله واوحينا اليه
قولان الاول المراد منه الوحي والنبوة والرسالة وهو قول اكثر المحققين ثم اختلف هؤلاء في انه عليه السلام هل
كان في ذلك الوقت بالغا او كان صبيا قال بعضهم كان بالغا وكان ابن سبع عشرة سنة وقال اخرون كان صغيرا الا ان
الله تعالى اكمل عقله وجعله صالحا لقبول الوحي والنبوة كما في حق عيسى عليه الصلاة والسلام حين قالوا كيف نكلم
من كان في المهد صبيا فاجابهم بقوله اني عبد الله اتاني الكتاب وجعلني نبيا والقول الثاني ان المراد بهذا الوحي الالهام
كقوله تعالى واوحينا الى ام موسى واوحى ربك الى النحل والاول اولى لانه الظاهر من الوحي فان قيل كيف جعله نبيا
في ذلك الوقت وليس هناك احد يبلغه الرسالة فالجواب لا يمتنع ان يشرفه الله تعالى بالوحي ويامره بتبليغ الرسالة
بعد اوقات ويكون فائدة تقدم الوحي تانيسه وزوال الغم والوحشة عن قلبه والفائدة في اخفاء ذلك الوحي عن اخوة
يوسف انهم لو عرفوه فربما ازداد حسدهم فكانوا يقصدون قتله **فصـــل** اذا حملنا قوله تبارك وتعالى
وهم لا يشعرون بانك يوسف اي لا يعرفونك لبعد المدة وتغير الاحوال كان هذا امرا من الله تعالى ليوسف في ان يستر
نفسه عن ابيه وان لا يخبره باحوال نفسه فلهذا السبب كتم اخبار نفسه عن ابيه طول تلك المدة مع علمه بوجد ابيه
عليه خوفا من مخالفة امر الله فصبر على تجرع تلك المرارة وكان الله سبحانه قد قضى على يعقوب بان يوصل اليه تلك
الغموم الشديدة والهموم العظيمة ليوصله الى الدرجات العالية التي لا يمكن الوصول اليها الا بتحصيل المحن الشديدة
قوله تعالى وجاءوا اباهم عشاء يبكون الاية في عشاء وجهان اصحهما وهو الذي لا ينبغي ان يقال غيره انه
ظرف زمان اي جاءوه في هذا الوقت قال اهل المعاني جاءوا في ظلمة العشاء ليكونوا اجرا على الاعتذار بالكذب ويكون
جملة حالية اي جاءوه باكين والثاني ان يكون عشا جمع عاش كقائم وقيام قال ابو البقا ونقل بضم العين والاصل
عشاة مثل غاز وغزاة فحذفت الها وزيدت الالف عوضا منها ثم قلبت الالف همزة وفيه كلام تقدم في ال عمران عند
قوله او كانوا غزا ويجوز ان يكون جمع فاعل على فعال كما جمع فعيل على فعال لقرب ما بين الكسر والضم ويجوز ان يكون كنوام
ورباب وهو شاذ وهذه قراءة الحسن وهي من العشوة والعشوة هي الظلام ورواه ابن جني عشا بضم العين وقال عشوا
من البكا وقرا الحسن ايضا عشى على وزن دجى نحو غاز وغزاة ثم حذف منه تاء التانيث من مالكة فقالوا مالك وعلى

هذه الاوجه يكون نستبق منصوبا على الحال وقرا الحسن ايضا عشيا مصغرا ونستبق نتسابق والافتعال والتفاعل
يشتركان نحو قولهم نتنضل ونتناضل ونرتمي ونترامي ونستبق في محل نصب على الحال وتركنا حال من نستبق
وقد معه مضمرة عند بعضهم قال الزجاج يسابق بعضنا بعضا في الرمي ومنه قوله صلى الله عليه وسلم لا سبق
الا في نصل او خف او حافر يعني بالنصل الرمي واصل السبق في الرمي بالسهم ثم يوصف المترامين بذلك يقال
استبقا وتسابقا اذا فعلا ذلك السبق ايهما اسبق ويدل على صحة هذا التفسير ما روي في قراءة عبد الله انا
ذهبنا ننتضل وقال السدي ومقاتل نستبق نشتد ونعدو فان قيل كيف جاز ان يستبقوا وهم رجال
بالغون وهذا من فعل الصبيان فالجواب الاستباق كان مثل الاستباق في الخيل وكانوا يجربون بذلك انفسهم
ويدربونها على العدو لانه كالالات في محاربة العدو وقولهم فاكله الذئب قيل اكل الذئب يوسف وقيل عرضوا
وارادوا اكل الذئب المتاع والاول اصح ثم قالوا وما انت بمؤمن لنا اي مصدق لنا في كل حال حتى صدقنا لما
غلب على ظنك من تهمتنا ببغض يوسف وكراهتنا له فان قيل كيف قالوا ليعقوب انت لا تصدق الصادق قيل
المعنى انك تتهمنا في هذا الامر لانك خفتنا في الابتداء واتهمتنا في حقه وقيل المعنى لا تصدقنا لانه لا دليل لنا
على صدقنا وان كنا صادقين عند الله تعالى **فصل** احتجوا بهذه الاية على ان الايمان في اللغة عبارة
عن التصديق لقوله تعالى وما انت بمؤمن لنا اي بمصدق فروي ان امراة حاكمت الى شريح فبكت فقال الشعبي
يا ابا امية اما تراها تبكي قال قد جاء اخوة يوسف يبكون وهم ظلمة كذبة لا ينبغي للانسان ان يقضي الا بالحق
قوله تعالى وجاءوا على قميصه بدم كذب الاية على قميصه في محل نصب على الحال من الدم قال ابو البقاء لان
التقدير جاءوا بدم كذب على قميصه يعني انه لو تاخر لكان صفة للنكرة ورد الزمخشري هذا الوجه فقال فان
قلت هل يجوز ان يكون حالا متقدمة قلت لا لان حال المجرور لا يتقدم عليه وهذا الذي رد به الزمخشري
احد قولي النحاة وقد صحح جماعة جوازه وانشدوا ● فلن تذهبوا فرغا بقتل حبال ●
وقول الاخر ● لئن كان برد الماء هيمان صاديا ● الي حبيبا انها لحبيب ●
وقول الاخر ● فاقلا بعرض المنية للفتى ● فيرعا ولا انجي من ايباء ●
وقال الحوفي على قميصه متعلق بجاءوا وفيه نظر لان مجيئهم لا يصح ان يكون على القميص وقال الزمخشري
فان قلت على قميصه ما محله قلت محله النصب على الظرف كانه قيل وجاءوا فوق قميصه بدم كما تقول
جاء على جماله باحمال قال ابو حيان ولا يساعد المعنى على نصب على على الظرف بمعنى فوق لان العامل فيه
اذ ذاك جاءوا وليس الفوق ظرفا لهم بل يستحيل ان يكون ظرفا لهم وهذا الرد هو الذي رد به على الحوفي في قوله
ان على متعلقة بجاءوا ثم قال ابو حيان رحمه الله واما المثال الذي ذكره وهو جاء على جماله باحمال فيمكن ان يكون
ظرفا للجائي لانه تمكن الظرف فيه باعتبار تبدله من جمل الى جمل ويكون باحمال في موضع الحال اي مصحوبا
باحمال وقرا العامة كذب بالدال المهملة وهو من الوصف بالمصادر فيمكن ان يكون على سبيل المبالغة نحو رجل عدل
وقال الفراء والمبرد والزجاج وابن الانباري بدم كذب اي مكذوب فيه الا انه وصف بالمصدر جعل نفس الدم
كذبا للمبالغة قالوا والمفعول والفاعل يسميان بالمصدر كما يقال للماء سكب اي مسكوب وللفاعل كقوله
ان اصبح ماؤكم غورا ولما سموا المصدر بهما قالوا للعقل المعقول وللجلد المجلود ومنه قوله تعالى بايكم المفتون
او على حذف مضاف اي ذي كذب نسب فعل فاعله اليه وقرا زيد بن علي كذبا بالنصب فاحتمل ان يكون
مفعولا من اجله واحتمل ان يكون مصدرا في موضع الحال وهو قليل اعني مجيء الحال من النكرة وقرات عائشة
والحسن رضي الله عنهما كدب بالدال المهملة قال صاحب اللوامح معناه ذي كدب اي اثر لان الكدب هو بياض
يخرج في اظافير الشبان ويؤثر فيها فهو كالنقش ويسمى ذلك البياض الفوف فيكون هذا استعارة لتاثيره
في القميص كتاثير ذلك في الاظافير وقيل هو الدم الكدر وقيل الطري وقيل اليابس **فصل**
قال الشعبي قصة يوسف كلها في قميصه وذلك انهم لما القوه في الجب نزعوا قميصه ولطخوه بالدم وعرضوه
على ابيه ولما شهد الشاهد قال ان كان قميصه قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين وان كان قميصه
قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين فلما راى قميصه قد من دبر قال انه من كيدكن ان كيدكن عظيم
وقال اذهبوا بقميصي ولما اتى بقميصه الى يعقوب فالقي على وجهه فارتد بصيرا قال القرطبي وهذا
مردود بان القميص الذي جاءوا عليه بالدم غير القميص الذي قد وغير القميص الذي اتى البشير به وقيل
ان القميص الذي اتى به البشير الى يعقوب فارتد بصيرا هو القميص الذي قد من دبر **فصل**

قال بعض العلماء رضي الله عنهم لما ارادوا ان يجعلوا الدم علامة على صدقهم قرن الله بهذه العلامة
علامة تعارضها وهي سلامة القميص من التخريق اذ لا يمكن افتراس الذئب ليوسف وهو لابس القميص فيسلم
القميص من التخريق ولما تامل يعقوب عليه السلام القميص لم يجد فيه خرقا ولا اثرا استدل بذلك على كذبهم
وقال لهم تزعمون ان الذئب اكله ولو اكله لشق قميصه **فصل** استدل العلماء بهذه الاية في
اعمال الامارات في مسائل من الفقه كالقسامة وغيرها كما استدل يعقوب عليه السلام على كذبهم بصحة
القميص فيجب على الناظر ان يلحظ الايات والعلامات اذا تعارضت وترجح منها جانب قضى بالمرجح وهو قوة
التهمة قال ابن العربي ولا خلاف في الحكم بها **فصل** قال محمد بن اسحق اشتمل فعلهم على جرائم من قطيعة
الرحم وعقوق الوالد وقلة الرافة بالصغير الذي لا ذنب له والغدر بالامانة وترك العهد والكذب مع ابيهم
وعفى الله عنهم ذلك كله حتى لا يياس احد من رحمة الله وقال بعض العلماء انهم عزموا على قتله وعصمهم الله رحمة
بهم ولو فعلوا لهلكوا **قوله** بل سولت قبل هذه الجملة جملة محذوفة تقديره لم ياكله الذئب بل سولت
اي زينت وسهلت قاله ابن عباس رضي الله عنه والتسويل تقرير معنى في النفس مع الطمع في اتمامه قال الازهري
كان التسويل تفعيل من سول الانسان وهي امنيته التي يطلبها فتزين لطالبها الباطل وغيره واصله
مهموز على ان العرب يستثقلون فيه الهمز قال الزمخشري سولت سهلت من السول وهو الاسترخاء واذا عرف
هذا فقوله بل رد لقولهم اكله الذئب كانه قال ليس كما تقولون بل سولت لكم انفسكم امرا في شانه اي زينت لكم انفسكم
امرا غير ما تصفون واختلف في السبب الذي به عرف كونهم كاذبين فقيل عرف ذلك بسبب انه كان يعرف الحسد
الشديد في قلوبهم وقيل كان عالما بانه حي لقوله ليوسف وكذلك يجتبيك ربك وذلك دليل قاطع على كونهم
كاذبين في ذلك الوقت وقال سعيد بن جبير رضي الله عنه لما جاءوا على قميصه بدم كذب وما كان مخرقا قال
ان هذا الذئب كان رحيما كيف اكل لحمه ولم يخرق قميصه وقيل انه عليه السلام لما قال ذلك قال بعضهم بل قتله
اللصوص فقال كيف قتلوه وتركوا قميصه وهم الى القميص احوج منهم الى قتله فلما اختلفت اقوالهم عرف بذلك كذبهم
وقال القاضي لعل غرضهم في نزع قميصه عند القائه في الجب ان يلطخوه بالدم توكيدا لصدقهم لانه يبعد ان يفعلوا
ذلك طمعا في نفس القميص ولا بد في المعصية ان يقرن بها الخذلان فلو خرقوه مع لطخه بالدم لكان الايهام
اقوى فلما شاهد يعقوب القميص صحيحا علم كذبهم قال عند ذلك فصبر جميل يجوز ان يكون مبتدا وخبره
محذوف اي صبر جميل امثل بي ويجوز ان يكون خبر المحذوف المبتدا اي امري صبر جميل قال الخليل الذي افعله
صبر جميل وقال قطرب معناه فصبري صبر جميل وهل يجب حذف مبتدا هذا الخبر او خبر هذا المبتدا وضابطه
ان يكون مصدرا في الاصل بدلا من اللفظ بفعله فعبارة بعضهم مقتضى الوجوب وعبارة اخرين الجواز ومن
التصريح بهذا النوع ولكنه في صورة شعر قول الشاعر ●
● فقالت على اسم الله امرك طاعة ● وان كنت قد كلفت ما لم اعود ●
وقوله ● يشكو الي جملي طول السرى ● صبر جميل وكلانا مبتلى ●
يحتمل ان يكون مبتدا او خبرا كما تقدم وقرا ابي وعيسى بن عمر فصبرا جميلا نصبا ورويت عن الكسائي وكذلك
هي في مصحف انس بن مالك رضي الله عنه وتخريجها على المصدر الخبري اي اصبر انا صبرا وهذه قراءة ضعيفة
ان خرجت هذا التخريج فان سيبويه لا ينقاس ذلك عنده الا في الطلب فالاولى ان يجعل التقدير ان يعقوب
رجع وامر نفسه فكانه قال اصبري يا نفس صبرا وروي البيت ايضا بالرفع والنصب على ما تقدم والامر
فيه ظاهر **فصل** روى الحسن قال سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن قوله فصبر جميل فقال
صلوات الله وسلامه عليه صبر لا شكوى فيه فمن بث لم يصبر ويدل على ذلك قوله تعالى انما اشكو بثي
وحزني الى الله وقال مجاهد فصبر جميل اي من غير جزع وقال الثوري من الصبر ان لا تحدث بوجعك ولا
بمصيبتك قال ابن الخطيب وههنا بحث وهو ان الصبر على قضاء الله واجب واما الصبر على ظلم الظالم
فغير واجب بل الواجب ازالته لا سيما في الضرر العائد الى الغير وههنا اخوة يوسف قد ظهر كذبهم وخيانتهم
فلم صبر يعقوب على ذلك ولم يبالغ في التفتيش ولا البحث عنه ولا السعي في تخليص يوسف عن البلية والشدة
ان كان حيا وفي اقامة القصاص ان صح انهم قتلوه فثبت ان الصبر في هذا المقام مذموم ويقوي هذا السؤال
انه عليه السلام كان عالما بانه حي سليم لانه قال له وكذلك يجتبيك ربك والظاهر انه انما قال هذا الكلام
من الوحي واذا كان عالما بانه حي سليم فكان من الواجب ان يسعى في طلبه وايضا فان يعقوب عليه السلام كان

رجلاً عظيم القدر في نفسه وكان من بيت عظيم شريف واهل العالم كانوا يعرفونه ويعتقدون تعظيمه فلو بالغ في البحث والطلب لظهر ذلك واشتهر ولزال وجه التلبيس فما السبب في انه عليه السلام مع شدة رغبته في حضور يوسف ونهاية حبه له لم يطلبه مع ان طلبه كان من الواجبات فثبت ان هذا الصبر مذموم عقلاً وشرعاً والجواب عنه ان يقول ان الله سبحانه منعه عن الطلب لتشديد المحنة عليه وتغليظاً للامر عليه وايضاً لعله عرف بقراين الاحوال ان اولاده اقويا وانهم لا يمكنونه من الطلب والفحص وانه لو بالغ في البحث فربما اقدموا على ايذائه وايضاً لعله عليه السلام علم ان الله تبارك وتعالى سيصون يوسف عليه السلام من البلاء والمحنة وان امره سيعظم بالاخرة ولم يرد هتك ستر اولاده والقائهم في السنة الناس وذلك لان احد الولدين اذا ظلم اخاه وقع الاب في العذاب الشديد لانه ان لم ينتقم يحترق قلبه على الولد المظلوم وان انتقم يحترق قلبه على الولد المنتقم منه فلما وقع يعقوب في هذه البلية راي ان الاصوب الصبر والسكوت وتفويض الامر بالكلية الى الله تعالى **فصل** قال ابن ابي رقاعة ينبغي لاهل الراي ان يتهموا رايهم عند ظن يعقوب عليه السلام وهو نبي حين قال له بنوه انا ذهبنا نستبق وتركنا يوسف عند متاعنا فاكله الذيب فقال بل سولت لكم انفسكم امراً فاصاب مثناهم لما قالوا له ان ابنك سرق وما شهدنا الا بما علمنا وما كنا للغيب حافظين قال بل سولت لكم انفسكم امراً فلم يصب **فصل** قوله فصبر جميل يدل على ان الصبر قسمان احدهما جميل والاخر غير جميل فالصبر الجميل هو ان يعرف ان منزل ذلك البلاء هو الله سبحانه وتعالى ثم يعلم انه سبحانه مالك الملك ولا اعتراض على المالك في ان يتصرف في ملكه فيصير استغراق قلبه في هذا المقام مانعاً من الشكاية وايضاً فعلم ان منزل هذا البلا حليم لا يجهل عالم لا يغفل واذا كان كذلك كان كلما صدر عنه حكمة وصواب فعند ذلك يسكت ولا يعترض واما الصبر غير الجميل فهو الصبر لساير الاغراض لا لاجل الرضا بقضاء الله سبحانه والضابط في جميع الافعال والاقوال والاعتقادات انه كلما كان لطلب عبودية الله تعالى كان حقاً والا فلا ثم قال والله المستعان على ما تصفون اي استعين بالله على الصبر على ما يكذبون **قوله تعالى** وجاءت سيارة فارسلوا واردهم الاية اعلم انه تعالى بين كيف السبب في خلاص يوسف من تلك المحنة فقال تعالى وجاءت سيارة قال ابن عباس رضي الله عنه اي قوم يسيرون من مدين الى مصر فاخطؤا الطريق وانطلقوا يهيمون على غير طريق فهبطوا على ارض فيها جب يوسف وكان الجب في قفر بعيد من العمران لم يكن الا للرعاة قيل كان ماؤه ملحاً فعذب حين القي يوسف فيه فارسلوا واردهم الذي يرد الماء ليستقي للقوم قال القرطبي فارسلوا واردهم ذكر على المعنى ولو قال فارسلت واردها لكان على اللفظ وجاءت والوارد هو الذي يتقدم الرفقة الى الماء فيهيئ الارشية والدلاء وكان يقال له مالك بن زعر الخزاعي **قوله تعالى** فادلى دلوه يقال ادلى دلوه اي ارسلها في البير ودلاها اذا اخرجها ملايٰ قال الشاعر

• لا تقلواها وادلواها دلوا • ان مع اليوم اخاه غدوا •

يقال ادلى يدلي ادلاءً اذا ارسل ودلا يدلو دلواً اذا اخرج وجذب والدلو معروفة وهي مونثة فتصغر على دلية ويجمع على دلاء وادل والاصل دلاو فقلبت الواو همزة نحو كساء وادلو فاعل اعلال قاضي ودلو في بواوين فقلبتا ياين نحو عصي **قوله تعالى** يا بشراي ههنا محذوف واظهر ابو يوسف قرا الكوفيون بحذف ياء الاضافة واماال الف فعلا الاخوان واما ابو ورش بين بين على اصله وعن ابي عمرو الوجهان ولكن الاشهر عنه عدم الامالة وليس ذلك من اصله على ما قرر في علم القرآن وقرا الباقون يا بشراي مضافة لياء المتكلم **فصل** في قوله يا بشراي قولان الاول انها كلمة تذكر عند البشارة كقولهم يا عجباً من كذا وقوله يا اسفا على يوسف وعلى هذا القول في تفسير النداء وجهان الاول قال الزجاج معنى النداء في هذه الاشياء تنبيه المخاطبين وتوكيد القصة فاذا قلت يا عجباه فكانك قلت اعجبوا الثاني قال ابو علي كانه يقول يا ايتها البشرى هذا الوقت وقتك ولو كنت ممن يخاطب لخوطبت وامرت بالحضور واعلم ان سبب البشارة هو انهم وجدوا غلاماً في غاية الحسن فقالوا نبيعه بثمن عظيم ويصير ذلك سبباً والقول الثاني قال السدي الذي نادى كان اسم صاحبه بشرى فناداه فقال يا بشراي كما تقول يا زيد وعن الاعمش انه قال دعي امراة اسمها بشرى قال ابو علي الفارسي ان جعلنا البشري اسماً للبشارة وهو الوجه جاز ان يكون في موضع نصب على تقدير انه جعل هذا النداء شايعاً وجعل البشرى ولم يخص كما تقول يا رجلاً ويا حسرة على العباد وقرا ورش عن نافع يا بشرايْ بسكون الياء وهو جمع بين ساكنين في الوصل وهذا كما تقدم في عصايْ وقال الزمخشري وليس بالوجه لما فيه من التقاء الساكنين على غير حده الا ان

بقصد

بقصد الوقف وقرا الجحدري وابن ابي اسحق والحسن يا بشريّ بقلب الالف ياء وادغامها في ياء الاضافة وهي لغة هذلية تقدم الكلام عليها في البقرة عند قوله فمن تبع هداي وقال الزمخشري وفي قراءة الحسن يا بشري بالياء مكان الالف جعلت الياء بمنزلة الكسرة قبل ياء الاضافة وهي لغة للعرب مشهورة سمعت اهل السروات في دعائهم يقولون يا سيدي ومولي **قوله تعالى** واسروه بضاعة الظاهر ان الضمير المرفوع يعود على السيارة وقيل هو ضمير اخوته فعلى الاول ان الوارد واصحابه اخفوا من الرفقة انهم وجدوه في الجب وقالوا ان قلنا للسيارة التقطناه شاركونا وان قلنا اشتريناه سالونا الشركة فالاصوب ان نقول ان اهل الماء جعلوه بضاعة عندنا على ان نبيعه بمصر وعلى الثاني نقل عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال واسروه يعني اخوة يوسف اخفوا كونه اخاهم بل قالوا انه عبد لنا ابق منا ووافقهم يوسف على ذلك لانهم توعدوه بالقتل بلسان العبرانية وبضاعة نصب على الحال قال الزجاج كانه قال واسروه حال ما جعلوه بضاعة وقيل مفعول ثان على ان يضمن اسروه معنى صيروه بالسر والبضاعة قطعة من المال تعد للتجارة من بضعت اي قطعت ومنه البضع لما يقطع به ثم قال والله عليم بما يعملون والمعنى ان يوسف لما راي الكواكب والشمس والقمر في النوم سجدت له وذكر ذلك حسدته اخوته فاحتالوا في ابطال ذلك الامر عليه واوقعوه في البلاء الشديد حتى لا يتم له ذلك المقصود فجعل الله تعالى وقوعه في ذلك البلاء سبباً لوصوله الى مصر ثم تتابع الامر الى ان صار ملك مصر وحصل ذلك الذي رآه في النوم فكان العمل الذي عمله اخوته دفعاً لذلك المطلوب صيره الله تعالى سبباً لحصول ذلك المطلوب فلهذا المعنى قال والله عليم بما يعملون **قوله تعالى** وشروه بثمن بخس دراهم شري بمعنى اشترى قال الشاعر

• ولو ان هذا الموت يقبل فدية • شريت ابا زيد بما ملكت يدي •

وبمعنى باع قال الشاعر

• وشريت برداً ليتني • من بعد برد كنت هامه •

فان قلنا المراد من الشرا نفس الشرا فالمعنى ان القوم اشتروه وكانوا فيه من الزاهدين لانهم علموا بقراين الاحوال ان اخوة يوسف كذبوا في قولهم انه عبد لنا وايضاً عرفوا انه ولد يعقوب فكرهوا ايضاً شراءه خوفاً من الله تعالى ومن ظهور تلك الواقعة الا انهم مع ذلك اشتروه بالاخرة لانهم اشتروه بثمن بخس وطمعوا في بيعه بثمن عظيم ويحتمل ان يقال انهم اشتروه مع انهم اظهروا من انفسهم كونهم فيه من الزاهدين وغرضهم ان يتوصلوا بذلك الى تقليل الثمن ويحتمل ان يقال ان الاخوة لما قالوا انه عبد ابق صار المشتري عديم الرغبة عنه قال مجاهد رحمه الله كانوا يقولون استوثقوا منه لئلا يابق وان قلنا المراد من الشري البيع ففي ذلك البايع قولان الاول قال ابن عباس رضي الله عنه ان اخوة يوسف لما طرحوه في الجب ورجعوا عادوا بعد ثلاث يتعرفون خبره فلما لم يروه في الجب وراوا اثار السيارة طلبوهم فلما راوا يوسف قالوا هذا عبد لنا ابق منا فقالوا لهم فبيعوه منا فباعوه منهم وانما وجب حمل الشرا على البيع لان الضمير في قوله وشروه وفي قوله وكانوا فيه من الزاهدين عايد الى شي واحد واذا كان كذلك فهم باعوه فوجب حمل هذا الشرا على البيع والثاني ان بايع يوسف هم الذين استخرجوه من الجب وقال محمد بن اسحق ربك اعلم اخوته باعوه ام السيارة والبخس الناقص وهو في الاصل مصدر وصف به مبالغة وقيل هو بمعنى مفعول ودراهم بدل من بثمن وفيه متعلق بما بعده واغتفر ذلك للاتساع في الظروف والجار والمجرور وتقدم مثله **فصل** اعلم انه تعالى وصف ذلك الثمن بصفات ثلاث احدها كونه بخساً قال ابن عباس رضي الله عنه يريد حراماً لان ثمن الحر حرام وقال كل بخس في كتاب الله نقصان الا هذا فانه حرام قال الواحدي سمي الحرام بخساً لانه ناقص البركة وقال قتادة بخس ظلم والظلم نقصان يقال ظلمه اي نقصه وقال عكرمة والشعبي قليل وقيل ناقص عن القيمة نقصاناً ظاهراً وقيل كانت الدراهم زيوفاً ناقصة العيار قال الواحدي وعلى الاقوال كلها فالبخس مصدر وقع موقع الاسم والمعنى بثمن مبخوس وثانيها قوله دراهم معدودة قيل تعد عداً ولا توزن لانهم كانوا يزنون اذا بلغ الاوقية وهي اربعون ويعدون ما دونها فقيل للقليل معدود لان الكثير لا يعد لكثرته بل يوزن قال ابن عباس وابن مسعود وقتادة رضي الله عنهم كانت عشرين درهماً فاقتسموها درهمين درهمين الا يهوذا فانه لم ياخذ شيئاً وقال مجاهد والسدي اثنين وعشرين درهماً فان قيل انهم اخذوا القوه في الجب حسداً فارادوا تضييعه عن ابيه فلم باعوه فالجواب انهم لعلهم خافوا ان تذكر السيارة امره فيردوه الى ابيه لانه كان اقرب اليهم من مصر فان قيل هب انهم ارادوا بيعه ايضاً تبعيده من ابيه فلم لم يحل لهم اخذ ثمنه فالجواب ان الذي اشترى يوسف كان كافراً واخذ مال الكافر حلال وثالثها قوله وكانوا فيه من الزاهدين ومعنى الزهد قلة الرغبة يقال زهد فلان في كذا اذا لم يرغب فيه واصله من القلة يقال رجل زهيد اذا كان قليل الهم وفيه وجوه الاول ان اخوة يوسف عليه الصلاة والسلام باعوه لانهم كانوا فيه من الزاهدين الثاني انهم السيارة كانوا فيه من الزاهدين لانهم التقطوه والملتقط الذي يتهاونون به ولا يبالي باي شي يباع

ولانهم خافوا ان يظهر المستحق فينزعه من يده فلا جرم باعه باوكس الاثمان الثالث ان الذين اشتروه كانوا
فيه من الزاهدين وقد سبق توجيه هذه الاقوال والضمير في قوله فيه يحتمل ان يعود الى يوسف ويحتمل ان يعود
الى يوسف ويحتمل ان يعود الى الثمن البخس **فصل** قال القرطبي في الاية دليل على شراء الشيء الخطير بالثمن
اليسير ويكون البيع لازما **قوله** تعالى وقال الذي اشتراه الاية اعلم انه ثبت ان الذي اشتراه
اما من الاخوة واما من الواردين على الماء ذهب به الى مصر فباعه قيل ان الذي اشتراه هو العزيز وكان اسمه
قطفير وقيل اطفير الذي كان يلي خزائن مصر والملك يومئذ الريان بن الوليد رجل من العماليق وقد آمن بيوسف
ومات في حياة يوسف عليه السلام قال ابن عباس رضي الله عنه لما دخلوا مصر تلقى العزيز مالك بن ذعر فابتاع منه
يوسف وهو ابن سبع عشرة سنة واقام في منزله سبع عشرة سنة واستوزره الريان وهو ابن ماية وعشرين سنه
وقال الذي اشتراه من مصر لامراته قيل كان اسمها زليخا وقيل راعيل قال ابن كثير والظاهر ان زليخا لقبها
قوله تعالى من مصر يجوز فيه اوجه احدها ان يتعلق بنفس الفعل قبله اي اشتراه من مصر لامراته كقولك
اشتريت الثوب من بغداد فهي لابتداء الغاية وهو الى البقاء فيها اوهم ولا حاجة اليه والثاني انه متعلق بمحذوف
على انه حال من الذي والثالث انه حال من الضمير المرفوع في اشتراه فيتعلق بمحذوف ايضا وفي هذين نظر اذ لا طائل
في هذا المعنى واللام لامراته متعلق بقال فهي للتبليغ وليست متعلقة باشتراه **قوله** اكرمي مثواه اي منزلته
ومقامه عندك من قولك ثوى بالمكان اذا اقام فيه ومصدره الثوي والمعنى اجعلي منزله عندك كريما حسنا مرضيا
بدليل قوله انه ربي احسن مثواي قال المحققون امر العزيز امراته باكرام مثواه دون اكرام نفسه يدل على انه كان
ينظر اليه على سبيل الاجلال والتعظيم عسى ان ينفعنا اي نبيعه بالربح ان اردنا بيعه او يكفينا اذا بلغ بعض امورنا
او نتخذه ولدا اي نتبناه قال ابن مسعود افرس الناس ثلاثة العزيز في يوسف هي كلمة حث واقبال ثم هي في بعض
اللغات يتعين فعليتها وفي بعضها يجوز الامران كما ستعرفه من القرآت المذكورة فيها فقرا نافع وابن ذكوان هيت
بكسر الهاء وياء ساكنة وتاء مفتوحة وقرا ابن كثير هيت بفتح الهاء وياء ساكنة وتاء مضمومة وقرا هشام
هئت بكسر الهاء وهمزة ساكنة وتاء مفتوحة فهذه خمس قرآت في السبع وقرا ابن عباس وابو الاسود والحسن وابن محيصن
بفتح الهاء وياء ساكنة وتاء مكسورة وحكى النحاس انه قرئ بكسر الهاء وكسر اليا بعدها ياء ساكنة ثم تاء مضمومة
بزنة حييت وقرا زيد بن علي وابن اسحق بكسر الهاء وياء ساكنة وتاء مضمومة فهذه اربع في الشاذ فصارت تسع قرآت
وقرا السلمي وقتادة بكسر الهاء وضم التاء مهموزا يعني تهيأت لك وانكره ابو عمرو والكسائي ولم يحك هذا عن العرب فيتعين
كونها اسم فعل في غير قراءة ابن عباس هييت بزنة حييت وفي غير قراءة كسر الهاء سواء كان بالياء ام بالهمز لمن فتح التا
بناها على الفتح تخفيفا نحو اين وكيف ومن ضمها كابن كثير فتشبيها بحيث ومن كسر فعلى اصل التقاء الساكنين كجير
وفتح الها وكسرها لغتان ويتعين فعليتها في قراءة ابن عباس هييت بزنة حييت فانها فيها فعل ماض مبني للمفعول مسند
لضمير المتكلم من هيأت الشيء ويحتمل الامرين في قراءة من كسر الهاء وضم التاء فيحتمل ان تكون فيه اسم فعل بنيت على الضم
كحيث وان يكون فعلا مسندا لضمير المتكلم من هاء الرجل يهيء كجاء يجيء وله حينئذ معنيان احدهما ان يكون بمعنى
حسنت هيئته والثاني ان يكون بمعنى تهيأ يقال هئت اي حسنت هيئتي او تهيأت وجوز ابو البقاء ان يكون هئت
هذه من هاء يهاء كشاء يشاء وقد طعن جماعة على قراءة هشام التي بالهمز وفتح التاء فقال الفارسي يشبه ان الهمز
وفتح التاء وهم من الراوي لان الخطاب من المراة ليوسف ولم تتهيأ له بدليل قوله وراودته وانى لم اخنه بالغيب
وتابعه على ذلك جماعة وقال مكي بن ابي طالب يجب ان يكون اللفظ هئت لي ولم يقرا بذلك احد وايضا فان المعنى
على خلافه لانه لم يزل يفر منها ويتباعد عنها وهي تراوده وتطلبه وتقد قميصه فكيف يخبر انه تهيأ لها واجاب
بعضهم عن هذين الاشكالين بان المعنى تهيأ لي امرك لانها لم تكن تقدر على الخلوة به في كل وقت حيث قال لامراته
اكرمي مثواه عسى ان ينفعنا وابنة شعيب حين قالت لابيها في موسى يا ابت استاجره ان خير من استاجرت القوي الامين
وابو بكر في عمر حين استخلفه **قوله** وكذلك الكاف كما تقدم في نظايره حال من ضمير المصدر او نعت له اي ومثل
ذلك الانجاء من الجب والعطف مكنا له او كما انجيناه وعطفنا عليه العزيز مكنا له في ارض مصر اي صار متمكنا من الامر
والنهي في ارض مصر وجعلناه على خزائنها **قوله** ولنعلمه من تاويل الاحاديث وهي عبارة الرويا واللام في
ولنعلمه فيها اوجه احدها ان يتعلق بمحذوف قبله اي وفعلنا ذلك لنعلمه والثاني ان يتعلق بما بعده اي ولنعلمه
فعلنا كيت وكيت والله غالب على امره الهاء في امره يجوز ان تعود على الجلالة اي انه تعالى فعال لما يريد لا يغلبه شي

ولا يرد حكمه راد لا دافع لقضايه ولا مانع من حكمه في ارضه وسمايه ويجوز ان يعود على يوسف اي انه يدبره ولا
يكله الى غيره فقد كادوه اخوته فلم يضروه بشي ولكن اكثر الناس لا يعلمون ان الامر كله بيد الله **قوله تعالى** ولما
بلغ اشده الاية لما بين تعالى ان اخوته لما اساوا اليه ثم صبر على تلك الاساءة والشدايد مكنه الله في الارض ثم لما بلغ
اشده اتاه الله العلم والحكم والمقصود ان جميع ما قام به من النعم كان جزاء على صبره **قوله تعالى** اشده فيه
ثلاثة اقوال احدها وهو قول سيبويه انه جمع شدة نحو نعمة وانعم الثاني قول الكسائي ان مفرده شد بزنة
فعل نحو صك واصك ويويده قول الشاعر • عهدي به شد النهار كانما • خضب اللبان وراسه بالعظلم •
الثالث انه جمع لا واحد له من لفظه قاله ابو عبيدة وخالفه الناس في ذلك اذ قد سمع شدة وشد وهما صالحان
له وهو من الشد وهو الربط على الشي والعقد عليه قال الراغب وقوله تعالى حتى اذا بلغ اشده فيه تنبيه على
ان الانسان اذا بلغ هذا القدر يتقوى خلقه الذي هو عليه فلا يكاد يزايله وما احسن ما نبه له الشاعر
حيث قال • اذا المرء وفى الاربعين ولم يكن • له دون ما يهوى حياء ولا ستر •
• فدعه ولا تنفس عليه الذي مضى • وان جر اسباب الحياة له العمر •
والاشد منتهى شبابه وشدته وقوته قال مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنهما ثلاثا وثلاثين وقال السدي
ثلاثين سنة وقال الضحاك عشرين سنة وقال الكلبي الاشد ما بين ثماني عشرة سنة وسيل مالك رضي الله عنه عن
الاشد قال هو الحلم وقد تقدم الكلام على الاشد في سورة الانعام عند قوله تعالى حتى يبلغ اشده اتيناه حكما وعلما
فالحكم النبوة والعلم الفقه في الدين وقيل حكما يعني اصابة في القول وعلما بتاويل الرويا وقيل الفرق بين الحكيم
والعالم ان العالم هو الذي يعلم الاشياء والحكيم الذي يعمل بما يوجبه العلم **قوله تعالى** وكذلك الكاف نعت
لمصدر محذوف او حال من ضمير المصدر وتقدم نظايره نجزي المحسنين قال ابن عباس رضي الله عنه المومنين وعنه
ايضا المهتدين وقال الضحاك الصابرين على النوايب كما صبر يوسف **قوله تعالى** وراودته التي هو في بيتها
عن نفسه الاية اعلم ان يوسف عليه السلام كان في غاية الجمال فلما راته المراة طمعت فيه وراودته اي طالبته برفق
ولين والمراودة المصدر والريادة طلب النكاح يقال راود فلان جاريته عن نفسها وراودته هي عن نفسه اذا حاول
كل واحد منهما الوطي ومشى رويدا اي برفق في مشيه والرود الرفق في الامور والتاني فيها وراودت المراة في مشيها
ترود رودا من ذلك والمرود هذه الالة منه والارادة منقولة من راد يرود اذا سعى في طلب حاجة وتقدم ذلك
في البقرة وتعدى هنا بعن لانه ضمن معنى خادعته اي خادعته عن نفسه والمفاعلة هنا من الواحد نحو داويت
المريض ويحتمل ان يكون على بابها فان كلا منهما كان يطلب من صاحبه شيئا برفق هي تطلب منه الفعل وهو يطلب
منها الترك والتشديد في غلقت للتكثير لتعدد المحال اي اغلقت الابواب وكانت سبعة قال الواحدي واصل
هذا من قولهم في كل شي نشب في شي فقد غلق يقال غلق في الباطل وغلق في غضبه ومنه غلق الرهن
ثم يعدى بالالف فيقال اغلق الباب اذا جعله بحيث يعسر فتحه والسبب في تغليق الابواب ان ذلك العمل لا يوتى به
الا في الموضع المستور لا سيما اذا كان حراما ومع الخوف الشديد **قوله تعالى** هيت لك اختلف اهل النحو في
هذه اللفظة هل هي عربية ام معربة فقيل معربة من القبطية بمعنى هلم لك قاله السدي وقيل من السريانية
قاله ابن عباس والحسن وقيل من العبرانية واصلها هيتلخ اي تعاله فاعربه القران قاله ابو زيد الانصاري وقيل
هي لغة حورانية وقعت الى اهل الحجاز فتكلموا بها ومعناها تعال قاله الكسائي والفرا وهو منقول عن عكرمة
والجمهور على انها عربية قال مجاهد هي كلمة حث واقبال ثم هي في بعض اللغات يتعين فعليتها وفي بعضها
يجوز الامران كما ستعرفه من القرات المذكورة فيها فقرا نافع وابن ذكوان هيت بكسر الهاء وياء ساكنة وتاء مفتوحة
وقرا ابن كثير هيت بفتح الهاء وياء ساكنة وتاء مضمومة وقرا هشام هئت بكسر الهاء وهمزة ساكنة وتاء مفتوحة
او مضمومة وقرا الباقون هيت بفتح الهاء وياء ساكنة وتاء مفتوحة فهذه خمس قرآت في السبع وقرا ابن عباس
وابو الاسود والحسن وابن محيصن بفتح الهاء وياء ساكنة وتاء مكسورة وحكى النحاس انه قرئ بكسر الهاء والتاء
بينهما ياء ساكنة وقرا ابن عباس رضي الله عنه ايضا هييت بضم الها وكسر اليا بعدها ياء ساكنة ثم تاء مضمومة
بزنة حييت وقرا زيد بن علي وابن اسحق بكسر الهاء وياء ساكنة وتاء مضمومة فهذه اربع في الشاذ فصارت
تسع قرآت وقرا السلمي وقتادة بكسر الهاء وضم التاء مهموزا يعني تهيأت لك وانكره ابو عمرو والكسائي ولم يحك
هذا عن العرب فيتعين كونها اسم فعل في غير قراءة ابن عباس هييت بزنة حييت وفي غير قراءة كسر الهاء سوا كان

بالياء امر بالهمز نحو فتح التا بناها على الفتح تخفيفا نحو اين وكيف ومن ضمها كابن كثير فتشبيها بحيث
ومن كسر فعلى اصل التقاء الساكنين كجير وفتح الها وكسرها لغتان وبتعين فعليتها في قراءة ابن عباس
هيئت بزنة حييت فانها فيها فعل ماض مبني للمفعول مسند لضمير المتكلم من هيئات الشي وتحتمل الامرين
في قراءة من كسر الها وضم التاء فيحتمل ان يكون بها اسم فعل بنيت على الضم كحيث وان يكون فعلا مسندا
لضمير المتكلم من هاء الرجل يهيئ كجاء يجيء وله حينئذ معنيان احدهما ان يكون بمعنى حسنت هيئته
والثاني ان يكون بمعنى تهيأ يقال هيئت اي حسنت هيئتي او تهيأت وجوز ابو البقا ان يكون هيئت هذه من
هاء يهاء كشاء يشاء وقد طعن جماعة على قراءة هشام التي بالهمز وفتح التاء فقال الفارسي يشبه ان الهمزة
وفتح التاء وهما من الراوي لان الخطاب من المراة ليوسف ولم يتهيأ لها بدليل قوله وراودته واني لم اخنه بالغيب
وتابعه على ذلك جماعة وقال مكي بن ابي طالب يجب ان يكون اللفظ هيت لي ولم يقرا بذلك احد وايضا فان
المعنى على خلافه لانه لم يزل يفر منها ويتباعد عنها وهي تراوده وتطلبه وتقد قميصه فكيف يخبر انه
تهيأ لها واجاب بعضهم عن هذا الاشكال بان المعنى تهيأ لي امرك لانها لم تكن تقدر على الخلوة به في كل وقت
او يكون المعنى حسنت هيئتك ولك متعلق بمحذوف على سبيل البيان كانها قالت القول لك والخطاب لك
كهي في سقيا لك ورعيا قال شهاب الدين واللام متعلقة بمحذوف على كل قراءة الا قراءة ثبت فيها كونه فعلا
فانها حينئذ تتعلق بالفعل اذ لا حاجة الى تقدير شيء اخر وقال ابو البقا والاشبه ان يكون الهمز بدلا من الياء
او يكون لغة في الكلمة التي هي اسم للفعل وليست فعلا لان ذلك يوجب ان يكون الخطاب ليوسف عليه السلام
وهو فاسد لوجهين احدهما انه لم يتهيأ لها وانما هي تهيأت له والثاني انه قال لك ولو اراد الخطاب لقال هيت لي
وتقدم جوابه وقوله ان الهمزة بدل من الياء هذا عكس لغة العرب اذ قد عهد ناهم يبدلون الهمزة الساكنة ياء اذا انكسر
ما قبلها نحو بير وذيب ولا يقلبون الياء المكسور ما قبلها همزة نحو ميل وديك وايضا فلا غير جعل الياء الصريحة
مع كسر الهاء كقراءة نافع وابن ذكوان محتملة لان يكون بدلا من الهمزة قالوا فيعود الكلام فيها كالكلام في قراءة
هشام واعلم ان القراءة التي استشكلها الفارسي هي المشهورة عن هشام واما ضم التاء فغير مشهور عنه ثم انه تعالى
اخبر ان المراة لما ذكرت هذا الكلام قال يوسف عليه الصلاة والسلام معاذ الله انه ربي احسن مثواي معاذ الله
منصوب على المصدر بفعل محذوف اي اعوذ بالله معاذا يقال عاذ يعوذ عياذا وعياذة ومعاذا وعوذا
قال الشاعر ● معاذ الاله ان يكون كظبية ● ولا دمية ولا عقيلة ربرب ●●●●● انه يجوز ان يكون
الها ضمير الشان وما بعده جملة خبرية له ومراده بربه سيده ويحتمل ان يكون الها ضمير الباري تعالى وربي
يحتمل ان يكون خبرها واحسن جملة حالية لازمة وان يكون مبتدا واحسن جملة خبرية له والجملة خبر لان
وقرا الجحدري وابو الطفيل الغنوي مثوي بقلب الالف ياء وادغامها كبشري وهدي وانه لا يفلح هذه
الها ضمير الشان ليس الا وفعل قولنا ان الضمير في قوله انه ربي يعود الى زوجها قطفير اي انه ربي سيدي ومالكي
احسن مثواي حين قال لها اكرمي مثواه فلا يليق بالعقل ان اجازيه على ذلك الاحسان بهذه الخيانة القبيحة
وقيل الها راجعة الى الله تبارك وتعالى اي ان الله ربي احسن مثواي اي اواني ومن بلاء الجب عافاني انه لا يفلح
الظالمون يعني ان فعلت هذا فخنته بعد ما اكرم مثواي فانا ظالم ولا يفلح الظالمون وقيل اراد الزناة
لانهم ظالمون انفسهم لان عملهم يقتضي وضع الشيء في غير موضعه **فصل** ذكر ابن الخطيب
ههنا سؤالات الاول ان يوسف عليه الصلاة والسلام كان حرا وما كان عبدا فقوله انه ربي يكون كذبا
وذلك ذنب وكبيرة والجواب انه عليه الصلاة والسلام اجرى هذا الكلام بحسب الظاهر على وفق ما كانوا
يعتقدون فيه من كونه عبدا وايضا انه رباه وانعم عليه بالوجوه الكثيرة فعنى بقوله انه ربي كونه مربيا
وهو من باب المعاريض الحسنة فان اهل الظاهر يحملونه على كونه ربا وهو كان يعني به انه كان مربيا له ومنعما
عليه السؤال الثاني ذكر يوسف عليه الصلاة والسلام في الجواب في كلامه ثلاثة اشيا احدها قوله معاذ الله
والثاني قوله انه ربي احسن مثواي والثالث قوله انه لا يفلح الظالمون فما وجه تعلق هذه الجوابات بعضها
ببعض والجواب هذا الترتيب في غاية الحسن لان الانقياد لامر الله تعالى وتكاليفه اهم الاشيا لكثرة انعامه
والطافه في حق العبد فقوله معاذ الله اشارة الى ان حق الله تعالى يمنع من هذا العمل وايضا حقوق الخلق
واجبة الرعاية فلما كان هذا الرجل قد انعم في حقي فيقبح معاملة انعامه بالاساءة وايضا صون النفس عن

الضرر واجب وهذه اللذة قليلة ويتبعها خزي في الدنيا وعذاب في الاخرة وهذه اللذة القليلة اذا اتبعها
ضرر شديد ينبغي تركها والاحتراز عنها بقوله انه لا يفلح الظالمون فهذه الجوابات الثلاثة مرتبة على احسن وجوه
الترتيب السؤال الثالث هل يدل قوله عليه الصلاة والسلام معاذ الله على صحة القضاء والقدر والجواب انه
يدل دلالة ظاهرة لانه طلب من الله تعالى ان يعيذه من العمل وتلك الاعاذة ليست عبارة عن اعطاء الفعل والقدرة
وازاحة الاعذار وازالة الموانع وفعل الالطاف لان كل هذا قد فعله الله تعالى فيكون طلبه اما طلبا لتحصيل
الحاصل او طلبا لتحصيل الممتنع وانه محال فعلمنا ان تلك الاعاذة التي طلبها يوسف من الله تعالى لا معنى لها الا ان يخلق
فيه داعية جازمة في جانب الطاعة وان يزيل عن قلبه داعية المعصية وهو المطلوب ويدل على ذلك ان النبي صلى الله
عليه وسلم وشرف وكرم ومجد وبجل وعظم لما وقع بصره على زينب قال يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك وكان المراد
منه تقوية داعية الطاعة وازالة داعية المعصية فكذا ههنا وكذلك قوله عليه الصلاة والسلام قلب المؤمن بين
اصبعين من اصابع الرحمن قالوا والمراد من الاصبعين داعية الفعل وداعية الترك وهاتان الداعيتان لا تحصل
الا بخلق الله تعالى والا لافتقرت الى داعية اخرى ولزم التسلسل فثبت ان قول يوسف صلوات الله وسلامه عليه
معاذ الله من ادل الدلايل على صحة القول بالقضا والقدر **قوله تعالى** ولقد همت به وهم بها لولا ان راي برهان
ربه الاية جواب لولا اما متقدم عليها وهو قوله وهم بها عند من يجيز تقديم جواب ادوات الشرط عليها واما محذوف
لدلالة هذا عليه عند من لا يرى ذلك وقد تقدم نفي المذهبين مرارا كقولهم انت ظالم ان فعلت اي ان فعلت فانت
ظالم ولا تقول انت ظالم هو الجواب بل دال عليه وعلى هذا فالوقف عند قوله برهان ربه والمعنى لولا رويته برهان ربه
لهم بها لكنه امتنع همه بها لوجود رويته برهان ربه فلم يحصل منه هم البتة كقولك لولا زيد لاكرمتك فالمعنى ان
الاكرام ممتنع لوجود زيد وبهذا يتخلص من الاشكال الذي يورد وهو كيف يليق بنبي ان يهم بامراة قال الزمخشري
رحمه الله فان قلت قوله وهم بها داخل تحت القسم في قوله ولقد همت به ام خارج عنه قلت الامران جايزان ومن حق
القاري اذا قصد خروجه من حكم القسم وجعله كلاما براسه ان تقف على قوله ولقد همت به ويبتدي قوله وهم بها
لولا ان راي برهان ربه وفيه ايضا اشعار بالفرق بين الهمين فان قلت لم جعلت جواب لولا محذوفا يدل عليه وهم بها
وهلا جعلته هو الجواب مقدما قلت لان لولا يتقدم عليها جوابها من قبل انه في حكم الشرط وللشرط صدر الكلام
وهو وما في حيزه من الجملتين مثل كلمة واحدة ولا يجوز تقديم بعض الكلمة على بعض واما حذف بعضها الى اخره جواب عن
سوال مقدر وهو انه اذا كان الشرط مع الجملتين بمنزلة كلمة فينبغي ان لا يحذف منها شيء لان الكلمة لا يحذف منها شيء
فاجاب بانه يجوز اذا دل دليل على ذلك وهو كما قال ثم قال فان قلت لم جعلت لولا متعلقة بهم بها وحده ولم تجعلها
متعلقة بجملة قوله ولقد همت به وهم بها لان الهم لا يتعلق بالجواهر ولكن بالمعاني فلا بد من تقدير المخالطة والمخالطة
لا تكون الا من اثنين معا فكانه قيل ولقد هما بالمخالطة لولا ان منع مانع احدهما قلت نعم ما قلت ولكن الله سبحانه وتعالى
قد جاء بالهمين على سبيل التفصيل ولقد همت به وهم بها والزجاج لم يرتض هذه المقالة اي كون قوله لولا متعلقة بهم بها
فانه قال ولو كان الكلام ولهم بها لكان بعيدا فكيف مع سقوط اللام يعني الزجاج انه لا يجوز ان يكون وهم بها جوابا
للولا لانه لو كان جوابها لاقترن باللام لانه مثبت وعلى تقدير انه كان مقترنا باللام كان يبعد من جهة اخرى
وهي تقديم الجواب عليها وجواب ما قاله الزجاج ما تقدم عن الزمخشري من ان الجواب محذوف مدلول عليه بما تقدم
واما قوله ولو كان الكلام ولهم بها فغير لازم لانه متى كان جواب لو ولولا مثبتا جاز فيه الامران اللام وعدمها
وان كان الاتيان باللام هو الاكثر وتابع ابن عطية الزجاج ايضا في هذا المعنى فقال قول من قال ان الكلام قد تم
في قوله ولقد همت به وان جواب لولا في قوله وهم بها وان المعنى لولا ان راي البرهان لهم بها فلم يهم يوسف عليه السلام
قال وهذا قول يرده لسان العرب واقوال السلف فقوله يرده لسان العرب فليس كذلك لان وزان هذه الاية قوله
ان كادت لتبدي به لولا ان ربطنا على قلبها فقوله ان كادت اما ان تكون جوابا عند من يرى ذلك واما ان يكون
دالا على الجواب وليس فيه خروج عن كلام العرب هذا مع ما رد به عليه ابو حيان وكان ابن عطية انما يعني بالخروج
عن لسان العرب تجرد الجواب من اللام على تقدير جواز تقديمه والغرض ان اللام لم توجد **فصل**
الهم هو المقاربة من الفعل من غير دخول فيه فهمها عزمها على المعصية والمامه فروي عن ابن عباس رضي الله عنهما
انه حل الهميان وجلس منها مجلس الخاتن وعن مجاهد رحمه الله قال حل سراويله وجعل يعالج ثيابه هذا قول سعيد بن
جبير والحسن واكثر المتقدمين رضي الله عنهم وقيل غير ذلك وقال اكثر المتاخرين ان هذا لا يليق بحال الانبياء
عليهم الصلاة والسلام وقالوا تم الكلام عند قوله ولقد همت به ثم ابتدا الخبر عن يوسف فقال وهم بها لولا ان راي

برهان ربه على التقديم والتاخير اي لولا ان راي برهان ربه لهمّ بها لكنه راي البرهان فلم يهم قال البغوي
وانكره النحاة وقالوا ان العرب لا توخر لولا عن الفعل فلا تقول لقد قمت لولا زيد وهي تريد لولا زيد لقمت وذكر
ابن الخطيب عن الواحدي انه قال في البسيط قال المفسرون هم يوسف ايضا بالمراة هما صحيحا وجلس مجلس الرجل من المراة
فلما راي البرهان من ربه زالت كل شهوة عنه قال ابو جعفر الباقري باسناده عن علي رضي الله عنه وكرم وجهه
انه قال طمعت فيه وطمع فيها ثم ان الواحدي طول في كلمات عريبة عن الفايدة في هذا الباب ولم يذكر فيما احتج به شيا
صحيحا يعول عليه في هذه المقالة وروي ان يوسف عليه الصلاة والسلام لما قال ذلك ليعلم اني لم اخنه بالغيب قال
له جبريل عليه الصلاة والسلام ولا حين هممت يا يوسف فقال عند ذلك وما ابرئ نفسي وقال العلماء رضي الله عنهم
الهم همان هم يخطر بالبال من غير ان يبرز الى الفعل وهم يخطر بالبال ويبرز الى الفعل فالاول مغفور والثاني غير مغفور
الا ان يشاء الله ويشهد لذلك قوله تعالى ولقد همت به وهم بها فهمه عليه الصلوة والسلام كان خطورا بالبال
من غير ان خرج الى الفعل وهمها خرج الى الفعل بدليل انها غلقت الابواب وقالت هيت لك وقدت قميصه من دبر
ويشهد للثاني قوله صلوات الله البر الرحيم وسلامه عليه اذا التقيا المسلمان بسيفهما فالقاتل والمقتول في النار وقيل
يا رسول الله هذا القاتل فما بال المقتول قال لانه كان حريصا على قتل صاحبه وقال ابن الخطيب وقال المحققون من
المفسرين والمتكلمين ان يوسف عليه السلام كان بريا من العمل الباطل والهم المحرم وبه نقول وعنه نذب والدلايل
الدالة على وجوب عصمة الانبياء عليهم الصلوة والسلام مذكورة مفصلة ونزيد ههنا وجوها الاول ان الزنا
من منكرات الكباير والخيانة في معرض الامانة ايضا من منكرات الذنوب وايضا الصبي اذا تربى في حجر الانسان
وبقي مكفي المونة مصون العرض من اول صباه الى زمان شبابه وكمال قوته فاقدام هذا الصبي على ايصال اقبح انواع
الاساءة الى ذلك المنعم المفضل من منكرات الاعمال واذا ثبت هذا فنقول ان هذه المعصية اذا انسبوها الى يوسف
عليه السلام كانت موصوفة بجميع الجهات ومثل هذه المعصية لو نسبت الى افسق خلق الله وابعدهم عن كل حسن
لاستنكف منه فكيف يجوز اسناده الى الرسول المويد بالمعجزات القاهرة مع قوله تعالى كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء
وذلك يدل على ان ماهية السوء وماهية الفحشاء مصروفة عنه والمعصية التي نسبوها اليه اعظم انواع السوء والفحشاء
وايضا فلا يليق بحكمة الله تعالى ان يحكي عن انسان اقدامه على معصية ثم يمدحه ويثني عليه باعظم المدايح والاثنية
عقيب ما حكى عنه ذلك الذنب العظيم فان مثاله ما اذا حكى السلطان عن بعض عبيده اقبح الذنوب وافحش الاعمال
ثم يذكره بالمدح العظيم والثناء البالغ عقيبه فان ذلك يستنكر جدا فكذا ههنا وايضا فان الانبياء عليهم الصلوة
والسلام متى صدرت عنهم زلة او هفوة استعظموا ذلك واتبعوه باظهار الندامة والتوبة والتواضع ولو كان
يوسف اقدم ههنا على هذه الكبيرة المنكرة لكان من المحال ان لا يتبعها بالتوبة والاستغفار ولو اتى بالتوبة لحكى الله
تعالى عنه ذلك كما في ساير المواضع وحيث لم يوقع شيا من ذلك علمنا انه ما صدر عنه في هذه الواقعة ذنب ولا
معصية وايضا فكل من كان له تعلق بتلك الواقعة فقد شهد ببراءة يوسف عليه الصلاة والسلام عن المعصية
والذين لهم تعلق بهذه الواقعة • يوسف • والمراة • وزوجها • والنسوة • والشهود • ورب العالمين وابليس • فاما
يوسف صلوات الله وسلامه عليه فادعى ان الذنب للمراة وقال هي راودتني عن نفسي وقال رب السجن احب الي مما
يدعونني اليه واما المراة فاعترفت بذلك وقالت للنسوة ولقد راودته عن نفسه فاستعصم وقالت ايضا الان
حصحص الحق انا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين واما زوج المراة فقوله انه من كيدكن ان كيدكن عظيم يوسف
اعرض عن هذا واستغفري لذنبك واما الشهود فقوله تعالى وشهد شاهد من اهلها ان كان قميصه قد من دبر الاية
واما شهادة الله تعالى بذلك فقوله كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء انه من عبادنا المخلصين فقد شهد الله
تعالى في هذه الاية على طهارته اربع مرات اولها قوله لنصرف عنه السوء والفحشاء والثاني قوله انه من عبادنا مع انه
قال تعالى وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما والرابع قوله المخلصين
وفيه قراءتان تارة باسم الفاعل واخرى باسم المفعول وهذا يدل على ان الله تعالى استخلصه لنفسه واصطفاه لحضرته
وعلى كل وجه فانه من ادل الالفاظ على كونه منزها عما اضافوه اليه واما اقرار ابليس بطهارته فقوله فبعزتك لاغوينهم
اجمعين الا عبادك منهم المخلصين وهذا اقرار من ابليس بانه ما اغواه وما اضله عن طريق الهدى فثبت بهذه الدلايل
ان يوسف عليه السلام بريء عما يقوله هولاء واذا عرفت ذلك فنقول الكلام على ظاهر هذه الاية يقع في مقامين
المقام الاول ان نقول ان يوسف عليه الصلاة والسلام ما هم بها لقوله تعالى وهم بها لولا ان راى برهان ربه وجواب
لولا ههنا مقدم وهو كما يقال قد كنت من الهالكين لولا ان فلانا خلصك وطعن الزجاج في هذا الجواب من وجهين الاول

ان تقديم جواب لولا شاذ وغير موجود في الكلام الفصيح الثاني لولا جوابها باللام فلو كان الامر على ما ذكرتم
لقال ولقد همت به ولهم بها لولا وذكر عن الزجاج سوال ثالث وهو انه لم يوجد الهم لما كان قوله لولا ان راي
برهان ربه فايدة واعلم ان ما ذكره الزجاج بعيد لانا لا نسلم ان تاخير جواب لولا حسن جايز الا ان جوازه لا يمنع
من جواز تقديم هذا الجواب وكيف وقد نقل عن سيبويه انه قال انهم يقدمون الاهم فالاهم والذي هم بشانه
اعنى فكان الامر في جواز التقديم والتاخير مربوطا بشدة الاهتمام فاما تعيين بعض الالفاظ بالمنع فذلك مما
لا يليق بالحكمة وايضا ذكر جواب لولا باللام جايز وذلك لا يدل على ان ذكره بغير اللام لا يجوز ومما يدل على فساد قول
الزجاج قوله تعالى ان كادت لتبدي به لولا ان ربطنا على قلبها واما قوله لو لم يوجد الهم لم يبق لقوله لولا ان راى برهان
ربه فايدة فنقول بل فيه اعظم الفوايد وهو بيان ان ترك الهم بها ما كان لعدم رغبته في النساء ولا لعدم قدرته عليهن
بل لاجل ان دلايل دين الله منعته عن ذلك العمل ثم نقول الذي يدل على ان جواب لولا ما ذكرناه ان لولا تستدعي جوابا
وترك الجواب ذكر في القران فنقول لا نزاع انه ذكر في القران الا ان الاصل ان لا يكون محذوفا وايضا فالجواب انما يحسن
حذفه اذا حصل في الملفوظ ما يدل على تعيينه وههنا بتقدير ان يكون الجواب محذوفا لانه ليس في اللفظ ما يدل على تعيين
ذلك الجواب فان ههنا انواعا من الاضمارات يحسن اضمار كل واحد منها وليس اضمار بعضها اولى من اضمار البعض الباقي فظهر
الفرق المقام الثاني سلمنا ان الهم قد حصل الا انا نقول ان قوله وهم بها لا يمكن حمله على ظاهره لان تعليق الهم بذات المراة
محال لان الهم من جنس القصد والقصد لا يتعلق بالذوات فثبت انه لا بد من اضمار فعل مخصوص يجعل متعلق ذلك الهم
غير مذكور فهم زعموا ان ذلك الفعل المضمر هو ايقاع الفاحشة بها ونحن نضمر شيا اخر يغاير ما ذكروه وهو من وجوه
الاول ان المراد انه عليه السلام هم بدفعها عن نفسه ومنعها من ذلك القبيح لان الهم هو القصد فوجب ان يحمل في حق
كل واحد على القصد الذي يليق به فاللايق بالمراة القصد الى تحصيل اللذة والتمتع واللايق بالرسول المبعوث الى الخلق
القصد الى زجر العاصي عن معصيته والى الامر بالمعروف والنهي عن المنكر يقال هممت بفلان اي قصدته ودفعته فان قالوا
فعلى هذا التقدير لا يبقى لقوله لولا ان راى برهان ربه فايدة قلنا بل فيه اعظم الفوايد من وجهين الاول انه تعالى
اعلم يوسف انه لو هم بدفعها لقتلته او لكانت تامر الحاضرين بقتله فاعلمه الله تعالى ان الامتناع من ضربها اولى صونا
للنفس عن الهلاك والثاني انه صلوات الله البر الرحيم وسلامه عليه لو اشتغل بدفعها عن نفسه فربما تعلقت
به فكان يتخرق ثوبه من قدام وكان في علم الله ان الشاهد يشهد ان ثوبه لو تخرق من قدام لكان يوسف هو الخاين ولو كان
ثوبه تخرق من خلف لكانت المراة هي الخاينة فالله تعالى اعلمه هذا المعنى فلا جرم لم يشتغل بدفعها عن نفسه بل ولى هاربا
منها حتى صارت شهادة الشاهد حجة له على براءته عن المعصية الوجه الثاني في الجواب ان يفسر الهم بالشهوة وهذا مستعمل
في اللغة الشايعة يقول القايل فيما لا يشتهيه لا يهمني هذا وفيما يشتهيه هذا اهم الاشيا الي فسمى الله تعالى شهوة يوسف
همّا والمعنى ولقد اشتهته واشتهاها لولا ان راى برهان ربه لدخل ذلك العمل في الوجود الثالث ان نفسر الهم بحديث
النفس وذلك لان المراة الفايقة في الحسن والجمال اذا تزينت وتهيات للرجل الشاب القوي فلا بد وان يقع هناك
بين الشهوة والحكمة وبين النفس والعقل مجاذبات ومنازعات فتارة تقوى داعية الطبيعة والشهوة وتارة تقوى
داعية العقل والحكمة فالهم عبارة عن مجاذبات الطبيعة ورؤية البرهان عبارة عن جواذب العبودية ومثاله ان الرجل
الصالح في الصيف الصايف اذا راى الجلاب المبرد بالثلج فان طبيعته تحمله على شربه الا ان دينه يمنعه منه فهذا لا يدل
على حصول الذنب بل كلما كانت هذه الحالة اشد كانت القوة في القيام بلوازم العبودية اكمل فظهر بحمد الله تعالى صحة
القول الذي ذهبنا اليه ولم يبق في يد الواحدي الا مجرد التصريف وتعديد اسماء المفسرين ولو ذكر في تقرير ذلك
القول شبهة لاجبنا عنها الا انه ما زاد على الرواية عن بعض المفسرين واعلم ان بعض الحشوية روى عن النبي المختار صلوات
الله وسلامه عليه ما كذب ابراهيم الا ثلاث كذبات فقلت الاولى ان لا يقبل هذه الاخبار فقال على طريق الاستنكار
ان لم يقبله لزمنا تكذيب الرواة فقلت له يا مسكين ان قبلناه لزمنا الحكم بتكذيب ابراهيم صلوات الله وسلامه
عليه وان رددناه لزمنا الحكم بتكذيب الرواة ولا شك ان صون ابراهيم عن الكذب اولى من صون طايفة من المجاهيل
عن الكذب اذا عرفت هذا الاصل فنقول للواحدي ومن الذي يضمن لنا ان الذين نقلوا هذا القول عن هولاء المفسرين
كانوا صادقين او كاذبين والله تعالى اعلم **فصل** اختلفوا في البرهان ما هو فقال المحققون المثبتون
للعصمة رؤية البرهان على وجوه الاول انه حجة الله تعالى في تحريم الزنا والعلم على ما فيه من العذاب والثاني ان الله
تعالى طهر نفوس الانبياء عن الاخلاق الذميمة بل نقول انه تعالى طهر نفوس المخلصين منهم عنها كما قال تعالى انما يريد الله
ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا فالمراد برؤية البرهان هو حصول ذلك الاخلاص وترك الاحوال

الداعية لهم الى الاقدام على المنكرات الثالث انه راي مكتوبا في سقف البيت ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة ومقتا
وساء سبيلا الرابع انه النبوة المانعة من ارتكاب الفواحش وبه اجابه ان الانبياء عليهم السلام بعثوا لمنع الخلايق عن
القبايح فلو انهم منعوا الناس عنها ثم اقدموا على اقبح انواعها لدخلوا تحت قوله تعالى لم تقولون ما لا تفعلون وايضا فان
الله تعالى عير اليهود بقوله اتامرون الناس بالبر وتنسون انفسكم وما كان عيبا في حق اليهود كيف ينسب الى الرسول المؤيد
بالمعجزات واما الذين نسبوا المعصية الى يوسف عليه السلام فذكروا في ذلك البرهان وجوها الاول ان المراة قامت
الى صنم مكلل بالدر والياقوت في زاوية البيت فسترته بثوب فقال يوسف عليه السلام لم فعلت قالت استحي من الهي هذا ان
يراني على المعصية فقال يوسف تستحين من صنم لا يعقل ولا يسمع ولا يبصر ولا استحي من الهي القايم على كل نفس بما كسبت
فوالله لا افعل ذلك ابدا قال هذا هو البرهان الثاني نقلوا عن ابن عباس رضي الله عنهما انه مثل له يعقوب عليه السلام
فراه عاضا على اصبعه يقول له اتعمل عمل الفجار وانت مكتوب في زمرة الانبياء عليهم السلام فاستحي منه قال وهو قول
عكرمة ومجاهد والحسن وسعيد بن جبير وروي سعيد بن جبير رضي الله عنه عن ابن عباس مثل له يعقوب فضرب في
صدره فخرجت شهوته من انامله الثالث قالوا انه سمع في الهوي قايلا يقول يا ابن يعقوب لا تكن كالطير يكون له ريش
فاذا زني ذهب ريشه الرابع نقلوا عن ابن عباس ان يوسف لم يزجر بوعيد يعقوب حتى ركضه جبريل فلم يبق به شي
من الشهوة الا خرج قال ابن الخطيب ولما نقل الواحدي هذه الروايات تصلف وقال هذا الذي ذكرنا قول ايمة
التفسير الذين اخذوا التاويل عن شاهدوا التنزيل فقال له انك لا تاتينا البتة الا بهذه التصلفات التي لا فايدة
فيها فاين هذا من الحجة والدليل الذي ذكرناه وايضا فان ترادف الدلايل على الشي الواحد جايز وانه عليه الصلوة
والسلام كان ممتنعا عن الزنا بحسب الدلايل الاصلية فلما انضاف اليها هذه الزواجر ازدادت قوة وايضا روي
ان جبريل عليه الصلوة والسلام امتنع من دخول حجرة النبي المختار صلوات الله وسلامه عليه بسبب وقع هناك بغير
علمه قالوا فامتنع جبريل عليه السلام من الدخول عليه اربعين يوما وهنا زعموا ان يوسف حين اشتغاله بالفاحشة
ذهب اليه جبريل والعجب ايضا انهم زعموا انه لم يمتنع عن هذا العمل بسبب حضور جبريل عليه السلام ولو ان افسق
الخلق واكفرهم كان مشتغلا بفاحشة فاذا دخل عليه رجل في زي الصالحين استحي منه وترك ذلك العمل وهنا يعقوب
عليه السلام عض على انامله فلم يلتفت ثم ان جبريل عليه الصلاة والسلام على جلالة قدره دخل عليه فلم يمتنع ايضا
عن ذلك القبيح بدخوله حتى احتاج جبريل الى ان ركضه على ظهره فنسال الله تعالى ان يصوننا عن الغي في الدين والخذلان
في طلب اليقين **فصل** والفرق بين السوء والفحشاء من وجهين الاول ان السوء خيانة السيد والفحشاء
الزنا **قوله** كذلك في هذه الكاف اوجه احدها انها في محل نصب فقدره الزمخشري مثل ذلك التثبيت
ثبتناه وقدره الحوفي اريناه البراهين بذلك وقدره ابن عطية رحمه الله جرت افعالنا واقدارنا كذلك لنصرف
وقدره ابو البقا نراعيه كذلك الثاني ان الكاف في محل رفع فقدره الزمخشري وابو البقا الامر مثل ذلك وقدره
ابن عطية عصمته كذلك وقال الحوفي امر البراهين كذلك ثم قال والنصب اجود لمطابقة حروف الجر للافعال
او معانيها الثالث ان في الكلام تقديما وتاخيرا تقديره همت به وهم بها كذلك ثم قال لولا ان راي برهان ربه
كذلك لنصرف عنه ما هم به قال ابو حيان وهذا انواع عطية وليس بشي اذ مع تسليم جواز التقديم والتاخير لا معنى لما ذكره وقال
ابو حيان والاولى ان التقدير مثل تلك الروية او مثل ذلك الراي نري براهيننا لنصرف عنه فنجعل الاشارة الى الراي
او الروية والناصب للكاف ما دل عليه قوله لولا ان راي برهان ربه ولنصرف متعلق بذلك الفعل الناصب للكاف
ومصدر راي روية وراي قال الشاعر • وراي عيني الفتى اباكا • يعطي الجزيل فعليك ذاكا •
قوله المخلصين قرا هذه اللفظة
وقرا الاخفش ليصرف بياء الغيبة والفاعل هو الله سبحانه وتعالى جل ذكره
حيث وردت اذا كانت معرفة بالمكسورة الام ابن كثير وابو عمرو وابن عامر اي الذين اخلصوا دينهم لله على ان الفاعل
والمفعول محذوف والباقون بفتحها على انه اسم مفعول من اخلصهم الله اي اجتباهم واختارهم او اخلصهم من كل سوء
ويحتمل ان يكون لكونه من ذرية ابرهيم قال فيهم انا اخلصناهم بخالصة وقرا الكوفيون في مريم انه كان مخلصا بفتح
اللام بالمعنى المتقدم والباقون بكسرها بالمعنى المتقدم **قوله تعالى** واستبقا الباب الاية الباب منصوب اما على
اسقاط الخافض اتساعا اذ اصل استبق ان يتعدى بالى واما على تضمين استبقا معنى ابتدرا فينتصب مفعولا به
قوله تعالى وقدت يحتمل ان تكون الجملة نسقا على استبقا اي استبقا وقدت ويحتمل ان تكون في محل نصب على
الحال اي وقد قدت والقد الشق مطلقا وقال بعضهم القد فيما كان بالشق طولا والقط فيما كان بالشق عرضا قال
ابن عطية وقرات فرقة وقط قال ابو الفضل بن حرب رايت في مصحف وقط من دبر اي شق قال يعقوب القط الشق في الجلد

الصحيح والثوب الصحيح وقال الشاعر • تقد السلوقي المضاعف نسجه • وتوقد بالصفاح نار الحباحب •
قال العلماء رضي الله عنهم هذا الكلام من اختصار القران المعجز الذي يجمع فيه المعاني وذلك ان يوسف عليه السلام لما
ان راي برهان ربه خرج حينئذ هاربا وتبعته المراة وقدت قميصه اي شقته من دبر والاستباق طلب السبق الى شي فجهد
كل واحد منهما ان يسبق صاحبه فان سبق يوسف فتح الباب وخرج وان سبقت المراة امسكت الباب لئلا يخرج فسبقها
يوسف الى الباب والمراة تعدو خلفه فلم تصل الا الى دبر القميص فتعلقت فيه فقدته من خلفه فلما خرجا الفيا
اي وجدا سيدها وانما لم يقل سيدهما لان يوسف عليه الصلوة والسلام لم يكن مملوكا لذلك الرجل حقيقة لدي الباب
اي عند الباب والمراة تقول لبعلها سيدي فان قيل فالمراة ايضا ليست مملوكة لبعلها حقيقة فالجواب ان الزوج لما
ملك الانتفاع بالمراة من الوطي والخلوة والمباشرة والسفر بها من غير اختيارها اشبهت المملوكة فلذلك حسن اطلاق اسم السيد
عليه قال القرطبي والقبط يسمي الزوج سيدا ويقال الفاه وصادفه ووادله ووالطه ولاطه كله بمعنى واحد فعند
ذلك خافت المراة من التهمة فبادرت الى ان رمت يوسف بالفعل القبيح وقالت ما جزاء من اراد باهلك سوءا اعني الزنا
ثم خافت عليه ان يقتل فقالت الا ان يسجن اي يحبس وعذاب اليم اي يعاقب بالضرب **قوله تعالى** ما جزاء يجوز في ما هذه
ان تكون نافية وان تكون استفهامية ومن يجوز ان تكون موصولة او نكرة موصوفة **قوله تعالى** الا ان يسجن
خبر المبتدا ولما كان ان يسجن في قوة المصدر عطف عليه المصدر وهو قوله او عذاب ويحتمل معانيها واظهرها
التنويع وقرا زيد بن علي او عذابا اليما بالنصب وخرجه الكسايي على اضمار فعل اي او ان يعذب عذابا اليما **قوله**
عن ولم تقل هذه ولا ذلك لفرط استحيايه وهو ادب حسن حيث اتى بلفظ الغيبة دون الحضور **فصل**
قال ابن الخطيب في الاية لطايف احدها ان حبها الشديد ليوسف حملها على رعايتين دقيقتين في هذا الموضع وذلك
لانها بدات بذكر السجن واخرت ذكر العذاب لان المحب لا يسعى في ايلام المحبوب وايضا لم تقل ان يوسف يجب ان يقابل
باحد هذين الامرين بل ذكرت ذلك ذكرا كليا صونا للمحبوب عن الذكر بالشر وايضا قالت الا ان يسجن اي يسجن يوما او
يومين او اقل على سبيل التخفيف فاما الحبس الدايم فانه لا يعبر عنه بهذه العبارة بل يقال يجب ان يجعل من المسجونين
كما قال فرعون لموسي عليه الصلاة والسلام انه استعصم مع انه كان في عنفوان العمر وكمال القوة ونهاية الشهوة عظم
اعتقادها في طهارته ونزاهته فاستحيت ان تقول ان يوسف قصدني بالسوء ولم تجد من نفسها ان ترميه بالكذب
وهو لا يستحق ان ينسبوا اليه هذا الذنب القبيح وايضا ان يوسف عليه السلام اراد ان يضربها ويدفعها عن نفسه وذلك
بالنسبة اليها جار مجري السوء فقولها ما جزاء من اراد باهلك سوءا له ظاهر وله باطن فباطنه انها التي ارادت
السوء وظاهره دفعه لها ومنعها فارادت بقولها ما جزاء من اراد باهلك فعل نفسها بقلبها وفي ظاهر الامر اوهمت
انه قصد لها ما لا ينبغي ولما لطخت عرض يوسف عليه السلام بهذا الكلام احتاج يوسف الى ازالة هذه التهمة فقال
هي راودتني عن نفسي واعلم ان العلامات الكثيرة دالة على صدق يوسف منها ان يوسف عليه السلام في ظاهر الامر كان
عبدا لهم والعبد لا يمكنه ان يتسلط على مولاه الى هذا الحد ومنها انهم شاهدوا يوسف عاريا ليخرج والطالب للمراة
لا يخرج من الدار على هذا الوجه ومنها انهم راوا المراة زينت نفسها على اكمل الوجوه ويوسف لم يكن عليه اثر من اثار تزيين
النفس ومنها انهم راوا المراة زينت نفسها ومنها انهم كانوا شاهدوا احوال يوسف في المدة الطويلة فما راوا عليه حالة
تناسب اقدامه على مثل هذا الفعل المنكر ومنها ان المراة ما نسبته الى طلب الفاحشة على سبيل التصريح بل ذكرت كلاما
مجملا واما يوسف فانه صرح بالامر ولو كان متهما لما قدر على التصريح فان الخاين خايف وكل هذه الوجوه مما
يقوي غلبة الظن ببراءة يوسف في هذه المسالة ثم انه تعالى اظهر ليوسف دليلا يقوي تلك الدلايل الدالة على براءته
من الذنب وان المراة هي المذنبة وهو قوله تعالى وشهد شاهد من اهلها فقوله من اهلها صفة لشاهد وهو المسوغ لمجي
الفاعل من لفظ الفعل اذ لا يجوز قام القايم ولا قعد القاعد لعدم الفايدة واختلفوا في ذلك الشاهد على ثلاثة
اقوال الاول انه كان ابن عمها وكان رجلا حكيما واتفق في ذلك الوقت انه كان مع زوجها يريد ان يدخل عليها فقال
الحكيم ان كان قميصه قد من قبل فانت صادقة والرجل كاذب وان كان قميصه قد من دبر فالرجل صادق وانت كاذبة
فلما نظروا الى القميص راوا الشق من خلفه قال ابن عمها انه من كيدكن ان كيدكن عظيم اي من عملكن ثم قال ليوسف اعرض عن
هذا اي اكتمه وقال لها استغفري لذنبك وهذا قول السدي وطايفة من المفسرين قال السهيلي وهذا من باب الحكم
بالامارات وله اصل في الشرع قال تعالى وجاوا على قميصه بدم كذب حيث لا اثر لانياب الذيب فيه وقال تعالى ان
كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين وان كان قميصه قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين
وقال عليه الصلاة والسلام في الحد انظروا فان جاءت به ابيض جعدا فهو للذي رميت به قال السهيلي كان عامر بن

القرب العدو واني لا يكون بين العرب تابعة الا تحاكموا اليه فيرضون عما يقضي به فتحاكموا اليه في ميراث خنثى فبات
ليلة ساهرا يتروى ماذا يحكم به فرأته جارية ترعى وكانت تسمى سخيلة فقالت له مالك لا ابالك الليلة ساهرا فذكر لها
ما هو مفكر فيه وقال لعله يكون عندها في ذلك شيء فقالت له اتبع القضاء المبال فقال فرجتيها والله يا سخيلة
وحكم بذلك القول الثاني منقول عن ابن عباس وسعيد بن جبير والضحاك رضي الله عنهم ان ذلك الشاهد كان
صبيا في المهد انطقه الله قال ابن عباس تكلم في المهد ثلاثة صغار شاهد يوسف وعيسى ابن مريم وصاحب جريج
الراهب قال الجبائي القول الاول اولى لوجوه الاول انه سبحانه وتعالى لو انطق الطفل بهذا الكلام لكان مجرد
قوله انها كاذبة كافيا وبرهانا قاطعا لانه من المعجزات العجيبة القاهرة والاستدلال بتمزيق القميص من قبل ومن دبر
دليل ظني ضعيف والعدول عن الحجة القاطعة حال حصولها الى الدلالة الظنية لا يجوز الثاني انه تبارك وتعالى
قال وشهد شاهد من اهلها وانما يحتج بذلك الى ان شهادة الشاهد على قريبه اولى بالقبول من شهادته له لان الظاهر
من حال القريب ان يشهد لقريبه لا انه يشهد عليه فهذا الترجيح انما يصار اليه اذا كانت دلالة الشهادة ظنية
وذلك انما يكون في شهادة الرجل ولو كان هذا القول صادرا من الصبي الذي في المهد لكان قوله حجة قاطعة ولا
يتفاوت الحال بين ان يكون من اهلها وبين ان لا يكون وحينئذ لا يبقى لهذا القيد وجه الثالث ان لفظ الشاهد
لا يقع في العرف الا على من تقدمت معرفته واحاطته بها القول الثالث ان هذا الشاهد هو القميص قال مجاهد
رضي الله عنه الشاهد قميصه من دبر وهذا في غاية الضعف لان القميص لا يوصف بهذا ولا ينسب الى الاهل واعلم ان
القول الاول عليه اشكال وذلك ان العلامة المذكورة لا تدل قطعا على براءة يوسف من المعصية لانه من المحتمل
ان الرجل قصد المراة لطلب الزنا والمراة غضبت عليه فهرب الرجل فعدت المراة خلف الرجل وجذبته لقصد الدفع
ضربا وجيعا فعلى هذا الوجه يكون قد القميص من دبر مع ان المراة تكون بريئة عن الذنب والرجل يكون مذنبا وجوابه
انا بينا ان علامات كذب المراة كانت كثيرة بالغة مبلغ اليقين فضم اليها هذه العلامة الاخرى لا لاجل التعويل
في الحكم عليها بل لاجل ان يكون ذلك جاريا مجرى المقويات والمرجحات **قوله تعالى** ان كان هذه الجملة الشرطية
اما معمولة لقول مضمر تقديره فقال ان كان عند البصريين واما معمولة لشهد لانه بمعنى القول عند الكوفيين
قوله تعالى من دبر ومن قبل قرأ العامة جميع ذلك بضمتين والجر والتنوين بمعنى من خلفه ومن قدامه اي من
خلف القميص وقدامه او يوسف وقرأ الحسن وابو عمرو في رواية بتسكين العين تخفيفا وهي لغة الحجاز واسد
وقرأ ابن يعمر وابن ابي اسحق والعطاردي والجارود بثلاث ضمات وروي عن الجارود وابن ابي اسحق وابن يعمر
ايضا بسكون العين وبنائهما على الضم ووجه ضمها انهم جعلوهما كقبل وبعد في بنائهما على الضم عند قطعهما
عن الاضافة فجعلوهما غاية ومعنى الغاية ان الجار متمكنان فجعل المضاف غاية نفسه بعدما كان المضاف
اليه غايته والاصل اعرابهما لانهما اسمان متمكنان وليسا بظرفين قال ابو حاتم وهذا رديء في العربية وانما
يقع هذا البناء في الظروف وقال الزمخشري والمعنى من قبل القميص ومن دبره واما التنكير فمعناه من جهة يقال
لها قبل ومن جهة يقال لها دبر وعن ابي اسحق انه قرأ من قبل ومن دبر بالفتح كانه جعلهما علمين للجهتين فمنعهما
الصرف للعلمية والتانيث وقد تقدم الخلاف في كان الواقعة في حيز الشرط هل تبقى على معناها من المضي او يدعى
التجرد من معناها فتنقلب الى الاستقبال كسائر الافعال وان المعنى على التبيين **قوله تعالى** فكذبت وفصدقت
على اضمار قد لانها تقرب الماضي من الحال هذا اذا كان الماضي متصرفا اما اذا كان جامدا فلا يحتاج الى قد
لا لفظا ولا تقديرا **قوله تعالى** فلما راى قميصه اي فلما راى زوجها قميصه قد من دبر عرف خيانة امرأته
وبراءة يوسف صلوات الله الرحيم وسلامه عليه قال لها انه اي هذا الصنيع او قولك ما جزاء من اراد باهلك
سوءا من كيدكن ان كيدكن عظيم وقيل هذا من قول الشاهد فان قيل انه سبحانه وتعالى قال وخلق الانسان
ضعيفا فكيف وصف كيد المراة بالعظم وايضا فكيد الرجل قد يزيد على كيد النساء فالجواب عن الاول ان خلقة الانسان
بالنسبة الى خلقة الملائكة والسموات والكواكب خلقة ضعيفة وكيد النسوان بالنسبة الى كيد البشر عظيم ولا منافاة
بين القولين وايضا فالنساء لهن في هذا الباب من المكر والحيلة ما لا يكون للرجال لان كيدهن في هذا الباب
يورث من العار ما لا يورثه كيد الرجال ولما ظهر للقوم براءة يوسف عن ذلك الفعل قال زوجها يوسف اعرض عن
هذا اي عن هذا الحديث فلا تذكره لاحد حتى لا ينتشر ولا يحصل العار العظيم وقيل انه من قول الشاهد ثم قال للمراة
واستغفري لذنبك اي توبي الى الله تعالى انك كنت من الخاطئين وقيل هذا من قول الشاهد واستغفري اي واطلبي
من زوجك المغفرة والصفح حتى لا يعاقبك قال ابو بكر الاصم رضي الله عنه ان ذلك الزوج كان قليل الغيرة فاكتفى منها

بالاستغفار وقيل ان الله تعالى عز وجل سلبه الغيرة لطفا بيوسف حتى كفي بادرته وحلم عنها قال الزمخشري
وانما قال من الخاطئين تغليبا للذكور على الاناث ويحتمل ان يقال انك من قبيل الخاطئين فمن ذلك القبيل
جرى ذلك العرق فيك قال البغوي رضي الله عنه تقديره من القوم الخاطئين ولم يقصد به الخبر عن النساء
بل قصد الخبر عمن يفعل ذلك كقوله تعالى وكانت من القانتين بيانه قوله تعالى انها كانت من قوم كافرين **قوله**
يوسف منادى محذوف منه حرف النداء قال الزمخشري لانه منادى قريب مفاطن للحديث وفيه تقريب له وتلطيف
لمحله انتهى وكل منادى يجوز حذف حرف النداء منه الا الجلالة المعظمة واسم الجنس غالبا والمستغاث والمندوب
واسم الاشارة عند البصريين في المضمر اذا نودي والجمهور على ضم فاء يوسف عليه الصلوة والسلام لكونه مفردا معرفة
وقرأ الاعمش رضي الله عنه بفتحها وقيل لم يثبت هذه القراءة عنه وعلى تقدير ثبوتها فقال ابو البقاء فيها وجهان
احدهما ان يكون اخرجه على اصل المنادى كما جاء في الشعر • يا عديا لقد وقتك الاواقي • يروى باصل المنادى
انه مفعول به فحقه النصب كالبيت الذي انشده واتفق ان يوسف لا ينصرف ففتحته فتحة اعراب والثاني وجعله
الاشبه ان يكون وقف على الكلمة ثم وصل واجرى الوصل مجرى الوقف فالقى حركة الهمزة على الفاء وحذفها فصار اللفظ
بها يوسف اعرض وهذا كما حكي الله اكبر اشهد الا بالوصل يعني بالفتح في الجلالة وفي اكبر واشهد وذلك انه قدر الوقف
على كل كلمة من هذه الكلم والقى حركة الهمزة من كل من الكلم الثلاث على الساكن قبله واجرى الوصل مجرى الوقف في ذلك
والذي حكوه الناس انما هو في اكبر خاصة لانها مظنة الوقف وقد تقدم ذلك في اول ال عمران وقرئ يوسف اعرض بضم الفاء
واعرض فعلا ماضيا وتخريجها ان يكون يوسف مبتدأ واعرض جملة من فعل وفاعل خبره قال ابو البقاء وفيه
ضعف لقوله واستغفري وكان الاشبه ان يكون بالفاء فاستغفري **قوله تعالى** وقال نسوة في المدينة
الاية النسوة فيها اقوال اشهرها انه جمع تكسير للقلة على فعلة كالصبية والغلمة ونص بعضهم على عدم اطرادها
وليس لها واحد من لفظها والثاني انها اسم مفرد لجمع المراة قاله الزمخشري والثالث انها اسم جمع قاله ابو بكر بن
السراج رضي الله عنه وكذلك اخواتها كالصبية والفتية وعلى كل قول فتانيثها غير حقيقي باعتبار الجماعة ولذلك
لم يلحق فعلها تاء التانيث وقال الواحدي تقديم الفعل يدعو الى اسقاط علامة التانيث والجمع والمشهور
كسر نونها ويجوز ضمها في لغة ونقلها ابو البقاء قراءة قال القرطبي وهي قراءة الاعمش والمفضل والسلمي واذا ضمت
نونه كان اسم جمع بلا اختلاف ويكسر في الكثرة على نسوان والنساء جمع كثرة ايضا ولا واحد من لفظه كذا قال ابو حيان
ومقتضى ذلك ان لا يكون النساء جمعا لنسوة لقوله لا واحد له من لفظه وفي المدينة يجوز تعلقه بمحذوف صفة
لنسوة وهو الظاهر ويقال وليس بظاهر قيل انهن خمس امراة حاجب الملك وامراة صاحب دوابه وامراة الخازن
وامراة الساقي وامراة صاحب السجن قاله مقاتل وقال الكلبي اربع واسقط امراة الحاجب والاشبه ان تلك الواقعة
شاعت في البلد واشتهرت وتحدثت بها النساء والمراد بالمدينة مصر وقيل مدينة عين شمس **قوله تعالى** تراود
خبر امراة العزيز وجيء بالمضارع تنبيها على ان المراودة صارت سجية لها وديدنا دون الماضي فلم يقل
راودت ولام الفتى ياء لقولهم الفتيان وفتي وعلى هذا فقولهم الفتوة في المصدر شاذ والفتى الحدث الشاب
والفتاة الحدثة الشابة قال القرطبي قال فتاها وهو فتى زوجها لان يوسف كان عندهم في حكم المماليك وكان
ينفذ امرها فيه وروى مقاتل عن ابي عثمان النهدي عن سلمان الفارسي رضي الله عنه قال ان امراة العزيز استوهبت
يوسف من زوجها فوهبه لها وقال ما تصنعين به قالت اتخذه ولدا قال هو لك فربته حتى ايفع وفي نفسها
منه ما في نفسها فكانت تنكشف له وتتزين وتدعوه من وجه اللطف فعصمه الله تعالى **قوله تعالى** قد
شغفها حبا هذه الجملة يجوز ان يكون خبرا ثانيا وان يكون مستانفة وان يكون حالا اما من فاعل تراود واما من
مفعوله وحبا تمييز وهو منقول من الفاعلية اذ الاصل قد شغفها حبه والعامة على شغفها بالغين المعجمة
مفتوحة بمعنى خرق شغاف قلبها وهو ماخوذ من الشغاف والشغاف حجاب القلب جلدة رقيقة وقيل سويداء
القلب فعلى الاول يقال شغفت فلانا اذا اصبت شغافه كما تقول كبدته اذا اصبت كبده فمعنى شغفها حبا اي خرق
الحب الجلد حتى اصاب القلب ان حبه احاط بقلبها مثل احاطة الشغاف بالقلب ومعنى احاطة ذلك الحب بقلبها هو ان
اشتغالها بحبه صار حجابا بينها وبين كل ما سوى عنده المحبة فلا يخطر ببالها سواه وان قلنا ان الشغاف سويداء
القلب فالمعنى انه حبه وصل الى سويداء قلبها وقيل الشغاف داء يصل الى القلب من اجل الحب وقيل جليدة
رقيقة يقال لها لسان القلب ليست محيطة به ومعنى قلبه احرق حجابه او اصابه فاحرقه بحرارة الحب وهو
من شغف البعير بالهناء اذا طلاه بالقطران فاحرقه والمشغوف من وصل الحب لقلبه قال الاعشى •

يعني الوشاة وكان الحب اذنه * مابزين للشغوف ماصنعا * وقال النابغة الذبياني
وقد حال هم دون ذلك والج * مكان الشغاف تبتغيه الاصابع * وقرا ثابت البناني بكسر الغين
قيل وهي لغة تميم وقرا امير المومنين علي بن ابي طالب وعلي بن الحسين وابنه محمد وابنه جعفر والشعبي وقتادة رضي الله
عنهم بفتح العين المهملة وروي عن ثابت البناني وابي رجاء كسر المهملة ايضا واختلف الناس في ذلك فقيل هو من شعف
البعير اذا هناه فاحرقه بالقطران قاله الزمخشري وانشد * كما شعف المهنوءة الرجل الطالي *
وهذا البيت لامرئ القيس واوله * اتقتلني وقد شغفت فوادها * كما شعف المهنوءة الرجل الطالي *
والناس انما يروونه بالمعجمة ويفسرونه بانه اصاب حبه شغاف قلبها اي اخرق حجابه وهي جلدة رقيقة دونه كما شعف
اي كما احرق واراد بالمهنوءة المطلية بالهناء اي القطران ولا ينشدونه بالمهملة وكشف ابو عبيد عن هذا المعنى فقال
الشعف بالعين احراق الحب للقلب مع لذة يجدها كما ان البعير اذا طلي بالقطران يبلغ منه مثل ذلك ثم يستروح اليه
وقال ابو البقا رحمه الله لما حكى هذه القراءة من قولك فلان بكذا اي مغرى به وقال ابن الانباري الشعف رؤس الجبال ومعنى
شعف بفلان اذا ارتفع حبه الى اعلى موضع من قلبه وعلى هذه الاقوال فمعناهما متقارب وفرق بعضهم بينهما
فقال ابن زيد الشغف يعني بالمعجمة في الحب والشعف الجنون والمشعوف المجنون **قوله** انا لنراها في ضلال
مبين اي خطا ظاهر وقيل معناه انها تركت ما يكون على امثالها من العفاف والستر فلما سمعت زليخا بمكرهن بقولهن
وتحقيق هذا مكرا لوجوه الاول ان النسوة انما قلن ذلك مكرا بها لتريهن يوسف وكان يوصف لهن حسنه وجماله لانهن
اذا قلن ذلك عرضت يوسف عليهن ليتمهد عذرها عندهن الثاني انها اسرت اليهن حبها ليوسف واستكتمتهن
فافشين ذلك السر فلذلك سماه مكرا الثالث انهن وقعن في الغيبة والغيبة انما تذكر على سبيل الخفية فاشبهت
المكر فارسلت اليهن قال المفسرون اتخذت مادبة ودعت جماعة من اكابرهن واعتدت اي اعدت لهن متكا قرا العامة
متكا بضم الميم وتشديد التاء وفتح الكاف فالهن وهو مفعول به باعتدت اي هيات واحضرت والمتكا الشي الذي
يتكا عليه من وسادة ونحوها وقيل المتكا مكان الاتكا وقيل طعام يحز حزا وقال ابن عباس وسعيد بن جبير والحسن
وقتادة ومجاهد رضي الله عنهم متكا اي طعاما سماه متكا لان اهل الطعام اذا جلسوا يتكئون على الوسايد
فسمي الطعام متكا على الاستعارة وقيل متكا طعام يحتاج الى ان يقطع بالسكين لانه كان كذلك احتاج الانسان
الى ان يتكي عليه عند القطع وقال القتيبي يقال اتكانا عند فلان اي اكلنا قال الزمخشري من قولك اتكانا عند فلان
طعمنا على سبيل الكناية لان من دعوته ليطعم عندك اتخذت له تكاة يتكي عليها قال جميل
* فظللنا بنعمة واتكانا * وشربنا الحلال من قلله *
فقوله وشربنا من تتمة يعني اتكانا باكلنا وقرا ابو جعفر والزهري رضي الله عنهما متكا مشددا لنا دون همز وفيه وجهان
احدهما ان يكون اصله متكا كقراءة العامة وانما خفف همزه كقولهم توضيت توضات فصار بوزن متقي والثاني
ان يكون مفتعلا من اوكيت القربة اذا شددت فاها بالوكاء فالمعنى اعتدت شيئا يشتددن عليه اما بالاتكا واما
بالقطع بالسكين وهذا الثاني تخريج ابي الفتح وقرا الحسن وابن هرمز متكاء بالتشديد والمد وهي كقراءة العامة
الا انه اشبع الفتحة فتولد منها الف كقوله * ومن ذم الرجال بمنتزاح * وقوله * ينباع من ذفرى غضوب جسرة *
وقوله * اعوذ بالله من العقراب * الشائلات عقد الاذناب * اي بمنتزح وينبع والعقرب البتة
وقرا ابن عباس وابن عمر ومجاهد وقتادة والضحاك والجحدري وابان بن تغلب رضي الله عنهم متكا بضم الميم
وسكون التاء وتنوين الكاف وكذلك قرا ابن هرمز وعبد الله بن معاذ الا انهما فتحا الميم والمتك بالضم والفتح
الاترج ويقال الاترج لغتان وانشد * فاهدت متكة لبني ابيها * تخب بها العثمثمة الوقاح *
وقيل بل هو اسم لجميع ما يقطع بالسكين كالاترج وغيره من الفواكه وانشد * نشرب الاثم بالصواع جهارا *
وترى المتك بيننا مستعارا * قيل وهو من متك بمعنى بتك الشي اي قطعه فعلى هذا يحتمل ان يكون الميم بدلا
من الباء وهو بدل مطرد في لغة قوم ويحتمل ان يكون مادة اخرى وافقت هذه وقيل بالضم العسل الخالص عند
الخليل والاترج عند الاصمعي ونقل ابو عمرو فيه اللغات الثلاث اعني ضم الميم وفتحها وكسرها قال وهو الشراب الخالص
وقال المفضل هو بالضم المائدة او الخمر في لغة كندة وقال ابن عباس هو الاترج بالحبشية وقال الضحاك الزماورد
وقال عكرمة كل شي يقطع بسكين وقوله لهن متكا اما ان يريد كل واحدة متكا ولذلك قوله وآتت كل واحدة
منهن سكينا واما ان يريد الجنس والسكين تذكر وتؤنث قاله الكسائي والفرا وانكر الاصمعي تانيثه والسكينة
فعيلة من السكون قال الراغب سمي بذلك لانه حركة المذبوح فقوله وآتت اي اعطت كل واحدة منهن سكينا

اما لاجل الفواكه او لاجل قطع اللحم ثم امرت يوسف صلوات الله وسلامه عليه بان يخرج ويعبر عليهن وانه عليه
الصلاة والسلام ما قدر على مخالفتها خوفا منها فلما رانه اكبرنه الظاهر ان الهاء ضمير يوسف ومعنى اكبرنه عظمنه
ودهشن من حسنه وقيل هي هاء السكت قاله الزمخشري وقيل اكبرن بمعنى حضن والهاء للسكت يقال اكبرت المراة
اذا حاضت وحقيقته دخلت في الكبر لانها بالحيض تخرج عن حد الصغر الى الكبر وكان ابا الطيب رحمه الله اخذ
من هذا التفسير **قوله** * خف الله واستر ذا الجمال ببرقع * فان لحت حاضت في الخدور العواتق *
انتهى وكون الهاء للسكت يرده ضم الهاء ولو كانت للسكت لسكنت وقد يقال انه اجراها مجرى هاء الضمير واجرى
الوصل مجرى الوقف لم يضم اليها قال شهاب الدين وهاء السكت قد تحرك بحركة هاء الضمير اجري لها مجراها وقد
تقدم تحقيق هذا في الانعام وقد قالوا ذلك في قول المتنبي ايضا * واحر قلباه ممن قلبه شبم *
فانه روي بضم الهاء في قلباه وجعلوها هاء السكت ويمكن ان يكون اكبرن بمعنى حضن ولا يكون الهاء للسكت بل يجعل
ضمير المصدر المدلول عليه بفعله اي اكبرن الاكبار وانشدوا على ان الاكبار بمعنى الحيض قوله
* ياتي النساء على اطهارهن ولا * ياتي النساء اذا اكبرن اكبارا *
قال الطبري البيت مصنوع **فصل** روي ابو سعيد الخدري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلوات الله
الرحيم وسلامه عليه دايما ابدا رايت ليلة اسري بي الى السماء يوسف كالقمر ليلة البدر قال اسحق بن ابي فروة كان يوسف
عليه الصلاة والسلام اذا سار في ازقة مصر يرى تلالؤ وجهه على الجدران كما يرى نور الشمس في الماء عليها وقال
صلوات الله وسلامه عليه في حديث الاسرى فمررت بيوسف واذا هو قد اعطي شطر الحسن قال العلماء رضي الله عنهم معناه
انه كان على النصف من حسن ادم صلوات الله وسلامه عليه لان الله تعالى خلقه بيده فكان في غاية الحسن البشري ولهذا
يدخل اهل الجنة على صورته وكان يوسف على النصف ولم يكن بينهما احسن منهما كما انه لم يكن بعد حوى عليها السلام اشبه
بها من سارة امراة الخليل صلوات الله وسلامه عليه قال ابو العالية هالهن امره وبهتن من دهشهن وحيرتهن وقطعن
ايديهن وهن يحسبن انهن يقطعن الاترج ولم يجدن الالم لشغل قلوبهن بيوسف قال مجاهد ما احسسن الا بالدم
وذلك كناية عن الجرح لا انهن ابن ايديهن كما قال قتادة وقيل انهن لما دهشن صارت المراة منهن بحيث لا تميز نصاب
السكين من حديدها فكانت تاخذ الجانب الحاد من تلك السكين بكفها فكانت تحصل تلك الجراحة بكفها وقال وهب
ماتت جماعة منهن **قوله تعالى** حاشا لله حاشا عدها النحويون من الادوات المترددة بين الفعلية والحرفية
فان جرت فهي حرف وان نصبت فهي فعل وهي من ادوات الاستثنا ولم يعرف سيبويه فعليتها وعرفها غيره وحكوا عن
العرب غفر الله لي ولمن سمع دعاي حاشا الشيطان وابا الاصبع بالنصب وانشدوا
* حاشا قريشا فان الله فضلهم * على البرية بالاسلام والدين *
وقال آخر * حشى رهط النبي فان منهم * بحورا لا تكدرها الدلاء *
بنصب رهط وحشى لغة في حاشا كما سياتي وقال الزمخشري حاشا كلمة تفيد التنزيه في باب الاستثناء تقول اساء القوم
حاشا زيد قال * حاشا ابي ثوبان ان به * ضنا عن الملحاة والشتم * وهي حرف من حروف الجر فوضعت موضع التنزيه والبراءة
فمعنى حاشا الله براءة الله وتنزيه الله وهي قراءة ابن مسعود قال ابو حيان وما ذكر انها تفيد التنزيه في باب الاستثناء
غير معروف عند النحويين لا فرق بين قولك قام القوم الا زيدا وقام القوم حاشا زيد ولما مثل بقوله اساء القوم حاشا زيد
وفهم هو من هذا التمثيل براءة زيد من الاساءة وجعل ذلك مستفادا منها في كل موضع واما ما انشده من قوله
حاشا ابي ثوبان فهكذا انشده ابن عطية واكثر النحاة وهو بيت ركبوا فيه صدر بيت على عجز آخر من بيتين وهما حاشا
* حاشا ابي ثوبان ان ابا ثوبان ليس ببكمة فدم *
* عمرو بن عبد الله ان به * ضنا عن الملحاة والشتم *
قال شهاب الدين قوله ان المعنى الذي ذكره الزمخشري لا يعرفه النحاة لم ينكروه وانما لم يذكروه في كتبهم لانهم
غالب فنهم في صناعة الالفاظ دون المعاني ولما ذكروا مع ادوات الاستثناء ليس ولا يكون وغيرهم لم يذكروا
معانيها اذ مرادهم مساواتها لالا في الاخراج وذلك لا يمنع من زيادة معنى في تلك الادوات وزعم المبرد وغيره
كابن عطية انها يتعين فعليتها اذا وقع بعدها حرف جر كالاية الكريمة قالوا لان حرف الجر لا يدخل على مثله الا
تاكيدا كقوله * ولا للما بهم ابدا دواء * وقول الآخر * فاصبحن لا يسالنني عن بما به *
فتعين ان يكون فعلا فاعله ضمير يوسف اي حاشا يوسف ان يقارف ما رمته به لطاعة الله ولمكانه منه
او لترفيع الله اي ليرفع عما رمته به اي جانب المعصية لاجل الله واجاب الناس عن ذلك بان حاشا في الاية
الكريمة ليست حرفا ولا فعلا وانما هي اسم مصدر بدل من اللفظ بفعله كانه قيل تنزيها لله وبراءة له وانما لم ينون
مراعاة لاصله الذي نقل منه وهو الحرف الا تراهم قالوا من عن يمينه فجعلوا عن اسما ولم يعربوه وقالوا من عليه

فلم يثبتوا الفه مع المضمر بل ابقوا علي بنايه وقلبوا الف علي مع المضمر مراعاة لاصلها كذا اجاب الزمخشري وتابعه
ابو حيان ولم يعزله الجواب وفيه نظر اما قوله مراعاة لاصله فيقتضي انه نقل من الحرفية الي الاسمية وليس ذلك الا
في جانب الاعلام يعني انهم يسمون الشخص بالحرف واما في ذلك مذهبان الاعراب والحكاية اما انهم ينقلون الحرف الي
الاسم اي يجعلونه اسما فهذا غير معروف واما استشهاده بعن وعلا فلا يفيده ذلك الا عن حال كونها اسما اي
ثبت لشبههما بالحرف في الوضع على حرفين لا انهما باقية على بنايهما واما قلبا الف علي مع الضمير فلا دلالة فيه لانا
عهدنا ذلك فيما هو ثابت الاسمية بالاتفاق كلدي والاولى ان يقال الذي يظهر في الجواب عن قراءة العامة
انها اسم منصوب كما تقدم ويدل عليه قراءة ابي السمال حاشا لله منونا منصوبا ولكنهم ابدلوا التنوين الفا كما
يبدلونه في الوقف ثم انهم اجروا الوصل مجرى الوقف كما فعلوا ذلك في مواضع كثيرة تقدم منها جملة وسياتي مثلها
ان شاء الله تعالي وقيل في الجواب عن ذلك بان يثبت حاشا في حال اسميتها لشبهها بحاشا في حال حرفيتها لفظا
ومعني كما يثبت عن وعلي لما ذكرناه وقال بعضهم ان اللام زائدة وهذا ضعيف جدا بابه الشعر واستدل المبرد واتباعه
على فعليتها بمجي المضارع منها قال النابغة الذبياني • ولا ارى فاعلا في الناس يشبهه • ولا احاشي من الاقوام من احد •
قالوا وتصرف الكلمة من الماضي الي المستقبل دليل على فعليتها لا محالة وقد اجاب الجمهور عن ذلك بان ذلك ماخوذ
من لفظ الحرف كما قالوا سوفت بزيد ولوليت له اي قلت له سوف افعل وقلت له لو كان ولو كان وهذا من ذلك
وهو محتمل ومن رجح جانب الفعلية ابو علي الفارسي رحمه الله قال لا يخلو حاشا في قوله حاشا لله من ان يكون الحرف الجار
في الاستثنا او يكون فعلا على فاعل ولا يجوز ان يكون الحرف الجار لانه لا يدخل على مثله ولان الحروف لا يحذف منها
اذا لم يكن فيها تضعيف فثبت انه فاعل من الحشا الذي يراد به الناحية والمعنى انه صار في حشا اي في ناحية وفاعل
حاشا يوسف والمعنى بعد من هذا الامر لله اي لخوفه فقوله حرف الجر لا يدخل على مثله مسلم ولكن ليس هو هنا حرف
جر كما تقدم تقريره وقوله لا يحذف من الحرف الا اذا كان مضعفا ممنوع ويدل له قولهم مذ في منذ اذا جرت بها لحذفوا
عينها ولا تضعيف قالوا ويدل على ان اصلها منذ بالنون تصغيرها على منيذ وهذا مقرر في بابه وقرا ابو عمرو
وحده حاشا بالف بعد الحاء والف بعد الشين في كلمتي هذه السورة وصلا ويحذفها وقفا اتباعا للرسم كما
سياتي والباقون بحذف الالف الاخيرة وصلا ووقفا فاما قراءة ابي عمرو فانه جاء فيها بالكلمة على اصلها واما
الباقون فانهم اتبعوا في ذلك الرسم ولما طال اللفظ حسن تحفيفه بالحذف ولا سيما على قول من يدعي فعليتها
كالفارسي قال الفارسي واما حذف الالف فعلى لم يك • ولا ادر • واصاب كذا الناس جهد • ولو تر اهل مكة
ووصا في العجاج • فيما وصي في شعر رؤبة يريد لم يكن • ولا ادري • ولو ترى • ووصاني • وقال ابو عبيد رايتها
في الذي يقال انه الامام مصحف عثمان رضي الله عنه حاش لله بغير الف والاخرى مثلها وحكى الكسائي انه راها في
مصحف عبد الله كذلك قالوا فعلى ما قال ابو عبيد والكسائي يرجح هذه القراءة ولان عليها ستة من السبعة
ونقل الفراء ان الاتمام لغة بعض العرب والحذف لغة اهل الحجاز قال ومن العرب من يقول حشى زيد اراد حشى لزيد
فقد نقل الفراء ان اللغات الثلاث مسموعة ولكن لغة الحجاز مرجحة عندهم وقرا الاعمش في طائفة حشى لله بحذف الالفين
وقد تقدم ان الفراء حكاها لغة عن بعض العرب وعليه قوله • حشى رهط النبي البيت • وقرا ابي وعبد الله حاشا الله
بجر الجلالة وفيها وجهان احدهما ان يكون اسما مضافا للجلالة نحو سبحان الله وهو اختيار الزمخشري والثاني
انه حرف استثنا جر به ما بعده واليه ذهب الفارسي وفي جعله حاشا حرف جر مرادا به الاستثنا نظر اذ لم يتقدم في
الكلام شي يستثنى منه الاسم المعظم بخلاف قام القوم حاشا زيد واعلم ان النحويين لما ذكروا هذا الحرف وجعلوه من
المتردد بين الفعلية والحرفية عند من اثبت فعليته وجعله في ذلك كخلا وعدا اعتد من اثبت حرفيته وكان ينبغي
ان يذكروه من المتردد بين الاسمية والفعلية والحرفية كما فعلوا ذلك في علا فقالوا يكون حرف جر في عليك
واسما في قوله من عليه وفعلا في قوله علا زيد بنا يوم النقي وان كان فيه نظر لتخصيصه ان علي حال كونها فعلا
غير علي حال كونها غير فعل بدليل ان الف الفعلية منقلبة عن واو ويدخلها التصريف والاشتقاق دون
ذينك وقد يعتذر من ينصر الفارسي بهذا فيقول لو كان حاشا في قراءة العامة اسما لذكر ذلك النحويون
عند ترددها بين الحرفية والفعلية فلما لم يذكروه دل على عدم اسميتها وقرا الحسن حاش بسكون الشين وصلا
ووقفا كانه اجري الوصل مجرى الوقف ونقل ابن عطية عن الحسن انه قرا حاش الاله قال محذوفا من حاشا يعني انه قرا
بحذف الالف الاخيرة ويدل على ذلك ما صرح به صاحب اللوامح فانه قال بحذف الالف ثم قال وهذا يدل على انه
حرف جر يجر به ما بعده فاما الاله فانه فك عن الادغام وهو مصدر اقيم مقام المفعول ومعناه المعبود وحذف
الالف من حاش للتخفيف قال ابو حيان وهذا الذي قاله ابن عطية وصاحب اللوامح من ان الالف في حاشا في قراءة

الحسن

الحسن محذوفة الالف لا يتعين الا ان ينقل عنه انه يقف في هذه القراءة بسكون الشين فان لم ينقل عنه ذلك
شي فاحتمل ان تكون الالف حذفت لالتقاء الساكنين الاصل حاشا الاله ثم نقل بحذف الالف الهمزة وحرك
اللام بحركتها ولم يعتد بهذا التحريك لانه عارض كما يحذف في نحو يخشى الاله ولو اعتد الحركة لم يحذف الالف قال شهاب الدين
رحمه الله الظاهر ان الحسن يقف في هذه القراءة بسكون الشين ويستانس له بانه سكن الشين في الرواية الاخرى عنه
فلما جي بشي محتمل ينبغي ان يحمل على ما صرح به وقول صاحب اللوامح وهذا يدل على انه حرف جر يجر به ما بعده لا يبعد
لما تقدم من انه لو كان حرف جر لكان مستثنى به ولم يتقدم ما يستثنى منه بمجرده واعلم ان اللام الداخلة على الجلالة
متعلقة بمحذوف على سبيل البيان كهي في سقيا لك ورعيا لزيد عند الجمهور واما عند المبرد والفارسي فانها
متعلقة بنفس حاشا لانها فعل صريح وقد تقدم ان بعضهم زعم زيادتها قال المفسرون معنى قولهم حاشا لله اي تنزيه الله
عن العجز حيث قدر على خلق جميل مثله وقيل معاذ الله ان يكون هذا بشرا قوله تعالى ما هذا بشرا العامة على اعمال ما
على اللغة الحجازية وهي اللغة الفصحى ولغة تميم الاهمال وقد تقدم تحقيق هذا اول البقرة وما انشد عليه من قوله
واما الذي يحرج سودة • البيتين ونقل ابن عطية انه لم يقرا احد الا بلغة الحجاز وقال الزمخشري ومن قرا على
سليقته من بني تميم قرا بشر وهي قراءة ابن مسعود فادعا ابن عطية انه لم يقرا به غير مسلم وقرا العامة بشرا بفتح البا
على انها كلمة واحدة ونصب بنزع حرف الصفة اي جنس وقرا الحسن وابو الحويرث الحنفي بشري بكسر البا وهي بالجر دخلت
على شري فهما كلمتان جار ومجرور وفيها تاويلات احدها ما هذا عبدا مشترى فوضع المصدر موضع المفعول به
كضرب الامير الثاني ما هذا بمباع فهو ايضا مصدر واقع موقع المفعول به الا ان المعنى مختلف الثالث ما هذا بثمن
يعني انه ارفع من ان يجري عليه شي من هذه الاشياء وروى عبد الوارث عن ابي عمرو كقراءة الحسن وابي الحويرث
الا انه قرا عنه الا ملك بكسر اللام واحد الملوك نفوا عنه ذل المماليك واثبتوا له عز الملوك وذكر ابن عطية
كسر اللام عن الحسن وابي الحويرث وقال ابو البقا وعلى هذا قرئ ملك بكسر اللام كانه فهم ان من قرا بكسر البا قرا بكسر اللام
ايضا للمناسبة بين المعنيين ولم ينقل الزمخشري هذه القراءة مع كسر البا البتة بل يفهم من كلامه انه لم يطلع
عليها فانه قال وقرئ ما هذا بشرى اي ما هو بعبد مملوك لئيم ان هذا الا ملك كريم تقول هذا بشرى اي حاصل
بشرى بمعنى مشترى وتقول هذا لك بشرى او بكري والقراءة هي الاولى لموافقتها المصحف يعني ان الرسم بشرا بالالف
لا بالياء ولو كان المعنى على بشرى لرسم بالياء وقوله ومطابقته دليل على انه لم يطلع على كسر اللام عمن قرا بكسر البا

فصل في معنى قوله ما هذا بشرا ان هذا الا ملك كريم وجهان اشهرهما ان المقصود منه اثبات الحسن
العظيم له قالوا لانه تعالى ما ركب في الطباع ان لا حي احسن من الملك كما ركب فيها ان لا حي اقبح من الشيطان ولذلك
قال في صفة شجرة جهنم طلعها كانه رؤوس الشياطين وذلك لما تقرر في الطباع ان اقبح الاشياء هو الشيطان فكذا
هاهنا تقرر في الطباع ان احسن الاشيا هو الملك فلما اراد النسوة المبالغة في وصف يوسف في الحسن لا جرم شبهنه
بالملك وقلن ان هذا الا ملك كريم على الله من الملائكة الوجه الثاني قال ابن الخطيب وهو الاقرب عندي ان المشهور
عند الجمهور ان الملائكة مطهرون عن بواعث الشهوة وحوادث الغضب ونوازع الوهم والخيال فطعامهم توحيد الله
وشرابهم الثناء على الله ثم ان النسوة لما رائين يوسف لم يلتفت اليهن وراين عليه هيبة النبوة وهيبة الرسالة وسيما
الطهارة قلنا ما راينا فيه اثرا من الشهوة ولا شيئا من البشرية ولا صفة من الانسانية وقد دخل في الملكية فان قالوا فان
كان المراد ما ذكرتم فكيف يمهد عذر المراة عند النسوة فالجواب قد سبق

فصل احتج القائلون
بان الملك افضل من البشر بهذه الاية فقالوا لا شك انهن انما ذكرن هذا الكلام في معرض تعظيم يوسف صلوات الله الرب
الرحيم وسلامه عليه فوجب ان يكون اخراجه من البشرية وادخاله في الملكية سببا لتعظيم شانه واعلاء منزلته وانما
يكون كذلك اذا كان الملك اعلا حالا من البشر ثم نقول لا يخلو اما ان يكون المقصود بيان كمال الحالة في الحسن الظاهر
او بيان كمال الحسن الباطن الذي هو الخلق الباطن والاول باطل لوجهين الاول انهن وصفنه بكونه كريما بحسب
الاخلاق الباطنة لا بحسب الخلقة الظاهرة والثاني انا نعلم بالضرورة ان وجه الانسان لا يشبه وجوه الملائكة
البتة وانما كونه بعيدا من الشهوة والغضب معرضا عن اللذات الجسمانية متوجها الي عبودية الله مستغرق القلب
والروح فهو مشترك فيه بين الانسان الكامل وبين الملائكة اذا ثبت هذا فنقول تشبيه الانسان بالملك في الامر
الذي حصلت المشابهة فيه على سبيل الحقيقة اولى من تشبيهه بالملك فيما لم تحصل فيه المشابهة البتة فثبت
ان تشبيه يوسف بالملك في هذه الاية انما وقع في الخلق الباطن لا في الصورة الظاهرة واذا كان الامر كذلك
وجب ان يكون الملك اعلا حالا من الانسان في هذه الفضايل **قوله تعالى** فذلكن مبتدا والموصول خبره
اشارت اليه اشارة البعيد وان كان حاضرا تعظيما له ورفعا منه لتظهر عذرها في شغفها وجوز ابن عطية

ان يكون ذلك اشارة الي حب يوسف عليه الصلاة والسلام والضمير في فيه عايد على الحب فيكون ذلك
اشارة الي الغايب على بابه يعني بالغايب البعيد والا فالاشارة لا يكون الا لحاضر مطلقا وقال ابن الانباري
اشارت بصيغة ذلك الي يوسف بعد انصرافه من المجلس وقال الزمخشري ان النسوة كن قلن انها عشقت عبدها
الكنعاني فلما راينه ووقعن في تلك الدهشة قالت هذا الذي رايتموه هو ذلك العبد الكنعاني الذي لمتنني
فيه يعني انكن لم تصورنه حق صورته ولو حصلت في خيالكن صورته لتركتن هذه الملامة واعلم انها لما اظهرت
عذرها عند النسوة في شدة محبتها له كشفت عن حقيقة الحال فقالت ولقد راودته عن نفسه فاستعصم
وهذا تصريح بانه عليه الصلاة والسلام كان بريا من تلك التهمة وقال السدي فاستعصم بعد حل السراويل قال
ابن الخطيب وما ادري ما الذي حمله على الحاق هذه الزيادة الفاسدة الباطلة بنص الكتاب وذلك انها صرحت
بما فعلت فقالت ولقد راودته عن نفسه فاستعصم اي امتنع وانما صرحت به لانها علمت انه لا ملامة عليها منهن
وقد اصابهن ما اصابها من رؤيته **قوله تعالى** فاستعصم في هذه السين وجهان احدهما انها ليست على بابها
من الطلب بل استفعل هنا بمعنى افتعل فاستعصم واعتصم واحد وقال الزمخشري الاستعصام بناء مبالغة
يدل على الامتناع البليغ والتحفظ الشديد كانه في عصمة وهو يجتهد في الاستزادة منها ونحوه استمسك واستوسع
الفتق واستجمع الراي واستفحل الخطب فرد السين الي بابها من الطلب وهو معنى حسن ولذلك ذكر التصريفيون
في استعصم انه موافق لاعتصم فاستفعل فيه موافق لافتعل وهذا اجود من جعل استفعل فيه للطلب لان اعتصم
فاستفعل فيه موافق لافتعل وهذا اجود من جعل استفعل فيه للطلب لان اعتصم يدل على وجود اعتصامه وطلب
العصمة لا يدل على حصولها واما انه بناء مبالغة يدل على الاجتهاد في الاستزادة من العصمة فلم يذكر التصريفيون
هذا المعنى لاستفعل واما استمسك واستوسع الفتق واستجمع الراي فاستفعل فيه لموافقة تفعل اي تفحل الخطب
افتعل والمعنى امتسك واتسع واجتمع واما استفحل الخطب فاستفعل فيه موافقة لتفعل اي تفحل الخطب نحو استكبر
وتكبر **قوله تعالى** ما آمره في ما وجهان احدهما انها مصدرية والثاني انها موصولة وهي مفعول بها بقوله يفعل
والهاء في آمره يحتمل وجهين احدهما العود على ما الموصولة اذا جعلناها بمعنى الذي والثاني العود على يوسف
ولم يجوز الزمخشري عودها على يوسف الا اذا جعلت ما مصدرية فانه قال فان قلت الضمير في ما آمره راجع الى الموصول
ام الي يوسف قلت بل الي الموصول والمعنى ما آمر به فحذف الجار كما في قوله • امرتك الخير • ويجوز ان يجعل ما مصدرية
فيعود على يوسف ومعناه ولئن لم يفعل امري اياه اي موجب امري ومقتضاه وعلى هذا فالمفعول الاول محذوف
تقديره ما آمره به وهو ضمير يوسف **قوله تعالى** وليكونا قرا العامة بتخفيف نون وليكونا ويقفون عليها
بالالف اجراء لها مجرى التنوين ولذلك تحذف بعد ضمة او كسرة نحو هل يقومون وهل تقومين في هل تقومن
والنون الموجودة في الوقف نون الرفع رجعوا بها عند عدم ما يقتضي حذفها وقد تقدم في ما تقدم ونون
التاكيد تثقل وتخفف فالوقف على قوله ليسجنن بالنون لانها مشددة وعلى قوله وليكونا بالالف لانها مخففة وهي
شبيهة بنون الاعراب في الاسماء كقوله رايت رجلا واذا وقفت قلت رجلا بالالف ومثله لنسفعا بالناصية
ومن الصاغرين من الاذلاء وقرات فرقة بتشديدها وفيها مخالفة لسواد المصحف لكتبها فيه الفا لان الوقف
عليها لذلك كقوله والميتات لا تقربنها ولا تعبد الشيطان والله فاعبدا فاعبدن فابدل لها الفا وهو احد
الاقوال في قول امرئ القيس • قفا نبك • واجري الوصل مجرى الوقف **قوله تعالى** رب السجن قرا العامة على كسر الباء
لانه مضاف لياء المتكلم اجتزي عنها بالكسرة وهي الفصحى والسجن بكسر السين ورفع النون على انه مبتدأ والخبر
احب والسجن الحبس والمعنى دخول السجن وقرا بعضهم رب بضم الباء وجر النون على ان رب مبتدأ والسجن خفض بالاضافة
واحب خبره والمعنى ملاقاة صاحب السجن ومقاساته احب الي وقرا عثمان ومولاه طارق وزيد بن علي والزهري
وابن ابي اسحق وابن هرمز ويعقوب بفتح السين وفي الباقي كالعامة والسجن مصدر اي الحبس احب الي متعلق باحب
وقد تقدم ان الفاعل هنا يجر بالي والمفعول باللام وفي الحقيقة ليست هنا افعل على بابها من التفضيل لانه
لم يحب ما يدعونه اليه قط وانما هذان شران فآثر احد الشرين على الآخر والظاهر ان النسوة لما سمعن هذا
التهديد قلن له لا مصلحة لك في مخالفة امرها والا وقعت في السجن في الصغار فعند ذلك اجتمع في حق يوسف
عليه الصلاة والسلام انواع الترغيب في الموافقة احدها انه زليخا كانت في غاية الحسن والثاني انها كانت على
عزم ان تبذل الكل ليوسف ان طاوعها الثالث ان النسوة اجتمعن وكل واحدة منهن كانت ترغبه وتخوفه
بطريق غير طريق الاخرى ومكر النسا في هذا الباب شديد والرابع انه عليه الصلاة والسلام كان خائفا من شرها
ومن اقدامها على قتله واهلاكه فاجتمع في حقه جميع جهات الترغيب على موافقتها وجميع جهات التخويف

على مخالفتها فخاف صلوات الله وسلامه عليه ان يوثر هذه الاسباب الكثيرة فيه والقوة البشرية لا تفي بحصول
هذه العصمة القوية فعند ذلك التجا الى الله تعالى وقال رب السجن احب الي مما يدعونني اليه وقد وجه المحققون ان
كانت معصية على معصية الزنا لانها اخف وذلك انه متى لم يرد نكاح احد شيئين كان واحد منهما ضرر فارتكاب اقل
الضررين اولي والاولي بالمرء ان يسال الله تعالى العافية فان قيل كيف قال يدعونني اليه وانما دعته زليخا خاصة
فالجواب انما اضاف اليهن خروجا من التصريح الى التعريض وان الحسن وقيل انهن جميعا دعونه الى انفسهن وقيل اراد
ترغيبهن له في مطاوعتها **قوله تعالى** والا تصرف عني كيدهن اصب اليهن قرا العامة بتخفيف الباء من صبا
يصبو اي رق شوقه والصبوة اي الميل الي الهوي ومنه الصبا لان النفوس تصبو اليها اي تميل بنسيمها وروحها
يقال صبا يصبو صبا وصبوا وصبي يصبي صبا والصبا بالكسر اللهو واللعب وقرات اصب تجذبهن من صببت
صبابة فانا صب والصبابة رقة الشوق وافراطه كانه لفرط حبه ينصب فيما يهواه كما ينصب الما **فصل**
احتجوا بهذه الاية على ان الانسان لا ينصرف عن المعصية الا اذا صرفه الله تعالى عنها قالوا لان هذه الاية تدل على انه
ان لم يصرفه عن ذلك القبيح وقع فيه وتقريره ان الداعي الي الفعل والترك ان استويا امتنع الفعل لان الفعل رجحان
احد الطرفين ومرجوحية الطرف الآخر وحصولهما حال استواء الطرفين جمع بين النقيضين وهو محال وان حصل
الرجحان في احد الطرفين فذلك الرجحان ليس من العبد والا ذهبت المراتب الى غير نهاية بل نقول من الله تعالى فالصرف
عبارة عن جعله مرجوحا لانه متي صار مرجوحا صار ممتنع الوقوع لان الوقوع رجحان فلو وقع في حال المرجوحية
لحصل الرجحان حال حصول المرجوحية وهو يقتضي حصول الجمع بين النقيضين وهو محال فثبت بهذا ان انصراف
العبد عن القبيح ليس الا من الله وايضا فانه كان قد حصل في حق يوسف جميع الاسباب المرغبة في المعصية وهو الا
نتفاع بالمال والجاه والتمتع بالمطعوم والمنكوح ولم يحصل في الاعراض عنها جميع الاسباب المنفرة واذا كان
كذلك قويت دواعي الفعل وضعفت الدواعي المعارضة لدواعي المعصية اذ لو لم يحصل هذا المعارض لحصل الترجيح
للوقوع في المعصية خاليا عما يعارضه وذلك يوجب وقوع الفعل وهو المراد من قوله اصب اليهن واكن من الجا
هلين وفيه دليل على ان المومن اذا ارتكب ذنبا يرتكب عن جهالة **قوله تعالى** فاستجاب له ربه اجاب له ربه
فصرف عنه كيدهن وذلك يدل على ان الصارف عنه هو الله تعالى انه هو السميع لدعائه العليم بمكرهن **قوله تعالى**
ثم بدا لهم في فاعل بدا اربعة اوجه احسنها انه ضمير يعود على السجن بفتح السين اي ظهر لهم حبسه ويدل على ذلك
لفظ السجن في قراءة العامة وهو بطريق اللازم ولفظ السجن في قراءة من فتح السين والثاني ان الفاعل ضمير المصدر
المفهوم من الفعل وهو بدا اي بدا لهم بدو وقد صرح الشاعر به في قوله • بدا لك في تلك القلوص بداء •
والثالث ان الفاعل مضمر يدل عليه السياق اي بدا لهم راي والرابع ان نفس الجملة من ليسجننه هي الفاعل وهذا من
اصول الكوفيين وهذا يقتضي اسناد الفعل الي فعل آخر واتفق النحاة على ان ذلك لا يجوز فاذا قلت خرج ضرب
لم يفد البتة فقدره وانه بدا لهم سجنه الا انه اقيم هذا الفعل مقام ذلك الاسم قال ابن الخطيب الاسم قد يكون خبرا
كقولك زيد قايم فقايم اسم وخبر فكون الشي خبرا لا ينافي كونه مخبرا عنه وفي هذا الباب شكوك احدها انا اذا قلنا
ضرب فعل فالمخبر عنه بانه فعل هو ضرب فالفعل صار مخبرا عنه فان قالوا المخبر عنه بانه فعل هو هذه الصيغة
وهذه الصيغة اسم لا فعل وذلك كذب وباطل بل يقول المخبر عنه بانه فعل ان كان فعلا فقد ثبت ان الفعل
يصح الاخبار عنه وان كان اسما كان معناه انا اخبرنا عن الاسم بانه فعل وذلك باطل وحينئذ غاية ما قبله
وقوله ليسجننه على قول الجمهور جواب القسم محذوف وذلك ان القسم وجوابه معمول لقول مضمر وذلك القول
المضمر في محل نصب على الحال اي ظهر لهم قائلين والله ليسجننه حتى حين وقرا الحسن لتسجننه بتاء الخطاب وفيه
تاويلان احدهما ان يكون خاطب بعضهم بعضا بذلك والثاني ان يكون خوطب به العزيز تعظيما له وقرا ابن مسعود
رضي الله عنه عتي بابدال حاء حتى عينا واقراها غيره فبلغ ذلك عمر بن الخطاب رضي الله عنه فكتب اليه ان هذا القرآن
نزل بلغة قريش فاقرئ الناس بلغتهم وابدال الحاء عينا لغة هذيل **فصل** المعنى ثم بدا للعزيز وامرأته
في الراي وذلك انهم ارادوا ان يقتصروا من امر يوسف على الاعراض عنه ثم بدا لهم ان يحبسوه من بعد ما راوا الآيات
الدالة على براءة يوسف من قد القميص وكلام الشاهد وقطع النسا ايديهن وذهاب عقولهن ليسجننه حتى حين
المدة يرون فيه رايهم وقال عطا عن ابن عباس رضي الله عنهما الى ان ينقطع قالة الناس قال عكرمة سبع سنين
وقال الكلبي خمس سنين قال السدي وذلك ان المراة قالت لزوجها ان هذا العبراني قد فضحني في الناس يخبرهم
اني راودته عن نفسه فاما ان تاذن لي فاخرج فاعتذر الي الناس واما ان تحبسه فحبسه قال ابن عباس عثر يوسف

هو هذه الصيغة وهذه الصيغة اسم فيلزم ان يكون مخبرا عنه

ثلاث عثرات حين هم بها فسجن وحين قال اذكرني عند ربك فلبث في السجن بضع سنين وحين قال للاخوة
انكم لسارقون فقالوا ان يسرق فقد سرق اخ له من قبل **قوله تعالى** ودخل معه السجن فتيان الاية قيل هما
غلامان للملك الاكبر بمصر احدهما خبازه صاحب طعامه والاخر صاحب شرابه غضب الملك عليهما فحبسهما **قوله**
قال احدهما مستانف لا محل له ولا يجوز ان يكون حالا لانهما لم يقولا ذلك حال الدخول ولا جائز ان تكون
مقدرة لان الدخول لا يؤول الى الرؤيا واني وما في حيزه في محل نصب بالقول واراني هنا متعدية لمفعولين عند
بعضهم اجراء للحلمية مجرى العلمية فتكون الجملة من قوله اعصر في محل المفعول الثاني ومن منع كانت عنده في محل الحال وجرت
الحلمية مجرى العلمية ايضا في اتحاد فاعلها ومفعولها ضميرين متصلين ومنه الاية الكريمة فان الفاعل والمفعول
متحدان في المعنى اذ هما للمتكلم وهما ضميران متصلان ومثله رايتك في المنام قائما وزيد رآه قائما ولا يجوز ذلك
في غير ما ذكر لا تقول اكرمتني ولا اكرمتك ولا زيد اكرمه فان اردت ذلك قلت اكرمت نفسي او اياي ونفسه وقد تقدم
تحقيق هذا واذا دخلت همزة النقل على هذه الجملة تعدت لثالث وتقدم هذا في قوله تعالى اذ يريكهم الله في منامك قليلا
ولو اراكهم كثيرا والخمر العنب اطلق عليه ذلك مجازا لانه آيل اليه كما يطلق الشيء على الشيء باعتبار ما كان عليه كقوله
تعالى وآتوا اليتامى ومجاز هذا اقرب وقيل بل الخمر العنب حقيقة في لغة غسان وازد عمان وعن المعتمر لقيت اعرابيا حاملا
عنبا في وعاء فقلت ما تحمل قال خمرا وقراءة ابي وعبد الله اعصر عنبا لا يدل على الترادف لارادتهما التفسير لا الاية
وهذا كما في مصحف عبد الله فوق راسي ثريدا فانه اراد التفسير فقط وتاكل الطير صفة لخبزا وفوق يجوز ان يكون ظرفا
للحمل وان يتعلق بمحذوف حالا من خبزا لانه في الاصل صفة له والضمير في قوله نبئنا بتاويله قال ابو حيان عائد على ما
قصا اجري مجرى اسم الاشارة كانه قيل بتاويل ما رايناه ونرى قوله صفة لطعام وقوله الا نباتكما استثناء مفرغ وفي
موضع الجملة بعده وجهان احدهما انها في محل نصب على الحال وساغ ذلك من النكرة لتخصصها بالوصف والثاني ان
يكون في محل رفع نعتا ثانيا لطعام والتقدير لا ياتيكما طعام مرزوق الا حال كونه منبا بتاويله وقيل الظاهر
انها ظرف لنباتكما ويجوز ان يتعلق بتاويله اي نباتكما بتاويله الواقع قبل اتيانه **فصل** قيل
ان جماعة من اهل مصر ارادوا المكر بالملك فضمنوا لهذين مالا ليسما الملك في طعامه وشرابه فاجاباهم ثم ان الساقي
نكل عنه وقبل الخباز الرشوة فسم الطعام فلما احضر الطعام قال الساقي لا تاكل ايها الملك فان الطعام مسموم
وقال الخباز لا تشرب ايها الملك فان الشراب مسموم فقال الملك للساقي اشرب فشربه فلم يضره وقال للخباز كل من
طعامك فابى فجرب ذلك الطعام على دابة فاكلته فهلكت فامر الملك بحبسهما وكان يوسف حين دخل السجن
جعل ينشر علمه ويقول اني اعبر الاحلام فقال احد الفتيين لصاحبه هلم فلنجرب هذا العبد العبراني نترايا له
فسالاه من غير ان يكونا رايا شيئا قال ابن مسعود رضي الله عنه وما رايا شيئا الا تحالما ليجربا يوسف وقيل بل
حقيقة فراهما يوسف عليه السلام وهما مهمومان فسالهما عن شانهما فذكرا انهما صاحبا الملك حبسهما وقد رايا
رؤيا غمتهما فقال يوسف صلوات الله وسلامه عليه وعلى الانبياء والمرسلين قصا علي ما رايتما فقصا عليه فعبر
لهما ما راياه وعرف حرفة كل واحد من منامه وتاويل الشيء ما يرجع اليه وهو الذي يؤول اليه آخر ذلك الامر ثم
قالا انا نراك من المحسنين في امر الدين اي نراك تؤثر الاحسان وتاتي مكارم الاخلاق قيل انه كان يعود مريضهم
ويوقر كبيرهم فقالوا انا نراك من المحسنين في حق الاصحاب وقيل كان شديد المواظبة على الطاعات فقالوا
انا نراك من المحسنين في امر الدين وقيل انا نراك من المحسنين في علم التعبير وذلك انه متى عبر لم يخط في تعبيره
فصل وحقيقة علم التعبير انه تعالى خلق جوهر النفس الناطقة بحيث يمكنها الصعود الى
عالم الافلاك ومطالعة اللوح المحفوظ والمانع لها من ذلك اشتغالها بتدبير البدن وفي وقت النوم يقل هذا الا
شتغال فتقوى على هذه المطالعة فاذا وقفت على حالة من الاحوال تركت آثارا مخصوصة مناسبة لذلك
الادراك الروحاني الى عالم الخيال فالمعبر يستدل بتلك الآثار الخيالية على تلك الادراكات العقلية قال صلوات
الله وسلامه عليه الرؤيا ثلاثة رؤيا ما يحدث الرجل به نفسه ورؤيا تحدث من الشيطان ورؤيا جزء من ستة
واربعين جزءا **فصل** روي ان الفتيين لما رايا يوسف قالا لقد احببناك حين رايناك فقال لهما
يوسف انشدكما بالله ان لا تحباني فوالله ما احبني احد قط الا دخل علي من حبه بلاء لقد احبتني عمتي فدخل
علي بلاء ثم احبني ابي فالقيت في الجب واحبتني امراة العزيز فحبست فلما قصا عليه الرؤيا كره يوسف ان يعبر
لهما ما سالاه لما علم ما في ذلك من المكروه على احدهما فاعرض عن سؤالهما واخذ في غيره من اظهار المعجزة والدعا
الى التوحيد فقال لا ياتيكما طعام ترزقانه قيل اراد به في النوم يقول لا ياتيكما طعام ترزقانه في منامكما

ترزقانه

ترزقانه وتاكلانه الا نباتكما اخبرتكما بتاويله بقدره ولونه والوقت الذي يصل اليكما قبل ان يصل واي
طعام اكلتم وكم اكلتم ومتى اكلتم وهذا مثل معجزة عيسى عليه الصلاة والسلام حيث قال وانبئكم بما تاكلون
وما تدخرون في بيوتكم فقالا هذا فعل العرافين والكهنة فمن اين لك هذا العلم فقال ما انا بكاهن وانما
ذلك العلم مما علمني ربي ثم قال اني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله وهم بالاخرة هم كافرون وفيه سؤال وهو ان
قوله اني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله يوهم انه صلوات الله وسلامه عليه كان في هذه الملة والجواب من وجوه
الاول ان الترك عبارة عن عدم التعرض للشيء وليس من شرطه ان يكون قد كان خائضا فيه والثاني ان يقال
انه عليه الصلاة والسلام كان عندهم بحسب زعمهم ولعله قبل ذلك كان لا يظهر التوحيد والايمان خوفا
منهم ثم انه اظهره في هذا الوقت فكان هذا جاريا مجرى ترك ملة اولئك الكفرة بحسب الظاهر **قوله تعالى**
اني تركت يجوز ان تكون هذه مستانفة اخبر بذلك عن نفسه ويجوز ان تكون تعليلا لقوله ذلكما مما علمني ربي اي تركي
عبادة غير الله سبب لتعليمه اياي ذلك وعلى الوجهين لا محل لها من الاعراب ولا يؤمنون صفة لقوم وكرر هم في قوله وهم
بالاخرة هم كافرون قال الزمخشري للدلالة على انهم خصوصا كافرون بالاخرة وان غيرهم مؤمنون بها قال ابو حيان
وليست هم عندنا تدل على الخصوص قال شهاب الدين لم يقل الزمخشري ان هم تدل على الخصوص وانما قال وتكرير هم
للدلالة فالتكرير هو الذي افاد الخصوص قال شهاب الدين لم يقل الزمخشري انهم • وهو معنى حسن وقيل كررهم •
للتوكيد وسكن الكوفيون الياء من اباي وروي عن ابي عمرو ايضا وابراهيم وما بعده بدل او عطف بيان او منصوب
على المدح **قوله تعالى** واتبعت ملة اباي ابراهيم واسحق ويعقوب لما ادعى النبوة وتحدى بالمعجزة وهو علم الغيب
قرن به كونه من اهل النبوة وان اباءه وجده كانوا انبياء عليهم السلام فان الانسان متى ادعى حرفة ابيه وجده لم يستبعد
ذلك منه وايضا فكان درجة ابراهيم عليه افضل الصلاة والسلام واسحق ويعقوب كان امرا مشهورا في الدنيا
فاذا اظهر انه ولدهم عظموه ونظروا اليه بعين الاجلال فكان انقيادهم له اتم وتاثر قلوبهم بكلامه فان قيل
لما كان نبيا فكيف قال اتبعت ملة اباي والنبي لا بد وان يكون مختصا بشريعة نفسه فالجواب لعل مراده التوحيد
لا يتغير ولعله كان رسولا من عند الله تعالى الا انه كان على شريعة ابراهيم صلوات الله وسلامه عليه دائما ابدا
قوله تعالى ما كان لنا ان نشرك بالله من شيء فيه سؤال وهو ان حال كل من المكلفين كذلك والجواب ليس المراد
بقوله ما كان لنا انه حرم ذلك عليهم بل المراد انه تعالى طهره وطهر اباءه عن الكفر كقوله ما كان لله ان يتخذ من ولد
قوله تعالى من شيء يجوز ان يكون مصدرا اي شيئا من الاشراك ويجوز ان يكون واقعا على المشرك اي ما كان لنا
ان نشرك شيئا غيره من ملك وانسي وجني فكيف بصنم ومن مزيدة على النفي يجب لوجود الشرطين ثم قال ذلك
اي التوحيد والعلم من فضل الله علينا وعلى الناس بما بين لهم من الهدى ولكن اكثر الناس لا يشكرون نعمة الله
على الايمان حكي ان واحدا من اهل السنة دخل على بشر بن المعتمر وقال له يا هذا تشكر الله على الايمان ام لا فان قلت
لا فقد خالفت الاجماع وان شكرته فكيف تشكره على ما ليس فعلا له فقال بشر انا اشكره لانه تعالى اعطانا القدرة
والعقل والالة فيجب علينا ان نشكره على اعطاء القدرة والالة فيجب علينا الى فاما ان نشكره على الايمان مع ان
الايمان ليس فعلا له فذلك باطل فدخل عليهم ثمامة بن الاشرس وقال انا لا اشكر الله على الايمان بل الله يشكرنا
عليه كما قال تعالى جل ذكره فاولئك كان سعيهم مشكورا فقال بشر لما صعب الكلام سهل قال ابن الخطيب واعلم ان
الذي افتتحه ثمامة باطل بنص هذه الاية لانه تعالى بين ان عدم الاشراك من فضل الله ثم بين ان اكثر الناس لا
يشكرون هذه النعمة وانما ذكره على سبيل الذم فدل هذا على انه يجب على كل مؤمن ان يشكر الله على نعمة الايمان
وحينئذ تقوى الحجة ويكمل الدلالة قال القاضي قوله ذلك ان جعلناه اشارة الى التمسك بالتوحيد فهو من
فضل الله تعالى لانه انما حصل بالطافه وتسهيله ويحتمل ان يكون اشارة الى النبوة والجواب ان ذلك اشارة الى
المذكور السابق وذلك هو ترك الاشراك فهو من فضل الله تعالى لانه انما حصل بالطافه وتسهيله ويحتمل ان يكون
اشارة الى النبوة والجواب ان ذلك اشارة الى المذكور السابق وذلك هو ترك الاشراك فمن فضل الله تعالى والقاضي
يصرفه الى الالطاف والتسهيل فكان هذا تركا للظاهر واما صرفه الى النبوة فيبعد لان اللفظ الدال على الاشارة
يجب صرفه الى اقرب المذكورات وهو ههنا عدم الاشراك **قوله تعالى** يا صاحبي السجن يجوز ان يكون من باب الاضافة
الى المشبه بالمفعول به والمعنى يا ساكني السجن وذكر الصحبة لطول مقامهما فيه كقوله اصحاب النار وقوله ام الله
هنا متصلة عطفت الجلالة على ارباب **فصل** اعلم انه عليه الصلاة والسلام لما ادعى النبوة في الاية
الاولى وكان اثبات النبوة مبنيا على اثبات الالهية لاجرم شرع في هذه الاية في تقرير الالهيات ولما كان اكثر الخلق
مقرين بوجود الاله العالم القادر وانما الشان في انهم يتخذون اصناما على صور الارواح الفلكية ويعبدونها

ويتوقعون حصول النفع والضر منها لاجرم كان سعي اكثر الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم في المنع
من هذه وكان الامر على هذا في زمان يوسف صلوات الله وسلامه عليه وعلى الانبياء والمرسلين فلهذا
السبب شرع هنا في ذكر ما يدل على فساد القول بعبادة الاصنام فقال ارباب متفرقون خير ام الله الواحد
القهار والمراد منه الاستفهام على سبيل الانكار وتقرير فساد القول بعبادة الاصنام انه تعالى بين
ان كثرة الالهة توجب الخلل والفساد في هذا العالم لقوله تعالى لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا فالقول
بكثرة الالهة يوجب الخلل والفساد وكون الاله واحدا يقتضي حصول الانتظام وحسن الترتيب فالارباب
متفرقون خير ام الله الواحد القهار والمراد منه الاستفهام واما تقرير كون كثرة الالهة يوجب الخلل والفساد
في العالم انه لو كان اثنان او ثلاثة لم نعلم من الذي خلقنا ونفعنا ودفع الآفات عنا فيقع الشك في انا نعبد
هذا او ذاك ومعنى كونهم متفرقين اي شيء منها من ذهب وهذا من فضة وهذا من حديد وهذا اعلا وهذا اوسط
وهذا ادنى متباينون لا تضر ولا تنفع خير ام الله الواحد القهار لا ثاني له القهار الغالب على الكل ثم عجز الاصنام
فقال ما تعبدون من دونه اي من دون الله وانما ذكر بلفظ الجمع وقد ابتدأ الخطاب لاثنين لانه اراد جميع
اهل السجن وكل من هو على مثل حالهما من الشرك فان قيل لم سماها اربابا وليست كذلك فالجواب لاعتقادهم
فيها ان الامر كذلك وايضا الكلام خرج على سبيل الفرض والتقدير والمعنى انها ان كانت اربابا فهي خير ام الله الواحد
القهار فان قيل كيف يجوز التفاضل بين الاصنام وبين الله حتى قيل ايما خير الاصنام ام الله فالجواب
انه خرج على سبيل الفرض والمعنى لو سلمنا انه حصل فيها ما يوجب الخير فهي خير ام الله الواحد القهار **فصل**
الاسماء اما ان يراد بها المسميات او على حذف مضاف اي ذوات المسميات وسميتموها صفة وهي متعدية
لاثنين حذف ثانيهما اي سميتموها آلهة وما انزل صفة لاسماء ومن زائدة في من سلطان اي حجة وان الحكم ان
نافية ولا يجوز الاتباع لضمة الحاء كقوله قالت اخرج ونحوه لان الالف واللام كلمة مستقلة فهي فاصلة بينهما
فصل قال في الآية الاولى أأرباب متفرقون خير ام الله الواحد القهار وذلك يدل على وجود
هذه المسميات ثم قال عقيبه ما تعبدون من دونه الا اسماء سميتموها وهذا يدل على ان المسمى غير حاصل
وبينهما تناقض والجواب ان الذوات موجودة حاصلة الا ان المسمى بالاله غير حاصل وبيانه من وجهين
الاول ان ذوات الاصنام وان كانت موجودة الا انها غير موصوفة بصفات الالهية واذا كانت كذلك
كان الشيء الذي هو مسمى بالاله في الحقيقة غير موجود ولا حاصل الثاني روي ان عبدة الاصنام مشبهة
فاعتقدوا ان الاله هو النور الاعظم وان الملائكة انوار صغيرة فوضعوا على صورة تلك الانوار هذه الاوثان
ومعبودهم في الحقيقة هو تلك الانوار ثم ان جماعة ممن تعبد الاصنام قالوا نحن لا نقول ان هذه الاصنام
آلهة للعالم بمعنى انها هي التي خلقت العالم الا انا نسميها آلهة ونعبدها لاعتقادنا ان الله امرنا بذلك فاجاب
الله تعالى عنه فقال اما تسميتها بالالهة فما امر الله بذلك ولا انزل في هذه التسمية حجة ولا برهانا وليس
لغير الله حكم يجب قبوله ولا امر يجب التزامه بل الحكم والامر ليس الا لله ثم انه امر ان لا تعبدوا الا اياه لان
العبادة نهاية التعظيم فلا يليق الا بمن حصل منه الخلق والاحياء والعقل والرزق والهداية ونعم الله كثيرة
واحسانه الى الخلق غير متناهية ثم قال ولكن اكثر الناس لا يعلمون وذلك ان اكثر الخلق ينسبون حدوث الحوادث
الارضية الى الاتصالات الفلكية والمناسبات الكوكبية لاجل انه تقرر في العقول ان الحادث لا بد له من سبب
فاعتبروا احوال الشمس في ارباع الفلك وربطوا الفصول الاربعة بحركة الشمس ثم لما شاهدوا احوال النبات
والحيوان يختلف باختلاف الفصول الاربعة غلب على طباع اكثر الخلق ان المدبر لحدوث الحوادث في هذا العالم
هو الشمس والقمر وسائر الكواكب ثم انه تعالى اذا وفق انسانا حتى ترقى من هذه الدرجة وعرف انها في ذواتها وصفاتها
مفتقرة الى موجد مبدع قاهر قادر عليم حكيم وذلك الشخص يكون في غاية الندرة فلهذا قال ولكن اكثر الناس
لا يعلمون **قوله تعالى** امر يجوز ان يكون مستانفا وهو الظاهر وان يكون حالا او قد معه مراده عند بعضهم
قال ابو البقاء وهو ضعيف لضعف العامل فيه يعني بالعامل ما تضمنه الجار في قوله الا لله من الاستقرار
قوله تعالى يا صاحبي السجن اما احدكما فيسقي بضم حرف المضارعة من اسقى وهما لغتان يقال سقاه واسقاه
وسيأتي انهما قراءتان في نسقيكم ونسقيكم مما في بطونه وهل هما بمعنى ام بينهما فرق ونقل ابن عطية
عن عكرمة والجحدري انهما قرآ فيسقى ربه مبنيا للمفعول ورفع ربه ونسبها الزمخشري لعكرمة فقط **فصل**
اعلم انه صلوات الله وسلامه عليه لما قرر التوحيد والنبوة عاد الى الجواب عن السؤال الذي ذكراه فقال ثانيا
يا صاحبي السجن اما احدكما وهو صاحب الشراب فيسقي ربه خمرا يعني الملك واما الآخر يعني الخباز فيدعوه الملك ويخرجه

فيصلبه فتاكل الطير من رأسه قال ابن مسعود رضي الله عنه لما سمعا قول يوسف صلوات الله وسلامه عليه قالا
ما رأينا شيئا انما كنا نلعب قال يوسف قضي الامر الذي فيه تستفتيان فان قيل هذا الجواب الذي ذكره يوسف
عليه الصلاة والسلام ذكره بناء على الوحي من قبل الله تعالى او بناء على علم التعبير والاول باطل لان ابن عباس
رضي الله عنه نقل انه انما ذكره على سبيل التعبير وايضا قال الله تعالى وقال للذي ظن انه ناج منهما ولو كان ذلك
التعبير مبنيا على الوحي كان الحاصل منه القطع واليقين لا الظن والتخمين والثاني ايضا باطل لان علم التعبير مبني
على الظن والقضاء هو الالزام الجزم والحكم البت فكيف يبنى الجزم والقطع على الظن والحسبان فالجواب لا يبعد ان
يقال انهما سألاه عن ذلك المنام صدقا فيه او كذبا فان الله تعالى اوحى اليه ان عاقبة كل واحد منهما يكون على الوجه
المخصوص فلما نزل الوحي بذلك الغيب عند ذلك السؤال وقع في الظن انه ذكره على سبيل التعبير ولا يبعد ايضا ان
يقال انه بنى ذلك الجواب على علم التعبير وقوله قضي الامر الذي فيه تستفتيان ما عنى به ان الذي ذكره واقع لا محالة
بل عنى ان حكمه في تعبير ما سألاه عنه ذلك الذي ذكره **قوله** قضي الامر قال الزمخشري ما استفتيا في امر
واحد بل في امرين مختلفين فما وجه التوحيد قلت المراد بالامر ما اتهما به من سم الملك وما سجنا من اجله والمعنى فرغ
من الامر الذي عنه تسألان **قوله تعالى** وقال للذي ظن فاعل ظن يجوز ان يكون يوسف عليه الصلاة والسلام
ان كان تأويله بطريق الاجتهاد وان يكون الشرابي ان كان تأويله بطريق الوحي ويكون الظن بمعنى اليقين
لقوله تعالى الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم اني ظننت اني ملاق حسابيه قال الزمخشري يعني انه ان كان الظن على
بابه فلا يستقيم اسناده الى يوسف الا ان يكون تأويله بطريق الاجتهاد لانه متى كان بطريق الوحي كان يقينا فيثبت
الظن حينئذ الى الشرابي لا الى يوسف عليه الصلاة والسلام واما اذا كان الظن بمعنى اليقين فيصح نسبته الى يوسف
وذهب قتادة الى كون الظن على بابه وهو مسند ليوسف ان كان تأويله بطريق الاجتهاد فانه قال الظن هنا
على بابه لان عبارة الرؤيا ظن **قوله تعالى** منهما يجوز ان يكون صفة لناج وان يتعلق بمحذوف على انه حال من
الموصول قال ابو البقاء ولا يكون متعلقا بناج لانه ليس المعنى عليه قال شهاب الدين رضي الله عنه لو تعلق بناج لافهم
ان غيرهما نجا منهما اي انفلت منهما والمعنى ان احدهما هو الناجي وهذا المعنى الذي نبه عليه بعيد توهمه والضمير
في فانساه يعود على الشرابي وقيل على يوسف وهو ضعيف **فصل** قال يوسف صلوات الله وسلامه
عليه للناجي من الرجلين اذكرني عند ربك اي عند الملك اي اذكر عنده اني مظلوم من جهة اخوتي لما اخرجوني وباعوني
ثم انه مظلوم في هذه الواقعة التي لاجلها حبس ثم قال سبحانه وتعالى فانساه الشيطان ذكر ربه قيل انسى الساقي
ذكر يوسف للملك تقديره فانساه الشيطان ذكره لربه وقال ابن عباس رضي الله عنهما وعليه الاكثرون انسى الشيطان
يوسف ذكر ربه حتى ابتغى الفرج من غيره واستعان بمخلوق وتلك غفلة عرضت ليوسف من الشيطان فلبث مكث
في السجن بضع سنين قال صلوات الله وسلامه عليه يرحم الله يوسف لو لم يقل اذكرني عند ربك ما لبث في السجن ومما
يدل على ان المراد يوسف قوله فانساه الشيطان ذكر ربه ولو كان المراد الساقي لقال فانساه الشيطان ذكر يوسف
واعلم ان الاستعانة بغير الله في دفع الظلم جائزة في الشريعة لا انكار عليه واذا كان كذلك فلم صار يوسف عليه
الصلاة والسلام مؤاخذا بهذا القدر كيف لا يصير مؤاخذا بالاقدام على الزنا ومكافأة الاحسان بالاساءة اولى
فلما رأينا الله سبحانه وتعالى آخذ يوسف بهذا القدر ولم يؤاخذه في تلك القضية البتة وما عابه بل ذكره باعظم
وجوه المدح والثناء علمنا انه عليه الصلاة والسلام كان مبرأ مما نسبوه اليه **فصل** قال الزجاج
اشتقاق البضع من بضعت بمعنى قطعت قال النواوي والبضع بكسر الباء وقد تفتح ومعناه القطعة من العدد قال
الفراء ولا يذكر الا مع عشرة او عشرين الى التسعين وذلك يقتضي ان يكون مخصوصا بما بين الثلاثة الى التسعة قال
وهكذا رأيت العرب يقولون وما رأيتهم يقولون بضع ومائة قال وانما يقال نيف ومائة والقرآن يرد عليه ويقال
بضع نسوة وبضعة رجال وروى الشعبي رضي الله عنه ان النبي صلوات الله وسلامه عليه قال كم البضع قال
ما دون العشرة وقال ابن عباس رضي الله عنه ما دون العشرة وقال مجاهد رضي الله عنه ما بين الثلاث الى السبع وقيل
الى الخمس وقال قتادة رضي الله عنه ما بين الثلاث الى التسع واكثر المفسرين على ان البضع في هذه الآية سبع سنين وقد لبث
قبله خمس سنين فجملته اثنا عشر سنة قال ابن عباس رضي الله عنهما لما تضرع يوسف صلوات الله وسلامه عليه لذلك الرجل
كان قد قرب وقت خروجه فلما ذكر ذلك لبث في السجن بعده سبع سنين وقيل البضع فوق الخمسة ودون العشرة وقد
تقدم عند قوله بضاعة والبعض قد تقدم انه من هذا المعنى عند ذكر البعوضة وفي المدة التي اقامها يوسف في السجن اقوال
احدها قال ابن جريج وقتادة ووهب بن منبه اقام ايوب عليه الصلاة والسلام في البلاء سبع سنين واقام يوسف

في السجن سبع سنين وقال ابن عباس ثنتا عشرة سنة وقال الضحاك اربعة عشر سنة **قوله تعالى** وقال الملك
إني أرى سبع بقرات سمان الاية اعلم انه تبارك وتعالى اذا اراد شيئا هيأ اسبابه ولما دنا فرج يوسف عليه الصلاة
والسلام راى ملك مصر في النوم سبع بقرات سمان خرجن من نهر يابس ثم خرج عقيبهن سبع بقرات عجاف في غاية الهزال
فابتلعت العجاف السمان وراى سبع سنبلات خضر قد انعقد حبها وسبع اخر يابسات قد استحصدت فالتوت اليابسات
على الخضر حتى غلبن عليها فلم يبق من خضرتها شيء فجمع السحرة والكهنة والحازة والمعبرين وقص عليهم رؤياه وهو قوله
يا ايها الملأ افتوني في رؤياي ان كنتم للرؤيا تعبرون قالوا اضغاث احلام اخلاط احلام مشتبهة اهاويل
فصل قال علي بن ابي طالب كرم الله وجهه المعبر للبقرة اذا دخلت المدينة فان كانت سمانا فهي سنين
رخاء وان كانت عجافا كانت شدادا وان كانت المدينة مدينة بحر وابان سفر قدمت سفن على عددها وحالها
والا كانت فتنا مترادفة كانها وجوه البقر يشبه بعضها بعضا كما قال عليه الصلاة والسلام في الفتن كانها
صياصي البقر يريد لتشابهها الا ان يكون صفرا كلها فانها امراض تدخل على الناس وان كانت مختلفة الالوان
شنيعة القرون وكان الناس ينفرون منها او كان النار والدخان يخرج من افواهها فانها عسكر او غارة او عدو
يضرب عليهم وينزل بساحتهم وقد يدل البقر على الزوجة والخادم والغلة والسنة لما يكون فيها من الغلة والولد
والنبات **قوله** سمان صفة لبقرات وهو جمع سمينة وجمع سمين ايضا عليه يقال رجال سمان ونساء سمان كما يقال
نساء كرام ورجال كرام والسمن مصدر من سمن فهو سمين فالمصدر والاسم جاءا على غير قياس كاذ قياسهما سمنا بفتح
الميم فهو سمن بكسرها نحو فرح فرحا فهو فرح قال الزمخشري فان قلت هل من فرق بين ايقاع سمان صفة للمميز
وهو بقرات دون المميز وهو سبع وان يقول سبع بقرات سمانا قلت اذا اوقعتها صفة لبقرات فقد قصدت
الى ان تميز السبع بنوع من البقرات وهو السمان منهن لا بجنسهن ولو وصفت بها السبع لقصدت الى تمييز السبع
بجنس البقرات لا بنوع منها ثم رجعت فوصفت المميز بالجنس بالسمن فان قلت هلا قيل سبع عجاف على الاضافة
قلت التمييز موضوع لبيان الجنس والعجاف وصف لا يقع البيان به وحده فان قلت فقد يقولون ثلاثة فرسان
وخمسة اصحاب قلت الفارس والصاحب والراكب ونحوها صفات جرت مجرى الاسماء فاخذت حكمها وجاز فيها
ما لم يجز في غيرها الا تراك لا تقول عندي ثلاثة ضخام ولا اربعة غلاظ فان قلت ذلك مما يشكل وما نحن بسبيله
لا اشكال فيه الا ترى انه لم يقل وبقرات سبع عجاف لوقوع العلم بان المراد البقرات قلت ترك الاصل لا يجوز مع
وقوع الاستغناء عما ليس باصل وقد وقع الاستغناء عن قولك سبع عجاف عما تقترحه من التمييز بالوصف انتهى
وهي سؤالات واجوبة حسنة وتحقيق السؤال الاول وجوابه انه يلزم من وصف التمييز بشيء وصف المميز به
ولا يلزم من وصف المميز وصف التمييز بذلك الشيء بيانه انك اذا قلت عندي اربعة رجال حسان بالجر كان معناه
اربعة من الرجال الحسان فيلزم حسن الاربعة لانهم بعض الرجال الحسان واذا قلت عندي اربعة من الرجال حسان
برفع حسان كان معناه اربعة من الرجال حسان وليس فيه دلالة على وصف الرجال بالحسن وتحقيق الثاني وجوابه
ان اسماء العدد لا تضاف الى الاوصاف الا في ضرورة وانما يجاء بها تابعة لاسماء العدد فيقال عندي ثلاثة
فرسان ولا يقال ثلاثة فرسين بالاضافة الا في شعر ثم اعترض بثلاثة فرسان واجاب بجريان ذلك مجرى
الاسماء وتحقيق الثالث انه انما امتنع ثلاثة ضخام ونحوه لانه لا يعلم موصوفه بخلاف الاية الكريمة فان الموصوف
معلوم ولذلك لم يصرح به واجاب عن ذلك بان الاصل عدم اضافة العدد الى الصفة كما تقدم فلا يترك هذا
الاصل مع الاستغناء بالفرع وعلى الجملة ففي هذه العبارة قلق هذا ملخصها ولم يذكر ابو حيان نصه ولا اعترض
عليه بل اختصر بعض معانيه وتركه على اشكاله **فصل** جمع عجفا على عجاف والقياس عجف نحو حمراء
وحمر حملا له على سمان لانه نقيضه ومن دابهم حمل النظير على النظير والنقيض على النقيض قال الزمخشري
والعجف شدة الهزال الذي ليس بعده هزال قال • عمرو الذي هشم الثريد لقومه • ورجال مكة مسنتون عجاف •
وقال الراغب هو من قولهم نصل اعجف اي رقيق وعجفت نفسي عن الطعام وعن فلان اذا نبت عنهما واعجف
الرجل اي صادف ماشيته عجافا **قوله تعالى** واخر نسق على سبع لا على سنبلات ويكون قد حذف اسم العدد
من قوله واخر يابسات والتقدير وسبعا اخر وانما حذف لان التقسيم في البقرات نقيض التقسيم في السنبلات
قال الزمخشري فان قلت هل في الاية دليل على ان السنبلات اليابسة كانت سبعا كالخضر قلت الكلام مبني على
انصبابه الى هذا العدد في البقرات السمان والعجاف والسنبلات الخضر فوجب ان يتناول معنى الاخر السبع
ويكون قوله واخر يابسات بمعنى وسبعا اخر انتهى وانما لم يجز عطف اخر على التمييز وهو سنبلات فيكون اخر

مجرورا لا منصوبا لانه من حيث العطف عليه يكون من جملة مميز سبع ومن جهة كونه اخر يكون مباينا لسبع
فتدافعا ولو كان تركيب الاية الكريمة سبع سنبلات خضر ويابسات لصح العطف ويكون من توزيع السنبلات
الى نوعين اعني الاخضرار واليبس وقد اوضح الزمخشري هذا حيث قال فان قلت هل يجوز ان يعطف
قوله واخر يابسات على سنبلات خضر فيكون مجرور المحل قلت يؤدي الى تدافع وهو ان عطفها على سنبلات خضر
يقتضي ان يكون داخلا في حكمها فيكون معها مميزا للسبع المذكور ولفظ الاخر يقتضي ان يكون غير السبع بيانه انك
تقول عنده سبعة رجال قيام وقعود بالجر فيصح لانك ميزت السبعة برجال موصوفين بالقيام والقعود على
ان بعضهم قيام وبعضهم قعود فلو قلت عنده سبعة رجال قيام واخرين قعود تدافع ففسد **قوله تعالى**
للرؤيا فيها اربعة اوجه احدها ان اللام فيه مزيدة فلا تعلق لها بشيء وزيدت لتقدم المعمول مقوية للعامل كما
زيدت فيه اذا كان العامل فرعا كقوله سبحانه وتعالى جل ذكره فعال لما يريد ولا تزاد فيما عدا ذلك الا ضرورة
كقوله • فلما ان توافقنا قليلا • انخنا للكلاكل فارتمينا • يريد انخنا الكلاكل فزيدت مع فقدان
الشرطين هكذا عبارة بعضهم نقول الا في ضرورة وبعضهم يقول لا تكثر لا تزاد وتجيء من قوله تبارك وتعالى ردف
لكم فان الاصل ردفكم فزيدت فيه اللام ولا تقدم ولا فرعية ومن اطلق ذلك جعل الاية من باب التضمين
وسياتي في مكانه ان شاء الله تعالى وقد تقدم من ذلك نظر فجيد الثاني ان تضمن تعبرون معنى ما يتعدى
باللام تقديره ان كنتم تنتدبون لعبارة الرؤيا الثالث ان يكون للرؤيا هو خبر كنتم كما تقول كان فلان
لهذا الامر اذا كان مستقلا به متمكنا منه وعلى هذا فيكون في تعبرون وجهان احدهما انه خبر ثان لكنتم
والثاني انه حال من الضمير المرتفع بالجار لوقوعه خبرا الرابع ان يتعلق اللام بمحذوف على انها للبيان كقوله
تعالى وكانوا فيه من الزاهدين تقديره اعني فيه وكذلك هذا تقديره اعني للرؤيا وعلى هذا يكون مفعول
تعبرون محذوفا تقديره تعبرونها وقرا ابو جعفر الرويا وبابها الريا بالادغام وذلك انه قلب الهمزة واوا
لسكونها بعد ضمة فاجتمعت ياء وواو وسبقت احديهما بالسكون فقلبت الواو ياء وادغمت الياء في الياء
وهذه القراءة عندهم ضعيفة لان البدل غير لازم فكانه لم يوجد واو نظرا الى الهمزة **فصل**
يقال عبرت الرؤيا اعبرها عبارة وعبرتها بالتخفيف قال الزمخشري هو الذي اعتمده الاثبات ورايتهم
ينكرون عبرت بالتشديد والتعبير والمعبر قال وقد عثرت على بيت انشده المبرد في كتاب الكامل
لبعض الاعراب • رايت رؤيا ثم عبرتها • وكنت للاحلام عبارا • قال وحقيقة عبرت الرؤيا
ذكر عاقبتها واخر امرها كما تقول عبرت النهر اذا قطعته حتى تبلغ اخر عرضه قال الازهري ماخوذ من العبر
وهو جانب النهر ومعنى عبرت النهر والطريق قطعته الى الجانب فقيل لعابر الرؤيا عابر لانه يتامل جانبي
الرؤيا ويتفكر في اطرافها وينتقل من احد الطرفين الى الاخر قال بعض اهل اللغة العين والباء والراء تصفه العرب
لجواز الشيء ومضيه وقلة مكثه ولبثه وهو فعل تقول عبرت الرؤيا اخرجتها من حال النوم الى حال اليقظة
كعبور البحر من جانب الى جانب وناقة عبر اسفار اي تقطع بها الطرق ونعبر والشعرى العبور لانها عبرت المجرة
والاعتبار بالشيء هو التمثيل بينه وبين حاكيه والعبرة الدمعة لعبورها العين وخروجها من الجفن والعنبر
منه لان نونه زائدة وهو عنبر وهو يجيء طفاوة على الماء لا يعرف معدنه والعنبر ايضا سمكة في البحر والعنبر
اسم قبيلة والعنبر شدة الشتاء قال بعضهم ثلاثة اشياء لا يعرف معدنها احدها العنبر يجيء طفاوة على وجه
الماء وثانيها الموميا بارض فارس ومعناه موم اي شمع الماء لا يعرف من اين يجيء ولا من اين ينبع يعمل له حوض في الحجر
وينصب عليه مصفاة كالغربال يجري منه الماء وتبقى الموميا فتوخذ الى خزانة السلطان وثالثها الكهل
وهو نوع من الخرز اصفر يطفو على وجه الماء في بحر المغرب ويحطب به سفنان ولا يعرف معدنه **قوله تعالى**
عز وجل اضغاث احلام خبر مبتدا مضمر اي اضغاث يعنون ما قصصته علينا والجملة منصوبة بالقول والا
ضغاث جمع ضغث بكسر الضاد وهو ما جمع من النبات سواء كان جنسا واحدا او اجناسا مختلطة قال ابن الخطيب
بشرط ان تكون مما قام على ساق وهو اصغر من الحزمة واكبر من القبضة فمن مجيئه من جنس واحد قوله تعالى وخذ
بيدك ضغثا روي انه اخذ عثكالا من نخلة وفي الحديث انه اتي بمريض وجب عليه حد ففعل به ذلك وقال ابن مقبل
• خود كان فراشها وضعت به • اضغاث ريحان غداة شمال •
وقد خصصه الزمخشري بما جمع من اخلاط النبات فقال واصل الاضغاث ما جمع من اخلاط النبات وحزم
الواحد ضغث وقال الراغب رحمه الله الضغث قبضة ريحان او حشيش او قضبان وقد تقدم انه اكثر من القبضة

واستعمال الاضغاث هنا من باب الاستعارة فان الرؤيا اذا كانت مخلوطة من اشياء غير متناسبة كانت
شبيهة بالضغث والاضافة في اضغاث احلام اضافة بمعنى من التقدير اضغاث من احلام والاحلام جمع حلم
وهو الرؤيا والفعل منه حلمت احلم بفتح اللام في الماضي وضمها في الغابر حلما وحلما مثقل ومخفف **قوله**
بتاويل الباء متعلقة بعالمين والباء في بعالمين لا تعلق لها لانها زائدة اما في خبر الحجازية او التميمية وقوله
ذلك يحتمل ان يكون نفيا للعلم بالرؤيا وان يكون نفيا للعلم بتاويل الاضغاث منها خاصة دون المنام
الصحيح وقال ابو البقاء بتاويل اضغاث الاحلام لا بد من ذلك لانهم لم يدعوا الجهل بتعبير الرؤيا انتهى وقوله
الاحلام وانما كان واحدا قال الزمخشري كما تقول فلان يركب الخيل ويلبس عمايم الخز لمن لا يركب الا فرسا
واحدا ولا يتعمم الا بعمامة واحدة تزيدا في الوصف ويجوز ان يكون قص عليهم مع هذه الرؤيا غيرها والتاويل
هو ما يؤول اليه الشيء اي يرجع اليه ومنه تاويل الرؤيا وهو معنى التفسير لان التاويل تفسير اللفظ
الراجع الى المعنى **فصل** اعلم انه سبحانه وتعالى جعل هذه الرؤيا سببا لخلاص يوسف صلوات
الله وسلامه عليه من السجن وذلك ان الملك لما راى ذلك قلق واضطرب بسببه لانه شاهد ان الناقص
الضعيف استولى على الكامل القوي فشهدت فطرته بان هذا امر غير جيد منذر بنوع من انواع الشر الا انه ما عرف
كيفية الحال فيه والشيء اذا صار معلوما من وجه وبقي مجهولا من وجه آخر عظم تشوف النفس الى تمام تلك المعرفة
وقويت الرغبة في اتمام الناقص لا سيما اذا كان الانسان عظيم الشان واسع المملكة وكان ذلك الشيء دالا على الشر
من بعض الوجوه فبهذا الطريق قويت داعية ذلك الملك في تحصيل العلم بتفسير هذه الرؤيا وانه تعالى اعجز
المعبرين الحاضرين عن جواب هذه المسالة ليصير ذلك سببا لخلاص يوسف عليه صلاة الله ثم سلامه من تلك
المحنة واعلم ان القوم ما نفوا عن انفسهم كونهم عالمين بعلم التعبير بل قالوا ان علم التعبير على قسمين منه ما يكون
الرؤيا منتظمة فيسهل الانتقال من الامور المتخيلة الى الحقائق العقلية ومنه ما يكون مختلطا مضطربا ولا
يكون فيها ترتيب معلوم وهو المسمى بالاضغاث فقالوا ان رؤيا الملك من قسم الاضغاث ثم اخبروا انهم غير
عالمين بتعبير هذا القسم وفيه ايهام ان الكامل في هذا العلم والمتبحر فيه قد يهتدي اليها فعند هذه المقالة
تذكر الساقي واقعة يوسف لانه كان يعتقد فيه كونه متبحرا في هذا العلم **قوله تعالى** وادكر فيه وجهان
اظهرهما انها جملة حالية اما من الموصول واما من عائده وهو فاعل نجا والثاني انها عطف على نجا فلا محل لها
لنسقها على ما لا محل له والعامة على ادكر بدال مهملة مشددة واصلها اذتكر افتعل من الذكر فوقعت
تاء الافتعال بعد الذال فابدلت دالا فاجتمع متقاربان فابدل الاول من جنس الثاني وادغم قال الزمخشري
وادكر بالدال هو الفصيح وقرا الحسن البصري بذال معجمة ووجهها انه ابدل التاء ذالا من جنس الاولى
وادغم وكذلك الحكم في مدكر كما سياتي ان شاء الله تعالى والعامة على امة بضم الهمزة وتشديد الميم وتاء
منونة وهي المدة الطويلة وقرا الاشهب العقيلي بكسر الهمزة وفسروها بالنعمة اي بعد نعمة انعم بها عليه وهي
خلاصه من السجن ونجاته من القتل وانشد الزمخشري لعدي • ثم بعد الفلاح والملك والامة •
وارتهم هناك القبور • وانشد غيره • الا لا ارى ذا امة اصبحت به • فتتركه الايام وهي كما هيا •
وقرا ابن عباس وزيد بن علي وقتادة والضحاك وابو رجاء رضي الله تعالى عنهم امه بفتح الميم وسكونها
والسكون غير مقيس • قال الشاعر • امهت وكنت لا انسى حديثا • كذاك الدهر يودي بالعقول •
وقرا مجاهد وعكرمة وشبيل بن عزرة بعد امه بسكون الميم تقدم انه مصدر لامه على غير قياس قال الزمخشري
ومن قرا بسكون الميم فقد خطئ قال ابو حيان وهذا على عادته في نسبة الخطا الى القراء قال شهاب الدين
رحمه الله لم ينسب هو اليهم خطا وانما حكى ان بعضهم خطا هذا القارئ فانه قال خطئ بلفظ ما لم يسم فاعله
ولم يقل فقد اخطا على انه اذا صح ان من ذكر قرا بذلك فلا سبيل الى نسبة الخطا اليه البتة وبعد
منصوب بادكر وقوله انا انبئكم هذه الجملة هي المحكية بالقول وقرا العامة من الانباء والحسن انا آتيكم
مضارع اتى من الاتيان وهو قريب من معنى الاول **فصل** لما اعترف الحاضرون بالعجز عن الجواب
تذكر الساقي قول يوسف اذكرني عند ربك بعد امة بعد حين بعد سبع سنين وذلك ان الحين انما يحصل
عند اجتماع الايام الكثيرة كما ان الامة انما تحصل عند اجتماع الجمع العظيم فالحين كانه امة من الايام والساعات
فان قيل قوله وادكر بعد امة يدل على ان الناسي هو الساقي وانتم تقولون ان الناسي هو يوسف فالجواب
قال ابن الانباري ادكر بمعنى ذكر واخبر وهذا لا يدل على سبق النسيان فلعل الساقي انما لم يذكر يوسف للملك خوفا

عليه

عليه من ان يكون مذكرا للذنب الذي من اجله حبسه فيزداد الشر ويحتمل ان يكون حصل النسيان ليوسف
صلوات الله وسلامه عليه وحصل ايضا ذلك الشرابي روي ان الغلام جثا بين يدي الملك وقال ان في السجن
رجلا يعبر الرؤيا فارسلون وهذا خطاب اما للملك والجمع او للملك وحده على سبيل التعظيم وفيه اختصار
تقديره فارسلني ايها الملك اليه فارسله فاتى السجن قال ابن عباس رضي الله عنهما ولم يكن السجن في المدينة
فقال يوسف اي يا يوسف ايها الصديق والصديق هو المبالغ في الصدق وصفه بهذه الصفة لانه لم يجرب
عليه كذبا وقيل لانه صدق في تعبير رؤياه وهذا يدل على ان الساقي والخباز لم يكذبا على يوسف في منامهما
ولم يريا ذلك امتحانا له كما زعم بعضهم ثم انه اعاد السؤال باللفظ الذي ذكره الملك فان تعبير الرؤيا قد يختلف
باختلاف الالفاظ كما هو مذكور في علم التعبير لعلي ارجع الى الناس بفتواك لانه راى عجز سائر المعبرين عن الجواب
فخاف ان يعجز هو ايضا فلهذا السبب قال لعلي ارجع الى الناس لعلهم يعلمون منزلتك من العلم **قوله تعالى**
تزرعون ظاهره ان هذا اخبار من يوسف صلوات الله وسلامه عليه دائما بذلك وقال الزمخشري تزرعون
خبر في معنى الامر كقوله تعالى تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون وانما خرج الامر في صورة الخبر للمبالغة
في معنى الامر قوله تعالى فذروه في سنبله قال ابو حيان ولا يدل الامر بتركه في سنبله على ان تزرعون في
معنى ازرعوا بل تزرعون اخبار غيب واما فذروه فهو امر اشار بما ينبغي ان يفعلوه وهذا هو الظاهر ولا مدخل
لامر لهم بالزراعة لانهم يزرعون على عادتهم امرهم او لم يامرهم وانما يحتاج الى الامر فيما لم يكن من عادة الانسان
ان يفعله كقوله تعالى في سنبله **قوله تعالى** دابا قرا حفص بفتح الهمزة والباقون بسكونها وهما لغتان
في مصدر داب يداب اي داوم على الشيء ولازمه وقيل بجد واجتهاد وهذا كما قالوا ضان وضان ومعز
ومعز بفتح العين وسكونها قال ابو علي الفارسي الاكثر في داب الاسكان ولعل الفتح لغة وفي انتصابه
اوجه احدها وهو قول سيبويه انه منصوب بفعل مقدر تقديره تدابون دابا والثاني وهو قول ابي العباس
رضي الله عنه انه منصوب بتزرعون لانه من معناه فهو من باب قعدت القرفصاء وفيه نظر لانه ليس نوعا
خاصا به بخلاف القرفصاء مع القعود والثالث انه مصدر واقع موقع الحال فيكون فيه الاوجه المعروفة
اما المبالغة واما وقوعه موقع الصفة واما على حذف مضاف اي دائبين او ذوي داب وجعلهم نفس
الداب مبالغة وقد تقدم الكلام على الداب في آل عمران عند قوله عز وجل كداب آل فرعون **قوله**
تعالى فما حصدتم ما يجوز ان تكون شرطية او موصولة فذروه في سنبله امرهم بترك الحنطة في السنبل
ليكون ابقى على الزمان ولا تفسد الا قليلا مما تاكلون اي تدرسون قليلا للاكل امرهم بحفظ الاكثر والاكل
قدر الحاجة وقرا ابو عبد الرحمن ياكلون بالغيبة اي الناس ويجوز ان يكون التفاتا **فصل**
قال القرطبي هذه الاية اصل في القول بالمصالح الشرعية التي هي حفظ الاديان والنفوس والعقول
والانساب والاموال فكل ما يضمن تحصيل شيء من هذه الامور فهو مصلحة وكل ما يفوت شيئا منها فهو مفسدة ودفعه
مصلحة ولا خلاف ان المقصود الشرايع ارشاد الناس الى مصالحهم الدنيوية ليحصل لهم التمكن من معرفة الله
تعالى وعبادته الموصلتين الى السعادة الاخروية ومراعاة ذلك فضل من الله عز وجل ورحمة **قوله**
تعالى ثم ياتي من بعد ذلك سبع شداد حذف التمييز وهو الموصوف للدلالة ما تقدم عليه ونسبة الاكل
الى السنين مجاز كقوله تعالى والنهار مبصرا لما كان الاكل والابصار فيهما جعلا كانهما واقعان منهما
والشداد الصعاب التي تشتد على الناس فلذلك سمي السنين المجدبة شدادا ياكلن اي يفنين وياكلن ويهلكن
الطعام الا قليلا مما تحصنون تحرزون وتدخرون للبذر والاحصان الاحراز وهو ابقاء الشيء في الحصن
يقال احصنه احصانا اذا جعله في حرزه **قوله** تعالى يغاث الناس يجوز ان يكون الالف عن واو
وان تكون عن ياء اما من الغوث وهو الفرج وفعله رباعي يقال اغاثنا الله اذا انقذنا من كرب وغم
ومعناه ينقذ الناس فيه من كرب الجدب واما من الغيث وهو المطر يقال غيثت البلاد اي مطرت وفعله
ثلاثي يقال غاثنا الله من الغيث وقالت اعرابية غثنا ما شئنا اي مطرنا ما اردنا **فصل**
يقال اسنتوا اي دخلوا في سنة مجدبة قال المفسرون السبعة المتقدمة هي الخصب وكثرة النعم والسبعة
الثانية هي القحط وهي معلومة من الرؤيا واما حال هذه السنة فما حصل في ذلك المنام ما يدل عليه بل حصل
من ذلك الوحي قال قتادة زاده الله علم سنة فان قيل لما كانت العجاف سبعا دل على ان السنين المجدبة
لا تزيد على هذا العدد ومن المعلوم ان الحاصل بعد انقضاء القحط هو الخصب فكان هذا ايضا من مدلول

المنام فلم قلتم انه حصل بالوحي والالهام فالجواب هب ان تبدل القحط بالخصب معلوم واما تفصيل
الحال فيه وهو قوله فيه يغاث الناس وفيه يعصرون لا يعلم الا بالوحي **قوله تعالى** يعصرون قرا الاخوان
تعصرون بالخطاب والباقون بياء الغيبة وهما واضحتان لتقدم مخاطب وغائب فكل قراءة ترجع الى
ما يليق به ويعصرون يحتمل اوجها اظهرها انه من عصر العنب والزيتون والسمسم ونحو ذلك والثاني انه
من عصر الضرع اذا حلبه والثالث انه من العصرة وهي النجاة والعصر المنجى وقال ابو زبيد في عثمان رضي الله
عنه صاديا يستغيث غير مغاث • ولقد كان عصرة المنجود • ويعضد هذا الوجه مطابقة قوله فيه
يغاث الناس يقال اعصره يعصره اي انجاه وقرا جعفر بن محمد والاعرج يعصرون بالياء من تحت وعيسى البصرة
بالتاء من فوق وهو في كلتي القراءتين مبني للمفعول وفي هاتين القراءتين تاويلان احدهما انه من عصره
اذا انجاه قال الزمخشري وهو مطابق للاغاثة والثاني قاله قطرب انهما من الاعصار وهو امطار السحابة
الماء لقوله تعالى سبحانه وانزلنا من المعصرات قال الزمخشري رضي الله عنه يمطرون من اعصرت السحابة وفيه
وجهان اما ان يضمن اعصرت معنى مطرت فيتعدى تعديته واما ان يقال الاصل اعصرت عليهم فحذف الجار
واوصل الفعل الى ضميرهم او يسند الاعصار اليهم مجازا فجعلوا معصرين وقرا زيد بن علي يعصرون
بكسر الياء والعين والصاد مشددة واصلها يعتصرون فادغم التاء في الصاد واتبع العين الصاد ثم اتبع
الياء للعين ونقل عن مجاهد في قوله امن لا يهدي ونقل النقاش قراءة يُعَصَّرون بضم الياء وفتح العين وكسر الصاد
مشددة من عصّر للتكثير وهذه القراءة وقراءة زيد المتقدمة يحتملان ان يكونا من العصر للنبات والضرع
او النجاة كقول الآخر • لو بغير الماء حلقي شرق كنت كالغصان بالماء اعتصاري • اي نجاتي **قوله تعالى**
وقال الملك ائتوني به الآية اعلم ان الساقي لما رجع الى الملك واخبره بما افتاه يوسف من تاويل رؤياه وعرف
الملك ان الذي قاله كائن قال ائتوني به فلما جاءه الرسول قال له اجب الملك ابى ان يخرج مع الرسول حتى تظهر
براءته فقال للرسول ارجع الى ربك اي سيدك قال عليه الصلاة والسلام عجبت من يوسف وكرمه وصبره
والله يغفر له حين سئل عن البقرات العجاف والسمان ولو كنت مكانه ما اخبرتهم حتى اشترط ان يخرجوني
ولقد عجبت منه حين اتاه الرسول فقال له ارجع الى ربك ولو كنت مكانه ولبثت في السجن طول ما لبث
يوسف لاسرعت الى الاجابة وبادرتهم الباب قال ابن الخطيب والذي فعله يوسف من الصبر والتوقف
الى ان يفحص الملك عن حاله هو الاليق بالحزم والعقل وبيانه من وجوه الاول انه لو خرج في الحال فربما
كان يبقى في قلب الملك اثر ما فلما التمس من الملك ان يفحص عن حال تلك الواقعة دل ذلك على براءته
من تلك التهمة فبعد خروجه لا يقدر احد ان يلطخه بتلك الرذيلة وان يتوسل بها الى الطعن فيه والثاني
ان الانسان الذي بقي في السجن اثنتي عشرة سنة اذا طلبه الملك وامر باخراجه فالظاهر انه يبادر الى الخروج
فحيث لم يخرج عرف منه كونه في نهاية العقل والصبر والثبات وذلك يصير سببا لاعتقاد البراءة فيما
فيه من جميع انواع التهم وان يحكم بان كل ما قيل فيه كان كذبا الثالث ان التماسه من الملك ان يفحص عن حال
هؤلاء النسوة يدل ايضا على شدة طهارته اذ لو كان ملوثا بوجه ما لكان خائفا ان يذكر ما سبق الرابع انه
قال للشرابي اذكرني عند ربك فبقي بسبب هذه الكلمة في السجن بضع سنين وههنا طلبه الملك فلم يلتفت اليه
ولم يقم لطلبه وزنا واشتغل بطلب براءته من التهمة ولعله كان غرضه صلوات الله وسلامه عليه من ذلك
ان لا يبقى في قلبه التفات الى رد الملك وقبوله وكان هذا العمل جاريا مجرى التلافي لما صدر منه من التوسل
اليه في قوله اذكرني عند ربك وليظهر هذا المعنى لذلك الشرابي فانه هو الذي كان واسطة في الحالين معا
قوله تعالى فاسأله ما بال النسوة وقرا ابن كثير والكسائي فسله بغير همز والباقون بالهمز وهما لغتان
والعامة على كسر نون النسوة وضمها عاصم في رواية ابي بكر عنه رضي الله عنهما وليست بالمشهورة وان كان
قرأها ابو حيوة وقرا اللائي بالياء وكلاهما • وما المرء ما دامت حشاشة نفسه • بمدرك اطراف الخطوب ولا آل
ومما تضمنت خطب لخطيب وانما خطب في الامور العظام **فصل** في هذه الآية لطائف اولها
قوله فاسأل الملك ما بال النسوة ليعلم براءتي عن تلك التهمة الا انه اقتصر على سؤال الملك عن تلك الواقعة
لئلا يشتمل اللفظ على ما يجري مجرى امر الملك بعمل او فعل وثانيها انه لم يذكر سيدته مع انها هي التي سعت
في القائه في السجن الطويل بل اقتصر على ذكر سائر النسوة وثالثها ان الظاهر ان اولئك النسوة نسبنه الى عمل
قبيح عند الملك فاقتصر يوسف عليه الصلاة والسلام على مجرد قوله ما بال النسوة اللاتي قطعن ايديهن

وما شكى منهن على سبيل التعيين والتفصيل ثم قال يوسف عليه الصلاة والسلام بعد ذلك ان ربي
بكيدهن عليم وفي المراد بقوله ان ربي وجهان احدهما انه هو الله تعالى فانه هو العالم بخفايا الامور والثاني
المراد به الملك وجعله ربا لكونه مربيا وفيه اشارة الى كون ذلك الملك عالما بكيدهن ومكرهن واعلم ان كيدهن
في حقه يحتمل وجوها احدها ان كل واحدة منهن طمعت فيه فلما لم تجد المطلوب اخذت تطعن فيه وتنسبه
الى القبيح وثانيها لعل كل واحدة منهن بالغت في ترغيب يوسف في موافقة سيدته على مرادها ويوسف علم ان مثل
هذه الخيانة في حق السيد المنعم لا يجوز واشار بقوله ان ربي بكيدهن عليم الى مبالغتهن في الترغيب وتلك الخيانة
وثالثها انه استخرج منهن وجوها من المكر والحيل في تقبيح صورة يوسف عند الملك فكان المراد من هذا اللفظ
ذلك ثم انه تعالى حكى ان يوسف لما التمس من الملك ذلك امر الملك باحضارهن وقال لهن ما خطبكن ما شأنكن وامركن
اذ راودتن يوسف عن نفسه وفيه وجهان الاول ان قوله اذ راودتن يوسف وان كانت صيغة جمع فالمراد منها الواحدة
كقوله تعالى الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم والثاني ان المراد منه خطاب الجماعة ثم هاهنا وجهان
الاول ان كل واحدة منهن راودت يوسف عن نفسه والثاني ان كل واحدة منهن راودت يوسف لاجل امرأة العزيز
فاللفظ محتمل لكل هذه الوجوه وعند هذا السؤال قلن حاش لله ما علمنا عليه من سوء وهذا كالتاكيد لما ذكر
في اول الامر في حقه وهو قوله ما هذا بشرا ان هذا الا ملك كريم وقوله اذ راودتن هذا الظرف منصوب بقوله
خطبكن لانه في معنى الفعل اذ المعنى ما فعلتن وما اردتن به في ذلك الوقت وكانت امرأة العزيز حاضرة وكانت
تعلم ان هذه المناظرات والتفحصات انما وقعت بسببها ولاجلها وقيل ان النسوة اقبلن على امرأة العزيز
يقررنها وقيل خافت ان يشهدن عليها فاقرت وقالت الآن حصحص الحق انا راودته عن نفسه
وانه لمن الصادقين في قوله هي راودتني عن نفسي وهذه شهادة جازمة من تلك المرأة ان يوسف صلوات الله
وسلامه عليه راعى جانب امرأة العزيز حيث قال ما بال النسوة اللاتي قطعن ايديهن ولم يذكرها البتة
فعرفت المرأة انه ترك ذكرها رعاية وتعظيما لجانبها واخفاء للامر عليها فارادت ان تكافيه على هذا الفعل
الحسن فلا جرم كشفت الغطاء واعترفت ان الذنب كله من جانبها وان يوسف كان مبرأ عن الكل يحكى ان امرأة
جاءت بزوجها الى القاضي فادعت عليه المهر فامر القاضي ان يكشف عن وجهها حتى تتمكن الشهود من اقامة الشهادة
فقال الزوج لا حاجة الى ذلك فاني مقر بصدقها في دعواها فقالت المرأة اكرمتني الى هذا الحد فاشهدوا اني
برأت ذمته من كل حق لي عليه **قوله تعالى** الآن منصوب بما بعده وحصحص معناه تبين وظهر بعد خفاء
قاله الخليل رحمه الله قال بعضهم هو مأخوذ من الحصة والمعنى بانت حصة الحق من حصة الباطل كما تتميز
حصص الاراضي وغيرها وقيل بمعنى ثبت واستقر وقال الراغب حصحص الحق وذلك بانكشاف ما يغمره وحص
وحصحص نحو كف وكفكف وكب وكبكب وحصه قطعه اما بالمباشرة واما بالحكم فمن الاول قول الشاعر
قد حصت البيضة راسي • ومنه رجل احص انقطع بعض شعره وامرأة حصاء والحصة القطعة من الجملة وتستعمل
استعمال النصيب وقيل هو من حصحص البعير اذا القى ثفناته قال الشاعر •

فحصحص في صم الصفا ثفناته • وناء بسلمى نوءة ثم صمما •

قوله تعالى ذلك ليعلم مبتدأ مضمر اي الامر ذلك وليعلم متعلق بمضمر اي اظهر الله ذلك ليعلم او مبتدأ وخبره
محذوف اي ذلك الذي صرحت به من براءته امر من الله لا بد منه وليعلم متعلق بذلك الخبر او يكون ذلك مفعولا
لفعل مقدر يتعلق به هذا الجار ايضا اي فعل الله ذلك او فعلته انا بتيسير الله **قوله تعالى** بالغيب
يجوز ان يكون الباء ظرفية قال الزمخشري اي مكان الغيب وهو الخفاء والاستتار وراء الابواب السبعة المغلقة
ويجوز ان تكون الباء للحال اما من الفاعل على معنى وانا غائب عنه خفي عن عينه وان الله لا يهدي اي ليعلم الامر
وهذا من كلام يوسف صلوات الله وسلامه عليه وبه بدأ الزمخشري كالمختار له وقال غيره انه من كلام امرأة
العزيز وهو الظاهر فان قلنا هو من كلام يوسف عليه الصلاة والسلام ففي ما له روى عطاء عن ابن عباس رضي
الله عنهما ان يوسف لما دخل على الملك قال ذلك وانما ذكره بلفظ الغيبة تعظيما للملك عن الخطاب قال ابن الخطيب
والاولى انه صلوات الله وسلامه عليه انما قال ذلك عند عود الرسول اليه لان ذكر هذا الكلام في حضرة الملك
سوء ادب **فان قيل** هذه الخيانة لو وقعت لكانت في حق العزيز فكيف قال ذلك ليعلم اني لم اخنه بالغيب فالجواب
قيل المراد ذلك ليعلم الملك اني لم اخن العزيز بالغيب فيكون الهاء في اخنه تعود على العزيز وقيل انه اذا خان وزيره
فقد خانه من بعض الوجوه وقيل ان الشرابي لما رجع الى يوسف وهو في السجن قال ذلك ليعلم العزيز اني لم اخنه بالغيب

ثم ختم الكلام بقوله وان الله لا يهدي كيد الخائنين ولعل المراد منه اني لو كنت خائنا لما خلصني الله من هذه
الورطة وحيث خلصني منها ظهر اني كنت بريئا مما نسبوني اليه وان قلنا ان قوله ذلك ليعلم اني لم اخنه بالغيب
كلام امراة العزيز فالمعنى اني وان احلت الذنب عليه عند حضوره لكني ما ادخل الذنب عليه عند غيبته لاني لم اقل
فيه وهو في السجن خلاف الحق ثم انها بالغت في تاكيد هذا القول وقالت وان الله لا يهدي كيد الخائنين اي لما اقدمت
على الكيد والمكر لا جرم افتضحت فانه لما كان بريئا لا جرم اظهره الله عز وعلا قال صاحب هذا القول والذي يدل
على صحته ان يوسف صلوات الله وسلامه عليه ما كان حاضرا في ذلك المجلس حتى يقال لما ذكرت المراة قولها
الآن حصحص الحق انا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين ففي تلك الحال يقول يوسف ذلك ليعلم اني لم اخنه
بالغيب بل يحتاج فيه ان يرجع الرسول من ذلك المجلس الى السجن ويذكر له تلك الحكاية ثم ان يوسف يقول ابتداء ذلك
ليعلم اني لم اخنه بالغيب ومثل هذا الوصل بين الكلامين الاجنبيين ما جاء البتة في نثر ولا نظم فعلمنا ان هذا من تمام
كلام المراة قال القرطبي وهو متصل بقول امراة العزيز الآن حصحص الحق اي اقررت بالصدق ليعلم اني لم اخنه بالكذب
عليه ولم اذكره بسوء وهو غائب بل صدقت وحدت عن الخيانة ثم قالت وما ابرئ نفسي بل انا راودته وعلى هذا هي كانت مقرة بالصانع
ولهذا قالت ان ربي غفور رحيم وقيل ذلك ليعلم اني لم اخنه بالغيب واني لم اغفل عن مجازاته على امانته وان الله
لا يهدي كيد الخائنين معناه ان الله لا يهدي كيد الخائنين بكيدهم **فصل** دلت الاية على طهارة
يوسف صلوات الله وسلامه عليه من الذنب من وجوه الاول ان الملك لما ارسل الى يوسف صلوات الله عليه وسلامه
وطلبه فلو كان يوسف متهما بفعل قبيح وقد كان صدر منه ذنب وفحش لاستحال بحسب العرف والعادة ان
يطلب من الملك ان يفحص عن تلك الواقعة وكان ذلك سعيا منه في فضيحة نفسه وفي حمل الاعداء على ان يبالغوا
في اظهار عيوبه والثاني ان النسوة شهدن في المرة الاولى بطهارته ونزاهته وقلن حاش لله ما هذا بشرا ان هذا
الا ملك كريم وفي المرة الثانية قلن حاش لله ما علمنا عليه من سوء والثالث ان امراة العزيز عترفت في المرة
الاولى بطهارته حيث قالت ولقد راودته عن نفسه فاستعصم وفي المرة الثالثة قولها الآن حصحص الحق
انا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين وهذا اشارة الى انه صادق في قوله هي راودتني عن نفسي والرابع
قول يوسف ذلك ليعلم اني لم اخنه بالغيب قال ابن الخطيب والحشوية يذكرون انه لما قال هذا الكلام قال
جبريل صلوات الله وسلامه عليه ولا حين هممت وهذا من رواياتهم الخبيثة وما صحت هذه الرواية في كتاب
معتمد بل هم يلحقونها بهذا الموضع تقتضي ان الخائن لا بد وان يفتضح فلو كنت خائنا لوجب اني افتضح ولما
خلصني الله من هذه الورطة دل ذلك على اني ما كنت من الخائنين ووجه اخر وهو اني في هذا الوقت تلك الواقعة
صارت مندرسة فاقدامه على قوله ذلك ليعلم اني لم اخنه بالغيب مع انه خانه باعظم وجوه الخيانة اقدام على
فاحشة عظيمة وعلى كذب عظيم من غير ان يتعلق به بوجه ما والاقدام على مثل هذه الوقاحة من غير فائدة اصلا
لا يليق باحد من العقلاء فكيف يليق باسناده الى سيد العقلاء وقدوة الاصفياء فثبت ان هذه الاية تدل دلالة
قاطعة على براءته مما يقول الجهال **قوله تعالى** وما ابرئ نفسي الاية اعلم ان تفسير هذه الاية يختلف بسبب
اختلاف ما قبلها لانه ان قلنا ان قوله ذلك ليعلم اني لم اخنه بالغيب كلام يوسف كان هذا ايضا كلام يوسف
وان قلنا من تمام كلام المراة كان هذا ايضا كذلك فاذا قلنا انه من كلام يوسف عليه الصلاة والسلام فقال
انه صلوات الله وسلامه عليه لما قال ذلك ليعلم اني لم اخنه بالغيب قال له جبريل عليه الصلاة والسلام ولا
حين هممت معناه وهذا قال يوسف صلوات الله وسلامه عليه وما ابرئ نفسي ان النفس لامارة بالسوء الا ما رحم
ربي اي عصمني ربي ان ربي غفور للهم الذي هم به رحيم اي لو فعلته لتاب علي قال ابن الخطيب رحمه الله وهذا ضعيف
فانا بينا في الاية الاولى برهانا قاطعا على براءته من الذنب فان قيل فما جوابكم عن هذه الاية فنقول فيه وجهان
الاول انه صلوات الله وسلامه عليه لما قال ذلك ليعلم اني لم اخنه بالغيب كان ذلك جاريا مجرى المدح لنفسه
وتزكيتها وقال سبحانه وتعالى فلا تزكوا انفسكم فاستدرك على نفسه بقوله وما ابرئ نفسي والمعنى وما ازكي نفسي ان النفس
لامارة بالسوء ميالة الى القبائح راغبة في المعصية الثاني ان الاية لا تدل البتة على شيء مما ذكروه لان يوسف
صلوات الله عليه لما قال ذلك ليعلم اني لم اخنه بالغيب بين ان ترك الخيانة ما كان لعدم الرغبة ولعدم ميل
النفس والطبيعة لان النفس امارة بالسوء تواقة الى اللذات فبين بهذا الكلام ان ترك الخيانة ما كان لعدم
الرغبة بل لقيام الخوف من الله تبارك وتعالى واذا قلنا ان هذا الكلام من بقية كلام المراة ففيه وجهان الاول
وما ابرئ نفسي عن الخيانة مطلقا فاني قد خنته حين احلت الذنب وقلت ما جزاء من اراد باهلك سوءا الا ان

يسجن او عذاب اليم واودعته السجن كانها ارادت الاعتذار مما كان فان قيل ايما اولى جعل هذا الكلام كلاما
ليوسف ام جعله كلاما للمراة قلت جعله كلاما ليوسف مشكل لان قوله قالت امراة العزيز الآن حصحص الحق كلام
موصول بعضه ببعض الى آخره فالقول بان بعضه كلام المراة والبعض كلام يوسف مع تخلل الفواصل الكثيرة بين
القولين وبين المجلسين بعيد فان قيل جعله كلاما للمراة مشكل ايضا لان قوله وما ابرئ نفسي ان النفس لامارة
بالسوء الا ما رحم ربي كلام لا يحسن الا ممن احترز عن المعاصي ثم يذكر هذا الكلام على سبيل كسر النفس ولا يليق
ذلك بالمراة التي استفرغت جهدها في المعصية **قوله تعالى** الا ما رحم ربي فيه اوجه احدها انه مستثنى
من الضمير المستكن في امارة كانه قيل ان النفس لامارة بالسوء الا نفسا رحمها ربي فيكون اراد بالنفس الجنس فلذلك ساغ
الاستثناء منها كقوله تعالى ان الانسان لفي خسر الا الذين امنوا وعملوا الصالحات والى هذا نحا الزمخشري رضي الله
عنه فانه قال الا البعض الذي رحمه ربي بالعصمة كالملائكة وفيه نظر من حيث ايقاع ما على من يعقل والمشهور خلافه
وقال ابن الخطيب ما بمعنى من اي الا من رحم ربي وما ومن كل واحد منهما يقوم مقام الاخر قال تعالى فانكحوا ما طاب لكم
من النساء وقال ومنهم من يمشي على اربع والثاني ان ما في معنى الزمان فيكون مستثنى من الزمن العام المقدر والمعنى ان النفس
لامارة بالسوء في كل وقت واوان الا وقت رحمة ربي اياها بالعصمة ونظره ابو البقاء بقوله تعالى فدية مسلمة الى اهله
الا ان يصدقوا وقد نص ان الجمهور لا يجيزون ان تكون ان واقعة موقع ظرف الزمان والثالث انه مستثنى من مفعول
امارة اي لامارة صاحبها بالسوء الا الذي رحمه الله وفيه ايقاع ما على العاقل والرابع انه استثناء منقطع اي
ولكن رحمة ربي هي التي تصرف الاساءة كقوله تعالى ولا هم ينقذون الا رحمة منا **فصل** هذه الاية
تدل على ان الطاعات والايمان لا تحصل الا من الله لقوله تعالى الا ما رحم ربي فدل ذلك على ان انصراف النفس
من السوء لا يكون الا برحمة الله ودلت الاية على ان من حصلت تلك الرحمة له حصل ذلك الانصراف ولا يمكن تفسير
هذه الرحمة باعطاء العقل والقدرة والالطاف كما قاله القاضي رحمه الله لان كل ذلك مشترك بين الكافر والمؤمن
فوجب تفسيرها بشيء اخر وهو ترجيح داعية الطاعة على داعية المعصية **قوله تعالى** وقال الملك ائتوني
به استخلصه لنفسي الاية اي اجعله خالصا لنفسي قال القرطبي انظر الى قول الملك اولا حين تحقق علمه ائتوني به فقط
فلما فعل يوسف ما فعل قال ثانيا ائتوني به استخلصه لنفسي والاستخلاص طلب خلوص الشيء من شوائب الاشتراك قال
القرطبي استخلصه جزم لانه جواب الامر وهذا يدل على ان قوله ذلك ليعلم جرى في السجن ويحتمل انه جرى عند الملك
ثم قال في مجلس اخر ائتوني به تاكيدا واختلفوا في هذا الملك فقيل هو العزيز وقيل هو الملك الاكبر وهذا هو الاظهر
لوجهين الاول لقول يوسف صلوات الله عليه اجعلني على خزائن الارض والثاني لان قوله استخلصه لنفسي يدل على
انه قبل ذلك ما كان خالصا له وكان خالصا للعزيز فدل على ان هذا الملك هو الملك الاكبر **قوله تعالى** فلما كلمه
يجوز ان يكون الفاعل ضمير الملك والمفعول ضمير يوسف صلوات الله وسلامه عليه وهو الظاهر لان مجالس الملوك
لا يحسن لاحد ان يبدا فيها بالكلام وانما الملك هو الذي يبدا ويجوز العكس وفي الكلام اختصار تقديره فجاء الرسول
يوسف فقال له اجب الملك الآن روي انه قام ودعا لاهل السجن فقال اللهم اعطف عليهم قلوب الاخيار ولا تعم عليهم
الاخبار فهم اعلم الناس بالاخبار في كل بلد فلما خرج من السجن كتب على باب السجن هذه قبور الاحياء وبيت الاحزان
وتجربة الاصدقاء وشماتة الاعداء ثم اغتسل وتنظف من درن السجن ولبس ثيابا حسنا وقصد الملك قال وهب
رحمه الله وكان يوسف يومئذ ابن ثلاثين سنة فلما دخل عليه قال اللهم اسالك بخيرك من خيره واعوذ بعزتك
وقدرتك من شره ثم سلم عليه بالعربية فقال الملك ما هذا اللسان قال لسان عمي اسمعيل ثم دعا ودعا له بالعبرانية
فقال ما هذا اللسان قال لسان ابائي ابراهيم واسحق ويعقوب وكان الملك يتكلم بسبعين لسانا وكلما كلم يوسف
بلسان اجابه يوسف بذلك اللسان فاعجب الملك امره وكان يوسف اذ ذاك ابن ثلاثين سنة فلما راه الملك
حدثا شابا قال للشرابي هذا الذي علم تاويل رؤياي قال نعم فاقبل على يوسف وقال اني احب ان اسمع منك تاويل
رؤياي شفاها فاجابه بذلك الجواب شفاها وشهد قلبه بصحته فعند ذلك قال له الملك انك اليوم لدينا
مكين امين يقال فلان مكين عند فلان بين المكانة اي المنزلة وهي حالة يتمكن بها صاحبها مما يريد وقوله امين
اي عرفنا امانتك وبراءتك مما نسبت اليه واعلم ان قوله امين كلمة جامعة لكل ما يحتاج اليه من الفضائل والمناقب
وذلك لانه لا بد في كونه مكينا من القدرة والعلم اما القدرة فلان تحصل بها المكنة واما العلم فلان كونه
متمكنا من افعال الخير لا يحصل الا به اذ لو لم يكن عالما بما ينبغي وبما لا ينبغي لا يمكنه تخصيص ما ينبغي بالفعل ولا
تخصيص ما لا ينبغي بالترك فثبت ان كونه امينا لا يحصل الا بالقدرة والعلم واما كونه امينا فهو عبارة عن كونه

لا يفعل الفعل لداعي الشهوة وانما يفعله لداعي الحكمة فثبت ان كونه امينا ومكينا يدل على كونه قادرا وعلى
كونه عالما بمواضع الصلاح والفساد وعلى كونه يفعل لداعي الحكمة لا لداعية الشهوة وكل من كان كذلك فانه لا يصدر
عنه فعل الشر والفساد ثم حكى سبحانه وتعالى ان يوسف عليه الصلوة والسلام قال في هذا المقام اجعلني على خزائن
الارض اني حفيظ عليم قال المفسرون لما عبر يوسف رؤيا الملك بين يديه قال له الملك فما ترى ايها الصديق فقال
ارى ان تزرع في هذه السنين المخصبة زرعا كثيرا وتبني الخزائن وتجمع فيها الطعام فاذا جاءت السنون المجدبة
بعنا الغلات فيحصل بهذا الطريق مال عظيم فقال له الملك ومن لي بهذا الشغل فقال له يوسف اجعلني على خزائن
الارض اي على خزائن مصر ادخل الالف واللام على الارض والمراد منه المعهود السابق روى ابن عباس رضي الله عنهما
عن رسول الله صلوات الله الرحيم وسلامه عليه انه قال رحم الله اخي يوسف لو لم يقل اجعلني على خزائن الارض لاستعمله
من ساعته لكنه لما قال ذلك اخره عنه سنة قال ابن الخطيب وهذا من العجائب لانه لما تأبى عن الخروج من السجن سهل
الله عليه ذلك على احسن الوجوه ولما سارع في ذكر هذا الالتماس اخر الله ذلك المطلوب عنه وهذا يدل على ان
ترك التصرف والتفويض بالكلية الى الله تعالى اولى فان قيل لم طلب يوسف الامارة والنبي صلوات الله وسلامه
عليه قال لعبد الرحمن بن سمرة يا عبد الرحمن لا تسأل الامارة وايضا فكيف طلب الامارة من سلطان كافر وايضا لم
لم يصبر مدة واظهر الرغبة في طلب الامارة في الحال وايضا لم طلب امر الخزائن في اول الامر مع ان هذا يورث نوع
تهمة وايضا كيف مدح نفسه بقوله اني حفيظ عليم مع انه تعالى قال فلا تزكوا انفسكم وايضا ما الفائدة في
قوله اني حفيظ عليم ان شاء الله تعالى لقوله عز وعلا ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله
فالجواب ان الاصل في جواب هذه المسئلة ان التصرف في امور الخلق كان واجبا عليه لوجوه الاول انه كان
رسولا حقا من الله تعالى الى الخلق والرسول يجب عليه مصالح الامة بقدر الامكان والثاني انه عليه الصلاة
والسلام علم بالوحي انه سيحصل القحط والضيق الشديد الذي ربما افضى الى هلاك الخلق فلعله تعالى امره بان
يدبر في ذلك الوقت ويأتي بطريق لاجله يقل ضرر ذلك القحط في حق الخلق الثالث ان السعي في ايصال النفع
الى المستضعفين ودفع الضرر عنهم امر مستحسن في العقول واذا ثبت هذا فنقول انه عليه الصلاة والسلام كان
مكلفا برعاية المصالح من هذه الوجوه وما كان يمكنه رعايتها الا بهذا الطريق وما لا يتم الواجب الا به فهو واجب
فكان هذا الطريق واجبا سقطت الاسئلة بالكلية واما ترك الاستثناء فقال الواحدي كان ذلك منه
خطيئة اوجبت عقوبته وهي انه تعالى اخر عنه حصول ذلك المقصود سنة قال ابن الخطيب لعل السبب فيه انه لو ذكر
هذا الاستثناء لاعتقد الملك فيه انه ذكره لعلمه بانه لا قدرة له على ضبط هذه المصلحة كما ينبغي فلاجل هذا المعنى
ترك الاستثناء واما قوله مدح نفسه فجوابه من وجوه الاول لا نسلم انه مدح نفسه بل بين كونه موصوفا بهاتين
الصفتين الوافيتين بحصول هذا المطلوب فاحتاج الى ذكر هذا الوصف لان الملك وان علم كماله في علوم الدين
لكنه ما كان عالما بانه يفي بهذا الامر ثم نقول هب انه مدح نفسه الا ان مدح النفس لا يكون مذموما الا اذا
قصد به التطاول والتفاخر والتوصل الى ما لا يحل واما على هذا الوجه فلا نسلم انه محرم وقوله تعالى فلا تزكوا
انفسكم المراد منه تزكية النفس وهو لا يعلم كونها زكية ويدل عليه قوله تعالى بعده هو اعلم بمن اتقى اما اذا
كان عالما بانه صدق فهذا غير ممنوع عنه والله اعلم واما قوله ما الفائدة في وصف نفسه بانه حفيظ عليم قلنا
انه جار مجرى ان نقول حفيظ لجميع الوجوه التي منها يمكن تحصيل المال عليم بالجهات التي تصلح لان يصرف
المال اليها او حفيظ للخزائن عليم بوجوه مصالحها او كاتب حاسب او حفيظ لما استودعتني عليم بما وليتني او حفيظ
للحساب عليم بالالسن اعلم لغة من يأتيني وقال الكلبي حفيظ بتقديره في السنين المخصبة عليم بوقت الجوع حين يقع
في الارض الجدبة فقال الملك من احق به منك فولاه ذلك وقال له انك اليوم لدينا مكين ذو مكانة ومنزلة
امين على خزائن الارض **قوله تعالى** وكذلك مكنا ليوسف في الارض الاية قال المفسرون لما التمس من الملك
ان يجعله على خزائن الارض لم يذكر الله عن الملك انه قال قد فعلت بل قال وكذلك مكنا ليوسف في الارض فقال
المفسرون في الكلام حذف تقديره قال الملك قد فعلت لان تمكين الله له في الارض يدل على ان الملك قد اجابه
الى ما سأل قال ابن الخطيب وما قالوه حسن الا ان ههنا ما هو احسن منه وهو ان ما جاء به الملك في عالم الظاهر
واما المؤثر الحقيقي فليس الا انه تعالى هو الذي مكنه في الارض وذلك لان الملك كان متمكنا من القبول والرد
على التساوي يمتنع حصول القبول فلا بد وان يرجح القبول على الرد في خاطر ذلك الملك وذلك المرجح لا يكون
الا بترجيح يخلقه الله تعالى واذا خلق الله تعالى ذلك المرجح حصل القبول لا محالة فالتمكين ليوسف في الارض ليس

لا من خلق الله بمجموع القدرة والداعية الجازمة التي عند حصولها يجب ان لا يوجد هذا السبب فترك الله
اجابة الملك واقتصر على ذكر التمكين الالهي لان المؤثر الحقيقي ليس الا هو وكذلك الكاف منصوبة بالتمكين وذلك
اشارة الى ما تقدم اي ومثل ذلك الانعام الذي انعمنا عليه في تقريبنا اياه من قلب الملك وانجائنا اياه من غم الحبس
مكنا له في الارض وقوله ليوسف يجوز في هذه اللام ان تكون متعلقة بمكنا على ان يكون مفعول مكنا محذوفا تقديره
مكنا ليوسف الامور او على ان يكون المفعول به حيث كما سيأتي ويجوز ان تكون زائدة عند من يرى ذلك وقد تقدمت
للجمهور يأتون ذلك الا في موضعين **قوله تعالى** يتبوأ جملة حالية من يوسف ومنها يجوز ان يتعلق بيتبوأ واجاز
ابو البقاء ان تتعلق بمحذوف على انها حال من حيث وحيث يجوز ان تكون ظرفا ليتبوأ ويجوز ان تكون مفعولا به وقد تقدم
تحقيقه في الانعام وقرأ ابن كثير نشاء بالنون على انها نون العظمة لله تعالى وجوز ابو البقاء ان يكون الفاعل ضمير يوسف
صلوات الله وسلامه عليه قال لان مشيئته من مشيئة الله عز وجل وفيه نظر لان نظم الكلام يأباه والباقون بالياء على انه
ضمير يوسف ولا خلاف في قوله نصيب برحمتنا من نشاء انها بالنون وجوز ابو حيان ان يكون الفاعل في قراءة الياء ضمير الله
ويكون التفاتا ومعنى يتبوأ منها اي ينزل منها حيث يشاء ويصنع فيها ما يشاء **فصل** روى الزمخشري
ان الملك اخرج خاتم الملك ووضعه في اصبعه وقلده سيفه ووضع له سريرا من ذهب مكللا بالدر والياقوت فقال
يوسف عليه الصلاة والسلام اما السرير فاشد به ملكك واما الخاتم فادبر به امرك واما التاج فليس من لباسي
ولا لباس ابائي وجلس على السرير ودان له القوم وان قطفير زوج المرأة مات بعد ذلك وزوج الملك راعيل ليوسف
امرأة قطفير فلما دخل عليها قال اليس هذا احسن مما طلبت فوجدها عذراء فاصابها وولدت له افرائيم وميشا واقام العدل
بمصر واحبته الرجال والنساء واسلم على يديه الملك وكثير من الناس ولما فوض الملك امر مصر الى يوسف قال وهب والسدي
وابن عباس وغيرهم ثم دخلت السنين المخصبة فامر يوسف باصلاح المزارع وامرهم ان يتوسعوا في الزراعة فلما ادركت الغلة
امر بها فجمعت ثم بنى لها الاهراء فجمعت فيها في تلك السنة غلة ضاقت عليها المخازن لكثرتها ثم جمع غلة كل سنة
كذلك حتى انقضت السبع المخصبة وجاءت السنون المجدبة نزل جبريل صلوات الله وسلامه عليه وقال يا اهل مصر جوعوا
فان الله سلط عليكم الجوع سبع سنين فجعل الناس ينادون الجوع الجوع وابتاع من اهل مصر في سني القحط بالدراهم
والدنانير في السنة الاولى وبالحلي والجواهر في السنة الثانية ثم بالدواب ثم بالضياع ثم بالعقار ثم برقابهم حتى استرقهم
فقالوا والله ما رأينا ملكا اعظم شأنا من هذا فصار كل الخلق عبيدا له قال اني اشهد الله اني اعتقت اهل مصر عن آخرهم
ورددت عليهم املاكهم وكان لا يبيع من احد ممن يطلب الطعام اكثر من حمل بعير لئلا يضيق الطعام على الباقين
فصل قال ابن عباس رضي الله عنهما نصيب برحمتنا من نشاء اي بنعمتنا ولا نضيع اجر المحسنين لان
اضاعة الاجر اما ان يكون للعجز او للجهل او للبخل والكل ممتنع في حق الله سبحانه وتعالى فكانت الاضاعة ممتنعة وهذه
شهادة من الله تعالى على ان يوسف كان من المحسنين فههنا لو لزمنا تكذيب الله سبحانه وتعالى في حكمه على يوسف انه كان من
المحسنين وهو عين الكفر او لزم تكذيب ما روي عنه بانه جلس منها موضع الرجل من امرأته وهو عين الايمان بالحق
واعلم ان لفظ الخير قد يستعمل لكون احد الخيرين افضل من الاخر كما يقال الثريد خير من عند الله تعالى يعني الثريد خير
من الخيرات حصل من الله واذا ثبت هذا فنقول قوله ولاجر الاخرة ان حملناه على الوجه الاول لزم ان يقال ان منافع
الاخرة ايضا خيرات ولا شك ان قوله تعالى ولاجر الاخرة خير للذين امنوا وكانوا يتقون ترجح حال يوسف
صلوات الله وسلامه عليه فوجب ان يصدق في حقه انه من الذين امنوا وكانوا يتقون وهذا تنصيص من الله عز
وجل انه كان في الزمن السابق من المتقين وليس ههنا زمن سابق ليوسف يحتاج الى انه كان فيه من المتقين الا الوقت
الذي قال الله تعالى ولقد همت به وهم بها فكان هذا شهادة من الله تعالى على انه صلوات الله عليه كان في ذلك
من المتقين وايضا قوله تعالى ولا نضيع اجر المحسنين وايضا قوله انه من عبادنا المخلصين وكل هذا تاكيدات
تبطل ما روي عنه والله اعلم **فصل** قال القاضي رحمه الله ولاجر الاخرة خير للذين امنوا
وكانوا يتقون يدل على بطلان قول المرجئة الذين يزعمون ان الثواب يحصل في الاخرة لمن لم يتق الكبائر وهذا
ضعيف لانا ان حملنا لفظ خير على التفضيل لزم ان يكون الثواب الحاصل للمتقين افضل ولا يلزم ان لا
يحصل لغيرهم اصلا وان حملناه على اصل معنى الخير فهذا يدل على حصول هذا الخير للمتقين ولا يدل على ان
غيرهم لا يحصل له هذا الخير والله اعلم **قوله تعالى** وجاء اخوة يوسف فدخلوا عليه الاية وروي ان يوسف
كان لا يشبع من طعام في تلك الايام فقيل له اتجوع وبيدك خزائن الارض فقال اخاف ان شبعت ان انسى الجائع
وامر يوسف طباخي الملك ان يجعل غداءه نصف النهار واراد بذلك ان يذوق الملك طعم الجوع ولا ينسى الجائعين

ثم قد جعل الملوك غداءهم نصف النهار وعم القحط البلاد حتى اصاب بلاد كنعان وبلاد الشام ونزل
بيعقوب ما نزل بالناس فارسل بنيه الى مصر للميرة وامسك بنيامين اخا يوسف لامه فذلك قوله تعالى وجاء
اخوة يوسف وكانوا عشرة وكان منزلهم بالعربات من ارض فلسطين بغور الشام وكانوا اهل بادية وابل وشاء
فقال لهم يعقوب بلغني ان بمصر ملكا صالحا يبيع الطعام فتجهزوا واذهبوا اليه لتشتروا منه الطعام فقدموا
مصر فدخلوا على يوسف فعرفهم يوسف قال ابن عباس رضي الله عنه ومجاهد عرفهم باول نظرة نظر اليهم وهم ما عرفوه
البتة قال الحسن لم يعرفهم حتى تعرفوا اليه وكان كل من وصل الى بابه من البلاد يتفحص عنهم ويتعرف باحوالهم ليعرف هل
هم اخوته ولما كلموه ما عرفوه لانه صلوات الله عليه امر حجابه بان يوقفوهم على البعد وما كان يتكلم معهم الا بالوا
سطة وايضا فمهابة الملك وشدة الحاجة توجب كثرة الخوف وايضا انما راوه بعد وفور اللحية وتغير الزي والهيئة
لانهم راوه جالسا على سرير وعليه ثياب الحرير وفي عنقه طوق من ذهب وعلى راسه تاج من ذهب وايضا نسوا واقعة
يوسف لطول المدة يقال ان من وقت ما القوه في الجب الى هذا الوقت اربعون سنة وكل واحد من هذه الاسباب يمنع
من حصول المعرفة لاسيما عند اجتماعها **قوله تعالى** فلما جهزهم بجهازهم العامة على فتح الجيم وقرئ بكسرها
وهما لغتان فيما يحتاجه الانسان من زاد ومتاع ومنه جهاز العروس وجهاز الميت قال الليث رحمه الله جهزت
القوم تجهيزا اذا تكلفت لهم جهازهم للسفر قال وسمعت اهل البصرة يخطئون الجهاز بالكسر قال الازهري القرا
كلهم على فتح الجيم والكسر لغة ليست بجيدة **فصل** قال المفسرون حمل لكل واحد منهم بعيرا واكرمهم بالنزول
واعطاهم ما احتاجوا اليه وذلك قوله تعالى ولما جهزهم بجهازهم قال ائتوني باخ لكم من ابيكم ولم يقل باخيكم
بالاضافة مبالغة في عدم تعرفه بهم ولذلك فرق بين مررت بغلامك وبغلام لك فان الاول يقتضي عرفانك
بالغلام وان بينك وبين مخاطبك نوع عهد والثاني لا يقتضي ذلك وقد يخبر عن المعرفة اخبار النكرة فتقول قال
رجل كذا وانت تعرفه لصدق اطلاق النكرة على المعرفة واعلم انه لا بد من كلام سابق يكون سببا لعرفان يوسف صلوات
الله وسلامه عليه وطلبه لاخيهم وذكروا وجوها اولها وهو احسنها ان عادة يوسف صلوات الله عليه مع الكل
ان يعطي كل واحد حمل بعير وكان اخوته عشرة فاعطاهم عشرة احمال فقالوا ان لنا ابا شيخا كبيرا واخا آخر بقي معه وذكروا
ان اباهم لاجل سنه وشدة حزنه لم يحضر وان اخاهم بقي في خدمة ابيه فلما ذكروا ذلك قال يوسف فهذا يدل على ان
حب ابيكم له ازيد من حبه لكم وهذا شيء عجيب لانه مع جمالكم وعقلكم وادبكم اذا كانت محبة ابيكم لذلك الاخ اكثر
من محبته لكم دل هذا على ان ذلك اعجوبة في العقل والفضل والادب فاتوني به حتى اراه الثاني لعلهم لما ذكروا
اباهم قال يوسف فلم تركتموه وحيدا فريدا قالوا ما تركناه وحيدا بل بقي عنده واحد فقال لهم ولم اختصه لنفسه
لاجل نقص في جسده فقالوا لا بل لاجل انه يحبه اكثر من محبته لسائر الاولاد فقال يوسف لما ذكرتم ان اباكم رجل
عالم حكيم ثم انه خصه بمزيد المحبة وجب ان يكون زائدا عليكم في الفضل والكمال مع اني اراكم فضلاء علماء حكماء فاشتاقت
نفسي الى رؤية ذلك الاخ فاتوني به الثالث قال المفسرون فدخلوا عليه وكلموه بالعبرانية فقال لهم من انتم وما امركم
فاني انكرت شانكم قالوا قوم من ارض الشام رعاة اصابنا الجهد فجئنا نمتار فقال لعلكم جئتم عيونا تنظرون بلادي
قالوا معاذ الله ما نحن بجواسيس انما نحن اخوة بنو اب واحد وهو شيخ صديق يقال له يعقوب نبي من انبياء الله تعالى
قال كم انتم قالوا كنا اثني عشر هلك منا واحد وبقي واحد مع الاب يتسلى به عن ذلك الولد الذي هلك ونحن عشرة قال
فمن يعلم ان الذي تقولون حق قالوا ايها الملك انا ببلاد لا يعرفنا احد فقال فدعوا بعضكم عندي رهينة وائتوني
باخ لكم من ابيكم ليبلغ الي رسالة ابيكم ان كنتم صادقين فعند هذا اقترعوا بينهم فاصابت القرعة شمعون وكان
احسنهم رايا في يوسف فخلفوه عنده ثم انه تعالى حكى عنه انه قال الا ترون اني اوفي الكيل اي اوفيه ولا ابخسه
وازيدكم حمل بعير آخر لاجل اخيكم وانا خير المنزلين اي خير المضيفين لاني حين انزلتهم احسنت ضيافتهم قال ابن
الخطيب رحمه الله وهذا الكلام يضعف ما نقل عن المفسرين بانه اتهمهم ونسبهم الى انهم جواسيس ولو شافههم بذلك
الكلام فلا يليق به ان يقول لهم الا ترون اني اوفي الكيل وانا خير المنزلين وايضا يبعد من يوسف مع كونه
صديقا ان يقول لهم انتم جواسيس وعيون مع انه يعرف براءتهم عن هذه التهمة لان البهتان لا يليق بحال الصديق
ثم قال فان لم تاتوني به فلا كيل لكم عندي اي ليس لكم عندي طعام اكيله لكم ولا تقربون اي لا تقربوا داري وبلادي
وكانوا في نهاية الحاجة الى الطعام وما يمكنهم تحصيله الا من عنده فاذا منعهم من الحضور كان ذلك نهاية التخويف
قوله تعالى ولا تقربون يحتمل ان تكون لا ناهية فيكون تقربون مجزوما ويحتمل ان لا تكون لا ناهية وفيه
وجهان احدهما ان يكون داخلا في حكم الجزاء معطوفا عليه فيكون ايضا مجزوما على ما تقدم والثاني انه نفي مستقل

غير معطوف

غير معطوف على جواب الشرط وهو خبر في معنى النهي كقوله تعالى فلا رفث **فصل** لما سمعوا هذا الكلام
من يوسف صلوات الله وسلامه عليه قالوا سنراود عنه اباه اي سنطلبه ونجتهد في ان يرسله معنا وانا لفاعلون
اي كل ما امرتنا به نسعى في هذا الباب **قوله تعالى** وقال لفتيته قرا الاخوان وحفص لفتيانه والباقون لفتيته
قال ابو علي الفارسي رحمه الله الفتيان جمع كثرة والفتية جمع قلة فالتكثير بالنسبة الى المامورين والقلة بالنسبة
الى المتناولين وفتى يجمع على فتيان وفتية وقد تقدم على فعلة في الجموع اسم جمع او جمع تكسير ومثله اخ فانه
جمع على اخوة واخوان وهما لغتان مثل الصبيان والصبية **فصل** اتفق الاكثرون على انه عليه السلام
امر بوضع تلك البضاعة وهي ثمن طعامهم في رحالهم بحيث لا يعرفون ذلك وقيل انهم كانوا عارفين به وهو
ضعيف لقوله لعلهم يعرفونها اذا انقلبوا الى اهلهم لعلهم يرجعون وذكروا في السبب الذي لاجله امر يوسف بوضع
بضاعتهم في رحالهم وجوها اولها انهم اذا فتحوا المتاع فوجدوا بضاعتهم فيه علموا ان ذلك كرم من يوسف فيبعثهم
ذلك على العود اليه وثانيها خاف ان لا يكون عندهم عين لانه كان في زمان قحط وثالثها راى ان اخذ ثمن الطعام
من ابيه واخوته مع شدة حاجتهم الى الطعام لؤم ورابعها قال الفراء رحمه الله انهم متى شاهدوا بضاعتهم في رحالهم
فحسبوا ان ذلك وقع سهوا وهم انبياء واولاد انبياء فيحملهم ذلك على رد البضاعة نفيا للغلط ولا يستحلون امساكها
وخامسها اراد ان يحسن اليهم على وجه لا يلحقهم عيب ولا منة وسادسها قال الكلبي تخوف ان لا يكون عند ابيهم من
الورق ما يرجعون به مرة اخرى وسابعها مقصوده ان يعرفوا انه لم يطلب اخاهم لاجل الايذاء والظلم ولا لطلب
زيادة في الثمن وثامنها اراد ان يعرف اباه انه اكرمهم وطلبه بعد الاكرام فلا يثقل على ابيه ارسال اخيه وتاسعها
اراد ان يكون ذلك المال معونة لهم على شدة الزمان وكان يخاف اللصوص من قطع الطريق فوضع الدراهم في رحالهم
حتى تبقى مخفية الى ان يصلوا الى ابيهم وعاشرها انه قابل مبالغتهم في الاساءة بمبالغته في الاحسان اليهم وقوله
يرجعون يحتمل ان يكون متعديا لواحد ومفعوله اي يرجعون البضاعة لانه عرف من دينهم ذلك وان يكون قاصرا
بمعنى يرجعون الينا **قوله تعالى** فلما رجعوا الى ابيهم قالوا يا ابانا منع منا الكيل وفيه قولان احدهما انهم
لما طلبوا الطعام لابيهم وللاخ الباقي عند ابيهم منعوا منه والثاني انه منع الكيل في المستقبل وهو قول يوسف فان
لم تاتوني به فلا كيل لكم عندي ولا تقربون قال الحسن رضي الله عنه معناه يمنع منا الكيل ان لم تحمل اخانا معنا وهذا
اولى لانه لم يمنعهم الكيل بل كال لهم وجهزهم ويدل على ذلك قولهم فارسل معنا اخانا نكتل والمراد بالكيل الطعام لانه
يكال **قوله تعالى** نكتل قرا الاخوان بالياء من تحت اي يكتل اخونا والباقون بالنون اي نكتل نحن وهو الطعام
وهو مجزوم على جواب الامر ويحكى انه جرى بحضرة المتوكل او وزيره ابن الزيات بين المازني وابن السكيت مسالة
وهي ما وزن نكتل فقال يعقوب نفتعل فسخر به المازني وقال انما وزنها نفتعل قال شهاب الدين رحمه الله وهذا
ليس بخطا لان التصريفيين نصوا على انه اذا كان في الكلمة حذف او قلب حذفت في الزنة وقلبت فتقول وزن بعث
وقِ فعْ ونعتْ ووزن عدْ علْ ووزن ناء فاع وان شئت اتيت بالاصل فعلى هذا لا خطا في قوله وزن
نكتل نفتل لانه اعتبر اللفظ لا الاصل ورايت في بعض الكتب انه قال وزنها نفعل بالعين وهذا خطا محض على
ان الظاهر من امر يعقوب انه لم يتقن هذا ولو اتقنه لقال وزنه على الاصل كذا وعلى اللفظ كذا ولذلك لما
عليه المازني فلم يرد عليه بشيء ثم قال سبحانه وتعالى جل ذكره وانا له لحافظون ضمنوا كونهم حافظين له فلما قالوا
ذلك قال يعقوب صلوات الله وسلامه عليه هل آمنكم عليه الا كما امنتكم على اخيه من قبل اي انكم ذكرتم مثل هذا
الكلام في يوسف وضمنتم لي حفظه وقلتم وانا له لحافظون وههنا ذكرتم هذه اللفظة بعينها فهل يكون ههنا
الا ما كان هناك فكما لم يحصل الامان هناك لا يحصل ههنا **قوله تعالى** الا كما امنتكم منصوب على مصدر
محذوف او على الحال منه اي ائتمانا كائتماني لكم على اخيه شبه ائتمانه لهم على هذا بائتمانه على ذاك ومن قبل متعلق
بامنتكم قال فالله خير حفظا قرا الاخوان وحفص حافظا وفيه وجهان الظاهر منهما انه تمييز لقوله هو خيرهم رجلا ولله
دره فارسا قال ابو البقا ومثل هذا يجوز اضافته وقد قرئ بذلك الاعمش فالله خير حافظ والله تعالى متصف
بان حفظه يزيد على حفظ غيره كقولك هو افضل عالم والثاني انه حال ذكر ذلك الزمخشري وابو البقا وغيرهما
قال ابو حيان وقد نقله عن الزمخشري وحده وليس بجيد لان فيه تقييد خير بهذه الحال قال شهاب الدين ولا محذور
فان هذه الحال لازمة لانها موكدة لا مبينة وليس هذا باول حال وردت لازمة وقرا الباقون حفظا ولم يجز فيها
غير التمييز لانهم لو جعلوها حالا لكانت من صفة ما يصدق عليه خير ولا يصدق ذلك على ما لا يصدق عليه
خير لان الحفظ معنى من المعاني ومن يتاول زيد عدل على المبالغة او على حذف مضاف او على وقوع المصدر موقع

الوصف بحين في حفظا ايضا الحالية بالتاء وبالات للمذكورة وفيه تعسف وقرا ابو هريرة خير الحافظين
وارحم الراحمين قيل معناه وثقت بكم في حفظ يوسف فكان ما كان فالان توكل على الله تعالى في حفظ
بنيامين فان قيل لم بعثه معهم وقد شاهد ما شاهد فالجواب من وجوه الاول انهم كبروا ومالوا الى الخير والصلاح
والثاني انه كان شاهد انه ليس بينهم وبين بنيامين من الحسد والحقد مثل ما كان بينهم وبين يوسف والثالث
ان ضرورة القحط احوجته الى ذلك الرابع لعله تعالى اوحى اليه وضمن له حفظه وايصاله اليه فان قيل هل يدل
قوله فالله خير حافظا على انه اذن في ذهاب بنيامين في ذلك الوقت فقال الاكثرون يدل عليه وقال آخرون
لا يدل عليه وفيه وجهان الاول ان التقدير انه لو اذن في خروجه معهم لكان في حفظ الله تعالى لا في حفظهم
الثاني انه لما ذكر يوسف صلوات الله وسلامه عليه قال فالله خير حفظا اي ليوسف لانه كان يعلم انه حي قوله تعالى
ولما فتحوا متاعهم الآية المتاع ما يصلح لان يستمتع به وهو عام في كل ما يستمتع به والمراد به ههنا الطعام
الذي حملوه ويجوز ان يراد به اوعية الطعام وجدوا بضاعتهم ثمن الطعام ردت اليهم قرا الاكثرون بضم الراء
وقرا علقمة ويحيى والاعمش ردت بكسر الراء على نقل حركة الدال المدغمة الى الراء بعد توهم خلوها من حركتها وهي لغة
بني ضبة على ان قطربا حكى عن العرب نقل حركة العين الى الفاء في الصحيح فيقولون ضرب زيد بمعنى ضرب زيد
وقد تقدم ذلك في قوله ولو ردوا لعادوا في الانعام قوله تعالى ما نبغي في ما هذه وجهان اظهرهما
انها استفهامية فهي مفعول مقدم واجب التقديم لان لها صدر الكلام اي اي شيء نبغي اعطانا الطعام على احسن
الوجوه فاي شيء نبغي وراء ذلك والثاني ان تكون نافية ولها معنيان احدهما قال الزجاج رضي الله عنه ما بقي
لنا ما نطلب اي بلغ في الاكرام الى غاية ما نبغي وراءها شيئا آخر وقيل المعنى انه رد بضاعتنا الينا فنحن لا نبغي
عند رجوعنا اليه بضاعة اخرى فان هذه التي معنا كافية لنا والثاني ما نبغي من البغي اي ما افترينا ولا
كذبنا على هذا الملك في اكرامه واحسانه قال الزمخشري ما نبغي في القول وما نزيد فيما وصفنا لك من احسان الملك
واثبت القراء الياء وصلا ووقفا ولم يجعلوها من الزوائد بخلاف التي في الكهف في قوله عز وجل ذلك ما كنا
نبغي والفرق ان ما هناك موصولة فحذف عائدها والحذف يونس بالحذف وهذه عبارة مستفيضة عند اهل
هذه الصناعة يقولون التغيير يونس بالتغيير بخلافها هنا فانها اما استفهامية واما نافية ولا حذف على القولين
حتى يونس بالحذف وقرا عبد الله وابو حيوة وروتها عائشة رضي الله عنها عن النبي صلوات الله وسلامه عليه سليما
كرتي دائما ناميا مباركا ابدا ما تبغي بالخطاب وما يحتمل الوجهين ايضا في هذه القراءة والجملة من قوله هذه بضاعتنا
يحتمل ان تكون مفسرة لقوله ما نبغي وان تكون مستانفة قوله تعالى ونمير معطوفة على الجملة الاسمية
قبلها واذا كانت ما نافية جاز ان تعطف على نبغي فيكون عطف جملة فعلية على مثلها وقرات عائشة وابو عبد الرحمن
رضي الله عنهما ونمير من اماره اذا جعل له الميرة يقال ماره يميره واماره يميره والميرة جلب الخير قال

• بعثتك مائرا فمكثت حولا • متى ياتي غياثك من تغيث •

والبعير لغة يقع على الذكر خاصة واطلقه بعضهم على الناقة ايضا وجعله نظير انسان ويجوز كسر بائه
اتباعا لعينه ويجمع في القلة على ابعرة وفي الكثرة على بعران والمعنى ونزداد كيل بعير بسبب حضور اخينا لانه
كان يكيل لكل رجل حمل بعير ثم قال ذلك كيل يسير قال مقاتل رحمه الله ذلك كيل يسير على هذا الرجل المحسن
وحرص منه على البذل وهو اختيار الزجاج وقيل ذلك كيل يسير اي قصير المدة ليس سبيل مثله ان تطول
مدته بسبب الحبس والتاخير وقيل ذلك الذي يدفع الينا بدون اخينا شيء يسير قليل لا يكفينا واهلنا
فابعث اخانا معنا لكي يكثر ما ناخذه وقال مجاهد البعير هاهنا الحمار كيل بعير اي حمل حمار وهي لغة يقال للحمار بعير
وهم كانوا اصحاب حمر والاول اصح بان البعير المعروف قوله تعالى لن ارسله معكم حتى تؤتون موثقا من الله
الآية الموثق مصدر بمعنى الثقة ومعناه العهد الذي يوثق به فهو مصدر بمعنى المفعول يقول لن ارسله معكم
حتى تعطوني عهدا اثق به وقوله من الله اي عهدا موثوقا به بسبب تاكيده بشهادة من الله او بسبب القسم بالله
عليه والموثق العهد المؤكد بالقسم وقيل المؤكد باشهاد الله على نفسه قوله تعالى لتاتنني به هذا جواب
للقسم المضمر في قوله موثقا لان معناه حتى تحلفوا لي لتاتنني به قوله تعالى الا ان يحاط بكم في هذا الاستثناء
اوجه احدها انه منقطع قاله ابو البقاء يعني فيكون تقدير الكلام لكن اذا احيط بكم خرجتم من عتبي وغضبي عليكم
ان لم تاتوني به لوضوح عذركم والثاني انه متصل وهو استثناء من المفعول له العام قال الزمخشري فان قلت
اخبرني عن حقيقة هذا الاستثناء ففيه اشكال قلت ان يحاط بكم مفعول له والكلام المثبت الذي هو قوله لتاتنني به

في معنى النفي معناه لا تمتنعون من الاتيان به الا للاحاطة بكم او لا تمتنعون منه لعلة من العلل الا لعلة
واحدة وهي ان يحاط بكم فهو من استثناء من اعم العام في المفعول له والاستثناء من اعم العام لا يكون الا في النفي
وحده فلا بد من تاويله بالنفي ونظيره في الاثبات المتاول بمعنى النفي قولهم اقسمت بالله لما فعلت والا فعلت
يريد ما اطلب منك الا الفعل ولوضوح هذا الوجه لم يذكر غيره الثالث انه مستثنى من اعم العام في الاحوال
قال ابو البقاء تقديره لتاتنني به على كل حال الا في حال الاحاطة بكم قال الشهاب الدين قد نصوا على ان ان الناصبة
للفعل لا تقع موقع الحال وان كانت مؤولة بمصدر يجوز ان يقع موقع الحال لانهم لم يغتفروا في المؤول ما
يغتفرونه في الصريح فيجيزون جئتك ركضا ولا يجيزون جئتك ان اركض وان كان في تاويله الرابع انه
مستثنى من اعم العام في الازمان والتقدير لتاتنني به في كل وقت الا وقت الاحاطة بكم وقد تقدم الخلاف
في هذه المسئلة وان ابا الفتح اجاز ذلك كما يجوز في المصدر الصريح فكما تقول اتيتك صياح الديك يجيز ان يصيح الديك
وجعل من ذلك قول تابط شرا • وقالوا لها لا تنكحيه فانه • لاول نصل ان يلاقي مجمعا •
وقول ابي ذؤيب الهذلي • وتالله ما ان شهلة ام واحد • باوجد مني ان يهان صغيرها •
تاويل تقديره وقت ملاقاته الجمع ووقت اهانة صغيرها قال ابو حيان فعلى ما قاله يجوز تخريج الآية ويبقى لتاتنني به
على ظاهره من الاثبات قال الشهاب الدين رحمه الله الظاهر من هذا انه استثناء مفرغ ومتى كان مفرغا وجب تاويله بالنفي
ومنع ابن الانباري من ذلك في ان وفي ما ايضا قال فيجوز ان يقال خرجنا صياح الديك ولا يجوز خرجنا ان يصيح
او ما يصيح الديك فاغتفر في الصريح ما لم يغتفره في المؤول وهذا قياس ما تقدم في منع وقوع ان وما في حيزها
موقع الحال وذلك ان يفرق بينهما بان الحال يلزم التنكير وان وما في حيزها نصوا على انها في رتبة المضمر في التعريف
فنافى وقوعها موقع الحال بخلاف الظرف فانه لا يشترط تنكيره فلا يمتنع وقوع ان وما في حيزها موقعه فصل
قال الواحدي للمفسرين في الاحاطة قولان الاول معناه الهلاك قال مجاهد الا ان تموتوا كلكم فيكون ذلك عذرا عندي
والعرب تقول احيط بفلان اذا قرب هلاكه قال تعالى واحيط بثمره اي اصابه ما اهلكه وقال تعالى وظنوا انهم
احيط بهم واصله ان من احاط به العدو وانسد عليه مسالك النجاة دنا هلاكه فقد احيط به والثاني قال قتادة
ومعناه الا ان تصيروا مغلوبين مقهورين لا تقدرون على الرجوع فلما آتوه موثقهم اعطوه عهودهم قال يعقوب
صلوات الله وسلامه عليه الله على ما نقول وكيل اي شهيد بمعنى شاهد وقيل حافظ اي انه موكول اليه هذا العهد
فان وفيتم به جازاكم خير الجزاء وان غدرتم فيه كافاكم باعظم العقوبات قوله تعالى وقال يا بني لا تدخلوا
من باب واحد الآية وذلك انه خاف عليهم العين لانهم كانوا اعطوا جمالا وقوة وامتداد قامة وكانوا اولاد
رجل واحد فامرهم ان يتفرقوا في دخولها لئلا يصابوا بالعين فان العين حق ويدل عليه وجوه الاول روي
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعوذ الحسن والحسين فيقول اعوذ بكلمات الله التامة من كل شيطان
وهامة ومن كل عين لامة ويقول هكذا كان يعوذ ابراهيم اسمعيل واسحق صلوات الله عليهم اجمعين وروي عبادة
ابن الصامت رضي الله عنه قال دخلت على رسول الله صلوات الله وسلامه عليه دائما في اول النهار فرايته شديد الوجع
ثم عدت اليه آخر النهار فوجدته معافا فقال ان جبريل عليه الصلاة والسلام اتاني فرقاني فقال بسم الله ارقيك من كل شيء
يؤذيك ومن كل عين وحاسد الله يشفيك قال صلوات الله وسلامه عليه فافقت وروي ان بني جعفر رضي الله عنه
وكانوا غلمانا بيضا فقيل يا رسول الله ان العين تسرع اليهما فاسترق لهما من العين فقال صلوات الله وسلامه عليه الا
تسترقون له من العين وقال صلوات الله وسلامه عليه العين حق ولو كان شيء يسبق القدر لسبقت العين القدر
وجاء في الاثر ان العين تدخل الرجل القبر والجمل القدر وقالت عائشة رضي الله عنها كان يؤمر العاين ان يتوضا ثم
يغتسل منه المعين الذي اصيب بالعين والذين اثبتوا العين قالوا انه يبدو من العين اجزاء فتتصل بالشيء المستحسن
فتؤثر وتسري فيه كتاثير السم والنار والنصوص النبوية نطقت به والتجارب من الزمن الاقدم ساعدت عليه
روى الزمخشري في كتاب ربيع الابرار قال الجاحظ علماء الفرس والهند واطباء اليونانيين ودهاة العرب واهل
التجربة من نازلة الامصار وحذاق المتكلمين يكرهون الاكل بين يدي السباع يخافون عيونها الذي فيها من النهم
والشره ولما ينحل عند ذلك من اجوافها من البخار الردي وينفصل من عيونها مما اذا خالط الانسان نقضه وافسده
وكانوا يكرهون قيام الخدم بالمداب والاشربة على رؤسهم مخافة العين وكانوا يامرون باشباعهم قبل ان ياكلوا
وكانوا يقولون في الكلب والسنور اما ان يطرح واما ان يشغل بما يطرح له قال ونظير ان الرجل يضم الحية
تعضي فيموت العقارب لان السم فصل من الحية فسرى فيه حتى داخله ويديم الانسان النظر الى العين المحمرة فيعتري

عينه حمرة وعن الاصمعي رحمه الله ان عيونا كان يقول اذا رايت الشي يعجبني وجدت حرارة تخرج من عيني
وعنه كان عندنا عيانان فواحدهما بحوض من حجارة فقال بالله ما رايت كاليوم مثله فانصدع فلقتين
فضبب فمر عليه فقال وابيك لقلما ضررت اهلك فيك فتطاير واربع وسمع آخر صوت بول من وراء حايط فقال
انك لثر اي كثير الشخب جيد البول قالوا هذا ابنك قال وا انقطاع ظهراه فقيل لا باس فقال لا يبول بعدها ابدا
فما بال حتى مات وسمع صوت نحر بقرة فاعجبه فقال ايتهن هذه فوروا باخرى عنها فهلكتا جميعا المورى بها والمورى
عنها والمنقولات في هذا كثيرة فثبت ان الاصابة بالعين حق لا يمكن انكاره قال القرطبي واذا كان هذا معنى الاية
يكون فيها دليل على التحرز من العين وواجب على كل مسلم اعجبه شي ان يبرك فانه اذا دعا بالبركة صرف المحذور لا
محالة الا ترى لقوله صلوات الله وسلامه عليه الا بركت تدل على ان العين لا تضر ولا تعدو اذا برك العاين وانها
انما تعدو اذا لم يبرك والتبريك ان يقول تبارك الله احسن الخالقين اللهم بارك فيه واذا اصاب العاين بعينه فانه
يومر بالاغتسال ويجبر على ذلك ان ابا لان الامر على الوجوب لا سيما هنا فانه قد يخاف على المعين الهلاك ولا ينبغي لاحد
ان يمنع اخاه ان ينتفع به ولا يضره ولا سيما اذا كان بسببه وكان الجاني عليه قال القرطبي ومن عرف باصابة العين
منع من مداخلة الناس دفعا لضرره وقال بعض العلماء يامره الامام بلزوم بيته وان كان فقيرا ارزقه ما يقوم به
ويكف اذاه عن الناس وقيل ينفى والذي ورد في الحديث انه لم ينف العاين ولا امر بلزوم بيته ولا حبسه بل قال
يكون الرجل الصالح عاينا وانه لا يقدح فيه ولا يفسق به ومن قال يحبس ويومر بلزوم بيته فذلك للاحتياط ودفع
الضرر وقال الجبائي ان ابناء يعقوب صلوات الله عليه اشتهروا وتحدث الناس بهم وبحسنهم وكمالهم فقال لا تدخلوا
تلك المدينة من باب واحد على ما انتم عليه من الجلد والهيئة ولم يامن عليهم حسد الناس وقال لم يامن عليهم
ان يخافهم الملك على ملكه فيحبسهم وهذا وجه محتمل لا انكار فيه الا ان القول الاول اولى لانه لا امتناع فيه
بحسب العقل والعرف كما بينا وان المتقدمون من المفسرين اطبقوا عليه فوجب المصير اليه ونقل عن الحسن انه قال
خاف عليهم العين فقال لا تدخلوا من باب واحد ثم رجع الى علمه فقال وما اغني عنكم من الله من شي وعرفت ان العين
ليست بشي وكان قتادة يفسر الاية باصابة العين ويقول ليس في قوله وما اغني عنكم من الله من شي ابطال له لان
العين وان صح فان الله تعالى قادر على دفع اثره وقال النخعي كان عالما بان ملك مصر هو ولده يوسف الا ان الله تعالى
لم يكن اذن له في اظهار ذلك فلما بعث اولاده اليه قال لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من ابواب متفرقة
وكان غرضه ان يصل بنيامين الى يوسف في وقت الخلوة وقوله وما اغني عنكم من الله من شي فالانسان مامور
بان يراعي الاسباب المعتبرة في هذا العالم ومامور بان يجزم بانه لا يصل اليه الا ما قدره الله تعالى وان الحذر لا ينجي
من القدر فان الانسان مامور بالحذر عن الاشياء المهلكة والاغذية الضارة وبالسعي في تحصيل المنافع ودفع
المضار بقدر الامكان ثم مع ذلك ينبغي ان يكون جازما بانه لا يصل اليه الا ما قدره الله ولا يحصل في الوجود
الا ما اراده الله بقوله عليه الصلاة والسلام لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من ابواب متفرقة اشارة الى رعاية
الاسباب المعتبرة في هذا العالم وقوله وما اغني عنكم من الله من شي اشارة الى عدم الالتفات الى الاسباب والى الالتفات
الى التوحيد المحض والبراءة عن كل شي سوى الله تعالى فان قيل كيف السبيل الى الجمع بين هذين القولين فالجواب ان
هذا السؤال غير مختص بهذا لانه لا نزاع في انه لا بد من اقامة الطاعات والاحتراز عن السيئات مع انا نعتقد ان السعيد
من سعد في بطن امه وان الشقي من شقي في بطن امه وكذا هاهنا وايضا نأكل ونشرب ونحترز عن السموم وعن الدخول
في النار مع ان الموت والحياة لا يحصلان الا بتقدير الله سبحانه وتعالى فكذا هاهنا فظهر ان السؤال ليس مختصا
بهذا المقام بل هو بحث عن مسئلة الجبر والقدر بل الحق ان العبد يجب عليه ان يسعى باقصى الجهد والقدرة
وبعد السعي البليغ يعلم ان كل ما يدخل في الوجود لا بد وان يكون بمشيئة الله تعالى وسابق حكمه وحكمته ثم انه
تعالى اكد هذا المعنى فقال ان الحكم الا لله وهذا من ادل الدلايل على صحة القول بالقضاء والقدر لان الحكم عبارة عن
الالزام والمنع ومنه سميت حكمة الدابة بهذا الاسم لانها تمنع الدابة من الحركات الفاسدة والحكيم انما سمي حكيما
لانه يرجح احد طرفي الممكن على الاخر بحيث يصير الطرف الاخر ممتنع الحصول فبين تعالى ان الحكم ليس الا لله تعالى
عز وعلا وذلك يدل على ان جميع الممكنات ترجع الى قضايه وقدره ومشيته وحكمه اما بواسطة او بغير واسطة
ولذلك فوض يعقوب امره الى الله تعالى ثم قال عليه توكلت وعليه فليتوكل المتوكلون والمعنى انه لما ثبت
ان الكل من الله تعالى ثبت انه لا توكل الا على الله سبحانه **قوله تعالى** ولما دخلوا من حيث في جواب لما هاهنا
ثلاثة اوجه اظهرها انه الجملة المنفية من قوله ما كان يغني وفيه حجة لمن يدعي كون لما حرفا لا ظرفا اذ لو كانت ظرفا

تعمل فيها جوابها اذ لا يصلح للعمل سواه لكن ما بعد ما النافية لا يعمل فيما قبلها لا يجوز حين قام اخوك ما قام ابوك
مع جواز لما قام اخوك ما قام ابوك والثاني ان جوابها محذوف فقدره ابو البقاء رحمه الله امتثلوا وقضى حاجة
ابيهم واليه نحا ابن عطية ايضا وهو تعسف لان في الكلام ما هو جواب صريح كما تقدم والثالث ان الجواب
هو قوله آوى قال ابو البقاء وهو جواب لما الاولى والثانية كقولك لما جيتني ولما كلمتك اجبتني وحسن ذلك
ان دخولهم على يوسف صلوات الله عليه تعقب دخولهم من الابواب يعني ان آوى جواب للاولى والثانية وهو واضح
فصل قال المفسرون لما قال يعقوب وما اغني عنكم من الله من شي صدق الله يعقوب فيما قال اي
وما كان ذلك التفريق يغني من الله من شي قال ابن عباس رضي الله عنه ذلك التفريق ما كان يرد قضاء الله ولا
امرا قدره الله وقال الزجاج لو قدر ان يصيبهم لاصابهم وهم متفرقون كما يصيبهم وهم مجتمعون وقال ابن الا
نباري لو سبق في علم الله ان العين تهلكهم عند الاجتماع لكان تفرقهم كاجتماعهم وهذه كلمات متقاربة وحاصلها
ان الحذر لا يدفع القدر وقوله من شي يحتمل النصب بالمفعولية والرفع بالفاعلية اما الاول فهو كقولك ما
رايت من احد والتقدير ما رايت احدا كذا هاهنا وتقدير الاية اي يغني عنهم ما كان يغني من قضاء الله شيئا واما الثاني
فكقولك ما جاءني من احد وتقديره ما جاءني احد فيكون التقدير هنا ما كان يغني عنهم من الله شي مع قضائه
قوله تعالى الا حاجة فيه وجهان احدهما انه استثناء منقطع تقديره ولكن حاجة في نفس يعقوب قضاها
ولم يذكر الزمخشري غيره والثاني انه مفعول من اجله ولم يذكر ابو البقاء غيره ويكون التقدير ما كان يغني عنهم
شيء من الاشياء الا لاجل حاجة كانت في نفس يعقوب وفاعل يغني ضمير التفرق المدلول عليه من الكلام المتقدم
وفيما اجازه ابو البقاء رحمه الله نظر من حيث المعنى لا يخفى على متامله وقضاها صفة لحاجة **فصل**
قال بعض المفسرين تلك الحاجة خوفه عليهم من اصابة العين وقيل خوفه عليهم من حسد اهل مصر وقيل خوفه عليهم
من ان يقتلهم ملك مصر بسوء ثم قال وانه لذو علم لما علمناه قال الواحدي ما مصدرية والهاء عايدة الى يعقوب
صلوات الله عليه اي وان يعقوب لذو علم من اجل تعليمنا اياه ويمكن ان يكون بمعنى الذي والهاء عايدة اليها
اي وانه لذو علم للشي الذي علمناه يعني انا لما علمناه حصل له العلم بذلك الشي والمراد بالعلم الحفظ اي انه لذو
حفظ لما علمناه وقيل المراد بالعلم العمل اي وانه لذو علم لما علمناه ثم قال تعالى ولكن اكثر الناس لا يعلمون مثل
ما علم يعقوب لانهم لم يسلكوا طريق اصابة العلم وقيل لا يعلمون ان يعقوب بهذه الصفة وقال ابن عباس رضي الله عنهما
لا يعلم المشركون ما الهم الله اولياءه فالمراد باكثر الناس المشركون **قوله تعالى** ولما دخلوا على يوسف صلوات الله
عليه قالوا هذا اخونا الذي امرتنا ان ناتيك به قد جيناك به فاكرمهم واحسن اليهم واجلس كل اثنين على مايدة فبقي
بنيامين وحده فقال لو كان اخي يوسف حيا لاجلسني معه فقال يوسف بقي اخوكم وحيدا فاجلسه معه على مايدته
فجعل يواكله فلما كان الليل امر بمثل ذلك فامر ان ينزل كل اثنين منهم بيتا وقال هذا لا ثاني له آخذه معي فآواه
اليه فلما خلا به قال له ما اسمك قال بنيامين قال وما بنيامين قال ابن المثكل وذلك انه لما ولد هلكت امه
قال وما اسم امك قال راحيل بنت لاوي فلما راى تاسفه على اخ له هلك قال له اتحب ان اكون اخاك بدل اخيك الهالك
فقال من يجد اخا مثلك ولكنك لم يلدك يعقوب ولا راحيل فبكى يوسف صلوات الله عليه وقام اليه وعانقه
وقال اني انا اخوك قال وهب لم يرد انه اخوه من النسب وانما اراد به اني اقوم لك مقام اخيك في الايناس لئلا تستوحش
بالتفرد والصحيح ما عليه من سائر المفسرين انه اراد تعريف النسب لان ذلك اقوى في ازالة الوحشة وحصول الانس
والاصل في الكلام الحقيقة فلا تبتئس بما كانوا يعملون قال اهل اللغة تبتئس تفتعل من البوس وهو الضرر
والشدة والابتياس اجتلاب الحزن وقوله بما كانوا يعملون من اقدامهم على حسدنا والحرص على انصراف وجه ابينا
عنا وقال ابن اسحق وغيره اخبره بانه اخوه حقيقة واستكتمه وقال له لا تبال بكل ما تراه من المكروه في تحيلي
في اخذك منهم وعلى هذا التاويل يحتمل ان يشير بقوله بما كانوا يعملون الى ما يعمله فتيان يوسف من امر السقاية
ونحو ذلك وقيل ان يوسف صلوات الله وسلامه عليه ما بقي في قلبه شي من العداوة وصار صافيا لاخوته
فاراد ان يجعل قلب اخيه صافيا معهم ايضا فقال لا تبتئس بما كانوا يعملون اي لا تلتفت الى صنيعهم فيما تقدم
وقيل انما فعلوا بيوسف ما فعلوا حسدا لاقبال الاب عليه وتخصيصه بمزيد الاكرام فخاف بنيامين ان
يحسدوه بسبب تخصيص الملك له بالاكرام فامنه عنه وقال لا تلتفت الى ذلك فان الله قد جمع بيني وبينك
وروي الكلبي عن ابن عباس رضي الله عنه ان اخوة يوسف صلوات الله عليهم كانوا يعيرون يوسف واخاه بسبب
ان جدهما ابا امهما كان يعبد الاصنام فان ام يوسف امرت يوسف فسرق جونة كانت لابيها فيها اصنام رجاء

ان يترك عباده ثم اذا فقدها فقال الله لا تبتئس بما كانوا يعملون اي من التعيير لنا بما كان عليه حزننا والله اعلم

قوله تعالى ولما جهزهم بجهازهم جعل السقاية في رحل اخيه تقدم الكلام في الجهاز واما قوله جعل السقاية فالعامة على جعل بلا واو قبلها وقرا عبد الله وجعل وهي تحتمل وجهين احدهما ان الجواب محذوف والثاني ان الواو مزيدة في الجواب على راي الكوفيين والاخفش وقال ابو حيان وقرا عبد الله فيما نقل الزمخشري وجعل السقاية في رحل اخيه امهلهم حتى انطلقوا ثم اذن مؤذن وفي نقل ابن عطية وجعل بزيادة واو في جعل دون الزيادة التي زادها الزمخشري بعد قوله في رحل اخيه فاحتمل ان تكون الواو زائدة على مذهب الكوفيين واحتمل ان يكون جواب لما محذوفا تقديره فقدها حافظها كما قيل انما اوحي الى يوسف ان يجعل السقاية فقط ثم ان صاحبها فقدها فنادى برايه فيما ظهر له ورجحه الطبري وتفتيش الاوعية يرد هذا القول قال شهاب الدين لم ينقل الزمخشري هذه الزيادة المذكورة بعد قوله في رحل اخيه تفسيرا جواب من عنده وهذا نصه قال الزمخشري وقرا ابن مسعود وجعل السقاية على حذف جواب لما كانه قيل فلما جهزهم بجهازهم وجعل السقاية في رحل اخيه امهلهم حتى انطلقوا ثم اذن مؤذن فهذا من الزمخشري انما هو تقدير للكلام لا تلاوة منقولة عن عبد الله ولعله وقع للشيخ نسخة سقيمة **فصل** قال الزمخشري السقاية مشربة يسقى بها وهي الصواع قيل كان يسقى بها الملك ثم جعلت صاعا يكال بها وقيل كانت الدواب تسقى بها ويكال بها ايضا قيل كانت من فضة وقيل كانت من ذهب وقيل كانت مرصعة بالجوهر والاولى ان يقال كان ذلك الاناء شيئا له قيمة اما الى هذا الحد الذي ذكروه لا **فصل** روي ان يوسف صلوات الله عليه قال لاخيه لا تعلم شيئا مما اعلمتك ثم اوفى يوسف لاخوته الكيل وحمل لكل واحد بعيرا ولبنيامين بعيرا باسمه ثم امر بسقاية الملك فجعلت في رحل بنيامين قال السدي رحمه الله جعلت السقاية في رحل والاخ لا يشعر وقال كعب رضي الله عنه لما قال له يوسف صلوات الله عليه اني انا اخوك قال بنيامين انا لا افارقك فقال له يوسف قد علمت اغتمام والدي بي واذا حبستك ازداد غمه ولا يمكنني هذا بعد ان اشهرك بامر فظيع وانسبك الى ما لا يحمل قال لا ابالي فافعل ما بدا لك فاني لا افارقك قال فاني ادس صاعي في رحلك ثم انادي عليك بالسرقة ليتهيا لي ردك بعد تسريحك قال افعل فعند ذلك جعل السقاية في طعام اخيه بنيامين اما بنفسه بحيث لم يطلع عليه احد او ركه من بعض خواصه بذلك ثم ارتحلوا وامهلهم يوسف حتى نزلوا منزلا وقيل حتى خرجوا من العمارة ثم بعث خلفهم من استوقفهم وحبسهم ثم اذن مؤذن نادى مناد ايتها العير وهي القافلة التي فيها الاحمال يقال اذن اي اعلم وفي الفرق بين اذن واذن وجهان قال ابن الانباري اذن بمعنى اعلم اعلاما بمعنى اعلام لان فعل يوجب تكرير الفعل قال ويجوز ان يكون اعلاما واحدا من قبل ان العرب تجعل فعل بمعنى افعل في كثير من المواضع وقال سيبويه الفرق بين اذنت واذنت معناه اعلمت لا فرق بينهما والتاذين معناه النداء والتصويب بالاعلام ايتها العير منادى حذف منه حرف النداء والعير مؤنث ولذلك انث اي المتوصل بها الى ندائه والعير فيها قولان احدهما انها في الاصل جماعة الابل سميت بذلك لانها تعير اي تذهب وتجيء والثاني انها في الاصل قافلة الحمير كانها جمع عير والعير الحمار قال الشاعر

ولا يقيم على ضيم يراد به • الا الاذلان عير الحي والوتد •

والاصل عير وعير بضم العين ثم فعل بهما فعل ببيض والاصل بيض بضم الاول ثم اطلق العير على كل قافلة حمير كن او غيرها وعلى كل تقدير فنسبة النداء اليها على سبيل المجاز لان المنادي في الحقيقة اهلها ونظيره الزمخشري بقوله يا خيل الله اركبي ولو التفت لقال اركبوا ويجوز ان يعبر عن اهلها بها للمجاورة فلا يكون من مجاز الحذف بل مجاز العلاقة ويجمع العرب قاطبة على عيرات بفتح الياء وهذا مما اتفق على شذوذه لان فعله المعتلة العين حقها في جمعها بالالف والتاء ان يسكن عينها نحو قيمة وقيمات وديمة وديمات وكذلك فعل دون با اذا جمع حقه ان يسكن عينه قال امرؤ القيس قوله

• غشيت ديار الحي بالبكرات • فعارمة فبرقة العيرات •

وقال الاعلم الشنتمري العيرات هنا مواضع الاعيار وهي الحمر قال شهاب الدين وفي عيرات شذوذ اخر وهو جمعها بالالف والتاء مع جمعها على اعيار ايضا جمع تكسير وقد نصوا على ذلك وقبلوا لذلك لحن المتنبي في قوله

• اذا كان بعض الناس سيفا لدولة • ففي الناس بوقات لهم وطبول •

قالوا الجمع بوقا على بوقات مع تكسيرهم له على بواق وقال ابو الهيثم كلما سير عليه من الابل والحمير والبغال

فهو عير وقول من قال العير الابل خاصة باطل فان قيل هل كان ذلك النداء بامر يوسف وما كان بامره فان كان بامره فكيف يليق بالرسول الحق من عند الله ان يتهمهم وينسبهم الى السرقة كذبا وبهتانا وان لم يكن بامره فهلا اظهر براءتهم عن تلك التهمة فالجواب من وجوه الاول ما تقدم من انه صلوات الله عليه اظهر لاخيه انه يوسف وقال لا سبيل الى حبسك هنا الا بهذه الحيلة فرضي اخوه بها ولم يتالم قلبه والثاني اراد انكم لسارقون يوسف من ابيه والمعاريض لا تكون الا كذلك والثالث ان المؤذن انما نادى من تلقاء نفسه والرابع وهو الظاهر انهم نادوا من عند انفسهم لانهم طلبوا السقاية فلم يجدوها وما كان هناك غيرهم فغلب على ظنهم انهم الذين اخذوها وليس في القرآن انهم نادوا عن امر يوسف صلوات الله عليه وقيل انهم لما كانوا باعوا يوسف استجاز ان يقال لهم هذا وانه عوقب على ذلك بان قالوا فقد سرق اخ له من قبل وقيل اراد ايتها العير حالكم حال السراق والمعنى ان شاء لغيركم صار عندكم من غير رضى الملك ولا علمه وقيل ان ذلك كان حيلة لاجتماع شمله باخيه وفصله عنهم اليه وهذا بناء على ان بنيامين لم يعلم بدس الصاع في رحله ولا اخبره بنفسه وقيل معنى الكلام الاستفهام اي اي وانكم لسارقون لقوله وتلك نعمة تمنها علي والغرض لا يعزى الكذب الى يوسف فان قيل كيف رضي بنيامين بالقعود طوعا وفيه عقوق الاب بزيادة الحزن ووافقه على ذلك يوسف فالجواب ان الحزن كان قد غلب عليه بحيث لا يؤثر فيه فقد بنيامين كل التاثير الا تراه لما فقده قال يا اسفا على يوسف ولم يعرج على بنيامين ولعل يوسف انما وافقه على القعود بوحي فلا اعتراض **قوله تعالى** واقبلوا عليهم هذه الجملة حالية من فاعل قالوا اي قالوا وقد اقبلوا اي في حال اقبالهم عليهم ماذا تفقدون تقدم الكلام على هذه المسالة اول الكتاب وقرا العامة تفقدون بفتح حرف المضارعة لان المستعمل منه فقد ثلاثيا وقرا السلمي بضمه من افقدته اذا وجدته مفقودا كاحمدته واجلته اي وجدته محمودا بخيلا وضعف ابو حاتم هذه القراءة ووجهها ما تقدم **قوله** قالوا نفقد صواع الملك الصواع هو المكيال وهو السقاية المتقدمة سماه تارة كذا وتارة كذا وانما اتخذ هذا الاناء مكيالا لعزة ما يكال به في ذلك الوقت وفيه قراآت كثيرة وقال بعضهم الصواع اسم والسقاية وصف كقولهم كوز وسقا فالكوز اسم والسقا وصف وقيل ذكر لانه صاع وانث لانه سقاية والصواع اناء له راسان في وسطه مقبض كان الملك يشرب منه من الراس الواحد ويكال الطعام بالراس الاخر وقال ابن عباس رضي الله عنه كل شيء يشرب به فهو صواع وانشد

• يشرب الخمر بالصواع جهارا • قيل انما كان طعام بالصواع

مبالغة في اكرامهم وقال مجاهد وابو صالح الصواع الطرجهالة بلغة حمير وهذه القراآت كلها لغات في هذا الحرف ويذكر ويؤنث فالعامة على صواع بزنة غراب والعين مهملة وقرا ابن جبير والحسن كذلك الا انه بالعين معجمة وقرا يحيى بن يعمر كذلك الا انه حذف الالف وسكن الواو وقرا زيد بن علي صوع كذلك الا انه فتح الصاد جعله مصدرا لصاغ يصوغ والقراءتان مشتقتان منه وهو واقع موقع مفعول اي مصوغ الملك وقرا ابو حيوة وابن جبير والحسن رضي الله عنهم في رواية عنهما صواع كالعامة الا انهم كسروا الفاء وقال ابو هريرة ومجاهد رضي الله عنهما صاع بزنة باب والعين كالعامة في كونها منقلبة عن واو مفتوحة وقرا ابو رجاء صوع بزنة قوس وقرا عبد الله بن عون كذلك الا انه ضم الفاء فهذه ثمان قراآت متواترة واحدة **قوله تعالى** ولمن جاء به حمل بعير اي من الطعام وانا به زعيم قال مجاهد الزعيم هو المؤذن الذي اذن والزعيم الكفيل قال الكلبي الزعيم هو الكفيل بلسان اهل اليمن روى ابو عبيدة عن الكسائي زعمت به ازعم زعما وزعامة اي تكفلت به وهذه الاية تدل على ان الكفالة كانت صحيحة في شرعهم وقد حكم بها رسول الله صلوات الله وسلامه في قوله الزعيم غارم فان قيل هذه الكفالة شيء مجهول فالجواب حمل بعير من الطعام كان معلوما عندهم فصحت الكفالة به الا ان هذه الكفالة برد الرقة وهي كفالة ما لم يجب لانه لا يحل للسارق ان ياخذ شيئا على رد الرقة ولعل مثل هذه الكفالة كانت تصح عندهم **فصل** قال القرطبي يجوز الكفالة عن الرجل لان المؤذن هو الضامن وهو غير يوسف صلوات الله عليه قال اذا قال الرجل تحملت او تكفلت او ضمنت او انا حميل لك او زعيم او كفيل او ضامن او قبيل او لك عندي او علي او الي او قبلي فذلك كله حمالة لازمة واختلفوا فيمن تكفل بالنفس او بالوجه هل يلزمه الحق الذي على المطلوب ام لا فقال مالك والليث والاوزاعي اذا تكفل نفسه وعليه مال فان لم يات به غرم المال ويرجع به على المطلوب فان اشترط ضمان نفسه او وجهه وقال لا اضمن المال فلا شيء عليه من المال **فصل** واختلفوا فيما اذا تكفل عن رجل بمال هل للطالب ان ياخذ من شاء منهما فقال الاوزاعي والشافعي واحمد واسحق ياخذ من شاء منهما وهذا كان قول مالك ثم رجع عنه فقال لا ياخذ الكفيل الا ان يفلس الغريم او يغيب لان البداءة

الذي عليه الطحاوي الا ان يكون معدما فانه يأخذ من الجميل لانه معذور في اخذه في هذه الحالة وهذا
قول حسن والقياس ان للرجل مطالبة من شاء منهما وقال ابن ابي ليلى اذا ضمن الرجل عن صاحبه مالا تحول على
الكفيل وبرئ الاصيل الا ان يشترط المكفول له فلهما ان يأخذ ايهما شاء **قوله تعالى** تالله التاء حرف قسم وهي
عند الجمهور بدل من واو القسم ولذلك لا تدخل الا على الجلالة المعظمة او الرب مضافا للكعبة او الرحمن في قول
ضعيف ولو قلت تالرحيم لم يجز وهي فرع الفرع هذا مذهب الجمهور رحمه الله وزعم السهيلي انها اصل بنفسها وبلازمها
التعجب غالبا كقوله تالله تفتؤ وقال ابن عطية والتاء في تالله بدل من واو كما ابدلت في تراث وفي التوراة وفي التخمة ولا
تدخل التاء في القسم الا في المكتوبة من بين اسماء الله تعالى وغير ذلك لا تقول تالرحمن ولا تالرحيم انتهى وقد تقدم
ان السهيلي خالف في كونها بدلا من واو واما قوله وفي التوراة يعني عند البصريين وزعم بعضهم ان التاء فيها زائدة واما
قوله الا في المكتوبة هذا هو المشهور وقد تقدم دخولها على غير ذلك **قوله تعالى** ما جئنا يجوز ان تكون
معلقا للعلم ويجوز ان يضمن العلم نفسه معنى القسم فيجاب بما يجاب القسم وقيل هذان الوجهان في قول الشاعر

ولقد علمت لتأتين منيتي • ان المنايا لا تطيش سهامها •

قوله تعالى وما كنا سارقين يحتمل ان يكون جوابا للقسم فيكونون قد اقسموا على شيئين نفي الفساد ونفي
السرقة **فصل** قال المفسرون حلفوا على امرين احدهما على انهم ما جاؤا لاجل الفساد في الارض لانه
ظهر من احوالهم امتناعهم من التصرف في اموال الناس بالكلية لا بالاكل ولا بارسال في مزارع الناس حتى روي انهم
سدوا افواه دوابهم لئلا تفسد زرع الناس وكانوا مواظبين على انواع الطاعات والثاني انهم ما كانوا سارقين
وقد حصل لهم فيه شاهد قاطع وهو انهم لما وجدوا بضاعتهم في رحالهم حملوها من بلادهم الى مصر ولم يستحلوا اخذها
والسارق لا يفعل ذلك البتة فلما تبينوا براءتهم من تلك التهمة قال اصحاب يوسف صلوات الله عليه فما جزاؤه ان كنتم
كاذبين فاجابوا وقالوا جزاؤه من وجد في رحله فهو جزاؤه وقال ابن عباس رضي الله عنهما كانوا في ذلك الزمان
يستعبدون كل سارق بسرقته فلذلك قالوا جزاؤه من وجد في رحله فهو جزاؤه اي فالسارق جزاؤه ان يسلم
السارق بسرقته الى المسروق منه فيسترق سنة وكان ذلك سنة آل يعقوب في حكم السارق وكان حكم ملك مصر
ان يضرب السارق ويغرم ضعفي قيمة المسروق فاراد يوسف ان يحبس اخاه عنده فرد الحكم اليهم ليتمكن من حبسه عنده
على حكمهم **قوله** جزاؤه من وجد في رحله فيه اربعة اوجه احدها ان يكون جزاؤه مبتدأ والضمير للسارق
ومن شرطية او موصولة مبتدأ ثان والفاء جواب الشرط او مزيدة في خبر الموصول لشبهه بالشرط ومن وما في خبرها على
وجهيها خبر المبتدأ الاول قال ابن عطية وهو مردود بعدم رابط بين المبتدأ وبين الجملة الواقعة خبرا عنه
هكذا رده ابو حيان عليه وليس بظاهر لانه يجاب عنه بان هذه المسألة من باب اقامة الظاهر مقام المضمر
ويتضح هذا بتقرير الزمخشري قال رحمه الله ويجوز ان يكون جزاؤه مبتدأ والجملة الشرطية كما هي خبره على اقامة
الظاهر مقام المضمر والاصل جزاؤه من وجد في رحله فهو هو فوضع الجزاء موضع هو كما تقول لصاحبك من اخو زيد
فيقول لك من يقعد الى جنبه فهو هو يرجع الضمير الاول الى من والثاني الى الاخ ثم يقول فهو اخوه مقيما للظاهر مقام
المضمر وابو حيان جعل هذا المحكي عن الزمخشري وجها ثانيا بعد الاول ولم يعتقد انه هو بعينه ولا انه جواب
عما رد به على ابن عطية ثم قال ووضع الظاهر موضع المضمر للربط انما هو فصيح في مواضع التفخيم والتهويل وغير فصيح
فيما سوى ذلك نحو زيد قام زيد وينزه عنه القرآن قال سيبويه لو قلت كان زيد منطلقا زيد لم يكن حد الكلام
وكان ههنا ضعيف او لم يكن كقولك ما زيد منطلقا هو لانك قد استغنيت عن الاظهار وانما ينبغي لك ان تضمر
فالى ذهاب الذي رحمه الله ومذهب الاخفش انه جائز مطلقا وعليه بنى الزمخشري وقد جوز ابو البقا ما يوهم انه جواب
عن ذلك فقال والوجه الثالث ان يكون جزاؤه مبتدأ ومن وجد مبتدأ ثان وفهو مبتدأ ثالث وجزاؤه
خبر الثالث والعائد على المبتدأ الاول الها الاخيرة وعلى الثاني هو انتهى وهذا الذي ذكره ابو البقا لا يصح
اذ يصير التقدير فالذي وجد في رحله وجعل الها الاخيرة وهي التي في جزاؤه الاخير عائدة على جزاؤه الاول
فصار التقدير كما ذكرنا الوجه الثاني من الاوجه المتقدمة ان يكون جزاؤه مبتدأ والها تعود على المسروق
ومن وجد في رحله خبره ومن بمعنى الذي والتقدير جزاء الصواع الذي وجد في رحله وكذلك كانت شريعتهم
يسترق السارق فلذلك استفتوا في جزائه وقوله فهو جزاؤه تقرير للحكم اي فاخذ السارق نفسه هو جزاؤه
لا غير كقولك حق زيد ان يكسى ويطعم وينعم عليه فذلك حقه لتقرر ما ذكرته من استحقاقه ويلزمه ما قاله
الزمخشري ولما ذكر ابو البقا هذا الوجه قال والتقدير استعباد من وجد في رحله وقوله فهو جزاؤه مبتدأ وخبر

مؤكد

مؤكد للمعنى الاول ولما ذكر ابو حيان هذا الوجه ناقلا له عن الزمخشري قال وقال معناه ابن عطية الا انه
جعل القول الواحد قولين قال وقد يصح ان يكون من خبرا على ان المعنى جزاء السارق من وجد في رحله وفيما قبله
لا بد من تقدير لان الذات لا يكون خبرا عن المصدر فالتقدير في القول قبله جزاؤه اخذ من وجد في رحله او
استرقاق هذا لا بد منه على هذا الاعراب وهذا ظاهره انه جعل القول الواحد قولين الوجه الثالث من الاوجه
المتقدمة ان يكون جزاؤه خبر مبتدأ محذوف اي المسئول عنه جزاؤه ثم افتوا بقولهم من وجد في رحله فهو
جزاؤه كما تقول من يستفتى في جزاء صيد الحرم جزاء صيد الحرم ثم يقول ومن قتله منكم متعمدا فجزاء مثل ما
قتل من النعم قاله الزمخشري قال ابو حيان وهو متكلف اذ تصير الجملة من قوله المسئول عنه جزاؤه على هذا
التقدير ليس فيه كبير فائدة اذ قد علم من قوله فما جزاؤه ان الشيء المسئول عنه جزاء سرقته فاي فائدة في نطقهم
بذلك وكذلك القول في المثال الذي مثل به من قول المستفتي قال شهاب الدين قوله ليس فيه كبير فائدة ممنوع
بل فيه فائدة الاضمار المذكور في علم البيان وفي القرآن امثال ذلك الوجه الرابع ان يكون جزاؤه مبتدأ وخبره
محذوف تقديره جزاؤه عندنا كجزائه عندكم والها تعود على السارق او على المسروق وفي الكلام المتقدم دليل
عليهما ويكون قوله من وجد في رحله فهو جزاؤه على ما تقدم في الوجه الذي قبله وبهذا الوجه بدأ ابو البقا
رحمه الله ولم يذكره ابو حيان **قوله تعالى** كذلك نجزي الظالمين محل الكاف نصب اما على انها نعت لمصدر
محذوف واما حال من ضميره اي مثل ذلك الجزاء الفظيع نجزي الظالمين اي اذا سرق وقيل هذا من بقية
كلام اخوة يوسف صلوات الله عليه وقيل انهم لما قالوا جزاؤه من وجد في رحله فهو جزاؤه قال اصحاب يوسف كذلك
نجزي الظالمين الفاعلين ما ليس لهم فعله من سرقة مال الغير فعند ذلك قال لهم المؤذن لا بد من تفتيش اوعيتكم
فانصرف بهم الى يوسف فبدأ يوسف باوعيتهم قبل وعاء اخيه لازالة التهمة قرأ العامة وعاء بكسر الواو وقرأ الحسن
بضمها وهي لغة ونقلت عن نافع ايضا وقرأ سعيد بن جبير من اعاء بابدال الواو همزة وهي لغة هذيلية يبدلون من
الواو المكسورة اول الكلمة همزة فيقولون اشاح واسادة واعا في وشاح ووسادة ووعاء وقد تقدم ذلك في الجلالة
المعظمة اول الكتاب والاوعية جمع وعاء وهو كل ما اذا وضع فيه احاط به **قوله تعالى** ثم استخرجها
في الضمير المنصوب قولان احدهما انه عائد على الصواع لان فيه التذكير والتانيث كما تقدم وقيل انه حمل على معنى
السقاية قال ابو عبيد يؤنث الصواع من حيث يسمى سقاية ويذكر من حيث هو صواع قالوا وكان ابا عبيد لم يحفظ
في الصواع التانيث وقال الزمخشري قالوا رجع بالتانيث على السقاية ثم قال ولعل يوسف كان يسميه سقاية
وعبيده صواعا فقد وقع فيما يتصل به من الكلام سقاية وفيما يتصل بهم صواع وهذا الاخير حسن والثاني
ان الضمير عائد على السرقة وفيه نظر لان السرقة لا تستخرج الا بمجاز **فصل** قال قتادة ذكر لنا انه كان
لا يفتح متاعا ولا ينظر في وعاء الا استغفر الله تائبا مما قذفهم به حتى اذا لم يبق الا رحل بنيامين قال ما اظن ان
هذا اخذه فقالت اخوته والله لا نتركك حتى تنظر في رحله فانه اطيب لنفسك ولانفسنا فلما فتحوا متاعه استخرجوه
منه فنكس اخوته رؤوسهم من الحياء وقالوا ان هذه الواقعة عجيبة ان راحيل ولدت ولدين لصين واقبلوا على بنيامين
وقالوا اي شيء الذي صنعت فضحتنا وسودت وجوهنا يا بني راحيل ما يزال لنا منكم بلاء متى اخذت هذا الصواع
فقال بنيامين بل بنو راحيل لا يزال لهم منكم بلاء ذهبتم باخي واهلكتموه في البرية ثم تقولون هذا الكلام قالوا له
فكيف خرج الصواع من رحلك فقال وضع هذا الصاع في رحلي الذي وضع البضاعة في رحالكم فاخذوا بنيامين
رقيقا **قوله تعالى** كذلك كدنا الكلام في كاف كذلك كالكلام فيما قبلها اي مثل ذلك الكيد العظيم
اي كما فعلوا في الابتداء بيوسف من الكيد فعلنا بهم وقد قال يعقوب ليوسف صلوات الله عليهما فيكيدوا لك كيدا
فكدنا ليوسف في امرهم فالكيد ههنا جزاء الكيد هو انه تعالى القى في قلب اخوته ان الحكم بان جزاء السارق
هو ان يسترق لا جرم لما ظهر الصواع في رحله حكموا عليه بالاسترقاق وصار ذلك سببا لتمكن يوسف صلوات
الله عليه من امساك اخيه عند نفسه واعلم ان الكيد يشعر بالحيلة والخديعة وذلك في حق الله تعالى محال الا انه
قد تقدم اصل معتبر في هذا الباب وهو ان امثال هذه الالفاظ في حق الله تعالى تحمل على نهايات الاعراض لا على
بداياتها ويقرر ذلك عند قوله ان الله لا يستحيي فالكيد السعي في الحيلة والخديعة ونهايته القاء الانسان من حيث
لا يشعر في امر مكروه ولا سبيل له الى دفعه فالكيد في حق الله تعالى محمول على هذا المعنى وقيل المراد بالكيد ههنا
ان اخوة يوسف سعوا في ابطال امره والله تعالى نصره وقواه واعلى امره قال القرطبي قال ابن الانباري عن ابن عباس رضي الله
عنهما كدنا ليوسف معناه صنعنا وقال القتيبي وقال ابن الانباري اردنا قال الشاعر

• كادت وكدت وتلك خير إرادة • لو عاد من عهد الصبي ما قد مضى •

قوله تعالى ما كان ليأخذ أخاه تفسير للكيد وبيان له وذلك انه كان في دين ملك مصر ان يغرم السارق مثلي ما أخذ لا انه يستعبد **فصل** قال القرطبي في الآية دليل على جواز التوصل الى الاغراض بالحيل اذا لم تخالف شريعة ولا هدمت اصلا خلافا لابي حنيفة رضي الله عنه في تجويزه الحيل وان خالفت الاصول وخرمت التحليل واجمعوا على ان للرجل قبل حلول الحول التصرف في ماله بالبيع والهبة اذا لم ينو الفرار من الزكاة واجمعوا على انه اذا حال الحول واظل الساعي انه لا يحل له التحيل ولا النقصان ولا ان يفرق بين مجتمع ولا ان يجمع بين متفرق **فصل** قال ابن العربي قال بعض الشافعية في قوله تعالى وكذلك مكنا ليوسف في الارض دليل على وجه الحيلة الى المباح واستخراج الحقوق وهذا وهم عظيم وقوله تعالى وكذلك مكنا ليوسف في الارض قيل فيه لما مكنا ليوسف ملك نفسه عن امرأة العزيز مكنا له ملك الارض عن العزيز وهذا الاشبه مما ذكروه قال الشفعوي ومثله قوله عز وجل خذ بيدك ضغثا فاضرب به ولا تحنث وهذا ليس حيلة انما حمل الضعيف على الالفاظ او على المقاصد **قوله تعالى** الا ان يشاء الله فيه وجهان احدهما انه استثناء منقطع تقديره ولكن بمشيئة الله اخذه في دين غير دين الملك وهو دين آل يعقوب الاسترقاق جزاء السارق قال ابن عباس رضي الله عنهما في دين الملك اي في سلطان الملك الا ان يشاء الله اي ان يوسف صلوات الله عليه لم يكن ليتمكن من حبس اخيه في حكم الملك لولا ما كدنا له بلطفنا حتى وجد السبيل الى ذلك وهو ما اجري على السنة الاخوة ان جزاء السارق الاسترقاق فحصل مراد يوسف بمشيئة الله تعالى والثاني انه مفرغ من الاحوال العامة والتقدير ما كان ليأخذه في كل حال الا في حال التباسه بمشيئة الله عز وجل اي اذنه في ذلك وكلام ابن عطية محتمل فانه قال والاستثناء حكاية حال التقدير الا ان يشاء الله ما وقع من هذه الحيلة **قوله تعالى** نرفع درجات من نشاء تقدم القراءتان فيها في الانعام وقرأ يعقوب بالياء من تحت في نرفع ونشاء والفاعل الله تعالى وقرأ عيسى البصرة نرفع بالنون درجات منونة نشاء بالياء قال صاحب اللوامح وهذه قراءة مرغوب عنها تلاوة وجملة وان لم يمكن انكارها قال شهاب الدين رحمه الله وتوجيهها انه التفت في قوله نشاء من التكلم الى الغيبة والمراد واحد **قوله تعالى** وفوق كل ذي علم قرأ عبد الله بن مسعود وفوق كل ذي عالم وفيها لذلك اوجه احدها ان يكون عالم هنا مصدرا قالوا مثل الباطل فانه مصدر فهي كالقراءة المشهورة الثاني ان تكون مضافا فاعل محذوف فالتقدير وفوق كل ذي مسمى عالم كقوله • الى الحول ثم اسم السلام عليكما • اي مسمى السلام الثالث ان ذو زائدة كقول الكميت • ذوي آل النبي • **قوله تعالى** نرفع درجات من نشاء بالعلم كما رفعنا درجة يوسف على اخوته والمعنى انه خصه بانواع العلوم وهذه الآية تدل على ان العلم اشرف المقامات واعلى الدرجات لانه تعالى لما هدى يوسف الى هذه الحيلة مدحه لاجل ذلك فقال نرفع درجات من نشاء ثم قال وفوق كل ذي علم عليم قال ابن عباس رضي الله عنهما فوق كل عالم عالم الى ان ينتهي العلم الى الله عز وجل فالله فوق كل عالم والمعنى ان اخوة يوسف صلوات الله عليه كانوا علماء فضلاء الا ان يوسف كان زائدا عليهم في العلم واحتج المعتزلة بهذه الآية على انه تعالى عالم لذاته لانه لو كان عالما بالعلم لكان ذا علم ولو كان كذلك لحصل فوقه عليم لهذه الآية قال ابن الخطيب وهذا باطل لان اصحابنا قالوا دلت سائر الآيات على اثبات العلم لله تعالى وهو قوله ان الله عنده علم الساعة انزله بعلمه ولا يحيطون بشيء من علمه ولا تضع الا بعلمه واذا وقع التعارض فنحن نحمل الآية التي تمسك بها الخصم على واقعة يوسف واخوته غاية ما في الباب انه يوجب تخصيص عموم الا انه لا بد من المصير اليه لان العالم مشتق من العلم والمشتق منه مفرد وحصول المركب بدون حصول المفرد محال في بديهة العقل فكان الترجيح من جانبنا **قوله تعالى** فقد سرق اخ له الجمهور على سرق مخففا مبنيا للفاعل وقرأ احمد بن جبير الانطاكي وابن شريح عن الكسائي والوليد بن حسان عن يعقوب في آخرين سرق مشددا مبنيا للمفعول اي نسب الى السرقة وورد في التفسير ان عمته ربته فاخذه ابوه منها فشدت في وسطه منطقة كانوا يتوارثونها من ابراهيم صلوات الله وسلامه عليه ففتشوا فوجدوها تحت ثيابه فقالت هو لي فاخذته كما في شريعتهم ومن هاهنا تعلم يوسف وضع السقاية في رحل اخيه كما فعلت به عمته وهذه القراءة منطبقة على هذا وقال سعيد بن جبير كان لجده ابي امه صنم يعبده فاخذه سرا وكسره والقاه في الطريق وقال مجاهد اخذ بيضة من البيت فاعطاها سائلا وقيل دجاجة وقال وهب رحمه الله كان يخبأ الطعام من المائدة للفقراء فقالوا للملك ان هذا ابن يعرب منه فان اخاه الذي هلك كان ايضا سارقا اي انا لسنا على طريقته ولا على سيرته

وهو واخوه مختصان بهذه الطريقة لانهما من ام اخرى **قوله تعالى** فاسرها قال بعضهم الضمير المنصوب مفسر بسياق الكلام اي فاسر الحرارة التي حصلت له من قولهم فقد سرق اخ له كقوله

• اماوي ما يغني الثراء عن الفتى • اذا حشرجت يوما وضاق بها الصدر •

فالضمير في حشرجت يعود على النفس كذا ذكره ابو حيان وقد جعل بعضهم البيت مما فسر فيه الضمير بما هو كالنصا الضمير فلا يكون مما فسر فيه بالسياق وقال الزمخشري اضمار على شريطة التفسير تفسيره انتم شر مكانا جملة او كلمة على تسميتهم الطائفة من الكلام كلمة كانه قيل فاسر الجملة او الكلمة التي هي قوله انتم شر مكانا لان قوله انتم شر مكانا بدل من اسرها قال شهاب الدين وهذا عند من يبدل الظاهر من المضمر في غير المرفوع نحو ضربته زيدا والصحيح وقوعه كقوله • فلا تلمه ان يخاف البائسا • وقرأ عبد الله وابن ابي عبلة واسره بالتذكير قال الزمخشري يريد القول او الكلام وقال ابو البقاء الضمير يعود الى نسبتهم اياه الى السرقة وقد دل عليه الكلام وقيل في الكلام تقديم وتأخير تقديره قال في نفسه انتم شر مكانا واسرها اي هذه الكلمة قال شهاب الدين ومثل هذا ينبغي ان لا يقال فان القرآن ينزه عنه ومكانا تمييز اي منزلة من غيركم والمعنى انتم شر منزلة عند الله ممن رميتموه بالسرقة في صنيعكم بيوسف لانه لم يكن من يوسف سرقة حقيقة وخيانتكم حقيقة وطعن الفارسي على كلام الزمخشري من وجهين الاول فقال الاضمار على شريطة التفسير يكون على ضربين احدهما ان يفسر بمفرد كقولنا نعم رجلا زيد ففي نعم ضمير فاعلها ورجلا تفسير لذلك الفاعل المضمر والآخر ان يفسر بجملة واصل هذا يقع به الابتداء كقوله تعالى فاذا هي شاخصة ابصار الذين كفروا و والامر الله احد ثم ان العوامل الداخلة على المبتدا والخبر تدخل عليه ايضا كقوله انه من يأت ربه مجرما فانها لا تعمى الابصار واذا عرفت هذا فنقول تفسير المضمر على شريطة التفسير في كلتي الجملتين متصلة بالجملة التي حصل فيها الاضمار ويجب ان لا يحسن والثاني انه تعالى قال انتم شر مكانا وذلك يدل على انه ذكر ذلك الكلام ولو قلنا انه صلوات الله عليه اضمر هذا الكلام لكان قوله انتم شر مكانا كذبا قال ابن الخطيب وهذا الطعن ضعيف من وجوه الاول لا يلزم من حسن التفسير لا ولين منع قسم ثالث واما الثاني فلانا نحمل ذلك على انه صلوات الله عليه اضمر هذا الكلام لكن قوله انتم شر مكانا قال ذلك على سبيل الخفية وبهذا التفسير سقط السؤال والوجه الثاني وهو ان الضمير في قوله فاسرها عائد الى الاجابة كانهم لما قالوا ان يسرق فقد سرق اخ له من قبل اسر يوسف اجابتهم في نفسه ذلك الوقت ولم يبدها لهم في تلك الحالة الى وقت ثان ويجوز ايضا ان يكون اضمار المقالة والمعنى اسر يوسف مقالتهم والمراد من المقالة متعلق تلك المقالة كما يراد بالخلق المخلوق وبالعلم المعلوم يعني اسر يوسف كيفية تلك السرقة ولم يبين لهم انها كيف وقعت وانه ليس فيها ما يوجب الطعن روي عن ابن عباس رضي الله عنه انه قال عوقب يوسف ثلاث مرات لاجل همه بها عوقب بالحبس وبقوله اذكرني عند ربك عوقب بالحبس الطويل وبقوله انكم لسارقون عوقب بقولهم فقد سرق اخ له من قبل ثم قال انتم شر مكانا اي انتم شر منزلة عند الله بما اقدمتم عليه من ظلم اخيكم وعقوق ابيكم فاخذتم اخاكم وطرحتموه في الجب ثم قلتم لابيكم اكله الذئب وانتم كاذبون ثم بعتموه بعشرين درهما ثم بعد المدة الطويلة والزمن المديد ما زال الحقد والغضب عن قلوبكم فرميتموه بالسرقة والله اعلم بما تصفون اي ان سرقة يوسف كانت لله رضا فلا توجب عود الذم واللوم اليه **قوله تعالى** يا ايها العزيز ان له ابا شيخا كبيرا الآية اعلم انهم لما قالوا ان يسرق فقد سرق اخ له من قبل احبوا موافقته والعدول الى طريق الشفاعة وانهم وان كانوا قد اعترفوا بان حكم الله في السارق ان يستعبد الا ان العفو واخذ الفدا كان ايضا جائزا فقالوا يا ايها العزيز ان له ابا شيخا كبيرا في السن ويجوز ان يكون في القدر والدين لان قولهم شيخا يعلم منه كبر سنه وانما ذكروا ذلك لان كونه ابا لرجل كبير القدر يوجب العفو والصفح **قوله تعالى** مكانه فيه وجهان اظهرهما انه مكانه نصب على الظرف والعامل فيه خذ والثاني انه ضمن معنى اجعل فيكون مكانه في محل المفعول الثاني وقال الزمخشري فخذ بدله على جهة الاسترهان حتى نرد الفدا اليك او الاستعباد ثم قالوا انا نراك من المحسنين لو فعلت ذلك وقيل من المحسنين الينا في توفية الكيل وحسن الضيافة ورد البضاعة وقيل من المحسنين في افعالك وقيل لما اشتد القحط على القوم ولم يجدوا ما يشترون به من الطعام وكانوا يبيعون انفسهم فصار لصيرورة ذلك اكثر اهل مصر عبيدا ثم انه اعتق الكل فقالوا انا نراك من المحسنين الى عامة الناس بالاعتاق فكن محسنا الينا ايضا الى هذا الانسان باعتاقه من هذه المحنة فقال يوسف معاذ الله اي اعوذ بالله معاذا ان نأخذ الا من وجدنا متاعنا عنده اي اعوذ بالله ان آخذ بريئا بمذنب قال الزجاج موضع ان نصب والمعنى اعوذ بالله من اخذ احد بغيره فلما سقطت كلمة من تعدى الفعل وقوله انا اذا حرف جواب

وجزا تقدم الكلام على احكامها والمعنى لقد تعذبت وظلت ان اخذت بريا بمذنب قال الزجاج موضع ان
نصب والمعنى اعوذ بالله من اخذ احد بغيره فلما سقطت كلمة من تعدى الفعل وقوله انا اذن حرف جواب
وجزا تقدم الكلام على احكامها والمعنى لقد تعذبت وظلت ان اخذت بريا بجرم صدر من غيره وقال معاذ الله
ان ناخذ الا من وجدنا متاعنا عنده ولم يقل من سرق تحرزا من الكذب فان قيل هذه الواقعة من اولها
الى اخرها تزوير وكذب فكيف يجوز ليوسف مع رسالته الاقدام على التزوير وايذاء الناس من غير ذنب لا سيما
ويعلم انه اذا حبس اخاه عنده بهذه التهمة فانه يعظم حزن ابيه ويشتد غمه فكيف يليق بالرسول المعصوم المبالغة
في التزوير الى هذا الحد فالجواب لعله تعالى امر بذلك تشديدا للمحنة على يعقوب ونهاه عن العفو والصفح
واخذ البدل كما امر تعالى صاحب موسى صلوات الله عليه بقتل من لو بقي لطغى وكفر **قوله تعالى** فلما استيأسوا
استفعل هنا بمعنى فعل المجرد يقال يئس واستيأس بمعنى نحو عجب واستعجب وسخر واستسخر وقال الزمخشري
وزيادة السين والتاء في المبالغة نحو ما مر في استعصم وقرا البزي عن ابن كثير بخلاف عنه استايسوا
بالف بعد التاء ثم ياء وكذلك في هذه السورة لا تايسوا انه لا يايس اذا استايس الرسل وفي الرعد افلم يايس بالخلاف
ولحل فاما قراءة العامة فهي الاصل اذ يقال يئس فالفاء ياء والعين همزة وفيه لغة اخرى وهي القلب بتقديم
العين على الفاء فيقال ايس ويدل على ذلك شيئان احدهما المصدر الذي هو الياس والثاني انه لو لم يكن
مقلوبا للزم قلب الياء الفا لتحركها وانفتاح ما قبلها ولكن منع من ذلك كون التاء في موضع لا يعل فيه ما وقعت
موقعه وقراءة ابن كثير من هذا ولما قلب الكلمة ابدل من الالف الهمزة الفا لسكونها بعد فتحة اذ صارت كهمزة راس وكاس
وان لم يكن من اصله قلب الهمزة الساكنة حرف علة وهذا كما تقدم انه يقرا القرآن بالالف وانه يحتمل ان يكون نقل
حركة الهمزة وان لم يكن من اصله النقل وقال ابو شامة بعد ان ذكر هذه الكلمات الخمس التي وقع فيها الخلاف
وكذلك رسمت في المصحف يعني كما قرأها البزي يعني بالف مكان الياء وبياء مكان الهمزة وقال ابو عبد الله الفاسي
هذه الكلمات في الرسم رسم يائس ولا تايسوا بالالف ورسم الباقي بغير الف قال شهاب الدين وهذا هو الصواب
وكانها غفلة حصلت من ابي شامة رحمه الله ومعنى الآية فلما ايسوا من يوسف رحمه الله صلوات الله وسلامه عليه
ان يجيبهم الى ما سالوه وقال ابو عبيدة استيأسوا استيقنوا ان الاخ لا يرد اليهم **قوله تعالى** خلصوا نجيا قال الواحدي
يقال خلص الشيء يخلص خلوصا اذا انفصل من غيره ثم فيه وجهان احدهما قال الزجاج خلصوا اي انفردوا وليس
معهم اخوهم وقال الباقون تفردوا عن الاجانب وهذا هو الاظهر اي خلا بعضهم ببعض يتناجون ويتشاورون لا يخالطهم
غيرهم واما قوله نجيا فهو حال من فاعل خلصوا اي اعتزلوا في هذه الحال وانما افرد الحال وصاحبها جمع اما لان
النجي فعيل بمعنى مفاعل كالعشير بمعنى المعاشر والخليط بمعنى المخالط كقوله وقربناه نجيا اي مناجيا وهذا في الاستعمال
استعمال يفرد مطلقا يقال هم خليطك وعشيرك اي مخالطوك ومعاشروك واما لانه صفة على فعيل بمنزلة صديق
وبابه يوحد لانه بزنة المصادر كالصهيل والوجيد والذميل واما لانه مصدر بمعنى التناجي كما قيل النجوى
نعتا قال تعالى واذ هم نجوى وحينئذ يكون فيه التاويلات المذكورة في رجل عدل وبابه ويجمع على انجية
وكان من حقه اذا جعل وصفا ان يجمع على افعلاء كغني واغنياء وشقي واشقياء ومن مجيئه على انجية قول الشاعر

• اني اذا ما القوم كانوا انجيه • واضطرب القوم اضطراب الارشيه •

وقول لبيد:
• وشهدت انجية الافاقة عاليا • كعبي وارداف الملوك شهود •

وجمعه كذلك يقوي كونه جامدا اذ يصير كرغيف وارغفة وقال البغوي رحمه الله النجي يصلح للجماعة كما قال
ههنا وللواحد كما قال تعالى وقربناه نجيا وانما جاز للواحد والجمع لانه مصدر جعل نعتا كالعدل ومثله النجوى
يكون اسما ومصدرا قال تعالى واذ هم نجوى اي متناجين وقال جل ذكره ما يكون من نجوى ثلاثة وقال انما النجوى
من الشيطان قال ابن الخطيب واحسن الوجوه ان يقال انهم تمحضوا تناجيا لان من كمل حصول امر من الامور
فيه وصف بانه صار عين ذلك الشيء فلما اخذوا في التناجي الى غاية الحد صاروا كانهم في انفسهم نفس التناجي
وحقيقته قال كبيرهم في العقل والعلم لا في السن وهو يهوذا قاله ابن عباس والكلبي وقال مجاهد هو شمعون
وكانت له الرياسة على اخوته وقال قتادة والسدي والضحاك هو روبيل وكان اكبرهم في السن وهو الذي
نهاهم عن قتل يوسف صلوات الله عليه الم تعلموا ان اباكم قد اخذ عليكم موثقا عهدا من الله وايضا نحن متهمون
بواقعة يوسف **قوله تعالى** ومن قبل ما فرطتم في يوسف في هذه الآية وجوه ستة اظهرها ان ما مزيدة فيتعلق الظرف بالفعل
بالفعل والتقدير ومن قبل هذا فرطتم اي قصرتم في حق يوسف وشانه وزيادة ما كثيرة وبه بدا الزمخشري

وغيره الثاني ان تكون ما مصدرية في محل رفع بالابتداء والخبر الظرف المتقدم قال الزمخشري رحمه الله على ان
محل المصدر الرفع بالابتداء والخبر الظرف وهو من قبل والمعنى وقع من قبل تفريطكم في يوسف صلوات الله عليه والى هذا
نحا ابن عطية ايضا فانه قال ولا يجوز ان يكون قوله من قبل متعلقا بما فرطتم فان ما يكون على هذا مصدرية والتقدير
ومن قبل تفريطكم في يوسف واقع ومستقر وبهذا المقدر يتعلق قوله من قبل قال ابو حيان وهذا وقول الزمخشري راجعان
الى معنى واحد وهو ان ما فرطتم يتقدر بمصدر مرفوع بالابتداء ومن قبل في موضع الخبر وذهلا عن قاعدة عربية
وحق لهما ان يذهلا وهي ان هذه الظروف التي هي غايات اذا بنيت لا تقع اخبارا للمبتدا جرت او لم تجر تقول يوم السبت
مبارك ولا تقول والسفر بعد ولا عمرو وزيد خلفه ولا يجوز زيد عمرو وخالد وعلى ما ذكراه يكون تفريطكم مبتدا
ومن قبل خبر وذلك لا يجوز وهو مقرر في علم العربية قال شهاب الدين قوله وحق لهما ان يذهلا تحامل على هذين الرجلين
وموضعهما من العلم معروف واما قوله ان الظرف المقطوع لا يقع خبرا فسلم قالوا لانه لا يفيد وما لا يفيد فلا يقع
خبرا ولذا لا يقع صلة ولا صفة ولا حالا لو قلت جاء الذي قبل او مررت برجل قبل لم يجز لما ذكرت ولقائل ان يقول
انما امتنع ذلك لعدم الفائدة وعدم الفائدة لعدم العلم بالمضاف اليه المحذوف فينبغي اذا كان المضاف اليه معلوما
مدلولا عليه ان يقع ذلك الظرف المضاف الى ذلك المحذوف خبرا وصفة وصلة وحالا والآية الكريمة من هذا القبيل
اعني مما علم فيه المضاف اليه كما مر تقديره ثم هذا الرد الذي رد به ابو حيان سبقه اليه ابو البقاء فقال وهذا ضعيف
لان قبل وبعد اذا وقعت خبرا او صلة لا تقطع عن الاضافة لئلا تبقى ناقصة الثالث انها مصدرية ايضا في محل رفع
بالابتداء والخبر هو قوله في يوسف اي وتفريطكم كائن او مستقر في يوسف والى هذا ذهب الفارسي كانه استشعر
ان الظرف المقطوع لا يقع خبرا فعدل الى هذا وفيه نظر لان السياق والمعنى يجريان الى تعلق في يوسف بفرطتم
فالقول بما قاله الفارسي يؤدي الى تهيئة العامل للعمل وقطعه عنه الرابع انها مصدرية ايضا ولكن محلها النصب
على انها منسوقة على ان اباكم قد اخذ اي الم تعلموا اخذ ابيكم الميثاق وتفريطكم في يوسف قال الزمخشري كانه قيل
الم تعلموا اخذ ابيكم عليكم موثقا وتفريطكم من قبل في يوسف والى هذا ذهب ابن عطية ايضا قال ابو حيان وهذا
الذي ذهبا اليه ليس بجيد لان فيه الفصل بالجار والمجرور بين حرف العطف الذي هو على حرف واحد وبين المعطوف
فصار نظير ضربت زيدا وبسيف عمرا وقد زعم الفارسي انه لا يجوز ذلك الا في ضرورة الشعر قال شهاب الدين
رحمه الله هذا الرد ايضا سبقه اليه ابو البقاء ولم يرتضه فقال وقيل هو ضعيف لان فيه الفصل بين حرف العطف والمعطوف
وقد بينا في سورة النساء كما اشار اليه ابو البقاء ثم قال ابو حيان واما تقدير الزمخشري وتفريطكم من قبل
في يوسف فلا يجوز لان فيه تقديم معمول المصدر المنحل لحرف مصدري والفعل عليه وهو لا يجوز وقال شهاب الدين
ليس في تقدير الزمخشري شيء من ذلك لانه لما صرح بالمقدر اخر الجار والمجرور عن لفظ المصدر المقدر كما ترى
وكذا هو في سائر النسخ وكذا ما نقله الشيخ عنه بخطه فاين تقديم المعمول على المصدر ولو رد عليه وعلى ابن عطية
بانه يلزم من ذلك تقديم معمول الصلة على الموصول لكان ردا واضحا فان من قبل متعلق بفرطتم وقد تقدم على المصدر
وفيه خلاف مشهور الخامس ان تكون مصدرية ايضا ومحلها النصب عطفا على اسم ان اي الم تعلموا ان اباكم وان تفريطكم
من قبل في يوسف وحينئذ يكون في خبر ان هذه المقدرة وجهان احدهما هو من قبل والثاني هو في يوسف اختاره ابو البقاء
وقد تقدم ما في كل منهما ويرد على هذا الوجه الخامس ما رد به على ما قبله من الفصل بين حرف العطف والمعطوف
وقد عرف ما فيه السادس ان تكون موصولة اسمية ومحلها الرفع او النصب على ما تقدم في المصدرية قال الزمخشري
يعني ومن قبل هذا ما فرطتموه اي قدمتموه في حق يوسف من الخيانة ومحلها الرفع او النصب على الوجهين يعني
بالوجهين رفعها بالابتدا وخبرها من قبل ونصبها عطفا على مفعول الم تعلموا فانه لم يذكر في المصدرية غيرهما
وقد تقدم ما اعترض به عليهما وما قيل في جوابه فتحصل في ما ثلاثة اوجه الزيادة وكونها مصدرية او بمعنى الذي
وان في محلها وجهين الرفع او النصب **قوله تعالى** فلن ابرح الارض برح هنا تامة ضمنت معنى افارق
فالارض مفعول به ولا يجوز ان تكون تامة من غير تضمين لانها اذا كانت كذلك كان معناها ظهر او ذهب ومنه
برح الخفاء اي ظهر او ذهب ومعنى الظهور لا يليق والذهاب لا يصل الى الظرف المخصوص الا بواسطة في تقول ذهبت
في الارض ولا يجوز ذهبت الارض وقد جاء في لا يقاس عليه وقال ابو البقاء ويجوز ان يكون ظرفا قال شهاب الدين
ويحتمل ان يكون سقط من النسخ لفظة لا وكان ولا يجوز ان تكون ظرفا واعلم انه لا يجوز في ابرح هنا ان تكون ناقصة
لانه لا ينتظم من الضمير الذي فيها ومن الارض مبتدا وخبر الا ترى انك لو قلت انا الارض لم يجز في من غير في كذا الا بالتاويل
وزيد في الارض **قوله تعالى** او يحكم الله لي في نصبه وجهان اظهرهما عطفه على ياذن والثاني انه منصوب

باضمار ان في جواب النفي وهو قوله فلن ابرح اي لن ابرح الارض الا ان يحكم كقولهم لالزمنك او تقضيني حقي اي الا
ان تقضيني قال ابو حيان ومعناها ومعنى الغاية متقاربان قال الشهاب لا يخفى ولبس المعنى على الثاني بل سياق المعنى
على عطفه على يأذن فانه غيا الامر بغايتين احدهما خاصة وهي اذن ابيه والثانية عامة لان اذن ابيه له في الانصراف
انصراف هو من حكم الله عز وجل **فصل** اعلم انه لما ايسوا من تخليصه وتناجوا فيما بينهم قال لهم كبيرهم الم
تعلموا ان اباكم قد اخذ عليكم عهدا من الله ومن قبل هذا فرطتم في شان يوسف ولم تحفظوا عهد ابيكم فلن ابرح الارض
التي انا بها وهي ارض مصر اي فلن افارق ارض مصر حتى يأذن لي ابي في الانصراف اليه والخروج منها او يحكم الله لي بالسيف
واقاتلهم واسترد اخي وهو خير الحاكمين لانه لا يحكم الا بالعدل والحق فحينئذ نفكر واني لا اصوب ما هو فطرتم ان الاصوب
هو الرجوع وان تذكروا لابيكم كيفية الواقعة فقال الاخ المحتبس بمصر لاخوته ارجعوا الى ابيكم فقولوا يا ابانا ان ابنك
بنيامين سرق قرا العامة سرق مبنيا للفاعل مخففا وابن عباس وابو رزين والضحاك والكسائي في رواية سرق بضم السين
وكسر الراء مشددا مبنيا للمفعول يعني نسب الى السرقة كما يقال خونته اي نسبته الى الخيانة قال الزجاج سرق يحتمل
معنيين احدهما علم منه السرق والآخر اتهم بالسرق قال الجوهري والسرق والسرقة بكسر الراء فيهما هو اسم الشيء المسروق والمصدر
سرق يسرق سرقا بالفتح وقرا الضحاك سارق فجعله اسم فاعل وما شهدنا الا بما علمنا فانا رأينا اخراج صاع من متاعه وقيل
معناه وما شهدنا الا بما علمنا فانا رأينا اخراج صاع من متاعه وقيل معناه وما شهدنا اي ما كانت منا شهادة في
عمرنا على شيء الا بما علمنا وليست هذه شهادة منا انما هو خبر عن صنيع ابنك بزعمهم فان قيل كيف حكموا عليه بانه سرق
من غير بينة لا سيما وقد اجابهم بالنفي فقال الذي جعل الصواع في رحلي هو الذي جعل البضاعة في رحالكم فالجواب
من وجوه احدها انهم شاهدوا ان الصواع كان موضوعا في موضع لم يدخله احد غيرهم فلما شاهدوا اخراج الصواع من رحله
غلب على ظنونهم انه الذي اخذ الصواع واما قوله وضع الصواع في رحلي الذي وضع البضاعة في رحالكم فالفرق ظاهر لانهم
لما رجعوا بالبضاعة اليهم اعترفوا بانهم هم الذين وضعوها في رحالهم واما الصواع فلم يعترف احد بانه هو الذي وضع الصواع
فلهذا غلب على ظنونهم انه سرق فشهدوا بناء على غلبة الظن ثم بينوا انهم غير قاطعين بهذا الامر بقولهم وما شهدنا الا بما
علمنا وما كنا للغيب حافظين وثانيها تقدير الكلام ان ابنك سرق في قول الملك واصحابه ومثله كثير في القرآن قال
تعالى ذق انك انت العزيز الكريم اي عند نفسك واما عندنا فلا فكذا ههنا وثالثها ان ابنك ظهر عليه ما يشبه
السرقة ومثل هذا الفعل قد يسمى سرقة فان اطلاق اسم احد المشتبهين على الآخر جائز ومثله في القرآن وجزاء سيئة
سيئة مثلها ورابعها انهم ما كانوا انبياء في ذلك الوقت فلا يبعد ان يقال انهم ذكروا هذا الكلام على سبيل المجازفة
لا سيما وقد شاهدوا شيئا يوهم ذلك وخامسها قراءة ابن عباس رضي الله عنهما المتقدمة سرق اي نسب الى السرقة فهذه لا تحتاج
الى تأويل الا انه تقدم ان امثال هذه القراءة لا تدفع السؤال لان الاشكال باق انما يندفع اذا كانت القراءة الاولى
باطلة وهذه القراءة حقة اما اذا كانتا حقتين كان الاشكال باقيا فان صحت هذه القراءة او لم تصح فلا بد من الرجوع
الى احد الوجوه المذكورة **فصل** دل قولهم وما شهدنا الا بما علمنا على ان الشهادة غير العلم لان هذا الكلام
يقتضي كون الشهادة مغايرة للعلم ولقوله صلوات الله وسلامه عليه اذا علمت مثل الشمس فاشهد وليست الشهادة عبارة
عن قوله اشهد لانه اخبار عن الشهادة والاخبار عن الشهادة غير الشهادة واذا ثبت هذا فنقول الشهادة عبارة عن الحكم
الذهني وهو الذي تسميه المتكلمون بكلام النفس **فصل** قال القرطبي تضمنت هذه الآية جواز الشهادة
بأي وجه حصل العلم فان الشهادة مرتبطة بالعلم عقلا وشرعا فلا تسمع الا ممن علم ولا تقبل الا منهم وهذا هو الاصل
في الشهادات ولهذا قال اصحابنا شهادة الاعمى جائزة وشهادة المستمع جائزة وشهادة الاخرس اذا فهمت اشارته جائزة
وكذلك الشهادة على الخط اي اذا تيقن انه خطه او خط فلان صحيحه فكل من حصل له العلم بشيء جاز ان يشهد به وان لم
يشهده المشهود عليه قال الله تعالى الا من شهد بالحق وهم يعلمون وقال صلوات الله وسلامه عليه الا اخبركم بخير
الشهداء الذي يأتي بشهادته قبل ان يسألها **قوله تعالى** وما كنا للغيب حافظين قال مجاهد وقتادة
ما كنا نعلم ان ابنك سيسرق ويصير امرنا الى هذا ولو علمنا بذلك ما ذهبنا به معنا وانما قلنا ونحفظ اخانا مما لنا
الى حفظه منه سبيل وقال عكرمة لعل الصواع دس في الليل فان الغيب هو الليل على بعض اللغات وقيل انهم اخرجوا
الصواع من رحله فاما حقيقة الحال فغير معلومة لنا فان الغيب لا يعلمه الا الله تعالى وعن ابن عباس رضي الله عنهما
ما كنا لليله ونهاره ومجيئه وذهابه حافظين وقيل ان يعقوب صلوات الله عليه قال لهم هب انه سرق ولكن كيف
علم الملك ان شرع بلادي ان من سرق يسترق بل انتم ذكرتموه لغرضكم فقالوا عند ذلك انا ذكرنا له هذا الحكم
قبل ان نعلم ان هذه الواقعة تقع فيها فقولهم وما كنا للغيب حافظين اي ما كنا نعلم ان الواقعة تصيبنا فان قيل

فهل يجوز من يعقوب ان يخفى حكم الله تعالى فالجواب لعله كان ذلك الحكم مخصوصا بما اذا كان المسروق منه
مسلما فلهذا انكر ذكر هذا الحكم عند الملك الذي ظنه كافرا **قوله تعالى** واسأل القرية يحتمل ثلاثة اوجه اشهرها
انه على حذف مضاف اي واسأل اهل القرية واهل العير وهو مجاز شائع قاله ابن عطية وغيره قال ابو علي الفارسي
ودافع جواز هذا في اللغة كدافع الضروريات وجاحد المحسوسات وهذا على خلاف في المسألة هل الاضمار من
باب المجاز او غيره المشهور انه قسم منه وعليه اكثر الناس قال ابو المعالي قال بعض المتكلمين هذا من الحذف وليس
من المجاز لفظة استعيرت لغير ما هي له قال وحذف المضاف هو عين المجاز وعظمه هذا مذهب سيبويه وغيره وحكي
انه قول الجمهور وقال ابن الخطيب ان المجاز والاضمار قسيمان لا قسمان فهما متباينان الثاني انه مجاز ولكنه من باب
اطلاق اسم المحل على الحال للمجاورة كالراوية الثالث انه حقيقة لا مجاز فيه وذلك قال ابو بكر الاصفهاني رضي الله عنه
المعنى واسأل القرية والعير فانها تجيبك وتذكر لك صحة ما ذكرنا لانك من اكابر الانبياء فيجوز ان ينطق الله لك الجماد
والبهائم وقيل ان الشيء اذا ظهر ظهورا تاما كاملا فقد يقال فيه اسأل السماء والارض وجميع الاشياء عنه والمراد انه بلغ
في الظهور الى الغاية حتى لم يبق للشك فيه مجال والمراد من القرية مصر وقيل قرية على باب مصر قال ابن عباس رضي الله عنهما
هي قرية من قرى مصر كانوا ارتحلوا منها الى مصر واما قوله والعير التي اقبلنا فيها اي القافلة التي كنا فيها قال المفسرون كان
صحبهم قوم من الكنعانيين من جيران يعقوب قال ابن اسحق عرف الاخ المحتبس بمصر ان اخوته اهل تهمة عند ابيهم لما كانوا
صنعوا في امر يوسف صلوات الله عليه فامرهم ان يقولوا هذا لابيهم ثم انهم لما بالغوا في التاكيد والتقرير قالوا وانا لصادقون
يعني سواء نسبتنا الى التهمة او لم تنسبنا فنحن صادقون وليس غرضهم ان يثبتوا صدق انفسهم لان هذا يجري مجرى اثبات
الشيء بنفسه بل الانسان اذا قدم ذكر الدليل القاطع على صحة الشيء فقد يقول بعده وانا صادق في ذلك يعني فتامل
فيما ذكرته من الدلائل والبينات **فصل** قال القرطبي دلت هذه الآية على ان كل من كان على حق وعلم انه
قد يظن به انه على خلاف ما هو عليه او يتوهم انه يرفع التهمة وكل ريبة عن نفسه ويصرح بالحق الذي هو عليه حتى لا يبقى
متكلم وقد فعل هذا نبينا محمد صلوات الله وسلامه عليه بقوله للرجلين اللذين مرا وهو قد خرج مع صفية يقلبها
من المسجد على رسلكما انما هي صفية بنت حيي فقالا سبحان الله وكبر عليهما فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الشيطان يجري
من ابن آدم مجرى الدم واني خشيت ان يقذف في قلوبكما شرا او قال شيئا متفق عليه فان قيل كيف استجاز يوسف ان يعمل
هذا بابيه ولم يخبره بمكانه وحبس اخاه مع علمه بشدة وجد ابيه عليه ففيه معنى العقوق وقطيعة الرحم وقلة الشفقة
فالجواب انه فعل ذلك بامر الله عز وجل امره به ليزيد في بلاء يعقوب فيضاعف له الاجر والحقه في الدرجة باباته
الماضين وقيل انه لم يظهر نفسه لاخوته لانه لم يأمن ان يدبروا في امره تدبيرا فيكتموه عن ابيه والاول اصح **قوله
تعالى** قال بل سولت لكم انفسكم امرا هذا الاضراب لا بد له من كلام قبله متقدم عليه يضرب هذا عنه والتقدير
رجعوا الى ابيهم وذكروا له ما قال كبيرهم فقال يعقوب ليس الامر كما ذكرتم حقيقة بل سولت زينت لكم انفسكم انه سرق
امرا اي حمل اخيكم الى مصر وليس المراد منه الكذب كواقعة يوسف وقيل سولت لكم انفسكم انه سرق وما سرق فصبر جميل
وتقدم الكلام على نظيره وقال هناك والله المستعان على ما تصفون وقال ههنا عسى الله ان يأتيني بهم جميعا قال بعضهم
يعني يوسف وبنيامين واخاهم المقيم بمصر وانما حكم بهذا الحكم لانه لما طال حزنه وبلاؤه علم ان الله سبحانه سيجعل له
فرجا ومخرجا عن قريب فقال ذلك على سبيل حسن الظن برحمة الله تعالى وقيل لعله كان قد اخبر من بعد محنته بيوسف
انه حي او ظهرت له علامات ذلك ثم قال انه هو العليم الحكيم العليم بحقائق الامور الحكيم فيها على الوجه المطابق للفضل
والاحسان وقيل العليم بحزني ووجدي على فقدهم الحكيم في تدبير خلقه **قوله تعالى** وتولى عنهم وقال يا اسفا
على يوسف الآية لما سمع يعقوب كلام بنيه ضاق قلبه وهيج حزنه على يوسف فاعرض عنهم وقال يا اسفا اي يا حزني على يوسف
والاسف اشد الحزن وانما عظم حزنه على مفارقة يوسف عند هذه الواقعة لوجوه الاول ان الحزن القديم الكامن اذا وقع
عليه حزن آخر كان اوجع قال متمم بن نويرة

فقال اتبكي كل قبر رأيته ⁕ لقبر ثوى بين اللوى فالدكادك
فقلت له ان الاسى يبعث الاسى ⁕ فدعني فهذا كله قبر مالك

وذلك لانه رأى قبرا فتجدد عليه حزنه على اخيه مالك فلاموه عليه فاجاب ان الاسى يبعث الاسى الثاني ان بنيامين
ويوسف كانا من ام واحدة وكانت المشابهة بينهما في الصفة متقاربة فكان يعقوب صلوات الله عليه يتسلى برؤيته
عن رؤية يوسف فلما وقع ما وقع زال ما يوجب السلوة فعظم الالم الثالث ان المصيبة بيوسف كانت اصل مصيباته
وعليها ترتيب سائر المصائب فكان الاسف عليه اسفا على الكل الرابع ان هذه المصائب كانت اسبابها جارية مجرى
الامور المعلومة فلم يبحث عنها واما واقعة يوسف صلوات الله عليه كان يعلم كذبهم في السبب الذي ذكروه واما

السبب الحقيقي فلم يعلمه وايضا انه صلوات الله عليه كان يعلم حياة هؤلاء واما يوسف فما كان يعلم انه حي او ميت
فلهذه الاسباب عظم حزنه على مفارقته **قوله تعالى** يا اسفا الالف منقلبة عن ياء المتكلم وانما قلبت الفا
لان الصوت معها اتم ونداؤه على سبيل المجاز كانه قال هذا اوانك فاحضر نحو يا حسرتي وقيل هذه الف الندبة
وحذفت هاء السكت وصلا قال الزمخشري والتجانس بين لفظتي الاسف ويوسف مما يقع مطبوعا غير متعمد
فيما يبدع ونحوه اثاقلتم الى الارض ارضيتم ينهون عنه وينأون عنه يحسبون انهم يحسنون من سبا بنبا قال
شهاب الدين رحمه الله ويسمى هذا النوع تجنيس التصريف وهو ان تشترك الكلمتان في لفظ ويفرق بينهما بحرف ليس
في الاخرى وقد تقدم وقرأ ابن عباس ومجاهد من الحزن بفتحتين وقتادة بضمتين والعامة بضمة وسكون
فالحزن والحزن كالعدم والعدم والبخل والبخل واما الضمتان فالثانية اتباع وقال الواحدي اختلفوا في الحزن
والحزن فقال قوم الحزن البكا والحزن ضد الفرح وقال قوم هما لغتان يقال اصابه حزن شديد وحزن شديد
اذا كان في موضع النصب فتحوا الحاء والزاي كقوله تولوا واعينهم تفيض من الدمع حزنا واذا كان في موضع الرفع او الخفض
ضم الحاء كقوله من الحزن وقوله اشكو بثي وحزني الى الله قال هما في موضع رفع بالابتداء وكظيم يجوز ان يكون مبالغة
بمعنى فاعل وان يكون بمعنى مفعول كقوله وهو مكظوم وبه فسر الزمخشري فان كان بمعنى الكاظم فهو الممسك على حزنه
فلا يظهره وان كان بمعنى المكظوم فقال ابن قتيبة معناه المملوء من الحزن مع سد طريقه الصدر من كظم السقاء اذا
سد على مليه ويجوز ان يكون مملوا من الغيظ على اولاده **فصل** تقدم الكلام على الاسف واما قوله
وابيضت عيناه من الحزن فقيل انه لما قال يا اسفا على يوسف غلبه البكاء وعند غلبة البكا يكثر الماء في العين
فتصير العين كانها ابيضت من بياض ذلك الما فقوله وابيضت عيناه كناية عن غلبة البكا رواه الواحدي عن ابن عباس
وقال مقاتل كناية عن العمى فلم يبصر بهما شيئا حتى كشفه الله تعالى بقميص يوسف صلوات الله عليه لقوله فالقوه على
وجه ابي يات بصيرا وقال فلما ان جاء البشير القاه على وجهه فارتد بصيرا ولان الحزن الدايم يوجب البكا
الدايم وهو يوجب العما لانه يوجب كدورة على سواد العين وقيل ما عمي لكنه صار بحيث يدرك ادراكا ضعيفا

كما قال ● خليلي اني قد عشيت من البكا ● فهل عند غيري مقلة استعيرها ●

قيل ما صحت عيناي يعقوب من وقت فراق يوسف الى حين لقائه وتلك المدة ثمانون سنة وما كان على وجه
الارض اكرم على الله من يعقوب صلوات الله عليه **قوله تعالى** تفتؤ تذكر يوسف هذا جواب القسم وقوله
تالله وهو على حذف لا اي لا تفتؤ كقول الشاعر ●

● تالله يبقى على الايام ذو حيد ● بمشمخر به الظيان والاس ●

اي لا يبقى ويدل على حذفها انه لو كان مثبتا لاقترن بلام الابتدا ونون التوكيد معا عند البصريين
او احدهما عند الكوفيين وتقول والله احبك تريد لا احبك وهو من التورية فان كثيرا من الناس يتبادر ذهنه
الى اثبات المحبة وتفتؤ هنا ناقصة بمعنى لا تزال قال ابن السكيت ما زلت افعله وما فتيت افعله وما برحت
افعله ولا يتكلم بهن الا في الجحد قال ابن قتيبة يقال ما فتيت وما فتيت لغتان ومعناه ما نسيته وما انقطعت
عنه واذا كانت ناقصة فهي ترفع الاسم وهو الضمير وتنصب الخبر وهو الجملة من قوله تذكر اي لا تزال ذاكرا له
يقال ما فتي زيد ذاهبا قال اوس ابن حجر ● فما فتيت حتى كان غبارها ● سرادق يوم ذي رياح ترفع ●
وقال ايضا ● فما فتيت خيل تثوب وتدعي ● ويلحق منها لاحق ويقطع ● وعن مجاهد لا تفتر قال الزمخشري
كانه جعل الفتؤ والفتور اخوين كما تقدم عن ابن قتيبة وفيها لغتان فتا على وزن ضرب وافتا على وزن اكرم
وتكون تامة بمعنى سكن واطفا كذا قاله ابن مالك وزعم ابو حيان انه تصحيف منه وانما هي فثا بالثاء المثلثة
ورسمت هذه اللفظة تفتؤ بالواو والقياس تفتا بالالف وكذلك يوقف لحمزة بالوجهين اعتبارا بالخط والقياس
تفتا بالالف **قوله تعالى** حرضا الحرض الرجل يحرض حرضا بفتح الراء فهو حرض بكسرها فالحرض مصدر ويجي في الاية
الاوجه التي في رجل عدل كما تقدم ويطلق المصدر من هذه المادة على الجسد طلاقا شايعا ولذا يستوي فيه المفرد
والمثنى والمجموع والمذكر والمونث تقول هو حرض وهما حرض وهم حرض وهي حرض وهن حرض ويقال رجل حرض
بضمتين نحو جنب وشلل ويقال احرضه كذا اي اهلكه قال الشاعر ●

● اني امرؤ لج بي حب فاحرضني ● حتى بليت وحتى شفني السقم ●

فهو محرض قال الشاعر ● ارى المرء كالازواد يصبح محرضا ● كاحراض بكر في الديار مريض ●
وقرا بعضهم حرضا بكسر الراء قال الزمخشري رحمه الله وجاءت القراءة بهما جميعا يعني بفتح الراء وكسرها وقرا الحسن

حرضا بضمتين وقد تقدم انه كجنب وشلل وزاد الزمخشري وغرب وقال الراغب الحرض ما لا يعتد به ولا
فيه وكذلك يقال للمشارف على الهلاك حرض قال عز وجل سبحانه حتى تكون حرضا وقد احرضه كذا قال الشاعر
اني امرؤ لج بي ● البيت ● والحرضة من لا ياكل الا لحم الميسر لنذالته والتحريض الحث على الشي بكثرة التزيين وتسهيل
الخطب فيه كانه ازالة الحرض نحو قذيته اي ازلت عنه القذى واحرضته افسدته نحو اقذيته اي جعلت فيه القذى انتهى
والحرض الاشنان لازالته الفساد والحرضة وعاؤه وشذوذها كشذوذ منخل ومسعط ومكحله وحكى الواحدي
عن اهل المعاني ان اصل الحرض فساد الجسم والعقل للحزن والحب وقولهم حرضت فلانا على فلان تاويله افسدته
واحميته عليه قال الله تعالى وحرض المومنين على القتال واذا عرف هذا فوصف الرجل بانه حرض اما ان يكون المراد
انه ذو حرض بحذف المضاف او المراد انه لما تناهي في الفساد والضعف فكانه صار عين الحرض ونفس الفساد
واما الحرض بكسر الراء فهو الصفة كما قرئ بهما وللمفسرين فيه عبارات احدها الحرض والحارض هو الفاسد الراي
وثانيها قال نافع بن الازرق سال ابن عباس رضي الله عنهما فقال الفاسد الراي وثالثها انه الذي يكون لا كالاحيا
ولا كالاموات وذكر ابو روق حتى تكون حرضا بضم الحاء وسكون الراء ثم قال تبارك وتعالى او تكون من الهالكين
من الاموات والمعنى لا تزال تذكر يوسف بالحزن والبكاء عليه حتى تصير بحيث لا تنتفع بنفسك او تموت من الغم
واراد وا بذلك منعه من كثرة الاسف فان قيل لم حلفوا على ذلك مع انهم لم يعلموا ذلك قطعا فالجواب انهم بنوا
الامر على الظاهر قال المفسرون القايل لهذا الكلام وهو قوله تالله تفتؤ تذكر يوسف هم اخوة يوسف وقال بعضهم
ليس الاخوة بل الجماعة الذين كانوا في الدار من اولاده وخدمه فقال يعقوب صلوات الله عليه انما اشكو بثي وحزني
الى الله والبث شدة الحزن كانه لقوته لا يطاق حمله فيبثه الانسان اي يفرقه ويذيعه وقد تقدم ان اصل هذه
المادة الدالة على الانتشار وجوز فيه الراغب هنا وجهين احدهما انه مصدر في معنى المفعول قال اي غمي الذي
بثه عن كتمان فهو مصدر في تقدير مفعول او بمعنى غمي الذي بث فكري فيكون في معنى الفاعل وقرا الحسن وعيسى
وحزني بفتحتين وقتادة بضمتين وقد تقدم **فصل** المعنى ان يعقوب لما راى غلظتهم قال انما
اشكو همي وحزني الى الله وسمي شدة الحزن بثا لان صاحبه لا يصبر عليه حتى يبثه اي يظهره وقال الحسن رحمه الله بثي اي
حاجتي والمعنى ان هذا الذي اذكره لا اذكره معكم وانما اذكره في حضرة الله تعالى والانسان اذا ذكر شكواه الى الله سبحانه
وتعالى كان في زمرة المحققين روي انه قيل له يا يعقوب ما الذي اذهب بصرك وقوس ظهرك قال اذهب بصري
بكاي على يوسف وقوس ظهري حزني على اخيه فاوحى الله تعالى اليه اتشكوني وعزتي لا اكشف ما بك حتى تدعوني فعند
ذلك قال انما اشكو بثي وحزني الى الله ثم قال واعلم من الله ما لا تعلمون اي اعلم من رحمته واحسانه ما لا تعلمون
وهو انه تعالى ياتيني بالفرج من حيث لا احتسب وهو اشارة الى انه كان يتوقع رجوع يوسف اليه وذكروا لسبب
هذا التوقع وجوها احدها ان ملك الموت اتاه فقال له يا ملك الموت هل قبضت روح ابني يوسف قال لا يا نبي
الله ثم اشار الى جانب مصر وقال اطلبه هاهنا وثانيها انه علم من رويا يوسف انها صادقة وان الجميع سيسجدون له وثالثها
لعله تعالى اوحى اليه انه سيوصله اليه ولكنه تعالى ما عين الوقت فلهذا قال بقي في القلق ورابعها قال السدي
لما اخبره بنوه بسيرة الملك وحاله في اقواله وافعاله طمع ان يكون يوسف وقال لا يبعد ان يملك الكفار مثل
هذا وخامسها علم قطعا ان بنيامين لا يسرق وسمع ان الملك ما اذاه ولا ضربه فغلب على ظنه ان ذلك الملك
هو يوسف فعند ذلك قال يا بني اذهبوا فتحسسوا من يوسف واخيه اي استقصوا خبره بحواسكم والتحسس طلب
الشي بالحاسة قال ابن الانباري يقال تحسست عن فلان ولا يقال من فلان وقيل هاهنا من يوسف لانه اقيم مقام
عن قال ويجوز ان يقال من للتبعيض والمعنى تحسسوا خبرا من اخبار يوسف واستعلموا بعض اخبار يوسف فذكرت
كلمة من لما فيها من الدلالة على التبعيض والتحسس يكون في الخير والشر وقيل بالحاء في الخير وبالجيم في الشر ولذلك قال
هنا فتحسسوا وفي الحجرات ولا تجسسوا وليس كذلك فانه قد قرئ بالجيم هنا قال تعالى ولا تياسوا من روح الله
وتقدم الخلاف في قوله ولا تياسوا وقرا الاعرج تيسوا والعامة على روح الله بالفتح وهو رحمته وتنفيسه قال
الاصمعي رحمه الله الروح ما يجده الانسان من نسيم الهوا فيسكن اليه وتركيب الراء والواو والحاء يفيد الحركة وهو
الاهتزاز فكلما يهتز الانسان ويلتذ بوجوده فهو روح قال ابن عباس رضي الله عنهما لا تياسوا من روح الله اي من
رحمة الله وعن قتادة من فضل الله وقيل من فرج الله وقرا الحسن وعمر بن عبد العزيز وقتادة رضي الله عنهم بضم الراء
قال الزمخشري اي من رحمته التي يحيي بها العباد وقال ابن عطية وكان معنى هذه القراءة لا تياسوا من حي معه روح الله
الذي وهبه فان من بقي روحه يرجي ومن هذا قول الشاعر ●

وفي غير من قد وارت الارض فاطمع • ومن هذا قول عبيد بن الابرص • وكل ذي غيبة يؤوب •
وغايب الموت لا يؤوب • وقرأ ابي من رحمة الله وعبد الله من فضل الله تفسير لا تلاوة وقال ابو البقا الجمهور على فتح
الراء وهو مصدر في معنى الرحمة الا ان استعمال الفعل منه قليل وانما يستعمل بالزيادة مثل اراح وروح
ويقرأ بالضم للراء وهي لغة فيه وقيل هو اسم للمصدر مثل الشرب والشرب ثم قال انه لا ييأس من روح الله الا القوم
الكافرون قال ابن عباس ان المؤمن من الله على خير يرجوه في البلاء ويحمده في الرخاء واعلم ان اليأس من رحمة الله لا
يحصل الا اذا اعتقد الانسان ان الاله غير قادر على الكمال او غير عالم بجميع المعلومات او ليس بكريم بل هو بخيل
وكل واحد من هذه الثلاث يوجب الكفر فالمعنى ان اليأس لا يحصل الا لمن كان كافرا والله سبحانه وتعالى اعلم

فصل روي عن عبد الله بن يزيد بن ابي فروة ان يعقوب كتب كتابا الى يوسف صلوات الله وسلامه
عليهما حين حبس بنيامين من يعقوب اسرائيل الله بن اسحق ذبيح الله بن ابراهيم خليل الله صلوات الله وسلامه
عليهم الى ملك مصر اما بعد فانا اهل بيت وكل بنا البلاء اما جدي ابراهيم صلوات الله وسلامه عليه فشدت
يداه ورجلاه والقي في النار فجعلها الله عليه بردا وسلاما واما ابي فشدت يداه ورجلاه ووضع السكين على قفاه
ففداه الله واما انا فكان لي ابن وكان احب اولادي الي فذهب به اخوته الى البرية ثم اتوني بقميصه ملطخا
بالدم فقالوا اكله الذيب فذهبت عيناي ثم كان لي ابن وكان اخاه من امه وكنت اتسلى به وانك حبسته
وزعمت انه سرق وانا اهل بيت لا نسرق ولا نلد سارقا فان رددته علي والا دعوت عليك دعوة تدرك
السابع من ولدك فلما قرأ يوسف الكتاب لم يتمالك البكا وعيل صبره واظهر نفسه على ما يأتي ان شاء الله تعالى
قال ابن الخطيب في الاية سوالات الاول ان بلوغ يعقوب في محبة يوسف صلوات الله عليهما الى هذا الحد العظيم لا يليق الا
بمن كان غافلا عن الله تعالى فان من عرف الله تعالى احبه ومن احب الله لم يتفرغ قلبه لحب شي سوى الله تعالى
وايضا القلب الواحد لا يسع الحب المستغرق لشيئين فلما كان قلبه مستغرقا في حب ولده امتنع ان يقال انه كان
مستغرقا في حب الله تعالى السوال الثاني ان عند اشتداد الحزن الشديد عليه كان من الواجب عليه ان يشتغل بذكر
الله تعالى والتفويض والتسليم لقضائه واما قوله يا اسفا على يوسف فذلك لا يليق باهل الدين والعلم فضلا
عن اكابر الانبياء صلوات الله عليهم السوال الثالث لا شك ان يعقوب عليه الصلاة والسلام كان من اكابر الانبياء
وكان ابوه وجده وعمه كلهم من اكابر الانبياء والمشهورين في جميع الانبياء ومن كان كذلك ثم وقعت له واقعة
هائلة في اعز اولاده فهل تخفى تلك الواقعة بل لا بد وان تبلغ في الشهرة الى حيث يعرفها كل احد لا سيما وقد انقضت
المدة الطويلة فيها وبقي يعقوب على حزنه الشديد واسفه العظيم وكان يوسف في مصر وكان يعقوب في بعض بوادي
الشام قريبا من مصر فمع قرب المسافة يمتنع بقاء هذه الواقعة خفية السوال الرابع لم لم يبعث يوسف الى يعقوب
صلوات الله عليهما ويعلمه انه في الحيوة وفي السلامة ولا يقال انه كان يخاف اخوته لانه بعد ان صار ملكا قاهرا
كان يمكنه ارسال الرسول اليه واخوته ما كانوا يقدرون على دفع رسوله السوال الخامس كيف جاز ليوسف صلوات
الله عليه ان يضع الصاع في وعاء اخيه ثم يستخرجه ويلصق به تهمة السرقة مع انه كان بريا عنها السوال السادس
كان رغب في الصاق هذه التهمة له وحبسه عند نفسه مع انه كان يعلم انه يزداد حزن ابيه ويقوى والجواب عن
الاول ان مثل هذه المحنة الشديدة يكون كثير الرجوع الى الله تعالى كثير الاشتغال بالدعاء والتضرع وذلك يكون
سببا لكمال الاستغراق وعن الثاني ان الداعية الانسانية لا تزول في الحيوة العاجلة فتارة كان يقول يا اسفا
على يوسف وتارة كان يقول فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون واما بقية الاسولة فالقاضي اجاب عنها
فقال هذه الوقايع التي نقلت الينا اما ان يمكن تخريجها على الاحوال المعتادة او لا يمكن فان كان الاول فلا اشكال
وان كان الثاني فنقول كان الزمان زمان الانبياء وخرق العادة في هذا الزمان غير مستبعد فلم يمتنع ان
يقال ان بلدة يعقوب مع انها كانت قريبة من بلد يوسف صلوات الله عليه ولكن لم يصل خبر احدهما الى الاخر
على سبيل نقض العادة **قوله تعالى** فلما دخلوا عليه قالوا يا ايها العزيز فان قيل اذا كان يعقوب امرهم ان يتحسسوا
من يوسف واخيه فلم عادوا الى الشكوى فالجواب ان المتحسس يتوصل الى مطلوبه بجميع الطرق والاعتراف بالعجز
وضيق الحال وقلة المال وشدة الحاجة وذلك مما يرقق القلب فقالوا نجربه في هذه الامور فان رق قلبه
لنا ذكرنا له المقصود والا سكتنا فلهذا قدموا ذكر ذلك فقالوا يا ايها العزيز والعزيز هو الملك القادر الممتنع
مسنا واهلنا الضر وهو الفقر والحاجة وكثرة العيال وقلة الطعام وعنوا باهلهم من خلفهم قوله تعالى مزجاة
اي مدفوعة يدفعها كل احد عنه لرداءتها ومنه الوتر ان الله يزجي سحابا اي يسوقها بالريح وقال حاتم الطائي

يبك

لبيك على ملحان ضيف مدفع • وارملة تزجي مع الليل ارملا •
ويقال ازجيت ردي الدراهم فزجي ومنه استعير زجا الخراج يزجو زجاء وخراج زاج وقول الشاعر
وحاجة غير مزجاة من الحاج • اي غير يسيرة يمكن دفعها وصرفها لقلة الاعتداد بها فالف مزجاة منقلبة عن واو

فصل انما وصفوا تلك البضاعة بانها مزجاة اما لنقصانها او لدناءتها او لهما جميعا قال بعضهم المزجاة
القليلة وقيل كانت ردية قال ابن عباس رضي الله عنهما كانت دراهم ردية لا تقبل في ثمن الطعام وقيل امتعة ردية
وقيل متاع الاعراب الصوف والسمن وقيل الحبة الخضراء وقيل الاقط وقيل النعال والادم وقيل سويق المقل
وقيل ان دراهم كانت منقوشة عليها صورة يوسف والدراهم التي جاؤا بها ما كان فيها صورة يوسف والدراهم التي جاؤا
بها ما كان فيها صورة يوسف وانما سميت البضاعة القليلة الردية مزجاة قال الزجاج من قولهم فلان يزجي العيش
اي يدفع الزمان بالقليل اي اتينا ببضاعة مزجاة ندافع بها الزمان وليست مما ينتفع بها وعلى هذا فالتقدير
ببضاعة مزجاة بها الايام وقال ابو عبيد انما قيل للدراهم الردية مزجاة لانها مردودة قال الزجاج من قولهم
فلان يزجي العيش اي يدفع الزمان بالقليل اي اتينا ببضاعة مزجاة ندفع بها الزمان وليس مما ينتفع بها
وعلى هذا فالتقدير ببضاعة مزجاة بها الايام وقال ابو عبيد انما قيل للدراهم الردية مزجاة لانها مردودة
مدفوعة غير مقبولة ممن ينفقها قال وهو من الازجاء والازجاء عند العرب الدفع وقيل مزجاة اي موضوعة مدفوعة
عن الانفاق لا يقبل مثلها الا من اضطر واحتاج اليها لفقد غيرها مما هو اجود منها وقال الكلبي مزجاة لغة
العجم وقيل هي من لغة القبط قال ابن الانباري لا ينبغي ان يجعل لفظ عربي في الاشتقاق منسوبا الى القبط وقرأ
حمزة والكسائي مزجاة بالامالة لان اصلها الياء والباقون بالفتح والتفخيم ثم لما وصفوا شدة حالهم ووصفوا بضاعتهم
بانها مزجاة قالوا له فاوف لنا الكيل يجوز ان يراد به حقيقة من الاله وان يراد به الكيل فيكون مصدرا والمعنى
اننا نريد ان تقيم الناقص مقام الزائد او تقيم الردي مقام الجيد وتصدق علينا اي تفضل بما بين الثمنين الجيد والردي
وسامحنا ولا تنقصنا وقال ابن جريج والضحاك وتصدق علينا برد اخينا الينا ان الله يجزي المتصدقين يثيب
المتصدقين قال الضحاك لم يقولوا ان الله يجزيك لانهم لم يعلموا انه مومن وسئل سفين بن عيينة هل حرمت الصدقة
على نبي من الانبياء سوى نبينا صلوات الله وسلامه عليه قال سفين الم تسمع قوله وتصدق علينا ان الله يجزي المتصدقين
يريد ان الصدقة كانت حلالا لهم والحرام انما فوق ذلك وقالوا حال الانبياء وحال اولاد الانبياء في طلب الصدقة
سواء لانهم يانفون من الخضوع الى المخلوقين ويغلب عليهم الانقطاع الى الله تعالى والاستغناء بمن سواه وروي عن
الحسن ومجاهد انهما كرها ان يقول الرجل في دعائه اللهم تصدق علينا لان الله لا يتصدق وانما يتصدق من يبغي الثواب
وانما يقول اللهم اعطني وتفضل علي **فصل** قال القرطبي استدل العلماء بهذه الاية على ان اجرة الكيال
على البايع لقولهم ليوسف صلوات الله وسلامه عليه اوف لنا الكيل فكان يوسف هو الذي يكيل وكذلك الوزان
والعداد وغيرهم لان الرجل اذا باع عدة من طعام معلومة واوجب العقد عليه وجب عليه ان يبرزها ويميز
حق المشتري من حقه الا ان المبيع فيه معينا صبرة او ما ليس فيه حق توفية فيخلي ما بينه وبينه وما جرى على المبيع فهو
من ضمان المبتاع وليس كذلك ما يتعلق به حق توفية من كيل او وزن الا ترى انه لا يستحق البايع الثمن الا بعد التوفية
وكذلك اجرة النقد على البايع ايضا لان المبتاع الدافع لدراهمه يقول انها طيبة فانت الذي تدعي الرداءة
فانظر لنفسك ليقع له فكان الاجر عليه ولذلك لا يجب اجرة القاطع على من يجب عليه القصاص لانه لا يجب عليه
ان يقطع بيد نفسه ولا ان يمكن من ذلك طايعا الا ترى ان فرضا عليه ان يفدي يده ويصالح عليه اذا طلب المقتص
ذلك وقال الشافعي رضي الله عنه ان الاجرة على المقتص منه كالبايع لانه يجب عليه تسليم يده **فصل**
روي انهم لما قالوا مسنا واهلنا الضر وتضرعوا اليه ادركته الرقة فارفض دمعه فباح بالذي كان يكتم فقال
لهم هل علمتم ما فعلتم بيوسف واخيه وقيل دفعوا اليه كتاب يعقوب فلما قرأ الكتاب ارتعدت مفاصله واقشعر
جلده ولان قلبه وكثر بكاؤه فصرح بانه يوسف **قوله تعالى** هل علمتم ما فعلتم يجوز ان تكون استفهاما
للتوبيخ وهو الاظهر وقيل هو خبر وهل بمعنى قد وقال الكلبي رحمه الله انما قال هل علمتم ما فعلتم بيوسف حين حكى لاخوته
ان مالك بن دعر قال اني وجدت غلاما في بير من حاله كيت وكيت فابتعته بكذا وكذا درهما فقالوا ايها الملك نحن
بعنا ذلك الغلام منه فغاظ يوسف صلوات الله عليه ذلك وامر بقتلهم فذهبوا بهم ليقتلوهم فولى يهوذا وهو
يقول كان يعقوب يحزن ويبكي لفقد واحد منا حتى كف بصره فكيف اذا اتاه قتل بنيه كلهم ثم قالوا له ان فعلت ذلك
فابعث بامتعتنا الى ابينا فانه بمكان كذا وكذا فذلك حين رحمهم وبكى وقال ذلك القول وفي هذه الاية تصديق لقوله

قوله تعالى جل ذكره واوحينا اليه لتنبئنهم بامرهم هذا وهم لا يشعرون واما قوله واخيه فالمراد ما فعلتم من تعريض
للغم بسبب افراده عن اخيه لابيه وامه وايضا كانوا يؤذونه ومن جملة الايذا قالوا في حقه ان يسرق فقد سرق اخ له
من قبل واما قوله اذ انتم جاهلون فهو يجري مجرى العذر لهم كانه قال انتم انما اقدمتم على ذلك الفعل القبيح المنكر
حال كونكم في حالة الصبا وفي جهالة الغرور يعني والان لستم كذلك ونظيره قوله جل ذكره تعالى ما غرك بربك
الكريم قيل انما ذكر تعالى الوصف ليكون ذلك جاريا مجرى الجواب فيقول العبد يا رب غرني كرمك فكذا ههنا
انما قال لهم يوسف ذلك الكلام ازالة للخجل عنهم وتخفيفا للامر عليهم وقيل المعنى اذ انتم جاهلون بما يؤول اليه امر يوسف
صلوات الله وسلامه عليه فان قيل كيف قال فعلتم بيوسف واخيه ولم يكن منهم الى اخيه شي ولم يسعوا في حبسه قيل هو قولهم
حين اخرج الصاع من رحله ما رأينا منكم يا بني راحيل وقيل فرقتم بينه وبين اخيه يوسف وقيل كانوا يؤذونه بعد
فقد يوسف **قوله تعالى** ائنك قرا ابن كثير وابو جعفر انك بهمزة واحدة على الخبر والباقون بهمزتين استفهاما وقد تقدم
قراآتهم في هاتين الهمزتين تخفيفا وتسهيلا وغير ذلك فاما قراءة ابن كثير فيحتمل ان يكون خبرا محضا واستبعد هذا
من حيث تخالف القراءتين مع ان القايل واحد وقد اجيب عن ذلك بان بعضهم قاله استفهاما وبعضهم قاله خبرا ويحتمل
ان يكون استفهاما حذف منه الاداة لدلالة السياق والقراءة الاخرى عليه وقد تقدم نحو هذا في الاعراف وقرا ابي او انت
وانت يوسف فمن قرا بالاستفهام قالوا ان يوسف لما قال لهم هل علمتم ما فعلتم بيوسف ابصروا ثناياه كاللؤلؤ
المنظوم وروى الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنه لما قال هذا القول تبسم فرأوا ثناياه كاللؤلؤ فشبهوه بيوسف ولم يعرفوه
فقالوا استفهاما ائنك لانت يوسف ويدل على انه استفهام قوله انا يوسف وانما اجابهم عما استفهموا ومن قرا على الخبر فحجته
ما روي عن ابن عباس رضي الله عنه انه قال ان اخوة يوسف لم يعرفوه حتى وضع التاج عن راسه وكان في قرنه شامة وكان لاسحق
ويعقوب مثلها شبه الشامة فعرفوه بتلك العلامة وقال ابن اسحق كان يتكلم من وراء ستر فلما قال هل علمتم ما فعلتم بيوسف رفع
الحجاب فعرفوه وقيل قالوه على التوهم واللام في لانت لام الابتدا وانت مبتدا ويوسف خبره والجملة خبران ويجوز ان يكون
انت فصلا ولا يجوز ان يكون تاكيدا لاسم ان هذه اللام لا تدخل على التوكيد وقرا ابي ائنك او انت يوسف وفيها وجهان
احدهما قال ابو الفتح ان الاصل ائنك لغير يوسف او انت يوسف فحذف خبر ان لدلالة المعنى عليه والثاني قال الزمخشري وهو
ائنك يوسف او انت يوسف فحذف الاول لدلالة وهذا كلام متعجب مستغرب لما يسمع فهو يكرر الاستثبات فقال انا يوسف
وهذا اخي وانما صرح بالاسم تعظيما لما نزل به من ظلم اخوته وما عوض من الظفر والنصر فكانه قال انا الذي ظلمتموني
على اعظم الوجوه والله اوصلني الى اعظم المناصب انا ذلك العاجز الذي قصدتم قتله والقاءه في الجب ثم صرت كما ترون
ولهذا قال وهذا اخي مع انهم كانوا يعرفونه لان مقصوده ان يقول وهذا ايضا كان مظلوما كما كنت ثم انه صار
منعما عليه من قبل الله كما ترون قد من الله علينا قال ابن عباس رضي الله عنه بكل عز في الدنيا والاخرة وقيل بالجمع
بيننا بعد الفرقة **قوله تعالى** انه من يتق قرا قنبل يتقي باثبات الياء وصلا ووقفا والباقون بحذفها فاما
قراءة الجماعة فواضحة لانه مجزوم واما قراءة قنبل يتقي فاختلف فيها الناس على قولين اجودهما ان اثبات حرف
العلة في الجزم لغة لبعض العرب وانشدوا قول ابن زهير • الم ياتيك والانباء تنمي • بما لاقت لبون بني زياد •
وقول الاخر • هجوت زبان ثم جئت معتذرا • من هجو زبان لم تهجو ولم تدع •
وقول الاخر • اذا العجوز غضبت فطلق • ولا ترضاها ولا تملق •
وقول الاخر • اني اذا القوم كانوا انجيه • واضطرب القوم اضطراب الاوسيه • هناك اوصيني ولا توصي به •
ومذهب سيبويه ان الجزم بحذف الحركة وانما يتبعها حرف العلة في الحذف تفرقة بين المرفوع والمجزوم واعترض
عليه بان الجازم يبين انه مجزوم وعدمه يبين انه غير مجزوم واجيب بانه في بعض الصور يلبس فاطرد الحذف بيانه
انك اذا قلت زرني اعطيك بثبوت الياء احتمل ان يكون اعطيك جزاء الزيارة وان يكون خبرا مستانفا فاذا قلت
اعطك بحذفها تعين ان يكون جزاء له فقد وقع اللبس بثبوت حرف العلة وفقد بحذفه فيقال حرف العلة يحذف عند
الجازم لا به ومذهب ابن السراج ان الجازم اثر في نفس الحرف فحذفه وفيه البحث المتقدم الثاني انه مرفوع غير مجزوم
ومن موصولة والفعل صلتها فلذلك لم تحذف لامه واعترض على هذا بانه قد عطف عليه مجزوم وهو قوله ويصبر
فان قنبلا لم يقرا الا باسكان الراء واجيب عن ذلك بان التسكين لتوالي الحركات وان كان من كلمتين كقراءة
ابي عمرو ينصركم ويامركم واجيب ايضا بانه جزم على التوهم يعني لما كانت من الموصولة تشبه من الشرطية وهذه عبارة
فيها غلط على القران فينبغي ان يقال فيها مراعاة للشبه اللفظي ولا يقال للتوهم واجيب ايضا بانه سكن للوقف ثم اجري
الوصل مجرى الوقف واجيب ايضا بانه انما جزم حملا لمن الموصولة على من الشرطية لانها مثلها في المعنى ولذلك دخلت

الفا في خبرها قال شهاب الدين وقد بينا على هذا يجوز ان تكون من شرطية وانما ثبتت الياء ولم تجزم من لشبهها
بمن الموصولة ثم لم يعتبر هذا الشبه في قوله ويصبر فلذلك جزمه الا انه يبعد من جهة ان العامل لم يؤثر فيما
بعده ويليه ويؤثر فيما هو بعيد منه وقد تقدم الكلام على مثل هذه المسالة اول السورة في قوله نرتع ونلعب
وقوله تعالى فان الله لا يضيع الرابط بين جملة الشرط وبين جوابها اما العموم في المحسنين واما الضمير المحذوف
اي المحسنين منهم واما القيام الـ مقامه والاصل محسنيهم فقامت الـ مقام ذلك الضمير **فصل**
معنى الاية من يتق معاصي الله ويصبر على اذى الناس وقيل من يتق باداء الفرايض واجتناب المعاصي ويصبر على ما
حرم الله عليه وقال ابن عباس رضي الله عنه يتقي الزنا ويصبر على العزوبة وقال مجاهد يتقي المعصية ويصبر على
السجن فان الله لا يضيع اجر المحسنين قال ابن الخطيب واعلم ان يوسف صلوات الله عليه وصف نفسه في هذا المقام
الشريف بكونه متقيا ولو انه اقدم على المعصية على ما قالوه في حق زليخا لكان هذا القول كذبا منه وذكر الكذب
في مثل هذا المقام الذي يؤمن فيه الكافر ويتوب فيه العاصي لا يليق بالعقلاء **قوله تعالى** تالله لقد آثرك الله
علينا اي فضلك علينا والايثار التفضيل بجميع انواع العطايا آثره يؤثره ايثارا واصله من الاثر وهو تتبع الشي
فكانه يستقصي جميع انواع المكارم وفي الحديث سيكون بعدي اثرة اي يستاثر بعضكم على بعض ويقال استاثر
بكذا اي اختص به واستاثر الله بفلان كناية عن اصطفائه قال الشاعر •
• والله اسماك سمى مباركا • آثرك الله به ايثاركا •
قال الاصمعي يقال آثرك الله ايثارا اي فضلك والمعنى لقد فضلك الله علينا بالعلم والعقل والحسن والملك
فصل احتج بعضهم بهذه الاية على ان اخوة يوسف ما كانوا انبياء لان جميع المناصب العالية بالنسبة لمنصب
النبوة قليل فلو شاركوه في منصب النبوة لما قالوا تالله لقد آثرك الله علينا وعلى هذا يذهب سؤال من يقول آثره عليهم بالملك
وان شاركوه في النبوة لانا بينا ان ساير المناصب لا تعتبر في جنب منصب النبوة ثم قال وان كنا لخاطئين والخاطي
هو الذي اتى بالخطيئة عمدا وهذا هو الفرق بين الخاطي والمخطي ولهذا يقال للمجتهد الذي لم يصب انه مخطي ولا يقال
انه خاطي **فصل** اكثر المفسرين على ان الذي اعتذروا منه هو اقدامهم على القايه في الجب وبيعه وبعده عن ابيه
وقال الجبائي لم يعتذروا من ذلك لان ذلك كان منهم قبل البلوغ فلا يكون ذنبا فلا يعتذر منه وانما اعتذروا من
حيث اخطاوا بعد ذلك بان لم يظهروا لابيهم ما فعلوا ليعلم انه حي وان الذيب لم ياكله واجاب ابن الخطيب عن ذلك بانه
لا يجوز ان يقال انهم اقدموا على ذلك الفعل في زمن الصبا لانه من البعيد في مثل يعقوب ان يبعث جمعا من الصبيان
من غير ان يبعث معهم رجلا عاقلا يمنعهم عما لا ينبغي ويحملهم على ما ينبغي **قوله تعالى** لا تثريب عليكم يجوز ان
يكون خبر لا واليوم يحتمل ان يتعلق بما تعلق به هذا الخبر اي لا تثريب مستقر عليكم اليوم ويجوز ان يكون اليوم
خبر لا وعليكم متعلق بما تعلق به هذا الظرف ويجوز ان يكون عليكم صفة لاسم لا واليوم خبرها ايضا ولا يجوز ان
يتعلق كل من الظرف والجار بتثريب لانه يصير مطولا شبيها بالمضاف ومتى كان كذلك اعرب ونون نحو لا خيرا من زيد
عندك ويزيد عليه الظرف بانه يلزم الفصل بين المصدر المؤول بالموصول ومعموله باجنبي وهو عليكم لانه اما خبر
واما صفة وقد جوز الزمخشري ان يكون الظرف متعلقا بتثريب لانه يصير مطولا شبيها بالمضاف ومتى كان
كذلك فقال فان قلت بم يتعلق اليوم قلت بالتثريب او بالمقدر في عليكم من معنى الاستقرار او بيغفر فجعله انه
متعلق بتثريب وفيه ما تقدم وقد اجري بعضهم الاسم العامل مجرى المضاف لشبهه به فينزع ما فيه من تنوين او
نون وجعل الفارسي من ذلك قول الشاعر • اراني ولا كفران لله آية • لنفسي قد طالبت غير منيل
قال فانه منصوب بكفران اي لا اكفر الله آية لنفسي ولا يجوز ان ينصب آية بنفسي ولا باراني مضمنا للالزام الفصل
بين مفعولي اري بجملتين اي بلا وما في خبرها وباريت المقدرة ومعنى اريت رفقت وجعل منه ابن مالك ما جاء في
الحديث لا صمت يوم الى الليل برفع يوم على انه مرفوع بالمصدر المنحل لحرف مصدري وفعل مبني للمفعول وفي بعض ما
تقدم خلاف واما تعليقه بالاستقرار المقدر فواضح ايضا ولذلك وقف اكثر القراء عليه وابتدا يغفر الله لكم واما
تعليقه بيغفر فواضح ايضا ولذلك وقف بعض القراء على عليكم وابتدا اليوم يغفر الله لكم وجوزوا ان يكون عليكم
بيانا كالك في قولهم سقيا لك فعلى هذا يتعلق بمحذوف ويجوز ان يكون خبر لا محذوفا وعليكم واليوم كلاهما متعلقان
بمحذوف آخر يدل عليه تثريب والتقدير لا تثريب عليكم اليوم كما قدروا في لا عاصم اليوم من امر الله لا عاصم يعصم اليوم
قال ابو حيان لو قيل به لكان قويا وقد يفرق بينهما بان هنا يلزم كثرة المجاز وذلك انه تحذف الخبر وتحذف هذا الذي

تعلق به الظرف وحرف الجر ويسند الفعل اليه لان التثريب لا يثرب الا مجازا كقولهم شعر شاعر ولا عاصم
يعصمهم فان نسبة الفعل الى العاصم حقيقة فهنا الحذف في شيء واحد من غير مجاز وهنا حذف شيئين مع مجاز
والتثريب العتب والتأنيب وعبر بعضهم عنه بالتعيير من عيرته بكذا اذا عبته وفي الحديث اذا زنت امة احدكم
فليجلدها ولا يثرب اي لا يعير واصله من الثرب وهو ما يغشي الكرش من الشحم ومعناه ازالة الثرب كما ان التجليد
ازالة الجلد فاذا قلت ثربت فلانا فكانك لشدة عتبك له ازلت ثوبه فضرب مثلا في تمزيق الاعراض وقال الراغب
ولا يعرف من لفظه الا قولهم الثرب وهو شحمة رقيقة وقوله تعالى يا اهل يثرب يصح ان يكون اصله من هذا الباب
والياء فيه مزيدة **فصل** قال المفسرون التثريب التوبيخ قال عطا الخراساني طلب الحوائج الى الشباب اسهل
منها الى الشيوخ الا ترى الى قول يوسف صلوات الله عليه لاخوته لا تثريب عليكم اليوم وقول يعقوب عليه الصلاة
والسلام سوف استغفر لكم ربي واعلم انا اذا جعلنا اليوم متعلقا بلا تثريب اي لا اوبخكم اليوم وهو اليوم الذي
هو مظنة التثريب فما ظنكم بسائر الايام ويحتمل اني حكمت في هذا اليوم ان لا تثريب مطلقا لان قوله لا تثريب
نفي الماهية ونفي الماهية تقتضي نفي افراد جميع الماهية فكان ذلك مفيدا للنفي المتناول لكل الاوقات والاحوال
ثم انه لما ازال عنهم ملامة الدنيا طلب من الله ان يزيل عنهم عقاب الاخرة فدعا لهم بقوله يغفر الله لكم وان قلنا
اليوم متعلق بقوله يغفر الله لكم كانه لما نفى الذنب مطلقا بشرهم بان الله يغفر ذنبهم في هذا اليوم وذلك انهم
لما خجلوا واعترفوا وتابوا فالله تعالى قبل توبتهم وعفى ذنبهم فلذلك قال اليوم يغفر الله لكم روي ان رسول الله
صلوات الله وسلامه عليه اخذ بعضادتي الكعبة يوم الفتح وقال لقريش ما ترون قالوا نظن خيرا اخ كريم وابن اخ كريم
وقد قدرت قال اقول ما قال اخي يوسف لا تثريب عليكم اليوم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وروي ان
ابا سفيان لما جاء ليسلم قال له العباس رضي الله عنهما اذا اتيت رسول الله صلوات الله وسلامه عليه فاتل عليه قال
لا تثريب عليكم ففعل فقال رسول الله صلوات الله وسلامه عليه غفر الله لك ولمن علمك وروي ان اخوة يوسف
لما عرفوه ارسلوا اليه انا نستحيي منك لما صدر منا من الاساءة اليك فقال يوسف ان اهل مصر ولو ملكت فيهم فانهم ينظرون
بالعين الاولى ويقولون سبحان الذي بلغ عبدا بيع بعشرين درهما ما بلغ ولقد شرفت بابائكم وعظمت في العيون لمجيئكم
علم الناس انكم اخوتي واني من حفدة ابراهيم صلوات الله وسلامه عليه ثم سالهم عن ابيه فقال ما فعل ابي من بعدي قالوا ذهب
عيناه فاعطاهم قميصه وقال اذهبوا بقميصي هذا فالقوه على وجه ابي يات بصيرا اي يعد مبصرا وقيل ياتني بصيرا
قال الحسن رضي الله عنه لم يعلم انه يعود بصيرا الا بالوحي لان العقل لا يدل عليه وقال الضحاك كان ذلك القميص من نسج
الجنة وعن مجاهد امره جبريل صلوات الله عليه ان يرسل قميصه وكان ذلك القميص قميص ابراهيم صلوات الله عليه وذلك
انه جرد من ثيابه والقي في النار عريانا فاتاه جبريل صلوات الله عليه بقميص من حرير الجنة فالبسه اياه فكان ذلك
عند ابراهيم فلما مات ابراهيم صلوات الله عليه ورثه اسحق فلما مات اسحق صلوات الله عليه ورثه يعقوب صلوات الله
عليه فلما شب يوسف صلوات الله وسلامه عليه جعل ذلك يعقوب في قصبة وسد راسها وعلقها في عنقه لما كان
يخاف عليه من العين وكان لا يفارقه فلما القي في الجب عريانا جاءه جبريل صلوات الله وسلامه عليه وعلى يوسف
ذلك التعويذ فاخرج القميص منه والبسه ففي ذلك الوقت جاء جبريل وقال ارسل ذلك القميص فان فيه ريح الجنة
لا يقع على مبتلى ولا على سقيم الا عوفي فدفع يوسف ذلك القميص الى اخوته وقال القوه على وجه ابي يات بصيرا
اي يصير او يات الي وهو بصير والذكر تعظيما له وقال في الباقين واتوني باهلكم اجمعين قال ابن الخطيب ويمكن ان يقال
لعل يوسف علم ان اباه ما صار اعمى الا من كثرة البكاء وضيق القلب وذلك يضعف البصر واذا القي عليه قميصه
فلا بد وان ينشرح صدره وان يحصل في قلبه الفرح الشديد وذلك يقوي الروح ويزيل الضعف عن القوى
فحينئذ يقوى بصره ويزول عنه ذلك وهذا القدر مما يمكن معرفته بالقلب فان القوانين الطبية تدل على
صحة هذا المعنى قوله تعالى بقميصي يجوز ان يتعلق بما قبله على ان الباء معدية كهي في ذهبت به وان تكون للحال
فيتعلق بمحذوف اي اذهبوا معكم قميصي وهذا نعت له او بيان او بدل وبصيرا حال واجمعين تاكيد وقد اكد بها
دون كل فيجوز ان يكون حالا **قوله تعالى** ولما فصلت العير يقال فصل فلان عن فلان فصولا اذا خرج
من عنده وفصل كذا اذا نفذ وفصل يكون لازما ومتعديا فان كان لازما فمصدره فصول وان كان
متعديا فمصدره فصلا قال المفسرون لما توجه العير من مصر الى كنعان قال يعقوب لمن كان عنده من ولد ولده اني
لاجد ريح يوسف قال مجاهد اصاب يعقوب ريح القميص من مسيرة ثلاثة ايام وعن ابن عباس رضي الله عنهما

من مسيرة

من مسيرة ثمانية ليال وقال الحسن كان بينهما ثمانون فرسخا قال مجاهد هبت ريح فصفقت القميص فاحتملت
روائح الجنة في الدنيا واتصلت بيعقوب صلوات الله عليه فعلم انه ليس في الدنيا من ريح الجنة الا ما كان
من ذلك القميص فمن ثم قال اني لاجد ريح يوسف وروي ان ريح الصبا استاذنت ربها ان تاتي يعقوب
بريح يوسف قبل ان ياتيه البشير واعلم ان وصول تلك الرائحة الى يعقوب من هذه المسافة البعيدة امر
مناقض للعادة فكان ذلك معجزة ولكن لمن منهما والاقرب انها ليعقوب صلوات الله عليه حيث اخبروه
عنه ونسبوه الى ما لا ينبغي فظهر الامر كما قال فكانت معجزة له قال اهل المعاني ان الله تبارك وتعالى اوصل
ريح يوسف عند انقضاء مدة المحنة ومجيء وقت الروح والفرج من المكان البعيد ومنع من وصول خبره اليه
مع قرب احد البلدين من الاخر في مدة ثمانين سنة وذلك يدل على ان كل سهل فهو في زمن المحنة صعب وكل
صعب في زمن الاقبال سهل ومعنى لاجد ريح يوسف اشم وعبر عنه بالوجود لانه وجدان له بحاسة الشم
قوله تعالى لولا ان تفندون التفنيد الافناد يقال فندت فلانا اي افسدت رايه ورددته قال الشاعر

• يا صاحبي دعا لومي وتفنيدي • فليس ما فات من امر بمردود •

ومنه افند الدهر فلانا قال الشاعر • دع الدهر يفعل ما اراد فانه • اذا كلف الافناد بالناس افندا •
والفند الفساد قال النابغة • الا سليمان اذ قال الاله له • قم في البرية فاحددها عن الفند •
والفند شمراخ الجبل وبه سمي الرجل فندا وللفند لوما في لحن شعر الحماسة من ذلك وقال الزمخشري رحمه الله
يقال شيخ مفند ولا يقال عجوز مفندة لانها لم تكن في شبيبتها ذات راي فتفند في كبرها وهو غريب وجواب
لولا الامتناعية محذوف تقديره لصدقتموني ويجوز ان يكون تقديره لاخبرتكم قال ابن الانباري افند الرجل
اذا خرف وتغير عقله وفند اذا جهل ونسب ذلك اليه وعن الاصمعي اذا كثر كلام الرجل وخرف فهو الفند
والتفنيد **فصل** قال المفسرون لولا ان تفندون تسفهون وعن ابن عباس رضي الله عنهما تجهلون
وقال الضحاك تهرمون يقولون شيخ كبير قد خرف وذهب عقله قالوا يعني اولاد اولاده تالله انك لفي ضلالك
القديم اي في ذهاب عن طريق الصواب وقال ابن عباس وابن زيد لفي خطائك الماضي من حب يوسف لا تنساه
قال مقاتل الضلال هنا الشقاء يعني شقاء الدنيا اي انك لفي شقائك القديم بما تكابد من الاحزان على يوسف
وقال قتادة لفي حبك القديم لا تنساه ولا تذهل عنه قال قتادة لقد قالوا كلمة غليظة لم يجز قولها لنبي الله
صلوات الله عليه وقال الحسن انما خاطبوه بذلك لاعتقادهم ان يوسف قد مات فلما ان جاء البشير وهو المبشر
في موضع ان قولان احدهما لا موضع له من الاعراب فقد تزاد كما ههنا وقد تحذف كقوله فلما ذهب عن ابراهيم
الروع والثاني قال البصريون هي في موضع رفع بفعل مضمر تقديره فلما ظهر ان جاء البشير اي ظهر مجيء البشير
واضمر الرافع قال الجمهور من المفسرين البشير هو يهوذا قال انا ذهبت بالقميص ملطخا بالدم وقلت ان يوسف اكله الذئب
فاذهب اليوم بالقميص واخبره بانه حي فافرحه كما احزنته وقيل البشير مالك بن دعر **قوله تعالى** القاه
الظاهر ان الفاعل هو ضمير البشير وقيل هو ضمير يعقوب وفي بصيرا وجهان احدهما حال اي رجع في هذه الحال
والثاني انه خبرها لانها بمعنى صار عند بعضهم وبصير من بصر بالشيء كظريف من ظرف وقيل هو مثال مبالغة
كعليم وفيه دلالة على انه لم يذهب بصره بالكلية ومعنى الارتداد انقلاب الشيء الى حال كان عليها وقوله
فارتد بصيرا اي صيره الله بصيرا كما يقال طالت النخلة والله اطالها قال بعضهم انه كان قد عمي بالكلية فجعله
الله بصيرا في هذا الوقت وقال الاخرون بل كان ضعف بصره من كثرة البكاء والاحزان فلما القوا القميص
على وجهه وبشروه بحياة يوسف صلوات الله عليه عظم فرحه وانشرح صدره وزالت احزانه فعند ذلك
قوي بصره وعادت قوته بعد الضعف وقال الم اقل لكم اني اعلم من الله ما لا تعلمون من حياة يوسف من
جهة رؤياه وان الله يجمع بيننا وهو اشارة الى قوله انما اشكو بثي وحزني الى الله واعلم من الله ما لا تعلمون
روي انه قال للبشير كيف حال يوسف قال انه ملك مصر قال ما اصنع بالملك على اي دين تركته قال على دين الاسلام قال
الان تمت النعمة ثم ان اولاد يعقوب اخذوا يعتذرون وقالوا يا ابانا استغفر لنا ذنوبنا انا كنا خاطئين
قال سوف استغفر لكم ربي انه هو الغفور الرحيم وعدهم بانه يستغفر لهم فقال ابن عباس رضي الله عنهما اخر
الاستغفار الى ليلة الجمعة وقت السحر وهو الوقت الذي يقول الله تعالى هل من داع فاستجيب له وروي عن ابن عباس
رضي الله عنهما رواية اخرى انه اخر الاستغفار الى ليلة الجمعة لانها اوفق الاوقات لرجاء الاجابة وقيل اخر الاستغفار
ليعلم هل تابوا حقيقة ام لا وهل اخلصوا في التوبة ام لا وقيل استغفر لهم في الحال ومعنى سوف استغفر لكم اي ادوم

على الاستغفار في المستقبل روي انه كان يستغفر لهم كل ليلة جمعة في نيف وعشرين سنة روي ان يوسف
بعث مع البشير الى يعقوب مايتي راحلة وجهازا كثيرا ليأتوا بيعقوب واهله وولده فخرجوا وهم اثنان
وسبعون ما بين رجل وامرأة فلما دنا من مصر كلم يوسف الملك الذي فوقه فخرج يوسف والملك في اربعة الاف
من الجند وركب اهل مصر معهما فتلقوا يعقوب وهو يمشي متوكئا على يهوذا فنظر الى الخيل والى الناس
فقال يا يهوذا هذا فرعون مصر قال لا هذا ابنك يوسف فلما دنا منه ذهب يوسف صلوات الله عليه يبدأه بالسلام
فقال جبريل صلوات الله عليه لا حتى يبدأ يعقوب بالسلام فقال يعقوب السلام عليك قال الثوري لما التقى يعقوب
ويوسف صلوات الله عليهما عانق كل واحد منهما صاحبه وبكيا فقال يوسف يا ابت بكيت علي حتى ذهب بصرك
الم تعلم ان القيامة تجمعنا قال بلى يا بني ولكن خشيت ان تسلب دينك فيحال بيني وبينك قيل دخل يعقوب وولده
مصر وهم اثنان وسبعون ما بين رجل وامرأة وخرجوا منها مع موسى والمقاتلون ستمائة الف وخمسمائة وبضع
وسبعون رجلا سوى الصبيان والشيوخ **قوله تعالى** ولما دخلوا على يوسف آوى اليه ابويه الاية قال اكثر
المفسرين المراد ابوه وخالته ليا وكانت امه قد ماتت في نفاسها ببنيامين وقال الحسن رحمه الله ابوه وامه كانا
حيين وروي ان الله سبحانه وتعالى احيى امه حتى جاءت مع يعقوب الى مصر حتى سجدت له تحقيقا لرؤيا يوسف
وقيل الخالة ام كما ان العم اب قال تعالى واله ابائك ابراهيم واسمعيل واسحق ومعنى آوى اليه ابويه ضمهما
اليه واعتنقهما فان قيل ما معنى دخولهم عليه قبل دخولهم مصر فالجواب انه حين استقبلهم انزلهم في خيمة هناك
او بيت فدخلوا عليه وضم اليه ابويه وقال ادخلوا مصر ان شاء الله آمنين اي فلما دخلوا مصر قال ادخلوها آمنين سمي الاقامة دخولا
لاقتران احدهما بالاخر قال السدي في هذا الاستثناء قولان الاول انه عائد الى الامن لا الى الدخول والمعنى ادخلوا
مصر آمنين ان شاء الله كقوله تعالى وانتم الاعلون ان كنتم مؤمنين اي اذ كنتم مؤمنين ومعنى قوله آمنين اي على
انفسكم واموالكم واهليكم لا تخافون احدا وكان فيما سلف يخافون ملوك مصر وقيل آمنين من القحط والشدة
وقيل آمنين من ان يضرهم يوسف بالجرم السالف ورفع ابويه من باب التغليب يريد اباه وامه او خالته على العرش
قال اهل اللغة العرش السرير الرفيع قال الله عز وجل ولها عرش عظيم والرفع هو النقل الى العلو وسجدا حال قال ابو البقا
حال مقدرة لان السجود يكون بعد الخرور فان قيل ان يعقوب كان ابا يوسف فحقه عظيم قال تعالى وقضى ربك
الا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا فقرن حق الوالدين بحق نفسه وايضا فانه كان شيخا كبيرا والشاب يجب
عليه تعظيم الشيخ وايضا كان من اكابر الانبياء ويوسف وان كان نبيا الا ان يعقوب كان اعلى حالا منه وايضا
فان جد يعقوب صلوات الله عليه واجتهاده في تكثير الطاعات اكثر من جد يوسف واجتماع هذه الجهات الكثيرة
توجب المبالغة في خدمة يعقوب فكيف استجاز يوسف ان يسجد له يعقوب فالجواب من وجوه الاول روى عطاء عن
ابن عباس ان المراد بهذه الاية انهم خروا وسجدوا لله لاجل وجدانه فيكون سجود شكر لله لاجل وجدان يوسف ويدل
عليه قوله تعالى ورفع ابويه على العرش وخروا له سجدا وذلك يشعر بانهم صعدوا على السرير ثم سجدوا لله ولو انهم
سجدوا ليوسف لسجدوا له قبل الصعود على السرير لان ذلك ادخل في التواضع فان قيل فهذا التاويل لا يطابق
قوله يا ابت هذا تاويل رؤياي من قبل والمراد منه قوله اني رأيت احد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين
قيل معناه لاجلي اي انها سجدت لاجل طلب مصلحتي والسعي في اعلاء منصبي واذا احتمل هذا سقط السؤال الثاني
ان يقال انهم جعلوا يوسف كالقبلة وسجدوا لله شكرا لنعمة وجدانه وهذا تاويل حسن فانه يقال صليت للكعبة كما يقال
صليت الى الكعبة قال حسان • اليس اول من صلى لقبلتكم • واعرف الناس بالاثار والسنن • فدل على انه يجوز
ان يقال فلان صلى للقبلة فكذلك يجوز ان يقال سجد للقبلة وقوله تعالى وخروا له سجدا اي جعلوه كالقبلة ثم سجدوا
لله تعالى شكرا لنعمة وجدانه الثالث التواضع قد يسمى سجودا كقوله • ترى الاكم فيها سجدا للحوافر • فالمراد
ههنا التواضع وهذا اشكل بقوله تعالى وخروا له سجدا والخرور يشعر بالاتيان بالسجود على اكمل الوجوه واجيب
بان الخرور يعني به المرور فقط قال تعالى لم يخروا عليها صما وعميانا يعني لم يمروا الرابع ان يقال المضمر في قوله
وخروا له سجدا غائد الى اخوته والى سائر من كان يدخل عليه لاجل التهنية والتقدير ورفع ابويه على العرش مبالغة
في تعظيمهما واما الاخوة وسائر الداخلين فخروا له ساجدين فان قيل فهذا لا يلائم قوله يا ابت هذا تاويل رؤياي
من قبل فالجواب ان تعبير الرؤيا لا يجب ان يكون مطابقا للرؤيا بحسب الصورة والصفة من كل الوجوه فسجود
الكواكب والشمس والقمر تعبير بتعظيم الاكابر من الناس ولا شك ان ذهاب يعقوب مع اولاده من كنعان الى مصر
نهاية التعظيم له فكفى هذا القدر في صحة الرؤيا فاما كون التعبير مساويا للرؤية في الصفة والرؤيا فلم يوجبه

احد من العقلاء الخامس لعل الفعل الدال على التحية في ذلك الوقت كان هو السجود وكان مقصودهم من
السجود تعظيمه ثم نسخ ذلك في شرعنا وهذا بعيد لان المبالغة في التعظيم كانت اليق بيوسف منها بيعقوب
فلو كان الامر كما قلتم لكان من الواجب ان يسجد يوسف ليعقوب عليهما الصلاة والسلام السادس لعل اخوته
حملتهم الانفة والاستعلاء على ان لا يسجدوا له على سبيل التواضع وعلم يعقوب صلوات الله عليه انهم لو لم يفعلوا ذلك
لصار ذلك سببا لثوران النفس وظهور الاحقاد القديمة بعد كمونها فيعقوب صلوات الله عليه مع جلالة قدره وعظم
قدره بسبب الابوة والشيخوخة والتقدم في الدين والعلم والنبوة فعل ذلك السجود حتى تصير مشاهدتهم لذلك
سببا لزوال تلك الانفة والنفرة عن قلوبهم السابع لعل الله تعالى امر يعقوب بتلك السجدة لحكمة خفية لا يعلمها
الا هو كما امر الملائكة بالسجود لادم صلوات الله وسلامه عليه لحكمة لا يعلمها الا هو ويوسف ما كان راضيا بذلك
في قلبه الا انه لما علم ان الله امره بذلك سكت ثم ان يوسف صلوات الله عليه لما رأى هذه الحالة قال يا ابت هذا
تاويل رؤياي من قبل قد جعلها ربي حقا وهي قوله تعالى اني رأيت احد عشر كوكبا وهذا يقوي الجواب السابع والمعنى
انه لا يليق بمثلك على جلالتك في العلم والدين والنبوة ان تسجد لولدك الا ان هذا امر امرت به فان رؤيا الانبيا
حق فكما ان رؤيا ابراهيم صلوات الله عليه ذبح ولده كان سببا لوجوب ذلك الذبح عليه في اليقظة كذلك صارت
هذه الرؤيا التي رآها يوسف سببا لوجوب ذلك السجود على يعقوب **قوله تعالى** من قبل يجوز ان يتعلق
برؤياي اي تاويل رؤياي في ذلك الوقت ويجوز ان يكون العامل فيه تاويل لان التاويل كان من حين وقوعها
هكذا والان ظهر له ويجوز ان يكون حالا من رؤياي قاله ابو البقا وقد تقدم ان المقطوع عن الاضافة لا يقع حالا
قوله تعالى قد جعلها ربي حقا حال من رؤياي ويجوز ان تكون مستانفة وفي حقا وجوه احدها انه حال والثاني
انه مفعول ثان والثالث انه مصدر موكد للفعل من حيث المعنى اي حققها ربي حقا قوله تعالى احسن بي احسن اصله
ان يتعدى بالى قال واحسن كما احسن الله اليك فقيل ضمن معنى لطف فتعدى بالبا كقوله تعالى وبالوالدين احسانا
وقول كثير عزة • اسيئي بنا او احسني لا ملومة • لدينا ولا مقلية ان تقلت •
وقيل بل يتعدى بها ايضا وقيل هي بمعنى الى وقيل المفعول محذوف تقديره احسن صنعه بي فبي متعلق بذلك
المحذوف وهو تقدير ابي البقا وفيه نظر من حيث حذف المصدر وابقى معموله وهو ممنوع عند البصريين واذ منصوب
باحسن او المصدر المحذوف قاله ابو البقا وفيه النظر المتقدم والبدو ضد الحضارة وهو من الظهور بدا يبدو واذ سكن
بالبادية روي عن عمر رضي الله عنه اذا بدونا جفونا اي تخلقنا باخلاق البدويين قال الواحدي البدو بسيط من الارض
يظهر فيه الشخص من بعيد واصله من بدا يبدو بدوا ثم سمي المكان باسم المصدر ويقال بدو وحضر وكان يعقوب
وولده بارض كنعان ونحول الى بدو قال ابن عباس رضي الله عنه ومنها قدم على يوسف وبها مسجد تحت جبلها قال ابن
الانباري اسم موضع معروف يقال له بين شعيب صلوات الله عليه وبدا وهما موضعان ذكرهما جميعا كثير ايات الذي
حب شعيبا الى بدا والى فاوطاني سواهما **فصل** والبدو على هذا القول معناه قصد هذا الموضع
الذي يقال له بدا يقال بدا القوم يبدون بدوا اذا اتوا بدا كما يقال غار القوم غورا اذا اتوا الغور وكان معنى الاية
وجاء بكم من قصد بدا وعلى هذا القول كان يعقوب وولده حضريين لان البدو اراد قصدوا بدا ولم يرد به
البادية لكن عني به قصد بدا **فصل** اعلم ان قوله يا ابت هذا تاويل رؤياي من قبل قد جعلها ربي حقا
وهو قوله اني رأيت احد عشر كوكبا وقد احسن بي اذ انعم علي اذ اخرجني من السجن ولم يقل من الجب مع كونه اشد من السجن
استعمالا للكرم كيلا يخجل اخوته بعدما قال لا تثريب عليكم اليوم ولو ذكر الجب كان تثريبا لهم ولان نعمة
الله عليه في اخراجه من السجن اعظم لانه بعد الخروج من الجب وقع في المضار بسبب تهمة المرأة ولما خرج من السجن وصل
الى ابيه واخوته وزالت عنه التهمة وقال الواحدي النعمة في اخراجه من السجن اعظم لان دخوله في السجن كان بسبب
ذنب هم به وهذا ينبغي ان يحمل على ميل الطبع ورغبة النفس وهذا وان كان في محل العفو في حق غيره الا انه
كان سببا للمؤاخذة في حقه لان حسنات الابرار سيئات المقربين **فصل** دلت هذه الاية على ان
فعل العبد خلق الله تعالى لانه اضاف اخراجه من السجن الى الله ومجيئهم من البدو اليه وهذا صريح في ان فعل العبد
فعل الله تعالى فان حملوه على ان المراد ذلك انما حصل باقدار الله وتيسيره فذلك عدول عن الظاهر ثم قال
من بعد ان نزغ الشيطان بيني وبين اخوتي افسد واغوى واصله من نزغ الراكض الدابة وحملها على الجري اذ نخسها
احتج الجبائي والكعبي والقاضي ابو اسحق بهذه الاية على بطلان الجبر لانه تعالى اخبر عن يوسف صلوات الله عليه
انه اضاف الاحسان الى الله تعالى واضاف النزغ الى الشيطان ولو كان ذلك ايضا من الرحمن لوجب ان لا ينسب الا اليه

كما في النمرة والجواب ان اضافة هذا القول الى الشيطان مجاز لان ذكر الشيطان لا يمكن من الكلام الخفي كما اخبر الله
تعالى عنه فقال وما كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لي فظاهر القرآن يقتضي اضافة هذا الفعل الى الشيطان
مع انه ليس كذلك وايضا فان كان اقدام المرء على المعصية بسبب الشيطان فاقدام الشيطان على المعصية ان كان
بسبب شيطان آخر فليفعل مثله في حق الانسان فثبت ان اقدام المرء على الجهل والفسق بسبب الشيطان وليس بسبب
نفسه لان احدا لا يميل طبعه الى اختيار الجهل والفسق الذي يوجب وقوعه في الذم في الدنيا وعذاب الآخرة فلما كان
وقوعه في الكفر والفسق لا بد له من موقع وقد بطل القسمان لم يبق الا ان يقال ذلك من الله تعالى ويؤكد ذلك قوله
اخرجني من السجن وجاء بكم من البدو وهذا صريح في ان الكل من الله تعالى ثم قال ان ربي لطيف لما يشاء لطفا صلته
ان يتعدى بالباء وانما تعدى باللام لتضمنه معنى مدبر اي انت مدبر بلطفك لما تشاء والمعنى انه ذو لطف لما يشاء
وقيل عالم بما يشاء وحقيقة اللطيف الذي يوصل الاحسان الى غيره بالرفق والمعنى اجتماع يوسف واخوته مع الالفة والمحبة
وطيب العيش وفراغ البال كان في غاية البعد عن العقول الا انه تعالى لطيف فاذا اراد حصول شيء سهل اسبابه فحصل
وان كان في غاية البعد عن الحصول انه هو العليم الحكيم يعني ان كونه لطيفا في افعاله انما كان لانه عليم بجميع الاعتبارات
الممكنة التي لا نهاية لها فيكون عالما بالحيل الذي يسهل تحصيل ذلك الصعب **فصل** اختلفوا في مقدار الوقت
ما بين الرؤيا واجتماعهم فقيل ثمانون سنة وقيل سبعون وقال الاكثرون اربعون ولذلك يقولون ان تاويل
الرؤيا انما صح بعد اربعين سنة وقيل ثمانية عشر سنة وبقي في العبودية والسجن والملك ثمانين سنة ثم وصل
اليه اقاربه وعاش بعد ذلك ثلاثة وعشرين سنة وقيل اقام يعقوب بمصر عند يوسف اربعة وعشرين سنة ثم مات
بمصر فلما حضرته الوفاة اوصى ابنه يوسف ان يحمل جسده حتى يدفنه عند ابيه اسحق ففعل يوسف صلوات الله وسلامه عليه
ومضى به حتى دفنه بالشام ثم انصرف الى مصر قال سعيد بن جبير رحمه الله نقل يعقوب في تابوت من ساج الى بيت المقدس
فوافق ذلك يوم مات عيص فدفنا في قبر واحد وكانا ولدا في بطن واحد وكان عمرهما مائة وسبعة واربعين سنة وعاش
يوسف بعد ذلك عشرين سنة وقيل ستين سنة ومات وهو ابن مائة وعشرين سنة وفي التوراة مائة وعشر سنين
وولد له افرايم وميشا وولد لافرايم نون وليوي ويوشع فتى موسى صلوات الله عليه ورحمة امراة ايوب صلوات الله عليه
وانه تمنى الموت وقيل ما تمناه نبي قبله ولا بعده فتوفاه الله طيبا طاهرا فتخاصم اهل مصر في دفنه كل احد يحب ان يدفنه
في محلته فرأوا ان الاصلح ان يعملوا له صندوقا من مرمر ويجعلوه فيه ويدفنوه في النيل بمر الماء عليه ثم يصل الى مصر
وبقي هناك الى ان بعث موسى صلوات الله وسلامه عليه واخرج عظامه من مصر ودفنه عند ابيه **قوله تعالى** رب قد
آتيتني من الملك الآية قرأ عبد الله آتيتن وعلمتن بغير ياء فيهما وحكى ابن عطية ان ابا ذر رحمهما الله قرأ آتيتني بغير الف
بعد الهمزة ومن في من الملك وفي من تاويل للتبعيض والمفعول محذوف اي عظيما من الملك فهو صفة لذلك المحذوف
وقيل زائدة وقيل لبيان الجنس وهذان بعيدان وفاطر يجوز ان يكون نعتا لرب ويجوز ان يكون بدلا او بيانا او
منصوبا باضمار اعني او نداء ثانيا **فصل** لما جمع الله تعالى شمل يوسف صلوات الله عليه علم ان نعيم الدنيا لا
يدوم فسأل الله تعالى حسن العاقبة فقال رب قد آتيتني من الملك يعني ملك مصر والملك اتساع المقدور لمن له
السياسة والتدبير وعلمتني من تاويل الاحاديث يعني تعبير الرؤيا **قوله تعالى** فاطر السموات والارض يعني فاطر
السموات والارض اي خالقهما قال ابن عباس ما كنت ادري معنى الفاطر حتى احتكم الي اعرابيان في بئر فقال احدهما
انا فطرتها وانا ابتدأت حفرها قال اهل اللغة اصل الفطر الشق يقال فطر ناب البعير اذا بدا وفطرت الشيء فانفطر اذا
شققته فانشق وتفطرت الارض بالنبات والشجر بالورق اذا انصدعت هذا اصله في اللغة ثم صار عبارة عن الايجاد
لان ذلك الشيء حال عدمه كانه في ظلمة وخفاء فلما دخل في الوجود صار كانه انشق وخرج ذلك الشيء منه ثم قال
انت وليي اي معيني ومتولي امري في الدنيا والآخرة توفني مسلما اي اقبضني اليك مسلما والحقني بالصالحين يريد باباي
النبيين قال قتادة لم يسأل نبي من الانبياء الموت الا يوسف وبه قال جماعة من المفسرين وقال ابن عباس رضي الله عنه
في رواية عطاء يريد اذا توفيتني فتوفني على الاسلام **فصل** لقوله توفني مسلما على ان الايمان من الله
لانه لو كان من العبد لكان تقديره كانه يقول افعل يا من لا يفعل قالت المعتزلة اذا كان الفعل من الله كيف يجوز
ان يقال للعبد افعل مع انك لست فاعلا فيقال لهم اذا كان تحصيل الايمان وابقاؤه من العبد لا من الله فكيف يطلب
ذلك من الله تعالى قال الجبائي والكعبي طلب اللطف الى الاقامة على الاسلام الى ان اموت عليه وهذا الجواب ضعيف
لان السؤال وقع عن الاسلام فحمله على اللطف عدول عن الظاهر وايضا فكلما في مقدور الله من الالطاف فقد فعله كان
طلبه من الله محالا ثم قيل الانبياء عليهم الصلاة والسلام يعلمون انهم يموتون لا محالة على الاسلام فكان هذا

الدعاء طلبا لتحصيل الحاصل وانه لا يجوز فالجواب ان كمال حال المسلم ان يستسلم لحكم الله على وجه يستقر قلبه
على ذلك الاسلام ويرضى بقضاء الله وتطمئن النفس وينشرح الصدر في هذا الباب وهذه حالة زائدة على الاسلام
الذي هو ضد الكفر والمطلوب ههنا هو الاسلام بهذا المعنى فان قيل ان يوسف صلوات الله عليه كان من اكابر
الانبياء والصلاح اول درجة المؤمنين فالواصل الى الغاية كيف يليق به ان يطلب البداية قال ابن عباس رضي الله عنه
وغيره يعني باباءه ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب صلوات الله البر الرحيم وسلامه عليهم والمعنى الحقني بهم في ثوابهم
ومراتبهم ودرجاتهم **فصل** روي النبي صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم ومجد وبجل وعظم عن جبريل صلوات
الله عليه عن رب العزة سبحانه جل ذكره انه قال من شغله ذكري عن مسألتي اعطيته افضل ما اعطي السائلين فلهذا
من اراد الدعاء لا بد وان يقدم عليه الثناء على الله تعالى فههنا يوسف صلوات الله عليه لما اراد الدعاء قدم عليه الثناء
فقال رب قد آتيتني من الملك وعلمتني من تاويل الاحاديث فاطر السموات والارضين وليي في الدنيا والآخرة ثم دعا
عقيبه فقال توفني مسلما والحقني بالصالحين وكذا فعل ابراهيم صلوات الله وسلامه عليه فقال الذي خلقني فهو
يهدين الى قوله يوم الدين فهذا ثناء ثم قال رب هب لي حكما الى آخر الكلام **قوله تعالى** ذلك من انباء الغيب الآية
ذلك مبتدأ ومن انباء الغيب خبره ونوحيه حال ويجوز ان يكون خبرا ثانيا او حالا من الضمير في الخبر وجوز الزمخشري
ان يكون موصولا بمعنى الذي وتقدم نظيره والمعنى ذلك الذي ذكرت من انباء الغيب نوحيه اليك وما كنت لديهم عند
اولاد يعقوب اذ اجمعوا امرهم اي عزموا على القاء يوسف في الجب وما كنت هنا الذكر على وجه التهكم وتقدم الكلام
على هذا اللفظ عند قوله فاجمعوا امرهم وهم يمكرون بيوسف والمقصود من هذا اخبار عن الغيب فيكون معجزا لان
محمدا صلوات الله وسلامه عليه لم يطالع الكتب ولم يتلمذ لاحد وما كانت بلده بلدة العلماء فاتيانه بهذه القصة
الطويلة على وجه لم يقع فيها تحريف ولا غلط من غير مطالعة ولا تعلم كيف لا يكون معجزا روي ان اليهود وقريشا سالوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قصة يوسف فلما اخبرهم على موافقة التوراة لم يسلموا فحزن النبي صلوات الله وسلامه
عليه فقيل له انهم لا يؤمنون ولو حرصت على ايمانهم **قوله تعالى** وهم يمكرون حال ولو حرصت معترض بين ما
وخبرها وجواب لو محذوف لدلالة ما تقدم عليه قال ابو بكر الانباري رضي الله عنه جواب لو محذوف لان جواب لو لا
يكون مقدما عليها فلا يجوز ان يقال قمت لو قمت وقال الفراء في المصادر حرص يحرص حرصا ولغة اخرى حرص يحرص حرصا
ومعنى الحرص طلب الشيء باقصى ما يكون من الاجتهاد والاوهم من كونه حال **قوله تعالى** وما تسألهم على تبليغ الرسالة
والدعا الى الله عز وجل من اجر جعل وجزاء ان هو ما هو يعني القرآن الا ذكر عظة وتذكر للعالمين ثم قال وكاين من آية
عبرة ودلالة في السموات والارض يمرون عليها وهم عنها معرضون لا يتفكرون فيها ولا يعتبرون بها واعلم ان دلائل
التوحيد في السموات والارض اما الاجرام الفلكية فهي قسمان اما الافلاك واما الكواكب فاما الافلاك فقد يستدل بمقاديرها
المعينة على وجود الصانع وقد يستدل بكون بعضها فوق بعض او تحته وقد يستدل بحركاتها اما بسرعة حركاتها او اما
باختلاف جهة تلك الحركات واما الاجرام الكوكبية فتارة تدل على وجود الصانع بمقاديرها واجرامها وحركاتها
في سرعتها وبطؤها وتارة بالوانها واضوائها وتارة بتباينها في حصول الاضواء والاظلال والامداد لاجل الاجرام العنصرية
فاما ان تكون ماخوذة من بسائطها وهو البر والبحر واما ماخوذة من الهواء وهي اقسام احدها العلوية كالرعد
والبرق والسحاب والمطر والثلج والهالة وقوس قزح وثانيها المعادن على اختلاف طبايعها وصفاتها وكيفياتها
وثالثها النبات وخاصية الحب والورق بخصوصه ورابعها اختلاف احوال الحيوانات في اشكالها وطبايعها
واصواتها وخلقها وخامسها تشريح ابدان الناس وتشريح القوى الانسانية وبيان المنافع الحاصلة منها ومن هذا
الباب ايضا قصص الاولين والملوك الذين استولوا على الارض وقهروا العباد وخربوا البلاد ماتوا ولم يبق لهم
في الدنيا خبر ثم بقي الوزر والعقاب عليهم قال ابن الخطيب فهذا ضبط انواع هذه الدلايل **فصل** الجمهور
على جر الارض عطفا على السموات والارض والضمير في عليها للآية فيكون يمرون صفة للآية او حالا لتخصصها
بالوصف بالجار وقيل يعود الضمير في عليها على الارض فيكون يمرون حالا منها وقال ابو البقا وقيل منها ومن
السموات الا ان حال يمرون على آياتهما فيعود المعنى الى عود الضمير للآية وقد يجاب عن الاول بانه من باب الحذف
كقوله تعالى والله ورسوله احق ان يرضوه وقرأ السدي والارض بالنصب ووجهه انه من باب الاشتغال ويفسر الفعل
بما يوافقه معنى اي يطوون الارض او يسلكون الارض يمرون عليها كقولك زيدا مررت به وقرأ عكرمة وعمرو بن
فايد والارض بالرفع على الابتداء وخبره الجملة بعده والضمير في هاتين القراءتين يعود على الارض فقط **قوله تعالى**
وما يؤمن اكثرهم بالله الا وهم مشركون والمعنى انهم كانوا مقرين بوجود الاله قال تعالى ولئن سالتهم من خلق السموات

والارض لعولت الله لانهم كانوا يلبسون الية شركا في العبودية وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال نزلت في تلبية
المشركين من العرب كانوا يقولون لبيك اللهم لبيك لا شريك لك الا شريكا لك تملكه وما ملك وعن عطاء رضي الله
عنه هذا في الدعاء وذلك ان الكفار نسوا ربهم في الرخاء فاذا اصابهم البلاء اخلصوا في الدعاء قال عز وجل سبحانه
وتعالى وظنوا انهم احيط بهم دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم الى البر اذا هم يشركون وعن ابن عباس رضي الله
عنهما ان اهل مكة قالوا الله ربنا لا شريك له والملائكة بناته فلم يوحدوا بل اشركوا وقالت اليهود ربنا الله وحده
وعزير ابن الله وقالت النصارى ربنا الله وحده والمسيح ابنه واحتجت الكرامية بهذه الاية على ان الايمان عبارة
عن الاقرار باللسان فقط لانه تعالى حكم بكونهم مؤمنين مع انهم مشركين وذلك يدل على ان الايمان عبارة عن مجرد
الاقرار وجوابه معلوم **قوله تعالى** افامنوا ان تاتيهم غاشية من عذاب الله عقوبة تغشاهم وتنبسط وتغمرهم او
تاتيهم الساعة بغتة قرا ابو حفص ومبشر بن عبيد او ياتيهم الساعة بغتة بالياء من تحت لانه مؤنث مجازي وللفصل
ايضا وبغتة نصب على الحال يقال بغتهم الامر بغتا وبغتة اذا فاجاهم من حيث لم يتوقعوا وقوله وهم لا يشعرون
الناصب لقوله **قوله تعالى** قل هذه سبيلي الاية قل يا محمد هذه الدعوة التي ادعو اليها والطريقة التي انا عليها
سنتي ومنهاجي وسمي الدين سبيلا لانه الطريق الذي يؤدي الى الثواب ومثله ادع الى سبيل ربك والسبيل في اصل
اللغة الطريق ثم شبهوا بها التعبدات لان الانسان يمر عليها الى الجنة **قوله تعالى** ادعو الى الله يجوز ان
يكون مستانفا وهو الظاهر وان يكون حالا من الياء وعلى بصيرة حال من فاعل ادعو اي ادعو كائنا على بصيرة
وقيل تم الكلام عند قوله ادعو الى الله ثم استانف على بصيرة انا ومن اتبعني **قوله تعالى** ومن اتبعني عطف على فاعل
ادعو ولذلك اكد بالضمير المنفصل في قوله ويجوز ان يكون مبتدأ والخبر محذوف اي ومن اتبعني ويجوز ان يكون على
بصيرة خبرا مقدما وانا مبتدأ مؤخر ومن اتبعني عطف عليه ويجوز ان يكون على بصيرة وحده حالا وانا فاعل به ومن
اتبعني عطف عليه ايضا ومفعول ادعو يجوز ان لا يراد اي انا من اهل الدعاء الى الله تعالى ويجوز ان يقدر ادعو الناس
وقرا عبد الله هذا سبيلي بالتذكير وقد تقدم انه يذكر ويؤنث **فصل** المعنى ادعو الى الله على يقين
والبصيرة هي المعرفة التي يميز بها بين الحق والباطل وهي الحجة والبرهان انا ومن اتبعني آمن بي وسار في طريقي وسيرتي
اتباع الدعوة الى الله عز وجل قال الكلبي وابن زيد قال حق على من اتبعه ان يدعو الى ما دعى اليه ويذكر بالقران قال ابن عباس
رضي الله عنه يعني اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا على احسن طريقة واقصد هداية معدن العلم وكنز الايمان
وجند الرحمن وقال صلوات الله وسلامه عليه العلماء امناء الرسل على عباده حيث يحفظون ما يدعون اليه ثم قال
وسبحان الله اي وقل سبحان الله تنزيها عما اشركوا به وما انا من المشركين الذين اتخذوا مع الله ضدا وندا وهذه الاية
تدل على ان علم الاصول حرفة الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم وان الله تعالى ما بعثهم للخلق الا لاجلها **قوله تعالى**
وما ارسلنا من قبلك الا رجالا الاية وهذا يدل على انه ما بعث رسولا الى الخلق من النسوان ولا من اهل البادية
قال صلوات الله وسلامه عليه من بدا جفا **قوله تعالى** يوحى العامة على يوحى بالياء من تحت مبنيا للمفعول وقرا
حفص نوحي بالنون وكسر الحاء مبنيا للفاعل اعتبارا بقوله وما ارسلنا وكذلك قرا في النحل واول الانبياء و
الاخوان على قوله نوحي اليه في الانبياء على ما سياتي ان شاء الله تعالى والجملة صفة لرجالا ومن اهل القرى صفة
ثانية وكان تقديم هذه الصفة على ما قبلها اكثر استعمالا لانها اقرب الى المفرد وقد تقدم تحريره في المائدة
قوله تعالى قوله من اهل القرى اي من اهل الامصار دون اهل البوادي لان اهل الامصار اعقل وافضل
واعلم وقال الحسن لم يبعث الله نبيا من بدو ولا من الجن ولا من الملائكة وقيل انما لم يبعث من اهل البادية لغلظهم
وجفائهم كما تقدم افلم يسيروا في الارض يعني هؤلاء المشركين المكذبين فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم
يعني الامم المكذبة فيعتبروا ولدار الاخرة خير للذين اتقوا يقول سبحانه وتعالى هذا فعلنا باهل ولايتنا وطاعتنا
ان ننجيهم عند نزول العذاب وما في الدار الاخرة لهم خير فترك ذلك اكتفاء بدلالة الكلام عليه والمعنى ولدار
الحال الاخرة وقيل هو اضافة الشيء الى نفسه كقوله تعالى ان هذا لهو حق اليقين وكقولهم يوم الخميس وربيع الاخر فلا
تعقلون فيؤمنون قرا نافع وابن عامر ورواية عن عاصم تعقلون بتاء الخطاب والباقون بياء الغيبة **قوله تعالى**
حتى اذا استياس الرسل الاية ليس في الكلام شيء يكون حتى غاية له فلذلك اختلفوا في تقدير شيء يصح تغييته بحتى
فقدره الزمخشري وما ارسلنا من قبلك يا محمد الا رجالا فتراخى نصرهم حتى وقدره القرطبي وما ارسلنا من قبلك
يا محمد الا رجالا فدعوا قومهم فكذبوهم وطال دعاؤهم وتكذيب قومهم حتى اذا واحسنها المقدم وذكر ابن عطية
شيئا من معنى قوله افلم يسيروا فينظروا الى من قبلهم انا الرسل الذين بعثهم الله تعالى من اهل القرى دعوهم فلم يؤمنوا

ن
المعتقدات

بهم حتى نزلت بهم المثلات فصبروا فيجيء من يعتبر بعاقبته فلهذا المضمن حسن ان يدخل حتى في قوله
حتى اذا قال ابو حيان ولم يتخلص لنا من كلامه شيء يكون ما بعد حتى غاية له لانه علق الغاية بما ادعى انه فهم
ذلك من قوله افلم يسيروا الاية قال شهاب الدين قوله دعوهم فلم يؤمنوا هو المغيا **قوله تعالى** وظنوا انهم
قد كذبوا قرا الكوفيون كذبوا بالتخفيف والباقون بالتثقيل فاما قراءة التخفيف فاضطربت الاقوال فيها
فروي انكارها عن عائشة رضي الله عنها قالت معاذ الله لم يكن الرسل لتظن ذلك بربها وهذا لا ينبغي ان يصح
ذلك عنها لتواتر هذه القراءة وقد وجهت باربعة اوجه اجودها ان الضمير في وظنوا عائد على المرسل اليهم
لتقدمهم في قوله تعالى كيف كان عاقبة الذين من قبلهم ولان الرسل تستدعي مرسلا اليه والضميران في انهم
وكذبوا عائد على الرسل وظن المرسل اليهم ان الرسل قد كذبوا اي كذبهم من ارسلوا اليه بالوحي وبنصرهم عليهم الثاني
ان الضمائر الثلاثة عائدة على الرسل قال الزمخشري في تقرير هذا الوجه حتى اذا استياسوا من النصر وظنوا انهم قد
كذبوا اي كذبتهم انفسهم حين حدثتهم انهم ينصرون او رجاؤهم كقولهم رجاء صادق ورجاء كاذب والمعنى ان مدة
التكذيب والعداوة من الكفار وانتظار النصر من الله وتاميله قد تطاولت عليهم وتمادت حتى استشعروا القنوط
وتوهموا ان لا نصر لهم في الدنيا فجاءهم نصرنا انتهى فقد جعل الفاعل المقدر اما انفسهم واما رجاؤهم وجعل
الظن بمعنى التوهم فاخرجه عن معناه الاصلي وهو ترجيح احد الطرفين وعن مجازه وهو استعماله في المتيقن الثالث
ان الضمائر كلها ايضا عائدة على الرسل والظن على بابه من الترجيح والى هذا نحا ابن عباس وابن مسعود وابن جبير
قالوا والرسل بشر فضعفوا وساء ظنهم وهذا لا ينبغي ان يصح عن هؤلاء فانها عبارة غليظة على الانبياء وحاشا
الانبياء من ذلك ولذلك ردت عائشة وجماعة كثيرون هذا التاويل واعظموا ان ينسبوا الانبياء الى شيء من ذلك
قال الزمخشري ان صح هذا عن ابن عباس فقد اراد بالظن ما يخطر بالبال ويهجس في القلب من شبه الوسوسة
وحديث النفس على ما عليه البشرية واما الظن الذي هو ترجيح احد الجائزين على الاخر فغير جائز على رجل من المسلمين
فما بال رسل الله الذين هم اعرف بربهم قال شهاب الدين ولا يجوز ايضا ان يقال خطر ببالهم شبه الوسوسة فان
الوسوسة من الشيطان وهم معصومون منه وقال الفارسي ايضا ان ذهب ذاهب الى ان المعنى ظن الرسل الذين
وعد الله اممهم على لسانهم قد كذبوا فقد اتى عظيما لا يجوز ان ينسب مثله الى الانبياء ولا الى صالح عباد الله وكذلك
من زعم ان ابن عباس ذهب الى ان الرسل قد ضعفوا فظنوا انهم قد اخلفوا لان الله لا يخلف الميعاد ولا مبدل لكلماته
وقد روي عن ابن عباس ايضا انه قال معناه وظنوا حين ضعفوا وغلبوا انهم قد اخلفوا ما وعدهم الله به من
النصر وقال كانوا بشرا وتلا قوله تعالى وزلزلوا حتى يقول الرسول الرابع ان الضمائر كلها ترجع الى المرسل اليهم اي وظن
المرسل اليهم ان الرسل قد كذبوهم فيما ادعوه من النبوة وفيما يوعدون به من لم يؤمن بهم من العقاب قيل وهذا
هو المشهور من تاويل ابن عباس وابن مسعود وابن جبير ومجاهد رحمهم الله قالوا ولا يجوز عود الضمائر على
الرسل لانهم معصومون ويحكى ان ابن جبير رحمه الله حين سئل عنها فقال نعم حتى اذا استياس الرسل من قومهم ان
ان يصدقوهم وظن المرسل اليهم ان الرسل قد كذبوهم فقال الضحاك بن مزاحم وكان حاضرا لو رحلت في هذه الى
اليمن كان قليلا واما قراءة التشديد فواضحة وهو ان تعود الضمائر كلها على الرسل اي وظن الرسل انهم قد كذبتهم
اممهم فيما جاؤوا به لطول البلاء عليهم وفي صحيح البخاري عن عائشة رضي الله عنها انها قالت هم اتباع الانبياء
الذين آمنوا بربهم وصدقوا طال عليهم البلاء واستاخر عنهم النصر حتى اذا استياس الرسل ممن كذبهم من قومهم
وظنت الرسل انهم قد كذبوهم جاءهم نصر الله عند ذلك وبهذا يتحد معنى القراءتين والظن هنا يجوز ان يكون
على بابه وان يكون بمعنى اليقين وان يكون بمعنى التوهم كما تقدم وقرا ابن عباس والضحاك ومجاهد رضي الله
عنهم كذبوا بالتخفيف مبنيا للفاعل والضمير على هذه القراءة في ظنوا عائد على الامم وفي انهم قد كذبوا عائد
على الرسل اي ظن المرسل اليهم ان الرسل قد كذبوهم فيما وعدوهم به من النصر او من العقاب ويجوز ان يعود الضمير
في ظنوا على الرسل وفي انهم قد كذبوا على المرسل اليهم اي وظن الرسل ان الامم قد كذبوهم وقال الزمخشري بعد ما
حكى قراءة المبني فيما وعدوهم به من انهم يؤمنون به والظن هنا بمعنى اليقين واضح ونقل ابو البقاء انه
قرئ مشددا مبنيا للفاعل واوله بان الرسل ظنوا ان الامم قد كذبوهم وقال الزمخشري بعد ما حكى قراءة
المبني للفاعل ولو قرئ بها مشددا لكان معناه وظن الرسل ان قومهم قد كذبوهم في موعدهم فلم يحفظ انها قراءة
وهي غريبة وكان قد جوزوا في القراءة المتقدمة ان الضمائر كلها تعود على الرسل وان تعود الاول على المرسل
اليهم وما بعده على الرسل فقال وقرا مجاهد كذبوا بالتخفيف على البناء للفاعل على وظن الرسل قد كذبوا فيما

حدثوا به قومهم من النصر اما على تاويل ابن عباس واما على قومهم اذ الهرب والموعد ثابتوا فالوا لهم قد كذبونا
فيكونون كاذبين عند قومهم اي وظن المرسل اليهم ان الرسل قد كذبوا وقوله جاءهم جواب الشرط وتقدم الكلام
في حتى هذه ما هي اي لما بلغ الحال الى الحد المذكور جاءهم نصرنا فان قيل لم يجر ذلك المرسل اليهم فيما سبق فكيف يجي
عود الضمير اليهم فالجواب ذكر الرسل يدل على المرسل اليهم او يقول ان ذكرهم جرى في قوله افلم يسيروا في الارض
فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم ويكون الضمير عايدا الى الذين من قبلهم من مكذبي الرسل **قوله تعالى**
فنجي من نشاء قرا ابن عامر وعاصم بنون واحدة وجيم مشددة وياء مفتوحة على انه فعل ماض مبني للمفعول
ومن قايمة مقام الفاعل والباقون بنونين ثانيتهما ساكنة والجيم خفيفة والياء ساكنة على انه مضارع انجي
ومن مفعوله والفاعل ضمير المتكلم المعظم نفسه على الاستقبال على معنى فيفعل بهم ذلك وهذه حكاية
حال الا ترى ان القصة فيما مضى وانما حكى الحال كقوله عز وجل هذا من شيعته وهذا من عدوه اشارة الى
الحاضر والقصة ماضية وقرا الحسن والجحدري ومجاهد رضي الله عنهما في اخرين كقراءة عاصم الا انهم سكنوا اليا
والاجود في تخريجها ما تقدم وسكنا اليا تخفيفا كقراءة تطعمون اهاليكم وقد حكى الماضي الصحيح فكيف
بالمعتل كقوله • وتخلطا بحبلك الان • وتقدم معه امثاله وقيل الاصل ننجي بنونين فادغم النون في
الجيم وليس بشي اذ النون لا تدغم في الجيم وعلى انه قد قيل بذلك في قوله ننجي المومنين كما سياتي بيانه ان شاء الله
تعالى وقرا جماعة كقراءة الباقين الا انهم فتحوا اليا قال ابن عطية رواها ابن هبيرة عن حفص عن عاصم وهي غلط
من ابن هبيرة قال شهاب الدين توهم ابن عطية انه مضارع باق على رفعه فانكر فتح لامه وغلط راويها وليس بغلط
وذلك انه اذا وقع بعد الشرط والجزاء معا مضارع مقرون بالفاء جاز فيه اوجه احدها نصبه باضمار ان بعد
الفاء وقد تقدم عند قوله وان تبدوا ما في انفسكم الى ان قال فيغفر قرئ بنصبه وقد تقدم توجيهه ولا فرق
بين ان يكون اداة الشرط جازمة كاية البقرة او غير جازمة كهذه الاية وقرا الحسن ايضا فنجي بنونين والجيم
مشددة والياء ساكنة مضارع نجي مشددا للتكثير وقراها ايضا ونصر ابن عاصم وابو حيوة فنجا فعلا ماضيا
مخففا ومن فاعله ونقل الداني انه قرا ابن محيصن كذلك الا انه شدد الجيم والفاعل ضمير النصر ومن مفعوله
ورجح بعضهم قراءة عاصم بان المصاحف اتفقت على كتبها فنجي بنون واحدة نقله الداني ونقل مكي ان اكثر المصاحف
عليها فاشعر هذا بوقوع الخلاف في الرسم ورجح ايضا بان فيها مناسبة لما قبلها من الافعال الماضية
وهي جارية على طريقة كلام الملوك والعظماء من حيث بناء الفعل للمفعول وقرا ابو حيوة بناء باليا وتقدم
انه نقرا فنجا اي فنجا من نشاء الله نجاته وهم المومنون المطيعون **قوله تعالى** ولا يرد باسنا عذابنا وقرا
ابو الحسن باسه والضمير لله وفيها مخالفة للسواد عن القوم المجرمين اي المشركين **قوله تعالى** لقد كان
في قصصهم اي في خبر يوسف واخوته عبرة موعظة لاولي الالباب قرا ابو عمرو في رواية عبد الوارث والكسائي
في رواية الانطاكي قصصهم بكسر القاف وهو جمع قصة وبهذه القراءة رجح الزمخشري عود الضمير في قصصهم
في القراءة المشهورة على الرسل وحدهم وحكى غيره انه يجوز ان يعود على الرسل وعلى يوسف واخوته جميعا
قال ابو حيان ولا يصح يعني هذه القراءة اذ قصص يوسف وابيه واخوته يشتمل على قصص كثيرة وانباء
مختلفة **فصل** الاعتبار عبارة عن العبور من الطرف المعلوم الى الطرف المجهول والمراد منه
التامل والتفكر ووجه الاعتبار بقصصهم امور احدها ان الذي قدر على اعزاز يوسف صلوات الله عليه
بعد القائه في الجب واعلائه بعد حبسه وتمليكه مصر بعد ان كانوا يظنون انه عبد لهم وجمعه مع ابيه واخوته
على ما احب بعد المدة الطويلة لقادر على اعزاز محمد صلوات الله وسلامه عليه واعلاء كلمته وثانيها ان الاخبار
عنه اخبار عن الغيب فكان معجزة دالة على صدق محمد صلوات الله وسلامه عليه وثالثها انه قال في اول السورة
نحن نقص عليك احسن القصص ثم قال هنا لقد كان في قصصهم عبرة لاولي الالباب وذلك تنبيه على ان
احسن هذه القصة انما هو لاجل حصول العبرة منها ومعرفة الحكمة والقدرة فان قيل لم قال عبرة لاولي الالباب
مع ان قوم محمد صلوات الله وسلامه عليه كانوا ذوي عقول واحلام وقد كان الكثير منهم يعتبر فالجواب ان
جميعهم كانوا متمكنين من الاعتبار والمراد من وصف هذه القصة بكونها عبرة كونها بحيث يعتبر بها العاقل
قوله تعالى ما كان حديثا يفترى في كان ضمير عايد على القران اي ما كان القصص المذكور القران القصص
لهذه القصة الغريبة حديثا مختلقا وقيل بل هو عايد على القصص اي ما كان القصص المذكور في قوله
لقد كان في قصصهم وقال الزمخشري فان قلت فالى م يرجع الضمير في ما كان حديثا يفترى فيمن قرا بالكسر

قلت

قلت الى القران اي ما كان القران حديثا قال شهاب الدين رحمه الله لانه لو عاد على قصصهم بكسر القاف
لوجب ان يكون كانت بالتاء لاسناد الفعل حينئذ الى ضمير مونث وان كان مجازيا **قوله تعالى** ولكن
تصديق الذي العامة على نصب تصديق والثلاثة بعده على انها منسوقة على خبر كان اي ولكن كان
تصديق وقرا حمران ابن اعين وعيسى الكوفي وعيسى الثقفي برفع تصديق وما بعده على انها اخبار لمبتدا
مضمر اي ولكن هو تصديق اي الحديث ذو تصديق وقد سمع من العرب مثل هذا بالنصب والرفع قال ذو الرمة

• وما كان مالي من تراث ورثته • ولا دية كانت ولا كسب ماثم •
• ولكن عطاء الله من كل رحلة • الى كل محجوب السرادق خضرم •

وقال لوط بن عبد الله

• واني بحمد الله لا مال مسلم • اخذت ولا معطي اليمين محالف •
• ولكن عطاء الله من كل فاجر • قصي المحلى معوز للمقاذف •

يروي عطاء الله في البيتين منصوبا على ولكن كان عطاء الله ومرفوعا على ولكن هو عطاء الله قال الفراء والزجاج ونصب تصديق
على تقدير ولكن كان تصديق الذي بين يديه كقوله سبحانه وتعالى ما كان محمد ابا احد من رجالكم ولكن رسول
الله ثم قال ويجوز رفعه في قياس النحو على معنى ولكن هو تصديق الذي بين يديه فكانهما لم يطلعا على انها قراءة
فصل معنى الاية ان محمدا صلوات الله وسلامه عليه لا يصح منه ان يفتري هذه القصة بحيث
تكون مطابقة لها من غير تفاوت وقيل ان القران ليس بكذب في نفسه لانه لا يصح ان يفترى ثم اكد كونه غير مفترى
بقوله ولكن تصديق الذي بين يديه وهو اشارة الى ان هذه القصة وردت موافقة لما في التوراة وساير الكتب
الالهية ثم وصفه بان فيه تفصيل كل شي قيل كل شي في واقعة يوسف مع ابيه واخوته وقيل يعود على كل القران
كقوله عز وجل ما فرطنا في الكتاب من شي والاولى ان يجعل هذا الوصف وصفا لكل القران ويكون المراد ما تضمنه
من الحلال والحرام وساير ما يتصل بالدين قال الواحدي وعلى التفسيرين جميعا فهو من العام الذي اريد به
الخاص كقوله عز وعلا ورحمتي وسعت كل شي يريد وسعت كل شي ان يدخل فيها واوتيت من كل شي ثم وصفه
بكونه هدى في الدنيا وسببا لحصول الرحمة في القيامة لقوم يومنون خصهم الله بالذكر لانهم الذين انتفعوا به
كقوله تعالى هدى للمتقين وروي ابي بن كعب رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وبر فوكم
علموا ارقاءكم سورة يوسف صلوات الله وسلامه عليه فانه ايما مسلم تلاها وعلمها اهله وما ملكت يمينه هون
الله عليه سكرات الموت واعطاه القوة ان لا يحسد مسلما صدق رسول الله صلى الله عليه وعلى اله وصحبه وسلم •

سورة الرعد مكية وهي ثلاث واربعون اية

سورة الرعد مكية الا قوله تعالى ولا يزال الذين كفروا وقوله تعالى ويقول الذين كفروا لست مرسلا الى اخرها
وقال الكلبي ومقاتل هي مدنية وقال ابن عباس والاصم رضي الله عنهما هي مدنية الا قوله تعالى ولو ان قرانا
سيرت به الجبال وهي ثلاث واربعون اية وعدد كلماتها ثمانماية وخمسة وخمسون كلمة وعدد حروفها ثلاثة
الاف وخمسماية وستة احرف بسم الله الرحمن الرحيم **قوله تعالى** المر تلك ايات
الكتاب قال ابن عباس رضي الله عنه معناه انا الله اعلم وقال في رواية عطا انا الله الملك الرحمن وامالها ابو عمرو
والكسائي وفخمها عاصم وجماعة **قوله تعالى** تلك ايات يجوز في تلك ان يكون مبتدا والخبر ايات الكتاب والمشار
اليه ايات السورة والمراد بالكتاب السورة وقيل اشارة الى ما قص عليه من انباء الرسل وهذه الجملة لا محل لها
ان قيل ان المر كلام مستقلا او قصد به مجرد التنبيه وفي محل رفع على الخبر ان قيل المر مبتدا ويجوز ان يكون
مبتدا ومن ربك خبره وعلى هذا فالحق خبر مبتدا مضمر اي هو الحق الثالث ان الحق خبر بعد خبر الرابع ان يكون
من ربك الحق كلاهما خبر واحد قاله ابو البقا والحوفي وفيه بعد اذ ليس هو مثل هذا حلو حامض الخامس ان
يكون الذي صفة للكتاب قال ابو البقا وادخلت الواو في لفظه كما ادخلت في النازلين والطيبين يعني
ان الواو تدخل على الوصف والزمخشري يجيزه ويجعل الواو في ذلك تاكيدا وسياتي ان شاء الله تعالى في الحجر
في قوله تعالى الا ولها كتاب معلوم وقوله في النازلين والطيبين يشير الى بيت الخرنق بنت هفان في مدحها
لقومها •

• لا يبعدن قومي الذين هم • سم العداة وافة الجزر •

• النازلين بكل معترك • والطيبين معاقد الازر •

فعطف الطيبين على النازلين وهما صفتان لقوم معينين الا ان الفرق بين الاية والبيت واضح من حيث ان البيت فيه عطف صفة على مثلها والاية ليست كذلك وقال ابو حيان ان يكون الاية مما عطف فيها وصف على وصف و الحق فيها ايضا ان يكون والذي في موضع رفع عطفا على ايات والجار هو وابن عطية ان يكون والذي في موضع خفض وعلى هذين الاعرابين يكون الحق خبر مبتدا محذوف اي هو الحق ويكون والذي مما عطف فيه الوصف على الوصف وهما لشيء واحد كما تقول جاء في الظريف والعاقل وانت تريد شخصا واحدا ومن ذلك قول الشاعر • الى الملك القرم وابن الهمام • وليث الكتيبة في المزدحم •

قال شهاب الدين واين الوصف المعطوف عليه حتى يجعله مثل البيت الذي انشده الثاني ان يكون الذي مرفوعا نسقا على ايات كما تقدمت حكايته عن الحوفي وجوز الحوفي ايضا ان يكون الحق نعتا للذي حال عطفه على ايات الكتاب فتلخص في الحق خمسة اوجه انه خبر اول او ثان او هو مع ما قبله او خبر لمبتدا مضمر او صفة للذي اذا جعلناه معطوفا على ايات **فصل** قال ابن عباس رضي الله عنهما اراد بالكتاب القران ومعناه هذه ايات الكتاب يعني القران ثم ابتدا وهذا القران الذي انزل اليك من ربك هو الحق ولكن اكثر الناس لا يؤمنون وذلك زجر وتهديد قال مقاتل نزلت في مشركي مكة حين قالوا ان محمدا صلوات الله البر الرحيم وسلامه عليه يقوله من تلقاء نفسه فرد قولهم **فصل** تمسك نفاة القياس بهذه الاية وقالوا الحكم المستنبط بالقياس غير ما نزل من عند الله تعالى والا لكان من لم يحكم به كافرا لقوله تعالى ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الكافرون وبالاجماع لا يكفر فثبت ان الحكم المثبت بالقياس غير نازل من عند الله تعالى واذا كان كذلك وجب ان لا يكون حقا وجب ان يكون باطلا لقوله تعالى فماذا بعد الحق الا الضلال واجيب بان الحكم المثبت بالقياس نازل ايضا لانه تعالى امر بالعمل بالقياس فكان الحكم الذي دل عليه القياس نازلا من عند الله تعالى **قوله تعالى** الله الذي رفع السموات بغير عمد ترونها الاية لما ذكر ان اكثر الناس لا يؤمنون ذكر عقيبه ما يدل على صحة التوحيد والمعاد وهو هذه الاية **قوله تعالى** الله قال الزمخشري مبتدا والذي رفع السموات خبره بدليل قوله تعالى وهو الذي مد الارض ويجوز ان يكون الذي رفع السموات صفة وقوله يدبر الامر يفصل الايات خبرو وقوله بغير عمد هذا الجار في محل نصب على الحال من السموات اي رفعها خالية عن عمد ثم في هذا الكلام وجهان احدهما انتفاء العمد والروية جميعا اي لا عمد فلا روية يعني لا عمد لها فلا ترى واليه ذهب مجاهد وهو قول الجمهور والثاني ان لها عمدا ولكن غير مرئية وعن ابن عباس ما يدريك انها بعمد لا ترى واليه ذهب مجاهد وهذا اقرب من قولهم ما رايت رجلا صالحا ويخرج لا يا لون الناس الحافا • على لاحب لا يهتدي بمناره • وقد تقدم هذا اذا قلنا ان ترونها اما اذا قلنا انها مستانفة كما سياتي فيتعين ان لا عمد لها البتة والعامة على فتح العين والميم وهو اسم جمع وعبارة بعضهم انه جمع نظرا الى المعنى دون الصناعة وفي مفرده احتمالان احدهما انه عماد مثل اهاب واهب والثاني انه عمود كاديم وادم وافيق وافق واهاب واهب ولا خامس لها فجعلوا فعولا كفعيل في ذلك وفيه نظر لان الاوزان لها خصوصية فلا يلزم من جمع فعيل على كذا ان يجمع عليه فعول فكان ينبغي ان ينظروه بان فعولا جمع على فعل ثم قول ابي البقا ولا خامس لها يعني انه لم يجمع على فعل الا هذه الخمسة عماد وعمود واديم وافيق واهاب وهذا الحصر ممنوع لما تقدم من نحو قضيم وقضم وجمعان في القلة على اعمدة وقرا ابو حيان ويحيى ابن وثاب عمد بضمتين ومفرده يحتمل ان يكون عمادا كشهاب وشهب وكتاب وكتب وان يكون عمودا كرسول ورسل وقد قرئ في السبع في عمد ممددة بالوجهين وقال ابن عطية في عمد اسم جمع عمود والباب في جمعه عمد بضم الحروف الثلاثة كرسول ورسل قال ابو حيان وهذا وهم وصوابه بضم الحرفين لان الثالث هو حرف الاعراب فلا يعتبر ضمه في كيفية الجمع والعماد والعمود ما يعمد به اي يسند يقال عمدت الحايط اعمده عمدا اي ادعمته فاعتمد الحايط على العماد والعمد الاساطين قال النابغة •

• وخيس الجن اني قد اذنت لهم • يبنون تدمر بالصفاح والعمد •

والعمد قصد الشيء والاستناد اليه وهو ضد السهو وعمود الصبح ابتداء ضوئه تشبيها بعمود الحديد في الهيئة والعمدة ما يعتمد عليه من مال وغيره والعميد السيد الذي يعمده الناس اي يقصدونه **قوله تعالى** ترونها في الضمير المنصوب وجهان احدهما انه عايد على عمد وهو اقرب مذكور وحينئذ تكون الجملة في محل جر صفة لعمد

ويحي فيه الاحتمالان المتقدمان من كون العمد موجودة لكنها لا ترى او غير موجودة البتة والثاني ان الضمير عايد على السموات ثم في هذه الجملة وجهان احدهما انها مستانفة لا محل لها الا استشهد برويتهم لها كذلك ولم يذكر الزمخشري غيره والثاني انها في محل نصب على الحال من هاء ترونها وتكون حالا مقدرة لانها حين رفعها لم تكن مخلوقين والتقدير رفعها مرئية لكم وقرا ابي ترونه بالتذكير مراعاة للفظ عمد اذ هو اسم جمع وهذه القراءة رجح بها الزمخشري كون الجملة صفة لعمد وزعم بعضهم ان ترونها خبر لفظا ومعناه الامر اي روها وانظروا اليها لتعتبروا بها وهو بعيد ويتعين على هذا ان يكون مستانفا لان الطلب لا يقع صفة ولا حالا الا وفي ثم استوى لمجرد العطف لا للترتيب لان الاستواء على العرش غير مرتب على رفع السموات **قوله تعالى** ثم استوى على العرش علا عليه وسخر الشمس والقمر لمنافع خلقه فهما مقهوران يجريان على ما يريد الله عز وجل قال ابن عباس رضي الله عنه للشمس مائة وثمانون منزلا كل يوم لها منزل ثم قاسته اشهر ثم تعود مرة اخرى في واحد ستة اشهر اخرى وكذلك للقمر ثمانية وعشرون منزلا فهذا هو المراد بقوله سبحانه كل يجري لاجل مسمى وتحقيقه ان الله تعالى قدر لكل واحد من هذه الكواكب سيرا خاصا الى جهة خاصة بمقدار خاص من السرعة والبطء واذا كان كذلك لزم ان يكون لها بحسب كل لحظة ولمحة حالة اخرى لم تكن حاصلة قبل ذلك وقيل المراد بقوله كل يجري الى اجل مسمى كونهما متحركين الى يوم القيمة فتنقطع هذه الحركات كما وصف تعالى في قوله اذا الشمس كورت واذا السماء انشقت واذا السماء انفطرت وجمع الشمس والقمر كقوله تعالى ثم قضى اجلا واجل مسمى عنده **قوله تعالى** يدبر الامر يفصل الايات قرا العامة هذين الحرفين بالياء من تحت جريا على ضمير اسم الله تعالى وفيهما وجهان اظهرهما انهما مستانفان للاخبار بذلك والثاني ان الاول حال من فاعل سخر والثاني حال من فاعل يدبر وقرا النخعي وابان ابن تغلب ندبر الامر نفصل بالنون فيهما والحسن والاعمش نفصل بالنون يدبر بالياء قال المهدوي لم يختلف في يدبر يعني انه بالياء وليس كما ذكر لما تقدم عن النخعي وابان بن تغلب **قوله تعالى** يدبر الامر يقتضيه وحده وحمل كل واحد من القرين التدبير على نوع آخر من احوال العالم والاولى حمله على الكل فهو يدبرهم بالايجاد والاعدام والاحياء والاماتة والاعتماد والانقياد ويدخل فيه انزال الوحي وبعث الرسل وتكليف العباد وفيه دليل عجيب على كمال القدرة والرحمة لان هذا العالم من اعلا العرش الى تحت اطباق الثرى يحتوي على اجناس وانواع لا يحيط بها الا الله عز وجل والدليل المذكور دل على تدبير كل واحد بوصفه وموضعه وطبيعته ومن المعلوم ان من اشتغل بتدبير شيء فانه لا يمكنه تدبير شيء اخر فانه يشغله شان عن شان واذا تامل العاقل في هذه الاية علم انه تعالى يدبر عالم الاجسام وعالم الارواح ويدبر الكبير كما يدبر الصغير ولا يشغله شان عن شان ولا يمنعه تدبير عن تدبير وذلك يدل على انه تعالى في ذاته وصفاته وعلمه وقدرته غير مشابه للمخلوقات والممكنات وقوله نفصل الايات يبين الدلالات الدالة على الاهيته وعلمه وحكمه واعلم ان الدلالات الدالة على وجود الصانع قسمان احدهما الموجودات الباقية الدائمة كالافلاك كالشمس والقمر والكواكب وهذا القسم تقدم ذكره والثاني الموجودات الحادثة المتغيرة وهي الموت بعد الحيوة والفقر بعد الغنا والهرم بعد الصحة وكون الاحمق في اهنا العيش والعاقل في اشد الاحوال فهذا النوع من الموجودات والاحوال دلالتها على وجود الصانع ظاهرة فقوله نفصل الايات اشارة الى انه يحدث بعضها عقيب بعض على سبيل التمييز والتفصيل ثم قال لعلكم بلقاء ربكم يوقنون لكي توقنوا بوعده وتصدقوا واعلم ان الدلائل الدالة على وجود الصانع الحكيم تدل ايضا على صحة القول بالحشر والنشر لان من قدر على خلق هذه الاشيا وتدبيرها على عظمها وكثرتها فبان يقدر على الحشر والنشر اولى روي ان رجلا قال لعلي بن ابي طالب كرم الله وجهه كيف يحاسب الله الخلق دفعة واحدة قال كما يرزقهم الان دفعة واحدة واعلم انه تعالى كما قدر على ابقاء الاجرام الفلكية والنيرات الكوكبية في الجو العالي وكما يمكنه تدبير ما فوق العرش الى ما تحت الثرى لا يشغله شان عن شان كذلك يحاسب الخلق بحيث لا يشغله شان عن شان واعلم ان لفظ اللقا يدل على روية الله تعالى وقد تقدم تقريره **قوله تعالى** وهو الذي مد الارض الاية لما قرر الدلائل السماوية اردفها بتقرير الدلائل الارضية فقال وهو الذي مد الارض بسطها قال الاصم رحمه الله المد هو البسط الى ما لا يدرك منتهاه فقوله مد الارض يشعر بانه تعالى جعل حجم الارض حجما عظيما لا يقع البصر على منتهاه وقال قوم كانت الارض مدورة فمدها ودحاها من مكة من تحت البيت فذهبت كذا وكذا قال ابن الخطيب وهذا القول انما يتم اذا قلنا الارض مسطحة لا كرة واصحاب هذا القول احتجوا عليه بقوله عز وجل والارض بعد ذلك دحاها وهو مشكل من وجهين الاول انه ثبت بالدليل ان الارض كرة فان قالوا قوله تعالى مد الارض ينافي كونها

كرة قلنا لا نسلم لان الارض جسم عظيم والكرة اذا كانت في غاية الكبر كل قطعة منها تشاهد كالسطح والتفاوت الحاصل بينه وبين السطح لا يحصل الا في علم الله تبارك وتعالى الا في قوله تعالى والجبال اوتادا مع ان العالم من الناس يستقرون عليه فكذلك هنا والثاني ان هذه الاية انما ذكرت ليستدل بها على وجود الصانع والشرط فيه ان يكون ذلك الامر مشاهدا معلوما حتى يصح الاستدلال به على وجود الصانع لان الشي اذا ثبت حجمه ومقداره صار ذلك الحجم وذلك المقدار عبرة فثبت ان قوله تعالى مد الارض اشارة الى انه عز وعلا هو الذي جعل الارض مختصة بمقدار معين لا يزيد ولا ينقص والدليل عليه ان كون الارض ازيد مقدارا مما هو الان او انقص منه امر جائز ممكن في نفسه فاختصاصه بذلك المقدار المعين لا بد وان يكون بتخصيص مخصص وتقدير مقدر **قوله تعالى** وجعل فيها رواسي وهي الجبال الثوابت وقاعدة هذا الوصف لا تطرد الا في الاناث الا ان المكسر مما لا يعقل يجري مجرى جمع الاناث وايضا كثر استعماله كالجوامد فجمع كحائط وحوائط وكاهل وكواهل وقيل هو جمع راسية والهاء للمبالغة والرسو الثبوت قال الشاعر

به خالدات ما يرمن وهامد ● واشعث ارسته الوليدة بالفهر ●

فصل قال ابن عباس رضي الله عنهما كان ابو قبيس اول جبل وضع على وجه الارض واعلم ان الاستدلال بوجود الجبال على وجود الصانع القادر الحكيم من وجوه اولها ان طبيعة الارض واحدة فحصول الجبل في بعض جوانبها دون البعض لا بد وان يكون بتخليق القادر العليم قالت الفلاسفة الجبال انما تولدت من بخارات لان البخارات كانت في هذا الجانب من العالم وكان يتولد في البحر طين لزج ثم يقوى بتاثير الشمس فيه فينقلب حجرا كما نشاهده ثم ان الماء كان يغور ويقل فلهذا السبب تولدت هذه الجبال وانما حصلت الجبال في هذا الجانب من العالم لان في الدهر الاقدم كان حضيض الشمس في جانب الشمال والشمس متى كانت في حضيضها كانت اقرب الى الارض فكان التسخين اقوى وشدة السخونة توجب انجذاب الرطوبات فحين كان الحضيض في جانب الشمال كانت البحار في جانب الشمال فلما انتقل الاوج الى جانب الشمال والحضيض الى جانب الجنوب انتقلت البحار الى جانب الجنوب فبقيت هذه الجبال في جانب الشمال وهذا ضعيف من وجوه الاول ان حصول الطين في البحر امر عام ووقوع الشمس عليها ايضا امر عام فلم حصل هذا الجبل في بعض الجوانب دون البعض الثاني انا نشاهد بعض الجبال كان تلك الاحجار موضوعة اقساما كان البناء بناه من لبنات كثيرة موضوع بعضها فوق بعض ويبعد حصول مثل هذا التركيب من السبب الذي ذكروه الثالث ان اوج الشمس الان قريب من اول السرطان فعلى هذا من اول الوقت الذي انتقل اوج الشمس الى الجانب الشمالي مضى قريب من تسعة الاف سنة وبهذا التقدير ان الحال في هذه المدة الطويلة كانت في التفتت وجب ان لا يبقى من الاحجار شي لكن ليس الامر كذلك فعلمنا ان السبب الذي ذكروه ضعيف الوجه الثاني من الاستدلال باحوال الجبال على وجود الصانع ما يحصل فيها من المعادن ومواضع الجواهر النفيسة ومنها ما يحصل فيها من معادن الدخان ومعادن النفط والكبريت فكون طبيعة الارض واحدة وكون الجبل واحدا في الطبع وكون تاثير الشمس واحدا في الكل يدل ظاهرا على ان الكل بتقدير قادر متعال عن مشابهة المحدثات الوجه الثالث من الاستدلال باحوال الجبال وذلك ان بسببها تتولد الانهار على وجه الارض لان الحجر جسم صلب فاذا تصاعدت الابخرة من قعر الارض ووصلت الى الجبال احتبست هناك فلا تزال تتكامل فيحصل بسبب الجبل مياه عظيمة ثم انها لكثرتها وقوتها تنقب وتخرج وتسيل على وجه الارض فمنفعة الجبال في تولد الانهار هو من هذا الوجه ولهذا السبب ما ذكر الله الجبال الا وذكر بعدها الانهار في اكثر الامر كهذه الاية وقوله تعالى وجعل فيها رواسي شامخات واسقيناكم ماء فراتا **فصل** قال القرطبي رحمه الله في هذه الاية رد على من زعم ان الارض كالكرة لقوله مد الارض ورد على من زعم ان الارض تهوي ابوابها عليها وزعم ابن الراوندي ان تحت الارض جسما صعادا كالريح الصعادة وهي منحدرة فاعتدل الهاوي والصعادي في الجرم والقوة فتوافقا وزعم اخرون ان الارض مركبة من جسمين احدهما منحدر والاخر مصعد فاعتدلا فلذلك وقفت والذي عليه المسلمون واهل الكتاب القول بوقوف الارض وسكونها ومدها وان حركتها انما في العادة بزلزلة تصيبها والله اعلم **قوله تعالى** ومن كل الثمرات يجوز فيه ثلاثة اوجه احدها ان يتعلق بجعل بعده اي وجعل فيها زوجين اثنين من كل وهو ظاهر والثاني ان يتعلق بمحذوف على انه حال من اثنين لانه في الاصل صفة له الثالث ان الكلام تم عند قوله من كل الثمرات فيتعلق بجعل الارض على انه من باب عطف المفردات يعني عطف على معمول جعل الاولى تقديره انه جعل في الارض كذا وكذا ومن كل الثمرات قال ابو البقا ويكون جعل

الثاني مستانفا ويغشي الليل تقدم الكلام فيه وهو اما مستانف واما حال من فاعل الافعال المعنى ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اي صنفين اثنين اصفر واحمر وحلوا وحامضا **فصل** وهذا النوع الثالث في الاستدلال بعجائب خلقة النبات واعلم ان الحبة اذا وقعت في الارض وربت وكبرت فبسبب ذلك ينشق اعلاها واسفلها فيخرج من الشق الاعلى الشجرة الصاعدة ويخرج من الشق الاسفل العروق الغائصة في الارض وهذا من العجائب لان طبيعة تلك الحبة واحدة وتاثير الطبائع والافلاك والكواكب فيها واحد ثم انه خرج من الجانب الاعلى من تلك الحبة جرم صاعد الى الهوى ومن الجانب الاسفل جرم غائص في الارض ومن المحال ان يتولد من الطبيعة الواحدة طبيعتان متضادتان فعلمنا ان ذلك انما كان بتدبير المدبر العليم الحكيم لا بسبب الطبع والخاصية ثم ان الشجرة النامية في تلك الجهة بعضها يكون خشبا وبعضها يكون نورا وبعضها يكون ثمرة ثم ان تلك الثمرة ايضا يحصل فيها اجسام مختلفة الطبائع مثل الجوز ففيه اربعة انواع من القشور فالقشر الاعلى وتحته القشرة الخشبية وتحته القشرة المحيطة باللب وتحت تلك القشرة قشرة اخرى في غاية الرقة تمتاز عما فوقها حال كون الجوز واللوز رطبا وايضا فقد يحصل في الثمرة الواحدة الطبائع المختلفة فالاترج قشره حار يابس ولحمه حار رطب وحامضه بارد يابس وبزره حار يابس وكذلك العنب قشره وعجمه باردان يابسان ولحمه وماؤه حاران رطبان فتولد هذه الطبائع المختلفة من الحبة الواحدة مع تساوي تاثيرات الطبائع وتاثيرات الانجم والافلاك على زعم من يدعيه لا بد وان يكون بتدبير العليم القدير فان قيل الزوجان لا بد وان يكونا اثنين فما الفائدة في قوله زوجين اثنين فالجواب انه تعالى اول ما خلق العالم وخلق فيه الاشجار خلق من كل نوع من الانواع اثنين فقط فلو قال زوجين لم يعلم ان المراد النوع او الشخص فلما قال اثنين علمنا انه تعالى اول ما خلق من كل زوجين اثنين لا اقل ولا ازيد والحاصل ان الناس فيهم الان كثرة الا انهم لما ابتدوا من زوجين اثنين بالشخص هما ادم وحوى صلوات الله وسلامه عليهما وكذلك القول في جميع الاشجار والزرع والله اعلم النوع الرابع الاستدلال باحوال الليل والنهار واليه الاشارة بقوله يغشي الليل النهار وقد سبق الكلام فيه فاغنى عن الاعادة ثم قال جل ذكره ان في ذلك لايات لقوم يتفكرون يستدلون والتفكر تصرف القلب في طلب المعاني **قوله تعالى** وفي الارض قطع العامة على رفع قطع وجنات اما على الابتداء واما على الفاعلية بالجار قبله وقرئ قطعا متجاورات بالنصب وكذلك هي في بعض المصاحف على اضمار جعل وقرا الحسن وجنات بكسر التاء وفيها اوجه احدها انه جر عطفا على كل الثمرات الثاني نصبه نسقا على زوجين اثنين قاله الزمخشري الثالث نصبه نسقا على رواسي الرابع نصبه باضمار جعل وهو اولى لكثرة الفواصل في الاوجه قبله قال ابو البقا ولم يقرا احد منهم وزرعا بالنصب **قوله تعالى** وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان قرا ابن كثير وابو عمرو وحفص بالرفع في الاربعة والباقون بالخفض فالرفع في زرع ونخيل للنسق على قطع وفي صنوان لكونه تابعا لنخيل وغير لعطفه عليه وعاب ابو حيان على ابن عطية قوله عطفا على قطع قال وليست عبارة محررة لان فيها ما ليس بعطف وهو صنوان قال شهاب الدين ومثل هذا غير معيب لانه عطف محقق غاية ما فيه ان بعض ذلك تابع فلا يقدح في هذه العبارة والخفض مراعاة لاعناب وقال ابن عطية عطفا على اعناب وعابها ابو حيان بما تقدم وجوابه ما تقدم وقد طعن قوم على هذه القراءة وقالوا ليس الزرع من الجنات روي ذلك عن ابي عمرو وقد اجيب عن ذلك بان الجنة تحتوي على النخيل والاعناب لقوله تعالى جعلنا لاحدهما جنتين من اعناب وحففناهما بنخل وجعلنا بينهما زرعا وقال ابو البقا رحمه الله وقيل المعنى ونبات زرع فعطفه على المعنى قال شهاب الدين ولا ادري ما هذا الجواب لان الذي يمنع ان تكون الجنة من الزرع يمنع ان يكون من نبات الزرع واي فرق والصنوان جمع صنو كقنوان جمع قنو وقد تقدم تحقيق هذه البنية في الانعام والصنو الفرع يجمعه وفرعا اخر اصله واحد واصله المثل وفي الحديث عم الرجل صنو ابيه اي مثله او لانهما يجمعهما اصل واحد والعامة على كسر الصاد وقرا السلمي وابن مصرف وزيد بن علي بضمها وهي لغة قيس وتميم كذيب وذوبان وقرا الحسن وقتادة بفتحها وهو اسم جمع لا جمع تكسير لانه ليس من ابنيته فعلان ونظير صنوان بالفتح السعدان هذا جمعه في الكثرة واما في القلة فيجمع على اصناء كحمل واحمال **قوله تعالى** يسقى بماء واحد قرا ابن عامر وعاصم يسقى بالياء من تحت اي يسقى ما ذكر والباقون بالتاء من فوق مراعاة للفظ ما تقدم وللتانيث في قوله جنات وقوله بعضها **قوله تعالى** ونفضل قراه بالياء من تحت مبنيا للفاعل الاخوان والباقون بنون العظمة ويحيى بن يعمر وابو حيوة يفضل بالياء مبنيا للمفعول بعضها رفعا وقال ابو حاتم وجدته كذلك في مصحف يحيى بن يعمر وهو اول من نقط المصاحف وتقدم الخلاف في الاكل في البقرة وفي الاكل فيه وجهان اظهرهما انه ظرف للتفضيل والثاني انه حال من بعضها اي نفضل بعضها ماكولا اي وفيه الاكل قاله ابو البقا وفيه بعد من جهة المعنى والصناعة

فصل وفي الارض قطع متجاورات قال الاصم ارض دنية من ارض اخرى واحدة طيبة واخرى سبخة
واخرى رملة واخرى صلبة وحصباء واخرى تكون حمرا واخرى تكون سوداء وبالجملة فاختلاف بقاع الارض
في الارتفاع والانخفاض والطبع والخاصية امر معلوم وجنات بساتين من اعناب وزرع ونخيل صنوان وغير
صنوان تقدم الكلام على الصنو والصنوان وهي النخلات يجمعهن اصل واحد وغير صنوان هي النخلة المنفردة باصلها
وقال المفسرون الصنوان المجتمع وغير صنوان متفرق ولا فرق في الصنوان والقنوان بين التثنية والجمع
الا في الاعراب وذلك ان النون في التثنية مكسورة غير منونة تسقى بماء واحد والماء جسم رقيق مائع به حياة
كل نام ونفضل بعضها على بعض في الاكل في الثمر والطعم جاء في الحديث ونفضل بعضها على بعض في الاكل قال الفارسي
والدقل والحلو والحامض قال مجاهد كمثل بني ادم صالحهم وخبيثهم وابوهم واحد وحكى الواحدي عن الزجاج ان الاكل
الثمر الذي يؤكل وحكي عن غيره ان الاكل المهيأ للاكل قال ابن الخطيب وهذا اولى لقوله تعالى في صفة الجنة اكلها دائم
وظلها وهو عام في جميع المطعومات قال الحسن هذا مثل ضربه الله تعالى لقلوب بني ادم كانت الارض طينة واحدة في
يد الرحمن فسطحها فصارت قطعا متجاورات فينزل عليها الماء من السماء فتخرج هذه زهرتها وشجرها وثمرها ونباتها
وتخرج هذه سبخها وملحها وخبيثها وكلا يسقى بماء واحد كذلك الناس خلقوا من ادم صلوات الله عليه فينزل من السماء تذكرة
فترق قلوب فتخشع وتقسو قلوب فتلهو قال الحسن والله ما جالس القران احد الا قام من عنده بزيادة او نقصان قال الله
تبارك وتعالى وننزل من القران ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين الا خسارا ان في ذلك الذي ذكرت لايات
لقوم يعقلون **فصل** قال ابن الخطيب المقصود من هذه الاية اقامة الدلالة على انه لا يجوز ان يكون حدوث
الحوادث في هذا العالم لاجل الاتصالات الفلكية والحركات الكوكبية من وجهين الاول انه جعل الارض قطعا مختلفة
بالطبيعة والماهية وهي مع ذلك متجاورة فبعضها سبخة وبعضها طيبة وبعضها صلبة وبعضها حجرية وبعضها
رملية وتاثير الشمس وتاثير الكواكب في تلك القطع على السوية فدل هذا على ان اختلافها في صفاتها بتقدير العليم القدير
الثاني ان القطعة الواحدة من الارض تسقى بماء واحد ويكون تاثير الشمس فيها واحدا متشابها ثم ان تلك الثمار تجيء
مختلفة في اللون والطعم والطبيعة والخاصية حتى انك قد تاخذ عنقودا واحدا من العنب فيكون جميع حباته نضيجة
حلوة الا حبة الواحدة منه فانها تبقى حامضة يابسة ونعلم بالضرورة ان نسبة الطبائع والافلاك الى الكل على السوية
بل نقول هاهنا ما هو اعجب منه وهو انه يوجد في بعض انواع الورد ما يكون احد وجهيه في غاية الحمرة والوجه الثاني في
غاية السواد مع ان ذلك الورد يكون في غاية الرقة والنعومة ويستحيل ان يقال وصل تاثير الشمس الى احد طرفيه دون
الثاني وهذا يدل دلالة قاطعة على ان الكل بتقدير الفاعل المختار لا بسبب الاتصالات الفلكية وهذا المراد بقوله
تسقى بماء ونفضل بعضها على بعض في الاكل ولهذا قال ان في ذلك لايات لقوم يعقلون **فصل** قال
القرطبي هذه الاية تدل على بطلان القول بالطبع اذ لو كان ذلك بالماء والتراب والفاعل له الطبيعة لما وقع
الاختلاف وذهبت الكفرة لعنهم الله الى ان كل حادث يحدث بنفسه لا من صانع وادعوا ذلك في الثمار الخارجة
من الاشجار واقروا بحدوثها وانكروا الاعراض وقالت فرقة بحدوث الثمار لا من صانع واثبتوا للاعراض فاعلا والدليل
على ان الحادث لا بد له من محدث انه يحدث في وقت كل ما هو من جنسه في وقت اخر فلو كان حدوثه في وقته لا
لاختصاصه به لوجب ان يحدث في وقته كل ما هو من جنسه واذا بطل اختصاصه بوقته صح ان اختصاصه به لاجل
مخصص خصصه به لولا تخصيصه اياه به لم يكن حدوثه في وقته اولى من حدوثه قبل ذلك او بعده **قوله**
تعالى وان تعجب فعجب قولهم الاية لما ذكر الدلائل على معرفة المبدأ ذكر بعده ما يدل على المعاد قال ابن عباس رضي الله
عنهما ان تعجب من تكذيبهم اياك بعد ما حكموا عليك انك من الصادقين فهذا اعجب وقيل ان تعجب يا محمد صلوات
الله وسلامه عليك من عبادتهم ما لا يملك لهم ضرا ولا نفعا بعد ما عرفوا الدلائل الدالة على التوحيد فهذا
اعجب وقيل تقديره الكلام وان تعجب يا محمد صلوات الله وسلامه عليك فقد تعجبت في موضع التعجب لانهم لما
اعترفوا بانه سبحانه وتعالى جل ذكره مدبر السموات والارضين وخالق الخلق اجمعين وانه هو الذي رفع السموات
بغير عمد ترونها وانه الذي سخر الشمس والقمر على وفق مصالح العباد وهو الذي اظهر في العالم انواع العجائب
والغرائب فمن كانت قدرته وافية بهذه الاشياء العظيمة كيف لا تكون وافية باعادة الانسان بعد موته
لان القادر على الاقوى يكون قادرا على الاضعف بطريق الاولى وهذا تقرير موضع التعجب **قوله تعالى**
فعجب قولهم يجوز فيه ثلاثة اوجه احدها انه خبر مقدم وقولهم مبتدأ مؤخر ولا بد من حذف الصفة ليتم الفائدة
اي فعجب اي عجب او غريب ونحو الثاني انه مبتدأ وسوغ الابتداء ما ذكرم الوصف المقدر ولا يضر حينئذ كون

خبر

خبر معرفة هذا كما اعرب سيبويه كم من لم مالك وخير من اقصد رجلا خير منه ابوه مبتدأين لسوغ
الابتداء بهما وخبرهما معرفة قال ابو حيان وللنزاع فيه مجال على ان هناك علة لا تتاتى هاهنا وهي ان الذي
حمل سيبويه على ذلك في المسالتين ان اكثر ما يقع من بعد كم وخير ما هو مبتدأ فلذلك حكم عليهما بحكم الغالب
على ما نحن فيه الثالث ان عجب مبتدأ بمعنى معجب وقولهم فاعل به قال ابو حيان البقاء ورد عليه ابو حيان بانهم
نصوا على ان فعلا وفعلة وفعلا ينوب عن مفعول في المعنى ولا يعمل عمله فلا تقول مررت برجل ذبح كبشه ولا عرفة
مادة ولا قبض ماله وايضا فان الصفات لا تعمل الا اذا اعتمدت على اشياء مخصوصة وليس منها هنا شيء والعجب
تغير النفس برؤية المستبعد في العادة وقال القرطبي العجب تغير النفس بما تخفى اسبابه **قوله تعالى** اءذا كنا
ترابا ائنا لفي خلق جديد يجوز في هذه الجملة الاستفهامية وجهان اظهرهما انها منصوبة المحل لحكايتها بالقول والثاني
انها وما في حيزها في محل رفع بدلا من قولهم وبه بدأ الزمخشري رضي الله عنه ويكون بدل كل من كل لان هذا هو نفس
قولهم واذا هنا ظرف محض وليس فيها معنى الشرط والعامل فيها مقدر يفسره لفي خلق جديد تقديره ائذا كنا ترابا
نبعث او نحشر ولا يعمل فيها خلق جديد لان ما بعد ان لا يعمل فيما قبلها ولا يعمل فيها كنا لاضافتها اليها واختلف
القراء في هذا الاستفهام المكرر اختلافا منتشرا وهو في احد عشر موضعا من القران ولا بد من تعيينها وبيان مراتب
القراء فيها فان ضبطها عسر ليسهل ذلك بعون الله عز وجل فاولها في هذه السورة والثاني والثالث في الاسراء
وهما ائذا كنا عظاما ورفاتا ائنا لمبعوثون خلقا جديدا موضعان الرابع في المؤمنون ائذا متنا وكنا ترابا وعظاما ائنا
لمبعوثون الخامس في النمل ائذا كنا ترابا وآباؤنا ائنا لمخرجون السادس في العنكبوت ائنكم لتاتون الفاحشة ما سبقكم
بها من احد من العالمين ائنكم لتاتون الرجال السابع في الم السجدة ائذا ضللنا في الارض ائنا لفي خلق جديد الثامن
والتاسع في الصافات موضعان العاشر في الواقعة ائذا متنا وكنا ترابا وعظاما ائنا لمبعوثون الحادي عشر
في النازعات ائنا لمردودون في الحافرة ائذا كنا عظاما نخرة فهذه المواضع المختلف فيها واما ضبط الخلاف
فيها بالنسبة الى القراء ففيه طريقان احدهما بالنسبة الى ذكر القراء والثاني بالنسبة الى ذكر السور واعلم ان
هذه المواضع تنقسم قسمين قسم منها سبعة مواضع لها حكم واحد وقسم منها اربعة مواضع لكل منها حكم على حدته
اما القسم الاول فهو في هذه السورة والثاني والثالث في سبحان والرابع في المؤمنين والخامس في الم السجدة
والسادس والسابع في الصافات وحكمها ان نافعا والكسائي يستفهمان في الاول ويخبران في الثاني وابن عامر
يخبر في الاول ويستفهم في الثاني والباقين يستفهمون في الاول والثاني واما القسم الثاني فاوله ما في النمل
وحكمه ان نافعا يخبر في الاول ويستفهم في الثاني وابن عامر والكسائي يستفهمان في الاول ويخبران في الثاني
والباقين يستفهمون فيهما الثاني ما في العنكبوت وحكمه ان نافعا وابن كثير وابن عامر والكسائي يخبرون
في الاول ويستفهمون في الثاني وحفصا يخبرون في الاول ويستفهمون في الثاني والباقين يستفهمون
فيهما الثالث ما في سورة الواقعة وحكمه ان نافعا والكسائي يستفهمان في الاول ويخبران في الثاني والباقين
يستفهمون فيهما الرابع ما في سورة النازعات وحكمه ان نافعا وابن عامر والكسائي يستفهمون في الاول
ويخبرون في الثاني والباقين يستفهمون فيهما واما الطريق بالنسبة الى القراء فانهم فيها على اربع مراتب
الاولى ان نافعا رحمه الله قرا بالاستفهام في الاول وبالخبر في الثاني الا في النمل والعنكبوت فانه على المرتبة الثانية
ان ابن كثير وحفصا قرآ بالاستفهام في الاول والثاني الا الاولى من العنكبوت فقرآه بالخبر المرتبة الثالثة
ان ابن عامر قرا بالخبر في الاول والاستفهام في الثاني الا في النمل والواقعة والنازعات فقرا في النمل والنازعات
بالاستفهام في الاول وبالخبر في الثاني وفي الواقعة بالاستفهام فيهما المرتبة الرابعة الباقون وهم ابو عمرو وحمزة
وابو بكر رضي الله عنهم اجمعين قرؤا بالاستفهام في الاول والثاني ولم يخالف احد منهم اصله قال ابن عادل
وانما ذكرت هذين الطريقين لعسرهما وصعوبة استخراجهما من كتب القراءات فاما وجه قراءة من استفهم في الاول
والثاني فقصد المبالغة في الانكار فاتى به في الجملة الاولى واعاده في الثانية تاكيدا له ووجه من اتى به مرة
واحدة حصول المقصود به لان كل جملة مرتبطة بالاخرى فاذا انكر في احداهما حصل الانكار في الاخرى وللمخالف
خالف اصله في شيء من ذلك فلاتباع الاثر **فصل** هذا خطاب للرسول صلوات الله وسلامه عليه
ومعناه انك ان تعجب من انكارهم النشاة الاخرة مع اقرارهم بابتداء الخلق فعجب امرهم وكان المشركون ينكرون
البعث مع اقرارهم بابتداء الخلق من الله عز وجل وقد تقرر في القلوب ان الاعادة اهون من الابتداء فهذا موضع
العجب ثم قال اولئك الذين كفروا بربهم وهذا يدل على ان من انكر البعث والقيمة فهو كافر وانما لزم من انكار البعث

الكفر بالله تعالى لان انكار البعث لا يتم الا بانكار القدرة او العلم او الصدق اما انكار القدرة فكقوله الله غير
قادر على الاعادة واما انكار العلم فكقوله الله غير عالم بالجزئيات فلا يمكنه تمييز المطيع عن العاصي واما انكار الصدق
فكقولهم انه وان اخبر عنه لكنه لا يفعل لان الكذب جائز عليه وكل ذلك كفر بالله تعالى ثم قال واولئك الاغلال
في اعناقهم قال الاصم المراد بالاغلال كفرهم وذلهم وانقيادهم للاصنام ونظيره قوله تعالى انا جعلنا في اعناقهم
اغلالا وقال الشاعر * لهم عن الرشد اغلال واقياد * ويقال للرجل هذا غل في عنقك للعمل الردي
معناه انه لازم لك وانك مجازى عليه بالعذاب قال القاضي هذا وان كان محتملا لكن حمل اللفظ على الحقيقة اولى
قال ابن الخطيب اقول على نصرة قول الاصم ان ظاهر الاية يقتضي حصول الاغلال في اعناقهم في الحال وذلك
غير حاصل فانهم يحملون اللفظ على انه سيحصل هذا المعنى ونحن نحمله على انه حاصل في الحال والمراد بالاغلال ما
ذكره فكل واحد منا تارك للحقيقة من بعض الوجوه فلم كان قولكم اولى وقيل المعنى انه تعالى يجعل الاغلال في
اعناقهم يوم القيمة ويدل عليه قوله تعالى اذ الاغلال في اعناقهم الى قوله ثم في النار يسجرون ثم قال واولئك
اصحاب النار هم فيها خالدون والمراد منه التهديد بالعذاب المخلد المؤبد وذلك يدل على ان العذاب المؤبد ليس
الا للكفار لان قوله هم فيها خالدون يدل على انهم هم الموصوفون بالخلود لا غيرهم فدل على ان اهل الكبائر لا يخلدون
في النار فان قيل العجب هو الذي لا يعرف سببه وذلك في حق الله عز وجل محال فكيف قال فعجب قولهم فالجواب
المعنى وعجب عندك فان قيل فقد قرأ بعضهم بل عجبت باضافة العجب الى نفسه تعالى فالجواب انا قد بينا ان مثل هذه
الالفاظ يجب تنزيهها عن مبادي الاعراض ويجب حملها على نهايات الاعراض ونهاية التعجب ان الانسان اذا
تعجب من الشي انكره فكان التعجب في حق الله تعالى محمولا على الانكار **قوله تعالى** ويستعجلونك بالسيئة قبل الحسنة
واعلم ان النبي صلوات الله وسلامه عليه كان يهددهم تارة بعذاب القيمة انكروا القيمة والبعث والنشر كما تقدم في
الاية الاولى وكلما هددهم بعذاب الدنيا استعجلوه وذلك ان مشركي مكة كانوا يطلبون العقوبة بدلا من
العافية استهزاء منهم يقولون اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب
اليم **قوله تعالى** قبل الحسنة فيه وجهان احدهما انه متعلق بالاستعجال ظرفا له والثاني انه متعلق بمحذوف على انه
حال مقدرة من السيئة قاله ابو البقا **قوله تعالى** وقد خلت يجوز ان يكون حالا وهو الظاهر ويجوز ان تكون
مستانفة والعامة على فتح الميم وضم المثلثة من المثلة الواحدة مثلة كسمرة وسمرات وصدقة وصدقات وهي العقوبة
الفاضحة قال ابن عباس رضي الله عنه العقوبات المستاصلات كمثلة قطع الاذن والانف ونحوها سميت بذلك
لما بين العقاب والمعاقب من المماثلة لقوله عز وجل وجزاء سيئة سيئة مثلها او لاخذها من المثال بمعنى القصاص
يقال امثلت الرجل من صاحبه واقصصته بمعنى واحد او لاخذها من ضرب المثل لعظم شانها وقرا ابن مصرف بفتح الميم
وسكون الثاء قيل وهي لغة الحجاز في مثله وقرا ابن وثاب بضم الميم وسكون الثاء وهي لغة تميم وقرا الاعمش ومجاهد
بفتحهما وعيسى بن عمر وابو بكر رضوان الله عليهم اجمعين في رواية بضمتها فاما الضم والاسكان فيجوز ان يكون اصلا
بنفسه لغة وان يكون اتباعا من قراءة الضم والاسكان نحو العسر في العسر وقد عرفت ما فيه قال ابن الانباري
المثلة العقوبة المبقية في المعاقب شينا وهي تغير تبقى الصورة معه قبيحة من قولهم مثل فلان بفلان
اذا قبح صورته اما بقطع انفه او اذنه او سمل عينيه او بقر بطنه فهذا هو الاصل ثم يقال للعار الباقي والخزي
اللازم مثلة وقال الواحدي واصل هذا الحرف من المثل الذي هو الشبه ولما كان الاصل ان يكون العقاب مشابها
للمعاقب عليه ومماثلا له سمي بهذا الاسم والمعنى ويستعجلونك بالعذاب الذي لم يعاجلهم به وقد علموا ما نزل من عقوبات
بالامم الخالية افلا يعتبرون بها ثم قال تعالى وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم وهذا يدل على انه تعالى قد يعفو
عن صاحب الكبيرة قبل التوبة لان قوله لذو مغفرة للناس على ظلمهم اي حال اشتغالهم بالظلم ومعلوم ان حال اشتغال
الانسان بالظلم لا يكون تائبا فدل هذا على انه تعالى قد يعفو عن الذنوب قبل الاشتغال بالتوبة وترك العمل بهذا
الدليل في حق الكفر فوجب ان يبقى معمولا به في حق غير الكفرة وهو المطلوب او يقال انه تعالى لم يقتصر على قوله ان ربك
لذو مغفرة للناس على ظلمهم بل عطف عليه قوله وان ربك لشديد العقاب فوجب ان يحمل الاول على اصحاب الكبائر
ويحمل الثاني على الكفار وقال المفسرون لذو مغفرة اي لذو تجاوز عن المشركين اذا امنوا وعن المذنبين اذا تابوا وقال
ابن عباس رضي الله عنه ارجى اية في القران هذه الاية وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم وان ربك لشديد العقاب
اذا اصروا على الكفر وروى حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن سعيد بن المسيب رحمه الله قال لما نزلت وان ربك لذو مغفرة
للناس على ظلمهم وان ربك لشديد العقاب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لولا عفو الله ورحمته وتجاوزه لما هنا احد

عيشا ولولا عقابه ووعيده وعذابه لاتكل كل احد فان قيل لم لا يجوز ان يكون المراد من هذه المغفرة تاخير
العذاب الى الاخرة بل يجب حمل اللفظ عليه لان القوم طلبوا تعجيل العذاب فيجب ان تحمل المغفرة على تاخير العذاب
حتى ينطبق الجواب على السؤال ثم يقال لم لا يجوز ان يكون المراد بقوله لذو مغفرة امهالهم بالتوبة ولا يعجل العقوبة
فان تابوا فهو ذو مغفرة فان لم يتوبوا فهو شديد العقاب فالجواب عن الاول ان تاخير العقاب لا يسمى مغفرة
والجواب عن الثاني ان يقال ان الكفار كلهم مغفور لهم لان الله تعالى اخر عقابهم الى الاخرة وعن الثاني ان الله تعالى
تمدح بهذا والتمدح انما يحصل بالتفضل اما باداء الواجب فلا تمدح فيه وعندكم يجب غفران الصغاير ومن التائب
ان ظاهر الاية يقتضي حصول المغفرة فسقطت الاسولة **قوله تعالى** على ظلمهم حال من الناس والعامل فيها قال
ابو البقا مغفرة يعني انه هو العامل في صاحبها **قوله تعالى** ويقول الذين كفروا لولا انزل عليه اية من ربه الاية بين
تعالى انهم طعنوا في النبوة بسبب طعنهم في الحشر والنشر ثم طعنوا في النبوة ايضا بسبب طعنهم في صحة ما ينذرهم به
من العذاب ثم انهم طعنوا ايضا في نبوته بان طلبوا منه المعجزة والسبب في كونهم انكروا كون القران معجزة انهم قالوا
هذا كتاب مثل ساير الكتب واتيان الانسان تصنيف معين وكتاب معين لا يكون معجزا وانما يكون المعجز مثل معجزات
موسى واعلم ان من الناس من زعم انه لم يظهر معجزة لمحمد صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم ومجد وبجل وعظم سوى القران
قالوا لان هذا الكلام انما يصح اذا طعنوا في كون القران معجزا ولم يظهر معجزا غيره لانه لو ظهر معجز غيره لم يحسن ان
يقال لولا انزل عليه اية من ربه وهذا يدل على انه صلوات الله وسلامه عليه ما كان له معجزة سوى القران والجواب
عنه من وجهين الاول لعل المراد منه طلب معجزات سوى المعجزات التي شاهدوها من حنين الجذع ونبع الماء من بين
اصابعه واشباع الخلق الكثير من الطعام القليل فطلبوا منه معجزات قاهرة غير هذه مثل فلق البحر وقلب العصا
ثعبانا فان قيل فما السبب في ان الله تعالى منعهم وما اعطاهم فالجواب ان الله تعالى منعهم لما ظهرت المعجزة الواحدة
فقد تم الغرض فيكون طلب الثاني تحكما وظهور القران معجزة فما كان مع ذلك حاجة الى معجزات اخر وايضا فلعله
تعالى علم انهم يصرون على العناد بعد ظهور المعجز الملتمسة وكونهم يصرون حينئذ يستوجبون عذاب الاستيصال
فلهذا السبب ما اعطاهم مطلوبهم وقد بين الله تبارك وتعالى ذلك بقوله ولو علم الله فيهم خيرا لاسمعهم ولو اسمعهم
لتولوا وهم معرضون فبين انه انما لم يعطهم مطلوبهم لعلمه انهم لا ينتفعون به وايضا ففتح هذا الباب يفضي الى
ما لا نهاية له وهو انه كلما اتى بمعجز جاء اخر وطلب معجزة اخرى وذلك يوجب سقوط دعوة الانبياء صلوات الله
وسلامه عليهم وهو باطل ولحه الوجه الثاني في الجواب لعل الكفار قالوا ذلك قبل مشاهدة المعجزات ثم قال
انما انت منذر وهو مخوف **قوله تعالى** ولكل قوم هاد فيه ثلاثة اوجه احدها ان هذا الكلام مستانف
مستقل من مبتدا وخبر الثاني ان لكل قوم متعلق بهاد وهاد نسق على منذر اي انما انت منذر وهاد لكل قوم
وفي هذا الوجه الفصل بين حرف العطف والمعطوف بالجار وفيه خلاف تقدم ولما ذكر ابو حيان هذا الوجه لم يذكر
هذا الاشكال ومن عادته ذكره ردا به على الزمخشري الثالث ان هاد خبر مبتدا محذوف تقديره انما انت منذر
وهو لكل قوم هاد فلكل متعلق به ايضا ووقف ابن كثير على هاد وواق حيث وقعا وعلى وال هنا وباق في النحل
باثبات الياء وحذفها الباقون ونقل ابن مجاهد عنه انه يقف بالياء في جميع الباب ونقل عنه ورش انه خير
في الوقف بين الياء وحذفها والباب هو كل منقوص منون غير منصوب واتفق القراء على التوحيد في قوله هاد
قوله تعالى اذا جعلنا ولكل قوم هاد كلاما مستانفا فالمعنى ان الله تعالى خص كل قوم بنبي ومعجزة
تلايمهم فلما كان الغالب في زمن موسى عليه السلام السحر جعل معجزته ما هو اقرب الى طريقتهم فلما كان الغالب في
زمان عيسى صلوات الله عليه الطب جعل معجزته ما كان من تلك الطريقة وهو احيا الموتى وابراء الاكمه والابرص
ولما كان الغالب في زمان محمد صلوات الله وسلامه عليه الفصاحة والبلاغة جعل معجزته ما كان لايقا بذلك
الزمان وهو فصاحة القران فلما لم يؤمنوا بهذه المعجزة مع انها اليق بطباعهم فبان لا يؤمنوا بها في المعجزات
اولى هذا تقرير القاضي وبه ينتظم الكلام وقيل المعنى انهم اذا جحدوا كون القران معجزة لا يضيق قلبك بسببه
انما انت منذر اي ما عليك الا الانذار واما الهداية فليست اليك فان لكل قوم هاد قادر على هدايتهم والمعنى
ان الهداية من الله **فصل** قيل المنذر والهادي شي واحد والتقدير انما انت منذر ولكل قوم هاد
منذر على حدة ومعجزة كل واحد منهم غير معجزة الاخر وقيل المنذر محمد صلوات الله وسلامه عليه والهادي هو الله
تبارك وتعالى قاله ابن عباس وسعيد بن جبير ومجاهد والضحاك رضوان الله عليهم وقال عكرمة الهادي محمد
صلوات الله وسلامه عليه تقول انت منذر وانت هاد لكل قوم اي داع **قوله تعالى** الله يعلم ما تحمل كل انثى

الاية في النظم وجوه احدها ان الكفار لما طلبوا ايات اخر غير ما اتى بها الرسول صلوات الله وسلامه عليه بين
انه تعالى عالم بجميع المعلومات فلو علم من حالهم انهم لما طلبوا الاية الاخرى للاسترشاد وطلب البيان لظهرها وما
منعهم لكنه تعالى علم انهم لم يقولوا ذلك الا لمحض العناد فلذلك منعهم ونظيره قوله تعالى ويقولون لولا انزل عليه
اية من ربه فقل انما الغيب لله وقوله انما الايات عند الله وثانيها انه تعالى لما قال وان تعجب فعجب قولهم في انكار
البعث بسبب ان اجزاء ابدان الحيوانات يتفرق ويختلط بعضها ببعض ولا يتميز فبين تعالى انه انما لم يتميز
في حق من لا يكون عالما بجميع المعلومات فاما من يعلم ما تحمل كل انثى وما تغيض الارحام وما تزداد وكل شيء
عنده بمقدار كيف لا يميزها وثالثها انه متصل بقوله ويستعجلونك بالسيئة قبل الحسنة والمعنى انه تعالى عالم
بجميع المعلومات فهو انما ينزل العذاب بحسب ما يعلم كونه مصلحة فيه **قوله تعالى** الله يعلم يجوز في الجلالة وجهان
احدهما انها خبر مبتدأ مضمر اي هو الله وعلى قول من فسر هاد بانه هو الله تعالى فكان هذه الجملة تفسير له وهذا عنى
الزمخشري بقوله وان يكون المعنى هو الله تفسير لهاد على الوجه الاخير ثم ابتدأ فقال يعلم والثاني ان الجلالة مبتدأ
ويعلم خبرها وهو كلام مستانف مستقل قال ابو حيان ويعلم هنا متعدية الى واحد لانه لا يراد هنا النسبة
انما المراد تعلق العلم بالمفردات قال شهاب الدين رحمه الله واذا كانت كذلك كانت عرفانية وقد تقدم انه لا ينبغي
ان يجوز نسبة هذا الى الله عز وجل وتقدم تحقيقه في الانفال فالتفت اليه **قوله تعالى** ما تحمل ما تحتمل ثلاثة
اوجه احدها ان تكون موصولة اسمية والعائد محذوف اي ما تحمله والثاني ان تكون مصدرية فلا عائد والثالث
ان تكون استفهامية وفي محلها وجهان احدهما انها في محل رفع بالابتداء وتحمل خبره والجملة معلقة للعلم والثاني
انها في محل نصب بتحمل قاله ابو البقاء وهو اولى لانه لا يحوج الى حذف عائد لا سيما عند البصريين فانهم لا يجيزون زيد
ضربت ولم يذكر ابو حيان غير هذا ولم يتعرض لهذا الاعتراض وما في قوله وما تغيض وما تزداد محتملة للاوجه
المتقدمة وغاض وزاد سمع تعديتهما ولزومهما ولك ان تدعي حذف العائد على القول بتعديتهما وان تجعلهما
مصدرية على القول بلزومهما **فصل** اذا كانت ما موصولة فالمعنى انه تعالى يعلم ما تحمل
من الولد اهو ذكر ام انثى وتام ام ناقص وحسن ام قبيح وطويل ام قصير او غير ذلك من الاحوال وقوله سبحانه
وما تغيض الارحام الغيض النقصان سواء كان لازما او متعديا يقال غاض الماء وغضته انا ومنه قوله تعالى
وغيض الماء والمعنى ما تغيضه الارحام الا انه حذف الراجع وما تزداد اي تاخذه زائدا يقال اخذت منه حقي
وازددت كذا ومنه قوله تعالى وازدادوا تسعا ثم اختلفوا فيما تغيضه الرحم وما تزداده على وجوه الاول
عدد الولد فان الولد قد يشتمل على واحد وعلى اثنين وثلاثة واربعة يروى ان شريكا كان رابع اربعة في بطن امه
الثاني جسد الولد فقد يكون زائدا وقد يكون ناقصا الثالث مدة ولادته قد تكون تسعة اشهر فا زيد الى
سنتين عند ابي حنيفة رحمه الله والى اربع عند الشافعي والى خمس عند مالك رضي الله عنهما وقيل ان الضحاك
ولد لسنتين وهرم بن حيان بقي في بطن امه اربع سنين ولذلك سمي هرما الرابع الدم تارة يقل وتارة يكثر
الخامس ما ينقص بالسقط عن ان يتم وما يزداد بالتمام السادس ما ينقص بظهور دم الحيض لانه اذا سال
الدم في وقت الحمل ضعف الولد ونقص وبقدر ذلك النقصان يزداد ايام الحمل لتصير هذه الزيادة جابرة
لذلك النقصان قال ابن عباس رضي الله عنه كلما سال الحيض في وقت الحمل يوما زاد في مدة الحمل يوما ليحصل
الجبر ويعتدل الامر وهذا يدل على ان الحامل انها تحيض وهو مذهب مالك واحد قولي الشافعي لقول
ابن عباس في تاويل هذه الاية انه حيض الحبالى وهو قول عائشة رضي الله عنها وانها كانت تفتي النساء الحوامل
اذا حضن ان يتركن الصلوة وقال المخالف لو كانت الحامل تحيض لما صح استبراء الامة بحيضة وهو بالاجماع
السابع ان دم الحيض فضلة تجتمع في بدن المراة فاذا امتلات عروقها من تلك الفضلات فاضت وخرجت
وسالت من تلك العروق ثم اذا سالت تلك المواد امتلات تلك العروق مرة اخرى هذا كله اذا قلنا ان ما
موصولة فاذا قلنا انها مصدرية فالمعنى انه تعالى يعلم حمل كل شيء ويعلم غيض الارحام وازديادها لا يخفى
عليه شيء من ذلك ولا من اوقاته واحواله ثم قال وكل شيء عنده بمقدار يحتمل ان يكون المراد من العندية
انه تعالى خصص كل حادث بوقت معين وحالة معينة بمشيئته الازلية وارادته السرمدية ويحتمل ان يكون
المراد من العندية العلم بكمية كل شيء وكيفيته على الوجه المفصل المبين وعند حكماء الاسلام انه تعالى وضع
اشياء كلية واودع فيها قوى وخواص وحركها بحيث يلزم من حركاتها المقدرة بالمقادير المخصوصة احوال
جزئية متعينة ومناسبات مخصوصة متقدرة ويدخل في هذه الاية افعال العباد واحوالهم وخواطرهم

وهي

وهي من ادل الدلائل على بطلان قول المعتزلة **قوله تعالى** عنده يجوز ان تكون مجرور المحل صفة لشيء
او مرفوعه صفة لكل او منصوبة ظرفا لقوله بمقدار او ظرفا للاستقرار الذي تعلق به الجار لوقوعه خبرا
قوله تعالى عالم الغيب يجوز ان يكون مبتدأ وخبره الكبير المتعال وان يكون خبر مبتدأ محذوف اي هو
عالم وقرا زيد بن علي عالم نصبا على المدح ووقف ابن كثير وابو عمرو في رواية على المتعال والضلال ووقفا هذه
هو الاشهر في لسانهم وحذفهما الباقون وصلا ووقفا لحذفها في الرسم واستسهل سيبويه حذفها في الفواصل
والقوافي ولان ال تعاقب التنوين فحذفت معها اجراء لها مجراها **فصل** قال ابن عباس رضي الله
عنه يريد علم ما غاب عن خلقه وما شاهدوه قال الواحدي فعلى هذا الغيب مصدر يراد به الغائب والشهادة
اراد بها الشاهد واختلفوا في المراد بالغائب والشاهد فقيل المراد بالغائب المعدوم وبالشاهد الموجود
وقيل الغائب ما لا يعرفه الخلق واعلم ان المعلومات قسمان المعدومات والموجودات والمعدومات منها معدومات
يمتنع وجودها ومعدومات لا يمتنع وجودها والموجودات قسمان موجودات يمتنع عدمها وموجودات
لا يمتنع عدمها وكل واحد من هذه الاقسام الاربعة له احكام وخواص والكل معلوم لله تعالى قال امام الحرمين
لله تعالى معلومات لا نهاية لها لان الجوهر الفرد يعلم الله من حاله انه يمكن وقوعه في احياز لا نهاية لها لان الجوهر
الفرد على البدل وموصوف بصفات لا نهاية لها على البدل وهو تعالى عالم بكل الاحوال على التفصيل وكل
هذه الاقسام داخلة تحت قوله عالم الغيب والشهادة ثم قال الكبير المتعال وهو تعالى يمتنع ان يكون كبيرا بحسب
الجثة والمقدار فوجب ان يكون بحسب القدرة الالهية والمتعال المنزه عن كل ما لا يجوز عليه في ذاته وصفاته
قوله تعالى سواء منكم من اسر القول الاية في سواء وجهان احدهما انه خبر مقدم ومن اسر ومن جهر هو المبتدأ
وانما لم يثن الخبر لانه في الاصل مصدر وهو هنا بمعنى مستو ومنكم على هذا حال من الضمير المستتر في سواء لانه بمعنى مستو
قال ابو البقاء ويضعف ان يكون حالا من الضمير في اسر وجهر لوجهين احدهما تقديم ما في الصلة على الموصول
او الصفة على الموصوف والثاني تقديم الخبر على منكم وحقه ان يقع بعده قال شهاب الدين رحمه الله قوله
وحقه ان يقع بعده يعني بعده وبعد المبتدا والا يصير كلامه لا معنى له والثاني انه مبتدأ وجاز الابتداء به
لوصفه بقوله منكم واعرب سيبويه سواء عليه الجهر والسر كذلك وقول ابن عطية ان سيبويه ضعف ذلك بانه
ابتداء بنكرة غلط عليه قال ابن الخطيب لفظ سواء يطلب اثنين تقول سواء زيد وعمرو ثم فيه وجهان الاول ان سواء
مصدر والمعنى ذو سواء كما تقول عدل زيد وعمرو اي ذوا عدل الثاني ان يكون سواء بمعنى مستو وعلى هذا التقدير
فلا حاجة الى الاضمار الا ان سيبويه يستقبح ان يقول مستو زيد وعمرو لان اسماء الفاعل اذا كانت نكرة لا
يبتدا بها ولقائل ان يقول بل هذا الوجه اولى لان حمل الكلام عليه يغني عن التزام الاضمار الذي هو خلاف
الاصل **قوله تعالى** وسارب بالنهار فيه ثلاثة اوجه احدها ان يكون معطوفا على مستخف ويراد بمن
حينئذ اثنان وحمل المبتدا الذي هو لفظ هو على لفظها فافرده والخبر على معناها فثناه والوجه الثاني
ان يكون عطفا على من هو مستخف لا على مستخف وحده ويوضح هذين الوجهين ما قاله الزمخشري قال فان قلت
كان حق العبارة ان يقال ومن هو مستخف بالليل ومن هو سارب بالنهار حتى يتناول معنى الاستواء المستخفي
والسارب والا فقد تناول واحدا هو مستخف وسارب قلت فيه وجهان احدهما ان قوله وسارب عطف على من
هو مستخف لا على مستخف والثاني انه عطف على مستخف الا ان من في معنى الاثنين كقوله نكن مثل من يا ذئب يصطحبان
كانه قيل سواء منكم اثنان مستخف بالليل وسارب بالنهار قال شهاب الدين وفي عبارته بقوله كان حق العبارة كذا
سوء ادب وقوله كقوله نكن مثل من يشير الى البيت المشهور وفي قصة بعضهم مع ذئب يخاطبه وهو قوله

تعش فان عاهدتني لا تخونني • نكن مثل من يا ذئب يصطحبان •

وليس في البيت حمل على اللفظ والمعنى انما فيه حمل على المعنى فقط وهو مقصوده وقوله والا فقد تناول واحدا
هو مستخف وسارب لو قال بهذا قائل لاصاب الصواب وهو مذهب ابن عباس ومجاهد رضي الله عنهما ذهبا الى ان
المستخفي والسارب شخص واحد يستخفي بالليل ويسرب بالنهار ليري تصرفه في الناس الثالث ان يكون على حذف
من الموصولة اي ومن هو سارب وهذا انما يتمشى عند الكوفيين فانهم يجيزون حذف الموصول وقد تقدم استدلالهم
على ذلك والسارب اسم فاعل من سرب يسرب اي تصرف كيف شاء قال الشاعر

اني سربت وكنت غير سروب • وتقرب الاحلام غير قريب •

وقال الاخر

وكل اناس قاربوا قيد فحلهم • ونحن خلعنا قيده فهو سارب •

اي متصرف كيف توجه لا يدفعه احد عن مراده بالمنعة والقوة **فصل** معنى الكلام اي يستوي في علم الله المسر بالقول والجاهر به وفي المستخفي والسارب وجهان الاول يقال اخفيت الشي اخفيه اخفاء واستخفى فلان من فلان اي توارى واستتر منه والسارب قال الفراء رحمه الله والزجاج اي ظاهر بالنهار في سربه اي طريقه خل له سربه اي طريقه والسرب بفتح السين وسكون الرا الطريق وقال الازهري تقول العرب سربت الابل تسرب اي مضت في الارض ظاهرة حيث شاءت فمعنى الاية سواء كان الانسان مستخفيا في الظلمات او كان ظاهرا في الطرقات فعلم الله تعالى محيط بالكل وقال ابن عباس سواء ما اضمرته القلوب او اظهرته الالسنة وقال مجاهد سواء من اقدم على القبائح في ظلمات الليل ومن ياتي بها في النهار الظاهر على سبيل التوالي وقال ابن عباس ايضا هو صاحب ريبة مستخف بالليل واذا خرج بالنهار ارى الناس انه بري من الاثم والقول الثاني نقل الواحدي عن الاخفش وقطرب قال المستخفي الظاهر والسارب المتواري ومنه يقال اخفيت الشي اي اظهرته واخفيت الشي اي استخرجته ويسمى النباش المستخفي والسارب المتواري الداخل سربا وانسرب الوحشي اذا دخل في السرب اي في كناسه قال الواحدي وهذا الوجه صحيح في اللغة الا ان الاول هو المختار لاطباق اكثر المفسرين عليه وايضا فالليل يدل على الاستتار والنهار على الظهور **قوله تعالى** له الضمير فيه اربعة اوجه وهو قول ابن عباس قال ابن عطية فالمعقبات على هذا احراس الرجل وجلاوزته الذين يحفظونه قالوا والاية على هذا في رؤساء الكفار واختاره الطبري في اخرين الا ان الماوردي ذكر على هذا التاويل ان الكلام نفي والتقدير لا يحفظونه وهذا ينبغي ان لا يسمع البتة كيف يبرز كلام موجب ويراد به نفي وحذف لا انما يجوز اذا كان المنفي مضارعا في جواب قسم نحو تالله تفتؤ وقد تقدم تحريره وانما معنى الكلام قال المهدوي يحفظونه من امر الله في ظنه وزعمه الثالث ان الضمير في له يعود على الله تعالى في يحفظونه للعبد اي لله ملائكة يحفظون العبد من الافات ويحفظون عليه اعماله قاله الحسن رضي الله عنه الرابع عود الضمير على النبي صلوات الله وسلامه عليه وان لم يجر له ذكر قريب لتقدم ما يشعر به في قوله لولا انزل عليه ومعقبات جمع معقب بزنة مفعل من عقب الرجل اذا جاء على عقب الاخر لان بعضهم يعقب بعضا او لانهم يعقبون ما يتكلم به وقال الزمخشري والاصل معتقبات فادغمت التاء في القاف كقوله وجاء المعذرون اي المعتذرون ويجوز معقبات بكسر العين ولم يقرا به قال ابو حيان وهذا وهم فاحش لان ادغام التاء في القاف ولا القاف في التاء لا من كلمة ولا من كلمتين وقد نص التصريفيون على ان القاف والكاف كل منهما يدغم في الاخر ولا يدغمان في غيرهما ولا يدغم غيرهما فيهما واما تشبيهه بقوله وجاء المعذرون فلا يتعين ان يكون اصله المعتذرون وقد تقدم توجيهه وانه لا يتعين ذلك فيه واما قوله ويجوز معقبات بكسر العين فهذا لا يجوز لانه بناه على ان اصله معتقبات فادغمت التاء في القاف وقد بينا ان ذلك وهم فاحش وفي معقبات احتمالان احدهما ان يكون جمع معقبة بمعنى معقب والتاء للمبالغة كعلامة ونسابة اي ملك معقب ثم جمع هذا كعلامات ونسابات والثاني ان يكون معقبة صفة لجماعة ثم جمع هذا الوصف وذكر ابن جرير ان معقبة جمع معقب وشبه ذلك برجل ورجال ورجالات قال ابو حيان وليس كما ذكر انما ذلك كجمل وجمال وجمالات ومعقبة ومعقبات انما هما كضاربة وضاربات ويمكن ان يجاب عنه بانه يريد بذلك انه اطلق من حيث الاستعمال على جمع معقب وان كان اصله ان يطلق على مونث معقب فصار مثل الواردة للجماعة الذين يردون وان كان اصله للمونثة من جهة ان جموع التكسير في العقلاء تعامل معاملة المونثة في الاخبار وعود الضمير ومنه قوله الرجال واعضادها والعلماء ذاهبة الى كذا وتشبيهه ذلك برجل ورجال ورجالات من حيث المعنى لا الصناعة وقرا ابي وابراهيم وعبيد الله بن زياد له معاقيب قال الزمخشري جمع معقب او معقبة والياء عوض من حذف احدى القافين في التكسير ويوضح هذا ما قاله ابن جني فانه قال معاقيب تكسير معقب بسكون العين وكسر القاف كمطعم ومطاعيم ومقدم ومقاديم فكان معقب جمع على معاقبة ثم جعلت الياء في معاقيب عوضا من الهاء المحذوفة في معاقبة **فصل** قال المعقب من كل شي ما خلف يعقب ما قبله ويجوز ان يكون من عقبه اذا جاء على عقبه والمعنى في كلا الوجهين واحد والتعقيب العود بعد البدء وانما ذكر بلفظ التانيث لان واحدها معقب وجمعه معقبة ثم جمع المعقبة معقبات كقولك رجالات جمع رجال وقد تقدم وفي المراد بالمعقبات قولان اشهرهما ان المراد الحفظة وانما وصفوا بالمعقبات اما لاجل ان ملائكة الليل تعقبه ملائكة النهار وبالعكس واما لاجل انهم يعقبون اعمال العباد ويتبعونها بالحفظ والكتابة وكل من عمل عملا ثم عاد اليه فقد عقبه فعلى هذا المراد من المعقبات ملازمة الليل والنهار قال تعالى جل ذكره وان عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون **قوله تعالى** من بين يديه يجوز ان يتعلق بمحذوف

على انه

على انه صفة لمعقبات ويجوز ان يتعلق بمعقبات ومن لابتداء الغاية ويجوز ان يكون حالا من الضمير الذي هو في الظرف الواقع خبرا والكلام على هذه الاوجه تام عند قوله ومن خلفه وقد عبر ابو البقاء رحمه الله هذه الاوجه بعبارة مشكلة وهي قوله من بين يديه يجوز ان يكون صفة لمعقبات وان يكون ظرفا وان يكون حالا من الضمير الذي فيه فعلى هذا يتم الكلام عنده انتهى ويجوز ان يتعلق بيحفظونه اي يحفظونه من بين يديه ومن خلفه فان قيل كيف يتعلق حرفان متحدان لفظا ومعنى بعامل واحد وهما من الداخلة على بين ومن الداخلة على امر الله تعالى فالجواب ان من الثانية مغايرة للاولى في المعنى كما ستعرفه **قوله تعالى** يحفظونه يجوز ان يكون صفة لمعقبات ويجوز ان يكون حالا من الضمير المستكن في الجار الواقع خبرا ومن امر الله متعلق به ومن اما للسبب اي بسبب امر الله وتدل له قراءة علي بن ابي طالب وابن عباس وزيد بن علي وعكرمة رضي الله عنهم بامر الله وقيل المعنى على هذا يحفظون عمله باذن الله فحذف المضاف قال ابن الانباري كلمة من معناها الباء وتقديره يحفظونه بامر الله واعانته والدليل عليه انه لا بد من المصير اليه لانه لا قدرة للملائكة ولا لاحد من الخلق على ان يحفظوا احدا من امر الله ومما قضاه الله عليه واما ان يكون على بابها قال ابو البقاء من امر الله اي من الجن والانس فتكون من على بابها يعني انه يراد بامر الله نفس ما يحفظ منه كمردة الانس والجن فتكون من لابتداء الغاية ويجوز ايضا ان تكون بمعنى عن وليس عليه معنى يليق بالاية الكريمة ويجوز ان يتعلق بمحذوف على انه صفة لمعقبات ايضا فيجي الوصف بثلاثة اشياء في بعض الاوجه المتقدمة بكونها من بين يديه ومن خلفه وبكونها يحفظه وبكونها من امر الله ولكن يتقدم الوصف بالجملة على الوصف بالجار وهو جائز فصيح وذكر الفراء فيه قولين الاول انه على التقديم والتاخير والتقدير له معقبات من امر الله يحفظونه من بين يديه قال شهاب الدين رحمه الله والاصل عدم ذلك مع الاستغناء عنه والثاني فيه اضمار اي ذلك الحفظ من امر الله اي مما امر الله به فحفظ الاسم وانفي خبره كما تكتب على الكيس الفان والمراد الذي فيه الفان **فصل** ذكر المفسرون ان لله ملائكة يتعاقبون بالليل والنهار فاذا صعدت ملائكة الليل جاء في عقبها ملائكة النهار واذا صعدت ملائكة النهار جاء في عقبها ملائكة الليل لما روى ابو هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ويجتمعون عند صلوة الفجر وصلوة العصر ثم يعرج الذين باتوا فيكم فيسالهم وهو اعلم بهم كيف تركتم عبادي فيقولون تركناهم وهم يصلون واتيناهم وهم يصلون وقوله تعالى من بين يديه ومن خلفه يعني من قدام هذا المستخفي بالليل والسارب بالنهار ومن وراء ظهره يحفظونه من امر الله يعني باذن الله ما لم يجي القدر فاذا جاء القدر خلوا عنه وقيل يحفظونه مما امر الله به من الحفظ عنه قال مجاهد ما من عبد الا وملك موكل به يحفظه في نومه ويقظته من الجن والانس والهوام وقيل المراد بالاية الملكين القاعدين على اليمين وعلى الشمال يكتبان الحسنات والسيئات يحفظونه اي يحفظون عليه من امر الله يعني الحسنات والسيئات قال تعالى ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد وقال عبد الرحمن بن زيد نزلت هذه الاية في عامر بن الطفيل واربد بن ربيعة وكانت قصتهما على ما روى الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس رضي الله عنه قال اقبل عامر بن الطفيل واربد بن ربيعة وهما عامريان يريدان رسول الله صلوات الله وسلامه عليه وهو جالس في المسجد في نفر من اصحابه فدخلا المسجد فاستشرف الناس لجمال عامر وكان من اجمل الناس فقال رجل يا رسول الله هذا عامر بن الطفيل قد اقبل نحوك فقال دعه فان يرد الله به خيرا يهده فاقبل حتى قام عليه فقال يا محمد ما لي ان اسلمت قال صلوات الله وسلامه عليه لك ما للمسلمين وعليك ما على المسلمين قال تجعل لي الامر بعدك قال ليس ذلك الي انما ذلك الى الله عز وجل يجعله حيث يشاء قال فتجعلني على الوبر وانت على المدر قال لا قال فما تجعل لي قال اجعل لك اعنة الخيل تغزو عليها قال اوليس ذلك لي اليوم قم معي اكلمك فقام معه رسول الله صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم ومجد وبجل وعظم وكان اوصى الى اربد بن ربيعة اذا رايتني اكلمه فدر من خلفه فاضربه بالسيف فجعل يخاصم رسول الله صلوات الله وسلامه عليه ويراجعه فدار اربد من خلف النبي صلى الله عليه وسلم ليضربه فاخترط من سيفه شبرا ثم حبسه الله عز وجل عنه فلم يقدر على سله وجعل عامر يومي اليه فالتفت رسول الله صلوات الله وسلامه عليه فراى اربد وما يصنع بسيفه فقال اللهم اكفنيهما بما شئت فارسل الله عز وعلا على اربد صاعقة في يوم صحو قايض فاحرقته وولى عامر هاربا وقال يا محمد دعوت ربك فقتل اربد والله لاملانها عليك خيلا وفتيانا مردا فقال النبي المختار صلوات الله وسلامه عليه يمنعك الله من ذلك وابناء قيلة يريد الاوس والخزرج فنزل عامر بيت امراة سلولية

فلما اصبح ضم عليه سلاحه وقد تغير لونه فجعل يركض في الصحراء ويقول واللات لئن اصحر لي محمد وصاحبه يعني ملك الموت لانفذنهما برمحي فارسل الله تبارك وتعالى ملكا فلطمه بجناحه فاداره في التراب وخرجت على ركبته في الوقت غدة عظيمة فعاد الى بيت السلولية وهي يقول غدة كغدة البعير وموت في بيت سلولية ثم دعا بفرسه فركبه ثم اجراه حتى مات على ظهره فاجاب الله دعاء رسوله صلوات الله وسلامه فقتل عامرا بالطعن واربد بالصاعقة وانزل الله عز وعلا في هذه القصة سواء منكم من اسر القول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل وسارب ضربه بالنهار له معقبات يعني لرسول الله صلوات الله وسلامه عليه معقبات يحفظونه من بين يديه ومن خلفه من امر الله يعني تلك المعقبات من امر الله وفيه تقديم وتاخير ونقل عن ابن عباس رضي الله عنهما واختاره ابو مسلم الاصفهاني رحمه الله ان المراد يستوي في علم الله السر والجهر والمستخفي بظلمة الليل والسارب بالنهار يستظهر بالمعاونين والانصار وهم الملوك والامراء فلن يغنوا عنه من امر الله ومن سار نهارا بالمعقبات وهم الاحراس والاعوان الذين يحفظونه لم ينجه احراسه من الله تعالى والمعقب العون لانه اذا ابصر هذا ذاك فلابد وان يبصر ذاك هذا فتصير كل واحد منهما معاقبة لنصرة الآخر فهذه المعقبات لا تخلص من قضاء الله وقدره وهم وان ظنوا انهم يخلصون مخدومهم من امر الله ومن قضائه فانهم لا يقدرون على ذلك البتة والمقصود من هذا الكلام بعث السلاطين والامراء والكبراء على ان يطلبوا الخلاص من المكاره من الله ويعولوا على حفظه وعصمته ولا يعولوا في دفعها على الاعوان والانصار ولذلك قال تعالى جل ذكره بعده واذا اراد الله بقوم سوءا فلا مرد له وما لهم من دونه من وال قال القرطبي قيل ان في الكلام نفي محذوف تقديره لا يحفظونه من امر الله تعالى ذكره الماوردي قال المهدوي ومن جعل المعقبات الحرس فالمعنى يحفظونه من امر الله على ظنه وزعمه وقيل سواء من اسر القول ومن جهر به فله حراس واعوان يتعاقبون عليه فيحملونه على المعاصي ويحفظونه من ان ينجع فيه وعظ قال القشيري وهذا لا يمنع الرب من الامهال الى ان يحق العذاب وهو اذا اغرى المعاصي ما بنفسه بطول الاصرار فيصير ذلك سببا للعقوبة فكانه الذي يحل العقوبة بنفسه وقال عبد الرحمن بن زيد المعقبات ما تعاقب من امر الله تعالى وقضائه في عباده قال الماوردي ومن قال بهذا القول ففي تاويل قوله يحفظونه من امر الله وجهان احدهما يحفظونه من الموت ما لم يات اجل قاله الضحاك الثاني يحفظونه من الجن والهوام المؤذية ما لم يات قدر قاله ابو امامة وكعب الاحبار رضي الله عنهما فاذا جاء القدر خلوا عنه **قوله تعالى** ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم من الحالة الجميلة فيعصون ربهم قال الجبائي والقاضي هذه الاية تدل على مسئلتين الاولى انه تعالى سبحانه لا يعاقب اطفال المشركين بذنوب ابائهم لانهم لم يغيروا ما بانفسهم من نعمة فيغير الله حالهم من النعمة الى العذاب الثانية قالوا الاية تدل على بطلان قول المجبرة انه تعالى ابتدأ العبد بالضلال والخذلان اول ما يبلغ لان ذلك ابلغ في العقاب مع انه ما كان منه تغيير قال ابن الخطيب والجواب ان ظاهر الاية يدل على ان فعل الله تعالى في التغيير يترتب على فعل العبد وقوله تعالى وما تشاؤون الا ان يشاء الله يدل على ان فعل الله تعالى مقدم على فعل العبد فوقع التعارض وقوله تعالى واذا اراد الله بقوم سوءا فلا مرد له يدل على ان العبد غير مستقل بالفعل فلو كان العبد مستقلا بتحصيل الايمان لكان قادرا على رد ما اراده الله تعالى من كفره وحينئذ يبطل قوله واذا اراد الله بقوم سوءا فلا مرد له ثبت ان الاية السابقة وان اشعرت بمذهبهم الا ان هذا من اقوى الدلائل على مذهبنا روى الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنه لم تغن المعقبات شيئا وقال عطا عنه لا راد لعذابي ولا ناقض لحكمي وما لهم من دونه من وال اي ليس لهم من دون الله من يتولاهم ويمنع قضاء الله عنهم اي ما لهم وال يتولى امرهم ويمنع العذاب عنهم **قوله تعالى** واذا اراد العامل في اذا محذوف لدلالة جوابها عليه تقديره لم يرد او وقع ونحوهما ولا يعمل فيها جوابها لان ما بعد الفاء لا يعمل فيما قبلها **قوله تعالى** هو الذي يريكم البرق الاية لما خوف العباد بانزال ما لا مرد له اتبعه بذكر هذه الايات المشتملة على قدرة الله تعالى وحكمته وهي تشبه النعمة والاحسان من بعض وتشبه العذاب والقهر من بعض الوجوه **قوله تعالى** خوفا وطمعا يجوز ان يكون مصدرين ناصبهما محذوف اي تخافون خوفا وتطمعون طمعا ويجوز ان يكونا مصدرين في موضع نصب على الحال وفي صاحب الحال حينئذ وجهان احدهما انه مفعول يريكم الاول اي خائفين طامعين اي يخافون صواعقه ويطمعون في مطره كما قال المتنبي • فتى كالسحاب الجون يخشى ويرتجى • يرجى الحيا منها وتخشى الصواعق • والثاني انه البرق اي يريكموه حال كونه ذا خوف وطمع اذ هو في نفسه خوف وطمع على المبالغة والمعنى كانه

ويجوز ان يكون مفعولا من اجله ذكره ابو البقا ومنعه الزمخشري لعدم اتحاد الفاعل قال فاعل الفعل المعلل وفاعل العلة وهذا يمكن ان يجاب عنه بان المفعول في قوة الفاعل فان معنى يريكم يجعلكم رائين فتخافون وتطمعون ومثله في المعنى قول النابغة الذبياني

• وحلت بيوتي في يفاع ممنع • تخال به راعي الحمولة طائرا •
• حذارا على ان لا تنال مقادتي • ولا نسوتي حتى يمتن حرائرا •

حذارا مفعول من اجله وفاعله هو المتكلم والفعل المعلل الذي هو حلت فاعله بيوتي فقد اختلف الفاعل قالوا لكن لما كان التقدير واحللت بيوتي حذارا صح ذلك وقد جوز الزمخشري ذلك ايضا على حذف مضاف فقال الا على تقدير حذف المضاف اي ارادة خوف وطمع وجوزه ايضا على ان يكون المصادر نائبة عن بعض يعني ان الاصل يريكم البرق اخافة واطماعا فان المؤدي والمخيف والمطمع هو الله تعالى فناب خوف عن اخافة وطمع عن اطماع نحو انبتكم من الارض نباتا على انه قد ذهب ابن خروف وجماعة الى ان اتحاد الفاعل ليس بشرط **فصل** في كون البرق خوفا وطمعا وجوه قيل يخاف منه نزول الصواعق وطمع في نزول الغيث وقيل يخاف المطر من يتضرر به كالمسافر ومن في جرينه التمر والزبيب والحب ويطمع فيه من له فيه نفع وقيل يخاف منه في غير مكانه واوانه ومن البلدان ويطمع فيه اذا كان في مكانه واوانه ومن البلدان اذا امطروا قحطوا واذا لم يمطروا اخصبوا قال ابن الخطيب البرق جسم مركب من اجزاء رطبة مائية ومن اجزاء هوائية ولا شك ان الغالب عليه الاجزاء المائية والماء جسم بارد رطب والنار جسم حار يابس فظهور الضد من الضد التام على خلاف العقل فلابد من صانع مختار يظهر الضد من الضد ثم قال تعالى وينشئ السحاب الثقال بالمطر يقال انشا الله السحابة فنشات اي ابداها قال الزمخشري السحاب اسم جنس والواحدة سحابة والثقال جمع ثقيلة لانك تقول سحابة ثقيلة وسحاب ثقال كما تقول امراة كريمة ونساء كرام وقال البغوي السحاب جمع واحدتها سحابة ويقال في الجمع سحب وسحائب ايضا قال علي السحاب غربال الماء **فصل** قال ابن الخطيب وهذا من دلائل القدرة والحكمة وذلك لان هذه الاجزاء المائية اما ان يقال حدثت في جو الهواء او تصاعدت من وجه الارض فان كان الاول وجب ان يكون حدوثها باحداث محدث حكيم قادر وهو المطلوب وان كان الثاني وهو ان يقال ان تلك الاجزاء تصاعدت من الارض فلما وصلت الى الطبقة الباردة من الهواء بردت فثقلت فرجعت الى الارض فنقول هذا باطل لان الامطار مختلفة فتارة تكون القطرات كبيرة وتارة تكون صغيرة وتارة تكون متقاربة واخرى تكون متباعدة وتارة تطول مدة نزول المطر وتارة تقصر واختلاف الامطار في هذه الصفات مع ان طبيعة الارض واحدة وطبيعة الشمس واحدة فلابد وان يكون بتخصيص الفاعل المختار وايضا فالتجربة دلت على ان للدعاء والتضرع في نزول الغيث اثرا عظيما كما في الاستسقاء ومشروعيته فعلمنا ان المؤثر فيه قدرة الفاعل لا الطبيعة ولا الخاصية **قوله تعالى** ويسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته قال اكثر المفسرين الرعد اسم ملك يسوق السحاب والصوت المسموع تسبيحه قال ابن عباس رضي الله عنه من سمع صوت الرعد فقال سبحان الذي يسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته وهو على كل شيء قدير فان اصابته صاعقة فعلي ديته وعن ابن عباس ان اليهود سالت النبي صلوات الله وسلامه عليه عن الرعد ما هو فقال صلوات الله وسلامه عليه ملك من الملائكة وكل بالسحاب معه مخاريق من نار يسوق بها السحاب حيث شاء الله قالوا فما الصوت الذي نسمع قال زجره السحاب وعن الحسن انه خلق من خلق الله تعالى ليس بملك قال ابن الخطيب فعلى هذا القول الرعد هو الملك الموكل بالسحاب وذلك الصوت ايضا يسمى بالرعد ويؤكده ما روي عن النبي صلوات الله وسلامه عليه انه قال ان الله ينشئ السحاب فينطق احسن النطق ويضحك احسن الضحك فنطقه الرعد وضحكه البرق قال وهذا القول غير مستبعد لان عند اهل السنة البنية ليست شرطا لحصول الحياة فلا يبعد من الله تعالى ان يخلق الحيوة والعلم والقدرة والنطق في اجزاء السحاب فيكون هذا الصوت المسموع فعلا له وكيف يستبعد ذلك ونحن نرى ان السمندل يتولد في النار والضفادع تتولد في الماء والدودة العظيمة ربما تولدت في الثلوج القديمة وايضا فاذا لم يبعد تسبيح الجبال في زمن داود صلوات الله عليه ولا تسبيح الحصا في زمن محمد صلوات الله وسلامه عليه فكيف يبعد تسبيح السحاب وعلى هذا القول ففي هذا المسموع قولان احدهما انه ليس بملك لانه عطف عليه الملائكة فقال والملائكة من خيفته والمعطوف عليه مغاير للمعطوف والثاني لا يبعد ان يكون من جنس الملائكة وانما افرد بالذكر تشريفا كقوله تعالى وملائكته وجبريل وميكال وقوله تعالى واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وقيل الرعد اسم لهذا الصوت المخصوص ومع ذلك فانه يسبح قال تعالى وان من شيء الا يسبح بحمده وقيل الرعد اسم لهذا الصوت المخصوص ومع ذلك

فانه يسبح قال تعالى وان من شيء الا يسبح بحمده وقيل المراد من كون الرعد تسبيحا ان من سمع الرعد فانه
يسبح الله تعالى فلهذا المعنى اضيف التسبيح اليه **قوله تعالى** والملائكة من خيفته اي والملائكة يسبحون
من خيفة الله وخشيته وقيل اراد بهؤلاء الملائكة اعوان الرعد جعل الله تعالى له اعوانا فهم خائفون
خاضعون طائعون قال ابن عباس رضي الله عنهما خائفون من الله لا كخوف بني آدم صلوات الله عليه فان
احدهم لا يعرف من على يمينه ومن على يساره لا يشغله عن عبادة الله طعام ولا شراب ولا شيء قال ابن الخطيب
والمحققون من الحكماء يقولون ان هذه الآثار العلوية انما هي بقوى روحانية فلكية فللسحاب روح معين
من الارواح الفلكية يدبره وكذا الرياح وسائر الآثار العلوية وهذا عين ما قلنا انا لو عدا اسم لملك من
الملائكة يسبح الله تعالى فالذي قاله المفسرون بهذه العبارة هو عين ما ذكره المحققون من الحكماء فكيف
يليق بالعاقل الانكار **قوله تعالى** ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء كما اصاب اربد بن ربيعة
الصواعق جمع صاعقة وهي العذاب المهلك ينزل من البرق فيحرق من يصيبه وتقدم الكلام عليه في البقرة
نزلت هذه الآية في عامر بن الطفيل واربد بن ربيعة اخي لبيد بن ربيعة كما قدمنا واعلم ان امر الصاعقة عجيب
جدا لانها نار تتولد في السحاب واذا نزلت من السحاب فربما غاصت في البحر واحرقت الحيتان قال محمد بن علي
الباقر الصاعقة تصيب المسلم وغير المسلم ولا تصيب الذاكر **قوله تعالى** وهم يجادلون في الله يجوز ان
تكون الجملة مستأنفة اخبر عنهم بذلك ويجوز ان يكون حالا وظاهر كلام الزمخشري انه حال من مفعول
يصيب فانه قال وقيل الواو للحال اي يصيب بها من يشاء في حال جدالهم وجعلها غيره حالا من مفعول
يشاء **فصل** معنى الكلام انه تعالى بين دلائل العلم بقوله يعلم ما تحمل كل انثى ودلائل كمال القدرة
في هذه الآيات ثم قال تعالى وهم يجادلون في الله يعني ان الكفار مع ظهور هذه الدلائل يجادلون في الله قيل
المراد بها الرد على الكافر يعني اربد بن ربيعة الذي قال اخبرنا عن ربنا اهو من نحاس ام من حديد ام من در ام
من ياقوت ام من ذهب فنزلت الصاعقة من السماء فاحرقته وقيل المراد جدالهم في انكار البعث وقيل
المراد الرد على جدالهم في طلب سائر المعجزات وقيل المراد الرد عليهم في استنزال عذاب الاستئصال وسئل الحسن
عن قوله تعالى ويرسل الصواعق الآية قال كان رجل من طواغيت العرب بعث اليه النبي صلوات الله وسلامه عليه
نفرا يدعونه الى الله ورسوله فقال لهم اخبروني عن رب محمد هذا الذي تدعوني اليه مم هو من ذهب او فضة
او حديد او نحاس فاستعظم القوم مقالته فانصرفوا الى النبي صلوات الله وسلامه عليه فقالوا يا رسول الله
ما رأينا رجلا اكفر قلبا ولا اعتى على الله منه فقال صلوات الله وسلامه عليه ارجعوا اليه فرجعوا اليه فجعل
لا يزيدهم على مثل مقالته الاولى واخبث فقال صلوات الله وسلامه عليه وقال أجيب محمدا الى رب
لا اراه ولا اعرفه فانصرفوا وقالوا يا رسول الله ما زادنا على مقالته الاولى واخبث فقال صلوات الله وسلامه
عليه ارجعوا اليه فرجعوا اليه فبينما هم عنده ينازعونه ويدعونه وهو يقول هذه المقالة اذ ارتفعت
سحابة فكانت فوق رؤوسهم فرعدت وبرقت ورمت بصاعقة فاحترق الكافر وهم جلوس فجاؤوا يسعون ليخبروا
رسول الله صلوات الله وسلامه عليه فاستقبلهم قوم من اصحاب رسول الله صلوات الله وسلامه عليه فقالوا
احترق صاحبكم فقالوا من اين علمتم فقالوا اوحي الى النبي صلوات الله وسلامه عليه ويرسل الصواعق فيصيب
بها من يشاء وهم يجادلون في الله وهو شديد المحال قوله تعالى وهو شديد المحال هذه الجملة حال من الجلالة
المكرمة ويضعف استئنافها وقرأ العامة بكسر الميم وهو القوة والاهلاك قال عبد المطلب لا يغلبن
صليبهم ومحالهم عدوا محالك وقال الاعشى فرع نبع يهتز في غصن المجد عظيم الندى شديد المحال والمحال
ايضا اشد المكايدة والمماكرة يقال ماحله مماحلة ومنه تمحل فلان لكذا اي تكلف له استعمال الحيلة وقال
ابو زيد هو النقمة وقال ابن عرفة هو الجدال وفيه على هذا مقابلة معنوية كانه قيل وهم يجادلون في الله
وهو شديد المجادلة وقال علي رضي الله عنه شديد الاخذ وقال ابن عباس رضي الله عنهما شديد الحول وقال الحسن
شديد الحقد قالوا وهذا لا يصلح لان الحقد لا يمكن في حق الله تعالى الا انه تقدم ان امثال هذه الكلمات
اذا وردت في حق الله تعالى فانها تحمل على نهايات الاعراض لا على مبادي الاعراض فيكون المراد بالحقد ههنا
هو انه تعالى يريد ايصال الشر اليه مع انه يخفي عنه تلك الارادة وقال مجاهد شديد القوة وقال ابو عبيدة شديد
العقوبة وقيل شديد المكر والمحال والمماحلة المماكرة والمغالبة واختلفوا في ميمه فالجمهور على انه اصلية من المحل وهو
المكر والكيد ووزنه فعال كمهاد وقال القتيبي انه من الحيلة وميمه مزيدة كمكان من الكون ثم يقال تمكنت وقد غلطه

الازهري وقالوا لو كان مفعلا من الحيلة لظهرت الواو مثل مرود ومحول ومحور وقرأ الاعرج والضحاك
بفتحها والظاهر انه لغة في المكسور وهو مذهب ابن عباس رضي الله عنه فانه فسره بالحول كما تقدم وفسره غيره
بالحيلة وقال الزمخشري وقرأ الاعرج بفتح الميم على انه مفعل من حال يحول محالا اذا احتال ومنه احول من ذئب
اي اشد حيلة ويجوز ان يكون المعنى شديد الفقار ويكون مثلا في القوة والقدرة كما جاء فساعد الله اشد
وموساه احد لان الحيوان اذا اشتد محاله كان منعوتا بشدة القوة والاطلاع بما يعجز عنه غيره الا ترى
الى قولهم فقرته الفاقرة وذلك ان الفقار عمود الظهر وقوامه **قوله تعالى** له دعوة الحق من باب
اضافة الموصوف الى الصفة والاصل له الدعوة الحق كقوله تعالى ولدار الآخرة على احد الوجهين وقال
الزمخشري فيه وجهان احدهما ان يضاف الدعوة الى الحق الذي هو الله على معنى دعوة المدعو الحق الذي يسمع
فيجيب قال ابو حيان وهذا الوجه الثاني لا يظهر لان ماله الى تقدير لله دعوة الله كما تقول لزيد دعوة زيد وهذا
التركيب لا يصح قال شهاب الدين واين هذا مما قاله الزمخشري حتى يرد عليه به **فصل** معنى قوله
دعوة الحق اي لله دعوة الصدق قال علي دعوة الحق التوحيد قال ابن عباس رضي الله عنه شهادة ان لا اله الا الله
وقيل الدعاء بالاخلاص عند الخوف فانه لا يدعى فيه الا اياه قال الماوردي وهو اشبه بسياق الآية لانه قال
والذين يدعون من دونه يعني الاصنام لا يستجيبون لهم بشيء اي لا يجيبون لهم بشيء اي لا يجيبون لهم دعاء
ولا يسمعون لهم نداء الا كباسط كفيه الى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغه ضرب الله عز وجل الماء مثلا لياسهم
من الاجابة لدعائهم **قوله تعالى** والذين يدعون يجوز ان يراد بالذين المشركون فالواو في تدعون
عائدة ومفعوله محذوف وهو الاصنام والواو في لا يستجيبون عائدة على مفعول تدعون المحذوف وعاد
عليه الضمير كالعقلاء لمعاملتهم اياه معاملتهم والتقدير والمشركون الذين يدعون الاصنام لا يستجيب لهم
الاصنام الا استجابة كاستجابة باسط كفيه اي كاستجابة الماء من بسط كفيه اليه يطلب منه ان يبلغ فاه والماء
جماد لا يشعر ببسط كفيه ولا بعطشه ولا يقدر ان يجيبه ويبلغ فاه قال معناه الزمخشري وقد ذكر ابو البقاء
قريبا من ذلك وقدر التقدير المذكور قال والمصدر في هذا التقدير مضاف الى المفعول كقوله تعالى لا يسأم
الانسان من دعاء الخير وفاعل هذا المصدر مضمر وهو ضمير الماء اي لا يجيبونهم الا كما يجيب الماء باسط كفيه
اليه والاجابة هنا كناية عن الانقياد وقيل يتركون في فلاة فابتغوا دعاءهم لانهم منزلة من اراد ان يغرف
الماء بيده ليشربه فبسطها ناشر اصابعه ولم تصل كفاه الى ذلك الماء ولم يبلغ مطلوبه من شربه قال الفراء المراد بالماء
هنا البئر لانها معدن الماء ويجوز ان يراد بالذين الاصنام اي والآلهة الذين يدعونهم من دون الله لا يستجيبون
لهم بشيء الا استجابة والتقدير كما تقدم في الوجه قبله وانما جمعهم جمع العقلاء اما للاختلاط لان آلهتهم
عقلاء وجماد واما لمعاملتهم اياها معاملة العقلاء في زعمهم فالواو في يدعون للمشركين والعائد المحذوف
للاصنام وكذا واو يستجيبون وقرأ اليزيدي عن ابي عمرو تدعون بالخطاب كباسط كفيه بالتنوين وهي مقوية
للوجه الثاني ولم يذكر الزمخشري غيره **قوله تعالى** ليبلغ اللام متعلق بباسط وفاعل ليبلغ ضمير الماء
قوله تعالى وما هو ببالغه في هو ثلاثة اوجه احدها انه ضمير الماء والهاء في ببالغه للفم اي وما
الماء ببالغ فيه الثاني انه ضمير الفم والهاء في ببالغه للماء اي وما الفم ببالغ الماء اذ كل واحد منهما لا يبلغ الآخر
على هذه الحال فنسبة الفعل الى كل واحد وعدمه صحيحان الثالث ان يكون ضمير الباسط والهاء في ببالغه للماء
اي وما باسط كفيه الى الماء ببالغ الماء ولا يجوز ان يكون هو ضمير الباسط وفاعل ببالغه مضمر والهاء في بالغه
للماء لانه حينئذ يكون من باب جريان الصفة على غير من هي له ومتى كان كذلك لزم ابراز الفاعل فكان التركيب
هكذا وما هو ببالغه الماء فان جعلت الهاء في ببالغه للماء جاز ان يكون هو ضمير الباسط كما تقدم تقريره والكاف
في كباسط اما نعت لمصدر محذوف واما حال من ذلك المصدر كما تقدم تقريره وقال ابو البقاء الكاف في
كباسط ان جعلتها حرفا كان فيها ضمير يعود على الموصوف المحذوف وان جعلتها اسما لم يكن فيها
ضمير قال شهاب الدين وكون الكاف اسما في الكلام لم يقل به الجمهور بل الاخفش وعنى بالموصوف ذلك المصدر
الذي قدره فيما تقدم ثم قال وما دعاء الكافرين اصنامهم الا في ضلال يضل عنهم اذا احتاجوا اليه كقوله
تعالى وضل عنهم ما كانوا يدعون وعن ابن عباس رضي الله عنه وما دعاء الكافرين ربهم الا في ضلال لان
اصواتهم محجوبة عن الله عز وجل وقيل الا في ضلال اي في ضياع لا منفعة فيه لان الله لم يجبهم وان دعوا الآلهة
لم تستطع اجابتهم **قوله تعالى** ولله يسجد من في السموات والارض الآية في المراد بهذا السجود قولان

احدهما السجود موضع الجبهة على الارض وعلى هذا القول ففيه وجهان احدهما ان اللفظ وان كان عاما
الا ان المراد المؤمنون فبعضهم يسجد لله طوعا بنشاط وبعضهم يسجد لله كرها لصعوبة ذلك عليه وتحمل
مشقة العبادة وقيل المراد بقوله طوعا الملائكة والمؤمنون وكرها المنافقون والكافرون الذين اكرهوا
على السجود بالسيف والثاني ان اللفظ عام فان قيل ليس المراد من في السموات والارض يسجد لله لان الكفار لا
يسجدون فالجواب من وجهين الاول ان المعنى انه يجب على كل من في السموات والارض يعترفون بعبودية الله تعالى
كما قال ولئن سالتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله والقول الثاني ان السجود عبارة عن الانقياد
والخضوع وترك الامتناع وكل من في السموات والارض ساجد لله بهذا المعنى لان قدرته ومشيئته
نافذة في الكل **قوله تعالى** طوعا وكرها اما مفعول من اجله واما حال اي طائعين وكارهين واما منصوب
على المصدر المؤكد بفعل مضمر **قوله تعالى** وظلالهم بالغدو والاصال قرا ابو مجلز والايصال اليا
قبل الصاد وخرجها ابن جني على انه مصدر آصل كضارب اي دخل في الاصيل كاصبح اي دخل في الصبح
وظلالهم عطف على من وبالغدو متعلق بيسجد والباء بمعنى في اي في هذين الوقتين قال المفسرون كل شخص
كان مؤمنا او كافرا فان ظله يسجد لله قال مجاهد ظل المؤمن يسجد لله طوعا وهو طائع وظل الكافر يسجد لله
كرها وهو كاره وقال الزجاج جاء في التفسير ان الكافر يسجد لغير الله وظله يسجد لله وقال ابن الانباري لا يبعد
ان يخلق الله تعالى للظلال عقولا وافهاما تسجد بها وتخشع كما جعل للجبال افهاما حتى اشتغلت بتسبيح الله
وظهر اثر التجلي فيها كما قال تعالى فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا قال القشيري رحمه الله وفي هذا نظر لان الجبل
عين فيمكن ان يكون عقل بشرط تقدير الحيوة واما الظلال فاثار واعراض ولا يتصور تقدير الحيوة لها
وقيل المراد من سجود الظلال ميلها من جانب الى جانب وطولها بسبب انحطاط الشمس وقصرها بسبب ارتفاع
الشمس وهي منقادة مستسلمة في طولها وقصرها وميلها من جانب الى جانب وانما خص الغدو والاصال بالذكر
لان الظلال انما تعظم وتكثر في هذين الوقتين والآصال جمع الاصل والاصل جمع اصيل وهو ما بين العصر
الى غروب الشمس وقيل ظلالهم اي اشخاصهم بالغدو والاصال بالبكر والعشايا **قوله تعالى** قل من رب
السموات والارض الاية لما بين ان كل من في السموات والارض ساجد لله بمعنى كونه خاضعا له عدل الى الرد
على عبدة الاصنام فقال قل من رب السموات والارض قل الله ولما كان هذا الجواب يقر به المسؤول ويعترف
به ولا ينكره لزم عليه صلوة الله وسلامه عليه ان يكون هو الذاكر لهذا الجواب تنبيها على انهم لا ينكرونه البتة
قال القشيري ولا يبعد ان تكون الاية واردة فيمن لا يعترف بالصانع اي سلهم عن خالق السموات والارض
فانه يسهل تقرير الحجة عليهم ويقرب الامر من الضروري عجز الجماد وعجز كل مخلوق عن خلق السموات والارض
معلوم ولما بين الله تعالى انه هو الرب لكل الكائنات قال له قل لهم على طريق الالزام للحجة افاتخذتم من دونه
اولياء هي جمادات وهي لا تملك لانفسها نفعا ولا ضرا ولما كانت عاجزة عن تحصيل المنفعة لانفسها ودفع
المضرة عن نفسها فلان تكون عاجزة عن تحصيل المنفعة لغيرها ودفع المضرة عن غيرها بطريق الاولى واذا كانت
عاجزة عن ذلك كانت عبادتها محض العبث والسفه ولما ذكر هذه الحجة الظاهرة بين ان الجاهل بمثل هذه الحجة لا يساوي
العالم بها فقال قل هل يستوي الاعمى والبصير ام هل تستوي قرا الاخوان وابو بكر عن عاصم رضي الله عنهم
يستوي بالياء من تحت والباقون بالتاء من فوق والوجهان واضحان باعتبار ان الفاعل مجازي التانيث فيجوز
في فعله التذكير والتانيث كنظائر له مرت وهذا مثل ضربه للكفار **قوله تعالى** ام هل ام هذه هل
هي المنقطعة فتقدر ببل والهمزة لم اجتماع حرفي معنى فتقدر ها ببل وحدها عند بعضهم ولا تقوية له
فان الهمزة قد جامعت على في اللفظ كقول الشاعر • اهل راونا بوادي القف ذي الاكم •
فاولى ان تجامعها تقديرا ولقائل ان يقول لا نسلم ان هل هذه استفهامية بل بمعنى قد واليه ذهب جماعة
وان لم تجامعها همزة كقوله تعالى هل اتى على الانسان حين اي قد اتى فهنا اولى والسماع قد ورد بوقوع هل
بعد ام وبعد من في الاول هذه الاية ومن الثاني ما بعدها من قوله ام جعلوا وقد جمع الشاعر ايضا بين
الاستعمالين في قوله • هل ما علمت وما استودعت مكتوم • ام حبلها اذ ناتك اليوم مصروم •
• ام هل كبير بكى لم يقض عبرته • اثر الاحبة يوم البين مشكوم •
فصل قوله تعالى هل يستوي الاعمى والبصير كذلك لا يستوي المؤمن والكافر ام هل
تستوي الظلمات والنور اي كما لا يستوي الظلمات والنور لا يستوي الكفر والايمان **قوله تعالى**

ام جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه الجملة من قوله خلقوا صفة لشركاء فتشابه الخلق عليهم اي اشتبه ما خلقوه بما
خلقه الله عز وجل فلا يدرون ما خلق الله وما خلق الهتهم والمعنى ان هذه الاشياء التي زعموا انها شركاء لله تعالى
ليس لها خلق يشبه خلق الله حتى يقولوا انها تشارك الله في الخالقية فوجب ان لا يشاركه في الالهية بل هؤلاء
المشركون يعلمون بالضرورة ان هذه الاصنام لم يصدر عنها فعل ولا خلق ولا اثر البتة واذا كان كذلك
كان حكمهم بكونها شركاء لله في الالهية محض السفه والجهل **فصل** قال ابن الخطيب زعمت المعتزلة
ان العبد يخلق حركات نفسه وسكناته مثل الحركات والسكنات التي يخلقها الله تعالى وعلى هذا التقدير فقد جعلوا
لله شركاء خلقوا كخلقه والله تعالى انما ذكر هذه الاية في معرض الذم والانكار فدلت على ان العبد لا يخلق
افعال نفسه قال القاضي نحن وان قلنا ان العبد يخلق الا انا لا نطلق القول بانه يخلق كخلق الله لان احدا لا يفعل
كقدرة الله وانما يفعل لجلب منفعة ودفع مضرة والله تعالى منزه عن ذلك فثبت ان بتقدير كون العبد خالقا
الا انه لا يكون خلقه كخلق الله وايضا فهذا لازم للمجبرة ايضا لانهم يقولون عين ما هو خلق الله تعالى فهو كسب
للعبد وفعل له وهذا عين الشرك لانا لا نقول ان الله والعبد في ذلك الكسب كالشريكين اللذين لا مال لاحدهما الا وللاخر
فيه ايضا نصيب وهو انه تعالى انما ذكر هذا الكلام عيبا للكفار ان يقولوا ان الله تعالى يخلق هذا الكفر فينا فلم يذم
ولم ينسبنا الى الجهل والتقصير مع انه حصل فينا بغير فعلنا ولا باختيارنا والجواب عن الاول وهو ان لفظ الخلق
عبارة عن الاخراج من العدم الى الوجود او عبارة عن التقدير وعلى الوجهين فبتقدير ان يكون العبد محدثا
فانه لابد وان يكون خالقا الا انه ليس خلقه كخلق الله تعالى قلنا الخلق عبارة عن الايجاد والتكوين والاختراع
من العدم الى الوجود ومعلوم ان الحركة الواقعة بقدرة الله تعالى اذا كان احد الخلقين مثلا للخلق الثاني
وحينئذ يصح ان يقال ان هذا الذي هو مخلوق للعبد مثل لما هو مخلوق لله تعالى ولا عبرة في حصول المخالفة
في سائر الاعتبارات الا ان حصول المخالفة في سائر الوجوه لا يقدح في المماثلة من هذا الوجه وهذا القدر يكفي
في الاستدلال واما قوله هذا لازم على المجبرة حيث قالوا ان فعل العبد مخلوق لله تعالى فنقول هذا غير
لازم لان هذه الاية على انه لا يجوز ان يكون خلق العبد مثلا لخلق الله تعالى ونحن لا نثبت للعبد خلقا البتة
فكيف يلزمنا ذلك واما قوله لو كان فعل العبد خلقا لله تعالى لما حسن ذم الكفار على هذا المذهب فلنا حاصله
يرجع الى انه لما حصل الموجود وجب ان يكون العبد مستقلا بالفعل وهو منقوض لانه تعالى ذم ابا لهب على
كفره مع انه علم منه انه يموت على الكفر وخلاف المعلوم محال الوقوع **قوله تعالى** قل الله خالق كل شيء
وهو الواحد القهار دليل على ان فعل العبد مخلوق لله تعالى لان فعل العبد شيء فوجب ان يكون خالقه هو الله تعالى
وايضا فقوله وهو الواحد لا يقال فيه انه تعالى واحد في اي المعاني بل الواحد في الخالقية لان المذكور السابق
هو الخالقية القهار لكل ما سواه **فصل** زعم جهم ان الله تعالى لا يقع عليه اسم الشيء قال ابن الخطيب
وهذا الخلاف ليس الا في اللفظ وهو ان اسم الشيء هل يقع عليه ام لا فزعم قوم انه لا يقع وجوزه قوم واحتج
المانعون بانه لو كان شيئا لوجب كونه خالقا لنفسه لقوله تعالى خالق كل شيء وذلك محال فثبت انه لا يقع عليه
اسم الشيء ولا يقال ان هذا عام دخله التخصيص لان العام المخصوص انما يحسن اذا كان المخصوص اقل من الباقي
واخس منه كما يقال اكلت هذه الرمانة مع انه سقطت حبات ما اكلها وهاهنا ذات الله اعلا الموجودات واشرفها
فكيف يمكن ذكر اللفظ العام الذي يتناوله مع كون الحكم مخصوصا في حقه واستدلوا ايضا بقوله تعالى ليس كمثله
شيء والمعنى ليس مثل مثله شيئا ومعلوم ان كل حقيقة فانها مثل مثل نفسها فالباري تعالى مثل مثل نفسه
مع انه تعالى نص على ان مثل مثله ليس بشيء فهذا تنصيص على انه تعالى غير مسمى باسم الشيء واستدلوا ايضا بقوله تعالى
ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها قالوا دلت على انه لا يجوز ان يدعى الله الا بالاسماء الحسنى ولفظ الشيء يتناول
احسن الموجودات واخسها فلا يكون هذا اللفظ مشعرا بمعنى حسن فوجب ان لا يجوز دعاء الله تعالى بهذا اللفظ وتمسك
من جوز اطلاق هذه التسمية عليه تعالى بقوله قل اي شيء اكبر شهادة قل الله شهيد بيني وبينكم واجاب الاولون
بان هذا سؤال متروك الجواب وقوله تعالى قل الله شهيد بيني وبينكم كلام مبتدأ مستقل بنفسه لا تعلق له
بما قبله **فصل** تمسك المعتزلة بهذه الاية في انه تعالى عالم لذاته لا بالعلم وقادر لذاته
لا بالقدرة وقالوا لانه لو حصل لله تعالى علم وقدرة وحياة لكانت هذه الصفات اما ان تحصل بخلق الله تعالى
او لا تحصل بخلق الله والاول باطل والا لزم التسلسل والثاني باطل لان قوله الله خالق كل شيء يتناول الذات
والصفات حكما بدخول التخصيص في ذات الله تعالى فوجب ان يبقى على عمومه في سائر الاشياء والقرآن ليس

هو الله فوجب ان يكون مخلوقا لدخوله في العموم والجواب ان يقال اقصى ما في الباب ان الصيغة عامة الا
ان تخصيصها في حق صفات الله تعالى بالدلايل العقلية قوله تعالى انزل من السماء الاية لما شبه المومن والكافر
والايمان والكفر بالاعمى والبصير والظلمات والنور ضرب للايمان والكفر مثلا اخر فقال انزل يعني الله من
السماء ماء يعني المطر فسالت من ذلك الماء اودية بقدرها اي في الصغر والكبر فاحتمل السيل الذي حدث من
ذلك الماء زبدا رابيا الزبد الخبث الذي يظهر على وجه الماء وكذلك على وجه القدر رابيا اي عاليا مرتفعا
فوق الماء فالماء الصافي الباقي هو الحق والذاهب الزايل الذي يتعلق بالاشجار وجوانب الاودية هو الباطل
وقيل هذا مثل للقران فانزل من السماء ماء وهو القران والاودية قلوب العباد يريد ينزل القران فيحتمل
منه القلوب على قدر اليقين والعقل والشك وكما ان الماء يعلوه زبد والاجساد السبعة يخالطها خبث ثم
ان ذلك الزبد والخبث يذهب ويضيع ويبقى جوهر الماء وجوهر الاجساد السبعة كذلك ههنا بيانات القران
يخالطها شكوك وشبهات ثم انها تزول بالاخرة وتضيع ويبقى العلم والدين والحكمة في العاقبة كذلك ههنا
قوله تعالى اودية جمع واد وجمع فاعل على افعلة قال ابو البقا شاذ ولم نسمعه في غير هذا الحرف ووجهه ان فاعلا
قد جاء بمعنى فعيل وكما جاء فعيل وافعلة كجريب واجربة كذلك فاعل قال الشهاب الذي قد جمع فاعل وافعلة في حرفين
اخرين احدهما قولهم جاير واجورة والثاني ناج وانجية وقال الفارسي الاودية جمع واد لا نعلم فاعلا جمع على افعلة
قال ويشبه ان يكون ذلك التعاقب فاعل وفعيل على الشيء الواحد كعالم وعليم وشاهد وشهيد وناصر ونصير ووزن
فاعل يجمع على افعال كصاحب واصحاب وطاير واطيار ووزن فعيل يجمع على افعلة كجريب واجربة ثم لما حصلت
المقايسة المذكورة بين فاعل وفعيل لا جرم يجمع الفاعل جمع الفعيل فيقال واد واودية ويجمع الفعيل على جمع
الفاعل فيقال يتيم وايتام وشريف واشراف وقال غيره نظير واد واودية وناد واندية للمجالس ويسمى واديا
لخروجه وسيلانه والوادي على هذا اسم الماء السايل وقال ابو علي سالت اودية فيه توسع اي سال ماؤها فحذف
ومعنى بقدرها اي بقدر مياهها لان الاودية ما سالت بقدر انفسها قوله تعالى بقدرها فيه وجهان احدهما
انه متعلق بسالت والثاني انه متعلق بمحذوف لانه صفة لاودية وقرا العامة بفتح الدال وزيد بن علي والاشهب
العقيلي وابو عمرو وفي رواية بسكونها وقد تقدم في البقرة قال الواحدي القدر والقدر مبلغ الشيء يقال
كم قدر هذه الدراهم وقدرها ومقدارها اي كم تبلغ في القدر وما يكون مساويا لها في الوزن ثم قدرها
والمعنى بقدرها من الماء فان صغر الوادي قل الماء وان اتسع الوادي كثر الماء واحتمل بمعنى حمل فافتعل بمعنى المجرد
وانما نكر الاودية وعرف السيل لان المطر ينزل في البقاع على المناوبة فيسيل بعض اودية الارض دون بعض وعرف
السيل لانه قد فهم من الفعل قبله وهو فسالت وهو لو ذكر لكان نكرة فلما اعيد اعيد بلفظ التعريف نحو رايت رجلا
فاكرمت الرجل والزبد وضر الغليان وخبثه قال النابغة • فما الفرات اذا هب الرياح له • ترمي غواربه العبرين بالزبد
وقيل هو ما يحمله السيل من غثاء ونحوه وما يرمي به ضفتيه من الحباب وقيل هو ما يطرحه الوادي اذا جاش ماؤه
وارتفعت امواجه وهي عبارات متقاربة والزبد المستخرج من اللبن قيل مشتق من هذا لمشابهته اياه في اللون
ويقال زبدته زبدا اي اعطيته مالا كالزبد يضرب به المثل في الكثرة وفي الحديث غفرت له ذنوبه وان كانت
مثل زبد البحر وقوله تعالى رابيا قال الزجاج طافيا فوق الماء وقال غيره زايدا بسبب انتفاخه يقال ربا يربو
اذا زاد قوله تعالى ومما توقدون عليه في النار خبر مقدم وزبد مبتدا ومثله صفة المبتدا والتقدير
ومن الجواهر التي هي كالنحاس والذهب والفضة زبد اي خبث مثله اي مثل زبد الماء ومن في قوله ومما
توقدون يحتمل وجهين احدهما ان يكون لابتداء الغاية اي ومنه ينشا زبد مثل زبد الماء والثاني انها
للتبعيض بمعنى وبعضه زبد هذا مثل اخر فالاول ضرب المثل بالزبد الحاصل من النار ووجه المماثلة ان كلا منهما
ناشي من الاكدار وقرا الاخوان وحفص يوقدون بالياء من تحت اي الناس والباقون بالتاء من فوق على الخطاب
وعليه متعلق بيوقدون واما في النار ففيه وجهان احدهما انه متعلق بيوقدون وهو قول الفارسي والحوفي
وابي البقا والثاني انه متعلق بمحذوف اي كاينا او ثابتا قاله مكي وغيره ومنعوا تعلقه بيوقدون لانهم
زعموا انه لا يوقد على شيء الا وهو في النار وتعليق حرف الجر بيوقدون يقتضي تخصيص حال من حال اخرى
وهذا غير لازم قال ابو علي قد يوقد على الشيء وان لم يكن في النار كقوله تعالى فاوقد لي يا هامان على الطين
والطين لم يكن فيها وانما يصيبه لهبها وايضا فقد يكون ذلك على سبيل التوكيد كقوله تعالى ولا طاير يطير
بجناحيه والمراد بالحلية الذهب والفضة والمتاع كل ما يتمتع به قوله تعالى ابتغاء حلية فيه وجهان

اظهرهما انه مفعول من اجله والثاني انه مصدر في موضع الحال اي مبتغين حلية وحلية مفعول معنى
ومتاع نسق على حلية فالحلية ما يتزين به والمتاع ما يقضون به حوايجهم كالمسامير من الحديد ونحوها
قوله تعالى جفاء حال والجفا قال ابن الانباري المتفرق يقال جفات الريح السحاب اي قطعته وفرقته وقال
الفرا الجفا الرمي والاطراح يقال جفا الوادي غثاءه جفاء اذا رماه والجفا اسم للمجتمع منه المنطرح بعضه الى
بعض ويقال جفات القدر بزبدها تجفا وجفا السيل بزبده واجفا واجفل باللام قراءة روبة بن العجاج قال
ابو حاتم لا يقرا بقراءة روبة لانه كان ياكل الفار يعني انه اعرابي جاف وقد تقدم ثنا الزمخشري عليه اول البقرة
وذكر فصاحته وقد وجهوا قراءته بانها من اجفلت الريح الغيم اي فرقته قطعا فهي في المعنى كقراءة العامة بالهمز
وفي همز جفاء وجهان اظهرهما انها اصل لثبوتها في تصاريف هذه المادة والثاني بدل من واو وكانه مختار
ابي البقا وفيه نظر لان مادة جفا يجفو لا يليق معناها ههنا والاصل عدم الاشتراك فصل
والمعنى ان الباقي الصافي من هذه الجواهر مثل الحق والزبد الذي لا ينتفع به مثل الباطل فاما الزبد الذي علا
السيل ذا الغلو فيذهب جفاء اي ضايعا باطلا والجفا ما رمى به الوادي من الزبد والقدر الى جنباته والمعنى
ان الباطل وان علا في وقت فانه يضمحل ويبقى الحق ظاهرا لا يشوبه شيء من الشبهات قوله تعالى كذلك
يضرب الكاف في محل نصب اي مثل ذلك الضرب يضرب فصل قيل انه تم الكلام عند قوله كذلك يضرب
الله الامثال ثم استانف الكلام بقوله تعالى للذين استجابوا لربهم الحسنى ومحله رفع بالابتدا والحسنى خبره وتقديره
لهم الخصلة الحسنى او الحالة الحسنى وقيل متصل بما قبله والتقدير كانه قال الذي يبقى وهو مثل المستجيب والذي
يذهب جفاء مثل من لا يستجيب ثم بين الوجه في كونه مثلا اي لمن يستجيب الحسنى وهي الجنة ولمن لا يستجيب الحسرة
والعقوبة وفيه وجه اخر وهو ان التقدير كذلك يضرب الله الامثال للذين استجابوا لربهم الاستجابة الحسنى واعلم
انه تعالى ذكر ههنا احوال السعدا واحوال الاشقياء اما احوال السعدا فهي قوله جل ذكره للذين استجابوا لربهم
الحسنى ان الذين اجابوه الى ما دعاهم اليه من التوحيد والتزام الشرايع فلهم الحسنى قال ابن عباس رضي الله عنهما
الحسنى الجنة واما احوال الاشقيا فهي قوله عز وجل والذين لم يستجيبوا له لو ان لهم ما في الارض جميعا ومثله
معه لافتدوا به اي لبذلوا ذلك يوم القيمة افتدا من النار قوله تعالى للذين استجابوا فيه وجهان احدهما
انه متعلق بيضرب وبه بدا الزمخشري قال اي كذلك يضرب الامثال للمومنين الذين استجابوا وللكافرين الذين
لم يستجيبوا والحسنى صفة لمصدر استجابوا اي استجابوا الاستجابة الحسنى وقوله تعالى لو ان لهم ما في الارض كلام
مبتدا في ذكر ما اعد لغير المستجيبين قال ابو حيان والتفسير الاول اولى يعني ان للذين خبر مقدم والحسنى
مبتدا موخر كما سياتي ايضاحه قال لان فيه ضرب الامثال غير مقيد بمثل هذين والله تعالى قد ضرب امثالا كثيرة
في هذين وفي غيرهما ولان فيه ذكر ثواب المستجيبين بخلاف قول الزمخشري فكما ذكر ما لغير المستجيبين من العقاب
ذكر ما للمستجيبين من الثواب ولان تقديره بالاستجابة مشعر بتقييدها الاستجابة ومقابلها ليس نفي الاستجابة
مطلقا ولانه على قوله يكون قوله لو ان لهم ما في الارض مفلتا او كالمفلت اذ يصير المعنى كذلك يضرب الله الا
مثال للمومنين والكافرين لو ان لهم ما في الارض فلو كان التركيب بحرف رابط لو بما قبلها زال التفلت وايضا
فيوهم الاشتراك في الضمير وان كان تخصيص ذلك بالكافرين معلوما قال الشهاب الذي قوله لان فيه ضرب
الامثال غير مقيد ليس في قول الزمخشري ما يقتضي التقييد وقوله ولان فيه ذكر ثواب المستجيبين الى اخره
ما ذكره الزمخشري ايضا بل يوخذ من فحواه ثوابهم وقوله والله تعالى نفي الاستجابة مطلقا ممنوع بل نفي تلك الاستجابة
الاولى لا يقال فيثبت لنا استجابة غير حسنى لان هذه الصفة لا مفهوم لها اذ الواقع ان الاستجابة لله لا تكون
الا حسنى وقوله يصير مفلتا كيف يكون مفلتا مع قول الزمخشري مبتدا في ذكر ما اعد لهم وقوله وايضا يتوهم
الاشتراك كيف يتوهم هذا بوجه من الوجوه وكيف يقول ذلك مع قوله وان كان تخصيص ذلك بالكافرين
معلوما فاذا علم كيف يتوهم والوجه الثاني ان يكون للذين خبرا مقدما والمبتدا الحسنى والذين لم يستجيبوا
مبتدا وخبره الجملة الامتناعية بعده ويجوز على الوجه الاول ان يكون والذين لم يستجيبوا مبتدا وخبره
الجملة الامتناعية وانما خص يضرب الامثال الذين استجابوا لانتفاعهم دون غيرهم ومفعول افتدوا محذوف
تقديره لافتدوا به انفسهم اي جعلوه فداء انفسهم من العذاب والهاء في به عايدة الى ما في قوله ما في الارض
ثم قال اولئك لهم سوء الحساب قال الزجاج وذلك لان كفرهم احبط اعمالهم وقال ابراهيم النخعي رضي الله عنه سوء الحساب
ان يحاسب الرجل بذنبه كله لا يغفر له منه شيء وماواهم في الاخرة جهنم وبئس المهاد الفراش بئس ما مهد لهم قوله

من يعلم أن ما أنزل إليك من ربك الحق الآية وقد تقدم تقرير القولين في أفلم وهو منطبق هنا ومذهب
الزمخشري فيه بعيد هنا والمعنى أن العالم بالشيء كالبصير والجاهل به كالأعمى وليس أحدهما كالآخر
لأن الأعمى إذا مشى من غير قائد فربما وقع في المهالك وأفسد ما كان في طريقه من الأمتعة النافعة وأما
البصير فإنه يكون آمنا من الهلاك والإهلاك قيل نزلت في حمزة وأبي جهل وقيل في عمار وأبي جهل فالأول
حمزة أو عمار والثاني أبو جهل وهو الأعمى أي لا يستوي من يبصر الحق ويتبعه ومن لا يبصره ولا يتبعه إنما يتذكر
يتعظ أولوا الألباب ذوو العقول الذين يوفون بعهد الله بما أمرهم به وفرضه عليهم ولا يخالفونه ويجوز أن
يكون قوله الذين يوفون صفة لأولي الألباب ويجوز أن يكون صفة لقوله عز وجل أفمن يعلم أنما أنزل إليك
من ربك الحق وقيل الذين يوفون بعهد الله مبتدأ وأولئك لهم عقبى الدار خبره كقوله تعالى والذين ينقضون
عهد الله أولئك لهم اللعنة وهذه الآية من أولها إلى آخرها جملة واحدة شرطية وشرطها مشتمل على قيود فالقيد
الأول قوله الذين يوفون بعهد الله قال ابن عباس رضي الله عنهما يريد الذي عاهدهم حين كانوا في صلب آدم صلوات
الله وسلامه عليه وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى وقيل المراد بعهد الله كل أمر قام الدليل على صحته
والقيد الثاني قوله سبحانه ولا ينقضون الميثاق وهذا قريب من الوفاء بالعهد قريب من عدم نقض الميثاق
فهما متلازمان وقيل الميثاق ما وثقه المكلف على نفسه من الطاعات كالنذر والوفاء بالعهد ما كلفه العبد
ابتداء وقيل الوفاء بالعهد عهد الربوبية والعبودية والمراد بالميثاق المواثيق المذكورة في التوراة والإنجيل
وسائر الكتب الإلهية على وجوب الإيمان بنبوة محمد صلوات الله وسلامه عليه عند ظهوره وقيل المراد من الوفاء
بالعهد أن لا يغدر فيه قال عليه أفضل الصلوة والسلام من عاهد الله فغدر كان فيه خصلة من النفاق القيد
الثالث قوله تعالى والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل وقيل أراد به الإيمان بجميع الكتب والرسل ولا يفرقوا
بين أحد من رسله وقال الأكثرون المراد صلة الرحم فإن قيل الوفاء بالعهد وترك نقض الميثاق اشتمل على
وجوب الإتيان بجميع المأمورات والاحتراز عن كل المنهيات فما الفائدة في ذكر هذه القيود بعدها فالجواب
من وجهين الأول ذكر ذلك لئلا يظن ظان أن ذلك فيما بينه وبين ربه فلا جرم أفرد ما بينه وبين العباد
بالذكر والثاني أنه تأكيد وفي تفسير هذه الصلة وجوه أحدها صلة الرحم قال صلوات الله وسلامه عليه حاكيا
عن ربه عز وجل أنا الرحمن وهي الرحم شققت لها اسما من اسمي فمن وصلها وصلته ومن قطعها بتته وقال تعالى
فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم وقال صلوات الله وسلامه عليه ثلاثة يأتين
يوم القيامة يأتي الرحم فيقول أي رب قطعت والأمانة تقول أي رب تركت والنعمة تقول أي رب كفرت وثانيها
المراد صلة محمد صلوات الله وسلامه عليه وموازرته ونصرته في الجهاد وثالثها رعاية جميع الحقوق الواجبة
للعباد فيدخل فيه صلة الرحم وأخوة الإيمان قال تعالى إنما المؤمنون إخوة ويدخل في هذه الصلة إيصال الخير
ودفع الآفات بقدر الإمكان وعيادة المرضى وشهود الجنائز وإفشاء السلام والتبسم في وجوههم وكف الأذى
عنهم ويدخل فيه كل حيوان حتى الهرة والدجاجة القيد الرابع قوله عز وجل ويخشون ربهم معناه العبد وإن
قام بكل ما وجب عليه من تعظيم أمر الله والشفقة على خلق الله إلا أنه لا بد وأن يكون الخشية من الله والخوف منه
مستوليان والفرق بين الخشية والخوف أن الخشية أن يخشى وقوع خلل إما بزيادة أو نقص في ما يأتي به والخوف
هو مخافة الهيبة والجلال القيد الخامس قوله جل ذكره ويخافون سوء الحساب فالقيد الرابع هو الخشية من الله
فيما يأتي به من الطاعات من الخلل وهذا القيد هو المخافة من سوء الحساب وهو خوف الجلال والعظمة والمهابة
وإلا لزم التكرار القيد السادس قوله تعالى والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم قال ابن عباس رضي الله عنه على أمر الله
وقال عطاء على المصائب وقيل عن الشهوات واعلم أن العبد قد يصبر لوجوه إما أن يصبر لئلا يحصل شماتة الأعداء
واعلم أن العبد قد يصبر إما أن يصبر لئلا يعاب على الجزع وإما أن يصبر ليقال ما أصبره وما أشد قوته على
تحمل النوائب وإما أن يصبر لعلمه لأن الجزع لا فائدة فيه فإذا كان الصبر لأحد هذه الوجوه لم يكن داخلا
في كمال النفس أما إذا صبر على البلاء لعلمه بأن البلاء قسمة القاسم الحكيم العلام المنزه عن العبث والباطل
والسفه وأن تلك القسمة مشتملة على حكمة بالغة ومصلحة راجحة ورضي بذلك لأنه لا اعتراض على المالك
في تصرفه في ملكه فهذا هو الذي يصدق عليه أنه صبر ابتغاء وجه ربه لأنه صبر لمجرد طلب رضوان الله القيد
السابع قوله تعالى وأقاموا الصلوة واعلم أن الصلوة والزكوة وإن كانا داخلين في الجملة الأولى لأنه تعالى
أفردهما بالذكر تنبيها على كونهما أشرف سائر العبادات ولا يمتنع دخول النوافل فيه أيضا القيد الثامن

قوله تعالى وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية وقال الحسن رضي الله عنه المراد الزكوة المفروضة بأن لم
يتهم بتركها أداها سرا وإن اتهم بتركها أداها علانية وقيل السر ما يؤديه بنفسه والعلانية ما يؤديه إلى الإمام
وقيل العلانية الزكوة والسر صدقة التطوع القيد التاسع قوله تعالى ويدرؤن بالحسنة السيئة قيل
إذا أتوا بالمعصية درؤها أي دفعوها بالتوبة قال ابن عباس رضي الله عنهما يدفعون بالصالح من العمل
وهو معنى قوله تعالى إن الحسنات يذهبن السيئات وقال صلوات الله وسلامه عليه لمعاذ بن جبل رضي الله
عنه إذا عملت سيئة فاعمل بجنبها حسنة تمحها السر بالسر والعلانية بالعلانية وقيل لا تقابلوا الشر بالشر
بل قابلوا الشر بالخير كما قال تعالى وإذا مروا باللغو مروا كراما وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما قال الحسن إذا
حرموا أعطوا وإذا ظلموا عفوا وإذا قطعوا وصلوا قال عبد الله بن المبارك رضي الله عنه هذه ثمان خصال مشيرة
إلى الجنة ثمانية أبواب الجنة واعلم أن هذه القيود هي المذكورة في الشرط وأما القيود المذكورة في الجزاء فهي قوله
تعالى أولئك لهم عقبى الدار أي عاقبة الدار وهي الجنة قال الواحدي العقبى كالعاقبة ويجوز أن يكون كالشورى
والقربى والرجعى وقد يجيء مثل هذا أيضا على فعلى كالنجوى والدعوى وعلى فعلى كالذكرى والضيزى ويجوز
أن يكون اسما وهو ههنا مصدر مضاف إلى الفاعل والمعنى أولئك لهم أن تعقب أعمالهم الدار التي هي الجنة قوله
تعالى أولئك مبتدأ وعقبى الدار يجوز أن يكون مبتدأ خبره الجار قبله والجملة خبر أولئك ويجوز أن يكون
لهم خبر أولئك وعقبى فاعل بالاستقرار قوله تعالى جنات عدن يجوز أن يكون بدلا من عقبى وأن يكون
بيانا وأن يكون خبر مبتدأ مضمر وأن يكون مبتدأ خبره يدخلونها وقرأ النخعي جنة بالإفراد وتقدم الخلاف
في يدخلونها والجملة من يدخلونها يحتمل الاستيناف والحالية المقدرة قوله تعالى
ومن صلح يجوز أن يكون مرفوعا عطفا على الواو وأغنى الفصل بالمفعول عن التأكيد بالضمير المنفصل
وأن يكون منصوبا على المفعول معه وهو مرجوح وقرأ ابن أبي عبلة صلح بضم اللام وهي لغة مرجوحة قوله
تعالى من آبائهم في محل الحال من من صلح ومن لبيان الجنس وقرأ عيسى الثقفي وذريتهم بالتوحيد قوله تعالى
قوله تعالى جنات عدن هو القيد الثاني وقد تقدم الكلام في جنات عدن عند قوله تعالى ومن صلح قال ابن
عباس يريد من صدق بما صدقوا به وإن لم يعمل مثل أعمالهم وقال الزجاج بين تعالى أن الأنساب لا تنفع إذا لم يحصل
معه أعمال صالحة بل الآباء والأزواج والذريات لا يدخلون الجنة إلا بالأعمال الصالحة قال الواحدي والصحيح
ما قال ابن عباس لأن الله تعالى جعل من ثواب المطيع سروره بحضور أهله في الجنة وذلك يدل على أنهم يدخلونها
كرامة للمطيع لا بالأعمال الصالحة ولو دخلوها بأعمالهم الصالحة لم يكن في ذلك كرامة للمطيع ولا فائدة في الوعد به
إذ كل من كان صالحا في عمله فهو يدخل الجنة قال ابن الخطيب وهذه الحجة ضعيفة لأن المقصود بشارة المطيع
بكل ما يزيده سرورا وبهجة فإذا بشر الله المكلف أنه إذا دخل الجنة يحضر معه آباؤه وأولاده فلا شك يعظم سروره
بذلك وهذا الذي قاله وإن كان فيه مزيد سرور ولكنه إذا علم أنهم إنما دخلوا الجنة إكراما له كان سروره
أعظم وبهجته أتم وقوله تعالى وأزواجهم ليس فيه ما يدل على التمييز بين زوجة وزوجة ولعل الأولى من
مات عنها أو ماتت عنه قاله ابن الخطيب وفيه نظر لأنه لو مات عنها فتزوجت بعده غيره لم يكن من أزواجه
بل الأولى أن يقال من ماتت في عصمته فقط والقيد الرابع قوله والملائكة يدخلون عليهم من كل باب قيل
من أبواب الجنة وقيل من أبواب القصور وقال الأصم من كل باب من أبواب البركات باب الصلوة وباب الزكوة
وباب الصبر يقولون نعم ما أعقبكم الله بهذه الدار **فصل** تمسك بعضهم بهذه الآية على أن [illegible]
والإكرام والتعظيم والسلام فكانوا أجل مرتبة من البشر لما كان دخولهم عليهم موجبا علو درجاتهم وشرف
مراتبهم ألا ترى من عاد من سفره أو مرض فعاده الأمير والوزير والقاضي والمفتي فتعظم درجته عند سائر
الناس فكذا ههنا قوله تعالى سلام عليكم قال الزجاج ههنا محذوف تقديره والملائكة يدخلون
عليهم من كل باب ويقولون سلام عليكم فأضمر القول ههنا لأن في الكلام دليلا عليه والقول المضمر حال
من فاعل يدخلون أي يدخلون قائلين قوله تعالى بما صبرتم متعلق بما تعلق به عليكم قال ابن الخطيب
متعلق بمحذوف أي أن هذه الكرامات التي ترونها إنما حصلت بصبركم وما مصدرية أي بسبب صبركم ولا
يتعلق بسلام لأنه لا يفصل بين المصدر ومعموله بالخبر قاله أبو البقاء وقال الزمخشري ويجوز أن يتعلق
بسلام أي نسلم عليكم ونكرمكم بصبركم ولا يتعلق بسلام لا ولما نقل عنه أبو حيان لم يعترض عليه بشيء
والظاهر أنه لا يعترض عليه بما تقدم لأن ذلك في المصدر المؤول بحرف مصدري وفعل وهذا المصدر

ليس من ذلك والباء سببية كما تقدم واما بمعنى بدل صبركم اي بما احتملتم مشاق الصبر وقيل بما صبرتم
خبر مبتدا مضمر اي هذا الثواب الجزيل بما صبرتم وقرا الجمهور فنعم بكسر النون وسكون العين وابن يعمر بالفتح
والكسر وقد تقدم انها الاصل كقوله نعم الساعون في الامر المشطر واب وناب بالفتح والسكون وهي تخفيف
الاصل ولغة تميم تسكين عين فعل مطلقا والمخصوص بالمدح محذوف اي الجنة **قوله تعالى** والذين
ينقضون مبتدا والجملة من قوله اولئك لهم اللعنة خبره والكلام في اللعنة كما تقدم في عقبى الدار
ولما ذكر صفة السعداء وما يترتب عليها من الاحوال الشريفة ذكر صفة الاشقياء وما يترتب عليها
من الاحوال المخزية واتبع الوعد بالوعيد فقال تعالى جل وعز والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه
وقد تقدم ان عهد الله ما الزم عباده مما يجب الوفاء به وهذا في الكفار فالمراد من نقض العهد انه لا ينظر
في الادلة وحينئذ لا يمكن العمل بموجبها او ينظر ويعلم صحتها ثم يعاند فلا يعمل بعلمه او ينظر في الشبهة
فيعتقد خلاف الحق والمراد من قوله من بعد ميثاقه ان يوثق ليه تلك الادلة واحكامها فان قيل العهد لا
يكون الا مع الميثاق فما فائدة اشتراطه بقوله من بعد ميثاقه فالجواب لا يمتنع ان يكون المراد بالعهد هو ما
كلف العبد به والمراد بالميثاق الادلة لانه تعالى قد يوكد العهد بدلائل اخر سواء كانت تلك الموكدات
دلائل عقلية او سمعية ثم قال ويقطعون ما امر الله به ان يوصل فيدخل فيه قطع كل ما اوجب الله وصله
مثل ان يومنوا ببعض الانبياء ويكفرون ببعض ويقطعون وصل الرسول بالموالاة والمعاونة
ووصل المومنين ووصل الارحام وسائر ما تقدم ثم قال ويفسدون في الارض اما بالدعاء الى غير دين
الله واما بالظلم في النفوس والاموال وتخريب البلاد ثم قال اولئك لهم اللعنة وهي الابعاد من خير الدنيا
والاخرة الى العذاب ولهم سوء الدار وهي جهنم **قوله تعالى** الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر الاية
لما حكى عن ناقضي العهد في التوحيد والنبوة بانهم ملعونون في الدنيا ومعذبون في الاخرة فكانه قيل
لو كانوا اعداء الله لما انعم عليهم في الدنيا فاجاب الله تعالى عنه بهذه الاية وهو انه تعالى يبسط الرزق
على البعض ويقبض الرزق لا تعلق له بالكفر والايمان فقد يوجد الكافر موسعا عليه دون المومن والدنيا
دار امتحان قال الواحدي ومعنى القدر في اللغة قطع الشيء على مساواة غيره من غير زيادة ولا نقصان
وقال المفسرون معنى يقدر هاهنا يضيق كقوله تعالى ومن قدر عليه رزقه اي ضيق ومعناه انه يعطيه بقدر
كفايته لا يفضل عنه شيء وقرا زيد بن علي ويقدر بضم الدال **قوله تعالى** وفرحوا هذا استيناف اخبار
وقيل بل هو عطف على صلة الذين قبل وفيه نظر من حيث الفصل بين ابعاض الصلة بالخبر وايضا فان هذا
ماض وما قبله مستقبل ولا يدعي التوافق في الزمان الا ان يقال المقصود استمرارهم بذلك او ان
الماضي متى وقع صلة صلح للمضي والاستقبال **قوله تعالى** في الاخرة اي في جنب الاخرة الا متاع
اي قليل ذاهب **قوله تعالى** ويقول الذين كفروا لولا انزل عليه اية اعلم ان كفار مكة قالوا يا محمد
ان كنت رسولا فاتنا بمعجزة مثل معجزات موسى وعيسى صلوات الله وسلامه عليهما فاجابهم بقوله قل ان
الله يضل من يشاء ويهدي اليه من اناب وبيان كيفية هذا الجواب من وجوه احدها كانه يقول
ان الله انزل عليه ايات ظاهرة ومعجزة قاهرة لكن الاضلال والهداية من الله فاضلهم عن تلك الايات
وهدى اليها اخرين فلا فائدة في تكثير الايات والمعجزات وثانيها انه كلام يجري مجرى التعجب من قولهم
وذلك لان الايات الباهرة المتكاثرة التي ظهرت على رسول الله صلوات الله وسلامه عليه كانت اكثر
من ان تصير شبهة على العاقل فلما طلبوا بعدها ايات اخر كان موضع التعجب والاستنكار فكانه
قيل لهم ما اعظم عنادكم ان الله يضل من يشاء من كان على صنيعكم من التصميم على الكفر فلا سبيل الى
هدايتكم وان انزلت كل اية ويهدي من كان على خلاف صنيعكم وثالثها انهم لما طلبوا سائر الايات والمعجزات
فكانه قال لهم لا فائدة في ظهور الايات والمعجزات فان الاضلال والهداية من الله تعالى فلو حصلت الايات
الكثيرة ولم تحصل الهداية لم يحصل الانتفاع بها فلا تطلبوا الايات ولكن اطلبوا الهداية من الله ورابعها
قال الجبائي المعنى انه يضل من يشاء عن رحمته وثوابه عقوبة له على كفره فلستم ممن يجيبه الله تعالى الى
ما سال لاستحقاقكم الاضلال عن الثواب ويهدي اليه من اناب اي يهدي الى جنته من تاب وآمن قال
وهذا بين ان الهدى هو الثواب من حيث عقبه بقوله من اناب اي تاب وهذا يبين ان الهدى هو الثواب
والهدى الذي يفعله بالمومن هو الثواب لانه يستحقه على ايمانه وذلك يدل على انه تعالى انما يضل عن

هو الثواب لانه يستحقه على ايمانه وذلك يدل على انه تعالى انما يضل عن الثواب بالعقاب لا عن
الدين بالكفر على ما ذهب اليه من خالفنا هذا تمام كلام الجبائي والضمير في اليه عائد على الله تعالى اي
الى دينه وشرعه وقيل على الرسول صلوات الله وسلامه عليه وقيل على القران **قوله تعالى** الذين امنوا
يجوز فيه خمسة اوجه احدها ان يكون مبتدا خبره الموصول الثاني وما بينهما اعتراض الثاني انه بدل من اناب
الثالث انه عطف بيان له الرابع انه خبر مبتدا مضمر الخامس انه منصوب باضمار فعل **فصل**
قال ابن الخطيب قال ابن عباس رضي الله عنه اذا سمعوا القران خشعت قلوبهم واطمانت فان قيل اليس قال
في سورة الانفال انما المومنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم والوجل ضد الاطمينان فكيف وصفهم
هنا بالاطمينان فالجواب من وجوه احدها انهم اذا ذكروا العقوبات ولم يامنوا ان يقدموا على المعاصي فهناك
الوجل واذا ذكروا ما وعد الله به من الثواب والرحمة سكنت قلوبهم فاحد الامرين لا ينافي الاخر لان الوجل هو تذكر
العقاب والطمانينة تذكر الثواب وثانيها ان المراد ان علمهم بكون القران معجزا يوجب حصول الطمانينة
لهم في كون محمد صلوات الله وسلامه عليه نبيا حقا من عند الله تعالى ولما شكوا في انهم اتوا بالطاعات الموجبة للثواب
ام لا وهل احترزوا عن المعصية الموجبة للعقاب ام لا وقيل الوجل عند ذكر الله الوعيد والعقاب والطمانينة
عند ذكر الله عز وجل الوعد والثواب فالقلوب توجل اذا ذكرت عدل الله وشدة حسابه وتطمئن اذا ذكرت
فضل الله وكرمه الا بذكر الله تطمئن القلوب تسكن قلوب المومنين ويستقر فيها اليقين قال ابن عباس رضي الله
عنه هذا في الحلف يقول اذا حلف المسلم بالله على شيء تسكن قلوب المومنين اليه **قوله تعالى** بذكر الله يجوز ان
يتعلق بتطمئن فتكون الباء سببية اي بسبب ذكر الله وقال ابو البقاء ويجوز ان يكون مفعولا به اي الطمانينة
تحصل بذكر الله الثاني انه يتعلق بمحذوف على انه حال من قلوبهم اي تطمئن وفيها ذكر الله **قوله تعالى** الذين
امنوا وعملوا الصالحات فيه اوجه ان يكون بدلا من القلوب على حذف مضاف اي قلوب الذين امنوا وان يكون
بدلا من من اناب وهذا على قول من لم يجعل الموصول الاول بدلا من من اناب والا كان تتوالى بدلان
وان يكون مبتدا وطوبى لهم جملة خبرية وان يكون خبر مبتدا مضمر وان يكون منصوبا باضمار فعل والجملة
من طوبى لهم على هذين الوجهين حال مقدرة العامل فيها امنوا وعملوا **قوله تعالى** طوبى لهم واو طوبى
منقلبة عن ياء لانها من الطيب وانما قلبت لاجل الضمة قبلها كموسر وموقن من اليسر واليقين واختلفوا فيها
فقيل هي اسم مفرد مصدر كرجعى وبشرى من طاب يطيب وقيل بل هي جمع طيبة كما قالوا كوسى
في جمع كيسة وضوقى في جمع ضيقة ويجوز ان يقال الطيبى بكسر الفاء وكذلك الكيسى والضيقى وهل هي اسم
لشجرة بعينها او اسم للجنة بلغة الهند او الحبشة وجاز الابتداء بطوبى اما لانها علم لشيء بعينه واما لانها
نكرة في معنى الدعاء كسلام عليك وويل له كذا قال سيبويه وقال ابن مالك رحمه الله انه يلتزم رفعها
بالابتداء ولا يدخل عليها نواسخه وهذا يرد عليه ان بعضهم جعلها في هذه الاية منصوبة باضمار فعل اي
وجعل لهم طوبى وقد يتايد ذلك بقراءة عيسى الثقفي وحسن ماب بنصب النون قال انه معطوف على
طوبى وانها في موضع نصب قال ثعلب وطوبى على هذا مصدر كما قالوا سقيا وخرج هذه القراءة صاحب
اللوامح على النداء كيا اسفا على الفوت يعني ان طوبى مضاف للضمير واللام مقحمة كقوله • يا بوس للجهل
ضرارا لاقوام • ويا بوس للحرب التي وضعت اراهط فاستراحوا • وكذلك سقط التنوين من بوس كانه
قيل يا طيبا اي ما اطيبهم ولحسن مابهم قال الزمخشري ومعنى طوبى لك اصبت خيرا وطيبا ومحلها النصب
او الرفع كقولك طيبا لك وطيب لك وسلاما لك وسلام لك والقراءة وحسن ماب بالنصب والرفع
يدل على محلها واللام في لك للبيان مثلها في سقيا لك فهذا يدل على انها تتصرف ولا يلزم الرفع بالابتداء
وقرا مكورة الاعرابي طيبى بكسر الطاء لتسلم الياء نحو بيض ومعيشة وقرئ وحسن ماب بفتح النون ورفع
ماب على انه فعل ماض اصله حسن فنقلت ضمة العين الى الفاء قصدا للمدح كقولهم حسن ذا ادبا وماب
فاعله **فصل** قال ابن عباس رضي الله عنه طوبى فرح لهم وقرة عين وقال عكرمة نعم ما لهم
وقال قتادة حسنى لهم وقال معمر عن قتادة هذه كلمة عربية يقول الرجل طوبى لك اي اصبت خيرا وقال
ابراهيم رحمه الله خير لهم وكرامة قال الفراء وفيه لغتان تقول العرب طوباك وطوبى لك اي لهم الطيب وحسن
ماب اي حسن المنقلب وقال سعيد بن جبير عن ابن عباس طوبى اسم الجنة بالحبشية وقال الربيع البستان بلغة
الهند وقال الزجاج العيش الطيب لهم وروي عن ابي امامة وابي هريرة وابي الدرداء قالوا شجرة تظل

الجنان كلها وقيل فيها غير ذلك **قوله تعالى** كذلك ارسلناك الكاف في محل نصب كنظايرها قال الزمخشري مثل ذلك الارسال ارسلناك ارسالا له شان وقيل الكاف متعلقة بالمعنى الذي في قوله تعالى ان الله يضل من يشاء ويهدي اي كما انفذ الله هذا كذلك ارسلناك وقال ابن عطية الذي يظهر ان المعنى كما اجرينا العادة بان الله يضل ويهدي لا الايات المقترحة فكذلك ايضا فعلنا في هذه الامة ارسلناك وقال ابو البقا فكذلك الامر كذلك فجعلها في موضع رفع وقال الحوفي وابو البقا ايضا الكاف للتشبيه في موضع نصب اي كفعلنا الهداية والاضلال والاشارة بذلك الى ما وصف به نفسه من ان الله تعالى يضل من يشاء ويهدي ويكون الكاف للتشبيه قال ابن عباس والحسن رضي الله عنهما اي كما ارسلنا الانبياء قبلك وقيل كما ارسلنا الى امم واعطيناهم كتبا تتلى عليهم كذلك اعطيناك هذا الكتاب وانت تتلوه عليهم **قوله تعالى** قد خلت جملة في محل جر صفة لامة ولتتلو متعلق بارسلناك والمعنى انه فسر كيف ارسله فقال في امة قد خلت من قبلها امم اي ارسلناك في امة قد تقدمها امم وهم احسن الامم وانت اخر الانبياء لتتلو لتقرا عليهم الذي اوحينا اليك وهو الكتاب العظيم **قوله تعالى** وهم يكفرون يجوز ان تكون هذه الجملة استينافية وان تكون حالية والضمير في وهم عايد على امة من حيث المعنى ولو عاد على لفظها لكان التركيب وهي تكفر وقيل الضمير على امة وعلى امم وقيل على الذين قالوا لولا انزل **فصل** قال قتادة ومقاتل وابن جريج الاية مدنية نزلت في صلح الحديبية وذلك ان سهيل بن عمرو لما جاوا واتفقوا على ان يكتبوا الكتاب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي كرم الله وجهه اكتب بسم الله الرحمن الرحيم قالوا لا نعرف الرحمن الا صاحب اليمامة يعنون مسيلمة الكذاب اكتب كما كنت تكتب باسمك اللهم فهذا معنى قوله وهم يكفرون بالرحمن والمعروف ان الاية مكية وسبب نزولها ان ابا جهل سمع النبي صلوات الله وسلامه عليه وهو في الحجر يدعو يا الله يا رحمن فرجع الى المشركين وقال ان محمدا يدعو الهين يدعو الله ويدعو الها اخر يسمى الرحمن ولا نعرف الرحمن الا رحمن اليمامة فنزلت هذه الاية ونزل قوله تعالى قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن ايا ما تدعوا فله الاسماء الحسنى وروى الضحاك عن ابن عباس نزلت في كفار قريش حين قال لهم النبي صلوات الله عليه اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن قال الله تعالى جل ذكره قل لهم يا محمد ان الرحمن الذي انكرتم معرفته هو ربي لا اله الا هو عليه توكلت اعتمدت واليه متاب اي توبتي ومرجعي **فصل** اعلم ان قوله يكفرون بالرحمن انا ان حملناه على هذه الروايات كان معناه يكفرون باطلاق هذا الاسم على الله تعالى لانهم كفروا بايات الله تعالى وقال اخرون بل كفروا بالله اما جحدا له واما لاثباتهم الشركاء معه قال القاضي وهذا القول اظهر لان قوله تعالى وهم يكفرون بالرحمن يقتضي انهم كفروا بالله وهو المفهوم من الرحمن وليس المفهوم منه الاسم كما لو قال قايل كفروا بمحمد وكذبوا به فكان المفهوم دون اسمه تعالى ولو ان قرانا سيرت به الجبال نزلت في نفر من مشركي مكة منهم ابو جهل بن هشام وعبد الله بن امية المخزومي جلسوا في فناء الكعبة فاتاهم رسول الله صلوات الله وسلامه عليه وعرض عليهم الاسلام فقال عبد الله بن امية المخزومي ان سرك ان نتبعك فسير لنا جبال مكة بالقران فاذهبها حتى تنفسح علينا فانها ارض ضيقة لمزارعنا واجعل لنا فيها عيونا وانهارا لنغرس الاشجار ونزرع فلست كما زعمت باهون على ربك من داود حيث سخر له الجبال تسبح معه او سخر لنا الريح فنركبها الى الشام والبلاد لميرتنا وحوايجنا ونرجع في يومنا فقد سخرت الريح لسليمان صلوات الله عليه كما زعمت ولست باهون على ربك من سليمان واحي لنا جدك قصيا او من شيت من موتانا لنساله عن امرك احق ما تقول او باطل فقد كان عيسى عليه السلام يحيي الموتى ولست باهون على الله منه فانزل الله عز وجل ولو ان قرانا سيرت به الجبال فاذهبت عن وجه الارض او قطعت به الارض اي شققت فجعلت انهارا او عيونا او كلم به الموتى **قوله تعالى** ولو ان قرانا جوابها محذوف اي لكان هذا القران لانه في غاية ما يكون من الصحة واكتفي بمعرفة السامعين مراده كقول الشاعر

• فاقسم لو شيء اتانا رسوله • سواك ولكن لم نجد لك مدفعا •

اراد لرددناه وهذا معنى قول قتادة قالوا لو فعل هذا بقران قبل قرانكم لفعل بقرانكم وقيل تقديره لما امنوا ونقل عن الفرا ان جواب لو هي الجملة من قوله وهم يكفرون ففي الكلام تقديم وتاخير وما بينهما اعتراض وتقدير الكلام وهم يكفرون بالرحمن لو ان قرانا سيرت به الجبال كانه قال لو سيرت به الجبال او قطعت به الارض او كلم به الموتى لكفروا بالرحمن ولم يومنوا لما سبق من علمنا فيهم كقوله ولو اننا نزلنا اليهم الملايكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلا ما كانوا ليومنوا وهذا في الحقيقة دال على الجواب وانما حذفت لنا من قوله

في مشركي مكة

وكلم به الموتى وتغيب في الفعلين قبله لانه من باب التغليب لان الموتى يشمل المذكر والمونث ثم قال بل لله الامر جميعا ان شاء فعل وان شاء لم يفعل وليس لاحد عليه اعتراض **قوله تعالى** افلم ييأس الذين اصل اليأس قطع الطمع عن الشيء والقنوط منه واختلف الناس فيه ههنا فقال بعضهم هو هنا على بابه والمعنى افلم ييأس الذين امنوا من ايمان الكفار من قريش وذلك انهم سالوا هذه الايات طمعوا في ايمانهم وطلبوا نزول هذه الايات ليومن الكفار وعلم الله انهم لا يومنون فقال افلم ييأسوا من ايمانهم قاله الكسائي وقال الفرا اوقع الله للمومنين ان لو يشاء الله لهدى الناس جميعا فقال افلم ييأسوا علما يقول ايأسهم العلم مضمرا كما تقول في الكلام يئست منك ان لا تفلح كانه قال علمته علما قال فيئست بمعنى علمت وان لم يكن قد سمع فانه يتوجه الى ذلك بالتاويل وقال ابن عطية ويحتمل ان يكون اليأس في هذه الاية على بابه وذلك انه لما ابعد ايمانهم في قوله عز وجل ولو ان قرانا على التاويل في المحذوف المقدر قال في هذه افلم ييأس المومنون من ايمان هولاء علما منهم ان لو يشاء الله لهدى الناس جميعا وقال الزمخشري ويجوز ان يتعلق ان لو يشاء الله بامنوا على ولم يقنطوا عن ايمان هولاء الكفرة الذين امنوا بان لو يشاء الله لهدى الناس جميعا وقال الزمخشري ويجوز ان يتعلق ولهداهم وهذا قد سبقه اليه ابو العباس رضي الله عنه وقال ابو حيان ويحتمل عندي وجه اخر غير الذي ذكروه وهو ان الكلام تام عند قوله عز وجل افلم ييأس الذين امنوا وهو تقرير اي قد ييأس المومنون من ايمان المعاندين وان لو يشاء الله جواب قسم محذوف اي واقسم لو يشاء الله لهدى الناس جميعا ويدل على هذا القسم وجود ان مع لو كقول الشاعر

• اما والله لو كنت حرا • وما بالحر انت ولا العتيق • وقول الاخر

• فاقسم ان لو التقينا وانتم • لكان لنا يوم من الشر مظلم •

وقد ذكر سيبويه ان ان تاتي بعد القسم وجعلها ابن عصفور رابطة للقسم بالجملة المقسم عليها وقال بعضهم بل هو هنا بمعنى علم وتبين قال القسم بن معن وهو من ثقات الكوفيين هي لغة هوازن قال ابن الكلبي هي لغة حي من النخع ومنه قول رباح بن عدي

• الم ييأس الاقوام اني انا ابنه • وان كنت عن ارض العشيرة نائيا • وقول سحيم بن وثيل الرياحي

• اقول لهم بالشعب اذ ييسرونني • الم تيأسوا اني ابن فارس زهدم • وقول الاخر

حتى اذا يئس الرماة فارسلوا • عنقا دواجن قافلا اعصامها • ورد الفرا هذا وقال لم اسمع ييأست بمعنى علمت ورد عليه بان من حفظ حجة على من لم يحفظ ويدل على ذلك قراءة علي وابن عباس وعكرمة وابن ابي مليكة والجحدري وعلي بن الحسين وابنه زيد وجعفر بن محمد وابن يزيد المدني وعبد الله بن يزيد وعلي بن بذيمة افلم يتبين تفسير هذه الحروف فتوهم انها تفسير قال الزمخشري رضي الله عنه وعنهم وهذا ونحوه مما لا يصدق في كتاب الله الذي لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وكيف يخفى هذا حتى يبقى بين دفتي الامام وكان متقلبا في ايدي اوليك الاعلام المحتاطين في دين الله المهيمنين عليه لا يغفلون عن جلايله ودقايقه خصوصا عن القانون الذي اليه المرجع والقاعدة التي عليها البنى هذه والله فرية ما فيها مرية وقال الزمخشري ايضا وقيل انما استعمل اليأس بمعنى العلم لان الايس عن الشيء عالم بانه لا يكون كما استعمل الرجا في معنى الخوف والنسيان في معنى الترك لتضمن ذلك وتحصل في ان قولان احدهما انها المخففة من الثقيلة فاسمها ضمير الشان والجملة الامتناعية بعدها خبرها وقد وقع الفصل بلو وان وما في حيزها ان علقنا ييأس بامنوا تكون في محل نصب وجر على الخلاف بين الخليل وسيبويه اذا سقط الجر بالحرف اي امنوا بان لو يشاء الله فان علقناها بييأس على انه بمعنى علم كانت في محل نصب لسدها مسد المفعولين والثاني رابطة بين القسم والمقسم عليه كما تقدم **فصل** قال المفسرون ان اصحاب رسول الله صلوات الله وسلامه عليه لما سمعوا كلام المشركين طمعوا في ان يفعل الله تعالى ما سالوا فيومنوا فنزل افلم ييأس الذين امنوا يعني الصحابة من ايمان هولاء يعني لم ييأسوا وكل من علم شيئا ييأس من خلافه تقول الم يويسهم العلم ان لو يشاء الله لهدى الناس جميعا **فصل** احتج اهل السنة بقوله ان لو يشاء الله لهدى الناس جميعا وكلمة لو تفيد انتفاء الشيء لانتفاء غيره فالمعنى انه تعالى ما شاء هداية جميع الناس والمعتزلة تارة يحملون هذه المشية على مشية الايجاد وتارة يحملون هذه المشية على مشية الهداية الى طريق الجنة ومنهم من يجري الكلام على الظاهر ويقول انه تعالى ما شاء هداية جميع الناس لانه ما شاء هداية الاطفال والمجانين فلا يكون منافيا لهداية جميع الناس وتقدم الكلام على هذه المسيلة مرارا **قوله تعالى** ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة الاية قيل اراد جميع الكفار لان الوقايع

الشديدة التي وقعت لبعض الكفار من القتل والسبي اوجب حصول الغم في قلوب الكل وقيل اراد بعض الكفار
وهم جماعة معينون فيكون الالف واللام للعهد والمعنى ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا من كفرهم
واعمالهم الخبيثة قارعة اي نازلة وداهية تقرعهم من انواع البلاء احيانا بالجدب واحيانا بالسلب واحيانا
بالقتل يقال قرعه امر اذا اصابه والجمع قوارع والاصل في القرع الضرب اي لا يزال الكافرون يصيبهم
داهية مهلكة من صاعقة كما اصاب اربد او من او قتل او اسر او جدب او غير ذلك من العذاب والبلاء كما
نزل بحاطب والمستهزئين من رؤساء المشركين وقال ابن عباس رضي الله عنه اراد كفار قريش يصيبهم بما
صنعوا برسول الله صلوات الله وسلامه عليه من العداوة والتكذيب بان لا يزال يبعث السرايا فتغير حول
مكة وتخطف منهم وتصيب من مواشيهم **قوله تعالى** او تحل يجوز ان يكون فاعله ضمير الخطاب او تحل انت يا محمد
وان يكون ضمير القارعة وموضعها نصب عطفا على خبر يزال وقرا ابن جبير ومجاهد يحل بالياء من تحت
والفاعل على ما تقدم اما ضمير القارعة وانما ذكر الفعل لانها بمعنى العذاب او لان التاء للمبالغة والمراد
قارع واما ضمير الرسول صلوات الله وسلامه عليه اي يحل قريبا وقرا ايضا من ديارهم جمعا وهي واضحة والمعنى
او تحل القارعة او انت يا محمد صلوات الله وسلامه عليك بجيشك قريبا من دارهم كما حل الحديبية حتى ياتي
وعد الله وهو فتح مكة وكان قد وعده ذلك وقيل يوم القيمة ان الله لا يخلف الميعاد والغرض منه تقوية
قلب رسول الله صلوات الله وسلامه عليه وازالة الحزن عنه وتسليته **فصل** قال القاضي
قوله تعالى ان الله لا يخلف الميعاد يدل على بطلان قول من يجوز الخلف على الله تعالى في ميعاده ووعيده
والاية وان كانت واردة في حق الكفار لان العبرة بعموم اللفظ وعمومه يتناول كل وعيد ورد في حق
الفساق والجواب ان الخلف غير وتخصيص العموم غير ونحن لا نقول بالخلف ولكنا نخصص عمومات
الوعيد بالايات الدالة على العفو **قوله تعالى** ولقد استهزئ برسل من قبلك الاية لما طلبوا المعجزات
من الرسول صلوات الله وسلامه عليه على سبيل الاستهزاء وكان يتاذى من تلك الكلمات فانزل الله تعالى
هذه الاية تسلية له وتصبيرا على سفاهتهم فقال ان اقوام سائر الانبياء عليهم السلام استهزءوا بهم كما ان
قومك يستهزءون بك فامليت للذين كفروا امهلتهم واطلت لهم المدة بتاخير العقوبة ثم اخذتهم في الدنيا
بالقتل وفي الاخرة بالنار فكيف كان عقابي لهم والاملاء الامهال وان يتركوا مدة من الزمان في خفض
وامن كالبهيمة يملى لها في المرعى ومنه الملوان الليل والنهار **قوله تعالى** افمن هو قائم من موصولة
صلتها هو قائم والموصول مرفوع بالابتداء وخبره محذوف تقديره كمن ليس كذلك من شركائهم التي لا تضر ولا
تنفع ودل على هذا المحذوف قوله تعالى وجعلوا لله شركاء ونحوه قوله تعالى افمن شرح الله صدره للاسلام
تقديره كمن قسي قلبه يدل عليه ايضا فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله وانما حسن حذفه كون الخبر مقابلا
للمبتدا وقد جاء مبينا كقوله افمن يخلق كمن لا يخلق افمن يعلم انما انزل اليك من ربك الحق كمن هو اعمى والمعنى
افمن هو قائم على كل نفس بما كسبت اي حافظها ورازقها وعالم بها ومجازيها بما عملت وجوابه محذوف تقديره
كمن ليس بقائم بل عاجز عن نفسه تعالى وجعلوا لله يجوز ان يكون استينافا وهو الظاهر جعل بالدلالة
على الخبر المحذوف كما تقدم تقريره وقال الزمخشري ويجوز ان يقدر ما يقع خبرا للمبتدا ويعطف عليه
وجعلوا وتمثيله افمن هو بهذه الصفة لم يوحدوه وجعلوا له وهو الله الذي يستحق العبادة شركاء قال ابو حيان
وفي هذا التوجيه اقامة الظاهر مقام المضمر في قوله تعالى وجعلوا لله اي له وفيه حذف الخبر عن المقابل
واكثر ما جاء الخبر مقابلا وقيل الواو للحال والتقدير افمن هو قائم على كل نفس موجود والحال انهم
جعلوا له شركاء فاقيم الظاهر وهو الله تعالى مقام المضمر تقريرا للالهية وتصريحا بها قاله صاحب العقد
وقال ابن عطية ويظهر ان القول مرتبط بقوله وجعلوا لله شركاء كان التقدير افمن له القدرة والوحدانية
ويجعل له شريك اهل ان ينتقم ويعاقب ام لا وقيل وجعلوا عطف على استهزئ بمعنى ولقد استهزءوا وجعلوا
وقال ابو البقاء هو معطوف على كسبت اي وبجعلهم لله شركاء ولما قرر هذه الحجة زاد في الحجاج فقال قل
سموهم اي صفوهم بما لهم ثم انظروا هل هي اهل ان تعبد على سبيل التهديد والمعنى سواء سميتموهم باسم الالهة
او لم تسموهم فانها في الحقارة بحيث لا تستحق ان يلتفت العاقل اليها ثم زاد في الحجاج **قوله** تعالى ام
تنبئونه ام هذه منقطعة مقدرة ببل والهمزة والاستفهام للتوبيخ بل اتنبئونه شركاء لا يعلمهم في الارض
ونحوه قل اتنبئون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الارض فجعل الفاعل ضميرا عائدا على الله والعائد على ما محذوف

تقديره بما لا يعلمه الله وقد تقدم في تلك الاية ان الفاعل ضمير يعود على ما وهو جائز هنا ايضا **قوله
تعالى** ام بظاهر من القول الظاهر انها منقطعة والظاهر هنا بمعنى الباطل وانشدوا قول الشاعر

اعيرتنا البانها ولحومها • وذلك عار يا ابن ريطة ظاهر •

اي باطل وفسر مجاهد بكذب وهو موافق
لهذا وقيل ام متصلة اي اتنبئونه بظاهر لا حقيقة له والمعنى ام تخبرون الله بامر تعلمونه وهو لا يعلمه
فانه لا يعلم لنفسه شريكا وانما خص الارض بنفي الشريك عنها وان لم يكن له شريك البتة لانهم ادعوا له شريكا
في الارض لا في غيرها ام تموهون بظاهر القول لا حقيقة له وهو كقوله تعالى ذلك قولهم بافواههم ثم انه تعالى
بعد هذا الحجاج بين طريقتهم فقال على وجه التحقير لما هم عليه بل زين للذين كفروا مكرهم قال الواحدي معناه كانه
يقول دع ذلك الدليل فانه لا فائدة فيه لانه زين لهم كفرهم ومكرهم فلا ينتفعون بذكر هذه الدلائل **فصل**
قالت المعتزلة لا شبهة في انه انما ذكر ذلك لاجل ان يذمهم به واذا كان كذلك امتنع ان يكون ذلك المزين هو الله
تعالى فلا بد ان يكون اما شياطين الانس او شياطين الجن قال ابن الخطيب رحمه الله وهذا التاويل ضعيف من وجوه
الاول انه كان المزين هو احد شياطين الانس او الجن فما المزين لذلك الشيطان ان كان شيطانا اخر لزم التسلسل وان
كان هو الله فقد زال السؤال والثاني ان افعال القلوب لا يقدر عليها الا الله عز وجل والثالث انا دللنا على ان
ترجيح الداعي لا يحصل الا من الله عز وجل وعند حصوله يجب الفعل **قوله تعالى** وصدوا عن السبيل قرا
الكوفيون ويعقوب وصدوا مبنيا للمفعول وفي غافر وصد عن السبيل لذلك والباقون في السبعة مبنيين للفاعل
وصد جاء لازما ومتعديا فقراءة الكوفيين من المتعدي فقط وقراءة الباقين يحتمل ان يكون من المتعدي ومفعوله محذوف
اي صدوا غيرهم او انفسهم وان يكونا من اللازم اي اعرضوا وتولوا وقرا ابن وثاب وصد عن السبيل
بكسر الصاد وهو مبني للمفعول اجراه مجرى قيل وبيع فهو كقراءة ردت الينا وما حل من جاهل وما حل
من جاهل حتى حلمنا وقد تقدم فاما قراءة المبني للمفعول فعند اهل السنة ان الله صدهم وللمعتزلة وجهان
قيل الشيطان وبعضهم لبعض وهو قول ابي مسلم رحمه الله ومن فتح الصاد يعني الكفار اعرضوا ان كان
لازما وصدوا غيرهم ان كان متعديا وحجة القراءة الاولى مشاكلتها لما قبلها من بناء الفعل للمفعول وحجة
القراءة الثانية قوله تعالى جل ذكره الذين كفروا وصدوا واتم قال ومن يضلل الله فما له من هاد وتمسك
اهل السنة بهذه الاية من وجوه احدها قوله تعالى زين للذين كفروا مكرهم وقد تقدم الدليل
ان المزين هو الله تعالى وثانيها قوله وصدوا عن السبيل بضم الصاد وبينا ايضا ان ذلك هو الله تعالى
وثالثها قوله سبحانه ومن يضلل الله فما له من هاد وهو صريح في المقصود ثم قال تعالى لهم عذاب في الحيوة
الدنيا بالقتل والاسر ولعذاب الاخرة اشق اي اشد وما لهم من الله من واق مانع يمنعهم من العذاب قال
الواحدي اكثر القراء وقفوا على القاف من غير اثبات ياء مثل قوله عز وجل ومن يضلل الله فما له من هاد
وكذلك من ولي ولا واق وهو الوجه لانك تقول في الوصل هذا هاد ووال وواق فتحذف الياء لسكونها والتقائها
مع التنوين فاذا وقفت حذفت التنوين في الوقف في الرفع والجر والياء كانت انحذفت في الوصل فيصادف
الوقف الحركة التي هي كسرة فتحذف كما تحذف سائر الحركات التي يوقف عليها فيبقى هاد ووال وواق وابن كثير
يقف بالياء ووجهه ما حكى سيبويه ان بعض من يوثق به من العرب يقفون بالياء وقد تقدم **قوله تعالى**
مثل الجنة التي وعد المتقون الاية لما ذكر عذاب الكفار في الدنيا وفي الاخرة اتبعه بذكر ثواب المتقين
فقال مثل الجنة قال سيبويه مثل الجنة مبتدا وخبره محذوف تقديره فيما قصصنا او فيما يتلى عليكم
مثل الجنة وعلى هذا فقوله تجري من تحتها الانهار تفسير لذلك المثل وقال ابو البقاء فعلى هذا تجري حال
من العائد المحذوف في وعد اي وعدها مقدرا جريان انهارها ثم نقل عن الفراء انه جعل الخبر قوله تجري
قال وهذا خطا عند البصريين قال لان المثل لا تجري من تحتها الانهار وانما هو من صفة المضاف اليه
وشبهته ان المثل هنا بمعنى الصفة فهو كقوله صفة زيد انه طويل ويجوز ان يكون تجري مستانفا وهذا
الذي ذكره ابو البقاء نقل نحوه الزمخشري ونقل غيره عن الفراء في الاية تاويلين اخرين احدهما على حذف
لفظة انها والاصل صفة الجنة انها تجري وهذا منه تفسير معنى لا اعراب وكيف يحذفون انها من غير دليل
والثاني ان لفظة مثل زائدة والاصل الجنة تجري من تحتها الانهار وزيادة مثل كثير في لسانهم
ومنه ليس كمثله فان امنوا بمثل ما امنتم وقد تقدم وقال الزمخشري وقال غيره اي سيبويه الخبر
تجري من تحتها الانهار كما تقول صفة زيد اسمر قال ابو حيان وهذا ايضا لا يصح ان يكون تجري خبرا عن الصفة

ولا اسم خبرا عن الصفة وانما بيناول تجري على اسقاط ان ورفع الفعل والتقدير ان تجري
اي جريانها وقال الزجاج مثل الجنة جنة على حذف تمثيل لما غاب عنا بما نشاهده ورد عليه ابو علي
قال لا يصح ما قال الزجاج لا على معنى الصفة ولا على معنى الشبه لان الجنة التي قدرها جنة ولا تكون
الصفة ولان الشبه عبارة عن المماثلة بين المتماثلين وهو حدث والجنة جنة فلا تكون المماثلة والجمهور
على ان المثل هنا بمعنى الصفة وقال معناه الشبه وقرا علي بن مسعود امثال الجنة اي صفاتها خلافا للفراء فيه
في البقرة **فصل** اعلم انه تعالى وصف الجنة بصفات ثلاث اولها تجري من تحتها الانهار وثانيها
اكلها دائم اي لا ينقطع ثمرها ونعيمها بخلاف جنات الدنيا وثالثها ظلها اي ظليل لا يزول اي ليس هناك حر ولا برد
ولا شمس ولا قمر ولا ظلمة نظيرها قوله تعالى لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا وهذا رد على الجهمية حيث
قالوا نعيم الجنة يفنى ولما وصف الجنة بهذه الصفات الثلاث بين ان تلك عقبى المتقين اي عاقبتهم يعني الجنة
وعاقبة الكافرين النار **قوله تعالى** والذين اتيناهم الكتاب يعني القران وهم اصحاب محمد صلوات الله و
سلامه عليه يفرحون بما انزل من القران ومن الاحزاب الجماعات يعني الكفار الذين تحزبوا على رسول الله
صلوات الله وسلامه عليه من اليهود والنصارى من ينكر بعضه هذا قول الحسن وقتادة فان قيل الاحزاب
ينكرون كل القران فالجواب ان الاحزاب لا ينكرون كل القران لانه ورد فيه اثبات الله تعالى واثبات قدرته
وعلمه وحكمته وقصص الانبياء عليهم الصلوة والسلام وهم لا ينكرون قصة الانبياء وقيل المراد بالكتاب
التوراة والانجيل وعلى هذا ففي الاية قولان الاول قال ابن عباس رضي الله عنهما الذين اتيناهم الكتاب
كعبد الله بن سلام وكعب واصحابهما ومن امن من النصارى وهم ثمانون رجلا اربعون بنجران وثلاثون
بارض الحبشة فرحوا بالقران لانهم امنوا به وصدقوه وسبب فرحهم به ان ذكر الرحمن كان قليلا في القران في
الابتداء فلما اسلم عبد الله بن سلام واصحابه ساءهم قلة ذكره في القران مع كثرة ذكره في التوراة فلما كرر الله
ذكره في القران فرحوا به فنزلت الاية والاحزاب بقية اهل الكتاب وسائر المشركين قال القاضي وهذا
القول اولى من الاول لانه لا شبهة في ان من اوتي القران فانهم يفرحون بالقران فاذا حملناه على هذا الوجه
ظهرت الفائدة ويمكن ان يقال لا يبعد ان يقال ان الذين اوتوا القران يزداد فرحهم به لما راوا فيه من
العلوم الكثيرة والفوائد العظيمة فلهذا السبب حكى الله فرحهم به والثاني الذين اتيناهم الكتاب اليهود اعطوا
التوراة والنصارى الانجيل يفرحون بالقران لانه مصدق لما معهم ومن الاحزاب سائر الكفار من ينكر
بعضه وهو قول مجاهد قال القاضي وهذا لا يصح لقوله يفرحون بما انزل اليك اي جميع ما انزل الله وهم لا
يفرحون بكل ما انزل الله ويمكن ان يجاب فيقال ان قوله بما انزل اليك لا يفيد العموم بدليل جواز ادخال لفظ
الكل والبعض عليه ولو كانت كلمة ما للعموم لكان ادخال لفظ الكل عليه تكريرا وادخال لفظ البعض عليه نقضا
ثم انه تعالى بين ان هذا جامع كل ما يحتاج اليه في معرفة المبدا والمعاد في الفاظ قليلة فقال قل انما امرت ان اعبد
الله ولا اشرك به اليه ادعو واليه ماب وهذا الكلام جامع لكل ما ورد التكليف به وفيه فوائد اولها كلمة انما
للحصر ومعناه اني ما امرت الا بعبادة الله تعالى وذلك يدل على انه لا تكليف ولا امر ولا نهي الا بذلك وثانيها
ان العبادة غاية التعظيم وذلك يدل على ان المرء كلف بذلك وثالثها ان عبادة الله لا تمكن الا بعد معرفته ولا
سبيل الى معرفته الا بالدليل وهذا يدل على ان المرء مكلف بالنظر والاستدلال في معرفة الصانع وصفاته
وما يجب وما يجوز ويستحيل ورابعها ان عبادة الله واجبة وهي تبطل قول نفاة التكليف وتبطل القول بالجبر
المحض وخامسها قوله ولا اشرك به وهذا يدل على نفي الانداد والاضداد بالكلية ويدخل فيه قول كل من اثبت
معبودا سوى الله تعالى من الشمس والقمر والكواكب والاوثان والارواح وهو على ما يقوله المجوس والنور والظلمة
على ما يقوله الثنوية وسادسها اليه ادعوا اي كما وجب عليه الاتيان بهذه العبادة يجب عليه الدعوة الى عبودية
الله تعالى وهو اشارة الى نبوته وسابعها قوله تعالى واليه ماب وهو اشارة الى الحشر والنشر والبعث والقيامة
قوله تعالى ولا اشرك قرا نافع في رواية عنه بالرفع ولا اشرك وهي تحتمل القطع اي وانا لا اشرك وقيل
هي حال وفيه نظر لان المنفي بلا كالمثبت في عدم مباشرة واو الحال **قوله تعالى** وكذلك انزلناه حكما عربيا
محل الكاف في كذلك نصب اي وكما يسرنا هؤلاء للفرح وهؤلاء للانكار البعض كذلك انزلناه حكما
حال من مفعول انزلناه وقيل [illegible] حكما عربيا بما انزل على من تقدم من الانبياء كما انزلنا الكتب على
الانبياء عليهم السلام بلسانهم كذلك انزلنا اليك القران وقيل كما انزلنا اليك الكتاب يا محمد فانكره الاحزاب

كذلك

كذلك انزلناه حكما والدين عربيا نسبه الى العرب لانه نزل بلغتهم فكذب به الاحزاب ولما كان القران مشتملا
على جميع انواع التكاليف وكان سببا للحكم جعل نفس الحكم مبالغة **فصل** قالت المعتزلة دلت الاية على
حدوث القران من وجوه الاول انه تعالى وصفه بكونه منزلا وذلك لا يليق الا بالمحدث والثاني وصفه بكونه
عربيا والعربي هو الذي يجعل بوضع العرب واصطلاحهم وما كان كذلك كان محدثا والثالث ان الاية
دلت على انه انما كان حكما عربيا لان الله جعله كذلك والموصوف بهذه الصفة محدث والجواب ان هذه الوجوه
دالة على ان المركب من الحروف والاصوات محدث ولا نزاع فيه **قوله تعالى** ولئن اتبعت اهواءهم روي
ان المشركين كانوا يدعونه الى ملة ابائهم فتوعده الله تعالى على موافقتهم على تلك المذاهب مثل ان يصلي الى
قبلتهم بعد ما حوله الله عنها قال ابن عباس رضي الله عنه مع النبي صلوات الله وسلامه عليه والمراد امته
وقيل المراد منه حث الرسول صلوات الله وسلامه عليه على القيام بحق الرسالة وتحذير من خلافها وذلك
يتضمن تحذير جميع المكلفين بطريق الاولى **قوله تعالى** ولقد ارسلنا رسلا من قبلك الاية اعلم ان القوم
كانوا يذكرون انواعا من الشبهات في ابطال النبوة فالشبهة الاولى قولهم ما لهذا الرسول ياكل الطعام ويمشي
في الاسواق وهذه الشبهة ذكرها الله تعالى في سورة اخرى والشبهة الثانية قولهم الرسول الذي يرسله الله الى الخلق
لا بد وان يكون من جنس الملائكة كما قال لولا انزل عليه ملك وقالوا لو ما تاتينا بالملائكة الشبهة الثالثة
عابوا رسول الله صلوات الله وسلامه عليه بكثرة الزوجات وقالوا لو كان رسولا من عند الله لما اشتغل بالنسوة
بالزوجات بل كان معرضا عنهن مشتغلا بالنسك والزهد فاجاب الله عز وجل بقوله ولقد ارسلنا رسلا من قبلك
وجعلنا لهم ازواجا وذرية وهذا ايضا يصلح ان يكون جوابا عن الشبهة المتقدمة فقد كان لسليمان صلوات
الله عليه ثلاثمائة امراة مهيرة وسبعمائة سرية ولداود صلوات الله عليه مائة امراة والشبهة الرابعة قولهم لو كان
رسولا من عند الله لكان اي شيء طلبناه من المعجزات اتى به ولم يتوقف فاجاب الله تعالى بقوله وما كان لرسول
ان ياتي باية الا باذن الله الشبهة الخامسة انه صلوات الله وسلامه عليه كان يخوفهم بنزول العذاب وظهور
الفتح والنصرة للاولياء فقضى الله حصولها في اوقات معينة ولكل حادث وقت معين ولكل اجل كتاب
فقبل حضور ذلك الوقت لا يحدث ذلك الحادث وتاخر تلك المواعيد لا يدل على كونه كاذبا الشبهة السادسة
قالوا لو كان صادقا في دعوى الرسالة لم ينسخ الاحكام التي نص الله على ثبوتها في الشرائع المتقدمة كالتوراة
والانجيل لكنه نسخها وحرفها كما في القبلة ونسخ اكثر احكام التوراة والانجيل فوجب ان لا يكون نبيا حقا
فاجاب الله تعالى عنه بقوله يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده ام الكتاب ويمكن ايضا ان يكون قوله لكل اجل
كالمقدمة لتقرير هذا الجواب وذلك لانا نشاهد انه يخلق حيوانا عجيب الخلقة بديع الفطرة من قطرة النطفة
ثم يبقيه مدة مخصوصة ثم يميته ويفرق اجزاءه وابعاضه فلما لم يمتنع ان يحيي اولا ثم يميت ثانيا فكيف يمتنع
ان يشرع الحكم في بعض الاوقات فكان المراد من قوله لكل اجل كتاب ما ذكرناه ثم لما قرر تلك المقدمة قال يمحو
الله ما يشاء ويثبت وعنده ام الكتاب اي انه يوجد تارة ويعدم اخرى ويحيي تارة ويميت اخرى ويغني
تارة ويفقر اخرى فلذلك لا يبعد ان يشرع الحكم تارة وينسخه اخرى بحسب ما تقتضيه المشيئة الالهية عند اهل
السنة وبحسب رعاية المصالح عند المعتزلة **قوله تعالى** لكل اجل كتاب اي لكل شيء وقت مقدر وقيل
لكل حادث وقت معين قضى الله حصوله فيه كالحيوة والموت والغنى والفقر والسعادة والشقاوة لا تتغير
المشيئة من ذلك الوقت وقيل هذا من المقلوب اي فيه تقديم وتاخير اي لكل كتاب اجل ينزل فيه اي لكل
كتاب وقت يعمل به فوقت العمل بالتوراة قد انقضى ووقت العمل بالقران قد اتى وحضر وقيل لكل اجل
كتاب عند الملائكة فللانسان احوال اولها نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم يصير شيخا وكذلك القول في جميع
الاحوال من الايمان والكفر والسعادة والشقاوة والحسن والقبح وقيل لكل وقت مشتمل على مصلحة خفية
ومنفعة لا يعلمها الا الله تعالى فاذا جاء ذلك الوقت حدث الحادث ولا يجوز حدوثه في غيره وهذه الاية
صريحة في ان الكل بقضاء الله وقدره **قوله تعالى** يمحو الله ما يشاء ويثبت قرا ابو عمرو وابن كثير وعاصم
ويثبت مخففا من اثبت والباقون بالتشديد والتضعيف والهمزة للتعدية ولا يصح ان يكون التضعيف
للتكثير اذ من شرطه ان يكون متعديا قبل ذلك ومفعول يثبت محذوف اي ويثبت ما يشاء والمحو ذهاب
اثر الكتابة يقال محاه يمحوه محوا اذا اذهب اثره قوله ويثبت قال النحويون ويثبته لانه استغنى بتعدية
الفعل الاول عن تعدية الثاني وهو كقوله عز وجل والحافظين فروجهم والحافظات **فصل**

قال سعيد بن جبير وقتادة يمحو الله ما يشاء من الشرائع والفرائض فينسخه ويبدله ويثبت ما يشاء منها فلا
ينسخه وقال ابن عباس رضي الله عنه يمحو الله ما يشاء ويثبت الا الرزق والاجل والسعادة والشقاوة وعن
ابن عمر وابن مسعود رضي الله عنهما انهما قالا لا يمحى السعادة والشقاوة ويمحو الرزق والاجل ويثبت ما
يشاء وروي عن عمر رضي الله عنه انه كان يطوف بالبيت وهو يبكي ويقول اللهم ان كنت كتبتني في اهل السعادة
فاثبتني فيها وان كنت كتبتني في اهل الشقاوة فامحني واثبتني في اهل السعادة والمغفرة فانك تمحو ما
تشاء وتثبت وعندك ام الكتاب ومثله عن ابن مسعود وفي بعض الاثار ان الرجل يكون قد بقي من عمره ثلاثون
ايام سنة فيقطع رحمه فيرد الى ثلاثة ايام والرجل يكون قد بقي له من عمره ثلاثة ايام فيصل رحمه فيرد الى
ثلاثين سنة وروى ابو الدرداء رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ينزل الله سبحانه جل ذكره
في اخر ثلاث ساعات يبقين في الليل فينظر في الساعة الاولى منهن في ام الكتاب الذي لا ينظر فيه احد غيره فيمحو ما
يشاء ويثبت وقيل الحفظة يكتبون جميع اعمال بني ادم عليه الصلاة والسلام واقواله فيمحو الله من ديوان الحفظة
ما ليس فيه ثواب ولا عقاب كقوله اكلت شربت دخلت خرجت ونحوها من كلام هو صادق فيه ويثبت ما فيه ثواب
وعقاب قاله الضحاك والكلبي ورده ابو بكر الاصم لان الله تعالى في وصف الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة
الا احصاها وقال تعالى فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره فاجاب القاضي عنه بانه
لا يغادر من الذنوب صغيرة ولا كبيرة ويمكن ان يجاب عن هذا بان تخصيص الكبيرة والصغيرة بالذنوب
مجرد اصطلاح واما في اصل اللغة فالصغيرة والكبيرة تتناول لكل فعل وعرض لانه ان كان حقيرا فهو صغير
وان كان غير ذلك فهو كبير وعلى هذا ايضا والمباحات وقال عطية عن ابن عباس رضي الله عنهما هو الرجل يعمل
بطاعة الله ثم يعود بطاعة الله فيموت في طاعته فهو الذي يثبت وقال الحسن يمحو ما يشاء اي من جاء اجله
يذهب به ويثبت من لم يجئ اجله الى اجله وعن سعيد بن جبير يمحو ما يشاء من ذنوب العباد يغفرها ويثبت ما
يشاء فلا يغفرها وقال عكرمة ما يشاء من الذنوب بالتوبة ويثبت بدل الذنوب حسنات كما قال الله تعالى
فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وقيل غير ذلك **قوله** وعنده ام الكتاب اي اصل الكتاب
وهو اللوح المحفوظ الذي لا يبدل ولا يغير والام اصل الشيء والعرب تسمي كل ما يجري مجرى الاصل للشيء اما له
ومنه ام الراس للدماغ وام القرى لمكة وكل مدينة فهي ام لما حولها من القرى قال ابن عباس في رواية عكرمة هما
كتابان كتاب سوى ام الكتاب يمحو منه ما يشاء ويثبت وام الكتاب لا يغير منه شيء وعلى هذا فالكتاب الذي يمحو منه
ويثبت هو الكتاب الذي تكتبه الملائكة على الخلق وعن عطاء عن ابن عباس قال ان لله لوحا محفوظا مسيرة خمسمائة
عام من درة بيضاء له دفتان من ياقوت لله في كل يوم ثلاثمائة وستون لحظة يمحو ما يشاء ويثبت وعنده ام
الكتاب وسال ابن عباس كعبا عن ام الكتاب فقال علم الله ما هو خالق وما خلقه **قوله** واما نرينك
بعض الذي نعدهم من العذاب قبل وفاتك او نتوفينك قبل ذلك فانما عليك البلاغ جواب للشرط قبله اي
ليس عليك الا ذلك وعلينا الحساب والجزاء يوم القيمة **قوله** فانما عليك البلاغ جواب للشرط قبله
قال ابو حيان والذي تقدم شرطان لان المعطوف على الشرط شرط فاما كونه جوابا للشرط الاول فليس بظاهر
لانه لا يترتب عليه اذ يصير المعنى واما نرينك بعض ما نعدهم من العذاب فانما عليك البلاغ واما كونه جوابا
للشرط الثاني وهو او نتوفينك فانما عليك البلاغ ولا يترتب جواب التبليغ عليه وعلى وفاته فانه صلوات الله
وسلامه عليه لان التكليف ينقطع عند الوفاة فيحتاج الى تاويل وهو ان يقدر لكل شرط ما يناسب ان يكون جزاء
مترتبا عليه والتقدير واما نرينك بعض الذي نعدهم فذلك شافيك من اعدائك او ان نتوفينك قبل حلوله
بهم فلا لوم عليك ولا عتب **قوله** اولم يروا انا ناتي الارض ننقصها من اطرافها الاية لما وعد رسوله
صلوات الله وسلامه عليه بانه يريه بعض ما وعده او يتوفاه قبل ذلك بين ههنا ان اثار حصول تلك المواعيد
وعلاماتها قد ظهرت فقال اولم يروا يعني اهل مكة الذين يسالون محمدا صلوات الله وسلامه عليه الايات
انا ناتي الارض ننقصها من اطرافها اكثر المفسرين على ان المراد فتح ديار الشرك فان ما زاد من دار الاسلام نقص
من دار الشرك لان المسلمين يتولون على اطراف مكة ويأخذونها من الكفرة قهرا وجبرا فانتقاص احوال الكفرة وازدياد
قوة المسلمين من اقوى العلامات على ان الله تبارك وتعالى ينجز وعده افلا يعتبرون بهذا ونظيره قوله تعالى
افلا يرون انا ناتي الارض ننقصها من اطرافها افهم الغالبون وقوله تعالى سنريهم اياتنا في الافاق وفي انفسهم
وقال قوم هو خراب الارض ولم يروا انا ناتي الارض ننقصها من اطرافها المراد موت اشرافها وكبرائها وعلمائها وذهاب

الصلحاء قال الواحدي وهذا القول وان احتمله اللفظ الا ان اللائق بهذا الموضع هو الوجه الاول
ويمكن ان يقال هذا الوجه ايضا لائق بهذا الموضع لان قوله اولم يروا انا نحدث في الدنيا من الاختلافات
خراب بعد عمارة وموت بعد حياة وذل بعد عز ونقص بعد كمال واذا كانت هذه التغيرات مشاهدة محسوسة
فما الذي يؤمنهم ان الله يقلب الامر على هؤلاء الكفرة ويصيرهم ذليلين بعد عزهم ومقهورين بعد قهرهم فناسب
هذا الكلام ما قبله **قوله تعالى** ننقصها حال اما من فاعل ناتي او من مفعوله وقرا الضحاك ننقصها
بالتضعيف **قوله تعالى** لا معقب جملة حالية وهي لازمة والمعقب الذي يكر على الشيء فيبطله قال لبيد
طلب المعقب حقه المظلوم • والمعنى والله يحكم لا راد لحكمه والمعقب هو الذي يعقبه بالرد والابطال
ومنه قيل لصاحب الحق معقب لانه يعقب غريمه بالاقتضاء والطلب كانه قيل والله يحكم نافذا حكمه خاليا عن المدافع
والمعارض والمنازع وهو سريع الحساب قال ابن عباس سريع الانتقام **قوله تعالى** وقد مكر الذين من قبلهم
يعني من قبل مشركي مكة والمكر ايصال المكروه الى الانسان من حيث لا يشعر فلله المكر جميعا اي عند الله جزاء مكرهم
قال الواحدي رحمه الله معناه ان مكر جميع الماكرين حاصل بتخليقه وارادته لانه تعالى هو الخالق لجميع اعمال العباد
فالمكر لا يضر الا باذنه ولا يؤثر لا ينفع بجه وفيه تسلية للنبي صلوات الله وسلامه عليه وامان له من مكرهم فكانه
قيل اذا كان حدوث المكر من الله وتاثيره في الممكور به من الله وجب ان لا يكون الخوف الا من الله تعالى ثم قال جل ذكره
يعلم ما تكسب كل نفس اي ان اكساب العباد معلومة لله تعالى وخلاف المعلوم ممتنع الوقوع واذا كان كذلك فلا قدرة
للعبد على الفعل والترك فكان الكل من الله عز وجل قالت المعتزلة الاية الاولى ان دلت على قولكم فقوله تعالى
يعلم ما تكسب كل نفس دليل على قولنا لان الكسب هو الفعل المشتمل على دفع مضرة او جلب منفعة ولو كان حدوث
الفعل بخلق الله لم يكن لقدرة العبد فيه اثر فوجب ان لا يكون للعبد فيه كسب والجواب ان مجموع القدرة مع الداعي
مستلزم للفعل وعلى هذا التقدير فالكسب حاصل للعبد ثم انه تعالى اكد ذلك التهديد فقال جل ذكره وسيعلم
الكافر قرا ابن عامر والكوفيون الكفار جمع تكسير والباقون الكافر بالافراد ذهابا الى الجنس وقرا عبد الله الكا
فرون جمع سلامة قال الزمخشري قرئ الكفار والكافرون والذين كفروا والكافر قال المفسرون المراد بالكافر
الجنس كقوله تعالى ان الانسان لفي خسر وقال عطاء يريد المستهزئين وهم خمسة والمقتسمين وهم ثمانية وعشرون
وقال ابن عباس رضي الله عنهما يريد ابا جهل والاول هو الصواب **قوله تعالى** ويقول الذين كفروا لست مرسلا
الاية المحكي عن القوم انهم انكروا كونه رسولا من عند الله احتج عليهم بامرين الاول شهادة الله تعالى على نبوته والمراد
من تلك الشهادة انه تعالى اظهر المعجزات على صدقه في ادعاء الرسالة وهذا اعظم مراتب الشهادة والثاني قوله
تعالى ومن عنده علم الكتاب العامة على فتح ميم من وهي موصولة وفي محلها اوجه احدها انها مجرورة المحل نسقا
على لفظ الجلالة اي بالله وبمن عنده علم الكتاب كعبد الله بن سلام ونحوه والثاني انها في محل رفع عطفا على محل الجلالة
اذ هي فاعلة والباء مزيدة فيها الثالث ان تكون مبتدا وخبره محذوف اي ومن عنده علم الكتاب اعدل وامضى قولا
وعنده علم الكتاب يجوز ان يكون الظرف صلة وعلم فاعل به واختاره الزمخشري وتقدم تقريره وان يكون
مبتدا وما قبله الخبر والجملة صلة لمن والمراد بمن عنده علم الكتاب ابن سلام او جبريل عليه السلام او الله تعالى قال
ابن عطية ويعترض هذا القول بان فيه عطف الصفة على الموصوف ولا يجوز وانما العطف الصفات فاعترض ابو حيان
عليه بان من لا يوصف بها ولا بغيرها من الموصولات الا ما استثني وبان عطف الصفات بعضها على بعض لا يجوز
الا بشرط الاختلاف معلوم وقرا علي وابي وابن عباس وعكرمة وعبد الرحمن بن ابي بكرة والضحاك وابن ابي اسحق
ومجاهد رضوان الله عليهم في خلق كثير ومن عنده علم الكتاب جعلوا من حرف جر وعنده مجرورها وهذا الجار خبر
مقدم وعلم مبتدا مؤخر ومن لابتداء الغاية اي ومن عند الله حصل علم الكتاب وقرا علي ايضا والحسن وابن
السميفع ومن عنده علم الكتاب يجعلون من جارة وعلم مبنيا للمفعول والكتاب رفعا به وقرئ كذلك الا انه
بتشديد علم والضمير في عنده على هذه القراءات لله تعالى فقط وقرئ ايضا وبمن باعادة الباء الداخلة على الجلالة
فصل على هذه القراءة الاولى المراد شهادة مؤمني اهل الكتاب كعبد الله بن سلام وسلمان الفارسي
وتميم الداري وقال ابو بشر قلت لسعيد بن جبير ومن عنده علم الكتاب اهو عبد الله بن سلام وسلمان الفارسي
فقال كيف يكون عبد الله بن سلام وهذه السورة مكية وهؤلاء امنوا بالمدينة بعد الهجرة واجيب بان هذه
السورة وان كانت مكية الا ان هذه الاية مدنية ويعترض على هذا ايضا بان اثبات النبوة بقول الواحد والاثنين
مع كونهما غير معصومين لا يجوز وقال الحسن ومجاهد وسعيد بن جبير والزجاج ومن عنده علم الكتاب اي علم القران

ومن عنده علم الكتاب هو الله سبحانه وتعالى وقال الاصم ومن عنده علم الكتاب اي ومن عنده علم القران والمعنى ان الكتاب الذي جئتكم به معجز قاهر الا انه لم يحصل العلم بكونه معجزا الا لمن علم ما فيه من الفصاحة والبلاغة واشتماله على الغيوب وعلى العلوم الكثيرة فمن عرف هذا الكتاب من هذا الوجه دل على كونه معجزا وقيل ومن عنده علم الكتاب اي الذي حصل عنده علم التوراة والانجيل يعني كل من كان عالما بهذين الكتابين علم اشتمالهما على البشارة بمقدم محمد صلوات الله وسلامه عليه فاذا انصف ذلك العالم ولم يكذب كان شاهدا على ان محمدا رسول حق من عند الله صلوات الله وسلامه عليه واما معنى القراءة الثانية اي لا احد الا يعلم الكتاب الا من فضله ولطفه وتعليمه والمراد العلم الذي هو ضد الجهل واما القراءة على ما لم يسم فاعله فالمعنى انه تعالى لما امر نبيه ان يحتج عليهم بشهادة الله تعالى على نبوته وكان لا معنى لشهادة الله على نبوته صلوات الله وسلامه عليه الا اظهار القران على وفق دعواه ولا يعلم كون القران معجزا الا بعد الاحاطة بمعاني القران واسراره بين الله تعالى ان هذا العلم لا يحصل الا من عند الله والمعنى ان الوقوف على كون القران معجزا لا يحصل الا لمن شرفه الله تعالى من عباده بان يعلمه علم القران روي ابن عباس عن ابي بن كعب رضي الله عنهم قال قال رسول الله صلوات الله وسلامه عليه من قرا سورة الرعد اعطي من الاجر عشر حسنات بوزن كل سحاب مضى وكل سحاب يكون الى يوم القيمة وكان يوم القيمة من الموفين بعهد الله عز وجل سبحانه لا اله الا هو

سورة ابرهيم عليه السلام اثنان وخمسون

في قول الحسن وعكرمة وجابر وقال ابن عباس وقتادة رضي الله عنهم هي مكية الا ايتين من قوله تعالى الم تر الى الذين بدلوا نعمة الله كفرا الى قوله عز وجل فان مصيركم الى النار فانهما مدنيتان وهي اثنان وخمسون اية وعدد كلماتها ثمانمائة واحدى وثلاثون كلمة وعدد حروفها ثلاثة الاف واربعمائة واربعة وثلاثون حرفا قال ابن الخطيب ومتى لم يكن في السورة ما لا يتصل بالاحكام فكونها مكية او مدنية فيه سواء وانما يختلف الغرض في ذلك اذا حصل في السورة ناسخ ومنسوخ فيكون فيه فائدة عظيمة والله اعلم بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى الر كتاب انزلناه اليك يجوز ان يرتفع كتاب خبرا لالر ان قلنا انها مبتدأ والجملة بعده صفة ويجوز ان يكون خبر مبتدأ مضمر اي هذا كتاب وان يرتفع بالابتداء وخبره الجملة بعده وجاز الابتداء بالنكرة لانها موصوفة تقديرا تقديره كتاب اي كتاب يعني عظيما من بين الكتب السماوية وبه قالت المعتزلة النازل والمنزل لا يكون قديما والجواب ان الموصوف بالمنزل هو هذه الحروف وهي محدثة **قوله تعالى** لتخرج متعلق بانزلناه وقرئ ليخرج الناس بفتح الياء وضم الراء من خرج يخرج الناس رفعا على الفاعلية قالت المعتزلة اللام في قوله لتخرج الناس لام الغرض والحكمة فدل على انه تعالى انما انزل هذا الكتاب لهذا الغرض فدل على ان افعال الله تعالى وافعاله معللة برعاية المصالح واجيب بان من فعل فعلا لاجل شيء اخر فهذا انما يفعله اذا كان عاجزا عن تحصيل ذلك المقصود الا بهذه الواسطة وذلك محال في حق الله عز وجل سبحانه واذا ثبت بالدليل منع تعليل افعال الله تعالى واحكامه بالعلل ثبت ان كل ظاهر اشعر به فهو مؤول على معنى اخر **فصل**

قوله تعالى من الظلمات الى النور اي لتدعوهم من ظلمات الضلالة الى نور الايمان قال القاضي رحمه الله عنده لا يبطل القول بالجبر من جهات احدها انه تعالى لو خلق الكفر في الكافر فكيف يصح اخراجه منه بالكتاب وثانيها انه تعالى اضاف الاخراج من الظلمات الى الرسول صلوات الله وسلامه عليه اخراجهم منه وكان الكافر ان يقول انك تقول ان الله تعالى خلق الكفر فينا فكيف يصح منك ان تخرجنا وان قال لهم انا اخرجكم من الظلمات التي هي كفر مستقبل لا واقع فلهم ان يقولوا ان كان تعالى سيخلقه فينا لم يصح ذلك الاخراج وان لم يخلقه فنحن خارجون منه بلا اخراج وثالثها انه صلوات الله وسلامه عليه انما يخرجهم من الكفر بالكتاب بان يتلو عليهم ليتدبروه ولينظروا فيه فيعلموا بالنظر والاستدلال كونه تعالى عالما قادرا حكيما ويعلموا بكون القران معجزا صدق الرسول صلوات الله وسلامه عليه فحينئذ يقبلوا منه كلما جاءهم به من الشرائع وذلك انما يكون اذا كان الفعل لهم ويقع باختيارهم ويصح منهم ان يقدموا عليه ويتصرفوا فيه والجواب عن الكل ان يقال الفعل الصادر من العبد اما ان يصدر عنه حال استواء الداعي الى الفعل والترك او حال رجحان احد الطرفين على الاخر والاول محال لان صدور الفعل يقتضي رجحان جانب الوجود على جانب العدم وحصول الرجحان حال حصول الاستواء محال

والثاني يعني قولنا لانه لا يمتنع صدور الفعل عنه الا بعد حصول الرجحان فان كان ذلك الرجحان منه عاد السؤال وان لم يكن منه بل من الله فحينئذ يكون الموجد الاول هو الله تعالى وهو المطلوب **فصل** باذن يجوز ان يتعلق بالاخراج اي بتسهيله وتيسيره ويجوز ان يتعلق بمحذوف على انه حال من فاعل يخرج اي ماذونا لك وهذا يدل على ان فعل العبد مخلوق لله تعالى فان قوله باذن ربهم معناه ان الرسول صلوات الله وسلامه عليه لا يمكنه اخراج الناس من الظلمات الى النور الا باذن الله والمراد بهذا الاذن اما الامر واما العلم واما المشية والخلق وحمل الاذن على الامر محال لان الاخراج من الجهل الى العلم لا يتوقف فانه سواء حصل الامر او لم يحصل فان الجهل متميز عن العلم والباطل متميز عن الحق وايضا حمل الاذن على العلم محال لان العلم يتبع المعلوم على ما هو عليه فالعلم بالخروج من الظلمات الى النور تابع لذلك الخروج ولا يمتنع ان يقال ان حصول ذلك الخروج تابع للعلم بحصول ذلك الخروج ولما بطل هذان القسمان لم يبق الا ان المراد من الاذن المشية والتخليق وذلك يدل على ان الرسول صلوات الله وسلامه عليه لا يمكنه اخراج الناس من الظلمات الى النور الا بمشية الله تعالى فان قيل لم لا يجوز ان يكون المراد من الاذن الاطلاق فالجواب لفظ الاذن مجمل ونحن نفصل القول فيه فنقول المراد من الاذن الاطلاق اما ان يكون امرا يقتضي رجحان الجانب الوجود على جانب العدم او لا يقتضي ذلك فان كان الثاني لم يكن له فيه اثر البتة وامتنع ان يقال انه انما حصل بسببه ولاجله فبقي الاول وهو ان المراد من الاذن معنى يقتضي رجحان ترجيح جانب الوجود على جانب العدم ومتى حصل الرجحان فيه حصل الوجود ولا معنى لذلك الا الداعية الموجبة وهو قولنا دلت الاية على ان طرق الكفر والضلالة كثيرة وان طريق الحق ليس الا واحدا لان الله تعالى عبر عن الجهل والكفر بالظلمات وهي صيغة جمع وعبر عن الايمان والهداية بالنور وهو لفظ مفرد **قوله تعالى** الى صراط فيه وجهان احدهما انه بدل من قوله الى النور باعادة العامل ولا يضر الفصل بالجار لانه من معمولات العامل في المبدل منه والثاني انه متعلق بمحذوف على انه جواب سؤال مقدر كانه قيل الى اي نور فقيل الى صراط والمراد بالصراط الدين والعزيز هو الغالب والحميد المستحق الحمد وقدم ذكر العزيز على ذكر الحميد لان اول العلم بالله العلم بكونه تعالى قادرا ثم بعد ذلك نعلم كونه عالما ثم بعد ذلك يعلم كونه غنيا عن جميع الحاجات والعزيز هو القادر والحميد هو العالم الغني فلذلك قدم ذكر العزيز على ذكر الحميد **قوله تعالى** الله الذي قرا نافع وابن عامر وابو جعفر برفع الجلالة والباقون بالجر ورواها الاصمعي وكان يعقوب اذا وصل خفض فاما الرفع فعلى وجهين احدهما انه مبتدا خبره الموصول بعده او محذوف تقديره الله الذي له ما في السموات وما في الارض العزيز الحميد حذف لدلالة ما تقدم والثاني انه خبر مبتدا مضمر اي هو الله وذلك على المدح واما الجر فعلى البدل عند ابي البقا والحوفي وابن عطية والبيان عند الزمخشري قال لانه جرى مجرى اسماء الاعلام لغلبته على المعبود بحق كالنجم للثريا قال ابو حيان وهذا التعليل لا يتم الا ان يكون اصله الاله ثم فعل فيه ما تقدم اول الكتاب وقال ابن عصفور لا تقدم صفة على موصوف الا حيث سمع وهو قليل وللعرب فيه وجهان احدهما ان تتقدم الصفة بحالها وفيه اعرابان للنحويين احدهما ان يعرب صفة متقدمة والثاني ان يجعل الموصوف بدلا من صفته الثاني من الوجهين ان تضيف الصفة الى الموصوف فعلى هذا يجوز ان يعرب العزيز الحميد صفة متقدمة ومن مجيء تقديم الصفة قوله

والمؤمن العائذات الطير يمسحها ● ركبان مكة بين الغيل والسند ●

وقول الاخر

وبالطويل العمر عمرا حيدرا ● يريد الطير العائذات وبالعمر الطويل قال شهاب الدين رحمه الله وهذا فيما لم يكن الموصوف نكرة اما اذا كان نكرة فنصب تلك الصفة على الحال قال ابن الخطيب الله اسم علم لذاته المخصوصة واذا كان كذلك فاذا اردنا ان نذكر الصفات ذكرنا اولا قولنا الله ثم وصفنا كقوله تعالى هو الله الذي لا اله الا هو الرحمن الرحيم الملك القدوس ولا يمكننا ان نعكس هو الرحمن الله فعلمنا ان الله اسم علم للذات المخصوصة وسائر الالفاظ دالة على الصفات واذا ظهر هذه المقدمة فالترتيب الحسن ان يذكر الاسم ثم يذكر عقيبه الصفات كقوله تعالى هو الله الخالق البارئ المصور واما ان نعكس فنقول هو الخالق البارئ فذلك غير جائز واذا ثبت هذا فنقول الذين قرؤا برفع الجلالة على انه مبتدأ وما بعده خبره هو الصحيح والذين قرؤا بالجر اتباعا كقوله تعالى العزيز الحميد مشكل بما بينا من ان الترتيب الحسن ان يقال الله الخالق وعند هذا اختلفوا في الجواب فقال ابو عمرو بن العلا القراءة بالخفض على التقديم والتاخير والتقدير بصراط الله العزيز الحميد الذي له ملك السموات وقيل لا يبعد ان يذكر الصفة مرة اخرى كما يقال الامام الاجل محمد الفقيه وهو بعينه نظير في له

فان ذلك العزيز الحميد من صراط العزيز الحميد الله الذي له ما في السموات يعني العزيز الحميد فوقعت الشبهة في ان ذلك العزيز الحميد من هو فعطف عليها قوله الله الذي له ما في السموات وما في الارض ازالة لتلك الشبهة **قوله تعالى** وويل مبتدأ لجاز الابتداء به لانه دعا كسلام عليكم وللكافرين خبره ومن عذاب متعلق بالويل ومنعه ابو حيان لانه يلزم منه الفصل بين المصدر ومعموله وهو ممنوع حيث ينقدر المصدر بحرف مصدري وفعل وقد تقدم و لذلك لا يجوز ان يتعلق بما صب بتم بسلام ولم يعترضوا عليه بشيء ولا فرق بين الموضعين وقال الزمخشري فان قلت ما وجه اتصال قوله من عذاب شديد بالويل قلت لان المعنى يولولون من عذاب شديد قال ابو حيان فظاهره يدل على تقدير عامل يتعلق به من عذاب شديد ويجوز ان يتعلق بمحذوف لانه صفة للمبتدأ وفيه سلامة من الاعتراض المتقدم ولا يضر الفصل بالخبر والمعنى انهم لما تركوا عبادة الله المالك للسموات والارض وكل ما فيها وعبدوا **فصل** ما لا يملك نفعا ولا ضرا ويخلق ولا يخلق ولا ادراك له فالويل لكل من كان كذلك وانما خصهم بالويل لانهم يولولون من عذاب شديد ويقولون يا ويلاه نظيره قوله تعالى دعوا هنالك ثبورا ثم وصفهم سبحانه وتعالى بثلاثة انواع الاول قوله تعالى الذين يستحبون يجوز ان يكون مبتدأ خبره اولئك وما بعده وان يكون خبر مبتدأ مضمر اي هم الذين وان يكون منصوبا بفعل باضمار فعل على الذم فيهما وان يكون مجرورا على البدل او البيان او النعت قاله الزمخشري وابو البقاء والحوفي وغيرهم ورده ابو حيان بان فيه الفصل باجنبي وهو قوله جل ذكره من عذاب شديد قال ونظيره اذا كان صفة ان تقول الدار لزيد الحسنة القرشي وهذا لا يجوز لانك فصلت بين زيد وصفته باجنبي منهما وهو صفة الدار وهو لا يجوز والتركيب الصحيح ان تقول الدار الحسنة لزيد القرشي والدار لزيد القرشي الحسنة ويجوز استفعل فيه بمعنى افعل كاستجاب بمعنى اجاب او يكون على بابه وضمن معنى الايثار ولذلك تعدى بعلى وقرا الحسن ويصدون بضم اليا من اصد واصد منقول من صد اللازم والمفعول محذوف اي غيرهم او انفسهم ومنه قوله انا من اصدوا الناس بالسيف عنهم **فصل** قوله تعالى يستحبون الحيوة الدنيا على الاخرة فيه اضمار تقديره يستحبون الحيوة الدنيا ويؤثرونها على الاخرة فجمع تعالى بين هذين الوصفين ليبين بذلك ان الاستحباب للدنيا وحده لا يكون مذموما الا ان يضاف اليه ايثارها على الاخرة واما من احبها ليصل بها الى منافع النفس وثواب الاخرة فذلك لا يكون مذموما والنوع الثاني من اوصاف الكفار قوله عز وعلا ويصدون عن سبيل الله اي يمنعون الناس من قبول دين الله والنوع الثالث من تلك الصفات قوله تعالى ويبغونها عوجا واعلم ان الاضلال على مرتبتين الاولى ان يسعى في صد الغير والثانية ان يسعى في القاء الشكوك والشبهات في المذهب الحق ويحاول تقبيح الحق بكل ما يقدر عليه من الحيل وهو اعلى الغايات في الضلال والاضلال والبها اشار بقوله ويبغونها عوجا قال الزمخشري الاصل في الكلام ان يقال ويبغون لها عوجا فحذف الجار واوصل الفعل وقيل الهاء راجعة الى الدنيا معناه يطلبون الدنيا على طريق الميل عن الحق اي بجهة الحرام ولما ذكر الله تعالى هذه المراتب قال في وصفهم اولئك في ضلال بعيد وانما وصف الله تعالى هذا الضلال بالبعد لوجوه الاول ان اقصى المراتب الضلال هو البعد عن الطريق الحق فان شرط الضدين ان يكونا في غاية التباعد كالسواد والبياض الثاني ان المراد بعدهم عن الضلال الى الهدي الثالث ان المراد بالضلال الهلاك والمعنى انهم اولئك في هلاك يطول عليهم فلا ينقطع واراد بالبعد امتداده وزوال انقطاعه **قوله تعالى** وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه الاية لما ذكر في اول السورة كتاب انزلناه اليك لتخرج الناس من الظلمات الى النور فكان هذا انعاما على الرسول من حيث انه فوض اليه صلوات الله وسلامه عليه هذا الامر العظيم وانعاما على الخلق حيث ارسل اليهم من خلصهم من ظلمات الكفر وارشدهم الى نور الايمان ذكر في هذه الاية ما يجري مجرى تمهيد النعمة والاحسان في الوجهين اما بالنسبة الى الرسول صلوات الله وسلامه عليه فلانه تعالى بين ان سائر الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم كانوا مبعوثين الى قومهم خاصة وانت يا محمد مبعوث الى عالم البشر فكان هذا الانعام في حقك افضل واكمل واما بالنسبة الى عامة الخلق فهو انه تعالى ما بعث رسولا الى قوم الا بلسانهم ليسهل عليهم فهم تلك الشريعة فهذا وجه النظم **قوله تعالى** الا بلسان قومه يجوز ان يكون حالا اي الا متكلما بلغة قومه **فصل** قال القرطبي وحد اللسان وان اضافه الى القوم لان المراد به اللغة فهو اسم جنس يقع على القليل والكثير وقرا العامة بلسان بزنة كتاب اي بلغة قومه وابو الجوزاء وابو السمال وابو عمران الجوني بكسر اللام وسكون السين وفيه قولان احدهما انهما بمعنى واحد كالريش والرياش والثاني ان اللسان يطلق على العضو المعروف وعلى اللغة واما اللسن فخاص باللغة ذكره ابن عطية وصاحب اللوامح وقرا ابو رجا وابو المتوكل والجحدري بضم اللام والسين وهو جمع لسان ككتاب وكتب وقرئ بلسن بسكون

النبي

السين فقط وهو تخفيف القراءة قبله نحو رسل في رسل وكتب في كتب والهاء في قومه الظاهر عودها على رسل المذكور وعن الضحاك انها تعود على محمد صلوات الله وسلامه عليه وغلطوه في ذلك اذ يصير المعنى ان التوراة وغيرها انزلت بلسان العرب ليبين لهم النبي صلوات الله وسلامه عليه التوراة **فصل** احتج بعضهم بهذه الاية على ان اللغات اصطلاحية قال لان التوقيف لجميع الرسل لا يكون الا بلغة قوم وذلك يقتضي تقدم حصول اللغات على رسالة الرسل واذا كان كذلك امتنع حصول تلك اللغات بالتوقيف فوجب حصولها بالاصطلاح ومعنى الاية وما ارسلنا من رسول الا بلغة قومه فان قيل هذه الاية تدل على النبي المصطفى صلوات الله وسلامه عليه انما بعث للعرب خاصة فكيف الجمع بين هذه الاية وبين قوله صلى الله عليه وسلم بعثت للناس عامة فالجواب بعث الى العرب بلسانهم والناس تبع لهم ثم بعث الرسل الى الاطراف يدعونهم الى الله تعالى ويترجمون لهم بالسنتهم وقيل المراد من قومه اهل دعوته بدليل عموم الدعوة في قوله قل يا ايها الناس اني رسول الله اليكم جميعا بل والى الجن ايضا لان التحدي ثابت لهم في قوله سبحانه وتعالى قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان ياتوا بمثل هذا القران الاية قال القرطبي ولا حجة للعجم وغيرهم في هذه الاية لانه كل من ترجم له ما جاء به النبي صلوات الله وسلامه عليه ترجمة يفهمها لزمته الحجة وقد قال الله عز وجل وما ارسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا وقال صلوات الله وسلامه عليه ارسل كل نبي الى امة بلسانها وارسلني الله الى كل احمر واسود من خلقه وقال صلوات الله وسلامه عليه لا يسمع بي احد من هذه الامة يهودي ولا نصراني ثم لم يؤمن بالذي ارسلت به الا كان من اصحاب النار خرجه مسلم رحمه الله **فصل** زعمت طائفة من اليهود يقال لهم العيسوية ان محمدا رسول الله لكن الى العرب خاصة وتمسكوا بهذه الاية من وجهين الاول ان القران لما نزل بلغة العرب لم يعرف كونه معجزا بسبب ما فيه من الفصاحة الا العرب فلا يكون القران حجة الا على العرب ومن لم يكن عربيا لم يكن القران حجة عليه لانه ليس بمعجز في حقه لعدم علمه بفصاحته الثاني قوله تعالى وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه ولسانه لسان العرب فدل على انه ليس له قوم سوى العرب والجواب ما تقدم في السؤال قبله **قوله تعالى** فيضل الله من يشاء استئناف اخبار ولا يجوز عطفه نصبه عطفا على ما قبله لان المعطوف كالمعطوف عليه في المعنى والرسل ارسلت للبيان لا للاضلال قال الزجاج لو قرئ بنصبه على ان اللام لام العاقبة جاز **قوله تعالى** فيضل الله من يشاء ويهدي من يشاء وهو العزيز الحكيم تمسك اهل السنة بهذه الاية على ان الهداية والضلال من الله سبحانه وتعالى جل ذكره قالوا ومما يؤكده ما روي ان ابا بكر وعمر رضوان الله عليهما وعن الصحابة اجمعين اقبلا في جماعة من الناس وقد ارتفعت اصواتهما فقال النبي المصطفى صلوات الله عليه وسلامه ما هذا فقال بعضهم يا رسول الله يقول ابو بكر رضي الله عنه الحسنات من الله تعالى والسيئات من انفسنا ويقول عمر رضي الله عنه كلاهما من الله تعالى وتبع بعضهم ابا بكر رضي الله عنه واعرض عنه حتى عرف في وجهه ثم اقبل على عمر رضي الله عنه فتعرف ما قاله وعرف السرور في وجهه فقال صلوات الله وسلامه عليه اقضي بينكما كما قضى اسرافيل بين جبريل وميكائيل صلوات الله عليهما فقال جبريل صلوات الله عليه مثل مقالتك يا عمر وقال ميكائيل صلوات الله عليه مثل مقالتك يا ابا بكر فقضى اسرافيل صلوات الله عليه ان القدر كله خيره وشره من الله تعالى وهذا قضائي بينكما قالت المعتزلة لا يمكن اجراء هذه الاية على ظاهرها لوجوه الاول انه تبارك وتعالى قال وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم اي ليبين لهم التكاليف بلسانهم فيكون ادراكهم لذلك البيان اسهل ووقوفهم على الغرض اكمل وهذا الكلام انما يصح اذا كان مقصود الله تعالى من ارسال الرسول صلوات الله وسلامه عليه حصول الايمان للمكلفين فلو كان مقصوده الاضلال وخلق الكفر فيهم لم يكن ذلك الكلام ملائما لهذا المقصود والثاني انه صلوات الله وسلامه عليه اذا قال لهم ان الله تعالى يخلق الكفر والاضلال فيكم فلهم ان يقولوا فما مبعوثك فائدة وما المقصود من ارسالك وهل يمكننا ان نزيل كفرا خلقه الله فينا وحينئذ تبطل دعوة النبوة وتفسد بعثة الرسل الثالث اذا كان الكفر حاصلا بتخليق الله تعالى ومشيئته فيجب ان يكون الرضا به واجبا لان الرضا بقضاء الله واجب وذلك لا يقوله عاقل الرابع ان مقدمة الاية وهي قوله لتخرج الناس من الظلمات الى النور يدل على العدل وايضا مؤخر الاية يدل عليه وهو قوله جل ذكره وهو العزيز الحكيم وكيف يكون حكيما من كان خالقا للكفر والقبائح فثبت بهذه الوجوه انه لا يمكن حمل قوله فيضل الله من يشاء ويهدي من يشاء دليلا على خلق الكفر في العبد فوجب المصير الى التاويل وهو من وجوه الاول المراد من الاضلال هو الحكم بكونه ضالا كما يقال فلان يكفر فلانا ويضلله اي يحكم بكونه كافرا ضالا والثاني ان الاضلال عبارة عن الذهاب بهم عن طريق الجنة والثالث انه تعالى لما ترك الضال

على ضلاله ولم يتعرض له فكانه اضله والمهتدي لما اعانه بالالطاف صار كانه هداه قال الزمخشري
المراد بالاضلال التخلية ومنع الالطاف وبالهداية اللطف والتوفيق قال ابن الخطيب رحمه الله والجواب قوله
عز وعلا ليبين لهم لا يليق به ان يضلهم قلنا قال الفراء اذا ذكر فعل وبعده فعل آخر فان كان الفعل الثاني
مشاكلا للاول نسقته عليه وان لم يكن مشاكلا له استانفته ورفعته نظيره يريدون ليطفئوا نور الله بافواههم
ويابى الله في موضع رفع لا يجوز الا ذلك لانه لا يحسن ان يقال يريدون ان يابى الله فلما لم يكن موضع الثاني
في موضع الاول بطل العطف ونظيره ايضا قوله تعالى لنبين لكم ونقر في الارحام ومن ذلك قولهم اردت ان
ازورك فيمنعني المطر بالرفع غير منسوق على ما قبله كما ذكرناه ومثله قول الشاعر • يريد ان يعربه فيعجمه
واذا عرفت هذا فنقول ههنا قال الله تعالى ليبين لهم ثم قال فيضل الله من يشاء ذكر فيضل بالرفع فدل على انه
مذكور على سبيل الاستيناف وانه غير معطوف على ما قبله وتقديره من حيث المعنى كانه قال عز وجل وما ارسلنا
من رسول الا بلسان قومه ليكون بيانه لهم النزايع بلسانهم الذي الفوه واعتادوه ثم قال ومع ان الامر كذلك
فانه تعالى يضل من يشاء ويهدي من يشاء والغرض منه التنبيه على ان تقوية البيان لا يوجب حصول الهداية
وانما كان الامر كذلك لان الهداية والضلال لا يحصلان الا من الله تعالى واما قولهم لو كان الضلال حاصلا بخلق
الله تعالى لكان للكافر ان يقول لما الفايدة في بعثك ودعوتك فالخصم سلم ان هذه الايات اخبار عن كونه
ضالا فنقول له الكافر لما اخبر الهك عن كوني كافرا فان آمنت صار الهك كاذبا وهل اقدر على جعل علمه جهلا
واذا لم اقدر عليه فكيف يامرني بهذا الايمان فالسؤال وارد عليه اما قولهم ثالثا يلزم ان يكون الرضا بالكفر
واجبا لان الرضا بقضاء الله واجب قلنا ويلزم ايضا على مذهبك ان يكون السعي في تكذيب الله وفي تجهيله واجبا
لانه تعالى لما اخبر عن كفره علم كفره فازالته عنه قلب علمه جهلا وخبر الصدق كذبا وما لا يتم الواجب الا به فهو واجب
فلزمك على مذهبك وهذا اشد استحالة مما الزمه علينا واما قولهم رابعا ان مقدمة الاية وهو قوله تعالى
لتخرج الناس من الظلمات الى النور يدل على صحة الاعتزال فنقول قد ذكرنا ان قوله باذن ربهم يدل على صحة
مذهب اهل السنة واما قولهم خامسا انه تعالى وصف نفسه في اخر الاية بكونه حكيما وذلك ينافي كونه
تعالى خالقا للكفر مريدا له فنقول وصف نفسه بكونه عزيزا والعزيز هو الغالب القاهر فلو اراد الايمان
من الكافر مع انه لا يحصل واراد عدم الكفر منهم وقد حصل لما بقي عزيزا غالبا فثبت ان الوجوه التي ذكروها
ضعيفة وقد تقدم البحث في هذه المسئلة في البقرة عند قوله جل ذكره يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا
قوله تعالى ولقد ارسلنا موسى باياتنا ان اخرج قومك من الظلمات الى النور الاية لما بين انه انما ارسل
محمدا عليه صلوة الله ثم سلامه ليخرجهم من الظلمات الى النور وذكر كمال نعمة الله عليه وعلى قومه بذلك
الارسال اتبع ذلك بشرح بعثة سائر الرسل الى اقوامهم ليكون ذلك تصبيرا للرسول صلوات الله وسلامه عليه على
اذى قومه فقال ولقد ارسلنا موسى باياتنا قال الاصم ايات موسى عليه السلام هي العصا واليد البيضاء والجراد
والقمل والضفادع والدم وفلق البحر وانفجار العيون من الحجر واظلال الجبل وانزال المن والسلوى وقال الجبائي
ايات الله دلايله وكتبه المنزلة عليه فقال لمحمد صلوات الله وسلامه عليه كتاب انزلناه اليك لتخرج الناس من الظلمات
الى النور وقال في حق موسى صلوات الله وسلامه عليه ان اخرج قومك من الظلمات الى النور والمقصود من بعثة
سائر الانبياء عليهم الصلاة والسلام واحد وهو ان يسعوا في اخراج الخلق من ظلمات الضلالات الى انوار الهداية
قوله تعالى ان اخرج يجوز ان تكون مصدرية اي بان اخرج والباء في باياتنا للحال وهذه للتعدية
ويجوز ان تكون مفسرة للرسالة بمعنى اي ويكون المعنى اي اخرج قومك من الظلمات اي قلنا له اخرج قومك
كقوله تعالى وانطلق الملا منهم ان امشوا وقيل بل هي زايدة وهو غلط **قوله تعالى** وذكرهم يجوز ان يكون
على اخرج فيكون من التفسير وان لا يكون منسوقا فيكون مستانفا وايام الله عبارة عن نعمه كقوله
• اوتعمد كقوله • • •
• وايام لنا غر طوال • عصينا الملك فيها ان ندينا •
• وايام مشهورة في عدونا • ووجهه ان العرب تتجوز فتسند الحدث الى الزمان مجازا او تضيفه اليه
كقولهم نهاره صايم وليل قايم ومكر الليل قال الواحدي ايام جمع يوم واليوم هو مقدار المدة من طلوع الشمس
الى غروبها وكان في الاصل ايوام فاجتمعت الياء والواو وسبقت احديهما بالسكون فادغمت احديهما في الاخرى
وقلبت الياء **فصل** قال ابن عباس وابي بن كعب ومجاهد وقتادة رضي الله عنهم وذكرهم بنعم الله
وقال مقاتل بوقايع الله في الامم السالفة يقال فلان عالم بايام العرب اي بوقايعهم فالمراد بما كان في ايام الله

لعله ان يشتغل

منسوقا

من النعمة والمحنة فاجتزوا بذكر الايام عنه لانها كانت معلومة عندهم والمعنى عظهم بالترغيب والترهيب
بالوعد والوعيد فالترغيب والوعد ان تذكرهم ما انعم الله عليهم وعلى من قبلهم ممن آمن بالله فيما سلف من الايام
والترهيب والوعيد ان تذكرهم باس الله وعذابه النازل بمن كذب بالرسل فيما سلف من الايام كعاد
وثمود وغيرهم واعلم ان ايام الله في حق موسى صلوات الله عليه منها ما كان ايام محنة وبلاء وهي الايام التي كانت
بنو اسرائيل تحت قهر فرعون ومنها ما كان ايام راحة ونعماء كايام انزال المن والسلوى وفلق البحر وتظليل الغمام
ان في ذلك لايات لكل صبار شكور لايات دلايل لكل صبار كثير الصبر شكور كثير الشكر فان قيل ذلك المذكر ايات للكل فلم
خص الصبار الشكور بالذكر فالجواب انهم هم المنتفعون بتلك الايات كقوله تعالى هدى للمتقين وقيل
لان الانتفاع بهذا النوع من الذكر لا يمكن حصوله الا للصبار الشكور ولما امر موسى صلوات الله عليه ان يذكرهم
بايام الله حكى عن موسى انه ذكرهم بها فقال تعالى واذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم اذ انجاكم من آل فرعون
فقوله تعالى اذ انجاكم ظرف للنعمة بمعنى الانعام اي اذكروا نعمة الله عليكم في ذلك الوقت **قوله تعالى** اذ انجاكم
يجوز فيه ثلاثة اوجه احدها ان يكون منصوبا بنعمة الثاني ان يكون بعليكم ويوضح ذلك ما ذكره الزمخشري فانه
قال اذ انجاكم ظرف للنعمة بمعنى الانعام اي انعامه عليكم ذلك الوقت فان قلت هل يجوز ان ينتصب بعليكم قلت لا يخلو
اما ان يكون صلة للنعمة بمعنى الانعام او غير صلة اذا اردت بالنعمة العطية فاذا كان صلة لم يعمل فيه واذا كان غير
صلة بمعنى اذكروا نعمة مستقرة عليكم عمل فيه وتبين الفرق بين الوجهين انك اذا قلت نعمة الله عليكم فان جعلته
صلة لم يكن كلاما حتى تقول فايضة او نحوها والا كان كلاما الثالث انه بدل من نعمة اي اذكروا وقت انجائكم
وهو من بدل الاشتمال وتقدم الكلام في يسومونكم **قوله تعالى** ويذبحون حال اخرى من آل فرعون وفي
البقرة دون واو لانه قصد التفسير لسوء العذاب وفي التفسير لا يحسن ذكر الواو تقول اتاني القوم زيد وعمرو
ومثله قوله تعالى ومن يفعل ذلك يلق اثاما يضاعف لما فسر الاثام بمضاعفة العذاب حذف الواو وههنا
ادخل الواو لان المعنى انهم يعذبونهم بالتذبيح وبغيره فالسوم ههنا غير السوم هناك وقرا ابن محيصن يذبحون
مخففا ويستحيون نساءكم يتركونهن احياء وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم وفي كونه بلاء وجهان الاول ان تمكين
الله اياهم من ذلك الفعل بلاء من الله والثاني ان ذلك اشارة الى الانجاء وهو بلاء عظيم والبلاء هو الابتلاء
وذلك قد يكون بالنعمة تارة وبالمحنة اخرى قال تعالى ونبلوكم بالشر والخير فتنة وهذا اولى لانه موافق لاول
الاية وهو قوله اذكروا نعمة الله عليكم قاله ابن الخطيب رحمه الله **قوله تعالى** واذ تاذن ربكم يجوز ان يكون
نسقا على اذ انجاكم وان يكون منصوبا باذكروا مفعولا لا ظرفا وجوز فيه الزمخشري ان يكون نسقا على نعمة
فهو من قول موسى والتقدير واذ قال موسى اذكروا نعمة واذكروا حين تاذن وقد تقدم نظير ذلك في الاعراف
ومعنى تاذن اذن ربكم ايذانا بليغا اي اعلم يقال آذن وتاذن بمعنى واحد مثل اوعد وتوعد وروي ذلك
عن الحسن وغيره ومنه الاذان لانه اعلام قال الشاعر • فلم نشعر بضوء الصبح حتى • سمعنا في مجالسنا الاذينا •
وكان ابن مسعود يقول واذ قال ربكم والمعنى واحد فقال لئن شكرتم بالطاعة لازيدنكم في الثواب والاية نص
في ان الشكر سبب للمزيد ولئن كفرتم نعمتي فجحدتموها ولم تشكروها ان عذابي لشديد وقيل المراد الكفر لان كفران
النعمة لا يحصل الا عند الجهل بكون تلك النعمة من الله تعالى وقال موسى ان تكفروا انتم ومن في الارض جميعا
فان الله لغني حميد اي غني عن خلقه حميد محمود في افعاله والمعنى ان منافع الشكر ومضار الكفر لا تعود الا
الى الشاكر والكافر اي انما امر بهذه الطاعات لمنافع عايدة الى العباد لا الى المعبود ثم قال الم ياتكم نبا الذين
من قبلكم الاية النبا الخبر والجمع الانباء قال الشاعر • الم ياتيك والانباء تنمي •
قال ابو مسلم يحتمل ان يكون خطابا من موسى صلوات الله عليه لقومه يخوفهم بمثل هلاك من تقدم ويجوز
ان يكون مخاطبة من الله تعالى على لسان موسى عليه السلام لقومه يذكرهم امر القرون الاولى ليعتبروا باحوال
المتقدمين روي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه انه قرا هذه الاية ثم قال كذب النسابون وعن عبد الله
ابن عباس رضي الله عنه قال بين ابراهيم صلوات الله وسلامه عليه وبين عدنان ثلاثون قرنا لا يعلمهم الا الله
تعالى وكان مالك بن انس رضي الله عنه يكره ان ينسب الانسان نفسه ابا ابا الى آدم صلوات الله وسلامه عليه
وكذلك في حق النبي صلوات الله وسلامه عليه لانه لا يعلم اولئك الاباء الا الله تعالى ونظيره قوله تعالى
وقرونا بين ذلك كثيرا وقوله منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك وكان صلوات الله وسلامه
عليه في نسبه لا يجاوز معد بن عدنان وقال صلوات الله وسلامه عليه تعلموا من انسابكم ما تصلون به ارحامكم

ونعلم من النجوم ما نستدل به على الطريق وقيل المراد بقوله لا يعلمهم الا الله اي عددهم واعمارهم وكيفياتهم
وقال عروة بن الزبير ما وجدنا احدا يعرف ما بين عدنان واسمعيل قوله تعالى قوم نوح بدل او عطف قوله
تعالى والذين من بعدهم يجوز ان يكون عطفا على الموصول الاول او على المبدل منه وان يكون مبتدا خبره لا
يعلمهم الا الله وجاءتهم خبر اخر وعلى ما تقدم يكون لا يعلمهم حالا من الذين او من الضمير في من بعدهم لوقوعه صلة
وهذا عنى ابو البقا بقوله حالا من الضمير في من بعدهم ولا يريد به الضمير المجرور لان مذهبه منع الحال من
المضاف اليه وان كان بعضهم جوزه في صورة وجوز ايضا هو والزمخشري ان يكونا استينافا وقال الزمخشري
والجملة من قوله لا يعلمهم الا الله اعتراض ورد عليه ابو حيان بان الاعتراض انما يكون بين جزئين احدهما يطلب
الاخر وكذلك لما اعرب الزمخشري والذين مبتدا ولا يعلمهم خبره قال والجملة من المبتدا والخبر اعتراض واعترضه
ابو حيان ايضا بما تقدم ويمكن ان يجاب عنه في الموضعين بان الزمخشري يمكن ان يعتقد اتحادهم حالا مما تقدم
فيكون الاعتراض واقعا بين الحال وصاحبها وهو كلام صحيح قوله تعالى فردوا ايديهم في افواههم يجوز
ان يكون الضمائر للكفار اي فرد الكفار ايديهم في افواههم من الغيظ لقوله تعالى عضوا عليكم الانامل من الغيظ
قاله ابن عباس وابن مسعود والقاضي قال القرطبي وهذا اصح الاقوال قال الشاعر

● لو ان سلمى ابصرت تخددي ● ودقة في عظم ساقي ويدي ●
● وبعد اهلي وجفاء عودي ● عضت من الوجد اطراف اليد ●

وقد مضى هذا المعنى في آل عمران فعلى هذا هو من لطيفة اي فردوا ايديهم على افواههم ضحكا واستهزاء ففي بمعنى
علي او اشاروا بايديهم الى السنتهم وما نطقوا به من قولهم انا كفرنا ففي بمعنى الى ويجوز ان يكون المرفوع للكفار والا
جران للرسل على ان يراد بالايدي النعم اي ردوا نعم الرسل وهي مصالحهم في افواه الرسل لانهم اذا كذبوها كانهم
رجعوا بها من حيث جاءت على سبيل المثل ويجوز ان يراد المعنى والمراد بالايدي الجوارح ويجوز ان يكون الاول
للكفار والاخير للرسل اي فرد الكفار ايديهم في افواه الرسل اي اطبقوا افواههم يشيرون اليهم بالسكوت او وضعوا
على افواههم يمنعوهم بذلك من الكلام وقيل في هنا بمعنى الباء قال الفرا قد وجدنا من العرب من يجعل في موضع الباء
يقال ادخلك الله بالجنة وفي الجنة وانشد ● وارغب فيها عن لقيط ورهطه ● ولكنني عن سنبس لست ارغب ●
اي ارغب بها وقال ابو عبيدة رحمه الله هذا ضرب مثل تقول العرب رد يده الى فيه اذا ترك ما امر به ورد عليه بان من
حفظ حجة على من لم يحفظ وقال ابو مسلم المراد باليد ما نطقت به الرسل من الحجج لان اسماع الحجة انعام عظيم
والانعام يسمى يدا يقال لفلان عندي يد اذا اولاه معروفا وقد تذكر اليد والمراد منها صفقة البيع
والعقد كقوله تعالى ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله يد الله فوق ايديهم فالبينات التي ذكرها
الانبياء صلوات الله عليهم وقرروها لهم ايادي ونعم وايضا العهود التي تواثقوا مع القوم ايضا ايادي وجمع
اليد في النعمة ايدي وفي الكثرة ايادي واذا ثبت ان بينات الانبيا وعهودهم يصح تسميتها بالايدي والنصائح
والعهود انما تظهر من الفم فاذا لم تقبل صارت مردودة الى حيث جاءت فلما كان القبول تلقيا بالافواه عن
الافواه كان الدفع ردا في الافواه ونقل محمد بن جرير عن بعضهم ان معنى قوله تعالى فردوا ايديهم في افواههم
اي سكتوا عن الجواب يقال للرجل اذا امسك عن الجواب رده في فيه اذا لم يجبه وزيف هذا الوجه وقال انهم
اجابوا بالتكذيب وقالوا انا بما ارسلتم به كافرون وقالوا انا كفرنا بما ارسلتم به قوله تعالى وانا لفي شك
مما تدعوننا اليه مريب قرا طلحة تدعونا بادغام نون الرفع في نون الضمير كما يدغم في نون الوقاية والمعنى
وفي شك مريب موقع في الريبة او ذي ريبة من ارابه والريبة قلق النفس وان لا تطمئن الى الامر فان قيل
انهم لما ذكروا انهم قالوا انا كافرون برسالتكم وان لم ندع هذا الجزم واليقين فلا اقل من ان نكون شاكين
مرتابين في صحة نبوتكم وعلى هذا التقدير فلا سبيل الى الاعتراف بنبوتكم قالت رسلهم افي الله شك الاية
لما قالوا للرسل وانا لفي شك قالت رسلهم وهل تشكون في الله وهو فاطر السموات والارض وفاطر انفسنا وذو
وارزاقنا وانا لا ندعوكم الا لعبادة هذا الاله المنعم ولا يمنعكم الا من عبادة غيره وهذه المعاني يشهد العقل
بصحتها فكيف قلتم وانا لفي شك قوله تعالى افي الله شك استفهام بمعنى الانكار وفي شك وجهان اظهرهما
انه فاعل بالجار قبله وجاز ذلك لاعتماده على الاستفهام والثاني مبتدا وخبره الجار والاول اولى بل كان ينبغي
ان يتعين لانه يلزم من الثاني الفصل بين الصفة والموصوف باجنبي وهو المبتدا وهذا بخلاف الاول فان الفاعل
ليس اجنبيا اذ هو فاعل والفاعل كالجزء من رافعه ويدل على ذلك تجويزهم ما رايت رجلا احسن في عينه الكحل

منه في عين زيد بنصب احسن صفة ورفع الكحل فاعلا لانه فاعل ولم يضر الفصل به بين افعل وبين من لكونه
كالجزء من رافعه ولم يجيزوا رفع احسن خبرا مقدما والكحل مبتدا مؤخرا لئلا يلزم الفصل بين افعل
وبين من باجنبي ووجه الاستشهاد من هذه المسئلة انهم جعلوا المبتدا اجنبيا بخلاف الفاعل ولهذه المسئلة
موضع غير هذا وقرا العامة فاطر بالجر وفيه وجهان النعت والبدلية قاله ابو البقا وفيه نظر لان
البدل بالمشتقات يقل ولو جعله عطف بيان كان اسهل قال الزمخشري ادخلت همزة الانكار على الظرف
لان الكلام ليس في الشك انما هو في المشكوك فيه وانه لا يحتمل الشك لظهور الادلة وشهادتها عليه قوله
تعالى يدعوكم ليغفر اللام متعلقة بالدعا اي لاجل غفران ذنوبكم كقوله ● دعوت لما نابني مسورا ●
فلبى فلبي يدي مسور ● ويجوز ان يكون اللام للتعدية كقولك دعوتك لزيد وقوله اذ تدعون الى
والتقدير يدعوكم الى غفران ذنوبكم فصل لما استفهم بمعنى نفي ما اعتقدوه اردفه بالدلايل
الدالة على وجود الصانع المختار فقال تعالى فاطر السموات والارض اي خالق السموات والارض يدعوكم
ليغفر لكم من ذنوبكم اي ذنوبكم ومن صلة وقيل تبعيضية وقيل بمعنى البدل اي بدل عقوبة ذنوبكم كقوله
تعالى ارضيتم بالحيوة الدنيا من الاخرة وسياتي الكلام على هذه الوجوه ويؤخركم الى اجل مسمى الى حين استيفاء
اجالكم ولا يعاجلكم بالعذاب فصل قال بعض العلماء ان الفطرة شاهدة بوجود الصانع المختار
قبل الوقوف على الدلايل وذلك من وجوه الاول قال بعض العقلاء ان من لطم وجه صبي لطمة فتلك اللطمة
تدل على وجود الصانع المختار وعلى وجود التكليف وعلى وجود دار الجزاء وعلى وجوب النبي صلوات الله
وسلامه عليه اما دلالتها على وجود الصانع فان الصبي العاقل اذا لطم يصيح ويقول من الذي لطمني وما
ذاك الا لان فطرته شاهدة بان هذه اللطمة لما حدثت بعد عدمها وجب ان يكون حدوثها لاجل فاعل فعلها
فلما شهدت فطرته الاصلية بافتقار ذلك الحادث الحقير الى الفاعل فبان تشهد جميع حوادث العالم بالافتقار
اولى واما دلالتها على وجود التكليف فلان الصبي يصيح ويقول لم ضربني ذلك الضارب وهذا يدل على ان
فطرته شهدت بان الافعال الانسانية داخلة تحت الامر والنهي ومندرجة تحت التكليف وان الانسان
ما خلق ليفعل ما اشتهى واما دلالتها على وجود دار الجزاء فهو ان ذلك الصبي يطلب بطبعه الجزاء على
تلك اللطمة ولا يتركه فلما شهدت فطرته الاصلية بوجوب الجزاء على ذلك العمل القليل فبان تشهد على
وجوب الجزاء على جميع الاعمال اولى واما دلالتها على وجوب النبوة فانهم يحتاجون الى انسان يبين لهم
مقدار العقوبة الواجبة في تلك الجناية كم هي ولا معنى للنبي الا الانسان الذي يقدر هذه ويبين هذه الا
حكام فثبت ان فطرة العقل حاكمة بان الانسان لابد له من هذه الاربعة الوجه الثاني في ان الاقرار بوجود
الصانع بديهي هو ان الفطرة شاهدة بان حدوث دار منقوشة بالنقوش العجيبة وتركيبها لطيفة موافقة للحكمة والمصلحة
يستحيل الا من نقاش عالم وبان حكيم ومعلوم ان اثار الحكمة في العالم العلوي والسفلي اكثر من الاثار الموجودة
في تلك الدار المخصوصة فلما شهدت الفطرة الاصلية بافتقار النقش الى النقاش والبنا الى الباني فبان تشهد
بافتقار كل هذا العالم الى الفاعل المختار الحكيم اولى الوجه الثالث ان الانسان اذا وقع في محنة شديدة فانه
باصل فطرته وجبلته يتضرع الى من يخلصه منها وما ذلك الا لشهادة فطرته بالافتقار الى الصانع القادر
المدبر الوجه الرابع ان الموجود اما ان يكون غنيا عن المؤثر فهو الموجود الواجب لذاته لانه لا معنى للواجب
لذاته الا الموجود الذي لا حاجة له الى غيره وان لم يكن غنيا عن المؤثر فهو محتاج لابد له من المحتاج اليه
وذلك هو الصانع المختار الوجه الخامس ان الاعتراف بوجود الصانع المختار المكلف بوجود المعاد احوط
فوجب المصير اليه اما كون الاقرار بوجود الصانع احوط لانه لو لم يكن موجودا فلا ضرر في الاقرار بوجوده
وان كان موجودا ففي انكاره اعظم المضار واما كون الاقرار بكونه فاعلا مختارا احوط فلانه ان لم يكن
موجودا فلا ضرر في الاقرار بوجوده بكونه مختارا اما لو كان موجودا ففي انكار كونه مختارا اعظم المضار
واما كون الاقرار بكونه مكلفا للعباد احوط فلانه لو لم يكلف احدا من عبيده شيئا فلا ضرر في اعتقاد
انه كلف العباد فلو كلف العباد ففي انكار التكاليف اعظم المضار واما كون الاقرار بوجود المعاد احوط
فلانه ان كان الحق ان لا معاد فلا ضرر في الاقرار بوجوده لانه لا يفوت الا هذه اللذات الجسمانية وهي
منقضية فانية وان كان الحق وجود المعاد ففي انكاره اعظم المضار فظهر ان الاقرار بهذه المقامات
احوط فوجب المصير اليه لان بديهة العقل حاكمة بوجوب دفع الضرر عن النفس بقدر الامكان

والله اعلم **فصل** لما استدل بكونه فاطر السموات والارض وصف نفسه بكمال الرحمة والكرم والجود
من وجهين الاول قوله يدعوكم ليغفر لكم من ذنوبكم قال الزمخشري رحمه الله لو قال قائل ما معنى التبعيض
في قوله تعالى من ذنوبكم ثم اجاب فقال ما جاء هكذا الا في خطاب الكفار كقوله تعالى فاتقوه واطيعون
يغفر لكم من ذنوبكم قال الزمخشري ويا قومنا اجيبوا داعي الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم وقال في خطاب
المومنين هل ادلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم الى ان قال يغفر لكم ذنوبكم قال والاستقراء يدل على صحة
ما ذكرناه ثم قال وكان ذلك للتفرقة بين الخطابين لئلا يسوي بين الفريقين في الميعاد وقيل اريد به
يغفر لهم ما بينهم وبين الله بخلاف ما بينهم وبين العباد من المظالم وقال الواحدي قال ابو عبيدة من زائدة
وانكر سيبويه زيادتها واذا قلنا ليست زائدة ففيها وجهان احدهما انه ذكر البعض ههنا واراد الجميع توسعا
والثاني ان من ههنا للبدل اي لتكون المغفرة بدلا من الذنوب فدخلت من لتضمن المغفرة معنى ابدالها من الذنوب
وقال القاضي ذكر الاصم ان كلمة من ههنا تفيد التبعيض اي انكم اذا تبتم يغفر لكم الذنوب التي هي من الكبائر واما
التي تكون من الصغائر فلا حاجة الى غفرانها لانها في نفسها مغفورة قال القاضي وقد ابعد في هذا التاويل لان
الكفار صغائرهم ككبائرهم لا تغفر الا بالتوبة وانما تكون الصغائر مغفورة من الموحدين من حيث يزيد ثوابهم
على عقابهم فاما من لا ثواب له اصلا فلا يكون شيء من ذنوبه صغيرة فلا يغفر له شيء ثم قال وفيه وجه اخر
وهو ان الكافر قد ينسى بعض ذنوبه في حال توبته وايمانه فلا تكون المغفرة الا لما ذكره وتاب منه **فصل**
قال ابن الخطيب دلت الاية على انه تعالى يغفر الذنب من غير توبة في حق المومن لانه قال يدعوكم ليغفر لكم من ذنوبكم
وعد بغفران الذنوب مطلقا من غير اشتراط التوبة فوجب ان يغفر بعض الذنوب مطلقا من غير توبة وذلك
البعض ليس هو الكفر لانعقاد الاجماع على انه تعالى لا يغفر الكفر الا بالتوبة عنه والدخول في الايمان فوجب
ان يكون البعض الذي يغفر من غير التوبة ما عدا الكفر من الذنوب **فصل** لم لا يجوز ان يقال كلمة من
صلة على ما قاله ابو عبيدة او نقول المراد منه تمييز خطاب المومن عن الكافر على ما قال الزمخشري او نقول المراد
تخصيص الغفران بالكبائر على ما قاله الاصم او نقول المراد منه الذنوب التي يذكرها الكافر عند اسلامه كما قال
القاضي فنقول هذه الوجوه باسرها ضعيفة اما كونها صلة فمعناه الحكم على كلمة من كلام الله عز وجل بانها
عبث والعاقل لا يجوز المصير اليه من غير ضرورة واما قول الواحدي المراد من كلمة من ههنا الكل فهو عين
ما قاله ابو عبيدة لان حاصله ان قوله تعالى اجل ذكره يغفر لكم من ذنوبكم وهذا عين ما نقله عن ابي عبيدة وحكي
عن سيبويه انكاره واما قوله المراد منه ابدال السيئة بالحسنة فليس في اللغة ان كلمة من تفيد الابدال
واما قول الزمخشري رحمه الله المراد تمييز خطاب المومنين من خطاب الكفار بمزيد التشريف فهو من باب الطامات
لان هذا التبعيض ان حصل فلا حاجة الى ذكر هذا الجواب وان لم يحصل كان هذا الكلام فاسدا واما قول
الاصم فقد سبق بطلانه واما قول القاضي فجوابه ان الكافر اذا اسلم غفرت ذنوبه باسرها لقوله صلوات
الله البر الرحيم وسلامه عليه التائب من الذنب كمن لا ذنب له وقال سبحانه وتعالى قل للذين كفروا ان ينتهوا
يغفر لهم ما قد سلف فثبت ان جميع ما ذكروه من التاويلات ضعيف ساقط بل المراد ما ذكرناه وهو ان
يغفر ذنوبه من غير توبة بشرط ان ياتي بالايمان فبان تحصل هذه الحال للمومن اولى قال تعالى ويوخركم الى اجل
مسمى قيل المعنى ان امنتم اخر الله موتكم الى الاجل المسمى والا عاجلكم بعذاب الاستيصال وقال ابن عباس
رضي الله عنه يمتعكم في الدنيا باللذات الى الموت فان قيل اليس قال فاذا جاء اجلهم لا يستاخرون ساعة
ولا يستقدمون فكيف قال ههنا ويوخركم الى اجل مسمى فالجواب تقدم الكلام في هذه المسئلة في قوله ثم قضى
اجلا واجل مسمى في الانعام ولما ذكر الرسل عليهم السلام هذا الكلام للكفار قالوا ان انتم الا بشر مثلنا وهذا
الكلام يشتمل على ثلاثة انواع من الشبه الاولى ان الاشخاص الانسانية متساوية في تمام الماهية فيمتنع ان
تبلغ التفاوت بين تلك الاشخاص الى هذا الحد وهو ان يكون الواحد منهم رسولا من الله مطلعا على الغيب مخالطا
لزمرة الملائكة والباقون غافلون عن هذه الاحوال وايضا فكانوا يقولون ان كنت فارقتنا في هذه الاحوال
العالية الالهية الشريفة وجب ايضا ان تفارقنا في الاحوال الخسيسة وهي الحاجة الى الاكل والشرب والحدث
والوقاع وهذه الشبهة هي المراد من قولهم ان انتم الا بشر مثلنا اي في الصورة ولستم ملائكة وانما تريدون بقولكم
ان تصدونا عما كان يعبد اباونا وهذه الشبهة الثانية وهي التمسك بالتقليد وهي انهم وجدوا اباءهم واسلافهم
مطبقين على عبادة الاوثان قالوا ويبعد ان اولئك القدماء على كثرتهم وقوة خاطرهم لم يعرفوا بطلان هذا

الدين

الدين الشبهة الثالثة قالوا المعجز لا يدل على الصدق لان الذي جاء به اولئك الرسل طعنوا فيه وزعموا
انها امور معتادة ليست من باب المعجزات الخارجة عن قوة البشر فلذلك قالوا فاتونا بسلطان مبين اي بحجة
بينة على صحة دعواكم **قوله تعالى** تريدون يجوز ان تكون صفة ثانية لبشر وحمل على معناه لان بشرا بمنزلة
القوم والرهط كقوله تعالى ابشر يهدوننا وان يكون مستانفا **قوله تعالى** ان تصدونا العامة
على تخفيف النون وقرا طلحة بتشديدها كما تشدد بتدعوننا وفيها تخريجان احدهما ما تقدم في نظيرتها
على ان تكون ان هي المخففة لا الناصبة واسمها ضمير الشان وسد عدم الفصل بينها وبين الجملة الفعلية والثاني
انها الناصبة ولكن اهملت حملا على ما المصدرية كقراءة ان يتم برفع يتم وقد تقدم القول فيه **قوله تعالى**
قالت لهم رسلهم ان نحن الا بشر مثلكم الاية لما حكى عن الكفار طعنهم في النبوة حكى عن الانبياء صلوات الله عليهم
جوابهم فقالوا ان نحن الا بشر مثلكم سلموا ان الامر كذلك لكنهم انما تماثلوا في البشرية لا يمنع من اختصاص بعض
البشر بمنصب النبوة لان هذا المنصب يمن الله به على من يشاء من عباده واذا كان كذلك سقطت شبهتكم واما
الجواب عن شبهة التقليد وهي قولهم اطباق السلف على ذلك الدين يدل على كونه حقا فجوابه عين الجواب المذكور
وهو انه لا يبعد ان يظهر للرجل الواحد ما لم يظهر للخلق الكثير لان التمييز بين الحق والباطل والصدق والكذب
عطية من الله وفضل منه فلا يبعد ان يخص عبده بهذه العطية ويحرم الجمع العظيم منها واما الجواب عن الشبهة
الثالثة وهي قولهم انا لا نرضى بهذه المعجزات التي اتيتم بها وانما نريد معجزات قاهرة اقوى منها فاجابوا عنها
بقولهم وما كان لنا ان ناتيكم بسلطان الا باذن الله اي ان المعجزة التي اتينا بها حجة قاطعة قوية ودليل تام
واما الاشياء التي طلبتموها فامور زائدة والحكم فيها لله تعالى فان اظهرها فله الفضل وان لم يظهرها
فله العدل ولا تحكم بعد ظهور قدر الكفاية **قوله تعالى** وما كان لنا ان ناتيكم يجوز ان يكون خبر كان
لنا وان ناتيكم اسمها اي وما كان لنا اتيانكم بسورة والا باذن الله حال ويجوز ان يكون الخبر الا باذن الله
ولنا تبيين والظاهر ان الانبياء صلوات الله عليهم لما اجابوا عن شبهاتهم بهذا الجواب اخذ القوم في التخويف
والوعيد فعند ذلك قال الانبياء صلوات الله عليهم لا نخاف من تخويفكم فانا توكلنا على الله تعالى وعلى الله
فليتوكل المومنون **قوله تعالى** وما لنا الا نتوكل على الله كقوله سبحانه وما لنا الا نقاتل وقد
تقدم والمعنى وما لنا ان لا نتوكل على الله وقد عرفنا انه لا ينال شيء الا بقضائه وقدره وقد هدانا
سبلنا بين لنا الرشد وبصرنا طريق النجاة **قوله تعالى** ولنصبرن جواب قسم وقوله تعالى على ما اذيتمونا
يجوز ان تكون ما مصدرية وهو الارجح لعدم الحاجة الى رابط الذي حذفه على غير قياس والثاني انها موصولة
اسمية والعائد محذوف على التدريج اذ الاصل اذيتمونا به ثم حذفت البا فوصل الفعل اليه بنفسه وقرا
الحسن رحمه الله بكسر لام الامر في ليتوكل وهو الاصل والمراد بهذا التوكل على الله في دفع شر الكفار فلا يلزم
التكرار وقيل الاول لاستحداث التوكل والثاني طلب دوامه **قوله تعالى** وقال الذين كفروا لرسلهم
الاية لما حكى عن الانبياء صلوات الله عليهم توكلهم على الله تعالى في دفع شرور اعدائهم حكى عن الكفار انهم بالغوا
في السفاهة وقالوا لنخرجنكم من ارضنا او لتعودن في ملتنا اي لا بد من احد الامرين **قوله تعالى** لنخرجنكم
من ارضنا جواب قسم مقدر كقوله ولنصبرن وقوله او لتعودن في او ثلاثة اوجه احدها انها على بابها من كونها
لاحد الشيئين والثاني انها بمعنى حتى والثالث انها بمعنى الا كقولهم لالزمنك او تقضيني حقي والقولان الاخيران
مردودان اذ لا يصح تركيب حتى ولا تركيب الا مع قوله لتعودن بخلاف المثال المتقدم والعود هنا يحتمل ان
يكون على بابه اي لترجعن وفي ملتنا متعلق به وان يكون بمعنى الصيرورة فيكون الجار في محل نصب خبرا لها
فان قيل هذا يوهم انهم كانوا على ملتهم في اول الامر حتى يعودوا فيها فالجواب من وجوه احدها ان الانبياء
صلوات الله عليهم انما نشاوا في تلك البلاد وكانوا من تلك القبائل وفي اول الامر ما اظهروا المخالفة
مع الكفار بل كانوا ساكتين الى حين الوحي فظن القوم انهم كانوا على ملتهم لسكوتهم فلهذا قالوا او لتعودن
في ملتنا وثانيها ان هذا الكلام للكفار ولا يجب في كل ما قالوه ان يكونوا صادقين وثالثها قال الزمخشري
العود بمعنى الصيرورة كثير في كلام العرب كثرة فاشية لا يكادون يستعملون صار ولكن عاد ما عرفت
اراه عاد لا يكلمني ما عاد لفلان مال ورابعها ان الخطاب في الظاهر مع الرسل الا ان المقصود به الخطاب
اتباعهم واصحابهم فغلبوا في الخطاب الجماعة ولا يبعد ان يقال انهم قبل ذلك الوقت كانوا على دين اولئك
الكفار وخامسها لعل اولئك الانبياء صلوات الله عليهم كانوا قبل ارسالهم على ملة من الملل ثم انه سبحانه

جل ذكره نسخ تلك الملة بشريعة اخرى وبقي تلك الاقوام على تلك الشريعة المنسوخة مصرين عليها وعلى هذا التقدير فلا يبعد ان يطلبوا من الانبياء ان يعودوا الى تلك الملة ولما ذكر الكفار هذا الكلام اوحى الله عز وجل اليهم لنهلكن الظالمين **قوله تعالى** لنهلكن الظالمين جواب قسم مضمر وذلك القسم وجوابه فيه وجهان احدهما انه على اضمار القول اي قال لنهلكن والثاني انه اجرى الايحاء مجرى القول لانه ضرب منه وقرا ابو حيوة ليهلكن وليسكننكم بياء الغيبة مناسبة لقوله ربهم والمراد بالارض ارض الظالمين وديارهم كقوله تعالى واورثكم ارضهم وديارهم واموالهم وقال عليه الصلاة والسلام من آذى جاره ورثه الله داره وهذه الاية تدل على ان من توكل على الله في دفع عدوه كفاه الله امر عدوه **قوله تعالى** ذلك لمن خاف مقامي وخاف وعيدي ذلك مبتدأ وهو مشار به الى توريث الارض ولمن خاف الخبر ومقامي فيه ثلاثة اوجه احدها انه مقحم وهو بعيد اذ الاسماء لا تقحم الثاني انه مصدر مضاف للفاعل قال الفراء مقامي مصدر مضاف لفاعله اي قيامي عليه بالحفظ الثالث انه اسم مكان قال الزجاج مكان وقوفه بين يدي للحساب كقوله تعالى ولمن خاف مقام ربه فاضاف قيام العبد الى نفسه كقولك ضربت تلفك على ضربك اي على ضربي اياك وخاف وعيدي عقابي اثبت الياء هنا وفي ق في موضعين كل كذب الرسل فحق وعيد فذكر بالقران من يخاف وعيد وصلا وحذفها وقفا **فصل** في تفسير المقام وجوه الاول موقفي وهو موقف الحساب لانه الذي يقف فيه العباد يوم القيمة كقوله تعالى واما من خاف مقام ربه الثاني ان المقام مصدر كالقيام يقال قام قياما ومقاما اي لمن خاف مقامي اي لمن خاف مقام العباد عندي وهو من باب اضافة المصدر الى المفعول الرابع لمن خافني وذكر المقام هنا كقولك سلام على المجلس العالي والمراد السلام على فلان وقوله تعالى ولمن خاف وعيد قال الواحدي اسم من اوعد ايعادا وهو التهديد قال ابن عباس رضي الله عنه خاف ما اوعدت من العذاب وهذه الاية تدل على ان الخوف من الله سبحانه وتعالى غير الخوف من وعيده لان العطف يقتضي التغاير **قوله تعالى** واستفتحوا العامة على استفتحوا فعلا ماضيا وفي ضميره اقوال احدها انه عائد على الرسل الكرام ومعنى الاستفتاح الاستنصار ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح وقيل طلب الحكم من الفتاحة وهي الحكومة كقوله تعالى ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق الثاني انه يعود على الكفار اي استفتح امم الرسل عليهم كقوله تعالى فامطر علينا حجارة من السماء وقيل عائد على الفريقين لان كلا طلب النصر على صاحبه وقيل يعود على قريش لانهم في سني الجدب استمطروا فلم يمطروا وهو على هذا مستانف واما على غيره من الاقوال فهو عطف على قوله فاوحى اليهم وقرا ابن عباس ومجاهد وابن محيصن رضي الله عنهم واستفتحوا على لفظ الامر للرسل بطلب النصرة وهي مقوية لعوده في المشهورة على الرسل والتقدير قال لهم لنهلكن وقال لهم استفتحوا **قوله تعالى** وخاب هو في قراءة العامة عطف على محذوف تقديره استفتحوا فنصروا وظفروا وخاب ويجوز ان يكون عطفا على استفتحوا على ان الضمير فيه للكفار وفي غيرها على القول المحذوف وقد تقدم انه يعطف الطلب على الخبر وبالعكس **فصل** ان قلنا المستفتحون الرسل فنصروا وظفروا وهو قول مجاهد وقتادة وذلك انهم لما ايسوا من ايمان قومهم استنصروا الله ودعوا على قومهم بالعذاب كما قال نوح صلوات الله عليه رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا وان قلنا المستفتحون الكفرة كان المعنى ان الكفار استفتحوا على الرسل ظنا منهم انهم على الحق والرسل على الباطل وذلك انهم قالوا اللهم ان كان هؤلاء الرسل صادقين فعذبنا نظيره واذ قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء وخاب خسر وقيل خسر وقيل هلك كل جبار عنيد والجبار الذي لا يرى فوقه احدا والجبرية طلب العلو بما لا غاية وراءه وهذا الوصف لا يكون الا لله جل وعلا وقيل الجبار الذي يجبر الخلق على مراده والجبار هنا المتكبر عن طاعة الله سبحانه وعبادته ومنه قوله تعالى ولم يكن جبارا عصيا قال ابو عبيد الاجبر يقال فيه جبرية وجبروة وجبروة وحكى الزجاج الجبرو والجبرية والجبار والجبريا قال الواحدي فهذه سبع لغات في مصدر الجبار ومنه الحديث ان امراة حضرت النبي المصطفى صلوات الله وسلامه عليه فامرها بامر فابت عليه فقال صلوات الله عليه وسلامه دعوها فانها جبارة اي متكبرة واما العنيد فقال اهل اللغة في اشتقاقه قال البصريون اصل العنود الخلاف والتباعد والترك وقال غيرهم اصله من العند وهو الناحية يقال هو يمشي عندا اي ناحية فهو المعاند المجانب قال مجاهد وقال ابن عباس هو المعرض عن الحق وقال مقاتل المتكبر وقال قتادة العنيد الذي ابى ان يقول لا اله الا الله ثم ذكر كيفية عذابه **قوله تعالى** من ورائه جهنم جملة في محل جر صفة لجبار ويجوز ان يكون الصفة وحدها الجار وجهنم فاعل به وقوله ويسقى صفة معطوفة على الصفة

فبلها

كانوا قوم

قبلها جملة فعلية على اسمية وان جعلت الصفة الجار وحده وعلقته بفعل كان من عطف فعلية على فعلية وقيل بفعل على محذوف اي يلقى فيها ويسقى ووراء هنا على بابها وقيل بمعنى امام فهو من الاضداد وهذا عنى الزمخشري بقوله من بين يديه وانشد

عسى الكرب الذي امسيت فيه • يكون وراءه فرج قريب •

وهو قول ابي عبيدة وابن السكيت وقطرب وابن جرير وقال الاخر في ذلك قوله

• اترجو بني مروان سمعي وطاعتي • وقومي تميم والفلاة ورائيا •

اي قدامي قال اخر

• اليس ورائي ان تراخت منيتي • لزوم العصا تحنى عليها الاصابع •

وقال ثعلب هو اسم لما توارى عنك سواء كان خلفك ام قدامك فيصح اطلاق لفظ الوراء على خلف وقدام ويقال الموت وراء كل احد وقال تعالى وكان وراءهم ملك ياخذ كل سفينة غصبا اي امامهم قال ابن الانباري وراء بمعنى بعد قال الشاعر

• وليس وراء الله للمرء مهرب •

ومعنى الاية انه بعد الخيبة يدخل جهنم **قوله تعالى** من ماء صديد في صديد ثلاثة اوجه احدها انه نعت لماء وفيه تاويل احدهما انه على حذف اداة التشبيه اي ماء مثل صديد وعلى هذا فليس الماء الذي يشربونه صديدا بل مثله في النتن والغلظ والقذارة كقوله تعالى وان يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل والثاني ان الصديد لما كان يشبه الماء اطلق عليه ماء وليس هو بماء حقيقة وعلى هذا فيكون يشربون نفس الصديد المشبه للماء وهو قول ابن عطية والى كونه صفة ذهب الحوفي وغيره وفيه نظر اذ ليس بمشتق الا على من فسره بانه صديد بمعنى مصدود اي مصدود عنه كانه لكراهته مصدود عنه اي ممتنع عنه كل احد الثاني انه عطف بيان لماء واليه ذهب الزمخشري وليس مذهب البصريين جريانه في النكرات انما قال به الكوفيون وتبعهم الفارسي ايضا الثالث ان يكون بدلا واعرب الفارسي زيتونة من قوله تعالى من شجرة مباركة زيتونة عطف بيان ايضا واستدل من جوز كونه عطف بيان بهاتين الايتين والصديد ما يسيل من اجساد اهل النار وقيل ما حال بين الجلد واللحم من القيح **قوله تعالى** يتجرعه يجوز ان تكون الجملة صفة لماء وان يكون حالا من الضمير في يسقى وان يكون مستانفا ويتجرع تفعل وفيه احتمالات احدها انه مطاوع لجرعته نحو علمته فتعلم والثاني ان يكون للتكلف نحو تحلم اي يتكلف جرعه ولم يذكر الزمخشري غيره الثالث انه دال على المهلة نحو تفهمته اي يتناوله شيئا فشيئا بالجرع كما يفهم شيئا فشيئا بالتفهيم الرابع انه بمعنى جرع المجرد نحو عدوت الشيء وتعديته والمعنى يتحساه ويشربه لا بمرة واحدة بل جرعة بعد جرعة لمرارته وحرارته **قوله تعالى** ولا يكاد يسيغه في يكاد قولان احدهما ان نفيه اثبات واثباته نفي فقوله ولا يكاد يسيغه اي يسيغه بعد ابطاء لان العرب تقول ما كدت اقوم اي قمت بعد ابطاء قال تعالى فذبحوها وما كادوا يفعلون اي فعلوا بعد ابطاء ويدل على حصول الاساغة قوله تعالى يصهر به ما في بطونهم ولا يحصل الصهر الا بعد الاساغة وقوله يتجرعه يدل على انه اساغه الشيء بعد الشيء والقول الثاني ان كاد ولا يكاد لنفي المقاربة يعني ولا يقارب ان يسيغه فكيف تحصل الاساغة كقوله تعالى لم يكد يراها اذا لم يقرب من رؤيتها فكيف يراها فان قيل فقد ذكرتم الدليل على الاساغة فكيف يجمع بين القولين فالجواب من وجهين احدهما ان المعنى ولا يسيغ جميعه والثاني ان الدليل الذي ذكرتم انما دل على وصول بعض ذلك الشراب في الارض بقبول النفس واستطابة المشروب ولا يشربه شربا مرة واحدة وعلى هذين الوجهين يصح حمل يكاد على نفي المقاربة **قوله تعالى** ويأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت اي ان موجبات الموت احاطت به من جميع الجهات واعلم ان الموت يقع على انواع بحسب انواع الحيوة فمنها ما هو بازاء القوة النامية الموجودة في الحيوان والنبات كقوله تعالى يحيي الارض بعد موتها ومنها زوال القوة العاقلة وهي الجهالة كقوله تعالى اومن كان ميتا فاحييناه وانك لا تسمع الموتى ومنها الحزن والخوف المكدر للحيوة كقوله تعالى ويأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت ومنها المنام كقوله عز وجل والتي لم تمت في منامها وقيل المنام الموت الخفيف والموت النوم الثقيل وقد يستعار الموت للاحوال الشاقة كالفقر والذل والسؤال والهرم والمعصية وغير ذلك ومنه الحديث اول من مات ابليس لانه اول من عصى وحديث موسى صلوات الله وسلامه عليه حتى قال له ربه اما تعلم ان من افقرته فقد امته ولنرجع الى التفسير قيل يجدون الم الموت من كل مكان من اعضائه وقيل يأتيه الموت من الجهات الست وما هو بميت فيستريح قال ابن جريج تعلق روحه عند حنجرته ولا تخرج من فيه فيموت ولا ترجع الى مكانها من جوفه فتنفعه الحيوة نظيره لا يموت فيها ولا يحيى **قوله تعالى** ومن ورائه عذاب غليظ في العنيد

وجهان اظهرهما انه عائد على كل جبار والثاني انه عائد على العذاب المتقدم وقيل العذاب الغليظ الخلود في النار وقيل انه في كل وقت يستقبله يلقى عذابا اشد مما قبله وتقدم الكلام على معنى من ورائه

مثل الذين كفروا بربهم الآية لما ذكر انواع عذابهم بين بعده ان سائر اعمالهم تصير ضايعة باطلة وذلك هو الخسران الشديد وفي ارتفاع مثل اوجه احدها وهو مذهب سيبويه انه مبتدأ محذوف الخبر تقديره فيما يتلى عليكم مثل الذين كفروا وتكون الجملة من قوله اعمالهم كرماد مستانفة جوابا لسؤال مقدر كانه قيل كيف مثلهم فقيل كيت وكيت والمثل استعارة للصفة التي فيها غرابة كقولك صفة زيد عرضه مصون وماله مبذول والثاني ان يكون مثل مبتدأ واعمالهم مبتدأ ثان وكرماد خبر الثاني والثاني وخبره خبر الاول قال ابن عطية وهذا عندي ارجح الاقوال وكانك قلت المتحصل في النفس مثالا للذين كفروا هذه الجملة المذكورة واليه نحا الحوفي قال ابو حيان وهو لا يجوز لان الجملة التي وقعت خبرا للمبتدأ لا رابط فيها يربطها بالمبتدأ وليست نفس المبتدأ فيستغنى عن رابط قال شهاب الدين رحمه الله بل الجملة نفس المبتدأ فان نفس مثلهم هو نفس اعمالهم كرماد في ان كلا منهما لا يفيد شيئا ولا يبقى له اثر فهو نظير قولك هجيري ابي بكر لا اله الا الله والى هذا الوجه ذهب الزمخشري ايضا فانه قال او صفة الذين كفروا اعمالهم كرماد كقولك صفة زيد عرضه مصون وماله مبذول فنفس عرضه مصون هو نفس صفة زيد الثالث ان مثل مزيد قاله الكسائي والفراء اي الذين كفروا اعمالهم كرماد فالذين مبتدأ واعمالهم مبتدأ ثان وكرماد خبره وزيادة الاسماء ممنوعة الرابع ان يكون مثل مبتدأ واعمالهم بدل منه على تقدير مثل اعمالهم وكرماد الخبر قاله الزمخشري وعلى هذا فهو بدل كل من كل على حذف المضاف كما تقدم الخامس ان يكون مثل مبتدأ واعمالهم بدل منه بدل اشتمال وكرماد الخبر كقول الزباء

• ما للجمال مشيها وئيدا • اجندلا يحملن ام حديدا •

السادس ان يكون التقدير مثل اعمال الذين كفروا وهذه الجملة خبر المبتدأ قاله الزمخشري السابع ان يكون مثل مبتدأ واعمالهم خبره اي مثل اعمالهم فحذف المضاف وكرماد على هذا خبر مبتدأ محذوف وقال ابو البقا حين ذكر وجه البدل ولو كان في غير القران لجاز ابدال اعمالهم من الذين وهو بدل اشتمال يعني انه كان يقرا اعمالهم مجرورا لكنه لم يقرا به والرماد معروف وهو ما سحقته النار من الاجرام وجمعه في الكثرة على رمد وفي القلة على ارمدة كجماد وجمد واجمدة وجمعه على ارمداء شاذ والرماد الشبه ايضا الشبه الحكم ارمد لما اي صار بلون الرماد والارمد ما كان على لون الرماد والبعوض رمد لذلك ويقال رمادة رمدد اي صار هباء قوله تعالى اشتدت به الريح في محل جر صفة لرماد وفي يوم متعلق باشتدت وفي عاصف وجه احدها انه على تقدير عاصف ريحه او عاصف الريح ثم حذف الريح وجعلت الصفة لليوم مجازا كقولهم يوم ماطر وليل نايم قال الهروي فحذفت لتقدم ذكرها كما قال الشاعر • اذا جاء يوم مظلم الشمس كاسف • اي كاسف الشمس الثاني انه على النسب اي ذي عصوف كلابن وتامر الثالث انه خفض على الجوار اي كان الاصل ان يتبع العاصف الريح في الاعراب فيقال اشتدت به الريح في محل جر صفة لرماد العاصفة في يوم فلما وقع بعد اليوم اعرب باعرابه كقولهم جحر ضب خرب وفي جعل هذا من باب الخفض على الجوار نظر لان من شرطه ان يكون بحيث لو جعل صفة لما قطع عن اعرابه ليصح كالمثال المذكور وهنا لو جعلته صفة للريح لم يصح لتخالفهما تعريفا وتنكيرا في هذا التركيب الخاص وقرا الحسن وابن ابي اسحق باضافة يوم لعاصف وهي على حذف الموصوف اي في يوم ريح عاصف فحذف لفهم المعنى الدال على ذلك ويجوز ان يكون من باب اضافة الموصوف الى صفته عند من يرى ذلك نحو بقلة الحمقا ويقال ريح عاصف ومعصف واصله من العصف وهو ما يكسر من الزرع فقيل ذلك للريح الشديد لانها تعصف اي تكسر ما تمر قوله تعالى لا يقدرون مستانف ويضعف ان يكون صفة ليوم على حذف العايد اي لا يقدرون فيه ومما كسبوا متعلق بمحذوف لانه حال من شيء اذ لو تاخر لكان صفة والتقدير على شيء مما كسبوا فصل وجه المشابهة بين هذا المثل وبين اعمالهم هو ان الريح العاصف تطير الرماد وتفرق اجزاءه بحيث لا يبقى لذلك الرماد اثر فكذا كفرهم يبطل اعمالهم ويحبطها بحيث لا يبقى من اعمالهم معها اثر واختلفوا في المراد بتلك الاعمال فقيل ما عملوه من اعمال البر كالصدقة والصلة للرحم وبر الوالدين واطعام الجايع فتبطل وتحبط بسبب كفرهم بالله ولولا كفرهم لانتفعوا بها وقيل المراد بتلك الاعمال عبادتهم الاصنام وكفرهم الذي اعتقدوه ايمانا وطريقا لخلاصهم وتعبوا فيها دهرا طويلا لينتفعوا بها فصارت

وبالا عليهم وقيل المراد من اعمالهم كلا القسمين لان اعمالهم التي كانت في انفسها خيرات قد بطلت والاعمال التي اعتقدوها خيرا وافنوا فيها اعمارهم بطلت ايضا وصارت اعظم الموجبات لعذابهم ولا شك انه تعظم حسرتهم وندامتهم فلذلك قال هو الضلال البعيد قوله تعالى الم تر ان الله خلق السموات والارض بالحق الآية لما بين بطلان اعمالهم بسبب كفرهم واعراضهم عن قبول الحق وان الله تعالى ما خلق هذا العالم الا لغاية الحكمة والصواب قوله تعالى الم تر قرا ابو عبد الرحمن رحمه الله بسكون الراء وفيها وجهان احدهما انه اجري الوصل مجرى الوقف والثاني ان العرب حذفت لام الكلمة عند عدم الجازم فقالوا ولو تر ما الصبيان فلما دخل الجازم تخيلوا ان الراء محل الجزم ونظيره لم ابل فان اصله لم ابالي ثم حذفوا الامة رفعا فلما جزموه لم يعتدوا بلامه وتوهموا الجزم في اللام والرؤية هنا قلبية فان في محل المفعولين او احدهما على الخلاف وقرا الاخوان هنا خالق السموات والارض خالق اسم فاعل مضافا لما بعده فلذلك خفضوا ما عطف عليه وهو الارض وفي النور خالق كل دابة اسم فاعل مضافا لما بعده والباقون خلق فعلا ماضيا ولذلك نصبوا الارض وكل دابة وكسر السموات في قراءة الاخوين خفض وفي قراءة غيرهما نصب ولو قيل بانه في قراءة الاخوين يجوز نصب الارض على احد وجهين اما على المحل واما على حذف التنوين لالتقاء الساكنين فتكون السموات منصوبة لفظا وموضعا لم يمتنع ولكن لم يقرا به وبالحق متعلق بخلق على ان الباء سببية ويجوز على انها حالية اما من الفاعل اي محقا واما من المفعول اي ملتبسة بالحق فصل قوله بالحق تقدم نظيره في يونس ما خلق الله ذلك الا بالحق اي لم يخلق ذلك عبثا بل لغرض صحيح ثم قال عز وعلا ان يشا يذهبكم ويات بخلق جديد والمعنى ان من كان قادرا على خلق السموات والارض بالحق فبان يقدر على قيام قوم وامانتهم وعلى ايجاد اخرين اولى لان القادر على الاصعب الاعظم يقدر على الاسهل الاضعف بطريق الاولى قال ابن عباس رضي الله عنه هذا الخطاب مع كفار مكة يريد اميتكم يا معشر الكفار واخلق قوما غيركم خيرا منكم واطوع منكم وما ذلك على الله بعزيز اي ممتنع لما ذكرنا من الاولوية قوله تعالى وبرزوا لله جميعا الآية لما ذكر عذاب الكفار وبطلان اعمالهم ذكر هنا كيفية خجلتهم عند تمسك اتباعهم وكيفية افتضاحهم عندهم وبرز معناه في اللغة ظهر بعد الخفا ومنه يقال للمكان الواسع البراز لظهوره وقيل في قوله تعالى وترى الارض بارزة اي ظاهرة لا يسترها شيء وامراة برزة اذا كانت تظهر للناس ويقال برز فلان على اقرانه اذا فاقهم وسبقهم واصله في الخيل اذا سبق احدهما قيل قد برز عليها كانه خرج من غمارها وورد بلفظ الماضي وان كان معناه الاستقبال لان كل ما اخبر الله عنه فهو حق وصدق فصار كانه قد حصل ودخل في الوجود كقوله عز وجل ونادى اصحاب النار فصل البروز في اللغة قد تقدم انه بمعنى الظهور بعد الاستتار وهذا في حق الله تعالى محال فلا بد من التاويل وهو من وجوه الاول انهم كانوا يستترون من العيون عند ارتكاب الفواحش ويظنون ان ذلك يخفى على الله عز وجل فاذا كان يوم القيمة انكشفوا عند الله تعالى وعلموا ان الله لا يخفى عليه خافية والثانية انهم خرجوا من قبورهم فبرزوا لحساب الله تعالى سبحانه قالت الحكما ان النفس اذا فارقت الجسد فكانه زال الغطا وبقيت مجردة بذاتها عارية عن كل ما سواها وذلك هو البروز لله تعالى ثم حكى ان الضعفا يقولون للرؤسا انا كنا لكم تبعا اي انما اتبعناكم لهذا اليوم فهل انتم مغنون دافعون عنا من عذاب الله من شيء وتبعا يجوز ان يكون جمع تابع كخادم وخدم وغايب وغيب ونافر ونفر وحارس وحرس وراصد ورصد ويجوز ان يكون مصدرا نحو قوم عدل ففيه التاويلات المشهورة قوله تعالى من عذاب الله من شيء في من وجهان احدهما ان من الاولى للتبيين والثانية للتبعيض تقديره مغنون عنا بعض الشيء الذي هو عذاب الله قاله الزمخشري قال ابو حيان هذا يقتضي التقديم في قوله من شيء على قوله من عذاب الله لانه جعل من شيء هو المبين بقوله من عذاب الله ومن التبيينية يقدم عليها ما تبينه ولا يتاخر قال شهاب الدين كلام الزمخشري صحيح من حيث المعنى فان من عذاب الله لو تاخر عن شيء كان صفة له ومبينا فلما تقدم انقلب اعرابه من الصفة الى الحال واما معناه وهو البيان فباق لم يتغير الثاني ان يكونا للتبعيض معا بمعنى هل انتم مغنون عنا بعض شيء هو بعض عذاب الله قاله الزمخشري قال ابو حيان وهذا يقتضي ان يكون بدلا فيكون بدل عام من خاص وهذا لا يقال فان بعضية الشيء مطلقة فلا يكون لها بعض قال شهاب الدين لا نزاع انه يقال بعض البعض وهي عبارة متداولة وذلك البعض المبعض هو كل لابعاضه بعض لكله وهذا كالجنس المتوسط هو موضوع لما هو فوقه وجنس لما تحته الثالث ان من في من شيء مزيدة ومن في من عذاب الله فيها وجهان احدهما ان يتعلق بمحذوف لانها في الاصل صفة لشيء فلما تقدمت نصبت على الحال والثاني انها تتعلق بمغنون على ان يكون

من شيء واقعًا موقع المصدر اي اغناء فيكون من عذاب الله متعلقا بمغنون وقال الحوفي ايضا ومن
عذاب الله متعلق بمغنون ومن في من شيء لاستغراق الجنس زائدة للتوكيد **فصل** هذه التبعية
يحتمل ان يكون المراد منها التبعية في الكفر ويحتمل ان يكون المراد منها التبعية في احوال الدنيا فعند ذلك
قال الذين استكبروا للضعفاء لو هدانا الله لهديناكم قال ابن عباس رضي الله عنهما معناه لو ارشدنا الله لارشدناكم
قال الواحدي معناه انهم انما دعوهم الى الضلال لان الله تعالى اضلهم فلم يهتدوا فدعوا اتباعهم الى الضلال ولو
هداهم لدعوهم الى الهدى قال الزمخشري لعلهم قالوا ذلك مع انهم كذبوا فيه وتدل عليه قوله تعالى حكاية عن
المنافقين يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له كما يحلفون لكم واعلم ان المعتزلة لا يجوزون صدور الكذب
على اهل القيمة وكان هذا القول منهم مخالفا لاصول مشايخه فلا يقبل منه وقال الزمخشري يجوز ان يكون
المعنى لو كان من اهل اللطف فلطف بنا ربنا فاهدانا الى الايمان لهديناكم الى الايمان وذكر القاضي هذا الوجه
وزيفه بان قال لا يجوز حمل هذا اللطف لان ذلك قد فعله الله تعالى وقيل لو خلصنا الله من العذاب وهدانا
الى طريق الجنة لهديناكم بدليل ان هذا هو الذي التمسوه وطلبوه **قوله تعالى** سواء علينا اجزعنا الى اخره فيه
قولان احدهما انه من كلام المستكبرين والضعفاء معا وجاءت كل جملة مستقلة من غير عاطف لان كل واحد
كلاما من المعاني مستقل بنفسه كاف في الاخبار وقد تقدم الكلام في التسوية والهمزة بعدها في اول البقرة
والجزع عدم احتمال الشدة قال امرؤ القيس * جزعت ولم اجزع من البين مجزعا * وعزيت قلبا بالكواعب مولعا
وقال ابن عرفة اصل الجزع قطع الحبل جزعته فانجزع ومنه جزع الوادي العادي لمنعطفه ولانقطاع اللون
بتغيره وقيل للخرز المتلون جزع واللحم المجزع ما كان ذا لونين والبسرة المجزعة ان يبلغ الارطاب نصفها والجازع
خشبة تجعل وسط البيت يوضع عليها رؤس الخشب من الجانبين وصور الجزعة لما يحمل عليه من الغبار بقطعه بطوله
وسط والجزع اخص من الحزن فان الجزع حزن يصرف الانسان عما هو بصدده والمحيص يكون مصدرا كالمغيب
والمشيب ويكون مكانا كالمبيت والمصيف ويقال حاص عنه وجاص بمعنى واحد ويقال حاض بالضاد المعجمة
وحصنا بها او بالجيم والمعنى ما لنا من ملجأ ولا مهرب فقام ابليس عند ذلك فخطبهم فقال ان الله وعدكم وعد
الحق **قوله تعالى** وعد الحق يجوز ان يكون من اضافة الموصوف لصفته كقوله تعالى حب الحصيد ومسجد الجامع
اي الوعد الحق وان يراد بالحق صفة الباري تعالى اي وعدكم الله وعده وان يراد بالحق صفة الباري تعالى
وان يراد بالحق البعث والجزاء على الاعمال فتكون اضافة صريحة وقيل وعدكم الحق ثم ذلك المصدر تاكيدا
وفي الكلام اضمار من وجهين الاول التقدير بان الله وعدكم وعد الحق فصدقكم ووعدتكم فاخلفتكم الوعد
يقتضي مفعولا ثانيا وحذف للعلم به تقديره ووعدتكم ان لا جنة ولا نار ولا حشر ولا حساب **فصل**
لما ذكر تعالى المناظرة التي وقعت بين الرؤساء والاتباع اردفها بالمناظرة التي وقعت بين الشيطان وبين
اتباعه فقال وقال الشيطان لما قضي الامر قال المفسرون اذا استقر اهل الجنة في الجنة واهل النار في النار
اخذ اهل النار في لوم ابليس وتقريعه فيقوم فيما بينهم خطيبا فيقول ان الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم
فاخلفتكم وقيل المراد من قوله لما قضي الامر اي لما انقضت المحاسبة والمراد بالشيطان ابليس **قوله تعالى**
وما كان لي عليكم من سلطان اي قدرة وتسلط وقهر فاقهركم على الكفر والمعاصي **قوله تعالى** الا ان دعوتكم
فيه وجهان اظهرهما انه استثناء منقطع لان دعاءه ليس من جنس السلطان وهو الحجة البينة ثم نقول لهم ما
تخيفهم الا الضرب والثاني انه متصل لان القدرة على حمل الانسان على الشر تارة يكون بالقهر وتارة بتقوية
الداعية في قلبه بالقاء الوسوسة فهو نوع من التسلط وقرئ فلا يلوموني بالياء من تحت على الالتفات
كقوله تعالى حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم وظاهر هذه الاية يدل على ان الشيطان لا قدرة له على صرع
الانسان وتعويج اعضائه وجوارحه وازالة عقله كما تقوله العوام ومعنى الاية ما كان مني الا الدعاء
والوسوسة وانتم سمعتم دلائل الله وشاهدتم مجيء انبياء الله فكان من الواجب ان لا تغتروا بقولي ولا تلتفتوا
الي فلما رجحتم الوسوسة على الدلائل الظاهرة كان اللوم عليكم لا علي **فصل** قالت المعتزلة
هذه الاية تدل على اشياء احدها انه لو كان الكفر والمعصية من الله تعالى لوجب ان يقال فلا تلوموني ولا تلوموا
انفسكم فان الله قضى عليكم بالكفر وجبركم عليه والثاني ظاهر الاية تدل على ان الشيطان لا قدرة له على صرع
الانسان وعلى تعويج اعضائه وازالة عقله والثالث يدل على ان الانسان لا يجوز لومه وذمه وعقابه
بسبب فعل الغير وعند هذا يظهر ان لا يجوز عقاب اولاد الكفار بسبب كفر ابائهم واجاب بعضهم عن هذا الوجه

بان هذا قول الشيطان فلا يجوز التمسك به واجاب الخصم عنه بانه لو كان هذا القول منه باطلا لبينه
الله تعالى ولظهر انكاره فلا فائدة في ذلك اللوم في ذكر الكلام الباطل والقول الفاسد الا ترى ان قوله ان
الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فاخلفتكم كلام حق وقوله تعالى وما كان لي عليكم من سلطان قول حق بدليل قوله
تعالى ان عبادي ليس لك عليهم سلطان الا من اتبعك من الغاوين قال ابن الخطيب رحمه الله دلت هذه الاية على ان
الشيطان الاعلى هو النفس لان الشيطان بين انه ما اتى الا بالوسوسة فلولا الميل الحاصل بسبب الشهوة والغضب
والوهم والخيال والادراكي لوسوسته تاثير البتة فدل على ان الشيطان الاعلى هو النفس فان قيل لم قال
الشيطان فلا تلوموني ولوموا انفسكم وهو ملوم بسبب وسوسته فالجواب اراد لا تلوموني على فعلكم ولوموا
انفسكم عليه لانكم عدلتم عما توجه من هداية الله تعالى لكم **قوله تعالى** ما انا بمصرخكم وما انتم بمصرخي العامة
على فتح الياء لان الياء المدغم فيها تفتح ابدا لا سيما وقبلها كسرتان وقرا حمزة بكسرها وهي لغة بني يربوع وقد اضطربت
اقوال الناس في هذه القراءة اضطرابا شديدا فمن مجترئ عليها ملحن لقارئها ومن مجوز لها من غير ضعف قال انها لغة
بني يربوع والاصل بمصرخيين فذهبت النون للاضافة وادغمت ياء الجماعة في ياء الاضافة ومن مجوز لها بضعف
قال حسين الجعفي رحمه الله سالت ابا عمرو عن كسر الياء فاجازه وهذه الحكاية تحكى عنه بطرق كثيرة منها ما تقدم
ومنها سالت ابا عمرو وقلت ان اصحاب النحو يلحنوننا فيها فقال هي جائزة ايضا انما اراد تحريك الياء فلست تبالي اذا
حركتها الى اسفل ام الى فوق وعنه من شاء فتح ومن شاء كسر ومنها انه قال انها بالخفض حسنة وعنه قال قدم علينا
ابو عمرو بن العلاء فسالته عن القران فوجدته به عالما فسالته عن شيء قرا به الاعمش واستشعر به وما انتم بمصرخي
بالجر فقال هي جائزة فلما اجازها وقرا بها الاعمش اخذت بها وقد انكر ابو حاتم على ابي عمرو وتحسينه لهذه القراءة
ولا التفات اليه لانه علم من اعلام القران واللغة والنحو واطلع على ما لم يطلع عليه من فوقه السجستاني وابن اللبون
اذا ما لز في قرن * لم يستطع صولة البزل القناعيس * ثم ذكر العلماء في ذلك توجيهات منها ان الكسر على اصل
التقاء الساكنين وذلك ان ياء الاعراب ساكنة وياء المتكلم اصلها السكون فلما التقيا كسرت لالتقاء الساكنين
الثاني انها تشبه هاء الضمير في ان كلا منهما ضمير على حرف واحد وهاء الضمير توصل بواو اذا كانت مضمومة وبياء
اذا كانت مكسورة وتكسر بعد الكسرة والياء الساكنة فتكسر كما تكسر الهاء في عليه وبنو يربوع يصلون ياء المتكلم بياء
كما يصل ابن كثير نحو عليهي بياء فحمزة كسر هذه الياء من غير صلة اذ اصله تقتضي عدمها وزعم قطرب انها لغة في بني يربوع
قال يزيدون على ياء الاضافة ياء وانشد * ماض اذا ما هم بالمضي * قال لها هل لك يا تا في *
انشده الفراء وقال فان يك ذلك صحيحا فهو مما يلتقي من الساكنين وقال ابو علي الفارسي في كتاب التعريف له زعم القاسم
ان معناه صواب وكان ثقة بصيرا وممن طعن عليها ابو اسحق قال هذه القراءة عند جميع النحويين رديئة مرذولة
ولا وجه لها الا وجه ضعيف وقال ابو جعفر صار هذا اجماعا ولا يجوز ان يحمل كتاب الله تعالى على الشذوذ
وقال الزمخشري هي ضعيفة واستشهدوا لها ببيت مجهول قال * قال لها هل لك يا تا في * قالت له ما انت بالمرضي *
وكانه قدر ياء الاضافة ياء ساكنة وقبلها ياء ساكنة فحركها بالكسر لما عليه اصل التقاء الساكنين ولكنه غير صحيح
لان ياء الاضافة لا تكون الا مفتوحة حيث قبلها الف نحو عصاي فما بالها وقبلها ياء فان قلت جرت الياء الاولى
مجرى الحرف الصحيح لاجل الادغام فكانها ياء وقعت بعد حرف صحيح ساكن فحركت بالكسر على الاصل قلت هذا
قياس حسن ولكن الاستعمال المستفيض الذي هو بمنزلة الخبر المتواتر تتضاءل اليه القياسات قال ابو حيان رحمه الله
اما قوله واستشهدوا لها ببيت مجهول فقد ذكر غيره انه للاغلب العجلي وهي لغة باقية في افواه كثير من الناس الى
اليوم يقولون ما في افعل كذا بالياء قال شهاب الدين الذي ذكر صاحب هذا الرجز هو الشيخ ابو شامة قال ورايته
اثاني اوله في ديوانه واول هذا الرجز * اقبل في ثوبي معافري * عند اختلاط الليل والعشي * ثم قال
ابو حيان واما التوجيه الذي ذكره فهو توجيه الفراء نقله عنه الزجاج واما قوله في غضون كلامه حيث
قبلها الف فلا اعلم حيث تضاف الى الجملة المصدرية بالظرف نحو قعدت حيث امام عمرو وبكر فيحتاج هذا
التركيب الى سماع قال شهاب الدين رحمه الله اطلاق النحاة قولهم انها تضاف الى الجمل كاف في هذا ولا يحتاج
تتبع كل فرد فرد مع اطلاقهم القوانين الكلية ثم قال واما قوله ياء الاضافة الى اخره فقد روي سكون الياء بعد
الالف وقرئ بذلك القراء نحو محياي قال شهاب الدين مجيء السكون في هذه الياء لا يفيد ههنا وانما كان
يفيده لو جاء بها مكسورة بعد الالف فانه في محل البحث وانشد النحاة بيت النابغة الذبياني بالكسر والفتح وهو قوله
* علي لعمرو نعمة بعد نعمة * لوالده ليست بذات عقارب *

وقال الفرا في كتاب المعاني له وقد خفض الياء من مصرخي الاعمش ويحيى بن وثاب جميعا حدثني بذلك القاسم
بن معن عن الاعمش ولعلها من وهم القرا فانه قل من سلم منهم من الوهم ولعله ظن ان الباء في بمصرخي خافضة للفظ
كله والياء للمتكلم خارجة من ذلك قال ومما نرى انهم وهموا فيه قوله تعالى نوله ما تولى ونصله جهنم
بالجزم في الهاء وقد ذكر غير ذلك وقال ابو عبيد اما الخفض فانا نراه غلطا لانهم ظنوا ان الياء تكسر كل ما بعدها
وقد كان في القراء من يجعله لحنا ولا احب ان ابلغ به هذا كله ولكن وجه القراءة عندنا غيرها وقال
الاخفش ما سمعت بهذا من احد من العرب ولا من احد من النحويين قال النحاس فصار هذا اجماعا ولا اجماع
فقد نقروا وما حكاه الناس من انها لغة ثابتة لبعض العرب وقد انتدب لنصرة هذه القراءة ابو علي الفارسي
قال في حجته وجه ذلك ان الياء ليست تخلو من ان تكون في موضع نصب وجر فالياء في النصب والجر كالهاء
فيهما وكالكاف في اكرمتك وهذا لك فكما ان الهاء قد لحقتها الزيادة في هذا لهو وضربهو ولحق الكاف ايضا
الزيادة في قول من قال اعطيتكاه واعطيتكيه فيما حكاه سيبويه وهما اختا الياء ولحقت الياء الزيادة في قول
الشاعر • رميته فاصميت • وما اخطات الرميه • كذلك الحقوا الياء الزيادة من المد فقالوا
في ثم حذفت الياء الزائدة من الياء في قول من قال لهارقان وزعم ابو الحسن انها لغة ومراد ابي علي بالتنظير
بالبيت في قوله لهارقان حذف الصلة وانقوا ان في البيت ايضا حذف الحركة ولو مثل بنحو عليه وفيه لكان اولى ثم قال
الفارسي كما حذفت الزيادة من الكاف فقيل اعطيتكه واعطيتكيه كذلك حذفت الياء اللاحقة للياء كما حذفت من
اختيها واقرت الكسرة التي كانت تلي الياء المحذوفة فبقيت الياء على ما كانت عليه من الكسر قال فاذا كانت الكسرة في
الياء على هذه اللغة وان كان غيرها افشى منها وعضده من القياس ما ذكرنا لم يجز لقائل ان يقول ان القراءة
بذلك لحن لاستقامة ذلك في السماع والقياس وما كان كذلك لا يكون لحنا وهذا التوجيه هو صحح التوجيه
الثاني الذي تقدم ذكره واما التوجيه الاول فاوضحه الفرا ايضا قال الزجاج اجاز الفرا على وجه ضعيف
الكسر لان اصل التقاء الساكنين الكسر قال الفرا الا ترى انهم يقولون مذ اليوم ومذ اليوم والرفع في الزال
هو الوجه لانه اصل حركة منذ والخفض جائز فكذلك الياء من مصرخي خفضت ولها اصل في النصب قال شهاب
الدين تشبيه المسألة بمذ اليوم فيه نظر لان الحرف الاول صحيح لم يتوال قبله كسر بخلاف ما نحن فيه وهذا
هو الذي عناه الزمخشري بقوله المتقدم فكانها وقعت بعد حرف صحيح وقد اضطرب النقل عن الفراء في
هذه المسألة كما ترى من نقل بعضهم عنه لتخطيه مرة والتصويب اخرى ولعل الامر كذلك فان العلماء يسالون
فيجيبون بما يحضرهم حال السوال وهي مختلفة التوجيه الثالث ان الكسر للاتباع لما بعدها وهو كسر الهمزة
من اني كقراءة الحمد لله وكقولهم بعير وشعير وشهيد بكسر اوائلها اتباعا لما بعدها وهو ضعيف جدا
التوجيه الرابع ان المسوغ لهذا الكسر في الياء وان كان مستثقلا انها لما ادغمت فيها التي قبلها قويت بالادغام
فاشبهت الحروف الصحاح فاحتملت الكسر لانه انما يستثقل فيها اذا خففت وانكسر ما قبلها الا ترى ان حركات
الاعراب تجري على المشدد وما ذاك الا لالحاقه بالحروف الصحاح والمستصرخ المغيث يقال استصرخته فاصرخني
اي اغاثني فكان همزته للسلب اي ازال صراخي والصارخ هو المستغيث قال الشاعر •

• فلا تجزعوا اني لكم غير مصرخ • وليس لكم عندي غناء ولا نصر •

ويقال صرخ يصرخ صرخا وصراخا وصرخة قال الشاعر •

• كنا اذا ما اتانا صارخ فزع • كان الصراخ له قرع الظنابيب • يريد كان بدل
الاصراخ فحذف المضاف واقام المصدر الثلاثي مقام مصدر الرباعي نحو انبتكم من الارض نباتا والصريخ
القوم المستصرخون قال • قوم اذا سمعوا الصريخ رايتهم • ما بين ملجم مهره او سافع • والصريخ
ايضا المغيثون فهو من الاضداد وهو يحتمل ان يكون وصفا على فعيل كالخليط وان يكون مصدرا في الاصل
قال فلا صريخ لهم فهذا يحتمل وان يكون فعيلا بمعنى المفعل اي فلا مصرخ لهم اي ناصر وتصرخ تكلف الصراخ
قوله تعالى اي كفرت بما اشركتموني يجوز في ما وجهان احدهما انها الاصنام تقديره بالصنم الذي
اطعتموني كما اطعتموه كذا قال ابو البقا والعائد محذوف فقدره ابو البقا بما اشركتموني به ثم حذف يعني
بعد حذف الجار ووصول الفعل اليه ولا حاجة الى تقديره مجرورا بالباء لان هذا الفعل متعد لواحد نحو شركت
زيدا فلما دخلت همزة النقل اكسبته ثانيا هو العائد تقول اشركت زيدا عمرا اي جعلته شريكا له الثاني انه الباري
تعالى اي بما اشركتموني به اي بالله تعالى قال القرطبي المعنى ان ابليس قال اني كفرت بالله الذي اشركتموني به من قبل كفركم

ايان

اي ان كفره كان قبل كفر اتباعه وتكون ما بمعنى من والكلام في العائد كما تقدم الا ان فيه ايقاع ما على
العالم والمشهور انها لغير العاقل قال الزمخشري ونحو ما هذه ما في قولهم سبحان ما سخركن لنا ومعنى اشراكهم
الشيطان بالله تعالى طاعتهم له فيما كان يزينه لهم من عبادة الاوثان قال ابو حيان ومن ذلك سبحان للتسبيح
كما جعل برة علما للمبرة وما مصدرية ظرفية اي فيكون على حذف اي صاحب تسخيركن لان التسبيح لا يليق
الا بالله عز وجل الوجه الثاني ان ما مصدرية اي باشراككم اياي مع الله في الطاعة قوله تعالى من قبل
متعلق بكفرت على القول الاول اي كفرت على الذي من قبل حين ابيت السجود لادم بالذي اشركتموني وهو الله سبحانه
وباشركتموني على الثاني اي كفرت اليوم باشراككم اياي من قبل هذا اليوم اي في الدنيا كقوله تعالى يكفرون بشرككم
هذا قول الزمخشري رحمه الله وجوز ابو البقا تعلقه بكفرت وباشركتموني من غير ترتيب على كون ما مصدرية
وموصولة فقال ومن قبل متعلق باشركتموني اي كفرت الان بما اشركتموني من قبل وقيل هي متعلقة بكفرت اي كفرت
من قبل اشراككم فلا انفعكم شيئا وقرا ابو عمرو باثبات الياء في اشركتموني وصلا وحذفها وقفا وحذفها الباقون
وصلا ووقفا وهنا تم كلام الشيطان وقوله ان الظالمين من كلام الله تعالى ويجوز ان يكون من كلام الشيطان
وعذاب يجوز رفعه بالجار قبله على انه الخبر وعلى الابتدا وخبره الجار قوله تعالى وادخل الذين امنوا
وعملوا الصالحات جنات الاية لما شرح حال الاشقياء شرح احوال السعداء فقال عز وجل وادخل الذين
امنوا قرا العامة ادخل ماضيا مبنيا للمفعول والفاعل الله او الملائكة وقرا الحسن وعمرو بن عبيد ادخل مضارعا
مسندا للمتكلم وهو الله تعالى فمحل الموصول على الاول رفع وعلى الثانية نصب قوله تعالى باذن ربهم
في قراءة العامة يتعلق بادخل اي ادخلوا بامره وتيسيره ويجوز تعليقه بمحذوف على انه حال اي ملتبسين
بامر ربهم وجوز ابو البقا ان يكون من تمام خالدين يعني انه متعلق به وليس بممتنع واما على قراءة الحسن فقال
الزمخشري فبم يتعلق في القراءة الاخرى وقولك وادخلهم انا باذن ربهم كلام غير ملتئم قلت الوجه في هذه
القراءة ان يتعلق بما بعده اي تحيتهم فيها سلام باذن ربهم ورد عليه ابو حيان هذا بانه لا يتقدم معمول
المصدر عليه وقد علقه غير الزمخشري بادخل ولا تنافر في ذلك لان كل احد يعلم ان المتكلم في قوله وادخل
انا هو الله سبحانه وتعالى واحسن من هذا ان يتعلق في هذه القراءة بمحذوف على انه حال كما تقدم تقريره
وتحيتهم مصدر مضاف لمفعوله اي يحييهم الله وملائكته ويجوز ان يكون مضافا لفاعله اي يحيي بعضهم
بعضا ويؤيد الاول والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم وفيها متعلق به **فصل**
اعلم ان الثواب منفعة خالصة دائمة مقرونة بالتعظيم فاشار بقوله تعالى وادخل الذين امنوا وعملوا الصالحات
جنات تجري من تحتها الانهار الى المنفعة الخالصة اشار بقوله خالدين فيها الى دوامها واشار الى كونها
مقرونة بالتعظيم بقوله باذن ربهم اي باذن الله وامره وبقوله عز وجل تحيتهم فيها سلام اي انهم يحيي بعضهم
بعضا بهذه الكلمة والملائكة يحيونهم بها كما قال تعالى والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم
والرب الرحيم ايضا يحييهم بهذه الكلمة سلام قولا من رب رحيم والسلام مشتق من السلامة اي انهم سلموا من افات
الدنيا وامنوا من امراضها واسقامها قوله تعالى الم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة الاية لما شرح احوال
الاشقياء واحوال السعداء ذكر مثالا للقسمين وفي ضرب ثلاثة اوجه احدها انه متعد لواحد بمعنى اعتمد مثلا
ووضعه وكلمة على هذا منصوبة بمضمر اي جعل كلمة طيبة كشجرة طيبة وهو تفسير لقوله ضرب الله مثلا كقولك
شرف الامير زيدا كساه حلة وحمله على فرس وبه بدا الزمخشري قال ابو حيان رحمه الله وفيه تكلف اضمار
لا ضرورة تدعو اليه قال شهاب الدين بل معناه يحتاج اليه فيضطر الى تقديره محافظة على لمح هذا المعنى
الخاص الثاني ان ضرب متعدية لاثنين لانها بمعنى صير لكن مع لفظ المثل خاصة وقد تقدم تقرير هذا
اول الكتاب فتكون كلمة مفعولا اولا ومثلا هو الثاني مقدم الثالث انه متعد لواحد وهو مثلا وكلمة
بدل منه وكشجرة خبر مبتدا مضمر اي هي كشجرة طيبة وعلى الوجهين قبله يكون كشجرة نعتا لكلمة وقرئ
كلمة بالرفع وفيها وجهان احدهما انها خبر مبتدا مضمر اي هو اي المثل كلمة طيبة ويكون كشجرة على
هذا نعتا لكلمة والثاني انها مرفوعة بالابتداء وكشجرة خبره وقرا انس بن مالك رضي الله عنه ثابت
اصلها قال الزمخشري فان قلت اي فرق بين القراءتين قلت قراءة الجماعة اقوى معنى لان قراءة
انس اجريت الصفة على الشجرة ولو قلت مررت برجل ابوه قائم فهو اقوى من رجل قائم ابوه لان المخبر عنه
انما هو الاب لا رجل والجملة من قوله اصلها ثابت في محل جر نعتا لشجرة وكذلك تؤتي اكلها ويجوز فيهما

ان يكونا مستانفتين وجوّز ابو البقا في نوتي ان تكون حالا من معنى الجملة التي قبلها اي يرتفع مو تبة
وتقدم الخلاف في اكلها **فصل** المعنى المتعلم والمثل قول سائر لتشبيه شي بشي كلمة طيبة هي
قول لا اله الا الله كشجرة طيبة وهي النخلة يريد كشجرة طيبة الثمر وقال ابو طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما
هي شجرة في الجنة اصلها ثابت في الارض وفروعها اعلاها في السما وكذلك اصل هذه الكلمة راسخ في قلب
المومن بالمعرفة والتصديق فاذا تكلم بها عرجت ولا تحجب حتى تنتهي الى الله عز وجل قال تعالى اليه يصعد
الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه ووصف الشجرة بكونها طيبة وذلك يشمل الصورة والشكل والمنظر
والطعم والرائحة والمنفعة وبكون اصلها ثابتا اي راسخ آمن من الانقطاع والزوال ويكون فرعها في السماء
لان ارتفاع الاغصان يدل على ثبات الاصل وانها متى ارتفعت كانت بعيدة من عفونات الارض فكانت ثمارها
نقية طاهرة عن جميع الشوائب ووصفها ايضا بانها تؤتي اكلها كل حين باذن ربها والحين في اللغة هو الوقت
والمراد ان ثمار هذه الشجرة تكون ابدا حاضرة دائمة في كل الاوقات ولا يكون مثل الاشجار التي يكون ثمارها
حاضرة في بعض الاوقات دون بعض وقال مجاهد وعكرمة الحين ههنا سنة كاملة لان النخلة تثمر كل سنة
وقال سعيد بن جبير والقتادة وحسن ستة اشهر من وقت اطلاعها الى صرامها وروي ذلك عن ابن عباس
رضي الله عنهما وقيل اربعة اشهر من حين ظهورها الى ادراكها وقال سعيد بن المسيب شهران من حين توكل الى الصرام
وقال الربيع بن انس رضي الله عنه كل حين اي كل غدوة وعشية لان ثمر النخل يوكل ابدا ليلا ونهارا صيفا وشتاء
اما تمرا او رطبا او بسرا كذلك عمل المومن يصعد اول النهار وآخره وبركة ايمانه لا ينقطع ابدا بل يتصل اليه في كل
وقت والحكمة في تمثيل الايمان بالشجرة هي ان الشجرة لا تكون شجرة الا بثلاثة اشياء عرق راسخ واصل قائم وفرع
عال كذلك الايمان الا بثلاثة اشياء تصديق بالقلب وقول باللسان وعمل بالابدان ثم قال تعالى جل ذكره
ويضرب الله الامثال للناس لعلهم يتذكرون والمعنى ان في ضرب الامثال زيادة افهام وتذكير وتصوير للمعاني
قوله تعالى ومثل كلمة خبيثة قرئ بنصب مثل عطفا على مثل الاول واجتثت صفة لشجرة ومعنى اجتثت قلعت
جثتها اي شخصها والجثة شخص الانسان قاعدا او نائما يقال اجتثثت الشي اي اقتلعته فهو افتعال من لفظ الجثة
وجثيت الشي اقلعته قال لقيط الايادي • هذا الجلاء الذي يجتث اصلكم • فمن راي مثل ذا آت ومن سمعا •
وقال الراغب جثة الشي شخصه الناتئ والجثة ما يجث به والجثيثة لما بان جثته بعد طبخه والجثجاث
نبت ومن قرار يجوز ان يكون فاعلا بالجار قبله لاعتماده على النفي وان يكون مبتدا والجملة المنفية اما
نعت لشجرة واما حال من ضمير اجتثت **فصل** الكلمة الخبيثة هي الشرك كشجرة خبيثة وهي الحنظل
وقيل هي الثوم وقيل هي الكشوث وهي العشقة وهي شجرة لا ورق لها ولا عروق في الارض قال الشاعر
هي كشوث فلا اصل ولا ثمر • وعن ابن عباس رضي الله عنهما انها شجرة لم تخلق على وجه الارض اجتثت اقلعت
من فوق الارض ما لها من قرار ثبات اي ليس لها اصل ثابت في الارض ولا فرع صاعد الى السماء كذلك الكافر لا خير
ولا يصعد له قول طيب ولا عمل صالح **قوله تعالى** يثبت الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالقول الثابت
كلمة التوحيد وهي قول لا اله الا الله محمد رسول الله في الحيوة الدنيا يعني قبل الموت وفي الاخرة يعني في القبر هذا قول
اكثر المفسرين وقيل في الحيوة الدنيا في القبر عند السوال وفي الاخرة عند البعث والاول اصح لما روي البراء
بن عازب ان رسول الله صلوات الله البر الرحيم عليه وسلامه قال المسلم اذا سيل في القبر يشهد ان لا اله الا
الله وان محمدا رسول الله فذلك قوله جل ذكره سبحانه يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحيوة الدنيا
وفي الاخرة والمشهور ان هذه الاية وردت في سوال الملكين في القبر فيلقن الله المومن كلمة الحق في القبر عند
السوال ويثبته على الحق قال صلوات الله وسلامه عليه يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحيوة الدنيا
وفي الاخرة قال حين يقال له في القبر من ربك وما دينك ومن نبيك فيقول الله ربي وديني الاسلام ونبيي
محمد ومعنى الثابت هو ان الله تعالى انما يثبتهم في القبر لمواظبتهم على هذا القول **قوله تعالى** بالقول فيه
وجهان احدهما تعلقه بيثبت والثاني انه متعلق بآمنوا وقوله تعالى في الحيوة يتعلق بيثبت ويجوز ان يتعلق
بالثابت ثم قال تعالى ويضل الله الظالمين لا يهدي المشركين الى الجواب بالصواب في القبر ويفعل الله ما يشاء
من التوفيق والخذلان والتثبيت وترك التثبيت **قوله تعالى** الم تر الى الذين بدلوا نعمة الله كفرا هم والله
كفار قريش بدلوا اي غيروا نعمة الله عليهم في محمد صلوات الله عليه وسلامه حيث ابتعثه الله منهم كفروا به واحلوا
انزلوا قومهم ممن تابعهم على كفرهم دار البوار الهلاك ثم بين دار البوار فقال جهنم يصلونها وبئس القرار المستقر

وقال

وقال على كفار قريش نحروا يوم بدر وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنهما وعن ابن عباس وقتادة رضي الله
عنهما نزلت في متنصري العرب جبلة بن الايهم واصحابه وقال الحسن رضي الله عنه هي عامة في المشركين **قوله تعالى**
بدلوا نعمة الله كفرا فيه اوجه احدها ان الاصل بدلوا شكر نعمة كفرا كقوله تعالى وتجعلون رزقكم انكم تكذبون
شكر رزقكم وجب عليهم الشكر فوضعوا موضعه الكفر الثاني انهم بدلوا نفس النعمة كفرا على انهم لما كفروها
سلبوها فبقوا مسلوبي النعمة موصوفين بالكفر حاصلا لهم قاله الزمخشري وعلى هذا فلا يحتاج الى حذف مضاف
وقد تقدم ان بدل يتعدى لاثنين اولهما من غير حرف والثاني بالباء وان المجرور هو المتروك والمنصوب هو
الحاصل ويجوز حذف الحرف فيكون المجرور بالباء هنا هو نعمة لانها المتروكة واذا عرف ان قول الحوفي وابي البقا
ان كفرا هو المفعول الثاني ليس بجيد لانه هو الذي يصل اليه الفعل بنفسه لا بحرف الجر وما كان كذا فهو المفعول
الاول **قوله تعالى** جهنم فيه ثلاثة اوجه احدها انه بدل من دار الثاني انه عطف بيان لها وعلى هذين الوجهين
فالاحلال يقع في الاخرة الثالث ان ينتصب على الاشتغال بفعل مقدر وعلى هذا فالاحلال يقع في الدنيا لان
قوله جهنم يصلونها واقع في الاخرة ويؤيد هذا التاويل قراءة ابن ابي عبلة جهنم بالرفع على انها مبتدا والجملة بعدها
الخبر ويحتمل قراءة ابن ابي عبلة وجها آخر وهو ان يرتفع على خبر ابتداء مضمر ويصلونها حال اما من قومهم واما من
دار واما من جهنم وهذا التوجيه اولى من حيث انه لم يتقدم ما يرجح النصب ولا ما يجعله مساويا والقراء الجماهير
على النصب فلم يكونوا ليتركوا الافصح الا لان المسئلة ليست من الاشتغال في شي وهذا الذي ذكرناه ايضا مرجح لنصبه
على البدلية او البيان على انتصابه على الاشتغال والبوار الهلاك قال الشاعر قوله •
• فلم ار مثلهم ابطال حرب • غداة الروع اذ خيف البوار •
واصله من الكساد كما قيل كسد حتى فسد ولما كان الكساد يودي الى الفساد والهلاك اطلق عليه البوار ويقال
بار يبور بورا وبوارا ورجل حائر بائر وقوله جل وعز وكنتم قوما بورا يحتمل ان يكون مصدرا وصف به الجمع
وان يكون جمع بائر في المعنى ومن وقوع بور على الواحد قول الشاعر
• يا رسول المليك ان لساني • راتق ما فتقت اذ انا بور •
اي هالك **قوله تعالى** وجعلوا لله اندادا ليضلوا والمراد بهذا الجعل الحكم والاعتقاد والفعل والانداد والا
شباه والشركاء ليضلوا قرا ابن كثير وابو عمرو هنا وجعلوا لله اندادا ليضلوا بفتح الياء والباقون بضمها من اضله
واللام لام الجر مضمرا ان بعدها وهي لام العاقبة لما كان مآلهم الى ذلك ويجوز ان تكون للتعليل وقيل
هي مع فتح الياء للعاقبة فقط ومع ضمها محتملة للوجهين كان هذا القائل توهم انهم لم يجعلوا الانداد لضلالهم
وليس كما زعم لان منهم من كفر عنادا واتخذ الالهة ليضل بنفسه تعالى قل تمتعوا عيشوا في الدنيا فان مصيركم
الى النار الى النار خبر ان والمصير مصدر صار التامة اي فان مرجعكم آيب الى النار والجار الحوفي ان يتعلق
الى النار بمصيركم وفيه هذا بعضهم بانه لو جعلناه مصدر صار بمعنى انتقل والى النار يتعلق به ثم يبقى ان بلا
خبر لا يقال خبرها حينئذ محذوف لان حذفه في مثل هذا يقل وانما يكثر حذفه اذا كان الاسم نكرة والخبر
ظرفا او جارا كقوله ان محلا وان مرتحلا وان في السفر اذ مضوا مهلا **قوله تعالى** قل لعبادي الذين آمنوا
يقيموا الصلاة الاية لما هدد الكفار واوعدهم بالتمتع بنعيم الدنيا امر المومنين بترك التمتع في الدنيا والمبالغة
في الجهاد بالنفس والمال وفي يقيموا اوجه احدها انه مجزوم بلام الامر محذوفة تقديره ليقيموا فحذفت وبقي
عملها لانك تحذف الجار ويبقى عمله كقوله • محمد تفد نفسك كل نفس • اذا ما خفت من شي تبالا •
يريد لتفد انشده سيبويه الا انه خصه بالشعر قال الزمخشري ويجوز ان يكون يقيموا وينفقوا بمعنى ليقيموا
ولينفقوا ويكون هذا هو المقول قالوا وانما جاز حذف اللام لان الامر الذي هو قل عوض منها ولو قيل
يقيموا الصلاة وينفقوا ابتداء بحذف اللام لم يجز ونحا ابن مالك رضي الله عنه الى قريب من هذا فانه جعل
حذف هذه اللام على اضرب قليل وكثير ومتوسط فالكثير ان يكون قبله قول بصيغة الامر كالاية الكريمة
والقليل ان لا يتقدم قول كقوله • قلت لبواب لديه دارها • تيذن فاني حموها وجارها •
الثاني ان يقيموا مجزوم على جواب قل واليه نحا الاخفش والمبرد وقد رد الناس عليهما هذا بانه لا يلزم
من قوله لهم افعلوا ان يفعلوا فكم من متخلف عن هذا الامر وقد اجيب عن هذا بان المراد بالعباد المومنون
ولذلك اضافهم اليه تشريفا والمومنون متى امروا امتثلوا الثالث انه مجزوم على جواب المقول المحذوف وتقديره
قل لعبادي اقيموا وانفقوا يقيموا وينفقوا قاله ابو البقا رحمه الله وعزاه للمبرد كذا ذكره جماعة ولم يتعرضوا

بعيث

لافادة وهو فاسد لوجهين احدهما ان جواب الشرط يخالف الشرط اما في الفعل واما في الفاعل او فيهما
فاما اذا كان مثله في الفعل والفاعل فهو خطاء كقولك قم يقم والتقدير على ما ذكر في هذا الوجه ان يقيموا
يقيموا والوجه الثاني ان الامر المقدر للمواجهة ويقيموا على لفظ الغيبة وهو خطا اذا كان الفاعل
واحدا قال شهاب الدين اما الافساد الاول فقريب واما الثاني فليس بشي لانه يجوز ان يقول قل لعبدي
اطعني يطعك وان كان للغيبة بعد المواجهة باعتبار حكاية الحال الرابع ان التقدير ان قل لهم اقيموا يقيموا
وهذا مروي عن سيبويه فيما حكاه ابن عطية وهذا هو القول الثاني الخامس قال ابن عطية يحتمل ان يكون
يقيموا جوابا للامر الذي يعطينا معناه قوله قل وذلك ان يجعل قوله قل في هذه الاية بمعنى بلغ وادّ الشريعة
يقيموا السادس قال الفراء الامر معه شرط مقدر يقول اطع الله يدخلك الجنة والفرق بين هذا وبين ما قبله
ان ما قبله ضمن فيه الامر نفسه معنى الشرط وفي هذا قدر فعل الشرط بعد فعل الامر من غير تضمين السابع قال
الفارسي انه مضارع صرف عن الامر الى الخبر ومعناه اقيموا وهذا مردود لانه كان ينبغي ان يثبت نونه الدالة
على اعرابه واجيب عن هذا بانه لوقوعه موقع المبني كما بني المنادي في نحو يا زيد لوقوعه موقع الضمير ولو قيل
بانه حذفت نونه تخفيفا على حدها في قوله لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا وفي معمول قل ثلاثة
اوجه احدها الامر المقدر اي قل لهم اقيموا يقيموا الثاني انه نفس يقيموا على ما قاله ابن عطية الثالث انه الجملة من
قوله الله الذي خلق السموات الاية الى اخره قاله ابن عطية وفيه تفكيك للنظم وجعل الجملة يقيموا الصلوة الى اخره مفلتا
مما قبله وبعده او يكون جوابا فصل به بين القول ومعموله لكنه لا يترتب على قول ذلك اقامة الصلوة والانفاق
الا بتاويل بعيد جدا وقرا حمزة والكسائي لعبادي بسكون اليا والباقون بفتح اليا لالتقاء الساكنين **قوله**
سرا وعلانية في نصبهما ثلاثة اوجه احدها انهما حالان مما تقدم وفيهما الثلاث تاويلات في زيد عدل اي ذوي
سر وعلانية او مسرين ومعلنين او جعلوا نفس السر والعلانية مبالغة الثاني انهما منصوبان على الظرف اي وقت
سر وعلانية الثالث انهما منصوبان على المصدر اي انفاق سر وانفاق علانية **قوله تعالى** من قبل متعلق
بيفعلوا ويقيموا اي يفعلون ذلك قبل هذا اليوم وقد تقدم خلاف القرا في لا بيع فيه ولا خلال والخلال
المخالة وهي المصاحبة يقال خاللته خلالا ومخالة قال الطرفة • كل خليل كنت خاللته • لا ترك الله له واضحه •
وقال امرؤ القيس صرفت الهوى عنهن من خشية الردى • ولست بمقلي الخلال ولا قالي • وقال الاخفش خلال
جمع الخلة نحو برمة وبرام **فصل** قال مقاتل يوم لا بيع فيه ولا شرى ولا مخالة ولا قرابة وقد
تقدم الكلام على نحو هذه الاية في البقرة فان قيل كيف نفي الخلة ههنا واثبتها في قوله تعالى الاخلاء
يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين فالجواب ان الاية الدالة على نفي المخالفة بسبب ميل الطبع ورغبة
النفس والاية الدالة على حصول المخالفة محمولة على الخلة الحاصلة بسبب عبودية الله تعالى ومحبته **قوله**
الله الذي خلق السموات والارض الاية لما وصف احوال السعداء واحوال الاشقياء وكانت العمدة العظمى في حصول
السعادة معرفة الله تعالى بذاته وصفاته وحصول الشقاوة فقدان هذه المعرفة لاجرم ختم الله تعالى هذا
الوصف بالدلايل الدالة على وجود الصانع وكمال علمه وقدرته وذكر ههنا انواعا من الدلايل اولها خلق
السموات وثانيها خلق الارض وثالثها وانزل من السماء ماء فاخرج به من الثمرات رزقا لكم من السماء يجوز
ان يتعلق بانزل ومن لابتداء الغاية وان يتعلق بمحذوف على انه حال من ماء لانه صفته في الاصل وكذلك
من الثمرات في الوجهين وجوز الزمخشري وابن عطية ان تكون من لبيان الجنس اي رزقا هو الثمرات ورد عليهما
بان التي للبيان انما تجي بعد المبهم وقد يجاب عنهما بانهما ارادا ذلك من حيث المعنى لا الاعراب وقد تقدم
الكلام في ذلك في البقرة ورابعها قوله تعالى وسخر لكم الفلك لتجري في البحر بامره يجوز ان يتعلق بامره بتجري
اي بسببه او بمحذوف على انها للحال اي ملتبسة به وخامسها قوله عز وجل وسخر لكم الانهار وسادسها وسا
بعها وسخر لكم الشمس والقمر دائبين ودائبين حال من الشمس والقمر وتقدم اشتقاق الداب وثامنها وتاسعها
وسخر لكم الليل والنهار وعاشرها **قوله تعالى** واتاكم من كل ما سالتموه العامة على اضافة كل الى ما وفي
من قولان احدهما انها زايدة في المفعول الثاني اي كل ما سالتموه وهو راي سيبويه وما يجوز فيها ان تكون
موصولة اسمية او حرفية او نكرة موصوفة والمصدر واقع موقع المفعول اي مسؤولكم فان كانت مصدرية
فالضمير في سالتموه عايد الى الله تعالى وان كانت موصولة او موصوفة كان عايدا عليها ولا يجوز ان يكون
عايدا على الله تعالى وعايد الموصول والموصوف محذوف لانه اما ان يقدر متصلا سالتموه او منفصلا سالتموه

اياه

اياه وكلاهما لا يجوز فيه الحذف لما تقدم اول البقرة في قوله تعالى ومما رزقناهم ينفقون وقرا ابن عباس
ومحمد بن علي وجعفر بن محمد والحسن والضحاك وعمرو بن فايد وقتادة وسلام ويعقوب ونافع رضي الله تعالى
عنهم في رواية من كل منونة وفي ما على هذه القراءة وجهان احدهما انها نافية وبه بدا الزمخشري فقال
وما سالتموه نفي ومحله النصب على الحال اي اتاكم من جميع ذلك غير سائليه قال شهاب الدين ويكون المفعول
الثاني لاتاكم وهذا التخريج الثاني اولى لان في الاول منافاة في الظاهر لقراءة العامة قال ابو حيان
ولما احس الزمخشري بظهور التنافي بين هذه القراءة وبين تلك قال ويجوز ان تكون ما موصولة على
واتاكم من كل ذلك ما احتجتم اليه ولم تصلح احوالكم ولا معايشكم الا به فكانكم طلبتموه وسالتموه بلسان الحال
فتاول سالتموه بمعنى ما احتجتم اليه **فصل** اعلم انه تعالى بدا بذكر خلق السموات والارض لانهما الاصلان
اللذان يتفرع عليهما ساير الادلة المذكورة بعده ثم قال وانزل من السماء ماء فاخرج به من الثمرات فانه لولا
السما لم يصح انزال الماء منها ولولا الارض لم يوجد ما يستقر الماء فيه فلا بد من وجودهما حتى يصح هذا المقصود
واعلم ان الماء ينزل من السحاب وسمي السحاب سماء اشتقاقا من السمو وقيل ينزل من السماء الى السحاب ثم ينزل من
السحاب الى الارض ثم قال تعالى فاخرج به من الثمرات رزقا لكم قال ابو مسلم رحمه الله لفظ الثمرات يقع في الاغلب
على ما يحصل من الاشجار ويقع ايضا على الزرع والنبات لقوله تعالى كلوا من ثمره اذا اثمر واتوا حقه يوم
حصاده ثم قال تعالى وسخر لكم الفلك لتجري في البحر بامره نظيره ومن اياته الجوار في البحر كالاعلام واعلم
ان الانتفاع بما ينبت الارض انما يكمل بوجود الفلك لانه تعالى خص كل طرف من اطراف الارض بنوع اخر من النعم حتى
ان نعم هذا الطرف اذا نقلت الى الطرف الاخر من الارض وبالعكس كثرت الارباح في التجارات وهذا النقل لا يمكن
الا بسفن البر وهي الجمال او بسفن البحر وهي الفلك فان قيل ما معنى وسخر لكم الفلك مع ان تركيب السفينة من اعمال
العباد فالجواب ان فعل العبد خلق الله تعالى عند اهل السنة فلا سؤال واما عند المعتزلة فلانه تعالى خلق
الاشجار التي تركب منها السفن وخلق الحديد وساير الالات وعرف العباد صنعة التركيب وخلق الرياح وخلق
الحركات القوية فيها ووسع الانهار وعمقها تعميقا تجري السفن فيها ولولا ذلك لما حصل الانتفاع بالسفن
واضاف التسخير الى الامر لان الملك العظيم لا يوصف بانه فعل وانما يقال امر قال تعالى انما امرنا لشي اذا اردناه
ان نقول له كن فيكون وتسخير الفلك مجاز لانها جمادات ولما كانت تجري على وجه الماء على وفق ارادة الملاح
صارت كانها حيوان مسخر ثم قال تعالى وسخر لكم الانهار لان ماء البحر لا ينتفع به في الزراعات فانعم الله تعالى
على الخلق بتفجير الانهار والعيون حتى انبعث الما منها الى مواضع الزرع والنبات وايضا فالبحر لا يصلح للشرب
وانما يصلح له مياه الانهار ثم قال عز وجل وسخر لكم الشمس والقمر والانتفاع بهما عظيم قال الله سبحانه وتعالى
وجعل القمر فيهن نورا وجعل الشمس سراجا وجعل فيها سراجا وقمرا منيرا وهو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا
وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب وتاثيرهما في ازالة الظلمة واصلاح النبات والحيوان فالشمس
سلطان النهار والقمر سلطان الليل فلولا الشمس لما حصلت الفصول الاربعة ولولاها لاختلت مصالح العالم
بالكلية ثم قال وسخر لكم الليل والنهار ومنافعهما مذكورة في القران كقوله تعالى جعلنا الليل لباسا وجعلنا
النهار معاشا وقوله تعالى جعل الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله قال المتكلمون تسخير الليل والنهار
مجاز لانهما عرض والاعراض لا تسخر ثم قال عز وعلا واتاكم من كل ما سالتموه اي انه لم يقتصر على هذه النعم
بل اعطى عباده من المنافع بالايات على بعض النعم ثم قال وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها قال الواحدي
النعمة ههنا اسم اقيم مقام المصدر يقال انعم الله عليه انعاما ونعمة اقيم الاسم مقام الانعام كقوله انفقت
عليك انفاقا ونفقة شيئا واحدا ولذلك لم يجمع لانه في معنى المصدر وقال غيره نعمة في معنى المنعم به وختمت
هذه الاية بان الانسان لظلوم ونظيرتها في النحل بان الله لغفور رحيم لان في هذه تقدم قوله عز وجل الم تر الى
الذين بدلوا نعمة الله كفرا وبعده وجعلوا لله اندادا فجا قوله ان الانسان شاهدا بقبح من فعل ذلك فناسب
ختمها بذلك والتي في النحل ذكر فيها عدة تفضلات وبالغ فيها وذكر قوله جل ذكره افمن يخلق كمن لا يخلق اي من
اوجد هذه النعم السابق ذكرها كمن لم يقدر منها على شي فذكر ايضا ان من جملة تفضلاته اتصافه بهاتين
الصفتين وقال ابن الخطيب كانه يقول اذا حصلت النعم الكثيرة فانت الذي اخذتها وانا الذي اعطيتها
فحصل لك عند اخذها وصفان وهما كونك ظلوما كفارا ولي وصفان عند اعطائها وهما كوني غفورا رحيما
فكانه تعالى يقول ان كنت ظلوما فانا غفور وان كنت كفارا فانا رحيم اعلم عجزك وقصورك فلا اقابل جفاك

قوله تعالى وإذ قال ابراهيم رب اجعل هذا البلد آمناً الآية لما استدل على انه لا معبود الا الله تعالى وانه لا يجوز عبادة غير الله تعالى البتة حكى عن ابراهيم صلوات الله الرحيم وسلامه عليه انه طلب من الله تعالى اشياء احدها قوله رب اجعل هذا البلد آمنا وتقديره في البقرة وهذا البلد آمنا ومفعول الجعل التصيير قال الزمخشري فان قلت اي فرق بين قوله اجعل هذا البلد آمنا وبين قوله هذا بلدا آمنا قلت قد سال في الاول ان يجعله من جملة البلاد التي يامن اهلها ولا يخافون وفي الثاني ان يخرجه من صفة كان عليها من الخوف الى ضدها من الامن كانه قال هو بلد مخوف فاجعله آمنا قوله تعالى واجنبني يقال جنبه شرا واجنبه اياه ثلاثيا ورباعيا وهي لغة نجد وجنبه اياه مشددا وهي لغة الحجاز وهو المنع واصله من الجانب وقال الراغب وقوله تعالى واجنبني وبني من جنبته عن كذا اي ابعدته منه وقيل من جنبت الفرس كانما سأله ان يقوده عن جانب الشرك بالطاف منه واسباب خفية وان نعبد على حذف الحرف اي عن ان وقرا الجحدري وعيسى الثقفي رحمهما الله واجنبني بقطع الهمزة من اجنب قال بعضهم جنبته الشيء واجنبته جنبا وجنبته تجنيبا واجنبته اجنابا بمعنى واحد فصل ههنا اشكال من وجوه احدها ان ابراهيم صلوات الله وسلامه عليه دعا ربه ان يجعل مكة آمنا وقد خرب جماعة الكعبة واغاروا على مكة وثانيها ان الانبياء عليهم السلام معصومون من عبادة الاصنام فما فائدة هذا الدعاء وثالثها ان كثيرا من بنيه عبدوا الاصنام لان كفار قريش كانوا من اولاده وكانوا يعبدون الاصنام فاين الاجابة فالجواب عن الاول من وجهين الاول انه نقل ان ابراهيم صلوات الله وسلامه عليه لما فرغ من بناء الكعبة دعا بان يجعل الله الكعبة تلك البلدة امنة من الخراب والثاني ان المراد جعل اهلها آمنين كقوله تعالى واسأل القرية والمراد اهلها وعلى هذا اكثر المفسرين وعلى هذا التقدير فالمراد بالامن ما اختصت به مكة من زيادة الامن وهو ان من التجا الى مكة امن وكان الناس مع شدة عداوتهم اذا التقوا بمكة لا يخاف بعضهم بعضا ولذلك امن الوحش فانهم يقربون اذا كانوا بمكة ويستوحشون من الناس خارج مكة وعن الثاني قال الزجاج معناه ثبتني على اجتناب عبادتها كما قال واجعلنا مسلمين لك اي ثبتنا على الاسلام ولقائل ان يقول السؤال باق لانه من المعلوم ان الله تبارك وتعالى يثبت الانبياء صلوات الله عليهم على اجتناب عبادة الاصنام فما الفائدة في هذا السؤال قال ابن الخطيب والصحيح عندي في الجواب وجهان الاول انه صلوات الله وسلامه عليه وان كان يعلم ان الله سبحانه وتعالى يعصمه من عبادة الاصنام الا انه ذكر ذلك تضعيفا للنفس واظهارا للحاجة والفاقة الى فضل الله تعالى في كل المطالب والثاني ان الصوفية يقولون الشرك نوعان شرك ظاهر وهو الذي يقوله المشركون وشرك خفي وهو تعلق القلب بالاسباب الظاهرة والتوحيد وهو ان ينقطع نظره عن الوسائط وان لا يرى متوسطا سوى الحق سبحانه وتعالى فيحتمل ان يكون قوله واجنبني وبني ان نعبد الاصنام المراد منه ان يعصمه عن هذا الشرك الخفي والله تعالى اعلم والجواب عن الثالث من وجوه احدها قال الزمخشري قوله تعالى وبني اراد بنيه من صلبه والفائدة في هذا الدعاء عين الفائدة التي ذكرناها في قوله تعالى واجنبني وبني وثانيها قال بعضهم اراد من اولاده واولاد اولاده كل من كان موجودا حال الدعاء ولا شك ان دعوته مجابة فيهم وثالثها قال مجاهد لم يعبد احد من ولد ابراهيم صلوات الله عليه صنما والصنم هو التمثال المصور وما ليس بصنم هو الوثن وكفار قريش ما عبدوا التمثال وانما كانوا يعبدون احجارا مخصوصة وهذا الجواب ليس بقوي لانه صلوات الله عليه لا يجوز ان يريد بهذا الدعاء الا عبادة غير الله والحجر كالصنم في ذلك ورابعها ان هذا الدعاء مختص بالمومنين من اولاده بدليل قوله في آخر الآية فمن تبعني فانه مني وذلك يفيد ان من لم يتبعه على دينه فانه ليس منه ونظيره قوله تبارك وتعالى لنوح صلوات الله عليه انه ليس من اهلك انه عمل غير صالح وخامسها لعله وان كان عمم في الدعاء الا انه تعالى اجاب دعاءه في حق البعض دون البعض وذلك لا يوجب تحقير الانبياء صلوات الله عليهم ونظيره قوله تعالى في حق ابراهيم صلوات الله عليه قال اني جاعلك للناس اماما قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين قوله تعالى واجنبني وبني ان نعبد الاصنام دليل على ان الكفر والايمان من الله تعالى لان ابراهيم صلوات الله عليه طلب من الله تعالى ان يجنبه ويجنب اولاده من الكفر والمعتزلة يحملون ذلك على الالطاف وهو عدول عن الظاهر وتقدم فساد هذا التأويل قوله تعالى رب انهن اضللن الضمير في انهن واضللن عائد على الاصنام لانها جمع تكسير غير عاقل وقوله تعالى فمن تبعني فانه مني اي من اشياعي واهل ديني قوله تعالى ومن عصاني شرط ومحله الرفع بالابتداء

والجواب فانك غفور رحيم والعائد محذوف اي له فصل قال السدي ومن عصاني ثم تاب وقال مقاتل ومن عصاني فيما دون الشرك وقيل قال ذلك قبل ان يعلمه الله انه لا يغفر الشرك وهذه الآية تدل على اثبات الشفاعة في اهل الكبائر لانه طلب العفو والرحمة لاولئك العصاة ولا تخلو هذه الشفاعة من ان تكون للكفار وللعصاة ولا يجوز ان تكون للكفار لانه تبرا منهم بقوله واجنبني وبني ان نعبد الاصنام وقوله تعالى فمن تبعني فانه مني يدل بمفهومه على ان من لم يتبعه على دينه فليس منه والامة مجمعة على ان الشفاعة في حق الكافر غير جائزة فثبت ان قوله ومن عصاني فانك غفور رحيم شفاعة في العصاة غير الكفار وتلك المعصية اما ان تكون من الصغائر او من الكبائر وبعد التوبة واجبة الغفران عند الخصوم فلا يمكن حمل اللفظ عليه فثبت ان هذه الشفاعة في اسقاط العقاب عن اهل الكبائر قبل التوبة واذا ثبت حصول الشفاعة لابراهيم صلوات الله عليه ثبت حصولها لمحمد صلوات الله وسلامه عليه لانه لا قائل بالفرق ولان الشفاعة اعلا المناصب فلو حصلت لابراهيم صلوات الله عليه مع انها لم تحصل لمحمد كان ذلك نقصا في حق محمد صلوات الله وسلامه عليه قوله ربنا اني اسكنت من ذريتي يجوز ان يكون هذا الجار صفة لمفعول محذوف اي اسكنت ذرية من ذريتي ويجوز ان تكون من مزيدة عند الاخفش بواد اي في واد وهو مكة لان مكة واد بين جبلين وقوله بواد غير ذي زرع كقوله غير ذي عوج قوله تعالى عند بيتك يجوز ان يكون بدلا منه يعني انه يكون بدل بعض من كل لان الوادي اعم من حضرة البيت وفيه نظر من حيث ان عند لا تتصرف فصل سماه محرما لانه يحرم عنده ما لا يحرم عند غيره وقيل لان الله تعالى حرم التعرض له والتهاون به وقيل لانه لم يزل ممتنعا عزيزا يهابه كل جبار كالشيء المحرم الذي يجب ان يجتنب وقيل لانه حرم من الطوفان اي منع منه كما سمي عتيقا لانه اعتق من الطوفان وقيل لان موضع البيت حرم يوم خلق السموات والارض وحف بسبعة من الملائكة وجعل مثل البيت المعمور الذي بناه آدم صلوات الله عليه فرفع الى السماء وقيل لان الله تعالى حرم على عباده ان يقربوه بالدماء والاقذار وغيرها فصل ليقيموا يجوز ان تكون هذه اللام لام امر وان تكون لام علة وفي متعلقها حينئذ وجهان احدهما انها متعلقة باسكنت وهو ظاهر ويكون النداء معترضا الثاني انها متعلقة باجنبني اي اجنبهم الاصنام ليقيموا وفيه بعد قوله تعالى فاجعل افئدة من الناس العامة على افئدة جمع فؤاد كغراب واغربة وقرا هشام عن ابن عامر بياء بعد الهمزة فقيل اشباع كقوله

حتى يحك عظم في التراب تريب وكقوله

اعوذ بالله من العقراب الشائلات عقد الاذناب

وقد طعن جماعة على هذه القراءة وقالوا الاشباع من ضرائر الشعر فكيف يجعل في افصح كلام وزعم بعضهم ان هشاما انما قرا بتسهيل الهمزة بين بين فظنها الراوي زيادة ياء بعد الهمزة قال كما توهم عن ابي عمرو اختلاسه في بارئكم ويامركم انه سكن وهذا ليس بشيء فان الرواة اجل من هذا وقرا زيد بن علي افادة بزنة رفادة وفيها وجهان احدهما ان تكون مصدرا لافاد كاقام اقامة اي ذوي افادة وهم الناس الذين ينتفع بهم والثاني ان يكون اصلها وفادة فابدلت الواو همزة نحو اشاح واعاء وقرات ام الهيثم افودة بواو مكسورة وفيها وجهان احدهما ان يكون جمع فؤاد المسهل وذلك ان الهمزة المفتوحة المضموم ما قبلها يطرد قلبها واوا نحو جون فجعل في فؤاد المفرد ذلك فاقرت في الجمع على حالها والثاني قال صاحب اللوامح رحمه الله هي جمع وفد قال شهاب الدين وكان ينبغي ان يكون اللفظ اوفدة بتقديم الواو الا ان يقال انه جمع وفد على اوفدة ثم قلبه فوزنه اعفلة كقولهم آرام في اآرام وبابه الا انه يقل جمع فعل على افعلة نحو نجد وانجدة ووهي واوهية وام الهيثم امراة نقل عنها شيء من اللغة وقرئ آفدة بزنة ضاربة وهي تحتمل وجهين احدهما ان تكون مقلوبة من افئدة بتقديم الهمزة على الفاء فقلبت الهمزة الفا فوزنها اعفلة كآرام في اآرام والثاني انها اسم فاعل من افد يافد اي قرب ودنا والمعنى جماعة آفدة او جماعات آفدة وقرئ افدة بالقصر وفيها وجهان احدهما ان تكون اسم فاعل على فعل كفرح فهو فرح وان تكون مخففة من افئدة بنقل حركة الهمزة الى الساكن قبلها وحذف الهمزة ومن في من الناس فيها وجهان احدهما انها لابتداء الغاية قال الزمخشري ويجوز ان تكون من لابتداء الغاية كقولك القلب مني سقيم تريد قلبي كانه قيل افئدة ناس وانما نكرت المضاف في هذا التمثيل لتنكير افئدة لانها في الآية نكرة لتناول بعض الافئدة قال ابو حيان ولا يظهر كونها للغاية لانه ليس لنا فعل يبتدا منه بغاية ينتهى اليها اذ لا يصح جعل ابتداء الافئدة من الناس والثاني انها

للتبعيض وفي التفسير لو لم يقل من الناس لحج الناس كلهم **قوله تعالى** تهوي هذا هو المفعول الثاني
للجعل والعامة تهوي بكسر العين بمعنى تنزع وتطير شوقا اليهم قال الشاعر •

• واذا رميت به الفجاج رايته • تهوي مخارمها هوي الاجدل •

واصله ان يتعدى باللام كقوله • حتى اذا ما هوت كف الوليد لها • طارت وفي كفه من ريشها تبك •
وانما عدي بالى لانه ضمن معنى تميل كقوله • تهوي الى مكة تبغي الهدى • ما مؤمن الجن كانجاسها •
وقرا امير المومنين علي وزيد بن علي ومحمد وجعفر بن محمد ومجاهد رضي الله عنهم بفتح الواو وفيه قولان احدهما
ان الى زايدة اي تهواهم والثاني انه ضمن معنى تنزع وتميل ومصدر الاول على هوى كقوله •
تهوي مخارمها هوي الاجدل • والثاني على هوى وقال ابو البقا معناهما متقاربان الا ان هوى يعني بفتح
الواو متعد بنفسه وانما عدي بالى حملا على تميل وقرا مسلمة بن عبد الله تهوي بضم التاء وفتح الواو متعد بنفسه
وانما عدي بالى حملا على تميل وقرا مسلمة بن عبد الله تهوي بضم التاء وفتح الواو مبنيا للمفعول من اهوى المنقول
من هوى اللازم اي يسرع بها اليهم **فصل** قال المفسرون قوله تعالى اسكنت من ذريتي ادخل من للتبعيض
والمعنى اسكنت من ذريتي ولدا بواد غير ذي زرع وهو مكة لان مكة واد بين جبلين عند بيتك المحرم روي عن ابن عباس
رضي الله عنهما اول ما اتخذ النسا المنطق من قبل ام اسمعيل صلوات الله عليه اتخذت منطقا لتعفي اثرها على سارة ثم
جاء بها ابراهيم صلوات الله وسلامه عليه وبابنها اسمعيل وهي ترضعه حتى وضعها عند البيت وليس بمكة يومئذ احد
وليس بها ماء ووضع عندها اناء فيه تمر وسقاء فيه ماء ثم قفا ابراهيم صلوات الله وسلامه عليه منطلقا فتبعته هاجر
فقالت يا ابراهيم الى من تكلنا فقال صلوات الله وسلامه عليه الى الله فقالت له الله امرك بهذا قال نعم قالت اذا لا
يضيعنا ثم رجعت فانطلق ابراهيم صلوات الله وسلامه عليه حتى اذا كان عند الثنية حيث لا يرونه استقبل
بوجهه البيت ثم دعا الله بقوله ربنا اني اسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع الاية ثم انها عطشت وعطش الصبي
فجعل يتلوى وهي تنظر اليه فانطلقت كراهية ان تنظر اليه فوجدت الصفا اقرب جبل في الارض يليها فقامت
عليه ثم استقبلت الوادي تنظر هل ترى احدا فلم تر احدا وهبطت من الصفا حتى اذا بلغت الوادي رفعت طرف
درعها ثم سعت سعي المجهود حتى جاوزت الوادي ثم اتت المروة فقامت عليها ونظرت هل ترى احدا ففعلت
ذلك سبع مرات قال ابن عباس رضي الله عنه قال النبي صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم ومجد وبجل وعظم فلذلك
سعي الناس بينهما فلما اشرفت على المروة سمعت صوتا فقالت صه تريد نفسها ثم سمعت فقالت قد اسمعت
ان كان عندك غواث فاذا هي بالملك عند زمزم فضرب بعقبه حتى ظهر الماء او قال فضرب بجناحه ففارت
عينها قال رسول الله صلوات الله وسلامه عليه ثم عاد بعد كبر اسمعيل واقر هو واسمعيل قواعد البيت قال القاضي
اكثر الامور المذكورة في هذه القصة بعيدة لانه لا يجوز لابراهيم صلوات الله وسلامه عليه رحمه الله ان ينقل
ولده حيث لا طعام ولا ماء مع انه كان يمكنه ان ينقله الى بلدة اخرى من بلاد الشام لاجل قول سارة الا اذا
قلنا ان الله اعلمه ان يجعل هناك ماء وطعاما وقوله من ذريتي اي اسمعيل واولاده • بهذا الوادي الذي لا
زرع فيه ليقيموا الصلوة فاجعل افئدة من الناس قال المفسرون جمع وفد تهوي تحن وتشتاق اليهم قال السدي
معناه امل قلوبهم الى هذا الموضع قال مجاهد لو قال افئدة الناس لزاحمكم فارس والروم والترك والهند
وقال سعيد بن جبير لحجت اليهود والنصارى والمجوس ولكنه قال افئدة من الناس فهم المسلمون وارزقهم
من الثمرات ما رزقت سكان القرى ذوات الماء لعلهم يشكرون وذلك يدل على ان المقصود من منافع الدنيا
ان يتفرغ لاداء العبادات ثم قال صلوات الله وسلامه عليه ربنا انك تعلم ما نخفي وما نعلن من امورنا
وقال ابن عباس ومقاتل رضي الله عنهما من الوجد باسمعيل وامه حيث اسكنهما بواد غير ذي زرع وما يخفى
على الله من شيء في الارض ولا في السماء قيل هذا كله قول ابراهيم صلوات الله وسلامه عليه وقال الاكثرون
قول الله تعالى تصديقا لقول ابراهيم صلوات الله وسلامه عليه **قوله تعالى** الحمد لله الذي وهب لي على
الكبر في على الكبر وجهان احدهما ان على على بابها من الاستعلاء المجازي والثاني انها بمعنى مع كقوله •

• اني على ما ترين من كبري • اعلم من حيث تؤكل الكتف •

قال الزمخشري ومحل هذا الجار النصب على الحال من اليا في وهب لي الاية تدل على انه تعالى اعطى ابراهيم اسمعيل
واسحق صلوات الله عليهم على الكبر والشيخوخة فاما مقدار ذلك السن فغير معلوم من القران فالمرجع فيه الى الروايات
وروي لما ولد اسمعيل كان سن ابراهيم صلوات الله وسلامه عليه تسعا وتسعين سنة ولما ولد اسحق كان سنه

مائة واثنتي عشرة سنة وقيل ولد اسمعيل لاربع وستين سنة وولد اسحق لتسعين سنة وعن سعيد بن جبير
رضي الله عنه لم يولد لابراهيم صلوات الله وسلامه عليه الا بعد مائة وسبع عشرة سنة وانما ذكر قوله على الكبر
لان المنة بهبة الولد في هذا السن اعظم لانه زمان الياس من الولد فان قيل ان ابراهيم صلوات الله
وسلامه عليه انما دعا بهذا الدعاء عندما اسكن هاجر وابنها اسمعيل في ذلك الوادي وفي ذلك الوقت
لم يكن ولد اسحق فكيف قال الحمد لله الذي وهب لي على الكبر اسمعيل واسحق فالجواب قال القاضي رحمه الله هذا
الدليل يقتضي ان ابراهيم صلوات الله وسلامه عليه انما ذكر هذا الكلام في زمان اخر لا عقيب ما تقدم
من الدعاء ويمكن ايضا انه صلوات الله وسلامه عليه انما ذكر هذا الكلام الدعا بعد كبر اسمعيل وظهور اسحق
صلوات الله عليهما وان كان ظاهر الروايات بخلافه **فصل** المناسبة بين قوله ربنا انك تعلم ما نخفي
وما نعلن وما يخفى على الله من شيء في الارض ولا في السماء وبين قوله الحمد لله الذي وهب لي على الكبر اسمعيل
واسحق وذلك انه كان في قلبه ان يطلب من الله اعانتهما واعانة ذريتهما بعد موته ولكنه لم يصرح بهذا المطلوب
بل قال ربنا انك تعلم ما نخفي وما نعلن اي تعلم ما في قلوبنا وضمائرنا فقوله الحمد لله الذي وهب لي على الكبر
اسمعيل واسحق يدل لظاهره على انهما يبقيان بعد موته على سبيل الرمز والتعريض وذلك يدل على ان
الاشتغال بالثنا عند الحاجة الى الدعاء افضل من الدعاء قال صلوات الله وسلامه عليه حاكيا عن ربه انه
قال من شغله ذكري عن مسالتي اعطيته افضل ما اعطي السائلين ثم قال ان ربي لسميع الدعاء من قولك سمع
الامير كلام فلان اذا اعتد به وقبله ومنه سمع الله لمن حمده **قوله تعالى** لسميع الدعاء فيه اوجه احدها
ان يكون فعيل مثال مبالغة مضافا الى مفعوله واضافته من نصب وهذا دليل سيبويه على ان فعيلا يعمل
عمل اسم الفاعل وان كان قد خالفه جمهور البصريين والكوفيين الثاني ان الاضافة ليست من نصب وانما هو كقولك
هذا ضارب زيد امس الثالث ان سميعا مضاف لمرفوعه ويجعل دعاء الله سميعا على المجاز والمراد سماع الله قاله
الزمخشري قال ابو حيان وهو بعيد لاستلزامه ان يكون من الصفة المشبهة والصفة متعدية وهذا انما
يتاتى على قول الفارسي رحمه الله فانه يجيز ان تكون الصفة المشبهة من الفعل المتعدي بشرط امن اللبس نحو زيد
ظالم العبيد اذا علم ان له عبيدا ظالمين وامامنا فاللبس حاصل اذ الظاهر من اضافة المثال للمفعول لا للفاعل
قال الشهاب الحلبي واللبس ايضا هنا منتف لان المعنى على الاسناد المجازي كما تقرر فانتفى اللبس **قوله تعالى**
رب اجعلني مقيم الصلوة اي من المحافظين عليها احتجوا بهذه الاية على ان افعال العباد مخلوقة لله تعالى لان
قول ابراهيم صلوات الله وسلامه عليه رب اجنبني وبني ان نعبد الاصنام يدل على ان ترك المنهيات لا يحصل
الا من الله تعالى **قوله تعالى** ومن ذريتي عطف على المفعول الاول لاجعلني اي واجعل بعض ذريتي مقيم الصلوة
وهذا الجار في الحقيقة صفة لذلك المفعول المحذوف اي وبعضا من ذريتي وانما ذكر هذا التبعيض لانه علم
باعلام الله تعالى انه يكون في ذريته جمع من الكفار لقوله لا ينال عهدي الظالمين **قوله تعالى** ربنا وتقبل
دعاء قرا ابو عمرو وحمزة وورش والبزي باثبات الياء وصلا وحذفها وقفا والباقون بحذفها وصلا
ووقفا وقد روي بعضهم اثباتها وقفا ايضا قال ابن عباس رضي الله عنه معناه تقبل عملي وعبادتي فسمي
العبادة دعاء قال صلوات الله وسلامه عليه الدعاء مخ العبادة وقال ابراهيم صلوات الله وسلامه عليه واعتزلكم
وما تدعون من دون الله وقيل معناه استجب دعائي **قوله تعالى** ربنا اغفر لي ولوالدي العامة على
والدي بالف بعد الواو وتشديد الياء وابن جبير كذلك الا انه سكن الياء اراد والده وحده لقوله واغفر
لابي وقرا الحسين بن علي ومحمد وزيد ابنا علي بن الحسين وابن يعمر رضي الله عنهم ولولدي دون الف تثنية ولد يعني
بهما اسمعيل واسحق وانكرها الجحدري بان في مصحف ابي ولابوي فهي مفسرة لقراءة العامة وروي عن ابن يعمر
انه قرا ولولدي بضم الواو وسكون اللام وفيها تاويلان احدهما انه جمع ولد كاسد في اسد وان يكون لغة في
الولد كالحزن والحزن والعدم والعدم والبخل والبخل وعليه قول الشاعر •

• فليت زيادا كان في بطن امه • وليت زيادا كان ولد حمار •

وقد قرئ بذلك في مريم والزخرف ونوح في السبعة كما سياتي ان شاء الله تعالى ويوم نصب باغفر
فان قيل طلب المغفرة انما يكون بعد الذنب وهو صلوات الله عليه كان قاطعا بان الله يغفر له
فكيف طلب ما كان قاطعا بحصوله فالجواب المقصود منه الالتجاء الى الله وقطع الطمع الا من فضل الله ورحمته
وكرمه فان قيل كيف جاز ان يستغفر لابويه وكانا كافرين فالجواب من وجوه الاول ان المنع لا يعلم

لابو قيف فلعله لم يجز منعا فظن جوازه الثاني اراد بالوالدين آدم وحوى صلوات الله وسلامه عليهما
الثالث كان ذلك بشرط الاسلام فان قيل لو كان الامر كذلك لما كان ذلك الاستغفار باطلا ولو لم
يكن باطلا لبطل قوله الا قول ابراهيم لابيه لاستغفرن لك فالجواب ان الله تعالى بين عذر خليله في استغفاره
لابيه في سورة التوبة وقال بعضهم كانت امه مؤمنة ولهذا خص اباه بالذكر في قوله فلما تبين له انه عدو
لله تبرأ منه وفي قوله يوم يقوم الحساب قولان الاول يقوم الى بيت المقدس وهو مشتق من قيام القائم
على الرجل كقولهم قامت الحرب على ساقها ونظيره قامت السوق اي استقلت وثبت سوقها كانت قائمة على الرجل
الثاني ان يسند الى الحساب قيام اهله على سبيل المجاز كقوله واسئل القرية **قوله تعالى** ولا تحسبن الله
غافلا عما يعمل الظالمون لما بين دلائل التوحيد ثم حكى عن ابراهيم صلوات الله وسلامه عليه انه طلب من الله
العظيم ان يصونه من الشرك وان يوفقه للاعمال الصالحة وان يخصه بالمغفرة والرحمة في يوم القيمة ذكر
بعده ما يدل على وجود القيمة وما يدل على صفة اهل القيمة اما الذي يدل على وجود القيمة وما يدل على
فقوله عز وجل ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون وذلك تنبيه على انه تبارك وتعالى لو لم ينتقم للمظلوم
من الظالم للزم اما ان يكون غافلا عن ذلك الظلم او عاجزا عن الانتقام او كان راضيا بذلك الظلم ولما كان
الغفلة والعجز والرضا بالظلم محالا على الله عز وجل امتنع ان لا ينتقم من الظالم للمظلوم فان قيل كيف يليق
بالرسول صلوات الله وسلامه عليه ان يحسب الله جل وعز سبحانه موصوفا بالغفلة فالجواب من وجوه الاول المراد
به التثبيت على ما كان عليه من انه لا يحسب انه كان غافلا كقوله تعالى ولا تكونن من المشركين ولا تدع مع الله الها
آخر والثاني المقصود منه بيان انه لو لم ينتقم لكان عدم الانتقام لاجل غفلته عن ذلك الظالم ولما كان
امتناع هذه الغفلة معلوما لكل احد لا جرم كان عدم الانتقام محالا الثالث ان المراد ولا تحسبنه يعاملهم
معاملة الغافل عما يعملون ولكن معاملة الرقيب على النقير والقطمير الرابع ان هذا الخطاب وان كان خطابا
للنبي صلى الله عليه وسلم تسليما كثيرا في الظاهر الا انه خطاب مع الامة قال سفين بن عيينة رضي الله عنه هذا
تسلية للمظلوم وتهديد للظالم **قوله تعالى** انما يؤخرهم ليوم اي لاجل يوم فاللام للعلة وقيل بمعنى الى
اي الغاية وقرأ العامة يؤخرهم بالياء لتقدم اسم الله الكريم وقرأ الحسن والسلمي والاعرج وخلائق رضي الله عنهم
ويروى عن ابي عمرو نؤخرهم بنون العظمة وتشخص صفة ليوم ومعنى شخوص البصر حدة النظر وعدم استقراره
في مكانه ويقال شخص سهمه وبصره واشخصهما صاحبهما وشخص بصره اي لم يطرف جفنه وشخوص البصر يدل على
الحيرة والدهشة ويقال شخص من بلده اي بعد والشخص سواد الانسان المرئي من بعيد **قوله تعالى** مهطعين
مقنعي رؤسهم حالان من المضاف المحذوف اذ التقدير اصحاب الابصار اذ يقال شخص زيد بصره او يكون الابصار
دلت على ارباب فجاءت الحال من المدلول عليه قالهما ابو البقاء وقيل مهطعين منصوب بفعل مقدر اي
تبصرهم مهطعين ويجوز في مقنعي ان يكون حالا من الضمير في مهطعين فيكون حالا اولا واضافته مقنعي غير حقيقية
فلذلك وقعت حالا والاهطاع قيل الاسراع في المشي قال الشاعر •

• اذا دعانا فاهطعنا لدعوته • داع سميع فلفونا وساقونا •

وقال • بمهطع سرح كان عنانه في جذع • وقال ابو عبيدة قد يكون الاسراع اذا ادامة النظر وقال
الراغب هطع الرجل ببصره اذا صوبه وبعير مهطع اذا صوب عنقه وقال الاخفش هو الاقبال على الاصغاء
وانشد • بدجلة دارهم ولقد اراهم • بدجلة مهطعين الى السماع • والمعنى مقبلين الى سماع
الداعي وقال ثعلب اهطع الرجل اذا نظر بذل وخشوع لا يقلع ببصره وهذا موافق لقول ابي عبيدة فقد جمع
فيه اهطع وهطع رباعيا وثلاثيا والاقناع رفع الرأس وادامة النظر من غير التفات الى غيره قاله القتيبي
وابن عرفة ومنه قوله يصف ابلا ترعى • اعالي النخل فتنقع رؤسها • يباكرن العضاه بمقنعات •
نواجذهن كالحدأ الوقيع • ويقال اقنع راسه اي طأطأها ونكسها فهو من الاضداد والقناعة الاجتزاء
باليسير ومعنى قنع بكذا اي رفع راسه عن السؤال وفم مقنع معطوف الاسنان الى داخله ورجل مقنع
بالتشديد ويقال قنع يقنع قناعة وقنعا اذا رضي وقنع قنوعا اذا سال فرق العرف بالمصدر وقال ابن
عبد قال بعضهم اصل هذه الكلمة من القناع وهو ما يغطى الرأس والقانع من يلح في السؤال فيرضى بما ياتيه كقوله

• كال المرء يصلحه فيغني • مفاقره اعف من القنوع •

ورجل مقنع يقنع به قال الشاعر • شهودي على ليلى عدول مقانع •

ومعنى الاية ان المعتاد فيمن شاهد البلاء انه يطرق راسه لئلا يراه فبين تعالى ان حالهم بخلاف هذا المعتاد
فانهم يرفعون رؤسهم والرؤس جمع راس وهو مؤنث ويجمع في القلة على ارؤس وفي الكثرة على رؤس والاراس
العظيم الرأس ويعبر به عن الرجل العظيم كالوجه والرئيس مشتق من ذلك ورئاس السيف مقبضه وشاة رأساء
اسودت رأسها **قوله تعالى** لا يرتد اليهم طرفهم في محل نصب على الحال من الضمير في مقنعي ويجوز ان يكون استينافا
والطرف في الاصل مصدر واطلق على الفاعل كقولهم ما فيهم عين تطرف والطرف هنا العين قال الشاعر

• واغض طرفي ما بدت لي جارتي • حتى يواري جارتي ماواها •

والطرف الجفن ايضا يقال ما طبق طرفه اي جفنه على الاخر والطرف ايضا تحريك الجفن ومعنى الاية دوام
ذلك الشخوص **قوله تعالى** وافئدتهم هواء يجوز ان يكون استينافا وان يكون حالا والعامل فيه اما
يرتد واما ما قبله من العوامل وافرد هواء وان كان خبرا عن جمع لانه في معنى فارغة متجوفة ولو لم يقصد ذلك لقال اهوية ليطابق الخبر مبتداه والهواء الخالي
من الاجسام ويعبر به عن الجبن يقال جوفه هواء اي فارغ قال زهير • كان الرحل منها فوق صعل •
من الظلماء جؤجؤه هواء • وقال حسان بن ثابت رضي الله عنه • وانت مجوف نخب هواء •
النخب الذي اخذ نخبه اي جنانه ويقال القلب فلان هواء اذا كان جبانا لا قوة في قلبه والمعنى ان قلوب
الكفار خالية يوم القيمة عن جميع الخواطر والافكار لعظم ما نالهم من الحيرة لما تحققوه من العذاب وخالية
من كل سرور لكثرة ما هم فيه من الحزن **قوله تعالى** وانذر الناس يوم يأتيهم قال ابو البقاء يوم يأتيهم مفعول
ثان لانذر اي خوفهم عذاب يوم ولذا قال الزمخشري وفيه نظر اذ يؤول الى قولك انذرهم عذاب يوم يأتيهم
العذاب ولا حاجة الى ذلك ولا جايز ان يكون ظرفا له لان ذلك اليوم لا انذار فيه سواء اريد به يوم القيامة
او يوم هلاكهم او يوم تلقاهم الملائكة والالف واللام في العذاب للمعهود السابق اي وانذرهم يوم يأتيهم
العذاب الذي تقدم ذكره وهو شخوص الابصار وكونهم مهطعين مقنعي رؤسهم **فصل** حمل
ابو مسلم قوله يوم يأتيهم العذاب على انه حال المعاينة لان هذه الاية شبيهة بقوله تعالى وانفقوا مما رزقناكم
من قبل ان يأتي احدكم الموت فيقول رب لولا اخرتني الى اجل قريب فاصدق واكون من الصالحين وظاهر
الاية يشهد بخلافه لانه تعالى وصف اليوم بان العذاب يأتيهم فيه وانهم يسئلون الرجعة ويقال لهم اولم تكونوا
اقسمتم من قبل ما لكم من زوال ولا يليق ذلك الا بيوم القيمة ثم حكى تعالى عنهم ما يقولونه في ذلك اليوم فيقول
الذين ظلموا ربنا اخرنا الى اجل قريب قال بعضهم طلبوا الرجعة الى الدنيا ليتلافوا وقيل طلبوا الرجوع
الى حال التكليف لقولهم نجب دعوتك ونتبع الرسل فقوله نجب جواب الامر **قوله تعالى** اولم تكونوا
اقسمتم قال الزمخشري على ارادة القول وفيه وجهان ان يقولوا ذلك بطرا واشرا وان يقولوه بلسان الحال
حيث بنوا شديدا واملوا بعيدا وما لكم جواب القسم وانما جاء بلفظ الخطاب لقوله اقسمتم ولو جاء بلفظ المقسمين
لقيل ما لنا وقدر ابو حيان ذلك القول من قول الله عز وجل او الملائكة عليهم السلام اي فيقال لهم اولم تكونوا
وهو اظهر من الاول اعني جريان القول من غيرهم لا منهم والمعنى اولم تكونوا اقسمتم زاد قوله واقسموا بالله
جهد ايمانهم لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها الى غير ذلك مما كانوا يحكونه **قوله تعالى** وسكنتم في مساكن اصل
سكن التعدي بفي كما في هذه الاية وقد قال الزمخشري السكنى من السكون الذي هو اللبث والاصل تعديه بفي
كقولك قر في الدار واقام فيها وغنى فيها ولكنه لما نقل الى سكون خاص تصرف فقيل سكن الدار كما قيل
سواها واوطنها ويجوز ان يكون من السكون اي قروا فيها واطمانوا والمعنى وسكنتم في مساكن الذين كفروا
قبلكم كقوم نوح وعاد وثمود وظلموا انفسهم بالكفر لان من شاهد هذه الحال وجب عليه ان يعتبر فاذا
لم يعتبر استوجب الذم والتقريع **قوله تعالى** وتبين لكم فاعله مضمر لدلالة الكلام عليه اي حالهم
وخبرهم وهلاكهم وكيف نصب بفعلنا وجملة الاستفهام ليست معمولة لتبين لانه من الافعال التي
لا تعلق ولا جايز ان يكون كيف فاعلا لانها اما شرطية او استفهامية وكلاهما لا يعمل فيه ما تقدمه والفاعل
لا يتقدم عندنا وقال بعض الكوفيين ان جملة كيف فعلنا هو الفاعل وهم يجيزون ان يكون الجملة فاعلا
وقد تقدم هذا في قوله ثم بدا لهم من بعد ما راوا الايات ليسجننه والعامة على تبين فعلا ماضيا وقرأ
عمر بن الخطاب والسلمي رضي الله عنهما في رواية عنه ونبين بضم النون الاولى والثانية مضارع بين وهي خبر
مبتدأ مضمر والجملة حال اي ونحن نبين وقرأ السلمي فيما نقل المهدوي كذلك الا انه سكن النون للجزم نسقا

علي تكونوا فيكون داخلا في حيز التقدير **فصل** والمعنى عرفتم عقوبتنا اياهم وضربنا لكم
الامثال في القران مما يعلم به انه قادر على الاعادة كما قدر على الابتدا وقادر على التعذيب المؤجل كما فعل
في الهلاك المعجل **قوله تعالى** وقد مكروا مكرهم قيل الضمير عايد الى الذين سكنوا في مساكن الذين ظلموا
انفسهم وقيل المراد قوم محمد صلوات الله الرحيم وسلامه عليه لقوله تعالى وانذر الناس يوم ياتيهم العذاب
بالمجهور وقد مكروا اي مكرهم وذلك في قوله تعالى واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك او يقتلوك او يخرجوك
وقيل المراد من هذا المكر ما نقل ان نمرود حاول الصعود الى السماء فاتخذ لنفسه تابوتا وربط قوايمه الاربع
باربعة نسور وكان قد جوعها وجعل في جوانب التابوت الاربع عصيا وعلق عليها اللحم ثم جلس مع صاحب له
في التابوت فلما ابصرت النسور اللحم تصاعدت في الجو ثلاثة ايام وغابت الدنيا عن عين نمرود ثم نكس العصي التي
عليها اللحم فهبطت النسور الى الارض قال القاضي رحمه الله هذا بعيد جدا لان الخطر فيه عظيم وما يكاد العاقل
يقدم عليه وما جاء في خبر ولا دليل قال القشيري وهذا جايز بتقدير خلق الحيوة في الجبال وذكر الماوردي
عن ابن عباس رضي الله عنه ان النمرود بن كنعان بنى الصرح في قرية يقال لها الرس من سواد الكوفة وجعل طوله
خمسة الاف ذراع وخمسة وعشرين ذراعا او صعد منه مع النسور فلما علم انه ليس له سبيل الى السماء اتخذ
حصنا وجمع فيه اهله وولده ليتحصن فيه فاتى الله بنيانه من القواعد فتداعى الصرح عليهم فهلكوا جميعا فهذا
معنى قوله وقد مكروا مكرهم **قوله تعالى** وعند الله مكرهم يجوز ان يكون هذا المصدر مضافا لفاعله
كالاول بمعنى ان مكرهم الذي مكروه جزاوه عند الله تعالى او للمفعول بمعنى ان عند الله مكرهم الذي يمكرهم به
اي يعذبهم قالهما الزمخشري قال ابو حيان وهذا لا يصح الا ان كان مكر يتعدى بنفسه كما قال هو اذ قد
يمكرهم به والمحفوظ ان مكر لا يتعدى الى مفعول به بنفسه قال تعالى واذ يمكر بك الذين كفروا ويقال زيد
ممكور به ولا يحفظ زيد ممكور بسبب كذا **قوله تعالى** وان كان مكرهم لتزول منه الجبال قرا العامة
بكسر لام لتزول الاولى والكسائي بفتحها فاما القراة الاولى ففيها ثلاثة اوجه احدها انها نافية واللام
لام الجحود لانها بعد كون منفي وفي كان حينئذ قولان احدهما انها تامة والمعنى تحقير مكرهم انه ما كان
لتزول منه الشرايع التي كالجبال في ثبوتها وقوتها ويوتيه كونها نافية قراة عبد الله وما كان مكرهم القول
الثاني انها ناقصة وفي خبرها القولان المشهوران بين البصريين والكوفيين هل هو محذوف واللام
متعلقة به واليه ذهب البصريون او هو اللام وما جرته كما هو مذهب الكوفيين وقد تقرر هذا في اخر
ال عمران الوجه الثاني ان تكون المخففة من الثقيلة قال الزمخشري وان عظم مكرهم وتبالغ في الشدة فضرب
زوال الجبال منه مثلا لشدته اي وان كان مكرهم معدا لذلك وقال ابن عطية ويحتمل عندي ان تكون
معنى هذه القراة تعظيم مكرهم اي وان كان شديدا انما يفعل ليذهب به عظام الامور فمفهوم هذه
الكلام انها مخففة لانه اثبات والثالث انها شرطية وجوابها محذوف اي وان كان مكرهم معدا لازالة
اشباه الجبال الرواسي وهي المعجزات والايات فالله مجازيهم بمكر هو اعظم منه وقد رجح الوجهان الاخيران
على الاول وهو انها نافية لان فيه معارضة لقراة الكسائي في ذلك ان قراته توذن بالاثبات وقراة غيره
توذن بالنفي وقد اجاب بعضهم عن ذلك بان الجبال في قراة الكسائي مشار بها الى امور عظام غير الاسلام
ومعجزاته لمكرهم صلاحية ازالتها وفي قراة الجماعة مشار بها الى ما جاء به النبي المختار صلوات الله وسلامه
عليه من الدين الحق فلا تعارض اذ لم يتواردا على معنى واحد نفيا واثباتا واما قراة الكسائي ففي ان
وجهان مذهب البصريين انها المخففة واللام فارقة ومذهب الكوفيين انها نافية واللام بمعنى الا
وقد تقدم تحقيق المذهبين وقرا عمر وعلي وعبد الله وزيد بن علي وابو سلمة وجماعة رضي الله عنهم
وان كاد مكرهم لتزول كقراة الكسائي الا انهم جعلوا مكان نون كان دالا فعل مقاربة وتخريجها
كما تقدم ولكن الزوال غير واقع وقرئ لتزول بفتح اللامين وتخريجها على اشكالها انها جاءت على لغة من
يفتح لام كي **فصل** في الجبال التي عني زوالها بمكرهم وجهان احدهما جبال الارض الثاني الاسلام
والقران لان ثبوته ورسوخه كالجبال وقال القشيري وعند الله مكرهم اي هو عالم بذلك فيجازيهم
او عند الله جزاء مكرهم فحذف المضاف **قوله** فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله الايات لما بين
في الاية الاولى انه ينتصر للمظلوم من الظالم بين هاهنا انه لا يخلف الوعد **قوله** مخلف وعده العامة
على اضافة مخلف الى وعده وفيها وجهان اظهرهما ان مخلف يتعدى لاثنين كفعله فقدم المفعول الثاني

واضيف اليه اسم الفاعل تخفيفا نحو هذا كاسي جبة زيدا قال الفرا وقطرب لما تعدى اليهما جميعا لم يبال
بالتقديم والتاخير وقال الزمخشري فان قلت هلا قيل مخلف رسله وعده ولم قدم المفعول الثاني على الاول
قلت قدم الوعد ليعلم انه لا يخلف الوعد اصلا ثم قال رسله ليوذن انه اذا لم يخلف وعده احدا وليس من شانه اخلاف
المواعيد كيف يخلفه رسله وقال ابو البقا هو قريب من قولهم • يا سارق الليلة اهل الدار • وانشد بعضهم
نظير الاية الكريمة قول الشاعر • ترى الثور فيها مدخل الظل راسه • وساير باد الى الجذع اجمع • والحسبان
هنا الامر المتيقن كقوله • فلا تحسبن اني اضل منيتي • وكل امري كاس الحمام يذوق • الثاني
انه متعد لواحد وهو وعده واما رسله فمنصوب بالمصدر فانه ينحل بحرف مصدري وفعل تقديره مخلف
ما وعد رسله فما مصدرية لا بمعنى الذي وقرات جماعة مخلف وعده رسله بنصب وعده وجر رسله فصلا بالمفعول
بين المتضايفين وهي كقراة ابن عامر قتل اولادهم شركايهم قال الزمخشري جراة منه وهذه في الضعف كمن قرا قتل اولادهم
شركايهم ثم قال ان الله عزيز ذو انتقام غالب لاهل المكر وانتقام لاوليايه منهم **قوله تعالى** يوم تبدل الارض
الاية لما بين انه عزيز ذو انتقام بين وقت انتقامه فقال يوم تبدل الارض يجوز في يوم عدة اوجه احدها ان يكون
منصوبا بانتقام اي يقع انتقامه في ذلك اليوم الثاني ان ينتصب باذكر الثالث ان ينتصب بما يتلخص من معنى عزيز
ذو انتقام الرابع ان يكون بدلا من يوم ياتيهم الخامس ان ينتصب بمخلف السادس ان ينتصب بوعده وان وما بعدها
اعتراض ومنع ابو البقا هذين الاخيرين قال لان ما قبل ان لا يعمل فيما بعدها وهذا غير مانع لانه كما تقدم
اعتراض فلا يبالي به فاصلا **فصل** التبديل يحتمل وجهين الاول ان تكون الذات باقية وتبدل الصفة
بصفة اخرى كما تقول بدلت الحلقة خاتما اذا اذبتها وسويتها فنقلتها من شكل الى شكل ومنه قوله تعالى فاوليك
يبدل الله سياتهم حسنات ويقال بدلت قميصي جبة اذا قلبت عينه فجعلته جبة وقال الشاعر •
فما الناس بالناس الذين عرفتهم • ولا الدار بالدار التي كنت تعلم •
الثاني ان تفنى الذات وتحدث ذاتا اخرى كقولك بدلت الدراهم دنانير ومنه قوله تعالى وبدلناهم بجنتيهم جنتين
واذا عرفت ان اللفظ محتمل للوجهين ففي الاية قولان الاول قال ابن عباس رضي الله عنه هي تلك الارض الا انها تغير
صفتها فتسير عنها جبالها وتفجر انهارها وتسوى فلا ترى فيها عوجا ولا امتا وقال صلوات الله وسلامه عليه
تبدل الارض غير الارض فيبسطها ويمدها مد الاديم العكاظي لا ترى فيها عوجا ولا امتا وتبدل السموات بانتثار
كواكبها وانفطارها وتكوير شمسها وخسوف قمرها وكونها تكون تارة كالمهل وتارة كالدهان والقول الثاني تبدل
الذات قال ابن مسعود رضي الله عنه تبدل بارض كالفضة البيضا النقية لم يسفك فيها دم ولم يعمل عليها خطيية
والقايلون بالقول الاول هم الذين يقولون عند قيام القيامة لا يعدم الله الذوات والاجسام وانما يعدم صفاتها
وقيل المراد من تبديل الارض والسموات هو انه تعالى يجعل الارض جهنم ويجعل السموات الجنة بدليل قوله تعالى كلا ان
كتاب الفجار لفي سجين وقوله عز وجل كلا ان كتاب الابرار لفي عليين قالت عايشة رضي الله عنها سالت رسول الله صلى الله
عليه وسلم عن قوله تعالى يوم تبدل الارض غير الارض والسموات اين تكون الناس يوميذ يا رسول الله فقال صلى الله عليه
وسلم على الصراط وروى ثوبان رضي الله عنه ان حبرا من اليهود سال رسول الله صلى الله عليه وسلم اين تكون الناس
يوم تبدل الارض غير الارض فقال هم في الظلمة دون الجسر **قوله تعالى** والسموات تقديره وتبدل السموات غير
السموات وقرئ نبدل بالنون الارض نصبا والسموات نسقا عليه **قوله تعالى** وبرزوا فيه وجهان احدهما
انها جملة مستانفة اي ويبرزون كذا قدره ابو البقا يعني انه ماض يراد به الاستقبال والاحسن انه مثل ونادى
اصحاب النار ونادى اصحاب الجنة ربما يود الذين كفروا اتى امر الله لتحقق ذلك والثاني انها حال من الارض وقد معها
مرادة قاله ابو البقا ويكون الضمير في برزوا للخلق دل عليهم السياق والرابط بين الحال وصاحبها الواو وقرا زيد بن علي
وبرزوا بضم البا وكسر الرا مشددة على التكثير في الفعل ومفعوله وتقدم الكلام في معنى البروز عند قوله تعالى
وبرزوا لله جميعا وانما ذكر الواحد القهار هنا لان الملك اذا كان لمالك واحد غالب لا يغلب قهار لا يقهر فلا مستغاث
الى احد غيره ولما وصف نفسه تعالى بكونه قهارا بين عجزهم وذلهم فقال وترى المجرمين ووصفهم بصفات الاولى
قوله تعالى مقرنين في الاصفاد يجوز ان يكون حالا على ان الروية بصرية وان يكون مفعولا ثانيا على انها علمية وفي
الاصفاد متعلق به وقيل بمحذوف على انه حال او صفة لمقرنين والمقرن من جمع في القرن وهو الحبل الذي يربط به
قال الشاعر • وابن اللبون اذا ما لز في قرن • لم يستطع صولة البزل القناعيس •
وقال اخر • والخير والشر مقرونان في قرن •

وقال جرير • اي لدي الباب سلو وزني في قرن • يقال قرنت الشيء بالشيء اذا شددته به ووصلته
والقرن اسم الحبل الذي يشد به وتكرير لكثرة ذلك والاصفاد جمع صفد وهو الغل والقيد يقال صفده يصفده
صفدا قيده والاسم الصفد وصفده شددا للتكثير قال الشاعر • فآبوا بالنهاب وبالسبايا •
وابنا بالملوك مصفدينا • والصفاد مثل الصفد واصفده اي اعطاه ففرقوا بين فعل وافعل وقيل يستعمل
في القيد وفي العطا قال النابغة • فلم اعرض ابيت اللعن بالصفد • اي بالاعطاء وسمي العطا صفدا لانه
تقييد من تعطيه ومنه انا مغلول اياديك واسير نعمتك فصل قيل يقرن كل كافر مع شيطان في سلسلة
بيانه قوله تعالى احشروا الذين ظلموا وازواجهم يعني قرناهم من الشياطين وقوله جل ذكره واذا النفوس زوجت
اي قرنت وقيل مقرونة ايديهم وارجلهم الى رقابهم بالاصفاد بالقيود قوله تعالى سرابيلهم من قطران مبتدا
وخبر في محل نصب على الحال اما من المجرمين واما من مقرنين واما من ضميره ويجوز ان يكون مستانفة وهو الظاهر
والسرابيل الثياب وسربلته اي البسته السربال قال الشاعر • اودي بنعلي وسرباليه • ويطلق على ما
يحصن في الحرب من الدرع وشبهه قال سبحانه وتعالى وسرابيل تقيكم باسكم والقطران ما يتحلب من شجر يسمى الابهل
فيطبخ ويطلى به الابل الجرب ليذهب جربها بحرارته وقد تصل حرارته الى داخل الجوف ومن شانه ان يسرع فيه
اشتعال النار وهو اسود اللون منتن الريح وفيه لغات قطران بفتح القاف وكسر الطاء وهي قراءة العامة
وقطران بزنة سكران وبها قرا عمر بن الخطاب وعلي بن ابي طالب رضي الله عنهما وقال ابو النجم لبسنه القطران والمسوحا
وقطران بكسر القاف وسكون الطاء بزنة سرحان ولم يقرا بها فيما علمت قاله شهاب الدين رحمه
الله وقرا جماعة كثيرة منهم علي بن ابي طالب وابن عباس وابو هريرة والحسن رضي الله عنهم قطر بفتح القاف وكسرها
وتنوين الراء آن بوزن عان جعلوهما كلمتين والقطر النحاس والآني اسم فاعل من انى يانى اي تناهى في الحرارة
كقوله تعالى وبين حميم آن وعن عمر رضي الله عنه ليس بالقطران ولكنه النحاس الذي يصربلونه قال ابن الانباري
وتلك النار لا تبطل ذلك القطران ولا تفنيه كما لا تهلك اجسادهم النار والاغلال التي عليهم واعلم انه يطلى بذلك
القطران جلود اهل النار حتى يصير ذلك الطلا كالسربال وهو القميص فيحصل بسببه اربعة انواع من العذاب لذع
القطران وحرقته واسراع النار في جلودهم واللون الوحش ونتن الريح وايضا التفاوت بين قطران القيامة
وقطران الدنيا قوله تعالى وتغشى وجوههم النار قرئ وتغشى بنصب الشين اي وتتغشى بحذف احدى التائين
وقرئ برفع وجوههم ونصب النار على سبيل المجاز جعل ورود الوجوه النار غشيانا والجملة من قوله وتغشى قال
ابو البقا حال ايضا يعني انها معطوفة على الحال ولا يعني انها حال والواو للحال لانه مضارع مثبت فصل
المعنى تعلو النار وجوههم ونظيره قوله تعالى افمن يتقي بوجهه سوء العذاب يوم القيمة وقوله يوم يسحبون في النار
على وجوههم واعلم ان موضع المعرفة والنكرة والعلم والجهل هو القلب وموضع الفكر والوهم والخيال هو الراس
وتاثير هذه الاحوال يظهر في الوجه فلهذا السبب خص الله تعالى هذين العضوين بظهور آثار العقاب فيهما قال
الله تعالى في القلب نار الله الموقدة التي تطلع على الافئدة وقال تعالى في الوجه وتغشى وجوههم النار قوله تعالى
ليجزي الله كل نفس ما كسبت في هذه اللام وجهان اظهرهما ان تتعلق ببرزوا وعلى هذا فقوله وترى جملة معترضة
بين المتعلق والمتعلق به والثاني انها تتعلق بمحذوف اي فعلنا بالمجرمين ذلك ليجزي كل نفس لانه اذا عاقب
المجرمين اثاب الطائعين قال الواحدي المراد نفس الكفار لان ما سبق ذكره لا يليق ان يكون جزاء لاهل الايمان
ويمكن اجراء اللفظ على عمومه وانه تعالى يجزي كل نفس ما كسبت من عملها اللائق بها فيجزي الكافر بانواع العقاب
المذكور ويجزي المؤمن المطيع الثواب وايضا فالله تعالى لما عاقب المجرمين بجرمهم فلان يثيب المطيعين اولى
ثم قال تعالى ان الله سريع الحساب اي لا يظلمهم ولا يزيد على عقابهم الذي يستحقونه قوله تعالى هذا
بلاغ اشارة الى ما تقدم من قوله ولا تحسبن الى هنا او الى كل القرآن نزل منزلة الحاضر بلاغ اي كفاية في الموعظة
قوله تعالى ولينذروا به فيه اوجه احدها انه متعلق بمحذوف اي ولينذروا الثالث ان الواو مزيدة ولينذروا
متعلق ببلاغ وهو راي الاخفش نقله الماوردي الرابع انه محمول على المعنى اي ليبلغوا ولينذروا الخامس ان
اللام لام الامر قال وهو حسن لولا قوله وليذكر فانه منصوب فقط قال شهاب الدين لا محذور في ذلك فان قوله
وليذكر ليس معطوفا على ما تقدمه بل متعلق بفعل مقدر اي وليذكر انزلناه واوحيناه السادس انه خبر
مبتدا مضمر التقدير هذا بلاغ وانذار قاله المبرد وهو تفسير معنى لا اعراب الثامن انه معطوف على قوله لتخرج الناس
في اول السورة وهذا غريب جدا التاسع قال ابو البقا المعنى هذا بلاغ للناس والانذار متعلق بالبلاغ او بمحذوف اذ جعلت

للناس صفة ويجوز ان يتعلق بمحذوف تقديره ولينذروا به انزل وتلي قال شهاب الدين فيؤدي التقدير
الى ان يبقى التركيب هذا بلاغ للانذار والانذار لا يتاتى فيه ذلك وقرا العامة لينذروا مبنيا للمفعول وقرا
مجاهد وحميد بن قيس رضي الله عنهما ولتنذروا بتاء مضمومة وكسر الذال كان البلاغ العموم والانذار للمخاطبين
وقرا يحيى بن عمارة الدارع عن ابيه واحمد بن يزيد بن اسحق السلمي ولينذروا بفتح الياء والذال من نذر بالشيء اي علم به
فاستعد له قالوا ولم يعرف مصدر فهو كعسى وغيرها من الافعال التي لا مصادر لها فصل معنى لينذروا
اي ليخوفوا به وليعلموا انما هو اله واحد اي ليستدلوا بهذه الآيات على وحدانية الله تعالى قوله تعالى وليذكر
اولوا الالباب اي ليتعظ اولوا العقول قال القاضي اول هذه السورة وآخرها يدل على ان العبد مستقل بفعله ان
شاء اطاع وان شاء عصى اما اول السورة فقوله تعالى لتخرج الناس من الظلمات الى النور وقد ذكرناه هناك واما آخر
السورة فقوله تعالى وليذكر اولوا الالباب يدل انه تعالى انما انزل هذه السورة وذكر هذه المواعظ لاجل ان ينتفع الخلق
بها فيصيروا مؤمنين مطيعين ويتركوا الكفر والمعصية وقد تقدم جوابه روى ابو امامة عن ابي بن كعب رضي الله
عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة ابراهيم صلوات الله وسلامه عليه اعطي من الاجر عشر حسنات
بعدد من عبد الاصنام ومن لم يعبدها صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم تسليما كثيرا كثيرا • • •

سورة الحجر

وهي تسع وتسعون آية وستمائة واربع وخمسون كلمة وعدد حروفها الفان وسبع مائة حرف بسم الله
الرحمن الرحيم قوله تعالى الر تلك آيات الكتاب وقرآن مبين تقدم نظير تلك آيات اول الرعد والاشارة بتلك
لما تضمنته السورة ولم يذكر الزمخشري غيره رحمه الله وقيل اشارة الى الكتب السالفة وتنكير القرآن للتفخيم والمعنى
تلك آيات ذلك الكتاب الكامل في كونه كتابا وفي كونه قرآنا مفيدا للبيان والمراد بالكتاب والقرآن المبين الكتاب الذي
وعد به محمد صلوات الله وسلامه عليه اي يبين الحلال من الحرام والحق من الباطل فان قيل لم ذكر الكتاب ثم قال
وقرآن وكلاهما واحد قيل كل واحد يفيد فائدة اخرى فان الكتاب ما يكتب والقرآن ما يجمع بعضه الى بعض وقيل
المراد بالكتاب التوراة والانجيل فيكون اسم جنس وبالقرآن هذا الكتاب قوله تعالى ربما يود في رب قولان احدهما
انها حرف جر وزعم الكوفيون وابو الحسن وابن الطراوة انها اسم ومعناها التقليل على المشهور وقيل تفيد
التكثير في مواضع الافتخار كقوله • فيا رب يوم قد لهوت وليلة • بآنسة كانها خط تمثال •
وقد اجيب عن ذلك بانها لتقليل النظير وفيها سبع عشرة لغة وهي رب بضم الراء وفتحها كلاهما مع تشديد
الباء وتخفيفها مفتوحة فهذه اربع وربت بالاوجه الاربعة مع تاء التانيث الساكنة وربت بالاوجه الاربعة
مع تاء التانيث المتحركة ورب بضم الراء وفتحها مع اسكان الباء ورب بضم الراء والباء معا مشددة ومخففة وربتا
وامهر هاربت بالضم والتشديد والتخفيف وبالثانية قرا نافع وعاصم وبانضمامها بتاء التانيث قرا طلحة
ابن مصرف وزيد بن علي ربتما ولها احكام كثيرة منها لزوم تصديرها ومنها تنكير مجرورها وقوله •
ربما الجامل المؤبل فيهم • وعناجيج بينهن المهادي •
ضرورة في رواية من جر الجامل ويجر ضميرا لازم التفسير بنكرة بعده يستغنى بتثنيتها وجمعها وتانيثها
عن تثنية الضمير وجمعه وتانيثه كقوله • وربه عطبا انقذت من عطبه • والمطابقة
نحو ربهما رجلين نادر وقد يعطف على مجرورها ما اضيف الى ضميره نحو رب رجل واخيه وهل يلزم وصف
مجرورها ومضي ما يتعلق به خلاف والصحيح عدم ذلك فمن مجيئه غير موصوف قول هند •
يا رب قائلة غدا يا لهف ام معاويه • ومن مجي المستقبل قوله • فان اهلك فرب فتى سيبكي •
علي مهذب رخص البنان • وقول هند يا رب قائلة غدا البيت • وقول سليم •
ومعتصم بالحي من خشية الردى • سيردي وغاز مشفق سيؤوب •
فان حرف التنفيس وغدا خلصاه للاستقبال وربت تدخل على الاسم وربما على الفعل يقال رب رجل
جاءني وربما جاءني رجل وما في ربما تحتمل وجهين اظهرهما انها المهيئة بمعنى ان رب مختصة بالاسماء فلما
جاءت ما هيات دخولها على الافعال وقد تقدم نظير ذلك في انما واخواتها وتكفها ايضا عن العمل كقوله

ربما الحامل الموبل في روايه من رفعه كما جرى ذلك في كافي التنبيه والثاني ان ما نكره موصوف بالجملة الواقعة
بعدها والعائد على محذوف تقديره رب شيء يوده الذين كفروا ومن لم يلتزم مضي متعلقها لم يحتج الى تاويل
ومن التزم ذلك قال لان المترقب في اخبار الله تعالى واقع لا محالة فعبر عنه بالماضي تحقيقا لوقوعه كقوله تعالى
اتى امر الله ونحو **قوله تعالى** لو كانوا يجوز في لو ان تكون الامتناعية وحينئذ يكون جوابها محذوفا تقديره لو كانوا
مسلمين لسروا وتخلصوا مما هم فيه ومفعول يود محذوف على هذا التقدير اي ربما يود الذين كفروا النجاة
دل عليه الجملة الامتناعية والثاني انها مصدرية عند من يرى ذلك كما تقدم تقريره في البقرة وحينئذ يكون
عن المصدر الموول هو المفعول للودادة اي يودون كونهم مسلمين ان جعلنا ما كافة وان جعلناها نكرة كانت
لو وما في حيزها بدلا من ما **فصل** المعنى تمنى الذين كفروا لو كانوا مسلمين واختلفوا في الحال التي يتمنى فيها
قال الضحاك الحال المعاينة وقيل يوم القيمة والمشهور انه حين يخرج الله المومنين من النار روى ابو موسى الاشعري
رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم تسليما كثيرا دائما ابدا قال اذا اجتمع اهل النار في النار ومعهم من شاء الله
من اهل القبلة قال الكفار لمن في النار من اهل القبلة الستم مسلمين قالوا بلى قالوا فما اغنى عنكم اسلامكم وانتم معنا
في النار قالوا كانت لنا ذنوب فاخذنا بها فينظر الله اليهم بفضل رحمته فيامر بكل من كان من اهل القبلة في النار فخرجوا
منها فحينئذ يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين فان قيل ربما للتقليل وهذا التمني يكثر من الكفار فالجواب
ان ربما قد يراد بها التكثير والمقصود اظهار الترفع والاستغناء عن التصريح بالغرض فيقولون ربما ندمت على ما فعلت
ولعلك تندم على فعلك اذا كان العلم حاصلا بكثرة الندم قال الشاعر • قد اترك القرن مصفرا انامله •
وقيل التقليل ابلغ في التهديد والمعنى ان قليل الندم كان في الزجر عن هذا العمل فكيف كثيره وقيل ان شغلهم
بالعذاب لا يفرغهم الندامة انما يخطر ذلك ببالهم احيانا فان قيل اذا كان اهل القيمة يتمنون امثال هذه الاحوال
وجب ان يتمنى المومن الذي يقل ثوابه درجة المومن الذي يكثر ثوابه والمتمني لما لا يجده يكون في الغصة وتالم
القلب فالجواب احوال اهل الاخرة لا تنقاس باحوال اهل الدنيا فان الله تعالى يرضي كل احد بما هو فيه ونزع عن قلوبهم
الحسد وطلب الزيادات كما قال تعالى ونزعنا ما في صدورهم من غل **قوله** ذرهم ياكلوا ويتمتعوا الاية
اي دع يا محمد الكفار ياخذوا حظوظهم من دنياهم فتلك خلاقهم ولا خلاق لهم في الاخرة ويلههم يشغلهم الامل عن الاخذ
بحظهم من الايمان والطاعة فسوف تعلمون اذا وردوا القيمة وذاقوا وبال صنعهم وهذا تهديد ووعيد وقال
بعض العلماء ذرهم تهديد وسوف يعلمون تهديد اخر فمتى يهنا العيش بين تهديدين والاية نسختها اية القتال
قوله تعالى ذرهم هذا لا يستعمل له ماض الا قليلا استغناء عنه بترك بل يستعمل منه المضارع نحو ويذرهم
ومن مجيء الماضي قوله صلوات الله وسلامه عليه ذروا الحبشة ما وذرتكم ومثله دع ويدع ولا يقال ودع
الا نادرا وقد قرى وما ودعك مخففا وانشدوا • سل اميري ما الذي غيره • عن وصالي اليوم حتى ودعه
وياكلوا مجزوم على جواب الامر وقد تقدم ان ترك وذر يكونان بمعنى صير فعلى هذا يكون المفعول الثاني محذوفا
اي ذرهم مهملين وقوله تعالى ويلههم الامل يقال لهيت عن الشيء الهى لهيا جاء في الحديث ان ابن الزبير رضي الله
عنه كان اذا سمع صوت الرعد لهي عن الحديث قال الكسائي والاصمعي كل شي تركته فقد لهيت عنه وانشد •
صرمت حبالك فالهَ عنها زينب • اي اتركها واعرض عنها **فصل** قال القرطبي اربعة من الشقا
جمود العين وقسا القلب وطول الامل والحرص على الدنيا فطول الامل داء عضال ومرض مزمن ومتى تمكن من
القلب فسد مزاجه واشتد علاجه ولم يفارقه داء ولا نجع فيه دواء بل اعيا الاطبا ويئس من برئه الحكما والعلما
وحقيقة الامل الحرص على الدنيا والانكباب عليها والحب لها والاعراض عن الاخرة قال صلوات الله وسلامه عليه
نجا اول هذه الامة باليقين والزهد ويهلك اخرها بالبخل والامال وقال الحسن ما اطال عبد الامل الا اساء العمل
قوله تعالى وما اهلكنا من قرية اي من اهل قرية الا ولها كتاب فيه اوجه اظهرها انها واو الحال ثم لك اعتباران
احدهما ان تجعل الواو وحدها الجار وترفع كتاب به فاعلا والثاني ان تجعل الجار خبرا مقدما وكتاب
مبتدا والجملة حال وهذه الحال لازمة الوجه الثاني ان الواو مزيدة ويويده قراءة ابن ابي عبلة الا لها باسقاطها
والزيادة ليست بالسهلة الثالث ان الواو داخلة على الجملة الواقعة صفة لقرية والقياس ان لا يتوسط هذه
الواو بينهما كما في قوله تعالى وما اهلكنا من قرية الا لها منذرون وانما توسطت لتاكيد لصوق الصفة بالموصوف
كما تقول جاءني زيد عليه ثوبه وجاءني وعليه ثوبه وقد تبع الزمخشري في ذلك ابو البقاء وقد سبق له ذلك
ايضا في البقرة عند قوله تعالى وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم قال ابو حيان رحمه الله ولا نعلم احدا قال من النحويين

قال

قال شهاب الدين وفي محفوظي ان ابن جني سبقهما الى ذلك ثم قال ابو حيان وهو مبني على جواز ان ما بعد
الا يكون صفة وقد منعوا ذلك قال الاخفش لا يفصل بين الصفة والموصوف بالا ثم قال واما نحو ما جاءني
رجل الا راكب على تقدير الا رجل راكب وفيه قبح لجعلك الصفة كالاسم وقال ابو علي تقول ما مررت باحد
الا قايما فايما حال ولا يقول الا قايم لان الا لا تعترض بين الصفة والموصوف وقال ابن مالك وقد ذكر ما ذهب
اليه الزمخشري في قوله ما مررت باحد الا زيد خير منه ان الجملة نعت لاحد انه مذهب لا يعرف
لبصري ولا كوفي فلا يلتفت اليه وابطل قوله ان الواو توسطت لتاكيد لصوق الصفة بالموصوف قال
شهاب الدين قول الزمخشري قوي من حيث القياس فان الصفة كالحال في المعنى وان كان بينهما فرق من بعض الوجوه
فكما ان الواو تدخل على الجملة الواقعة حالا كذلك تدخل عليها واقعة صفة ويقويه ايضا ما نظر به من الاية
الاخرى في قوله من قرية الا لها منذرون ويقويه ايضا قراءة ابن ابي عبلة المتقدمة وقال منذر بن سعيد
هذه الواو هي التي تعطي ان الحالة التي بعدها في اللفظ هي في الزمن قبل الحالة التي قبل الواو ومنه قوله تعالى
حتى اذا جاءوها وفتحت ابوابها **فصل** لما توعد مكذبي الرسل بقوله ذرهم ياكلوا ويتمتعوا الاية
اتبعه بما يوكد الزجر وهو قوله وما اهلكنا من قرية الا ولها كتاب معلوم في الهلاك والعذاب اي اجل مضروب
لا يتقدم العذاب عليه ولا يتاخر عنه والمراد بهذا الهلاك عذاب الاستيصال وقيل الموت قال القاضي والاول
اقرب لانه ابلغ في الزجر فبين تعالى ان هذا الامهال لا ينبغي ان يغتر به العاقل وقيل المراد بالهلاك مجموع الامرين
قوله تعالى ما تسبق من امة اجلها من زائدة فاعل تسبق ومن مزيدة للتاكيد كقولك ما جاءني من احد قال الواحدي
وقيل ليست بزائدة لانها تفيد التبعيض اي هذا الحكم لم يحصل في بعض من ابعاض هذه الحقيقة فيكون
ذلك في افادة عموم النفي اكد قال الزمخشري متى سبق اذا كان واقعا على شخص كان معناه انه جاز وخلف
كقولك سبق زيد عمروا اي جازه وخلفه وراءه ومعناه انه قصر عنه وما بلغه واذا كان واقعا على زمان
كان بالعكس في ذلك كقولك سبق فلان عام كذا معناه انه قبل اتيانه ولم يبلغه فقوله ما تسبق من امة اجلها
وما يستاخرون معناه انه لا يحصل الاجل قبل ذلك الوقت ولا بعده بل انما يحصل في ذلك الوقت بعينه وحمل
على لفظ امة في قوله اجلها فافرد وانث وعلى معناها في قوله تعالى وما يستاخرون فجمع وذكر وحذف متعلق
يستاخرون لفهم المعنى وحسن ذلك الفاصلة وهذه الاية تدل على ان كل من مات او قتل فانما مات
باجله وان من قال يجوز ان يموت قبل اجله مخطئ **قوله** وقالوا يعني مشركي مكة يا ايها الذي نزل عليه الذكر
اي القران وارادوا به محمدا صلوات الله وسلامه عليه والعامة على نزل مشددا مبنيا للمفعول وزيد بن علي نزل
مخففا مبنيا للفاعل انك لمجنون وذكروا نزول الذكر استهزاء ولذا وصفوه بالجنون اما لانه صلوات
الله وسلامه عليه والعامة على نزل كان يظهر عليه عند نزول الوحي حالة شبيهة بالغشي فظنوا انها جنون
ويدل عليه قوله عز وجل اولم يتفكروا ما بصاحبهم من جنة واما لانهم كانوا يستبعدون كونه رسولا حقا من عند
الله لان الرجل اذا سمع كلاما مستبعدا من غيره فربما قال به جنون **قوله تعالى** لو ما تاتينا بالملايكة لوما
حرف تحضيض كهلا ويكون ايضا حرف امتناع لوجود وذلك كما ان لولا مترددة بين هذين المعنيين وقد عرف
الفرق بينهما وهو ان التحضيضية لا يليها الا الفعل ظاهرا او مضمرا كقوله • لولا الكمي المقنعا • والا
متناعية لا يليها الا الاسماء لفظا او تقديرا عند البصريين وقوله • ولولا يحسبون الحلم عجزا • لما عدم
المسيئون احتمالي • موول خلافا للكوفيين في مجي لوما حرف امتناع قوله •
• لوما الحياء ولوما الدين عبتكما • ببعض ما فيكما اذ عبتما عوري •
واختلف فيها هل هي بسيطة ام مركبة فقال الزمخشري لو ركبت مع لا ومع ما لمعنيين واما هل فلم تركب
الا مع لا وحدها للتحضيض واختلف ايضا في لوما هل هي اصل بنفسها او فرع على لولا وان الميم مبدلة
من اللام كقولهم خاللته وخالمته فهو خلي وخلمي اي صديقي وقالوا استولى على كذا واستومى عليه بمعنى خلاف
مشهور وهذه الجملة من التحضيض دالة على جواب الشرط بعدها **فصل** المعنى لو كنت صادقا في
ادعاء النبوة لاتيتنا بملايكة يشهدون عندنا بصدقك فيما تدعيه من الرسالة ونظيره قوله تعالى
في الانعام وقالوا لولا انزل عليه ملك ولو انزلنا ملكا لقضي الامر ويحتمل ان النبي صلوات الله وسلامه
عليه لما خوفهم قالوا لوما تاتينا بالملايكة الذين ينزلون العذاب وهو المراد من قوله ويستعجلونك
بالعذاب ولولا اجل مسمى لجاءهم العذاب ثم انه تعالى اجاب عن شبهتهم بقوله ما ننزل الملايكة

الا بالحق وما كانوا اذا منظرين فان كان المراد الاول كان تقرير الجواب ان انزال الملائكة لا يكون
الا بالحق وقد علم الله تعالى من حال هولاء الكفار انه لو انزل عليهم ملائكة لبقوا مصرين على كفرهم فيصير
انزالهم عبثا باطلا ولا يكون حقا فلهذا السبب ما انزلهم الله تعالى وقال المفسرون المراد بالحق هنا الموت
اي لا ينزلون الا بالموت او بعذاب الاستيصال ولم يبق بعد نزولهم انظار ولا امهال ونحن لا نريد عذاب
الاستيصال بهذه الامة فلهذا السبب ما انزلنا الملائكة وان كان المراد استعجالهم بنزول العذاب فتقرير
الجواب ان الملائكة لا ينزل الا بعذاب الاستيصال ولا نفعل بامة محمد صلوات الله عليه ذلك بل نمهلهم لما علم
من ايمان بعضهم ومن ايمان اولاد الباقين قوله تعالى ما ننزل الملائكة قرا ابو بكر رضي الله عنه
ما تنزل بضم التاء وفتح النون والزاي مشددة مبنيا للمفعول الملائكة مرفوعا لقيامه مقام فاعله وهو
موافق لقوله تعالى ونزل الملائكة تنزيلا ولانهم لا تنزل الا بامر من الله تعالى بغيرها هو المنزل لها وهو الله
تعالى وقرا الاخوان وحفص بضم النون الاولى وفتح الثانية وكسر الزاي مشددة مبنيا للفاعل المعظم وهو الباري
تعالى جل ذكره الملائكة نصبا مفعولا به وهو موافق لقوله تعالى ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة ويناسب قوله ذلك
وما اهلكنا وقوله بعده انا نحن نزلنا وما بعده من الفاظ التعظيم والباقون من السبعة ما تنزل
بفتح التاء والنون والزاي مشددة والملائكة مرفوعة على الفاعلية والاصل تتنزل بتائين فحذف احديهما
وقد تقدم تقريره في تذكرونها ونحوه وهو موافق لقوله سبحانه تنزل الملائكة والروح فيها وقرا زيد
بن علي ما نزل مخففا مبنيا للفاعل الملائكة مرفوعة بالفاعلية وهو كقوله نزل به الروح الامين قوله تعالى
الا بالحق يجوز تعلقه بالفعل قبله او بمحذوف على انه حال من الفاعل او المفعول اي ملتبسين بالحق وجعله الزمخشري
رحمه الله نعتا لمصدر محذوف اي الا تنزلا ملتبسا بالحق قوله اذن قال الزمخشري اذن حرف جواب وجزاء
لانها جواب اسم وجزاء الشرط مقدر تقديره ولو نزلنا الملائكة ما كانوا منظرين وما اخر عذابهم قال صاحب
النظم لفظة اذن مركبة من اذ وهو اسم بمنزلة حين تقول اتيتك اذ جئتني اي حين جئتني ثم ضم اليها ان
ثم صار اذ ان ثم استثقلوا الهمزة فحذفوها فصار اذن ومجي لفظة ان دليل على اضمار فعل بعدها والتقدير
وما كانوا اذن كان ما طلبوا قوله نحن اما مبتدا واما تاكيد ولا يكون فصلا لانه لم يقع بين اسمين
والضمير في قوله له للذكر وهو الظاهر وقيل للرسول صلوات الله وسلامه عليه قاله الفرا وقواه ابن الانباري
قال لما ذكر الله تعالى الانزال والمنزل دل ذلك على المنزل عليه فحسنت الكناية عنه لكونه امرا معلوما كما في قوله تعالى
انا انزلناه في ليلة القدر فان هذه الكناية عايدة الى القران مع انه لم يتقدم ذكره وانما حسنت الكناية
للسبب المعلوم فكذا ههنا والاول اوضح فاذا قلنا الكناية عايدة على القران فاختلفوا في انه تعالى كيف يحفظ
القران فقيل بان جعله معجزا مباينا لكلام البشر يعجز الخلق عن الزيادة والنقصان فيه بحيث لو زادوا فيه
او نقصوا عنه تغير نظم القران وقيل صانه وحفظه من ان يقدر احد من الخلق على معارضته وقيل قيض
جماعة يحفظونه ويدرسونه فيما بين الخلق الى اخر بقاء التكليف وقيل المراد بالحفظ هو ان احدا لو حاول تغيير
حرف او نقطة لقال له اهل الدنيا هذا كذب وتغيير لكلام الله تعالى حتى ان الشيخ المهيب لو اتفق له تغير او هفا في حرف
من كتاب الله تعالى لقال له كل الصبيان اخطات ايها الشيخ وصوابه كذا وكذا واعلم انه لم يتفق لشي من الكتب
مثل هذا الحفظ فانه لا كتاب الا وقد دخله التصحيف والتحريف والتغيير اما في الكثير منه او القليل فبقاء هذا
الكتاب مصونا عن جميع جهات التحريف مع ان دواعي الملاحدة واليهود والنصارى متوفرة على ابطاله وافساده
من اعظم المعجزات فان قيل اشتغلت الصحابة رضي الله عنهم بجمع القران في المصحف وقد وعد الله بحفظه
وما حفظه الله عز وجل فلا خوف عليه فالجواب ان جمعهم للقران كان من اسباب حفظ الله اياه فانه تعالى
لما اراد حفظه قيضهم لذلك وفي الاية دلالة قوية على كون البسملة اية في اول كل سورة لان الله تبارك وتعالى
قد وعد حفظ القران والحفظ لا معنى له الا ان يبقى مصونا من الزيادة والنقصان فلو لم تكن التسمية اية من
القران لما كان مصونا عن التغيير وعن الزيادة ولو جاز ان يظن بالصحابة رضي الله عنهم انهم زادوا لجاز ايضا
ان يظن بهم النقصان وذلك يوجب خروج القران عن كونه حجة وهذا لا دليل فيه لان اسماء السور ايضا
مكتوبة معه في المصحف وليست من القران بالاجماع قوله تعالى ولقد ارسلنا مفعوله محذوف اي
ارسلنا رسلا من قبلك يجوز ان يتعلق بارسلنا وان يتعلق بمحذوف على انه نعت للمحذوف
وفي شيع الاولين قال الفرا هو من اضافة الموصوف لصفته والاصل في الشيع الاولين كصلاة الاولى

وجان

وجانب الغربي وحق اليقين ودين القيمة والبصريون تؤوله على حذف الموصوف اي في شيع الامم
الاولين وجانب المكان الغربي وصلوة الساعة الاولى والشيع قال الفرا الاتباع واحدهم شيعة وشيعة
الرجل اتباعه والشيعة هم القوم المجتمعة المتفقة سموا بذلك لان بعضهم يتابع بعضا وتقدم الكلام على
هذا الحرف عند قوله تعالى ويلبسكم شيعا قوله تعالى وما ياتيهم قال الزمخشري حكاية حال ماضية لان
ما لا تدخل على مضارع الا وهو في موضع الحال ولا على ماض الا وهو قريب من الحال وهذا الذي ذكره هو
الاكثر في لسانهم لكنه قد جاءت مقارنة لمضارع المراد به الاستقبال كقوله سبحانه قل ما يكون لي ان ابدله
من تلقاء نفسي وانشد للاعشى رضي الله عنه يمدح النبي صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم ومجد وبجل وعظم

• له نافلات ما تغب نوالها • وليس عطاء اليوم مانعه غدا •

وقال ابو ذويب

• اودى بني واودعوني حسرة • عند الرقاد وعبرة ما تقلع •

قوله تعالى الا كانوا هذه الجملة يجوز ان يكون حالا من مفعول ياتيهم ويجوز ان يكون صفة لرسول فيكون
في محلها وجهان الجر باعتبار اللفظ والرفع باعتبار الموضع واذا كانت حالا فهي حال مقدرة فصل
المعنى ان عادة هولاء الجهال مع جميع الانبياء والرسل صلوات الله عليهم الاستهزاء بهم كما فعلوا بك ذكره تسلية
للنبي صلوات الله وسلامه عليه واعلم ان السبب الذي يحمل هولاء الجهال على هذه العادة الخبيثة اما لان الاشتغال
من المذاهب يشق على الطباع واما لكون الرسول صلوات الله عليه يكون فقيرا وليس له اعوان ولا انصار فالروسا
يثقل عليهم خدمة من يكون بهذه الصفة واما خذلان الله لهم بالقاء دواعي الكفر والجهل في قلوبهم وهذا هو السبب
الاصلي قوله تعالى كذلك نسلكه في قلوب المجرمين يجوز في الكاف ان يكون مرفوعة المحل على انه خبر لمبتدا
مضمر اي الامر كذلك ونسلكه مستانف ويجوز ان يكون منصوبة المحل اما نعتا لمصدر محذوف اي مثل
ذلك السلك ويجوز نسلكه اي نسلك الذكر واما حالا من المصدر المقدر والهاء في نسلكه يجوز عودها للذكر
وهو الظاهر وقيل تعود للاستهزاء وقيل على الشرك والهاء في به يجوز عودها على ما تقدم من الثلاثة ويكون
تاويل عودها على الاستهزاء والشرك اي لا يومنون بسببه وقيل للرسول صلوات الله عليه وقيل للقران وقال
ابو البقاء يجوز ان يكون حالا اي لا يومنون مستهزئين كانه جعل به متعلقا بالحال المحذوفة قايما مقامها
وهو مردود لان الجار اذا وقع حالا او نعتا او صلة او خبرا تعلق بكون مطلق لا خاص وكذا الظرف ومحل
لا يومنون النصب على الحال ويجوز ان لا يكون لها محل لانها بيان لقوله كذلك نسلكه وقوله تعالى وقد خلت
سنة الاولين استيناف والسلك الادخال يقال سلكت الخيط في الابرة والرمح في المطعون ومنه ما سلككم في سقر
قال ابو عبيدة وابو عبيد يقال سلكه واسلكه اي نظمه قال الشاعر •

• وكنت لزاز خصمك لم اعرد • وقد سلكوك في يوم عصيب • وقال الاخر

في اسلاك
• حتى اذا اسلكوهم في قتايدة • شلا كما تطرد الجمالة الشردا •

قال الزجاج المعنى قد مضت سنة الله في الاولين بان يسلك الكفر والضلال في قلوبهم
وقيل انه تهديد لكفار مكة اي قد مضت سنة الله باهلاك من كذب الرسل من القرون الماضية والاول اليق
بظاهر اللفظ قوله تعالى ولو فتحنا عليهم بابا من السماء الاية هذا هو المراد في سورة الانعام في قوله تعالى
ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس الاية يعني ان الذين يقولون لو ما تاتينا بالملائكة فلو نزلنا الملائكة فظلوا فيه
اي فظلت الملائكة يعرجون فيها وهم يرونها عيانا وظل هذه هي الناقصة والضمير في فظلوا يعود على الملائكة
وهو الصحيح وقال الحسن رضي الله عنه يعود على الكفار المفتح لهم الباب وقرا الاعمش وابو حيوة يعرجون بكسر
الراء وهي لغة هذيل في عرج يعرج اي صعد قوله تعالى لقالوا انما سكرت قرا ابن كثير سكرت مبنيا للمفعول
مخفف الكاف وباقي السبعة كذلك الا انهم شددوا الكاف والزهري سكرت بفتح السين وكسر الكاف خفيفة
مبنيا للفاعل فاما القراءة الاولى فيجوز ان يكون بمعنى المشددة فان التخفيف يصلح للقليل والكثير وهما
ماخوذان من السكر بكسر السين وهو السد فالمعنى حبست ابصارنا وسدت وقيل بمعنى اخذت وقيل بمعنى
سحرت وقيل المشدد من سكر الماء والمخفف بمعنى سحرت وقيل المشدد من سكر الماء الكرم والمخفف من سكر الشراب
بالضم والمشهور ان سكر لا يتعدي فكيف بني للمفعول فقال ابو علي يجوز ان يكون سمع متعديا في البصر
والذي قاله المحققون من اهل اللغة انه ان كان من سكر الشراب او من سكر الريح فالتضعيف فيه للتعدية
وان كان من سكر الماء فالتضعيف فيه للتكثير لانه متعد مخففا وذلك انه يقال سكرت الريح تسكر سكرا اذا ركدت

وسكر الرجل من الشراب سكراً اذا ركد ولم ينفذ لحاجته فهذان قاصران فالتضعيف فيهما للتعدية
ويقال سكرت الماء في مجاريه اذا منعته من الجري فهذا متعد فالتضعيف فيه للتكثير لانه متعد مخففا
واما في قراءة ابن كثير فان كانت من سكر الماء فواضحة لانه متعد وان كانت من سكر الشراب او سكر الريح فيجوز
ان يكون الفعل استعمل لازماً تارة ومتعدياً اخرى نحو رجع زيد ورجعه غيره وسعد وسعده غيره
وقال الزمخشري وسكرت حيرت او حبست كما يحبس النهر من الجري يحتمل قراءة التشديد محتملة للمعنيين
وقراءة التخفيف لمعنى واحد واما قراءة الزهري فواضحة اي غطيت وقيل هي مطاوع اسكرت المكان
فسكر اي سددته فانسد ومعنى بل نحن قوم مسحورون اي عمل فينا السحر وسحرنا محمد صلوات الله وسلامه
عليه فان قيل كيف يجوز من الجماعة العظيمة ان يكونوا شاكين في وجود ما يشاهدونه بالعين السليمة
في النهار الواضح ولو جاز حصول الشك في ذلك كانت السفسطة لازمة ولا يبقى حينئذ اعتماد على الحس والمشا
هدة اجاب القاضي رحمه الله بانه تعالى ما وصفهم بالشك فيما يبصرون وانما وصفهم بانهم يقولون هذا
القول وقد يجوز ان يقدم الانسان على الكذب على سبيل العناد والمكابرة ثم سأل نفسه افيصح من
الجمع العظيم ان يظهر الشك في المشاهدات واجاب بانه يصح ذلك اذ جمعهم عليه غرض معتبر من مواطاة
على دفع حجة او غلبة خصم وايضاً فهذه الحكاية انما وقعت عن قوم مخصوصين سألوا الرسول صلوات الله
وسلامه عليه انزال الملائكة وهذا السؤال انما كان من رؤساء القوم وكانوا قليلي العدد واقدام العدد
القليل على ما يجري مجرى المكابرة جائز **قوله تعالى** فظلوا يقال ظل فلان يفعل نهاراً كذا اذا فعله بالنهار
ولا تقول العرب ظل يظل الا لكل عمل بالنهار كما لا يقولون بات يبيت الا بالليل والمصدر الظلول والعروج
الصعود يقال عرج يعرج عروجاً ومنه المعارج وهي المصاعد التي يصعد فيها فان قلنا ان الضمير في
فظلوا للملائكة فقد تقدم بيانه وان قلنا يعود على المشركين فقال ابن عباس رضي الله عنه فظل المشركون
يصعدون في تلك المعارج وينظرون الى ملكوت الله سبحانه وتعالى وقدرته وسلطانه والى عبادة الملائكة
عليهم السلام لشكوا في تلك الرؤية واصروا على جهلهم وكفرهم كما جحدوا سائر المعجزات من انشقاق القمر ومجيء
القرآن الذي لا يستطيع الجن والانس ان يأتوا بمثله **قوله تعالى** ولقد جعلنا في السماء بروجا الآية
جعلنا يجوز ان يكون بمعنى خلقنا فيتعلق به الجار وان يكون بمعنى صيرنا فيكون مفعوله الاول بروجا
ومفعوله الثاني في الجار فيتعلق بمحذوف والناظرين متعلق بزيناها والضمير للسماء اي زينا السماء
بالشمس والقمر والنجوم وقيل للبروج وهي الكواكب زيناها بالضوء والنظر عيني وقيل قلبي وحذف متعلقه
ليعم **فصل** لما جاء عن منكري النبوة وقد ثبت ان القول بالنبوة فرع على القول بالتوحيد اتبعه
تعالى بدلائل التوحيد وهي منها سماوية ومنها ارضية فبدأ بذكر السماوية فقال عز وجل ولقد جعلنا في السماء
بروجا قال الليث رحمه الله البروج واحدها برج من بروج الفلك والبروج هي النجوم الكبار مأخوذة من
الظهور يقال تبرجت المرأة اي ظهرت واراد بها المنازل التي تنزلها الشمس والقمر والكواكب السيارة والعرب
تعد المعرفة بمواقع النجوم وابوابها من اجل العلوم ويستدلون بها على الطرقات والاوقات والخصب والجدب
وقالوا الفلك اثنا عشر برجا كل برج ميلان ونصف للقمر قال ابن عطية هي قصور في السماء عليها الحرس وحفظناها
من كل شيطان رجيم مرجوم وقيل ملعون قال ابن عباس رضي الله عنه كانت الشياطين لا يحجبون عن السموات
وكانوا يدخلونها ويأتون باخبارها فيلقون على الكهنة فلما ولد عيسى صلوات الله عليه منعوا من ثلاث
سموات فلما ولد محمد صلوات الله البر الرحيم وسلامه عليه دائماً ابداً منعوا من السموات اجمع فما منهم من احد يريد
استراق السمع الا رمي بشهاب فلما منعوا تلك المقاعد ذكروا ذلك لابليس فقال حدث في الارض حادث
قال فبعثهم فوجدوا رسول الله صلوات الله وسلامه عليه يتلو القرآن فقالوا والله حدث حادث فان قيل
الشيطان لا قدرة له على هدم السماء فاي حاجة الى حفظ السماء منه فالجواب لما منعه من القرب منها فقد
حفظ السماء من مقاربة الشيطان كما يحفظ منازلنا مما يخشى منه الفساد والرجم في اللغة الرمي بالحجارة
والرجم ايضا السب والشتم لانه رمي بالقول القبيح والرجم القول بالظن ومنه قوله تعالى رجما بالغيب
لانه رمية بذلك الظن والرجم ايضا اللعن والطرد **قوله** الا من استرق فيه خمسة اوجه احدها
في محل نصب على الاستثناء المتصل والمعنى فانها لم يحفظ منه قال الزجاج رحمه الله موضع من نصب على
هذا التقدير قال ويجوز ان يكون في موضع خفض والتقدير الا ممن الثالث انه بدل من كل شيطان فيكون

محله الجر على خلاف في هذه المسألة قاله الحوفي وابو البقاء ونقل عن الزجاج وفيه نظر لان الكلام
موجب الرابع انه نعت لكل شيطان فيكون محله الجر على خلاف في هذه المسألة الخامس انه في محل رفع
بالابتداء وخبره الجملة من قوله تعالى فاتبعه وانما دخلت الفاء لان من اما شرطية واما موصولة مشبهة
بالشرطية قاله ابو البقاء وحينئذ يكون من باب الاستثناء المنقطع والشهاب شعلة من النار وسمي بها
الكوكب لشدة ضوءه وبريقه ولذلك سمي السنان شهابا ويجمع على شهب في الكثرة واشهب في القلة والشهبة
بياض مختلط بسواد تشبيها بالشهاب لاختلاطه بالدخان ومنه كتيبة شهباء لسواد القوم وبياض
الحديد ومن ثم غلط الناس في اطلاقهم الشهبة على البياض الخالص قال القرطبي اتبعه اي ادركه ولحقه
شهاب مبين اي كوكب مضيء وكذلك شهاب قبس اي شعلة نار في رأس عود قال ابن عزيز قال ذو الرمة •

• كأنه كوكب في اثر عفرية • مسوم في سواد الليل منقضب •

وسمي الكوكب شهابا لان بريقه يشبه النار وقيل شهاب شعلة من نار تبين لاهل الارض فهم ولا تعود
اذا احرقت كما اذا احرقت النار لم تعد بخلاف الكواكب فانه اذا احرق عاد الى مكانه **فصل** قال ابن عباس
رضي الله عنه قوله الا من استرق السمع يريد الخطفة اليسيرة وذلك ان الشياطين تركب بعضهم بعضا الى السماء
الدنيا يسترقون السمع من الملائكة فيرمون بالكواكب فلا تخطئ ابدا فمنهم من تقتله ومنهم من يحرق وجهه
وجنبه ويده حيث يشاء الله ومنهم من تخبله فيصير غولا فيضل الناس في البوادي روى ابو هريرة رضي الله عنه
قال قال رسول الله صلوات الله وسلامه عليه اذا قضى الله الامر في السماء ضربت الملائكة باجنحتها خضعانا
لقوله كانه سلسلة على صفوان فاذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الذي قال الحق وهو العلي
الكبير فيسمعها مسترق السمع ومسترق السمع هكذا بعضه فوق بعض ووصف سفيان بكفه فحرفها وبدد بين
اصابعه فيسمع الكلمة فيلقيها الى من تحته ثم يلقيها الاخر الى من تحته حتى يلقيها على لسان الساحر والكاهن وربما
ادركه الشهاب قبل ان يلقيها وربما القاها قبل ان يدركه فيكذب معها مائة كذبة فيقال اليس قال لنا يوم
كذا وكذا فيصدق بتلك الكلمة التي سمعت من السماء وهذا لم يكن ظاهرا قبل مبعث النبي صلوات الله وسلامه عليه
قال يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الاخنس بن شريق ان اول من فزع للرمي بالنجوم هذا الحي من ثقيف وانهم
جاؤوا الى رجل منهم يقال له عمرو بن امية احد بني علاج وكان ادهى العرب فقالوا له الم تر ما حدث في السماء من
القذف بالنجوم قال بلى فانظروا فان كانت معالم النجوم التي يهتدى بها في البر والبحر وتعرف بها الانواء
من الصيف والشتاء لما يصلح الناس من معايشهم هي التي يرمى بها فهي والله طي الدنيا وهلاك الخلق الذي
فيها وان كان نجوما غيرها وهي ثابتة على حالها فهذا الامر اراد الله بهذا الخلق قال معمر قلت للزهري كان
يرمى بالنجوم في الجاهلية قال نعم قال افرايت قوله انا كنا نقعد منها مقاعد للسمع الآية قال غلظت وشدد
امرها حين بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم تسليما كثيرا دائما ابدا قال ابن قتيبة ان الرجم كان قبل مبعثه
ولكن لم يكن في شدة الحراسة بعد مبعثه صلوات الله وسلامه عليه وقيل ان النجم ينقض ويرمي الشيطان ثم
يعود الى مكانه **فصل** قال القرطبي اختلفوا في الشهاب هل يقتل ام لا فقال ابن عباس رضي الله عنه
الشهاب يجرح ويحرق ويخبل ولا يقتل وقال الحسن وطائفة يقتل وعلى هذا في قتلهم بالشهب قبل القاء
السمع الى الجن قولان احدهما يقتلون قبل القائهم ما استرقوه من السمع الى غيرهم من الجن ولذلك ما يعودون
الى استراقه والثاني انهم يقتلون بعد القائهم ولو لم يصل لانقطع الاستراق وانقطع الاحراق ذكره الماوردي
قال القرطبي والقول الاول اصح على ما يأتي بيانه في الصافات **فصل** قال ابن الخطيب في هذا
الموضع ابحاث دقيقة ما ذكرناها في سورة الملك وفي سورة الجن ونذكر هنا اشكالا واحدا وهو ان لقائل
ان يقول اذا جوزتم في الجملة ان يصعد الشيطان الى السموات ويختلط بالملائكة ويسمع اخبار الغيوب عنهم
ثم انه ينزل ويلقي تلك الغيوب فعلى هذا يجب ان يخرج الاخبار عن المغيبات عن كونه معجزا لان كل غيب
يخبر عن الرسول صلوات الله وسلامه عليه يقوم فيه هذا الاحتمال فيخرج عن كونه معجزا دليلا على الصدق
ولا يقال ان الله تعالى اخبر عنهم انهم عجزوا بعد مولد النبي صلوات الله وسلامه عليه لانا نقول هذا العجز
لا يمكن اثباته الا بعد القطع بكون محمد صلى الله عليه وسلم رسولا وبكون القرآن الكريم حقا والقطع بهذا لا
يمكن الا بواسطة المعجز وكون الاخبار عن الغيب معجزا لا يثبت الا بعد ابطال هذا الاحتمال وحينئذ يلزم
الدور وهو محال باطل ويمكن ان يجاب عنه بانا نثبت كون محمد صلوات الله وسلامه عليه رسولا بسائر المعجزات

به العلم بنبوته نقطع بان الله عجز الشياطين عن تلقف الغيب بهذا الطريق فيصير الاخبار عن الغيوب
معجزا وبهذا الطريق يندفع الدور **قوله تعالى** والارض مددناها الارض نصب على الاشتغال ولم
يقرا بغيره لانه راجح من حيث العطف على جملة فعلية قبلها وهي قوله ولقد جعلنا في السماء بروجا وقال
ابو حيان ولما كانت هذه الجملة بعدها جملة فعلية كان النصب ارجح من الرفع قال شهاب الدين لم يعدوا
هذا من القواعد المرجحة للنصب انما عدوا عطفها على جملة فعلية قبلها لا عطف جملة فعلية عليها ولكنه
القياس اذ يعطف فيه فعلية على مثلها بخلاف ما لو رفعت اذ تعطف فعلية على اسمية لكنهم لم يعتبروا ذلك
والضمير في فيها للارض وقيل للرواسي وقيل لهما **فصل** لما شرح الدلايل السماوية في تقرير التوحيد
اتبعها بذكر الدلايل الارضية وهي انواع الاول قوله تعالى والارض مددناها قال ابن عباس بسطناها
على وجه الماء دحيت من تحت الكعبة النوع الثاني قوله والقينا فيها رواسي وهي الجبال الثوابت واحدها
راس والجمع راسية وجمع الجمع رواسي قال ابن عباس رضي الله عنهما لما بسط الله الارض على الماء مالت باهلها
كالسفينة فارساها الله تعالى بالجبال لكيلا تميل باهلها النوع الثالث قوله تعالى وانبتنا فيها من كل شيء
موزون يجوز في من ان تكون تبعيضية وهو الصحيح وان تكون مزيدة عند الكوفيين والاخفش والضمير في قوله
فيها يحتمل ان يكون راجعا الى الارض وان يكون راجعا الى الجبال الرواسي الا ان رجوعه الى الارض اولى لان
انواع النبات المنتفع بها انما يتولد في الارض واما الجبلية فقليلة النفع وقيل رجوع الضمير الى الجبال
اولى لان المعادن من الذهب والفضة والحديد والنحاس وغيرها انما يتولد في الجبال والاشياء الموزونة
في العرف والعادة وهي المعادن لا النبات وفي المراد بالموزون وجوه قيل المقدر بقدر الحاجة اي ان الله
تعالى ينبت ذلك المقدار بقدر ما يحتاج اليه الناس كقوله تعالى وكل شيء عنده بمقدار وقوله تعالى وما ننزله
الا بقدر معلوم وقيل المناسب المطابق للحكمة كقولهم كلام موزون اي متناسب بعيد عن اللغو والمعنى موزون
بميزان الحكمة والعقل وقيل موزون يعني ان الذي تنبته الارض نوعان المعادن والنبات باسرها موزونة
والنبات يرجع عاقبته الى الوزن كالحبوب والفواكه في الاكثر **قوله تعالى** وجعلنا لكم فيها معايش ومعايش
جمع معيشة اراد بها المطاعم والمشارب والملابس وقيل ما يعيش به المرء في الدنيا وتقدم الكلام على المعايش
في الاعراف **قوله تعالى** ومن لستم له برازقين يجوز في من خمسة اوجه احدها قول الزجاج انه منصوب
بفعل مقدر تقديره واعشنا من لستم له برازقين كالعبيد والدواب والوحوش الثاني انه منصوب عطفا
على معايش اي وجعلنا لكم فيها من لستم له برازقين من الدواب المنتفع بها الثالث انه منصوب عطفا
على محل لكم الرابع انه مجرور عطفا على كم المجرور باللام وجاز ذلك من غير اعادة الجار على راي الكوفيين وبعض
البصريين وتقدم تحقيقه في البقرة عند قوله وكفر به والمسجد الخامس انه مرفوع بالابتداء وخبره محذوف
اي ومن لستم له برازقين جعلنا له فيها معايش وسمع من العرب ضربت زيدا وعمرو برفع عمرو ومبتدا محذوف
الخبر اي وعمرو ضربته ومن يجوز ان يراد بها العقلاء اي من لستم له برازقين من مواليكم الذين تزعمون انكم
ترزقونهم وان يراد بها غيرهم اي من لستم له برازقين من الدواب وان كنتم تزعمون انكم ترزقونهم قال تعالى
فمنهم من يمشي على بطنه ومنهم من يمشي على رجلين ومنهم من يمشي على اربع وقال سبحانه يا ايها النمل ادخلوا مساكنكم
فذكرها بصيغة العقلاء ويجوز ان يراد بها النوعان وهو حسن لفظا ومعنى **قوله تعالى** وان من
شيء ان نافية ومن مزيدة في المبتدا وعندنا خبره وخزائنه فاعل به لاعتماده ويجوز ان يكون عندنا
خبرا مقدما والجملة خبرا لاول اولى لقرب الجار من المفرد قال الواحدي الخزائن جمع الخزانة وهي اسم المكان
الذي يخزن فيه الشيء اي يحفظ والخزانة ايضا عمل الخازن ويقال خزن الشيء يخزنه اذا احرزه وخزائنه
هو المطر لانه سبب الارزاق والمعايش لبني ادم وسائر الحيوانات **قوله تعالى** الا بقدر يجوز ان يتعلق
بالفعل قبله ويجوز ان يتعلق بمحذوف على انه حال من المفعول اي الا ملتبسا بقدر قال ابن عباس رضي الله عنه
يريد قدر الكفاية لكل ارض حد مقدر وقال الحكم ما من عام باكثر مطرا من عام اخر ولكنه يمطر قوم ويحرم اخرون
وربما كان في البحر يعني انه تعالى ينزل المطر كل عام بقدر معلوم غير انه يصرفه الى من يشاء حيث يشاء ولقائل
ان يقول لفظ الاية لا يدل على هذا المعنى فان قوله تعالى وما ننزله الا بقدر معلوم لا يدل على انه تعالى
ينزله في جميع الاعوام على قدر واحد فتفسير الاية بهذا المعنى تحكم من غير دليل قال ابن الخطيب وتخصيص
قوله تعالى وان من شيء الا عندنا خزائنه بالمطر تحكم محض لان قوله وان من شيء يتناول لجميع الاشياء

الا ما خصه الدليل وروى جعفر بن محمد عن ابيه عن جده قال في العرش تمثال جميع ما خلق الله في البر والبحر
وهو تاويل قوله تعالى وان من شيء الا عندنا خزائنه **قوله تعالى** وارسلنا الرياح لواقح لواقح حال
مقدرة من الرياح وفي اللواقح اقوال احدها انها جمع ملقح لانه من القح يلقح فهو ملقح فجمعه ملاقح فحذفت
الميم تخفيفا يقال القحت الريح السحاب كما يقال القح الفحل الانثى ومثله الطوائح واصله المطاوح لانه من اطاح
يطيح قال الشاعر ليبك يزيد ضارع لخصومة ومختبط مما تطيح الطوائح
وهذا قول ابي عبيدة والثاني انه جمع لاقح يقال لقحت الريح اذا حملت الماء وقال الازهري حوامل تحمل السحاب كقولك
لقحت الناقة فهي لاقح اذا حملت الجنين في بطنها فشبهت الريح بها ومنه قوله
اذا لقحت حرب عوان مضرة ضروس تهر الناس انيابها عصل
الثالث انه جمع لاقح على النسب كلابن وتامر اي ذات لقاح لان الريح اذا مرت على الماء ثم مرت على السحاب
والماء كان فيها لقاح قاله الفراء **فصل** قال ابن عباس رضي الله عنه الرياح لواقح للشجر والسحاب
وهو قول الحسن وقتادة والضحاك لانها تحمل الماء الى السحاب واصله من قولهم لقحت الناقة والقح الفحل
اذا القى الماء فحملته قال ابن مسعود في تفسير هذه الاية يبعث الله الرياح لتلقح السحاب فتحمل الماء وتمجه في السحاب
ثم انه يعصر السحاب ويدره كما تدر اللقحة وقال عبيد بن عمير يبعث الله الريح المبشرة فتقم الارض قما
ثم يبعث المثيرة فتثير السحاب ثم يبعث المؤلفة فتؤلف السحاب بعضه الى بعض فتجعله ركاما ثم
يبعث اللواقح فتلقح الشجر قال ابو بكر بن عياش رضي الله عنه لا تقطر قطرة من السماء الا بعد ان تعمل الرياح
الاربعة فيه فالصبا تهيجه والشمال تجمعه والجنوب تدره والدبور تفرقه **فصل** قال القرطبي
روي عن مالك رضي الله عنه في قوله سبحانه وتعالى وارسلنا الرياح لواقح اي ذوات لقح فلقاح القمح
عندي ان يحبب ويسنبل ولقاح الشجر كلها ان تثمر ويسقط منها ما يسقط ويثبت منها ما يثبت قال ابن
العربي رحمه الله انما عول مالك على هذا التفسير على تشبيه الشجر بلقاح الحمل وان الولد اذا عقد وخلق ونفخ
فيه الروح كان بمنزلة تحبب الثمرة وتسنبله لانه سمي باسم تشترك فيه كل حاملة وهو اللقاح وعليه جاء
الحديث نهى النبي صلوات الله وسلامه عليه عن بيع الحب حتى يشتد قال ابن عبد البر الاباد عند اهل العلم
في النخل التلقيح وهو ان يؤخذ شيء من طلع النخل فيدخل بين ظهراني طلع الاناث ومعنى ذلك في سائر الثمار
من التين وغيره حتى تكون الثمرة مرئية حتى ينظر اليها والمعتبر عند مالك واصحابه فيما يذكر من الثمار
التذكير وفيما لا يذكر ان يثبت من نواره ما يثبت ويسقط ما يسقط وفي الزرع ظهوره من الارض
فصل قال صلوات الله وسلامه عليه من ابتاع نخلا بعد ان تؤبر فثمرتها للبائع الا ان يشترط
المبتاع فلم يدخل الثمر المؤبر مع الاصول في البيع الا بالشرط لانه موجود مخالط تؤمن من السقوط غالبا
بخلاف التي لم تؤبر اذ ليس سقوطها مامونا فلم يتحقق لها وجود فلم يجز للبائع اشتراطها ولا استثناؤها لانها
كالجنين **فصل** ان اشترى النخل وبقي الثمر للبائع جاز لمشتري الاصل شراء الثمرة قبل طيبها في
المشهور عن مالك رحمه الله يرى لها حكم التبعية وان انفردت بالعقد وعنه رواية لا يجوز وبه قال الشافعي
وابو حنيفة والثوري واهل الظاهر **فصل** نهى النبي صلوات الله وسلامه عليه عن بيع الملاقيح
والمضامين والملاقيح الفحول من الابل الواحد ملقح والملاقيح ايضا الاناث التي في بطونها اولادها الواحدة
ملقحة بفتح القاف والملاقيح ما في بطن النوق من الاجنة الواحدة ملقوحة من قولهم لقحت كالمحموم من حم
والمجنون من جن وفي هذا جاء النهي قال ابو عبيد المضامين ما في البطون وهي الاجنة والملاقيح ما في
اصلاب الفحول وهو قول سعيد بن المسيب وغيره وقيل بالعكس ونهى النبي صلوات الله وسلامه عليه عن بيع
المجر وهو بيع ما في بطون الامهات قال ابن عباس رضي الله عنه ما هبت ريح قط الا جثا النبي صلى الله عليه
وسلم على ركبتيه وقال اللهم اجعلها رحمة ولا تجعلها عذابا اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا قال ابن عباس
رضي الله عنهما في كتاب الله عز وجل انا ارسلنا عليهم ريحا صرصرا وارسلنا عليهم الريح العقيم وقال تعالى
جل وعز وارسلنا الرياح لواقح وقال يرسل الرياح مبشرات **قوله تعالى** فانزلنا من السماء ماء فاسقينا
كموه قال الازهري تقول العرب لكل ما في بطون الانعام ومن السماء او نهر يجري اسقيته اي جعلته شربا له
وجعلت له منه مسقى لشرب ارضه او ماشيته فاذا كان لسقيه قالوا سقاه ولم يقولوا اسقاه وتقدم
اختلاف القراء في قوله نسقيكم مما في بطونه فقرؤوا باللغتين وسياتي بيانهما في السورة بعدها ولم يختلفوا في

قوله وسقاهم ربهم وفي قوله والذي هو يطعمني ويسقين قال ابو علي سقيته حتى روي واسقيته
نهرا جعلته شربا وقوله فاسقيناكموه جعلناه سقيا لكم وربما قالوا في اسقى سقى كقول لبيد يصف سحابا

* اقول وصوبه مني بعيد * يحط السيب من قلل الجبال *
* سقى قومي بني مجد واسقى * نميرا والقبايل من هلال *

فقوله سقى قومي ليس يريد به ما يروى به عطاشهم ولكن يريد رزقهم سقيا لبلادهم يخصبون بها وبعيد
ان يسال لقومه ما يروي ولغيرهم ما يخصبون به فاما سقيا السقيه فلا يقال فيها اسقاه واما قول ذي الرمة

* واسقيه حتى كاد مما ابثه * يكلمني احجاره وملاعبه *

يريد بقوله اسقيه ادعو له بالسقيا واقول سقاه الله واتصل الضميران هنا لاختلافهما رتبة ولو فصل
ثانيهما لجاز عند غير سيبويه وهذا كما تقدم في قوله تعالى انلزمكموها وقوله تعالى وما انتم له بخازنين
جملة مستانفة وله متعلق بخازنين والمعنى ان المطر في خزائننا لا في خزائنكم وقال سفين بمانعين **قوله تعالى** وانا لنحن نحيي ونميت الاية هذا النوع السادس من دلايل التوحيد وهو الاستدلال بالاحيا
والاماتة على وجود الاله القادر المختار **قوله تعالى** لنحن يجوز ان يكون مبتدا ونحيي خبره والجملة
خبر انا ويجوز ان يكون تاكيدا للنا في انا ولا يجوز ان يكون فصلا لانه لم يقع بين اسمين وقد تقدم نظيره
وقال ابو البقا لا يكون فصلا لوجهين احدهما ان بعده فعلا والثاني ان معه اللام قال شهاب الدين
رحمه الله الوجه الثاني غلط فان لام التوكيد لا يمنع دخولها على الفصل بنص النحاة على ذلك ومنه قوله
تعالى ان هذا لهو القصص جوزوا فيه الفصل مع اقترانه باللام **فصل** من العلماء من حمل
الاحيا على القدر المشترك بين احياء النبات والحيوان ومنهم من قال وصف النبات بالاحيا مجاز فوجب
تخصيصه باحيا الحيوان وقوله جل ذكره وانا لنحن نحيي ونميت يفيد الحصر اي لا قدرة على الاحيا
والاماتة الا لنا ونحن الوارثون اذا مات جميع الخلايق لحينيذ يزول ملك كل احد ويكون الله سبحانه
هو الباقي المالك لكل المملوكات وحده لا شريك له فكان شبيهها بالارث **قوله تعالى** ولقد علمنا المستقدمين
منكم ولقد علمنا المستاخرين قال ابن عباس رضي الله عنهما المستقدمين الاموات والمستاخرين الاحيا وقال
الشعبي رضي الله عنه الاولين والاخرين وقال عكرمة المستقدمون من خلق الله والمستاخرون من لم يخلق وقيل
المستقدمون القرون الاولى والمستاخرون امة محمد صلوات الله وسلامه عليه وقال الحسن المستقدمون في
الطاعة والخير والمستاخرون المبطئون عنهما وقال الضحاك ومقاتل اراد بالمستقدمين والمستاخرين
في صف القتال وقال ابن عيينة اراد من يسلم ومن لا يسلم وقال الاوزاعي اراد المصلين في اول الوقت والمؤخرين
الى اخره وروى ابن الجوزا عن ابن عباس كانت امراة حسنا تصلي خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان قوم
يتقدمون الى الصف الاول لئلا يروها واخرين يتاخرون ليروها وفي رواية ان النساء كن يخرجن الى الجماعة
فيقفن خلف الرجال وممن النساء من في قلبها ريبة فتتقدم الى اول صف النساء لتقرب من الرجال فنزلت
هذه الاية فقال النبي صلى الله عليه وسلم خير صفوف الرجال اولها وشرها اخرها وخير صفوف النساء اخرها
وشرها اولها وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم رغب في الصف الاول في الصلوة فازدحم الناس عليه فانزل
الله تبارك وتعالى هذه الاية والمعنى انا نجزيهم على قدر نياتهم **فصل** قال القرطبي هذه الاية
تدل على فضل اول الوقت في الصلاة وعلى فضل الصف الاول وكما تدل على فضل الصف الاول في الصلاة
فكذلك تدل على فضل الصف الاول في القتال فان القيام في نحو العدو وبيع العبد نفسه من الله تعالى
لا يكون الا في ذلك ولا خلاف في ذلك واعلم ان ظاهر الاية يدل على انه لا يخفى على الله شيء من احوالهم فيدخل فيه
علمه بتقدمهم وتاخرهم في الحدوث والوجود وفي الطاعات وغيرها فلا ينبغي ان يخص بحالة دون حالة
ثم قال تعالى وان ربك هو يحشرهم على ما علم منهم وذلك تنبيه على ان الحشر والنشر على ما يقتضي قول
سورة يونس عليه السلام **قوله تعالى** ولقد خلقنا الانسان من صلصال الاية هذا هو النوع السابع
من دلايل التوحيد لانه ثبت بالدلايل القاطعة انه يمتنع القول بوجود حوادث لا اول لها واذا ثبت
وجوب انتهاء الحوادث الى حادث اول وجب حينيذ انتهاء الناس الى انسان اول هو اول الناس وذلك
الانسان الاول غير مخلوق من الابوين فيكون مخلوقا لا محالة بقدرة الله تعالى فقوله ولقد خلقنا
الانسان اشارة الى ذلك الانسان الاول واجمع المفسرون على ان المراد ادم صلوات الله عليه ونقل في كتب

الشيعة عن محمد بن علي الباقر انه قال قد انقضى قبل ادم صلوات الله عليه الذي هو ابونا الف الف ادم واكثر
قال ابن الخطيب رحمه الله وهذا لا يقدح في حدوث العالم بل الامر كيف كان لا بد من الانتهاء الى انسان اول هو
اول الناس فاما ان ذلك الانسان الاول هو ابونا ادم فلا طريق له الا من جهة السمع واعلم انه تعالى قال
ان مثل عيسى عند الله كمثل ادم خلقه من تراب وقال تعالى اني خالق بشرا من طين وقال ههنا ولقد خلقنا
الانسان من طين صلصال من حما مسنون وطريق الجمع انه جعل التراب طينا ثم تركه حتى صار حما مسنونا
ثم خلق منه وتركه حتى جف ويبس وصار له صلصلة واعلم انه تعالى قادر على خلقه من اي جنس اراد بل هو
قادر على خلقه ابتداء وانما خلقه على هذا الوجه اما لمحض المشيئة او لما فيه من دلالة الملايكة لان خلق الانسان
من هذه الامور اعجب من خلق الشي من جنسه وسمي انسانا اما لظهوره وادراك البصر اياه واما من النسيان لانه
عهد اليه فنسي عن ابن مسعود رضي الله عنه قال بعث الله تعالى جبريل صلوات الله عليه الى الارض لياتيه
بطين منها فقالت الارض اعوذ بالله منك ان تنقص مني فرجع ولم ياخذ وقال رب انها عاذت بك فاعذتها
فبعث ميكائيل صلوات الله عليه فعاذت منه فاعاذها فرجع فقال كما قال جبريل فبعث ملك الموت فعاذت
منه فقال وانا اعوذ بالله ان ارجع ولم انفذ امره فاخذ من وجه الارض وخلطه ولم ياخذ من مكان واحد واخذ
من تربة حمرا وبيضا وسودا فلذلك خرج بنو ادم مختلفين وسمي ادم لانه خلق من اديم الارض فصعد به فقال
الله تبارك وتعالى اما رحمت الارض حين تضرعت اليك فقال رايت امرك اوجب من قولها فقال جل ذكره سبحانه
انت تقبض ارواح ولده فبل التراب حتى عاد طينا لازبا وهو الذي يلتصق بعضه ببعض ثم ترك حتى انتن
وصار حما مسنونا وهو المنتن ثم قال للملايكة اني خالق بشرا من طين فاذا سويته ونفخت فيه من روحي
فقعوا له ساجدين فخلقه الله بيده لئلا يتكبر ابليس عليه يقول الله تعالى اتتكبر على ما عملت بيدي ولم اتكبر
انا عليه فخلقه فكان جسدا من طين اربعين سنة فلما راته الملايكة فزعوا منه وكان اشدهم منه فزعا ابليس فكان
يمر به فيضربه فيصوت الجسد كما يصوت الفخار ويكون له صلصلة فذلك قوله تعالى من صلصال كالفخار
ويقول لامر ما خلقت ويدخل في فيه ويخرج من دبره ويقول للملايكة لا ترهبوا منه فانه اجوف ولئن سلطت
عليه لاهلكنه فلما نفخ فيه الروح ووصل الى راسه عطس فقالت الملايكة صلوات الله عليهم قل الحمد لله فقال الحمد
لله فقال الله له رحمك ربك فلما دخل الروح في عينيه نظر الى ثمار الجنة فلما دخلت الروح جوفه اشتهى
الطعام فوثب قبل ان يبلغ الروح رجليه عجلان الى ثمار الجنة فذلك قوله تعالى خلق الانسان من عجل ..
قوله تعالى من صلصال من لابتداء الغاية او للتبعيض والصلصال قال ابو عبيدة هو الطين المختلط بالرمل
ثم يجف فيسمع له صلصلة اي تصويت قال والصلصلة الصوت * وانشد للشنفرى

* ونشرب اساري القطا الكدر * بعدما سرت قربا احناؤها تتصلصل *

اراد صوت اجنحة افراخها حين تطير او اصوات افراخها وقال الزمخشري الطين اليابس الذي يصلصل من
غير طبخ فاذا طبخ فهو فخار وقال ابو الهيثم هو صوت اللجام وما اشبهه كالقعقعة في الثوب وقال الزمخشري
ايضا قالوا اذا توهمت في صوته مدا فهو صليل وان توهمت فيه ترجيعا فهو صلصلة وقيل هو من تضعيف
صل اذا انتن انتهى وصلصال هنا بمعنى مصلصل كزلزال بمعنى مزلزل ويكون فعلال ايضا مصدرا نحو الزلزال
ويجوز كسره ايضا وفي وزن هذا النوع اعني ما تكررت فاوه وعينه خلاف فقيل وزنه فعفع كررت الفا
والعين واللام للكلمة قاله الفرا وغيره وهو غلط لان اقل الاصول ثلاثة فاء وعين ولام الثاني ان وزنه
فعلل وهو قول الفرا الثالث انه فعلل بتشديد العين واصله صلل فلما اجتمع ثلاثة امثال ابدل
الثاني من جنس فاء الكلمة وهو مذهب كوفي وخص بعضهم هذا الخلاف بما اذا لم يختل المعنى بسقوط
الثالث نحو لملم وكبكب فانك تقول فيهما لم وكب فلو لم يصح المعنى بسقوطه نحو سمسم قال فلا خلاف
في اصالة الجميع **قوله تعالى** من حما فيه وجهان احدهما انه في محل جر صفة لصلصال فيتعلق بمحذوف
والثاني انه بدل من صلصال باعادة الجار والحما الطين الاسود المنتن قال الليث رحمه الله واحده حماه
بتحريك العين جعله اسم جنس وقد غلط في ذلك فان اهل اللغة قالوا لا يقال الا حماه بالاسكان ولا
يعرف التحريك نص عليه ابو عبيدة وجماعة وانشدوا لابي الاسود

* يجي بملئها طورا وطورا * يجي بحماة وقليل ماء *

فلا يكون الحماة واحدة الحما لاختلاف الوزنين والمسنون المصبوب من قولهم سننت التراب كانه لو طويته

جعل مصبوبا كالمصبوب من المايعات فكان المعنى افرغ صورة انسان كما تفرغ الجواهر المذابة قال الزمخشري
وحمإ مسنون بمعنى مصور ان يكون صفة لصلصال كانه افرغ الحمإ فصور منه تمثال شخص يعني انه يصير التقدير
من صلصال مصور ولكن يلزم تقديم الوصف المؤول على الصريح اذا جعلنا من حمإ صفة لصلصال اما اذا
جعلناه بدلا منه فلا وقيل مسنون مصور من سنة الوجه وهي صورته قال الشاعر
تريك سنة وجه غير مقرفة • وقال الزمخشري والمسنون المحكوك ماخوذ من سننت الحجر بالحجر اذا
حككته به فالذي يسيل بينهما سنين ولا يكون الا منتنا ومنه سمي المسن مسنا لان الحديد يحك عليه
وقيل المسنون المنسوب اليه والمعنى ينسب اليه ذريته وكان هذا القايل اخذه من الواقع وقيل هو من اسن الماء
اذا تغير وهذا غلط لاختلاف المادتين روي ان الله تعالى خمر طينة ادم وتركه حتى متغيرا اسود ثم خلق
ادم صلوات الله عليه **قوله تعالى** والجان خلقناه منصوب على الاشتغال ورجح نصبه لعطف جملة على
جملة فعلية والجان ابو الجن وهو ابليس كادم ابي الانس وقيل هو اسم جنس الجن وقرا الحسن والجان بالهمزة
وقد تقدم الكلام في ذلك في اواخر الفاتحة **فصل** قال ابن عباس رضي الله عنه الجان ابو الجن
كما ان ادم ابو البشر وهو قول الاكثرين وروي ايضا عن ابن عباس والحسن ومقاتل وقتادة رضي الله عنهم
هو ابليس خلق قبل ادم وقيل الجان ابو الجن وابليس ابو الشياطين وفي الجن مسلمون وكافرون ويحيون
ويموتون واما الشياطين فليس فيهم مسلمون ويموتون اذا مات ابليس وذكر وهب ان من الجن من يولد لهم
وياكلون ويشربون بمنزلة الادميين ومن الجن من هم بمنزلة الريح لا يتوالدون ولا ياكلون ولا يشربون
قال ابن الخطيب والاصح ان الشياطين قسم من الجن فمن كان منهم مومنا فانه لا يسمى بالشيطان ومن كان
منهم كافرا فيسمى بهذا الاسم وسموا جنا لاستتارهم عن الاعين ومنه سمي الجنين لاستتاره عن الاعين في بطن
امه والجنة ما يقي صاحبها ويستره ومنه سميت الجنة لاستتارها بالاشجار **قوله تعالى** من قبل
ومن نار متعلقان بخلقنا لان الاولى لابتداء الغاية والثانية للتبعيض وفيه دليل على ان من لابتداء
الغاية في الزمان وتاويل البصريين له ولنظايره بعيد قال ابن عباس رضي الله عنه يريد قبل خلق ادم
صلوات الله عليه والسموم ما يقتل من افراط الحر من شمس او ريح او نار لانها تدخل المسام فتقتل وقيل
سميت سموما لانها بلطفها تدخل في مسام البدن وهي الخروق الخفية التي تكون في جلد الانسان يبرز
منها عرقه وبخار باطنه وقيل السموم ما كان ليلا والحرور ما كان نهارا وعن ابن عباس نار لا دخان لها
قال ابو صالح والصواعق يكون منها وهي نار بين السماء وبين الحجاب فاذا احدث الله امرا خرقت الحجاب
فهوت الى ما امرت فالهدة التي تسمعون خرق ذلك الحجاب وقيل نار السموم لهب النار وقيل نار جهنم
وروي الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنه كان ابليس من حي من الملايكة يقال لهم الجن خلقوا من نار السموم
وخلقت الجن الذين ذكروا في القران من مارج من نار والملايكة خلقوا من نور وقيل نار السموم من اضافة
الموصوف لصفته **قوله تعالى** واذ قال ربك للملايكة اني خالق بشرا من طين الاية لما استدل بحدوث
الانسان على وجود الاله القادر المختار ذكر بعده واقعته وهو انه تعالى امر الملايكة بسجوده والمراد
بكونه بشرا اي جسما يباشر ويلاقى والملايكة والجن لا يباشرون للطف اجسامهم والبشرة ظاهر جلد
الحيوان وتقدم ذكر الحيوان الصلصال والحمإ المسنون فاذا سويته شكلته بالصورة الانسانية
والخلقة البشرية وقيل سويت اجزاء بدنه باعتدال الطبايع وتناسب الامشاج ونفخت فيه من روحي فصار
بشرا حيا والروح جسم لطيف يحيى به الانسان وقيل الروح هي الريح لان النفخ اجراء الريح في تجويف جسم
اخر فظاهر قوله ونفخت يشعر بان الروح هي الريح والاماصح وصفها بالنفخ وسياتي بقية الكلام على الروح
عند قوله قل الروح من امر ربي واضاف روح ادم صلوات الله عليه الى نفسه تشريفا له وتكريما **قوله**
فقعوا له يجوز ان يتعلق اللام بالفعل قبلها وان يتعلق بساجدين **فصل** ظاهر قوله فاذا
سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين يدل على وجوب السجود على الملايكة لانه مذكور بفاء التعقيب
وذلك يمنع من التراخي **قوله تعالى** اجمعون تاكيد ثان ولا يفيد التعقيب الاجتماع في الوقت
خلافا لبعضهم وقال سيبويه قوله كلهم اجمعون توكيد بعد توكيد وسيل المبرد عن هذه الاية فقال
لو قال فسجد الملايكة احتمل ان يكون سجد بعضهم فلما قال كلهم زال هذا الاحتمال فظهر انهم باسرهم سجدوا
ثم عند هذا بقي احتمال وهو انهم سجدوا دفعة واحدة او سجد كل واحد في وقت فلما قال اجمعون ظهر ان الكل

سجدوا

سجدوا دفعة واحدة ولما حكى الزجاج هذا القول عن المبرد قال وقول الخليل وسيبويه اجود لان اجمعين
معرفة فلا تكون حالا قال ابو البقا لكان حالا لا توكيدا يعني انه يفيد افادة الحال مع انه توكيد وفيه نظر اذ لا
منافاة بينهما بالنسبة الى المعنى الا ترى ان جاؤني جميعا مع افادته للتوكيد وقد تقدم تحرير هذا وحكاية
ثعلب مع ابن قادم **قوله تعالى** الا ابليس ابى ان يكون مع الساجدين تقدم الكلام في هذا الاستثناء في البقرة
قال القرطبي رحمه الله الاستثناء من الجنس وغير الجنس صحيح عند الشافعي رضي الله عنه حتى لو قال له علي دينار
الا ثوبا او عشرة اثواب الا قفيز حنطة وما جانس ذلك كان مقبولا واسقط عنه من المبلغ قيمة الثوب والحنطة
ويستوي في ذلك المكيلات والموزونات والمقدرات وقال مالك وابو حنيفة رضي الله عنهما استثناء المكيل
من الموزون والموزون من المكيل جايز حتى لو استثنى الدراهم من الحنطة والحنطة من الدراهم يقبل فاما اذا
استثنى المقومات من المكيلات او الموزونات والمكيلات من المقومات فلا يصح مثل ان يقول له علي عشرة دنانير
الا ثوبا او عشرة اثواب الا دينارا فيلزم المقر جميع المبلغ **قوله تعالى** ابى ان يكون مع الساجدين قد تقدم
ان ابا لا يقال هل لا يسجد فقيل ابا ذلك واستكبر عنه **قوله تعالى** يا ابليس ما لك الا تكون مع
الساجدين قال لم اكن لاسجد هذه لام الجحود لبشر خلقته من صلصال قال بعض المتكلمين انه تعالى اوصل هذا الخطاب
الى ابليس على لسان بعض رسله وهذا ضعيف لان ابليس قال في الجواب لم اكن لاسجد لبشر خلقته فقوله خلقته
خطاب الحضور لا خطاب الغيبة فظاهره يقتضي ان الله تكلم مع ابليس بغير واسطة فان قيل كيف يعقل
هذا مع ان مكالمة الله تعالى من غير واسطة من اعظم المناصب واشرف المراتب فكيف يعقل حصوله لراس الكفرة
فالجواب ان مكالمة الله انما تكون منصبا عاليا اذا كان على سبيل الاكرام والاعظام فاما اذا كان على سبيل الاهانة
والاذلال فلا وقوله لم اكن لاسجد لتاكيد النفي معناه لا يصح مني ان اسجد لبشر وحاصل كلامه ان كونه بشرا يشعر
بكونه جسما كثيفا وهو كان روحانيا لطيفا فكانه يقول البشر جسماني كثيف وانا روحاني لطيف والجسماني
الكثيف ادون حالا من الروحاني اللطيف فكيف يكون الادون مسجودا للاعلا وايضا فادم مخلوق من صلصال
تولد من حمإ مسنون وهذا الاصل في غاية الدناءة واصل ابليس هو النار وهي اشرف العناصر فكان اصل ابليس اشرف من اصل ادم
فوجب ان يكون ابليس اشرف من ادم والاشرف يقبح ان يومر بالسجود للادون فهذا مجموع شبهة ابليس قال فاخرج
منها فانك رجيم وهذا ليس جوابا عن الشبهة على سبيل التصريح بل جواب على سبيل التنبيه وتقريره ان الذي قاله الله
تعالى نص والذي قاله ابليس قياس ومن عارض النص بالقياس كان رجيما ملعونا وتمام الكلام في هذا المعنى
مذكور في سورة الاعراف والضمير في منها قيل من جنة عدن وقيل من السموات وقيل من زمرة الملايكة
وان عليك اللعنة الى يوم الدين قال ابن عباس رضي الله عنه يريد يوم الجزاء حيث يجازي العباد باعمالهم والى
يوم يجوز ان يتعلق بالاستقرار في عليك ويجوز ان يتعلق بنفس اللعنة فان قيل كلمة الى تفيد انتهاء
الغاية فهذا يشعر بان اللعن لا يحصل الا الى يوم الدين وعند القيمة يزول اللعن فالجواب من وجوه الاول
ان المراد التابيد وذكر القيمة ابعد غاية يذكرها الناس في كلامهم كقولهم ما دامت السموات والارض الى
يوم الدين في التابيد والثاني انه يكون مدعوا عليك باللعنة في السموات والارض الى يوم الدين فاذا جاء ذلك
عذب عذابا ينسى اللعن معه فيصير اللعن معه حينيذ كالزايل بسبب ان شدة العذاب تذهل عنه
قوله تعالى قال رب فانظرني الى يوم يبعثون وهذا معلق بما تقدم والتقدير اذ جعلتني رجيما
ملعونا الى يوم القيمة فانظرني اراد ان لا يموت والمراد من قوله الى يوم يبعثون يوم البعث والنشور وهو
يوم القيمة فقال تعالى انك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم قيل وقت النفخة الاولى حين تموت الخلايق
لانه من المعلوم ان تموت الخلايق فيه وقيل سمي معلوما لانه لا يعلمه الا الله تعالى لقوله عز وجل ان الله عنده
علم الساعة وقيل يوم الوقت المعلوم يوم القيمة فان قيل لما اجاب الله تعالى الى مطلوبه لزم ان لا يموت
الى وقت يوم القيمة لا موت فلزم ان لا يموت بالكلية فالجواب يحمل قوله الى يوم يبعثون الى ما يكون قريبا
منه والوقت الذي يموت فيه كل المكلفين قريب من يوم البعث وقيل يوم الوقت المعلوم لا يعلمه الا الله قيل
لم يكن اجابة الله تعالى له في الامهال اكراما له بل كان زيادة في بلايه وشقايه **قوله تعالى** رب بما اغويتني
الباء للقسم وما مصدرية وجواب القسم لازينن كقوله تعالى فبعزتك لاغوينهم اجمعين الا انه في هذا
الموضع اقسم بعزة الله تعالى وهي من صفات الذات وفي قوله بما اغويتني اقسم باغواء الله وهو من صفات الافعال
والفقهاء قالوا القسم بصفات الذات صحيح واختلفوا في القسم بصفات الافعال ونقل الواحدي عن بعضهم

ان الباء هنا سببية اي بسبب كونك اغويتني لازينن كقول القايل فلان بمعصيته ليدخلن النار وبطاعته
ليدخلن الجنة ومعنى اغويتني اضللتني وقيل خيبتني من رحمتك لازينن لهم في الارض حب الدنيا ومعاصيك
الضمير في لهم لذرية ادم وان لم يجر لهم ذكر للعلم بهم ولاغوينهم لاضلنهم اجمعين الا عبادك منهم المخلصين
قرا ابن كثير وابن عامر وابو عمرو والمخلصين بكسر اللام والباقون بفتح اللام ومعنى القراءة الاولى انهم اخلصوا
دينهم عن الشوايب ومن فتح اللام فمعناه الذين اخلصهم الله بالهداية **فصل** قال ابن الخطيب واعلم
ان الذي حمل ابليس على ذكر هذا الاستثناء ان لا يصير كاذبا في دعواه فلما احترز ابليس عن الكذب علمنا ان
الكذب في غاية الخساسة **فصل** قال رويم الاخلاص في العمل هو ان لا يريد صاحبه عليه عوضا من الدارين
ولا عوضا من الملكين وقال الجنيد رضي الله عنه سر بين العبد وبين الله تعالى لا يعلمه ملك فيكتبه ولا شيطان
فيفسده ولا هوى فيميله وذكر القشيري وغيره عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال سالت جبريل صلوات
الله وسلامه عليه عن الاخلاص ما هو فقال سالت رب العزة عن الاخلاص ما هو فقال سر استودعته قلب
من احببته من عبادي **قوله تعالى** هذا صراط هذا اشارة الى الاخلاص المفهوم من المخلصين وقيل الى انتفاء
تزيينه واغوائه وعلي اي من مر عليه اي على رضواني وكرامتي وقيل على بمعنى الى نقل عن الحسن وقال مجاهد
الحق يرجع الى الله وعليه طريقه لا يعوج على شيء وقال الاخفش يعني على الدلالة على الصراط المستقيم وقال
الكسائي هذا على التهديد والوعيد كما يقول الرجل لمن يخاصمه طريقك علي اي لا تفلت مني كما قال تعالى
ان ربك لبالمرصاد وقرا الضحاك وقتادة وابو رجا وابن سيرين ويعقوب في اخرين علي اي عال مرتفع وعبر بعضهم
عنه رفيع ان ينال مستقيم ان يمال **قوله تعالى** ان عبادي ليس لك عليهم سلطان اعلم ان ابليس لما قال
ولاغوينهم اجمعين الا عبادك منهم المخلصين اوهم ان له سلطانا على غير المخلصين فبين الله تعالى في هذه الاية
انه ليس له سلطان على احد من عبيد الله سواء كان مخلصا او لم يكن مخلصا لكن من اتبع منهم ابليس باختياره ونظيره
قوله حكاية عن ابليس وما كان لي عليكم من سلطان وقوله تعالى ليس له سلطان على الذين امنوا وعلى ربهم يتوكلون
انما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون فعلى هذا يكون استثناء منقطعا قال الجبائي هذه الاية
تدل على بطلان قول من زعم ان الشيطان والجن يمكنهم صرع الناس وازالة عقولهم وقيل الاستثناء متصل لان المراد
بعبادي العموم طايعهم وعاصيهم وحينئذ يلزم استثناء الاكثر من الاقل وعلى الاول اراد بالعباد المخلصين لانه
اضافهم اليه اضافة تشريف فلم يندرج فيهم الغاوون للضمير في موعدهم قال القرطبي قال العلماء في معنى قوله
تعالى ان عبادي ليس لك عليهم سلطان يعني على قلوبهم وقال ابن عيينة تلقيهم في ذنب ثم تمنعهم عفوي او هم
الذين هداهم الله واجتباهم واختارهم واصطفاهم فان قيل قد اخبر الله تعالى عن ادم وحوى صلوات الله
عليهما بقوله فازلهما الشيطان وعن جملة من اصحاب نبيه بقوله انما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا فالجواب
انه ليس له سلطان على قلوبهم ولا موضع ايمانهم كما تقدم ولا يلقيهم في ذنب يؤول الى عدم العفو بل تزيله
التوبة ولم يكن خروج ادم عقوبة على ما تقدم بيانه في البقرة واما اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فقد مضى
القول عنهم في ال عمران ثم ان قوله تعالى ليس لك عليهم سلطان يحتمل ان يكون خاصا فيمن حفظه الله ويحتمل ان يكون
في اكثر الاوقات وقد يكون في تسليطه تفريج كربة وان الله عز وجل فعل ببلال اذ اتاه يهديه كما يهدى الصبي حتى نام
ونام النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه فلم يستيقظوا حتى طلعت الشمس وفزعوا وقالوا ما كفارة ما صنعنا في تفريطنا
في صلاتنا فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم ليس في النوم تفريط ففرج عنهم وقال ابن عطية ما كيد فيه
معنى الحال وفيه جنوح الى جعل اتحاد الوقت ومعنى قول ابن عطية انه حال من الضمير في موعدهم والعامل فيه
معنى الاضافة قاله ابو البقا وفي مجي الحال من المضاف اليه خلاف ولا يعمل فيها الموعد ان اريد به المكان
فان اريد به المصدر جاز ان يعمل لانه مصدر ولكن لا بد من حذف مضاف اي مكان موعدهم **قوله تعالى**
لها سبعة ابواب يجوز في هذه الجملة ان تكون مستانفة وهو الظاهر ويجوز ان يكون خبرا ثانيا ولا يجوز
ان يكون حالا من جهنم لان ان لا تعمل في الحال قاله ابو البقا وفيما تقدم ذكروه في ليت وكان ولعل من
اخواتها من عملها في الحال لانها بمعنى تمنيت وشبهت وترجيت ان يعمل فيها ان ايضا لانها بمعنى اكدت ولذلك
عملت عمل الفعل وهي اصل الباب **فصل** قال علي رضي الله عنه تدرون كيف ابواب النار هكذا
ووضع احدى يديه على الاخرى اي سبعة ابواب بعضها فوق بعض وان الله تعالى وضع الجنان على العرض
ووضع النيران بعضها على بعض قال ابن جريج النار سبع دركات اولها جهنم ثم لظى ثم الحطمة ثم السعير ثم سقر

ثم الجحيم

ثم الجحيم ثم الهاوية قال الضحاك الطبقة الاولى فيها اهل التوحيد يعذبون على قدر اعمالهم ثم يخرجون منها
والثانية لليهود والثالثة للنصارى وروي ان الثانية للنصارى والثالثة لليهود والرابعة
للصابئين والخامسة للمجوس والسادسة للمشركين والسابعة للمنافقين قال تعالى ان المنافقين في الدرك
الاسفل من النار **قوله تعالى** منهم يجوز ان يكون حالا من جزء لانه في الاصل صفة له فلما قدمت انتصب
حالا ويجوز ان يكون حالا من الضمير المستتر في الجار وهو لكل باب والعامل في هذه الحال ما عمل في هذا
الجار ولا يجوز ان يكون حالا من الضمير المستكن في مقسوم لان الصفة لا تعمل فيما قبل الموصوف ولا يجوز
ان يكون صفة للباب لان الباب ليس من الناس وقرا ابو جعفر جز بتشديد الزاي من غير همز كانه القى حركة
الهمزة على الزاي ووقف عليها فشددها كقولك خب في خبء وخالد ثم اجري الوصل مجرى الوقف والجزء بعض
الشيء والجمع اجزاء وجزاته جعلته اجزاء والمعنى انه يجزي اتباع ابليس اجزاء اي يجعلهم اقساما ويدخل في كل
باب من ابواب جهنم طايفة والسبب في ذلك ان مراتب الكفر مختلفة بالغلظ والخفة **قوله تعالى** ان
المتقين في جنات وعيون الايات لما شرح احوال اهل العقاب اتبعه بصفة اهل الثواب روي ان سلمان الفارسي
رضي الله عنه لما سمع قوله تعالى وان جهنم لموعدهم اجمعين فر ثلاثة ايام من الخوف لا يعقل فجي به الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم فساله فقال له يا رسول الله انزلت هذه الاية وان جهنم لموعدهم اجمعين فو الذي بعثك
بالحق نبيا لقد قطعت قلبي فانزل الله تعالى ان المتقين في جنات وعيون الايات لما شرح احوال اهل العقاب
قال ابن عباس رضي الله عنه المراد بالمتقين الذين اتقوا الشرك بالله سبحانه وتعالى والكفر به وبه قال جمهور
الصحابة والتابعين وهو الصحيح لان المتقي هو الاتي بالتقوى مرة واحدة كما ان الضارب هو الاتي بالضرب
والقاتل هو الاتي بالقتل مرة واحدة فكما انه ليس من شرط صدق الوصف بكونه متقيا كونه اتيا بجميع انواع التقوى
لان كل فرد من افراد الماهية يجب كونه مشتملا على تلك الماهية وبهذا التحقيق استدلوا على ان الامر لا يفيد
التكرار واذا ثبت ذلك فاجمعت الامة على ان التقوى عن الكفر شرط في حصول الحكم بدخول الجنة وقال الجبائي
وجمهور المعتزلة المتقين هم الذين اتقوا جميع المعاصي قالوا لانه اسم مدح فلا يتناول الا من كان كذلك واعلم
ان الجنان اربعة لقوله تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان ثم قال تعالى ومن دونهما جنتان فيكون المجموع
اربعة **قوله تعالى** وعيون قرا ابن كثير والاخوان وابو بكر وابن ذكوان بكسر عين عيون منكرا والعيون
معرفا حيث وقع والباقون بالضم وهو الاصل **فصل** الجنان البساتين والعيون يحتمل ان
يكون المراد بها الانهار المذكورة في قوله تعالى فيها انهار من ماء غير اسن وانهار من لبن لم يتغير طعمه وانهار من
خمر لذة للشاربين وانهار من عسل مصفى ويحتمل ان يكون المراد من هذه العيون منابع مغايرة لتلك الانهار
قوله تعالى ادخلوها بسلام امنين العامة على وصل الهمزة من دخل يدخل وقد تقدم خلاف القراء
في حركة هذا التنوين لالتقاء الساكنين في البقرة وقرا يعقوب رحمه الله بفتح التنوين وكسر الخاء وتوجيهها
انه امر ادخل يدخل فلما وقع بعد عيون القي حركة الهمزة على التنوين لانها همزة قطع ثم حذفها والامر من
الله تعالى للملائكة اي ادخلوها اياهم وقرا الحسن ويعقوب ايضا ادخلوها ماضيا مبنيا للمفعول الا ان
يعقوب ضم التنوين ووجهه انه اخذه من ادخل رباعيا فالقى حركة همزة القطع على التنوين كما القى حركة
المفتوحة في قراءته الاولى والحسن كسره على اصل التقاء الساكنين ووجهه ان يكون اجرى همزة القطع مجرى
همزة الوصل في الاسقاط وقراءة الامر على اضمار القول اي يقال لاهل الجنة ادخلوها او يقال للملائكة
ادخلوها اياهم وعلى قراءة الاخبار يكون مستانفا من غير اضمار والسلام حال اي متلبسين بالسلامة
او مسلما عليكم وامنين حال اخرى وهي بدل مما قبلها اما بدل كل من كل واما بدل اشتمال لان الامن
مشتمل على التحية او بالعكس والمعنى امنين من الموت والخروج والافات **قوله تعالى** ان الله تعالى حكم قبل
هذه الاية بانهم في جنات وعيون واذا كانوا فيها فكيف يقال لهم ادخلوها فالجواب انهم لما ملكوا جنات
كثيرة فكلما ارادوا ان ينتقلوا من جنة الى اخرى قيل لهم ادخلوها بسلام امنين **قوله تعالى**
ونزعنا ما في صدورهم من غل الغل هو الشحنا والعداوة والحقد الكامن في القلب ماخوذ من قولهم تغلغل
في جوفه وتغلغل **قوله تعالى** اخوانا يجوز ان يكون حالا من فاعل ادخلوها وهم في صدورهم وجاز
ذلك لان المضاف جزء المضاف اليه وقال ابو البقا والعامل فيها معنى الالصاق ويجوز ان يكون حالا من
فاعل ادخلوها على انها حال مقدرة قاله ابو البقا ولا حاجة اليه بل هي حال مقارنة ويجوز ان يكون حالا من

الضمير في قوله في جنات **قوله تعالى** على سرر يجوز ان يتعلق بنفس اخوانا لانه بمعنى متصافين اي متصافين على سرر قاله ابو البقا وفيه نظر من حيث تاويل جامد بمشتق بعيد منه ومتقابلين على هذا حال من الضمير في اخوانا او صفة لاخوانا ويجوز نصبه على المدح يعني انه لا يمكن ان يكون نعتا للضمير فلذلك قطع والسرر جمع سرير وهو معروف ويجوز في سرر ونحوه مما جمع على هذه الصيغة من مضاعف فعيل فتح العين مخففا وهي لغة كلب وتميم فيقولون سرر وذلك في جمع سرير ودليل قاله المفضل لانهم يستثقلون الضمتين المتواليتين في حرفين من جنس واحد **فصل** قال بعض اهل المعاني السرير مجلس رفيع مهيا للسرور وهو ماخوذ منه لانه مجلس سرور ومتقابلين يقابل بعضهم بعضا لا ينظر احد منهم الى قفا صاحبه والتقابل التواجه وهو نقيض التدابر **قوله تعالى** لا يمسهم فيها نصب يجوز ان يكون هذه مستانفة ويجوز ان يكون حالا من الضمير في متقابلين والنصب التعب يقال منه نصب ينصب فهو نصب وناصب وانصبني كذا قال الشاعر

تاوبني همّ مع الليل منصب • وهم ناصب اي ذو نصب كلابن وتامر قال النابغة

• كليني لهمّ يا اميمة ناصب • وليل اقاسيه بطيء الكواكب •

ومنها متعلق بمخرجين وهذه الاية انص اية في القران على الخلود **قوله تعالى** نبئ عبادي اني انا الغفور الرحيم اثبت الهمزة الساكنة في نبئ صورة وما اثبت في قوله دفء لان ما قبلها ساكن فهو يحذف كثيرا ويلقي حركتها على الساكن قبلها فتبع في الخط على تخفيف الهمزة وليس قبل همزة نبئ ساكن فاجروها على قياس الاصل وقوله تعالى انا الغفور يجوز في انا ان يكون تاكيدا وان يكون مبتدا وان يكون فصلا وقوله هو العذاب يجوز في هو الابتدا والفصل ولا يجوز التوكيد اذ المظهر لا يوكد بالمضمر **فصل** ثبت في اصول الفقه ان ترتيب الحكم على الوصف المناسب يشعر بعليته ذلك الوصف فهنا وصفهم بكونهم عباده ثم ذكر عقيب هذا الوصف الحكم بكونه غفورا رحيما وهذا يدل على ان من اعترف بالعبودية كان في حقه غفورا رحيما ومن انكر ذلك كان مستوجبا للعذاب الاليم وفي الاية لطائف اولها انه اضاف العباد الى نفسه بقوله عبادي وهذا تشريف عظيم ويدل عليه قوله تعالى سبحان الذي اسرى بعبده وثانيها انه لما ذكر المغفرة والرحمة بالغ في التاكيدات بالفاظ ثلاثة اولها قوله اني وثانيها انا وثالثها ادخال الالف واللام على قوله الغفور الرحيم ولما ذكر العذاب لم يقل اني انا المعذب ولم يصف نفسه بذلك بل قال جل وعز وان عذابي هو العذاب الاليم وثالثها انه تعالى امر رسوله صلوات الله وسلامه عليه ان يبلغ اليهم هذا المعنى فكانه اشهد رسوله على نفسه في التزام المغفرة والرحمة ورابعها انه تعالى لما قال نبئ عبادي كان معناه كل من اعترف بعبوديتي وهذا يشمل المومن والعاصي وكل ذلك يدل على تغليب جانب الرحمة من الله تعالى قال قتادة بلغنا ان نبي الله صلى الله عليه وسلم قال لو يعلم العبد قدر عفو الله لما تورع عن حرام ولو علم قدر عقابه لبخع نفسه اي قتلها وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه مر بنفر من اصحابه فقال اتضحكون وبين ايديكم النار فنزل جبريل صلوات الله عليه بهذه الاية وقال يقول لك ربك يا محمد لم تقنط عبادي وقال ابن عباس رضي الله عنه معنى انا الغفور الرحيم اي لمن تاب منهم **قوله تعالى** ونبئهم عن ضيف ابرهيم صلوات الله وسلامه عليه القصة لما قرر امر النبوة واردفه بدلائل التوحيد ثم عقبه بذكر احوال القيمة وصفة الاشقياء والسعداء اتبعه بذكر قصص الانبياء صلوات الله عليهم ليكون سماعها مرغبا للعبادة الموجبة للفوز بدرجات الاولياء ومحذرا عن المعصية الموجبة لاستحقاق دركات الاشقياء فقوله تعالى ونبئهم هذا الضمير راجع الى قوله عبادي اي ونبئ عبادي يقال انبات القوم انباء ونباتهم تنبية اذا اخبرتهم **قوله تعالى** عن ضيف اي اضيافه والضيف في الاصل مصدر ضاف يضيف اذا اتى انسانا لطلب القرى وهو اسم يقع على الواحد والاثنين والجمع والمذكر والمونث فان قيل كيف سماهم ضيفا مع امتناعهم من الاكل فالجواب انه لما ظن ابرهيم صلوات الله عليه انهم انما دخلوا عليه لطلب الضيافة جاز تسميتهم بذلك وقيل ان من دخل الى انسان والتجا اليه سمي ضيفا وان لم ياكل وكان ابرهيم صلوات الله عليه يكنى بابا الضيفان وكان لقصره اربعة ابواب لكي لا يفوته احد وسمي الضيف ضيفا لاضافته اليك ونزوله عليك قال القرطبي رحمه الله ضافه مال اليه واضافه اماله ومنه الحديث حين تضيفت الشمس للغروب وضيفوفة السهم والاضافة النحوية **قوله تعالى** اذ دخلوا في اذ وجهان احدهما انه مفعول بفعل مقدر اي اذكر اذ دخلوا والثاني انه ظرف على بابه وفي العامل فيه وجهان احدهما انه محذوف تقديره خبر ضيف والثاني انه نفس ضيف وفي توجيه ذلك وجهان احدهما انه

لما كان في الاصل مصدرا اعتبر ذلك فيه ويدل على اعتبار مصدريته بعد الوصف به عدم مطابقته لما قبله تثنية وجمعا وتانيثا في الاغلب ولانه قايم مقام وصف والوصف يعمل والثاني انه على حذف مضاف اي اصحاب ضيف ابرهيم اي ضيافته فالمصدر باق على حاله فلذلك عمل وقال ابو البقا بعد ان قدر اصحاب ضيافته والمصدر على هذا مضاف الى المفعول قال شهاب الدين وفيه نظر اذ الظاهر اضافته لفاعله لان النبي صلى **قوله تعالى** فقالوا سلاما اي نسلم لك سلاما او سلمت سلاما او سلموا سلاما قاله القرطبي قال ابرهيم انا منكم وجلون اي خايفون لانهم لم ياكلوا طعامه وقيل لانهم دخلوا بغير اذن وبغير وقت **قوله تعالى** لا توجل العامة على فتح التاء من وجل كشرب يشرب والفتح قياس فعل الا ان العرب اجرت يفعل بالكسر في بعض المواضع كما اذا كانت فاوه واوا نحو سق وقرا الحسن لا توجل مبنيا للمفعول من الايجال وقرى لا تاجل والاصل توجل كقراءة العامة الا انه ابدل من الواو الفا لانفتاح ما قبلها وان لم تتحرك كقولهم تابه وصامه في توبه وصومه وسمع اللهم تقبل تابتي وصامتي وقرى ايضا لا تواجل من المواجلة ومعنى الكلام لا تخف انا نبشرك قرا حمزة انا نبشرك بفتح النون وتخفيف البا والباقون بضم النون وفتح الباء وانا نبشرك استينافا فيه معنى التعليل للنهي عن الوجل اي انك بمثابة الامن المبشر فلا توجل واعلم انهم بشروه بامرين احدهما ان الولد ذكر والثاني انه عليم فقيل بشروه بنبوته بعده وقيل عليم بالدين فتعجب ابرهيم وكبر امرته وقال ابشرتموني بالولد على انه مسني الكبر قرا الاعرج وابشرتموني باسقاط اداة الاستفهام فيحتمل الاخبار ويحتمل الاستفهام وانما حذف اداته للعلم بها وعلى ان مسني في محل نصب على الحال وقرا ابن محيصن الكبر بزنة فعل **قوله تعالى** فبم تبشرون بم متعلق بتبشرون وقدم وجوبا لان ما استفهام ولها صدر الكلام وقرا العامة بفتح النون مخففة على انها نون الرفع ولم يذكر مفعول التبشير وقرا نافع بكسرها والاصل تبشرونني فحذف اليا مجتزيا عنها بالكسرة وقد غلطه ابو حاتم وقال هذا يكون في الشعر اضطرارا وقال مكي وقد طعن في هذه القراءة قوم لبعد مخرجها في العربية لان حذف النون التي تصحب اليا لا يحسن الا في شعر وان قدر حذف النون الاولى حذفت علم الرفع من غير ناصب ولا جازم ولان نون الرفع كسرها قبيح انما حقها الفتح وهذا الطعن لا يلتفت اليه لان ياء المتكلم قد كثر حذفها مجتزا عنها بالكسرة وقد قرى بذلك في قوله تعالى افغير الله تامروني كما سياتي بيانه ان شاء الله تعالى ووجهه انه لما اجتمع نونان احدهما للرفع والاخرى نون الوقاية استثقل اللفظ فمنهم من ادغم ومنهم من حذف ثم اختلف في المحذوف فقد هل هي الاولى او الثانية وتقدم الكلام على ذلك في سورة الانعام وقرا ابن كثير رحمه الله بنون مكسورة مشددة ادغم الاولى في الثانية وحذف ياء الاضافة والحسن اثبت اليا مع تشديد النون ووجه قراءة من اثبت مفعول تبشرون وهو اليا قوله تعالى قالوا بشرناك وبالحق متعلق بالفعل قبله ويضعف ان يكون حالا اي بشرناك بالحق وبم هذا استفهام بمعنى التعجب كانه قال باي اعجوبة تبشروني فان قيل كيف استبعد قدرة الله تعالى على خلق الولد منه في زمان الكبر وما فايدة هذا الاستفهام مع انهم قد بينوا ما بشروا به فاجاب القاضي بانه اراد ان يعرف انه تعالى هل يعطيه الولد مع انه يبقيه على صفة الشيخوخة او يقلبه شابا ثم يعطيه الولد وسبب هذا الاستفهام ان العادة جارية بانه لا يحصل الولد حال الشيخوخة التامة وانما يحصل في حال الشباب فان قيل فاذا كان معنى الكلام ما ذكرتم فلم قالوا بشرناك بالحق فلا تكن من القانطين لا يدل على انه كان كذلك بدليل انه صرح في جوابهم بما يدل على انه ليس كذلك فقال ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون واجاب غيره بان الانسان اذا كان عظيم الرغبة في شي وفاته الوقت الذي يغلب على ظنه حصول المراد فيه فاذا بشر بعد ذلك بحصوله عظم فرحه وسروره ويصير ذلك الفرح القوي كالمدهش له والمزيل لقوة فهمه وذكايه فربما تكلم بكلمات مضطربة في ذلك الوقت وقيل ايضا انه يستطيب تلك البشارة فربما يعيد السوال ليسمع تلك البشارة مرة اخرى ومرتين واكثر طلبا للالتذاذ بسماع تلك البشارة او طلبا لزيادة الطمانينة والوثوق كقوله ولكن ليطمئن قلبي وقيل ايضا استفهام استفهم امن الله تبشرون ام عند انفسكم واجتهادكم **قوله تعالى** قالوا بشرناك بالحق قال ابن عباس رضي الله عنه يريد بما قضاه الله تعالى وقوله تعالى فلا تكن من القانطين نهي لابرهيم صلوات الله عليه عن القنوط وقد تقدم ان نهي الانسان عن الشي لا يدل على كون المنهي فاعلا للمنهي عنه كقوله جل وعز ولا تطع الكافرين والمنافقين ولا تكونن من المشركين **قوله تعالى** ومن يقنط هذا استفهام معناه النفي ولذلك وقع بعده الايجاب بالا وقرا ابو عمرو والكسائي يقنط بكسر عين هذا المضارع

حيث وقع والباقون بفتحها وزيد بن علي والاشهب بضمها وفي الماضي لغتان قنط بكسر النون يقنط بفتحها

وقنط بفتحها يقنط بكسرها ولولا ان القراءة سنة متبعة لكان قياس من قرا يقنط بالفتح ان يقرا ماضيه

قنط بالكسر لكنهم اجمعوا على فتحه في قوله تعالى من بعد ما قنطوا والفتح في الماضي هو الاكثر ولذلك اجمع عليه قال

الفارسي فتح النون في الماضي وكسرها في المستقبل من اعلى اللغات ويرجح قراءة يقنط بالفتح قراءة ابي عمرو في بعض

الروايات فلا تكن من القنطين كفرح يفرح فهو فرح والقنوط شدة الياس من الخير وحكى ابو عبيدة قنط يقنط

بضم النون قال ابن الخطيب وهذا يدل على ان قنط بفتح النون اكثر لان المضارع من فعل يجيء على يفعل ويفعل

مثل فسق يفسق ويفسق ولا يجيء مضارع فعل على يفعل فصـــل جواب ابرهيم صلوات الله عليه

هو لان القنوط من رحمة الله لا يحصل الا عند الجهل بامور احدها ان يجهل كونه تعالى قادرا عليه وثانيها

ان يجهل كونه تعالى عالما باحتياج ذلك العبد اليه وثالثها يجهل كونه تعالى منزها عن البخل والحاجة

والجهل بكل هذه الامور سبب للضلال والقنوط من رحمة الله كبيرة كالامن من مكره قوله تعالى فما خطبكم

الخطب الشان والامر سالهم عما لاجله ارسلهم الله تعالى فان قيل ان الملائكة لما بشروه بالولد الذكي العليم

كيف قال لهم بعد ذلك فما خطبكم فالجواب قال الاصم معناه ما الذي وجهتم له سوى البشرى وقال القاضي

انه علم انه لو كان المقصود ايصال البشارة لكان الواحد من الملائكة كافيا فلما راى جمعا من الملائكة

علم ان لهم غرضا اخر سوى ايصال البشارة فلا جرم قال فما خطبكم وقيل انهم انما قالوا انا نبشرك بغلام عليم

لازالة الخوف والوجل الا ترى انه لما قال انا منكم وجلون قالوا له لا توجل انا نبشرك بغلام عليم فلو كان

تمام المقصود من المجيء هو البشارة كانوا ذكروا البشارة في اول دخولهم فلما لم يكن الامر كذلك علم ابرهيم

صلوات الله وسلامه عليه ان مجيئهم ما كان لمجرد البشارة بل لغرض اخر فلا جرم سالهم عن ذلك الغرض

فقال فما خطبكم ايها المرسلون قالوا انا ارسلنا الى قوم مجرمين مشركين وانما اقتصروا على هذا القدر ليعلم

ابراهيم صلوات الله عليه بان الملائكة اذا ارسلوا الى المجرمين كان ذلك لاهلاكهم ويدل على ذلك قوله تعالى

الا آل لوط انا لمنجوهم اجمعين قوله تعالى الا آل لوط فيه وجهان احدهما انه استثناء متصل على انه مستثنى

من الضمير المستكن في مجرمين بمعنى اجرموا كلهم الا آل لوط فانهم لم يجرموا ويكون قوله تعالى انا لمنجوهم استئنافا

واخبارا بنجاتهم لكونهم لم يجرموا ويكون الارسال حينئذ شاملا للمجرمين ولآل لوط لاهلاك اولئك وانجاء

هؤلاء والثاني انه استثناء منقطع لان آل لوط لم يندرجوا في المجرمين البتة قال ابو حيان رحمه الله واذا كان

استثناء منقطعا فهو مما يجب فيه النصب لانه من الاستثناء الذي لا يمكن توجه العامل الى المستثنى فيه لانهم

لم يرسلوا اليهم انما ارسلوا الى القوم المجرمين خاصة ويكون قوله انا لمنجوهم جرى مجرى خبر لكن في اتصاله بآل

لوط لان المعنى لكن آل لوط منجوهم وقد زعم بعض النحويين في الاستثناء المنقطع المقدر بلكن اذا لم يكن بعده ما يصح

ان يكون خبرا ان الخبر محذوف وانه في موضع رفع لجريان الا وتقديرها بلكن قال شهاب الدين وفيه نظر لان

قوله لا يتوجه اليه العامل اي لا يمكن نحو ضحك القوم الا حمارهم وصهلت الخيل الا الابل واما هذا فيمكن الارسال

اليهم من غير منع واما قوله لانهم لم يرسلوا اليهم فصحيح لان حكم الاستثناء كله هكذا وهو ان يكون خارجا عما حكم

به على الاول لكنه لو تسلط عليه لصح ذلك بخلاف ما تقدم من امثلتهم قوله تعالى انا لمنجوهم اجمعين

قرا الاخوان لمنجوهم مخففا وكذلك خففا ايضا فعل هذه الصفة في قوله تعالى في العنكبوت لننجينه

واهله وكذلك خففا ايضا قوله فيها انا منجوك فهما جاريان على سنن واحد ووافقهما ابن كثير

وابو بكر على تخفيف منجوك كانهما جمعا بين اللغتين وتاتي في السبعة بنسبتين الكل والتخفيف والتشديد

لغتان مشهورتان من نجا وانجاكنزل ونزل وقد نطق بفعلها قال فلما انجاهم وفي موضع نجاهم قوله تعالى

الا امراته فيه وجهان احدهما انه استثناء من آل لوط قال ابو البقاء رحمه الله والاستثناء اذا جاء بعد الاستثناء

كان الاستثناء الثاني مضافا الى المبتدا كقوله له عندي عشرة الا اربعة الا درهما فان الدرهم يستثنى من الاربعة

فهو مضاف الى العشرة فكانك قلت عشرة الا اربعة او عشرة الا ثلاثة الثاني انها مستثناة من الضمير المجرور

في منجوهم وقد منع الزمخشري الوجه الاول وعين الثاني فقال فان قلت فقوله الا امراته مم استثنى وهل هو

استثناء من استثناء قلت مستثنى من الضمير المجرور في قوله لمنجوهم وليس من الاستثناء في شيء لان الاستثناء

من الاستثناء انما يكون فيما اتحد الحكم فيه وان يقال اهلكناهم الا آل لوط الا امراته كما اتحد في قول المطلق

انت طالق ثلاثا الا اثنتين الا واحدة وقول المقر لفلان علي عشرة الا ثلاثة الا درهما واما الاية فقد اختلف

الحكمان لان آل لوط متعلق بارسلنا او بمجرمين والا امراته قد تعلق بقوله لمنجوهم فاني يكون استثناء

من استثناء فيمكن قوله باحد وجهين قال ابو حيان ولما استسلف الزمخشري ان امراته استثناء من الضمير

في لمنجوهم ابى ان يكون استثناء من استثناء ومن قال انه استثناء من استثناء فيمكن قوله باحد وجهين

احدهما انه لما كان امراته مستثنى من الضمير في لمنجوهم وهو عائد على آل لوط صار كانه مستثنى من آل لوط

لان المضمر هو الظاهر والوجه الاخر ان قوله الا آل لوط لما حكم عليهم بغير الحكم الذي حكم به على قوم مجرمين

اقتضى ذلك نجاتهم فجاء قوله انا لمنجوهم اجمعين تاكيدا لمعنى الاستثناء اذ المعنى الا آل لوط لم يرسل اليهم بالعذاب

ونجاتهم مترتبة على عدم الارسال اليهم بالعذاب فصار نظير قولك قام القوم الا زيدا لم يقم او الا زيدا

فانه لم يقم فهذه الجملة تاكيد لما تضمنه الاستثناء من الحكم على ما بعد الا بضد الحكم السابق على المستثنى منه

فالا امراته على هذا التقدير الذي قررناه مستثنى من آل لوط لان الاستثناء مما جيء به للتاسيس اولى من

الاستثناء مما جيء به للتاكيد قوله تعالى قدرنا قرا ابو بكر هاهنا وفي سورة النمل بتخفيف الدال والباقون

بتشديدها وهما لغتان قدر وقدر قوله تعالى انها لمن الغابرين كسرت من اجل اللام في خبرها ولولاها لفتحت

وهي معلقة لما قبلها لان فعل التقدير يعلق اجراء له مجرى العلم اما لكونه بمعناه واما لانه مترتب عليه

قال الزمخشري فان قلت لم جاز تعليق فعل التقدير في قوله قدرنا انها والتعليق من خصائص افعال القلوب

قلت لتضمن فعل التقدير معنى العلم قال ابو حيان رحمه الله وكسرت انها اجراء لفعل التقدير مجرى العلم

وهذا لا يصح علة لكسرها انما يصح علة لتعليقها الفعل قبلها فصـــل معنى التقدير في اللغة

جعل الشيء على مقدار غيره يقال قدر هذا الشيء بهذا اي جعله على مقداره وقدر الله سبحانه الاقوات

اي جعلها على مقدار الكفاية ثم يفسر التقدير بالقضا فقضا الله عليه وقدره عليه اي جعله على مقدار

ما يكفي في الخير والشر وقيل معنى قدرنا كتبنا وقال الزجاج دبرنا فان قيل لم اسند الملائكة فعل التقدير

الى انفسهم مع انه لله عز وجل فالجواب انما ذكروا هذه العبارة لما لهم من القرب والاختصاص بالله كما تقول خاصة

الملك دبرنا كذا وامرنا بكذا والمدبر والامر هو الملك لا هم وانما يريدون بهذا الكلام اظهار ما لهم من الاختصاص

بذلك الملك فكذا هاهنا قوله تعالى انها لمن الغابرين في موضع مفعول التقدير اي قضينا انها تتخلف

وتبقى مع من يبقى حتى تهلك فتلحق بالهالكين قوله تعالى فلما جاء آل لوط المرسلون القصة لما بشروا

ابرهيم صلوات الله وسلامه عليه بالولد واخبروه بانهم مرسلون بعذاب قوم مجرمين ذهبوا بعد ذلك الى لوط

والى آله وان لوطا وقومه ما عرفوا انهم ملائكة الله فقال انكم قوم منكرون لانهم لما هجموا عليه استنكرهم

وخاف من دخولهم لاجل شر يوصلونه اليه وقيل خاف لانهم كانوا شبانا مردا حسان الوجوه فخاف ان يهجم

قومه عليهم لطلبهم فقال هذه الكلمة وقيل ان النكرة ضد المعرفة فقوله انكم قوم منكرون اي لا اعرفكم ولا اعرف

انكم من اي الاقوام ولاي غرض دخلتم علي فقال انكم قوم منكرون قوله تعالى بل جئناك اضراب عن

المقول المحذوف تقديره ما جئناك بما يكون بل جئناك وقد تقدم الخلاف في قوله فاسر قطعا ووصلا في

هود وقرا اليماني فيما نقل ابن عطية وصاحب اللوامح فسر من السير وقراءة فرقة بقطع بفتح الطاء وقد

تقدم في يونس ان الكسائي وابن كثير قراه بالسكون في قوله قطعا والباقون بالفتح فصـــل

قالت الملائكة بل جئناك بما كانوا فيه يمترون يشكون انه نازل بهم وهو العذاب لانه كان

يوعدهم بالعذاب فلا يصدقونه ثم اكدوا ذلك بقولهم واتيناك بالحق قال الكلبي بالعذاب وقيل

باليقين والامر الثابت الذي لا شك فيه وهو العذاب ثم اكدوا هذا التاكيد بقولهم وانا لصادقون فاسر

باهلك بقطع من الليل والقطع اخر الليل قال الشاعر

افتحي الباب وانظري في النجوم ۞ كم علينا من قطع ليل بهيم

واتبع ادبارهم اي سر خلفهم ولا يلتفت منكم احد لئلا يرتاعوا من عظيم ما نزل بهم من العذاب وقيل

معناه الاسراع وترك الاهتمام لما خلف وراءه كما تقول امض لشانك ولا تعرج على شيء وقيل المعنى

لو بقي منه متاع في ذلك الموضع فلا يرجعن بسببه البتة وقيل جعل الله ذلك علامة لمن ينجو من آل

لوط وامضوا حيث تؤمرون قال ابن عباس رضي الله عنه يعني الشام وقال المفضل حيث يقول لكم جبريل وقال

مقاتل يعني زغر وقيل الاردن قوله تعالى حيث تؤمرون حيث على بابها من كونها ظرف مكان مبهم

ولابهامها تعدى اليها الفعل من غير واسطة على انه قد جاء في الشعر تعديه اليها بفي كقول الشاعر

• فاصبح في حيث التقينا شريدهم • ومكتوف اليدين ومرعف •

وزعم بعضهم انها هنا ظرف زمان مستتر لا بقوله بقطع من الليل ثم قال وامضوا حيث تؤمرون اي في ذلك الزمان وهو ضعيف ولو كان كما قال لكان التركيب حيث لم يتم على انه لو جاء التركيب كذا لم يكن فيه دلالة **قوله تعالى** وقضينا اليه ذلك الامر وذلك الامر ذلك مفعول القضاء والاشارة به الى ما وعد من اهلاك قومه والامر اما بدل منه او عطف بيان له **قوله تعالى** ان دابر العامة على فتح ان وفيها اوجه احدها انها بدل من ذلك اذا قلنا الامر عطف بيان الثاني انها بدل من الامر سواء قلنا انه بيان او بدل مما قبله الثالث انه على حذف الجار اي بان دابر ففيه الخلاف المشهور وقرا زيد بن علي والاعمش بكسرها لانه بمعنى القول وعلله ابو حيان بانه لما علق ما هو بمعنى العلم كره وفيه لنظر المتقدم ويؤيد اضمار القول قراءة ابن مسعود وقلنا ان دابر هؤلاء ودابرهم اخرهم مقطوع مستاصل يعني يستاصلون عن اخرهم حتى لا يبقى منهم احد مصبحين اي في حال ظهور الصبح فهو حال من الضمير المستتر في مقطوع وانما جمع حملا على المعنى وجعله الفراء وابو عبيدة خبر لكان مضمرة قال لانه يقع اذا كانوا مصبحين كقولك انت ماشيا احسن منك راكبا وهو تكلف ومصبحين داخلين في الصباح **قوله تعالى** وجاء اهل المدينة اي مدينة لوط يعني سدوم يستبشرون حال اي يستبشرون باضياف لوط يبشر بعضهم بعضا طمعا في ركوب الفاحشة منهم قيل ان الملائكة لما كانوا في غاية الحسن اشتهر خبرهم وقيل اخبرتهم امراة لوط بذلك فذهبوا الى دار لوط طلبا منهم لاولئك المرد فقال لهم لوط صلوات الله وسلامه عليه هؤلاء ضيفي وحق على الرجل اكرام ضيفه فلا تفضحون فيهم يقال فضحه يفضحه فضحا وفضيحة اذا اظهر من امره ما يلزمه العار والفضح والفضيحة البيان والظهور ومنه فضحه الصبح قال الشاعر

• ولاح ضوء هلال الليل يفضحنا • مثل القلامة قد قصت من الظفر •

لان الفضيحة اختصت بما هو عار على الانسان عند ظهوره ومعنى الاية ان الضيف يجب اكرامه فاذا قصدتموه بالسوء كان ذلك اهانة بي ثم اكد ذلك بقوله واتقوا الله ولا تخزون ولا تخجلون فاجابوه بقولهم اولم ننهك عن العالمين اي عن ان تضيف احدا من العالمين وقيل الم ننهك ان تدخل الغرباء المدينة فانا نركب منهم الفاحشة **قوله تعالى** هؤلاء بناتي يجوز فيه اوجه احدها ان تكون هؤلاء بناتي مفعولا بفعل مقدر اي تزوجوا هؤلاء وبناتي بيان او بدل الثاني ان يكون هؤلاء بناتي مبتدا وخبر ولا بد من شيء محذوف تتم به الفائدة اي فتزوجوهن الثالث ان يكون هؤلاء مبتدا وبناتي بدل او بيان والخبر محذوف اي هن اطهر لكم كما جاء في نظيرتها وتقدم الكلام على هذا المعاني في هود **قوله تعالى** لعمرك مبتدا محذوف الخبر وجوبا ومثله لايمن الله وانهم وما في خبره جواب القسم تقديره لعمرك قسمي ويميني انهم والعمر والعمر بالفتح والضم هو البقاء الا انهم التزموا الفتح في القسم قال الزجاج لانه اخف عليهم وهم يكثرون القسم بلعمري ولعمرك وله احكام كثيرة انه متى اقترن بلام الابتداء لزم فيه الرفع بالابتداء وحذف خبره لسد جواب القسم مسده ومنها انه يصير صريحا في القسم اي يتعين فيه بخلاف غيره نحو عهد الله وميثاقه ومنها انه يلزم فتح عينه فان لم يقترن به لام الابتداء جاز نصبه بفعل مقدر نحو عمر الله لافعلن ويجوز حينئذ في الجلالة وجهان النصب والرفع فالنصب على انه مصدر مضاف لفاعله وفي ذلك معنيان احدهما ان الاصل اسالك بتعميرك الله اي بوصفك الله تعالى بالبقاء ثم حذف زوائد المصدر والثاني ان المعنى بعبادتك الله والعمر العبادة حكى ابن الاعرابي عمرت ربي اي عبدته وفلان عامر لربه اي عابده واما الرفع فعلى انه مضاف لمفعوله قال الفارسي معناه عمرك الله تعميرا وقال الاخفش اصله اسالك بتعميرك الله فحذف زوائد المصدر والفعل والباء فانتصب وجاز ايضا ذكر خبره فتقول عمرك قسمي لافعلن وجاز ايضا ضم عينه وينشد بالوجهين قوله

• ايها المنكح الثريا سهيلا • عمرك الله كيف يلتقيان •
• هي شامية اذا ما استقلت • وسهيل اذا استقل يماني •

ويجوز دخول باء الجر نحو بعمرك لافعلن قال الشاعر

• رقي بعمركم لا تهجرينا • ومنينا المنى ثم امطلينا •

وهو من الاسماء اللازمة للاضافة فلا يقطع منها ويضاف لكل شيء وزعم بعضهم انه لا يضاف الى الله قيل كان هذا توهم انه لا يستعمل الا في الانقطاع وقد سمع اضافته للباري سبحانه وتعالى قال الشاعر

• اذا رضيت علي بنو قشير • لعمر الله اعجبني رضاها •

ومنع بعضهم اضافته الى ياء المتكلم قال لانه حلف بحياة المقسم وقد ورد ذلك قال النابغة

• لعمري وما عمري علي بهين • لقد نطقت بطلا علي الاقارع •

وقد قلبته العرب بتقديم رائه على لامه فقالوا رعملي وهي رديئة **قوله** تعالى لفي سكرتهم العامة على كسران لوقوع اللام في خبرها وقرا ابو عمرو في رواية الجهضمي بفتحها وتخريجها على زيادة اللام وهي كقراءة ابن جبير الا انهم ليأكلون الطعام بالفتح وقرا الاعمش سكراتهم جمعا وابن ابي عبلة سكراتهم جمعا والاشهب سكرتهم بضم السين ويعمهون حال اما من الضمير المستكن في الجار واما من الضمير المجرور بالاضافة والعامل اما نفس سكرة لانها مصدر واما معنى الاضافة **فصل** قيل ان الملائكة عليهم الصلاة والسلام قالت للوط صلوات الله عليه لعمرك انهم لفي سكرتهم يعمهون وضلالتهم يعمهون يتحيرون وقال قتادة يلعبون فكيف يعقلون قولك ويلتفتون الى نصيحتك وقيل ان الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم وانه اقسم بحياته وما اقسم بحياة احد روى ابو الجوزاء عن ابن عباس رضي الله عنه قال ما خلق الله نفسا اكرم عليه من محمد صلى الله عليه وسلم وما اقسم بحياة احد الا بحياته ثم قال فاخذتهم الصيحة ولم يذكر في الاية دليل الا على انه جاءتهم صيحة مهلكة **قوله تعالى** مشرقين حال من مفعول اخذتهم اي داخلين في الشروق وهو بزوغ الشمس يقال شرق الشارق يشرق شروقا لكل ما طلع من جانب الشرق ومنه قوله ما ذر شارق اي طلع طالع فكان ابتداء العذاب حين اصبحوا وتمامه حين اشرقوا والضمير في عاليها سافلها للمدينة وقال الزمخشري رضي الله عنه لقرى قوم لوط ورجح الاول بانه تقدم ذكر المدينة في قوله وجاء اهل المدينة فعاد الضمير اليها بخلاف الثاني فانه لم يتقدم لفظ القرى وامطرنا عليهم تقدم الكلام على ذلك كله في ذلك هود **قوله تعالى** للمتوسمين متعلق بمحذوف على انه صفة لايات والاجود انه يتعلق بنفس ايات لانها بمعنى العلامات والتوسم تفعل من الوسم والوسم اصله التثبت والتفكر ما خوذ من الوسم وهو التاثير بحديدة في جلد البعير او غيره وقال ثعلب الواسم الناظر اليك من قرنك الى قدمك وفيه معنى التثبت وقال الزجاج حقيقة المتوسمين في اللغة المتثبتين في نظرهم حتى يعرفوا سمة الشيء وصفته وعلامته وهو استقصاء وجوه التعرف قال الشاعر

• او كلما وردت عكاظ قبيلة • بعثت الي عريفها يتوسم •

وقيل هو تفعل من الوسم وهو العلامة توسمت فيك خيرا اي ظهر لي ميسمه عليك قال ابن رواحة يمدح النبي صلى الله عليه وسلم تسليما كثيرا

• اني توسمت فيك الخير اعرفه • والله يعلم اني ثابت البصر •

وقال اخر

• توسمته لما رايت مهابة • عليه وقلت المرء من ال هاشم •

ويقال اتسم الرجل اذا اتخذ لنفسه علامة يعرف بها وتوسم اذا طلب كلا الوسمي اي العشب النابت في اول المطر واختلف المفسرون فقال ابن عباس رضي الله عنه للناظرين وقال مجاهد للمتفرسين وقال قتادة للمعتبرين وقال مقاتل للمتفكرين **قوله تعالى** وانها لبسبيل الظاهر عود الضمير على المدينة او القرى وقيل على الحجارة وقيل على الايات والمعنى بطريق واضح قال مجاهد بطريق معلم ليس بخفي ولا زايل ثم قال تعالى ان في ذلك لاية للمؤمنين اي كل من امن بالله وصدق الرسل والانبياء صلوات الله عليهم عرف ذلك انما كان لانتقام الله من الجهال لاجل مخالفتهم واما الذين لا يؤمنون فيحملونه على حوادث العالم وحصول القرانات الكوكبية والاتصالات الفلكية **قوله تعالى** وان كان اصحاب الايكة لظالمين ان هي المخففة واللام فارقة وهي للتاكيد وقد تقدم حكم ذلك والايكة الشجر الملتفة واحدة الايك قال الشاعر

• تجلو بقادمتي حمامة ايكة • بردا اسف لثاته بالاثمد •

ويقال ليكة وسياتي بيانه عند اختلاف القراء فيه في الشعراء ان شاء الله تعالى واصحاب الايكة قوم شعيب كانوا اصحاب غياض وشجر ملتف قال ابن عباس رضي الله عنه وكان عامة شجرهم الدوم وهو المقل فانتقمنا منهم بالعذاب روي ان الله تعالى سلط عليهم الحر سبعة ايام فبعث الله سحابة فالتجوا اليها يلتمسون الروح فبعث الله عليهم منها نارا فاحرقتهم فهو عذاب يوم الظلة **قوله تعالى** وانهما لبامام مبين في ضمير التثنية اقوال اصحها عوده على قريتي قوم لوط واصحاب الايكة وهم قوم شعيب لتقدمهما ذكرا وقيل يعود على الخبرين خبر اهلاك قوم لوط وخبر اهلاك قوم شعيب وقيل يعود على اصحاب الايكة واصحاب مدين لانه مرسل اليهما فذكر احدهما يشعر بالاخر وقوله جل ذكره لبامام مبين اي بطريق واضح والامام

اسم لما يؤتم به قال الفراء والزجاج انما جعل الطريق اماما لانه يؤم ويتبع قال ابن قتيبة لان المسافر
يأتم به حتى يصير الى الموضع الذي يريده وقوله مبين يحتمل انه مبين في نفسه ويحتمل انه مبين لغيره
لان الطريق يهدي الى المقصد **قوله تعالى** ولقد كذب اصحاب الحجر المرسلين قال صاحب ديوان الادب
الحجر بكسر الحاء المهملة وسكون الجيم له ستة معان فالحجر منازل ثمود وهو المذكور هاهنا والحجر الانثى من الخيل
والحجر الكعبة والحجر لغة في الحجر وهو واحد الحجور في قوله تعالى وربائبكم اللاتي في حجوركم والحجر العقل قال الله
تعالى هل في ذلك قسم لذي حجر والحجر الحرام في قوله تعالى حجرا محجورا اي حراما محرما وقال المرسلين فالذين
كذبوا صالحا وحده لان من كذب نبيا فقد كذب الانبياء صلوات الله عليهم ولا يجوز التفريق بينهم وقيل
كذبوا صالحا ومن تقدمه من النبيين ايضا والله تعالى اعلم قال المفسرون الحجر اسم واد كان يسكنه ثمود قوم صالح
وهو بين المدينة والشام والمراد بالمرسلين صالح وحده قال ابن الخطيب ولعل القوم كانوا براهمة منكرين لكل
الرسل وآتيناهم آياتنا يعني الناقة وولدها والبئر والآيات في الناقة خروجها من الصخرة وعظم خلقها
وظهور نتاجها عند خروجها وقرب ولادتها وغزارة لبنها واضاف الآيات اليهم وان كانت الناقة آية
صالح لانها آيات رسولهم فكانوا عنها معرضين وذلك يدل على ان النظر والاستدلال واجب وان التقليد
مذموم وكانوا ينحتون من الجبال بيوتا تقدم كيفية النحت في الاعراف وقرا الحسن وابو حيوة ينحتون بكسر
العين آمنين من عذاب الله وقيل آمنين من الخراب ووقوع السقف عليهم فاخذتهم الصيحة اي صيحة
العذاب مصبحين وقت الصبح **قوله تعالى** فما اغنى عنهم يجوز ان تكون ما نافية او استفهامية فيها
معنى التعجب وقوله ما كانوا يجوز ان تكون ما مصدرية اي كسبهم او موصوفة او بمعنى الذي والعائد محذوف
اي شيء يكسبونه او الذي يكسبونه **فصل** روى البخاري رحمه الله عن ابن عمر رضي الله عنه ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم لما نزل الحجر في غزوة تبوك امرهم ان لا يشربوا من بئرها ولا يستقوا منها فقالوا قد
عجنا واستقينا فامرهم النبي صلى الله عليه وسلم ان يهريقوا الماء وان يطرحوا ذلك العجين وفي رواية
ان يعلفوا الابل العجين وفي هذا دليل على كراهة دخول تلك المواضع وعلى كراهة دخول مقابر الكفار
وعلى تحريم الانتفاع بالماء المسخوط عليه لان النبي صلى الله عليه وسلم امرهم باهراقه وطرح العجين وهذا
حكم الماء النجس ويدل على ان ما لا يجوز استعماله من الطعام والشراب يجوز ان يعلفه البهائم **قوله تعالى**
وما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق الآية لما ذكر اهلاك الكفار فكانه قيل الاهلاك كيف
يليق بالرحيم فاجاب بانه انما خلقت الخلق ليشتغلوا بعبادتي كما قال تعالى وما خلقت الجن والانس الا
ليعبدون فاذا تركوها واعرضوا عنها وجب في الحكمة اهلاكهم وتطهير وجه الارض منهم وهذا النظم
حسن الا انه انما يستقيم على قول المعتزلة وفي النظم وجه آخر وهو انه تعالى انما ذكر هذه القصص تسلية
لنبيه صلوات الله وسلامه عليه وان يصبر على سفاهة قومه فانه اذا سمع ان الامم السالفة كانوا يعاملون
مثل هذه المعاملات سهل تحمل تلك السفاهات على محمد صلوات الله وسلامه عليه ثم انه تعالى لما بين
انه انزل العذاب على الامم السالفة قال لمحمد صلوات الله وسلامه عليه ان الساعة لآتية وان الله ينتقم لك
من اعدائك ويجازيك واياهم فانه ما خلق السموات والارض وما بينهما الا بالحق والعدل والانصاف
فكيف يليق بحكمته اهمال امرك ثم انه تعالى لما صبره على اذى قومه رغبه بعد ذلك في الصفح عنهم فقال
فاصفح الصفح الجميل **قوله تعالى** الا بالحق نعت لمصدر محذوف اي ملتبسا بالحق قال المفسرون هذه
منسوخة بآية القتال وهو بعيد لان المقصود من ذلك ان يظهر الخلق الحسن والعفو والصفح الجميل
فكيف يصير منسوخا ثم قال ان ربك هو الخلاق العليم اي خلق الخلق مع اختلاف طبائعهم وتفاوت احوالهم
مع علمه بكونهم كذلك بمحض مشيئته وارادته وعلى قول المعتزلة لاجل المصلحة والحكمة وقرا زيد بن علي
والجحدري ان ربك هو الخالق وكذا هي في مصحف ابي وعثمان **قوله تعالى** ولقد آتيناك سبعا من المثاني
يحتمل ان يكون سبعا من الفوائد وليس في اللفظ ما يدل على التعيين والمثاني صيغة جمع واحده مثناة
والمثناة كل شيء يثنى اي يجعل اثنين من قولك ثنيت الشيء ثنيا اي عطفته وضممت اليه آخر ومنه يقال
لركبتي الدابة ومرفقيه مثاني لانه يثنى بالفخذ والعضد ومثاني الوادي معاطفه واذا عرف هذا
فقوله سبعا من المثاني مفهومه سبعة اشياء من جنس الاشياء التي تثنى وهذا القدر مجمل ولا سبيل الى تعيينه
الا بدليل منفصل وللناس فيه اقوال احدها قال عمر وعلي وابن مسعود وابو هريرة والحسن وابو العالية

ومجاهد والضحاك وسعيد بن جبير وقتادة رضي الله عنهم انه فاتحة الكتاب روى ابو هريرة رضي الله
عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قرا فاتحة الكتاب وقال هي السبع المثاني وانما سميت بالسبع لانها سبع آيات
وفي تسميتها بالمثاني وجوه اولها قال ابن عباس رضي الله عنه والحسن وقتادة لانها تثنى في الصلاة فتقرأ
في كل ركعة وثانيها قال الزجاج لانها تثنى بعدها بما يقرأ معها وثالثها لانها قسمت قسمين نصفها ثناء ونصفها
دعاء كما ورد في الحديث المشهور ورابعها قال الحسين بن الفضل لانها نزلت مرتين مرة بمكة ومرة بالمدينة وخامسها
لان كلماتها مثناة مثل الرحمن الرحيم اياك واياك الصراط صراط انعمت عليهم غير المغضوب عليهم وفي قراءة عمر غير
المغضوب عليهم وغير الضالين نقل القاضي عن ابي بكر الاصم انه قال كان ابن مسعود رضي الله عنه لا يكتب في المصحف فاتحة
الكتاب رأي انها ليست من القرآن قال ابن الخطيب لعل حجته انه عطف السبع المثاني على القرآن والمعطوف مغاير
للمعطوف عليه فوجب ان يكون السبع المثاني غير القرآن ويشكل هذا بقوله تعالى واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم
ومنك ومن نوح وكذلك قوله تعالى وملائكته وجبريل وميكال والجواب ان يقال انه يجوز ان يذكر الكل
ثم يعطف عليه ذكر بعض اقسامه لكونه اشرف الاقسام واما اذا ذكر شيء ثم عطف عليه شيء آخر كان المذكور
اولا مغايرا للمذكور ثانيا وهاهنا ذكر السبع المثاني ثم عطف عليه القرآن فوجب التغاير ويجاب بان بعض
الشيء مغاير لمجموعه فلم لا يكفي هذا القدر من المغايرة في حسن العطف واعلم انه لما كان المراد بالسبع المثاني
هو الفاتحة دل على انها افضل سور القرآن لان افرادها بالذكر مع كونها جزءا من القرآن يدل على مزيد
اختصاصها بالفضيلة وايضا لما انزلها مرتين دل ذلك على فضلها وشرفها ولما واظب رسول الله صلى الله عليه
وسلم على قراءتها في جميع الصلوات طول عمره وما اقام سورة اخرى مقامها في شيء من الصلوات دل ذلك على وجوب
قراءتها في الصلاة وان لا يقوم شيء من القرآن مقامها القول الثاني ان السبع المثاني هي السبع الطوال قاله
ابن عمر وسعيد بن جبير في بعض الروايات عن ابن عباس رضي الله عنهما وانما سميت السبع الطوال مثاني لان
الفرائض والحدود والامثال والخبر والعبر ثنيت فيها وانكر الربيع هذا القول وقال الآية مكية واكثر هذه
السور مدنية وما نزل منها شيء في مكة فكيف تحمل هذه الآية عليها واجاب قوم عن هذا بانه سبحانه وتعالى
جل ذكره انزل القرآن كله الى سماء الدنيا حكم بانزاله عليه وان لم ينزل عليه بعد وفي هذا الجواب نظر فان قوله
تعالى ولقد آتيناك ذكره في معرض الامتنان وهذا الكلام انما يصدق اذا وصل ذلك الى محمد صلوات الله
وسلامه عليه فاما ما لم يصل بعد فلا يصدق ذلك عليه واما قوله انه لما حكم بانزاله على محمد كان ذلك
جاريا مجرى ما نزل عليه فضعيف لان اقامة ما لم ينزل عليه مقام النازل عليه مخالف للظاهر القول
الثالث ان السبع المثاني هو القرآن وهو منقول عن ابن عباس رضي الله عنه في بعض الروايات وهو قول طاوس
رضي الله عنه لقوله تعالى الله نزل احسن الحديث كتابا متشابها مثاني فوصف كل القرآن بكونه مثاني
لانه كرر فيه دلائل التوحيد والنبوة والتكاليف قالوا وهذا ضعيف لانه لو كان المراد بالسبع المثاني القرآن
لكان قوله والقرآن العظيم عطفا للشيء على نفسه وذلك غير جائز واجيب عنه بانه انما حسن العطف فيه لاختلاف
اللفظين كقوله ❁ الى الملك القرم وابن الهمام ❁ وليث الكتيبة في المزدحم ❁
واعلم ان هذا وان كان جائزا الا انهم اجمعوا على ان الاصل خلافه القول الرابع انه يجوز ان يكون المراد بالسبع
الفاتحة وبالمثاني كل القرآن ويكون التقدير ولقد آتيناك سبع آيات هي الفاتحة وهي من جملة المثاني
الذي هو القرآن وهذا عين الاول ومن في قوله من المثاني قال الزجاج رحمه الله فيها وجهان احدهما ان تكون
للتبعيض من القرآن اي ولقد آتيناك سبع آيات من جملة الآيات التي يثنى بها على الله تعالى وآتيناك
القرآن العظيم ويجوز ان يكون من صفة والمعنى آتيناك سبعا هي المثاني كقوله تعالى فاجتنبوا الرجس من
الاوثان اي اجتنبوا الاوثان لان بعضها رجس **قوله تعالى** والقرآن فيه اوجه احدها انه من عطف
بعض الصفات على بعض اي الجامع بين هذين النعتين الثاني انه من عطف العام على الخاص اذ المراد بالسبع
اما الفاتحة والطول فكانه ذكر مرتين بجهة الخصوص ثم باندراجه في العموم الثالث ان الواو مقحمة وقرئ
والقرآن بالجر عطفا على المثاني **قوله تعالى** لا تمدن عينيك الى ما متعنا به الآية لما عرف رسوله
عظيم نعمه عليه فيما يتعلق بالدين وهو انه آتاه سبعا من المثاني والقرآن العظيم نهاه عن الرغبة في الدنيا
فقال لا تمدن عينيك اي لا تشغل سرك وخاطرك بالالتفات الى الدنيا وقد اوتيت القرآن العظيم قال
ابو بكر رضي الله عنه من رأى ان احدا اوتي من الدنيا افضل مما اوتي فقد صغر عظيما وعظم صغيرا وتأول

سفين بن عيينة هذه الاية بقول النبي صلى الله عليه وسلم ليس منا من لم يتغن بالقران اي لم يستغن
وقال ابن عباس رضي الله عنه ولا تمدن عينيك اي لا تتمنا ما فضلنا به احدا من متاع الدنيا وقرر
الواحدي هذا المعنى فقال انما يكون ماد عينيه الى الشيء اذا ادام النظر نحوه وادامة النظر نحوه
وادامة النظر الى الشيء يدل على استحسانه وتمنيه وكان النبي صلى الله عليه وسلم لا ينظر الى ما يستحسن من
متاع الدنيا وروي انه صلوات الله وسلامه عليه الى نعم بني المصطلق وقد عبست في ابوالها وابعارها فتقنع
بثوبه وقرا هذه الاية وقوله عبست في ابوالها وابعارها هو ان تجف ابعارها وابوالها على افخاذها اذا
تركت ايام من العمل ايام الربيع فتكثر شحومها ولحومها وهي احسن ما تكون **قوله تعالى** ازواجا منهم قال ابن
قتيبة اي اصنافا من الكفار والصنف الزوج في اللغة ولا تحزن عليهم لانهم لم يومنوا فيتقوى باسلامهم
ثم قال جل وعز واخفض جناحك للمومنين الخفض معناه في اللغة نقيض الرفع ومنه قوله تعالى في صفة
القيمة خافضة رافعة اي انها تخفض اهل المعاصي وترفع اهل الطاعة وجناح الانسان يده قال الليث
رضي الله عنه يد الانسان جناحه قال تعالى واضمم اليك جناحك من الرهب وخفض الجناح كناية عن اللين
والرفق والتواضع والمقصود انه نهاه عن الالتفات الى الاغنياء من الكفار وامره بالتواضع لفقراء المومنين
اعزة على الكافرين وقوله تعالى اشداء على الكفار رحماء بينهم **قوله تعالى** وقل اني انا النذير المبين لما
امر رسوله صلوات الله وسلامه عليه بالزهد في الدنيا وخفض الجناح للمومنين امره بان يقول للقوم انا النذير
المبين وهذا يدخل تحته كونه مبلغا لجميع التكاليف وكونه شاملا للثواب والعقاب والجنة والنار ومعنى
المبين الاتي بجميع البيانات الوافيه **قوله تعالى** كما انزلنا على المقتسمين فيه اقوال احدها ان الكاف متعلق
باتيناك واليه ذهب الزمخشري فانه قال اي انزلنا عليك مثل ما انزلنا على اهل الكتاب وهم المقتسمون
الذين جعلوا القران عضين الثاني انه نعت لمصدر محذوف منصوب باتيناك تقديره اتيناك اتيانا
كما انزلنا الثالث انه منصوب نعتا لمصدر محذوف ولكنه ملاق لاتيناك من حيث المعنى لا من حيث اللفظ
تقديره انزلنا اليك انزالا كما انزلنا لان اتيناك بمعنى انزلنا اليك الرابع انه نعت لمصدر محذوف والعامل
فيه مقدر وايضا تقديره متعناهم تمتيعا كما انزلنا والمعنى نعمنا بعضهم كما عذبنا بعضهم الخامس انه صفة
لمصدر دل عليه النذير والتقدير انا النذير انذارا كما انزلنا اي مثل ما انزلناه السادس انه نعت لمفعول
محذوف الناصب له النذير تقديره النذير عذابا كما انزلنا على المقتسمين وهم قوم صالح لانهم قالوا لنبيتنه
فاقسموا على ذلك او يراد بهم قريش حين قسموا القران الى سحر وشعر وافتراء وقد رد بعضهم هذا بانه يلزم
منه اعمال الوصف موصوفا وهو غير جائز عند البصريين جائز عند الكوفيين فلو عمل ثم وصف جاز عند الجميع
السابع انه مفعول به ناصبه النذير ايضا قال الزمخشري والثاني ان يتعلق بقوله وقل اني انا النذير
المبين اي وانذر قريشا مثل ما انزلنا من العذاب على المقتسمين يعني اليهود وما جرى على قريظة والنضير
وهذا مردود بما تقدم من اعمال الوصف موصوفا قال ابن الخطيب وهذا الوجه لا يتم الا باحد امرين اما التزام
اضمار او التزام حذف اما الاضمار فهو ان يكون التقدير اني انا النذير المبين عذابا كما انزلنا على المقتسمين
وعلى هذا المفعول محذوف وهو المشبه ودل عليه المشبه به كما تقول رايت كالقمر في الحسن اي رايت انسانا كالقمر
في الحسن واما الحذف فهو ان يقال الكاف زايدة محذوفة والتقدير اني انا النذير المبين ما انزلناه على المقتسمين
وزيادة الكاف له نظير وهو قوله تعالى ليس كمثله شيء الثامن انه منصوب نعتا لمفعول به مقدر والناصب
لذلك المحذوف مقدر ايضا لدلالة لفظ النذير عليه اي انذركم عذابا مثل العذاب المنزل على المقتسمين
وهم قوم صالح او قريش قاله ابو البقا رحمه الله وكانه فر من كونه منصوبا بلفظ النذير لما تقدم من الاعتراض
البصري وقدر ابن عطية على القول السادس فقال والكاف من قوله كما متعلقة بفعل محذوف تقديره وقل
اني انا النذير المبين عذابا كما انزلنا فالكاف اسم في موضع نصب هذا قول المفسرين وهو غير صحيح لان كما
انزلنا ليس مما يقوله محمد صلوات الله وسلامه عليه بل هو من كلام الله تعالى فينفصل الكلام وانما يترتب
هذا القول بان الله تعالى قال له انذر عذابا كما والذي اقول في هذا المعنى وقل اني انا النذير المبين كما قال قبلك
رسلنا وانزلنا عليهم كما انزلنا عليك ويحتمل ان يكون المعنى وقل اني انا النذير المبين كما انزلنا في الكتب
انك ستاتي نذيرا على ان المقتسمين اهل الكتاب وقد اعتذر بعضهم عما قاله ابو محمد فقال الكاف متعلقة
بمحذوف دل عليه المعنى تقديره انا النذير بعذاب مثل ما انزلنا وان كان المنزل الله كما يقول بعض خواص الملك

امرنا بكذا وان كان الملك هو الامر واما قول ابي محمد وانزلنا عليهم كما انزلنا عليك كلام غير منتظم ولعل
اصله وانزلنا عليك كما انزلنا عليهم كذا اصلحه ابو حيان وفيه نظر كيف يقدر ذلك والقران ناطق بخلافه وهو قوله
على المقتسمين التاسع انه متعلق بقوله لنسئلنهم تقديره لنسئلنهم اجمعين مثل ما انزلنا العاشر ان الكاف مزيدة
تقديره انا النذير المبين ما انزلناه على المقتسمين ولا بد من تاويل ذلك على انه مفعول بالنذير عند الكوفيين
فانهم يعملون الوصف الموصوف او على اضمار فعل لائق اي انذركم ما انزلناه كما يليق بمذهب البصريين الحادي عشر
انه متعلق بقل التقدير قل قولا كما انزلنا على المقتسمين انك نذير لهم فالقول للمومنين في النذارة كالقول للكفار
المقتسمين لئلا يظن ان انذارك للكفار مخالف لانذار المومنين بل انت في وصف النذارة لهم بمنزلة
واحدة تنذر المومن كما تنذر الكافر كانه قال انا النذير المبين لكم ولغيركم **فصل** قال ابن عباس
رضي الله عنه المقتسمون هم الذين اقتسموا طرق مكة يصدون الناس عن الايمان برسول الله صلى الله عليه وسلم
ويقرب عددهم من اربعين وقال مقاتل بن سليمان رحمه الله كانوا ستة عشر رجلا بعثهم الوليد بن المغيرة ايام
الموسم فاقتسموا عقاب مكة وطرقها يقولون لمن سلكها لا تغتروا بالخارج منا والمدعي للنبوة فانه مجنون
وكانوا ينفرون عنه بانه ساحر او كاهن او شاعر فطايفة منهم تقول ساحر وطايفة تقول انه كاهن وطايفة
تقول انه شاعر فانزل الله بهم خزيا فماتوا اشد ميتة وروي عن ابن عباس رضي الله عنه انهم اليهود والنصارى
جعلوا القران عضين جزوه اجزاء فامنوا بما وافق التوراة وكفروا بالباقي وقال مجاهد قسموا كتاب الله
تعالى ففرقوه وبددوه وقيل اقتسموا القران فقال بعضهم سحر وقال بعضهم شعر وقال بعضهم كذب وقال
بعضهم اساطير الاولين وقيل الاقتسام هو انهم فرقوا القول في رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بعضهم
شاعر وقال بعضهم كاهن **قوله تعالى** الذين جعلوا فيه اوجه اظهرها انه نعت للمقتسمين الثاني انه بدل
منه الثالث انه بيان له الرابع انه منصوب على الذم الخامس انه خبر مبتدا مضمر السادس انه منصوب
بالنذير المبين قاله الزمخشري وهو مردود باعمال الوصف الموصوف عند البصريين كما تقدم وعضين جمع عضة
وهي الفرقة والعضين الفرق وتقدم معنى جعلهم القران كذلك وقيل العضة السحر بلغة قريش يقولون عاضه
وهي عاضهة قال الشاعر • اعوذ بربي من النافثات • في عقد العاضه والمعضه •
وفي الحديث لعن العاضهة والمستعضهة اي الساحرة والمستسحرة وقيل هو من العضه وهو الكذب والبهتان
يقال عضهه عضها وعضيهة اي رماه بالبهتان وهذا قول الكسائي وقيل هو من العضاة وهي شجر له شوك
موذ قاله الفرا وفي لام عضة قولان ينهى لكل منهما التصريف الاول الواو لقولهم عضوات واشتقاقها من
العضو لانه جزء من كل والتصغير ها على عضية الثاني الهاء لقولهم عضيهة وعاضهة وعاضهه وعضه وفي
الحديث لا تعضيه في ميراث وفسر بان لا تفريق فيما يضر بالورثة تفريقه كسيف يكسر نصفين فينقص ثمنه
وقال الزمخشري عضين اجزا جمع عضة واصلها عضوة فعلة من عضا الشاة اذا جعلها اعضاء قال الشاعر
وليس دين الله بالمعضى • وجمع عضة على عضين كما جمع سنة وثبة وظبة وبرة وعزة وعزين وبعضهم يجري
النون بالحركات مع اليا وقد تقدم تقرير ذلك وحينيذ تثبت نونه في الاضافة فيقال هذه عضينك
وقيل واحد العضين عضة واصلها عضهة فاستثقلوا الجمع بين هاءين فقالوا عضة كما قالوا شفة
والاصل شفهة بدليل قولهم شافهت **قوله تعالى** فوربك لنسئلنهم اجمعين يحتمل ان يعود الضمير
الى المقتسمين لانه الاقرب ويحتمل ان يعود الى جميع المكلفين لان ذكرهم تقدم في قوله تعالى وقل اني
انا النذير المبين اي لجميع الخلق عما كانوا يعملون قال القرطبي في البخاري قال عدة من اهل العلم في قوله
تعالى فوربك لنسئلنهم اجمعين وبين قوله فيومئذ لا يسئل عن ذنبه انس ولا جان فاجابوا بوجوه
اولها قال ابن عباس رضي الله عنه لا يسالون سوال الاستفهام لانه تعالى عالم بكل اعمالهم بل سوال تقريع فيقال
لهم لم فعلتم كذا وهذا ضعيف لانه لو كان المراد من قوله فيومئذ لا يسال عن ذنبه سوال الاستفهام لما كان في
تخصيص هذا النفي بقوله يومئذ فايدة لان مثل هذا السوال على الله محال في كل الاوقات وثانيها ان انصرف
النفي الى بعض الاوقات والاثبات الى وقت اخر لان يوم القيمة يوم طويل وفيه مواقف يسالون في بعضها
ولا يسالون في بعضها قال عكرمة عن ابن عباس ونظيره قوله تعالى هذا يوم لا ينطقون وقال في اية اخرى ثم
انكم يوم القيمة عند ربكم تختصمون ولقايل ان يقول قوله فيومئذ لا يسال الاية تصرح بانه لا يحصل السوال
في ذلك اليوم فلو حصل السوال في جزء من اجزاء اليوم لحصل التناقض وثالثها ان قوله فيومئذ لا يسال عن

ذبه الاية يفيد عموم النفي وفي قوله فوربك لنسئلنهم يعود الي المقتسمين وهذا خاص فيقدم على العام قوله تعالى فاصدع بما تؤمر اصل الصدع الشق صدعته فانصدع اي شققته فانشق قال ابن السكيت الصدع في اللغة الشق والفصل وانشد لجرير • هذا الخليفة فارضوا ما قضا لكم • بالحق يصدع ما في قوله جنف • ومنه التفرق ايضا كقوله تعالى يومئذ يصدعون وقال • كان بياض غرته صديع • والصديع ضوء الفجر لانشقاق الظلمة عنه يقال انصدع وانفلق وانفجر وانفطر الصبح ومعنى فاصدع فافرق بين الحق والباطل وافصل بينهما وقال الراغب الصدع في الاجسام الصلبة كالزجاج والحديد وصدعته بالتشديد فتصدع وصدعته بالتخفيف فانصدع وصداع الراس لتوهم الانشقاق فيه وصدعت الفلاة اي قطعتها من ذلك كانه توهم تفريقها ومعنى فاصدع قال ابن عباس رضي الله عنه اظهر وقال الضحاك اعلم وقال الاخفش افرق بين الحق والباطل وقال سيبويه اقض وما في بما تؤمر مصدرية او بمعنى الذي والاصل تؤمر به وهذا الفعل يطرد حذف الجار معه فحذف العائد فصيح ولبس هو كقوله كالذي مررت ونحوه • امرتك الخير فافعل ما امرت به • والاصل بالخير وقال الزمخشري ويجوز ان تكون ما مصدرية اي بامرك مصدر من المبني للمفعول انتهى وهو كلام صحيح والمعني فاصدع بامرك وشانك قالوا ومازال النبي صلى الله عليه وسلم مستخفيا حتى نزلت هذه الاية ونقل ابو حيان عنه انه قال ويجوز ان تكون المصدر يراد به ان والفعل المبني للمفعول ثم قال ابو حيان والصحيح ان ذلك لا يجوز قال شهاب الدين الخلاف انما هو في المصدر المصرح به هل يجوز ان ينحل لحرف مصدري وفعل مبني للمفعول نحو يعجبني ان يكوم عمرو ام لا يجوز فليس محل النزاع ثم قال تعالى واعرض عن المشركين اي لا تبال بهم ولا تلتفت الي لومهم اياك على اظهار الدعوة قال بعضهم هذا منسوخ باية القتال وهو ضعيف لان معنى هذا الاعراض ترك المبالاة بهم فلا يكون منسوخا قوله تعالى انا كفيناك المستهزئين يقول الله تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم فاصدع بما تؤمر ولا تخف احدا غير الله فان الله تعالى كافيك اعداءك كما كفاك المستهزئين وهم خمسة نفر من رؤسا قريش الوليد بن المغيرة المخزومي وكان راسهم والعاص بن وائل السهمي والاسود بن المطلب بن الحرث بن اسد بن عبد العزى ابو زمعة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد دعا عليه فقال اللهم اعم بصره واثكله بولده والاسود بن عبد يغوث بن وهب بن عبد مناف بن زهرة والحرث بن قيس بن الطلاطلة فاتى جبريل محمدا صلى الله عليه وسلم والمستهزئون يطوفون بالبيت فقام جبريل صلوات الله عليه وقام رسول الله صلى الله عليه وسلم الى جنبه فمر به الوليد بن المغيرة فقال جبريل صلوات الله عليه يا محمد كيف تجد هذا قال بئس عبد الله قال قد كفيتكه واومي الى ساق الوليد فمر برجل من خزاعة نبال يريش نبالا وعليه بردعان وهو يجر ازاره فتعلقت شظية من نبل في ازاره فمنعه الكبر ان يطامن فينزعها وجعلت تضرب ساقه فخدشته فمرض منها ومات ومر به العاص بن وائل فقال جبريل كيف تجد هذا يا محمد قال بئس عبد الله فاشار جبريل صلوات الله عليه الى اخمص رجله وقال قد كفيتكه فخرج على راحلته ومعه ابنان له يتنزه فنزل شعبا من تلك الشعاب فوطي على شبرقة فدخلت منها شوكة في اخمص رجله فقال لدغت لدغت فطلبوا فلم يجدوا شيئا وانتفخت رجله حتى صارت مثل عنق بعير فمات مكانه ومر به الاسود بن المطلب فقال جبريل كيف تجد هذا يا محمد صلى الله عليك وسلم قال عبد سوء فاشار بيده الى عينيه وقال قد كفيتكه فعمي قال ابن عباس رضي الله عنه رماه جبريل بورقة خضراء فذهب بصره ووجعت عينه فجعل يضرب براسه الجدار حتى هلك ومر به الاسود بن يغوث فقال جبريل كيف تجد هذا يا محمد صلى الله عليه وسلم قال بئس عبد الله على انه خالي فقال جبريل عليه الصلوة والسلام قد كفيته واشار الى بطنه فاستسقى فمات ومر به الحارث بن قيس فقال جبريل صلوات الله عليه كيف تجد هذا يا محمد صلوات الله عليك فاومي قال بئس عبد الله فاومي الى انفه فامتخط قيحا فمات قبل استهزاوهم واقتسامهم ان الله تعالى لما انزل في القران سورة البقرة وسورة النحل وسورة العنكبوت كانوا يجتمعون ويقولون استهزاء هذا لي سورة البقرة ويقول هذا لي سورة النحل ويقول هذا لي سورة العنكبوت فانزل الله تعالى ولقد نعلم انك يضيق صدرك بما يقولون فسبح بحمد ربك قال ابن عباس رضي الله عنه فصل بامر ربك وكن من الساجدين المصلين قال ابن العربي ظن بعض الناس ان المراد هنا السجود نفسه فراي هذا الموضع محل سجود في القران وقد شاهدت الامام بمحراب زكريا من البيت المقدس طهره الله تعالى يسجد في هذا الموضع وسجدت معه فيها ولم يره جماهير العلما قال القرطبي وقد ذكر ابو بكر النقاش

ان ههنا سجدة عند ابي حنيفة رضي الله عنه ويمان بن رباب وراي انها واجبة قال العلماء اذا نزل بالعبد بعض المكاره فزع للطاعات روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا حزبه امر فزع الي الصلوة واعبد ربك حتى ياتيك اليقين قال ابن عباس رضي الله عنه يريد الموت لانه امر متيقن فان قيل اي فايدة لهذا التوقيت مع ان كل احد يعلم انه اذا مات سقطت عنه العبادات فالجواب المراد واعبد ربك في جميع زمان حياتك ولا تخل لحظة من لحظات الحيوة من العبادة روي ابي بن كعب رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الحجر كان له من الاجر عشر حسنات بعدد المهاجرين والانصار والمستهزئين بمحمد صلى الله عليه وسلم

سورة النحل مائة وثمانون ايه مكية

الا قوله جل جلاله سبحانه وتعالى وان عاقبتم الي اخر السورة وحكى الاصم رحمه الله عن بعضهم انها كلها مدنية وقال اخرون من اولها الى قوله كن فيكون مدنية وما سواه مكي وعن قتادة بالعكس وتسمى سورة النعم بسبب ما عدد الله تعالى فيها من النعم على عباده وهي مائة وثمانية وعشرون اية والفان وثمانمائة واربعون كلمة وعدد حروفها سبعة الاف وسبعمائة وسبعة احرف بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى اتى امر الله في اتى وجهان اشهرهما انه ماض لفظا مستقبل معنى اذ المراد به يوم القيمة وانما ابرز في صورة ما وقع والقضي تحقيقا له ولصدق المخبر به والثاني انه على بابه والمراد به مقدماته واوايله وهو نصر رسوله صلى الله عليه وسلم اي جاء امر الله ودنا وقرب قال ابن عرفة تقول العرب اتاك الامر وهو متوقع بعد اي اتى امر الله وعدا فلا تستعجلوه وقوعا قال قوم المراد بالامر ههنا عقوبة المكذبين والعذاب بالسيف وذلك ان النضر بن الحرث قال اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء فاستعجل العذاب فنزلت هذه الاية وقتل النضر يوم بدر صبرا وقال ابن عباس رضي الله عنهما قوله تعالى اقتربت الساعة قال الكفار بعضهم لبعض ان هذا يزعم ان القيمة قد قربت فامسكوا عن بعض ما كنتم تعملون حتى ننظر ما هو كائن فلما لم ينزل قالوا ما نرى شيئا فنزل قوله تعالى اقترب للناس حسابهم فاشفقوا فلما امتدت الايام قالوا يا محمد ما نرى شيئا مما تخوفنا به فنزل قوله تعالى اتى امر الله فوثب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورفع الناس رؤسهم وظنوا انها قد اتت حقيقة فنزل قوله تعالى فلا تستعجلوه فاطمانوا والاستعجال طلب الشيء قبل حينه واعلم انه صلوات الله وسلامه عليه لما كثر تهديده بعذاب الدنيا والاخرة ولم يروا شيئا نسبوه الى الكذب فاجابهم الله تعالى بقوله اتى امر الله فلا تستعجلوه وتقرير هذا الجواب من وجهين احدهما انه وان لم يات العذاب ذلك الوقت الا انه واجب الوقوع والشيء اذا كان بهذه الحالة والصفة فانه يقال في الكلام المعتاد انه قد اتى ووقع اجراء لما يجب وقوعه مجرى الواقع يقال لمن طلب الاعانة وقرب حصولها جاءك الغوث والثاني ان يقال ان امر الله بذلك وحكمه قد اتى وحصل ووقع فاما المحكوم به فانما لم يقع لان الله تعالى حكم بوقوعه في وقت معين فلا يخرج الى الوجود قبل مجيء ذلك الوقت والمعنى ان امر الله وحكمه بنزول العذاب قد وجد من الازل الي الابد الا ان المحكوم به انما لم يحصل لانه تعالى خصص حصوله بوقت معين فلا تستعجلوه قبل وقته فكان الكفار قالوا سلمنا لك يا محمد صحة ما تقول من انه تعالى حكم بانزال العذاب علينا اما في الدنيا واما في الاخرة الا انا نعبد هذه الاصنام تشفع لنا عند الله فنتخلص من العذاب المحكوم به فاجابهم الله تعالى بقوله سبحانه وتعالى عما يشركون قوله تعالى عما يشركون يجوز ان يكون ما مصدرية فلا عايد عند الجمهور اي عن اشراكهم به غيره وان تكون موصولة اسمية وقرا العامة فلا تستعجلوه والباقون بالياء عودا على الكفار وقرا الاعمش وطلحة والجحدري وحمزة عفير بالتاء من فوق في الفعلين قوله تعالى ينزل الملائكة قد تقدم الخلاف في ينزل بالنسبة الي التشديد والتخفيف في البقرة وقرا زيد بن علي والاعمش وابو بكر عن عاصم ننزل مشددا مبنيا للمفعول وبالنون وقرا الملائكة رفعا لقيامه مقام الفاعل وقرا الجحدري كذلك الا انه خفف الزاي وقرا الحسن والاعرج وابو العالية رحمهم الله عن عاصم بتاء واحدة من فوق وتشديد الزاي مبنيا للفاعل والاصل تتنزل بتاءين وقرا ابن ابي عبلة ننزل بنونين وتشديد الزاي الملائكة نصبا وقتادة كذلك الا انه بالتخفيف قال ابن عطية وفيهما شذوذ كثير ولم يبين وجه ذلك ووجهه

ان ما قبله وما بعده غايب وتخريجه على الالتفات **قوله تعالى** بالروح يجوز ان يكون متعلقا بنفس
الانزال وان يكون متعلقا بمحذوف على انه حال من الملايكة اي ومعهم الروح **قوله تعالى** من امره
حال من الروح ومن اما لبيان الجنس واما للتبعيض **قوله تعالى** ان انذروا في ان ثلاثة اوجه احدها انها
المفسرة لان الوحي فيه ضرب من القول والانزال بالروح عبارة عن الوحي قال تعالى وكذلك اوحينا اليك
روحا من امرنا وقال تعالى يلقي الروح من امره على من يشاء من عباده الثاني انها المخففة من الثقيلة واسمها
ضمير الشان محذوف تقديره ان الشان اقول لكم انه لا اله الا انا قاله الزمخشري الثالث انها المصدرية
التي من شانها نصب المضارع ووصلت بالامر كقولهم كتبت اليه بان قم وقد تقدم البحث فيه فان قلنا انها
المفسرة فلا محل لها وان قلنا انها المخففة او الناصبة ففي محلها ثلاثة اوجه احدها انها مجرورة المحل بدلا
من الروح لان التوحيد روح يحيى بها النفوس الثاني انها في محل جر على اسقاط الخافض كما هو مذهب الخليل
الثالث انها في محل نصب على اسقاطه وهو مذهب سيبويه والاصل بان انذروا فلما حذف الجار جرى الخلاف
المشهور **قوله تعالى** انه لا اله الا انا هو مفعول الانذار والانذار قد يكون بمعنى الاعلام يقال نذرته
وانذرته بكذا اي اعلموهم التوحيد وقوله فاتقون التفات الى التكلم بعد الغيبة **فصل** وجه
النظم ان الله تعالى لما اجاب الكفار عن شبهتهم بقوله تنزيها لنفسه سبحانه وتعالى عما يشركون فكان الكفار
قالوا هب ان الله تعالى قضى على عبيده البعض بالشر وعلى آخرين بالخير ولكن كيف يمكنك ان تعرف هذه الامور
التي لا يعلمها الا الله تعالى وكيف صرت بحيث تعرف اسرار الله تعالى واحكامه في ملكه وملكوته فاجاب الله تعالى
بقوله ينزل الملايكة بالروح من امره على من يشاء من عباده ان انذروا انه لا اله الا انا فاتقون وتقرير هذا
الجواب انه تعالى ينزل الملايكة على من يشاء من عباده ويامر ذلك العبد ان يبلغ الى ساير الخلق ان اله الخلق
كلفهم بالتوحيد وبالعبادة وبين لهم انهم ان فعلوا فازوا بخير الدنيا والاخرة فبهذا الطريق صار مخصوصا
بهذه المعارف من دون ساير الخلق **فصل** روى عطا عن ابن عباس رضي الله عنه قال يريد
بالملايكة جبريل عليه السلام وحده قال الواحدي يسمى الواحد بالجمع اذا كان ذلك الواحد رئيسا كقوله
تعالى انا ارسلنا وانا انزلنا وانا نحن نزلنا والمراد بالروح الوحي لما تقدم وقيل المراد بالروح هنا النبوة
وقال قتادة رحمه الله الرحمة وقال ابو عبيدة ان الروح هنا جبريل صلوات الله عليه والبا في قوله بالروح
بمعنى مع كقولهم خرج فلان بثيابه اي ومعه ثيابه والمعنى ننزل الملايكة مع الروح وهو جبريل وتقرير
هذا الوجه انه تعالى ما انزل على محمد صلوات الله وسلامه عليه جبريل وحده في اكثر الاحوال بل كان ينزل
مع جبريل عليه الصلوة والسلام افواجا من الملايكة كما في يوم بدر وفي كثير من الغزوات وكان ينزل مرة ملك
الله صلى الله عليه وسلم تارة ملك الجبال وملك البحار تارة وتارة رضوان وتارة غيرهم وقوله تعالى من امره
اي ان ذلك النزول لا يكون الا بامر الله كقوله تعالى وما نتنزل الا بامر ربك وقوله تعالى وهم بامره يعملون
وقوله تعالى ويفعلون ما يومرون على من يشاء من عباده يريد الانبياء المخصوصين برسالته ان انذروا
وقال الزجاج ان بدل من الروح والمعنى ننزل الملايكة بان انذروا اي اعلموا الخلايق انه لا اله الا انا
والانذار هو الاعلام مع التخويف فاتقون فخافون روي ان جبريل صلوات الله وسلامه عليه نزل على آدم
صلوات الله البر الرحيم وسلامه عليه اثنا عشر مرة وعلى ادريس صلوات الله عليه اربع مرات وعلى نوح صلوات
الله عليه خمسين مرة وعلى ابراهيم اثنان واربعون مرة وعلى موسى صلوات الله عليه اربع مائة مرة وعلى عيسى
صلوات الله عليه عشر مرات وعلى محمد صلوات الله وملايكته وانبيائه ورسله وجميع خلقه عليه اربعة
وعشرون الف مرة **قوله تعالى** سبحانه خلق السموات والارض بالحق تعالى ارتفع عما يشركون اعلم ان الدلايل
الالهيات وقعت في القران على نوعين احدهما ان يتمسك بالاظهر فالاظهر مترقيا الى الاخفى فالاخفى
كما ذكر في سورة البقرة في قوله تعالى يا ايها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم فجعل تغيير احوال الانسان
دليلا على احتياجه الى الخالق ثم استدل بتغيير احوال الاباء والامهات فقال تعالى والذين من قبلكم ثم
استدل باحوال الارض فقال تعالى الذي جعل لكم الارض فراشا لان الارض اقرب الينا من السماء ثم استدل
بالسماء بعد الارض فقال تعالى والسماء بناء ثم استدل بالاحوال المتولدة من تركيب السماء والارض فقال
سبحانه وانزل من السماء ماء فاخرج به من الثمرات رزقا لكم النوع الثاني ان يستدل بالاشرف فالاشرف نازلا
الى الادون فالادون كما ذكر في هذه الاية فاستدل على وجود الاله المختار بذكر الاجرام الفلكية العلوية

فقال

فقال خلق السموات والارض بالحق تعالى عما يشركون وقد تقدم الكلام على الاستدلال بذلك اول الانعام
ثم استدل ثانيا بخلق الانسان فقال عز وجل خلق الانسان من نطفة فاذا هو خصيم مبين واعلم ان اشرف الا
جسام بعد الافلاك والكواكب هو الانسان واعلم ان الانسان مركب من بدن ونفس فقوله سبحانه خلق الا
نسان من نطفة اشارة الى الاستدلال ببدنه على وجود الصانع الحكيم سبحانه وقوله عز وعلا فاذا هو خصيم
مبين اشارة الى الاستدلال باحوال نفسه على الصانع الحكيم جل ذكره اما الاستدلال ببدنه فان النطفة متشابهة
الاجزاء بحسب المشاهدة الا ان بعض الاطبا يقول انه مختلف الاجزاء في الحقيقة لان النطفة تتولد من فضلة الهضم
الرابع لان الغذا يحصل له في المعدة هضم اول وفي الكبد هضم ثاني وفي العروق هضم ثالث وعند وصولها الى
جواهر الاعضاء هضم رابع ففي هذا الوقت حصل بعض اجزاء الغذا الى العظم وظهر فيه اثر من الطبيعة العظمية
وكذا القول في اللحم والعصب والعروق وغيرها ثم عند استيلاء الحرارة على البدن عند هيجان الشهوة يحصل
ذوبان من جملة الاعضاء وذلك هو النطفة وعلى هذا التقدير تكون النطفة جسما مختلف الاجزاء والطبايع واذا
عرف هذا فالنطفة اما ان تكون جسما متساوي الاجزا في الطبيعة والماهية او مختلف الاجزا فان كان الاول
لم يجز ان يكون المقتضي لتولد البدن منها هو الطبيعة الحاصلة في جوهر النطفة ودم الطمث لان الطبيعة
تاثيرها بالذات والايجاب لا بالتدبير والاختيار والقوة الطبيعية اذا عملت في مادة متشابهة الاجزاء
وجب ان يكون فعلها هو الكرة وعلى هذا الحرف عولوا في قولهم البسايط يجب ان يكون شكلها الكرة وحيث لم يكن
الامر كذلك علمنا ان المقتضي لحدوث الابدان الحيوانية ليس هو الطبيعة بل فاعل مختار يخلق بالتدبير والحكمة
والاختيار وان قلنا ان النطفة جسم مركب من اجزاء مختلفة في الطبيعة والماهية فنقول بتقدير ان
يكون الامر كذلك فانه يجب ان يكون تولد البدن منها بتدبير فاعل مختار حكيم وبيانه من وجهين الاول
ان النطفة رطوبة سريعة الاستحالة واذا كان كذلك كانت الاجزاء الموجودة فيها لا تحفظ الوضع والنسبة
فالجزء الذي هو مادة القلب قد يحصل فوق واذا كان كذلك وجب اختلاف اعضاء الحيوان على هذا الترتيب
المعين امرا دايما علمنا ان حدوث هذه الاعضاء على هذا الترتيب الخاص ليس الا بتدبير الفاعل المختار الحكيم
الوجه الثاني ان النطفة بتقدير انها جسم مركب من اجسام مختلفة الطبايع الا انه يجب ان ينتهي تحليل
تركيبها الى اجزاء يكون كل واحد منها في نفسه جسما بسيطا واذا كان كذلك فلو كان المدبر له قوة طبيعية
لكان كل واحد من تلك البسايط يجب ان يكون شكله هو الكرة فيلزم ان يكون الحيوان على شكل كرات مضموم
بعضها الى بعض وحيث لم يكن الامر كذلك علمنا ان مدبر ابدان الحيوانات ليس هو الطبايع ولا تاثيرات
الانجم والافلاك لان تلك التاثيرات متشابهة فعلمنا ان مدبر ابدان الحيوان فاعل مختار حكيم **قوله تعالى**
من نطفة متعلق بخلق ومن لابتداء الغاية والنطفة القطرة من الماء نطف راسه ماء اي قطر وقيل هي
الماء الصافي ويعبر بها عن ماء الرجل ويكنى بها عن اللؤلؤة ومنه صبي منطف اذا كان في اذنه لؤلؤة ويقال
ليلة نطوف اذا جاء فيها مطر والناطف ما سال من المايعات نطف ينطف اي سال فهو ناطف وفلان ينطف
بسوء **قوله تعالى** فاذا هو خصيم عطف هذه الجملة على ما قبلها فان قيل الفا تدل على التعقيب ولا سيما
وقد وجد معها اذا التي تقتضي المفاجاة وكونه خصيما مبينا لم يعقب خلقه من نطفة انما توسطت بينهما
وسايط كثيرة فالجواب من وجهين احدهما انه من باب التعبير عن حال الشي بما يؤول اليه لقوله تعالى
اعصر خمرا والثاني انه اشار الى ذلك الى سرعة نسيانهم مبدا خلقهم وقيل ثم وسايط محذوفة والذي يظهر
ان قوله خلق عبارة عن ايجاده وتربيته الى ان يبلغ حد هاتين الصفتين وخصيم فعيل مثال مبالغة
من خصم بمعنى اختصم ويجوز ان يكون بمعنى مخاصم كالخليط والجليس ومعنى خصيم جدل بالباطل
فصل اعلم انه سبحانه وتعالى انما خلق الانسان من نطفة بواسطة تغيرات كثيرة مذكورة
في قوله تعالى ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين الايات الا انه تعالى اختصرها هنا استغناء
بذكرها هناك قال الواحدي الخصيم بمعنى الخاصم وقال اهل اللغة خصيمك الذي يخاصمك وفعيل
بمعنى مفاعل معروف كالنسيب والعشير ووجه الاستدلال بكونه خصيما على وجود الاله المدبر الحكيم
ان النفس الانسانية في اول الفطرة اقل فهما وذكاء من نفوس ساير الحيوانات الا ترى ولد الدجاجة
كما يخرج من قشر البيضة يميز الصديق والعدو فيهرب من الهرة ويلتجي الى الام ويميز الغذا الموافق والغذا
الذي لا يوافقه واما ولد الانسان فانه حال انفصاله عن بطن الام لا يميز البتة بين العدو والصديق

ولا بين الضار والنافع فظهر ان الانسان في اول الحدوث انقص حالا واقل فطنة من سائر الحيوانات
ثم ان الانسان بعد كبره يقوى عقله ويعظم فهمه ويصير بحيث يقوى مساحة السموات والارض ويقوى
على معرفة ذات الله عز وجل وصفاته وعلى معرفة اصناف المخلوقات من الارواح والاجسام والفلكيات
والعنصريات ويقوى على ايراد الشبهات القوية في دين الله تعالى والخصومات الشديدة في كل المطالب فانتقال
نفس الانسان من تلك البلادة المفرطة الى هذه الكياسة المفرطة لا بد وان يكون بتدبير مدبر مختار حكيم ينقل
الارواح من نقصاناتها الى كمالاتها ومن جهالاتها الى معارفها بحسب الحكمة والاختيار فهذا هو المراد من قوله
تعالى فاذا هو خصيم مبين وفي معنى كونه خصيما مبينا وجهان الاول انه يجادل عن نفسه منازع للخصوم
بعد اذ كان نطفة قذرة وجمادا لا حس فيه ولا حركة والمقصود منه ان الانتقال من تلك الحالة الخسيسة
الى هذه الحالة العالية الشريفة لا يحصل الا بتدبير مدبر حكيم والثاني فاذا هو خصيم لربه منكر على خالقه
قايل من يحيى العظام وهي رميم والغرض منه وصف الانسان بالافراط في الوقاحة والجهل والتمادي في كفران
النعمة كما نقل انها نزلت في ابي بن خلف الجمحي وكان ينكر البعث جاء بعظم رميم فقال للنبي صلى الله عليه وسلم
اتقول ان الله تعالى يحيى هذا بعد ما قد رم والصحيح ان الاية عامة لان هذه الايات ذكرت لتقرير الا
ستدلال على وجود الصانع الحكيم لا لتقرير وقاحة الناس وتماديهم في الكفر والكفران **قوله تعالى**
والانعام خلقها لكم الاية هذه الدلالة الثالثة لان اشرف الاجساد الموجودة في العالم السفلي بعد الانسان
سائر الحيوانات لاختصاصها بالقوى الشريفة وهي الحواس الظاهرة والباطنة والشهوة والغضب **قوله
تعالى** والانعام خلقها العامة على النصب وفيه وجهان احدهما انه نصب على الاشتغال وهو ارجح
من الرفع لتقدم جملة فعلية والثاني انه نصب على عطفه على الانسان قاله الزمخشري رحمه الله وابن
عطية فيكون خلقها على هذا موكدا وعلى الاول مفسرا وقرئ شاذا والانعام رفعا وهي مرجوحة **قوله
تعالى** لكم فيها دفء يجوز ان يتعلق لكم بخلقها اي لاجلكم ولمنافعكم ويكون فيها خبرا مقدما ودفء مبتدا
موخرا ويجوز ان يكون لكم هو الخبر وفيها متعلق بما تعلق به الخبر او يكون فيها حالا من دفء لانه لو تاخر لكان
صفة له او يكون فيها هو الخبر ولكم متعلق بما تعلق به او يكون حالا من دفء قاله ابو البقا ورده ابو حيان
بانه اذا كان العامل في الحال معنويا فلا يتقدم على الجملة باسرها لا يجوز قائما في الدار زيد فان تاخرت
نحو زيد في الدار قائما جاز بلا خلاف او توسطت نحو زيد قائما في الدار فاجازه الاخفش ومنعه غيره وللقائل ان يقول لما
تقدم العامل فيها وهي معه جاز تقديمها عليه بحالها الا ان يقول لا يلزم من تقدمها عليه وهو متقدم تقديمها
الفتح وقال ابو البقا ايضا ويجوز ان يرتفع دفء بلكم او بفيها والجملة كلها حال من الضمير المنصوب قال ابو
حيان ولا يسمى جملة لان التقدير خلقها كائنا لكم فيها دفء او خلقها لكم كائنا فيها دفء قال شهاب الدين قد
تقدم الخلاف في تقدير متعلق الجار اذا وقع حالا او صفة او خبرا هل يقدر فعلا او اسما ولعل ابا البقا
نحا الى الاول فتسميته له جملة صحيح على هذا والدفء اسم لما يدفى به اي يسخن قال الاصمعي ويكون الدفء
السخونة يقال اقعد في دفء هذا الحائط في كنفه وجمعه ادفاء ودفئ يومنا فهو دفيء ودفئ الرجل يدفا
دفاءة ودفاء فهو دفآن وهي دفأى كسكران وسكرى والمدفيه بالتخفيف والتشديد الابل الكثيرة الوبر
والشحم وقيل الدفء نتاج الابل والبانها وما ينتفع به منها وقرا زيد بن علي دف بنقل حركة الهمزة
الى الفا والزهري كذلك الا انه شدد الفا كانه اجرى الوصل مجرى الوقف نحو قولهم هذا فرخ بالتشديد
وقفا وقال صاحب اللوامح ومنهم من يعوض من الهمزة فيشدد الفاء وهو احد وجهي حمزة بن حبيب وقفا
قال شهاب الدين والتشديد وقفا لغة مستقلة وان لم يكن ثم حذف من الكلمة الموقوف **قوله تعالى**
ومنافع اراد النسل والدر والركوب والحمل وغيرها تعبير عن هذا الوصف بالمنفعة لانه الاعم لان
الدر والنسل قد ينتفع به بالبيع بالنقود وقد ينتفع به بان يبدل بالثياب وسائر الضروريات
فعبر عن جملة الاقسام بلفظ المنافع ليعم الكل **فصل** الحيوانات قسمان منها ما ينتفع
به الانسان ومنها ما لا يكون كذلك والقسم المنتفع به اشرف من الثاني والمنتفع به اما ان ينتفع الا
نسان به في ضروراته مثل الاكل واللبس او في غير ضروراته والاول اشرف وهو الانعام فلهذا بدا
بذكره فقال سبحانه والانعام خلقها لكم وهي عبارة عن الازواج الثمانية وهي الضان والمعز والبقر والابل
قال الواحدي تم الكلام عند قوله لكم ثم ابتدا وقال فيها دفء قال صاحب النظم احسن الوجهين ان يكون

عند قوله

عند قوله خلقها لانه عطف عليه قوله ولكم فيها جمال والتقدير لكم فيها دفء ولكم فيها جمال فلما ذكر الانعام
اتبعه بذكر المنافع الضرورية المقصودة منها وهي اما ضرورية او غير ضرورية فبدا بذكر المنافع الضرورية
فقال لكم فيها دفء وقد ذكر هذا المعنى في اية اخرى فقال سبحانه ومن اصوافها واوبارها واشعارها اثاثا
ومتاعا الى حين والمعنى ملابس ولحف يستدفئون بها ثم قال ومنافع والمراد ما تقدم من نسلها ودرها
ثم قال ومنها تاكلون من ههنا لابتداء الغاية والتبعيض ههنا ضعيف قال الزمخشري رحمه الله فان قلت
تقديم الظرف موذن بالاختصاص وقد يوكل من غيرها قلت الاكل منها هو الاصل الذي يعتمده الناس
واما غيرها من البط والدجاج ونحوها من الصيد فكغير المعتد به بل جار مجرى التفكه قال ابن الخطيب
ويحتمل ان غالب اطعمتكم منها لانكم تحرثون بالبقر للحب والثمار التي تاكلونها وتكتسبون بها ايضا باكرية الابل
وتبيعون نتاجها والبانها وجلودها وتشترون بها جميع اطعمتكم فان قيل منفعة الاكل مقدمة على منفعة
اللبس فلم اخر منفعة الاكل في الذكر فالجواب ان الملبوس اكثر من المطعوم فلهذا قدم عليه في الذكر فهذه
المنافع الضرورية الحاصلة من الانعام واما المنافع غير الضرورية الحاصلة من الانعام فامور الاول
قوله تعالى ولكم فيها جمال كقوله لكم فيها دفء وحين منصوب بنفس جمال او بمحذوف على انه صفة له او معمول
لما عمل في فيها او في لكم وقرا عكرمة والضحاك رحمهما الله حينا بالتنوين على ان الجملة بعده صفة له والعائد
محذوف اي حينا تريحون فيه وحينا تسرحون فيه كقوله تعالى واتقوا يوما ترجعون فيه وقدمت الاراحة
على السرح لان الانعام فيها اجمل لملء بطونها وتحفل ضروعها بخلاف التسريح فانها عند خروجها
الى المرعى تخرج جائعة عادمة اللبن ثم تتفرق وتنتشر **فصل** وقد ورد الحين على اربعة
اوجه الاول بمعنى الوقت كهذه الاية الثاني منتهى الاجل قال تعالى ومتعناهم الى حين اي الى ان تنتهي
اجالهم الثالث سنة اشهر قال تعالى توتي اكلها كل حين الرابع اربعون سنة قال تعالى هل اتى على الانسان
حين من الدهر اي اربعون سنة يعني ادم صلوات الله عليه وسلامه حين خلقه من طين قبل ان ينفخ فيه الروح
والجمال مصدر جمل بضم الميم يجمل فهو جميل وهي جميلة وحكى الكسائي جملاء كحمراء وانشد •

• فهي جملاء كبدر طالع • بذت الخلق جميعا بالجمال •

ويقال اراح الماشية وهراحها بالهاء بدلا من الهمزة وسرح الابل يسرحها سرحا اي ارسلها واصله ان
يرسلها لترعى السرح والسرح شجر له ثمر الواحدة سرحة قال الشاعر •

• ابى الله الا ان سرحة مالك • على كل افنان العضاة تروق • وقال

ايضا • • فطل كان ثيابه في سرحة • يحذى نعال السبت ليس بتوام •

ثم اطلق على كل ارسال واستعير ايضا للطلاق فقال سرح فلان امراته كما استعير الطلاق ايضا من
اطلاق الابل من عقلها واعتبر من السرح المضي فقيل ناقة سرح اي سريعة قال سرح اليدين كانها
وحذف مفعولي تريحون وتسرحون مراعاة للفواصل مع العلم بهما **فصل** الاراحة رد الابل
بالعشي الى مراحها حيث تاوي اليه ليلا وسرح القوم ابلهم سرحا اذا اخرجوها بالغداة الى المرعى قال
اهل اللغة هذه الاراحة اكثر ما تكون ايام الربيع اذا سقط الغيث وكثر الكلا وخرجت العرب للنجعة
واحسن ما يكون النعم في ذلك الوقت ووجه التجمل بها ان الراعي اذا روحها بالعشي وسرحها بالغداة
تزينت عند ذلك الاراحة والتسريح الافنية وكثر فيها الثغاء والرغاء وعظم وقعهم عند الناس لكونهم
مالكين لها والمنفعة الثانية **قوله تعالى** وتحمل اثقالكم الى بلد لم تكونوا بالغيه الا الاثقال جمع
ثقل وهو متاع السفر الى بلد قال ابن عباس يريد من مكة الى اليمن والشام ومصر قال الواحدي رحمه الله
والمراد كل بلد لو تكلفتم بلوغه على غير ابل لشق عليكم وخص ابن عباس رضي الله عنه هذه البلاد لانها
متاجر اهل مكة **قوله تعالى** لم تكونوا صفة لبلد والا بشق حال من الضمير المرفوع في بالغيه اي لم
تبلغوه الا ملتبسين بالمشقة والعامة على كسر الشين وقرا ابو جعفر وروي عن نافع وابي عمرو بفتحها
فقيل هما مصدران بمعنى واحد اي المشقة فمن الكسر قوله • راي بلا شيء وحسبتها له •
اخي نصب من شقها ودووب • اي من مشقتها وقيل المفتوح المصدر والمكسور الاسم وقيل بالكسر
نصف الشيء وفي التفسير الا بنصف انفسكم كما تقول لم تنله الا بقطعة من كبدك على المجاز **فصل**
اذا حملنا الشق على المشقة كان المعنى لم تكونوا بالغيه الا بالمشقة وان حملنا على نصف الشيء كان المعنى

لم تكونوا بالغيه الا بعد ذهاب نصف قوتكم ونقصانها قال بعضهم المراد من قوله تعالى والانعام
خلقها لكم الابل فقط لانه وصفها في آخر الآية بقوله جل ذكره وتحمل اثقالكم وهذا لا يليق الا بالابل فقط
والجواب ان هذه الآيات وردت لتعديد منافع الانعام فبعض تلك المنافع حاصل في الكل وبعضها
يختص بالبعض لان قوله تعالى ولكم فيها جمال حاصل في البقر والغنم ايضا ان ربكم لرؤف رحيم بخلقه
حيث جعل لهم هذه المنافع **فصل** احتج منكروا كرامات الاولياء بهذه الآية لان هذه الآية
دلت على ان الانسان لا يمكنه الانتقال من بلد الى بلد بعيد في ليلة واحدة من غير تعب وتحمل مشقة وخلاف
هذه الآية فيكون باطلا ولما بطل القول بالكرامات في هذه الصورة بطل القول بها في سائر الصور لانه
لا قائل بالفرق والجواب انا نخص عموم هذه الآية بالادلة الدالة على وقوع الكرامات **قوله تعالى**
والخيل والبغال والحمير العامة على نصبها نسقا على الانعام وقرأ ابن ابي عبلة برفعها على الابتداء والخبر
محذوف اي مخلوقة او معدة لتركبوها وليس هذا مما ناب فيه الجار مناب الخبر لكونه
كونا خاصا قال القرطبي وسميت الخيل خيلا لاختيالها في مشيها وواحد الخيل خائل كضائن واحد ضان
وقيل لا واحد له ولما افرد سبحانه الخيل والبغال والحمير بالذكر دل على انها لم تدخل تحت لفظ الانعام
وقيل دخلت ولكن افردها بالذكر لما يتعلق بها من الركوب فانه يكثر في الخيل والبغال والحمير **قوله
تعالى** وزينة في نصبها اوجه احدها انه مفعول من اجله وانما وصل الفعل الى الاول باللام في قوله
تعالى لتركبوها والى هذا بنفسه لاختلال شرط في الاول وهو عدم اتحاد الفاعل فان الخالق الله والراكب
المخاطبون بخلاف الثاني الثاني انها منصوبة على الحال وصاحب الحال اما مفعول خلقها واما مفعول لتر
كبوها فهو مصدر اقيم مقام الحال الثالث ان ينتصب باضمار فعل فقدره الزمخشري رحمه الله وخلقها
زينة وقدره ابن عطية وغيره وجعلها زينة الرابع انه مصدر لفعل محذوف اي وتتزينون بها زينة
وقرأ قتادة عن ابن عامر لتركبوها زينة بغير واو وفيها الاوجه المتقدمة ويزيد ان يكون حالا من فاعل
لتركبوها متزينين **فصل** لما ذكر منافع الحيوانات التي ينتفع بها في المنافع الضرورية
ذكر بعده منافع الحيوانات التي ليست بضرورية فقال والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة والخيل
اسم جنس لا واحد له من لفظه كالابل واحتج القائلون بتحريم لحوم الخيل وهو ابن عباس والحكم ومالك
وابو حنيفة رضي الله عنهم بهذه الآية قالوا منفعة الاكل اعظم من منفعة الركوب فلو كان اكل لحم الخيل
جائزا لكان هذا المعنى اولى بالذكر وحيث لم يذكره الله تعالى علمنا تحريم اكله ويقوي هذا الاستدلال
انه تعالى قال في صفة الانعام فوجب ان يحرم اكل لحوم الخيل بمقتضى هذا الحصر ثم انه تعالى ذكر
بعد هذا الكلام الخيل والبغال والحمير وقال سبحانه انها مخلوقة للركوب وهذا يقتضي ان منفعة
الاكل مخصوصة بالانعام وايضا قوله تعالى لتركبوها يقتضي ان تمام المقصود من خلق هذه الاشياء
الثلاثة هو الركوب والزينة ولو حل اكلها لما كان تمام المقصود من خلقها هو الركوب بل كان حل اكلها
ايضا مقصودا وحينئذ يخرج جواز ركوبها عن ان يكون تمام المقصود بل يصير بعض المقصود واجاب الواحدي
رحمه الله بانه لو دلت هذه الآية على تحريم اكل لحم الخيل لكان تحريم اكلها معلوما في مكة لان هذه السورة
مكية فلو كان الامر كذلك لكان قول عامة المفسرين والمحدثين ان تحريم لحم الاهلية كان عام خيبر باطلا
لان التحريم لما كان حاصلا قبل هذا اليوم لم يبق لتخصيص هذا التحريم بهذه السنة فائدة واجاب
غيره بانه ليس المراد من الآية بيان التحليل والتحريم بل المراد منه تعريف الله تعالى عباده نعمه وتنبيههم
على كمال قدرته وحكمته واحتجوا بقول جابر رضي الله عنه نهى النبي صلى الله عليه وسلم يوم خيبر عن لحوم الحمر
ورخص في لحوم الخيل ولما ذكر تعالى اصناف الحيوانات المنتفع بها ذكر بعده الاشياء التي لا ينتفع غالبا
وذكرها غالبا على سبيل الاجمال فقال تعالى سبحانه ويخلق ما لا تعلمون وذلك ان انواعها واصنافها
خارجة عن الاحصاء فلذلك ذكرها على الاجمال وروى عطاء ومقاتل والضحاك عن ابن عباس رضي الله
عنه قال ان عن يمين العرش نهرا من نور مثل السموات السبع والبحار السبعة يدخل فيه جبريل صلوات الله عليه
كل سحر فيزداد نورا الى نوره وجمالا الى جماله ثم ينتفض فيخلق الله سبحانه وتعالى من كل نقطة تقع منه
كذا وكذا الف ملك يدخل منهم كل يوم سبعون الفا البيت المعمور وفي الكعبة ايضا سبعون الفا لا يعودون
اليه الى يوم القيمة **قوله تعالى** وعلى الله قصد السبيل الآية والمعنى انما ذكرت هذه الدلائل وشرحتها

ازاحة للعذر وازالة للعلة ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة **قوله تعالى** ومنها جائر
الضمير يعود على السبيل لانها تؤنث قل هذه سبيلي او لانها في معنى سبل فانث على معنى الجمع والقصد مصدر
يوصف به فهو بمعنى قاصد يقال سبيل قصد وقاصد اي مستقيم كانه يقصد الوجه الذي يؤمه السالك
لا يعدل عنه وقيل الضمير يعود على الخلائق ويؤيده قراءة عيسى وما في مصحف عبد الله ومنكم جائر وقراءة
علي فمنكم جائر بالفاء وقيل ال في السبيل للعهد وعلى هذا يعود الضمير على السبيل التي يتضمنها معنى الآية
كانه قيل ومن السبيل فاعاد عليها وان لم يجر لها ذكر لان مقابلها يدل عليها واما اذا كانت ال للجنس
فيعود على لفظها والجور العدول عن الاستقامة قال النابغة • يجور بها الملاح طورا ويهتدي •
وقال آخر • ومن الطريقة جائر وهدى • وقصد السبيل ومنه ذو دخل • وقال
ابو البقاء وقصد مصدر بمعنى اقامة السبيل او تعديل السبيل وليس مصدر قصدته بمعنى اتيته **فصل**
قوله تعالى وعلى الله قصد السبيل يعني بيان طريق الهدى من الضلالة وقيل بيان الحق من الباطل
بالآيات والبراهين والقصد الصراط المستقيم ومنها جائر يعني ومن السبيل جائر عن الاستقامة
معوج والقصد من السبيل دين الاسلام والجائر منها اليهودية والنصرانية وسائر ملل الكفر قال جابر
بن عبد الله قصد السبيل بيان الشرائع والفرائض وقال ابن المبارك وسهل بن عبد الله قصد السبيل السنة
ومنها جائر الاهواء والبدع لقوله تعالى وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل **فصل**
قالت المعتزلة دلت الآية على انه يجب على الله الارشاد والهداية الى الدين وازالة العلل والاعذار لقوله
تعالى وعلى الله قصد السبيل وكلمة على للوجوب قال تعالى ولله على الناس حج البيت ودلت الآية ايضا على
انه تعالى لا يضل احدا ولا يغويه ولا يصده لانه تعالى لو كان فاعلا للاضلال لقال وعلى الله قصد
السبيل وعليه جائرها وقال وعليه الجائر فلما لم يقل ذلك بل قال في قصد السبيل انه عليه ولم يقل في جور
السبيل انه عليه بل قال ومنها جائر دل على انه تعالى لا يضل احدا عن الدين واجيب بان المراد ان على الله
بحسب الفضل والكرم ان يبين الدين الحق والمذهب الصحيح واما ان يبين كيفية الاغواء والاضلال
فذلك غير واجب **قوله تعالى** ولو شاء لهداكم اجمعين يدل على انه تعالى ما شاء هداية الكفار وما
اراد منهم الايمان لان كلمة لو تفيد انتفاء الشيء لانتفاء غيره اي ولو شاء هدايتكم لهداكم وذلك يفيد
انه تعالى ما شاء هدايتهم فلا جرم ما هداهم واجاب الاصم بان المراد لو شاء ان يلجئكم الى الايمان لهداكم
وهذا يدل على ان مشيئة الالجاء لم تحصل واجاب الجبائي بان المعنى ولو شاء لهداكم الى الجنة ابتداء على
سبيل التفضل الا انه تعالى عرضكم للمنزلة العظيمة لما نصب من الادلة وبين فمن تمسك بها فاز ومن عدل
عنها فاته وصار الى العذاب وتقدم الجواب عن ذلك مرارا **قوله تعالى** هو الذي انزل من السماء
ماء الآية لما استدل على وجود الصانع الحكيم باحوال الحيوان اتبعه بذكر الاستدلال على وجود الصانع
الحكيم بعجائب احوال النبات واعلم ان الماء المنزل من السماء هو المطر وهو قسمان احدهما الذي جعله الله
شرابا لنا ولكل حي فان قيل دلت الآية على ان شراب الخلق ليس الا من المطر ومن المعلوم ان الخلق يشربون
من المياه التي في قعر الارض واجاب القاضي رحمه الله بانه تعالى بين ان المطر شرابنا ولم ينف ان نشرب من غيره
واجاب غيره بانه لا يمتنع ان يكون الماء العذب تحت الارض من جملة ما ينزل من السماء لقوله تعالى وانزلنا
من السماء ماء بقدر فاسكناه في الارض ولا يمتنع ايضا في العذب من الانهار ان يكون اصلها من المطر
والقسم الثاني من المياه النازلة من السماء ما يجعله الله تعالى سببا لتكون النبات وهو قوله ومنه شجر
فيه تسيمون **قوله تعالى** لكم يجوز ان يتعلق بانزل ويجوز ان يكون صفة لماء فيتعلق بمحذوف فعلى
الاول يكون بالظرف ومنه حال من شراب ومن الاولى للتبعيض وكذا الثانية عند بعضهم لكنه مجاز لانه
لما كان سقيه بالماء جعل كانه من الماء كقوله • اسنمة الآبال في ربابه • اي في سحابه يعني به المطر الذي
ينبت به الكلأ الذي تاكله الابل فتسمن اسنمتها وقال ابن الانباري رحمه الله هو على حذف مضاف اما
من الاول يعني قبل الضمير اي من سقيه وجهته شجر واما من الثاني يعني قبل شجر اي شرب شجر او حياة
شجر وجعل ابو البقاء الاولى للتبعيض والثانية للسببية اي بسببه ودل عليه قوله تعالى ينبت لكم به الزرع
والشجر هنا كل نبات من الارض حتى الكلأ وفي الحديث لا تاكلوا ثمن الشجر فانه سحت يعني الكلأ نهى عن منع
بيع المباحات المحتاج اليها وانشد • يطعمها اللحم اذا عز الشجر • يريد يسقون الخيل اللبن اذا اجدب

الارض قاله الزجاج وقال ابن قتيبة في هذه الاية المراد بالشجر الكلا فان قيل قال المفسرون
في قوله تعالى والنجم والشجر يسجدان المراد بالنجم ما ينجم من الارض مما ليس له ساق ومن الشجر ما له ساق
وايضا عطف الشجر على النجم يوجب مغايرة الشجر للنجم فالجواب ان عطف الجنس على النوع وبالضد
مشهور وايضا فلفظ الشجر يشعر بالاختلاط يقال تشاجر القوم اذا اختلط اصوات بعضهم ببعض وتشاجرت الرياح اذا اختلطت وقال تعالى حتى يحكموك فيما شجر بينهم ومعنى الاختلاط حاصل في العشب
والكلا فوجب اطلاق لفظ الشجر عليه وقيل المراد بالشجر ما له ساق لان الابل تقدر على رعي ورق
الاشجار الكبار واطلاق الشجر على الكلا مجاز **قوله تعالى** فيه تسيمون هذه صفة اخرى
لماء والعامة على تسيمون بضم التاء من اسام اي ارسلها للرعي وزيد بن علي بفتحها فيحتمل ان يكون
متعديا ويكون فعل وافعل بمعنى ويحتمل ان يكون لازما على حذف مضاف اي تسيم مواشيكم يقال
سمت الماشية اذا خليتها ترعى وسامت هي تسوم سوما اذا رعت حيث شاءت فهي سوام وسائمة قال الزجاج
رحمه الله اخذ ذلك من السومة وهي العلامة لانها تؤثر في الارض برعيها علامات وقال غيره لانها تعلم
للارسال في المرعى وتقدم الكلام في هذه المادة في ال عمران عند قوله تعالى والخيل المسومة **قوله تعالى**
ينبت لكم يحتمل هذه الجملة الاستيناف والتبعية كما في نظيرتها ويقال انبت الله الزرع فهو منبوت
وقياسه منبت وقيل انبت قد يجي لازما كنبت انشد الفرا قوله

رايت ذوي الحاجات حول بيوتهم • وقطينا بها حتى اذا انبت البقل •

وأباه الاصمعي والبيت حجة عليه وتاويله بانبت البقل نفسه على المجاز بعيد جدا وقرا ابو بكر ننبت بنون
العظمة والزهري بالياء الزرع وما بعده رفع بالفاعلية وقد تقدم خلاف القرا في رفع الشمس وما بعدها
ونصبهما وتوجيه ذلك في سورة الاعراف **فصل** النبات قسمان احدهما المرعي للانعام وهو المراد
من قوله تسيمون والثاني المخلوق لاكل الانسان وهو المراد من قوله تعالى ينبت لكم به الزرع والزيتون
والنخيل والاعناب **فان قيل** انه تعالى بدا في هذه الاية بذكر ماكول الحيوانات واتبعه بذكر
ماكول الانسان وفي اية اخرى عكس هذا الترتيب فقال كلوا وارعوا انعامكم فما الفايدة فيه فالجواب
ان هذه الاية مبنية على مكارم الاخلاق وهو ان يكون اهتمام الانسان بمن يكون تحت يده اكمل من اهتمامه
بنفسه واما الاية الاخرى فمبنية على قوله صلوة الله تعالى عليه ابدا بنفسك ثم بمن تعول **فصل**
اعلم ان الانسان خلق محتاجا الى الغذا والغذا اما من الحيوان او من النبات والغذا الحيواني ارفق من الغذا
النباتي لان تولد اعضاء الانسان من غذا اعضاء الحيوان اسهل من تولدها من غذا النبات لان المشابهة
هناك اكمل واما الغذا الحيواني انما يحصل من اسامة الحيوانات وتنميتها بالرعي وهو الذي ذكره الله تعالى
في الاسامة واما الغذا النباتي فقسمان حبوب وفواكه اما الحبوب فاليها الاشارة بقوله الزرع واما
الفواكه فاشرفها الزيتون والنخيل والاعناب اما الزيتون فلانه فاكهة من وجه وادام من وجه اخر لما فيه
من الدهن ومنافع الدهن كثيرة للاكل والطلي واشعال السرج واما امتياز النخيل والاعناب من ساير
الفواكه فظاهر معلوم وكما انه تعالى لما ذكر الحيوانات المنتفع بها على التفصيل ثم وصف البقية بقوله
تعالى ويخلق ما لا تعلمون كذلك ههنا لما ذكر الانواع المنتفع بها من النبات قال في وصف البقية ومن كل
الثمرات تنبيها على ان تفصيل انواعها واجناسها وصفاتها ومنافعها مما لا يمكن ذكره فالاولى ان يقتصر
فيه على هذا الكلام المجمل ثم قال سبحانه ان في ذلك لاية لقوم يتفكرون واعلم ان وجه الدلالة من هذه
الاية على وجود الله تعالى على ان الحبة الواحدة يقع في الطين فاذا مضى عليها زمن معين نفذت في داخل
الحبة اجزاء من رطوبة الارض فتنتفخ وينشق اعلاها واسفلها فيخرج من اعلاها شجرة صاعدة الى الهواء
ومن اسفلها يخرج الجزء الغائصة في عمق الارض وهي عروق الشجر ثم ان تلك الشجرة لا تزال تزداد وتنمو
وتقوى ثم يخرج منها الاوراق والازهار والاكمام والثمار ثم ان تلك الثمرة تشتمل على اجسام مختلفة
الطبايع كالعنب فان قشره وعجمه باردان يابسان كثيفان ولحمه وماوه حار رطب فنسبة الطبايع
السفلية الى هذا الجسم متشابهة ونسبة التاثيرات الفلكية والتحريكات الكوكبية الى الكل متشابهة
مع تشابه نسب هذه الاشياء نرى هذه الاجسام مختلفة في الطبع والطعم واللون والرايحة والصفة
فدل صريح العقل على ان ذلك ليس الا بفعل فاعل قادر حكيم رحيم وختم هذه الاية بقوله تتفكرون لانه

تعالى ذكر انه انزل من السماء ماء فانبت به الزرع والزيتون والنخيل والاعناب فكان قايلا قال لا نسلم
انه تعالى هو الذي انبتها بل يجوز ان يكون حدوثها لتعاقب الفصول الاربعة وتاثيرات الشمس والقمر والكواكب
فالم يقم الدليل على فساد هذا الاحتمال لا يتم هذا الدليل **قوله تعالى** وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر
الاية وهذه الاية هي الجواب عن السوال المتقدم وتقريره من وجهين الاول ان يقال هب ان حدوث
الحوادث في هذا العالم السفلي مستند الى الاتصالات الفلكية الا انه لا بد لحركتها واتصالاتها من اسباب
واسباب تلك الحركات اما ذواتها واما امور مغايرة لها والاول باطل لوجهين الاول ان الاجسام متماثلة
فلو كان جسم علة لصفة لكان كل جسم واجبا للاتصاف بتلك الصفة وهو محال والثاني ان ذات الجسم
لو كانت علة لحصول هذه الحركة لوجب دوام هذه الحركة بدوام تلك الذات ولو كان كذلك لوجب بقاء
الجسم على حالة واحدة من غير تغيير اصلا وذلك يوجب كونه ساكنا لذاته وما اقتضى ثبوته الى عدمه كان
باطلا فثبت ان الجسم يمتنع ان يكون متحركا لكونه جسما فبقي ان يكون متحركا لغيره وذلك الغير اما ان يكون
ساريا فيه او مباينا عنه والاول باطل لان البحث المذكور عايد في ان ذلك الجسم بعينه لم اختص بتلك القوة
بعينها دون ساير الاجسام فثبت ان محرك الاجسام الافلاك والكواكب امور مباينة عنها وذلك المباين
ان كان جسما او جسمانيا عاد التقسيم الاول فيه وان لم يكن جسما ولا جسمانيا فاما ان يكون موجبا بالذات
او فاعلا مختارا والاول باطل لان نسبة ذلك الموجب بالذات الى جميع الاجسام على السوية فلم يكن بعض
الاجسام بقبول بعض الاثار المعينة اولى من بعض فثبت ان محرك تلك الافلاك والكواكب هو الفاعل
القادر المختار المنزه عن كونه جسما وجسمانيا وذلك هو الله سبحانه وتعالى فالحاصل انا وان حكمنا
باستناد حوادث العالم السفلي الى الحركات الفلكية والكوكبية فهذه الحركات الفلكية لا يمكن اسنادها
الى افلاك اخر والا لزم التسلسل وهو محال فوجب ان يكون خالق هذه الحركات ومدبرها هو الله تعالى
واذا كان كذلك كان هذا اعترافا بان الكل من الله تبارك وتعالى وباحداثه وتخليقه وهذا هو المراد
من قوله عز وجل وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر يعني ان كانت تلك الحوادث السفلية لاجل تعاقب
الليل والنهار وحركات الشمس والقمر فهذه الاشياء لا بد وان يكون حدوثها بتخليق الله تعالى وتسخيره
قطعا للتسلسل ولما تم هذا الدليل ختم الاية بقوله ان في ذلك لايات لقوم يعقلون اي ان كل عاقل
يعلم ان القول بالتسلسل باطل وانه لا بد بالانتهاء الى الفاعل المختار والجواب الثاني عن السوال ان
تاثير الطبايع والافلاك والكواكب بالنسبة الى الكل واحد ثم انا نرى تولد العنب قشره على طبع وعجمه
على طبع ولحمه على طبع ثالث وماؤه على طبع رابع ونرى الورد ما يكون احد وجهي الورقة الواحدة منه
في غاية الحمرة وتلك الورقة في غاية الرقة واللطافة ونعلم بالضرورة ان نسبة الانجم والافلاك الى وجهي
الورقة الرقيقة نسبة واحدة والطبيعة الواحدة في المادة الواحدة لا تفعل الا فعلا واحدا الا ترى انهم
قالوا الشكل البسيط هو الكرة لان تاثير الطبيعة الواحدة في المادة الواحدة يجب ان يكون متشابها والشكل
الذي يتشابه جميع جوانبه هو الكرة وايضا اذا اصبنا الشمع فاذا استضاء خمسة اذرع من موضع ذلك الشمع
من احد الجوانب وجب ان يحصل مثل هذا الاثر في جميع الجوانب لان الطبيعة المؤثرة يجب ان تتشابه نسبتها
الى كل الجوانب واذا ثبت هذا فنسبة الشمس والقمر والانجم والافلاك والطبايع الى وجهي تلك الورقة
اللطيفة نسبة واحدة وثبت ان الطبيعة المؤثرة متى كانت نسبتها واحدة كان الاثر متشابها وثبت ان
الاثر غير متشابه لان احد وجهي تلك الورقة في غاية الصفرة والوجه الثاني منها في غاية الحمرة وهذا
يفيد القطع بان المؤثر في حصول هذه الصفات والالوان والاحوال ليس هو الطبيعة بل الفاعل
فيها هو الفاعل المختار الحكيم وهو الله تعالى وهذا هو المراد من قوله تعالى وما ذرا لكم في الارض مختلفا
الوانه ولما كان مدار هذه الحجة على ان المؤثر الموجب بالذات وبالطبيعة يجب ان يكون نسبته الى الكل
متشابهة لا جرم ختم الاية بقوله تعالى ان في ذلك لاية لقوم يذكرون فلما دل الحس في هذه الاجسام
النباتية على اختلاف صفاتها وتنافر احوالها على ان المؤثر فيها ليس هو الطبيعة ظهر ان المؤثر فيها
ليس موجبا بالذات بل فاعلا مختارا حكيما **فان قيل** لا يقال سخرت هذا الشي مسخرا فالجواب
ان المعنى انه تعالى سخر لنا هذه الاشياء حال كونها مسخرة تحت قدرته واذنه **فان قيل** التسخير عبارة
عن القهر والقسر ولا يليق الا بمن هو قادر يجوز ان يقهر فكيف يصح ذلك بالليل والنهار وفي الجمادات

كالشمس والقمر فالجواب من وجهين الاول انه تعالى لما دبر هذه الاشياء على طريقة واحدة مطابقة
لمصالح العباد صارت شبيهة بالعبد المنقاد المطواع فلهذا المعنى اطلق على هذا النوع من التدبير لفظ
التسخير والجواب الثاني لا يستقيم الا على مذهب علماء الهيئة لانهم يقولون الحركة الطبيعية للشمس
والقمر هي الحركة من المغرب الى المشرق والله تعالى سخر هذه الكواكب بواسطة حركة الفلك الاعظم من المشرق
الى المغرب فكانت هذه الحركة قسرية فلهذا اطلق عليها لفظ التسخير **فان قيل** اذا كان لا يحصل
النهار والليل الا بسبب حركة الشمس كان ذكر الليل والنهار مغنيا عن ذكر الشمس فالجواب حدوث النهار
ليس بسبب حركة الشمس بل حدوثهما بل بسبب حركة الفلك الاعظم الذي دل الدليل على ان حركته ليست
الا بتخليق الله تعالى واما حركة الشمس فانها علة لحدوث السنة لا لحدوث اليوم **فان قيل** المؤثر في التسخير
هو القدرة لا الامر فكيف قال عز من قائل مسخرات بامره فالجواب هذه الاية مبنية على ان الافلاك والكواكب
جمادات ام لا واكثر المسلمين على انها جمادات فلهذا حملوا الامر في هذه الاية على الخلق والتقدير ولفظ الامر
بمعنى الشان والفعل كثير قال تعالى انما امرنا لشيء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون ومنهم من قال انها ليست
بجمادات فهاهنا يحمل الامر على الاذن والتكليف **قوله تعالى** وما ذرأ عطف على الليل قال الزمخشري
رحمه الله يعني ما خلق فيها من حيوان وشجر وقال ابو البقا في موضع نصب بفعل محذوف اي وخلق وانبت
كانه استبعد تسلط سخر على ذلك فقدر فعلا لائقا ومختلفا حال منه والوانه فاعل به وختم الاية
الاولى بالتفكر لان ما فيها يحتاج الى تامل ونظر والثانية بالعقل لان مدار ما تقدم عليه والثالثة
بالذكر لانه نتيجة ما تقدم وجمع ايات في الثانية دون الاولى والثالثة لان ما نيط بها اكثر ولذلك
ذكر معها العقل **قوله تعالى** وهو الذي سخر البحر لتاكلوا منه لحما طريا الاية لما استدل على اثبات الاله
اولا باجرام السموات وثانيا ببدن الانسان وثالثا بعجايب خلقة الحيوانات ورابعا بعجايب النبات
ذكر خامسا عجايب العناصر وبدا بالاستدلال بعنصر الماء قال علماء الهيئة ثلاثة ارباع كرة الارض غايص
في الماء وذلك هو البحر المحيط وحصل في هذا الربع المسكون سبعة ابحر قال تعالى والبحر يمده من بعده
سبعة ابحر والبحر الذي سخره الله للناس هو هذه البحار ومعنى تسخيرها للخلق جعلها بحيث تمكن الناس
من الانتفاع بها اما بالركوب او بالغوص واعلم ان منافع البحار كثيرة فذكر تعالى منها هاهنا ثلاثة
انواع الاول قوله تعالى لتاكلوا منه لحما طريا يجوز في منه تعلقه بلتاكلوا وان يتعلق بمحذوف لانه حال
من النكرة بعده ومن اما لابتداء الغاية او للتبعيض ولا بد من حذف مضاف اي من حيوان وطريا فعيل
من طرو يطرو طراوة كسرو يسرو سراوة وقال الفراء يقال طري يطرى طراوة وطراء مثل شقي يشقى شقاوة
وشقاء والطراوة ضد اليبوسة اي غضا جديدا ويقال طريت كذا اي جددته ومنه الثياب المطراة
والاطراء مدح تجدد ذكره واما طرأ طرءا بالهمز فمعناه طلع وقال ابن الاعرابي رحمه الله طرا مهموز
طرو غير مهموز **فصل** اعلم انه تعالى لما اخرج من البحر الملح الزعاق الحيوان الذي في غاية
العذوبة علم ان ذلك ليس بحسب الطبع بل بقدرة الله تعالى وحكمته بحيث اظهر الضد من الضد ..
فصل لو حلف لا ياكل اللحم فاكل لحم السمك هل يحنث قال ابو حنيفة رضي الله عنه لا يحنث
لان لحم السمك ليس بلحم وقال اخرون يحنث لان الله تعالى نص على تسميته لحما وليس فوق بيان الله بيان
روي ان ابا حنيفة رضي الله عنه لما قال بهذا سمع سفيان الثوري فانكر عليه محتجا بهذه الاية فبعث
اليه ابو حنيفة رجلا وسأله عن رجل حلف لا يصلي على البساط فصلى على الارض هل يحنث ام لا فقال
سفيان لا يحنث فقال ابو حنيفة اليس الله تعالى قال والله جعل الارض بساطا فعرف سفيان
ان ذلك بتلقين ابي حنيفة رضي الله عنه قال ابن الخطيب وهذا ليس بقوي لان اقصى ما في الباب انا تركنا
العمل بظاهر القران في لفظ البساط لدليل قام فكيف يلزمنا ترك العمل بظاهر القران في اية اخرى
من غير دليل والفرق بين الصورتين من وجهين الاول انه لما حلف لا يصلي على البساط فلو ادخلنا الارض
تحت لفظ البساط لزمنا ان نمنعه من الصلوة لانه ان صلى على الارض حنث وان صلى على البساط حنث
ولا يجوز فاما اذا ادخلنا لحم السمك تحت لفظ اللحم لانه ليس في منعه من اكل اللحم على الاطلاق محذور والثاني
انا نعلم بالضرورة من عرف اهل اللغة ان وقوع اسم البساط على الارض مجاز ولم نعرف ان وقوع اسم اللحم على لحم
السمك مجاز وحجة ابي حنيفة رضي الله عنه ان مبنى الايمان على العرف لان الناس اذا ذكروا اللحم على الاطلاق

لا يفهم منه لحم السمك بدليل انه اذا قال لغلامه اشتر بهذا الدرهم لحما فجاء بلحم سمك استحق الانكار
والجواب انا رايناكم في كتاب الايمان تارة تعتبرون اللفظ وتارة تعتبرون المعنى وتارة تعتبرون
العرف وليس لكم ضابط بدليل اذا قال لغلامه اشتر بهذا الدرهم لحما فجاء بلحم العصفور استحق الانكار مع
انكم تقولون انه يحنث باكل لحم العصفور فثبت ان العرف مضطرب والرجوع الى نص القران متعين النوع الثاني
من منافع البحر **قوله تعالى** وتستخرجون منه حلية الحلية اسم لما يتحلى به واصلها الدلالة على الهيئة
كالعمة والجمة وتلبسونها صفة ومنه يجوز فيه ما جاز في منه قبله والمراد بالحلية اللؤلؤ والمرجان
فصل المراد بلبسهم لبس نسائهم لانهن من جملتهم ولان تزينهن لاجلهم فكانها زينتهم وتمسك
بعض العلماء في عدم وجوب الزكوة في الحلي المباح بقوله صلوات الله عليه وسلامه في الحرير والذهب
هذا حرام على ذكور امتي حل لاناثها وروى البخاري ان النبي صلى الله عليه وسلم اتخذ خاتما من فضة ونقش
فيه محمد رسول الله **فصل** من حلف لا يلبس حليا فلبس لؤلؤا لم يحنث وهو قول ابي حنيفة رضي
الله عنه وقال بعض المالكية هذا وان كان الاسم اللغوي يتناوله فلم يقصده باليمين والايمان مبنية
على العرف الا ترى انه لو حلف ان لا ينام على فراش فنام على الارض لم يحنث وكذلك لو حلف لا يستضيء بسراج
فجلس في الشمس لا يحنث وان كان الله تعالى سمى الارض فراشا والشمس سراجا **قوله تعالى** وترى الفلك مواخر
فيه وترى جملة معترضة بين التعليلين وهما لتاكلوا ولتبتغوا وانما كان ذا اعتراضا لانه خطاب لواحد
بين خطابين لجمع وفيه يجوز ان يتعلق بترى وان يتعلق بمواخر لانها بمعنى شواق وان يتعلق بمحذوف
لانه حال من مواخر او من الضمير المستكن فيه ومواخر جمع ماخرة والمخر الشق يقال مخرت السفينة البحر اي
شقته تمخره مخرا ومخورا ويقال للسفن بنات مخر ومخر بالميم والبا بدل منها وقال الفراء هو صوت جري
الفلك وقيل صوت شدة هبوب الريح وقيل بنات مخر لسحاب تنشا صيفا وامتخرت الريح واستمخرتها
اذا استقبلتها بانفك وفي الحديث استمخروا الريح واعدوا النبل يعني في الاستنجاء اي اجعلوا مجراها وهبوبها
قبالتكم لاجل ان لا يرد عليه البول والماخور الموضع الذي يباع فيه الخمر وترى هنا بصرية فقط **قوله
تعالى** ولتبتغوا فيه ثلاثة اوجه احدها عطفه على لتاكلوا وما بينهما اعتراض كما تقدم وهذا
هو الظاهر وثانيها انه عطف على علة محذوفة تقديره لتنتفعوا بذلك ولتبتغوا ذكره ابن الانباري وثا
لثها انه متعلق بفعل محذوف اي فعل ذلك لتبتغوا وفيهما الا حاجة اليه ومعنى لتبتغوا من فضله يعني
لتركبوا للتجارة فتطلبوا الربح من فضل الله فاذا وجدتم فضل الله فلعلكم تشكرونه **قوله تعالى**
والقى في الارض رواسي والمقصود منه ذكر لبعض النعم التي خلقها الله تعالى في الارض وتقدم ذكر
الرواسي **قوله تعالى** ان تميد بكم اي كراهة ان تميد او لئلا تميد اي تتحرك وتميل والميد هو الاضطراب
والتكفؤ ومنه قيل للدوار الذي يعتري راكب البحر ميد قال وهب لما خلق الله الارض جعلت تمور
فقالت الملايكة ان هذه غير مقرة احدا على ظهرها فاصبحت وقد ارسيت بالجبال فلم تدر الملايكة مم خلقت
الجبال كالسفينة اذا القيت في الماء فانها تميل من جانب الى جانب وتضطرب فاذا وضعت الاجرام الثقيلة
استقرت على وجه الماء قال ابن الخطيب رحمه الله وهذا مشكل من وجوه الاول ان هذا التعليل
اما ان يكون مع القول بان حركات هذه الاجسام بطبعها او ليست بطبعها بل بتحريك الفاعل المختار فعلى
التقدير الاول يكون هذا التعليل مشكلا لان الارض اثقل من الماء والاثقل من الماء يغوص في الماء ولا
يبقى طافيا عليه واذا لم يبق طافيا امتنع ان يقال انها تميل وتميد وتضطرب وهذا بخلاف السفينة لانها
متخذة من الخشب وفي داخل الخشب تجويفات مملوءة من الهوى لا جرم تميد وتميل وتضطرب على وجه
الماء فاذا ارسيت بالاجسام الثقيلة استقرت وسكنت فافترقا واما على التقدير الثاني وهو انه
ليس للارض والماء طبع يوجب الثقل والرسوب وانما الله تعالى اجرى عادته بجعلها كذلك وصار الماء
محيطا بالارض بمجرد اجراء العادة وليس هاهنا طبيعة للارض ولا للماء توجب حالة مخصوصة
فعلى هذا التقدير علة سكون الارض هي ان الله تعالى خلق فيها السكون وعلة كونها مايدة مضطربة
هي ان الله تعالى خلق فيها الحركة وعلى هذا يفسد القول بان الارض كانت مايدة مايلة فخلق الله
تعالى الجبال وارساها بها لتبقى ساكنة لان هذا انما يصح اذا كانت طبيعة الارض توجب الميلان
وطبيعة الجبال توجب الارساء والثبات ونحن نتكلم على تقدير نفي الطبائع الموجبة لهذه الاحوال فثبت

ان هذا التعليل مشكل على تقدير الثاني ان ارساها الارض بالجبال انما كان لاجل ان تبقى الارض على وجه الماء ساكنة من غير ان تميد وتميل وهذا انما يعقل اذا كان الذي استقرت الارض على وجهه واقفا فنقول فما المقتضي لسكونه في ذلك الحيز المخصوص فان كان طبعه المخصوص اوجب وقوفه في ذلك الحيز المعين فلم لا نقول مثله في الارض وهو ان طبيعة الارض المخصوصة اوجبت وقوفها في ذلك الحيز المعين وحينئذ يفسد القول بان الارض انما وقفت بسبب ان الله ارساها بالجبال وان كان المقتضي لسكون الماء في حيزه المعين هو ان الله تعالى سكن الماء بقدرته في ذلك الحيز المخصوص فلم لا نقول مثله في سكون الارض وحينئذ يفسد التعليل ايضا الثالث ان الارض كلها جسم فينبغي ان تميل كليته ويضطرب على وجه الارض البحر المحيط فلم لم تظهر تلك الحالة للناس **فان قيل** اليس ان الارض يحركها البخارات المحتبسة في داخلها عند الزلازل وتظهر تلك الحركات للناس فلم تنكرون على من يقول انه لولا الجبال لتحركت الارض الا انه تعالى لما ارساها بالجبال الثقال لم تقو الرياح على تحريكها قلنا تلك البخارات احتبست في داخل قطعة صغيرة من الارض فلما حصلت الحركة في تلك القطعة الصغيرة ظهرت تلك الحركة فظهور تلك الحركة في تلك القطعة المعينة من الارض يجري مجرى اختلاج عضو معين من بدن الانسان اما لو تحركت كلية الارض لم تظهر الا ترى ان الساكن في السفينة لا يحس بحركة كلية السفينة وان كانت على اسرع الوجوه واقواها فكذا هاهنا قال ابن الخطيب رحمه الله والذي عندي هاهنا ان يقال ثبت بالدلائل اليقينية ان الارض كرة وثبت ان الجبال على سطح الكرة جارية خشونات تحصل على وجه هذه الكرة واذا ثبت فنقول لو فرضنا ان هذه الخشونات ما كانت حاصلة بل كانت الارض كرة حقيقية خالية عن الخشونات والتضريسات لصارت بحيث تتحرك بالاستدارة بادنى سبب لان الجرم البسيط المستدير اما ان يجب كونه متحركا بالاستدارة او ان لم يجب ذلك عقلا الا انها بادنى سبب تتحرك على هذا الوجه فلما حصل على ظاهر سطح الكرة من الارض هذه الجبال وكانت الخشونات الواقعة على وجه الكرة فكل واحد من هذه الجبال انما يتوجه بطبعه نحو مركز العالم وتوجه ذلك الجبل نحو مركز العالم بثقله العظيم وقوته الشديدة يكون جاريا مجرى الوتد الذي يمنع كرة الارض من الاستدارة فكانت تخليق هذه الجبال على وجه الارض كالاوتاد المغروزة في الكرة المانعة من الحركة المستديرة فكانت مانعة الارض من الميد والميل والاضطراب بمعنى انها منعت الارض من الحركة المستديرة والله اعلم **قوله تعالى** وانهارا عطف على رواسي لان الالقاء بمعنى الخلق وادعى ابن عطية رحمه الله انه منصوب بفعل مضمر اي وجعل فيها انهارا وسبلا كما ذكر وقيل الالقاء معناه الجعل قال تعالى وجعل فيها رواسي من فوقها وقدره ابو البقاء وشق فيها انهارا وهو مناسب واعلم انه ثبت في العلوم العقلية ان اكثر الانهار انما تتفجر منابعها في الجبال فلهذا لما ذكر الجبال اتبع ذكرها بتفجير العيون والانهار **قوله تعالى** وسبلا اي وذللا او وجعل فيها طرقا لتهتدوا بها في اسفاركم كقوله تعالى وسلك لكم فيها سبلا لعلكم تهتدون الى ما تريدون وعلامات اي ووضع فيها علامات **قوله تعالى** وبالنجم متعلق بيهتدون والعامة على فتح النون وسكون الجيم بالتوحيد فقيل المراد به كوكب بعينه كالجدي او الثريا وقيل بل هو اسم جنس وقرا ابن وثاب بضمها والحسن بضم النون فقط وعكس بعضهم النقل عنهما فاما قراءة الضمتين ففيها تخريجان اظهرهما انها جمع صريح لان فعلا يجمع على فعل نحو سقف وسقف ورهن ورهن والثاني ان اصله النجوم وفعل يجمع على فعول نحو فلس وفلوس ثم خفف بحذف الواو كما قالوا اسد واسود واسد قال ابو البقاء وقالوا في خيام خيم يعني انه نظيره من حيث حذف فيه حرف المد وقال ابن عصفور ان قولهم النجم من ضرورة الشعر وانشد

ان الذي قضى بذا قاض حكم ۞ ان يرد الماء اذا غاب النجم ۞

يريد النجوم كقوله ۞ حتى اذا ابتلت حلاقيم الحلق ۞ يريد الحلوق واما قراءة الضم والسكون ففيها وجهان احدهما انها تخفيف من الضم والثاني انها لغة مستقلة وتقديم كل من الجار والمبتدا يفيد الاختصاص قال الزمخشري رحمه الله فان قلت قوله تعالى وبالنجم هم يهتدون مخرج عن سنن الخطاب مقدم فيه النجم مقحم فيه كانه قيل وبالنجم خصوصا هؤلاء خصوصا فمن المراد بهم قلت كانه اراد قريشا كان لهم اهتداء بالنجوم في مسايرهم وكان لهم به علم لم يكن لغيرهم فكان الشكر عليهم اوجب

ولهم الزم

ولهم الزم قال بعض المفسرين قوله تعالى وبالنجم هم يهتدون مختص بسفر البحر لانه تعالى لما ذكر صفة البحر ومنافعه بين ان من يسير فيه يهتدون بالنجم وقال بعضهم هو مطلق في سفر البر والبحر **فصل** المراد بالعلامات معالم الطرق وهي التي تهتدى وهذه العلامات هي الجبال والرياح قال ابن الخطيب ورايت جماعة يشمون التراب فيتعرفون الطرقات بشمه قال الاخفش رحمه الله تم الكلام عند قوله تعالى وعلامات ثم ابتدا وبالنجم هم يهتدون قال محمد بن كعب القرظي والكلبي رحمهما الله اراد بالعلامات الجبال علامات النهار والنجوم علامات الليل قال السدي اراد بالنجم الثريا وبنات نعش والفرقدين والجدي يهتدى بها الى الطريق والقبلة قال القرطبي سال ابن عباس رضي الله عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم ومجد وعظم عن النجم فقال صلوات الله وسلامه عليه هو الجدي عليه قبلتكم وبه تهتدون في بركم وبحركم وذلك ان اخر الجدي بنات نعش الصغرى والقطب الذي يستوي عليه القبلة بينهما **قوله تعالى** افمن يخلق كمن لا يخلق الاية لما ذكر الدلائل الدالة على وجود الاله القادر الحكيم اتبعه بذكر ابطال عبادة غير الله عز وجل والمقصود انه لما دلت الدلائل القاهرة على وجود الله قادر حكيم وثبت انه هو المتولي لجميع هذه النعم والمعطي لكل هذه الخيرات فكيف يحسن في العقول الاشتغال بعبادة غيره لا سيما ان كان غيره جمادا لا يفهم ولا يعقل فلهذا قال تعالى افمن يخلق هذه الاشياء التي ذكرناها كمن لا يخلق او لا يقدر على شيء البتة افلا تذكرون فان هذا القدر لا يحتاج الى تدبر ونظر بل يكفي فيه ان تتنبهوا على ما في عقولكم من ان العبادة لا تليق الا بالمنعم الاعظم وانتم ترون في الشاهد انسانا عاقلا فاهما ينعم بالنعم العظيمة ومع ذلك فتعلمون ان عبادته تقبح فهذه الاصنام جمادات محضة ليس لها فهم ولا قدرة ولا احسان فكيف تعبدونها **قوله تعالى** كمن لا يخلق ان اريد بمن لا يخلق جميع ما عبد من دون الله كان ورود من واضحا لان العاقل يغلب على غيره فيعبر عن الجميع بمن ولو جيء ايضا بما لجاز وان اريد به الاصنام ففي ايقاع من عليهم اوجه احدها اجراؤهم مجرى اولي العلم في عبادتهم اياها واعتقادهم انها تضر وتنفع كقول الشاعر ۞

۞ بكيت الى سرب القطا اذ مررن بي ۞ فقلت ومثلي بالبكاء جدير ۞

۞ اسرب القطا هل من يعير جناحه ۞ لعلي الى من قد هويت اطير ۞

فاوقع من على السرب لما عاملها معاملة العقلاء الثاني المشاكلة بينه وبين من يخلق الثالث تخصيصه بمن يعلم والمعنى انه اذا حصل التباين بين من يخلق وبين من لا يخلق من اولي العلم وان غير الخالق لا يستحق العبادة البتة فكيف يستقيم عبادة الجماد المنحط رتبته الساقط منزلة عن المخلوق من اولي العلم كقوله تعالى الهم ارجل يمشون بها الاية والاحسن ان يجاب بان ايقاع من على غير العقلاء من غير شرط كقطرب فلا يحتاج الى تاويل قال الزمخشري رحمه الله فان قلت هو الزام للذين عبدوا الاوثان ونحوها تشبيها بالله تعالى جل ذكره وقد جعلوا غير الخالق مثل الخالق سبحانه لا اله الا هو فكان حق الالزام ان يقال لهم افمن لا يخلق كمن يخلق قلت حين جعلوا غير الله مثل الله جل وعز في تسميتهم باسمه والعبادة له جعلوا الله من جنس المخلوقات وشبيها بها فانكر عليهم ذلك بقوله افمن يخلق كمن لا يخلق **فصل** احتج اهل السنة بهذه الاية على ان العبد غير خالق لافعال نفسه لانه سبحانه عز وعلا ميز نفسه عن الاشياء التي يعبدونها بصفة الخالقية لان الغرض من قوله تعالى افمن يخلق كمن لا يخلق بيان تميزه عن الاصنام بصفة الخالقية وانه انما استحق الالهية والمعبودية لكونه خالقا وهذا يقتضي ان العبد لو كان خالقا لبعض الافعال لوجب كونه الها معبودا ولما كان ذلك باطلا علمنا ان العبد لا يقدر على الخلق والايجاد اجاب المعتزلة من وجوه الاول المراد من قوله تعالى افمن يخلق ما تقدم ذكره من السموات والارض والانسان والحيوان والنبات والبحار والجبال والنجوم كمن لا يقدر على خلق شيء اصلا وهذا يقتضي ان من كان خالقا لهذه الاشياء فانه يكون الها ولم يلزم منه ان من قدر على خلق افعال نفسه ان يكون الها الثاني ان معنى الاية ان من كان خالقا افضل ممن لا يكون خالقا فوجب امتناع التسوية بينهما في الالهية والمعبودية وهذا القدر لا يدل على ان كل من كان خالقا فانه يجب ان يكون الها لقوله تعالى الهم ارجل يمشون بها ومعناه ان الذي له رجل يمشي بها يكون افضل من الذي له رجل لا يمشي بها وهذا يوجب كون الانسان افضل من الصنم والافضل لا يليق به عبادة الاخس وهذا هو المقصود من هذه الاية ثم انها لا تدل على ان من له رجل يمشي بها ان يكون الها فكذلك هنا المقصود من هذه الاية ثم انها لا تدل الا على بيان ان الخالق افضل من غير الخالق فيمتنع التسوية بينهما في الالهية والمعبودية ولا يلزم منه ان مجرد حصول صفة الخالقية يكون الها الثالث ان كثيرا من المعتزلة لا يطلقون لفظ الخالق على العبد قال الكعبي رضي الله في تفسيره انا

لا نقول انا نخلق افعالنا ومن اطلق ذلك فقد اخطا الا في مواضع ذكرها الله تعالى كقوله تعالى واذ تخلق
من الطين كهيئة الطير وفي قوله عز وجل فتبارك الله احسن الخالقين واعلم ان اصحاب ابي هاشم يطلقون لفظ
الخالق على العبد حقيقة حتى ان ابا عبد الله البصري بالغ وقال اطلاق لفظ الخالق حقيقة على العبد وعلى الله
مجاز لان الخلق عبارة عن التقدير وذلك عبارة عن الظن والحسبان وهو في حق العبد حاصل وفي حق الله تعالى محال
قوله تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها المقصود ان الاشتغال بعبادة غير الله باطل بقي ههنا ان العبد
لا يمكنه الاتيان بعبادة الله وشكر نعمه على سبيل الكمال والتمام بل العبد وان اتعب نفسه في القيام بالطاعات
والعبادات وبالغ في شكر نعم الله فانه يكون مقصرا لان الاشتغال بشكر النعم مشروط بعلمه بتلك النعم على
سبيل التفصيل فان ما لا يكون متصورا او لا مفهوما يمتنع الاشتغال بشكره والعلم بنعم الله على التفصيل
غير حاصل للعبد لان نعم الله كثيرة واقسامها عظيمة وعقل الخلق قاصر عن الاحاطة بمبادئها فضلا عن غاياتها
لكن الطريق الى ذلك ان يشكر الله على جميع نعمه مفصلها ومجملها ثم قال جل ذكره تعالى ان الله لغفور رحيم لغفور
لتقصيركم في شكر نعمه رحيم بكم حيث لم يقطع نعمه عنكم لتقصيركم قال بعضهم انه ليس لله على الكافر نعمة وقال
الاكثرون لله على الكافر والمؤمن نعم كثيرة لان الانعام بخلق السموات والارض وخلق الانسان من نطفة والانعام
بخلق الخيل والبغال والحمير وجميع المخلوقات المذكورة للانعام يشترك فيها المؤمن والكافر قوله تعالى والله
يعلم ما تسرون وما تعلنون قرا العامة تسرون وتعلنون بتاء الخطاب وابو جعفر وشيبة بالياء من تحت
وقرا عاصم وحده يدعون بالياء والباقون بالتاء من فوق وقرئ يدعون مبنيا للمفعول وهو واضح
والمعنى ان الكفار كانوا مع اشتغالهم بعبادة غير الله يسرون ضروبا من المكر بمكايد الرسول فذكر هذا زجرا لهم
عنها قوله تعالى والذين يدعون من دون الله لا يخلقون شيئا وهم يخلقون تكرير لان قوله تعالى افمن
يخلق يدل على ان الاصنام لا تخلق شيئا فالجواب ان الاول انهم لا يخلقون وههنا لا يخلقون وانهم مخلوقون
كغيرهم فكان هذا زيادة في المعنى قوله تعالى اموات يجوز ان يكون خبرا ثانيا اي وهم يخلقون وهم اموات
ويجوز ان يكون قصد بها انهم في الحال يخلقون واموات كلاهما خبر من باب هذا حلو حامض ذكره ابو البقا
رحمه الله ويجوز ان يكون خبر مبتدا مضمر اي هم اموات قوله تعالى غير احياء يجوز فيه ما تقدم ويكون
تاكيدا وقال ابو البقا ويجوز ان يكون قصد بها انهم في الحال غير احياء ليدفع به توهم ان قوله اموات فيما
بعد اذ قال تعالى انك ميت وانهم ميتون قال الشهاب الدين وهذا لا يخرجه عن التاكيد الذي ذكره قبل
ذلك فصل اعلم انه تعالى وصف الاصنام بصفات اولها انها لا تخلق شيئا وثانيها انها مخلوقة
وثالثها انها اموات غير احياء انها لو كانت الهة حقيقة لكانت احياء غير اموات اي لا يجوز عليها الموت
كالحي الذي لا يموت سبحانه وهذه الاصنام بالعكس فان قيل لما قال اموات علم انها غير احياء فما فائدة
قوله تعالى غير احياء فالجواب ان الاله هو الحي الذي لا يحصل عقيب حياته موت وهذه الاصنام اموات
لا يحصل عقيب موتها حياة وايضا فهذا الكلام مع عبدة الاوثان وهم في نهاية الجهالة ومن تكلم مع
الجاهل الغر الغبي فقد يعبر عن المعنى الواحد بعبارات كثيرة وغرضه الاعلام بان ذلك المخاطب في غاية
الغباوة وانما يعيد تلك الكلمات لان ذلك السامع في نهاية الجهالة وانه لا يفهم المعنى المقصود بالعبارة
الواحدة ورابعها قوله وما يشعرون ايان يبعثون والضمير في قوله يشعرون عائد على الاصنام وفي الضمير في قوله
يبعثون قولان احدهما انه عائد على العابدين للاصنام اي ما يدري الكفار عبدة الاصنام متى يبعثون
الثاني انه يعود على الاصنام اي ان الاصنام لا يشعرون متى يبعثها الله تعالى قال ابن عباس رضي الله عنه
ان الله تعالى يبعث الاصنام لها ارواح ومعها شياطينها فتتبرا من عابديها فيؤمر بالكل الى النار فان قيل
الاصنام جمادات والجمادات لا توصف بانها اموات ولا توصف بانها لا تشعر كذا وكذا فالجواب من وجوه
الاول ان الجماد قد يوصف بكونه ميتا قال تعالى يخرج الحي من الميت الثاني انهم لما وصفوا الاصنام بالالهية
قيل لهم ليس الامر كذلك بل هي اموات لا يعرفون شيئا فخوطبوا على وفق معتقدهم الثالث ان المراد بقوله تعالى
والذين يدعون من دون الله الملائكة وكان ناس من الكفار يعبدونهم فقال الله تعالى انهم اموات
اي لا بد لهم من الموت غير احياء اي غير باقية حياتهم وما يشعرون ايان يبعثون اي لا علم لهم بوقت بعثهم
قوله تعالى ايان منصوب بما بعده لا بما قبله لانه استفهام وهو معلق ليشعرون فجملته في محل نصب
على اسقاط الخافض هذا هو الظاهر وقيل ان ايان ظرف لقوله الهكم اله واحد يعني ان الاله واحد يوم القيامة

ولم يدع

ولم يدع احد الالهية في ذلك اليوم بخلاف ايام الدنيا فانه قد وجد فيها من ادعى ذلك وعلى هذا
فقد تم الكلام على قوله يشعرون الا ان هذا القول مخرج لايان عن موضوعها وهو اما الشرط واما الاستفهام
الى محض الظرفية بمعنى وقت مضافا للجملة بعده كقولك وقت يذهب عمرو منطلق فوقت منصوب بمنطلق
مضافا ليذهب قوله تعالى الهكم اله واحد لما زيف طريقة عبدة الاصنام وفساد مذاهبهم قال الهكم اله
واحد ثم ذكر ما لاجله اصر الكفار على الشرك فقال تعالى فالذين لا يؤمنون بالاخرة قلوبهم منكرة جاحدة وهم
مستكبرون مستعظمون اي ان المؤمنين بالاخرة يرغبون في الفوز بالثواب الدائم ويخافون العقاب الدائم
فاذا سمعوا الدلائل خافوا وتاملوا وتفكروا فيما يسمعون فلا جرم ينتفعون بسماع الدلائل ويرجعون الى الحق واما
الذين لا يؤمنون بالاخرة وينكرونها فانهم لا يرغبون في الثواب ولا يرهبون من الوقوع في العقاب فيبقون
منكرين لكل كلام يخالف قولهم ويستكبرون عن الرجوع الى قول غيرهم فيبقون مصرين على الجهل والضلال
قوله تعالى لا جرم ان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون تقدم الكلام على لفظة لا جرم في سورة هود
عليه السلام والعامة على فتح الهمزة من ان الله وكسرها عيسى الثقفي رحمه الله وفيها وجهان اظهرهما الاستئناف
والثاني اجراء لا جرم مجرى القسم فتتلقى بما يتلقى به وقال بعض العرب لا جرم والله لا فارقتك وهذا
يضعف كونها للقسم لتصريحه بالقسم بعدها وان كان ابو حيان اتى بذلك مقويا لجريانها مجرى القسم
قوله تعالى لا يحب المستكبرين اي ان اصرارهم على الكفر ليس لاجل شبهة تصوروها الا بل لاجل التقليد
لاسلافهم والتكبر قال صلوات الله وسلامه عليه لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال ذرة من كبر ولا يدخل النار من
في قلبه مثقال ذرة من ايمان فقال رجل يا رسول الله صلى الله وسلم عليك ان الرجل يحب ان يكون ثوبه حسنا
قال صلوات الله وسلامه عليه ان الله تعالى جميل يحب الجمال الكبر من بطر الحق وغمص الباطل قوله تعالى
واذا قيل لهم ماذا انزل ربكم قالوا اساطير الاولين الايات لما قرر دلائل التوحيد وابطل مذاهب عبدة الاوثان
والاصنام ذكر شبهات منكري النبوة مع الجواب عنها فالشبهة الاولى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
لما احتج على صحة نبوته بكون القران معجزة طعنوا فيه وقالوا انه اساطير الاولين واختلفوا في تاويل هذا
القول فقيل هو كلام بعضهم لبعض وقيل قول المسلمين لهم وقيل قول المقتسمين الذين اقتسموا مداخل
مكة ينفرون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سالهم وفود الحاج عما انزل الله على رسوله قوله تعالى
ماذا تقدم الكلام عليها اول البقرة وقال الزمخشري او مرفوع بالابتداء بمعنى اي شيء انزله ربكم قال ابو حيان
وهذا غير جائز عند البصريين يعني من كونه حذف عائده المنصوب نحو زيد ضربت وقد تقدم خلاف الناس
في هذا والصحيح جوازه والقائم مقام الفاعل قيل الجملة من قوله ماذا انزل لانها المقولة والبصريون يابون
ذلك ويجعلون القائم مقامه ضمير المصدر لان الجملة لا تكون فاعلة ولا قائمة مقام الفاعل والفاعل
المحذوف اما المؤمنون واما بعضهم واما المقتسمون وقرئ اساطير بالنصب على تقدير انزل اساطير
على سبيل التهكم او ذكرتم اساطير والعامة ترفعه على خبر مبتدا مضمر المنزل اساطير على سبيل التهكم
او المذكور اساطير وللزمخشري هنا عبارة فظيعة قوله تعالى ليحملوا لما حكى شبهتهم قال ليحملوا
وفي هذه اللام ثلاثة اوجه احدها انها لام الامر الجازمة على معنى الحتم عليهم والصغار الموجب لهم وعلى هذا
فقد تم الكلام عند قوله الاولين ثم استونف امرهم بذلك الثاني انها لام العاقبة اي كان عاقبة قولهم
ذلك لانهم لم يقولوا اساطير ليحملوا فهو كقوله تعالى ليكون لهم عدوا وحزنا لدوا للموت وابنوا للخراب
الثالث انها للتعليل وفيه وجهان احدهما انه تعليل مجازي قال الزمخشري رحمه الله واللام للتعليل من غير
ان يكون غرضا نحو قولك خرجت من البلد مخافة الشر والثاني انه تعليل حقيقة قال ابن عطية بعد حكاية
وجه لام العاقبة ويحتمل ان يكون صريح لام كي على معنى قدر هذا لكذا انتهى لكنه لم يعلقها بقالوا انما قدر
لها عاملا وهو قدر هذا وعلى قول الزمخشري يتعلق بقالوا لانها ليست لحقيقة العلة وكاملة حال والمعنى
لا يخفف من عقابهم شيء بل يوصل ذلك العقاب بكليته اليهم وهذا يدل على انه تعالى قد يسقط بعض العقاب
عن المؤمنين اذ لو كان هذا المعنى حاصلا للكل لم يكن لتخصيص هؤلاء الكفار بهذا التكميل فائدة قال صلوات الله
وسلامه عليه ايما داع دعا الى الهدى فاتبع كان له مثل اجر من اتبعه لا ينقص من اجورهم شيء وايما داع
دعا الى الضلال فاتبع كان عليه وزر من اتبعه لا ينقص من اثامهم شيء ومن اوزار فيه وجهان احدهما
انها مزيدة وهو قول الاخفش اي واوزار الذين على معنى ومثل اوزار كقوله كان عليه وزرها ووزر

من عمل والثاني انها غير مزيدة وهي للتبعيض اي وبعض اوزار الذين وقدر ابو البقا مفعولا اي حزوا
وهذه صفته اي اوزارا من اوزار ولا يجوز ان تكون من زائدة لان المعنى يصير مثل اوزار الذين يضلونهم وهو محال لان الاوزار لا يكون للتبعيض قال
قال الواحدي ليست من للتبعيض لانه لا يخفف الاوزار عن الاتباع وهو غير جائز لقوله صلوات الله وسلامه عليه من غير ان
ينقص من اوزارهم شي لكنها للجنس اي ليحملوا من جنس اوزار الاتباع قال ابو حيان والتي لبيان الجنس لا يتقدر
هكذا انما يتقدر والاوزار التي هي اوزار الذين فهو من حيث المعنى كقول الاخفش وان اختلفا في التقدير
قوله تعالى بغير علم حال وفي صاحبها وجهان احدهما انه مفعول يضلونهم اي يضلون من لا يعلم
انهم ضلال قاله الزمخشري والثاني انه الفاعل ورجح هذا بانه هو المحدث عنه وتقدم الكلام في اعراب
نحو ساء ما يزرون وانها قد تجري مجرى بئس والمقصود منه المبالغة في الزجر فان قيل انه تعالى حكى
هذه الشبهة منهم ولم يجب عنها بل اقتصر على محض الوعيد فما السبب فيه فالجواب انه تعالى بين كون القران
معجزا بطريقين الاول انه صلوات الله وسلامه عليه تحداهم تارة بكل القران وتارة بعشر سور وتارة بسورة
واحدة وتارة بحديث واحد وعجزوا عن المعارضة وذلك يدل على كونه معجزا الثاني انه تعالى حكى هذه الشبهة
بعينها في قوله اكتتبها فهي تملى عليه بكرة واصيلا وابطلها بقوله قل انزله الذي يعلم السر في السموات والارض
اي ان هذا القران مشتمل على الاخبار عن الغيوب وذلك لا يتاتى الا ممن يكون عالما باسرار السموات والارض
اي ان القران ولما ثبت كون القران معجزا بهذين الطريقين وتكررت حججا مرارا لا جرم اقتصر هاهنا
على مجرد الوعيد **قوله تعالى** قد مكر الذين من قبلهم نمرود بن كنعان بنى صرحا عظيما ببابل طوله خمسة الاف
ذراع وعرضه ثلاثة الاف ذراع وقيل فرسخان ورام منه الصعود الى السماء ليقاتل اهلها فهبت ريح
والقت راسها في البحر وخر عليهم الباقي وهم تحته ولما سقط الصرح تبلبلت السن الناس من الفزع يومئذ
فتكلموا بثلاثة وسبعين لسانا فلذلك سميت بابل وكانوا يتكلمون قبل ذلك بالسريانية فذلك قوله تعالى
فاتى الله بنيانهم من القواعد اي قصد تخريب بنيانهم من اصولها والصحيح ان هذا عام في جميع المبطلين الذين
يحاولون الحاق الضرر والمكر بالمحقين واعلم ان الاتيان هاهنا عبارة عن اتيان العذاب اي انهم لما كفروا اتاهم الله
بزلزال تقلعت بها بنيانهم من القواعد والاساس والمراد بهذا محض التمثيل والمعنى انهم رتبوا منصوبات ليمكروا بها
انبياء الله فجعل هلاكهم مثل حال قوم بنوا بنيانا وعمدوه بالاساطين فانهدم ذلك البناء وسقط السقف
عليهم كقولهم من حفر بئرا لاخيه اوقعه الله فيه وقيل المراد منه ما دل عليه الظاهر **قوله تعالى**
من القواعد من لابتداء الغاية اي من ناحية القواعد اي اتى امر الله وعذابه **قوله تعالى** من فوقهم يجوز
ان يتعلق بخر وتكون من لابتداء الغاية ويجوز ان يتعلق بمحذوف على انها حال من السقف وهي حال مؤكدة
اذ السقف لا يكون تحتهم وقيل ليس قوله من فوقهم تاكيدا لان العرب تقول خر علينا سقف ووقع علينا حائط
اذا كان يملكه وان لم يقع عليه فجاء بقوله من فوقهم ليخرج به هذا الذي في كلام العرب اي عليهم وقع
وكانوا تحته فهلكوا وهذا غير طائل والقول بالتاكيد اظهر وقرا العامة بنيانهم وفرقة بنيتهم وفرقة منهم
ابو جعفر بيتهم والضحاك بيوتهم والعامة ايضا السقف مفردا وفرقة بفتح السين وضم القاف بزنة
عضد وهي لغة في السقف ولعلها مخففة من المضموم وكثر استعمال الفرع لخفته كقولهم في رجل ولا يقولون
رجل وقرا الاعرج السقف بضمتين وزيد بن علي بضم السين وسكون القاف وقد تقدم مثل ذلك في قراءة
رجل وقرا الاعرج السقف بضمتين ... وباليحم هم يهتدون ثم قال تعالى واتاهم العذاب من حيث لا يشعرون ان حملنا الكلام على محض التمثيل
فالمعنى انهم اعتمدوا على منصوباتهم ثم تولد البلاء منها باعيانها وان حملناه على الظاهر فالمعنى ان السقف
نزل عليهم بغتة ثم بين تعالى ان عذابهم لا يكون مقصورا على هذا القدر بل الله تعالى يخزيهم يوم القيمة
والخزي هو العذاب مع الهوان بانه يقول لهم اين شركاي الذين كنتم تشاقون فيهم قال ابو العباس المقرئ
رحمه الله ورد لفظ الخزي في القران على اربعة اوجه الاول بمعنى العذاب كهذه الاية وقوله تعالى فما جزاء
من يفعل ذلك منكم الا خزي في الحيوة الدنيا قيل نزلت في بني قريظة ومثله ثاني عطفه ليضل عن سبيل الله
له في الدنيا خزي قيل نزلت في النضر بن الحرث الثالث بمعنى الهوان قال تعالى كشفنا عنهم عذاب الخزي
بمعنى الهوان الرابع بمعنى الفضيحة قال تعالى ربنا انك من تدخل النار فقد اخزيته اي فضحته ومثله
ولا تخزني يوم يبعثون ومثله ولا تخزون في ضيفي ومثله او ينفوا من الارض ذلك لهم خزي اي فضيحة
قوله تعالى اين شركاي مبتدا وخبر والعامة على شركاي ممدودا وسكن ياء المتكلم فرقة فتحذف لفظا

لالتقاء الساكنين وقرا البزي بخلاف عنه بقصره مفتوح الياء وقد انكر جماعة هذه القراءة وزعموا
انها غير ماخوذ بها لان قصر الممدود لا يجوز الا ضرورة وتعجب ابو شامة من ابي عمرو الداني حيث ذكرها في كتابه
مع ضعفها وترك قراءة شهيرة واضحة قال انها ابن الدين وقد روي عن ابن كثير ايضا قصر التي في القصص وروي
عنه ايضا قصر وراي في مريم وروي عنه قنبل ايضا قصر ان راه استغنى في العلق فقد روي عنه قصر بعض
الممدودات فلا يبعد رواية ذلك هاهنا عنه وبالجملة فقصر الممدود ضعيف ذكره غير واحد لكن لا يصل به
الى حد الضرورة **قوله تعالى** تشاقون قرا نافع بكسر النون خفيفة والاصل تشاقونني فحذفت نون الرفع
منها بالكسرة والباقون بفتحها خفيفة ومفعوله محذوف اي تشاقون المؤمنين او تشاقون الله بدليل
القراءة الاولى وضعف ابو حاتم هذه القراءة اعني قراءة نافع وقرات فرقة بتشديدها مكسورة والاصل
تشاقونني فادغم وقد تقدم تفصيل ذلك في اتحاجوني وفبم تبشرون وسياتي في قوله تعالى افغير الله تا
مروني **فصل** قال الزجاج رحمه الله قوله اين شركاي في زعمكم واعتقادكم ونظيره اين شركاؤكم
الذين كنتم تزعمون وحسنت هذه الاضافة لانه يكفي في حسن الاضافة ادنى سبب كما يقال لمن يحمل خشبة
خذ طرفك واخذ طرفي فاضاف الطرف اليه ومعنى تشاقون فيهم اي تعادون وتخاصمون المؤمنين في شانهم
والمشاقة عبارة عن كون احد الخصمين في شق والاخر في الشق الاخر قال تعالى قال الذين اوتوا العلم قال ابن عباس
رضي الله عنه يريد الملائكة وقال اخرون هم المؤمنون يقولون حين يرون خزي الكفار في القيمة ان الخزي
اليوم والسوء على الكافرين يدل على ان الخزي والسوء يوم القيمة مختص بالكافرين ويؤكده هذا قول موسى
صلوات الله وسلامه عليه انا قد اوحي الينا ان العذاب على من كذب وتولى **قوله تعالى** اليوم منصوب
بالخزي وعمل المصدر فيه ال وقيل هو منصوب بالاستقرار في على الكافرين الا ان فيه فصلا بالمعطوف
بين العامل ومعموله واغتفر ذلك لانهم يتسعون في الظروف **قوله تعالى** الذين تتوفاهم يجوز ان يكون
الموصول مجرور المحل نعتا لما قبله او بدلا منه او بيانا له وان يكون منصوبا على الذم او مرفوعا عليه او مرفوعا
بالابتداء والخبر قوله فالقوا السلم والفاء مزيدة في الخبر قاله ابن عطية وهذا لا يجي الا على راي الاخفش في
اجازته زيادة الفاء في الخبر مطلقا نحو زيد فقام اي قام ولا يتوهم ان هذه الفا هي التي تدخل مع الموصول
المضمن معنى الشرط لانه لو صرح بهذا الفعل مع اداة الشرط لم يجز دخول الفاء عليه فما ضمن معناه اولى بالمنع
كذا قاله ابو حيان وهو ظاهر وعلى الاقوال المتقدمة خلا القول الاخير يكون الذين وصلته داخلا في المقول
وعلى القول الاخير لا يكون داخلا فيه وقرا حمزة تتوفاهم في الموضعين بالياء من تحت والباقون بالتاء من فوق وهما واضحتان
مما تقدم في قوله فنادته الملائكة وناداه وقرات فرقة بادغام احدى التاءين في الاخرى وفي مصحف عبد الله
توفاهم بتاء واحدة وهي محتملة للقراءة بالتشديد على الادغام وبالتخفيف على حذف احدى التاءين وظالمي انفسهم
حال من مفعول تتوفاهم وتتوفاهم يجوز ان يكون مستقبلا على بابه ان كان القول واقعا في الدنيا وان يكون
ماضيا على حكاية الحال ان كان واقعا يوم القيمة **قوله تعالى** فالقوا يجوز فيه اوجه احدها انه خبر الموصول
وقد تقدم فساده الثاني انه عطف على قال الذين الثالث ان يكون مستانفا والكلام قد تم عند قوله انفسهم
ثم عاد بقوله فالقوا الى حكاية كلام المشركين يوم القيمة فعلى هذا يكون قوله قال الذين اوتوا العلم الى قوله انفسهم
جملة اعتراض الرابع ان يكون معطوفا على تتوفاهم قاله ابو البقا وهذا انما يتمشى على ان تتوفاهم بمعنى المضي ولذلك
لم يذكر ابو البقا في تتوفاه سواه **قوله تعالى** ما كنا نعمل فيه اوجه احدها ان يكون تفسيرا للسلم الذي
القوه لانه بمعنى القول بدليل الاية الاخرى فالقوا اليهم القول قاله ابو البقا ولو قال يحكي بما هو بمعنى القول
كان اوفق لمذهب الكوفيين الثاني ان يكون منصوبا بقول مضمر ذلك القول منصوب على الحال اي فالقوا
السلم قائلين ذلك ومن سوء مفعول نعمل زيدت فيه من وبلى جواب لما كنا نعمل **فصل** ابجاب له
قال ابن عباس رضي الله عنه استسلموا واقروا لله بالعبودية عند الموت وقالوا ما كنا نعمل من سوء والمراد
من هذا السوء الشرك فقالت الملائكة تكذيبا لهم بلى ان الله عليم بما كنتم تعملون من التكذيب والشرك
وقيل تم الكلام عند قوله ظالمي انفسهم ثم عاد الى حكاية كلام المشركين يوم القيمة والمعنى انهم يوم القيمة القوا
السلم وقالوا ما كنا نعمل من سوء على سبيل الكذب ثم هاهنا اختلفوا فالذين جوزوا الكذب على اهل القيمة
قالوا ان قولهم ما كنا نعمل من سوء على سبيل الكذب لغاية الخوف والذين لم يجوزوا الكذب عليهم قالوا المعنى
ما كنا نعمل من سوء عند انفسنا وفي اعتقادنا وقد تقدم الكلام في قوله تعالى في الانعام ثم لم تكن فتنتهم

الان قالوا والله ربنا ما كنا مشركين هل يجوز الكذب على اهل القيمة ام لا وقوله بلى ان الله عليم بما كنتم تعملون يحتمل ان يكون من كلام الله او بعض الملائكة ثم يقال لهم فادخلوا ابواب جهنم خالدين فيها وهذا يدل على تفاوت منازلهم في العقاب وصرح بذكر الخلود ليكون الغم والحزن اعظم **قوله تعالى** فلبئس هذه لام التاكيد وانما دخلت على الماضي لجموده وقربه من الاسماء والمخصوص بالذم محذوف اي جهنم **قوله تعالى** وقيل للذين اتقوا ماذا انزل ربكم قالوا خيرا الاية لما بين احوال الكافرين اتبعه ببيان احوال المومنين قال رحمه الله تارك جميع المحرمات وفاعل جميع الواجبات وقال غيره المتقي هو الذي يتقي الشرك **قوله تعالى** خيرا العامة على نصبه اي انزل خيرا قال الزمخشري لم رفع اساطير ونصب هذا قلت فصلا بين جواب المقر وجواب الجاحد يعني ان هولاء لما سيلوا لم يتلعثموا واطبقوا الجواب على السوال بينا مكشوفا مفعولا للانزال فقالوا خيرا واولئك عدلوا بالجواب عن السوال فقالوا هو اساطير الاولين وليس هو من الانزال في شي وزيد بن علي خير بالرفع اي المنزل خير وهي موتية لجعل اذا موصولة وهو الاحسن لمطابقة الجواب لسواله وان كان العكس جايزا وقد تقدم تحقيقه في البقرة **قوله تعالى** للذين احسنوا في هذه الدنيا حسنة هذه الجملة يجوز فيها اوجه احدها ان تكون منقطعة مما قبلها استينافا واخبارا بذلك الثاني انها بدل من خيرا قال الزمخشري هو بدل من خيرا حكاية لقول الذين اتقوا اي قالوا هذا القول فقدم تسميته خيرا ثم حكاه الثالث ان هذه الجملة تفسير لقوله خيرا وذلك ان الخير هو الوحي الذي انزل الله فيه من احسن في الدنيا بالطاعة فله حسنة في الدنيا وحسنة في الاخرة وقوله في هذه الدنيا الظاهر تعلقه باحسنوا اي اوقعوا الحسنة في دار الدنيا ويجوز ان يكون متعلقا بمحذوف على انه حال من حسنة اذ لو تاخر لكان صفة لها ويضعف تعلقه بها نفسها لتقدمه عليها **فصل** قال المفسرون ان احياء من العرب كانوا يبعثون ايام الموسم من ياتيهم بخبر النبي صلى الله عليه وسلم فاذا جاء سال المشركين الذين قعدوا على الطريق عن محمد صلوات الله وسلامه عليه فيقولون ساحر وكاهن وشاعر فياتي المومنين فيسالهم عن محمد صلوات الله وسلامه عليه فيقولون خيرا يعني انزل خيرا ثم ابتدا فقال للذين احسنوا في هذه الدنيا حسنة كرامة من الله قال ابن عباس رضي الله عنه هي تضعيف الاجر الى العشرة قال الضحاك هي النصرة والفتح قال مجاهد هي الرزق الحسن ويحتمل ان يكون الذي قالوه من الجواب موصوف بانه خير وقولهم خير جامع لكونه حقا وصوابا ولكونهم معترفين بصحته ولزومه وهذا بالضد من قول الذين لا يومنون بالاخرة ان ذلك اساطير الاولين وتقدم الكلام على قوله وللدار الاخرة خير في سورة الانعام في قوله تعالى وللدار الاخرة خير ثم قال تعالى ولنعم دار المتقين جنات عدن اي ولنعم دار المتقين دار الاخرة فحذف لسبق ذكرها هذا اذا لم تجعل هذه الاية متصلة بما بعدها فان وصلتها بما بعدها قلت ولنعم دار المتقين جنات عدن برفع جنات على انها اسم لنعم كما تقول نعم الدار دار ينزلها **قوله تعالى** جنات يجوز ان يكون هو المخصوص بالمدح فيجي فيها الثلاثة اوجه رفعها بالابتدا او الخبر محذوف وهو اضعفها وقد تقدم تحقيق ذلك ويجوز ان يكون جنات عدن خبر مبتدا مضمر لا على ما تقدم بل يكون المخصوص محذوفا تقديره ولنعم دار المتقين دارهم هي جنات وقدره الزمخشري ولنعم دار المتقين دار الاخرة ويجوز ان يكون مبتدا والخبر الجملة من قوله يدخلونها ويجوز ان يكون الخبر مضمرا تقديره لهم جنات عدن ودل على ذلك قوله للذين احسنوا في هذه الدنيا حسنة والعامة على رفع جنات على ما تقدم وقرا زيد بن ثابت والسلمي جنات نصبا على الاشتغال بفعل مضمر تقديره يدخلون جنات عدن يدخلونها وهذه تقوي ان تكون جنات مبتدا ويدخلونها الخبر في قراءة العامة وقرا زيد بن علي ولنعمت دار بتاء التانيث مرفوعة بالابتدا ودار خفض بالاضافة وجنات عدن الخبر ويدخلونها في موضع ذلك نصب على الحال الا اذا جعلناه خبر الجنات عدن وقرا نافع في رواية يدخلونها بالياء من تحت مبنيا للمفعول وابو عبد الرحمن تدخلونها بتاء الخطاب مبنيا للفاعل **قوله تعالى** تجري من تحتها يجوز ان يكون منصوبا على الحال من جنات قاله ابن عطية وان يكون في موضع الصفة لجنات قاله الحوفي والامر مبنيان على القول في عدن هل هو معرفة لكونه علما او نكرة فقابل الحال لحظ الاول وقابل النعت لحظ الثاني **قوله تعالى** لهم فيها ما يشاوون الكلام في هذه الجملة كالكلام في الجملة قبلها والخبر اما لهم واما فيها **قوله تعالى** كذلك الكاف في محل نصب على الحال من ضمير المصدر او نعت المصدر مقدرا او في محل رفع خبر المبتدا مضمرا اي الامر كذلك ويجزي الله المتقين مستانف **فصل** قال الحسن رحمه الله دار المتقين

هي الدنيا لان اهل التقوى يتزودون فيها للاخرة وقال اكثر المفسرين هي الجنة ثم فسرها فقال جنات عدن يدخلونها فقوله جنات عدن يدل على القصور والبساتين وقوله عدن يدل على الدوام وقوله تجري من تحتها يدل على انه حصل هناك ابنية يرتفعون عليها والانهار جارية من تحتهم لهم فيها ما يشاوون اي من كل الخيرات كذلك يجزي الله المتقين اي من احراز التقوى ثم وصف المتقين فقال الذين تتوفاهم الملائكة طيبين وهذا مقابل لقوله الذين تتوفاهم الملائكة ظالمي انفسهم وقوله طيبين كلمة مختصرة جامعة لمعان كثيرة فيدخل فيها اتيانهم بالمامورات واجتنابهم عن المنهيات واتصافهم بالاخلاق الفاضلية وبراءتهم عن الاخلاق المذمومة واكثر المفسرين يقولون ان هذا التوفي قبض الارواح وقال الحسن انه وفاة الحشر لقوله بعده ادخلوا الجنة واحتج الاولون بان الملائكة لما بشروهم بالجنة صارت الجنة كانها دارهم فيكون المراد بقوله ادخلوا الجنة اي خاصة لكم يقولون يعني الملائكة سلام عليكم وقيل يبلغونهم سلام الله **قوله تعالى** الذين تتوفاهم يحتمل ما ذكرناه فيما تقدم واذا جعلنا يقولون خبرا فلا بد من عايد محذوف اي يقولون لهم واذا لم يجعله خبرا كان حالا من الملائكة فيكون طيبين حالا من المفعول ويقولون حالا من الفاعل وهي يجوز ان يكون حالا مقارنة ان كان القول واقعا في الاخرة ومعنى طيبين اي طاهرين من الشرك وقيل صالحين وقيل زاكية اعمالهم واقوالهم وقيل طيبين الانفس ثقة بما يلقونه من ثواب الله تعالى وقيل طيبة نفوسهم بالرجوع الى الله وقيل طيبين ان تكون وفاتهم طيبة سهلة وما في بما مصدرية او بمعنى الذي فالعايد محذوف **قوله تعالى** هل ينظرون الا ان تاتيهم الملائكة او ياتي امر ربك الاية وهذه شبهة ثانية لمنكري النبوة فانهم طلبوا من النبي صلى الله عليه وسلم ان ينزل الله من السماء ملكا يشهد على صدقه في ادعاء النبوة فقال تعالى هل ينظرون في التصديق بنبوتك الا ان تاتيهم الملائكة شاهدين بذلك ويحتمل ان القوم لما طعنوا في القران بقولهم اساطير الاولين وذكر انواع التهديد والوعيد ثم اتبعه بذكر الوعد لمن وصف القران بكونه خيرا عاد الى بيان ان اولئك الكفار لا ينزجرون عن كفرهم واقوالهم الباطلة بالبيانات التي ذكرناها الا اذا جاءتهم الملائكة بالتهديد او اتاهم امر ربك وهو عذاب الاستيصال وعلى كلا التقديرين فقال تعالى كذلك فعل الذين من قبلهم اي افعال هولاء وكلامهم يشبه كلام الكفار المتقدمين وافعالهم وتقدم الكلام على قوله الا ان تاتيهم الملائكة في اخر الانعام وان الاخوين يقرآن بالياء من تحت والباقين بالتاء من فوق وهما واضحتان لكونه تانيثا مجازيا وما ظلمهم الله بتعذيبه اياهم فانه انزل بهم ما استحقوه بكفرهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون اي ولكنهم ظلموا انفسهم بكفرهم وتكذيبهم الرسل فاصابهم سيئات ما عملوا اي عقاب سيئات ما عملوا وقوله فاصابهم عطف على فعل الذين وما بينهما اعتراض وحاق نزل بهم على وجه الاحاطة بجوانبهم ما كانوا به يستهزئون اي عقاب استهزائهم **قوله تعالى** وقال الذين اشركوا لو شاء الله ما عبدنا الايات هذه شبهة ثالثة لمنكري النبوة تمسكوا بالقول بالجبر على الطعن في النبوة فقالوا لو شاء الله الايمان لحصل لنا سواء جيت او لم تجي ولو شاء الكفر لحصل الكفر جيت او لم تجي فالكل من الله ولا فايدة في مجيئك وارسالك وهذا عين ما حكاه الله عنهم في سورة الانعام في قوله تعالى سيقول الذين اشركوا واستدلال المعتزلة به وهذا القول جار مجرى طلب العلة في احكام الله تعالى وفي افعاله وذلك باطل بل الله تعالى يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد ولا اعتراض عليه في افعاله وقال بعض المتكلمين والمفسرين انهم ذكروا هذا الكلام استهزاء كقول قوم شعيب انك لانت الحليم الرشيد ولو قالوا ذلك اعتقادا لكانوا مومنين **قوله تعالى** فهل على الرسل الا البلاغ المبين قالت المعتزلة انه تعالى ما منع احدا من الايمان وما اوقعه في الكفر والرسل ليس عليهم الا التبليغ واهل السنة قالوا معناه انه تعالى امر الرسل بالتبليغ فوجب عليهم فاما ان الايمان هل يحصل او لا يحصل فذلك لا تعلق للرسول صلوات الله وسلامه عليه ولكنه تعالى يهدي من يشاء باحسانه ويضل من يشاء بخذلانه ويدل عليه قوله تعالى ولقد بعثنا في كل امة رسولا ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فانه يدل على انه تعالى كان ابدا في جميع الامم آمرا بالايمان وناهيا عن الكفر ثم قال تعالى فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة اي منهم من هداه الله الى الايمان ومنهم من اضله عن الحق واوقعه في الكفر وهذا يدل على ان امر الله لا يوافق ارادته بل قد يامر بالشي ولا يريده وينهى عن الشي ويريده وقد تقدم تقرير هذا وبيان تاويلات المعتزلة واجوبتهم مرارا والطاغوت كل معبود من دون الله وقيل اجتنبوا طاعة الشيطان **قوله تعالى** ان اعبدوا الله يجوز في ان ان تكون تفسيرية لان البعث يتضمن قولا وان تكون

مصدرية اي بعثناه بان اعبدوا **قوله تعالى** من هدى الله حقت يجوز ان تكون موصولة وان تكون
نكرة موصوفة والعائد على كلا التقديرين محذوف من الاول وقوله حقت يدل على صحة مذهب اهل
السنة لانه تعالى لما اخبر انه حقت عليه الضلالة امتنع ان لا تصدر منه الضلالة والا لانقلب خبر الله
تعالى الصدق كذبا وهو محال ويؤيده قوله فريقا هدى وفريقا حقت عليهم الضلالة وقوله تعالى ان الذين
حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون وقوله تعالى لقد حق القول على اكثرهم فهم لا يؤمنون ثم قال عز وعلا
فسيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين اي مآل امرهم وخراب منازلهم بالعذاب والهلاك ليعتبروا
ثم اكد ان من حقت عليه الضلالة فانه لا يهتدي فقال ان تحرص على هداهم اي تطلب بجهدك ذلك فان الله
لا يهدي من يضل **قوله تعالى** ان تحرص قرا العامة بكسر الراء ومضارع حرص بفتحها وهي اللغة العالية
لغة الحجاز والحسن وابو حيوة تحرص بفتح الراء مضارع حرص بكسرها وهي لغة لبعضهم وكذلك النخعي الا انه
زاد واوا قبل ان فقرا وان تحرص **قوله تعالى** لا يهدي قرا الكوفيون بفتح الياء وكسر الدال وهذه القراءة
تحتمل وجهين احدهما ان يكون الفاعل ضميرا عائدا على الله تعالى اي لا يهدي الله من يضله فمن مفعول يهدي
ويؤيده قراءة ابي فان الله لا هادي لمن يضله ولمن اضل وانه في معنى قوله تعالى من يضلل الله فلا هادي له
والثاني ان يكون الموصول هو الفاعل اي لا يهدي المضلون ويهدي يجيء في معنى يهتدي يقال هداه فهدى
اي اهتدى ويؤيد هذا الوجه قراءة عبد الله يهدّي بتشديد الدال المكسورة والاصل يهتدي فادغم
ونقل بعضهم في هذه القراءة كسر الهاء على الاتباع وتحقيقه ما تقدم في يونس والعائد على من محذوف
اي الذي يضله الله والباقون لا يهدى بضم الياء وفتح الدال مبنيا للمفعول ومن قائم مقام فاعله وعائده
محذوف ايضا وجوز ابو البقاء في من ان تكون مبتدا ولا يهدى خبره يعني فقدم عليه وهذا خطأ لانه متى
كان الخبر فعلا رافعا لضمير مستتر وجب تأخيره نحو زيد لا يضرب ولو قدمت لالتبس بالفاعل وقرئ لا
يهدي بضم الياء وكسر الدال قال ابن عطية رحمه الله وهي ضعيفة قال ابو حيان واذا ثبت ان هدى لازم
بمعنى اهتدى لم تكن ضعيفة لانه ادخل همزة التعدية على اللازم فالمعنى لا يجعل مهتديا من اضله الله
وقوله تعالى وما لهم حمل على معنى من فلذلك جمع وقرئ من يضل بفتح الياء من ضل اي لا يهدي من ضل بنفسه
وما لهم من ناصرين اي مانعين من العذاب **قوله تعالى** واقسموا بالله جهد ايمانهم الاية هذه شبهة رابعة
لمنكري النبوة وهو قولهم بان الحشر والنشر باطل لان هذه البنية اذا مات صاحبها وتفرقت اجزاؤه امتنع
عوده بعينه واذا بطل القول بالبعث بطل القول بالنبوة من وجهين الاول ان النبي صلى الله عليه وسلم يدعو
الى تقرير القول بالمعاد وهو باطل فيكون داعيا الى الباطل ومن كان كذلك لم يكن رسولا والثاني انه
تقرير نبوة نفسه ووجوب طاعته بناء على الترغيب في الثواب والترهيب من العقاب واذا بطل ذلك
بطلت نبوته فقوله تعالى واقسموا بالله جهد ايمانهم لا يبعث الله من يموت معناه انهم كانوا يدعون العلم
الضروري بان الشيء اذا فني وعدم فانه لا يعود بعينه وان عوده بعينه محال في بديهة العقل فاما
بيان انه لما بطل القول بالبعث بطل القول بالنبوة فلم يصرحوا به فتركوه لانه كلام متبادر الى العقول ثم انه
تعالى بين ان القول بالبعث ممكن فقال بلى وعدا عليه حقا اي حق على الله التمييز بين المطيع والعاصي وبين
المحق والمبطل وبين المظلوم والظالم وهو قوله تعالى ليبين لهم الذي يختلفون فيه وليعلم الذين كفروا
انهم كانوا كاذبين وسياتي بيان تقرير هذه الطريقة في سورة يس ان شاء الله تعالى ثم بين امكان الحشر
والنشر بان كونه تعالى موجدا للاشياء لا يتوقف على سبق مادة ولا مدة ولا آلة انما يكونها بقوله كن
فقال انما قولنا لشيء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون وكما انه قدر على ابتداء ايجاده وجب ان يكون قادرا
على اعادته **قوله تعالى** واقسموا ظاهره انه استئناف خبر وجعله الزمخشري نسقا على وقال الذين اشركوا
ايذانا بانهما كفرتان عظيمتان وقوله بلى اثبات لما بعد النفي **قوله تعالى** وعدا عليه حقا هذان
منصوبان على المصدر المؤكد اي وعد ذلك وحق حقا نعت للوعد والتقدير بلى يبعثهم وعد بذلك
وقرا الضحاك رحمه الله وعد عليه حق برفعهما على ان وعد خبر مبتدا مضمر اي بلى يبعثهم وعد على الله
حق نعت وعد **قوله تعالى** ليبين هذه اللام متعلقة بالفعل المقدر بعد حرف الايجاب اي بلى يبعثهم
ليبين وقوله كن فيكون تقدم في البقرة واللام في لشيء وفي له لام التبليغ كهي في قلت له قم وجعلها
الزجاج للسبب فيهما اي لاجل شيء ان نقول لاجله وليس بواضح وقال ابن عطية رحمه الله وقوله تعالى ان نقول

ينزل منزلة المصدر كانه قال قولنا ولكن ان مع الفعل تعطي استقبالا ليس في المصدر في اغلب احوالها
وقد يجيء في مواضع لا يلحظ فيها الزمن كهذه الاية وقوله سبحانه جل ذكره ومن آياته ان تقوم السماء والارض
بامره الى غير ذلك قال ابو حيان وقوله في اغلب احوالها ليس بجيد بل يدل على المستقبل في جميع امورها وقوله وقد
يجيء الى آخره لم يفهم ذلك من ان ايجاد من نسبة قيام السماء والارض بامر الله لانه لا يختص بالمستقبل دون
الماضي في حقه تعالى ونظيره وكان الله غفورا رحيما وكان يدل على اقتران مضمون الجملة بالزمن الماضي وهو
سبحانه وتعالى متصف بذلك في كل زمان **قوله تعالى** قولنا مبتدا وان نقول خبره فيكون كن من كان
التامة التي بمعنى الحدوث والوجود اي اذا اردنا حدوث شيء فليس الا ان نقول له احدث فيحدث عقيب
ذلك من غير توقف وقرا ابن عامر والكسائي فيكون بنصب النون والباقون بالرفع قال الفراء ولقراءة الرفع
وجهان ان يجعل قوله ان نقول له كلاما تاما ثم عبر عنه بانه سيكون كما يقال ان زيدا يكفيه ان امر فيفعل
برفع قولك فيفعل على ان يجعله كلاما مبتدا واما وجه القراءة الاولى ان يجعله معطوفا على ان نقول
والمعنى ان نقول فيكون هذا قول الجمهور وقال الزجاج يجوز ان يكون نصبا على جواب كن ويجاب بان
قوله كن وان كانت على لفظ الامر فليس القصد به ههنا الامر انما هو والله اعلم الاخبار عن كون الشيء
وحدوثه واذا كان كذلك بطل قوله انما نصبا على جواب كن فان قيل قوله كن ان كان خطابا مع المعدوم
فهو محال وان كان خطابا مع الموجود كان امرا بتحصيل الحاصل وهو محال فالجواب ان هذا تمثيل لنفي
الكلام وخطاب مع الموجود بما يعقلون ليس هو خطاب مع المعدوم لان ما اراده فهو كائن على كل حال وعلى
ما اراده من الاسراع ولو اراد خلق الدنيا والاخرة بما فيهما من السموات والارض في قدر لمح البصر لقدر على ذلك
ولكن خاطب العباد بما يعقلون **فصل** دلت هذه الاية على قدم القرآن لان قوله تعالى انما
قولنا لشيء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون يدل على انه تعالى متى اراد احداث شيء قال له كن فلو كان
قوله كن حادثا لافتقر احداثه الى ان نقول له كن فيكون وذلك يوجب التسلسل وهو محال فثبت ان كلام
الله قديم قال ابن الخطيب وهذا الدليل عندي ليس بالقوي من وجوه احدها ان كلمة اذا لا تفيد التكرار لان
الرجل اذا قال لامراته اذا دخلت الدار فانت طالق فدخلت الدار مرة طلقت واحدة ولو دخلت ثانيا
لم تطلق فعلمنا ان ذلك لا يفيد التكرار واذا كان كذلك ثبت انه لا يلزم من كل ما يحدثه الله تعالى ان يقول
له كن فلم يلزم التسلسل وثانيها ان هذا الدليل ان صح لزم القول بقدم لفظة كن وهذا معلوم البطلان
بالضرورة لان لفظة كن مركبة من الكاف والنون وعند حصول الكاف لم تكن النون حاضرة وعند مجيء النون
تفوت الكاف وهذا يدل على ان لفظة كن يمتنع كونها قديمة واما الذي تدعي اصحابنا قدمه صفة مغايرة
للفظة كن فالذي تدل عليه الاية لا يقول به اصحابنا والذي لا تدل عليه الاية لا يسقط التمسك به وثالثها ان
الرجل اذا قال فلان لا يقدم على قول ولا فعل الا ويستعين فيه بالله كان عاقلا لا انا نقول استعانته بالله فعل
من افعاله فيلزم ان يكون كل استعانة مسبوقة باستعانة اخرى الى غير نهاية وهذا كلام باطل بحسب
العرف فكذلك ما قالوه ورابعها ان هذه الاية مشعرة بحدوث الكلام من وجوه الاول ان قوله تعالى انما
قولنا لشيء اذا اردناه يقتضي كون القول واقعا بالارادة فيكون محدثا الثاني انه علق القول بكلمة اذا وهي
انما تدخل للاستقبال الثالث ان قوله تعالى ان نقول له كن فيكون لا خلاف ان ذلك ينبئ عن الاستقبال
الرابع ان قوله كن فيكون كلمة متقدمة على حدوث المكون بزمان واحد والمتقدم على المحدث بزمان واحد
يجب ان يكون محدثا الخامس انه معارض بقوله تعالى وكان امر الله مفعولا وكان امر الله قدرا مقدورا
الله نزل احسن الحديث فليأتوا بحديث مثله ومن قبله كتاب موسى اماما ورحمة فان قيل هب ان هذه
الاية لا تدل على قدم الكلام لكنكم ذكرتم انها تدل على حدوث الكلام فما الجواب عنه قلنا نصرف هذه
الدلائل الى الكلام المسموع الذي هو مركب من الحروف والاصوات ونحن نقول بكونه محدثا **قوله تعالى**
والذين هاجروا في الله من بعد ما ظلموا الاية لما حكى الكفار انهم اقسموا بالله جهد ايمانهم على انكار البعث
دل ذلك على تماديهم في الغي والجهل ومن هذا حاله لا يبعد اقدامه على ايذاء المسلمين بالضرب وبغيره
من العقوبات وحينئذ يلزم المؤمنين ان يهاجروا عن ديارهم ومساكنهم فذكر تعالى في هذه الاية حكم تلك
الهجرة وبين ما للمهاجرين من الحسنة في الدنيا والاخرة من حيث هاجروا وصبروا وتوكلوا على الله عز وجل وذلك
ترغيب لغيرهم في طاعة الله عز وجل قال ابن عباس رضي الله عنه نزلت هذه الاية في صهيب وبلال وعمار

وحباب وعابس وجبير وابي جندل بن سهيل اخذهم المشركون بمكة فجعلوا يعذبونهم عن الاسلام فاما
صهيب فقال لهم انا رجل كبير ان كنت لكم لم انفعكم وان كنت عليكم لم اضركم فافتدى منهم بماله فلما راه
ابو بكر رضي الله عنه قال ربح البيع يا صهيب وقال عمر رضي الله عنه نعم الرجل صهيب لو لم يخف الله لم يعصه
يريد لو لم يخلق الله النار لاطاعه وقال قتادة رضي الله عنه هم اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ظلمهم اهل
مكة واخرجوهم من ديارهم حتى لحق طائفة منهم بالحبشة ثم بواهم الله المدينة بعد ذلك فجعلها لهم دار هجرة
وجعل لهم انصارا من المومنين وبسبب هجرتهم ظهرت قوة الاسلام كما ان بنصرة الانصار قويت شوكتهم ودل
قوله تعالى والذين هاجروا في الله على ان الهجرة اذا لم تكن لله لم يكن لها موقع وكانت بمنزلة الانتقال من
بلد الى بلد وقوله تعالى من بعد ما ظلموا اي انهم كانوا مظلومين في ايدي الكفار **قوله تعالى** حسنة
فيها اوجه احدها انها نعت لمصدر محذوف اي تبوية حسنة الثاني انها منصوبة على المصدر الملاقي
لعامله في المعنى لان معنى لنبوئنهم لنحسنن اليهم الثالث انها مفعول ثان لان الفعل قبلها مضمن معنى
لنعطينهم وحسنة صفة لموصوف محذوف اي دارا حسنة وفي تفسير الحسن دارا حسنة وهي المدينة على سا
كنها افضل الصلوة والسلام وقيل تقديره منزلة حسنة وهي الغلبة على اهل المشرق وقيل حسنة بنفسها
هي المفعول من غير حذف موصوف وقرا امير المومنين وابن مسعود ونعيم بن ميسرة رضي الله عنهم لنثوينهم
بالثاء المثلثة والياء مضارع اثوى المنقول بهمزة التعدية من ثوى بمعنى اقام وسياتي انه قرئ بذلك
في السبع في العنكبوت وحسنة على ما تقدم ويزيد انه يجوز ان يكون على الخافض اي في حسنة والموصول
مبتدا والجملة من القسم المحذوف وجوابه خبره وفيه رد على ثعلب حيث منع وقوع جملة القسم خبرا وجوز
ابو البقا في الذين النصب على الاشتغال بفعل مضمر اي لنبوئن الذين ورده ابو حيان بانه لا يجوز ان يفسر
عاملا الا ما جاز ان يعمل وانت لو قلت زيدا لاضربن لم يجز فكذا لا يجوز زيدا لاضربنه **قوله تعالى**
لو كانوا يعلمون يجوز ان يعود الضمير على الكفار اي لو كانوا يعلمون يجوز ان يعود الضمير على الكفار
اي لو كانوا يعلمون ذلك لرجعوا مسلمين او على المومنين اي لاجتهدوا في الهجرة والاحسان كما فعل غيرهم
فصل روي ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان اذا اعطى الرجل من المهاجرين عطاء يقول
خذ بارك الله لك فيه هذا ما وعدك الله في الدنيا وما ادخر لك في الاخرة افضل ثم تلا هذه الاية
وقيل المعنى لنحسنن اليهم في الدنيا وقيل الحسنة في الدنيا التوفيق والهداية **قوله تعالى** الذين صبروا
محله رفع على هم او نصب على المدح ويجوز ان يكون تابعا للموصول قبله نعتا او بدلا او بيانا فمحله
محله والمعنى صبروا على العذاب وعلى مفارقة الوطن وعلى الجهاد وبذل الاموال والانفس في سبيل الله
قوله تعالى وما ارسلنا من قبلك الا رجالا نوحي اليهم الاية هذه شبهة خامسة لمنكري النبوة كانوا يقولون
الله اعلى واجل من ان يكون رسوله واحدا من البشر بل لو اراد بعثة رسول الينا لكان يبعث ملكا وتقدم تقرير
هذه الشبهة في سورة الانعام واجاب الله سبحانه عن هذه الشبهة بقوله عز وجل وما ارسلنا قبلك
رجالا نوحي اليهم والمعنى ان عادة الله من اول زمان التكليف لم يبعث رسولا الا من البشر وهذه
العادة مستمرة فلا يلتفت الى طعن هولاء الجهال ودلت هذه الاية على انه ما ارسل احدا من النساء
ودلت على انه تعالى ما ارسل ملكا الا ان ظاهر قوله تعالى جاعل الملائكة رسلا يدل على ان الملائكة
رسل الله الى سائر الانبياء عليهم السلام ثم قال تعالى فاسئلوا اهل الذكر قال ابن عباس رضي الله عنه
يريد اهل التوراة ويدل عليه قوله تعالى ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر يعني التوراة والذكر هو
التوراة وقال الزجاج معناه فاسئلوا كل من يذكر بعلم وتحقيق اختلف الناس في انه هل يجوز للمجتهد
تقليد المجتهد فمنهم من اجازه محتجا بهذه الاية فقال لما لم يكن احد المجتهدين عالما وجب عليه الرجوع
الى المجتهد العالم بالحكم لقوله تعالى فاسئلوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون فان لم يجب فلا اقل من الجواز
واحتج نفاة القياس بهذه الاية اذا نزلت به واقعة فان كان عالما بحكمها لم يجز له قياس وان لم يكن عالما
بحكمها وجب عليه سوال من كان عالما بها لظاهر هذه الاية ولو كان القياس حجة لما وجب عليه سوال العالم
لانه يمكنه استنباط ذلك الحكم بالقياس فتجويز العمل بالقياس يوجب ترك العمل بظاهر هذه الاية فوجب
ان لا يجوز والجواب انه ثبت جواز العمل بالقياس باجماع الصحابة رضي الله عنهم فالاجماع اقوى من هذا الدليل
قوله تعالى بالبينات فيه ثمانية اوجه احدها ما صاحبين لها وهو وجه حسن لا محذور فيه ذكره

الزمخشري رحمه الله الثاني انه متعلق بارسلنا ذكره الحوفي والزمخشري وغيرهما وبه بدا الزمخشري
قال يتعلق بارسلنا داخلا تحت حكم الاستثناء مع رجالا اي وما ارسلنا الا رجالا بالبينات كقولك ما ضربت
الا زيدا بالسوط لان اصله ضربت زيدا بالسوط وضعفه ابو البقا بان ما قبل الا لا يعمل فيما بعدها اذا تم الكلام
على الا وما يليها قال الا انه قد جاء في الشعر بيتهم * عذبوا بالنار جارتهم * ولا يعذب الا الله بالنار *
قال ابو حيان وما اجازه الحوفي والزمخشري لا يجيزه البصريون اذ لا يجيزون ان يقع بعد الا الا مستثنى او مستثنى
منه او تابع لذلك وما ظن بخلاف ذلك قدر له عامل واجاز الكسائي ان يليها معمول ما بعدها مرفوعا ومنصوبا
ومخفوضا نحو ما ضرب الا عمرا زيد وما ضرب الا زيد عمرا وما مر الا زيد بعمرو ووافقه ابن الانباري في المرفوع
والاخفش في الظرف وعديله فما قالاه يتمشى على قول الكسائي والاخفش الثالث انه يتعلق بارسلنا ايضا الا انه
على نية التقديم قبل اداة الاستثناء تقديره وما ارسلنا من قبلك بالبينات والزبر الا رجالا حتى لا يكون
ما بعد الا معمولين متاخرين لفظا ورتبة داخلين تحت الحصر لما قبل الا حكاه ابن عطية وانكر الفرا ذلك وقال
ان صلة ما قبل الا لا يتاخر الى ما بعد الا لان المستثنى منه هو مجموع ما قبل الا مع صلته فما لم يصر هذا المجموع
مذكورا بتمامه امتنع ادخال الاستثناء عليه الرابع انه متعلق بيوحي كما تقول اوحي اليه بحق ذكره الزمخشري وابو
البقا الخامس ان الباء مزيدة في البينات وعلى هذا فتكون البينات هو القايم مقام الفاعل لانها هي الموحاة
السادس ان الجار متعلق بمحذوف على انه حال من القايم مقام الفاعل وهو اليهم ذكرهما ابو البقا وهما ضعيفان
جدا السابع ان يتعلق بلا تعلمون على ان الشرط في معنى التبكيت والالزام كقول الاجير ان كنت عملت لك
فاعطني حقي قال الزمخشري وقوله تعالى فاسئلوا اهل اعتراض على الوجوه المتقدمة ويعني بقوله فاسئلوا
الجزاء وشرطه واما على الوجه الاخير فعدم الاعتراض واضح الثامن انه متعلق بمحذوف جوابا لسوال مقدر
كانه قيل بم ارسلوا فقيل ارسلوا بالبينات والزبر كذا قدره الزمخشري وهو احسن من تقدير ابي البقا
بعثوا لموافقته الدال عليه لفظا ومعنى **فصل** قال البغوي رحمه الله الا بمعنى غير اي وما ارسلنا
من قبلك بالبينات والزبر غير رجال يوحي اليهم ولم نبعث ملائكة وقيل تاويله وما ارسلنا من قبلك
الا رجالا نوحي اليهم بالبينات والزبر والبينات والزبر كل ما يتكامل به الرسالة لان مدارها على المعجزات
الدالة على صدق مدعي الرسالة وهي البينات وعلى التكاليف التي يبلغها الرسول صلوات الله وسلامه عليه
الى العباد وهي الزبر ثم قال وانزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم اراد بالذكر الوحي وكان النبي صلى
الله عليه وسلم مبينا للوحي وبيان الكتاب يطلب من السنة **فصل** ظاهر هذه الاية يقتضي
ان هذا الذكر مفتقر الى بيان رسول الله صلى الله عليه وسلم والمفتقر الى البيان مجمل فظاهر هذا النص يقتضي ان هذا
القران كله مجمل فلهذا قال بعضهم متى وقع التعارض بين القران والخبر وجب تقديم الخبر لان القران مجمل
بنص هذه الاية والخبر مبين له بهذه الاية والمبين مقدم على المجمل واجيب بان القران منه محكم ومنه متشابه
والمحكم يجب كونه مبينا فثبت ان القران كله ليس مجملا بل فيه المجمل فقوله لتبين للناس ما نزل اليهم محمول
على تلك المجملات **فصل** ظاهر هذه الاية يقتضي ان يكون الرسول صلى الله عليه وسلم هو المبين
لكل ما انزل الله على المكلفين وعند هذا قال نفاة القياس لو كان القياس حجة لما وجب على الرسول بيان
كل ما انزل الله تعالى على المكلفين من الاحكام لاحتمال ان يبين المكلف ذلك الحكم بطريق القياس ولما دلت
هذه الاية على ان المبين للتكاليف والاحكام هو الرسول علمنا ان القياس ليس بحجة واجيب عنه صلى
الله عليه وسلم بانه هو المبين لكل ما انزل الله على المكلفين لما بين ان القياس حجة فمن رجع في تبيين الاحكام
والتكاليف الى القياس كان ذلك في الحقيقة رجوعا الى بيان الرسول صلى الله عليه وسلم قالوا لو كان البيان
بالقياس من بيان الرسول لما وقع فيه اختلاف **قوله تعالى** افامن الذين مكروا السيئات في السيئات
ثلاثة اوجه احدها انها نعت لمصدر محذوف اي المكرات السيئات الثاني انه مفعول به على تضمين
مكروا عملوا وفعلوا وعلى هذين الوجهين فقوله ان يخسف الله مفعول بامن الثالث انه منصوب بامن
اي امنوا العقوبات السيئات وعلى هذا فقوله ان يخسف الله بدل من السيئات والمكر في اللغة هو السعي
بالفساد خفية ولا بد هنا من اضمار تقديره المكرات السيئات والمراد اهل مكة ومن حول المدينة
قال الكلبي المراد بهذا المكر اشتغالهم بعبادة غير الله تعالى والاقرب ان المراد سعيهم في ايذاء الرسول واصحابه
على سبيل الخفية اي يخسف الله بهم الارض كما خسف بالقرون الماضية او ياتيهم العذاب من حيث لا يشعرون

اي يأتيهم العذاب من السماء بغتة فيهلكهم بغتة كما فعل بالقرون الماضية او يأخذهم في تقلبهم اي في
اسفارهم لا يعجزونك تقلب الذين كفروا في البلاد وقال ابن عباس رضي الله عنه في اختلافهم وقال ابن جريج
في اقبالهم وادبارهم وقيل في حال تقلبهم في امكادهم فيحول الله بينهم وبين ذلك الحيل وحمل النقال على هذا
المعنى ماخوذ من قوله وقلبوا لك الامور او يأخذهم على تخوف هذا الجار متعلق بمحذوف فانه حال اما من فاعل
يأخذهم واما من مفعوله ذكرهما ابو البقا والظاهر كونه حالا من المفعول دون الفاعل والتخوف تفعل من الخوف
يقال خفت الشيء وتخوفته والتخوف التنقص اي تنقص من اطرافهم ونواحيهم الشيء بعد الشيء حتى يهلك جميعهم
يقال تخوفه الدهر وتخونه اذا انتقصه واخذ ماله وحشمه ويقال هذه لغة بني هذيل وقال ابن الاعرابي تخوفت الشيء
وتحيفته وحكى الزمخشري ان عمر رضي الله عنه سالهم على المنبر عن هذه الآية فسكتوا فقام شيخ من هذيل فقال هذه
لغتنا التخوف التنقص قال فهل تعرف ذلك في اشعارها قال نعم قال شاعرنا انشد •

• تخوف الرحل منها تامكا قردا • كما تخوف عود النبعة السفن •

فقال عمر رضي الله عنه عليكم بديوانكم لا تضلوا قالوا وما ديواننا قال شعر الجاهلية فان فيه تفسير كتابكم ومعاني
الزمخشري نسب البيت قبل ذلك لزهير وكانه سهو فانه لابي كبير الهذلي ويؤيد ذلك قول الرجل قال شاعرنا
وكان هذليا كما حكاه هو وعلى هذا يكون المراد ما يقع في اطراف بلادهم كما قال تعالى افلا يرون انا نأتي الارض
ننقصها من اطرافها اي لا نعاجلهم بالعذاب ولكن ننقص من اطراف بلادهم حتى يصل اليهم فيهلكهم ويحتمل
ان النقص من اموالهم وانفسهم قليلا قليلا حتى يفنوا جميعهم وقال الضحاك والكلبي من الخوف اي لا يأخذهم بالعذاب
اولا بل يخيفهم اولا بان يعذب طائفة فيتخوف التي تليها ثم قال فان ربكم لرءوف رحيم فلا يعاجل بالعذاب قوله
تعالى اولم يروا الى ما خلق الله من شيء الآية قرا الاخوان تروا بالخطاب جريا على قوله فان ربكم والباقون
بالياء جريا على قوله افامن الذين مكروا واما قوله اولم يروا الى الطير فقراءة حمزة ايضا بالخطاب ووافقه ابن
عامر فيه فتحصل من مجموع الآيتين ان حمزة بالخطاب فيهما والكسائي بالخطاب في الاولى والغيبة في الثانية
وابن عامر بالعكس والباقون بالغيبة فيهما فاما توجيه الاولى فقد تقدم واما الخطاب في الثانية فجريا على
قوله عز وجل والله اخرجكم من بطون امهاتكم واما الغيبة فجريا على قوله تعالى ويعبدون من دون الله الى آخره
واما تفرقة الكسائي وابن عامر بين الموضعين فجمعا بين الاعتبارين وان كلا منهما صحيح **فصل**
لما خوف المشركين بانواع العذاب المتقدمة اردفه بما يدل على كمال قدرته في تدبير احوال العالم العلوي والسفلي
ليظهر لهم ان مع كمال هذه القدرة القاهرة والقوة الغير المتناهية كيف يعجز عن ايصال العذاب اليهم وهذه الرؤية
لما كانت بصرية وصلت بالى لان المراد بالاعتبار والاعتبار لا يكون نفس الرؤية حتى يكون مع النظر الى الشيء
الكامل في احواله قوله تعالى من شيء هذا بيان لما في قوله ما خلق الله فانها موصولة بمعنى الذي فان قيل
كيف يبين الموصول وهو مبهم بشيء وهو مبهم بل ابهم مما قبله فالجواب ان شيئا قد اتضح وظهر بوصفه بالجملة
بعده وهي تتفيؤ ظلاله قال الزمخشري وما موصولة بخلق الله وهو مبهم بيانه في قوله من شيء تتفيؤ ظلاله
وقال ابن عطية من شيء لفظ عام في كل ما اقتضته الصفة من قوله تتفيؤ ظلاله فظاهرها يعني العبارة
ان جملة تتفيؤ ظلاله صفة لشيء واما غيرهما فانه قد صرح بعدم كون الجملة صفة فانه قال والمعنى من شيء له
ظل من جبل وشجر وبناء وجسم قائم وقوله تتفيؤ ظلاله اخبار عن قوله من شيء ليس بوصف له وهذا الاخبار
يدل على ذلك الوصف المحذوف الذي تقديره قوله ظل وفيه تكلف لا حاجة اليه والصفة ابين ومن
شيء في محل نصب على الحال من الموصول او متعلق بمحذوف على جهة البيان اعني من شيء والتفيؤ تفعل من فاء
يفيء اي رجع وفاء قاصر فاذا اريد تعديته عدي بالهمزة كقوله تعالى ما افاء الله على رسوله او بالتضعيف
نحو فيأه الله الظل فتفيأ وتفيأ مطاوع فيأ وهو لازم ووقع في شعر ابي تمام متعديا في قوله •
وتفيأت ظلاله ممدودا • اولا ضايف في الفيء فقيل هو مطلق الظل سواء كان قبل الزوال او بعده وهو الموافق
لمعنى الآية ههنا وقيل ما كان قبل الزوال فهو ظل فقط وما كان بعده فهو ظل وفيء فالظل اعم وروي
ذلك عن رؤبة بن العجاج وانكر بعضهم ذلك وانشد ابو زيد للنابغة الجعدي قوله •

• سلام الاله يغدو عليهم • وفي الفردوس ذات الظلال •

فاوقع لفظ الفيء على ما لم تنسخه الشمس لان ظل الجنة ما حصل بعد ان كان زائلا بسبب ضوء الشمس وقيل
بل يختص الظل بما قبل الزوال والفيء بما بعده قال الازهري تتفيؤ الظلال رجوعها بعد انتصاف النهار فالتفيؤ

لا يكون الا بالعشي وما انصرفت عنه الشمس والظل ما يكون بالغداة وهو ما لم تنله الشمس قال الشاعر •

• فلا الظل من برد الضحى تستطيعه • ولا الفيء من برد العشي تذوق •

وقال امرؤ القيس • تيممت العين التي عند ضارج • يفيء عليها الظل عرمضها طامي •

وقد خطأ ابن قتيبة الناس في اطلاقهم الفيء على ما قبل الزوال وقال انما يطلق على ما بعده واستدل بالاشتقاق
فان الفيء هو الرجوع وهو متحقق بما بعد الزوال فان الظل يرجع الى جهة المشرق بعد الزوال بعد ما نسخته الشمس
قبل الزوال وتقول العرب في جمع فيء افياء للقليل وفيوء للكثير كالبيوت والعيون وقرا ابو عمرو تتفيأ بالتاء من فوق
مراعاة لتانيث الجمع وبها قرا يعقوب والباقون بالياء لانه تانيث مجازي وقرا العامة ظلاله جمع ظل وعيسى بن عمر
ظلله جمع ظلة كغرفة وغرف قال صاحب اللوامح في قراءة عيسى ظلله الغيم وهو جسم وبالكسر الفيء وهو عرض
فرأى عيسى ان التفيؤ الذي هو الرجوع بالاجسام اولى منه بالاعراض واما في العامة فعلى الاستعارة قال
الواحدي ظلاله اضاف الظلال الى مفرد ومعناه الاضافة الى ذوي الظلال وانما حسن هذا لان الذي
اليه الضمير وان كان واحدا في اللفظ وهو قوله تعالى وما خلق الله الا انه كثير في المعنى كقوله لتستووا
على ظهوره فاضاف الظهور وهو جمع الى ضمير مفرد لانه يعود الى واحد اريد به الكثرة وهو قوله تعالى
ما تركبون قوله تعالى عن اليمين فيه ثلاثة اوجه احدها يتعلق بتتفيأ ومعناها المجاوزة اي تتجاوز
الظلال عن اليمين الى الشمائل الثاني انها متعلقة بمحذوف على انها حال من ظلاله الثالث انها اسم بمعنى جانب
فعلى هذا ينتصب على الظرف وقوله عن اليمين والشمائل فيه سؤالان احدهما ما المراد ان اليمين يمين الفلك
وهو المشرق والشمال شماله وهو المغرب وخص هذان الجانبان لان اقوى الانسان جانباه وهما يمينه وشماله
وجعل المشرق يمينا لان منه يظهر حركة الفلك اليومية الثاني البلاد التي عرضها اقل من الميل يكون الشمس صيفا
عن يمين البلد فيقع الظل عن يمينهم الثالث ان المنصوب للعبرة كل جرم له ظل كالجبل والشجر والذي يترتب
فيه الايمان والشمائل انما هو البشر فقط ولكن ذكر الايمان والشمائل هنا على سبيل الاستعارة والرابع قال
الزمخشري اولم يروا الى ما خلق الله من الاجرام التي لها ظلال متفيئة عن ايمانها وشمائلها عن جانبي كل واحد
منها وشقيه استعارة من يمين الانسان وشماله لجانبي الشيء اي ترجع من جانب الى جانب وهذا اقرب مما قبله
واجيب عن الثاني باجوبة احدها ان الابتداء يقع من اليمين وهو شيء واحد فلذلك وحد اليمين ثم ينتقص شيئا
فشيئا حالا بعد حال فهو بمعنى الجمع فصدق على كل حال لفظة الشمال فتعدد بتعدد الحالات والى قريب
منه نحا ابو البقا رحمه الله والثاني قال الزمخشري واليمين بمعنى الايمان يعني انه مفرد قائم مقام الجمع وحينئذ
فهما في المعنى جمعا كقوله تعالى ويولون الدبر اي الادبار الثالث قال الفراء كانه اذا وحد ذهب الى واحد
من ذوات الظلال واذا جمع ذهب الى كلها لان قوله تعالى ما خلق الله من شيء لفظه واحد ومعناه الجمع
فعبر عن احدهما بلفظ الواحد كقوله تعالى وجعل الظلمات والنور وقوله عز وجل ختم الله على قلوبهم
وعلى سمعهم الرابع انا اذا فسرنا اليمين بالمشرق كانت النقطة التي هي مشرق الشمس واحدة بعينها فكانت اليمين
واحدة واما الشمائل فهي عبارة عن الانحرافات الواقعة في تلك الظلال بعد وقوعها على الارض وهي كثيرة
فلذلك عبر عنها بصيغة الجمع الخامس قال الكرماني يحتمل ان يراد الشمال والخلف والقدام لان الظل يفيء
من الجهات كلها فبدئ باليمين لان ابتداء التفيؤ منها او تيمنا بذكرها ثم جمع الباقي على لفظ الشمال لما بين
اليمين والشمال من التضاد ونزل القدام والخلف منزلة الشمال لما بينهما وبين اليمين من الخلاف السادس
قال ابن عطية وقال بعض الناس ان اليمين اول دفعة للظل بعد الزوال ثم الآخر المعروف هي عن الشمائل
ولذلك جمع الشمائل وافرد اليمين فتخليط من القول ومبطل من جهات وقال ابن عباس رضي الله عنهما اذا
صليت الفجر كان ما بين مطلع الشمس ومغربها ظلا ثم بعث الله عليه الشمس دليلا فقبض الله الظل فعلى هذا
تاول دور الشمس فالظل عن يمين مستقبل الجنوب ثم يبدا الانحراف فهو عن الشمائل لانه حركات كثيرة وظلال
منقطعة فهي شمائل كثيرة فكان الظل عن اليمين متصلا واحدا عاما لكل شيء السابع قال ابن الصايغ رحمه
الله وجمع بالنظر الى الغايتين لان ظل الغداة يضمحل حتى لا يبقى منه الا اليسير فكانه في جهة واحدة وهي في
العشي على العكس لاستيلائه على جميع الجهات فلحظت الغايتان في الآية هذا من جهة المعنى واما من جهة
اللفظ ففيه مطابقة لان سجدا يطابقه جمع الشمائل لاتصاله به فحصل في الآية مطابقة اللفظ للمعنى
ولحظهما معا وتلك الغاية في الاعجاز قوله تعالى سجدا حال من ظلاله وسجد جمع ساجد كشاهد وشهد

وراكع وركع والسجود الميل يقال سجدت النخلة اذا مالت وسجد البعير اذا طاطا راسه وقال الشاعر
ترى الاكم فيها سجدا للحوافر • فالمراد بهذا السجود التواضع واعلم ان انتقاص الظل بعد كماله الى غاية
محدوده ثم ازدياده بعد غاية نقصانه وتنقله من جهة الى جهة اخرى على وفق تقديرالله وتدبيره بحسب
الاختلافات اليومية الواقعة في شرق الارض وغربها وبحسب الاختلافات الواقعة في طول السنة على وجه
مخصوص وترتيب معين لاتكون الا لكونها منقادة لقدرة الله خاضعة لتقديره وتدبيره فكان السجود عبارة
عن تلك الحالة **فان قيل** لم لايجوز ان يقال اختلاف هذه الاظلال معلل باختلاف سير الشمس لا لاجل
تقدير الله فالجواب انا وان سلمنا ذلك فتحرك الشمس بالحركة الخاصة ليس الا لله تعالى فدل على ان اختلاف
احوال هذه الظلال لم يقع الابتدبير الله عز وجل وقيل هذا سجود حقيقة لان هذا الظلال واقعة على الارض
ملتصقة بها على هيئة الساجد قال ابو العلا المعري في صفة وادي • بحرف بطيل الجنح فيه سجوده •
والارض ذي الراهب المتعبد • لما كان شكل الاظلال يشبه شكل الساجدين اطلق عليها لفظ السجود وكان
الحسن يقول اما ظلك فيسجد لربك واما انت فلا تسجد له بئس ما صنعت وعن مجاهد ظل الكافر يصلي وهو لا
يصلي وقيل ظل كل شي يسجد لله سواء كان ذلك ساجدا ام لا **قوله تعالى** وهم داخرون في هذه الجملة ثلاثة
اوجه احدها انها حال من الهاء في ظلاله قال الزمخشري لانه في معنى الجمع وهو ما خلق الله من كل شي له ظل وجمع
بالواو والنون لان الدخور من اوصاف العقلاء اولان في جملة ذلك من يعقل فغلب وقد رد ابو حيان
هذا بان الجمهور لايجيزون مجي الحال من المضاف اليه وهو نظير جاءني غلام هند ضاحكة قال ومن اجاز مجيها
منه اذا كان المضاف جزءا او كالجزء جوز الحالية منه هنا لان الظل كالجزء اذ هو ناشي عنه الثاني انها حال من
الضمير المستتر في سجدا فهي حال متداخلة الثالث انها حال من ظلاله فينتصب عنه حالان ثم لك في هذه الواو
اعتباران احدهما ان تجعلها عاطفة حالا على مثلها فهي عاطفة وليست بواو حال وان كان خلو الجملة الاسمية
الواقعة حالا من الواو قليلا وممتنعا على راي وممن صرح بانها عاطفة ابو البقا والثاني انه واو الحال وعلى
هذا فيقال كيف يقتضي العامل حالين فالجواب انه حال ذلك لان الثانية بدل من الاولى فان اريد بالسجود
التذلل والخضوع فهو بدل كل من كل وان اريد به حقيقته فهو بدل اشتمال اذ السجود مشتمل على الدخور
ونظيره ما نحن فيه جاء زيد ضاحكا والدخور التواضع قال الشاعر •
• فلم يبق الا داخر في مجلس • ومنجحر في غير ارضك في جحر •
وقيل هو القهر والغلبة ومعناه انهم صاغرون **قوله تعالى** ولله يسجد ما في السموات وما في الارض قد
تقدم ان السجود على نوعين سجود كسجود الصلاة بوضع الجبهة على الارض وسجود هو انقياد وخضوع
فلهذا قال بعضهم المراد بالسجود ههنا الانقياد والخضوع لانه اللايق بالدابة وقيل السجود حقيقة
لانه اللايق بالملايكة عليهم السلام وقيل السجود لفظ مشترك بين المعنيين وحمل اللفظ المشترك في جميع
مفهوماته معا غير جايز **قوله تعالى** من دابة يجوز ان يكون بيانا لما في السموات وما في الارض ويكون لله
تعالى في سمائه خلق يدبون كما يدب الخلق الذي في الارض ويجوز ان يكون بيانا لما في الارض فقط
قال الزمخشري فان قلت هلا جي بمن دون ما تغليبا للعقلاء على غيرهم قلت لانه لو جي بمن لم يكن فيه
دليل على التغليب بل كان متناولا للعقلاء خاصة فجي بما هو صالح للعقلاء وغيرهم ارادة للعموم قال ابو حيان
وظاهر السؤال التسليم ان من قد تشمل العقلاء وغيرهم على جهة التغليب وظاهر الجواب تخصيص من بالعقلاء وان
الصالح للعقلاء ما دون من وهذا ليس بجواب لانه اورد السوال على التسليم ثم اورد الجواب على غير التسليم
فصار المعنى ان من تغلب بها والجواب لاتغلب بها وهذا في الحقيقة ليس بجواب **فصل** قال
الاخفش قوله من دابة يريد من الدواب واخبر بالواحد كما تقول ما اتاني من رجل مثله وما اتاني من الرجال
مثله وقال ابن عباس رضي الله عنهما يريد كل دابة على الارض **فان قيل** ما الوجه في تخصيص الدواب والملايكة
بالذكر فالجواب من وجهين الاول انه تعالى بين في اية الظلال ان الجمادات باسرها منقادة لله سبحانه وتعالى
وبين بهذه الاية ان الحيوانات باسرها منقادة لله تعالى لان اخسها الدواب واشرفها الملايكة عليهم السلام
فلما بين في اخسها وفي اشرفها كونها منقادة خاضعة لله تعالى الثاني قال الحكما الاسلاميون الدابة اشتقاقها
من الدبيب والدبيب عبارة عن الحركة الجسمانية فالدابة اسم لكل حيوان يتحرك ويدب فلما ميز الله الملايكة
عن الدابة علمنا انها ليست مما يدب بل هي ارواح محضة مجردة وايضا فان الطيران بالجناح مغاير للدبيب

لقوله تعالى وما من دابة في الارض ولا طاير يطير بجناحيه **قوله تعالى** وهم لا يستكبرون
يجوز ان يكون الجملة استينافا فاخبر عنهم بذلك وان تكون حالا من فاعل يسجد فاما قوله تعالى يخافون
يجوز ان تكون مفسرة لعدم استكبارهم كانه قيل ما لهم لا يستكبرون فاجيب بذلك ويحتمل ان يكون حالا
من فاعل لا يستكبرون ومعنى يخافون ربهم اي عقابه **قوله تعالى** من فوقهم يجوز فيه وجهان احدهما
ان يتعلق بيخافون اي يخافون عذاب ربهم كاينا من فوقهم لان العذاب انما ينزل من فوق الثاني انه متعلق
بمحذوف على انه حال من ربهم اي يخافون ربهم عاليا قاهرا لهم كقوله تعالى وهو القاهر فوق عباده **فصل**
دلت هذه الاية على عصمة الملايكة عن جميع الذنوب لان قوله تعالى وهم لا يستكبرون يدل على انهم
منقادون لخالقهم وانهم ما خالفوه في امر من الامور كقوله تعالى وهو القاهر فوق عباده وما نتنزل الا
بامر ربك وقوله تعالى لا يسبقونه بالقول وهم بامره يعملون وكذلك جل ذكره ويفعلون ما يومرون
وذلك يدل على انهم فعلوا كلما امروا به فلم قلتم انها تدل على انهم تركوا كلما نهوا عنه فالجواب ان كل من نهي
عن شي فقد امر بتركه وحينيذ يدخل في اللفظ فاذا ثبت ان ابليس ما كان معصوما من الذنوب بل كان كافرا
لزم القطع بان ابليس ما كان من الملايكة وايضا فانه تعالى قال في صفة الملايكة وهم لا يستكبرون ثم قال
عز وجل لابليس استكبرت ام كنت من العالين وقال اخرج منها فما يكون لك ان تتكبر فيها وثبت ان الملايكة
لا يستكبرون وثبت ان ابليس تكبر واستكبر فوجب ان لا يكون من الملايكة وللخصم ان يجيب بان ابليس لو لم
يكن من الملايكة لما ذم على تركه المعهود منه من ترك مخالفة الامر ومن الاستكبار فلما خالف الامر واستكبر
خرج من حيز الملايكة ولعن وطرد لانه خالف المعهود من حاله قال ابن الخطيب رحمه الله ولما ثبت بهذه الاية
وجوب عصمة الملايكة ثبت ان القصة الخبيثة التي يذكرونها في حق هاروت وماروت كلام باطل فان
الله تبارك وتعالى وهو اصدق القايلين لما شهد في هذه الاية على عصمة الملايكة وبراءتهم من كل ذنب
وجب القطع بان تلك القصة باطلة كاذبة واحتج الطاعنون في عصمة الملايكة بهذه الاية فقالوا انه
تعالى وصفهم بالخوف فلولا انهم يجوزون من انفسهم الاقدام على الذنوب والا لم يحصل الخوف والجواب
من وجهين الاول انه تعالى حذرهم من العقاب فقال ومن يقل منهم اني اله من دونه فذلك نجزيه جهنم
فالخوف من العذاب يتركون الذنب الثاني ان ذلك الخوف خوف الاجلال هكذا نقل عن ابن عباس كقوله
تعالى انما يخشى الله من عباده العلما وكقول النبي صلى الله عليه وسلم اني لاخشاكم لله حين قالوا له وقد بكا
اتبكي وقد غفر الله لك من ذنبك ما تقدم وما تاخر وهذا يدل على انه كلما كانت معرفة الله اتم كان الخوف
منه اعظم وهذا الخوف لا يكون الا خوف الاجلال والكبريا **فصل** استدل المشبهة بقوله
تعالى يخافون ربهم من فوقهم على انه تعالى فوقهم بالذات والجواب ان معناه يخافون ربهم من ان ينزل
عليهم العذاب من فوقهم واذا احتمل اللفظ هذا المعنى سقط استدلالهم وايضا يجب حمل هذه الفوقية على
الفوقية بالقدرة والقهر لقوله تعالى وانا فوقهم قاهرون ويقوي هذا الوجه انه تعالى قال يخافون
ربهم من فوقهم فوجب ان يكون المقتضي لخوفهم هو كون ربهم فوقهم لان الحكم المرتب على وصف يشعر بكون
ذلك الحكم معللا بذلك الوصف وهذا التعليل انما يصح اذا كان المراد بالفوقية القهر والقدرة لانها هي الموجبة
للخوف واما الفوقية بالجهة والمكان فلا توجب الخوف لان حارس البيت فوق الملك بالمكان والجهة
مع انه اخس عبيده **فصل** تمسك قوم بهذه الاية على ان الملك افضل من البشر من وجوه الاول
قوله تعالى ولله يسجد ما في السموات وما في الارض من دابة والملايكة وقد تقدم ان تخصيص هذين النوعين
بالذكر انما يحسن اذا كان احد الطرفين اخس المراتب وكان الطرف الثاني اشرفها حتى يكون ذكر هذين
الطرفين منبها على الباقي واذا كان كذلك وجب ان تكون الملايكة اشرف خلق الله عز وجل الثاني ان قوله
تعالى وهم لا يستكبرون يدل على انه ليس في قلوبهم تكبر وترفع وقوله تعالى ويفعلون ما يومرون
يدل على ان اعمالهم خالية عن الذنب والمعصية فمجموع هذين الكلامين يدل على ان بواطنهم وظواهرهم
مبراة عن الاخلاق الفاسدة والافعال الباطلة والبشر ليسوا كذلك ويدل عليه القران والخبر اما القران
فقوله تعالى قتل الانسان ما اكفره وهذا الحكم عام في الانسان واقل مراتبه ان يكون طبيعة الانسان
مقتضية لهذه الاحوال الذميمة واما الخبر فقوله صلوات الله وسلامه عليه ما منا الا وقد عصى او هم
بمعصية غير يحيى بن زكريا ونعلم بالضرورة ان المبرا عن المعصية ولم يهم بها افضل ممن عصى او هم بها

بها الثالث ان الله تعالى خلق الملائكة عليهم السلام قبل البشر بادوار متطاولة وازمان ممتدة ثم انه تعالى
وصفهم بالطاعة والخضوع والخشوع طول هذه المدة وطول العمر مع الطاعة يوجب مزيد الفضيلة لوجهين
الاول قوله صلوات الله وسلامه عليه الشيخ في قومه كالنبي في امته فضل الشيخ على الشاب وما ذاك الا انه
لما كان عمره اطول فالظاهر ان طاعته اكثر فكان افضل والثاني قوله صلوات الله وسلامه عليه من سن سنة
حسنة فله اجرها واجر من عمل بها الى يوم القيمة وشروع الملائكة في الطاعات قبل شروع البشر فلزم ان
يقال انهم هم الذين سنوا هذه السنة وهي طاعة الخالق والبشر انما جاؤا بعدهم واستنوا بسنتهم فوجب بمقتضى
هذا الخبر ان كل ما حصل للبشر من الثواب فقد حصل مثله للملائكة ولهم ثواب القدر الزائد من الطاعة فوجب
كونهم افضل **قوله تعالى** وقال الله لا تتخذوا الهين اثنين الاية لما بين ان كل ما سوى الله فهو منقاد
لجلال الله وكبريائه اتبعه في هذه الاية بالنهي عن الشرك وبان كل ما سواه فهو ملكه وملكه وانه غني عن الكل
قوله تعالى اثنين فيه قولان احدهما انه مؤكد لالهين وعليه اكثر الناس وانحل على هذا يحتمل ان يكون متعدية
لواحد وان يكون متعدية لاثنين والثاني منهما محذوف اي لا تتخذوا الهين اثنين الهين وفيه بعد وقال ابو البقاء هو
مفعول ثان وهذا كالغلط اذ لا معنى لذلك البتة وكلام الزمخشري هنا يفهم انه ليس بتاكيد فانه قال
فان قلت انما جمعوا بين العدد والمعدود فيما وراء الواحد والاثنين فقالوا عندي رجال ثلاثة وافراس
اربعة لان المعدود عار عن العدد الخاص فاما رجل ورجلان وفرس وفرسان فمعدودان فيهما دلالة على
العدد فلا حاجة الى ان يقال رجل واحد ورجلان اثنان فما وجه قوله تعالى الهين اثنين قلت الاسم الحامل
لمعنى الافراد والتثنية دال على شيئين على الجنسية والعدد المخصوص فاذا اريدت الدلالة على ان المعني به منهما
والذي يساق اليه الحديث هو العدد شفع بما يؤكده العدد فدل به على القصد اليه والعناية به الا ترى انك
لو قلت انما هو اله ولم تؤكده بواحد لم يحسن وخيل انك تثبت الالهية لا الوحدانية وقال ابو حيان رحمه الله
لما كان الاسم الموضوع للافراد والتثنية قد يتجوز فيه فيراد به الجنس نحو نعم الرجل زيد ونعم الرجلان الزيدان
وقول الشاعر * فان النار بالعودين تذكى * وان الحرب اولها كلام * اكد الموضوع لهما بالوصف
فقيل الهين اثنين وقيل اله واحد **فصل** قال ابن الخطيب الفائدة في قوله اثنين ان الشيء اذا كان
مستنكرا مستقبحا فاذا اريد المبالغة في التنفير عنه عبر عنه بعبارات كثيرة ليصير توالي تلك العبارات
سببا لوقوف العقل على قبحه والقول بوجود الهين مستقبح في العقول فان احدا من العقلاء لم يقل بوجود
الهين متساويين في الوجود والقدم وصفات الكمال فالمقصود من تكرير اثنين تاكيد التنفير عنه وتوقيف
العقل على ما فيه من القبح وايضا فقوله الهين لفظ واحد يدل على امرين ثبوت الالهية وثبوت التعدد
فاذا قيل لا تتخذوا الهين لم يفهم من هذا اللفظ النهي وقع عن اثبات الاله او عن اثبات التعدد فقط
وايضا فان الاثنينية منافية للالهية وتقريره من وجوه الاول انا لو فرضنا موجودين يكون كل واحد
منهما واجبا لذاته لكانا مشتركين في الوجوب الذاتي ومتباينين بالتعيين وما به المشاركة غير ما به المباينة
فكل واحد منهما مركب من جزئين وكل مركب فهو ممكن فثبت ان القول بان واجب الوجود اكثر من واحد ينفي
القول بكونهما واجبي الوجود الثاني لو فرضنا الهين وحاول احدهما تحريك جسم والاخر تسكينه امتنع كون
احدهما اولى بالفعل من الثاني لان الحركة الواحدة والسكون الواحد لا يقبل القسمة اصلا ولا التفاوت
اصلا واذا كان كذلك امتنع ان تكون القدرة على احدهما اكمل من القدرة على الثاني واذا ثبت هذا
امتنع كون احدى القدرتين اولى بالتاثير من الثاني واذا ثبت هذا فاما ان يحصل مراد كل واحد منهما
وهو محال او لا يحصل مراد واحد منهما البتة وحينئذ يكون كل واحد منهما عاجزا والعاجز لا يكون الها
فثبت ان كونهما اثنين ينفي كل واحد منهما الها الثالث لو فرضنا الهين اثنين لكان اما ان يقدر احدهما
على ان يستر ملكه عن الاخر او لا يقدر فان قدر فذلك الاخر ضعيف وان لم يقدر فهو ضعيف الرابع ان
احدهما اما ان يقدر على مخالفة الاخر او لا يقوى عليه فان لم يقوى عليه فهو ضعيف فان قوي عليه
فالاول المغلوب ضعيف فثبت ان الاثنينية والالهية متضادان فالمقصود من قوله لا تتخذوا الهين
اثنين هو التنبيه على حصول المنافاة والمضادة بين الالهية وبين الاثنينية ولما ذكر هذا الكلام قال انما
هو اله واحد اي انه لما دل الدليل على انه لا بد للعالم من الاله وثبت ان القول بوجود الالهين محال ثبت
انه لا اله الا الواحد الاحد ثم قال فاياي فارهبون وهذا رجوع من الغيبة الى الحضور والتقدير انه لما ثبت

ان الاله واحد وان المتكلم بهذا الكلام هو الله ثبت حينئذ انه لا اله للعالم الا المتكلم بهذا الكلام فحينئذ
يحسن منه ان يعدل من الغيبة الى الحضور ويقول فاياي فارهبون **قوله تعالى** فاياي منصوب بفعل
مضمر مقدر بعده يفسره هذا الظاهر اي اياي ارهبوا فارهبون وقدره ابن عطية ارهبوا اياي فارهبون
وقال ابو حيان وهو ذهول عن القاعدة النحوية وهي ان المفعول اذا كان ضميرا منفصلا والفعل متعد
لواحد وجب تاخير الفعل نحو اياك نعبد ولا يجوز ان يتقدم الا في ضرورة كقوله *
اليك حتى بلغت اياكا * وقد يجاب عن ابن عطية بانه لا يقبح في الامور التقديرية
ما يقبح في اللفظية وفي قوله فاياي التفات من غيبة وهي قوله وقال الله الى تكلم وهو قوله فاياي ثم التفت
الى الغيبة ايضا في قوله تعالى وله ما في السموات والارض قوله تعالى فاياي فارهبون يفيد الحصر وهو انه
لا يرهب الخلق الا منه ثم قال وله ما في السموات والارض قال ابن عطية والواو في قوله وله ما في السموات
عاطفة على قوله اله واحد ويجوز ان يكون واو ابتداء قال ابو حيان ولا يقال واو ابتداء الا لواو الحال ولا يظهر
هنا الحال قال شهاب الدين وقد يطلقون واو الابتداء ويريدون بها واو الاستئناف اي التي لم يقصد بها عطف
ولا اشراك وقد نصوا على ذلك فقالوا قد يؤتى بالواو اول الكلام من غير قصد الى عطف واستدلوا على ذلك
باتيانهم بها في اول اشعارهم وهو كثير جدا ومعنى قوله عاطفة على قوله اله واحد اي انها عطفت جملة على مفرد
فيجب تاويلها بمفرد لانها عطف على الخبر فيكون خبرا ويجوز على كونها عاطفة ان تكون عاطفة على الجملة باسرها
وهي قوله تعالى انما هو اله واحد وكان ابن عطية رحمه الله قصد بواو الابتداء هذا فانها استئنافية
فصل قال اهل السنة هذه الاية تدل على ان افعال العبد مخلوقة لله تعالى لانها من جملة
ما في السموات والارض وليس المراد من كونها لله انها مفعولة لاجله ولطاعته لان فيها المباحات والمحظورات
التي يؤتى بها لغرض الشهوة واللذة لا لغرض الطاعة فوجب ان يكون المراد من كونها لله انها واقعة بتكوينه
وتخليقه **قوله تعالى** وله الدين واصبا حال من الدين والعامل فيها الاستقرار المتضمنة الجار الواقع
خبرا والوصب الدائم قال حسان * غيرته الريح تسفي به * وهزيم رعده واصب * وقال ابو الاسود
لا ابتغي الحمد القليل بقاؤه * يوما بذم الدهر اجمع واصبا * والوصب العليل المداومة السقم له
وقال تعالى ولهم عذاب واصب اي دائم وقيل من الوصب وهو التعب ويكون حينئذ على النسب اي ذا وصب
لان الدين فيه تكاليف ومشاق على العباد فهو كقوله * اضحى فؤادي به فاتنا * اي ذا فتون
وقيل الواصب الخالص ويقال وصب الشيء يصب وصوبا اذا دام ويقال واظب على الشيء وواصب اذا داوم
ومفازة واصبة اي بعيدة لا غاية لها قال ابن قتيبة رحمه الله ليس من احد يدان له ويطاع الا انقطع ذلك
بسبب في حال الحيوة او بالموت الا الحق سبحانه وتعالى فان طاعته دائمة لا تنقطع قال ابن قتيبة واقول
الدين قد يعني به الانقياد يقال يا من دانت له الرقاب اي انقادت لذاته وله الدين واصبا اي انقياد كل ما
سواه له لازم ابدا لان انقياد غيره له معلل فان غيره ممكن لذاته والممكن لذاته يلزم ان يكون محتاجا الى
المسبب في طرفي الوجود والعدم فالماهيات يلزمها الامكان لزوما ذاتيا ينتج ان الماهيات لزمها
الاحتياج الى المؤثر لزوما ذاتيا فهذه الماهيات موصوفة بالانقياد لله تعالى اتصافا دائما واجبا لازما
ممتنع التغير ثم قال افغير الله تتقون اي تخافون استفهام على طريقة الانكار اي انكم بعد ما عرفتم ان اله
العالم واحد وان كل ما سواه محتاج اليه في حدوثه وبقائه كيف يعقل ان يكون للانسان رغبة في غير
الله او رهبة من غير الله **قوله تعالى** وما بكم يجوز في ما وجهان احدهما ان تكون موصولة والجار
صلتها وهي مبتدأ والخبر قوله فمن الله والفاء زائدة في الخبر لتضمن الموصول معنى الشرط تقديره والذي
استقر بكم ومن نعمة بيان للموصول وقدر بعضهم متعلق بكم خاصا فقال وما حل بكم وما نزل بكم
وليس بجيد اذ لا يقدر الا كونا مطلقا الثاني انها شرطية وفعل الشرط بعدها محذوف واليه نحا الفراء
وتبعه الحوفي وابو البقاء قال الفراء التقدير وما يكن بكم وقد رد هذا بانه لا يحذف فعل الا بعد ان خاصة
في موضعين احدهما ان يكون في باب الاشتغال نحو وان احد من المشركين استجارك لان المحذوف في حكم
المذكور ان تكون ان متلوة بلا النافية وان يدل على الشرط ما تقدمه من الكلام كقوله *
فطلقها فلست لها بكفء * والا يعل مفرقك الحسام *
اي والا تطلقها فحذف لدلالة قوله فطلقها عليه فان لم توجد لا النافية او كانت الاداة غير ان لم يحذف

الاصرورة مثال الاول • قالت بنات العم يا سلمى وان • كان عييا معدما قالت وان •
اي وان كان عييا رضيته ومثال الثاني • صعدة نابتة في حائر • اينما الريح تميلها تمل • وقول الآخر
فتى واعل بينهم يجتوه ويعطف عليه كاس الساقي **فصل** • لما بين ان الواجب على العاقل ان لا يتقي
غير الله بين هٰهنا انه يجب عليه ان لا يشكر احدا الا الله تعالى لان الشكر انما يلزم على النعمة وكل نعمة تحصل للانسان
فهي من الله فالايمان من الله تعالى انا قلنا ان الايمان نعمة لان المسلمين مطبقون على قولهم الحمد لله على نعمة الايمان
وايضا فالنعمة عبارة عن كل ما يكون منتفعا به واعظم الاشياء نفعا هو الايمان فثبت ان الايمان نعمة وكل نعمة
فهي من الله لقوله تعالى وما بكم من نعمة فمن الله وهذا اللفظ يفيد العموم وايضا فالموجود اما واجب لذاته
وهو الله تعالى واما ممكن لذاته والممكن لذاته لا يوجد الا لمرجح وذلك المرجح لا يكون ان كان واجبا لذاته
كان حصول ذلك الممكن بايجاد الله تعالى وان كان ممكنا لذاته عاد التقسيم الاول فيه والتسلسل محال فلا بد وان
ينتهي الى ايجاد الواجب لذاته فثبت بهذا ان كل نعمة فمن الله واعلم ان النعم اما دينية واما دنيوية اما الدينية
فهي اما معرفة الحق لذاته واما معرفة الخير لاجل العمل به واما النعم الدنيوية فهي اما نفسانية واما بدنية
واما خارجية وكل واحد من هذه الثلاث جنس تحته انواع خارجة عن الحصر والتحديد كما قال تعالى وان تعدوا
نعمة الله لا تحصوها **قوله تعالى** ثم اذا مسكم الضر قال ابن عباس رضي الله عنه يريد الاسقام والامراض والقحط
والحاجة فاليه تجأرون الفاجواب اذا والجؤار رفع الصوت قال روبة يصف راهبا قوله •
يداوم من صلوات المليك طورا • سجودا وطورا جؤارا •
ومنهم من قيده بالاستغاثة وانشد الزمخشري • جأر ساعات النيام لربه • وقيل الجؤار كالخوار جأر الثور
وخار واحد الا ان هذا مهموز العين وذاك معتلها وقال الراغب جأر اذا افرط في الدعاء والتضرع تشبيها
بجؤار الوحشيات وقرأ الزهري يجرون بحذف الهمزة والقاء حركتها على الساكن قبلها كما قرأ نافع ردا اي ردءا
ومعنى الاية انه تعالى بين ان جميع النعم من الله ثم اذا اتفق لاحد مضرة تزيل تلك النعم فالى الله يستغيث
لعلمه بانه لا يفزع الخلق الا الى الله فكانه تعالى قال لهم فاين انتم عن هذه الطريقة في حال الرخاء والسلامة
قوله تعالى ثم اذا كشف اذا الاولى شرطية والثانية فجائية جوابها وفي الاية دليل على ان اذا الشرطية
لا تكون معمولة لجوابها لان ما بعد اذا الفجائية لا يعمل فيما قبلها وقرأ قتادة كاشف على فاعل قال الزمخشري
بمعنى فعل وهو اقوى من كشف لان بناء المغالبة يدل على المبالغة **قوله تعالى** منكم يجوز ان تكون صفة
لفريق ومن للتبعيض ويجوز ان تكون للبيان قال الزمخشري كانه قال اذا فريق كافر وهم انتم **فصل**
بين تعالى ان عند كشف الضر وسلامة الاحوال يتفرقون ففريق منهم يبقى على مثل ما كان عليه عند الضر
اي لا يفزع الا الى الله وفريق منهم يتغيرون فيشركون بالله تعالى غيره وهذا جهل وضلال لانه لما شهدت
فطرته الاصلية عند نزول البلاء والضر في ان لا يفزع الا الى الله ولا يستغاث الا بالله فعند زوال البلاء
يجب ان لا يزول عن ذلك الاعتقاد ونظير هذه الاية قوله تعالى فلما نجاهم الى البر فمنهم مقتصد
قوله تعالى ليكفروا بما آتيناهم في هذه اللام ثلاثة اوجه احدها انها لام كي وهي متعلقة بيشركون
اي ان اشراكهم سببه كفرهم به الثاني انها لام الصيرورة اي صار امرهم الى ذلك الثالث انها لام الامر واليه
نحا الزمخشري رحمه الله وقرا ابو العالية ورواها مكحول عن ابي رافع مولى رسول الله صلوات الله وسلامه
عليه فيمتعوا بضم الياء من تحت ساكن الميم مفتوح التاء مضارع متع مبنيا للمفعول فسوف يعلمون
بالياء من تحت ايضا وهذا المضارع في هذه القراءة يجوز ان يكون حذف النون فيه اما للنصب عطفا على
ليكفروا ان كانت لام كي او للصيرورة واما للنصب ايضا ولكن على جواب الامر ان كانت اللام للامر ويجوز
ان يكون حذفها للجزم عطفا على ليكفروا ان كانت للامر ايضا **فصل** قال بعض المفسرين هذه لام
العاقبة كقوله تعالى فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا يعني ان عاقبة تلك التضرعات ما كان
الا هذا الكفر والمراد بقوله بما آتيناهم كشف الضر وازالة المكروه وقيل المراد به القرآن وما جاء به محمد
صلوات الله وسلامه عليه من النبوة والشرائع ثم توعدهم فقال فتمتعوا وهو امر تهديد كقوله تعالى
فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر فسوف تعلمون امركم وما ينزل بكم من العذاب **قوله تعالى** ويجعلون
لما لا يعلمون نصيبا الاية لما بين فساد اهل الشرك بالدلائل القاهرة شرع في هذه الاية في تفاصيل اقوالهم
قوله تعالى لما لا يعلمون نصيبا الاية الضمير في يعلمون يجوز ان يكون للكفار اي لما لا يعلم الكفار

ومعنى

ومعنى لا يعلمونها انهم يسمونها آلهة ويعتقدون انها تضر وتنفع وتشفع وليس الامر كذلك ويجوز
ان تكون للآلهة وهي الاصنام اي للاشياء غير موصوفة بالعلم قال بعضهم والاول اولى لان نفي العلم عن الحي
حقيقة وعن الجماد مجاز وايضا الضمير في ويجعلون عائد الى المشركين فكذلك في قوله لما لا يعلمون وايضا
فقوله لما لا يعلمون جمع بالواو والنون وهو بالعقلاء اليق منه بالاصنام وقيل الثاني اولى لانا اذا اعدناه
الى المشركين افتقرنا الى اضمار فان التقدير ويجعلون لما لا يعلمونه الها ولما لا يعلمون كونه نافعا ضارا واذا
اعدناه الى الاصنام لم يفتقر الى الاضمار لان التقدير ويجعلون لما لا علم لها وايضا لو كان هذا العلم مضافا
الى المشركين لفسد المعنى لانه من المحال ان يجعلوا نصيبا مما رزقهم لما لا يعلمونه فاذا قلنا بالقول الاول احتجنا
الى الاضمار وذلك يحتمل وجوها احدها ويجعلون لما لا يعلمون له حقا ولا يعلمون في طاعته نفعا ولا
في الاعراض عنه ضررا قال مجاهد يعلمون ان الله خلقهم ويضرهم وينفعهم ثم يجعلون لما لا يعلمون انه
ينفعهم نصيبا وثانيها ويجعلون لما لا يعلمون الهيتها وثالثها يجعلون لما لا يعلمون السبب في صيرورتها
معبودة **قوله تعالى** نصيبا هو المفعول الاول للجعل والجار قبله هو الثاني اي ويصيرون للاصنام
مما رزقناهم يجوز ان يكون نعتا لنصيبا وان يتعلق بالجعل فمن على الاول للتبعيض وعلى الثاني للابتداء
فصل في المراد بالنصيب وجوه احدها انهم جعلوا لله نصيبا من الحرث والانعام يتقربون
به الى الله ونصيبا للاصنام يتقربون اليها كما تقدم في آخر سورة الانعام والثاني قال الحسن رحمه الله المراد به
النصيب البحيرة والسائبة والوصيلة والحام والثالث ربما اعتقدوا في بعض الاشياء انه انما حصل باعانة
بعض تلك الاصنام كما ان المنجمين يوزعون موجودات هذا العالم على الكواكب السبعة فيقولون لزحل كذا وكذا
من المعادن والنبات والحيوان وللمشتري اشياء اخر فثم لما حكي عن المشركين هذا المذهب قال تالله لتسئلن
وهذا في هؤلاء الاقوام خاصة بمنزلة قوله فوربك لنسألنهم اجمعين عما كانوا يعملون فاقسم الله سبحانه جل
ذكره على نفسه انه يسألهم وهذا تهديد شديد لان المراد من هذا انه يسألهم سؤال توبيخ وتهديد وفي وقت
هذا السؤال احتمالات الاول انه عند قرب الموت ومعاينة ملائكة العذاب وقيل عند عذاب القبر
وقيل في الآخرة النوع الثاني من كلماتهم الفاسدة **قوله تعالى** ويجعلون لله البنات ونظيره قوله تعالى
وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا كانت خزاعة وكنانة يقولون الملائكة بنات الله قال ابن الخطيب
اظن ان العرب انما اطلقوا لفظ البنات على الملائكة لان الملائكة عليهم السلام لما كانوا مستترين عن العيون
اشبهوا النساء في الاستتار فاطلقوا عليهم البنات وهذا الذي ظننته ليس بشيء فان الجن ايضا مستترون
عن العيون ولم يطلقوا عليهم لفظ البنات ولما حكى عنهم هذا القول قال سبحانه والمراد تنزيه ذاته عن نسبة
الولد اليه وقيل تعجب الخلق من هذا الجهل الصريح وهو وصف الملائكة بالانوثة ثم نسبتها بالولدية
الى الله سبحانه وتعالى والمعنى معاذ الله **قوله تعالى** ولهم ما يشتهون يجوز فيه وجهان احدهما
ان هذا جملة من مبتدأ وخبر اي يجعلون لله البنات ثم اخبر ان لهم ما يشتهون وجوز الفراء والحوفي
والزمخشري وابو البقاء رحمة الله عليهم ان تكون ما منصوبة المحل عطفا على البنات ولهم عطف على لله
اي ويجعلون لهم ما يشتهون قال ابو حيان وقد ذهلوا عن قاعدة نحوية وهو انه لا يتعدى فعل المضمر
الى الضمير المتصل الا في باب ظن وفي عدم وفقد ولا فرق بين ان يتعدى الفعل بنفسه او بحرف الجر فلا
يجوز زيد ضربه اي ضرب نفسه ولا زيد مر به اي بنفسه ويجوز زيد ظنه قائما وزيد فقده وعدمه
اي ظن نفسه قائما وفقد نفسه وعدمها اذا تقرر هذا فجعل ما منصوبة عطفا على البنات يؤدي الى
تعدي فعل المضمر المتصل وهو واو يجعلون الى ضميره المتصل وهو هم في لهم انتهى وهذا احتاج الى ايضاح
اكثر من هذا وهو انه لا يجوز تعدي فعل المضمر المتصل ولا فعل الظاهر الى ضميرهما المتصل الا في باب
ظن واخواتها من افعال القلوب وفي فقد وعدم فلا يجوز زيد ضربه ولا ضربه زيد اي ضرب نفسه
ويجوز زيد ظنه قائما وظنه زيد قائما وزيد فقده وعدمه وفقده وعدمه زيد ولا يجوز تعدي
فعل المضمر المنفصل ولا الظاهر في باب من الابواب لا يجوز زيد ضرب اي ضرب نفسه وفي قولنا الى ضميرهما
المتصل قيدان احدهما كونه ضميرا فلو كان ظاهرا كالنفس لم يمتنع نحو زيد ضرب نفسه وضرب نفسه
زيد والثاني كونه متصلا فلو كان منفصلا جاز نحو زيد ما ضرب الا اياه وما ضرب زيد الا اياه وادلة
هذه المسئلة مذكورة في كتب النحو وقال مكي وهذا لا يجوز عند البصريين كما لا يجوز جعلت لنفسي طعاما

فلو كان لفظ القرآن ولانفسهم ما يشتهون جاز كما قال البصريون وهذا اصل يحتاج الى تعليل وبسط كبير
وقال ابو حيان بعد ما حكى ان ما في موضع نصب عن الفراء ومن تبعه وقال ابو البقاء وقد حكاه وفيه نظر قال تلميذه
الدين وابو البقاء لم يجعل النظر في هذا الوجه انما جعله في تضعيفه بكونه يؤدي الى تعدي فعل المضمر المتصل
الى ضميره المتصل في غير ما استثني فانه قال وضعف قوم هذا الوجه وقالوا لو كان كذلك لقال ولانفسهم وفيه
نظر فجعل النظر في تضعيفه لا فيه وقد يقال وجه النظر ان الممتنع تعدي ذلك الفعل اي وقوعه على ما جر
بالحرف نحو زيد مررت به فان المرور واقع بزيد واما ما نحن فيه فليس الجعل واقعا بالجاعلين بل بما يشتهون
وكان ابو حيان يعترض دائما على القاعدة المتقدمة بقوله تعالى وهزي اليك بجذع النخلة واضمم اليك جناحك
والجواب عنهما ما تقدم وهو ان الهز والضم ليسا واقعين بالكاف وقد تقدم هذا البحث وانما اعيد لصعوبته
وخصوصيته هذا بزيادة فائدة واراد بقوله ولهم ما يشتهون اي الشيء الذي يشتهونه وهو البنون اي انه
تعالى ذكر ان الواحد من هؤلاء المشركين لا يرضى بالبنت فما لا يرتضيه لنفسه كيف ينسبه لله تعالى فقال
تعالى واذا بشر احدهم بالانثى التبشير في عرف اللغة مختص بالخبر الذي يفيد السرور الا ان اصله عبارة عن
الخبر الذي يؤثر في تغيير بشرة الوجه ومعلوم ان السرور كما يوجب تغير البشرة فكذا الحزن يوجبه فوجب
ان يكون التبشير حقيقة في القسمين ويؤكده قوله تعالى فبشرهم بعذاب اليم وقيل المراد بالتبشير ها هنا
الاخبار **قوله تعالى** ظل وجهه مسودا يجوز ان يكون ظل على بابها من كونها تدل على الاقامة نهارا على الصفة
المسندة الى اسمها وان يكون بمعنى صار وعلى التقديرين فهي ناقصة ومسودا خبرها واما وجهه ففيه وجهان
اشهرهما وهو المتبادر الى الذهن انه اسمها والثاني انه بدل من الضمير المستتر في ظل بدل بعض من كل اي ظل احدهم
وجهه اي ظل وجه احدهم **قوله تعالى** كظيم يجوز ان يكون بمعنى فاعل وان يكون بمعنى مفعول كقوله تعالى
وهو مكظوم والجملة حال ويجوز ان يكون وهو كظيم حالا من الضمير في ظل او من وجهه او من الضمير في مسودا
وقال ابو البقاء هنا فلو قرئ مسود يعني بالرفع لكان مستقيما على ان يجعل اسم ظل مضمرا فيها والجملة خبرها وقال
في سورة الزخرف ويقرأ بالرفع على انه مبتدأ وخبر في موضع خبر ظل **قوله تعالى** يتوارى يحتمل ان تكون
مستأنفة وان تكون حالا مما كانت الاولى حالا منه لا من وجهه فانه لا يليق ذلك به ويجوز ان تكون حالا من
الضمير في كظيم **قوله تعالى** من القوم من سوء تعلق هنا جاران بلفظ واحد لاختلاف معناهما فان الاولى
للابتداء والثانية للعلة اي من اجل سوء ما بشر به **قوله تعالى** ايمسكه قال ابو البقاء في موضع الحال
تقديره يتوارى مترددا هل يمسكه ام لا وهذا خطأ عند النحويين لانهم نصوا على ان الحال لا يقع جملة
طلبية والذي يظهر ان هذه الجملة الاستفهامية معمولة لشيء محذوف هو حال من فاعل يتوارى ليتم الكلام
اي يتوارى ناظرا ومفكرا ايمسكه على هون والعامة على تذكير الضمائر اعتبارا بلفظ ما وقرأ الجحدري ايمسكها
ام يدسها مراعاة للانثى او لمعنى ما وقرئ ايمسكه او يدسه والجحدري وعيسى رحمهما الله على هوان بزنة قذال
وقرئ على هون بفتح الهاء وهي قلقة هنا لان الهون بالفتح الرفق واللين ولا يناسب معناها هنا واما الهون
فمعنى هون المضموم **قوله تعالى** على هون فيه وجهان احدهما انه حال من الفاعل وهو مروي عن ابن عباس
رضي الله عنهما فانه قال ايمسكه مع رضاه بهوان نفسه وعلى رغم انفه والثاني انه حال من المفعول اي يمسكها ذليلة
مهانة والدس اخفاء الشيء وهو هنا عبارة عن الوأد **فصل** معنى الاية ان وجهه يتغير تغير المغموم
ويقال لمن لقي مكروها قد اسود وجهه غما وحزنا وانما جعل اسوداد الوجه كناية عن الغم لان الانسان
اذا قوي فرحه انشرح صدره وانبسط روح قلبه من داخل البدن ووصل الى الاطراف ولا سيما الى الوجه
لما بين القلب والدماغ من التعلق الشديد واذا وصل الروح الى ظاهر الوجه اشرق الوجه وتلألأ واستنار
واذا قوي غم الانسان احتقن الروح في داخل القلب ولم يبق منه اثر قوي في ظاهر الوجه فلا جرم يصفر الوجه
ويسود ويظهر فيه اثر الارضية والكثافة فثبت ان من لوازم الفرح استنارة الوجه واشراقه ومن لوازم الغم
كمودة الوجه وغبرته وسواده فلهذا قال ظل وجهه مسودا وهو كظيم اي ممتلئ غما يتوارى من القوم يختفي
ويتغيب من سوء ما بشر به قال المفسرون كان الرجل في الجاهلية اذا ظهرت آثار الطلق بامرأته توارى
واختفى عن القوم الى ان يعلم ما يولد له فان كان ذكرا ابتهج وان كان انثى حزن ولم يظهر اياما يدبر فيها
ماذا يصنع بها وهو قوله ايمسكه على هون اي يحبسه والامساك هنا الحبس كقوله عز وجل امسك عليك
زوجك والهون الهوان قال النضر بن شميل يقال انه لهون علي هونا وهوانا واهنته هونا وهوانا وقد

تقدم

تقدم الكلام فيه في سورة الانعام عند قوله سبحانه جل ذكره عذاب الهون ام يدسه في التراب
والدس اخفاء الشيء في الشيء كانت العرب يدفنون البنات احياء خوفا من الفقر عليهن وطمع غير الاكفاء
فيهن قال قيس بن عاصم يا رسول الله اني وأدت ثماني بنات في الجاهلية فقال صلوات الله وسلامه عليه
اعتق عن كل واحدة منهن رقبة فقال يا نبي الله اني ذو ابل فقال صلوات الله وسلامه عليه اهد عن كل واحدة منهن
هديا وروي ان رجلا قال يا رسول الله صلى الله وسلم عليك والذي بعثك بالحق نبيا ما اجد حلاوة الاسلام منذ اسلمت
وقد كانت لي في الجاهلية ابنة وامرت امرأتي ان تزينها فاخرجتها فلما انتهيت بها الى واد بعيد القعر القيتها فيه فقالت
يا ابه قتلتني فكلما ذكرت قولها لم ينفعني شيء فقال صلى الله عليه وسلم ما كان في الجاهلية فقد هدمه الاسلام
وما كان في الاسلام يهدمه الاستغفار واعلم انهم كانوا مختلفين في قتل البنات فمنهم من يذبحها ومنهم من يحفر
الحفيرة ويدفنها الى ان تموت ومنهم من يرميها من شاهق ومنهم من يغرقها وكانوا يفعلون ذلك تارة للغيرة وتارة
للحمية وتارة خوفا من الفقر والفاقة ولزوم النفقة وكان صعصعة عم الفرزدق اذا احس بشيء من ذلك وجه
الى والد البنت ابلا يحييها بذلك فقال الفرزدق يفتخر به قوله

وعمي الذي منع الوائدات • فاحيا الوئيد فلم يوأد •

الاباء ما يحكون لانهم يبلغون في الاستنكاف من البنت الى اعظم الغايات اولها يسود وجهه ويختفي من القوم
من شدة نفرته منها ويقدم على قتلها مع ان الولد محبوب بالطبع وذلك يدل على ان النفرة من البنت تبلغ مبلغا
لا مزيد عليه فالشيء الذي يبلغ الاستنكاف منه الى هذا الحد العظيم كيف يليق بالعاقل ان يثبته لاله العالم
المقدس المتعالي عن مشابهة جميع المخلوقات ونظير هذه الاية قوله تعالى الكم الذكر وله الانثى تلك اذا قسمة ضيزى
فصل قال القرطبي ثبت في صحيح مسلم ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من ابتلي من البنات بشيء فاحسن
اليهن كن له سترا من النار وعن انس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من عال جاريتين
حتى تبلغا جاء يوم القيامة انا وهو كهاتين وضم اصابعه اخرجهما مسلم **فصل** قال القاضي دلت هذه الاية
على بطلان الجبر لانهم يضيفون الى الله تعالى من الظلم والفواحش ما اذا اضيف الى احدهم اجهد نفسه في البراءة
منه والتباعد عنه فحكمهم في ذلك مشابه لحكم هؤلاء المشركين بل اعظم لان اضافة البنات الى الله اضافة لقبيح
واحد وذلك اسهل من اضافة كل القبائح والفواحش الى الله تعالى وجوابه انه لما ثبت بالدليل استحالة الصاحبة
والولد على الله اردفه الله تعالى بذكر هذا الوجه الاقناعي والا فليس كل ما قبح في العرف قبح من الله تعالى الا ترى
انه لو زين رجل اماءه وعبيده وبالغ في تحسين صورهم ثم بالغ في تقوية الشهوة فيهم وفيهن ثم جمع الكل وازال
الحائل والمانع فان هذا بالاتفاق حسن من الله تعالى وقبيح من كل الخلق فعلمنا ان التعويل بالوجوه المبنية
على العرف انما يحسن اذا كانت مسبوقة بالدلائل القطعية ان خالقها هو الله سبحانه وتعالى فكيف يمكن اليقينية
وقد ثبت بالبراهين القطعية امتناع الولد على الله تعالى فلا جرم حسنت تقويتها بهذه الوجوه الاقناعية
واما افعال العباد فقد ثبت بالدلائل القطعية ان خالقها هو الله سبحانه وتعالى فكيف يمكن الحاق احد البابين
بالآخر ثم قال للذين لا يؤمنون بالآخرة مثل السوء والمثل السوء عبارة عن صفة السوء وهو احتياجهم الى الولد
وكراهتهم الاناث خوف الفقر والفاقة والعار ولله المثل الاعلى اي الصفة العالية المقدسة وهو كونه تعالى
منزها عن الولد قال ابن عباس رضي الله عنه مثل السوء النار والمثل الاعلى شهادة ان لا اله الا الله وهو العزيز الحكيم
فان قيل كيف جاء ولله المثل الاعلى مع قوله تعالى فلا تضربوا لله الامثال فالجواب ان المثل الذي يضربه
الله حق وصدق والذي يذكره غيره باطل قال القرطبي في الجواب ان قوله تعالى فلا تضربوا لله الامثال اي الامثال
التي توجب الاشباه والنقائص اي لا تضربوا لله مثلا يقتضي نقصا وتشبيها بالخلق والمثل الاعلى وصفه بما لا شبيه
له ولا نظير جل وتعالى **قوله تعالى** ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم الاية لما حكى عن القوم عظيم كفرهم وقبيح
قولهم بين ان هؤلاء الكفار يمهلهم ولا يعاجلهم بالعقوبة اظهارا للفضل والرحمة والكرم قالت المعتزلة هذه
الاية دالة على ان الظلم والمعاصي ليست فعلا لله تعالى بل يكون افعالا للعباد لانه تعالى اضاف ظلم العباد
اليهم فقال عز وجل ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم وايضا لو كان خلقا لله لما اخذهم بها ظالما من الله فلما منع الله
تعالى العباد من الظلم فبان يكون منزها عن الظلم اولى ولانه قوله تعالى بظلمهم الباء فيه تدل على العلية كما في قوله
عز وعلا ذلك بانهم شاقوا الله ورسوله وقد تقدم الجواب مرارا **فصل** ظاهر الاية يدل على ان اقدام
الناس على الظلم يوجب اهلاك جميع الدواب وذلك غير جائز لان الدابة لم يصدر عنها ذنب فكيف يجوز اهلاكها

كان

بسبب ظلم الناس واجيب بوجهين احدهما انا لا نسلم ان قوله ما ترك عليها من دابة يتناول جميع الدواب
قال الجبائي رحمه الله المراد لو واخذهم الله تعالى بما كسبوا من كفر ومعصية لعجل هلاكهم وحينئذ لا يبقى لهم نسل
ومن المعلوم انه لا احد الا وفي ابائه من يستحق العذاب واذا اهلكوا فقد بطل نسلهم فكان يلزم ان لا يبقى في العالم
احد من الناس واذا اهلكوا وجب ان لا يبقى احد من الدواب ايضا لان الدواب مخلوقة لمنافع العباد وهذا وجه
حسن الثاني ان الهلاك اذا ورد على الظلمة ورد ايضا على سائر الناس والدواب فكان ذلك الهلاك في حق الظلمة
عذابا وفي حق غيرهم امتحانا وقد وقعت هذه الواقعة في زمن نوح صلوات الله عليه الثالث لو واخذهم لانقطع
القطر وفي انقطاعه انقطاع الغيث فكان لا يبقى على ظهرها دابة عن ابي هريرة رضي الله عنه سمع رجلا يقول
ان الظالم لا يضر الا نفسه فقال لا والله بل الحبارى لتموت في وكرها بظلم الظالم وعن ابن مسعود رضي الله عنه
كاد الجعل يهلك في جحره بذنب ابن ادم فهذه الوجوه الثلاثة مبنية على ان لفظ الدابة يتناول جميع الدواب
والجواب الثاني ان المراد بالدابة الكافر لقوله تعالى اولئك كالانعام بل هم اضل والكناية في قوله عليها
عائدة الى الارض ولم يسبق لها ذكر الا ان ذكر الدابة يدل على الارض فان الدابة انما تدب على الارض **قوله تعالى**
ولكن يؤخرهم الى اجل مسمى كي يتوالدوا وقال عطاء عن ابن عباس رضي الله عنه يريد اجل القيمة وقيل منتهى العمر
فاذا جاء اجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون **قوله تعالى** ويجعلون لله ما يكرهون
اي البنات التي يكرهونها لانفسهم ويجعلون يصفون الله بذلك ويحكمون به كقولك جعلت زيدا
اعلم الناس اي حكمت بهذا الحكم وتقدم معنى الجعل عند قوله تعالى ما جعل الله من بحيرة **قوله تعالى**
وتصف السنتهم الكذب العامة على ان الكذب مفعول به وان لهم الحسنى بدل منه بدل كل من كل او على
اسقاط الخافض اي بان لهم الحسنى وقرا الحسن السنتهم بسكون التاء تخفيفا وهي تشبه تسكين لام بلى ورسلنا
لديهم يكتبون وهمزة باريكم ونحوه والالسنة جمع لسان مرادا به المذكر كما جمع فعال المذكر نحو حمار
واحمرة واذا اريد به التانيث جمع جمع افعل كذراع واذرع وقرا معاذ بن جبل رضي الله عنه الكذب بضم الكاف
والذال ورفع الباء على انه جمع كذوب كصبور وصبر وهو مقيس وقيل جمع كاذب نحو شارف وشرف
كقوله ● الا يا حمز للشرف النواء ● لكنه غير مقيس وهو حينئذ صفة لالسنتهم وحينئذ يكون ان لهم الحسنى
مفعولا به والمراد بالحسنى البنون وقال يمان يعني بالحسنة الجنة في المعاد فان قيل كيف يحكمون
بذلك وهم ينكرون القيمة فالجواب ان جميعهم لم ينكروا القيمة فقد قيل انه كان في العرب جمع يقرون بالبعث
ولذلك كانوا يربطون البعير النفيس على قبر الميت ويتركونه الى ان يموت ويقولون ان ذلك الميت
اذا حشر فانه يحشر معه مركوبه وقيل انهم يقولون ان كان محمد لصادقا في قوله بالبعث يحصل لنا الجنة
بهذا الدين الذي نحن عليه قيل وهذا القول اولى لقوله بعده لا جرم ان لهم النار فدل على انهم حكموا
لانفسهم بالجنة **قوله تعالى** لا جرم ان لهم النار اي حقا قال ابن عباس رضي الله عنه بلى ان لهم النار
قال الزجاج لا رد لقولهم اي ليس الامر كما وصفوا جرم فعلهم اي كسب ذلك القول لهم النار فعلى هذا ان لهم
في محل النصب بوقوع الكسب عليه وقال قطرب ان في موضع رفع والمعنى وجب ان لهم النار وكيف كان
الاعراب فالمعنى انه يحق لهم النار ويجب **قوله تعالى** وانهم مفرطون قرا نافع بكسر الراء اسم فاعل من افرط
اذا تجاوز فالمعنى انهم متجاوزون الحد في معاصي الله تعالى او في الافتراء فافعل هنا قاصر وقال الفارسي
كانه من افرط اي صار ذا فرط مثل اجرب اي صار ذا جرب والمعنى انهم ذو فرط الى النار كانهم ارسلوا من يهيئ لهم
مواضع الى النار والباقون بفتحها اسم مفعول من افرطته وفيه معنيان احدهما انه من افرطته خلفي اي تركته ونسيته
حكى الفراء ان العرب افرطت منهم ناسا اي خلفتهم والمعنى انهم منسيون متروكون في النار والثاني انه من افرطته اي
قدمته الى كذا وهو منقول بالهمزة من فرط الى كذا اي تقدم اليه كذا قال ابو حيان وانشد للقطامي ●

● واستعجلونا وكانوا من صحابتنا ● كما تعجل فراط لوراد ●

فجعل فرط قاصرا وافرط منقولا وقال الزمخشري بمعنى مقدمون الى النار معجلون اليها من افرطت فلانا وفرطته
اذا قدمته الى الماء فجعل فعل وافعل بمعنى لان افعل منقول من فعل والقولان محتملان ومنه الفرط اي المتقدم
قال صلوات الله وسلامه عليه انا فرطكم على الحوض اي سابقكم ومنه واجعله فرطا وذخرا اي متقدما بالشفاعة
وتثقيل الموازين والمعنى على هذا انهم قدموا الى النار وانهم فرط الذين يدخلون بعدهم وقرا ابو جعفر في رواية انهم
مفرطون بتشديد الراء مكسورة من فرط في كذا اي قصر وفي رواية مفتوحة من فرطته معدى بالتضعيف من فرط

بالتخفيف

بالتخفيف اي تقدم وسبق وقرا عيسى بن عمر والحسن رضي الله عنهم لا جرم ان لهم النار وانهم بكسر ان فيهما على انهما جواب
قسم اغنت عنه لا جرم ثم بين تعالى ان هذا الصنع الذي يصدر من مشركي قريش قد صدر عن سائر الامم السالفة
في حق انبيائهم صلوات الله عليهم فقال تالله لقد ارسلنا الى امم من قبلك فزين لهم الشيطان اعمالهم اي كما ارسلنا الى
هذه الامة وهذا تسلية للرسول صلوات الله وسلامه عليه فيما كان يناله من الغم بسبب جهالات القوم قالت المعتزلة
هذه تدل على فساد قول المجبرة من وجوه احدها انه اذا كان خالق اعمالهم هو الله تعالى فلا فائدة في التزيين والثاني
ان ذلك التزيين هو الذي يدعو الانسان الى الفعل واذا كان حصول الفعل بخلق الله تعالى كان ضروريا
فلم يكن التزيين داعيا والرابع ان على قولهم الخالق لذلك العمل احق بان يكون وليا من الداعي اليه الخامس انه تعالى اضاف
التزيين الى الشيطان كذبا والجواب ان كان مزين القبائح في اعين الكفار هو الشيطان فمزين تلك الوساوس في عين
الشيطان ان كان شيطانا اخر لزم التسلسل وان كان هو الله تعالى فهو المطلوب **قوله تعالى** فهو وليهم اليوم
يجوز ان يكون هذه الجملة حكاية حال ماضية اي فهو ناصرهم او آتية ويراد باليوم يوم القيمة والمعنى فهو وليهم
الذي زين لهم اعمالهم يوم القيمة واطلق اليوم على يوم القيمة لشهرته والمقصود انه لا ولي لهم ولا ناصر لانهم اذا
عاينوا العذاب وقد نزل بالشيطان كنزوله بهم ورأوه انه لا مخلص له منه كما لا مخلص لهم منه جاز ان يوبخوا بان يقال لهم
هذا وليكم اليوم على وجه السخرية وجوز الزمخشري ان يعود على قريش فيكون حكاية حال لا ماضية ولا آتية
والمعنى ان الشيطان يتولى اغواءهم وصرفهم عنك كما فعل بكفار الامم قبلك فعلى هذا رجع عن الاخبار عن الامم
الماضية الى الاخبار عن كفار مكة وسماه وليا لهم لطاعتهم وله عذاب اليم في الاخرة وجوز الزمخشري ان يكون
عائدا على امم ولكن على حذف مضاف تقديره فهو ولي امثالهم اليوم واستبعده ابو حيان وكان الذي حمله على ذلك
قوله اليوم فانه ظرف حالي وقد تقدم انه على حكاية الحال الماضية او الآتية ثم ذكر تعالى انه مع هذا الوعيد
الشديد قد اقام الحجة وازاح العلة فقال تعالى وما انزلنا عليك الكتاب الا لتبين لهم الذي اختلفوا فيه اي
ما انزلنا عليك القران الا لتبين بواسطة بيانات القران الاشياء التي اختلفوا فيها يعني اهل الملل والاهواء مثل
التوحيد والشرك والجبر والقدر واثبات المعاد ونفيه ومثل تحريمهم الحلال كالبحيرة والسائبة وغيرهما
وتحليلهم اشياء محرمة كالميتة **فصل** قالت المعتزلة واللام في لتبين تدل على ان افعال الله تعالى
معللة بالاغراض كقوله تعالى كتاب انزلناه اليك لتخرج الناس وقوله عز وجل وما خلقت الجن والانس الا
ليعبدون والجواب انه لما ثبت بالعقل امتناع التعليل وجب صرفه الى التاويل **قوله تعالى** هدى ورحمة
فيه وجهان احدهما انهما انتصبا على انهما مفعول لاجلهما والناصب انزلنا ولما اتحد الفاعل في العلة والمعلول
وصل الفعل اليهما بنفسه ولما لم يتحد في قوله وما انزلنا الا لتبين اي لان تبين على ان هذه اللام لا بد منها من جهة
اخرى وهي كون مجرورها ان وفيه خلاف في خصوصية هذه المسئلة وهذا معنى قول الزمخشري فانه قال معطوفان
على محل لتبين الا انهما انتصبا على انهما مفعول لهما لانهما فعل الذي انزل الكتاب ودخلت اللام على لتبين
لانه فعل المخاطب لا فعل المنزل وانما ينتصب مفعولا له ما كان فعلا لذلك الفاعل المعلل قال ابو حيان رحمه الله
قوله معطوفان على محل لتبين ليس بصحيح لان محله ليس نصبا فيعطف منصوب الا ترى انه لو نصبه لم يجز لاختلاف
الفاعل قال شهاب الدين الزمخشري لم يجعل النصب لاجل العطف على المحل انما جعله بوصول الفعل اليهما لاتحاد الفاعل
كما صرح به فيما تقدم آنفا وانما جعل العطف لاجل التشريك في العلية لا غير يعني انهما علتان كما ان التبيين علة
ولئن سلمنا انه نصب عطفا على المحل فلا يضر ذلك وقوله لان محله ليس نصبا ممنوع وهذا لا خلاف فيه من ان محل
الجار والمجرور النصب لانه فضلة الا انه يقوم مقام مرفوع الا ترى الى تخريجهم وارجلكم في قراءة النصب على
العطف على محل برؤسكم ويجيزون مررت بزيد وعمروا على خلاف في ذلك بالنسبة الى القياس وعدمه لا في اصل
المسئلة وهذا بحث حسن **فصل** قال الكعبي وصف القران بكونه هدى ورحمة لقوم يؤمنون يدل على
انه ليس كذلك في حق الكل كقوله في اول البقرة هدى للمتقين وانما خص المؤمنين بالذكر لانهم المنتفعون به كقوله
انما انت منذر من يخشاها لانه المنتفع بالانذار هؤلاء القوم فقط **قوله تعالى** والله انزل من السماء ماء الى
الايات اعلم ان المقصود الاعظم من هذا القران العظيم تقرير اصول اربعة الالهيات والنبوات والمعاد واثبات
القضاء والقدر والمقصود الاعظم من هذه الاصول الاربعة تقرير الالهيات فلهذا السبب كلما امتد الكلام
في فصل من الفصول عاد الى تقرير الالهيات فههنا لما امتد الكلام في وعيد الكفار عاد الى تقرير الالهيات
فقال والله انزل من السماء ماء وقد تقدم تقرير هذه الدلائل ثم قال عز وجل ان في ذلك لايات لقوم يسمعون

سماع انصاف وتدبر والمراد سمع القلوب لا سمع الآذان والنوع الثاني من الدلايل الاستدلال بعجائب احوال الحيوانات **قوله تعالى** وان لكم في الانعام لعبرة نسقيكم والعبرة العظة وقرا ابن كثير وابو عمرو وحفص عن عاصم وحمزة والكسائي نسقيكم بضم النون هنا وفي المومنين والباقون بفتح النون فيهما وهذه الجملة يجوز ان تكون مفسرة للعبرة كانه قيل كيف العبرة فقيل نسقيكم من بين فرث ودم لبنا خالصا ويجوز ان يكون خبرا لمبتدا مضمر والجملة جواب لذلك السوال اي هي اي العبرة نسقيكم ويكون كقولهم • تسمع بالمعيدي خير من ان تراه • واختلف الناس هل سقى واسقى لغتان بمعنى ام بينهما فرق خلاف مشهور فقيل هما بمعنى وانشد جمعا بين اللغتين قوله •

سقى قومي بني مجد واسقى • نميرا والقبائل من هلال •

دعا للجميع بالسقي والخصب ونميرا هو المفعول الثاني اي ماء نميرا وقال ابو عبيد من سقى الشفه سقى فقط ومن سقى الشجر والارض اسقى وللداعي لارض بالسقيا وغيرها سقى فقط وقال الازهري رحمه الله العرب تقول لكل ما كان في بطون الانعام ومن السماء او نهر يجري اسقيته اي جعلته شربا له وجعلت له منه مسقى فاذا كان للشفه قالوا سقى ولم يقولوا اسقى وقال الفارسي سقيته حتى روي واسقيته نهرا جعلته له شربا وقيل سقاه اذا ناوله الاناء ليشرب منه ولا يقال من هذا اسقاه وقرا ابو رجا يسقيكم بفتح الياء من سقى قال ابن عطية وهي ضعيفة قال ابو حيان وضعفها عنده والله اعلم انه انث في يسقيكم وذكر في قوله مما في بطونه ولا ضعف من هذه الجهة لان التذكير والتانيث باعتبارين قال شهاب الدين وضعفها عنده من حيث المعنى وهو ان المقصود الامتنان على الخلق فنسبة السقي الى الله تعالى هو الملايم لا نسبته الى الانعام **قوله تعالى** مما في بطونه يجوز ان يكون من للتبعيض وان تكون لابتداء الغاية وعاد الضمير هنا على الانعام مفردا مذكرا قال الزمخشري ذكر سيبويه الانعام في باب ما لا ينصرف في الاسماء المفردة الواردة على افعال كقولهم ثوب اسمال وكذلك رجع الضمير اليه مفردا واما في بطونها في سورة المومنين فلان معناه جمع ويجوز ان يقال في الانعام وجهان احدهما ان يكون تكسير نعم كاجبال في جبل وان يكون اسما مفردا مقتضيا لمعنى الجمع فاذا ذكر فكما يذكر نعم في قوله

في كل عام نعم يحوونه • يلقحه قوم وينتجونه •

واذا انث ففيه وجهان انه تكسير نعم وانه في معنى الجمع قال ابو حيان اما ما ذكره عن سيبويه رحمه الله ففي كتابه في هذا باب ما كان على مثال مفاعل ومفاعيل ما نصه واما اجمال وفلوس فانها تنصرف وما اشبهها لانها ضارعت الواحد الا ترى انك تقول اقوال واقاويل واعراب واعاريب وايد وايا‌د فهذه الاحرف تخرج الى مثال مفاعل ومفاعيل كما يخرج اليه الواحد اذا كسر للجمع واما مفاعل ومفاعيل فلا يكسر فلا يخرج الجمع الى بناء غير هذا لان هذا البناء هو الغاية فلما ضارعت الواحد صرفت ثم قال وكذلك الفعول لو كسرت مثل الفلوس لان تجمع جميعا لاخرجته الى فعائل كما تقول جدود وجدايد وركوب وركايب ولو فعلت ذلك بمفاعل ومفاعيل لم يجاوز هذا البناء ويقوي ذلك ان بعض العرب تقول اتي فيضم الالف واما افعال فقد يقع للواحد من العرب من يقول هو الانعام قال الله عز وجل نسقيكم مما في بطونه وقال ابو الخطاب سمعت من العرب من يقول هذا ثوب اكياش قال والذي ذكره سيبويه هو الفرق بين مفاعل ومفاعيل وبين افعال وفعول وان كان الجميع ابنية للجمع من حيث ان مفاعل ومفاعيل وبين افعال وفعول لا يجمعان وافعالا وفعولا قد يخرجان الى بناء يشبه مفاعل او مفاعيل فلما كانا قد يخرجان الى ذلك انصرفا ولم ينصرف مفاعل ومفاعيل لشبه ذينك بالمفرد من حيث انه يمكن جمعهما وامتناع هذين من الجمع ثم قوي شبههما بالمفرد بان بعض العرب يقول في اتي اتي بضم الهمزة يعني انه قد جاء نادرا فعول من غير المصدر للمفرد وبان بعض العرب قد يوقع افعالا للمفرد من حيث افرد الضمير فيقول هو الانعام وانما ذلك على سبيل المجاز لان الانعام في معنى النعم والنعم يفرد كما قال الشاعر •

تركنا الخيل والنعم المفدى • وقلنا للنساء بها اقيمي •

ولذلك قال سيبويه واما افعال فقد يقع للواحد فقوله قد يقع للواحد دليل على انه ليس ذلك بالوضع فقول الزمخشري انه ذكره في الاسماء المفردة على افعال تحريف في اللفظ وفهم عن سيبويه ما لم يرده ويدل على ما قلنا ان سيبويه حين ذكر ابنية الاسماء المفردة نص على ان افعالا ليس من ابنيتها قال سيبويه في باب ما لحقته الزوائد من بنات الثلاثة وليس في الكلام افعيل ولا افعول ولا افعال ولا افعيل ولا افعال الا ان تكسر عليه اسما للجمع قال فهذا نص منه على ان افعالا لا يكون في الاسماء المفردة قال شهاب الدين الذي ذكره الزمخشري هو ظاهر عبارة سيبويه وهو كاف في تسويغ عود الضمير مفردا وان كان افعال قد يقع موقع الواحد مجازا فان ذلك ليس بنا

عن
ثوب اكياش

فيما نحن بصدده ولم يحرف لفظه ولم يفهم عنه مراده لما ذكرنا من هذا المعنى الذي قصده وقيل انما ذكر الضمير لانه يعود على البعض وهو الاناث لان الذكور لا البان لها فالعبرة انما هي في بعض الانعام وقال الكسائي رحمه الله اي في بطون ما ذكر قال المبرد وهذا شايع في القران قال تعالى ان هذه تذكرة فمن شاء ذكره اي ذكر هذا الشي وقال تعالى فلما راى الشمس بازغة قال هذا ربي اي هذا الشي الطالع ولا يكون هذا الا في التانيث المجازي لا يجوز جاريتك ذهب ولا غلامك ذهبت وعلى ذلك خرج قوله • فيها خطوط من سواد وبلق • كانه في الجلد توليع البهق • اي كان المذكور وقيل جمع التكسير فيما لا يعقل يعامل معاملة الجماعة ومعاملة الجمع ففي هذه السورة اعتبر معنى الجمع وفي سورة المومنين اعتبر معنى الجماعة ومن الاول قول الشاعر • مثل الفراخ نتفت حواصله • وقيل لانه يسد مسده واحد يفهم الجمع فانه يسد مسده نعم ونعم يفهم الجمع ومثله قوله • وطاب البان اللقاح وبرد • لانه يسد مسدها اللبن ومثله قولهم هو احسن الفتيان واجمله • اي احسن فتى الا ان هذا لا ينقاس عند سيبويه واتباعه وذكر ابو البقا ستة اوجه تقدم منها في مضمون ما ذكر خمسة والسادس انه يعود على الفحل لان اللبن يكون من طرق الفحل الناقة فاصل اللبن من الفحل قال وهذا ضعيف لان اللبن وان نسب الى الفحل فقد جمع البطون وليس فحل الانعام واحدا ولا للواحد بطون فان قيل اراد الجنس فقد ذكر يعني انه قد تقدم ان التذكير باعتبار جنس الانعام فلا حاجة الى تقدير عوده على فحل المراد به الجنس وهذا القول نقله مكي عن اسمعيل القاضي ولم يعقبه بنكير قال القرطبي واستنبط القاضي اسمعيل رحمه الله من عود هذا الضمير ان لبن الفحل يفيد التحريم وقال انما جي به مذكرا لانه راجع الى ذكر النعم لان اللبن للذكر محسوب ولذلك قضى النبي صلى الله عليه وسلم بان اللبن يحرم حين انكرته عايشة رضي الله عنها في حديث افلح اخا ابي القعيس فللمراة السقي وللرجل اللقاح **قوله تعالى** من بين فرث يجوز فيه اوجه احدها انه متعلق بنسقيكم على انها لابتداء الغاية فان جعلنا ما قبلها كذلك تعين ان يكون مجرورها بدلا من مجرور من الاولى لئلا يتعلق عاملان متحدان لفظا ومعنى بمعمول واحد وهو ممتنع وهو من بدل الاشتمال لان المكان مشتمل على ما حل فيه وان جعلتها للتبعيض هان الامر الثاني انها في محل نصب على الحال من لبنا اذ لو تاخرت لكانت مجرورها نعتا قال الزمخشري رحمه الله وانما قدم لانه موضع العبرة فهو قمن بالتقديم الثالث انها مع مجرورها حال من الموصول قبلها والفرث فضالة ما يبقى من العلف في الكرش وكنيف ما يبقى من الاكل في المعا ويقال فرثت كبده اي فتتها وافرث فلان فلانا اوقعه في بلية يجري مجرى الفرث روى الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس رضي الله عنه انه قال اذا استقر العلف في الكرش صار اسفله فرثا واعلاه دما واوسطه لبنا فيجري الدم في العروق واللبن في الضرع ويبقى الفرث كما هو **قوله تعالى** لبنا هو المفعول الثاني للسقي وقرئ سيغا بتشديد الياء بزنة سيد وتصريفه كتصريفه وخففه عيسى بن عمر نحو ميت وهين ولا يجوز ان يكون فعلا اذ كان يجب ان يكون سوغا ومعنى سايغا للشاربين اي هنيئا يجري على السهولة في الحلق وقيل انه لم يغص احد باللبن قط

فصل

قال ابن الخطيب اللبن والدم لا يتولدان البتة في الكرش والدليل عليه الحس فان هذه الحيوانات تذبح ذبحا متواليا وما راى احد في كرشها لا دما ولا لبنا ولو كان تولد الدم واللبن في الكرش لوجب ان يشاهد ذلك في بعض الاحوال والشي الذي دلت المشاهدة على فساده لم يجز المصير اليه بل الحيوان الحيوان اذا تناول الغذاء وصل ذلك العلف الى معدته والى كرشه ان كان من الانعام وغيرها فاذا طبخ وحصل الهضم الاول فما كان منه صافيا انجذب الى الكبد وما كان كثيفا نزل الى الامعا ثم ذلك الذي يحصل منه في الكبد يطبخ فيها ويصير دما وذلك هو الهضم الثاني ويكون ذلك الدم مخلوطا بالصفرا والسودا وزيادة المائية اما الصفرا فتذهب الى المرارة والسودا الى الطحال والماء الى الكلية ومنها الى المثانة واما ذلك الدم فانه يدخل في الاوردة وهي العروق النابتة من الكبد وهناك يحصل الهضم الثالث وبين الكبد وبين الضرع عروق كثيرة فينصب الدم من تلك العروق الى الضرع والضرع لحم غددي رخو ابيض فيقلب الله تعالى الدم عند انصبابه الى ذلك اللحم الغددي الرخو الابيض من صورة الدم الى صورة اللبن فهذا هو القول الصحيح في كيفية تولد اللبن فان قيل هذه المعاني حاصلة في الحيوان الذكر فلم لم يحصل منه اللبن قلنا الحكمة الالهية قد اقتضت تدبير كل شي على الوجه اللائق به الموافق لمصلحته فمزاج الذكر من كل حيوان يجب ان يكون حارا يابسا ومزاج الانثى يجب ان يكون رطبا باردا والحكمة فيه ان الولد انما يتولد من الرطوبات غالبة على بدن الام كان بدنها قابلا للتمدد فيتسع للولد فثبت بما ذكرنا انه تعالى خص بدن الانثى من كل حيوان بمزيد الرطوبات لهذه الحكمة ثم ان تلك الرطوبات التي كانت تصير مادة لازدياد بدن الجنين حين كان في رحم الام فعند انفصال الجنين تنصب الى الثدي والضرع ليصير مادة لغذاء ذلك الطفل الصغير فظهر ان السبب الذي لاجله يتولد اللبن من الدم في حق الانثى غير حاصل في حق الذكر فظهر الفرق وقد تقدم

ما نقل عن ابن عباس رضي الله عنه في ان الفرث يكون في اسفل الكرش والدم يكون في اعلاه واللبن يكون في الوسط
وبينا ان هذا القول على خلاف الحس والتجربة واعلم ان حدوث اللبن في الثدي واتصافه بالصفات الموافقة لتغذية
الطفل مشتملا على حكم عجيبة يشهد صريح العقل بانها لا تحصل الا بتدبير الفاعل الحكيم والمدبر الرحيم وبيانه من وجوه
الاول انه تعالى خلق في اسفل المعدة منفذا يخرج منه ثفل الغذاء فاذا تناول الانسان غذاء او شربة رقيقة
انطبق ذلك المنفذ انطباقا كليا لا يخرج منه شيء من ذلك الماكول والمشروب الى ان يكمل انهضامه في المعدة وينجذب
ما صفا منه الى الكبد ويبقى الثفل هناك فحينئذ ينفتح ذلك المنفذ وينزل منه ذلك الثفل وهذا من العجائب
التي لا يمكن حصولها الا بتدبير الفاعل الحكيم لانه متى كانت الحاجة الى خروج ذلك الجسم عن المعدة انفتح فحصل الانطباق
تارة والانفتاح اخرى بحسب الحاجة وتقدير المنفعة مما لا يتاتى الا بتدبير الفاعل الحكيم الثاني انه تعالى اودع
في الكبد قوة تجذب الاجزاء اللطيفة الحاصلة في ذلك الماكول والمشروب ولا تجذب الاجزاء الكثيفة وخلق في الامعاء
قوة تجذب تلك الاجزاء الكثيفة التي هي الثفل ولا تجذب الاجزاء اللطيفة البتة ولو كان الامر بالعكس لاختلت
مصلحة البدن ولفسد نظام هذا التركيب الثالث انه سبحانه وتعالى اودع في الكبد قوة هاضمة طابخة حتى ان تلك
الاجزاء اللطيفة تنطبخ في الكبد وتنقلب دما ثم انه تعالى اودع في المرارة قوة جاذبة للزيادة المائية حتى يبقى الدم
الصافي الموافق لتغذية البدن فتخصيص كل واحد من هذه الاعضاء بتلك القوة الحاصلة لا يمكن الا بتدبير الحكيم العليم
الرابع ان في الوقت الذي يكون الجنين في رحم الام ينصب ذلك الدم نصيبا وافرا حتى يصير مادة لنمو اعضاء ذلك
الولد وازدياده فاذا انفصل ذلك الجنين عن الرحم ينصب ذلك النصيب الى جانب الثدي ليتولد منه اللبن الذي
يكون غذاء له فاذا كبر ذلك الولد لم ينصب ذلك النصيب لا الى الرحم ولا الى الثدي بل ينصب على مجموع بدن المغتذي
فانصباب ذلك الدم في كل وقت الى عضو آخر انصبابا موافقا للمصلحة والحكمة لا يتاتى الا بتدبير الفاعل المختار الحكيم
الخامس ان عند تولد اللبن في الضرع احدث تعالى في حلمة الثدي ثقبا صغيرة ومساما ضيقة وجعلها بحيث
اذا اتصل المص او الحلب بتلك الحلمة انفصل اللبن عنها من تلك المسام الضيقة ولما كانت تلك المسام ضيقة جدا
فحينئذ لا يخرج منها الا ما كان في غاية الصفاء واللطافة واما الاجزاء الكثيفة فانه لا يمكنها الخروج من تلك
المنافذ الضيقة فتبقى في الداخل والحكمة في احداث تلك المنافذ الضيقة في راس الحلمة لكي تكون كالمصفاة
فكل ما كان لطيفا خرج وما كان كثيفا احتبس في الداخل فبهذا الطريق يصير ذلك اللبن خالصا موافقا لبدن
الصبي سائغا للشاربين السادس ان الله تعالى الهم ذلك الصبي الى المص فان الام اذا القت حلمة الثدي في فم الصبي فذلك
الصبي في الحال ياخذ في المص ولولا ان الفاعل المختار الرحيم الهم ذلك الطفل الصغير ذلك العمل المخصوص والا
لم يحصل تخليق ذلك اللبن في الثدي السابع انا بينا انه تعالى انما خلق اللبن من فضلة الدم وانما خلق الدم من الغذاء
الذي تناوله الحيوان فالشاة لما تناولت العشب وتولد منه الدم وتولد اللبن من بعض اجزاء ذلك الدم ثم ان
اللبن حصلت فيه اجزاء ثلاثة على طبائع متضادة فما فيه من الدهن يكون حارا رطبا وما فيه من المائية يكون
باردا رطبا وما كان من الجبنية يكون باردا يابسا وهذه الطبائع ما كانت حاصلة في العشب الذي تناولته
فظهر بهذا ان هذه الاجسام لا تزال تنقلب من صفة الى صفة ومن حالة الى حالة مع انه لا يناسب بعضها بعضا
ولا يشاكل بعضها بعضا وعند ذلك ان هذه الاحوال انما تحدث بتدبير فاعل مختار حكيم رحيم يدبر احوال هذا
العالم على وفق مصالح العباد قال المحققون رضي الله عنهم اعتبار حدوث اللبن كما يدل على وجود الصانع المختار
فكذلك يدل على امكان الحشر والنشر لان العشب الذي ياكله الحيوان انما يتولد من الماء والارض فخالق العالم
دبر تدبيرا آخر فقلب ذلك العشب دما ثم دبر تدبيرا آخر فقلب ذلك الدم لبنا آخر حدث من ذلك اللبن الدهن
والجبن وهذا الاستقراء يدل على انه تعالى قادر على تقليب هذه الاجسام من صفة الى صفة ومن حالة الى حالة
واذا كان كذلك لم يمتنع ايضا ان يكون قادرا على ان يقلب اجزاء الاموات الى صفة الحياة والعقل كما كانت قبل
ذلك فبهذا الاعتبار دل من هذا الوجه على ان البعث والقيامة امر ممكن غير ممتنع قوله تعالى ومن ثمرات النخيل
فيه اربعة اوجه احدها انه متعلق بمحذوف فقدره الزمخشري ونسقيكم من ثمرات النخيل والاعناب اي من عصيرها
وحذف لدلالة نسقيكم قبله عليه قال تعالى وتتخذون بيان وكشف عن كيفية الاسقاء وقدره ابو البقاء خلق لكم
وجعل لكم وما قدره الزمخشري اليق لا يقال لا حاجة الى تقدير نسقيكم بل قوله ومن ثمرات عطف على قوله مما في
بطونه فيكون عطف بعض متعلقات الفعل الاول على بعض كما تقول سقيت زيدا من اللبن ومن العسل فلا يحتاج
الى تقدير فعل قبل قوله ومن العسل لا يقال ذلك لان نسقيكم الملفوظ به وقع تفسيرا للعبرة في الانعام فلا يليق

تعلق هذا به لانه ليس من العبرة المتعلقة بالانعام قال ابو حيان وقيل متعلق بنسقيكم فيكون معطوفا على مما في بطونه
او بنسقيكم محذوفة دل عليها نسقيكم انتهى ولم يعقبه بنكير وفيه ما تقدم آنفا الثاني انه متعلق بتتخذون ومنه
تكرير للظرف توكيدا نحو زيد في الدار فيها قاله الزمخشري رحمه الله وعلى هذا فالهاء في منه فيها ستة اوجه احدها انها تعود
على المضاف المحذوف الذي هو العصير كما رجع في قوله او هم قائلون الى الاهل المحذوف الثاني انها تعود على معنى الثمرات
لانها بمعنى الثمر الثالث انها تعود على النخيل الرابع انها تعود على الجنس الخامس انها تعود على البعض السادس انها تعود على
المذكور الوجه الثالث من الاوجه الاول انه معطوف على قوله في الانعام فيكون في المعنى خبرا عن اسم ان في قوله عز وجل وان
لكم في الانعام لعبرة التقدير وان لكم في الانعام ومن ثمرات النخيل لعبرة ويكون قوله تتخذون بيانا وتفسيرا للعبرة
كما وقع نسقيكم تفسيرا لها ايضا الرابع ان يكون خبرا لمبتدا محذوف فقدره الطبري ومن ثمرات النخيل ما تتخذون
قال ابو حيان وهو لا يجوز على مذهب البصريين قال شهاب الدين وفيه نظر لان له ان يقول ليست ما هذه موصولة بل
نكرة موصوفة وجاز حذف الموصوف والصفة جملة لان في الكلام من ومتى كان في الكلام من اطرد الحذف نحو منا ظعن ومنا
اقام ولهذا نظره مكي بقوله تعالى سبحانه وما منا الا له مقام معلوم اي الا من له مقام قال الحذف من الدلالة من عليها
في قوله وما منا ولما قدره الزمخشري الموصوف قدره ثمر تتخذون منه ونظره بقول الشاعر •

• يرمي بكفي كان من ارمى البشر •

تقديره بكفي رجل الا ان الحذف في البيت شاذ لعدم من ولما ذكر ابو البقاء هذا الوجه قال وقيل هو صفة لمحذوف
تقديره شيئا تتخذون منه بالنصب اي وان من ثمرات النخيل وان شئت شيء بالرفع بالابتداء ومن ثمرات خبره قال
الواحدي والاعناب عطف على الثمرات لا على النخيل لانه يصير التقدير ومن ثمرات الاعناب والعنب نفسه ثمرة وليست
له ثمرة اخرى والسكر يتحصل فيه اقوال احدها انه من اسماء الخمر كقول الشاعر •

• بئس الصحاة وبئس الشرب شربهم • اذا جرى فيهم المزاء والسكر •

الثاني انه في الاصل مصدر ثم سمي به الخمر يقال سكر يسكر سكرا وسكرا نحو رشد يرشد رشدا قال الشاعر •

• وجاؤونا بهم سكر علينا • فاجلى اليوم والسكران صاحي •

قاله الزمخشري الثالث انه اسم للخل بلغة الحبشة قاله ابن عباس الرابع انه اسم للعصير ما دام حلوا كانه سمي بذلك
لمآله لذلك لو ترك الخامس انه اسم للطعم قاله ابو عبيدة وانشد • جعلت اعراض الكرام سكرا • اي تنقلب
باعراضهم وقيل في البيت انه من الخمر وانه اذا انتهك اعراض الناس كانه تخمر بها وقال الضحاك والنخعي رحمهما الله ومن
يبيح شرب النبيذ السكر هو النبيذ وهو نقيع التمر والزبيب اذا اشتد والمطبوخ من العصير ومن حرمه يقول المراد
الاية الاخبار لا الاحلال قوله تعالى ورزقا حسنا يجوز ان يكون من عطف الصفات المتغايرات وهو الظاهر
كما قال المفسرون انه كالزبيب والدبس والخل ونحو ذلك وان يكون من عطف الصفات بعضها على بعض اي تتخذون
منه ما يجمع بين السكر والرزق الحسن كقوله • • الى الملك القرم وابن الهمام • • فصل

ذهب ابن مسعود وابن عمر وسعيد بن جبير والحسن ومجاهد الى ان السكر الخمر والرزق الحسن الخل والرب والتمر والزبيب
قالوا وهذا قبل تحريم الخمر لان هذه السورة مكية وتحريم الخمر نزل في سورة المائدة قال بعضهم ولا حاجة الى التزام
النسخ لانه تعالى ذكر ما في هذه الاشياء من المنافع وخاطب المشركين بها وهي من اشربتهم فهي منفعة في حقهم ثم انه تعالى
نبه في هذه الاية ايضا على تحريمها لانه ميز بينها وبين الرزق الحسن في الذكر فوجب ان السكر لا يكون رزقا حسنا
وهو حسن بحسب الشهوة فوجب ان يقال بان الرجوع عن كونه حسنا بحسب الشريعة وانما تكون كذلك اذا كانت
محرمة ثم انه تعالى لما ذكر هذه الوجوه التي هي دلائل التوحيد من وجه ولتعديد النعم العظيمة من وجه آخر
قال جل ذكره ان في ذلك لاية لقوم يعقلون اي من كان عاقلا علم بالضرورة ان هذه الاحوال لا يقدر عليها الا
الله تعالى فيحتج بحصولها على وجود الاله القادر الحكيم قوله تعالى واوحى ربك الى النحل الاية لما بين ان
اخراج الالبان من النعم واخراج السكر من ثمرات النخيل والاعناب دلائل قاهرة على ان لهذا العالم الها قادرا
مختارا حكيما فكذلك اخراج العسل من النحل دليل قاطع على اثبات هذا المقصود اعلم انه يقال وحى واوحى وهو هنا
الالهام والمعنى انه تعالى قرر في انفسها هذه الاعمال العجيبة التي تعجز عنها العقلاء من البشر وبيانه من وجوه الاول
انها تبني البيوت مسدسة من اضلاع متساوية لا يزيد بعضها على بعض بمجرد طباعها والعقلاء من البشر لا يمكنهم
بناء مثل تلك البيوت الا بالالات والادوات مثل المسطرة والبيكار الثاني انه ثبت في الهندسة ان تلك البيوت
لو كانت مشكلة باشكال سوى المسدسات فانه يبقى بالضرورة فيما بين تلك البيوت فرج خالية ضائعة اما اذا كانت

تلك البيوت مسدسة فانه لا يبقى فيها فرج خالية ضايعة فاهتداء ذلك الحيوان الضعيف الى تلك الحكمة الخفية
الدقيقة اللطيفة من الاعاجيب الثالث ان النحل يحصل بينهم واحد كالرئيس للبقية وذلك الواحد يكون اعظم
جثة من الباقي ويكون نافذ الحكم على تلك البقية وهم يخدمونه ويحملونه عند تعبه وذلك ايضا من الاعاجيب
الرابع انها اذا نفرت عن وكرها وذهبت مع الجمعية الى موضع آخر فاذا ارادوا عودها الى وكرها ضربوا الطبول والآلات
الموسيقية وبواسطة تلك الالحان يقدرون على ردها الى اوكارها وهذه ايضا حالة عجيبة فلما امتاز هذا الحيوان
بهذه الخواص العجيبة الدالة على مزيد الذكاء والكياسة ليس الا على سبيل الالهام وهي حالة شبيهة بالوحي لا جرم
قال سبحانه وتعالى واوحى ربك الى النحل **فصل** قال ابو العباس احمد بن علي المقري رحمه الله الوحي
يرد على ست وجوه الاول الرسالة قال تعالى انا اوحينا اليك اي ارسلنا اليك الثاني الالهام قال تعالى واوحى
ربك الى النحل الثالث الايماء قال تعالى فاوحى اليهم ان سبحوا اي اومى اليهم الرابع الكتابة قال تعالى وان الشياطين
ليوحون الى اوليائهم ليجادلوكم اي يكتبون اليهم الخامس الامر قال تعالى بان ربك اوحى لها اي امرها السادس الخلق
قال تعالى واوحى في كل سماء امرها اي خلق قال القرطبي الالهام هو ما يخلقه الله تعالى في القلب ابتداء من غير سبب
ظاهر قال تعالى ونفس وما سواها فالهمها فجورها وتقواها ومن ذلك البهائم وما يخلق الله تعالى فيها من ادراك
منافعها واجتناب مضارها وتدبير معاشها وقد اخبر الله تعالى عن الارض فقال تعالى تحدث اخبارها بان ربك
اوحى لها واعلم ان الوحي قد ورد في حق الانبياء قال تعالى وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا وفي حق الاولياء قال
تعالى واذ اوحيت الى الحواريين وبمعنى الالهام في حق بقية البشر قال تعالى واوحينا الى ام موسى وفي حق سائر الحيوانات
بمعنى خاص **فصل** قال الزجاج يجوز ان يقال سمي هذا الحيوان نحلا لان الله تبارك وتعالى نحل الناس
العسل الذي يخرج من بطونها وقال غيره النحل يذكر ويؤنث على قاعدة اسماء الاجناس والتانيث فيه لغة الحجاز
ولذلك انثها الله تعالى وكذلك كل جمع ليس بينه وبين واحده الا الهاء وقرا ابن وثاب النحل بفتح الحاء فيحتمل
ان يكون لغة مستقلة وان يكون اتباعا **قوله تعالى** ان اتخذي يجوز ان تكون مفسرة وان تكون مصدرية
واستشكل بعضهم كونها مفسرة قال لان الوحي هنا ليس فيه معنى القول اذ هو الالهام لا قول فيه وفيه نظر لان
القول لكل شيء بحسبه ومن الجبال من فيه للتبعيض اذ لا يتهيا لها ذلك في كل جبل ولا شجر وتقدم القول في
يعرشون ومن قرا بالكسر والفتح في الاعراف والمراد بما يعرشون ما يبنون لها من الاماكن التي تاوي اليها
وقرئ بيوتا بكسر الباء **فصل** اعلم ان النحل نوعان احدهما ما يسكن الجبال والغياض ولا يتعهدها الناس
والثاني ما يسكن البيوت ويتعهدها الناس فالاول هو المراد بقوله عز وجل ان اتخذي من الجبال بيوتا ومن الشجر
والثاني هو المراد بقوله عز وجل ومما يعرشون وهو خلايا النحل واختلفوا فيه فقال بعضهم لا يبعد ان يكون
لهذه الحيوانات عقول مخصوصة بحيث يمكن ان يتوجه عليها امر الله تعالى ونهيه وقال آخرون المراد منه انه
تعالى خلق فيها غرائز وطبائع توجب هذه الاحوال وسياتي الكلام على ذلك في قوله تعالى يا ايها النمل ان شاء
الله تعالى ثم قال تعالى ثم كلي من كل الثمرات من لانها لا تاكل من كل الثمرات كقوله تعالى واوتيت من كل شيء او لابتداء
الغاية قال ابن الخطيب رايت في كتب الطب ان الله تعالى دبر هذا العالم على وجه يحدث في الهواء طل لطيف في الليل
ويقع ذلك الطل على اوراق الاشجار وقد تكون تلك الاجزاء الطلية لطيفة صغيرة متفرقة على الاوراق
والازهار وقد تكون كثيرة بحيث يجتمع منها اجزاء محسوسة كالترنجبين فانه طل ينزل من الهواء ويجتمع
على اوراق الاشجار في بعض البلدان وذلك محسوس فالقسم الاول هو الذي الهم الله تعالى هذا النحل ان تلتقط
تلك الذرات من الازهار والاوراق من الاشجار بافواهها وتاكلها وتغتذي بها فاذا شبعت التقطت بافواهها
مرة اخرى شيئا من تلك الاجزاء ثم تذهب بها الى بيوتها وتضعها هنالك كانها تدخر لنفسها غذاءها فاذا اجتمع
في بيوتها من تلك الاجزاء الطلية شيء كثير فذاك هو العسل ومنهم من يقول ان النحل ياكل من الازهار الطيبة
والاوراق العطرة اشياء ثم انه تعالى جل ذكره يقلب تلك الاجسام في داخل ابدانها عسلا ثم انها تقيء مرة
اخرى فذاك هو العسل والاول اقرب ولا شك انه طل يحدث في الهواء ويقع على اطراف الاشجار والازهار
لتغتذي بتلك الاجزاء الطلية العسلية الواقعة من الهواء واذا كان كذلك فقوله من كل الثمرات ان من هنا
لابتداء الغاية لا للتبعيض **قوله تعالى** فاسلكي سبل ربك اي اذا اكلت من الثمرات فاسلكي سبل ربك
الطرق التي الهمك وافهمك في عمل العسل او اسلكي في طلب تلك الثمرات سبل ربك **قوله تعالى** ذللا جمع ذلول
ويجوز ان يكون حالا من السبل اي ذللها الله تعالى لقوله عز وجل جعل لكم الارض ذلولا وان يكون حالا من فاعل اسلكي

مطيعة منقادة بمعنى ان اهلها ينقلونها من مكان الى مكان ولها يعسوب اذا وقف وقفت واذا سار سارت
وانتصاب سبل يجوز ان يكون على الظرفية اي فاسلكي ما اكلت في سبل ربك اي في مسالكه التي يحيل فيها بقدرته
النور ونحوه عسلا وان يكون مفعولا به اي اسلكي الطرق التي افهمك والمقصود منه انه يحتج المكلف به على قدرة الله تعالى
وحكمته وحسن تدبيره واعلم انا اذا حملنا الكلام على ان النحل ياكل الاوراق والثمرات ثم يتقياها فذاك هو العسل فظاهر
واذا ذهبنا الى ان النحل يلتقط الاجزاء الطلية بفمه فالمراد بقوله يخرج من بطونها اي من افواهها فكل تجويف في
داخل البدن يسمى بطنا كقولهم بطون الدماغ اي تجاويف الدماغ فكذا قوله تعالى يخرج من بطونها اي من افواهها
قوله تعالى شراب مختلف الوانه انه تارة يشرب وحده وتارة يتخذ منه الاشربة ومختلف الوانه ابيض واحمر
واصفر وقوله تعالى فيه شفاء للناس اي في العسل روى ابو سعيد الخدري رضي الله عنه قال جاء رجل الى النبي
صلى الله عليه وسلم فقال ان اخي استطلق بطنه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اسقه عسلا فسقاه ثم جاء فقال
اني سقيته فلم يزده الا استطلاقا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اسقه عسلا ثلاث مرات ثم جاء الرابعة فقال اسقه
عسلا فقال قد سقيته فلم يزده الا استطلاقا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم صدق الله وكذب بطن اخيك فسقاه
فبرا وقال عبد الله بن مسعود العسل شفاء من كل داء فان قيل كيف يكون شفاء للناس وهو يضر بالصفراء ويهيج
المرار فالجواب انه تعالى لم يقل انه شفاء لكل الناس ولكل داء في كل حال بل لما كان شفاء في الجملة لانه قل معجون من المعاجين
الا وتمامه وكماله يحصل بالعجن بالعسل والاشربة المتخذة منه في الامراض البلغمية عظيمة النفع وقال مجاهد رحمه الله
المراد بقوله تعالى فيه شفاء للناس القرآن لقوله تعالى شفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين وقال
صلوات الله وسلامه عليه بالشفاءين من القرآن والعسل وعلى هذا تم الكلام عند قوله تعالى مختلف الوانه ثم ابتدا
وقال فيه شفاء للناس اي في هذا القرآن وهذا القول ضعيف لما تقدم من الحديث ولان الضمير يجب عوده الى اقرب
مذكور وهو الشراب واما عوده الى غير مذكور فلا يناسب فان قيل ما المراد بقوله صلوات الله وسلامه عليه
وكذب بطن اخيك فالجواب لعله صلوات الله وسلامه عليه علم بالوحي ان ذلك العسل سيظهر نفعه بعد ذلك
فلما لم يظهر نفعه في الحال كان هذا جاريا مجرى الكذب فلهذا اطلق عليه هذا اللفظ ثم انه تعالى ختم الاية بقوله
تعالى ان في ذلك لاية لقوم يتفكرون اي فيما ذكرنا من اختصاص النحل بتلك العلوم الدقيقة والمعارف
الغامضة مثل بناء البيوت المسدسة واهتدائها الى جمع تلك الاجزاء الواقعة من جو الهواء على اطراف اوراق الاشجار
بعد تفرقها فكل ذلك امور عجيبة دالة على ان اله هذا العالم رتبه على رعاية الحكمة والمصلحة **قوله تعالى**
والله خلقكم ثم يتوفاكم الاية لما ذكر تعالى عجائب احوال الانهار والنبات والانعام والنحل ذكر بعض عجائب احوال
الناس في هذه الاية واعلم ان العقلاء ضبطوا مراتب عمر الانسان في اربع مراتب اولها سن النشو والنما وثانيها سن
الوقوف وهو سن الشباب وثالثها سن الانحطاط القليل وهو سن الكهولة ورابعها الانحطاط الكبير وهو سن
الشيخوخة فاحتج تعالى بانتقال الحيوان من بعض هذه المراتب الى بعض على ان ذلك الناقل هو الله تعالى ثم قال
تعالى ثم يتوفاكم عند انقضاء آجالكم صبيانا او شبانا او كهولا ومنكم من يرد الى ارذل العمر اي اردئه لقوله عز وجل
واتبعك الارذلون وقوله تعالى الا الذين هم اراذلنا قال مقاتل يعني الهرم وقال قتادة تسعون سنة
وقيل ثمانون سنة قيل هذا مختص بالكافر لان المسلم لا يزداد بسبب طول العمر الا كرامة على الله ولا يجوز ان
يقال في حقه انه رده الى ارذل العمر لقوله تعالى ثم رددناه اسفل سافلين الا الذين امنوا وعملوا الصالحات
ما ردوا الى اسفل سافلين وقال عكرمة من قرا القرآن لم يرد الى ارذل العمر **قوله تعالى** لكيلا في هذه اللام
وجهان احدهما انها لام التعليل وكي بعدها مصدرية ليس الا وهي ناصبة بنفسها للفعل بعدها وهي ومنصوبها
في تاويل مصدر مجرور باللام واللام متعلقة بيرد وقال الحوفي انها لام كي وكي للتاكيد وفيه نظر لان اللام
للتعليل وكي مصدرية لا اشعار لها بالتعليل والحالة هذه وايضا فعملها مختلف والثاني انها لام الصيرورة **قوله
تعالى** شيئا يجوز فيه التنازع لانه تقدمه عاملان يعلم وعلم فعلى راي البصريين وهو المختار يكون منصوبا بعلم
وعلى راي الكوفيين يكون منصوبا بيعلم وهو مردود اذ لو كان كذلك لاضمر في الثاني فيقال لكيلا يعلم بعد علم
اياه شيئا ومعنى الاية لا يعقل بعد عقله الاول شيئا ان الله عليم قدير قال ابن عباس رضي الله عنه يريد بما صنع
باوليائه واعدائه قدير على ما يريد **فصل** هذه الاية كما دلت على وجود الاله القادر الفاعل المختار
فهي ايضا تدل على صحة البعث والقيامة لان الانسان كان معدوما محضا فاوجده الله ثم اعدمه مرة ثانية فدل على
انه لما كان معدوما في المرة الاولى كان عوده الى العدم في المرة الثانية جائزا فكذلك لما صار موجودا ثم عدم وجب

ان يكون عوده الي الوجود في المرة الثانية جائزا وايضا لما كان نطفة كان ميتا ثم صار حيا ثم مات فلما كان الموت الاول جائزا كان عود الموت جائزا وكذلك لما كانت الحيوة الاولي جائزة وجب ان يكون عود الحيوة جائزا في المرة الثانية وايضا فالانسان في اول طفوليته جاهل لا يعرف شيا ثم صار عالما عاقلا فلما بلغ ارذل العمر عاد الي ما كان عليه في زمان الطفولية وهو عدم العقل والفهم في المرة الاولي عاد بعينه في آخر العمر فكذلك العقل حصل ثم زال وجب ان يكون جائز العود في المرة الثانية واذا ثبتت هذه الجملة ثم ان الذي مات وعدم فانه يجوز عود وجوده وعود حياته وعود عقله مرة اخري ومتي كان الامر كذلك ثبت ان القول بالبعث والحشر حق **قوله تعالي** والله فضل بعضكم علي بعض في الرزق الاية وهذا اعتبار بحال اخري من احوال الانسان لانا نري اكيس الناس واكثرهم عقلا يفني عمره في طلب القليل من الدنيا ولا يتيسر له ذلك ونري اجلاف الناس واقلهم عقلا وفهما تنفتح عليه ابواب الدنيا وكل شي خطر بباله او دار في خياله يحصل له في الحال ولو كان السبب هو جهد الانسان وعقله لوجب ان يكون العاقل افضل في هذه الاحوال فلما راينا الاعقل الافضل اقل نصيبا والاجهل الاحس اوفر نصيبا علمنا ان ذلك بسبب قسمة القسام كما قال تعالي نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحيوة الدنيا وهذا التفاوت غير مختص بالمال بل حاصل في الذكاء والبلادة والحسن والقبح والعقل والحمق والصحة والسقم وغير ذلك **قوله تعالي** فما الذين فضلوا برادي رزقهم علي ما ملكت ايمانهم فيه قولان الاول ان المراد من هذا الكلام تقرير ما تقدم من ان السعادة والنحوسة لا تحصلان الا من الله تعالي والمعني انا رزقنا الموالي والمماليك جميعا فهم في الرزق سواء فلا تحسبن الموالي انهم يرزقون مماليكهم من عندهم شيا وانما ذلك رزقي اجريته علي ايديهم الي مماليكهم والحاصل ان الرازق هو الله وان المالك لا يرزق العبد وتحقيق القول فيه انه ربما كان العبد اكمل عقلا واقوي جسما واكثر وقوفا علي المصالح والمفاسد من المولي وذلك يدل علي ان ذلة العبد وعزة المولي من الله كما قال جل ذكره تعز من تشاء وتذل من تشاء الثاني ان المراد من الاية الرد علي من اثبت شريكا لله عز وجل وعلي هذا القول فيه وجهان الاول ان يكون هذا ردا علي عبدة الاصنام كانه قيل انه تعالي فضل الملوك علي مماليكهم فجعل المملوك لا يقدر علي ملك مع مولاه فاذا لم تكن عبيدكم معكم سواء في الملك فكيف تجعلون هذه الجمادات معي سواء في المعبودية والثاني قال ابن عباس رضي الله عنه نزلت هذه الاية في نصاري نجران حين قالوا ان عيسي ابن مريم عليه السلام ابن الله والمعني انكم لا تشركون عبيدكم في ما ملكتم فتكونون سواء فكيف جعلتم عبدي ولدا وشريكا لي في الالهية **قوله تعالي** فهم فيه سواء في هذه الجملة وجهان احدها علي حذف اداة الاستفهام تقديره افهم فيه سواء ومعناه النفي اي ليسوا مستوين فيه الثاني انها اخبار بالتساوي بمعني انما يطعمونه ويلبسونه لمماليكهم انما هو رزقي اجريته علي ايديهم فهم فيه سواء الثالث قال ابو البقاء انها واقعة موقع فعل ثم جوز في ذلك الفعل وجهين احدهما انه منصوب في جواب النفي تقديره فما الذين فضلوا برادي رزقهم علي ما ملكت ايمانهم فيستووا والثاني انه معطوف علي موضع برادي فيكون مرفوعا تقديره فما الذين فضلوا يردون فما يستوون **قوله تعالي** افبنعمة الله يجحدون الباء في قوله افبنعمة الله يجوز ان تكون زائدة لان الجحود لا يتعدي بالباء كقوله تعالي يشرب بها عباد الله وقوله وهزي اليك بجذع النخلة اي جذع النخلة وقرئ تنبت بالدهن ... مفتوحة التاء ... [كذا]

بالباء كالخطام وبالخطام ونحوها تعلقت زيدا وبزيد ويجوز ان يراد بالجحود الكفر فعدي بالباء لكونه بمعني الكفر وقرا عاصم في رواية ابي بكر تجحدون بالخطاب كقوله بعضكم وخلقكم والباقون بالغيبة مراعاة لقوله عز وجل فما الذين فضلوا وقوله فهم فيه سواء واختاره ابو عبيد وابو حاتم لقرب المخبر عنه وايضا فالخطاب مع المسلمين والمسلمون لا يخاطبون بجحد نعمة الله تعالي وهذا انكار علي المشركين فان قيل كيف يصيرون جاحدين لنعمة الله عليهم بسبب عبادة الاصنام فالجواب من وجهين الاول انه لما كان المعطي لكل الخيرات هو الله تعالي فالمثبت له شريكا يضيف اليه بعض تلك الخيرات فكان جاحدا لكونها من عند الله وايضا فان اهل الطبائع واهل النجوم يضيفون اكثر هذه النعم الي الطبائع والي النجوم وذلك يوجب كونهم جاحدين لكونها من عند الله الثاني قال الزجاج انه تعالي لما بين الدلائل واظهرها بحيث يفهمها كل عاقل كان ذلك انعاما عظيما منه علي الخلق فعند هذا قال افبنعمة الله يجحدون في تقرير هذه البيانات وايضاح هذه البينات يجحدون **قوله تعالي** والله جعل لكم من انفسكم ازواجا الاية هذا نوع آخر من احوال الناس استدل به علي وجود الاله المختار الحكيم وتنبيها علي انعام الله علي عبيده بمثل هذه النعم وهذا خطاب للكل فتخصيصه بآدم وحوي صلوات الله عليهما خلاف الدليل والمعني انه تعالي خلق النساء ليتزوج بها الذكور ومعني من انفسكم كقوله تعالي فاقتلوا انفسكم فسلموا علي انفسكم اي بعضكم بعضا ونظيره ومن آياته ان خلق لكم من انفسكم ازواجا قال الاطباء

واهل الطبيعة المني اذا انصب الي الخصية اليمني من الذكر ثم انصب منه الي الجانب الايمن من الرحم كان الولد ذكرا تاما وان انصب من الخصية اليسري ثم انصب منها الي الجانب الايسر من الرحم كان الولد انثي تاما في الانوثة وان انصب الي الخصية اليسري وانصب منها الي الجانب الايمن من الرحم كان ذكرا في طبيعة الاناث وان انصب الي الخصية اليسري ثم انصب الي الجانب الايمن من الرحم كان هذا الولد انثي في طبيعة الذكور وحاصل كلامهم ان الذكور الغالب عليها الحرارة واليبوسة والغالب علي الاناث البرودة والرطوبة وهذه العلة ضعيفة فانا راينا في النساء من كانت مزاجها في غاية السخونة وفي الرجال من كان مزاجه في غاية البرودة ولو كان الموجب للذكورة والانوثة ذلك لامتنع ذلك فثبت ان خالق الذكر والانثي هو الاله القادر الحكيم **قوله تعالي** وحفدة فيه اوجه اظهرها انه معطوف علي بنين بقيد كونه من الازواج وفسر هذا بانه اولاد الاولاد الثاني انه من عطف الصفات لشي واحد اي جعل لكم بنين خدما والحفدة الخدم الثالث انه منصوب بجعل مقدرة وهذا عند من يفسر الحفدة بالاعوان والاصهار وانما احتيج الي تقدير جعل لان جعل الاولي مقيدة بالازواج والاعوان والاصهار ليسوا من الازواج والحفدة جمع حافد كخادم وخدم قال الواحدي رحمه الله ويقال في جمعه الحفد بغير هاء كما يقال الرصد ومعني الحفدة في اللغة الاعوان والخدم وفيهم للمفسرين اقوال كثيرة واشتقاقهم من قولهم حفد يحفد حفدا وحفودا وحفدانا اي اسرع في الطاعة وفي الحديث واليك نسعي ونحفد اي نسرع في طاعتك وقال الاخر

حفد الولائد حولهن واسلمت • باكفهن ازمة الاجمال •

ويستعمل حفد ايضا متعديا قال الحفدي وهو حافد وانشد

يحفدون الضيف في ابياتهم • كرما ذلك منهم غير ذل •

انه يقال احفد رباعيا وقال بعضهم الحفدة الاصهار وانشد

فلو ان نفسي طاوعتني لاصبحت • لها حفد مما يعد كثير •

ولكنها نفس علي ابية • لاصهار اللئام قذور •

(في الهامش: وحكي ابو عبيدة — ويقال سيف)

محتفد اي سريع القطع وقال الاصمعي اصل الحفد مقاربة الخطو **قوله تعالي** ورزقكم من الطيبات لما ذكر انعامه علي عبيده بالمنكوح وما فيه من المنافع والمصالح ذكر انعامه عليهم بالمطعومات الطيبة ومن في من الطيبات للتبعيض ثم قال تعالي افبالباطل يؤمنون قال ابن عباس رضي الله عنه يعني بالاصنام وقال مقاتل يعني بالشيطان وقال عطا يصدقون ان لي شريكا وصاحبة وولدا وبنعمة الله هم يكفرون اي بان يضيفوها الي غير الله ولا يضيفونها الي الله وقيل يكفرون بالتوحيد والاسلام وقيل يحرمون علي انفسهم طيبات احلها الله لهم مثل البحيرة والسائبة والوصيلة والحام ويبيحون لانفسهم محرمات حرمها الله عليهم وهي الميتة ولحم الخنزير وما ذبح علي النصب اي يجحدون ويكفرون انعام الله في تحليل الطيبات وتحريم الخبائث ويحكمون بالاحكام الباطلة **قوله تعالي** ويعبدون من دون الله ما لا يملك لهم رزقا الاية لما شرح الدلائل الدالة علي صحة التوحيد واتبعها بذكر اقسام النعم العظيمة اتبعها بالرد علي عبدة الاصنام فقال ويعبدون من دون الله ما لا يملك لهم رزقا من السموات يعني المطر والارض يعني النبات والثمار قوله تعالي من السموات فيه ثلاثة اوجه احدها انه متعلق بيملك وذلك علي الاعرابين الاولين في نصب شيا الثاني انه متعلق بمحذوف علي انه صفة لرزقا الثالث ان يتعلق بنفس رزقا ان جعلناه مصدرا وقال ابن عطية تعالي ان ذكر اعمال المصدر مضافا باتفاق لانه في تقدير الانفصال ولا يعمل اذا دخله الالف واللام لانه قد توغل في حال الاسماء وبعد عن الفعلية وتقدير الانفصال في الاضافة حسن عمله وقد جاء عاملا مع الالف واللام في قول الشاعر

ضعيف النكاية اعداءه • وقوله •

فلم انكل عن الضرب مسمعا • قال ابو حيان اما قوله باتفاق فان عني من البصريين فصحيح وان عني من النحويين فليس بصحيح اذ قد ذهب بعضهم الي انه لا يعمل فان وجد بعده منصوب او مرفوع قدر له عاملا واما قوله في تقدير الانفصال فليس كذلك الا ان تكون اضافته غير محضة كما قال به ابن الطراوة وابن برهان ومذهبهما فاسد لان هذا المصدر قد نعت واكد بالمعرفة وقوله لا يعمل الي آخره ناقضه بقوله وقد جاء عاملا الي آخره قال صاحب الدين فغاية ما في هذا انه نحا الي قول قال بها غيره واما المناقضة فليست صحيحة لانه عني اولا انه لا يعمل في السعة وثانيا انه قد جاء عاملا في الضرورة ولذلك قيده فقال في قول الشاعر **قوله تعالي** شيا فيه ثلاثة اوجه احدها انه منصوب علي المصدر اي لا يملك لهم ملكا اي شيا من الملك والثاني انه بدل من رزقا اي لا يملك لهم شيا وهذا غير مفيد اذ من المعلوم ان الرزق شي من الاشياء ويؤيد ذلك ان البدل ياتي لاحد معنيين

البيان والتأكيد وهذا ليس فيه بيان لأنه أعم ولا تأكيد الثالث أنه منصوب برزقًا على أنه اسم مصدر واسم
المصدر يعمل عمل المصدر على خلاف في ذلك ونقل مكي أن اسم المصدر لا يعمل عند البصريين إلا في شعر وقد اختلف
النقلة عن البصريين فمنهم من نقل المنع ومنهم من نقل الجواز وقد ذكر الفارسي انتصابه برزقًا كما تقدم ورد عليه
ابن الطراوة بأن الرزق اسم المرزوق كالرعي والطحن ورد على ابن الطراوة بأن الرزق بالكسر أيضًا مصدر وقد سمع
فيه ذلك فظاهر هذا أنه مصدر بنفسه لا اسم مصدر **قوله تعالى** ولا يستطيعون يجوز في الجملة وجهان
على صلة ما والإخبار عنهم بنفي الاستطاعة على سبيل الاستيناف وقد يكون وقد جمع الضمير العائد على ما باعتبار
معناها إذ المراد بذلك آلهتهم ويجوز أن يكون الضمير عائدًا على العابدين فإن قيل قال تعالى ويعبدون
من دون الله ما لا يملك فعبر عن الأصنام بصيغة ما وهي لغير العاقل ثم جمع بالواو والنون فقال ولا يستطيعون
وهو مختص بأولي العلم فالجواب أنه عبر عنها اعتبارًا باعتقادهم أنها آلهة والفائدة في قوله ولا يستطيعون
أن من لا يملك شيئًا قد يوصف باستطاعة أن يملك بطريق من الطرق فبين تعالى أن هذه الأصنام لا تملك وليس
لها استطاعة تحصيل الملك ثم قال تعالى فلا تضربوا لله الأمثال يعني الأشباه فتشبهونه بخلقه وتجعلون له
شريكًا فإنه واحد لا مثل له سبحانه إن الله يعلم ما عليكم من العقاب العظيم وأنتم لا تعلمون خطأ ما تضربون من
الأمثال وحذف مفعول العلم اختصارًا أو اقتصارًا ثم ضرب مثلا للمؤمن والكافر فقال تعالى ضرب الله مثلا عبدًا
مملوكا لا يقدر على شيء هذا مثل الكافر رزقه الله مالا فلم يقدم فيه خيرًا **قوله تعالى** ومن رزقناه يجوز في من
هذه أن تكون موصولة وأن تكون موصوفة واختاره الزمخشري رحمه الله قال كأنه قيل وحرًا رزقناه ليطابق عبدًا
ومحلها النصب عطفا على عبدًا وقد تقدم الكلام في المثل الواقع بعد ضرب وقوله سرًا وجهرًا يجوز أن يكون
منصوبًا على المصدر أي إنفاق سر وجهر ويجوز أن يكون حالا وهذا مثل المؤمن أعطاه الله مالا فعمل فيه بطاعة
الله وأنفقه في رضى الله تعالى سرًا وجهرًا منه يجوز أن يكون منصوبًا على المصدر فأثابه الله عليه الجنة **قوله**
هل يستوون إنما جمع الضمير وإن تقدمه اثنان لأن المراد جنس العبيد والأحرار المدلول عليهما بعبدًا وبمن رزقناه
وقيل على الأغنياء والفقراء المدلول عليهما بهما أيضًا وقيل اعتبارًا بمعنى من فإن معناها جمع راعى معناها بعد أن راعى
لفظها **فصل** قيل المراد بقوله عبدًا مملوكًا لا يقدر على شيء هو الصنم لأنه عبد بدليل قوله إن كل من في السموات
والأرض إلا آتي الرحمن عبدًا وهو مملوك لا يقدر على شيء والمراد بقوله ومن رزقناه منا رزقا حسنا فهو ينفق منه سرًا
وجهرًا عابد الصنم لأن الله تعالى رزقه المال فهو ينفق منه على نفسه وعلى أتباعه سرًا وجهرًا فهما لا يستويان في بديهة
العقل بل صريح العقل شاهد بأن عابد الصنم أفضل من الصنم فكيف يجوز الحكم بكونه مساويًا لرب العالمين في المعبودية
وقيل المراد بالعبد المملوك عبد معين قيل أبو جهل ومن رزقناه منا رزقا حسنا أبو بكر الصديق رضي الله عنه
وقيل عام في كل عبد بهذه الصفة وفي كل حر بهذه الصفة **فصل** دلت هذه الآية على أن العبد لا يملك
فإن قيل الآية دلت على أن عبدًا من العبيد لا يقدر على شيء فلم قلتم إن كل عبد كذلك فالجواب أنه ثبت في أصول
الفقه أن الحكم المذكور عقيب الوصف المناسب يدل على كون ذلك الوصف علة لذلك الحكم وكونه عبدًا وصف مشعر
بالذل والمقهورية وقوله لا يقدر على شيء حكم مذكور عقيبه وهذا يقتضي أن العلة لعدم القدرة على شيء هو كونه
عبدًا وأيضًا قال بعده ومن رزقناه منا رزقا حسنا فميز هذا القسم الثاني عن القسم الأول وهو العبد بهذه
الصفة وهو أنه رزقه رزقا حسنا فوجب أن لا يحصل هذا الوصف للعبد حتى يحصل الامتياز بين الثاني وبين الأول
ولو ملك العبد لكان الله قد آتاه رزقا حسنا لأن الملك الحلال رزق حسن ثم اختلفوا فروي عن ابن عباس رضي الله عنه
وعنه التشديد في ذلك حتى قال لا يملك الطلاق أيضًا وأكثر الفقهاء على أنه يملك الطلاق واختلفوا في أن المالك
إذا ملكه شيئًا هل يملكه أم لا وظاهر الآية ينفيه **فإن قيل** لم قال عبدًا مملوكًا لا يقدر على شيء وكل عبد
فهو مملوك وغير قادر على التصرف فالجواب ذكر المملوك ليحصل الامتياز بينه وبين الحر لأن الحر قد يقال
إنه عبد الله وأما قوله لا يقدر على شيء فللتمييز بينه وبين المكاتب والعبد المأذون لأنهما يقدران على التصرف
قوله تعالى الحمد لله قال ابن عباس رضي الله عنه على ما فعل بأوليائه وأنعم عليهم بالتوحيد وقيل المعنى
أن الحمد كله لله وليس شيء من الحمد للأصنام لأنه لا نعمة لها على أحد وقوله عز وجل بل أكثرهم لا يعلمون أي أنهم لا
يعلمون أن كل الحمد لي وليس شيء للأصنام وقال القاضي رحمه الله قال للرسول صلوات الله وسلامه عليه قل الحمد
وقيل هذا خطاب لمن رزقه الله رزقا حسنا أن يقول الحمد لله على أن ميزه في هذه القدرة على ذلك العبد الضعيف
وقيل لما ذكر هذا المثل مطابقا للغرض كاشفا عن المقصود قال بعده الحمد لله على قوة هذه الحجة وظهور هذه

البينة ثم قال بل أكثرهم لا يعلمون أي أنها مع غاية ظهورها ونهاية وضوحها لا يعلمونها هؤلاء الجهال **قوله
تعالى** وضرب الله مثلا رجلين أحدهما أبكم الآية وهذا مثل ثان لإبطال قول عبدة الأصنام وتقريره أنه لما
تقرر في أوائل العقول أن الأبكم العاجز لا يساوي في الفضل والشرف الناطق القادر الكامل مع استوائهما في البشرية
فلأن نحكم بأن الجماد لا يكون مساويًا لرب العالمين في المعبودية أولى قال الواحدي قال أبو زيد الأبكم هو العيي المفحم وقد بكم
بكمًا وبكامة وقال أيضًا الأبكم الأقطع اللسان وهو الذي لا يحسن الكلام وروى ثعلب عن ابن الأعرابي الأبكم الذي
لا يسمع ولا يبصر ثم قال لا يقدر على شيء إشارة إلى العجز التام والنقصان الكامل وقوله تعالى كل على مولاه الكل الثقيل
والكل العيال والجمع كلول فالكل من لا ولد له ولا والد له والكل أيضًا اليتيم سمي بذلك لثقله على كافله قال الشاعر

أكول لمال الكل قبل شبابه • إذا كان عظم الكل غير شديد

قال أهل المعاني أصل الكل من الغلظ هو نقيض الحدة يقال كل السكين إذا غلظت شفرته فلم تقطع وكل اللسان
إذا غلظ فلم يقدر على الكلام وكل فلان عن الأمر إذا ثقل عليه فلم ينبعث فيه فمعنى كل على مولاه أي غليظ وثقيل على مولاه
أهله ولايته **قوله تعالى** أينما يوجهه لا يأت بخير وقرأ ابن مسعود وابن وثاب وعلقمة يوجه بهاء
واحدة ساكنة للجزم وفي فاعله وجهان أحدهما أنه ضمير الباري تعالى ومفعوله محذوف كقراءة العامة والثاني
أنه ضمير الأبكم ويكون يوجه لازمًا بمعنى توجه يقال وجه وتوجه بمعنى وقرأ علقمة أيضًا وطلحة كذلك إلا أنه بضم الهاء
وفيها أوجه أحدها أن أينما ليست هنا شرطية ويوجه خبر مبتدأ مضمر أي أينما هو يوجه أي الله تعالى والمفعول محذوف
وحذفت الياء لأجل التضعيف وهذه الياء هي هاء الضمير فلم يجلها جزم ذكر هذين الوجهين أبو الفضل الرازي
الثالث أن أينما أهملت حملا على إذا لما بينهما من الأخوة في الشرط كما حملت إذا عليها في الجزم في بعض المواضع وحذفت
الياء من يأت تخفيفًا أو جزمًا على التوهم ويكون يوجه لازمًا بمعنى توجه كما تقدم وقرأ عبد الله أيضًا وقال أبو حاتم
وقد حكي أن هذه القراءة ضعيفة لأن الجزم لازم وكأنه لم يعرف توجيهها وقرأ علقمة وطلحة أيضًا يوجه بهاء واحدة
ساكنة للجزم والفعل مبني للمفعول وهي واضحة وقرأ ابن مسعود أيضًا توجهه كالعامة إلا أنه بتاء الخطاب وفيه
التفات وفي الكلام حذف وهو حذف المقابل لقوله أحدهما أبكم كأنه قيل والآخر ناطق متصرف في ماله وهو
خفيف على مولاه أينما يوجهه يأت بخير ودل على ذلك قوله هل يستوي هو ومن يأمر بالعدل ونقل أبو البقاء رحمه الله
أنه قرئ أينما توجه فعلًا ماضيًا فاعله ضمير الأبكم **قوله تعالى** ومن يأمر الراجح أن يكون مرفوعًا على الضمير المرفوع
في يستوي وسوغه الفصل بالضمير والنصب على المعية مرجوح والجملة من قوله وهو على صراط إما استيناف أو حال
فصل لما وصف الله أحد الرجلين بهذه الصفات الأربع وهو أنه أبكم لا يقدر على شيء أي عاجز كل على
مولاه ثقيل أينما يرسله لا يأت بخير لأنه أبكم لا يفهم قال هل يستوي هو ومن يأمر بالعدل هذا الموصوف بهذه
الصفات الأربع وهذه صفات الأصنام لا تسمع ولا تنطق ولا تعقل وهو كل على عابده يحتاج إلى أن يحمله
ويضعه ويخدمه هل يستوي هو ومن يأمر بالعدل يعني الله قادر متكلم يأمر بالتوحيد وهو على صراط مستقيم
قال الكلبي يدلكم على صراط مستقيم وقيل هو رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل كلا المثلين للمؤمن والكافر يرويه
عطية عن ابن عباس رضي الله عنه قال عطاء الأبكم أبي بن خلف ومن يأمر بالعدل حمزة وعثمان بن عفان وعثمان
بن مظعون رضي الله عنهم وقال مقاتل نزلت في هاشم بن عمرو بن الحرث بن ربيعة القرشي وكان قليل الخير يعادي
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل نزلت في عثمان بن عفان ومولاه كان مولاه يكره الإسلام وقيل المراد كل عبد
موصوف بهذه الصفات الذميمة وكل حر موصوف بتلك الصفات الحميدة وهذا أولى من القول الأول لأن وصفه
تعالى إياهما بكونهما رجلين يمنع من حمل ذلك على الوثن ولذلك الوصف الآخر بأنه على صراط مستقيم يمنع من حمله على
الله تعالى **قوله تعالى** ولله غيب السموات والأرض الآية لما مثل الكافر بالأبكم العاجز ومثل نفسه بالذي يأمر
بالعدل وهو على صراط مستقيم ومعلوم أنه لا يكون آمرًا بالعدل وهو على صراط مستقيم إلا إذا كان كاملًا في العلم
والقدرة فذكر في هذه الآية بيان كونه كاملًا في العلم والقدرة أما بيان كمال العلم فقوله تعالى ولله غيب السموات
والأرض أفاد الحصر بأن العلم بهذه الغيوب ليس إلا لله تعالى وأما بيان كمال القدرة فقوله عز وجل وما أمر الساعة
إلا كلمح البصر والساعة هي الوقت الذي يقوم فيه القيامة سميت ساعة لأنها تفجأ الإنسان في ساعة يموت الخلق بصيحة
واحدة أي إذا قال له كن فيكون والمراد بلمح البصر طرف العين وهو النظر بسرعة يقال لمحه ببصره لمحًا ولمحانًا وقيل
أصله من لمح البرق وقولهم لأرينك لمحًا باصرًا أي أمرًا واضحًا والمراد كمال القدرة وقوله أو هو أقرب ليس المراد منه
الشك بل المراد بل هو أقرب قال الزجاج رحمه الله المراد به الإبهام على المخاطبين أنه تعالى يأتي بالساعة إما بقدر لمح البصر

أو بما هو أسرع لأن لمح البصر عبارة عن انتقال الطرف من أعلى الحدقة إلى أسفلها والحدقة مركبة فلمح البصر
عبارة عن المرور على جملة أجزاء الحدقة ولا شك أن تلك الأجزاء كثيرة والزمان الذي يحصل فيه لمح البصر
مركب من أزمان متعاقبة والله تعالى قادر على إقامة القيامة في زمان واحد من تلك الأزمان فلهذا قال تعالى
أو هو أقرب تنبيها على ذلك فقوله أو هو أقرب أي أو أمرها أقرب في الأمر والتقدير وأمر الساعة أقرب من لمح البصر إن الله
على كل شيء قدير ونزلت في الكفار الذين استعجلوا القيامة استهزاء **قوله تعالى** والله أخرجكم من بطون أمهاتكم
قرأ حمزة والكسائي إمهاتكم بكسر الهمزة والباقون بضمها وأصل أمهاتكم أماتكم إلا أنه زيدت الهاء فيه كما زيدت في أراق فقيل أهراق
وشذت زيادتها في الواحدة في قوله ● أمهتي خندف والياس أبي ● والجملة من قوله لا تعلمون شيئا
حال من مفعول أخرجكم غير عالمين وشيئا إما مصدر أي شيئا من العلم وإما مفعول به والعلم هنا العرفان وتقدم
الكلام في أمهاتكم في النساء **فصل** الإنسان خلق في مبدأ الفطرة خاليا عن معرفة الأشياء ثم قال تعالى
وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة والمعنى أن النفس الإنسانية كانت في أول الخلقة خالية عن المعارف والعلوم
ثم إن الله تعالى أعطاها هذه الحواس لتستفيد بها المعارف والعلوم وتحقيق الكلام فيه أن يقال التصورات
والتصديقات إما أن يكون كسبية أو بديهية والكسبية لا يمكن حصولها إلا بواسطة تركيبات البديهيات فلا بد
من سبق العلوم البديهية فإن قيل هذه العلوم البديهية إما أن يقال كانت حاصلة منذ خلقنا أو ما كانت حاصلة
والأول باطل لأنا بالضرورة نعلم أنا كنا جنينا في رحم الأم ما كنا نعرف أن النفي والإثبات لا يجتمعان ولا أن الكل
أعظم من الجزء وأما القسم الثاني فإنه يقتضي أن هذه العلوم البديهية حصلت في نفوسنا بعد أنها ما كانت حاصلة
وحينئذ لا يمكن حصولها إلا بكسب وطلب وكل ما كان كسبيا فهو مسبوق بعلوم أخرى إلى غير نهاية وذلك محال فالجواب
أن هذه العلوم البديهية ما كانت حاصلة في نفوسنا ثم إنها حدثت وحصلت أما قوله فيلزم أن يكون كسبية فهذه
المقدمة ممنوعة بل نقول إنها إنما حدثت في نفوسنا بعد عدمها بواسطة إعانة الحواس التي هي السمع والبصر فإن النفس
كانت في مبدإ الخلقة خالية عن جميع العلوم إلا أنه تعالى خلق السمع والبصر فإذا أبصر الطفل شيئا أو سمعه مرة بعد
أخرى ارتسم في خياله ماهية ذلك المبصر والمسموع وكذا القول في سائر الحواس فيصير حصول الحواس سببا لحضور
ماهيات المحسوسات في النفس والعقل ثم إن تلك الماهيات على قسمين أحدهما ما يكون حضوره موجبا تاما في جزم الذهن
بإسناد بعضها إلى بعض بالنفي والإثبات مثل أنه إذا حضر في الذهن أن الواحد ما هو وأن نصف الاثنين ما هو كان
حضور هذين التصورين في الذهن علة تامة في جزم الذهن بأن الواحد محكوم عليه بأنه نصف الاثنين وهذا القسم
هو العلوم البديهية والقسم الثاني ما لا يكون كذلك وهو العلوم النظرية مثل أنه إذا أحضر في الذهن أن الجسم
ما هو والمحدث ما هو فإن مجرد هذين التصورين في الذهن لا يكفي في جزم الذهن بأن الجسم محدث بل لا بد فيه
من دليل منفصل وعلوم سابقة والحاصل أن العلوم الكسبية إنما يمكن اكتسابها بواسطة العلوم البديهية
وحدوث العلوم البديهية إنما يكون عند حدوث تصور موضوعاتها وتصور محمولاتها وحدوث التصورات
إنما كان بسبب إعانة هذه الحواس على أحداثها فظهر أن السبب الأول لحدوث هذه المعارف في النفوس والعقول
هو أنه تعالى أعطى هذه الحواس فلهذا قال تعالى والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا وجعل لكم السمع
والأبصار والأفئدة ليصير حصول هذه الحواس سببا لانتقال نفوسكم من الجهل إلى العلوم بالطريق المذكورة
وقال المفسرون وجعل لكم السمع لتسمعوا مواعظ الله والأبصار لتبصروا دلائل الله والأفئدة لتعقلوا عظمة الله
والأفئدة جمع فؤاد نحو أغربة وغراب قال الزجاج لم يجمع فؤاد على أكثر العدد وما قيل فيه فئدان كما قيل غراب وغربان
ولعل الفؤاد إنما جمع على جمع القلة تنبيها على أن السمع والبصر كثيرا لأن الفؤاد قليل لأن الفؤاد إنما خلق للمعارف
الحقيقية والعلوم اليقينية وأكثر الخلق ليسوا كذلك بل يكونون مشغولين بالأفعال البهيمية والصفات
السبعية فكأن فؤادهم ليس بفؤاد فلهذا جمع جمع القلة قاله ابن الخطيب وقال الزمخشري رحمه الله إنه من الجموع
التي استعملت للقلة والكثرة ولم يسمع فيها غير القلة نحو شسوع فإنها للكثرة وتستعمل في القلة ولم يسمع غير شسوع
كذا قال وفيه نظر سمع فيهم أشساع فكان ينبغي أن يقال غلب شسوع فإن قيل قوله عز وجل وجعل لكم السمع والأبصار
عطف على قوله أخرجكم وهذا يقتضي أن يكون جعل السمع والبصر متأخرا عن الإخراج من البطن وليس كذلك فالجواب
أن حرف الواو لا يوجب الترتيب وأيضا إذا حملنا السمع على الاستماع والأبصار على الرؤية زال السؤال وهذا إذا
جعلنا قوله تعالى وجعل معطوفا على أخرجكم فيكون داخلا فيما أخبر به عن المبتدأ ويجوز أن يكون مستأنفا
فصل قيل معنى الكلام لا تعلمون شيئا مما أخذ عليكم الميثاق في أصلاب آبائكم وقيل لا تعلمون شيئا

مما قضى عليكم من السعادة والشقاوة وقيل لا تعلمون شيئا من منافعكم قال البغوي رحمه الله تم الكلام
عند قوله تعالى لا تعلمون شيئا ثم ابتدأ فقال عز وجل وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لأن الله تعالى جعل هذه
الأشياء لهم قبل الخروج من بطون الأمهات وإنما أعطاهم العلم بعد الخروج ويأتي الكلام في حكمة ذكر السمع
بلفظ المصدر والأبصار والأفئدة بلفظ الاسم في سورة السجدة إن شاء الله تعالى وقوله تعالى وجعل لكم السمع
أي لتسمعوا به الأمر والنهي والأبصار أي لتبصروا بها آثار صنعته والأفئدة لتصلوا بها إلى معرفته سبحانه جل ذكره وقوله
تعالى لعلكم تشكرون أي نعمه **قوله تعالى** ألم يروا إلى الطير مسخرات الآية هذا دليل آخر على كمال قدرة الله وحكمته
قرأ ابن عامر وحمزة والكسائي ألم تروا بالتاء والباقون بالياء على الحكاية لمن تقدم ذكره من الكفار قوله تعالى ما يمسكهن
يجوز أن تكون الجملة حالا من الضمير المستتر في مسخرات ويجوز أن يكون من الطير ويجوز أن تكون مستأنفة ومعنى مسخرات
مذللات في جو السماء وهو الهواء بين السماء والأرض قال فليست لإنسي ولكن لملأك تنزل من جو السماء يصوب
وقيل الجو ما يلي الأرض في سمت العلو والجو والسكاك أبعد منه قال كعب الأحبار رضي الله عنه إن الطير يرتفع اثني عشر
ميلا ولا يرتفع فوق هذا وفوق الجو السكاك وفوق السكاك السماء ما يمسكهن إلا الله تعالى أي في حال القبض والبسط
والاصطفاف بين لهم كيف يعتبرون بها في وحدانيته إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون خص هذه الآيات بالمؤمنين
لأنهم المنتفعون بها **فصل** جسد الطير جسم ثقيل ويمتنع بقاؤه في الجو معلقا بلا علاقة ولا دعامة
فوجب أن يكون الممسك له في الجو هو الله تعالى والظاهر أن إبقاءه في الجو فعله باختياره وهذا يدل على أن
فعل العبد خلق الله تعالى قال القاضي رحمه الله إنما أضاف تعالى هذا الإمساك إلى نفسه لأنه تعالى هو الذي
أعطى الآلات التي يمكن الطير بها من تلك الأفعال فلما كان تعالى جل ذكره هو المسبب لذلك صحت هذه الإضافة
والجواب هذا ترك الظاهر من غير دليل **قوله تعالى** والله جعل لكم من بيوتكم سكنا الآية وهذا نوع آخر
من دلائل التوحيد قوله سكنا يجوز أن يكون مفعولا أولا على الجعل تصييري والمفعول الثاني أحد الجارين قبله
ويجوز أن يكون الجعل بمعنى الخلق فيتعدى لواحد وإنما وحد السكن لأنه بمعنى ما تسكنون فيه قاله أبو البقاء وقد
يقال إنه في الأصل مصدر وإليه ذهب ابن عطية فوحد لذلك وأوضح الآن أبو حيان منع كونه مصدرا ولم يذكر وجه
المنع وكأنه اعتمد على قول أهل اللغة إن السكن فعل بمعنى مفعول كالقبض والنقض بمعنى المقبوض والمنقوض وأنشد
الفراء قوله ● جاء الشتاء ولما أتخذ سكنا ● يا ويح نفسي من حفر القراميص ●
والسكن ما سكنت إليه وما سكنت فيه قال الزمخشري السكن ما يسكن إليه وينقطع إليه من بيت أو إلف واعلم أن
البيوت المتخذة من الحجر والمدر وهي المراد من قوله تعالى جعل لكم من بيوتكم سكنا وهذا القسم لا يمكن نقله بل
الإنسان ينتقل إليه والثاني البيوت المتخذة من القباب والخيام والفساطيط وهي المراد بقوله تعالى وجعل
لكم من جلود الأنعام بيوتا تستخفونها وهذا القسم يمكن نقله مع الإنسان **قوله تعالى** يوم ظعنكم قرأ نافع
وابن كثير وأبو عمرو بفتح العين والباقون بإسكانها وهما لغتان كالنهر والنهر وزعم بعضهم أن الأصل الفتح والسكون
تخفيف لأجل حرف الحلق كالشعر في الشعر والظعن مصدر ظعن أي ارتحل والظعينة الهودج فيه المرأة وإلا فهو محمل
ثم كثر حتى قيل للمرأة ظعينة **فصل** والمعنى جعل لكم من جلود الأنعام بيوتا يعني الخيام والقباب والأخبية
والفساطيط من الأنطاع والأدم تستخفونها أي تخف عليكم حملها يوم ظعنكم رحلتكم في سفركم والظعن سير البادية
للنجعة أو الحضور لماء أو طلب مرتع والظعن أيضا الهودج قال الشاعر ●
ألا هل هاجك الأظعان إذ بانوا ● وإذ جادت بوشك البين غربان ●
قوله تعالى ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها يعني أصواف الضأن وأوبار الإبل وأشعار المعز والكنايات
راجعة إلى الأنعام وذكر الأصواف والأوبار والأشعار ولم يذكر القطن والكتان لأنه لم يكن ببلاد العرب
قوله تعالى أثاثا وعلى هذا يكون قد عطف مجرورا على مجرور ومنصوبا على منصوب ولا فصل هنا بين
حرف العطف بالجار والمجرور وهو قوله عز وجل ومن أصوافها وهو ليس بفصل مستقبح كما زعم في الإيضاح
لأن الجار والمجرور مفعول وتقديم مفعول على مفعول قياس وفيه نظر لأنه عطف مجرورا على مثله ومنصوبا
على مثله والثاني أنه منصوب على الحال وقد يكون عطف مجرورا على مثله تقديره وجعل لكم من جلود الأنعام
ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها بيوتا حال كونها أثاثا ففصل بالمفعول بين المتعاطفين وليس المعنى
على هذا إنما هو على الأول والأثاث متاع البيت إذا كان كثيرا وأصله من أث الشعر والنبات إذا كثف وتكاثر
قال امرؤ القيس ● وفرع يغشي المتن أسود فاحم ● أثيث كقنو النخلة المتعثكل ● ونساء أثايث

اي كثيرات اللحم كان عليهن اثاثا فالان كثر اثاثه وقال الزمخشري الاثاث ما جد من فرش البيت والخرثي
ما قدم منها وانشد • تقادم العهد من ام الوليد بنا • دهرا وصار اثاث البيت خرثيا • وهل له واحد
من لفظه فقال الفراء لا وقال ابو زيد واحده اثاثة وجمعه في القلة اثثة كبتات وابتة قال ابو حيان وفي
الكثير على اثث وفيه نظر لان فعالا المضعف يلزم جمعه على افعلة في القلة والكثرة ولا يجمع على فعل الا في
لفظين شذا وهما عنن وحجج جمع عنان وحجاج ونص بعض النحاة على منع القياس عليهما فلا يجوز زمم ثم
واحد وجمع بينهما لاختلاف لفظهما كقوله • والفى قولها كذبا ومينا • وقوله • •
وهند اتى من دونها النأي والبعد • وقيل متاعا بلاغا ينتفعون بها الى حين يعني الموت وقيل الى حين البلى
قوله تعالى والله جعل لكم مما خلق ظلالا الآية فالانسان اما ان يكون مقيما او مسافرا واما ان يكون
غنيا يستصحب معه الخيام او لا فالقسم الاول اشار اليه بقوله جعل لكم من بيوتكم سكنا واشار الى القسم الثاني
بقوله تعالى وجعل لكم من جلود الانعام بيوتا واشار الى القسم الثالث بقوله تعالى جعل لكم مما خلق ظلالا فان
المسافر اذا لم يكن له خيمة تستظل بها فانه لا بد له ان يستظل اما بجدار او شجر او بالغمام كما قال سبحانه وظللنا
عليكم الغمام قوله تعالى وجعل لكم من الجبال اكنانا جمع كن وهو ما حفظ من الريح والمطر وهو في الجبل
الغار قيل كل شيء وقى شيئا ويقال استكن واكتن اذا صار في كن واعلم ان بلاد العرب شديدة الحر وحاجتهم
الى الظل ودفع الحر الشديد فلهذا ذكر الله تعالى هذه المعاني في معرض النعمة العظيمة وذكر الجبال ولم يذكر السهول
وما جعل لهم من السهول اكثر لانهم كانوا اصحاب جبال كما قال تعالى ومن اصوافها واوبارها واشعارها لانهم كانوا
اصحاب وبر وشعر وكما قال عز وجل وينزل من السماء من جبال فيها من برد وما انزل من الثلج اكثر لكنهم كانوا لا يعرفون
الثلج وقال تعالى تقيكم الحر وما تقي من البرد اكثر لانهم كانوا اصحاب حر ولما ذكر تعالى امر المسكن ذكر بعده امر الملبوس
فقال جل ذكره وجعل لكم سرابيل تقيكم الحر والسرابيل القمص واحدها سربال قال الزجاج رحمه الله كل ما لبسه
فهو سربال من قميص او درع او جوشن او غيره وذلك لانه تعالى جعل السرابيل قسمين احدهما يقي عن الحر والبرد
والثاني يقي عن البأس والحروب فان قيل لم ذكر الحر ولم يذكر البرد فالجواب من وجوه احدها قال عطاء الخراساني
المخاطبون بهذا اهل العرب وبلادهم حارة يابسة فكانت حاجتهم الى ما يدفع الحر اشد من حاجتهم الى ما يدفع البرد
كما قال جل وعز ومن اصوافها واوبارها وسائر انواع الثياب اشرف الا انه تعالى ذكر هذا النوع لان عادتهم بلبسها اكثر
والثاني قال المبرد ذكر احد الضدين ينبه على الآخر كقوله

• كان الحصى من خلفها وامامها • اذا حذفته رجلها حذف اعسرا •

لما ثبت في العلوم العقلية ان العلم باحد الضدين يستلزم العلم بالضد الآخر فان الانسان اذا خطر بباله الحر
خطر بباله ايضا البرد وكذا القول في النور والظلمة والسواد والبياض الثالث قال الزجاج رحمه الله ما وقى
من الحر وقى من البرد فكان ذكر احدهما مغنيا عن الآخر فان قيل هذا بالضد اولى لان دفع الحر يكفي فيه السرابيل
التي هي القمص من دون تكلف زيادة اما البرد فانه لا يندفع الا بزيادة تكلف فالجواب ان القميص الواحد لما كان دافعا
للحر كانت السرابيل التي هي الجمع دافعة للبرد قوله تعالى كذلك يتم اي مثل ذلك الاتمام السابق يتم نعمته
عليكم في المستقبل وقرا ابن عباس رضي الله عنه تتم بفتح التاء الاولى ونعمته بالرفع على الفاعلية وقرا ايضا نعمه
جمع نعمة مضافا لضمير الله تعالى وقرا ايضا تسلمون بفتح التاء واللام مضارع سلم من السلامة وهو مناسب لقوله
عز وعلا تقيكم بأسكم فان المراد بالدروع الملبوسة في الحرب او تؤمنوا فتسلموا
من عذاب الله قوله تعالى فان تولوا يجوز ان يكون ماضيا ويكون التفاتا من الخطاب المتقدم وان يكون مضارعا
والاصل تتولوا بتاءين نحو تنزل وتذكرون ولا التفات على هذا بل هو جار على الخطاب السابق ومعنى الكلام
فان اعرضوا فلا يلحقك في ذلك عيب ولا تقصير وليس عليك الا ما فعلت من التبليغ التام قوله تعالى فانما
عليك البلاغ هو جواب الشرط محذوف اي فانت معذور واتى ذلك على اقامة السبب مقام المسبب وذلك
لان تبليغه سبب في عذره فاقيم السبب مقام المسبب ثم ذمهم بانهم يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها وذلك نهاية
في كفران النعمة وجيء بثم هنا للدلالة على ان انكارهم امر مستبعد بعد حصول المعرفة لان من عرف النعمة حقه
ان يعترف لا ان ينكر وفي المراد بالنعمة وجوه قال القاضي هي جميع ما ذكر الله تعالى في الآيات المتقدمة ومعنى
انكارهم انهم ما افردوه تعالى بالشكر والعبادة بل شركوا غيره وقالوا انما حصلت هذه النعم بشفاعة الاصنام
وقيل المراد بالنعمة نبوة محمد صلوات الله وسلامه عليه عرفوا انها حق ثم انكروها ونبوته نعمة عظيمة كما قال تعالى

وما ارسلناك الا رحمة للعالمين وقيل يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها اي لا يستعملونها في طلب رضوان الله ثم
قال جل ذكره واكثرهم الكافرون فان قيل ما معنى قوله واكثرهم الكافرون مع انهم كلهم كافرون فالجواب
من وجوه الاول انما قال عز وجل اكثرهم لانه كان فيهم من لم يقم عليه الحجة كالصبي وناقص العقل فاراد بالاكثر
البالغين الاصحاء والثاني ان المراد بالكافر الجاحد المعاند فقال واكثرهم لانه كان فيهم من لم يكن معاندا بل جاهلا
بصدق الرسول صلوات الله وسلامه عليه ولم يظهر له كونه نبيا حقا من عند الله الثالث ذكر الاكثر واراد الجميع
لان اكثر الشيء يقوم مقام الكل كقوله تعالى الحمد لله بل اكثرهم لا يعلمون قوله تعالى ويوم نبعث من كل امة
شهيدا الآية لما بين انهم عرفوا نعمة الله ثم انكروها وذكر ان اكثرهم كافرون اتبعه بالوعيد فذكر حال يوم القيمة
قوله تعالى ويوم نبعث فيه اوجه احدها انه منصوب باضمار اذكر الثاني باضمار خوفهم الثالث تقديره ويوم
نبعث وقعوا في امر عظيم الرابع انه معطوف على ظرف محذوف اي ينكرونها اليوم ويوم نبعث والمراد بالشهيد
الانبياء صلوات الله عليهم كما قال سبحانه فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا قوله تعالى
ثم لا يؤذن قال الزمخشري رحمه الله فان قلت ما معنى ثم هذه قلت معناه انهم يمنون بعد شهادة الانبياء بما هو
اطم منه وهو انهم يمنعون الكلام فلا يؤذن لهم في القاء معذرة ولا ادلاء بحجة انتهى ومفعول الاذن محذوف
اي لا يؤذن لهم في الكلام كما قال الزمخشري ولا يؤذن لهم فيعتذرون او في الرجوع الى الدنيا وقيل لا يؤذن
لهم في الكلام اصلا ولا هم يستعتبون اي لا تزال عتباهم وهي ما يعتبون عليها ويلامون يقال استعتبت
فلانا بمعنى اعتبته اي ازلت عتباه واستفعل بمعنى افعل غير مستنكر قالوا استدنيت فلانا وادنيته بمعنى واحد
وقيل السين على بابها من الطلب ومعناه انهم لا يسألون اي يرجعوا عما كانوا عليه في الدنيا فهذا استعتاب معناه
عتباهم وقال الزمخشري ولا هم يسترضون اي لا يقال لهم ارضوا ربكم لان الآخرة ليست بدار عمل وسيأتي لهذا
مزيد بيان ان شاء الله تعالى في سورة الجاثية لانه اليق به لاختلاف القراءة فيه ثم انه تعالى اكد هذا الوعيد
فقال تعالى واذا رأى الذين ظلموا العذاب اي ان هؤلاء المشركين اذا رأوا العذاب ووصلوا اليه فعند ذلك لا يخفف
عنهم ولا هم ينظرون لا يؤخرون ولا يمهلون لان التوبة هنالك غير موجودة قوله تعالى فلا يخفف هذه
الفاء وما في حيزها جواب اذا ولا بد من اضمار مبتدأ قبل هذه الفاء اي فهم لا يخفف لان جواب اذا متى كان مضارعا
لم يحتج الى فاء سواء كان موجبا كقوله تعالى واذا تتلى عليهم آياتنا بينات تعرف ام منفيا نحو اذا جاءه زيد
لا يكرمك قوله تعالى واذا رأى الذين اشركوا شركاءهم وهذا من بقية وعيد المشركين وفي الشركاء قولان الاول
انه تعالى يبعث الاصنام فتكذب المشركين وبينا هم ونها في غاية الذل والحقارة وكل ذلك مما يوجب زيادة
الغم والحسرة في قلوبهم والثاني ان المراد بالشركاء الشياطين الذين دعوا الكفار الى الكفر قال الحسن رضي الله عنه
وانما ذهب الى هذا القول لانه تعالى حكى عن الشركاء انهم كذبوا الكفار والاصنام جمادات فلا يصح منهم هذا
القول وهذا بعيد لان الله تعالى قادر على خلق الحيوة في الاصنام وعلى خلق العقل والنطق فيها قوله
تعالى فالقوا السلم العامة على فتح السين واللام وقرا ابو عمرو في رواية بسكون اللام ومجاهد بضم السين
وكانه جمع سلام نحو قذال والسلام والسلم واحد وقد تقدم الكلام عليهما في سورة النساء فصل
والمعنى ان المشركين اذا رأوا تلك الشركاء قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين كنا ندعوا من دونك وفائدة هذا
القول من وجهين الاول قال ابو مسلم رحمه الله مقصود المشركين احالة الذنب على الاصنام ظنا منهم ان ذلك
ينجيهم من عذاب الله او ينقص من عذابهم فتكذبهم تلك الاصنام قال القاضي هذا بعيد لان الكفار يعلمون
علما ضروريا في الآخرة ان العذاب ينزل بهم ولا ينفعهم فدية ولا شفاعة والثاني ان المشركين يقولون هذا
الكلام تعجبا من حضور تلك الاصنام مع انه لا ذنب لها واعترافا بانهم كانوا مخطئين في عبادتها ثم حكى
تعالى ان الاصنام يكذبونهم فقال فالقوا اليهم القول انكم لكاذبون والمعنى انه تعالى يخلق الحيوة والعقل
والنطق في تلك الاصنام فيلقوا اليهم اي يقولوا لهم انكم لكاذبون فان قيل المشركين لم يقولوا الا اشاروا
الى الاصنام فقالوا هؤلاء شركاؤنا الذين كنا ندعوا من دونك وقد كانوا صادقين في كل ذلك فكيف قالت
الاصنام انكم لكاذبون فالجواب من وجوه اصحها ان المراد من قولهم هؤلاء شركاؤنا اي هؤلاء الذين كنا
نقول انهم شركاء الله تعالى في المعبودية فالاصنام كذبوهم في اثبات هذه الشركة وقيل المراد انهم لكاذبون
في قولهم انا نستحق العذاب بدليل قوله تعالى كلا سيكفرون بعبادتهم ثم قال تعالى والقوا الى الله يومئذ السلم
قال الكلبي استسلم العابد والمعبود واقروا لله بالربوبية وبالبراءة عن الشركاء والانداد وقيل استسلم المشركون

يومئذ الى الله والانقياد لحكمه فيهم ولم تغن عنهم آلهتهم شيئا وضل عنهم ما كانوا يفترون زال عنهم ما كانوا
يفترون من انها تشفع لهم عند الله وقيل ذهب ما زين لهم الشيطان من ان لله شريكا وصاحبة وولدا **قوله
تعالى** الذين كفروا يجوز ان يكون مبتدأ والخبر زدناهم وهو واضح وجوز ابن عطية ان يكون الذين كفروا
بدلا من فاعل يفترون ويكون زدناهم مستأنفا ويجوز ان يكون الذين كفروا نصبا على الذم او رفعا عليه
فيضمر الناصب والمبتدأ وجوبا **فصل** لما ذكر وعيد الذين كفروا اتبعه بوعيد من ضم الى كفره صد
الغير عن سبيل الله وهو منعهم عن طلب الحق وقيل صدهم عن المسجد الحرام زدناهم عذابا فوق العذاب لانهم
زادوا على كفرهم صد الغير عن الايمان قال صلوات الله وسلامه عليه من سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر
من عمل بها قال ابن عباس ومقاتل خمسة انهار من صفر مذاب يسيل من تحت العرش يعذبون بها ثلاثة بالليل واثنان
بالنهار وقال سعيد بن جبير حيات كالبخت وعقارب كالبغال تلسعهم وقيل يخرجون من حر النار الى الزمهرير
وقيل يضاعف لهم العذاب بما كانوا يفسدون اي بغلبة الصد **قوله تعالى** ويوم نبعث في كل امة
شهيدا عليهم من انفسهم الاية وهذا نوع آخر من التهديد والامة عبارة عن القرن والجماعة والمراد ان كل نبي
شاهد على امته لان الانبياء كانت تبعث الى الامم من انفسهم لا من غيرهم وقيل المراد ان كل جمع وقرن يحصل
في الدنيا فلا بد وان يحصل فيهم واحد يكون شهيدا عليهم والشهيد على الذين كانوا في عصر الرسول صلوات الله
وسلامه عليه هو الرسول لقوله تعالى ويكون الرسول عليكم شهيدا وقوله وجئنا بك شهيدا على هؤلاء وقال
الاصم المراد بالشهيد هو انه تعالى ينطق عشرة من اعضاء الانسان تشهد عليه وهي الاذنان والعينان والرجلان
واليدان والجلد واللسان في صفة الشهيد انه من انفسهم واجاب القاضي عنه بانه تعالى قال شهيدا عليهم اي على الامة
فيجب ان يكون غيرهم وايضا قال من كل امة فيجب ان يكون ذلك الشهيد من الامة وآحاد الاعضاء لا يصح وصفها
بانها من الامة واما حمل الشهداء على الانبياء صلوات الله عليهم فبعيد لان كونهم مبعوثين الى الخلق امر معلوم
بالضرورة فلا فائدة في حمل هذه الاية عليه **قوله تعالى** ونزلنا عليك الكتاب تبيانا يجوز ان يكون تبيانا
في موضع الحال ويجوز ان يكون مفعولا من اجله وهو مصدر ولم يجئ من المصادر على هذه الزنة الا لفظتان
هذا وتلقاء وفي الاسماء كثير نحو التمساح والتمثال واما المصادر فقياسها فتح الاول دلالة على التكثير كا
التطواف والتجوال وقال ابن عطية رحمه الله ان التبيان اسم وليس بمصدر والنحويون على خلافه قاله شهاب الدين
رحمه الله وقد روى الواحدي باسناده عن الزجاج انه قال تبيانا اسم في معنى البيان وتعلق هذا الكلام بما
قبله انه تعالى قال وجئنا بك شهيدا على هؤلاء اي انه ازاح علتهم فيما كلفوا فلا حجة لهم ولا معذرة وقال
نفاة القياس دلت هذه الاية على ان القرآن تبيان لكل شيء والعلوم اما دينية او غير دينية فالتي ليست دينية
لا تعلق لها بهذه الاية لانا نعلم بالضرورة انه تعالى انما مدح القرآن بكونه مشتملا على علوم الدين واما غير ذلك
فلا التفات اليه واما علوم الدين فاما الاصول واما الفروع فاما علم الاصول فهو بتمامه موجود في القرآن
واما علم الفروع فالاصل براءة الذمة الا ما ورد على سبيل التفصيل في هذا الكتاب وذلك يدل على انه لا تكليف
من الله الا ما ورد على سبيل التفصيل في هذا القرآن واذا كان كذلك كان القول بالقياس باطلا وكان القرآن
وافيا ببيان كل الاحكام قال الفقهاء انما كان القرآن تبيانا لكل شيء لانه دل على ان الاجماع حجة وخبر الواحد
والقياس حجة فاذا ثبت حكم من الاحكام باحد هذه الاصول كان ذلك الحكم ثابتا بالقرآن وقد تقدم هذه المسألة
في سورة الاعراف قال المفسرون تبيانا لكل شيء يحتاج اليه من الامر والنهي والحلال والحرام والحدود والاحكام
وهدى من الضلالة ورحمة وبشرى بشارة للمسلمين **قوله تعالى** للمسلمين متعلق ببشرى وهو متعلق من
حيث المعنى بهدى ورحمة ايضا وفي جواز كون هذا من التنازع نظر من حيث لزوم الفصل بين المصدر ومعموله
بالمعطوف حال اعمال الكل عدا الثالث فتامله وقياس من جوز التنازع في فعلي التعجب والتزام اعمال الثاني لئلا يلزم
الفصل ان يجوز هذا على هذه الحالة **قوله تعالى** ان الله يامر بالعدل والاحسان لما شرح الوعد والوعيد
والترغيب والترهيب اتبعه بقوله ان الله يامر بالعدل والاحسان فجمع في هذه الاية ما يتصل بالتكاليف
فرضا ونفلا وما يتصل بالاخلاق والاداب عموما وخصوصا روي عن ابن عباس رضي الله عنه ان عثمان بن مظعون
الجمحي قال ما اسلمت اولا الا حياء من محمد صلوات الله وسلامه عليه ولم يستقر الاسلام في قلبي فحضرته ذات يوم
فبينما هو يحدثني اذ رايت بصره شخص الى السماء ثم خفضه عن يمينه ثم عاد لمثل ذلك فسالته صلوات الله وسلامه
عليه فقال بينما انا احدثك اذا جبريل صلوات الله وسلامه عليه نزل عن يميني فقال لي يا محمد ان الله تعالى يامر بالعدل

شهادة

شهادة ان لا اله الا الله والاحسان القيام بالفرائض وايتاء ذي القربى اي صلة القربى وينهى عن الفحشاء
الزنا والمنكر ما لا يعرف في شريعة ولا سنة والبغي الاستطالة فقال عثمان فوقع الايمان في قلبي واتيت ابا طالب
فاخبرته فقال يا معشر قريش اتبعوا ابن اخي ولئن كان صادقا او كاذبا ما يامركم الا بمكارم الاخلاق فلما راى الرسول
صلوات الله وسلامه عليه من عمه اللين فقال يا عماه اتامر الناس ان يتبعوني وتدع نفسك وجهد عليه فابى ان
يسلم فنزل انك لا تهدي من احببت وعن ابن مسعود رضي الله عنه ان اجمع اية في القرآن لخير وشر هذه الاية وعن
قتادة ليس من خلق حسن كان في الجاهلية يعمل ويستحسن الا امر الله تعالى به في هذه الاية وليس من خلق سيئ الا نهى الله
عنه في هذه الاية وعن علي رضي الله عنه انه قال امر الله تعالى نبيه ان يعرض نفسه على قبائل العرب فخرج وانا معه
وابو بكر رضي الله عنه فدفعنا الى مجلس عليهم الوقار فقال ابو بكر رضي الله عنه ممن القوم فقالوا من شيبان فدعاهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الشهادتين وان ينصروه فان قريشا كذبوه فقال مفروق بن عمرو الى ما تدعونا
اخا قريش فتلا رسول الله صلوات الله وسلامه عليه ان الله يامر بالعدل والاحسان الاية فقال مفروق دعوت
والله الى مكارم الاخلاق ومحاسن الاعمال ولقد افك قوم كذبوك وظاهروا عليك **فصل** قال ابن
عباس رضي الله عنه العدل التوحيد والاحسان اداء الفريضة وعنه العدل الاخلاص في التوحيد وهو
معنى قوله صلى الله عليه وسلم ان تعبد الله كانك تراه وسمي هذا الاحسان لانه يحسن الى نفسه وقيل العدل في الا
فعال والاحسان في الاقوال فلا تفعل الا ما هو عدل ولا تقل الا ما هو احسان **قوله تعالى** وايتاء ذي القربى
مصدر مضاف لمفعوله ولم يذكر متعلقات العدل والاحسان والبغي ليعم جميع ما يعدل فيه ويحسن به اليه
ويبغى فيه ولذلك لم يذكر المفعول الثاني للايتاء ونص على الاول حضا عليه لادلائه بالقرابة فايتاؤه
صدقة وصلة قال صلوات الله وسلامه عليه ان اعجل الطاعة ثوابا صلة الرحم وقوله وينهى عن الفحشاء
قيل الزنا وقيل البخل وقيل كل ذنب صغيرة كان او كبيرة وقيل ما قبح من القول او الفعل واما المنكر فقيل
الكفر بالله وقيل ما لا يعرف في شريعة وسنة والبغي التكبر والظلم **فصل** قال ابن الخطيب كلاما
حاصله ان في المامورات كثرة وفي المنهيات كثرة وانما يحسن تفسير لفظ بمعنى اذا كان بين ذلك اللفظ والمعنى
مناسبة والا يكون ذلك التفسير فاسدا فاذا فسرنا العدل بشيء مثلا وجب ان نبين مناسبة العدل لذلك
المعنى والا يكون مجرد تحكم فنقول انه تعالى امر في هذه الاية بثلاثة اشياء وهي العدل والاحسان وايتاء
ذي القربى ونهى عن ثلاثة اشياء وهي الفحشاء والمنكر والبغي فوجب ان يكون كل ثلاثة منها متغايرة لان
العطف يوجب المغايرة فنقول العدل عبارة عن الامور المتوسطة بين طرفي الافراط والتفريط وذلك
يوجب الرعاية في جميع الاشياء فنقول التكاليف اما في الاعتقادات واما في اعمال الجوارح اما الاعتقادات
فنذكر امثلة احدها ما قال ابن عباس ان العدل هو قولنا لا اله الا الله وتحقيقه ان نفي الاله تعطيل محض
واثبات اكثر من اله واحد تشريك وهما مذمومان والعدل هو اثبات الله واحد وثانيها ان القول بان الاله
ليس بموجود ولا شيء تعطيل محض والقول بانه جسم مركب ومتحيز تشبيه محض والعدل اثبات اله موجود
منزه عن الجسمية والاجزاء والمكان وثالثها ان القول بان الاله غير موصوف بالصفات من العلم والقدرة تعطيل
محض والقول بان صفاته حادثة متغيرة تشبيه محض والعدل اثبات ان الاله عالم قادر حي وان صفاته
ليست محدثة ولا متغيرة سبحانه وتعالى ورابعها ان القول بان العبد ليس له قدرة ولا اختيار جبر محض والقول
بان العبد مستقل بافعاله قدر محض وهما مذمومان والعدل ان يقال ان العبد يفعل الفعل بواسطة قدرة
وداعية يخلقهما الله فيه واما رعاية العدل في افعال الجوارح فنذكر منه امثلة احدها قال قوم لا يجب على العبد
شيء من الطاعات ولا يجب عليه الاحتراز عن شيء من المعاصي ونفوا التكاليف اصلا وقال المانوية وقوم من الهند
انه يجب على الانسان ان يجتنب الطيبات ويحترز عن كل ما يميل الطبع اليه ويبالغ في تعذيب نفسه حتى ان
المانوية يخصون انفسهم ويرمون انفسهم من شاهق فهذان الطرفان مذمومان والعدل هو شرعنا وثانيها
انه قيل كان في شرع موسى صلوات الله عليه في القتل العمد استيفاء القصاص لا محالة وفي شرع عيسى صلوات الله
عليه العفو واما في شرعنا فان شاء استوفى القصاص وان شاء عفى على الدية وان شاء عفى مطلقا وقيل كان
في شرع موسى صلوات الله عليه الاحتراز العظيم عن الحائض حتى انه يجب اخراجها من الدار وفي شرع عيسى حل
وطئها والعدل ما حكم به شرعنا وهو تحريم وطئها فقط وثالثها قال تعالى وكذلك جعلناكم امة وسطا
وقال جل ذكره والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما وقال عز وجل ولا تجعل يدك

معلولة الي عنقك ولا تبسطها كل البسط وقال صلى الله عليه وسلم خير الامور اوسطها ورابعها ان شريعتنا امرت
بالختان والحكمة فيه ان راس الذكر جسم شديد الاحساس فلو بقيت له القلفة لبقي العضو على كمال قوته فيعظم
الالتذاذ اما اذا قطعت الجلدة بقي العضو عاريا فيلقى الثياب وسائر الاجسام فيتصلب فيضعف حسه
ويقل شعوره فيقل الالتذاذ بالوقاع فيقل الرغبة فيه فامرت الشريعة بالختان سعيا في تقليل تلك اللذة
حتى يصير ميل الانسان الى الوقاع معتدلا ولا تصير الرغبة فيه غالبة على الطبع فالذي ذهب اليه المانوية
من الاختصاء وقطع الآلات مذموم لانه افراط وابقاء تلك الجلدة مبالغة في تقوية تلك اللذة والعدل
الوسط وهو الختان واما الاحسان فاعلم ان الزيادة على العدل قد تكون احسانا وقد تكون اساءة فالعدل
في الطاعات هو اداء الواجبات والزيادة على الواجبات طاعات فهي من جملة الاحسان ولهذا قال صلوات الله
وسلامه عليه لجبريل صلوات الله عليه حين سأله عن الاحسان قال الاحسان ان تعبد الله كانك تراه
فان لم تكن تراه فانه يراك وسمي هذا المعنى بالاحسان لانه بالمبالغة في الطاعة كانه يحسن الى نفسه بايصال الخير
والفعل الحسن ويدخل في الاحسان التعظيم لامر الله والشفقة على خلق الله ويدخل في الشفقة على خلق الله اقسام
كثيرة واعظمها صلة الرحم فلهذا افرده تعالى بالذكر فقال تعالى وايتاء ذي القربى واما الثلاثة التي
نهى الله تعالى عنها وهي الفحشاء والمنكر والبغي فنقول انه تعالى اودع في النفس البشرية قوى اربعة وهي الشهوانية
البهيمية والغضبية السبعية والوهمية الشيطانية والعقلية الملكية فالعقلية الملكية لا يحتاج الانسان
الى تهذيبها لانها من جوهر الملكية واما القوة الشهوانية فرغبتها في تحصيل اللذات الشهوانية وهذا النوع مخصوص
باسم الفحشاء الا ترى انه تعالى سمى الزنا فاحشة فقال جل ذكره انه كان فاحشة فقوله تعالى وينهى عن الفحشاء
المراد منه المنع من تحصيل اللذات الشهوانية واما القوة الغضبية السبعية فهي ابدا تسعى في ايصال
الشرور والاذى الى سائر الناس وهذا مما ينكره الناس فالمنكر عبارة عن الافراط الحاصل
من اثارة القوة الغضبية واما القوة الوهمية الشيطانية فهي ابدا تسعى في الاستعلاء على الناس والترفع
والرياسة والتكبر وذلك هو المراد من البغي فانه لا معنى للبغي الا التطاول على الناس والترفع عليهم
قوله تعالى يعظكم يجوز ان يكون مستأنفا في قوة التعليل للامر بما تقدم اي ان الوعظ سبب في امره
لكم بذلك وجوز ابو البقاء ان يكون حالا من الضمير في ينهى وفي تخصيصه الحال بهذا الفاعل فقط نظر اذ
يظهر جعله حالا من فاعل يامر ايضا بل اولى فان الوعظ يكون بالاوامر والنواهي فلا خصوصية له بالنهي
[illegible] قال الكعبي دلت الاية على انه تعالى لا يخلق الجور والفحشاء من وجوه الاول انه تعالى
[illegible] وكيف ينهى ويريد تحصيله فيهم ولو كان الامر كما قالوه لكان كانه تعالى قال
[illegible] فيكم وينهاكم عن افعال خلقها فيكم وذلك باطل في بديهة العقل الثاني انه تعالى
امر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى ونهى عن الفحشاء والمنكر والبغي فلو انه تعالى امر بتلك الثلاثة
[illegible] تحت قوله تعالى اتأمرون الناس بالبر وتنسون انفسكم وقوله عز وجل لم تقولون
ما لا تفعلون كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون الثالث ان قوله لعلكم تذكرون ليس المراد منه
[illegible] محال على الله تعالى فوجب ان يكون معناه انه تعالى يعظكم لارادة ان تذكروا طاعته
[illegible] الايمان من الكل الرابع انه تعالى لو صرح وقال ان الله يأمر بالعدل والاحسان
وايتاء ذي القربى [illegible] يمنع منه ويصد عنه ولا يمكن العبد منه ثم قال تعالى وينهى عن الفحشاء والمنكر
والبغي [illegible] هذه الثلاثة في العبد شاء ام ابى واراده منه ومنعه من تركه ومن الاحتراز عنه
[illegible] فساد النظم والتركيب وذلك يدل على كونه تعالى منزها عن فعل القبائح والعبد
والجواب [illegible] الداعي **فصل** اتفق المتكلمون من اهل السنة ومن المعتزلة على ان تذكر
الاشياء من فعل الله تعالى لا من فعل العبد لان التذكر عبارة عن طلب المتذكر فحال الطلب اما ان يكون
له به شعور او لا يكون فان كان له به شعور فكيف يطلبه بعينه لان توجيه الطلب اليه بعينه حال ما لا
يكون [illegible] متصور [illegible] اذا ثبت هذا فقوله لعلكم تذكرون معناه ان المقصود من هذا الوعظ [illegible]
[illegible] التذكر فاذا لم يكن التذكر فعلا له فكيف طلب منه تحصيله وهذا هو الذي يحتج به اهل السنة
[illegible] تذكرون لا يدل على انه تعالى يريد ذلك منه **قوله تعالى** واوفوا بعهد الله اذا عاهدتم
الاية [illegible] في الاية الاولى على سبيل الاجمال ذكر في هذه الاية بعض تلك الاقسام فبدأ

بذكر الوفاء بالعهد قال الزمخشري عهد الله هي البيعة لرسوله صلوات الله وسلامه عليه على الاسلام لقوله
تعالى ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها وقيل كل عهد يلتزمه الانسان
باختياره قال ابن عباس رضي الله عنه والوعد من العهد وقال ميمون بن مهران من عاهدته اوف بعهده مسلما
كان او كافرا فانما الوفاء بالعهد لله تعالى وقال الاصم المراد منه الجهاد وما فرض الله في الاموال من حق وقيل عهد الله هو اليمين
بالله قال الشعبي العهد يمين وكفارته كفارة يمين وانما يجب الوفاء باليمين اذا لم يكن الصلاح في خلافه لقوله صلوات
الله وسلامه عليه من حلف على يمين فراى غيرها خيرا منها فليأت الذي هو خير وليكفر عن يمينه واعلم ان قوله تعالى واوفوا
بعهد الله اذا عاهدتم يجب ان يكون مختصا بالعهود التي يلتزمها الانسان باختيار نفسه ويؤيده قوله عز وجل بعد
ذلك وقد جعلتم الله عليكم كفيلا وايضا يجب ان لا يحمل العهد على اليمين لانا لو حملناه على اليمين لكان قوله بعد ذلك
ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها تكرارا لان الوفاء بالعهد والمنع من النقض متقاربان لان الامر بالفعل يستلزم
النهي عن الترك الا اذا قلنا ان الوفاء بالعهد عام يدخل تحته اليمين ثم انه تعالى خص اليمين بالذكر تنبيها على انه اولى
انواع العهد على ما تقدم مما يلتزمه الانسان باختياره ويدخل فيه عهد الجهاد وعهد الوفاء بالملتزم من المنذورات
والمؤكدات بالحلف **قوله تعالى** بعد توكيدها متعلق بفعل النهي والتوكيد مصدر وكد يوكد بالواو وفيه لغة اخرى
اكد يؤكد بالهمز وهذا كقولهم ورخت الكتاب وارخته وليست الهمزة بدلا من واو كما زعم ابو اسحق لان الاستعمالين
في المادتين متساويان فليس ادعاء كون احدهما اصلا اولى من الاخر وتبع مكي الزجاج رحمهما الله في ذلك ثم قال
ولا يحسن ان يقال الواو بدل من الهمزة كما لا يحسن ان يقال ذلك في احد اذ اصله وحد فالهمزة بدل من الواو يعني انه
لا قائل بالعكس وقد تبعه في ذلك الزمخشري ايضا وتوكيدها مصدر مضاف لمفعوله وادغم ابو عمرو الدال في التاء
ولا ثاني له في القرآن اعني انه لم يدغم دالا مفتوحة بعد ساكن الا في هذا الحرف **قوله تعالى** وقد جعلتم الله
الجملة حال اما من فاعل تنقضوا واما من فاعل المصدر وان كان محذوفا **فصل** المعنى ولا تنقضوا
الايمان بعد تشديدها فتحنثوا فيها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا شهيدا بالوفاء ان الله يعلم ما تفعلون قالت
الحنفية يمين اللغو هي اليمين الغموس لقوله تعالى ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها فنهى عن نقض الايمان فوجب
ان تكون كل يمين قابلا للبر والحنث ويمين الغموس غير قابلة للبر فوجب ان لا تكون من الايمان وقال غيرهم هي قول
الانسان في عرض حديثه لا والله وبلى والله لان قوله تعالى بعد توكيدها انما يقال للفرق بين الايمان المؤكدة
بالعزم والعقد وبين غيرها واعلم ان قوله تعالى ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها عام دخله التخصيص لما تقدم
من قوله صلوات الله وسلامه عليه من حلف على يمين فراى غيرها خيرا منها فليأت الذي هو خير وليكفر عن يمينه ثم انه
تعالى ضرب مثلا لنقض العهد فقال جل ذكره ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة اي من بعد ابرامه واحكامه
قال الكلبي ومقاتل رحمهما الله هي امراة خرقاء حمقاء من قريش يقال لها ريطة بنت عمرو بن سعد بن كعب بن زيد مناة بن تميم
وتلقب بجعر وكانت بها وسوسة وكانت اتخذت مغزلا بقدر ذراع وصنارة مثل الاصبع وفلكة عظيمة على قدرهما
وكانت تغزل الغزل من الصوف والشعر والوبر هي وجواريها فكن يغزلن الى نصف النهار فاذا انتصف النهار امرتهن
بنقض جميع ما غزلن فهذا كان دابها والمعنى انها لم تكف عن العمل ولا حين عملت كفت عن النقض فكذلك انتم اذا نقضتم
العهد لا كففتم عن العهد ولا حين عهدتم وفيتم به وقيل المراد بالمثل الوصف دون التعيين لان القصد بالامثال صرف
المكلف عن الفعل اذا كان قبيحا والدعاء اليه اذا كان حسنا وذلك يتم من دون التعيين **قوله تعالى** انكاثا فيه
وجهان اظهرهما انه حال من غزلها والانكاث جمع نكث بمعنى منكوث اي منقوض والثاني انه مفعول ثان لتضمين نقضت
معنى صيرت كما تقول فرقته اجزاء وجوز الزجاج فيه وجها ثالثا وهو النصب على المصدرية لان معنى نكثت نقضت
ومعنى نقضت نكثت فهو ملاق لعامله في المعنى قيل وهذا غلط لان الانكاث جمع نكث وهو اسم لا مصدر فكيف
يكون قوله انكاثا بمعنى المصدر والانكاث الانقاض واحدها نكث وهو ما نقض بعد الفتل من الاكسية والحبال
فصل قال ابن قتيبة هذه الاية متصلة بما قبلها والتقدير واوفوا بعهد الله اذا عاهدتم ولا
تنقضوا الايمان بعد توكيدها فانكم ان فعلتم ذلك كنتم مثل امراة غزلت غزلا واحكمته فلما استحكم نقضته فجعلته
انكاثا **قوله تعالى** تتخذون يجوز ان تكون الجملة حالا من واو تكونوا او من الضمير المستتر في الجار اذ المعنى
لا تكونوا مشبهين اذا حال كونكم متخذين وهذا استفهام على سبيل الانكار **قوله تعالى** دخلا بينكم هو
المفعول الثاني لتتخذون والدخل الفساد والدغل وقيل دخلا مفعول من اجله وقيل الدخل الداخل في الشيء ليس منه
قال الواحدي رحمه الله الدخل والدغل الغش والخيانة وقيل الدخل ما ادخل في الشيء على فساد وقيل الدخل والدغل ان يظهر

الوفا ويبطن الغدر والنقض **قوله تعالى** ان تكون اي بسبب ان تكون او مخافة ان تكون وتكون يجوز ان
تكون تامة فيكون امة فاعلها وان تكون ناقصة فيكون امة اسمها وهي مبتدا واربى خبره والجملة في محل نصب على الحال
على الوجه الاول وفي موضع الخبر على الثاني وجوز الكوفيون ان يكون امة اسمها وهي عماد اي ضمير فصل واربى خبر تكون
والبصريون لا يجيزون ذلك لاجل تنكير الاسم فلو كان الاسم معرفة لجاز ذلك عندهم **فصـــل** قال
مجاهد رحمه الله كانوا يحالفون الحلفاء فاذا وجدوا قوما اكثر منهم واعز نقضوا حلف هؤلاء وحالفوا الاكثر فالمعنى
طلبتم العز بنقض العهد بان كانت امة اكثر من امة فنهاهم الله تعالى عن ذلك ومعنى اربى من امة ازيد في العدد والقوة
والشرف ثم قال جل ذكره انما يبلوكم الله به اي يختبركم الله بامره اياكم بالوفاء بالعهد والضمير في به يجوز ان يعود على
المصدر المنسبك من ان تكون تقديره انما يبلوكم الله بكون امة اي يختبركم بذلك وقيل يعود على الربا المدلول عليه بقوله
هي اربى وقيل على الكثرة لانها في معنى الكثير قال ابن الانباري لما كان تانيثها غير حقيقي حملت على معنى التذكير كما حملت الصيحة
على الصياح ولم يتقدم للكثرة لفظ وانما هي مدلول عليها بالمعنى من قوله تعالى هي اربى ثم قال وليبينن لكم يوم القيمة
ما كنتم فيه تختلفون في الدنيا فيتميز المحق من المبطل **قوله تعالى** ولو شاء الله لجعلكم امة واحدة الاية لما امر القوم
بالوفا بالعهد وتحريم نقضه اتبعه ببيان انه تعالى قادر على ان يجمعهم على هذا الوفا وعلى سائر ابواب الايمان
ولكنه سبحانه جل ذكره بحكم الالهية يضل من يشاء ويهدي من يشاء والمعتزلة حملوا ذلك على الالجاء اي لو اراد ان
يلجيهم الى الايمان او الكفر لقدر عليه الا ان ذلك يبطل التكليف فالاجبر ما الجاهم اليه وفوض الامر الى اختيارهم
وقد تقدم البحث في ذلك وروى الواحدي ان عزيرا قال يا رب خلقت الخلق فتضل من تشاء وتهدي من تشاء
فقال يا عزير اعرض عن هذا فاعاده فقال يا عزير اعرض عن هذا فاعاده ثالثا فقال يا عزير اعرض عن هذا والا محوت
اسمك من ديوان النبوة قالت المعتزلة ومما يدل على ان المراد من هذه المشيئة مشيئة الالجا قوله تعالى بعده ولتسئلن
عما كنتم تعملون ولو كانت اعمال العباد بخلق الله تعالى لكان سؤالهم عنها عبثا وتقدم جوابه **قوله تعالى** ولا
تتخذوا ايمانكم دخلا بينكم الاية لما حذر في الاية الاولى عن نقض العهود والايمان مطلقا قال في هذه الاية
ولا تتخذوا ايمانكم دخلا بينكم وليس المراد منه التحذير عن نقض مطلق الايمان والا لزم التكرار الخالي عن
الفايدة في موضع واحد بل المراد نهي اولئك الاقوام المخاطبين بهذا الخطاب عن نقض ايمان مخصوصة اقدموا عليها
قال المفسرون المراد نهي الذين بايعوا الرسول صلوات الله وسلامه عليه عن نقض عهده لان قوله فتزل قدم بعد
ثبوتها لا يليق بنقض عهد قبله وانما يليق بنقض عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم على الايمان به وشرايعه
وقوله تعالى فتزل قدم بعد ثبوتها منصوب باضمار ان على جواب النهي وهذا مثل يذكر لكل من وقع في بلاء
بعد عافية او سقط في ورطة بعد سلامة او محنة بعد نعمة **قوله تعالى** بما صددتم ما مصدرية وصددتم يجوز
ان يكون من الصدود وان يكون من الصد ومفعوله محذوف ونكرت قدم قال الزمخشري رحمه الله فان قلت
لم وحدت القدم ونكرت قلت لاستعظام ان تزل قدم واحدة عن طريق الحق بعد ان تثبت عليه فكيف باقدام
كثيرة قال ابو حيان الجمع تارة يلحظ فيه المجموع من حيث هو مجموع فكان الاسناد معتبرا فيه الجمعية واذا لوحظ فيه كل فرد فرد فان
لوحظ فيه المجموع كان الاسناد مطابقا للفظ الجمع كثيرا فيجمع ما اسند اليه ومطابقا لكل فرد فرد فيفرد كقوله تعالى
واعتدت لهن متكا وانث لما كان لوحظ في قوله لهن معنى لكل واحدة ولو جاء مرادا به الجمعية او الكثير في الوجه الثاني
لجمع المتكا وعلى هذا المعنى يحمل قول الشاعر • فاني رايت الضامرين متاعهم • يموت ويفنى فارضخي من وعائيا
اي رايت كل ضامر ولذلك افرد الضمير في يموت ويفنى ولما كان المعنى لا تتخذ كل واحد منكم جاء فتزل قدم مراعاة
لهذا المعنى ثم قال تعالى وتذوقوا مراعاة للمجموع او للفظ الجمع على الوجه الكثير اذا قلنا ان الاسناد لكل فرد فرد
فتكون الاية قد تعرضت للنهي عن اتخاذ الايمان دخلا باعتبار المجموع وباعتبار كل فرد فرد ودل على ذلك بافراد
قدم وبجمع الضمير في تذوقوا قال شهاب الدين رضي الله عنه وهذا التفقه الذي ذكره ابو حيان يفوت المعنى
الجزل الذي اقتنصه الزمخشري من تنكير قدم وافرادها واما البيت المذكور فان النحويين خرجوه على ان المعنى
يموت من ثم ومن ذكرنا فرد الضمير لذلك لا لما ذكر **فصــل** المعنى وتذوقوا العذاب بصدكم عن
سبيل الله وقيل معناه سهلتم نقض العهد على الناس بنقضكم العهد ولكم عذاب عظيم اي ذلك السوء الذي تذوقونه
عذاب يوم عظيم ثم اكد هذا التحذير فقال تعالى جل ذكره ولا تشتروا بعهد الله ثمنا قليلا اي لا تنقضوا عهودكم
تطلبون بنقضها عرضا قليلا من الدنيا ولكن اوفوا بها فان ما عند الله من الثواب لكم على الوفاء هو خير لكم ان كنتم
تعلمون فضل ما بين العوضين ثم ذكر الدليل القاطع على ان ما عند الله خير فقال عز وجل ما عندكم ينفد وما عند الله

من حيث هو مجموع وتارة يلحظ فيه كل فرد فرد
فاذا لوحظ فيه المجموع صح

باق اي الدنيا وما فيها تفنى وما عند الله باق فقوله جل وعز ما عندكم ينفد مبتدا وخبر والنفاد الفنا
والذهاب يقال نفد بكسر العين ينفد بفتحها نفادا ونفودا واما نفذ بالذال المعجمة ففعله نفذ بالفتح ينفذ
بالضم وسياتي ويقال انفد القوم فني زادهم وخصم منافد لينفد حجة صاحبه يقال نافدته فنفدته وقوله باق
تقدم الكلام في الوقف عليه في الرعد وهذه الاية تدل على ان نعيم الجنة باق لا ينقطع وقال جهم بن صفوان رحمه الله
انه ينقطع وهذه الاية حجة عليه **قوله تعالى** ولنجزين الذين قرا ابن كثير وعاصم وابن ذكوان ولنجزين بنون
العظمة التفاتا من الغيبة الى التكلم وتقدم تقريرا لالتفات والباقون بياء الغيبة رجوعا الى الله تعالى لتقدم ذكره
العزيز في قوله تعالى ما عندكم ينفد وما عند الله باق **قوله تعالى** باحسن ما كانوا يجوز ان يكون افعل على بابها
من التفضيل واذا جازاهم بالاحسن فلان يجازيهم بالحسن اولى وقيل ليست للتفضيل وكانهم فروا من مفهوم افعل
اذ لا يلزم من المجازاة بالاحسن المجازاة بالحسن وهو وهم لما تقدم من انه من باب مفهوم الموافقة بطريق الاولى والمعنى
ولنجزين الذين صبروا على الوفاء في السراء والضراء اجرهم باحسن ما كانوا يعملون ثم انه رغب المؤمنين في الاتيان
بكل ما كان من شرايع الاسلام فقال تعالى من عمل صالحا من ذكر او انثى وهو مؤمن وفيه سؤال وهو ان لفظة من
في قوله من عمل تفيد العموم فما الفايدة في ذكر الذكر والانثى والجواب ان هذه الاية للوعد بالخيرات والمبالغة
في تقرير الوعد من اعظم دلايل الكرم والرحمة فاتى بذكر الذكر والانثى للتاكيد وازالة لوهم التخصيص **قوله تعالى**
من ذكر او انثى من للبيان فتتعلق بمحذوف اي اعني من ذكر ويجوز ان يكون حالا من فاعل وهو مؤمن جملة حالية ايضا
وهذه الاية تدل على ان الايمان مغاير للعمل الصالح لانه تعالى جعل الايمان شرطا في كون العمل الصالح موجبا للثواب
وشرط الشي مغاير لذلك الشي فان قيل ظاهر الاية يقتضي ان الاتيان بالعمل الصالح انما يفيد الاثر بشرط الايمان وظاهر
قوله تعالى فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره يدل على ان العمل الصالح يفيد الاثر سواء كان مع الايمان او عدمه فالجواب
ان العمل الصالح للحيوة الطيبة مشروط بالايمان اما افادته لاثر غير هذه الحيوة الطيبة وهو تخفيف العقاب فانه
لا يتوقف على الايمان **فصــل** قال سعيد بن جبير رحمه الله وعطا الحيوة الطيبة هي الرزق الحلال وقال
الحسن هي القناعة وقال مجاهد وقتادة هي الجنة قال القاضي الاقرب انها تحصل في الدنيا لقوله تعالى ولنجزينهم
راعى معنى من فجمع الضمير بعد ان راعى لفظها اجرهم باحسن ما كانوا يعملون والمراد ما يكون في الاخرة **قوله تعالى**
ولنجزينهم راعى معنى من فجمع الضمير بعد ان راعى لفظها فافرد في لنحيينه وما قبله وقرا العامة ولنجزينهم بنون
العظمة مراعاة لما قبله وقرا ابن عامر في رواية بياء الغيبة وهذا ينبغي ان يكون على اضمار قسم ثان فيكون من عطف جملة
قسمية على قسمية مثلها حذفتا وبقي جواباهما ولا جايز ان يكون من عطف جواب على جواب لافضايه الى اخبار المتكلم
عن نفسه باخبار الغايب وهو لا يجوز لو قلت زيد قال والله لاضربن هندا ولينفينها زيد لم يجز فان اضمرت قسما
آخر جاز اي وقال والله لينفينها لان لك في مثل هذا التركيب ان تحكي لفظه ومنه وليحلفن ان اردنا الا الحسنى
وان تحكي معناه ومنه يحلفون بالله ما قالوا ولو جاء على اللفظ لقيل ما قلنا **قوله تعالى** فاذا قرات القران
الاية لما قال تعالى ولنجزينهم اجرهم باحسن ما كانوا يعملون ارشد الى العمل الذي يتخلص به من الوسواس فقال
جل ذكره فاذا قرات القران اي فاذا اردت فاضمر الارادة قال الزمخشري لان الفعل يوجد عند القصد والارادة
من غير فاصل وعلى حسبه فكان منه بسبب قوي وملابسة ظاهرة وقال ابن عطية فاذا وصلة بين الكلامين والعرب
تستعملها في مثل هذا وتقدير الاية فاذا اخذت في قراءة القران فاستعذ وهذا مذهب الجمهور من القراء والعلماء
وقد اخذ بظاهر الاية فاستعاذ بعد ان قرا من الصحابة ابو هريرة رضي الله عنه ومن الايمة مالك وابن سيرين وداود
ومن القراء حمزة رضي الله عنهم قالوا لان الفاء في قوله فاستعذ بالله للتعقيب والفايدة فيه انه اذا قرا القران يستحق به
ثوابا عظيما فاذا لم ياتي بالاستعاذة وقعت الوسوسة في قلبه وذلك الوسواس يحبط ثواب القراءة فاذا استعاذ
بعد القراءة اندفعت تلك الوساوس وبقي الثواب مصونا عن الاحباط وذهب الاكثرون الى ان الاستعاذة مقدمة
على القراءة والمعنى اذا اردت ان تقرا القران فاستعذ كقولك اذا اكلت فقل بسم الله واذا سافرت فتاهب وقوله تعالى
اذا قمتم الى الصلوة فاغسلوا وجوهكم وايضا قد ثبت ان الشيطان قد القى الوسوسة في اثناء قراءة الرسول صلى الله عليه
وسلم بدليل قوله عز وجل وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الا اذا تمنى القى الشيطان في امنيته ومن الظاهر انه
تعالى انما امر الرسول صلوات الله وسلامه عليه بالاستعاذة عند القراءة لدفع تلك الوساوس وهذا المقصود انما يحصل
عند تقديم الاستعاذة وذهب عطا الى ان الاستعاذة واجبة عند قراءة القران سواء كانت في الصلاة او غيرها
ولا خلاف بين العلماء في ان التعوذ قبل القراءة في الصلوة اوكد واعلم ان هذا الخطاب للرسول صلوات الله وسلامه عليه

والمراد منه الكل لان الرسول صلى الله عليه وسلم اذا كان محتاجا الى الاستعاذة عند القراءة فغيره اولى
والمراد بالشيطان في هذه الاية قيل ابليس وقيل الجنس لان جميع المردة خطا في الوسوسة ولما امر رسوله
صلوات الله وسلامه عليه بالاستعاذة من الشيطان وكان ذلك يوهم ان للشيطان قدرة على التصرف في ابدان
الناس فازال الله تعالى هذا الوهم وبين انه لا قدرة له البتة الا على الوسوسة فقال تعالى انه ليس له سلطان على الذين
امنوا وعلى ربهم يتوكلون ويظهر من هذا ان الاستعاذة انما تفيد اذا احضر في قلب الانسان كونه ضعيفا وانه لا يمكنه
التحفظ عن وسوسة الشيطان الا بعصمة الله تعالى ولهذا المعنى قال المحققون لا حول عن معصية الله الا بعصمة
الله ولا قوة على طاعة الله الا بتوفيق الله والتفويض الحاصل على هذا الوجه هو المراد من قوله وعلى ربهم يتوكلون فالا
ستعاذة بالله هي الاعتصام به ثم قال تعالى انما سلطانه على الذين يتولونه قال ابن عباس رضي الله عنه يطيعونه
يقال توليته اي اطعته وتوليت عنه اي اعرضت عنه **قوله تعالى** والذين هم به مشركون الضمير في به
الظاهر عوده على الشيطان ليتحد الضمائر والمعنى والذين هم به مشركون بسببه كما يقول الرجل اذا تكلم بكلمة مؤدية
الى الكفر كفرت بكلمة اي من اجلها والمعنى من اجل حمله اياهم على الشرك صاروا مشركين وقيل والذين هم باشراكهم ابليس
مشركون بالله ويجوز ان يعود على ربهم **قوله تعالى** واذا بدلنا اية مكان اية الاية اعلم انه سبحانه جل ذكره شرع
في حكاية شبهات منكري نبوة محمد صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس رضي الله عنه كان المشركون اذا نزلت اية فيها شدة
ثم نزلت اية الين منها يقولون ان محمدا يسخر باصحابه يامرهم اليوم بامر وينهاهم عنه غدا ما هو الا مفتر يتقوله من تلقاء
نفسه فانزل الله تعالى واذا بدلنا اية مكان اية والتبديل رفع الشيء مع وضع غيره مكانه وهو هاهنا النسخ
قوله تعالى والله اعلم بما ينزل في هذه الجملة وجهان اظهرهما انها اعتراض بين الشرط وجوابه والثاني
انها حالية فعلى الاول يكون المعنى والله اعلم بما ينزل من الناسخ والمنسوخ والتغليظ والتخفيف اي هو اعلم بجميع ذلك
في مصالح العباد وهذا توبيخ للكفار على قولهم انما انت مفتر اي اذا كان هو اعلم بما ينزل فما بالهم ينسبون محمدا الى الافترا
لاجل التبديل والنسخ بل اكثرهم لا يعلمون حقيقة القران وفائدة النسخ والتبديل في ان ذلك لمصالح العباد وقولهم
انما انت مفتر نسبوا اليه صلى الله عليه وسلم الافترا بانواع من المبالغات وهي الحصر والخطاب واسم الفاعل الدال على
الثبوت والاستقرار ومفعول لا يعلمون محذوف للعلم به اي لا يعلمون ان في نسخ الشرائع وبعض القران حكما بالغة
قوله تعالى قل نزله روح القدس تقدم تفسيره في البقرة قال الزمخشري رحمه الله روح القدس جبريل صلوات الله عليه
اضيف الى القدس وهو الطهر كما تقول حاتم الجود وزيد الخير والمراد الروح المقدس ومن قولهم من ربك صلة للقران
اي ان جبريل نزل القران من ربك ليثبت الذين امنوا اي ليبلوهم بالنسخ حتى اذا قالوا فيه هو الحق من ربنا حكم لهم
بثبات القدم في الدين وصحة اليقين بان الله حكيم فلا يفعل الا ما هو حكمة وصواب **قوله تعالى** وهدى
وبشرى يجوز ان يكونا عطفا على محل ليثبت فينصبان او على لفظه باعتبار المصدر المؤول فيجران والتقدير
تثبيتا لهم وارشادا وبشارة وقد نقلت كلام الزمخشري في نصبهما وما رد به ابو حيان عليه وجوابه وجوز
ابو البقاء ارتفاعهما خبر مبتدا محذوف اي وهو هدى والجملة حال وقرئ ليثبت مخففا من اثبت **فصل**
قد تقدم ان ابا مسلم الاصفهاني ينكر النسخ في هذه الشريعة فقال المراد هاهنا واذا بدلنا اية مكان اية اي في الكتب
المتقدمة مثل اية تحويل القبلة من بيت المقدس الى الكعبة قال المشركون انت مفتر في هذا التبديل واكثر المفسرين على خلافه
وقالوا ان النسخ واقع في هذه الشريعة **فصل** قال الشافعي رضي الله عنه القران لا ينسخ بالسنة لقوله تعالى
واذا بدلنا اية مكان اية وهذا يقتضي ان الاية لا تنسخ الا باية اخرى وهذا ضعيف لان هذه الاية دلت على انه تعالى
لا يبدل اية الا باية وايضا فجبريل صلوات الله عليه ينزل بالسنة كما ينزل بالاية **قوله تعالى** ولقد نعلم انهم
يقولون انما يعلمه بشر الاية هذه حكاية شبهة اخرى من شبهات منكري نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وذلك انهم
كانوا يقولون ان محمدا صلوات الله وسلامه عليه انما يذكر هذه القصص وهذه الكلمات لانه يستفيدها من انسان
اخر ويتعلمها منه واختلفوا في ذلك البشر فقال ابن عباس رضي الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلم قينا
بمكة اسمه بلعام وكان نصرانيا اعجمي اللسان يقال له ابو ميسرة وكان يتكلم بالرومية فكان المشركون يرون رسول الله
صلى الله عليه وسلم يدخل عليه ويخرج فكانوا يقولون انما يعلمه بلعام وقال عكرمة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقرئ غلاما لبني المغيرة يقال له يعيش وكان يقرا الكتب فقالت قريش انما يعلمه يعيش وقال الفرا كان اسمه عايش
مملوك لحويطب بن عبد العزى وكان قد اسلم وحسن اسلامه وكان اعجميا وقيل اسمه عداس غلام عتبة بن ربيعة
وقال ابن اسحق كان رسول الله صلوات الله وسلامه عليه كثيرا ما يجلس عند المروة الى غلام رومي نصراني عبد لبني الحضرمي

يقال له جبر وكان يقرا الكتب وقال عبد الله بن مسلم الحضرمي كان لنا عبدان من اهل عين التمر يقال لهما يسار
ويكنى ابا فكيهة وجبر وكانا يصنعان السيوف بمكة وكانا يقرآن التوراة والانجيل فربما مر بهما النبي صلى الله عليه
وسلم وهما يقرآن فيقف ويستمع قال الضحاك وكان صلوات الله وسلامه عليه اذا اذاه الكفار يقعد اليهما فيستروح
بكلامهما فقال المشركون انما يتعلم محمد منهما فنزلت الاية وقيل سلمان الفارسي فكذبهم الله تعالى بقوله لسان الذي يلحدون
اليه اعجمي وهذا لسان عربي مبين **قوله تعالى** لسان الذي يلحدون العامة على اضافة لسان معرفا وما بعده
والمراد باللسان هنا القران والعرب تقول اللغة لسان وقرا الحسن رضي الله عنه اللسان معرفا بال والذي نعت
له وفي هذه الجملة وجهان احدهما لا محل لها لاستينافها قاله الزمخشري والثاني انها حال من فاعل يقولون اي يقولون
ذلك والحال هذه اي علمهم باعجمية هذا البشر وابانة عربية هذا القران كان ينبغي ان يمنعهم من تلك المقالة كقولك
تشتم فلانا وهو قد احسن اليك اي وعلمك باحسانه اليك كان يمنعك من شتمه قاله ابو حيان ثم قال وانما ذهب
الزمخشري الى الاستيناف لا الى الحال لان من مذهبه ان مجيء الحال جملة اسمية من غير واو شاذ وهو مذهب مرجوح
تبع فيه الفرا واعجمي خبر على كلتا القراءتين والالحاد في اللغة الميل يقال لحد والحد اذا مال عن القصد ومنه يقال
للعادل عن الحق ملحد وقرا حمزة والكسائي يلحدون بفتح الياء والحاء والباقون بضم الياء وكسر الحاء قال الواحدي رحمه الله
والاولى ضم الياء لانه لغة القران ويدل عليه قوله تعالى ومن يرد فيه بالحاد وتقدم خلاف القراء في الحروف في
الاعراف والالحاد قد يكون بمعنى الامالة ومنه يقال الحدت له لحدا اذا حفرت له في جانب القبر مائلا عن الاستوا
وقبر ملحد وملحود ومنه الملحد لانه امال مذهبه عن الاديان كلها بل عدله عن دين الى دين وفسر الالحاد في هذه الاية
بالقولين قال الفرا يميلون من الميل وقال الزجاج يميلون من الامالة اي لسان الذي يميلون اليه اعجمي والاعجمي
قال ابو الفتح الموصلي تركيب ع ج م وضع في كلام العرب للابهام والاخفا وضد البيان والايضاح ومنه قولهم
رجل اعجم وامراة عجما اذا كانا لا يفصحان والاعجمي من لم يتكلم بالعربية وقال الراغب العجم خلاف العرب والعجمي
منسوب اليهم والاعجم من في لسانه عجمة عربيا كان او غير عربي اعتبارا بقلة فهمه من العجمة والاعجمي منسوب اليه
ومنه قيل للبهيمة عجما لانها لا تفصح عما في نفسها وصلاة النهار عجما اي لا يجهر فيها والعجم النوى لاختفائه وحروف
المعجم قال الخليل الحروف المقطعة لانها اعجمية قال بعضهم معناه ان الحروف المجردة لا تدل على ما تدل عليه الموصولة
واعجمت الكتاب ضد اعربته واعجمته ازلت عجمته كاشكيته اي ازلت شكايته قال الفرا واحمد بن يحيى الاعجم هو الذي
في لسانه عجمة وان كان من العرب ومن العجم الا ترى انهم قالوا زياد الاعجم لانه كانت في لسانه عجمة مع انه كان عربيا وسيبا
لهذا مزيد بيان ان شاء الله تعالى في الشعرا وحم السجدة قال بعضهم العجمي منسوب الى العجم وان كان فصيحا والعربي
منسوب الى العرب وان لم يكن فصيحا **فصل** والمعنى ان لسان الذي ينسبون التعليم منه اعجمي وهذا
القران عربي فصيح فتقرير هذا الجواب كانه قال هب انه يتعلم المعاني من ذلك الاعجمي وهذا القران انما كان معجزا
لما في الفاظه من الفصاحة فيتقدير ان يكونوا صادقين في ان محمدا صلوات الله وسلامه عليه يتعلم تلك المعاني
من ذلك الرجل الا ان ذلك لا يقدح في المقصود لان القران انما كان معجزا لفصاحته اللفظية ولما ذكر تعالى
هذا الجواب اردفه بالتهديد فقال عز وجل ان الذين لا يؤمنون بايات الله لا يهديهم الله قال القاضي لا يهديهم
الى طريق الجنة لقوله بعده ولهم عذاب اليم اي لهم لما تركوا الايمان بالله لا يهديهم الله الى الجنة بل يسوقهم الى النار
ثم انه تعالى بين كونهم كاذبين في ذلك القول فقال تعالى انما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بايات الله واولئك
هم الكاذبون والمقصود منه انه تعالى بين في الاية السابقة ان الذي قالوه لم يصح وهم كذبوا فيه والدليل على كذبهم
وجوه احدها انهم لا يؤمنون بايات الله واذا كان كذلك كانوا اعداء للرسول صلوات الله وسلامه عليه وكلام
العدو هذيان ولا شهادة لمتهم وثانيها ان التعليم لا يتاتى في جلسة واحدة ولا يتم بالخفية بل التعليم انما يتم اذا اختلف
المتعلم الى المعلم ازمنة متطاولة ومتى كان كذلك اشتهر فيما بين الخلق ان محمدا صلوات الله وسلامه عليه يتعلم العلوم
من فلان وفلان وثالثها ان العلوم الموجودة في القران كثيرة وتعلمها لا يتاتى الا اذا كان المعلم في غاية الفضل
والتحقيق فلو حصل منه انسان بلغ في العلم والتحقيق والتدقيق في الدنيا فكيف يمكن تحصيل هذه العلوم العالية
الشريفة والمباحث النفيسة من عند فلان وفلان واذا كان الامر كذلك فالطعن في نبوة محمد صلى الله عليه وسلم
بامثال هذه الكلمات الركيكة يدل على ان الحجة لرسول الله صلى الله عليه وسلم كانت ظاهرة باهرة وهذه الاية تدل
على ان الكذب من اكبر الكبائر والحش الفواحش لان كلمة انما للحصر اي ان الكذب والفرية لا يقدم عليهما الا من
كان غير مؤمن بايات الله تعالى **فان قيل** قوله لا يؤمنون بايات الله فعل وقوله تعالى واولئك هم الكاذبون

اسم وعطف الجملة الاسمية على الجملة الفعلية صحيح فالجواب الفعل قد يكون لازما وقد يكون مفارقا ويدل
عليه قوله تعالى ثم بدا لهم من بعد ما رأوا الآيات ليسجننه ذكره بلفظ الفعل تنبيها على أن ذلك الحبس لا يدوم وقال
فرعون لموسى لئن اتخذت إلها غيري لأجعلنك من المسجونين ذكره بصيغة الاسم تنبيها على الدوام وقالوا في قوله
تعالى وعصى آدم ربه فغوى لا يجوز أن يقال إن آدم صلوات الله وسلامه عليه عاص وغاو لأن صيغة الفعل لا
يجوز أن يقال لأن صيغة الفعل لا تفيد الدوام وصيغة الاسم تفيده فإذا عرفت هذه المقدمات فقوله تعالى إنما
يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله تنبيها على من أقدم على الكذب فإنه دخل في الكفر ثم قال جل ذكره
وأولئك هم الكاذبون تنبيها على أن صفة الكفر فيهم ثابتة راسخة دائمة كما تقول كذبت وأنت كاذب زيادة في وصف
الكذب ومعناه أن عادتك أن تكون كاذبا واعلم أن الآية تدل على أن الكاذب المفتري هو الذي لا يؤمن بآيات الله
والأمر كذلك لأنه لا معنى للكفر إلا إنكار الإلهية ونبوة الأنبياء ولا معنى لهذا إلا الإنكار روي أن النبي صلى الله
عليه وسلم قيل له هل يكذب المؤمن قال لا ثم قرأ هذه الآية **قوله تعالى** من كفر بالله يجوز فيه أوجه أحدها أن
يكون بدلا من الذين لا يؤمنون أي إنما يفتري الكذب من كفر واستثنى منهم المكره فلم يدخل تحت الافتراء الثاني أنه بدل
من الكاذبون الثالث من أولئك قاله الزمخشري فعلى الأول يكون قوله وأولئك هم الكاذبون جملة معترضة بين البدل
والمبدل منه واستضعف أبو حيان الأوجه الثلاثة فقال لأن الأول يقتضي أنه لا يفتري الكذب إلا من كفر بالله من بعد
إيمانه والوجود يقتضي أن المفتري من لا يؤمن بالله سواء كفر بعد إيمانه أم لا بل الأكثر الثاني وهو المفتري قال وأما
الثاني فيؤول المعنى إلى ذلك إذ التقدير وأولئك أي الذين لا يؤمنون هم من كفر بالله من بعد إيمانه والذين لا يؤمنون
هم المفترون وأما الثالث فكذلك إذ التقدير أن المشار إليهم هم من كفر بالله من بعد إيمانه مخبرا عنهم بأنهم الكاذبون
الوجه الرابع قال الزمخشري أن ينتصب على الذم قال ابن الخطيب وهو أحسن الوجوه عندي وأبعدها من التعسف
الخامس أن يرتفع على خبر ابتداء مضمر على الذم السادس أن يرتفع على الابتداء والخبر محذوف تقديره فعليهم غضب لدلالة
ما بعد من الثانية السابع أنها مبتدأ أيضا وخبرها وخبر من الثانية قوله فعليهم غضب قاله ابن عطية رحمه الله قال
إذ هو واحد بالمعنى لأن الإخبار في قوله تعالى من كفر بالله إنما قصد به الشارح بالكفر قال أبو حيان وهذا وإن
كان كما ذكر إلا أنهما جملتان شرطيتان وقد فصل بينهما بأداة الاستدراك فالجملة لكل واحدة منهما على انفرادها
من جواب لا يشترك فيه فتقدير الحذف أجرى على صناعة الإعراب وقد ضعفوا مذهب الأخفش في ادعائه أن
قوله تعالى فسلام لك من أصحاب اليمين وقوله جل ذكره فروح وريحان جواب لأن هذا وهما أداتا شرط وليست
بأحدهما الأخرى الثامن أن تكون من شرطية وجوابها مقدر تقديره فعليهم غضب لدلالة ما بعد من الثانية
عليه وقد تقدم أن ابن عطية جعل الجزاء لهما معا وتقدم الكلام معه فيه **قوله تعالى** إلا من أكره فيه أوجه
أحدها أنه مستثنى مقدم من قوله فأولئك عليهم غضب وهذا يكون فيه منقطعا لأن المكره لم يشرح بالكفر صدرا
وقال أبو البقاء وقيل ليس بمقدم فهو كقول لبيد ● ألا كل شيء ما خلا الله باطل ● فظاهر كلامه يدل على أن بيت
لبيد لا تقديم فيه وليس كذلك فإنه ظاهر في التقديم جدا الثاني أنه مستثنى من جواب الشرط أو من خبر المبتدأ
المقدر تقديره فعليهم غضب من الله إلا من أكره ولذلك قدر الزمخشري جواب الشرط قبل الاستثناء وهو استثناء
متصل لأن الكفر يكون بالقول من غير اعتقاد كالمكره وقد يكون والعياذ بالله باعتقاد فاستثنى الصنف الأول
وقلبه مطمئن جملة حالية إلا من أكره في هذه الحالة وهذا يدل على أن محل الإيمان القلب والذي محله القلب
إما الاعتقاد وإما كلام النفس فوجب أن يكون الإيمان عبارة إما عن المعرفة وإما عن التصديق بكلام النفس
قوله تعالى ولكن من شرح بالكفر صدرا الاستدراك واضح لأن قوله إلا من أكره قد يسبق الوهم إلى الاستثناء مطلقا
فاستدرك هذا بقوله تعالى وقلبه مطمئن لا ينفي ذلك الوهم ومن إما شرطية أو موصولة ولكن متى جعلت شرطية
فلا بد من إضمار مبتدأ قبلها لأنه لا يليها الجمل الشرطية قاله أبو حيان ثم قال ومثله ولكن متى يسترفد القوم أرفد
أي ولكن أنا متى يسترفد وإنما لم تقع الشرطية بعد لكن لأن الاستدراك لا يقع في الشروط هكذا قيل وهو ممنوع
وانتصب صدرا على أنه مفعول للشرح والتقدير ولكن من شرح بالكفر صدره وحذف الضمير لأنه لا يشكل بصدر غيره
إذ البشر لا يقدر على شرح صدر غيره فهو نكرة يراد بها المعرفة والمراد بقوله من شرح بالكفر صدرا أي فتحه
ووسعه لقبول الكفر **فصل** قال ابن عباس رضي الله عنهما نزلت هذه الآية في عمار وذلك أن المشركين
أخذوه وأباه ياسرا وأمه سمية وصهيبا وبلالا وخبابا وسالما فعذبوهم فأما سمية فإنها ربطت بين بعيرين
ووجئ قبلها بحربة فقتلت وقتل زوجها ياسر وهما أول قتيلين في الإسلام رضي الله عنهما وقال مجاهد أول من أظهر

الاسلام

الإسلام سبعة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وخباب وصهيب وبلال وعمار وسمية رضي الله عنهم
أما الرسول صلى الله عليه وسلم فمنعه أبو طالب وأما أبو بكر رحمه الله عنه فمنعه قومه وأخذ الآخرون وألبسوا الأدرع
الحديد ثم أجلسوهم في الشمس فبلغ منهم الجهد لحر الحديد والشمس وأتاهم أبو جهل يشتمهم ويشتم سمية ثم طعن في فرجها
بحربة وقال الآخرون ما نالوا منهم غير بلال فإنهم جعلوا يعذبونه ويقول أحد أحد حتى ملوا فتركوه وقال خباب لقد
أوقدوا لي نارا ما أطفأها إلا ودك ظهري وقال مقاتل نزلت في جبر مولى عامر الحضرمي أكرهه سيده على الكفر فكفر
مكرها وقلبه مطمئن بالإيمان ثم أسلم مولى جبر وحسن إسلامهما وهاجر جبر مع سيده **فصل** الإكراه
الذي يجوز عنده التلفظ بكلمة الكفر هو أن يعذب بعذاب لا طاقة له به مثل التخويف بالقتل ومثل الضرب
الشديد والإيلامات القوية وأجمعوا على أن عند ذكر كلمة الكفر يجب عليه أن يبرئ قلبه على الرضا وأن يقتصر
على التعريضات مثل أن يقول إن محمدا كذاب ويعني عند الكفار أو يعني به محمدا آخر أو يذكره على نية الاستفهام بمعنى
الإنكار وههنا بحثان الأول أنه إذا أعجله من أكرهه عن إحضار هذه النية أو لأنه لما عظم خوفه زال عن قلبه
ذكر هذه النية كان ملوما وعفو الله متوقع البحث الثاني لو ضيق المكره الأمر عليه وشرح له أقسام التعريضات
وطلب منه أن يصرح بأنه ما أراد شيئا منها وما أراد إلا ذلك المعنى فههنا يتعين إما التزام الكذب وإما تعريض
النفس للقتل فمن الناس من قال يباح له الكذب ههنا ومنهم من قال ليس له ذلك وهو الذي اختاره القاضي
قال لأن الكذب إنما يقبح لكونه كذبا فوجب أن يقبح على كل حال ولو جاز أن يخرج عن القبح لرعاية بعض المصالح لم
يمتنع أن يفعل الله الكذب لرعاية بعض المصالح وحينئذ لا يبقى وثوق بوعد الله ولا وعيده لاحتمال أنه فعل ذلك
الكذب لرعاية بعض المصالح التي لا يعرفها إلا الله تعالى **فصل** أجمعوا على أنه لا يجب عليه التكلم بكلمة
الكفر ويدل عليه وجوه أحدها أن بلالا صبر على العذاب وكان يقول أحد أحد ولم يقل رسول الله صلى الله عليه
وسلم بئسما صنعت بل عظموه عليه وثانيها ما روي أن مسيلمة الكذاب أخذ رجلين فقال لأحدهما ما تقول في محمد
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما تقول في فقال أنت أيضا فتركه وقال للآخر ما تقول في محمد قال
رسول الله فقال ما تقول في قال أنا أصم فأعاد عليه ثلاثا فأعاد جوابه فقتله فبلغ ذلك رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال أما الأول فقد أخذ برخصة الله وأما الثاني فقد صدع بالحق فهنيئا له فسمى التلفظ بكلمة الكفر
رخصة وعظم حال من أمسك حتى قتل وثالثها أن بذل النفس في تقرير الحق أشق فوجب أن يكون أكثر ثوابا لقوله
صلوات الله وسلامه عليه أفضل العبادات أحمزها أي أشقها ورابعها أن الذي أمسك عن كلمة الكفر طهر قلبه ولسانه
عن الكفر وأما الذي تلفظ بها فهب أن قلبه طاهر إلا أن لسانه في الظاهر قد تلطخ بتلك الكلمة الخبيثة فوجب
أن يكون حال الأول أفضل الإكراه له مراتب أحدها أن يجب الفعل المكره عليه كما لو أكره على شرب الخمر وأكل الخنزير
وأكل الميتة فإذا أكره عليه بالسيف يجب الأكل وذلك لأن صون الروح عن الفوات واجب ولا سبيل إليه في
هذه الصورة إلا بالأكل وليس في هذا الأكل ضرر على حيوان ولا إهانة لحق الله فوجب أن يجب لقوله تعالى ولا
تلقوا بأيديكم إلى التهلكة المرتبة الثانية أن يصير ذلك الفعل مباحا ولا يصير واجبا كما لو أكره على التلفظ بكلمة
الكفر فههنا يباح له ذلك ولكنه لا يجب المرتبة الثالثة أنه لا يجب ولا يباح بل يحرم كما لو أكرهه إنسان على قتل
إنسان أو على قطع عضو من أعضائه فههنا يبقى الفعل على الحرمة الأصلية وهل يسقط القصاص عن المكره أم لا
قال الشافعي رضي الله عنه في أحد قوليه يجب القصاص لأنه قتله عمدا عدوانا فوجب عليه القصاص لقوله تعالى
يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى وأيضا أجمعنا على أن المكره إذا قصد قتله فإن له أن يدفعه عن
نفسه ولو بالقتل فلما كان توهم إقدامه على القتل أوجب إهدار دمه فلأن يكون عند صدور القتل عنه حقيقة
يصير دمه مهدرا أولى **فصل** من الأفعال ما يمكن الإكراه عليه كالقتل والتكلم بكلمة الكفر ومنها
ما لا يقبل الإكراه قيل وهو الزنا لأن الإكراه يوجب الخوف الشديد وذلك يمنع من انتشار الآلة فحيث
دخل الزنا في الوجود علم أنه وقع بالاختيار لا على سبيل الإكراه وقيل الإكراه على الزنا متصور كما لو انتشر
ذكره وهو نائم فاستدخلته المرأة في تلك الحال أو كان به مرض الانتصاب فلا يزال منتشرا أو علم أنه لا يخلص
من الإكراه إلا باستحضار الأسباب الموجبة للانتشار **فصل** قال القرطبي رحمه الله ذهب بعض
العلماء إلى أن الرخصة إنما جاءت في القول وأما في الفعل فلا رخصة فيه مثل أن يكرهوه على السجود لغير الله أو الصلاة
لغير القبلة أو قتل مسلم أو ضربه أو أكل ماله أو الزنا أو شرب الخمر أو أكل الربا وروي ذلك عن الحسن البصري وهو
قول الأوزاعي والشافعي وبعض المالكية رضي الله عنهم **فصل** قال القرطبي وأما بيع المكره والمضغوط

فله حالتان الاول ان يبيع ماله في حق وجب عليه فذلك ماض سائغ لا رجوع فيه لانه يلزمه اداء الحق من غير المبيع واما بيع المكره ظلما او قهرا فذلك لا يجوز عليه وهو اولى بمتاعه ياخذه بلا ثمن ويتبع المشتري بالثمن ذلك الظالم ان كان المشتري غير عالم بظلمه **فصل** واما يمين المكره فغير لازمة عند مالك والشافعي رضي الله عنهما واكثر العلماء قال ابن العربي واختلفوا في الاكراه على الحنث هل يقع به ام لا قال ابن العربي واي فرق بين الاكراه على اليمين في انها لا تلزم وبين الحنث في انه لا يقع **فصل** اذا اكره الرجل على ان يحلف والا اخذ ماله فقال مالك لا تقية في المال انما يدرا المرء بيمينه عن بدنه وقال ابن الماجشون لا يحنث وان درا عن ماله ايضا **فصل** قال القرطبي واجمع العلماء على ان من اكره على الكفر فاختار القتل انه يكون اعظم اجرا عند الله ممن اختار الرخصة **فصل** قال الشافعي واحمد رضي الله عنهما لا يقع طلاق المكره وقال ابو حنيفة رضي الله عنه يقع واستدل الشافعي بقوله تعالى لا اكراه في الدين ولا يمكن ان يكون المراد نفي ذاته لان ذاته موجودة فوجب حمله على نفي اثاره اي لا اثر له ولا عبرة به وقال صلوات الله وسلامه عليه رفع عن امتي الخطا والنسيان وما استكرهوا عليه وقال صلوات الله وسلامه عليه لا طلاق في اغلاق اي اكراه فان قالوا طلقها فيدخل تحت قوله تعالى فان طلقها فلا تحل له فالجواب لما تعارضت الدلائل وجب ان يبقى ما كان على ما كان هو لنا **فصل** قال القرطبي رحمه الله واما نكاح المكره فقال سحنون اجمع اصحابنا على ابطال نكاح المكره والمكرهة وقال لا يجوز المقام عليه لانه لا ينعقد فان وطئها المكره على النكاح لزمه المسمى من الصداق ولا حد عليه **قوله تعالى** فعليهم غضب من الله اي انه تعالى حكم عليهم بالعذاب ثم وصف ذلك العذاب فقال تعالى ولهم عذاب عظيم **قوله تعالى** ذلك بانهم مبتدا وخبر كما تقدم والاشارة بذلك الى ما ذكر من الغضب والعذاب ولذلك وحد كقوله • بين ذلك وكانه في الجلد • وقد تقدم قوله تعالى استحبوا الحيوة الدنيا على الاخرة اي ذلك الارتداد انما حصل لاجل انه تعالى ما هداهم الى الايمان وما عصمهم عن الكفر قال القاضي المراد ان الله لا يهديهم الى الجنة وهذا ضعيف لان قوله تعالى وان الله لا يهدي القوم الكافرين علة وسببا وموجبا لاقدامهم على ذلك الارتداد وعدم الهداية يوم القيمة الى الجنة ليس سببا لذلك الارتداد ولا علة له بل مسببا عنه ومعلولا له فبطل هذا التاويل ثم اكد بيان انه تعالى صرفهم عن الايمان فقال عز وجل اولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وابصارهم قال القاضي الطبع ليس يمنع عن الايمان لوجوه الاول انه تعالى ذكر ذلك في معرض الذم ولو كانوا عاجزين عن الايمان لما استحقوا الذم بتركه الثاني انه تعالى اشرك بين السمع والبصر والقلب في هذا الطبع ومعلوم انه مع فقد السمع والبصر قد يصح ان يكون مؤمنا فضلا عن طبع يلحقهما الثالث وصفهم بالغفلة ومن منع الشيء لا يوصف بانه غافل عنه فثبت ان المراد بهذا الطبع السمة والعلامة التي يخلقها في القلب وتقدم الجواب في اول سورة البقرة ثم قال تعالى واولئك هم الغافلون قال ابن عباس رضي الله عنه اي عما يراد بهم في الاخرة لا جرم انهم في الاخرة هم الخاسرون اي المغبونون والموجب لهذا الخسران انه تعالى وصفهم بصفات ستة اولها انهم استوجبوا غضب الله وثانيها انهم استوجبوا العذاب الاليم وثالثها انهم استحبوا الحيوة الدنيا على الاخرة ورابعها انه تعالى حرمهم عن الهداية وخامسها انه تعالى طبع على قلوبهم وسمعهم وابصارهم وسادسها انه تعالى جعلهم من الغافلين عما يراد بهم من العذاب الشديد يوم القيمة وكل واحدة من هذه الصفات من اعظم الموانع عن الفوز بالسعادات والخيرات ومعلوم انه تعالى انما ادخل الانسان في الدنيا ليكون كالتاجر الذي يشتري بطاعاته سعادات الاخرة فاذا حصلت هذه الموانع العظيمة عظم خسرانه فلهذا قال تعالى لا جرم انهم في الاخرة هم الخاسرون لا غيرهم ••

قوله تعالى ثم ان ربك للذين هاجروا الاية لما ذكر في الاية المتقدمة حال من كفر بالله من بعد ايمانه وحال من اكره على الكفر ذكر بعده حال من هاجر من بعد ما فتن وفي خبرات هذه الانة اوجه احدها هو قوله تعالى لغفور رحيم وان ربك الثانية واسمها تاكيد للاولى واسمها فكانه قيل ثم ان ربك لغفور رحيم وان ربك وحينئذ يجوز في قوله للذين وجهان ان يتعلق بالخبر على سبيل التنازع او بمحذوف على التبيان كانه قيل الغفران والرحمة للذين هاجروا الثاني ان الخبر هو نفس الجار بعدها كما تقول ان زيدا لك اي هو لك لا عليك بمعنى هو ناصرهم لا خاذلهم قال معناه الزمخشري ثم قال كما يكون الملك للرجل لا عليه فيكون محميا منفوعا قال شهاب الدين فقد توهم ان قوله منفوعا استعمال صحيح بل لما قاله الاهوازي في شرح موجز الرماني انه لا يقال منفوع اسم مفعول من نفعته فانا نافع وقد ردوا على الاهوازي الثالث ان خبر الاولى مستغنى عنه بخبر الثانية يعني انه محذوف لفظا لدلالة ما بعده عليه وهذا معنى قول ابي البقا وقيل لا خبر لان الاولى في اللفظ لان خبر الثانية اغنى عنه وحينئذ لا يحسن رد ابي حيان عليه بقوله وهذا ليس بجيد لانه الغى حكم الاولى وجعل الحكم للثانية

وهو

وهو عكس ما تقدم ولا يجوز **قوله تعالى** من بعد ما فتنوا قرا ابن عامر فتنوا مبنيا للفاعل اي فتنوا انفسهم فان عاد الضمير على المؤمنين فالمعنى فتنوا انفسهم بما اعطوا المشركين من القول ظاهرا او انهم لما صبروا على عذاب المشركين فكانهم فتنوا انفسهم وان عاد على المشركين فهو واضح اي فتنوا المؤمنين والباقون فتنوا مبنيا للمفعول والضمير في بعدها للمصادر المفهومة من الافعال المتقدمة اي من بعد الفتنة والهجرة والجهاد وقال ابن عطية عائد على الفتنة او الفعلة او الهجرة او التوبة **فصل** وجه القراءة الاولى امور الاول ان يكون المراد ان اكابر المشركين وهم الذين آذوا فقراء المسلمين لو تابوا وهاجروا وصبروا فان الله يقبل توبتهم والثاني ان فتن وافتتن بمعنى واحد كما يقال مان وامتان بمعنى واحد والثالث ان اولئك الضعفاء لما ذكروا كلمة الكفر على سبيل الفتنة فكانهم فتنوا انفسهم لان الرخصة في اظهار كلمة الكفر ما نزلت في ذلك الوقت واما وجه القراءة الثانية فظاهر لان اولئك المفتونين هم المستضعفين الذين حملهم المشركون على الرجوع عن الايمان فبين تعالى انهم ان هاجروا وجاهدوا وصبروا فان الله تعالى يغفر لهم كلمة الكفر ويحتمل ان يكون المراد بالفتنة انهم عذبوا او خوفوا بالتعذيب ويحتمل ان يكونوا المراد اولئك المسلمين ارتدوا وقال الحسن رضي الله عنه هؤلاء الذين هاجروا من المؤمنين كانوا بمكة فعرضت لهم فتنة فارتدوا وشكوا في الرسول صلوات الله وسلامه عليه ثم اسلموا وهاجروا فنزلت هذه الاية فيهم وقيل نزلت في عبد الله بن سعد بن ابي سرح وكان يكتب للنبي صلوات الله وسلامه عليه فاستزله الشيطان فلحق بالكفار فامر النبي صلى الله عليه وسلم بقتله يوم فتح مكة فاستجار له عثمان وكان اخاه لامه فاجاره رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم انه اسلم وحسن اسلامه فانزل الله هذه الاية قاله الحسن وعكرمة وهذه الرواية انما تصح اذا جعلنا هذه السورة مدنية او جعلنا هذه الاية منها مدنية ويحتمل ان يكون المراد ان اولئك الضعفاء المعذبين تكلموا بكلمة الكفر تقية فقوله تعالى من بعد ما فتنوا يحتمل كل واحد من هذه الوجوه وليس في اللفظ ما يدل على التعيين واذا كان كذلك فهذه الاية ان كانت نازلة فيمن اظهر الكفر فالمراد ان ذلك مما لا اثم فيه وان حاله اذا هاجر وجاهد وصبر كحال من لم يكره وان كانت نازلة فيمن ارتد فالمراد ان التوبة والقيام بما يجب عليه يزيل ذلك العقاب ويحصل له الغفران والرحمة **قوله تعالى** يوم تاتي كل نفس يجوز ان ينتصب يوم برحيم ولا يلزم من ذلك تقييد رحمته بالظرف لانه اذا رحم في هذا اليوم فرحمته في غيره اولى واحرى وان ينتصب باذكر مقدرا وراعى معنى كل فانث الضمائر في قوله تجادل الاخره ومثله • جادت عليه كل عين ثرة • فتركن كل قرارة كالدرهم • الا انه زاد في البيت الجمع على المعنى وقد تقدم اول الكتاب وقوله وهم لا يظلمون حمل على المعنى فلذلك جمع **فان قيل** النفس لا تكون لها نفس اخرى فما معنى قوله كل نفس تجادل عن نفسها فالجواب ان النفس قد يراد بها بدن الحي وقد يراد بها ذات الشيء وحقيقته فالنفس الاولى هي الجملة مع البدن والثانية عينها وذاتها فكانه قيل يوم ياتي كل انسان يجادل عن ذاته ولا يهمه شان غيره قال تعالى لكل امرئ منهم يومئذ شان يغنيه روي ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال لكعب الاحبار رضي الله عنه خوفنا قال يا امير المؤمنين والذي نفسي بيده لو وافيت القيمة بعمل سبعين نبيا لاتت عليك تارات وانت لا يهمك الا نفسك وان لجهنم زفرة ما يبقى ملك مقرب ولا نبي مرسل الا وقع جاثيا على ركبتيه حتى ابراهيم خليل الرحمن صلوات الله وسلامه عليه يقول يا رب لا اسالك الا نفسي وان تصديق ذلك الذي انزل عليكم يوم تاتي كل نفس تجادل عن نفسها ومعنى المجادلة عنها الاعتذار كقولهم هؤلاء اضلونا السبيل وكقولهم والله ربنا ما كنا مشركين وتوفى كل نفس ما عملت فيجد وفاء جزاء ما عملت من غير بخس ولا نقصان وهم لا يظلمون لا ينقصون روى عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنه في هذه الاية قال ما تزال الخصومة بين الناس يوم القيمة حتى تخاصم الروح الجسد فيقول الروح يا رب لم يكن لي يد ابطش بها ولا رجل امشي بها ولا عين ابصر بها ويقول الجسد خلقتني كالخشبة ليس لي يد ابطش بها ولا رجل امشي بها ولا عين ابصر بها فجاء هذا كشعاع النور فبه نطق لساني وابصرت عيني ومشت رجلي فيضرب الله مثلا اعمى ومقعد دخلا حائطا فيه ثمار فالاعمى لا يبصر الثمر والمقعد لا يناله فحمل الاعمى المقعد فاصابا من الثمر فعليهما العذاب

قوله تعالى وضرب الله مثلا قرية الاية اعلم انه تعالى هدد الكفار بالوعيد الشديد في الاخرة وهددهم ايضا بافات الدنيا وهي الوقوع في الجوع والخوف كما ذكر تعالى في هذه الاية واعلم ان المثل قد يضرب بشيء موصوف بصفة معينة سواء كان ذلك الشيء موجودا او لم يكن وقد يضرب بشيء موجود معين فهذه القرية يحتمل ان تكون موجودة ويحتمل ان تكون غير موجودة فعلى الاول قيل انها مكة كانت آمنة لا يهاج اهلها ولا يغار عليها مطمئنة قارة باهلها لا يحتاجون الى الانتجاع كما تفعله سائر العرب ياتيها رزقها رغدا من كل مكان يحمل اليها من البر والبحر

فكفرت بأنعم الله جمع النعمة وقيل جمع نُعْم مثل بؤس وأبؤس فأذاقها الله لباس الجوع فابتلاهم الله بالجوع
سبع سنين وقطعت العرب عنهم الميرة بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى جهدوا وأكلوا العظام
المحرقة والجيف والكلاب الميتة والعلهز وهو الوبر يعالج بالدم قال ابن الخطيب والأقرب أنها غير مكة لأنها
ضربت مثلا لمكة ومثل مكة يكون غير مكة وهذا مثل أهل مكة لأنهم كانوا في الطمأنينة والخصب ثم أنعم الله عليهم
بالنعمة العظيمة وهو محمد صلى الله عليه وسلم فكفروا به وبالغوا في إيذائه فسلط الله عليهم البلاء وعذبهم بالجوع سبع
سنين وأما الخوف فكان يبعث إليهم السرايا فيغيرون عليهم وفي الآية سؤالات السؤال الأول أنه تعالى وصف
القرية بصفات أحدها كونها آمنة والمراد أهلها لأنها مكان الأمن ثم قال مطمئنة والاطمئنان هو الأمن فيلزم
التكرار والجواب أن قوله تعالى آمنة إشارة إلى الأمن وقوله تعالى مطمئنة إشارة إلى الصحة لأن هواء ذلك البلد كان
ملائما لأمزجتهم فلذلك اطمأنوا إليه واستقروا قال العقلاء ثلاثة ليس لها نهاية الأمن والصحة والكفاية السؤال
الثاني الأنعم جمع قلة فكان المعنى أن تلك القرية كفرت بأنواع قليلة من نعم الله فعذبها الله وكان اللائق أن يقال كفروا
بنعم عظيمة لله فاستوجبوا العقاب فما السبب في ذكر القلة والجواب أن المقصود التنبيه بالأدنى على الأعلى يعني
أن كفران النعم القليلة لما أوجب العذاب فكفران النعم العظيمة الكثيرة أولى بإيجاب العذاب وأنعم فيها قولان أحدهما
أنها جمع نعمة نحو شدة وأشد قال الزمخشري جمع نعمة على ترك الاعتداد بالتاء كدرع وأدرع وقال قطرب جمع نُعْم والنُعْم
النعيم يقال هذه أيام طُعْم ونُعْم فلا تصوموا السؤال الثالث نقل أن ابن الراوندي قال لابن الأعرابي الأديب هل يذاق
اللباس قال ابن الأعرابي لا بأس ولا لباس يا أيها النسناس هب أنك تشك أن محمدا صلى الله عليه وسلم كان نبيا أما كان عربيا
وكان مقصود ابن الراوندي الطعن في هذه الآية وهو أن اللباس لا يذاق بل يلبس فكان الواجب أن يقال فكساهم الله
لباس الجوع أو يقال فأذاقهم الله طعم الجوع والجواب من وجوه الأول أن ما أصابهم من الهزال والشحوب وتغير ظاهرهم
عما كانوا عليه من قبل كاللباس لهم الثاني أن الأحوال التي حصلت لهم عند الجوع نوعان أحدهما أن المذوق وهو الطعام
فلما فقدوا الطعام صاروا كأنهم يذوقون الجوع والثاني أن ذلك الجوع كان شديدا كاملا فصار
كأنه أحاط بهم من كل الجهات فأشبه اللباس فالحاصل أنه حصل في ذلك الجوع حالة تشبه المذوق وحالة تشبه
الملبوس فاعتبر تعالى كلا الاعتبارين فقال فأذاقها الله لباس الجوع والخوف الرابع أن التقدير عرّفها الله لباس
الجوع والخوف إلا أنه تعالى عبر عن التعريف بلفظ الإذاقة وأصل الذوق بالفم ثم يستعار فيوضع موضع التعرّف
والاختبار تقول ناظر فلانا وذق ما عنده قال الشاعر

• ومن يذق الدنيا فإني طعمتها • وسيق إلينا عذبها وعذابها •

ولباس الجوع ما ظهر عليهم من الضمور وشحوب اللون ونهكة البدن وتغير الحال كما تقول تعرفت سوء أثر الخوف
والجوع على فلان كذلك يجوز أن يقال ذقت لباس الجوع والخوف على فلان الخامس يحمل لفظ اللباس على المماسة فصار
التقدير فأذاقها الله مساس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون قال ابن عباس رضي الله عنه يريد بتكذيبهم النبي صلى الله
عليه وسلم وإخراجه من مكة وهمهم بقتله صلوات الله عليه ثم سلامه قال الفراء ولم يقل بما صنعت ومثله في القرآن
كثير كقوله تعالى فجاءها بأسنا بياتا أو هم قائلون ولم يقل قائلة لأن المراد في الحقيقة أهل القرية فلهذا قال
بما كانوا يصنعون **قوله تعالى** والخوف العامة على جر الخوف نسقا على الجوع وروي عن أبي عمرو نصبه
وفيه أوجه أحدها أن يعطف على لباس الثاني أن يعطف على موضع الجوع لأنه مفعول في المعنى للمصدر التقدير
أن ألبسهم الجوع والخوف قال أبو البقاء وهو بعيد لأن اللباس اسم ما يلبس وهو استعارة بليغة الثالث أن ينصب
بإضمار فعل قاله أبو الفضل الرازي الرابع أن يكون على حذف مضاف أي ولباس الخوف ثم حذف وأقيم المضاف
إليه مقامه قال الزمخشري فإن قلت ما وجه صحة إيقاعها عليه قلت الإذاقة جرت عندهم مجرى الحقيقة
لشيوعها في البلايا والشدائد وما يمس الناس منها فيقولون ذاق فلان البؤس والضر وأذاقه العذاب شبه
ما للابس ملتبس والتبس به من بعض الحوادث وأما إيقاع الإذاقة على لباس الجوع والخوف فلأنه لما وقع عبارة
عما يغشى منها ويلابس فكأنه قيل فأذاقهم ما غشيهم من الجوع والخوف ولهم في هذا طريقان أحدهما أن ينظروا
فيه إلى المستعار له كما نظر إليه هاهنا ونحوه قول كثير • غمر الرداء إذا تبسم ضاحكا • غلقت لضحكته رقاب المال •
استعار الرداء للمعروف لأنه يصون عرض صاحبه صون الرداء لما يلقى عليه ووصفه بالغمر الذي هو وصف
المعروف والنوال لا وصف الرداء نظرا إلى المستعار له والثاني أن ينظروا فيه إلى المستعار كقوله

• ينازعني ردائي عبد عمرو • رويدك يا أخا عمرو بن بكر •

إلى الشطر

• إلى الشطر الذي ملكت يميني • ودونك فاعتجر منه بشطر •

أراد بردائه سيفه ثم قال فاعتجر منه بشطر فنظر إلى المستعار في لفظ الاعتجار ولو نظر إليه فيما نحن فيه
لقيل فكساهم لباس الجوع والخوف ولقال كثير • ضافي الرداء إذا تبسم ضاحكا • انتهى وهذا نهاية ما يقال
في الاستعارة وقال ابن عطية لما باشرهم ذلك صار كاللباس وهذا كقول الأعشى • إذا ما الضجيع ثنى جيدها •
تثنت عليه فكانت لباسا • ومثله قوله تعالى هن لباس لكم وأنتم لباس لهن ومثله قول الشاعر •

• وقد لبست بعد الزبير مجاشع • لباس التي حاضت ولم تغسل الدما •

كأن العار لما باشرهم ولصق بهم كأنهم لبسوه وقوله تعالى فأذاقها نظير قوله تعالى ذق إنك أنت العزيز الكريم
ونظير قول الشاعر • دونك ما جنيته فاحس وذق • وفي قراءة عبد الله فأذاقها الله الجوع والخوف
وفي مصحف أبي لباس الخوف والجوع **قوله تعالى** بما كانوا يجوز أن تكون ما مصدرية أو بمعنى الذي والعائد
محذوف أي بسبب صنعهم أو بسبب الذي كانوا يصنعونه والواو في يصنعون عائدة على أهل المقدر قبل قرية
نظير قوله أو هم قائلون بعد قوله وكم من قرية أهلكناها **قوله تعالى** ولقد جاءهم رسول منهم الآية
لما ذكر المثل ذكر الممثل فقال ولقد جاءهم يعني أهل مكة رسول منهم أي من أنفسهم يعني محمدا صلى الله عليه وسلم فأخذهم
العذاب قال ابن عباس رضي الله عنه يعني الجوع وقيل القتال يوم بدر والأول أولى لقوله تعالى بعده فكلوا مما
رزقكم الله إن كنتم إياه تعبدون أي إن ذلك الجوع بسبب كفركم فاتركوا الكفر حتى تأكلوا وقوله تعالى مما رزقكم
الله أي من الغنائم قاله ابن عباس وقال الكلبي إن رؤساء مكة كلموا رسول الله صلى الله عليه وسلم حين جهدوا وقالوا
عاديت الرجال فما بال النساء والصبيان وكانت الميرة قد قطعت عنهم بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فأذن بحمل
الطعام إليهم **قوله تعالى** واشكروا نعمة الله صرح هنا بالنعمة لتقدم ذكرها مع من كفر بها ولم يجئ ذلك
في البقرة بل قال واشكروا لله لما تقدم ذلك وتقدم نظائر ما هنا **قوله تعالى** إنما حرم عليكم الميتة
والدم الآية وتقدم الكلام عليها في سورة البقرة وحصر المحرمات في هذه الأشياء الأربعة مذكور أيضا
في سورة الأنعام عند قوله تعالى قل لا أجد فيما أوحي إلي محرما الآية وفي سورة المائدة في قوله أحلت لكم بهيمة
الأنعام إلا ما يتلى عليكم وأجمعوا على أن المراد بقوله إلا ما يتلى عليكم هو قوله تعالى في سورة البقرة حرمت عليكم
الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به وقوله تعالى والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة
وما أكل السبع إلا ما ذكيتم فهذه الأشياء داخلة في الميتة ثم قال تعالى وما ذبح على النصب وهو أحد الأقسام
الداخلة تحت قوله وما أهل به لغير الله فثبت أن هذه السور الأربعة دالة على حصر المحرمات في هذه الأربعة سورتان
مكيتان وسورتان مدنيتان فإن سورة البقرة مدنية وسورة المائدة من آخر ما أنزل الله بالمدينة فمن أنكر
حصر التحريم في هذه الأربعة إلا ما خصه الإجماع والدلائل القاطعة كان في محل أن يخشى عليه لأن هذه السورة
دلت على أن حصر المحرمات في تلك الأربعة في تأكيد وفي النقصان منها أخرى كأنه شرعا ثابتا في أول زمان
مكة وآخره وأول زمان المدينة وآخره وأنه تعالى أعاد هذا البيان في هذه السورة قطعا للأعذار وإزالة
للريبة **قوله تعالى** ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام الآية لما حصر المحرمات
في تلك الأربعة في تأكيد وفي النقصان عنها أخرى فإنهم كانوا يحرمون البحيرة والسائبة والوصيلة والحام
وكانوا يقولون ما في بطون هذه الأنعام خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا فقد زادوا في المحرمات
وزادوا أيضا في المحللات لأنهم حللوا الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل به لغير الله فبين تعالى أن المحرمات
هي هذه الأربعة وبين أن الأشياء التي يقولون هذا حلال وهذا حرام كذب وافتراء على الله ثم ذكر الوعيد
الشديد على هذا الكذب **قوله تعالى** ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام
الآية العامة على فتح الكاف وكسر الذال ونصب الباء وفيه أربعة أوجه أظهرها أنه منصوب على المفعول به وناصبه
تصف وما مصدرية ويكون معمول القول الجملة من قوله هذا حلال وهذا حرام ولما تصف علة للنهي عن قول ذلك
أي ولا تقولوا هذا حلال وهذا حرام لأجل وصف ألسنتكم الكذب وإلى هذا نحا الزجاج والكسائي والمعنى لا تحللوا
ولا تحرموا لأجل قول تنطق به ألسنتكم من غير حجة فإن قيل حمل الآية عليه يؤدي إلى التكرار لأن قوله لتفتروا على الله
الكذب عين ذلك فالجواب أن قوله لما تصف ألسنتكم ليس فيه بيان أنه كذب على الله فأعاد قوله لتفتروا على الله
الكذب ليحصل فيه هذا البيان الزائد ونظائره الثاني أن ينتصب مفعولا به للقول ويكون قوله هذا حلال
وهذا حرام بدلا من الكذب لأنه عينه أو يكون مفعولا بمضمر أي فيقولوا هذا حلال وهذا حرام ولما تصف علة

ايضا ذا لتقدير ولا تقولوا الكذب لوصف السنتكم وهل يجوز ان تكون المسئلة من باب التنازع على هذا
الوجه وذلك ان القول يطلب الكذب وتصف ايضا يطلبه اي ولا تقولوا الكذب لما تصف السنتكم فيه
الثالث ان ينتصب على البدل من العائد المحذوف على ما اذا قلنا انها بمعنى الذي التقدير لما تصفه ذكر ذلك
الحوفي وابو البقاء رحمه الله الرابع ان ينتصب باضمار اعني ذكره ابو البقاء ولا حاجة اليه ولا معنى عليه وقرأ الحسن
وابن يعمر وطلحة الكذب بالخفض وفيه وجهان احدهما انه بدل من الموصول اي ولا تقولوا الوصف السنتكم الكذب
او للذي تصفه السنتكم الكذب جعله نفس الكذب لانه هو والثاني ذكره الزمخشري ان يكون نعتا لما المصدرية
ورده ابو حيان بان النحاة نصوا على ان المصدر المنسبك من ان والفعل لا ينعت لا يقال يعجبني ان تخرج السريع
ولا فرق بين هذا وبين باقي الحروف المصدرية وقرأ ابن ابي عبلة ومعاذ بن جبل رحمة الله عليهما بضم الكاف والذال
ورفع الباء صفة للالسنة جمع كذوب كصبور وصبر او جمع كاذب كشارف وشرف او جمع كذاب نحو كتاب وكتب
وقرأ مسلمة بن محارب فيما نقله ابن عطية كذلك الا انه نصب الباء وفيه ثلاثة اوجه ذكرها الزمخشري احدها
ان تكون منصوبة على الشتم يعني وهي في الاصل نعت للالسنة كما في القراءة قبلها الثاني ان يكون بمعنى الكلم الكواذب
يعني انها مفعول بها والعامل فيها اما تصف واما القول على ما مر اي لا تقولوا الكلم الكواذب او لما تصف السنتكم
الكلم الكواذب الثالث ان تكون جمع الكذاب من قولك كذب كذابا يعني فيكون منصوبا على المصدر لانه من معنى
وصف الالسنة فيكون نحو كتب في جمع كتاب وقد قرأ الكسائي ولا كذابا بالتخفيف كما سيأتي في النبأ ان شاء الله
تعالى واعلم ان قوله تعالى تصف السنتكم الكذب من فصيح الكلام وبليغه كان ماهية الكذب وحقيقته مجهولة
وكلامهم الكذب يكشف عن حقيقة الكذب ويوضح ماهيته وهذه مبالغة في وصف كلامهم بكونه كذبا ونظيره
قول ابي العلاء المعري
سرى برق المعرة بعد وهن ● فبات برامة يصف الكلالا
المعنى ان سرى
ذلك البرق يصف الكلال فكذا ههنا **فصل** روى الدارمي باسناده عن الاعمش قال ما سمعت
ابراهيم قط يقول حلال ولا حرام ولكن كان يقول كانوا يكرهون وكانوا يستحبون وقال ابن وهب قال
مالك لم يكن من فتيا الناس ان تقولوا هذا حلال وهذا حرام ايا كم كذا وكذا ولم اكن لاصنع هذا ومعنى
هذا ان التحليل والتحريم انما هو لله عز وجل وليس لاحد ان يقول او يصرح بهذا في عين من الاعيان الا ان
يكون البارى سبحانه وتعالى يخبر بذلك عنه وما يؤدي به اجتهاده فانه يحرم عليه ان يقول ذلك بل يقول اني
اكره كما كان مالك رضي الله عنه يفعل **قوله تعالى** ليفتروا في هذه اللام ثلاثة اوجه احدها قال الواحدي
انه بدل من لما تصف لان وصفهم الكذب هو افتراء على الله قال ابو حيان وهو على تقدير جعل ما مصدرية اما
اذا كانت بمعنى الذي فاللام فيها ليست للتعليل فيبدل منها ما يفهم التعليل وانما اللام في لما متعلقة بلا تقولوا
على حد تعلقها في قولك لا تقولوا لما احل الله هذا حرام اي لا تسموا الحلال حراما وكما تقول لا تقل لزيد عمرو اي
لا تطلق عليه هذا الاسم قال شهاب الدين وهذا وان كان ظاهرا الا انه لا يمنع من ارادة التعليل وان كانت
بمعنى الذي الثاني انها للصيرورة اذ لم يفعلوه لذلك الغرض لان ذلك الافتراء ما كان غرضا لهم والمعنى انهم
كانوا ينسبون ذلك التحريم والتحليل الى الله تعالى ويقولون انه امرنا بذلك قال ابن الخطيب فعلى هذا تكون لام
العاقبة كقوله تعالى ليكون لهم عدوا وحزنا الثالث انها للتعليل الصريح ولا يبعد ان يصدر عنهم مثل ذلك
ثم انه تعالى اوعد المفترين وقال ان الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون ثم بين ان ما هم فيه من نعيم
الدنيا يزول عنهم عن قريب فقال متاع قليل قال الزجاج معناه متاعهم قليل وقال ابن عباس بل متاع كل الدنيا
قليل ثم يردون الى عذاب اليم وفي متاع وجهان احدهما انه مبتدا وقليل خبره وفيه نظر للابتداء بالنكرة من غير
مسوغ فان ادعي اضافة نحو متاعهم قليل فهو بعيد جدا الثاني انه خبر مبتدا مضمر اي بقاؤهم او عيشهم او منفعتهم
فيما هم عليه **قوله تعالى** وعلى الذين هادوا حرمنا ما قصصنا عليك من قبل الاية لما بين ما يحل ويحرم
لاهل الاسلام اتبعه ببيان ما خص اليهود به من المحرمات فقال وعلى الذين هادوا حرمنا ما قصصنا عليك
من قبل والمذكور في سورة الانعام عند قوله تعالى وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر وقوله من قبل متعلق
بحرمنا او بقصصنا والمضاف اليه من قبل تقديره من قبل تحريمنا على اهل ملتك وما ظلمناهم بتحريم ذلك عليهم
ولكن كانوا انفسهم يظلمون فحرمنا عليهم ببغيهم وهو قوله تعالى فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات
قوله تعالى ثم ان ربك للذين عملوا السوء بجهالة الاية بين ههنا ان الافتراء على الله ومخالفة امره لا يمنعهم
من التوبة وحصول المغفرة والرحمة ولفظ السوء يتناول كل ما لا ينبغي من الكفر والمعاصي وكل من يفعل السوء

فانما يفعله جهلا اما الكفر فلان احدا لا يرضى به مع العلم بكونه كفرا لانه لو لم يعتقد كونه حقا فانه لا يختاره
ولا يرتضيه واما المعصية فلان العالم لم يرتض بالمعصية ما لم تصر الشهوة غالبة للعقل فثبت ان كل من عمل
السوء والتوبة والاصلاح وقيل على الجهالة على سبيل التاكيد لغفور رحيم كذلك السوء الذي صدر عنه بسبب
الجهالة **قوله تعالى** ان ابراهيم كان امة قانتا لله حنيفا الاية لما زيف مذاهب المشركين في مواضع من هذه
السورة وهي اثباتهم الشركاء والانداد لله تعالى وطعنهم في نبوة الانبياء وقولهم لو ارسل الله اليهم رسولا لكان من
الملائكة وتحليل الاشياء المحرمة وتحريم الاشياء المحللة وبالغ في ابطال مذاهبهم وكان ابراهيم صلوات الله
وسلامه عليه رئيس الموحدين وهو الذي دعا الناس الى التوحيد والشرائع وابطال الشرك وكان المشركون
يفتخرون به ويعترفون بحسن طريقته ويقرون بوجوب الاقتداء به لا جرم ذكره الله تعالى في اخر هذه
السورة وحكى طريقته بالتوحيد ليصير ذلك حاملا لهؤلاء المشركين على الاقرار بالتوحيد والرجوع عن الشرك
قوله تعالى امة تطلق الامة على الرجل الجامع لخصال محمودة قال ابن هاني ● وليس على الله بمستنكر ان يجمع العالم في واحد
وقيل فعلة تدل على المبالغة فعلة بمعنى مفعول كالدخلة والخبية فالامة هو الذي يؤتم به قال تعالى اني جاعلك
للناس اماما قال مجاهد كان مؤمنا وحده والناس كلهم كانوا كفارا فلهذا المعنى كان وحده امة وكان رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقول في زيد بن عمرو بن نفيل يبعثه الله امة وحده وقيل انه صلوات الله وسلامه عليه هو السبب
الذي لاجله جعلت امته ممتازين عمن سواهم بالتوحيد والدين الحق ولما جرى مجرى السبب لحصول تلك الامة
سماه الله بالامة اطلاقا لاسم المسبب على السبب وعن شهر بن حوشب لم يبق الارض الا وفيها اربعة عشر يدفع الله
بهم البلاء عن اهل الارض الا زمن ابراهيم صلوات الله وسلامه عليه فانه كان وحده والامة يطلق على الجماعة
كقوله تعالى امة من الناس يسقون ويطلق على اتباع الانبياء عليهم الصلاة والسلام كقولك نحن من امة محمد
صلوات الله وسلامه عليه ويطلق على الدين والملة كقولهم انا وجدنا اباءنا على امة ويطلق على الحين والزمان
كقوله تعالى الى امة معدودة وقوله جل ذكره وادكر بعد امة اي بعد حين ويطلق على القامة يقال فلان حسن
الامة اي حسن القامة ويطلق على الرجل المنفرد بدينه لا يشركه فيه غيره كقوله صلوات الله وسلامه عليه يبعث زيد
بن عمرو بن نفيل يوم القيامة امة وحده ويطلق على الام يقال هذه امة فلان يعني امه ويطلق ايضا على كل جنس من اجناس
الحيوان كقوله صلوات الله وسلامه عليه لولا ان الكلاب امة من الامم لامرت بقتلها وقال ابن عباس رضي الله عنه خلق الله
تعالى الف امة ستمائة في البحر واربعمائة في البر **قوله تعالى** قانتا لله القانت هو القائم بامر الله قال ابن عباس
مطيعا لله **قوله تعالى** حنيفا المائل الى ملة الاسلام ميلا لا يزول عنه وقيل حنيفا مستقيما على دين الاسلام
وقيل مخلصا قال ابن عباس انه اول من اختتن واقام مناسك الحج وضحى وهذه صفة الحنيفية ولم يك من المشركين اي انه
كان من الموحدين في الصغر والكبر اما في حال الصغر فانكاره بافول الكواكب على عبدتها واما في كبره فمناظرته
مع ملك زمانه وكسر الاصنام حتى آل امره الى ان القي في النار **قوله تعالى** شاكرا يجوز ان يكون خبرا ثالثا او حالا
من احد الضميرين في قانتا او حنيفا **قوله تعالى** لانعمه يجوز تعلقه بشاكرا او باجتباه واجتباه اما حال واما
خبر اخر لكان والى صراط يجوز تعلقه بشاكرا او باجتباه واجتباه اما حال واما خبر اخر لكان والى صراط يجوز تعلقه
باجتباه وبهداه على قاعدة التنازع فان قيل لفظ الانعم جمع قلة ونعم الله على ابراهيم صلوات الله وسلامه
عليه كانت كثيرة فلم قال شاكرا لانعمه فالجواب انه كان شاكرا لجميع نعم الله القليلة فكيف الكثيرة ومعنى اجتباه
اختاره واصطفاه للنبوة والاجتباء هو ان ياخذ الشيء بالكلية وهو افتعال من جبيت واصله جمع الماء في الحوض
والجابية هو الحوض وهداه الى صراط مستقيم الى دين الحق واتيناه في الدنيا حسنة يعني الرسالة والخلة وقيل
لسان صدق وقال مقاتل بن حيان هو قول المصلي اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وقال قتادة
رضي الله عنه ان الله حببه الى كل الخلق وقيل اولادا ابرارا على الكبر وانه في الاخرة لمن الصالحين في اعلى مقامات الصالحين
في الجنة **قوله تعالى** ثم اوحينا اليك ان اتبع ملة ابراهيم الاية لما وصف ابراهيم صلوات الله وسلامه عليه بهذه
الصفات العالية الشريفة قال جل ذكره ثم اوحينا اليك ان اتبع قال الزمخشري في ثم هذه انها تدل على تعظيم منزلة
رسول الله صلى الله عليه وسلم واجلال محله والايذان بان اشرف ما اوتي خليل الرحمن من الكرامة واجل ما اولي من النعمة
اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم من قبيل انها دلت على تباعد هذا النعت في الرتبة من بين سائر النعوت التي اثنى الله عليه
بها **قوله تعالى** ان اتبع يجوز ان تكون المفسرة وان تكون المصدرية فيكون مع منصوبها مفعول الايحاء **قوله
تعالى** حنيفا حال وتقدم تحقيقه في البقرة وقال ابن عطية قال المكي ولا يكون حنيفا حالا من ابراهيم لانه مضاف

اليه وليس كما قال لان الحال قد يعمل فيها حرف الجر اذا عملت في ذي الحال كقولك مررت به قائما وما ذكره مكي
من امتناع الحال من المضاف اليه فليس على اطلاقه كما تقدم تفصيله في البقرة واما قول ابن عطية رحمه الله ان
العامل الخافض فليس كذلك انما العامل ما تعلق به الخافض وكذلك اذا حذف الخافض نصب مخفوضه **قوله**
قال قوم ان النبي صلى الله عليه وسلم كان على شريعة ابراهيم صلوات الله وسلامه عليه وليس له شرع معين بل المقصود
من بعثته احياء شرع ابراهيم صلوات الله وسلامه عليه بهذه الاية وهذا ضعيف لانه تعالى وصف ابراهيم في
هذه الاية بانه ما كان من المشركين فلما قال اتبع ملة ابراهيم كان المراد ذلك فان قيل النبي صلى الله عليه وسلم
انما نفى الشرك واثبت التوحيد بناء على الدلائل القطعية واذا كان كذلك لم يكن متابعا له فيمتنع حمل قوله ان اتبع
على هذا المعنى فوجب حمله على الشرائع التي يصح حصول المتابعة فيها فالجواب انه يحتمل ان يكون المراد بمتابعته
في كيفية الدعوة الى التوحيد وهي ان يدعو اليه بطريق الرفق والسهولة وايراد الدلائل مرة بعد اخرى بانواع كثيرة
على ما هو الطريقة المألوفة في القرآن قال القرطبي وفي هذه الاية دليل على جواز اتباع الافضل للمفضول لما
يؤدي الى الثواب فان النبي صلى الله عليه وسلم افضل الانبياء صلوات الله عليهم وقد امر بالاقتداء بهم فقال تعالى
فبهداهم اقتده وقال تعالى هنا ثم اوحينا اليك ان اتبع ملة ابراهيم حنيفا **قوله تعالى** انما جعل السبت
على الذين اختلفوا فيه الاية لما امر محمدا صلوات الله وسلامه عليه بمتابعة ابراهيم صلوات الله عليه وسلم وكان محمد اختار
يوم الجمعة وهذه المتابعة انما تحصل اذا قلنا ان ابراهيم صلوات الله وسلامه كان قد اختار في شرعه يوم الجمعة وعند
هذا القائل ان يقول فلم اختار اليهود يوم السبت فاجاب الله تعالى عنه بقوله انما جعل السبت على الذين اختلفوا
فيه وفي الاية قولان الاول روى الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس رضي الله عنه انه قال امرهم موسى صلوات الله عليه
بالجمعة وقال تفرغوا في كل سبعة ايام يوما واحدا وهو يوم الجمعة ولا تعملوا فيه شيئا من اعمالكم فابوا ان يقبلوا
ذلك وقالوا لا نريد الا اليوم الذي فرغ فيه من الخلق وهو يوم السبت فجعل عليهم السبت وشدد عليهم ثم جاء
عيسى صلوات الله ايضا بالجمعة فقالت النصارى لا نريد ان يكون عيدهم بعد عيدنا فاتخذوا الاحد وروى
ابو هريرة رضي الله عنه عن النبي المصطفى صلوات الله عليه وسلم ان الله كتب يوم الجمعة على من كان قبلنا فاختلفوا فيه
وهدانا الله له فهم لنا فيه تبع فاليهود غدا والنصارى بعد غد واعلم ان اهل الملل اتفقوا على انه تعالى خلق العالم
في ستة ايام وبدأ تعالى بخلق العالم في ستة ايام بالخلق والتكوين في يوم الاحد وتم في يوم الجمعة وكان يوم السبت
يوم الفراغ فقالت اليهود نحن نوافق ربنا في ترك الاعمال فعينوا يوم السبت لهذا المعنى وقالت النصارى مبدأ الخلق
والتكوين يوم الاحد فنجعل هذا اليوم عيدا لنا واما وجه جعل يوم الجمعة عيدا فلانه يوم كمال الخلق وتمامه
وحصول التمام والكمال يوجب الفرح الكامل والسرور العظيم فجعل يوم الجمعة يوم العيد اولى والقول الثاني
اختلافهم في السبت هو انهم احلوا الصيد فيه تارة وحرموه تارة **فصل** انما جعل العامة على بنائه
للمفعول وابو حيوة على بنائه للفاعل والسبت مفعول به وان ربك ليحكم بينهم يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون
اي يحكم للمحقين بالثواب وللمبطلين بالعقاب **قوله تعالى** ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة
الحسنة لما امر محمدا صلوات الله وسلامه عليه باتباع ابراهيم صلوات الله عليه بين الشيء الذي امره بمتابعته
فيه فقال عز وجل ادع الى سبيل ربك بالحكمة يجوز ان يكون مفعول ادع مرادا اي ادع الناس وان لا يكون مرادا
اي افعل الدعاء وبالحكمة حال اي ملتبسا بها واعلم انه تعالى امر رسوله صلوات الله وسلامه على سيدنا محمد ان
يدعو الناس باحد هذه الطرق الثلاثة وهي الحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالطريق الاحسن وذكر تعالى هذا
الجدل في اية اخرى فقال تعالى ولا تجادلوا اهل الكتاب الا بالتي هي احسن ولما عطف تعالى بعضها على بعض وجب
ان يكون طرقا متغايرة واعلم ان الدعوة الى المذهب لا بد وان يكون مبنيا على حجة وبينة والمقصود من ذكر تلك
الحجة اما تقرير ذلك المذهب وذلك قسمين لان تلك الحجة اما ان تكون حجة قطعية مبرأة من احتمال النقيض او لا
يكون كذلك بل يفيد الظن الظاهر والاقناع الكامل فظهر بهذا التقسيم انحصار الحجج في هذه الاقسام الثلاثة
اولها الحجة القطعية المفيدة للعقائد اليقينية وذلك هو المسمى بالحكمة وثانيها الامارات الظنية والدلائل
الاقناعية وهي الموعظة الحسنة وثالثها الدلائل التي يكون المقصود منها الزام الخصوم وافحامهم وذلك هو
الجدل ثم هذا الجدل على قسمين احدهما ان يكون دليلا مركبا من مقدمات مسلمة عند الخصم وهذا الجدل هو
الجدل الواقع على الوجه الاحسن والقسم الثاني ان يكون ذلك الدليل مركبا من مقدمات فاسدة باطلة الا ان قائلها
يحاول ترويجها على المستمعين بالسفاهة والشغب والحيل الباطلة والطرق الفاسدة وهذا القسم لا يليق باهل الفضل

انما

انما اللائق بهم القسم الاول وهو المراد بقوله تعالى وجادلهم بالتي هي احسن **فصل** قال المفسرون
قوله بالحكمة اي بالقرآن والموعظة الحسنة يعني مواعظ القرآن وقيل الموعظة الحسنة هو الدعاء الى الله تعالى
بالترغيب والترهيب وقيل بالقول اللين من غير غلظ ولا تعنيف وجادلهم بالتي هي احسن وناظرهم بالخصومة التي
هي احسن اي اعرض عن اذاهم ولا تقصر في تبليغ الرسالة والدعاء الى الحق نسختها اية القتال ان ربك هو اعلم بمن ضل
عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين اي انك يا محمد مكلف بالدعوة الى الله واما حصول الهداية فلا تتعلق بك فهو تعالى
اعلم بالضالين واعلم بالمهتدين **قوله تعالى** وان عاقبتم فعاقبوا العامة على المفاعلة وهي بمعنى فعل
كما تقدم وابن سيرين عقبتم بالتشديد بمعنى تتبعتم فتتبعوا بمثل ما فعل بكم وقيل تتبعتم والباء معدية وفي قراءة ابن
سيرين اما السببية واما معدية **فصل** قال الواحدي رحمه الله هذه الاية فيها ثلاثة اقوال احدها وهو
قول ابن عباس في رواية عطاء وابي بن كعب والشعبي رضي الله عنهم ان النبي صلى الله عليه وسلم لما راى حمزة وقد مثلوا به
قال والله لامثلن بسبعين منهم مكانك فنزل جبريل صلوات الله عليه بخواتيم سورة النحل فكفر رسول الله صلى الله عليه
وسلم وامسك عما اراده وعلى هذا قالوا سورة النحل كلها مكية الا هذه الثلاث ايات والقول الثاني ان هذا كان قبل الامر
بالسيف والجهاد حين كان المسلمون لا يبدؤا بالقتال ولا يقاتلوا الا من قاتلهم ويدل عليه قوله تعالى وقاتلوا في سبيل
الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا وفي هذه الاية امروا ان يعاقبوا بمثل ما يصيبهم من العقوبة ولا يزيدوا فلما اعز
الله الاسلام واهله ونزلت براءة وامروا بالجهاد نسخت هذه الاية قال ابن عباس والضحاك والقول الثالث ان المقصود
من هذه الاية نهي المظلوم عن استيفاء الزيادة من الظالم وهذا قول مجاهد والنخعي وابن سيرين قال ابن الخطيب وحمل
هذه الاية على قصة لا تعلق لها بما قبلها يوجب حصول سوء الترتيب في كلام الله تعالى وهو في غاية البعد بل الاصوب
عندي ان يقال انه تعالى امر محمدا صلى الله عليه وسلم بدعوة الخلق الى الدين الحق باحدى الطرق الثلاثة وهي الحكمة والموعظة
بالطريق الاحسن ثم ان تلك الدعوة تتضمن امرهم بالرجوع عن دين ابائهم واسلافهم والحكم عليه بالكفر والضلالة وذلك
مما يشوش قلوبهم ويوحش صدورهم ويحمل اكثرهم على قصد ذلك الداعي بالقتل تارة وبالضرب ثانيا وبالشتم ثالثا ثم ان ذلك
الداعي المحق اذا سمع تلك السفاهات لا بد وان يحمله طبعه على تاديب اولئك السفهاء تارة بالقتل وتارة بالضرب فعند هذا
امر المحقين في هذا المقام برعاية العدل والانصاف وترك الزيادة فهذا هو الوجه الصحيح الذي يجب حمل الاية عليه
فان **قيل** فكيف تقدحون فيما روي انه صلوات الله وسلامه عليه ترك العزم على المثلة وكفر عن يمينه بسبب هذه الاية
قلنا لا حاجة الى القدح في تلك الرواية لانا نقول ان تلك الواقعة داخلة في عموم هذه الاية فيمكن التمسك في تلك الواقعة
بعموم هذه الاية وذلك لا يوجب سوء الترتيب في كلام الله تعالى **فصل** في هذه الاية دليل على جواز
التماثل في القصاص فمن قتل بحديدة قتل بمثلها ومن قتل بحجر قتل بمثله ولا يتعدى قدر الواجب واختلفوا فيمن ظلمه
رجل فاخذ ماله ثم ائتمن الظالم المظلوم على مال هل يجوز للمظلوم خيانة الظالم في القدر الذي ظلمه فقال ابن سيرين
والنخعي وسفيان ومجاهد له ذلك لعموم هذه الاية وقال مالك وجماعة لا يجوز لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم
اد الامانة الى من ائتمنك ولا تخن من خانك رواه الدارقطني قال القرطبي ووقع في مسند ابن اسحق ان هذا الحديث
انما ورد في رجل زنا بامراة اخر ثم تمكن الثاني الاخر من زوجة الثاني بان تركها عنده ثم سافر فاستشار ذلك الرجل
رسول الله صلى الله عليه وسلم في الامر فقال له اد الامانة الى من ائتمنك ولا تخن من خانك وعلى هذا يقوى قول مالك
رضي الله عنه في المال لان الخيانة لاحقة في ذلك **فصل** اعلم انه تعالى امر برعاية العدل والانصاف
في هذه الاية ورتب ذلك على اربع مراتب الاولى وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به يعني ان رغبتم في استيفاء
القصاص فاقنعوا بالمثل ولا تزيدوا عليه فان استيفاء الزيادة ظلم والظلم ممنوع منه في عدل الله ورحمته وفي
قوله تعالى وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به دليل على ان الاولى له ان لا يفعل كما يقول الطبيب للمريض ان
كنت تاكل الفاكهة فكل التفاح فان معناه ان الاولى بك ان لا تاكله فذكر تعالى بطريق الرمز والتعريض ان الاولى
تركه والمرتبة الثانية الانتقال من التعريض الى التصريح وهو قوله عز وجل ولئن صبرتم لهو خير للصابرين وهذا
تصريح بان الاولى ترك ذلك الانتقام لان الرحمة افضل من القسوة والانتفاع افضل من الايلام المرتبة الثالثة
وهو الامر الجزم بالترك وهو قوله واصبر لانه في المرتبة الثانية ذكر ان الترك خير واولى وفي هذه المرتبة
الثالثة صرح بالامر بالصبر في هذا المقام ولما كان الصبر في هذا المقام شديدا شاقا ذكر بعده ما يفيد سهولته
فقال تعالى وما صبرك الا بالله اي بتوفيقه ومعونته وهذا هو السبب الكلي الاصلي في حصول جميع انواع الطاعات
ولما ذكر هذا السبب الكلي الاصلي ذكر بعده ما هو السبب الجزئي القريب فقال جل ذكره ولا تحزن عليهم ولا تك في ضيق

مما يمكرون وذلك لان اقدام الانسان على الانتقام وعلى ايصال الضرر بالغير لا يكون الا بهيجان
الغضب وشدة الغضب لا يحصل الا لاحد امرين احدهما فوات نفع كان حاصلا في الماضي واليه الاشارة بقوله
تعالى ولا تحزن عليهم قيل معناه ولا تحزن على قتل احد اي ولا تحزن بفوات اولئك الاصدقاء وقيل ولا
تحزن عليهم في اعراضهم عنك ويرجع حاصله الى فوات النفع والسبب الثاني ان شدة الغضب قد يكون لتوقع ضرر في
المستقبل واليه الاشارة بقوله ولا تك في ضيق مما يمكرون ومن وقف على هذه اللطائف عرف انه لا يمكن كلام ادخل
في الحسن والضبط من هذا الكلام **قوله تعالى** للصابرين يجوز ان يكون عاما اي الصبر خير لجنس الصابرين وان يكون
من وقوع الظاهر موقع المضمر اي صبركم خير لكم **قوله تعالى** الا بالله اي بمعونته فهي للاستعانة **قوله تعالى**
في ضيق قرأ ابن كثير هنا وفي النمل بكسر الضاد والباقون بالفتح فقيل هما لغتان بمعنى في هذا المصدر كالقول والقيل
وقيل المفتوح مخفف من ضيق كميت في ميت اي في امر ضيق فهو مثل هين وهين ولين ولين قاله القتيبي وابن قتيبة
ورده الفارسي بان الصفة غير خاصة بالموصوف فلا يجوز ادعاء الحذف ولذلك جاز مررت بكاتب وامتنع بآكل
واما وجه القراءة بالفتح قال ابو عبيدة الضيق بالكسر في قلة المعاش والمساكن وما كان في القلب فانه الضيق وقال
ابو عمرو الضيق بالكسر الشدة والضيق بفتح الضاد الغم **قوله تعالى** مما يمكرون متعلق بضيق وما مصدرية
او بمعنى الذي والعائد محذوف وهذا من الكلام المقلوب لان الضيق صفة والصفة تكون حاصلة في الموصوف
ولا يكون الموصوف حاصلا في الصفة فكان المعنى ولا يكن الضيق فيك الا ان الفائدة في قوله ولا تك في ضيق هو
ان الضيق اذا عظم وقوي صار كالشيء المحيط بالانسان من كل الجوانب وصار كالقميص المحيط به فكانت الفائدة في
هذا اللفظ هذا المعنى المرتبة الرابعة **قوله تعالى** ان الله مع الذين اتقوا المناهي والذين هم محسنون
وهذا يجري مجرى التهديد لانه في المرتبة الاولى رغبه في ترك الانتقام على سبيل الرمز وفي الثانية عدل عن الرمز
الى التصريح وهو قوله عز وجل ولئن صبرتم لهو خير للصابرين وفي المرتبة الثالثة امر بالصبر على سبيل الجزم
وفي هذه المرتبة الرابعة كانه ذكر الوعيد على فعل الانتقام فقال ان الله مع الذين اتقوا عن استيفاء الزيادة
والذين هم محسنون في ترك اصل الانتقام فكانه قال اردت ان اكون معك فكن من المتقين ومن المحسنين وهذه
المعية بالرحمة والفضل والتربية وقوله تعالى الذين اتقوا اشارة الى التعظيم لامر الله وقوله جل ذكره والذين
هم محسنون اشارة الى الشفقة على خلق الله تعالى قيل لهرم بن حيان عند قرب وفاته اوص فقال انما الوصية
في المال ولا مال لي ولكني اوصيك بخواتيم سورة النحل **فصل** قال بعضهم انه قوله جل ذكره وان عاقبتم
فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين منسوخ بآية السيف وهذا في غاية البعد لان
المقصود من هذه الآية تعليم حسن الادب في كيفية الدعوة الى الله سبحانه وتعالى وترك التعدي وطلب الزيادة
ولا تعلق لهذه الاشياء بآية السيف والله اعلم بمراده روى ابو امامة عن ابي بن كعب رضي الله عنه قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم ومجد وبجل وعظم من قرأ سورة النحل لم يحاسبه الله بالنعيم الذي انعم عليه
في دار الدنيا واعطي من الاجر كالذي مات فاحسن الوصية والله اعلم بالصواب واليه المرجع والمآب

سورة الاسراء مكية وهي مائة واحد عشر آية

غير قوله وان كادوا ليستفزونك من الارض الى قوله تعالى واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا فانهما مدنيتان
حين جاء وفد ثقيف وهي مائة واحدى عشرة آية والف وخمسمائة وثلاث وثلاثون كلمة وعدد حروفها ستة آلاف
واربع مائة وستون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم **قوله تعالى**
سبحان الذي اسرى بعبده ليلا الآية قال النحويون سبحان اسم علم للتسبيح يقال سبحت الله تسبيحا والتسبيح
هو المصدر وسبحان اسم علم للتسبيح كقوله كفرت اليمين تكفيرا وكفرانا وتقدم الكلام عليه في اول البقرة
ومعناه تنزيه الله من كل سوء قال ... سبحان الله تنزيه لله من السوء وهو يروى عن النبي صلى الله عليه
وسلم والنصب على المصدر كانه وضع موضع سبحت الله تسبيحا وهو مفرد اذا افرد وفي آخره زائدتان الالف
والنون فامتنع من الصرف للتعريف والزيادتين وعلى سيبويه ان من العرب من ينكره ويقول سبحانا بالتنوين
وقال ابو عبيد لا تنصب على النداء كانه قال يا سبحان الله يا سبحان الذي اسرى بعبده قال القرطبي سبحان الله

موضع المصدر وهو غير لانه لا يجري بوجوه النحو ولا يدخل فيه الالف واللام ولم يجر منه فعل لان في آخره زيدت النون للتنزيه
والبراءة لله تعالى فهو ذكر فلا يصلح لغيره فاما قول من قال ● فلما جاءني فخره سبحان من علقمة الفاخر ● فانما يكون
على طريق الندور روى طلحة بن عبيد الله انه قال للنبي صلى الله عليه وسلم ما معنى سبحان الله فقال تنزيه الله من كل سوء
قال صاحب النظم التسبيح في اللغة التباعد قال تعالى ان لك في النهار سبحا طويلا فمعنى سبح الله اي بعده ونزهه
عما لا ينبغي وللتسبيح معان اخر وقد يكون بمعنى الصلاة كقوله تعالى فلولا انه كان من المسبحين اي المصلين والسبحة
صلاة النافلة وانما قيل للمصلي مسبح لانه معظم لله بالصلاة ومنزه له عما لا ينبغي وقد يرد بمعنى الاستثناء كقوله
تعالى قال اوسطهم الم اقل لكم لولا تسبحون اي تستثنون وتاويله ايضا يعود الى تعظيم الله والاستثناء بمشيئته وجاء
في الحديث لاحرقت سبحات وجهه قيل معناه وجهه وقيل نور وجهه الذي اذا رآه الرائي قال سبحان الله ويكون سبحان
بمعنى التعجب وقوله اسرى وسرى وتقدم الكلام عليهما في سورة هود وان بعضهم خص اسرى بالليل قال الزمخشري فان
قيل الاسرى لا يكون الا بالليل فما معنى ذكر الليل فالجواب اراد بقوله ليلا بلفظ التنكير تقليل مدة الاسرى وانه
اسري به في بعض الليل من مكة الى الشام مسيرة اربعين ليلة وذلك ان التنكير دل على البعضية ويشهد لذلك قراءة
عبد الله وحذيفة من الليل اي بعضه كقوله تعالى ومن الليل فتهجد به نافلة فيكون سرى واسرى كسقى واسقى
والهمزة ليست للتعدية وانما المعدي الباء في بعبده وقد تقدم انها لا تقتضي مصاحبة الفاعل للمفعول عند الجمهور
في البقرة خلافا للمبرد وزعم ابن عطية ان مفعول اسرى محذوف وان التعدية بالهمزة الى المفعول محذوف
اي اسرى الملائكة بعبده لانه يقلق ان يسند اسرى وهو بمعنى سرى الى الله تعالى اذ هو فعل يقتضي النقلة كمشى وجرى
واحضر وانتقل فلا يحسن اسناد شيء من هذا مع وجود مندوحة عنه فاذا وقع في الشريعة شيء من ذلك تاولناه
نحو اتيته هرولة وهذا كله انما بناه اعتقادا على ان التعدية بالباء يقتضي مصاحبة الفاعل للمفعول في ذلك
وتقدم المراد على هذا المذهب في اول البقرة في قوله تعالى ولو شاء الله لذهب بسمعهم فيجوز ان يكون اسرى بمعنى
سرى على حذف مضاف كقوله ذهب الله بنورهم يعني فيكون التقدير الذي اسرت ملائكته بعبده والحامل له على
ذلك ما تقدم من اعتقاد المصاحبة والعبد هو محمد صلى الله عليه وسلم **قوله تعالى** ليلا منصوب على الظرف
وتقدم فائدة تنكيره ومن المسجد من لابتداء الغاية **فصل** قال مقاتل كان قبل الهجرة بسنة وقيل
بسنة عشر شهرا ونقل الزمخشري عن انس والحسن كان قبل البعث واختلفوا في المكان الذي اسري به منه فقيل
هو المسجد الحرام بعينه لظاهر القرآن وقوله عليه الصلاة والسلام بينا انا في المسجد الحرام عند البيت بين النائم
واليقظان اذ اتاني جبريل بالبراق وقيل اسري به من دار ام هانئ بنت ابي طالب وعلى هذا فالمراد بالمسجد الحرام قال ابن
عباس الحرم كله مسجد وهذا قول الاكثر وقوله الى المسجد الاقصى اتفقوا على انه بيت المقدس وسمي بالاقصى لبعد المسافة
بينه وبين المسجد الحرام وقوله تعالى باركنا حوله قيل بالانهار والثمار وقيل لانه مقر الانبياء ومهبط الملائكة واعلم
ان كلمة الى لانتهاء الغاية فمدلول قوله الى المسجد الاقصى انه وصل الى ذلك فاما انه دخل المسجد او لا فليس في اللفظ
دلالة عليه الا انه ورد في الحديث انه صلى الله عليه وسلم دخل فيه **قوله تعالى** حوله فيه وجهان اظهرهما انه منصوب
على الظرف وقد تقدم تحقيق القول فيه اول البقرة والثاني انه مفعول قال ابو البقاء اي طيبنا ونمينا يعني ضمنه
معنى ما يتعدى بنفسه وفيه نظر لانه لا ينصرف **قوله تعالى** لنريه قرأ العامة بنون العظمة جريا على باركنا
وفيهما التفات من الغيبة في قوله اسرى بعبده الى التكلم في باركنا ولنريه ثم التفت الى الغيبة في قوله انه هو
ان اعدنا الضمير الى الله تعالى وهو الصحيح ففي الكلام التفاتان وقرأ الحسن ليريه بالياء من تحت اي الله تعالى
وعلى هذه القراءة يكون في الآية اربع التفاتات لانه التفت اولا من الغيبة في قوله الذي اسرى بعبده الى التكلم في
قوله باركنا ثم التفت ثانيا من التكلم في باركنا الى الغيبة في ليريه على هذه القراءة ثم التفت ثالثا من هذه الغيبة
الى التكلم في آياتنا ثم التفت رابعا من هذا التكلم الى الغيبة في قوله انه هو على الصحيح في الضمير انه لله واما على قول
نقله ابو البقاء ان الضمير في انه هو للنبي صلى الله عليه وسلم فلا يجيء ذلك ويكون في قراءة العامة التفات واحد
وفي قراءة الحسن ثلاثة واكثر ما ورد الالتفات ثلاث مرات على ما قاله الزمخشري في قول امرئ القيس قوله
● تطاول ليلك بالاثمد ● وتقدم النزاع معه في ذلك وبعض ما يجاب عنه اول الفاتحة ولو ادعى مدع ان هاهنا
خمسة التفاتات لاحتيج في دفعه الى دليل واضح والخامس الالتفات من انه هو الى التكلم في قوله وآتينا موسى الآية
والرؤية هنا بصرية وقيل قلبية واليه نحا ابن عطية فانه قال ويحتمل ان يريد لنريه محمدا للناس آية اي يكون آية
في ان يصنع الله لبشر هذا الصنع فتكون الرؤية قلبية على هذا فان قلت معنى الرؤية هو ما رأى في تلك الليلة من العجائب

والايات الدالة على قدرة الله تعالى قلت قوله لنريه من اياتنا يدل على انه تعالى ما اراه الا بعض الايات
لان كلمة من للتبعيض وقال في حق ابراهيم وكذلك نري ابراهيم ملكوت السموات والارض فيلزم ان يكون معراج ابراهيم
افضل من معراج محمد عليه الصلاة والسلام فان قيل ان الذي رآه ابراهيم ملكوت السموات والارض والذي رآه
محمد بعض ايات الله ولا شك ان ايات الله افضل ثم قال انه هو السميع البصير اي السميع لاقوال محمد عليه السلام البصير
لافعاله البصير لافعاله بكونها خالصة عن شوايب الرياء مقرونة بالصدق والصفاء فالجواب اختلفوا في كيفية
ذلك الاسرى فالاكثرون على انه اسري بجسد رسول الله صلى الله عليه وسلم وروي عن عائشة وحذيفة انه ذلك
كان رؤيا لاانما فقد جسد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن الله اسرى بروحه فالكلام في هذا الباب في مقامين الاول
في اثبات الجواز العقلي والثاني في الوقوع فالمقام الاول وهو الجواز العقلي فنقول الحركة الواقعة في السرعة الى هذا
الحد ممكنة في نفسها والله تعالى قادر على جميع الممكنات والدليل على ان هذه الحركة السريعة ممكنة غير ممتنعة تفتقر الى مقدمات
الاولى ان الحركة الواقعة الى هذا الحد يدل عليها وجوه الاول ان الفلك الاعظم يتحرك من اول الليل الى آخره فيقرب من نصف
الدور وثبت في الهندسة ان نسبة القطر الى نصف الدور ونسبة الواحد الى ثلاثة وسبع فبتقدير ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم ارتفع من مكة فيلزم ان يكون نسبة نصف القطر الى نصف الدور ونسبة الواحد الى ثلاثة وسبع فبتقدير ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم ارتفع من مكة الى ما فوق الفلك الاعظم فهو لم يتحرك الا مقدار نصف القطر فلما حصل
في ذلك القدر من الزمان حركة نصف الدور كان حصول الحركة بمقدار نصف القطر اولى بالامكان فهذا برهان
قاطع على ان الارتفاع من مكة الى ما فوق العرش في مقدار ثلث الليل امر ممكن في نفسه واذا كان كذلك كان حصوله
في كل الليل اولى بالامكان الثاني انه ثبت في الهندسة ان قرص الشمس تساوي كرة الارض مائة وستين مرة وكذا
وكذا مرة ثم انا نشاهد ان طلوع الشمس يحصل في زمان لطيف سريع فدل على ان بلوغ الحركة في السرعة الى هذا الحد
امر ممكن في نفسه الثالث انه كما يستبعد في العقل صعود الجسم الكثيف من مركز العالم الى ما فوق العرش فكذلك
يستبعد نزول الجسم اللطيف الروحاني من فوق العرش الى مركز العالم فان كان القول بمعراج محمد صلى الله عليه وسلم
في الليلة الواحدة ممتنعا في العقول فان القول بنزول جبريل عليه السلام من العرش الى مكة في اللحظة الواحدة ممتنعا
ولو حكمنا بهذا الامتناع كان ذلك طعنا في نبوة جميع الانبياء عليهم السلام والقول بثبوت المعراج فرع على تسليم جواز اصل
النبوة فيلزم القايل بامتناع حصول حركة سريعة الى هذا الحد القول بامتناع نزول جبريل عليه السلام في اللحظة من
العرش الى مكة ولما كان ذلك باطلا كان ما ذكروه ايضا باطلا فان قالوا نحن لا نقول ان جبريل عليه السلام جسم
ينتقل من مكان الى مكان وانما نقول المراد من نزول جبريل عليه السلام هو زوال الحجب الجسمانية من جسم محمد عليه السلام
حتى يظهر في روحه من المكاشفات والمشاهدات بعض ما كان حاضرا متجليا في ذات جبريل عليه السلام قلنا تفسير الوحي
بهذا الوجه هو قول الحكماء فاما جمهور المسلمين فيقولون ان جبريل عليه السلام وان نزوله عبارة عن انتقاله من الافلاك
الى مكة واذا كان كذلك كان الالزام المذكور قويا روي انه عليه السلام لما ذكر قصة المعراج كذبه الكل وذهبوا الى
ابي بكر وقالوا له ان صاحبك يقول كذا وكذا فقال ابو بكر ان كان قد قال ذلك فهو صادق ثم اتى الى النبي صلى الله عليه
وسلم فذكر الرسول له تلك التفاصيل فكلما ذكر شيئا قال ابو بكر رضي الله عنه صدقت فلما تم الكلام قال ابو بكر اشهد
انك رسول الله صلى الله عليه وسلم عليك حقا فقال الرسول واشهد انك صديق حقا وحاصل الكلام ان ابا بكر كانه قال لما
سلمت رسالته فقد صدقته فيما هو اعظم من هذا فكيف في هذا الرابع اكثر ارباب الملل والنحل يسلمون وجود ابليس ويسلمون
انه هو الذي يتولى الوسوسة في قلوب بني آدم فلما جوزوا مثل هذه الحركة السريعة في حق ابليس فلان يسلموا جوازها
في حق الاكابر الانبياء اولى وهذا الالزام قوي على من يسلم ان ابليس جسم ينتقل من مكان الى مكان واما من يقول انه من
الارواح الخبيثة الشريرة وانه ليس بجسم ولا جسماني فلا يرد عليه هذا الالزام الا ان اكثر ارباب الملل والنحل يوافقون
على انه جسم لطيف ينتقل فان قالوا هب ان الملائكة والشياطين يصح في حقهم مثل هذه الحركة السريعة في ذواتها
اما الانسان فانه جسم كثيف فكيف يعقل مثل هذه الحركة فيه قلنا نحن انما اسندنا هذا باقوال الملائكة والشياطين
على ان حصول حركة منتهية في السرعة الى هذا الحد ممكن في نفس الامر فاما بيان ان هذه الحركة لما كانت ممكنة الوجود في نفسها
كانت ايضا ممكنة الحصول في جسم الانسان البدني فقام مقام آخر يأتي تقريره ان شاء الله تعالى الخامس انه جاء
في القرآن ان الرياح كانت تسير مع سليمان صلوات الله عليه الى المواضع البعيدة في الاوقات القليلة قال تعالى غدوها
شهر ورواحها شهر بل يقول الحس يدل على ان الرياح تنتقل عند شدة هبوبها من مكان الى مكان في غاية البعد في اللحظة
الواحدة وذلك ايضا يدل على ان مثل هذه الحركة السريعة في نفسها ممكنة السادس ان القرآن يدل على ان الذي عنده علم

الكتاب احضر عرش بلقيس من اقصى اليمن الى اقصى الشام في مقدار لمح البصر قال تعالى قال الذي عنده علم من الكتاب
انا آتيك به قبل ان يرتد اليك طرفك واذا كان ذلك ممكنا في حق بعض علمنا انه في نفسه ممكن السابع ان من الناس من يقول
ان الحيوان انما يبصر المرئيات لاجل الشعاع يخرج من عينيه ويتصل بالمرئيات فاذا فتحنا العين ونظرنا الى شخص
رأيناه فعلى قول هؤلاء انتقل شعاع العين من ابصارنا الى الشخص في تلك اللحظة اللطيفة وذلك يدل على ان
الحركة الواقعة على هذا الحد من السرعة من الممكنات لا من الممتنعات فثبت بهذه الوجوه ان حصول الحركة المنتهية في السرعة
الى هذا الحد امر ممكن الوجود في نفسه المقدمة الثانية في بيان ان هذه الحركة لما كانت ممكنة الوجود في نفسها وجب
ان لا يمتنع حصولها في جسد محمد صلى الله عليه وسلم لانه ثبت بالدلايل القطعية ان الاجسام متماثلة في تمام ماهيتها
فلما صح حصول مثل هذه الحركة في حق بعض الاجسام وجب امكان حصولها في ساير الاجسام وذلك يوجب القطع
بان حصول مثل هذه الحركة في حق بعض الاجسام جسد محمد صلى الله عليه وسلم امر ممكن الوجود في نفسه واذا ثبت
هذا فنقول ثبت ان خالق العالم قادر على كل الممكنات وثبت ان حصول الحركة البالغة في السرعة هذا الحد في جسد محمد
عليه الصلاة والسلام ممكن فوجب كونه تعالى قادرا عليه فلزم من مجموع هذه المقامات ان القول بثبوت هذا المعراج
امر ممكن الوجود في نفسه اقصى ما في الباب انه يبقى التعجب الا ان التعجب غير مخصوص بهذا المقام بل هو حاصل في جميع
المعجزات فانقلاب العصا ثعبانا تبلع سبعين الف من الحبال والعصي ثم تعود في الحال عصا صغيرة كما كانت امر عجيب
وخروج الناقة من الجبل الاصم امر عجيب واظلال الجبل في الهواء امر عجيب وكذا ساير المعجزات فان كان مجرد التعجب
يوجب الانكار والدفع لزم الجزم بفساد القول بنبوة كل الانبياء عليهم السلام لكن القول باثبات المعجزات فرع على
تسليم اصل النبوة وان كان مجرد التعجب لا يوجب الانكار والابطال فكذا هنا

فصل

قال المحققون
انه تعالى اسرى بروح محمد صلى الله عليه وسلم وجسده من مكة الى المسجد الاقصى ويدل عليه القرآن والخبر اما
القرآن فهذه الاية ان العبد اسم للجسد والروح قال تعالى ارايت الذي ينهى عبدا اذا صلى وقال تعالى وانه لما قام
عبد الله يدعوه فاما الخبر فما روي انس بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فرج عن سقف بيتي وانا بمكة
فنزل جبريل عليه السلام ففرج صدري ثم غسله بماء زمزم ثم جاء بطست من ذهب ممتلي حكمة وايمانا فافرغه في صدري
ثم اطبقه وروى مالك بن صعصعة ان نبي الله صلى الله عليه وسلم حدثهم عن ليلة اسري به قال بينا انا في الحطيم
وربما قال في الحجر بين النايم واليقظان فاتيت بطست من ذهب مملوءة حكمة وايمانا فشق من النحر الى مراق البطن
واستخرج قلبي فغسله ثم حشي ثم اعيد وفي رواية سعيد وهشام ثم غسل البطن واستخرج قلبي فغسله بماء زمزم
ثم ملي ايمانا وحكمة ثم اتيت بالبراق وهي دابة ابيض طويل فوق الحمار دون البغل يقع حافره عند منتهى طرفه فركبته
فانطلقت مع جبريل حتى اتى بيت المقدس قال فربطه في الحلقة التي تربط فيها الانبياء قال ثم دخلت المسجد فصليت
فيه ركعتين ثم خرجت فجاءني جبريل باناء خمر واناء من لبن فاخترت اللبن فقال جبريل اخترت الفطرة فانطلق بي
جبريل حتى اتى سماء الدنيا الحديث واحتج المنكرون بوجوه عقلية ونقلية اما العقلية فاولها ان الحركة البالغة
في السرعة الى هذا الحد غير معقولة وثانيها ان صعود الجرم الثقيل الى السموات غير معقول وثالثها ان صعوده
الى السموات يوجب انخراق الافلاك وذلك محال ولان هذا المعنى لو صح لكان اعظم من ساير معجزاته فكان يجب ان
يظهر ذلك عند اجتماع الناس حتى يستدلوا به على صدقه في ادعاء النبوة فاما ان يحصل ذلك في وقت لا يراه احد
ولا يشاهده فان ذلك يكون عبثا وذلك لا يليق بالحكيم واما النقل فقوله تعالى لنريه من اياتنا وقوله تعالى وما
جعلنا الرؤيا التي اريناك الا فتنة للناس وما ذلك الرؤيا الا حديث المعراج والرؤيا انما في المنام وانما كانت
فتنة للناس لان كثيرا ممن آمن به لما سمع هذا الكلام كذبه وكفر فكان حديث المعراج سببا لفتنة الناس وايضا
فحديث المعراج اشتمل على اشياء بعيدة منها ما روي من شق بطنه وتطهيره بماء زمزم وهو بعيد لان الذي يمكن
غسله بالماء هو النجاسات العينية ولا تأثير لذلك في تطهير القلب عن العقايد الباطلة والاخلاق الذميمة وايضا فما
روي من ركوب البراق وهو بعيد لانه تعالى لما سيره من هذا العالم الى عالم الافلاك فاي حاجة الى البراق
وما روي انه تعالى اوجب خمسين صلاة ثم ان محمدا صلى الله عليه وسلم لا يزال يتردد بين يدي الله وبين موسى عليه
السلام قال القاضي وهذا يقتضي نسخ الحكم قبل حضور وقته وانه يوجب البداء وذلك على الله محال فثبت ان ذلك
الحديث مشتمل على ما لا يجوز قبوله فكان مردودا فالجواب عن الوجوه العقلية قد سبق واما قوله لنريه
من اياتنا فهذا كلام مجمل وفيه وجوه الاول ان خيرات الجنة عظيمة واهوال النار شديدة فلو انه عليه
السلام ما شاهدهما في الدنيا ثم شاهدهما ابتداء في يوم القيمة فربما رغب في خيرات الجنة او خاف من اهوال النار

امّا لما شاهد في الدنيا في ليلة المعراج فحينئذ لا يعظم وقعها في قلبه يوم القيمة فلا يبقى مشغول القلب بها
وحينئذ يتفرغ للشفاعة الثاني لا يمتنع ان يكون مشاهدته ليلة المعراج للانبياء والملائكة سببا لتكامل
مصلحته او مصلحتهم الثالث لا يبعد انه اذا صعد الفلك وشاهد احوال السموات والكرسي والعرش صارت مشاهدة
احوال هذا العالم واهواله حقيرة في عينه فيحصل له زيادة قوة في القلب باعتبارها يكون شروعه في الدعوة
الى الله اكمل وقلة التفاته الى اعداء الله اقوى فتبين ذلك انّ من عاين قدرة الله في هذا الباب لا يكون حاله في قوة
النفس وثبات القلب على احتمال المكاره في الجهاد وغيره الا اضعاف ما يكون لمن لم يعاين فقوله لنريه من آياتنا كالدلالة
على ان فائدة ذلك الاسرى مختصة به وعائدة اليه على سبيل التعيين واما قوله وما جعلنا الرؤيا التي اريناك الا فتنة فيأتي
الجواب عند تفسير تلك الآية في هذه السورة ونبين ان تلك الرؤيا رؤيا عيان لا رؤيا منام واحاديث المعراج فلا
اعتراض على الله تعالى في افعاله يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد واعلم ان العروج الى ما فوق العرش والى السموات فهذه الآية
لا تدل عليه ومنهم من استدل عليه باول سورة النجم ومنهم من استدل عليه لتركبن طبقا عن طبق وسيأتي تفسيرها
في موضعه ان شاء الله تعالى **فصل** روي لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم اسري به مكانه بذي طوى
قال يا جبريل ان قومي لا يصدقوني قال يصدقك ابو بكر وهو الصديق قال ابن عباس وعائشة عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم لما كانت ليلة اسري بي فاصبحت بمكة فضقت بامري وروي انه عليه السلام قعد معتزلا حزينا فمرّ به
ابو جهل بن هشام فجلس اليه فقال له كالمستهزئ هل استفدت من شيء قال نعم اني اسري بي الليلة قال الى اين قلت الى بيت
المقدس قال ثم اصبحت بين ظهرانينا قال نعم فلم ير ابو جهل انه ينكر مخافة ان يجحد الحديث قال اتحدث قومك ما حدثتني
قال نعم قال ابو جهل يا معشر بني كعب بن لؤي هلم فانتفضت المجالس فجاؤوا حتى جلسوا اليهما قال حدث قومك ما حدثتني
قال نعم اني اسري بي الليلة قالوا الى اين قلت الى بيت المقدس قالوا ثم اصبحت بين ظهرانينا قال نعم فمن بين مصفق ومن
بين واضع يده على رأسه متعجبا فارتد ناس ممن كان آمن به وصدقه وسعى رجل من المشركين الى ابي بكر فقال هل لك
في صاحبك يخبر ويزعم انه قد اسري به الى بيت المقدس في ليلة وجاء قبل ان يصبح قال نعم اني لاصدقه بما هو ابعد من ذلك
فكيف لا اصدقه بخبر السماء يعدو او يروح ولذلك سمي ابو بكر الصديق قال وفي القوم من اتى المسجد الاقصى
فقالوا هل تستطيع ان تنعته لنا قال نعم فذهبت انعته فما زلت انعت حتى التبس علي فجيء بالمسجد وانا انظر
اليه فقال القوم اما النعت فوالله لقد اصاب ثم قال يا محمد اخبرنا عن عيرنا فهي اهم الينا هل لقيت منها شيئا
قال نعم مررت على عير بني فلان وهي بالروحاء وقد اضلوا بعيرا لهم وهم في طلبه وفي رحالهم قدح من ماء فعطشت
فاخذته فشربته ثم وضعته كما كان فسلوهم هل وجدوا الماء في القدح حين رجعوا اليه قالوا هذه آية قال
ومررت بعير فلان وفلان وفلان راكبان قعودا لهما بذي مر فنفر بعيرهما مني فرمى فلانا فانكسرت يده فسلوهم
عن ذلك قالوا وهذه آية قالوا فاخبرنا عن عيرنا قال مررت بها بالتنعيم قالوا فاخبرنا عن عدتها واحمالها وهيئتها ومن فيها
فقال نعم هيئتها كذا وكذا وفيها فلان يقدمها جمل اورق عليه غرارتان تطلع عليكم عند طلوع الشمس قالوا وهذه
آية اخرى ثم خرجوا يشتدون نحو الثنية يقولون لقد قضى محمد شيئا وبينه حتى اتوا كذا فجلسوا ينظرون متى تطلع
الشمس فيكذبونه اذ قال قائل منهم والله فهذه الشمس قد طلعت وقال آخرون وهذه والله الابل قد طلعت يقدمها بعير
اورق وفيها فلان كما قال لهم فلم يؤمنوا وقالوا ان هذا الا سحر مبين وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم لقد رأيتني في الحجر وقريش تسألني عن مسراي فسألتني عن اشياء من بيت المقدس لم اثبتها فكربت كربا ما كربت
مثله قط فرفعه الله لي انظر اليه ما يسألوني عن شيء الا انبأتهم وقد رأيتني في جماعة من الانبياء فاذا موسى قائم يصلي فاذا رجل
ضرب جعد كانه من رجال شنوءة واذا عيسى قائم يصلي اقرب الناس به شبها عروة بن مسعود الثقفي واذا ابراهيم قائم
يصلي اشبه الناس به صاحبكم يعني نفسه فحانت الصلوة فاممتهم فلما فرغت من الصلاة قال لي قائل يا محمد هذا
مالك صاحب النار فسلم عليه فالتفت اليه فبدأني بالسلام **فصل** اختلفوا في الرؤية فقال ابن عباس
رآه بفؤاده مرتين وابو هريرة اطلق الرؤية وصرح ابن خزيمة وآخرون بالرؤية بالعينين وهو اختيار ابي الحسن
الاشعري والنووي في فتاويه واستدل من منع ذلك بما روى مسلم عن ابي ذر قال قلت يا رسول الله هل رأيت
ربك فقال نور انى اراه وفي رواية رأيت نورا وقالوا لم يكن رؤية الباقي بالعين الفانية ولهذا قال تعالى لموسى فيما روي
في الكتب الالهية يا موسى انه لن يراني حي الا مات ولا يابس الا تدهده قالت عائشة وجماعة ان ذلك كان رؤيا
منام وقال اكثرهم من الصحابة ان ذلك كان في اليقظة قال بعض العلماء ونحن لا ننكر وقوع منام قبل الاسراء طبق ما وقع
بعد ذلك في اليقظة فانه صلى الله عليه وسلم كان لا يرى رؤيا الا جاءت كما يرى مثل فلق الصبح واختلف العلماء في

ان الاسرى والمعراج هل كانا في ليلة واحدة او كل واحد في ليلة فمنهم من زعم ان الاسراء في اليقظة والمعراج
في المنام وذهب آخرون الى ان الاسراء مرتين مرة بروحه مناما ومرة بروحه وبدنه يقظة وذهب آخرون الى
تعدد الاسرى في اليقظة وقالوا انها اربع اسراءات لتعدد الروايات في الاسرى واختلاف ما يذكر فيها فبعضهم يذكر
شيئا وبعضهم يسقط ذكره لا جرم وهذا لا يدل على التعدد لان بعض الرواة قد يحذف بعض الخبر للعلم به او نسيانه او يذكر
ما هو الاهم او يبسط تارة فيسوقه كله وتارة يحدث المخاطب بما هو الانفع له ومن جعل كل رواية اسراء على حدة
فقد ابعد جدا لان كل السياقات فيها السلام على الانبياء وفي كل منها تعريفه بهم وفي كلها يفرض عليه الصلوات
فكيف يمكن تعدد ذلك هذا في غاية البعد والاستحالة والله اعلم ذكره الفضل بن كثير **قوله تعالى**
وآتينا موسى الكتاب الآية لما ذكر الله تعالى في الآية الاولى انه اكرم موسى عليه السلام قبله بالكتاب الذي آتاه
وآتينا ثلاثة اوجه احدها ان يعطف هذه الجملة على الجملة السابقة من تنزيه الرب تبارك وتعالى ولا يلزم في عطف
الجمل مشاركة في خبر ولا غيره الثاني قال العسكري انه معطوف على اسرى واستبعده ابو حيان ووجه الاستبعاد
ان المعطوف على الصلة صلة فيؤدي التقدير الى صيرورة التركيب سبحان الذي اسرى وآتينا وهو في قراءة الذي
آتينا موسى فيعود الضمير على الموصول ضمير متكلم من غير مسوغ لذلك والثالث انه معطوف على ما في قوله اسرى
من تقدير الخبر كانه قال اسرينا بعبدنا واريناه آياتنا وآتينا وهو قريب من تفسير المعنى لا الاعراب **قوله تعالى**
وجعلناه يجوز ان يعود الضمير المنصوب للكتاب وهو الظاهر وان يعود لموسى عليه السلام وقوله تعالى لبني اسرائيل
يجوز تعلقه بنفس هدى كقوله يهدي للحق وان يتعلق بالجعل اي جعلناه لاجلهم وان يتعلق بمحذوف نعتا لهدى
قوله تعالى ان لا تتخذوا يجوز ان يكون ناصبة على حذف حرف العلة اي وجعلناه هدى لئلا تتخذوا وقيل
لا مزيدة والتقدير كراهة ان تتخذوا وان تكون المفسرة بمعنى اي ولا ناهية فالفعل منصوب على الاول مجزوم على
الثاني وان تكون مزيدة عند بعضهم والجملة التي بعدها معمولة لقول مضمر اي مقولا لهم لا تتخذوا وقلنا لهم
لا تتخذوا قاله الفارسي وهذا ظاهر في قراءة الخطاب وهذا مردود بانه ليس من مواضع زيادة ان وقرأ ابو عمرو ان لا
يتخذوا بياء الغيبة جريا على قوله لبني اسرائيل والباقون بالخطاب التفاتا ومعنى الآية وجعلناه هدى لبني اسرائيل
لئلا يتخذوا من دوني وكيلا اي ربا يكلوا اليه امورهم وان في قراءة من قرأ بالياء فيحتمل ان ثلاثة اوجه ان يكون
لا موضع لها وهي التفسيرية وان تكون زائدة ويكون الكلام خبرا بعد خبر على اضمار القول وان يكون ان في موضع
نصب ولا زائدة وحرف الجر محذوف مع ان قاله مكي **قوله تعالى** ذرية من حملنا مع نوح العامة على نصب ذرية
وفيه اوجه احدها انها منصوبة على الاختصاص وبه بدأ الزمخشري الثاني انها منصوبة على البدل من وكيلا ذكره ابو
البقاء وفيه بعد الرابع انها منصوبة على انه المفعول الاول لتتخذوا والثاني هو وكيلا فقدم ويكون وكيلا مما وقع
مفردا للفظ والمعنى به جمع اي لا تتخذوا ذرية من حملنا مع نوح وكلاء كقوله ولا يأمركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين
اربابا الخامس انها منصوبة على اي يا ذرية من حملنا وهو قول مجاهد وخص الواحدي هذا الوجه بقراءة الخطاب
في تتخذوا وهو واضح عليها الا انه لا يلزم وان كان مكي قد منع منه فانه قال فاما من قرأ يتخذوا بالياء فذرية مفعول
لا غير ويبعد النداء لان الياء للغيبة والنداء للخطاب فلا يجتمعان الا على بعد وليس كما زعم لانه يجوز ان ينادي الانسان
شخصا ويخبر عن آخر فيقول يا زيد ينطلق بكر وفعلت كذا ويا زيد ليفعل عمرو كيت وكيت السادس قال مكي وقيل
نصب على اضمار اعني وقرأت فرقة ذرية بالرفع وفيه وجهان احدهما انها خبر مبتدأ مضمر تقديره هم ذرية ذكره ابو البقاء
وليس بواضح والثاني انه بدل من واو تتخذوا قال ابن عطية ولا يجوز ذلك في القراءة بالتاء لانك لا تبدل من ضمير
المخاطب لو قلت ضربتك زيدا على البدل لم يجز ورد عليه ابو حيان هذا الاطلاق وقال ينبغي التفصيل وهو ان
كان بدل بعض او اشتمال جاز وان كان كلا من كل وافاد الاحاطة نحو جئتم كبيركم وصغيركم جوزه الاخفش والكوفيون
قال وهو الصحيح قال شهاب الدين وغفل ابن عطية بقوله ضربتك زيدا فلم يقع عنده هذا الرد وقال مكي ويجوز الرفع
في الكلام على قراءة من قرأ بالياء على البدل من المضمر في يتخذوا ولا يحسن ذلك في قراءة التاء لان المخاطب لا يبدل منه
الغائب ويجوز الخفض على البدل من بني اسرائيل قال شهاب الدين اما الرفع فقد تقدم انه قرئ به وكانه لم يطلع عليه
واما الجر فلم يقرأ به فيما علمت ويرد عليه في قوله لان المخاطب لا يبدل منه الغائب ما ورد على ابن عطية بل اولى لانه لم يذكر
مثالا يبين مراده كما فعل ابن عطية **قوله تعالى** من حملنا يجوز ان تكون من موصولة او موصوفة قال
قتادة الناس كلهم ذرية نوح عليه السلام لانه كان معه في السفينة ثلاث بنين سام وحام ويافث والناس كلهم
من ذريته اولئك فكان قوله يا ذرية من حملنا مع نوح قام مقام يا ايها الناس وهذا يدل على انه ذهب الى انه منصوب

على الندا وقد تقدم نقله عن مجاهد ايضا ثم انه تعالى اثنى على نوح فقال انه كان عبدا شكورا اي كثير الشكر
روي انه عليه السلام كان اذا اكل قال الحمد لله الذي اطعمني ولو شاء اجوعني واذا شرب قال الحمد لله الذي اسقاني
ولو شاء لظماني واذا اكتسى قال الحمد لله الذي كساني ولو شاء اعراني واذا احتذى قال الحمد لله الذي حذاني ولو شاء
احفاني واذا قضى حاجته قال الحمد لله الذي اخرج مني اذاه في عافية ولو شاء حبسه وروي انه كان اذا اراد الافطار
عرض طعامه على من مر به فان وجده محتاجا آثره به فان قيل ما وجه ملائمة قوله انه كان عبدا شكورا بما قبله
فالجواب التقدير كان قيل لا تتخذوا من دوني وكيلا ولا تشركوا بي لان نوحا عليه السلام كان عبدا شكورا وانما
يكون شكورا اذا كان موحدا لا يرى حصول شيء من النعم الا من فضل الله وانتم ذرية قومه فاقتدوا بنوح كما ان اباءكم
اقتدوا به **قوله تعالى** وقضينا الى بني اسرائيل في الكتاب الاية لما ذكر انعامه على بني اسرائيل بانزال التوراة
وبانه جعل التوراة هدى لهم بين انهم ما اهتدوا بهداه بل وقعوا في الفساد فقال وقضينا الى بني اسرائيل
في الكتاب والقضاء في اللغة عبارة عن وضع الاشياء عن احكام ومنه قوله فقضاهن سبع سموات وقول الشاعر •
وعليهما مسرودتان قضاهما • ويكون امرا كقوله تعالى وقضى ربك ان لا تعبدوا الا اياه ويكون حكما كقوله
ان ربك يقضي بينهم ويكون خلقا كقوله فقضاهن سبع سموات ومعناه في الاية اعلمناهم واخبرناهم فيما
آتيناهم من الكتب انهم سيفسدون وقال ابن عباس وقتادة وقضينا عليهم الى بمعنى على والمراد وقضى يتعدى
بنفسه فلما قضى زيد منها وطرا فلما قضى موسى الاجل واما تعديه هنا بالى لتضمنه معنى انفذنا اي وانفذنا
اليهم بالقضاء المحتوم ومتعلق القضاء محذوف اي بفسادهم وقوله لتفسدن جواب قسم محذوف تقديره والله لتفسدن
في الارض مرتين وهذا القسم مؤكد لمتعلق القضاء ويجوز ان يكون لتفسدن جوابا لقوله وقضينا لانه ضمن معنى
القسم ومنه قولهم قضى الله لافعلن فيجرون القضاء والقدر مجرى القسم فيتلقيان بما يتلقى به القسم والعامة على
توحيد الكتاب مرادا به الجنس وابن جبير وابو العالية في الكتب على الجمع جاؤا به نصا في الجمع وقرا العامة بضم التاء
وكسر السين مضارع افسد ومفعوله محذوف تقديره لتفسدن الاديان ويجوز ان لا يقدر مفعول اي
لتوقعن الفساد وقرا ابن عباس ونصر بن علي وجابر بن زيد لتفسدن ببنائه للمفعول اي ليفسدنكم غيركم اما
من الاضلال او من الغلبة وقرا عيسى بن عمر بفتح التاء وضم السين اي فسدتم بانفسكم **قوله تعالى**
مرتين منصوب على المصدر والعامل فيه لتفسدن لان التقدير مرتين من الفساد وقوله علوا العامة على
ضم العين واللام مصدر علا يعلو وقرا زيد بن علي عليا بكسرهما والياء والاصل الواو وانما على اللغة القليلة
وذلك ان المصدر الاكثر فيه الصحيح نحو عتا عتوا والاعلال قليل نحو عتيا وثلاثة والهوي ونحوه
العلو **فصل** معنى قضينا اوحينا الى بني اسرائيل في الكتاب لتفسدن في الارض اي بالمعاصي وخلاف
احكام التوراة في الارض يعني ارض الشام وبيت المقدس ولتعلن علوا كبيرا اي يكون استعلاؤكم على الناس بغير
الحق استعلاء عظيما لانه يقال لكل متكبر متجبر وقد علا وتعظم **قوله تعالى** وعد اي موعودا فهو مصدر
واقع موقع المفعول وترك الزمخشري على حاله لكن بحذف مضاف اي وعد عقاب اولاهما وقيل الوعد بمعنى
الوعيد وقيل بمعنى الوقت الذي يراد به الوقت فهذه اربعة اوجه والضمير عائد على المرتين **قوله تعالى**
عبادا لنا العامة على عبادا بزنة فعال وقرا زيد بن علي والحسن عبيدا على فعيلا وتقدم الكلام على ذلك وقوله تعالى
فجاسوا عطفا على بعثنا اي ترتب على بعثنا اياهم هذا والجوس بفتح الجيم وضمها مصدر جاس يجوس اي فتش ونقب
قاله ابو عبيد وقال الفراء قتلوا قال حسان • ومنا الذي لاقى بسيف محمد • فجاس به الاعداء عرض العساكر •
وقال ابو زيد الجوس والجوس والعرس والهرس طلب الشيء بالليل وقال قطرب جاسوا نزلوا وانشد قوله •

• فجسنا ديارهم عنوة • وابنا بسادتهم موثقينا •

وقيل جاسوا بمعنى داسوا وانشد • اليك جسنا الليل بالمطي • وقيل الجوس التردد قال الليث الجوس
والجوسان التردد وقيل طلب الشيء باستقصاء ويقال الحاس بالحاء المهملة وبها قرا طلحة وابو السمال وقرئ فجوسوا
بالجيم بزنة نكسوا وقرا خلال الديار العامة على خلال وهو يحتمل الوجهين احدهما انه جمع خلل كجبال في جبل وجمال
في جمل والثاني انه اسم مفرد بمعنى وسط ويدل له قراءة الحسن خلل الديار وقوله وكان وعدا اي وكان الجوس او وكان
وعد اولاهما او كان عقابهم **قوله** الكرة مفعول رددنا وهي في الاصل مصدر كر يكر اي رجع ثم يعبر
بها عن الدولة والقهر **قوله** عليهم يجوز تعلقه برددنا او بنفس الكرة لانه يقال كر عليه فيتعدى بعلى ويجوز
ان يتعلق بمحذوف على انه حال من الكرة **قوله تعالى** نفيرا منصوب على التمييز وفيه اوجه احدها انه فعيل

يعني

بمعنى فاعل اي اكثر نافرا اي من ينفر معكم الثاني انه جمع نفر نحو عبيد وكليب قاله الزجاج وهم الجماعة الصائرون
الى الاعداء الثالث انه مصدر اي اكثر خروجا الى الغزو وقال الشاعر • فاكرم بقحطان من والد •
وحمير اكرم بقوم نفيرا • والمفضل عليه محذوف فقدره بعضهم اكثر نفيرا من اعدائكم وقدره الزمخشري
اكثر نفيرا مما كنتم **فصل** معنى الاية فاذا جاء وعد اولهما يعني اول المرتين قال قتادة افسادهم
في المرة الاولى ما خالفوا من احكام التوراة وركبوا المحارم وقال ابن اسحق فسادهم في المرة الاولى قتل شعيا بين الشجر
وارتكابهم المعاصي بعثنا عليكم عبادا لنا قال قتادة يعني جالوت وجنوده وهو الذي قتله داود فذاك هو
عود الكرة وقال سعيد بن جبير سنحاريب من ارض نينوى وقال ابن اسحق بخت نصر البابلي واصحابه وهو الاظهر فقتل
منهم اربعين الفا ممن يقرا التوراة وذهب بالبقية الى ارضه فبقوا هناك في الذل الى ان قيض الله ملكا اخر من اهل
بابل واتفق بان تزوج امراة من بني اسرائيل فطلبت تلك المراة من ذلك الملك ان يرد بني اسرائيل الى بيت المقدس ففعل
وبعد مدة قامت فيهم الانبياء ورجعوا الى احسن ما كانوا وهو قوله تعالى ثم رددنا لكم الكرة عليهم وقال اخرون يعني
قوله بعثنا عليكم عبادا لنا هو انه تعالى القى الرعب من بني اسرائيل في قلوب المجوس فلما كثرت المعاصي فيهم ازال الرعب
عن قلوب المجوس فقصدوهم وبالغوا في قتلهم وافنائهم واهلاكهم واعلم انه لا يتعلق كثير غرض في معرفة الاقوام
باعيانهم بل المقصود هو انهم لما اكثروا في المعاصي سلط الله عليهم اقواما قتلوهم وافنوهم **فصل** احتجوا
بهذه الاية على صحة القضاء والقدر من وجهين الاول انه تعالى قال وقضينا الى بني اسرائيل في الكتاب لتفسدن في الارض
مرتين وهذا القضاء اقل احتمالا لانه الحكم الجزم والخبر الحتم فثبت انه تعالى اخبر عنهم انهم سيقدمون على الفساد
والمعاصي خبرا جزما حتما لا يقبل النسخ لان القضاء معناه الحكم الجزم ثم ان الله تعالى اكد القضاء بقوله وكان
وعدا مفعولا فنقول عدم وقوع ذلك الفساد منهم يستلزم انقلاب خبر الله الصدق كذبا وانقلاب حكمه الجازم باطلا
وانقلاب علمه الحق جهلا وكل ذلك محال فكان عدم اقدامهم على ذلك الفساد محالا وكان اقدامهم عليه واجبا
ضروريا لا يقبل النسخ والرفع مع انهم كلفوا بتركه ولعنوا على فعله وذلك يدل على ان الله يامر بالشيء ويصد عنه
وقد ينهى عن الشيء ويسوق اليه الثاني قوله بعثنا عليكم عبادا لنا اولي باس شديد والمراد به الذين تسلطوا على
بني اسرائيل بالقتل والنهب والاسر فبين تعالى انه هو الذي بعثهم على بني اسرائيل ولا شك ان قتل بني اسرائيل ونهب
اموالهم واسر اولادهم كان مشتملا على الظلم الكثير والمعاصي العظيمة ثم انه تعالى اضاف كل ذلك الى نفسه بقوله
ثم بعثنا وذلك يدل على ان الخير والشر والطاعة والمعصية من الله تعالى اجاب الجبائي عنه من وجهين الاول قوله
تعالى بعثنا هو انه تولى امر اولئك القوم بغزو بني اسرائيل لما ظهر فيهم من الفساد فاضيف ذلك الفعل الى الله من
حيث الامر الثاني ان الله تعالى خلى بينهم وبين بني اسرائيل وما القى الخوف من بني اسرائيل في قلوبهم فالمراد من هذا
البعث التخلية وعدم المنع والجواب الاول ضعيف لان الذين قصدوا تخريب بيت المقدس واحراق التوراة
وقتل حفاظ التوراة لا يجوز ان يقال انهم فعلوا ذلك بامر الله والجواب الثاني ايضا ضعيف لان البعث
عبارة عن الارسال والتخلية عبارة عن عدم المنع فالاول فعل والثاني ترك فتفسير البعث بالتخلية تفسير لاحد
الضدين بالاخر وانه لا يجوز فثبت صحة ما ذكرناه **قوله تعالى** ان احسنتم احسنتم لانفسكم الاية المحكي تعالى
بانهم لما عصوا سلط الله عليهم اقواما قصدوهم بالقتل والنهب فعند ذلك ظهر انهم اطاعوا فقال تعالى ان اطاعوا
فقد احسنوا الى انفسهم وان اصروا على المعصية فقد اساؤا الى انفسهم وقد تقرر في العقول ان الاحسان الى النفس
مطلوب وان الاساءة قبيحة فلهذا المعنى قال تعالى ان احسنتم احسنتم لانفسكم وان اساتم فلها **قوله تعالى** فلها
في اللام اوجه احدها انها بمعنى على اي فعليها كقول الشاعر • فخر صريعا لليدين وللفم • اي على اليدين وحروف
الاضافة تقوم بعضها مقام بعض كقوله تعالى بان ربك اوحى لها اي اليها والثاني انها بمعنى الى قال الطبري اي فاليها
ترجع الاساءة الثالث انها على بابها وانما اتي بها دون على للمقابلة في قوله لانفسكم فاتي بها ازدواجا وهذه اللام يجوز
ان تتعلق بفعل مقدر كما تقدم في قول الطبري واما بمحذوف على انها خبر لمبتدأ محذوف تقديره فلها الاساءة
لا لغيرها قال الواحدي لا بد في الاية من اضمار والتقدير وقلنا ان احسنتم احسنتم لانفسكم والمعنى ان احسنتم بفعل
الطاعات فقد احسنتم الى انفسكم من حيث ان تفعلوا تلك الطاعة يفتح الله عليكم ابواب الخيرات والبركات وان اساتم
بفعل المعاصي يفتح الله عليكم ابواب العقوبة قال اهل المعاني هذه الاية تدل على ان رحمته غالبة على غضبه بدليل
انه لما حكى عنهم الاحسان اعاده مرتين فقال ان احسنتم احسنتم لانفسكم ولما حكى عنهم الاساءة اقتصر على ذكرها مرة
واحدة فقال وان اساتم فلها ولولا ان جانب الرحمة غالب والا لما كان كذلك **قوله تعالى** فاذا جاء وعد الاخرة

اي الاخرة المرة يحذف المرة للدلالة عليها وجواب الشرط محذوف تقديره بعثناهم ليسوءوا وجوهكم وانما حسن هذا الحذف
للدلالة ما تقدم عليه من قوله بعثنا عليكم عبادا لنا والمرة الاخرة هي اقدامهم على قتل زكريا ويحيى عليهما السلام وقصدهم
قتل عيسى حين رفع قال الواحدي فبعث الله عليهم بخت نصر البابلي المجوسي فسبى بني اسرائيل وقتل وخرب بيت المقدس
وسلط عليهم الفرس والروم خردوس وطيطوس والطيوس حتى قتلوهم وسبوهم ونفوهم عن ديارهم قال ابن الخطيب
والتواريخ تشهد ان بخت نصر كان قبل وبعث عيسى وزكريا بسنين متطاولة ومعلوم ان الملك الذي انتقم من اليهود
بسبب هؤلاء ملك من الروم يقال له قسطنطين **قوله تعالى** ليسوءوا وجوهكم متعلق بالجواب المقدر يقال
ساءه يسوءه اي احزنه وانما عزيا الاساءة الى الوجوه لان اثار الاعراض النفسانية الحاصلة في القلب انما تظهر على
الوجه فان حصل الفرح في القلب ظهرت النضرة في الاشراق والاسفار في الوجه وان حصل الحزن والخوف في القلب
ظهر الكلوح والغبرة والسواد في الوجه فلهذا عزيت الاساءة الى الوجوه في هذه الاية ونظير هذا المعنى في القران
كثير وقرا ابن عامر وحمزة وابو بكر ليسوء بالياء المفتوحة وهمزة مفتوحة اخر الفعل والفاعل اما الله تعالى واما
الوعد واما البعث واما النفير والكسائي بنون التعظيم اي لنسوء نحن وهو موافق لما قبله من قوله بعثنا عليكم
عبادا لنا وامددنا ولما بعده من قوله عدنا وجعلنا وقرا الباقون ليسوءوا مسندا الى ضمير على العباد اولي الباس
او على النفير لانه اسم جمع وهو موافق لما بعده من قوله وليدخلوا المسجد كما دخلوه اول مرة وليتبروا ما علوا تتبيرا
وفي عود الضمير على النفير فيه نظر لان النفير اسم جمع وهو موافق لما بعده على النفير نظر لان النفير المذكور من المخا
طبين فكيف يوصف ذلك النفير بانهم يسوءوا وجوههم اللهم الا ان يريد هذا القائل انه عائد على لفظه دون معناه
من باب عندي درهم ونصفه وقرا ابي لنسوءن بلام الامر ونون التوكيد الخفيفة ونون العظمة وهذا جواب لاذا
ولكن على حذف الفاء اي فلنسوءن ودخلت لام الامر على فعل المتكلم كقوله تعالى ولنحمل خطاياكم وقرا علي بن ابي طالب
لنسوءن ولنسوءن بالياء او النون التي للعظمة ونون التوكيد الشديدة واللام التي للقسم وفي مصحف ابي ليسوا
بضم الهمزة من غير واو وهذه القراءة تشبه ان تكون على لغة من يجتزي على الواو بالضمة كقوله • فلو ان الاطبا
كان حولي • يريد كانوا وقول الاخر • اذا ما الناس جاع واجدبوا • يريد جاعوا فكذا هذه القراءة اي ليسوءوا
كما في القراءة الشهيرة فحذف الواو وقرئ ليسيء بضم الياء وكسر السين وياء بعدها اي ليقبح الله وجوهكم
او ليقبح الوعد او البعث وفي مصحف انس وجهكم بالافراد كقوله • كلوا في بعض بطنكم تعفوا • في حلقكم عظم وقد شجينا
وقوله • واما جلدها فصليب **قوله تعالى** وليدخلوا من جعل الاولى لام كي كانت هذه ايضا لام كي
معطوفة عليها عطف علة على اخرى ومن جعلها لام امر كابي او لام قسم كعلي بن ابي طالب فاللام في ليدخلوا تحتمل
وجهين الامر والتعليل وكما دخلوه نعت لمصدر محذوف او حال من ضميره كما يقول سيبويه اي دخولا كما دخلوه
واول مرة ظرف زمان وتقدم الكلام عليها في براءة والمراد بالمسجد بيت المقدس ونواحيه **قوله تعالى** وليتبروا
ما علوا تتبيرا التتبير الهلاك يقال تبر الشيء يتبر تبارا اذا هلك وتبره اهلكه قال الزجاج وكل شيء جعلته مكسرا
مفتتا فقد تبرته ومنه قيل تبر الزجاج وتبر الذهب لكسره ومنه قوله تعالى ان هؤلاء متبر ما هم فيه وقوله
تعالى ولا تزد الظالمين الا تبارا **قوله تعالى** ما علوا يجوز فيها ان تكون مفعولا بها اي ليهلكوا الذي علوه اي غلبوا
عليه وظفروا وقيل ليهدموا كقوله • وما الناس الا عاملان فعامل • يتبر ما يبني واخر رافع •
ويحتمل ويتبروا مدة دوام ملكهم اي مدة امر سلطانهم جاريا على بني اسرائيل وعلى هذا تكون ظرفية اي مدة استعلائهم
وهذا يحوج الى حذف مفعول اللهم الا ان يكون القصد مجرد ذكر الفعل نحو هل يعطي ويمنع وقوله تعالى تتبيرا ذكر
المصدر على معنى تحقيق الخبر وازالة الشك في صدقه كقوله تعالى وكلم الله موسى تكليما اي حقا والمعنى ليتبروا
ويخربوا ما غلبوا عليه ثم قال عسى ربكم ان يرحمكم والمعنى لعل ربكم ان يرحمكم ويعفو عنكم يا بني اسرائيل بعد انتقامه
منكم يا بني اسرائيل وان عدتم عدنا اي ان عدتم الى المعصية عدنا الى العقوبة قال القفال وانما حملنا
هذه الاية على عذاب الدنيا لقوله تعالى في سورة الاعراف خبرا عن بني اسرائيل واذ تاذن ربك ليبعثن عليهم الى يوم
القيامة من يسومهم سوء العذاب ثم قال وانهم قد عادوا الى فعل ما لا ينبغي وهو التكذيب بمحمد عليه الصلاة والسلام
وكتمان ما ورد في التوراة والانجيل فعاد الله عليهم بالتعذيب على ايدي العرب فجرى على بني النضير وقريظة
وبني قينقاع ويهود خيبر ما جرى من القتل والجلاء ثم الباقون منهم مقهورون بالجزية لا ملك لهم ولا سلطان
ثم قال تعالى وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا يجوز ان يكون حصيرا بمعنى فاعل اي حاصرة لهم محيطة بهم وعلى هذا
كان ينبغي ان يؤنث بالتاء كخبيرة واجيب بانها على النسب اي ذات حصر كقوله تعالى السماء منفطر به اي ذات انفطار

وقيل الحصير الحبس قال لبيد • ومقامة غلب الرجال كانهم • جن لدى باب الحصير قيام • وقال
ابو البقاء لم يؤنثه لان فعيلا بمعنى فاعل وهذا ليس بمتوهم منه لانه يؤدي الى كون الصفة التي على فعيل بمعنى فاعل
جاز حذف التاء منها وليس كذلك لما تقدم ان فعيلا بمعنى فاعل يلزم تانيثه وبمعنى مفعول يجب تذكيره وما
جاء شاذا من النوعين يؤول وقيل انما لم يؤنث لان تانيث جهنم مجازي وقيل لانها في معنى السجن والحبس وقيل
لانها بمعنى مؤنث ويجوز ان يكون بمعنى مفعول اي جعلناها موضعا محصورا لهم والمعنى انه عذاب الدنيا وان كان
شديدا الا انه قد يتفلت بعض الناس منه والذي يقع فيه يتخلص اما بالموت او بطريق اخر واما عذاب الاخرة فانه
يكون محيطا به لا رجاء في الخلاص منه **قوله تعالى** ان هذا القران يهدي للتي هي اقوم الاية لما شرح فعله
في حق عباده المخلصين وهو الاسراء برسوله عليه الصلاة والسلام وايتاء التوراة لموسى عليه السلام وما فعله
في حق العصاة وهو تسليط البلاء عليهم كان ذلك تنبيها على ان طاعة الله توجب كل خير ومعصية الله توجب
كل بلية لا جرم اثنى على القران فقال ان هذا القران يهدي وقوله تعالى للتي هي اقوم نعت لموصوف محذوف اي الحالة
او للملة او للطريقة قال الزمخشري فاينما قدرت لم تجد مع الاثبات ذوق البلاغة الذي تجده مع الحذف
لما في ابهام الموصوف بحذفه من فخامة تفقد مع ايضاحه قال ابن الخطيب وقولنا هذا الشيء اقوم من ذلك انما يصح
في شيئين اشتركا في معنى الاستقامة ثم كان حصول معنى الاستقامة في احد الشيئين اكثر واكمل من حصوله في الصورة
الثانية وهذا ههنا محال فكان وصفه بانه اقوم مجازا الا ان لفظ افعل قد جاء بمعنى الفاعل كقولنا الله اكبر او يحمل
هذا اللفظ على الظاهر المتعارف ومثل هذه الكناية كثيرة الاستعمال في القران كقوله تعالى ادفع بالتي هي احسن و
معنى ليهدي اقوم اي الى الطريق التي هي اصوب وقيل الى الكلمة التي هي اعدل وهي شهادة ان لا اله الا الله ويبشر يعني
بالقران المؤمنين الذين يعملون الصالحات ان لهم اي بان لهم اجرا كبيرا وهو الجنة **قوله تعالى** وان الذين
لا يؤمنون فيه وجهان احدهما ان يكون عطفا على ان الاولى ان يبشر المؤمنين بشيئين باجر كبير وبتعذيب اعدائهم
ولا شك ان ما يصيب عدوك سرور لك وقال الزمخشري ويحتمل ان يكون المراد ويخبر بانه من باب الحذف اي حذف
ويخبر والتي معموله وعلى هذا فيكون ان الذين غير داخل في خبر البشارة بلا شك ويحتمل ان يكون قصد انه يدخل بالبشا
مجرد الاخبار سواء كان بخير ام شر وهل هو فيهما حقيقة او في احدهما وحينئذ يكون جمعا بين الحقيقة والمجاز ولا
استعمال المشترك في معنييه **فصل** اعلم بان العمل الصالح كما يوجب لفاعله النفع الاكمل الاعظم كذلك
ترك يوجب الضرر الاعظم الاكمل **فان قيل** كيف يليق لفظ البشارة بالعذاب فالجواب هذا مذكور
على سبيل التهكم او من باب اطلاق احد الضدين على الاخر كقوله تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها وتقدم الكلام عليه
قبل المفصل **فان قيل** هذه الاية في شرح احوال اليهود وهم كانوا لا ينكرون الايمان بالاخرة فكيف يليق بهذا
الموضع قوله تعالى وان الذين لا يؤمنون بالاخرة اعتدنا لهم عذابا اليما فالجواب عنه من وجهين احدهما ان اكثر اليهود
ينكرون الثواب والعقاب الجسماني والثاني ان بعضهم قالوا لن تمسنا النار الا اياما معدودات فهم بهذا القول صاروا
كالمنكرين للاخرة **قوله تعالى** ويدع الانسان بالشر دعاءه بالخير في الباء ثلاثة اوجه احدها انهما
متعلقتان بالدعاء على بابهما نحو دعوت بكذا والمعنى ان الانسان في حال ضجره قد يدعو بالشر ويلح فيه كما يدعو
بالخير ويلح فيه والثاني انهما بمعنى في ان الانسان اذا اصابه ضر دعا والح في الدعاء واستعجل الفرج مثل الدعاء الذي
كان يجب ان يدعوه في حالة الخير وعلى هذا فالمدعو به ليس الشر ولا الخير وهو بعيد الثالث ان يكونا للسبب ذكره
ابو البقاء والمعنى لا يساعده والمصدر مضاف لفاعله وحذفت الواو ولفظا لالتقاء الساكنين كقوله تعالى
سندع الزبانية وحذفت في الخط ايضا وهي محذوفة في المعنى **فصل** وجه النظم ان الانسان بعد
ان انزل الله عليه هذا القران وخصه بهذه النعم العظيمة قد يعدل عن التمسك بشرائعه الى الرجوع الى ما لا فائدة فيه وتقدم على
ما لا فائدة فيه فقال ويدع الانسان بالشر دعاءه بالخير واختلفوا في المراد من دعاء الانسان بالشر فقيل
المراد منه النضر بن الحارث حيث قال اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فاجاب الله دعاءه وضربت رقبته
وكان بعضهم يقول ائتنا بعذاب الله واخرون يقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين وانما فعلوا ذلك للجهل
ولاعتقادهم ان محمدا كاذب فيما يقول وقيل المراد ان الانسان في وقت الضجر يلعن نفسه واهله وولده وماله
كدعائه ربه ان يهب له النعمة والعافية ولو استجاب الله دعاءه على نفسه في الشر كما يستجيب له في الخير لهلك ولكن الله لا
يستجيب بفضله روي ان النبي صلى الله عليه وسلم دفع الى سودة بنت زمعة اسيرا فاقبل يئن بالليل فقالت له ما لك
تئن فشكى الما فاصبح النبي صلى الله عليه وسلم دعا به فاعلم بشانه فقال عليه السلام اللهم اقطع يديها فرفعت سودة

بن هانتوقع ان ينقطع الله يدها فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان يجعل دعاي على من لا يستحق عذابا من اهلي
رحمة لاني بشر اغضب كما تغضبون وقيل يحتمل ان يكون المراد ان الانسان قد يبالغ في الدعاء طلبا للشيء يعتقد
ان خيره فيه وان ذلك الشيء منبع الشر وضرره وهو يبالغ في طلبه لجهله بحال ذلك الشيء وانما يقدم على مثل هذا العمل
لكونه عجولا مغترا بظواهر الامور غير متفحص عن حقايقها واسرارها ثم قال وكان الانسان عجولا قيل المراد بهذا
الانسان ادم عليه السلام لانه لما انتهت الروح الى سرته نظر الى جسده فاعجبه وراى فذهب لينهض فلم يقدر وهو قوله
وكان الانسان عجولا وقيل المراد الجنس لان احدا من الناس لا يعرى عن عجلة ولو تركها لكان تركها اصلح في الدين
والدنيا ومعنى القولين واحد لانا اذا حملنا الانسان على ادم فهو ابو البشر واصلهم فاذا وصف بالعجلة كانت الصفة
لازمة لاولاده وقال ابن عباس عجولا ضجورا لا صبر له على شر ولا ضر **قوله تعالى** وجعلنا الليل والنهار ايتين
الاية في تقريب النظم وجوه احدها انه تعالى لما بين في الاية المتقدمة ما اوصل الله الى الخلق من نعم الدين وهو القران
اتبعه بما اوصله اليهم من نعم الدنيا فقال وجعلنا الليل والنهار ايتين فكما ان القران ممتزج من المحكم والمتشابه
فكذلك الزمان مشتمل على الليل والنهار فالمحكم كالنهار والمتشابه كالليل وكما ان المقصود من التكليف لا يتم الا
بذكر المحكم والمتشابه فكذلك الوقت والزمان لا يكمل الانتفاع به الا بالليل والنهار وثانيها انه تعالى لما بين ان
هذا القران يهدي للتي هي اقوم وليس الاقوم الا ذكر الدلايل الدالة على التوحيد والنبوة لاجرم اردفه بذكر
دلايل التوحيد وهو عجايب العالم العلوي والسفلي وثالثها انه لما وصف الانسان بكونه عجولا اي
منتقلا من صفة الى صفة ومن حالة الى حالة فاحوال كل هذا العالم كذلك وهو الانتقال من النور الى الظلمة
وبالضد وانتقال نور القمر بالزيادة الى النقصان **قوله تعالى** ايتين يجوز ان يكون هو المفعول الاول والليل
والنهار ظرفان في موضع الثاني قدما على الاول والتقدير وجعلنا ايتين في الليل والنهار والمراد بالايتين
اما الشمس والقمر واما تكوير هذا على هذا ويجوز ان يكون ايتين هو الثاني والليل والنهار هو الاول ثم فيه احتمالان
احدهما انه على حذف مضاف اما من الاول اي نيري الليل والنهار وهما القمر والشمس واما من الثاني اي ذوي
ايتين والثاني انه لا حذف وانهما علامتان في انفسهما لهما دلالة على شيء اخر قال ابو البقا فلذلك اضاف في موضع
ووصف في اخر يعني انه اضاف الاية اليهما في قوله اية الليل واية النهار ووصفهما في موضع اخر بانهما ايتين كقوله
تعالى وجعلنا الليل والنهار ايتين هذا كله اذا جعلنا الجعل تصييرا متعديا لاثنين فان جعلناه بمعنى خلقنا كان
ايتين حالا ويكون حالا مقدرة واستشكل بعضهم ان يكون نجعل بمعنى صير قال لانه يستدعي ان يكون الليل والنهار
موجودين على حالة ثم انتقل عنها الى اخرى **فصل** ومعنى ايتين اي علامتين دالتين على وجودنا
ووحدانيتنا وقدرتنا وقيل المراد من الايتين نفس الليل والنهار اي انه تعالى جعلهما دليلين للخلق على مصالح
الدين والدنيا اما في الدين فلكل واحد منهما وقتا والاخر معاندا له مع كونهما متعاقبين على الدوام من اقوى الدلايل
على انهما غير موجودين بذواتهما لا بد لهما من فاعل يدبرهما ويقدرهما بالمقادير المخصوصة واما في الدنيا فلان
مصالح الدنيا لا تتم الا بالليل والنهار فلولا الليل لما حصل السكون والراحة ولولا النهار لما حصل الكسب
والتصرف ثم قال فمحونا اية الليل وعلى هذا تكون الاضافة في اية الليل والنهار للتبيين والتقدير فمحونا الاية
التي هي الليل وجعلنا الاية التي هي النهار مبصرة ونظيره قولنا نفس الشيء وذاته وكذلك اية الليل هي نفس الليل
ومنه يقال دخلت بلاد خراسان اي دخلت البلاد التي هي خراسان فكذا ههنا وقيل على حذف مضاف
اي وجعلنا نيري الليل والنهار وقد تقدم في تفسير المحو قولان الاول ما يظهر في القمر من الزيادة
والنقصان فيبدو في اول الامر في صورة الهلال ثم يتزايد نوره حتى يصير بدرا كاملا ثم ينقص قليلا
قليلا وذلك هو المحو الى ان يعود الى المحاق والثاني ان محو القمر كان سواء في النور قال ابن عباس جعل الله نور
الشمس سبعين جزءا ونور القمر كذلك فمحى من نور القمر تسعة وستين جزءا فجعلها مع نور الشمس فارسل الله جبريل فامر
جناحه على وجه القمر فطمس منه الضوء ومعنى المحو في اللغة اذهاب الاثر تقول محوته وانمحى وامتحى اذا ذهب اثره
وحمل المحو ههنا على الوجه الاول اولى لان اللام في قوله لتبتغوا فضلا من ربكم ولتعلموا عدد السنين والحساب
متعلق بالوجه الاول وهو محو اية الليل وجعلنا اية النهار مبصرة لانه بسبب اختلاف احوال نور القمر تعرف
السنون والحساب وينبغي بفضل الله واصل التجارب بينوا ان اختلاف احوال القمر في مقادير النور له اثر عظيم
في احوال هذا العالم ومصالحه مثل احوال البحار في المد والجزر ومثل احوال البحرانات على ما تذكره الاطباء في كتبهم
وبسبب زيادة نور القمر ونقصانه تحصل الشهور وبسبب مقادرة الشهور تحصل السنون العربية المبنية على رؤية

الهلال

الهلال ويمكن ايضا اذا حملنا المحو على الكلف ان يكون برهانا قاهرا على صحة قول المسلمين في المبدا والمعاد لان
جرم القمر بسيط عند الفلاسفة فحصول الاحوال المختلفة الحاصلة بسبب المحو يدل على انه ليس بسبب الطبيعة بل لاجل
ان الفاعل المختار خصص بعض اجزايه بالنور القوي وبعض اجزايه بالنور الضعيف وذلك يدل على ان مدبر العالم فاعل مختار
لا موجب بالذات واعتذر الفلاسفة عنه بانه ارتكز في وجه القمر اجسام قليلة الضوء اقل ضوءا من جرم القمر لاجرم ثم هذه
الاجرام الظلمانية في بعض اجزاء القمر دون ساير الاجزاء ليس الا بتخصيص حكيم وكذلك القول في احوال الكواكب لان الفلك
جرم بسيط متشابه الاجزاء فلم يكن حصول جرم الكوكب في بعض جوانبه اولى من حصوله في ساير الجوانب وذلك يدل على ان
اختصاص ذلك الكوكب بذلك الموضع المعين من الفلك لاجل تخصيص العالم الفاعل المختار وروي ان ابن الكوا سال عليا
عن السواد الذي في القمر فقال هو اثر المحو **قوله تعالى** مبصرة فيه وجهان احدهما انه من الاسناد الذي في المجاز اي
لان الابصار فيها لاهلها كقوله تعالى واتينا ثمود الناقة مبصرة لما كانت سببا للابصار لان الاضاءة بسبب حصول الابصار
فاطلق الابصار على الاضاءة اطلاق اسم المسبب على السبب وقيل مبصرة مضيئة وقال ابو عبيدة قد ابصر النهار فهو مبصر
فيه فهو من باب افعل والمراد به غير من اسند الفعل اليه كقولهم اضعف الرجل اي ضعفت ماشيته واجبن الرجل اذا كان اهله
جبناء فالمعنى ان اهلها بصراء وقرا علي بن حسين وقتادة مبصرة بفتح الميم والصاد وهو مصدر اقيم مقام الاسم وكثر
هذا في صفات الامكنة نحو مذابة ثم قال تعالى لتبتغوا فضلا من ربكم اي لتبصروا كيف تتصرفون في اعمالكم ولتعلموا
عدد السنين والحساب اي لو ترك الله الشمس والقمر كما خلقهما لم يعرف الليل من النهار ولم يدر الصايم متى يفطر ولم يدر
وقت الحج ولا وقت حلول الاجال ولا وقت السكون والراحة واعلم ان الحساب مبني على اربع مراتب الساعات والايام
والشهور والسنون فالعدد للسنين والحساب لما دون السنين وهي الشهور والايام والساعات وبعد هذه
المراتب الاربعة لا يحصل الا التكرار كما انهم رتبوا العدد على اربع مراتب الاحاد والعشرات والمئات والالوف وليس
بعدها الا التكرار **قوله تعالى** وكل شيء فصلناه فيه وجهان احدهما انه منصوب على الاشتغال ورجح
نصبه نسقا على الحساب اي لتعلموا كل شيء ايضا ويكون فصلناه على هذا صفة والمعنى انه تعالى لما ذكر احوال
ايتي الليل والنهار وهما من وجه دليلان قاطعان على التوحيد ومن وجه اخر نعمتان عظيمتان من الله تعالى
على الخلق فلما شرح الله تعالى حالهما وفصل ما فيهما من وجوه الدلالة على الخالق ومن وجوه النعم العظيمة
على الخلق كان ذلك تفصيلا نافعا وبيانا كاملا اي فصلنا لكم كل ما تحتاجون اليه في مصالح دينكم ودنياكم فهو
كقوله تعالى ما فرطنا في الكتاب من شيء وقوله تعالى ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء وانما ذكر المصدر وهو
قوله تفصيلا لاجل تاكيد الكلام وتقريره فكانه قال فصلناه حقا على الوجه الذي لا مزيد عليه **قوله تعالى**
وكل انسان الزمناه طايره في عنقه الاية في كيفية النظم وجوه اولها انه تعالى لما قال وكل شيء فصلناه تفصيلا
كان معناه ان ما يحتاج اليه من شرح احوال الوعد والوعيد والترغيب فقد صار مذكورا واذا كان الامر كذلك
فقد انزاحت الاعذار وازيلت العلل فلا جرم كل من ورد عرصة القيامة الزمناه طايره في عنقه ونقول له اقرا كتابك
كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا وثانيها انه تعالى لما بين انه اوصل الى الخلق اصناف الاشياء النافعة لهم في الدين
والدنيا مثل ايتي الليل والنهار وغيرهما كان منعما عليهم بجميع النعم وذلك يقتضي وجوب اشتغالهم بخدمته وطاعته
فلا جرم كل من ورد عرصة القيامة فانه يكون مسؤولا عن اعماله واقواله وثالثها انه تعالى بين انه ما خلق الخلق الا
ليشتغلوا بعبادته كما قال وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون فلما شرح احوال الشمس والقمر والنهار والليل
كان المعنى اني انما خلقت هذه الاشياء لتنتفعوا بها فتصيروا متمكنين من الاشتغال بطاعتي وخدمتي واذا كان كذلك فكل
من ورد عرصة القيامة سالته هل اتى بتلك الخدمة والطاعة او تمرد وعصى وقرئ عنقه باسكان النون وهو تخفيف
شايع **فصل** اختلفوا في الطاير فقال ابن عباس كل له عمله وما قدر عليه من خير وشر فهو ملازمه اينما كان
وقال الكلبي ومقاتل خيره وشره معه لا يفارقه حتى يحاسب به وقال الحسن يمنه وشومه وعن مجاهد ما من مولود الا
وفي عنقه رقعة مكتوب فيها شقي او سعيد وقال اهل المعاني اراد بالطاير ما قضي عليه انه عامله وما هو صاير
اليه من سعادة او شقاوة سمي طايرا على عادة العرب فيما كانت تتفاءل وتتشاءم به من سوانح الطير وبوارحها فكانوا اذا
ارادوا الاقدام على عمل من الاعمال وارادوا ان يعرفوا ان ذلك العمل يسوقهم الى خير او الى شر اعتبروا احوال الطير وهو
انه يطير بنفسه او يحتاج الى ازعاجه واذا طار فهو يطير متيامنا او متياسرا او صاعدا الى الجو او الى غير ذلك من الاحوال
التي كانوا يعتبرونها ويستدلون بكل واحد منها على احوال الخير والشر بالطاير تسمية للشيء باسم لازمه ونظيره
قوله تعالى انا تطيرنا بكم وقوله قالوا طايركم معكم فالمعنى ان كل انسان الزمناه عمله في عنقه وقال ابو عبيدة والقتبي

الطائر عند العرب الحظ وتسميه الفرس البخت طار له من خير وشر من قولهم طار سهم فلان كذا وخص العنق من سائر
الاعضاء لانه موضع القلائد والاطواق وغيرها مما يزين او يشين فما يزين كالطوق فقوله في عنقه والحلي وما يشين
فهو كالغل فعمله ان كان خيرا لزينته وان كان شرا فهو شين كالغل في رقبته فقوله في عنقه كناية عن اللزوم كما يقال جعلت هذا
في عنقك اي قلدتك هذا العمل والزمتك الاحتفاظ به ويقال قلدتك كذا وطوقتك كذا اي صرفته اليك والزمتك
اياه ومنه قلده السلطان كذا اي صارت الولاية في لزومها له في موضع القلادة ومكان الطوق ومنه يقال فلان
يقلد فلانا اي يجعل ذلك الاعتقاد كالقلادة المربوطة في عنقه وهذه الاية من ادل الدلائل على ان كلما قدره الله على
الانسان وحكم به عليه في سابق علمه فهو واجب الوقوع ممتنع العدم لانه تعالى بين ان ذلك العمل لازم له وما كان
لازما للشيء كان ممتنع الزوال عنه واجب الحصول له وايضا فانه تعالى اضاف ذلك الالزام الى نفسه بقوله الزمناه
وذلك تصريح بان الالزام انما صدر عنه كقوله تعالى والزمناه طائره في عنقه والزمهم كلمة التقوى وقال عليه السلام
جف القلم بما هو كائن الى يوم القيمة **قوله تعالى** ونخرج له يوم القيمة كتابا العامة على نخرج بنون العظمة
مضارع اخرج وكتابا فيه وجهان احدهما انه مفعول به والثاني انه منصوب على الحال والقائم مقام الفاعل
ضمير الطائر اي ونخرج له طائره في هذه الحال وقرئ ويخرج بضم الياء وكسر الراء مضارع اخرج والفاعل ضمير الباري
وروي انه رفع كتابا وخرج على انه مرفوع بالفعل المبني للمفعول والاولى قراءة يلقيه وقرا الحسن ويخرج بفتح
الياء وضم الراء مضارع خرج كتاب فاعل به وابن محيصن ومجاهد كذلك الا انهما نصبا كتابا على الحال والفاعل
ضمير الطائر اي ويخرج له طائره في هذه الحال وقرئ ويخرج بضم الخاء وكسر الراء مضارع اخرج والفاعل ضمير الباري
تعالى كتابا مفعول **قوله تعالى** يلقاه منشورا صفة لكتابا ومنشورا حال من هاء يلقاه وجوز الزمخشري وابو البقاء
وابو حيان ان يكون نعتا للكتاب وفيه نظر من حيث انه يلزم تقدم الصفة غير الصريحة على الصريحة وقد تقدم
ما فيه وقرا ابن عامر وابو جعفر يلقاه بضم الياء وفتح اللام وتشديد القاف مضارع لقي بالتشديد كقوله
تعالى ولقاهم نضرة وسرورا والباقون بالفتح والسكون والتخفيف مضارع لقي **فصل**
قال الحسن بسطت لك صحيفة ووكل بك ملكان فهما عن يمينك وعن شمالك فاما الذي عن يمينك فيحفظ
حسناتك واما الذي عن شمالك فيحفظ سيئاتك حتى اذا مت طويت صحيفتك وجعلت معك في قبرك
حتى تخرج لك يوم القيمة فقوله ونخرج له اي من قبره **قوله تعالى** اقرا كتابك على اضمار القول اي يقال
له اقرا وهذا القول اما صفة او حال كما في الجملة قبله وهذا القائل هو الله تعالى قال الحسن يقراه اميا كان
او غير امي وقال ابو بكر بن عبد الله يؤتى المؤمن يوم القيمة بصحيفته وحسناته في ظهرها يغبطه الناس عليها وسيئاته
في جوف صحيفته وهو يقراها حتى اذا ظن انها قد اوبقته قال الله قد غفرتها لك فيما بيني وبينك فيعظم
سروره ويصير من الذين قال الله في حقهم وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة **قوله تعالى** كفى بنفسك
فيه ثلاثة اوجه المشهور عند المعربين ان كفى فعل ماض والفاعل هو المجرور بالباء وهي فيه مزيدة ويدل عليه
انها اذا حذفت ارتفع كقوله ● ويخبرني عن غائب المرء هديه ● كفى الهدي عما غيب المرء مخبرا ● وكقوله
كفى الشيب والاسلام للمرء ناهيا   وعلى هذا فكان ينبغي ان يؤنث الفعل لتانيث فاعله وان كان مجرورا
كقوله تعالى ما آمنت قبلهم من قرية وما تاتيهم من آية وقد يقال انه جاء على احد الجائزين فان التانيث
مجازي والثاني ان فاعله ضمير المخاطب وكفى على هذا اسم فعل امر اي اكتف وهو ضعيف لقبول كفى علامات
الافعال الثالث ان فاعل كفى ضمير يعود على الاكتفاء وتقدم الكلام على هذا واليوم نصب بكفى **قوله تعالى**
حسيبا وجهان احدهما انه تمييز قال الزمخشري وهو بمعنى حاسب كضريب القداح بمعنى ضاربها وصريم بمعنى صارم
ذكرها سيبويه وعلى متعلقة به من قولك حسب عليه كذا ويجوز ان يكون بمعنى الكافي ووضع موضع الشهيد
فعدي بعلى لان الشاهد يكفي المدعي ما اهمه فان قلت لم ذكر حسيبا قلت لانه بمنزلة الشاهد والقاضي والامين
وهذه الامور يتولاها الرجال فكانه قيل كفى بنفسك رجلا حسيبا ويجوز ان تتاول النفس بمعنى الشخص كما يقال
ثلاثة انفس ومنه قول الشاعر ● ثلاثة انفس وثلاث ذود ● لقد جار الزمان على عيالي ● والثاني انه
منصوب على الحال وذكر لما تقدم وقيل حسيب بمعنى محاسب كخليط وجليس بمعنى مخالط ومجالس قال الحسن عدل
والله في حقك من جعلك حسيب نفسك وقال السدي يقول الكافر يومئذ انك قضيت انك لست بظلام للعبيد
فاجعلني احاسب نفسي فيقال له اقرا كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا **قوله تعالى** من اهتدى
فانما يهتدي لنفسه لان هذه الاية تدل على ان ثواب العمل الصالح مختص بفاعله وعقاب الذنب مختص بفاعله

ولا يتعدى منه الى غيره كقوله تعالى وان ليس للانسان الا ما سعى وان سعيه سوف يرى قال الكعبي
الاية دالة على ان العبد متمكن من الخير والشر وانه غير مجبور على عمل بعينه اصلا لان قوله من اهتدى فانما يهتدي لنفسه
ومن ضل فانما يضل عليها انما يليق بالقادر على الفعل المتمكن منه كيف شاء واراد واما المجبور على احد الطرفين الممنوع
من الطرف الثاني فهذا لا يليق به هذه الاية وتقدم الجواب ثم انه تعالى اعاد تقرير ان كل احد مختص باثر عمل نفسه فقال
ولا تزر وازرة وزر اخرى قال الزجاج يقال وزر يزر فهو وازر ووزر وزرا ومعناه اثم ياثم اثما وقال في تاويل
الاية وجهان الاول ان المذنب لا يؤاخذ بذنب غيره بل كل احد مختص بذنب نفسه والثاني انه لا ينبغي ان يعمل الانسان
بالاثم لان غيره عمله كقول الكفار انا وجدنا اباءنا على امة وانا على آثارهم مقتدون **فصل** دلت
هذه الاية على احكام الاول قال الجبائي في الاية دلالة على انه تعالى لا يعذب الاطفال بكفر ابائهم والا لكان الطفل
مؤاخذا بذنب ابيه وذلك خلاف ظاهر الاية الثاني روى ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان الميت ليعذب ببكاء
اهله اضر للانسان بجرم غيره وهو خلاف هذه وطعنت عائشة في صحة هذا الخبر بهذه الاية فان تعذيب الميت
بجرم غيره وهو خلاف هذه الاية والحديث لا شك في صحته لانه في الصحيحين وفي الصحيحين ايضا عن عمر بن الخطاب
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الميت ليعذب ببكاء الحي وفي صحيح البخاري الميت يعذب في قبره بما نيح عليه وفي
الصحيحين عن المغيرة بن شعبة قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول انه من نيح عليه يعذب بما نيح عليه وقال عليه
الصلاة والسلام الميت يعذب ببكاء الحي اذا قالت النائحة واعضداه واناصراه واكاسياه جبذ الميت وقيل له
انت عضدها انت ناصرها انت كاسيها وفي رواية ما من ميت يموت فيقوم باكيهم فيقول واجبلاه واسيداه او نحو
ذلك الا وكل به ملكان يلهزانه اهكذا كنت اللهز واللهز مثل اللكز والدفع وروى البخاري عن النعمان بن بشير قال
اغمي على عبد الله بن رواحة فجعلت اخته عمرة تبكي وتقول واجبلاه واكذا واكذا تعدد عليه فقال حين افاق ما قلت
شيئا الا قيل لي انت كذلك فلما مات لم تبك عليه فان قيل فقد انكرت عائشة وغيرها ذلك وقالت لما ذكر لها الحديث
ابن عمر يغفر الله لابي عبد الرحمن اما انه لم يكذب ولكنه نسي او اخطا انما مر رسول الله صلى الله عليه وسلم على
يهودية يبكى عليها فقال انهم ليبكون عليها وانها لتعذب في قبرها متفق عليه ولمسلم انما مر رسول الله صلى الله عليه وسلم
على قبر يهودي فقال انه ليعذب بخطيئته او بذنبه وان اهله ليبكون عليه الآن وفي رواية متفق عليها انما قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ان الله ليزيد الكافر عذابا ببكاء اهله عليه وقال حسبكم القران ولا تزر وازرة وزر اخرى
وقال بعض العلماء انما هذا فيمن اوصى ان يناح عليه كما كان اهل الجاهلية والجواب ان الحديث لا يكون رده لتوهم وافراد
اعيان الصحابة له على ظاهره وعائشة لم تخبر ان النبي صلى الله عليه وسلم نفى ذلك وانما تاولت على ظاهر القران وكل
انثبت وسمع حجة على من نفى ولكن وظاهر القران لا حجة فيه لان الله تعالى نفى ان يحمل احد من ذنب غيره شيئا والميت
لا يحمل من ذنب النائحة شيئا بل اثم النوح عليها وهو قد يعذب من جهة اخرى بطريق نوحها لكن من سن سنة سيئة مع
من يعمل بها ويحمد جر الى ضلالة مع من اجابه والحديث الذي رووه حديث آخر لا يجوز ان يرد به خبر الصادق لان
القوم قد يتهمون كثيرا ما لا يتهمون مع ان روايتها تحقق ذلك الحديث فان الله اذا جاز ان يزيد الكافر عذابا
ببكاء اهله جاز ان يعذب الميت ابتداء ببكاء اهله ثم في حديث ابن رواحة وغيره مما تقدم ما يشعر على ان ذلك
في المسلم فان ابن رواحة كان مسلما ولم يوص بذلك ثم ان الصحابة الذين رووه لو فهموا منه الموصي لما عجبوا منه وانكروه
من انكره كان من المعلوم ان من امره غيره كان ناغه عليه ولو كان ذلك خاصا بالموصي لما اختص بالنوح دون غيره من المنكرات
ولا بالنوح على نفسه دون غيره من الاموات وقال بعض العلماء لما كان الغالب على الناس النوح على الميت وهو من امور
الجاهلية التي لا يدعونها في الاسلام ولا يتناهى عنها اكثر الناس خرج الحديث على الاعم الاغلب فيمن له نبه على النياحة
وهي عادة الناس فيكون تركه النهي مع غلبة ظنه بانها تفعل اقرارا للمنكر وتركا لانكاره فيعذب على ما تركه
من الانكار ورضي به من المنكر واما ما نهى عنه وعصى امره فالله اكرم من ان يعذبه به قال ابن تيمية وهذا قريب
ولجود منه ان شاء الله فالعذاب على ضربين احدهما الم واذى يلحق الميت بسبب غيره وان لم يكن من فعله كما يلحق
اهل القبور من الاذى بمجاورة الجار السيء وبالاعمال القبيحة عند القبور والجلوس على القبور والتغوط عليها الى غير
ذلك من الاسباب التي يتالم الانسان بها حيا وميتا وان لم تكن من فعله فهذا الميت لما عصى الله بسببه ونيح عليه لحقه
عذاب والم من هذه المعصية قال القاضي سئلت عن ميت دفن في داره يعقوب فيه اولاد له يشربون ويستمعون
الملاهي هل يتاذى الميت فاجبت انه يتاذى وروي باسناده عن عائشة رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال ان الميت يؤذيه ما في قبره ما يؤذيه في بيته وعن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

اذا مات لاحدكم الميت فاحسنوا كفنه وعجلوا انفاذ وصيته واعمقوا له في قبره وجنبوه جار السوء قيل يا رسول
الله وهل ينفع الجار الصالح في الاخرة قال هل ينفع في الدنيا قالوا نعم قال وكذلك ينفعه في الاخرة الثاني ان
طبع البشر يحب في حياته ان يبكى عليه بعد موته لما فيه من الشرف والذكر كما يحب ان يثنى عليه ويذكر بما يجب وكما يحب
ان يكون المال والسلطان بعقبه وان ايقن انه لا لذة له بذلك بعد الموت فعوقب بنفس هذه الارادة بان جعل ذلك
بالنوح والبكا ليعلم الناس بذلك ويكرهوه منه فمن لم يكره النوح والبكا فهو باق على موجب طبعه ومن كرهه كان الكره
مانعة من لحوق الذم الثالث قال القاضي دلت هذه الاية على ان الوزر والاثم ليس من فعل الله تعالى وذلك من وجوه
احدها انه لو كان كذلك لامتنع ان يواخذ العبد به كما لا يواخذ بوزر غيره وثانيها انه كان يجب ارتفاع الوزر اصلا
لان الوزر انما يصح ان يوصف بذلك اذا كان مختارا يمكنه التحرز ولهذا لا يوصف الصبي بذلك الرابع ان جماعة من الفقهاء
المتقدمين امتنعوا من ضرب الدية على العاقلة قالوا لان ذلك يفضي الى مواخذة الانسان بفعل الغير وذلك
مضادة لهذه الاية واجيب عنه بان المخطي ليس بمواخذ على ذلك الفعل فكيف يصير غيره مواخذا بسبب ذلك الفعل بل ذلك
تكليف واقع ابتداء من الله تعالى ثم قال وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا اقامة للحجة وقطعا للعذر واستدلوا بهذه
الاية على ان وجوب شكر المنعم لا يثبت بالعقل بل بالسمع لقوله تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا وذلك
لان الوجوب لا يتقرر الا بترتب العقاب على الترك ولا عقاب قبل الشرع بهذه الاية وبقوله تعالى رسلا مبشرين
ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وقوله تعالى ولو انا اهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا
ارسلت الينا رسولا فنتبع اياتك من قبل ان نذل ونخزى ولقائل ان يقول هذا الاستدلال ضعيف من وجوه
الاول انه لو لم يثبت الوجوب العقلي لم يثبت الوجوب الشرعي البتة وهذا باطل فذاك باطل وبيان الملازمة من وجوه
احدها انه اذا جاء الشارع وادعى كونه نبيا من عند الله واظهر المعجزة فهل يجب على المستمع استماع قوله والتامل في
معجزاته او لا يجب فان وجب بالعقل فقد ثبت الوجوب العقلي وان وجب بالشرع فهو باطل لان ذلك الشارع اما
ان يكون هو ذلك المدعي او غيره والاول باطل لانه يرجع حاصل الكلام الى ان ذلك الرجل يقول الدليل على انه
يجب قبول قولي اني اقول يجب قبول قولي وهذا اثبات الشيء بنفسه وان كان ذلك الشارع غيره كان الكلام في الاول ولزم
الدور والتسلسل وهما محالان وثانيها ان الشارع اذا جاء واوجب بعض الافعال وحرم بعضها فلا معنى للايجاب
والتحريم الا ان يقول ان تركت كذا او فعلت كذا عاقبتك فنقول انما يجب عليه الاحتراز اما ان يجب بالعقل او بالسمع
فان وجب بالعقل فهو المقصود وان وجب بالسمع لم يتقرر معنى هذا الوجوب الا بسبب ترتيب العقاب عليه وحينئذ
يعود التقسيم الاول ويعود التسلسل وثالثها ان مذهب اهل السنة انه يجوز من الله تعالى ان يعفو عن العقاب
على ترك الواجب واذا كان كذلك كانت ماهية الوجوب حاصلة مع عدم العقاب فلم يبق الا ان يقال ماهية
الوجوب انما يتقرر بسبب حصول الخوف من الذم والعقاب وهذا الخوف حاصل بمجرد العقل فلزم ان يقال الوجوب
حاصل بمحض العقل لا الذم فثبت بهذه الوجوه ان الوجوب العقلي لا يمكن دفعه واذا ثبت هذا فنقول في الاية
قولان الاول ان نجري الاية على ظاهرها ونقول العقل هو رسول الله الى الخلق بل هو الرسول الذي لولاه لما تقرر
رسالة احد من الرسل فالعقل هو الرسول الاصلي فكان معنى الاية وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا اي رسول العقل
والثاني ان نخصص عموم الاية فنقول المراد وما كنا معذبين في الاعمال التي لا سبيل الى معرفة وجوبها الا بالشرع
الا بعد مجيء الشرع وتخصيص العموم وان كان عدولا عن الظاهر الا انه يجب المصير اليه عند قيام الدلالة وقد
بينا قيام الدلائل الثلاثة على انا لو نفينا الوجوب العقلي لزمنا نفي الوجوب الشرعي قال ابن الخطيب الذي يذهب
اليه ان مجرد العقل يدل على انه يجب علينا فعل ما ننتفع به وترك ما نستضر به لانا مجبولون على طلب النفع والهرب
من الضرر فلا جرم كان العقل وحده كافيا في الوجوب في حقنا اما مجرد العقل لا يدل على انه يجب على الله شيء
وذلك لانه منزه عن طلب النفع والهرب عن الضرر فامتنع ان يحكم العقل عليه بوجوب فعل او تركه قوله تعالى
واذا اردنا ان نهلك قرية الاية قرا العامة امرنا بالقصر والتخفيف وفيه وجهان احدهما انه من الامر الذي هو
ضد النهي ثم اختلف القائلون بذلك في متعلق هذا الامر فعن ابن عباس في اخرين امرناهم بالطاعة ففسقوا
وقد رد الزمخشري ردا شديدا وانكره انكارا بليغا في كلام طويل حاصله انه حذف ما لا دليل عليه وهذا هو
متعلق الامر الفسق اي امرناهم بالفسق قال امرناهم ففعلوا الا انه يقال امرته فقام وامرته فقرا وهذا لا يفهم منه
ان المامور به قيام او قراءة فكذا ها هنا لما قال امرنا مترفيها ففسقوا فيها وجب ان يكون المعنى امرناهم بالفسق
ففسقوا ولا يقال هذا مشكل بقولهم امرته فعصاني او فخالفني فان هذا لا يفهم منه انني امرته بالمعصية والمخالفة لان

المعصية مخالفة للامر ومناقضة له فيكون كونه مامورا بها محالا فلهذه الصورة تركنا هذا الظاهر وقلنا
الامر مجاز لان حقيقة امرهم بالفسق ان يقول لهم افسقوا وهذا لا يكون فبقي ان يكون مجازا ووجه المجاز انه
صب عليهم النعمة صبا فجعلوها ذريعة الى المعاصي واتباع الشهوات فكانهم مامورون بذلك بسبب ايلاء النعمة
منه وانما خولهم فيها ليشكروا ثم قال فان قيل فهلا زعمت ان معناه امرناهم بالطاعة ففسقوا فالجواب
لان حذف ما لا دليل عليه غير جائز فكيف حذف ما الدليل قائم على نقيضه وذلك ان المامور به انما حذف لان
فسقوا يدل عليه وهو كلام مستفيض يقال امرته فقام وامرته فقرا لا يفهم منه الا ان المامور به قيام او قراءة ولو ذهبت
تقدر غيره رمت من مخاطبك علم الغيب ولا يلزم من هذا قولهم امرته فعصاني او فلم يمتثل لان ذلك مناف للامر مناقض
له ولا يكون ما يناقض الامر مامورا به فكان محالا ان يقصد اصلا حتى يجعل دالا على المامور به فهذا الكلام
غير منوي ولا مراد لان من تكلم بهذا الكلام لا ينوي لامره مامورا به فكانه يقول كان مني امر فكانت منه طاعة كما
ان من يقول بامر وينهى ويعطي ويمنع لا يقصد مفعولا فان قيل هلا كان ثبوت العلم بان الله لا يامر بالفحشاء وانما يامر بالقصد والخير دليلا
على ان المراد امرناهم بالخير فالجواب لان قوله ففسقوا يدافعه فكانك اظهرت شيئا وانت تضمر خلافه ونظيره
امر شاء ان مفعوله استغنى فحذف مفعوله لدلالة ما بعده عليه تقول لو شاء لاحسن اليك وتريد لو شاء الاحسان ولو
شاء الاساءة ولو ذهبت تضمر خلاف ما اظهرت وقلت قد دلت حال من اسندت اليه المشيئة انه من اهل الاحسان
او من اهل الاساءة فاترك الظاهر المنطوق واضمر ما دلت عليه حال المسند اليه المشيئة لم تكن على سداد وتبعه
ابو حيان في هذا فقال اما ما ارتكبه من المجاز فبعيد جدا واما قوله لان حذف ما لا دليل عليه غير جائز فتعليل لا
يصح فيما نحن بسبيله بل ثم ما يدل على حذفه فكيف يحذف ما الدليل على نقيضه قائم الى علم الغيب فنقول حذف
الشيء تارة يكون لدلالة موافقه عليه ومنه ما مثل به في قوله امرته فقام وتارة يكون لدلالة خلافه او ضده او نقيضه
كقوله تعالى وله ما سكن في الليل والنهار اي ما سكن وتحرك وقوله تعالى سرابيل تقيكم الحر اي والبرد وقول الشاعر

وما ادري اذا يممت ارضا • اريد الخير ايهما يليني •

الخير الذي ابتغيه ام الشر الذي هو يبتغيني اي واجتنب الشر ويقول امرته فلم يحسن فليس المعنى امرته بعدم الا
حسان بل المعنى امرته بالاحسان فلم يحسن والاية من هذا القبيل يستدل على حذف النقيض بنقيضه كما يستدل
على حذف النظير بنظيره وكذلك امرته فاساء الي ليس المعنى امرته بالاساءة بل امرته بالاحسان وقوله ولا يلزم
هذا قولهم امرته فعصاني نقول بل يلزم وقوله لان ذلك منافي اي لان العصيان مناف وهو كلام صحيح وقوله فكان
المامور به غير مدلول عليه ولا منوي لا نسلم بل مدلول عليه ومنوي لا دلالة الموافق بل دلالة المناقض كما بينا
وقوله لا ينوي مامورا به لا نسلم وقوله لان فسقوا يدافعه الى اخره قلنا نعم نوى شيئا ويظهر خلافه لان نقيضه
يدل عليه ونظيره وقوله ونظير امر شاء ليس نظيره لان امر كذا المصرح به قال الله تعالى ان الله لا يامر بالفحشاء امر
ان لا تعبدوا الا اياه يامر بالعدل امر ربي بالقسط ام تامرهم احلامهم بهذا وقال الشاعر •
امرتك الخير فافعل ما امرت به • • قال شهاب الدين والشيخ رد عليه رد مستريح من النظر ولولا خوفنا لشامت
من الناظر لكان التلفظ في كلامهما محال قال ابن الخطيب ولقائل ان يقول كما ان قوله امرته فعصاني يدل على ان
المامور به شيء غير الفسق لان الفسق عبارة عن الاتيان بضد المامور به فكونه فسقا ينافي كونه مامورا به كما ان كونه
معصية ينافي كونه مامورا بها فوجب ان يدل هذا اللفظ على ان المامور به ليس بفسق وهذا في غاية الظهور والوجه
الثاني ان امرنا بمعنى كثرنا قال الواحدي العرب تقول امر القوم اذا كثروا ولم يرتض الزمخشري في ظاهر عبارته
فانه قال وفسر بعضهم امرنا بكثرنا وجعل من باب فعلته ففعل كثبرته فثبر وفي الحديث خير المال سكة مابورة
ومهرة مامورة اي كثيرة النتاج وقد حكى الواحدي هذه اللغة فقال امر القوم وامرهم الله وما نقيم من نقل
الواحدي عن اهل اللغة وقال ابو علي الجيد في امرنا ان يكون بمعنى كثرنا واستدل ابو عبيدة بما جاء في الحديث
فذكره يقال امر الله المهرة اي كثر ولدها قال ومن انكر امر الله القوم اي اكثرهم لم يلتفت اليه لثبوت ذلك لغة
ويكون مما لزم وتعدى بالحركة المختلفة اذ يقال امر القوم كثروا وامرهم الله كثرهم وهو من باب المطاوعة
امرهم الله فامروا كقولك شتر الله عينه فشترت وجدع انفه فجدع وثلم سنه فثلمت وقرا الحسن ويحيى بن يعمر
وعكرمة امرنا بكسر الميم بمعنى امرنا بالفتح حكى ابو حاتم عن ابي زيد انه يقال امر الله ماله وامره بفتح الميم وكسرها
وقد رد الفراء هذه القراءة ولا يلتفت لرده لثبوتها لغة بنقل العدول وقد نقلها عبارة عن ابن عباس
ابو جعفر وابو الفضل الرازي في لوامحه فكيف يرد وقرا ابن ابي طالب وابن ابي اسحق وابو رجا في اخرين امرنا

بالمد وروت هذه قراءة عن ابن كثير وابي عمرو وعاصم ونافع واختارها يعقوب والهمزة فيه للتعدية
وقرا علي ايضا وابن عباس وابو عثمان النهدي امّرنا بالتشديد وفيه وجهان احدهما ان التضعيف للتعدية
وقرا علي ايضا وعدة تارة بالهمزة وتارة بتضعيف العين حرفته وصححته والثاني انه بمعنى جعلناهم امراء واللازم
من ذلك امر قال الفارسي لا وجه لكونه امرنا من الامارة لان رياستهم لا تكون الا لواحد بعد واحد والاهلاك
انما يكون في مدة واحدة ورد على الفارسي بانا لا نسلم ان الامير هو الملك حتى يلزم ما قلت بل الامير عند العرب
من يامر ويؤتمر به ولئن سلم ذلك لا يلزم ما قال لان المترف اذا ملك ففسق ثم كذلك كثر الفساد ونزل بهم على
الاخر من ملوكهم العذاب واختار ابو عبيدة قراءة العامة وقال فان المعاني الثلاثة تجتمع فيها يعني الامر والامارة
والكثرة والمترف في اللغة المنعم والغني الذي قد ابطرته النعمة وسعة العيش قوله تعالى ففسقوا فيها اي
خرجوا عما امرهم الله فحق عليها القول اي وجب عليها العذاب فدمرناها تدميرا اي خربناها واهلكنا من فيها
وهذا كالتهديد كقوله تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا وقوله تعالى وما كان ربك مهلك القرى حتى
يبعث في امها رسولا الاية فصل استدل اهل السنة بهذه الاية على صحة مذهبهم من وجوه الاول
ان ظاهر الاية يدل على انه تعالى اراد ايصال الضرر اليهم ابتداء الثاني دل ظاهر الاية على انه تعالى انما خص المترفين
بذلك الامر لعلمه بانهم يفسقون وذلك يدل على انه تعالى اراد منهم الفسق الثالث انه تعالى قال فحق عليها القول
بالتعذيب والكفر ومتى حق عليها القول بذلك امتنع صدور الايمان منهم لان ذلك يستلزم انقلاب خبر الله الصدق
كذبا وذلك محال والمفضي الى المحال محال قال الكعبي سائر الايات دلت على انه تعالى لا يبتدي بالتعذيب والاهلاك
كقوله تعالى ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم وقوله تعالى ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم وامنتم
وقوله تعالى وما كنا مهلكي القرى الا واهلها ظالمون وكل هذه الايات تدل على انه لا يبتدي بالاضرار وايضا
ما قبل هذه الاية يدل على هذا المعنى وهو قوله تعالى من اهتدى فانما يهتدي لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها ولا
تزر وازرة وزر اخرى ومن المحال ان يقع بين ايات القران تناقض فثبت ان هذه الايات محكمة والاية التي نحن في تفسيرها
مجملة فيجب حمل هذه الاية على تلك الايات واعلم ان احسن الناس كلاما في تاويل هذه الاية على وجه يوافق قول
المعتزلة القفال رحمه الله فانه ذكر وجهين الاول انه تعالى اخبر انه لا يعذب احدا بما يعلمه منه ما لم يعمل به
اي لا يجعل علمه حجة على من علم انه اذا امره عصاه بل يامره فاذا ظهر عصيانه للناس فحينئذ يعاقبه وقوله تعالى
واذا اردنا ان نهلك قرية امرنا مترفيها اي امرنا المتنعمين معناه واذا اردنا ما سبق من القضاء باهلاك قوم
امرنا مترفيها امرنا المتنعمين المتعززين الظانين ان اموالهم واولادهم وانصارهم ترد عنهم باسنا بالايمان والعمل
بشرايع ديننا على ما يبلغهم عنا رسولنا ففسقوا فحينئذ يحق عليهم القضاء السابق باهلاكهم لظهور معاصيهم
فحينئذ دمرناها والحاصل ان المعنى انا اذا اردنا ان نهلك قرية بسبب علمنا بانهم لا يقدمون الا على المعصية
لم نكتف في تحقيق ذلك الاهلاك بمجرد ذلك العلم بل امرنا مترفيها ففسقوا فاذا ظهر منهم ذلك الفسق فحينئذ
نوقع العذاب الموعود به الوجه الثاني في التاويل واذا اردنا ان نهلك قرية بسبب ظهور المعاصي من اهلها
لم نعاجلهم بالعذاب وانما خص المترفين بذلك الامر لان المترف هو المنعم ومن كثرت نعم الله عليه كان قيامه
بالشكر اوجب فاذا امرهم بالتوبة والرجوع عن المعاصي مرة بعد اخرى مع انه لا ينقطع عنهم تلك النعم بل يزيدها
حالا بعد حال فحينئذ يصب الله البلاء عليهم صبا ثم قال القفال وهذان التاويلان راجعان الى ان الله تعالى
اخبر عن عباده انه لا يعاجل بالعقوبة امة ظالمة حتى يعذر اليهم غاية الاعذار والذي يقع منه الياس من ايمانهم كما
قال في قوم نوح ولا يلدوا الا فاجرا كفارا وقالوا انه لن يؤمن من قومك الا من قد امن وقال في غيرهم فما كانوا ليؤمنوا
بما كذبوا من قبل فاخبر الله تعالى اولا انه لا يظهر العذاب الا بعد بعثة الرسول ثم اخبر ثانيا في هذه الاية انه
اذا بعث الرسول ايضا فكذبوا فلم يعاجلهم بالعذاب بل يتابع عليهم النصائح والمواعظ فان بقوا مصرين على
الذنوب فهنالك ينزل عليهم عذاب الاستيصال واجاب الجبائي فقال ليس المراد من الاية انه تعالى يريد اهلاكهم
قبل ان يعصوا او يستحقوا ذلك لانه ظلم وهو على الله محال بل المراد من الارادة قرب تلك الحالة فكان التقدير
واذا قرب وقت اهلاك قرية امرنا مترفيها ففسقوا فيها وهو كقول القائل اذا اراد المريض ان يموت ازدادت
امراضه شدة واذا اراد التاجر ان يفتقر اتاه الخسران من كل جهة وليس المراد ان المريض يريد ان يموت والتاجر
يريد ان يفتقر وانما يعنون انه سيصير كذلك فكذا هنا واعلم ان هذه الوجوه جواب عن الوجه الاول من الوجوه
الثلاثة المتقدمة في التمسك بهذه الاية كلها معدول عن ظاهر اللفظ واما الوجه الثاني والثالث فبقي سليما عن

الطعن قوله تعالى وكم اهلكنا من القرون من بعد نوح الاية والمراد منه الطريق الذي ذكرناه
هو عادتنا مع الذين يفسقون ويتمردون فيما تقدم من القرون الذين كانوا بعد نوح كعاد وثمود وغيرهم
انه تعالى خاطب رسوله بما يكون خطابا وردعا وزجرا للكل فقال وكفى بربك بذنوب عباده خبيرا بصيرا وهذا
تخويف لكفار مكة وكم نصب باهلكنا ومن القرون تبيين لكم ومن بعد نوح لابتداء الغاية والاولى للبيان فلذلك
اتحد متعلقهما وقال الحوفي الثانية بدل من الاولى وليس كذلك لاختلاف معنييهما والباء في كفى تقدم الكلام عليها
وقال ابن عطية انما تجيء هذه الباء في موضع مدح او ذم قال ... الباء من قوله بربك جارة انما يجوز دخول الباء في
المرفوع اذا كان يمدح او يذم كقولك كفاك به واكرم به رجلا وطاب بطعامك طعاما وجاد بثوبك ثوبا اما اذا لم
يكن مدحا او ذما لم يجز دخولها فلا يجوز ان يقال قام باخيك وانت تريد قام اخوك فصل قال عبد الله
بن ابي اوفى القرن عشرون ومائة سنة فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم في اول قرن كان اخره يزيد بن معاوية
وقيل مائة سنة روي عن محمد بن القاسم عن عبد الله بن بسر المازني ان النبي صلى الله عليه وسلم وضع يده على راسه وقال
سيعيش هذا الغلام قرنا قال محمد بن القسم ما زلنا نعد له حتى تمت مائة سنة ثم مات وقال الكلبي ثمانون سنة
وقيل اربعون سنة قوله تعالى من كان يريد العاجلة عجلنا له الاية من شرطية وعجلنا جوابها وما مفعوله
ولمن نريد بدل بعض من كل من الضمير في له باعادة العامل تقديره لمن نريد له قوله تعالى ثم جعلنا له جهنم
جعلنا هنا تصييرية وقوله يصلاها الجملة حال اما من الضمير في له واما من جهنم مذموما حال من فاعل يصلاها
قيل وفي الكلام حذف وهو حذف المقابل اذ الاصل من كان يريد العاجلة وسعى لها سعيها وهو كافر لدلالة ما بعده
عليه وقيل بل الاصل من كان يريد العاجلة بعمله للاخرة كالمنافق ومعنى يصلاها يدخلها مذموما مطرودا مدحورا
مبعدا وقوله سعيها فيه وجهان احدهما انه مفعول به لان المعنى وعمل لها عملها والثاني انه مصدر وله اي من اجلها
والجملة من قوله وهو مؤمن حال من فاعل سعى قوله تعالى كلا نمد هؤلاء كلا منصوب بنمد وهؤلاء
بدل وهؤلاء عطف عليه اي كل فريق نمد هؤلاء الساعين للعاجلة وهؤلاء للاخرة وهذا تقدير جيد وقال
الزمخشري في تقريره كل واحد من الفريقين قال ابو حيان كذا قدره الزمخشري فاعرب هؤلاء بدلا من كلا ولا يصح
ان يكون بدلا من كل على تقدير كل احد لانه يكون اذ ذاك بدل كل من بعض فينبغي ان يكون التقدير كل الفريقين
ومن عطاء متعلق بنمد والعطاء اسم مصدر واقع موقع اسم المفعول والمحظور الممنوع واصله من الحظر وهو جمع الشيء
في حظيرة والحظيرة ما يعمل من شجر ونحوه لتاوي اليه الغنم والمحتطب من يعمل الحظيرة فصل قال القفال
رحمه الله هذه الاية داخلة في معنى قوله وكل انسان الزمناه طائره في عنقه ومعناه ان العمال في الدنيا قسمان
فمنهم من يريد بعمله الدنيا والرياسة فهذا يانف من الانقياد للانبياء عليهم السلام والدخول في طاعتهم خوفا
من زوال الرياسة عنهم فهذا قد جعل طائر نفسه شوما لانه في قبضة الله فيؤتيه الله في الدنيا منها قدرا لا كما يشاء
ذلك الانسان بل كما يشاء الله الا ان عاقبته جهنم يدخلها فيصلاها بحرها مذموما ملوما مدحورا مطرودا
من رحمة الله وفي لفظ هذه الاية فوائد احدها ان العقاب عبارة عن مضرة مقرونة بالاهانة دائمة خالية عن المنفعة
وثانيها انه من الجهال من اذا ساعدته الدنيا اغتر بها وظن ان ذلك لاجل كرامته على الله تعالى فبين تعالى بهذه
الاية ان مساعدة الدنيا لا ينبغي ان يستدل بها على رضى الله تعالى عنه لان الدنيا قد تحصل مع ان عاقبتها المصير
الى العذاب والاهانة فهذا الانسان اعماله تشبه طائر السوء في لزومه له وكونها سائقة الى اشد العذاب وثالثها
قوله لمن نريد يدل على انه لا يحصل الفوز في الدنيا بكل احد بل كثير من الكفار يعرضون عن الدين في طلب الدنيا ثم
يبقون محرومين عن الدنيا وعن الدين فهؤلاء هم الاخسرون اعمالا الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم
يحسبون انهم يحسنون صنعا واما القسم الثاني وهو قوله تعالى ومن اراد الاخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن
فشرط فيه تعالى ثلاثة شروط احدها ان يريد بعمله الاخرة اي ثواب الاخرة فانه ان لم يوجد ذلك لم ينتفع بذلك العمل
لقوله تعالى وان ليس للانسان الا ما سعى وقوله عليه الصلاة والسلام انما الاعمال بالنيات والثاني قوله
وسعى لها سعيها وذلك يقتضي ان يكون ذلك العمل من باب القرب والطاعات وكثير من الضلال يتقربون بعبادة
الاوثان ولهم فيها تاويلان احدهما انهم يقولون اله العالم اجل واعظم من ان يقدر الواحد منا على اظهار عبوديته
وخدمته ولكن غاية قدرنا ان نشتغل بعبودية بعض المقربين من عباد الله مثل ان نشتغل بعبادة كوكب او ملك
من الملائكة ثم ان الملك والكوكب يشتغلون بعبادة الله تعالى فهؤلاء يتقربون الى الله تعالى بهذا الطريق
وهذه طريقة فاسدة فلا جرم لم ينتفع بها والتاويل الثاني انهم قالوا اتخذنا هذه التماثيل على صورة الانبياء

والأولياء فالمراد من عبادتها أن تصير أولئك الأنبياء والأولياء شفعاء لنا عند الله وهذا الطريق أيضا
فاسد فلا جرم لم ينتفع بها وكذا القول في جميع الفرق المبطلين الذين يتقربون إلى الله تعالى بمذاهبهم الباطلة
والشرط الثالث قوله تعالى وهو مؤمن وهذا الشرط معتبر لأن الشرط في كون أعمال البر موجبة للثواب هو الإيمان
فإذا لم يوجد لم يحصل المشروط ثم إنه تعالى أخبر أن عند حصول هذه الشرائط يصير السعي مشكورا والعمل مبرورا
واعلم أن الشكر عبارة عن مجموع أمور ثلاثة اعتقاد كونه محسنا في تلك الأعمال والثناء عليه بالقول والإتيان بأفعال
تدل على كونه معظما عند ذلك الشاكر والله تعالى يعامل المطيعين بهذه الأمور الثلاثة فإنه تعالى عالم بكونهم محسنين
في تلك الأعمال وأنه تعالى يثني عليهم بكلامه وأنه تعالى يعاملهم بمعاملات دالة على كونهم مطيعين عند الله وإذا كان
مجموع هذه الثلاثة حاصلا كانوا مشكورين على طاعتهم من قبل الله يروى في كتب المعتزلة أن جعفر بن حارث حضر
عنده واحد من أهل السنة وقال الدليل على أن الإيمان حصل بخلق الله تعالى أنا نشكر على الإيمان ولو لم يكن الإيمان
حاصلا بإيجاده لامتنع أن نشكره عليه لأن مدح الإنسان وشكره على ما ليس من عمله قبيح قال الله تعالى ويحبون
أن يحمدوا بما لم يفعلوا فعجز الحاضرون عن جوابه فدخل ثمامة بن الأشرس وقال إنا نمدح الله ونشكره على ما أعطانا
من القدرة والعقل وإنزال الكتب وإيضاح الدلائل والله تعالى يشكرنا على فعل الإيمان قال الله تعالى
فأولئك كان سعيهم مشكورا قالوا فضحكوا وقال فصعبت المسئلة فسهلت واعلم أن على قولنا مجموع القدرة
مع الداعي يوجب الفعل كلام واضح لأنه تعالى هو الذي أعطى الموجب التام لحصول الإيمان فكان هو المستحق
للشكر ولما حصل الإيمان للعبد وكان الإيمان موجبا للسعادة التامة صار العبد أيضا مشكورا ولا منافاة
بين الأمرين **فصل** اعلم أن كل من أتى بفعل فإما أن يقصد به تحصيل خيرات الدنيا أو تحصيل
خيرات الآخرة أو يقصد به مجموعهما أو لم يقصد به واحدا منهما فإن قصد به تحصيل الدنيا فقط أو تحصيل
الآخرة فقط فالله تعالى ذكر حكم هذين القسمين في هذه الآية وأما القسم الثالث فينقسم ثلاثة أقسام
لأنه إما أن يكون طلب الآخرة راجحا أو مرجوحا أو يكون الطلبان متعادلين فإن كان طلب الآخرة راجحا فهل يكون
هذا العمل مقبولا عند الله تعالى فيه بحث يحتمل أن يقال إنه غير مقبول لقول النبي صلى الله عليه وسلم حاكيا عن الله
تعالى أنه قال أنا أغنى الأغنياء عن الشرك من عمل عملا أشرك فيه غيري تركته وشركه وأيضا طلب رضوان الله إما أن
يكون سببا مستقلا بكونه باعثا على ذلك الفعل وداعيا إليه وإما أن لا يكون فإن كان الأول امتنع أن يكون
لغيره مدخل فيه لكان علة في ذلك البعث والدعاء لأن الحكم إذا استند إلى سبب تام كامل امتنع أن يكون لغيره
مدخل فيه وإن كان الثاني فيكون الداعي إلى ذلك الفعل هو المجموع وذلك المجموع ليس هو طلب رضوان الله
لأن المجموع الحاصل من الشيء ومن غيره يجب أن يكون مغايرا لطلب رضوان الله فوجب أن لا يكون مقبولا ويحتمل
أن يقال لما كان طلب الآخرة راجحا على طلب الدنيا تعارض المثل بالمثل فبقي القدر الزائد داعية خالصة لطلب
الآخرة فوجب كونه مقبولا وأما إذا كان طلب الدنيا وطلب الآخرة متعادلين أو كان طلب الدنيا راجحا فقد
اتفقوا على أنه غير مقبول إلا أنه على كل حال خير مما إذا كان طلب الدنيا خاليا بالكلية عن طلب الآخرة وأما القسم الرابع
وهو الإقدام على الفعل من غير داع فهذا مبني على أن صدور الفعل من القادر هل يتوقف على حصول الداعي
أم لا فالذين يقولون إنه يتوقف على حصول الداعي قالوا هذا القسم ممتنع الحصول والذين قالوا إنه لا يتوقف
قالوا هذا الفعل لا أثر له في الباطن وهو محرم في الظاهر لأنه عبث **فصل** معنى الآية أنه تعالى يمد
الفريقين بالأموال ويوسع عليهما في الرزق لأن الكل مخلوق في دار العمل فوجب إزاحة العذر وإزالة العلة عن الكل
والتنوين في كلا عوض من المضاف إليه أي كل واحد من الفريقين **قوله تعالى** انظر كيف فضلنا بعضهم على
بعض كيف نصب على التشبيه بالظرف وإما على الحال وهي معلقة لانظر بمعنى فكر أو بمعنى أبصر والمعنى أنا وصلنا
إلى مؤمن وقبضنا عن مؤمن آخر ووصلناه إلى كافر وقبضناه عن كافر آخر وقد بين تعالى وجه الحكمة في هذا التفاوت فقال نحن قسمنا
بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات الآية وقال في آخر سورة الأنعام ورفع بعضكم
فوق بعض درجات ثم قال وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا أي من درجات الدنيا والمعنى أن الآخرة أعظم
وأشرف من الدنيا أي أن المؤمنين يدخلون الجنة والكافرين يدخلون النار فتظهر فضيلة المؤمنين على الكافرين
ونظيره قوله تعالى أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا وأحسن مقيلا **قوله تعالى** لا تجعل مع الله إلها
آخر فتقعد مذموما مخذولا لما بين تعالى أن الناس فريقان منهم من يريد بعمله الدنيا فقط وهم
العذاب ومنهم من يريد بطاعة الله وهم أهل الثواب ثم شرط في ذلك ثلاثة شروط أن يريد بها الآخرة وأن يعمل عملا

أهل

ويسعى

ويسعى سعيا موافقا لطلب الآخرة وأن يكون مؤمنا لا جرم **فصل** في هذه الآية تلك المجملات فبدأ
أولا بشرح حقيقة الإيمان وأشرف أجزاء الإيمان هو التوحيد ونفي الشرك فقال لا تجعل مع الله إلها آخر ثم ذكر
عقيبه سائر الأعمال التي يكون المشتغل بها ساعيا سعي الآخرة قال المفسرون الخطاب مع النبي صلى الله عليه وسلم والمراد
غيره كقوله تعالى يا أيها النبي إذا طلقتم النساء وقيل الخطاب للإنسان وهذا أولى لأنه تعالى عطف عليه وقضى
ربك ألا تعبدوا إلا إياه إلى قوله تعالى إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما وهذا لا يليق بالنبي صلى الله عليه
وسلم لأن أبويه ما بلغا الكبر عنده والمعنى أن من أشرك بالله كان مذموما مخذولا ويدل على ذلك وجوه الأول أن المشرك
كاذب والكاذب يستوجب الذم والخذلان الثاني أنه لما ثبت بالدليل أنه لا إله ولا مدبر إلا الواحد الأحد فحينئذ
يكون جميع النعم حاصلة من الله تعالى فمن أشرك بالله فقد أضاف بعض تلك النعم إلى غير الله مع أن الحق أن كلها من الله
تعالى فحينئذ يستحق الذم لأن المستحق للشكر على تلك النعم هو الخالق لها تعالى فلما جحد كونها من الله تعالى فقد قابل
إحسان الله بالإساءة والجحود فاستوجب الذم واستحق الخذلان لأنه لما أثبت لله شريكا استحق أن يفوض أمره إلى
ذلك الشريك ولما كان ذلك الشريك معدوما وما بقي فلا ناصر ولا حافظ ولا معين وذلك عين الخذلان الثالث
أن الكمال في الوحدة وأن النقصان في الكثرة فمن أثبت الشريك فقد وقع في جانب النقصان **قوله تعالى** فتقعد
يجوز أن يكون على بابها فينتصب ما بعدها على الحال ويجوز أن يكون بمعنى صار فينتصب على الخبرية وإليه ذهب
الفراء والزمخشري وأنشدوا

لا تقنع الجارية الخضاب ● ولا الوشاحان ولا الجلباب ●
من دون أن تلتقي الركبان ● ويقعد الأير له لعاب ●

أي ويصير والبصريون لا يعرفون هذا بل يقصرون به على الثاني قولهم شحذ شفرته حتى قعدت كأنها
حربة وقال الواحدي فتقعد انتصب لأنه وقع بعد الفاء جوابا للنهي وانتصابه بإضمار أن كقولك لا تنقطع عنا
فنجفوك والتقدير لا يكن منك انقطاع فيحصل أن نجفوك فما بعد الفاء متعلق بالجملة المتقدمة بحرف الفاء
وإنما سماه النحويون جوابا لكونه متشابها للجزاء في أن الثاني مسبب عن الأول ألا ترى أن المعنى إن انقطعت جفوتك
كذلك تقدير الآية إن جعلت مع الله إلها آخر قعدت مذموما مخذولا وذكروا في هذا القعود وجوها أحدها
أن معناه المكث أي فتمكث في الناس مذموما مخذولا وهذه اللفظة مستعملة في لسان العرب والفرس في هذا المعنى
إذا سأل الرجل غيره ما يصنع فلان في تلك البلدة فيقول المجيب هو قاعد بأسوء حال معناه المكث سواء كان قائما
أو قاعدا وثانيها أن من شأن المذموم المخذول أن يقعد نادما متفكرا على ما فرط منه وثالثها أن المتمكن من
تحصيل الخيرات يسعى في تحصيلها والسعي إنما يتأتى بالقيام وأما العاجز عن تحصيلها فإنه لا يسعى بل يبقى جالسا
قاعدا عن الطلب فلما كان القيام على الرجل أحد الأمور التي بها يتم الفوز بالخيرات وكان القعود والجلوس علامة
تلك القدرة لا جرم جعل القيام كناية عن القدرة على تحصيل الخيرات والقعود كناية عن العجز والضعف
قوله تعالى وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه الآية لما ذكر في الآية المتقدمة ما هو الركن الأعظم
في الإيمان أتبعه بذكر ما هو من شعائر الإيمان وشرائطه وهي أنواع الأول أن يشتغل الإنسان بعبادة الله
تعالى ويحترز عن عبادة غير الله تعالى والقضاء الحكم الجزم البت الذي لا يقبل النسخ لأن الواحد منا إذا أمر
غيره بشيء لا يقال قضى عليه فإذا أمره أمرا جزما وحكم عليه بذلك على سبيل البت والقطع فههنا يقال
قضى عليه وروي ميمون بن مهران عن ابن عباس أنه قال في هذه الآية كان الأصل ووصى ربك فالتصقت
إحدى الواوين بالصاد فصارت فاقرأوا وقضى ربك ثم قال ولو كان على القضاء ما عصى الله أحد قط لأن
خلاف قضاء الله ممتنع هكذا رواه عنه الضحاك بن مزاحم وسعيد بن جبير وهو قراءة علي وعبد الله وهذا القول
بعيد جدا لأنه يفتح باب أن التحريف والتغيير قد تطرق إلى القرآن ولو جوزنا ذلك لارتفع الأمان عن
القرآن وذلك يخرجه عن كونه حجة وذلك طعن عظيم في الدين وقرأ الجمهور وقضى فعلا ماضيا فقيل
هي على موضوعها الأصلي قال ابن عطية ويكون الضمير في تعبدوا للمؤمنين من الناس إلى يوم القيامة وقال ابن
عباس وقتادة والحسن بمعنى أمر وقال مجاهد بمعنى أوصى وقال الربيع بن أنس أوجب ألزم وقيل بمعنى حكم
وقرأ بعض ولد معاذ بن جبل وقضاء ربك اسما مصدرا مرفوعا بالابتداء وأن لا تعبدوا خبره **قوله تعالى**
أن لا تعبدوا إلا إياه يجوز أن تكون أن مفسرة لأن ما قبلها ما هو بمعنى القول ولا ناهية ويجوز أن تكون الناصبة
ولا نافية أي بأن لا ويجوز أن تكون المخففة واسمها ضمير الشأن محذوف ولا ناهية ويجوز أن تكون الناصبة
والجملة خبرها وفيه إشكال من حيث وقوع الطلب خبرا على لكونه دعاء وهو طلب أيضا هذا الباب ومثله

ومثله في هذا الاشكال قوله ان بورك من في النار وقوله ان غضب الله عليها لكونه دعاء وهو طلب
ايضا ويجوز ان تكون الناصبة ولا زائدة قال ابو البقا ويجوز ان تكون في موضع نصب الزم ربك عبادته
ولا زائدة قال ابو حيان وهم للدخول الاعلى مفعول نعبد وافعل مران يكون نعتا او نهيا **قوله تعالى** وبالوالدين
احسانا قد تقدم نظيره في البقرة وقال الحوفي البا متعلقة بقضا ويجوز ان يكون متعلقة بفعل محذوف تقديره
واوصي بالوالدين احسانا واحسانا مصدر اي يحسنون بالوالدين احسانا وقال الواحدي البا من صلة الاحسان
فقدمت عليه كما تقول بزيد فامرر وقد منع الزمخشري هذا الوجه قال لان المصدر لا يتقدم عليه معموله قال
شهاب الدين والذي ينبغي ان يقال ان هذا المصدر وادعي به انه منحل لحرف مصدري وفعل فالامر على ما ذكر
الزمخشري وان كان بدلا من اللفظ بالفعل فالامر على ما قال الواحدي فالجواز والمنع بهذين الاعتبارين وقال
ابن عطية قوله بالوالدين احسانا واختار ابو حيان ان يكون احسانا مصدرا واقعا موقع الفعل وان ان مفسرة
ولا ناهية قال فيكون قد عطف ما هو بمعنى الامر على نهي كقوله • يقول لا تهلك اسى وتجمل •
فاحسن واسا يتعديان بالى وبالبا قال تعالى وقد احسن بي وقال كثير عزة • اسيئي بنا او احسني لا ملومة • وكانه
ضمن احسن لمعنى لطف فتعدي تعديته **فصل** لما امر بعبادة نفسه اتبعه ببر الوالدين ووجه المناسبة
بين الامرين امور اولها ان السبب الحقيقي لوجود الانسان هو تخليق الله وايجاده والسبب الظاهري وثانيها
ان الموجود اما قديم واما محدث ويجب ان يكون معاملة الانسان مع الاله القديم بالتعظيم والعبودية ومع
المحدث باظهار الشفقة للابوان لكثرة انعامهما على الانسان فقوله تعالى وقضى ربك ان لا تعبدوا الا اياه اشارة
الى التعظيم لامر الله وقوله وبالوالدين احسانا اشارة الى الشفقة على خلق الله وثالثها ان الاشتغال بشكر المنعم
واجب ثم المنعم الحقيقي هو الخالق سبحانه وقد يكون بعض الخلق منعما عليك وشكره ايضا واجب لقوله عليه الصلاة
والسلام من لم يشكر الناس لم يشكر الله وليس لاحد من الخلائق نعمة على الانسان مثل الابوين لان الولد قطعة من الوالدين
قال عليه الصلاة والسلام فاطمة بضعة مني وايضا شفقة الوالدين على الولد عظيمة وجدهما في ايصال الخير الى الولد
امر طبيعي واحترازهما عن ايصال الضرر اليه امر طبيعي ايضا فوجب ان يكون نعم الوالدين على الولد كثيرة بل هي اكثر من كل
نعمة تصل من انسان الى انسان وايضا حال ما يكون الانسان في غاية الضعف ونهاية العجز يكون جميع اصناف
انعام الابوين في ذلك الوقت واصلة الى الولد واذا وقع الانعام على هذا الوجه كان موقعه عظيما وايضا
فايصال الخير الى الغير قد يكون للداعية ايصال الخير اليه وايصال الخير الى الولد ليس لهذا الغرض فكان الانعام فيه
اتم واكمل فثبت بهذه الوجوه انه ليس لاحد من المخلوقين نعمة على غيره مثل ما للوالدين على الولد فلهذا بدأ الله بشكر
نعمة الوالدين فقال وبالوالدين احسانا **فان قيل** الوالدان انما طلبا تحصيل اللذة لانفسهما فلزم منه
دخول الولد في الوجود ودخوله في عالم الآفات والمخافات فاي انعام للابوين على الولد يحكى ان بعض المنتسبين
الى الحكمة كان يضرب اباه ويقول هو الذي ادخلني في عالم الكون والفساد وعرضني للموت والفقر والعمى والزمانة
وقيل لابي العلا ماذا نكتب على قبرك فقال اكتبوا عليه هذه جناية ابي علي وما جنيت على احد وقال في ترك التزوج

• وتركت فيهم نعمة العدم التي • سبقت بهم في نعيم العاجل •
• ولو انهم ولدوا لعانوا شدة • ترمي بهم في موبقات الآجل •

وقيل للاسكندر استاذك اعظم منة عليك ام والدك فقال الاستاذ اعظم لانه تحمل انواع الشدائد عند تعليمي فاوقفني في نور
العلم واما الوالد فانه طلب تحصيل لذة الوقاع لنفسه فاخرجني الى آفات عالم الكون والفساد ومن الكلمات المأثورة
المشهورة خير الآباء من علمك **فالجواب** هب انه في اول الامر طلب لذة الوقاع الا ان الاهتمام بايصال الخيرات
اليه ودفع الآفات من اول دخوله في الوجود الى وقت بلوغه الكبر اليس انه اعظم من جميع ما يصل اليه من جهات
الخيرات والمبرات فسقطت هذه الشبهات واعلم ان لفظ الآية يدل على معان كثيرة كل واحد منها يوجب المبالغة
في الاحسان الى الوالدين منها انه تعالى قال في الآية المتقدمة ومن اراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فاولئك
كان سعيهم مشكورا ثم اتبعه بهذه الآية المشتملة على الاعمال التي يحصل بها الفوز بسعادة الآخرة وذكر من جملتها
البر بالوالدين وذلك يدل على ان هذه الطاعة من اصول الطاعات التي تفيد سعادة الآخرة ومنها انه تعالى
بدأ بذكر الامر بالتوحيد وثنى بطاعة الله وثلث ببر الوالدين وهذه درجة عالية ومبالغة عظيمة في تعظيم هذه
الطاعة ومنها انه تعالى لم يقل واحسنوا بالوالدين بل قال وبالوالدين احسانا فتقديم ذكرهما يدل على شدة الاهتمام
ومنها انه قال احسانا بلفظ التنكير والتنكير يدل على التعظيم اي احسانا عظيما كاملا لان احسانهما اليك قد بلغ الغاية

العظمة

العظمة وجب ان يكون احسانك اليهما كذلك وان لم يحسن اليهما كذلك فلا تحصل المكافاة لان انعامهما
عليك على سبيل الابتدا وفي الامثال المشهورة ان البادي بالبر لا يكافى **قوله تعالى** اما يبلغن عندك قرا
الاخوان يبلغان بالف التثنية قبل نون التوكيد المشددة المكسورة والباقون دون الف وتفتح النون فاما
القراءة الاولى ففيها اوجه احدها ان الالف ضمير الوالدين لتقدم ذكرهما واحدهما بدل منه وكلاهما عطف عليه
واليه نحا الزمخشري وغيره واستشكله بعضهم بان قوله احدهما بدل بعض من كل لا كل من كل لانه غير واف بمعنى الاول
وقوله بعد ذلك او كلاهما عطف على البدل فيكون بدلا وهو بدل الكل من الكل لانه مرادف لالف التثنية لكونه
لا يجوز ان يكون بدلا لخلوه عن الفايدة اذ المستفاد من الف التثنية هو المستفاد من كلاهما فلم يفد البدل زيادة
على المبدل منه قال شهاب الدين هذا معنى قول ابي حيان وفيه نظر اذ لقائل ان يقول مسلم انه لم يفد البدل زيادة على
المبدل منه لكنه لا يضر لانه بيان للتاكيد ولو افاد زيادة اخرى غير مفهومة من الاول كان تاسيسا لا تاكيدا وعلى
تقدير تسليم ذلك فقد يجاب عنه بما قال ابن عطية فانه قال بعد ذكره هذا الوجه وهو بدل مقسم كقول الشاعر

• وكنت كذي رجلين رجل صحيحة • ورجل رمى فيها الزمان فشلت •

الا ان ابا حيان تعقب كلامه فقال اما قوله بدل تقسيم كقوله وكنت فليس كذلك لان شرط العطف بالواو وايضا
شرطه ان لا يصدق المبدل منه على احد قسميه وهو كلاهما فليس من بدل القسم ومتى سلم له شرطان لزم ما قال الثاني
ان الالف ليست ضميرا بل علامة تثنية واحدهما فاعل بالفعل قبله او كلاهما عطف عليه وقد رد هذا الوجه بان شرط
الفعل الملحق بعلامة تثنية ان يكون مسندا للمثنى نحو قاما اخواك او الى مفرق بالعطف بالواو خاصة على خلاف فيه
نحو قاما زيد وعمرو لكن الصحيح جوازه لوروده سماعا كقوله • وقد اسلماه مبعد وحميم • والفعل
هنا مسندا الى احدهما وليس مثنى ولا مفرقا بالعطف بالواو والثالث نقل عن الفارسي ان كلاهما توكيد وهذا لا بد
من اصلاحه بزيادة وهو ان يجعل احدهما بدل بعض من كل ويضمر بعده فعل رافع لضمير تثنية ويقع كلاهما توكيدا لذلك
الضمير تقديره او يبلغا كلاهما الا ان فيه حذف المؤكد وابقاء التوكيد وفيهما خلاف اجازها الخليل وسيبويه
نحو مررت بزيد ورايت اخاك انفسهما بالرفع والنصب فالرفع على تقديرهما انفسهما والنصب على تقدير اعنيهما انفسهما
ولكن في هذا نظر من حيث ان المنقول عن الفارسي منع حذف المؤكد وابقاء توكيده فكيف يخرج قوله على اصل لا يجيزه
وقد نص الزمخشري على منع التوكيد فقال فان قلت لو قيل اما يبلغان كلاهما كان كلاهما توكيدا لا بدلا فما لك
زعمت انه بدل قلت لانه معطوف على ما لا يصح ان يقع توكيدا للمثنى ولا لغيرهما وكذا ما عطف عليه لانه شريكه
قال فان قلت ما ضرك لو جعلته بدلا مع كون المعطوف عليه بدلا وعطفت التوكيد على البدل قلت لو اريد
توكيد التثنية لقيل كلاهما فحسب فلما قيل احدهما او كلاهما علم ان التوكيد غير مراد فكان بدلا مثل الاول
الرابع ان يرتفع كلاهما بفعل مقدر تقديره او يبلغ كلاهما ويكون احدهما بدلا من الف الضمير بدل بعض من كل
والمعنى اما يبلغن عندك احد الوالدين او يبلغ كلاهما قال البغوي فعلى قراءة حمزة والكسائي قوله احدهما
او كلاهما كلام مستانف كقوله تعالى ثم عموا وصموا كثير منهم وقوله واسروا النجوى الذين ظلموا فقوله الذين
ظلموا ابتدا واما القراءة الثانية فواضحة وان هي ان الشرطية زيدت عليها ما تاكيدا فادغم احد المتقاربين في الآخر
بعد ان قلبا ميما وهو ادغام واجب قال الزمخشري هي ان الشرطية ولذلك دخلت النون ولو افردت ان لم يصح دخولها
لا تقول ان تكرمن زيدا يكرمك ولكن اما تكرمنه وهذا الذي قاله الزمخشري نص سيبويه على خلافه قال سيبويه وان
شئت لم تقحم النون كما انك اذا شئت لم تجئ بما قال ابو حيان يعني مع النون وعدمها وفي هذا نظر لان سيبويه انما
نص على ان نون التوكيد لا يجب الاتيان بها بعد اما وان كان ابو اسحق قال بوجوب ذلك كما انك ان شئت لم تجئ بما
دليل على جواز توكيد الشرط مع ان وحدها قوله ظرف ليبلغن وكلا مثناه معنى من غير خلاف وانما اختلفوا في
تثنيتها لفظا فمذهب البصريين انها مفردة لفظا وتبعهم السهيلي مستدلا على ذلك بقوله •

• في كلت رجليها سلامى واحده • فنطق بمفردها ولذلك تعرب بالالف رفعا وبالياء نصبا وجرا فالفها زائدة
على انها هيئة الكلمة كالف زيدان ولامها محذوفة عند السهيلي ولم يات عن الكوفيين نص في ذلك فاحتمل ان يكون
الامر كما قال السهيلي وان تكون موضوعة على حرفين فقط لان مذهبهم جواز ذلك في الاسماء المعربة قال ابو الحسن
الرازي وابو الفتح الموصلي وابو علي الجرجاني ان كلا اسم مفرد يفيد معنى التثنية ووزنه فعل ولامه معتل بمنزلة
لام رضي وهي كلمة وضعت على هذه الخلقة يؤكد بها الاثنان خاصة ولا تكون الا مضافة لانها لو كانت تثنية
لوجب ان يقال في النصب والخفض مررت بكلي الرجلين بكسر الياء كما تقول بين يدي الرجل ومن ثني الليل ويا صاحبي

النجم وطرفي النهار ولما لم يكن كذلك علمنا انها ليست تثنية بل هي لفظة مفردة وضعت للدلالة على التثنية
كما ان لفظة كلا اسم واحد موضوع للجماعة فاذا اخبرت عن لفظة اخبرت عن الواحد كقوله تعالى وكلهم آتيه يوم القيامة
فردا هكذا اذا اخبرت عن واحد فقلت كلا اخويك كان قائما قال الله تعالى كلتا الجنتين آتت اكلها ولم يقل آتتا
كلتا انهما متى اضيفتا الى مضمر اعربت اعراب المقصور عند جمهور العرب وبنو كنانة يعربونها اعراب المثنى مطلقا فيقولون
رايت كلا اخويك وكونهما جرت مجرى المثنى مع المضمر دون الظاهر يطول ذكرها ومن احكامهما انها لا تضاف الا الى
مثنى لفظا ومعنى نحو كلا الرجلين او معنى لا لفظا نحو كلانا ولا تضاف الى مفرقين بالعطف نحو كلا زيد وعمرو الا
في ضرورة كقوله • ان للخير وللشر مدى • وكلا ذلك وجه وقبل **فصل** والاكثر مطابقتها
تفرد خبرها وضميرها نحو كلاهما قائم وكلاهما ضربته ويجوز في قليل قائمان وضربتهما اعتبارا بمعناهما وقد جمع
الشاعر بينهما في قوله • كلاهما حين جد الجري بينهما • قد اقلعا وكلا انفيهما رابي •
وقد يتعين اعتبار ويستعمل تابعا للفظ نحو كلانا كفيل صاحبه وقد يتعين اعتبار المعنى ويستعمل تابعا توكيدا
وقد لا يتبع فيقع مبتدا او مفعولا به ومجرورا وكلتا في جميع ما ذكر كلا تاؤها من واو والفها للتانيث ووزنها فعلى
كذا قيل وقال يونس الفها وصل وتاؤها مزيدة ووزنها فعتل وقد رد عليه الناس والسبب الذي عند سيبويه كلوي
كذكرها وعند يونس كلتوي لئلا يلتبس ومعنى الاية انهما يبلغان الى حالة الضعف والعجز فيصيران عندك في آخر العمر
كما كنت عندهما في اول العمر **قوله تعالى** فلا تقل لهما اف اسم فعل مضارع بمعنى اتضجر وهو قليل فان اكثر باب
اسماء الافعال اوامر واقل منه اسم الماضي واقل منه اسم المضارع كاف واوه اي اتوجع ووي اي اعجب وكان من حقها
ان تعرب لوقوعها موقع الاعراب وفيها لغات كثيرة وصلها الرماني الى تسع وثلاثين وذكر ابن عطية بها انها تبلغ
الاربعون وهي لغتان وعشرون مع الهمزة المضمومة اف اف اف بالتشديد مع التنوين وعدمه اف اف
بالتخفيف مع التنوين وعدمه اف بالسكون والتخفيف اف بالتشديد افه افه افه افا من غير امالة
وبالامالة المحضة وبالامالة بين بين افو افي بالواو والياء واحدى عشرة مع كسر الهمزة افه افه بالتشديد مع التنوين
وعدمه اف بالسكون افا بالالف فهذه تسع وثلاثون افه وتمام الاربعين افاه بهاء السكت وفي استخراجها بهذا الضبط
المذكور عسر ونصب يحتاج في استخراجه من كتب اللغة ومن كلام اهلها الى تتبع كثير وابو حيان لم يزد على ان قال ونحن نذكرها
مضبوطة كما ذكرها ناظروها والنساخ خالفوه في ضبطه ثم جاء في الخلق فعدلنا الى هذا الضبط المذكور ولله الحمد
وقد قرئ من هذه اللغات بسبع ثلاث في المتواتر واربع في الشاذ فقرا نافع وحفص بالكسر والتنوين وابن كثير وابن عامر
بالفتح دون تنوين والباقون بالكسر دون تنوين ولا خلاف بينهم في تشديد الفاء وقرا نافع في رواية اف بالرفع
والتنوين وابو السمال بالضم من غير تنوين وزيد بن علي بالنصب والتنوين وابن عباس اف بالسكون قال ابن الخطيب
والبحث المشكل هاهنا انا لما نقلنا انواعا من اللغات في هذه اللفظة فما السبب في انهم ذكروا اكثر تلك اللغات
في هذه اللفظة واقتصروا على وجوه قليلة منها **فصل** في تفسير هذه اللفظة وجوه احدها
قال الفراء تقول العرب اهل فلان بافف وجدها من ريح معناه تقول اف اف والثاني قال الاصمعي الاف وسخ
الاذان والتف وسخ الاظفار يقال ذلك عند استقذار الشيء ثم كثر حتى استعملوه عند كل ما يتاذون به الثالث
قال ابو عبيدة اصل الاف والتف الوسخ على الاصابع من الوسخ الخامس الاف وسخ الظفر والتف ما رفعت بيدك
من الارض من شيء حقير السادس قيل اف معناه قلة وهو ماخوذ من الاف وهو الشيء القليل وتف اتباع له كقولهم
شيطان ليطان خبيث نبيث السابع روى ثعلب عن ابن الاعرابي الاف الضجر الثامن قال القتيبي اصل هذه الكلمة
انه اذا سقط عليه تراب او رماد نفخ فيه لتزيله والصوت الحاصل عند تلك النفخة هو قولك اف ثم انهم توسعوا
فذكروا هذه اللفظة عند كل مكروه يصل اليهم قال مجاهد معنى قوله فلا تقل لهما اف اي لا تستقذرهما كما انهما
لا يستقذرانك حين كنت تخرا وتبول وروي عن مجاهد ايضا اذا وجدت منهما رائحة تؤذيك فلا تقل لهما اف
فصل قوله تعالى لا تقل لهما اف مثل يضرب للمنع من كل مكروه واذية وان خف وقل واختلف
الاصوليون في ان دلالة هذا اللفظ على المنع من سائر انواع الايذاء دلالة لفظية او دلالة مفهومة بالقياس
فقيل انها دلالة لفظية لان اهل العرف اذا قالوا لا تقل لفلان اف عنوا به انه لا يتعرض له بنوع الاذى فهو
كقولهم فلان لا يملك نقيرا ولا قطميرا فهو بحسب العرف يدل على انه لا يملك شيئا وقيل ان هذا اللفظ انما دل على المنع
من سائر انواع الاذى بالقياس الجلي وتقريره ان الشرع اذا نص على حكم في صورة وسكت عن حكم صورة اخرى فاذا اردنا
الحاق الصورة المسكوت عن حكمها بالصورة المذكورة حكمها فهذا على ثلاثة اقسام احدها ان يكون ثبوت ذلك الحكم

في محل السكوت اولى من ثبوته في محل الذكر كهذه الصورة فان اللفظ انما دل على المنع من التافيف والضرب اولى
بالمنع وثانيها ان يكون الحكم في محل السكوت اولى من ثبوته مساويا للحكم في محل الذكر وهذا تسميه الاصوليون
القياس في معنى الاصل كقوله عليه السلام من اعتق شركا له في عبد قوم عليه الباقي فان الحكم في الامة والعبد سواء
وثالثها ان يكون الحكم في محل السكوت اخفى من الحكم في محل الذكر وهو اكثر القياسات اذا عرف هذا فالمنع من التافيف
انما دل على المنع من الضرب بالقياس الجلي من باب الاستدلال بالادنى على الاعلى لان التافيف غير الضرب فالمنع من
التافيف لا يكون منعا من الضرب وايضا المنع من التافيف لا يستلزم المنع من الضرب عقلا لان الملك الكبير اذا اخذ
ملكا عظيما كان عدوا له فقد يقول للجلاد اياك ان تستخف به او تشافهه بكلمة فاحشة لكن اضرب رقبته واذا كان
هذا معقولا في الجملة علمنا ان المنع من التافيف مغاير للمنع من الضرب وغير مستلزم للمنع من الضرب في الجملة الا انا علمنا
في هذه الصورة ان المقصود من هذا الكلام المبالغة في تعظيم الوالدين لقوله تعالى وقل لهما قولا كريما واخفض
لهما جناح الذل من الرحمة فكانت دلالة المنع من التافيف على المنع من الضرب بالقياس من باب الاستدلال بالادنى على الاعلى
قوله تعالى ولا تنهرهما اي لا تزجرهما والنهر الزجر بصياح وغلظة واصله الظهور ومنه النهر لظهوره وقال الزمخشري
النهر والنهر والنهم اخوات ويقال نهره وانتهره اذا استقبله بكلام يزجره قال تعالى واما السائل فلا تنهر فان قيل
المنع من التافيف يدل على المنع من الانتهار بطريق الاولى فلما قدم المنع من التافيف كان المنع من الانتهار والمنع من التافيف
فما السبب في رعاية هذا الترتيب فالجواب ان المراد من قوله تعالى فلا تقل لهما اف المنع من اظهار الضجر بالقليل او الكثير
والمراد من قوله تعالى ولا تنهرهما المنع من اظهار المخالفة في القول على سبيل الرد عليه **قوله تعالى** وقل لهما
قولا كريما لما منعه من القول المؤذي وذلك لا يكون امرا بالقول الطيب فلا جرم اردفه بان امره بالقول الحسن فقال
تعالى وقل لهما قولا كريما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه هو ان يقول له يا ابتاه يا اماه وقال عطاء هو ان يتكلم معه بشرط
ان لا ترفع اليهما بصرك وقال مجاهد لا تسميهما ولا تكنيهما وهو كقول علي رضي الله عنه فان قيل ان ابراهيم عليه
السلام كان اعظم الناس حلما وكرما وادبا فكيف قال لابيه آزر اني اراك وقومك في ضلال مبين فخاطبه بالاسم
وهو ايذاء ثم نسبه ونسب قومه الى الضلال وهو اعظم انواع الايذاء فالجواب ان قوله تعالى وقضى ربك ان لا
تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا يدل على ان حق الله مقدم على حق الابوين فاقدام ابراهيم على ذلك الايذاء
انما كان تقديما لحق الله على حق الابوين **قوله تعالى** واخفض لهما جناح الذل من الرحمة والمقصود المبالغة
في التواضع وهذه استعارة بليغة قال القفال وفي تقريره وجهان الاول ان الطائر اذا اراد ضم فرخه اليه
للتربية خفض له جناحه فلهذا صار خفض الجناح كناية عن حسن التربية فكانه قال للولد اكفل والديك
بان تضمهما الى نفسك كما فعلا ذلك بك حال صغرك والثاني ان الطائر اذا اراد الطيران نشر جناحيه ورفعهما
ليرتفع واذا ترك الطيران خفض جناحيه فجعل خفض الجناح كناية عن التواضع واللين وقال الزمخشري قال
فان قلت ما معنى جناح الذل قلت فيه وجهان احدهما ان يكون المعنى واخفض لهما جناحك كما قال تعالى واخفض
جناحك للمؤمنين واضافه الى الذل كما اضيف حاتم الى الجود على معنى واخفض لهما جناحك الذليل او الذلول والثاني
ان يجعل الذل له او للذل له جناحا خفيضا كما جعل لبيد للشمال يدا وللقرة زماما في قوله •
• وغداة ريح قد كشفت وقرة • اذا اصبحت بيد الشمال زمامها •
مبالغة في التذلل والتواضع لهما انتهى يعني انه عبر عن اللين بالذل ثم استعار له جناحا ثم رشح هذه الاستعارة
بان امره بخفض الجناح ومن ظريف ما يحكى ان ابا تمام لما نظم قوله • لا تسقني ماء الملام فانني • صب قد استعذبت ماء بكائي
جاءه رجل بقصعة وقال له اعطني شيئا من ماء الملام فقال له حتى تاتيني بريشة من جناح الذل يريد ان هذا مجاز
استعارة كذلك وقال بعضهم • اراشوا جناحي ثم بلوه بالندى • فلم استطع من ارضهم طيرانا •
وقرا العامة الذل بضم الذال وابن عباس في آخرين بكسرها وهي استعارة لان الذل بالضم ضد العز **قوله تعالى**
من الرحمة فيه اربعة اوجه احدها انها للتعليل فتتعلق باخفض اي اخفض من اجل الرحمة والثاني انها لبيان الجنس
قال ابن عطية اي ان هذا الخفض يكون من الرحمة المستكنة في النفس الثالث ان يكون في محل نصب على الحال من جناح
الرابع انها لابتداء الغاية **قوله تعالى** كما ربياني صغيرا في هذه الكاف وجهان احدهما انها نعت لمصدر محذوف
فقدره الحوفي ارحمهما رحمة مثل تربيتهما اياي وقدره ابو البقاء رحمة مثل رحمتهما كانه جعل التربية رحمة والثاني
انها للتعليل اي ارحمهما لاجل تربيتهما واذكروه كما هداكم **فصل** قال القرطبي امر الله تعالى عباده
بعبادته وتوحيده وجعل بر الوالدين مقرونا بذلك كما قرن شكرهما بشكره فقال تعالى ان اشكر لي ولوالديك

ومن البر اليهما ان يحسن ولا يسيء اليهما ولا يعقهما فكان ذلك من الكبائر ولا الجا لفهما في اغراضهما الجايزة لهما
والاحاديث الدالة على الامر ببر الوالدين كثيرة قال القرطبي ولا يختص بر الوالدين بان يكونا مسلمين بل ان كانا
كافرين يبرهما ويحسن اليهما قال القفال رحمه الله انه لم يقتصر في تعليم البر بالوالدين على تعليم الافعال بل اضاف
اليه تعليم الاقوال وهو ان يدعو لهما بالرحمة فيقول رب ارحمهما ولفظة الرحمة جامعة لكل الخيرات في الدين والدنيا
ثم يقول كما ربياني صغيرا يعني رب افعل بهما هذا النوع من الاحسان كما احسنا الي في تربيتهما والتربية هي التنمية
من قولهم ربا الشي اذا انتفخ قال تعالى اذا انزلنا عليها الماء اهتزت وربت واختلف المفسرون في هذه الاية فقال ابن عباس
انها منسوخة بقوله تعالى ما كان للنبي والذين امنوا ان يستغفروا للمشركين فلا ينبغي للمسلم ان يستغفر لوالديه
اذا كانا مشركين ولا يقول رب ارحمهما وقيل انها مخصوصة بالمسلمين غير منسوخة وهذا اولى من القول الاول لان
التخصيص اولى من النسخ وقيل لا نسخ ولا تخصيص لان الوالدين اذا كانا كافرين فله ان يدعو الله لهما بالهداية والارشاد
وان يطلب الرحمة لهما بعد حصول الايمان **فصل** قوله تعالى وقل رب ارحمهما امر وظاهر الامر لا يفيد
التكرار فيكفي في العمل بمقتضى هذه الاية ذكر هذا القول مرة واحدة مثل سفيان كم يدعو الانسان لوالديه في اليوم
مرة او في الشهر او في السنة فقال ارجو ان يجزيه اذا دعا لهما في اواخر التشهدات كما قال تعالى يا ايها الذين امنوا
صلوا عليه وسلموا تسليما وكانوا يرون ان التشهد يجزي من الصلوات على النبي صلى الله عليه وسلم وكقوله تعالى واذكروا
الله في ايام معدودات فهم يكبرون في ادبار الصلوات ثم قال تعالى ربكم اعلم بما في نفوسكم من بر الوالدين وعقوقهما
ان تكونوا صالحين اي اذا امرناكم في هذه الاية باخلاص العبادة لله والاحسان بالوالدين ولا يخفى على الله ما تضمرونه
في انفسكم من الاخلاص وعدم الاخلاص فالله تعالى مطلع على ما في نفوسكم ان تكونوا صالحين اي ان كنتم برءاء من جهة
الفساد في احوال قلوبكم وكنتم اوابين اي رجاعين الى الله فان حكم الله في الاوابين انه غفور لهم يكفر عنهم سيئاتهم والاواب
على وزن فعال وهو يفيد المداومة والكثرة كقولهم قتال وضراب قال سعيد بن المسيب الاواب الذي يذنب ثم يتوب
وقال سعيد بن جبير هو الرجاع الى الخير وقال ابن عباس هو الرجاع الى الله فيما يحزبه وعنه ايضا قال هم المسبحون
لقوله تعالى يا جبال اوبي معه وقال قتادة المصلون وقيل هو الرجل يكون منه المبادرة الى ابويه لا يريد بذلك
الخير فانه لا يؤاخذ به وقال عون العقيلي هم الذين يصلون الضحى فقال هي صلاة الاوابين وروي عن ابن عباس
انه قال ان الملائكة لتحف بالذين يصلون بين المغرب والعشاء وهي صلاة الاوابين **قوله تعالى** وآت
ذا القربى حقه الاية قيل هذا الخطاب للرسول عليه الصلاة والسلام بان يوتي اقاربه الحقوق التي وجبت لهم
في الفيء والغنيمة واخراج حق المساكين وابناء السبيل في هذين المالين وقال الاكثرون انه عام لانه عطف على قوله
وقضى ربك الا تعبدوا الا اياه والمعنى انك بعد فراغك من بر الوالدين يجب عليك ان تشتغل ببر سائر الاقارب
الاقرب فالاقرب ثم باصلاح احوال المساكين وابناء السبيل واعلم ان قوله تعالى وآت ذا القربى حقه مجمل
ليس فيه بيان ان ذلك الحق ما هو وذهب الشافعي انه لا يجب الانفاق الا على الولد والوالدين وقال قوم يجب الانفاق
على المحارم بقدر الحاجة واتفقوا على من لم يكن من المحارم كابناء العم فلا حق لهم الا المودة والمؤالفة في السراء
والضراء واما المسكين وابن السبيل فتقدم وصفهما في سورة التوبة في اية الزكوة **قوله تعالى** ولا تبذر
تبذيرا والتبذير التفريق ومنه البذر لانه يفرق في الارض للزراعة قال الشاعر •

ترائب يستضيء الحلي فيها • كجمر النار بذر بالظلام •

ثم غلب في الاسراف في النفقة قال مجاهد لو انفق الانسان ماله كله في الحق ما كان تبذيرا وسئل ابن مسعود
عن التبذير فقال انفاق المال في غير حقه وانشد بعضهم • ذهاب المال في حمد واجر •
ذهاب لا يقال له ذهاب • وقال عمر بن الاسود كنت اطوف مع مجاهد حول الكعبة فرفع راسه الى ابي قبيس
وقال لو ان رجلا انفق مثل هذا في طاعة الله لم يكن من المسرفين ولو انفق درهما واحدا في معصية الله كان من المسرفين
وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بسعد وهو يتوضأ فقال ما هذا السرف يا سعد
قال افي الوضوء سرف قال نعم وان كنت على نهر جار ثم نبه تعالى على قبح التبذير باضافته اياه الى افعال الشياطين
فقال تعالى ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين والمراد من هذه الاخوة التشبه بهم في هذا الفعل القبيح لان العرب
يسمون الملازم للشيء اخا له فيقولون فلان اخو الكرم والجود واخو السفر اذا كان مواظبا على هذه الافعال
وقيل قوله اخوان الشياطين اي قرناؤهم في الدنيا والاخرة كقوله تعالى ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له
شيطانا فهو له قرين وقال تعالى احشروا الذين ظلموا وازواجهم اي قرناءهم من الشياطين ثم قال تعالى

وكان الشيطان لربه كفورا اي جحودا للنعمة لانه يستعمل بدنه في المعاصي والافساد في الارض والاضلال للناس
وكذلك من رزقه الله مالا او جاها فصرفه الى غير مرضاة الله كان كفورا لنعمة الله لانه موافق للشيطان في الصفة والفعل
ثم ان الشيطان كفور لربه فكذلك المبذر ايضا كفور لربه قال بعض العلماء خرجت هذه الاية على وفق عادة العرب
لانهم كانوا يجمعون الاموال بالنهب والغارة ثم ينفقونها في طلب الخيلاء والتفاخر وكان المشركون من قريش وغيرهم
ينفقون اموالهم ليصدوا عن سبيل الله الاسلام وتوهين اهله واعانة اعدائه فنزلت هذه الاية تنبيها على قبح اعمالهم
قوله تعالى واما تعرضن عنهم ابتغاء رحمة من ربك ترجوها نزلت في مهجع وبلال وصهيب وسالم وخباب
وكانوا يسالون النبي صلى الله عليه وسلم في الاحايين ويحتاجون اليه ولا يجد ما يعطيهم فيعرض عنهم حياء منهم ويمسك عن القول
فنزلت واما تعرضن عنهم اي وان اعرضت عن هولاء الذين امرتك ان تؤتيهم ابتغاء رحمة ربك ترجوها انتظار رزق
من الله ترجوه ان ياتيك فقل لهم قولا ميسورا لينا وهي العدة اي عدهم وعدا جميلا **قوله تعالى** ابتغاء رحمة
يجوز ان يكون مفعولا من اجله ناصبه تعرض وهو من وضع المسبب موضع السبب لان الاصل واما تعرض عنهم
لاعسارك وجعله الزمخشري منصوبا بجواب الشرط اي فقل لهم قولا سهلا ابتغاء رحمة ورد عليه ابو حيان بان ما
بعد الفاء لا يعمل فيما قبلها نحو ان يقم زيد عمرا فاضرب فان حذفت الفاء جاز عند سيبويه والكسائي نحو ان يقم زيد
عمرا يضرب فان كان الاسم مرفوعا نحو ان يقم زيد عمرو يقم جاز ذلك عند سيبويه على انه مرفوع بفعل مقدر يفسره الظاهر بعده
اي ان يقم زيد يقم عمرو ومنع من ذلك الفراء وفي الرد نظر لانه ثبت ذلك لقوله تعالى فاما اليتيم فلا تقهر
الاية لان اليتيم وما بعده منصوبان بما بعد فاء الجواب وقيل انه في موضع الحال من فاعل تعرض **قوله تعالى**
من ربك يجوز ان تكون صفة لرحمة وان تكون متعلقا بترجوها اي ترجوها من جهة ربك على المجاز وقوله تعالى ترجوها
يجوز ان يكون حالا من فاعل تعرض وان يكون صفة لرحمة **قوله تعالى** ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك
الاية لما امر بالانفاق في الاية المتقدمة علمه في هذه الاية ادب الانفاق واعلم انه تعالى وصف عباد المؤمنين
في انفاقهم في سورة الفرقان والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما فهاهنا امر رسوله بمثل ذلك
الوصف فقال تعالى ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك اي لا تمسك من الانفاق بحيث تضيق على نفسك واهلك في
وجوه صلة الرحم اي لا تجعل يدك في انقباضها كالمغلولة الممنوعة من الانبساط ولا تبسطها كل البسط اي ولا
تتوسع في الانفاق توسعا بحيث لا يبقى في يدك شيء والحكماء ذكروا في كتب الاخلاق ان لكل خلق طرفي افراط
وتفريط وهما مذمومان والخلق الفاضل هو العدل والوسط فالبخل افراط في الامساك والتبذير افراط
في الانفاق وهما مذمومان والمعتدل الوسط وروى جابر قال اتى صبي فقال يا رسول الله ان امي تستكسيك درعا
ولم يكن لرسول الله الا قميصه فقال للصبي من ساعة الى ساعة يظهر فعد وقتا اخر فعاد الى امه فقالت قل له ان امي
تستكسيك الدرع الذي عليك فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم داره ونزع قميصه واعطاه وقعد عريانا
فاذن بلال بالصلاة فانتظروه فلم يخرج فشغل قلوب اصحابه فدخل عليه بعضهم فرآه عريانا فانزل الله تعالى
ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك يعني لا تمسك يدك عن النفقة في الحق كالمغلولة يده ولا يقدر على مدها
ولا تبسطها بالعطا كل البسط فتعطي جميع ما عندك وكل البسط نصب على المصدر لاضافتها اليه فتقعد نصب
في جواب النهي وتقدم الكلام عليه وملوما اما حال واما خبر كما تقدم ومعنى كونه ملوما انه يلوم نفسه واصحابه
ايضا يلومونه على تضييع المال وابقاء الاهل في الضر والمحنة او يلومونه بانه لا يعطي السائل اذا سالوه ولم يعطهم واما
كونه محسورا فقال اهل اللغة العرب تقول للبعير محسور اذا انقطع سيره وحسرت الدابة اذا سيرتها حتى ينقطع سيرها
ومنه قوله تعالى ينقلب اليك البصر خاسئا وهو حسير وقال قتادة محسورا نادما على ما فرط منك وجمع الحسير
على حسرى مثل قتلى قال الشاعر • بها جيف الحسرى فاما عظامها • فبيض واما جلدها فصليب •
وحسر عن كذا كشف عنه كقوله • يحسر الماء تارة • والمحسور المنقطع السير ومنه حسرت الدابة قطعت سيرها
اي كالنعمان بمعنى محسور قال القفال شبه حال من انفق كل ماله بمن انقطع في سفره بسبب انقطاع مطيته لان
ذلك المقدار من المال كان مطية تحمل الانسان الى اخر السفر كما ان ذلك البعير يحمله الى اخر منزله فاذا انقطع
ذلك البعير بقي في وسط الطريق عاجزا متحيرا وكذلك اذا انفق الانسان مقدار ما يحتاج اليه في مدة شهر بقي
في وسط الطريق ذلك الشهر عاجزا متحيرا ومن فعل هذا لحقه اللوم من اهله والمحتاجين الى انفاقه عليهم بسبب
سوء تدبيره وترك الحزم في مهمات معاشه ثم قال تعالى ان ربك يبسط الرزق ولو بسط الله الرزق لعباده
لبغوا في الارض ولكن ينزل بقدر ما يشاء انه بعباده خبير بصير والقدر في اللغة التضييق قال تعالى

ومن قدر عليه رزقه واما اذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه اي ضيق **قوله تعالى** ولا تقتلوا اولادكم خشية املاق الآية في تقرير النظم وجوه الاول انه تعالى لما بين في الآية الاولى انه المتكفل بارزاق العباد حيث قال ان ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر قال ولا تقتلوا اولادكم خشية املاق نحن نرزقهم واياكم الثاني انه تعالى لما علمكم كيفية البر بالوالدين في الآية المتقدمة علم في هذه الآية كيفية البر بالاولاد ولهذا قيل ان الابرار انما سموا ابرارا لانهم بروا الآباء والابناء فوجب بر الآباء مكافاة على ما صدر منهم من انواع البر ووجب بر الاولاد لانهم في غاية الضعف ولا كافل لهم غير الوالدين الثالث ان امتناع الاولاد من بر الآباء يوجب خراب العالم وامتناع الآباء من البر للابناء ايضا كذلك الرابع ان قتل الاولاد ان كان لخوف الفقر فهو سوء الظن بالله وان كان لاجل الغيرة على البنات فهو سعي في تخريب العالم فالاول ضد التعظيم لامر الله والثاني ضد الشفقة على خلق الله وكلاهما مذموم الخامس ان قرابة الاولاد قرابة الجزئية وهي اعظم الموجبات للمحبة فلو لم تحصل المحبة دل ذلك على غلظ شديد في الروح وقسوة في القلب وذلك من اعظم الاخلاق الذميمة فرغب الله في الاحسان الى الاولاد وازالة لهذه الخصلة الذميمة **فصل** قرا العامة تقتلوا بالتخفيف وقرا ابن وثاب والاعمش تقتلوا بالتشديد وخشية بكسر الخاء قال المفسرون ان العرب كانوا يقتلون البنات لعجز البنات عن الكسب وقدرة البنين عليه بسبب اقدامهم على النهب والغارة وايضا كانوا يخافون ان ينفر الاكفاء عنها وعن الرغبة فيها فيحتاجون الى نكاحها من غير الاكفاء وفي ذلك عار شديد واعلم ان قوله تعالى ولا تقتلوا اولادكم عام في الذكور والاناث اي ان الموجب للشفقة والرحمة كونه ولدا وهذا الوصف يشترك فيه الذكور والاناث فاما ما يخاف من الفقر في البنات فقد يخاف ايضا في العاجز من البنين قال تعالى نحن نرزقهم واياكم اي ان الارزاق بيد الله فكما يفتح ابواب الرزق على الرجال فكذلك يفتح ابواب الرزق على النساء **قوله تعالى** ان قتلهم كان خطئا كبيرا قرا ابن ذكوان وابن عامر وابو جعفر خطأ بفتح الخاء والطاء من غير مد وابن كثير بكسر الخاء والمد وبالهمز مع فتح الطاء والباقون بكسر الخاء وسكون الطاء فاما قراءة ابن ذكوان فخرجها الزجاج على وجهين احدهما ان يكون اسم مصدر من اخطا يخطئ خطأ اي اخطأ اذا لم يصب والثاني ان تكون خطئ يخطأ خطأ اذا لم يصب ايضا وانشد

والناس يلحون الامير اذا هم * خطئوا الصواب ولا يلام المرشد *

والمعنى على هذين الوجهين ان قتلهم كان غير صواب واستبعد قوم هذه القراءة قالوا لان الخطأ ما لم يتعمد فلا يصح معناه وخفي عليهم انه يكون بمعنى اخطأ او انه يقال خطئ اذا لم يصب واما قراءة ابن كثير فهو مصدر خاطأ يخاطئ خطاء مثل قاتل يقاتل قتالا قال ابو علي هي مصدر خاطئ يخاطئ وان كنا لم نجده ولكن وجدنا تخاطأ وهو مطاوع خاطأ فدلنا عليه ومنه قول الشاعر * تخاطأت النبل احشاه * واخر يومي فلا يعجل *
وقال الاخر * تخاطأه القناص حتى وجدته * وخرطومه في منقع الماء راسب *
فكان هؤلاء الذين يقتلون اولادهم يخاطئون العدل والحق وقد طعن قوم على هذه القراءة حتى قال ابو جعفر لا اعرف لهذه القراءة وجها ولذلك جعلها ابو حاتم غلطا قال الشهاب الدين قد عرف غيرهما ولله الحمد واما قراءة الباقين فواضحة لانها من قولهم خطئ يخطأ خطأ كاثم ياثم اثما اذا تعمد الكذب وقرا الحسن خطاء بفتح الخاء والمد وهو اسم مصدر من اخطا كالعطاء اسم للاعطاء وقرا ايضا خطا واصله خطأ كقراءة ابن ذكوان الا انه سهل الهمزة بابدالها الفا فحذفت خطا واصله خطئا كعصي وابو رجا والزهري كذلك الا انهما كسرا الخاء كزنا وكلاهما من خطئ في الدين واخطا في الراي وقد يقام كل واحد منهما مقام الاخر وقال ابن عامر في رواية خطأ بالفتح والسكون وهو مصدر خطئ بالكسر قال المفسرون معنى الكل واحد اي اثما كبيرا **قوله تعالى** ولا تقربوا الزنا لما امر بالاشياء الخمسة المتقدم ذكرها وحاصلها يرجع الى شيئين التعظيم لامر الله والشفقة على خلق الله اتبعها بالنهي عن اشياء اخر اولها انه تعالى نهى عن الزنا والعامة على قصره وهي اللغة الفاشية وقرئ بالمد وفيه وجهان احدهما انه لغة في المقصور والثاني انه مصدر زاني يزاني كقاتل يقاتل قتالا لانه يكون من اثنين وعلى المد قول الفرزدق * ابا حاضر من يزن يعرف زناؤه * ومن يشرب الخرطوم يصبح مسكرا *
وقول الاخر * كانت فريضة ما نقول كما * كان الزنا فريضة الرجم * وليس ذلك من باب الضرورة لثبوته قراءة في الجملة وقوله وساء سبيلا لانه ليس بمضمر لاسم الجنس **فصل** قال القفال اذا قيل للانسان لا تقرب واعلم ان الزنا اشتمل على انواع من المفاسد اولها اختلاط الانساب واشتباهها فلا يعرف الانسان ان الولد الذي اتت به الزانية منه او من غيره فلا يقوم بتربيته وذلك يوجب ضياع الاولاد

وانقطاع

وانقطاع النسل وخراب العالم وثانيها انه اذا لم يوجد سبب شرعي يوجب اختصاص هذا الرجل بهذه المراة لم يبق الا التواثب والتقابل وقد يحصل وقوع القتال الذريع بسبب الزنا بالمراة الواحدة وثالثها ان المراة اذا زنت وعرفت عليه يستقذرها كل ذي عقل سليم وحينئذ لا تحصل الالفة والمحبة ولا يتم السكن والازدواج وينفر طباع اكثر الخلق عن مقاربتها ورابعها انه اذا انفتح باب الزنا لا يبقى لرجل اختصاص بامراة بل كل رجل يمكنه التوثب على اي امراة اراد وحينئذ لا يبقى بين نوع الانسان وسائر البهائم فرق في هذا الباب وخامسها انه ليس المقصود من المراة مجرد قضاء الشهوة بل ان تكون شريكة للرجل في ترتيب المنزل واعداد مهماته من المطعوم والمشروب والملبوس وحفظ البيت والقيام بامور الاولاد والخدم وهذه المهمات لا تتم الا اذا كانت المراة مقصورة الهمة على هذا الرجل الواحد منقطعة الطمع عن سائر الرجال وذلك لا يحصل الا بتحريمه وجوه الاول ان اعظم انواع الشتم عند الناس ذكر الفاظ الوقاع ولولا ان الوطء يوجب الذل والا لما كان الامر كذلك الثاني ان جميع العقلاء يستنكفون من ذكر ازواج بناتهم واخواتهم وامهاتهم ولولا ان الوطء ذل والا لما كان كذلك الثالث ان جميع العقلاء لا يقدمون على الوطء الا مختفين في الاوقات التي لا يطلع عليهم احد ولولا انه موجب للذل والا لما كان الامر كذلك فلما كان الوطء ذلا كان السعي في تقليله موافقا للعقول فاقتصار المراة الواحدة على الرجل الواحد سعي في تقليل ذلك العمل وما فيه من الذل يجبر بالمنافع الحاصلة واما الزنا فانه فتح لباب العمل القبيح ولا يجبر بشيء من المنافع فيبقى على اصل المنع واذا ثبت ذلك فنقول انه تعالى وصف الزنا بصفات ثلاثة كونه فاحشة ومقتا في آية اخرى وساء سبيلا اما كونه فاحشة فلاشتماله على الامور المذكورة واما المقت فلان الزانية تصير ممقوتة مكروهة لما ذكرنا واما كونه ساء سبيلا فهو ما ذكرنا من انه لا يبقى فرق بين الانسان وبين البهائم في عدم اختصاص الذكران بالاناث وبقاء الذل والعيب والعار على المراة من غير ان يجبر بشيء من المنافع **قوله تعالى** ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق الآية فقوله تعالى الا بالحق اي الا بسبب الحق فيتعلق بلا تقتلوا ويجوز ان يكون حالا من فاعل لا تقتلوا او من مفعوله اي لا تقتلوا الا   بالحق والا   بالحق ويجوز ان يكون نعتا لمصدر محذوف اي الا قتلا ملتبسا بالحق فان قيل والحق المبيح للقتل هو قوله عليه السلام لا يحل دم امرئ مسلم الا باحدى ثلاث رجل كفر بالله من بعد ايمانه او زنى بعد احصانه او قتل نفسا بغير نفس فالجواب ان اكبر الكبائر بعد الكفر بالله تعالى هو القتل فما السبب في انه تعالى بدا بالنهي عن الزنا ثم نهى بعده عن القتل فالجواب انا بينا ان فتح باب الزنا يمنع دخول الانسان في الوجود والقتل يدل على اعدامه ودخوله في الوجود مقدم على اعدامه بعد وجوده فلهذا ذكر الزنا اولا ثم بعده ذكر القتل واعلم ان الاصل في القتل هو التحريم والحل انما ثبت بسبب عارض فلذلك نهى عن القتل بناء على حكم الاصل ثم استثنى منه الحالة التي يباح فيها القتل وهو عند حصول الاسباب العرضية فقال الا بالحق ويدل على ان الاصل في القتل التحريم وجوه احدها ان القتل ضرر والاصل في المضار الحرمة قال عليه الصلاة والسلام لا ضرر ولا ضرار وثانيها قوله عليه السلام الآدمي بنيان الرب ملعون من هدم بنيان الرب وثالثها ان الآدمي خلق للعبادة لقوله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون والعبادة لا تتم الا بعدم القتل ورابعها ان القتل افساد فحرم لقوله تعالى ولا تفسدوا وخامسها اذا تعارض دليل تحريم القتل ودليل اباحته فالاجماع على ان جانب الحرمة راجح ولولا ان مقتضى الاصل هو التحريم والا لكان ذلك ترجيحا لا لمرجح وهو محال واذا علم ان الاصل في القتل هو التحريم فقوله ولا تقتلوا نهي وتحريم وقوله حرم الله اعادة لذكر التحريم على سبيل التاكيد ثم استثنى عنه الاسباب العرضية فقال الا بالحق وها هنا طريقان الطريق الاول ان قوله الا بالحق مجمل ليس فيه بيان ان ذلك الحق ما هو ثم قال تعالى ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا اي في حق استيفاء القصاص من القاتل وهذا الكلام يصلح جعله بيانا لذلك المجمل كانه قال ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق وذلك الحق هو انه من قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه استيفاء القصاص فوجب ان يكون الحق محصورا في هذه الصورة فقط فتكون الآية نصا صريحا في تحريم القتل الا بهذا السبب الواحد الطريق الثاني ان يقول دلت السنة ان ذلك الحق هو احد الامور الثلاثة المنقولة في الخبر واعلم ان الخبر من باب الآحاد فان قلنا ان قوله ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا كان بيانا لذلك الحق كانت الآية صريحة في انه لا يحل القتل الا بهذا السبب الواحد وحينئذ يصير الخبر مخصصا للآية ويصير فرعا لقولنا بصحة تخصيص عموم القرآن بخبر الواحد فان قلنا بان قوله ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا ليس بيانا لذلك الحق فحينئذ يصير الخبر مفسرا للحق المذكور في الآية وعلى هذا لا يصير فرعا على جواز تخصيص عموم القرآن بخبر الواحد وهو تنبيه حسن **فصل** ظاهر الآية يقتضي انه لا سبب لحل القتل الا قتل المظلوم وظاهر الخبر يقتضي ضم شيئين آخرين اليه وهو الكفر بعد الايمان

والزنا بعد الاحصان ودلت آية اخرى على حصول سبب رابع وهو قوله تعالى انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله
ويسعون في الارض فسادا ان يقتلوا او يصلبوا او تقطع ايديهم وارجلهم من خلاف ودلت آية اخرى على سبب خامس
وهو الكفر الاصلي قال الله تعالى فاقتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر وقال اقتلوهم حيث وجدتموهم
واختلف الفقهاء في اشياء اخرى منها تارك الصلاة عند ابي حنيفة لا يقتل وعند الشافعي واحمد يقتل وثانيها اللائط
فعند الشافعي يقتل وعند بعضهم لا يقتل وثالثها الساحر اذا قال قتلت بسحري فلانا فعند ابي حنيفة لا يقتل
وعند بعضهم يقتل ورابعها القتل بالمثقل عند الشافعي يوجب القصاص وعند ابي حنيفة لا يوجب وخامسها
الامتناع من اداء الزكوة اختلفوا فيه في زمن ابي بكر رضي الله عنه وسادسها اتيان البهيمة اوجب فيه بعضهم القتل
ولم يوجبه الباقون وحجة القائلين بعدم وجوب القتل في هذه الصور هو ان هذه الآية صريحة في تحريم القتل
على الاطلاق الا بسبب واحد هو قتل المظلوم ففيما عداه يجب البقاء على اصل التحريم وايضا فالخبر المذكور
يوجب حصر اسباب الحل في تلك الثلاثة ففيما عداها يجب البقاء على اصل الحرمة الدم على الاطلاق فترك العمل
بهذه الدلائل لا يكون الا لمعارض وذلك المعارض اما ان يكون نصا متواترا او نصا من باب الاحاد او قياسا
والنص المتواتر مفقود والا لما بقي الخلاف واما النص من باب الاحاد فهو مرجوح بالنسبة الى هذه النصوص
الكثيرة لان الظن المستفاد من النصوص الكثيرة اعظم من الظن المستفاد من خبر واحد واما القياس فلا يعارض
النص فثبت بهذا الاصل القوي ان الاصل في الدماء الحرمة الا في الصور المعدودة **فصل**
قوله تعالى ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا فيه بحثان البحث الاول ان هذه الآية تدل على انه
ثبت لولي الدم سلطانا فاما بيان ان هذه السلطنة فيماذا فليس في قوله فقد جعلنا لوليه سلطانا دلالة عليه
ثم ههنا طريقان الاول ان قوله تعالى بعده فلا يسرف في القتل انه كان منصورا يدل على ان تلك السلطنة
هي في استيفاء القتل وهذا ضعيف لاحتمال ان يكون المراد ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا فلا ينبغي
ان يسرف ذلك القاتل الظالم في ذلك القتل لان ذلك المقتول منصور لثبوت السلطنة لوليه والطريق الثاني ان
تلك السلطنة مجملة ثم فسرت بالآية والخبر اما الآية فقوله تعالى يا ايها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص الى قوله
فمن عفي له من اخيه شيء فاتباع بالمعروف واداء اليه باحسان وقد بينا انها تدل على ان الواجب تخيير الولي بين القصاص
والدية واما الخبر فقوله عليه السلام يوم الفتح من قتل له قتيل فهو بخير النظرين اما ان يقتل واما ان يفدي
فعلى هذا معنى قوله فلا يسرف في القتل انه لما جعلت له سلطنة استيفاء القصاص وسلطنة استيفاء الدية ان شاء
قتل وان شاء اخذ الدية قال بعده فلا يسرف في القتل اي الاولى ان لا يقتص ويكتفي باخذ الدية او يعفو كقوله تعالى
وان تعفوا اقرب للتقوى والبحث الثاني ذكر كونه مظلوما بصيغة التنكير والتنكير يدل على الكمال فما لم يكن المقتول
كاملا في وصف المظلوم لم يدخل تحت هذا النص فالمسلم اذا قتل الذمي لم يدخل تحت هذه الآية لان الذمي مشرك
والمشرك يحل دمه ويدل على ان الذمي مشرك قوله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء
حكم بان ما سوى الشرك يغفر في حق البعض ولو كان كفر اليهودي والنصراني مغايرا للشرك وجب ان يغفر في حق
بعض الناس بهذه الآية فلما لم يغفر في حق احد دل على ان كفرهم شرك ولانه تعالى قال لقد كفر الذين قالوا ان الله
ثالث ثلاثة فهذا التثليث الذي قال به هؤلاء اما ان يكون تثليثا في الصفات وهو باطل لان ذلك هو الحق
وهو مذهب اهل السنة والجماعة فلا يمكن جعله سببا للكفر واما ان يكون تثليثا في الذوات وذلك هو الشرك
فثبت ان الذمي مشرك والمشرك يجب قتله لقوله تعالى اقتلوا المشركين فاقتضى هذا الدليل اباحة دم الذمي فان
لم تثبت الاباحة فلا اقل من حصول شبهة الاباحة واذا ثبت هذا ثبت انه ليس كاملا في المظلومية فلم يندرج تحت قوله
تعالى ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا والخاص مقدم على العام واما الحر اذا قتل عبدا فيدخل
تحت هذه الآية لانا بينا ان قوله تعالى كتب عليكم القصاص في القتلى الحر بالحر والعبد بالعبد يدل على انه
لا يقتل الحر بالعبد وتلك الآية اخص من قوله تعالى ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا والخاص مقدم
على العام فثبت ان هذه الآية لا يجوز التمسك بها في مسئلة ان موجب العمد هو القصاص ولا في وجوب قتل المسلم
بالذمي ولا في وجوب قتل الحر بالعبد **فصل** في معنى الاسراف وجوه الاول ان يقتل القاتل
وغير القاتل وذلك ان اولياء المقتول كانوا اذا قتل واحد من قبيلة شريفة قتلوا خلقا من القبيلة الدنية
فنهى الله عنه وحكم بقتل القاتل وحده والثاني ان الاسراف هو ان لا يرضى بقتل القاتل فان الجاهلية كانوا
يقصدون اشراف القبائل ثم يقتلون منهم قوما معينين ويتركون القاتل والثالث الاسراف هو ان لا يكتفي بقتل

القاتل

القاتل بل يمثله ثم يقتله ويقطع اعضاءه قال القفال رحمه الله ولا يبعد حمله على الكل لان جملة هذه المعاني
مشتركة في كونها اسرافا **فصل** قرا حمزة والكسائي تسرف بالخطاب وهي تحتمل وجهين احدهما الخطاب
للولي ان لا يقتل الجماعة بالواحد او السلطان رجع بمخاطبته بعد ان ابتدأ عاما والثاني ان يكون الخطاب للمبتدي
القاتل ظلما اي لا تسرف ايها الانسان لان اقدامه على ذلك القتل ظلم محض وهو اسراف والباقون بالغيبة وهي تحتمل
ما تقدم في قراءة الخطاب وقرا ابو مسلم برفع الفعل على انه خبر في معنى نهي كقوله تعالى فلا رفث ولا فسوق وقيل
في بمعنى الباء اي بسبب القتل **قوله تعالى** انه كان منصورا قال مجاهد انها راجعة الى المقتول في قوله تعالى ومن قتل
مظلوما اي ان المقتول منصور في الدنيا بايجاب القود على قاتله وفي الآخرة بتكفير خطاياه وايجاب النار
لقاتله وقال قتادة انها راجعة الى ولي المقتول او السلطان اي انه منصور على القاتل باستيفاء القصاص او الدية
فليكتف بهذا القدر ولا يطمع في الزيادة وقيل انها راجعة الى القاتل الظالم اي القاتل يكتفي منه باستيفاء القصاص
ولا يطلب منه زيادة لانه منصور من عند الله تعالى في تحريم طلب الزيادة منه اما انه اذا عوقب في الدنيا يصير في الآخرة
وقيل انها راجعة الى الدم وقيل الى الحق روي ان ابن عباس قال قلت لعلي بن ابي طالب رضي الله عنه وايم الله ليظهرن عليكم
ابن ابي سفيان لان الله تعالى يقول ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا فقال الحسن والله ما نصر معوية
على علي الا بقول الله ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا **قوله تعالى** ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي
هي احسن الآية اعلم انه تعالى نهى عن الزنا وقد ذكرنا انه يوجب اختلاط الانساب وذلك يوجب منع تربية الاولاد
وهو يوجب انقطاع النسل وذلك يمنع من دخول الناس في الوجود ثم نهى عن القتل وهو اعدام الناس بعد دخولهم
فالنهي عن الزنا والقتل يرجع حاصله الى النهي عن اتلاف النفوس فلما ذكره اتبعه بالنهي عن اتلاف الاموال لان احق
الاشياء بعد النفوس الاموال واحق الناس بالنهي عن اتلاف اموالهم هو اليتيم لانه لصغره وضعفه وكمال عجزه يعظم
ضرره باتلاف ماله فلهذا خصهم الله تعالى بالنهي عن اتلاف اموالهم فقال ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي هي احسن
نظيره قوله تعالى ولا تاكلوها اسرافا وبدارا ان يكبروا ومن كان غنيا فليستعفف ومن كان فقيرا فلياكل
بالمعروف والمراد بقوله الا بالتي هي احسن الا بالتصرف الذي ينميه ويكثره وروى مجاهد عن ابن عباس قال اذا احتاج
اكل بالمعروف واذا ايسر قضاه فان لم يوسر فلا شيء عليه واعلم ان الولي انما تبقى ولايته على اليتيم الى ان يبلغ اشده
وهو بلوغ النكاح كما بينه الله تعالى في قوله وابتلوا اليتامى حتى اذا بلغوا النكاح فان آنستم منهم رشدا فادفعوا اليهم اموالهم
الآية والمراد بالاشد ههنا بلوغه الى حيث يمكنه بسبب عقله ورشده القيام بمصالح ماله فحينئذ تزول ولاية غيره عنه
فان بلغ غير كامل العقل لم تزل الولاية عنه **قوله تعالى** واوفوا بالعهد الآية اعلم انه تعالى امر بخمسة اشياء
اولا ثم نهى عن ثلاثة اشياء وهي الزنا والقتل واكل مال اليتيم ثم اتبعه بهذه الاوامر الثلاثة فالاول قوله تعالى
واوفوا بالعهد واعلم ان كل عقد يعقد لتوثيق امر وتوكيده فهو عهد كعقد البيع والشركة وعقد اليمين والنذر
وعقد الصلح وعقد النكاح فمقتضى هذه الآية ان كل عقد يجري بين انسانين فانه يجب عليهما الوفاء به
مقتضاه الحكم بصحة كل بيع وقع التراضي عليه وتاكد النص بسائر الآيات الدالة على الوفاء بالعهود والعقود
كقوله تعالى والموفون بعهدهم اذا عاهدوا والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون واحل الله البيع ولا تاكلوا اموالكم
بينكم بالباطل الا ان تكون تجارة عن تراض منكم واشهدوا اذا تبايعتم يا ايها الذين آمنوا اوفوا بالعقود وقوله عليه
السلام لا يحل مال امرئ مسلم الا بطيب نفس منه وقوله اذا اختلف الجنسان فبيعوا كيف شئتم يدا بيد وقوله من اشترى
ما لم يره فله الخيار اذا رآه فجميع هذه الآيات والاخبار دالة على ان الاصل في البياعات والعهود والعقود الصحة
ووجوب الالتزام فاذا وجدنا نصا اخص من هذه النصوص يدل على البطلان والفساد قضينا به تقديما للخاص
على العام والا قضينا بالصحة في الكل واما تخصيص النص بالقياس فباطل وبهذا الطريق تصير ابواب المعاملات
جميعها مضبوطة معلومة بهذه الآية الواحدة ويكون المكلف مطمئن القلب والنفس في العمل لان هذه النصوص
دلت على الصحة وليس بعد بيان الله بيان **قوله تعالى** ان العهد كان مسئولا عن الوفاء بعهده كقوله
فيه وجهان احدهما ان الاصل على حذف مضاف اي ان ذا العهد كان مسئولا عن الوفاء بعهده كقوله تعالى واسئل
القرية والثاني ان الضمير يعود على العهد ونسب السؤال اليه مجازا كقوله تعالى واذا الموؤدة سئلت اي يقال
للعهد من صاحبك لم نقضت وهلا وفي بك تبكيتا للناكث كقوله تعالى أانت قلت للناس اتخذوني وامي الهين
من دون الله الآية فالمخاطبة لعيسى عليه السلام والانكار على غيره وقال السدي كان مسئولا اي مطلوبا يطلب
من المعاهد ان لا يضيعه ويفي به وقيل المراد بوفاء العهد الاتيان بما امر الله به والانتهاء عما نهى الله عنه **قوله تعالى**

وأوفوا الكيل إذا كلتم الآية أمر بإتمام الكيل وترك الوعيد الشديد في نقصانه ويل للمطففين الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون ثم قال تعالى وزنوا بالقسطاس المستقيم وهذا النوع الثالث من الأوامر المذكورة هاهنا فالآية المتقدمة في إتمام الكيل وهذه في إتمام الوزن ونظيره قوله تعالى وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان ولا تبخسوا الناس أشياءهم قرأ الأخوان وحفص بكسر القاف هاهنا وفي سورة الشعراء والباقون بضمها فيهما وهما لغتان مشهورتان وقيل القسطاس في معنى الميزان إلا أنه في العرف أكبر منه فلهذا اشتهر في ألسنة العامة أنه القبان وقيل إنه بلسان الروم أو السرياني والأصح أنه لغة العرب ويسمى أيضا القرسطون صغر أو كبر كل ميزان قال ابن عطية هو عربي مأخوذ من القسط وهو العدل أي زنوا بالعدل المستقيم واللفظ للمبالغة من القسط ورده أبو حيان **فصل** اعلم أن التفاوت الحاصل بنقصان الكيل والوزن قليل والوعيد عليه شديد عظيم فيجب على العاقل الاحتراز منه وإنما عظم الوعيد فيه لأن جميع الناس محتاجون إلى المعاوضات والبيع والشراء فبالغ الشارع في المنع من التطفيف والنقصان لأجل إبقاء الأموال ومنعا من تلطيخ النفس بسرقة ذلك المقدار الحقير ثم قال ذلك خير أي الإيفاء بالتمام والكمال خير من التطفيف بالقليل لأن الإنسان يتخلص بالإيفاء عن ذلك القبيح في الدنيا والعقاب الشديد في الآخرة وأحسن تأويلا منصوب على التمييز والتأويل ما يؤول إليه الأمر كقوله تعالى خير مردا خير أملا خير عقبا وإنما حكم الله تعالى بأن عاقبة هذه الأمور أحسن العواقب لأنه إذا اشتهر في الدنيا بالاحتراز عن التطفيف أحبه الناس ومالت القلوب إليه واستغنى في الزمن القليل وأما في الآخرة فيفوز بالجنة والثواب العظيم والخلاص من العقاب الأليم **قوله تعالى** ولا تقف ما ليس لك به علم الآية لما شرح الأوامر الثلاثة عاد بعده إلى ذكر النواهي فنهى عن ثلاثة أشياء أولها ولا تقف ما ليس لك به علم العامة على هذه القراءة أي لا تتبع من قفاه يقفوه إذا تبع أثره قال النابغة

• ومثل الدمى شم العرانين ساكن • بهن الحياء لا يشعن التقافيا •

وقال الكميت

• فلا أرمي البريء بغير ذنب • ولا أقفو الحواصن إن قفينا •

وقرأ زيد بن علي ولا تقفوا بإثبات الواو وقد تقدم في قراءة قنبل قوله تعالى إنه من يتقي ويصبر أن إثبات حرف العلة جزما لغة قوم وضرورة عند غيرهم كقوله • من هجو زبان لم تهجو ولم تدع • وقرأ معاذ القارئ ولا تقف بزنة تقل من قاف يقوف أي تتبع أيضا وفيه قولان أحدهما أنه مقلوب من قفا يقفو والثاني وهو الأظهر أنه لغة مستقلة وحذف لكثرة الاستعمال ومثله قفا الفحل الناقة وقاعها والباء في به متعلقة بما تعلق به لك ولا يتعلق بعلم لأنه مصدر إلا عند من يتوسع في الجار **فصل** في لا تقف يقال قفوت أثره وقفيت أقفو إذا اتبعت أثره وسميت قافية الشعر لأن البيت يقفو البيت وسميت القبيلة المشهورة بالقافة لأنهم يتبعون آثار أقدام الناس ويستدلون بها على أحوال الناس وقال تعالى ثم قفينا على آثارهم برسلنا وهي القفا لأنه مؤخر بدن الإنسان كأنه شيء يتبعه ويقفوه فقوله ولا تقف أي لا تتبع ما لا علم لك به من قول أو فعل فهو نهي عن الحكم بما لا يكون معلوما وهذه قضية كلية يندرج تحتها أنواع كثيرة وكل واحد من المفسرين حمله على واحد من تلك الأنواع فقيل المراد نهي المشركين عن اعتقاداتهم وتقليدهم أسلافهم لأنه تعالى نسبهم في تلك العقائد إلى اتباع الهوى فقال إن هي إلا أسماء سميتموها وقال في إنكارهم البعث بل ادارك علمهم في الآخرة بل هم في شك منها بل هم منها عمون وحكي عنهم أنهم قالوا إن نظن إلا ظنا وما نحن بمستيقنين وقال ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله وقال ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام وقال هل عندكم من علم فتخرجوه لنا إن تتبعون إلا الظن وقال محمد بن الحنفية المراد منه شهادة الزور وقال ابن عباس لا تشهد إلا بما رأته عيناك وسمعته أذناك ووعاه قلبك وقيل المراد النهي عن القذف وقيل المراد النهي عن الكذب قال قتادة لا تقل سمعت ولم تسمع ولا رأيت ولم تر وعلمت ولم تعلم وقيل القفو هو البهت وأصله من القفا كأنه يقال خلفه وهو في معنى الغيبة واللفظ عام يتناول الكل فلا معنى للتقييد **فصل** احتج نفاة القياس بهذه الآية قالوا القياس لا يفيد إلا الظن والظن مغاير للعلم فالحكم في دين الله بالقياس حكم بغير العلم فوجب أن لا يجوز لقوله تعالى ولا تقف ما ليس لك به علم وأجيب عنه بوجوه الأول أن الحكم في الدين بمجرد الظن جائز بإجماع الأمة في صور كثيرة منها العمل بالفتوى عمل بالظن ومنها العمل بالشهادة عمل بالظن ومنها الاجتهاد في القبلة عمل بالظن ومنها قيم المتلفات وأروش الجنايات عمل بالظن ومنها الفصد والحجامة وسائر المعالجات بناء على الظن ومنها كون هذه الذبيحة ذبيحة مسلم مظنون ومنها قوله تعالى وإن خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من أهله وحصول الشقاق مظنون

ومنها

ومنها الحكم على الشخص المعين بكونه مؤمنا مظنون ثم يبني على هذا الظن أحكاما كثيرة كالتوارث والدفن في قبور المسلمين وغيرهما ومنها الأعمال المعتبرة في الدنيا من الأسفار وطلب الأرباح والمعاملات إلى الآجال المخصوصة والاعتماد على صداقة الأصدقاء وعداوة الأعداء كلها مظنونة وبناء الأمر على هذه الظنون جائز وقال عليه السلام نحن نحكم بالظاهر والله متولي السرائر وذلك تصريح بأن الظن معتبر في هذه الأنواع فبطل قول من قال إنه لا يجوز العمل بالظن الثاني أن الظن قد يسمى بالعلم قال إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن الله أعلم بإيمانهن فإن علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن إلى الكفار ومن المعلوم أنه إنما يمكن العلم بإيمانهن بناء على إقرارهن وهذا لا يفيد إلا الظن وقد سمى الله تعالى الظن هنا علما الثالث أن الدليل القاطع لما دل على وجوب العمل بالقياس كان ذلك الدليل دليلا على أنه متى حصل ظن أن حكم الله في هذه الصورة يساوي حكمه في محل النص فأنتم مكلفون بالعمل على وفق ذلك الظن فهاهنا الظن وقع في طريق الحكم فأما الحكم فهو معلوم متيقن أجاب نفاة القياس عن الأول فقالوا قوله ولا تقف ما ليس لك به علم دخله التخصيص في الصور الكثيرة المذكورة فبقي العموم حجة فيما وراءها ثم نقول الفرق بين هذه الصور وبين محل النزاع أن هذه الصور العشرة مشتركة في أن تلك الأحكام مختصة بأشخاص معينين في أوقات معينة فإن الواقعة التي يرجع فيها الإنسان المعين واقعة متعلقة بذلك الشخص المعين وكذا القول في الشهادة وفي طلب القبلة وفي سائر الصور والتنصيص على وقائع الأشخاص المعينين والأوقات المعينة يجري مجرى التنصيص على ما لا نهاية له فلهذه الضرورة اكتفينا بالظن أما الأحكام المثبتة بالقياس فهي أحكام كلية معتبرة في وقائع كلية وهي مضبوطة والتنصيص عليها ممكن ولذلك أن الفقهاء الذين استخرجوا تلك الأحكام بطريق القياس ضبطوها وذكروها في كتبهم إذا عرف هذا فنقول التنصيص على الأحكام في الصور العشرة التي ذكرتموها غير ممكن فلا يجوز الاكتفاء فيها بالظن فظهر الفرق وقولهم الظن قد يسمى علما فهذا باطل فالصحيح أن يقال هذا مظنون وغير معلوم وهذا معلوم وغير مظنون فدل على حكم حصول المغايرة ويدل عليه قوله تعالى هل عندكم من علم فتخرجوه لنا إن تتبعون إلا الظن نفى العلم وأثبت الظن وذلك يدل على المغايرة وأما قوله تعالى فإن علمتموهن مؤمنات فالمؤمن هو المقر وذلك الإقرار معلوم وأما الجواب عن الثالث فنقول الكلام إنما يتم لو ثبت أن القياس حجة قاطعة بدليل قاطع وذلك باطل لأن تلك الحجة إما أن تكون عقلية أو نقلية والأول باطل لأن القياس الذي يفيد الظن لا يجب عقلا أن يكون حجة لأنه لا نزاع أنه يصح من الشرع أن يقول نهيتكم عن الرجوع إلى القياس ولو كان كونه حجة أمرا عقليا لامتنع ذلك والثاني أيضا باطل لأن الدليل النقلي في كون القياس حجة إنما يكون قطعيا أن لو كان منقولا نقلا متواترا وكانت دلالته على ثبوت هذا المطلوب دلالة قطعية غير محتملة للتخصيص ولو حصل مثل هذا الدليل لوصل إلى الكل ولارتفع الخلاف وحيث لم يكن كذلك علمنا أنه لم يحصل في هذه المسألة دليل سمعي قاطع ثبت أنه لم يوجد في إثبات كون القياس حجة إنما يكون قطعيا أن لو كان منقولا نقلا متواترا وكانت دلالته على ثبوت هذا المطلوب دلالة قطعية غير محتملة للتخصيص ولو حصل مثل هذا الدليل لوصل إلى الكل دليل قاطع البتة فبطل قولكم إن الحكم المثبت بالقياس حجة معلوم لا مظنون قال ابن الخطيب وأحسن ما يمكن أن يجاب عنه أن يقال التمسك بهذه الآية التي عليها تمسك بعام مخصوص والتمسك بعام مخصوص لا يفيد إلا الظن فلو دلت هذه الآية على أن التمسك بالظن غير جائز لدلت على أن التمسك بهذه الآية غير جائز فالقول بكون هذه الآية حجة يفضي ثبوته إلى نفيه فكان متناقضا فسقط الاستدلال به وللمجيب أن يجيب عنه فنقول نعلم بالتواتر الظاهر من دين محمد صلى الله عليه وسلم أن التمسك بآيات القرآن حجة في الشريعة ويمكن أن يجاب عن هذا الجواب بأن يكون العام المخصوص حجة غير معلومة بالتواتر **قوله تعالى** إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا أولئك إشارة إلى ما تقدم من السمع والبصر والفؤاد كقوله

• ذم المنازل بعد منزلة اللوى • والعيش بعد أولئك الأيام •

فأولئك يشار به إلى العقلاء وغيرهم من الجموع واعتذر ابن عطية عن الإشارة به لغير العقلاء فقال وعبر عن السمع والبصر والفؤاد بأولئك لأنها حواس لها إدراك وجعلها في هذه الآية مسئولة فهي حالة من يعقل ولذلك عبر عنها بكناية من يعقل وقد قال سيبويه رحمه الله في قوله تعالى رأيتهم لي ساجدين إنما قال رأيتهم في نجوم لأنه لما وصفها بالسجود وهو فعل من يعقل عبر عنها بكناية من يعقل وحكى الزجاج أن العرب تعبر عمن يعقل وعمن لا يعقل بأولئك وأنشد هو والطبري قوله

• ذم المنازل بعد منزلة اللوى • والعيش بعد أولئك الأيام •

فصل قوله وأما حكاية ابن إسحاق عن اللغة فلم يوقف عليه وأما البيت فالرواية فيه الأقوام ولا حاجة الى هذا الاعتذار لما عرفت وأما قوله ان الرواية الأقوام فغير معروفة والمعروف إنما هو الأيام **قوله تعالى** كل أولئك مبتدأ والجملة من خبره وفي اسم كان وجهان أحدهما انه ضمير عائد على كل باعتبار لفظها وكذا الضمير في عنه متعلق بمسؤولا ومسؤولا خبرها والثاني ان اسمها ضمير يعود على القافي وفي عنه يعود على كل وهو من الالتفات اذ لو جرى على ما تقدم لقيل كنت عنه مسؤولا وقال الزمخشري وعنه في موضع الرفع بالفاعلية اي كل واحد كان مسؤولا عنه فمسؤول مسند الى الجار والمجرور كالمغضوب في قوله غير المغضوب عليهم انتهى وفي تسميته مفعول ما لم يسم فاعله فاعلا خلاف الاصطلاح وقد رد ابو حيان عليه قوله بان القائم مقام الفاعل حكمه حكمه فلا يتقدم على رافعه كأصله وليس لقائل ان يقول يجوز على رأي الكوفيين فانهم يجيزون تقديم الفاعل لان النحاس حكى الاجماع على عدم جواز تقديم القائم مقام الفاعل اذا كان جارا او مجرورا فليس هو نظير قوله غير المغضوب عليهم فحينئذ يكون القائم مقام الفاعل الضمير المستكن العائد على كل او على الفاعل **فصل** ظاهر الآية تدل على ان هذه الجوارح مسؤولة وفيه وجوه الاول معناه ان صاحب السمع والبصر والفؤاد هو المسؤول لانه لا يسأل الا من العاقل وهذه الجوارح ليست كذلك بل العاقل الفاهم هو الانسان فهو كقوله تعالى واسأل القرية والمراد اهلها والمعنى ان يقال للانسان لما سمعت ما لا يحل لك سماعه ولم نظرت لما لا يحل لك نظره ولم عزمت على ما لا يحل لك العزم عليه والثاني ان اولئك الاقوام كلهم مسؤولون عن السمع والبصر والفؤاد فيقال لهم استعملتم السمع فيماذا في الطاعة او في المعصية وكذا القول في بقية الاعضاء وذلك لان الحواس آلات النفس والنفس كالامير لها والمستعمل لها في مصالحها فان استعملها في الخيرات استوجب الثواب وان استعملها في المعصية استحق العقاب والثالث انه تعالى يخلق الحياة في الاعضاء ثم انها تسأل لقوله تعالى يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون فكذلك لا يبعد ان يخلق العقل والحياة والنطق في هذه الاعضاء ثم انها تسأل روي عن شكل بن حميد قال اتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت يا نبي الله علمني تعويذا اتعوذ به فاخذ بيدي ثم قال قل اعوذ بك من شر سمعي ومن شر بصري ومن شر لساني ومن شر قلبي ومن شر منيي قال فحفظتها قال سعد والمني ماؤه **قوله تعالى** ولا تمش في الارض مرحا الآية وهذا هو النهي الثاني قرأ العامة مرحا بفتح الراء وفيه اوجه احدها انه مصدر واقع موقع الحال اي مرحا بكسر الراء ويدل عليه قراءة بعضهم فيما حكاه يعقوب مرحا بالكسر اي بطرا او كبرا واختيلا **فصل** فلذلك اخرجه عن المصدر قال الاخفش ولو قرأ مرحا بالكسر كان احسن في القراءة وقد تقدم ما حكاه يعقوب انها قراءة بعضهم قال الزجاج مرحا مصدر ومرحا اسم الفاعل وكلاهما جائز الا ان المصدر هنا احسن واوكد تقول جاء زيد ركضا وراكضا اوكد لانه يدل على توكيد الفعل الثاني انه على حذف مضاف اي ذا مرح الثالث انه مفعول من اجله والمرح شدة السرور والفرح مرح يمرح مرحا فهو مرح كفرح يفرح فرحا فهو فرح **قوله تعالى** انك لن تخرق الارض ولن تبلغ الجبال طولا قرأ ابو الجراح لن تخرق بضم الراء وانكرها ابو حاتم وقال لا نعرفها لغة البتة والمراد من الخرق هاهنا نقب الارض وذكروا فيه وجوها الاول ان المشي انما يتم بالارتفاع والانخفاض فكانه قال انك حال الانخفاض لا تقدر على خرق الارض ونقبها وحال الارتفاع لا تقدر ان تصل الى رؤوس الجبال والمعنى ان الانسان لا ينال بكبره وبطره شيئا من يريد خرق الارض ومطاولة الجبال لا يحصل على شيء والمراد التنبيه على كونه ضعيفا عاجزا فلا يليق به التكبر الثاني ان تحتك الارض التي لا تقدر على خرقها وفوقك الجبال التي لا تقدر على الوصول اليها فانت محاط بك من فوقك ومن تحتك بنوعين من الجماد وانت اضعف منهما بكثير والضعيف المحصور لا يليق به التكبر فكانه قيل له تواضع ولا تتكبر فانك خلق ضعيف من خلق الله محصور بين تراب وحجارة فلا تفعل فعل القوي المقتدر الثالث ان من مشى مختالا يمشي مرة على عقبيه ومرة على صدور قدميه فقيل له انك لن تنقب الارض ان مشيت على صدور قدميك قال علي رضي الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مشى تكفأ تكفيا كانما ينحط من صبب وروي عن ابي هريرة قال ما رأيت شيئا احسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم كان الشمس تجري في وجهه وما رأيت احدا اسرع في مشيته من رسول الله صلى الله عليه وسلم كانما الارض تطوى له انا لنجهد انفسنا وانه غير مكترث **قوله تعالى** طولا يجوز ان يكون حالا من فاعل تبلغ او من مفعوله او من مصدر او من معنى تبلغ او تمييزا او مفعولا له وهذان ضعيفان جدا لعدم المعنى **قوله تعالى** كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروها قرأ ابن عامر والكوفيون سيئه بضم الهمزة والهاء والتذكير وترك التنوين والباقون بفتح الهمزة وتاء التأنيث منصوبة منونة فالقراءة الاولى يشير فيها بذلك الى جميع ما تقدم وفيه النهي والحسن

فاضاف السيء الى ضمير ما تقدم ويؤيدها قراءة عبد الله كل ذلك كان سيئاته بالجمع مضافا للضمير وقراءة ابي حيوة والمعنى كل ما تقدم ذكره فيما امرتم به ونهيتم كان سيئه وما نهيتم عنه خاصة امرا مكروها هذا احسن ما يقدر في هذا المكان واما ما استشكله بعضهم من انه يصير المعنى كل ما ذكر كان سيئه ومن جملة كل ما ذكر المأمور به فيلزم ان يكون فيه سيء فهو اشكال واه لما تقدم من تقرير معناه ومكروها خبر كان وحمل الكلام كله على لفظ كل فلذلك ذكر الضمير في سيئه والخبر وهو مكروه واما قراءة الباقين فيحتمل ان تقع الاشارة فيها بذلك الى مصدري النهيين المتقدمين قريبا وهما نقف ما ليس لك به علم والمشي في الارض مرحا ويحتمل انه اشير به الى جميع ما تقدم من المناهي وسيئة خبر كان وانث حملا على كل ثم قال مكروها حملا على لفظها وقال الزمخشري كان السيئة في حكم الاسماء بمنزلة الذنب والاثم زال عنه حكم الصفات فلا اعتبار بتأنيثه ولا فرق بين من قرأ سيئة ومن قرأ سيئا الا ترى انك تقول الزنا سيئة ومن قرأ سيئا كما تقول السرقة سيئة فلا تفرق بين اسنادها الى مذكر ومؤنث وفي نصب مكروها اربعة اوجه احدها انه خبر ثان لكان وتعداد خبرها جائز على الصحيح الثاني انه بدل من سيئة وضعف هذا بان البدل بالمشتق قليل الثالث انه حال من الضمير المستتر في عند ربك لوقوعه صفة لسيئة الرابع انه نعت لسيئة وانما ذكر لان تأنيث موصوفه مجازي ورد هذا بان ذلك انما يجوز حيث اسند الى المؤنث المجازي اما اذا اسند الى ضميره فلا نحو الشمس طالعة لا يجوز طالع الا في ضرورة كقوله ولا ارض ابقل ابقالها وهذا عند غير ابن كيسان واما ابن كيسان فيجيز في الكلام الشمس طالع وطالع وقيل انما ذكر لان السيئة هي الذنب وهو مذكر وقيل فيه تقديم وتأخير اي كل ذلك كان مكروها سيئة واما قراءة عبد الله فهي ما اخبر فيها عن الجمع اخبار الواحد لسد الواحد مسده كقوله • فاما ترني ولي لمة • فان الحوادث اودى بها • فان قيل لو قال ان الحوادث لصح من حيث المعنى فعدل عنه ليصح الوزن وقرأ عبد الله كان سيئات بالجمع من غير اضافة وهو خبر كان وهي تؤيد قراءة الحرميين وابي عمرو فالجواب قال القاضي دلت هذه الآية على ان هذه الاعمال مكروهة عند الله والمكروه لا يكون مرادا فهذه الاعمال غير مرادة لله تعالى فبطل قول من يقول كل ما دخل في الوجود فهو مراد الله تعالى واذا ثبت انها ليست بارادة الله تعالى وجب ان لا تكون مخلوقة لله تعالى لانها لو كانت مخلوقة لله تعالى لكانت مرادة لا يقال المراد من كونها مكروها ان الله تعالى نهى عنها وايضا معنى كونها مكروها ان الله تعالى كره وقوعها وعلى هذا التقدير فهذا لا يمنع ان الله تعالى اراد وجودها لان الجواب عنه عدول عن الظاهر وايضا فكونها سيئة عند ربك يدل على كونها منهيا عنها فلو حملنا المكروه على النهي لزم التكرار والجواب عن الثاني انه تعالى انما ذكر هذه الآية في معرض الزجر عن هذه الافعال ولا يليق بهذا الموضع ان يقال انه تعالى انما ذكر هذه الآية في معرض الزجر عن هذه الافعال ولا يليق بهذا الموضع ان يقال انه تعالى يكره عدمها ووقوعها واجيب بان المراد من المكروه المنهي عنه ولا بأس بالتكرير لاجل التأكيد **فصل** قال القاضي دلت هذه الآية على انه تعالى كما انه موصوف بكونه مريدا وكذلك ايضا موصوف بكونه كارها واجيب بان الكراهية في حقه تعالى محمولة اما على النهي او على ارادة العدم **قوله تعالى** ذلك مما اوحى اليك ربك من الحكمة الآية اعلم ان قوله ذلك اشارة الى ما تقدم من التكاليف وهو خمسة وعشرون نوعا اولها قوله ولا تجعل مع الله الها آخر وقضى ربك الا تعبدوا الا اياه وهذا مشتمل على تكليفين الامر بعبادة الله والنهي عن عبادة غير الله فكان المجموع ثلاثة والرابع قوله وبالوالدين احسانا والخامس فلا تقل لهما اف والسادس ولا تنهرهما والسابع وقل لهما قولا كريما والثامن واخفض لهما جناح الذل من الرحمة والتاسع وقل رب ارحمهما والعاشر وآت ذا القربى حقه والحادي عشر والمسكين والثاني عشر وابن السبيل والثالث عشر ولا تبذر تبذيرا والرابع عشر فقل لهم قولا ميسورا والخامس عشر ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها والسادس عشر ولا تقتلوا اولادكم والسابع عشر ولا تقتلوا النفس والثامن عشر ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا والتاسع عشر فلا يسرف في القتل والعشرون واوفوا بالعهد والحادي والعشرون واوفوا الكيل والثاني والعشرون وزنوا بالقسطاس المستقيم والثالث والعشرون ولا تقف ما ليس لك به علم والرابع والعشرون ولا تمش في الارض مرحا والخامس والعشرون ولا تجعل مع الله الها آخر فهذه خمسة وعشرون تكليفا بعضها اوامر وبعضها نواهي جعل فاتحتها ولا تجعل مع الله الها آخر فتلقى في جهنم ملوما مدحورا وانما سماها حكمة لوجوه الاول ان حاصلها يرجع الى الامر بالتوحيد وانواع الطاعات والخيرات والاعراض عن الدنيا والاقبال على الآخرة فالعقول تدل على صحتها فالآتي بمثل هذه الشريعة لا يكون داعيا الى دين الشيطان بل الفطرة الاصلية تشهد بانه يكون داعيا الى دين الرحمن الثاني ان هذه الاحكام المذكورة في هذه الآيات شرائع واجبة الرعاية في جميع الاديان

والملل ولا يقبل النسخ والابطال فكانت محكمة وحكمة من هذا الاعتبار الثالث ان الحكمة عبارة عن القسم الاول وما
التكاليف عبارة عن تعلم الخيرات لاجل العمل بها روي عن ابن عباس ان هذه التكاليف المذكورة في هذه الايات كانت في الواح
موسى عليه السلام اولها ولا تجعل مع الله الها آخر قال تعالى وكتبنا له في الالواح من كل شيء موعظة فكل ما امر الله به
او نهى عنه فهو حكمة **قوله تعالى** من الحكمة يجوز فيه ثلاثة اوجه احدها ان يكون حالا من عائد الموصول المحذوف
تقديره من الذي اوحاه حال كونه من الحكمة او حال من نفس الموصول الثاني انه متعلق باوحى ومن لها تبعيضية لان
ذلك بعض الحكمة واما للابتداء واما للبيان وحينئذ يتعلق بمحذوف الثالث انها مع مجرورها بدل من ما اوحى
فصل ذكر في الاية الاولى ان الشرك يكون مذموما مخذولا وذكرها هنا ان المشرك يلقى في جهنم
ملوما مدحورا واللوم والخذلان يحصل في الدنيا والشقاوة في الاخرة تحصل في جهنم والفرق بين الملوم والمدحور
وبين المذموم والمخذول ان معنى كونه مذموما ان يذكر له ان الفعل الذي اقدم عليه قبيح ومنكر فاذا ذكر له ذلك
فيقال له عند ذلك لم فعلت هذا الفعل الذي حملك عليه وما استفدت من هذا العمل الا الحاق الضرر بنفسك
وهذا هو اللوم واما الفرق بين المخذول وبين المدحور فهو ان المخذول هو الضعيف يقال تخاذلت اعضاؤه
اي ضعفت والمدحور هو المطرود والمطرود عبارة عن الاستخفاف والاهانة فكونه مخذولا عبارة عن ترك
اعانته وتفويضه الى نفسه وكونه مدحورا عبارة عن اهانته فيصير اول الامر مخذولا واخره يصير مدحورا
قوله تعالى افاصفاكم ربكم بالبنين فالفاء عطف والالف استفهام وهو استفهام انكار
وتوبيخ ويقال اصفاه بالشيء اذا آثره به ويقال للضياع التي يستخلصها السلطان لخاصته الصوافي
قال ابو عبيدة في قوله افاصفاكم افاختصكم قال المفضل اخلصكم قال النحويون هذه الهمزة تدل على الانكار
على صيغة السؤال عن مذهب ظاهر الفساد لا جواب لصاحبه الا بما فيه اعظم الفضيحة واعلم انه تعالى لما نبه
على فساد طريقة من اثبت لله شريكا اتبعه بفساد طريقة من اثبت الولد لله تعالى ثم نبه على كمال جهل هذه
الفرقة وهو ان الولد على قسمين فاشرف القسمين البنون واخسهما البنات ثم انهم اثبتوا البنين لانفسهم مع علمهم
بنهاية عجزهم واثبتوا البنات لله تعالى مع علمهم بان الله تعالى هو الموصوف بالكمال الذي لا يقابله كمال
وذلك يدل على نهاية جهل القائلين بهذا القول ونظيره قوله تعالى ام له البنات ولكم البنون وقوله تعالى
الكم الذكر وله الانثى ومعنى الاية اي اختاركم فجعل لكم الصفوة لنفسه ما ليس بصفوة معنى اختاركم بالبنين
واتخذ من الملائكة اناثا لانهم كانوا يقولون ان الملائكة بنات الله **قوله تعالى** واتخذ يجوز ان تكون
المتعدية معطوفا على افاصفاكم فيكون داخلا في حيز الانكار ويجوز ان تكون الواو والحال وقد مقدرة
عند قوم واتخذ يجوز ان تكون المتعدية لاثنين فقال ابو البقاء ان ثانيهما محذوف اي ولدا والمفعول الاول
هو اناثا وهذا ليس بشيء والمفعول الثاني هو من الملائكة وقدم على الاول ولولا ذلك لزم ان يبتدأ بالنكرة
من غير مسوغ لان ما صلح ان يكون مبتدأ يصلح ان يكون مفعولا اول في هذا الباب وما لا فلا ويجوز ان يكون
متعدية لواحد كقوله تعالى وقالوا اتخذ الرحمن ولدا ومن الملائكة متعلق باتخذ او بالمحذوف على انه حال من النكرة
بعده ثم قال تعالى انكم لتقولون قولا عظيما وهذا خطاب لمشركي مكة وبيان هذا القول عظيم اي اثبات الولد يقتضي
كونه تعالى مركبا من الاجزاء والابعاض وذلك يقدح في كونه قديما واجبا لوجود ذاته وذلك عظيم من القول وايضا
فبتقدير ثبوت الولد فقد جعلوا اشرف القسمين لانفسهم واخس القسمين لله تعالى وهذا جهل عظيم **قوله تعالى**
ولقد صرفنا في هذا القرآن كقوله تعالى ولقد صرفنا بينهم ليذكروا الاية العامة على تشديد الراء وفي مفعوله
وجهان احدهما انه مذكور ومنه ولقد صرفناه بينهم ومثله **..** يخرج في عراقيبها نصلي **.** وقوله
تعالى واصلح لي في ذريتي اي يجرح في عراقيبها واصلح في ذريتي وهذا وبابه في تراد وما ذكرناه وله زيادة في
ان شاء الله تعالى في الاحقاف الثاني انه محذوف تقديره ولقد صرفنا امثاله ومواعظه وقصصه واخباره
واوامره وقال الزمخشري في تقدير ذلك ويجوز ان يراد بهذا القرآن ابطال اضافتهم الى الله البنات لانه مما
وكرر ذكره والمعنى ولقد صرفنا القول في هذا المعنى واوقعنا التصريف فيه وجعلناه مكانا للتكرير ويجوز ان
يريد بهذا القرآن التنزيل ويريد ولقد صرفناه يعني هذا المعنى من التنزيل فترك الضمير لانه معلوم وهذا
التقدير الذي قدره الزمخشري احسن لانه مناسب لما دلت عليه الاية وسيقت لاجله فقدر المفعول خاصا
وهو اما القول واما المعنى وهو الضمير الذي قدره في صرفنا بخلاف تقدير غيره فانه جعله عاما وقيل المعنى
لم ننزله مرة واحدة بل نجوما والمعنى اكثرنا صرف جبريل اليك فالمفعول جبريل عليه السلام وقرا الحسن بتخفيفها

فقيل

فقيل هي بمعنى القراءة الاولى ففعل وفعل قد يشتركان وقال ابن عطية اي صرفنا الناس فيه الى الهدى والصرف
في اللغة عبارة عن صرف الشيء من جهة الى جهة نحو تصريف الرياح وتصريف الامور هذا هو الاصل في اللغة ثم جعل لفظ
التصريف كناية عن التبيين لان من حاول بيان شيء فانه يصرف كلامه من نوع الى نوع آخر ومن مثال الى مثال آخر ليكمل
الايضاح ويقوي البيان فقوله ولقد صرفنا اي بينا **قوله تعالى** ليذكروا متعلق بصرفناه وقرأ الاخوان في الفرقان
بسكون الذال والكاف مشددة والاصل ليتذكروا فادغم التاء في الذال لقرب المخرج وهو من الاعتبار والتدبر
قال الواحدي والتذكر هنا اشبه من الذكر لان المراد منه التدبر والتذكر وليس المراد منه الذكر الذي يحصل بعد
النسيان ثم قال واما قراءة حمزة ففيها وجهان الاول ان الذكر قد جاء بمعنى التامل والتدبر كقوله تعالى خذوا ما
آتيناكم بقوة واذكروا ما فيه والمعنى وافهموا ما فيه والثاني ان يكون المعنى صرفنا هذه الدلائل في هذا القرآن ليذكروه
بالسنتهم فان الذكر باللسان قد يؤدي الى تاثر القلب بمعناه **فصل** قال الجبائي قوله ولقد صرفنا
في هذا القرآن ليذكروا يدل على انه تعالى انما انزل هذا القرآن واكثر فيه من الدلائل لانه تعالى اراد منهم فهمها
والايمان بها وهذا يدل على انه تعالى يفعل افعاله لاغراض حكمية ويدل على انه تعالى اراد الايمان من الكل سواء امنوا او
كفروا **قوله تعالى** وما يزيدهم الا نفورا اي التصريف ونفورا مفعول ثان وهذه الاية تدل على انه تعالى ما اراد
الايمان من الكفار لانه تعالى عالم بان تصريف القرآن لا يزيدهم الا نفورا فلو اراد الايمان منهم لما انزل عليهم ما يزيدهم
نفرة عنه لان الحكيم اذا اراد تحصيل امر من الامور وعلم ان الفعل الفلاني يصير سببا للعسر والتعذر والنفرة
فانه عند محاولة تحصيل ذلك المقصود يحترز عما يوجب النفرة فلما اخبر تعالى ان هذا التصرف يزيدهم نفورا علمنا
انه ما اراد الايمان منهم **قوله تعالى** قل لو كان معه آلهة كما تقولون الاية الكاف في كما في موضع نصب
وفيها وجهان احدهما انها متعلقة بما تعلقت به مع من الاستقرار قاله الحوفي والثاني انها نعت لمصدر محذوف
اي كونا كقولهم قاله ابو البقاء وقرا ابن كثير وحفص يقولون بالياء من تحت والباقون بالتاء من فوق وكذا قوله
تعالى بعد هذا سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا قرأه بالخطاب الاخوان والباقون بالغيبة فيحصل من المجموع
ان ابن كثير وحفصا يقرانهما بالغيبة وان الاخوين قرا بالخطاب فيهما وان الباقين قرأوا بالغيب في الاول
وبالخطاب في الثاني فوجه قراءة الغيب فيهما انه حمل الاول على قوله معنى قل لهم يا محمد لو كان معه آلهة كما يقولون
وحمل الثاني عليه ووجه الغيب في الاول انه حمله على قوله وما يزيدهم وفي الثاني التفت فيه الى خطابهم **قوله**
اذن حرف جواب وجزاء قال الزمخشري واذن دالة على ان ما بعدها وهو لابتغوا جواب لمقالة المشركين وجزاء للو
وادغم ابو عمرو الشين في السين واستضعفها النحاة لقوة الشين **قوله** قل يا محمد لهؤلاء المشركين لو كان معه
آلهة كما تقولون اذا لابتغوا لطلبوا يعني الالهة الى ذي العرش سبيلا ليزيلوا ملكه كفعل ملوك الدنيا بعضهم
ببعض وهذا يرجع الى دليل التمانع وسياتي ان شاء الله تعالى عند قوله في سورة الانبياء لو كان فيهما آلهة الا الله
لفسدتا وقيل المعنى لطلبوا يعني الالهة الى ذي العرش سبيلا بالتقرب اليه لان الكفار كانوا يقولون ما نعبدهم
الا ليقربونا الى الله زلفى فقال الله لو كانت هذه الاصنام تقربكم الى الله زلفى لطلبت لانفسها ايضا القرب الى الله
والمراتب العالية والدرجات الشريفة فلما لم تقدر ان تتخذ لانفسها سبيلا الى الله فكيف تقربكم الى الله ثم نزه نفسه
فقال سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا فقوله وتعالى عطف على ما تضمنه المصدر تقديره تنزه وتعالى وعن
متعلقة به او بسبحان على الاعمال لان عن تعلقت به في قوله سبحان ربك رب العزة عما يصفون وعلوا مصدر واقع
موقع التعالي لانه كان يجب ان يقال تعاليا كبيرا فهو على غير المصدر كقوله تعالى انبتكم من الارض نباتا والتسبيح
عبارة عن تنزيه الله تعالى عما لا يليق به والقائم في وصف ذلك العلو بالكبر ان المنافاة بين ذاته وصفاته
سبحانه وبين ثبوت الصاحبة والولد والشركاء والاضداد والانداد منافاة في القوة والكمال الى حيث لا تعقل
الزيادة عليها لان المنافاة بين الواجب لذاته والممكن لذاته وبين القديم والمحدث وبين الغني والمحتاج منافاة
لا تعقل الزيادة عليها فلهذا السبب وصف الله تعالى ذلك العلو بالكبير ثم قال تسبح له السموات السبع الاية قرا ابو عمرو
والاخوان وحفص تسبح بالتاء والباقون بالياء من تحت وهما واضحتان لان التانيث مجازي وللوجود الفصل
ايضا بين الفعل والتانيث وقال ابن عطية ثم اعاد على السموات والارض ضمير من يعقل لما اسند اليهما فعل العاقل
وهو التسبيح وهذا بناء صيغة على ان من مختص بالعاقلات وليس كما زعم وهذا نظير اعتذاره عن الاشارة باولئك
في قوله تعالى كل اولئك وقد تقدم وقرا عبد الله والاعمش سبحت ماضيا بتاء التانيث قال ابن عطية يقال فقه
وفقه وفقه بكسر القاف وفتحها وضمها فبالكسر اذا فهم وبالفتح اذا سبق غيره بالفهم وبالضم اذا صار الفقه له سجية فيكون

على وزن فعل بالضم لانه شان افعال الطبايع نحو ظرف فهو ظريف وشرف فهو شريف وكرم فهو كريم
واسم الفاعل من الاول من فاعل نحو سبح فهو سابع وغلب فهو غالب ومن الثالث فعيل فكذلك تقول صفة للاصفية

فصل روي عن ابن عباس انه قال وان من شيء الا يسبح بحمده فقال قتادة يعني الحيوانات والناميات وقال
عكرمة الشجرة تسبح والاسطوانة لا تسبح وعن المقدام بن معدي كرب فان التراب يسبح ما لم يبتل فاذا ابتل ترك التسبيح
وان الخرزة تسبح ما لم ترفع من موضعها فاذا رفعت تركت التسبيح وان الورقة تسبح ما دامت على الشجرة فاذا سقطت
تركت التسبيح وان الماء يسبح ما دام جاريا فاذا ركد ترك التسبيح وان الثوب يسبح ما دام جديدا فاذا بلي ترك التسبيح
وان الطير والوحش تسبح اذا صاحت فاذا سكنت تركت التسبيح وقال ابراهيم النخعي وان من شيء جماد وحي الا يسبح بحمده
حتى صرير الباب ونقيض السقف وقال مجاهد كل الاشياء تسبح لله حيا كان او جمادا وتسبيحها سبحان الله وبحمده
وقال اهل المعاني تسبيح الحي المكلف بالقول كقول اللسان سبحان الله وتسبيح غير المكلف كالبهايم ومن لا يكون حيا
كالجمادات ما دلت بلطيف تركيبها وعجيب هيئتها على خالقها لان التسبيح باللسان لا يحصل الا مع الفهم والعلم
والادراك والنطق وكل ذلك في الجمادات محال قالوا فلو جوزنا في الجمادات ان يكون عالما متكلما لعجزنا عن الاستدلال
بكونه حيا وذلك كفر لانه اذا جاز في الجمادات ان تكون عالمة بذات الله وصفاته وتسبيحه مع انها ليست باحيا
فحينئذ لا يلزم من كون الشيء عالما قادرا متكلما ان يكون حيا فلم يلزم من كونه تعالى عالما قادرا متكلما واحتج
القايلون بان الجمادات وانواع النبات والحيوان كلها تسبح الله تعالى اجاب بهذه الاية ولا يمكن تفسيرهم التسبيح
بكونها دلايل على كمال قدرة الله تعالى وحكمته لانه تعالى قال ولكن لا تفقهون تسبيحهم وفيه يقتضي ان تسبيح هذه
الاشيا غير معلوم لنا وكونها دلايل على وجود قدرة الله تعالى وحكمته واجاب اهل المعاني بوجوه اولها انك اذا اخذت
تفاحة واحدة فتلك التفاحة متركبة من اجزاء كثيرة لا تتجزى وكل واحد من تلك الاجزاء دليل تام مستقل على
وجود الاله ولكل واحد من تلك الاجزاء صفات مخصوصة من الطبع والطعم واللون والرايحة واختصاصه قادر
حكيم واذا عرف هذا ظهر ان كل واحد من اجزاء تلك التفاحة دليل تام على وجود الاله ثم عدد تلك الاجزاء غير
معلومة فلهذا قال تعالى ولكن لا تفقهون تسبيحهم وثانيها ان الكفار وان كانوا يقرون باثبات اله العالم الا انهم
ما كانوا يتفكرون في انواع الدلايل كما قال تعالى وكاين من اية في السموات والارض يمرون عليها وهم عنها معرضون
فكان المراد من قوله ولكن لا تفقهون تسبيحهم هذا المعنى وثالثها ان القوم وان كانوا مقرين بالسنتهم باثبات
اله العالم الا انهم ما كانوا عالمين بكمال قدرته ولذلك استبعدوا لكونه قادرا على الحشر والنشر فكان المراد ذلك
ورابعها قول محمد عليه السلام قل لهم لو كان معه الهة كما تقولون اذا لابتغوا الى ذي العرش سبيلا فهم ما كانوا
عالمين بهذه الدلايل فلما قال تسبح له السموات السبع والارض ومن فيهن لصحة هذه الدلايل وقوتها وانهم لا يفقهون
هذه الدلايل ولا يعرفونه بل القوم كانوا غافلين عن اكثر دلايل التوحيد والنبوة والمعاد فقال ولكن لا تفقهون
تسبيحهم وذلك جرم عظيم صدر عنهم وهذا انما يكون جرما اذا كان المراد بذلك التسبيح كونها دالة على كمال
قدرة الله تعالى وحكمته ثم انهم لغفلتهم وجهلهم ما عرفوا وجه تلك الدلايل ولو حملنا هذا التسبيح على تسبيح الجمادات
بالفاظها لم يكن عدم الفقه لذلك التسبيح جرما ولا ذنبا واذا لم يكن جرما ولا ذنبا لم يكن قوله تعالى انه كان حليما
غفورا لايقا بهذا الموضع واعلم ان القايلين بان الجمادات والحيوانات غير الناطقة تسبح بالفاظها اضافوا الى كل
حيوان نوعا من التسبيح وقالوا انها اذا ذبحت لم تسبح مع قولهم بان الجمادات تسبح فاذا كان كونه جمادا لا يمنع
من كونه مسبحا فكيف صار ذبح الحيوان مانعا له عن التسبيح وقالوا ان غصن الشجرة اذا كسرت لم تسبح واذا كان
كونه جمادا لم يمنع من كونه مسبحا فكيف يمنع ذلك من تسبيحها بعد الكسر وهذه كلمات ضعيفة

فصل دلت هذه الاية على ان السموات والارض ومن فيهن يسبح الله فتسبيح السموات والارض ليس الا بمعنى تنزيه الله والدلالة
لفظ التسبيح على هذا المعنى مجاز واما تسبيح المكلفين فهو قول سبحان الله وهذا حقيقة فيلزم ان يكون قوله
تسبح لفظا واحدا قد استعمل في الحقيقة والمجاز معا وهو باطل لما ثبت في اصول الفقه فالاولى ان نحمل هذا التسبيح
على المجاز في حق العقلاء وغيرهم لئلا يلزم هذا المحذور **قوله تعالى** واذا قرات القران جعلنا بينك وبين الذين
لا يؤمنون بالاخرة حجابا مستورا الاية لما تكلم في الاية المتقدمة في اثبات الالهية تكلم في هذه الاية في تقرير
النبوة فيها قولان الاول ان هذه الاية نزلت في قوم كانوا يؤذون رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قرا القران
على الناس روي انه عليه السلام كلما قرا القران قام عن يمينه وعن يساره اخوان من ولد قصي يصفقون ويصفرون
ويخلطون عليه بالاشعار وروي سعيد بن جبير عن اسما قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا ومعه

ابو بكر رضي الله عنه فنزلت تبت يدا ابي لهب فجاءت امراة ابي لهب ومعها حجر تريد رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهي تقول مذمما ابينا ودينه قلينا وامره عصينا ولم تره فقال ابو بكر يا رسول الله معها حجر اخشى عليك فتلا رسول الله
صلى الله عليه وسلم هذه الاية فقالت لابي بكر قد علمت اني ابنة سيد قريش وان صاحبك هجاني فقال ابو بكر والله
ما ينطق بالشعر ولا يقوله فرجعت وهي تقول قد كنت جيت بهذا الحجر لارضخ راسه فقال ابو بكر ما رايتك يا رسول
الله قال لا لم يزل ملك بيني وبينها يسترني وروي ابن عباس ان ابا سفيان والنضر بن الحرث وابا جهل وغيرهم كانوا
يجالسون النبي صلى الله عليه وسلم ويستمعون الى حديثه فقال النضر يوما ما ادري ما يقول محمد غير اني اري
شفتيه تتحرك بشيء فقال ابو سفيان اني اري بعض ما يقوله حقا وقال ابو جهل هو مجنون وقال ابو لهب
كاهن وقال حويطب بن عبد العزي هو شاعر فنزلت هذه الاية وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اراد تلاوة
القران قرا قبلها ثلث ايات وهي قوله تعالى في سورة الكهف وجعلنا على قلوبهم اكنة ان يفقهوه وفي النحل اوليك
الذين طبع الله على قلوبهم وفي الجاثية افرايت من اتخذ الهه هواه الاية فكان الله يحجبه ببركة هذه الايات من عيون
المشركين فكانوا يمرون به ولا يرونه **قوله تعالى** مستورا اي ان الله تعالى يخلق حجابا في اعينهم يمنعهم ذلك
الحجاب عن روية النبي صلى الله عليه وسلم وهو شيء لا يرى فكان مستورا من هذا الوجه واحتج بهذه الاية على ان تكون
الحاسة سليمة ويكون المرئي حاضرا مع انه لا يراه الانسان لانه يعلم ان الله تعالى يخلق في عينيه مانعا يمنعه عن رويته
فقالوا ان النبي صلى الله عليه وسلم كان حاضرا فكانت حواس الكفار سليمة ثم انهم كانوا لا يرونه واخبر الله تعالى
ان ذلك انما كان لاجل انه جعل بينه وبينهم حجابا مستورا ولا معنى للحجاب المستور الا معنى يخلقه الله في عيونهم
يمنعهم من رويته وقيل مستورا على النسب اي ذو ستر كقوله مكان مهول وجارية مغنوجة اي ذو هول وذات غنج
ولا يقال فيهما هلت المكان ولا غنجت الجارية وكذلك قولهم رجل مرطوب اي ذو رطوبة ولا يقال رطبته وقيل
هو وصف على جهة المبالغة كقولهم شعر شاعر ورد بان ذلك انما يكون في اسم الفاعل ومن لفظ الاول وقال
الاخفش واخرون المستور هاهنا بمعنى الساتر والمفعول قد يرد بمعنى الفاعل كقولهم مشووم وميمون بمعنى شايم
ويامن وهذا كما جاء اسم الفاعل بمعنى مفعول كماء دافق القول الثاني ان الحجاب هو الطبع الذي على قلوبهم
والمنع الذي يمنعهم ان يتركوا لطايف القران وفوايده ثم قال تعالى وجعلنا على قلوبهم اكنة اغطية ان يفقهوه
اي كراهية ان يفقهوه وقيل لئلا يفقهوه وفي اذانهم وقرا ثقلا لئلا يسمعوه وتقدم الكلام على هذه الاية
في سورة الانعام **قوله تعالى** وحده فيه وجهان احدهما انه منصوب على الحال وان كانت معرفة لفظا الا انه
في قوة النكرة اذ هو في معنى منفردا وهل هو مصدر او اسم موضوع موضع المصدر او موضوع موضع الحال
توحده وضع موضع ايحاد وايحاد وضع موضع موحد وهو مذهب سيبويه او هو مصدر على حذف الزوايد
اذ يقال اوحده يوحده ايحادا او هو مصدر بنفسه اوحد ثلاثيا قال الزمخشري وحد يحد وحدا وحدة نحو وعد
يعد وعدا وعدة ووحده من باب رجع عوده على بديه وافعله جهدك وطاقتك في انه مصدر ساد مسد
الحال اصله يحد وحده بمعنى واحدا وقد عرفنا ان هذا ليس مذهب سيبويه والثاني انه منصوب على الظرفية
وهو قول يونس واعلم ان هذه الحال بخصوصها اعني لفظة وحده اذا وقعت بعد فاعل ومفعول نحو ضرب زيد عمرا
وحده فمذهب سيبويه انه حال من الفاعل اي موحدا له بالضرب ومذهب سيبويه يكون التقدير واذا ذكرت
ربك موحدا لله قال المفسرون معناه اذا قلت لا اله الا الله في القران وانت تتلوه بالذكر ثم قالوا ولوا على ادبارهم
نفورا وجهان احدهما انه مصدر على غير المصدر لان التولي والنفور بمعنى قال الزجاج بمعنى ولوا نافرين نفورا
والثاني انه حال من فاعل ولوا وهو حينئذ جمع نافر كقاعد وقعود وجالس وجلوس وشاهد وشهود وراكع وركوع
وساجد وسجود والضمير في ولوا الظاهر عوده على الكفار وقيل يعود على الشياطين وان لم يجر لهم ذكر قال
المفسرون ان القوم كانوا عند استماع القران على حالتين فاذا سمعوا من القران ما ليس فيه ذكر الله تعالى وذم المشركين
ولوا نفورا وتركوا ذلك المجلس **قوله تعالى** نحن اعلم بما يستمعون به الباء في بما تتعلق باعلم وما كان من باب
العلم والجهل في افعل التفضيل وافعل في التعجب تعدي بالباء نحو انت اعلم به وما اعلمك به وهو اجهل به
وما اجهله به ومن غيرهما يتعدى في البابين باللام نحو انت اكسى للفقراء وما بمعنى الذي وهي عبارة عن الاستخفاف
والاعراض فكانه قال نحن اعلم بالاستخفاف والاستهزاء الذي يستمعون به قال ابن عطية **قوله تعالى** به
فيه وجوه احدها انه حال متعلق بمحذوف قال الزمخشري وبه في موضع الحال كما يقول يستمعون بالهزء اي هازئين
الثاني انها بمعنى اللام اي بما يستمعون له الثالث انها على بابها اي يستمعون بقلوبهم او بظاهر اسماعهم قاله ابو البقا

الرابع قال الحوفي لم يقل يستمعونه ولا يستمعونك لما كان الغرض ليس الاخبار عن الاستماع فقط وكان مضمنا ان الاستماع كان على طريق الهزو بان يقولوا مجنون او مسحور جاء الاستماع له والى ليعلم ان الاستماع ليس المراد به تفهم المسموع دون هذا القصد فعلى هذا ايضا تتعلق الباء بيستمعون وقيل بل هي صلة اي يطلبون سماعه قوله تعالى اذ يستمعون فيه وجهان احدهما انه معمول لاعلم قال الزمخشري في ان اذ يستمعون نصب باعلم اي اعلم وقت استماعهم بما به يستمعون وبما يتناجون به اذ هم ذوو نجوى والثاني انه منصوب بيستمعون الاولى قال ابن عطية والعامل في اذ الاولى وفي المعطوف يستمعون الاولى وقال الحوفي واذ الاولى تتعلق بيستمعون به وكذا واذ هم نجوى لان المعنى نحن اعلم بالذي يستمعون اليك والى قرآنك وكلامك انما يستمعون لسقطك وتتبع عيبك والتماس ما يطعنون به عليك يعني في زعمهم ولهذا ذكر تعديته بالباء والى قوله تعالى نجوى يجوز ان يكون مصدرا فيكون من اطلاق المصدر على العين مبالغة او على حذف مضاف اي ذوو نجوى كما قاله الزمخشري ويجوز ان يكون جمع نجي كقتيل وقتلى قاله ابو البقا قوله تعالى اذ يقول بدل من اذ الاولى في احد القولين والقول الآخر انها معمولة لاذكر مقدرا قوله تعالى مسحورا الظاهر انه اسم مفعول من السحر بكسر السين اي مخبول العقل او مخدوعا وقال ابو عبيدة معناه ان له سحرا اي رية يعني انه لا يستغني عن الطعام والشراب فهو بشر مثلكم وكقول العرب للجبان قد انتفخ سحره بفتح السين ولكل من اكل وشرب مسحور ومسحر فمن الاول قول امري القيس

• ارانا موضعين لامر غيب • ونسحر بالطعام وبالشراب •

اي نتغذى ونعلل ومن الثاني قول لبيد • فان تسألينا فيم نحن فاننا • عصافير من هذا الانام المسحر •

ورد الناس على ابي عبيدة قوله لبعده لفظا ومعنى قال ابن قتيبة لا ادري ما الذي حمل ابا عبيدة على هذا التفسير المستكره مع ما فسره السلف بالوجوه الواضحة قال شهاب الدين وايضا فان السحر الذي هو الرية لم يضرب له مثل فيه بخلاف السحر فانهم ضربوا له فيه المثل فما معنى الاية من قوله انظر كيف ضربوا لك الامثال الا ان السحر بالكسر فصل قال المفسرون معنى الاية نحن اعلم بما يستمعون به اي يطلبون سماعه اذ يستمعون اليك وانت تقرأ القرآن واذ هم يتناجون في امرك فبعضهم يقول هذا مجنون وبعضهم يقول شاعر اذ يقول الظالمون يعني الوليد بن المغيرة واصحابه ان تتبعون الا رجلا مسحورا مطبوبا وقال مجاهد مخدوعا لان السحر حيلة وخديعة وذلك لان المشركين كانوا يقولون ان محمدا يتعلم من بعض الناس هذه الكلمات واولئك الناس يخدعونه بهذه الكلمات فلذلك قالوا انه مسحور اي مخدوع من قبل الشيطان وقيل مصروفا عن الحق يقال ما سحرك عن كذا اي ما صرفك وقيل المسحور هو المفسود يقال طعام مسحور اذا افسد وارض مسحورة اي اصابها من المطر اكثر مما ينبغي فافسدها فان قيل انهم لم يتبعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فكيف يصح ان يقولوا ان يتبعون الا رجلا مسحورا فالجواب ان معناه ان اتبعتموه فقد اتبعتم رجلا مسحورا ثم قال تعالى انظر كيف ضربوا لك الامثال اي كل احد شبهك بشي فقالوا كاهن وساحر وشاعر ومعلم ومجنون فضلوا عن الحق فلا يستطيعون سبيلا اي وصولا الى طريق الحق قوله تعالى وقالوا ائذا كنا عظاما ورفاتا الايات لما تكلم اولا في الالهيات ثم اتبعه بذكر شبهاتهم في النبوات ذكر في هذه الايات شبهاتهم في انكار المعاد والبعث والقيامة وقد تقدم ان مدار القرآن على هذه الاربعة وهي الالهيات والنبوات والمعاد والقضاء والقدر وايضا فالقوم وصفوا الرسول بكونه مسحورا فاسد العقل فذكروا ان من جملة ما يدل على فساد عقله انه يدعي ان الانسان بعد ما يصير عظاما ورفاتا يعود كما كان حيا قوله تعالى ائذا كنا تقدم خلاف القراء في مثل هذين الاستفهامين في سورة الرعد والعامل في اذا محذوف تقديره انبعث او نحشر اذا كنا دل عليه مبعوثون ولا يعمل فيه مبعوثون لان ما بعد ان لا يعمل فيما قبلها وكذا ما بعد الاستفهام لا يعمل فيما قبله وقد اجتمعا هاهنا وعلى هذا التقدير تكون اذا متمحضة للظرفية ويجوز ان تكون شرطية فيقدر العامل فيها جوابها تقديره ائذا كنا عظاما ورفاتا نعاد ونحوه لكن هذا المحذوف جواب الشرط عند سيبويه والذي انصب عليه الاستفهام عند يونس والرفات ما بولغ في دقه وتفتيته وهو اسم لاجزاء ذلك الشي المفتت وقال الفراء هو التراب وهو قول مجاهد ويؤيده انه قد تكرر في القرآن ترابا وعظاما وقيل حطاما قال الواحدي الرفت كسر الشي بيدك يقال رفته ارفته بالكسر كما يرفت المدر والعظم البالي يقال رفت عظام الجزور رفتا اذا كسرها ويقال للتبن الرفت لانه دقاق الزرع قال الاخفش رفت رفتا فهو مرفوت نحو حطم حطما فهو محطوم والفعال تغلب في التفريق كالرفات والحطام والدقاق والفتات والجذاذ والرضاض قوله تعالى

خلقا

خلقا يجوز فيه وجهان احدهما انه مصدر من معنى الفعل لا من لفظه اي نبعث بعثا جديدا والثاني انه في موضع الحال اي مخلوقين تقريب شبهة القوم فيه ان الانسان اذا جفت اعضاؤه وتناثرت وتفرقت في جوانب العالم واختلطت تلك الاجزاء باجزاء العالم والاجزاء المائية تختلط بمياه العالم والاجزاء الترابية تختلط بالتراب والاجزاء الهوائية تختلط بالهواء واذا كان كذلك فكيف يعقل اجتماعها باعيانها مرة اخرى وكيف يعقل عود الحياة اليها باعيانها مرة اخرى هذا تقرير شبهتهم والجواب عنها ان هذا الاشكال لا يتم الا بالقدح في كمال علم الله تعالى وفي كمال قدرته اما اذا سلمنا كونه تعالى عالما بجميع الجزئيات فحينئذ هذه الاجزاء وان اختلطت باجزاء العالم الا انها متميزة في علم الله تعالى ولما سلم كونه تعالى قادرا على كل الممكنات كان قادرا على اعادة التاليف والتركيب والحياة والعقل الى تلك الاجزاء بعينها فمتى سلم كمال علم الله وكمال قدرته زالت هذه الشبهة بالكلية ثم قال تعالى قل كونوا حجارة او حديدا وذلك انهم استبعدوا ان يردهم احياء بعد ان صاروا عظاما ورفاتا فانها صفة منافية لقبول الحياة بحسب الظاهر فقال ولو فرضتم ان هذه الاجسام بعد الموت تصير الى صفة اخرى اشد منافاة لقبول الحيوة من كونها عظاما ورفاتا مثل ان تصير حجارة او حديدا فان المنافاة بين الحجرية والحديدية وبين قبول الحياة اشد من المنافاة بين العظمية وبين قبول الحياة لان العظم كان جزءا من بدن الحي واما الحجارة والحديد فليسا البتة موصوفين بالحياة فبتقدير ان تصير ابدان الناس حجارة او حديدا بعد الموت فان الله يعيد الحياة اليها ويجعلها احياء عقلاء كما كان والدليل على صحة ذلك ان تلك الاجسام قابلة للحياة والعقل اذ لو لم يكن القبول حاصلا لما حصل العقل والحيوة لها في اول الامر واله العالم عالم بجميع الجزئيات فلا يشتبه عليه اجزاء بدن زيد المطيع باجزاء بدن عمرو العاصي وقادر على كل الممكنات واذا ثبت ان عود الحياة الى تلك الاجزاء ممكن في نفسه وثبت ان اله العالم عالم بجميع المعلومات قادر على كل الممكنات كان عود الحياة الى تلك الاجزاء ممكنا قطعا سواء صارت عظاما ورفاتا او شيئا ابعد من العظم في قبول الحياة مثل ان تصير حجارة او حديدا وهذا ليس المراد منه الامر بل المراد انكم لو كنتم كذلك لما اعجزتم الله عن الاعادة كقول القائل للرجل اتطمع في وانا ابن فلان فيقول كن من شئت كن ابن الخليفة فسأطلب منك حقي ثم قال تعالى او خلقا مما يكبر في صدوركم اي لو فرضتم شيئا آخر ابعد من قبول الحجر والحديد للحياة بحيث يستبعد عقلكم قبوله الحياة ولا حاجة الى تعيين ذلك الشي لان المراد ان ابدان الناس وان انتهت بعد موتها الى اي صفة فرضت وان كانت في غاية البعد عن قبول الحياة فان الله تعالى قادر على اعادة الحياة اليها قال ابن عباس ومجاهد وعكرمة واكثر المفسرين انه الموت فانه ليس في نفس ابن ادم شي اكبر من الموت اي لو كنتم الموت بعينه لاميتنكم ولابعثنكم وهذا انما يحسن ذكره على سبيل المبالغة اما نفس الامر فهو محال لان ابدان الناس اجسام والموت عرض والجسم لا ينقلب عرضا وبتقدير ان ينقلب عرضا فالموت لا يقبل الحياة لان احد الضدين يمتنع اتصافه بالضد الآخر وقال بعضهم يعني السماء والارض ثم قال تعالى فسيقولون من يعيدنا اي من الذي يقدر على اعادة الحياة فقال تعالى قل الذي فطركم اول مرة خلقكم اول مرة ومن قدر على الانشاء قدر على الاعادة قوله تعالى الذي فطركم فيه ثلاثة اوجه احدها انه مبتدأ وخبره محذوف اي الذي فطركم يعيدكم وهذا التقدير فيه مطابقة بين السؤال والجواب والثاني انه خبر مبتدأ محذوف اي معيدكم الذي فطركم الثالث انه فاعل بفعل مقدر اي يعيدكم الذي فطركم ولهذا صرح بالفعل في نظيره عند قوله تعالى ليقولن خلقهن العزيز العليم واول من نطق زمان ناصبه فطركم فسينغضون اليك رؤسهم اي يحركونها استهزاء يقال انغض رأسه ينغضها اي حركها الى فوق والى اسفل انغاضا فهو منغض قال الشاعر • انغض نحوي رأسه واقنعا • كانه يطلب شيئا اطمعا •

وقال آخر • لما رأتني انغضت لي الرأسا •

وسمي الظليم نغضا لانه يحرك رأسه وقال ابو الهيثم اذا اخبر الرجل بشي فحرك رأسه انكارا له فقد انغض قال ذو الرمة • ظعائن لم يسكن اكناف قرية • بسيف ولم تنغض بهن القناطر • اي لم تحرك واما نغض ثلاثيا ينغض وينغض بالفتح والضم فبمعنى تحرك لا يتعدى يقال نغضت سنه اي تحركت تنغض نغضا ونغوضا قال الشاعر

• ونغضت من هرم اسنانها •

ثم قال تعالى ويقولون متى هو اي البعث والقيامة وهذا سؤال فاسد لانهم منعوا الحشر والنشر كما تقدم ثم بين تعالى بالبرهان القاطع كونه ممكنا في نفسه فقولهم متى هو كلام لا يتعلق بالبحث الاول فانه لما ثبت بالدليل القطعي كونه ممكن الوجود في نفسه وجب الاعتراف بامكانه فاما انه متى يوجد فذاك لا يمكن اثباته بالدليل القطعي فان اخبر الله تعالى عن ذلك الوقت المعين عرف والا فلا سبيل

الى معرفته وقد بين تعالى في القرآن انه لا يطلع احد من الخلق على وقت المعين فقال تعالى ان الله عنده علم الساعة
وقال تعالى انما علمها عند ربي وقال تعالى ان الساعة آتية اكاد اخفيها فلا جرم قال تعالى عسى ان يكون قريبا
وقد انقرض سبعمائة سنة ولم تظهر فقال المفسرون عسى من الله واجب معناه انه قريب فان قيل كيف يكون قريبا وقد
انقرض سبعمائة سنة ولم تظهر فالجواب قال ابن الخطيب ان كان ما مضى اكثر مما بقي فاذا الباقي قليلا ويحتمل
ان يريد بالقرب ان اتيان الساعة متناه وكلما كان متناهيا من الزمان فهو قليل بل اقل من القليل بالنسبة
الى الزمان الذي بعده لانه غير متناه وكلما كان متناهيا كنسبة العدد المتناهي الى العدد المطلق فانه لا
ينسب اليه بجزء من الاجزاء ولو قل ويقال في المثل كل آت قريب **قوله تعالى** عسى ان يكون قريبا يجوز ان
تكون الناقصة واسمها مستتر فيها يعود على البعث والحشر المدلول عليهما بقوة الكلام او لتضمنه في قوله
مبعوثون وان يكون خبرها ويجوز ان تكون التامة مسندة الى ان وما في حيزها واسم يكون ضمير البعث
كما تقدم وفي قريبا وجهان احدهما انه خبر كان وهو وصف على بابه والثاني انه ظرف اي زمانا قريبا
وان تكون على هذا تاما اي عسى ان يقع العود في زمان قريب **قوله تعالى** يوم يدعوكم فيه وجوه احدها
انه بدل من قريبا اذا اعربنا قريبا ظرف زمان كما تقدم والمعنى عسى ان يكون يوم البعث يوم يدعوكم اي بالنداء
الذي يسمعكم وهو النفخة الاخيرة كقوله يوم ينادي المناد من مكان قريب الثاني انه منصوب بيكون قاله
ابو البقا وهذا عند من يجيز اعمال الناقصة في الظرف واذا جعلناها تامة معمول لها عند الجميع الثالث
انه منصوب بضمير المصدر الذي هو اسم يكون اي عسى ان يكون العود يوم يدعوكم وقد منعه ابو البقا لان
الضمير لا يعمل عند البصريين واما الكوفيون فيعملون ضمير المصدر كظاهره فيقولون مروري بزيد حسن
وهو بعمرو قبيح يعني فمروري بعمرو وعندهم متعلق به لانه ضمير المرور وانشد واقول زهير على ذلك

• وما الحرب الا ما علمتم وذقتم • وما هو عنها بالحديث المرجم •

فهو ضمير المصدر وقد تعلق به الجار بعده والبصريون يؤولونه الرابع انه منصوب بفعل مقدر اي اذكر
يوم يدعوكم الخامس انه منصوب بالبعث المقدر قاله ابو البقا **قوله تعالى** بحمده فيه وجهان احدهما
انه حال فتستجيبون حامدين اي منقادين مطاوعين وهذا مبالغة في انقيادهم للبعث كقولك لمن تامره
بعمل يشق عليه ستاتي به وانت شاكر اي ستنتهي الى حالة تحمد الله وتشكر على ان اكتفى منك بذلك العمل وهذا يذكر
في موضع التهديد والثاني انها متعلقة بيدعوكم قاله ابو البقا وفيه قلق **قوله تعالى** ان لبثتم ان
نافية وهي معلقة للظن عن العمل وقل من يذكر ان النافية في ادوات تعليق هذا الباب وقليلا يجوز ان
يكون نعت زمان او مصدر محذوف اي الا زمانا قليلا او الا لبثا قليلا **فصل** المعنى يوم يدعوكم
من قبوركم الى موقف القيامة فتستجيبون اي تجيبون والاستجابة موافقة الداعي فيما دعى اليه وهو الا
جابة الا ان الاستجابة تقتضي طلب الموافقة فهي اوكد من الاجابة وقوله بحمده قال ابن عباس بامره قال
قتادة بطاعته لانهم لما اجابوه بالتسبيح والتحميد كان ذلك معرفة وطاعة ولكنهم لا ينفعهم ذلك في ذلك
اليوم وقيل مقرون بانه خالقهم وباعثهم ويحمدونه حين لا ينفعهم الحمد وهذا خطاب للكفار وقيل هذا
خطاب للمؤمنين قال سعيد بن جبير يخرجون من قبورهم وينفضون التراب عن رؤوسهم ويقولون سبحانك
وبحمدك وهو قوله تعالى فتستجيبون بحمده وقال اهل المعاني اي تستجيبون حامدين كما تقول جاء بغضبه
اي جاء غضبان وركب الامير بسيفه اي وسيفه معه ثم قال تعالى وتظنون ان لبثتم الا قليلا اي لبثتم
في الدنيا وفي القبور الا قليلا لان الانسان لو مكث الوفا من السنين في القبور عد ذلك قليلا في مدة القيامة
والخلود وقال ابن عباس يريد بين النفختين الاولى والثانية فانه يزال عنهم العذاب في هذا الوقت ويدل عليه
قوله تعالى في سورة يس من بعثنا من مرقدنا هذا وذلك ظنهم بان هذا البعث قليل اي لبثهم فيما بين النفختين
وقيل المراد استقلال لبثهم في عرصة القيامة **قوله تعالى** وقل لعبادي يقولوا التي هي احسن الاية تقدم
اعراب قوله تعالى وقل لعبادي يقولوا التي هي احسن في سورة ابراهيم وفي العباد هاهنا قولان الاول المراد به
المؤمنون لان لفظ العباد في اكثر آيات القرآن مختص بالمؤمنين قال تعالى فبشر عبادي الذين يستمعون القول
فادخلي في عبادي عينا يشرب بها عباد الله واذا عرف هذا فانه تعالى لما ذكر الحجة القطعية في صحة المعاد وهو
قوله تعالى قل الذي فطركم اول مرة قال هاهنا قل يا محمد لعبادي اذا اردتم الاستدلال على المخالفين فاذكروا تلك
الدلائل بالطريق الاحسن من غير شتم ولا سب ونظيره قوله تعالى قل للنبي ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة

الحسنة

الحسنة وجادلهم بالتي هي احسن وقوله تعالى ولا تجادلوا اهل الكتاب الا بالتي هي احسن وذلك لان ذكر الحجة
اذا اختلط به شتم او سب يقابلوكم بمثله كما قال تعالى ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم
ويزداد الغضب وتكمل النفرة ويمتنع المقصود واذا ذكرت الحجة بالطريق الاحسن اثر في القلب تاثيرا شديدا ثم
نبه تعالى على وجه المنفعة فقال ان الشيطان ينزغ بينهم اي يفسد بينهم ويغري بينهم قال الكلبي كان المشركون
يؤذون المسلمين فشكوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله تعالى وقل لعبادي المؤمنين يقولوا التي هي احسن
ولا يكافئوهم بسفههم قال الحسن يقول له يهديك الله وكان هذا قبل الاذن في الجهاد وقيل نزلت في عمر بن الخطاب
رضي الله عنه شتمه بعض الكفار فامره الله بالعفو وقيل امر المؤمنين بان يقولوا ويفعلوا الخلة التي هي احسن وقيل الاحسن
قول لا اله الا الله **قوله تعالى** ان الشيطان ينزغ يجوز ان تكون هذه الجملة اعتراضا بين المفسر والمفسر وذلك ان
قوله ربكم اعلم بكم ان يشا يرحمكم وقع تفسيرا لقوله التي هي احسن وبيانا لها ويجوز ان تكون معترضة بل مستانفة
وقرا طلحة ينزغ بكسر الزاي وهما لغتان كيعرشون ويعرشون قاله الزمخشري قال ابو حيان ولو مثل بينطح وينطح
كان يعني من حيث ان لام كل منهما حرف حلق وليس بطائل والمعنى ان الشيطان يلقي العداوة بينهم ان الشيطان كان
للانسان عدوا مبينا ظاهر العداوة **قوله تعالى** ربكم اعلم بكم ان يشا يرحمكم يوفقكم فتؤمنوا وان يشا يعذبكم
يميتكم على الكفر فيعذبكم قاله ابن جريج وقال الكلبي ان يشا يرحمكم فينجيكم من اهل مكة وان يشا يعذبكم
يسلطهم عليكم وما ارسلناك عليهم وكيلا وحفيظا وكفيلا والمقصود اظهار اللين والرفق لهم عند الدعوة
فان ذلك هو الموثر في القلب قبل نسخها اية القتال **قوله تعالى** وربك اعلم بمن في السموات والارض في هذه
البا قولان احدهما انها تتعلق باعلم كما تعلقت البا باعلم قبلها ولا يلزم من ذلك تخصيص علمه بمن في السموات
والارض وهو وهم لانه لا يلزم من ذكر الشي نفي الحكم عما عداه وهذا هو الذي يقوله الاصوليون لانه مفهوم اللقب
ولم يقل به الا ابو بكر الدقاق في طائفة قليلة **فصل** يعني الاية ان علمه غير مقصور عليكم ولا على
احوالكم بل علمه متعلق بجميع الموجودات والمعدومات وبجميع ذرات الارضين والسموات فيعلم حال كل احد ويعلم
ما يليق به من المصالح والمفاسد ولهذا جعلهم مختلفين في صورهم واحوالهم واخلاقهم وفضل بعض النبيين
على بعض واتى موسى التوراة وداود الزبور وعيسى الانجيل فلم يبعد ان يوتي محمدا القرآن ويفضله على جميع
فان قيل ما السبب في تخصيص داود بالذكر هاهنا فالجواب من وجوه الاول انه تعالى ذكر انه فضل بعض
النبيين على بعض ثم قال واتينا داود زبورا يعني ان داود كان له ملكا عظيما ثم انه تعالى لم يذكر ما اتاه من
الكتاب تنبيها على ان الفضل الذي ذكره قبل ذلك المراد منه التفضيل بالعلم والدين لا بالمال والثاني ان
سبب تخصيصه بالذكر انه تعالى كتب في الزبور من بعد الذكر ان محمدا خاتم الانبيا وان امته خير الامم قال تعالى
ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر ان الارض يرثها عبادي الصالحون وهو محمد وامته فان قيل هلا عرفه
كقوله ولقد كتبنا في الزبور فالجواب ان التنكير هاهنا يدل على تعظيم حاله لان الزبور عبارة عن المزبور
فكان معناه الكتاب وكان معنى التنكير انه كامل في كونه كتابا ويجوز ان يكون زبور علما واذا دخلت عليه
ال كقوله ولقد كتبنا في الزبور كانت للمح الصفة كعباس والعباس وفضل والفضل وقيل نكره هنا لدلالة
على التبعيض اي زبورا من الزبر او زبورا فيه ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم فاطلق على القطعة منه زبورا كما
يطلق على بعض القرآن قرآن الثالث ان السبب في تخصيص داود ان كفار قريش ما كانوا اهل نظر وجدل
بل كانوا يرجعون الى اليهود في استخراج الشبهات واليهود كانوا يقولون انه لا نبي بعد موسى ولا كتاب بعد
التوراة فنقض الله عليهم كلامهم بانزال الزبور على داود وتقدم خلاف القراء في الزبور في اخر سورة النسا
قوله تعالى الذين زعمتم مفعولا الزعم محذوف فان لهم المعنى اي زعمتموهم الهة وحذفهما اختصارا جائز
واقتصارا فيه خلاف **فصل** قال المفسرون ان اكثر المشركين اصابهم قحط شديد حتى اكلوا الكلاب
والجيف واستغاثوا بالنبي صلى الله عليه وسلم ليدعو لهم قال الله تعالى قل للمشركين ادعوا الذين زعمتم ايضا
الهة من دونه واعلم انه ليس المراد الاصنام لانه تعالى قال في حقهم اولئك الذين يبتغون الى ربهم الوسيلة
وابتغاء الوسيلة الى الله لا يليق بالاصنام البتة واذا ثبت هذا فنقول ان قوما عبدوا الملائكة فنزلت هذه الاية
فيهم وقال ابن عباس ومجاهد انها نزلت في الذين عبدوا المسيح وعزيرا والملائكة والشمس والقمر والنجوم وقيل
ان قوما عبدوا نفرا من الجن فاسلم النفر من الجن وبقي اولئك الناس متمسكين بعبادتهم فنزلت فيهم الاية قال ابن
عباس كل موضع في كتاب الله ورد فيه لفظ الزعم فهو كذب ثم انه تعالى احتج على فساد مذاهب هؤلاء بان الاله

المعبود هو القادر على ازالة الضر وايصال النفع وهذه الاشياء التي يعبدونها وهي الملائكة والجن والمسيح وعزير لا يقدرون على كشف الضر ولا على تحصيل النفع فوجب القطع بانها ليست آلهة فان قيل هذا الدليل انما يتم اذا دللتم على ان الملائكة لا قدرة لها على كشف الضر ولا على تحصيل النفع فما الدليل على ان الامر كذلك فان قلتم لانا نرى اولئك الكفار يتضرعون اليها ولا تحصل الاجابة قلنا ونرى ايضا المسلمين يتضرعون الى الله ولا تحصل الاجابة والمسلمون يقولون باجمعهم ان القدرة على كشف الضر وتحصيل النفع ليست الا به وعلى هذا التقدير فالدليل غير تام فالجواب ان الدليل تام كامل لان الكفار كانوا مقرين بان الملائكة عباد الله وخالق الملائكة وخالق العالم لا بد وان يكون اقدر من الملائكة واقوى منهم واكمل حالا منهم واذا ثبت هذا فنقول كمال قدرة الله معلوم متفق عليه ان قدرتهم بالنسبة الى قدرة الله تعالى قليلة حقيرة واذا كان كذلك وجب ان يكون الاشتغال بعبادة الله اولى منها الاشتغال بعبادة الملائكة لان استحقاق الله للعبادة معلوم وكون الملك كذلك مجهول والاخذ بالمعلوم اولى وسلك المتكلمون من اهل السنة طريقة اخرى وهو انهم اقاموا الحجة العقلية على انه لا موجد الا الله ولا مخرج للشيء من العدم الى الوجود الا الله وهذه الطريقة لا تتم واذا ثبت ذلك ثبت انه لا ضار ولا نافع الا الله فوجب القطع بانه لا معبود الا الله وهذه الطريقة لا تتم للمعتزلة لانهم لما جوزوا كون العبد موجدا لافعاله امتنع عليهم الاستدلال على ان الملائكة لا قدرة لها على الاحياء والامانة وخلق الجسم واذا عجزوا عن ذلك لا يتم لهم هذا الدليل فهذا هو الدليل القاطع على صحة قوله تعالى لا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا والتحويل عبارة عن النقل من حال الى حال ومن مكان الى مكان يقال حوله فتحول **قوله تعالى** اولئك الذين يدعون اولئك مبتدأ وفيه وجهان اظهرهما ان الجملة من يبتغون ويكون الموصول نعتا او بيانا او بدلا والمراد باسم الاشارة الانبياء والملائكة الذين عبدوا من دون الله والمراد بالواو العباد لهم ويكون العائد على الذين محذوفا والمعنى اولئك الانبياء الذين يدعونهم المشركون لكشف ضرهم او يدعونهم آلهة فمفعولها او مفعولاها محذوفان ويجوز ان يكون المراد بالواو ما اريد باولئك اي اولئك الانبياء الذين يدعون ربهم او الناس الى الهدى يبتغون فمفعول يدعون محذوف والثاني ان الخبر نفس الموصول ويبتغون على هذا حال من فاعل يدعون او بدل منه وقرأ العامة يدعون بالغيب وقد تقدم الخلاف في الواو هل تعود على الانبياء او على عابديهم وزيد بن علي بالغيبة ايضا الا انه بناه للمفعول وقتادة وابن مسعود بتاء الخطاب وهاتان القراءتان تقويان ان الواو للمشركين لا للانبياء في قراءة العامة فان قيل اذا اعدنا يدعون للعابدين ويبتغون للمعبودين فالمعنى ان اولئك المعبودين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة لان الملائكة يرجون الله في طلب المنافع ودفع المضار يرجون رحمته ويخافون عذابه وان كانوا كذلك كانوا عاجزين محتاجين والله مولى غني الاغنياء فكان الاشتغال بعبادته اولى فالجواب لا نسلم ان الملائكة اما ان يقال انها واجبة الوجود لذاتها او يقال انها ممكنة الوجود لذاتها والاول باطل لان جميع الكفار كانوا معترفين بان الملائكة عباد الله ومحتاجون اليه واما الثاني فهو يوجب القول بان الملائكة محتاجين في ذواتها وفي كمالاتها الى الله تعالى فكان الاشتغال بعبادة الله اولى من الاشتغال بعبادة الملائكة وان اعدنا يدعون الى الانبياء والمذكورين في قوله تعالى ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض فالمعنى هو ان الذين عظمت منزلتهم وهم الانبياء لا يعبدون الا الله ولا يبتغون الوسيلة الا اليه فانتم بالاقتداء بهم احق فلا تعبدوا غير الله والمراد بالوسيلة الدرجة العليا وقيل كلما يتقرب به الى الله تعالى واحتجوا على صحة هذا القول بان الملائكة لا يعصون الله فلا يخافون عذابه فثبت ان هذا غير لائق بالملائكة وانما هو لائق بالانبياء واجيب بان الملائكة يخافون عذاب الله لو اقدموا على الذنب قال تعالى ومن يقل منهم اني اله من دونه فذلك نجزيه جهنم وقال تعالى يخافون ربهم من فوقهم ثم قال ان عذاب ربك كان محذورا اي من حقه ان يحذر فان لم يحذره بعض الناس لجهله فانه لا يخرج عن كونه يجب الحذر عنه **قوله تعالى** ايهم اقرب في اي هذه وجهان احدهما انها استفهامية والثاني انها موصولة بمعنى الذي وانا اكثر كلام المعربين فيها من حيث التقدير وقال الزمخشري وايهم بدل من واو يبتغون واي موصولة اي يبتغي من هو اقرب منهم وازلف او ضمن الوسيلة معنى يحرصون فكانه قيل يحرصون ايهم يكون اقرب فجعلها في الوجه الاول موصولة وصلتها جملة من مبتدأ وخبر حذف المبتدأ وهو عائدها واقرب خبر هو واحتملت اي حينئذ ان تكون مبنية وهو الاكثر فيها وان تكون معربة وسيأتي موضعه في مريم ان شاء الله تعالى وفي الثاني جعلها استفهامية بدليل انه ضمن الابتغاء معنى شيء يتعلق وهو يحرصون فيكون ايهم مبتدأ واقرب خبره والجملة في

والجملة

والجملة في محل نصب على اسقاط الخافض لان يحرص يتعدى بعلى قال تعالى ان تحرص على هداهم احرص الناس على حيوة وقال ابو البقاء وايهم مبتدأ واقرب خبره وهو استفهام في موضع نصب بيدعون ويجوز ان يكون ايهم بمعنى الذي وهو بدل من الضمير في يدعون قال ابو حيان على يدعون وهو ليس فعلا قلبيا وفي الثاني فصل بين الصلة ومعمولها بالجملة الحالية ولا يضر ذلك لانها معمولة للصلة قال ثم ان الذي يا ما كون يدعون لا تعلق هو مذهب الجمهور وقال يونس يجوز تعليق الافعال مطلقا القلبية وغيرها واما قوله فصل بالجملة الحالية يعني بها يبتغون فصل بها بين يدعون الذي هو صلة الذي وبين معموله وهو ايهم اقرب لانه تعلق عنه كما عرفت الا ان الشيخ لم يتقدم في كلامه اعراب يبتغون حالا بل لم يعربها الا خبرا للموصول وهذا اقرب وجعل ابو البقاء الموصولة بدلا من واو يدعون ولم اد غيره وافقه على ذلك بل كلهم يجعلونها بدلا من باب وهو الظاهر وقال الحوفي ايهم اقرب ابتداء وخبره والمعنى ينظرون ايهم اقرب فيتوسلون به ويجوز ان يكون ايهم اقرب بدلا من واو يبتغون قال الشهاب الذي فقد اضمر فعلا معلقا وهو ينظرون فان كان من نظر البصر تعدى بالى وان كان من نظر الفكر تعدى بفي فعلى التقدير الجملة الاستفهامية في موضع نصب باسقاط الخافض وهذا اضمار لا حاجة اليه وقال ابن عطية وايهم مبتدأ واقرب خبره والتقدير نظرهم وودكهم ايهم اقرب ومنه قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه فبات الناس يدوكون ايهم يعطاها اي يتبادرون في القرب قال ابو حيان فجعل المحذوف نظرهم وودكهم وهذا مبتدأ فان جعلت ايهم اقرب في موضع نصب بنظرهم بقي المبتدأ بلا خبر فيحتاج الى اضمار خبر وان جعلت ايهم اقرب الخبر لم يصح لان نظرهم ليس هو ايهم اقرب وان جعلت التقدير فنظرهم في ايهم اقرب اي كائن او حاصل لم يصح ذلك لان كائنا او حاصلا ليس مما يعلق فقد تحصل في الاية ستة اوجه اربعة حال جعل اي استفهاما الاولى انها معلقة ليوسيلة كما قرره الزمخشري الثاني انها معلقة بيدعون كما قاله ابو البقاء انها بدل من واو يبتغون كما قاله الجمهور **قوله تعالى** وان من قرية الاية لما قال ان عذاب ربك كان محذورا بين ان كل قرية مع اهلها فلا بد وان يرجع حالها الى احد امرين اما الاهلاك واما التعذيب قال مقاتل اما الصالحة فبالموت واما الطالحة فبالعذاب وقيل المعنى وان من قرية من قرى الكفار فلا بد وان يكون عاقبتها احد الامرين اما الاستيصال بالكلية وهو الاهلاك او بعذاب شديد من قتل كبرائهم وتسليط المسلمين عليهم بالسبي واغتنام الاموال واخذ الجزية كان ذلك مسطورا في اللوح المحفوظ قال عليه الصلاة والسلام اول ما خلق الله القلم فقال له اكتب فقال ما اكتب قال القدر وما هو كائن الى الابد وان نافية ومن مزيدة في المبتدأ لاستغراق الجنس وقال ابن عطية هي لبيان الجنس وفيه نظر من وجهين احدهما قال ابو حيان لان التي للبيان لا بد ان يتقدمها مبهم ما يفسره كقوله تعالى ما يفتح الله للناس من رحمة وهنا لم يتقدم شيء مبهم ثم قال ولعل قوله لبيان الجنس من الناسخ ويكون هو قد قال لاستغراق الجنس الا ترى انه قال بعد ذلك وقيل المراد بالخصوص وخبر المبتدأ الجملة المحصورة في قوله تعالى الا نحن مهلكوها والثاني ان شرط ذلك ان يسبقها محلى بال للجنس وان يقع موقعها الذي كقوله تعالى فاجتنبوا الرجس من الاوثان **قوله تعالى** وما منعنا ان نرسل بالآيات الاية لما استدل على فساد قول المشركين واتبعه بالوعيد اتبعه بذكر مسألة النبوة واعلم ان الكفار كانوا يقترحون على رسول الله صلى الله عليه وسلم اظهار المعجزات كما حكى الله تعالى عنهم ذلك في قولهم فلياتنا باية كما ارسل الاولون وقال آخرون لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا الايات وقال سعيد بن جبير انهم قالوا انك تزعم انه كان قبلك انبياء منهم من سخرت له الريح ومنهم من احيى الموتى فاتنا بشيء من هذه المعجزات فاجابهم الله تعالى بهذه الاية وفي تقرير هذا الجواب وجوه الاول ان معناه اني ان اظهرت تلك المعجزات ثم لم يؤمنوا بها بقوا مصرين على الكفر حينئذ يصيرون مستحقين لعذاب الاستيصال لكن عذاب الاستيصال على هذه الامة غير جائز لان الله تعالى علم ان فيهم من سيؤمن او يؤمن اولادهم فلهذا لم يظهر تلك المعجزات قال ابن عباس ان اهل مكة سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يجعل لهم الصفا ذهبا وان يزيل عنهم الجبال حتى يزرعوا تلك الارض فطلب الرسول ذلك من الله تعالى فقال الله تعالى ان شئت فعلت لكن بشرط ان لم يؤمنوا اهلكتهم فقال لا اريد ذلك فنزلت هذه الاية الثاني في تفسير هذا الجواب انا لا نظهر المعجزات لان اباءكم رأوها ولم يؤمنوا بها وانتم ايضا الثابت ان الاولين رأوا هذه المعجزات وكذبوا بها فعلم الله منكم ايضا لو شاهدتموها لكذبتم بها فكان اظهارها عبثا والحكيم لا يفعل العبث **قوله تعالى** ان نرسل ان وما في حيزها في محل رفع نصب او جر على اختلاف القولين لانها على حذف الجار اي من ان نرسل والثانية وما في حيزها في محل رفع بالفاعلية اي ما منعنا من ارسال الرسل بالآيات الا تكذيب الاولين اي لو ارسلنا الآيات المقترحة لقريش لاهلكوا عند تكذيبهم كعادة من قبلهم لكن علم الله انه يؤمن

نعضهم ويكذب بعضهم فلذلك لم يرسل بالايات لهذه المصلحة وقدر ابو البقا مضافا قبل الفاعل فقال تقديره
الا اهلاك التكذيب كانه نعوان التكذيب نفسه لم يمنع من ذلك وانما منع منه ما يترتب على التكذيب وهو الاهلاك ولا
حاجة الى ذلك لاستقلال المعنى بدونه **قوله تعالى** واتينا ثمود الناقة مبصرة قرا العامة بنصب مبصرة على الحال
وزيد بن علي برفعها على اضمار مبتدا اي هي اسناد مجازي اذ المراد ابصار اهلها ولكنها لما كانت سببا في الابصار نسب
اليها وقرا قوم بفتح الصاد مفعولا على الاسناد الحقيقي وقتادة بفتح الميم والصاد اي محل ابصار كقوله عليه الصلاة
والسلام الولد مبخلة مجبنة وكقوله والكفر مخبثة النفس لئيم **فصل** اجرى هذه الاشيا مجرى الامكنة نحو ارض
مسبعة ومذابة **قوله تعالى** الا تخويفا يجوز ان يكون مفعولا له وان يكون مصدرا في موضع الحال اما من الفاعل
اي مخوفين او من المفعول اي مخوفا بها **فصل** المعنى ان الاية التي التمسوها مثل اية ثمود وقد اتينا ثمود
الناقة مبصرة اي واضحة بينة ثم كفروا بها فاستحقوا بها عذاب الاستيصال فكيف يمنا هاهنا لا على سبيل
الاقتراح والتحكم قال الفرا مبصرة مضيئة قال تعالى والنهار مبصرا اي مضيئا وقيل مبصرة اي ذات ابصار
اي فيها ابصار لمن تاملها يبصر بها رشده ويستدل بها على صدق ذلك الرسول فظلموا بها اي جحدوا بانها من الله
تعالى ثم قال وما نرسل بالايات الا تخويفا قيل لانه لا اية الا وتتضمن التخويف عند التكذيب اما من العذاب
المعجل او من العذاب المؤجل عذاب الاخرة فالجواب ان المقصود الاعظم من اظهار الايات ان يستدل بها على صدق
المدعي فكيف حصر المقصود من اظهارها في التخويف فالجواب ان مدعي النبوة اذا ظهر الاية فاذا سمع الخلق منه ذلك
فهم لا يعلمون ان تلك الاية معجزة فلو لم يتفكروا فيها ولم يستدلوا على الصدق والا استحقوا العذاب الشديد
فهذا الخوف هو الذي يحملهم على التفكر والتامل في تلك المعجزات فهذا هو المراد من قوله تعالى وما نرسل بالايات
الا تخويفا **قوله تعالى** واذ قلنا لك ان ربك احاط بالناس الاية اعلم ان القوم لما طالبوا رسول الله صلى الله عليه
وسلم بالمعجزات القاهرة واجاب الله تعالى ان اظهارها ليس بمصلحة صار ذلك سببا لجراءة اولئك الكفار في الطعن فيه
وان يقولوا له لو كنت رسولا حقا من عند الله لاتيت بهذه المعجزات التي اقترحناها كما اتى بها موسى وعيسى من عند
الانبياء فعند هذا قوى الله قلبه وبين له انه ينصره ويؤيده فقال تعالى واذ قلنا لك ان ربك احاط بالناس
اي هم في قبضته لا يقدرون على الخروج من مشيئته فهو حافظك منهم فلا تهبهم وامض لما امرك به من تبليغ
الرسالة كقوله تعالى والله يعصمك من الناس وقيل المراد بالناس اهل مكة واحاطة الله بهم هو انه تعالى يفتحها
للمؤمنين فيكون المعنى واذ بشرناك بان الله احاط بالناس باهل مكة بمعنى انه سينصرك ويظهرك ولتك عليهم
كقوله تعالى سيهزم الجمع ويولون الدبر وقوله تعالى قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون ولما كان كل ما اخبر الله
عن وقوعه فهو واجب الوقوع فكان من هذا الاخبار كالواقع فلا جرم قال احاط بالناس وروي انه لما تزاحف الفريقان
يوم بدر ورسول الله صلى الله عليه وسلم في العريش مع ابي بكر كان يدعو ويقول اللهم اني اسالك عهدك ووعدك
ثم خرج وعليه الدرع يحرض الناس ويقول سيهزم الجمع ويولون الدبر ثم قال وما جعلنا الرؤيا التي اريناك
الا فتنة للناس والاكثرون على ان المراد منه ما راى النبي صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج من العجايب والايات
قال ابن عباس هي رؤيا عين اريها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قول سعيد بن جبير والحسن ومسروق وقتادة
ومجاهد وعكرمة وابن جريج والاكثرين ولا فرق بين الرؤية والرؤيا في اللغة يقال رايت بعيني رؤية ورؤيا وقال
بعضهم هذا يدل على ان قصة الاسرا فيما حصلت في المنام وتقدم بيان ضعف هذا في اول السورة وقيل انه
تعالى اراه في المنام مصارع قريش حين ورد ماء بدر قال والله لكاني انظر الى مصارع القوم ثم اخذ يقول هذا
مصرع فلان فلما سمعوا قريش ذلك جعلوا رؤياه سخرية وكانوا يستعجلون بما وعده رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقيل المراد رؤياه التي راى انه يدخل مكة واخبر بذلك اصحابه وعجل السير قبل الاجل الى مكة فصده المشركون
رجع الى المدينة فلما منع عن البيت الحرام عام الحديبية ورجع كان ذلك فتنة لبعض القوم وقال عمر لابي بكر
رضي الله عنهما قد اخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم انا ندخل البيت ونطوف به فقال ابو بكر رضي الله عنه
انه لم يخبر بتيان نفعل ذلك في هذه السنة فسنفعل ذلك في سنة اخرى فلما جاء العام المقبل دخلها وانزل الله
تعالى لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق واعترضوا على هذين القولين بان هذه السورة مكية وهاتان الواقعتان
مدنيتان وهو اعتراض ضعيف لان هاتين الواقعتين وان كانتا مدنيتين فرؤيتهما في المنام لا يبعد ان تكون
بمكة وقال سعيد بن المسيب راى رسول الله صلى الله عليه وسلم بني امية ينزون على منبره فساءه ذلك وهذا
قول ابن عباس في رواية عطا وفيه اعتراض المذكور لان هذه الاية مكية وما كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة

منبرا

منبره اذ لو انه بني امية **قوله تعالى** والشجرة الملعونة العامة على نصبها نسقا على الرؤيا والملعونة نعت قيل هو
مجاز اذ المراد طاعمها لان الشجرة لا ذنب لها وهي شجرة الزقوم وقيل بل هو على الحقيقة ولعنها ابعادها من رحمة
الله لانها تخرج في اصل الجحيم وقرا زيد بن علي برفعها على الابتداء وفي الخبر احتمالان احدهما وهو محذوف اي
فتنة والثاني قاله ابو البقا انه قوله في القران وليس بذاك **فصل** قال المفسرون هذا على التقديم
والتاخير والتقدير وما جعلنا الرؤيا التي اريناك والشجرة الملعونة في القران الا فتنة للناس وقيل المعنى
والشجرة الملعونة في القران كذلك وهي شجرة الزقوم والفتنة في الشجرة الملعونة من وجهين الاول ان ابا
جهل قال ان زعم صاحبكم ان نار جهنم تحرق الحجر حيث قال وقودها الناس والحجارة ثم يقول انه في النار شجر والنار
تاكل الشجر فكيف يولد فيها الشجر والثاني قال ابن الزبعرى ان محمدا يخوفنا بالزقوم وما نعلم الزقوم الا التمر
والزبد تزقموا منه فانزل الله تعالى حين عجبوا انه يكون في النار شجر انا جعلناها فتنة للظالمين الايات
فان قيل ليس في القران لعن لهذه الشجرة فالجواب من وجوه الاول المراد لعن الكفار الذين ياكلونها الثاني
ان العرب تقول لكل طعام ضار انه ملعون الثالث ان اللعن في اللغة هو الابعاد فلما كانت هذه الشجرة مبعدة عن صفات
الخير سميت ملعونة وقال ابن عباس الشجرة الملعونة في القران بنو امية يعني الحكم بن ابي العاص قال راى رسول الله صلى
الله عليه وسلم في المنام ان ولد مروان يتداولون منبره فقص رؤياه على ابي بكر وعمر رضي الله عنهما في خلوة من
مجلسه فلما تفرقوا سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم الحكم يخبر برؤيا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاشتد ذلك
على رسول الله صلى الله عليه وسلم واتهم عمر في افشاء سره ثم ظهر له ان الحكم كان يتسمع فنفاه صلى الله عليه وسلم
قال الواحدي رحمه الله هذه القصة كانت في المدينة والسورة مكية فيبعد هذا التفسير الا ان يقال هذه الاية
مدنية ولم يقل به احد ويؤكد هذا التاويل قول عايشة رضي الله عنها لمروان لعن الله اباك وانت في صلبه فانت بعض
من لعنه الله وقيل الشجرة الملعونة هي التي تلتوي على الشجر فتجففه يعني الكشوث فان قيل ان القوم طلبوا من رسول
الله صلى الله عليه وسلم الاتيان بالمعجزات الباهرة فالجواب انه لا مصلحة في اظهارها لانها لو ظهرت ولم يؤمنوا
نزل عليهم عذاب الاستيصال وذلك غير جائز فاي تعلق بهذا الكلام فذكر الرؤيا التي صارت فتنة للناس وذكر الشجرة
فالجواب ان التقدير كانهم طلبوا هذه المعجزات ثم انك لا تظهرها صار عدم ظهورها شبهة لهم في انك لست بصادق
في دعوى النبوة الا ان وقوع هذه الشبهة لا تضيق صدرك ولا توهن امرك ولا تصير سببا لضعف حالك الا ترى ان
تلك الرؤيا صارت سببا لوقوع الشبهة العظيمة عندهم ثم ان قوة تلك الشبهات ما اوجبت ضعفا في امرك فكذلك
هذه الشبهة الحاصلة بسبب عدم ظهور هذه المعجزات لا يوجب فتورا في حالك ولا ضعفا في امرك ثم قال تعالى
ونخوفهم فما يزيدهم اي التخويف الا طغيانا كبيرا اي تمردا وعتوا عظيما والمقصود من ذلك وجه اخر في انه ما
اظهر المعجزات التي اقترحوها لان هؤلاء خوفوا باشياء كثيرة من الدنيا والاخرة وبشجرة الزقوم فما زادهم هذا التخويف
الا طغيانا كبيرا وذلك يدل على قسوة قلوبهم وتماديهم في الغي والطغيان واذا كان كذلك فبتقدير ان يظهر الله
لهم تلك المعجزات التي اقترحوها لم ينتفعوا بها ولا يزدادون الا تماديا في الجهل والعناد واذا كان كذلك وجب
في الحكمة ان لا يظهر الله لهم ما اقترحوه من الايات والمعجزات وقرا العامة ونخوفهم بنون العظمة والاعمش بياء
الغيبة **قوله تعالى** واذ قلنا للملائكة اسجدوا لادم الايات في النظم وجوه اولها انه تعالى لما ذكر ان الرسول
عليه السلام كان في محنة عظيمة من قومه بين ان حال جميع الانبياء مع اهل زمانهم كذلك الا ترى ان اول الانبياء
ادم ثم انه كان في محنة من ابليس وثانيها ان القوم انما نازعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وعاندوه واقترحوا
عليه الاقتراحات الباطلة لامرين الكبر والحسد فبين تعالى ان هذا الكبر والحسد هما اللذان حملا ابليس على الكفر
والخروج من الايمان فهذه بلية عظيمة قديمة وثالثها انه لما وصفهم الله بقوله وما يزيدهم الا طغيانا كبيرا بين ما
هو السبب لحصول هذا الطغيان وهو قول ابليس لاحتنكن ذريته فلهذا المقصود ذكر الله تعالى قصة ادم وابليس
واعلم ان هذه القصة ذكرها الله تعالى في سبع سور البقرة والاعراف والحجر وهذه السورة والكهف وطه وص
وقد تقدم الاستقصاء عليها في البقرة فليلتفت اليه وقوله ااسجد لمن خلقت طينا الاستفهام بمعنى الانكار ومعناه
انا اصلي اشرف من اصله فوجب ان اكون اشرف منه والاشرف لا يخدم الادنى **قوله تعالى** طينا فيه اوجه احدها
انه حال من الهاء فالعامل فيها اسجد او من عايد هذا الموصول اي خلقته طينا والعامل فيها خلقت وجهان
وقوع طينا حالا وان كان جامدا لدلالته على الاصالة كانه قال متاصلا من طين الثاني انه منصوب على اسقاط
الخافض اي من طين كما صرح به في الاية الاخرى وخلقته من طين الثالث انه منتصب على التمييز قاله الزجاج

وتبعه ابن عطية ولا يظهر ذلك اذ لم يتقدم ابهام ذات دلالة **قوله تعالى** ارايتك قد تقدم مستوفا
في الانعام وقال الزمخشري الكاف للخطاب وهذا مفعول به والمعنى اخبرني عن هذا الذي كرمته علي اي فضلته
لم كرمته وانا خير منه فاختصر الكلام وهذا قريب من كلام الحوفي وقال ابن عطية والكاف في ارايتك حرف خطاب
لا موضع لها من الاعراب ومعنى ارايت اتاملت ونحوه كان المخاطب ينبه المخاطب ليستجمع لما ينص عليه وقال سيبويه
صحيح حيث يكون بعدها استفهام كقوله واما في الاية فهو كما قلت وليست التي ذكر سيبويه وهذا الذي
ذكره ليس بسالم بل الاية كقوله غاية ما في الباب ان المفعول الثاني محذوف وهو الجملة الاستفهامية المقدرة
لانعقاد الكلام من مبتدا وخبر لو قلت هذا الذي كرمته وقال الفرا الكاف في محل نصب اي ارايت نفسك
كقولك اتعرف اخا امرك فاني صانع فيه كذا ثم ابتدا هذا الذي كرمته علي وقال ابن الخطيب يمكن ان يقال
هذا مبتدا محذوف عنه حرف الاستفهام والذي مع صلته خبره تقديره اخبرني اهذا الذي كرمته علي وهذا
على وجه الاستصغار والاستحقار وانما حذف حرف الاستفهام لانه حصل في قولك ارايتك فاغني عن تكريره
وقال ابو البقا والمفعول الثاني محذوف تقديره تفضيله او تكريمه قال شهاب الدين وهذا لا يجوز لان المفعول
الثاني في هذا الباب لا يكون الا جملة مشتملة على استفهام قال ابو حيان ولو ذهب الى ان الجملة القسمية هي
المفعول الثاني لكان حسنا قال شهاب الدين يرد ذلك الالتزام كون المفعول الثاني جملة مشتملة على استفهام
وقد تقدم جميع ذلك في الانعام فعليك باعتباره هنا **قوله تعالى** لئن اخرتني قرا ابن كثير باثباتها
وصلا ووقفا ونافع وابو عمرو باثباتها وصلا وحذفها وقفا وهذه قاعدة من ذكره في الباب الزايد على الرسم
والباقون بحذفها وصلا ووقفا في حرف هذه السورة اما الذي في المنافقين في قوله تعالى لولا اخرتني
فاثبته الكل لثبوتها في الرسم الكريم **قوله تعالى** لاحتنكن جواب لقسم الموطا له باللام ومعنى لاحتنكن
لاستولين عليهم استيلاء من جعل في حنك الدابة الاسفل حبلا يقودها به فلا تابى ولا تشمس عليه يقال حنك
فلان الدابة واحتنكها اي فعل بها ذلك واحتنك الجراد الارض اكل نباتها قال الشاعر
اشكو اليه سنة قد اجحفت • جهدا الى جهد بنا فاضعفت • واحتنكت اموالنا وجلفت • وحكي
سيبويه احتنك الشاتين اي اكلهما اي اكثرهما اكلا وذكر المفسرون في الاحتناك قولان احدهما انه عبارة عن
الاخذ بالكلية يقال احتنك فلان مال فلان اذا استقصاه فاخذه بالكلية واحتنك الجراد الزرع اذا اكله
بالكلية والثاني انه من قول العرب حنك الدابة يحنكها ثم قال الا قليلا وهم المعصومون الذين استثناهم الله
تعالى في قوله ان عبادي ليس لك عليهم سلطان فان قيل كيف ظن ابليس هذا الظن الصادق بذريته
فالجواب فيه وجهان الاول انه سمع الملايكة يقولون اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدما فعرف ذلك
والثاني انه وسوس الى ادم فلم يجد له عزما فقال الظاهر ان اولاده يكونون مثله في ضعف العزم وقيل لانه
عرف انه تركب من قوة بهيمية شهوانية وقوة شيطانية وقوة عقلية ملكية وقوة سبعية غضبية وعرف ان
بعض تلك القوى لتكون هي المستولية في اول الخلقة ثم ان القوة العقلية انما تكمل في اخر الامر ومتى كان الامر
كذلك كان ما ذكره ابليس لازما **قوله تعالى** اذهب فمن تبعك تقدم ان البا تدغم في الفا في الفاظ منها هذه
عند ابي عمرو والكسائي وحمزة في رواية خلاد عنه بخلاف في قوله ومن لم يتب فاولئك وهذا ليس من الذهاب
الذي هو ضد المجي وانما معناه امض لشانك الذي اخترته والمقصود التخلية وتفويض الامر اليه كقول موسى
فاذهب فان لك في الحياة ان تقول لا مساس ثم قال فمن تبعك فان جهنم جزاؤكم جزاء موفورا فالجواب
الاولى ان يقال فان جهنم جزاؤهم وجزاؤكم لانه تقدم غايب ومخاطب ثم غلب المخاطب على الغايب فقيل
جزاؤكم والثاني يجوز ان يكون الخطاب مرادا به من خاصة على طريق الالتفات والثالث انه عليه السلام
قال من سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيمة فكل معصية توجد فيحصل لابليس
مثل وزر ذلك العامل فلما كان ابليس هو الاصل في كل المعاصي صار المخاطب بالوعيد هو ابليس جزا في نصبه
اوجه احدها انه منصوب على المصدر الناصب قبله وهو مصدر مبين لنوع المصدر الاول الثاني انه
منصوب على المصدر ايضا لكن بمضمر وهو غير منتقل وموفورا اسم مفعول من وفرته ووفر يستعمل
متعديا ومنه قول زهير • ومن يجعل المعروف من دون عرضه • يفره ومن لا يتق الشتم يشتم •
فالاية الكريمة من هذا ويستعمل لازما يقال وفر المال يفر وفورا فهو وافر فعلى الاول يكون المعنى جزاء
موفورا وعلى الثاني يكون المعنى جزاء وافرا مكملا يقال وفرته افره وفرا **قوله تعالى** واستفزز جملة

امرية

امرية عطفت على مثلها من قوله اذهب ومن استطعت يجوز فيها وجهان احدهما انها موصولة في محل نصب
مفعولا للاستفزاز اي الذي استطعت استفزازه منهم والثاني انها استفهامية منصوبة المحل باستطعت قاله
ابو البقا وليس بظاهر لان استفزز يطلبه مفعولا به فلا يقطع عنه ولو جعلناه استفهاما لكان معلقا له
وليس هو بفعل قلبي والاستفزاز الاستخفاف واستفزني فلان استخفني حتى خدعني لما يريده قال الشاعر
• يطيع سفيه القوم اذ يستفزه • ويعصي حليما شيبته الهزاهز •
ومنه سمي ولد البقرة فزا قال الشاعر • كما استغاث بشيء فز غيطلة • خاف العيون ولم ينظر به الحشك
واصل الفز القطع يقال تفزز الثوب اي تقطع ويقال افزه الخوف واستفزه اي ازعجه واستخفه واعلم ان ابليس
لما طلب من الله تعالى الامهال الى يوم القيمة لاجل ان يحتنك ذرية ادم ذكر الله تعالى اشياء اولها قوله تعالى اذهب
اي امهلتك هذه المدة وثانيها قوله تعالى واستفزز من استطعت منهم وتقدم ان الاستفزاز الاستخفاف وقيل
وقيل استزل واستجهل وقوله بصوتك اي بالغنا واللهو قال ابن عباس وقتادة بدعايك الى معصية الله قال
الازهري اذ هو دعا يستخفهم به الى جانبك وقال مجاهد بصوتك اي بالغناء واللهو وهذا امر تهديد كما
يقال اجتهد جهدك فسترى ما ينزل بك وثالثها قوله تعالى واجلب عليهم اي اجمع عليهم الجموع من جندك
يقال اجلب عليه وجلب اي جمع عليه الجموع قال الفرا هو من الجلبة وهو الصياح وقال ابو عبيدة اجلبوا
وجلبوا من الصياح وقال ابن السكيت يقال هم يجلبون عليه بمعنى انهم يعينون عليه وروى ثعلب عن ابن الاعرابي
اجلب الرجل اذا توعد بالشر وجمع عليه الجمع فعلى قول الفرا معنى الاية صح عليهم بخيلك ورجلك وعلى قول الزجاج
اجمع عليهم كلما تقدر عليه من مكايدك وعلى هذا تكون البا في قوله بخيلك زايدة وعلى قول ابن السكيت معناه
اعن عليهم بخيلك ورجلك وهو يقرب من قول ابن الاعرابي والمراد بالخيل والرجل قال ابن عباس كل راكب
او راجل في معصية الله فهو من خيل ابليس وجنوده وقال مجاهد وقتادة ان لابليس جندا من الشياطين بعضهم
بعضهم راجل وبعضهم راكب وقيل المراد ضرب المثل كما يقال للرجل المجد في الامر جيت بالخيل والرجل وهذا
الوجه اقرب والخيل تقع على الفرسان قال عليه الصلاة والسلام يا خيل الله اركبي وقد يقع على الافراس خاصة
قوله تعالى ورجلك قرا حفص بكسر الجيم والباقون بسكونها فقراءة حفص رجل فيها بمعنى رجل بالضم بمعنى راجل
يقال رجل يرجل اذا صار راجلا فيكون مثل حذر وحذر وندس وندس وهو مفرد اريد به الجمع وقال ابن
عطية يقال فلان يمشي رجلا اذا كان غير راكب ومنه قول الشاعر • رجلا الا يا اصحابي •
يشير الى النصب المشهور وهو • فما اقبلت عن دين علي من حي • الاكر رجلا الا يا صحابي • اراد فارسا ولا راجلا
وقال الزمخشري ان فعلا بمعنى فاعل نحو تعب وتاعب ومعناه جمعك الرجل ونصبه جيمه ايضا فيكون مثل
حذر وحذر وندس وندس والجواب لهما واما قراءة الباقين فيحتمل ان يكون تخفيفا من رجل بكسر الجيم
او ضمها والمشهور انه اسم جمع لراجل كركب وصحب في راكب وصاحب والاخفش يجعل هذا النحو جمعا صريحا وقرا
عكرمة ورجالك جمع رجل بمعنى راجل او جمع راجل كقايم وقيام وقري ورجالك بضم الرا وتشديد الجيم
وهو جمع راجل كضارب وضراب وقال ابن الانباري اخبرنا ثعلب عن الفرا قال يقال راجل ورجل ورجل
ورجلان بمعنى واحد والبا في بخيلك يجوز ان تكون الحالية مصاحبا بخيلك وان تكون مزيدة كما نقلته
قال الشاعر • لا يقران بالسور • ورابعها قوله تعالى وشاركهم في الاموال والاولاد والمشاركة في الا
موال قال مجاهد والحسن وسعيد بن جبير هو كل ما اصيب من حرام او انفق من حرام وقال قتادة هو جعلهم
البحيرة والسايبة والوصيلة والحام وقال الضحاك هو ما يذبحونه لالهتهم وقال عكرمة هو تبكيتهم
اذان الانعام وقيل هو جعلهم من اموالهم شيا لغير الله كقولهم هذا لله وهذا لشركاينا والاول اظهر قاله
القاضي واما المشاركة في الاولاد فقال عطا عن ابن عباس هو تسمية الاولاد بعبد شمس وعبد العزى وعبد
الحرث وعبد الدار ونحوها وقال الحسن وقتادة هو انهم هودوا اولادهم ونصروهم ومجسوهم وقيل
اقدامهم على قتل الاولاد وروي عن جعفر بن محمد ان الشيطان يقعد على ذكر الرجل فاذا لم يقل بسم الله اصاب
معه امراته وانزل في فرجها كما ينزل الرجل وروي ان رجلا قال لابن عباس ان امراتي استيقظت وفي فرجها شعلة
نار قال ذلك من وطي الجن وفي الاثار ان ابليس لما خرج الى الارض قال يا رب اخرجتني من الجنة لاجل ادم فسلطني
عليه وعلى ذريته قال انت مسلط قال لا استطيعه الا بك فزدني قال استفزز من استطعت منهم بصوتك
الاية قال ادم يا رب سلطت ابليس علي وعلى ذريتي واني لا استطيعه الا بك قال لا يولد لك ولد الا وكلت به من

يحفظونه قال زدني قال الحسنة بعشر امثالها والسيئة بمثلها قال زدني قال التوبة مفتوحة ما دام الروح
في الجسد قال زدني فقال يا عبادي الذين اسرفوا وخامسها قوله وعدهم قيل معناه قل لهم لا جنة ولا نار
ولا بعث وامثل منه الجميل في طاعتك اي بالاماني الباطلة كقوله لادم ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا ان
تكونا ملكين او تكونا من الخالدين وقيل وعدهم بشفاعة الانبياء عند الله وبالانساب الشريفة وايثار العاجل
على الاجل واعلم ان مقصود الشيطان الترغيب في اعتقاد الباطل وعمله والتنفير عن اعتقاد الحق ومعلوم
ان الترغيب في الشيء لا يمكن الا بان يقرر عنده انه لا ضرر البتة في فعله ومع ذلك فانه يفيد المنافع العظيمة
والتنفير عن الشيء لا يمكن الا بان يقرر عنده انه لا فائدة في فعله ومع ذلك يفيد المضار العظيمة واذا ثبت
هذا فالشيطان اذا دعى الى المعصية فلا بد وان يقرر اولا انه لا مضرة في فعله البتة وذلك لا يمكن الا اذا قال
لا معاد ولا جنة ولا نار ولا حياة غير هذه الحيوة الدنيا فاذا فرغ من هذا المقام قرر عنده ان هذا الفعل
يفيد انواعا من اللذة والسرور ولا حياة للانسان في هذه الحياة الدنيا الا به فتفويتها غبن وخسران
كقوله • خذوا بنصيب من نعيم ولذة • فكل وان طال المدى يتصرم •
فهذا هو طريق الدعوة الى المعصية واما طريق التنفير عن الطاعات فهو ان يقرر عنده اولا انه لا فائدة فيها
للعابد والمعبود فكانت عبثا وانها توجب التعب والمحنة وذلك اعظم المضار فقوله تعالى وعدهم يتناول
جميع هذه الاقسام **قوله** وما يعدهم الشيطان من باب الالتفات واقامة الظاهر مقام المضمر
اذ لو جرى على سنن الكلام الاول لقال وما تعدهم بالتاء من فوق **قوله تعالى** الا غرورا فيه وجهان احدها
انه نعت مصدر محذوف وهو نفسه مصدر والاصل الا وعدا غارا ونسبة الغرور اليه مجاز الثاني انه
مفعول من اجله اي ما يعدهم ما يعدهم من الاماني الكاذبة الا لاجل الغرور والثالث انه مفعول به على
الاتساع اي ما يعدهم الا الغرور نفسه والغرور تزيين الباطل بما يظن انه حق فان قيل كيف ذكر الله
هذه الاشياء وهو يقول ان الله لا يامر بالفحشاء فالجواب هذا على طريق التهديد كقوله تعالى اعملوا ما شئتم
وكقول القائل اعمل ما شئت فسترى ولما قال تعالى لافعل ما تقدر عليه قال ان عبادي ليس لك عليهم
سلطان قال الجبائي المراد كل عباد الله من المكلفين لانه تعالى استثنى منه في ايات كثيرة الا من اتبعه بقوله الا
من تبعك ثم استدل بهذا على انه لا سبيل لابليس وجنوده على تضريع الناس وتخبيط عقولهم وانه لا قدرة له
الا على الوسوسة واكد ذلك بقوله تعالى وما كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني
ولوموا انفسكم وايضا فلو قدر على هذه الافعال لكان يجب ان يخبط اهل العلم والفضل دون سائر الناس
ليكون ضرره اتم ثم قال وانما نزول عقله لان الشيطان يقدم عليه فيغلب الخوف عليه فيحدث ذلك
المرض وقيل المراد بقوله ان عبادي اهل الفضل والايمان لما تقدم من ان لفظ العباد في القران
مخصوص بالمؤمنين لقوله تعالى انما سلطانه على الذين يتولونه ثم قال وكفى بربك وكيلا اي حافظا او من
توكل الامور اليه وذلك انه تعالى لما مكن ابليس من ان ياتي باقصى ما يقدر عليه من الوسوسة كان ذلك سببا
لحصول الخوف الشديد في قلب الانسان قال وكفى بربك وكيلا اي ان الشيطان وان كان قادرا فان الله اقدر
منه وارحم بعباده فهو يدفع عنهم كيد الشيطان وهذه الاية تدل على ان المعصوم من عصمه الله تعالى وان
الانسان لا يمكنه ان يحترز بنفسه عن مواقع الاضلال لانه لو كان الاقدام على الحق والاحجام عن الباطل
انما يحصل للانسان من نفسه لوجب ان يقال وكفى الانسان نفسه في الاحتراز عن الشيطان فلما لم يقل
ذلك بل قال وكفى بربك علمنا ان الكل من الله ولهذا قال المحققون لا حول عن معصية الا بعصمته ولا قوة
على طاعة الله الا بتوفيقه **فصل** قال ابن الخطيب في الاية سؤالات الاول ان ابليس كان
عالما بان الذي تكلم معه بقوله واستفزز من استطعت منهم هو اله العالم او لم يعلم ذلك ثم انه تعالى
قال فان جهنم جزاؤكم جزاء موفورا فكيف لم يصر هذا الوعيد الشديد مانعا له عن المعصية مع انه سمعه من
الله تعالى من غير واسطة وان لم يعلم ان القائل هذا هو اله العالم فكيف قال ارايتك هذا الذي كرمت علي
والجواب لعله كان شاكا في الكل او كان يقول في كل قسم ما يخطر بباله على سبيل الظن والسؤال الثاني
ما الحكمة في كونه انظره الى يوم القيامة ومكنه من الوسوسة والحكيم اذا اراد امرا وعلم ان شيئا من الاشياء
يمنع من حصوله فانه لا يسعى في تحصيل ذلك المانع والجواب اما مذهبنا فظاهر في هذا الباب واما المعتزلة
فقال الجبائي علم الله ان الذين كفروا عند وسوسة ابليس يكفرون بتقدير ان لا يوجد ابليس واذا كان كذلك

لم يكن

لم يكن وجوده مزيدا لمفسدة وقال ابو هاشم لا يبعد ان يحصل من وجوده مزيد مفسدة الا انه تعالى ابقاه لتشديد
التكليف على الخلق ليستحقوا بسبب ذلك التشديد مزيد الثواب وقد تقدم الكلام على ذلك في الاعراف والحجر
قوله تعالى ربكم الذي يزجي لكم الفلك في البحر الاية اعلم انه تعالى عاد الى ذكر الدلائل الدالة على قدرته وحكمته
ورحمته وقدرته وقد تقدم ان المقصود في هذا الكتاب الكريم بعده الى ذكر دلائل التوحيد فذكر هاهنا وجوه
الانعامات في حال ركوب البحر فالاول كيفية حركة الفلك على وجه البحر فقال ربكم الذي يزجي لكم الفلك في البحر
الازجاء سوق الشيء حالا بعد حال وقد تقدم في تفسير قوله ببضاعة مزجاة اي ربكم الذي يسير الفلك على وجه
البحر لتبتغوا من فضله في طلب التجارة انه كان بكم رحيما والخطاب في قوله ربكم وفي قوله بكم للكل والمراد من الرحمة منافع
الدنيا ومصالحها والثاني قوله تعالى واذا مسكم الضر في البحر اي خوف الغرق ضل من تدعون الالهة الا اياه
الا الله فلم تجدوا لانفسكم معينا سواه فلما نجاكم من الغرق والشدة واهوال البحر واخرجكم الى البر اعرضتم عن الايمان والاخلاص
والطاعة كفرا منكم لنعمه وكان الانسان كفورا **قوله تعالى** الا اياه فيه وجهان احدهما انه استثناء منقطع لانه
لم يندرج فيما ذكر اذ المراد به الهتهم من دون الله والثاني انه متصل لانهم كانوا يلجئون الى الهتهم والى الله تعالى والثالث
قوله تعالى افامنتم يعني ظننتم ان نخسف بكم نحو جانب البر ناحية البر قال الليث الخسف والخسوف دخول الشيء في الشيء
يقال عين خاسفة وهي التي غابت حدقتها في الراس وعين من الماء خاسفة اي غائرة الماء وخسفت الشمس اي احتجبت وكانها
وقعت تحت حجاب ودخلت في جحر فقوله نخسف بكم جانب البر اي نغيبكم في جانب البر وهو الارض وانما قال الجانب البر لانه
ذكر البحر اولا فهو جانب والبر جانب فاخبر الله تعالى انه كما كان قادرا على ان يغيبهم في الماء فهو قادر على ان يغيبهم في الارض
فالغرق تغييب تحت الماء كما ان الخسف تغييب تحت التراب وتقدير الكلام انه تعالى ذكر اولا انهم كانوا خائفين من هول البحر
فلما نجاهم منه امنوا فقال افامنتم بعد ان نجوتم من هول البحر فكيف امنتم من هول البر فانه قادر على ان يسلط عليكم افات البر
من جانب التحت ومن جانب الفوق فاما من جانب التحت فالخسف واما من جانب الفوق فبامطار الحجارة وهو المراد من قوله
او يرسل عليكم حاصبا فكما لا تتضرعون الا الى الله عند ركوب البحر فكذا تتضرعوا اليه في كل الاحوال والحصب في اللغة الرمي
يقال حصب جهنم اي يلقون فيها ومعنى قوله حاصبا اي عذابا يحصبهم اي يرميهم بحجارة قال ابو عبيدة والنضر الحاصب
الريح التي ترمي بالحصباء وهي الحصا الصغار قال الفرزدق مستقبلين شمال الشام تضربنا بحاصب كنديف القطن
منثور ويسمى السحاب الذي يرمي بالبرد والثلج حاصبا لانه يرمي بهما رميا ولم يؤنثه لانه مجازي او على النسب اي ذات
حصب وقال الزجاج الحاصب التراب الذي فيه الحصباء فالحاصب على هذا هو ذو الحصباء مثل اللابن والتامر ثم لا تجدوا
لكم وكيلا قال قتادة مانعا **قوله تعالى** افامنتم استفهام توبيخ وتقريع وقدر الزمخشري على قاعدته معطوفا
عليه اي انجوتم فامنتم وقوله جانب البر فيه وجهان اظهرهما انه مفعول به كقوله تعالى فخسفنا به وبداره الارض
والثاني انه منصوب على الظرف وبكم يجوز ان تكون حالية اي مصحوبا بكم وان تكون للسببية قيل ولا يلزم من خسفه
بسببهم ان يهلكوا واجيب بان المعنى جانب البر الذي انتم فيه فيلزم بخسفه هلاككم ولولا هذا التقدير لم يكن في التوعد
به فائدة **قوله تعالى** ان نخسف او نرسل ان نعيدكم فنرسل قراها بنون العظمة ابن كثير وابو عمرو والباقون بالياء
فيهما على الغيبة فالقراءة الاولى على سبيل الالتفات من الغائب وفي قوله ربكم الى اخره القراءة الثانية على سنن ما
تقدم من الغيبة اي الامرين كائن ويجوز ان تكون المنقطعة وان نعيدكم مفعول به **قوله** تارة بمعنى مرة
وكرة فهي مصدر ويجمع على تير وتارات قال الشاعر • وانسان عيني يحسر الماء تارة •
فيبدو وتارات يجم فيغرق • فالفها يحتمل ان تكون عن واو او ياء وقال الراغب وهو فيما قيل من تار الجرح
التأم قاصفا القاصف يحتمل ان يكون من قصف متعديا يقال قصفت الريح الشجر تقصفها قصفا قال ابو تمام
• ان الرياح اذا ما اعصفت قصفت • عيدان نجد ولم يعبان بالرتم •
والمعنى انها لا تلقى شيئا الا قصفته وكسرته والثاني ان تكون من قصف قاصرا اي صار له قصيف يقال قصفت الريح
تقصف اي صوتت ومن الريح نعت **قوله تعالى** بما كفرتم يجوز ان تكون مصدرية وان تكون بمعنى الذي والباء
للسببية اي بسبب كفركم او بسبب الذي كفرتم به ثم اتسع فيه فحذفت الباء فوصل الفعل الى الضمير فانما احتيج الى ذلك
لاختلاف المتعلق وقرا ابو جعفر ومجاهد فتغرقكم بالتاء من فوق اسند الفعل لضمير الريح وفي كتاب ابي حيان
فتغرقكم بتاء الخطاب مسندا الى الريح والحسن وابو رجاء بياء الغيبة وفتح الغين وتشديد الراء عداه بالتضعيف
والمقرئ لابي جعفر كذلك الا انه بتاء الخطاب قال شهاب الدين وهذا اما سهو واما تصحيف من النساخ عليه
كيف يستقيم ان يقول بتاء الخطاب وهو مسند الى ضمير الريح وكانه اراد بتاء التانيث فسبقه قلم او صحف عليه عنه

وقرأ العامة الريح بالإفراد وأبو جعفر الرياح بالجمع **قوله تعالى** به تبيعا يجوز في به أن يتعلق بتجدوا وأن يتعلق بتبيع وأن يتعلق بمحذوف لأنه حال من تبيع والتبيع المطالب بحق الآدم قال الشماخ •
كما لاذ الغريم من التبيع • وقال الآخر • غدوا وغدت غزلانهم فكأنها •
ضوامن من غرم لهن تبيع • **فصل** ومعنى الآية أم أمنتم أن نعيدكم فيه يعني في البحر تارة أخرى
فنرسل عليكم قاصفا قال ابن عباس أي عاصفا وهي الريح الشديدة وقال أبو عبيدة هي الريح التي تقصف كل شيء
أي تدق وتحطم فيغرقكم بما كفرتم ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعا أي ناصرا ولا ثائرا وتبيع بمعنى تابع أي تابعا
مطالبا بالثأر وقال الزجاج • من يتبعنا بإنكار ما نزل بكم • ولا من يتبعنا بأن تصرفه عنكم •
قوله تعالى ولقد كرمنا بني آدم الآية وهذه نعمة أخرى عظيمة من نعم الله تعالى على الإنسان وهي تفضيل
الإنسان على غيره واعلم أنه ليس المراد منه الكرم في المال وعداه في التضعيف وهو من كرم بالضم كرم قال ابن عباس
كل شيء يأكل بفيه إلا ابن آدم فإنه يأكل بيديه وروي عنه أنه قال بالعقل وقال الضحاك بالنطق والتمييز وقال
عطاء بتعديل القامة وامتدادها وينبغي أن يشترط مع هذا الشرط وهو طول القامة مع استكمال القوة والهيئة
والجسد والحركة وإلا فالأشجار أطول قامة من الإنسان والدواب منكبة على وجوهها وقيل بحسن الصورة لقوله
تعالى فأحسن صوركم ولما ذكر خلقة الإنسان قال فتبارك الله أحسن الخالقين وقال تعالى صبغة الله ومن أحسن
من الله صبغة وتأمل عضوا واحدا من أعضاء الإنسان وهو العين فخلق الحدقة سوداء ثم أحاط بذلك السواد
بياض الأجفان ثم خلق فوق بياض الجفن سواد الحاجبين ثم خلق فوق بياض الحاجبين وقيل الرجال باللحى
والنساء بالذوائب وقيل بأن سخر لهم سائر الأشياء وقال بعضهم من كرامات الآدمي أن آتاه الله الخط **فصل**
أن العلم الذي يقدر الإنسان على استنباطه يكون قليلا فإذا أودعه في كتاب رجا الإنسان الثاني واستعان
بذلك الكتاب ضم إليه من عند نفسه أشياء أخر ثم لا يزالون يتعاقبون ويضم كل متأخر مباحث كثيرة إلى علم
المتقدمين فكثرت العلوم وانتهت المباحث العقلية والمطالب الشرعية إلى أقصى الغايات وأكمل النهايات
وهذا لا يتأتى إلا بواسطة الخط ولهذه الفضيلة قال تعالى اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم
يعلم وقال بعضهم إن المخلوقات أربعة أقسام قسم حصلت له القوة العقلية الحكمية ولم تحصل له القوة الشهوانية
وهم الملائكة وقسم بالعكس وهم البهائم وقسم خال عن القسمين وهو النبات والجمادات وقسم حصل النوعان
فيه وهو الإنسان ولا شك أن الإنسان لكونه مستجمع القوة العقلية والقوة الشهوانية البهيمية والسبعية وهو
أيضا أفضل من الخالي عن القوتين كالنبات والجمادات وإذا ثبت ذلك ظهر أن الله تعالى فضل الإنسان على أكثر
أقسام المخلوقات وأيضا الموجودات إما أن تكون أزلية وأبدية وهو عالم الدنيا مع ما فيه من المعادن والنبات
والحيوان وهذا أخس الأقسام وإما أن يكون أبديا وهو الإنسان والملك وهذا القسم من القسم الثاني
والثالث وذلك يقتضي كون الإنسان أشرف من أكثر المخلوقات ثم قال تعالى وحملناهم في البر والبحر قال ابن عباس
في البر على الخيل والبغال والحمير والإبل وفي البحر على السفن ورزقناهم من الطيبات يعني لذيذ المطاعم والمشارب
وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا واعلم أنه قال في أول الآية ولقد كرمنا بني آدم وقال في آخرها وفضلناهم
على كثير ممن خلقنا تفضيلا ولا بد من الفرق بين التكريم والتفضيل وإلا لزم التكرار والأقرب أن يقال
إنه تعالى فضل الإنسان على سائر الحيوانات بأمور خلقية طبيعية ذاتية كالعقل والنطق والخط والصورة
الحسنة والقامة المديدة ثم إنه تعالى عرفه بواسطة ذلك العقل والفهم لاكتساب العقائد والأخلاق
الفاضلة فالأول هو التكريم والثاني هو التفضيل **فصل** ظاهر الآية يدل على أنه فضلهم
على كثير من خلقه لا على الكل فقال قوم فضلوا على جميع الخلق إلا على الملائكة وهذا قول ابن عباس واختيار
الزجاج على ما أورده الواحدي في البسيط وقال الكلبي فضلوا على جميع الخلائق كلهم إلا على طائفة من الملائكة
جبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت وأشباههم وقال قوم فضلوا على جميع الخلق وعلى الملائكة كلهم
وقد يوضع الأكثر موضع الكل كقوله تعالى هل أنبئكم على من تنزل الشياطين إلى قوله وأكثرهم كاذبون
أي كلهم وروي جابر يرفعه قال لما خلق الله آدم وذريته قالت الملائكة يا رب خلقتهم يأكلون ويشربون
وينكحون فاجعل لهم الدنيا ولنا الآخرة فقال تعالى لا أجعل من خلقته بيدي ونفخت فيه من روحي كمن قلت
له كن فكان والأولى أن يقال عوام الملائكة أفضل من عوام المؤمنين وخواص المؤمنين أفضل من خواص الملائكة
قال تعالى إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية وروي عن أبي هريرة قال المؤمن أكرم على الله

من الملائكة الذين عنده رواه البغوي وأورده الواحدي في البسيط واحتج القائلون بتفضيل الملائكة
على البشر على الإطلاق بهذه الآية قال ابن الخطيب وهو في الحقيقة تمسك بدليل الخطاب وتقريره أن يقال
تخصيص الكثير بالذكر يدل على أن الحال في القليل بالضد وذلك تمسك بدليل الخطاب **قوله تعالى** يوم
ندعو كل أناس بإمامهم الآية لما ذكر كرامات الإنسان في الدنيا شرح أحوال درجاته في الآخرة فقال يوم ندعو
وفيه أوجه أحدها أنه منصوب على الظرفية والعامل فيه فضلناهم أي فضلناهم بالثواب يوم ندعو كل أناس قال ابن
عطية في تقريره وذلك أن فضل البشر على سائر الحيوان يوم القيامة بين لأنهم المكلفون المنعمون المحاسبون الذين
لهم القدر إلا أن هذا يرده أن الكفار أخس من كل حيوان لقولهم يا ليتني كنت ترابا الثاني أنه منصوب على الظرف
والعامل فيه اذكر قاله الحوفي وابن عطية وهذا سهو كيف يعمل فيه ظرفا بل هو مفعول الثالث أنه مرفوع المحل على الابتداء
وإنما بني لإضافته إلى الجملة الفعلية والخبر الجملة بعده قال ابن عطية في تقريره ويصح أن يكون يوم منصوبا على البناء
لما أضيف إلى غير متمكن ويكون موضعه رفعا بالابتداء وخبره في التقسيم الذي أتى بعده في قوله تعالى فمن أوتي كتابه
إلى قوله ومن كان قال أبو حيان قوله منصوب على البناء كان ينبغي أن يقول مبنيا على الفتح وقوله لما أضيف إلى غير
متمكن لا يتحد لأن المتمكن وغير المتمكن إنما يكون في الأسماء لا في الأفعال وهذا أضيف إلى فعل مضارع ومذهب
البصريين فيه أنه معرب والكوفيون يجيزون بناءه وقوله في التقسيم إلى آخره التقسيم عار من رابط يربط جملة
التقسيم بالابتداء قال ثم إن الرابط محذوف للعلم به أي فمن أوتي كتابه فيه الرابع أنه منصوب بقوله ثم لا تجد
قال الزجاج الخامس أنه منصوب بيعيدكم مضمرة أي يعيدكم يوم ندعو السادس أنه منصوب بما دل عليه متى
هو السابع أنه منصوب بما دل عليه ولا يظلمون فتيلا أي ولا يظلمون يوم ندعو قاله ابن عطية وأبو البقاء الثامن
أنه منصوب بما تقدم من قوله فتستجيبون بحمده التاسع أنه بدل من يوم يدعوكم وهذان القولان ضعيفان
جدا لكثرة الفواصل العاشر أنه مفعول به بإضمار اذكر وهذا وإن كان أسهل التقادير لظهورها تقدم إذ لا بعد فيه
والإضمار كثير وقرأ العامة ندعو بنون العظمة ومجاهد يدعو بياء الغيبة أي الله تعالى أو الملك وكل نصب مفعولا
به على القراءتين وقرأ الحسن فيما نقله غيره يدعو بضم الياء وفتح العين بعدها واو وخرجت على وجهين أحدهما
أن الأصل يدعون فحذفت نون الرفع كما حذفت في قوله عليه السلام لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا
وقول الشاعر • أبيت أسري وتبيتي تدلكي • وجهك بالعنبر والمسك الذكي •
وكل مرفوع من البدل من الواو التي هي ضمير أو بالفاعلية والواو علامة على لغة يتعاقبون فيكم ملائكة
والتخريج الثاني أن الأصل يدعى كما نقله عنه الداني إلا أنه قلب الألف واوا وقفا وهي لغة قوم يقولون هذه
أفعو وعصو يريدون أفعى وعصا ثم أجري الوصل مجرى الوقف وكل مرفوع لقيامه مقام الفاعل على هذا
لبس إلا **قوله تعالى** بإمامهم يجوز أن تكون الباء متعلقة بالدعاء أي باسم إمامهم قال مجاهد بنبيهم فيقال
يا أمة فلان وقال أبو صالح والضحاك بكتابهم وقال الحسن وأبو العالية بأعمالهم وقال قتادة بكتابهم الذي فيه
أعمالهم بدليل سياق الآية وقوله تعالى أحصيناه في إمام مبين وعن ابن عباس وسعيد بن جبير بإمام زمانهم
الذي دعاهم في الدنيا إلى ضلالة أو هدى قال تعالى وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا وقال تعالى وجعلناهم
أئمة يدعون إلى النار وقيل بمعبودهم وأن يكون للحال فيتعلق بمحذوف أي يدعوهم مصاحبين لكتابهم
والإمام من يقتدى به وقال الزمخشري ومن بدع التفاسير أن الإمام جمع أم وهذا قول من لا يعرف الصناعة
ولا لغة العرب وأما ما ذكروه من المعنى فإن الله تعالى نادى عيسى باسمه مضافا إلى أمه في عدة مواضع من قوله
يا عيسى ابن مريم وأخبر عنه كذلك نحو إذ قال عيسى ابن مريم وفي ذلك غضاضة من أمير المؤمنين علي رضي الله عنه وكرم
وجهه **قوله تعالى** فمن أوتي يجوز أن تكون شرطية وأن تكون موصولة والفاء لشبهه بالشرط وحمل على اللفظ أولا
في قوله أوتي كتابه بيمينه فأفرد وعلى المعنى ثانيا في قوله فأولئك فجمع لأن من أوتي كتابه في معنى الجمع ثم قال
ولا يظلمون فتيلا الفتيل القشرة التي في شق النواة وسمي بذلك لأنه إذا رام الإنسان إخراجه انفتل وهذا
مثل يضرب للشيء الحقير التافه ومثله القطمير والنقير والمعنى لا ينقصون من الثواب بمقدار فتيل نظيره ولا
يظلمون شيئا وروى مجاهد عن ابن عباس قال الفتيل هو الوسخ الذي يفتله الإنسان بين سبابته وإبهامه
وهو فعيل بمعنى مفعول فإن قيل لم خص أصحاب اليمين بقراءة كتابهم مع أن أهل الشمال يقرؤونه فالجواب
الفرق بينهما أن أهل الشمال إذا طالعوا كتابهم وجدوه مشتملا على المهلكات العظيمة والقبائح الكاملة والمخازي
الشديدة فيستولي الخوف والدهشة على قلوبهم ويثقل لسانهم فيعجزوا عن القراءة الكاملة وأما أصحاب اليمين فعلى

العكس فالجمع انهم يقرؤون كتابهم على احسن الوجوه ثم لا يقنعون بقراءتهم وحدهم بل يقولون لاهل المحشر
هاؤم اقرؤا كتابيه فظهر الفرق **قوله تعالى** ومن كان في هذه يجوز في من قبلها واما الاخوان وابو بكر
اعمى في الموضعين من هذه السورة وابو عمرو امال الاول دون الثاني والباقون فتحوهما فالامالة لكونهما من ذوات
الياء والتفخيم لانه الاصل واما ابو عمرو فامال الاول لانه ليس افعل تفضيل فالفه متطرفة لفظا وتقديرا
والاطراف محل التغيير غالبا واما الثاني فانه للتفضيل ولذلك عطف عليه واضل فالفه في حكم المتوسط لان من
الجارة للمفضول كالملفوظ بها وهي شديدة الاتصال بافعل التفضيل فكان الالف وقعت حشوا فتحصنت
عن التغيير كذا قرره الفارسي والزمخشري ورد هذا بانهم امالوا ولا ادنى من ذلك مع التصريح بمن فلان يميلوا
اعمى مقدرا معه من اولى واحرى واما اعمى في طه فاماله الاخوان وابو عمرو ولم يمله ابو بكر وان كان يميله هنا
فكانه جمع بين الامرين وهو تعدد باتباع الاثر وفرق بعضهم بان اعمى في طه من عمى البصر وفي الاسرى من عمى
البصيرة ولذلك فسروه هنا بالجهل فاميل هنا ولم يمل هناك للفرق بين المعنيين والسؤال باق اذ لقائل
ان يقول فلم خصصت هذه بالامالة ولو عكس الامر كان الفرق قائما ونقل ابن الخطيب عن ابي علي الفارسي قال
الوجه في تصحيح قراءة ابي عمرو فان المراد بالاعمى في الكلمة الاولى كونه في نفسه اعمى وبهذا التفسير تكون هذه
الكلمة تامة فتقبل الامالة واما في الكلمة الثانية فالمراد منه الاعمى افعل التفضيل وبهذا التقدير لا تكون تامة
فلم تقبل الامالة **فصل** قال عكرمة جاء نفر من اهل اليمن الى ابن عباس فسال رجل عن هذه الاية
فقال اقرا ما قبلها ربكم الذي يزجي لكم الفلك الى قوله تفضيلا فقال ابن عباس من كان اعمى في هذه النعم التي
قد راى وعاين فهو في الاخرة التي لم يعاين ولم ير اعمى واضل سبيلا وعلى هذا فالاشارة بقوله هذه الى النعم المذكورة
في الايات المتقدمة وروى الضحاك عن ابن عباس من كان في الدنيا اعمى واضل سبيلا اي اخطا طريقا وعلى هذا
فالاشارة بهذه الى الدنيا وعلى هذين القولين فالمراد من كان اعمى عن معرفة الدلايل والنعم فبان يكون في
الاخرة اعمى القلب عن معرفة احوال الاخرة اولى وقال الحسن من كان في الدنيا ضالا كافرا فهو في الاخرة اعمى واضل
سبيلا لانه في الدنيا تقبل توبته وفي الاخرة لا تقبل توبته وحمل بعضهم العمى الثاني على عمى العين والبصر ويكون
التقدير من كان في هذه الدنيا اعمى القلب حشر يوم القيمة اعمى البصر والعين كما قال ونحشره يوم القيمة اعمى قال
رب لم حشرتني اعمى وقد كنت بصيرا قال كذلك اتتك اياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى وقال ونحشرهم يوم
القيمة على وجوههم عميا وبكما وصما وهذا العمى زيادة في عقوبتهم **قوله تعالى** وان كادوا ليفتنونك
الايات لما عدد في الايات المتقدمة اقسام نعمه على خلقه واتبعها بذكر درجات الخلق في الاخرة اردفه بما يجري
مجرى تحذير السعدا عن الاغترار بوساوس ارباب الضلال والانخداع بكلماتهم المشتملة على المكر والتلبيس فقال
وان كادوا ليفتنونك روى عطا عن ابن عباس قال نزلت هذه الاية في وفد ثقيف اتوا رسول الله صلى الله عليه
وسلم وقالوا نبايعك على ان تعطينا ثلاث خصال قال وما هن قالوا ان لا نجبي في الصلاة اي لا ننحني ولا نكسر
اصنامنا بايدينا وان تمتعنا باللات سنة من غير ان نعبدها فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا خير في دين لا ركوع
فيه ولا سجود واما ان لا تكسروا اصنامكم بايديكم فذلك لكم واما الطاغية يعني اللات فاني غير ممتعكم بها وفي
رواية وحرم وادينا كما حرمت مكة شجرها وطيرها ووحشها فابى ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يجبهم فقالوا
يا رسول الله انا نحب ان تسمع العرب انك اعطيتنا ما لم تعط غيرنا فاني خشيت ان تقول العرب اعطيتهم ما لم تعطنا
فقل الله امرني بذلك فسكت النبي صلى الله عليه وسلم فطمع القوم في سكوته ان يعطيهم فقام عليهم عمر وعلي فقالوا اما
ترون رسول الله صلى الله عليه وسلم امسك عن الكلام كراهية لما تذكرون فانزل الله تعالى هذه الاية وقال سعيد بن
جبير كان النبي صلى الله عليه وسلم يستلم الحجر الاسود فانزل الله هذه الاية وروى الزمخشري انهم جاوا بكتابهم
فكتب بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ثقيف لا يعشرون ولا يحشرون
ولا يجبون وسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال اكتب ولا يجبون والكاتب ينظر الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقام عمر بن الخطاب وسل سيفه وقال اسعرت قلب نبينا يا ثقيف اسعر الله قلوبكم نارا فقالوا لسنا نكلمك
انما نكلم محمدا فنزلت الاية وهذه القصة انما وقعت بالمدينة فلهذا قيل ان هذه مدنية وروي ان قريشا قالوا
اجعل اية اية عذاب اية رحمة حتى نؤمن بك فنزلت الاية قال القفال ويمكن تاويل الاية من غير تقييد
بسبب يضاف الى نزولها فيه لان من المعلوم ان المشركين كانوا يسعون في ابطال الامر لرسول الله صلى الله عليه وسلم
بافضى ما يقدرون عليه فتارة كانوا يقولون ان عبدت الهتنا عبدنا الهك فانزل الله تعالى قل يا ايها الكافرون

لا اعبد ما تعبدون وقوله تعالى ودوا لو تدهن فيدهنون وعرضوا عليه الاموال الكثيرة والنسوان
الجميلة ليترك ادعاء النبوة فانزل الله تعالى ولا تطرد الذين يدعون ربهم فيجوز ان تكون هذه الايات
نزلت في هذا الباب وذلك انهم قصدوا ان يفتنوه عن دينه وان يردوه عن منهجه فبين الله تعالى انه ثبته
على الدين القويم والمنهج المستقيم وعلى هذا الطريق فلا حاجة في تفسير هذه الايات الى شيء من تلك الروايات
قوله تعالى وان كادوا ليفتنونك ان هذه في المذهبان المشهوران مذهب البصريين انها المخففة واللام
فارقة بينها وبين ان النافية ولهذا دخلت على فعل ناسخ ومذهب الكوفيين انها بمعنى النافية واللام بمعنى
الا وضمن يفتنونك معنى يصرفونك فلهذا عدي بعن تقديره ليصرفونك بفتنتهم ولتفتري متعلق بالفتنة
قوله تعالى واذن لاتخذوك اذن حرف جواب وجزاء ولهذا يقع اداة الشرط موقعها ولاتخذوك جواب قسم
محذوف تقديره اذن والله لاتخذوك وهو مستقبل في المعنى لان اذن تقتضي الاستقبال اذ معناها المجازاة
وهذا كقوله تعالى ولئن ارسلنا ريحا فراوه مصفرا لظلوا اي ليظلوا وقول الزمخشري اي ولو اتبعت مرادهم
لاتخذوك تفسير معنى لا اعراب لا يريد بذلك ان لاتخذوك جواب لو المحذوفة اذ لا حاجة اليه **فصل**
قال الزجاج معنى الكلام كادوا يفتنونك ودخلت ان واللام للتاكيد وان مخففة من الثقيلة واللام هي
الفارقة بينها وبين النافية والمعنى ان الشان قاربوا ان يفتنونك اي يخدعونك فاتنين واصل الفتنة الاختبار
يقال فتن الصايغ الذهب اذا ادخله النار واذابه ليميز جيده من رديه ثم استعمل في كل من ازال الشيء عن حده
وجهته فقالوا فتنه فقوله وان كادوا ليفتنونك عن الذي اوحينا اليك اي يزيلونك ويصرفونك عن الذي
اوحينا اليك وهو القران اي عن حكمه وذلك لان اعطاهم ما سالوه مخالفة لحكم القران وقوله لتفتري
علينا غيره اي غير ما اوحينا اليك وهو قولهم قل الله امرني بذلك واذا لاتخذوك خليلا اي لو فعلت
ما ارادوا لاتخذوك خليلا واظهروا للناس انك موافق على كفرهم وراض بشركهم ثم قال تعالى ولولا ان
ثبتناك يعني على الحق بعصمتنا اياك لقد كدت تركن اليهم اي تميل اليهم شيئا قليلا قرا العامة بفتح كاف تركن
مضارع ركن بالكسر وقتادة وابن مصرف وابن ابي اسحق تركن بالضم مضارع ركن بالفتح وهذا من التداخل
وقد تقدم تحقيقه في اخر سورة هود وشيئا منصوب على المصدر وصفته محذوفة اي شيئا قليلا من الركون
او ركونا قليلا قال ابن عباس يريد حيث سكت عن جوابهم قال قتادة لما نزلت هذه الاية قال النبي صلى الله عليه
وسلم اللهم لا تكلني الى نفسي طرفة عين ثم توعده في ذلك اشد التوعد فقال اذن لاذقناك ضعف الحياة
اي ضعف عذاب الحيوة وضعف عذاب الممات يريد عذاب الدنيا وعذاب الاخرة قال الزمخشري فان قلت
كيف حقيقة هذا الكلام قلت اصله لاذقناك عذاب الحياة وعذاب الممات لان العذاب عذابان عذاب
في الممات وهو عذاب القبر وعذاب في الحياة وهو عذاب النار والضعف يوصف به نحو قوله تعالى فاتهم
عذابا ضعفا من النار يعني عذابا مضاعفا فكان اصل الكلام لاذقناك عذابا ضعفا في الحياة وعذابا
ضعفا في الممات ثم حذف الموصوف فاقيمت الصفة مقامه وهو الضعيف ثم اضيفت الصفة اضافة الموصوف
فقيل ضعف الحياة وضعف الممات كما لو قيل اليم الحياة واليم الممات وتقدم الكلام على واذن لاذقناك
فصل قال ابن الخطيب الضعف عبارة عن ان يضم الى الشيء مثله فان الرجل اذا قال لوكيله اعط فلانا شيئا
فاعطاه درهما فقال ضعفه كان المعنى ضم الى ذلك الدرهم مثله اذا عرفت هذا فنقول انما حسن اضمار العذاب في قوله
تعالى ضعف الحيوة وضعف الممات لما تقدم في القران من وصف العذاب بالضعف في قوله ربنا من قدم لنا هذا فزده
عذابا ضعفا في النار قال لكل ضعف ولكن لا تعلمون وحاصل الكلام انك لو مكنت خواطر الشيطان من قلبك وعقدت
الهم بالركون اليه لاستحققت تضعيف العذاب عليك في الدنيا وفي الاخرة وصار عذابك مثلي عذاب المشرك في الدنيا
ومثلي عذابه في الاخرة والسبب في تضعيف هذا العذاب ان اقسام نعم الله تعالى في حق الانبياء عليهم السلام اكثر
وكانت ذنوبهم اعظم فكانت العقوبة المستحقة عليها اكثر ونظيره قوله تعالى يا نساء النبي من يات منكن
بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين **فصل** قال عليه الصلاة والسلام من سن سنة سيئة
فعليه وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيمة فوجب على هذا الحديث انه عليه الصلاة والسلام لو عمل بما قالوه لكان
وزره مثل وزر اولئك الكفار وعلى هذا التقدير فكان عقابه زايدا على الضعف **فصل** ابانا الضعف
لا يدل على نفي ما زاد عليه الا بنا على دليل الخطاب وهو دليل ضعيف ثم قال تعالى ثم لا تجد لك علينا نصيرا يعني
اذا اذقناك العذاب المضاعف لم تجد احدا يخلصك من عذابنا فان قلت كان النبي صلى الله عليه وسلم معصوما فكيف يجوز

ان يقرب مما طلبوه وما طلبوه كفر قيل كان ذلك خاطر قلب لم يكن عزما وقد عفى الله عز وجل عن حديث النفس والجواب
الصحيح هو ان الله تعالى قال ولولا ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا وقد ثبته الله فلم يركن وهذا مثل
قوله تعالى ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان وقد تفضل فلم يتبعوا **فصل** احتج الطاعنون
في عصمة الانبياء عليهم السلام بهذه الآية فقالوا هذه الآية تدل على صدور الذنب العظيم عنهم من وجوه الاول ان الآية
دلت على انه عليه السلام قرب من ان يفتري على الله الكذب وذلك من اعظم الذنوب الثاني يدل لولا ان الله ثبته وعصمه
لقرب من ان يركن الى دينهم الثالث لولا انه سبق جرم وجناية والا فلا حاجة الى ذكر هذا الوعيد الشديد والجواب
عن الاول ان كان معناه المقاربة اي انه قرب وقوعه الى الفتنة وهذا لا يدل على الوقوع في تلك الفتنة بل يدل على
عدم الوقوع كقولك كاد الامير ان يضرب فلانا لا يدل على انه ضربه والجواب عن الثاني ان لولا تفيد انتفاء الشيء لثبوت
غيره وكقوله لولا علي لهلك عمر ومعناه ان وجود علي منع من حصول الهلاك لعمر فكذلك هاهنا فقوله لولا ان ثبتناك
لقد كدت تركن اليهم معناه انه لولا حصل تثبيت الله لمحمد فكان حصول ذلك التثبيت مانعا من حصول ذلك الركون والجواب
عن الثالث ان التهديد على المعصية لا يدل على الاقدام عليها لقوله تعالى ولو تقول علينا بعض الاقاويل لاخذنا
منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين وقوله تعالى لئن اشركت ليحبطن عملك وقوله تعالى ولا تطع الكافرين والمنافقين
فصل احتج اهل السنة على انه لا عصمة عن المعاصي الا بتوفيق الله لقوله تعالى ولولا ان ثبتناك الآية
فبين لولا تثبيت الله له لمال الى طريقة الكفار ولا شك ان محمدا اقوى من غيره في قوة الدين وصفاء القلب واليقين
فلما بين الله له ان بقاءه معصوما عن الكفر والضلال لا يحصل الا باعانة الله وتوفيقه وكان حصول هذا المعنى
في حق غيره اولى قالت المعتزلة المراد بهذا التثبيت الالطاف الصارفة عن ذلك وهي ما اخطر الله بباله من ذكر وعده
ووعيده ومن ذكر كونه نبيا من عند الله يمنع من ذلك فان قيل لا شك ان هذا التثبيت عبارة عن فعل فعله الله
يمنع الرسول من الوقوع في ذلك المحذور فالجواب لو لم يحصل المقتضي لما كان الاقدام على المحظور في حق الرسول
لما كان لايجاد هذا المانع حاجة وحيث وقعت الحاجة الى تحصيل المانع علمنا ان ذلك المقتضي قد حصل وخلا الرسول
وان هذا المانع الذي فعله الله تعالى يمنع ذلك المقتضي من العمل وهذا لا يتم الا اذا قلنا ان القدرة مع الداعي
توجب الفعل فاذا حصلت داعية اخرى معارضة للداعي الاول اختل المؤثر فامتنع الفعل ونحن لا نريد
الاثبات المعنى **قوله تعالى** وان كادوا ليستفزونك من الارض الآية قال مجاهد وقتادة الارض ارض مكة
والآية مكية هم المشركون ان يخرجوه منها وكفهم الله عنه حتى امره بالهجرة فخرج بنفسه وهذا اليق بالآية لان ما
قبلها خبر عن اهل مكة والسورة مكية وهذا اختيار الزجاج **فصل** وقال ابن عباس لما هاجر رسول
الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة حسدته اليهود وكرهوا قربه منهم ومقامه بالمدينة فاتوه وقالوا يا ابا القاسم
لقد علمت ما هذه بلاد الانبياء وان ارض الانبياء الشام وهي الارض المقدسة وبها كان ابراهيم والانبياء عليهم السلام
فان كنت نبيا مثلهم فات الشام وانما يمنعك الخروج اليها مخافتك الروم وان الله سيمنعك من الروم ان كنت نبيا فعسكر
النبي صلى الله عليه وسلم على ثلاثة اميال من المدينة وقيل بذي الحليفة حتى يجتمع اليه اصحابه ويراه الناس عازما
على الخروج الى الشام فيدخلوا في دين الله فنزلت هذه الآية وهذا قول الكلبي وعلى هذا فالآية مدنية والمراد
بالارض المدينة وكثير في التنزيل ذكر الارض والمراد منها ارض مخصوصة كقوله تعالى او ينفوا من الارض اي من مواضعهم
وقوله تعالى فلن ابرح الارض حتى ياذن لي ابي يعني الارض التي كان قصدها لطلب الميرة فان **قيل** قال تعالى وكاين
من قرية هي اشد قوة من قريتك التي اخرجتك يعني مكة والمراد اهلها فذكر انهم اخرجوه وقال هاهنا وان كادوا ليستفزونك
من الارض ليخرجوك فكيف يمكن الجمع بينهما على قول من قال الارض هاهنا مكة فالجواب انهم هموا باخراجه وهو
صلى الله عليه وسلم ما خرج بسبب اخراجهم وانما خرج بامر الله فزال التناقض والاستفزاز هو الازعاج بسرعة
قوله تعالى واذا لا يلبثون قرا العامة برفع الفعل بعد اذا باثبات النون وهو مرسوم في مصاحف العامة
ورفعه وعدم اعمال اذن فيه من ثلاثة اوجه احدها انها توسطت بين المعطوف والمعطوف عليه قال الزمخشري
فان قلت ما وجه القراءتين قلت اما الشائعة يعني برفع الفعل فقد عطف فيها الفعل وهو مرفوع لوقوعه خبر كاد
وخبر كاد واقع موقع الاسم يعني فيكون لا يلبثون عطفا على قوله ليستفزونك الثاني انها متوسطة بين مبتدا محذوف
وخبره فالغيت بذلك والتقدير وهم اذن لا يلبثون الثالث انها متوسطة بين مبتدا وخبر فالغيت كذلك
والتقدير وهم اذا لا يلبثون وقرا ابي بحذف النون فنصبه باذن عند الجمهور وبان مضمرة بعدها عند غيرهم وفي مصحف
عبد الله لا يلبثوا خلفها ووجه النصب انه لم يجعل الفعل معطوفا على ما تقدم ولا جوابا ولا خبرا قال الزمخشري

ولما

واما قراءة ابي ففيها الجملة التي هي اذن لا يلبثوا واسها عطفا على جملة قوله تعالى وان كادوا ليستفزونك وقرا عطا لا
يلبثون بضم الياء وفتح اللام والياء مشددة مبنيا للمفعول من لبثه بالتشديد وقراها يعقوب كذلك الا انه كسر الياء جعله
مبنيا للفاعل **قوله تعالى** خلفك قرا الاخوان وابن عامر وحفص خلافك بكسر الخاء بالف بعد اللام والباقون
بفتح الخاء وسكون اللام والقراءتان بمعنى واحد **فصل** قال الاخفش خلافك في معنى خلفك وروى ذلك
يونس عن عيسى وذلك كقوله فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله وانشد قول الشاعر

عفت الديار خلافهم فكانما • بسط الشواطب بينهن حصيرا •

والمعنى بعد خروجك وكثر اضافة قبل وبعد ونحوهما الى اسماء الاعيان على حذف مضاف فتقدر في قولك
جاء زيد قبل عمرو اي قبل مجيئه **قوله تعالى** الا قليلا يجوز ان يكون صفة لمصدر او لزمان محذوف اي الا لبثا
قليلا او الا زمانا قليلا حتى يهلكوا فالمراد بالقليل اما مدة حياتهم واما بين خروج النبي صلى الله عليه وسلم
الى المدينة الى حين قتلهم ببدر **قوله تعالى** سنة فيه ثلاثة اوجه الاول ان ينتصب على المصدر الخاص المؤكد اي
سن الله ذلك سنة او سننا ذلك سنة الثاني قال الفراء انه على اسقاط الخافض اي كسنة الله وعلى هذا لا يوقف على قوله
الا قليلا الثالث ان ينتصب على المفعول به اي اتبع سنة **قوله** سنة الله في الرسل اذا كذبتها الامم ان لا يعذبهم
ما دام نبيهم بين اظهرهم فاذا خرج عنهم **قوله تعالى** ولا تجد لسنتنا تحويلا اي ما اجرى الله به العادة لم يتهيا لاحد
ان يقلب تلك العادة لان اختصاص كل حادث بوقته المعين وصفته المعينة ليس امرا ثابتا له بذاته والا لزم ان يدوم
ابدا على تلك الحالة وان لا يتميز الشيء عما يماثله في تلك الصفات بل انما يحصل ذلك التخصيص بتخصيص المخصص وهو
الله تعالى يريد تحصيله في ذلك الوقت ثم تتعلق قدرته بتحصيله في ذلك الوقت فنقول هذه الصفات الثلاثة المحصلة
في ذلك المؤثر في حصول ذلك الاختصاص اذ كانت حادثة افتقر حدوثها الى مخصص آخر تسلسل وهو محال وان كانت
قديمة فالقديم يمتنع تغيره لان ما ثبت قدمه امتنع عدمه ولما كان التغير على تلك الصفات المؤثرة في ذلك الاختصاص
ممتنعا كان التغير في تلك الاشياء المقدرة ممتنعا فثبت بهذا البرهان صحة قوله تعالى ولن تجد
لسنتنا تحويلا **قوله تعالى** اقم الصلاة لدلوك الشمس الآية في النظم وجوه اولها انه تعالى لما قرر الالهيات
والمعاد اردفها بذكر الامر بالطاعات واشرف الطاعات بعد الايمان الصلوة فلهذا امر بها وثانيها انه تعالى لما
قال وان كادوا ليستفزونك من الارض امره تعالى بالاقبال على عبادته لكي ينصره الله فكانه قيل لا تبال بسعيهم
في اخراجك من بلدك ولا تلتفت اليهم واشتغل بعبادة الله والدوام على الصلاة فانه تعالى يدفع مكرهم وشرهم
عنك ويجعل يدك فوق ايديهم ودينك غالبا على اديانهم ونظيره قوله تعالى فاصبر على ما يقولون وسبح بحمد ربك قبل
طلوع الشمس وقبل غروبها ومن الليل فسبحه وادبار النجوم وقوله تعالى ولقد نعلم انك يضيق صدرك بما يقولون فسبح
بحمد ربك وكن من الساجدين واعبد ربك حتى ياتيك اليقين وثالثها ان اليهود لما قالوا اذهب الى الشام فانه مسكن
الانبياء وعزم رسول الله صلى الله عليه وسلم على الذهاب اليه فكانه قيل له المعبود واحد في كل البلاد وما النصر
والقوة والمعاد والدولة الا بتاييده ونصرته فداوم على الصلوات فارجع الى مقرك ومسكنك وقل
رب ادخلني مدخل صدق واخرجني مخرج صدق واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا في تقوية دينك واظهار دعوتك
قوله تعالى لدلوك في هذه اللام وجهان احدهما انها بمعنى بعد اي بعد دلوك الشمس ومثله قول الشاعر

فلما تفرقنا كاني ومالكا • لطول اجتماع لم نبت ليلة معا •

ومثله قولهم كتبته لثلاث خلون والثاني على بابها اي لاجل دلوك قال الواحدي لانها انما تجب بزوال الشمس مصدر
دلكت الشمس وفيه ثلاثة اقوال احدها انه الزوال وهو نصف النهار وهو الاشهر وهو قول ابن عباس وابن عمر وجابر وعطا
ومجاهد وقتادة والحسن واكثر التابعين **فصل** روى الواحدي في البسيط عن جابر قال طعم
رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه ثم خرجوا حين زالت الشمس فقال النبي صلى الله عليه وسلم هذا حين دلكت الشمس
وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اتاني جبريل عليه السلام لدلوك الشمس حين زالت الشمس فصلى بي الظهر
وقال معنى الدلوك في لغة العرب الزوال ولذلك قيل للزوال للشمس اذا زالت نصف النهار دلكت وقيل لها اذا افلت
دالكة لانها في الحالتين زائلة قال الازهري وقال القفال اصل الدلوك الميل يقال مالت للزوال ويقال مالت
للغروب واذا ثبت ذلك وجب ان يكون المراد من الدلوك هنا الزوال عن كبد السماء لانه تعالى علق اقامة الصلوة
بالدلوك والدلوك عبارة عن الميل والزوال فوجب ان يقال انه اول ما يحصل الميل والزوال تعلق به هذا الحكم
وقال الازهري الاولى حمل الدلوك على الزوال في نصف النهار لانا اذا حملناه عليه كانت الآية جامعة لمواقيت الصلوة

كلها فالدلوك الشمس يتناول صلاة الظهر والعصر الى غسق الليل يتناول المغرب والعشاء وقرآن الفجر صلاة الفجر
واذا حملناه على الغروب لم يدخل فيه الا ثلاث صلوات وهي المغرب والعشاء والفجر وحمل كلام الله تعالى على ما يكون اكثر
فائدة اولى وايضا فالقائلون بهذا القول الثاني ان الدلوك هو الغروب وهو قول ابن مسعود وبه قال ابراهيم
النخعي وابن مقاتل وابو حيان والضحاك والسدي وهو قول الفرا واحتجوا بقول الشاعر

شعر

• هذا مقام قدمي رباح • غدوة حتى دلكت براح •

اي غربت براح وهي الشمس وانشد ابن قتيبة قول ذي الرمة شعر

• مصابيح ليست باللواتي تقودها • نجوم ولا بالآفلات الدوالك •

اي الغاربات وهذا القول ضعيف لان الدلوك عبارة عن الميل والتغير وهو حاصل في الدلوك فكان الغروب
نوعا من انواع الدلوك فكان لفظ وقوع الدلوك على الغروب لا ينافي وقوعه على الزوال كما ان لفظ وقوع الحيوان
على الانسان لا ينافي وقوعه على الفرس القول الثالث انه من الزوال الى الغروب قال الزمخشري واشتقاقه من الدلك
لان الانسان يدلك عينه عند النظر اليها وهذا يفهم انه ليس بمصدر لانه جعله مشتقا من المصدر واستدلوا
بهذا ان الدلوك هو الغروب قالوا وهذا انما يصح في الوقت فثبت ان الدلوك هو الغروب وجب ان الحاجة
عند ذلك التغير انما هو ملك وان الحاجة الى ذلك التغير عند كونها في وسط السماء فالذي ذكرتم يدل على ان الدلوك
عبارة عن الزوال عن وسط السماء بطريق الاولى وقال الراغب دلوك الشمس ميلها للغروب وهو من قولهم دلكت
الشمس دفعتها بالراح ومنه دلكت الشمس ودلكت الشيء في الراحة ودلكت الرجل ماطلته والدلوك ما دلكته من طيب
والدليك طعام يتخذ من زبد وتمر **قوله تعالى** الى غسق الليل في هذا الجار وجهان احدهما انه متعلق باقم وهي لانتهاء
غاية الاقامة وكذلك اللام في لدلوك متعلقة به ايضا والثاني انه متعلق بمحذوف على انه حال من الصلاة اي انها ممدودة
الى غسق الليل قاله ابو البقا وفيه نظر من حيث انه قدر المتعلق كونا مقيدا الا ان يريد تفسير المعنى لا الاعراب والغسق
دخول الليل قاله ابن شميل وانشد • ان هذا الليل قد غسقا • واشتكيت الهم والارقا • وقيل هو سواد
الليل وظلمته واصله من السيلان غسقت العين اي سال دمعها فكان الظلمة ملات الوجود **فصل**
وقال ابن عباس الغسق بدو الليل وقال قتادة وقت صلاة المغرب وقال مجاهد غروب الشمس والغاسق في قوله تعالى
ومن شر غاسق اذا وقب قيل المراد به القمر اذا كسف واسود قال عليه الصلاة والسلام لعائشة حين رات كسوف القمر
استعيذي من شر الغاسق اذا وقب وقيل الليل والغساق بالتخفيف والتشديد ما يسيل من صديد اهل النار ويقال
غسق الليل واغسق اي ظلم واظلم ودجى وادجى وغبش واغبش نقله الفرا **فصل** قال الازهري غسق الليل
عندي غيبوبة الليل عند تراكم الظلمة وغيبوبة الشفق واشتداده يقال غسقت العين اذا امتلات دمعا وغسقت
الجراحة اذا امتلات دما قال لانا اذا حملنا الغسق على هذا المعنى دخلت الصلاة الاربعة فيه وهي الظهر والعصر
والمغرب والعشاء ولو حملنا الغسق على ظهور اول الظلمة لم يدخل فيه الا الظهر والعصر فوجب ان يكون الاول اولى
واعلم انه يتفرع على هذين الوجهين بحث حسن فان فسرنا الغسق بظهور اول الظلمة كان الغسق عبارة عن اول المغرب
وعلى هذا التقدير يكون المذكور في الاية ثلاث اوقات وقت الزوال ووقت اول المغرب ووقت الفجر وهذا يقتضي
ان يكون الزوال وقتا للظهر والعصر فيكون هذا الوقت مشتركا بين هاتين الصلاتين وهذا يقتضي جواز الجمع
بين الظهر والعصر وبين المغرب والعشاء مطلقا الا انه دل الدليل على ان الجمع في الحضر من غير عذر لا يجوز فوجب ان
يكون الجمع جائزا مع العذر واذا فسرنا الغسق بالتراكم فنقول الظلمة المتراكمة انما تحصل عند غيبوبة الشفق
الابيض وهذا انما يصح اذا قلنا انها تجب عند غيبوبة الشفق الاحمر **قوله تعالى** وقرآن الفجر فيه وجهان احدهما
انه عطف على الصلاة اي واقم قرآن الفجر والمراد بها صلاة الصبح عبر عنها ببعض اركانها والثاني انه منصوب على
الاغراء اي وعليك قرآن الفجر كذا قدره الاخفش وتبعه ابو البقا واصول البصريين لا تجوز اسماء الافعال لا تعمل مضمرة
الثالث انه مفعول اي اقم قرآن الفجر او الزم قرآن الفجر **فصل** دلت هذه الاية على امور منها ان الصلاة لا تكون
الا بقراءة لقوله تعالى اقم الصلاة واقم صلاة قرآن الفجر ومنها انه علق القرآن بحصول الفجر في اول طلوع الصبح فقد
حصل الفجر لان الفجر سمي فجرا لانفجار ظلمة الليل عن الصباح وظاهر الامر للوجوب فاقتضى هذا اللفظ وجوب اقامة
الصلوة من اول طلوع الفجر الا ان الاجماع على ان هذا الوجوب غير حاصل فوجب ان يبقى على الندب لان الوجوب
عبارة عن رجحان مانع من الترك فاذا منع مانع من تحقق الوجوب وجب ان يرتفع المنع من الترك وان يبقى اصل الرجحان
حتى يقل بقدر الدليل فثبت ان هذه الاية تقتضي ان اقامة الفجر في اول الوقت افضل وهذا يدل على ان التغليس افضل

من التنوير

من التنوير ومنها ان القراءة تكون في هذه الصلوات افضل من سائر الصلاة لان المقصود من قوله وقرآن الفجر قرآن الفجر
كان مشهودا الحث على طول القراءة في هذه الصلاة لان التخصيص بالذكر يدل على انه اكمل من غيره ومنها ان قرآن الفجر
كان مشهودا معناه ان ملائكة الليل وملائكة النهار يجتمعون في صلاة الصبح خلف الامام فتنزل ملائكة النهار عليهم
وهم في الصلوة قبل ان تعرج ملائكة الليل فاذا فرغ الامام من الصلاة عرجت ملائكة الليل ومكثت ملائكة النهار
ثم ان ملائكة الليل اذا صعدت تقول يا رب انا تركنا عبادك يصلون لك وتقول ملائكة النهار ربنا اتينا
عبادك يصلون لك فيقول الله للملائكة اشهدوا اني قد غفرت لهم وهذا يدل على ان التغليس افضل من التنوير لان الانسان
اذا شرع فيها في الوقت الظلمة باقية فتكون ملائكة الليل حاضرين ثم اذا امتدت الصلاة بسبب ترتيل القراءة
وتكثيرها زالت الظلمة وظهر الضوء وحضرت ملائكة النهار واما اذا ابتدأ بهذه الصلاة في وقت التنوير فهناك لم يبق
احد من ملائكة الليل فلا يحصل المعنى المذكور فقوله تعالى كان مشهودا يدل على ان التغليس افضل **قوله تعالى**
ومن الليل في من هذه وجهان احدهما انه متعلق بالقرآن بعض الليل والثاني انها متعلقة بمحذوف تقديره وقم
نومة من الليل او واسهر من الليل ذكرهما الحوفي وقال الزمخشري رحمه الله وعليك بعض الليل فتهجد به فان كان
اراد تفسير المعنى فقريب وان اراد تفسير الاعراب فلا يصح لان المغرى به لا يكون حرفا وجعله من بمعنى بعض لا
يقتضي اسميتها بدليل ان واو مع ليست اسما بالاجماع وان كانت بمعنى اسم صريح وهو مع والضمير في به الظاهر عوده
على القرآن من حيث هو لا بقيد اضافته الى الفجر والثاني انه يعود على الضمير المقدر وهو القرآن والوقت المقدر اي
وقم وقتا من الليل فتهجد بذلك الوقت فتكون الباء بمعنى في **قوله تعالى** نافلة فيها اوجه احدها انها مصدر
اي تتنفل نافلة لك على الصلاة المفروضة والثاني انه منصوب بتهجد لانه بمعنى تنفل فكانه قيل تنفل نافلة
والنافلة مصدر كالعافية والعاقبة الثالث انها منصوبة على الحال اي صلاة نافلة قاله ابو البقا وتكون حالا من
الهاء في به اذا جعلها عائدة على القرآن لا على الوقت المقدر اي وقم وقتا من الليل فتهجد بذلك الوقت فتكون الباء
بمعنى في الرابع انها منصوبة على المفعول بها وهو ظاهر قول الحوفي فانه قال ويجوز ان ينتصب نافلة بتهجد اذا
ذهبت بذلك الى معنى صل به نافلة اي صل نافلة لك **فصل** والتهجد ترك الهجود وهو النوم
وتفعل يأتي للسلب نحو تحرج وتأثم وفي الحديث كان يتحنث بغار حرا وفي الهجود خلاف بين اهل اللغة فقيل النوم
قال الشاعر • وبرك هجود قد اثارت مخافتي • وقول الاخر • الا طرقتنا والرفاق هجود •
وقول الاخر • الا زارت واصحابي هجود • وليت خيالها منا يعود • فالهجود نيام جمع هاجد
كساجد وسجود وقيل الهجود مشترك بين النائم والمصلي قال ابن الاعرابي تهجد صلى من الليل وتهجد
نام وهو قول ابي عبيدة والليث قال الواحدي الهجود في اللغة النوم وهو كثير في الشعر يقال اهجد الرجل وهجد
اي نام ومنه قول لبيد قال • هجدنا فقد طال السرى • كانه قيل نومنا فقد طال السرى حتى غلب علينا
النوم وقال الازهري المعروف في كلام العرب ان الهاجد هو النائم ثم رأينا في الشرع ان من قام الى الصلاة
من النوم سمي هاجدا اي متهجدا فيحمل هذا على انه سمي متهجدا لالقائه الهجود عن نفسه كما يقال للعابد متحنث لالقائه
الحنث عن نفسه وهو الاثم ويقال فلان متحرج ومتاثم ومتحوب اي يلقي الحرج والاثم والحوب عن نفسه
وروي ان الحجاج بن عمرو المازني قال ايحسب احدكم ان قام من الليل فصلى حتى يصبح انه قد تهجد انما التهجد الصلاة
بعد الرقاد ثم صلاة اخرى بعد رقدة هكذا كانت صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم والنافلة في اللغة الزيادة
على الاصل وقد تقدم في الانفال تفسير كونها زيادة ههنا وللمفسرين فيه قولان منبنيان على ان صلاة الليل هل كانت
واجبة على النبي صلى الله عليه وسلم ام لا فكانها كانت واجبة عليه لقوله تعالى يا ايها المزمل قم الليل الا قليلا
ثم نسخت وصارت نافلة اي تطوعا وزيادة على الفرائض وذكر مجاهد والسدي في تفسير كونها نافلة وجها حسنا
قال ان الله قد غفر للنبي ما تقدم من ذنبه وما تأخر فكل طاعة يأتي بها سوى المكتوبة لا تؤثر في كفارة الذنوب
بل تؤثر في زيادة الدرجات وكثرة الثواب فكان المقصود من تلك العبادة زيادة الثواب فلهذا سمي نافلة بخلاف الامة
فان لهم ذنوبا محتاجون الى التكفير فهذه الطاعة يحتاجون اليها لتكفير السيئات عنهم فثبت ان هذه الطاعات
انما تكون زوائد ونوافل في حق النبي صلى الله عليه وسلم لا في حق غيره فلهذا قال نافلة لك يعني انها في تخصيصه واما
من قال ان صلاة الليل كانت واجبة على الرسول عليه افضل الصلاة واتم السلام فمعنى كونها نافلة له على التخصيص
يعني انها فريضة لك زائدة على الصلوات الخمس خصصت بها من دون امتك ويدل على هذا القول قوله تعالى فتهجد والامر
للوجوب ويرد هذا نافلة لك لانه لو كان للوجوب لقال نافلة عليك **فصل** واعلم ان قوله تعالى اقم الصلاة

لدلوك الشمس الى غسق الليل وقرآن الفجر واذا كان ظاهر الامر فيه مختصا بالرسول الا انه بالمعنى عام في حق الامة
ويدل عليه قوله تعالى ومن الليل فتهجد به نافلة لك بين ان الامر بالتهجد يختص بالرسول صلى الله عليه وسلم والامر
بالصلوات الخمس غير مخصوص بالرسول صلى الله عليه وسلم والا لم يكن لتقييد الامر بالتهجد فائدة قوله تعالى عسى
ان يبعثك ربك مقاما محمودا في نصب مقاما اربعة اوجه احدها انه منصوب على الظرف اي يبعثك في مقام
الثاني ان ينتصب بمعنى يبعثك لانه بمعنى يقيمك يقال اقيم من قبره وبعث منه بمعنى فهو نحو قوله قعد جلوسا
الثالث انه منصوب على الحال اي يبعثك ذا مقام محمود الرابع انه منصوب على مصدر مؤكد وناصبه مقدر
اي فيقوم مقاما محمودا وعسى على الاوجه الثلاثة دون الرابع يتعين ان تكون التامة فتكون مسندة الى ان وما في
حيزها اذ لو كانت ناقصة على ان يكون ان يبعثك خبرا مقدما وربك اسما مؤخرا لزم من ذلك محذور وهو الفصل
باجنبي بين صلة الموصول ومعمولها فان مقاما على الاوجه الثلاثة الاول منصوب بيبعثك وهو صلة لان
فاذا جعلت ربك اسمها كان اجنبيا من الصلة فلا يفصل به واذا جعلته اجنبيا لم يكن فاعلا واذا جعلته فاعلا لم يكن
اجنبيا فلا يبالي بالفصل به واما على الوجه الرابع فيجوز ان تكون التامة والناقصة بالتقديم والتاخير
لعدم المحذور لان مقاما معمول لغير الصلة محمودا في انتصابه وجهان احدهما انه منصوب على
الحال من قوله تعالى يبعثك اي يبعثك محمودا الثاني ان تكون نعتا للمقام اتفق المفسرون
على ان كلمة عسى من الله واجب قال اهل المعاني لان لفظ عسى يفيد الاطماع ومن اطمع انسانا في شيء ثم حرمه كان
عارا والله تعالى اكرم من ان يطمع واحدا في شيء ولا يعطيه وفي تفسير المقام المحمود اربعة اقوال احدها انه الشفاعة
قال الواحدي اجمع المفسرون على انه مقام الشفاعة كما قال النبي صلى الله عليه وسلم في هذه الاية هو المقام الذي
اشفع لامتي فيه قال ابن الخطيب واللفظ مشعر به لان الانسان انما يصير محمودا اذا حمده حامد والحمد انما يكون على
الانعام فهذا المقام المحمود يجب ان يكون مقاما انعم فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم على قوم فحمدوه على ذلك
الانعام وذلك الانعام اما يكون ذلك ولا يجوز ان يكون ذلك الانعام تبليغ الدين وتعليم الشرائع لان ذلك
كان حاصلا في الحال وقوله تعالى عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا تطميع وتطميع الانسان في الشيء الذي حصل
عنده محال ثم جاز ان يكون ذلك الانعام عند الله تعالى وايضا التنكير في قوله مقاما محمودا يدل على انه يحصل
للنبي صلى الله عليه وسلم في ذلك المقام حمد بالغ عظيم كامل ومن المعلوم ان حمد الانسان على سعيه في التخليص من العذاب
اعظم من سعيه في الحمد وزيادة الثواب لانه لا حاجة به اليها لان حاجة الانسان في دفع الالام العظيمة عن النفس
فوق احتياجه الى تحصيل المنافع الزائدة التي لا حاجة به الى تحصيلها واذا ثبت ذلك وجب ان يكون المراد
من قوله عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا على الشفاعة في اسقاط العذاب على ما هو مذهب اهل السنة
ولما ثبت ان لفظ الاية مشعر بهذا المعنى اشعارا قويا ثم وردت الاخبار الصحيحة في تقرير هذا المعنى وجب
حمل اللفظ عليه ومما يؤكد ذلك الدعاء المشهور عنه في اثناء الاذان وابعثه المقام الذي وعدته واتفق
الناس على ان المراد منه الشفاعة والقول الثاني قال حذيفة يجمع الناس في صعيد فلا تتكلم نفس فاول من يتكلم محمد صلى
الله عليه وسلم فيقول لبيك وسعديك والشر ليس اليك والمهدي من هديت والعبد بين يديك وبك واليك
لا منجا ولا ملجا الا اليك تباركت وتعاليت سبحانك رب هذا البيت فهو المراد من قوله مقاما محمودا فاذا كان هذا
الدعاء فلا يفيد الا الثواب اما الحمد فلا فان قيل لم لا يجوز ان يقال انه تعالى يحمده على هذا القول فالجواب
ان الحمد في اللغة مختص بالثناء المذكور في مقابلة الانعام بلفظ فان ورد لفظ الحمد في غير هذا المعنى
فعلى سبيل المجاز القول الثالث المراد مقاما تحمد عاقبته وهذا ضعيف لما ذكرنا القول الرابع قال الواحدي
رحمه الله روي عن ابن عباس انه قال يقعد الله محمدا صلى الله عليه وسلم على العرش وعن مجاهد انه قال يجلسه معه
على العرش قال الواحدي وهذا قول رذل موحش فظيع ونص الكتاب ينادي بفساد هذا التفسير من وجوه الاول
ان البعث ضد الاجلاس يقال بعثت الناقة وبعث الميت اي اقامه من قبره فتفسير البعث بالاجلاس تفسير
الضد بالضد وهو فاسد الثاني انه تعالى لو كان جالسا على العرش بحيث يجلس عنده محمد صلى الله عليه وسلم
لكان محدودا متناهيا ومن كان كذلك فهو محدث الثالث انه تعالى قال مقاما محمودا ولم يقل مقعدا
والمقام موضع القيام لا موضع القعود الرابع ان جلوسه مع الله على العرش ليس فيه كثير اعزاز لان هؤلاء الجهال
يقولون ان اهل الجنة كلهم يجلسون معه ويزورونه وانه تعالى يجلسهم على الكراسي التي كانوا عليها في الدنيا واذا كان
هذه الحالة حاصلة عندهم لكل المؤمنين لم يكن في تخصيص محمد صلى الله عليه وسلم بها مزيد شرف ورتبة الخامس انه اذا قيل

السلطان

السلطان بعث فلانا فهم منه انه ارسله الى قوم لاصلاح مهماتهم ولا يفهم منه انه اجلسه مع نفسه فثبت ان هذا القول
كلام رذل لا يميل اليه الا قليل العقل عديم الدين **قوله تعالى** وقل رب ادخلني مدخل صدق الاية يحتمل
ان يكون مدخل مصدرا وان يكون ظرف مكان وهو الظاهر والعامة على ضم الميم فيهما لانهما من افعل رباعي وقرا
قتادة وابو حيوة وابراهيم بن ابي عبلة وحميد بفتح الميم فيهما لانهما منصوبان بمقدر موافق لهما تقديره فادخل
مدخل واخرج مخرج وقد تقدم هذا مستوفى في قراءة نافع في سورة النساء وانه قرا كذلك في سورة الحج ومدخل
صدق ومخرج صدق من اضافة التبيين وعند الكوفيين من اضافة الموصوف لصفته لانه يوصف به
مبالغة وسلطانا هو المفعول الاول للجعل والثاني احد الجارين المتقدمين والاخر متعلق باستقراره **قوله**
نصيرا يجوز ان يكون محولا من فاعل للمبالغة وان يكون بمعنى مفعول **فصل** وتقدم في قوله تعالى
وان كادوا ليستفزونك من الارض قولين احدهما ان يكون المراد منه سعي كفار مكة في اخراجه منها والثاني المراد
منه اليهود قالوا له الاولى ان تخرج من المدينة الى الشام ثم قال اقم الصلاة واشتغل بعبادة الله ولا تلتفت الى
هولاء الجهال فان الله تعالى يعينك ثم عاد بعد هذا الكلام الى شرح تلك الواقعة من ان كفار مكة ارادوا اخراجه
فاذن الله تعالى بهجرته الى المدينة وقال له قل رب ادخلني مدخل صدق واخرجني مخرج صدق وهو مكة وهذا
قول ابن عباس والحسن وقتادة وعلى التفسير الثاني وهو ان المراد منه حمل اليهود له على الخروج من المدينة ذاهبا
الى الشام فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم امر بان يرجع اليها فلما عاد الى المدينة قال رب ادخلني مدخل صدق
وهي المدينة واخرجني مخرج صدق يعني الى مكة اي فتحها وقال الضحاك ادخلني مدخل صدق مكة ظاهرا على مكة
بالفتح واخرجني مخرج صدق من مكة آمنا من المشركين وقال مجاهد ادخلني في امرك الذي ارسلتني به من النبوة
والقيام بمهمات اداء شريعتك واخرجني من الدنيا وقد قمت بما وجب علي من حقها مخرج صدق اي اخراجا لا يبقى علي منها
تبعة وعن الحسن ادخلني مدخل صدق الجنة واخرجني مخرج صدق من مكة وقيل ادخلني في طاعتك واخرجني من المناهي
وقيل ادخلني القبر مدخل صدق واخرجني بالصدق منه مخرج صدق وقيل ادخلني حيث ما ادخلتني بالصدق واخرجني
بالصدق اي لا تجعلني ممن يدخل بوجه ويخرج بوجه فان ذا الوجهين لا يكون عند الله وجيها ووصف الادخال والاخراج
بالصدق لما يؤول اليه الدخول والخروج من النصر والعز ودولة الدين كما وصف القدم بالصدق فقال ان لهم
قدم صدق عند ربهم واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا قال مجاهد حجة بينة ظاهرة تنصرني بها على جميع من خالفني
وقال الحسن ملكا قويا تنصرني به على من عاداني وعزا ظاهرا اقيم به دينك وقد اجاب الله دعاءه واعلمه انه يعصمه من الناس
فقال والله يعصمك من الناس وقال الا ان حزب الله هم الغالبون وقال ليظهره على الدين كله ولما سال الله تعالى النصر
بين له انه اجاب دعاءه فقال وقل جاء الحق وهو دينه وشرعه **قوله تعالى** وزهق الباطل وهو كل ما سواه من الاديان
والشرائع قال السدي وقيل جاء الحق اي القرآن وزهق الباطل اي ذهب الشيطان قاله قتادة وقيل الحق عبادة الله
تعالى والباطل عبادة الاصنام وعن ابن مسعود ان النبي صلى الله عليه وسلم دخل مكة يوم الفتح وحول البيت ثلاثمائة
وستون صنما فجعل يطعنها بعود في يده وجعل يقول جاء الحق وزهق الباطل فكان الصنم يكب على وجهه **قوله**
ان الباطل كان زهوقا اي ان الباطل وان كان له دولة لا يبقى بل يزول فيه والزهوق الذهاب والاضمحلال
قال الشاعر • ولقد شفا نفسي وابرا سقمها • اقدامه مزالة لم تزهق •
يقال زهقت نفسه تزهق زهوقا بالضم واما الزهوق بالفتح فمثال مبالغة كقوله • ضروب بنصل السيف سوق •
قوله تعالى وننزل من القرآن ما هو شفاء الاية في من هذه ثلاثة اوجه احدها انها لبيان الجنس قاله الزمخشري
وابن عطية وابو البقاء ورد عليهم ابو حيان بان التي للبيان لابد وان يتقدمها ما تبينه لا ان تتقدم هي عليه وهنا
قد وجد تقدمها عليه الثاني انها للتبعيض وانكره الحوفي وقال لانه يلزم ان لا يكون بعضه شفاء واجيب عنه بان
انزاله انما هو مبعض وهذا الجواب ليس بظاهر واجاب ابو البقاء بان منه ما يشفي من المرض وهذا يؤيده الدليل
المتقدم واجاز الكسائي ورحمة بالنصب عطفا على ما ظاهره وهذا [illegible] فيه بعض الصحابة سيد الحي الذي
لدغ بالفاتحة فشفي الثالث انها لابتداء الغاية وهو واضح والجمهور على رفع شفاء ورحمة خبرا له والجملة صلة لما
وابو زيد على نصبهما وخرجت قراءته على نصبهما على الحال والخبر حينئذ للمؤمنين وقدمت الحال على عاملها المعنوي
كقوله تعالى والسموات مطويات بيمينه في قراءة من نصب مطويات وقول النابغة
• رهط ابن كوز محقبي ادراعهم • فيهم ورهط ربيعة بن حذار •
وقيل منصوبان باضمار فعل وهذا عند من يمنع تقديمها على عاملها المعنوي وقال ابو البقاء واجاز الكسائي

ورحمة بالنصب عطفا على ما تظاهر هذا ان الكسائي بنا شفاء على رفع ونصب رحمة فعطفا على ما الموصولة كانه قيل
وننزل من القران رحمة وهذا البيتي في نفسه ما يؤذن بانه ما اتاها قرانا وتقدم الخلاف وننزل تخفيفا وتشديدا وقرا
علي بن نوفا العطفة ومجاهد وينزل بياء الغيبة اي الله **فصل** قال المفسرون ان من هنا للجنس كقوله تعالى
فاجتنبوا الرجس من الاوثان اي وننزل من هذا الجنس الذي هو قران ما هو شفاء فجميع القران شفاء للمؤمنين اي بيانا
من الضلالة والجهالة يتبين به المختلف ويتضح به المشكل ويستشفى به من الشبهة ويهتدى به من الحيرة وهو شفاء
القلوب بزوال الجهل عنها واعلم ان القران شفاء من الامراض الروحانية والامراض الجسمانية اما كونه شفاء من
الامراض الروحانية لان المرض الروحاني قسمان احدهما الاعتقادات الباطلة واشدها فساد الاعتقادات الفاسدة
في الالهيات والنبوات والمعاد والقضاء والقدر والقران كله مشتمل على تفصيلها وتعريف ما فيها من المفاسد
والارشاد الى الاخلاق الفاضلة فكان القران شفاء من الامراض الروحانية واما كونه شفاء من الامراض الجسمانية
فلان التبرك بقراءته يدفع كثيرا من الامراض ويؤيده ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من لم يستشف
بالقران فلا شفاه الله وما ورد من حديث الرقية بالفاتحة ثم قال ولا يزيد الظالمين الا خسارا المراد بالظالمين
هاهنا المشركون لان سماع القران يزيدهم غضبا وغيظا وحقدا وكلما نزلت اية يتجدد فيهم تكذيب فيزداد خسارة
قال مجاهد وقتادة لم يجالس هذا القران احد الا قام بزيادة او نقصان عنه قضى الله الذي قضى شفاء ورحمة
للمؤمنين ولا يزيد الظالمين الا خسارا ثم انه تعالى ذكر السبب الاصلي في وقوع هؤلاء الجهال في اودية الضلال وهو حب
الدنيا والرغبة في المال والجاه واعتقادهم ان ذلك انما يحصل بجدهم واجتهادهم فقال واذا انعمنا على الانسان
اعرض ونأى بجانبه قال ابن عباس هاهنا هو الوليد بن المغيرة والاولى ان كل انسان من شانه انه اذا فاز بمقصوده
اغتر وصار غافلا عن عبادة الله تعالى وتمرد عن طاعته كما قال ان الانسان ليطغى ان رآه استغنى **قوله تعالى**
ونأى قرا العامة بتقديم الهمزة على حرف العلة من النأي وهو البعد وابن ذكوان ونقلها ابو حيان وابن الخطيب
عن ابن عامر وابو جعفر ناء مثل جاء بتقديم الالف على الهمزة وفيها تخريجان احدهما انه من ناء ينوء اي نهض قال
الشاعر
حتى اذا ما التامت مفاصله • وناء في شق الشمال كاهله •
والثاني انه مقلوب من نأى ووزنه فلع كقولهم في رأى راء الى غير ذلك فيكونان بمعنى ولكن متى امكن عدم القلب
فهو اولى وهذا الخلاف ايضا في سورة حم السجدة واما الامالة فامال محضة الاخوان وابو بكر عن عاصم وبين بين
بخلاف عند السوسي وكذلك في فصلت الا ابا بكر فانه لم يمله واما فتحة النون في السورتين خلف وابو الحرث
والدوري عن الكسائي ثم قال واذا مسه الشر اي الشدة والضر كان يؤوسا آيسا قنوطا وقيل معناه انه يتضرع
ويدعو عند الضر والشدة فاذا تأخرت الاجابة ايس ولا ينبغي للمؤمن ان ييأس من الاجابة وان تأخرت فيدع الدعاء
قوله تعالى على شاكلته متعلق بيعمل والشاكلة احسن ما قيل فيها ما قاله الزمخشري والزجاج انها مذهبه الذي
يشاكل حاله في الهدى والضلالة من قولهم طريق ذو شواكل وهي الطرق التي تشعبت منه والدليل عليه قوله
تعالى فربكم اعلم بمن هو اهدى سبيلا وقيل على دينه وقيل على جديلته وقال ابن عباس على جانبه وقال الحسن وقتادة
على نيته وقال الفراء على طريقته والمذهب الذي جبل عليه وهو من الشكل وهو المثل يقال لست على شكلي ولا شاكلتي
واما الشكل بالكسر فهو الهيئة يقال جارية حسنة الشكل وقال امرؤ القيس في الشكل بالفتح حتى الحمول بجانب العزل
اذ لا يلائم شكلها شكلي اي لا يلائم مثلها مثلي **فصل** قال ابن الخطيب والذي يقوى عندي ان المراد
من الشاكلة ما قاله الزجاج والزمخشري لقوله بعد ذلك فربكم اعلم بمن هو اهدى سبيلا وفيه وجه اخر وهو ان المراد
ان كل احد يفعل على وفق ما يشاكل جوهر نفسه ومقتضى روحه فان كانت مشرقة طاهرة علوية صدرت منه
افعال فاضلة وان كانت نفسه كدرة خبيثة صدرت منه افعال خبيثة فاسدة واقول اختلف العقلاء في ان
النفوس الناطقة البشرية هل هي مختلفة بالماهية ام لا منهم من قال مختلفة بالماهية وان اختلف احوالها وافعالها
لاختلاف جواهرها وماهياتها ومنهم من قال انها متساوية في الماهية واختلاف احوالها وافعالها لاختلاف امزجتها
والمختار عندي هو القسم الاول والقران مشعر به لانه تعالى بين في الاية المتقدمة ان القران بالنسبة الى البعض يفيد
الشفاء والرحمة وبالنسبة الى الاخرين يفيد الخسار والخزي ثم اتبعه بقوله قل كل يعمل على شاكلته ومعناه ان اللائق
بتلك النفوس ان يظهر فيها من القران الخسران كما ان الشمس تعقد الملح وتلين الدهن وتبيض ثوب القصار وتسود وجهه
وهذا الكلام لا يتم المقصود منه الا اذا كانت الارواح والنفوس مختلفة ماهياتها فبعضها مشرقة صافية يظهر
فيه القران نورا على نور وبعضها كدرة ظلمانية يظهر فيها من القران ضلال ونكال **قوله تعالى** اهدى يجوز ان

على حذف الزوائد وان تكون من هدى المتعدي وان تكون من هدى اللازم القاصر بمعنى اهتدى **قوله**
سبيلا تمييز فربكم اعلم بمن هو اوضح طريقا **قوله تعالى** ويسألونك عن الروح الاية روي ان اليهود قالوا
لقريش اسألوا محمدا عن ثلاثة اشياء فان اجاب عن بعضها او كلها او لم يجب عن شيء فليس بنبي وان اجاب عن اثنين وامسك
عن الثالث فهو نبي فسألوه عن فتية فقدوا في الزمن الاول ما كان امرهم فانهم كان لهم حديث عجيب وعن رجل بلغ مشرق
الارض ومغربها ما خبره وعن الروح فسألوه فقال النبي صلى الله عليه وسلم غدا اخبركم ولم يقل ان شاء الله فانقطع عنه
الوحي قال مجاهد اثنتي عشرة ليلة وقيل خمسة عشر يوما وقال عكرمة اربعين يوما واهل مكة يقولون وعدنا محمد
غدا وقد اصبحنا لا يخبرنا بشيء حتى حزن النبي صلى الله عليه وسلم من مكث الوحي وشق عليه ما يقوله اهل مكة ثم نزل
الوحي بقوله تعالى ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله ونزل في الفتية ام حسبت ان اصحاب الكهف والرقيم
كانوا من اياتنا عجبا ونزل فيمن بلغ المشرق والمغرب ويسألونك عن ذي القرنين ونزل في الروح ويسألونك عن الروح
قل الروح من امر ربي وما اوتيتم من العلم الا قليلا قال ابن الخطيب ومن الناس من طعن في هذه الرواية من وجوه اولها قالوا ليس
الروح اعظم شانا ولا اعلى درجة من الله تعالى فاذا كانت معرفة الله تعالى حاصلة ممكنة فاي مانع يمنع من معرفة الروح
وثانيها ان اليهود قالوا ان اجاب عن قصة اهل الكهف وقصة ذي القرنين ولم يجب عن الروح فهو نبي وهذا الكلام بعيد
من العقلاء لان قصة اصحاب الكهف وقصة ذي القرنين ليست الا حكاية والحكاية لا تكون دليلا على النبوة وايضا
فالحكاية التي يذكرها اما ان تعتبر قبل العلم بنبوته او بعد العلم بنبوته فان كان قبل العلم بنبوته كذبوه فيها وان كان
بعد العلم بنبوته فحينئذ نبوته معلومة فلا فائدة في ذكر هذه الحكاية واما عدم الجواب عن الروح وحقيقته فيبعد ان
جعله دليلا على صحة النبوة وثالثها ان مسألة الروح يعرفها اصاغر الفلاسفة واراذل المتكلمين فلو قال الرسول صلى
الله عليه وسلم اني لا اعرفها لاورث ذلك ما يوجب التحقير والتنفير فان الجهل بمثل هذه المسألة يفيد التحقير اي انسان
كان فكيف الرسول الذي هو اعلم العلماء وافضل الفضلاء ورابعها انه تعالى قال في حقه الرحمن علم القران وعلمك ما لم تكن تعلم
وكان فضل الله عليك عظيما وقال وقل رب زدني علما وقال في حقه اي القران وصفته ولا رطب ولا يابس الا في
كتاب مبين وكان صلى الله عليه وسلم يقول ارني الاشياء كما هي فمن كان هذا حاله وصفته ايليق به ان يقول انا لا اعرف
هذه المسألة مع انها من المسائل المشهورة عند جمهور الخلق بل المختار عندنا انهم سألوه عن الروح وانه صلى الله عليه
وسلم اجابهم عنه على احسن الوجوه وتقريره ان المذكور في الاية انهم سألوه عن الروح والسؤال عن الروح يقع على وجوه كثيرة
اولها ان يقال ما ماهية الروح هل هي متحيز او حال في المتحيز وثانيها ان يقال الروح قديمة او حادثة وثالثها ان يقال
الارواح هل تبقى بعد الاجسام او تفنى ورابعها ان يقال ما حقيقة سعادة الارواح وشقاوتها وبالجملة فالمباحث
المتعلقة بالروح كثيرة وقوله تعالى ويسألونك عن الروح ليس فيه ما يدل على انهم سألوه عن اي المسائل الا انه تعالى
ذكر في الجواب عن هذا السؤال قل الروح من امر ربي وهذا الجواب لا يليق الا بمسألتين من هذه المسائل التي ذكرناها احدهما
السؤال عن ماهية الروح والاخرى عن قدمها وحدوثها اما البحث الاول فهو انهم قالوا ما حقيقة الروح وماهيته اهي
اجسام موجودة داخلة في البدن متولدة من امتزاج الطبائع والاخلاط او هو عبارة عن نفس هذا المزاج
والتركيب او هو عبارة عن عرض قائم بهذه الاجسام او هو عبارة عن موجود يغاير هذه الاجسام والاعراض
وذلك لان هذه الاجسام ولهذه الاعراض اشياء تحدث عن امتزاج الاخلاط والعناصر واما الروح فليس كذلك
بل هو جوهر بسيط مجرد لا يحدث الا بامر الله وتكوينه وتأثيره في افادة الحياة لهذا الجسد ولا يلزم من عدم
العلم بحقيقته المخصوصة نفيه فان اكثر حقائق الاشياء وماهياتها مجهولة فانا نعلم ان السكنجبين له خاصية
في تقطيع الصفراء فاما اذا اردنا ان نعرف ماهية تلك الخاصية وحقيقتها المخصوصة فذلك غير معلوم فثبت
ان اكثر الحقائق مجهولة ولم يلزم من كونها مجهولة بحقيقتها عدم العلم بخاصيتها وكذا هاهنا وهذا المراد بقوله
وما اوتيتم من العلم الا قليلا واما البحث الثاني فهو ان لفظ الامر قد جاء بمعنى الفعل قال تعالى وما امر فرعون
برشيد وقال تعالى فلما جاء امرنا اي فعلنا فقوله قل الروح من امر ربي اي من فعل ربي وهذا الجواب يدل على انهم
سألوه عن الروح اقديمة هي او حادثة فقال بل حادثة وانما حصلت بفعل الله وتكوينه ثم احتج على حدوث الروح بقوله
وما اوتيتم من العلم الا قليلا يعني ان الارواح في مبدإ الفطرة تكون خالية عن العلوم والمعارف ثم لا تزال في التغير
من حال الى حال وفي التبدل من نقصان الى كمال والتغير والتبدل من امارات الحدوث فقوله تعالى قل الروح من امر ربي
يدل على انهم سألوه هل الروح حادثة فاجاب بانها حادثة واقعة بخلق الله وتكوينه وهو المراد بقوله قل الروح من
امر ربي ثم استدل بحدوث الارواح بتغيرها من حال الى حال وهو المراد بقوله وما اوتيتم من العلم الا قليلا **فصل**

وأما أقوال المفسرين في الروح المذكورة هاهنا فقيل الروح القرآن لأن الله تعالى سمى القرآن في هذه الآية
وفي كثير من الآيات روحاً قال تعالى وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا تنزل الملائكة بالروح من أمره ولأن القرآن
يحصل به حياة الأرواح والعقول لأن به يحصل معرفة الله ومعرفة ملائكته وكتبه ورسله والأرواح إنما تحصل
أحياؤها بهذه المعارف وتقدم قوله تعالى وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين وقال بعده ولئن شئنا لنذهبن
بالذي أوحينا إليك إلى قوله تعالى قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان
بعضهم لبعض ظهيراً فلما كان ما قبل هذه الآية في وصف القرآن وما بعده كذلك وجب أن يكون المراد بالروح القرآن
حتى تكون آيات القرآن كلها متناسبة لأن القوم استعظموا أمر القرآن فسألوا هل هو من جنس الشعر أو من جنس الكهانة
فأجابهم الله تعالى بأنه ليس من جنس كلام البشر وإنما هو كلام ظهر بأمر الله ووحيه وتنزيله فقال قل الروح من أمر ربي
أي القرآن إنما ظهر بأمر ربي وليس من جنس كلام البشر وروي عن ابن عباس أنه جبريل وهو قول الحسن وقتادة لقوله
تعالى نزل به الروح الأمين على قلبك وقوله تعالى فأرسلنا إليها روحنا ويؤكده قل الروح من أمر ربي وقال جبريل وما
نتنزل إلا بأمر ربك فسألوا الرسول صلى الله عليه وسلم كيف جبريل في نفسه وكيف يأتيه وكيف يبلغ الوحي إليه وقال
مجاهد الروح خلق ليسوا من الملائكة على صور بني آدم يأكلون ولهم أيدي وأرجل ورؤوس وقال أبو صالح يشبهون
الناس وليسوا من الناس **فصل** قال ابن الخطيب ولم أجد في القرآن ولا في الأخبار الصحيحة شيئاً يمكن
التمسك به في هذا القول وروي عن علي أنه ملك له سبعون ألف وجه لكل وجه سبعون ألف لسان لكل لسان سبعون
ألف لغة يسبح الله تعالى بتلك اللغات ويخلق الله تعالى من كل تسبيحة ملكاً يطير مع الملائكة قالوا ولم يخلق الله
تعالى خلقاً أعظم من الروح غير العرش ولو شاء أن يبتلع السموات والأرضين السبع ومن فيهما بلقمة واحدة لفعله
صورة خلقه على صورة الملائكة وصورة وجهه على صورة الآدميين يقوم يوم القيامة عن يمين العرش
وهو أقرب الخلق إلى الله عز وجل اليوم عند الحجب السبعين ويقرب إلى الله يوم القيامة وهو يشفع لأهل التوحيد
ولولا أن بينه وبين الملائكة ستراً من نور لاحترق أهل السموات من نوره **فصل** قال ابن الخطيب
ولقائل أن يقول هذا القول ضعيف لوجوه الأول أن هذا التفصيل إذا عرفه علي فالنبي أولى بأن يعرفه ويخبر به
وأيضاً فإن الوحي لم يكن ينزل على علي فهذا التفصيل ما عرفه إلا من النبي صلى الله عليه وسلم فلما ذكر النبي عليه
الصلاة والسلام هذا الشرح لعلي لم لا يذكره لغيره الثاني أن ذلك الملك إن كان حيواناً واحداً وعاقلاً واحداً
فلا فائدة في تكثير تلك اللغات وإن كان المتكلم بكل لغة ملكاً فهذا المجموع ملائكة الثالث أن هذا شيء مجهول
الوجود وكيف يسأل عنه أما الروح الذي هو سبب الحياة فهو شيء تتوفر دواعي العقلاء وقيل الروح عيسى
فإنه روح الله وكلمته والمعنى أنه ليس كما يقوله اليهود ولا كما يقوله النصارى وقال قوم هو الروح المركب في الخلق
الذي يحيى به الإنسان وهو الأصح واختلفوا فيه فقال بعضهم هو الدم ألا ترى أن الحيوان إذا مات لا يفوت
منه إلا الدم وقال قوم هو نفس الحيوان بدليل أنه يموت باحتباس النفس وقال قوم هو عرض وقال قوم هو جسم
لطيف وقال بعضهم الروح معنى اجتمع فيه النور والطيب والعلو والعلم والبقاء ألا ترى أنه إذا كان موجوداً يكون
الإنسان موصوفاً بهذه الصفات جميعها وإذا خرج ذهب الكل **فصل** في شرح مذاهب القائلين
بأن الإنسان جسم موجود داخل البدن قال ابن الخطيب اعلم أن الأجسام الموجودة في هذا العالم
السفلي إما أن يكون أحد العناصر الأربعة أو ما يكون متولداً من امتزاجها ويمتنع أن يحصل في بدن
الإنسان جسم عنصري خالص بل لا بد وأن يكون الحاصل جسماً متولداً من امتزاجات الأربعة فنقول أما الجسم
الذي تغلب عليه الأرضية فهو الأعضاء الصلبة الكثيفة كالعظم والعروق واللحم والغضروف والعصب
والوتر والرباطات لهذا الجسم واللحم والجلد ولم يقل أحد من العقلاء الذين قالوا الإنسان شيء مغاير
لهذا الجسد بأنه عبارة عن عضو معين من هذه الأعضاء وذلك لأن هذه الأعضاء ثقيلة كثيفة ظلمانية
لم يقل أحد من العقلاء بأن الإنسان عبارة عن أحد هذه الأعضاء وأما الجسم الذي تغلب عليه المائية
فهو الأخلاط الأربعة ولم يقل في شيء منها أنه الإنسان إلا الدم فإن منهم من قال إنه الروح بدليل أنه إذا
خرج لزم الموت وأما الجسم الذي تغلب عليه الهوائية والنارية فهو الأرواح وهي نوعان أجسام هوائية
مخلوطة بالحرارة الغريزية متولدة إما في القلب أو في الدماغ وقالوا إنما هي الروح الإنساني ثم اختلفوا فمنهم
من يقول هو الروح الذي في القلب ومنهم من يقول إنه جزء لا يتجزأ في الدماغ ومنهم من يقول الروح عبارة
عن أجسام نورانية سماوية لطيفة الجوهر على طبيعة ضوء الشمس وهي لا تقبل التحلل والتبدل ولا التفرق

تتبدل

والتمزق

والتمزق وهو المراد بقوله فإذا سويته ونفخت فيه من روحي نفذت تلك الأجسام الشريفة السماوية الإلهية في جوهر
أعضاء البدن نفاذ النار في الفحم ونفاذ دهن السمسم في السمسم ونفاذ دهن الورد في جسم الورد وهو المراد
من قوله ونفخت فيه من روحي ثم إن البدن ما دام سليماً قابلاً لنفاذ تلك الأجسام الشريفة فيها ما انفصلت
عن هذا الهيكل بقي حياً فإذا تولد في البدن أخلاط غليظة منعت من نفاذ تلك الأجسام الشريفة فيها فإذا انفصلت
عن هذا البدن فحينئذ يعرض الموت قال فأما أن الإنسان جسم موجود خارج البدن فلا أعرف أحداً ذهب إلى
هذا القول **فصل** احتج ابن الخطيب للمثبتين أن الروح ليست بجسم ولا عرض وأنها غير البدن لوجوه كثيرة
عقلية ونقلية قال [illegible] منها أن العلم البديهي حاصل بأن أجزاء هذا الجسد متبدلة بالزيادة والنقصان
والتبادل مغاير للثابت ومنها أن الإنسان حال كونه مشتغلاً بفكره في شيء معين فإنه في تلك الحالة يكون
غافلاً في تلك عن جميع أجزاء بدنه وعن غيرها غافل عن نفسه فوجب أن يكون الإنسان مغايراً لبدنه ومنها قول الإنسان
رأسي وعيني وبدني ويضيف العضو إلى نفسه والمضاف غير المضاف إليه وقوله نفسي وذاتي يضيفها للذات والنفس إلى ذاته
فيلزم أن يكون ذاته غير ذاته ونفسه غير نفسه وهو محال **فصل** قد يراد بنفس الشيء وذاته الحقيقة
المخصوصة التي يشير إليها كل أحد بقوله أنا فلان فإذا قال نفسي وذاتي كان المراد البدن وهو مغاير للإنسان
أما إذا أريد بالنفس والذات الحقيقة المشار إليها المخصوصة بقوله أنا فلان ثم إن الإنسان يمكنه أن يضيف
ذلك إلى نفسه بقوله إذني ومنها أن الإنسان قد يكون حياً حال موت البدن قال تعالى ولا تحسبن الذين
قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء والحس يرى الجسد ميتاً وقال تعالى النار يعرضون عليها غدواً وعشياً
وقال عليه الصلاة والسلام إن شاء الله لا يموتون ونحن نشاهد الجسد ميتاً وقال تعالى يا أيتها النفس المطمئنة
ارجعي إلى ربك ومنها أن الإنسان إذا قطعت يداه ورجلاه لم ينقص من عقله وفهمه شيء ومنها الذي [illegible]
الله بهذه الأخبار فإن لم يكن ذلك الإنسان حياً والأفعال المحكمة ماتة ومنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قد رأى
جبريل في صورة دحية ورأى إبليس في صورة الشيخ النجدي ومنها أن العضو وهذا يدل على أن الإنسان في
شيء غير الجسد وأن الزاني يزني بفرجه ويضرب على ظهره فيلزم أن يكون الإنسان شيئاً آخر سوى الفرج وأن
يكون الظهر شيئاً يستعمل في عمل والفرج في عمل ثم قال واحتج المنكرون بأنه أوجه الأول لو كانت متساوية
لذات الله في كونه ليس بذات ولا عرض لكانت متساوية له في تمام الماهية وذلك محال الثاني قوله تعالى
قتل الإنسان ما أكفره من أي شيء خلقه من نطفة خلقه فقدره ثم السبيل يسره ثم أماته فأقبره ثم إذا
شاء أنشره وهذا تصريح بأن الإنسان شيء مخلوق من النطفة وأنه يموت ويدخل القبر ثم إنه تعالى يخرجه
من القبر ولو لم يكن الإنسان عبارة عن هذه الجثة وإلا لم تكن الأحوال المذكورة في هذه الآية صحيحة
الثالث قوله تعالى ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً إلى قوله فرحين وهذا يدل على أن الروح جسم
لأن الارتزاق والفرح من صفات الأجسام والجواب عن الأول أن المساواة في كونه ليس بمتحيز ولا حال
في المتحيز مساواة في صفة سلبية والمساواة في الصفة السلبية لا توجب المماثلة واعلم أن جماعة من الجهال يظنون
أنه لما كان الروح موجوداً ليس بمتحيز ولا حال في المتحيز وجب أن يكون مثلاً لله أو جزءاً له وذلك جهل
فاحش وغلط قبيح وتحقيق القول ما ذكرناه من أن المساواة في السلوب لو أوجبت المماثلة لوجب القول باستواء
كل المختلفات فإن كل ماهيتين مختلفتين لا بد وأن يشتركا في سلب ما عداهما عنهما فليتفكر في هذه الدقيقة
فإنها مغلطة عظيمة للجهال والثاني أنه لما كان الإنصاف في العرف والظاهر عبارة عن هذه الجثة أطلق عليه
اسم الإنسان وأيضاً فلقائل أن يقول هب أنا نجعل اسم الإنسان عبارة عن هذه الجثة إلا أنا قد دللنا
أن محل الاسم والعلم والقدرة ليس هو هذه الجثة والجواب عن الثالث أن الرزق المذكور في الآية محمول
على ما يقوي حالهم ويكمل كمالهم وهو معرفة الله ومحبته بل يقول هذا من أدل الدلائل على صحة قولنا لأن
أبدانهم قد بليت في التراب والله يقول إن أرواحهم تأوي في قناديل معلقة تحت العرش وهذا يدل على أن
الروح غير البدن **قوله تعالى** وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً أي في جنب علم الله عز وجل قال المفسرون
هذا خطاب لليهود وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم لما قال لهم ذلك قالوا نحن مختصون بهذا الخطاب
أم أنت معنا فقال عليه الصلاة والسلام بل نحن وأنتم لم نؤت من العلم إلا قليلاً فقالوا ما أعجب شأنك يا محمد
ساعة تقول ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً وساعة تقول هذا فنزل قوله تعالى ولو أن ما في الأرض
من شجرة أقلام الآية وما ذكروه ليس بلازم لأن الشيء قد يكون قليلاً بالنسبة إلى شيء كثيراً بالنسبة إلى شيء آخر

بجسم

فالعلوم التي عند الناس قليلة بالنسبة الى علم الله تعالى وبالنسبة الى حقايق الاشياء ولكنها كثيرة بالنسبة
الى الشهوات الجسمانية واللذات الجسدانية وقيل هو خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وقيل كان النبي عليه الصلاة والسلام
يعلم معنى الروح ولم يخبر به احدا لان ترك اخباره كان علما للنبوة وقد تقدم الكلام على ذلك قال البغوي الاصح ان الله تعالى
استاثر بعلمه **قوله تعالى** من العلم متعلق باوتيتم ولا يجوز تعلقه بمحذوف على انه حال من قليلا لانه لو تاخر لكان
صفة لان ما في حيز الا لا يتقدم عليها وقرا عبد الله والاعمش وما اوتوا بصيغة الغيبة **قوله تعالى** ولئن شئنا
لنذهبن بالذي اوحينا اليك الاية لما ذكر انه ما اتاهم من العلم الا قليلا قال هاهنا انه لو شاء ان ياخذ منهم ذلك القليل
المقدر عليه وذلك بان يمحو حفظه من القلوب وكتابته من الكتب والمراد بالذي اوحينا اليك القران واحتج الكعبي بهذه
الاية الكريمة بان القران مخلوق فقال الذي يقدر على الله الله والذهاب به يستحيل ان يكون قديما بل يجب ان يكون محدثا
واجيب بان يكون المراد بهذا الاذهاب ازالة العلم به عن القلوب وازالة النقش الدال عليه من المصحف وذلك لا يوجب
كون ذلك المعلوم المدلول محدثا **فصل** قال عبد الله بن مسعود اقرؤا القران قبل ان يرفع فانه لا تقوم الساعة
حتى يرفع قيل هذه المصاحف ترفع فما في قلوب الناس قال يسرى عليه ليلا فيرفع ما في صدورهم فيصبحون لا يحفظون
شيا ولا يجدون في المصاحف شيا ثم يفيضون في الشعر وعن عبد الله بن عمرو بن العاص قال لا تقوم الساعة حتى يرجع
القران من حيث نزل له دوي حول العرش كدوي النحل فيقول الرب ما لك فيقول يا رب اتلى فلا يعمل بي ثم قال
ثم لا تجد لك به علينا وكيلا اي لا تجد من يتوكل علينا في رد شي منه **قوله تعالى** الا رحمة قيل استثناء متصل لانه
المندرج في قوله وكيلا والمعنى الا ان يرحمك ربك فيرده عليك وقيل انه استثناء منقطع فيقدر بلكن عند البصريين
وقيل عند الكوفيين والمعنى الا رحمة من ربك اوبل رحمة من ربك تركته غير مذهوب به اي لكن لا نشاء ذلك رحمة من ربك
وهذا امتنان من الله تعالى وهو نوعان الاول ابقاء ذلك العلم عليه والثاني ابقاء حفظه عليه **قوله تعالى** من ربك
يجوز ان يتعلق برحمة وان يتعلق بمحذوف صفتها **قوله تعالى** ان فضله كان عليك كبيرا اي بسبب القاء العلم والقران
عليك وقيل بسبب انه جعلك سيد ولد ادم وختم بك النبيين واعطاك المقام المحمود لا جرم انعم عليك بالقاء العلم
والقران عليك **قوله تعالى** قل لئن اجتمعت الانس والجن الايات قد تقدم الكلام على مثله في البقرة عند قوله تعالى
وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا الاية فان **قيل** قال بعضهم هب انه ظهر عجز الانسان عن معارضته فكيف
عرفتم عجز الجن وايضا فلم لا يجوز ان يقال ان هذا الكلام نظم الجن القوه على محمد صلى الله عليه وسلم وخصوه به
على سبيل السعي في اضلال الخلق فعلى هذا انما تعرفون صدق محمد اذا عرفتم ان محمدا كان صادقا في قوله انه ليس من كلام الجن
بل من كلام الله تعالى وحينئذ يلزم الدور وليس لاحد ان يقول كيف يعقل ان يكون هذا من كلام الجن لانا نقول
ان هذه الاية دلت على وقوع التحدي مع الجن وانما يحسن وقوع هذا التحدي لو كانوا فصحاء بلغاء ومتى كان الامر كذلك
كان الاحتمال المذكور قائما فالجواب عن الاول بان عجز البشر عن معارضته يكون في اثبات كونه معجزا وعن الثاني
ان ذلك لو وقع لوجب في حكمة الله ان يظهر ذلك التلبيس وحيث لم يظهر دل على عدمه على انه تعالى اجاب عن
هذه الاسئلة بالاجوبة الشافية في اخر سورة الشعراء في قوله هل انبئكم على من تنزل الشياطين تنزل على كل افاك
اثيم وسياتي بيانه ان شاء الله تعالى قالت المعتزلة هذه الاية تدل على ان القران مخلوق لان التحدي بالقديم محال
وقد تقدم مثل هذه الاية في سورة البقرة **قوله تعالى** لا ياتون فيه وجهان احدهما انه جواب للقسم الموطا
باللام والثاني انه جواب للشرط واعتذر عن رفعه بان الشرط ماض فهو كقول الشاعر

وان اتاه خليل يوم مسغبة • يقول لا غايب مالي ولا حرم •

واستشهد واعليه بقول الاعشى • لئن منيت بنا عن غب معركة • لا تلفنا عن دماء القوم ننتفل • فاجاب
بالشرط مع تقدم لام الموطئة وهو دليل للفرا ومن تبعه على ذلك وفيه رد على البصريين حيث يحتمون جواب القسم عند
عدم تقدم ذي خبر واجاب بعضهم بان اللام في البيت ليست للموطئة بل مزيدة وهذا ليس بشي لانه لا دليل عليه وقال
الزمخشري لولا اللام الموطئة لجاز ان تكون جوابا للشرط كقوله يقول لا غايب لان الشرط وقع ماضيا وناقشه ابو حيان
بان هذا ليس مذهب سيبويه ولا الكوفيين والمبرد انه على حذف الفاء وهذا مذهب ثالث قال به بعض الناس **قوله
تعالى** ولو كان جملة حالية وتقدم تحقيق هذا وانه كقوله عليه الصلاة والسلام اعطوا السايل ولو جاء على فرس
والبعض يتعلق بظهيرا والمعنى ولو كان بعضهم لبعض عونا ومظاهرا نزلت حين قال الكفار لو نشاء لقلنا مثل هذا
فكذبهم الله عز وجل فالقران معجز في النظم والتاليف والاخبار عن الغيوب وهو كلام في اعلى طبقات البلاغة
لا يشبه كلام الخلق لانه غير مخلوق ولو كان مخلوقا لاتوا بمثله **قوله تعالى** ولقد صرفنا للناس في هذا القران

من كل

من كل مثل الاية ولقد صرفنا مفعوله محذوف وقيل من زايدة في كل مثل وهو المفعول قاله ابن عطية وهو
مذهب الكوفيين والاخفش وقال الحسن صرفنا بتخفيف الراء وتقدم نظيره **فصل** هذا الكلام يحتمل
وجهان احدهما انه وقع التحدي بكل القران كما في هذه الاية ووقع التحدي بسورة واحدة كما في قوله تعالى فاتوا بحديث
مثله فقوله ولقد صرفنا للناس في هذا القران من كل مثل يحتمل ان يكون المراد منه التحدي كما شرحناه مع انهم مع ظهور
عجزهم عن جميع هذه المراتب صاروا واصروا على كفرهم وثانيها ان يكون المراد من كل مثل انا اخبرناهم بان الذين بقوا مصرين
على كفرهم وتابعها ان يكون مثل قوم نوح وعاد وثمود ابتلاهم الله بانواع البلا وشرحنا هذه الطريقة مرارا ثم ان هؤلاء
الاقوام يعني اهل مكة لم ينتفعوا بهذا البيان بل اصروا على الكفر وثالثها ان يكون المراد من كل مثل من كل وجه من العبر والاحكام
والوعد والوعيد وغيرها ورابعها ان يكون المراد ذكر دلايل التوحيد ونفي الشركا في هذا القران مرارا كثيرة وذكر
شبهات منكري النبوة والمعاد واجاب عنها ثم اردفها بذكر الدلايل القاطعة على صحة النبوة والمعاد ثم ان هؤلاء الكفار
لم ينتفعوا بسماعها بل بقوا مصرين على الشرك وانكار النبوة **قوله تعالى** الا كفورا مفعول به وهو استثناء مفرغ
لانه في قوة لم يفعلوا الا كفورا والمعنى فابى اكثر الناس يعني اهل مكة الا كفورا اي جحودا للحق فان قيل كيف جاز
فابى اكثر الناس الا كفورا ولا يجوز ان يقال ضربت الا زيدا فالجواب لان لفظة ابى تفيد النفي كانه قيل فلم يرضوا الا
كفورا **قوله تعالى** وقالوا لن نؤمن لك الاية قرا الكوفيون بفتح التاء وسكون الفاء وضم الجيم خفيفة مضارع فجر
واختاره ابو حاتم قالوا لان الينبوع واحد والباقون بضم التاء وفتح الفاء وكسر الجيم شديدة مضارع فجر
للتكثير ولم يختلفوا في الثانية انها بالتثقيل للتصريح بمصدرها الا انه جمع وقرا الاعمش تفجر بضم التاء وسكون
الفاء وكسر الجيم خفيفة مضارع افجر بمعنى فجر فليس التضعيف ولا الهمزة معديين بل نقل اراد كثرة الانفجار
من الينبوع وهو فان كان واحدا فلكثرة الانفجار فيه يحسن ان يثقل كما تقول ضرب زيد اذا اكثر الضرب فيه لكثرة
فعله وان كان الفاعل واحدا ومن خفف فلان الينبوع واحد والينبوع مفعول به ووزنه يفعول لانه من النبع
والينبوع العين **فصل** انه تعالى لما بين بالدليل كون القران معجزا وظهر هذا المعجز على وفق دعوى محمد
صلى الله عليه وسلم فحينئذ دل الدليل على كونه نبيا صادقا لانا نقول ان محمدا عليه الصلاة والسلام ادعى النبوة
واظهر المعجزة على وفق دعواه وكلما كان كذلك كان نبيا صادقا فالتماس المعجزات الكثيرة وتواليها لانا لو فتحنا هذا
الباب يلزم ان لا ينقطع فيه وكلما اتى الرسول عليه الصلاة والسلام بمعجز فيقترحون عليه معجزا اخر ولا ينتهي الامر فيه الى
حد ينقطع عنه عناد المعاندين لانه تعالى حكى عن الكفار انهم بعد ان ظهر كون القران معجزا التمسوا من الرسول عليه
الصلاة والسلام ستة انواع من المعجزات الباهرة كما روى عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنه ان روسا اهل مكة سالوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس عند الكعبة فقالوا يا محمد ان ارض مكة ضيقة فسير جبالها لنتسع وفجر لنا
ينبوعا اي نهرا وعيونا نزرع فيها فقال لا اقدر على هذا فقال قايل منهم او يكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر
الانهار خلالها اوسطها تفجيرا انسقيها فقال لا اقدر عليه فقال او يكون لك بيت من زخرف اي من ذهب فيغنيك
عنا فقال لا اقدر فقيل له اما تستطيع ان تاتي قومك بما يسالونك فقال لا استطيع قال فاذا لم تكن تستطيع الخير
فاستطع الشر فاسقط السماء كما زعمت علينا كسفا قرا العامة تسقط باسناد الفعل للمخاطب والسماء مفعول بها
ومجاهد على اسناده الى السماء فرفعها به وقرا نافع وابن عامر وعاصم كسفا هنا بفتح السين وفعل ذلك حفص في الشعرا
وفي سبا والباقون بسكونها في المواضع الثلاثة وقرا ابن ذكوان بسكونها في الروم بلا خلاف وعنه الوجهان
والباقون بفتحها فمن فتح السين جعله جمع كسفة نحو قطعة وقطع وكسرة وكسر ومن سكن جعله جمع كسفة ايضا على حد
سدرة وسدر وقمحة وقمح وجوز ابو البقا فيه وجهين اخرين احدهما انه جمع على فعل بفتح العين وانما سكن تخفيفا
وهذا لا يجوز لان الفتحة خفيفة يحتملها حرف العلة حيث تقدر في غيرها وكيف الحرف الصحيح والثاني انه فعل
بمعنى مفعول كالطحن بمعنى مطحون فصار في السكون ثلاثة اوجه الاول هذا واصل الكسف القطع قال كسفت الثوب
قطعته وفي الحديث في قصة سليمان مع الصافنات الجياد انه كسف عراقيبها اي قطعها **فصل**
قال الليث الكسف قطع العرقوب قال الفرا وسمعت اعرابيا يقول للبزاز اعطني كسفة وقال الزجاج كسف الشي بمعنى غطاه
قيل ولا يعرف هذا لغيره وانتصابه على الحال في القراءتين فان جعلناه جمعا كان على حذف مضاف اي ذات كسف
وان جعلناه فعلا بمعنى مفعول لم يحتج الى تقدير وحينئذ فيقال فان قيل لم لا يونث فالجواب بان تانيثه
اعني السماء غير حقيقي او بانها في معنى السقف **قوله تعالى** كما زعمت نعت لمصدر محذوف اي اسقاطا مثل من زعمك
كذا قدره ابو البقا **فصل** قال عكرمة كما زعمت يا محمد انك نبي فاسقط السماء علينا وقيل كما زعمت ان ربك

ان شاء فعل وقيل الى قوله افأمنتم ان يخسف بكم جانب البر او يرسل عليكم حاصبا فقيل احصل السماء قطعا متفرقة
كالحاصب واسقطها علينا **قوله تعالى** او تاتي بالله والملائكة قبيلا القبيل بمعنى المقابل كالعشير بمعنى المعاشر
وقال ابن عباس يريد فوجا بعد فوج وقال الليث كل جند من الانس قبيل وقيل كفيلا اي ضامنا قال الزجاج يقال قبلت به
اقبل كما يقال كفلت به اكفل وعلى هذا فهو واحد اريد به الجمع كقوله تعالى وحسن اولئك رفيقا وقال ابو علي معناه المعاينة
كقوله تعالى لولا انزل علينا الملائكة او نرى ربنا **قوله تعالى** قبيلا حال من الله والملائكة او من احدهما
والاخر محذوف فحاله اي بالله قبيلا والملائكة قبيلا كقول الشاعر

وكنت ووالدي منه بريا * وقوله * فاني وقيار بها لغريب *

ذكره الزمخشري هذا اذا جعلنا قبيلا بمعنى كفيلا اي ضامنا او بمعنى معاينة كما قال الفارسي وان جعلناه بمعنى جماعة
كان حالا من الملائكة وقرا الاعرج قبلا من المقابلة **قوله تعالى** او ترقى في السماء فعل مضارع منصوب تقديرا
لانه معطوف على تفجر اي او حتى ترقى في السماء اي في معارجها والرقي الصعود يقال بالكسر يرقى بالفتح رقيا
على فعول والاصل رقوي فادغم بعد قلب الواو ياء ورقيا بزنة ضرب قال الراجز

انت الذي كلفتني رقي الدرج * على الكلال والمشيب والعرج *

قوله تعالى نقرؤه يجوز فيه الوجهان احدهما ان يكون نعتا لكتاب والثاني ان يكون حالا من نا في علينا
قاله ابو البقاء وهي حال مقدرة لانهم انما يقرؤونه بعد انزاله لا في حال انزاله **فصل** قال المفسرون
لما قال المشركون لن نؤمن لك حتى تفجر لنا الايات قام رسول الله صلى الله عليه وسلم وقام معه عبد الله بن ابي امية
وهو ابن عمته عاتكة بنت عبد المطلب فقال يا محمد عرض عليك قومك ما عرضوا فلم تقبله منهم ثم سالوا لانفسهم
امورا يعرفون بها منزلتك من الله تعالى فلم تفعل ثم سالوك ان تعجل ما تخوفهم به فلم تفعل فوالله لا اؤمن بك حتى تتخذ الى
السماء سلما ترقى فيه وانا انظر حتى تاتيها وتنزل بنسخة منشورة ومعك نفر من الملائكة يشهدون لك بما تقول وايم الله
لو فعلت ذلك لظننت اني لا اصدقك فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم حزينا لما يرى من مباعدتهم ثم قال
تعالى قل يا محمد سبحان ربي هل كنت الا بشرا رسولا امرا بتنزيهه وتمجيده اي انه لو اراد ان ينزل ما طلبوا لفعل
ولكن لا ينزل الايات على ما يقترحه البشر واعلم انه تعالى قد اعطى النبي صلى الله عليه وسلم من الايات والمعجزات
ما يغني عن هذا كله مثل القران وانشقاق القمر وتفجير العيون من بين الاصابع وما اشبهها والقوم عامتهم
كانوا متعنتين لم يكن قصدهم طلب الدليل ليؤمنوا فرد الله عليهم سؤالهم **قوله تعالى** قل سبحان قرا ابن كثير
وابن عامر قال فعلا ماضيا اخبارا عن الرسول عليه الصلاة والسلام بذلك والباقون قل على الامر امرا منه تعالى
لنبيه صلى الله عليه وسلم بذلك وهي مرسومة في مصاحف المكيين والشاميين قال بالف وفي مصاحف غيرهم
قل دونها فكل وافق مصحفه **قوله تعالى** الا بشرا رسولا يجوز ان يكون بشرا خبر كنت ورسولا صفته
ويجوز ان يكون رسولا هو الخبر وبشرا حالا مقدمة عليه **فصل** استدلوا بهذه الاية على ان المجيء على الله
والذهاب محال لان كلمة سبحان للتنزيه عما لا ينبغي فقوله سبحان ربي تنزيه الله تعالى عن شيء لا يليق به وذلك
تنزيه الله عما نسب اليه مما تقدم ذكره وليس فيما تقدم ذكره شيء مما لا يليق بالله الا قولهم او تاتي بالله فدل على ان قوله
سبحان ربي تنزيه الله تعالى عن الاتيان والمجيء فدل ذلك على فساد قول المشبهة فان قيل لم لا يجوز ان يكون المراد
تنزيه الله تعالى على ان يحكم عليه المخلوقون في اقتراح الاشياء فالجواب ان القوم لم يحكموا على الله وانما قالوا
للرسول ان كنت نبيا صادقا فاطلب من الله ان يشرفك بهذه المعجزات فالقوم انما حكموا على الرسول صلى الله عليه وسلم
لا على الله فلا يليق حمل قوله سبحان ربي على هذا المعنى فيجب حمله على قولهم او تاتي بالله **فصل** اعلم ان تقرير
هذا الجواب ان يقال اما ان يكون مرادكم من هذا الاقتراح انكم طلبتم الاتيان من عند نفسي بهذه الاشياء او طلبتم
مني ان اطلب من الله اظهارها على يدي لتدلكم على كوني رسولا حقا من عند الله والاول باطل لاني بشر والبشر لا قدرة
له على هذه الاشياء والثاني ايضا باطل لاني قد اتيتكم بمعجزة واحدة وهي القران فطلب هذه المعجزات طلب لما
لا حاجة اليه فكان طلبها يجري مجرى التعنت والتحكم وانا عبد مامور ليس لي ان اتحكم على الله فسقط هذا
السؤال فثبت قوله سبحان ربي هل كنت الا بشرا رسولا جوابا كافيا في هذا الباب **قوله تعالى** وما منع الناس
ان يؤمنوا الاية لما حكى الله تعالى شبهة القوم في اقتراح المعجزات واجاب عنها حكى عنهم شبهة اخرى وهي انهم
استبعدوا ان يبعث الله الى الخلق رسولا من البشر بل اعتقدوا ان الله تعالى لو ارسل رسولا الى الخلق لكان ذلك
الرسول من الملائكة فاجاب الله تعالى عن هذه الشبهة بوجوه الاول قوله تعالى وما منع الناس ان يؤمنوا اذ جاءهم

الهدى

الهدى وتقرير هذا الجواب ان بتقدير ان يبعث الله ملكا رسولا الى الخلق فالخلق انما يؤمنون بكونه رسولا من عند
الله لاجل قيام المعجزات الدالة على صدقه وذلك المعجز هو الذي يهديهم الى معرفة صدق ذلك الملك في ادعاء رسالته
فالمراد من قوله اذ جاءهم الهدى هو المعجز واذا كان كذلك فنقول لما كان الدليل على الصدق هو المعجز فقط
سواء ظهر على الملك او على البشر وجب الاقرار برسالته فقولهم لا بد وان يكون الرسول من الملائكة تحكم فاسد باطل
والجواب الثاني عن شبهتهم وهي ان اهل الارض لو كانوا ملائكة لوجب ان يكون رسولهم من الملائكة لان الجنس الى
الجنس اميل فلما كانوا من البشر وجب ان يكون رسولهم من البشر وهذا هو المراد من قوله تعالى لو كان في الارض
ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا الجواب الثالث قوله تعالى قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم
وتقريره ان الله تعالى لما اظهر المعجز على وفق دعواي كان ذلك شهادة من الله تعالى على كوني صادقا ومن شهد الله على
صدقه فهو صادق فقولكم بان الرسول يجب ان يكون ملكا لا انسانا تحكم فاسد لا يلتفت اليه ولما ذكر الله تعالى هذه
الاجوبة الثلاثة اردفها بما يجري مجرى التهديد والوعيد فقال انه كان بعباده خبيرا بصيرا اي يعلم ظواهرهم
وبواطنهم ويعلم انهم لا يذكرون هذه الشبهات الا لمحض الحسد وحب الرياسة **قوله تعالى** ان يؤمنوا مفعول ثاني
لمنع اي ما منعهم ايمانهم او من ايمانهم وان قالوا هو الفاعل لا محذوف المنع والتقدير وما منع الناس من الايمان وقت
مجيء الهدى اياهم الا قولهم ابعث الله وهذه الجملة المنفية تحتمل ان تكون من كلام الله فتكون مستانفة وان تكون من
كلام الرسول فتكون منصوبة المحل لاندراجها تحت القول في كلتا القراءتين **قوله تعالى** بشرا رسولا تقدم في نظيره
وجهان وكذلك قوله لنزلنا من السماء ملكا رسولا **قوله تعالى** قل لو كان في الارض يجوز في كان هذه التمام
اي لو وجد وحصل ويمشون صفة لملائكة وفي الارض متعلق به مطمئنين حال من فاعل يمشون ومطمئنين على ما تقدم
وقيل الخبر يمشون وفي الارض متعلق به وقيل الخبر مطمئنين ويمشون صفة وهذان الوجهان ضعيفان لان المعنى
على الاول فان قيل انه تعالى لو قال قل لو كان في الارض ملائكة لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا
كان كافيا في هذا المعنى فما الحكمة في قوله يمشون مطمئنين فالجواب ان المراد بقوله يمشون مطمئنين اي مستوطنين مقيمين فيها
قوله تعالى ومن يهد الله فهو المهتد الاية لما اجاب عن شبهات القوم في انكار النبوة اردفها بقوله تعالى انه
كان بعباده خبيرا بصيرا على الاجمال ذكر بعده الوعيد الشديد على التفصيل فقال ومن يهد الله فهو المهتد ومن
يضلل فلن تجد لهم اولياء من دونه والمراد تسلية الرسول صلى الله عليه وسلم وهو ان الذين حكم لهم بالاسلام والهداية
سابقا وجب ان يصيروا مؤمنين ومن سبق لهم حكم الله بالضلال والجهل استحال ان ينقلبوا عن ذلك واحتج اهل السنة
بهذه الاية على صحة مذهبهم في الهدى والضلال والمعتزلة حملوا هذا الاضلال تارة عن طريق الجنة وتارة على منع
الالطاف وتارة على التخلية وعدم التعرض لهم بالمنع منه بحث تحت القول فيكون محلها نصبا وان يكون من كلام الله
فلا محل لاستئنافها ويكون في الكلام التفات اذ فيه خروج من غيبة الى تكلم في قوله ونحشرهم وحمل على لفظ من في قوله
فهو المهتدي فافرد وحمل على معنى من الثانية في قوله ومن يضلل فلن تجد لهم فجمع ووجه المناسبة في ذلك والله اعلم
انه لما كان الهدى شيء واحد غير متشعب السبل ناسبه التوحيد ولما كان الضلال له طرق متشعبة نحو ولا تتبعوا السبل
فتفرق بكم عن سبيله ناسب الجمع وهذا الحمل الثاني مما حمل فيه على المعنى فان لم يتقدمه حمل على اللفظ قال ابو حيان
وهو قليل في القران يعني بالنسبة الى غيره ومثله ومنهم من يستمعون اليك ويمكن ان يكون الحسن لهذا هنا كونه
تقدمه حمل اللفظ وان كان في جملة اخرى غير جملته وقرا نافع وابو عمرو باثبات ياء المهتدي وصلا وحذفها
وقفا وكذلك في التي تحت هذه السورة وحذفها الباقون في الحالين **قوله تعالى** ونحشرهم يوم القيمة
على وجوههم عميا وبكما وصما ويجوز ان يتعلق الجار في قوله على وجوههم بالحشر وان يتعلق بمحذوف على انه
حال من المفعول اي كائنين ومسحوبين على وجوههم فان قيل كيف يمكنهم المشي على وجوههم فالجواب
من وجهين الاول انهم يسحبون على النار قال تعالى يوم يسحبون في النار على وجوههم والثاني قال ابو هريرة
قيل يا رسول الله كيف يمشون على وجوههم قال الذي يمشيهم على اقدامهم قادر على ان يمشيهم على وجوههم
قوله تعالى عميا يجوز ان يكون حالا من الضمير ثانية او بدلا من الاولى وفيه نظر لانه لا يظهر فيه انواع البدل
وهي كل من كل ولا بعض من كل ولا اشتمال وان يكون حالا من الضمير المرفوع لوقوعه حالا وان يكون حالا من الضمير
المجرور في وجوههم فان قيل قال رجل لابن عباس انه تعالى يقول ورأى المجرمون النار وقال تعالى سمعوا لها
تغيظا وزفيرا وقال دعوا هنالك ثبورا وقال يوم تاتي كل نفس تجادل عن نفسها وقال تعالى حكاية عن الكفار والله ربنا
ما كنا مشركين واثبت لهم الرؤية والكلام والسمع فاجاب ابن عباس وتلامذته من وجوه الاول قال ابن عباس لا يرون

شيئاً يسرهم صماً لا يسمعون شيئاً يسرهم بكماً لا ينطقون بحجة الثاني في رواية عطاء عمياً عن النظر إلى ما جعله الله تعالى لأوليائه بكماً عن مخاطبة الله ومخاطبة الملائكة المقربين الثالث قال مقاتل حين يقال لهم اخسؤوا فيها ولا تكلمون يصيرون صماً وبكماً وعمياً وقيل ذلك لأنهم يرون ويسمعون وينطقون الرابع أنهم يكونون رائين سامعين ناطقين في الموقف ولولا ذلك لما قدروا على مطالعة كتبهم ولا يسمعوا إلزام حجة الله عليهم إلا أنهم إذا ذهبوا من الموقف إلى النار صاروا صماً وبكماً وعمياً وقيل يحشرون على هذه الأشياء ثم تعاد إليهم هذه الأشياء قوله تعالى مأواهم جهنم يجوز في هذه الجملة الاستئناف والحالية من جهنم والعامل فيها معنى المأوى وخبت النار تخبو إذا سكن لهيبها قال الواحدي خبت سكن فإن ضعف جمرها قيل خمدت فإذا طفئت بالجملة قيل همدت قال الشاعر

• وسطه كاليراع أو سرج المجدل • طوراً يخبو وطوراً ينير •

وقال آخر • أمن زينب ذي النار قبيل الصبح ما تخبو • إذا ما خمدت يلقى عليها المندل الرطب •

وأدغم التاء أبو عمرو والأخوان وورش وأظهرها الباقون قوله تعالى زدناهم سعيراً قال ابن قتيبة زدناهم تلهباً فإن قيل إنه تعالى قال لا يخفف عنهم العذاب وقوله تعالى كلما خبت يدل على أن العذاب يخف في ذلك الوقت فالجواب أن قوله كلما خبت يقتضي سكون لهب النار أما أنه يدل على تخفيف زدناهم سعيراً أي وقوداً وقيل المراد من قوله كلما خبت أي نضجت جلودهم واحترقت أعيدوا إلى ما كانوا عليه قوله تعالى ذلك جزاؤهم بأنهم يجوز أن يكون مبتدأ ثانياً والجار خبره والجملة خبر ذلك ويجوز أن يكون جزاؤهم بدلاً أو بياناً وبأنهم الخبر وهذه الآية تدل على أن العمل علة الجزاء قوله تعالى وقالوا أئذا كنا عظاماً ورفاتاً أئنا لمبعوثون خلقاً جديداً الآية لما أجاب عن شبهات منكري النبوة عاد إلى حكاية شبهة منكري المعاد وتلك الشبهة هي أن الإنسان بعد أن يصير رفاتاً ورميماً يبعد أن يعود هو بعينه فأجاب الله عنه بأن من قدر على خلق السموات والأرض في عظمتها وشدتها قادر على أن يخلق مثلهم في صغرهم وضعفهم نظيره قوله تعالى لخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس وفي قوله تعالى قادر على أن يخلق مثلهم قولان الأول معناه قادر على أن يخلقهم ثانياً فعبر عن خلقهم بلفظ المثل كقول المتكلمين إن الإعادة مثل الابتداء والثاني قادر على أن يخلق عبيداً آخرين يوحدونه ويقرون بكمال حكمته وقدرته ويتركون هذه الشبهات الفاسدة وعلى هذا فهو كقوله تعالى ويأت بخلق جديد وقوله تعالى ويستبدل قوماً غيركم قال الواحدي والأول أشبه بما قبله ولما بين الله تعالى بالدليل المذكور أن البعث ممكن الوجود في نفسه أردفه ببيان أن لوقوعه ودخوله في الوجود وقتاً معلوماً عند الله وهو قوله تعالى وجعل لهم أجلاً لا ريب فيه أي جعل لهم وقتاً لا ريب فيه فأبى الظالمون إلا كفوراً أي بعد هذه الدلائل الظاهرة أبى الظالمون إلا الكفر والجحود قوله تعالى وجعل لهم معطوف على قوله أولم يروا لأنه في قوة قد رأوا فليس داخلاً في حيز الإنكار بل معطوفاً على جملته رأساً وقوله تعالى لا ريب فيه صفة لأجلاً أي أجلاً غير مرتاب فيه فإن أريد به يوم القيامة فالإفراد واضح وإن أريد به الموت فهو اسم جنس إذ لكل إنسان أجل يخصه وقوله تعالى إلا كفوراً قد تقدم قوله تعالى قل لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربي الآية اعلم أن الكفار لما قالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعاً فطلبوا إجراء الأنهار والعيون في بلدهم لتكثر أموالهم بين أنهم لو ملكوا خزائن رحمة الله لبقوا على بخلهم وشحهم ولما أقدموا على إيصال النفع لأحد فلا فائدة في إسعافهم لما طلبوه قوله تعالى تملكون فيه ثلاثة أوجه أحدها وإليه ذهب الزمخشري وابن عطية والحوفي وأبو البقاء وحكي أن المسألة من باب الاشتغال فأنتم مرفوع بفعل مقدر يفسره هذا الظاهر لأن لو لا تدخل إلا على الفعل ظاهراً أو مضمراً فهو كان في قوله وإن أحد من المشركين وفي قول الشاعر

• وإن هو لم يحمل على النفس ضيمها • فليس إلى حسن الثناء سبيل •

والأصل لو تملكون فحذف الفعل لدلالة ما بعده عليه فانفصل الضمير وهو الواو إذ لا يمكن بقاؤه متصلاً بعد حذف رافعه ومثله وإن هو لم يحمل الأصل وإن لم يحمل فلما حذف الفعل انفصل ذلك الضمير المستتر وبرز ومما يحتمل فيه في قول الشاعر • لو ذات سوار لطمتني • وقول الآخر • ولو غير أخوالي • برمح غير • وقول الآخر • ولو غير أحد أدى يريد والتنقص • فلذا سوار مرفوع بفعل مفسر بالظاهر بعده الثاني أنه مرفوع بكان وقد كثر حذفها بعد لو والتقدير لو كنتم تملكون فحذف كان فانفصل الضمير وتملكون في محل نصب بكان المحذوفة وهو قول ابن الصائغ وقريب منه قوله أبا خراشة أما أنت ذا نفر فإن الأصل لأن كنت فحذف كان فانفصل الضمير إلا أن هنا عوض من كان ما وفي لو لم يعوض منها الثالث أن أنتم توكيد لاسم كان المقدرة معها والأصل لو كنتم أنتم تملكون فحذف كان وأنتم

وبقي

وبقي المؤكد وهو قول ابن فضال المجاشعي وقد نظر من حيث إنا نحذف في التوكيد وإذا كان سيبويه يجيز وإنما احتج هؤلاء القائلون إلى ذلك كون مذهب البصريين في لو أنه لا يليها إلا الفعل ظاهراً ولا يجوز عندهم أن يليها مضمر مفسر إلا في ضرورة أو نادر كقوله • لو ذات سوار لطمتني • فإن قيل هذان الوجهان فيهما إضمار فعل وقيل الذي هو إضمار المعنى فالجواب أن الإضمار الذي نحن نأتيه على شريطة التفسير في غير كان وأما كان فقد كثر حذفها بعد في مواضع كثيرة وقد وقع الاسم الصريح بعد لو غير مذكور بعده فعل وأنشد الفارسي

• لو بغير الماء حلقي شرق • كنت كالغصان بالماء اعتصاري •

إلا أنه خرجه على أنه مرفوع بفعل مقدر يفسره الوصف من قوله شرق وقد تقدم الكلام في لو قال أهل المعاني إن التقديم بالذكر يدل على التخصيص بقوله لو أنتم تملكون دليل على أنهم هم المختصون بهذه الحالة الخسيسة والشح الكامل واعلم أن خزائن رحمة الله غير متناهية فكان المعنى أنكم لو ملكتم من النعم خزائن لا نهاية لها لبقيتم على الشح وهذه مبالغة عظيمة في وصفهم بهذه الصفة قوله تعالى لأمسكتم يجوز أن يكون ماضياً لأمسك بمعنى بخل لم عظيماً وأن تكون متعدية ومفعوله محذوف أي لأمسكتم المال ويجوز أن يكون كقوله يحيي ويميت قوله تعالى خشية الإنفاق فيه وجهان أظهرهما أنه مفعول من أجله والثاني أنه مصدر في موضع الحال قال أبو البقاء أي خائفين الإنفاق وفيه نظر إذ لا يقع المصدر المعرف موقع الحال إلا سماعاً نحو جهدك وطاقتك ولا يقاس عليه والإنفاق مصدر أنفق أي أخرج المال وقال أبو عبيدة هو بمعنى الإقتار قوله تعالى خزائن رحمة ربي أي نعم ربي وقيل رزق ربي إذاً لأمسكتم لبخلتم خشية الإنفاق الفاقة وقيل خشية النفاد يقال أنفق الرجل أي أملق وذهب ماله ونفق الشيء أي ذهب وقيل لأمسكتم عن الإنفاق خشية الفقر ومعنى قتوراً قال قتادة بخيلاً ممسكاً يقال قتر يقتر إقتاراً وقتر إذا قصر في الإنفاق فإن قيل قد يحصل في الإنسان الجواد الكريم فالجواب من وجوه الأول أن الأصل في الإنسان البخل لأنه خلق محتاجاً والمحتاج لا بد وأن يحب ما به يدفع الحاجة وأن يمسكه لنفسه إلا أنه قد يجود به من خارج فثبت أن الأصل في الإنسان البخل الثاني أن الإنسان إنما يبذل لطلب الحمد ويخرج عن عهدة الواجب ثم للتقرب إلى الله فهو في الحقيقة إنما أنفق ليأخذ العوض فهو بخيل وقيل المراد بهذا الإنسان المعهود السابق وهم الذين قالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعاً قوله تعالى ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات الآيات اعلم أن المقصود من هذا الكلام هو الجواب عن قولهم لن نؤمن لك حتى تأتينا بهذه المعجزات الباهرة فقال تعالى إنا آتينا موسى معجزات مساويات لهذه الأشياء التي طلبتموها بل في بعضها أعظم فلو حصل في علمنا أن جعلها في زمانكم مصلحة لفعلناها كما فعلناها في زمن موسى فدل هذا على أنا إنما لم نفعلها في زمانكم لعلمنا بأنه لا مصلحة في فعلها واعلم أنه تعالى ذكر في القرآن أشياء كثيرة من معجزات موسى عليه الصلاة والسلام منها أنه أذهب العقدة من لسانه قال المفسرون أذهب الله العجمة منه وبقي فصيحاً ومنها انقلاب العصا حية ومنها تلقف الحية حبالهم وعصيهم مع كثرتها ومنها اليد البيضاء من غير سوء ومنها الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم ومنها شق البحر ومنها ضرب الحجر بالعصا فانفجر ومنها إظلال الجبل ومنها إنزال المن والسلوى عليه وعلى قومه ومنها قوله تعالى ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين ونقص من الثمرات لأهل القرى ومنها الطمس على أموالهم فجعلها حجارة من النخيل والدقيق والأطعمة والدراهم والدنانير روي أن عمر بن عبد العزيز سأل محمد بن كعب عن قوله تسع آيات بينات فذكر محمد بن كعب في جملة التسعة حل عقدة اللسان والطمس فقال عمر بن عبد العزيز هكذا يجب أن يكون الفقيه ثم قال يا غلام أخرج ذلك الجراب فأخرجه فإذا فيه بيض مكسور نصفين وجوز مكسور نصفين وثوم وحمص وعدس كلها حجارة وإذا كان كذلك فإنه تعالى ذكر في القرآن أن هذه المعجزات لموسى صلى الله عليه وسلم وقال في هذه الآية ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات وتخصيص التسعة بالذكر لا يقدح فيه ثبوت الزائد عليه لأنه ثبت في أصول الفقه أن تخصيص العدد بالذكر لا يدل على نفي الزائد وهذه الآية دليل على هذه المسألة واعلم أن هذه التسعة قد اتفقوا على سبعة منها وهي العصا • واليد • والطوفان • والجراد • والقمل • والضفادع • والدم • بقي اثنان اختلف أقوال المفسرين فيهما ولما لم يكن تلك الأقوال مستندة إلى حجة ظنية فضلاً عن حجة يقينية لا جرم تركت تلك

فصل

في تفسير قوله تسع آيات قول هو أجود ما قيل وهو ما روي عن صفوان بن عسال المرادي أن يهودياً قال لصاحبه اذهب بنا إلى هذا النبي نسأله عن تسع آيات فقال الآخر لا تقل نبي لأنه لو سمع لصار له أربعة أعين فأتوه فسألوه عن هذه الآية ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات فقال

ان لا تشركوا بالله شيئا ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق ولا تزنوا ولا تاكلوا الربا ولا تسحروا ولا تمشوا
بالبري الى السلطان ليقتله ولا تسرفوا ولا تقذفوا المحصنة ولا تفروا من الزحف وعليكم خاصة اليهود ان لا تعدوا
في السبت فقام اليهود بان تقبل يده وقالوا نشهد انك نبي قال فما يمنعكم ان تتبعوني قال اليهود ان داود دعا
ربه ان لا يزال في ذريته نبي وانا نخاف اذا اتبعناك ان تقتلنا اليهود **قوله تعالى** تسع آيات بينات يجوز في
بينات النصب صفة للعدد والجر صفة للمعدود **قوله تعالى** اذ جاءهم فيه اوجه احدها ان يكون منصوبا بآتينا
ومعمولا له ويكون قوله فسل بني اسرائيل اعتراضا وتقديره ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات اذ جاء بني اسرائيل
فاسألهم وعلى هذا التقدير فليس المطلوب من سؤال بني اسرائيل ان يستفيد هذا العلم منه بل المقصود ان يظهر
لعامة اليهود بقول علمائهم صدق ما ذكره الرسول عليه الصلاة والسلام فيكون هذا السؤال سؤال استشهاد
والثاني انه منصوب باضمار اذكر والثالث انه منصوب بيخبرك ذلك معنى والرابع انه منصوب بقول مضمر اذ التقدير
فقلنا له سل بني اسرائيل حين جاءهم ذكر هذه الاوجه الزمخشري مرتبة على معنى ذكرها قبل فاسأل بني
اسرائيل اي فقلنا له سل بني اسرائيل اي سلهم من فرعون وقل له ارسل معي بني اسرائيل او سلهم عن ايمانهم وحال دينهم
او سلهم ان يعاضدوك ويدل عليه قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم فسال على لفظ الماضي بغير همز وهي لغة
قريش وقيل فسل يا رسول الله المؤمنين من بني اسرائيل كعبد الله بن سلام واصحابه عن الآيات ليزداد يقينا وطمانينة
كقوله تعالى ولكن ليطمئن قلبي فان قيل بم تعلق اذ جاءهم فالجواب اما على الوجه الاول فبالقول المحذوف
فقلنا لهم حين جاءهم او لسألهم في القراءة الثانية واما على الآخر فبآتينا او باضمار اذكر او فبيخبرك ذلك لا انه ظرف
ماض **فصل** قال شهاب الدين اذ جعله معمولا لاذكر او ليخبرك ذلك لم يجعله ظرفا بل مفعولا كما تقرر
مرارا الوجه الخامس انه مفعول به والعامل فيه فاسأل قال ابو البقاء فيه وجهان احدهما هو مفعول به باسأل
على المعنى اذ التقدير اذكر لبني اسرائيل اذ جاءهم وهي فيما ذكر الذي قدرت به سال العين ان اذكر المقدرة مراد كو
الذي فسرت سال بها وهذا يوهم ما تقدم من انهم اذا قدروا اذكر وجعلوا اذ مفعولا به لا ظرفا الا ان ابا
البقاء ذكر كونه ظرفا فانما يقتضي ان يعمل فيه عملا مستقبلا فقال والثاني ان يكون ظرفا وفي العامل وجوه احدها
آتينا والثاني جعلنا مضمرة والثالث تقديره قل لخصمك سل والمراد به فرعون اي قل يا موسى وكان الوجه ان
يقال اذ جئتهم بالفتح فخرج من الخطاب الى الغيبة فظاهر الوجه الثالث ان العامل فيه قل وهو ظرف ماض على ان
هذا المعنى الذي نحا اليه ليس بشيء اذ يرجع الى موسى يا موسى قل لفرعون سل بني اسرائيل فيعود فرعون
هو السائل لبني اسرائيل وليس المراد ذلك قطعا وعلى التفسير الذي نقله عن الزمخشري وهو ان المعنى يا موسى
سل بني اسرائيل اي اطلبهم من فرعون يكون المفعول الاول للسؤال محذوفا والثاني هو بني اسرائيل فالمعنى سل
فرعون بني اسرائيل وعلى هذا فيجوز ان تكون المسألة من التنازع واعمل الثاني اذ التقدير سل فرعون فقال فرعون
اعمل الثاني فرفع به الفاعل وحذف المفعول من الاول وهو المختار من المذهبين والظاهر من هذا كله فانما
المامور بالسؤال سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وبنو اسرائيل كانوا معاصرين والضمير في اذ جاءهم اما
للآباء واما لهم على حذف مضاف اي جاء آباءهم **فصل** المعنى فسل يا محمد بني اسرائيل اذ جاءهم موسى
يجوز ان يكون الخطاب معه والمراد غيره ويجوز ان يكون خاطبه عليه الصلاة والسلام وامره بالسؤال ليتبين
كذبهم مع قومهم فقال له فرعون اني لاظنك يا موسى مسحورا وفيه وجهان اظهرهما انه بمعناه الاصلي اي انك سحرت
لمن ثم اختل كلامك قال ذلك حين جاءه بما لا يقوى نفسه قاله الكلبي وقال ابن عباس مخدوعا عن الحق وقال
مصروفا عن الحق والثاني انه بمعنى فاعل كميمون ومشؤوم اي انك ساحر كقوله حجابا مستورا فوضع المفعول موضع
الفاعل قاله الفراء وابو عبيدة وقال ابن جرير يعطي علم السحر فلذلك يأتي بالاعاجيب يشير الى انقلاب عصاه
حية ونحو ذلك **قوله تعالى** لقد علمت قرأ الكسائي بضم التاء اسند الفعل لضمير موسى عليه السلام اي اني متحقق
ان ما جئت به هو منزل من عند الله وانما كفرك عناد وعن علي رضي الله عنه انه انكر الفتح وقال ما علم عدو الله قط
والباقون بفتح التاء على اسناده لضمير فرعون اي انت متحقق ان ما جئت به هو منزل من عند الله وانما علم موسى
فبلغ ذلك ابن عباس فاحتج بقوله تعالى وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم على ان فرعون وقومه علموا بصحة
امر موسى **فصل** قال الزجاج الاجود في القراءة الفتح لان علم فرعون بانها آيات نازلة من عند الله
اوكد في الاحتجاج باحتجاج موسى على فرعون بعلم فرعون اوكد من الاحتجاج عليه بعلم نفسه واجاب من قرأ على
بدليل ابن عباس فقال قوله وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم يدل على انهم استيقنوا اشياء فاما انهم استيقنوا

كون هذه

كون هذه الاشياء نازلة من عند الله فليس في الآية ما يدل عليه ويدل بان فرعون قال ان رسولكم الذي ارسل
اليكم لمجنون قال موسى لقد علمت والمعنى اعلم اني لست بمجنون ولم يثبت عن علي ضم التاء لانه روي عن رجل من مراد
عن علي وهذا الرجل مجهول واعلم ان هذه الآيات من عند الله ولا اشك في ذلك بسبب سفاهتك والجملة المنفية
في محل نصب لانها معلقة للعلم قبلها وتقدير الآية ما انزل هؤلاء الآيات ونظيره قوله •
وان العيش بعد اولئك الاقوام • اي الايام **قوله تعالى** بصائر حال وفي عاملها قولان احدهما انه انزل
هذا الملفوظ به وصاحب الحال هؤلاء واليه ذهب الحوفي وابن عطية وابو البقاء وهؤلاء يجيزون ان يعمل
ما قبل الا فيما بعدها وان لم يكن مستثنى ولا مستثنى منه ولا تابعا له والثاني وهو مذهب الجمهور ان ما بعد الا
لا يكون معمولا لما قبلها فيقدر لها معمول او عامل تقديره انزلها بصائر وقد تقدم نظير هذا في هود وفي قوله
الا الذين هم اراذلنا بادي الرأي ومعنى بصائر اي حججا بينة كانها بصائر العقول والمراد الآيات التسع ثم قال موسى
واني لاظنك يا فرعون مثبورا مفعول ثان واعترض بين المفعولين بالنداء والثبور الهلاك قال ثبره الله اهلكه
قال ابن الزبعرى • اذ اجاري الشيطان في سنن الغي • ومن مال ميله مثبور • والثبور الهلاك
قال تعالى لا تدعوا اليوم ثبورا واحدا وادعوا ثبورا كثيرا وقال ابن عباس مثبورا اي ملعونا وقال الفراء مصروفا
ممنوعا عن الخير والعرب تقول ما ثبرك عن هذا اي ما منعك عن هذا وما صرفك عنه قال ابو زيد يقال ثبرت
فلانا عن الشيء اثبره اي رددته عنه **فصل** واعلم ان فرعون لما وصف موسى عليه السلام بانه مسحور
اجابه موسى بانك مثبور اي ان هذه الآيات ظاهرة ومعجزات باهرة لا يرتاب العاقل في انها من عند الله وانه اظهرها
لاجل تصديقي وانت تنكرها حسدا وعنادا ومن كان كذلك كان عاقبته الدمار والهلاك ثم قال تعالى فاراد
ان يستفزهم من الارض اي اراد فرعون ان يخرج موسى عليه السلام وبني اسرائيل من الارض اي ارض مصر قال الزجاج
لا يبعد ان يكون المراد من استفزازهم اخراجهم منها بالقتل او بالتنحية وتقدم الكلام على الاستفزاز ثم
قال فاغرقناه ومن معه جميعا وهو معنى ما ذكره الله في قوله ولا يحيق المكر السيء الا باهله اي ان فرعون اراد
اخراج موسى من ارض مصر لتخلص له تلك البلاد فاهلك الله فرعون وجعل تلك الارض خالصة لموسى ولقومه
وقال من بعد هلاك فرعون لبني اسرائيل اسكنوا الارض خالصة لكم خالية من عدوكم يعني ارض مصر والشام فاذا
جاء وعد الآخرة يعني القيامة جئنا بكم لفيفا من ها هنا وها هنا وفي لفيفا وجهان احدهما انه حال واصله
لف يلف لفيفا كالنذير والنكير اي جئنا بكم منضما بعضكم الى بعض من لف الشيء يلفه لفا والالف المتداني الفخذين
وقيل العظيم البطن والثاني انه اسم جمع لا واحد له من لفظه والمعنى جئنا بكم جميعا فهو في قوة التاكيد واللفيف
الجمع العظيم من اخلاط شتى من الشريف والدني والمطيع والعاصي والقوي والضعيف وكل شيء خلطته بشيء آخر
فهو لفيف فقد لففته ومنه قيل لف الجيوش اذا ضرب بعضها ببعض **قوله تعالى** وبالحق انزلناه الآية لما بين
ان القرآن معجز قاهر دال على الصدق في قوله قل لئن اجتمعت الانس والجن ثم حكى عن الكفار انهم لم يكتفوا بهذا المعجز
بل طلبوا اشياء اخر ثم اجاب تعالى بانه لا حاجة الى اظهار معجزات اخر وبين ذلك بوجوه كثيرة منها ان قوم موسى
آتاهم تسع آيات بينات فلما جحدوا بها اهلكهم الله فكذا ها هنا اي اذا المعجزات التي اقترحها قوم محمد صلى الله عليه
وسلم ثم كفروا بها وجب انزال عذاب الاستئصال بهم وذلك غير جائز لعلمه تعالى ان فيهم من يؤمن او من يظهر من
نسله مؤمن ولما تم هذا الجواب عاد الى حال تعظيم القرآن فقال وبالحق انزلناه وبالحق نزل اي ما اردنا بانزاله
الا تقرير الحق **قوله تعالى** بالحق في هذا الجار ثلاثة اوجه احدها انه متعلق بانزلناه والباء سببية اي انزلناه
بسبب الحق والثاني انه حال من مفعول انزلناه اي ومعه الحق فتكون الباء بمعنى مع قاله الفارسي كما تقول نزل بعدته
وخرج بسلاحه والثالث انه حال من فاعل اي ملتبسين بالحق وعلى هذين الوجهين تتعلق بمحذوف وهذا القرآن
وذلك يكون جاريا على قاعدة اساليب كلامهم وهو ان يستطرد المتكلم في ذكر شيء لم يسبق له الكلام اولا ثم يعود
الى كلامه الاول واما القرآن غير الملفوظ اولا لدلالة الحال عليه كقوله تعالى انا انزلناه في ليلة مباركة وقيل
يعود على موسى كقوله تعالى وانزلنا الحديد وقيل على الوعد وقيل على الآيات التسع وافرد الضمير وذكر حملا
على الدليل والبرهان **قوله تعالى** وبالحق نزل فيه الوجهان الاولان دون الثالث لعدم ضمير آخر غير ضمير القرآن
لاحتمال ان يكون التقدير نزل بالحق كما تقول نزلت بزيد وعلى هذا التقدير فالحق محمد صلى الله عليه وسلم
وفي الجملة وجهان احدهما انها للتاكيد وذلك انه يقال انزلته فنزل وانزلته فلم ينزل فجيء بقوله وبالحق نزل
دفعا لهذا الوهم وقيل ليست للتاكيد والمغايرة تحصل بالتغاير بين الحقين فالحق الاول التوحيد والثاني

الوعد والوعيد والامر والنهي **فصل** قال الزمخشري وما انزلنا القران الا بالحكمة المقتضية
لانزاله وما نزل الا ملتبسا بالحق والحكمة لاشتماله على الهداية الي كل خير وما انزلنا من السماء الا بالحق محفوظا
بالرصد من الملائكة وما نزل على الرسول الا محفوظا بهم من تخليط الشياطين وما ارسلناك الا مبشرا ونذيرا حالا من فاعل ارسلناك
مبشرا للمطيعين ونذيرا للعاصين فان قبلوا الدين الحق انتفعوا به والا فليس عليك من كفرهم **قوله تعالى** وقرانا
فرقناه الاية في نصب قرانا اوجه اظهرها انه منصوب بفعل مقدر اي واتيناك قرانا يدل عليه قوله ولقد اتينا
موسى الثاني انه منصوب عطفا على الكاف في ارسلناك قاله ابن عطية من حيث كان ارسال هذا وانزال هذا بمعنى واحد
الثالث انه منصوب عطفا على مبشرا ونذيرا وقال الفراء هو منصوب بارسلناك اي ما ارسلناك الا مبشرا ونذيرا
وقرانا كما تقول رحمة يعني ان القران رحمة يعني انه جعل نفس القران مرادا به الرحمة مبالغة ولو ادعي
ذلك على حذف مضاف كان اقرب اي وذا قران وهذان الوجهان متكلفان الرابع ان ينتصب على الاشتغال
اي وفرقنا قرانا فرقناه واعتذر ابو حيان عن ذلك اي من كونه لا يصح الابتداء به لو جعلناه مبتدا لعدم مسوغ
لانه لا يجوز الاشتغال الا حيث يجوز في ذلك الاسم الابتداء بان ثم صفة محذوفة تقديره وقرانا اي قرانا عظيم
فرقناه وعلى هذا لا محل له بخلافه لاوجه المتقدمة فان محله النصب لانه نعت لقرانا وقرا العامة فرقناه بالتخفيف
اي بيناه حلاله وحرامه او فرقنا فيه بين الحق والباطل وقرا علي بن ابي طالب كرم الله وجهه وابي وعبد الله وابن عباس
وقتادة وحميد في اخرين بالتشديد وفيه وجهان احدهما ان التضعيف فيه للتكثير اي فرقنا اياته بين امر ونهي وحكم
واحكام ومواعظ وامثال وقصص واخبار ماضية ومستقبلة الثاني انه دال على التفريق والتنجيم قال الزمخشري
وعن ابن عباس انه قرا مشددا وقال لم ينزل في يومين ولا يوم ولا في شهر ولا شهرين ولا في سنة ولا سنتين
قال ابن عباس كان بين اوله واخره عشرون سنة كذا قال الزمخشري عن ابن عباس **فصل** قال شهاب الدين ظاهر
هذا ان القول بالتنجيم ليس مرويا عن ابن عباس ولا سيما وقد وصل قوله قال ابن عباس من قوله اخبارا ذلك ومقصوده
لم يسنده عن ابن عباس ليتم له الرد على الزمخشري في ان فعل بالتشديد لا يدل على التفريق وقد تقدم له معه
هذا البحث اول الكتاب قال ابن الخطيب والاختيار عند الائمة فرقناه بالتخفيف وفسره ابو عمرو بيناه قال ابو عبيد
التخفيف اعجب الي لان معناه بيناه ومن قرا بالتشديد لم يكن له معنى الا انه انزل متفرقا فالتفرق يتضمن التبيين
ويؤيده ما رواه ثعلب عن ابن الاعرابي انه قال فرقت افرق بين الكلام وفرقت بين الاجسام ويدل عليه قوله
صلى الله عليه وسلم البيعان بالخيار ما لم يتفرقا ولم يقل يفترقا **فصل** قال ابن الخطيب ان القوم قالوا
هب ان القران معجز الا انه بتقدير ان يكون الامر كذلك فكان من الواجب ان ينزله الله عليك دفعة واحدة ليظهر فيه
وجه الاعجاز فجعلوا اتيان الرسول به مفرقا شبهة في انه يتفكر في فصل فصل ويقرؤه عليهم فاجاب الله عن ذلك
انه انما فرقه ليكون حفظه اسهل ولتكون الاحاطة والوقوف على دلائله ودقائقه وحقائقه اكمل قال سعيد بن
جبير نزل القران كله في ليلة القدر من السماء الى السماء السفلى ثم فصل في السنين التي نزل فيها ومعنى الاية
قطعناه اية اية وسورة سورة **قوله تعالى** لتقراه متعلق بفرقناه **قوله تعالى** على مكث فيه ثلاثة
اوجه الاول انه متعلق بمحذوف على انه حال من الفاعل او المفعول في لتقراه اي متمهلا او متوصلا الثاني انه بدل من على
الناس قال الحوفي وهو وهم لان قوله على مكث من صفات القارئ والمقروء من جهة المعنى لا من جهات الناس حتى يكون
بدلا منهم الثالث انه متعلق بفرقناه قال ابو حيان والظاهر تعلق على مكث بقوله لتقراه ولا يبالي بكون الفعل
يتعلق بحرفي جر من جنس واحد لانه اختلف معنى الحرفين لان الاول في موضع المفعول به والثاني في موضع الحال اي
متمهلا مترسلا قال شهاب الدين قوله اولا انه يتعلق بقوله لتقراه بيانا في كونه في موضع الحال الا انه متى كان حالا تعلق
بمحذوف لا يقال اراد التعلق المعنوي لا الصناعي لانه قال ولا يبالي بكون الفعل يتعلق بحرفي جر من جنس واحد
فهذا تفسير اعراب لا تفسير معنى والمكث التطاول في المدة وفيه ثلاث لغات المشهورة الضم ونقل القراءة بهما
الحوفي وابو البقاء والكسر لم يقرا به فيما علمت وفي فعله الفتح والضم ايضا وسياتي ان شاء الله تعالى في النمل ومعنى
على مكث اي تؤدة وترسل في ثلاث وعشرين سنة ونزلناه تنزيلا على الحد المذكور **قوله تعالى** قل امنوا به
او لا تؤمنوا يخاطب الذين اقترحوا تلك المعجزات العظيمة على وجه التهديد والانكار اي انه تعالى اوضح البينات والادلة
وازاح الاعذار فاختاروا ما تريدون ان الذين اوتوا العلم من قبله اي من قبل نزول القران قال مجاهد هم ناس
من اهل الكتاب كانوا يطلبون الدين قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم ثم اسلموا بعد مبعثه كزيد بن عمرو بن نفيل
وسلمان الفارسي وابي ذر وورقة بن نوفل وغيرهم اذا يتلى عليهم يعني القران يخرون للاذقان سجدا يعني يسقطون

للاذقان

للاذقان قال ابن عباس اراد بها الوجوه **قوله تعالى** للاذقان في اللام ثلاثة اوجه اولها انها بمعنى على اي على الا
ذقان كقولهم خر على وجهه والثاني انها للاختصاص قال الزمخشري فان قيل حرف الاستعلاء ظاهر المعنى اذا قلت
خر على وجهه وعلى ذقنه فما معنى اللام في خر لذقنه ولوجهه قال الشاعر • فخر صريعا لليدين وللفم •
قلت جعل وجهه وذقنه قال الزجاج الذقن مجمع اللحيين وكلما يبتدئ الانسان بالخرور الى السجود
فاقرب الاشياء من الجبهة الى الارض الذقن وقيل الاذقان اللحى اذا بالغ في السجود والخضوع ربما مسح لحيته
على التراب فان اللحية يبالغ في تنظيفها فاذا عفرها بالتراب فقد اتى بغاية التعظيم الخروج واختص به
لان اللام للاختصاص وقال ابو البقاء والثاني هي متعلقة بيخرون واللام على بابها اي مذلون للاذقان
والاذقان جمع ذقن وهو مجتمع اللحيين قال الشاعر • فخروا للاذقان الوجوه تنوشهم •
سباع من الطير العوادي وتنتف • ويجيء الحال وجوز ابو البقاء في للاذقان ان يكون حالا قال اي ساجدين
للاذقان وكان يعني بللاذقان الثانية لانه يصير المعنى ساجدين للاذقان سجدا ولذلك قال الوجه الثالث
انها بمعنى اللام يعني على فعلى هذا يكون حالا من يبكون ويبكون حال فان قيل لم قيل يخرون للاذقان سجدا
ولم يقل يسجدون فالجواب ان المقصود من هذا اللفظ مسارعتهم الى ذلك حتى انهم يسقطون **قوله تعالى**
ويقولون سبحان ربنا ان كان وعد ربنا لمفعولا اي ان كان قولهم في سجودهم بانزال القران سبحان ربنا اي
ينزهونه ويعظمونه **قوله تعالى** ان كان وعد ربنا لمفعولا بانزال القران وبعث محمد صلى الله عليه وسلم
وهذا يدل على انهم كانوا من اهل الكتاب لان الوعد ببعثه عليه الصلاة والسلام سبق في كتابهم وهم كانوا ينتظرون
انجاز ذلك الوعد ثم قال ويخرون للاذقان يبكون والفائدة في هذا التكرير اختلاف الحالين وهما خرورهم
في حال كونهم ساجدين وفي حال كونهم باكين في استماع القران ويدل عليه قوله تعالى ويزيدهم خشوعا وجاءت الحال الاولى اسما دالة
على الاستقرار والثانية فعلا دالة على التجدد والحدوث ويجوز ان يكون القول دالا على تكرير الفعل منهم
قوله تعالى يبكون معناه الحال ويزيدهم خشوعا اي تواضعا **قوله تعالى** ويزيدهم فاعل يزيد اما القران
او البكاء او السجود او المتلو لدلالة قوله تعالى اذا يتلى **قوله تعالى** قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن الاية قال ابن عباس
سجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ليلة فجعل يقول في سجوده يا الله يا رحمن فقال ابو جهل ان محمدا ينهانا
عن الهتنا وهو يدعو الهين فانزل الله هذه الاية ومعناها انهما اسمان لواحد اي هذين الاسمين سميتموه فله
الاسماء الحسنى **قوله** اياما تدعوا اياما منصوب بتدعوا على المفعول به والمضاف اليه محذوف اي اي
الاسمين وتدعوا مجزوم بها فهي عاملة معمولة وكذلك الفعل والجواب الجملة من قوله فله الاسماء الحسنى وقيل هو
مجزوم بتقدير جازم مستانف فقال فله الاسماء الحسنى وليس بشيء والتنوين في اياما عوض من المضاف اليه وفي ما
قولان احدهما انها مزيدة للتاكيد والثاني انها شرطية جمع بينهما تاكيدا كما جمع بين حرفي الجر للتاكيد وحسنه اختلاف
اللفظ كقوله • فاصبحن لا يسالنني عن بما به • ويؤيد هذا ما قرا به طلحة بن مصرف اياما من تدعوا
فقيل من تحتمل الزيادة على راي الكسائي كقوله في قوله • يا شاة من قنص لمن حلت له • واحتمل ان تكون شرطية
وجمع بينهما لما تقدم تاكيدا ويدعوا هنا يحتمل ان يكون من الدعاء وهو النداء فيتعدى لواحد وان يكون بمعنى
التسمية فيتعدى لاثنين الى الاول بنفسه والى الثاني بحرف الجر ثم يتسع في الجار فيحذف كقوله اي الشاعر
• دعتني اخاها ام عمرو • والتقدير قل ادعوا في صلواتكم بالله او بالرحمن باي الاسمين سميتموه ومن ذهب الى كونها
بمعنى الزمخشري ووقف الاخوان على ايا بابدال التنوين الفا ولم يقفا على ما تبيينا لانفصالها من اي ووقف غيرهما
على ما لامتزاجها باي ولذلك فصل بها بين اي وبين ما اضيفت اليه في قوله تعالى ايما الاجلين وقيل ما شرطية
عند من وقف على ايا وجعل المعنى اي الاسمين دعيتموه به جاز ثم استانف ما تدعوا فله الاسماء يعني ان ما شرط ثان
فله الاسماء جوابه وجواب الاول مقدر وهذا مردود بان ما لا تطلق على احاد اولي العلم وبان الشرط يقتضي
عموما ولا يصح هنا ولان فيه حذف الشرط والجزاء معا **فصل** والمعنى ان يصح تدعوا فهو حسن لان ذا
حسنت اسماؤه فقد حسن هذان الاسمان لانهما منها ومعنى حسن اسماء الله كونها مفيدة لمعاني التمجيد والتقديس
واحتج الجبائي بهذه الاية فقال لو كان تعالى خالقا للظلم والجور لصح ان يقال يا ظالم وحينئذ يبطل ما
ثبت بهذه الاية من كون اسمائه باسرها حسنة والجواب انا لا نسلم لانه لو كان خالقا لافعال العباد لصح وصفه
بانه ظالم وجائر كما لا يلزم من كونه خالقا الحركة والسكون والسواد والبياض ان يقال يا متحرك ويا ساكن ويا ابيض
ويا اسود فان قيل فيلزم ان يقال يا خالق الظلم والجور فالجواب يلزمكم ان تقولوا يا خالق العذرات

والديان والجنا فمن كما انكم تقولون ذلك حق في تفسير الامر وانما الادب ان يقال يا خالق السموات والارض
فكذا قولنا هاهنا ثم قال تعالى **قوله تعالى** ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها روى سعيد بن جبير عن ابن عباس
في هذه الاية قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يرفع صوته بالقراءة فاذا سمعه المشركون سبوا القران ومن
انزله ومن جاء به فانزل الله تعالى ولا تجهر بصلاتك اي بقراءتك فيسمعك المشركون فيسبوا الله تعالى ويسبوا
القران عدوا بغير علم **قوله تعالى** ولا تخافت بها فلا يسمعك اصحابك **قوله تعالى** وابتغ بين ذلك سبيلا وروى
ابو قتادة ان النبي صلى الله عليه وسلم طاف بالليل على دور اصحابه فكان ابو بكر رضي الله عنه يخفي صوته بالقراءة
وكان عمر رضي الله عنه يرفع صوته فلما جاء النهار وجاء ابو بكر وعمر فقال النبي صلى الله عليه وسلم مررت بك يا ابا بكر
وانت تقرا وتخفض من صوتك فقال اني اسمعت من ناجيته فارفع قليلا وقال لعمر مررت بك وانت تقرا وانت ترفع
من صوتك فقال اني اوقظ الوسنان واطرد الشيطان فقال اخفض قليلا وقيل المراد لا تجهر بصلاتك كلها ولا تخافت
بها كلها وابتغ بين ذلك سبيلا بان تجهر بصلاة الليل وتخافت بصلاة النهار وقيل الاية في الدعاء وهو قول ابي
هريرة وعائشة والنخعي ومجاهد ومكحول وروي مرفوعا الى النبي صلى الله عليه وسلم في هذه الاية قال انما ذلك في
الدعاء والمسالة قال عبد الله بن شداد كان اعراب من بني تميم اذا سلم النبي صلى الله عليه وسلم قالوا اللهم ارزقنا
مالا وولدا يجهرون فانزل الله هذه الاية ولا تجهر بصلاتك اي لا ترفع صوتك بقراءتك او بدعائك ولا تخافت
بها والمخافتة خفض الصوت والسكوت يقال خفت صوته يخفت خفوتا اذا ضعف وسكن وصوت خفيت اي خفيض
ومنه يقال للرجل اذا مات قد خفت كانه اي انقطع كلامه وخفت الزرع اذا ذبل وخفت الرجل بقراءته اذا لم يبين
قراءته برفع الصوت وقد تخافت القوم اذا تشاوروا فيما بينهم **فصل** واعلم ان الرجل
اذا جهر بالدعاء منهي عنه اي منهي عن الجهر بالدعاء والمبالغة في الاسرار غير مطلوبة والمستحب التوسط وهو ان يسمع
نفسه كما روي عن ابن مسعود انه قال لم يخافت من اسمع اذنيه واعلم ان العدل هو رعاية الوسط كما مدح الله هذه الامة
بقوله تعالى وكذلك جعلناكم امة وسطا ومدح المومنين بقوله تعالى والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا
وكان بين ذلك قواما وامر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم فقال ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها
كل البسط فكذا هاهنا نهى عن الطرفين وهما الجهر والمخافتة وامر بالتوسط بينهما فقال وابتغ بين ذلك سبيلا
وقال بعضهم الاية منسوخة بقوله تعالى ادعوا ربكم تضرعا وخفية وهو بعيد واعلم انه تعالى لما امر بان لا يذكر
ولا ينادى الا باسمائه الحسنى علم كيفية التحميد فقال **قوله تعالى** وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا ولم
يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الذل ذكر ثلاثة انواع من صفات التنزيه والجلال الاول انه لم يتخذ
ولدا والسبب فيه من وجوه اولها ان الولد هو الشيء المتولد من اجزاء ذلك الشيء فكل من له ولد فهو مركب من اجزاء
والمركب محدث والمحدث محتاج والمحتاج لا يقدر على كمال الانعام فلا يستحق كمال الحمد وثانيها ان كل من له
ولد فهو يمسك جميع الانعام لولده فاذا لم يكن له ولد افاض كل النعم على عبيده وثالثها ان الولد هو الذي
يقوم مقام الوالد بعد فنائه فلو كان له ولد لكان منقضيا فانيا ومن كان كذلك لم يقدر على كمال الانعام
في جميع الاوقات فوجب ان لا يستحق الحمد على الاطلاق وهذه الاية رد على اليهود في قولهم عزير ابن الله وعلى
النصارى في قولهم المسيح ابن الله وعلى مشركي العرب في قولهم الملائكة بنات الله النوع الثاني من الصفات السلبية
قوله تعالى ولم يكن له شريك في الملك والسبب في اعتبار هذه الصفة انه لو كان له شريك فلا يعرف كونه
مستحقا للحمد والشكر النوع الثالث **قوله تعالى** ولم يكن له ولي من الذل والسبب في اعتباره انه لو جاز عليه
ولي من الذل لم يجب شكره لتجويز ان يكون غيره حمله على ذلك الانعام اما اذا كان منزها عن الولد وعن الشريك
وعن ان يكون له ولي من الذل بل امره كان مستوجبا لاعظم انواع الحمد والشكر **قوله تعالى** من الذل فيه
ثلاثة اوجه احدها انها صفة لولي والتقدير وليا من اهل الذل والمراد بهم اليهود والنصارى لانهم اذل الناس
والثاني انها تبعيضية والثالث انها للتعليل اي من اجل الذل والى هذا ذهب المفسرين نحا الزمخشري فانه قال
ولي من الذل ناصر من الذل ومانع له منه لاعتزازه به او لم يوال احدا لاجل مذلة به ليدفعها بموالاته
وقد تقدم الفرق بين الذل والدل في اول السورة **قوله تعالى** وكبره تكبيرا **فصل** معنى قوله
وكبره تكبيرا اي ان التحميد يكون مقرونا بالتكبير والمعنى عظمه من ان يكون له شريك او ولي قال عليه الصلاة
والسلام احب الكلام الى الله تعالى اربع • لا اله الا الله • والله اكبر • وسبحان الله • والحمد لله • لا يضرك بايهن بدات
فصل روي ابي بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة بني اسرائيل فرق قلبه عند

ذكر الوالدين اعطي في الجنة قنطارا من الاجر والقنطار الف اوقية ومائتا اوقية كل اوقية خير من الدنيا وما
فيها قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه قول العبد الله اكبر خير من الدنيا وما فيها وهذه الاية خاتمة التوراة وروى
مطرف عن عبد الله بن كعب قال افتتحت التوراة بفاتحة سورة الانعام وختمت بخاتمة هذه السورة وروى عمرو
بن شعيب عن ابيه عن جده قال كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا افصح الغلام من بني عبد المطلب علمه وقل الحمد لله
الاية وقال عبد الحميد بن واصل سمعت عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من قرا وقل الحمد لله الاية كتب له من الاجر مثل الارض
والجبال لان الله تعالى يقول فيمن زعم ان له ولدا تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا

١٨

سورة الكهف مائة وعشرة اية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي انزل على عبده الكتاب الاية قال ابن الخطيب
تقدم الكلام في الحمد والذي قال هاهنا ان التسبيح اينما جاء فانه جاء مقدما على التحميد الا ترى انه يقال
سبحان الله والحمد لله واذا عرف هذا فنقول انه تعالى جل جلاله ذكر التسبيح عندما اخبر انه اسرى بمحمد صلى الله
عليه وسلم فقال سبحان الذي اسرى بعبده وذكر التحميد عند انزال الكتاب فقال الحمد لله الذي انزل على عبده
الكتاب ثم قال والمشبهة استدلوا بلفظ الاسرى في السورة المتقدمة وبلفظ الانزال في هذه السورة على انه
تعالى مختص بجهة فوق والجواب عنه مذكور في سورة الاعراف في تفسير قوله ثم استوى على العرش **فصل**
واعلم انه تعالى اثنى على نفسه بالعامة على خلقه وخص رسوله صلى الله عليه وسلم بالذكر لان انزال الكتاب
القران عليه كان نعمة عليه على الخصوص وعلى سائر الناس على العموم اما كونه نعمة عليه فانه تعالى اطلعه
بواسطة هذا الكتاب الكريم على اسرار علم التوحيد والتنزيه وصفات الجلال واحوال الملائكة واحوال الانبياء
واحوال القضاء والقدر وتعلق احوال العالم السفلي باحوال العالم العلوي وتعلق احوال عالم الاخرة بعالم
الدنيا وكيفية نزول القضاء من عالم الغيب وذلك من اعظم النعم واما كونه نعمة علينا فلانه مشتمل على التكاليف
والاحكام والوعد والوعيد والثواب والعقاب فكل احد ينتفع به بحسب قدر معرفته وفهمه **قوله تعالى**
ولم يجعل في هذه الجملة اوجه احدها انها معطوفة على الصلة قبلها والثاني انها اعتراضية بين الحال وهي قيما
وبين صاحبها وهو الكتاب والثالث انها حال من الكتاب والجملة من قوله قيما **قوله تعالى** قيما فيه اوجه
الاول انها حال من الكتاب والجملة من قوله ولم يجعل اعتراض وقد منع الزمخشري ذلك فقال فان قيل
بم انتصب قيما فالجواب الاحسن ان ينتصب بمضمر ولم يجعل حالا من الكتاب لان قوله ولم يجعل معطوفا على
انزل فهو داخل في حيز الصلة فجاعله فاصلة بين الحال وذي الحال ببعض الصلة ولذلك قال ابو البقاء وجواب
هذا ما تقدم من ان الجملة اعتراض لا معطوفة على الصلة الثاني انه حال من الهاء في له قال ابو البقاء والحال موكدة
وقيل منتقلة قال شهاب الدين والقول بالانتقال لا يصح الثالث انه منصوب بفعل مقدر تقديره جعله
قيما قال الزمخشري تقديره ولم يجعل له عوجا قيما لانه اذا نفى عنه العوج واثبات الاستقامة وفي احدهما
غنى عن الاخر قلت فائدته التاكيد ورب مستقيم مشهود له بالاستقامة ولا يخلو اي لا يخلو من ادنى عوج
عند السبر والتصفح الرابع انه حال ثانية والجملة المنفية قبله حال ايضا وتعدد الحال لذي حال واحد جائز
والتقدير انزله غير جاعل له عوجا قيما الخامس انه حال ايضا ولكنه بدل من الجملة قبله لانه حال وابدال المفرد
من الجملة اذا كانت بتقدير مفرد جائز وكذا ابدلت الجملة من المفرد في قولهم عرفت زيدا ابو من هو والضمير في له
فيه وجهان احدهما انه للكتاب وعليه التخاريج المتقدمة والثاني انه يعود على عبده وليس بواضح وقرا العامة
بكسر العين وابان بن تغلب بفتحها خفيفة وقد تقدم القول فيهما ووقف حفص على تنوين عوجا مبدلة الفا
ساكنة خفيفة من غير قطع نفس سكتا ثم يقول قيما ليس متصلة بعوجا انما هو من صفة الكتاب وغيره لم يعبا
بهذا الوهم فلم يسكت اتكالا على فهم المعنى وقد يوجه ما فعله حفص بما في بعض مصاحف الصحابة ولم يجعل له
عوجا لكن جعله قيما وبعض القراء يطلق فيقول يقف على عوجا ولم يقولوا بابدال تنوين ذلك فيحتمل ذلك وهو
اقرب لغرضه فيما ذكر وبعضهم ولم يقولوا بابدال التنوين الفا فانه لو وقف على التنوين لكان ادل على غرضه وهو
انه وقف بنية الوصل انتهى وقال الاهوازي ليس هو وقفا مختارا لان في الكلام تقديما وتاخيرا معناه انزل
على عبده الكتاب قيما ولم يجعل له عوجا قال شهاب الدين دعوى التقديم والتاخير وان كان قال به غير

كالبغوي وغيرهما الا انها مردودة لانها على الاصل وقد تقدم تحقيقه وفعل حفص في مواضع من القرآن مثل
فعله هنا من سكتة لطيفة نافية لتوهم وقف فانه كان يقف على مرقدنا ويبتدي هذا ما وعد الرحمن قال لئلا
يتوهم ان هذا صفة لمرقدنا فيفوت ذلك فالوقف يبين ان كلام الكفار انقضى ثم ابتدى بكلام غيرهم قيل هم الملائكة
وقيل المؤمنون وسياتي في يس ما يقتضي ان يكون هذا صفة لمرقدنا فيفوت ذلك ومنها وقيل من راق كان يقف
على نون من ويبتدي راق لئلا يتوهم انها كلمة واحدة على فعال اسم فاعل من مرق فهو مراق ومنها بل فانه كان
يقف على لام بل ثم يبتدي ران لما تقدم قال المهدوي وكان يلزم حفصا على ذلك قياسا على هذه المواضع
وهؤلاء نفعله فلم يكن لقراءته وجه من الاحتجاج عليها ولا يحزنك قولهم ان العزة لله جميعا ينبغي الوقف على قولهم
لئلا يتوهم ان ما بعده هو المقول وكذا انهم اصحاب النار الذين يحملون العرش ومن حوله ينبغي ان يعتني بالوقف
على النار لئلا يتوهم هذه الصفة فالذهاب الذي وتوهم هذه الاشياء من ابعد البعيد وقال ابو شامة ايضا
ولو لزم الوقف على اللام والنون للزم ذلك كله من عمرو يعني في بل ران ومن راق **فصل** المعنى ولم
يجعل له عوجا قيما اي مختلفا قال تعالى ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا وقيل معناه لم يجعله
مخلوقا وروي عن ابن عباس انه قال يريد مستقيما وهذا عندي مشكل لانه لا معنى لنفي الاعوجاج الا حصول
الاستقامة فتفسير القيم بالمستقيم يوجب التكرار بل الحق ان نقول المراد من كونه قيما كونه سببا لهداية الخلق
وانه يجري مجرى من يكون قيما للاطفال فالارواح البشرية كالاطفال والقرآن كالقيم المشفق عليها القايم بمصالحهم
قوله تعالى لينذر في هذه اللام وجهان اظهرهما انها متعلقة بقيما قاله الحوفي والثاني انها متعلقة بانزل
وفاعل لينذر يجوز ان يكون للكتاب وان يكون لله وان يكون للرسول والانذار يتعدى لاثنين انا انذرناكم
عذابا قريبا فانذرتكم صاعقة وفاعله الاول محذوف تقديره الزمخشري لينذر الذين كفروا وغيره لينذر العباد
او لينذركم وليعذر العالم وتقديره احسن لانه مقابل لقوله ويبشر المومنين وهو ضدهم وكما حذف المنذر
واتي بالمنذر به هنا حذف المنذر به واتى بالمنذر في قوله وينذر الذين قالوا فحذف الاول من الاول لدلالة
ما في الثاني عليه وحذف الثاني من الثاني لدلالة ما في الاول عليه وهو في غاية البلاغة ولما لم يتكرر البشارة
ذكر مفعوليها فقال ويبشر المومنين الذين يعملون الصالحات ان لهم اجرا حسنا **قوله تعالى** من لدنه قرا
ابو بكر عن عاصم بسكون الدال مشمة بالضم وكسر النون والهاء موصولة بيا فيقرا من لدنهي والباقون بضم
الدال وسكون النون وضم الهاء وهم على قواعدهم فيها فابن كثير يصلها بواو وغيره
لا يصلها بشي ووجه ابي بكر انه سكن الدال تخفيفا كتسكين عين عضد فالنون ساكنة فالتقى ساكنان فكسر
النون لالتقاء الساكنين وكان حقه ان يكسر الاول على القاعدة المعروفة الا انه يلزم منه العود الى ما فر منه
وسياتي لهذا تحقيق بيان في قوله ويخش الله ويتقه في سورة النور ثم لما كسر النون لما ذكرنا كسر الهاء اتباعا
على قاعدته ووصلها بيا فاشم الدال اشارة الى اصلها في الحركة والاشمام هنا عبارة عن ضم الشفتين من غير
نطق ولهذا يختص به البصير دون الاعمى هكذا قرره القراء وفيه نظر لان الاشمام المشار اليه انما يتحقق
عند الوقف على اخر الكلمة فلا يليق الا ان يكون اشارة الى حركة الحرف الاخر المرفوع واذا وقف عليه نحو جاء
الرجل وهكذا قرره النحويون واما كونه يؤتى به في وسط الكلمة فلا يتصور الا ان يقف المتكلم على ذلك الساكن
ثم ينطق بباقي الكلمة واذا جربت نطقك في هذا الحرف الكريم وجدته لا يمكن لا ينطق به بالدال ساكنة
مشيرا الى ضمها حتى تقف عليها ثم تاتي بباقي الكلمة فان قيل انما اتى بالاشارة الى الضمة بعد فراغه من
الكلمة باسرها قبل ذلك فاتت الدلالة على تعيين ذلك الحرف والمشار الى حركته فالجواب عن هذا بانه ليس
في الكلمة ما يصلح ان يشار الى حركته وهو الدال وقد تقدم في يوسف ان الاشمام في لا تامنا اذا قررناه
بالاشارة الى الضمة منهم من يفعله قبل كمال الادغام ومنهم من يفعله بعده وهذا نظيره وتقدم ان الاشمام
يقع بازاء معان اربعة تقدم تحقيقها ومن لدنه متعلق بينذر ويجوز تعلقه بمحذوف نعتا لباسا ويجوز
ان يكون حالا من الضمير في شديد والباس ماخوذ من قوله بعذاب بئيس ومن لدنه اي صادرا من عنده
فصل قال الزجاج وفي لدن لغات يقال لدن ولدى ولد والمعنى واحد قال وهو لا يتمكن تمكن عند
لانك تقول هذا القول صواب عندي ولا يقال صواب لدني وتقول عندي مال عظيم والمال غايب
عنك ولدن لما يليك لا غير وقرئ ويبشر بالرفع على الاستيناف والمراد بالاجر الحسن الجنة او من اجله ماكثين
حال اما من الضمير المجرور في لهم او المرفوع المستتر فيه **قوله تعالى** ماكثين مصدر لتخصصه بالصفة

(هامش: مفعوليه)

الان

الان هذا لا يجيء الا على راي الكوفيين فانهم لا يشترطون بروز الضمير في الصفة الجارية على غير من هي
له اذا امن اللبس ولو كان حالا لامنه عند البصريين لقال ماكثين هم فيه ويجوز على راي الكوفيين ان تكون
صفة ثانية لاجرا قال ابو البقاء وقيل هو صفة لاجر والعايد صفة لها اي لها فيه ولم يبرز الضمير
لا لعدم بالنسبة الى المذهبين وابدا منصوب على الظرف بماكثين **فصل** اعلم ان المقصود
في ارسال الرسل انذار المذنبين وبشارة المطيعين ولما كان دفع الضرر اسم عام عند العقول من ايصال النفع لاجرم
قدم الانذار في اللفظ قال الزمخشري قرا ويبشر بالتخفيف والتثقيل وماكثين ابدا بمعنى خالدين **فصل**
قال القاضي دلت الاية على صحة قولنا في مسايل احدها ان القرآن مخلوق وبيانه من وجوه الاول انه تعالى وصفه
بالانزال والنزول وذلك من صفات المحدثات فان القديم لا يجوز عليه التغيير والثاني انه وصفه بكونه كتابا
والكتب هو الجمع وسمي كتابا لكونه مجموعا من الحروف والكلمات وما صح فيه من التركيب والتاليف فهو محدث الثالث
انه تعالى اثبت الحمد لنفسه على انزال الكتاب والحمد انما يستحق على النعمة والنعمة محدثة مخلوقة الرابع انه وصفه بانه غير
معوج خلق الاعمال فان هذه الاية تدل على قولنا في هذه المسالة من وجوه الاول نفس الامر بالحمد لانه لو لم يكن فعل
الحمد للعبد لم ينتفع بالكتاب اذ الانتفاع به انما يحصل اذا قدر ان يفعل ما دل الكتاب على انه يجب فعله ويترك
ما دل الكتاب على انه يجب تركه وهذا انما يفعل لو كان مستقلا بنفسه اما اذا لم يكن لعوج الكتاب اثر في اعوجاج فعله
ولم يكن لكون الكتاب قيما اثر في استقامة فعله كان العبد كان قادرا على الفعل مختارا فيه والثاني انه تعالى
لو انزل بعض الكتاب ليكون سببا لكفر البعض وانزل الثاني سببا لايمان البعض الاخر فمن اين ان ذلك الكتاب فيه لا
عوج فيه لانه لو كان فيه عوج لما زاد على ذلك والثالث قوله تعالى لينذر وفيه دلالة على انه تعالى اراد منه صلى الله
عليه وسلم انذار الكل وتبشير الكل وبتقدير ان يكون خالق الكفر والايمان هو الله لم يبق للانذار والتبشير
فايدة لانه تعالى اذا خلق الايمان حصل شاء العبد او لم يشا واذا خلق الكفر حصل شاء العبد او لم يشا فيصير الانذار
والتبشير على الايمان والكفر جاريا مجرى الانذار والتبشير على كونه طويلا او قصيرا او ابيض او اسود مما لا قدرة
للعبد عليه الرابع وصفه المبشرين بان المومنين يعملون الصالحات فان كان خلقا لله تعالى فلا عمل لهم البتة
الخامس ايجابه لهم الاجر الحسن على ما عملوا فان الله تعالى قادر على ان يخلق ذلك فيهم ولا ايجاد ولا استحقاق
المسالة الثالثة دلت الاية على انه تعالى يفعل افعاله لاغراض صحيحة وذلك يبطل قول من يقول ان فعله غير
معلل بالغرض **فصل** واعلم ان هذه الكلمات قد تكررت في هذا الكتاب فلا فايدة في الاعادة
قوله تعالى وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا معطوفا على قوله لينذر باسا شديدا والمعطوف يجب كونه مغايرا
للمعطوف عليه فالاول عام في حق كل من يستحق العذاب والثاني خاص بمن قال ان الله اتخذ ولدا والقرآن جار بانه
اذا ذكر الله قضية كلية عطف عليها بعض جزئياتها تنبيها على كون ذلك البعض المعطوف اعظم جزئيات ذلك الكلي
كقوله تعالى وملائكته وجبريل وميكال تنبيها على انه اعظم جزئيات ذلك الكلي ايضا فكذا ههنا يدل على ان
اعظم انواع الكفر والمعصية اثبات الولد لله تعالى **فصل** واعلم ان المثبتين لله الولد ثلاث طوايف
الاول كفار العرب الذين قالوا الملائكة بنات الله تعالى الثاني النصارى قالوا المسيح ابن الله تعالى الثالث اليهود
حيث قالوا العزير ابن الله واعلم ان اثبات الولد لله تعالى كفر عظيم وتقدم الكلام على ذلك في سورة الانعام في قوله تعالى
وخرقوا له بنين وبنات بغير علم وسياتي تمامه ان شاء الله تعالى في سورة مريم لانه تعالى انكر على القايلين باثبات
الولد لله من وجهين الاول قوله تعالى ما لهم به من علم ولا لابائهم فان قيل اتخاذ الله تعالى الولد محال في نفسه فكيف
قيل ما لهم به من علم فالجواب ان انتفاء العلم بالشي قد يكون للجهل بالطريق الموصل اليه وقد يكون لانه في نفسه
محال لا يمكن تعلق العلم به ونظيره قوله تعالى ومن يدع مع الله الها آخر لا برهان له به قلت تمسك نفاة القياس
بهذه الاية فقالوا دلت هذه الاية على ان القول بغير علم فيكون باطلا وجوابه تقدم عند قوله تعالى ولا تقف
ما ليس لك به علم وقوله تعالى ولا لابائهم اي احد من اسلافهم وهذه مبالغة في كون تلك المقالة فاسدة باطلة جدا
قوله تعالى ما لهم به اي بالولد او باتخاذه او بالقول المدلول عليه باتخذ وبقالوا او بالله وهذه الجملة المنفية
فيها اوجه اظهرها انها مستانفة سيقت للاخبار بذلك والثاني انها صفة للولد قاله المهدوي ورده ابن
عطية بانه لا يصفه بذلك الا القايلون وهم لا يقصدون وصفه بذلك الثالث انها حال من فاعل قالوا اي قالوا
جاهلين ومن علم يجوز ان يكون فاعلا وان يكون مبتدا والجار هو الرافع لاعتماده او الخبر ومن مزيدة على كلا
القولين **قوله تعالى** كبرت كلمة في فاعل كبرت وجهان احدهما انه مضمر عايد على مقالتهم المفهومة من قوله

قال الحذاي كبرت مقالتهم وكلمة نصب على التمييز ومعنى الكلام على التعجب اي ما اكبرها كلمة وتخرج الجملة صفة
لكلمة يؤذن باستعظامها لان بعض ما يحس بالخاطر لا يجترئ الانسان على اظهاره باللفظ والثاني ان الفاعل
مفسر بالنكرة بعده المنصوبة على التمييز ومعناها الذم كبئس رجلا فعلى هذا المخصوص بالذم محذوف تقديره
كبرت هي الكلمة كلمة خارجة من افواههم تلك المقالة الشنعاء وقراءة العامة كلمة بالنصب وفيها وجهان احدهما
النصب على التمييز تقديره كبرت الكلمة كلمة قال الواحدي ومعنى التمييز انك اذا قلت كبرت المقالة او الكلمة جاز ان يتوهم انها
كبرت كذبا او جهلا او افتراء فلما قلت كلمة فقد ميزتها من محالاتها فانتصبت على التمييز والتقدير كبرت الكلمة
فحصل فيه الاضمار واما من رفع كلمة فلا يضمر شيئا قال النحويون النصب اقوى وابلغ وفيه معنى التعجب
في الوجهين السابقين والثاني النصب على الحال وليس بظاهر وقيل نصب على حذف حرف الجر والتقدير
من كلمة فحذف من فانتصبت **قوله تعالى** تخرج في الجملة وجهان احدهما انها صفة لكلمة والثاني انها
صفة للمخصوص بالذم المقدر تقديره كبرت كلمة خارجة وابن الحسين وابن محيصن وابن يعمر وابن كثير في
رواية العباس عنه كلمة بالرفع على الفاعلية وتخرج صفة لها ايضا وقرأ كبرت بسكون الباء وهي لغة تميم
كذبا فيه وجهان احدهما هو مفعول به لانه يتضمن معنى جملة والثاني هو نعت مصدر محذوف اي قولا كذبا

فصل المراد من هذه الكلمة هو قولهم اتخذ الله ولدا فصارت مضمرة في كبرت وسميت كلمة كما يسمون
القصيدة كلمة وقوله تعالى تخرج من افواههم اي هذا الذي يقولونه لا يحكم به عقلهم وفكرهم البتة لكونه في
غاية الفساد والبطلان فكانه قيل يجري على لسانهم على سبيل التقليد اذ يقولون اي ما يقولون الا كذبا واختلف
الناس في حقيقة الكذب فقيل هو الخبر الذي لا يطابق المخبر عنه وقيل قال بعضهم يشترط علم قائله بانه غير مطابق
قال ابن الخطيب وهذا القول عندنا باطل لانه تعالى وصف قولهم باثبات الولد لله تعالى بكونه كذبا مع انهم لم يعلموا وجد
ان بعضهم يقال ان الله تعالى مع ان الكثير منهم يقول ذلك ولا يعلم بكونه كذبا باطلا فعلمنا ان كل خبر لا يطابق المخبر
عنه فهو كذب سواء علم القائل بكونه كذبا او لم يعلم ويجب ان يقال بان الله تعالى انما وصف علماءهم المحرفين
للكلام عن مواضعه ودخل المقلدون على سبيل التبع عليه **فصل** احتج النظام على ان الكلام جسم بهذه
الاية قال لانه تعالى قال الكلمة وصفا لكلمة بانها تخرج من افواههم والخروج عبارة عن الحركة والحركة لا تصح الا على الا
جسام واجيب بان الحروف والاصوات انما تحدث بسبب خروج النفس من الحلق فلما كان خروج النفس سببا لحدوث
الكلمة اطلق لفظ الخروج على الكلمة **قوله تعالى** فلعلك باخع نفسك الاية والمقصود منه ان قيل الرسول
الله صلى الله عليه وسلم لا تعظم حزنك واسفك بسبب كفرهم فانا بعثناك منذرا ومبشرا فاما تحصيل الايمان
في قلوبهم فلا قدرة لك عليه والغرض منه تسلية الرسول صلى الله عليه وسلم ومعنى باخع نفسك اي قاتل نفسك

فصل قال الليث بخع الرجل نفسه اذا قتلها غيظا من شدة وجد والفاء في قوله تعالى فلعلك في
جواب الشرط وهو قوله ان لم يؤمنوا قدم عليه وحقه التاخير وقال الجمهور هو جواب الشرط محذوف لدلالة قوله
فلعلك قيل للاشفاق على بابها وقيل للاستفهام وهو رأي الكوفيين وقيل للنهي اي لا تبخع والبخع الاهلاك
يقال بخع الرجل نفسه يبخعها بخعا وبخوعا اهلكها وجدا قال ذو الرمة

> الا ايهذا الباخع الوجد نفسه ✱ لشيء نحته عن يديه المقادر

يريد نحته بالتشديد فخفف قال الاصمعي كان ينشده الوحدي بالنصب على المفعول به وابو عبيدة رواه بالرفع
على الفاعلية بالباخع وقيل البخع ان يضعف الارض بالزراعة قاله الكسائي وعلى هذا باخع نفسك اي ناهكها
وجاهدها حتى تهلكها وقيل هو جهد الارض وفي حديث عائشة رضي الله عنها عن عمر بخع الارض بمعنى جهدها
حتى اخذ ما فيها من الاموال وهذا استعارة ولم يفسره الزمخشري هنا بغير القتل والاهلاك وقال في سورة الشعراء

فصل والبخع ان يبلغ بالذبح النخاع بالباء وهو عرق مستبطن القفا وذلك اقصى حد الذبح انتهى
قال شهاب الدين وسمعت شيخنا علاء الدين القونوي يقول تتبعت كتب الطب والتشريح فلم اجد لهذا اصلا

فصل حتى لعلهم لما ذكروه سموه باسم آخر لكونه يراهم فيما بينهم وقال الراغب البخع قتل النفس غما
ثم قال وبخع فلان بالطاعة وبما عليه من الحق اذا اقر به واذعن مع كراهة شديدة تجري مجرى بخع نفسه في شدته

قوله تعالى على آثارهم متعلق بباخع اي من بعدهم لانهم يقال مات فلان على اثر فلان اي بعده واصل هذا
ان الانسان اذا مات بقيت علاماته وآثاره بعد موته مدة ثم انها تمحى وتبطل بالكلية واذا كان موته قريبا من موت
الاول كان موته حاصلا حال بقاء آثار الاول فصح ان يقال مات فلان على اثر فلان **قوله تعالى** ان لم يؤمنوا

بهذا الحديث يعني القرآن قال القاضي وهذا يقتضي وصف القرآن بانه حديث وذلك يدل على فساد قول
من يقول انه قديم واجيب بانه محمول على الالفاظ وهي حادثة **قوله تعالى** ان لم يؤمنوا قرأ العامة بكسر ان على
انها شرطية وقرئ ان لم بالفتح على حذف الجار اي لان لم يؤمنوا وقرئ باخع نفسك بالاضافة والاصل النصب وقال
الزمخشري وقرئ باخع نفسك على الاصل والاضافة اي قاتل نفسك ومهلكها وهو للاستقبال فيمن قرأ ان لم يؤمنوا
والمعنى فيمن قرأ ان لم يؤمنوا يعني لان لم يؤمنوا انه باخع للاستقبال في قراءة كبيرة فانها شرطية والمعنى في فتحها
وذلك لا يأتي الا في قراءة الاضافة اذ لا يتصور المعنى مع النصب عند البصريين وعلى هذا يلزم ان لا يقرأ بالفتح
الا من قرأ باضافة باخع ويحتاج في ذلك الى توقيف **قوله تعالى** اسفا يجوز ان يكون مفعولا له والعامل باخع
وان يكون مصدرا في موضع الحال من الضمير في باخع والاسف الحزن وقيل الغضب وقد تقدم في الاعراف عند قوله تعالى
غضبان اسفا وفي يوسف عند قوله يا اسفا على يوسف **قوله تعالى** انا جعلنا ما على الارض زينة لها الاية
قال القاضي وجه النظم كانه يقول يا محمد اني خلقت الارض وزينتها واخرجت منها انواع المنافع والمصالح وابينا
فالمقصود من خلقها بما فيها من المصالح ابتلاء الخلق بهذه التكاليف ثم انهم يكفرون ويتمردون ومع ذلك فلا
اقطع عنهم مواد هذه النعم وانت ايضا يا محمد فلا ينبغي ان تنتهي في الحزن بسبب كفرهم الى ان تترك الاشتغال بدعوتهم الى
الدين الحق **قوله تعالى** زينة يجوز ان تنتصب على المفعول به وان تنتصب على الحال ان جعلت جعلنا بمعنى
خلقنا ويجوز ان تكون اللام زائدة في المفعول ويجوز ان تتعلق بمحذوف صفة لزينة **قوله تعالى** لنبلوهم
يتعلق بجعلنا **قوله تعالى** ايهم يجوز فيها وجهان احدهما ان تكون استفهامية مرفوعة بالابتداء واحسن خبرها
والجملة في محل نصب متعلقة بنبلوهم لانه سبب العلم والسؤال والنظر والثاني انها موصولة بمعنى الذي واحسن خبر
مبتدإ مضمر والجملة صلة لايهم وتكون هذه الجملة اعني الموصول في محل نصب بدلا من مفعول لنبلوهم تقديره
لنبلو ايهم احسن وحينئذ يكون التقدير لنبلو الذي هو احسن ويحتمل ان تكون الضمة في ايهم للبناء كما هي في قوله
لننزعن من كل شيعة على الاقوال وفي قول الشاعر

> اذا ما لقيت بني مالك ✱ فسلم على ايهم افضل

وشرط البناء موجود وهو الاضافة لفظا وحذف صدر الصلة وهو مذهب سيبويه وان تكون الاعراب لان
البناء جائز لا واجب ومن الاعراب ما قرئ به شاذا ايهم اشد وسيأتي ان شاء الله تعالى تحقيقه في مريم والضمير
في ايهم ولنبلوهم عائد على ما يفهم من السياق وهم سكان الارض وقيل يعود على ما على الارض اذا اريد بها العقلاء
وفي التفسير المراد بذلك الرجال وقيل العلماء والصلحاء والخلفاء **فصل** اختلفوا في تفسير هذه الزينة
فقيل النبات والشجر والانهار كما قال تعالى حتى اذا اخذت الارض زخرفها وازينت وضم بعضهم اليه الذهب والفضة
والمعادن وضم بعضهم الى ذلك جميع الحيوان فان قيل اي زينة في الحيات والعقارب والشياطين فالجواب
فيها زينة بمعنى انها تدل على وحدانية الله تعالى وقال مجاهد اراد الرجال خاصة فهم زينة الارض وقيل اراد
بهم العلماء والصلحاء وقيل اراد الناس وبالجملة فليس في الارض الا المواليد الثلاثة وهي المعادن والنبات
والحيوان واشرف انواع الحيوان الانسان قال القاضي الاولى ان لا يدخل المكلف في هذه الزينة لان الله تعالى قال
انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم فمن يبلوهم يجب ان لا يدخل في ذلك واجيب بان قوله زينة لها هي الارض
ولا يمنع ان يكون احسن ما في الارض زينة لها كما جعل الله السماء مزينة بالكواكب وقوله تعالى لنبلوهم لنختبرهم ايهم
احسن عملا اي اصلح عملا وقيل ايهم اترك للدنيا **فصل** ذهب هشام بن الحكم الى انه تعالى لا يعلم
الحوادث الا عند دخولها في الوجود فعلى هذا الابتلاء والامتحان على الله جائز واحتج انه تعالى لو كان عالما بالجزئيات
قبل وقوعها لكان كلما علم وقوعه وجب الوقوع وكلما علم عدمه يمتنع الوقوع والا لزم انقلاب علمه جهلا وذلك
محال والمفضي الى المحال محال ولو كان ذلك واجبا فالذي علم وقوعه يجب كونه فاعلا له ولا قدرة له
على الترك والذي علم كونه ممتنع الوقوع لا قدرة له على الفعل وعلى هذا يلزم ان لا يكون الله قادرا على كل شيء اصلا
بل يكون موجبا بالذات وايضا فيلزم ان لا يكون للعبد قدرة على الفعل ولا على الترك لان ما علم الله وقوعه
امتنع من العبد تركه وما علم عدمه امتنع منه فعله فالقول بكونه تعالى عالما بالاشياء قبل وقوعها يقدح في
الربوبية وفي العبودية وذلك باطل فثبت انه تعالى انما يعلم الاشياء عند وقوعها اي عند ذلك وعلى هذا
التقدير فالابتلاء والامتحان والاختبار عليه جائز وعند هذا قال اجري قوله تعالى لنبلوهم ايهم احسن عملا
على ظاهره واما جمهور علماء الاسلام فقد استبعدوا هذا القول وقالوا انه تعالى من الازل الى الابد عالم بجميع
الجزئيات والابتلاء والامتحان عليه محال فانما وردت هذه الالفاظ فانه تعالى يعاملهم معاملة لو صدرت

عن غيره لكانت على سبيل الابتلاء والامتحان **فصل** قالت المعتزلة دلت هذه الاية ظاهرا على ان افعال الله تعالى معللة بالاغراض وقال اهل السنة هذا محال لان التعليل بالغرض انما يصح في حق من لا يصح منه تحصيل ذلك الغرض الا بتلك الواسطة وهذا يقتضي العجز وهو على الله تعالى محال **قوله تعالى** وانا لجاعلون ما عليها صعيدا جرزا المعنى انه تعالى ما زين الارض الا لاجل الامتحان والابتلاء لا لاجل ان يبقى الانسان متنعما بها ابدا لانه تعالى يزهد فيها اي لجاعلون ما عليها من هذه الزينة صعيدا جرزا ونظيره كل من عليها فان وقوله تعالى فيذرها قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا امتا وقوله تعالى واذا الارض مدت والقت ما فيها وتخلت والمعنى انه لا بد من المجازاة بعد فناء ما على الارض وتخصيص الاهلاك بما على الارض يوهم بقاء الارض الا ان سائر الايات دلت ايضا على ان الارض لا تبقى وهو قوله يوم تبدل الارض **قوله تعالى** صعيدا مفعول ثان لان الجعل هنا تصيير ليس الا والصعيد التراب وقال ابو عبيدة الصعيد المستوي من الارض وقال الزجاج هو الطريق الذي لا نبات فيه وقد تقدم في اية التيمم والجرز الذي لا نبات به يقال سنة جرز وسنون اجراز لا مطر فيها وارض جرز وارضون اجراز لا نبات بها **فصل** قال الفراء يقال جرزت الارض فهي مجروزة اذا ذهب نباتها بقحط وجراد ويقال جرزها الجراد والشاء والابل اذا اكل ما عليها وامراة جروز اذا كانت اكولا قال الشاعر

ان العجوز حية جروزا ۞ تاكل كل ليلة قفيزا ۞

وسيف جراز اذا كان مستاصلا ونظيره قوله تعالى نسوق الماء الى الارض الجرز **قوله تعالى** ام حسبت ان اصحاب الكهف والرقيم الاية معناها اظننت يا محمد ان اصحاب الكهف والرقيم كانوا من اياتنا عجبا وقيل معناها انهم ليسوا باعجب من اياتنا فان ما خلقت من السموات والارض وما فيهن من العجائب اعجب منهم فكيف يستبعدون من قدرتي ورحمتي حفظ طائفة مدة ثلاثمائة سنة واكثر هذا وجه النظم وقد تقدم سبب نزول اصحاب الكهف عند قوله تعالى ويسالونك عن الروح والكهف هو الغار في الجبل فقيل هو منطلق الغار وقيل هو ما اتسع من الجبل فان لم يتسع فهو غار والكهف في الكثرة والكهف في القلة والرقيم قيل بمعنى مرقوم وعلى هذا قال اهل المعاني الرقيم الكتاب ومنه قوله تعالى كتاب مرقوم اي مكتوب قال الفراء الرقيم لوح كانت فيه اسماؤهم وصفاتهم وسمي رقيما لان اسماءهم كانت مرقومة فيه قال سعيد بن جبير ومجاهد كان لوحا من حجارة وقيل من رصاص كتب فيه اسماؤهم وصفاتهم في ذلك اللوح على باب الكهف وهو اظهر الاقوال وقيل بمعنى راقم وقيل هو اسم للكلب الذي هو لاصحاب الكهف وانشد لامية بن ابي الصلت

وليس بها الا الرقيم مجاورا ۞ وصيدهم والقوم في الكهف هجد ۞

فصل وروي عكرمة عن ابن عباس انه قال كل القران معلوم الا اربعة غسلين وحنان والاواه والرقيم وروى عكرمة عن ابن عباس انه سئل عن الرقيم فقال زعم كعب انها القرية التي خرجوا منها وهو قول السدي وحكي عن ابن عباس انه اسم للوادي الذي فيه اصحاب الكهف **قوله تعالى** ام حسبت ام هذه منقطعة فتقدر ببل التي للانتقال وبهمزة الاستفهام التي للنجاة وببل وحدها او بالهمزة وحدها عند غيرهم وتقدم تحقيق القول فيها وان وما في خبرها سادة مسد المفعولين او احدهما على الاختلاف المشهور **قوله تعالى** عجبا يجوز ان يكون خبرا ومن اياتنا حال منه وان يكون خبرا اول ومن اياتنا خبرا ثانيا وان يكون عجبا حالا من الضمير المستتر في من اياتنا لوقوعه خبرا ووحد وان كان صفة في المعنى لجماعة لان اصله المصدر قال ابن الخطيب والعجب هاهنا مصدر سمي المفعول به والتقدير كانوا معجبا منهم فسموا بالمصدر وقيل عجبا في الاصل صفة لمحذوف تقديره اية عجبا وقيل على حذف مضاف اي ذات عجب **قوله** اذ اوى يجوز ان ينتصب بعجبا وان ينتصب باذكر لانه لا يجوز ان يكون اذ هنا متعلق بما قبله على تقدير ام حسبت لانه كان بين النبي صلى الله عليه وسلم وبينهم مدة طويلة فلم يتعلق الحسبان بذلك الوقت الذي اووا فيه والتقدير اذكر اذ اوى الفتية الى الكهف والمعنى صاروا اليه وجعلوه ماواهم فقالوا ربنا هب لنا من لدنك رحمة اي من خزائن رحمتك **قوله تعالى** وهيئ العامة على همزة بعد الياء المشددة وابو جعفر والزهري بياءين الثانية خفيفة وكانه ابدل الهمزة ياء وان كان سكونها عارضا **فصل** وروي عن عاصم وهيي بياء مشددة فقط فيحتمل ان يكون حذف الهمزة من اول تخفيفا وان يكون ابدلها كما فعل ابو جعفر ثم اجرى الياء مجرى حرف العلة الاصلي فحذفه وان كان الكثير خلافه ومنه قوله اي قول الشاعر

جري متى يظلم يعاقب بظلمه ۞ سريعا والا يبد بالظلم يظلم ۞

ومعنى هيئ لنا اصلح من قولك هيأت الامر فتهيأ وقرا ابو رجاء رشدا بضم الراء وسكون الشين وتقدم تحقيقه في الاعراف وقراءة العامة هنا اليق لتوافق الفواصل والتقدير وهيئ لنا امرا ذا رشد حتى نكون بسببه راشدين مهتدين وقيل اجعل امرنا رشدا كله كقولك رايت منه رشدا **قوله تعالى** فضربنا مفعوله محذوف اي ضربنا الحجاب المانع وقيل استعارة للزوم النوم كقول الاسود

ومن الحوادث لا ابا لك انني ۞ ضربت علي الارض بالاسداد ۞

وقال الفرزدق

ضربت عليك العنكبوت بنسجها ۞ وقال الاخر ۞ وقضى عليك به الكتاب المنزل ۞

وخص الاذنين بالضرب عليها خصوصا لتحصيل النوم واما قال اذانهم **قوله تعالى** في الكهف وهو ظرف المكان ومعنى الكلام انما هم في الكهف واسمه خيرم واسم الجبل الذي هو فيه مخلوس **قوله تعالى** سنين ظرف زمان لضربنا **قوله** عددا يجوز ان يكون مصدرا وان يكون فعلا بمعنى مفعول اي من باب تسمية المفعول باسم المصدر كالقبض والنقص فعلى الاول يجوز نصبه من وجهين احدهما النعت لسنين على حذف مضاف اي ذوات عدد او على المبالغة على سبيل التاكيد **فصل** قال الزجاج ذكر العدد هاهنا يفيد كثرة السنين وكذلك كل شيء مما يعد اذا ذكر فيه العدد ووصف به اريد كثرته لانه اذا قل فهم مقداره بدون التعديد اما اذا كثر فهناك يحتاج الى التعديد فاذا قلت اقمت اياما عددا اردت به الكثرة **قوله تعالى** ثم بعثناهم لنعلم اللام لام الغرض فيدل على ان افعال الله تعالى معللة بالاغراض وقد تقدم الكلام فيه ونظير هذه الاية كثير منها ما سبق في هذه السورة وفي سورة البقرة الا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب وفي سورة التوبة وفي ال عمران ولما يعلم الله الذين جاهدوا وقوله تعالى ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم **فصل** قال بعض العلماء لنعلم اي علم المشاهدة وقوله تعالى لنعلم متعلق بالنصب والعامة على نون العظمة جريا على ما تقدم وقرا الزهري ليعلم بياء الغيبة والفاعل الله تعالى وفيه التفات من التكلم الى الغيبة ويجوز ان يكون الفاعل اي الحزبين اذا جعلناها موصولة كما سياتي وقرئ ليعلم مبنيا للمفعول والقائم مقام الفاعل قال الزمخشري مضمون الجملة كما انه مفعول نعلم فرده ابو حيان بانه ليس مذهب البصريين وتقدم تحقيقه اول البقرة وللكوفيين في قيام الجملة مقام الفاعل والمفعول الذي لم يسم فاعله قولان الجواز مطلقا والتفصيل بين ما تعلق بهذه الاية فيجوز فالزمخشري نحا نحوهم على قولهم واذا جعلنا اي الحزبين موصولة جاز ان يكون الفعل مسندا اليه في هذه القراءة ايضا كما جاز اسناده اليه في القراءة قبلها وقرئ ليعلم بضم الياء والفاعل الله تعالى والمفعول الاول محذوف تقديره ليعلم الله الناس واي الحزبين في موضع الثاني فقط ان كان عرفانية وفي موضع المفعولين ان كانت يقينية وفي هذه القراءة فائدتان احدهما ان على هذا التقدير لا يجب ظهور النصب في قوله اي لكن للقائل ان يقول الاشكال باق لان ارتفاع لفظة اي بالابتداء لا بالاسناد ليعلم اليه واجيب ان يجيب فنقول لا يجب امتناع اي لا يمتنع اجتماع عاملين على معمول واحد لان العوامل النحوية علامات ومعرفات ولا يمتنع اجتماع معرفات كثيرة على شيء واحد **قوله تعالى** احصى يجوز فيه وجهان احدهما انه افعل تفضيل وهو خبر لايهم وايهم استفهامية وهذه الجملة معلقة للعلم قبلها وهو واضح واحصى حال من لبثوا **قوله** لما لبثوا حال من امدا لانه لو تاخر عنه لكان نعتا له الثاني يجوز ان تكون اللام على بابها من العلة اي لاجل قاله ابو البقاء ويجوز ان تكون زائدة وما مفعوله اما باحصى على راي من يعمل افعل التفضيل في المفعول به واما باضمار فعل **قوله تعالى** امدا مفعول لبثوا او منصوب بفعل مقدر يدل عليه افعل وعند الجمهور منصوب بفعل يدل عليه افعل ذلك الوجه الثاني ان يكون احصى فعلا ماضيا اي ايهم ضبط امد الاوقات لبثهم وامدا مفعوله ولما لبثوا متعلق به او حال من امدا واللام فيه مزيدة وعلى هذا فامدا منصوب بلبثوا وما مصدرية او بمعنى الذي واختار الاول اعني كون احصى للتفضيل الزجاج والتبريزي واختار الثاني ابو علي والزمخشري وابن عطية فان قيل فما تقول فيمن جعله افعل التفضيل فالجواب ليس من وجه لسيبويه وذلك ان بناءه من غير الثلاثي ليس بقياس نحو اعدى من الجرب وافلس من ابن المذلق شاذ والقياس على الشاذ في غير القران ممتنع فكيف به ولان امدا اما ان ينتصب بافعل وافعل لا يعمل واما ان ينصب بلبثوا فلا يسد عليه المعنى فان زعمت اني انصبه بفعل مضمر يدل عليه كما اضمر في قوله اي الشاعر

واضرب منا بالسيوف القوانسا ۞ فقد ابعدت المتناول حيث ابيت ان يكون فعلا لقوله ۞ وقد رجعت مضطرا الى

وناقشه ابو حيان فقال اما دعواه انه شاذ فمذهب سيبويه خلافه وذلك ان افعل فيه ثلاثة مذاهب الجواز مطلقا ويعزى لسيبويه والمنع مطلقا وهو مذهب الفارسي والتفصيل بين ان يكون همزته للتعدية فيمتنع وبين ان لا يكون فيجوز وهذا ليست الهمزة فيه للتعدية واما قوله افعل لا يعمل فليس بصحيح لانه يعمل في التمييز

واما تمييز ذلك فامدا تمييز كما تقول زيد اقطع للهام سيفا **فصل** قال الزمخشري احوج الواحد
الي عدم جعله تمييزا مع ظهوره في بادي الراي عدم صحة معناه وذلك اي التمييز شرطه في هذا الباب ان يجيء
نسبة ذلك الوصف الذي نسبه قبله اليه ويتصف به الا تري الي امثاله في قوله زيد اقطع الناس سيفا كيف يصح
ان يسند اليه فيقال زيد قطع سيفه فاطلع الي غير ذلك وهنا ليس الاحتصار من صفة الامد ولا يصح نسبته
اليه وانما هو من صفات الحزبين وهو دقيق وان كان ابو حيان نقل عن ابي البقا نصبه علي التمييز وابو البقا
لم يذكر نصبه علي التمييز حال جعله احصي افعل التفضيل وانما ذكره لما جعله فعلا ماضيا قال ابو البقا
في احصي وجهان احدهما هو فعل ماض وامدا مفعول ولما لبثوا مفعول له او فيه وقيل حالا او مفعولا له اي
لاجل لبثهم وقيل اللام زايدة وما بمعني الذي وامدا مفعول لبثوا وهو خطا وانما الوجه ان يكون تمييزا والتقدير
لما لبثوا الوجه الثاني هو اسم وامدا منصوب بفعل دل عليه الاسم انتهي هذا تصريح بان امدا حال جعل احصي
اسما ليس تمييزا بل مفعولا به بفعل مقدر وانه جعله تمييزا عن لبثوا كما رايت ثم قال ابو حيان واما قوله ان ينتصب
بلبثوا فلا يسد عليه المعني اي لا يكون معناه سديدا وقد ذهب الطبري الي انه منصوب بلبثوا قال ابن عطية
وهو غير متجه انتهي وقد يتجه وذلك ان الامد هو الغاية ويكون عبارة عن المدة من حيث ان المدة غاية
هي امد المدة علي الحقيقة وما بمعني الذي وامدا منصوب علي اسقاط الحرف وتقديره لما لبثوا من امد اي من
مدة تفسيرا لما ابهم من لفظ ما كقوله تعالي ما ننسخ من اية ما يفتح الله للناس من رحمة ولما سقط الحرف وصل
اليه الفعل فقال ذلك **فصل** قال الشهاب الذي يكفيه ان مثل ابن عطية جعله غير متجه وعلي تقدير
ذلك فلا يتناول الطبري علي نصبه بلبثوا مفعولا له بل يجوز ان يكون علي نصبه تمييزا كما قال ابو البقا ثم قال
واما قوله فان رجعت الي اصم فنقول لا نحتاج الي ذلك لان لقايل ذلك ان يذهب مذهب الكوفيين في انه
ينصب القواني بفعل اضرب ولكن للداخل البعض نحاة ان اعلم ناصب في قوله اعلم من يضل وذلك ان افعل
مصدر وعلي مصدر اذا التقدير ويضربنا القوانس علي ضرب عيرنا قال الشهاب الدين هذا مذهب مرجوح
وافعل التفضيل ضعيف ولذلك قصر عن الصفة المشبهة باسم الفاعل حيث لم يونث ولم يثن ولم يجمع
انما جوز ابو البقا في اي ان تكون الموصولة واحصي خبر لمبتدا محذوف هو عايدها وان الضمة للبنا علي مذهب
سيبويه لوجود شرط البنا وهو اضافتها لفظا وحذف صدر صلتها وهذا انما يكون علي جعل العلم بمعني
المعرفان لانه ليس في الكلام الا مفعول واحد ونقل بر فيه لا حاجة اليه الا ان في اسناده علم
بمعني عرف اي عرف الي الله تعالي اشكالا قد تقدم تحريره في الانفال وغيرها واذا جعلناها فعلا امتنع
ان تكون موصولة اذ لا وجه لبنائها حينئذ وهو حسن **فصل** روي عطا عن ابن عباس ان المراد
بالحزبين الملوك الذين تداولوا المدينة ملكا بعد ملك فاصحاب الكهف حزب والملوك حزب وقال مجاهد
الحزبين من قوم الفتية لانهم لما انتبهوا اختلفوا في انهم كم ناموا لقوله تعالي قال قايل منهم كم لبثتم قالوا لبثنا
يوما او بعض يوم قالوا ربكم اعلم بما لبثتم وكان الذين قالوا ربكم اعلم هم الذين علموا بطول مكثهم وقال الفرا
هم طايفتان من المسلمين في زمان اصحاب الكهف اختلفوا في مدة لبثهم وقوله تعالي احصي لما لبثوا اي احفظ
لما مكثوا في كهفهم نياما امدا اي غاية وقال مجاهد عددا **قوله تعالي** نحن نقص عليك نباهم بالحق
الاية اي نقص عليك نباهم علي وجه الصدق **قوله تعالي** انهم فتية امنوا بربهم فيه التفات من التكلم
الي الغيبة اذ لو جاء علي نسق الكلام لقيل انهم فتية امنوا بنا **قوله تعالي** وزدناهم التفات من الغيبة
الي التكلم ايضا بمعني **قوله تعالي** وربطنا علي قلوبهم وشددنا علي قلوبهم والصبر هو التثبت اي وقويناهم
بنور الايمان حتي صبروا علي هجران ديار قومهم ومفارقة ما كانوا فيه من العيش وفروا بدينهم الي الكهف
والربط استعارة لتقوية كلمة من ذلك المكان الدحض **قوله تعالي** اذ قاموا منصوب بربطنا وفي هذا
القيام اقوال احدها قال مجاهد كانوا عظما مدينتهم فخرجوا فاجتمعوا وراء المدينة من غير ميعاد فقال اكبرهم
اني لاجد في نفسي شيا ان ربي رب السموات والارض فقالوا نحن كذلك في انفسنا فقاموا فقالوا جميعا ربنا
رب السموات والارض والثاني انهم قالوا بين يدي ملكهم دقيانوس حين عابهم علي ترك عبادة الصنم
فقالوا ربنا رب السموات والارض لن ندعو من دونه الها فثبت الله هولاء الفتية حتي عصوا ذلك الجبار
واقروا بربوبية الله الثالث قال عطا ومقاتل انهم قالوا ذلك عند قيامهم من النوم وهذا بعيد لان الله
تعالي استانف قصتهم فقال نحن نقص عليك **قوله تعالي** لقد قلنا اذا شططا اذا حرف جواب وجزا اي اذا

قلنا

قلنا ايضا لقد قلنا اذا شططا وشطوطا اي جاز وتجاوز وحد ومنه شط في السوم واشط اي جاوز القدر
حكاه الزجاج وغيره ومنه قوله تعالي ولا تشطط وشط المنزل اي بعد وشططت الجارية شطاطا اي طالت
من ذلك **فصل** قال الفرا ولم اسمع الا اشط يشط شطاطا فالشط البعد عن الحق قال ابن عباس
شططا اي جورا وقال قتادة كذبا وفي انتصابه ثلاثة اوجه الاول مذهب سيبويه النصب علي الحال
من غير مصدر قلنا الثاني انه نعت لمصدر اي قولا ذا شطط او هو الشطط نفسه مبالغة الثالث مفعول بقلنا
لتضمنه معني الجملة **قوله تعالي** هولاء قومنا اتخذوا من دونه الهة يجوز في قومنا ان يكون بدلا او بيانا
واتخذوا هو خبرها ولا يجوز ان يكون قومنا هو الخبر واتخذوا حالا واتخذ يجوز ان تتعدي لواحد بمعني عملوا
لانهم نحتوها بايديهم ويجوز ان تكون متعدية لاثنين بمعني صيروا ومن دونه هو الثاني قدم والهة هو الاول
وعلي الاول من الوجوه يجوز ان يتعلق باتخذوا وان يتعلق بمحذوف حالا من الهة اذ لو تاخر جاز ان يكون صفة
لالهة **قوله تعالي** لولا ياتون تحضيض فيه معني الانكار **قوله تعالي** عليهم اي علي عبادتهم واتخاذهم فحذف
المضاف للعلم به ولا يجوز ان تكون هذه الجملة التحضيضية صفة لالهة لفساده معني وصناعة لانها جملة طلبية
فان قيل اضمر قولا كقوله • جاوا بمذق هل رايت الذيب قط • فالجواب لم يساعد المعني لفساد عليه
فصل قال بعضهم هذا قول اصحاب الكهف يعنون اهل بلدهم هم الذين كانوا في زمن دقيانوس
عبدوا الاصنام لولا ياتون هلا ياتون عليهم بسلطان علي عبادتهم **قوله** بسلطان بحجة بينة واضحة ومعني
الكلام التنبيه بهذا الدليل علي عدم الشركاء والاضداد لعدم الدليل عليه ثم قال **قوله تعالي** فمن اظلم ممن
افتري علي الله كذبا وزعم ان له شريكا وولدا يعني ان الحكم بثبوت الشي مع عدم الدليل عليه ظلم وافتراء علي الله
وكذب وهذا من اعظم الدلايل علي فساد القول بالتقليد **قوله تعالي** واذ اعتزلتموهم منصوب بمحذوف
وقال بعضهم لبعض وهو اعتزالهم اي وقت اعتزالهم وجوز بعضهم ان يكون اذ للتعليل اي فاووا الي الكهف
لاعتزالكم اياهم ولا يصح **قوله تعالي** وما يعبدون الا الله يجوز في ما ثلاثة اوجه احدها ان
يكون بمعني الذي والعايد محذوف اي واعتزلتم الذي يعبدونه وهذا واضح والا الله يجوز ان يكون استثناء
متصلا فقد روي انهم كانوا يعبدون الاصنام فقط والمستثني منه يجوز ان يكون الموصول وان يكون عايده محذوف
والمعني واحد وان تكون مصدرية الثاني يجوز ان تكون مصدرية اي اعتزلتم عبادتهم اي تركتموها والا الله علي
حذف مضاف اي الا عبادة وفي الاستثناء الوجهان المتقدمان الثالث انها نافية وانه من كلام الله تعالي وعلي
هذا فهذه الجملة معترضة اثناء القصة واليه ذهب الزمخشري والا الله استثناء مفرغ اخبر الله عن الفتية انهم
لا يعبدون غيره وقال ابو البقا والثالث انه حرف نفي فيخرج في الاستثناء وجهان احدهما انه منقطع والثاني
متصل والمعني واذ اعتزلتموهم الا الله وما يعبدون الا الله فظاهر هذا الكلام ان الانقطاع والاتصال
في الاستثناء مترتبان علي القول بكون ما نافية وليس الامر كذلك **فصل** قال المفسرون ان اهل
الكهف قال بعضهم لبعض اذ اعتزلتموهم يعني قومكم وما يعبدون الا الله اي اعتزلتموهم وجميع ما يعبدون
الا الله فانكم لم تعتزلوا عبادته فانهم كانوا يعبدون الله ويعبدون معه الاوثان وقرا ابن مسعود وما
يعبدون من دون الله فاووا الي الكهف قال الفرا هو جواب اذ كما تقول اذ فعلت كذا فافعل كذا والمعني
اذهبوا اليه واجعلوه ماواكم ينشر لكم ربكم من رحمته اي يبسطها عليكم ويهيئ لكم يسهل لكم من امركم مرفقا
ما تعودون اليه **فصل** قرا الجمهور بكسر الميم وفتح الفاء وقرا نافع وابن عامر وعاصم وابو جعفر بالعكس
فيها الخلاف عند اهل اللغة فقيل هما بمعني واحد وهو مما يرتفق به وليس بمصدر وقيل هو بكسر الميم لليد
وبفتحها للامر وقد يستعمل كل منهما موضع الاخر حكاه الازهري عن ثعلب وانشد الفرا جمعا بين اللغتين
في الجارحة قوله • بتا جانحين في مرفقا عوم فتي • وقد يستعملان معا في الامر وفي الجارحة حكاه الزجاج
وحكي علي عن الفرا انه قال لا اعرف في الامر ولا في اليد ولا في كل شي الا كسر الميم وتنازع قراءة نافع والشاميين
يرد عليه وانكر الكسائي كسر الميم في الجارحة وقال لا اعرف فيه الا الفتح وهو عكس قول تلميذه ولكن خالفه
ابو حاتم وقال هو بفتح الميم الموضع كالمسجد وقال ابو زيد هو بفتح الميم مصدر جاء علي مفعل وقال بعضهم
هما لغتان فيما يرتفق به فاما الجارحة فبكسر الميم فقط وحكي عن الفرا انه قال اهل الحجاز يقولون مرفقا بفتح الميم
وكسر الفا فيما ارتفقت به ويكسرون مرفق الانسان والعرب بعد يكسرون الميم منهما جميعا واجاز معاذ فتح الميم والفا
مصدر كالضرب والقتال ومن امركم متعلق بالفعل قبله ومن لابتداء الغاية او للتبعيض وقيل هي بمعني بدل

قال ابن الانباري • فليت لنا من ماء زمزم شربة • مبردة باتت على طهمان • اي بدلا
ويجوز ان يكون حالا من مرفقا فيتعلق بمحذوف قوله تعالى وترى الشمس اي انت ايها المخاطب وليس المراد
ان من خوطب بهذا يرى هذا المعنى ولكن العادة في المخاطبة يكون على هذا النحو قوله تعالى اذا طلعت
تزاور عن كهفهم قرا ابن عامر ويعقوب تزور بسكون الزاي والباقون بتثقيلها فتزور بمعنى تميل من الزور
وهو الميل وزاره بمعنى مال اليه من قول الزور ميل عن الحق ومنه الازور وهو المائل بعينه وبغيرها
قال عمرو بن ابي ربيعة • وجنبي خيفة القوم ازور • وقيل تزور بمعنى تنقبض من ازورّ اي انقبض ومنه
قول عنترة • فازور من وقع القنا بلبانه • وشكى الي بعبرة وتحمحم • وقيل مال ومثله قول بشر بن ابي خازم
• يؤم بها الحداة مياه نخل وفيها عن ابانين ازورار •
اي ميل فاما تزاور وتزّاور فاصلهما تتزاور بتائين فالكوفيون حذفوا احدى التائين وغيرهم
ادغم وقد تقدم تحقيق هذا في تظاهرون وتساءلون ونحوهما ومعنى ذلك الميل ايضا وقرا ابو رجا
والجحدري وابن ابي عبلة وايوب السختياني تزوار بزنة تحمار وعبد الله وابو المتوكل وتزوئر بهمزة مكسورة
قبل راء مشددة واصلها تزوار كقراءة ابي رجا ومن معه وانما كره الجمع بين الساكنين فابدل الالف همزة
على حد ابدالها في جان ولا الضالين وقد تقدم تحقيقه في اخر الفاتحة واذا طلعت معمول لترى او لتزاور
وكذا اذا غربت معمول للاول او للثاني وهو تقرضهم والظاهر تعينه اذ للظرفية ويجوز ان تكون شرطية
ومعنى تقرضهم تقطعهم لا تقربهم من القطيعة والصرم قال ذو الرمة •
• الى ظعن يقرضن اقواز مشرف • شمالا وعن ايمانهن الفوارس •
والقرض القطع وتقدم تحقيقه في البقرة وقال الفارسي معنى تقرضهم تعطيهم من ضوئها فصل
شيئا ثم تزول سريعا فالقرض يسترد وقد ضعف قوله بانه كان ينبغي ان يقول تقرضهم بضم التاء لانه من اقرض
وقرا يقرضهم بالياء من تحت اي الكهف وفي الفتح الفعلين ففاعلهما والاولى ان يعود على الشمس ويعود كقوله
ولا ارض ابقل ابقالها • وهو قول ابن كيسان وذات اليمين وذات الشمال ظرفا مكان بمعنى جهة اي جهة اليمين
وجهة الشمال فصل قال المفسرون تزاور بمعنى تميل وتعدل عن كهفهم ذات اليمين اي جهة اليمين
واصل ذات اليمين صفة اقيمت مقام لانها تانيث ذو في قولهم رجل ذو مال وامراة ذات مال فكانه قال
تزاور عن كهفهم جهة ذات اليمين واذا غربت تقرضهم جهة ذات الشمال قال الكسائي قرضت المكان اي عدلت عنه
وقال ابو عبيد القرض في اشياء منها القطع وكذلك السير في البلاد اذا قطعتها تقول لصاحبك هل وردت موضع
كذا فيقول المجيب انما قرضته فقوله تعالى تقرضهم ذات اليمين اي تعدل عن سمت رؤوسهم الى جهة الشمال فصل
قال بعضهم هاهنا قولان الاول قال قتيبة وغيره كان كهفهم مستقبل بنات نعش لا تقع فيه الشمس عند الطلوع ولا عند
الغروب ولا فيما بين ذلك وكان الهواء الطيب والنسيم الطيب والموافق يصل اليهم فلاجرم بقيت اجسادهم
مصونة من العفونة والفساد والثاني ان الله تعالى منع ضوء الشمس من الوقوع عليهم عند طلوعها وكذا عند غروبها
وكان ذلك فعلا خارقا للعادة وكرامة عظيمة خص الله بها اصحاب الكهف قال الزجاج واحتج على صحته بوقوع ذلك
امر معتادا مالوفا ولم يكن من ايات الله تعالى ثم قال تعالى وهم في فجوة منه اي متسع من الكهف وجمعها فجوات
فصل قال ابو عبيدة ومنه الحديث فاذا وجد فجوة نص وقال غيره الفجوة المتسع من الفجا وهو تباعد
الحدب يقال رجل افجا وامراة فجوا وجمع الفجوة فجا كقصعة وقصاع وقوله تعالى وهم في فجوة منه جملة حالية
اي نفعل هذا مع اتساع مكانهم وهو اعجب لحالهم اذ كان ينبغي ان تصيبهم الشمس لاتساع مكانهم فصل
قال المفسرون اختار الله لهم مضجعا في متسع لا تدخل عليهم الشمس فتؤذيهم بحرها وتغير الوانهم وهم في متسع
ينالهم برد الريح ويدفع عنهم كرب الغار قوله تعالى ذلك مبتدا اشار به الى جميع ما تقدم من قصتهم وقيل
ذلك اشارة الى ذلك الحفظ الذي حفظهم الله تعالى في ذلك الغار المدة الطويلة قوله تعالى من ايات الله العجيبة
الدالة على قدرته وبدايع حكمته ومن ايات الله الخبر ويجوز ان يكون ذلك خبر مبتدا محذوف اي الامر ذلك ثم بين تعالى
انه كما ابقاهم هذه المدة الطويلة مصونين عن الموت والهلاك من لطفه وكرمه فكذلك رجوعهم اولا من الكفر ورغبتهم
في الايمان كان من رعاية الله ولطفه قوله تعالى من يهدي الله فهو المهتدي مثل اصحاب الكهف قوله تعالى
ومن يضلل اي من يضلله الله ولم يرشده كدقيانوس واصحابه فلن تجد له وليا مرشدا قوله تعالى وتحسبهم
ايقاظا اي ولو رايتهم لحسبتهم وقال شهاب الدين لا حاجة الى هذا التقدير قوله تعالى ايقاظا جمع يقظ بضم القاف ويجمع على

ايقاظ ويقظ وايقاظ كعضد واعضاد ويقظ وايقاظ كرجل ورجال فظاهر كلام الزمخشري انه يقال
يقظ بالكسر لانه قال وايقاظ جمع يقظ كانكاد في نكد وقال الاخفش وابو عبيدة والزجاج ايقاظ جمع يقظ ويقظان
وانشد ذو الرمة • ووجدوا اخوتهم ايقاظا • وقال البغوي ايقاظا جمع يقيظ ويقظ واليقظة
الانتباه ضد النوم قال الواحدي وانما يحسبون ايقاظا كانت اعينهم منفتحة وهم نيام وقال الزجاج لكثرة تقلبهم
يظن انهم ايقاظا لقوله تعالى ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال والرقود جمع راقد كقاعد وقعود فصل
اختلفوا في مقدار مدة التقليب فعن ابي هريرة رضي الله عنهم ان لهم في كل عام تقليبتين وعن مجاهد يمكثون رقودا
على ايمانهم تسع سنين ثم ينقلبون على شمائلهم فيمكثون تسع سنين وقيل لهم تقليبة واحدة في يوم عاشوراء قال ابن الخطيب
وهذه التقديرات لا سبيل للعقل اليها والقران لا يدل عليها وما جاء فيه خبر صحيح فكيف يعرف وقال ابن عباس
فائدة تقليبهم لئلا تاكل الارض لحومهم وتبليهم قال ابن الخطيب عجبت من ذلك لان الله تعالى قدر على ان يمسك حياتهم
ثلاثمائة سنة واكثر فلم لا يقدر على حفظ اجسامهم من غير تقليب قوله تعالى ونقلبهم قرا العامة نقلبهم مضارعا
مسندا للمعظم نفسه وقرا ايضا بالياء من تحت اي الله والملك وقرا الحسن يقلبهم بالياء من تحت ساكن القاف مخفف اللام
وفاعله اما الله او الملك وقرا ايضا بفتح الياء وفتح اللام مشددة مصدر تقلب كقوله وتقلبك في الساجدين ونصب
وخرجه ابو الفتح على اضمار فعل اي وترى تقلبهم او نشاهد تقلبهم وروي عنه ايضا رفع الباء على الابتداء والخبر الظرف
بعده ويجوز ان يكون محذوفا اي اية عظيمة وقرا عكرمة وتقلبهم بتاء التانيث مضارع قلب مخففا وفاعله ضمير الملائكة
المدلول عليهم بالسياق وقوله تعالى ذات منصوبة على الظرف لان المعنى ونقلبهم في ناحية اليمين او على ناحية الشمال
كما تقدم في قوله تزاور عن كهفهم ذات اليمين قوله تعالى وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد قرا العامة كلبهم
وقرا جعفر الصادق كالبهم اي صاحب كلبهم كلابن وتامر ونقل ابو عمرو الزاهد غلام ثعلب وكالبهم بهمزة مضمومة
اسم فاعل من كلا يكلا اي حفظ يحفظ وباسط اسم فاعل ماض وانما عمل على حكاية الحال والكسائي يعمله ويستشهد
بالاية والوصيد الباب قاله ابن عباس والسدي وقيل العتبة والكهف لا يكون له باب ولا عتبة وانما اراد موضع الباب
وقال الزجاج الوصيد فناء البيت وفناء الدار قال الشاعر •
• بارض فضاء لا يسد وصيدها • علي ومعروفي بها غير منكر •
وجمعه وصائد ووصد وقيل الوصيد الصعيد والتراب فان قيل قال يونس والاخفش والفراء الاصيد والوصيد
لغتان مثل الوكاف والاكاف وقال مجاهد والضحاك الوصيد الكهف فالجواب اكثر المفسرين على ان الكلب
كان من جنس الكلاب وروي عن ابن جريج انه كان اسدا ويسمى الاسد كلبا فان النبي صلى الله عليه وسلم دعا على عتبة
ابن ابي لهب فقال اللهم سلط عليه كلبا من كلابك فافترسه الاسد قال ابن عباس كان كلبا اغر واسمه قطمير وعن كان اسمه
ريان وقال الاوزاعي نتوكا الخليج وقال السدي نور وقال كعب صهبا وقال مقاتل كان كلبا اصفر وقال الكلبي لونه
كالخليج وقيل غير ذلك قال خالد بن معدان ليس في الجنة من الدواب سوى كلب اهل الكهف وحمار بلعم قال ابن عباس
واكثر المفسرين انهم هربوا من ملكهم فمروا براع معه كلب فتبعهم على دينهم ومعه كلبه وقال الكلبي مروا بكلب فنبح عليهم
فطردوه فعاد ففعلوا ذلك مرارا ثم قال الكلب لهم لا تخشوا جانبي فاني احب احباء الله فناموا حتى احرسكم
فصل قال عبيد بن عمير كان ذلك كلب صيدهم ومعنى باسط ذراعيه اي القاها على الارض مبسوطتين
غير مقبوضتين ومنه قوله صلى الله عليه وسلم اعتدلوا في السجود ولا يبسط احدكم ذراعيه انبساط الكلب قال
المفسرون كان الكلب بسط ذراعيه وجعل وجهه عليهما قوله تعالى لو اطلعت العامة على كسر الواو من لو اطلعت
على اصل التقاء الساكنين وقراها مضمومة ابو جعفر وشيبة ونافع وابن وثاب والاعمش تشبيها بواو الضمير وتقدم
تحقيقه قوله تعالى لوليت منهم فرارا لما البسهم الله من الهيبة حتى لا يصل اليهم احد حتى يبلغ الكتاب اجله
فيوقظهم الله من رقدتهم قوله تعالى فرارا يجوز ان يكون منصوبا على المصدر من معنى الفعل لان التولي والفرار
بمعنى واحد وهما من واد واحد ويجوز ان يكون مصدرا في موضع الحال اي فارا ويكون حالا مؤكدة ويجوز ان
يكون مفعولا له قوله تعالى ولملئت منهم رعبا قرا ابن كثير ونافع لملئت بالتشديد على التكثير وابو جعفر
وشيبة كذلك الا انه بابدال الهمزة ياء والزهري بتخفيف اللام والابدال وهو ابدال قياسي والباقون
بتخفيف اللام ورعبا مفعول ثان وقيل تمييز قال الاخفش الخفيفة اجود في كلام العرب يقولون ملاتني رعبا
ولا يكادون يعرفون ملاتني ويدل على هذا اكثر استعمالهم كقوله • فتملا بيتنا اقطا وسمنا •
وقال الاخر • ومن مالئ عينيه من شيء غيره • اذا راح نحو الجمرة البيض كالدمى •

وقول الآخر * لأملأن الدلو وعرقيها * وقول الآخر * امتلأ الحوض وقال قطني * وقد جاء التثقيل أيضاً أنشد للمخبل السعدي * وإذ فتك النعمان بالناس محرماً * فملئ من عوف بن كعب سلاسله * وقرأ ابن عامر والكسائي رعباً بضم العين في جميع القرآن والباقون بالإسكان **فصل** اختلفوا في ذلك الرعب كان ماذا فقيل من وحشة المكان قال الكلبي مفتحة كالمستيقظ الذي يريد أن يتكلم وهم نيام وقيل لكثرة شعورهم وطول أظفارهم وتقلبهم من غير حس كالمستيقظ وقيل إن الله تعالى منعهم بالرعب لئلا يراهم أحد وروي عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال غزونا مع معاوية نحو الروم فمررنا بالكهف الذي فيه أصحاب الكهف فقال معاوية لو كشف لنا عن هؤلاء لنظرنا إليهم فقال ابن عباس قد منع ذلك من هو خير منك لو اطلعت عليهم لوليت منهم فراراً ولملئت منهم رعباً فبعث معاوية ناساً فقال اذهبوا فانظروا فلما دخلوا الكهف بعث الله عليهم ريحاً فأخرجتهم **قوله تعالى** وكذلك بعثناهم الكاف نعت لمصدر محذوف أي كما أنمناهم تلك النومة كذلك بعثناهم إذ كان ذا قدرته والإشارة بذلك إلى المصدر المفهوم من قوله تعالى فضربنا أي مثل جعلنا إنامتهم هذه المدة المتطاولة آية جعلنا بعثهم آية قاله الزجاج والزمخشري **قوله تعالى** ليتساءلوا اللام متعلقة بالبعث وقيل هي للصيرورة لأن البعث لم يكن للتساؤل قال ابن عطية والصحيح أنها على بابها من التسبيب **قوله تعالى** كم لبثتم منصوبة على الظرف والمميز محذوف تقديره كم يوماً لدلالة الجواب عليه وأو في قوله أو بعض يوم للشك منهم وقيل للتفصيل أي قال بعضهم كذا وبعضهم كذا **فصل** المعنى كما أنمناهم في الكهف وحفظنا أجسامهم من البلى على طول الزمان فكذلك بعثناهم من النوم الذي يشبه الموت فإن قيل هل يجوز أن يكون الغرض من بعثهم أن يتساءلوا ويتنازعوا فالجواب لا يبعد ذلك لأنهم إذا تساءلوا انكشف لهم من قدرة الله أمور عجيبة وذلك أمر مطلوب قال ابن الخطيب ثم قال تعالى **قوله تعالى** قال قائل منهم وهو رئيسهم واسمه مكسلمينا **قوله تعالى** كم لبثتم في نومكم أي كم مقدار لبثنا في هذا الكهف **قوله تعالى** قالوا لبثنا يوماً أو بعض يوم قال المفسرون إنهم دخلوا الكهف غدوة وبعثهم الله في آخر النهار فلذلك قالوا يوماً فلما رأوا الشمس قالوا أو بعض يوم فلما نظروا إلى شعورهم وأظفارهم قالوا أي علموا أنهم لبثوا أكثر من يوم **قوله تعالى** قالوا ربكم أعلم بما لبثتم قيل إن رئيسهم مكسلمينا لما سمع الاختلاف بينهم قال دعوا الاختلاف **قوله تعالى** فابعثوا أحدكم بورقكم هذه يعني تمليخا قال ابن عباس **قوله تعالى** بورقكم حال من أحدكم **قوله تعالى** هذه أي مصاحباً لها وملتبساً بها وقرأ أبو عمرو وحمزة وأبو بكر بفتح الواو وسكون الراء وباقي السبعة بكسر الراء والكسر هو الأصل والتخفيف تسكين كنبق في نبق وحكى الزجاج كسر الواو وسكون الراء وهو نقل وهذا كما يقال كبد وكبد وقرأ أبو رجاء وابن محيصن كذلك إلا أنه بإدغام القاف واستضعفوها من حيث الجمع بين ساكنين على غير حدهما وقد تقدم في المتواتر ما يشبه هذه نحو لا تعدوا في السبت والخلد جزاء وقرأ أمير المؤمنين بوارقكم اسم فاعل أي صاحب ورق كلابن وقيل هو اسم جمع كحامل وباقر والورق الفضة المضروبة وقيل الفضة مطلقاً مضروبة كانت أو غير مضروبة ويدل عليه ما روي أن عرفجة اتخذ أنفاً من ورق **فصل** قال الفراء والزجاج فيه ثلاث لغات * ورق * وورق * مثل كبد * وكبد * قال الفراء وكسر الواو أرداها ويقال الرقة بحذف الواو وفي الحديث في الرقة ربع العشر وجمعت مثل ذا جمع المذكر السالم فالجواب الرقين يعطي وأقوا الأسنين قال المفسرون كانت معهم دراهم عليها صورة الملك الذي كان في زمانهم **قوله تعالى** إلى المدينة وهي التي يقال لها اليوم طرسوس وكان اسمها في الجاهلية أفسوس وهذه الآية تدل على أن السعي في إمساك الزاد أمر مشروع **قوله تعالى** فلينظر أيها أزكى طعاماً يجوز في أي أن تكون استفهامية وأن تكون موصولة قال الزجاج أيها رفع بالابتداء وأزكى خبره وتقدم الحكم على نظيرها في قوله أيهم أحسن عملاً ولا بد هاهنا من حذف أي أيها أزكى بفعل وطعاماً تمييز أي لا يكون من غصب أو سبب حرام وقيل لا حذف والضمير عائد على الأطعمة المدلول عليها من السياق قيل أمروه أن يطلب ذبيحة مؤمن ولا يكون من ذبيحة من يذبح لغير الله وكان فيهم مؤمنون يكتمون إيمانهم **فصل** قال الضحاك أزكى طعاماً أي أطيب وقال مقاتل أجود وقال عكرمة أكثر وأصل الزكاة النمو والزيادة وقيل أرخص طعاماً **قوله تعالى** فليأتكم برزق منه أي قوت وطعام تأكلونه **قوله تعالى** وليتلطف قرأ العامة بسكون لام الأمر والحسن بكسرها على الأصل **قوله تعالى** ولا يشعرن بفتح الياء وضم العين **قوله تعالى** بكم أحداً فاعل به ومعنى وليتلطف أي يكون في سترة وكتمان في دخول المدينة وشراء الطعام ولا يشعرن بكم أحداً أي لا يخبرن بمكانكم أحداً من أهل المدينة **قوله** إنهم هذا الضمير يجوز أن يكون عائداً على قومهم لدلالة السياق عليهم وقرأ زيد بن علي يظهرون مبنياً للمفعول **قوله تعالى**

يظهروا عليكم أي يطلعوا ويعلموا وقيل أو يشرفوا على مكانكم أو على أنفسكم من قولهم ظهرت على فلان إذا علوته وظهرت على السطح إذا صرت فوقه ومنه قوله تعالى فأصبحوا ظاهرين أي غالبين وقوله تعالى ليظهره على الدين كله **قوله تعالى** يرجموكم قال ابن جريج يشتموكم ويؤذوكم بالقول وقيل يقتلوكم والرجم بالحجارة والرجم أخبث القتل قاله الزجاج **قوله تعالى** أو يعيدوكم في ملتهم أي يردوكم إلى دينهم **قوله تعالى** ولن تفلحوا إذاً أبداً أي إن رجعتم إلى دينهم لم تسعدوا في الدنيا ولا في الآخرة وإذاً جواب وجزاء أي إن يظهروا فلن تفلحوا وقال الزجاج لن تفلحوا إذا رجعتم إلى ملتهم أبداً فإن قيل أليس أنهم لو أكرهوا على الكفر فأظهروا الكفر لم يكن عليهم مضرة فكيف قالوا ولن تفلحوا إذاً أبداً فالجواب يحتمل أن يكون المراد أنهم لو ردوا إلى الكفر وبقوا مظهرين له فقد يميل بهم ذلك إلى الكفر ويصيروا كافرين حقيقة فكان تخوفهم من هذا الاحتمال **قوله تعالى** وكذلك أعثرنا عليهم أي كما أنمناهم وبعثناهم لما فيه من الحكم الظاهرة أعثرنا أي أطلعنا وتقدم الكلام على مادة عثر في المائدة فقال عثرت على كذا أي علمته أن من كان غافلاً عن شيء فعثر به نظر إليه فعرفه فكان العثار سبباً لحصول العلم فأطلق اسم السبب على المسبب **قوله تعالى** ليعلموا متعلق بأعثرنا والضمير قيل يعود على مفعول أعثرنا المحذوف تقديره أعثرنا الناس وقيل يعود على أهل الكهف **فصل** اختلفوا في السبب الذي عرف الناس به واقعة أصحاب الكهف فقيل لطول شعورهم وأظفارهم بخلاف العادة وظهرت في بشرة وجوههم آثار عجيبة تدل على أن مدتهم طالت طولاً بخلاف العادة وقيل لما ذهب أحدهم إلى المدينة ليشتري الطعام أخرج الدراهم لثمن الطعام فقال صاحب الطعام هذه النقود غير موجودة في هذا الزمان وإنما كانت موجودة قبل هذا الوقت بمدة مديدة فكأنك وجدت كنزاً فحملوه إلى ملك تلك المدينة فقال له إني وجدت تلك الدراهم فقال بعت بها أمس تمراً وخرجنا فراراً من الملك فعرف الملك أنه ما وجد كنزاً وأن الله بعثه بعد موته ومعنى قوله ليعلموا أن وعد الله حق أي إنما أطلعنا القوم على أحوالهم ليعلم القوم أن وعد الله حق بالبعث والنشر فإن ملك ذلك الزمان كان منكر البعث فجعل الله أمر الفتية دليلاً للملك وقيل اختلف أهل ذلك الزمان فقال بعضهم الروح والجسد يبعثان جميعاً وقال آخرون إنما تبعث الروح منه فكان الملك يتضرع إلى الله أن يظهر له آية يستدل بها على الحق في هذه المسألة فأطلعه الله على أصحاب الكهف فاستدل بهم على صحة بعث الأجساد لأن انتباههم بعد ذلك النوم الطويل يشبه من يموت ثم يبعث **قوله تعالى** إذ يتنازعون يجوز أن يعمل فيه أعثرنا أو ليعلموا أو معنى حق أو وعد أو يتسع في الظرف وأما من لا يتسع فلا يجوز عنده الإخبار عن الموصول قبل تمام صلته واختلف في هذا التنازع فقيل كانوا يتنازعون في صحة البعث فاستدل القائلون بصحته بهذه الواقعة وقالوا كما قدر الله على حفظ أجسادهم ثلاثمائة وتسع سنين فكذلك يقدر على حشر الأجساد بعد موتها وقيل إن بعضهم قال سد عليهم باب الكهف لئلا يدخل إليهم أحد ويقف على أحوالهم وقال آخرون على باب الكهف مسجداً وهذا القول يدل على أن هؤلاء القوم كانوا عارفين بالله ويعترفون بالعبادة والصلاة وقيل إن الكفار قالوا إنهم على ديننا فنتخذ عليهم بنياناً وقال المسلمون هم على ديننا فنتخذ عليهم مسجداً وقيل تنازعوا في مقدار مكثهم وقيل تنازعوا في عددهم وأسمائهم وبنياناً يجوز أن يكون مفعولاً به جمع بنيانة وأن يكون مصدراً ربهم أعلم بهم يجوز أن يكون من كلام الله تعالى وأن يكون من كلام المتنازعين ثم قال تعالى قال الذين غلبوا على أمرهم قيل هو الملك المسلم واسمه تندوسيس وقيل رؤساء البلد وقرأ عيسى الثقفي والحسن بضم الغين وكسر اللام **قوله تعالى** لنتخذن عليهم مسجداً يعبد الله فيه ويبقى آثار أصحاب الكهف بسبب ذلك المسجد **قوله تعالى** سيقولون ثلاثة قيل إنما أتى بالسين لأن في الكلام طياً وإدماجاً تقديره فإذا أجبتهم عن سؤالهم عن قصة أهل الكهف فسلهم فإنهم سيقولون ويجاب بأن بقية الأفعال لأنها معطوفة على ما فيه السين فأعطيت حكمه من الاستقبال وقرأ ابن عطية وابن محيصن ثلاث بضم الثاء وقرأ ابن محيصن ثلاث بإدغام الثاء المثلثة في تاء التأنيث لقرب مخرجيهما ولأنهما مهموستان ولأنهما بعد ساكن معتل **قوله تعالى** رابعهم كلبهم الجملة في محل رفع صفة لثلاثة **قوله تعالى** ويقولون خمسة قرأ ابن كثير في رواية بفتح الميم وهي لغة كعشرة وقرأ ابن محيصن بكسر الخاء والميم وبإدغام التاء في السين يعني تاء خمسة في سين سادسهم وهي قراءة ثقيلة جداً لتوالي كسرتين وثلاث سينات قال شهاب الدين ولا أظن مثل هذه إلا غلطاً على مثله وروي عنه إدغام التنوين في السين من غير غنة وثلاثة وخمسة وسبعة أخبار لمبتدأ محذوف مضمر أي هم ثلاثة وهم خمسة وهم سبعة وما بعد ثلاثة وخمسة من الجملة صفة لها كما تقدم ولا يجوز أن يكون النعت هو لا ثلاثة

وهؤلاء خمسة ويكون القايل اسم الاشارة او التنبيه قال ابو البقا لانه اشارة الى حاضر **قوله تعالى** رجما بالغيب فيه اربعة اوجه احدها انه مفعول لاجله يقولون ذلك لاجل الرجم بالغيب والثاني انه في موضع الحال اي ظانين الثالث انه منصوب بيقولون لانه بمعناه الرابع انه منصوب بمقدر من لفظه اي يرجمون بذلك رجما والرجم في الاصل الرمي بالرجام وهي الحجارة الصغار ثم عبر به عن الظن قال زهير

• وما الحرب الا ما علمتم وذقتم • وما هو عنها بالحديث المرجم •

اي المظنون **قوله تعالى** وثامنهم في هذه الواو اوجه احدها انها عاطفة عطفت هذه الجملة على قولهم هم سبعة فيكونون قد اخبروا بخبرين الاول انهم سبعة رجال على البت والثاني ان ثامنهم كلبهم وهذا يؤذن ان جملة قوله وثامنهم كلبهم المتنازع فيهم الثاني ان الواو للاستيناف وانه من كلام الله عز وجل اخبر عنهم بذلك قال هذا القايل وجي بالواو ليعطي انقطاع هذا مما قبله الثالث انها الواو الداخلة على الصفة تاكيدا ودلالة على لصوق الصفة بالموصوف واليه ذهب الزمخشري ونظره بقوله تعالى من قرية الا ولها كتاب معلوم ورد ابو حيان عليه الرابع ان هذه واو الثمانية وان لغة قريش اذا عدوا يقولون خمسة ستة سبعة وثمانية تسعة فيدخلون الواو على عقد الثمانية خاصة ذكر ذلك ابن خالويه وابو بكر راوي عاصم وقد قال ذلك بعضهم في قوله تعالى وفتحت ابوابها في الزمر فقال دخلت في ابواب الجنة لانها ثمانية ولذلك لم يجا بها في ابواب جهنم لانها سبعة وسناتي ان شاء الله تعالى قال اصحاب هذا القول ان السبعة عند العرب اصل في المبالغة في العدد ان تستغفر لهم سبعين مرة ولما كان كذلك فلما وصلوا الى الثمانية ذكروا لفظا يدل على الاستيناف فقال وثامنهم فجاء هذا الكلام على هذا القانون قالوا ويدل عليه قوله تعالى والناهون عن المنكر لان هذا هو العدد الثامن من الاعداد المتقدمة وقوله تعالى حتى اذا جاوها وفتحت ابوابها لان ابواب الجنة ثمانية وقوله تعالى ثيبات وابكارا هو العدد الثامن مما تقدم قال القفال وهذا ليس بشي لقوله تعالى هو الله الذي لا اله الا هو الملك القدوس السلام المومن المهيمن العزيز الجبار المتكبر ولم يذكر الواو في النعت الثامن وقري كالبهم اي صاحب كلبهم ولهذه القراءة قدر بعضهم في قراءة العامة وثامنهم صاحب كلبهم وثلاثة وسبعة وخمسة مضافا فالعدد محذوف فقدره ابو حيان ثلاثة اشخاص قال وانما قدرنا اشخاصا لان رابعهم اسم فاعل اضيف الى الضمير والمعنى انه ربعهم اي جعلهم اربعة وصيرهم الى هذا العدد فلو قدرنا رجالا استحال ان يصير ثلاثة رجال اربعة لاختلاف الجنسين وهو كلام حسن **فصل** قال ابو البقا ولا يعمل اسم الفاعل هنا لانه ماض يعني ان رابعهم فيما مضى فلا يعمل النصب تقديرا والاضافة محضة وليس كما زعم فان المعنى على تصيير الكلب لهم اربعة فهو ناصب تقديرا وانما عمل وهو ماض لحكاية الحال كباسط **فصل** روي ان السيد والعاقب واصحابهما من نصارى نجران كانوا عند النبي صلى الله عليه وسلم فجرى ذكر اصحاب الكهف فقال السيد وكان يعقوبيا كانوا ثلاثة رابعهم كلبهم وقال العاقب وكان اسمه نسطوريا كانوا خمسة سادسهم كلبهم وقال المسلمون كانوا سبعة وثامنهم كلبهم فحقق الله قول المسلمين بعد ما حكى قول النصارى فقال سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم ويقولون خمسة سادسهم كلبهم رجما بالغيب ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم قوله تعالى رجما بالغيب اي ظنا وحدسا من غير يقين ولم يقل هذا في السبعة فقال ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم **فصل** قال اكثر المفسرين هذا هو الحق ويدل عليه وجوه الاول ان الواو في قوله وثامنهم هي الواو التي تدخل على الجملة الواقعة حالا عن المعرفة في قولك جاءني رجل ومعه اخر ومررت بزيد ومعه سيف ومنه قوله تعالى وما اهلكنا من قرية الا ولها كتاب معلوم وفايدته تاكيد لصوق الصفة بالموصوف والدلالة على اتصافه بها امر ثابت مستقر فكانت هذه الواو دالة على ان الذين كانوا في الكهف كانوا سبعة وثامنهم كلبهم الثاني انه تعالى خص هذا الموضع بهذا الحرف الزايد فوجب ان يحصل به كلبهم الثاني انه تعالى خص هذا الموضع بهذا الحرف الزايد فوجب ان يحصل به فايدة الثالث انه تعالى اتبع القولين بقوله رجما بالنصب ولم يقله في السبعة وتخصيص الشي بالوصف يدل على ان الحال في الثاني بخلافه وانما قالهما في كونه رجما بالغيب الرابع انه قال بعده ربي اعلم بعدتهم ما يعلمهم الا قليل فدل على ان هذا القول ممتاز عن القولين الاولين بمزيد القوة والصحة الخامس انه تعالى قال ما يعلمهم الا قليل فدل انه حصل العلم بعدتهم لذلك القليل وكل من قال من المسلمين قولا في هذا الباب قال انهم كانوا سبعة وثامنهم كلبهم يوجب ان يكون المراد من ذلك الدليل هؤلاء الذين قالوا هذا القول وكان علي رضي الله

لعله على لصوق الصفة بالموصوف

صفة للنكرة كادخار على الجملة الواقعة م

عنه يقول كانوا سبعة وثامنهم كلبهم يوجب ان يكون المراد من ذلك الدليل هؤلاء الذين قالوا هذا القول وعن علي ايضا انهم مكسلمينا • تمليخا • وهؤلاء كانوا اصحاب يمين الملك • وعن يساره • مرنوش • دبرنوش • شاذنوش • وكان الملك يستشير هؤلاء الستة ويصرف في مهماته وروي عن ابن عباس انه قال انا من هذا العدد القليل السادس انه تعالى لما قال سبعة وثامنهم كلبهم قال ربي اعلم بعدتهم ما يعلمهم الا قليل والظاهر انه لما حكى الاقوال الباطلة ولم يذكر ما هو الحق فثبت ان جملة الاقوال المحقة والباطلة ليست الا هذه الثلاثة ثم خص الاولين بانه رجما بالغيب فوجب ان يكون الحق هو الثالث السابع انه تعالى قال لرسوله عليه الصلاة والسلام فلا تمار فيهم الا مراء ظاهرا ولا تستفت فيهم منهم احدا فمنعه من المناظرة معهم في هذا الباب وهذا انما يكون لو حكم هذه القاعدة اي الواقعة ويبعد ان يحصل العلم بذلك لغير النبي صلى الله عليه وسلم ولا يحصل للنبي عليه الصلاة والسلام فعلمنا ان العلم بهذه الواقعة حصل للنبي صلى الله عليه وسلم والظاهر انه لم يحصل ذلك الا بالوحي لان الاصل في ما سواه العدم فيكون الامر بذلك ويكون الحق قوله سبعة وثامنهم كلبهم وهذه الوجوه وان كان فيها بعض الضعف الا انه لما تقوى بعضها ببعض حصل فيها تمام وكمال **فصل** في الاية حذف تقديره سيقولون هم ثلاثة فحذف المبتدأ لدلالة الكلام عليه ثم قال تعالى قل ربي اعلم بعدتهم اي عددهم ما يعلمهم الا قليل وهذا هو الحق لان العالم بتفاصيل كاينات العالم وحوادثه في الماضي والمستقبل لا يحصل الا عند الله وعند من اخبره الله منها ثم لما ذكر تعالى هذه القصة نهى رسوله صلى الله عليه وسلم عن المراء والاستفتاء فقال فلا تمار فيهم الا مراء ظاهرا اي لا تجادل ولا تقل في عددهم وشانهم الا مراء ظاهرا اي ما قصصنا عليك فقف عنده ولا تستفت فيهم منهم احدا اي من اهل الكتاب اي لا ترجع الى قولهم بعد ان اخبرناك فانه ليس عندهم علم في هذا الباب الا رجما بالغيب **فصل** واعلم ان نفاة القياس تمسكوا بهذه الاية قالوا لان قوله رجما بالغيب كانه قيل ظنا بالغيب لانهم اكثروا ان يقولوا رجما بالظن مكان قولهم ظن حتى لم يبق عندهم فرق بين العبارتين كما قال • وما هو عنها بالحديث المرجم • اي المظنون ثم انه تعالى لما ذم هذه الطريقة رتب عليها المنع من استفتاء هؤلاء الظانين فدل على ان الفتوى بالمظنون غير جايز عند الله تعالى ونقل جوابه **قوله تعالى** ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله وذلك ان اهل مكة سالوه عن الروح وعن اصحاب الكهف وعن ذي القرنين فقال اخبركم غدا ولم يقل ان شاء الله تعالى فلبث الوحي اياما ثم نزلت هذه الاية **فصل** اعترض القاضي على هذا الكلام الاول ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان عالما بانه اذا اخبر بانه سيفعل الفعل الفلاني غدا فربما جاءته الوفاة قبل الغد وربما عاقه عايق عن ذلك الفعل غدا واذا كانت هذه الامور محتملة فلو لم يقل ان شاء الله خرج الكلام مخالفا عليه وذلك يوجب التنفير عنه اما اذا قال ان شاء الله كان محترزا عن هذا المحذور المذكور واذا كان كذلك كان من البعيد ان يعد بشي ولم يقل ان شاء الله الثاني ان هذه الاية مشتملة على فوايد كثيرة واحكام جمة فيبعد قصرها على هذا السبب اجاب عن الاول لا يمتنع ان الاولى ان يقول ان شاء الله الا انه ربما اتفق له نسيان قول ان شاء الله بسبب من الاسباب وكان ذلك من باب ترك الاولى والافضل واجاب عن الثاني بان اشتماله على الفوايد الكثيرة لا يمنع ان يكون نزوله بسبب واحد منها **قوله تعالى** الا ان يشاء الله قال ابو البقا المستثنى منه على ثلاثة اوجه الاول هو النهي والمعنى لا تقولن افعل هذا الا ان يؤذن لك في القول الثاني من فاعل اي لا تقولن اني فاعل هذا غدا حتى تقرن به قول ان شاء الله الثالث انه منقطع وموضع ان يشاء الله نصب على وجهين احدهما على الاستثناء والتقدير لا تقولن ذلك في وقت الا وقت ان يشاء الله اي ياذن فحذف الوقت وهو المراد الثاني وهو حال والتقدير لا تقولن افعل غدا الا قايلا ان شاء الله وحذف القول كثير وجعل قوله الا ان يشاء في معنى ان شاء وهو مما حمل على المعنى وقيل التقدير الا بان يشاء الله اي الا ملتبسا بقول ان شاء الله وقد رد الزمخشري الوجه الثاني فقال الا ان يشاء متعلق بالنهي لا بقوله اني فاعل لانه لو قال اني فاعل كذا الا ان يشاء الله كان معناه الا ان تعرض مشية الله دون فعله وذلك مما لا دخل فيه للنهي مع ان النهي عن مثل هذا المعنى لا يحسن ثم قال وتعلقه بالنهي من وجهين احدهما ولا تقولن ذلك القول الا ان يشاء الله ان تقوله بان ياذن لك فيه والثاني ولا تقولنه الا بان يشاء الله اي الا بمشيته وهو في موضع الحال اي ملتبسا بمشية الله قايلا ان شاء الله وفيه وجه ثالث وهو ان يكون ان يشاء في معنى كلمة تابيد كانه قيل ولا تقولنه ابدا ونحوه وما يكون لنا ان نعود فيها الا ان يشاء الله ربنا لان عودهم في ملتهم مما لن يشاء الله وهذا الذي ذكره الزمخشري قد رده ابن عطية بعد ان حكاه عن الطبري وغيره ولم يوضح

اي ولم يوضح الفساد وقال ابو حيان والا ان يشاء الله استثناء لا يمكن حمله على ظاهره لانه يكون داخلا تحت
القول فيكون من القول ولا ينهاه الله ان يقول اني فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله لانه قول صحيح في نفسه لا يمكن ان ينهى
عنه فاحتيج الى تأويل هذا الظاهر الى تقدير قال ابن عطية في الكلام حذف يقتضيه الظاهر ويحسنه الايجاز
تقديره الا ان تقول الا ان يشاء الله او الا ان تقول ان شاء الله والمعنى الا ان تذكر مشيئة الله فليس الا ان يشاء الله
من القول الذي نهي عنه **فصل** قال كثير من الفقهاء اذا قال الرجل لزوجته انت طالق ان شاء الله لم
يقع الطلاق لانه لما علق وقوع الطلاق على مشيئة الله لم يقع الطلاق الا اذا علمنا حصول المشيئة ومشيئة الله
غيب لا سبيل لنا الى العلم بحصولها الا اذا علمنا ان متعلق المشيئة وقع وهو الطلاق وعلى هذا لا يعرف حصول المشيئة
الا اذا وقع الطلاق ولا يعرف وقوع الطلاق الا اذا عرفنا المشيئة فيتوقف العلم بكل واحد منهما على العلم بالآخر
وهو دور فلهذا لم يقع الطلاق **فصل** احتج بهذه الآية على ان المعدوم شيء قالوا لان الشيء الذي
سيفعله غدا سماه الله تعالى في الحال شيئا وهو معدوم في الحال فان قيل بان هذا الاستدلال لا يفيد الا ان المعدوم
شيء بكونه شيئا والسبب فيه ان الذي يصير شيئا يجوز تسميته بكونه شيئا في الحال تسمية للشيء بما يؤول اليه كقوله تعالى
أتى امر الله والمراد سيأتي امر الله ثم قال تعالى واذكر ربك اذا نسيت قال ابن عباس ومجاهد والحسن معناه اذا نسيت الاستثناء
ثم ذكرت فاستثن قال ابن عباس الاستثناء المنقطع وان كان الى سنة لهذه الآية وفيه ابو الحسن معناه اذا نسيت الاستثناء
ثم ذكرت فاستثن وطاوس بالمجلس وعن سعيد بن جبير بعد سنة او شهر او اسبوع او يوم وعن عطا بقدر حلب ناقة
غزيرة وعند عامة الفقهاء انه لا اثر له في الاحكام ما لم يكن موصولا وقالوا لانا لو جوزنا ذلك لزم ان لا يستقر شيء من العهود
والايمان فالجواب يحكى انه بلغ المنصور ان ابا حنيفة خالف ابن عباس في الاستثناء المنفصل فاستحضره لينكر عليه
فقال له ابو حنيفة هذا يرجع عليك لانك تأخذ البيعة بالايمان افترضى ان يخرجوا من عندك فيستثنوا فيخرجوا عليك
فاستحسن المنصور كلامه ورضي عنه واعلم ان هذا تخصيص النص بالقياس ومع ما فيه وايضا ان قال ان شاء الله خفية
بحيث لا يسمع كان دافعا للحنث بالاجماع مع ان المحظور باق فما عولوا عليه ليس بقوي والاولى ان يحتج في وجوب كون
الاستثناء متصلا بالآيات الكثيرة الدالة على وجوب الوفاء بالعقد والعهد لقوله تعالى اوفوا بالعقود واوفوا بالعهود
فاذا اتى بعهد وجب عليه الوفاء اعني الوفا بمقتضاه بهذه الآيات خالفنا الدليل فيما اذا كان متصلا لان الاستثناء
مع المستثنى منه كالكلام الواحد بدليل ان الاستثناء وحده لا يفيد شيئا فهو جار مجرى بعض الكلام الواحد فجملة الكلام
كالكلمة الواحدة المفيدة واذا كان كذلك فاذا لم يكن متصلا حصل الالتزام التام بالكلية فيجب عليه الوفاء بذلك
الملتزم وقيل ان قوله تعالى واذكر ربك اذا نسيت كلام مستأنف لا تعلق له بما قبله **فصل** قال عكرمة
واذكر ربك اذا غضبت قال وهب مكتوب في الانجيل ابن آدم اذكرني حين تغضب اذكرك حين اغضب وقال الضحاك
والسدي هذا في الصلاة المنسية قال ابن الخطيب وتعلق هذا الكلام بما قبله يفيد اتمام الكلام في هذه القصة
وجعله مستأنفا يصير الكلام منثورا متفرقا وذلك لا يجوز ثم قال وقل عسى ان يهديني ربي لاقرب من هذا رشدا
وفيه وجوه الاول ان ترك قول ان شاء الله ليس بحسن وذكره احسن من تركه وهو قوله لاقرب من هذا رشدا والمراد منه
ذكر هذه الجملة الثاني انه لما وعدهم بشيء وقال ان شاء الله تعالى فيقول عسى ان يهديني ربي لشيء احسن واكمل مما وعدتكم به
الثالث ان قوله تعالى عسى ان يهديني ربي لاقرب من هذا رشدا اشارة الى قصة اصحاب الكهف اي لعل الله يؤتيني من البينات والدلائل
على صحة نبوتي وصدقي في ادعاء النبوة وما هو اعظم في الدلالة واقرب رشدا من قصة اصحاب الكهف وقد فعل الله
ذلك حين آتاه من قصص الانبياء والاخبار بالغيوب ما هو اعظم من ذلك **قوله تعالى** ولبثوا في كهفهم ثلاث مائة
سنين وازدادوا تسعا قال قتادة هذا من كلام القوم لانه تعالى قال سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم الى ان قال
ولبثوا في كهفهم اي ان ذلك الاقوام قالوا ذلك ويؤيده قوله تعالى بعده قل الله اعلم بما لبثوا وهذا يشير الرد على الكلام
المذكور قبله ويؤيده ايضا ما ورد في مصحف عبد الله وقالوا ولبثوا في كهفهم وقال آخرون هو كلام الله تعالى اخبر
عن كمية هذه المدة واما قوله سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم فهو كلام تقدم وقد تخلل بينه وبين هذه الآية ما يوجب
انقطاع احدهما عن الآخر وهو قوله تعالى فلا تمار فيهم الا مراء ظاهرا وقوله تعالى الله اعلم بما لبثوا لا يوجب
ان ما قبله حكاية لانه تعالى اراد بل الله اعلم بما لبثوا فارجعوا الى خبر الله دون ما يقوله اهل الكتاب والمعنى ان الامر
في هذه المدة كما ذكرنا فان نازعوك فيها فاجبهم وقل الله اعلم بما لبثوا اي هو اعلم منكم وقد اخبر بمدة لبثهم
وقيل ان اهل الكتاب قالوا ان المدة من لدن دخول الكهف الى يومنا ثلاثمائة وتسع سنين فرد الله عليهم وقال
قل الله اعلم بما لبثوا بعد قبض ارواحهم الى يومنا هذا لا يعلمه الا الله تعالى **قوله تعالى** ثلاثمائة سنين قرأ حمزة

باضافة

باضافة مائة الى سنين والباقون بتنوين فاما الاولى فاوقع فيها الجمع موضع المفرد كقوله تعالى بالاخسرين
اعمالا قاله الزمخشري يعني انه اوقع اعمالا موقع عملا وقد انحى ابو حاتم على هذه القراءة ولا يلتفت اليه وفي مصحف عبد الله
سنة بالافراد وبها قرأ وقرأ الضحاك سنون بالواو على انها خبر مبتدأ مضمر اي هي سنون واما الباقون فلما لم يروا
اضافة مائة الى جمع وجعلوا سنين بدلا من ثلاثمائة او عطف بيان قال البغوي فان قيل لم قال ثلاثمائة ولم يقل سنة
فالجواب لما نزل قوله تعالى ولبثوا في كهفهم ثلاثمائة فقالوا اياما او اشهرا او سنين فنزلت سنين وقال الفراء ومن
العرب من يضع سنين موضع سنة ونقل ابو البقاء انها بدل من سنة لانها بمعنى جمع ولا يجوز ان تكون سنين في هذه القراءة
بمعنى تمييز الا ان ذلك انما يجيء في ضرورة مع افراد التمييز كقول الشاعر

اذا عاش الفتى مائتين عاما • فقد ذهب اللذاذة والفتاء

قيل المعنى ولبثوا في كهفهم سنين ثلاثمائة وازدادوا تسعا قال الكلبي قالت نصارى نجران اما الثلاثمائة فقد عرفناها
واما التسع فلا علم لنا بها فنزلت قل الله اعلم بما لبثوا وروي عن علي رضي الله عنه انه قال عند اهل الكتاب انهم لبثوا ثلاثمائة شمسية
والله تعالى ذكر ثلاثمائة سنة قمرية والتفاوت بين الشمسية والقمرية في كل ثلاثمائة سنة تسع سنين فلذلك قال وازدادوا
تسعا قال ابن الخطيب وهذا مشكل لانه لا يصح بالحساب فان قيل لم لا قال ثلاثمائة وتسع سنين وما الفائدة في قوله
وازدادوا تسعا فالجواب ان يقال لعلهم لما استكمل لهم ثلاثمائة سنة قرب امرهم من الانتباه ثم اتفق ما اوجب بقاءهم
في النوم تسع سنين **قوله تعالى** تسعا اي تسع سنين حذفت لدلالة ما تقدم عليه اذ لا يقال عندي ثلاثمائة
درهم وتسعة الا وانت تعني تسعة دراهم فلو اردت ثيابا او نحوها لم يجز وقرأ الحسن وابو عمرو في رواية تسعا بفتح التاء
كعشر **قوله** قل الله اعلم بما لبثوا اي انه تعالى اعلم بمقدار هذه المدة من الناس الذين اختلفوا فيها لانه له
غيب السموات والارض والغيب ما يغيب عن ادراكك والله تعالى لا يغيب عن ادراكه ومن كان عالما بغيب السموات
والارض يكون عالما بهذه الواقعة لا محالة **قوله** ابصر به واسمع صيغة تعجب معنى ما ابصره على سبيل المجاز والهاء
لله تعالى وفي مثل هذا ثلاثة مذاهب الاصح انه بلفظ الامر ومعناه الخبر والباء مزيدة في الفاعل اصلاحا للفظ
اي ما ابصر الله بكل موجود واسمعه بكل مسموع والثاني ان الفاعل ضمير المصدر والثالث انه ضمير المخاطب اي
اوقع ايها المخاطب وقيل هو امر حقيقة لا تعجب وان الهاء تعود على الهدى المفهوم من الكلام وقرأ عيسى اسمع وابصر
فعلا ماضيا والفاعل الله تعالى وكذلك الهاء في به اي ابصر عباده واسمع وتقدم الكلام على هذه الكلمة عند قوله
تعالى فما اصبرهم على النار **قوله** ما لهم اي ما لاهل السموات والارض **قوله** من دونه اي من دون الله
قوله من ولي اي من ناصر ومن ولي يجوز ان يكون فاعلا وان يكون مبتدأ **قوله** ولا يشرك قرأ ابن عامر
بالتاء والجزم عطفا على قوله ولا تقولن لشيء وقوله تعالى واذكر ربك اذا نسيت وقيل اي لا تشرك انت ايها الانسان
والباقون بالياء من تحت ورفع الفعل اي ولا يشرك الله في حكمه احدا فهو نفي محض قيل الحكم ها هنا علم الغيب اي لا يشرك
في علم غيبه احدا وقرأ مجاهد وقتادة ولا يشرك بالياء من تحت والجزم قال يعقوب لا اعرف وجهه قال شهاب الدين وجهه
ان الفاعل ضمير الانسان اضمر للعلم به والضمير في قوله ما لهم يعود على معاصري رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابن
عطية وتعود الآية اعتراضا بتهديد كانه قال يعني بالاعتراض انهم ليسوا من سياق الكلام من اجلهم ولا يريد الاعتراض
الصناعي **قوله** ما لهم من دونه من ولي قيل ما لاصحاب الكهف من دون الله ولي وانه هو الذي يتولى حفظهم
في ذلك النوم الطويل وقيل ليس لهؤلاء القوم المختلفين في مدة لبث اصحاب الكهف ولي من دون الله يتولى امرهم ويقيم
لهم تدبير انفسهم فاذا كانوا محتاجين لتدبير الله وحفظه فكيف يعلمون هذه الواقعة من غير اعلامه **فصل**
واختلفوا في زمن اصحاب الكهف وفي مكانهم فقيل كانوا قبل موسى عليه الصلاة والسلام وان موسى صلى الله عليه وسلم
ذكرهم في التوراة فلهذا سأل اليهود رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قصتهم وقيل دخلوا الكهف قبل المسيح واخبر المسيح
بخبرهم ثم بعثوا في الوقت الذي بين عيسى وبين محمد صلى الله عليه وسلم وقيل انهم دخلوا الكهف بعد المسيح حكى هذا القول القفال
عن محمد بن اسحق وذكروا انهم لم يموتوا ولا يموتون الى يوم القيامة واما مكان الكهف فحكى القفال عن محمد بن موسى الخوارزمي
المنجم ان الواثق انفذه ليعرف حال اصحاب الكهف من ملك الروم فوجه ملك الروم معه من اوصله الى الموضع الذي يقال انهم
فيه وقيل ان الرجل الموكل بالموضع فزعني من الدخول عليهم قال فدخلت فرأيت الشعور على صدورهم قال وعرفت
ان ذلك تمويه واحتيال وان الناس قد عالجوا تلك الجثث بالادوية المجففة لتصونها عن البلاء كالتلطيخ بالصبر وغيره •••
فصل قال القفال والذي عندنا ان موضع اصحاب الكهف لا يعرف ولا عبرة بقول اهل الروم وذكر الزمخشري
عن معاوية انه لما غزا الروم مر بالكهف فقال لو كشف عن هؤلاء لننظر اليهم فقال له ابن عباس ليس لك ذلك قد منع الله

من هو خير منك فقال لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا ولملئت منهم رعبا فقال لا انتهي عن ذلك حتى اعلم حالهم فبعث ناسا فقال اذهبوا فانظروا فلما دخلوا الكهف بعث الله عليهم ريحا فاحرقتهم **فصل** قال ابن الخطيب والعلم بذلك الزمان وذلك المكان ليس للعقل فيه مجال وانما يستفاد ذلك من نص وهو مفقود فثبت انه لا سبيل اليه قال ابن الخطيب هذه السور الثلاثة اشتملت على الاسرى الجسماني بمحمد صلى الله عليه وسلم من مكة الى الشام وهي حالة عجيبة وهذه السورة اشتملت على بقاء القوم في النوم مدة ثلاثمائة سنة وازيد وهي ايضا حالة عجيبة وسورة مريم اشتملت على حدوث الولد لا من الاب وهي ايضا حالة عجيبة والعمدة في بيان هذه العجائب والغرائب المذكورة انه تعالى قادر على كل الممكنات عالم بجميع المعلومات من الجزئيات والكليات فانه كل ما كان ممكن الحصول في كل الاوقات كان ممكن الحصول في سائر الاوقات واذا ثبت هذه الاصول الثلاثة ثبت القول بامكان البعث وما كان قادرا على الاحياء ويثبت ان بقاء الانسان حيا في النوم مدة يوم ممكن فكذلك بقاؤه مدة ثلاثمائة سنة فوجب ان يكون ممكنا بمعنى ان الاله يحفظه من الآفات واما الفلاسفة فيقولون لا يبعد وقوع اشكال فلكية غريبة توجب في عالم الكون والفساد وذكر ابو علي بن سينا في باب الزمان من كتاب الشفا ان ارسطاطاليس الحكيم ذكر انه عرض لقوم من المتالهين حالة شبيهة باصحاب الكهف قال ابن سينا ويدل التاريخ على انهم قبل اصحاب الكهف **قوله تعالى** واتل ما اوحي اليك من كتاب ربك الاية اعلم ان الكفار رؤساء جمعوا وقالوا للنبي صلى الله عليه وسلم ان اردت ان نؤمن بك فاطرد هؤلاء الذين آمنوا بك فنهاه الله عن ذلك وبين في هذه الاية ان الذين اقترحوه والتمسوه مطلوب فاسد فانه تعالى جعل الاصل في هذا الباب شيئا واحدا وهو ان يواظب على تلاوة الكتاب الذي اوحاه الله اليه وان لا يلتفت الى اقتراح المقترحين وتعنتهم فقال واتل ما اوحي اليك من كتاب ربك اي الزم قراءة الكتاب الذي اوحي اليك والزم العمل به **قوله تعالى** لا مبدل لكلماته اي لا مغير للقرآن وهذه الاية تدل على انه لا يجوز تخصيص النص بالقياس لان معنى الامر الزام العمل بمقتضى هذا الكتاب وذلك يقتضي وجوب العمل بمقتضى ظاهره فان قيل يجب ان لا يتطرق النسخ اليه ايضا فالجواب ان هذا مذهب ابي مسلم الاصفهاني وليس ببعيد وايضا فالنسخ في الحقيقة ليس بتبديل لان المنسوخ ثابت موقت الى وقت طريان الناسخ فالناسخ كالمغاير فكيف يكون تبديلا **قوله تعالى** ولن تجد من دونه ملتحدا اي ملجا **فصل** قال اهل اللغة هو من لحد والتحد اذا مال ومنه قوله تعالى والذين يلحدون واللحد المائل عن الدين قال ابن عباس حرزا وقال الحسن مدخلا وقال مجاهد ملجا وقيل ولن تجد من دونه ملتحدا في البيان والارشاد **قوله تعالى** واصبر نفسك مع الذين اي احبسها وثبتها قال ابو البقاء قال ابو ذويب

عرفت عارفة لها الحرة ● سواد اذا نفس الجبان تطلع ●

قوله تعالى بالغداة تقدم الكلام عليها في الانعام **فصل** نزلت في عيينة بن حصين الفزاري اتى النبي صلى الله عليه وسلم قبل ان يسلم ومعه جماعة اي وعنده جماعة من الفقراء منهم سلمان وعليه شملة قد عرق فيها وبيده خوصة يشقها ثم ينسجها فقال عيينة للنبي صلى الله عليه وسلم اما يؤذيك ريح هؤلاء ونحن سادات مضر واشرافها فان اسلمنا اسلم الناس وما يمنعنا من اتباعك الا هؤلاء فنحهم حتى نتبعك واجعل لنا مجلسا فانزل الله تعالى واصبر نفسك اي احبس يا محمد نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي طرفي النهار **قوله تعالى** يريدون وجهه اي يريدون الله لا يريدون غيره اي لا يريدون به عرضا من الدنيا **فصل** قال قتادة نزلت في اصحاب الصفة كانوا سبعمائة رجل فقراء في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يرجعون الى تجارة ولا الى زرع ولا الى ضرع يصلون صلاة وينتظرون فلما نزلت هذه الاية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحمد لله الذي جعل في امتي من امرت ان اصبر نفسي معهم وهذه القصة منقطعة عما قبلها وكلام مفيد مستقل وتقدم نظيره في هذه الاية وفي الانعام وهو قوله تعالى ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي ففي تلك الاية نهى الرسول صلى الله عليه وسلم عن طردهم وفي هذه الاية امره بمجالستهم والمصابرة معهم **فصل** قرا ابن عامر بالغدوة والعشي بضم الغين والواو بعدها وهما لغتان فقيل المراد كونهم مواظبين على هذا العمل في كل الاوقات كقول القائل ليس لفلان عمل بالغداة والعشي الا شتم الناس وقيل المراد صلاة الفجر والعصر وقيل القراءة في الوقت الذي ينتقل فيه من النوم الى اليقظة ومن اليقظة الى النوم **قوله تعالى** ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحيوة الدنيا فيه وجهان احدهما ان مفعوله محذوف تقديره ولا تعد عيناك النظر والثاني انه ضمن تعد معنى تنب قال الزمخشري يقال عداه اذا جاوزه فانما عدي بعن لتضمين عدى معنى نبا وعلا في قولك نبت عنه عينه وعلت عنه عينه اذا اقتحمته ولم تعلق به فان قيل اي غرض في هذا التضمين وهلا قيل ولا تعدهم عيناك او ولا تعل عيناك

عنهم فالجواب الغرض منه اعطاء مجموع معنيين وذلك اقوى من اعطاء معنى لا ترى كيف رجع المعنى الى قولك ولا تقتحمهم عيناك متجاوزين الى غيرهم ونحوه ولا تاكلوا اموالهم الى اموالكم اي ولا تضموها اليها ورده ابو حيان بان مذهب البصريين ان التضمين لا ينقاس وانما يصار اليه عند الضرورة فاذا امكن الخروج عنه فلا يصار اليه وقرا الحسن ولا تعد عيناك من اعدى رباعيا وقرا هو وعيسى والاعمش ولا تعد بالتشديد من عدى يعدي مضعفا عداه في الاولى بالهمزة وفي الثاني بالتثقيل كقول النابغة ● فعد عما ترى اذ لا ارتجاع له ● وانم القتود على عيرانة اجد ●

كذا قال الزمخشري وابو الفضل ورد عليهما ابو حيان بانه لو كان تعديه في هاتين القراءتين بالهمزة او التضعيف لتعدى لاثنين لانه قبل ذلك متعد لواحد بنفسه وقد اقر الزمخشري بذلك حيث قال يقال عداه اذا جاوزه وانما عدي بعن لتضمنه معنى علا ونبا فحينئذ يكونان افعل وفعل مما وافقا المجرد وهو اعتراض حسن **فصل** يقال عداه اذا جاوزه ومنه قولهم عدا طوره وجاء القوم عدا زيدا لانها تفيد المباعدة فكانه تعالى نهى نبيه عن مباعدتهم والمعنى لا تزدري فقراء المؤمنين ولا تنب عينيك عنهم لاجل مجالسة الاغنياء ثم قال **قوله تعالى** تريد زينة جملة حالية ويجوز ان يخبر عنهما بخبر الواحد ومنه قول امرئ القيس ● لمن زحلوقة زل بها العينان تنهل ●

وقول الاخر ● وكان في العينين حب قرنفل ● او سنبل كحلت به فانهلت ●

وغير ذلك ونسبة الارادة الى العينين مجاز وقال الزمخشري الجملة في موضع الحال قال ابو حيان وصاحب الحال ان قدر عيناك فكان يقول التركيب فكان يريدان **فصل** قال شهاب الدين مقال على القاعدة المتقدمة من ان الشيئين المتلازمين يجوز ان يخبر عنهما اخبار الواحد ثم قال وان قدر الكاف فمجيء الحال من المجرور بالاضافة نحو مثل هذا فيه اشكال لاختلاف العامل في الحال وذي الحال وقد اجاز ذلك بعضهم اذا كان المضاف جزءا او كالجزء وحسن ذلك لان المقصود نهيه هو عليه الصلاة والسلام وانما جيء بقوله عيناك والمقصود هو لانهما يكون المراعاة للشخص والتلفت له قال شهاب الدين وقد ذكر لي وجه حسن لم ار لي غيره وهو ان يكون تعد مسندا لضمير المخاطب صلى الله عليه وسلم وعيناك بدل من الضمير بدل بعض من كل وتريد على وجهيها من كونها حالا من عيناك او من الضمير في تعد الا ان في جعلها حالا من الضمير في لا تعد ضعفا من حيث ان مراعاة المبدل منه بعد ذكر البدل قليل جدا تقول الجارية حسنها فاتن ولا يجوز فاتنة الا قليلا كقوله ●

● وكانه لهق السراة كانه ● ما حاجبيه معين بسواد ●

فقال معين مراعاة للهاء في كانه وكان الفصيح ان يقول معينان مراعاة لحاجبيه الذي هو البدل **قوله تعالى** زينة الحيوة الدنيا اي تطلب مجالسة الاغنياء والمتكبرين فقال تعالى ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا يعني عيينة بن حصين وقيل امية بن خلف **قوله تعالى** واتبع هواه اي في طلب الشهوات **قوله تعالى** وكان امره فرطا قال قتادة ومجاهد ضياعا وقيل ندما وقال مقاتل تركا وقال الفراء متروكا وقيل باطلا وقال الاخفش مجاوزا للحد **قوله تعالى** اغفلنا قلبه العامة على اسناد الفعل لنا وقلبه مفعول به وقرا عمرو بن عبيد وعمرو بن فايد وموسى الاسواري بفتح اللام ورفع قلبه اسندوا الاغفال الى القلب وفيه وجهان قال ابن جني من ظننا غافلين عنه وقال الزمخشري من حسبنا قلبه غافلين من اغفلته اذا وجدته غافلا وقال ابو البقاء فيه وجهان احدهما وجدنا قلبه معرضين عنه والثاني اهمل امرنا عن تذكرنا **قوله تعالى** فرطا يحتمل ان يكون وصفا على فعل كقولهم فرس فرط اي متقدم على الخيل وكذلك هذا اي متقدما للحق وان يكون مصدرا بمعنى التفريط او الافراط **فصل** قال ابن عطية الفرط يحتمل ان يكون بمعنى التفريط والتضييع اي امره الذي يجب ان يلزم ويهتم ان يكون بمعنى الافراط والاسراف قال الليث الفرط الذي يفرط منه فيقال فلان فرط وانشد ●

● لقد كلفتني شططا ● وامرا جائرا فرطا ●

فصل دلت هذه الاية على انه تعالى هو الذي يخلق الجهل والغفلة في قلوب الجهال قالت المعتزلة المراد بقوله اغفلنا قلبه عن ذكرنا وجدنا قلبه غافلا وليس المراد منه خلق الغفلة ويدل عليه ما روي عن عمرو بن معدي كرب الزبيدي انه قال لبني سليم قاتلناكم فما اجبناكم وسالناكم فما ابخلناكم وهجوناكم فما افحمناكم اي ما وجدناكم جبناء ولا بخلاء ولا مفحمين وحمل اللفظ على هذا المعنى اولى لوجوه الاول لو كان كذلك لما استحقوا الذم الثاني انه لو كان ذلك لما قال بعد هذه الاية فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر ولو كان تعالى خلق الغفلة في قلبه لما صح ذلك الثالث انه لو خلق الغفلة في قلبه لوجب ان يقال ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا فاتبع هواه لان على هذا التقدير يكون ذلك من افعال المطاوعة وهي انما تحصل بالفاء لا بالواو يقال كسرته فانكسر

ودعوته فانه رفع ولا انتقال والكسر ولذا رفع الرابع قوله تعالى واتبع هواه فلو اغفل قلبه في الحقيقة لم يجز ان
يضاف ذلك الى اتباع هواه والجواب عن الاول من وجهين الاول ان الاشتراك خلاف الاصل فوجب ان يكون حقيقة
في احدهما مجازا في الاخر وجعله حقيقة في التكوين اكثر من جعله بمعنى الوجدان والتكوين دليل الرجحان وثانيها
ان عادة القوم من هذا البناء الى التكوين اكثر من مبادرته الى الوجدان وعادة القوم دليل الرجحان وثالثها
ان جعلناه حقيقة في المجموع مجازا في التتبع موافقا للمعقول اما لو جعلناه حقيقة في التتبع مجازا في الاصل
وهو عكس المعقول والوجه الثاني من الجواب سلمنا كون اللفظ مشتركا بالنسبة الى الايجاد والى الوجدان الا انا
نقول يجب حمل قوله اغفلنا على ايجاد الغفلة فاما ان يجاد او ايجاد مطلق الغفلة او ايجاد الغفلة عن شيء معين
والاول باطل والا لم يكن حصول الغفلة عن هذا الشيء بان يحصل له الغفلة عن شيء آخر لان الطبيعة المشتركة فيها
بين الانواع الكثيرة يكون نسبتها الى كون تلك الاسباب على السوية والثاني ايضا باطل لان الغفلة عبارة عن غفلة
لاعتقاد عن سائر الاقسام لا يكون بها منسبة الى ذلك الشيء المعين نفسه فعلى هذا لا يمكن ان يقصد الى ايجاد الغفلة
عن كذا الا اذا تصور العلم لان كون تلك الغفلة عن كذا ولا يمكنه ان يتصور تلك الغفلة غفلة عن كذا الا اذا تعود
كذا لان العلم بنسبته امر الى امر آخر مسبوق بتصور كل واحد من المنتسبين فثبت انه لا يمكنه القصد الى ايجاد الغفلة
الا عند الشعور بكذا لان الغفلة عن كذا ضد الشعور بكذا فثبت ان العبد لا يمكنه ايجاد هذه الغفلة الا عند
اجتماع الضدين وذلك محال والموقوف على المحال محال فثبت ان العبد غير قادر على ايجاد الغفلة فوجب ان يكون
خالق الغفلة وموجدها في العباد هو الله تعالى قادر المدح والذم معارض بالعلم والداعي وقد تقدم واما
قوله تعالى فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر فسيأتي الكلام عليه ان شاء الله تعالى واما قولهم لو كان المراد ايجاد
الغفلة لوجب ذكر الفاء فهذا انما يلزم لو كان خلق الغفلة في القلب من لوازم حصول اتباع حصول الغفلة عن
حصول متابعة الاتحاد الهوى كما ان الكفر من لوازم حصول الاتحاد وليس الامر كذلك لانه لا يلزم من حصول
الغفلة عن الله حصول متابعة الهوى لاحتمال ان يصير غافلا عن الله ولا يتبع الهوى بل يبقى متوقفا حائرا مدهوشا
خائفا **فصل** وذكر القفال في تاويل الاية على مذهب المعتزلة وجوها احدها انه تعالى لما صب
عليهم الدنيا صبا وادى ذلك الى حصول الغفلة في قلوبهم صح ان يقال انه تعالى جعل الغفلة في قلوبهم كقوله تعالى
فلم يزدهم دعائي الا فرارا وثانيها ان معنى اغفلنا قلبه اي تركناه فلم نسمه بسمة اهل الطهارة والتقوى وثالثها
اغفلنا قلبه اي خليناه مع الشيطان فلم نمنعه منه والجواب عن الاول ان فتح ابواب لذات الدنيا عليه هل يؤثر في
حصول الغفلة في قلبه وذلك عين القول بفعل الله اي فعل ما يوجب الغفلة في قلبه وان لم يؤثر في حصول الغفلة
فبطل اسناده عليه وعن الثاني وهو انه بمعنى تركناه فهو لا ينفي الا ما ذكرناه وعن الثالث ان كان التخلية بمعنى حصول
تلك الغفلة فهو قولنا والا بطل اسناد تلك الغفلة الى الله تعالى **قوله تعالى** وقل الحق من ربكم الاية
في تقرير النظم وجوه الاول انه تعالى امر رسوله ان لا يلتفت الى قول الاغنياء قال وقل الحق من ربكم
الاية اي قل لهؤلاء وان كان هذا الدين الحق من عند الله فان قبلتموه عاد النفع عليكم وان لم تقبلوه عاد الضرر
عليكم ولا تعلق لذلك بالفقر والغنى والثاني ان المراد ان الحق ما جاء من عند الله والحق الذي جاءني من عنده ان اصبر
نفسي مع هؤلاء الفقراء ولا اطردهم ولا التفت الى رؤساء اهل الدنيا والثالث ان يكون المراد ان الحق الذي جاء من
عند الله من شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر وان الله تعالى لم ياذن في طرد احد ممن آمن وعمل صالحا لاجل انه دخل في
الايمان جمع من الكفار فان قيل ان العقل يقتضي ترجيح الاهم وطرد اولئك الفقراء لا يوجب الا سقوط
حرمتهم وهذا ضرر قليل واما عدم طردهم فانه يوجب بقاء الكفار على الكفر وهذا ضرر عظيم فالجواب سلمنا ان عدم
طردهم يوجب بقاء الكفار على الكفر لكن من ترك الايمان حذرا من مجالسة الفقراء فان ايمانه ليس بايمان بل هو نفاق
فيجب على العاقل ان لا يلتفت الى من هذا حاله الرابع قل يا محمد للذين اغفلنا قلوبهم عن ذكرنا ايها الناس من ربكم
الحق واليه التوفيق والخذلان ومنه الهدى والضلال ليس الي من ذلك شيء وقد بعثت الى الفقراء والاغنياء فمن شاء
فليؤمن ومن شاء فليكفر وهذا على طريق التهديد والوعيد كقوله تعالى اعملوا ما شئتم والمعنى لست بطارد المؤمنين
لهواكم فان شئتم فآمنوا وان شئتم فاكفروا قال ابن عباس معنى الاية من شاء الله له الايمان آمن ومن شاء الله له الكفر
كفر **فصل** قالت المعتزلة هذه الاية صريحة في ان الايمان والكفر والطاعة والمعصية باختيار العبد
قال ابن الخطيب وهذه الاية من اقوى الدلائل على صحة مذهب اهل السنة لان الاية صريحة في ان حصول الايمان وحصول الكفر
موقوف على حصول مشيئة الله وصريح العقل يدل على ان الفعل الاختياري يمتنع حصوله بدون القصد اليه

ودون الاختيار واذا عرفت هذا فنقول حصول ذلك القصد والاختيار ان كان بقصد آخر يتقدمه لزم
ان يكون كل قصد واختيار مسبوقا بقصد آخر واختيار آخر الى غير نهاية وهو محال فوجب انتهاء ذلك القصد
والاختيار الى قصد واختيار يخلقه الله تعالى في العبد على سبيل الضرورة وعند حصول ذلك القصد الضروري
والاختيار الضروري يجب الفعل فان الانسان شاء او لم يشأ فانه يحصل في قلبه تلك المشيئة الجازمة الخالية عن المعارض
واذا حصلت تلك المشيئة الجازمة فشاء او لم يشأ يجب حصول الفعل فالانسان مضطر في صورة مختار **فصل**
دلت الاية على ان صدور الفعل عن الفاعل بدون القصد والداعي محال وعلى ان صيغة الامر لا بمعنى الطلب في كتاب الله
قال علي رضي الله عنه هذه الصيغة تهديد ووعيد وليست بتخيير ودلت ايضا على انه تعالى لا ينتفع بايمان المؤمنين
ولا يتضرر بكفر الكافرين بل نفع الايمان يعود عليهم وضرر الكفر يعود عليهم كقوله تعالى ان احسنتم احسنتم لانفسكم
وان اساتم فلها **قوله تعالى** وقل الحق يجوز فيه ثلاثة اوجه الاول انه خبر لمبتدأ مضمر اي هذا اي القرآن وما سمعتم
الحق الثاني انه فاعل بفعل مقدر دل عليه السياق اي جاء الحق كما صرح به في موضع آخر الا ان الفاعل لا يضمر الا في مواضع ذكر
التنبيه عليها منها ان يجاب به استفهام او يرد به نفي او يقع بعد فعل مبني للفاعل لا يصلح اسناده لما بعده كقراءة يسبح له
فيها بالغدو والاصال كما سيأتي تحقيقه ان شاء الله تعالى الثالث انه مبتدأ وخبره الجار قبله وقرا ابو السمال وقل
الحق بضم اللام حيث وقع كانه اتباع لحركة القاف وقرا ايضا بنصب الحق قال صاحب اللوامح هو على صفة المصدر المقدر
لان الفعل يدل على مصدره وان لم يذكره فينصبه معرفة كما ينصبه نكرة وتقديره وقل القول الحق وتعلق من بمضمر
على ذلك اي جاء من ربكم انتهى وقرأ الحسن والثقفي بكسر لام الامر في قوله تعالى فليؤمن وفليكفر وهو الاصل **قوله**
من شاء يجوز في من ان تكون شرطية وهو الظاهر وان تكون موصولة والفاء لشبهه بالشرط فاعل شاء الظاهر انه ضمير يعود
على من وقيل ضمير يعود على الله وبه فسر ابن عطية والجمهور على خلافه **قوله تعالى** انا اعتدنا للظالمين فاعتدنا
وهيأنا من العتاد ومن العدة للظالمين للكافرين اي ظلم نفسه ووضع العبادة في غير موضعها واعلم انه تعالى
لما وصف الكفر والايمان والباطل والحق اتبعه بذكر الوعيد على الكفر وبذكر الوعد على الايمان والعمل الصالح **قوله**
تعالى احاط بهم سرادقها في محل النصب صفة لنارا والسرادق قيل ما احاط بشيء كالمضروب والخباء وقيل الحائط المشتمل
على شيء سرادق قاله الهروي وقيل هي الحجرة تكون بين الفسطاط وقيل هو ما يمد على صحن الدار وقيل كل بيت من كرسف
فهو سرادق قال رؤبة • يا حكم بن المنذر يا ابن الجارود • سرادق المجد عليك ممدود • ويقال بيت
مسردق قال الشاعر • هو المدخل النعمان بيتا سماؤه • صدور الفيول بعد بيت مسردق • وكان
ابرويز ملك الفرس قد قتل النعمان بن المنذر تحت ارجل الفيلة والفيول جمع فيل وقيل السرادق الدهليز قال الفرزدق
• تمنيتهم حتى اذا ما لقيتهم • تركت لهم قبل الضراب السرادقا •
والسرادق فارسي معرب وليس في كلامهم اسم مفرد ثالث حروفه الف بعدها حرفان **فصل** اثبت تعالى
للنار سرادقا بالسرادق يحيط بهم من سائر الجهات والمراد انهم لا مخلص لهم فيها ولا فرجة بل هي محيطة بهم من كل الجوانب
وقيل المراد بهذا السرادق الدخان الذي وصفه الله في قوله انطلقوا الى ظل ذي ثلاث شعب وقالوا هذه الاحاطة بهم
انما تكون قبل دخولهم فيحيط بهم هذا الدخان كالسرادق حول الفسطاط وروى ابو سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه
وسلم قال سرادق النار اربعة جدر كثف كل جدار مثل مسيرة اربعين سنة وقال ابن عباس السرادق حائط **قوله**
تعالى وان يستغيثوا اي يطلبوا الغوث والياء عن واو اذ الاصل يستغوثوا فقلبت الواو يا لما تقدم في قوله
تعالى نستعين وهذا الكلام من المشاكلة والتجانس والا فاي اغاثة لهم في ذلك او من باب التهكم كقول الشاعر
فاعتبوا بالصيلم تحية • بينهم ضرب وجيع • وهو كثير **قوله تعالى** كالمهل صفة لماء وهو دردي الزيت وقيل ما
اذيب من الجواهر كالنحاس والرصاص والذهب والفضة وعن ابن مسعود انه دخل بيت المال واخرج نفاية كانت
فيه واوقد عليها حتى تلالأت وقال هو المهل وقيل الصديد والقيح وقيل ضرب من القطران والمهل بفتحتين التؤدة والوقار قال
تعالى فمهل الكافرين **قوله تعالى** يشوي الوجوه يجوز ان تكون الجملة صفة ثانية وان تكون حالا من ماء لانه
تخصص ويجوز ان يكون حالا من الجار وهو الكاف والشي الانضاج بالنار من غير ان يكون مع ذلك الشيء المشوي
فصل روى ابو سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال بماء كالمهل قال كعكر الزيت فاذا قرب اليه
سقطت فروة وجهه فيه وسئل ابن مسعود عن المهل فدعا بذهب وفضة فاوقد عليهما النار حتى ذابا ثم قال هذا
اشبه شيء بالمهل وقيل اذا طلبوا ماء للشرب فيعطون هذا المهل قال تعالى تصلى نارا حامية تسقى من عين آنية
وقيل انهم يستغيثون من حر جهنم فيطلبوا ما يرشونه على وجوههم للتبرد فيعطون هذا الماء كما حكي عنهم قولهم افيضوا

علينا من الماء **قوله تعالى** بئس الشراب المخصوص هنا محذوف تقديره هو اي ذلك الماء المستغاث به **قوله تعالى**
وساءت مرتفقا ساءت هنا متصرفة ملحقا بها والضمير لنار ومرتفقا تمييز منقول من الفاعلية اي ساء او قبح مرتفقا
المرفق المتكأ عليه ومنه سمي المرفق مرفقا لانه يتكأ عليه وقيل المنزل قال ابن عباس وقال مجاهد مجتمعا للرفقة لان اهل
النار يجتمعون رفقا كما تجتمع اهل الجنة رفقا فاما رفقاء اهل الجنة فهم الانبياء والصديقون والشهداء والصالحون
وحسن اولئك رفيقا واما رفقاء النار فهم الكفار والشياطين يعني لو رفقاء هؤلاء وبئس موضع الترافق النار كما انه
نعم الرفقاء اهل الجنة ونعم الموضع الجنة وقيل هو مصدر بمعنى الارتفاق فهو من باب المفاعلة كقوله في وصف اهل الجنة
بعده وحسنت مرتفقا والا فاي ارتفاق في النار وقال الزمخشري الا ان يكون من قوله اي قول الشاعر •

• اني ارقت فبت الليل مرتفقا • كان عيني فيها الشاة مذبوح •

فهو يعني من باب التهكم **قوله تعالى** ان الذين امنوا وعملوا الصالحات الاية لما ذكر وعيد المبطلين اردفه بوعد
المحقين وهذه الاية تدل على ان العمل الصالح مغاير للايمان لان الاجر يوجب المغايرة **قوله تعالى** انا لا نضيع
يجوز ان يكون خبر الذين والرابط مما يكون الظاهر بمعناه وهو قول الاخفش ومثله في الصلة جائز ويجوز ان يكون الرابط
محذوفا او محذوفا اي منهم ويجوز ان يكون الرابط العموم ويجوز ان يكون الخبر قوله تعالى اولئك لهم جنات ويكون
قوله انا لا نضيع اعتراضا قال ابن عطية ويجوز في الاعتراض كقول الشاعر •

• ان الخليفة ان الله البسه • سربال ملك به ترجى الخواتيم •

قال ابو حيان ولا يجوز ان يكون ان الله البسه اعتراضا لجواز ان يكون خبرا عن ان الخليفة قال ابن عطية ونحا
الذي لم يجعل ذلك معينا بل ذكر احد الجائزين فيه ويجوز ان تكون الجملتان اعني قوله تعالى انا لا نضيع وقوله
تعالى اولئك لهم جنات خبرا لان عند من يرى جواز تعدد الخبر وان لم يكونا في معنى خبر واحد وقرا الثقفي لا نضيع
بالتشديد بمعناه بالتشديد كما عداه الجمهور بالهمزة قيل ذلك ان نجعل هؤلاء اولئك كلاما مستانفا بيانا للاجر
المبهم **فصل** قال ابن الخطيب قوله تعالى انا لا نضيع اجر من احسن عملا ظاهره يقتضي انه استوجب المؤمن
على الله بحسن عمله اجرا وعندنا الاستيجاب حصل بحكم الوعد وعند المعتزلة بذات الفعل وهو باطل لان نعم الله
كثيرة وهي موجبة للشكر والعبودية فلا يصير الشكر والعبودية موجبا لثواب اجر لان اداء الواجب لا يوجب شيئا
اخر واعلم انه تعالى لما اثبت الاجر المبهم اردفه بالتفصيل فبين اولا صفة مكانهم فقال اولئك لهم جنات عدن
والعدن في اللغة عبارة عن الاقامة يقال عدن بالمكان اذا اقام به فيجوز ان يكون المعنى اولئك لهم جنات اقامة
ويجوز ان يكون العدن اسما لمكان معين في الجنة وهو وسطها وقوله تعالى جنات اسم جمع فيمكن ان يكون المراد
مما قبله ولمن خاف مقام ربه جنتان ثم قال ومن دونهما جنتان ويمكن ان يكون المراد نصيب كل واحد من المكلفين
جنة على حدة ثم ذكر ان من صفات تلك الجنة ان الانهار تجري من تحتها وذلك لان احسن مساكن الدنيا البساتين
التي تجري من تحتها الانهار ثم ذكر ثانيا ان لباسهم فيها ينقسم قسمين لباس الستر ولباس التحلي فاما لباس التحلي
فقال تعالى يحلون فيها من اساور من ذهب فقيل لكل واحد منهم ثلاثة اسورة سوار من ذهب لهذه الاية وسوار من
لقوله تعالى وحلوا اساور من فضة وسوار من لؤلؤ لقوله تعالى ولؤلؤا ولباسهم فيها حرير واما لباس الستر فلقوله
تعالى ويلبسون ثيابا خضرا من سندس واستبرق فالاول هو الديباج الرقيق والثاني هو الديباج الصفيق وقيل
اصله فارسي معرب وهو استبره اي غليظ **قوله تعالى** من اساور في من هذه اربعة اوجه الاول انها للابتداء
والثاني انها للتبعيض والثالث انها لبيان الجنس اي شيئا من اساور والرابع انها زائدة ويدل عليه قوله تعالى وحلوا
اساور واساور جمع اسورة وجمع سوار كحمار واحمرة فهو جمع الجمع وقيل جمع اسوار على حذف الزيادة واصله اساوير
وقرا ابان عن عاصم اسورة جمع سوار وسياتي ان شاء الله تعالى في الزخرف ان القراءتين في المتواتر ويذكر هناك
الفرق ان شاء الله تعالى والسوار يجمع في القلة على اسورة وفي الكثرة على سور بسكون الواو وكعدل وحمر وانما سكن لاجل
حرف العلة وقد يضم في الضرورة قال • سرين بالليل وفي الاكف للعاصمات سور • وقال اهل اللغة
السوار ما جعل في الذراع من ذهب او فضة او نحاس فما كان من عاج فهو قلب **قوله تعالى** من ذهب يجوز
ان يكون للبيان او للتبعيض ويجوز ان تتعلق بمحذوف صفة لاساور فموضعه جر وان تتعلق بنفس يحلون فموضعها
نصب **قوله تعالى** ويلبسون عطف على يحلون وبني الفعل في التحلية للمفعول ايذانا بكرمهم وان غيرهم
يفعل بهم ذلك ويزينهم به كقول امرئ القيس • عرائس في كن وصون ونعمة • يحلين ياقوتا وشذرا مفقرا •
بخلاف اللبس فان الانسان يتعاطاه بنفسه وقدم التحلي على اللباس لانه اشهى للنفس وقرا ابان عن عاصم ويلبسون

بكر البا **قوله تعالى** من سندس واستبرق من لبيان الجنس وهي نعت لثياب والسندس ما رق من الديباج والاستبرق
ما غلظ منه وعن ابن عمران الجوني قال السندس هو الديباج المنسوج بالذهب وهما جمع سندسة واستبرقة وقيل ليس
جمعين وهل استبرق عربي الاصل مشتق من البريق او معرب اصله استبره خلاف بين اللغويين وقيل الاستبرق اسم للحرير
والسند للموقى • تراهن يلبسن المشاعر مرة • واستبرق الديباج طورا لباسها •
وهو صالح لما تقدم ووزن سندس فعلل ونونه اصلية وقرا ابن محيصن واستبرق بوصل الهمزة وفتح القاف غير
منونة قال ابن جني هذا سهو او كالسهو قال شهاب الدين كانه زعم انه منع الصرف ولا وجه لمنعه لانه شرط منع الاسم الاعجمي
ان يكون علما وهذا اسم جنس وقد وجهها غيره على انه جعلها فعلا ماضيا من البريق واستفعل بمعنى الجرد نحو قر واستقر
وقال الاهوازي في الاقناع واستبرق بالوصل وفتح القاف حيث كان لا يمنعه اي لا يصرفه وظاهر هذا انه اسم
وليس بفعل وليس لوجه منع كما تقدم عن ابن جني وصاحب اللوامح لما ذكر وصل الهمزة لم يزد على ذلك بل نص على بقائه
منصرفا ولم يذكر فتح القاف ايضا **فصل** وقال ابن محيصن واستبرق بوصل الهمزة في جميع القران فيجوز
انه حذف الهمزة تخفيفا على غير قياس ويجوز انه جعله عربيا من برق يبرق بريقا ووزنه استفعل فلما سمي به فاعله
عامله معاملة الفعل في وصل الهمزة ومعاملة التمكن من الاسماء في الصرف والتنوين واكثر التفاسير على انه عربي وليس
بمستعرب دخل في كلامهم فاعربوه **قوله تعالى** متكئين حال **قوله تعالى** على الارائك والارائك جمع اريكة وهي الاسرة
بشرط ان تكون في الحجال فان لم تكن لم تسم اريكة وقيل الارائك الفرش في الحجال ايضا وقال الراغب الاريكة حجلة على
سرير وتسميتها بذلك اما لكونها في الارض متخذة من اراك او من كونها مقاما للاقامة من قولهم ارك بالمكان اروكا واصل
الاروك الاقامة من قولهم على رعي الاراك ثم تجوز به في غيره من الاقامات وقرا ابن محيصن علرائك وذكر انه نقل حركة الهمزة
الى لام التعريف فالتقى مثلان لام على فان الفصحاء حذفوا لالتقاء الساكنين ولام التعريف لحركة النقل فادغم اللام في
اللام فصار اللفظ كما ترى ومثله قول الشاعر •

• فما اصبحت عارض نفس برية • ولا غيرها الا سليمان نالها •

وقد تقدم قراءة قريبة من هذه اول البقرة بما انزل اليك اي نزل عليك **قوله تعالى** نعم الثواب اي نعم الجزاء
قوله تعالى وحسنت مرتفقا مجلسا ومقرا وهذا في مقابلة قوله وساءت مرتفقا **قوله تعالى** واضرب
لهم مثلا رجلين الاية وجه النظم ان الكفار لما افتخروا باموالهم وانصارهم على فقراء المسلمين بين الله تعالى ان
ذلك مما يوجب الافتخار لاحتمال ان يصير الغني فقيرا والفقير غنيا وانما الذي يجب المفاخرة به طاعة الله وعبادته
وهي حاصلة لفقراء المسلمين وبين ذلك بضرب هذا المثل فقال تعالى واضرب لهم مثلا رجلين اي مثل حال الكافرين
والمؤمنين كحال رجلين وكانا اخوين في بني اسرائيل احدهما كافر اسمه بطروس والاخر مؤمن اسمه يهوذا قال ابن عباس وقال
مقاتل اسم المؤمن تمليخا واسم الكافر قطروس وقيل قطفر وهما المذكوران في الصافات في قوله تعالى اني كان لي قرين
يقول ائنك لمن المصدقين وكانت قصتهما كما رواه عبد الله بن المبارك عن عمر بن عطاء الخراساني قال كانا رجلين شريكين
لهما ثمانية الاف دينار وقيل كانا اخوين ورثا من ابيهما ثمانية الاف دينار فاخذ كل واحد منهما اربعة الاف دينار
فاشترى الكافر ارضا بالف فقال المؤمن اللهم ان اخي اشترى ارضا بالف واني اشتري منك ارضا بالف في الجنة فتصدق
به ثم اشترى اخوه دارا بالف فقال المؤمن اللهم اني اشتري منك دارا في الجنة فتصدق به ثم تزوج اخوه امراة بالف
فقال المؤمن اللهم اني جعلت الفا صداقا للحور العين وتصدق به ثم اشترى اخوه خدما ومتاعا بالف دينار فقال
المؤمن اللهم اني اشتريت منك الولدان والغلمان بالف فتصدق به ثم اصابه اي اصابته حاجة فجلس لاخيه في طريقه فمر عليه
في حشمه فتعرض له فقال الغلام قال نعم قال ما شانك قال اصابتني حاجة بعدك فاتيتك لتصيبني بخير فقال ما فعلت
بمالك وقد اقتسمنا المال فاخذت شطره فقص عليه قصته فقال انك لمن المتصدقين اذهب فلا اعطيك شيئا وقيل
نزلت في اخوين من اهل مكة من بني مخزوم واحدهما مؤمن وهو ابو سلمة عبد الله بن عبد الاسد بن عبد ياليل وكان زوج
ام سلمة قبل النبي صلى الله عليه وسلم والاخر كافر وهو الاسود بن عبد الاسد بن عبد ياليل **قوله تعالى** رجلين
تقدم ان ضرب مع المثل يجوز ان يتعدى لاثنين في سورة البقرة وقال ابو البقاء التقدير مثلا مثل رجلين وجعلنا تفسير
للمثل فلا موضع له ويجوز ان يكون موضعه نصبا نعتا لرجلين كقولك مررت برجلين جعل لاحدهما جنة **قوله تعالى**
وحففناهما بنخل يقال حفه بالشيء اطاف به من جميع جوانبه قال النابغة •

• يحفه جانبا نيق ويتبعه • مثل الزجاجة لم يكحل من الرمد •

وحف به القوم صاروا طايفين بجوانبه وحافته وحففته به اي جعلته مطيفا به والحفاف الجانب وجمعه حفه

والمعنى جعلنا حول الاعناب النخل **فصل** قال الزمخشري وهذه الصورة مما يؤثرها الدهاقين في
كرومهم وهو ان يجعلوها محفوفة بالاشجار المثمرة وهو ايضا حسن في النظر **قوله تعالى** وجعلنا بينهما زرعا
قيل كان الزرع وسط الاعناب وقيل الزرع كان بين الجنتين اي لم يكن بين الجنتين موضع خال والمقصود منه امور
الاول ان تكون تلك الارض جامعة للاقوات والفواكه والثاني ان تكون متسعة الاطراف متباعدة الاكناف ومع
ذلك لم يتوسطها ما يقطع بعضها عن بعض والثالث ان مثل هذه الارض تاتي في كل يوم بمنفعة اخرى وثمرة اخرى
وكانت منافعها دارة متواصلة **قوله تعالى** كلتا الجنتين قد تقدم في الصورة قبلها حكم كلتا فهي مبتدا وآتت
خبرها وجاء هنا على الكثير وهو مراعاة لفظها دون معناها وقرا عبد الله وكذلك في مصحفه كلا الجنتين
بالتذكير لان التانيث مجازي ثم قرات بالتانيث اعتبارا بلفظ الجنتين فهو نظير طلع الشمس واشرقت وروى
الفراء عنه قراءة اخرى كل الجنتين اتى اكله اعاد الضمير على اللفظ لكل واعلم ان لفظ كلا اسم مفرد معرفة يؤكد به
مذكران معرفتان وكلتا اسم مفرد معرفة يؤكد مؤنثان معرفتان واذا اضيف الى المظهر كان بالالف في الاحوال
الثلاثة كقولك جاءني كلا اخويك ورايت كلا اخويك ومررت بكلا اخويك وجاء في كلتا اختيك
ورايت كلتا اختيك ومررت بكلتا اختيك واذا اضيف الى المضمر كان في الرفع بالالف وفي الجر والنصب بالياء وبعضهم
يقول مع المضمر في الاحوال الثلاثة ايضا **فصل** ومعنى انها كلها اعطت كل واحدة من الجنتين اكلها
ثمرها تاما **قوله تعالى** ولم تظلم لم تنقص **قوله تعالى** منه شيئا والظلم النقصان يقول الرجل ظلمني حقي
اي نقصني **قوله تعالى** وفجرنا العامة على التشديد لما كان كذلك وهو نهر واحد مبالغة فيه وقرا يعقوب
وعيسى بن عمر بالتخفيف وهي قراءة الاعمش في سورة القمر والتشديد هناك اظهر لقوله تعالى عيونا والعامة على فتح
هاء نهر وابو السمال في العياض بسكونها **قوله تعالى** وكان له اي لصاحب البستان **قوله تعالى** ثمر وقد تقدم
الكلام فيه في الانعام وتقدم ايضا ان الثمر بالضم المال فقال ابن عباس جميع المال من ذهب وفضة وحيوان وغير ذلك
قال النابغة

مهلا فداء لك الاقوام كلهم * وما اثمر من مال ومن ولد

وقال مجاهد هو الذهب والفضة خاصة يعني صاحب البستان لصاحبه اي المؤمن وهو يحاوره يخاطبه وهذه جملة حالية
مبينة اذ لا يلزم من القول المحاورة اذ المحاورة مراجعة الكلام قال تعالى انه ظن ان لن يحور وقال امرؤ القيس

وما المرء الا كالشهاب وضوئه * يحور رمادا بعد ما هو ساطع

ويجوز ان يكون حالا من الفاعل والمفعول **قوله تعالى** انا اكثر منك مالا واعز نفرا والنفر العشيرة الذين
يذبون مع الرجل وينظرون معه وقال قتادة حشما وخدما وقال مقاتل ولدا تصديقه قوله ان ترن انا اقل منك
مالا وولدا **قوله تعالى** جنته انما افرد بعد ذكر التثنية اكتفاء بالواحد للعلم بالحال قال ابو البقاء كما اكتفي
بالواحد عن الجمع في قول الهذلي

والعين بعدهم كان حداقها * سملت بشوك فهي عور تدمع

ولقائل
ان يقول انما يجوز ذلك لان جمع التكسير يجري مجرى المؤنثة فالضمير في سملت وفي فهي يعود على الحداق لا على حدقة
واحدة كما توهم وقال الزمخشري فان قلت لم افرد الجنة بعد التثنية قلت معناه ودخل ما هو جنته ما له جنة
غيرها يعني انه لا نصيب له في الجنة التي وعد المتقون فما ملكه في الدنيا فهو جنته لا غير ولم يقصد الجنتين
ولا واحدة منهما **فصل** قال ابو حيان ولا يتصور ما قاله لان قوله ودخل جنته اخبار من الله تعالى
لان هذا الكافر دخل جنته فلا بد ان قصد في الاخبار انه دخل احدى جنتيه اذ لا يمكن ان يدخلهما معا في وقت واحد
قال ابن الدين ومن ادعى دخولهما في وقت واحد حتى يلزم هذا المستحيل في البداية واما قوله ولم يقصد الجنتين
ولا واحدة معناه لم يقصد تعيين مفرد ولا مثنى لانه لا يقصد الاخبار بالدخول وقال ابو البقاء انما افرد لانهما
جميعا ملكه فصار كالشيء الواحد **قوله تعالى** وهو ظالم حال من فاعل دخل **قوله تعالى** لنفسه مفعول
ظالم واللام مزيدة فيه لكون العامل فرعا **قوله تعالى** قال ما اظن فيه وجهان احدهما ان يكون مستانفا بيانا
لسبب الظلم والثاني ان يكون حالا من الضمير في ظالم اي وهو ظالم في حال كونه قايلا **قوله تعالى** ان تبيد هذه
قال الشاعر

فلئن باد اهله لبما كان يوهل * وبيد بيدا بيودا وبيودة مثل كينونة

والعامل فيها معروف وهو انه حذف احدي مفعولين **قوله تعالى** ودخل جنته اعني الكافر اخذ بيد صاحبه
المسلم يطوف به فيها ويريه بهجتها وحسنها واخبره بصنوف ما يملكه من المال وهو ظالم لنفسه بكفره وهذا
اعتراض وقع في اثناء الكلام والمعنى انه لما اغتر بتلك النعم وتوصل بها الى الكفران والجحود لقدرته على البعث
كان واضعا تلك النعم في غير موضعها قال ما اظن ان تبيد تهلك هذه ابدا قال اهل المعاني لما راى حسنها وزهرتها توهم

انها لا تفنى ابدا مطلقا وما اظن الساعة قائمة فجمع بين كفرين الاول قطعه بان تلك الاشياء لا تبيد ابدا والثاني
انكار البعث فان قيل هب انه شك في القيمة فكيف قال ما اظن ان تبيد هذه ابدا مع ان الحس يدل على احوال الدنيا بأسرها
ذاهبة غير باقية فالجواب مراده انها لا تبيد مدة حياته ثم قال ولئن رددت الى ربي لاجدن خيرا منها منقلبا اي مرجعا
وعاقبة وانتصابه على التمييز ونظيره قوله تعالى ولئن رجعت الى ربي ان لي عنده للحسنى وقوله تعالى لاوتين مالا
وولدا فان قيل كيف قال ولئن رددت الى ربي وهو منكر البعث فالجواب معناه ولئن رددت الى ربي على زعمك يعطيني
هنالك خيرا منها والسبب في وقوعه في هذه انه استبعد انه تعالى لما اعطاه المال والجاه في الدنيا ظن انه انما اعطاه ذلك
لكونه مستحقا له والاستحقاق باق بعد الموت فوجب حصول الاعطا او المقدمة الاولى كاذبة فان فتح باب الدنيا
على الانسان يكون في اكثر الامر للاستدراج وقرا ابو بكر والكوفيون منهما بالافراد نظرا الى اقرب مذكور وهو قوله
جنته وهي في مصاحف العراق دون ميم والباقون منهما بالتثنية نظرا الى الاصل في قوله تعالى جنتين وكلتا الجنتين
ورسمت في مصاحف الحرمين والشام بالميم فكل قد وافق رسم مصحفه **قوله تعالى** قال له صاحبه اي المسلم
قوله تعالى وهو يحاوره اكفرت بالذي خلقك من تراب اي خلق اصلك من تراب وهذا يدل على ان الشاك في البعث
كافر ووجه الاستدلال انه لما قدر على البداءة وجب ان يقدر على الاعادة وايضا فانه تعالى لما خلقك هكذا فلم
يخلقك عبثا وانما خلقك للعبودية واذا خلقك لهذا المعنى وجب ان يحصل للمطيع ثواب وللمذنب عقاب ويدل
على هذا قوله تعالى ثم سواك رجلا اي هياك هيئة تعقل وتصلح انت للتكليف فهل يحصل للعقل مع هذه الاية
اي الحالة اهمال امرك **قوله تعالى** من نطفة النطفة في الاصل القطع من الماء الصافي يقال نطف ينطف اي قطر
يقطر وفي الحديث فخرج ورأسه ينطف وفي رواية يقطر وهي مصدر واطلق على المني تشبيها بذلك **قوله تعالى**
رجلا فيه وجهان احدهما انه حال رجال وجاز ذلك وان كان منتقلا ولا مشتق لانه جاء بعد سواك اذ كان من الجائز
ان يسويه غير رجل وهو كقولهم خلق الله الزرافة يديها اطول من رجليها وقول الشاعر

فجاءت به سبط العظام كانما * عمامته بين الرجال لواء

والثاني انه مفعول ثاني لسواك لتضمنه معنى خلقك وصيرك وجعلك وهو ظاهر كلام الحوفي **قوله تعالى**
لكنا هو الله ربي قرا ابن عامر ويعقوب ونافع في رواية باثبات الالف وصلا ووقفا والباقون بحذفها وصلا
لا وقفا وهي رواية عن نافع فالوقف وفاق والاصل في هذه الكلمة لكن انا فنقل حركة همزة انا الى نون لكن
وحذفت الهمزة فالتقى مثلان فادغم وهذا احسن الوجوه في تخريج هذا وقيل حذفت همزة انا احتياطا فالتقى مثلان
فادغم وليس بشيء اجري الاول على الواحد والقواعد فالجماعة جروا على مقتضى قواعدهم في حذف الف انا وصلا
واثباتها وقفا وقد تقدم ان نافعا يثبت الفه وصلا قبل همزة مضمومة او مكسورة او مفتوحة بتفصيل مذكور
في البقرة وهنا لم يصادف همزة فهو على اصله ايضا ولو اثبت الالف هنا لكان اقرب من اثباتها غيره لانه اثبتها في الوصل
جملة واما ابن عامر فانه خرج على اصله بالجملة فانه ليس من مذهبه اثبات هذه الالف وصلا في موضع ثم وانما اتبع الرسم
وقد تقدم انها لغة تميم ايضا واعراب ذلك ان يكون انا مبتدا اول وهو مبتدا ثاني وهو ضمير الشان والله مبتدا ثالث
وربي خبر الثالث خبر الثاني والثاني وخبره خبر الاول والرابط بين خبره الاول وبين خبره الثاني الياء في ربي ويجوز
ان تكون الجلالة بدلا من هو او نعتا او بيانا اذا جعل هو عائدا على ما تقدم من قوله بالذي خلقك من تراب لا على انه
ضمير الشان وان كان ابو البقاء اطلق ذلك بالذي وخرجه الفارسي على وجه غريب وهو ان يكون لكنا لكن
وهو نا اسمها والاصل لكننا فحذف احدي النونين تخفيفا نحو وكان حق التركيب ان يكون لكن ربنا لانه اراد بربنا قال
ولكنه اعتبر المعنى فافرد وهو غريب جدا وقال الكسائي فيه تقديم وتاخير تقديره لكن الله هو ربي وقرا ابو عمرو
ولكنه بهاء السكت وقفا لان القصد بيان حركة انا فتارة تبين بالالف وتارة بهاء السكت **فصل**
وقال ابو عطية عن ابي عمرو روي عنه هرون لكنه هو الله بضمير لحق لكن قال ابن الدين فظاهر هذا انه ليس بها السكت
بل يكون الضمير اسما للكن وما بعدها الخبر ويجوز ان يكون هو مبتدا وما بعده خبره وهو وخبره لكن ويجوز ان
يكون تاكيدا وان يكون فصلا ولا يجوز ان يكون ضميرا ثانيا لانه حينئذ لا عائد على اسم لكن من هذه الجملة الواقعة
خبرا واما في قراءة العامة فلا يجوز ان تكون لكن مشددة عاملة لوقوع الضمير بعدها بصيغة المرفوع وقرا عبد الله
لكن هو انا على الاصل من غير نقل ولا ادغام وروي عنه ابن خالويه لكن هو الله خبر ابغير انا وقري ايضا لكنا وقال
الزمخشري وحسن ذلك يعني اثبات الالف في الوصل وقوع الالف عوضا عن حذف الهمزة ونحوه يعني ادغام نون
لكن في نون نا بعد حذف الهمزة كقول القايل

وترمينني بالطرف اي انت مذنب * وتقلينني لكن اياك لا اقلي

الاصل لكن انا فحذف وادغم قال ابو البقا ولا يتعين ما قاله في البيت لجواز ان يكون حذف لكن او حذف لها
لالتقا الساكنين وعلي قوله • فلو كنت ضبيا عرفت قرابتي • ولكن زنجي عظيم المشافر • اي ولكنك وكذا ههنا
ولكنني اياك قال صاحب الكشف لم يدع الزمخشري تعيين ذلك في البيت حتى يعود عليه ما ذكر ويقرب من هذا ما خرج
البصريون على ان الاصل ولكنني من حبها في قوله • ولكنني من حبها لعميد • فادغم اللام في خبر لكن وجوزه
البصريون وخرجه طائفة من البصريين على ان الاصل ولكن انني من حبها ثم نقل حركة همزة اني الى نون لكن بعد حذف
الهمزة وادغم على ما تقدم فلم تدخل اللام الا في خبر ان وهذا على تقدير تسليم صحة الرواية والا فقالوا ان البيت
مصنوع ولا يعرف له قايل والاستدراك من قوله اكفرت كانه قال لاخيه انت كافر لانه استفهام تقرير لكنني انا مؤمن
نحو قولك زيد غايب لكن عمرو حاضر لانه قد يتوهم غيبة عمرو وايضا ذلك تقدم **قوله تعالى** ولا اشرك بربي
احدا ذكر القفال فيه وجهين الاول اني لا ارى الفقر والغنا الا منه فاحمده اذا اعطى واصبر اذا ابتلى ولا اتكبر
عندما ينعم علي ولا ارى كثرة المال والاعوان من نفسي وذلك لان الكافر لما اغتر بكثرة المال والجاه وكانه قد
اثبت لله شريكا في اعطاء العز والغنى الثاني ان هذا الكافر لما عجز الله عن البعث والحشر فقد جعله مساويا للخلق
في هذا العجز واذا اثبت المساواة فقد اثبت الشريك **قوله تعالى** ولولا اذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله لولا
تحضيضية داخلة على قلت واذ دخلت منصوب بقلت فصل به بين لولا وما دخلت عليه ولم يبال بذلك
لانه ليس باجنبي وقد عرفت ان حرف التحضيض اذا دخل على الماضي كان للتوبيخ ومعنى الكلام هلا اذ دخلت جنتك
قلت ما شاء الله اي الامر ما شاء الله وقيل جوابه مضمر اي ما شاء الله كان **قوله تعالى** ما شاء الله يجوز ان تكون
ما شرطية فتكون في محل نصب مفعولا مقدما وجوابا لشا اي شيء شا والجواب محذوف اي ما شاء الله كان ووقع
كما تقدم وان تكون موصولة بمعنى الذي وفيها حينيذ وجهان احدهما ان تكون مبتدا وخبرها محذوف اي الذي
شاء الله كاين وواقع الثاني انها خبر مبتدا مضمر تقديره الامر الذي شاء الله وعلى كل تقدير فالجملة في محل نصب
بالقول **قوله تعالى** الا بالله خبره التبرية والجملة ايضا منصوبة بالقول اي هلا قلت هاتين الجملتين فان قيل
معنى لا قوة الا بالله اي لا اقدر على حفظ مالي ولا دفع شيء عنه الا بالله روي هشام بن عروة عن ابيه انه كان اذا
راى من ماله شيا يعجبه او دخل حايطا من حيطانه قال ما شاء الله لا قوة الا بالله **فصل** احتج اهل
السنة بقوله تعالى ما شاء الله على ان كل ما اراده الله واقع وكل ما لم يقع فهو لم يرده الله وهذا يدل على انه ما
اراد الايمان من الكافر وهو صريح في ابطال قول المعتزلة **فصل** ذكر الجبائي والكعبي بانه تاويل
قوله ما شاء الله مما تولى فعله لا ما هو فعل العباد كما قالوا لا مرد لامر الله لا يرد ما امر به العباد ثم قال لا يمتنع
ان يحصل في سلطانه ما لا يريد كما يحصل فيه ما نهى عنه بل هو واعلم ان الذي ذكره الكعبي ليس جوابا عن الاستدلال
بل ذلك انما هو كبيرة التزام المخالفة لظاهر النص وقياس الارادة على الامر باطل لان هذا النص دال على انه لا يوجد
الا ما اراده الله وليس في النصوص ما يدل على انه لا يدخل في الوجود الا ما امر به فدخل في الفرق واجاب القفال
بان قال هلا اذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله اي هذه الاشياء الموجودة في هذا البستان ما شاء الله كقول
الانسان اذا نظر الى شيء يعلمه زيد على زيد اي هذا عمل زيد ومثله قوله تعالى سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم
اي هم ثلاثة وقولوا حطة اي قولوا هذه حطة واذا كان كذلك كان المراد ان هذا الشيء الموجود في البستان
مما شاء الله تكوينه وعلى هذا التقدير لم يلزم ان يقال كل ما شاء الله وقع لان هذا الحكم غير عام في الكل بل مختص
بالاشياء المشاهدة في البستان وهذا التاويل الذي ذكره القفال احسن مما ذكره الجبائي والكعبي **فصل**
قال ابن الخطيب واقول انه على جوابه لا يندفع الاشكال عن المعتزلة لان عمارة ذلك البستان ربما حصلت بالغصب
وبالظلم الشديد فلا يصح ان يقال ايضا لان ذلك لا يجوز ان يقال انما وقع هذا بمشيئة الله اللهم الا ان يقال
المراد ان هذه الثمار حصلت بمشيئة الله الا ان هذا تخصيص لظاهر النص من غير دليل واما امر المؤمن للكافر بان يقول
لا قوة الا بالله اي لا قوة لاحد على امر من الامور الا باعانة الله واقداره ثم ان المؤمن لما علم الكافر الايمان اجابه
عن الافتخار بالمال والنفر فقال ان ترني انا اقل منك مالا وولدا يجوز في انا وجهان احدهما ان يكون الكلام
مؤكدا لياء المتكلم والثاني انه ضمير الفصل بين المفعولين واقل مفعول ثاني او حال بحسب الوجهين في الرؤية
هل هي بصرية او علمية الا انه اذا جعلتها بصرية تعين في انا ان تكون توكيدا لا فصلا لانه شرطه ان يقع بين مبتدا
وخبر او ما اصله المبتدا والخبر وقرا عيسى بن عمر اقل بالرفع ويتعين ان يكون انا مبتدا واقل خبره والجملة اما في موضع
المفعول او في موضع الحال على ما تقدم في الرؤية ومالا وولدا تمييز وجواب الشرط قوله تعالى فعسى ربي **قوله تعالى**

حسبانا

حسبانا الحسبان مصدر حسبانه يحسبه اي احصاه قال الزجاج اي عذاب حسبان اي حساب ما كسبت يداك
وهو حسن **فصل** قال الراغب قيل معناه نارا وعذابا وانما هو في الحقيقة ما يحاسب فيجازي بحسبه
وهذا موافق لما قاله ابو اسحق والزمخشري نحا اليه ايضا وقال والحسبان مصدر كالغفران والبطلان بمعنى الحساب
اي مقدار حسبه الله وقدره وهو الحكم بتخريبها وهو قول ابن عباس وقيل جمع حسبانة وهو السهم قال ابن قتيبة
ترمى من السماء وهي الصاعقة اي قطع من نار **قوله تعالى** او يصبح عطف على يرسل قال ابو حيان او يصبح عطف
على او يرسل لان غور الماء لا يتسبب عن الافة السماوية الا ان عني بالحسبان القضاء الالهي فحينئذ يتسبب اصباح الجنة
صعيدا زلقا واصباح ماؤها غورا والزلق والغور في الاصل مصدران وصف بهما للمبالغة والعامة على فتح الغين
غار الماء يغور غورا خاص وغاص وذهب في الارض وقرا البرجمي بضم الغين لغة في المصدر وقرات طايفة غؤورا بضم الغين
وهمزة وواو ساكنة وهو مصدر ايضا يقال غار الماء غؤورا مثل جلس جلوسا **فصل** معنى قوله تصبح صعيدا
زلقا اي ارضا جردا ملسا لا نبات فيها وقيل تزلق فيها الاقدام وقال مجاهد رملا هايلا والصعيد وجه الارض او يصبح ماؤها
غورا اي غايرا منقطعا ذاهبا لا تناله الايدي ولا الدلاء والغور مصدر وقع موقع الاسم مثل زور وعدل **قوله تعالى**
فلن تستطيع له طلبا اي فيصير بحيث لا تقدر على رده الى موضعه ثم اخبر الله تعالى انه حقق ما اخبر وقدر هذا المؤمن فقال
قوله تعالى واحيط بثمره اي احاط العذاب بثمر جنته وهو عبارة عن اهلاكه بالكلية واصله من احاطة العدو لانه
اذا احاط به فقد استولى عليه ثم استعمل في كل اهلاك ومنه قوله تعالى الا ان يحاط بكم **قوله تعالى** يقلب كفيه قرا يقلب
كفاه اي تتقلب كفاه واصبح يجوز ان يكون بمعنى صار وهذا كناية عن الندم لان النادم يفعل ذلك **قوله تعالى**
على ما انفق يجوز ان يتعلق بيقلب وانما عدي بعلى لانه ضمن معنى يندم وقوله فيها اي في عمارتها ويجوز ان يتعلق بمحذوف
على انه حال من فاعل يقلب اي متحسرا كذا قدره ابو البقا وهو تفسير معنى والتقدير الصناعي انما هو كون مطلق **قوله تعالى**
ويقول يجوز ان يكون معطوفا على يقلب ويجوز ان يكون حالا **فصل** قال المفسرون ان الله تعالى
ارسل عليها نارا فاهلكها وغار ماؤها فاصبح صاحبها الكافر يقلب كفيه اي يصفق بيد على احديهما على الاخرى
ويقلب كفيه ظهرا لبطن تاسفا وتلهفا على ما انفق فيها وهي خاوية ساقطة على عروشها سقوفها فسقطت لسقوطها
ثم سقطت الجدران عليها **قوله تعالى** ويقول يا ليتني لم اشرك بربي احدا والمعنى ان المؤمن لما قال لكنا هو الله ربي
ولا اشرك بربي احدا قال الكافر يا ليتني قلت كذلك فان قيل هذا الكلام يوهم انه انما هلكت جنته بشؤم شركه
وليس الامر كذلك لان انواع البلا انما تقع للمومنين قال تعالى ولولا ان يكون الناس امة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن
لبيوتهم سقفا من فضة ومعارج عليها يظهرون وقال صلى الله عليه وسلم خص البلاء بالانبياء ثم الاولياء ثم الامثل
فالامثل وايضا فلما قال يا ليتني لم اشرك بربي احدا فقد ندم على الشرك ورغب في التوحيد فوجب ان يصير مومنا
فلم قال بعده ولم تكن له فية ينصرونه من دون الله فالجواب عن الاول انه لما عظمت حسرته لاجل انه انفق عمره في تحصيل
الدنيا من الدنيا والدين والجواب عن الثاني انه انما ندم على الشرك لاعتقاده انه لو كان موحدا غير مشرك لبقيت عليه
جنته فانه انما رغب في التوحيد والرده عن الشرك لاجل طلب الدنيا فلهذا لم يقبل الله توحيده **قوله تعالى** ولم تكن
له فية قرا الاخوان بالياء والباقون بالتاء من فوق وهما واضحان لان التانيث مجازي وحسن التذكير للفصل **قوله تعالى**
ينصرونه يجوز ان تكون هذه الجملة خبرا وهو الظاهر وان تكون حالية والخبر الجار المتقدم ومسوغ مجي الحال من
النكرة تقدم النفي ويجوز ان تكون صفة لفية اذا جعلنا الخبر الجار وقال ينصرونه حملا على معنى فية لانهم في قوة
القوم والناس ولو حمل على لفظها لافرد كقوله تعالى فية تقاتل في سبيل الله واخرى كافرة وقرا ابن ابي عبلة تنصره
على اللفظ قال ابو البقا ولو كان تنصره لكان على اللفظ قال شهاب الدين وقد قري بذلك كما عرفت **فصل**
قال بعضهم ومعنى ينصرونه يقدرون على نصرته ويمنعونه من عذاب الله ومن كان منفصلا ممتنعا وما كان منتصرا
ممتنعا منتقما اي لا يقدر على الانتصار لنفسه وقيل لا يقدر على رد ما ذهب عنه **قوله تعالى** هنالك الولاية
لله يجوز ان يكون الكلام تم على قوله منتصرا وهذه جملة منقطعة عما قبلها وعلى هذا فيجوز في الكلام اوجه
الاول ان يكون هنالك الولاية مصدر الجملة فعلية فالولاية مرفوعة بالظرف قبلها اي استقرت الولاية لله ولله متعلق
بالاستقرار او بنفس الظرف لقيامه مقام العامل او بنفس الولاية او على تقدير محذوف لانه نفس الولاية وهذا انما يتاتى
على راي الاخفش من حيث ان الظرف يرفع الفاعل من غير اعتماد والثاني ان يكون هنالك منصوبا على الظرف متعلقا بالخبر
الولاية وهو لله او بما يتعلق به لله او بمحذوف على انه حال منها والعامل الاستقرار في لله عند من يجيز تقديم الحال
على عاملها المعنوي او يتعلق بنفس الولاية والثالث ان يجعل هنالك هو الخبر ولله فضلة والعامل فيه ما تقدم

الا وجمعناهم لذلك اليوم **قوله تعالى** وعرضوا على ربك صفا حال من مفعول عرضوا واصله المصدرية يقال صف يصف صفا ثم يطلق على الجماعة المصطفين واختلف هنا في صفا هل هو مفرد وقع موقع الجمع اذ المراد صفوفا ويدل عليه الحديث الصحيح يجمع الله الاولين والاخرين في صعيد واحد صفوفا وفي الحديث الاخر اهل الجنة مائة وعشرون صفا اسم منها ثمانون ويؤيده قوله تعالى يخرجكم طفلا اي اطفالا او قيل ثم حذف اي صفا صفا وقال في موضع آخر وجاء ربك والملك صفا صفا وقال في موضع آخر يوم يقوم الروح والملائكة صفا صفا بدليل الاية الاخرى فكذلك هنا وقيل بل كل الخلائق يكونون صفا وهو ابلغ في القدرة واما الحديثان فمحمولان على اختلاف احوال القيامة لانه يوم طويل كما شهد له قوله تعالى مقداره خمسين الف سنة فتارة يكونون فيه صفا واحدا وتارة صفوفا وقيل صفا اي قياما لقوله تعالى واذكروا اسم الله عليها صواف اي قياما **قوله تعالى** لقد جئتمونا على اضمار قول اي وقلنا لهم كيت وكيت وتقدم ان هذا القول حال من مرفوع عرضوا اي عرضوا مقولا لهم كذا وكذا **قوله تعالى** كما خلقناكم اي مجيئا مشبها لخلقكم الاول حفاة عراة غرلا لا مال ولا ولد معكم وقال الزمخشري لقد بعثناكم كما انشاناكم اول مرة فعلى هذا التقدير يكون نعتا للمصدر المحذوف وعلى راي سيبويه يكون حالا من ضمير المصدر المقدر **قوله تعالى** كما خلقناكم اول مرة ليس المراد حصول المساواة من كل الوجوه لانهم خلقوا صغارا ولا عقل لهم ولا تكليف عليهم بل المراد انه قال للمشركين المنكرين للبعث المفتخرين على فقراء المومنين بالاموال والانصار لقد جئتمونا كما خلقناكم اول مرة اي حفاة عراة بغير اموال ولا اعوان ونظيره قوله تعالى كما خلقناكم اول مرة اي حفاة عراة وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم ثم قال تعالى بل زعمتم ان لن نجعل لكم موعدا ان كنتم مع التعزز على المومنين بالاموال والانصار تنكرون البعث فالان قد تركتم الاموال والانصار في الدنيا وشاهدتم ان البعث والقيامة حق **قوله تعالى** ان لن نجعل لكم موعدا ان هي المخففة وفصل بينها وبين خبرها الكون جملة فعلية منصرفة غير دعاء بحرف النفي ولكم يجوز ان يكون مفعولا ثانيا للجعل بمعنى التصيير وموعدا هو الاول ويجوز ان يكون معلقا بالجعل ويكون حالا من موعدا اذ لم يجعل الجعل تصييرا بل مجرده هو الايجاد وبل في قوله بل زعمتم لمجرد الانتقال من غير ابطال **قوله تعالى** ووضع الكتاب الاية العامة على بناء وضع للمفعول وزيد بن علي على بنائه للفاعل وهو الله او الملك والكتاب والكتاب جنس للكتب اذ من المعلوم ان لكل انسان كتابا يخصه وقد تقدم الوقف على ما لهذا الكتاب وكيف فصلت لام الجر من مجرورها خطا في سورة النساء عند قوله تعالى فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا ولا يغادر جملة حالية من الكتاب والعامل الجار والمجرور لقيامه مقام الفعل والاستقرار الذي تعلق به الجار **قوله تعالى** الا احصاها في محل نصب نعتا لصغيرة وكبيرة ويجوز ان تكون الجملة في موضع المفعول الثاني لان يغادر بمعنى يترك ويترك قد يتعدى لاثنين كقوله • تركتك ذا مال وذا نسب • اي على احد الوجهين روى ابو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يحشر الناس على ثلاثة طرائق راغبين فاثنان على بعير وثلاثة على بعير واربعة على بعير وعشرة على بعير ويحشر بقيتهم النار تقيل معهم حيث قالوا وتبيت معهم حيث باتوا وتصبح معهم حيث اصبحوا وتمسي معهم حيث امسوا وعن عائشة قالت يا رسول الله كيف يحشر الناس يوم القيمة قال حفاة عراة قالت قلت والنساء قال والنساء قالت قلت يا رسول الله انستحي قال يا عائشة الامر اشد من ذلك ان يهمهم ان ينظر بعضهم الى بعض ووضع الكتاب يعني كتب اعمال العباد توضع في ايدي الناس في ايمانهم وشمائلهم وقيل توضع بين يدي الله عز وجل فترى المجرمين مشفقين خائفين مما فيه في الكتاب من الاعمال الخبيثة ثم كيف تظهر لاهل الموقف فيفتضحوا ويقولون اذا راوها يا ويلتنا يا هلاكنا والويل والويلة الهلكة وكان كل من وقع في هلكة دعا بالويل ومعنى النداء تنبيه المخاطبين ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة من ذنوبنا قال ابن عباس الصغيرة التبسم والكبيرة القهقهة وقال سعيد بن جبير الصغيرة اللمم والمس والقبلة والكبيرة الزنا الا احصاها وهو عبارة عن الاحاطة اي حصرها وادخل تاء التانيث في الصغيرة والكبيرة على تقدير ان المراد الفعلة والكبرة قال عليه الصلاة والسلام اياكم ومحقرات الذنوب فانما مثل محقرات الذنوب مثل قوم نزلوا بطن واد فجاء هذا بعود وجاء هذا بعود حتى انضجوا خبزتهم وان محقرات الذنوب لموبقات **قوله تعالى** ووجدوا ما عملوا حاضرا في الصحيفة **قوله تعالى** ولا يظلم ربك احدا لا ينقص ثواب احد عمل خيرا وقال الضحاك لم يواخذ احدا بجرم لم يعمله **فصل** قال الجبائي هذه الاية تدل على فساد قول المجبرة في مسائل احدها انه لو عذب عباده من غير ذنب صدر منهم لكان ظالما وثانيها انه لا يعذب الاطفال بغير ذنب وثالثها بطلان قولهم لله ان يفعل ما شاء ويعذب من غير جرم لان الخلق خلقه اذ لو كان كذلك لما كان لنفي الظلم عنه معنى لان تقدير اذا فعل اي شيء لم يكن ظلما منه لقوله تعالى انه لا يظلم

فان قيل

فان قيل اي فائدة في ذلك فالجواب عن الاول بعد رفضه العلم والداعي وعن الثاني انه تعالى قال لما كان الله ان يتخذ من ولد وهذا يدل على ان اتخاذ الولد لم يصح عليه فكذلك هاهنا **قوله تعالى** واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم الاية اعلم ان المقصود من الايات ذكرها على هذا المعنى وذلك ان ابليس انما تكبر على آدم لانه افتخر باصله ونسبه فقال خلقتني من نار وخلقته من طين فانا اشرف منه اصلا ونسبا فكيف اسجد له وكيف اتواضع له وهؤلاء المشركون عاملوا فقراء المومنين بهذه المعاملة فقالوا كيف نجالس هؤلاء الفقراء مع انا من انساب شريفة وهم من انساب نازلة ونحن اغنياء وهم فقراء فذكر تعالى هذه القصة تنبيها على ان هذه الطريقة بعينها طريقة ابليس ثم انه تعالى حذر عنها وعن الاقتداء بها في قوله تعالى افتتخذونه وذريته اولياء فهذا وجه النظم **قوله تعالى** واذ قلنا اي اذكروا قوله كان من الجن فيه وجهان احدهما انه استيناف يفيد التعليل جوابا لسوال مقدر والثاني ان الجملة حالية وقد معها مرادة قال ابو البقا **قوله تعالى** ففسق السببية في الفا ظاهرة تسبب من كونه من الجن الفسق **فصل** قال ابو البقا انما ادخل الفا هاهنا لان المعنى الا ابليس امتنع ففسق قال الشهاب الدين انه عنى ان قوله كان من الجن وضع موضع قوله امتنع فيحتمل مع بعده وان عنى انه حذف فعل عطف عليه هذا فليس يصح لاستغناء عنه **قوله تعالى** عن امر على بابها من المجاوزة وهي متعلقة بفسق اي خرج مجاوزا امر ربه وقيل هي بمعنى البا اي بسبب امره فانه فعال لما يريد **قوله تعالى** وذريته يجوز في الواو ان تكون عاطفة وهو الظاهر وان تكون بمعنى مع **قوله تعالى** من دوني متعلق بالاتخاذ ويجوز على انه صفة لاولياء **قوله تعالى** وهم لكم عدو جملة حالية من مفعول الاتخاذ ويجوز على انه صفة وفاعله لان فيها مصححا للعمل من الوجهين وهو الرابط **قوله تعالى** بئس فاعلها مضمر مفسر بتمييزه والمخصوص بالذم محذوف تقديره بئس البدل ابليس وذريته **قوله تعالى** للظالمين متعلق بمحذوف حالا وقيل بدلا وقيل متعلق بفعل الذم **فصل** اعلم انه تعالى بين في هذه الاية ان ابليس كان من الجن وللناس في هذه الاية اقوال الاول قال ابن عباس كان من الملائكة يقال لهم الجن خلقوا من نار السموم وقوله تعالى من الملائكة لا ينافي كونه من الجن لقوله وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا وقوله وجعلوا لله شركاء الجن وسمي الجن جنا لاستتارهم والملائكة داخلون في ذلك وايضا فانه كان خازن الجنة فنسب الى الجنة وعن سعيد بن جبير قال كان من الجنانين الذين يعملون في الجنان وهم حي من الملائكة يصوغون حلي اهل الجنة مذ خلقوا رواه القاضي في تفسيره عن هشام عن سعيد بن جبير وقال الحسن كان من الجن ولم يكن من الملائكة فهو اصل الجن كما ان آدم اصل الانس وقيل كان من الملائكة فمسخ وغير ومما يدل على انه ليس من الملائكة قوله تعالى افتتخذونه وذريته اولياء والملائكة ليس لهم نسل ولا ذرية بقي ان يقال لو لم يكن من الملائكة لما تناوله الامر بالسجود فكيف يصح استثناؤه منهم وتقدم الكلام على ذلك في البقرة ثم قال تعالى ففسق عن امر ربه قال الفراء فسق عن امر ربه اي خرج عن طاعته تقول العرب فسقت القشرة عن رطبها اي خرجت وسميت الفارة فويسقة لخروجها من جحرها قال روبة • يهوين في نجد وغورا غائرا • فواسقا عن قصدها جوائرا • وحكى الزجاج عن الخليل وسيبويه انه قال لما امر فعصى كان سبب فسقه هو هذا الامر والمعنى لولا ذلك الامر السابق لما حصل ذلك الفسق فلهذا حسن ان يقال فسق عن امر ربه وقال قطرب فسق عن امر ربه كقوله تعالى واسال القرية التي كنا فيها ثم قال تعالى افتتخذونه وذريته يعني انتم يا بني آدم وذريته اولياء من دوني وهم لكم عدو اي اعداء روى مجاهد عن الشعبي قال اني لقاعد يوما اذ اقبل حمال فقال اخبرني هل لابليس ذرية قال ان ذلك العرس ما شهدته ثم ذكرت قول الله عز وجل افتتخذونه وذريته اولياء من دوني فعلمت انه لا يكون ذرية الا من زوجة فقلت نعم وقال قتادة يتوالدون كما يتوالد بنو آدم وقيل انه يدخل ذنبه في دبره فيبيض فتنفلق البيضة عن جماعة من الشياطين ثم قال بئس للظالمين بدلا **فصل** قال قتادة بئس ما استبدلوا طاعة ابليس وذريته بعبادة ربهم **قوله تعالى** ما اشهدتهم خلق السموات الاية اي ما اشهدت الملائكة فكيف يعبدونهم او ما اشهدت الكفار فكيف ينسبون الي ما لا يليق بجلالي او ما اشهدت جميع الخلق وقرا ابو جعفر وشيبة والسختياني في آخرين ما اشهدناهم على التعظيم والمعنى ما احضرناهم خلق السموات والارض ولا خلق انفسهم اي ولا اشهدت بعضهم على بعض يعني ما اشهدتهم لا اعتضد بهم كقوله تعالى وما كنت متخذ المضلين عضدا اي ما كنت متخذهم فوضع الظاهر موضع المضمر تنبيها على الاضلال وذما لهم وقوله تعالى عضدا اي اعوانا **فصل** قال ابن الخطيب والاقرب عندي انه الضمير الراجع على الكفار الذين قالوا للرسول والاقرب عندي انه الضمير الراجع على الكفار الذين قالوا للرسول صلى الله عليه وسلم ان لم تطردهم عن مجلسك هؤلاء الفقرا

في الوجه الاول ويجوز ان يكون هنالك من تتمة ما قبلها فلم يتم الكلام دونه وهو معمول لمنتصرا اي وما كان منتصرا في الدار الاخرة وهنالك اشارة اليها واليه نحا ابو اسحاق وعلى هذا فيكون الوقف على هنالك تاما والابتدا بقوله الولاية لله فيكون جملة من مبتدا وخبر والظاهر في هنالك انه موضوع على موضعه من ظرفية المكان كما تقدم وتقدم ان الاخوين يقران الولاية بالكسر والفرق بينهما وبين قراءة الباقين بالفتح في سورة الانفال فلا معنى لاعادته وحكي عن ابي عمرو والاصمعي ان كسر الواو هنا لحن قالا لان فعالة انما يجي فيما اذا كان صفة او معنى متعلد وليس هنا كذلك امور

فصل قال الزمخشري الولاية بالفتح النصرة والتولي وبالكسر السلطان والملك وقيل بالفتح الربوبية وبالكسر الامارة

فصل قرا ابو عمرو والكسائي برفع الحق والباقون بجره بالرفع من ثلاثة اوجه الاول انه صفة للولاية والثاني انه خبر مبتدا مضمر اي هو ما اوحيناه اليك الثالث انه مبتدا وخبره مضمر اي الحق ذلك وهو ما قلناه والجر على انه صفة للجلالة الكريمة كقوله تعالى ثم ردوا الى الله مولاهم الحق وقرا زيد بن علي وابو حيوة وعمرو بن عبيد ويعقوب الحق نصبا على المصدر المؤكد لمضمون الجملة كقوله تعالى هذا قول الله الحق وهذا عبد الله الحق لا الباطل **قوله تعالى** عقبا قرا حمزة وعاصم بسكون القاف والباقون بضمها وقيل لغتان كالقدس وقيل الاصل الضم والسكون تخفيف وقيل بالعكس كالعسر واليسر وهو عكس معهود اللغة ونصبه ونصب ثوابا وامال على التمييز لافعل التفضيل قبلها ونقل الزمخشري انه قرا عقبى بالالف وهي مصدر ايضا كبشرى ويروى عن عاصم

فصل اعلم انه تعالى لما ذكر من قصة الرجلين ما ذكر علمنا ان النصرة والعاقبة المحمودة كانت للمؤمن على الكافر وعرفنا ان الامر هكذا يكون في حق كل مؤمن وكافر فقال هنالك الولاية لله الحق اي في مثل ذلك الوقت وفي مثل ذلك المقام يكون الولاية لله موالي اوليائه فيعلمهم على اعدائه ويفوض امر الكفار اليهم فقوله تعالى هنالك اشارة الى الموضع والوقت الذي يريد اظهار كرامة اوليائه واذلال اعدائه وقيل المعنى في مثل ذلك الحالة الشديدة يتولى الله ويلتجي اليه كل محتاج مضطر يعني ان قوله يا ليتني لم اشرك بربي احدا كلمة الجا اليها ذلك الكافر فقالها جزعا مما اصابه واليه شوم كفره ولولا ذلك لم يقلها وقيل المعنى هنالك الولاية لله ينصر فيها اولياءه المؤمنين على الكفرة وينتقم لهم ويشفي صدورهم من اعدائهم يعني انه تعالى نصر المؤمن بما فعل بالكافر وصدق قوله وعسى ربي ان يؤتيني خيرا من جنتك ويرسل عليها حسبانا من السماء ويعضده قوله هو خير ثوابا وخير عقبا اي لاوليائه وقيل هنالك اشارة الى الدار الاخرة اي في تلك الدار الاخرة الولاية لله كقوله تعالى لمن الملك اليوم لله الواحد القهار وقوله تعالى هو خير ثوابا لمن آمن به والتجا اليه وخير عقبا اي هو خير عاقبة لمن رجاه وعمل لوجهه **قوله تعالى** واضرب لهم مثل الحيوة الدنيا الاية اي واضرب لهم يا محمد لهؤلاء الذين افتخروا باموالهم وانصارهم على فقراء المسلمين مثل الحيوة الدنيا ثم ذكر المثل فقال كماء انزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض **قوله تعالى** كماء فيه ثلاثة اوجه احدها ان يكون خبر مبتدا محذوف فقدره ابن عطية اي هي الحيوة الدنيا والثاني انه متعلق بمعنى المصدر اي ضربا كما قاله الحوفي وهذا بناء منهما على ان بناها هذه متعدية اي ضرب متعديا لواحد فقط الثالث انه في موضع المفعول الثاني لاضرب لانها بمعنى صير وقد تقدم قال ابو حيان بعد ما نقل قولي ابن عطية والحوفي اي صفتها شبه ما قاله ابن عطية وهذا قد سبقه اليه ابو البقا وانزلناه صفة لما **قوله تعالى** فاختلط به يجوز في هذه الباء وجهان احدهما ان تكون سببية والثاني ان تكون معدية قال الزمخشري فالتف وتكاثف حتى خالط بعضه بعضا وقيل نجع الماء في النبات حتى روي به ورف رفيفا وكان حق اللفظ على هذا التفسير فاختلط بنبات الارض ووجه صحته ان كل مختلطين موصوف كل واحد منهما بصفة الاخر **قوله تعالى** فاصبح هشيما اصبح يجوز ان تكون على بابها فان اكثر ما يطرق من الافات صباحا كقوله • اصبحت لا احمل السلاح ولا • املك البعير ان نفرا • واحده هشيمة وهو اليابس وقال الزجاج وابن قتيبة كل ما كان رطبا فيبس ومنه كهشيم المحتظر ومنه هشمت الشيء والهشيم النبت المتفتت المنكسر ومنه هشمت الغرو وهشم الثريد اذا فتته قال عمرو • الذي هشم الثريد لقومه • ورجال مكة مسنتون عجاف •

قوله تعالى تذروه صفة لهشيما التذرية وقيل الرفع والعامة على تذروه بالواو وقرا عبد الله تذريه من الذري ففي لامه لغتان الواو والياء وقرا ابن عباس تذريه بضم التاء من الاذراء وهي تحتمل ان تكون من الذرو وان تكون من الذري والعامة على الرياح جمعا وزيد بن علي والحسن والنخعي في اخرين الريح بالافراد

فصل ومعنى المثل قال ابن عباس يعني بالماء المطر نزل من السماء فاختلط به نبات الارض خرج من كل لون وزهر وخرج عن قريب هشيما يابسا وقال الضحاك كسيرا تذروه الرياح قال ابن عباس تذريه وقال ابو عبيدة تفرقه وقال القتيبي تنسفه **قوله تعالى** وكان الله على كل شيء مقتدرا قادرا بتكوينه اولا وتنميته وسطا وابطاله اخرا فاحوال الدنيا كذلك تظهر اولا في غاية

الحسن والنضارة ثم تتزايد قليلا قليلا ثم تاخذ في الانحطاط الى ان تنتهي الى الفنا والذهاب ومثل هذا الشي للعاقل ان يبتهج به **قوله تعالى** المال والبنون زينة الحيوة الدنيا الاية لما بين تعالى ان الدنيا سريعة الانقضا مشرفة على الزوال والبوار والفنا بين تعالى ان المال والبنين زينة الحيوة الدنيا والمقصود منه ادخال هذا الجزء تحت هذا الكلي فينعقد منه قياس بين الانتاج وهو ان المال والبنين زينة الحيوة الدنيا فهو سريع الانقضا والانقراض ومن اليقين البديهي ان الكل ما كان كذلك فانه يقبح بالعاقل ان يفتخر به او يقيم له في نظره وزنا فهذا برهان باهر على فساد قول المشركين الذين افتخروا بكثرة الاموال والاولاد على فقراء المؤمنين **قوله تعالى** زينة الحيوة الدنيا الاية انما افرد زينة وان كانت خبرا عن شيئين لانها مصدر والنقص يذو زينة او جعل نفس المصدر مبالغة او لانها بها تحصل الزينة او بمعنى من بينهن وقري شاذ زينتا الحيوة الدنيا على التثنية وسقطت الفها لفظا لالتقاء الساكنين وينبوهم انه قرا بنصب زينة الحيوة الدنيا

فصل لما اقام البرهان على فساد قول المشركين ذكر ما يدل على رجحان اولئك الفقرا على اغنياء الكفار فقال **قوله تعالى** والباقيات الصالحات خير عند ربك ومنها ان هذا الدليل ان خيرات الدنيا منقرضة وخيرات الاخرة باقية دائمة والدائم الباقي خير من المنقرض الزائل وهذا معلوم بالضرورة قال علي بن ابي طالب رضي الله عنه المال والبنون زينة الحيوة الدنيا والاعمال الصالحة حرث الاخرة وقد يجمعهما الله لاقوام وقال ابن عباس وعكرمة ومجاهد الباقيات الصالحات هي قول سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر وقال صلى الله عليه وسلم اكثروا من الباقيات الصالحات قالوا وما هي يا رسول الله قال الملة قيل وما هي يا رسول الله قال التكبير والتهليل والتسبيح والتحميد ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وقال سعيد بن جبير ومسروق وابراهيم ويروى ايضا عن ابن عباس انها الاعمال الصالحة خير عند ربك ثوابا وخير املا اي ما يوصله الانسان **قوله تعالى** ويوم نسير الجبال الاية لما بين خساسة الدنيا وشرف القيامة اراد ان يعين احوال القيمة ويوم نسير منصوب بقول مضمر بعده تقديره يقول لهم يوم نسير لقد جئتمونا وقيل اضمار اذكر وقيل هو معطوف على عند ربك فيكون معمولا لقوله خير وقرا ابن كثير وابو عمرو وابن عامر بضم التاء وفتح اليا مبنيا للمفعول الجبال بالرفع لقيامه مقام الفاعل وحذف الفاعل للعلم به وهو الله او من شاء من الملائكة وهذه القراءة موافقة لما اتفق عليه في قوله وسيرت الجبال فعلا ماضيا مبنيا للمفعول والباقون نسير بنون العظمة والياء مكسورة من سير بالتشديد الجبال بالنصب على المفعول به وهذه القراءة مناسبة لما بعدها من قوله تعالى وحشرناهم فلم نغادر منهم احدا وقرا الحسن قراءة ابن كثير ومن ذكر معه الا انه بالياء من تحت لان التانيث مجازي وقرا ابن محيصن ورواها محبوب عن ابي عمرو بفتح التاء من فوق ساكن الياء من سارت تسير والجبال بالرفع على الفاعلية **قوله تعالى** وترى الارض بارزة حال اذ الرؤية بصرية وقرا عيسى وترى الارض مبنيا للمفعول والارض قائمة مقام الفاعل **قوله تعالى** وحشرناهم الاية فيه ثلاثة اوجه الاول انه ماض يراد به المستقبل اي ونحشرهم ولذلك عطف وعرضوا ووضع الكتاب الثاني ان تكون الواو للحال والجملة في محل النصب اي نفعل التسيير في حال حشرهم ليشاهدوا تلك الاحوال والثالث قال الزمخشري فان قلت لم جي بحشرناهم ماضيا بعد نسير وترى قلت للدلالة على ان حشرهم قبل التسيير وقبل البروز ليعاينوا تلك الاهوال العظام كانه قيل وحشرناهم قبل ذلك

فصل قال ابو البقا وابو حيان والاولى ان تكون الواو للحال لذكر نحو مما تقدم **قوله تعالى** فلم نغادر عطف على حشرناهم فانه ماض معنى والمغادرة هنا بمعنى الغدر وهو الترك اي فلم نترك والمفاعلة هنا ليس فيها مشاركة وسمي الغدر غدرا لانه ترك الوفا وغدير الماء من ذلك لان السيل غادره اي تركه فلم يجيه او ترك فيه الماء ويجمع على غدر وغدران كرغيف ورغفان واستغدر الغدير صار فيه الماء والغديرة الشعر الذي نزل حتى طال والجمع غدائر قال امرؤ القيس • غدائره مستشزرات الى العلا • وقرا قتادة فلم تغادر بالتاء من فوق والفاعل ضمير الارض او القدرة المفهومة من السياق وابان تغادر مبنيا للمفعول احد بالرفع والضحاك نغدر بنون العظمة وضمها وسكون الغين وكسر الدال من اغدر بمعنى غدر

فصل ليس في الاية ما يدل على ان الارض الى اين تسير فيحتمل ان الله تعالى يسيرها الى موضع يريده ولم يبين ذلك لخلقه والحق ان المراد انه يسيرها الى العدم لقوله تعالى ويسالونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا فيذرها قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا امتا وقوله تعالى وبست الجبال بسا فكانت هباء منبثا وترى الارض بارزة اي لم يبق عليها شي من الجبال والعمران والشجر بارزة ظاهرة ليس عليها ما يسترها كما قال تعالى فيذرها قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا امتا وقال عطا بارزة ابرزت ما في بطنها وقذفت الموتى المقبورين فيها اي بارزة الجوف والبطن فحذف ذكر ذلك الجوف ودليله قوله تعالى والقت ما فيها وتخلت واخرجت الارض اثقالها وقال وبرزوا لله جميعا وحشرناهم فلم نغادر منهم احدا اي وحشرناهم اي وجمعناهم للحساب فلم نترك من الاولين والاخرين احدا

لم يؤمنوا بك وكانه تعالى قال ان هؤلاء الذين اتوا بهذا الاقتراح الفاسد والتعنت الباطل ما كانوا شركائي في تدبير
العالم لاني ما اشهدتهم خلق السموات والارض ولا خلق انفسهم ولا اعتضدت بهم في تدبير العالم الدنيا والاخرة
بل هم كساير الخلق فلم اقدموا على هذا الاقتراح الفاسد ويؤكد هذا ان الضمير يجب عوده على اقرب مذكور وههنا
بيس للظالمين بدلا **قوله تعالى** وما كنت متخذ المضلين عضدا وضع الظاهر موضع المضمر اذ المراد بالمضلين
من نفي عنهم خلق السموات والارض واعانه بذلك على وصفهم بالقبيح وقرا العامة كنت بضم التاء اخبارا عنه تعالى
وقرا الحسن وابو جعفر بفتحها خطابا لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم وقرا علي بن ابي طالب رضي الله عنه متخذا بتنوين
اسم الفاعل ونصب به المضلين اذ المراد به الحال والاستقبال وقرا عيسى عضدا بفتح العين وسكون الضاد وهو تخفيف شايع
كقول تميم سبع ورجل في سبع ورجل وقرا الحسن عضدا بالضم والسكون وذلك انه نقل حركة العين بعد سلب حركتها
وعنه ايضا عضدا بفتحتين وعضدا بضمتين والضحاك عضدا بكسر العين وفتح الضاد وهذه لغات في هذا الحرف
والعضد من الانسان وغيره معروف ويعبر به عن العون والنصير فيقال فلان عضدي ومنه قوله تعالى
سنشد عضدك باخيك اي سنقوي نصرتك ومعونتك **قوله تعالى** ويوم يقول بمعنى اذكر اي وفي يوم
يقول يجري كيت وكيت وقراءة حمزة نقول بنون العظمة مراعاة للمتكلم في قوله تعالى ما اشهدتهم الى آخره
والباقون بياء الغيبة لتقدم اسمه الشريف العظيم الظاهر اي يقول الله يوم القيمة نادوا شركاي الاوثان وقيل
الجنة ولم يذكر تعالى انهم كيف دعوهم في هذه الآية الكريمة بين ذلك في آية اخرى وهو انهم قالوا انا كنا لكم تبعا
فهل انتم مغنون عنا الذين زعمتم انهم شركاء فدعوهم فاستغاثوا بهم فلم يستجيبوا لهم اي لم يجيبوهم ولم يدفعوا
ولم ينفعوا عنهم ضررا ثم قال تعالى وجعلنا بينهم موبقا اي مهلكا قال عطا والضحاك **فصل**
قال الزمخشري وغيره الموبق المهلك فيقال وبق يوبق وبقا اي هلك ووبق يبوق بوقا ايضا هلك اي ذا وبقه
هلكه واوبقه ذنبه وعن الفرا جعل الله تواصلهم هلاكا فجعل البين بمعنى الوصل وليس بظرف كقوله تعالى
لقد تقطع بينكم على قراءة من قرا بالرفع فعلى الاول يكون موبقا مفعولا اول للجعل والظرف الثاني المتقدم
ويجوز ان تكون متعدية لواحد فيتعلق الظرف بالجعل او بمحذوف على الحال من موبقا وعلى قول الفرا
يكون بينهم مفعولا اول وموبقا مفعولا ثانيا والموبق ههنا يجوز ان يكون مصدرا كالمورد والظاهر
والموعد وهو الظاهر ويجوز ان يكون مكانا قال ابن عباس وهو واد في النار وقال ابن الاعرابي كل حاجز
بين شيئين يكون الموبق وقال الحسن موبقا اي عداوة هي في شدتها هلاك كقولهم لا يكن حبك كلفا وقيل
الموبق البرزخ البعيد وجعلنا بين هؤلاء الكفار وبين الملائكة وعيسى برزخا بعيدا يهلك فيه التصادي
لفرط بعده لانه في قاع جهنم وهو في اعلا الجنان **قوله تعالى** وراي المجرمون النار فظنوا انهم مواقعوها
في هذا الظن قولان الاول انه بمعنى العلم واليقين والثاني قال ابن الخطيب الاقرب الى المعنى ان هؤلاء الكفار
يرون النار من مكان بعيد فيظنون انهم مواقعوها في تلك الساعة من غير تاخير لشدة ما يسمعون من تغيظها
وزفيرها كقوله تعالى اذا راتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا وزفيرا وقوله تعالى مواقعوها اي مخالطوها
فان مخالطة الشيء لغيره اذا كانت تامة قوية يقال لها مواقعة **قوله تعالى** مصرفا المصرف المعدل اي
لم يجدوا عن النار مصرفا اي معدلا قال الهذلي ازهير هل عن شيبة من مصرف ام لا خلود لباذل متكلف
والمصرف من شان ان يكون اسم زمان او مكان وقال ابو البقا مصرفا اي انصرافا ويجوز ان يكون مكانا قال شهاب
الدين وهذا منه لانه جعل المفعل بكسر العين مصدرا لما مضارعه يفعل بكسر بالصحيح وقد نصوا على ان اسم
مصدر هذا النوع مفتوح العين واسم زمانه ومكانه مكسورا كالمضرب والمضرب وقرا زيد بن علي مصرفا
بفتح الراء جعله مصدرا لانه مكسور العين في المضارع فهو كالمضرب بمعنى الضرب وابو البقا ذكر هذه القراءة
ووجهها بما ذكرته قبل **قوله تعالى** ولقد صرفنا بينا للناس في هذا القران من كل مثل اعلم ان الكفار لما افتخروا
على فقراء المؤمنين بكثرة اموالهم واتباعهم وابطل الله اقوالهم الفاسدة وذكر المثلين المتقدمين ذكر بعده
ولقد صرفنا في هذا القران من كل مثل وهو اشارة الى ما سبق والتصريف يقتضي التكرير والامر كذلك
لانه تعالى اجاب عن شبهتهم التي ذكروها من وجوه كثيرة والكفار مع تلك الجوابات الشافية والامثلة
المطابقة لا يتركون المجادلة الباطلة فقال وكان الانسان اكثر شيء جدلا **قوله تعالى** من كل مثل يجوز
ان تكون من مزيدة على راي الاخفش والكوفيين وجدلا منصوب على التمييز وقوله تعالى اكثر شيء اي اكثر
الاشياء التي يتاتى منها الجدال ان فصلها واحدا واحدا من ان الانسان اكثر شيء اي جدلا من كل شيء يجادل من

شيء موضع الاشيا وهذا يجوز ان يكون جدلا منقولا من اسم كان اذ الاصل وكان جدل الانسان اكثر شيء فيه
نظر وكلام ابي البقا يشعر بجوازه فانه قال فيه وجهان احدهما ان شيئا بمعنى مجادل هنا ايضا فالى ما هو بعض
له وتمييزه جدلا لا يقتضي ان يكون الاكثر مجادلا وهذا من وضع العام موضع الخاص والثاني ان في الكلام محذوفا
تقديره وكان جدل الانسان فيفيد ان الانسان كان الى الجدل جائز في الجملة الا انه لا بد من تتميم لذلك وهو انه يجوز
ان يجعل الجدل جدلا كقولهم شعر شاعر يعني ان الجدل الانسان جدلا هو لا اكثر من جدل ساير الاشيا وهذه الآية
دالة على ان الانبياء عليهم الصلاة والسلام جادلوهم في الدين حتى صاروا مجادلين لان المجادلة لا تحصل الا من
الطرفين **قوله تعالى** وما منع الناس ان يؤمنوا الآية تقدم اعراب نظيرها في اواخر السورة قبلها فان قيل
قالت المعتزلة الآية دالة على انه لم يوجد ما يمنع عن الاقدام على الايمان وذلك يدل على فساد قول من يقول انه
جعل المانع فالجواب بان العلم انما يمتنع لانه لا يؤمن معنا ولوجود الايمان واذا كان كذلك ذلك العلم
فانما كان المانع قائما وايضا قول الداعي الى الكفر والا لما وجد لان الفعل الاختياري بدون الداعي محال ووجود
الداعي الى الكفر مانع من حصول الايمان واذا ثبت هذا ظهر ان المراد مقدار الموانع المحسوسة **فصل** المعنى
وما منع الناس ان يؤمنوا اذ جاءهم الهدى القران والاسلام والبيان من الله عز وجل وقيل انه الرسول
صلى الله عليه وسلم **قوله تعالى** ويستغفروا ربهم ويتوبوا **قوله تعالى** الا ان تاتيهم سنة الاولين
من معاينة العذاب كما قالوا ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء **قوله تعالى** او ياتيهم
العذاب قبلا قال ابن عباس اي عيانا من المقابلة وقال مجاهد فجاة والباقون بكسر القاف وفتح الباء اي
عيانا وروى الزمخشري قبلا بفتحتين انهم لا يقدمون على الايمان الا عند نزول العذاب واعلم انهم لا
يقفون على الايمان الا على احد هذين الشرطين لان العاقل لا يرضى بحصول الامرين الا انهم كالمتشبهة
بحال من وقف العمل على احد هذين الشرطين ثم بين تعالى انه انما ارسل الرسل مبشرين ومنذرين بالعقاب على المعصية
لكي يؤمنوا طوعا ومع هذه الاحوال يوجد من الكفار المجادلة بالباطل لغرض دحض الحق وهذا يدل على ان الانبياء
كانوا يجادلونهم لما تقدم من ان المجادلة انما تحصل من الجانبين ومجادلتهم قولهم ابعث الله بشرا رسولا وقولهم
لولا نزل هذا القران على رجل من القريتين عظيم **قوله تعالى** ليدحضوا متعلق بيجادل والادحاض الازلاق
يقال ادحض قدمه اي ازلقها وازالها من موضعها والحجة الداحضة التي لا ثبات لها لزلزلة قدمها والدحض
الطين لانه يزلق فيه قال الشاعر • ابا منذر رمت الوفا وهبته •
وحدت كما حاد البعير عن الدحض • وقال الاخر • ردت ونجى اليشكري حذاره •
وحاد كما حاد البعير عن الدحض • ومكان دحض ومن هذا قوله وما انذروا يجوز في ما هذه ان تكون
مصدرية وان تكون بمعنى الذي والعايد محذوف وعلى التقديرين فهي عطف على آياتي وهزوا مفعول ثان وهذا
وتقدم الخلاف وهزوا وفي قوله تعالى وما انذروا هزوا واضمار اي وما انذروا به وهو القران هزوا اي استهزاء
قوله تعالى ومن اظلم الآية تقدم اعراب نظيرها في الانعام واعلم انه تعالى لما حكى عن الكفار جدالهم
بالباطل ووصفهم بالصفات الموجبة للخزي والخذلان فقال ومن اظلم ممن كذب بآيات ربه اي لا ظلم اعظم
ممن كفر من ترد عليه الآيات فيعرض عنها ويتركها ولا يؤمن بها وينسى ما قدمت يداه اي مع اعراضه عن التامل
في الدلايل والبينات يتناسى ما قدمت يداه من الاعمال المنكرة والمراد بالنسيان التشاغل والتغافل عن كفره
المتقدم **قوله تعالى** انا جعلنا على قلوبهم اكنة اغطية **قوله تعالى** ان يفقهوه لئلا يفهموه
قوله تعالى وفي آذانهم وقرا صمما وثقلا **قوله تعالى** وان تدعهم يا محمد الى الهدى الى الدين **قوله
تعالى** فلن يهتدوا اذا ابدا وهذا في اقوام علم الله منهم انهم لا يؤمنون وتقدم الكلام على هذه الآية في سورة
الانعام والبحث في قوله تعالى ومن اظلم ممن ذكر بآيات ربه فاعرض عنها ونسي ما قدمت يداه متمسكا للقدرية
وقوله انا جعلنا على قلوبهم اكنة ان يفقهوه الى آخر الآية متمسك الجبرية وقل ما تجد في القران آية لاحد هذين
الفريقين الا ومعها آية للفريق الآخر والتجربة تكشف عن صدق هذا وما ذاك الا امتحان من الله القاه على عباده
ليتميز العلماء الراسخون عن المقلدين ثم قال تعالى وربك الغفور ذو الرحمة الغفور البليغ المغفرة وهو اشارة الى دفع
المضار ذو الرحمة الموصوف وانما ذكر لفظ المبالغة في المغفرة لا في الرحمة لان الرحمة ترك المضار **قوله تعالى**
موئلا يجوز ان يكون مصدرا او زمانا او مكانا والموئل المرجع من وال يئل اي رجع وهو لنا وبل وقال الفرا
الموئل المنجا وال نفسه اي نجت قال الاعشى • وقد اخالس رب البيت غفلته • وقد يحاذر مني ثم ما يئل •

اي ما يجئ وقال ابن قتيبة الموئل الملجا يقال آل فلان الى فلان اي لجا وآل يول وئلا اذا لجا اي لجا اليه وهو هنا مصدر وموضع ونه متعلق بالوجدان لانه متعلق متعد لواحد ومحذوف على انه حال من موئلا وقرا ابو جعفر بواو مكسورة فقط والزهري بواو مشددة فقط **قوله تعالى** وتلك القرى اهلكناهم اي قرى الاولين قوم نوح وعاد وغيرهم وتلك مبتدا والقرى خبره واهلكناهم حينئذ خبر ثان او حال ويجوز ان يكون تلك مبتدا والقرى صفتها لان اسماء الاشارة توصف باسماء الاجناس او بيان لها او بدل منها واهلكناهم الخبر ويجوز ان يكون تلك منصوب المحل بفعل مقدر على الاشتغال والاضمار في اهلكناهم عائد على اهل المضاف الى القرى اذ التقدير واهل تلك القرى فراعى المحذوف فاعاد الضمير ونقدم ذلك في اول الاعراف ولما ظلموا يجوز ان يكون حرفا وان يكون ظرفا وقد تقدم **قوله تعالى** وجعلنا لمهلكهم وقرا عاصم مهلك بفتح الميم والباقون بضمها فتحصل قراآت لعاصم بفتح الميم وفتح اللام وهي رواية ابي بكر عنه والثانية فتح الميم مع كسر اللام وهي رواية حفص عنه والثالثة بفتح اللام وضم الميم وهي قراءة الباقين فاما قراءة ابي بكر فمهلك فيها مصدر مضاف لفاعله وجوز ابو علي ان يكون مضافا لمفعوله وقال ان هلك يتعدى دون همزة وانشد

• ومهمة هالك من تعرجا • فمن يعول الدر لكد وقد هلك •

وقد منع الناس ذلك وقالوا لا دليل في البيت لجواز ان يكون ذلك من باب الصفة المشبهة والاصل هالك من تعرج فمن تعرج فاعل لهالك ثم اضمر في هالك ضمير مهمه ونصب من تعرج نصب الوجه من قولك مررت برجل حسن الوجه ثم اضاف الصفة وهي هالك الى معموله فالاضافة من نصب والنصب من رفع ثم هو كقولك زيد منطلق اللسان وملتبس الكف ولولا تقدير النصب لامتنعت الاضافة اذ اسم الفاعل لا يضاف الى مرفوعه وقد يقال لا حاجة الى تقدير النصب اذ هذا جار مجرى الصفة المشبهة والصفة المشبهة تضاف الى مرفوعها الا ان هذا مبني على خلاف آخر وهو هل يقع الموصول في باب الصفة ام لا والصحيح جوازه قال الشاعر

• فعجتها قبل الاخيار منزلة • والطيبي كل ما التاثت به الازر • وقال

الهذلي • اما الاقارب فاذن دفا وحصورها • ومرآن ما التفت عليه المراهف •

وقال ابو حيان في قراءة ابي بكر هذه انه زمان ولم يذكر غيره وجوز غيره فيه الزمان والمصدر وهو عجيب فان الفعل متى كسرت عين مضارعه فتحت في المفعل مرادا به المصدر وكسرت فيه مرادا به الزمان والمكان وكانه اشتبه عليه بقراءة حفص فان فيها الامرين كما تقدم كالمفعل منه للزمان والمكان وجوز ابو البقا في قراءته ان يكون المفعل فيها مصدرا قال وشذ فيه الكسر كالمرجع واذا قلنا انه مصدر ثم هل هو مضاف لفاعله اي مفعوله كما تقدم في قراءة رفيقه ويخرج اي على استشهاده بالبيت والرد عليه كل ذلك عائد هنا واما قراءة الباقين فواضحة ومهلك يجوز فيها ان يكون مصدرا مضافا لمفعوله اي لاهلاكهم وان يكون زمانا ويبعد ان يراد به المفعول اي وجعلنا للشخص او للعوني المهلكين منهم والموعد مصدر او زمان **قوله تعالى** واذ قال موسى لفتيه الاية اذ منصوب باذكر او وقت لفتاه جرى ما قصصنا عليك من خبره قال اهل العلم انه موسى بن عمران وقال بعضهم انه موسى بن ميشا من اولاد يوسف والاول اصح لما روي عمرو بن دينار قال اخبرني سعيد بن جبير قال قلت لابن عباس ان نوفا البكالي يزعم ان موسى بني اسرائيل فقال ابن عباس كذب عدو الله حدثنا ابي بن كعب انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان موسى قام خطيبا في بني اسرائيل فسئل اي الناس اعلم فقال انا فاوحى اليه ان لي عبدا بمجمع البحرين هو اعلم منك فقال موسى يا رب فكيف لي ان اجتمع به قال تاخذ حوتا فتجعله في مكتل فحيثما فقدت الحوت فهو ثم فاخذ حوتا فجعله في مكتل ثم انطلق وانطلق معه فتاه يوشع بن نون حتى اتيا الصخرة وضعا رؤسهما فناما واضطرب الحوت في المكتل فخرج منه فسقط في البحر فاتخذ سبيله في البحر سربا وامسك الله عن الحوت جرية الماء فصار كالطاق فلما استيقظ نسي صاحبه ان يخبره بالحوت فانطلقا بقية يومهما وليلتهما حتى اذا كان من الغداة قال موسى لفتيه اتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا قال ولم يجد موسى النصب حتى جاوز المكان الذي امر به فقال له فتيه ارايت اذ اوينا الى الصخرة فاني نسيت الحوت وما انسانيه الا الشيطان ان اذكره واتخذ سبيله في البحر عجبا قال فكان الحوت سربا ولموسى وفتاه عجبا قال ذلك ما كنا نبغ فارتدا على آثارهما قصصا رجعا يقصان آثارهما حتى انتهيا الى الصخرة فاذا رجل مسجى ثوبا فسلم عليه موسى فقال الخضر واني بارضك السلام فقال انا موسى قال موسى بني اسرائيل قال نعم اتيتك لتعلمني مما علمت رشدا القصة واعلم انه كان ليوسف عليه السلام ولدان افرائيم وميشا وولد نون يوشع بن نون وهو فتى موسى وولي عهده بعده وفاته واما ولد ميشا فقيل انه جاءته النبوة قبل موسى بن عمران واهل التوراة يزعمون انه هو الذي طلب هذا العالم ليتعلم منه وهو العالم الذي خرق السفينة وقتل الغلام وبنى الجدار وموسى بن ميشا معه هذا قول جمهور اليهود واحتج القفال على صحة قول الجمهور بانه قال ان الله تعالى ما ذكر موسى في كتابه والا اراد به موسى صاحب التوراة فاذا اطلاق هذا الاسم يوجب الانصراف اليه ولو كان المراد شخصا آخر يسمى موسى غيره لعرفه بصفة تميزه وتزيل الشبهة كما انه لما كان المشهور في العرفان ابا حنيفة هو الرجل المفتي فلو ذكرنا هذا الاسم واردنا به غيره لقيدناه كما نقول ابو حنيفة الدينوري فان قيل واحتج القائلون بانه موسى بن ميشا بان الله تعالى بعد ان انزل عليه التوراة وكلمه بلا واسطة وخصه بالمعجزات الباهرة العظيمة التي لم يتفق مثلها لاكثر اكابر الانبياء عليهم الصلاة والسلام يبعد ان يبعثه بعد ذلك الى التعلم والاستفادة فالجواب عنه بانه ليس يبعد ان يكون العالم العامل الكامل في اكثر العلوم يجهل بعض الاشياء فيحتاج الى تعلمها الى من هو دونه وهو امر متعارف **فصل** واختلفوا في فتى موسى انه يوشع بن نون كما روي في الحديث المتقدم وقيل كان اخا يوشع وروى عمرو بن عبيد عن الحسن انه عبد لموسى قال القفال والكعبي يحتمل ذلك قال عليه الصلاة والسلام لا يقولن احدكم عبدي وامتي وليقل فتاي وفتاتي وهذا يدل على انهم يسمون العبد والامة فتاة **قوله تعالى** لا ابرح يجوز فيها وجهان احدهما ان تكون ناقصة فتحتاج الى خبر والثاني ان تكون تامة فلا تحتاج اليه فان كانت الناقصة ففيها تخريجان احدهما ان يكون الخبر محذوفا للدلالة عليه تقديره لا ابلغ الا ان الخبر في هذا الباب نص بعض النحويين على انه لا يجوز ولو بدليل الا في ضرورة كقوله •

• لهفي عليك للهفة من خايف • يبغي جوارك حين ليس مجير •

اي حين ليس في الدنيا مجير والثاني انه ليس في الكلام حذف مضاف تقديره لا يبرح مسيري حتى ابلغ ثم حذف سير واقام الياء مقامه فانقلب مرفوعة مستترة بعد ان كانت مخفوضة المحل بارزة وبقي حتى ابلغ على حاله هو الخبر وخلط الزمخشري هذين الوجهين فجعلهما وجها واحدا ولكن في عبارة حسنة جدا فقال **قوله تعالى** لا ابرح ان كان بمعنى لا ازول من برح المكان فقد دل على الاقامة لا بمعنى السفر وان كان بمعنى لا ازال فلا بد من خبر **فصل** هي بمعنى لا ازال وقد حذف الخبر لان الحال والكلام معا يدلان عليه اما الحال فلانها كانت حال سفر واما الكلام فلان قوله حتى ابلغ غاية مضروبة تستدعي ما هي غاية له فلا بد ان يكون المعنى لا ابرح مسيري حتى ابلغ على ان حتى ابلغ هو الخبر فلما حذف المضاف اقيم المضاف اليه مقامه وهو ضمير المتكلم فانقلب الفعل عن ضمير المتكلم الى لفظ الغائب وهو وجه لطيف قال ابو حيان وهذا على حسنه فيه نظر لا يخفى وهو خلو الجملة الواقعة خبرا عن مسيري في الاصل عن رابط يربطها به الا ترى انه ليس في قوله حتى ابلغ ضمير يعود على مسيري انما يعود على المضاف اليه المسير ومثل ذلك لا يكفي ويمكن ان يجاب عنه بان العائد محذوف تقديره حتى ابلغ اي بمسيري وان كانت التامة كان معنى لا ابرح ما انا عليه بمعنى الزم المسير والطلب ولا افارقه ولا اتركه حتى ابلغ كما يقال لا ابرح المكان فعلى هذا يحتاج ايضا على حذف مفعول به كما تقدم تقديره فالحذف لا بد منه على تقديري التمام والنقصان في احد وجهي النقصان وقرا العامة مجمع بفتح الميم وهو مكان الاجتماع وقيل مصدر وقرا الضحاك وعبد الله بن علي ومسلم بن يسار بكسرها وهو شاذ لفتح عين مضارعه **قوله تعالى** حقبا منصوب على الظرف وهو بمعنى الدهر وقيل ثمانون سنة وقيل سنة واحدة في لغة قريش وقيل سبعون وقرا الحسن حقبا باسكان القاف فيجوز ان يكون تخفيفا وان تكون لغة مستقلة ويجمع على احقاب كعنق واعناق وفي معناه الحقبة بالكسر قال امرؤ القيس • فان تناء عنها حقبة لا تلاقها • فانك مما احدثت بالمجرب • والحقبة بالضم ايضا ويجمع الاولى على حقب بكسر الحاء كقرب والثانية على حقب بضمها كقرب فان قيل قوله تعالى او امضي فيه وجهان اظهرهما انه منسوق على ابلغ يعني باحد امرين اما ببلوغ المجمع او بمضيه حقبا والثاني انه تعبد فيكون منصوبا باضمار ان بعد او بمعنى الى نحو لالزمنك او تقضيني حقي فالجواب قال ابو حيان فالمعنى لا ابرح حتى ابلغ مجمع البحرين الى ان امضي زمانا اتيقن معه فوات مجمع البحرين قال ابو شهاب الدين فيكون الفعل المنفي قد غيا بغايتين زمانا ومكانا فلا بد من حصولهما معا نحو لا اسيرن من بيتك الى الظهر فلا بد من حصول الغايتين والمعنى الذي ذكره الشيخ يقتضي انه معنى زمان يتيقن فيه فوات مجمع البحرين وجعل ابو البقاء هذا بمعنى الا في احد الوجهين قال والثاني انها بمعنى الا ان امضي زمانا اتيقن فيه فوات مجمع البحرين وهذا الذي ذكره ابو البقاء معنى صحيح فاخذ الشيخ هذا المعنى وركبه على القول بانها بمعنى الى المقتضية للغاية فمن ثم جاء الاشكال

قوله تعالى مجمع البحرين الذي وعد فيه لقاء الخضر عليهما الصلاة والسلام وهو ملتقى بحري فارس
والروم مما يلي المشرق قاله قتادة وقال ابي بن كعب افريقيه وقيل البحران موسى والخضر لانهما كانا بحري علم وليس في
اللفظ ما يدل على تعيين هذين البحرين فان صح بالخبر الصحيح فذاك والا فالاولى السكوت عليه ثم قال او امضي
حقبا او امير زمانا طويلا او اعلم ان الله تعالى كان اعلم موسى حال هذا العالم وما اعلمه موضعه بعينه فقال
هذا العالم فهذا اخبار من موسى بانه وطن نفسه على تحمل التعب الشديد والعناء العظيم في السفر لاجل طلب العلم
وذلك تنبيه على ان المتعلم لو سار من المشرق الى المغرب لاجل مسالة لحق له ثم قال **قوله تعالى** فلما بلغا
مجمع بينهما اي فانطلقا الى ان بلغا مجمع بينهما والضمير في قوله بينهما الى ما ذا يعود فقيل الى مجمع البحرين وقيل
بلغا الموضع الذي وقع فيه نسيان الحوت وهو الموضع الذي كان يسكنه الخضر عليه السلام اي بقربه ولاجل هذا
المعنى لما رجع موسى وفتاه بعد ان ذكر الحوت صار اليه وهو معنى حسن والمعروف على القول الاول **قوله تعالى**
نسيا حوتهما الظاهر نسبة النسيان الى موسى وفتاه يعني نسيا تفقد امره فانه كان علامة لهما على ما يطلبانه
وقيل نسي موسى ان يامره بالاتيان به ونسي يوشع ان يذكره به وقيل الناسي يوشع فقط وهو على حذف اي نسي
احدهما كقوله تعالى يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان **قوله تعالى** سربا مفعول ثان وفي البحر يجوز ان يتعلق باتخذ وان
يتعلق بمحذوف على انه حال من المفعول الاول والثاني والهاء في سبيله تعود على البحر وكذا الموضع في اتخذ وقوله
جاوزا مفعوله محذوف اي جاوزا الموعد وقيل جاوزا مجمع البحرين **قوله تعالى** هذا اشارة الى السفر الذي
وقع بعد تجاوزهما الموعد او مجمع البحرين ونصبا مفعول بلقينا والعامة على فتح النون والصاد وعبد الله بن
عبيد بن عمير بضمهما وهما لغتان من لغات اربع في هذه اللفظة كذا قال ابو الفضل الرازي في لوامحه **قوله**
ارايت تقدم الكلام عليها مشبعا في الانعام وقال ابو الحسن الاخفش هنا فيها كلاما حسنا وهو ان العرب
اخرجتها من معناها بالكلية فقالوا ارايتك وارايتك بحذف الهمزة اذا كانت بمعنى اخبرني واذا كانت بمعنى
البصر لم يحذف همزتها وشذت ايضا فالزمتها الخطاب على هذا المعنى ولا يقال فيها ايضا اراني زيدا عمرا ما صنع
ويقال هذا على معنى اعلم وشذت ايضا واخرجتها عن موضعها بالكلية بدليل دخول الفاء الا ترى الى قوله تعالى ارايت
اذ اوينا الى الصخرة فاني فما دخلت الفاء وقد اخرجت الى معنى اما او تنبه والمعنى اما اذ اوينا الى الصخرة فاني نسيت الحوت
وقد اخرجها ايضا الى معنى اخبرني كما قدمناه واذا كانت بمعنى اخبرني فلا بد بعدها من الاسم المستخبر عنه
ويلزم الذي بعدها الاستفهام وقد تخرج لمعنى اما ويكون ابدا بعدها الشرط وظروف الزمان فقوله تعالى
نسيت معناه اذ اوينا فاني او نبهه اذ اوينا فاني وليست الفاء الا جوابا لارايت لان اذ لا يصح ان يجازى بها الا مقرونة
بما بلا خلاف فان قيل فالزمخشري ارايت بمعنى اخبرني فالجواب ان وجه القيام بهذا الكلام فان كل
واحد من ارايت ومن اذ اوينا فاني او نسيته ومن فاني نسيت لا تتعلق به **فصل** لما طلب موسى الحوت
ذكر يوشع ما راى منه وما اعتراه من نسيانه الى تلك الغاية ودهش وطفق يسال موسى عن سبب ذلك كانه قال
ارايت ما دهاني اذ اوينا الى الصخرة فاني نسيت الحوت فحذف ذلك قال ابو حيان وهذا مفقود في تقدير
الزمخشري ارايت بمعنى اخبرني يعني هذين ما تقدم في كلام الاخفش من انه لا بد بعدها من الاسم المستخبر عنه
ولزوم الاستفهام الجملة التي بعدها قال النووي في التهذيب يقال اوى زيد بالقصر اذا كان فعلا لازما
واوى غيره بالمد اذا كان متعديا فمن الاول هذه الاية وقوله تعالى اذ اوى الفتية الى الكهف ومن المتعدي
قوله تعالى واويناهما الى ربوة ذات وقوله تعالى الم يجدك يتيما فاوى هذا هو الفصيح المشهور وقيل في كل
واحد بالمد والقصر لكن في اللازم افصح والمد في المتعدي افصح واكثر **قوله تعالى** وما انسانيه قرا حفص
بضم الهاء وكذا في سورة الفتح في قوله عليه الله قيل لان الياء هنا اصلها الفتح والهاء بعد الفتحة مضمومة فنظر هنا
الى الاصل واما في سورة الفتح فلان الياء عارضة اذ اصلها الالف والهاء بعد الالف مضمومة فنظر الى الاصل ايضا
والباقون بالكسر نظرا الى اللفظ فانها بعد ياء ساكنة وقد جمع حفص في قراءته بين اللغات في هاء
الكناية فانه ضم الهاء في انسانيه من غير صلة ووصلها بياء في قوله فيه مهانا على ما سياتي ان شاء الله تعالى
وقرا في اكثر القرآن بما سوى ذلك وقرا الكسائي انسانيه بالامالة **قوله تعالى** ان اذكره في محل نصب
على البدل من هاء انسانيه بدل اشتمال اي انساني ذكره وقرا عبد الله ان اذكر وقرا ابو حيوة والحا في سبيله بالعطف
على المصدر على مفعول اذكره **قوله تعالى** عجبا فيه اوجه احدها انه مفعول ثان لاتخذ وفي البحر يجوز
ان يتعلق بالاتخاذ او بمحذوف على انه حال من المفعول الاول والثاني وفي فاعل اتخذ وجهان احدهما هو الحوت

كما تقدم

كما تقدم في اتخذ الاول والثاني هو موسى الوجه الثاني من اوجه عجبا انه مفعول به والعامل فيه محذوف
فقال الزمخشري وقال عجبا انه مفعول به والعامل فيه محذوف وقوله تعالى وما انسانيه الا الشيطان اعتراض
بين المعطوف والمعطوف عليه وظاهر هذا انه مفعول يقال اي قال على هذا اللفظ والسبب في وقوع هذا الاعتراض
ما يجري مجرى العذر والعلة لوقوع ذلك النسيان الثالث انه مصدر والعامل فيه مقدر تقديره فتعجب من ذلك
عجبا الرابع انه نعت لمصدر محذوف ناصبه اتخذ اي اتخذ سبيله في البحر اتخاذا عجبا وعلى هذه الاقوال الثلاثة
يكون في البحر مفعولا ثانيا لاتخذ ان عديناها لمفعولين **فصل** دلت الروايات على انه تعالى بين
لموسى صلى الله عليه وسلم ان هذا العالم موضعه مجمع البحرين الا انه ما عين موضعا الا انه جعل انقلاب الحوت
حيا علامة على مسكنه المعين كمن يطلب انسانا فيقال له ان موضعه كذا من كذا فاذا انت بلغت الى محله فاسأل فلانا
عن داره فاينما ذهب بك فاتبعه فانه يصل اليه فكذا هنا قيل له ان موضعه مجمع البحرين فاذا وصلت اليه ورايت
انقلاب الحوت حيا وطفر الى البحر فيحتمل انه قيل له فهنالك موضعه ويحتمل انه قيل له فاذهب على موافقته
ذلك الحوت فانك تجده واذا عرفت هذا فنقول ان موسى وفتاه لما بلغا مجمع بينهما طفرت السمكة الى البحر وصارت
حية وقيل ان يوشع توضأ في ذلك المكان من عين ماء الحياة لا يصيب ذلك الماء شيئا الا حيي فانتضح الماء على الحوت
المالح فعاش ووثب في الماء وقيل انفجر هنالك عين من الجنة ووصلت قطرات من تلك العين الى السمكة وهي في المكتل
فاضطربت وعاشت ووثبت في البحر ثم قال تعالى نسيا حوتهما اي نسيا كيفية الاستدلال بهذه الحالة المخصوصة
على الوصول الى المطلوب فان قيل انقلاب السمكة المالحة حية حالة عجيبة جعل الله تعالى حصول هذه الحالة
العجيبة دليلا على الوصول الى المطلوب فكيف يعقل حصول النسيان في هذا المعنى فالجواب ان يوشع كان قد شاهد
المعجزات الباهرات من موسى عليه السلام كثيرا فلم يبق لهذه المعجزة عنده وقع عظيم فجاز حصول النسيان وهذا الجواب
فيه نظر قال ابن زيد اي شيء اعجب من حوت يوكل منه دهرا ثم صار حيا بعد ما اكل بعضه **فصل**
قال ابن الخطيب وعندي فيه جواب اخر وهو ان موسى عليه السلام لما استعظم علم نفسه ازال الله عن قلب صاحبه
هذا العلم الضروري تنبيها لموسى عليه السلام على ان العلم لا يحصل الا بتعليم الله وحفظه على القلب
وقال البغوي نسيا تركا حوتهما وانما كان الحوت مع يوشع وهو الذي نسيه واضاف النسيان اليهما لانهما جميعا
تزوداه لسفرهما كما يقال خرج القوم الى موضع كذا وحملوا من الزاد كذا وانما حمله واحد منهم قال فاتخذ سبيله
في البحر سربا قيل تقديره سربا في البحر سربا الى انه اقيم قوله واتخذ مقام قوله سرب والسرب هو الذهاب ومنه قوله
تعالى وسارب بالنهار وقيل ان الله تعالى امسك الماء عن الجري وجعله كالطاق والكوة حتى سرب الحوت فيه وذلك
معجزة لموسى والخضر عليهما السلام روي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال انجاب الماء عن مسلك الحوت فصار كوة لم تلتئم
فدخل موسى الكوة على اثر الحوت فاذا هو بالخضر وقوله تعالى فلما جاوزا اي موسى وفتاه الموعد المعين وهو الوصول
الى الصخرة بسبب النسيان المذكور وذهبا كثيرا وتعبا وجاعا قال موسى لفتاه آتنا غداءنا والغداء ما يؤكل
بالغداة كالعشاء ما يعد للاكل عشية لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا اي تعبا وشدة وذلك انه القي على موسى
الجوع بعد مجاوزة الصخرة ليتذكر الحوت ويرجع الى مطلبه فقال له فتاه وتذكر ارايت اذ اوينا الى الصخرة الهمزة في ارايت
همزة الاستفهام ورايت على معناه الاصلي وجاء هذا الكلام على ما هو المتعارف بين الناس لانه اذا اصاب احدا امر
حدث لاحدهم امر عجيب قال لصاحبه ارايت ما حدث لي كذلك هنا قال ارايت ما وقع لي اذ اوينا الى الصخرة فحذف
مفعول ارايت لانه اي لان قوله ولا اني نسيت الحوت اي فقدته وما انسانيه الا الشيطان ان اذكره اي اذكر لك امر الحوت
واتخذ سبيله في البحر عجبا ووجه كونه عجبا جعل الماء عليه كالطاق والسرب وقيل تم الكلام عند قوله تعالى واتخذ
سبيله في البحر ثم قال عجبا اي انه يعجب من رؤية تلك العجيبة ومن نسيانه لها وقيل ان قوله عجبا حكاية لتعجب
موسى عليه الصلاة والسلام ثم قال موسى ذلك ما كنا نبغي اي نطلبه لانه امارة الظفر بالمطلوب وهو لقاء الخضر
عليه السلام **قوله تعالى** نبغي حذف نافع وابو عمرو والكسائي ياء نبغي وقفا واثبتوها وصلا وابن كثير اثبتها
في الحالين والباقون حذفوها في الحالين وكان حقها الثبوت وانما حذفت تشبيها بالفواصل ولان الحذف
يونس بالحذف فلان ما موصولة حذف عائدها وهذه بخلاف التي في يوسف فانها ثابتة عند الجميع كما تقدم
قوله تعالى قصصا فيه ثلاثة اوجه الاول انه مصدر في موضع الحال فاصله الثاني انه مصدر منصوب
بفعل من لفظه مقدر اي يقصان قصصا الثالث انه منصوب بارتدا لانه في معنى فقصا **قوله تعالى**
فوجدا عبدا من عبادنا الاية قيل انه كان ملكا من الملائكة والصحيح ما ثبت في التواريخ وصح عن النبي صلى الله

عليه وسلم ان الخضر اليا بن ملكان وقيل كان من نسل بني اسرائيل وقيل كان من ابناء الملوك الذين زهدوا في الدنيا
والخضر لقب له سمي بذلك لما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال انما سمي خضرا لانه جلس على فروة بيضاء فاذا هي تهتز
خضرا وقال مجاهد انما سمي خضرا لانه اذا صلى اخضر ما حوله فان قيل روي في الحديث ان موسى عليه السلام لما لقي الخضر
عليه السلام سلم عليه فقال الخضر وانى بارضك السلام قال انا موسى قال موسى بني اسرائيل قال نعم اتيتك لتعلمني مما علمت
رشدا فالجواب قال اكثر المفسرين انه نبيا واحتجوا بوجوه الاول قوله تعالى واتيناه رحمة من عندنا والرحمة هي النبوة
لقوله تعالى اهم يقسمون رحمة ربك وقوله تعالى وما كنت ترجوا ان يلقى اليك الكتاب الا رحمة من ربك والمراد
من هذه الرحمة النبوة ولقائل ان يقول سلمنا ان النبوة رحمة ولكن لا يلزم ان كل رحمة نبوة الثاني قوله تعالى وعلمناه
من لدنا علما وهذا يقتضي انه علمه لا بواسطة ومن علمه الله شيئا لا بواسطة البشر يجب ان يكون نبيا وهذا ضعيف
لان العلوم الضرورية تحصل ابتداء من عند الله وذلك لا يدل على النبوة الثالث قول موسى عليه السلام هل اتبعك على ان
تعلمني مما علمت رشدا والنبي لا يتبع غير النبي في العلوم وهذا ايضا ضعيف لان العلوم الضرورية التي باعتبارها صار
نبيا اما غير تلك العلوم فله الرابع ان ذلك العبد اظهر الترفع على موسى فقال وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا
واما موسى فاظهر التواضع له حيث قال لا اعصي لك امرا وذلك يدل على ان ذلك العالم كان فوق موسى ومن لا يكون
نبيا لا يكون فوق النبي وذلك ايضا ضعيف لانه يجوز ان يكون غير النبي فوق النبي في علوم لا يتوقف نبوته عليها
فان قيل انه يوجب التنفير فالجواب ان ارسال موسى للتعلم منه بعد انزال الله عليه التوراة وكلمه بغير واسطة يوجب
التنفير فان قالوا هذا لا يوجب التنفير فكذلك فيما ذكروه الخامس احتج الاصم بقوله وما فعلته عن امري ومعناه ما
فعلته الا بوحي الله وذلك يدل على النبوة وهذا ضعيف ايضا روي ان موسى عليه السلام لما وصل اليه فقال السلام
عليك فقال وعليك السلام يا نبي بني اسرائيل فقال موسى من عرفك هذا فقال الذي بعثك الي وهذا يدل على انه انما
عرف ذلك بالوحي والوحي لا يكون الا الى النبي ولقائل ان يقول لم لا يجوز ان يكون ذلك من باب الكرامات قال البغوي
ولم يكن الخضر نبيا عند اكثر اهل العلم **قوله تعالى** آتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علما اي علم الباطن
الهاما وعلما مفعول ثاني لعلمناه قال ابو البقا لو كان مصدرا لكان تعليما يعني لان فعله على فعّل بالتشديد
وقيل هو مصدر من غير لفظ الفعل **قوله تعالى** من لدنا يجوز ان يتعلق بالفعل قبله ويجوز وقف على انه حال
من علما **قوله تعالى** على ان تعلمني في موضع الحال من الكاف في اتبعك اي اتبعك باذلا لي علمك
قوله تعالى رشدا مفعول ثاني لتعلمني لا لقوله مما علمت قال ابو البقا لانه لا عائد اذا على الذي يعني
انه اذا تعدى لمفعول فانه غير ضمير الوصل لم يجز ان يتعدى لضمير الموصول لئلا يتعدى الى ثلاثة ولكن لا بد
من عائد على الموصول وقد تقدم خلاف القراء في رشدا في سورة الاعراف وهل هما بمعنى او لا قوله تعالى
رشدا اي علما ذا رشد قال القفال رشدا يحتمل وجهين احدهما ان يكون الرشد راجعا الى الخضر اي مما علمك
الله وارشدك به والثاني ان يرجع الى موسى اي على ان تعلمني وترشدني مما علمت **فصل** دلت
هذه الاية على ان موسى عليه السلام راعى انواعا كثيرة من الادب واللطف عندما اراد ان يتعلم من الخضر
منها انه جعل نفسه تبعا له في قوله هل اتبعك ومنها انه استاذن في اثبات هذه التبعية كانه قال تاذن لي
على ان اجعل نفسي تبعا لك وهذه مبالغة عظيمة في التواضع ومنها على ان تعلمني وهذا اقرار منه على نفسه بالجهل
وعلى استاذه بالعلم ومنها قوله تعالى مما علمت وصيغة من للتبعيض فطلب منه تعليم بعض ما علم وهذا ايضا
اقرار بالتواضع كانه يقول لا اطلب منك ان تجعلني مساويا لك في العلم بل اطلب منك ان تعطيني جزءا من اجزاء
ما علمت ومنها قوله مما علمت اعتراف بان الله تعالى علمه ذلك العلم ومنها قوله رشدا طلب منه الارشاد والهداية
ومنها ان قوله تعلمني مما علمت طلب منه ان يعاملني بمثل ما عامله الله به اي يكون انعامك علي عند تعليمك اياي
شبيها بانعام الله عليك في هذا التعليم ومنها قوله هل اتبعك يدل على طلب متابعته مطلقا في جميع الامور
غير مقيد بشيء دون شيء ومنها انه ثبت في الاخبار ان الخضر عرف اولا انه موسى صاحب التوراة وهو الذي كلمه الله
من غير واسطة وكلمه بالمعجزات القاهرة الباهرة ثم انه عليه السلام مع هذه المناصب الرفيعة والدرجات العالية
الشريفة اتى بهذه الانواع الكثيرة من التواضع وذلك يدل على كونه عليه السلام آتيا في طلب العلم اعظم ابواب
والمبالغة في التواضع وهذا هو اللائق به لان كل من كانت احاطته بالعلوم اكثر كان علمه بما فيها من البهجة والسعادة
اكثر كان طلبه لها اشد وكان تعظيمه لارباب العلم اكمل واشد ومنها قوله هل اتبعك على ان تعلمني فاثبت اولا كونه
تبعا ثم طلب ثانيا ان يعلمه وهذا منه ابتداء بالخدمة ثم في المرتبة الثانية طلب منه التعليم ومنها قوله هل اتبعك

انه يطلب

لم يطلب على المتابعة الا التعليم كانه قال لا اطلب منك على هذه المتابعة المال والجاه ولا غرض لي الا طلب العلم
فصل روي انه لما قال موسى هل اتبعك على ان تعلمني قال له الخضر كفى بالتوراة علما وببني اسرائيل
شغلا فقال له موسى ان الله امرني بهذا فحينئذ قال له انك لن تستطيع معي صبرا وانما قال ذلك لانه علم انه يرى بعده
امورا كثيرة منكرة بحسب الظاهر ولا يجوز للانبياء ان يصبروا على المنكرات ثم بين عذره في ترك الصبر فقال وكيف
تصبر على ما لم تحط به خبرا اي علما واعلم ان المتعلم على قسمين متعلم ليس عنده شيء من العلوم ولم يمارس الاستدلال
ولم يتعود التقرير والاعتراض ومتعلم حصل الامور الكثيرة ومارس الاستدلال والاعتراض ثم انه يريد ان يخالط
انسانا اكمل منه ليبلغ درجة الكمال فالتعلم في حق هذا القسم شاق شديد لانه اذا رأى شيئا او سمع كلاما فربما يكون
ذلك منكرا بحسب الظاهر الا انه في الحقيقة صواب حق فهذا المتعلم لاجل انه الف الكلام والجدل يغتر بظاهره
ولاجل عدم كماله لا يقف على سر حقيقته فيقدم على النزاع والاعتراض والمجادلة وذلك مما يثقل سماعه
على الاستاذ المتبحر فاذا اتفق مثل هذه الواقعة مرتين او ثلاثة حصلت النفرة التامة والكراهة الشديدة العظيمة
واليه اشار الخضر بقوله انك لن تستطيع معي صبرا اي انك الفت الاثبات والابطال والاستدلال والاعتراض
وقوله وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا اشارة الى كونه غير عالم بالحقائق وقد تقدم انه متى حصل الامران
عسر السكوت وصعب التعلم وانتهى الامر بالآخرة الى النفرة التامة وحصول التقاطع **قوله تعالى** خبرا فيه
وجهان الاول انه تمييز لقوله تحط وهو منقول من الفاعلية اذ الاصل بما لم يحط به خبرك والثاني انه مصدر
معنى لم تحط اذ هو في قوة لم تخبره خبرا وقرأ الحسن خبرا بضمتين **فصل** قال ابن الخطيب احتج
اصحابنا بقوله انك لن تستطيع معي صبرا على ان الاستطاعة لا تحصل قبل الفعل وقالوا لو كانت الاستطاعة
على الفعل حاصلة قبل الصبر لكانت الاستطاعة على الصبر حاصلة لموسى قبل حصول الصبر فيلزم ان يكون
قوله انك لن تستطيع معي صبرا كذبا ولما بطل ذلك علمنا ان الاستطاعة لا توجد قبل الفعل **فالجواب**
عن ذلك من وجوه اظهرها اجاب الجبائي بان المراد من هذا القول انه يثقل عليه الصبر لانه لا يستطيعه
يقال في العرف ان فلانا لا يستطيع ان يرى فلانا ولا ان يجالسه اذا كان يثقل عليه ونظيره قوله تعالى
ما كانوا يستطيعون السمع كان يشق عليهم الاستماع الثاني اجيب بان هذا عدول عن الظاهر من غير دليل
وانه لا يجوز ومما يؤكد الاستدلال الاصحاب قوله تعالى وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا استبعد حصول
الصبر على ما لم يقف الانسان على حقيقته ولو كانت الاستطاعة قبل الفعل لكانت القدرة على الفعل
حاصلة قبل حصول ذلك الفعل ولو كان كذلك لما كان حصول الصبر عند ذلك الفعل مستبعدا لان القادر
على الفعل لا يبعد منه اقدامه على ذلك الفعل فلما حكم الله تعالى باستبعاده علمنا ان الاستطاعة لا تحصل
قبل الفعل **قوله تعالى** ستجدني ان شاء الله صابرا ولا اعصي لك امرا قال ابن الخطيب احتج الطاعنون
في عصمة الانبياء بهذه الاية فقالوا ان الخضر قال لموسى عليهما السلام انك لن تستطيع معي صبرا وقال موسى
ستجدني ان شاء الله صابرا ولا اعصي لك امرا وكل واحد من هذين القولين مكذب للآخر فيلزم الحاق الكذب
باحدهما وعلى التقديرين يلزم صدور الكذب من الانبياء عليهم الصلاة والسلام واجيب بانه يحمل قوله انك لن
تستطيع معي صبرا في الاكثر والاغلب وعلى هذا فلا يلزم ما ذكروه **قوله تعالى** ولا اعصي فيه اربعة اوجه
احدها انه لا محل له من الاعراب لاستئنافه وفيه بعد الثاني انه في محل نصب عطفا على ستجدني لانها منصوبة المحل
بالقول الثالث قال ابو حيان ويجوز ان يكون معطوفا على ستجدني فلا يكون له محل من الاعراب وهذا سهو فان
ستجدني منصوب المحل لانه منصوب بالقول فكذلك ما عطف عليه ولكن الشيخ اي كلام الزمخشري ولا اعصي
في محل النصب عطفا على صابرا اي ستجدني صابرا وغير عاص ولا في محل رفع عطفا على ستجدني الرابع انه في محل
نصب عطفا على صابرا كما تقدم تقريره فان قيل دل قوله تعالى ولا اعصي لك امرا على ان ظاهر الامر للوجوب
وان تارك المامور به عاص والعاصي يستحق العقاب لقوله تعالى ومن يعص الله ورسوله فان له نار جهنم فالجواب
ان قول الخضر لموسى وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا نسبه الى قلة العلم فقول موسى له ستجدني ان شاء الله صابرا
ولا اعصي لك امرا تواضع شديد واظهار للتحمل التام وذلك يدل على ان الواجب على المتعلم اظهار التواضع
بكل الغايات واما المعلم فان رأى في التغليظ ما يفيده نفعا وارشادا الى الخير فالواجب عليه ذكره فان السكوت
عنه يوقع المتعلم في الغرور وذلك يمنع التعلم **قوله تعالى** فان اتبعتني اي صحبتني ولم يقل اتبعني ولكن
جعل الاختيار اليه الا انه شرط عليه شرطا فقال فلا تسألني تقدم خلاف القراء في هذا الحرف في سورة هود وقرأ

ابو جعفر وابن عامر هنا بفتح السين واللام وتشديد النون من غير همز وبغير ياء وروي عن ابن عامر ونافع كذلك مع اليا والمعنى لا تسالني وحين تريني ما لم تعلم وجهد حتى اكون انا المبتدي لتعليمك اياه واخبارك به وهذا معنى قوله حتى احدث لك منه ذكرا اي ابتدي بذكره فابين لك شانه **قوله تعالى** فانطلقا حتى اذا ركبا في السفينة خرقها الاية اعلم ان موسى عليه السلام وذلك العالم لما شرط عليه الشرط المذكور سارا فانتهيا الى موضع احتاجا فيه الى ركوب السفينة فوجد سفينة فكلموهم ان يحملوهم فعرفوا الخضر فاخذوهم من غير نول فلما لجج البحر اقدم ذلك العالم على خرق السفينة قال ابن الخطيب لعله اقدم على اخرق مكان في السفينة لتصير السفينة بذلك السبب معيبة ظاهرة العيب ولا يتسارع الى اهلها الغرق فقال له موسى اخرقتها لتغرق اهلها لما راي موسى عليه السلام ذلك الامر المنكر بحسب الشرط المتقدم فلهذا قال ما قال **قوله تعالى** لتغرق اهلها في اللام وجهان احدهما لام العلة والثاني لام الصيرورة وقرا الاخوان ليغرق بفتح اليا من تحت وسكون الغين وفتح الرا **قوله تعالى** اهلها بالرفع فاعل والباقون بضم التاء من فوق وكسر الراء اي لتغرق انت اهلها بالنصب مفعولا به والحسن وابو رجا كذلك الا انهما شددا الراء والسفينة معروفة وتجمع على سفن وسفاين نحو صحيفة وصحف وصحايف وتحذف منها التاء دامنها الجمع فيكون اسم جنس نحو تمر وفيح الان هذا في المصنوع قليل جدا نحو جر وجرو وثمامة وغمام قال الشاعر

• متى تاتيه تاتي لج بحر • تقاذف في غواربه السفين •

واشتقاقها من السفن وهو القشر لانها تقشر الما كما سميت بنت مخر لانها تمخر الما تشقه **قوله تعالى** امرا اي امرا عظيما يقال امر الامر اي عظم وتفاقم قال الشاعر

• وداهية دهيا اذا امرا •

والامر في كلام العرب الداهية واصله كل شي شديد كثير يقال امر القوم اذا كثروا واشتد امرهم ومعنى الاية لقد جيت شيا منكرا وقال القتبي امرا اي عظيما عجيبا منكرا **فصل** روي ان الخضر لما خرق السفينة لم يدخلها الما وروي ان موسى لما راي ذلك فاخذ ثوبه وحشي به الخرق **قوله تعالى** قال الم اقل لك انك لن تستطيع معي صبرا اي قال ذلك الخضر قال موسى لا تواخذني بما نسيت قال ابن عباس انه لم ينس ولكنه من معاريض الكلام فكانه نسي شيا اخر وقيل معناه بما تركت من عهدك والنسيان الترك وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال كانت الاولى من موسى نسيانا والوسطى شرطا والثالثة عمدا **فصل** قال ابن الخطيب احتج الطاعنون في عصمة الانبيا بهذه الاية من وجهين احدهما انه ثبت بالدليل ان ذلك العالم كان نبيا ثم قال موسى اخرقتها لتغرق اهلها فان صدق موسى في هذا القول دل على صدور الذنب العظيم من ذلك النبي وان كذب دل ذلك على صدور الذنب العظيم من موسى والثاني انه التزم انه لا يعترض على ذلك العالم وجرت العهود المذكورة لذلك ثم انه لما خالف تلك العهود وذلك ذنب فالجواب عن الاول ان موسى لما شاهد منه الامر الخارج عن العادة قال هذا الكلام لا لاجل انه اعتقد فيه انه فعل قبيحا بل انه احب ان يقف على وجهه وسببه وقد يقال في الشي العجيب الذي لا يعرف سببه انه امر وعن الثاني انه انما خالف الشرط بناء على النسيان ثم انه تعالى ذكر عن ذلك العالم انه لم يزد على ان قال الم اقل انك لن تستطيع معي صبرا فعندها اعتذر موسى بقوله لا تواخذني بما نسيت وادبه نبي ولا يواخذ **قوله تعالى** ولا ترهقني من امري عسرا اي لا تكلفني مشقة يقال ارهقه عسرا وارهقته عسرا اي كلفته ذلك يقول لا تضيق على امري ولا تعسر متابعتك بالاغضاء وترك المناقشة وعاملني باليسر ولا تعاملني بالعسر وما في نسيت مصدرية او بمعنى الذي والعايد محذوف وقرا ابو جعفر عسرا بضم السين حيث وقع **قوله تعالى** فانطلقا حتى اذا لقيا غلاما فقتله الاية اعلم ان لفظ الغلام قد يتناول الشاب البالغ واصله من الاغتلام وهو شدة الشبق وذلك انما يكون في الشاب وقد يتناول هذا اللفظ الصبي الصغير وليس في القران كيف لقياه هل كان يلعب مع الغلمان او كان منفردا او هل كان مسلما او كان كافرا وهل كان بالغا او صغيرا لكن اسم الغلام بالصغير اليق وان احتمل الكبير الا ان قوله بغير نفس اليق بالبالغ منه بالصبي لان الصبي لا يقتل قال ابن عباس لم يكن نبي الله يقول اقتلت نفسا بغير نفس الا وهو صبي لم يبلغ وكيفية قتله هل كان بجز راسه او بضرب راسه بالجدران او بطريق اخر فليس في لفظ القران ما يدل على شي من هذه الاقسام لكنه نقل في الحديث عن ابن عباس عن ابي بن كعب قال قال النبي صلى الله عليه وسلم ان الغلام الذي قتله الخضر طبع كافرا ولو عاش لارهق والديه طغيانا وكفرا **فان قيل** ان موسى استبعد ان يقتل النفس الا لاجل القصاص وليس الامر كذلك فانه قد يحل دمه بسبب اخر **فالجواب** ان السبب الاقوى هو ذلك

قوله تعالى

قوله تعالى زاكية قرا زاكية بالف وتخفيف اليا نافع وابن كثير وابو عمرو والباقون بدون الالف وتشديد اليا فمن قرا زاكية فهو اسم فاعل على اصله ومن قرا زكية فعدل احوجه الى فعيلة للمبالغة قال الكسائي والفرا معناهما واحد مثل القاسية والقسية وقال ابو عمرو بن العلا الزاكية التي لم تذنب والزكية التي اذنبت ثم تابت وقيل من لم يبلغ وقد يطلق على البالغ الكبير فقيل مجاز باعتبار ما كان ومنه قول ليلى •

• سقاها من الداء العضال الذي بها • غلام اذا هز القناة سقاها •

وقول الاخر

• تلق ذباب السيف فانني • غلام اذا هوجيت لست بشاعر •

وقيل بل هو حقيقة لانه من الاغتلام وهو الشبق وذلك لا يكون الا في الشاب المحتلم والذي يظهر انه حقيقة فيهما عند الاطلاق فاذا اريد احدهما قيد كقوله الغلامين يتيمين وقد تقدم ترتيب اسماء الادمي من لدن هو جنين الى ان يصير شيخا في آل عمران قال الزمخشري فان قلت لم قيل حتى اذا ركبا في السفينة خرقها بغير فا وحتى اذا لقي غلاما فقتله قلت جعل خرقها جزاء للشرط وجعل قتله من جملة الشرط معطوفا عليه والجزا قال اقتلت فان قيل لم خولف بينهما فالجواب لان الخرق لم يعقب الركوب وقد تعقب القتل لقاء الغلام **قوله تعالى** بغير نفس فيه ثلاثة اوجه الاول انها متعلقة بقتلت والثاني انها متعلقة بمحذوف على انها حال من الفاعل او من المفعول اي قتلته ظالما او مظلوما وقدره ابو البقا وهو بعيد الثالث انه مصدر محذوف اي قتلته بغير نفس قتلا والمعنى لم يقتل نفسا وجب عليها القتل **قوله تعالى** نكرا قرا نافع وابو بكر وابن ذكوان بضمتين والباقون بفتحتين وسكون وهما لغتان واحدهما اصل وشيا قد يراد به المصدر اي مجيئا نكرا ويراد به المفعول به اي جيت امرا نكرا وهل النكر ابلغ من الامر او بالعكس فقيل الامر ابلغ لان قتل الغلام نفس لسبب الخرق اعظم من قتل نفس واحدة وايضا فالامر هو الداهية العظيمة فهو ابلغ من النكر وقيل النكر ابلغ لان معه القتل الحتم بخلاف خرق السفينة فانه يمكن تداركه ولذلك قال الم اقل لك ولم يات لك مع امرا لان هذه اللفظة توكد التوبيخ قيل زاد ذلك لانه نقض العهد مرتين فقال الخضر لموسى عليهما السلام الم اقل لك انك لن تستطيع معي صبرا فعند ذلك قال موسى ان سالتك عن شي بعدها فلا تصاحبني وهذا كلام نادم **قوله تعالى** تصاحبني العامة على تصاحبني من المفاعلة وعيسى ويعقوب فلا تصاحبني من صحبه يصحبه وابو عمرو في رواية ابي بالتاء من فوق وضمها وكسر الحاء من صحبنا يصحب ومفعوله محذوف تقديره ولا تصحبني نفسك وقرا ابي فلا تصحبني علمك فاظهر المفعول **قوله تعالى** من لدني عذرا العامة بضم الدال وتشديد النون وذلك انهم ادخلوا نون الزيادة اعني نون الوقاية فيقولون عني ومني بالتشديد ونافع بتخفيف النون والوجه فيه انه لم يلحق بنون الوقاية للدن الا ان سيبويه قال لا يجوز بالتكلم دون نون وقاية وهذه القراءة حجة عليه فان قيل لم لا يقال ان هذه النون نون وقاية وانما اتصلت بلدن لغة في لدني حتى يتوافق قول سيبويه مع هذه القراءة فالجواب لا يصح لوجهين احدهما ان نون الوقاية انما جي بها لتقي الكلمة الكسر محافظة على سكونها ودون النون لا سكون لان الدال مضمومة فلا حاجة الى النون الثاني ان سيبويه يمنع ان يقال لدني بالتخفيف وقد حذفت النون من عن ومن في قوله

• ايها السايل عنهم وعني • لست من قيس ولا قيس مني •

وقرا ابو بكر بسكون الدال وتخفيف النون ولكنه اشم الدال الضم منبه على الاصل ولكن يحتمل هذه القراءة ان تكون النون اصلية وان تكون للوقاية على انها دخلت على لد التي هي ساكنة الدال لغة في لدن فالتقى ساكنان فكسرت نون الوقاية على اصلها واذا قلنا بان النون اصلية فالسكون تخفيف كتسكين ضاد عضد وبابه **فصل** واختلف القرا في هذا الاشمام فقيل هو اشارة بالعضو من غير صوت كالاشمام الذي في الاصل وهذا هو المعروف وقيل بل هو اشارة بالحركة المدركة بالحس فهو كالروم في المعنى يعني انه اتيان ببعض الحركة وقد تقدم هذا محررا في يوسف عند قوله لا تامنا وفي قوله في هذه السورة من لدنه في قراة شعبة ايضا وتقدم بحث يعود مثله هنا وقرا عيسى وابو عمرو في رواية عذرا بضمتين وعن ابي عمرو ايضا عذري مضافا لياء المتكلم ومن لدني متعلق ببلغت او بمحذوف على انه حال من عذرا **فصل** قال ابن عباس معناه لقد اعذرت فيما بيني وبينك وقيل حذرتني اني لا استطيع معك صبرا وقيل اتضح العذر في مفارقتي والمراد انه مدحه بهذه الطريقة من حيث انه احتمله مرتين اولا وثانيا روي ابن عباس عن ابي بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رحمة الله علينا وعلى موسى وكان اذا ذكر احدا من الانبيا عليهم الصلاة والسلام بدا بنفسه لولا انه عجل لراي العجب ولكنه اخذته من صاحبه ذمامة قال ان سالتك عن شي

بعدها فلا تصاحبني قد بلغت من لدني عذرا فلو صبر لرأى العجب **قوله تعالى** فانطلقا حتى اذا اتيا
اهل قرية استطعما اهلها الآية قال ابن عباس هي انطاكية وقال ابن سيرين هي الابلة وهي ابعد الارض من السماء
وقيل برقة وعن ابي هريرة بلدة بالاندلس استطعما اهلها فابوا ان يضيفوهما قال ابن كعب عن النبي صلى الله عليه
وسلم حتى اذا اتيا اهل قرية لئام نطافا في المجالس فاستطعما فابوا ان يضيفوهما وروي انهما طافا في القرية
فاستطعماهم فلم يطعموهما فاستضافاهم فابوا ان يضيفوهما قال قتادة شر القرى التي لا تضيف الضيف
وروي عن ابي هريرة اطعمتهما امراة من اهل بربر بعد ان طلبا من الرجال فلم يطعموهما فدعيا لنسائهم ولعنا
رجالهم **قوله تعالى** استطعما جواب اذا اي سألا من الطعام وفي تكرير اهلها وجهان احدهما انه توكيد
من باب اقامة الظاهر مقام المضمر كقول الشاعر

• اي الموت لا يسبق الموت شيء • نغص الموت ذا الغنى والفقير •

وقول الآخر

• ليت الغراب غداة ينعب دائبا • كان الغراب مقطع الاوداج •

والثاني انه للتاسيس وذلك ان الاهل المأتيين ليسوا جميعا لاهل انما هم البعض اذ لا يمكن ان ياتيا جميع
الاهل في العادة في وقت واحد فلو ذكر الاستطعام ذكره بالنسبة الى جميع الاهل كانهما تبعا الاهل
واحدا بعد واحد فلو قيل استطعماهم لاحتمل ان يعود الضمير على ذلك البعض المأتي دون غيرهم وكرر الاهل
لذلك **فصل** الاستطعام ليس من عادة الكرام فكيف اقدم عليه موسى مع ان موسى كان من عادته
طلب الطعام من الله تعالى كما حكى قوله تعالى اني لما انزلت الي من خير فقير فان قيل ان اقدام الجائع على الاستطعام
امر مباح في كل الشرائع بل ربما وجب عند خوف الضرر الشديد فالجواب ان الضيافة من المندوبات فتركها
ترك المندوب وذلك امر غير منكر فكيف يجوز من موسى عليه الصلاة والسلام مع علو منصبه ان يغضب عليهم الغضب
الشديد الذي لاجله ترك العهد الذي التزمه مع ذلك العالم في قوله ان سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني
وايضا مثل هذا الغضب لاجل ترك الاكل في ليلة واحدة لا يليق بادون الناس فضلا عن كليم الله فالجواب
ان الضيافة قد تكون من الواجبات بل كان الضيف قد بلغ في الجوع الى حد حيث لو لم ياكل لهلك فاما كان
كذلك لم يكن الغضب الشديد لاجل ترك الاكل ليلة بل كان لاجل تركهم الواجب عليهم فان قيل انه ما بلغ في
الجوع الى حد الهلاك لما قدر على ذلك العمل فكيف يصح منه طلب الاجرة فالجواب لعل ذلك الجوع كان شديدا الا انه
ما بلغ حد الهلاك **قوله تعالى** فابوا ان يضيفوهما مفعول به لقوله ابوا فالعامة على التشديد من ضيفه
يضيفه والحسن وابو رجاء وابو رزين بالتخفيف من اضافه يضيفه وهما مثل ميل واما ل وميله واماله
فصل روي ان اهل تلك القرية لما سمعوا نزول هذه الآية استحيوا وجاؤا الى رسول الله صلى
الله عليه وسلم بحمل من الذهب وقالوا يا رسول الله نشتري بهذا الذهب ان تجعل الباء تاء حتى تصير القراءة
فاتوا ان يضيفوهما اي اتوا لاجل ان يضيفوهما ان كان اباؤهم لاجل الضيافة وقالوا غرضنا منه ان يندفع
عنا هذا اللوم فامتنع النبي صلى الله عليه وسلم وقال تغيير هذه النقطة يوجب دخول الكذب في كلام الله
وذلك يوجب القدح في الالهية **قوله تعالى** فوجدا فيها جدارا يريد ان ينقض اي فرايا في القرية
حائطا مائلا وقوله تعالى ان ينقض مفعول للارادة وانقض يحتمل ان يكون وزنه ينفعل كانفعل من انقضاض
الطائر او من القضة وهي الحصى الصغار والمعنى يريد ان ينفتت كالحصاة ومنه طعام قضض اذا كان
فيه حصى صغار وان يكون وزنه افعل كاحمر من النقض يقال نقض البناء ينقضه اذا هدمه ويؤكد هذا
ما في حرف عبد الله وقراءة الاعمش يريد لينقض مبنيا للمفعول واللام هنا كهي في قوله تعالى يريد الله
ان يخفف عنكم وخلق الانسان ضعيفا وما قرأ به اي يريد ان ينقض بغير لام كي وقرأ الزهري ان ينقاض
بالف بعد القاف **فصل** قال الفارسي هو من قولهم قضته فانقاض اي هدمته فانهدم
قال شهاب الدين فعلى هذا يكون وزنه ينفعل والاصل انقض فابدلت الياء الفا ولما نقل ابو البقاء هذه
القراءة قال مثل يحمار ومقتضى هذا التشبيه ان يكون وزنه ينفعال ونقل ابو البقاء انه قرأ كذلك بتخفيف
الضاد وهو من قولك انقاض البناء اي انهدم وقرأ علي كرم الله وجهه وعكرمة في آخرين ينقاص بالصاد
مهملة من قاصه يقيصه اي كسره قال ابن خالويه وتقول العرب انقاصت السن اذا انشقت طولا وانشد
لذي الرمة • منقاص ومنكثب • وقيل اذا انصدعت كيف كان وانشد لابي ذويب

• فراق كقيص السن فالصبر انه • لكل اناس عثرة وجبور •

ونسبة الارادة الى الجدار مجاز وهو شائع في النظم والنثر قال الشاعر

• يريد الرمح صدر ابي براء • ويرغب عن دماء بني عقيل •

والآي من هذا القبيل وكذا قوله فلما سكت عن موسى الغضب وقوله تعالى اتينا طائعين ومن انكر المجاز
مطلقا وفي القرآن خاصة تاول ذلك على انه خلق للجدار حياة وارادة كالحيوانات او ان الارادة صدرت
من الخضر ليحصل له ولموسى ما ذكره من العجب وهو تعسف كبير وقد انحى الزمخشري على هذا القائل انحاء بليغا
جدا **قوله تعالى** فاقامه قيل هدمه ثم بناه قال ابن عباس وقيل مسحه بيده فقام واستوى وذلك من معجزاته
هكذا ورد في الحديث وهو قول سعيد بن جبير واعلم ان العالم لما فعل ذلك كانت الحالة حالة اضطرار الى الطعام
فلذلك نسي موسى قوله ان سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني فلا جرم قال لو شئت لتخذت عليه اجرا
اي طلبت على اصلاحك الجدار جعلا اي جعلا في تحصيل المطعوم فانك قد علمت انا جياع وان اهل القرية
لم يطعمونا فعند ذلك قال الخضر هذا فراق بيني وبينك **قوله تعالى** لتخذت عليه اجرا قرا ابن كثير وابو عمرو
لتخذت بفتح التاء وكسر الخاء تخذ يتخذ كتعب يتعب والباقون لاتخذت بهمزة بالوصل وتشديد التاء وفتح الخاء
من الاتخاذ واختلف هل هما من الاخذ والتاء بدل من الهمزة ثم تحذف التاء الاولى فيقال تخذ كنفي من اتقى
نحو قوله • تق الله فينا والكتاب الذي تتلو • ام هما من تخذ والتاء اصلية ووزنهما فعل وافتعل
ولان تقدم تحقيقهما والفعل هنا على القرائتين متعد لواحد لانه بمعنى الكسب **قوله تعالى** فراق بيني العامة
على الاضافة اتساعا في الظرف وقيل هو بمعنى الوصل كقوله • وجلدة بين العين والانف سالم ••
وحكى القفال عن بعض اهل العربية ان البين هو الوصل كقوله تعالى لقد تقطع بينكم فيكون المعنى هذا
فراق اتصالنا كقول القائل • اخزى الله الكاذب مني ومنك • اي احدنا هكذا قاله الزجاج وقرا ابن ابي
عبلة فراق بالتنوين على الاصل ونكر بين وعطف بالواو وهو الذي يسوغ اضافته الى غير متعدد لانك
انك لو اقتصرت على قولك المال بيني لم يكن كلاما حتى تقول بيننا او بيني وبين فلان وقوله هذا اي هذا الانكار
على ترك الاجر هو المفرق بيننا وقيل ان موسى عليه السلام لما شاله انه شرط انه ان ساله بعد ذلك
سؤالا آخر حصل الفراق بقوله ان سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني فلما ذكر هذا السؤال فارقه هذا العالم
وقال هذا فراق بيني وبينك اي هذا الفراق الموعود ثم قال سانبئك بتاويل ما لم تستطع عليه صبرا قرا ابن وثاب
سانبيك باخلاص الياء بدل الهمزة **قوله تعالى** اما السفينة فكانت لمساكين العامة على تخفيف السين جمع
مسكين وقرا علي رضي الله عنه بتشديدها جمع مساك وفيه قولان احدهما انه الذي يمسك سكان السفينة
وفيه بعض مناسبة الثاني انه الذي يدبغ المسوك جمع مسك بفتح الميم جمع الجلود وهذا بعيد لقوله يعملون في البحر
فصل قال شهاب الدين ولا اظنها الا تحريفا على امير المؤمنين **قوله تعالى** يعملون صفة
لمساكين **قوله تعالى** وراءهم ملك وراء هنا بمعنى المكان وقيل وراءهم بمعنى امامهم كقوله تعالى
من ورائه جهنم وقيل وراءهم خلفهم وكان رجوعهم في طريقهم عليه والاول اصح لقوله تعالى من ورائه جهنم
ويؤيده ايضا قراءة ابن عباس وكان امامهم ملك ياخذ كل سفينة غصبا وقال سوار بن مضرب السعدي

• ايرجو بنو مروان سمعي وطاعتي • وقومي تميم والفلاة ورائيا •

وقوله تعالى ويذرون وراءهم يوما ثقيلا وتحقيقه ان كل ما بعد عنك توارى عنك وتواريت عنه وقيل
تحقيقه ان ما غاب عنك بعد وتوارى عنك وانت متوار عنه فكلما غاب عنك فهو وراءك وامام الشيء وقدامه
اذا كان غائبا عنك كان متواريا عنك فلم يبعد اطلاق لفظة فراء عليه ويراد بها الزمان قال الشاعر

• اليس ورائي ان ادب على العصا • فيامن اعدائي ويسامني اهلي •

وقال لبيد

• اليس ورائي ان تراخت منيتي • لزوم العصا تحنى عليها الاصابع •

غصبا فيه اوجه الاول انه مصدر في موضع الحال او منصوب على المصدر المبين لنوع الاخذ اي منصوب
على المفعول به وهو بعيد عن المعنى وادعى الزمخشري ان في الكلام تقديما وتاخيرا فقال **فان قلت**
قوله تعالى فاردت ان اعيبها مسبب عن خوف الغصب عليها فكان حقه ان يتاخر عن السبب فلم قدم عليه **قلت**
النية به التاخير وانما قدمت للاعانة ولان خوف الغصب ليس هو السبب وحده ولكن مع كونها للمساكين
فكان بمنزلة قولك زيد ظني بمقيم **قوله تعالى** وكان ابواه مؤمنين التثنية للتغليب يراد اباه وامه
فغلب الذكر وهو شائع ومثله القمران والعمران وقد تقدم في يوسف ان الابوين يراد بهما الاب والخالة

وهذا اقرب والعامة على مؤمنين بالياء وابو سعيد الخدري والجحدري مؤمنان بالالف وفيه ثلاثة
اوجه الاول انه على لغة بني الحارث وغيرهم والثاني ان في كان ضمير الشان وابواه مؤمنان مبتدا وخبر في محل
النصب كقوله • اذا مت كان الناس صنفان شامت • • وهذا ايضا محتمل للوجهين الثالث
ان في كان ضمير الغلام اي كان الغلام والجملة بعده الخبر وهو احسن الوجوه **قوله تعالى** فخشينا اي علمنا
قوله تعالى ان يرهقهما يغشيهما وقال الكلبي يكلفهما **قوله تعالى** طغيانا وكفرا وقال سعيد بن جبير
فخشينا ان يحملهما حبه على ان يتابعاه على دينه **فصل** قيل ان ذلك الغلام كان بالغا وكان يقطع
الطريق ويقدم على الافعال المنكرة وكان يصير ذلك سببا لوقوعهما في الفسق وربما يؤدي ذلك الفسق
الى الكفر وقيل كان صبيا الا ان الله تعالى علم منه انه لو صار بالغا حصلت منه تلك المفاسد وقيل الخشية
بمعنى الخوف وغلبة الظن والله تعالى قد اباح له قتل من غلب على ظنه تولد هذا الفساد عنه فان قيل هل يجوز
الاقدام على قتل الانسان لمثل هذا الظن فالجواب اذا تاكد ذلك الظن بوحي الله تعالى جاز **قوله تعالى**
ان يبدلهما قرا نافع وابو عمرو بفتح الباء وتشديد الدال من بدل هنا وفي التحريم ان يبدله وفي القلم ان يبدلنا
والباقون بسكون الباء وتخفيف الدال ابلغ في المواضع الثلاثة قيل هما لغتان بمعنى واحد وقال ثعلب الابدال
تنحية جوهرة واستيناف اخرى وانشد • عزل الامير للامير المبدل • ويقال ابدلت خاتما
وجعل مكانه اخر والتبديل تغيير الصورة الى غيرها والجوهرة باقية بعينها واحتج الفراء بقوله تعالى يبدل الله
سيئاتهم حسنات قال والذي قاله ثعلب حسن الا انهم يجعلون ابدلت بمعنى بدلت قال انها بالعربي ومن ثم
اختلف الناس في قوله تعالى يوم تبدل الارض هل تغير الجسم او الصفة دون الجسم **قوله تعالى** يبدلهما ربهما
خيرا منه زكوة اي يرزقهما الله تعالى ولدا خيرا من هذا الغلام **قوله تعالى** زكوة اي دينا وصلاحا وقيل
ذكر الزكوة ههنا على مقابلة قول موسى عليه السلام اقتلت نفسا زكية بغير نفس فقال العالم اردنا ان يرزق
الله هذين الابوين خيرا بدلا عن ابنهما هذا ولدا يكون خيرا منه مما ذكره من الزكوة ويكون المراد من الزكوة
الطهارة ويكون قول موسى اقتلت نفسا زكية اي طاهرة لانها ما وصلت الى حد البلوغ وكانت زكية طاهرة
من المعاصي فقال العالم ان تلك النفس وان كانت طاهرة زكية في الحال الا انه تعالى علم منها انها اذا بلغت اقدمت
على الطغيان والكفر فاردنا ان يحصل لهما ولد اعظم اي اعظم زكوة وطهارة منه وهو الذي يعلم الله منه انه
عند البلوغ لا يقدم على شيء من هذه المحظورات ومن قال ان ذلك الغلام كان بالغا فان المراد من وصف نفسه
بكونها زكية انه لم يظهر عليه ما يوجب قتله **قوله تعالى** واقرب رحما قرا ابن عامر رحما بضمتين والباقون
بضمه وسكون وهما بمعنى رحمة قال روبة • يا منزل الرحم على ادريسا • ومنزل اللعن على ابليسا •
وقيل الرحم بمعنى الرحم وهو لا يليق هنا لاجل القرابة بالولادة ويؤيده قراءة ابن عباس رحما بفتح الراء وكسر الحاء
وزكوة ورحما منصوبان على التمييز والمعنى هذا البدل يكون اعظم عطفا ورحمة بابويه واشفق عليهما
فصل قال الكلبي ابدلهما الله جارية تزوجها نبي من الانبياء فولدت نبيا فهدى على يديه امة
من الامم **قوله تعالى** واما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة وكان اسمهما اصرم وصريم واعلم
انه سمى القرية في قوله تعالى اتيا اهل قرية وسمى القرية هنا مدينة بقوله يتيمين في المدينة فدل على جواز احدهما
بالاخرى ثم قال وكان تحته كنز لهما روى ابو الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم قال كان ذهبا وفضة
وقال عكرمة كان مالا ويدل على ذلك ان المفهوم من لفظ الكنز هو المال وعن ابن عباس كان لوحا من ذهب
مكتوب فيه عجبا لمن ايقن بالموت كيف يفرح • عجبا لمن ايقن بالقدر كيف ينصب • عجبا لمن ايقن في الرزق كيف
يتعب • عجبا لمن يؤمن بالحساب كيف يغفل • عجبا لمن ايقن بزوال الدنيا وتقلبها باهلها كيف يطمئن اليها لا اله الا الله
محمد رسول الله • وفي الجانب الاخر مكتوب • انا الله لا اله الا انا وحدي لا شريك لي خلقت الخير والشر فطوبى لمن خلقته
للخير واجريته على يديه • والويل لمن خلقته للشر واجريته على يديه • وهذا قول اكثر المفسرين وروي مرفوعا
وقال الزجاج والكنز اذا اطلق انما ينصرف الى كنز المال ويجوز عند التقييد بكنز العلم يقال عنده كنز علم وهذا
اللوح كان جامعا لهما وكان ابوهما صالحا قيل كان اسمه كاشح وكان من الانبياء قال ابن عباس حفظا لصلاح
ابيهما ولهذا قيل ان الرجل الصالح يكون كنزه العلم وقيل كان بينهما وبين الاب الصالح سبعة اباء وهذا يدل
على ان صلاح الانسان يفيد العناية باحوال ابنائه فان قيل اليتيمان هل احد منهم عرف حصول الكنز
تحت ذلك الجدار او ما عرف احد منهم ذلك فان كان الاول امتنع ان يتركوا سقوط ذلك الجدار وان كان الثاني

فكيف

فكيف يمكنهم بعد البلوغ استخراج ذلك الكنز ومعرفته والانتفاع به فالجواب لعل اليتيمين كانا جاهلين
به الا ان وصيهما كان عالما به ثم ان الوصي غاب واشرف ذلك الجدار في غيبته على السقوط ثم قال فاراد ربك
ان يبلغا اشدهما اي يبلغا ويعقلا وقيل ان يدركا شدتهما وقوتهما وقيل ثماني عشرة سنة ويستخرجا حينئذ كنزهما
رحمة من ربك نعمة من ربك وفي نصب رحمة ثلاثة اوجه الاول انه مفعول له الثاني ان يكون في موضع الحال من الفاعل
اي اراد ذلك راحما وهي حال لازمة الثالث ان ينتصب انتصاب المصدر لان معنى فاراد ربك ان يبلغا معنى فرحمهما
ثم قال وما فعلته عن امري اي ما فعلته باختياري ورايي بل فعلته بامر الله والهامه لان الاقدام على تنقيص اموال الناس
واراقة دمائهم لا يجوز الا بالوحي والنص القاطع ذلك تاويل ما لم تسطع عليه صبرا اي لم تطق عليه صبرا **قوله تعالى**
تسطع اصله استطاع فحذفت تاء الافتعال وقيل الحذف الطاء الاصلية ثم ابدلت تاء الافتعال طاء بعد
السين وهذا تكلف بعيد وقيل السين مزيدة عوضا من قلب الواو الفا والاصل اطاع ويتحقق القول فيه في موضع غير
هذا ويقال استطاع بتاءين واستاع بتاء واحدة فهذه اربع لغات حكاها ابن السكيت **فصل** اعلم ان
احكام الانبياء عليهم الصلاة والسلام مبنية على الظواهر كما قال النبي صلى الله عليه وسلم نحن نحكم بالظواهر والله
يتولى السرائر وهذا العالم ما كانت احكامه مبنية على ظواهر الامور بل كانت مبنية على الاسباب الحقيقية الواقعة
في نفس الامر وذلك لان الظاهر في اموال الناس وارواحهم انه يحرم التصرف فيها وهذا العالم تصرف في اموال الناس
وفي ارواحهم في المسئلة الاولى والثانية من غير سبب ظاهر يبيح ذلك التصرف والاقدام على قتل الغلام الحاق
لعزمه القتال من غير سبب ظاهر يبيح ذلك التصرف فهذه المسائل الثلاثة ليس حكم ذلك العالم فيها مبنيا على سبب ظاهر
بل كان مبنيا على اسباب معتبرة في نفس الامر وهذا يدل على ان ذلك العالم كان قد اتاه الله قوة عظيمة عقلية
يقدر بها ان يشرف بها على بواطن الامور ويطلع بها على حقائق الاشياء فكانت مرتبة موسى عليه السلام في معرفة
الشرائع والاحكام بناء على الظواهر وهذا العالم مرتبته الوقوف على بواطن الاشياء وحقائقها فلهذا كانت
مرتبته في العلم فوق مرتبة موسى عليه السلام واذا عرف هذا فنقول هذه المسائل الثلاثة مبنية على حرف واحد
وهو انه اذا تعارض ضرران وجب تحمل الادنى لدفع الاعلى فهذا هو الاصل المعتبر في المسائل الثلاثة اما الاولى
فلان ذلك العالم علم انه لو لم يعب السفينة بالتخريق لغصبها ذلك الملك وفاتت منافعها بالكلية على ملاكها فوقع
التعارض بين ان يخرقها ويعيبها وتبقى على ذلك العيب مع ملاكها وبين ان لا يخرقها فيغصبها الملك وتفوت
منافعها على ملاكها بالكلية ولا شك ان الضرر الاول اقل فوجب تحمله لدفع الضرر الثاني لكونه اعظم ضررا واما
المسالة الاولى فكذلك لان بقاء ذلك الغلام كان مفسدة للوالدين في دينهم وفي دنياهم ولعله علم بالوحي ان
المضار الناشئة من قتل ذلك الغلام اقل من المضار الناشئة بسبب حصول ذلك المفاسد للابوين فلهذا
السبب قدم على قتله والمسالة الثالثة ايضا كذلك لان المشقة الحاصلة بسبب الاقدام على بناء الجدار المائل
اسهل من المضار الحاصلة بسبب ترك اقامته لان ذلك الجدار لو سقط لضاع مال اولئك الايتام وفيه ضرر شديد
والحاصل ان ذلك العالم كان مخصوصا بالوقوف على حقائق الاشياء وبناء الاحكام على حقائقها وان موسى
عليه السلام كانت احكامه مبنية على ظواهر الامر فلهذا ظهر التفاوت بينهما في العلم فان قيل فحاصل الكلام
انه تعالى اطلعه على حقائق الاشياء وهذا النوع من العلم لا يمكن تعلمه وموسى عليه السلام انما ذهب اليه ليتعلم
منه العلم فكان الواجب على ذلك العالم ان يظهر له مما يمكن تعلمه فما الفائدة في اظهارها فالجواب ان العلم
بظاهر الاشياء يمكن تحصيله بناء على معرفة الشرائع الظاهرة واما العلم بحقائق الاشياء فانما يمكن تحصيله
بناء على تصفية المسائل الظاهرة وعلى تصفية البواطن وتطهير القلب عن العلائق الجسمانية ولهذا قال
تعالى في صفة ذلك العالم وعلمناه من لدنا علما ثم ان موسى لما كملت مرتبته في علم الشريعة بعثه الله تعالى الى ذلك
العالم ليعلم موسى ان كمال الدرجة ان ينتقل الانسان من علوم الشريعة المبنية على الظواهر الى العلوم الباطنة
المبنية على الاشراف على حقائق الامور **فصل** احتجوا بهذه الاية على ان الفقير اشد حاجة
من المسكين لانه تعالى قال مساكين مع انهم كانوا يملكون السفينة واعلم ان العالم بين مراده بتخريق السفينة
وهو انه لم يكن مقصوده تغريق اهلها بل كان مقصوده تعييبها لئلا ياخذها ذلك الملك الظالم لانه كان من
عادته اخذ السفن الخالية من العيوب وضرر هذا التخريق اسهل من ضرر الغصب فان قيل هل يجوز للاجنبي
ان يتصرف في ذلك على هذا الوجه في ملك الغير لمثل هذا الغرض فالجواب هذا مما تختلف احواله باختلاف الشرائع فلعل
هذا كان جائزا في تلك الشريعة واما في شريعتنا فهذا الحكم غير بعيد فانا اذا علمنا ان الذين يقطعون الطريق

يأخذون مال جميع الانسان فاذا دفعنا الى قاطع الطريق بعض ذلك المال سلم الباقي وكان هذا احسانا منا
اليه لكن المالك وكذلك عيبنا في السفينة المحفوظ اذا خيف عليها الغرق وان اذا القي منها شيء في البحر خفت وسلم ما
فيها لجاز الالقاء بل يجب وكذلك ههنا لترك التترس بالمسلمين **فصل** واعلم ان هذا التخريق يجب ان يكون على
وجه لا يبطل نفع تلك السفينة بالكلية لو كان كذلك لم يكن الضرر الحاصل من غصبها اعظم من الضرر الحاصل من تخريقها
وحينئذ لم يكن تخريقها جائزا فان قيل انه قال فاردت ان اعيبها وقال فاردنا ان يبدلهما ربهما خيرا منه وقال
فاراد ربك ان يبلغا اشدهما فاختلفت الاضافة في هذه الارادات الثلاث وهي كلها قضية واحدة فالجواب
انه لما ذكر العيب اضافه الى ارادة نفسه فقال فاردت ان اعيبها ولما ذكر القتل عبر عن نفسه بلفظ
الجمع تنبيها على انه من العظماء في الحكمة فما اقدم على هذا القتل الا لحكمة عالية ولما ذكر رعاية مصالح اليتيمين
لاجل صلاح ابيهما اضافه الى الله تعالى لان المتكفل بمصالح الابناء لرعاية حق الاباء ليس الا الله تعالى
فصل اختلفوا هل الخضر حي ام لا فقيل ان الخضر والياس حيان يلتقيان كل سنة بالموسم قيل
وسبب حياتهما ان ذا القرنين دخل الظلمات لطلب عين الحياة وكان الخضر على العين فنزل واغتسل وشرب
وصلى واخطأ ذو القرنين الطريق فعاد وقيل انه ميت لقوله تعالى وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد وقال
عليه السلام بعد ما صلى العشاء ليلة قال ارأيتكم ليلتكم هذه فان رأس مائة سنة لا يبقى ممن هو اليوم على ظهر الارض
احد ولو كان الخضر حيا لكان لا يعيش بعده روي ان موسى لما اراد ان يفارقه قال اوصني قال لا تطلب العلم لتحدث به
واطلبه لتعمل به **قوله تعالى** ويسئلونك عن ذي القرنين الاية قد تقدم في اول هذه السورة ان اليهود
امروا المشركين ان يسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن اصحاب الكهف وعن ذي القرنين وعن الروح فقوله تعالى
ويسئلونك عن ذي القرنين هو ذلك السؤال واختلفوا في ذي القرنين فقيل هو الاسكندر بن فيلوس اليوناني
وقيل كان اسمه مرزبان بن مرزبة من ولد يونان بن يافث بن نوح وكان اسود قال بعضهم كان نبيا لقوله تعالى
انا مكنا له في الارض والاولى حمله على التمكين في الدين والتمكين الكامل في الدين هو النبوة لقوله تعالى وآتيناه
من كل شيء سببا ومن جملة الاسباب النبوة فمقتضى العموم انه آتاه من النبوة سببا وقوله تعالى يا ذا القرنين
اما ان تعذب واما ان تتخذ فيهم حسنا والذي يكلمه الله معه لا بد وان يكون نبيا **فصل** قال
ابو الطفيل سئل علي عن ذي القرنين اكان نبيا ام ملكا قال لم يكن نبيا ولا ملكا ولكن كان عبدا فاحب الله
واحبه الله وناصح الله فناصحه وروي ان عمر رضي الله عنه سمع رجلا يقول يا ذا القرنين فقال تسميتم
باسماء النبيين فلم ترضوا حتى تسميتم باسماء الملائكة والاكثرون على انه كان ملكا عادلا صالحا **فصل**
واختلفوا في سبب تسميته بذي القرنين قال الزهري لانه بلغ قرني الشمس مشرقها ومغربها وايضا بلغ ملكه
اقصى الشمال لان يأجوج ومأجوج قوم من الترك يسكنون في اقصى الشمال فهذا المسمى بذي القرنين قد دل القرآن
على ان ملكه بلغ اقصى المشرق والمغرب والشمال وهذا نهاية المعمور من الارض ومثل هذا الملك البسيط على خلاف
العادات فيجب ان يبقى ذكره مخلدا على وجه الارض لا يخفى والذي اسمه في كتب التواريخ انه بلغ ملكه الى هذا
الحد ليس الا الاسكندر وذلك لانه لما مات ابوه جمع ملك الروم بعد ان كان طوايف ثم قصد ملوك العرب
وقهرهم وامعن حتى انتهى الى البحر الاخضر ثم عاد الى مصر فبنى الاسكندرية وسماها باسم نفسه ثم دخل الشام وقصد
بني اسرائيل وورد بيت المقدس وذبح في مذبحه ثم انعطف الى ارمينية وباب الابواب ودان له العراقيون والقبط
والبربر ثم توجه نحو دارا بن دارا وهزمه مرات الى ان قتله صاحب حرسه واستولى الاسكندر على ممالك الفرس
والهند والصين وغزا الامم البعيدة ورجع الى خراسان وبنى المدن الكثيرة ثم رجع الى العراق ومرض بشهر
زور ومات فلما ثبت بالقرآن ان ذا القرنين كان رجلا ملك الارض كلها او ما يقرب منها وثبت بالتواريخ
ان الذي هذا شأنه ما كان الا الاسكندر وجب القطع بان المراد بذي القرنين هو الاسكندر بن فيلبوس
اليوناني وقيل سمي بذي القرنين لانه ملك الروم وفارس وقيل لانه دخل النور والظلمة وقيل انه رأى
في المنام كانه اخذ بقرني الشمس وقيل لانه كان له ذؤابتان حسنتان وقيل كان له قرنان تواريهما العمامة
فصل وروى ابو الطفيل عن علي انه امر قومه بتقوى الله فضربوه على قرنه الايمن فمات ثم بعثه
الله ثم امرهم بتقوى الله فضربوه على قرنه الايسر فمات فاحياه الله وقيل كان لتاجه قرنان وقيل لانه
انقرض في وقته قرنان من الناس وقيل لان الله تعالى سخر له النور والظلمة فاذا سرى يهديه النور من امامه
وتمده الظلمة من ورائه وقال ابو الريحان البيروني المنجم في كتابه المسمى بالاثار الباقية عن القرون الخالية

قال

قيل ان ذا القرنين هو ابو كرب شمر بن عبير بن افريقش الحميري وانه ملك مشارق الارض ومغاربها وهو الذي
افتخر به احد الشعراء من حمير حيث قال • قد كان ذو القرنين قبلي مسلما ملكا علا في الارض غير مفند •
ملك المشارق والمغارب يبتغي • اسباب ملك من كريم سيد • ثم قال ابو الريحان ويشبه ان يكون هذا القول
اقرب لان الاذواء كانوا من اليمن وهم الذين لا تخلو اساميهم من ذي كذي المنار وذي نواس وذي النون وذي يزن
والقول الاول اظهر لما روي من الدليل ولما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال سمي ذا القرنين لانه طاف قرني الدنيا
شرقها وغربها **فصل** قال ابن الخطيب الا ان فيه اشكالا قويا وهو ان الاسكندر كان تلميذ ارسطاطاليس
الحكيم وكان على مذهبه فتعظيم الله اياه يوجب الحكم بان مذهب ارسطاطاليس حق وصدق وذلك مما لا سبيل اليه قال
ابن كثير روي عن ابن عباس ان ذا القرنين عبد الله بن الضحاك وقيل مصعب بن عبد الله بن قنان بن منصور بن عبد الله
بن الازد بن عون من نبت ابن مالك بن زيد بن كهلان بن سبا بن قحطان وروي انه كان من حمير وامه رومية
وانه كان يقال له ابن الفيلسوف لعقله وقال السهيلي قيل كان اسمه مرزبا بن مردبة ذكره ابن هشام وهو اول التبابعة
وقيل انه افريدون بن النعمان الذي قتل الضحاك وفي خطبة قس يا معشر اياد بن الصعب ذو القرنين ملك
الثقلين واول السلاطين وعمر الفين ثم كان ذلك كطرفة عين وانشد ابن هشام يقول •

• والصعب ذو القرنين اصبح ثاويا • بالحنو في جدث اشم مقيم •

واما ذو القرنين الثاني فهو اسكندر بن فيلبس بن مصريم بن هرمس بن ميطون بن رومي بن لنطي
بن يونان بن يافث بن يونة بن سرحون بن رومة بن نوبط بن نوفل بن رومي بن الاصفر بن العيص
بن اسحاق بن ابراهيم الخليل كذا نسبه ابن عساكر المقدوني اليوناني المصري باني اسكندرية الذي تؤرخ بايامه
الروم وكان متأخرا عن الاول بدهر طويل قيل كان هذا قبل المسيح بنحو من ثلثمائة سنة وكان وزيره ارسطاطاليس
الفيلسوف وهو الذي قتل دارا بن دارا واذل ملوك الفرس وانما نبهنا على هذا لان كثيرا من الناس يعتقد
انهما واحد وان المذكور في القرآن هو الذي كان ارسطاطاليس وزيره فيقع بسبب ذلك خطأ كثير فان
الاول كان مؤمنا عبدا صالحا وملكا عادلا وكان وزيره الخضر عليهما السلام وكان نبيا واما الثاني فكان
مشركا وكان وزيره فيلسوفا وكان بين زمانيهما اكثر من الفي سنة فاين هذا من هذا **قوله تعالى** سأتلوا
ذكرا السين هنا لان المعنى اني سافعل هذا ان وفقني الله عليه وانزل فيه وحيا واخبرني عن كيفية تلك الحال
قوله تعالى انا مكنا له المفعول محذوف اي امره وما يريد ومعنى مكنا اوطأنا والتمكين تمهيد الاسباب
قال علي سخر له السحاب فحمله عليها ومد له في الاسباب وبسط له في النور وكان الليل والنهار عليه سواء فهذا معنى
تمكينه في الارض وهو انه سهل عليه السير فيها وذلل له طرقها وهذا التمكين يحتمل ان يكون المراد التمكين بسبب الملك
وحمل كلام الله تعالى على الوجه الاكمل الافضل اولى ثم قال واتيناه من كل شيء سببا قالوا السبب في اصل اللغة
عبارة عن الحبل ثم استعير لكل ما يتوصل به الى المقصود وهو يتناول العلم والقدرة والالة فلذلك
قيل واتيناه كل ما تستعين به الملوك على فتح المدن ومحاربة الاعداء **قوله تعالى** سببا اي علما يتسبب
به الى كل ما يريد ويسير به في اقطار الارض وقيل قربنا له اقطار الارض **فصل** واستدلوا بقوله
تعالى واتيناه من كل شيء سببا على انه كان نبيا كما تقدم ومن انكر نبوته قال المعنى واتيناه من كل ما يحتاج
الى اصلاح ملكه الا ان تخصيص العموم خلاف الظاهر فلا يصار اليه الا بدليل **قوله تعالى** فاتبع سببا
قرأ نافع وابن كثير وابو عمرو فاتبع ثم اتبع في الموضعين بهمزة وصل وتشديد التاء والباقون بقطع الهمزة
في المواضع الثلاثة وسكون التاء فقيل هما بمعنى واحد فيتعديان لمفعول واحد وقيل اتبع ما يتعدى لاثنين
حذف احدهما تقديره فاتبع سببا سببا قرأ نافع وابن كثير وابو عمرو فاتبع ثم اتبع في الموضعين بهمزة وصل وتشديد
التاء والباقون بقطع الهمزة في المواضع الثلاثة وسكون التاء فقيل هما بمعنى واحد فيتعديان لمفعول
واحد وقيل اتبع ما يتعدى لاثنين تحذف احدهما تقديره فاتبع سببا سببا آخر او فاتبع امره سببا ومنه واتبعناهم
في هذه الدنيا لعنة فعداه لاثنين ومن حذف احد المفعولين قوله تعالى فاتبعوهم مشرقين اي اتبعوهم جنودهم
واختار ابو عبيد اتبع بالوصل وقال لانه من المسير يقال تبعت القوم واتبعتهم فاما الاتباع بالقطع فمعناه
اللحاق كقوله تعالى فاتبعه شهاب ثاقب وقال يونس وابو زيد اتبع بالقطع عبارة عن المجد المسرع الحثيث
الطلب وبالوصل انما يتضمن الاقتفاء دون هذه الصفات قال البغوي والصحيح الفرق بينهما فمن قطع الالف
فمعناه لحق وادرك ومن قرأ بالتشديد فمعناه سار يقال ما زلت اتبعه حتى اتبعته اي ما زلت اسير خلفه حتى

لحقته ومعنى الآية انه تعالى لما اعطاه من كل شيء سببه فاذا اراد سببا اتبع سببا توصله اليه حتى اذا بلغ
مغرب الشمس وجدها تغرب في عين حمئة قرا ابن كثير وابن عامر وابو بكر والاخوان بالالف وياء صريحة بعد الميم
والباقون دون الف وهمزة بعد الميم فاما القراءة الاولى فانها اسم فاعل من حمي يحمي والمعنى في عين حارة عن
ابي ذر قال كنت رديف رسول الله صلى الله عليه وسلم على جمل فرأى الشمس حين غابت فقال اتدري يا ابا ذر اين تغرب
هذه قلت الله ورسوله اعلم قال فانها تغرب في عين حمئة وهي قراءة ابن مسعود وطلحة وابو عمرو واختارها
ابو عبيد قال لان عليها جماعة من الصحابة واما القراءة الثانية فهي من الحمأة وهي الطين وهي قراءة ابن عباس
وكان عند معاوية فقرا معاوية حامية فقال ابن عباس حمئة فقال معاوية لعبد الله بن عمرو كيف تقرأ فقال
كقراءة امير المؤمنين ثم بعث معاوية الى كعب الاحبار كيف تجد الشمس تغرب قال في ماء وطين كذلك نجده
في التوراة فوافق ابن عباس وكان رجل حاضر هناك فانشد قول تبع •

• فرأى مغيب الشمس عند مآبها • في عين ذي خلب وثاط حرمد •

ولا تناقض بين القراءتين لان العين جامعة وجامعة بين الوصفين كونها حارة وكونها من طين فان قيل
فصل ثبت بالدليل ان الارض كرة وان السماء محيطة بها وان الشمس في الفلك الرابع فكيف يعقل دخولها
في عين وايضا قال ووجد عندها قوما فالجواب معلوم ان جلوس القوم في قرب الشمس غير موجود وايضا فالشمس
اكبر من الارض بمرات كثيرة فكيف يعقل دخولها في عين من عيون الارض واذا ثبت هذا فنقول تاويل قوله تغرب
في عين حمئة من وجوه الاول ان ذا القرنين لما بلغ موضعا في المغرب ولم يبق بعده شيء من العمارات وجد
الشمس كانها تغرب في العين وهي مظلمة وان لم تكن كذلك في الحقيقة كما ان راكب البحر يرى الشمس كانها تغرب في البحر
اذا لم ير الشط وهي في الحقيقة تغرب وراء البحر ذكر هذا القول الجبائي في تفسيره الثاني ان بالجانب الغربي من
الارض مساكن يحيط البحر بها فالناظر الى الشمس يتخيل له كانها تغيب في تلك البحار ولا شك ان البحار الغربية
قوية السخونة فهي حامية وهي ايضا حمئة لكثرة ما فيها من الماء من الحمأة السوداء فقوله تغرب في عين حمئة
اشارة الى ان الجانب الغربي من الارض قد احاط البحر به وهو موضع شديد السخونة الثالث قال اهل الاخبار
ان الشمس تغيب في عين كثيرة الماء والحمأة وذلك في غاية البعد وذلك لانا اذا رصدنا كسوفا قمريا فاذا اعتبرناه
رأينا ان المغربيين قالوا حصل هذا الكسوف في اول الليل ورأينا المشرقيين قالوا حصل في اول النهار فعلمنا ان
اول الليل عند اهل المغرب هو اول النهار عند اهل المشرق بل ذلك الوقت الذي هو اول الليل عندنا هو وقت
العصر في بلد ووقت الظهر في بلد آخر ووقت الضحوة في بلد ثالث ووقت طلوع الشمس في بلد رابع ونصف الليل
في بلد خامس واذا كانت هذه الاحوال معلومة بالاستقراء والاخبار وعلمنا ان الشمس طالعة ظاهرة في هذه
الاوقات كلها كان الذي يقول انها تغيب في الطين والحمأة كلاما على خلاف اليقين وكلام الله تعالى مبرأ عن
تلك التهمة فلم يبق الا ان يصار الى التاويل المذكور ثم قال ووجد عندها قوما اي عند العين
امة وقيل الضمير يعود الى الشمس قال ابن جريج مدينة لها اثنا عشر الف باب لولا اصوات اهلها لسمعت وجبة
الشمس حين تجب **قوله تعالى** قلنا يا ذا القرنين يدل على انه تعالى كلمه من غير واسطة وذلك يدل على انه
كان نبيا فا **فالجواب** خوطب على السنة بعض الانبياء فهو عدول عن الظاهر فان قيل المراد الالهام
قوله تعالى اما ان تعذب يجوز فيه الرفع على الابتداء والخبر محذوف اي اما تعذيبك فواقع والرفع على
انه خبر مبتدأ مضمر اي هو تعذيبك والنصب اي اما تفعل ان تعذب وهذا يدل على سكان آخر المغرب كانوا
كفارا فخير الله تعالى ذا القرنين فيهم بين التعذيب ان اقاموا على الكفر وبين المن عليهم والعفو عنهم
وهذا التخيير على معنى الاجتهاد في اصلح الامرين كما خير نبيه عليه السلام بين المن على المشركين وبين قتلهم
وقال الاكثرون هذا التعذيب هو القتل واما اتخاذ الحسنى فهو تركهم احياء ثم قال ذو القرنين اما من ظلم اي ظلم
نفسه بمعنى كفر لانه ذكر في مقابلة واما من آمن ثم قال فسوف نعذبه اي نقتله ثم يرد الى ربه فيعذبه في الآخرة
عذابا نكرا اي منكرا فظيعا وهو النار والنار انكر من القتل **قوله تعالى** واما من آمن وعمل صالحا فله جزاء
الحسنى قرا الاخوان وحفص بنصب جزاء وتنوينه والباقون برفعه مضافا فالنصب على المصدر المؤكد
لمضمون الجملة او بنصب بمضمر او مؤكد لعامل من لفظه مقدر اي يجزى جزاء وتكون الجملة معترضة
بين المبتدأ او خبره المقدم عليه وقد يعترض على الاول بان المصدر المؤكد لمضمون جملة لا يتقدم عليها
ولا ينقدم ما فكذا لا يتوسط وفيه نظر يحتمل الجواز والمنع وهو الى الجواز اقرب الثالث انه في موضع الحال

الرابع نصبه على التمييز قاله الفراء وهو بعيد وقرا ابن عباس ومسروق بالنصب والاضافة وفيها
تخريجان احدهما انه مبتدأ محذوف الخبر وهو العامل في جزاء الحسنى والتقدير فله الجزاء جزاء الحسنى والثاني
انه حذف التنوين لالتقاء الساكنين كقوله تعالى اي الشاعر • ولا ذاكر الله الا قليلا •
ذكره المهدوي والقراءة الثانية رفعه على الابتداء والخبر الجار قبله والحسنى مضافا اليها والمراد
بالحسنى الجنة وقيل الفعلة الحسنى وقرا عبد الله وابن ابي اسحاق جزاء مرفوعا منونا على الابتداء والحسنى بدل
او بيان او منصوب باضمار اعني او خبر مبتدأ مضمر وقيل نعت مصدر محذوف وفي قوله اليسر وقرا ابو جعفر
بضم السين حيث ورد **فصل** قال المفسرون المعنى على قراءة النصب فله الحسنى جزاء كما يقال لك
هذا الثوب هبة وعلى قراءة الرفع وفيه وجهان احدهما فله الجزاء الحسنى والفعلة الحسنى هي الايمان والعمل
الصالح والثاني فله جزاء المثوبة الحسنى واضافة الموصوف الى الصفة مشهورة كقوله حق اليقين ولدار الآخرة
وقوله تعالى وسنقول له من امرنا يسرا اي لا نأمره بالصعب الشاق ولكن بالسهل الميسر من الزكاة والخراج
وغيرهما وتقديره ذا يسر كقوله تعالى قولا ميسورا **قوله تعالى** ثم اتبع سببا حتى اذا بلغ مطلع الشمس
اي سلك طرقا ومنازل حتى اذا بلغ مطلع الشمس اي موضع طلوعها **قوله تعالى** وجدها تطلع على
قوم لم نجعل لهم من دونها سترا قال الحسن وقتادة لم يكن بينهم وبين الشمس سترا وليس هناك شجر ولا جبل
ولا ابنية تمنع من وقوع الشمس عليهم لانهم كانوا في مكان لا يستقر عليهم بناء وكانوا يكونون في اسراب لهم حتى
اذا زالت الشمس عنهم خرجوا الى معايشهم وحروثهم وقال الحسن كانوا اذا طلعت الشمس يدخلون الماء فاذا ارتفعت
عنهم خرجوا كالبهائم قال الكلبي هم قوم عراة كسائر الحيوان يفترش احدهم اذنيه احداهما تحته ويلتحف
بالاخرى **فصل** ذكروا في بعض كتب التفاسير ان بعضهم قال سافرت حتى جاوزت الصين فقال
سألت عن هؤلاء القوم فقيل بينك وبينهم مسيرة يوم وليلة فبلغتهم فاذا احدهم يفرش احدى اذنيه
ويلبس الاخرى فلما قرب طلوع الشمس سمعت صوتا كهيئة الصلصلة فغشي علي ثم افقت فلما طلعت الشمس فاذا
هي فوق الماء كهيئة الزيت فادخلونا سربا لهم فلما ارتفع النهار جعلوا يصطادون السمك ويطرحونه في الشمس
فينضج **قوله تعالى** مطلع الشمس العامة على كسر اللام من مطلع والمضارع يطلع بالضم وكان القياس فتح
اللام في الفعل مطلقا ولكنها مع اخواتها سمع فيها الكسر وقياسها الفتح وقد قرا الحسن وعيسى وابن محيصن
وروي عن ابن كثير واهل مكة قال الكسائي هذه اللغة قد ماتت يعني ان تكسر اللام من المضارع والفعل
وهذا يشعر ان من العرب من كان يقول طلع يطلع بالكسر في المضارع **قوله تعالى** كذلك الكاف اما
مرفوعة المحل اي الامر كذلك او منصوبه اي فعلنا مثل ذلك ومعنى الكلام كذلك فعل ذو القرنين اتبع
هذه الاسباب حتى بلغ وقد علمنا حين ملكناه ما عنده من الصلاحية كذلك الملك وقيل كذلك جعل الله الملك
امر هؤلاء القوم على ما قد اعلم رسوله عليه السلام في هذا الذكر وقيل كذلك كانت حاله مع اهل المطلع
كما كانت حاله مع اهل المغرب قضى في هؤلاء كما قضى في اولئك من تعذيب الظالمين والاحسان الى المؤمنين
وقيل تم الكلام عند قوله كذلك والمعنى انه تعالى قال امر هؤلاء القوم كما وجدهم عليه ذو القرنين ثم قال
بعده وقد احطنا بما لديه خبرا اي كنا عالمين بان الامر كذلك **قوله تعالى** ثم اتبع سببا حتى اذا بلغ بين
السدين الآية بين هنا يجوز ان تكون ظرفا اي المفعول محذوف اي بلغ غرضه ومقصوده وان يكون مفعولا
به على الاتساع اي بلغ المكان الحاجز بينهما وقرا ابن كثير وابو عمرو بفتح سين السدين وسدا في هذه السورة
وحفص وفتح الجميع اعني موضع هذه السورة وموضعي سورة يس وقرا الاخوان بالفتح في سدا في سورة يس
وبالضم في يس والباقون في الجميع بالضم فقيل هما بمعنى واحد وقيل المضموم هو ما كان من فعل الله
تعالى والمفتوح ما كان من فعل الناس وهذا مروي عن عكرمة والكسائي وابو عبيدة وابن الانباري
قال الزمخشري لان السد بالضم فعل بمعنى مفعول اي هو مما فعله الله وخلقه والسد بالفتح مصدر
حدث يحدثه الناس وهو مردود بان السدين في هذه السورة جبلان سد ذو القرنين بينهما ما بينهما
من فعل الله والسد الذي فعله ذو القرنين من صنع المخلوق وسدا في يس من فعل الله تعالى **قوله تعالى**
وجعلنا ومع ذلك قرئ في الجميع بالفتح والضم فعلم انهما لغتان كالضعف والضعف والفقر والفقر وقال
الخليل المضموم اسم والمفتوح مصدر وهذا هو الاختيار **فصل** الاظهر ان موضع السدين
في ناحية الشمال فقيل جبلان بين ارمينية واذربيجان وقيل هذا المكان في مقطع ارض الترك

يحكى محمد بن جرير الطبري في تاريخه ان صاحب اذربيجان ايام فتحها وجه انسانا اليه من ناحية الخزر فشاهده
ووصف بانه بنيان رفيع وراء خندق وثيق منيع وذكر ابن خرداذبه في كتاب المسالك والممالك ان
الواثق بالله رأى في المنام كانه فتح هذا الردم فبعث بعض الخدم اليه ليعاينوه فخرجوا من باب الابواب
حتى وصلوا اليه وشاهدوه فوصفوا انه بنيان من لبن حديد مشدود بالنحاس المذاب وعليه باب مقفل
ثم ان ذلك الانسان لما حاول الرجوع اخرجهم الدليل الى البقاع المحاذية لسمرقند **فصل** قال
ابو الريحان البيروني مقتضى هذا الخبر ان موضعه في الربع الشمالي الغربي من المعمور **قوله تعالى** يفقهون
قرأ الاخوان بضم الياء وكسر القاف من افقه غيره فالمفعول محذوف اي لا يفهمون غيرهم قولا والباقون
بفتحهما اي لا يفقهون كلام غيرهم وهو بمعنى الاول وقيل ليس بمعنى الاول لانه لا يلزم من ان يفقه الانسان كلام غيره
ان يفقه قوله غيره وبالعكس **قوله تعالى** لما بلغ ذو القرنين ما بين السدين ووجد من دونهما من ورائهما
مجاوزا عنهما قوما اي امة من الناس لا يكادون يفقهون قولا فان قيل كيف فهم ذو القرنين منهم
هذا الكلام بعد ان وصفهم الله تعالى بقوله لا يكادون يفقهون قولا فالجواب الذي من خدمهم يا ذا القرنين ان
ياجوج وماجوج وفيه ان قوله لا يكادون يفقهون يدل على انهم فقهوه بصعوبة وفيه انها ان كاد
معناه المقاربة وعلى هذا فلا بد من اضمار تقديره لا يكادون يفقهون الا بمشقة من اشارة ونحوها
قوله تعالى ياجوج وماجوج قرأ عاصم بالهمزة الساكنة والباقون بالف صريحة واختلف في ذلك فقيل
هما عجميان لا اشتقاق لهما ومنعا من الصرف للعلمية والعجمة ويحتمل ان تكون الهمزة اصلية والالف بدلا
منها او بالعكس لان العرب تتلاعب بالاسماء الاعجمية وقيل بل هما عربيان واختلف في اشتقاقهما فقال
الكسائي ياجوج ماخوذ من تأجج النار وتلهبها وشدة توقدها فلسرعتهم في الحركة سموا بذلك وماجوج
من موج البحر وقيل من الاج وهو الاختلاط وشدة الحر وقال القتيبي من الاج وهو سرعة العدو ومنه
قوله • يأوج كأج الظليم المنفر • وقيل من الاجاج وهو الماء الملح الزعاق **فصل**
وقال الخليل الاج حب كالعدس والمج مج الريق فيحتمل ان يكونا ماخوذين منهما ووزنهما يفعول ومفعول وهو
ظاهر على قراءة عاصم واما قراءة الباقين فيحتمل ان تكون الالف بدلا من الهمزة الساكنة الا ان فيه ان من قرأ
من ليس اصله قلب الهمزة الساكنة وهو الاكثر لا اضطر في ذلك ويحتمل ماج يموج اذا اضطرب ومنه الموج ان
يكون الفهما زائدتين ووزنهما فاعول من يج ومج ويحتمل ان يكون ماجوج من ماج يموج اذا اضطرب
ومنه الموج فوزنه مفعول واصله موجوج قاله ابو البقا وابو حيان وفيه نظر من حيث ادعا قلب حرف العلة وهو
شاذ وهذه كشذوذ طائي في النسب الى طي وعلى القول بكونهما عربيين مشتقين فمنع صرفهما للعلمية والتانيث
بمعنى القبيلة كما تقدم في سورة هود ومثل هذا الخلاف والتعليل جار في سورة الانبيا عليهم السلام واما
في ياجوج وماجوج لغة بني اسد وقرا روبة وابو العجاج اججوج **فصل** اختلفوا في انهم من اي
الاقوام فقال الضحاك هم جيل من الترك وقال السدي الترك سرية من ياجوج وماجوج خرجت فضرب
ذو القرنين السد فبقيت خارجة فجميع الترك منهم وعن قتادة انهم اثنان وعشرون قبيلة بنى ذو القرنين
السد على احدى وعشرين قبيلة وبقيت قبيلة واحدة وهم الترك سموا بذلك لانهم تركوا خارجين ...
فصل قال اهل التواريخ اولاد نوح ثلاثة سام وحام ويافث فسام ابو العرب والعجم والروم
وحام ابو الحبشة والزنج والنوبة ويافث ابو الترك والخزر والصقالبة وياجوج واختلفوا في صفاتهم
واختلفوا في صفاتهم فمن الناس من وصفهم بقصر القامة وصغر الجثة بكون طول احدهم شبرا ومنهم من وصفهم
بطول القامة وكبر الجثة فقيل طول احدهم مائة وعشرون ذراعا ومنهم من طوله وعرضه كذلك وان لهم
مخالب في الاظفار واضراسا كاضراس السباع ومنهم من يفترش احدى اذنيه ويلتحف بالاخرى **فصل**
واختلفوا في كيفية فسادهم فقيل كانوا يقتلون الناس وقيل كانوا ياكلون لحوم الناس وقيل كانوا
يخرجون ايام الربيع ولا يتركون لهم شيئا اخضر وبالجملة فلفظ الفساد يحتمل هذه الاقسام ثم انه تعالى حكى
عن اهل ما بين السدين انهم قالوا لذي القرنين فهل نجعل لك خرجا **قوله تعالى** خرجا قرا ابن عامر
خرجا هنا وفي المؤمنين بسكون الراء والاخوان خراجا فخراجا في السورتين بالالف والباقون كقراءة ابن عامر
في هذه السورة والاول في المؤمنين وفي الثاني وهو فخراج كقراءة الاخوين فقيل هما بمعنى واحد كالنول والنول
والنول والنوال وقيل الخراج بالالف ما ضرب على الارض من الاتاوة في كل عام وبغير الالف بمعنى الجعل

اي نجعل

اي نجعل اعني نعطيك من اموالنا واحدة ما تستعين به على ذلك وقال ابو عمرو والخرج ما تبرعت به
والخراج ما لزمك اداؤه وقال المكي رحمه الله الاختيار ترك الالف لانهم انما عرضوا عليه ان يعطوه عطية واحدة
على بنائه لا ان يضرب ذلك عليهم كل عام وقيل الخرج ما كان على الرؤوس والخراج ما كان على الارض قال قطرب يقال
ادّ خرج راسك وخراج ارضك قاله ابن الاعرابي وقيل الخرج اخص والخراج اعم قاله ثعلب وقيل الخرج مصدر
والخراج اسم لما يعطى ثم قد يطلق على المفعول فلا يحصل ذلك الينا **قوله تعالى** ما مكني ما بمعنى الذي وقرأ ابن
كثير مكنني باظهار النون والباقون بادغامها في نون الوقاية للتخفيف وهي مرسومة في مصاحف غير مكة بنون
واحدة وفي مصاحف مكة بنونين فكل وافق مصحفه ومعنى الكلام ما قواني عليه ربي خير من جعلكم اي ما جعلني مكينا
من المال الكثير حين تبذلون لي من الخراج فلا حاجة الى ذلك كقول سليمان عليه السلام فما اتاني الله خير مما اتاكم ثم قال
فاعينوني بقوة اي لا اريد المال ولكن اعينوني بايديكم وقوتكم اجعل بينكم وبينهم ردما والردم هو السد يقال ردمت
الباب اي سددته وردمت الثوب رقعته لانه يسد موضع الخرق بالرقع والردم اكثر من السد من قولهم ثوب مردم
اي وضعت عليه رقاع قالوا فما تلك القوة قالوا فعلة وصناع يحسنون البنا والعمل والالة قالوا وما تلك الالة قال
ائتوني اعطوني وقرا ابو بكر ايتوني بهمزة وصل من اتى ياتي في الموضعين من هذه السورة بخلاف عنه في الثاني ووافقه
حمزة على الثاني من غير خلاف عنه والباقون بهمزة القطع فزبر على قراءة همزة الوصل منصوب على اسقاط الخافض
اي جيئوني بزبر الحديد وفي قراءة قطعها على المفعول الثاني لانه يتعدى بالهمزة الى اثنين وفي قراءة ابي بكر يحتاج
الى كسر التنوين وبعدها همزة ساكنة هي فاء الكلمة واذا ابتدأت بكلمتي ائتوني في قراءته وقراءة حمزة ابتدأ بهمزة
مكسورة للوصل ثم ياء صريحة هي بدل عن فاء الكلمة وفي الدرج تسقط همزة الوصل فتعود الهمزة كذا والعجب
ابدالها والباقون يبتدؤون ويصلون بهمزة مفتوحة لانها همزة قطع ويتركون تنوين ردما على حاله من السكون
وهذا كله ظاهر لاهل النحو خفي عن القراء زبر جمع زبرة كغرفة وغرف وزبر الحديد قطعه قال الخليل الزبرة من الحديد
القطعة الضخمة وقرأ الحسن بضم الباء **قوله تعالى** ساوى هذه قراءة الجمهور وقتادة سوّى بالتضعيف
وعاصم في رواية سوي مبنيا للمفعول وفيه اضمار اي فاتوه بها فوضع تلك الزبر بعضها على بعض حتى اذا ساوى
اي سوّى ما بين الجبلين الى اعلاهما **قوله تعالى** الصدفين قرأ ابو بكر بضم الصاد وسكون الدال وابن كثير
وابو عمرو وابن عامر بضمهما والباقون بفتحهما وهذه لغات قرئ بها في السبع وابو جعفر وشيبة وحميد بالفتح
والاسكان والماجشون بالفتح والضم وعاصم في رواية بالكسر ثم قيل ناحيتا الجبلين وقيل منقطع
جبلان وبينهما طريق والناحيتان صدفان لتقابلهما وتصادفهما من صادفت الرجل اي لاقيته وقابلته
وقال ابو عبيدة الصدف كل بناء مرتفع وقيل الشيء معروف والفتح لغة تميم والضم لغة حمير **فصل**
لما اتوه بزبر الحديد وضع بعضها على بعض حتى ساوى وسد ما بين الجبلين ووضع المنافخ عليها والحطب حتى اذا
صارت كالنار صب النحاس المذاب على الحديد المحمي فالتصق بعضه ببعض فصار جبلا صلدا وهذه معجزة تامة
لان هذه الزبر الكثيرة اذا نفخ عليها حتى تصير كالنار لم يقدر الحيوان على القرب منها والنفخ عليها لا يكون الا
بالقرب منها فكانه تعالى صرف تاثير تلك الحرارة العظيمة عن ابدان اولئك النافخين عليها قيل انه وضع الحديد
على الحطب والحطب على الحديد فصار الحطب في خلال الحديد ثم نفخوا عليه حتى صار نارا افرغ عليه النحاس المذاب
فدخل في خلال الحديد مكان الحطب لان النار اكلت الحطب فصار النحاس مكان الحطب حتى لزم الحديد النحاس
قال قتادة صار كالبرد المحبر طريقة سودا وطريقة حمرا **فصل** قال الزمخشري قيل بعد ما بين
السدين مائة فرسخ وروي ان عرضه كان خمسين ذراعا وارتفاعه مائتي ذراع **قوله تعالى** قطرا هو المتنازع
فيه وهذه الاية اشهر امثلة النحاة في باب التنازع وهي من اعمال الثاني والحذف من الاول والقطر هو النحاس
او الرصاص المذاب لانه يقطر **قوله تعالى** فما اسطاعوا قرأ حمزة بتشديد الطاء والباقون بتخفيفها
والوجه في الادغام كما قال ابو علي انه لما لم يمكن القاء حركة التاء على السين لئلا يحرك ما لا يتحرك يعني لان سين استفعل
لا يتحرك ادغم مع الساكن وان لم يكن حرف لين وقد قرأت القراء غير حرف من هذا النحو وقد انشد سيبويه وسيحي
بمعنى في قول الشاعر • كأنه بعد كلال الزاجر • ومسحي مر عقاب كاسر •
فادغم الحاء في الهاء بعد ان قلب الهاء حاء وهو عكس قاعدة القلب والادغام في المتقاربين وهذه القراءة
لحنها بعض النحاة قال الزجاج من قرأ بهذه القراءة فهو لاحن مخطئ وقال ابو علي هي غير جائزة وقال الاعشى
وقرا ابي بكر اصطاعوا بابدال السين صادا والاعمش استطاعوا كالثانية **فصل** حذف تا استطاع

المخفف لان التاء قريبة المخرج من الطاء، ومعنى يظهروه اي يعلوه من فوق ظهره لطوله وملاسته ولا على نقبه
من اسفله لشدته وصلابته وثخانته ثم قال ذو القرنين هذا اشارة الى السد رحمة اي نعمة من الله ورحمة على عباده
فاذا جاء وعد ربي اي القيامة وقيل وقت خروجهم جعله دكا اي جعل السد مدكوكا مستويا مع وجه الارض
جعله دكا الظاهر ان الجعل هنا بمعنى التصيير فيكون دكا مفعولا ثانيا وجوز ابن عطية ان يكون
حالا وجعل بمعنى خلق وفيه بعد لانه اذ ذاك موجود وتقدم الخلاف في القراءة في دكا في الاعراف
وكان وعد ربي حقا الوعد هنا مصدر بمعنى الموعود او على بابه روي قتادة عن ابي رافع
عن ابي هريرة يرفعه ان ياجوج وماجوج يحفرونه كل يوم حتى اذا كادوا يرون شعاع الشمس قال الذي عليهم
ارجعوا فستحفرونه غدا فيعيده الله كما كان حتى اذا بلغت مدتهم حفروا حتى كادوا يرون شعاع الشمس قال
الذي عليهم ارجعوا فستحفرونه غدا ان شاء الله تعالى واستثنى فيعودون اليه وهو كهيئته حين تركوه
فيحفرونه ويخرجون على الناس فينشفون المياه ويتحصن الناس في حصونهم منهم فيرمون بسهامهم الى السماء
فترجع فيها كهيئة الدم فيقولون قهرنا اهل الارض وعلونا اهل السماء فيبعث الله عليهم نغفا في اقفائهم
فيهلكون وان دواب الارض لتسمن وتشكر من لحومهم وعن النواس بن سمعان قال ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم
الدجال ذات غداة فخفض فيه ورفع حتى ظنناه في طائفة النخل فلما رحنا اليه عرف ذلك فينا فقال ما شانكم
قلنا يا رسول الله ذكرت الدجال الغداة فخفضت ورفعت حتى ظنناه في طائفة النخل فقال غير الدجال اخوفني
عليكم ان يخرج وانا فيكم فانا حجيجه دونكم وان يخرج ولست فيكم فامرؤ حجيج نفسه والله خليفتي على كل مسلم
انه شاب قطط عينه طافية كانه اشبهه بعبد العزى بن قطن فمن ادركه منكم فليقرا عليه فواتح سورة الكهف
قلنا يا رسول الله وما لبثه في الارض قال اربعون يوما يوم كسنة ويوم كشهر ويوم كجمعة وسائر ايامه كايامكم قلنا
يا رسول الله فذلك اليوم الذي كسنة يكفينا فيه صلاة يوم قال لا اقدروا له قدره قلنا يا رسول الله وما اسراعه
في الارض قال كالغيث استدبرته الريح فياتي على القوم فيدعوهم فيؤمنون به ويستجيبون له فيامر السماء
فتمطر والارض فتنبت وتروح عليهم سارحتهم اطول ما كانت ذرا واسبغه ضروعا وامده خواصر ثم ياتي القوم فيدعوهم
فيردون عليه قوله قال فينصرف عنهم فيصبحون ممحلين ليس بايديهم شيء من اموالهم ويمر بالخربة
فيقول لها اخرجي كنوزك فتتبعه كنوزها كيعاسيب النحل ثم يدعو رجلا ممتلئا شبابا فيضربه بالسيف
فيقطعه جزلتين رمية الغرض ثم يدعوه فيقبل ويتهلل وجهه يضحك فبينما هو كذلك اذ بعث الله تعالى
عيسى بن مريم المسيح ابن مريم عليه السلام فينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق بين مهرودتين واضعا كفيه على اجنحة
ملكين اذا طأطأ راسه قطر واذا رفعه تحدر منه مثل جمان اللؤلؤ فلا يحل لكافر يجد ريح نفسه الا مات
ونفسه ينتهي حيث ينتهي طرفه حتى يدركه بباب لد فيقتله ثم ياتي عيسى قوما قد عصمهم الله منه فيمسح على
وجوههم ويحدثهم بدرجاتهم في الجنة فبينما هو كذلك اذ اوحى الله الى عيسى اني قد اخرجت عبادا لي لا يد
ان لاحد بقتالهم فحرز عبادي الى الطور ويبعث الله ياجوج وماجوج وهم من كل حدب ينسلون فيمر اوائلهم
على بحيرة طبرية فيشربون ما فيها ويمر اخرهم فيقولون لقد كان بهذه مرة ماء ويحصر نبي الله واصحابه
حتى يكون راس الثور لاحدهم خيرا من مائة دينار لاحدكم اليوم فيرغب نبي الله عيسى واصحابه فيرسل الله عليهم
النغف في رقابهم فيصبحون فرسى كموت نفس واحدة ثم يهبط نبي الله واصحابه الى الارض فلا يجدون في الارض
موضع شبر الا ملاه زهمهم ونتنهم فيرغب نبي الله عيسى واصحابه الى الله فيرسل الله عليهم طيرا كاعناق البخت
فتحملهم فتطرحهم حيث شاء الله ثم يرسل الله مطرا لا يكن منه بيت مدر ولا وبر فيغسل الارض حتى يتركها
كالزلفة ثم يقال للارض انبتي ثمرتك وردي بركتك فيومئذ تاكل العصابة من الرمانة ويستظلون بقحفها ويبارك في الرسل
حتى ان اللقحة من الابل لتكفي الفئام من الناس واللقحة من البقر لتكفي القبيلة من الناس واللقحة من الغنم لتكفي الفخذ
من الناس فبينما هم كذلك اذ بعث الله ريحا طيبة فتاخذهم تحت اباطهم فتقبض روح كل مؤمن وكل مسلم ويبقى
شرار الناس يتهارجون تهارج الحمر فعليهم تقوم الساعة وتركنا بعضهم يومئذ يموج في
بعض الاية قيل هذا عند فتح السد تركنا ياجوج وماجوج يموج بعضهم في بعض اي يزدحمون كموج الماء
ويختلط بعضهم في بعض لكثرتهم وقيل هذا عند قيام الساعة يدخل الخلق بعضهم في بعض ويختلط انسهم
بجنهم حيارى يومئذ التنوين عوض من جملة محذوفة تقديرها يوم اذ جاء وعد ربي واذ جاء
السد بينهم وقوله تعالى يموج مفعول ثان لتركنا والضمير في بعضهم على يعود على ياجوج وماجوج او على
سائر الخلق ونفخ في الصور لان خروج ياجوج وماجوج من علامات قرب الساعة وتقدم الكلام
في الصور فجمعناهم جمعا في صعيد واحد وعرضنا جهنم يومئذ

للكافرين عرضا حتى يشاهدوها عيانا الذين كانت يجوز ان يكون مجرورا بدلا من للكافرين
او بيانا او نعتا ومعنى كانت اعينهم في غطاء والغطاء ما يغطي الشيء ويستره عن الاعيان والقران والمراد منه
شدة انصرافهم عن قبول الحق وعن الهدى والبيان وقيل عن رؤية الدلائل وكانوا لا يستطيعون
سمعا اي سمع الصوت اي القبول والايمان لغلبة الشقاء عليهم وقيل لا يعقلون ومعنى هذا هو قوله تعالى
عموا وصموا اما العمى فهو قوله تعالى كانت اعينهم في غطاء عن ذكري واما الصم فقوله تعالى لا يستطيعون سمعا
اي لا يقدرون ان يسمعوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يتلو عليهم لشدة عداوتهم
افحسب الذين كفروا الاية لما بين اعراض الكافرين في الاية عن الذكر وعن السماع مما جاء به رسول الله صلى الله عليه
وسلم اتبعه بقوله تعالى افحسب الذين كفروا والمعنى افظن الذين كفروا ان ينتفعوا بما عبدوه والمراد بقوله
تعالى ان يتخذوا عبادي من دوني اولياء اربابا يريد بالعباد عيسى والملائكة وقيل هم الشياطين يتولونهم
ويطيعونهم وقيل هم الاصنام سماها عبادا كقوله تعالى عباد امثالكم وهو استفهام توبيخ افحسب العامة
على كسر السين وفتح الباء فعلا ماضيا وان يتخذوا سادة مسد المفعولين وقرا علي بن ابي طالب رضي الله عنه وزيد بن
علي وابن كثير ويحيى بن يعمر في اخرين بسكون السين ورفع الباء على المبتدا والخبر ان وما في حيزها والمعنى ايكفيهم
او حسبهم ان يتخذوا كذا وكذا وقال الزمخشري او على الفعل والفاعل كاسم الفاعل اذا اعتمد على الهمزة ساوى
الفعل في العمل كقولك اقائم الزيدان وهي قراءة محكمة جيدة قال ابو حيان والذي يظهر ان هذا الاعراب
لا يجوز لان حسبا ليس باسم فاعل فيعمل ولا يلزم من تفسير شيء بشيء ان يجري عليه احكامه وقد ذكر سيبويه اشياء
من الاسماء التي تجري مجرى الاسماء وان الوجه فيها الرفع ثم قال وذلك مررت برجل خز ابوه ومررت برجل سواء
عليه الخير والشر ومررت برجل اب له صاحبه ومررت برجل حسبك من رجل هو ومررت برجل ايما رجل هو ثم
قال ابو حيان ولا يبعد ان يرفع به الظاهر فقد اجاز في مررت برجل ابي عشرة ابوه ان يرتفع ابوه بابي عشرة
لانه والد عشرة نزلا فيه وجهان احدهما انها تتصرف او منصوبة على الحال اسم ما ان لنحو شارف
وزرق الثاني انه اسم موضع النزول قال ابن عباس مثواهم وهو قول الزجاج الثالث انه اسم ما يعد للنازلين
من الضيوف اي معدة لهم كالمنزل للضايف ويكون على سبيل التهكم بهم كقوله تعالى فبشرهم بعذاب اليم وقوله
تحية بينهم ضرب وجيع ونصبه على هذين الوجهين مفعولا به اي صيرنا وابو حيوة نزلا بسكون الزاي
وهي تخفيف السعيرة قل هل ننبئكم بالاخسرين اعمالا يعني الذين اتعبوا انفسهم في عمل يرجون
به فضلا ونالوا هلاكا وبوارا قال ابن عباس وسعد بن ابي وقاص هم اليهود والنصارى
وهو قول مجاهد وقيل هم الرهبان الذين حبسوا انفسهم في الصوامع كقوله تعالى عاملة ناصبة تصلى نارا حامية
وقال علي بن ابي طالب رضي الله عنه هم اهل حروراء اعمالا تمييز للاخسرين وجمع لاختلاف الانواع
الذين ضل يجوز فيه الجر نعتا وبدلا وبيانا والنصب على الرفع والذم والرفع على خبر ابتداء مضمر
ومعنى خسرانهم ان مثلهم كمن يشتري سلعة يرجو فيها ربحا فخسر وخاب سعيه كذلك اعمال هؤلاء الذين اتعبوا انفسهم
مع ضلالهم فبطل جدهم واجتهادهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون يظنون انهم يحسنون صنعا اي عملا
يحسبون انهم يحسنون يسمى في البديع تجنيس التصحيف وتجنيس الخط وهذا من احسنه وقال البحتري

ولم يكن المغتر بالله اذ سرى ليعجز والمعتز بالله طالبه

فالاول من الغرور والثاني من العز ومن احسن ما جاء في تصحيح التصحيف قوله

سقيتني وغلبتني تحت ذا حبيرة ابن ابي الجرد

تصحيفه سقيتني وغلبتني بحب بجو حيرة ابن الجرد وفي بعض رسائل الفصحاء قبل ابدالك بزوالك عبد عبد
رجالك رجال امل اولئك الذين كفروا بايات ربهم ولقائه لقاء الله عبارة عن رؤيته لانه يقال
لقيت فلانا اي رايته فان قيل اللقاء عبارة عن الوصول قال الله تعالى فالتقى الماء على امر قد قدر وذلك
في حق الله محال فوجب حمله على ثواب الله فالجواب ان لفظ اللقاء وان كان في الاصل عبارة عن الوصول
الا ان استعماله في الرؤية مجاز ظاهر مشهور ومن قال بان المراد به لقاء ثواب الله فذلك لا يتم الا بالاضمار
وحمل اللفظ على المجاز المتعارف المشهور اولى من حمله على ما يحتاج الى الاضمار
استدلت المعتزلة بقوله تعالى فحبطت اعمالهم على ان الاحباط حق وقد تقدم ذلك في البقرة وقرا ابن عباس
حبطت بفتح الباء والعامة بكسرها فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا قرا العامة بنون العظمة

من اقام ومجاهد وعبيد بن عمير فلا يقيم بياء الغيبة لتقدم قوله تعالى بايات ربهم فالضمير يعود عليه ومجاهد
ايضا فلا يقوم لهم مضارع قام وزن بالرفع وعن عبيد بن عمير ايضا فلا يقوم وزنا بالنصب كانه توهم
ان قام متعد كذا قال ابو حيان ولحسن من هذا ان تقرب هذا على ما قال ابو البقا ان يجعل فاعل يقوم ضميرهم
او سعيهم وينتصب حينئذ على احد وجهين اما على الحال واما على التمييز   المعنى انا نزدري بهم
وليس لهم عندنا وزن ومقدار تقول العرب ما لفلان عندي وزن اي قدر لخسته وروى ابو هريرة عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انه ليأتي يوم القيامة الرجل العظيم السمين فلا يزن عند الله جناح بعوضة وقال
اقرؤا فلا نقيم لهم يوم القيمة وزنا وقيل المعنى فلا نقيم لهم يوم القيمة ميزانا لان الميزان لا يوضع الا لاهل
الحسنات والسيئات من الموحدين لتمييز مقدار الطاعات ومقدار السيئات   قال ابو سعيد
الخدري تاتي ناس باعمال يوم القيمة هي عندهم في التعظيم كجبال تهامة فاذا وزنوها لم تزن شيئا فذلك قوله
تعالى فلا نقيم لهم يوم القيمة وزنا وقال القاضي انه من غلبت معاصيه صارت طاعاته كان لم تكن فلم يدخل
في الوزن شيئا من طاعاته وهذا التفسير بناء على قول الاحباط والتكفير   ذلك جزاؤهم جهنم
فيه اوجه الاول ان يكون ذلك خبر مبتدا محذوف اي الامر ذلك والمعنى الذي ذكرت من حبوط اعمالهم وخسة
اقدارهم وجزاؤهم جهنم جملة براسها الثاني ان يكون ذلك مبتدا اولا وجزاؤهم مبتدا ثانيا وجهنم خبره
وهو وخبره خبر الاول والعائد محذوف اي جزاؤهم به كذا   قال ابو البقا فالها في به
تعود على ذلك وذلك مشار به الى عدم اقامة الوزن قال ابو حيان ويحتاج هذا التوجيه الى نظر
قال شهاب الدين ان عني النظر من حيث الصناعة فسلم ووجه النظر ان العائد حذف من غير مسوغ الا مكان
فان العائد اذا كان على المبتدا مجرورا لا يحذف الا اذا جر بحرف تبعيض او ظرفية او جر عائد قبله بحرف جر به
محذوف لقوله اصح فالذي تدعي به انت مفلح اي مفلح به وان عني من حيث المعنى فجيد الوجه الثالث ان يكون
ذلك مبتدا وجزاؤهم بدل او بيان وجهنم خبره الرابع ان يكون ذلك مبتدا ايضا وجزاؤهم خبره وجهنم
بدل او بيان وجهنم خبر ابتداء مضمر وبما كفروا خبر الاول والجملة اعتراض الخامس ان يكون ذلك مبتدا
والجار الخبر وجزاؤهم جهنم جملة معترضة وفيه بعد السادس ان يكون ذلك اشارة الى جماعة وهم
المذكورون في قوله تعالى بالاخسرين واشير الى الجمع كاشارة الواحد كانه قيل اولئك جزاؤهم جهنم والاعراب
المتقدم يعود على هذا التقدير ومعنى الكلام ان ذلك الجزاء جزاء على مجموع امرين كفرهم واتخاذهم ايات الله
ورسله هزوا فلم يقتصروا على الرد والتكذيب حتى استهزؤا بهم اتخذوا فيه وجهان احدهما انه عطف
على كفروا فيكون محله الرفع لعطفه على خبر ان المتقدم الثاني انه مستانف فلا محل له والبا في قوله بما كفروا
لا يجوز تعلقها بجزاؤهم   ان الذين امنوا وعملوا الصالحات الاية لما ذكر وعيد الكفار
اتبعه بوعد المؤمنين ونزلهم قال قتادة الفردوس وسط الجنة وافضلها وعن كعب ليس في الجنان اعلى
من جنة الفردوس وفيها الامرون بالمعروف والناهون عن المنكر وعن مجاهد الفردوس هو البستان
بالرومية منقول الى لفظ العربية وقال الضحاك هي الجنة الملتفة الاشجار وقيل هي التي تنبت ضروبا
من النبات وقيل الفردوس من الجنة الكرم خاصة وقيل ما كان غالبها كرما وقيل كلما حوط عليه فهو
فردوس وقال المبرد الفردوس فيما سمعت من العرب الشجر الملتف والاغلب عليه ان يكون من العنب واختلفوا
فيه فقيل هو عربي وقيل هو اعجمي وقيل هو فارسي وقيل هو رومي او سرياني وقيل ولم يسمع في كلام العرب
الا في بيت حسان في قوله   وان ثواب الله كل موحد   جنان من الفردوس فيها يخلد
وهذا ليس بصحيح لانه سمع في شعر سبب رومي في قولها منه الذي دونها ليمامة فردوسا   واضافة جنات
الى الفردوس اضافة تبيين ويجمع فراديس قال عليه السلام في الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين
عام والفردوس اعلاها درجة ومنها الانهار الاربعة والفردوس من فوقها فاذا سألتم الله تعالى فاسألوه
الفردوس فان فوقها عرش الرحمن ومنه تفجر انهار الجنة   نزلا فيه ما تقدم من كونه اسم المكان
النزول وما يعد للضيف وفي نصبه وجهان احدهما انه خبر كانت ولهم متعلق بمحذوف على انه حال من نزلا
او على البيان او بكانت عند من يرى ذلك والثاني انه حال من جنات اي ذوات نزل والخبر الجار واذا قلنا
بان النزول هو ما يهيأ للنازل فالمعنى كانت لهم ثمار جنات الفردوس ونعيمها نزلا ومعنى كانت لهم في علم الله
قبل ان يخلقوا   لا يبغون عنها حولا الجملة حال اما من صاحبها الذي واما من الضمير

في خالدين فتكون حالا متداخلة والحول قيل مصدر بمعنى التحول يقال حال عن مكانه حولا فهو مصدر
كالعوج والصغر قال الشاعر   لكل دولة اجل   ثم يتاح لها حول   والمعنى لا يطلبون
عنها تحولا الى غيرها وقال الزجاج هو عند قوم بمعنى الحيلة في التنقل وقال ابن عطية والحول بمعنى التحول
قال مجاهد متحولا وانشد الرجز المتقدم ثم قال كانه اسم جمع وواحده حواله   وقال
شهاب الدين وهذا غريب والمشهور الاول والصحيح في فعل هو الكسر ان كان مفردا نحو الحول وان كان
جمعا فالعكس نحو ثيرة وكبرة   قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي الاية لما ذكر في هذه
السورة انواع الدلائل والبينات وشرح فيها اقاصيص الاولين نبه على كمال حال القران فقال تعالى
قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي قال ابن عباس قالت اليهود يا محمد تزعم انا قد اوتينا الحكمة وفي
كتابك ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا ثم تقول وما اوتيتم من العلم الا قليلا فانزل الله تعالى الاية
وقيل لما نزلت وما اوتيتم من العلم الا قليلا قالت اليهود اوتينا التوراة وفيها علم كل شيء فانزل الله قل لو كان
البحر مدادا لكلمات ربي والمداد اسم لما تمد به الدواة من الحبر ولما يمد به السراج من السليط ويسمى المداد
مدادا لامداده الكاتب واصله من الزيادة وقال مجاهد لو كان البحر مدادا للقلم والقلم يكتب لنفد البحر
اي ماؤه   لنفد قرا الاخوان ينفد بالياء من تحت لان التانيث مجازي والباقون بالتاء من فوق
لتانيث اللفظ وقرا السلمي ورويت عن ابي عمرو وعاصم تنفد بتشديد الفاء وهو مضارع نفد بالتشديد
نحو كرم تكسر وقراءة الباقين مضارع انفد ثلاثي   ولو جئنا جوابها محذوف لفهم المعنى
تقديره لنفد والعامة على مددا بفتح الميم والاعمش قرا بكسرها ونصبه على التمييز كقوله
فان الهوى يكفيكه مثله صبرا   وقرا ابن مسعود وابن عباس مدادا كالاول ونصبه على التمييز ايضا
عن ابي البقا وقال غيره كابي الفضل الرازي انه منصوب على المصدر بمعنى الامداد نحو انبتكم من الارض
نباتا قال والمعنى ولو مددناه بمثله امدادا   المعنى لو كان الخلائق يكتبون والبحر يمدهم
لنفد ماء البحر ولم تنفد كلمات ربي   ولو جئنا بمثله بمثل ماء البحر في كثرته مددا ونظيره
قوله تعالى ولو ان ما في الارض من شجرة اقلام والبحر يمده من بعده سبعة ابحر ما نفدت كلمات الله تعالى
واستدلوا بهذه الاية على انها صريحة في اثبات كلمات كثيرة لله تعالى   قال ابن الخطيب
واصحابنا حملوا الكلمات على متعلقات علم الله تعالى قد تنفد في الجملة وما ثبت عدمه امتنع قدمه وايضا
قال ولو جئنا بمثله مددا وهذا يدل على انه تعالى قادر على ان يجيء بمثل كلامه والذي يجيء به يكون
محدثا والذي يكون المحدث مثلا له فهو ايضا محدث فالجواب بان المراد بها الالفاظ الدالة على
تعلقات تلك الصفات الازلية ولما بين تعالى كمال كلامه امر محمدا صلى الله عليه وسلم بان يسلك
طريقة التواضع فقال قل انما انا بشر مثلكم يوحى الي لا امتياز بيني وبينكم في شيء من الصفات الا ان الله تعالى
اوحى الي انه لا اله الا هو الواحد الاحد   قال ابن عباس علم الله عز وجل رسوله صلى الله عليه
وسلم التواضع فامره ان يقر فيقول اني ادمي مثلكم الا اني خصصت بالوحي انما الهكم اله واحد فهذا يدل على
مطلوبين ان كلمة انما تفيد الحصر والثاني ان كون الاله واحدا   انما الهكم انما هذه مصدرية
وان كانت مكفوفة بما وهذا المصدر قائم مقام الفاعل كانه قيل انما يوحى الي التوحيد
فمن كان يرجو لقاء ربه هو ظن المنافع الواصلة والخوف ظن المضار الواصلة اليه والرجا هو الامل
وقيل معنى يرجو لقاء ربه اي يخاف المصير اليه فالرجا يكون بمعنى الخوف والامل جميعا قال الشاعر
فلا كل ما ترجو من الخير كائن   ولا كل ما ترجو من الشر واقع
فجمع بين المعنيين واهل السنة حملوا لقاء الرب على رؤيته والمعتزلة حملوه على لقاء ثواب الله
فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا قرا العامة يشرك بالياء من تحت عطفا نهيا على امر وروي
عن ابي عمرو ولا تشرك بالتاء من فوق خطابا على الالتفات من الغيبة الى الخطاب ثم التفت في قوله بعبادة ربه
الى الاول والوجه على الالتفات الثاني لقيل ربك والباء سببية اي بسبب وقيل بمعنى في
قال ابو العباس المقري ورد لفظ الشرك في القران بازاء معنيين الاول بمعنى الشرك في العمل كهذه الاية
الثاني بمعنى العدل قال تعالى واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا اي لا تعدلوا به شيئا
قال عليه السلام اخوف ما اخاف عليكم الشرك الاصغر قالوا وما الشرك الاصغر قال الريا وقال عليه السلام

ان الله يقول انا اغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملا اشرك فيه غيري فانا منه بري هو للذي عمله
روى ابو الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من حفظ عشر ايات من اول سورة الكهف عصم من فتنة الدجال
وعن ابي الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من قرا سورة الكهف كانت له نورا من قدميه الى راسه ومن قراها
كانت له نورا من الارض الى السماء وعن سمرة بن جندب عن ابيه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من قرا عشر ايات
من الكهف حفظا لم تضره فتنة الدجال ومن قرا السورة كلها دخل الجنة وعن عبد الله بن ابي فروة قال ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال الا ادلكم على سورة شيعها سبعون الف ملك حين نزلت ملا عظمها ما بين السماء والارض
ولتاليها مثل ذلك قالوا بلى يا رسول الله قال سورة الكهف من قراها يوم الجمعة غفر له الى الجمعة الاخرى وزيادة
ثلاثة ايام واعطي نورا ووقي فتنة الدجال ان شاء الله تعالى بمنه وكرمه والله الموفق للصواب واليه المرجع والماب

سورة مريم عليها السلام ثمان وتسعون اية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم **قوله تعالى**
كهيعص اعلم ان حروف المعجم على نوعين ثنائي وثلاثي وقد جرت عادة العرب ان ينطقوا بالثنائيات المقطوعة
ممالة فيقولون با تا ثا وكذلك امثالها وان ينطقوا بالثلاثيات التي في وسطها الالف مفتوحة مشبعة
فيقولون دال ذال صاد ضاد وكذلك امثالها اما الزاي فحاله من بين حروف المعجم معتاد فيه الامران فان
من اظهر ياوه في النطق حتى تصير ثلاثيا لم يمله ومن لم يظهر ذلك في النطق حتى يشبه الثنائي اماله
فصل واعلم ان اشباع الفتحة في جميع المواضع اصل والامالة فرع عليه ولهذا يجوز اشباع كل ممال
ولا يجوز امالة كل مشبع من المفتوحات والعامة على تسكين اواخر هذه الاحرف المقطعة ولذلك كان بعض القراء
يقف على كل حرف منها وقفة يسيرة مبالغة في تمييز بعضها من بعض وقرا الحسن كاف بالضم كانه جعلها معربة ومنعها
من التصريف للعلمية والتانيث وللقراء خلاف في امالة ها وها وتفخيمها لان عباراتهم في ذلك مختلفة واظهر دال
صاد قبل ذلك ذكر نافع وابن كثير وعاصم لانه الاصل وادغمها فيها الباقون والمشهور اخفاء نون عين قبل
الصاد لانها تقاربها وتشتركان في الفم وبعضهم يظهرها لانها حروف مقطعة يقصد تمييز بعضها من بعض
قوله تعالى ذكر رحمة ربك فيه ثلاثة اوجه الاول انه مبتدا محذوف الخبر تقديره فيما يتلى عليكم ذكر الثاني انه خبر
محذوف المبتدا تقديره المتلو ذكر وهذا ذكر الثالث انه خبر الحروف المقطعة ذكر الرحمة ولا في ذكر الرحمة
معناهما او ذكر مصدر مضاف قيل الى مفعوله وهو الرحمة والرحمة في نفسها مصدر ايضا مضاف الى فاعله وعبده
مفعول به والناصب له نفس الرحمة ويكون فاعل الذكر غير مذكور لفظا والتقدير ان ذكر الله ورحمته عبده وقيل
بل ذكر مضاف الى فاعله على الاتساع ويكون عبده منصوبا بنفس ذكر والتقدير ان ذكرت الرحمة عبده فجعل الرحمة
ذاكرة له مجازا وزكريا بدل او عطف بيان او منصوب باضمار اعني وقرا يحيى بن يعمر ونقلها الزمخشري عن الحسن
ذكر فعلا ماضيا مشددا ورحمة النصب على انها مفعول فان قدرت على الاول وهو عبده والفاعل اما ضمير القران
او ضمير الباري تبارك وتعالى والتقدير ان ذكر القران المتلو او ذكر عبده ورحمته اي جعل العبد يذكر رحمته
ويجوز على المجاز المتقدم ان يكون رحمة ربك هو المفعول الاول والمعنى ان الله جعل الرحمة ذاكرة للعبد وقيل
الاصل ذكر برحمة فلما انتزع الجار نصب مجروره ولا حاجة اليه وقال الكلبي ذكر بالتخفيف ماضيا رحمة بالنصب
على المفعول به عبده بالرفع فاعلا بالفعل قبله زكريا بالرفع على البيان او البدل او على اضمار مبتدا محذوف هو
نظير اضمار الناصب في القراءة الاولى وقرا يحيى بن يعمر فيما نقله عنه الداني ذكره فعل امر رحمة وعبده بالنصب
فيهما على انهما مفعولان وهما على ما تقدم من كون كل واحد يجوز ان يكون المفعول الاول والثاني بالتاويل المتقدم
في جعل الرحمة ذاكرة مجازا **فصل** قال ابن عباس هذه الحروف اسم من اسماء الله تعالى وقال قتادة
اسم من اسماء القران وقيل اسم للسورة وقيل قسم اقسم الله به وروي عن سعيد بن جبير عن ابن عباس
في قوله كهيعص قال الكاف من كريم وكبير والهاء من هادي والياء من رحيم والعين من عليم وعظيم والصاد من صادق
وعن ابن عباس ايضا انه حمل الياء على الكريم مرة وعلى الحكيم اخرى وعن ابن عباس في العين انه من عزيز ومن عدل قال ابن
الخطيب وهذه اقوال ليست قوية لانه لا يجوز من الله تعالى ان يودع كتابه ما لا يدل عليه اللغة لا بالحقيقة ولا بالمجاز لانا ان

جوزنا ذلك فتح علينا باب قول من يزعم ان للظاهر باطنا واللغة لا تدل على ما ذكروه لانها ليست دلالة
الكاف على الكافي اولى من دلالته على الكريم والكبير او على اسم اخر من اسماء الرسول عليه السلام والملائكة
او الجنة والنار فيكون حملها على بعضها دون البعض تحكما **فصل** يحتمل ان يكون المراد من قوله رحمة
ربك انه عنى عبده زكريا ثم في كونه رحمة وجهان احدهما ان يكون رحمة على امته لانه هداهم الى الايمان
والطاعة والثاني ان يكون رحمة على نبينا محمد عليه الصلاة والسلام وعلى امته لان الله شرح لمحمد صلى الله
عليه وسلم طريقته في الاخلاص والابتهال في جميع الامور الى الله تعالى صار ذلك لطفا داعيا له ولامته
الى تلك الطريقة فكان زكريا رحمة ويحتمل ان يكون المراد ان تلك السورة فيها ذكر الرحمة التي رحم بها عبده
زكريا **قوله تعالى** اذ نادى ربه نداء خفيا في ناصب اذ ثلاثة اوجه احدها انه ذكر ولم يذكر الحوفي
غيره والثاني انه رحمة وقد ذكر الوجهين ابو البقاء والثالث انه بدل من زكريا بدل اشتمال لان الوقت
مشتمل عليه وسياتي مثل هذا عند قوله تعالى واذكر في الكتاب مريم ونحوه **فصل** راعى سنة
الله في اخفاء دعوته لان الجهر والاخفاء عند الله سيان وكان الاخفاء اولى لانه ابعد عن الرياء وادخل
في الاخلاص وقيل اخفاه لئلا يلام على طلب الولد في زمان الشيخوخة وقيل اسره من مواليه الذين خافهم
وقيل خفت صوته لضعفه وهرمه كما جاء في صفة الشيخ صوته خفات وسمعه تارات فان قيل من شرط النداء
الجهر فكيف الجمع بين كونه نداء خفيا فالجواب من وجهين الاول انه اتى باقصى ما قدر عليه من رفع الصوت الا ان الصوت كان ضعيفا لنهاية ضعفه بسبب الكبر فكان نداء
نظرا الى القصد خفيا نظرا الى الواقع الثاني انه دعاه في الصلوة لان الله تعالى اجابه في الصلوة لقوله تعالى
فنادته الملائكة وهو قائم يصلي في المحراب ان الله يبشرك فتكون الاجابة في الصلوة تدل على كون الدعاء
في الصلوة فوجب ان يكون النداء فيها خفيا وفي التفسير اذ نادى ربه في محرابه **قوله تعالى** نداء خفيا
دعا سرا من قومه في جوف الليل **قوله تعالى** قال رب اني وهن العظم مني الاية قوله تعالى قال رب لا
محل لهذه الجملة لانها تفسير لقوله فادى ربه ولذلك ترك العاطف بينهما لشدة الوصل وقوله تعالى وهن
العامة على فتح الهاء وقرا الاعمش بكسرها وقرئ بضمها وهذه لغات في هذه اللفظة ووحد الارادة الجنس يعني
ان هذا الجنس الذي هو عمود البدن واشد ما فيه واصلبه قد اصابه الوهن ولو جمع لكان قصدا اخر
وهو انه لم يهن منه بعض عظامه ولكن كلها قاله الزمخشري وقيل اطلق المفرد والمراد به الجمع كقوله

بها جيف الحسرى فاما عظامها • فبيض واما جلدها فصليب •

اي جلودها ومثله كلوا في بعض بطنكم ومنه قول الشاعر

كلوا في بعض بطنكم تعفوا • فان زمانكم زمن خميص •

اي بطونكم ومني حال من العظم وفيه رد على من يقول ان الالف واللام تكون عوضا من الضمير المضاف اليه
لانه قد جمع بينهما وان كان الاصل وهن عظمي ومثله في الدلالة على ذلك ما انشده شاهدا على ما ذكر

رحيب قطاب الجيب منها رقيقة • بجس الندامى بضة المتجرد •

ومعنى وهن العظم منى ضعف ورق العظم من الكبر **فصل** قال قتادة اشتكى سقوط الاضراس
قوله تعالى واشتعل الراس شيبا اي ابيض شعر الراس شيبا وفي نصب شيبا ثلاثة اوجه احدها
انه تمييز منقول من الفاعلية اذ الاصل اشتعل شيب الراس قال الزمخشري شبه الشيب بشواظ النار
في بياضه وانتشاره في الشعر وفشوه فيه واخذه منه كل ماخذ باشتعال النار ثم اخرجه مخرج الا
ستعارة ثم اسند الاشتعال الى مكان الشعر ومنبته وهو الراس واخرج الراس مميزا ولم يضف الراس
كيلا يعلم المخاطب انه راس زكريا فمن ثم فصحت هذه الجملة وشهد لها بالبلاغة انتهى وهذا من استعارة
محسوس لمحسوس ووجه الجمع الانبساط والانتشار والثاني انه مصدر على معنى المصدر فان اشتعل
الراس معناه شاب الثالث انه مصدر واقع موقع الحال اي شائبا او ذا شيب وادغم السين في الشين
ابو عمرو **قوله تعالى** بدعائك فيه وجهان احدهما ان المصدر مضاف لمفعوله اي بدعائي اياك
والمعنى عودتني الاجابة فيما مضى ولم تخيبني والثاني انه مضاف لفاعله اي لم اكن بدعائك لي الى الطاعة
شقيا اي لما عودتني الايمان امنت ولم اشق **قوله تعالى** واني خفت الموالي العامة على خفت بكسر الخاء
وسكون الفاء وهو ماض مسند لتاء المتكلم والموالي مفعول به بمعنى انه خاف مواليه كانوا اشرار بني اسرائيل
فخافهم على الدين قاله الزمخشري قال ابو البقاء لا بد من حذف مضاف اي عدم الموالي وجور الموالي

ن
اذ نادى

وقرأ الزهري كذلك الا انه سكن ياء الموالي وقد تقدم انه نقل الفتحة في الياء والواو وعليه قراءة زيد
بن علي تطعمون اهاليكم وتقدم ايضاح هذا وقرأ عثمان بن عفان وزيد بن ثابت وابن عباس وسعيد بن جبير
وسعيد بن العاص ويحيى بن يعمر وعلي بن الحسين في آخرين خفت بفتح الخاء والفاء مشددة وتاء تانيث كسرت لالتقاء
الساكنين والموالي فاعل به بمعنى درجوا وانقرضوا بالموت **قوله تعالى** من ورائي هذا متعلق في قراءة الجمهور بما
تضمنه الموالي من معنى الفعل اي الذين يلون الامر بعدي ولا يتعلق بخفت لفساد المعنى وهذا على ان يراد
بوراي معنى خلفي وبعدي واما في قراءة خفت بالتشديد فيتعلق الظرف بنفس الفعل ووراي بمعنى قدامي
والمعنى انهم خفوا قدامه ودرجوا ولم يبق منهم من به تقو واعتضاد ذكر هذين المعنيين الزمخشري **فصل**
بنو العم تدل على ذلك تفسير الشاعر لهم في قوله • مهلا بني عمنا مهلا موالينا • لا تنبشوا بيننا ما كان مدفونا
وقال آخر • ومولى قد دفعت عنه الضيم • وقد امسى بمنزلة المضيم •
وهو قول الاصم وقال مجاهد العصبة وقال ابو صالح الكلالة وقال ابن عباس والحسن والكلبي الورثة
وعن ابي مسلم المولى يراد به الناصر وابن العم والمالك والصاحب وهو هنا من يقوم ميراثه مقام الولد
والمختار ان المراد من الموالي الذين يخلفون بعده اما في السياسة او في المال او في القيام بامر الدين وهو
يدل على معنى القرب والدنو يقال وليه يليه وليا اي دنوت منه واوليته اياه ادنيته منه وكلمما يليه
وجلست مما يليه ومنه الولي وهو المطر الذي يلي الوسمي والولية البرذعة التي تلي ظهر الدابة وولي اليتيم
والبلد وولي القتيل لان من تولى امرا فقد قرب منه وقوله تعالى فول وجهك شطر المسجد الحرام من قولهم ولاه
ركبته اي جعله مما يليه واما ولي عنه اذا ادبر فهو من قولهم فلان اولى من فلان اي احق وافعل التفضيل من الولي
والمولى والولي كالادنى والاقرب من الداني والقريب وفيه معنى القرب ايضا لان من كان احق بالشيء
كان اقرب اليه والمولى اسم لموضع الولي كالمرمى والمبنى اسم لموضع الرمي والبناء والجمهور على وراي بالمد وقرأ
ابن كثير في رواية عنه وراي بالقصر ولا يبعد ذلك لغة فانه قد قصر كاي في النحل كما تقدم وسياتي
انه قرأ ان رآه استغنى في العلق كانه من قصر المد على تخفيفه ولكنه عند البصريين لا يجوز **قوله تعالى**
وكانت امراتي عاقرا اي لا تلد والعقر في البدن الجرح وعقرت الفرس بالسيف ضربت قوائمه **قوله تعالى**
من لدنك يجوز ان يتعلق بهب ويجوز ان يتعلق بمحذوف على انه حال من وليا لانه في الاصل صفة للنكرة
فقدم عليها **قوله تعالى** يرثني ويرث قرأ ابو عمرو والكسائي بجزم الفعلين على انهما صفة لوليا وقرئ على
جواب الامر اذ تقديره ان تهب يرث والباقون برفعهما على انهما صفة لوليا وقرأ علي رضي الله عنه وابن عباس
ويحيى بن يعمر والجحدري وقتادة في آخرين يرثني بياء الغيبة والرفع وارث مسندا لضمير المتكلم
فصل قال صاحب اللوامح في الكلام تقديم وتاخير فالتقدير يرثني به في ارثه من
قبله وارثه مالي ان مات قبل ونقل هذا عن الحسن وقرأ علي ايضا وابن عباس والجحدري يرثني وارث
جعلوه اسم فاعل اي يرثني به وارث ويسمى هذا التجريد في علم البيان وقرأ مجاهد اويرث وهو تصغير وارث
والاصل وويرث بواوين وجب قلبها ولا همزة لاجتماعهما متحركين اول الكلمة نحو اويصل تصغير واصل والواو
الثانية بدل عن الف فاعل واويرث مصروف لا يقال ذلك لانه غلط بين لان اويرثا وزنه فويعل وينبغي ان يكون غير
مصروف لان فيه علتين الوصف ووزن الفعل فانه مضارع وهذا مما يكون الاسم فيه منصرفا في التكبير ممنوعا
في التصغير لا يقال ذلك لانه غلط بين لان اويرثا وزنه فويعل لا افعل بخلاف احيمر تصغير احمر وقرأ الزهري
وارث بكسر الواو ويعنون بها الامالة فان قيل معنى قوله فهب لي من لدنك وليا اعطني من عندك ابنا
فصل اعلم ان زكريا عليه السلام قدم السؤال لامور ثلاثة الاول كونه ضعيفا والثاني كون الله تعالى
ما رد دعاءه والثالث كون المطلوب سببا للمنفعة في الدين ثم بعد ذلك صرح بالسؤال اما كونه ضعيفا
فالضعف اما ان يكون في الباطن او في الظاهر والضعف في الباطن اقوى من ضعف الظاهر فلهذا ابتدأ بيان
ضعف الباطن فقال وهن العظم مني وذلك لان العظم اصلب اعضاء البدن وجعل كذلك لمنفعتين
الاولى ليكون اساسا وعمدا يعتمد عليها بقية الاعضاء لانها موضوعة على العظام والحامل يجب ان يكون اقوى
من المحمول عليه الثانية انها في بعض المواضع وقاية لغيرها واحتج اصحاب القول الاول انه اذا قبل ولا رده فانها
تكون لغيرها من الاعضاء كعظام الصلب وقحف الراس وما كان كذلك يجب ان يكون صلبا ليصبر على ملاقاة
الآفات ومتى كان العظم صلبا فمتى وصل الضعف اليه كان ضعف ما عداه مع رخاوته اولى فلان العظم حامل

لسائر الاعضاء فوصول الضعف الى الحامل موجب لوصوله الى المحمول فلهذا خص العظم بالوهن من بين سائر الاعضاء
واما ضعف الظاهر فلاستيلاء ضعف الباطن عليه وذلك مما يزيد الدعاء تاكيدا لما فيه من الاتكال على حول الله وقوته واما
كونه غير مردود الدعاء فوجه توصله به من وجهين الاول انه اذا قبل اولا فلو رده ثانيا لكان الرد محبطا للانعام
الاول والمنعم لا يسعى في احباط عمله انعامه والثاني ان مخالفة العادة تشق على النفس فاذا تعود الانسان اجابة
الدعاء فلو رد بعد ذلك لكان ذلك في غاية المشقة والجفاء ممن يتوقع منه الانعام يكون اشق فكان زكريا
عليه السلام قال انك ما رددتني تطوعا عودتني القبول مع نهاية ضعفي كان ذلك بالغا الى النهاية القصوى في ضعف
القلب فقال ولم اكن بدعائك رب شقيا تقول العرب سعد فلان بحاجته اذا ظفر بها وشقي بها اذا خاب ولم ينلها
واما كون المطلوب منتفعا به في الدين فهو قوله واني خفت الموالي **فصل** قال ابن عباس والحسن الموالي الورثة
وقد تقدم واختلفوا في خوفه من الموالي فقيل خافهم على فساد الدين وقيل خاف ان ينتهي امره اليهم بعده في مال
وغيره مع انه عرف من حالهم قصورهم في العلم والقدرة عن القيام بمنصبه وقيل يحتمل ان يكون الله اعلمه انه لم يبق
من انبياء بني اسرائيل نبي الا نبي واحد فخاف ان يكون ذلك الواحد من بني عمه اذ لم يكن له ولد فسأل الله تعالى ان يهب له ولدا
يكون هو ذلك النبي والظاهر ان يكون زكريا كان اليه مع النبوة السياسة في جهة الملك فخاف منهم بعده على احدهما
او عليهما وقوله خفت خرج على اصل لفظ الماضي لكنه يفيد انه في المستقبل ايضا يقول الرجل قد خفت ان يكون
كذا اي انا خائف لا يريد انه قوله وكانت امراتي عاقرا اي انها عاقر في الحال لان العاقر لا يجوز ان يكون كذلك ولودا
في العادة ففي الاخبار عنه بلفظ الماضي اعلام بتقادم العهد في ذلك والغرض من هذا بيان حصول الولد
وكان ايراده بلفظ الماضي اقوى وايضا فقد يوضع الماضي مكان المستقبل وبالعكس قال الله تعالى واذ قال الله
يا عيسى ابن مريم أانت قلت للناس اتخذوني وامي الهين وقوله من ورائي قال ابو عبيدة من قدامي ومن بين يدي وقال
آخرون بعد موتي فان قيل كيف علم حالهم من بعده وكيف علم انهم يبقون بعده فضلا عن ان يخاف شرهم فالجواب
انه قد يعرف ذلك بالامارات والظن في حصول الخوف وربما عرف ببعض الامارات استمرارهم على عادتهم في الفساد
وقوله تعالى فهب لي من لدنك وليا الاكثرون على انه طلب الولد وقيل بل طلب من يقوم مقامه ولدا كان او غيره
والاول اقرب لقوله تعالى في سورة آل عمران حكاية عنه رب هب لي من لدنك ذرية طيبة وايضا فقوله هنا
يرثني ويرث وايضا قوله تعالى في سورة الانبياء وزكريا اذ نادى ربه رب لا تذرني فردا فدل على
انه سال الولد لانه اخبر ههنا ان له موالي وانه غير منفرد عن الورثة وهذا وان امكن حمله على وارث
يصلح لان يقوم مقامه لكن حمله على الولد اظهر واحتج اصحاب القول الثاني بانه لما بشر بالولد استعظم على سبيل
التعجب وقال انى يكون لي غلام ولو كان دعاؤه لطلب الولد لما استعظم ذلك واجيب بانه عليه السلام سال عما
يوهب له وهو وامراته على هيئتهما او يوهب له بان يحولا شابين يولد لمثلهما وهذا يحكى عن الحسن **فصل**
وقيل ان قول زكريا عليه السلام في الدعاء وكانت امراتي عاقرا انما سال ولدا من غيرها او منها بان يصلحها الله للولد
فكانه عليه السلام قال آيست ان يكون لي منها ولد فهب لي من لدنك وليا كيف شئت اما ان تصلحها للولادة واما ان
تهبه لي من غيرها فاخبر بانه يرزق منها **فصل** واختلفوا في المراد من الميراث فقال ابن عباس والحسن
والضحاك وراثة المال في الموضعين وقال ابو صالح وراثة النبوة وقال السدي ومجاهد والشعبي يرثني المال ويرث
من آل يعقوب النبوة وهو مروي ايضا عن ابن عباس والحسن والضحاك وقال مجاهد **فصل** واعلم
ان لفظ الارث يستعمل في جميعها اما في المال فلقوله تعالى واورثكم ارضهم وديارهم واموالهم واما في العلم
فلقوله تعالى واورثنا بني اسرائيل الكتاب وقال عليه السلام العلماء ورثة الانبياء وان العلماء لم يورثوا دينارا
ولا درهما وانما يورثوا العلم وقال تعالى وورث سليمان داود وهذا يحتمل وراثة الملك ووراثة النبوة وقد
يقال اورثني هذا غما وحزنا **فصل** قال الزجاج والاولى ان يحمل على ميراث غير المال لقوله عليه
السلام نحن معاشر الانبياء لا نورث ما تركنا صدقة ولانه يبعد ان يشفق زكريا وهو نبي من الانبياء ان يرثه
بنو عمه ماله والمعنى انه خاف تضييع بني عمه دين الله وتغيير احكامه على ما كان شاهده من بني اسرائيل من تبديل الدين
وقتل الانبياء فسال ربه وليا صالحا يامنه على امته ويرث نبوته وعلمه لئلا يضيع الدين **قوله
تعالى** ويرث من آل يعقوب الآل خاصة الرجل الذي يؤول امرهم اليه بالقرابة تارة وبالصحابة اخرى
كآل فرعون وللموافقة في الدين كآل النبي عليه السلام واكثر المفسرين على ان يعقوب ههنا هو يعقوب
بن ابراهيم بن اسحق عليهم السلام لان زوجة زكريا عليه السلام هي اخت مريم وكانت من ولد سليمان بن داود من ولد يهوذا

ابن يعقوب واما زكريا عليه السلام فهو من ولد هارون اخي موسى وهارون وموسى من ولد لاوي بن يعقوب بن اسحاق وكانت النبوة في سبط يعقوب لانه هو اسرائيل عليه السلام وقال المفسرون ليس المراد من يعقوب ههنا ولد اسحق بن ابراهيم بل يعقوب بن ماثان اخو عمران بن ماثان وكان آل يعقوب اخوال يحيى بن زكريا وهذا قول الكلبي ومقاتل وقال الكلبي كان بنو ماثان رؤس بني اسرائيل وملوكهم وكان زكريا رئيس الاحبار يومئذ فاراد ان يرثه ولده ويرث بنو ماثان ملكهم **فصل** اختلفوا في تفسير الرضا فقيل برا تقيا مرضيا من الانبيا ولذلك استجاب الله له فوهب له يحيى سيدا وحصورا ونبيا من الصالحين لم يعص ولم يهم بمعصية وقيل امينا في امته لا يتلقى بالتكذيب ولا يواجه بالرد **فصل** احتج اصحابنا بهذه الاية على مسألة خلق الافعال لان زكريا سال الله تعالى ان يجعله رضيا فدل على ان فعل العبد مخلوق لله تعالى فان قيل المراد ان يلطف به بضروب الالطاف فيختار ما يصير به رضيا عنده فنسب ذلك الى الله تعالى فالجواب من وجهين الاول لو حملناه على جعل الالطاف عند ما يصير المرء باختياره رضيا لكان ذلك مجازا وهو خلاف الاصل الثاني ان جعل تلك الالطاف واجبة على الله تعالى لا يجوز الاخلال به وما كان واجبا لا يجوز طلبه بالدعاء والتضرع **قوله تعالى** يا زكريا انا نبشرك بغلام الاية اختلفوا في المنادي فالاكثرون انه هو الله تعالى لان زكريا انما كان يخاطب الله ويسأله بقوله تعالى رب اني وهن العظم مني وبقوله تعالى ولم اكن بدعائك رب شقيا وبقوله تعالى رب اني يكون لي غلام فوجب ان يكون هذا النداء من الله تعالى والا لفسد المعنى او النظم وقيل هذا النداء من الملك ويمكن ان يجاب بانه يحتمل ان يحصل بقوله وقيل هذا النداء من الملك لقوله تعالى فنادته الملائكة وهو قائم يصلي في المحراب ان الله يبشرك بيحيى وايضا فانه لما قال وقد بلغت من الكبر عتيا قال كذلك قال ربك هو علي هين وهذا لا يجوز ان يكون كلام الله فوجب ان يكون كلام الملك ويمكن ان يجاب بانه يحتمل ان يحصل النداء من الله تعالى ومن الملائكة ويمكن ان يكون قوله تعالى كذلك قال ربك من كلام الله تعالى كما سيأتي بيانه ان شاء الله تعالى **فصل** في الكلام اختصار تقديره استجاب الله دعاءه فقال يا زكريا انا نبشرك بغلام بولد ويقال فيه زكريا بالمد والقصر ويقال زكري ايضا نقله ابن كثير فان قيل ان كان دعاؤه باذن فما معنى البشارة وان كان بغير اذن فلما اقدم فالجواب يجوز ان يسأل بغير اذن ويحتمل ان يأذن له فيه ولم يعلم وقته فبشر به **قوله تعالى** يحيى فيه قولان احدهما انه اسم اعجمي لا اشتقاق له ومنعه من الصرف للعلمية والعجمة وقيل بل هو من الفعل المضارع كما سموا بيعمر ويعيش ويموت والجملة من قوله اسمه يحيى في محل جر صفة لغلام وكذلك قوله لم نجعل له من قبل سميا كقوله رضيا اعرابا واصرافا لانه من السمو وفيه دلالة لقول البصريين ان الاسم من السمو ولو كان من الوسم لقيل وسما **فصل** قال ابن عباس والحسن وسعيد بن جبير وعكرمة وقتادة انه لم يسم احد قبله بهذا الاسم وقال ابن جبير وعطا لم نجعل له سميا ومثلا كقوله تعالى هل تعلم له سميا اي مثلا والمعنى انه لم يكن له مثل لانه لم يعص ولم يهم بمعصية كانه جواب لقوله تعالى واجعله رب رضيا فقيل له انا نبشرك بغلام لم نجعل له شبيها في الدين ومن كان كذلك كان في غاية الرضا وفي هذا الوجه نظر لانه يقتضي تفضيله على الانبيا قبله كآدم ونوح وابراهيم وموسى وعيسى وذلك باطل وقيل لم يكن له مثل في امر النساء لانه كان سيدا وحصورا وقال علي بن ابي طلحة عن ابن عباس لم تلد العواقر مثله ولدا وقيل لان كل الناس انما يسميهم اباؤهم وامهاتهم بعد دخولهم في الوجود وكان ذلك من خواصه وقيل لانه ولد بين شيخ وعجوز عاقر **فصل** واختلفوا في سبب تسميته يحيى فعن ابن عباس انه تعالى احيى به عقر امه ويرد على هذا قصة ابراهيم وزوجته حين قالت يا ويلتا االد وانا عجوز وهذا بعلي شيخا فينبغي ان يكون اسم ولدهم يحيى وعن قتادة لان الله تعالى احيى قلبه بالايمان والطاعة والله تعالى سمى المطيع حيا والعاصي ميتا بقوله افمن كان ميتا فاحييناه وقال اذا دعاكم لما يحييكم وقيل لان الله تعالى احياه بالطاعة حتى لم يعص ولم يهم بمعصية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من احد الا وقد عصى او هم الا يحيى بن زكريا فانه لم يهم ولم يعملها وفي هذا نظر لانه كان يلزم منه ان يسمى الشهداء كلهم يحيى وقال عمرو بن المقدسي اوحى الله تعالى الى ابراهيم عليه السلام ان قل لسارة باني مخرج منها عبدا لا يهم بمعصية اسمه حيي فقال هبي له من اسمك حرفا فوهبت له حرفا من اسمها فصار يحيى وكان اسمها يسارة فصار اسمها سارة وقيل لان يحيى اول من آمن بعيسى فصار قلبه حيا بذلك الايمان وقيل ان ام يحيى كانت حاملا به فاستقبلتها مريم وقد حملت بعيسى فقالت لها ام يحيى يا مريم احامل انت فقالت لم تقولين فقالت اني ارى ما في بطني يسجد

لما في بطنك

لما في بطنك **قوله تعالى** قال رب انى يكون لي غلام اي من اين يكون لي غلام والغلام هو الانسان الذكر في ابتداء شهوته في الجماع ويكون في التلميذ يقال غلام ثعلب **قوله تعالى** وكانت امراتي عاقرا وامراتي عاقر ولم يقل عاقرة لان ما كان على فاعل من صفة المؤنث مما لم يكن للمذكر فانه لا تدخل فيه الهاء كامراة عاقر وحائض **فصل** قال الخليل هذه صفات المذكر وصف بها المؤنث كما وصفوا المذكر بالمؤنث حيث قالوا رجل ملحة وربعة وغلام يفعة **قوله تعالى** عتيا فيه اربعة اوجه اظهرها انه مفعول به اي بلغت عتيا من الكبر فعلى هذا من الكبر يجوز ان يتعلق بمحذوف على انه حال من عتيا لانه في الاصل صفة له الثاني ان يكون مصدرا مؤكدا لمعنى الفعل لان بلوغ الكبر في معناه الثالث انه مصدر واقع موقع الحال من فاعل بلغت اي عاتيا الرابع انه تمييز وعلى هذه الاوجه الثلاثة فمن مزيدة ذكره ابو البقاء والاول هو الاوجه **فصل** قيل هو من نعول وهو مصدر عتى يعتو اي يبس وصلب قال الزمخشري وهو اليبس والجساوة في المفاصل والعظام كالعود القاحل يقال عتا العود وعسا اي بلغت من مدارج الكبر ومراتبه ما يسمى عتيا يريد بقوله او بلغت انه يجوز ان يكون من عتا يعتو اي فسد والاصل عتو وواوين فاستثقل واوين بعد ضمتين فكسرت التاء تخفيفا وانقلبت الواو الاولى ياء لسكونها وانكسار ما قبلها فاجتمع ياء وواو وسبقت احداهما بالسكون فقلبت الواو ياء وادغمت فيها الياء الاولى وهذا الاعلال جار في المفرد وهكذا في الجمع نحو عصي الا ان الاكثر في المفرد الصحيح كقوله تعالى وعتوا عتوا كبيرا وقد تقدم منه هذه الاية والكثير في الجمع الاعلال وقد تصحح نحو انكم لتنظرون في نحو كثير وقالوا فتي وفتو وقرا الاخوان عتيا وعتيا وصليا وجثيا بكسر الفاء للاتباع والباقون بالضم على الاصل وقرا عبد الله بن مسعود بفتح الاول من عتيا وصليا جعلهما مصدرين على زنة فعيل كالعجيج والرحيل وقرا عبد الله وابي بن كعب ومجاهد عسيا بضم العين وكسر السين المهملة وتقدم اشتقاق هذه اللفظة في الاعراف وتصريفهما والعتي والعسي واحد يقال عتا يعتو عتوا وعتيا فهو عات وعسى يعسو وعسيا فهو عاس والعاسي هو الذي غيره طول الزمان الى حال اليبس وقيل عتا اي طويلا وقيل اسن يقال للطالب **فصل** في هذه الاية سؤالان احدهما لم تعجب زكريا عليه السلام بقوله انى يكون لي غلام مع انه هو الذي طلب الغلام والسؤال الثاني قوله انى يكون لي غلام وهذا التعجب يدل على الشك في قدرة الله تعالى على ذلك وذلك كفر وهو غير جائز على الانبياء عليهم الصلاة والسلام فالجواب عن الاول اما على قول من قال ما طلب الولد فالاشكال زائل واما على قول من قال انه طلب الولد فالاشكال باق فالجواب ان المقصود من قوله انى يكون لي غلام هو البحث على انه تعالى يجعلهما شابين ثم يرزقهما او يتركهما شيخين ويرزقهما الولد مع الشيخوخة ويدل عليه قوله تعالى وزكريا اذ نادى ربه رب لا تذرني فردا وانت خير الوارثين فاستجبنا له ووهبنا له يحيى واصلحنا له زوجه وما هذا الاصلاح الا انه تعالى اعاد قوة الولادة وذكر السدي في الجواب وجها آخر فقال انه لما سمع النداء بالبشارة جاءه الشيطان فقال ان هذه البشارة ليست من الله تعالى بل من الشيطان يسخر منك فلما شك زكريا قال رب انى يكون لي غلام وغرض السدي من هذا ان زكريا عليه السلام لو علم ان المبشر بذلك هو الله تعالى لما جاز له ان يقول ذلك فارتكب هذا فقال بعض المتكلمين هذا باطل قطعا اذ لو جوزنا للانبياء في بعض ما يرد عن الله تعالى انه من الشيطان لجوزوا في سائره ولزالت الثقة عنهم في الوحي وعنا فيما يوردونه الينا ويمكن ان يجاب عنه بان هذا الاحتمال قائم في اول الامر وانما يزول بالمعجزة فلعل المعجزة لم تكن حاصلة في هذه الصورة فحصل الشك فيها دون ما عداها والجواب عن السؤال الثاني من وجوه الاول ان قوله انا نبشرك بغلام اسمه يحيى ليس نصا في كون ذلك الغلام ولدا له بل يحتمل ان يكون زكريا عليه السلام راعى الادب ولم يقل هذا الغلام هل يكون ولدا لي ام لا بل ذكر تعين حصول الولد في العادة حتى ان تلك البشارة ان كانت بالولد فالله تعالى يزيل الابهام ويجعل الكلام صريحا فلما ذكر ذلك صرح الله تعالى بكون الولد منه فكان الغرض من كلام زكريا هذا لا انه كان شاكا في قدرة الله تعالى الثاني انه ما ذكر ذلك للشك لكن على وجه التعظيم لقدرته وهذا كالرجل الذي يرى صاحبه قد وهب الكثير الخطير فيقول انى سمحت نفسك باخراج مثل هذا من ملكك تعظيما وتعجبا الثالث ان من شان من بشر بما يتمناه من ولد له فرط السرور له عند اول ما يرد عليه استثبات ذلك الكلام اما لان شدة فرحه به توجب ذهوله عن مقتضيات العقل والفكر وهذا كما ان امراة ابراهيم عليه السلام بعد ان بشرت باسحق قالت يا ويلتى االد وانا عجوز وهذا بعلي شيخا ان هذا لشيء عجيب فازيل تعجبها بقوله اتعجبين من امر الله واما طلبا للالتذاذ بسماع ذلك الكلام مرة اخرى واما مبالغة في تاكيد التفسير **قوله تعالى** قال كذلك قال ربك في محل الكاف وجهان احدهما انه رفع على خبر ابتداء مضمر اي الامر كذلك ويكون الوقف على كذلك ثم يبتدا بجملة اخرى والثاني انها منصوبة المحل فقيل

ابو البقاء بافعل ما طلبت وهو كناية عن مطلوبه فجعل ناصبه مقدرا وظاهره انه مفعول وقال الزمخشري او نصب
بقال وذلك اشارة الى مبهم تفسيره وهو عليه هين ونحوه وقضينا اليه ذلك الامر ان دابر هؤلاء مقطوع مصبحين
وقرأ الحسن وهو علي هين ولا يخرج هذا الا على الوجه الاول اي الامر كما قلت وهو علي ذلك يهون علي ووجه اخر وهو
ان يشار بذلك الى ما تقدم من وعد الله لا الى قول زكريا وقال محذوف في كلتا القراءتين اي قال هذا وهو علي هين
قال وهو علي هين وان شئت لم تنونه لان الله هو المخاطب والمعنى انه قال ووعده وقوله الحق وفي هذا الكلام
قلق وحاصله يرجع الى ان قال الثانية هي الناصبة للكاف وقوله وقال محذوف يعني تفريعا على ان الكلام
قد تم عند قال ربك ويبتدأ بقوله هو علي هين في كلتي القراءتين يعني قراءة العامة وقراءة الحسن وقوله تعالى وان
شئت لم تنونه اي لم تنوي القول المنوي لان الله هو المتكلم بذلك وظاهر كلام بعضهم ان قال الاولى مسندة الى
ضمير الملك وقد صرح بذلك ابن جرير وابن عطية قال الطبري ومعنى قوله قال كذلك اي الامران اللذان ذكرت
من المرأة العاقر والكبير هو كذلك ولكن قال ربك والمعنى عندي قال الملك كذلك اي على هذه الحال قال ربك
هو علي هين انتهى وقرأ الحسن البصري علي بكسر الياء المتكلم كقول الشاعر •

• علي لعمرو نعمة بعد نعمة • لوالده ليست بذات عقارب •

انشدوه بالكسر وتقدم الكلام على هذه القراءة كقراءة حمزة في بمصرخي **قوله تعالى** وقد خلقتك ...
هذه الجملة مستأنفة وقرأ الاخوان خلقناك اسنده الى الواحد المعظم نفسه والباقون خلقتك بتاء المتكلم
وقوله تعالى ولم تك شيئا جملة حالية ومعنى نفي كونه شيئا اي شيئا يعتد به كقوله •
اذا رأى غير شيء ظنه رجلا • وقيل العجب من لا شيء ويجوز ان يكون قال ذلك لان المعدوم ليس بشيء فان قيل
اطلاق لفظ الهين في حق الله تعالى مجاز لان ذلك انما يصح في حق من يصعب عليه شيء جوابا ولكن المراد به انه اذا
اراد شيئا اي المراد به انه اذا اراده شيئا كان واما وجه الاستدلال بقوله تعالى وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئا
فالمعنى انه لما خلقه من العدم الصرف والنفي المحض كان قادرا على خلق الذوات والصفات معا او الى ان يكون قادرا
على تبديل الصفات واذا اوجده من العدم فكذا يجوز قدر الولد بان يعيد اليه والى صاحبته القوة التي يتولد عنها الماء
اللذان من اجتماعهما يخلق الولد فالجواب الجمهور على ان قوله قال كذلك قال ربك يقتضي ان القائل لذلك
مع الاعتراف بان قوله يا زكريا انا نبشرك بغلام قول الله وقوله وهو علي هين قول الله تعالى فكيف ذلك وقد بعد
لانه اذا كان ما قبل هذا الكلام وما بعده قول الله تعالى فكيف يصح ادراج هذه الالفاظ فيما بين هذين القولين
فصل الاولى ان يقول قائل هذا القول هو الله تعالى كما ان الملك العظيم اذا وعد عبده شيئا عظيما
فيقول العبد من اين يحصل لك هذا فيقول ان سلطانك ضمن لك بذلك كانه ينبه بذلك على ان كونه سلطانا مما
يوجب عليه الوفاء بالوعد فكذلك ههنا **قوله تعالى** قال رب اجعل لي آية اي علامة
ودلالة على حمل امرأتي **فصل** قال بعض المفسرين طلب الآية لتحقيق البشارة وهو بعيد لان بتحقق
البشارة بصريح القول وهو اقوى من ظاهر الدلالة والحق ان البشارة بالولد وقعت مطلقة فلم يعرف وقتها
مجرد البشارة فطلب الآية ليعرف بها وقت الوقوع واتفقوا على هذه الآية هي تعذر الكلام عليه اي تلك الآية
فانه مجرد السكون على القدرة مع الكلام لا يكون معجزة فقيل انه اعتقال لسانه والصحيح انه امتنع عليه الكلام مع انه
كان متمكنا من ذكر الله تعالى ومن قراءة التوراة لان اعتقال اللسان مطلقا قد يكون لمرض وقد يكون للمعجزة فلا يعلم
زكريا عليه السلام ان ذلك الاعتقال معجزا الا انه اذا عرف انه ليس لمرض وهذا مما لا يعرف الا بدليل اخر فاما اذا
اعتقال لسانه عن كلام الناس مع القدرة على التكلم بذكر الله تعالى وقراءة التوراة علم بالضرورة ان ذلك ليس لعلة
بل محض المعجزة والآية فيتحقق الآية ويؤيده قوله تعالى آيتك الا تكلم الناس فخصوص انه كان قادرا على التكلم مع
غير الناس **قوله تعالى** سويا حال من فاعل تكلم اي لا تكلم الناس في هذه المدة مع كونك صحيحا سليما وعن ابن عباس
ان سويا من صفة الليالي بمعنى كاملات فيكون نصبه على النعت للظرف والجمهور على نصب يتكلم جعلوها الناصبة
وابن ابي عبلة بالرفع يجعلها المخففة من الثقيلة واسمها ضمير شأن محذوف ولا فاصلة وتقدم تحقيقه **قوله تعالى**
فخرج على قومه من المحراب وكان الناس من وراء المحراب ينتظرونه ان يفتح لهم الباب فيدخلون ويصلون اذا خرج
عليهم زكريا متغير اللون فانكروه وقالوا ما لك يا زكريا فاوحى الله اليهم قال مجاهد كتب لهم في الارض والاول
اشبه بالآية لقوله تعالى في آل عمران ثلاثة ايام الا رمزا والرمز لا يكون كتابة الكلام والمراد بالتسبيح الصلاة اي صلوا
بكرة وعشيا والمعنى انه كان يخرج على قومه بكرة وعشيا ويامرهم بالصلاة فلما كان وقت حمل امرأته ومنع من الكلام

خرج اليهم فامرهم بالصلاة اشارة وروي عن ابي العالية ان البكرة صلاة الفجر والعشي صلاة العصر **قوله
تعالى** ان سبحوا يجوز في ان ان تكون مفسرة لاوحى وان تكون مصدرية مفعولة للايحاء وبكرة وعشيا ظرفا
زمان للتسبيح وانصرفت بكرة لانه لم يقصد بها العلمية فلو قصد بها العلمية امتنعت من الصرف وسواء قصد بها وقتا
بعينه نحو لاسيرن الليلة الى بكرة ام لا يقصد نحو بكرة وقت نشاط لان علميتها جنسية كاسامة ومثلها في ذلك
غدوة وقرأ طلحة سبحوه بهاء الكناية وعنه ايضا سبحن باسناد الفعل الى ضمير الجماعة موكدا بالثقيلة وهو كقوله
تعالى ليقولن ما يحبسه وقد تقدم تصريفه **قوله تعالى** يا يحيى خذ الكتاب بقوة في الكلام حذف معناه
ووهبنا له يحيى وقلنا له يا يحيى خذ الكتاب يعني التوراة بقوة وجد وقيل كتابا اخر كما خص كثير من الانبياء
عليهم الصلاة والسلام بذلك والاول اولى لان حمل الالف واللام على المعهود السابق اولى ولا معهود ههنا
الا التوراة **فصل** هذه الآية تدل على ان الله تعالى بلغ يحيى الحد الذي يجوز ان يخاطب بذلك
فحذف ذكره لدلالة الكلام عليه **قوله تعالى** بقوة حال من الفاعل او المفعول اي ملتبسا انت او ملتبسا
هو بقوة وليس المراد بالقوة القدرة على الاخذ لان ذلك معلوم لكل احد فيجب حمله على معنى يفيد المدح وهو
الجد والصبر على القيام بامر النبوة والمراد منه حصول ملكة تقتضي سهولة الاقدام على المامور به والاحجام
عن المنهي عنه **قوله تعالى** وآتيناه الحكم صبيا قال ابن عباس الحكم النبوة صبيا وهو ابن ثلاث سنين
وقيل الحكم فهم الكتاب فقرأ التوراة وهو صغير وقيل هو العقل وهو قول معمر روي انه قال ما للعب خلقنا
والاولى اول لان الله تعالى احكم عقله في صباه واوحى اليه فان الله تعالى بعث يحيى وعيسى عليهما السلام وهما صبيان
لا كما بعث موسى ومحمدا عليهما السلام وقد بلغا الاشد فان قيل كيف يعقل حصول العقل والفطنة والنبوة حال
الصبى فالجواب هذا السائل اما ان يمنع خرق العادات او لا يمنع منه فان منع منه فقد اسند باب النبوات
لان الامر فيها على المعجزات ولا معنى لها الا خرق العادات وان لم يمنع منه فقد زال هذا الاستبعاد فانه ليس
الاستبعاد صيرورة الصبي عاقلا اشد من استبعاد انشقاق القمر وانفلاق البحر وصبيا حال من ها آتيناه **قوله
تعالى** وحنانا يجوز ان يكون مفعولا به نسقا على الحكم اي وآتيناه تحننا والحنان الرحمة وانشد
ابو عبيدة قول الحطيئة لعمر بن الخطاب رضي الله عنه • تحنن على هداك المليك • فان لكل مقام مقالا •
قالوا ولم يستعمل الا مثنى كقولك تحنانيك وقوله حنانيك بعض الشر اهون من بعض اي اهون من بعض وجوز فيه ابو البقاء
ان يكون مصدرا كانه يريد به المصدر الواقع في الدعاء نحو سقيا ورعيا فنصبه باضمار فعل كاخواته ويجوز
على ان يرتفع على انه خبر ابتداء مضمر نحو صبر جميل وسلام عليكم في احد الوجهين وانشد سيبويه

• وقالت حنان ما اتى بك ههنا • اذو نسب ام انت بالحي عارف •

وقيل لله تعالى حنان كما يقال رحيم قال الزمخشري وذلك على سبيل الاستعارة **فصل**
اعلم ان الحنان اصله من الحنين وهو الارتياح والجزع للفراق كما يقال حنين الناقة وهو صوتها اذا اشتاقت
الى ولدها ذكره الخليل وفي الحديث انه عليه الصلاة والسلام كان يصلي الى جذع في المسجد فلما اتخذ المنبر وتحول
اليه حنت تلك الخشبة حتى سمع حنينها وهذا هو الاصل ثم يقال تحنن فلان على فلان اذا انعطف عليه ورحمه
واختلف الناس في وصف الله تعالى بالحنان فاجازه بعضهم وجعله بمعنى الرؤوف والرحيم ومنهم من اباه لما يرجع
اليه اصل الكلمة قالوا ولم يصح الخبر بهذه اللفظة في اسماء الله تعالى واذا عرف هذا فنقول في الحنان ههنا
وجهان الاول ان تجعله صفة لله تعالى والثاني ان تجعله صفة ليحيى فان جعلناه صفة لله تعالى فيكون
التقدير وآتيناه الحكم حنانا اي رحمة منا ثم ههنا احتمالان الاول ان يكون الحنان من الله تعالى والمعنى
وآتيناه الحكم صبيا حنانا منا عليه اي رحمة عليه وزكاة اي وتزكية وتشريفا له والثاني ان يكون الحنان من
الله تعالى لزكريا والمعنى انا استجبنا لزكريا دعوته بان آتيناه ولدا صالحا اي بان اعطيناه ولدا ثم آتيناه
الحكم صبيا وحنانا من لدنا عليه على زكريا فعلنا ذلك وزكاة اي تزكية له عن ان يصير مردود الدعاء الثالث
ان يكون الحنان من الله تعالى لامة يحيى عليه السلام والمعنى آتيناه الحكم صبيا حنانا على امته لعظم انتفاعهم بهدايته
وارشاده وان جعلناه صفة ليحيى عليه السلام ففيه وجوه الاول آتيناه الحكم والحنان على عباده اي التعطف
عليهم وحسن النظر لهم كما وصف محمدا صلى الله عليه وسلم بقوله حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم وقوله تعالى فبما رحمة
من الله لنت لهم وقوله تعالى وزكاة اي بشفقة لست الى الاخلال بالواجب لان الرافة واللين ربما اورث ترك الواجب
او الى ترك الواجب الا ترى الى قوله تعالى ولا تاخذكم بهما رافة في دين الله وقال تعالى قاتلوا الذين يلونكم من الكفار

وليجدوا فيكم غلظة وقال تعالى اذلة على المؤمنين اعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون
لومة لائم والمعنى انا جمعنا له التعطف على عباد الله مع الطهارة عن الاخلال بالواجبات ويحتمل انا آتيناه
التعطف على الخلق والطهارة على الخلق فلم يعص ولم يهم بمعصية الثاني قال عطا بن ابي رباح وحنانا من
لدنا تعظيما من لدنا والمعنى آتيناه الحكم صبيا تعظيما اذ جعلناه نبيا وهو صبي ولا تعظيم اكثر من هذا ويدل
عليه ما روي ان ورقة بن نوفل مر على بلال وهو يعذب قد الصق ظهره برمضاء البطحاء وهو يقول احد احد
فقال والذي نفسي بيده لئن قتلتموه لاتخذنه حنانا اي معظما **قوله تعالى** من لدنا صفة له **قوله
تعالى** وزكوة قال ابن عباس هي الطاعة والاخلاص وقال قتادة والضحاك هو العمل الصالح والمعنى
آتيناه رحمة من عندنا وتحننا على العباد ليدعوهم الى طاعة ربهم ويعمل عملا صالحا في اخلاص وقال الكلبي صدقة
تصدق الله بها على ابويه وقيل زكيناه بحسن الثناء كما تزكي الشهود الانسان وهذه الآية تدل على
ان فعل العبد مخلوق لله تعالى لانه تعالى جعل طهارته وزكوته من الله تعالى وحمله على الالطاف بعيد لانه
عدول عن الظاهر **قوله تعالى** وكان تقيا مطيعا والمتقي هو الذي يتقي ما نهى الله عنه فيجتنبه ويتقي
مخالفة امر الله فلا يهمله واولى الناس بهذا الوصف من لم يعص الله ولا هم بمعصية وكان يحيى عليه السلام كذلك
فان قيل ما معنى قوله وكان تقيا وهذا ابتداء تكليفه فالجواب انما خاطب الله بذلك الرسول واخبر عن حاله
حيث كان كما اخبر عن نعم الله تعالى عليه مقدرا وجعلناه برا كثير البر في الموضعين وتأويله واضح وهو
كقوله تعالى ولكن البر من آمن وتقدم تأويله وبوالديه متعلق ببر وعصيا يجوز ان يكون وزنه فعولا
والاصل عصوي ففعل فيه ما يفعل في نظائره وفعول للمبالغة كصبور ويجوز ان يكون وزنه فعيلا وهو
للمبالغة ايضا **قوله تعالى** وبرا بوالديه اي بارا لطيفا بهما محسنا اليهما ولم يكن جبارا عصيا
فصل الجبار المتكبر قال سفيان الجبار الذي يضرب ويقتل على الغضب لقوله تعالى اتريد ان
تقتلني كما قتلت نفسا بالامس ان تريد الا ان تكون جبارا في الارض ولقوله تعالى واذا بطشتم بطشتم
جبارين والجبار ايضا القاهر قال تعالى العزيز الجبار والعصي العاصي والمراد وصفه بالتواضع
ولين الجانب وذلك من صفات المؤمنين كقوله تعالى واخفض جناحك للمؤمنين وقوله تعالى ولو كنت
فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك وقيل الجبار هو الذي لا يرى على نفسه حقا وقيل العصي ابلغ من العاصي
كما ان العليم ابلغ من العالم **قوله تعالى** وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيا قال محمد بن جرير
الطبري وسلام عليه يوم ولد اي امان عليه من الله يوم ولد ان تناله الشياطين كما تنال سائر بني آدم ويوم يموت
اي امان عليه من عذاب القبر ويوم يبعث حيا اي من عذاب الله يوم القيمة **فصل** قال سفيان
بن عيينة اوحش ما يكون للانسان في هذه الاحوال الثلاثة يوم ولد فيرى نفسه خارجا مما كان
فيه ويوم يموت فيرى قوما لم يكن عاينهم ويوم يبعث فيرى نفسه في محشر عظيم لم ير مثله فخص يحيى بالسلام
في هذه المواطن الثلاثة قال عبد الله بن نفطويه وسلام عليه يوم ولد اي اول ما رأى الدنيا ويوم يموت
اي اول يوم يرى فيه امر الآخرة ويوم يبعث حيا اي اول يوم يرى فيه الجنة والنار **فصل**
السلام يمكن ان يكون من الله وان يكون من الملائكة وعلى التقديرين فيدل على شرفه وفضله لان الملائكة
لا يسلمون الا عن امر الله ويدل على ان ليحيى مرتبة في هذا السلام على ما لسائر الانبياء لقوله تعالى وسلام
على عباده الذين اصطفى سلام على نوح سلام على ابراهيم وقال ليحيى يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيا
وليس لسائر الانبياء وروي ان عيسى عليه السلام قال ليحيى عليه السلام انت افضل مني لان الله تعالى قال سلام
عليك وانا سلمت على نفسي واجاب الحسن عن هذا فقال هذا يجري مجرى سلام الله على عيسى لان عيسى معصوم لا
يفعل الا ما امره الله به واعلم ان السلام عليه يوم ولد لا يكون الا تفضلا من الله تعالى لانه لم يتقدم منه عمل يكون
ذلك السلام عليه جزاء له واما يوم يموت ويوم يبعث فيجوز ان يكون ثوابا كالمدح والتعظيم **فصل**
في فوائد هذه القصة امور منها تعليم آداب الدعاء وهو قوله تعالى نداء خفيا يدل على فضل الدعاء خفية
ويؤكده قوله تعالى ادعوا ربكم تضرعا وخفية ولان رفع الصوت مشعر بالقوة والجلادة واخفاء الصوت
مشعر بالضعف والانكسار والتبري من حول النفس وقوتها والاعتماد على فضل الله تعالى واحسانه
ويستحب ان يذكر في مقدمة الدعاء عجز النفس وضعفها كقوله تعالى وهن العظم مني واشتعل الرأس شيبا ثم يذكر كرم
الله كقوله ولم اكن بدعائك رب شقيا ويكون الدعاء لما يتعلق بالدين لا لمحض الدنيا كقوله واني خفت الموالي وان

يكون

يكون الدعاء بلفظ يا رب كما ذكر منها بيان فضل زكريا ويحيى عليهما السلام اما زكريا فلخضوعه وانقطاعه
الى الله بالكلية واجابة الله تعالى وان الله تعالى بشره وبشرته الملائكة واعتقال لسانه عن الكلام دون
التسبيح واما يحيى فلانه لم يجعل له من قبل سميا وقوله تعالى يا يحيى خذ الكتاب بقوة وآتيناه الحكم صبيا وكونه
حنانا من لدنا وزكوة وتقيا وبرا بوالديه ولم يكن جبارا ولم يعص قط ولا هم بمعصية ثم سلم عليه يوم ولد
ويوم يموت ويوم يبعث حيا ومنها ان المعدوم ليس بشيء لقوله ولم تك شيئا فان قيل المراد ولم تك شيئا
مذكورا كما في قوله تعالى هل اتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا فالجواب ونحن نقول به
لان الانسان عبارة عن جواهر متألفة قامت بها اعراض مخصوصة والجواهر المتألفة الموصوفة بالاعراض
المخصوصة ليست ثابتة في العدم وانما الثابت هو اعيان تلك الجواهر مفردة غير مركبة وهي ليست بالانسان
فظهر ان الآية لا دلالة فيها على المطلوب ومنها ان الله تعالى ذكر هذه القصة في سورة آل عمران وذكرها
في هذه السورة فلنعتبر حالها في الموضعين فنقول ان الله تعالى بين في هذه السورة انه دعا ربه ولم يبين الوقت
وبينه في آل عمران بقوله تعالى كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا الى ان قال هنالك دعا
زكريا ربه قال رب هب لي من لدنك ذرية طيبة انك سميع الدعاء والمعنى ان زكريا عليه السلام لما رأى
خوارق العادات في حق مريم طمع في حق نفسه فدعا ربه وصرح في آل عمران بان المنادي هو الملائكة بقوله فنادته
الملائكة وهو قائم يصلي في المحراب والاظهر هاهنا ان المنادي بقوله يا زكريا انا نبشرك بغلام هو الله
وقد تقدم انه لا منافاة بينهما وقال في آل عمران اني يكون لي غلام وقد بلغني الكبر وامرأتي عاقر ولا كبر
ثم عقر المرأة وهاهنا قال وكانت امرأتي عاقرا وقد بلغت من الكبر عتيا وجوابه ان الواو لا تقتضي الترتيب
وقال في آل عمران وقد بلغني الكبر وقال هاهنا وقد بلغت من الكبر عتيا وجوابه ان ما بلغك فقد بلغته وقال
في آل عمران آيتك ان لا تكلم الناس ثلاثة ايام الا رمزا وقال هاهنا ثلاث ليال سويا وجوابه ان دلت
الآيتان على ان المراد ثلاثة ايام بلياليهن **قوله تعالى** واذكر في الكتاب مريم الآية اعلم ان الله
تعالى انما قدم قصة يحيى عليه السلام على قصة عيسى عليه السلام لان خلق الولد من شيخين
فانيين اقرب الى مناهج العادات من خلق الولد لا من الاب البتة واحسن طرق التعليم من الترقي من الاقرب
فالاقرب الى الاصعب فالاصعب **قوله تعالى** اذ انتبذت في اذ اوجه احدها انه منصوب باذكر
على انها خرجت عن الظرفية اذ يستحيل ان تكون باقية على مضيها والعامل فيها ما هو نص في الاستقبال
الثاني انه منصوب بمحذوف مضاف لمريم تقديره واذكر خبر مريم او نبأها اذ انتبذت فاذ منصوب
بذلك الخبر او النبأ الثالث انه منصوب بفعل محذوف تقديره وبين ان الله تعالى فهو كلام آخر وهذا
كما قال سيبويه وهو في الحذف اقوى وان كان مفعولا به الرابع ان يكون منصوبا على الحال من ذلك
المضاف المقدر اي خبر مريم او نبأ مريم وفيه بعد قاله ابو البقاء الخامس انه بدل من مريم بدل اشتمال
قال الزمخشري لان الاحيان مشتملة على ما فيها وفيه ان المقصود بذكر مريم ذكر وقتها هذا لوقوع هذه
القصة العجيبة فيه قال ابو البقاء بعد ان حكى عن الزمخشري هذا الوجه وهو بعيد لان الزمان اذا
لم يكن حالا من الجثة ولا خبرا عنها ولا صفة لها لم يكن فيها انتهى وفيه نظر لانه لا يلزم من عدم صحة البدلية
الا ترى نحو سلب زيد ثوبه فثوبه لا يصح جعله خبرا عن زيد ولا حالا منه ولا وصفا له ومع ذلك
فهو بدل اشتمال السادس ان اذ بمعنى ان المصدرية كقولك لا اكرمك اذ لم تكرمني اي لانك لا تكرمني فعلى
هذا يحسن بدل الاشتمال اي واذكر مريم انتباذها ذكره ابو البقاء وهو في الضعف غاية ويجوز ان يكون
ظرفا وهو الظاهر وان يكون مفعولا به على المعنى اذ المعنى اذ اتت مكانا **قوله تعالى** انتبذت
افتعل من النبذ وهو الطرح والالقاء ونبذة بضم النون وفتحها اي ناحية وهذا اذا جلس قريبا
منك حتى لو نبذت اليه شيئا وصل اليه ونبذت الشيء رميته ومنه النبيذ لانه يطرح في الاناء ومنه
المنبوذ وهو اصله فيصرف الى فعيل ومنه قيل للقيط منبوذ لانه رمي به ومنه النهي عن المنابذة في البيع
وهو ان يقول اذا نبذت اليك الثوب او الحصاة فقد وجب في الدار مما يلي المشرق ثم انها مع ذلك
اتخذت من دون اهلها حجابا قال ابن عباس سترا وقيل جلست وراء جدار وقال مقاتل وراء جبل
فصل اختلف المفسرون في سبب احتجابها فقيل انها لما رأت الحيض تباعدت عن مكان عبادتها
تنتظر الطهر وتغتسل وتعود فلما طهرت جاءها جبريل عليه السلام وقيل طلبت الخلوة للعبادة وقيل

تباعدت لتغتسل من الحيض محتجبة بشيء يسترها وقيل كانت في منزل زوج اختها زكريا وفيه محراب على
حدة تسكنه وكان زكريا اذا خرج اغلق عليها فتمنت ان تجد خلوة في الجبل لتفلي راسها فانفجرت السقف لها
فخرجت في المشرقة وراء الجبال فاتاها الملك وقيل عطشت فخرجت الى المفازة لتستقي وكل هذه الوجوه محتملة
فصل واعلم ان المكان الشرقي هو الذي يلي شرقي بيت المقدس او شرقي دارها قال ابن عباس او شرقي دارها
وقال ابن عباس اني لا اعلم لاي شيء اتخذت اي لا اعلم خلق الله لاي شيء اتخذت النصارى المشرق قبلة لقوله تعالى
مكانا شرقيا فاتخذوا ميلاد عيسى قبلة وهو قول الحسن قوله تعالى فارسلنا اليها روحنا فتمثل لها
الجمهور على ضم الراء من روحنا وهو ما يحيون به وقال ابو حيوة قرا وسهل بفتحها اي ما فيه راحة للعباد كقوله
تعالى فروح وريحان وحكى النقاش انه قرا روحنا بتشديد النون وقال هو اسم ملك من اسماء الملائكة
قوله تعالى بشرا سويا حال من فاعل تمثل وسوغ وقوع الحال جامدة وصفها فلما وصفت النكرة وقعت
حالا فصل اختلفوا في هذا الروح فالاكثرون على انه جبريل عليه السلام لقوله تعالى نزل به الروح
الامين وسمي روحا لان الدين يحيى به وقيل سمي روحا على المجاز لمحبته وتقريبه كما تقول لحبيبك روحي وقيل
المراد من الروح عيسى عليه السلام جاء في صورة بشر فحملت به والاول اصح انه جبريل عرض لها في صورة شاب امرد حسن
الوجه جعد الشعر سوي الخلق وقيل في صورة ترب لها اسمه يوسف من خدم بيت المقدس قيل انما تمثل لها في صورة بشر
لئلا تنفر منه ولو ظهر في صورة الملائكة لنفرت منه ولم تقدر على الاستماع للكلام منه فصل
وها هنا اشكالات الاول انه لو جاز ان يظهر الملك في صورة الانسان المعين فحينئذ لا يمكنها القطع بان هذا
الشخص الذي يراه في الحال هو زيد الذي رآه بالامس لاحتمال ان الملك والجني تمثل بصورته وفتح هذا
الباب يؤدي الى السفسطة ولا يقال هذا انما يجوز في زمان البعث فاما في زماننا فلا يجوز فلانا نقول هذا
العرف انما يعلم بالدليل فالجاهل بذلك الدليل يجب ان لا يقطع بان هذا الشخص الذي رآه الان هو الذي
رآه بالامس الثاني انه جاء في الاخبار ان جبريل عليه السلام شخص عظيم جدا فذلك الشخص العظيم كيف
صار بدنه في مقدار جثة الانسان وذلك يوجب تداخل الاجزاء وهو محال الثالث انا لو جوزنا ان يتمثل
جبريل عليه السلام في صورة الادمي فلم لا يجوز تمثله في صورة جسم اصغر من الادمي كالذباب والبق والبعوض
ومعلوم ان كل مذهب جر الى هذا فهو باطل الرابع ان تجويزه يفضي الى القدح في خبر التواتر فلعل الشخص الذي
حارب يوم بدر لم يكن محمدا بل كان شخصا وكذا القول في الكل والجواب عن الاول ان ذلك التجويز لازم على
الكل لان من اعترف بافتقار العالم الى الصانع المختار فقد قطع بكونه قادرا على ان يخلق شخصا آخر مثل
زيد في خلقه وتخطيطه واذا جوزنا ذلك فقد لزم الشك في ان زيدا المشاهد الان هو الذي شاهد
بالامس ام لا ومن شاهد ذلك ومن انكر الصانع المختار واسند الحوادث الى اتصالات الكواكب وتشكلات
الفلك لزمه تجويز ان يحدث اتصال غريب في الاول يقتضي يحدث شخص مثل زيد في كل الامور وحينئذ
يعود التجويز المذكور وعن الثاني انه لا يمتنع ان يكون لجبريل له اجزاء اصلية واجزاء فاضلة فالاجزاء
الاصلية قليلة جدا فحينئذ يكون متمكنا من التشبه بصورة الانسان هذا اذا جعلناه جسمانيا فان جعلناه
روحانيا فان استبعاده في ان يتنوع تارة بالهيكل العظيم واخرى بالهيكل الصغير وعن الثالث انا اهل التجويز
قائم في العقل وانما فساده بدلائل السمع وهو الجواب عن السؤال الرابع قالت اني اعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيا
ان كان ذو تقى فيك ان تتقي الله فانه يعاقب منك فانها علمت ان الاستعاذة لا تؤثر الا في التقي كقول القائل ان كنت
مؤمنا فلا تظلمني اي ينبغي ان يكون تقواك مانعا لك من الفجور كقوله تعالى وذروا ما بقي من الربوا ان كنتم
مؤمنين اي لان شرط الايمان يوجب هذا لان الله يخشى في حال دون حال وقيل ذلك كان في ذلك الزمان
انسان فاجر يتبع النساء اسمه تقي فظنت مريم ان ذلك الشخص المشاهد هو ذاك والاول اصح قوله تعالى
ان كنت تقيا جوابه محذوف او متقدم قوله تعالى ليهب لك قرا نافع وابو عمرو ليهب بالياء والباقون لاهب
بالهمزة فالاولى الظاهر فيها ان الضمير للرب اي ليهب الرب وقيل الاصل لاهب بالهمزة وانما قلبت الهمزة ياء تخفيفا
لانها مفتوحة بعد كسرة متفق القراء وفيه بعد واما الثانية فالضمير للمتكلم والمراد به الملك واسنده لنفسه لانه
سبب فيه ويؤيده ان في بعض المصاحف امرني ان اهب لك ويجوز ان يكون الضمير لله تعالى ويكون على الحكاية
لقول محذوف فصل لما علم جبريل خوفها قال انما انا رسول ربك ليزول عنها ذلك الخوف ولكن الخوف
لا يزول بمجرد هذا القول بل لا بد من دلالة تدل على انه جبريل عليه السلام فيحتمل ان يكون قد ظهرت معجزة عرفت

بانه جبريل

به انه جبريل عليه السلام ويحتمل انها عرفت صفة الملائكة من جهة زكريا عليه السلام فلما قال لها انما انا رسول ربك
اظهر لها من حاله ما عرفت به انه ملك فيكون ذلك هو العلم والذي يظهر انها كانت تعرف صفة الملك بالامارات
حيث كان يأتيها بالرزق في المحراب وقال لها زكريا يا مريم انى لك هذا قالت هو من عند الله قوله تعالى غلاما زكيا
ولذا اصلحا طاهرا من الذنوب قالت انى يكون لي غلام ولم يمسسني بشر ولم اك بغيا انما تعجبت مما بشرها جبريل لانها
قد عرفت بالعادة ان الاولاد لا تاتي الا من رجل والعادات عند اهل المعرفة معتبرة في الامور وانما حصل لها في ذلك
في القدرة فليس له في قوله هذا دلالة على انها لم تعلم انه قادر على خلق الولد ابتداء وكيف وقد عرفت انه تعالى خلق ابا البشر
على هذا الحد ولانها كانت منفردة بالعبادة ومن يكون كذلك لا بد ان يعرف قدرة الله في ذلك فان قيل
قولها ولم يمسسني بشر كما في المعنى فلم قالت ولم اك بغيا فالجواب من وجهين احدهما انها جعلت المس عبارة عن النكاح
الحلال لانه كناية عنه قال تعالى من قبل ان تمسوهن والزنا انما يقال فيه او ما اشبه والثاني انها اعادت لتعظيم حالها
كقوله تعالى حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوله تعالى وملائكته وجبريل وميكال فكذا ها هنا ان من لم
يعرف من النساء بزوج فاغلظ احوالها اذا اتت بولد ان تكون زانية فافردت ذكر البغي بعد دخوله في الكلام لانه اعظم
ما في بابه قوله تعالى بغيا في وزنه قولان احدهما قول المبرد ان وزنه فعول والاصل بغوي فاجتمعت الياء
والواو فادغمت الواو في الياء فصل قال ابو البقاء ولذلك لم تلحق تاء التانيث كما لم تلحق في صبور وشكور
ونقل الزمخشري عن ابي الفتح في كتاب التمام انها فعيل ثم قال هي بمعنى فاعل او بمعنى مفعول فان كانت بمعنى فاعل
فينبغي ان تكون بتاء التانيث نحو امرأة كريمة وبصيرة فالجواب عن ذلك انها بمعنى النسب نحو طالق اي ذات بغي وقال
ابو البقاء حين جعلها بمعنى فاعل ولم تلحق التاء ايضا لانها للمبالغة او على النسب مثل طالق وكونها للمبالغة وليس بشيء
وان قيل انها بمعنى مفعول فقدم التاء وهو واضح وتقدم الكلام على قوله قال كذلك قال ربك هو علي هين وهو
كقوله في آل عمران كذلك الله يخلق ما يشاء اذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون لا يمتنع عليه ما يريد خلقه ولا يحتاج
في انشائه الى الالات والمدد قوله تعالى ولنجعله يجوز ان يكون علة معللة محذوف تقديره ولنجعله
اية للناس فعلنا ذلك ويجوز ان يكون نسقا على علة محذوف تقديره لنبين به قدرتنا ولنجعله اية والضمير عائد
على الغلام واسم كان مضمر فيها اي وكان الغلام اي خلقه وايجاده امرا مقضيا اي لا بد منه والمراد بالاية العلامة
اي علامة للناس ودلالة على قدرتنا على انواع الخلق فانه تعالى خلق آدم من غير ذكر ولا انثى وخلق حواء من ذكر
بلا انثى وخلق عيسى من انثى بلا ذكر وخلق بقية الخلق من ذكر وانثى قوله تعالى ورحمة منا اي ونعمة لمن تبعه
على دينه قوله تعالى وكان امرا مقضيا محكوما مفروغا منه لا يرد ولا يبدل فحملته فانتبذت به قيل ان
جبريل رفع درعها فنفخ في جيبه فحملت حين لبست وقيل نفخ جبريل من بعد فوصل الريح اليها فحملت بعيسى في الحال
فصل وقيل ان النفخة كانت من فيها فوصلت الى بطنها وقيل كان النافخ هو الله تعالى لقوله تعالى
فنفخنا فيه من روحنا فظاهره يفيد ان النافخ هو الله تعالى ولانه تعالى قال ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم ومقتضى
التشبيه حصول المشابهة الا فيما اخرجه الدليل وفي حق آدم النافخ هو الله تعالى لقوله تعالى فنفخت فيه من روحي فكذا
ها هنا واذا عرف هذا ظهر ان في الكلام حذفا تقديره فنفخ فيها فحملته قيل حملت وهي بنت ثلاث عشرة سنة وقيل بنت
عشر وقد كانت حاضت حيضتين قبل ان تحمل ولا شيء في القرآن يدل على هذا قوله تعالى
فانتبذت به الجار والمجرور في محل نصب على الحال اي انتبذت وهي تصاحبه كقوله •
تدوس بنا الجماجم والرؤسا • وقول الاخر • تدوس بنا الجماد على رباح • والمعنى
اعتزلت وهو في بطنها كقوله تعالى تنبت بالدهن اي تنبت والدهن عليها قوله تعالى مكانا قصيا بعيدا
من اهلها قال ابن عباس اقصى الوادي وهو وادي بيت لحم فرارا من قومها ان يعيروها بولادتها من غير زوج واختلفوا في
علة الانتباذ فروى الثعلبي في العرائس عن وهب قال ان مريم لما حملت بعيسى عليه السلام كان معها ابن عم لها يسمى يوسف
النجار وكانا منطلقين الى المسجد الذي عند جبل صهيون وكانت مريم ويوسف يخدمان ذلك المسجد ولا نعلم من زمانهما
احدا اشد اجتهادا منهما واول من عرف حمل مريم يوسف فتحير في امرها فكلما اراد ان يتهمها ذكر صلاحها وعبادتها
لانها لم تغب عنه ساعة قط فقال انه قد وقع في نفسي منك شيء وقد حرصت على كتمانه فغلبني ذلك فرايت ان الكلام
فيه اشفى لصدري فقالت قل قولا جميلا قال اخبريني يا مريم هل ينبت زرع بغير بذر وهل تنبت شجرة بغير غيث
وهل يكون ولد من غير ذكر قالت نعم الم تعلم ان الله انبت الزرع يوم خلقه من غير بذر الم تعلم ان الله انبت الشجرة
بغير غيث وبالقدرة جعل الغيث حياة الشجر بعدما خلق الله كل واحد منهما على حدة او تقول ان الله لا يقدر على ان

ينبت النخل حتى تستقي بالماء، ولولا ذلك لم يقدر على ابنائه قال يوسف لا اقول هذا ولكني اقول ان الله تعالى خلق آدم
وامرأته من غير ذكر ولا انثى فعند ذلك زالت التهمة من قلبه وكان ينوب عنها في خدمة المسجد لاستيلاء الضعف عليها بسبب
الحمل وضيق القلب فلما قرب نفاسها اوحى الله اليها ان اخرجي من ارض قومك لئلا يقتلوا ولدك فاحتملها يوسف
الى ارض مصر على حمار له فلما بلغت تلك البلاد الجأها النفاس الى اصل نخلة وذلك في زمان برد فاحتضنتها فوضعت عليها
وقيل انها استحيت من زكريا فذهبت الى مكان بعيد لئلا يعلم بها زكريا عليه السلام وقيل لانها كانت مشهورة في بني اسرائيل
بالزهد لنذر امها وتشاح الانبياء في تربيتها وتكفل زكريا بها وكان الرزق يأتيها من عند الله فلما كانت في نهاية
الشهرة استحيت من هذه الواقعة فذهبت الى مكان بعيد وقيل خافت على ولدها من القتل لو ولدت بين اظهرهم
وكل هذه الوجوه محتملة وليس في القرآن ما يدل عليها اي على شيء منها **فصل** اختلفوا في مدة حملها
فروي عن ابن عباس انها تسعة اشهر كما في سائر النسوان الغالب وقيل ثمانية اشهر وكان ذلك آية اخرى لانه لا يعيش مولود
يولد لثمانية اشهر الا عيسى وقال عطاء وابو العالية والضحاك سبعة اشهر وقيل ستة اشهر وقال مقاتل بن سليمان
ثلاث ساعات حملت به وصور في ساعة ووضعت في ساعة حين زالت النفس من يومها **فصل** قال ابن
عباس كان الحمل والولادة في ساعة واحدة ويدل عليه وجهان الاول قوله تعالى فحملته فانتبذت به فاجاءها المخاض
فناداها من تحتها والفاء للتعقيب دلت هذه الفاآت على ان كل واحد من هذه الاحوال حصل عقيب الآخر من غير
فصل وهذا يوجب كون مدة الحمل ساعة واحدة لا يقال انتباذها مكانا قصيا كيف يحصل في ساعة واحدة لانا نقول
بانها ذهبت الى اقصى موضع في جانب محرابها الثاني ان الله تعالى قال في وصفه ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من
تراب ثم قال له كن فيكون فثبت ان عيسى عليه السلام كما قال الله تعالى كن فكان وهذا مما لا يتصور فيه مدة الحمل لانه في المولد
عن النطفة والقاصي البعيد يقال مكان قاص وقصي بمعنى واحد مثل عاص وعصي **قوله تعالى** فاجاءها الا
في جاء ان يتعدى لواحد بنفسه فاذا دخلت عليه الهمزة كان القياس يقتضي تعديه لاثنين قال الزمخشري الا ان استعماله
قد تغير بعد النقل الى معنى الالجاء الا ترى انك لا تقول جئت المكان واجاءنيه كما تقول بلغته وابلغنيه ونظيره
آتى حيث لم يستعمل الا في الاعطاء ولم تقل اتيت المكان وآتانيه فلان وقال ابو البقاء الاصل جاءها ثم عدي
بالهمزة الى مفعول ثان واستعمل بمعنى الجأها **فصل** قال ابو حيان قوله ان اجاءها استعمل بمعنى الجأها
يحتاج الى نقل ائمة اللغة المستقرئين لذلك من لسان العرب والاجاءة تدل على المطلق فيصلح لما هو بمعنى الالجاء ولما هو
بمعنى الاختيار كما تقول اقمت زيدا فانه يصلح ان يكون اقمته قسرا واختيارا واما قوله الا ترى انك لا تقول الخ
فمن رأى ان التعدية بالهمزة قياس اجاز ذلك وان لم يسمع ومن منع فقد سمع ذلك في جاء فيجيز ذلك واما تنظيره
ذلك بآتى فليس تنظيرا صحيحا لانه بناه على ان همزته للتعدية وان اصله اتى بل آتى مما بني على افعل والفاعل
هو الاول اذا عديته بالهمزة تقول اتى المال زيد وآتى عمرو زيدا المال فيختلف التركيب بالتعدية لان زيدا عند النحويين
هو المفعول الاول والمال هو المفعول الثاني وعلى ما قاله الزمخشري كان يكون العكس فيدل على انه ليس على ما قاله
ايضا فآتى مرادف لاعطى فهو مرادف مخالف من حيث المعنى وقوله ولم تقل اتيت المكان وآتيته هذا غير مسلم بل تقول
اتيت المكان كما تقول جئت المكان قال الشاعر • اتوا ناري فقلت منون انتم • فقالوا الجن قلت عموا صباحا •
ومن رأى التعدية بالهمزة قياسا قال آتيته **فصل** قال شهاب الدين وهذا الايجاب الذي ذكره
الشيخ ظاهر الاجوبة فلا نطول بذكرها وقرأ الجمهور فاجاءها اي الجأها وساقها ومنه قول الشاعر

• وجار سار معتمدا اليكم • اجاءته المخافة والرجاء •

وقرأ حماد بن سلمة فاجأها بالف بعد الفاء وهمزة بعد الجيم وبذلك روت بين والجمهور على فتح الميم من المخاض
وهو وجع الولادة وروي عن ابن كثير بكسر الميم فقيل هما بمعنى وقيل المفتوح اسم مصدر كالعطاء والسلام والمكسور
مصدر كالقتال واللقاء والفعال قد جاء من واحد كالعقاب والطراق قال ابو البقاء والميم اصلية لانه من تمخضت
الحامل تمخض الى جذع متعلق في قراءة العامة باجاءها اي ساقها اليه وفي قراءة حماد بمحذوف لانه حال من المفعول
اي فاجأها مستندة الى جذع النخلة **فصل** المعنى الجأها المخاض وهو وجع الولادة الى جذع النخلة
لتستند اليها وتتمسك بها عند وجع الولادة وكانت نخلة يابسة في الصحراء في شدة الشتاء ولم يكن لها سعف
ولا خضرة والتعريف فيها اما ان يكون من تعريف الاسماء الغالبة كتعريف النجم والصعق وكانت تلك الصحراء
كان فيها جذع نخلة متعارف عند الناس فاذا قيل جذع النخلة فهم منه ذلك واما ان يكون تعريف الجنس اي جذع
هذه الشجرة خاصة كان الله تعالى ارشدها الى النخلة ليطعمها منها الرطب الذي هو اشبه الاشياء موافقة للنفساء

الشمس

ولان

ولان النخلة اشد الاشياء صبرا على البرد ولا تثمر الا عند اللقاح واذا قطع رأسها لا تثمر فكأنه تعالى قال كما ان
الانثى لا تلد الا مع الذكر وكذا النخلة لا تثمر الا باللقاح ثم انه اظهر الرطب من غير اللقاح ليدل ذلك على جواز ظهور
الولد من غير ذكر **قوله تعالى** قالت يا ليتني مت قبل هذا تمنت الموت فان قيل كيف تمنت الموت مع انها تعلم ان الله
تعالى بعث جبريل عليه السلام ووعدها بان يجعلها وولدها آية للعالمين فالجواب من وجوه الاول تمنت الموت
استحياء من الناس فانساها الاستحياء بشارة الملائكة بعيسى الثاني ان عادة الصالحين اذا وقعوا في بلاء ان
يقولوا ذلك كما روي عن ابي بكر رضي الله عنه انه رأى طائرا على شجرة فقال له طوبى لك يا طائر تقع على الشجر وتأكل
من الثمر وددت اني ثمرة ينقرها الطائر وعن عمر رضي الله عنه انه اخذ تبنة من الارض فقال ليتني هذه التبنة
لم اكن شيئا وعن علي رضي الله عنه يوم الجمل ليتني مت قبل هذا اليوم بعشرين سنة وعن بلال رضي الله عنه ليت بلالا
لم تلده امه فثبت ان هذا الكلام يذكره الصالحون عند اشتداد الامر عليهم الثالث لعلها قالت ذلك لئلا تقع
المعصية ممن يتكلم فيها والا فهي راضية بما بشرت به **قوله تعالى** نسيا الجمهور على كسر النون وسكون السين وتصريح
الياء بعدها وقراءة حمزة والمطوعي ومعناه الشيء الحقير الذي من شأنه ان ينسى كالوتد والحبل وخرقة الطمث ونحوها
قال ابن الانباري من كسر فهو اسم لما ينسى كالنقض اسم لما ينقض والمفتوح مصدر يسد مسد الوصف وقال الفراء هما
لغتان كالوتر والوتر والكسر احب الي وقرأ محمد بن كعب القرظي نسأ بكسر النون والهمزة بدل الياء وروي عنه ايضا وعن ابي بكر
نجيب السهمي فتح النون مع الهمزة قالوا وهو من نسأت اللبن اذا صببت فيه ماء فاستهلكته فيه فالمكسور ايضا كذلك
الشيء المستهلك والمفتوح مصدر كما كان ذلك من النسيان ونقل ابن عطية عن بكر بن حبيب نسيا بفتح النون والسين
والقصر كعصى كأنه جعل فعلا بمعنى مفعول **قوله تعالى** منسيا نعت على المبالغة واصله منسوي فادغم وقرأ ابو جعفر
والاعمش منسيا بكسر الميم للاتباع للكسرة ولم يعتبروا الساكن لانه حاجز غير حصين كقولهم منتن ومنخر والمغيرة والجيرة
قوله تعالى فناداها من تحتها الاخوين قرأ الاخوان ونافع بكسر ميم من وجر تحتها على الجار والمجرور والباقون
بفتحها ونصب تحتها فالقراءة الاولى تقتضي ان يكون الفاعل في فناداها مضمرا وفيه تأويلان احدهما هو جبريل ومعنى
كونه من تحتها انه في مكان اسفل منها ويدل على ذلك قراءة عيسى فناداها ملك من تحتها فصرح به ومعنى كونه اسفل منها
اما ان يكون في مكان مستو وهناك مبدأ معين عند النخلة وجبريل بعيد عنها فكل من كان اقرب كان فوق وكل
من كان ابعد كان تحت وبهذا فسر الكلبي قوله تعالى اذ جاءوكم من فوقكم ومن اسفل منكم ولهذا قال بعضهم ناداها
من اقصى الوادي وقيل كانت مريم على اكمة عالية وجبريل اسفل قاله عكرمة وروي عن عكرمة ان جبريل ناداها
من تحت النخلة ومن تحتها على هذا فيه وجهان احدهما انه متعلق بالنداء اي جاء النداء من هذه الجهة والثاني انه
حال من الفاعل اي فناداها وهو تحتها الثاني من التأويلين ان الضمير لعيسى اي فناداها المولود من تحت ذيلها
ويجار فيه الوجهان من كونه متعلقا بالنداء وبمحذوف على انه حال والثاني اوضح والقراءة الثانية تكون فيها من موصولة
والظرف صلتها والمراد بالموصول اما جبريل واما عيسى **فصل** قال الحسن وسعيد بن جبير المنادي هو
عيسى عليه السلام وقال ابن عباس والسدي وقتادة والضحاك وجماعة ان المنادي جبريل عليه السلام وكانت
مريم على اكمة وجبريل وراء الاكمة تحتها وقال ابن عيينة وعاصم المنادي على القراءة بالفتح هو عيسى وعلى الكسر هو الملك
والاول اقرب لوجوه الاول ان قوله تعالى فناداها من تحتها بفتح الميم انما يستعمل اذا كان قد علم قبل ذلك ان تحتها
احدا والذي علم ان كونه تحتها عيسى عليه السلام فوجب حمل اللفظ عليه واما قراءة كسر الميم فلا تقتضي كون المنادي
جبريل عليه السلام الثاني ان ذلك الموضع موضع اللوث والنظر الى العورة وذلك لا يليق بالملائكة البتة الثالث ان قوله
فناداها فعل ولابد ان يكون فاعله قد تقدم ذكره والذي تقدم ذكره هو جبريل وعيسى عليهما السلام الا ان ذكر
عيسى اقرب لقوله تعالى فحملته فانتبذت به والضمير عائد على المسيح فكان حمله عليه اولى الرابع ان عيسى عليه السلام
لو لم يكن كلمها لما علمت انه ينطق فما كانت تشير الى عيسى بالكلام قال بعضهم المنادي هو عيسى والمعنى ان الله تعالى
انطقه لها حين وضعته تطييبا لقلبها وازالة للوحشة عنها حتى شاهدت في اول الامر ما بشرها به جبريل عليه السلام
من علو شان ذلك الولد ومن قال المنادي هو جبريل عليه السلام انه ارسل اليها ليناديها بذلك الكلام كما ارسل اليها
في اول الامر يذكر البشارات المتقدمة **قوله تعالى** ان لا تحزني يجوز في ان ان تكون مفسرة لتقدمها ما هو
بمعنى القول ولا على هذا ناهية وحذف النون للجزم وان تكون الناصبة ولا نافية وحذف النون للنصب ومحل ان اما
نصب او جر لانها على حذف حرف الجر اي فناداها بكذا والضمير في تحتها اما لمريم عليها السلام او للنخلة والاول
اولى لتوافق الضميرين **قوله تعالى** قد جعل يجوز ان يكون مفعولا اول وتحتك مفعول ثان لانها بمعنى صير

ويجوز أن تكون بمعنى خلق لأنها فيكون تحتك لغوا **فصل** قيل إنه الرجل المرتفع القدر من سرو يسرو إذا كرم
يشرف فهو سري وأصله سريو فعيل فاعلال لأن سيده فلامه واو والمراد به في الآية عيسى عليه السلام ويجمع سري على سرواء بفتح
الميم والسين وسر والظرف وهم جمعان شاذان على قياس جمع سري كغني وأغنياء وقيل السري
وسهرت الحبيل عن القوم أي نوعه كان السري سوى توته بخلاف المدعو والمتمثل فإنه الولعب وقيل هو النهر الصغير
ويناسبه فكلي واشربي واشتقاقه من سرى يسري لأن الماء يسري فيه فلامه على هذا ياء وأنشدوا للبيد •

• فتوسطا عرض السري وصدعا • مسجورة متجاورا قلامها •

قال الحسن وابن زيد السري هو عيسى عليه السلام والسري هو النبيل الجليل يقال فلان من سروات قومه أي من
أشرافهم وروي أن الحسن رجع عنه وروي عن قتادة وغيره أن الحسن تلا هذه الآية وبجنبه حميد بن عبد الرحمن
الحميري قد جعل ربك تحتك سريا فقال إن كان سريا وإن كان لكريما فقال له حميد يا أبا سعيد إنما هو الجدول
فقال له الحسن من ثم تعجبنا مجالستك واحتج من قال هو النهر بأن النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن السري فقال هو الجدول
ولقوله تعالى فكلي واشربي فدل على أنه النهر حتى ينضاف الماء إلى الرطب فتأكل وتشرب واحتج من قال إنه عيسى
بأن النهر لا يكون تحتها بل إلى جنبها ولا يجوز أن يجاب عنه بأن النهر تحت أمرها يجري بأمرها ويقف بأمرها
كقوله تعالى وهذه الأنهار تجري من تحتي لأن حمل اللفظ على مجازه ولو حملناه على عيسى لم يحتج إلى هذا المجاز وأيضا
فإنه موافق لقوله تعالى وجعلنا ابن مريم وأمه آية وأجيب بما تقدم أن الكلام المستوي إذا كان فيه مبدأ معين
فكل من كان أقرب منه كان فوق وكل من كان أبعد منه كان تحت **فصل** إذا قيل بأن السري هو النهر ففيه
وجهان الأول قال ابن عباس إن جبريل ضرب برجله الأرض وقيل عيسى فظهر ماء عذب أي فظهرت عين ماء عذب
وجرى وقيل كان هناك ماء جاري والأول أقرب لأن قوله قد جعل ربك تحتك يدل على الحدوث في ذلك
الوقت ولأن الله تعالى ذكره تعظيما لشأنها وذلك لا يدل إلا على الوجه الذي قلناه وقيل كان هناك نهر
يابس أجرى الله فيه الماء وحييت النخلة اليابسة فأورقت وأثمرت وأرطبت قال أبو عبيدة والفراء السري هو النهر
مطلقا وقال الأخفش هو النهر الصغير **قوله تعالى** وهزي إليك بجذع النخلة يجوز أن تكون الباء
في بجذع زائدة كهي في قوله ولا تلقوا بأيديكم وكقول الشاعر • والمسهبان لا يقربان بالسور •
وأنشد الطبري قوله • بواد يمان ينبت الشث صدره • وأسفله بالمرخ والشبهان •
أي تنبت بالمرخ أي هزي جذع النخلة أي حركي جذع النخلة **فصل** قال الفراء تقول العرب
هزه وهز به وخذ الخطام وخذ بالخطام وزوجتك فلانة وبفلانة ويجوز أن يكون الجار محذوفا والمفعول
حال من تلك المحذوف تقديره وهزي إليك رطبا كائنا بجذع النخلة ويجوز أن يكون هذا محمولا على المعنى
إذ التقدير هزي الثمر بسبب هز الجذع أي انفضي الجذع وإليه نحا الزمخشري فإنه قال أو افعلي الهز
فصل قال أبو حيان وفي هذه الآية وفي قوله تعالى واضمم إليك جناحك ما يرد على القاعدة المقررة
في علم النحو من أنه لا يتعدى فعل الضمير المتصل إلى ضميره المتصل إلا باب ظن وفي عدمت وفقدت ولا يقال
ضربتك ولا ضربتني أي ضربت أنت نفسك وضربت وإنما يقال هذا بالنفس وحكم المجرور بالحرف حكم المنصوب
فلا يقال هززت إليك ولا زيد هز إليه ولذلك جعل النحويون عن وعلى اسمين في قول امرئ القيس
• دع عنك نهبا صيح في حجراته • ولكن حديثا ما حديث الرواحل • وقول
الآخر • هون عليك فإن الأمور • بكف الإله مقاديرها • وقد ثبت فيما
وهو الأشهر لدخول حرف الجر عليهما في قوله • غدت من عليه بعدما تم ظمؤها
تصل وعن قيض بزيزاء مجهل • وقول الآخر • فقلت للركب لما أن علا بهم
من عن يمين الحبيا نظرة قبل • وأما إلى فحرف بلا خلاف فلا يمكن فيها أن تكون اسما كعن وعلى ثم أجاب
بأن إليك في الآيتين لا يتعلق بالفعل قبله إنما يتعلق بمحذوف على جهة البيان تقديره أعني إليك وتأول
ذلك في قوله تعالى أي لكم إلى آخر صاحبه في أحد الأوجه كما قالوا سقيا لك وفي ذلك وجهان الأول أن فعل
الممنوع تقديره إلى الضمير المتصل إليها من حيث يكون الفعل واقعا بذلك الضمير والضمير محل له نحو دع عنك
وهون عليك وأما الكسر والضم فليسا واقعين بالكاف فلا محذور والثاني أن الكلام على حذف مضاف تقديره
هزي إلى جهتك ونحوك واضمم إلى جهتك ونحوك **فصل** قال الفقهاء الجذع من النخل هو الأسفل الذي
دون الرأس الذي عليه الثمر وقال قطرب كل خشبة في أصل شجرة فهي جذع **قوله تعالى** تساقط قرأ حمزة

تساقط بفتح التاء وتخفيف السين وفتح القاف والباقون غير حفص تساقط بتاء من فوق مضارع تساقط محذ
حمزة إحدى التاءين تخفيفا نحو تنزل وتذكرون والباقون أدغموا التاء في السين وقرأ حفص مضارع ساقط
وقرأ الأعمش والبراء الساقط كالجماعة إلا أنه بالياء من تحت أدغم التاء في السين إذ الأصل يتساقط فهو مضارع تساقط
وأصله أساقط فادغم واجتلبت همزة الوصل كاداراتم في تدارأتم ونقل عن أبي حيوة ثلاث قراءات ووافقه مسروق
في الأولى وهي تسقط بضم التاء وسكون السين وكسر القاف من أسقط والثانية كذلك إلا أنه بالياء من تحت الثالثة
كذلك إلا أنه رفع رطبا جنيا بالفاعلية وقرئ تتساقط بتاءين من فوق وهو أصل قراءة الجماعة ويسقط وتسقط بفتح التاء
وسكون السين وضم القاف ورفع الرطب بالفاعلية وبعض من الأفعال ما يوافقه في القراءات المتقدمة ومن قرأ
بالتاء من فوق فالفعل مسند للنخلة وأما الثمرة المفهومة من السياق وأما للجذع وجاز تأنيث فعله لإضافته
إلى مؤنث فهو كقوله • كما شرقت صدر القناة من الدم • وكقراءة فالتقطه بعض السيارة ومن قرأ بالياء من تحت
فالضمير للجذع وقيل للثمر المدلول عليه بالسياق وأما نصب رطبا فلا يخرج عن كونه تمييزا أو حالا موطئة إن كان
الفعل قبله لازما أو مفعولا به إن كان الفعل متعديا ويرد كل شيء إلى ما يليق به من القراءات وجوز المبرد في نصبه
وجها غريبا وهو أن يكون مفعولا به بهزي وعلى هذا فتكون المسألة من باب التنازع في بعض القراءات وهو أن يكون
الفعل فيها متعديا وتكون المسألة من إعمال الثاني للحذف من الأول وقرأ طلحة بن سليمان جنيا بكسر الجيم إتباعا لكسر النون
والرطب ... بخلاف نخم فإنه جمع نخمة والفرق أنهم لم يؤنثوا كثيرة فقالوا هو الرطب ولم يؤنثوا ذلك فقالوا هي التخم
فذكروا الرطب باعتبار الجنس وأنثوا التخم باعتبار الجمعية وهو فرق لطيف ويجمع على أرطاب شذوذا كربع وأرباع
والرطب ما قطع قبل يبسه وجفافه وخص الرطب بالرطب من التمر وأرطب النخل نحو أتمر وأجنى والجني ما طاب وصلح للاجتناء
وهو فعيل بمعنى مفعول أي رطبا مجنيا وقيل بمعنى فاعل والجني أيضا المجتنى من العسل وأجنى الثمر أدرك ثمره وأجنت الأرض
كثر جناها واستعير من ذلك جنى فلان جناية كما استعير اجترم جريمة **فصل** المعنى جعلنا لك
في السري والرطب فائدتين إحداهما الأكل والشرب والثانية سلوة الصدر لكونهما معجزتين بهذه الآية وقال بعض العلماء أكل
بين الأكل والشرب قال عمرو بن ميمون ليس شيء خير للنفساء من التمر والرطب ثم تلا هذه الآية وقال الربيع بن خثيم ما للنفساء عندي خير من الرطب ولا
الرطب ولا للمرأة التي ضربها الطلق تسهل عليها الولادة وقال الربيع بن خثيم ما للنفساء عندي خير من الرطب ولا
للمريض خير من العسل قالت المعتزلة هذه الأفعال الخارقة للعادة كانت معجزة لزكريا وغيره من الأنبياء
وهذا باطل لأن زكريا عليه السلام ما كان له علم بحالها ومكانها فكيف بتلك المعجزات بل الحق أنها كانت كرامات لمريم
أو إرهاصا لعيسى عليهما السلام لأن النخلة لم تكن مثمرة إذ ذاك لأن ميلاده كان في زمن الشتاء وليس ذاك وقت ثمر
قوله تعالى وكلي واشربي وقري عينا نصب عينا على التمييز منقول من الفاعل إذ الأصل لتقر عينك والعامة
على فتح القاف من قري أمر من قرت عينه تقر بفتح العين في الماضي وكسرها في المضارع والمشهور أن مكسور العين في الماضي
للعين ومفتوحها في المكان يقال قررت بالمكان أقر به ويقال قررت بالمكان بالكسر وسيأتي ذلك في قوله تعالى
وقرن في بيوتكن وفي وصف العين بذلك تأويلان الأول أنه مأخوذ من القر وهو البرد وذلك أن العين إذا فرح
صاحبها كان دمعها قارا أي باردا وإذا حزن كان حارا ولذلك قالوا في الدعاء عليه أسخن الله عينه وفي الدعاء
له أقر الله عينه قال أبو تمام قوله • فأما عيون العاشقين فأسخنت • وأما عيون الشامتين فقرت •
والثاني أنه مأخوذ من الاستقرار والمعنى أعطاه الله ما يسكن عينه فلا تطمح إلى غيره فإن قيل المعنى وكلي من الرطب
واشربي من الماء وقري عينا وطيبي نفسا وقدم الأكل على الشرب لأن حاجة النفساء إلى الرطب أشد احتياجا من شرب الماء
لكثرة ما سال منها الدم فقيل قري عينا بولادة عيسى وتقدم معناه فالجواب أن مضرة الخوف أشد من مضرة الجوع
والعطش لأن الخوف ألم الروح والجوع ألم البدن وألم الروح أقوى من ألم البدن البتة ويروى أنه أجيعت
شاة فقدم إليها العلف وعندها ذئب فبقيت الشاة مدة لا تتناول العلف مع جوعها خوفا من الذئب
ثم كسر رجلها وقدم العلف إليها فتناولت العلف مع ألم البدن وإذا كان كذلك فلم قدم دفع ضرر الجوع
والعطش على ضرر الخوف فالجواب أن هذا الخوف كان قليلا لأن بشارة جبريل عليه السلام قد تقدمت فما كانت
تحتاج إلى التذكير مرة أخرى **قوله تعالى** فإما ترين دخلت إن الشرطية على ما الزائدة للتوكيد
فأدغمت فيها وكتبت متصلة وترين تقدم تصريفه أي ترى فأدخل عليه نون التوكيد فكسرت الياء لالتقاء الساكنين
معناه فإما ترين من البشر أحدا هنا لك عن ولدك والعامة على صريح الياء المكسورة وقرأ أبو عمرو في رواية ترئن
بهمزة مكسورة بدل الياء وكذلك روي عنه لترؤن بإبدال الواو همزة **فصل** قال الزمخشري هذا
على لغة من يقول لبأت بالحج وحلأت السويق يعني بالهمز وذلك للمقاربة بين الهمزة وحروف اللين وتجرى مجرى الواو

على ابن عمرو فقال هو لحن عندنا كثير الحويرث وقرأ ابو جعفر وطلحة ترين بياء ساكنة ونون خفيفة قال ابن جني
وهو شاذ قال نهاية الدرب لانه كان ينبغي ان يؤثر الجازم ويحذف نون الرفع كقول الافوه • اما تري راسي ازرى به •
مأس زمان ذي انتكاث مأس • ولم يؤثر هنا شذوذه وهذا نظير قول الاخر •
• لولا فوارس من نعم واسرتهم • واسرتهم يوم الصليفاء •
ولم يوفون بالجار فلم يعمل لم وابقى نون الرفع ومن البشر حال من احدا لانه لو تاخر لكان وصفا وقال ابو البقاء
او مفعول يعني انه متعلق بنفس الفعل قبله **قوله تعالى** فقولي بين هذا الجواب وشرطه جملة محذوفة تقديره
فاما ترين من البشر احدا فسالك الكلام فقولي هذا الكلام وبهذا التقدير يتخلص من اشكال وهو ان قولها فلن
اكلم اليوم انسيا كلام فيكون ذلك تناقضا لانها قد كلمت انسيا بهذا الكلام وجوابه ما تقدم ولذلك
قال بعضهم انها ما نذرت في الحال بل صبرت حتى اتاها القوم فذكرت لهم اني نذرت للرحمن صوما فلن اكلم اليوم
انسيا بعد هذا الكلام وقرا زيد بن علي صياما بدل صوما وهما مصدران **فصل** معنى قوله صوما
اي صمتا ولذلك قال انه كان يقرا ابن مسعود والصوم في اللغة الامساك عن الطعام والكلام قال السدي في
بني اسرائيل من اراد ان يجتهد صام عن الكلام كما يصوم فلا يتكلم حتى يمسي فقيل كانت تكلم الملائكة ولا تكلم الانس
وقيل امرها الله تعالى بنذر الصمت لئلا تشرع مع من اتهمها في الكلام لمعنيين الاول ان كلام عيسى عليه السلام اقوى في ازالة
التهمة من كلامها وفيه دلالة على ان تفويض الكلام الى الافضل اولى الثاني كراهة مجادلة السفهاء وفيه ان السكوت
عن السفيه واجب ومن اذل الناس سفيه لم يجد مسافها **قوله تعالى** فأتت به قومها تحمله في محل نصب على الحال
من فاعل اتت اي اتت مصاحبة له نحو جاء بثيابه اي ملتبسا بها ويجوز ان تكون الباء متعلقة بالاتيان واما تحمله فيجوز
ان يكون حالا ثانية من فاعل اتت ويجوز ان يكون من الهاء في به وظاهر كلام ابي البقاء ايضا انها حال من ضمير مريم
وعيسى معا وفيه نظر **قوله تعالى** شيئا مفعول به اي فعلت شيئا اي نوعا من المجيء غريبا **قوله تعالى** فريا
العظيم من الامر يقال في الخير والشر وقيل الفري العجيب وقيل المفتعل ومن الحديث في وصف عمر رضي الله عنه
فلم ار عبقريا يفري فريه والفري قطع الجلد للخرز والاصلاح والافراء افساده وفي المثل جاء يفري الفري اي
يعمل العمل العظيم قال الشاعر • ولانت تفري ما خلقت • وبعض القوم يخلق ثم لا يفري •
وقرا ابو حيوة فيما نقل عنه ابن خالويه فريا بالهمز وفيما نقل عن ابن عطية فريا بسكون الراء وقرا عمرو بن لجا ما كان
اباك امرا سوء جعل النكرة الاسم والمعرفة الخبر كقوله • يكون مزاجها عسل وماء • وقول الاخر •
ولا يك موقف منك الوداعا • وهذا احسن لوجود الاضافة في الاسم **فصل** قيل انها
ولدت ثم حملته في الحال الى قومها وقال ابن عباس والكلبي احتمل يوسف النجار مريم وابنها عيسى الى غار ولبث اربعين
يوما حتى طهرت من نفاسها ثم حملته مريم الى قومها فكلمها عيسى في الطريق فقال يا اماه ابشري فاني عبد الله ومسيحه
فلما دخلت الى اهلها ومعها الصبي بكوا وحزنوا وكانوا اهل بيت صالحين فقالوا يا مريم لقد جئت شيئا فريا عظيما
منكرا قال ابو عبيدة كل امر فائق من عجيب او عمل فهو فري وهذا منهم على وجه الذم والتوبيخ لقوله بعده يا اخت
هارون ما كان ابوك امرا سوء وما كانت امك بغيا **قوله تعالى** يا اخت هرون يريدون يا شبيهة
بهارون قال قتادة وكعب وابن زيد والمغيرة بن شعبة كان هارون رجلا صالحا عابدا مقدما في بني اسرائيل
فصل روي انه تبع جنازته يوم مات اربعون الفا كلهم يسمى هارون من بني اسرائيل سوى سائر الناس
شبهوها به على معنى انا ظننا انك مثله في الصلاح وليس المراد منه الاخوة في النسب لقوله تعالى ان المبذرين
كانوا اخوان الشياطين روى المغيرة بن شعبة قال لما قدمت نجران سالوني فقالوا انكم تقرؤون يا اخت هارون
وموسى قبل عيسى بكذا وكذا فلما قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم سالته عن ذلك فقال انهم يسمون
بانبيائهم والصالحين قبلهم قال ابن كثير واخطا محمد بن كعب القرظي في زعمه انها اخت موسى وهارون نسبا
فان بينهما من الدهر الطويل ما لا يخفى على من عنده ادنى علم وكانه غره ان في التوراة ان مريم اخت موسى وهارون
ضربت بالدف يوم نجى الله موسى وقومه واغرق فرعون وقومه وجنوده فاعتقد ان هذه هي تلك وهذا في غاية
البطلان والمخالفة للحديث الصحيح المتقدم وقال الكلبي لان هارون اخو مريم من امها وكان امثل رجال في
بني اسرائيل وقال السدي انما عنوا به هارون اخا موسى لانها كانت من نسله كما يقال للتميمي يا اخا تميم وللهمداني
اي واحد منهم وقيل كان هارون فاسقا في بني اسرائيل معلنا بالفسق فشبهوها به وقول الكلبي اقرب لوجهين
الاول ان الاصل الحقيقة فيحمل الكلام على اخيها المسمى هارون الثاني انها اضيفت ووصف ابوها بالصلاح

وحينئذ

وحينئذ يصير التوبيخ اشد لان من كان حال ابيه وامه هذا الحال يكون صدور الذنب منه افحش
قوله تعالى ما كان ابوك امرا سوء قال ابن عباس اي زانيا **قوله تعالى** وما كانت امك بغيا
اي زانية فمن اين لك هذا الولد **قوله تعالى** فاشارت اليه الاشارة معروفة وتكون باليد والعين وغير ذلك
والفها عن ياء وانشد لكثير • فقلت وفي الاحشاء داء مخامر • الا يا حبذا عز ذي التشاير •
كيف نكلم من كان في المهد صبيا في كان هذه اقوال احدها انها زائدة وهو قول ابي عبيدة
في المهد صبيا على هذا نصب على الحال من الضمير المستتر في الجار والمجرور الواقع صلة وقد رد ابو بكر هذا القول اعني
كونها زائدة بانها لو كانت زائدة لما نصبت الخبر وهذه قد نصبت صبيا وهذا المراد مردود بما تقدم من نصبه على
الحال لا الخبر الثاني انها تامة بمعنى حدث ووجد والتقدير كيف نكلم من وجد صبيا وصبيا حال من الضمير في كان
الثالث انها بمعنى صار اي كيف نكلم من صار في المهد صبيا وصبيا على هذا خبرها فهو كقوله •
قطا الحزن قد كانت فراخا بيوضها •
الرابع انها الناقصة على بابها من دلالتها على اقتران مضمون الجملة بالزمان الماضي من غير تعرض للانقطاع كقوله
تعالى وكان الله غفورا رحيما ولذلك يعبر عنها بانها ترادف لم يزل وقال الزمخشري كان لايقاع الجملة في زمان
ماض مبهم صالح للقريب والبعيد وهو لقرينة خاصة والدال عليه معنى الكلام وانه مسوق للتعجب ووجه اخر
وهو ان يكون حكاية حال ماضية اي كيف عهد قبل عيسى من يكلم من في المهد حتى نكلمه نحن واما من فالظاهر
انها موصولة بمعنى الذي وضعف جعلها نكرة موصوفة اي نكلم شخصا او مولودا وجوز الفراء والزجاج فيها ان تكون
شرطية وكان بمعنى يكن وجواب الشرط اما متقدم وهو نكلم او محذوف لدلالة هذا عليه اي من يكن في المهد صبيا
فكيف نكلمه فهي على هذا مرفوعة المحل بالابتداء وعلى ما قبله منصوبة بنكلم واذا قيل بان كان زائدة هل تحمل ضميرا
ام لا فيه خلاف ومن جوز استدل بقوله فكيف اذا مررت بدار قوم وقال بعضهم الدليل عليه قول الشاعر
• فكيف اذا مررت بدار قوم • وجيران لنا كانوا كرام •
فرفع بها الواو ومن منع تاول البيت بانها غير زائدة وان خبرها هو لنا قدم عليها وفصل بالجملة بين الموصوف
والصفة وابو عمرو يدغم الدال في الصاد والاكثرون على اظهارها **فصل** لما بالغوا في توبيخ مريم
سكتت واشارت الى عيسى ان كلموه قال ابن مسعود لما لم يكن لها حجة اشارت اليه ليكون كلامه حجة لها اي هو الذي
يجيبكم اذا انطقتموه قال السدي لما اشارت اليه غضبوا وقالوا لسخريتها بنا اشد من زناها وقالوا كيف نكلم من
كان في المهد صبيا والمهد هو حجرها وقيل هو المهد بعينه وقالوا كيف نكلمه والمعنى كيف نكلم صبيا سبيله ان ينام
في المهد قال السدي فلما سمع عيسى عليه السلام كلامهم وكان يرضع ترك الرضاع واقبل عليهم بوجهه واتكا على يساره
واشار بسبابة يمينه فقال اني عبد الله وقيل كلمهم بذلك ولم يتكلم بعده حتى بلغ مبلغا يتكلم فيه الصبيان وقال
وهب اتاها زكريا عليه السلام عند مناظرتها اليهود فقال لعيسى انطق بحجتك ان كنت امرت بها فقال عيسى عند
ذلك وهو ابن اربعين يوما وقال مقاتل هو يوم ولد اني عبد الله اقر على نفسه بالعبودية لله عز وجل اول ما تكلم
لئلا يتخذ الها وفيه فوائد الاولى ان ذلك الكلام في ذلك الوقت كان سببا لازالة الوهم الذي ذهب اليه النصارى
فلا جرم اول ما تكلم قال اني عبد الله الثانية ان الحاجة في ذلك الوقت انما هو نفي تهمة الزنا عن مريم ثم ان عيسى عليه السلام
لم ينص على ذلك وانما نص على اثبات عبودية نفسه كانه جعل ازالة التهمة عن الله تعالى اولى من ازالة التهمة عن الام
فلهذا اول ما تكلم بقوله اني عبد الله الثالثة ان التكلم بازالة التهمة عن ابيه يفيد ازالة التهمة عن الام لان الله
تعالى لا يخص الفاجرة بولد في هذه الدرجة العظيمة العالية والمرتبة العظيمة اما التكلم بازالة التهمة عن الام لا يفيد
ازالة التهمة عن ابيه فكان الاشتغال بذلك هاهنا اولى **فصل** في ابطال قول النصارى وجوه
الاول انهم وافقوا على ان ذاته سبحانه وتعالى لا تحل في ناسوت عيسى بل قالوا الكلمة حلت فيه والمراد من الكلمة
العلم فنقول العلم لما حصل لعيسى ففي تلك الحالة اما ان يقال انه بقي في ذات الله تعالى واما ما بقي فان كان
الاول لزم حصول الصفة الواحدة في محلين وذلك غير معقول ولانه لو جاز ان يقال العلم الحاصل في ذات
عيسى هو العلم الحاصل في ذات الله بعينه بل لا يجوز في حق كل واحد ذلك حتى يكون العلم الحاصل لكل واحد
هو العلم الحاصل لذات الله تعالى واعلم ان كان الثاني لزم ان يقال ان الله تعالى لا يبقى عالما بعد حلول علمه
في عيسى وذلك مما لا يقوله عاقل قال ابن الخطيب وثانيها مناظرة جرت بيني وبين النصارى فقلت لهم
انعدام الدليل لا يدل على عدم المدلول ام لا فان انكرت لزمك ان لا يكون الله تعالى قديما لان دليل وجوده

هو العالم فاذا لزم من عدم الدليل عدم المدلول لزم من عدم العالم في الازل عدم المدلول فنقول اذا جوزنا
اتحاد كلمة الله تعالى بعيسى او حلولها فيه فكيف عرفت ان كلمة الله تعالى ما حلت في زيد وعمرو بل كيف عرفتا انها ما حلت
في هذه الهرة وفي هذا الكلب فقال ان هذا السؤال لا يليق بك لانا انما اثبتنا ذلك الاتحاد والحلول بناء على ما ظهر
على يد عيسى من احياء الموتى وابراء الاكمه والابرص فاذا لم نجد من ذلك شيئا على يد غيره فكيف نثبت الاتحاد او الحلول
فقلت له اني عرفت بهذا الكلام انك ما عرفت اول الكلام لانك سلمت لي ان عدم الدليل لا يدل على عدم المدلول واذا
كان هذا الحلول غير ممتنع في الجملة فاكثر ما في هذا الباب انه وجد ما يدل على حصوله في حق عيسى ولم يوجد ذلك الدليل في
حق زيد وعمرو ولكن عدم الدليل لا يدل على عدم المدلول فلا يلزم من عدم ظهور هذه الخوارق على يد زيد وعمرو
وعلى هذه الهرة والكلب عدم ذلك الحلول فثبت انكم لما جوزتم القول بالاتحاد والحلول لزمك تجويز ذلك الاتحاد
والحلول في حق كل واحد بل في حق كل حيوان ونبات ولكن المذهب الذي يسوق قايله الى مثل هذا القول الركيك يكون
باطلا قطعا ثم قلت له وكيف دل احياء الموتى وابراء الاكمه والابرص على ما قلت اليس انقلاب العصى ثعبانا ابعد من
انقلاب الميت حيا فاذا ظهر على يد موسى ولم يدل على الالهية فبان لا يدل هذا على الهية عيسى اولى وثانيها ان دلالة
احوال عيسى على العبودية اقوى من دلالتها على الربوبية لانه كان مجتهدا في العبادة والعبادة لا تليق الا بالعبد وانه
كان في نهاية البعد عن الدنيا والاحتراز عن اهلها حتى قالت النصارى ان اليهود قتلوه ومن كان في الضعف هكذا
فكيف يليق به الربوبية وثالثها ان المسيح اما ان يكون قديما او حديثا والقول بقدمه باطل لانا نعلم بالضرورة انه ولد وكان طفلا
ثم صار شابا وكان ياكل ويشرب ويعرض له ما يعرض لساير البشر وان كان محدثا كان مخلوقا ولا معنى للعبودية
الا ذلك فان قيل المعني بالالهية انه حلت فيه صفة الاله فالجواب هب انه كان كذلك لكن الحال هو صفة الاله
والمسيح وهو المحل والمحل محدث مخلوق فالمسيح عبد محدث فكيف يمكن وصفه بالالهية ورابعها ان الولد لا بد
ان يكون من جنس الوالد فان كان لله ولد فلا بد ان يكون من جنسه فاذن قد اشتركا من بعض الوجوه فان لم يتميز احدهما
عن الاخر بامر ما فكل واحد منهما هو الاخر وان حصل الامتياز فان ما به الامتياز غير ما به الاشتراك فيلزم وقوع التركيب
في ذات الله تعالى وكل مركب ممكن فالواجب ممكن هذا خلف كله على الاتحاد والحلول فان قالوا معنى كونه الها انه سبحانه خص
نفسه او بدنه بالقدرة على خلق الاجسام والتصرف في هذا العالم باطل لان النصارى نقلوا عنه الضعف والعجز
وان اليهود قتلوه فان كان قادرا على خلق الاجسام لما قدروا على قتله بل كان هو يقتلهم ويخلق لنفسه عسكرا يذبون
عنه فان قالوا معنى كونه الها انه اتخذه لنفسه على سبيل التشريف وهذا قد قال به قوم من النصارى يقال لهم الابيونية
ليس منهم كثير خطا الا في اطلاق اللفظ **قوله تعالى** آتاني الكتاب قيل معناه سيؤتيني الكتاب ويجعلني نبيا
روي عكرمة عن ابن عباس ان هذا اخبار عما كتب له في اللوح المحفوظ كما قيل للنبي صلى الله عليه وسلم متى كنت نبيا
قال كنت نبيا وادم بين الروح والجسد وعن الحسن انه الهم التوراة وهو في بطن امه وقال الاكثرون انه اوتي الانجيل
وهو طفل صغير وكان يعقل عقل الرجال وعن ذلك انه قال الكتاب هو التوراة اذ قال ان الالف واللام للعهد
ولا معهود حينئذ ومن قال الانجيل قال الالف واللام للاستغراق وظاهر كلام عيسى اتاه الله الكتاب وجعله
نبيا وامره بالصلاة والزكوة وان يدعوا الى الله والى دينه والى شريعته من قبل ان كلمهم فانه تكلم مع امه واخبرها
بحاله واخبرها انه يكلمهم بما يدل على براءتها فلهذا اشارت اليه بالكلام فقال بعضهم اخبر بانه نبي ولكنه ما كان رسولا
لانه في ذلك الوقت ما جاء بالشريعة ومعنى كونه نبيا انه رفيع القدر على الدرجة وهذا ضعيف لانه قرن بذكر النبوة
ذكر الشرع وهو قوله تعالى واوصاني بالصلاة والزكاة ثم قال وجعلني مباركا اينما كنت نفاعا حيثما توجهت وقال
مجاهد معلما للخير وقال عطا ادعوا الى الله والى توحيده وعبادته وقيل مباركا على من اتبعني **فصل**
روي قتادة ان امراة رأته وهو يحيي الموتى ويبرئ الاكمه والابرص فقالت طوبى لبطن حملك وثدي ارضعت به
فقال عيسى مجيبا لها طوبى لمن تلا كتاب الله واتبع ما فيه ولم يكن جبارا شقيا **قوله تعالى** اينما كنت يدل
على انه لم يتغير كما قيل انه عاد الى حال الضعف وزوال التكليف وقوله متفق عند من يرى ذلك ولا اجابوا ان تكون
استفهامية لانه يلزم ان يعمل فيها ما قبلها واما الاستفهام له صدر الكلام فيتعين ان تكون شرطية لانها منحصرة
في هذين المعنيين ثم قال واوصاني بالصلاة والزكوة اي امرني بهما فان قيل لم يكن لعيسى مال فكيف يومر بالزكوة
فالجواب المعنى لو كان لي مال وقيل المراد بالزكوة الاستكثار من الخير ما دمت حيا فان قيل كيف يومر بالصلوة والزكوة
مع انه كان طفلا والقلم مرفوع عن الصغير لقوله عليه السلام رفع القلم عن ثلاث الحديث فالجواب من وجهين الاول
ان قوله واوصاني بالصلاة والزكوة لا يدل على انه تعالى اوصاه بهما في وقت وهو وقت البلوغ الثاني

لعل

لعل الله تعالى لما انفصل عيسى عليه السلام من امه صيره بالغا عاقلا تام الخلقة ويدل عليه قوله تعالى ان مثل عيسى
عند الله كمثل آدم فكما انه تعالى خلق ادم تاما كاملا دفعة فكذا القول في عيسى عليه السلام وهذا اقرب على ظاهر اللفظ لقوله
ما دمت حيا فانه يفيد ان هذا التكليف متوجه عليه في جميع زمان حياته ولكن لقايل ان يقول لو كان الامر كذلك
لكان القوم حين رأوه رأوا شخصا كامل الاعضاء تام الخلقة وصدور الكلام عن مثل هذا الشخص لا يكون عجبا فكان
ينبغي ان لا يتعجبوا والجواب انه يقال انه جعله مع صغر جثته قوي التركيب كامل العقل بحيث كان يمكنه اداء الصلوة
والزكوة والاية دالة على ان تكليفه لم يتغير حين كان في الارض وحين رفع الى السماء وحين ينزل مرة اخرى لقوله
ما دمت حيا **قوله تعالى** ما دمت ما مصدرية ظرفية وتقدم على دام شرطا في اعمالها والتقدير مدة دوامي حيا
ونقل ابن عطية عن عاصم وجماعة انهم قرأوا دمت بضم الدال وعن ابن كثير وابي عمرو واهل المدينة دمت بكسرها وهذا
لم اره لغيره وليس هو موجودا في كتب القراءات المتواترة والشاذة الموجودة الان فيجوز ان يكون اطلع عليه في مصنف
غريب ولا شك ان في دام لغتين يقال دمت تدوم وهي اللغة العالية ودمت تدام كخفت تخاف وتقدم نظير
هذا في مات يموت ومات يمات وهو واضح **قوله تعالى** وبرا بوالدتي العامة على فتح الباء وفيه تاويلان
الاول انه منصوب نسقا على مباركا اي وجعلني برا والثاني انه منصوب باضمار فعل واختير هذا على الاول لان
فيه فصلا كبيرا بجملة الوصية وتعليقها قال الزمخشري جعل ذاته برا لفرط بره ونصبه بفعل يعني اوصاني وهو
كلفني لانه واحد وقرئ بكسر الباء اما على حذف مضاف واما على المبالغة في جعله نفس المصدر وتقدم في البقرة
انه يجوز ان يكون وصفا على فعل وحكى الزهري وابو البقاء انه قرئ بجر الباء والراء ووجهه انه نسق على الصلوة اي
اوصاني بالصلاة والزكاة وبالبر وبوالدتي متعلق بالبر او البر **قوله تعالى** وبرا بوالدتي اشار الى تنزيهه
امه عن الزنا اذ لو كانت زانية لما قال ولما كان الرسول المعصوم تاما مجمل تعظيمها وبرها لانه تاكد حقها عليه
لتمحض حقها اولا والهولد سواها **قوله تعالى** ولم يجعلني جبارا شقيا يدل على ان فعل العبد مخلوق لله
تعالى لانه لما اخبر انه تعالى جعله برا انما يحسن لو ان الله تعالى جعل غيره جبارا او غيره برا بامه فانه تعالى لو فعل
ذلك بكل احد لم يكن لعيسى مزية تخصيص ومعلوم انه عليه السلام انما ذكر ذلك في معرض التخصيص ومعنى قوله
ولم يجعلني جبارا شقيا اي ما جعلني جبارا متكبرا بل انا خاضع لامي متواضع لها ولو كنت عاصيا شقيا قال
بعض العلماء لا تجد العاق الا جبارا شقيا وتلا وبرا بوالدتي ولم يجعلني جبارا شقيا ولا تجد سيء الملكة الا مختالا
وقرا وما ملكت ايمانكم ان الله لا يحب من كان مختالا فخورا **قوله تعالى** والسلام علي الالف واللام في ذلك
للعهد لانه تقدم في لفظ وسلام عليه كقوله تعالى كما ارسلنا الى فرعون رسولا اي ذلك السلام الموجه الى يحيى
عليه السلام موجه الي قال الزمخشري الصحيح ان يكون هذا التعريف تعريضا باللعنة على متهمي مريم عليها السلام
واعدائها من اليهود وحقيقته ان اللام للاستغراق فاذا قال والسلام علي فكانه قال وكل السلام علي خاصة
فقد عرض بان ضده عليهم لاعداء ونظيره قول موسى عليه السلام والسلام على من اتبع الهدى يعني ان العذاب
على من كذب وتولى وكان المقام مقام اللجاج والعناد فيليق به مثل هذا التعريض **فصل**
روي ان عيسى عليه السلام قال ليحيى انت خير مني سلم الله عليك وسلمت على نفسي واجاب الحسن فقال ان تسليمه على
نفسه تسليم الله عليه لانه انما فعل باذن الله وقال القاضي السلام عبارة عما يحصل به ومعناه السلامة في النعم
وزوال الافات فكانه سأل ربه ما اخبر الله تعالى انه فعل بيحيى واعظم احتياج الانسان الى السلامة في هذه الاحوال
الثلاثة وهو يوم الولادة اي السلام يوم الولادة من نخس الشيطان ويوم الموت اي عند الموت من الشرك ويوم البعث
من الاهوال قال المفسرون لما كلمهم عيسى بهذا علموا براءة مريم ثم سكت عيسى عليه السلام فلم يتكلم بعد ذلك
حتى بلغ المدة التي يتكلم فيها الصبيان **قوله تعالى** يوم ولدت منصوب بما تضمنه علي من الاستقرار ولا يجوز
نصبه بالسلام للفصل بين المصدر ومعموله وقرا زيد بن علي ولدت جعله فعلا ماضيا اسند الضمير مريم لا لنا
للتانيث **فصل** اعلم ان اليهود والنصارى ينكرون ان عيسى عليه السلام تكلم في زمان الطفولية واحتجوا
بان هذا من الوقايع العجيبة التي تتوفر الدواعي على نقلها فلو وجدت لنقلت بالتواتر ولو كان كذلك لعرفه
النصارى لا سيما وهم اشد الناس بحثا عن احواله واشد الناس غلوا فيه حتى ادعوا كونه الها ولا شك ان الكلام
في الطفولية من المناقب العجيبة العظيمة فلما لم تعرفه النصارى مع شدة الحب وكمال البحث عنه علمنا انه لم يوجد
ولان اليهود اظهروا عداوته حين ادعى النبوة والرسالة فلو انه عليه السلام تكلم في المهد لكانت عداوتهم
معه اشد وكان قصدهم قتله اعظم فحيث لم يحصل شيء من ذلك علمنا انه لم يتكلم واما المسلمون فاحتجوا بالعقل

على انه تكلم فقالوا لولا كلامه الذي دلهم على براءة امه عن الزنا لما تركوا اقامة الحد عليها ففي تركهم لذلك
دلالة على انه عليه السلام تكلم في المهد واجابوا عن الشبهة الاولى بانه ربما كان الحاضرون عند كلامه قليلين
فلذلك لم يشتهر وعن الشبهة الثانية لعل اليهود ما حضروا هناك وما سمعوا كلامه وانما سمع كلامه اقاربه
لاظهار براءة امه فلذلك لم يشتغلوا بقتله **قوله تعالى** ذلك عيسى ابن مريم قول الحق الذي يجوز ان يكون
عيسى خبر ذلك ويجوز ان يكون بدلا او عطف بيان وقول الحق خبره ويجوز ان يكون قول الحق خبر مبتدا مضمر
اي هو قول وابن مريم يجوز ان يكون نعتا او بدلا او بيانا او خبرا ثانيا وقرا عاصم وحمزة وابن عامر قول الحق
بالنصب والباقون بالرفع فالرفع على ما تقدم وقال الزمخشري وارتفاعه على انه خبر بعد خبر او بدل قال الزجاج
وهذا الذي ذكره لا يكون الا على المجاز في قول وهو ان يراد به كلمة الله لان اللفظ لا يكون للذات والنصب
يجوز فيه ان يكون مصدرا مؤكدا لمضمون الجملة كقولك هو عبد الله الحق لا الباطل اي اقول قول الحق فالحق
الصدق وهو من اضافة الموصوف الى صفته اي القول الحق كقوله تعالى وعد الصدق اي الوعد الصدق ويجوز
ان يكون منصوبا على المدح ان اريد بالحق الباري تعالى والذي نعت للقول ان اريد به عيسى وسمي قولا كما سمي
كلمة لانه منها نشا وذلك لان الحق هو اسم الله فلا فرق بين ان تقول عيسى هو كلمة الله وبين ان تقول عيسى قول الحق
وقيل منصوب باضمار اعني وقيل منصوب على الحال من عيسى ويؤيد هذا ما نقل عن الكسائي في توجيه الرفع
انه صفة لعيسى وقرا الاعمش قال برفع اللام وهي قراءة ابن مسعود ايضا وقرا الحسن قول بضم القاف ورفع اللام
وكذلك في الانعام قوله الحق وهي مصادر يقال قال يقول قولا وقالا وقولا كالرهب والرهب والرهب
فصل قال ابو البقاء والقال اسم مثل القيل وحكي قول الحق بضم القاف مثل الروح وهي لغة فيه
قال شهاب الدين والظاهر ان هذه كلها مصادر ليس بعضها اسما للمصدر كما تقدم في الرهب والرهب والرهب
وقرا طلحة والاعمش قال الحق جعل قال فعلا ماضيا والحق فاعل به والمراد به الباري تبارك وتعالى اي قال الحق
ان عيسى هو كلمة الله ويكون قوله الذي فيه يمترون خبر مبتدا محذوف وقرا علي بن ابي طالب والسلمي وداود
بن ابي هند ونافع والكسائي في رواية عنهما تمترون بتاء الخطاب والباقون بياء الغيبة ويمترون يفتعلون
اما من المرية وهو الشك واما من المراء وهو الجدال وتقدم الكلام على نصبه فيكون قوله ذلك اشارة الى ما
تقدم قال الزجاج اي ذلك الذي قال اني عبد الله عيسى ابن مريم وفي قوله عيسى ابن مريم اشارة الى انه ولد
هذه المراة لا انه ابن الله وقوله الذي فيه يمترون اي يختلفون واما امتراؤهم في عيسى فقايل يقول هو ابن الله
وقايل يقول هو الله وقايل يقول هو ساحر كذاب وتقدم الكلام على ذلك في آل عمران وروي ان عيسى عليه السلام
لما رفع حضر اربعة من اكابر علمائهم فقيل للاول ما تقول في عيسى قال هو الله هبط الى الارض خلق واحيى
ثم صعد الى السماء فتبعه على ذلك خلق وهم اليعقوبية وقيل للثاني ما تقول قال هو ابن الله فتبعه النسطورية
وقيل للثالث ما تقول قال هو اله وامه اله والله اله فتابعه على ذلك اناس وهم الاسرائيلية وقيل للرابع
ما تقول قال هو عبد الله ورسوله وهو المؤمن المسلم وقال اما تعلمون ان عيسى كان يطعم وينام وان الله
تعالى لا يجوز عليه ذلك فخصمهم **قوله تعالى** وما كان لله ان يتخذ من ولد نفى عن نفسه الولد اي ما كان
من صفته اتخاذ الولد والمعنى ان ثبوت الولد له محال فقوله تعالى ما كان لله ان يتخذ من ولد كقولنا ما كان
لله ان يكون له ولد وشريك اي لا يصح ذلك ولا ينبغي بل يستحيل فلا يكون نفيا على الحقيقة وان كان
بصورة النفي وقيل اللام منقولة اي ما كان الله ان يتخذ من ولد والمراد ما كان لله ان يقول لاحد انه ولدي
لان هذا الخبر كذب والكذب لا يليق بحكمته وكمال هيبته **قوله تعالى** سبحانه اذا قضى امرا اذا اراد
ان يحدث امرا **قوله تعالى** فانما يقول له كن فيكون وهذا كالحجة على تنزيهه عن الولد وبيانه ان الذي يجعل
لله ولدا اما ان يكون الولد قديما ازليا او محدثا فان كان ازليا فهو محال لانه يكون واجبا لذاته واذا كان
واجبا لذاته فلا يفتقر ولما افتقر في وجوده الى الواجب لذاته كان ممكنا لذاته والممكن لذاته محتاج لذاته
فيكون عبدا له لانه لا معنى للعبودية الا ذلك وان كان الولد محدثا فيكون وجوده بعد عدم بخلق
ذلك القديم وايجاده وهو المراد بقوله اذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون عبدا لا ولدا فثبت انه يستحيل
ان يكون لله سبحانه وتعالى ولد **فصل** دلت هذه الاية على قدم كلام الله لانه اذا اراد احداث
شيء قال له كن فيكون فلو كان قوله كن محدثا لافتقر حدوثه الى احداث قول اخر فيلزم التسلسل وهو محال
فثبت ان قول الله قديم لا محدث واحتج المعتزلة بالاية على حدوث كلام الله تعالى من وجوه احدها انه تعالى

ادخل كلمة اذا وهي دالة على الاستقبال فوجب ان لا يحصل ذلك القول الا في الاستقبال وثانيها ان الفاء للتعقيب
والفاء في قوله فانما يقول تدل على تاخر ذلك القول عن ذلك القضاء والمتاخر عن غيره محدث وثالثها الفاء في قوله فيكون
تدل على حصول ذلك الشيء عقيب ذلك القول من غير فصل فيكون قول الله تعالى متقدما على حدوث الحادث تقدما
بلا فصل والمتقدم على المحدث تقدما بلا فصل يكون محدثا فقول الله محدث قال ابن الخطيب واستدلال الفريقين
ضعيف اما الاول فلانه يقتضي ان يكون قوله كن قديما وذلك باطل بالاتفاق واما استدلال المعتزلة فلانه
يقتضي ان يكون قول الله الذي هو مركب من الحروف والاصوات محدثا وذلك لا نزاع فيه انما المدعى قدم شيء
اخر **فصل** من الناس من اجرى الاية على ظاهرها وزعم انه تعالى اذا احدث شيئا قال له كن وهذا
ضعيف لانه اما ان يقول له كن قبل حدوثه او حال حدوثه فان كان الاول كان خطابا مع المعدوم وهو عبث وان كان
حال حدوثه فقد وجد بالقدرة والارادة لا بقوله كن ومن الناس من زعم ان المراد من قوله كن هو التخليق والتكوين
لان القدرة غير والتكوين غير فان الله تعالى قادر في الازل وغير مكون في الازل ولانه الان قادر على عالم
سوى هذا العالم وغير مكون له فالقادرية غير المكونية والتكوين ليس هو نفس المكون لان المكون حادث لان الله تعالى
كونه واوجده فلو كان التكوين نفس المكون لكان قولنا المكون انما وجد بتكوين الله بمنزلة قولنا المكون انما وجد
بنفسه وذلك محال فثبت ان التكوين غير المكون فقوله تعالى كن اشارة الى الصفة المسماة بالتكوين وقال اخرون
قوله كن عبارة عن نفاذ قدرة الله ومشيئته في الكائنات فان وقوعها بتلك القدرة والارادة من غير امتناع واندفاع
يجري مجرى العبد المطيع المنقاد لاوامر الله فعبر الله تعالى عن ذلك المعنى بهذه العبارة على سبيل الاستعارة
قوله تعالى وان الله قرا ابن عامر والكوفيون وان بكسر الهمزة على الاستيناف ويؤيدها قوله تعالى ان الله بكسر
دون واو وفي قراءة ابي والباقون بفتحها وفيه اوجه الاول انها على حذف حرف الجر متعلقا بما بعده والتقدير ولان
الله ربي وربكم فاعبدوه كقوله تعالى وان المساجد لله فلا تدعوا مع الله احدا والمعنى لوحدانيته اطيعوه واليه ذهب
الزمخشري تابعا للخليل وسيبويه الثاني انها عطف على الصلاة والتقدير واوصاني بالصلاة وبان الله واليه
ذهب الفرا ولم يذكر مكي غيره ويؤيده ما في مصحف ابي وبان الله ربي باظهار الباء الجارة وقد استبعد هذا
القول لكثرة الفواصل بين المتعاطفين واما ظهور الباء في مصحف ابي فلا يرجح هذا لان الباء للسببية والمعنى
بسبب ان الله ربي وربكم فاعبدوه فهي كاللام الثالث ان يكون ان وما بعدها نسقا على امرا المنصوب بقضى
والتقدير واذا قضى امرا وقضى ان الله ربي وربكم ذكر ذلك ابو عبيدة عن ابي عمرو بن العلاء واستبعد الناس صحة هذا
النقل عن ابي عمرو بن العلاء واستبعدا لنا بك صحة هذا النقل من ابي عمرو لانه من الجلالة في العلم والمعرفة
بمنزلة يبعد منه هذا القول لانه اذا عطف على امرا لزم ان يكون داخلا في حيز الشرط باذا وكونه تبارك وتعالى
ربنا لا يتقيد بشرط البتة بل هو ربنا على الاطلاق ونسبوا هذا الوهم لابي عبيدة لانه كان ضعيفا في النحو
وعد له غلطات ولعل ذلك منها الرابع ان يكون في محل رفع خبر ابتداء مضمر تقديره والامر ان الله ربي
وربكم ذكر ذلك عن الكسائي ولا حاجة الى هذا الاضمار الخامس ان تكون في محل نصب نسقا على قال اني عبد الله
اتاني الكتاب على ان يكون المخاطب بذلك معاصري عيسى عليه السلام والقائل لهم بذلك عيسى عليه السلام
وعن وهب عهد اليهم عيسى ان الله ربي وربكم قال هذا القائل ومن كسر الهمزة يكون قد عطف ان الله على قوله
اني عبد الله وان الله ربي وربكم فاعبدوه هذا قول ابي مسلم الاصفهاني ويلزم من عطف ان الله على قوله اني عبد الله
يكون داخلا في حيز القول وتكون الجملة من قوله ذلك عيسى ابن مريم الى اخرها جمل اعتراض كانه قال اني عبد الله وان
الله ربي وربكم فاعبدوه قاله ابو مسلم الاصفهاني وهو بعيد **فصل** قوله تعالى وان الله ربي
وربكم يدل على ان مدبر العالم ومصلح امورهم هو الله تعالى خلافا لقول المنجمين ان المدبر للناس ومصلح امورهم
في السعادة والشقاوة هي الكواكب ويدل على ان لفظ الله واحد اي ان الاله واحد لان لفظ الله اسم علم له
سبحانه وتعالى فلما قال ان الله ربي وربكم اي لا رب للمخلوقات سوى الله وذلك يدل على التوحيد وقوله
تعالى فاعبدوه وقد ثبت في اصول الفقه ان ترتيب الحكم على الوصف المناسب مشعر بالعلية فها هنا وقع الامر
بالعبادة مرتبا على ذكر وصف الربوبية فدل على انه انما يلزمنا عبادته سبحانه لكونه ربا لنا وذلك يدل على
انه تعالى انما تجب عبادته لكونه منعما على الخلائق بانواع النعم ولذلك قال ابراهيم عليه الصلاة والسلام
لما منع اباه من عبادة الاوثان قال لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئا اي انها لما لم تكن منعمة
على الانسان لم تجز عبادتها وبين هنا انه لما ثبت ان الله تعالى ربا ومربيا وجب عبادته فقد ثبت طريقا

وعكسا تعلق العباد بكون المعبود منعما ثم قال هذا صراط مستقيم يعني القول بالتوحيد ونفي الولد والصاحبة صراط مستقيم وسمى هذا القول صراطا مستقيما تشبيها بالطريق لانه المؤدي الى الجنة **قوله تعالى** فاختلف الاحزاب من بينهم قيل المراد النصارى سموا احزابا لانهم تحزبوا في امر عيسى ثلاث فرق النسطورية والملكانية واليعقوبية وقيل المراد بالاحزاب النصارى واليهود فجعله بعضهم ولدا وبعضهم كذابا وقيل المراد بالاحزاب الكفار بحيث يدخل فيه اليهود والنصارى والكفار الذين كانوا في زمن محمد صلى الله عليه وسلم وهذا هو الظاهر لانه لا تخصيص فيه ويؤيده فويل للذين كفروا **قوله تعالى** مشهد مفعل اما من الشهادة واما من الشهود وهو الحضور ومشهد هنا يجوز ان يراد به الزمان والمكان والمصدر فاذا كان من الشهادة والمراد به الزمان فتقديره من وقت شهادة وان اريد به المكان فتقديره من مكان شهادة يوم وان اريد به المكان فتقديره من مكان شهادة يوم وان اريد به المصدر فتقديره من شهادة ذلك اليوم وان تشهد عليهم السنتهم وايديهم وارجلهم والملائكة والانبياء واذا كان من الشهود وهو الحضور فتقديره من شهود الحساب والجزاء يوم القيمة او من مكان الشهود فيه وهو الموقف او من وقت الشهود واذا كان مصدرا فانما نجا البنية المتقدمين فتكون اضافته الى الظرف من باب الاتساع كقوله تعالى مالك يوم الدين ويجوز ان يكون المصدر مضافا الى فاعله على ان يجعل اليوم شاهدا عليهم اما حقيقة واما مجازا او وصف ذلك المشهد بانه عظيم لانه لا شيء اعظم مما يشاهد في ذلك اليوم من اهواله **قوله تعالى** اسمع بهم وابصر هذا اللفظ ومعناه التعجب واصح الاعاريب فيه كما تقدم في علم النحو ان فاعله هو المجرور بالباء والباء زائدة وزيادتها لازمة اصلاح اللفظ لان افعل امرا لا يكون فاعله الا ضميرا مستترا ولا يجوز حذف هذه الباء الا مع ان وان كقوله

تردد فيها ضوءها وشعاعها * فاحسن وازين لامرئ ان تسربلا *

اي بان تسربل فالمجرور مرفوع المحل ولا ضمير في افعل والثاني ان الفاعل مضمر والمراد به المتكلم يامر نفسه بذلك والمجرور بعده في محل نصب ويعزى هذا للزجاج ولنا قول ثالث ان الفاعل ضمير المصدر والمجرور منصوب المحل ايضا والتقدير احسن يا حسن بزيد ويشبه عند الجمهور هذا الفاعل بانه للفضلة لفظا جاز حذفه للدلالة عليه كهذه الاية لان تقديره وابصر بهم **فصل** قالوا التعجب استعظام الشيء مع الجهل بسبب عظمه ثم يجوز استعمال لفظ التعجب عند مجرد الاستعظام من غير خفاء السبب او من غير ان تكون العظمة بسبب حصول قال الفراء قال سفيان قرأت عند شريح بل عجبت ويسخرون فقال ان الله لا يعجب من شيء انما يعجب من لا يعلم قال فذكرت ذلك لابراهيم النخعي فقال ان شريحا شاعر يعجبه علمه وعبد الله اعلم بذلك منه وقرأها بل عجبت ويسخرون ومعناه صدر من الله تعالى فعل لو صدر مثله عن الخلق لدل على حصول التعجب في قلوبهم وبهذا التاويل تضيف المكر والاستهزاء الى الله تعالى واذا عرف هذا فالتعجب صيغتان احدهما ما افعله والثانية افعل به كقوله تعالى اسمع بهم وابصر والنحويون ذكروا له الاول قالوا اكرم بزيد اصله اكرم زيد اي صار ذا كرم كاغد البعير اي صار ذا غدة الا انه اخرج على لفظ الامر ومعناه الامر كقوله تعالى والمطلقات يتربصن بانفسهن والوالدات يرضعن اولادهن من كان في الضلالة فليمدد له الرحمن مدا اي يمد له الرحمن والباء زائدة والثاني ان يقال انه امر لكل واحد بان يجعل زيدا كريما اي بان يصفه بالكرم والباء زائدة كما في قوله تعالى ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة قال ابن الخطيب وسمعت لبعض الادباء فيه قولا ثالثا وهو ان قولك اكرم بزيد يفيد ان زيدا ابلغ في الكرم الى ان صار كالشيء الذي يحتاج لو اردت جعل غيره كريما فهو الذي يلصقك بمقصودك ويحصل لك غرضك **فصل** المشهور ان معنى قوله اسمع بهم وابصر ما اسمعهم وما ابصرهم والتعجب على الله تعالى محال وانما المراد ان اسماعهم وابصارهم يومئذ جدير بان يتعجب منهما بعد ما كانوا صما عميا في الدنيا وقيل معناه التهديد مما سيسمعون ويبصرون مما يسوءهم ويصدع قلوبهم وقال القاضي ويحتمل ان يكون المراد اسمع هؤلاء وابصرهم اي عرفهم حال اليوم الذي يأتوننا ليعتبروا ولينزجروا وقال الجبائي ويجوز اسمع الناس بهؤلاء وابصرهم بهؤلاء ليعرفوا امرهم وسوء عاقبتهم فينزجروا من الاتيان بمثل فعلهم **قوله تعالى** يوم يأتوننا معمول لابصر ولا يجوز ان يكون معمولا لاسمع لانه لا يفصل بين فعل التعجب ومعموله ولذلك كان الصحيح انه لا يجوز ان تكون المسألة من باب التنازع وقد جوز بعضهم ملتزما اعمال الثاني وهي خلاف قاعدة الاعمال وقال بل هو امر حقيقة والمأمور هو رسول الله صلى الله عليه وسلم والمعنى اسمع الناس وابصرهم بهم وبحديثهم ماذا يصنع بهم من العذاب وهو منقول عن ابي العالية **قوله تعالى** لكن الظالمون اليوم نصب اليوم بما تضمنه الجار في قوله في ضلال مبين اي لكن الظالمون استقروا في ضلال مبين اليوم ولا يجوز ان يكون الظرف هو الخبر والجار لغو لئلا يخبر عن الجثة بالزمان بخلاف قولك القتال في دار زيد فانه يجوز اعتبار ان

الخبر كما خرج على لفظ الخبر ما معناه الامر م

فصل

فصل المعنى لكن الظالمون اليوم في ضلال مبين اي خطا بين وفي الاخرة يعرفون الحق وقيل لكن الظالمون اليوم في الاخرة في ضلال عن الجنة بخلاف المؤمنين وقوله تعالى لكن الظالمون ايقاع الظاهر موقع المضمر **قوله تعالى** وانذرهم يوم الحسرة هذا امر لمحمد صلى الله عليه وسلم بان ينذر من في زمانه والانذار التخويف من العذاب لكي يحذروا ترك عبادة الله تعالى ويوم الحسرة هو يوم القيمة لانه يكثر التحسر من اهل النار وقيل يتحسر ايضا في الجنة اذا لم يكن من السابقين الى الدرجات العالية لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من احد يموت الا ندم قالوا يا رسول الله فما ندمه قال ان كان محسنا ندم ان لا يكون ازداد وان كان مسيئا ندم ان لا يكون نزع والاول اصح لان الحسرة غم ولا يليق باهل الجنة اذ قضي الامر يجوز ان يكون منصوبا بالحسرة والمصدر المعرف بال يعمل في المفعول الصريح عند بعضهم فكيف بالظرف ويجوز ان يكون بدلا من يوم فيكون معمولا لانذر كذا قال ابو البقاء والزمخشري وتبعهما ابو حيان ولم يذكر غير البدل وهذا لا يجوز ان كان الظرف باقيا على حقيقته اذ يستحيل ان يعمل المستقبل في الماضي فان جعلت اليوم مفعولا به اي خوفهم نفس اليوم اي انهم يخافون اليوم نفسه صح ذلك لخروج الظرف الى حيز المفعول الصريح **فصل** في قوله تعالى اذ قضي الامر وجوه اولها قضي الامر ببيان الدلائل وشرح امر الثواب والعقاب وثانيها اذ قضي الامر يوم الحسرة بفناء الدنيا وزوال التكليف والاول اقرب لقوله تعالى وهم لا يؤمنون وثالثها اذ قضي الامر فرغ من الحساب وادخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار وذبح الموت كما روي انه سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن قوله تعالى قضي الامر فقال حين يجاء بالموت على صورة كبش املح فيذبح والفريقان ينظرون فيزداد اهل الجنة فرحا واهل النار غما الى غم **قوله تعالى** وهم في غفلة وهم لا يؤمنون جملتان حاليتان وفيهما قولان احدهما انهما حالان من الضمير المستتر في قوله تعالى في ضلال مبين اي استقروا في ضلال مبين على هاتين الحالتين والثاني انهما حالان من مفعول انذرهم اي انذرهم على هذه الحال وما بعدها على الاول يكون قوله تعالى وانذرهم اعتراضا والمعنى وهم في غفلة عما يفعل بهم في الاخرة وهم لا يؤمنون ولا يصدقون قوله تعالى انا نحن نرث الارض ومن عليها اي نميت سكان الارض ونهلكهم جميعا ويبقى الرب وحده فنرثهم والينا يرجعون فنجزيهم باعمالهم وقرأ العامة يرجعون بالياء من تحت مبنيا للمفعول والسلمي وابن ابي اسحاق مبنيا للفاعل والاعرج بالتاء من فوق مبنيا للمفعول على الخطاب ويجوز ان يكون التفاتا وان لا يكون **قوله تعالى** واذكر في الكتاب ابراهيم الاية اعلم ان منكري التوحيد لما اثبتوا معبودا سوى الله تعالى ومنهم من اثبت معبودا غير الله جمادا ليس بحي ولا عاقل وهم عبدة الاوثان اعظم فلما بين الله تعالى ضلال الفريق الاول تكلم في ضلال الفريق الثاني وهم عبدة الاوثان فقال تعالى واذكر في الكتاب والواو في قوله واذكر عطف على قوله ذكر رحمة ربك عبده زكريا كانه لما انتهت قصة زكريا وعيسى عليهما السلام قال قد ذكرت حال زكريا فاذكر حال ابراهيم وانما امر بالذكر لانه عليه السلام ما كان هو ولا قومه ولا اهل بلده مشتغلين بالتعليم ومطالعة الكتب فاذا اخبر عن هذه القصة كما كانت من غير زيادة ولا نقصان كان ذلك اخبارا عن الغيب ومعجزا باهرا دالا على نبوته وانما ذكر الاعتبار بقصة ابراهيم عليه السلام لوجوه الاول ان ابراهيم عليه السلام كان ابا العرب وكانوا مقرين بعلو شانه وطهارة دينه كما قال تعالى ملة ابيكم ابراهيم وقال تعالى ومن يرغب عن ملة ابراهيم الا من سفه نفسه فكانه تعالى قال للعرب ان كنتم مقلدين لابائكم على قولكم انا وجدنا اباءنا على امة فاشرف ابائكم واعلاهم قدرا هو ابراهيم عليه السلام فقلدوه في ترك عبادة الاوثان وان كنتم مستدلين فانظروا في هذه الدلائل التي ذكرها ابراهيم عليه السلام ليعرفوا فساد عبادة الاوثان وبالجملة فاتبعوا ابراهيم اما تقليدا او استدلالا الثاني ان كثيرا من الكفار في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا يقولون نترك دين ابائنا واجدادنا فذكر الله تعالى قصة ابراهيم عليه السلام وهو انه ترك دين ابيه وابطل قوله بالدليل ورجح متابعة الدليل على متابعة ابيه الثالث ان كثيرا من الكفار كانوا يتمسكون بالتقليد وينكرون الاستدلال كما حكى الله عنهم انا وجدنا اباءنا لها عابدين فحكى الله تعالى عن ابراهيم التمسك بطريق الاستدلال تنبيها للكفار على سقوط طريقهم ثم قال تعالى في صفة ابراهيم عليه السلام انه كان صديقا نبيا والصديق من ابنية المبالغة في كثير الصدق كالقائم عليه يقال رجل خمير وسكير للمولع بهذه الافعال وقيل هو الذي يكون كثير التصديق بالحق حتى يكون مشهورا به والاول اولى لان المصدق بالشيء لا يوصف بكونه صديقا الا اذا كان صادقا في ذلك التصديق فيعود الامر الى الاول فان قيل اليس قد قال تعالى والذين امنوا بالله ورسله اولئك هم الصديقون فالجواب الموصوف بالله ورسوله صادقون في ذلك التصديق واعلم ان النبي عليه السلام يجب ان يكون صادقا في كل ما اخبر لان الله تعالى صدقه ومصدق الله صادق فلزم من هذا كون الرسول صادقا فيما يقوله ولان الرسل شهداء الله على الخلق لقوله تعالى وجئنا بك على هؤلاء

شهيدا والشهيد انما يقبل قوله اذا لم يكن كاذبا فان قيل ما قولكم في قول ابراهيم بل فعله كبيرهم واني سقيم
فالجواب مشروح في هذه الآيات وبينا ان شيئا من ذلك ليس بكذب ولما ثبت ان كل من يكون صديقا ولا يجب في كل صديق
ان يكون نبيا ظهر بهذا قرب مرتبة الصديق من مرتبة النبي فلهذا انتقل من ذكر كونه صديقا الى ذكر كونه نبيا واما النبي
فمعناه كونه رفيع القدر عند الله تعالى وعند الناس واي رفعة اعلى من رفعة من جعله الله واسطة بينه وبين عباده وقوله
تعالى كان صديقا معناه صادق وقيل وجد صديقا نبيا اي كان من اول وجوده الى انتهائه موصوفا بالصدق والصيانة
قوله تعالى اذ قال لابيه يجوز ان يكون بدلا من ابراهيم بدل اشتمال كما تقدم في اذ انتبذت وعلى هذا فقد
فصل بين البدل والمبدل بقوله انه كان صديقا نبيا نحو رايت زيدا ونعم الرجل اخاك وقال الزمخشري ويجوز ان يتعلق
اذ بكان او بصديقا نبيا اي كان جامعا للصديقية والنبوة حين خاطب اباه بتلك المخاطبات ولذلك جوز
ابو البقاء ان يعمل فيه صديقا نبيا او معناه قال ابو حيان الاول لان معنى البدلية يقتضي تصرفا في اذ وهي لا تتصرف
والثاني كان في اعمال اذ وكان في الظرف وفيه خلاف والثالث لا يكون العامل مركبا من مجموع لفظين بل يكون العمل
منسوبا للفظ واحد ولا جائز ان يكون معمولا لصديقا لانه قد وصف الا عند الكوفيين ويبعد ان يكون معمولا
لنبيا لانه يقتضي ان التنبئة كانت في وقت هذه المقالة قال شهاب الدين العايل فيه ما لخصه ابو القاسم وقصده
بحسب صناعة من مجموع اللفظين في قوله اي اذ كان جامعا لخصائص الصديقين والشهداء والانبياء حين خاطب اباه
وقد تقدم في قراءة ابن عامر يا ابت وفي مصحف عبد الله وا ابت بواو التي للندبة والتاء عوض من ياء الاضافة ولا يقال
يا ابتي لئلا يجمع بين العوض والمعوض منه وقد يقال يا ابتا لكون الالف بدلا من الياء **قوله تعالى** لم تعبد ما لا
يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئا وصف الاوثان بصفات ثلاث كل واحدة منها قادح في الالهية وبيان ذلك
من وجوه احدها ان العبادة غاية التعظيم فلا يستحق الا من له غاية الانعام وهو الاله الذي منه اصول النعم وفروعها
على ما تقرر في تفسير قوله تعالى وان الله ربي وربكم وقوله تعالى وكيف تكفرون بالله وكنتم امواتا فاحياكم وكما ان
لا يجوز الاشتغال بشكرها لما لم يكن منها نعمة وجب ان لا يجوز الاشتغال بعبادتها الثاني انها اذا لم تسمع ولم تبصر
لم تميز مطيعها من عاصيها فاي فائدة في عبادتها وهذا تنبيه على ان الاله يجب ان يكون عالما بكل المعلومات وثالثها
ان الدعاء مخ العبادة واذا لم يسمع الوثن دعاء الداعي فاي منفعة في عبادته واذا لم يبصر تقرب من يتقرب اليه فاي
فائدة ومنفعة في ذلك التقرب الرابع ان السامع المبصر الضار النافع افضل ممن كان عاريا عن كل ذلك والانسان
موصوف بهذه الصفات فيكون افضل واكمل من الوثن فكيف يليق بالافضل عبودية الاخس وخامسها اذا كانت
لا تنفع ولا تضر فلا يرجى منها منفعة ولا يخاف من ضررها فاي فائدة في عبادتها وسادسها اذا كانت لا تحفظ
نفسها عن الكسر والافساد حين جعلها ابراهيم عليه السلام جذاذا فاي رجاء فيها للغير فكانه عليه السلام قال لا تصلح
الالهية الا للرب الذي يسمع ويبصر ويجيب دعوة الداعي اذا دعاه **فصل** اما ان يقال ان ابا ابراهيم
عليه السلام كان يعتقد في تلك انها الهة قادرة مختارة خالقة او يقال انه ما كان يعتقد ذلك بل كان يعتقد
انها تماثيل الكواكب والكواكب هي الالهة المدبرة للعالم فتعظيم تماثيل الكواكب والكواكب هي الالهة يوجب تعظيم
الكواكب او كان يعتقد ان هذه الاوثان تماثيل اشخاص معظمة عند الله من البشر فتعظيمها يقتضي كون اولئك الاشخاص
شفعاء لهم عند الله او كان يعتقد ان تلك الاوثان طلسمات وكتب بحسب اتصالات مخصوصة بالكواكب على ما يتفق
مثلها او كغير ذلك فان كان ابو ابراهيم من القسم الاول لكان في غاية الجنون لان العلم بان هذا الخشب المنحوت في هذه
الساعة ليس خالقا للسموات والارض من اجل العلوم الضرورية فالشاك فيه يكون مجنونا والمجنون لا يناظر
ولا يورد عليه الحجة وان كان من القسم الثاني فهذه الدلائل لا تقدح في شيء من ذلك لان ذلك المذهب انما يبطل
باقامة الدليل على ان الكواكب ليست احياء ولا قادرة والدليل المذكور ههنا لا يفيد ذلك فالجواب لا نزاع في
انه لا يخفى على العاقل ان الخشب المنحوت لا يصلح لخلق العالم وانما مذهبهم على الوجه الثاني وانما اورد ابراهيم
عليه السلام هذه الدلالة عليهم لانهم كانوا يعتقدون ان عبادتها تفيد نفعا اما على سبيل الخاصية الحاصلة عن
الطلسمات او على سبيل ان الكواكب تضر وتنفع فبين ابراهيم عليه السلام انه لا منفعة في طاعتها ولا مضرة في الاعراض
عنها من حيث يجب عبادتها **قوله تعالى** يا ابت اني قد جاءني من العلم بالله والمعرفة بالله **قوله تعالى**
ما لم ياتك فاتبعني على ديني **قوله تعالى** اهدك صراطا سويا مستقيما **قوله تعالى** يا ابت لا تعبد الشيطان
اي لا تطعه فيما يزين لك من الكفر والشرك لانهم ما كانوا يعبدون الشيطان فوجب حمله على الطاعة **قوله تعالى**
ان الشيطان كان للرحمن عصيا اي عاصيا وكان بمعنى الحال اي هو كذلك **فان قيل** هذا القول منه نف

على انها

على اثبات امور الاول اثبات الصانع الثاني اثبات الشيطان الثالث ان الشيطان عاص لله الرابع انه لما كان عاصيا لم تجز
طاعته الخامس ان الاعتقاد الذي كان عليه آزر مستفاد من طاعة الشيطان ومن شان الدلالة التي تورد على الخصم ان تكون
مركبة من مقدمات معلومة مسلمها الخصم ولعل ابا ابراهيم كان منازعا في كل هذه المقدمات وكيف والمحكي عنه انه ما كان
يثبت الها سوى نمرود فكيف يسلم وجود الرحمن واذا لم يسلم وجوده فكيف يسلم ان الشيطان عاص للرحمن وبتقدير تسليم
ذلك فكيف يسلم الخصم بمجرد هذا الكلام ان مذهبه مقتبس من الشيطان بل لعله يقلب ذلك على خصمه فالجواب
ان الحجة المعول عليها في ابطال مذهب آزر هو قوله لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئا وهذا الكلام يجري
مجرى التخويف والتحذير الذي يحمله على النظر في تلك الدلالة فسقط السؤال **قوله تعالى** يا ابت اني اخاف ان
يمسك عذاب قال الفراء اخاف اعلم والاكثرون على انه محمول على ظاهره والقول الاول انما يصح لو كان ابراهيم عليه السلام
عالما بان اباه سيموت على الكفر وذلك لم يثبت فوجب اجراؤه على ظاهره فانه كان يجوز ان يؤمن فيكون من اهل الثواب
ويجوز ان يصر على الكفر فيكون من اهل العقاب ومن كان كذلك كان خائفا لا قاطعا والاولون قرروا الاية فقالوا
اخاف يعني اعلم ان يمسك عذاب يصيبك عذاب من الرحمن ان اقمت على الكفر فتكون للشيطان وليا قرينا لان الولاية بسبب
اللعنة فاطلق اسم السبب على المسبب مجازا وقيل المراد بالعذاب هنا الخذلان والتقدير اني اخاف ان يمسك خذلان
من الرحمن فتصير موالي للشيطان ويبرا الله منك **فصل** اعلم ان ابراهيم عليه السلام رتب
هذا الكلام في غاية الحسن لانه ذكر اولا ما يدل على المنع من عبادة الاوثان ثم امره باتباعه في النظر والاستدلال
وترك التقليد ثم ذكر ان طاعة الشيطان غير جائزة في العقول ثم ختم الكلام بالوعيد الزاجر عن الاقدام على ما لا ينبغي
ثم انه عليه السلام اورد هذا الكلام الحسن مقرونا باللطف والرفق فان كلامه في مقدمة كل كلام يا ابت دليل على
شدة الحب والرغبة في صونه عن العقاب وارشاده الى الصواب وختم الكلام بقوله تعالى اني اخاف ان يمسك وهذا
يدل على شدة تعلق قلبه بمصالحه وانما فعل ذلك لوجوه الاول قضاء حق الابوة على ما قال تعالى
وبالوالدين احسانا والارشاد الى الدين من اعظم انواع الاحسان فاذا انضم اليه رعاية الادب والرفق كان نورا على نور
والثاني ان الهادي الى الحق لا بد ان يكون رفيقا لطيفا لا يورد الكلام على سبيل العنف لان وروده على سبيل العنف
يصير كالسبب في اعراض المستمع فيكون ذلك في الحقيقة سعيا في الاغواء وثالثها ما روى ابو هريرة قال قال عليه السلام
اوحى الله تعالى الى ابراهيم انك خليلي حسن خلقك ولو مع الكفار تدخل مداخل الابرار فان كلمتي سبقت لمن حسن خلقه
ان اظله تحت عرشي واسكنه حظيرة القدس وادنيه من جواري **قوله تعالى** اراغب انت عن الهتي يجوز فيه
وجهان احدهما ان يكون راغب مبتدأ لاعتماده على همزة الاستفهام وانت فاعل سد مسد الخبر والثاني انه خبر مقدم
وانت مبتدأ مؤخر **فصل** رجح الاول بوجهين احدهما انه ليس فيه تقديم ولا تاخير اذ رتبة الفاعل
التاخير عن رافعه والثاني انه لا يلزم منه الفصل بين العامل ومعموله بما ليس معمولا للعامل وذلك لان عن الهتي متعلق
براغب فاذا جعلت انت فاعلا لم تفصل بما هو كالجزء من العامل بخلاف جعله خبرا فانه اجنبي اذ ليس معمولا لراغب
فصل اعلم ان ابراهيم عليه السلام لما دعا اباه الى التوحيد وذكر الدلالة على فساد عبادة الاوثان
واردف ذلك بالوعظ البليغ مقرونا باللطف والرفق قابله ابوه بجواب مضاد لذلك فقابل حجته بالتقليد
بقوله اراغب انت عن الهتي يا ابراهيم فاصر على ادعاء الهيتها جهلا وتقليدا وقابل وعظه بالسفاهة حيث هدده بالضرب
والشتم وقابل رفقه في قوله يا ابت بالعنف فلم يقل له يا بني بل قال يا ابراهيم وانما حكى الله تعالى ذلك لمحمد صلى الله عليه
وسلم تخفيفا على قلبه مما كان يصل اليه من اذى المشركين وليعلم ان الجهال منذ كانوا على هذه السيرة المذمومة ثم
قال لئن لم تنته لارجمنك قال الكلبي والضحاك ومقاتل لاشتمنك ولابعدنك عني بالقول القبيح ومنه قوله تعالى
والذين يرمون المحصنات اي بالشتم ومنه الرجيم اي المرمي باللعن قال مجاهد كل رجم في القرآن بمعنى الشتم وهذا يتقوى بقوله
تعالى رجوما للشياطين وقال ابن عباس لاضربنك وقال الحسن لارجمنك بالحجارة وهو قول ابي مسلم لان اصل الرجم
بالرجام فحمله عليه اولى وقال المؤرج لاقتلنك بلغة قريش ومما يدل على ارادة الطرد والابعاد قوله واهجرني مليا
في نصبه ثلاثة اوجه احدها انه منصوب على الظرف قال ابن عباس اي زمانا طويلا ومنه الملوان الليل والنهار وملاوة
الدهر بتثليث الميم قال الشاعر • نعما بها من الشباب ملاوة • فالحج ايات الرسول المحتجب •
وانشد السعدي على ذلك لمهلهل • فتصدعت صم الجبال لموته • وبكت عليه المرملات مليا • اي ابدا
والثاني انه منصوب على الحال معناه سالما سويا **فصل** قال ابن عباس اعتزلني لا يصيبك مني
معرة فهو حال من فاعل اهجرني وكذلك فسره ابن عطية مستندا اي غنيا هو قوله مليا بكذا وكذا قال الزمخشري يعطيها

وقال الآخر • الا فارحموني يا اله محمد • وقد يوخذ من هذا البيت ما يرد على ابن مالك حيث قال انه لم يعلم
احدا اجاز للداعي ان يقول يا رحيمون قال لئلا يتوهم خلاف التوحيد وقد اخبر تعالى عن نفسه بهذه الصيغة وشبهها
للتعظيم في مواضع من كتابه الكريم كقوله تعالى انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون الثاني انه نادى ثم خاطب ملائكة
ربه بقوله ارجعون ويجوز على هذا الوجه ان يكون على حذف مضاف اي يا ملائكة ربي فحذف المضاف ثم التفت اليه
في عود الضمير كقوله وكم من قرية اهلكناها ثم قال او هم قايلون التفاتا الى الاهل المحذوف الثالث ان ذلك يدل على تكرير
الفعل كانه قال ارجعني ارجعني ارجعني نقله ابو البقا وهو يشبه ما قالوه في قوله تعالى القيا في جهنم انه بمعنى الق الق ثنى الفعل
للدلالة على ذلك وانشدوا • قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل • اي قف قف قوله تعالى لعلي اعمل صالحا
فيما تركت اي ضيعت اي اقول لا اله الا الله وقيل اعمل بطاعة الله تعالى وقيل اعمل صالحا فيما قصرت فيدخل فيه العبادات
البدنية والمالية لان هذا اقرب لانهم تمنوا الرجعة ليصلحوا ما افسدوه فان قيل قوله تعالى اعمل صالحا كيف يجوز
ان يسال الرجعة مع الشك فالجواب ليس المراد بلعل الشك فانه في هذا الوقت باذل للجد في العزم على الطاعة ان
اعطي ما سال فهو مثل من قصر في حق نفسه وعرف سوء عاقبة ذلك التقصير فيقول مكنوني من التدارك لعلي اتدارك
فيقول هذه الكلمة مع كونه جازما بانه سيتدارك ويحتمل ايضا ان الامر المستقبل اذا لم يعرفوه اوردوا الكلام
الموضوع للترجي والظن دون اليقين فقد قال تعالى ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه قوله تعالى كلا كلمة ردع
اي لا نرجع معناه المنع مما طلبوا كما يقال لطالب الامر المستبعد هيهات ويحتمل ان يكون ذلك اخبارا بانهم يقولون
ذلك وان الخبر حق واراد الكل كقوله اصدق كلمة قالها شاعر لبيد يعني قوله • الا كل شيء ما خلا الله باطل •
وتقدم نظيره في آل عمران وهو قايلها صفة لكلمة والمراد بالكلمة سوال الرجعة كلمة هو قايلها ولا ينالها وقيل يعني
لا يخليها ولا يسكت عنها لاستيلاء الحسرة قوله تعالى ومن ورايهم اي امامهم وبين ايديهم برزخ البرزخ الحاجز
بين المتنافيين وقيل الحجاب بين الشيئين ان يصل احدهما الى الاخر وهو بمعنى الاول وقال الراغب اصله برزه بالهاء
وهو في القيامة الحايل بين الانسان وبين المنازل الرفيعة والبرزخ قبل البعث المنع بين الانسان وبين الرجعة
التي يتمناها قال مجاهد حجاب بينهم وبين الرجوع الى الدنيا قال قتادة بقية الدنيا قال الضحاك البرزخ ما بين الموت
الى البعث وقيل هو القبر وهم فيه الى يوم يبعثون ذكر احوال ذلك اليوم قوله تعالى فاذا نفخ في الصور الاية
لما قال ومن ورايهم برزخ الى يوم يبعثون ذكر احوال ذلك اليوم فقال فاذا نفخ في الصور قرا العامة بضم الصاد وسكون
الواو وهو آلة اذا نفخ فيها ظهر صوت عظيم جعله الله علامة لخراب الدنيا ولاعادة الاموات قال عليه السلام انه قرن
ينفخ فيه وقال ابن عباس والحسن بفتح الواو جمع صورة والمعنى فاذا نفخ في الصور ارواحها وقرا ابو رزين بفتح الصاد
وفتح الواو وهو شاذ وهذا يحكى بضم اللام جمع لحية بكسرها وقيل اذا نفخ في الصور استعارة والمراد منه البعث والحشر
قوله تعالى فلا انساب جمع نسب وهو القرابة من جهة الولادة ويعبر به عن التواصل وهو في الاصل مصدر قال الشاعر

• لا نسب اليوم ولا خلة • اتسع الخرق على الراقع •

قوله تعالى بينهم يجوز تعلقه بنفس انساب والتنوين في يومئذ عوض من جملة تقديره يومئذ ينفخ في الصور
فصل قالت عايشة رضي الله عنها يا رسول الله اما نتعارف يوم القيمة اسمع الله يقول فلا انساب بينهم يومئذ
فقال عليه السلام ثلاث مواطن تذهل فيها كل مرضعة عما ارضعت وعند الموازين وعلى جسر جهنم
قوله تعالى فمن ثقلت موازينه فاوليك هم المفلحون لما ذكر القيامة شرح احوال السعداء والاشقياء فقيل المراد
بالموازين الاعمال فمن اتى بما له قدر وخطر فهو الفايز المفلح ومن اتى بما لا وزن له ولا قدر فهو الخاسر قال ابن عباس
الموازين جمع موزون وهي الموزونات من الاعمال الصالحة التي لها وزن وقدر عند الله من قوله فلا نقيم لهم
يوم القيمة وزنا اي قدرا وقيل ميزان له لسان وكفتان توزن به الحسنات في احسن صورة والسيئات في اقبح صورة
وتقدم ذلك في سورة الانبياء قوله تعالى ومن خفت موازينه فاوليك الذين خسروا انفسهم قال ابن عباس
غبنوها بان صارت منازلهم للمومنين وقيل امتنع انتفاعهم بانفسهم لكونهم في العذاب قوله تعالى في جهنم
خالدون يجوز ان يكون خالدون خبرا ثانيا لاوليك وان يكون خبر مبتدا مضمر اي هم خالدون وقال الزمخشري
في جهنم خالدون بدل من خسروا انفسهم ولا محل للبدل والمبدل منه لان الصلة لا محل لها قال ابو حيان جعل
في جهنم بمعنى خسروا لا من خسروا وهذا بدل غريب وحقيقته ان يكون البدل الفعل الذي تعلق به في جهنم اي استقروا
في جهنم وهو بدل شيء من شيء لان من خسر نفسه استقر في جهنم قال شهاب الدين فجعل الشيخ الجار والمجرور هو البدل
دون خالدون والزمخشري جعل جميع ذلك بدلا بدليل قوله بعد ذلك او خبر بعد خبر لاوليك او خبر مبتدا محذوف

وهذان انما يليقان بخالدون واما في جهنم فمتعلق به فيحتاج كلام الزمخشري الى جواب وايضا جوز ابو البقا ان
يكون الموصول نعتا لاسم الاشارة وفيه نظر اذ الظاهر كونه خبرا له قوله تعالى تلفح يجوز استينافه ويجوز حاليته ويجوز
كونه خبرا ثانيا لاوليك واللفح اصابة النار الشيء بوهجها واحراقه له وهو اشد من النفح وقد تقدم النفح في الانبيا قوله تعالى
وهم فيها كالحون الكلوح تشمير الشفة العليا واسترخاء السفلى قال عليه السلام وهم فيها كالحون قال تشويه النار فتقلص
شفته العليا حتى تبلغ وسط راسه وتسترخي شفته السفلى حتى تبلغ سرته وقال ابو هريرة يعظم الكافر في النار مسيرة سبع
ليال ضرسه مثل احد وشفاههم عند سررهم سود زرق حنق مقبوحون ومنه كلوح الاسد اي تكشيره عن انيابه ودهر كالح وبرد
كالح اي شديد وقيل الكلوح تقطيب الوجه وبسوره وكلح الرجل يكلح كلوحا وكلاحا قوله تعالى الم تكن اياتي تتلى عليكم
يعني القران قوله تعالى فكنتم بها تكذبون فان قيل قالت المعتزلة دلت الاية على انهم عذبوا بسوء افعالهم ولو كان فعل
العبد بخلق الله لما صح ذلك فالجواب ان القادر على الطاعة والمعصية اذ صدرت المعصية عنه لا لمرجح البتة كان صدورها
عنه اتفاقيا لا اختياريا فوجب ان لا يستحق العقاب وان كان لمرجح فذلك المرجح ليس فعله والا لزم التسلسل فحينئذ يكون
صدور تلك الطاعة عنه اضطراريا لا اختياريا فوجب ان لا يستحق الثواب قوله تعالى قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا الاية
لما قال سبحانه الم تكن اياتي تتلى عليكم فكنتم بها تكذبون ذكر ما يجري مجرى الجواب عنه من وجهين الاول قولهم ربنا غلبت
علينا شقوتنا قرا الاخوان شقاوتنا بفتح الشين والف بعد القاف والباقون بكسر الشين وسكون القاف وهما مصدران
بمعنى واحد فالشقاوة كالقساوة وهي لغة فاشية والشقوة كالفطنة والنعمة وانشد الفرا

• كلف من عنايه وشقوته • بنت ثماني عشرة من حجته •

وهي لغة الحجاز قال ابو مسلم الشقوة من الشقا كجرية الماء والمصدر الجري وقد يجي لفظ فعلة والمراد به الهيئة والحال
فتقول جلسة حسنة وركبة وقعدة وذلك من الهيئة وتقول عاش فلان عيشة طيبة وميتة كريمة وهذا هو الحال
والهيئة فعلى هذا المراد من الشقوة حال الشقا وقرا قتادة والحسن في رواية كالاخوين الا انهما كسرا الشين وشبل في اختياره
كالباقين الا انه فتح الشين قال الزمخشري غلبت علينا ملكتنا من قولك غلب فلان على كذا اذا اخذه منك والشقاوة ••
فصل قال الجبائي المراد ان طلب اللذات المحرمة وحرصنا على العمل الحسن ساقنا الى هذه الشقاوة فاطلق اسم
السبب على المسبب وليس هذا باعتذار منهم لان لعلمهم بان لا عذر لهم فيه ثابت عندهم ولكنه اعتراف بقيام الحجة عليهم
في سوء صنيعهم واجيب بان تلك حملت تلك الشقاوة على طلب اللذات المحرمة وطلب تلك اللذات حصل باختيارهم او بغير اختيارهم
فان حصل باختيارهم فذلك الاختيار محدث فان استغنى عن المؤثر فلا يجوز في كل الحوادث ذلك وحينئذ يفسد عليك باب
اثبات الصانع وان افتقر الى محدث فمحدثه اما العبد او الله فان كان هو العبد فذلك باطل لوجوه الاول ان قدرة العبد صالحة
للفعل والترك فان توقف صدور تلك الارادة عنه الى مرجح اخر عاد الكلام فيه ولزم التسلسل وان لم يتوقف على المرجح
فقد جوزت رجحان احد طرفي الممكن على الاخر وذلك يسد باب اثبات الصانع الثاني ان العبد لا يمكن ولا يعلم كمية تلك الافعال
ولا كيفيتها والجاهل بالشيء لا يكون محدثا بالشيء والا لبطلت دلالة الاحكام والاتقان على العلم الثالث ان احدا في الدنيا
لا يرضى بان يختار الجهل بل لا يقصد الا تحصيل العلم فكيف يحصل الجهل فثبت ان الموجد للدواعي والبواعث هو الله ثم
ان الدواعي ان كانت سابقة الى الخير كانت سعادة وان كانت سابقة الى الشر كانت شقاوة وقال القاضي قولهم غلبت علينا
شقوتنا دليل على انه لا عذر لهم لاعترافهم فلو كانت شقوتهم من خلقه وارادته وعلموا ذلك لكان ذكرهم اولى واقرب الى العذر
والجواب ما بينا ان الذي ذكروه ليس الا ذلك ولكنهم مقرون ان لا عذر لهم فلا جرم قال اخسئوا فيها الوجه الثاني لهم
في الجواب قولهم وكنا قوما ضالين اي عن الهدى وهذا الضلال الذي جعلوه كالعلة في اقدامهم على التكذيب لو كان فعل
الشيء بنفسه وهو باطل فلم يبق الا ان يكون ذلك الضلال عبارة عن شيء اخر ترتب عليه فعلهم وما ذاك الا خلق الداعي
الى الضلال ثم ان القوم لما اعتذروا بهذين العذرين قالوا ربنا اخرجنا منها اي من النار فان عدنا الى الكفر فانا
ظالمون فعند ذلك اجابهم الله تعالى فقال اخسئوا فيها ولا تكلمون فان قيل كيف يجوز ان يطلبوا الخروج وقد علموا ان
عقابهم دائم فالجواب يجوز ان يلحقهم السهو عن ذلك في احوال شدة العذاب فيسالون الرجعة ويحتمل ان يكون
مع علمهم بذلك يسالون على وجه الغوث والاسترواح اخسئوا فيها ابعدوا فيها كما يقال للكلب اذا طرد اخسا اي ابعد
كما ينزجر الكلاب فاذا زجرت يقال اخسا الكلب وخسا بنفسه ولا تكلمون في رفع العذاب فاني لا ارفعه عنكم وليس هذا
نهيا لانه لا تكليف في الاخرة فصل قال الحسن هو آخر كلام يتكلم به اهل النار ثم لا يتكلمون بعدها الا
الشهيق والزفير ويصير لهم عوا كعوا الكلاب لا يفهمون ولا يفهمون قوله تعالى انه كان فريق من عبادي
الاية العامة على كسر همزة انه استينافا قوله تعالى فاتخذتموهم سخريا قرا الاخوان ونافع هنا وفي ص بكسر السين

من كل دقوله واسرائيل عطف على ابراهيم وقوله وممن هدينا يحتمل ان يكون عطفا على من النبيين وان يكون عطفا
على من ذرية آدم **فصل** اعلم انه تعالى اثنى على كل واحد ممن تقدم ذكره من الانبيا بما خصه بالثناء ثم
جمعهم آخرا فقال اولئك الذين انعم الله عليهم من النبيين اي بالنبوة وغيرها واولئك اشارة الى المذكورين في هذه السورة
من زكريا الى ادريس ثم جمعهم في كونهم من ذرية ادم ومن حملنا مع نوح وهو ادريس عليه السلام فقد كان سابقا على نوح
والذين هم من ذرية من حملنا مع نوح هو ابراهيم لانه من ولد سام بن نوح واسماعيل واسحق ويعقوب من ذرية ابراهيم
ثم خص بعضهم بانه من ذرية اسرائيل اي يعقوب وهم موسى وهارون وزكريا ويحيى وعيسى من قبل الام فرتب الله تعالى
احوال الانبياء الذين ذكرهم على هذا الترتيب تنبيها بذلك على انهم كما فضلوا باعمالهم فلهم مزية بالفضل بولادتهم
من هولاء الانبيا ثم بين انهم ممن هدينا واجتبينا منبها بذلك على انهم خصوا بهذه المنازل لهداية الله تعالى ولانه
اختارهم للرسالة **قوله تعالى** اذا تتلى جملة شرطية فيها وجهان اظهرهما لا محل لها لاستينافها والثاني انها
خبر لاولئك والموصول قبلها صفة لاسم الاشارة وعلى الاول يكون الموصول نفس الخبر وقرا العامة تتلى بتاء من
فوق وقرا عبد الله وشيبة وابو جعفر وابن كثير وابن عامر وورش عن نافع في رواية باليا من تحت والتانيث
مجازي فلذلك جاز في الفعل الوجهان **قوله تعالى** سجدا حال مقدرة قال الزجاج لانهم وقت الخرور ليسوا
سجدا وفيه وجهان اظهرهما انه جمع باك وليس بقياسه بل قياس جمعه على فعلة كقاض وقضاة ولم يسمع فيه هذا الاصل
وقد تقدم ان الاخوين يكسران باوه على الاتباع والثاني انه مصدر على فعول نحو جلس جلوسا وقعد قعودا والا
فيه على كلا القولين بواوا فاعل للاعلال المشهور في مثله وقال ابن عطية وبكيا بكسر الكاف فهو مصدر لا يحتمل غير
ذلك **فصل** قال ابو حيان وليس بسديد بل الاتباع جائز فيه وهو جمع فيه كقولهم عصي ودلي نحو
عصو ودلو وعلى هذا فيكون بكيا اما مصدر مؤكد بفعل محذوف اي وبكوا بكيا اي بكاء واما مصدر واقع موقع
الحال اي باكين اي ذوي بكاء او جعلوا نفس البكا مبالغة قال الزجاج بكيا جمع باك مثل شاهد وشهود وقاعد
وقعود ثم قال الانسان في حال خروره لا يكون ساجدا والمراد خروا مقدرين للسجود ومن قال في بكيا انه مصدر فقد
اخطا لان سجدا جمع ساجد وبكيا معطوف عليه **فصل** قال المفسرون ان الانبيا عليهم السلام
كانوا اذا سمعوا آيات الله والمراد الايات التي تتضمن الوعد والوعيد والترغيب والترهيب خروا سجدا جمع ساجد
وبكيا جمع باك خضوعا وخشوعا وحذرا وخوفا قال بعضهم المراد بالسجود الصلوة وقال بعضهم المراد سجود
التلاوة وقيل المراد بالسجود الخشوع والخضوع عند التلاوة قال عليه السلام اتلوا القران وابكوا فان لم تبكوا فتباكوا
قوله تعالى فخلف من بعدهم خلف لما وصف الانبيا بالمدح ترغيبا لنا بالتاسي بهم ذكر بعدهم من هو
بالضد منهم فقال فخلف من بعدهم اي من بعد هولاء الانبيا خلف من اولادهم يقال خلفه اذا عقبه خلف سوء باسكان
اللام والخلف بفتح اللام الصالح كما قالوا وعد في ضمان الخير والشر وفي الحديث في الله خلف من كل هالك ومن الشعر

• ذهب الذين يعاش في اكنافهم • وبقيت في خلف كجلد الاجرب •

قال السدي اراد بهم اليهود ومن لحق بهم وقال مجاهد وقتادة هم في هذه الامة **قوله تعالى** اضاعوا الصلوة
تركوا الصلوة المفروضة قال ابن مسعود وابراهيم اخروها عن وقتها وقال سعيد بن المسيب هو ان لا يصلي الظهر
حتى ياتي العصر ولا يصلي العصر حتى تغرب الشمس **قوله تعالى** واتبعوا الشهوات قال ابن عباس هم اليهود
تركوا الصلاة المفروضة وشربوا الخمور واستحلوا نكاح الاخت من الاب وقال مجاهد هولاء قوم يظهرون في آخر
الزمان ينزو بعضهم على بعض في الاسواق والازقة **قوله تعالى** فسوف يلقون غيا قال وهب
وابن عباس وعطا وكعب هو واد في جهنم بعيد قعره وقال ابو امامة مجازاة الاثام وقال الضحاك غيا خسرانا وقيل
هلاكا وقيل عذابا ونقل الاخفش انه قرا يلقون بضم اليا وفتح اللام وتشديد القاف من لقاه مضاعفا
وقوله يلقون ليس معناه يرون فقط بل معناه الاجتماع والملابسة مع الرؤية **قوله تعالى** الا من تاب
فيه وجهان احدهما انه استثناء متصل قال الزجاج هو منقطع وهو بنا فيه على ان المضيع للصلوة من الكفار
وقرا عبد الله والحسن والضحاك وجماعة الصلوات جمعا وقرا الحسن هنا وجميع ما في القران يدخلون مبنيا للمفعول
فصل احتجوا بقوله الا من تاب وعمل صالحا على ان الايمان غير العمل لانه عطف العمل على الايمان
والمعطوف عليه الجواب عنه ذكر الكعبي بانه تعالى فرق بين التوبة والايمان والتوبة من الايمان فكذلك العمل
الصالح يكون من الايمان وان فرق بينهما وهذا الجواب ضعيف لان عطف الايمان على التوبة يقتضي المغايرة بينهما
لان التوبة عزم على الترك والايمان اقرار بالله وهما متغايران فكذلك ههنا في هذه الصورة فلما بين تعالى وعيد

من لم يتب بين ان من تاب وامن وعمل صالحا فلهم الجنة ولا يظلمون شيئا فان قيل وههنا سوالان الاول ان الاستثناء
دل على ان التوبة لا بد منها والايمان والعمل وليس الامر كذلك لان من تاب عن الكفر ولم يدخل وقت الصلوة او كانت المرأة
حائضا فان الصلوة لا تجب عليه وكذلك الصوم والزكوة فلو مات في ذلك الوقت كان من اهل النجاة مع انه لم يصدر منه
عمل فلم يجز توقف الامر على العمل الصالح فالجواب ان هذه الصورة نادرة والاحكام انما تناط بالاعم الاغلب السوال الثاني
قوله ولا يظلمون شيئا يدل على ان الثواب مستحق بالعمل لا بالتفضل لانه لو كان بالتفضل لاستحال حصول الظلم لكن من
مذهبكم انه لا استحقاق للعبد بعمله الا بالوعد واجيب بانه لما اشبهه اجري على حكمه **قوله تعالى** جنات عدن قرا العامة
على كسر التاء نصبا على انها بدل من الجنة وعلى هذه القراءة يكون قوله ولا يظلمون شيئا فيه وجهان احدهما انه اعتراض
بين البدل والمبدل منه والثاني انه حال كذا قال ابو حيان وفيه نظر من حيث ان المضارع المنفي بلا كالمثبت في انه
لا يباشره واو الحال وقرا الاعمش وابو حيوة والحسن وعيسى بن عمر بالرفع وفيه وجهان احدهما انه خبر مبتدا مضمر تقديره تلك او هي جنات عدن والثاني
وبه قال الزمخشري انها مبتدا يعني ويكون خبرها التي وعد وقرا الاعمش والحسن بن حي وعلي بن صالح في رواية جنة عدن نصبا
مفردا واليماني والحسن والازرق عن حمزة جنة رفعا مفردا وتخريجها واضح مما تقدم **فصل** قال الزمخشري
لما كانت مشتملة على جنات عدن ابدلت منها كقولك ابصرت دارك القاعة والعلالي وعدن معرفة علم بمعنى العدن
وهو الاقامة كما جعلوا فينة وسحر وامس فيمن لم يصرفه لمعاني الفينة والسحر والامس جرى مجرى العدن كذلك وهو علم
لارض الجنة لكونها دار اقامة ولولا ذلك لما ساغ الابدال لان النكرة لا تبدل من المعرفة الا موصوفة ولما ساغ وصفها
بالتي قال ابو حيان وما ذكره متعقب اما دعواه ان عدن علما لمعنى العدن فيحتاج الى توقيف وسماع من العرب
وكذلك دعوى العلمية الشخصية فيه واما قوله ولولا ذلك الى قوله موصوفة فليس مذهب البصريين لان مذهبهم جواز
ابدال النكرة من المعرفة وان لم تكن موصوفة وانما ذلك شي قاله البغداديون محجوجون بالسماع على ما بيناه وملازمته
فاسدة واما قوله ولما ساغ وصفها بالتي فلا يتعين كون التي صفة وقد ذكرنا انه يجوز اعرابه بدلا قال شهاب الدين [illegible]
ان الوصفية وقد ذكرنا والتمسك بهذا الظاهر كان وايضا فان الموصول في قوة المشتقات وقد نصوا على ان البدل بالمشتق
ضعيف فكذا ما في معناه **قوله تعالى** بالغيب فيه وجهان الاول ان الباء حالية وفي صاحب الحال احتمالان
احدهما ضمير الجنة وهو عائد الموصول اي وعدها وهي غائبة عنهم لا يشاهدونها والثاني ان تكون حالا من عباده وهم غائبون
عنها لا يرونها انما آمنوا بمجرد الاخبار منه والوجه الثاني ان البا سببية اي بسبب تصديق الغيب وبسبب الايمان **قوله
تعالى** انه كان وعده ماتيا في هذا الضمير وجهان احدهما انه ضمير الباري تعالى يعود على الرحمن اي ان الرحمن كان وعده ماتيا
والثاني انه ضمير الامر والشان لانه مقام تعظيم وتفخيم وعلى الاول يجوز ان يكون في كان ضمير هو اسمها يعود على الله
تعالى ووعده بدل من ذلك الضمير بدل اشتمال وماتيا خبرها ويجوز ان لا يكون فيها ضمير بل وعده اسمها وماتيا
الخبر ايضا وهو نظير ان زيدا كان ابوه منطلقا وماتيا فيه وجهان احدهما انه مفعول على بابه والمراد بالوعد
الجنة اطلق عليها المصدر اي موعوده نحو درهم ضرب الامير وقيل الوعد مصدر على بابه وماتيا مفعول بمعنى فاعل
ولم يرتضه الزمخشري فانه قال قيل في ماتيا مفعول بمعنى فاعل والوجه ان الوعد هو الجنة وهم ياتونها او هو من قولك
اتى اليه احسانا اي كان وعده مفعولا منجزا وقال الزجاج كل ما وصل اليك فقد وصلت اليه وما اتاك فقد اتيته
والمقصود من قوله انه كان وعده ماتيا بيان ان وعده تعالى وان كان بامر غائب فكانه مشاهد حاصل والمقصود تقرير ذلك
في القلوب **قوله تعالى** لا يسمعون فيها لغوا اللغو من الكلام هو ما يلغى ويطرح وهو المنكر من القول كقوله
تعالى لا تسمع فيها لاغية وقال مقاتل هي اليمين الكاذبة وفيه دلالة على وجوب اجتناب اللغو لان الله تعالى نزه عنه الدار
التي لا تكليف فيها ولقوله واذا مروا باللغو مروا كراما وقوله واذا سمعوا اللغو الآية **قوله تعالى** الا سلاما ابدى
الزمخشري فيه ثلاثة اوجه احدها ان كان معناه ان تسليم بعضهم على بعض وتسليم الملائكة عليهم فلا يسمعون لغوا الا
ذلك فهو من وادي قوله • ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم • بهن فلول من قراع الكتائب •
الثاني انهم لا يسمعون فيها الا قولا يسلمون فيه من العيب والنقيصة على الاستثناء المنقطع الثالث ان معنى السلام
هو الدعاء بالسلامة ودار السلام هي دار السلامة واهلها اغنياء عن الدعاء بالسلامة فكان ظاهره من باب اللغو
وفضول الحديث لولا ما فيه من فائدة الاكرام وظاهر هذا ان الاستثناء على الاول والاخير متصل فانه صرح بالمنقطع
في الثاني اما اتصال الثالث فواضح لانه اطلق اللغو على السلام بالاعتبار الذي ذكره واما الاتصال الاول فعسر على الاتصال
في الاول غير انه ليس كذلك لا يعد ذلك عيبا فليس من جنس الاول وسياتي تحقيق هذا ان شاء الله تعالى ولا يذوقون
فيها الموت الا الموتة الاولى **قوله تعالى** ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا فيه سوالان احدهما ان المقصود من هذه

الايات وصف الجنة باحوال مستعظمة ووصول الرزق اليه بكرة وعشيا ليس من الامر المستعمل والجواب من وجهين الاول
قال الحسن اراد تعالى ان يرغب كل قوم بما احبوه في الدنيا فلذلك ذكر اساور الذهب والفضة ولبس الحرير الذي كان
عادة العجم والارائك هي الحجال المضروبة على الاسرة وكانت عادة اشراف اليمن ولا شي كان احب الى العرب من الغدا والعشا
فوعدهم بذلك الثاني المراد دوام الرزق يقول انا عنده فلان صباحا ومساء وبكرة وعشيا يريد الدوام ولا يقصد
الوقتين المعلومين السوال الثاني قال تعالى لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا وقال عليه السلام لا صباح عند ربك ولا
مساء بل هم في نور ابدا والبكرة والعشا لا يوجدان الا عند وجود الصباح والمسا والجواب المراد انهم ياكلون على مقدار
الغدا والعشا لا ان في الجنة غدوة ولا عشا اذ لا دليل فيها وقيل انهم يعرفون وقت النهار برفع الحجب ووقت الليل بارخاء
الحجب وقيل المراد رفاهة العيش وسعة الرزق فاي لهم رزقهم متى شاؤوا **قوله تعالى** تلك الجنة التي نورث الاشارة
بتلك الى الجنة لانها غائبة وقرا الاعمش نورثها بابراز عائد الموصول وقرا الحسن والاعرج وقتادة نورث بفتح
الواو وتشديد الراء من ورث مضعفا وقوله نورث استعارة اي تبقى عليه الجنة كما تبقى على الوارث مال المورث
وقيل معناه ينقل تلك المنازل ممن لو اطاع لكانت له الى عبادنا الذين اتقوا ربهم فجعل هذا النقل ارثا **فصل**
قال الحسن المتقي هو من اتقى المعاصي واتقى ترك الواجبات وقال القاضي هذه الاية دالة على ان الجنة يدخلها من كان
تقيا والفاسق المرتكب للكبائر لم يوصف بذلك واجيب بان الاية تدل على ان التقي يدخلها وليس فيها دلالة على ان
غير التقي لا يدخلها وايضا فصاحب الكبيرة متق عن الكفر ومن صدق عليه انه متق عن الكفر فقد صدق عليه انه
متق لان المتقي جزء من قولنا المتقي عن الكفر واذا كان صاحب الكبيرة يصدق عليه انه متق وجب ان يدخل الجنة
فالاية بان تدل على انه لا يدخلها **قوله تعالى** وما نتنزل الا بامر ربك الاية قال ابن عطية الواو عاطفة جملة
كلام على اخرى واصلة بين القولين وان لم يكن معناهما واحدا وقد اعترض النقاش في حكاية قول وهو ان قوله
وما نتنزل متصل بقوله قال انما انا رسول ربك لاهب لك وقال ابو البقاء اي وما نتنزل اي وتقول الملائكة
فجعله معمولا لقول مضمر وقيل هو من كلام اهل الجنة وهو اقرب مما قبله ونتنزل مضارع تنزل بالتشديد ومعناه
العمل على مهلة وقد لا يقتضيها **فصل** قال الزمخشري التنزل على معنيين معنى النزول ومعنى النزول
على الاطلاق كقوله

• فلست لانسي ولكن لملاك • تنزل من جو السماء يصوب •

لانه مضارع نزل ومعنى نزل يكون بمعنى انزل ويكون بمعنى التدريج واللائق بهذا الموضع هو النزول على مهل والمراد
ان نزولنا في الاحايين وقتا غب وقت قال ابن الاثير على مهل وقد تقدم انه يفرق بين نزل وانزل في اول هذا
الموضع وقرا العامة نتنزل بنون الجمع وقرا الاعمش يتنزل بياء الغيبة وفي الفاعل حينئذ قولان احدهما انه ضمير
جبريل قال ابن عطية ويرده قوله ما بين ايدينا وما خلفنا لانه يطرد معه وانما يتجه ان يكون خبرا عن جبريل اي
القران لا يتنزل الا بامر الله في الاوقات التي يقدرها وقد يجاب بانه على اضمار القول اي قائلا له ما بين ايدينا
قاله ابن عطية والثاني انه يعود على الوحي وكذا قال الزمخشري على الحكاية عن جبريل والضمير للوحي ولا بد من اضمار
هذا القول ايضا **قوله تعالى** ما بين ايدينا استدل بعض النحاة على ان الازمنة ثلاثة ماض وحاضر ومستقبل
بهذه الاية وهو كقول زهير

• واعلم علم اليوم والامس قبله • ولكنني عن علم ما في غد عمي •

روى ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يا جبريل ما منعك ان تزورنا فنزلت وما نتنزل الا بامر ربك الاية
وقال عكرمة والضحاك ومقاتل وقتادة والكلبي احتبس جبريل عن النبي صلى الله عليه وسلم حين ساله قومه عن اصحاب
الكهف وذي القرنين والروح فقال اخبركم غدا ولم يقل ان شاء الله حتى شق على النبي صلى الله عليه وسلم فقال المشركون
ودعه ربه وقلاه ثم نزل عليه بعد ايام فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ابطات علي حتى ساء ظني واشتقت
اليك فقال له جبريل اني كنت اليك اشوق ولكني عبد مامور اذا بعثت نزلت واذا حبست احتبست فنزل قوله تعالى
وما نتنزل الا بامر ربك وقوله تعالى ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله وسورة الضحى وفي الاية
سؤال وهو ان قوله تلك الجنة التي نورث من عبادنا من كان تقيا كلام الله وقوله وما نتنزل كلام غير الله فكيف جاز
عطف هذا على ما قبله من غير فصل واجيب بانه اذا كانت القرينة ظاهرة لم يقبح كقوله تعالى اذا قضى امرا فانما يقول
له كن فيكون وقوله تعالى ان الله ربي وربكم عطف عليه واعلم ان قوله وما نتنزل الا بامر ربك خطاب جماعة لواحد
وذلك لا يليق الا بالملائكة الذين ينزلون على الرسول فلذلك ذكروا في سبب النزول ما تقدم ثم قال له ما بين ايدينا
قال سعيد بن جبير وقتادة ومقاتل ما بين ايدينا من امر الاخرة من الثواب والعقاب وما خلفنا ما مضى من امر الدنيا
وما بين ذلك ما يكون في هذا الوقت الى الساعة وقيل ما بين ايدينا من امر الاخرة وما خلفنا من امر الدنيا وما بين ذلك

اي بين النفختين وبينهما اربعون سنة وقيل ما بين ايدينا ما بقي من امر الدنيا وما خلفنا ما مضى منها وما بين ذلك
هذه حياتنا وقيل ما بين ايدينا بعد ان نموت وما خلفنا قبل ان نخلق وما بين ذلك مدة الحياة وقيل ما بين
ايدينا الارض اذا اردنا النزول اليها وما خلفنا السما وما انزل منها وما بين ذلك الهوى يريد ان ذلك كله لله عز
وجل فلا نقدر على شي الا بامره ثم قال **قوله تعالى** وما كان ربك نسيا اي ناسيا اي ما نسيك ربك
بمعنى ما تركك والناسي التارك لقوله تعالى ما ودعك ربك وما قلى اي ما كان امتناع النزول الا لترك الله لك وتوديعه
اياك **قوله تعالى** رب السموات فيه ثلاثة اوجه احدها انه بدل من ربك الثاني انه خبر مبتدا مضمر
اي هو رب الثالث كونه مبتدا والخبر الجملة الامرية بعده وهذا ماش على راي الاخفش اذ يجوز زيادة الفا في خبر المبتدا
مطلقا **قوله تعالى** لعبادته متعلق باصطبر فان قيل لم قيل واصطبر على عبادته لانها صلته فكان حقه
تعديته بعلى فالجواب انه ضمن معنى الثبات لان العبادة ذات تكاليف قال من شيت لها فكانه قيل واثبت لها مصطبرا
فصل استدلوا بهذه الاية على ان فعل العبد خلق الله تعالى لان فعل العبد حاصل بين السموات والارض
وهو رب لكل شي حصل بينهما **قوله تعالى** هل تعلم له سميا ادغم الاخوان وهشام وجماعة لام هل في التا
وانشد على ذلك بيت مزاحم العقيلي

• فذر ذا ولكن هل تعين متيما • على ضوء برق اخر الليل ناصب •

فصل دل ظاهر الاية على انه تعالى رتب على الامر بالعبادة الامر على المصابرة عليها انه لا سمي ولا اقرب
انه ذكر الاسم واراد هل تعلم له نظيرا فيما تقتضي العبادة والذي يقتضيها كونه منعما باصول النعم ومواها
وقد انعم عليك بغاية الانعام وجب ان تعظمه بغاية التعظيم وهي العبادة قال ابن عباس هل تعلم له مثلا وقال
الكلبي هل تعلم له شريكا في اسمه وذلك لانهم وان كانوا يطلقون لفظ الاله على الوثن فما اطلقوا لفظ الله تعالى على
شي وقال ابن عباس لا يسمى بالرحمن غيره وايضا هل تعلم من سمي باسمه على الحق دون الباطل لان التسمية على الباطل
كلا تسمية لانه غير معتد بها والقول الاول الاقرب **قوله تعالى** ويقول الانسان ائذا ما مت الاية اذا منصوب
بفعل مقدر مدلول عليه بقوله لسوف اخرج حيا تقديره اذا ما مت ابعث واحيى ولا يجوز ان يكون العامل فيه اخرج
لان ما بعد لام الابتدا لا يعمل فيما قبلها قال فمجموع الحرفين اما اللام فمسلم واما حرف التنفيس فلا مدخل له في المنع
لان حرف التنفيس يعمل ما بعده فيما قبله تقول زيدا ساضرب وسوف اضرب ولكن فيه خلاف ضعيف والصحيح الجواز
وانشدوا عليه قوله

• فلما رأته امنا هان وجدها • وقالت ابونا هكذا سوف يفعل •

فهكذا منصوب بيفعل بعد حرف التعليل والتنفيس واللام في قوله لسوف مجلوبة على الحكاية لكلام مقدم
بهذا المعنى كان قائلا قال للكافر اذا مت يا فلان لسوف اخرج حيا فقرر الكلام على الكلام على جهة الاستبعاد
وكرر اللام على الكلام حكاية للقول الاول قال ابو حيان ولا يحتاج هذا ولا ان هذا حكاية لقول تقدم
بل هو من كلام الكافر وهو استفهام فيه معنى الجحد والاستبعاد وقال الزمخشري لام الابتدا الداخلة على المضارع
تعطي معنى الحال كيفية فان قيل لام الابتدا الداخلة على المضارع تعطي معنى الحال فكيف جامعت حرف الاستقبال
فالجواب لم تجامعها الا مخلصة للتوكيد كما اخلصت الهمزة في يا الله للتعويض واضمحل عنها معنى التعريف قال ابو حيان
وما ذكر من معنى اللام انها تعطي الحال مخالف فيه فعلى مذهب من لا يري ذلك يسقط السوال واما قوله كما اخلصت
الهمزة فليس ذلك الا على مذهب من يزعم ان اصله لاه واما من زعم ان اصله لاه فلا تكون الهمزة فيه للتعويض اذ لم يحذف
منه شي ولو قلنا ان اصله الاه وحذف فا الكلمة لم يتعين ان الهمزة فيه في النداء للتعويض اذ لو كانت عوضا من المحذوف
لثبتت دايما في النداء وغيره ولما جاز حذفها في النداء قالوا يا الله بحذفها وقد نصوا على ان همزة الوصل فيه في النداء شاذ
وقرا الجمهور اذا بالاستفهام وهو استبعاد كما تقدم وقرا ابن ذكوان بخلاف عنه وجماعة اذا بهمزة واحدة على جواز
الاستفهام وحذف اداته للعلم والدلالة القراءة الاخرى عليها وقرا طلحة بن مصرف لساخرج بالسين دون سوف وهذا
نقل الزمخشري عنه وغيره فساخرج دون لام ابتدا وعلى هذه القراءة يكون العامل في الظرف نفس اخرج ولا يمنع
حرف التنفيس على الصحيح وقرا العامة اخرج مبنيا للمفعول والحسن وابو حيوة اخرج مبنيا للفاعل وحيا حال مؤكدة
لان من لازم خروجه ان يكون حيا وهو كقوله ابعث حيا **فصل** لما امر بالعبادة والمصابرة عليها فكان
سائلا سال وقال هذه العبادات لا منفعة فيها في الدنيا واما الاخرة فقد انكرها قوم ولا بد من ذكر الدلالة
على القول بالحشر حتى تظهر فائدة الاشتغال بالعبادة فلهذا حكى الله تعالى قول منكري الحشر فقال ويقول الانسان
الاية قالوا ذلك على سبيل الانكار والاستبعاد وذكروا في الانسان وجهين احدهما ان يكون المراد الجنس كقوله
تعالى هل اتى على الانسان فان قيل كلهم غير قائلين بذلك فكيف يصح هذا القول فالجواب من وجهين الاول لما

كانت هذه المقالة موجودة في جنسهم صح اسنادها الى جميعهم كما يقال بنو فلان قتلوا فلانا وانما
قاله رجل منهم الثاني ان هذا الاستبعاد موجود ابتداء في طبع كل احد الا ان بعضهم ترك للدلالة القاطعة على صحة
القول به القول الثاني ان المراد بالانسان شخص معين فقيل ابي بن خلف الجمحي وقيل ابو جهل وقيل المراد جنس الكفار
القائلين بعدم البعث ثم ان الله تعالى اقام الدلالة على صحة البعث فقال **قوله تعالى** اولا يذكر الانسان
الآية قرأ نافع وابن عامر وعاصم وجماعة يذكر مخففا مضارع ذكر والباقون بالتشديد مضارع يتذكر والاصل
يتذكر فادغمت التاء في الذال وقد قرئ بهذا الاصل وهو يتذكر والهمزة في قوله اولا يذكر مؤخرة عن حرف العطف تقديرا
كما هو قول الجمهور وقد رجع الزمخشري الى ما راى الجمهور هنا فقال الواو عطفت لا يذكر على يقول ووسطت
همزة الانكار بين المعطوف وحرف العطف ومذهبه ان يقدر بين حرف العطف وهمزة الاستفهام جملة يعطف عليها
ما بعدها وقد فعل هذا اعني الرجوع الى قول الجمهور في سورة الاعراف كما نبه عليه في موضعه قال **قوله تعالى**
من قبل ولم يك شيئا وقدره الزمخشري من قبل الحالة التي هو فيها وهو بقاؤه **فصل** قال بعض العلماء لو اجتمع
كل الخلائق على ايراد حجة في البعث على هذا الاختصار ما قدروا عليه اذ لا شك ان الاعادة ثانيا اهون من الايجاد
اولا ونظيره قوله تعالى قل يحييها الذي انشأها اول مرة وقوله وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو اهون
عليه واحتجوا بهذه الآية على ان المعدوم ليس بشيء وهو ضعيف لان الانسان عبارة عن مجموع جواهر متألفة
قامت بها اعراض وهذا المجموع لم يك شيئا ولكن لم قلت ان كل واحد من تلك الاجزاء ما كان شيئا قبل كونه موجودا
فان قيل كيف امر الله تعالى الانسان بالتذكر مع ان التذكر هو العلم بما علم من قبل ثم تخللهما سهو فالجواب المراد
اولا يتفكر فيعلم خصوصا اذا قرئ اولا يذكر مشددا اما اذا قرئ اولا يذكر مخففا فالمراد اولا يعلم ذلك من حال نفسه
لان كل واحد يعلم انه لم يك شيئا في الدنيا ثم صار حيا ثم انه تعالى لما قرر المطلوب بالدليل اردفه بالتهديد
فقال فوربك لنحشرنهم والشياطين اي لنجمعنهم في المعاد يعني المشركين المنكرين للبعث مع الشياطين وذلك انه
يحشر كل كافر مع شيطان في سلسلة وفائدة القسم امران الاول ان العادة جارية بتأكيد الخبر باليمين والثاني ان في
اقسام الله تعالى باسمه مضافا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم رفعا منه لشأنه كما رفع من شأن السماء والارض في قوله
فورب السماء والارض انه لحق والواو في الشياطين يجوز ان تكون للعطف وبمعنى مع وهي بمعنى مع اوقع والمعنى انهم يحشرون
مع قرنائهم من الشياطين الذين اغووهم **قوله تعالى** ثم لنحضرنهم حول جهنم ويحضرهم على اذل صورة لقوله
جثيا لان البارك على ركبتيه صورته صورة الذليل وصورة العاجز **فصل** هذا المعنى حاصل للكل لقوله
وترى كل امة جاثية ولان العادة جارية بان الناس في مواقف مطالبات الملوك يتجاثون على ركبهم لما في ذلك من
القلق ولما يدهمهم من شدة الامر التي لا يطيقون معه القيام على ارجلهم ولما كان هذا حاصلا للكل فكيف
يدل على مزيد ذل الكفار فالجواب لعل المراد انهم يكونون من وقت الحشر الى وقت الحضور في الموقف على هذه
الحال وذلك يوجب مزيد ذلهم **قوله تعالى** جثيا حال مقدرة من مفعول لنحضرنهم وجثيا جمع جاث جمع على فعول
نحو قاعد وقعود وجالس وجلوس وفي لامه لغتان احدهما الواو والاخرى الياء يقال جثا يجثو جثوا وجثا يجثي
جثاية فعلى التقدير الاول يكون اصله جثوو بواوين الاولى زائدة علامة للجمع والثانية لام الكلمة ثم اعل اعلال
عصي ودلي وتقدم تحقيقه في عتيا وعلى الثاني يكون الاصل جثويا فاعل اعلال هيت وميت وعن ابن عباس
انه بمعنى جماعات جمع جثوة وهو المجموع من التراب والحجارة في صحته عندي نظر من حيث ان فعلة لا يجمع على فعول ولعله
تقدم في حال كونه جمعا اما جثوا واما جثوي وقد تقدم ان الاخوين يكسران فاءه والباقون يضمونها والجثو
القعود على الركب **قوله تعالى** ثم لننزعن من كل شيعة اي لنخرجن من كل امة واهل دين من الكفار والشيعة
فعلة كفرقة وهي الطائفة التي شاعت اي تبعت غاويا من الغواة قال تعالى ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا
فصل المعنى انه تعالى يحضرهم اولا حول جهنم ثم يميز البعض من البعض فمن كان اشدهم تمردا في كفره
خص بعذاب لان عذاب الضال المضل يجب ان يكون فوق عذاب من يضل تبعا لغيره وليس عذاب من يتمرد ويتجبر
كعذاب المقلد ومعنى الآية انه ينزع من كل فرقة من كان اشد عتوا وتمردا ليعلم ان عذابه اشد وفائدة هذا
التمييز التخصيص باشد العذاب فكذلك قال في جميعهم ثم لنحن اعلم بالذين هم اولى بها صليا ولا يقال اولى
الا مع اشتراكهم في العذاب **قوله تعالى** ايهم اشد فيه اقوال كثيرة اظهرها عند جمهور المعربين وهو مذهب
سيبويه ان ايهم موصولة بمعنى الذي وان حركتها حركة بناء بنيت عند سيبويه لخروجها عن النظائر واشد
خبر مبتدأ مضمر والجملة صلة لايهم وايهم وصلتها مفعولا لننزعن ولايهم احوال اربعة احدها بنى فيها

وهي كهذه الآية ان تضاف ويحذف صدر صلتها ومثله قول الآخر
• اذا ما اتيت بني مالك • فسلم على ايهم افضل •
يعني ايهم وتفاصيلها مقررة في كتب النحو وزعم الخليل رحمه الله تعالى ان ايهم هنا مبتدأ واشد خبره وهي استفهامية
والجملة محكية بالقول المقدر والتقدير لننزعن من كل شيعة المقول فيهم ايهم اشد وقرر الخليل تخريجه بقول الشاعر
• ولقد ابيت من الفتاة بمنزل • فابيت لا حرج ولا محروم •
قال التقدير فابيت يقال في لا حرج ولا محروم وذهب يونس الى انها استفهامية مبتدأ وما بعدها خبرها
كقول الخليل الا انه زعم انها معلقة لننزعن فهي في محل نصب لانه يجوز التعليق في سائر الافعال ولا يخصه بافعال
كما يخصه بها الجمهور **فصل** قال الزمخشري ويجوز ان يكون النزع واقعا على من كل شيعة كقوله
ووهبنا لهم من رحمتنا اي لننزعن بعض كل شيعة فكان قائلا قال من هم فقيل ايهم اشد عتيا فجعل ايهم موصولة
ايضا ولكن هي في قوله خبر مبتدأ محذوف اي هم الذين هم اشد قال ابو حيان وهذا تكلف ما لا حاجة اليه وادعاء
ما اضمار غير محتاج اليه وجعل ما ظاهره انه جملة واحدة جملتين وحكى ابو البقاء عن الاخفش والكسائي ان مفعول
لننزعن من كل شيعة ومن مزيدة قال وهما يجيزان زيادة من وايهم استفهام اي لننزعن كل شيعة وهذا يخالف
في المعنى تخريج الجمهور فان تخريجهم يؤدي الى التبعيض وهذا يؤدي الى العموم الا ان يجعل من لابتداء الغاية
لا للتبعيض فيتفق التخريجان وذهب الكسائي الى ان معنى لننزعن لننادين فعومل معاملته فلم يعمل في
اي قال المهدوي ونادي يعلق اذا كان بعده جملة نصب فيعمل في المعنى ولا يعمل في اللفظ وقال المبرد ايهم
متعلق بشيعة فلذلك رفع والمعنى من الذين تشايعوا ايهم اشد كانهم يتبادرون الى هذا ويلزمه على هذا ان يقدر
مفعولا لننزعن محذوفا وقدر بعضهم في قول المبرد من الذين تعاونوا فنظروا ايهم قال النحاس وهذا قول حسن
وقد حكى الكسائي تشايعوا بمعنى تعاونوا قال شهاب الدين وفي هذه العبارة المنقولة للمبرد قلق ولا بين الناقل عنه
وجه الرفع على ماذا يكون وبينه ابو البقاء لكن جعل ايهم فاعلا لما تضمنه شيعة من معنى الفعل والتقدير
لننزعن من كل شيعة فريق يشيع ايهم وعلى هذا معنى الذي ونقل الكوفيون
ان ايهم في الآية بمعنى الشرط والتقدير ان اشتد عتوهم او لم يشتد كما تقول ضربت القوم ايهم غضب والمعنى ان غضبوا
او لم يغضبوا وقرأ طلحة ومعاذ بن مسلم استاذ الفراء وزائدة عن الاعمش ايهم نصبا وعلى هذه القراءة التي قبلها ينبغي
ان يكون مذهب سيبويه جواز اعرابها وبنائها وهو المشهور عند النقلة عنه وقد نقل عنه انه يحتم بناءها قال النحاس ما علمت احدا من
النحويين الا وقد خطأ سيبويه قال وسمعت ابا اسحق الزجاج يقول ما تبين لي ان سيبويه غلط
في كتابه الا في موضعين هذا احدهما قال وقد اعرب سيبويه ايا وهي مفردة لانها مضافة فكيف يبنيها مضافة وقال الجرمي
خرجت من البصرة فلم اسمع منذ فارقت الخندق الى مكة احدا يقول ضربت ايهم قائم بالضم بل بالنصب **قوله تعالى**
على الرحمن متعلق باشد وعتيا منصوب على التمييز وهو محول عن المبتدأ اذ التقدير ايهم هو عتوه اشد ولا بد من محذوف
يتم به الكلام والمحذوف التقدير فيلقيه في العذاب ويبدأ بعذابه قال الزمخشري فان قلت بم يتعلق على والباء فان
تعلقهما بالمصدر لا سبيل اليه قلت هما للبيان لا للصلة او متعلقان بافعل اي عتوهم اشد على الرحمن وصليهم
اولى بالنار كقولهم هو اشد على خصمه وهو اولى بكذا يعني بعلى قوله على الرحمن وبالباء قوله هم بالذين وقوله بالمصدر يعني
يعني بهما عتيا وصليا واما كونهما مصدرين في نية التقديم ولا يتقدم معمول الموصول عليه اوان يكون عتيا وصليا
في هذه الآية مصدرين كما تقدم وجوز ان يكون جمع عات وصال فانتصابهما على هذا على الحال وعلى هذا يجوز ان
يتعلق على والباء بهما لزوال المحذور المذكور قال المفسرون معنى قوله ثم لنحن اعلم بالذين هم اولى بها صليا اي احق
بدخول النار يقال صلي يصلى صليا مثل لقي يلقى لقيا وصلى يصلي صليا مثل مضى يمضي مضيا اذا دخل النار وقاسى
حرها **قوله تعالى** وان منكم الا واردها الآية الواو في وان فيها وجهان احدهما انها عاطفة الجملة على ما قبلها
وقال ابن عطية وان منكم الا واردها قسم والواو تقتضيه ويفسره قول النبي صلى الله عليه وسلم من مات له ثلاث من
الولد لم تمسه النار الا تحلة القسم واراد بالقسم قوله تعالى وان منكم الا واردها **فصل** قال
ابو حيان وذهل عن قوله ان الواو نافية فلا يحذف القسم على ما نصوا قوله والواو تقتضيه يدل على انه عنده
واو القسم ولا يذهب نحوي الى ان مثل هذه الواو واو قسم لانه يلزم من ذلك حذف المجرور وابقاء الجار ولا يجوز
ذلك الا ان وقع في شعر او نادر كلام بشرط ان تقوم صفة المحذوف مقامه كما اولوا في قولهم نعم السير على بئس العير
او نعم بئس العير وقول الشاعر
والله ما ليلى بنام صاحبه • اي برجل نام صاحبه وهذه الآية

ليست من هذا الضرب إذا لم يحذف القسم وقامت صفته مقامه وإن حرف نفي ويجوز أن يكون التقدير وإن منكم
إلا من هو واردها وقد تقدم لذلك نظائر والخطاب في قوله تعالى منكم يحتمل الالتفات وعدمه قال الزمخشري
التفات إلى الإنسان ويعضده قراءة ابن عباس وعكرمة وإن منهم أو خطاب للناس من غير التفات إلى المذكور والحتم
القضاء والوجوب حتم أي أوجبه حتمًا ثم يطلق الحتم على الأمر المحتوم كقوله تعالى هذا خلق الله وهذا درهم ضرب الأمير
وعلى ربك متعلق بحتم لأنه بمعنى اسم المفعول ولذلك وصفه بمقضيًا **فصل** المعنى وما منكم إلا واردها
والورود هو موافاة الورود وقيل القسم فيه مضمر أي والله ما منكم من أحد إلا واردها واختلفوا في معنى الورود
فقال ابن عباس والأكثرون الورود هاهنا هو الدخول والكناية راجعة إلى النار وقالوا يدخلها البر والفاجر
ثم ينجي الله المتقين فيخرجهم منها ويدل على أن الورود هو الدخول قوله تعالى يقدم قومه يوم القيمة فأوردهم
النار وروى ابن عيينة عن عمرو بن دينار أن نافع بن الأزرق مارى ابن عباس في الورود فقال ابن عباس هو الدخول
وقال نافع ليس الورود الدخول فقال ابن عباس إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون
أدخلها هؤلاء أم لا ثم قال يا نافع والله أنت وأنا سنردها وأنا أرجو أن يخرجني الله وما أرى الله أن يخرجك منها
بتكذيبك ويدل عليه أيضًا قوله تعالى ثم ننجي الذين اتقوا أي ننجي من الواردين من اتقى ولا يجوز أن يقول ثم ننجي
الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيًا إلا والكل واردون والأخبار المروية دالة على هذا القول وهو ما روي أن عبد الله
بن رواحة قال أخبر الله عن الورود ولم يخبر بالصدر فقال عليه السلام يا ابن رواحة اقرأ ما بعدها ثم ننجي الله
الذين اتقوا فدل على أن ابن رواحة فهم من الورود الدخول ولم ينكر عليه النبي صلى الله عليه وسلم ذلك وعن جابر
أنه سئل عن هذه الآية فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الورود الدخول ولا يبقى بر ولا فاجر إلا دخلها
فتكون على المؤمنين بردًا وسلامًا حتى إن للنار ضجيجًا من بردها وقيل المراد من تقدم ذكره من الكفار فكنى عنهم أولًا
عنهم كناية الغيبة ثم خاطب خطاب المشافهة قالوا ولا يجوز أن يدخل النار مؤمن لقوله تعالى إن الذين سبقت
لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون لا يسمعون حسيسها وهم فيما اشتهت أنفسهم خالدون والمبعد عنها لا
يوصف بأنه واردها ولو وردوا جهنم لسمعوا حسيسها وقوله تعالى وهم من فزع يومئذ آمنون والمراد من قوله
وإن منكم إلا واردها الحضور والرؤية لا الدخول لقوله تعالى ولما ورد ماء مدين أراد به الحضور وقال
عكرمة الآية في الكفار يدخلونها ولا يخرجون منها وقال ابن مسعود وإن منكم إلا واردها يعني يوم القيمة والكناية
راجعة إليها والأول أصح قال البغوي وعليه أهل السنة أنهم جميعًا يدخلون النار ثم يخرج الله منها أهل الإيمان
لقوله تعالى ثم ننجي الله الذين اتقوا أي الشرك وهم المؤمنون والنجاة إنما تكون مما دخلت فيه **قوله تعالى**
كان على ربك حتمًا مقضيًا أي ورودكم جهنم حتمًا لازمًا مقضيًا قضاه الله عليكم **قوله تعالى** ثم ننجي قرأ العامة
بالضم ثم على أنها العاطفة وقرأ علي بن أبي طالب وابن مسعود وابن عباس وأبي والجحدري ثم بفتحها وهي الظرفية
وتكون منصوبة بما بعدها أي هناك ننجي الذين اتقوا وقرأ الجمهور بضم النون الأولى وفتح الثانية وتشديد الجيم
من نجا تضعيفًا وقرأ الكسائي والأعمش وابن محيصن ننجي من أنجى والفعل على هاتين القراءتين مضارع وقرئ نجي
بنون واحدة مضمومة وجيم مشددة وهو على هذه القراءة ماض مبني للمفعول وكان حق من قال بها أن يفتح الياء
ولكن سكنها تخفيفًا ويحتمل هذه القراءة وجهًا آخر سيأتي في قراءة متواترة آخر سورة الأنبياء وقرأ علي بن أبي طالب
أيضًا ننحي بحاء مهملة من التنحية ومفعول اتقوا إما محذوف وإما مراد للعلم به أي اتقوا الشرك والظلم **قوله تعالى**
جثيًا إما مفعول ثان إن كان نذر يتعدى لاثنين بمعنى نجعل وإما حال إن جعلت نذر بمعنى نخليهم وجثيًا على ما
تقدم ويجوز أن يتعلق بنذر وأن يتعلق بجثيًا إن كان حالًا ولا يجوز ذلك إن كان مصدرًا ويجوز أن يتعلق
بمحذوف على أنه حال من جثيًا لأنه في الأصل صفة لنكرة قدم عليها فنصب حالًا **فصل** اختلفوا في أنه
كيف يندفع عن المتقين ضرر النار إذا وردوها على القول بأن الورود هو الدخول فقيل البقعة المسماة بجهنم
لا يمتنع أن تكون في خلالها ما لا نار فيه وإذا كان كذلك لم يمتنع أن يدخل الكل في جهنم ويكون المؤمنون في تلك
المواضع الخالية عن النار والكفار في وسط النار وعن جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إذا دخل أهل
الجنة الجنة قال بعضهم لبعض أليس وعدنا أن نرد النار فيقال لهم قد وردتموها وهي خامدة وقيل إن الله
تعالى يجعل النار خامدة فيعبرها المؤمنون وتنهار بالكافرين **فصل** قال ابن عباس يردونها
كأنها إهالة وقيل إن الله تعالى يجعل النار الملاصقة لأبدان المؤمنين بردًا وسلامًا كما جاء في الحديث المتقدم
وكما في حق إبراهيم عليه السلام وكما في الكوز الواحد من الماء يشربه القبطي فيكون دمًا ويشربه الإسرائيلي فيكون ماء

عذابًا

عذابًا وفي الحديث تقول النار للمؤمن جز يا مؤمن فقد أطفأ نورك لهبي وعن مجاهد في قوله تعالى وإن منكم إلا
واردها قال من حُمّ من المسلمين فقد وردها وفي الخبر الحمى كير من جهنم وهي حظ المؤمن من النار واعلم أنه لا بد
من أحد هذه الوجوه في الملائكة الموكلين بالعذاب حتى يكونوا في النار مع المعاقبين فإن قيل إذا لم يكن على المؤمنين
عذاب في دخولهم فما الفائدة في ذلك الدخول فالجواب أن ذلك مما يزيدهم سرورًا إذا علموا الخلاص منه وأيضًا
فيه مزيد غم على أهل النار حيث يظهر فضيحتهم عند من كان يخوفهم من النار فما كانوا يلتفتون إليه وأيضًا أن
المؤمنين إذا كانوا معهم في النار يبكتونهم فيزداد غم الكفار وسرور المؤمنين وأيضًا فإن المؤمنين كانوا يخوفونهم
بالحشر والنشر ويستدلون على ذلك فما كانوا يقبلون تلك الدلائل فإذا دخلوا جهنم معهم أظهروا لهم أنهم
كانوا صادقين فيما قالوه وأن المكذبين بالحشر والنشر كانوا كاذبين وأيضًا أنهم إذا شاهدوا ذلك العذاب صار سببًا
لمزيد التذاذهم بنعيم الجنة على ما قال الشاعر: وبضدها تتبين الأشياء
إذا تتلى عليهم آياتنا بينات الآية لما أقام الحجة على مشركي قريش المنكرين للبعث وأتبعه بالوعيد حكى عنهم أنهم عارضوا
حجة الله بكلام فقالوا لو كنتم أنتم على الحق وكنا على الباطل لكان حالكم في الدنيا أحسن من حالنا لأن الحكيم لا يليق به
أن يوقع أولياءه المخلصين في الذل وأعداءه المعرضين عن خدمته في العز والراحة إنما كان الأمر بالعكس فإن الكفار
كانوا في الراحة والنعمة والاستعلاء والمؤمنين كانوا في ذلك الوقت في الخوف والعلة فدل على أن الحق ليس مع المؤمنين
هذا حاصل شبهتهم وقوله تعالى آياتنا بينات أي واضحات وقيل مرتلات وقيل ظاهرات الإعجاز قال الذين
كفروا يعني النضر بن الحرث ودونه من قريش للذين آمنوا يعني فقراء أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وكانت فيهم قشافة
وفي عيشهم خشونة وفي ثيابهم رثاثة وكان المشركون يرجلون شعورهم ويلبسون خير ثيابهم فقالوا للمؤمنين
أي الفريقين خير مقامًا ومسكنًا ومنزلًا وهو موضع الإقامة وأحسن نديًا أي مجلسًا ومنه النادي
قوله تعالى مقامًا قرأ ابن كثير مقامًا بالضم ورويت عن أبي عمرو وهي قراءة ابن محيصن وهي في موضع
الإقامة والمنزل والباقون بالفتح وفي كلتي القراءتين يحتمل أن يكون أنهما اسم مكان قيامة أو إقامة فإن قيل
قالوا زيد خير من عمرو وشر من بكر ولم يقولوا أخير منه ولا أشر منه لأن هاتين اللفظتين كثر استعمالهما
فحذفت همزتاهما ولم يثبتا إلا في فعل التعجب واستعمالهما بين اللفظتين أيهما أكثر من استعمالهما حرفًا فعلًا
تحذف الهمزة في موضع الكثرة وبقيت على أصلها في موضع القلة ثابتة فالجواب فعيل أصله نديو لأن لامه
لام فقال ندوتهم أندوهم أي أتيت ناديهم والنادي مثله ومثله فليدع ناديه أي أهل ناديه والندي والنادي
مجلس القوم ومتحدثهم وقيل هو مشتق من الندى وهو الكرم لأن الكرماء يجتمعون فيه وانتدى المكان والمنتدى
كذلك قال الشاعر: دعيت في أول الندى ولم ينظر إلى بالعيون حذر والمصدر الندو
ومقامًا ونديًا منصوبان على التمييز من أفعل وقرأ أبو حيوة والأعرج وابن محيصن يتلى بالياء من تحت والباقون
بالتاء من فوق واللام في الذين يحتمل أن تكون للتبليغ وهو الظاهر وأن تكون للتعليل **قوله تعالى** وكم
أهلكنا مفعول مقدم واجب التقديم لأن له صدر الكلام لأنها إما استفهامية أو خبرية وهي محمولة على
الاستفهامية وأهلكنا متسلط عليها أي كثيرًا من القرون أهلكنا ومن قرن تمييز لكم مبين لها **فصل**
هم أحسن في هذه الجملة وجهان وإليه ذهب الزمخشري وأبو البقاء أنها في محل نصب صفة لكم قال الزمخشري ألا
ترى أنك لو أسقطت هم لم يكن لك بد من نصب أحسن على الوصفية وفي هذا نظر لأن النحويين نصوا على أن كم الاستفهامية
والخبرية لا توصف ولا يوصف بها والثاني أنها في محل جر صفة لقرن ولا محذور في هذا وإنما جمع في قوله هم لأن قرن
وإن كان لفظه مفردًا فمعناه جمع وقرن كلفظ جمع وجميع ويجوز مراعاة لفظه تارة فيجمع أو يفرد كقوله تعالى
نحن جميع منتصر ومراعاة أخرى فيجمع كقوله تعالى لدينا محضرون **قوله تعالى** أثاثًا [illegible] وأشبهه
أجاب الله تعالى عنها بقوله وكم أهلكنا قبلهم من قرن هم أحسن أثاثًا أي متاعًا وأموالًا **قوله تعالى** ورئيًا
الجمهور على رئيًا بهمزة ساكنة بعدها ياء صريحة وصلًا ووقفًا وحمزة إذا وقف يبدلها على أصله في تخفيف الهمزة
فله بعد ذلك وجهان أحدهما الإظهار اعتبارًا بالأصل والإدغام اعتبارًا باللفظ وفي الإظهار صعوبة وفي الإدغام
إيهام أنها مادة أخرى وهو الذي بمعنى الامتلاء والنضارة ولذلك ترك أبو عمرو أصله في تخفيف همزه الثاني فقرأ قالون
عن نافع وابن ذكوان عن ابن عامر وريًا بياء مشددة بعد الراء فقيل هي مهموزة الأصل ثم أبدلت الهمزة ياء وأدغم الياء
بالهمزة فيكون من رؤية العين وفعل فيه بمعنى مفعول لما يرى من الزي وأحسن المنظر وقيل بل هو من الري ضد العطش وليس مهموز
الأصل والمعنى أحسن منظرًا لأن الري والامتلاء أحسن من ضديهما ومعناه الارتواء من النعم لأن المتنعم يظهر فيه ارتواء النعمة

والفقر يظهر عليه ذبول الفقر وقرأ ابو حميد وابو بكر عن عاصم في رواية الاعشى وريا بياء ساكنة بعدها همزة وهو مقلوب من رئيا في قراءة العامة ووزنه فلع وهو من راه يراه كقول الشاعر

• وكل خليل راءني فهو قائل • من اجلك هذا هامة اليوم او غد •

وفي القلب من القلب ما فيه وروى اليزيدي قراءة وريا بياء بعدها الف بعدها همزة وهي من المراءاة اي يرى بعضهم حسن بعض ثم خفف الهمزة الاولى بقلبها يا وهي تخفيف قياسي اصلها كقراءة قالون ثم خفف الكلمة بحذف احدى اليائين وهي الثانية لانها حصل الثقل ولانها لام الكلمة والاواخر احرى بالتغيير والثاني اصلها ان يكون كقراءة حميد وريا بالقلب ثم سكن حركة الهمزة ونقلها الى الياء قبلها وحذف الهمزة على قاعدة تخفيف الهمزة بالنقل فصار وريا كما ترى وتجاسر بعضهم فجعل هذه القراءة لحنا وليس للحن غير ملحنا ثم توجيهها عليه وقرأ ابن عباس ايضا وابن جبير وجماعة وزيا بزاي وياء مشددة والزي الهيئة الحسنة والالات المجتمعة لانه زوي كذا وبراي جمعه والمتزين يجمع الاشياء التي تزينه وتظهر زيه **قوله تعالى** من كان في الضلالة يجوز ان تكون شرطية وهو الظاهر وان تكون موصولة ودخلت الفا في الخبر لما تضمنه الموصول من معنى الشرط وقوله تعالى فليمدد فيه وجهان احدهما انه طلب على بابه ومعناه الدعا والثاني لفظه لفظ ايذانا بوجوب ذلك فيمده له في معنى الدعا بان يمهله الله وينفس في مدة حياته **قوله تعالى** حتى اذا في حتى هذه ما تقدم في نظايرها من كونها حرف جر او حرف ابتداء واما الشانفيما هو غاية له على كلا القولين فقال الزمخشري في هذه الاية وجهان الاول ان تكون متصلة بالاية التي هي رابعتها والايتان اعتراض بينهما اي قالوا اي الفريقين خير مقاما واحسن نديا حتى اذا راوا ما يوعدون اي لا يبرحون يقولون هذا القول ويتولعون به لا يتكافون عنه الى ان يشاهدوا الموعود رأي العين فسيعلمون من هو شر مكانا مذكور في مقابلة قولهم خير مقاما واضعف جندا في مقابلة قولهم واحسن نديا فبين تعالى فان ظنوا في الحال ان منزلتهم افضل من حيث فضلهم الله بالمقام والندي فسيعلمون من هو بعد ان الامر بالضد من ذلك وانهم شر مكانا فانه لا مكان شر من النار والمناقشة في الحساب واضعف جندا فقد كانوا يظنون وهم في الدنيا ان اجتماعهم ينفع فاذا راوا ان لا ناصر لهم في الاخرة عرفوا عند ذلك انهم كانوا في الدنيا مبطلين فيما ادعوه ثم قالوا والثاني ان لا اتصال بما يليها والمعنى ان الذين في الضلالة ممدود لهم ثم ذكر كلاما طويلا ثم قال الى ان يعاينوا نصر الله المومنين او يشاهدوا الساعة ومقاماتها فان قيل حتى هذه ما هي فالجواب هي التي تحكي بعدها الجمل الا ترى الجملة الشرطية واقعة بعدها وهي حتى اذا راوا ما يوعدون فسيعلمون قال ابو حيان ويستبعد القول الاول وهو في غاية البعد لطول الفصل بين قوله تعالى اي الفريقين وبين الغاية وغير الفصل الجملتي اعتراض ولا يجيز ابو علي هذا الاستبعاد قال ابو البقا حتى يحكي ما بعدها ها هنا وليست متعلقة بفعل **قوله تعالى** اما العذاب واما الساعة تقدم الكلام في اما من كونها حرف عطف ولا خلاف في ان احد معانيها التفصيل كما في الاية الكريمة فالعذاب والساعة بدلان من قوله ما يوعدون المنصوبة براوا وفسيعلمون جواب الشرط ومن هو شر مكانا يجوز ان تكون من موصولة بمعنى الذي ويكون مفعولا ليعلمون ويجوز ان تكون استفهامية في محل رفع بالابتدا وهو مبتدأ ثان وشر خبره والمبتدأ والخبر خبر الاول ويجوز ان تكون الجملة متعلقة بفعل الروية فالجملة في محل نصب على التعليق

فصل قال المفسرون مد له الرحمن اي امهله واملى له فاخرج على لفظ الامر ومعناه الخبر اي يدعه في طغيانه ويمهله في كفره حتى اذا راوا ما يوعدون اما العذاب وهو الاسر والقتل في الدنيا واما الساعة يدل على ان المراد بالعذاب عذاب يحصل قبل يوم القيامة فيحتمل ان يكون المراد به الاسر والقتل كما تقدم ويحتمل ان يكون عذاب القبر ويحتمل ان يكون تغير احوالهم من العز الى الذل ومن الغنى الى الفقر ومن الصحة الى المرض ومن الامن الى الخوف فسيعلمون عند ذلك من هو شر مكانا منزلا واضعف جندا اقل ناصرا لانهم في النار والمومنون في الجنة وهذا رد عليهم في قولهم اي الفريقين خير مقاما واحسن نديا **قوله تعالى** ويزيد الله الذين اهتدوا هدى في هذه الجملة وجهان احدهما انها لا محل لها لاستينافها فانها سيقت للاخبار بذلك وقال الزمخشري انها معطوفة على موضع فليمدد لانه واقع موقع الخبر تقديره من كان في الضلالة مد او يمد له الرحمن مدا ويزيد اي في ضلالهم بذلك المد قال ابو حيان ولا يصح ان يكون ويزيد معطوفا على فليمدد سواء كان دعا او خبرا بصورة الامر لانه في موضع الخبر ان كانت من موصولة او في موضع الجواب ان كانت شرطية وعلى كلا القولين فالجملة من قوله ويزيد الله الذين اهتدوا هدى عارية من ضمير يعود على من يربط جملة الخبر بالمبتدأ او جملة الشرط بالجزاء واذا كانت اداة الشرط اسما لا ظرفا تعين ان يكون في جملة الجزاء ضميره او ما يقوم مقامه وكذا في الجملة المعطوفة عليها وذكر ابو البقا ايضا كما ذكر الزمخشري قال الشهاب الدين

وقد يجاب عما قاله بانا نختار على هذا التقدير ان تكون شرطية وقوله لا بد من ضمير يعود على اسم الشرط غير الظرف ممنوع لان فيه خلافا تقدم تحقيقه ودليله في سورة البقرة فقد يكون الزمخشري وابو البقا من القائلين بانه لا يشترط **فصل** اعلم انه تعالى لما بين ان امهال الكفار بعد ذلك بما ذكره فكذلك يزيد المومنين المهتدين هدى اي ايمانا وايقانا على بعضهم ومن قال من جعل زيادة الهدى على الثواب اي يزيدهم ثوابا على ذلك لاهتدائهم ومنهم من فسر الزيادة بالعبادة على الايمان ثم قال والباقيات الصالحات عند ربك خير ثوابا قال المحققون هي الايمان والاعمال الصالحة تبقى لصاحبها وبعضهم قال الصلوات وبعضهم قال التسبيح وقد تقدم ثم قال تعالى خير عند ربك ثوابا وخير مردا عاقبة ومرجعا ولا يجوز ان يقال هذا خير من جزم والمراد انه خير مما ظنه الكفار بقولهم خير مقاما واحسن نديا **قوله تعالى** أفرأيت الذي كفر بآياتنا الاية أفرأيت عطف بالفاء ايذانا بافادة التعقيب كانه قيل اخبر ايضا بقصة هذا الكافر عقيب قصة اولئك وارايت بمعنى اخبرني كما تقدم والموصول هو المفعول الاول والثاني هو الجملة الاستفهامية من قوله اطلع الغيب ولاوتين جواب قسم مضمر والجملة القسمية كلها في محل نصب بالقول وقوله هنا وولدا وفي اخر السورة وقالوا اتخذ الرحمن ولدا موضعين وفي الزخرف ان كان للرحمن ولد وفي نوح ماله وولده قرأ الاخوان الاربعة بضم اللام وسكون الواو ووافقهما ابن كثير وابو عمرو وعلى الذي في نوح دون السورتين والباقون وهم نافع وابن عامر وعاصم قرأوا ذلك كله بفتح الواو واللام فاما القراءة بفتحتين فواضحة وهو اسم مفرد قائم مقام الجمع واما قراءة الضم والاسكان فقيل هي التي قبلها في المعنى يقال ولد وولد كما يقال عرب وعرب وعدم وعدم وقيل بل هي جمع لولد نحو اسد واسد وقد انشدوا على ذلك

ولقد رأيت معاشرا قد ثمروا مالا وولدا • وانشدوا شاهدا على الولد والولد مترادفان قوله

• فليت فلانا كان في بطن امه • وليت فلانا كان ولد حمار •

وقرأ عبد الله ويحيى بن يعمر وولدا بكسر الواو وهي لغة في الولد ولا يبعد ان يكون هذا من باب الذبح والرعي فيكون ولد بمعنى مولود ونحو القبض بمعنى المقبوض **قوله تعالى** أطلع هذه همزة استفهام سقط من اصلها همزة الوصل وقد قرئ بسقوطها درجا وكسرها ابتداء على ان همزة الاستفهام قد حذفت لدلالة عليها كقوله

• لعمرك ما ادري وان كنت داريا • بسبع رمين الجمر ام بثمان •

واطلع من قولهم واطلع الجبل اي ارتقى الى اعلاه وهو متعد بنفسه لا على اسقاط حرف الجر اي على الغيب كما زعم بعضهم فان قيل لما استدل على صحة البعث واورد شبهة المنكرين واجاب عنها ذكر عنهم ما قالوه استهزاء طعنا في القول بالحشر فقال أفرأيت الذي كفر بآياتنا قال الحسن نزلت في الوليد بن المغيرة والمشهور انها نزلت في العاص بن وائل قال خباب بن الارت كان لي على العاص دين فاتيته اتقاضاه فقال لا والله لا اقضيك حتى تكفر بمحمد فقلت لا والله لا اكفر بمحمد حيا ولا ميتا وفي رواية حتى تموت ثم تبعث قال واني لميت ثم مبعوث قلت نعم فقال انكم تزعمون انكم تبعثون وان في الجنة ذهبا وفضة وحريرا فانا اقضيك ثم فانه سيكون لي مال وولد ثم قال تعالى اطلع الغيب اي انظر في اللوح المحفوظ قال ابن عباس وقال مجاهد اعلم علم الغيب حتى يعلم افي الجنة هو ام لا والمعنى ان الذي ادعى حصوله له لا يتوصل اليه الا باحد هذين الطريقين اما علم الغيب واما عهد من عالم الغيب فبايهما يوصل اليه قيل العهد كلمة الشهادة وقال قتادة عملا صالحا قدمه فهو يرجو بذلك ما يقول وقال الكلبي عهد اليه ان يدخله الجنة كلا ردا عليه اي انه لم يفعل ذلك **قوله تعالى** كلا في هذه اللفظة للنحويين ستة مذاهب الاول وهو مذهب جمهور البصريين كالخليل وسيبويه وابي الحسن الاخفش وابي العباس انها حرف ردع وزجر وهذا معنى لائق بها حيث وقعت في القران وما احسن ما جاءت في هذه الاية حيث زجرت وردعت هذا القائل والثاني وهو مذهب النضر بن شميل انها حرف تصديق بمعنى نعم فيكون جوابا ولا بد حينئذ من ان يتقدمها شيء لفظا او تقديرا وقد تستعمل في القسم والثالث وهو مذهب الكسائي وابي بكر بن الانباري ونصير بن يوسف وابن واصل انها بمعنى حقا والرابع وهو مذهب عبد الله وابي عبد الله محمد بن الباهلي انها رد لما قبلها وهذا قريب من معنى الردع الخامس انها صلة في الكلام بمعنى اي كذا قيل وفيه نظر فان اي حرف جواب ولكنه مختص بالقسم السادس انها حرف استفتاح وهو قول ابي حاتم ولتقرير هذه المذاهب موضوع يليق به وقد قرئ هنا بالفتح والتنوين في كلا هذه ويروى عن ابي نهيك وحكى الزمخشري هذه القراءة وعزاها لابن نهيك في قوله تعالى كلا سيكفرون كلا سيأتي ويحكى ايضا قراءة بالضم والتنوين وعزاها لابن نهيك ايضا فاما قول ابن نهيك فليس هو ابن نهيك انما هو ابو نهيك بالكنية وفي قراءة الفتح والتنوين اربعة اوجه الاول انه منصوب على المصدر بفعل مقدر من لفظها تقديره كلوا كلا اي اعيوا عن الحق اعيا او كلوا عن عبادة الله تعالى

لتهاونهم بها من قول العرب كل السيف اذا نبا عن الضرب وكل زيد اي تعب وقيل المعنى كلوا في دعواهم اي تعبوا
وانقطعوا الثاني انه مفعول به بفعل مقدر من معنى الكلام تقديره حملوا كلا والكل ايضا الثقل تقول فلان
كل على الناس ومنه قوله تعالى وهو كل على مولاه والثالث ان الالف بدل من التنوين وقيل التنوين بدل من
كلا وهي التي يراد بها الردع والزجر فيكون حرفا ايضا قال الزمخشري ولقايل ان يقول ان صحت هذه الرواية
فان قيل هي التي وافقت للوقوع والردع فالجواب لو اقف عليها الفها نونا كما في قوله تعالى قواريرا قال ابو حيان
وهذا ليس بجيد لانه قال التي للردع حرف ولا وجه لقلب الفها نونا وتشبيهه بقواريرا ليس بجيد لان قواريرا
اسم يرجع به الى اصله فالنون ليس بدلا من الف بل هو تنوين الصرف وهذا الجمع مختلف فيه ايصح منع صرفه ام يجوز
فيه قولان الاول انه مفعول ايضا وان لغة بعض العرب يصرفون ما لا ينصرف فهذا القول اما على قول من لا يرى
بالتحتم او على تلك اللغة الوجه الرابع انه نعت لالهة قال ابن عطية وفيه نظر اذ ليس المعنى على ذلك وقد يظهر لوجه
ان يكون وجه الالهة بالكل الذي على المصدر بمعنى الاعياء والعجز كانه قيل الهة كالين عاجزين منقطعين ولما
وصفهم بالمصدر وحده **فصل** روي ابن عطية والداني وغيره عن ابي نهيك انه قرئ كلا بضم الكاف اي
اي قوا كلا بضم الكاف والتنوين وفيهما تاويلان احدهما انه ينتصب على الحال اي سيكفرون كلا قدره ابو البقا
واستبعده والثاني انه منصوب بفعل مقدر اي يرفضون اي يجحدون ويتركون كلا قال ابن عطية القول الثاني
حكى ابن جرير ان ابا نهيك قرا كل بضم الكاف ورفع اللام منونا على انه مبتدا والجملة الفعلية بعده خبره وظاهر عبارة
هؤلاء انه لم يقرا بذلك الا في كلا الثانية وقرا علي بن ابي طالب ومحمد بن احمد وقد تقدم القول في مد ومدا **قوله تعالى**
ونرثه ما يقول يجوز في ما وجهان احدهما ان يكون مفعولا بها والضمير في نرثه منصوب على اسقاط الخافض تقديره
ونرث منه ما يقوله الثاني ان يكون بدلا من الضمير في نرثه بدل اشتمال وقدره بعضهم مضافا قبل الموصول اي نرث معنى ما
يقول او مسمى ما يقول وهو المال والولد لان نفس القول لا يورث **قوله تعالى** سنكتب ما يقول سنحفظ ما يقول
فنجازيه في الاخرة وقيل نامر الملائكة حتى يكتبوا ما يقول ونمد له من العذاب مدا اي نزيده عذابا فوق العذاب
وقيل نطيل عذابه ونرثه ما يقول اي نحفظ ما يقول حتى نجازيه ويأتينا فردا يوم القيامة بلا مال ولا ولد **قوله
تعالى** واتخذوا من دون الله الهة يعني كفار قريش اتخذوا الاصنام الهة يعبدونها ليكونوا لهم عزا اي منعة
بحيث يكونوا لهم شفعاء وانصارا ينقذونهم من الهلاك ثم اجاب الله بقوله كلا ليس الامر كما زعموا سيكفرون
بعبادتهم اي كلا سيكفرون بعبادة هذه الاوثان **قوله تعالى** سيكفرون يجوز ان يكون الضمير عايدا
على الالهة لانه اقرب مذكور ولان الضمير في يكون عايدا عليهم فقط ومثله واذا راى الذين اشركوا شركاءهم
ثم قال فالقوا اليهم القول انكم لكاذبون قيل اراد بذلك الملائكة لانهم يكفرون بعبادتهم ويتبراون منهم ويخاصمونهم
وهو المراد بقوله اهؤلاء اياكم كانوا يعبدون وقيل ان الله تعالى يحيي الاصنام يوم القيمة حتى يوبخوا عبادها
ويتبراوا منهم فيكون ذلك اعظم لحسرتهم وقيل الضمير يعود على المشركين ومثله قوله تعالى والله ربنا ما كنا مشركين
الا ان فيه عدم توافق الضماير اذ الضمير في يكون عايدا على الالهة بعبادتهم مصدر مضاف الى فاعله وان كان الضمير
في عبادتهم عايدا على المشركين العابدين او على المفعول ان عاد على الالهة ضدا انما وحده وان كان خبرا عن جمع لاحد
وجهين اما لانه مصدر في الواحد وفي الاصل والضد العون وحد توحيده لقوله عليه السلام وهم يد على من سواهم
لاتفاق كلمتهم وانهم كشي واحد لفرط نظامهم وتوافقهم والضد العون والمعاونة ويقال من اضدادكم اي اعوانكم
قيل وسمي العون ضدا لانه يضاد من يعاديك وينافيه باعانتك له عليه وفي التفسير الضد هنا الاعدا وقيل القرن
وقيل البلا وهذه تناسب معنى الاية قيل ذكر ذلك في مقابلة قوله لهم عزا والمراد ضد العز وهو الذل والهوان اي يكونون
عليهم ضدا لما قصدوه وارادوه كانه قيل ويكونون عليهم ذلا لا لهم **قوله تعالى** الم تر انا ارسلنا الاية
لما ذكر حال هؤلاء الكفار مع الاصنام في الاخرة ذكر بعده حالهم مع الشياطين في الدنيا وانهم يتولونهم وينقادون
لهم فقال تعالى الم تر انا ارسلنا الشياطين على الكافرين احتج اهل السنة بهذه الاية على ان الله تعالى سلطهم عليهم لارادة
ان يتولوا عليهم ويتوكد هذا بقوله تعالى تؤزهم ازا فان معناه تؤذهم اذا وبيا كذا استفز من استطعت منهم بصوتك
قال القاضي حقيقته باللفظ يوجب انه تعالى ارسل الشياطين الى الكفار كما ارسل الانبيا بان حملهم رسالة يؤدونها
اليهم ولا يجوز في تلك الرسالة الا ما ارسل عليه الشياطين من الاغوا فكان يجب على الكفار ان يكونوا يقبلونهم من الشياطين
مطيعين وذلك كفر من قايله ولان من مذهب تعلق المجبرة بل لان عندهم ان اضلاله لهم من قبله تعالى خلق فيهم الكفر وقدر
الكفر فلا تاثير لما يكون من الشياطين واذا بطل حمل اللفظ على ظاهره فلا بد من التاويل نحمله على انه تعالى خلى بين الشياطين

وبين الكفار وما منع من اغوايهم وهذه التخلية وتسمى ارسالا في سعة اللغة كما اذا لم يمنع الرجل كلبه من دخول بيت
جيرانه فيقال ارسل كلبه عليهم وان لم يرد اذى الناس وهذه التخلية وان كان فيها تشديد للمحنة عليهم فهم متمكنون بان
لا يقبلوا منهم ويكون ثوابهم على ترك القبول اعظم والدليل عليه قوله تعالى وما كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم
فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا انفسكم قال ابن الخطيب وهذا لا يمكن حمله على ظاهره فان قول الشياطين لو اسلم
الى الكفار لكان الكفار مطيعين له بعقول قول الشياطين قلنا القول الله تعالى بما ارسل الشياطين الى الكفار
بل ارسلهم عليهم والارسال عليهم هو التسليط لارادة ان يصير مستوليا عليهم عليه فان هذا من الارسال اليه وقوله
ضلال الكافر من قبل الله تعالى فاي تاثير للشيطان فيه فان قيل لم لا يجوز ان استماع الشياطين اياه بتلك الوسوسة
يوجب في قلبه الضلال بشرط استماعه فهو السامع لان كلام الشياطين والكفر فقد خلى بينهم وبين الانبيا ثم انه
تعالى حض الكافر بان ارسل الشياطين عليه فلا بد من فايدة زايدة ها هنا ولان قوله تعالى تؤزهم ازا اي تحركهم
تحريكا شديدا فالجواب ان الغرض من ذلك الارسال يوجب ان يكون ذلك لازم مراد الله تعالى اذ يحصل المقصود منه
قوله تعالى ازا مصدر موكد والاز والازيز والهز والاستفزاز قال الزمخشري اخوات وهو التهيج وشدة
الازعاج اي تغريهم على المعاصي وتهيجهم لها بالوسواس قال ابن عباس تؤزهم ازا اي تزعجهم في المعاصي ازعاجا من
الطاعة الى المعصية والاز ايضا شدة الصوت ومنه ازت القدر اذا اوارت اي غلت واشتد غليانها حتى سمع لها صوت وفي
الحديث فكان له ازيز كازيز الجذع حتى فارقه النبي صلى الله عليه وسلم **قوله تعالى** فلا تعجل عليهم اي لا تعجل بطلب
عقوبتهم يقال عجلت عليهم بكذا اذا استعجلت منه **قوله تعالى** انما نعد لهم عدا قال الكلبي يعني الليالي والايام والشهور
والاعوام وقيل الانفاس التي يتنفسون بها في الدنيا الى الاجل الذي اجل لعذابهم وقيل نعد اعمالهم وانفاسهم فنجازيهم
على قليلها وكثيرها وقيل نعد الاوقات اي وقت الاجل المعين الذي لا يتطرق اليه الزيادة والنقصان **قوله تعالى**
يوم نحشر منصوب بسيكفرون او بيكونون لانه يتعدى لان يتعدد يتضمن معنى المجازاة او بقوله لا يملكون الذي بعده او بمضمر
وهو اذكر واحذر وقيل هو معمول الجواب سؤال مقدر وكانه قيل متى يكون ذلك فقيل يكون يوم نحشر وقيل تقديره
يوم نحشر ونسوق نفعل بالفريقين ما لا يحيط به الوصف **قوله تعالى** وفدا نصب على الحال وكذلك وردا والوفد
الجماعة الوافدون يقال وفد يفد وفدا ووفودا ووفادة اي قدم على سبيل التكرمة فهو في الاصل
مصدر ثم اطلق على الاشخاص كالضيف وقال ابو البقا انه جمع وافد مثل راكب وركب وصاحب وصحب وهذا الذي
قاله ليس مذهب سيبويه لان فاعلا لا يجمع على فعل عند سيبويه واجازه الاخفش واما ركب وصحب فاسم جمع لا جمع
بدليل تصغيرها على الفاظها قال الشاعر • احصى ركيبا وصحيبا عاديا • فان قيل لعل ابا البقا اراد الجمع
اللغوي فالجواب انه قال بعد قوله هذا والورد اسم لجمع على فاعل فدل انه قصد الجمع صناعة للمقابل الاسم الجمع والورد
اسم للجماعة العطاش والوارد الى الماء وهو في الاصل ايضا مصدر اطلق على الاشخاص يقال ورد الماء يرده وردا وورودا
قال الشاعر • ردي ردي ورد قطاة صما • كدرية اعجبها برد الما • وقال ابو البقا
هو اسم لجمع وارد وقيل هو بمعنى وارد وقيل هو محذوف من وارد وهو بعيد يعني انه يجوز ان يكون صفة على فعل
وقرا الحسن والجحدري يحشر المتقون ويساق المجرمون على ما لم يسم فاعله قال المفسرون اذكر لهم يا محمد اليوم نجمع فيه من اتقى
في الدنيا بطاعته الى الرحمن الى جنته وفدا اي جماعات جمع وافد مثل راكب وركب وصاحب وصحب وقال ابن عباس ركبانا
وقال ابو هريرة على الابل وقال علي بن ابي طالب ما يحشرون والله على ارجلهم ولكن على نوق رحالها من ذهب ونجايب سروجها
يواقيت ان هموا بها سارت وان هموا طارت ونسوق المجرمين الكافرين الى جهنم وردا اي مشاة وقيل عطاشا قد تقطعت
اعناقهم من العطش وقوله ونسوق المجرمين يدل على انهم يساقون الى النار باهانة واستخفاف كانهم عطاش تساق الى الماء
والورد العطاش وحقيقة الورد المسير الى الماء سمي به الواردون فان قيل الطعن المحذوف في قوله يوم نحشر المتقين
الى الرحمن فقالوا هذا انما يستقيم ان لو كان الحشر عند غير الرحمن اما اذا كان الحشر عند الرحمن فهذا الكلام لا ينتظم واجاب
المسلمون بان التقدير يوم نحشر المتقين الى محل كرامة الرحمن **قوله تعالى** لا يملكون في هذه الجملة وجهان احدهما انها
مستانفة سيقت للاخبار بذلك الثاني انها في محل نصب على الحال مما تقدم وفي هذه الواو قولان احدهما انها علامة للجمع
ليست ضميرا وانما هي علامة كهي في قوله اكلوني البراغيث والفاعل من اتخذ لانه في معنى الجمع قاله الزمخشري وفيه بعد وكانه
قيل لا يملك الشفاعة الا من اي الا المتخذون عهدا قال ابو حيان حمل القران على هذه اللغة القليلة مع وضوح جعل
الواو ضميرا وقد قال الاستاذ ابو الحسن العصفور انها لغة ضعيفة قال الشهاب الذي قد قال ذلك في قوله عموا وصموا كثير
منهم واسوا النجوى الذين ظلموا فلهذا الموضع بهما اسوة ثم قال ابو حيان وايضا فالالف والواو والنون التي يكونون علامات

لاضمار ولا يحفظ ما يجي بعدها فاعلا الا بصريح التثنية او العطف اما ان ياتي بلفظ مفرد ويطلق على جمع او مثنى
فيحتاج في اثبات ذلك الى نقل واما عود الضمائر مثناة او مجموعة على مفرد في اللفظ يراد به المثنى والمجموع فمسموع معروف
في لسان العرب على انه يمكن قياس هذه العلامات على تلك الضمائر ولكن الاحوط ان لا يقال الا بسماع والثاني ان الواو
وفيما يعود عليه حينئذ ثلاثة اوجه الاول انها تعود على الخلق جميعهم لدلالة ذكر الفريقين المتقين والمجرمين عليهم
اذ هما قسماه والثاني انها تعود على المتقين والمجرمين فقط وهو تحكم **قوله تعالى** الا من اتخذ هذا الاستثناء
يعود على ما ذا قيل انها تعود على الخلق او على الفريقين المذكورين فالاستثناء حينئذ متصل وفي محل الاستثناء
الوجهان المشهوران اما الرفع على البدل واما النصب على اصل الاستثناء وان قيل انه يعود على المجرمين كان استثناء
منقطع وفيه اللغتان المشهورتان لغة الحجاز التزام النصب ولغة تميم جوازه مع جواز البدل كالمتصل **فصل**
جعل الزمخشري هذا الاستثناء من الشفاعة على حذف مضاف تقديره لا يملكون الشفاعة الا شفاعة من اتخذ فيكون
نصبه على وجهي البدل ووجه الاستثناء نحو ما رايت احدا الا زيدا وقال بعضهم ان الاستثناء محذوف والتقدير لا يملكون
الشفاعة لاحد الا من اتخذ عند الرحمن عهدا فحذف المستثنى منه فهو كقول الشاعر

نجا سالم والنفس منه بشدقه • ولم ينج الا جفن سيف ومئزر •

اي ولم ينج بشيء وقال ابن عطية الاستثناء متصلا وان عاد الضمير في لا يملكون على المجرمين على ان يراد بالمجرمين الكفرة
والعصاة من المسلمين قال ابو حيان وحمل المجرمين على الكفار والعصاة بعيد قال شهاب الدين ولا بعد فيه وكما يستبعد
اطلاق المجرمين على العصاة كذلك يستبعد عموم اطلاق المتقين على العصاة بل اطلاق المجرم على العاصي اشهر من اطلاق
المتقي عليه **فصل** قال بعضهم لا يملكون ان يشفعوا لغيرهم كما يملكه الموصوف وقال اخرون لا يملك غيرهم
ان يشفع لهم وهذا اولى لان الاول يجري مجرى ايضاح الواضح واذا ثبت ذلك دلت الاية على حصول الشفاعة
لاهل الكبائر لانه قال عقيبه الا من اتخذ كقوله تعالى لا يشفعون الا لمن ارتضى فكل من اتخذ عند الرحمن عهدا وجب دخوله
فيه وصاحب الكبيرة اتخذ عند الرحمن عهدا وهو التوحيد فوجب دخوله تحته ويؤكده ما روى ابن مسعود انه عليه السلام
قال لاصحابه ذات يوم ايعجز احدكم ان يتخذ عند كل صباح ومساء عند الله عهدا قالوا وكيف ذلك قال يقول عند كل صباح
ومساء اللهم فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة اني اعهد اليك باني اشهد ان لا اله الا انت وحدك لا شريك لك
وان محمدا عبدك ورسولك فاني ان تكلني الى نفسي تقربني من الشر وتباعدني من الخير واني لا اثق الا برحمتك فاجعل لي عهدا
توفينيه يوم القيمة انك لا تخلف الميعاد فاذا قال ذلك طبع الله بطابع ووضع تحت العرش فاذا كان يوم القيمة نادى
مناد اين الذين لهم عند الله عهد فيقومون فيدخلون الجنة فظهر ان المراد من العهد كلمة الشهادة وظهر وجه الدلالة على ثبوت
الشفاعة لاهل الكبائر **قوله تعالى** وقالوا اتخذ الرحمن ولدا تقدم خلاف القراء في ولد بفتح اللام وسكونها وانهما
لغتان مثل العرب والعرب والعجم والعجم واعلم انه لما رد على عبدة الاوثان عاد على الرد على من اثبت له ولدا وقالت
اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله وقالت العرب الملائكة بنات الله وهم العرب الذين يعبدون الاوثان
لان الرد على النصارى تقدم اول السورة **قوله تعالى** لقد جئتم شيئا ادا العامة على كسر الهمزة من ادا وهو الامر
العظيم المنكر المتعجب منه قاله ابن عباس وقرا السلمي وابو العالية بفتحها وخرجوه على حذف مضاف اي شيئا اد الا ان
الاد بالفتح مصدر يقال اد الامر وادني يؤدني اي اثقلني وقال ابو حيان ذكرنا ان الاد بفتح الهمزة وكسرها هو العجب
وقيل هو العظيم المنكر والادة الشدة وعلى قوله ان الاد والاد بمعنى واحد ينبغي ان لا يحتاج الى حذف مضاف اي شيئا
ذا اد **قوله تعالى** تكاد قرا نافع والكسائي بالياء من تحت والباقون بالتاء من فوق وهما واضحان اذ التانيث مجازي
وكذلك في حم عسق الشورى وقرا ابو عمرو وابو بكر وابن عامر عن عاصم وحمزة ينفطرن مضارع انفطر كقوله تعالى اذا
السماء انفطرت والباقون بالتشديد مضارع تفطر في هذه السورة واما التي في الشورى فقراها حمزة وابن عامر بالياء
والتاء وتشديد الطاء الانفطار من فطره والباقون على اصولهم في هذه السورة فتلخص من ذلك ان ابا عمرو وابا بكر
يقرآن بالياء والنون في السورتين وان نافعا وابن كثير والكسائي وحفصا عن عاصم يقرؤون بالياء والتاء وتشديد
الطاء الانفطار من فطره اذا شقه وكرر فيه الفعل وقال ابو البقاء وهو هنا اشبه بالمعنى وينفطرن في محل نصب
وزعم الاخفش انها هنا بمعنى الارادة وانشد قول الشاعر

كادت وكدت وتلك خير ارادة • لو عاد من لهو الصبابة ما مضى •

يقال انفطر الشيء وتفطر اي تشقق وقرا ابن مسعود يتصدعن وتنشق الارض اي تخسف بهم والانفطار في السماء
اي تسقط عليهم وتخر الجبال هدا اي تهد هدا بمعنى تنطبق عليهم فان قيل من اين يؤثر القول باثبات الولد لله تعالى

في انفطار السموات والانشقاق الارض وخرور الجبال فالجواب من وجوه الاول ان الله تعالى يقول كدت افعل
هذا بالسموات والارض والجبال عند وجود هذه الكلمة ان امسكهما من احد من بعده انه كان حليما غفورا الثاني ان يكون
استعظاما للكلمة وتهويلا من فظاعتها وهدمها لاركان الدين وقواعده الثالث ان السموات والارض والجبال تكاد
ان تفعل كذلك لو كانت تعقل من غلظ هذا القول وهذا تاويل ابي مسلم الرابع ان السموات والارض والجبال كانت سليمة
من كل العيوب فلما تكلم بنو ادم بهذا الكلام ظهر العيوب فيها **قوله تعالى** هدا فيه ثلاثة اوجه الاول انه مصدر
في موضع الحال اي مهدودة وذلك على ان يكون المصدر من هد الحائط يهد هدا اي هدم والثاني وهو قول
ابي جعفر انه مصدر على غير المصدر ولما كان في معناه لان الخرور السقوط والهدم وهذا على ان يكون من هد الحائط يهد
بالكسر اي انهدم فيكون لازما الثالث ان يكون مفعولا من اجله قال الزمخشري لانها تهد **قوله تعالى** ان دعوا
للرحمن في محله خمسة اوجه الاول انه في محل نصب على المفعول من اجله قاله ابو البقاء والحوفي ولم يبينا ما العامل فيه ويجوز ان
يكون العامل تكاد او تخر او هدا اي تهد لان دعوا ولكن شرط النصب هنا مفقود وهو اتحاد الفاعل وقال الزمخشري
وان يكون منصوبا بتقدير سقوط اللام وافضاء الفعل اي هدا لان دعوا علل الخرور بالهد والهد بدعاء الولد للرحمن فهذا
تصريح منه بانه على اسقاط الخافض كما هو مذهب الخليل والكسائي والثالث انه بدل من الضمير في منه كقوله

على حالة لو ان في القوم حاتما • على جوده لضن بالماء حاتم •

الاحتمل بدل من الهاء في جوده قال ابو حيان وهو بعيد لكثرة الفصل بين البدل والمبدل منه بجملتين الرابع ان يكون مرفوعا
بهدا قال الزمخشري اي هدها دعاء الولد للرحمن قال ابو حيان وفيه بعد لان الظاهر في هدا ان يكون مصدرا توكيديا
والمصدر التوكيدي لا يعمل ولو فرضناه غير توكيدي لم يعمل بقياس الا اذا كان امرا او مستفهما عنه نحو ضربا زيدا او اضربا
زيدا على خلاف فيه واما ان كان خبرا كما قدره الزمخشري اي هدها دعاء الرحمن للولد فلا ينقاس بل ما جاء في ذلك
فهو نادر كقول امرئ القيس • وقوفا بها صحبي على مطيهم • يقولون لا تهلك اسى وتجمل • اي وقف صحبي الخامس
انه خبر مبتدا محذوف تقديره الموجب لذلك دعاؤهم كذا قدره ابو البقاء قال ابن عباس وكعب فزعت السموات والارض
والجبال وجميع الخلائق الا الثقلين وكادت ان تزول وغضبت الملائكة واسعرت جهنم حين قالوا لله ولد ثم نفى الله
تعالى عن نفسه الولد فقال وما ينبغي للرحمن ان يتخذ ولدا اي ما يليق به اتخاذ الولد لان ذلك محال اما الولادة المعروفة
فلا مقالة في امتناعها فاما التبني فان الولد لا بد وان يكون شبيها بالوالد ولا شبيه لله تعالى ولان اتخاذ الولد انما
يكون لاغراض اما من سرور او استعانة او ذكر جميل وذلك لا يصح في الله تعالى **قوله تعالى** ان كل من في السموات
والارض يجوز في من ان تكون نكرة موصوفة وصفها الجار بعدها ولم يذكر ابو البقاء غير ذلك وكذلك الزمخشري الا ان
ظاهر عبارته انها يقتضي انه لا يجوز غير ذلك فانه قال من موصوفة فانها وقعت بعد كل ويجوز ان تكون موصولة قال
ابو حيان اي ما كل الذي في السموات وكل تدخل على الذي لانها تاتي للجنس كقوله تعالى والذي جاء بالصدق وصدق به
ونحوه حملتني الحمل اي انه لا بد للموصول بالعموم حتى يصح اضافة كل اليه ومتى اريد به معهود بعينه تمحض واستحال
كل اضافة ذلك اليه **قوله تعالى** الرحمن خبر كل جعل مفردا حملا على لفظها ولو جمع لجاز وقد تقدم اول الكتاب
انها اذا اضيفت لمعرفة جاز الوجهان وقد تكلم السهيلي في ذلك فقال كل اذا ابتديت وكانت مضافة لفظا للمعنى
لمعرفة فلا يحسن الا افراد الخبر حملا على المعنى كلكم ذاهب اي كل واحد منكم انما هو حمل على اللفظ لانه اسم مفرد وقلنا بل هو
اسم للجمع واسم الجمع لا يخبر عنه بافراد تقول القوم ذاهبون ونحوه ولا تقل ذاهب وان كان لفظ القوم لفظ المفرد
وانما حسن كلهم ذاهب لانهم يقولون كل واحد منكم فكان الافراد مراعاة لهذا المعنى قال ابو حيان ويحتاج ذاهبون ونحوه
الى سماع ونقل عن العرب تقوية ما قاله السهيلي قال شهاب الدين وتسميته الافراد حملا على المعنى غير الايضاح بل ذلك حمل على اللفظ
والجمع هو الحمل على المعنى قال ابو البقاء ووحدت حملا على لفظ كل وقد جمع في موضع اخر حملا على معناها قال شهاب الدين
ولم في موضع اخر اذ يعني في القران فالايات الجمع الا وكل مقطوعة عن الاضافة نحو وكل في فلك يسبحون وكل اتوه داخرين
وان عني على غيره فكل يحتاج الى سماع عن العرب كما تقدم والجمهور على اضافة اتي الى الرحمن وقرا عبد الله بن الزبير وابو حيوة
وطلحة وجماعة بتنوينه ونصب عبدا وفردا على الحال **فصل** المعنى ان كل من في السموات من الملائكة وفي الارض
من الناس الا اتي الرحمن يلتجئ الى ربوبيته عبدا مطيعا منقادا ذليلا خاضعا كما ياتي العبيد ومنهم من حمله الى يوم القيمة
خاصة والاول اولى لانه لا تخصيص فيه لقد احصاهم وعدهم عدا اي عد انفاسهم وافعالهم واياتهم فكل تحت تدبيره
وهم محيط بهم لا يخفى عليه شيء من امورهم وكلهم اتيه اي كل واحد منهم اتيه يوم القيمة فردا وحيدا ليس معه شيء من الدنيا
قوله تعالى ان الذين امنوا وعملوا الصالحات لما رد على الكفرة وشرح احوالهم في الدنيا والاخرة ختم السورة

بذكر اقوال المومنين **قوله تعالى** ودا العامة على ضم الواو وقرا ابو الحرث الحنفي بفتحها وجناح بن حبيش بكسرها فيحتمل ان يكون المفتوح مصدرا او المضموم او المكسور اسمين قال المفسرون سيجعل لهم الرحمن محبة قال مجاهد يحبهم الله ويحببهم الى عباده قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا احب الله العبد قال لجبريل قد احببت فلانا فاحبه فيحبه جبريل ثم ينادي في اهل السماء ان الله قد احب فلانا فاحبوه فيحبه اهل السماء ثم يوضع له القبول في الارض واذا ابغض الله العبد قال مالك لا احسبه الا قال في البغض مثل ذلك والسين في سيجعل اما لان السورة مكية وكان المومنون حينئذ ممقوتين بين الكفرة فوعدهم الله ذلك اذا جاء الاسلام والمعنى سيحدث لهم في القلوب مودة واما ان يكون ذلك يوم القيمة يحببهم الى خلقه بما يظهر من حسناتهم روي عن كعب قال مكتوب في التورية لا محبة في الارض حتى يكون ابتداؤها من الله تعالى ينزلها على اهل السماء ثم على اهل الارض وتصديقه في القران قوله تعالى سيجعل لهم الرحمن ودا وقال ابو مسلم معناه يهب لهم ما يحبون والود والمحبة سواء يقال اتيت فلانا محبته وجعلت له وداه ومن كلامهم يودي لو كان كذا والمعنى سيعطيهم الرحمن ودهم اي محبوبهم في الجنة والقول الاول اولى لتفسير الرسول عليه السلام ولان حمل المحبة مجاز قال ابو مسلم القول الثاني اولى لوجوه الاول كيف يصح القول الاول مع علمنا بان المسلم التقي يبغضه الكفار وقد يبغضه كثير من المسلمين الثاني ان هذه المحبة قد تحصل للكفار والفساق اكثر فكيف يمكن جعله انعاما في حق المومنين الثالث ان محبتهم في قلوبهم من فعلهم لا ان الله تعالى فعله فكان حمل الاية على اعطاء المنافع الاخروية اولى واجيب عن الاول بان المراد يجعل له محبة عند الملائكة والانبياء وعن الثاني ما روي عنه عليه السلام انه حكى عن ربه سبحانه انه قال اذا ذكرني عبدي في نفسه ذكرته في نفسي وان ذكرني في ملاء ذكرته في ملاء اطيب منهم وافضل والفاسق ليس كذلك وعن الثالث انه محمول على فعل الالطاف وخلق داعية الاكرام في قلوبهم **قوله تعالى** بلسانك يجوز ان يكون متعلقا بمحذوف على انه حال اي للسان هو اللغة اي انزلناه كاينا بلسانك وقيل هي بمعنى الى وهذا لا حاجة اليه بل لا يظهر له معنى **قوله تعالى** يسرناه سهلناه يعني القران يا محمد لتبشر به المتقين يعني المتقين المومنين وهذا كلام مستانف لو فوح هذه السورة لخاتمها من ذكر التوحيد والنبوة والحشر والرد على فرق المبطلين فبين تعالى انه يسر ذلك بلسانه ليبشر وينذر ولولا انه تعالى نقل قصصهم الى اللغة العربية لما يسر ذلك على الرسول ولما ذكر انه يبشر به المومنين والمتقين ذكر في مقابلته من هو في مخالفة التقوى وهو الالد الذي يتمسك بالباطل ويجادل فيه فقال وتنذر به قوما لدا وهو جمع الالد وهو الشديد في الخصومة وقال مجاهد هو الظالم الذي لا يستقيم وقال ابو عبيدة الالد الذي لا يقبل الحق ويدعي الباطل وقال الحسن الالد الاصم عن الحق ثم ختم السورة بموعظة بليغة فقال وكم اهلكنا قبلهم من قرن لانهم اذا تاملوا وعلموا انه لابد من زوال الدنيا وانه لابد فيها من الموت خافوا سوء العاقبة في الاخرة فكانوا الى الحذر من المعاصي اقرب ثم اكد تعالى ذلك فقال هل تحس منهم من احد قرا الناس تحس بضم التاء وكسر الحاء وقرا بعضهم بالفتح والكسر من احسه اي شعر به ومنه الحواس **قوله تعالى** او تسمع لهم ركزا ومن احد هو في الاصل صفة له ومن احد مفعول زيدت فيه من وقرا حنظلة تسمع بضم التاء وفتح الميم مبنيا للمفعول وركزا مفعول على كلتي القرائتين الا انه مفعول ثاني في القراءة ركزا الصوت الخفي دون نطق بحروف ولا فم ومنه ركز اي غيب طرفه في الارض واخفاه ومنه الركاز وهو المال المدفون لخفائه واستتاره وانشدوا

• فتوجست ركز الانيس فراعها • عن ظهر غيب والانيس سقامها •

قال المفسرون هل تحس هل ترى وقيل هل تجد منهم من احد لان الرسول عليه السلام اذا لم يحس منهم من احد برؤية وادراك ووجدان ولا يسمع لهم ركزا اي صوتا خفيا دل ذلك على انقراضهم وفنائهم بالكلية قال الحسن بادوا جميعا فلم يبق منهم عين ولا اثر روى الثعلبي عن ابي بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة مريم اعطي من الاجر بعدد من صدق بزكريا ويحيى وعيسى وموسى وهارون وابراهيم واسحق ويعقوب واسماعيل عشر حسنات وبعدد من دعا لله ولدا وبعدد من لم يدع له ولدا والله اعلم بالصواب واليه المرجع والماب •

سورة طه عليه السلام مائة وخمس وثلاثون آية مكية

عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اعطيت السورة التي ذكرت فيها البقرة من الذكر الاول واعطيت طه والطواسين الحديث بسم الله الرحمن الرحيم **قوله تعالى** طه قرا ابو عمرو بفتح الطا وكسر الها وكسرهما جميعا حمزة والكسائي وابو بكر والباقون بفتحهما قال الزجاج ويقرا طه بفتح الطا وسكون الها وكلها لغات قال الزجاج من فتح الطاء والهاء فلان ما قبل الالف مفتوح ومن كسر الطاء والهاء امال الحروف لان الكسر مقصور والمقصور يغلب عليه الامالة الى الكسر **فصل** قد تقدم الكلام في الحروف المقطعة والكلام في هذه ههنا في لان الصحيح انها من ذلك وقيل انه مفيد فقال الثعلبي طا شجرة طوبى والها الهاوية فكانه اقسم بالجنة والنار وقال سعيد بن جبير هو افتتاح اسمه الطيب الطاهر الهادي وقيل يا مطمع الشفاعة للامة ويا هادي الخلق الى الملة وقيل الطا تسعة في الحساب والها خمسة يكون اربعة عشر ومعناه يا ايها البدر وقيل غير ذلك وقيل معنى طه يا رجل وهو مروي عن ابن عباس والحسن ومجاهد وسعيد بن جبير وقتادة وعكرمة والكلبي ثم قال سعيد بن جبير بالنبطية وقال قتادة بالسريانية او بالحبشية وقال الكلبي بلغة عك وقيل عكل وهي لغة يمانية وحكى الكلبي انك لو قلت في عك يا رجل لم يجب حتى تقول طه وقال الطبري طه في عك بمعنى يا رجل وانشد شاعرهم •

• دعوت بطه في القتال فلم يجب • فخفت عليه ان يكون مواليا •

وقال اخر • ان السفاهة طه في خلائقكم • لا قدس الله ارواح الملاعين •

قال الزمخشري واثر الصيغة ظاهر في البيت المستشهد به فذكره وقال السدي معناه يا فلان وقال الزمخشري ايضا ولعل عكا تصرفوا في يا هذا كانهم في لغتهم يقلبون اليا طاء فقالوا في يا طا واختصروا في هذا فكانه قيل في الاية الكريمة يا هذا وفيه بعد كثير واعترض عليه بعضهم فقال لو كان كذلك لوجب ان يكتب اربعة احرف طاها قال ابو حيان ثم حرص وجره على عك ما لم ينقله نحوي وهو انهم يقلبون يا التي للندا ويحذفون اسم الاشارة ويقتصرون عنه على ها التي للتنبيه وقيل طه اصله طاها بهمز طا امر من وطئ يطا وها ضمير مفعول يعود على الارض ثم ابدل الهمزة لسكونها الفا ولم يحذفها في الامر نظرا الى اصلها اي طا الارض بقدميك وفي الحديث انه قام حتى تورمت قدماه وقرا الحسن وعكرمة وابو حنيفة وورش في اختياره طه باسقاط الالف بعدها وها ساكنة وفيها وجهان احدهما ان الاصل طا بالهمز امرا ايضا من وطئ يطا ثم ابدل الهمزة ها كما ابدلوها في هرقت وهرجت وهنرت والاصل ارقت وارجت وانرت والثاني انه ابدل الهمزة الفا كانه اخذه من وطي يطا بالبدل كقوله • لا هناك المرتع • ثم حذف الالف حملا على المجزوم وتناسيا لاصل الهمزة ثم الحق ها السكت واجري الوصل مجرى الوقف وقد تقدم في اول يونس الكلام على من امال طا وها **قوله تعالى** ما انزلنا قرا طلحة نزلنا مبنيا للمفعول القران رفع لقيامه مقام فاعله وهذه الجملة يجوز ان تكون مستانفة ان جعلت طه تعديدا للاسماء الحروف ويجوز ان تكون خبرا لطه ان جعلتها اسما للسورة ويكون القران ظاهرا واقعا موقع المضمر لان طه قران ايضا ويجوز ان يكون جوابا ان جعلت طه مقسما به وقد تقدم تفصيل ذلك **فصل** قال الكلبي لما انزل على النبي صلى الله عليه وسلم الوحي بمكة اجتهد في العبادة حتى تراوح بين قدميه في الصلاة لطول قيامه وكان يصلي الليل كله فانزل الله هذه الاية وامره ان يخفف على نفسه فقال ما انزلنا عليك القران لتشقى وقيل لما راى المشركون اجتهاده في العبادة قالوا انك لتشقى حين تركت دين ابائك اي لتعيى وتتعب وما انزل عليك القران بالحمل الا لشقائك فنزلت ما انزلنا عليك القران لتشقى واصل الشقا في اللغة العنا وقيل المعنى انك لا تلام على كفر قومك كقوله تعالى لست عليهم بمسيطر وقوله تعالى وما انت عليهم بوكيل اي انك لا تواخذ بذنبهم وقيل هذه السورة من اوايل ما نزل بمكة وكان عليه السلام في ذلك الوقت كان مقهورا تحت ذل الاعداء فكانه تعالى قال لا تظن انك تبقى ابدا على هذه الحالة بل يعلو امرك ويظهر قدرك فانا ما انزلنا عليك مثل هذا القران لتبقى شقيا فيما بينهم بل لتصير معظما مكرما **قوله تعالى** الا تذكرة في نصبه اوجه الاول ان يكون مفعولا له والعامل فيه فعل الانزال وكذلك لتشقى علة له ايضا ووجب مجي الاول مع اللام لانه ليس بفاعل الفعل المعلل ففاتته شريطة الانتصاب على المفعولية والثاني جاز قطع اللام عنه ونصبه لاستجماعه الشرايط هذا كلام الزمخشري ثم قال فان قيل هل يجوز ان يقال لما انزلنا ان تشقى كقوله تعالى ان تحبط اعمالكم فالجواب بلى ولكن نصبه طاري كالنصبة في اختار موسى قومه واما النصبة في تذكرة فهي كالتي في ضربته زيدا لان احد المفاعيل الخمسة التي هي اصول وقوانين لغيرها قال شهاب الدين قد منع ابو البقا ان يكون تذكرة مفعولا لانزلنا المذكورة لانها قد تعدت الى مفعولها لتشقى فلا تتعدى الى اخر من جنسه وهذا المنع ليس بشي لانه يجوز ان يعلل الفعل بعلتين فاكثر وانما تذكرة بدلا من محل لتشقى وهو راي الزجاج وتبعه ابن عطية واستبعده ابو جعفر ورده الفارسي بان التذكرة ليست شقاء وهو واضح وقد اوضح الزمخشري هذا فقال فان قلت هل يجوز ان يكون تذكرة بدلا من محل لتشقى قلت لا لاختلاف الجنسين ولكنها نصب على الاستثناء المنقطع الذي الا فيه بمعنى لكن قال ابو حيان يعني باختلاف الجنسين ان نصبة تذكرة نصبة صحيحة ليست بعارضة والنصبة التي تكون في لتشقى بعد نزع الخافض نصبة عارضة والذي يقول انه في محل النصب فيتوهم البدل منه قال شهاب الدين ليس مراد الزمخشري باختلاف الجنسين الا ما نقل عن الفارسي ردا على الزجاج واي اثر لاختلاف النصبين في ذلك

الثالث ان يكون نصبا على الاستثناء المنقطع اي لكن انزلناه تذكرة الرابع انه مصدر موكد لفعل مقدر اي لكن ذكرنا او تذكرت تذكرة وقيل التقدير ما انزلنا عليك القران لتحمل متاعب التبليغ الا ليكون تذكرة كما يقال ما شافهتك بهذا الكلام لتتاذى الا ليعتبر الخامس انه مصدر في موضع الحال اي الا مذكرا السادس انه بدل من القران ويكون القران هو التذكرة قاله الحوفي السابع انه مفعول له ايضا ولكن العامل فيه لتشقى ويكون العامل كما قال الزمخشري انا انزلنا عليك القران لتحمل متاعب التبليغ ومقاولة العتاة من اعداء الاسلام ومقاتلتهم وغير ذلك من انواع المشاق وتكاليف النبوة وما انزلنا عليك هذا المتعب الشاق الا ليكون تذكرة وعلى هذا الوجه يجوز ان يكون تذكرة حالا ومفعولا له انتهى فان قيل من اين يجوز انه لما جعله حالا ومفعولا له ان العامل فيه لتشقى واما المانع ان يريد العامل فيه فعل الانزال فالجواب ان هذا الوجه قد تقدم له في قوله وكل واحد من لتشقى وتذكرة علة للفعل وايضا فانه تفسير للمعنى المذكور منتصب على تسلط لتشقى على تذكرة الا ان ابا البقا لما لم يظهر هذا المعنى الذي ظهر للزمخشري منع من عمل لتشقى في تذكرة فقال ولا يصح ان يعمل فيها لتشقى لفساد المعنى الذي ظهر للزمخشري منع من عمل لتشقى في تذكرة وجوابه ما تقدم قال الزمخشري والشقا يجي في معنى التعب ومنه المثل اتعب من رائض مهر واشقى من رائض مهر ولم يحسن متصل بتذكرة وزيدت اللام في المفعول تقوية للعامل لكونه فرعا ويجوز ان يكون متعلقا بمحذوف على انه صفة لتذكرة وخص من يخشى بالتذكرة لانهم المنتفعون به كقوله تعالى هدى للمتقين **قوله تعالى** تنزيلا في نصبه وجوه احدها ان يكون بدلا من تذكرة اذا جعل حالا لا اذا كان مفعولا له لان الشيء لا يعلل بنفسه لانه يصير التقدير ما انزلنا القران الا للتنزيل الثاني ان ينتصب بنزل مضمرا الثالث ان ينتصب بنزلنا او بانزلنا لان معنى ما انزلناه الا تذكرة انزلناه تذكرة الرابع ان ينتصب على المدح والاختصاص الخامس ان ينتصب بيخشى مفعولا به اي انزله للتذكرة لمن يخشى تنزيل الله وهو معنى حسن واعراب بين قال ابو حيان الاحسن ما قدمناه اولا من انه منصوب بنزل مضمرة وما ذكره الزمخشري من نصبه على غيره فمتكلف اما الاول ففيه جعل تذكرة وتنزيلا حالان وهما مصدران وجعل المصدر حالا لا ينقاس وايضا فمدلول تذكرة ليس مدلول تنزيلا ولا تنزيل بعض تذكرة فان كان بدلا فيكون بدل اشتمال على مذهب من يرى ان الثاني مشتمل على الاول لان التنزيل مشتمل على التذكرة وغيرها واما قوله لان معنى ما انزلناه الا تذكرة انزلناه تذكرة فليس كذلك لان معنى الحصر يفوت في قوله انزلناه تذكرة واما نصبه على المدح فبعيد واما نصبه بيخشى ففي غاية البعد لان يخشى رأس اية وفاصلة فلا يناسب ان يكون تنزيلا منصوبا بيخشى وقوله وهو تفسير حسن واعراب بين عجمة وبعد عن ادراك الفصاحة ووجود العجمة **قوله تعالى** ممن خلق يجوز في من ان يتعلق بتنزيلا وان يتعلق بمحذوف على انه صفة لتنزيلا وفي خلق من تكلم في قوله انزلنا الى الغيبة وجوز الزمخشري ان يكون ما انزلنا حكاية لكلام جبريل وبعض الملائكة فلا التفات على هذا **قوله تعالى** العلى جمع عليا نحو دنيا ودنى ونظيره في الصحيح كبرى وكبر وفضلى وفضل يقال سماء عليا وسموات علا ومعنى الاية تنزيلا ممن خلق اي من الله الذي خلق الارض والسموات العلى يعني العاليات الرفيعة وفائدة وصف السموات بالعلا الدلالة على عظم قدرة من يخلق مثلها في علوها وارتفاعها **قوله تعالى** الرحمن العامة على رفعه وفيه اوجه الاول انه بدل من الضمير المستكن في خلق ذكره ابن عطية ورده ابو حيان به والثاني ان يرجع على خبر مبتدا مضمر تقديره هو الرحمن الثالث ان يرتفع على الابتداء مشارا بلامه الى من خلق والجملة بعده خبره وقرا جناح بن حبيش الرحمن مجرورا وفيه وجهان احدهما انه بدل من الموصول لا يقال انه يؤدي الى البدل بالمشتق وهو قليل لان الرحمن جرى مجرى الجوامد لكثرة ايلائه العوامل والثاني ان يكون صفة للموصول ايضا قال ابو حيان ومذهب الكوفيين ان الاسماء النواقص كمن وما لا يوصف منها الا الذي وحده فعلى مذهبهم لا يجوز ان يكون صفة قال فلذلك كان الرد على الزمخشري والجملة من قوله على العرش استوى خبر لقوله الرحمن على القول بانه مبتدا او خبر مبتدا مضمر وان قيل انه مرفوع على خبر مبتدا مضمر فكذلك في قراءة من جره وفاعل استوى ضمير يعود على الرحمن وقيل بل فاعله الموصول بعده اي استوى الذي له ما في السموات قال ابو البقا وقال بعض الغلاة فاعل استوى وهذا بعيد ثم هو غير نافع له في التاويل اذ يبقى قوله الرحمن على العرش كلاما تاما ومنه هرب قال شهاب الدين وهذا مروي عن ابن عباس وانه كان يقف على لفظ العرش ثم يبتدي باستوى له ما في السموات والارض وهذا لا يصح عنه **فصل** الثرى هو التراب ولامه ياء بدليل تثنيته على ثريين وقولهم ثريت الارض تثرى ثرى والثرى يستعمل في انقطاع المودة قال جرير

• فلا تنبشوا بيني وبينكم الثرى • فان الذي بيني وبينكم مثري •

والثرى بالمد كثرة المال قال الشاعر

• اماوي ما يغني الثراء عن الفتى • اذا حشرجت يوما وضاق بها الصدر •

وما احسن قول ابن دريد في قصيدته الجمع بين الممدود والمقصور باختلاف معنى قال المفسرون معنى له ما في السموات

وما في الارض لما شرح ملكه بقوله الرحمن على العرش استوى والملك لا ينتظم الا بالقدرة والعلم لاجرم عقبه ثم بالعلم اما القدرة فهي هذه الاية والمعنى انه تعالى مالك لهذه الاقسام الاربعة فهو مالك لما في السموات من ملك ونجم وغيرهما ومالك لما في الارض من المعادن والفلوات ومالك لما بينهما من الهوى ومالك لما تحت الثرى قال الضحاك يعني ما وارى الثرى من شيء وقال ابن عباس ان الارضين على ظهر النون والنون على بحر وراسه وذنبه يلتقيان تحت العرش والبحر على صخرة خضراء خضرة السماء منها وهي الصخرة التي ذكرها الله في قصة لقمان فتكن في صخرة والصخرة على قرن ثور والثور على الثرى وما تحت الثرى لا يعلمه الا الله عز وجل وذلك الثور فاتح فاه فاذا جعل الله البحار بحرا واحدا سالت في جوف ذلك الثور فاذا وقعت في جوفه يبست واما العلم فقوله تعالى وان تجهر بالقول فانه يعلم السر واخفى قال الحسن السر ما اسر الرجل الى غيره واخفى من ذلك ما اسر في نفسه وعن ابن عباس وسعيد بن جبير السر ما تسر في نفسك واخفى من السر ما يلقيه الله في قلبك من بعد ولا تعلم انك ستحدث به نفسك لانك تعلم ما تسر اليوم ولا تعلم ما تسر غدا والله يعلم ما اسررت اليوم وما تسر غدا قال علي بن ابي طلحة عن ابن عباس السر ما اسر ابن آدم في نفسه واخفى ما خفي عليه مما هو فاعله قبل ان يعلمه وقال مجاهد السر العمل الذي يسر في الناس واخفى الوسوسة وقيل السر هو العزيمة واخفى اي يعلم اسرار العباد واخفى سره عن عباده فلا يعلمه احد **قوله تعالى** واخفى جوز وفيه وجهان احدهما انه افعل تفضيل اي واخفى من السر الثاني انه فعل ماض اي واخفى الله من عباده غيبه لقوله تعالى ولا يحيطون به علما **قوله تعالى** الله لا اله الا هو الجلالة اما مبتدا والجملة المنفية خبرها واما خبر لمبتدا محذوف اي هو الله والحسنى تانيث الاحسن وقد تقدم ان جمع التكسير في غير العقلاء يعامل معاملة المونثة الواحدة ولما ذكر صفاته وحد نفسه فقال الله لا اله الا هو له الاسماء الحسنى **فصل** قالوا وكلمة لا هاهنا دخلت على الماهية فانتفت الماهية واذا انتفت الماهية انتفت كل افرادها واما الله علم للذات المعينة اذ لو كان اسم معنى لكان كليا محتملا للكثرة فلم تكن هذه الكلمة مفيدة للتوحيد وقالوا الا استحقت عملا لمشابهتها لان من وجهين الاول عملها في الاسماء ومتى لازمتها والاخر تناقضهما فان احدهما لتاكيد الثبوت والاخر لتاكيد النفي ومن عادتهم تشبيه احد الضدين بالاخر في الحكم واذا كان كذلك فنقول لما قالوا ان زيدا ذاهب كذا يقولون لا رجل ذاهب الا انهم بنوا الاسم مع ما دخل عليه من الاسم المفرد على الفتح اما البنا فلتضمن اتصال حرف النفي بما دخل عليه كانهما دخلا مفردا واما الفتح فلانه قصد والبناء على الحركة المستحقة توفيقا بين الدليل الموجب للاعراب والدليل الموجب للبنا وخبره محذوف تقديره لا اله الا في الوجود ولا حول ولا قوة لنا فهذا يدل على ان الوجود زائد على الماهية **فصل** تصور الثبوت مقدم على تصور السلب فان السلب ما لم يضف الى الثبوت لا يمكن تصوره فكيف قدم هنا السلب على الثبوت فالجواب لما كان هذا السلب من موكد الثبوت لاجرم قدم عليه **فصل** ينبغي لاهل لا اله الا الله ان يحصلوا اربعة اشياء حتى يكونوا من اهل لا اله الا الله التصديق والتعظيم والحلاوة والحرمة فمن ليس له التصديق فهو منافق ومن ليس له التعظيم فهو مبتدع ومن ليس له الحلاوة فهو مرائي ومن ليس له الحرمة فهو فاجر **فصل** قوله تعالى الم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة انه لا اله الا الله اليه يصعد الكلم الطيب لا اله الا الله وتواصوا بالحق لا اله الا الله قل انما اعظكم بواحدة لا اله الا الله وقفوهم انهم مسئولون عن قول لا اله الا الله بل جاء بالحق وصدق المرسلين هو لا اله الا الله يثبت الله الذين امنوا بالقول الثابت في الحيوة الدنيا هو لا اله الا الله ويضل الله الظالمين عن قول لا اله الا الله **فصل** قال صلى الله عليه وسلم افضل الذكر لا اله الا الله وافضل الدعاء استغفر الله ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعلم انه لا اله الا الله واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات وقال عليه الصلاة والسلام ان الله خلق ملكا من الملائكة قبل ان يخلق السموات والارض وهو يقول لا اله الا الله شاخصا بصوته لا يقطعها ولا يتنفس فيها ولا يتمها فاذا اتمها امر الله اسرافيل بالنفخ في الصور وقامت القيامة تعظيما لله عز وجل وعن انس قال عليه الصلاة والسلام ما زلت اشفع الى ربي ويشفعني واشفع اليه ويشفعني حتى قلت يا رب شفعني فيمن قال لا اله الا الله قال يا محمد هذه ليست لك ولا لاحد وعزتي وجلالي لا ادع احدا في النار قال لا اله الا الله وقال سفيان الثوري سالت جعفر بن محمد عن حم عسق فقال الحا حلمه والميم ملكه والعين عظمته والسين سناؤه والقاف قدرته يقول الله عز وجل بحلمي وملكي وعظمتي وسنائي وقدرتي لا اعذب بالنار من قال لا اله الا الله محمد رسول الله وعن ابن عمر قال عليه الصلاة والسلام من قال في السوق لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير كتب الله له الف الف حسنة ومحى عنه الف الف سيئة وبنى له بيتا في الجنة وروي عن موسى بن عمران عليه الصلاة والسلام قال يا رب علمني شيئا اذكرك به قال قل لا اله الا الله قال كل عبادك يقولون لا اله الا الله فقال قل لا اله الا الله قال انما اردت شيئا تخصني به قال يا موسى لو ان السموات السبع ومن فيهن في كفة ولا اله الا الله في كفة لمالت بهن لا اله الا الله **فصل** قيل ان الله تعالى جعل اربعة اشياء لا يعلمها الا الله ولا الانبياء الا الله الاول التعرفات

المومنين تعلمونا فثلاثمائة في التوراة وثلاثمائة في الانجيل وثلاثمائة في الزبور ومائة في القرآن تسعة وتسعون منها ظاهرة وواحد مكنون من احصاها دخل الجنة واعلم ان الاسماء الواردة في القرآن ما ليس بانفراده ثنا، ومدح كقوله فالق وجاعل وصانع فاذا قيل فالق الاصباح وجاعل الليل سكنا فهما مدح وانما الاسم الذي يكون مدحا فمنه ما اذا قرن بغيره صار ابلغ نحو قولنا حي فاذا قال الحي القيوم او الحي الذي لا يموت كان ابلغ وايضا بديع السموات والارض زاد المدح ومن هذا الباب ما كان اسم مدح ولكن لا يجوز افراده كقولنا دليل ويا كاشف فاذا قيل يا دليل المتحيرين ويا كاشف الضر والبلوى جاز ومنه ما يكون اسم مدح ومفردا ومقرونا كقولنا الرحيم العزيز الحكيم **قوله تعالى** وهل اتاك حديث موسى الاية لما عظم حال القرآن وحال الرسول بما جاء كلفه اتبع ذلك بما يقوي قلب رسوله من ذكر احوال الانبياء تقوية لقلبه في الابلاغ كقوله تعالى وكلا نقص عليك من انباء الرسل ما نثبت به فؤادك وبدا بموسى لان فتنته كانت اعظم اتاك الخبر يا محمد الى الان وقد اتاك الان فتنبه له وهذا قول الكلبي ويحتمل ان يكون اتاه ذلك في الزمان المتقدم فكان قال اليس قد اتاك وهذا قول مقاتل والضحاك عن ابن عباس وهذا وان كان على لفظ الاستفهام الذي لا يجوز على الله تعالى لكن المقصود منه تقرير الخبر في قلبه وهذه الصورة ابلغ في ذلك كقولك لصاحبك هل بلغك عني كذا فيتطلع السامع الى معرفة ما يومي اليه ولو كان المقصود هو الاستفهام لكان الجواب يصدر من موسى لا من قبل الله عز وجل **قوله تعالى** اذ راى نارا يجوز ان يكون منصوبا بالحديث وهو الظاهر ويجوز ان ينتصب باذكر مقدرا قاله ابو البقا او بمحذوف بعده اي اذ راى كان كيت وكيت قال الزمخشري وهل على بابها من كونها استفهام تقرير وقيل بمعنى قد وقيل بمعنى النفي وقرا لاهله امكثوا بضم الهاء حمزة وقد تقدم انه الاصل وهو لغة الحجاز وقال ابو البقا ان الضم للاتباع قوله انست اي ابصرت والايناس الابصار البين ومنه انسان العين لانه يبصر به الاشياء والانس لظهورهم كما قيل الجن لاستتارهم وقيل هو الوجدان وقيل الاحساس فهو اعم من الابصار وانشد والحرب يخلوه ●

آنست نباة وقد دعها القناص وقد دنا الامسا ●

والقبس

والقبس الجذوة من النار وهي الشعلة في راس عود او قصبة ونحوها وهو فعل بمعنى مفعول كالقبض والنقض بمعنى المقبوض والمنقوض ويقال اقتبست منه علما وقبسته نارا ففرق بينهما هذا قول المبرد وقال الكسائي افعل وفعل يقال في المعنيين فيقال قبسته نارا او علما واقتبسته ايضا نارا او علما وقوله منها يجوز ان يتعلق بمحذوف على انه حال من قبس واما لعلهم فهدى وصلا ووقفا والجيد انما هو الامالة لانها الالف انها بدلا من التنوين **فصل** قال المفسرون استاذن موسى شعيبا في الرجوع من مدين الى مصر لزيارة والدته واخيه فاذن له فخرج باهله واخذ على غير الطريق مخافة من ملوك الشام فولدت امراته في ليلة شاتية وكانت ليلة جمعة فالجاه المسير الى جانب الطور الغربي الايمن فقدح زنده فلم يور فبينا هو في مزاولة ذلك اذ ابصر نارا من بعيد عن يسار الطريق من جانب الطور قال السدي فظن انها نار من نيران الرعاة وقيل انه عليه الصلاة والسلام راها في شجرة وليس في القرآن ما يدل على ذلك وقال بعضهم الذي راه لم يكن نارا بل تخيله نارا والصحيح انه راى نارا ليكون صادقا في خبره اذ الكذب لا يجوز على الانبياء عليهم الصلاة والسلام قيل النار اربع نار تاكل ولا تشرب وهي نار الدنيا ونار تشرب ولا تاكل وهي نار الشجر الاخضر لقوله جعل لكم من الشجر الاخضر نارا ونار تشرب وتاكل وهي نار المعدة ونار لا تاكل ولا تشرب وهي نار موسى عليه السلام وقيل ايضا النار اربعة احدها نار لها نور بلا حرقة وهي نار موسى عليه الصلاة والسلام ونار لها حرقة بلا نور وهي نار جهنم ونار لها حرقة ونور وهي نار الدنيا ونار لا حرقة لها ولا نور وهي نار الاشجار فلما ابصر النار قال لاهله امكثوا يجوز ان يكون هذا الخطاب للمراة وولدها والخادم ويجوز ان يكون للمراة وحدها اخرج على ظاهر لفظ الاهل فان الاهل يقع على الجميع وايضا فقد يخاطب الواحد بلفظ الجمع تفخيما اي اقيموا في مكانكم اني انست نارا اي ابصرت نارا والايناس الابصار وقيل ايضا ما يونس به فلما وجد منه الايناس وكان متيقنا حققه لهم بكلمة اني ليوطن نفوسهم ولما كان الاتيان بالقبس ووجود الهدى مترقبين متوقعين بنى الامر فيهما على الرجا والطمع فقال لعلي ولم يقطع فيقول اني اتيكم لعلي لئلا يعد ما لم يتيقن الوفاء به والنكتة فيه ان قوما قالوا كذب ابراهيم للمصلحة وهي محال لان موسى عليه السلام قبل نبوته احترز فلم يقل اني اتيكم بل قال لعلي اتيكم والقبس النار المقتبسة في راس عود او فتيلة او غيرهما او اجد على النار هدى اي ما يهتدى به وهو اسم مصدر فكانه قال اجد على النار ما اهتدي به من دليل او علامة ومعنى الاستعلاء على النار ان اهل النار يستعلون المكان القريب منها ولان المصطلين بها اذا انتصبوا حولها كانهم اشرفوا عليها كانه قال اجد على النار من يدلني فلما اتاها اي النار قال ابن عباس كانت شجرة خضراء من اعلاها الى اسفلها اطافت بها نار بيضاء تتقد كاضوا ما يكون فوقف متعجبا من شدة ضوء تلك النار وشدة خضرة تلك الشجرة فلا النار تغير خضرتها ولا الشجرة تغير ضوء النار قال ابن مسعود كانت الشجرة سمرة خضراء وقال قتادة ومقاتل والكلبي كانت من العوسج وقال وهب من العليق وقيل كانت من العناب

قال اكثر المفسرين الذي رآه موسى لم يكن نارا بل كان نورا للرب ذكر بلفظ النار لان موسى عليه السلام حسبه نارا فلما دنا منها سمع تسبيح الملائكة وراى نورا عظيما قال وهب ظن موسى انه نار اوقدت فاخذ من دقاق الحطب وهو الحشيش اليابس ليقتبس من لهبها فمالت اليه كانها تريده فتاخر عنها وهابها ثم لم تزل تطمعه ويطمع فيها ثم لم تكن باسرع من خمودها كانها لم تكن ثم رمى موسى بنظره الى فرعها فاذا خضرتها ساطعة في السما واذا نور بين السماء والارض له شعاع تكل عنه الابصار فلما راى ذلك وضع يديه على عينيه فنودي يا موسى قال القاضي الذي روي من ان الزند ما كان يوري فجائز وما روي من ان النار كانت تتاخر عنه فان كانت النبوة قد تقدمت له جاز ذلك والا فهو ممنوع الا ان تكون معجزة لغيره من الانبياء الا ان قوله وانا اخترتك فاستمع لما يوحى دليل على انه انما اوحي اليه في هذه الحال وجعله نبيا وعلى هذا يبعد ما ذكروه من تاخر النار عنه وتبين فساد ذلك قوله تعالى فلما اتاها نودي وان كانت تتاخر عنه حالا بعد حال لما صح ذلك ولما بقي لفاء التعقيب فائدة والجواب ان القاضي انما بنى هذا الاعتراض على مذهبه في ان الارهاص غير جائز وذلك باطل فبطل واما التمسك بفاء التعقيب فقريب لان تخلل الزمان القريب القليل بين المجيء والنداء لا يقدح في فاء التعقيب **قوله تعالى** نودي القائم مقام الفاعل ضمير موسى وقيل ضمير المصدر اي نودي النداء وهو ضعيف ومنعوا ان يكون القائم مقامه الجملة من يا موسى لان الجملة لا تكون فاعلا **قوله تعالى** اني قرا ابن كثير وابو عمرو بالفتح على تقدير الباء اي بانه والنداء يوصل بها فيقال ناديته بكذا وانشد الفارسي قول الشاعر ● ناديت باسم ربيعة بن مكدم ● ان المنوه باسمه الموثوق ● وجوز ابن عطية ان يكون بمعنى لاجل وليس بظاهر والباقون بالكسر اما على اضمار القول كما هو راي البصريين او لان النداء في معنى القول عند الكوفيين وقوله انا يجوز ان يكون مبتدا وما بعده خبره والجملة خبر ان ويجوز ان يكون توكيدا للضمير المنصوب ويجوز ان يكون فصلا **فصل** قال المفسرون لما نودي يا موسى اجاب سريعا ما يدري من دعاه فقال اني اسمع صوتك ولا ادري مكانك فاين انت فقال انا فوقك ومعك وامامك وخلفك واقرب اليك من نفسك فعلم ان ذلك لا ينبغي الا لله عز وجل فايقن به فاخلع نعليك روى ابن مسعود مرفوعا في قوله اخلع نعليك قال كانتا من جلد حمار ميت وروي غير مدبوغ وقال عكرمة ومجاهد ليباشر بقدميه تراب الوادي اعني الارض المقدسة فينا له بركتها لانها قدست مرتين فخلعهما والقاهما وراء الوادي وقيل عرف ان المنادي هو الله تعالى لانه راى النار في الشجرة الخضراء بحيث ان تلك الخضرة ما كانت تطفي تلك النار وتلك النار ما كانت تضر بتلك الخضرة وهذا لا يقدر عليه احد الا الله تعالى **قوله تعالى** طوى قرا الكوفيون وابن عامر طوى بضم الطاء والتنوين وقرا الباقون بالضم من غير تنوين وقرا الحسن والاعمش وابو حيوة وابن محيصن بكسر الطاء منونا وابو زيد عن ابي عمرو بكسرها غير منون فمن ضم ونون فانه صرفه لانه اوله بالمكان ومن منعه فيحتمل اوجها الاول انه منعه للتانيث باعتبار البقعة والعلمية والثاني انه منعه للعدل الى فعل وان لم يعرف اللفظ المعدول عنه وجعله كعمر وزفر الثالث انه اسم اعجمي فمنعه للعلمية والعجمة ومن كسر ولم ينون فباعتبار البقعة ايضا فان كان اسما فهو نظير عنب وان كان صفة فهو نظير عدى وسوى ومن نونه فباعتبار المكان وعن الحسن البصري انه بمعنى الثنا بالكسر والقصر والثنا المكرر مرتين فيكون معنى هذه القراءة انه طهر مرتين فيكون مصدرا منصوبا بلفظ المقدس لانه بمعناه كانه قال المقدس مرتين من التقديس وقرا عيسى بن عمر والضحاك طاوي اذهب فابدل من الوادي او بيانا او مرفوع على اضمار مبتدا او منصوب على [illegible] فان قيل لو كان قديما لكان الله قائلا قبل وجود موسى اخلع نعليك يا موسى ومعلوم ان ذلك سفه فان الرجل في الدار الخالية اذا قال يا زيد افعل ويا عمرو لا تفعل مع ان زيدا وعمرا لا يكونان حاضرين يعد ذلك جنونا وسفها فكيف يليق بالاله سبحانه وتعالى واجيب عن ذلك بوجهين الاول ان كلامه تعالى وان كان قديما الا انه في الازل لم يكن امرا ولا نهيا الثاني انه كان امرا بمعنى انه وجد في الازل شيء لما استمر الى ما لا يزال صار الشخص به مامورا من غير وقوع التغير وذلك الشيء كما ان القدرة تقتضي صحة الفعل ثم انها كانت موجودة في الازل من غير هذه الصحة فلما استمرت الى ما لا يزال حصلت الصحة فكذا هاهنا وهذا كلام فيه غموض وبحث دقيق **فصل** قال بعضهم في الاية دلالة على كراهة الصلوة والطواف في النعل والصحيح عدم الكراهة لانا ان عللنا الامر بخلع النعلين لتعظيم الوادي وتعظيم كلام الله تعالى كان الامر مقصورا على تلك الصورة وان عللناه بان النعلين كانتا من جلد حمار ميت فجائز ان يكون محظورا لبس جلد الحمار الميت وان كان مدبوغا فان كان ذلك فهو منسوخ بقوله عليه الصلاة والسلام ايما اهاب دبغ فقد طهر وقد صلى النبي صلى الله عليه وسلم في نعليه ثم خلعهما في الصلوة فخلع الناس فلما سلم قال ما لكم خلعتم نعالكم قالوا خلعت فخلعنا قال فان جبريل عليه السلام اخبرني ان فيهما قذرا فلم يكره النبي صلى الله عليه وسلم الصلاة في النعل وانكر على الخالعين خلعها واخبرهم انه ما خلعهما الا لما فيهما من القذر **فصل** قال عكرمة وابن زيد طوى اسم للوادي وقال الضحاك طوى واد عميق مثل الطوي في استدارته وقيل طوى معناه مرتين نحو ثنى اي قدس الوادي مرتين اي نادى موسى نداءين

فقال ناديته طوى اي مرتين وقيل طوى اي طيا قال ابن عباس انه مر بذلك الوادي فطواه فكان المعنى بالوادي الذي طويته
طيا اي قطعته حتى ارتفعت الى اعلاه ومن ذهب الى هذا قال طوى مصدر اخرج عن لفظه كانه قيل طويته طوى
كما يقال هديته هدى **قوله تعالى** وانا اخترتك فاستمع لما يوحى اي للرسالة والكلام قرا حمزة وانا اخترناك
فاستمع لما يوحى وانا اخترناك بفتح الهمزة بضمير المتكلم المعظم نفسه وقرا السلمي والاعمش وابن هرمز كذلك الا انهم كسروا
الهمزة والباقون وانا اخترتك بضمير المتكلم وحده وقرا ابي وانا اخترتك بضم الهمزة واما حمزة فعطف على قوله اني انا
ربك وذلك انه بفتح الهمزة هناك ففعل ذلك لما عطف غيرها عليها وجوز ابو البقاء ان يكون الفتح على تقدير ولانا
اخترناك فاستمع فعلقه باستمع ويجوز ان تكون اللام مزيدة في المفعول على حد قوله تعالى ردف لكم وجوز الزمخشري
وغيره ان تكون المسالة من باب التنازع بين اخترتك وبين استمع كانه قيل اخترتك لما يوحى فاستمع لما يوحى قال الزمخشري
فعلق اللام باستمع او باخترتك ورد ابو حيان هذا بان قال ولا يجوز التعليق باخترتك لانه من باب الاعمال فكان يجب او يختار
اعادة الضمير مع الثاني وكان يكون فاستمع له لما يوحى فدل على انه من باب اعمال الثاني قال شهاب الدين والزمخشري يعني التعليق
المعنوي من حيث الصلاحية واما من حيث الصناعة فلم يعنه **فصل** هذه الاية تدل على ان النبوة لا تحصل
الا بالاستحقاق لان قوله وانا اخترتك يدل على ان ذلك المنصب العالي انما حصل لان الله تعالى اختاره له ابتداء لا انه
استحقه على الله تعالى فاستمع لما يوحى اي اليك فيه نهاية الهيبة والجلالة كانه قال لقد جاءك امر عظيم فتاهب له واجعل
كل عقلك وخاطرك مصروفا اليه ثم قال انني انا الله لا اله الا انا فاعبدني ولا تعبد غيري وهذا يدل على ان علم الاصول
مقدم على علم الفروع لان علم التوحيد من علم الاصول والعبادة من علم الفروع وايضا فالفاء في قوله فاعبدني تدل
على ان عبادته انما لزمت لالهيته **فصل** احتجوا بهذه الاية على انه يجوز تاخير البيان عن وقت الحاجة
من وجهين الاول انه تعالى بعد ان امره بالتوحيد امره بالعبادة ولم يذكر كيفية العبادة فثبت انه يجوز ورود
المجمل منفكا عن البيان الثاني انه قال اقم الصلاة لذكري ولم يبين كيفية الصلوة قال القاضي لا يمتنع ان موسى
عليه السلام قد عرف الصلوة التي تعبد الله بها شعيبا عليه الصلوة والسلام وغيره من الانبياء فيتوجه الخطاب
الى ذلك ويحتمل انه تعالى بين له في الحالة وان كان المنقول في القرآن لم يذكر الا هذا القول واجيب عن الاول بانه لا
يتوجه في قوله تعالى فاعبدني ومثل حمل هذا الخطاب العظيم على فائدة جديدة اولى من حمله على امر معلوم لان موسى
عليه السلام ما كان يشك في وجوب الصلاة التي جاء بها شعيبا عليه السلام فلو حملنا قوله واقم الصلوة لذكري
على ذلك لم يحصل من هذا الخطاب العظيم فائدة زائدة اما لو حملناه على صلاة اخرى لحصلت فائدة زائدة وقوله لعل
الله بينه في ذلك ولم يحكه في القرآن قلنا لا شك ان البيان افضل من المجمل فلو كان مذكورا لكان اولى بالحكاية
قوله تعالى لذكري يجوز ان يكون المصدر مضافا الى الفاعل اي لاني ذكرتها في الكتب او لاني اذكرك وقيل معناه
ذكر الصلوة بعد نسيانها لقوله عليه السلام من نام عن صلاة او نسيها فليصلها اذا ذكرها قال الزمخشري وكان
حق العبارة لذكرها ثم قال ومن يتمحل له ان يقول اذا ذكر الصلوة فقد ذكر الله او على حذف مضاف اي لذكر
صلاتي ولان الذكر والنسيان من الله تعالى في الحقيقة وقرا ابو رجا والسلمي للذكرى بلام التعريف والف التانيث وبعضهم
لذكرى منونة وبعضهم منكرة وللذكرى بالتعريف والتذكير **فصل** ذكروا في قوله لذكري وجوها
الاول لذكري معنى لتذكرني فان ذكري ان اعبد ويصلى لي وثانيها لتذكرني فيها لاشتمال الصلوة على الاذكار عن مجاهد
وثالثها لاني ذكرتها في الكتب وامرت بها ورابعها لان اذكرك بالمدح والثناء وخامسها لذكري خاصة لا تشوبه بذكر غيري
وسادسها لتكون لي ذاكرا غير ناس فعل المخلصين كقوله تعالى لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وسابعها لاوقات
ذكري وهي مواقيت الصلاة لقوله تعالى ان الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا وثامنها اقم الصلاة حين تذكرها
اي انك اذا نسيت صلاة فاقضها اذا ذكرتها قال عليه السلام من نسي صلاة فليصلها اذا ذكرها لا كفارة لها الا ذلك
ثم قرا اقم الصلوة لذكري قال الخطابي هذا الحديث يحتمل وجهين احدهما لا يكفرها غير قضائها والآخر انه لا يلزمه
في نسيانها غرامة ولا كفارة كما تلزم الكفارة في ترك صوم رمضان من غير عذر وكما يلزم المحرم اذا ترك شيئا من نسكه
فدية من دم او طعام انما يصلي ما ترك فقط **فان قيل** حق العبارة ان يقول اقم الصلاة لذكرها كما قال عليه
السلام اذا ذكرها **فصل** قوله لذكري معناه الذكر الحاصل بخلقي او بتقدير حذف مضاف اي لذكر
صلاتي قال بعضهم لو فاتته الصلوات يستحب ان يقضيها على ترتيب الاداء فلو ترك الترتيب في قضائها جاز عند
الشافعي رحمه الله ولو دخل عليه وقت فريضة وتذكر فائتة فان كان في الوقت سعة استحب ان يبدا بالفائتة ولو بدا
بصلاة الوقت جاز وان ضاق الوقت بحيث لو بدا بالفائتة فاتت صلاة الوقت فيجب البداءة بصلاة الوقت لئلا تفوت

الاخرى ولم يذكر الفائتة بعد ما شرع في الصلاة اتمها ثم قضى الفائتة ويستحب ان يعيد صلاة الوقت
بعدها ولا يجب وقال ابو حنيفة رحمه الله يجب الترتيب في قضاء الفوائت ما لم تزد على صلاة يوم وليلة حتى قال
لو تذكر في خلال صلاة الوقت فائتة تركها اليوم يبطل فرض الوقت فيقضي الفائتة ثم يعيد صلاة الوقت الا ان
يكون الوقت ضيقا فلا يبطل واستدل بالآية والخبر والاثر والقياس اما الآية فقوله اقم الصلاة
لذكري اي لتذكرها واللام بمعنى عند كقوله تعالى اقم الصلاة لدلوك الشمس اي عنده لو كان فالمعنى اقم الصلاة عند
تذكرها وذلك يقتضي وجوب الترتيب واما الخبر فقوله عليه السلام من نسي صلاة فليصلها اذا ذكرها والفاء
للتعقيب وروي في الصحيحين ان عمر بن الخطاب جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم يوم الخندق فجعل يسب كفار قريش
ويقول يا رسول الله والله ما صليت حتى كادت الشمس ان تغرب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا والله ما صليتها
بعد قال فنزل الى بطحان فصلى العصر بعد ما غربت الشمس ثم صلى المغرب والاستدلال به من وجهين الاول انه قال صلوا
كما رايتموني اصلي وقد صلى الفوائت على الولاء فيجب علينا اتباعه والثاني ان فعل النبي صلى الله عليه وسلم
اذا خرج مخرج البيان للمجمل كان حجة وكان الفعل خرج بيانا لمجمل قوله اقيموا الصلاة فلهذا قالوا ان الفوائت
اذا كانت قليلة يجب مراعاة الترتيب فيها فاذا كثرت سقط الترتيب للمشقة واما الاثر فروي عن ابن عمر انه قال من
فاتته صلاة فلم يذكرها الا في صلاة الامام فليمض في صلاته فاذا قضى صلاته مع الامام يصلي ما فاته ثم ليعيد
التي صلاها مع الامام وروي ذلك مرفوعا الى النبي صلى الله عليه وسلم واما القياس فلانهما صلاتا فرض جمعهما وقت
واحد في اليوم والليلة فاشبهتا صلاتي عرفة والمزدلفة فلما لم يجز اسقاط الترتيب فيهما وجب ان يكون حكم الفوائت
فيما دون اليوم والليلة كذلك واحتج الشافعي رحمه الله بما روى ابو قتادة انهم لما ناموا عن صلاة الفجر ثم انتبهوا بعد
طلوع الشمس امرهم النبي صلى الله عليه وسلم ان يقودوا رواحلهم ثم صلوها ولو كان وقت الصلاة معينا للصلاة لما جاز
ذلك فعلمنا ان ذلك الوقت وقت لتقرر الوجوب عليه لكن لا على سبيل التضييق بل على سبيل التوسيع واذا ثبت هذا فنقول
ايجاب قضاء الفوائت وايجاب قضاء الوقت الحاضر يجري مجرى التخيير بين الواجبين فوجب ان يكون المكلف مخيرا
في تقديم ايهما شاء ولانه لو كان الترتيب واجبا في الفوائت لما سقط بالنسيان الا انه اذا صلى الظهر والعصر بعرفة في يوم
غيم ثم تبين انه صلى الظهر قبل الزوال والعصر بعد الزوال فانه يعيدهما جميعا ولم يسقط الترتيب بالنسيان لما كان
شرطا فيهما فها هنا ايضا لو كان الترتيب شرطا فيهما لما سقط بالنسيان **قوله تعالى** ان الساعة آتية اكاد
اخفيها وما الوجه هذا ابتداء او من تاويل قوله لذكري اي لاذكرك بالاثابة بالكرامة فقال عقيب ذلك ان الساعة آتية
لانها وقت الاثابة ووقت المجازاة ثم قال اكاد اخفيها العامة على ضم الهمزة من اخفيها وفيها تاويلات احدها ان الهمزة
في اخفيها للسلب والازالة اي ازيل خفاها نحو اعجمت الكتاب اي ازلت عجمته واشكيته اي ازلت شكواه ثم في ذلك معنيان
الاول ان الخفا بمعنى الستر ومتى ازال سترها فقد اظهرها والمعنى انها لتحقق وقوعها وقربها اكاد اظهرها لولا ما
تقتضيه الحكمة من التاخير الثاني ان الخفا هو الظهور كما سياتي والمعنى انه لظهورها فاذا زال ظهورها فقد استترت
والمعنى لشدة ابهامها اكاد اخفيها فلا اظهرها البتة وان كان لا بد من اظهارها وكذلك يوجد في بعض المصاحف
كمصحف ابي اكاد اخفيها من نفسي فكيف اظهركم عليها وهو على عادة العرب في المبالغة في الاخفاء وقال الشاعر

• ايام تصحبني هند واخبرها • ما كدت اكتمه عني من الخبر •

وكيف يتصور كتمانه من نفسه قال القاضي هذا بعيد لان الاخفاء انما يحصل لمن يصح له الاظهار وهذا مستحيل عليه تعالى
لان كل معلوم له فالاظهار والاسرار فيه مستحيل ويمكن ان يجاب بان ذلك واقع على التقدير يعني لو صح مني اخفاؤه
عن نفسي لاخفيته عني والاخفاء وان كان محالا في نفسه الا انه لا يمتنع ان يذكر على هذا التقدير مبالغة في عدم اطلاع
الغير عليه والتاويل الثاني ان كاد زائدة قاله ابن جبير وانشد شاهدا عليه زيد الخيل قوله •

• سريع الى الهيجاء شاك سلاحه • فما ان يكاد قرنه يتنفس • وقول الآخر •

• وان لا الوم النفس فيما اصابني • والا اكاد بالذي قلت انجح • ولا حجة في شيء منهما

والتاويل الثالث ان كاد وارد بمعنى الارادة قاله الاخفش وجماعة وهو قول ابي مسلم وهو كقوله لا ينفع فيما
تصدوه الرابع ان خبرها محذوف تقديره اكاد آتي بها لقربها وانشدوا قول ضابي البرجمي

• هممت ولم افعل وكدت وليتني • تركت على عثمان تبكي حلائله •

اي وكدت افعل فالوقف على اكاد والابتداء باخفيها واستحسنه ابو جعفر وذكر ابن الخطيب هنا سؤالا وهو ان كاد
نفيه اثبات واثباته نفي قال تعالى وما كادوا يفعلون اي فعلوا فقوله اكاد اخفيها يقتضي انه ما اخفاها

وذلك باطل لوجهين احدهما قوله تعالى ان الله عنده علم الساعة والثاني قوله تعالى لتجزى كل نفس بما تسعى انما يليق بالاخفاء لا بالاظهار ثم اجاب بوجوه الاول ان كاد موضوع للمقاربة من غير بيان النفي والاثبات فقوله اكاد اخفيها معناه قرب الامر فيه من الاخفاء واما انه هل حصل ذلك الاخفاء او ما حصل فهو غير مستفاد من اللفظ بل بقرينة قوله لتجزى كل نفس بما تسعى فان ذلك انما يليق بالاخفاء لا بالاظهار والثاني ان كاد من الله واجب فمعنى قوله اكاد اخفيها اي انا اخفيها عن الخلق كقوله تعالى عسى ان يكون قريبا اي قريب قال الحسن وذكروا في التاويلات المتقدمة وقرا ابو الدرداء وابن جبير والحسن ومجاهد وحميد اخفيها بفتح الهمزة والمعنى اظهرها بالتاويل المتقدم فقال خفيت اظهرت واخفيته استرته هذا هو المشهور وقد نقل عن ابي الخطاب ان خفيت واخفيت بمعنى وحكي عن ابي عبيد ان اخفى من الاضداد يكون بمعنى الاظهار وبمعنى ستر وعلى هذا تتحد القراءتان ومن مجيء خفيت بمعنى اظهرت قول امرئ القيس

• خفاهن من انفاقهن كانما • خفاهن ودق من عشي مجلب •

قال الزجاج وهذه القراءة ابين لان معناها اكاد اظهرها فيفيد انه قد اخفاها والحكمة في اخفاء الساعة واخفاء وقت الموت ان الله تعالى وعد قبول التوبة عند قربه فلو عرف وقت الموت لاشتغل بالمعصية الى وقت قرب ذلك الوقت ثم يتوب فيتخلص من عقاب المعصية فتعريف وقت الموت كالاغراء بفعل المعصية وهو لا يجوز **قوله تعالى** لتجزى هذه لام كي وليست بمعنى القسم اي لتجزى كما نقله ابو البقاء عن بعضهم وتتعلق هذه اللام باخفيها وجعلها بعضهم متعلقة بآتية وهذا لا يتم الا اذا قدرت ان اكاد اخفيها معترضة بين المتعلق والمتعلق به اما اذا جعلتها صفة لآتية فلا يجيء على مذهب البصريين لان مذهب الفاعل اذا وصف لا يعمل فان عمل ثم وصف جاز قال ابو البقاء وقيل بآتية وكذلك وقف بعضهم عليه وقفة يسيرة ايذانا بانفصالها باخفيها **قوله تعالى** بما تسعى متعلق بتجزى وما يجوز ان تكون مصدرية او موصولة اسمية فلا بد من مضاف اي بجزى بعقاب سعيها او بعقاب ما سعته **فصل** المحكم بمجيء الساعة ذكر الدليل عليه وهو انه لولا القيامة لما تميز المطيع من العاصي وهو المعنى بقوله ام نجعل المتقين كالفجار واحتجت المعتزلة بهذه الاية على ان الثواب مستحق على العمل لان الباء للالصاق فقوله تعالى بما تسعى يدل على ان الموجب لذلك القضاء والجزاء هو ذلك السعي واحتجوا بها ايضا على ان فعل العبد غير مخلوق لله تعالى لان الله تعالى صرح في اثبات سعي العبد ولو كان الفعل مخلوقا لله تعالى لم يكن للعبد سعي البتة فلا يصدنك عنها من لا يؤمن بها هو النهي صورة والمراد غيره فهو من باب لا ارينك وقيل انصد الكافر عن التصديق بها سبب للتكذيب فذكر السبب ليدل على المسبب والضميران في عنها وبها للساعة قاله ابن عباس وذلك لانه يجب عود الضمير الى اقرب مذكور وهو هنا الساعة والعرب تلف الخبرين ثم ترمي بجوابهما جملة ليرمي السامع وليرد الى كل حقه واجيب بان هذا انما يصار اليه عند الضرورة ولا ضرورة فتردى يجوز ان ينتصب في جواب النهي باضمار ان وان يرفع على خبر ابتداء مضمر تقديره فانت تردى وقرأ يحيى تردى بكسر التاء وقد تقدم انها لغة والردى الهلاك يقال ردي يردى ردى قال ابن دريد شعر •

• تنادوا فقالوا ارهقتنا الخيل فارسا • فقلنا اعبد الله ذلكم الردي •

فصل الخطاب في قوله تعالى فلا يصدنك يحتمل ان يكون مع موسى وان يكون مع محمد عليهما السلام والاقرب انه مع موسى عليه السلام لان جميع الكلام خطاب له وعلى كلا الوجهين فلا معنى لقول الزجاج انه ليس بمراد وذلك انما اراد به غيره لان نظن ان النبي صلى الله عليه وسلم مما لم يجز عليه مع النبوة انه لم يصده احد عن الايمان بالساعة لم يجز ان يكون مخاطبا بذلك النهي وليس الامر كما ظن لانه اذا كان مكلفا بان لا يقبل الكفر بالساعة من احد وكان قادرا على ذلك جاز ان يخاطب به ويكون المراد هو وغيره ويحتمل ايضا ان يكون المراد بقوله فلا يصدنك عنها النهي عن الميل اليهم ومقاربتهم **فصل** المراد نهي موسى عليه السلام عن التكذيب بالبعث ولكن ظاهر اللفظ يقتضي نهي من لم يؤمن عن صد موسى عليه السلام وفيه وجهان احدهما ان صد الكافر بها عن التصديق سبب للتكذيب فذكر السبب ليدل على المسبب وذلك ان صد الكافر مسبب عن رخاوة الرجل في الدين فذكر المسبب ليدل على السبب كقوله لا ارينك هاهنا المراد نهيه عن مشاهدته والكون بحضرته وكذا هاهنا كانه قيل لا تكن رخاوتك في الدين شديدا **فصل** دلت الاية على وجوب تعلم علم الاصول لان قوله تعالى فلا يصدنك يرجع معناه الى الصلابة في الدين وتلك الصلابة ان كان المراد التقليد لم يتميز المبطل فيه عن المحق فلا بد وان يكون المراد بهذه الصلابة كونه قويا في تقرير الدلائل وازالة الشبهات حتى لا يمكن الخصم ان يزيله عن الدين بل يكون هو متمكنا من ازالة المبطل عن بطلانه **قوله تعالى** فلا يصدنك يدل على ان العباد هم الصادون ولو كان تعالى هو الخالق لافعالهم لكان هو الصاد دونهم فدل ذلك على بطلان القول بالجبر واجيب بالمعارضة بمسئلة العلم والداعي ثم قال تعالى

واتبع هواه والمعنى ان منكر البعث انما انكره اتباعا للهوى لا للدليل وهذا من اعظم الدلائل على فساد التقليد لان المقلد متبع للهوى لا للحجة ثم قال فتردى اي فتهلك **قوله تعالى** وما تلك بيمينك ما مبتدأ استفهامية وتلك خبره وبيمينك متعلق بمحذوف لانها حال كقوله وهذا بعلي شيخا والعامل في الحال المقدرة معنى الاشارة وجوز الزمخشري ان يكون تلك موصولة بمعنى التي وبيمينك صلتها ولم يذكر ابن عطية غيره وهذا ليس مذهب البصريين لانهم لم يجعلوا اسم الاشارة موصولا الا ذا خاصة وقد تقدمت واما الكوفيون فيجيزون ذلك في جميعها ومنه هذه الاية عندهم اي وما التي بيمينك وانشدوا ايضا • نجوت وهذا تحملين طليق • اي والذي تحملين وقال الفراء معناه وما هذه التي في يمينك فان قيل السؤال انما يكون لطلب العلم وهو على الله محال فما فائدة قوله وما تلك بيمينك فالجواب فيه فوائد الاولى حكمة هذا السؤال تنبيهه وتوقيفه على انها عصا حتى اذا قلبها حية علم انها معجزة عظيمة وهذا على عادة العرب يقول الرجل لغيره هل تعرف هذا وهو لا يشك انه يعرفه ويريد ان ينضم اقراره بلسانه الى معرفته بقلبه الثاني ان يقرر بقلبه انها خشبة حتى اذا قلبها ثعبانا لا يخافها الثالث انه تعالى لما اراه الانوار المتصاعدة من الشجرة الى السماء واسمعه كلام نفسه ثم اورد عليه التكليف الشاق وذكر له المعاد وختم ذلك بالتهديد تحير موسى عليه السلام ودهش فقيل له وما تلك بيمينك وتكلم معه بكلام البشر ازالة لتلك الدهشة والحيرة فان قيل هذا خطاب من الله مع موسى بلا واسطة ولم يحصل ذلك لمحمد عليه الصلاة والسلام فيلزم ان يكون موسى افضل من محمد فالجواب انه تعالى كما خاطب موسى خاطب محمدا في قوله تعالى فاوحى الى عبده ما اوحى لكن الفرق ان الذي ذكره مع موسى عليه السلام افشاه الى الخلق والذي ذكره مع محمد كان سرا لم يؤهل له احدا من الخلق وايضا ان كان موسى تكلم معه فامة محمد يخاطبون الله في كل يوم مرات على ما قاله عليه الصلاة والسلام المصلي يناجي ربه والرب يتكلم مع آحاد امة محمد صلى الله عليه وسلم يوم القيامة بالتسليم والتكريم لقوله تعالى سلام قولا من رب رحيم **قوله تعالى** هي عصاي هي يعود على المستفهم عنه وقرأ العامة عصاي بفتح الياء والجحدري وابن ابي اسحاق بالقلب والادغام وقد تقدم توجيه ذلك اول البقرة ولم يثبت هذه الاية والشعر المروي في ذلك وروي عن ابي عمرو وابن ابي اسحاق ايضا والحسن عصاي بكسر الياء لالتقاء الساكنين وعن ابي اسحاق عصاي بسكونها وصلا وقد فعل نافع مثل ذلك في محياي بجمع بين ساكنين وصلا وقد تقدم الكلام هناك **قوله تعالى** اتوكؤ عليها يجوز ان يكون خبرا ثانيا لهي ويجوز ان يكون حالا اما من عصاي واما من الياء وفيه بعد لان مجيء الحال من المضاف اليه قليل وله مع ذلك شروط ليس فيه منها شيء بفعل مقدر والتوكؤ هو الحمل ولا ينبغي ان يقال ذلك والتوكؤ التحامل على الشيء وهو بمعنى الاتكاء وقد تقدم تفسيره في يوسف فهما من مادة واحدة وذكرهنا الاختلاف بينهما والهش بالمعجمة الخبط يقال هش الورق اهشه اي خبطه والمعنى اخبط بها واضرب بها اغصان الشجر ليسقط ورقها على غنمي فتاكل واما هش يهش بكسر العين في المضارع فبمعنى البشاشة وقد قرأ النخعي بذلك فقيل هو بمعنى اهش بالضم والمفعول محذوف في القراءتين اي اهش الورق والشجر وقيل هو في هذه القراءة من هش يهش اذا مال وقرأ الحسن وعكرمة واهس بضم الهاء والسين المهملة وهو السوق ومنه الهس وعلى هذا فكان ينبغي ان يتعدى بنفسه ولكنه ضمن ما يتعدى بعلى وهو اقوم واهون ونقل ابن خالويه عن النخعي انه قرأ واهش بضم الهمزة وكسر الهاء من اهش رباعيا وبالمهملة ونقلها عنه الزمخشري بالمعجمة فتكون عنه قراءتان ونقل صاحب اللوامح عن مجاهد وعكرمة واهش بضم الهاء وتخفيف الشين قال ولا اعرف لها وجها الا ان يكون قد استعمل التضعيف مع معنى الشيء تخفف وهي بمعنى قراءة العامة وقرأ بعضهم غنمي بسكون النون ولا ايقاع وقرأ علي بتشديد الياء والمآرب جمع مأربة وهي الحاجة وكذلك اربة ايضا وفي راء المأربة الحركات الثلاث وانما قال مآرب لان المآرب في معنى جماعة فكانه قال جماعة من الحاجات اخرى ولم يقل اخر لرؤوس الآي كقوله له الاسماء الحسنى وقد تقدم قريبا قال ابو البقاء ولو قال آخر لكان على اللفظ يعني اخر كقوله تعالى فعدة من ايام اخر بضم الهمزة وفتح الخاء واللفظ لفظ الجمع الا هو وروي عن شيبة والزهري مارب قال بعضهم مخفف المسهل بين بين والافالهمز حذف بالكلية فشاذ **فصل** لما قال عصاي فقد تم الجواب الا انه عليه السلام ذكر الوجوه الاخر لانه كان يحب المكالمة مع ربه فجعل ذلك كالوسيلة الى تحصيل هذا الغرض اتوكؤ عليها التوكؤ والاتكاء واحد كالتوقي والاتقاء اي اعتمد عليها اذا عييت او وقفت على راس القطيع واهش بها على غنمي اي اضرب بها اغصان الشجر ليسقط ورقها على الغنم فتاكله ولي فيها مآرب اخرى اي حوائج ومنافع وانما اجمل في المآرب رجاء ان يسأله ربه عن تلك المآرب فيسمع كلام الله تعالى مرة اخرى وتطول المكالمة بسبب ذلك **فصل** قال وهب وكانت ذات شعبتين فاذا سار وضعها على عاتقه يعلق بها ادواته من القوس والكنانة والثياب واذا كان في البرية ركزها والقى على شعبتيها كساه فكان ظلا وقيل كان فيها من المعجزات انه كان يستقي فتطول بطول البئر وتصير شعبتاها دلوا وتصيران شمعتان في الليل واذا ظهر

عدوه حاربت عنه واذا اشتهى ثمرة ركزها فاورقت واثمرت وكان يحمل عليها زاده وماءه وكانت يابسة
ويركزها فينبع الماء واذا رفعها نضب وكانت تقيه الهوام قال المقاتل اسمها نبعه ويروي عن ابن عباس انها كانت تماشيه
وتحدثه قال الله تعالى القها يا موسى اي انبذها قال وهب ظن موسى انه يقول ارفضها فالقيها على وجه الارض نظر اليها
فاذا هي حية تسعى صفرا من اعظم ما يكون من الحيات تمشي بسرعة لها عرف كعرف الفرس وكان بين لحييها اربعين ذراعا
صارت شعبتاها شدقين لها والمحجن عنقا وعرفا تهتز وعيناها تتقدان كالنار وتقصف الشجرة العظيمة بانيابها ويسمع
لاسنانها صريفا عظيما وهذا خارق عظيم وبرهان قاطع على ان الذي يكلمه هو الذي يقول للشي كن فيكون

فصل والحكمة في قلب العصى حية في ذلك الوقت من وجوه الاول لتكون معجزة لموسى عليه السلام يعرف بها
نبوة نفسه لانه عليه السلام الى هذا الوقت ما سمع الا النداء والنداء وان كان مخالفا للعادات الا انه لم يكن معجزة لاحتمال
ان يكون ذلك من عادة الملائكة او الجن فقلب العصى حية ليكون دليلا قاطعا على المعجزة الثاني انه تعالى عرضها عليه
ليشاهدها اولا فاذا شاهدها عند فرعون لا يخافها الثالث انه كان راعيا فقيرا ثم نصب للمنصب العظيم فلعله بقي متعجبا
من ذلك فقلب العصى حية تنبيها على اني لما قدرت على ذلك فكيف يستبعد مني مثلك في اظهار الدين فان قيل كيف قال
هنا حية وفي موضع جان وهي الحية الخفيفة الصغيرة وقال في موضع ثعبان وهو اكبر ما يكون من الحيات فالجواب
ان الحية اسم جنس يقع على الذكر والانثى والصغيرة والكبيرة واما الجان فقيل عبارة عن ابتداء حالها فانها كانت
حية على قدر العصى ثم تورمت وتزايدت وانتفخت ثعبانا وقيل كانت في عظم الجان في عظم الثعبان وسرعة الجان كقوله
كقوله تعالى فلما راها تهتز كانها جان يجوز ان يكون خبرا ثانيا عند من يجوز ذلك ويجوز ان يكون صفة لحية فلما عاين
موسى ذلك ولى مدبرا وهرب ثم ذكر ربه فوقف استحياء فنودي خذها ولا تخف سنعيدها سيرتها الاولى اي نردها

عصا كما كانت **قوله تعالى** سيرتها في نصبه وجه احدها ان تكون منصوبة على الظرف اي في سيرتها اي طريقتها
الثاني انها منصوبة على البدل من قوله سنعيدها بدل اشتمال لان السيرة الصفة اي سنعيدها الصفة صفتها وشكلها
الثالث انها منصوبة على اسقاط الخافض اي الى سيرتها قال الزمخشري ويجوز ان يكون سنعيدها مفعولا من عاده
اي عاد اليه فيتعدي لمفعولين ومنه بيت زهير • وعادك ان تلاقيها عداء • وهذا هو الذي كان
فجوز ان يكون ظرفا كما تقدم الا ان ابا حيان رده بانه ظرف مختص فلا يصل اليه الفعل الا بواسطة في لا فيما نعله
يدل على الهيئة من السير كالركبة من الركوب ثم اتسع فعبر بها عن المذهب والطريقة قال خالد الهذلي قوله •
• فلا تغضبن من سيرة انت سرتها • فاول راض سيرة من يسيرها •

ويجوز ايضا ان ينتصب بفعل مضمر اي يسير سيرتها الاولى وتكون هذه الجملة المقدرة في محل نصب على الحال اي بعدها
سائرة سيرتها **فصل** لما نودي يا موسى وخص بتلك الكرامات فان قيل لما نودي يا موسى وخص بهذه
الكرامة العظيمة وعلم انه مبعوث من عند الله تعالى الى الخلق فلماذا خاف فالجواب من وجوه احدها ان ذلك الخوف
كان من نفر الطبع لانه عليه السلام ما شاهد مثل ذلك قط وهذا معلوم بد لايل العقول قال ابو القاسم الانصاري
وذلك الخوف من اقوى الدلايل على صدقه في النبوة لان الساحر يعلم ان الذي جاء به تمويه فلا يخافه البتة والثاني خاف
لانه عليه السلام عرف ما لقي ادم منها والثالث انه مجرد قوله ولا تخف لا يدل على حصول الخوف كقوله تعالى فلا تطع الكافرين
لا يدل على وجود تلك الطاعة لكن قوله تعالى فلما راها تهتز كانها جان ولى مدبرا يدل عليه **فصل**
قال المفسرون كان على موسى عليه السلام مدرعة قد خلها بعيدان فلما قال له خذها لف طرف المدرعة على يده فامره الله
ان يكشف يده فكشف وقيل بان ملكا وقال له ارايت لو اذن الله بما تحاذره اكانت المدرعة تغني عنك شيئا قال لا ولكني ضعيف
ومن ضعف خلقت ثم كشف يده ووضعها في فم الحية فاذا هي عصا كما كانت ويده في شعبتها في الموضع الذي يضعها اذا توكا
واعلم ان ادخاله يده في فم الحية من غير ضرر معجزة وانقلاب بها خشبا معجزة وانقلاب العصى حية معجزة ففيها ثلاث معجزات
والملاب التي تقدمت **قوله تعالى** واضمم يدك الى جناحك لابد هنا من حذف والتقدير واضمم يدك تنضم
واخرجها تخرج فحذف من الاول والثاني وابقى مقابليهما ليدل على ذلك ايجازا واختصارا وانما احتيج الى هذا
لانه لما يترتب على مجرد الضم الخروج وقوله بيضاء حال من فاعل تخرج **قوله تعالى** من غير سوء يجوز ان يكون
متعلقا بتخرج وان يكون متعلقا بمحذوف على انه حال من الضمير في بيضاء وقوله تعالى من غير سوء يسمى عند اهل البيان
الاحتراس وهو ان يؤتى بشي يرفع توهم من يتوهم غير المراد وذلك ان البياض قد يراد به البرص والبهق فاتى بقوله
من غير سوء نفيا لذلك **قوله تعالى** آية فيه اوجه احدها ان يكون حالا اخرى بدلا من بيضاء او الواقعة حالا الثاني
انها حال من الضمير في بيضاء الثالث انها حال من الجار والمجرور الرابع انها منصوبة بفعل محذوف فقدره ابو البقاء جعلناها

آية وقدرناها آية او اتيناك آية وقدره الزمخشري خذ آية وقدر ايضا دونك آية ورده ابو حيان دونك بان دونك
من باب الاغراء ولا يجوز الظرف ان يكون مضمرا في الاغراء قال لان العامل حذف وناب هذا مكانه ولا يجوز ان يحذف
النايب وايضا فان احكامه تخالف العامل الصريح فلا يجوز اضمارها وان جاز اضمار الافعال **فصل**
يقال لكل ناحيتين جناحان كجناح العسكر لطرفيه وجناح الانسان جانباه والاصل المستعار منه جناحا الطاير لانه
يجنحهما عند الطيران وجناح الانسان عضده اي اضمم يدك الى ابطك تخرج بيضاء نيرة مشرقة من غير سوء وعن ابن عباس
الى جناحك اي الى صدرك والاول اولى لان يدي الانسان يشبهان جناحي الطاير ولانه قال تخرج بيضاء ولو كان المراد بالجناح
الصدر لم يكن لقوله تخرج معنى ومعنى ضم اليد الى الجناح كما قال في اية اخرى واضمم يدك وادخل يدك في جيبك لانه اذا ادخل
يده في جيبه يكون قد ضم يده الى جناحه والسوء الرداءة والقبح في كل شي وكني به عن البرص كما كني عن العورة بالسوءة والبرص
ابغض شي الى العرب فكان لهم عنه نفرة فكان جديرا بان يكنى عنه بالسوء وكان عليه السلام شديد الادمة
فكان اذا ادخل يده اليمنى في جيبه وادخلها تحت ابطه الايسر واخرجها كانت تبرق مثل البرق وقيل مثل الشمس من غير برص
ثم اذا اعادها ردت الى لونها الاول آية اخرى دلالة اخرى على صدقك سوى العصى **قوله تعالى**
لنريك متعلق بما دلت عليه آية اي دللنا بها لنريك او جعلناها او اتيناك المقدر وقدره الزمخشري لنريك فعلنا
ذلك وذكر الحوفي ان يتعلق باضمم وجوز غيره ان يتعلق باخرج ولا يجوز ان يتعلق بلفظ آية لانها قد وصفت
وقدره الزمخشري ايضا لنريك خذ هذه الاية ايضا **قوله تعالى** من اياتنا الكبرى يجوز ان يتعلق من اياتنا
بمحذوف على انها حال من الكبرى وتكون الكبرى على هذا مفعولا لنريك والتقدير لنريك حال كونها من اياتنا
اي بعض اياتنا ويجوز ان يكون المفعول الثاني نفس من اياتنا فيتعلق بمحذوف ايضا وتكون الكبرى على هذا صفة لاياتنا
وصف الجمع المونث غير العاقل وصف الواحدة على حد مآرب اخرى والاسماء الحسنى وهذان الوجهان قد نقلهما
الزمخشري والحوفي وابو البقاء وابن عطية اي لنريك من اياتنا الاية الكبرى قال ولو قال من اياتنا الكبرى لم يصل
الكبر لو بين الايتين واختار ابو حيان الثاني قال لانه يلزم من ذلك ان يكون اياته كلها هي الكبرى لان ما كان من آيات
الكبر صدق عليه آيات الكبر واذا جعلت الكبرى مفعولا فانه لم يتصف الايات بالكبر لانها هي المتصلة بافعل
التفضيل وايضا اذا جعلت الكبرى مفعولا فلا يلزم ان يكون صفة العصى واليد معا اذ كان يلزم التثنية ولا جائز
ان يخص احدهما بالوصف دون الاخر لان التفضيل في كل منهما فان قيل قال المفسرون قال لنريك من اياتنا الكبرى
ولم يقل الكبر لو بين الايتين فالجواب في اضمار لنريك من اياتنا الاية الكبرى ويدل عليه قول ابن عباس كانت يد موسى
اكبر من اياته وهو قول الحسن قال انه اعظم في الاعجاز من العصا فانه جعل الكبرى مفعولا بايانتا لنريك وجعل ذلك
قريبا وقد ضعف ذلك بانه ليس في اليد الا تغير اللون وخلق الزيادة في الجسم وخلق الحيوة والقدرة والاعضا المختلفة
وابتلاع الشجر والحجر ثم عادت عصى بعد ذلك فقد وقع التغير مرة اخرى في كل هذه الامور فكانت العصى اعظم واما قوله
لنريك من اياتنا الكبرى فقد ثبت انه عائد الى الكل وانه غير مختص باليد **قوله تعالى** اذهب الى فرعون انه طغى
لما اظهر له الايات عقبها بان امره بالذهاب الى فرعون وبين العلة في ذلك وهو انه طغى وانما خص فرعون بالذكر مع انه
بعث موسى الى الكل لانه ادعى الالهية وتكبر وكان متبوعا فكان ذكره اولى ومعنى طغى جاوز الحد في العصيان
والتمرد فبلغه رسالتي وادعه الى عبادتي وحذره نقمتي قال موسى رب اشرح لي صدري ويسر لي امري حتى لا اخاف غيرك
والسبب في هذا السوال ما حكى الله عنه في موضع اخر ويضيق صدري ولا ينطلق لساني وذلك ان موسى كان يخاف
فرعون خوفا شديدا لشدة شوكته وكثرة جنوده وكان يضيق صدرا من مقاومة فرعون وحده فكان يسال الله تعالى
ان يوسع قلبه حتى لا يعلم ان احدا يقدر على مضرته الا باذن الله واذا علم ذلك لم يخف فرعون مع شدة شوكته وكثرة جنوده
قوله تعالى صدري متعلق باشرح قال الزمخشري فان قلت في قوله اشرح لي صدري ويسر لي امري ما جدوى لي والامر
متبين بدونه قلت قد ابهم الكلام اولا فقال اشرح لي صدري ويسر لي فعلم ان ثم مشروحا وميسرا ثم بين ورفع الابهام
بذكرهما فكان اكد لطلب الشرح لصدره والتيسير لامره ويقال يسرته لكذا ومنه فسنيسره لليسرى ويسرته له كذا ومنه
هذه الاية **قوله تعالى** ويسر لي امري اي سهل علي ما امرتني به من تبليغ الرسالة الى فرعون وذلك لان كل ما يصدر
من العبد من الاقوال والافعال والحركات والسكنات فما لم يصر العبد مريدا له استحال ان يكون فاعلا له فهذه الارادة
صفة محدثة ولا بد لها من فاعل فان كان الفاعل هو العبد افتقر في تحصيل تلك الارادة الى ارادة اخرى فيلزم التسلسل
بل لا بد من الانتهاء الى ارادة يخلقها مدبر العالم ففي الحقيقة هو الميسر للامور **قوله تعالى** واحلل عقدة من لساني
وذلك ان موسى عليه السلام كان في حجر فرعون ذات يوم في صغره فلطم فرعون لطمة واخذ بلحيته فقال فرعون لاسية

امرأته هذا عدوي واراد ان يقتله فقالت آسية انه صبي لا يعقل ولا يميز فجربه ان شئت فجاءت بطشتين في احدهما جمر وفي الاخر جوهر فوضعتهما بين يديه وبين يدي موسى فاراد موسى ان يأخذ الجوهر فأخذ جبريل عليه السلام يد موسى عليه السلام فوضعها على النار فاخذ جمرة فوضعها في فيه فاحترق لسانه ولم تحترق اليد قيل لانها آلة اخذ العصا وقيل كان ذلك التعقد خلقة فسأل الله تعالى ازالته واختلفوا في انه لم طلب حل تلك العقدة فقيل لئلا يقع خلل في ادائه وقيل لئلا يستخف في كلامه فينفروا عنه ولا يلتفتوا اليه وقيل لاظهار المعجزة كما ان حبس لسان زكريا عن الكلام كان معجزا في حقه فكذا اطلاق لسان موسى عليه السلام معجز في حقه **فصل**

قال الحسن ان تلك العقدة زالت بالكلية لقوله قد اوتيت سؤلك يا موسى وقيل هذا ضعيف لانه عليه السلام لم يقل واحلل العقدة من لساني بل قال واحلل عقدة من لساني فاذا حل عقدة واحدة فقد آتاه الله سؤله والحق انه انحل اكثر العقد وبقي منها شيء لقوله حكاية عن فرعون ام انا خير من هذا الذي هو مهين ولا يكاد يبين مع بقاء قدر من الانعقاد في لسانه اجاب عنه بوجهين احدهما ان المراد بقوله ولا يكاد يبين اي لا يأتي ببيان وحجة والثاني ان كاد بمعنى قرب فلو كان المراد هو البيان اللساني لكان معناه انه لا يقارب البيان فكان فيه نفي البيان بالكلية وذلك باطل لانه خاطب فرعون وقومه وكانوا يفهمون فكيف يمكن نفي البيان بل انما قالوا ذلك تمويها ليصرفوا الوجوه عنه **فصل**

واعلم ان النطق فضل عظيم ويدل عليه وجوه الاول قوله تعالى خلق الانسان علمه البيان ولهذا قيل الانسان هو الحيوان الناطق الثاني اتفاق العلماء العقلاء على تعظيم اللسان قال الشاعر زهير

لسان الفتى نصف فؤاده • فلم يبق الا صورة اللحم والدم •

وقالوا ما الانسان لولا اللسان فالا بهيمة مهملة اي لو ذهب النطق اللساني لم يبق من الانسان الا القدر الحاصل في البهائم وقالوا المرء باصغريه لسانه وقلبه وقال المرء مخبو تحت لسانه الثالث ان في مناظرة آدم مع الملائكة ما ظهرت الفضيلة الا بالنطق حيث قال يا آدم انبئهم باسمائهم فلما انبأهم باسمائهم قال الم اقل لكم اني اعلم غيب السموات والارض **قوله تعالى** من لساني يجوز ان يتعلق بمحذوف على انه صفة لعقدة اي من عقد لساني ولم يذكر الزمخشري غيره ويجوز ان يتعلق بنفس احلل والاول اولى **قوله تعالى** واجعل لي وزيرا يجوز ان يكون لي مفعولا ثانيا مقدما ووزيرا هو المفعول الاول **قوله تعالى** من اهلي على هذا يجوز ان يكون صفة لوزيرا ويجوز ان يكون متعلقا بالجعل **قوله تعالى** هرون بدل من وزيرا وجوز ابو البقا ان يكون عطف بيان لوزيرا ولم يذكر الزمخشري غيره والحكى ابو حيان هذا لم يعقبه وهو عجيب فان عطف البيان يشترط فيه التوافق تعريفا وتنكيرا وقد عرفت ان وزيرا نكرة وهرون معرفة والزمخشري قد تقدم له مثل ذلك في قوله تعالى آيات بينات مقام ابراهيم وتقدم الكلام معه هناك وهو عائد هنا ويجوز ان يكون هرون منصوبا هنا بفعل محذوف كأنه قال اخصص من بينهم هارون اي من بين اهلي ويجوز ان يكون مفعولا ثانيا وهرون هو الاول مقدما وقدم الثاني عليه اعتناء بامر الوزارة وعلى هذا فقوله لي يجوز ان يتعلق بنفس الجعل وان يتعلق بمحذوف على انه حال من وزيرا اذ هو في الاصل صفة له فلما تقدم من وجهه ويجوز ان يكون وزيرا مفعولا واهلي هو الثاني وقوله لي مثل قوله ولم يكن له كفوا احد يعنون انه به يتم المعنى ذكر ذلك ابو البقا والحكى ابو حيان لم يعقبه بنكير وهو عجيب لان شرط المفعولين في باب النواسخ صحة انعقاد الجملة الاسمية وانت لو ابتدات بوزير واخبرت عنه بمن اهلي لم يجز لانه لا مسوغ للابتداء به واخي بدل او عطف بيان لهرون قال الزمخشري وان جعلا عطف بيان آخر جاز وحسن قال ابو حيان ويبعد فيه عطف البيان لان عطف البيان الاكثر فيه ان يكون الاول دونه في الشهرة وهذا بالعكس قال شهاب الدين لم يرد الزمخشري ان اخي عطف بيان لهرون حتى يقول الشيخ ان الاول وهو هارون اشهر من الثاني وهو اخي انما عنى الزمخشري انه عطف بيان ايضا للوزير وكذلك قال الحق ولا بد من الاتيان بلفظه ليعرف انه لم يرد الا ما ذكرته قال ووزيرا وهارون مفعول قوله اجعل لي وزيرا مفعولا وهارون عطف بيان للوزير واخي في الوجهين بدل من هرون وان اجعل عطف بيان آخر جاز وحسن فقوله آخر يعين ان يكون عطف بيان لما جعل عنه عطف بيان قبل ذلك وجوز الزمخشري في اخي ان يرفع بالابتدا ويكون خبره اشدد به وذلك على قراءة الجمهور له بصيغة الدعاء وعلى هذا فالوقف على هارون وقرأ ابن عامر اشدد بالمضارعة وجزم الفعل نسقا على ما قبله حكاية عن موسى اي افعل ذلك وقرأها اشدد بالمضارعة وجزم الفعل نسقا على ما قبله حكاية عن موسى جوابا للامر واشركه بضم الهمزة للمضارعة وجزم الفعل نسقا على ما قبله حكاية عن موسى اي افعل ذلك وقرأ الباقون بحذف همزة الوصل من الاول وحذف همزة القطع في الثاني على انهما دعاء من موسى لربه بذلك وعلى هذه القراءة تكون هذه الجملة قد دخل فيها العاطف

خاصة

خاصة دون ما تقدم منها من جمل الدعاء وقرأ الحسن اشدد مضارع شدد بالتشديد قيل مشتق من الوزر وهو الثقل وسمي بذلك لانه يحمل اعباء الملك دونه فهو معين على امر الملك وقائم بامره وقيل بل هو من الوزر وهو من الجبل الذي يتحصن به كقوله تعالى كلا لا وزر وقال الشاعر

من السباع الضواري دونه وزر • والناس شرهم ما دونه وزر •

كم معشر سلموا لم يؤذهم سبع • ولا نرى نفرا لم يؤذهم بشر •

وهي من الموازرة وهي من المعاونة نقله الزمخشري عن الاصمعي قال وكان القياس ازيرا يعني بالهمزة لان المادة كذلك فقلبت الهمزة الى الواو ووجه قلبها ان فعيلا جاء بمعنى مفاعل مجيئا صالحا كقولهم عشير وجليس وخليط وصديق وخليل ونديم فلما قلبت في اخيه قلبت فيه وحمل الشيء على نظيره ليس بعزيز ونظر الى الوازر واخواته ولي الموازرة يعني ان وزيرا بمعنى موازر او موازر اقلبت فيه الهمزة واوا قليلة قياسا لانها همزة مفتوحة بعد ضمة مضمومة فهو نظير موجل ومواخذكم فحمل ازيرا عليه في القلب وان لم يكن فيه سبب القلب والموازرة ماخوذة من ازار الرجل وهو الموضع الذي يشده الرجل فانا اذا العمل المتعب **فصل** اعلم ان طلب الوزير اما انه خاف على نفسه العجز عن القيام بذلك الامر فطلب المعين او لانه راى ان التعاون على الدين والتظاهر عليه مع مخالصة الود وزوال التهمة قربة عظيمة في الدعاء الى الله تعالى ولذلك قال عيسى ابن مريم عليه السلام من انصاري الى الله قال الحواريون نحن انصار الله وقال لمحمد صلى الله عليه وسلم حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين وقال عليه الصلاة والسلام ان لي في السماء وزيرين وفي الارض وزيرين فاللذان في السماء جبريل وميكائيل واللذان في الارض ابو بكر وعمر وقال صلى الله عليه وسلم اذا اراد الله بملك خيرا قيض له وزيرا صالحا ان نسي ذكره وان نوى خيرا اعانه وان اراد شرا كفه وقال انوشروان لا تستغني اجود السيوف عن الصقال ولا اكرم الدواب عن السوط واراد موسى عليه السلام ان يكون ذلك الوزير من اهله اي من اقاربه وان يكون اخاه هرون والسبب فيه ان التعاون على الدين منقبة عظيمة اراد ان لا تحصل هذه الدرجة العظيمة الا لاهله ولان كل واحد منهما كان في غاية المحبة لصاحبه وكان هرون اكبر سنا من موسى باربع سنين وكان افصح منه واجمل واوسم ابيض اللون وكان موسى اسمر اللون اقنى اجعد اشدد به ظهري واشركه في امري في النبوة والازر القوة وازره قواه وقال ابو عبيدة ازري اي ظهري وفي كتاب الخليل الازر الظهر ثم انه تعالى حكى عنه ما لاجله دعا بهذا الدعاء فقال كي نسبحك كثيرا قال الكلبي نصلي لك كثيرا ونثني عليك ونسبح ننزه الله تعالى في ذاته وصفاته عما لا يليق به ونذكرك كثيرا اي نصفك بصفات الجلال والكبرياء **قوله تعالى** كثيرا نعتا لمصدر محذوفا او حالا من المصدر كما هو راي سيبويه وجوز ابو البقا ان يكون صفة لمصدر محذوف اي زمانا كثيرا **قوله تعالى** انك كنت بنا بصيرا اي عالما بانا لا نريد بهذه الطاعة الا وجهك ورضاك او بصيرا بان الاستعانة بهذه الاشياء لاجل حاجتي في النبوة اليها او بصيرا بوجوه مصالحنا فاعطنا ما هو اصلح لنا **قوله تعالى** قد اوتيت سؤلك يا موسى ولقد مننا عليك مرة اخرى فعل بمعنى مفعول كقولك خبز بمعنى مخبوز واكل بمعنى ماكول ولا ينقاس ومرة مصدر واخرى تانيث آخر بمعنى غير وزعم بعضهم انها بمعنى آخرة فتكون مقابلة للاولى ويخيل لذلك بان قال سماها اخرى وهي اولى لانها اخرى في الذكر **فصل** قيل موسى عليه السلام لما ذكر اي لما سال ربه تلك الامور الثمانية وكان في المعلوم ان قيامه بما كلف به فقال قد اوتيت سؤلك يا موسى ولقد مننا عليك مرة اخرى فنبه على ذلك بامور الاول انه تعالى قال اني راعيت مصلحتك قبل سؤالك فكيف لا اعطيك مرادك بعد السؤال والثاني اني كنت ربيتك فلو منعتك الان كان ذلك ردا بعد القبول واساءة بعد الاحسان فكيف يليق بكرمي والثالث انا اعطيناك في الازمنة السالفة كل ما احتجت اليه ورقيناك الى الدرجة العالية وهي منصب النبوة فكيف يليق بمثل هذه التربية المنع عن المطلوب ومعنى مننا عليك انعمنا عليك مرة اخرى فان قيل لم ذكر تلك النعم بلفظ المنة مع ان هذه اللفظة موذية والمقام مقام التلطف فالجواب انما ذكر ذلك ليعرف موسى عليه السلام ان هذه النعم التي وصل اليها ما كان مستحقا لشيء منها بل انما خصه الله بها لمحض الفضل والاحسان فان قيل لم قال مرة اخرى مع انه تعالى ذكر مننا كثيرة فالجواب لم يعن بمرة اخرى واحدة من المنن لان ذلك يقال في القليل والكثير **قوله تعالى** اذ اوحينا العامل في اذ مننا اي اذ مننا عليك في وقت ايحائنا الى امك وابهم في قوله ما يوحى للتعظيم كقوله تعالى فغشيهم من اليم ما غشيهم وهذا وحي الهام لان الاكثرين على ان ام موسى عليه السلام ما كانت من الانبياء ولان المراة لا تصلح للقضاء والامامة ولا تمكن عند اكثر العلماء من تزويج نفسها ويدل عليه قوله تعالى وما ارسلنا قبلك الا رجالا نوحي اليهم والوحي جاء في القرآن لا بمعنى النبوة قال تعالى واوحى ربك الى النحل واذ اوحيت الى الحواريين **فصل** اختلفوا في المراد بهذا الوحي على وجوه احدها انه رؤيا رأتها ام موسى وكان تأويلها وضع موسى عليه السلام في التابوت وقذفه في البحر وان الله تعالى يرده اليها

ثانيها انه عزيمة جازمة وقعت في قلبها دفعة واحدة ثم انها المراد بذلك خطور البال وغلبته على القلب فان قيل
الالقاء في البحر قريب من الاهلاك وهو مساو للخوف الحاصل من القتل المعتاد من فرعون فكيف يجوز الاقدام على احدهما
لاجل الصيانة عن الثاني فالجواب لعلها عرفت بالاستقراء صدق من رؤياها وكان الالقاء في البحر الى السلامة اغلب على ظنها
من وقوع الولد في يد فرعون او لانه اوحي الى بعض الانبياء في ذلك الزمان الى شعيب عليه السلام او غيره ثم ان ذلك النبي
عرفها اما مشافهة او مراسلة فان قيل واعترض عليه بان الامر لو كان كذلك لما لحقها الخوف فالجواب بان ذلك الخوف
كان من لوازم البشرية كما ان موسى عليه السلام كان يخاف فرعون مع ان الله تعالى كان امره بالذهاب اليه الرابع
من الاوجه لعل بعض الانبياء المتقدمين كابراهيم واسحق ويعقوب عليهم السلام اخبروا بذلك الخبر وانتهى ذلك الخبر
الى امه او لان الله تعالى بعث اليها ملكا على وجه النبوة كما بعث الى مريم في قوله فتمثل لها بشرا سويا وقوله تعالى ما
يوحي معناه اوحينا الى امك ما يجب ان يوحي وانما وجب ذلك الوحي لان الواقعة واقعة عظيمة ولا سبيل الى معرفة
المصلحة فيها الا بالوحي فكان الوحي فيها واجبا **قوله تعالى** ان اقذفيه يجوز ان تكون ان مفسرة لان معنى الوحي
معنى القول ولم يذكر الزمخشري غيره وجوز غيره ان تكون مصدرية ومحلها حينئذ النصب بدلا من ما يوحي والضمائر
ان يعود الضمير في فاقذفيه الى الحق هنا عائد الى موسى عليه السلام لانه المحدث عنه وجوز بعضهم ان يعود الضمير في قوله
ان اقذفيه في اليم للتابوت وما قبله وما بعده لموسى عليه السلام وعابه الزمخشري وجعله تنافرا ومخرجا للقرآن عن
اعجازه فانه قال والضمائر كلها راجعة الى موسى ورجوع بعضها اليه وبعضها الى التابوت فيه هجنة لما يؤدي اليه من تنافر
النظم فان قيل المقذوف في البحر هو التابوت وكذلك الملقى الى الساحل فالجواب ما ضرك لو جعلت المقذوف والملقى
الى الساحل هو موسى في جوف التابوت حتى لا يفرق الضمائر فيتنافر النظم عليك الذي هو ام اعجاز القرآن والتابوت الذي
وقع عليه الزمخشري ومراعاته اهم ما يجب على المفسر **فصل** قال ابو حيان ولقائل ان يقول ان الضمير اذا كان صالحا
لان يعود الى الاقرب وعلى الابعد وكان عوده على الاقرب راجحا اليه مرجحا فانه قيل قد نص النحويون على هذا
فعوده على التابوت في قوله فاقذفيه في اليم فليلقه اليم بالساحل راجح فالجواب ان احدهما اذا كان محدثا والآخر
فضلة كان عوده على المحدث عنه ارجح ولا يلتفت الى القرب وعلى هذا رددنا على ابي محمد بن حزم في دعواه ان الضمير
في قوله تعالى فانه رجس عائد على خنزير لا على لحم لانه اقرب مذكور فيحرم بذلك شحمه وغضروفه وعظمه
وجلده فان المحدث عنه هو لحم خنزير لا خنزير وقد تقدمت هذه المسالة في الانعام **قوله تعالى** فليلقه
اليم هذا امر معناه الخبر ولكونه امرا لفظا جزم بجوابه في قوله تعالى ياخذه وانما خرج بصيغة الامر مبالغة
اذ الامر اقطع الافعال واوكدها **فصل** قال الزمخشري مشيئة الله تعالى وارادته ان يجري ماء اليم
ويلقي في ذلك التابوت الى الساحل سلك في ذلك سبيل المجاز وجعل اليم كانه ذو تمييز بذلك ليطيع الامر
ويمتثل رسمه فقيل فليلقه اليم بالساحل والساحل يحتمل ان يتعلق بمحذوف على انه حال اي ملتبسا بالساحل
وان يتعلق بنفس الامر على ان الباء ظرفية بمعنى في والقذف يستعمل بمعنى الالقاء والوضع ومنه قوله تعالى وقذف في
قلوبهم الرعب **فصل** البحر المراد به هاهنا نيل مصر عند الجميع واليم اسم يقع على البحر والنهر العظيم
قال الكسائي والساحل اسم فاعل بمعنى مفعول سمي به لان الماء يسحله اي يقشره الى علاه **فصل**
روي انها اتخذت تابوتا قال مقاتل ان الذي صنع التابوت حزقيل مؤمن آل فرعون وجعلت في التابوت قطنا محلوجا
ووضعت فيه موسى وقيرت راسه وشقوقه بالقير والقته في النيل وكان يشرع منه نهر كبير في دار فرعون
فبينا فرعون جالس على راس البركة مع امراته آسية اذا بتابوت يجيء به الماء فامر الغلمان والجواري باخراجه فاخرجوه وفتحوه
فاذا صبي من اصبح الناس وجها فلما رآه فرعون احبه بحيث لم يتمالك بذلك قوله والقيت عليك محبة مني قال ابن عباس احبه
وحببه الى خلقه وقال عكرمة ما رآه احد الا احبه فان قيل قوله تعالى ياخذه عدو لي وعدو له لم يكن موسى في ذلك الوقت
معاديا له فالجواب من وجهين الاول كونه كافرا وهو واحد وكونه عدوا لموسى عليه السلام فانه بحيث لو ظهر حاله لقتله الثاني
عدو له من حيث يؤل امره الى ذلك وتدبير من فيه وجهان قال الزمخشري من لا يخلو اما ان يتعلق بالقيت فيكون المعنى
على اني احببتك ومن احبه الله احبته القلوب واما ان يتعلق بمحذوف وهو صفة لمحبة اي محبة حاصلة او واقعة مني
قد ركزتها انا في القلوب وزرعتها فيها فلذلك احبتك امراة فرعون حتى قالت قرة عين لي ولك لا تقتلوه روي انه
كان على وجهه مسحة جمال وفي عينيه ملاحة لا يكاد يصبر عنه من رآه وهو كقوله تعالى سيجعل لهم الرحمن ودا قال
القاضي هذا الوجه اقرب لانه حال صغره لا يكاد يوصف بمحبة الله تعالى التي ظاهرها من جهة الدين لان ذلك انما يستعمل
في المكلف من جهة استحقاق الثواب فالمراد ما ذكر في كيفيته في الخلقة يستحلى وتعشقه وكذلك كانت حالته مع فرعون

ولم يرقه بل يحتمل الا ان الاحتمال الاول ارجح والاحتمال الثاني يحوج الى الاضمار وهو ان يقال والقيت عليك محبة
حاصلة مني وواقعة بتخليقي وعلى الاول لا حاجة الى الاضمار واما قوله انه حال صباه لا تحصل المحبة لله ممنوع لان معنى
محبة الله هو ايصال النفع الى عباده وهذا المعنى كان حاصلا في حقه في زمان صباه وعلم الله ان ذلك يستمر الى آخر عمره فلا جرم
اطلق عليه لفظ المحبة **قوله تعالى** ولتصنع قرا العامة بكسر اللام وضم التاء وفتح النون على البناء للمفعول
ونصب الفعل باضمار ان بعد لام كي وفيه وجهان احدهما ان هذه العلة معطوفة على علة مقدرة قبلها والتقدير
ليتلطف بك ولتصنع عليك وتراد ولتصنع وذلك العلة المقدرة متعلقة بقوله القيت اي القيت عليك المحبة
والثاني ان هذه اللام متعلقة بمضمر بعدها تقديره ولتصنع على عيني فعلت ذلك اي القيت عليك محبة مني او كان
كيت وكيت ومعنى لتصنع اي لتربى ويحسن اليك وانا مراعيك ومراقبك كما يراعي الانسان الشيء بعينه اذا اعتنى به قاله
الزمخشري ومجاز هذا ان من صنع لانسان شيئا وهو حاضر ينظر اليه صنعه كما يحب لا يمكنه ان يخالف غرضه فكذا هذا
وفي كيفية المجاز قولان الاول المراد من العين العلم اي تربى على علم مني ولما كان العالم بالشيء يحرسه عن الآفات اطلق لفظ
العين على العلم لاشتباههما من هذا الوجه الثاني المراد من العين الحراسة لان الناظر الى الشيء يحرسه عما لا يريد فالعين
كانها سبب الحراسة فاطلق لفظ السبب على المسبب مجازا وهو كقوله تعالى انني معكما اسمع وارى ويقال عين الله عليك اذا دعا
وقرا الحسن ولتصنع بفتح التاء قال الحسن ليكون حركتك وتصرفك على عين مني وقال قريبا منه الزمخشري وقال ابو البقا
لتفعل بالترك بمرأى مني وقرا ابو جعفر وشيبة ولتصنع باسكان اللام والعين وضم التاء وروى ابو جعفر في هذه القراءة
كسر لام الامر ويحتمل مع كسر اللام اوجه سكونها حالة تسكين العين اي يكون لام كي وانما سكنت تشبيها بكيف وكيد والفعل
منصوب والتسكين في العين لاجل الادغام لانه لا يبقى في الوصل الا بالادغام فقط **قوله تعالى** اذ تمشي متعلق
بالقيت او لتصنع وقال ابو البقا اذ تمشي يجوز ان يتعلق باحد الفعلين ما تقدم من القيت ولتصنع وعلى هذا يجوز
ان تكون المسالة من باب التنازع لان كلا من هذين العاملين يطلب هذا الظرف من حيث المعنى ويكون من اعمال الثاني
للحذف من الاول وهذا انما يجد على الاتجاه اذا جعلت ولتصنع معطوفا على علة محذوفة متعلقة بالقيت
اما اذا جعلته متعلقا بفعل مضمر بعده فيبعد ذلك او يمتنع لكونها الثاني صار من جملة اخرى الثالث ان يكون
اذ تمشي بدلا من اذ اوحينا قال الزمخشري فان قيل كيف يصح البدل والوقتان مختلفان متباعدان فالجواب
كما يصح وان اتسع الوقت وتباعد طرفاه ان يقول لك الرجل لقيت فلانا سنة كذا فتقول وانا لقيته اذ ذاك وربما
لقيته هو في اولها وانت في آخرها قال ابو حيان وليس كما ذكر لان السنة تقبل الاتساع فاذا وقع لقيتهما فيها بخلاف
هذين الظرفين لان كل واحد ضيق ليس بمتسع لتخصيصهما بما اضيفا اليه فلا يمكن ان يقع الثاني في الظرف الذي وقع
فيه الاول لان الاول ليس متسعا لوقوع الوحي فيه ووقوع مشي الاخت فليس وقت وقوع الفعل مشتملا على اجزاء وقع
في بعضها الوحي وفي بعضها المشي بخلاف السنة قال شهاب الدين وهذا تحامل منه عليه فانه بين الوقتين ايضا ضيق ولا يسع فعلهما وانما ذلك مبني
على التساهل اذ المراد انه مشتمل على فعليهما قال ابو البقا ويجوز ان يكون المراد انه بدل لا من اذ الاولى اذ تمشي اخته كان منة
عليه يعني قوله اذ اوحينا منصوب بقوله اذ مننا فاذا جعل اذ تمشي بدلا منه كان ذلك ممتنا به عليه الرابع ان يكون العامل
فيه مضمرا تقديره اذكر اذ تمشي وهو على هذا مفعول به والمراد بذلك **قوله تعالى** اذ تمشي اختك يروى ان اسمها
مريم وروي انه فشا الخبر بمصر ان آل فرعون وجدوا غلاما في النيل وكان لا يرتضع من ثدي كل امراة يؤتى بها لان الله
حرم عليه المراضع غير امه واضطروا الى تتبع النسا فخرجت اخته متعرفة خبره فجاءت اليهم متنكرة فقالت هل ادلكم على من
يكفله اي على امراة ترضعه قالوا نعم فجاءت بالام فقبل ثديها وذلك قوله تعالى فرجعناك الى امك كي تقر عينها بلقائك
قوله تعالى تقر عينها قرا العامة تقر بفتح التاء والقاف وقرأت فرقة تقر بكسر القاف وقد تقدم في سورة مريم انهما
لغتان وقرا جناح بن حبيش تقر بضم التاء وفتح القاف على البناء للمفعول عينها رفعا لما لم يسم فاعله ولا تحزن اي
يذهب عنها الحزن **قوله تعالى** كي لا تحزن وتقر عينها كان الغالب بعد الانه لا يلزم من عدم حصول الحزن
حصول السرور لها فلما قال اولا كي تقر عينها كان قوله ولا تحزن فضلا لانه متى حصل السرور وجب زوال الغم لا محالة
فصل المراد تقر عينها بسبب وصولك اليها ويزول عنها الحزن بسبب عدم وصول لبن غيرها الى باطنك
قوله تعالى وقتلت نفسا فنجيناك من الغم وهذه المنة الخامسة قال ابن عباس هو الرجل القبطي الذي قتله خطا
بان وكزه حيث استغاثه الاسرائيلي فحصل له الغم من وجهين الاول على عقاب الدنيا وهو اقتصاص فرعون منه على ما
حكى الله عنه فاصبح في المدينة خائفا يترقب والثاني من عقاب الله حيث قتله لا بامر الله فنجاه الله من الغمين اما من فرعون
فوفق له المهاجرة الى مدين واما من عقاب الآخرة فانه تعالى عوله بذلك عفوان الله تعالى غفر له ذلك **فصل**

قال كعب الاحبار وكان عمره اذ ذاك اثني عشرة سنة **قوله تعالى** وفتناك فتونا فيه وجهان احدهما انه مصدر على
فعول كالقعود والجلوس لان فعولا قليل في المتعدي ومنه الشكور والكفور والثبور واللزوم قال تعالى
لمن اراد ان يذكر او اراد شكورا وهذا على مذهبهم في تاكيد الاخبار بالمصادر كقوله تعالى وكلم الله موسى
تكليما الثاني انه جمع فتن او فتنة على ترك الاعتداد بتاء التانيث كحجوز وقروء في حجزة وقرءة اي فتناك ضروبا
من الفتن **فصل** عن ابن عباس انه ولد في عام تقتل فيه الولدان والقته امه في البحر وقتل القبطي واجر
نفسه عشر سنين وضل عن الطريق وتفرقت غنمه في ليلة مظلمة ولما سئل سعيد بن جبير عن ذلك اجاب بما تقدم
وصار يقول عند كل واحدة فهذه فتنة يا ابن جبير قال معناه الزمخشري وقال غيره تفتنون من الفتن اي المحن
يخبر بها ويروى سعيد بن جبير عن ابن عباس ان الفتون وقوعه في محنة بعد محنة خلصه الله منها اولها
ان امه حملته في السنة التي كان فرعون يذبح فيها الاطفال ثم القاه في البحر في التابوت ثم منعه من الرضاع
الا من ثدي امه ثم اخذه بلحية فرعون حتى هم بقتله ثم تناوله الجمرة بدل الجوهرة ثم قتله القبطي وخروجه الى مدين
خائفا فعلى هذا معنى فتناك اخلصناك من تلك المحن كما يفتن الذهب بالنار فيخلص من كل خبث فيه فان قيل
انه تعالى عدد انواع منته على موسى في هذا المقام فكيف يليق بهذا الموضع قوله تعالى وفتناك فتونا فالجواب من وجهين
الاول ما تقدم من ان فتناك بمعنى خلصناك تخليصا والثاني ان الفتنة تشديد المحنة يقال فتن فلان عن دينه
اذا اشتدت عليه المحنة حتى رجع عن دينه قال تعالى فاذا اوذي في الله جعل فتنة الناس كعذاب الله وقال تعالى
احسب الناس ان يتركوا ان يقولوا امنا وهم لا يفتنون وقال تعالى ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين
صدقوا وليعلمن الكاذبين ولما كان التشديد في المحنة مما يوجب كثرة الثواب عده الله تعالى من جملة النعم فان قيل
هل يصح اطلاق الفتان عليه سبحانه اشتقاقا من قوله وفتناك فتونا فالجواب لا يصح لانه صفة ذم في العرف
واسماء الله تعالى توقيفية لا سيما فيما يفهم ما لا ينبغي **قوله تعالى** فلبثت سنين في اهل مدين والتقدير
وفتناك فتونا فخرجت خائفا الى اهل مدين فلبثت سنين فيهم وهي اثني عشر او ثمان لقوله تعالى على ان تاجرني ثماني حجج
فان اتممت عشرا فمن عندك وقال وهب لبث موسى عند شعيب عليهما السلام ثمانية وعشرون سنة منها عشر سنين مهر امراته
ويرده قوله تعالى فلما قضى موسى الاجل اي الاجل المشروط عليه في تزويجه ومدين بلد شعيب على ثمان مراحل من مصر
قوله تعالى ثم جئت على قدر يا موسى هذا الجار متعلق بمحذوف على انه حال من فاعل جئت اي جئت موافقا
لما قدر لك كذا قدره ابو البقاء وهو تفسير معنى والتفسير الصناعي ثم جئت مستقرا او كائنا على مقدار معين كقول الشاعر
• نال الخلافة او جاءت على قدر • كما اتى ربه موسى على قدر • ولا بد من حذف في الكلام اي على قدر امر من الامور
وقال محمد بن كعب جئت على القدر الذي قدرت انك تجيء فيه وقال مقاتل كان موعدا يوحى فيه الى الانبياء وهذا قول
اكثر المفسرين اي على الموعد الذي وقته الله وقدر انه يوحي اليه بالرسالة وهو اربعون سنة **قوله تعالى** واصطنعتك
لنفسي لاجل حرف الاستعلاء وهذا اتخلت عن قرب منزلته ودنوه من ربه لان احدا لا يصطنع الا من يختاره قال القفال
واصطنعتك اصله من قولهم اصطنع فلان فلانا اذا احسن اليه حتى يضاف اليه فيقال هذا صنيع فلان وجريح فلان
وقوله تعالى لنفسي اي لا اصرفك الا في اوامري لئلا تشتغل الا بما امرتك به وهو اقامة حجتي وتبليغ رسالتي وان تكون
في حركاتك وسكناتك لي لا لنفسك ولا لغيرك وقال الزجاج اخترتك لنفسي لامري وجعلتك القائم بحجتي والمخاطب
بيني وبين خلقي كاني الذي اقمت عليهم الحجة وخاطبتهم **قوله تعالى** اذهب انت واخوك باياتي ولا تنيا في ذكري
لما قال واصطنعتك لنفسي عقبه بذكر ما له اصطنعه وهو الابلاغ والاداء والباء في باياتي بمعنى مع لانهما لو ذهبا
اليه بدون اية معهما لم يلزمه الايمان وذلك من اقوى الدلائل على فساد التقليد قال ابن عباس يعني الايات التسع
التي بعث الله بها موسى وقيل هما العصا واليد لانهما اللذان جرى ذكرهما في هذا الموضع ولم يذكر انه عليه السلام اوتي
قبل مجيئه الى فرعون ولا بعد مجيئه حتى لقي فرعون فالتمس منه اية غير هاتين الايتين قال تعالى حكاية عن فرعون
ان كنت جئت باية فات بها ان كنت من الصادقين فالقى عصاه فاذا هي ثعبان مبين ونزع يده فاذا هي بيضاء
للناظرين وقال تعالى فذانك برهانان من ربك الى فرعون وملائه فان قيل كيف يطلق لفظ الجمع على الاثنين
فالجواب من وجوه الاول ان العصا كانت ايات لانقلابها حيوانا ثم انها في اول الامر كانت صغيرة لقوله تعالى
تهتز كانها جان ثم كانت تعظم وهذه اية اخرى وكذلك اليد فان بياضها اية وشعاعها اية اخرى ثم زوالها
بعد ذلك اية اخرى فدل ذلك على انها كانت ايات كثيرة الثاني هب ان العصا امر واحد ولكن فيها ايات انقلابها
حية يدل على وجود اله قادر على الكل عالم بالكل حكيم ويدل على نبوة موسى ويدل على جواز الحشر حيث انقلب الجماد حيوانا

فهذه ايات كثيرة وايضا فان اول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا الى قوله تعالى فيه ايات بينات مقام ابرهيم
ومن دخله كان امنا فهاهنا اولى الثالث قال بعضهم اقل الجمع اثنان وقيل معنى قوله باياتي واظهر على يديكما من
الايات ما ينزاح به العلل من فرعون وقومه والمعنى فان اياتي معكما كما يقال اذهب فان جندي اي الى بعدك بهم متى احتجت
وقيل الايات العصا واليد وحل العقدة من لسانه وذلك ايضا معجز ولا تنيا يقال ونى يني ونيا كوعد يعد وعدا
اذا فتر وكاسر والونى في الفتور ومنه امراة اناة وصفوها بفتور القيام كناية عن ضخامتها قال زهير

• منا الاناة وبعض القوم يحسبنا • انا بطاء وفي ابطائنا سرع •

بكسر السين وفتح الراء مصدر سرع بفتح السين وضم الراء يقال سرع سرعا كصغر صغرا والاصل وناة فابدلوا
من الواو كاحد في وحد وليس بالقياس وفي الحديث ان فيك لخصلتين يحبهما الله الحلم والاناة والواني المقصر
في امره قال الشاعر • فما انا بالواني ولا الضرع الغمر • وونى يفعل لازما لا يتعدى وزعم بعضهم انه يكون
من اخوات زال وانفك فيعمل بشرط النفي وشبهه عمل كان فيقول ما ونى زيد قائما اي ما زال قائما وانشد بيت مالك
شاهدا على ذلك قوله • لا يني الخب شيمة الخب ما دام • فلا تحسبنه ذا ارعواء • اي لا يزال والخب بضم الخاء الخبث والمكر
وهو المخبة ومن منع ذلك فاول البيت على حذف حرف الجر فان هذا البيت على حذف حرف الجر تعدى تارة بعن
وتارة بفي يقال ما ونيت عن حاجتك او في حاجتك فالتقدير لا يغير الخب في شيمة الخب وفيه مجاز بليغ وقد عدي
في الاية الكريمة بفي وقرا يحيى بن وثاب ولا تنيا بكسر التاء اتباعا لحركة النون وسكن الياء من ذكري قرا اهل
الحجاز وابو عمرو لنفسي اذهب وذكري اذهبا فاني في مجيء اتخذوا من بعدي اسمه بكسر الياء فيهن وامهم ابو بكر في من بعدي
اسمه وقرا الاخرون باسكانها والمراد بالذكر تبليغ الرسالة وقيل لا تفترا عن ذكر الله والمعنى ادمن ذكر جلال الله تخف
عليه فلا تخافا احدا وتقوى روحه بذلك الذكر فلا تضعف عن مقصوده وذكر الله ولا بد وان يكون ذاكرا لاحسانه
لا تفتر في اداء اوامره وقيل لا تنيا في ذكري عند فرعون وكيفية الذكر ان يذكرا لفرعون وقومه ان الله تعالى لا يرضى
منهما الكفر ويذكرا لهم امر الثواب والعقاب والترغيب والترهيب **قوله تعالى** اذهبا الى فرعون انه طغى ذكر
المذهوب اليه في قوله اذهبا الى فرعون وحذف في الاول في قوله اذهب انت واخوك اختصارا في الكلام وقال القفال
فيه وجهان احدهما ان قوله اذهب انت واخوك باياتي يحتمل ان يكون كل واحد منهما مامورا بالذهاب على الانفراد
فقال مرة اخرى اذهبا ليعرفا ان المراد منه ان يشتغلا بالذهاب جميعا لا ان ينفرد به احدهما دون الاخر
الثاني ان قوله اذهب انت واخوك امر بالذهاب الى كل الناس من بني اسرائيل وقوم فرعون ثم قوله اذهبا الى فرعون
امر بالذهاب الى فرعون وحده قيل وفيه بعد لان الذهاب متوجهان لشيء اخر وهو فرعون وقد حذف من كل من
الذهابين ما اثبته في الاخر وذلك انه حذف المذهوب اليه من الاول واثبته في الثاني وحذف المذهوب به وهو
باياتي من الثاني واثبته في الاول فان قيل قوله اذهبا الى فرعون انه طغى خطاب مع موسى وهارون عليهما السلام
ولم يكن هرون حاضرا وكذا في قوله قالا ربنا اننا نخاف ان يفرط علينا او ان يطغى فالجواب من وجوه الاول ان الكلام
كان مع موسى الا انه كان متبوع هارون فجعل الخطاب معه خطابا مع هارون على سبيل التقدير بالخطاب في كل
الحالة وان كان مع موسى عليه السلام وحده لانه تعالى اضاف اليهما كما في قوله تعالى واذ قتلتم نفسا فادارءتم
فيها وقوله تعالى لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل روي ان القائل هو ابي بن عبد الله بن ابي وحده الثاني
يحتمل انه تعالى لما قال قد اوتيت سؤلك يا موسى حتى لقي اخاه ثم ان الله تعالى خاطبهما بقوله اذهبا الى فرعون الثالث
حكي في مصحف ابن مسعود قالا ربنا اننا نخاف اي انا واخي **قوله تعالى** فقولا له قولا لينا قرا ابو معاذ فقولا له قولا
لينا وهو تخفيف من لين كميت في ميت **قوله تعالى** لعله فيه اوجه احدها ان لعل على بابها من الترجي في ذلك
بالنسبة الى المرسل وهو موسى وهارون اي اذهبا على رجائكما وطمعكما في ايمانه اذهبا مترجيين طامعين وهذا معنى
قول الزمخشري ولا يستقيم ان يرد ذلك في قول الله تعالى لانه عالم بعواقب الامور وعن سيبويه كلما ورد في القران
من لعل وعسى فهو من الله واجب يعني انه يستحيل بقاء معناه في حق الله تعالى والثاني لعل بمعنى كي فيفيد العلية
وهذا قول الفراء قال كما تقول اعمل لعلك تاخذ اجرك اي تاخذ الثالث انها استفهامية اي هل يتذكر او يخشى وهذا
قول ساقط لانه يستحيل الاستفهام في حق الله تعالى كما يستحيل الترجي فاذا كان لا بد من التاويل فحمل اللفظ على
مدلوله باقيا اولى من اخراجه عنه فان قيل لم امر تعالى بالملاينة مع الكافر الجاحد فالجواب من وجهين الاول انه
كان قد ربى موسى عليه السلام فامره ان يخاطبه بالرفق رعاية لتلك الحقوق وهذا تنبيه على نهاية تعظيم حق الابوين
والثاني ان من عادة الجبابرة اذا اغلظ عليهم في الوعظ ان يزدادوا عتوا وتكبرا والمقصود من البعثة

حصول المنع لا لحصول زيادة الضرر فلهذا أمر الله تعالى بالرفق **قوله تعالى** لعله يتذكر أو يخشى أي ليتعظ ويخاف **فصل** اختلفوا في ذلك القول اللين فقال ابن عباس لا تعنفا في قولكما وقال السدي وعكرمة كنياه فقولا له يا أبا العباس وقيل يا أبا الوليد وقال مقاتل القول اللين هل لك إلى أن تزكى وأهديك إلى ربك فتخشى وقولهما إنا رسولا ربك إلى قوله والسلام على من اتبع الهدى وقال السدي القول اللين أن موسى أتاه ووعده على قبول الإيمان شبابا لا يهرم وملكا لا ينزع منه إلا بالموت ويبقى له لذة المطعم والمشرب والمنكح إلى حين موته وإذا مات دخل الجنة فأعجبه ذلك وكان لا يقطع أمرا دون هامان وكان غائبا فلما قدم أخبره بالأمر الذي دعاه إليه موسى قال أردت أن أقبل منه فقال له هامان كنت أرى لك عقلا ورأيا وأنت رب تريد أن تكون مربوبا وأنت تعبد تريد أن تعبد فقلبه عن رأيه **فصل** قال ابن الخطيب هذا التكليف لا يعلم سره إلا الله تعالى لأنه تعالى لما علم أنه لا يؤمن قط وكان إيمانه ضد العلم الذي يمتنع زواله فيكون سبحانه عالما بامتناع ذلك الإيمان وإذا كان عالما بذلك فكيف أمر موسى بذلك الرفق وكيف بالغ في الأمر بتلطف دعوته إلى الله تعالى مع علمه بامتناع حصول ذلك منه ثم هب أن المعتزلة تنازعوا في هذا الامتناع من غير أن يذكروا شبهة فأوجه في هذا السؤال وهو أنهم سلموا أنه كان عالما بأنه لا يحصل ذلك الإيمان وسلموا أن فرعون لا يستفيد ببعثة موسى عليه السلام إلا استحقاق العذاب والرحيم الكريم كيف يليق به أن يدفع سكينا إلى من علم قطعا أنه يموت به بطن نفسه ثم يقول إني ما أردت بدفع السكين إليه إلا الإحسان إليه يا أخي العقول قاصرة عن معرفة هذه الأسرار ولا سبيل فيها إلا التسليم وترك الاعتراض والسكون بالقلب واللسان ويروى عن كعب أنه قال والذي يحلف به كعب إنه لمكتوب في التوراة فقولا له قولا لينا وسأقسي قلبه فلا يؤمن **قوله تعالى** قالا ربنا إننا نخاف أن يفرط علينا أو أن يطغى قد تقدم أن هارون لم يكن حاضرا هناك فكيف قالا ربنا وتقدم جوابه فإن قيل إن موسى عليه السلام قال رب اشرح لي صدري ويسر لي أمري فأعطاه الله ذلك الأمر وأجابه الله بقوله قد أوتيت سؤلك يا موسى وهذا يدل على أنه قد شرح صدره ويسر له ذلك الأمر فكيف قال بعده إننا نخاف فإن حصول الخوف يمنع من حصول شرح الصدر فالجواب شرح الصدر عبارة عن قوته على ضبط تلك الأوامر والنواهي وحفظ تلك الشرائع على وجه لا يتطرق إليها التحريف والسهو وذلك شيء آخر غير الخوف فإن قيل أما علم موسى وهارون عليهما السلام وقد حملهما الله تعالى الرسالة أنه تعالى يؤمنهما من القتل فالجواب قد علما ذلك وإنما جوزا أن يبلغهما الوحي من قبل تمام الأداء أو بعده وأيضا فإنهما استطلبا بأن يمثلا ربهما ما يزيد في ثبات قلوبهما على دعائه وذلك بأن ينضاف الدليل النقلي إلى العقلي زيادة في الطمأنينة كما في قوله تعالى ولكن ليطمئن قلبي فإن قيل لما أمر الله تعالى بالذهاب فعدم الذهاب والتعلل بالخوف هل يدل على المعصية فالجواب إن اقتضى الأمر الفور كان ذلك من أقوى الدلائل على المعصية لا سيما وقد كلفه الله تعالى من أنواع التشريف وتقوية القلب وإزالة الغم ولكن الأمر ليس على الفور فزال السؤال وهذا من أقوى الدلائل على أن الأمر لا يقتضي الفور إذا ضممت إليه ما تدل على أن المعصية غير جائزة على الرسل **قوله تعالى** أن يفرط علينا أن يفرط مفعول نخاف ويقال فرط يفرط سبق وتقدم ومنه الفارط وهو الذي يتقدم الواردة إلى الماء وفرس فرط يسبق الخيل أي نخاف أن يسبق علينا بالعقوبة ويبادرنا بها قاله الزمخشري ومن ورود الفارط المتقدم على الواردة قول الشاعر

واستعجلونا وكانوا من صحابتكم * كما تقدم فراط لوراد

وفي الحديث أنا فرطكم على الحوض أي سابقكم ومتقدمكم وقرأ يحيى بن وثاب وابن محيصن وأبو نوفل يفرط بضم الياء وفتح الراء على البناء للمفعول والمعنى نخاف أن يسبق في العقوبة أي يحمله حامل عليها وعلى المعاجلة بها إما من قومه وإما الشيطان وإما حب الرياسة وإما ادعاؤه الإلهية وقرأ ابن محيصن في رواية والزعفراني أن يفرط بضم حرف المضارعة وكسر الراء من أفرط قال الزمخشري من أفرطه غيره إذا حمله على العجلة تخافا أن يحمله حامل على المعاجلة بالعقاب وقال كعب بن زهير

تنفي الرياح القذى عنه وأفرطه * من صوب سارية بيض يعاليل

أي سبقت اليد هذه البيض لتملأه وفاعل يفرط ضمير فرعون وهذا هو الظاهر الذي ينبغي أن لا يعدل عنه وجعله أبو البقاء مضمرا لدلالة الكلام عليه فقال فيجوز أن يكون التقدير فيفرط علينا منه قول فأضمر القول لدلالة الحال عليه كما يقال فرط مني قول وأن يكون الفاعل ضمير فرعون كما كان في يطغى **فصل** قال ابن عباس أن يفرط علينا بالقتل والعقوبة يقال فرط عليه فلان إذا عجل بمكروه وفرط منه أمر أي بدر وسبق وأن يطغى يجاوز الحد بالتخطي إلى أن يقول فيك ما لا ينبغي لجرأته عليك واعلم أنه متى أمر بشيء لجادل دفعه لأعذار يذكرها فلا بد أن يختم كلامه بما هو الأقوى كما أن الهدهد ختم عذره بقوله وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله فكذا هاهنا بدأ موسى بقوله أن يفرط علينا وختم بقوله أو أن يطغى لما كان طغيانه في حق الله تعالى أعظم من إفراطه في حق موسى وهارون **قوله تعالى**

قال لا تخافا إنني معكما أسمع وأرى أي لا تخافا مما عرض في قلوبكما من الإفراط والطغيان لأن ذلك هو المفهوم من الكلام لأنه تعالى لم يؤمنهما من الرد ولا من التكذيب بالآيات ومعارضة السحرة وقوله تعالى إنني معكما أسمع وأرى أي بالحراسة والحفظ وقوله تعالى أسمع وأرى أي دعاءكما فأجيبه وأرى ما يراد بكما فأمنع لست بغافل عنكما فلا تهتما وقال القفال قوله أسمع وأرى محذوف فيحتمل التقدير أسمع أقوالكما وأرى أفعالكما وعن ابن عباس أسمع جوابه لكما وأرى ما يفعل بكما ويكون من حذف الاقتصار نحو يحيي ويميت **قوله تعالى** فأتياه أعاد التكليف المتقدم فقال فأتياه فقولا وذلك أنه تعالى قال أولا اذهب إلى فرعون وثانيا قال اذهب أنت وأخوك وثالثا قال اذهبا إلى فرعون ورابعا قال فأتياه فإن قيل إنه تعالى أمرهما بأن يقولا له قولا لينا وهاهنا أمرهما بأن يقولا له إنا رسولا ربك وهذه تقتضي [illegible] لطاعتهما وذلك معظم على الملك المتبوع الثاني قوله فأرسل معنا بني إسرائيل فيه إدخال النقص على ملكه لأنه كان محتاجا إليهم فيما يريده من الأعمال والثالث نهيهما له بقوله ولا تعذبهم والرابع قوله تعالى قد جئناك بآية من ربك فما الفائدة في القول اللين أولا والتغليظ ثانيا فالجواب أن الإنسان إذا أظهر اللجاجة فلا بد له من التغليظ فإن قيل أليس الأولى أن يقولا إنا رسولا ربك قد جئناك بآية فأرسل معنا بني إسرائيل ولا تعذبهم لأن ادعاء المعجز مقرونا به ولأن ذكر المعجز مقرونا بادعاء الرسالة أولى من تأخيره عنه فالجواب أن هذا أولى لأنهم ذكروا المجموع الدعاوي ثم استدلوا على ذلك المجموع بالمعجز **قوله تعالى** قد جئناك بآية من ربك قال الزمخشري هذه الجملة جارية من الجملة الأولى وهي إنا رسولا ربك مجرى البيان والتفسير لأن دعوى الرسالة لا تثبت إلا ببينتها التي هي المجيء بالآية فإن قيل إن الله تعالى أعطاه آيتين وهما العصى واليد ثم قال اذهب أنت وأخوك بآياتي وذلك يدل على ثلاث آيات وهاهنا قد جئناك بآية وذلك يدل على أنها كانت واحدة فالجواب قال القفال إن معنى الآية هاهنا الإشارة إلى جنس الآيات كأنه قال قد جئناك ببيان من عند الله ثم يجوز أن يكون ذلك حجة واحدة وحججا كثيرة وقال غيره المراد في هذا الموضع تثبيت الدعوى ببرهانها فكأنه قال قد جئناك بمعجزة وبرهان وحجة على ما ادعيناه من الرسالة كقوله تعالى قد جئتكم ببينة من ربكم وقوله تعالى فأت بآية إن كنت من الصادقين وقوله تعالى أولو جئتك بشيء مبين وتقدم الجواب عن التثنية والجمع وأن في العصى واليد آيات **قوله تعالى** والسلام على من اتبع الهدى يحتمل أن يكون تسليما منهما لم يؤمرا بقوله فتكون الجملة مستأنفة لا محل لها من الإعراب قال بعضهم إنه على معنى الإخبار أي السلام لمن اتبع الهدى كقوله تعالى لهم اللعنة ولهم سوء الدار أي عليهم وقال تعالى من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها وقوله تعالى إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وإن أسأتم فلها وهذا وعد منهما لمن صدق بالرسالة السلامة لمن صدق بآفات الدنيا والآخرة والسلام بمعنى السلامة كما يقال رضاع ورضاعة وقيل هذا من كلام الله تعالى كأنه قال فقولا إنا رسولا ربك وقولا لهم والسلام على من اتبع الهدى وليس المراد منه التحية إنما معناه سلم من عذاب الله من أسلم **قوله تعالى** أرسل معنا بني إسرائيل حل عنهم وأطلقهم من أعمالك ولا تعذبهم لا تتعبهم في العمل وكان فرعون يستعملهم في الأعمال الشاقة **قوله تعالى** إنا قد أوحي إلينا أن العذاب على من كذب وتولى هذه الآية من أقوى الدلائل على أن عقاب المؤمن لا يدوم لأن الألف واللام في العذاب للاستغراق أو لإفادة التعريف وعلى هذا يقتضي هذا الجنس بمن كذب وتولى فوجب أن لا يحصل لغير الكذب والتولي وظاهر هذه الآية يقتضي القطع بأنه لا يعاقب أحدا من المؤمنين ترك العمل به في بعض الأوقات فوجب أن يبقى على حاله في الدوام ولأن العقاب المتناهي إذا حصل بعده السلامة مدة غير متناهية صار ذلك العقاب كأنه لا عقاب وأيضا فقوله والسلام على من اتبع الهدى يقتضي حصول السلامة لكل من اتبع الهدى إذا فسرنا السلام بالسلامة والعارف بالله قد اتبع الهدى فوجب أن يكون صاحب السلامة ومعنى الآية إنما يعذب الله من كذب بما جئنا به وأعرض عنه **قوله تعالى** أن العذاب أن وما في حيزها في محل رفع لقيامه مقام الفاعل الذي حذف في أوحي إلينا وبنائه للمفعول وهو واضح **قوله تعالى** قال فمن ربكما يا موسى نادى موسى وحده بعد مخاطبتهما معا إما لأن موسى هو الأصل وهارون تبع له في الرسالة وهرون ردءه ووزيره وإما لأن فرعون كان لخبثه يعلم الرتة التي في لسان موسى ويعلم فصاحة أخيه بدليل قوله تعالى وأخي هرون هو أفصح مني لسانا وقوله ولا يكاد يبين فأراد استنطاقه دون أخيه وإما لأنه حذف المعطوف للعلم به أي يا موسى وهارون قاله أبو البقاء وبدأ به وقد يقال حسن الحذف كون موسى فاصلة لا يقال كان ينبغي على هذا أن يقدم هرون ويؤخر موسى فيقول يا هرون ويا موسى فتحصل مجانسة الفواصل من غير حذف لأن بداءة موسى أهم فهو المبدأ به **فصل** واعلم أن في الكلام حذفا لأنه لما قال فأتياه فقولا إنا رسولا ربك فأرسل معنا بني إسرائيل إلى قوله أن العذاب على من كذب وتولى علم من الله تعالى لموسى بأن يقول لفرعون ذلك الكلام فالتقدير فذهبا إلى فرعون فقالا له ذلك فقال

عجيبنا الهما من ربكما **قوله تعالى** أعطى كل شيء خلقه ثم هدى في هذه الآية وجهان أحدهما أن يكون
كل شيء مفعولا أول وخلقه مفعولا ثانيا على معنى أعطى كل شيء شكله وصورته الذي يطابق المنفعة المنوطة به
كما أعطى العين الهيئة التي تطابق الإبصار والأذن الشكل الذي يطابق الاستماع ويوافقه وكذلك اليد والرجل
واللسان قاله مجاهد وأعطى كل نوع حيوان نظيره في الخلق والصورة حيث جعل الحصان والحجر زوجين والناقة
والبعير والرجل والمرأة ولم يزوج شيئا غير جنسه ولا ما هو مخالف لخلقه وقيل المعنى أعطى كل شيء مما خلق خلقته وصورته
على ما يناسبه لم يجعل خلق الإنسان في خلق البهائم ولا بالعكس بل خلق كل شيء فقدره تقديرا الثاني أن يكون كل
شيء مفعولا ثانيا وخلقه هو الأول تقدم الثاني عليه والمعنى أعطى خليقته كل شيء يحتاجون إليه ويرتفقون به
وقرأ أبو عبد الله والحسن والأعمش وأبو نهيك وابن أبي إسحاق ونصر عن الكسائي وجماعة من أصحاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم خلقه بفتح اللام فعلا ماضيا وهذه الجملة في هذه القراءة يحتمل أن تكون منصوبة المحل صفة لكل
أو في محل جر صفة لشيء وهذا معنى قول الزمخشري صفة للمضاف أعني كل شيء والمفعول الثاني على هذا محذوف فيحتمل
أن يكون محذوفا اختصارا والمعنى أن كل شيء خلقه الله لم يخله من إنعامه وعطائه **فصل** اعلم أن
فرعون كان شديد القوة عظيم الغلبة كثير العسكر ثم إن موسى لما دعاه إلى الله لم يبطش به ولم يؤذه بل خاض معه في
المناظرة وذلك يدل على أن السفاهة من غير حجة شيء لم يرتضه فرعون مع كمال جهله وكفره فكيف يليق ذلك بمن يدعي
الإسلام والعلم ثم إن فرعون لما سأل موسى عليه السلام عن ذلك قبل موسى ذلك السؤال واشتغل بإقامة الدلالة على وجود
الصانع وذلك يدل على فساد التقليد ويدل أيضا على فساد قول التعليمية الذين يقولون نستفيد معرفة الإله من قول
الرسول لأن موسى عليه السلام اعترف هاهنا بأن معرفة الله يجب أن تكون مقدمة على معرفة الرسول ودلت الآية أيضا
على أنه يجوز حكاية قول المبطل لأنه تعالى حكى كلام فرعون في إنكاره الإله وحكى شبهات منكري النبوة وشبهات منكري البعث
إلا أنه يجب أن يذكر السؤال مقرونا بالجواب ودلت الآية على أن المحق يجب عليه سماع كلام المبطل ويجيب عنه من غير
إيذاء ولا انكماش كما فعل موسى عليه السلام هاهنا بفرعون ولقوله تعالى ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة
وقال وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله **فصل** قال بعضهم إن فرعون كان
عارفا بالله تعالى إلا أنه كان يظهر الإنكار تكبرا وتجبرا لقوله لقد علمت ما أنزل هؤلاء إلا رب السموات والأرض
فمن نصب التاء في علمت كان ذلك خطابا لموسى عليه السلام مع فرعون وذلك يدل على أن فرعون كان عارفا بالله
ولقوله تعالى وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا ولأنه لو لم يكن عاقلا لم يجز تكليفه والعاقل يعلم بالضرورة
أنه وجد بعد العدم ويعلم أن من كان كذلك افتقر إلى مدبر وهذان العلمان الضروريان يلزم منهما العلم بوجود
المدبر ولأن قول موسى عليه السلام ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى يقتضي ذلك لأن كلمة الذي يقتضي وصف
المعرفة بجملة معلومة عند المخاطب وأيضا فإن ذلك أعني ملك فرعون لم يتجاوز القبط ولم يبلغ الشام ولما هرب موسى
إلى مدين قال له شعيب لا تخف نجوت من القوم الظالمين فمع هذا كيف يعتقد أنه إله العالم وقال آخرون إنه كان جاهلا بربه
واتفقوا على أن العاقل لا يجوز أن يعتقد في نفسه أنه خالق هذه السموات والأرض والشمس والقمر وأنه خالق نفسه
لأنه يعلم بالضرورة عجزه عنها ويعلم بالضرورة أنها كانت موجودة قبله فيحصل له العلم الضروري بأنه ليس موجدها
ولا خالقها واختلفوا في كيفية جهله بالله تعالى فيحتمل أنه كان دهريا نافيا للمؤثر أصلا وأنه كان فلسفيا قائلا بالعلة
الموجبة ويحتمل أنه كان جاهلا بربه واتفق جماعة منهم على ذلك ويحتمل أنه كان من عبدة الكواكب ويحتمل أنه كان من الحلولية
ولما ادعى الربوبية لنفسه بمعنى أنه يجب عليهم طاعته والانقياد له **فصل** قال هاهنا فمن ربكما
يا موسى وقال في سورة الشعراء وما رب العالمين وهو سؤال عن الماهية فهما سؤالان مختلفان والواقعة واحدة فالأقرب
أن يقال سؤال من كان مقدما على سؤال ما لأنه كان يقول إني أنا الرب فقال من ربكما فلما أقام موسى الدلالة على الوجود عدل
إلى أنه لا يمكن أن يقاوم في هذا المقام لظهوره وجلائه فعدل إلى طلب الماهية وذلك يدل على أنه كان عالما بالله
لأنه ترك المنازعة في هذا المقام لعلمه بغاية ظهوره وشرع في المقام الصعب لأن العلم بماهية الله تعالى غير حاصل للبشر
قوله تعالى قال فمن ربكما ولم يقل فمن إلهكما لأنه أثبت نفسه ربا في قوله تعالى ألم نربك فينا وليدا فذكر ذلك على سبيل
التعجب كأنه قال أنا ربك فلم تدعي ربا آخر وهذا شبيه كلام نمرود حين قال له إبراهيم ربي الذي يحيي ويميت قال نمرود أنا أحيي
وأميت ولم يكن الإحياء والإماتة التي ذكرها إبراهيم هي التي عارضه نمرود بهما إلا في اللفظ فكذا هاهنا **فصل**
لما ادعى موسى عليه السلام ربوبية الله تعالى ذكر فرعون هذا الكلام أي أنا الرب الذي ربيتك ومعلوم أن الربوبية التي
ادعاها موسى عليه السلام لله تعالى غير هذه الربوبية في المعنى وأنه لا اشتراك بينهما إلا في اللفظ **فصل** استدل

موسى

موسى عليه السلام على إثبات الصانع بأحوال المخلوقات وهو قوله تعالى ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى وهذه
الدلالة التي ذكرها الله لمحمد صلى الله عليه وسلم في قوله سبح اسم ربك الأعلى الذي خلق فسوى والذي قدر فهدى
وقال عليه السلام فإنهم عدو لي إلا رب العالمين الذي خلقني فهو يهدين واعلم أن الخلق عبارة عن تركيب القوالب والأبدان
والهداية عبارة عن إبداع القوى المدركة والمحركة في تلك الأجسام فالخلق مقدم على الهداية كما قال تعالى ولقد خلقنا
الإنسان من سلالة من طين إلى أن قال ثم أنشأناه خلقا آخر **فصل** واعلم أن عجائب حكمة الله تعالى في الخلق
والهداية بحر لا ساحل له ولنذكر منه أمثلة الأول كقول الطبيعي إن الثقيل هابط والخفيف صاعد وأثقل الأشياء الأرض
ثم الماء وأخفها النار ثم الهواء فلذلك وجب أن تكون النار أعلى العنصريات والأرض أسفلها ثم إنه تعالى خلق ذلك في خلقة الإنسان
فجعل أعلى الأشياء منه الشعر والعظم وهما أيبس ما في البدن وهما بمنزلة الأرض ثم جعل تحته الدماغ الذي هو بمنزلة
الماء وجعل تحته النفس الذي هو بمنزلة الهواء وجعل تحته الحرارة الغريزية التي في القلب وهي بمنزلة النار فجعل مكان
الأرض من البدن الأعلى وجعل مكان النار من البدن الأسفل ليعلم أن ذلك بتدبير القادر الحكيم لا باقتضاء العلة
الطبيعية الثاني إذا نظرت إلى عجائب النحل في تركيب البيوت المسدسة وعجائب أحوال البق والبعوض في اهتدائها
إلى مصالح أنفسها لعرفت أن ذلك لا يمكن إلا بإلهام مدبر عالم بجميع المعلومات الثالث أنه تعالى هو الذي أنعم على الخلائق
بما به قوامهم من المطعوم والمشروب والملبوس والمنكوح ثم هداهم إلى كيفية الانتفاع بها فيستخرجون المعادن من الجبال
واللآلئ من البحار ويركبون الأدوية والدرياقات النافعة ويجمعون بين الأشياء المختلفة ويستخرجون لذائذ
الأطعمة فدل ذلك على أنه تعالى هو الذي خلق الأشياء ثم أعطاهم العقول التي بها يتوصلون إلى كيفية الانتفاع
بها وليس هذا مختص بالإنسان بل هو عام في جميع الحيوان فأعطى الإنسان إنسانة والحمار حمارة والبعير ناقة ثم هداه لها
ليدوم التناسل وهدى الأولاد لثدي الأمهات بل هذا غير مختص بالحيوانات بل هو حاصل في أعضائها فخلق اليد على تركيب
خاص وأودع فيها قوة الأخذ وخلق الرجل على تركيب خاص وأودع فيها قوة المشي وكذا العين والأذن وجميع الأعضاء
ثم ربط البعض بالبعض على وجه يحصل من ارتباطها مجموع واحد هو الإنسان وإنما دلت هذه الأشياء على وجود
الصانع لأن اتصاف كل جسم من هذه الأجسام بتلك الصفة أعني التركيب والقوة الهادية إما أن يكون واجبا أو جائزا
والأول باطل لأنا نشاهد تلك الأجسام بعد الموت منفكة عن تلك التركيب والقوى فدل على أن ذلك جائز والجائز
لا بد له من مرجح وليس ذلك المرجح هو الإنسان ولا أبواه لأن فعل ذلك يستدعي قدرة عليه وعلما بما فيه من المصالح
والمفاسد والأمران فائتان عن الإنسان لأنه بعد كمال عقله يعجز عن تغيير شعرة واحدة وبعد البحث الشديد عن كتب
التشريح لا يعرف من منافع الأعضاء ومصالحها إلا القدر القليل فلا بد أن يكون المتولي لتدبيرها وترتيبها
موجودا آخر وذلك الموجود لا يجوز أن يكون جسما لأن الأجسام متساوية في الجسمية فاختصاص ذلك
الجسم بتلك المؤثرية لا بد وأن يكون جائزا فيفتقر إلى سبب والدور والتسلسل محالان فلا بد من الانتهاء في سلسلة
الحاجة إلى مدبر ليس بجسم ولا جسماني ثم تأثير ذلك المدبر إما أن يكون بالذات أو بالاختيار والأول محال لأن
الموجب لا يميز مثلا عن مثل وهذه الأجسام متساوية في الجسمية على اختصاص بعضها بالصورة الفلكية وبعضها
بالصورة العنصرية وبعضها بالنباتية وبعضها بالحيوانية فثبت أن المؤثر والمدبر قادر والقادر لا يمكنه مثل هذه
الأفعال العجيبة إلا إذا كان عالما ثم إن المدبر الذي ليس بجسم ولا جسماني لا بد أن يكون واجب الوجود في نفسه
وصفاته وإلا لافتقر إلى مدبر آخر ولزم التسلسل وهو محال وإذا كان واجب الوجود في قادريته وعالميته والموجب
لذاته لا يختص ببعض الممكنات دون البعض وجب أن يكون عالما بكل ما صح أنه يكون معلوما وقادرا على كل ما
صح أن يكون مقدورا فظهر بهذه الدلالة التي تمسك بها موسى عليه السلام وقررها إسناد العالم إلى مدبر ليس بجسم
ولا جسماني وهو واجب الوجود في ذاته وصفاته عالم بكل المعلومات قادر على كل المقدورات وذلك هو الله سبحانه
وتعالى **قوله تعالى** قال فما بال القرون الأولى البال الفكر يقال خطر ببالي كذا ولا يثنى ولا يجمع وشذ
جمعه على بالات ويقال للحال المكترث بها يقال ما باليت بالة والأصل بالية كعافية محذوف لامه تخفيفا
فصل قال المفسرون البال الحال أي ما حال القرون الماضية والأمم الخالية كقوم نوح وعاد وثمود
في ارتباط هذا الكلام بما قبله وجوه الأول أن موسى عليه السلام لما قرر عليهم أمر المبدأ قال فرعون إن كان إثبات المبدأ
ظاهرا إلى هذا الحد فما بال القرون الأولى ما أثبتوه بل تركوه فكأن موسى عليه السلام لما قرر عليه أمر المبدأ قال فرعون فإن
كان كذا لما استدل بوجود الصانع أعني على إثبات الصانع بالدلالة القاطعة قدح فرعون في تلك الدلالة بقوله
إن كان الأمر على ما ذكرت بقوة الدلالة وجب على أهل القرون الماضية أن لا يغفلوا عنه فعارض الحجة بالتقليد الثاني

ان موسى عليه السلام لما هدده بالعذاب في قوله ان العذاب على من كذب وتولى قال فرعون فما بال القرون الاولى
فانها كذبت ولم يعذبوا الثالث وهو الاظهر ان فرعون لما قال فمن ربكما يا موسى فذكر موسى دليلا ظاهرا على صحة دعواه
فقال ربنا الذي اعطى كل شيء خلقه ثم هدى خاف فرعون ان يزيد في تلك الحجة فيظهر للناس صدقه وفساد فرعون
فاراد ان يصرفه عن ذلك ويشغله بالحكايات فقال فما بال القرون الاولى فلم يلتفت موسى عليه السلام الى ذلك الحديث
وقال علمها عند ربي في كتاب ولا يتعلق غرضي باحوالهم ولا اشتغل بها ثم عاد الى كلامه الاول وابراز الدلائل الباهرة
على الوحدانية فقال الذي جعل لكم الارض مهادا وسلك لكم فيها سبلا وهذا الوجه هو المعتمد في صحة النظر فان قيل
العلم عند الرب كيف يكون في الكتاب وذلك ان علم الله صفة قائمة به فكون صفة الشيء في كتاب غير معقول فالجواب
من وجهين الاول انه اثبت ذلك الاحكام في كتاب عنده فيكون ما كتبه فيظاهر الملائكة فيكون ذلك زيادة لهم
ولقائل ان يقول قوله في كتاب يوهم احتياجه سبحانه في العلم الى ذلك الكتاب لاستذكار فكيف يحسن ذكره مع معاند
مثل فرعون في وقت الدعوة الوجه الثاني ان يفسر ذلك بان بقاء تلك المعلومات في علمه سبحانه كبقاء المكتوب في
الكتاب فيفيد الغرض من هذا الكلام تاكيد القول بان اسرارها معلومة لله تعالى بحيث لا يزول شيء منها عن علمه ويؤكد
هذا التفسير قوله بعد ذلك في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى وقيل انما رد موسى علم ذلك الى الله لانه لم يعلم ذلك
لان التوراة انزلت بعد هلاك فرعون والمراد بالكتاب اللوح المحفوظ **قوله تعالى** علمها عند ربي في تفسير
هذا المبتدا وجوه الاول انه عند ربي وعلى هذا فقوله في كتاب متعلق بما تعلق به الظرف من الاستقرار ومتعلق على
انه حال من الضمير المستتر في الظرف او خبر ثان الثاني ان الخبر قوله في كتاب وعلى هذا فقوله عند ربي معمول
الاستقرار الذي تعلق به في كتاب كما تقدم في عكسه او يكون حالا من الضمير المستتر في الجار الواقع خبرا وفيه خلاف
عن تقديم الحال على عاملها المعنوي والاخفش يجيزه ويستدل بالقراءة والسموات مطويات بيمينه وقوله

رهط ابن كوز محقبي ادراعهم • فيهم ورهط ربيعة بن حذار •

وقال بعض البصريين اذا كان العامل معنويا والظرف حال الوجه بالحسن التقديم عند الاخفش وغيره وهذا منه
او يكون ظرفا للعلم نفسه او يكون حالا من المضاف اليه وهو الضمير في علمها ولا يجوز ان يكون في كتاب متعلقا بعلمها
على قولنا ان عند ربي الخبر كما جاز تعلق عند به لئلا يلزم الفصل بين المصدر ومعموله باجنبي وقد تقدم
انه لا يخبر عن الموصول الا بعد تمام صلته الثالث ان يكون الظرف وحرف الجر معا خبرا واحدا والمعنى فيكون
بمنزلة هذا حلو حامض قال ابو البقا وفيه نظر اذ كل منهما يستقل بفائدة الخبرية بخلاف هذا حلو حامض والضمير
في علمها فيه وجهان اظهرهما عوده على القرون والثاني عوده على القيمة لدلالة ذكر القرون على ذلك لانه سال
عن بعث الامم والبعث يدل على القيمة **قوله تعالى** لا يضل ربي في هذه الجملة وجهان الاول انها في محل جر
صفة للكتاب والعائد محذوف تقديره في كتاب لا يضله ربي ولا يضل حفظه فربي فاعل يضل على هذا التقدير
وقيل تقديره الكتاب ربي فيكون في يضل ضمير يعود على ربي وكتاب ربي منصوب على التعظيم وكان الاصل
من ربي فحذف الحرف اتساعا يقال ضللت كذا وضللته بفتح اللام وكسرها لغتان مشهورتان واشهرهما الفتح والثاني
انها مستانفة لا محل لها من الاعراب ساقها تبارك وتعالى لمجرد الاخبار بذلك حكاية عن موسى وقرا الحسن وقتادة
والجحدري وعيسى الثقفي وابن محيصن وحماد بن سلمة لا يضل بضم اليا اي لا يضل ربي الكتاب اي لا يضيعه يقال
اضللت الشيء اضعته فربي فاعل على هذا التقدير وقيل تقديره لا يضل احد ربي عن علمه اي عن علم الكتاب فيكون
الرب منصوبا وفرق بعضهم بين ضللت واضللت فقال ضللت منزلي بغير الف واضللت بعيري ونحوه من الحيوان
بالالف نقل ذلك الرماني عن العرب وقال الفرا يقال اضللت الشيء اذا اضعته في مكانه وضللت لغتان فلم يهتد
له لذلك كما تقول اضللت الطريق والمنزل ولا يقال اضللته الا اذا ضاع منك كالدابة انفلتت وشبهها **قوله تعالى**
ولا ينسى في فاعل ينسى قولان احدهما انه عائد على ربي ولا ينسى ربي ما اثبته في الكتاب والثاني ان الفاعل
ضمير عائد على الكتاب على سبيل المجاز كما اسند اليه الاحصا مجازا في قوله تعالى الا احصاها لما كان محلا للاحصا
فصل قال مجاهد في قوله تعالى لا يضل ربي ولا ينسى ان معناهما واحد اي لا يذهب عليه شيء
ولا يخفى عليه وفرق الاكثرون بينهما فقال القفال لا يضل عن الاشياء ومعرفتها وما علم من ذلك لم ينسه فاللفظ
الاول اشارة الى كونه عالما بكل المعلومات وقوله ولا ينسى دليل على بقاء ذلك العلم ابدا لا باد وهو اشارة الى نفي التغير
وقال مقاتل والضحاك لا يخطي ذلك الكتاب ربي ولا ينسى ما فيه وقال الحسن لا يخطي وقت البعث ولا ينساه وكلها
متقاربة والتحقيق هو الاول **فصل** واعلم ان فرعون لما سال موسى عن الاله فقال ان ربي كذا وكان ذلك

ما سبيله الاستدلال اجاب بالصواب باوجز عبارة واحسن معنى ولما ساله عن القرون الاولى وكان ذلك مما سبيله
الاخبار ولم ياته خبر في ذلك وكله الى عالم الغيب **قوله تعالى** الذي جعل في هذا الموصول وجهان احدهما انه خبر
مبتدا مضمر او منصوب باضمار امدح على هذين التقديرين من كلام الله تعالى لا من كلام موسى وانما احتجنا الى ذلك لان
قوله فاخرجنا به وقوله تعالى كلوا وارعوا انعامكم وقوله تعالى منها خلقناكم الى قوله فاريناه لا يتاتى ان يكون من كلام
موسى فلذلك جعلناه من كلام الباري ويكون فيه التفات من ضمير الغيبة الى ضمير المتكلم المعظم نفسه فان قيل لو جعلته
من كلام موسى بمعنى انه وصف ربه تعالى بذلك ثم التفت عن الاخبار عن الله بلفظ المتكلم فالجواب انما جعلناه التفاتا
في الوجه الاول لان المتكلم واحد بخلاف هذا فانه لا يتاتى الالتفات المذكور واخواته من كلام الله والثاني ان الذي صفة
لربي فيكون في محل رفع او نصب على حسب ما تقدم من اعراب ربي وفيه ما تقدم من الاشكال في نظم الكلام من قوله فاخرجنا
واخواته من عدم جواز الالتفات وان كان قد قال بذلك الزمخشري والحوفي وقال ابن عطية ان كلام موسى تم عند قوله
ولا ينسى وان قوله الذي نعت لربي او خبر ابتدا مضمر وان قوله فاخرجنا الى اخره من كلام الله وفيه بعد وقرا الكوفيون مهدا بفتح الميم وسكون الهاء من غير الف
والباقون مهادا بكسر الميم وفتح الهاء والف بعدها وفيه وجهان احدهما قال المفضل انهما مصدران بمعنى واحد يقال
مهده مهدا ومهادا والثاني انهما مختلفان فالمهاد هو الاسم والمهد هو الفعل كالفرش والفراش فالفرش مصدر
والفراش اسم لما يفرش او المهاد جمع مهد نحو فرخ وفراخ وكعب وكعاب ووصف الارض بالمهد مبالغة واما على حذف مضاف
اي ذات مهد قال ابو عبيد بان الفراش والفرش فعل **قوله تعالى** شتى فعلى والفه للتانيث وهو جمع شتيت نحو
مرضى في جمع مريض وجرحى في جمع جريح وقتلى في جمع قتيل يقال شت الامر يشت شتا وشتاتا فهو شت اي تفرق وشتان
اسم فعل ماض بمعنى افترق وهو كذلك لا يكتفي بواحد نحو شتى وفيها اوجه الاول انها منصوبة نعتا لازواجا اي ازواجا
متفرقة بمعنى مختلفة الالوان والمطعوم والثاني انها منصوبة على الحال من ازواجا وجاز مجيء الحال من النكرة لتخصصها بالصفة
وهي من نبات الثالث ان ينتصب على الحال ايضا من فاعل الجار لانه لما وقع وصفا رفع ضميرا فاعلا الرابع انه في محل جر نعتا
لنبات قال الزمخشري يجوز ان يكون صفة لنبات ونبات مصدر سمي به النابت كما سمي بالنبت واستوى فيه الواحد والجمع
يعني انها شتى مختلفة الطعم والشكل والرائحة واللون بعضها يصلح للناس وبعضها يصلح للبهائم ووافقه ابو البقا
ايضا **قوله تعالى** كلوا منصوب بقول محذوف وذلك القول منصوب على الحال من فاعل اخرجنا تقديره فاخرجنا
كذا قايلين كلوا وترك الاكل على حد تركه في قوله تعالى وكلوا واشربوا وارعوا الرعي يكون لازما ومتعديا يقال رعى دابته
رعيا فهو راعيها ورعت الدابة ترعى رعيا فهي متعدية وجاء في الاية متعديا **قوله تعالى** النهى فيه وجهان احدهما
انه جمع نهية كغرف جمع غرفة والثاني انها اسم مفرد وهو مصدر كالهدى والسرى قاله ابو علي وقد تقدم اول الكتاب
انهم قالوا المهات مصدر على فعال من المعتل اللام الاسرى وهدى وبكى وان بعضهم زاد لقى وانشد عليه بيتا وهذا
لفظ آخر فيكون تحاله الصابا والنهى العقل قال وسمي بذلك لانه ينهى صاحبه عن ارتكاب القبايح **فصل** لما سال
موسى الدلالة الاولى وهي تتناول جميع المخلوقات من الحيوان والنبات والجماد ذكر بعده دلايل خاصة فقال الذي
جعل لكم الارض مهادا اي جعلها بحيث يتصرف العباد وغيرهم عليها بالنوم والقعود والقيام والزراعة وجميع
المنافع المذكورة في تفسير قوله الذي جعل لكم الارض فراشا وسلك لكم فيها سبلا السلك ادخال الشيء في الشيء اي ادخل
في الارض لاجلكم طرقا تسلكونها قال ابن عباس سهل لكم فيها طرقا وانزل من السماء ماء تقدم الكلام فيه في البقرة فاخرجنا
به ازواجا تقدم ان هذا من كلام موسى تقديره يقول ربي الذي جعل لكم كذا وكذا فاخرجنا نحن معاشر عباده بذلك
الماء بالحراثة ازواجا من نبات وقد تقدم ان الصحيح انه من كلام الله تعالى لان ما بعده لا يليق بكلام موسى عليه السلام
ولان اكثر ما في قدرته تصرفه في المياه الى سقي الاراضي والزراعة والحراثة واما اخراج النبات على اصناف طبايعه
والوانه واشكاله فليس من موسى عليه السلام ولان الكثر فثبت انه من كلام الله تعالى وقوله تعالى ازواجا اي اصنافا
سميت بذلك لانها مزدوجة مقترنة بعضها مع بعض شتى مختلفة الالوان والطعوم والمنافع بعضها يصلح للناس
وبعضها يصلح للبهايم كلوا امر اباحة وارعوا انعامكم تقول العرب رعيت الغنم فرعت اي اسيموا انعامكم ترعى ان في ذلك
اي فيما ذكرت من هذه النعم لايات لعبرة لاولي النهى لذوي العقول الذي ينهى الذي ينتهون عما حرم الله عليهم وقال
قتادة لذوي الورع **قوله تعالى** منها خلقناكم الاية لما ذكر منافع الارض والسماء بين انها غير مخلوقة لذاتها
بل لكونها وسايل الى منافع الاخرة فقال تعالى منها خلقناكم اي من الارض فان قيل انما خلقنا من النطفة على ما بين في
ساير المخلوقات فالجواب من وجوه الاول انه لما ذكر اصلنا وهو آدم عليه السلام من تراب كما قال تعالى كمثل آدم خلقه من تراب
حسن اطلاق ذلك علينا الثاني ان تولد الانسان انما هو من النطفة ودم الطمث وهما يتولدان من الاغذية والغذا

اما حيواني واما نباتي والحيواني ينتهي الي النباتي والنباتي غاية ينتهي من امتزاج الماء والتراب فصح انه سبحانه خلقنا منها وذلك لانا في كوننا مخلوقين من النطفة الثالث روي ابن مسعود ان ملك الارحام ياتي الي الرحم حين يكتب اجل المولود ورزقه والارض التي يدفن فيها وانه ياخذ من تراب تلك البقعة ويذره على النطفة ثم يدخلها في الرحم ثم قال **قوله تعالى** وفيها نعيدكم اي عند الموت والدفن **قوله تعالى** ومنها نخرجكم تارة اخرى يوم البعث **قوله تعالى** ولقد اريناه اياتنا الاية هذه الرؤية بصرية فلما دخلت همزة النقل تعدت بها الي اثنين اولهما الضمير والثاني اياتنا والمعنى ابصرناه والاضافة هاهنا قائمة مقام التعريف العهدي في الايات المعروفة في العصى واليد ونحوهما والا لما بداية لنبي والافلم يُر الله تعالى فرعون جميع اياته وجوز الزمخشري ان يراد بها العموم على الاطلاق بمعنى ان موسى عليه السلام اراه الايات التي بعث بها وعدد عليه الايات التي جاءت بها الرسل قبله عليهم السلام وهو نبي صادق لا جرم فرق بين ما يخبر عنه وبين ما يشاهد به قال ابو حيان وفيه بعد لان الاخبار بالشيء لا يسمى رؤية الا بمجاز بعيد وقيل بل الرؤيا هنا قلبية فالمعنى عرفناه وانه لم يرد اللفظ اعني العصا واليد فقط ومن جوز استعمال اللفظ في حقيقته ومجازه واعمال المشترك في معنييه يجيز ان يريد المعنيين جميعا وتاكيد الايات بكلها يدل على ارادة العموم لانهم قالوا فائدة التوكيد بكل واخواتها رفع توهم وضع الاخص موضع الاعم فلا بد من ان يراد بالايات ايات مخصوصة وهذا مبني على ان الرؤية قلبية ويريد بالايات ما يدل على وحدانية الله تعالى وصدق المبلغ فاما الايات الدالة على الوحدانية فقوله تعالى الذي اعطى كل شيء خلقه ثم هدى وقوله الذي جعل لكم الارض مهادا الي اخره وما ذكره في سورة الشعراء قال فرعون وما رب العالمين قال رب السموات والارض وما بينهما الايات واما الايات الدالة على الوحدانية فقوله تعالى الذي اعطى كل شيء خلقه ثم هدى وقوله تعالى الذي واما الايات الدالة على صدق المبلغ فهي الايات التسع المخصوصة بموسى عليه السلام وهي العصا واليد وفلق البحر والحجر والجراد والقمل والضفادع والدم ونتق الجبل والمعنى اريناه عرفناه صحتها واوضحنا له وجه الدلالة فيها وانما اضاف الايات الي نفسه سبحانه وتعالى مع ان المظهر لها موسى لانه اجراها على يديه كما اضاف نفخ الروح الي نفسه فقال فنفخنا فيه من روحنا مع ان النفخ كان من جبريل عليه السلام ولم يذكر مفعول التكذيب والاية تعظيما له فقال ذلك وهو معلوم فان قيل قال تعالى ولقد اريناه اياتنا يعني الايات التسع وكذب بها وزعم انها سحر وابى ان يسلم فالجواب ان قوله كلها يفيد العموم والله سبحانه وتعالى ما اراه جميع الايات لان من جملة الايات ما اظهرها على ايدي الانبياء قبل موسى عليه السلام وبعده

فصل لفظ الكل وان كانت للعموم فقد يستعمل في الخصوص مع القرينة كما يقال دخلت السوق فاشتريت كل شيء او يقال ان موسى عليه السلام اراه اياته وعدد عليه ايات غيره من الانبياء فكذب فرعون بالكل او يقال تكذيب بعض المعجزات يقتضي تكذيب الكل فحكى الله تعالى ذلك على الوجه الذي يلزم قال القاضي الاباء الامتناع وانه لا يوصف به الا من تمكن من الفعل والترك ولانه تعالى ذمه بانه كذب وانه ابى ولو لم يقدر على ما هو فيه لم يصح وهذا السؤال والجواب تقدم في سورة البقرة في ابليس ابى **قوله تعالى** اجئتنا لتخرجنا من ارضنا يعني مصر **قوله تعالى** بسحرك يا موسى وتركيب هذه الشبهة عجيب وذلك لانه القى في مسامعهم ما يصيرون مبغضين له جدا وهو قوله تعالى اجئتنا لتخرجنا من ارضنا لان هذا مما يشق على الانسان في النهاية ولذلك جعله الله مساويا للقتل في قوله تعالى اقتلوا انفسكم او اخرجوا من دياركم ثم لما صار ذلك بمنزلة المبغض له اورد الشبهة الطاعنة في نبوته عليه السلام وهو ان ما جئتنا به سحر لا معجز ولما علم ان السحر لا يتميز عن المعجز وما علم ان المعجز انما يتميز عن السحر بكون المعجز مما يتعذر معارضته قال فلنأتينك بسحر مثله **قوله تعالى** فلنأتينك جواب قسم محذوف تقديره والله لنأتينك وقوله بسحر يجوز ان يتعلق بالاتيان وهذا هو الظاهر ويجوز ان يتعلق بمحذوف على انه حال من فاعل الاتيان او ملتبسين بسحر **قوله تعالى** موعدا يجوز ان يكون زمانا كقوله تعالى ان موعدهم الصبح ويرجحه قوله تعالى موعدكم يوم الزينة وبقوله لا نخلفه اجاب من قوله لا نخلفه بان المعنى لا نخلف الوعد في وقت الاجتماع فيه ويجوز ان يكون مكانا والمعنى بين لنا مكانا معلوما نعرفه نحن وانت فناتيه ويتايد بقوله مكانا سوى والمعنى فهذا يدل على انه مكان وهذا يبنو عنه قوله تعالى موعدكم يوم الزينة ويجوز ان يكون مصدرا اي اجعل بيننا وبينك وعدا لا نخلفه ويؤيده لا نخلفه نحن ولا انت لان المعنى الوعد الذي يصح الخلف وعدمه والي هذا نحا جماعة مختارين له ورد عليهم بقوله موعدكم يوم الزينة مطابقة الزمن شيئا ان تجعل الزمان مختلفا وان تفصل عليك ناسب مكانا لقوله مكانا سوى لزمك ايضا ان يوقع الاخلاف على المكان ولا يطابق قوله موعدكم يوم الزينة وقرء الحسن غير مطابق لزمان ومكان معا لانه قرء يوم الزينة بالنصب فبقي ان يكون مصدرا بمعنى الوعد وتقدير مضاف محذوف مكان الوعد ويجعل الضمير في نخلفه للموعد ومكانا بدلا من الضمير المحذوف فان قيل فكيف مطابقة قوله موعدكم

يوم الزينة ولا بد من ان يجعله زمانا والسؤال واقع من المكان لا من الزمان فالجواب هو مطابق معنى وان لم يطابقه لفظا لانهم لا بد لهم ان يجتمعوا يوم الزينة في مكان بعينه مشتهر باجتماعهم فيه في ذلك الزمان فبذكر الزمان علم المكان واما قراءة الحسن فالمصدر فيها موعد لا غير والمعنى انجاز وعدكم يوم الزينة وطابق هذا ايضا من طريق المعنى ويجوز ان لا تقدير مضاف محذوف ويكون المعنى اجعل بيننا وبينك وعدا لا نخلفه وقال ابو البقا هو هنا مصدر لقوله لا نخلفه نحن ولا انت والجعل هنا بمعنى التصيير وموعدا مفعول اول والظرف هو الثاني والجملة من لا نخلفه صفة للموعد ونحن توكيدا مصحح للعطف على الضمير المستتر في نخلفه ومكانا بدل من الضمير المحذوف كما قرره الزمخشري وجوز ابو علي الفارسي وابو البقا ان ينتصب مكانا على المفعول الثاني لاجعل قال وموعدا على هذا مكانا ايضا ولا ينتصب بموعد لانه مصدر قد وصف يعني انه يصح نصبه في الاصل وقوله ولا ينتصب بالمصدر يعني انه لا يجوز ان يدعى انتصاب مكانا بموعدا والمراد بالموعد المصدر وان كان جائزا من جهة المعنى لان الصناعة تاباه وهذا الذي منعه الفارسي وابو البقا جوزه الزمخشري وبدا به فقال فان قيل فبم ينتصب مكانا فالجواب اما على قول الحسن فظاهر واما على قراءة العامة فعلى تقدير ليس بجائر لانه وصف قبل العمل بقوله لا نخلفه وهو موصول والمصدر اذا وصف قبل العمل لم يجز ان يعمل عندهم

فصل قال الشهاب الحلبي الظروف والمجرورات يتسع فيها ما لا يتسع في غيرها وفي المسالة خلاف مشهور وابو القاسم نحا الي جواز ذلك وجعل الحوفي انتصاب مكانا على الظرف وانتصابه باجعل فتحصل في نصب مكانا خمسة اوجه الاول انه بدل من مكان المحذوف الثاني انه مفعول ثاني للجعل الثالث انه نصب باضمار فعل الرابع انه منصوب بنفس المصدر الخامس انه منصوب على الظرف بنفس اجعل وقرا ابو جعفر وشيبة لا نخلفه بالجزم على جواب الامر والعامة بالرفع على صفة كما تقدم وقرا ابن عامر وحمزة والحسن وعاصم والحسن سوى بضم السين منونا وصلا والباقون بكسرها وهما لغتان مثل طوى وهدى والكسر والضم على انها صفة بمعنى مكان عدل الا ان الصفة على فعل كثير نحو لبد وحطم وقليلة على فعل وحكى سيبويه لحم زيم ولم ينون الحسن سوى اجرى الوصل مجرى الوقف ولا جائز ان يكون منع صرفه العدل على فعل بعمر لان ذلك في الاعلام واما فعل في الصفات فمصروف نحو حطم ولبد وقرا عيسى بن عمر بالكسر من غير تنوين وهي كقراءة الحسن في التاويل وسوى مقصور ان ضممت سينه وكسرت وممدود ان فتحتها وقيل ثلاث لغات وتكون فيها جميعها بمعنى غير وبمعنى عدل ووسط بين الفريقين قال الشاعر

• وان كان ابانا كان حل ببلدة • سوى بين قيس قيس عيلان والغرب •

واما اهل اللغات الكسر قال النحاس وزعم بعض اهل اللغة والتفسير ان معنى مكانا سوى مستو من الارض لا وعر فيه ولا حزونة

فصل قال مقاتل وقتادة مكانا عدلا بيننا وبينك وعن ابن عباس نصفا اي يستوي مسافة الطريقين اليه وقال مجاهد منصفا بيننا قال الكلبي مكانا سوى هذا المكان الذي نحن فيه فقال ابن زيد مستويا لا يحجب العين ما فيه من الارتفاع والانخفاض به **قوله تعالى** موعدكم يوم الزينة العامة على رفع يوم الزينة خبرا لموعدكم فان جعلت موعدكم زمانا لم يحتج الي حذف مضاف اذ التقدير فان الموعد يوم الزينة وقرا الحسن والاعمش وعيسى وعاصم في بعض طرقه وابو حيوة وابن ابي عبلة وقتادة والجحدري يوم بالنصب وفيه اوجه احدها على ان يكون خبر الموعد على ان المراد المصدر اي وعدكم كائن في يوم الزينة كقولك القتال يوم كذا والسفر غدا الثاني ان يكون المراد موعدكم مبتدا والمراد به الزمان وصح خبره على نية التعريف فيه لانه ضحى ذلك اليوم بعينه قال الزمخشري فلم يبين ما الناصب ليوم الزينة ولا يجوز ان يكون منصوبا بموعدكم على هذا التقدير لانه مفعل اريد به الزمان والمكان لا يعمل وان كان مشتقا فيكون الناصب له فعلا مقدرا وواخذ ابو حيان في قوله على نية التعريف قال لانه ضحى ذلك اليوم بعينه فليس فيه نية التعريف فهو نكرة وان كان من يوم بعينه فليس على نية التعريف فهو نكرة وان كان من يوم بعينه لانه ليس فعلا ولا من الالفاظ التي لا تتعرف كسحر والا هو معرف بالاضافة ولو قلت جئت يوم الجمعة بكرا لم يدع وان بكر معرفة وان كنت تعلم انه من يوم بعينه الثالث ان يكون موعدكم مبتدا والمراد به المصدر ويوم الزينة نحو القتال يوم كذا **قوله تعالى** وان يحشر الناس في محله وجهان احدهما الجر نسقا على يوم التقدير موعدكم ان يحشر الناس اي حشرهم وقرا ابن مسعود والجحدري وابو نهيك وعمرو بن فائد وان تحشر الناس بتاء الخطاب في تحشر وروي عنهم يحشر بياء الغيبة والناس نصب في كلتا القراءتين والضمير في انت لفرعون اي وان تحشر يا فرعون وان تحشر انت يا فرعون وجوز بعضهم ان يكون الفاعل ضمير اليوم في قراءة الغيبة وذلك مجاز لما كان الحشر واقعا فيه السبب اليه نحو نهاره صائم وليله قائم وضحى ينصب على الظرف العامل فيه يحشر ويذكر ويؤنث والضحى بالمد وفتح الضاد الضحاء لانه ارتفاع النهار والضحى بعد ذلك وهو مذكر لا غير

فصل قال مجاهد وقتادة ومقاتل والسدي يوم الزينة كان يوم عيد لهم يتزينون ويجتمعون في كل سنة وقيل هو يوم النيروز قاله مقاتل وقال ابن عباس وسعيد بن جبير يوم عاشوراء في القائل موعدكم

يوم الزينة فقيل هو فرعون بين الوقت قال القاضي لان الطالب بالاجتماع هو فرعون والظاهر انه كلام موسى
لانه جواب لقول فرعون فاجعل بيننا وبينك موعدا وايضا ان تعيين يوم الزينة اقتضى اطلاع الكل على ما سيقع
فيه فتعيينه انما يليق بالذي يعرف ان اليد له لا بالمبطل الذي يعرف انه ليس معه الا التلبيس وايضا فقوله موعدكم
خطابا للجميع فلو جعلناه من فرعون لموسى وهارون لزم اما حمله على التعظيم وذلك لا يليق برأي لا يليق
بحال فرعون معهما او على ان اقل الجمع اثنان وهو غير جائز اما لو جعلناه من موسى الى فرعون وقومه استقام الكلام ولما
واعدهم ذلك اليوم ليكون علو كلمة الله وظهور دينه وكبت الكافرين وزهوق الباطل على رؤوس الاشهاد في الجمع الكبير
ليكثر المحدث بذلك الامر العجيب في كل بدو وحضر وتشيع في اهل الوبر والمدر قال القاضي انه عين اليوم بقوله يوم
الزينة ثم عين اليوم وقيل معينا بقوله تعالى وان يحشر الناس ضحى اي وقت الضحوة نهار الجهار **قوله تعالى**
فتولى فرعون فجمع كيده التولي قد يكون اعراضا وقد يكون انصرافا والظاهر انه هنا بمعنى الانصراف وهو مفارقة
موسى على الحق فجمع كيده مكره وقومه وحيله وسحرته الاية ثم اتى الموضع بما جمعه قال ابن عباس كانوا اثنين وسبعين
ساحرا مع كل واحد منهم حبل وعصى وقيل كانوا اربع مائة وقال كعب اثني عشر وقيل كانوا اكثر من ذلك ثم ضرب لفرعون
قبة فجلس فيها ينظر اليهم وكان طول القبة سبعون ذراعا فقال لهم موسى عند ذلك يعني للسحرة التي جمعهم فرعون
ويلكم لا تفتروا على الله كذبا فيسحتكم بعذاب اي لا تزعموا ان الذي جئت به ليس بحق وانه سحر وانكم متمكنون من معارضته
فيسحتكم الله بعذاب اي فيهلككم قاله مقاتل والكلبي وقال قتادة فيستاصلكم وقد خاب من افترى الخيبة والخسران
والحرمان **قوله تعالى** ويلكم قال الزجاج يجوز في انتصاب ويلكم ان يكون المعنى الزمهم ويلا ان افتروا على الله
ويجوز ان يكون كقوله تعالى الا ان انا يجور ويا ويلنا من بعثنا من مرقدنا **قوله تعالى** فيسحتكم قرا الاخوان وحفص
عن عاصم فيسحتكم بضم الياء وكسر الحاء والباقون بفتحهما وقراءة الباقين اعني الاخوين من اسحت رباعيا وهي قراءة
نجد وتميم قال الفرزدق التميمي • وعض زمان يا ابن مروان لم يدع • من المال الا مسحتا او مجلف • وقراءة الباقين
من سحته ثلاثيا وهي لغة الحجاز واصل هذه المادة الدلالة على الاستقصاء والنفاد ومنه سحت الحالق الشعر
اي استقصاه فلم يترك منه شيئا ويستعمل في الاهلاك والاذهاب ونصبه باضمار ان في جواب النهي وما انشد
الزمخشري قول الفرزدق وقال بعده في بيت لم تزل العرب تصطك في الركب في تسوية اعرابه قال الشهاب الدين
ان هذا البيت صعب الاعراب وان كان قد ذكر ذلك فلنذكر ما ورد في هذا البيت من الروايات وما قال الناس
في ذلك على حسب ما يليق بهذا الموضع فاقول وبالله الحول والقوة روي هذا البيت بثلاث روايات وكل واحدة
لا تخلو من ضرورة الاول يدع بفتح الياء والدال ونصب مسحت وفي هذه خمسة اوجه الاول ان معنى لم يدع من المال الا مسحت
لم يبق الا مسحت فلما كان هذا في قوة الفاعل عطف عليه قوله او مجلف وبهذا البيت استشهد الزمخشري على قراءة ابي الاشهب
فشربوا منه الا قليل برفع قليل وقد تقدم الثاني انه مرفوع بفعل مقدر دل عليه لم يدع والتقدير وبقي مجلف الثالث
ان مجلف مبتدا وخبره مضمر تقديره او مجلف كذلك وهو تخريج الفرا الرابع انه معطوف على الضمير المستتر في مسحتا
وكان من حق هذا ان يفصل بينهما تاكيد او فاصل الا ان القائل بذلك وهو الكسائي لا يشترط ايضا فهو جائز
عنده الخامس ان يكون مجلفا بزنة اسم المفعول كقوله تعالى كل ممزق اي تجليف وتمزيق وهو على هذا مصدر
على عض زمان اذ التقدير رمت بنا هموم المنى وعض وتجليف فهو فاعل لعطفه على الفاعل وهو قول الفارسي وهو
احسنها الرواية الثانية فتح الياء وكسر الدال ورفع مسحت وتخريجها واضح وهو ان يكون من ودع في بيته يدع
فهو وادع بمعنى بقي يبقى فهو باق فرفع مسحت بالفاعلية ورفع مجلف بالفتح والعطف عليه ولا بد حينئذ من ضمير مرفوع
محذوف تقديره من اجله او بسببه ليرتبط الكلام الرواية الثالثة يدع بضم الياء وفتح الدال على ما لم يسم فاعله
ومسحت بالرفع لقيامه مقام الفاعل ومجلف عطف عليه وكان من حق الواو ان لا تحذف بل تثبت لانها لم تقع بين ياء
وكسرة وانما حذفت حملا للمبني للفاعل وفي البيت كلام اطول من هذا تركته اختصارا وقد ذكرته في البحر وضرب
معناه ووصلته ولغته بما قبله فعليك بالالتفات اليه **قوله تعالى** فتنازعوا امرهم بينهم اي تفاوضوا
وتشاوروا واستقروا على شيء واحد وقال مقاتل اختلفوا فيما بينهم قال محمد بن اسحق لما قال لهم موسى ويلكم لا
تفتروا على الله كذبا قال بعضهم ما هذا بقول ساحر قال بعض المفسرين ان بعض السحرة دخلوا مع فرعون وقومه في البنا
وقال اخرون انما تنازع السحرة وحدهم اي تنازعوا وتشاوروا في امر موسى سرا من فرعون قال الكلبي قالوا سرا
ان غلبنا موسى اتبعناه وهو قول ابن عباس **قوله تعالى** واسروا النجوى اي المناجاة تكون مصدرا واسما اي
اسروا النجوى من فرعون قال ابن عباس ان نجواهم قالوا ان غلبنا موسى اتبعناه وقال قتادة ان كان ساحرا فسنغلبه وان

كان

وان كان من السماء فله امر وقال السدي نجواهم هو قولهم ان هذان لساحران يريدان ان يخرجاكم من ارضكم **قوله تعالى**
ان هذان لساحران اختلف القراء في هذه الاية الكريمة فقرا ابن كثير وحفص ان هذان بتخفيف ان والالف وتشديد النون
وحفص كذلك الا انه خفف نون هذان وقرا ابو عمرو ان بالتشديد هذين بالياء وتخفيف النون والباقون كذلك
الا انهم قروا هذان بالالف فاما القراءة الاولى وهي قراءة ابن كثير وحفص فهي اوضح القراءات معنى ولفظا وخطا
وذلك انهما جعلا ان المخففة من الثقيلة فاهملت ولما اهملت كما هو الافصح من وجهيها خوف التباسها بالنافية يجيء باللام
في الخبر فهذان مبتدا ولساحران خبره ووافقت خط المصحف فان الرسم هذان دون الالف والياء وانما شدد نون هذان
فعلى ما تقدم في سورة النساء منقفا واما الكوفيون فيزعمون انها نافية واللام بمعنى الا وهو خلاف مشهور وقد وافق تخريجهم
هنا قراءة بعضهم ما هذان الا ساحران واما قراءة ابي عمرو فواضحة من حيث الاعراب والمعنى اما الاعراب فهذين اسم ان وعلامة
نصبه الياء ولساحران خبرها ودخلت اللام توكيدا واما من حيث المعنى فانهم اثبتوا لهما السحر بطريق تاكيدي من طرفيه ولكنهم
طعنوا في ذلك واستشكلوه على خط المصحف وذلك انه رسم هذن بدون الف ولا ياء فاثباتها بالياء زيادة على خط المصحف
قال ابو زيد لا اجيز قراءة ابي عمرو لانها خلاف المصحف وقال ابو عبيد رايتها في المصحف الامام مصحف عثمان هذن ليس
فيها الف وهكذا رايت رفع الاثنين في ذلك المصحف باسقاط الالف واذا كتبوا النصب والخفض كتبوه بالياء ولا يسقطونها
فصل قال الشهاب الدين وهذا لا ينبغي ان يرد به على ابي عمرو وكم جاء في الرسم اشياء خارجة عن القياس وقد
نصوا على انه لا تجوز القراءة بها فقد كرهها منها اعنى مما خرج عن القياس فان قيل ما نقلته عن ابي عبيد مشترك
الالزام بين ابي عمرو وغيره فانهم كما اعترضوا عليه بزيادة الياء اعترض عليهم بزيادة الالف فاذا الالف ثابتة في قراءتهم
من خط المصحف فالجواب ما تقدم من كلام ابي عبيد انه راهم يسقطون الالف من رفع الاثنين فاذا كتبوا النصب والخفض
كتبوه بالياء وذهب جماعة منهم عائشة رضي الله عنها وابو عمرو الى ان هذا مما لحن فيه الكاتب واقيم بالصواب يعنون انه
كان من حقه ان يكتبه بالياء على يفعل فلم يقرأه الناس الا بالياء على الصواب واما قراءة الباقين ففيها اوجه الاول ان ان بمعنى
نعم وهذان مبتدا ولساحران خبره ومن ورود ان بمعنى نعم قوله اي الشاعر •

• ذكر العواذل في المشيب يلمنني • والومهن ويقلن شيب قد علاك •

وقد كبرت فقلت انه اي فقلت نعم والهاء للسكت وقال رجل لابن الزبير لعن الله ناقة حملتني اليك فقال ان
وصاحبها اي نعم ولعن صاحبها وهذا راي المبرد وعلي بن سليمان في اخرين وهو مردود من وجهين الاول عدم
ثبوت ان بمعنى نعم وانما اوردوه يؤول اما البيت فان الهاء اسمها والخبر محذوف لفهم المعنى تقديره انه كذلك
واما قول ابن الزبير فذلك من حذف المعطوف عليه وابقاء المعطوف وحذف خبر ان للدلالة عليه تقديره انها
وصاحبها ملعونان وفيه تكلف لا يخفى والثاني دخول اللام على خبر المبتدا دون المؤكد بان المكسورة لان
مثله لا يقع الا ضرورة كقوله • ام الحليس لعجوز شهربه • ترضى من اللحم بعظم الرقبه • وقد يجاب
عنه بان لساحران يجوز ان يكون خبر مبتدا محذوف دخلت عليه هذه اللام تقديره لهما ساحران وقد فعل
ذلك الزجاج كما سيأتي في حكايته عنه الثاني ان اسمها ضمير القصة وهو ها التي قبل ذان وليست للتنبيه الداخلة
على اسماء الاشارة والتقدير انه القصة ذان لساحران وقد رد هذا من وجهين احدهما من جهة الخط اذ لو
كان كذلك لكان ينبغي ان يكتب انها فيصلوا الضمير بالحرف قبله كقوله تعالى فانها لا تعمى الابصار وكتبهم
اياها مفصولة من ان متصلة باسم الاشارة يمنع كونها ضميرا وهو واضح الثاني انه يؤدي الى دخول لام الابتدا
في الخبر غير المنسوخ وقد يجاب عنه بما تقدم الثالث انها ضمير الشان محذوف والجملة من المبتدا والخبر بعده في محل
رفع خبر لان التقدير انه اي الامر والشان وقد ضعف هذا بوجهين احدهما حذف اسم ان وهو غير جائز الا في
شعر بشرط ان لا يباشر ان فعلا كقوله • ان من يدخل الكنيسة يوما • يلق فيها جاذرا وظباء • والثاني
دخول اللام في الخبر وقد اجاب الزجاج بانها داخلة على مبتدا محذوف تقديره لهما ساحران وهذا قد استحسنه شيخه
المبرد اعني جوابه بذلك الرابع ان هذان اسمها ولساحران خبرها وقد رد هذا بانه كان ينبغي ان يكون هذين بالياء
كقراءة ابي عمرو وقد اجيب عن ذلك بانه على لغة بني الحرث وبني العنبر وزبيد وعذرة ومراد وخثعم وبني الهجيم وكنانة
وحكى هذه الرواية الائمة الكبار كابي الخطاب وابي زيد الانصاري قال ابو زيد سمعت من العرب من يقلب كل ياء ينفتح
ما قبلها الفا يجعلون المثنى كالمقصور فيثبتون الفا في جميع احواله ويقدرون اعرابه بالحركات وانشدوا قوله

• فاطرق اطراق الشجاع ولو يرى • مساغا لناباه الشجاع لصمما • اي لنابيه

وقوله • ان اباها وابا اباها • قد بلغا في المجد غايتاها • اي غايتيها

وحكى الفراء عن بعض بني أسد قال هذا خط يدا اخي اعرفه وقال قطرب وهولاء يقولون رايت رجلان وضربت ثوبان وقال الشاعر • اعرف منها الانف والعينانا • وقال اخر قوله •

• رايت منها غايبا نانا • ومنخرين اشبها ظبيانا • وقال اخر •

• كان صريف نابيه اذا ماه • امرهما فرتم الحطبانا • وروى ابن جني عن قطرب هناك قوله • تبكي بشعشعان حب • بذي الفوا دمستايل اليدان • قال الفرا وذلك وان كان قليلا

اقيس لان ما قبل حرف التثنية مفتوح فينبغي ان يكون ما قبله الفا وما بعده لانفتاح ما قبلها وذهب قطرب انهم يفعلون ذلك فرارا الى الالف التي هي اخف حروف المد ويقولون كرت يداه وركبت علاه يعني يديه ويديه وعليه وقال شاعرهم • تزود منى بين اذناه ضربة • دعته الى هابى التراب عقيم • الى غير ذلك من الشواهد والسند امراة ابي عمرو بانها قراءة عثمان وعائشة وابن الزبير وسعيد بن جبير وروى هشام بن عروة عن ابيه عن عائشة رضي الله عنها انها سالت عن قوله تعالى ان هذان لساحران وعن قوله تعالى ان الذين امنوا والذين هادوا والنصارى والصابئون وقوله تعالى والراسخون في العلم منهم الى قوله والمقيمين الصلاة والموتون الزكاة فقالت يا ابن اخي هذا خطاء من الكاتب وروى عن عثمان انه نظر في المصحف فقال ارى فيه لحنا وستقيمه العرب بالسنتها وعن ابي عمرو انه قال اني لاستحي ان اقرا ان هذان لساحران وقرا ابن مسعود وان هذان ساحران بفتح ان واسقاط اللام على انها وما في حيزها بدل من النجوى كذا قاله الزمخشري وتبعه ابو حيان ولم ينكره وفيه نظر لان الاخبار بالجملة القولية بين البدل والمبدل عنه لا يصح وايضا فان الجملة القولية مفسرة للمعنى في قراءة العامة وكذا قاله الزمخشري اولا فكيف يصح ان يجعل ان هذان ساحران بدلا من النجوى وقرا حفص عن عاصم بتخفيف النون من ان على الاخفش ان هذان لساحران خفيفة من الثقيلة وهي لغة قوم يرفعون بها ويدخلون اللام ليفرقوا بينها وبين التي تكون بمعنى ما وروي عن ابي بن كعب ما هذان الا ساحران وروي عنه ايضا ان هذان الا ساحران وعن الخليل مثل ذلك وعن ابي ايضا ذان لساحران

فصل قال المحققون هذه القراءات لا يجوز تصحيحها لانها منقولة بطريق الاحاد والقران يجب ان يكون منقولا بالتواتر اذ لو جوزنا اثبات قراءة زيادة في القران بطريق الاحاد لما امكنا القطع بان الذي هو عندنا كل القران لانه لما جاز في القراءات انها من القران مع كونها ما نقلت بالتواتر جاز في غيرها ذلك فثبت ان تجويز كون هذه القراءات من القران يطرق جواز الزيادة والنقصان والتغيير في القران وذلك يخرج القران عن كونه حجة ولما كان ذلك باطلا فكذلك ما افضى اليه واما الطعن في القراءة فلو حكمنا ببطلانها جاز مثله في جميع القران وذلك يفضي الى القدح في التواتر والى القدح في كل القران والى القدح في التواتر وهو باطل واذا ثبت ذلك امتنع صيرورته معارضا بخبر الواحد المنقول عن بعض الصحابة وايضا فان المسلمين اجمعوا على ان ما بين الدفتين كلام الله وكلام الله لا يجوز ان يكون لحنا وغلطا ولذلك ذكر النحويون وجها للقراءة المشهورة كما تقدم فصل اعلم انه تعالى لما ذكر ما اسروه من النجوى حكى عنهم ما اظهروه بما يدل على التنفير عن متابعة موسى وهو امور احدها قولهم ان هذين لساحران وهذا طعن منهم في معجزة موسى مبالغة في التنفير عنه لان كل طبع سليم ينفر عن السحر وعن متابعة الساحر ورؤيته لان الانسان يعلم ان السحر لا بقاء له فاذا اعتقدوا فيه السحر قالوا كيف يتبعه وهو لا بقاء له ولا لدينه وثانيها قوله تعالى يريدان يخرجاكم من ارضكم وهذا نهاية التنفير لان مفارقة الوطن المنشا شديد على القلب وهو كقول فرعون تريد ان تخرجنا من ارضنا بسحرك يا موسى فكان السحرة تلقوا هذه الشبهة من فرعون ثم اعادوها وثالثها قولهم ويذهبا بطريقتكم المثلى وهذا ايضا له تاثير شديد في القلب فان العدو اذا استولى على جميع المناصب والاشياء التي يرغب فيها وكان ذلك نهاية المشقة على القلب قال ابن عباس يعني بسراة قومكم واشرافهم يقال هؤلاء طريقة قومهم اي اشرافهم والمثلى تانيث الامثل لان الامثل هو الاشبه بالحق وقيل الامثل الاوضح الاظهر وحدث الشعبي عن علي قال يصرفان وجوه الناس اليهما وقال قتادة طريقتكم المثلى يومئذ كانوا بني اسرائيل وكانوا اكثر القوم عددا واموالا فقال عدو الله يريدان يذهبا بهم لانفسهم وقيل بطريقتكم بسنتكم ودينكم الذي انتم عليه والمثلى نعت الطريقة تقول العرب فلان على الطريقة المثلى يعني على الهدى المستقيم وقيل الطريقة المثلى الجاه والمنصب والرياسة قوله تعالى بطريقتكم الباء معدية والمعنى يذهبا طريقتكم قال الزجاج هذا على حذف المضاف واذا كانت الطريقة عبارة عن السادة فلا حذف قوله تعالى فاجمعوا قرا ابو عمرو بوصل الالف وفتح الميم والباقون بكسرها مقطوعة فاجمعوا وكيدكم وقد تقدم تحقيق ذلك في سورة يونس وكيدكم مفعول به وقيل هو على اسقاط الخافض اي على كيدكم وليس بشيء فاما قراءة ابي عمرو فهي من الجمع اي لا تدعوا شيئا من كيدكم الا جئتم به بدليل قوله فجمع كيده واما

قراءة الباقين فقيل معناه الجمع ايضا تقول العرب اجمعت الشيء وجمعته بمعنى واحد والصحيح ان معناه العزم والاحكام قال الفراء الاجماع والاحكام والعزيمة على الشيء اي اجمعوا كلكم على كيده مجتمعين له ولا تختلفوا فيختل امركم قوله تعالى ثم ائتوا صفا اي جميعا قاله مقاتل والكلبي وقيل اي مصطفين مجتمعين ليكون انظم لامركم واشد لهيبتكم وقال ابو عبيدة والزجاج قال الصف موضع الجمع وسمي المصلى صفا اي ائتوا المكان الموعود الذي تجتمعون فيه لعيدكم وقوله تعالى صفا يجوز ان يكون حالا من الفاعل اي ائتوا مصطفين اي ذوي صف مصدر في الاصل وقيل هو مفعول به اي ائتوا قوما صفا وفيه التسمية بالمصدر اي وهو على حذف المضاف اي ذوي صف صف قوله تعالى وقد افلح قال الزمخشري اعتراض يعني فمن غلب يعني بالاعتراض انه جيء بهذه الجملة اعني قوله وقد افلح من كلام الله تعالى فهو اعتراض بهذا الاعتبار وفيه نظر لان الظاهر انها من مقولهم لانهم قالوا ذلك تحريضا لقومهم على القتال وحينئذ فلا اعتراض قوله تعالى اما ان تلقي فيه اوجه احدها انه منصوب باضمار فعل تقديره اختر احد الامرين كذا قاله الزمخشري قال ابو حيان وهذا تفسير معنى لا تفسير اعراب وتفسير الاعراب انما يختار الالقاء الثاني انه منصوب او مرفوع على خبر مبتدا محذوف تقديره الامر اما القاؤك او القاؤنا كذا قدره الزمخشري الثالث ان يكون مبتدا وخبره محذوف تقديره القاؤك اول ويدل عليه واما ان نكون اول من القى واختار هذا ابو حيان وقال فيه تحسين المقابلة من حيث المعنى وان لم يحسن مقابلة من حيث التركيب اللفظي قال وفي تقدير الزمخشري والامر القاؤك لا مقابلة فيه وتقدم نظير هذا في الاعراف فصل معنى الكلام اما ان تلقي ما معك قبلنا وهذا التخيير مع تقديمهم في الذكر حسن ادب منهم وتواضع فلا جرم رزقهم الله الايمان ببركته ثم ان موسى عليه السلام قابل ادبهم بادب فقال بل القوا فان قيل كيف يجوز ان يقول موسى بل القوا فيامرهم بما هو سحر وكفر لانهم اذا قصدوا بذلك تكذيب موسى عليه السلام كان كفرا فالجواب من وجوه الاول لا نسلم ان نفس الالقاء كفر لانهم اذا القوا وكان غرضهم ان يظهروا الفرق بين ذلك الالقاء وبين معجزة موسى عليه السلام وهو عليه السلام انما امرنا بالالقاء لا بقصد التكذيب فزال السؤال والثاني ذلك الامر كان مشروطا والتقدير القوا ما انتم ملقون ان كنتم محقين كقوله تعالى فاتوا بسورة من مثله ان كنتم صادقين الثالث انه لما تعين ذلك طريقا الى كشف الشبهة صار ذلك جائزا وهذا كالمحق اذا علم ان في قلب واحد شبهة فانه لو لم يطالبه بذكرها وتقديرها باقصى ما يقدر عليه لبقيت تلك الشبهة بقلبه ويخرج بسببها عن الدين فان المحق ان يطالبه بتقديرها على اقصى الوجوه ويكون غرضه من ذلك ان يجيب عنها ويزيل اثرها عن قلبه فطالبه بذكرها لهذا الغرض جائز فكذا هاهنا الرابع ان لا يكون ذلك امرا بل معناه الكلام ان اردتم فعله فلا مانع منه لكي ينكشف الحق الخامس ان موسى عليه السلام لا شك انه كان كارها لذلك ولا شك انهم نهاهم عن ذلك بقوله ويلكم لا تفتروا على الله كذبا فيسحتكم بعذاب واذا كان كذلك استحال ان يامرهم بذلك لان الجمع بين كونه ناهيا امرا بالفعل الواحد محال فعلمنا ان امره غير محمول على ظاهره وحينئذ يزول فان قيل لم قدمهم في الالقاء على نفسه مع ان تقديم ايراد الشبهة على اداة الحجة يجب ان لا يجوز لاحتمال انه اذا اتى بالشبهة اي ادرك الشبهة ثم لا يتفرغ للحجة بعده فيبقى حينئذ في الكفر والضلال وليس لاحد ان يقول ان ذلك كان بسبب انهم لما قدموه على انفسهم هم نوح عليه السلام فاتلقاه بان قدمهم لان امثال ذلك انما يحسن فيما يرجع الى حظ النفس فاما ما يرجع الى الدليل والشبهة فغير جائز فالجواب انه عليه السلام كان قد اظهر المعجزة مرة واحدة وان كان به حاجة الى مرة اخرى فالقوم انما جاءوا لمعارضته فقال عليه السلام لو كنت اظهرت المعجزة اولا لكنت كالساعي في اقدامهم على اظهار الكفر السحر وقصد ابطال المعجزة وهو لا يجوز ولكني فوضت الامر اليهم باختيارهم ليظهروا ذلك السحر ثم اظهر انا ذلك المعجز الذي يبطل سحرهم فيكون هذا التقديم سببا لدفع الشبهة فكان اولى قوله تعالى فاذا حبالهم هذه الفاء عاطفة على جملة محذوفة ويجوز ان يكون اذا وتخيل في موضع الحال وهذا نظير خرجت فاذا الاسد رابض وربضا فاذا رفعت رابض كانت اذا معمولا له والتقدير فبالحضرة الاسد رابض او في المكان واذا نصبت كان اذا خبرا ولكن يكتفى بها والمرفوع بعدها كلاما نحو خرجت فاذا الاسد قوله تعالى يخيل اليه قرا العامة يخيل بضم الياء الاولى وفتح الثانية مبنيا للمفعول وانها تسعى رفع الفعل قبله لقيامه مقام الفاعل تقديره يخيل اليه سعيها وجوز ابو البقاء وجهين اخرين الاول انه بدل اشتمال من ذلك الضمير المستتر في يخيل والثاني انه مصدر في موضع النصب على الحال الضمير المستتر ايضا والمعنى يخيل اليه هي انها ذات سعي ولا حاجة الى هذا وايضا فقد نصوا على ان المصدر المؤول لا يقع موقع الحال لو قلت جاء زيد ان يركض يريد ركضا بمعنى ذا ركض لم يجز وقرا ابن ذكوان تخيل بالتاء من فوق وفيه ثلاثة اوجه احدها ان الفعل مسند لضمير الحبال والعصي اي تخيل الحبال انها تسعى بدل اشتمال

من ذلك الضمير الفعال لذلك الا انها تسعى الثالث كذلك الا انها حال اي ذات سعي كما تقدم تقريره قبل ذلك الثالث ان الفعل مسند لقوله تسعى في قراءة العامة كاحد الاوجه وانما انث الفعل لاكتساب المرفوع بالاضافة اي التقدير يخيل اليه سعيها كقوله شرقت صدر القناة من الدم وقرا ابو السمال تخيل بفتح التا والياء مبنيا للفاعل والاصل تتخيل فحذف احدى التاءين نحو تنزل الملائكة وانها تسعى بدل اشتمال ايضا من ذلك الضمير وجوز ابن عطية ايضا انه مفعول من اجله ونقل ابو حيان الهذلي قراءة ابي السمال تخيل بضم التاء من فوق وكسر الياء فالفعل مسند لضمير الحبال والعصي وانها تسعى مفعول اي تخيل الحبال سعيها ونسب ابن عطية هذه القراءة للحسن وعيسى الثقفي وقرا ابو حيوة نخيل بنون العظمة وانها تسعى مفعول به ايضا على هذه القراءة وقرا الحسن والثقفي عصيهم بضم العين حيث وقع وهو الاصل وانما كسر العين اتباعا للصاد وكسرت الصاد اتباعا للياء نحو دلو ودلي وقفا وقفي والاصل عصوو بواوين فاعل كما تقدم بقلب الواوين ياءين استثقالا لهما فكسرت الصاد لتصح الياء وكسرت العين اتباعا ونقل صاحب اللوامح ان قراءة الحسن عصيهم بضم العين وسكون الصاد وتخفيف الياء وهو ايضا جمع كقراءة العامة الا انه على فعل كحمر والاول فعول كفلوس والجملة من يخيل يحتمل ان يكون في محل رفع خبرا على ان اذا الفجائية فضلة وان يكون في محل نصب على الحال على ان اذا الفجائية هي الخبر والضمير في اليه الظاهر عوده على موسى وقيل يعود على قوله تعالى فاوجس في نفسه خيفة موسى وفيه اضمار اي القوا فاذا حبالهم وعصيهم جمع حبل وعصى **فصل** قال ابن عباس القوا حبالهم وعصيهم واخذوا اعين الناس فراى موسى عليه السلام الارض ملأى حيات وكانت اخذت ميلا من كل جانب وراها تسعى فخاف واوجس في نفسه خيفة اضمر في نفسه خوفا وقيل وجد في نفسه خوفا فان قيل كيف استشعر الخوف وهو عرض عليه المعجزات الباهرة كالعصا واليد فجعل العصا حية عظيمة ثم انه تعالى اعادها لما كانت ثم اعطاه الامور الثمانية وذكر ما اعطاه قبل ذلك من المنن وقال له بعد ذلك كله انني معكما اسمع وارى فمع هذه المقدمات الكثيرة كيف وقع الخوف في قلبه فالجواب من وجوه احدها قال الحسن ان ذلك الخوف انما كان لطبع البشرية من ضعف القلب وان كان قد علم موسى انهم لا يصلون اليه وان الله ناصره والثاني قال مقاتل خاف على القوم ان يلتبس الامر عليهم فيشكوا في امره فيظنوا انهم قد ساووا موسى عليه السلام ويؤكده قوله تعالى لا تخف انك انت الاعلى الثالث خاف حيث بداوه وتاخر القاؤه ان ينصرف بعض القوم قبل مشاهدة ما يلقيه فيدوموا على اعتقاد الباطل الرابع لعله عليه السلام كان ماموراً بان لا يفعل شيئا الا بالوحي فلما تاخر نزول الوحي في ذلك الجمع بقي في الخجل الخامس لعله عليه السلام خاف من انه لو بطل سحرهم فلعل فرعون قد اعد قوما اخرين فيحتاج مرة اخرى الى ابطال سحرهم وهلم جرا فلا يظهر له مقطع وحينئذ لا يتم الامر ولا يحصل المقصود **فصل** اختلفوا في عدد السحرة فقال الكلبي كانوا اثنين وسبعين ساحرا اثنان من القبط وسبعون من بني اسرائيل اكرههم فرعون على ذلك من كل واحد منهم عصا وحبل وقال ابن جريج وعكرمة تسع مائة ثلاثمائة من الفرس وثلاثمائة من الروم وثلاثمائة من الاسكندرية وقال وهب عشر الفا وقال بضعة وثلاثون الفا وقال القاسم بن سلام سبعون الفا وظاهر القران لا يدل على شيء من هذه الاقوال ثم انه تعالى ازال ذلك الخوف بقوله تعالى لا تخف انك انت الاعلى اي الغالب يعني لك الغلبة والظفر وهذا يدل على ان خوفه كان لامر راجع الى امر لا يظهر للقوم فامنه الله تعالى بقوله انك انت الاعلى وفيه انواع من المبالغة الاول ذكر كلمة التاكيد وهي ان الثاني تكرير الضمير الثالث لام التعريف الرابع لفظ العلو وهو الغلبة الظاهرة **قوله تعالى** والق ما في يمينك وههنا سؤال وهو انه لم يقل عصاك والجواب جاز ان يكون تصغيرا لها اي لا تبال بكثرة حبالهم وعصيهم والق العويد الفرد الصغير الجرم الذي بيمينك فانه بقدرة الله تعالى تلقفها على وحدته وكثرتها وصغره وعظمها وجاز ان يكون تعظيما لها اي لا تحفلن بهذه الاجرام الكثيرة فان في يمينك شيئا اعظم منها كلها وهي على كثرتها اقل شيء عندها فالقها تلقفها باذن الله ويمحقها **قوله تعالى** تلقف اي تلتقم وتبتلع ما صنعوا ابرهة قرا العامة بفتح اللام وتشديد القاف وجزم الفاء على جواب الامر وقد تقدم ان حفصا يقرا تلقف بسكون اللام وتخفيف القاف وقرا ابن ذكوان ههنا تلقف بالرفع اما على الحال واما على الاستئناف وانث الفعل في تلقف حملا على معنى ما لانه لا يصرف لان معناها العصا ولو ذكر ذهابا الى لفظها لجاز لم يقرا به وقال ابو البقاء انه يجوز ان يكون فاعل تلقف ضمير موسى فعلى هذا يجوز ان يكون تلقف في قراءة الرفع حالا من موسى وفيه بعد والعرب تقول في الكلام الكذب مصنوعا **قوله تعالى** انما صنعوا كيد ساحر العامة على رفع كيد على انه خبر ان وما موصولة وصنعوا صلتها والعائد محذوف والموصول هو الاسم والتقدير ان الذي صنعوه كيد ساحر ويجوز ان يكون ما مصدرية فلا حاجة الى العائد والاعراب

بحاله

بحاله والتقدير ان الذي صنعوه كيد ساحر ويجوز ان يكون المعنى كيد ذوي سحر وجعلوا نفس السحر مبالغة وتبيين للكيد اي حالة سحر لانه يكون سحرا وغير سحر كما تبين سائر الاعداد بما يميزه كمائة درهم والف دينار ومثله علم فقه وعلم نحو وقال ابو البقاء كيد ساحر اضافة المصدر الى الفاعل وكيد سحر اضافة الجنس الى النوع والباقون افردوا ساحرا وان كان المراد به جماعة قال الزمخشري لان القصد الى هذا الكلام معنى الجنسية لا معنى العدد وقرا ساحرا بالنصب على ان ما كافة **قوله تعالى** ولا يفلح الساحر حيث اتى من الارض قال ابن عباس ولا يسعد حيث كان وقيل معناه حيث احتال **قوله تعالى** فالقي السحرة سجدا لما القى عصاه وصار حية وتلقفت ما صنعوا وظهر الامر خروا عند ذلك سجدا لانهم كانوا في اعلى طبقات السحر فلما راوا ما القى موسى عليه السلام خارجا عن صناعتهم عرفوا انه ليس من السحر البتة روي ان رئيسهم قال كنا نغلب الناس بالسحر وكانت الالات تبقى علينا فلو كان هذا سحرا فاين ما القيناه فاستدلوا بتغيير احوال الاجسام على الصانع القادر العالم وتحويلها وبظهورها على يد موسى عليه السلام على كونه رسولا صادقا من عند الله فلا جرم تابوا وامنوا واتوا بما هو النهاية في الخضوع وهو السجود قال الاخفش انهم من سرعة ما سجدوا كانهم خروا قال الزمخشري ما اعجب امرهم قد القوا حبالهم وعصيهم للكفر والجحود ثم القوا رؤوسهم بعد ساعة للشكر والسجود فما اعظم الفرق بين الالقائين روي انهم لم يرفعوا رؤوسهم حتى راوا الجنة والنار وراوا ثواب اهلها وقال عكرمة لما خروا سجدا اراهم الله في سجودهم منازلهم التي يصيرون اليها في الجنة قال القاضي هذا بعيد لانه لو راوا عيانا لصاروا ملجئين وذلك لا يليق بهم قولهم انا امنا ليغفر لنا خطايانا واجيب بانه لما جاز لابراهيم مع قطعه بكونه مغفورا له بقوله تعالى والذي اطمع ان يغفر لي خطيئتي فلم لا يجوز في حق السحرة **قوله تعالى** امنا برب العالمين رب هارون وموسى احتج التعليمية بهذه الاية وقالوا انهم امنوا بالله الذي عرفوه قبل موسى وهارون وفي الاية فائدتان الاولى ان فرعون ادعى الربوبية في قوله تعالى انا ربكم الاعلى والالهية في قوله ما علمت لكم من اله غيري فلو قالوا امنا برب العالمين لكان فرعون يقول انهم امنوا بي لا بغيري فلقطع هذه التهمة اختاروا هذه العبارة ويدل عليه تقديمهم ذكر هرون على موسى لان فرعون كان يدعي ربوبية موسى لكونه رباه فقال الم نربك فينا وليدا فالقوم لما احترزوا عن ايهامات ما خصهما الله تعالى به من الوحي والمعجزات العظيمة والدرجات الرفيعة فقالوا رب هارون وموسى **قوله تعالى** امنتم له قبل ان اذن لكم انه لكبيركم الذي علمكم السحر اعلم ان فرعون لما شاهد منهم السجود والاقرار خاف ان يكون ذلك سببا لاقتداء سائر الناس بهم في الايمان بالله وبرسوله ففي الحال القى هذه الشبهة وهي تدل على التعيين من وجهين الاول ان الاعتماد على اول خاطر لا يجوز بل لا بد فيه من البحث والمناظرة والاستعانة بخواطر الغير فلما لم تفعلوا شيئا من ذلك بل في الحال امنتم له دل ذلك على ان ايمانكم ليس عن بصيرة بل لسبب اخر والثاني قوله انه لكبيركم الذي علمكم السحر يعني انكم تلامذته في السحر فاصطلحتم على ان تظهروا العجز من انفسكم ترويجا لامره وتفخيما لشانه ثم بعد ايراد هذه الشبهة اشتغل بالتهديد تنفيرا لهم عن الايمان وتنفيرا لغيرهم عن الاقتداء بهم فقال **قوله تعالى** لاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف حال اي مختلفة ومن لابتداء الغاية وتقدم نحو هذا وما قرئ به **قوله تعالى** في جذوع النخل يحتمل ان يكون حقيقة ففي التفسير انه نقر جذوع النخل حتى جوفها ووضعهم فيها فيموتوا جوعا وعطشا وان يكون مجازا وله وجهان الاول انه وضع في موضع على والاصل على جذوع النخل كقوله •

• بطل كان ثيابه في سرحة • يحذى نعال السبت ليس بتوأم •

والثاني شبه تمكنهم تمكن من حواه الجذع واشتمل عليه شبه تمكن المصلوب في الجذع الموعى في وعائه فلذلك قال في جذوع النخل ومن تعدي صلب بفي قوله • وقد صلبوا العبدي في جذع نخلة • فلا عطست شيبان الا باجدعا • اي جذع **قوله تعالى** ايّنا اشد عذابا وابقى وهذه الجملة سادة مسد المفعولين ان كانت علما ومسد واحد ان كانت عرفانية ويجوز على جعلها عرفانية ان تكون ايا موصولة بمعنى الذي وبنيت لانها اضيفت وحذف صدر صلتها واشد خبر مبتدا محذوف والجملة من ذلك المبتدا والخبر صلة لاي واي وما في حيزها في محل نصب مفعولا لانها كقوله تعالى ثم لننزعن من كل شيعة ايهم اشد على الرحمن عتيا في احد وجهيه كما تقدم واراد بقوله اينا نفسه لعنه الله وموسى عليه السلام بقوله امنتم له واشد عذابا اي انا على ايمانكم به او رب موسى على ترك الايمان به وابقى اي ادوم فان قيل ان فرعون مع قرب عهده بذلك وعجزه عند مشاهدة انقلاب العصا حية عظيمة وذكروا انها قصدت ابتلاع قصر فرعون وال الامر الى ان استغاث بموسى من ذلك الثعبان فمع قرب عهده بذلك وعجزه عن دفعه كيف يعقل انه يهدد السحرة ويبالغ في وعيدهم الى هذا الحد ويستهزئ بموسى ويقول اينا اشد عذابا فالجواب يجوز ان يقال انه كان في اشد الخوف الا انه كان يظهر الجلادة والوقاحة تمشية لناموسه وترويجا لامره ومن استقرا احوال اهل العالم علم ان العاجز قد يفعل

مثل هذه الاشيا ويدل على صحة ذلك ان كل عاقل يعلم بالضرورة ان عذاب الله اشد من عذاب البشر ثم انه الكود الدال
وايضا فقد كان عالما بكذبه في قوله انه لكبيركم الذي علمكم السحر لانه علم ان موسى ما خالطهم البتة وما بعثهم وكان يعرف
سحرتهم ويعرف استاد كل واحد منهم وكيف حصل ذلك العلم ثم انه مع ذلك قال هذا الكلام فثبت ان سببه ذلك ما ذكرناه
فصل قال ابن عباس رضي الله عنه كانوا في اول النهار سحرة وفي اخره شهداء قوله تعالى قالوا لن نؤثرك
على ما جاءنا من البينات اي لا نختارك على ما جاءنا من الدلالات لما هددهم فرعون اجابوه بما يدل على التبيان التام
والبصيرة الكاملة في اصول الدين فقالوا لن نؤثرك وهذا يدل على ان فرعون طلب منهم الرجوع عن الايمان والا فعل بهم
ما اوعدهم فقالوا لن نؤثرك وبينوا العلة وهي ان الذي جاءهم بينات وادلة والذي يذكره فرعون محض الدنيا
وقيل كان استدلالهم انهم قالوا لو كان هذا سحرا فاين حبالنا وعصينا قوله تعالى والذي فطرنا فيه وجهان
احدهما ان الواو عاطفة عطف على ما جاءنا اي لن نؤثرك على الذي جاءنا ولا على الذي فطرنا اي على طاعة الذي فطرنا
وعلى عبادته وانما اخروا ذكر الباري تعالى لانه من باب الترقي من الادنى الى الاعلى والثاني انه واو قسم والموصول مقسم به وجواب القسم محذوف
اي وحق الذي لا نؤثرك على الحق ولا يجوز ان يكون الجواب لن نؤثرك من يجوز تقديم الجواب لانه لا يجوز القسم الا
في صدر الكلام قوله تعالى فاقض ما انت قاض يجوز في ما وجهان اظهرهما انها موصولة بمعنى الذي وانت
قاض صلتها والعائد محذوف اي قاضيه وجاز حذفه وان كان مخفوضا لانه منصوب المحل اي فاقض الذي انت
قاضيه والثاني انها ظرفية مصدرية والتقدير فاقض امرك مدة ما انت قاض ذكره كذا ابو البقاء وتبع بعضهم جعلها
مصدرية قال لان ما المصدرية لا توصل بالجمل الاسمية وهذا المنع ليس مجمعا عليه بل جوز ذلك جماعة كثيرة وذكر ابن مالك
ان ذلك مكثر اذا دلت ما على الظرفية وانشد ● واصل خليلك ما التمكن واصل ● فلانت او هو عن قليل ذاهب ●
ونقل ان كان غير ظرفية وانشد ● احلامكم لسقام الجهل شافية ● كما دماؤكم تشفي من الكلب ●
انما تقضي هذه الحياة الدنيا يجوز في ما وجهان احدهما ان تكون المهيئة لدخول ان على الفعل والحيوة الدنيا
ظرف لتقضي ومفعوله محذوف اي تقضي غرضك وامرك ويجوز ان تكون الحياة مفعولا به على الاتساع في الظرف
فاجري مجرى المفعول كقوله صمت يوم الجمعة ويدل لذلك قراءة ابو حيوة تقضى هذه الحياة بنا الفعل للمفعول ورفع
الحياة لقيامها مقام الفاعل وذلك لانه اتسع فيه مقام الفاعل فرفع الثاني ان تكون ما مصدرية هي حران والاسم الظرف
والتقدير ان قضاك في الحيوة الدنيا اي لك الدنيا فقط ولنا الاخرة وقال ابو البقاء فان كان قد قرئ بالرفع فهو خبر
يعني لو قرئ برفع الحيوة لكان خبر لان ويكون اسم احسن بدهما وهي موصولة بمعنى الذي وعايدها محذوف تقديره
ان الذي تقضيه هذه الحيوة لا غيرها قوله تعالى وما اكرهتنا في ما وجهان الاولى ان تكون موصولة بمعنى الذي
وفي محلها احتمالان احدهما انها منصوبة المحل نسقا على خطايانا اي ليغفر لنا ايضا الذي اكرهتنا والاحتمال
الثاني انها مرفوعة المحل على الابتدا والخبر محذوف تقديره والذي اكرهتنا عليه من السحر محطوط عنا او لا نؤاخذ به والوجه
الثاني انها نافية قال ابو البقاء في الكلام تقديم تقديره ليغفر لنا خطايانا من السحر ولم يكرهنا عليه وهذا بعيد
عن المعنى والاول اظهر ومن السحر يجوز ان يكون حالا من الهاء في عليه ومن الموصول ويجوز ان يكون لبيان الجنس فصل
قال المفسرون لما امن السحرة انهم من اصروا على الايمان او وقع بهم فرعون ما اوعدهم به فقالوا اقض ما انت قاض على
سبيل لا م لكي لظهروا ان ذلك الوعيد لا يصدهم عن ايمانهم البتة ثم بينوا ما لاجله سهل عليهم احتمال ذلك فقالوا
انما تقضي هذه الحيوة الدنيا وهي فانية تزول عن قريب ومطلوبنا سعادة الاخرة وهي باقية والعقل يقتضي تحمل
الضرر الفاني للتوصل الى السعادة الباقية ثم قالوا انا امنا بربنا ليغفر لنا خطايانا ولما كان اقرب خطاياهم
عهدا ما اظهروه من السحر قالوا وما اكرهتنا عليه من السحر وفي ذلك الاكراه وجوه الاول قال ابن عباس ان ملوك ذلك
الزمان كانوا ياخذون بعض رعيتهم ويكلفونهم تعلم السحر فاذا شاخ احدهم بعثوا اليه احداثا ليعلمهم فيكون في كل وقت
من يحسنه فقالوا ذلك اي كنا في التعلم اولا والتعليم ثانيا مكرهين وهو قول الحسن وقال مقاتل كانت السحرة اثنين وسبعين
اثنان من القبط وسبعون من بني اسرائيل كان فرعون اكرههم على تعلم السحر وقال عبد العزيز بن ابان قالت السحرة
لفرعون ارنا موسى اذا نام فارهم موسى نايما فوجدوه تحرسه عصاه فقالوا لفرعون ان هذا ليس بسحر ان الساحر
اذا نام بطل سحره فابى عليهم الا ان يعارضوه وقال الحسن ان السحرة حشروا من المداين ليعارضوا موسى فاحضروا
بالحشر وكانوا مكرهين في الحضور لقوله وابعث في المداين حاشرين ياتوك بكل ساحر عليم وقال عمرو بن عبيد دعوة
السلطان اكراه وهذا ضعيف لان دعوة السلطان اذا لم يكن معها خوف لم تكن اكراها ثم قالوا قوله تعالى والله
خير وابقى قال محمد بن كعب خير منك ثوابا وابقى عقابا لمن عصاه قوله تعالى

الذين ياتي ربه مجرما فصل هذا ابتدا كلام من الله تعالى وقيل هذا من تمام كلام السحرة حتموا كلامهم
بشرح احوال المجرمين واحوال المؤمنين في عرصة القيامة والهاء في انه ضمير الشان والجملة الشرطية خبرها ومجرما حال
من فاعل ياتي وقوله لا يموت يجوز ان يكون حالا من جهنم لان في الجملة ضمير كل منهما والمراد
بالمجرم المشرك الذي يموت على الشرك فان له جهنم لا يموت فيها فيستريح ولا يحيى حيوة ينتفع بها فان قيل الجسم الحي
لا بد ان يبقى اما حيا واما ميتا فخلوه عن الوصفين محال فالجواب ان المعنى يكون في جهنم باسوء حال لا يموت موتة
مريحة ولا يحيى حياة منتفعة وقال بعضهم ان لنا حالا ثالثة وهي كحالة المذبوح قبل انه يهدي فلا هو حي لانه
قد ذبح ذبحا لا تبقى الحياة معه ولا هو ميت لان الروح لم تفارقه بعد فهي حالة ثالثة فان قيل استدلت المعتزلة
بهذه الاية في القطع على وعيد اصحاب الكباير قالوا صاحب الكبيرة مجرم وكل مجرم فان له نار جهنم لقوله من يات ربه مجرما
وكلمة من في معرض الشرط تفيد العموم بدليل انه يجوز استثناء كل واحد منها والاستثناء يخرج من الكلام ما لولاه
لدخل فالجواب بانا لا نسلم ان صاحب الكبيرة مجرم لانه تعالى جعل المجرم في مقابلة المؤمن بقوله تعالى ومن ياته
مؤمنا وقال تعالى ان الذين اجرموا كانوا من الذين امنوا يضحكون وايضا فان له نار جهنم لا يموت فيها ولا يحيى والمؤمن
صاحب الكبيرة وان عذب بالنار لا يكون بهذا الوصف وفي الحديث الصحيح يخرج من النار من كان في قلبه ذرة من ايمان
فصل قال ابن الخطيب وهذه اعتراضات ضعيفة اما قوله ان الله تعالى جعل المؤمن في مقابلة المجرم فسلم
لكن هذا انما ينفع لو ثبت ان صاحب الكبيرة مؤمن ومذهب المعتزلة انه ليس بمؤمن فهذا المعترض كانه قد بنى هذا
الاعتراض على مذهب نفسه وذلك ساقط وقوله ثانيا انه لا يليق بصاحب الكبيرة ان له جهنم فانه قيل ان له جهنم لا
يموت فيها ولا يحيى فالجواب لا نسلم فان عذاب جهنم في غاية الشدة قال تعالى ربنا انك من تدخل النار فقد اخزيته
واما الحديث فقالوا القران متواتر فلا يعارضه خبر الواحد ويمكن ان يقال ثبت في اصول الفقه انه يجوز تخصيص
القران بخبر الواحد وللخصم ان يجيب بان ذلك يفيد الظن فيجوز الرجوع اليه في العمليات وهذه المسالة ليست
من العمليات بل من الاعتقادات فلا يجوز الرجوع اليه ههنا واعتراض اخر نقال اجمعنا على ان هذه المسالة مشروطة
بنفي التوبة وان لا يكون عقابه محبطا بثواب طاعته والقدر المشترك بين الصورتين هو ان لا يوجد ما يحبط ذلك العقاب
لكن عندنا محبط العقاب العفو وعندنا ان المجرم لا يوجد في حقه العفو لا بد وان يدخل جهنم فصل
قال ابن الخطيب وهذا الاعتراض ايضا ضعيف انما نفي شرط التوبة فلا حاجة اليه لانه قال من يات ربه مجرما لا ت
المجرم اسم ذم فلا يجوز اطلاقه على صاحب الكبيرة بل الاعتراض الصحيح ان يقول عموم هذا الوعيد معارض بعموم ما جاء
بعده من عموم الوعد وهو قوله تعالى ومن ياته مؤمنا قد عمل الصالحات فاولئك لهم الدرجات العلى وكلامنا
فيمن اتى بالايمان ثم عمل الى بعد ذلك لبعض الكباير فانه قيل عقاب المعصية يحبط ثواب الطاعة ولم لا يجوز
ان يقال ثواب الايمان يدفع عقاب المعصية وان قالوا فلو كان كذلك وجب ان لا يجوز اقامة الحد عليه فالجواب
اما اللعن فغير جائز عندنا واما اقامة الحد فقد يكون على سبيل المحنة كما في حق التائب وقد يكون على سبيل التنكيل
فصل قالت المعتزلة قوله والسارق والسارقة فاقطعوا ايديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله فان الله تعالى
نص على انه يجب عليه اقامة الحد على سبيل التنكيل وكل من كان كذلك استحال ان يكون مستحقا للمدح والتعظيم
وان لم يبق ذلك لم يبق الثواب على قولنا ان عذاب الكبيرة اولى بازالة ثواب الطاعة المتقدمة من الطاعات بدفع
عقاب الكبيرة الطارية وقد انتهى كلامهم في نصرة الوعيد فصل حاصل الكلام يرجع الى النص
الدال على اقامة الحد عليه على سبيل التنكيل صار معارضا للنصوص الدالة على كونه مستحقا للثواب فان لم
لكان ترجيح احدهما على الاخر اولى من العكس وذلك لان المؤمن كما ينقسم الى السارق والى غير السارق فالمؤمن
من ينقسم على السارق ينقسم الى المؤمن والى غير المؤمن فلم يكن لاحدهما مزية على الاخر في العموم والخصوص واذا
تعارضا تساقطا فالجواب لا نسلم ان كلمة من في افادة العموم قطعية بل ظنية ولا يجوز التعويل على ما ذكرتموه
فان قيل عسك المجسمة بقوله من يات ربه فقالوا الجسم انما ياتي ربه لو كان الرب في مكان فالجواب ان الله تعالى
جعل اتيانهم في موضع الوعد اتيانا الى الله مجازا كقول ابراهيم عليه السلام اني ذاهب الى ربي سيهدين قوله تعالى
ومن ياته مؤمنا قرا ابو عمرو ساكنة الهاء وتحكيها ابو جعفر وقالون ويعقوب والاخرون بالاشباع مؤمنا
مات على الايمان قوله تعالى قد عمل اي وقد عمل الصالحات واعلم ان قوله قد عمل الصالحات يقتضي ان يكون
اتيا بكل الصالحات وذلك بالاتفاق غير معتبر ولا ممكن فينبغي ان يحمل ذلك على اداء الواجبات ثم ذكر
انه من اتى بالايمان والاعمال الصالحة كانت لهم الدرجات العلى فسر الدرجات العلا فقال جنات عدن تجري

من تحتها الانهار وفي الاية تنبيه على حصول العفو لاصحاب الكبائر لانه تعالى جعل الدرجات من الجنة لمن اتى الايمان
والاعمال الصالحة فسائر الدرجات التي هي غير عالية لابد ان تكون لغيرهم وما هو الا العصاة من اهل الايمان والعلى
جمع العليا والعليا تانيث الاعلا **قوله تعالى** جنات بدل من الدرجات او بيان قال ابو البقا ولا يجوز ان يكون
التقدير هي جنات لان خالدين حال وعلى هذا التقدير لا يكون في الكلام ما يعمل في الثاني وعلى الاول يكون الثاني
حال الاستقرار ومعنى الاشارة وذلك واضح **قوله تعالى** وذلك جزاء من تزكى قال ابن عباس يريد من قال لا اله
الا الله ومعنى تزكى تطهر من الذنوب قال عليه الصلاة والسلام ان اهل الدرجات ليتراءون من تحتهم كما ترون الكواكب
الدري في افق السما وان ابا بكر وعمر منهم واعلم انه ليس في القران ان فرعون فعل بهولاء القوم المومنين ما اوعدهم
ولم يثبت في الاخبار **قوله تعالى** ولقد اوحينا الى موسى ان اسر بعبادي الاية وفي تلك الاية دلالة على ان
موسى عليه السلام في تلك الالة اي الحالة كي يسحونه فاراد تعالى تمييزهم من طائفة فرعون فاوحى اليه ان اسر بهم
ليلا والسرى سير الليل والامر امثاله والحكمة في السري بهم ليلا لا يشاهدهم العدو فيمنعهم عن مرادهم وليكون ذلك
عائقا لفرعون عن طلبته ومتابعته او ليكون اذا تقارب العسكران لا يرى عسكر موسى عسكر فرعون فيهابونهم
قوله تعالى فاضرب لهم طريقا في نصب طريقا وجهان احدهما انه مفعول به وذلك على سبيل المجاز وهو ان الطريق
متسبب عن ضرب البحر اذ المعنى اضرب البحر فينفلق لهم فيصير طريقا فلهذا يصح نسبة الضرب الى الطريق وقيل ضرب
هنا بمعنى اجعل اي اجعل لهم طريقا واشرعه فيه والثاني انه منصوب على الظرف قال ابو البقا والتقدير موضع
طريق فهو مفعول فيه على الظاهر ونظيره قوله ان اضرب بعصاك البحر وهو مثل ضربت زيدا وقيل ضرب هو بمعنى
جعل مثل قوله ضربت لهم سهما انتهى فقوله على الظاهر اعني لولا التاويل لكان ظرفا **قوله تعالى** يبسا صفة لطريقا
وصفه به بما يوول اليه لانه لم يكن يبسا بعد انما مرت الصبا فجففته كما روي في التفسير وقيل في الاصل مصدر
وصف به مبالغة كقوله معاجيا عا اي كجاعة جياعا ووصف به لفرط جوعهم وقرا الحسن يبسا بالسكون وهو مصدر
ايضا وقيل المفتوح اسم والمصدر ساكن وقرا ابو حيوة يابسا اسم فاعل جعله الطريق ومن جعل يبسا بتحريك البا
فالمعنى طريقا ذا يبس ومن قرا بتسكين البا فهو تخفيف من اليبس فالمعنى ما كان فيه وحل ولا نداوة فضلا عن الما
وذلك ان الله ايبس لهم الطريق في البحر **قوله تعالى** لا تخاف العامة على تخاف مرفوعا وفيه اوجه الاول انه مستانف
فلا محل له من الاعراب الثاني انه في محل نصب على الحال من فاعل اضرب اي غير خائف الثالث انه صفة لطريقا والعائد
محذوف اي لا تخاف فيه وحمزة وحده من السبعة لا تخف بالجزم وفيه اوجه احدها ان يكون نهيا مستانفا والثاني
انه نهي ايضا في محل نصب على الحال من فاعل اضرب وصفة لطريقا كما تقدم في قراءة العامة الا ان ذلك يحتاج الى اضمار
قول اي مقولا لك واضمار طريقا مقولا فيها لا تخف كقوله • جاوا بمذق هل رايت الذيب قط • الثالث انه
مجزوم على جواب الامر اي تضرب طريقا يبسا لا تخف **قوله تعالى** دركا قرا ابو حيوة دركا بسكون الرا والدرك
اسمان من الادراك اي لا يدركك فرعون وجنوده وتقدم الكلام عليهما في سورة النساء وان الكوفيين قراوا
بالسكون كابي حيوة هنا **قوله تعالى** ولا تخشى لم يقرا الا باثبات الالف وكان من حق من قرا لا تخف جزما ان
يقرا لا تخش بحذفها كذا قال بعضهم وليس بشيء لان القراءة سنة وفيه اوجه الاول انه يكون حالا وفيه اشكال
وهو ان المضارع المنفي بلا كالمثبت في عدم مباشرة الواو له وتاويله على حذف مبتدا اي وانت لا تخشى لقوله
نجوت وارهنهم مالكا • والثاني انه مستانف اخبره تعالى انه لا يحصل له خوف الثالث انه مجزوم بحذف الحركة
تقديرا كقوله • اذا العجوز غضبت فطلق • ولا ترضاها ولا تملق • وقوله • كان لم ترى قبلي اسيرا يمانيا
ومنه فلا ينسى في احد القولين اجرا لحرف العلة مجرى الحرف الصحيح وقد تقدم ذلك في سورة يوسف عند قوله من يتقي
الرابع انه مجزوم ايضا بحذف حرف العلة وهذه العلة ليست تلك اعني لام الكلمة انما هي الف اشباع اتي بها موافقة
للفواصل ورءوس الاي فهي كالالف في قوله الرسولا والسبيلا والظنونا وهذه الاوجه انما يحتاج اليها في قراءة جزم
لا تخف واما من قراءة مرفوعا فهذا معطوف عليه اي لا تخاف ادراك فرعون ولا تخشى الغرق **قوله تعالى** فاتبعهم
فرعون بجنوده قال ابو مسلم يزعم رواة اللغة ان اتبعهم وتبعهم واحد وذلك جائز ويحتمل ان تكون
الباء زائدة اي اتبعهم فرعون جنوده كقوله تعالى لا تاخذ بلحيتي وقال بعضهم في باء بجنوده اوجه الاول ان
تكون للحال وذلك على ان اتبع متعد لاثنين حذف ثانيهما والتقدير فاتبعهم فرعون عقابه ومعه جنوده
ابو حيان نساوه وحشمه قال شهاب الدين والاول احسن الثاني الباء زائدة في المفعول الثاني والتقدير فاتبعهم
فرعون جنوده كقوله تعالى ولا تلقوا بايديكم واتبع قد جا متعديا لاثنين مصرحا بهما قال تعالى فاتبعناهم ذريتهم

الثالث

الثالث انها معدية على ان اتبع قد يتعدى لواحد بمعنى تبع ويجوز على هذا ان تكون البا للحال ايضا بل هو
الاظهر وقرا ابو عمرو والحسن فاتبعهم بالتشديد وكذلك قراءة الحسن في جميع القران الا في قوله فاتبعه شهاب
ثاقب **قوله تعالى** ما غشيهم فاعل غشيهم وهذا من باب الاختصار وجوامع الكلم التي يقل لفظها ويكثر
معناها اي غشيهم ما لا يعلم كنهه الا الله تعالى وقرا الاعمش فغشاهم مضعفا وفي الفاعل حينئذ ثلاثة اوجه
احدها انه ما غشاهم كالقراءة قبله اي غطاهم من اليم ما غطاهم وثانيها هو ضمير الباري تعالى اي غشاهم الله
وثالثها ضمير فرعون لانه السبب في اهلاكهم وعلى هذين الوجهين فما غشاهم في محل نصب مفعولا ثانيا
فصل قيل امر فرعون جنوده ان يتبعوا موسى وقومه وكان هو فيهم فغشيهم اصابهم من اليم ما غشيهم
وهو الغرق وقيل غشاهم وسترهم من اليم ما غشيهم يريد بعض ما اليم لا كله وقيل غشاهم من اليم ما غشي قوم
موسى فغرقوهم ونجا موسى وقومه **قوله تعالى** واضل فرعون قومه وما هدى اي ما ارشدهم وهذا تكذيب
لفرعون في قوله وما اهديكم الا سبيل الرشاد احتج القاضي بقوله واضل فرعون قومه وما هدى وقال
لو كان الضلال من خلق الله لما جاز ان يقال واضل فرعون بل وجب ان يقال الله اضلهم وان الله تعالى ذمهم بذلك
اي ذمه بذلك فيكون خالقا للكفر لان من ذم غيره بشيء لابد وان يكون المذموم هو الذي فعله والا استحق الذم
فصل قال ابن عباس لما امر الله تعالى موسى ان يقطع بقومه البحر وكان بنو اسرائيل استعاروا من قوم فرعون
الحلي والدواب لعيد يخرجون اليه فخرج بهم ليلا وكان يوسف عليه السلام عهد اليهم عند موته ان يخرجوا بعظامه
معهم من مصر فلم يعرفوا مكانها حتى دلتهم عجوز على موضع العظم فاخذوه وقال موسى عليه السلام للعجوز احتكمي
فقالت اكون معك في الجنة فلما خرجوا اتبعهم فرعون فلما انتهى موسى الى البحر ضربه فانفلق فقال لهم موسى ادخلوا فيه
فقالوا كيف وهي رطبة فدعا موسى ربه فهبت عليه الصبا فجففت فقالوا نخاف الغرق في بعضنا فجعل بينهم كوى حتى يرى
بعضهم بعضا فدخلوا حتى جاوزوا واقبل فرعون الى تلك الطرق فقال لقومه ان موسى قد سحر البحر كما ترى وكان على فرس
حصان فاقبل جبريل بين يدي فرعون فابصر الحصان الفرس فاقتحم بفرعون على اثرها وصاحت الملائكة في الناس
الحقوا حتى اذا دخل اخرهم وكاد اولهم ان يخرج التقى البحر عليهم فغرقوا فرجع بنو اسرائيل حتى ينظروا اليهم
وقالوا يا موسى ادع الله لنا ان يخرجهم حتى ننظر اليهم فدعا الله فاخرجهم لنا فلفظهم البحر الى الساحل واصابوا
من سلاحهم قال ابن عباس ان جبريل قال يا محمد لو رايتني وانا ادس فرعون في الماء والطين مخافة ان يتوب فهذا معنى
قوله فغشيهم من اليم ما غشيهم **فصل** قال ابن الخطيب وفي القصة اسئلة الاول قال بعض المفسرين
ان موسى لما ضرب البحر انفرق اثنا عشر طريقا يابسا وبقي الما قائما بين الطريقين كالطود العظيم وهو الجبل فاخذ
كل سبط من بني اسرائيل بعدما انا لطهم الله في طريق وهو معنى قوله فانفرق فكان كل فرق كالطود العظيم ومنهم من
قال انما حصل طريق واحد لقوله تعالى فاضرب لهم طريقا في البحر يبسا ويمكن حمله على الجنس الثاني ان بني اسرائيل
بعد ان اظهر الله لهم الطرق وبينها تعنتوا وقالوا نريد ان يرى بعضنا بعضا فهذا كالبعيد لان القوم لما فروا
من فرعون صاروا في نهاية الخوف والخائف اذا وجد طريق الفرار والخلاص كيف يتخلص ويتفرغ للتعنت البارد
الثالث ان فرعون كان عاقلا بل كان في نهاية الدهاء فكيف اختار القاء نفسه فانه كان يعلم من نفسه ان انفلاق
البحر ليس بامره وذكروا عند هذا وجهين احدهما ان جبريل كان على الرمكة فتبعه فرس فرعون ولقائل ان يقول
هذا بعيد لانه يبعد ان يكون خوض الملك في امثال هذه المواضع مقدما على خوض جميع العسكر وايضا فلو كان الامر على ما
قالوا لكان فرعون في ذلك الدخول كالمجبور وذلك مما يزيده خوفا ويحمله على الامساك عن الدخول وايضا
فاي حاجة لجبريل عليه السلام الى الحيلة وقد كان يمكنه ان ياخذه مع فرسه ويرميه في الماء ابتداء بل الاولى ان
يقال انه امر مقدمة العسكر بالدخول فدخلوا وساروا فغلب على ظنه السلامة فلما دخل اغرقهم الله الرابع ان قولهم
عن جبريل انه كان يدسه في الماء والطين خوفا من ان يتوب فبعيد لان المنع من الايمان لا يليق بالملائكة والانبياء
الخامس روي ان موسى عليه السلام كلم البحر فقال انفرق لي لاعبر فقال البحر لا امر على رجل عاص وهذا غير ممتنع على اصول
اهل السنة لان عندهم البنية ليست شرطا للحياة وعند المعتزلة ان ذلك على سبيل الحال لا على سبيل لسان المقال
قوله تعالى يا بني اسرائيل قد انجيناكم من عدوكم الاية قرا الاخوان قد انجيتكم وواعدتكم ورزقتكم بتاء المتكلم
والباقون انجيناكم وواعدناكم ورزقناكم بنون العظمة واتفقوا على ونزلنا وتقدم خلاف ابي عمرو في وعدنا
في البقرة وقرا حميد نجيناكم بالتشديد وقرا الاعمش الايمن بالجر قال الزمخشري خفض على الجوار كقولهم جحر ضب خرب وجعله
ابو حيان شاذا ضعيفا وخرجه على انه نعت للطور قال ووصف بذلك لما فيه من اليمن او لكونه على يمين مستقبل الجبل

وجلب مفعولان على حذف مضاف اي اتيان جانب ولا يجوز ان يكون المفعول الثاني ظرفا وجانب ظرف في الوعد
والتقدير وواعدناكم التوراة في هذا المكان لانه ظرف مكان مخصوص لا يصل اليه الفعل بنفسه ولو قيل انه توسع في هذا
الظرف فجعل مفعولا به اي جعل نفس المخصوص وهو الموعود نحو سير اليه فرسخان ويومان **قوله تعالى** فيحل قرا
العامة فيحل بكسر الحاء واللام من يحلل والكسائي في احرف بضمهما وابن عيينة وافق العامة في الحاء والكسائي في اللام
فالعامة من حل عليه كذا اي وجب من حل الدين يحل اي وجب قضاؤه ومنه قوله تعالى حتى يبلغ الهدي محله ومنه ايضا
ويحل عليه عذاب مقيم وقراءة الكسائي من حل يحل اي نزل ومنه او تحل قريبا من دارهم والمشهور ان فاعل يحل في القراءتين هو غضبي
وقال صاحب اللوامح انه مفعول به وان الفاعل ترك لشهرته والتقدير فيحل عليكم طغيانكم غضبي ودل على ذلك ولا تطغوا فيه
ولا يجوز ان يسند الى غضبي فيصير في موضع رفع بفعله ثم قال ويحذف المفعول لدليل عليه وهو العذاب ونحوه
فصل قال شهاب الدين فقدره ان حل متعديا بنفسه لانه من الاحلال كما صرح هو به واذا كان من الاحلال
تعدى لواحد وذلك المتعدي اليه اما غضبي لان الضمير عايد على الطغيان كما قدره واما محذوف والفاعل على غضبي وفي
عبارته قلق وقرا طلحة لا يحلن عليكم بلا الناهية وكسر الحاء وفتح اللام من يحلن وتشديد النون المؤكدة اي لا تتعرضوا
للطغيان فيحل عليكم غضبي وهو من باب لا اريتك هاهنا وقرا زيد بن علي ولا تطغوا بضم الغين من طغا يطغو كغزا
يغزو وقوله فيحل يجوز ان يكون مجزوما عطفا على لا تطغوا كذا قال ابو البقا وفيه نظر اذ المعنى ليس على نهي الغضب
ان يحل بهم والثاني انه منصوب بان في جواب النهي وهو واضح **فصل** اعلم ان الله تعالى لما انعم على قوم
موسى عليه السلام بانواع النعم ذكرهم ولا شك ان ازالة الضرر يجب تقديمه على ايصال المنفعة وايصال المنفعة الدينية
اعظم من ايصال المنفعة الدنيوية فلهذا بدا تعالى بازالة الضرر بقوله انجيناكم من عدوكم فان فرعون كان ينزل بهم
انواع الظلم والاذلال والاعمال الشاقة ثم ذكر المنفعة الدينية وهي قوله وواعدناكم جانب الطور الايمن وذلك
انه انزل عليهم في ذلك القرب كتابا فيه بيان دينهم وشرح نعمتهم او لانه حصل لهم شرف بسبب ذلك قال بعض المفسرين
وليس للجبل يمين ولا يسار بل المراد ان طور سينا من يمين السالك من مصر الى الشام ثم ثلث بذكر المنفعة الدنيوية
فقال وانزلنا عليكم المن والسلوى كلوا من طيبات ما رزقناكم امر اباحة ثم زجرهم عن العصيان فقال ولا تطغوا فيه
قال ابن عباس لا يظلم بعضكم بعضا فياخذه من صاحبه وقال مقاتل والضحاك لا تظلموا فيه انفسكم بان تجاوزوا حد
الاباحة وقال الكلبي لا تكفروا النعمة اي لا تستعينوا بنعمتي على مخالفتي ولا تعرضوا عن الشكر ولا تعدلوا عن الحلال
الى الحرام والمراد بالطيبات هنا اللذائذ لان المن والسلوى من اللذائذ لا الاطعمة وقال الكلبي ومقاتل الطيبات الحلال
وذلك لان الله انزله اليهم ولم يمسه يد الادميين روي انهم كانوا يصبحون فيجدون بين بيوتهم فياخذون
قدر حاجتهم في ذلك اليوم الى الغد ومن ادخر منه اكثر من ذلك فسد ومن اخذ منه قليلا كفاه او كثيرا لم يفضل
عنه فيصنعون منه مثل الخبز وهي في غاية البياض والحلاوة فاذا كان اخر النهار غشيهم طير السلوى فيقصدونه
بلا كلفة ما يكفيهم لعشائهم فاذا كان الصيف ظلل عليهم الغمام يقيهم حر الشمس ثم قال فيحل عليكم غضبي اي يجب عليكم
ومن يحلل عليه غضبي فقد هوى اي هلك وقيل شقي وقيل وقع في الهاوية هوى يهوي هويا اذا سقط من علو الى سفل
ثم قال واني لغفار لمن تاب وامن وعمل صالحا واعلم انه تعالى وصف نفسه بكونه غافرا وغفورا وغفارا وبان له غفرانا
ومغفرة وعبر عنه بلفظ الماضي والمستقبل والامر اما وصفه كونه غافرا وغفورا فقوله تعالى غافر الذنب واما كونه
غفورا فقوله وربك الغفور واما الغفران فقوله غفرانك ربنا واليك المصير واما المغفرة فقوله وربك الغفور ذو
وقوله وان ربك لذو مغفرة للناس واما صيغة الماضي فقوله في حق داود فغفرنا له واما صيغة المستقبل فقوله ويغفر
ما دون ذلك لمن يشاء وقوله تعالى ان الله يغفر الذنوب جميعا وقوله تعالى ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك واما
الاستغفار قوله تعالى استغفروا ربكم ويستغفرون للذين امنوا وهاهنا نكتة وهي ان العبد له اسماء ثلاثة
الظالم والظلوم والظلام اذا كثر منه الظلم ولله في مقابلة كل اسم من هذه الاسماء اسما فكانه تعالى قال ان كنت
ظالما فانا غافر وان كنت ظلوما فانا غفور وان كنت ظلاما فانا غفار **فصل** قال ابن عباس
من تاب عن الشرك وامن وحد الله وصدقه وعمل صالحا ادى الفرائض ثم اهتدى علم ان ذلك بتوفيق من الله عز وجل
وقال قتادة وسفيان الثوري لزم الاسلام حتى مات عليه وقال الشعبي ومقاتل والكلبي علم ان لذلك ثوابا وقال
زيد بن اسلم تعلم العلم ليهتدي كيف يعمل وقال سعيد بن جبير اقام على السنة والجماعة **فصل** قال بعضهم
يجب التوبة عن الكفر اولا ثم الاتيان بالايمان ثانيا لهذه الاية لانه قدم التوبة على الايمان ودلت هذه الاية على ان العمل
الصالح غير داخل في الايمان لانه تعالى عطف العمل الصالح على الايمان والمعطوف مغاير المعطوف عليه **قوله تعالى**

وما اعجلك

وما اعجلك عن قومك يا موسى ما اعجلك مبتدا وخبر وما استفهامية عن سبب التقدم على قومه قال الزمخشري
فان قلت ما اعجلك سؤال عن سبب العجلة فكان الذي ينطبق عليه الجواب ان يقال طلب زيادة رضاك والشوق
الى كلامك وتنجز موعدك وقوله هم اولاء على اثري كما ترى غير منطبق عليه قلت تضمن ما واجهه به رب العزة
شيئين احدهما انكار العجلة في نفسها والثاني السؤال عن سبب التقدم والحامل عليه فكان اهم الامرين الى موسى
بسط العذر وتمهيد العلة في نفس ما انكر عليه فاعتل بانه لا يوجد مني الا تقدم يسير مثله لا يعتد به
في العادة ولا يحتفل به وليس بيني وبين من سبقته الا مسافة قريبة يتقدم مثلها الوفد راسهم ومقدمتهم
ثم عقبه بجواب السؤال عن السبب فقال وعجلت اليك رب لترضى واجاب غيره عن هذا السؤال بانه عليه السلام
ورد عليه من هيبة الله ما اذهله عن الجواب المنطبق المرتب على حدود الكلام فان قيل في الاية سؤالات الاول
قوله وما اعجلك استفهام وهو على الله محال فالجواب انه كان في صيغة الاستفهام والامتناع به الثاني ان موسى
عليه السلام اما ان يقال انه كان ممنوعا عن ذلك التقدم او لم يكن ممنوعا عنه فان كان ممنوعا كان ذلك التقدم
معصية فيلزم وقوع المعصية من الانبيا وان لم يكن ممنوعا كان ذلك الانكار غير جائز والجواب لعله عليه السلام
ما وجد نصا في ذلك الا انه باجتهاده تقدم فاخطا في ذلك الاجتهاد فاستوجب العقاب الثالث قوله وعجلت
والعجلة مذمومة والجواب انها ممدوحة في الدين قال تعالى وسارعوا الى مغفرة من ربكم الرابع قوله لترضى
يدل على انه عليه السلام انما فعل ذلك ليحصل الرضا لله تعالى وذلك باطل من وجهين احدهما يلزم تجدد صفة
الله والاخر انه تعالى قبل حصول ذلك الرضا يجب ان يقال انه ما كان راضيا عن موسى لانه تحصيل الحاصل وما لم يكن راضيا
عنه يوجب ان يكون ساخطا عليه وذلك لا يليق بحال الانبيا الخامس والجواب المراد تحصيل دوام الرضا
كقوله تعالى ثم اهتدى المراد دوام الاهتدا الخامس قوله وعجلت اليك رب لترضى يدل على انه ذهب الى الميعاد قبل
الوقت الذي عينه الله له والا لم يكن ذلك دليلا لانه على مخالفة امر الله سبب لتحصيل رضاه وذلك لا يليق بادنى الناس
فضلا عن كليم الله والجواب ان ذلك كان باجتهاد واخطا فيه السادس قوله اليك يقتضي كون الله في الجهة لان الى لانتها
الغاية والجواب اتفقنا على ان الله تعالى لم يكن في الجبل فالمراد الى مكان وعدك **فصل** دلت الاية
على انه تعالى امره بحضور الميقات مع قوم مخصوصين فقال المفسرون هم السبعون واختارهم الله من بني اسرائيل
يذهبوا معه الى الطور لياخذوا التوراة فسار بهم موسى ثم عجل من بينهم شوقا الى ربه وخلف السبعين وامرهم ان يتبعوه
الى الجبل فقال الله له وما اعجلك عن قومك يا موسى قال مجيبا لربه هم اولاء على اثري اي بالقرب مني ياتون من بعدي
وعجلت اليك رب لترضى اي تزداد رضى **قوله تعالى** هم اولاء على اثري كقوله ثم انتم هؤلاء تقتلون وعلى
اثري يجوز ان يكون خبرا ثانيا وان يكون حالا وقرا الجمهور اولاء بهمزة مكسورة والحسن ومعاذ بياء مكسورة
ابدال الهمزة يا مخففا وابن وثاب اولا بالقصر دون همزة وقرات طائفة اولاي بياء مفتوحة وهي قريبة
من الغلط والجمهور على اثري بفتح الهمزة والثا وابو عمرو في رواية عبد الوارث وزيد بن علي اثري بكسر الهمزة وسكون
الثا وعيسى بضمها وسكون الثا وحكاها الكسائي **قوله تعالى** فانا قد فتنا قومك من بعدك اي ابتليناهم
الذين خلفتهم مع هرون وكانوا ستمائة الف فافتتنوا بالعجل غير اثني عشر الفا من بعد انطلاقك الى الجبل
قالت المعتزلة لا يجوز ان يكون المراد ان الله تعالى خلق فيهم الكفر بوجهين احدهما الدلائل العقلية
انه لا يجوز من الله تعالى انه يفعل ذلك والثاني انه قال واضلهم السامري وايضا فان موسى لما طالبهم بذكر
سبب الفتنة قال افطال عليكم العهد ام اردتم ان يحل عليكم غضب من ربكم اعني فلو حصل ذلك بتخليق الله لكان
لهم ان يقولوا السبب فيه ان الله خلقه فينا لا ما ذكرت فكان يبطل كلام موسى فقوله تعالى ام اردتم ان يحل عليكم
غضب من ربكم فلو حصل ذلك بخلقه لاستحال ان يغضب عليهم فيما هو خلقه ولما بطل ذلك وجب ان يكون لقوله
فتنا امر اخر وذلك لان الفتنة قد تكون بمعنى الامتحان يقال فتنت الذهب بالنار اذا امتحنته بالنار
فتميز الجيد من الردي فهنا شدد الله التكليف عليهم لان السامري لما اخرج لهم العجل صاروا مكلفين بان يستدلوا
بحدوث جملة العالم والاجسام على ان الله ليس بجسم وحينئذ يعرفوا ان العجل لا يصلح للالهية فكان هذا
التعبد تشديدا في التكليف والتشديد في التكليف موجود قال تعالى احسب الناس ان يتركوا ان يقولوا امنا
وهم لا يفتنون والجواب ليس في ظهور صوت عجل متخذ من ذهب شبهة اعظم مما في الشمس والقمر والدليل الذي
ينفي كون الشمس والقمر الها اولى بان ينفي كون العجل الها فحينئذ لا يكون حدوث العجل تشديدا في التشبيه والتكليف
ولا يصح حمل الاية عليه فوجب حمله على خلق الضلال فيهم فان قيل اضاف الاضلال الى السامري فالجواب

البين ان جمع المسببات العادية تضاف الى اسباب من الظاهر وان كان الموجب هو الله تعالى فكذا هاهنا وايضا
قرا فاضلهم السامري اي واشدهم ضلالا لهم السامري على هذا لا يبقى للمعتزلة استدلال ثم ان الذي يجسم مادة الشغب
مسالة الداعي **قوله تعالى** واضلهم السامري العامة على انه فعل ماض مسند الى السامري وقرا ابو معاذ في حرف
واضلهم مرفوعا بالابتدا وهو فعل ماض مسند الى السامري لانهم ضلوا بسببه **فصل** قال ابن عباس
في رواية سعيد بن جبير كان السامري علجا من كرمان وقع الى مصر وكان من قوم يعبدون البقر والاكثرون على انه
كان من عظماء بني اسرائيل من قبيلة يقال لها السامرة وقال الزجاج قال عطا عن ابن عباس كان رجلا من القبط جار لموسى
وكان قد امن به روي انه كان بعد مفارقة موسى عشرين ليلة وحسبوها اربعين مع ايامها ثم قالوا اكملنا العدة وقد
كان امر العجل بعد ذلك فان قيل كيف التوفيق بين هذا وبين قوله لموسى عند مقدمه انا قد فتنا قومك من بعدك
فالجواب عن ذلك من وجهين احدهما انه تعالى اخبر عن الفتنة المترقبة بلفظ الموجودة الكائنة على عادته
كقوله تعالى اقتربت الساعة ونادى اصحاب الجنة الى غير ذلك الثاني ان السامري شرع في تدبير الامر لما غاب موسى عليه
السلام ثم رجع موسى الى قومه بعد ما استوفى الاربعين ذا القعدة وعشر ذي الحجة **قوله تعالى** غضبان اسفا الآ
وقد تقدم في سورة قيل الاسف شدة الغضب فلا يلزم التكرار لان غضبان يفيد اصل الغضب واسفا يفيد كماله وقال
بعض المفسرين حزينا وجزعا يقال اسف ياسف اسفا فهو اسف اذا حزن وقيل الاسف المغتاظ وفرق بين الاغتياظ والغضب
لان الله تعالى لا يوصف بالغيظ ويوصف بالغضب من حيث ان الغضب ارادة الاضرار بالمغضوب عليه والغيظ تغير
يلحق المغتاظ وذلك لا يصح الا على الاجسام كالضحك والبكا ثم ان موسى عليه السلام عاتبهم بعد رجوعهم فقال يا قوم
الم يعدكم ربكم وعدا حسنا صدقا قيل المراد بالوعد الحسن انزال التوراة وقيل الثواب على الطاعات قال مجاهد
العهد وهو قوله ولا تطغوا فيه الى قوله ثم اهتدى وقوله تعالى افطال عليكم العهد ام اردتم ان يحل عليكم غضب من ربكم
وكانه قال انسيتم ذلك الذي قال الله لكم ولا تطغوا وقيل الحسن المراد به هاهنا يحتمل ان يكون وعدا حسنا
في منافع الدين وان يكون في منافع الدنيا اما منافع الدين فهو الوعد بانزال الكتاب الهادي الى الشرايع والوعد
بحصول الثواب العظيم في الاخرة واما منافع الدنيا فان الله تعالى قد وعدهم قبل اهلاك فرعون ان يورثهم ارضهم
فان قيل قوله تعالى الم يعدكم ربكم هذا الكلام انما يتوجه عليهم لو كانوا معترفين بالاله ثم عبدوا العجل اما اعتقدوا
انه الاله سواه على ما اخبر الله عنهم انهم قالوا هذا الهكم واله موسى كيف يتوجه عليهم هذا الكلام فالجواب
انهم كانوا معترفين بالاله لكنهم عبدوا العجل على التاويل الذي يذكره عباد الاصنام **قوله تعالى** وعدا حسنا
يجوز ان يكون مصدرا موكدا والمفعول الثاني ليعد ويجوز ان يكون الوعد بمعنى الموعود فيكون هو المفعول الثاني
قوله تعالى افطال عليكم العهد اي انسيتم ذلك العهد وقيل افطال عليكم مدة مفارقتي اياكم وطول العهد
يحتمل امورا الاول افطال عليكم العهد بنعم الله من انجائكم من فرعون وغير ذلك من النعم المذكورة في اول سورة البقرة
كقوله تعالى فطال عليهم الامد فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون الثاني روي انهم عدوا ان الاجل اربعون ليلة
فجعلوا كل يوم باول ليلة وصيروه الى عشرين قال القاضي ذلك كيف لان ذلك لا يكاد يشتبه على احد الثالث ان موسى
عليه السلام واعدهم ثلاثين ليلة فلما زاده الله فيها ليلة اخرى طال العهد **قوله تعالى** ام اردتم ان يحل عليكم
غضب من ربكم هذا لا يجوز اجراؤه على ظاهره لان ذلك لا يريده احد لكن المعصية لما كانت توجب ذلك ومريد
السبب مريد للمسبب اي اردتم ان تفعلوا اي ان تفعلوا فعلا يوجب عليكم غضبا من ربكم فاخلفتم موعدي وهذا
يدل على موعد كان منه عليه السلام مع القوم فقيل المراد ما وعدوه من اللحاق والمجي على اثره وقيل ما وعدوه
من الاقامة على دينه الى ان يرجع اليهم من الطور وموعدي مصدر يجوز ان يكون مضافا الى الفاعل بمعنى اوجدتموني
اخلفتكم ما وعدتكم وان يكون مضافا الى المفعول بمعنى انهم وعدوه ان يتمسكوا بدينه وسنته **قوله تعالى**
بملكنا قرا الاخوان بضم الميم ونافع وعاصم بفتحها والباقون بكسرها فقيل لغات بمعنى واحد كالنقض والنقض
والنقض فهي مصادر ومعناها القدرة والتسلط وفرق الفارسي وغيره بينها فقيل المضموم معناه لم يكن
ملك فنخلف موعدك بسلطاننا وانما فعلناه بنظر واجتهاد فالمعنى على ان ليس لهم ملك كقول ذي الرمة

لا تشتكي سقطة منها وقد رقصت * بها المفاوز حتى ظهرها حدب *

اي لا يقع منها سقطة فتشتكوا وفتح الميم مصدر من ملك امره والمعنى ما فعلناه بانا ملكنا الصواب بل غلبتنا
انفسنا وكسر الميم كثر فيما سوى ذلك نعم ما يحوزه اليد ويحوي ولكنه يستعمل في الامور التي يبرمها الانسان
ومعناها كالمعنى التي قبلها والمصدر في هذين الوجهين مضاف الى الفاعل والمفعول محذوف اي ملكنا الصواب

قوله تعالى

قوله تعالى حملنا قرا نافع وابن كثير وابن عامر وحفص بضم الحاء وكسر الميم مشددة وابو جعفر كذلك الا انه خفف
الميم والباقون بفتحهما خفيفة الميم فالقراءة الاولى والثانية نسبوا فيهما الفعل الى غيرهم وفي الثالث
نسبوه الى انفسهم واوزارا مفعول ثان على غير القراءة الثالثة ومن زينة يجوز ان تكون متعلقا بحملنا وان تكون
متعلقا بمحذوف على انه صفة لاوزارا وقوله تعالى فكذلك نعت لمصدر محذوف او حال من ضمير عند سيبويه اي
القا مثل القائنا **فصل** اختلفوا في القائل ما اخلفنا موعدك بملكنا على وجهين فقيل القائل
هم الذين لم يعبدوا العجل كانهم قالوا ما اخلفنا موعدك بامر كنا نملكه وقد يضيف الرجل فعل قرينه الى نفسه كقوله
تعالى واذ فرقنا بكم البحر واذ قتلتم نفسا وان كان القائل بعد ذلك اباهم فكانهم قالوا الشبهة قويت على عبدة
العجل فلم نقدر على منعهم منه ولم نقدر ايضا على مفارقتهم لانا خفنا ان يصير ذلك سببا لوقوع الفرقة وزيادة
الفتنة وقيل هذا قول عبدة العجل والمعنى انه غرنا واوقع الشبهة فانه كان كالمالك لنا فان قيل كيف يجوز قرب
من ستمائة الف انسان من العقلاء المكلفين عن الدين الحق دفعة واحدة الى عبادة عجل يعلم فسادها بالضرورة ثم ان
مثل هذا الجمع لما فارقوا الدين واظهروا الكفر فكيف يمكن رجوعهم دفعة واحدة عن هذا الدين بسبب رجوع موسى
عليه السلام اليهم باستعارة الحلي والخروج بها فكانه لزمهم ذلك والمراد بالاوزار حلي قوم فرعون وقيل جعلنا
كالضامنين لها الى ان نؤديها الى صاحبها بامر الله وقيل ان الله تعالى احملهم ذلك اي الزمهم حكم الغنم فقيل اخذوها
على وجه العارية ولم يردوها حين خرجوا من مصر استعاروها لعيد لهم وقيل ان الله لما اغرق فرعون نبذ البحر حليهم
فاخذوها وكانت غنيمة ولم تكن الغنيمة حلالا لهم في ذلك الزمان فسماها الله اوزارا لذلك لكنه لانه يجب عليهم
حفظها من غير فائدة فكانت اثقالا وقيل سميت اوزارا لكثرتها وثقلها والاوزار الاثقال وقيل المراد بالاوزار
الاثام والمعنى حملنا اثاما **فصل** روي ان هرون عليه السلام قال انها نجس فتطهروا منها
ايمنه وقال السامري انما احتبس موسى عقوبة بالحلي فيجوز ان يكون قد ارادوا هذا القول وقد يقال للانسان
الذي يلزمه رده هذا كله ثم واذيب وقيل ان ذلك الحلي كان للقبط يتزينون به في مجامع لهم يجري فيها الكفر فلذلك
وصف بكونها اوزارا كما يقال مثله في الات المعاصي عرفهم وقولهم فقذفناها اي طرحناها في الحفيرة وذلك ان
هارون قال لهم ان تلك غنيمة لا تحل فاحفروها فاحتفروا حفيرة ثم القوه فيها حتى يرجع موسى فيرى فيها رايه
ففعلوا وقيل قذفوها في موضع امرهم السامري بذلك وقيل في موضع جمع فيه النار ثم قالوا وكذلك القى السامري
ما معه من الحلي فيها **قوله تعالى** فاخرج لهم عجلا جسدا له خوار قال ابن عباس وقد اوقد هارون نارا وقال القوا
ما معكم فيها فالقوا فيها ثم القى السامري ما كان معه من تربة حافر فرس جبريل عليه السلام قال قتادة كان قد صر
قبضة من ذلك التراب في عمامته فاخرج لهم عجلا جسدا له خوار واختلفوا هل كان ذلك الخوار من جسد حي ام لا فقيل
لا لانه لا يجوز اظهار خرق العادة على يد الضلال اعني الضال بان السامري صور صورة على شكل العجل وجعل فيها منافذ
ومخارق بحيث يطير فيها الرياح فيخرج صوت يشبه صوت العجل وقيل انه صار حيا وخار كما يخور العجل لقوله فقبضت
قبضة من اثر الرسول ولو لم يصر حيا لما بقي لهذا الكلام فائدة ولانه سماه عجلا والعجل حقيقة وسماه جسدا
وهو انما يتناول الحي واثبت له خوارا واما ظهور خارق العادة على يد الضال فجائز لانه لا يحصل الالتباس وهاهنا
كذلك لو حيا انه لا ينفع وروى عكرمة عن ابن عباس ان هرون عليه السلام مر بالسامري وهو يصنع العجل فقال ما
تصنع فقال اصنع ما ينفع ولا يضر فادع لي فقال اللهم اعطه ما سال فلما مضى هارون قال السامري اللهم اجعل له
خوارا وفي رواية فالقى التراب في فم العجل وقال كن عجلا يخور فكان كذلك لدعوة هرون وعلى هذا التقدير يكون
ذلك معجز النبي **قوله تعالى** فقالوا هذا الهكم واله موسى وهاهنا اشكال وهو ان القوم ان كانوا في الجاهلية
بحيث اعتقدوا ان ذلك العجل المعمول في تلك الساعة هو الخالق للسموات والارض فهم مجانين وليسوا مكلفين
ولان هذا المحال على مثل ذلك الجمع العظيم وان لم يعتقدوا ذلك فكيف قالوا هذا الهكم واله موسى وجوابه لعلهم
كانوا من الحلولية فجوزوا حلول الاله وحلول صفة من صفاته في ذات الجسم وان كان ذلك ايضا في غاية البعد
لان ظهور الخوار لا يناسب الالوهية ولكن لعل القوم كانوا في غاية البلادة **قوله تعالى** فنسي قرا العامة
بكسر السين وهي لغة فصيحة والضمير في نسي يجوز ان يعود على السامري وعلى هذا قيل انه من كلام الله تعالى
كانه اخبر عن السامري انه نسي الاستدلال على حدوث الاجسام وان الاله لا يحل في شيء ولا يحل فيه شيء ثم انه بين المعنى
الذي يجب الاستدلال به وهو قوله افلا يرون الا يرجع اليهم قولا اي لا يخاطبهم ولم يخطر ببالهم ان من لا يتكلم ولا ينفع
ولا يضر لا يكون الها ولا يكون للاله تعلق بالحالية ويجوز ان يعود على موسى وعلى هذا قيل هو كلام السامري والمعنى

فقالوا هذا الهكم واله موسى فنسي موسى ان هذا هو الاله فذهب يطلبه في موضع آخر وهو قول الاكثرين وقيل فنسي وقت الموعد في الرجوع **قوله تعالى** افلا يرون ان لا يرجع اليهم قولا اي ان العجل لا يكلمهم ولا يجيبهم اذا دعوه ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا وهذا استدلال على عدم الهيته بانه لا يتكلم ولا ينفع ولا يضر وهذا يدل على ان الاله لا بد وان يكون موصوفا بهذه الصفات وهو كقوله تعالى في قصة ابراهيم عليه السلام لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر وان موسى عليه السلام في الاكثر لا يقول الا ما قال ابراهيم **قوله تعالى** ان لا يرجع العامة على رفع يرجع لانها المخففة من الثقيلة ويدل على ذلك وقوع اصلها وهي المشددة في قوله الم يروا انه لا يكلمهم قال الزجاج الاختيار الرفع بمعنى انه لا يرجع كقوله تعالى وحسبوا ان لا تكون فتنة بمعنى انه لا تكون وقرا ابو حيوة والشافعي وابان بنصبها وجعلوها الناصبة والرؤية على الاولى بعينه وعلى الثاني بصرية وقد تقدم تحقيق هذين القولين والسامري من قبيلة يقال لها سامرة **فصل** دلت الاية على وجوب النظر في معرفة الله تعالى وقال في اية اخرى الم يروا انه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا وهو قريب من قوله في ذم عبدة الاصنام فاسالوهم ان كانوا ينطقون اي لو كان يكلمهم لكان الها والشيء يجوز ان يكون مشروطا بشروط كثيرة وفوات واحدة منها يقتضي فوات المشروط وحصول الواحد منها لا يقتضي حصول المشروط قال بعض اليهود لعلي رضي الله عنه ما دفنتم نبيكم حتى اختلفتم فقال اختلفنا عنه وما اختلفنا فيه وانتم ما جفت اقدامكم من ماء البحر حتى قلتم لنبيكم اجعل لنا الها كما لهم الهة **قوله تعالى** ولقد قال لهم هارون من قبل انما قال ذلك شفقة منه على نفسه وعلى الخلق اما شفقته على نفسه فلانه كان مامورا من عند الله بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر والشفقة على المسلمين واجب ثم ولانه كان مامورا عند احيه موسى عليه السلام اي قوله اخلفني في قومي واصلح ولا تتبع سبيل المفسدين فلو لم يشتغل بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر كان مخالفا لامر الله ولامر موسى وان ذلك لا يجوز واما الشفقة على الخلق فلان الانسان يجب ان يكون مشفقا على خلق الله خصوصا على ابناء جنسه واي شفقة اعظم من ان يرى جمعا يتهافتون على النار فنعمهم منها ولما ثبت ان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر والشفقة على المسلمين واجب ثم ان هرون عليه السلام لم يبال بكثرتهم بل صرح بالحق فقال يا قوم انما فتنتم به ثم دعاهم الى معرفة الله ثانيا بقوله وان ربكم الرحمن ثم دعاهم ثالثا بقوله فاتبعوني ثم دعاهم رابعا بقوله واطيعوا امري وهذا هو الترتيب الجيد لانه لا بد قبل كل شيء من اماطة الاذى عن الطريق وهي ازالة الشبهات ثم معرفة الله فانها هي الاصل ثم النبوة ثم الشريعة فثبت ان هذا الترتيب احسن الوجوه وانما قال وان ربكم الرحمن فخص هذا الموضع باسم الرحمن تنبيها على انهم متى تابوا قبل توبتهم لانه هو الرحمن ومن رحمته ان خلصهم من افات فرعون ثم انهم لجهلهم قابلوا هذا الترتيب الحسن بالاستدلال في التقليد فقالوا لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع الينا موسى كانهم قالوا لا نقبل حجتك ولن نقبل قول موسى وهذه عادة المقلد **قوله تعالى** انما فتنتم قرا العامة انما فتنتم وان ربكم الرحمن بالكسر فيهما لانهما بعد القول لا على الظن وقرئت فرقة بفتحهما وخرجت على لغة سليم وهو انهم يفتحون ان بعد القول مطلقا وقرا ابو عمرو في رواية الحسن وعيسى بن عمر بفتح ان ربكم فقط وخرجت على وجهين الاول انها وما بعدها بتاويل مصدر في محل رفع خبر المبتدا المحذوف تقديره والامر ان ربكم الرحمن فهو من عطف الجمل لا من عطف المفردات والثاني انها مجرورة بحرف مقدر اي لان ربكم الرحمن فاتبعوني وقد تقدم القول في نظير ذلك بالنسبة الى هذه الفا **فصل** لما قالوا لهرون لن نبرح عليه عاكفين اي مقيمين على عبادة العجل حتى يرجع الينا موسى اعتزلهم هارون في اثنا عشر الفا الذين لم يعبدوا العجل فلما رجع موسى وسمع الصياح والجلبة وكانوا يرقصون حول العجل قال للذين معه هذا صوت الفتنة فلما راى هارون اخذ شعر راسه بيمينه ولحيته بشماله وقال له ما منعك اذ رايتهم ضلوا الا تتبعن **قوله** اذ منصوب بمنعك اي شيء منعك وقيل اي شيء منعك وقت ضلالهم وقيل فيها وجهان الاول انها مزيدة اي ما منعك من ان تتبعني والثاني دخلت على المعنى اذ المعنى ما حملك على ان تتبعني وما دعاك الى ان لا تتبعني ذكره علي بن عيسى وقد تقدم تحقيق هذين القولين في سورة الاعراف في قوله تعالى يا ابن ام ومعنى تتبعني اي تتبع امري ووصيتي يعني هلا قاتلتهم وقد علمت اني لو كنت فيهم لقاتلتهم على كفرهم وقيل ان لا تتبعني اي ما منعك من اللحوق بي واخبارهم بضلالهم فتكون مفارقتك اياهم زجرا لهم عما اتوه افعصيت امري فان قيل تمسك الطاعنون في عصمة الانبياء بهذه الاية من وجوه الاول ان موسى عليه السلام اما ان يكون قد امر هارون باتباعه او لم يامره فان امره اما ان يكون هرون قد اتبعه او لم يتبعه فان اتبعه كان كلام موسى لهرون معصية وذنبا لان ملامة غير المجرم معصية وان لم يتبعه كان هارون تاركا للواجب وكان فاعلا للمعصية وان قلنا ان موسى ما امره باتباعه كانت ملامته اياه بتركه

الاتباع معصية وعلى جميع التقديرات يلزم اسناد المعصية اما الى موسى او الى هرون الثاني قول موسى افعصيت امري استفهام على سبيل الانكار فوجب ان يكون هرون قد عصاه وان يكون ذلك العصيان منكرا والا كان موسى كاذبا وهي معصية واذا فعل هرون ذلك فقد فعل المعصية الثالث قوله يا ابن ام لا تاخذ بلحيتي ولا براسي وهذا معصية لان هرون عليه السلام قد فعل ما قدر عليه فكان الاخذ براسه ولحيته معصية وان فعل ذلك قبل تعرف الحال كان ذلك معصية الرابع ان هرون قال لا تاخذ بلحيتي ولا براسي فان كان الاخذ بلحيته وبراسه جائزا كان قول هارون لا تاخذ منعا له عما كان له ان يفعل فيكون ذلك القول معصية وان لم يكن ذلك الاخذ جائزا كان موسى عليه السلام فاعلا للمعصية فالجواب عن الكل ان حاصل هذه الوجوه تمسك بظواهر قابلة للتاويل ومعارضته بما يبعد عن التاويل بما يتسارع اليه التاويل غير جائز واذا ثبتت هذه المقدمة ففي الجواب وجوه الاول انا وان اختلفنا في جواز عصمة الانبياء لكن اتفقنا على جواز ترك الاولى عليهم واذا كان كذلك فالفعل الذي يفعله احدهما ويمنع منه الاخر اعني موسى وهرون عليهما السلام لعله كان احدهما اولى والاخر كان ترك الاولى فلذلك فعله احدهما وتركه الاخر فان قيل هذا التاويل غير جائز لان كل واحد منهما كان جازما فيما ياتي به فعلا كان او تركا وفعل المندوب وتركه لا يجزم فيه فالجواب تقييد المطلق بالدليل غير ممتنع فنحمل الجزم في الفعل والترك على ان المراد افعل ذلك او اتركه ان كنت تريد الاصلح وقد يترك ذلك الشرط اذا كان تواطؤهما على رعايته معلوما متقررا والجواب عن الثاني ان موسى عليه السلام اقبل وهو غضبان على قومه فاخذ براس اخيه وجره اليه كما يفعل الانسان بنفسه مثل ذلك عند الغضب فان الغضبان المتفكر قد يعض على شفتيه واصابعه ويفتل لحيته فاجرى موسى اخاه هرون مجرى نفسه لانه كان اخاه وشريكه فصنع به ما يصنع الرجل بنفسه في حال الفكر والغضب واما قوله تعالى لا تاخذ بلحيتي ولا براسي فلا يمتنع ان يكون هرون عليه السلام خاف من ان يتوهم بنو اسرائيل انه منكر عليه وبين انه معاون له ثم شرح القصة فقال اني خشيت ان تقول فرقت بين بني اسرائيل وثانيها ان بني اسرائيل كانوا على نهاية سوء الظن لموسى حتى ان هرون غاب عنهم غيبة فقالوا لموسى انت قتلته فلما وعد الله موسى وكتب له في الالواح من كل شيء ثم رجع فراى من قومه ما راى فاخذ براس اخيه ليدنيه فيتفحص عن كيفية الواقعة فخاف هرون ان يسبق الى قلوبهم ما لا اصل له فقال اشفاقا على موسى لا تاخذ بلحيتي ولا براسي لئلا يظن القوم ما لا يليق بك وثالثها قال الزمخشري كان موسى عليه السلام رجلا حديدا مجبولا على الحدة والشدة والخشونة والتصلب في كل شيء شديد الغضب لله ولدينه فلم يتمالك حين راى قومه يعبدون عجلا من دون الله بعد ما راى الايات العظام ان القى الالواح التوراة لما غلب عليه من الدهشة العظيمة غضبا لله وحمية وعنف باخيه وخليفته على قومه فاقبل عليه اقبال العدو **فصل** قال ابن الخطيب وهذا الجواب ساقط لانه يقال هب انه كان شديد الغضب ولكن مع ذلك الغضب الشديد هل كان يبقى عاقلا مكلفا ام لا فان كان يبقى عاقلا فالاسولة باقية بتمامها اكثر ما في الباب انك ذكرت انه غضب شديدا وذلك من جملة المعاصي وان قلتم انه في ذلك الغضب انه لم يبق عاقلا ولا مكلفا فهذا ما لا يرتضيه مسلم البتة فهذه اجوبة من لم يجوز الصغائر واما من جوزها فسا قط وجواب اخر وذلك ان موسى عليه السلام لما رجع الى بني اسرائيل كان عالما انهم قد فتنوا وان السامري قد اضلهم والدليل عليه قوله تعالى لموسى عليه السلام انا قد فتنا قومك من بعدك واذا كان كذلك فموسى عليه السلام انما جاء وهو عالم بجهالهم فانكاره على هرون لعلمه بجهالهم فانكاره على هرون لعله بجهالهم قبل مجيئه اليهم لا لما اثبتوه في حق الههم وقوله تعالى افعصيت امري يدل على ان تارك المامور به عاص والعاصي مستحق للعقاب لقوله تعالى ومن يعص الله ورسوله يدخله نارا فمجموع الايتين يدل على ان الامر للوجوب **قوله تعالى** يا ابن ام قيل انما خاطبه بذلك ليدفعه عنه ويتركه وقيل انه كان اخاه لامه واعلم انه ليس في القران دلالة على انه فعل ذلك فان النهي عن الشيء لا يدل على كون المنهي فاعلا للمنهي عنه كقوله تعالى ولا تطع الكافرين والمنافقين وانما في القران انه اخذ براس اخيه يجره اليه وهذا القدر لا يدل على الاستخفاف بل قد يفعل لسائر الاغراض على ما بيناه **قوله تعالى** لا تاخذ بلحيتي ولا براسي الجمهور على كسر اللام من اللحية وهي الفصحى وفيها الفتح وبه قرا عيسى بن سليمان الحجازي وهي لغة الحجاز ويجمع على لحى كغرب ونقل فيها الضم كما قالوا اسوة بالكسر وحقها الضم والباء في بلحيتي ليست زائدة اما لان المعنى لئن اي لا يكن منك اخذ واما لان المفعول محذوف اي لا تاخذها ومن زعم زيادتها فهي في ولا تلقوا بايديكم فقد تعسف **فصل** معنى قوله براسي اي بشعر راسي كانوا قد اخذوا براسه وذوائبه اي خشيت لو انكرت عليهم لصاروا احزابا يقتل بعضهم بعضا **قوله تعالى** ان تقول فرقت بين بني اسرائيل ولم ترقب قولي ولم تقبل

وصيتي حين قلت لك اخلفني في قومي واصلح اي ارفق بهم **قوله تعالى** ولم ترقب قولي هذه الجملة
فعلها النصب نسقا على فرقت بين بني اسرائيل اي ان تقول فرقت بينهم وان لم تقل لم ترقب قولي وقرا ابو جعفر
ترقب بضم حرف المضارعة من ارقب فان قيل ان قول موسى عليه السلام ما منعك الا تتبعني فعصيت امري
يدل على انه نهى فكيف يحسن في جوابه ان يقال انما لم امتثل قولك خوفا من ان تقول لم ترقب قولي وهل يجوز مثل هذا
الكلام على العاقل فالجواب لعل موسى عليه السلام انما امره بالذهاب اليه بشرط ان لا يؤدي ذلك الى فساد القوم
فلما قال موسى ما منعك الا تتبعني قال لانك انما امرتني باتباعك اذا لم يحصل الفساد فلو جئتك مع حصول الفساد ما كنت
مراقبا لك **قوله تعالى** قال فما خطبك يا سامري ما خطبك مبتدا وخبر وتقدم الكلام في يوسف ومعناه هنا
امرك وشانك اي ما حملك على ما صنعت وقال ابن عطية معناه تقتضي انتهارا كانه قال ما نحسك وما شومك ورد عليه
ابو حيان بقوله تعالى فما خطبكم ايها المرسلون **قوله تعالى** بصرت بصر بالشيء اي علمه وابصره اي نظر اليه كذا
قال الزجاج وقال غيره بصر بالشيء وابصره بمعنى علمه والعامة على ضم الصاد في الماضي ومضارعه وقرا الاعمش وابو
السمال بصرت بالكسر تبصروا بالفتح وهي لغة ولعمرو بن عبيد بالبناء للمفعول في الفعلين اي اعلمت بما لم يعلموا به
وقرا الاخوان تبصروا خطابا لموسى وقومه او تعظيما له كقوله اذا طلقتم النساء حرمت النساء سواكم والباقون بالغيبة
عن قومه والعامة على فتح القاف من قبضة وهي المرة من قبض **فصل** قال الزمخشري واما القبضة
المرة من القبض فاطلاقها على المقبوض من تسمية المفعول بالمصدر قال شهاب الدين والنحاة يقولون ان المصدر
الواقع كذلك لا يؤنث بالتاء تقول هذه حلة نسج اليمن ولا يقال نسجة اليمن ويعتذرون بهذه الاية ثم يجيبون
بان الممنوع انما هو التاء الدالة على التحديد لا على مجرد التانيث وهذه التاء دالة على التانيث وكذلك التاء في قوله والارض
جميعا قبضته وقرا الحسن قبضته بضم القاف وهي كالغرفة والمضغة في معنى المعروف والمقبوض وروي عنه قبصة
بالصاد المهملة والقبض بالمعجمة بجميع الكف وبالمهملة باطراف الاصابع ولهذا نظائر كالخضم وهو الاكل بجميع الفم والقضم
بمقدمه والقطم قطع بانفصال والقصم بالقاف بانفصال وقد تقدم شيء من ذلك في البقرة وادغم ابن محيصن الضاد المعجمة
في تاء المتكلم مع امعانه الاطباق كما تقدم في بسطت وادغم الاخوان وابو عمرو الدال في التاء من فنبذتها **فصل**
لما اجاب هارون اخاه موسى بالجواب المتقدم اقبل موسى على السامري وقال ما خطبك اي ما حملك على ما فعلت قال بصرت
بما لم يبصروا به اي رايت ما لم يروا وابنوا اسرائيل وعرفت ما لم يعرفوا قال ابن عباس علمت ما لم يعلموا ومنه قولهم رجل بصير
اي عالم وقال ابو عبيدة واراد انه راى جبريل عليه السلام فاخذ من موضع حافر دابته ما راه يوم فلق البحر ومن علي رضي الله
عنه ان جبريل عليه السلام لما نزل ليذهب موسى الى الطور ابصره السامري من بين الناس واختلفوا في كيفية اختصاص
السامري برؤية جبريل ومعرفته من بين الناس فقال ابن عباس في رواية الكلبي انما عرفه لانه راه في صغره وحفظه
من القتل حين امر فرعون بذبح اولاد بني اسرائيل فكانت المراة اذا ولدت طرحت ولدها حيث لا يشعر به ال فرعون فياخذ
الملائكة الولدان ويربونهم حتى يترعرعوا ويختلطوا بالناس فكان السامري ممن اخذه جبريل عليه السلام وجعل كف
نفسه في فيه وارتضع منه العسل واللبن ليربيه فلما قضى على يديه من الفتنة فلم يزل يختلف اليه حتى عرفه قال ابن
جريج فعلى هذا قوله بصرت بما لم يبصروا به يعني رايت ما لم يروه ومن فسر الابصار بالعلم فهو صحيح ويكون المعنى
علمت ان تراب فرس جبريل عليه السلام له خاصية الاحياء وذلك انه كان كلما رفع الفرس يديه او رجليه في مشيه على الطريق
اليبس يخرج تحته النبات في الحال وقال ابو مسلم ليس في القران تصريح بما ذكره المفسرون وها هنا وجه اخر وهو ان
يكون المراد بالرسول موسى عليه السلام وباثره سنته ورسمه الذي امر به فقد يقول الرجل فلان يقفو اثر فلان ويقتص
اثره اذا كان يمتثل رسمه والتقدير ان موسى عليه السلام لما اقبل على السامري باللوم والمسالة عن الامر الذي دعاه الى اضلال
القوم في العجل فقال بصرت بما لم يبصروا اي عرفت بان الذي انتم عليه ليس بحق وقد كنت قبضت قبضة من اثرك ايها الرسول اي شيئا
من دينك فنبذته اي طرحته فعند ذلك اعلم موسى عليه السلام بما له من العذاب في الدنيا والاخرة وانما اورد بلفظ
الاخبار عن غائب كما يقول الرجل لرئيسه وهو مواجه له ما يقول الامير في كذا او بماذا يامر الامير واما دعاؤه
موسى عليه السلام رسولا مع جحده وكفره فعلى مذهب من حكى الله عنه قوله تعالى يا ايها الذي نزل عليه الذكر انك لمجنون
وان لم يؤمنوا بالانزال **فصل** قال ابن الخطيب وهذا القول الذي ذكره ابو مسلم ليس معهودا بذكر الرسول
ولم يجر له فيما تقدم ذكر حتى جعل لام التعريف اشارة اليه فاطلاق لفظ الرسول لارادة جبريل كانه تكليف بعلم الغيب
الثاني انه لا بد من الاضمار وهو قبضة من اثر حافر دابة الرسول والاضمار خلاف الاصل الثالث انه لا بد من التعسف
في بيان ان السامري كيف اختص من بين جميع الناس برؤية جبريل ومعرفته ثم كيف عرف ان تراب حافر دابته يوجب هذا الا

والذي

والذي ذكروه من ان جبريل عليه السلام هو الذي رباه فبعيد لان السامري ان عرف انه جبريل حال كمال عقله عرف
قطعا ان موسى عليه السلام نبي صادق فكيف يحاول الاضلال وان كان ما عرفه حال البلوغ فاي منفعة لكون جبريل
عليه السلام مربيا له حال الطفولية في حصول تلك المعرفة الثالث انه لو جاز اطلاع بعض الكفرة على تراب هذا شانه لكان لقائل
ان يقول موسى اطلع على شيء اخر يشبه ذلك فلاجله اتى بالمعجزات فيرجع حاصله الى سؤال من يطعن في المعجزات ويقول
لم لا يجوز ان يقال انهم انما اتوا بهذه المعجزات لاختصاصهم بمعرفة بعض الادوية التي لها خاصية ان يفيد حصول تلك
المعجزة وحينئذ ينسد باب المعجزات بالكلية ثم قال وكذلك سولت لي نفسي اي زينت والمعنى فعلت ما دعتني اليه
نفسي وسولت ماخوذ من السؤال **قوله تعالى** فاذهب فان لك في الحياة ان تقول لا مساس قرا العامة بكسر
الميم وفتح السين وهو مصدر تفاعل كالقتال من تقاتل فهو يقتضي المشاركة وفي التفسير لا تمسني ولا امسك وان
اسمه اصابته الحمى وقرا الحسن وابو حيوة وابن ابي عبلة بفتح الميم وكسر السين هكذا عبر ابو حيان وتبع فيه ابا البقاء
ومتى اخذنا بظاهر هذه العبارة لزم ان يقرا مسيس بقلب الالف ياء للانكسار ما قبلها ولكن لم يرو ذلك فينبغي ان
يكونوا قد ارادوا بالكسر الامالة ويدل على ذلك ما قاله الزمخشري وقرئ لا مساس بوزن فجار ومثله قولهم في الظباء
ان وردن الماء فلا عباب • وان فقدنه فلا اباب • وهي اعلام للمسة والعبة والابة وهي المرة من الاب
وهي الطلب فهذا تصريح ببقاء الالف منه على حالها ويدل عليه ايضا قول صاحب اللوامح وهو على صورة نزال
ونزال من اسماء الافعال بمعنى انزل وانزل فهذا ايضا تصريح باقرار الالف على حالها ثم قال صاحب اللوامح فهذه
الاسماء التي بهذه الصفة معارف ولا تدخل عليها لا النافية التي تنصب النكرات نحو لا مال لك لكنه فيه نفي الفعل
فتقديره لا يكون منك مساس ومعناه النهي اي لا تمسني وقال ابن عطية هو معدول عن المصدر كفجار ونحوه وشبهه
ابو عبيدة وغيره بنزال ودراك ونحوه والشبه صحيح من حيث هي معدولة وفارقه من حيث ان هذه عدلت عن الامر
ومساس وفجار عدلت عن المصدر ومن هذا قول الشاعر تميم كرهط السامري وقوله الا ان لا يريد السامري مساس فكلام
الزمخشري وابن عطية يعني ان مساس على هذه القراءة معدول عن المصدر كفجار عن الفجرة وكلام صاحب اللوامح يقتضي
انها معدولة من فعل الامر لانها معدولة كما اذا سمي الفعل معدولا كما تقدم توجيه ابن عطية لكلام ابي عبيدة
فصل معنى الكلام انك ما دمت حيا ان تقول لا مساس اي لا اخالط احدا ولا يخالطني احد وامر موسى
بني اسرائيل ان لا يخالطوه ولا يقربوه قال ابن عباس لا مساس لك ولولدك والمساس من المماسة معناه لا يمس بعضنا
بعضا فصار السامري يهيم في الارض مع الوحوش والسباع لا يمس احدا ولا يمسه احد فعاقبه الله تعالى بذلك وكان
اذا لقي احدا يقول لا مساس ان ذلك واذا مس احد منهم من غيرهم احدا حم الجميع في الوقت وقال ابو مسلم يجوز ان
يريد ما لنساء فيكون نفي تعذيب الله اياه انقطاع نسله فلا يكون له من يونسه فيخليه الله من زينة الدنيا في قوله
المال والبنون زينة الحياة الدنيا **قوله تعالى** وان لك موعدا لن تخلفه الموعد بمعنى الوعد وقرا ابن كثير
وابو عمرو تخلفه بكسر اللام على البناء للفاعل اي تجيء اليه ولن تغيب عنه والباقون بفتحها على البناء للمفعول وقرا
ابو نهيك فيما حكاه عنه نخلفه بفتح النون وضم اللام وحكى عنه صاحب اللوامح كذلك الا انه بالياء من تحت وابن مسعود
والحسن بضم نون العظمة وكسر اللام فاما القراءة الاولى فمعناه لن تجده مخلفا كقوله احمدته واجبنته اي وجدته
محمودا وجبانا وقيل المعنى سيصل اليك ولن تستطيع الروغان ولا الحيلة عنه قال الزمخشري وهذا من اخلفت الموعد
اذا وجدته مخلفا قال الاعشى • اثوى وقصر ليلة ليزودا • فمضى واخلف من قتيلة موعدا • ومعنى الثانية
لن يخلف الله موعده الذي وعدك وفتح اللام اختيار ابي عبيدة لانه قال الموعد خفاء لا خلف فيه ولن يخلفك
الله والمعنى ان الله تعالى يكافيك على فعلك ولا تفوته واما قراءة ابي نهيك فهما من خلفه يخلفه اذا جاء
بعده اي الموضع الذي لك لا بد فيه من قولك الذي تقوله وهي قراءة مشكلة قال ابو حاتم لا نعرف لقراءة ابي نهيك
مذهبا واما قراءة ابن مسعود فاسند الفعل فيها الى الله تعالى والمفعول الاول محذوف اي لن يخلفكه **قوله
تعالى** ظلت العامة على فتح الظاء وبعدها لام ساكنة وابن مسعود وقتادة والاعمش بخلاف عنه وابو حيوة
وابن ابي عبلة ويحيى بن يعمر بكسرها وروي عن ابن يعمر فتحها ايضا وابي والاعمش بخلاف عنه وابن في الرواية
ظللت بلامين اولاهما مكسورة فاما قراءة العامة بفتحها ففيها حذف احدى المثلين وابقاء الظاء على حالها
من حركتها وانما حذف تخفيفا وعند سيبويه في الشاذ يعني شذوذ قياس لا شذوذ استعمال وعد معه الفاظا
احسست واحست كقوله احسبه وعد ان يعمت في همت ولا يكون هذا الحذف الا اذا سكنت لام الفعل وذكر
بعض المتاخرين ان هذا الحذف منقاس في كل مضاعف العين واللام سكنت لامه وذلك في لغة سليم قال شهاب الدين

والذي اقول انه متى التقى التضعيف المذكور والكسر نحو ظللت ومسست انقاس الحذف وهل يجري الضم مجري الكسر في ذلك فالظاهر انه يجري بل بطريق الاولى لان الضم انقل من الكسر نحو عضض يا نسوة اي اعضضن ايضا ذكره ابن مالك واما الفتح فالحذف منه ضعيف نحو قرن يا نسوة في المنزل ومنه في احد توجيهي قراءة وقرن في بيوتكن كما سياتي ان شاء الله تعالى واما الكسر فوجهه انه نقل كسرة اللام الى الفا بعد سلبها حركتها ليدل عليها واما الضم فيحتمل ان يكون جاء فيه لغة على فعل يفعل بفتح العين في الماضي وضمها في المضارع ثم نقلت كما تقدم ذلك في الكسر واما ظللت بالاتمام فهذه هي الاصل وهي متفق عليها وعاكفا خبر ظل **قوله تعالى** لنحرقنه جواب قسم محذوف اي والله لنحرقنه والعامة على ضم النون وكسر الراء مشددة من حرقه يحرقه بالتشديد وفيها تاويلان احدهما انها من حرقه بالنار والثاني انها من حرق البعير اذا وقع عض بعضه على بعض والصوت المسموع منه يقال انا الصريف والمعنى لنبردنه بالمبرد بردا نحفه به كما يفعل البعير بانيابه بعضها على بعض وقرا الحسن وقتادة وابو جعفر لنحرقنه بضم النون وسكون الحاء وكسر الراء من احرق رباعيا وقرا ابن حميد وابن عباس وحميد وعيسى وابو جعفر لنحرقنه كذلك الا انه بضم الراء فيجوز ان يكون من احرق وحرق بمعنى كانزل ونزل واما القراءة الاخيرة فبمعنى لنبردنه بالمبرد **قوله تعالى** ثم لننسفنه العامة على فتح النون الاولى وكسر الثانية وكسر السين خفيفة وقرا عيسى بالضم وقرا ابن مقسم بضم النون الاولى وفتح الثانية وكسر السين مشددة والنسف التفريق والتذرية ويقال قلع الشي من اصله يقال نسفه ينسفه بكسر السين وضمها في المضارع وعليه القراتان والتشديد للتكثير **فصل** معنى احراقه على قراءة التشديد قال السدي امر موسى بذبح العجل فذبح وسال منه الدم ثم احرق ونسف رماده وهذا يدل على انه صار لحما ودما لان الذهب لا يمكن احراقه بالنار وفي حرف ابن مسعود لنذبحنه ولنحرقنه وفي قراءة التخفيف اي لنبردنه بالمبرد وهذه القراءة تدل على انه لم ينقلب لحما ودما فان ذلك لا يبرد بالمبرد وقيل المبرد المحرق وقال السدي اخذ موسى العجل فذبحه ثم حرق ثم بردت عظامه بالمبرد ثم ذراه في اليم **فصل** لما فرغ من ابطال ما ذهب اليه السامري عاد الى بيان الدين الحق فقال **قوله تعالى** انما الهكم اي المستحق للعبادة الله الذي لا اله الا هو وسع كل شي علما قال مقاتل يعلم من يعبده وسع كل شي علما العامة على كسر السين خفيفة وعلما على هذه القراءة تمييز منقول من الفاعل اذ الاصل وسع كل شي علمه وقرا مجاهد وقتادة بفتح السين مشددة وفي انتصاب علما حينئذ وجهان الاول انه مفعول به قال الزمخشري ووجهه ان وسع متعد الى مفعول واحد واما علما فانتصابه على التمييز فاعلا في المعنى فلما نقل نقل الى التعدية الى مفعولين فنصبهما معا على المفعولية لان المميز فاعل في المعنى كما تقول في خاف زيد عمرا خوفت زيدا عمرا فترد بالنقل ما كان فاعلا مفعولا وقال ابو البقا اعطى كل شي علما فضمنه معنى اعطى وما قاله الزمخشري اولى الوجه الثاني انه تمييز ايضا كما هو في قراءة التخفيف **فصل** قال ابو البقا وفيه وجه آخر وهو انه يكون بمعنى عظم خلق كل شي كالارض والسماء وهو بمعنى بسط فيكون علما تمييزا وقال ابن عطية وسع خلق الاشياء وعمرها بالاختراع **قوله تعالى** كذلك نقص الكاف اما نعت لمصدر محذوف او حال من ضمير ذلك المصدر المقدر والتقدير نقص قصصا مثل هذا القصص ومن انباء صفة لذلك المحذوف او حال وهو مفعول نقص اي نقص نبأ من انباء **فصل** لما ذكر قصة موسى عليه السلام مع فرعون ثم مع السامري قال كذلك نقص عليك من اخبار الامم واحوالهم تكثيرا لشانك وزيادة في معجزاتك وقد اتيناك من لدنا ذكرا يعني القرآن كقوله تعالى وهذا ذكر مبارك انزلناه وانه لذكر والقرآن ذي الذكر يا ايها الذي نزل عليه الذكر وتسمية القرآن بالذكر فيه وجوه الاول انه كتاب فيه ذكر ما يحتاج اليه الناس من دينهم ودنياهم الثاني انه يذكر انواع آلاء الله ونعمائه وفيه التذكير والموعظة الثالث فيه الذكر لك ولقومك وانه لذكر لك ولقومك كما قال تعالى وانه لذكر لك ولقومك وسمى الله تعالى كل كتاب انزله ذكرا فقال تعالى فاسئلوا اهل الذكر ولما بين نعمته بذلك بين وعيده لمن اعرض عنه فقال من اعرض عنه فانه يحمل يوم القيمة وزرا والوزر هو العقوبة الثقيلة سماها الله تعالى وزرا لثقلها على المعاقب تشبيها بالحمل الثقيل وقيل حملا ثقيلا من الآثام **قوله تعالى** من اعرض يجوز ان تكون من موصولة او شرطية والجملة الشرطية والخبرية المشبهة بها في محل نصب صفة لذكرا **قوله تعالى** خالدين فيه حال من فاعل يحمل فانه حمل كيف الجمع يكون حالا من مفرد فالجواب انه حمل على لفظ فافرد الضمير في قوله اعرض وفانه ويحمل وعلى معناها فجمع في خالدين ولهم والمعنى مقيمين في عذاب الوزر والضمير في فيه يعود للوزر والضمير في ذلك هو العقاب المتسبب عن الوزر وقيل في عقبه عقوبة الذنب فاقيم السبب مقام المسبب وقرا داود بن رفيع يحمل مضعفا مبنيا للمفعول والقايم مقام فاعله

ضميرا من وزرا مفعول ثاني **قوله تعالى** وساء هنا ساء بمعنى بئس وفاعلها مستتر فيها يعود على حملا المنصوب على التمييز لان هذا الباب يفسر الضمير فيه بما بعده والتقدير وساء الحمل حملا وزرهم وساء الفعل ولا يجوز ان يكون الفاعل ضمير الوزر لان شرط الضمير في هذا الباب ان يعود على التمييز فان قيل ما انكرت ان يكون في ساء ضمير الوزر فالجواب انه لا يصح ان يكون في ساء وحكمه حكم بئس ضمير شي بعينه غير مبهم ولا يجوز ان يكون ساء هاهنا بمعنى اهم واحزن فتكون متصرفة كسائر الافعال قال الزمخشري كفاك صادا عنه ان تؤول كلام الله تعالى الى واحزن الوزر لهم يوم القيمة حملا وذلك بعد ان تخرج على جهة هذه اللام وجهة هذا المنصوب تمني واللام في لهم متعلقة بمحذوف على سبيل البيان كهي في هيت لك والمعنى بئس ما حملوا على انفسهم من الاثم كفرا بالقرآن **قوله تعالى** يوم ينفخ في الصور يوم بدل من يوم القيمة او بيان له او منصوب باضمار فعل او خبر مبتدا وهو على الفتح على راي الكوفيين كقراءة هذا يوم لا ينفع وقد تقدم وقرا ابو عمرو ننفخ مبنيا للفاعل بنون العظمة كقوله تعالى ونحشر اسند الفعل الى الامر به تعظيما للمامور وهو الملك اسرافيل والباقون بالياء مضمومة مفتوح الفاء على البناء للمفعول وهو القايم مقام الفاعل على الجار والمجرور بعده والعامة على اسكان الواو في الصور وقرا الحسن وابن عامر في رواية ينفخ جمع صورة كغرف جمع غرفة وقد تقدم القول في الصور في الانعام وقرا ينفخ ونحشر كالجمهور ويحشر بالياء مفتوحة مبنيا للفاعل والفاعل كما تقدم ضمير الباري او ضمير الملك وروي عن الحسن ايضا ويحشر مبنيا للمفعول المجرمين مفعول به وزرقا حال من المجرمين والمراد زرقة العيون وجاءت الحال هاهنا من نتيجة الملازمة لان اصلها على عدم اللزوم ولو قلت في الكلام جاءني زيد ازرق العينين لم يجز الا بتاويل **فصل** قيل الصور قرن ينفخ فيه يدعا به الناس للحشر وقيل انه اسم صورة والنفخ نفخ الروح فيه ويدل عليه قراءة من قرا الصور بفتح الواو والاول اولى لقوله تعالى فاذا نقر في الناقور والله تعالى يعرف الناس امور الآخرة بامثال ما شوهد في الدنيا ومن عادة الناس النفخ في البوق عند الاسفار وفي العساكر والمراد من هذا النفخ هو النفخة الثانية لقوله تعالى بعد ذلك ونحشر المجرمين يومئذ زرقا فالنفخ في الصور كالسبب لحشرهم فهو كقوله تعالى يوم ينفخ في الصور فتاتون افواجا والزرقة هي الخضرة في سواد العين فيحشرون زرق العيون سود الوجوه فان قيل اليس ان الله اخبر انهم يحشرون عميا فكيف يكون اعمى وازرق فالجواب لعله يكون اعمى في حال وازرق في حال وقيل زرقا اي عميا قال الزجاج يخرجون زرقا في اول الامر ويعمون في الحشر وسواد العين اذا ذهب تزرق فان قيل كيف يكون اعمى وقال تعالى ليوم تشخص فيه الابصار وشخوص الابصار من الاعمى محال وايضا قال في حقهم اقرا كتابك والاعمى كيف يقرا فالجواب ان احوالهم قد تختلف وقيل المراد بقوله زرقا اي زرق العيون والعرب تتشام بها وقيل جمع بين الزرقة وسواد الوجه قال ابو مسلم المراد بالزرقة شخوص ابصارهم والازرق شاخص فانه لضعف بصره يكون محدقا بصره نحو الشي وهذه حالة الخايف المتوقع لما يكره وهي كقوله تعالى انما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الابصار وروى ثعلب عن ابن الاعرابي زرقا عطاشا قال لانهم من شدة العطش تتغير سواد اعينهم حتى تزرق لقوله تعالى ونسوق المجرمين الى جهنم وردا وحكى ثعلب عن ابن الاعرابي ايضا زرقا اي طامعين على ما يناله **فصل** قالت المعتزلة لفظ المجرمين يتناول الكفار والعصاة فيدل على عدم العفو عن العصاة وقال ابن عباس يريد بالمجرمين الذين اتخذوا مع الله الها آخر وتقدم هذا البحث **قوله تعالى** يتخافتون يجوز ان يكون مستانفا وان يكون حالا ثانية من المجرمين وان يكون حالا من الضمير المستتر في زرقا فيكون حالا متداخلا اذ هي حال ومعنى يتخافتون اي يتسارون بينهم ويتكلمون يقال خفت وخافت وتخافت وخفت والتخافت السوار نظيره قوله تعالى فلا تسمع الا همسا وانما يتخافتون لانه امتلات صدورهم من الرعب والهول او لانهم بسبب الخوف صاروا في نهاية الضعف فلا يطيقون الجهر وقوله تعالى ان لبثتم الا هو مفعول المسارعة وقوله تعالى الا عشرا يجوز ان يراد الليالي وحذف التا من العدد قياس وان يراد الايام وقيل لما حذف التا فيذكر انه اذا لم يذكر المميز في عدد المذكر جاز ثبت التا وعدمها سمع من كلامهم صمنا من الشهر خمسا وانما الصوم الايام دون الليالي وفي الحديث من صام رمضان واتبعه بست من شوال وحسن الحذف هنا لكونه ارشح الية وفاصلة **فصل** قال الحسن وقتادة والضحاك انا لعدنا اللبث في الدنيا اي مكثتم في الدنيا الا عشر ليال واحتجوا بقوله تعالى قال كم لبثتم في الارض عدد سنين قالوا لبثنا يوما او بعض يوم فان قيل اما ان يقال انهم نسوا قدر لبثهم في الدنيا وما لبثوا ذلك والاول غير جائز اذ لو جاز ذلك لجاز ان يبقى الانسان خمسين سنة في بلد ثم ينساها والثاني غير جائز لانه كذب واهل الآخرة لا يكذبون لاسيما وهذا الكذب لا فايدة فيه فالجواب من وجوه الاول لعلهم اذا حشروا في اول الامر وعاينوا تلك

الاهوال وشدة وقعها ذهلوا عن مقدار عمرهم في الدنيا وما يذكروا الا القليل فقالوا لبثنا ما عشنا تلك الايام
القليلة في الدنيا حتى لا نقع في هذه الاهوال والانسان قد يذهل عنه الهول الشديد وتمام تقريره مذكور
في سورة الانعام في قوله تعالى ثم لم تكن فتنتهم الا ان قالوا والله ربنا ما كنا مشركين الثاني انهم عالمين بمقدار عمرهم
في الدنيا الا انهم لما قابلوا اعمارهم في الدنيا باعمار الاخرة وجدوها في غاية القلة فقال بعضهم ما لبثنا في الدنيا
الا عشرة ايام وقال اعقلهم ما لبثنا الا يوما واحدا اي قدر لبثنا في الدنيا بالقياس الى قدر لبثنا في الاخرة كعشرة
ايام بل كاليوم وانما خص الواحد والعشرة بالذكر لان القليل في امثال هذه المواضع لا يعبر عنه الا بالعشرة والواحد الثالث
لما عاينوا الشدائد تذكروا ايام النعمة والسرور وتاسفوا عليها ووصفوها بالقصر لان ايام السرور قصار
الرابع ان ايام الدنيا قد انقضت وايام الاخرة مستقبلة والذاهب وان طالت مدته قليل بالقياس الى الاتي وان قصرت
مدته فكيف والامر بالعكس وهذه الوجوه رجح الله تعالى قول من بالغ في التقليل فقال تعالى اذ يقول امثلهم طريقة ان لبثتم
الا يوما وقيل المراد منه لبث القبر ويؤيده قوله تعالى ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة كذلك
كانوا يؤفكون وقال الذين اوتوا العلم والايمان الاية اما الثاني لم يجوزه فان الله تعالى لما احياهم في القبر وعذبهم ثم اماتهم
ثم احياهم اعني ثم بعثهم يوم القيمة لم يعرفوا لمقدار لبثهم في القبر كم كان فخاطبوا بعضهم انه في التقدير عشرة
ايام وقال اخرون انه يوم واحد فلما وقعوا في العذاب صبرة اخرى استقلوا زمان الموت الذي هو زمان الخلاص
لما نالهم من هول العذاب وقيل المراد باللبث بين النفختين وهو اربعون سنة لان العذاب يرفع عنهم بين النفختين
استقصروا مدة لبثهم لهول ما عاينوا والاكثرون على ان قولهم ان لبثتم الا عشرا اي عشرة ايام فيكون قول من قال
الا عشية او ضحاها وعلى هذا يكون اليوم اكثر ثم قال تعالى نحن اعلم بما يقولون اي يتسارون ان يقول امثلهم طريقة
اي اوفاهم عقلا واعدلهم قولا ان لبثتم الا يوما قصر ذلك في اعينهم في جنب ما استقبلهم من الاهوال يوم القيامة
قيل نسوا مقدار لبثهم لشدة ما دهاهم **قوله تعالى** ويسألونك عن الجبال الاية لما وصف لهم يوم القيمة
حكى سؤال من لم يؤمن بالحشر قال ابن عباس سأل رجل من ثقيف رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف تكون الجبال يوم القيمة
فانزل الله هذه الاية قال الضحاك نزلت في مشركي مكة قالوا يا محمد كيف تكون الجبال يوم القيمة على سبيل الاستهزاء
فقل ينسفها ربي نسفا وانى بفاء التعقيب لان مقصودهم من هذا السؤال الطعن في الحشر والنشر فلاجرم امر
بالسؤال الحق وتاخر في التعقيب لان تاخير البيان في مثل هذه الامثلة الاصولية غير جايز واما المسائل الفروعية
فجايز فلذلك ذكرها بغير حرف التعقيب والضمير في ينسفها عائد الى الجبال والنسف التذرية وقيل القلع الذي
يقلعها من اصلها ويجعلها هباء منثورا قال الخليل ينسفها يذهبها ويطيرها **قوله تعالى** فيذرها
في هذا الضمير قولان احدهما انه ضمير الارض اضمرت للدلالة عليها كقوله تعالى ما ترك على ظهرها من دابة
والثاني ضمير الجبال وذلك على حذف مضاف اي فيذر مراكزها ومقارها ويجوز ان تكون بمعنى يجعلها
فتكون حالا وتكون بمعنى يترك التفسيرية فيتعدى لاثنين فقاعا بينهما وفي القاع اقوال فقيل هو منقع الماء
فيها فالبيو معناه هنا وقيل هو المنكشف من الارض قاله مكي وقيل هو المكان المستوي ومنه قول ضرار بن الخطاب
• لتكونن بالبطاح قريش • فقعة القاع في اكف الاماء •
وقيل هي الارض التي لا نبات فيها ولا بناء والصفصف الارض الملساء وقيل المستوية فهما قريبان من الترادف
وجمع القاع اقوع واقواع وقيعان **قوله تعالى** لا ترى فيها عوجا ولا امتا يجوز في هذه الجملة ان تكون مستانفة
وان تكون حالا من الجبال ويجوز ان تكون صفة للجبال المنقدمة وهي قاعا على احد التاويلين او صفة للمفعول الثاني
على التاويل الاخر وتقدم الكلام على العوج فقال الزمخشري هنا فان قيل قد فرقوا بين العوج والعوج قالوا
العوج بالكسر في المعاني وبالفتح في الاعيان والارض عين فكيف يصح فيها كسر العين فالجواب اختيار هذا اللفظ
له موقع حسن بديع في وصف الارض بالاستواء والملاسة ونفي الاعوجاج عنها على ابلغ ما يكون وذلك
انك اذا عمدت الى قطعة ارض فسويتها وبالغت في التسوية على عينك وعين البصراء واتفقتم على انه لم يبق فيها
اعوجاج قط ثم استطلعت راي المهندس فيها وامرته ان يعرض استواها على المقاييس لعثر فيها على عوج في
غير موضع لا يدرك ذلك بحاسة البصر ولكن بالقياس الهندسي فنفى الله تعالى ذلك العوج الذي دق ولطف
من الادراك اللهم الا بالقياس الذي يعرفه صاحب التقدير الهندسي وذلك الاعوجاج لما لم يدرك الا
بالقياس دون الاحساس لحق بالمعاني فقيل فيه عوج بالكسر **فصل** معنى لا امت الشوكاني يقال مد حبله
حتى ما فيها امت وقيل الامت التل وهو قريب من الاول وقيل الشقوق في الارض وقيل الاكام وقال الحسن العوج

ما انخفض من الارض والامت ما نشز من الروابي والمقصود من وصف الارض بهذه الاوصاف انها تكون
في ذلك اليوم ملساء خالية من الارتفاع والانخفاض وانواع الانحراف والاعوجاج **قوله تعالى**
يومئذ منصوب بمعمول وقيل بدل من يوم القيمة قاله الزمخشري وفيه نظر للفصل الكبير وايضا فانه يتبعون
منيوم ينطبعا قبله وفيه بيوت المعنى والتقدير يوم اذ نسفت الجبال **قوله تعالى** الداعي اسرافيل والداعي
النفخ في الصور اي يتبعون صوت الداعي الذي يدعوهم الى موقف القيمة وقوله تعالى لا عوج له اي لا يعدل
عنه احد بجماعة بل يحشر الكل وقيل لا عوج لدعائه وهو من المقلوب اي لا عوج لهم عن دعاء الداعي لا
يعرجون عنه يمينا ولا شمالا وقيل انه ملك قائم على صخرة بيت المقدس ينادي ويقول ايتها العظام
النخرة والاوصال المتفرقة واللحوم المتمزقة قومي الى عرض الرحمن **قوله تعالى** وخشعت الاصوات للرحمن
اي سكنت وذلت وخضعت ووصف الاصوات بالخشوع والمراد اهلها **قوله تعالى** فلا تسمع الا همسا الا همسا
مفعول به وهو استثناء مفرغ والهمس الصوت الخفي قيل هو تحرك الشفتين دون نطق **فصل**
قال الزمخشري وهو الذكر الخفي ومنه الحروف المهموسة وقال ابن عباس والحسن وعكرمة الهمس وطئ الاقدام اي لا
تسمع الا خفق الارض باقدامهم ومنه همست الابل فاسمع ذلك الناس وطئ اخفافها على الارض قال الشاعر •
وهن يمشين بنا هميسا • قوله تعالى يومئذ بدل مما تقدم ومنصوب بما بعد لا من يجيز ذلك والتقدير
يوم اذ يتبعون لا تنفع الشفاعة **قوله تعالى** الا من اذن له فيه اوجه الاول انه منصوب على المفعول به
والناصب له ينفع ومن حينئذ واقعة على المشفوع له الثاني انه في محل رفع بدل لا من الشفاعة ولا بد من حذف
مضاف تقديره الا شفاعة من اذن له الثالث انه منصوب على الاستثناء من الشفاعة بتقدير المضاف المحذوف
وهو استثناء متصل وعلى هذا يجوز ان يكون استثناء منقطعا اذا لم يقدر الشفاعة وحينئذ يجوز ان يكون
منصوبا وهي لغة الحجاز او مرفوعا وهي لغة تميم وكل هذه الاوجه واضحة في الموضعين لقوله تعالى وقال الذين
كفروا للذين امنوا اي لاجله ولاجلهم **فصل** المعنى لا تنفع الشفاعة احدا من الناس الا من اذن له
الرحمن اي الا من اذن له الله ان يشفع له ورضي له قولا اي ورضي قوله قال ابن عباس يعني قال لا اله الا الله وهذا
يدل انه لا يشفع لغير المومنين وقالت المعتزلة الفاسق غير مرضي عند الله تعالى فوجب ان لا يشفع الرسول في
حقه وهذه من اقوى الدلائل على قبول الشفاعة في حق الفساق والفاسق قد ارتضى الله من اقواله شهادة
ان لا اله الا الله فوجب ان تكون الشفاعة نافعة له لان الاستثناء من النفي اثبات فان قيل انه تعالى استثنى من
ذلك النفي بشرطين احدهما حصول الاذن والثاني ان يكون رضي له قولا فهب ان الفاسق حصل فيه احد الشرطين
وهو ان الله تعالى قد رضي له قولا فلم قلتم انه اذن فيه فالجواب ان هذا القيد كاف في حصول الاستثناء لقوله تعالى
لا يشفعون الا لمن ارتضى فاكتفى هناك بهذا القيد ودلت هذه الاية على انه لا بد من الاذن فظهر ومجموع الايتين
انه اذا رضي له قولا يحصل الاذن في الشفاعة واذا حصل القيدان حصل الاستثناء وتم المقصود **قوله تعالى**
يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم الضمير في قوله بين ايديهم عائد على الذين يتبعون الداعي ومن قال ان قوله من اذن
له الرحمن المراد به الشافع والمعنى لا تنفع شفاعة الملائكة والانبياء الا من اذن له الرحمن في ان تشفع من الملائكة
قال تعالى يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم يعني ما بين الملائكة كقوله تعالى في اية الكرسي قاله الكلبي ومقاتل وفيه تقريع
لمن يعبد الملائكة ليشفعوا له قال مقاتل يعلم ما كان قبل ان خلق الملائكة وما كان بعد خلقهم ومن قال الضمير
عائد الى الذين يتبعون الداعي قال يعلم الله ما بين ايديهم اي ما قدموا وما خلفهم من امر الدنيا قاله الكلبي وقال
مجاهد ما بين ايديهم من امر الدنيا والاعمال وما خلفهم من امر الاخرة وقال الضحاك يعلم ما مضى وما بقي ومتى تكون
القيامة ولا يحيطون به علما قيل الكناية راجعة الى ما اي هو يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم وقيل الكناية راجعة
الى الله اي ان عباده لا يحيطون به علما **قوله تعالى** وعنت الوجوه يقال عنى يعنو اذا ذل وخضع واعناه غيره
اي اذله ومنه العناة جمع عان وهو الاسير قال الشاعر • فيا رب مكروب كررت وراءه • • • •
وعان فككت الغل عنه ففداني • وقال امية بن ابي الصلت • مليك على عرش السماء مهيمن • • • •
لعزته تعنو الوجوه وتسجد • وفي الحديث انهن عوان والمعنى ان في ذلك اليوم تذل الوجوه اي المكلفين انفسهم
ذكر الوجوه واراد اصحاب الوجوه لان قوله وعنت من صفات المكلفين لا من صفات الوجوه كقوله وجوه يومئذ
ناعمة لسعيها راضية وخص الوجوه بالذكر لان الخضوع بها يتبين وفيها يظهر وتقدم تفسير الحي القيوم
فصل روى ابو امامة الباهلي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اطلبوا اسم الله الاعظم في هذه

السور الثلاث البقرة وآل عمران وطه قال الراوي فوجدنا المشترك في السور الثلاث الله لا اله الا هو
الحي القيوم **فصل** وقد خاب يجوز ان تكون هذه الجملة مستانفة وان تكون حالا ويجوز ان تكون
اعتراضا قال الزمخشري وقد خاب وما بعده اعتراض كقولك خابوا وخسروا وكل من ظلم فهو خائب خاسر
ومراده بالاعتراض هنا انه خص الوجوه بوجوه العصاة حتى تكون الجملة قد دخلت بين العصاة وبين من يعمل من
الصالحات وهذا عنده تقسيم وغلب الوجوه فلهذا كان اعتراضا واما ابن عطية فجعل الوجوه عامة فلذلك
جعل وقد خاب من حمل ظلما مقابلا لقوله ومن يعمل من الصالحات الى اخره **فصل** قال ابن عباس خاب
خسر من اشرك بالله والظلم الشرك قال الله تعالى ان الشرك لظلم عظيم والمراد بالخيبة الحرمان اي حرم الثواب
من حمل ظلما اي ظلم ولم يتب ثم قال تعالى ومن يعمل من الصالحات والمراد بها الفرائض وكان عمله مقرونا بالايمان
نظيره ومن ياته مؤمنا قد عمل الصالحات **فصل** وهو مؤمن جملة حالية **قوله تعالى** فلا يخاف
قرا ابن كثير على النهي والمعنى فهو امر والنهي عن الخوف امر بالامن والباقون برفعه على النفي والاستئناف اي فهو لا يخاف
قوله تعالى هضما هو النقص تقول العرب هضمت لزيد من حقي اي نقصت ومنه هضيم الكشحين اي ضامرهما
ومن ذلك ايضا قوله تعالى طلعها هضيم اي دقيق متراكب كان بعضه يظلم بعضا فينقصه حقه ورجل هضيم
ومهتضم اي مظلوم وهضمته واهتضمته وتهضمته كله بمعنى قال المتوكل الليثي فان قيل ان الاذلة واللئام
والخسو مولاهم المهتضم المظلوم فالجواب الظلم والهضم متقاربان وفرق القاضي الماوردي بينهما فقال الظلم
منع جميع الحق والهضم منع بعضه والظلم هنا هو ان يعاقب لا على جريمة او يمنع من الثواب على الطاعة والهضم
ان ينقص من ثوابه وقال ابو مسلم الظلم ان ينقص من الثواب والهضم ان لا يوفي حقه **قوله تعالى** وكذلك انزلناه
نسق على كذلك نقص قال الزمخشري ومثل ذلك الانزال وكما انزلنا عليك هؤلاء الآيات انزلنا القران
كله على هذه الوتيرة وقال غيره والمعنى كما قدرنا هذه الامور وجعلناها حقيقة بالمرصاد وللعيان وكذلك
حذرنا هؤلاء امرها وانزلناه قرانا عربيا لتفهمه العرب فيقفوا على اعجازه ونظمه وخروجه من جنس الكلام
البشري وصرفنا فيه من الوعيد اي كررناه وفصلناه **فصل** من الوعيد صفة لمفعول محذوف
اي صرفنا من القران اي في القران وعيدا من الوعيد والمراد به الجنس ويجوز ان تكون من مزيدة على راي الاخفش
في المفعول به والتقدير وصرفنا فيه الوعيد لعلهم يتقون اي يجتنبون الشرك او يحدث لهم ذكرا او يحدث
لهم القران عبرة وعظة وقرا الحسن او يحدث كالجماعة الا انه سكن لام الفعل وعبد الله والحسن ايضا في رواية مجاهد
وابو حيوة نحدث بالنون وتسكين اللام ايضا وخرج على الوصل مجرى الوقف وعلى تسكين الفعل استثقالا للحركة
كقول امرئ القيس فاليوم اشرب غير مستحقب وقول جرير او نهر تيري فلا يعرفكم العرب وقد فعله ابو عمرو
في الراء نحو ينصركم وقرا نحدث بالنون للخطاب او يحدث انت وفيه سؤال لان الاول كيف يكون محدثا
للذكر والجواب لما حصل الذكر عند قراءته اضيف اليه الثاني لم اضيف الذكر الى القران وما اضيفت التقوى اليه
والجواب ان التقوى عبارة على ان لا يفعل القبيح وذلك استمرار على العدم الاصلي فلم يجز اسناده الى القران
واما حدوث الذكر فامر حدث بعد ان لم يكن فجاز اسناده الى اضافته الى القران الثالث كلمة او للمنافاة بين التقوى
وحدوث الذكر ولا يصح لا يبقى الا مع الذكر فما معناه والجواب هذا كقوله جالس الحسن او ابن سيرين اي لا تكون
خاليا منهما فكذلك ها هنا وقيل معنى الكلام انا انزلنا القران ليتقوا فان لم يحصل ذلك فلا اقل من ان يحدث
لهم القران ذكرا وشرفا وصيتا حسنا وعلى التقديرين يكون انزاله تقوى **فصل** فتعالى الله الملك
الحق لما عظم ذكر القران اردفه بان عظم نفسه وذلك تنبيه على انه يجب على خلقه تعظيمه وانما وصف ملكه بالحق
لان ملكه لا يزول ولا يتغير وليس بمستفاد من قبل الغير ولا غيره اولى به فلذلك وصف بذلك وتعالى من العلو
وقد ثبت ان عظمته وعلوه لا تكيف بالاوهام ولا تقدره العقول ثم قال ولا تعجل بالقران من قبل ان يقضى
اليك وحيه قال ابو مسلم ان من قوله ويسالونك عن الجبال الى هنا تمام الكلام وينقطع ثم قوله تعالى ولا تعجل
بالقران من قبل وقال غيره ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا نزل عليه جبريل بالقران يبادر فيقرا معه
قبل ان يفرغ جبريل من التلاوة مخافة الانفلات والنسيان فنهاه الله عن ذلك وامره ان يسكت حال قراءة
الملك ثم يقرا بعد فراغه من القراءة فكانه تعالى لما شرح نفع القران للمكلفين وبين انه سبحانه وتعالى
متعال عن كل ما لا ينبغي ومن كان كذلك وجب ان يصونوا رسوله عن السهو والنسيان فلا تعجل بالقران فقوله
ولا تعجل بالقران يحتمل ان يكون المراد لا تعجل بقراءته في نفسك لما روي عطاء عن ابن عباس ان يكون اخذ لك

القران على تثبت وسكون ويحتمل لا تعجل في تاديته الى غيرك **فصل** قال مجاهد وقتادة معناه
لا تقرئه اصحابك ولا تمله عليهم حتى يتبين لك معانيه ويحتمل في اعتقاد ظواهره ويحتمل في معرفة الغير ما
يقتضيه ظاهره اي حتى يتبين بالوحي تمامه او بيانه او هما جميعا لانه يجب التوقف في معنى الكلام الى ان يفرغ
لجواز ان يحصل عقيبه استثناء او شرط او غيرهما من المخصصات فان قيل الاستعجال الذي نهي عنه ان كان
فعله بوحي فكيف نهي عنه فالجواب لعله فعله باجتهاد وكان الاولى تركه فلهذا انتهى عنه **قوله تعالى**
من قبل ان يقضى اليك وحيه العامة على بناء يقضى للمفعول ورفع وحيه لقيامه مقام الفاعل والجحدري وابو حيوة
والحسن وهي قراءة عبد الله نقضي بنون العظمة مبنيا للفاعل وحيه مفعول به وقرا الاعمش كذلك الا انه
سكن لام التعليل او الفعل استثقل الحركة وان كانت حقيقة على حرف العلة وقد تقدم من ذلك شواهد عند
قراءة من اوسط ما تطعمون اهاليكم **قوله تعالى** وقل رب زدني علما اي بالقران ومعانيه وقيل علما الى ما
علمت وكان ابن مسعود اذا قرا هذه الاية يقول اللهم زدني ايمانا ويقينا **قوله تعالى** ولقد عهدنا الى آدم
من قبل فنسي الاية في تعلق هذه الاية بما قبلها وجوه الاول انه تعالى لما قال كذلك نقص عليك لما قال وصرفنا
فيه من الوعيد لعلهم يتقون او يحدث لهم ذكرا اتبعه بقصة القوم او بقصة آدم عليه السلام كانه قال ان طاعة بني آدم
للشياطين وتركهم التحفظ من الوساوس امر قديم فانا عهدنا الى آدم من قبل اي من قبل هؤلاء الذين صرفنا لهم الوعيد
وبالغنا في تنبيهه فقلنا له ان هذا عدو لك ولزوجك ثم انه مع ذلك نسي وترك ذلك العهد فامر البشر في ترك
التحفظ امر قديم الثاني انه قال لمحمد وقل رب زدني علما ذكر بعده قصة آدم فانه عهد اليه وبالغ في تجديد عن العدو
فدل ذلك على ضعف البشرية عن التحفظ فيحتاج حينئذ الى الاستعانة بربه في ان يوفقه لتحصيل العلم وتجنبه من السهو
والنسيان الرابع انه محمد صلى الله عليه وسلم لما قيل له ذلك ولا تعجل بالقران من قبل ان يقضى اليك وحيه دل على انه
كان في امر الدين بحيث جاز اعني زاد على قدر الواجب فلما وصفه بالافراط وصف آدم بالتفريط في ذلك فانه تساهل ولم
يتحفظ حتى نسي فوصف الاول بالتفريط والاخر بالافراط ليعلم ان البشر لا ينفك عن نوع زلة الخامس انه محمد عليه الصلاة
والسلام لما قيل له ولا تعجل ضاق قلبه وقال في نفسه لولا اني قدمت على ما لا ينبغي والا لما نهيت له فقيل له يا محمد
ان كنت فعلت ما نهيت عنه انما فعلته حرصا منك على العبادة وحفظا على اداء الوحي وان اباك اقدم على ما لا
ينبغي لتساهله وترك التحفظ فكان امرك احسن من امره والمراد بالعهد هنا امر الله اي امرناه واوصينا اليه ان لا ياكل
من الشجرة من قبل هؤلاء الذين صرفنا لهم الوعيد في القران فتركوا الايمان وقال ابن عباس من قبل ان ياكل الشجرة
عهدنا اليه ان لا ياكل منها وقال الحسن من قبل محمد والقران **قوله تعالى** فنسي قرا اليماني بضم النون وتشديد السين
يعني نساه الشيطان وعلى هذه القراءة يحتمل ان يقال اقدم على المعصية من غير تاويل وان يقال اقدم عليها مع التاويل
وعلى القراءة المشهورة يحتمل ان يكون المراد بالنسيان نقيض الذكر وانما عوقب على ترك التحفظ والمبالغة في الضبط
حتى تولد منه النسيان ويحتمل ان يكون المراد بالنسيان الترك وانه ما صمم على ترك اكل الشجرة **قوله تعالى**
ولم نجد له عزما يحتمل ان يكون وجد علمية فيتعدى لاثنين وهما له عزما وان يكون بمعنى الاصابة فيتعدى لواحد
وهو عزما متعلق بالوجدان او بمحذوف على انه حال من عزما اذ هو في الاصل صفة له قدمت عليه والعازم هو المصمم
فقوله ولم نجد له عزما يحتمل ان يكون ولم نجد له عزما على ترك المعصية او على التحفظ والاحتراز عن الغفلة او على
الاحتياط في كيفية الاجتهاد اذا قلنا انه عليه الصلاة والسلام انما اخطا بالاجتهاد وقال الحسن ولم نجد له
صبرا على ما نهي عنه وقال عطية حفظا لما امر به وقال قتيبة لا بامعن وما حيث اطاع عدوه ابليس الذي حسده
وابى ان يسجد له والعزم في اللغة هو توطين النفس على الفعل قال ابو امامة الباهلي لو وزن حلم آدم بوزن اي لو وزن
حلم آدم بحلم جميع ولده لرجح عليه وقد قال الله تعالى ولم نجد له عزما فان قيل انقولون ان آدم كان ناسيا لامر الله
حين اكل من الشجرة فالجواب يجوز ان يكون ناسيا لامره ولم يكن النسيان في ذلك الوقت مرفوعا عن الانسان بل كان
مواخذا به وانما رفع عنا وقيل نسي عقوبة الله وظن انه نهي تنزيه **قوله تعالى** واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم
تقدم الكلام على ذلك مفصلا في سورة البقرة وقوله ابى جملة مستانفة لانها جواب سؤال مقدر اي ما منعه
من السجود فاجيب بانه ابى واستكبر ومفعول الاباء يجوز ان يكون مرادا لانه صرح به في اية اخرى في قوله تعالى الا ان
يكون مع الساجدين وحسن حذفه هنا كون العامل راس فاصلة ويجوز ان لا يراد البتة وان المعنى انه من اهل الاباء
والعصيان من غير نظر الى متعلق الاباء ما هو فقلنا يا آدم ان هذا عدو لك ولزوجك **فصل** سبب
تلك العداوة من وجوه الاول ان ابليس كان حسودا فلما راى آثار نعم الله في حق آدم حسده وصار عدوا له الثاني ان آدم

عليه السلام كان شابا عالما لقوله تعالى وعلم آدم الاسماء كلها وابليس كان شيخا جاهلا لانه اثبت فضيلته
بفضيلة اصله وذلك جهل والشيخ ابدا يكون عدوا للشاب العالم الثالث ان ابليس مخلوق من النار وآدم مخلوق
من الماء والتراب فبين اصليهما عداوة فبقيت تلك العداوة فان قيل لم قال فلا يخرجنكما من الجنة مع ان
المخرج لهما من الجنة هو الله فالجواب لما كان بوسوسته هما اعني بوسوسته هو الذي فعل ما ترتب عليه الخروج
صح ذلك **قوله تعالى** فتشقى منصوب باضمار ان في جواب النهي والنهي في الصورة لابليس والمراد بهما
اي لا يتعاطيا اسباب الخروج فيحصل لهما الشقاوة وهو الكد والتعب الدنيوي خاصة ويجوز ان يكون
مرفوعا على الاستيناف اي فانت تشقى كذا قدره ابو حيان وهذا بعيد او ممتنع اذ ليس الاخبار بانه يشقى بعد
ان وقع الخروج لهما من ابليس حصل ما ذكر واسند الشقا اليه دونها لان الامور معذوق برؤوس الرجال
الرجال وحسن ذلك كونه راس فاصلة ولان المراد بالشقا التعب في طلب القوت وذلك على الرجل دون المراة
قوله تعالى ان لك الا تجوع حيران وان لا تجوع في محل نصب اسما لها فتعرى منصوب تقديرا على تجوع
نسقا لها قال الشاعر • فان تعوزني انكحي الجواري • فتعبوا العين عن كرم عجاف •
قوله تعالى وانك لا تظما قرا نافع وابو بكر وانك بكسر الهمزة والباقون بفتحها في كسر فيجوز ان يكون ذلك
استينافا وان يكون نسقا على ان الاولى ومن فتح كلامه عطف مصدر امو ولا على اسم ان الاولى والخبر لك المقدر
والتقدير ان لك عدم الجوع وعدم العري وعدم الظما والضحى وجاز ان يكون ان بالفتح اسما لان بالكسر للفصل
ولولا ذلك لم يجز لو قلت ان ان زيدا قايم حق لم يجز فلما فصل بينهما جاز وتقول ان عندي ان زيدا قايم فعندي
هو الخبر قدم على الاسم وهو ان وما في تاويلها لكونه ظرفا والاية من هذا القبيل اذ التقدير فان لك انك لا تظما
وقال الزمخشري فان قلت ان لا تدخل على ان فلا يقال ان ان زيدا منطلق والواو نايبة عن ان وقايمة مقامها فلم دخلت
عليها قلت الواو لم توضع لتكون ابدا نايبة عن ان انما هي نايبة عن كل عامل فلما لم تكن حرفا موضوعا للتحقيق
خاصة كان لم يمتنع اجتماعهما كما اجتمع ان وان تضحى اي برز للشمس قال عمر بن ابي ربيعة قولـــه •
• رات رجلا اما اذا الشمس عارضت • فتضحى واما بالعشي فيخصر •
وذكر الزمخشري هنا معنى حسنا في كونه تعالى ذكر هذه الاشياء بلفظ النفي دون ان يذكر اضدادها بلفظ الاثبات
فيقول ان لك الشبع والكسوة والري والاكتنان في الظل فقال وذكرها بلفظ النفي لنقايضها التي هي الجوع
والعري والظما والضحى ليطرق سمعه باشياء من انواع الشقوة التي حذره منها حتى يتحامى السبب الموقع فيها كراهة لها
قوله تعالى فوسوس اليه اي انهى اليه الوسوسة واما وسوس له فمعناه لاجله قال الزمخشري فان قلت
كيف عدي وسوس تارة باللام في قوله فوسوس لهما الشيطان واخرى بالى قلت وسوسة الشيطان كولولة الثكلى
ووعوعة الدجاجة في انها حكايات للاصوات وحكمها حكم صوت اجرس ومنه وسوسة الحلي وهو وسوس
بالفتح والكسر لحن وانشد الاعرابي • وسوس يدعو مخلصا رب الفلق • فاذا قلت وسوس له فمعناه لاجله
كقولـــه • حدث اليه واسر اليها • كرمات عود لسيء من يديها • وقال ابو البقاء عدي وسوس بالى لانه
بمعنى اسر وعداه في موضع آخر باللام لكونه بمعنى ذكر له ويكون بمعنى لاجله **قوله تعالى** هل ادلك على شجرة الخلد
يعني على شجرة ان اكلت منها بقيت مخلدا **قوله تعالى** وملك لا يبلى اي من اكل من هذه الشجرة دام ملكه •••
فصـــل قال ابن الخطيب واقعة آدم عجيبة وذلك لان الله رغبه في دوام الراحة وانتظام المعيشة
بقوله فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى ان لك الا تجوع فيها ولا تعرى وانك لا تظما فيها ولا تضحى ورغبه ابليس
ايضا في دوام الراحة في قوله تعالى هل ادلك على شجرة الخلد وفي انتظام المعيشة وقوله وملك لا يبلى فكان الشيء
الذي رغبه الله فيه هو الذي رغبه ابليس فيه الا ان الله تعالى وقف ذلك على الاحتراز على تلك الشجرة وابليس
وقفه على الاقدام عليها ثم ان آدم عليه السلام مع كمال عقله وعلمه بان الله مولاه وناصره ومربيه وعلمه بان
ابليس عدوه حيث امتنع من السجود وعرض نفسه للعنة بسبب عداوته كيف قبل في الواقعة الواحدة والمقصود
الواحد قول ابليس مع علمه بعداوته له واعرض عن قول الله تعالى بانه هو الناصر والمولي ومن تامل هذا الباب
طال تعجبه وعلم ان الامر ان هذه القصة كالتنبيه على انه لا دافع لقضاء الله ولا مانع منه وان الدليل وان كان
في غاية الظهور ونهاية القوة فانه لا يحصل النفع به الا اذا قضى الله ذلك وقدره ويدل على ذلك ما ثبت في
الصحيح روى البخاري ومسلم ان النبي صلى الله عليه وسلم قال احتج موسى وآدم عند ربهما فحج آدم موسى قال موسى
انت آدم الذي خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه واسجد لك ملايكته واسكنك في جنته ثم اهبطت الناس بخطيتك

الى الارض

الى الارض فقال آدم انت موسى الذي اصطفاك الله برسالته وبكلامه واعطاك الالواح فيها تبيان كل شيء وقربك
نجيا فبكم وجدت انه كتب التوراة قبل ان اخلق قال موسى باربعين عاما قال آدم فهل وجدت فيها وعصى آدم ربه فغوى
قال نعم قال فتلومني على ان عملت عملا كتبه الله علي ان اعمله قبل ان يخلقني باربعين سنة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
فحج آدم موسى وروى مسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب الله مقادير الخلايق قبل
ان يخلق السموات والارض بخمسين الف سنة قال وعرشه على الماء وقال كل شيء بقدر حتى العجز والكيس **قوله تعالى**
فاكلا منها يعني آدم وحوى **قوله تعالى** فبدت لهما سواتهما قال ابن عباس عريا من النور الذي كان الله البسهما حتى
بدت فروجهما وانما جمع سواتهما كما قال صغت قلوبكما **قوله تعالى** وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة قال ابن
عباس قال الزمخشري طفق يفعل كذا مثل جعل يفعل كذا وحكم حكم كاد في وقوع الخبر فعلا مضارعا وبينهما مسافة قصيرة
وقرئ يخصفان للتكثير والتكرير من خصف النعل وهو ان يخرز عليهما الخصف اي يلزقان الورق بسوءتيهما للستر وهو
ورق التين **قوله تعالى** وعصى آدم ربه باكل الشجرة **قوله تعالى** فغوى اي ضل وقيل اخطا طريق الجنة حيث طلب
الخلد باكل ما نهي عن اكله فخاب ولم ينل مراده وقال ابن الاعرابي اي فسد عليه عيشه وصار من العز الى الذل ومن الراحة
الى التعب قال ابن قتيبة يجوز ان يقال عصى آدم ولا يجوز ان يقال آدم عاص لانه اعتاد فعل المعصية كالرجل يخيط
ثوبه فيقال خاط ثوبه ولا يقال هو خياط حتى يعاوده ويعتاده **قوله تعالى** فغوى الجمهور على فتح الواو وبعدها
الف وتقدم تفسيرها وقيل معناه بشم من قولهم غوي البعير بكسر الواو اذا اصابه ذلك وحكى ابو البقا هذه قراة
وفسروها بهذا المعنى قال الزمخشري وعن بعضهم فغوي فبشم من كثرة الاكل وهذا وان صح على لغة من يقلب الياء
المكسورة ما قبلها الفا فيقول في بقي وفنا وهو بقا وفنا فهو تفسير خبيث قال شهاب الدين كانه لم يطلع على انه قرئ بكسر الواو
ولو اطلع عليها لردها وقد قرا القابل بهذه المقالة من نسبة آدم عليه السلام الى الغي فان قيل تمسك بعضهم بقوله تعالى
وعصى آدم ربه فغوى في صدور الكبيرة عنه من وجهين احدهما ان العاصي اسم للذم فلا يطلق الا على صاحب الكبيرة
ولقوله تعالى ومن يعص الله ورسوله فان له نار جهنم خالدا فيها ولا معنى لصاحب الكبيرة الا من فعل فعلا يعاقب عليه
الثاني ان الغواية والضلالة اسمان مترادفان والغي ضد الرشد ومثل هذا الاسم لا يتناول الا المنهمك في فسقه
فالجواب عن الاول بان المعصية مخالفة الامر والامر قد يكون بالوجوب وبالندب فانك تقول امرته فعصاني ولم ترد به
امرته بشرب الدوا فعصاني واذا كان كذلك لم يمتنع اطلاق اسم العصيان على آدم لكونه تاركا للمندوب فاجاب المستدل
بانا بينا ان ظاهر القران يدل على ان العاصي يستحق العقاب والعرف يدل على انه ذم فوجب تخصيص اسم العاصي بتارك
الواجب ولانه لو كان تارك المندوب عاصيا لوجب وصف الانبيا باسرهم بانهم عصاة لانهم لا ينفكون من ترك المندوب
فان قيل وصف تارك المندوب بانه عاص مجاز والمجاز لا يطرد فالجواب لما سلمت كونه مجازا فالاصل عدمه واما
قولك امرته بشرب الدواء فعصاني لا نسلم ان هذا الاستعمال يروى عن العرب ولئن سلمنا ذلك لكنهم انما يطلقون
ذلك اذا جزموا عليه بالفعل وحينئذ يكون معنى الايجاب حاصلا وان لم يكن الوجوب حاصلا وذلك يدل على ان
لفظ العصيان لا يتحقق اي لا يجوز اطلاقه الا عند تحقق الايجاب لكنا اجمعنا على ان الايجاب من الله يقتضي بركات
من السماء والارض وقال ابن مسعود وابو هريرة وابو سعيد الخدري عن النبي ان المعيشة الضنك عذاب القبر وقال الحسن وقتادة
والكلبي هذا الضيق في الاخرة في جهنم لان طعامهم الضريع والزقوم وشرابهم الحميم والغسلين فلا يموتون فيها ولا يحيون
وقال الضحاك وابن عباس المعيشة الضنك هو ان يضيق عليه اسباب الخير فلا يهتدي لشيء منها وعن عطا المعيشة الضنك
الكافر لانه غير موقن بالثواب والعقاب وروي عنه عليه الصلاة والسلام انه قال عقوبة المعصية ثلاث ضيق المعيشة
والعسر في اللذة وان لا يتوصل الى قوته الا بمعصية الله **قوله تعالى** ونحشره يوم القيمة اعمى قرا العامة ونحشره
بالنون ورفع الفعل على الاستيناف وقرا ابان بن تغلب فاخر بتسكين الراء وهي محتملة لوجهين احدهما ان يكون الفعل
مجزوما على نسق جواب الشرط وهو الجملة من له معيشة ضنكا فان محلها الجزم مثل كقراءة من يضلل الله فلا هادي له
ويذرهم بسكون الراء والثاني ان يكون السكون سكون تخفيف وقرات فرقة بياء الغيبة وهو الله تعالى او الملك وابان
ابن تغلب في رواية ونحشره بسكون الهاء وصلا وتخريجها اما على لغة بني عقيل وبني كلاب واما على اجراء الوصل مجرى الوقف
واعمى نصب على الحال **فصـــل** قال ابن عباس اعمى البصر وقال مجاهد والضحاك ومقاتل عن الحجة فهو رواية
سعيد بن جبير عن ابن عباس قال القاضي وهذا ضعيف لان في القيمة لابد ان يعلمهم الله بطلان ما كانوا عليه حتى يميز
لهم الحق من الباطل ومن هذا حاله لا يوصف بذلك الا مجازا ولا يليق به قوله وقد كنت بصيرا ولم يكن كذلك في
دار الدنيا ومما يؤيد ذلك انه تعالى علل ذلك العمى بان المكلف نسي الدلايل فلو كان العمى الحاصل في الاخرة غير ذلك البيان

لم يكن للمكلف بسبب ذلك ضرر **قوله تعالى** لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيرا أعلم أنه تعالى جعل هذا العمى جزاء على
تركه اتباع الهدى وقوله وقد كنت بصيرا جملة حالية من مفعول حشرتني وفتح الياء من حشرتني قبل الهمزة نافع وابن
كثير **قوله تعالى** كذلك أتتك قال أبو البقاء كذلك في موضع نصب أي حشرناك مثل ذلك وفعلنا مثل ذلك أو إتيانا
مثل ذلك أو جزاء مثل إعراضك ونسيانا وهذه الأوجه التي ذكرها تكون الكاف في بعضها نصبا على المصدر وفي
بعضها نصبا على المفعولية ولم يذكر الزمخشري فيه غير المفعول به فقال مثل ذلك فعلت أنت ثم فسر بأن آياتنا أتتك
واضحة مستنيرة فلم تنظر إليها بعين المعتبر فتركتها وأعرضت عنها وكذلك اليوم ننسى نتركك في النار **قوله تعالى**
وكذلك نجزي من أسرف أي ومثل ذلك الجزاء نجزي من أسرف أي أشرك ولم يؤمن بآيات ربه ولعذاب الآخرة أشد وأبقى
مما نعذبهم في الدنيا **قوله تعالى** أفلم يهد لهم في ذلك أوجه الأول أنه ضمير الباري تعالى ومعنى يهدي
يبين ذلك ومفعول يهدي محذوف تقديره أفلم يبين الله لهم العبر وفعله بالأمم المكذبة **فصل** قال
أبو البقاء في فاعله وجهان أحدهما ضمير اسم الله تعالى وعلق مبين هنا إذ كان بمعنى أعلم كما علقه في قوله وتبين لكم
كيف فعلنا بهم قال أبو حيان وكم هنا خبرية والخبرية لا يعلق العامل عليها وقال الزمخشري ويجوز أن يكون فيه
ضمير الله أو الرسول ويدل عليه القراءة بالنون الثاني أن الفاعل مضمر تفسيره ما دل عليه من الكلام بعده قال الحوفي
كم أهلكنا قد دل على هلاك القرون التقدير أفلم يبين لهم هلاك من أهلكنا من القرون ومحو آثارهم فيتعظوا بذلك
وقال أبو البقاء الفاعل ما دل عليه أهلكنا أي إهلاكنا القرون والجملة مفسرة له والوجه الثاني أن الفاعل نفس الجملة
بعده قال الزمخشري فاعل لم يهد الجملة بعده يريد أو لم يهد لهم هذا بمعناه ومضمونه ونظيره قوله تعالى وتركنا
عليه في الآخرين سلام على نوح في العالمين أي تركنا عليه هذا الكلام قال أبو حيان وكون الجملة فاعل يهدي هو
مذهب كوفي وأما تشبيهه وتنظيره بقوله وتركنا عليه في الآخرين سلام على نوح في العالمين فإن تركنا معناه معنى القول
فحكيت به الجملة كأنه قيل وقلنا عليه وأطلقنا عليه هذا اللفظ والجملة تحكى بمعنى القول كما تحكى الثالث أنه ضمير الرسول
صلى الله عليه وسلم لأنه هو المبين لهم بما يوحى إليه من أخبار الأمم السالفة والقرون الماضية وهذا الوجه تقدم
نقله عن الزمخشري الرابع أن الفاعل محذوف ونقل ابن عطية عنهم عن بعضهم أن الفاعل مقدر تقديره الهدى والأمر
أو النظر والاعتبار قال ابن عطية وهذا عندي أحسن التقادير قال أبو حيان وهو قول المبرد وليس بجيد وفيه
حذف الفاعل وهو لا يجوز عند البصريين وتحسينه أن يقال الفاعل مضمر تقديره يهد هو أي الهدى قال شهاب الدين
ليس في هذا القول أن الفاعل محذوف بل فيه أنه مقدر ولفظ مقدر كثيرا ما يستعمل في المضمر وأما مفعول يهد ففيه
وجهان أحدهما أنه محذوف والثاني أن تكون الجملة من كم وما في حيزها لأنها معلقة له فهي سادة مسد مفعوله الوجه
الخامس أن الفاعل كم قاله الحوفي وأنكر على قائله لأن كم استفهام لا يعمل فيها ما قبلها قال أبو حيان وليست كم هنا
استفهامية بل هي خبرية واختار أن يكون الفاعل ضمير الله تعالى وأحسن التخاريج أن يكون الفاعل ضميرا عائدا على
الله أي كثيرا أهلكنا فكم مفعول بأهلكنا والجملة أنها مفسرة للمفعول المحذوف ليهد قال البقاعي جعل كم ما
هلك من القرون مبينا لهم كأنه جعل مثل ذلك وعظا وزجرا وقرأ ابن عباس أبو عبد الله السلمي ولم نهد
بالنون المؤذنة للتعظيم قال الزجاج يعني أو لم نبين لهم بيانا يهتدون به لو تدبروا وتفكروا وقوله كم أهلكنا
فالمراد به المبالغة في كثرة من أهلكه الله تعالى من القرون الماضية **قوله تعالى** من القرون في محل نصب لأنها
نكرة ويضعف جعله حالا من النكرة ولا يجوز أن يكون تمييزا على قواعد البصريين على دخوله عليه ومن داخلة على
على حد دخولها على غيره من التمييزات لتعريفه **قوله تعالى** يمشون حال من القرون أو من مفعول أهلكنا
والضمير على هذين عائد على القرون المهلكة ومعناه أهلكناهم وهم في حال أمن ومشي وتقلب في حاجاتهم
كقوله تعالى أخذناهم بغتة ويجوز أن يكون حالا من الضمير في لهم والضمير في يمشون على هذا عائد على من عاد عليه
الضمير في لهم وهم المشركون المعاصرون لرسول الله صلى الله عليه وسلم والعامل فيها يهد والمعنى أنهم يمشون في مساكن
الأمم السالفة ويتصرفون في بلادهم ينبغي أن يعتبروا لئلا يحل بكم ما حل بهم وقرأ ابن السميفع يمشون مبنيا للمفعول
مضعفا لأنه لما تعدى بالتضعيف جاز بناؤه للمفعول **فصل** المعنى إذا لم يبين القرآن أو ما تقدم
من التقادم لكفار مكة كم أهلكنا قبلهم من القرون يمشون في مساكنهم ديارهم إذا سافروا والخطاب لهم لقريش
كانوا يسافرون إلى الشام فيرون ديار المهلكين من أصحاب الحجر وثمود وقريات لوط إن في ذلك لآيات لأولي النهى
لذوي العقول ثم بين تعالى الوجه الذي لأجله لا يترك العذاب معجلا على من كفر بمحمد عليه السلام فقال **قوله تعالى**
ولولا كلمة سبقت من ربك لكان لزاما وأجل مسمى والكلمة هي الحد والتقدير ولولا كلمة سبقت من ربك وأجل مسمى

قوله تعالى

قوله تعالى وأجل مسمى في رفعه وجهان الأول عطفه على كلمة أي ولولا أجل مسمى لكان العذاب لازما لهم
والثاني جوزه الزمخشري وهو أن يكون مرفوعا عطفا على الضمير المستتر والضمير عائد على الأخذ العاجل المدلول
عليه بالسياق وقام الفصل بالخبر مقام التأكيد والتقدير ولولا كلمة سبقت من ربك لكان الأخذ العاجل وأجل
مسمى لازمين لهم كما كانا لازمين لعاد وثمود ولم ينفرد الأجل المسمى دون الأخذ العاجل فقد جعل اسم كان
عائدا على ما دل عليه السياق إلا أنه قد يشكل عليه مسألة وهو أنه قد جوز في لزاما وجهين الأول أن يكون
مصدرا لازما كالخصام ولا إشكال على هذا والثاني أن يكون وصفا على فعال بمعنى مفعل أي ملزم كأنه
آلة اللزوم لفرط لزومه كما قالوا لزاز خصم وعلى هذا فيقال كان ينبغي أن يطابق في التثنية فيقال لزامين
بخلاف كونه مصدرا فإنه يفرد على كل حال وجوز أن يكون لزاما جمع لازم كقيام جمع قائم قاله أبو البقاء **فصل**
المراد أن أمة محمد صلى الله عليه وسلم وإن كذبوا فسيؤخرون ولم يفعل بهم ما فعل بغيرهم من الاستئصال وذلك لأنه
علم فيهم من يؤمن وقيل علم أن في نسلهم من يؤمن ولو نزل بهم العذاب لعمهم الهلاك وقيل المصلحة فيه خفية لا يعلمها
إلا الله وقال أهل السنة له بحكم المالكية أن يخص من يشاء بفضله ومن يشاء بعذابه من غير علة إذ لو كان فعله
فعله لكانت تلك العلة إن كانت قديمة لزم قدم الفعل وإن كانت حادثة افتقرت إلى علة أخرى ولزم التسلسل
ثم إنه تعالى لما أخبر نبيه بأنه لا يهلك أحدا قبل استيفاء أجله أمره بالصبر فقال **قوله تعالى** فاصبر على ما
يقولون أي من تكذيبهم بالنبوة وقيل تركهم القبول وقال الكلبي ومقاتل هذه الآية منسوخة بآية القتال ثم
قال **قوله تعالى** وسبح بحمد ربك أي صل بأمر ربك وقيل صل لله بالحمد والثناء عليه ونظيره قوله
تعالى واستعينوا بالصبر والصلاة **قوله تعالى** بحمد ربك أي وأنت حامد لربك على أنه وفقك للتسبيح
وأعانك عليه **فصل** اختلفوا في التسبيح على قولين فالأكثرون على أن المراد منه الصلاة وهؤلاء
اختلفوا على ثلاثة أوجه الأول أن المراد الصلوات الخمس قال ابن عباس دخلت الصلوات الخمس فيه فقبل طلوع هي
الفجر وقبل غروبها هي الظهر والعصر لأنهما جميعا قبل الغروب ومن آناء الليل فسبح المغرب والعتمة ويكون قوله وأطراف
النهار كالتوكيد للصلاة بين الوقتين في طرفي النهار وهما صلاة الفجر وصلاة المغرب كما اختصت الصلاة الوسطى بالتوكيد
الثاني المراد الصلوات الخمس والنوافل لأن الزمان إما أن يكون قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فالليل والنهار داخلان
في هاتين العبارتين وأوقات الصلوة الواجبة دخلت فيها فبقي قوله ومن آناء الليل فسبح وأطراف النهار للنوافل الثالث
أن المراد أربع صلوات فقوله قبل طلوع الشمس للفجر وقبل غروبها للعصر ومن آناء الليل المغرب والعتمة بقي الظهر خارجا وعلى
هذا التأويل يمكن أن يستدلوا بهذه الآية على أن المراد بالصلوة الوسطى صلاة الظهر لأن قوله حافظوا على الصلوات
المراد به هذه الأربع ثم أفرد الوسطى بالذكر والتأسيس أولى من التأكيد والأول أقوى هذا إذا حملنا التسبيح على الصلوة
وقال أبو مسلم لا يبعد حمله على التنزيه والإجلال والمعنى اشتغل بتنزيه الله تعالى في هذه الأوقات فإن قيل النهار
له طرفان فكيف قال وأطراف النهار بل الأولى أن يقال كما قال تعالى وأقم الصلاة طرفي النهار فالجواب من الناس
من قال أقل الجمع اثنان فسقط السؤال ومنهم من قال إنما جمع لأنه مكرر في كل نهار ويعود وقوله تعالى ومن آناء الليل
متعلق بسبح الثانية وتقدم ما في هذه الفاء **قوله تعالى** وأطراف العامة على نصبه وفيه وجهان الأول
أنه عطف على محل ومن آناء الليل والثاني أنه عطف على قبل وقرأ الحسن وعيسى بن عمر وأطراف بالجر عطفا على آناء الليل
وقوله هنا أطراف وفي هود طرفي النهار وقيل هو من وضع الجمع موضع التثنية كقوله

ظهراهما مثل ظهور الترسين

وقيل هو على حقيقته والمراد بالأطراف الساعات ترضى قرأ الكسائي وأبو عمرو وأبو بكر عن عاصم ترضى مبنيا
للمفعول والباقون مبنيا للفاعل وعليه ولسوف يعطيك ربك فترضى والمعنى ترضى ما تنال من الشفاعة أو ترضى
بما تنال من الثواب على ضم التاء كقوله تعالى وكان عند ربه مرضيا **قوله تعالى** ولا تمدن عينيك إلى ما
متعنا به أزواجا منهم قيل المراد منه نظر العين وهؤلاء قالوا مد النظر تطويله وأن لا يكاد يرده استحسانا
للمنظور وإعجابا به كما فعل نظارة قارون حيث قالوا يا ليت لنا مثل ما أوتي قارون إنه لذو حظ عظيم حتى واجههم
أولو العلم والإيمان فقالوا ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا وفيه أن النظر غير الممدود معفو عنه كنظر الإنسان
إلى الشيء مرة ثم يغض ولما كان النظر إلى الزخارف كالمركوز في الطباع قيل ولا تمدن عينيك أي لا تفعل ما أنت معتاد
له وقد شدد المتقون في وجوب غض البصر عن أبنية الظلمة ولباس الفسقة ومراكبهم وغير ذلك لأنهم اتخذوا هذه
الأشياء لعيون النظارة فالناظر إليها محصل لغرضهم وكالمغري لهم على اتخاذها وقال أبو مسلم ليس المنهي عنه هنا هو النظر

بل هو الاسف اي لا تاسف على ما فاتك مما نالوه من حظ الدنيا قال ابو رافع نزل ضيف بالرسول صلى الله عليه وسلم فبعثني
الى يهودي فقال قل له ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بعني كذا وكذا من الدقيق واسلفني الى هلال رجب فاتيته
فقلت له ذلك فقال والله لا ابيعه ولا اسلفه الا برهن فاتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبرته بقوله فقال والله
لئن باعني واسلفني لقضيته واني لامين في السماء امين في الارض اذهب بدرعي الحديد اليه فنزلت هذه الاية وقال
عليه السلام ان الله لا ينظر الى صوركم ولا الى اموالكم ولكن ينظر الى قلوبكم واعمالكم وقال ابو البقا وقال ابو الدردا
الدنيا دار من لا دار له ومال من لا مال له ولها يجمع من لا عقل له وقال الحسن لولا حمق الناس لخربت الدنيا وعن عيسى بن
مريم عليه السلام لا تتخذوا الدنيا دارا فتتخذكم لها عبيدا وعن عروة بن الزبير كان اذا راى ما عند السلطان يتلو
هذه الاية وقال الصلاة يرحمكم الله **قوله تعالى** ازواجا في نصبه وجهان احدهما انه منصوب على المفعولية به
والثاني انه منصوب على الحال من الهاء في به راعي لفظ ما مرة فافرد ومعناها اخرى فلذلك جمع قال الزمخشري ويكون
الفعل واقعا على منهم كانه قيل الى الذي متعنا به وهو اصناف منهم قال ابن عباس اناسا منهم قال الكلبي والزجاج
رجالا منهم **قوله تعالى** زهرة في نصبه تسعة اوجه الاول انه مفعول ثان لانه ضمن متعنا معنى اعطينا
فازواجا مفعول اول وزهرة هو الثاني الثاني ان يكون بدلا من ازواجا وذلك اما على حذف مضاف اي ذوي
زهرة واما على المبالغة جعلوا نفس الزهرة الثالث ان يكون منصوبا بفعل مضمر دل عليه متعنا تقديره جعلنا لهم
زهرة الرابع نصبه على الذم قال الزمخشري وهو النصب على الاختصاص الخامس ان يكون بدلا من موضع الموصول
قال ابو البقا واختاره بعضهم وقال اخرون لا يجوز لان قوله لنفتنهم من صلة متعنا فيلزم الفصل بين الصلة
والموصول بالاجنبي وهو اعتراض حسن السادس ان ينتصب على البدل من محل به السابع ان ينتصب على الحال من ما
الموصولة الثامن انه حال من الهاء في به وهو ضمير الموصول فهو كالذي قبله في المعنى فان قيل كيف يقع الحال معرفة
فالجواب ان يجعل زهرة منونة نكرة وانما حذف التنوين لالتقاء الساكنين نحو • ولا ذاكر الله الا قليلا • وعلى هذا
فيتم التاسع انه تمييز لما او للهاء في به قاله الفرا وقد رده عليه بانه معرفة والمميز لا يكون معرفة وهذا غير لازم لانه
يجوز تعريف التمييز على اصول الكوفيين وقيل انه صفة لازواجا بالتاويلين المذكورين في نصبه حالا وقد منع ابو البقا
هذا الوجه بكون الموصوف نكرة والوصف معرفة وهذا يجاب عنه بما يجيب في تسويغ جعله حالا اعني حذف التنوين
لالتقاء الساكنين والعامة على تسكين الها وقرا ابو البرهسيم والحسن وابو حيوة بفتحها فقيل بمعنى كجهرة وجهرة
وقال الزمخشري يجوز ان يكون جمع زاهر كفاجر وفجرة وبارد وبررة وروى الاصمعي عن نافع لنفتنهم بضم النون
من افتنه اذا اوقعه في الفتنة والزهرة بفتح الهاء وسكونها كنهر ونهر ما يروق من النور وسراج زاهر يريد رجل
ازهر وامراة زهراء من ذلك والانجم الزهر هي المضيئة ومعنى متعنا التذذنا به والامتاع الالذاذ بما يدرك من المناظر
الحسنة ويسمع من الاصوات المطربة ويشم من الروائح الطيبة وغير ذلك من الملابس والمناكح يقال متعه تمتيعا والتفعيل
يقتضي التكثير ومعنى الزهرة فيمن حرك الزينة والبهجة كما جاء في الجهرة يقال ارنا الله جهرة وقيل جمع زاهر وصفا لهم
بانهم زاهروا هذه الحياة الدنيا لصفاء الوانهم وتهلل وجوههم بخلاف ما عليه الصلحا من شحوب الالوان والتقشف
في الثياب ومعنى نفتنهم نعذبهم كقوله ولا تعجبك اموالهم ولا اولادهم انما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا
وقال ابن عباس لنجعل ذلك فتنة لهم بان ازيد لهم في النعمة فيزيدوا كفرا وطغيانا ثم قال تعالى ورزق ربك
في المعاد يعني في الجنة خير وابقى من مطلوبهم وابقى لانه يدوم ولا ينقطع وليس كذلك حال ما اوتوه من الدنيا
ويحتمل ان ما اوتيته من يسير الدنيا ان قرنته بالطاعة ورضيت به وصبرت عليه كانت عاقبته جزيلة ويحتمل ان
يكون المراد ما اعطي من النبوة والدرجات الرفيعة **قوله تعالى** وامر اهلك بالصلاة اي قومك وقيل من كان
على دينك كقوله تعالى وكان يامر اهله بالصلاة وحمله بعضهم على اقاربه **قوله تعالى** واصطبر عليها اي اصبر
على الصلاة وحافظ عليها فانها تنهى عن الفحشاء والمنكر وكان النبي صلى الله عليه وسلم بعد نزول هذه الاية
يذهب الى فاطمة رضي الله عنها وعلي عليهما السلام كل صباح ويقول الصلاة ثم بين تعالى انما امرهم بذلك لنفعهم
وانهم المنتفعون بذلك وانه تعالى متعال عن المنافع فقال تعالى لا نسالك رزقا اي لا نكلفك على ان ترزق
احدا من خلقنا ولا ان ترزق نفسك وانما نكلفك عملا فتفرغ بالك لامر الاخرة كما قال بعضهم من كان في عمل الله كان
الله في عمله وقال ابو مسلم معناه انا نريد منه ومنهم العبادة ولا نريد منه ان يرزقهم كما يريد السادة من العبيد
الخراج وتعطيه وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون ما اريد منهم من رزق وما اريد ان يطعمون وقيل المراد
انا امرناك بالصلاة لنفعك لا لانا ننتفع بصلاتك نحن نرزقك في الدنيا بوجوه النعم وفي الاخرة بالثواب

قال عبد الله بن سلام كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا نزل باهله ضيق او شدة امرهم بالصلاة وتلا هذه الاية
قوله تعالى والعاقبة الجميلة المحمودة **قوله تعالى** للتقوى اي لاهل التقوى قال ابن عباس الذين صدقوا
واتبعوني ويؤيده قوله في موضع اخر والعاقبة للمتقين وقرا ابن وثاب نرزقك بادغام القاف في الكاف والمشهور
عنه انه لا يدغم الا اذا كانت الكاف متصلة بميم نحو خلقكم كما تقدم **قوله تعالى** وقالوا لولا ياتينا باية واعلم
ان هذا من لوازم قوله تعالى واصطبر فاصبر على ما يقولون وهو قوله تعالى لولا ياتينا باية من ربه كما ارسل الاولون
ثم اجاب عنه بقوله تعالى اولم ياتهم بينة ما في الصحف الاولى اي بيان ما فيها وهو القران اذا وافق ما في كتبهم
مع ان الرسول لم يشتغل بالدراسة والتعلم فكان ذلك اخبارا عن الغيب فيكون معجزا وقد بينة ما في الصحف الاولى
ما فيها من البشارة بمحمد صلى الله عليه وسلم ونبوته وبعثته وقال ابن جرير والقفال بينة ما في الصحف الاولى من انباء
الامم الذين اهلكنا لما جاءتهم الايات فكفروا بها واقترحوا الايات فلما اتتهم لم يؤمنوا بها فاخذناهم بالعقوبة
والهلاك فما يؤمنهم ان يكون حالهم في سؤال الايات كحال اولئك **قوله تعالى** اولم تاتهم بينة قرا نافع وابو عمرو
وحفص بالتانيث والباقون بالياء من تحت لان التانيث مجازي والعامة بينة ما باضافة بينة الى ما موصولة
وهي واضحة وقرا ابو عمرو فيما رواه ابو زيد بينة بالتنوين مرفوعة وعلى هذه القراءة ففي ما اوجه احدها انها
بدل من بينة بدل كل من كل الثاني ان يكون خبر مبتدا مضمر اي هو ما في الصحف الاولى الثالث ان تكون ما نافية
قال صاحب اللوامح واريد بذلك ما في القران من الناسخ والفصل مما لم يكن في غيره من الكتب وقرات جماعة بالتنوين
والنصب ووجهها ان تكون ما فاعلة وبينة نصب على الحال واتت على معنى من وما ومن قرا بتاء التانيث محملا
على معنى ما ومن قرا بياء الغيبة فعلى لفظها وقرا ابن عباس بسكون الحاء من الصحف **قوله تعالى** ولو انا اهلكناهم
بعذاب من قبله الهاء في قبله يجوز ان تعود للرسول لقوله لولا ارسلت الينا رسولا وجوز الزمخشري ان يعود على بينة
باعتبار انها في معنى البرهان والدليل والمعنى ولو انا اهلكناهم بعذاب من قبل ارسال الرسول او من قبل مجيء البرهان
لقالوا يوم القيامة لولا هلا **قوله تعالى** ارسلت الينا رسولا يدعونا **قوله تعالى** فنتبع اياتك من قبل
ان نذل ونخزى بالذل والهوان والعذاب والافتضاح اي لكان لهم ان يقولوا ذلك فيكون عذرا لهم فالان
فقد ارسلناك وبينا على لسانك ما عليهم وما لهم فلم يبق لهم حجة البتة روى ابو سعيد الخدري قال عليه السلام
يحتج على الله يوم القيامة ثلاثة الهالك في الفترة يقول لم ياتني رسول وتلا لولا ارسلت الينا رسولا والمغلوب على
عقله يقول لم تجعل لي عقلا انتفع به ويقول الصغير كنت صغيرا لا اعقل فترفع لهم النار ويقال ادخلوها
فيدخلها من كان في علم الله انه شقي ويبقى من في علم الله انه سعيد ويقول اباي عصيتم فكيف برسلي لو اتوكم **فصل**
قال الجبائي هذه الاية تدل على وجوب فعل اللطف اذ المراد انه يجب ان يفعل بالمكلفين ما يؤمنون عنده ولو لم
يفعل لكان لهم ان يقولوا هلا فعلت لنا ما نؤمن وهلا ارسلت الينا رسولا فنتبع اياتك وان كان في المعلوم
انهم لا يؤمنون وان بعث اليهم الرسول لم يكن لهم في ذلك حجة فصح انه انما تكون حجة لهم الا اذا صح في المعلوم عنده
وقيل انه انما تكون حجة لهم اذا كان في المعلوم انهم يؤمنون عنده اذا اطاعوه **فصل** قال الكعبي قوله
تعالى لولا ارسلت الينا رسولا اوضح دليل على انه تعالى يقبل الاحتجاج من قوله وانه ليس قوله لا يسال عما يفعل
كما ظنه الجبرية من ان ما جوز منا يكون عدلا منه بل تاويله انه لا يقع منه العدل قال واذا ثبت انه تعالى يقبل
الحجة فلو لم يكونوا قادرين على ما امروا به لكان لهم فيه اعظم حجة **فصل** قال بعضهم دلت الاية
على ان الوجوب لا يتحقق الا بالشرع اذ لو تحقق العقاب قبل مجيء الشرع لكان العقاب حاصلا قبل الشرع **قوله تعالى**
فنتبع نصب باضمار ان في جواب التحضيض وفي اعراب ابي البقا في جواب الاستفهام وهو سهو وقرا ابن عباس
وابن الحنفية والحسن وجماعة كثيرة نذل ونخزى للمفعول **قوله تعالى** قل كل متربص كل مبتدا او متربص
خبره افرد حملا على لفظ كل والمعنى كل منا ومنكم متربص ومنتظر عاقبة امره وذلك لان المشركين قالوا نتربص
بمحمد حوادث الدهر فاذا مات تخلصنا قال الله تعالى فتربصوا فانتظروا فستعلمون اذا جاء امر الله
وقامت القيامة واظهر الثواب والعقاب فانه يتميز المحق من المبطل ويحتمل ان يكون المراد قبل الموت اما بسبب
الجهاد او بسبب ظهور الدولة والقوة **قوله تعالى** فستعلمون من اصحاب في من هذه وجهان احدهما ان تكون
استفهامية مبتدا خبره مبتدا واصحاب خبره والجملة في محل نصب سادة مسد المفعولين والثاني ويعزى للفرا ان تكون
موصولة بمعنى الذي واصحاب خبر مبتدا مضمر اي هم اصحاب وهذا على مقتضى مذهبهم يحذفون مثل هذا العايد
وان لم تطل الصلة ثم علم يجوز ان تكون عرفانية فيكتفى بهذا المفعول وان تكون على بابها فلا بد من تقدير

ثانيهما **قوله تعالى** الصراط السوي قرا العامة السوي على وزن فعيل بمعنى المستوي وقرا ابو مجلد وعمران بن جدير السوا بفتح السين والمد بمعنى الوسط الجيد وقرا ابن يعمر والجحدري السوي على فعلى باعتبار ان الصراط يذكر ويونث وقرا ابن عباس السوء بفتح السين بمعنى السو وروي عنهما بضم السين وتشديد الواو ويحتمل ذلك وجهين الاول ان يكون قلب واوا وادغم الواو في الواو وان يكون فعلى من السوا واصله السويا فقلب ليا واوا وادغم ايضا وكان قياس هذه السينيا لانه متى اجتمع يا و واو وسبقت احدهما بالسكون قلبت الواو يا وهنا فعل بالعكس وقرا السوي بضم السين وفتح الواو وتشديد اليا تصغير سو قاله الزمخشري قال ابو حيان وليس بجيد اذ لو كان كذلك لاثبت همزة سوء والاجود ان تكون تصغير سوا كقولهم عطي في عطا قال شهاب الدين وقد جعله ابو البقا ايضا تصغير السوء بفتح الهمزة ويرد عليه ما تقدم ايراده على الزمخشري وابدال مثل هذه الهمزة جايز ولا ايراد **قوله تعالى** ومن اهتدى فيه ثلاثة اوجه احدها ان تكون استفهامية وحكمها كالتي قبلها الا في حذف العايد الثاني انها في محل رفع على ما تقدم في الاستفهامية الثالث انها في محل جر نسقا على الصراط اي واصحاب من اهتدى وعلى هذين الوجهين تكون موصولة قال ابو البقا في الوجه الثاني وفيه عطف الخبر على الاستفهام وفيه تقوية قول الفرا يعني انه اذا جعلها موصولة كانت خبرية ومعنى الكلام فسيعلمون اذا جا امر الله وقامت القيامة من اصحاب الصراط المستقيم ومن اهتدى من الضلالة نحن ام انتم **فصل** عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل قرا طه ويس قبل ان يخلق ادم بالفي عام فلما سمعت الملايكة القران قالوا طوبى لامة ينزل عليها هذا وطوبى لالسن تتكلم بهذا وطوبى لاجواف تحمل هذا وعن الحسن ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يقرا اهل الجنة من القران الا سورة طه عليه الصلاة والسلام والحمد لله رب العالمين

سورة الانبياء عليهم السلام ماية واثنا عشر اية

بسم الله الرحمن الرحيم ● سورة الانبياء عليهم الصلاة والسلام وهي ماية واثنا عشر اية وكلماتها الف كلمة وماية وثمانية وستون كلمة وعدد حروفها الف وثمانماية وسبعون حرفا **قوله تعالى** اقترب للناس حسابهم الاية قال الزمخشري رحمه الله هذه اللام لا تخلوا اما ان تكون صلة لاقترب او تاكيدا لاضافة الحساب اليهم كقولك ازف للحي رحيلهم الاصل ازف رحيل الحي ثم ازف للحي رحيلهم ونحوه ما اورده سيبويه في باب ما يثنى فيه المستقر توكيدا نحو عليك زيد حريص عليك وفيك زيد راغب فيك ومنه قولهم لا ابا لك لان اللام موكدة بمعنى الاضافة وهذا الوجه اغرب من الاول قال ابو حيان يعني بقوله صلة لاقترب اي متعلقة به واما جعله اللام توكيدا لاضافة الحساب اليهم مع تقدم اللام ودخولها على الاسم الظاهر فلا نعلم احدا يقول ذلك وايضا فيحتاج الى ما يتعلق ولا يمكن تعلقها بحسابهم لانه مصدر موصول ولا يتقدم معموله عليه وايضا فان التوكيد يكون متاخرا عن الموكد وايضا فلو اخر في هذا التركيب لم يصح واما تشبيههم بما اورده سيبويه فالفرق واضح فان عليك معمول لحريص وعليك المتاخر تاكيد وكذلك فيك زيد راغب فيك يتعلق فيك براغب وفيك الثانية توكيد وانما غره في ذلك صحة تركيب حساب للناس وكذلك ازف رحيل الحي فاعتقد اذا تقدم الظاهر مجرورا باللام واضيف المصدر لضميره انه من باب فيك زيد راغب فيك فليس مثله واما لا ابا لك فهي مسيلة مشكلة وفيها خلاف ويمكن ان يقال فيها ذلك لان اللام فيها جاورت الاضافة ولا يقاس عليها لشذوذها وخروجها عن الاقيسة قال شهاب الدين رحمه الله مسيلة الزمخشري اشبه شي بمسيلة لا ابا لك والمعنى الذي ذكره صحيح واما كونها مشكلة فهو انما بناها على قول الجمهور والمشكل مقرر في بابه فلا يضرنا القياس عليه لتقرره في مكانه **قوله تعالى** وهم في غفلة معرضون يجوز ان يكون الجار متعلقا بمحذوف على انه حال من الضمير في معرضون وان يكون خبرا للضمير ومعرضون خبر ثان وقول ابي البقا في هذا الجار انه خبر ثان يعني في العدد والا فهو الاول في الحقيقة وقد يقال لما كان في تاويل المفرد جعل المفرد الصريح مقدما في الرتبة فهو ثان بهذا الاعتبار وهذه الجملة في محل نصب على الحال من الناس **فصل** نزلت في منكري البعث والقرب لا يعقل الا في المكان والزمان والقرب المكاني هنا ممتنع فتعين القرب الزماني فان قيل كيف وصف بالاقتراب وقد عبر بعد هذا القول اكثر من ستماية عام فالجواب من وجوه الاول انه مقارب عند الله تعالى لقوله عز وجل ويستعجلونك بالعذاب ولن يخلف الله وعده وان يوما عند ربك كالف سنة مما تعدون الثاني كل ات قريب وان طال انتظاره وانما البعيد هو الذي انقرض قال الشاعر

الثالث ان المقالة اذا كانت موجلة الى سنة ثم انقضى منها شهر فانه لا يقال اقترب الاجل اما اذا كان الماضي اكثر من الباقي فانه تعالى اقترب الاجل فعلى هذا الوجه قال العلما رضي الله عنهم ان فيه دلالة على قرب القيامة ولهذا قال عليه صلوات الله عليه وسلم بعثت انا والساعة كهاتين وقال صلى الله عليه وسلم ختمت النبوة كل ذلك لان الاجل الباقي من مدة التكليف اقل من الماضي واعلم انه انما ذكر تعالى هذا الاقتراب لما فيه من مصلحة المكلفين ليكون تحرزهم من فوات الاوقات فيها ولم يعين الوقت لان كتمان وقت الموت اصلح لهم والمراد بالناس من له مدخل في الحساب وهم المكلفون دون من لا مدخل له فيه قال ابن عباس رضي الله عنه المراد بالناس المشركون وهذا من اطلاق اسم الجنس على بعضه للدليل القايم وهو ما يتلوه من صفات المشركين وهو قوله تعالى وهم في غفلة معرضون وصفهم بالغفلة والاعراض اما الغفلة فالمعنى انهم غافلون عن حسابهم ساهون لا يتفكرون في عاقبتهم مع اقتضا عقولهم انه لا بد من جزا للمحسن والمسيي ثم اذا انتبهوا من سنة الغفلة ورقدة الجهالة بما يتلى عليهم من الايات اعرضوا وسدوا اسماعهم **قوله تعالى** ما ياتيهم من ذكر من ربهم محدث ذكر الله تعالى بيانا لكونهم معرضين وذلك ان الله تعالى يجدد لهم الذكر كل وقت ويظهر لهم الاية بعد الاية والسورة بعد السورة ليكون على اسماعهم في الموعظة لعلهم يتعظون فما يزيدهم ذلك الا استكبارا **قوله تعالى** محدث العامة على جر محدث نعتا لذكر على اللفظ وقوله من ربهم فيه اوجه اجودها ان يتعلق بياتيهم ويكون من لابتدا الغاية مجازا والثاني ان يتعلق بمحذوف على انه حال من الضمير المستتر في محدث الثالث ان يكون حالا من نفس ذكر وان كان نكرة لانه قد تخصص بالوصف بمحدث وهو نظير ما جاني رجل قايما منطلق فتفصل بالحال بين الصفة والموصوف وايضا فان الكلام نفي وهو مسوغ لمجي الحال من النكرة الرابع ان يكون نعتا لذكر فيجوز في محله وجهان الجر باعتبار اللفظ والرفع باعتبار المحل لانه مرفوع المحل وهي مزيدة فيه وسياتي وفي جعله نعتا لذكر اشكال من حيث انه قد تقدم غير الصريح على الصريح وتقدم تحريره في المايدة الخامس ان يتعلق بمحذوف على سبيل البيان وقرا ابن ابي عبلة محدث رفعا نعتا لذكر على المحل لان من مزيدة فيه لاستكمال الشرطين وقال ابو البقا ولو رفع على موضع من ذكر جاز كانه لم يطلع عليه قراءة وزيد بن علي محدثا نصبا على الحال من ذكر وسوغ ذلك وصفه من ربهم ان جعلناه صفة او اعتماده على النفي ويجوز ان يكون من الضمير المستتر في من ربهم اذا جعلناه صفة **قوله تعالى** الا استمعوه هذه الجملة حال من مفعول ياتيهم وهو استثنا مفرغ وقد معه مضمرة عند قوم وهم يلعبون حال من فاعل استمعوه اي استمعوه لاعبين **فصل** قال رحمه الله معنى محدث يحدث الله الامر بعد الامر وقيل الذكر المحدث ما قاله النبي صلى الله عليه وسلم وبينه من السنن والمواعظ سوى ما في القران واضافه الى الرب سبحانه لانه امر بقوله الا استمعوه لاعبين لا يعتبرون ولا يتعظون **فصل** استدلت المعتزلة بهذه الاية على حدوث القران فقالوا القران ذكر والذكر محدث فالقران محدث بيان ان القران ذكر قوله تعالى في صفة القران ان هو الا ذكر للعالمين وانه لذكر لك ولقومك انا نحن نزلنا الذكر ان هو الا ذكر وقران مبين وهذا ذكر مبارك انزلناه وبيان ان الذكر محدث قوله تعالى ما ياتيهم من ذكر من ربهم محدث وقوله تعالى ما ياتيهم من ذكر من الرحمن محدث فالجواب من وجهين الاول ان قوله تعالى ان هو الا ذكر للعالمين وقوله تعالى وهذا ذكر مبارك انزلناه اشارة الى المركب من الحروف والاصوات وذلك ما لا نزاع فيه بل حدوثه معلوم بالضرورة انما النزاع في قدم كلام الله تعالى بمعنى اخر الثاني ان قوله تعالى ما ياتيهم من ذكر من ربهم محدث لا يدل على حدوث كل ما كان ذكرا كما ان قول القايل لا يدخل هذه البلدة رجل فاضل الا يبغضوه فانه لا يدل على ان كل رجل يجب ان يكون فاضلا بل على ان من الرجال من هو فاضل واذا كان كذلك فالاية لا تدل الا على ان بعض الذكر محدث وهذا لا ينتج شيا فظهر ان الذي ظنوه قاطعا لا يفيد ظنا ضعيفا فضلا عن القطع **قوله تعالى** لاهية يجوز ان يكون حالا من فاعل يلعبون فيكون الحالان متداخلين وعبر الزمخشري عن ذلك فقال وهم يلعبون لاهية قلوبهم حالان مترادفان او متداخلان واذا جعلناهما حالين مترادفين ففيه تقديم الحال غير الصريحة وفيه من البحث ما في باب النعت وقلوبهم مرفوع بلاهية وقال البغوي رحمه الله لاهية نعت تقدم الاسم ومن حق النعت ان يتبع الاسم في الاعراب فاذا تقدم النعت الاسم فله حالتان فصل ووصل فحالته في الفصل النصب كقوله تعالى خاشعا ابصارهم ودانية عليهم ظلالها فلاهية قلوبهم وفي الوصل حالة ما قبله من الاعراب كقوله تعالى اخرجنا من هذه القرية الظالم اهلها القلعة على نصب لاهية وابن ابي عبلة على الرفع على انها خبر ثان لقوله وهم عند من يجوز ذلك او خبر

مبتدأ محذوف عند من لا يجوّزه **قوله تعالى** وأسروا النجوى الذين ظلموا يجوز في محل الذين ثلاثة أوجه
الرفع والنصب والجر فالرفع من ستة أوجه أحدها أنه بدل من واو أسروا تنبيهاً على اتسامهم بالظلم الفاحش
وعزاه ابن عطية لسيبويه وغيره للمبرد الثاني أنه فاعل والواو علامة جمع دلت على جمع الفاعل كما تدل التاء على تأنيثه
وكذلك يفعلون في التثنية فيقولون قاما أخواك وأنشدوا ٭ يلومونني في اشتراء النخيل أهلي فكلهم ألوم ٭
وإليه ذهب الأخفش وأبو عبيدة وضعف بعضهم هذه اللغة وبعضهم حسنها ونسبها لأزد شنوءة وقد تقدم هذه
المسألة في المائدة عند قوله تعالى ثم عموا وصموا كثير منهم الثالث أن يكون الذين مبتدأ وأسروا النجوى جملة خبرية قدمت
على المبتدأ ويعزى للكسائي الرابع أن يكون الذين مرفوعاً بفعل مقدر فقيل تقديره يقول الذين واختاره النحاس
قال والقول كثيراً ما يضمر ويدل عليه قوله تعالى بعد ذلك هل هذا إلا بشر مثلكم وقيل تقديره أسرها الذين ظلموا
السادس أنه مبتدأ وخبره الجملة من قوله هل هذا إلا بشر ولا بد من إضمار القول هو هذا القول تقديره الذين ظلموا يقولون
هل هذا إلا بشر والقول يضمر كثيراً والنصب من وجهين أحدهما الذم والثاني إضمار أعني والجر من وجهين أيضاً
أحدهما النعت والثاني البدل من الناس ويعزى هذا للفراء وفيه بعد **قوله تعالى** هل هذا إلى قوله تبصرون
يجوز في هاتين الجملتين الاستفهاميتين أن تكونا في محل نصب بدلاً من النجوى وأن يكونا في محل نصب بإضمار القول
قالهما الزمخشري رحمه الله وأن يكونا في محل نصب على أنهما محكيان بالنجوى لأنها في معنى القول وأنتم تبصرون
جملة حالية من فاعل تأتون **فصل** اعلم أن الله تعالى ذم الكفار بهذا الكلام وزجرهم عن مثله
بأنهم إذا استمعوا وهم يلعبون لم يحصلوا إلا على مجرد الاستماع الذي قد تشارك فيه البهيمة الإنسان ثم أكد
ذمهم بقوله تعالى لاهية قلوبهم واللاهية من لها عنه إذا ذهل وغفل وقدم ذكر اللعب على اللهو كما في قوله
تعالى إنما الحياة الدنيا لعب ولهو تنبيهاً على أن اشتغالهم باللعب الذي معناه اللهو والغفلة والتحير بد إلا
ستهزاء معلل باللهو الذي معناه الذهول فإنهم إنما اجتمعوا على اللعب لذهولهم عن الحق وقوله تعالى وأسروا النجوى
فيه سؤال وهو أن النجوى اسم من التناجي وهو لا يكون إلا خفية فما معنى قوله وأسروا والجواب أنهم بالغوا في
إخفائها وجعلوها بحيث لا يفطن أحد لتناجيهم فإن قيل لم قال وأسروا النجوى الذين ظلموا فالجواب أنه أبدل
الذين ظلموا من أسروا إشعاراً بأنهم الموسومون بالظلم الفاحش فيما أسروا به أو جاء على لغة من قال أكلوني البراغيث
وقوله هل هذا إلا بشر مثلكم يحتمل أن يكون التقدير وأسروا النجوى وقالوا هذا الكلام وإنما أسروا هذا الحديث
لوجهين أحدهما إنما كان ذلك شبه التشاور فيما بينهم والتحاور في طلب الطريق إلى هدم أمره وعادة المتشاورين أن
يجتهدوا في كتمان سرهم عن أعدائهم والثاني يجوز أن يسروا نجواهم بذلك ثم يقولون لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين
إن كان ما يدعون حقاً فأخبرونا بما أسررناه واعلم أنهم طعنوا في نبوته صلى الله عليه وسلم بأمرين أحدهما أنه بشر مثلهم
والثاني أن الذي أتى به سحر وكلا الطعنين فاسد أما الأول فلأن النبوة تقف صحتها على المعجزات والدلائل
لا على الصور إذ لو أرسل الملك إليهم لما علموا كونه نبياً بصورته وإنما كان يعلم بالعلم فإذا ظهر ذلك على من هو بشر
فيجب أن يكون نبياً صلى الله عليه وسلم بل أولى أن يكون المبعوث إلى البشر بشراً لأن المرء إلى القبول من أشكاله أقرب
وهو به آنس وأما الثاني فهو أن ما أتى به الرسول من القرآن ظاهر الوعيد لا مرية فيه وقد كان صلى الله عليه وسلم
يتحداهم بالقرآن مدة من الزمان حالاً بعد حال وهم أرباب الفصاحة والبلاغة وكانوا في نهاية الحرص على إبطال
أمره بمعارضة القرآن فلو قدروا على المعارضة لامتنع أن لا يأتوا بها لأن الفعل عند توفر الدواعي وارتفاع الصارف
واجب الوقوع فلما لم يأتوا بها دلنا ذلك على أنه في نفسه معجز وأنهم عرفوا حاله فكيف يجوز أن يقال إنه سحر والحال
ما ذكرناه وكل ذلك يدل على أنهم كانوا عالمين بصدقه إلا أنهم كانوا يموهون على ضعفائهم بمثل هذا القول وإن
كانوا فيه مكابرين والمعنى أفتأتون وتحضرون السحر وأنتم تعلمون أنه سحر **قوله تعالى** قل ربي يعلم القول
قرأ الأخوان وحفص قال علي كرم الله وجهه لفظ الخبر والضمير للرسول صلى الله عليه وسلم والباقون قل على الأمر
قوله تعالى في السماء والأرض فيه أوجه أحدها أن يتعلق بمحذوف على أنه حال من القول والثاني أنه حال من فاعل يعلم ضعفه
أبو البقاء رحمه الله وينبغي أن يمتنع والثالث أنه متعلق بيعلم وهو قريب مما قبله وحذف متعلق السميع العليم
للعلم به والمعنى لا يخفى عليه شيء وهو السميع لأقوالهم العليم بأفعالهم قال الزمخشري فإن قلت هلا قيل يعلم السر
لقوله تعالى وأسروا النجوى قلت القول عام يشمل السر والجهر فكان في العلم به العلم بالسر وزيادة فكان آكد في بيان
الاطلاع على نجواهم من أن يقول يعلم السر كما أن قوله يعلم السر آكد من أن يقول يعلم سرهم فإن قلت لم ترك الآكد في
سورة الفرقان في قوله تعالى قل أنزله الذي يعلم السر في السموات والأرض قلت ليس بواجب أن يجيء بالآكد في كل موضع

ولكن

ولكن يجيء بالتأكيد تارة وبالآكد أخرى ثم الفرق أنه قدم ههنا أنهم أسروا النجوى فكأنه أراد أن يقول إن ربي يعلم
ما أسروه فوضع القول موضع ذلك للمبالغة ثم قصد وصفه بعالم الغيب لا يعزب عنه مثقال ذرة وإنما
قدم السميع على العليم لأنه لا بد من سماع الكلام ولا بد من حصول العلم بمعناه **قوله تعالى** أضغاث أحلام
خبر مبتدأ محذوف أي هو أضغاث والجملة نصب بالقول واعلم أنه تعالى عاد إلى حكاية قولهم هل هذا إلا بشر
مثلكم أفتأتون السحر قال بل قالوا أضغاث أحلام بل افتراه بل هو شاعر فحكى عنهم هذه الأقوال الخمسة وترتيب
كلامهم أن كونه بشراً مانع من كونه رسولاً لله سلمنا أنه غير مانع ولكن لا نعلم أن هذا القرآن معجز ثم إما أن نساعد
على أن فصاحة القرآن خارجة عن مقدور البشر فلم لا يجوز أن يكون ذلك سحراً وإن لم نساعد عليه فإن ادعينا
كونه في نهاية الركاكة قلنا إنه أضغاث أحلام وإن ادعينا أنه متوسط بين الركاكة والفصاحة قلنا إنه افتراه وإن
ادعينا أنه كلام فصيح قلنا إنه من جنس فصاحة سائر الشعر وعلى جميع هذه التقديرات فإنه لا يثبت كونه معجزاً ولما
فرغوا من تعديد هذه الاحتمالات قالوا فليأتنا بآية كما أرسل الأولون والمراد بأنهم طلبوا منه حالة لا يتطرق إليها
شيء من هذه الاحتمالات وقال المفسرون إن المشركين اقتسموا القول فيه وفيما يقوله فقال بعضهم أضغاث أحلام أي
أباطيل رآها وبلهاء رآها في النوم وقال بعضهم بل افتراه أي اختلقه وقال بعضهم بل محمد شاعر وما جاءكم به شعر
فليأتنا بآية إن كان صادقاً كما أرسل الأولون من الرسل والآيات **قوله تعالى** كما أرسل يجوز في هذه الكاف وجهان
أحدهما أن يكون في محل جر نعتاً لآية أي بآية مثل آية إرسال الأولين فما مصدرية والثاني أن يكون نعتاً لمصدر
محذوف أي إتياناً مثل إرسال الأولين فأجابهم الله تعالى بقوله ما آمنت قبلهم من قرية أي قبل مشركي مكة من قرية
أتتهم الآيات أهلكناها أي أهلكنا أهلها بالتكذيب فهم يؤمنون إذ جاءتهم آية والمعنى أنهم في العتو أشد من الذين
اقترحوا على أنبيائهم الآيات وعاهدوا أنهم يؤمنون عندها فلما جاءتهم نكثوا وخالفوا فأهلكهم الله فلو أعطيناهم
ما يقترحون لكانوا أشد نكثاً قال الحسن إنما لم يجابوا لأن حكم الله تعالى أن من كذب بعد الإجابة إلى ما اقترحه
فلا بد من أن ينزل به عذاب الاستئصال وقد مضى حكمه في أمة محمد صلى الله عليه وسلم خاصة بخلافه فلذلك لم يجبهم
وتقدم الكلام في إعراب نظير قوله أهلكناها أنهم يؤمنون **قوله تعالى** يوحى إليهم قرأ حفص نوحي بنون العظمة
مبنياً للفاعل أي نوحي والباقون بالياء وفتح الحاء مبنياً للمفعول وقد تقدم في يوسف وهذه الجملة في محل نصب نعتاً
لرجالاً وإليهم في القراءة الأولى منصوب المحل والمفعول محذوف أي نوحي إليهم القرآن أو الذكر ومرفوع المحل في القراءة
الثانية لقيامه مقام الفاعل **فصل** اعلم أنه تعالى أجابهم عن سؤالهم الأول وهو قولهم ما هذا إلا
بشر مثلكم بقوله تعالى وما أرسلنا قبلك إلا رجالاً يوحى إليهم فبين أن هذه عادة الله في الرسل من قبل محمد صلى الله عليه
وسلم ولم يمنع ذلك من كونهم رسلاً وإذا صح ذلك فيهم فقد ظهر على محمد مثل ما ظهر عليهم فاسألوا أهل الذكر يعني علماء
أهل الكتاب حتى يعلموكم أن رسل الله الموحى إليهم كانوا بشراً فلم يكونوا ملائكة وإنما أحالهم على أولئك لأنهم كانوا يتابعون
المشركين في معاداة الرسول وأمر المشركين بمسألة أهل الكتاب لأنهم إلى تصديق من لم يؤمن بالنبي صلى الله عليه وسلم أقرب
منهم إلى تصديق من آمن قال تعالى ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيراً فإن قيل
إذا لم يوثق باليهود والنصارى فكيف يجوز أن يأمرهم بأن يسألوهم عن الرسل فالجواب إذا تواتر خبرهم وبلغ حد التواتر
جاز ذلك لأنا نعلم بالضرورة خبر الكفار إذا تواتر كما نعلم خبر المؤمنين وقال ابن زيد أراد بأهل الذكر المؤمنين
وهو بعيد لأنهم كانوا طاعنين في القرآن وفي الرسول صلى الله عليه وسلم فأما تعلق كثير من الفقهاء بهذه الآية
في أن للقاضي أن يرجع إلى فتوى العلماء وفي أن للمجتهد أن يأخذ بقول مجتهد آخر فبعيد لأن هذه الآية خطاب
مشافهة وهي واردة في هذه الواقعة المخصوصة ومتعلقة باليهود والنصارى على التعيين **قوله تعالى** إن كنتم
لا تعلمون جواب الشرط محذوف لدلالة ما تقدم عليه أي فاسألوهم ومفعول العلم يجوز أن يراد أي لا تعلمون أن
ذلك كذلك ويجوز أن لا يراد أي إن كنتم من غير ذوي العلم **قوله تعالى** وما جعلناهم جسداً أي ما جعلنا الرسل
الأجساد ولم يقل أجساداً لأنه اسم جنس لا يأكلون الطعام هذا رد لقولهم مال هذا الرسول يأكل الطعام والمعنى
لم نجعل الرسل ملائكة بل جعلناهم بشراً يأكلون الطعام وما كانوا خالدين في الدنيا **قوله تعالى** لا يأكلون
الطعام في هذه الجملة وجهان أظهرهما أنها في محل نصب نعتاً لجسداً وجسداً مفرداً أريد به الجمع وهو على حذف مضاف
أي ذوي أجساد غير آكلين الطعام وجعل يجوز أن يكون بمعنى صير فيتعدى لاثنين ثانيهما جسداً ويجوز أن يكون
بمعنى خلق وأنشأ فيتعدى لواحد فيكون جسداً حالاً لا يأكلون بمعنى أي متغذين لأن الجسد لا بد له من الغذاء وقال
أبو البقاء لا يأكلون حال أخرى وقد أفرد جسداً إذا قلنا إن جعل يتعدى لواحد وفيه نظر بل هي صفة لجسداً بالاعتبارين

لا يليق بمعنى الآية قوله تعالى ثم صدقناهم الوعد صدق يتعدى لاثنين الى ثانيهما بحرف الجر وقد يحذف
تقول صدقتك الحديث وفي الحديث ضوامر واستغفر وقد تقدم في آل عمران قال الزمخشري هو مثل واختار موسى
قومه سبعين رجلا والاصل في الوعد من قومه والمعنى صدقناهم الوعد الذي وعدناهم باهلاك اعدائهم
فانجيناهم ومن نشاء اي انجينا المؤمنين الذين صدقوا الرسل واهلكنا المسرفين اي المشركين المكذبين وكل مشرك
مسرف على نفسه قوله تعالى لقد انزلنا اليكم كتابا يا معشر قريش فيه ذكركم اي شرفكم كما قال تعالى وانه لذكر لك
ولقومك وهو شرف لمن آمن به وقال مجاهد فيه حديثكم وقال الحسن فيه ذكركم اي ذكر ما تحتاجون اليه من امر دينكم
افلا تعقلون وهذا كالبعث على التدبر للقول لانهم كانوا عقلاء لان الخوف من لوازم العقل فمن لم يتدبر فكأنه
خرج عن العقل قوله تعالى وكم قصمنا كم في محل نصب مفعول لاه مقدما لقصمنا ومن قرية تمييز والظاهر ان
كم هنا خبرية لانها تفيد التكثير والقصم القطع والكسر الذي يبين تلاؤم الامر بخلاف الفصم قوله تعالى
كانت ظالمة في محل جر صفة لقرية فلا بد من مضاف محذوف قبل قرية اي وكم قصمنا من اهل قرية ظالمة في محل جر
صفة لقرية ولا بد من مضاف محذوف قبل قرية اي وكم قصمنا من اهل قرية بدليل عود الضمير في قوله تعالى فلما
احسوا ولا يجوز ان يعود على قوله قوما لانه لم يذكر ما يقتضي ذلك فصل لما حكى عنهم تلك الاعتراضات
الساقطة لكونها في مقابلة ما ثبت اعجازه وهو القرآن ظهر لكل عاقل ان اعتراضهم كان لاجل حب الرياسة
والدنيا والمراد بقوله قصمنا اهلكنا قال ابن عباس رضي الله عنه المراد منه القتل بالسيوف والمراد بالقرية
حضور وسحول باليمن ينسب اليهما الثياب وفي الحديث كفن رسول الله صلى الله عليه وسلم في ثوبين سحوليين
وروي حضوريين بعث الله اليهما نبيا فقتلوه فسلط الله عليهم بخت نصر كما سلط على اهل بيت المقدس
فاستأصلهم روي انه لما اخذتهم السيوف نادى مناد من السماء يا لثارات الانبياء فندموا واعترفوا بالخطأ فقالوا
يا ويلنا انا كنا ظالمين وقال الحسن المراد عذاب الاستئصال وهذا اقرب لان اضافة ذلك الى الله تعالى اقرب من اضافته
الى القاتل ثم ان سلم ان يحمل ذلك على عذاب القتل فما الدليل على الحصر في القريتين التي ذكر ابن عباس وقوله تعالى
كانت ظالمة اي كافرة يعني اهلها وانشأنا بعدها اي احدثنا بعد اهلاك اهلها قوما آخرين فلما احسوا باسنا
اي عذابنا بحاسة البصر اذا هم منها يركضون اي يسرعون هاربين والركض ضرب الدابة بالرجل يقال ركض الدابة
يركضها ركضا ومنه قوله تعالى اركض برجلك فيجوز ان ركبوا دوابهم يركضونها هاربين منهزمين من قريتهم
لما ادركتهم مقدمة العذاب ويجوز ان يشبهوا في سرعة عدوهم على ارجلهم بالراكبين الراكضين قوله تعالى اذا هم
اذا هذه فجائية وتقدم القول فيها وهم مبتدأ ويركضون خبره وتقدم اول الكتاب ان امثال هذه الآية
دالة على ان لما ليست ظرفية بل حرف وجوب لوجوب لان الظرف لابد له من عامل ولا عامل هنا لان ما بعد اذا لا
يعمل فيما قبلها والجواب انه عمل فيها معنى المفاجأة المدلول به عليه باذا والضمير في منها يعود على قرية ويجوز
ان يعود على باسنا لانه في معنى النقمة والباساء فانث الضمير حملا على المعنى ومن على الاول لابتداء الغاية والتعليل
على الثاني قوله تعالى لا تركضوا اي قيل لهم لا تركضوا لا تهربوا قال الزمخشري رحمه الله القول محذوف فان قلت
من القائل قلت يحتمل ان يكون بعض الملائكة ومن ثم من المؤمنين او يكونوا خلقاء بان يقال لهم ذلك وان لم يقل
او يقوله رب العزة ويسمعه ملائكته لينفعهم في دينهم او يلهمهم في ذلك فيحدثوا به نفوسهم قوله تعالى وارجعوا
الى ما اترفتم فيه من العيش الرافه والحال الناعمة والاتراف ابطار النعمة وهي الترفه وقوله لعلكم تسألون
تهكم بهم وتوبيخ قال ابن عباس رضي الله عنه تسألون عن قتل نبيكم وقال غيره هذا التهكم يحتمل وجوها الاول
ارجعوا الى نعمكم ومساكنكم لعلكم تسألون عما جرى عليكم ونزل باموالكم ومساكنكم فتجيبوا السائل عن علم ومشاهدة
الثاني ارجعوا واجلسوا كما كنتم في مجالسكم حتى يسألكم عبيدكم ومن ينفذ فيه امركم ونهيكم ويقولوا لكم بم تامرون
وماذا ترسمون كعادة المخدومين الثالث يسألكم الناس في انديتكم ويستشيرونكم في المهمات قوله تعالى
فما زالت تلك دعواهم اسم زالت تلك ودعواهم الخبر هذا هو الصواب وقد قال الحوفي والزمخشري وابو البقاء يجوز
العكس وهو مردود بانه اذا خفي الاعراب مع استوائهما في المسوغ لكون كل منهما اسما او خبرا وجب جعل المتقدم
اسما والمتأخر خبرا وهو من باب موسى وعيسى صلوات الله عليهما وتقدم ايضا هذا في اول سورة الاعراف
فليلتفت اليه وتلك اشارة الى الجملة المقولة قال الزمخشري تلك اشارة الى يا ويلنا لانها دعوى كانه قيل
فما زالت تلك الدعوة دعواهم والدعوة بمعنى الدعوى قال تعالى وآخر دعواهم ان الحمد لله رب العالمين وسميت
دعوى لانهم كانوا دعوا بالويل فقالوا يا ويلنا قال المفسرون لم يزالوا يكررون هذه الكلمة فلم ينفعهم ذلك كقوله

فلم يك

فلم يك ينفعهم ايمانهم لما رأوا باسنا حتى جعلناهم حصيدا الحصيد هو الزرع المحصود اي جعلناهم مثل الحصيد
شبههم في استئصالهم به كما يقولون جعلناهم رمادا اي مثل الرماد قوله تعالى حصيدا مفعول ثان لان
الجعل هنا تصيير فان قيل كيف ينصب جعل ثلاثة مفاعيل فالجواب ان حصيدا وخامدين يجوز ان يكون من باب
هذا حلو حامض كانه قال جعلناهم جامعين بين الوصفين جميعا ويجوز ان يكون خامدين حالا من الضمير في جعلناهم
او من الضمير المستكن في حصيدا فانه في معنى المحصود ويجوز ان يكون من باب ما تعدد فيه الخبر نحو زيد كاتب شاعر
وجوز ابو البقاء فيه ايضا ان يكون صفة لحصيدا وحصيد بمعنى محصود كما تقدم فلذلك لم يجمع وقال ابو البقاء والتقدير
مثل حصيد فلذلك لم يجمع وقال ابو البقاء والتقدير مثل حصيد فلذلك لم يجمع كما لم يجمع مثل المقدر انتهى واذا
كان بمعنى محصود فلا حاجة والمعنى انهم هلكوا بذلك العذاب حتى لم يبق حس ولا حركة وجفوا كما يجف الحصيد وخمدوا
كما تخمد النار قوله تعالى وما خلقنا السماء والارض الآية اعلم انه لما بين اهلاك القرية لاجل تكذيبهم اتبعه بما يدل
على انه فعل ذلك عدلا منه ومجازاة على ما فعلوا فقال تعالى وما خلقنا السماء والارض وما بينهما لاعبين اي وما سوينا
هذا السقف المرفوع وهذا المهاد الموضوع وما بينهما من العجائب والغرائب كما سوى الجبابرة سقوفهم وفرشهم للعب واللهو
وانما سويناها لفوائد دينية ودنيوية فليتفكر المكلفون فيها على ما قال عز وجل ويتفكرون في خلق السموات والارض
واما الدنيوية فلما تعلق بها من المنافع التي لا تعد ولا تحصى وهو كقوله سبحانه وما خلقنا السماء والارض وما بينهما
باطلا وقوله تعالى ما خلقناهما الا بالحق وقيل وجه النظم ان الغرض منه تقرير نبوة محمد صلى الله عليه وسلم والرد على منكريه
لانه اظهر المعجز عليه فان كان محمد كاذبا اظهار المعجز عليه من باب اللعب وذلك منفي عنه وان كان صادقا فهو المطلوب
وحينئذ يفسد كل ما ذكروه من المطاعن ولاعبين حال من فاعل خلقنا فصل قال القاضي عبد الجبار
دلت هذه الآية على ان اللعب ليس من قبله تعالى اذ لو كان كذلك لكان لاعبا فان اللاعب في اللغة اسم لفاعل اللعب فنفي
الاسم الموضوع للفعل يقتضي نفي الفعل والجواب يبطل ذلك بمسألة الداعي وقد تقدمت قوله تعالى لو اردنا
ان نتخذ لهوا قال ابن عباس رضي الله عنه في رواية عطاء اللهو المرأة وهو قول الحسن وقتادة وقال في رواية الكلبي اللهو الولد
بلغة اليمن وهو قول السدي وهو في المرأة اظهر لان الوطء يسمى لهوا في اللغة والمراد محل الوطء لاتخذناه من لدنا اي من عندنا
من الحور العين لا من عندكم من اهل الارض وقيل معناه لو كان ذلك جائزا في صفته لم يتخذه بحيث يظهر لهم ويستتر ذلك
حتى لا يطلعوا عليه وتأويل الآية ان النصارى لما قالوا في المسيح وامه ما قالوا رد الله عليهم بهذا وقال سبحانه لاتخذناه
من لدنا لانكم تعلمون ان ولد الرجل وزوجته يكونان عنده لا عند غيره قوله تعالى ان كنا فاعلين في ان هذه
وجهان احدهما انها نافية اي ما كنا فاعلين قال قتادة ومقاتل وابن جريج والثاني انها شرطية وجواب الشرط محذوف
لدلالة جواب لو عليه والتقدير ان كنا فاعلين اتخذناه ولكنا لم نفعله لانه لا يليق بالربوبية قوله تعالى
بل نقذف بالحق على الباطل بل حرف اضراب عن اتخاذ اللهو واللعب وتنزيه لذاته كانه قال سبحانه ان نتخذ اللهو واللعب
بل من موجب حكمتنا ان نغلب اللعب بالجد وندحض الباطل بالحق والمعنى ندع الذي قالوا فانه كذب وباطل ونقذف نرمي
ونسلط قال تعالى ويقذفون من كل جانب دحورا اي يرمون بالشهب بالحق بالايمان على الباطل على الكفر وقيل الحق قول الله
انه لا ولد له والباطل قولهم اتخذ الله ولدا قوله تعالى فيدمغه فاذا هو العامة على رفع الغين نسقا على ما قبله
وقرأ عيسى بن عمر رضي الله عنه بنصبها قال الزمخشري وهو في ضعف كقوله • سأترك منزلي لبني تميم • والحق بالحجاز فاستريحا
وقرئ شاذا فيدمغه بضم الميم وهي محتملة لان يكون في المضارع لغتان يفعل ويفعل وان يكون الاصل الفتح والضمة
للاتباع في حرف الحلق ويدمغه اي يصيب دماغه من قولهم دمغت الرجل اي اصبته في دماغه كقولهم رأسه وكبده
ورجله اذا اصاب منه هذه الاعضاء واصل الدمغ شج الرأس حتى يبلغ الدماغ واستعار القذف والدمغ تصويرا لابطاله
به وجعله كانه جرم صلب كالصخرة مثلا قذف به على جرم رخو اجوف فدمغه اهلكه واذهبه فاذا هو زاهق ذاهب
ولكم الويل يعني من كذب الرسول ونسبة القرآن الى انه سحر واضغاث احلام وغير ذلك من الاباطيل قوله تعالى
مما تصفون فيه اوجه احدها انه متعلق بالاستقرار الذي تعلق به الخبر اي استقر لكم الويل من اجل ما تصفون ومن تعليلية
هذا وجه وجيه والثاني انه متعلق بمحذوف والثالث انه حال من الويل اي الويل واقعا مما تصفون كذا قدره ابو البقاء
وما في مما تصفون يجوز ان يكون مصدرية فلا عائد عند الجمهور وان يكون بمعنى الذي او نكرة موصوفة ولا بد من العائد
عند الجميع حذف لاستكمال الشروط والمعنى مما تصفون الله بما لا يليق به من الصاحبة والولد وقال مجاهد مما تكذبون
قوله تعالى وله من في السموات والارض الآية لما نفى اللعب عن نفسه ونفي اللعب لا يصح الا بنفي الحاجة ونفي الحاجة
لا يصح الا بالقدرة التامة عقب تلك الآية بقوله عز وجل وله من في السموات والارض لان ذلك دال على كمال الملك

والقدرة وقيل لما حكى كلام الطاعنين في النبوات واجاب عنها وبين ان غرضهم من تلك المطاعن التمرد وعدم الانقياد بين ههنا انه سبحانه وتعالى منزه عن طاعتهم لانه تعالى هو المالك لجميع المخلوقات ولاجل ان الملائكة مع جلالتهم مطيعون له خائفون منه فالبشرية مع كونهم في نهاية الضعف اولى ان يطيعوه **قوله تعالى** ومن عنده يجوز فيه وجهان احدهما انه معطوف على من الاولى اخبر تعالى عن من في السموات والارض وعن من عنده بان الكل في ملكه وعلى هذا فيكون من باب ذكر الخاص بعد العام تنبيها على شرفه لان قوله من في السموات شمل من عنده وقد مر نظيره في قوله جبريل وميكال وقوله لا يستكبرون على هذا فيه اوجه احدها انه حال من الاولى والثانية او منهما معا وقال ابو البقا رحمه الله اما من الاولى او الثانية على قول من رفع بالظرف يعني اذا جعلنا من في قوله تعالى وله من في السموات مرفوعا بالفاعلية والرافع الظرف على راي الاخفش جاز ان يكون لا يستكبرون حالا اما من الاولى واما من الثانية لان الفاعل يجيء منه الحال ومفهومه انا اذا جعلناها مبتدا لا يجيء يستكبرون حالا كانه يرى ان الحال لا يجيء من المبتدا وهو راي لبعضهم ويجوز ان يكون لا يستكبرون حالا من الضمير المستكن في عنده الواقع صلة وان يكون حالا من الضمير المستكن في له الواقع خبرا والوجه الثاني من وجهي من ان تكون مبتدا ولا يستكبرون خبره وهذه جملة معطوفة على جملة قبلها وهل الجملة من قوله تعالى وله من في السموات استينافية او معادلة لجملة قوله تعالى ولكم الويل اي لكم الويل ولله جميع العوالم علوية وسفلية والاول اظهر لا يستحسرون اي لا يكلون ولا يتعبون يقال استحسر البعير اي كل وتعب قال علقمة بن عبدة • بها جيف الحسرى فاما عظامها • فبيض واما جلدها فصليب • ويقال حسر البعير وحسرته انا فيكون لازما ومتعديا واحسرته ايضا فيكون فعل وافعل بمعنى في احد وجهي فعل قال الزمخشري فان قلت الاستحسار مبالغة في الحسور فكان الابلغ في وصفهم ان ينفي عنهم ادنى الحسور قلت في الاستحسار بيان ان ما هم فيه يوجب غاية الحسور واقصاه وانهم احقاء لتلك العبادات الشاقة بان لا يستحسروا فيما يفعلون وهو سؤال حسن وجواب مطابق **قوله تعالى** يسبحون يجوز ان يكون مستانفا وان يكون حالا من الفاعل في الجملة قبله ولا يفترون يجوز فيه الاستيناف والحال من فاعل يسبحون **فصل** دلت هذه الاية على ان الملك افضل من البشر من ثلاثة اوجه تقدمت في البقرة والمراد بقوله ومن عنده هم الملائكة بالاجماع وصفهم الله تعالى بانهم يسبحون الليل والنهار لا يفترون وهذا لا يليق بالبشر وهذه العندية عندية الشرف لا عندية المكان والجهة روى عبد الله بن الحارث بن نوفل رضي الله عنه قال قلت لكعب ارايت قول الله تعالى يسبحون الليل والنهار لا يفترون ثم قال جاعل الملائكة رسلا افلا تكون الرسالة مانعة لهم عن ذلك التسبيح وايضا قال سبحانه اولئك عليهم لعنة الله والملائكة فكيف يشتغلون باللعن حال اشتغالهم بالتسبيح اجاب كعب الاحبار وقال التسبيح لهم كالتنفس لنا فكما ان اشتغالنا بالتنفس لا يمنعنا الكلام فكذلك اشتغالهم بالتسبيح لا يمنعهم من سائر الاعمال فان قيل هذا القياس غير صحيح لان الاشتغال بالتنفس انما لم يمنع من الكلام لان آلة التنفس غير آلة الكلام واما التسبيح واللعن فهما من جنس الكلام فاجتماعهما محال فالجواب اي استبعاد في ان يخلق الله لهم السنة كثيرة بعضها تسبح الله تعالى وبعضها تلعن اعداء الله تعالى او يقال معنى قوله لا يفترون انهم لا يفترون عن العزم على ادائه في اوقاته اللائقة له كما يقال ان فلانا مواظب على ادائها في اوقاتها **قوله تعالى** ام اتخذوا هذه ام المنقطعة فتتقدر ببل التي للاضراب لانتقال وبالهمزة التي معناها الانكار واتخذ يجوز ان يكون بمعنى صنع فتتعلق من به وجوز ابو حيان ان يكون بمعنى يصير التي في قوله تعالى واتخذ الله ابرهيم خليلا قال وفيه معنى الاصطفاء والاختيار ومن الارض يجوز ان يتعلق بالاتخاذ كما تقدم وان يتعلق بمحذوف على انها نعت لالهة من جنس الارض **قوله تعالى** هم ينشرون جملة في محل نصب صفة لالهة وقرا العامة ينشرون بضم حرف المضارعة من انشر وقرا الحسن بفتحها وضم الشين يقال انشر الله الموتى فنشروا ويكون لازما ومتعديا **قوله تعالى** ام اتخذوا الهة استفهام بمعنى الجحد اي لم يتخذوا من الارض يعني من الاصنام من الخشب والحجارة وهما من الارض والمنكر بعد اتخاذهم الهة من الارض ينشرون الموتى فان قيل كيف انكر عليهم اتخاذ الهة تنشر وما كانوا يدعون ذلك لالهتهم لانهم كانوا في نهاية البعد عن هذه الدعوى فانهم كانوا مع اقرارهم بالله وانه خالق السموات والارض منكرين البعث ويقولون من يحيي العظام وهي رميم فكيف يدعون ذلك للجماد الذي لا يوصف بالقدرة البتة فالجواب انهم لما اشتغلوا بعبادتها ولا بد للعبادة من فائدة وهي الثواب والعقاب فذكر ذلك على سبيل التهكم بهم والمعنى اذا لم يكونوا قادرين على ان يحيوا ويميتوا ويضروا وينفعوا فاي عقل يجوز اتخاذهم الهة وقوله من الارض كقولك فلان من مكة او من المدينة وقوله هم يفيد معنى الخصوصية كانه قيل ام اتخذوا الهة لا يقدرون على الانشاء الا هم وحدهم **قوله تعالى** لو كان فيهما الهة الا الله الا هنا صفة للنكرة قبلها

بمعنى غير

بمعنى غير والاعراب فيها متعذر فجعل على ما بعدها وللوصف بها شروط منها تنكير الموصوف او قربه من النكرة بان يكون معرفا بال الجنسية ومنها ان يكون جمعا صريحا كالاية او ما في قوة الجمع • لو كان غيري سليمى الدهر غيره • وقع الحوادث الا الصارم الذكر فالا الصارم صفة لغيري لانه في معنى الجمع ومنها ان لا يحذف موصوفها عكس غير وانشدوا على ذلك قوله • وكل اخ مفارقه اخوه • لعمر ابيك الا الفرقدان • اي كل اخ غير الفرقدين مفارقه اخوه وقد وقع الوصف بالا كما وقع الاستثناء بغير والاصل في الا الاستثناء وفي غير الصفة ومن ملح كلام الزمخشري واعلم ان الا وغير يتعارضان ولا يجوز ان ترفع الجلالة على البدل من الهة لفساد المعنى قال الزمخشري فما منعك من الرفع على البدل قلت لان لو بمنزلة ان في ان الكلام معها موجب والبدل لا يسوغ الا في الكلام غير الموجب كقوله تعالى ولا يلتفت منكم احد الا امراتك وذلك لان اعم العام يصح نفيه ولا يصح ايجابه فجعل المانع صناعيا مستندا الى ما ذكر من عدم صحة ايجاب اعم العام واحسن من هذا ما ذكره ابو البقا من جهة المعاني فقال ولا يجوز ان يكون بدلا لان المعنى يصير الى قولك لو كان فيهما الا الله لفسدتا الا ترى انك لو قلت ما جاءني قومك الا زيد على البدل لكان المعنى جاءني زيد وحده ثم ذكر الوجه الذي ذكره الزمخشري فقال وقيل يمتنع البدل لان قبلها ايجابا ومنع ابو البقا النصب على الاستثناء لوجهين احدهما انه فاسد في المعنى وذلك انك اذا قلت لو جاءني القوم الا زيدا لقتلتهم كان معناه ان القتل امتنع لكون زيد مع القوم فلو نصب في الاية لكان المعنى ان فساد السموات والارض امتنع لوجود الله تعالى مع الالهة وفي ذلك اثبات اله مع الله تعالى واذا رفعت على الوصف لا يلزم مثل ذلك لان المعنى لو كان فيهما غير الله تعالى لفسدتا والوجه الثاني ان الهة هنا نكرة والجمع اذا كان نكرة لم يستثن منه عند جماعة من المحققين اذ لا عموم له بحيث يدخل فيه المستثنى لولا الاستثناء وهذا الوجه الذي عينا داعي الزمخشري وابا البقا الى اجازة المبرد وغيره اما المبرد فانه قال اجاز البدل لان ما بعد لو غير موجب في المعنى والبدل في غير الموجب احسن من الوصف وهذا فيه نظر من جهة ما ذكره ابو البقا من فساد المعنى وقال ابن الصايغ تابعا للمبرد لا يصح المعنى عندي الا ان يكون الا في معنى غير التي يراد بها البدل اي لو كان فيهما الهة عوض واحد اي بدل الواحد الذي هو الله سبحانه وتعالى لفسدتا وهذا المعنى اراده سيبويه في المسئلة التي جاء بها توطئة وقال الشلوبين في مسئلة سيبويه لو كان معنا رجل الا زيد لغلبنا ان المعنى لو كان معنا رجل مكان زيد لغلبنا فالا بمعنى غير التي بمعنى مكان وهذا ايضا جنوح من ابي علي الى البدل وما ذكره ابن الصايغ من المعنى المتقدم مسوغ للبدل وهو جواب عما افسد به ابو البقا وجه البدل اذ معناه ولكنه قريب من تفسير الاعراب بالمعنى **فصل** المعنى لو كان يتولاهما ويدبر امرهما شيء غير الواحد الذي فطرهما لفسدتا ولا يجوز ان يكون الا بمعنى الاستثناء لانها لو كانت استثناء لكان المعنى لو كان فيهما الهة ليس فيهم الله لفسدتا وهذا يوجب بطريق المفهوم انه لو كان فيهما الهة معهم الله ان لا يحصل الفساد وذلك باطل لانه لو كان فيهما الهة فسواء كان الله معهم او لم يكن الله معهم فالفساد لازم ولما بطل حمله على الاستثناء ثبت ما ذكرنا وهو ان المعنى لو كان في السماء والارض الهة غير الله لفسدتا اي لخربتا وهلك من فيهما لوجود التمانع من الالهة لان كل امر صدر عن اثنين فاكثر لم يجر على النظام ويدل العقل على ذلك من وجوه الاول انا لو قدرنا الاهين لكان احدهما اذا انفرد صح منه تحريك الجسم واذا انفرد الثاني صح منه تسكينه فاذا اجتمعا وجب ان يبقيا على ما كانا عليه حال الانفراد فعند الاجتماع يصح ان يحاول احدهما التحريك والاخر التسكين فاما ان يحصل المرادان وهو محال واما ان يمتنع احدهما دون الثاني وذلك ايضا محال لان الممنوع يكون عاجزا والعاجز لا يكون الها ولانه لما كان كل واحد منهما مستقلا بالايجاد لم يكن عجز احدهما اولى من عجز الاخر فثبت ان القول بوجود الهين يوجب هذه الاقسام الفاسدة فكان القول به باطلا الوجه الثاني ان الاله يجب ان يكون قادرا على جميع الممكنات فلو فرضنا الهين لكان كل واحد منهما قادرا على جميع الممكنات فاذا اراد كل واحد منهما تحريك جسم فتلك الحركة اما ان يقع بهما او لا يقع بواحد منهما او يقع باحدهما دون الثاني والاول محال لان الاثر مع المؤثر المستقل واجب الحصول ووجوب حصوله به يمنع من استناده الى الثاني فلو اجتمع على الاثر الواحد مؤثران مستقلان يلزم ان يستغني كل واحد منهما عن كل واحد منهما فيكون محتاجا اليهما وغنيا عنهما وهو محال واما ان لا يقع بواحد منهما البتة فهذا يقتضي كون كل منهما عاجزين وايضا فامتناع وقوعه هذا انما يكون لاجل وقوعه بسببهما وهو بالضد فلو امتنع وقوعهما لو قع بهما معا وهو محال واما ان يقع باحدهما دون الثاني فهو باطل لانه ليس عدم وقوعه بالثاني احق من الاخر من غير مرجح وهو محال الوجه الثالث لو قدرنا الهين فاما ان يتفقا او يختلفا فان اتفقا على الشيء الواحد فذلك الواحد مقدور لهما ومراد لهما فيلزم وقوعه بهما وهو محال وان اختلفا فاما ان يقع المرادان او لا يقع واحد منهما او يقع احدهما دون الاخر والكل محال فثبت ان الفساد لازم على كل التقديرات وذكروا وجوها اخر عقلية وفي هذا كفاية ثم انه تعالى نزه نفسه فقال سبحان الله رب العرش عما يصفون

اي عما يصفه به المشركون من الشرك والولد فان قيل اي فايدة لقوله تعالى رب العرش عما يصفون فالجواب ان هذه المناظرة وقعت مع عبدة الاصنام وهي انه كيف يجوز للعاقل ان يجعل الجماد الذي لا يعقل ولا يحس شريكا في الالهية لخالق العرش وموجد السموات والارضين **قوله تعالى** لا يسئل عما يفعل اعلم ان اهل السنة استدلوا على انه تعالى لا يسئل عما يفعل بامور احدها انه لو كان كل شيء معللا بعلة كانت تلك العلة معللة بعلة اخرى ولزم التسلسل فلا بد من قطع التسلسل في الانتهاء الى ما لا يكون غنيا عن العلة واولى الاشياء بذلك ذات الله تعالى وصفاته مبراة عن الافتقار الى المبدع المخصص فكذا فاعليته يجب ان يكون مقدسة عن الاستناد الى الموجب والموثر وثانيها ان فاعليته لو كانت معللة بعلة لكانت تلك العلة اما ان تكون واجبة او ممكنة فان كانت واجبة لزم من وجوبها وجوب كونها فاعلا وحينئذ يكون موجبا بالذات لا فاعلا بالاختيار وان كانت ممكنة كانت تلك العلة فعلا لله تعالى فتفتقر فاعليته لتلك العلة الى علة اخرى ولزم التسلسل وهو محال وثالثها ان علة فاعلية الله تعالى للعالم ان كانت قديمة لزم ان تكون فاعليته للعالم قديمة فيلزم قدم العالم وان كانت محدثة افتقرت الى علة اخرى ولزم التسلسل ورابعها انه تعالى ان فعل فعلا لغرض فاما ان يكون متمكنا من تحصيل ذلك الغرض بدون تلك الواسطة او لا يكون متمكنا منه فان كان متمكنا منه كان توسط تلك الواسطة عبثا وان لم يكن متمكنا منه كان عاجزا والعجز على الله تعالى محال واما العجز علينا فغير ممتنع فلذلك كانت افعالنا معللة بالاغراض وذلك في حق الله تعالى محال وخامسها لو كان فعله معللا بغرض لكان ذلك الغرض اما ان يكون عايدا الى الله تعالى او الى العباد والاول محال لانه منزه عن النفع والضر واذا بطل ذلك تعين ان الغرض لا بد وان يكون عايدا الى العباد ولا غرض للعباد الا في حصول اللذة وعدم حصول الالم والله تعالى قادر على تحصيلها ابتداء من غير واسطة واذا كان كذلك استحال ان يفعل شيئا لاجل شيء وسادسها ان الموجودات ملكه ومن تصرف في ملك نفسه لا يقال له لم فعلت ذلك وسابعها ان من قال لغيره لم فعلت ذلك فهذا السؤال انما يحسن حيث يكون للسايل على المسئول حكم على فعله وذلك في حق الله تعالى محال فانه لو فعل اي فعل شيئا فالعبد كيف يمنعه عن ذلك بان يهدده بالعقاب وذلك على الله محال وان يهدده باستحقاق الذم والخروج عن الحكم والاتصاف بالسفاهة على ما يقوله المعتزلة فذلك ايضا محال لانه مستحق المدح والاتصاف بصفات الحكمة والجلال فثبت بهذه الوجوه انه لا يجوز ان يقال لله في افعاله لم فعلت وان كل شيء صنعه لا علة لصنعه واما المعتزلة فانهم سلموا انه يجوز ان يقال الله عالم بقبح القبيح وعالم بكونه غنيا عنه ومن كان كذلك فانه يستحيل ان يفعل القبيح واذا عرفنا ذلك عرفنا ان كل ما يفعله الله تعالى فهو حكمة وصواب واذا كان كذلك لم يجز للعبد ان يقول لم فعلت هذا ثم قال تعالى وهم يسألون وهذا يدل على كون المكلفين مسئولين عن افعالهم واعلم ان منكري التكليف احتجوا على قولهم بوجوه احدها قالوا التكليف ان يتوجه على العبد حال استواء داعيته الى الفعل والترك او حال رجحان احدهما على الاخر والاول محال لان حال الاستواء يمتنع الترجيح وحال امتناع الترجيح يكون تكليفا بالمحال والثاني محال لان حال الرجحان تكون الراجح واجب الوقوع وايقاع ما هو ممتنع الوقوع تكليف ما لا يطاق وثانيها قالوا كل ما علم الله وقوعه فهو واجب فيكون التكليف به تكليف ما لا يطاق وثالثها قالوا سؤال العبد اما ان يكون لفايدة او لا لفايدة فان كان لفايدة فان عادت الى العبد فهو محال لان سؤاله لما كان سببا للعقاب لم يكن نفعا عايدا الى العبد بل ضررا عايدا اليه وان لم يكن في سؤاله فايدة كان عبثا وهو غير جايز على الحكيم بل كان اضرارا وهو غير جايز على الحكيم والجواب من وجهين الاول ان غرضكم من ايراد هذه الشبهة النافية للتكليف ان تلزمونا نفي التكليف فكانكم كلفتمونا بنفي التكليف وهذا متناقض الثاني انه عاد كلامكم في هذه الشبهات على حرف واحد وهو ان التكاليف كلها تكليف بما لا يطاق فلا يجوز من الحكيم ان يوجهها على العبد فيرجع حاصل هذه الشبهات الى انه يقال لله تعالى لم كلفت عبادك الا انا قد بينا انه سبحانه لا يسئل عما يفعل فظهر بهذا ان قوله لا يسئل عما يفعل اصل لقوله وهم يسئلون فتامل هذه الدقايق العجيبة لتقف على الطرف من اسرار القران كان قيل قوله تعالى وهم يسئلون متاكد بقوله تعالى فوربك لنسألنهم اجمعين وبقوله تعالى وقفوهم انهم مسئولون الا انه يناقضه قوله تعالى فيومئذ لا يسئل عن ذنبه انس ولا جان فالجواب ان يوم القيمة يوم طويل وفيه مقامات فيصرف كل واحد من السلب والايجاب الى مقام رفعا للتناقض **فصل** قالت المعتزلة انه تعالى لو كان هو الخالق للحسن والقبيح لوجب ان يسئل عما يفعل بل كان يذم عما من حقه كما يحمد بما من حقه الحمد وثانيها انه يجب ان لا يسئل عن المامور به اذ لا فاعل سواه وثالثها انه لا يجوز ان يسئلوا عن عملهم اذ لا عمل لهم ورابعها ان عملهم لا يمكنهم ان يعدلوا عنه من حيث انه خلقه واوجده فيهم وخامسها انه تعالى صرح في كثير من المواضع انه يقبل حجة العباد لقوله تعالى رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس

على الله

على الله حجة بعد الرسل وهذا يقتضي ان لهم عليه حجة قبل بعثة الرسل وقال ولو انا اهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا ارسلت الينا رسولا ونظاير هذه الايات كثيرة وكلها تدل على ان حجة العبد متوجهة على الله تعالى والجواب هو المعارضة بمسئلة الداعي ومسئلة العلم بالوجوه المتقدمة التي بينا فيها انه يستحيل طلب علية افعال الله تعالى **فصل** في تعلق هذه الاية بما قبلها وهو ان من اثبت لله شريكا ليس عهده الا طلب الكمية في افعال الله تعالى وذلك لان الثنوية والمجوس وهم الذين اثبتوا الشريك لله تعالى قالوا انا نرى في العالم خيرا وشرا ولذة والما وحياة وموتا وصحة وسقما وغنى وفقرا وفاعل الخير وفاعل الشر يستحيل ان يكون الفاعل الواحد خيرا وشريرا معا فلا بد من فاعلين ليكون احدهما فاعلا للخير والاخر للشر فرجع حاصل هذه القسمة الى ان مدبر العالم لو كان واحدا فلم خص بالحياة والصحة والغنى وخص هذا بالموت والالم والفقر فرجع حاصله الى طلب الكمية لا جرم انه تعالى بعد ان ذكر الدليل على التوحيد ذكر ما هو النكتة الاصلية في الجواب عن شبهة القايلين بالشريك لان الترتيب الجيد في المناظرة ان يبتدي بذكر الدليل المثبت للمطلوب ثم يذكر بعده الجواب عن شبهة الخصم **قوله تعالى** ام اتخذوا من دونه الهة استعظاما لكفرهم وهو استفهام انكار وتوبيخ قل هاتوا برهانكم اما من جهة العقل واما من جهة النقل واعلم انه تعالى لما ذكر دليل التوحيد ولا وفر الاصل الذي كان يخرج شبهات القايلين اخذ يطالبهم بدليل شبهتهم **قوله تعالى** هذا ذكر من معي العامة على اضافة ذكر الى من اضافة المصدر الى مفعوله كقوله تعالى بسؤال نعجتك وقرئ ذكر بالتنوين فيهما ومن مفتوحة الميم نونا المصدر ونصب به المفعول كقوله تعالى او اطعام في يوم ذي مسغبة يتيما وقرا يحيى بن يعمر هذا ذكر بتنوينهما ومن بكسر الميم وفيه تاويلان احدهما انه موصوف محذوف قامت صفته وهي الظرف مقامه والتقدير هذا ذكر من كتاب معي ومن كتاب قبلي والثاني ان معي بمعنى عندي ودخول من على مع في الجملة نادر لانها ظرف لا ينصرف وقد ضعف ابو حاتم هذه القراءة ولم ير لدخول من وجها ووجهه بعضهم بانه اسم هو ظرف نحو قبل وبعد فكما تدخل من على اخواته كذلك تدخل عليه وقرا طلحة ذكر من معي وذكر قبلي بتنوينهما بدون من فيهما وقرات طايفة ذكر من بالاضافة لمن كالعامة وذكر قبلي بتنوينها وكسر ميم من ووجهها واضح مما تقدم **فصل** قال ابن عباس رضي الله عنه هذا ذكر من معي اي هذا هو الكتاب المنزل على من معي وهذا ذكر من قبلي اي الكتاب الذي نزل على من تقدمني من الانبياء وهذه التوراة والانجيل والزبور والصحف وليس في شيء منها اني اذنت بان يتخذوا الها من دوني الا في فيها الا اني انا الله لا اله الا انا كما قال بعد هذا وما ارسلنا من رسول الا نوحي اليه انه لا اله الا انا فاعبدون وهذا اختيار القفال والزجاج وقال سعيد بن جبير وقتادة ومقاتل والسدي معناه القران ذكر من معي فيه خبر من يتبعني الى يوم القيمة بما لهم من الثواب على الطاعة والعقاب على المعصية وذكر خبر من قبلي من الامم السالفة ما فعل بهم في الدنيا وما يفعل بهم في الاخرة وقال القفال رحمه الله المعنى قل لهم هذا الكتاب الذي جئتكم به قد اشتمل على احوال من معي من المخالفين والموافقين وعلى بيان احوال من قبل من المخالفين فاختاروا لانفسكم فكان الغرض منه التهديد ثم قال تعالى بل اكثرهم لا يعلمون لما طالبهم بالدلالة على ما ادعوه وبين انه لا دليل لهم البتة لا من جهة العقل ولا من جهة السمع ذكر بعده ان وقوعهم في هذا المذهب الباطل ليس لاجل دليل ساقهم اليه بل لان عندهم اصل الشر والفساد وهو عدم العلم والاعراض عن استماع الحق والعامة على نصب الحق وفيه وجهان اظهرهما انه مفعول به بالفعل قبله والثاني انه مصدر موكد قال الزمخشري ويجوز ان يكون المنصوب ايضا على التوكيد لمضمون الجملة السابقة كما تقول هذا عبد الله الحق لا الباطل فاكد انتفاء العلم وقرا الحسن وابن محيصن وحميد برفع الحق وفيه وجهان احدهما انه مبتدا والخبر مضمر والثاني انه خبر لمبتدا مضمر قال الزمخشري وقرئ الحق بالرفع على توسط التوكيد بين السبب والمسبب فالمعنى ان اعراضهم بسبب الجهل هو الحق لا الباطل **قوله تعالى** وما ارسلنا من قبلك من رسول لانه مقررة لما سبقها من ايات التوحيد وقرا حمزة والكسائي وحفص عن عاصم نوحي بالنون وكسر الحاء على التعظيم لقوله ارسلنا وقرا الاخرون بالياء وفتح الحاء على الفعل المجهول **قوله تعالى** وقالوا اتخذ الرحمن ولدا الاية لما بين بالدلايل الظاهرة كونه تعالى منزها عن الشريك والضد والند اردف ذلك ببراءته عن اتخاذ الولد قال المفسرون نزلت في خزاعة حيث قالوا الملايكة بنات الله وقالوا انه تعالى صاهر الجن على ما حكى الله تعالى عنهم فقال وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا ثم انه تعالى نزه نفسه عن ذلك بقوله سبحانه لان الولد لا بد وان يكون شبيها بالوالد فلو كان لله سبحانه وتعالى ما يشبهه من بعض الوجوه فلا بد وان يخالفه من وجه اخر وما به المشاركة غير ما به المماثلة فيقع التركيب في ذات الله تعالى وكل مركب ممكن فاتخاذه للولد يدل على كونه ممكنا غير واجب وذلك يخرجه

من

عن الإلهية ويدخله في حد العبودية فلذلك نزه نفسه **قوله تعالى** بل عباد خبر مبتدأ مضمر أي عباد
مكرمون في قراءة العامة مخفف وقرأ عكرمة مشددا ولا يسبقونه جملة في محل رفع صفة لعباد والعامة على
كسر الباء في يسبقونه وقرئ بضمها وخرجت على أنه مضارع سبقه أي غلبه في السبق يقال سابقه فسبقه يسبقه
أي غلبه في السبق ومضارع فعل في المغالبة مضموم العين مطلقا إلا في باب العين واللام والمراد لا يسبقونه
بقوله فعوض الألف واللام عن الضمة عند الكوفيين والضمير محذوف عند البصريين أي بالقول منه تعالى
فصل لما نزه نفسه سبحانه وتعالى عن الولد أخبر عنهم بأنهم عباد والعبودية تنافي الولادة
إلا أنهم مكرمون مفضلون على سائر العباد لا يسبق قولهم قوله وإذا كان قولهم تابعا لقوله فعلهم أيضا
مبني على عمله لا يعملون عملا ما لم يؤمروا به ثم إنه تعالى ذكر ما يجري مجرى السبب لهذه الطاعة فقال سبحانه
يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم أي أنهم لما علموا كونه سبحانه عالما بجميع المعلومات علموا كونه عالما بظواهرهم
وبواطنهم وكان ذلك داعيا لهم إلى نهاية الخضوع وكمال العبودية قال ابن عباس رضي الله عنهما يعلم ما قدموا
وأخروا من أعمالهم وقال مقاتل يعلم ما كان قبل أن خلقهم وما كان بعد خلقهم وقيل ما بين أيديهم الآخرة وما خلفهم
الدنيا وقيل بالعكس ثم قال تعالى ولا يشفعون إلا لمن ارتضى أي لمن هو عند الله مرضي قاله مجاهد وقال ابن عباس
لمن قال لا إله إلا الله وهم من خشيته أي من خشيتهم منه فأضيف المصدر إلى مفعوله مشفقون خائفون لا يأمنون
من مكره ونظيره قوله تعالى لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه رأى جبريل
صلوات الله عليه ليلة المعراج ساقطا كالحلس من خشية الله **قوله تعالى** ومن يقل منهم إني إله من دونه قال
قتادة عني به إبليس لعنه الله حيث دعى إلى عبادة نفسه وأمر بطاعته فإن أحدا من الملائكة لم يقل إني إله من دون
الله الآية لا تدل على أنهم قالوا ذلك أو ما قالوه وهذا قريب من قوله لئن أشركت ليحبطن عملك **قوله تعالى**
فذلك نجزيه جهنم يجوز في ذلك وجهان أحدهما أنه مرفوع بالابتداء وهذا وجه حسن والثاني أنه منصوب بفعل
مقدر يفسره هذا الظاهر والمسئلة من باب الاشتغال وفي هذا الوجه إضمار عامل مع الاستغناء عنه فهو مرجوح
والفاء وما في حيزها في موضع جزم جوابا للشرط وكذلك نعت لمصدر محذوف أو حال من ضمير المصدر أي جزاء مثل
ذلك الجزاء ونجزي الجزاء حال كونه مثل ذلك وقرأ العامة نجزي بفتح النون وأبو عبد الرحمن المقري رحمه الله
وجهه أنه من أجزأ بالهمز من أجزأني كذا أي كفاني ثم خففت الهمزة وانقلبت إلى الياء **فصل**
احتجت المعتزلة بقوله تعالى ولا يشفعون إلا لمن ارتضى على أن الشفاعة لأهل الكبائر لا تكون في الآخرة لأنه لا يقال
في أهل الكبائر إن الله يرتضيهم والجواب قول ابن عباس والضحاك أن معنى إلا لمن ارتضى أي لمن قال لا إله إلا الله وهذه
الآية من أقوى الدلائل في إثبات الشفاعة لأهل الكبائر وهو أن من قال لا إله إلا الله فقد ارتضاه الله في ذلك ومن
صدق عليه أنه ارتضاه الله في ذلك فقد صدق عليه أنه ارتضاه الله لأن المركب متى صدق عليه أنه ارتضاه فقد صدق
على الحالة كل واحد من أجزائه وإذا ثبت أن الله تعالى سبحانه ارتضى وجب اندراجه تحت هذه الآية فثبت بما
ذكرنا أن هذه الآية من أقوى الدلائل لنا على ما قرره ابن عباس رضي الله عنه **فصل** دلت الآية
على أن الملائكة مكلفون لقوله وهم بأمره يعملون وعلى أن الملائكة معصومون **قوله تعالى** كذلك نجزي
الظالمين قال القاضي عبد الجبار هذا يدل على أن كل ظالم يجزيه الله تعالى جهنم كما توعد الملائكة به وذلك
يوجب القطع بأنه تعالى سبحانه لا يغفر الكبائر في الآخرة فأجيب أن أقصى ما فيه أن هذا العموم مشعر بالوعيد وهذا
عارض بعمومات الوعد أو المراد بالظالمين الواضعين الإلهية والعبادة في غير موضعها **قوله تعالى** أولم ير
الذين كفروا الآيات اعلم أنه تعالى شرع الآن في الدلائل الدالة على وجود الصانع وعلى كونه منزها عن الشريك
وعلى التوحيد فيكون كالتوكيد لما تقدم لأنها دالة على حصول الترتيب العجيب في العالم ووجود الإلهين يقتضي
وقوع الفساد وفيها رد على عبدة الأوثان من حيث أن الإله القادر على مثل هذه المخلوقات العظيمة كيف يجوز في
العقل أن يعدل عن عبادته إلى عبادة حجر لا يضر ولا ينفع فهذا وجه النظم وقرأ ابن كثير ألم ير من غير واو
والباقون بالواو ونظير حذف الواو وإثباتها هنا ما تقدم في البقرة وآل عمران في قوله تعالى قالوا اتخذ الله
سارعوا إلى مغفرة وقد تقدم حمله وإدخال الواو يدل على العطف على آخر تقدمه والرؤية هنا يجوز أن تكون
قلبية وأن تكون بصرية وأن وما في حيزها سادة مسد مفعولين عند الجمهور على الأول ومسد واحد والثاني محذوف
عند الأخفش وسادة مسد واحد فقط على الثاني فإن قيل إن كان المراد بالرؤية البصرية فمشكل لأن القوم ما
رأوهن كذلك البتة وكقوله تعالى ما أشهدتهم خلق السموات والأرض وإن كان المراد العلم فمشكل لأن الأجسام

قابلة للفتق والرتق في أنفسها فالحكم عليها بالرتق أولا وبالفتق ثانيا لا سبيل إليه إلا بالسمع والمناظرة
مع الكفار المنكرين للرسالة فكيف يجوز مثل هذا الاستدلال فالجواب المراد من الرؤية العلم وما ذكروه من السؤال
مدفوع من وجوه أحدها أنا نثبت نبوة محمد صلى الله عليه وسلم بسائر المعجزات ثم نستدل بقوله ثم نجعله دليلا على
حصول النظام في العالم وانتفاء الفساد عنه وذلك هو كذا الدلالة المذكورة في التوحيد وثانيها أن يحمل الرتق
والفتق على إمكان الرتق والفتق والعقل يدل عليه لأن الأجسام يصح عليها الاجتماع والافتراق واختصاصها
بالاجتماع دون الافتراق أو بالعكس يستدعي مخصصا وثالثها أن اليهود والنصارى كانوا عالمين بذلك فإنه
جاء في التوراة أن الله تبارك وتعالى خلق جوهرة ثم نظر إليها بعين الهيبة فصارت ماء ثم خلق السموات والأرض
منها وفتق بينهما وكان بين اليهود وعبدة الأوثان نوع صداقة بسبب الاشتراك في عداوة محمد صلى الله عليه
وسلم فاحتج الله عليهم بهذه الحجة على أنهم يقبلون قول اليهود في ذلك **قوله تعالى** كانتا الضمير يعود على
السموات والأرض بلفظ التثنية والمتقدم جمع وفي ذلك أوجه أحدها ما ذكره الزمخشري فقال وإنما قيل كانتا
دون كن لأن المراد جماعة السموات وجماعة الأرضين ومنه قولهم لقاحان سوداوان أي جماعتان فعل في المضمر
ما فعل في المظهر الثاني قال أبو البقاء الضمير يعود على الجنسين الثالث قال الحوفي كانتا رتقا والسموات جمع لأنه
أراد الصنفين قال الأسود بن يعفر ⁕ إن المنية والحتوف كلاهما ⁕ يوفي المخارم يرقبان سوادي ⁕ لأنه أراد النوعين
وتبعه ابن عطية في هذا فقال وقال كانتا من حيث هما نوعان ونحوه قول عمرو بن شييم قوله ⁕
⁕ ألم يحزنك أن جبال قيس ⁕ وتغلب قد تباينتا انقطاعا ⁕
قال الأخفش السموات نوع والأرض نوع ومثله إن الله يمسك السموات والأرض أن تزولا ومنه ذلك أصلحنا
بين القومين ومرت بنا غنمان أسودتان لأن هذا القطيع غنم وذلك غنم ورتقا خبر ولم يثن لأنه في الأصل
مصدر ثم لك أن تجعله قائما مقام المفعول كالخلق بمعنى المخلوق أو تجعله على حذف مضاف أي ذواتي رتق
وهذه قراءة الجمهور وقرأ الحسن وزيد بن علي وأبو حيوة وعيسى رتقا بفتح التاء وفيه وجهان أحدهما أنه مصدر
أيضا ففيه الوجهان المتقدمان في الساكن التاء والثاني أنه فعل بمعنى مفعول كالقبض بمعنى المقبوض والنقض بمعنى
المنقوض وعلى هذا فكان ينبغي أن يطابق بخبره في التثنية وأجاب الزمخشري عن ذلك فقال هو على تقدير موصوف
أي كانتا شيئا رتقا وقال المفضل لم يقل كانتا رتقين كقوله تعالى وما جعلناهم جسدا لا يأكلون الطعام وحد
جسدا كذلك ما يحتج فيه كل واحد رتق ورجح بعضهم المصدرية بعدم المطابقة في التثنية وقد عرف جوابه ولأن
يقول الأصل عدم حذف الموصوف فلا يصار إليه دون ضرورة فالرتق الانضمام ارتتق خلقه أي انضم وامرأة
رتقاء منسدة الفرج فلم يمكن جماعها من ذلك والفتق فصل ذلك المرتتق وهو من أحسن البديع هنا حيث قابل الرتق
بالفتق **فصل** قال ابن عباس رضي الله عنهما في رواية عكرمة والحسن وقتادة وسعيد بن جبير كانتا شيئا واحدا
ملتزقتين ففصل الله تعالى بينهما ورفع السماء إلى حيث هي وأقر الأرض وهذا القول يوجب أن خلق الأرض مقدم على
خلق السماء لأنه تعالى لما فصل بينهما ترك الأرض حيث هي وأصعد الأجزاء السماوية قال كعب رضي الله عنه خلق الله السموات
والأرض ملتصقتين ثم خلق ريحا توسطتها ففتقتهما وقال مجاهد والسدي كانت السموات مرتتقة طبقة واحدة
ففتقها فجعلها سبع سموات وكذلك الأرض كانت مرتتقة طبقة واحدة ففتقها فجعلها سبع أرضين وقال ابن عباس
في رواية عطاء وأكثر المفسرين أن السموات كانت رتقا مستوية صلبة لا تمطر والأرض رتقا لا تنبت ففتق السماء
بالمطر والأرض بالنبات ونظيره قوله تعالى والسماء ذات الرجع والأرض ذات الصدع ورجحوا هذا الوجه بقوله
بعد ذلك وجعلنا من الماء كل شيء حي وذلك لا يليق إلا بذلك فإن قيل هذا الوجه مرجوح لأن المطر لا ينزل من السموات
والأرض بل من سماء واحدة وهي سماء الدنيا فالجواب إنما أطلق عليه لفظ الجمع لأن كل قطعة منها سماء
كما يقال ثوب أخلاق وبرمة أعشار وعلى هذا التأويل فيحمل الرؤية على الإبصار وقال أبو مسلم يجوز أن يراد بالفتق الإيجاد
والإظهار كقوله تعالى فاطر السموات والأرض وكقوله تعالى بل ربكم رب السموات والأرض الذي فطرهن فأخبر عن
الإيجاد بلفظ الفتق وعن الحال قبل الإيجاد بلفظ الرتق وتحقيقه أن العدم نفي محض فليس فيه ذوات وأعيان متباينة
بل كأنه أمر واحد متصل متشابه فإذا وجدت الحقائق فعند الوجود والتكوين يتميز بعضها من بعض وينفصل بعضها عن بعض
فبهذا الطريق حسن جعل الرتق مجازا عن العدم والفتق عن الوجود وقيل إن الليل سابق النهار لقوله تعالى وآية لهم الليل
نسلخ منه النهار فكانت السموات والأرض مظلمة أولا ففتقهما الله بإظهار النهار المبصر واعلم أن دلالة هذه الوجوه على
إثبات الصانع ووحدانيته ظاهرة لأن أحدا لا يقدر على مثل ذلك **قوله تعالى** وجعلنا من الماء كل شيء حي

يجوز في جعل هذه ان تكون بمعنى خلق فتتعدى لواحد وهو كل شيء ومن الماء متعلق بالفعل قبله ويجوز ان يتعلق بمحذوف
على انه حال من كل شيء لانه في الاصل يجوز ان يكون وصفا فلما قدم عليه نصب على الحال ومعنى خلقه من الماء اما
شدة احتياج كل حيوان للماء فلا يعيش بدونه واما لانه مخلوق من النطفة التي تسمى ماء ويجوز ان تكون جعل بمعنى صير فيتعدى
لاثنين ثانيهما الجار بمعنى اذا صيرنا كل شيء حي بسبب من الماء لا بد له منه والعامة على خفض حي صفة لشيء وقرا حميد
بنصبه على انه مفعول ثان لجعلنا والظرف لغو ويبعد على هذه القراءة ان يكون جعل بمعنى خلق وان انتصب حيا على الحال
قال الزمخشري رحمه الله ومن في هذا نحو من في قوله صلى الله عليه وسلم ما انا من دد ولا الدد مني فان قيل كيف
قال خلقنا من الماء كل حيوان وقد قال سبحانه والجان خلقناه من قبل من نار السموم وقال صلى الله عليه وسلم
ان الله تعالى خلق الملائكة من النور وقال في عيسى صلوات الله عليه اذ تخلق من الطين كهيئة الطير فتنفخ فيه فيكون
طيرا باذن الله وقال تعالى في حق ادم صلى الله عليه وسلم خلقه من تراب فالجواب اللفظ وان كان عاما الا ان القرينة
المخصصة قائمة فان الدليل لا بد وان يكون مشاهدا محسوسا ليكون اقرب الى المقصود وبهذا الطريق تخرج عنه
الملائكة والجن وادم وقصة عيسى لان الكفار لم يروا شيئا من ذلك **فصل** قال بعض المفسرين المراد
بقوله كل شيء حي الحيوان فقط وقال اخرون بل يدخل فيه النبات لانه من الماء صار ناميا وصار فيه الرطوبة
والخضرة والنور والثمر وهذا القول اليق لان المعنى كانه قال ففتقنا السماء لانزال المطر وجعلنا منه كل شيء
في الارض من النبات وغيره حيا فان قيل النبات لا يسمى حيا فالجواب لا نسلم ويدل عليه قوله تعالى كيف يحيي الارض
ثم قال تعالى افلا يؤمنون والمعنى افلا يؤمنون بان يتدبروا هذه الادلة فيعلموا بها ويتركوا طريقة الشرك
قوله تعالى وجعلنا في الارض رواسي ان تميد الرواسي الجبال والراسي هو الداخل في الارض **قوله تعالى**
ان تميد مفعول من اجله اي ان لا تميد فحذفت لا لفهم المعنى كما زيدت في لئلا يعلم اهل الكتاب او كراهة ان تميد
وقدره ابو البقاء مخافة ان تميد وفيه نظر لان جعلنا المخافة مسندة الى المخاطبين لاختلال شرط من شروط النصب
جوابه انه ليس بمنصوب بل مجرور بحرف العلة المقدر وحذف حرف الجر مطرد مع ان وان بشرطه **فصل**
قال ابن عباس رضي الله عنهما ان الارض بسطت على الماء فكانت تكفا باهلها كما تكفا السفينة فارساها الله تعالى
بالجبال الثقال **قوله تعالى** وجعلنا فيها فجاجا سبلا في فجاجا وجهان احدهما انه مفعول به وسبلا بدل منه
والثاني انه منصوب على الحال من سبلا لانه في الاصل صفة له فلما قدم انتصب حالا كقول الشاعر

لمية موحشا طلل • يلوح كانه خلل •

ويدل على ذلك مجيئه صفة في قوله تعالى لتسلكوا منها سبلا فجاجا وقال الزمخشري فان قلت في الفجاج معنى الوصف
فما لها قدمت على السبل ولم تؤخر كقوله تعالى لتسلكوا منها سبلا فجاجا قلت لم تقدم وهي صفة ولكن جعلت حالا
كقوله لعزة موحشا طلل قديم فان قلت ما الفرق بينهما من جهة المعنى قلت احدهما اعلام بانه جعل فيها طرقا واسعة
والثاني انه حين خلقها خلقها على تلك الصفة فهي بيان لما ابهم ثمة قال ابو حيان يعني بالابهام ان الوصف
لا يلزم ان يكون الموصوف متصفا به حالة الاخبار عنه وان كان الاكثر قيامه به حالة الاخبار عنه الا ترى انه
يقال مررت بوحشي القاتل حمزة وبحالة المورود لم يكن قائما به قتل حمزة والفج الطريق الواسع والجمع الفجاج والضمير في
فيها يجوز ان يعود على الارض وهو الظاهر كقوله عز وجل والله جعل لكم الارض بساطا لتسلكوا منها سبلا فجاجا
وان يعود على الرواسي يعني انه جعل في الجبال طرقا واسعة وهذا قول مقاتل والضحاك ورواية عطاء عن ابن عباس
وعن ابن عمر رضي الله عنه قال كانت الجبال منضمة فلما اغرق الله قوم نوح فرقها فجاجا وجعل فيها طرقا وقوله
تعالى لعلهم يهتدون اي لكي يهتدون اذ الشك لا يجوز على الله تعالى والمعنى ليهتدوا الى البلاد وقيل ليهتدوا
الى وحدانية الله تعالى بالاستدلال قالت المعتزلة وهذا يدل على انه تعالى اراد من جميع المكلفين ان يهتدوا وقد تقدم
وقيل الاهتدا الى البلاد والاهتدا الى وحدانية الله تعالى يشتركان في اصل الاهتدا ويحمل اللفظ على ذلك
المشترك مستعملا في مفهوميه معا **قوله تعالى** وجعلنا السماء سقفا محفوظا سمي سقفا لانها كالسقف للبيت
ومعنى محفوظا اي محفوظ من الوقوع كقوله عز وجل ويمسك السماء ان تقع وقيل محفوظا من الشياطين **قوله تعالى**
وهم عن اياتها معرضون جملة استينافية وقرا مجاهد وحميد عن اياتها بلفظ الافراد وجعل الجلق اية
وهي مشتملة على ايات واطلق الواحد واراد به الجنس والمعنى ان الكفار معرضون عما خلق في السماء من الشمس والقمر
والاستضاءة بنورهما والنجوم والاهتداء بها وحياة الارض بامطارها وعن كونها اية بينة على وجود الصانع
وحكمته لا يتفكرون فيها ولا يعتبرون بها **قوله تعالى** وهو الذي خلق الليل والنهار والشمس والقمر

وكل في فلك يسبحون اي كل منهما من الشمس والقمر او منها اي من الليل والنهار والشمس والقمر ويسبحون يجوز ان
يكون خبر كل على المعنى وفي فلك متعلق به ويجوز ان يكون حالا او الخبر في فلك وكون المضاف اليه يجوز ان يكون
مقدرا بالاربعة الاشياء المذكورة ذكره ابو البقاء ولم يذكر غيره الا ان المضاف اليه الشمس والقمر وهو الظاهر لان السباحة
من صفتهما دون الليل والنهار وعلى هذا فيعتذر عن الاتيان بضمير الجمع وعن كونه جمع من يعقل اما الاول فقيل
الجمع لان ثم معطوفا محذوفا تقديره والنجوم كما دلت عليه ايات اخر فصار ضمير النجوم وان لم تكن مذكورة يعود
هذا الضمير اليها وقال الزمخشري الضمير للشمس والقمر والمراد بهما جنس الطوالع كل يوم وليلة جعلوها متكاثرة
لتكاثر مطالعها وهو السبب في جمعهما بالشموس والاقمار انتهى والذي حسن ذلك كونه راس اية وقال ابو البقاء يسبحون
خبر كل على المعنى لان كل واحد اسبح فكلها تسبح فقيل يسبحون على هذا الوجه حال والخبر في فلك وقيل التقدير
كلها والخبر يسبحون واتى بضمير الجمع على معنى كل وفي هذا الكلام نظر من حيث انه لما جوز ان يكون المضاف اليه شيئين
جعل الخبر الجار ويسبحون حالا فرارا من عدم مطابقة الخبر للمبتدا فوقع في عدم تطابق الحال وصاحبها واما الثاني فلانه
لما اسند اليه السباحة التي هي من افعال العقلاء جمعها جمع العقلاء كقوله تعالى سبحانه رايتهم لي ساجدين واتيا طائعين
قال الزمخشري والتنوين في كل عوض عن المضاف اليه اي كلهم في فلك يسبحون وهذه الجملة يجوز ان تكون لا محل لها من
الاعراب لاستينافها ويجوز ان تكون محلها النصب على الحال من الشمس والقمر فان قلنا ان السباحة تنسب الى الليل والنهار
كما نقل عن ابي البقاء في احد الوجهين فيكون حالا من الجميع وان كان لا يصح نسبتها اليهما كانت حالا من الشمس والقمر
وتاويل الجمع قد تقدم قال ابو حيان او محلها النصب على الحال من الشمس والقمر لان الليل والنهار لا يتصفان بانهما
يجريان في فلك فهو كقولك رايت هندا وزيدا متبرجة انتهى وسبقه اليه الزمخشري يعني انه تقدم دليل على ان
الحال من بعض ما تقدم كما في المثال المذكور قال الزمخشري فان قلت لكل واحد من القمرين فلك على حدة فكيف قال في
فلك يسبحون قلت هذا كقولهم كساهم الامير حلة وقلدهم سيفا اي كل واحد منهم والسباحة العوم في الماء وقد يعبر به
عن مطلق الذهاب وقد تقدم اشتقاقه في سبحانك ومعنى يسبحون يسيرون بسرعة كالسابح في الماء **فصل**
اعلم ان للكواكب حركتين الاولى مجمع عليها وهي حركتها من المشرق الى المغرب والحركة الثانية قالت الفلاسفة واصحاب
الهيئة ان للكواكب حركة اخرى من المغرب الى المشرق قالوا وهي ظاهرة في السبعة السيارة خفية في الثانية واستدلوا
بانا وجدنا الكواكب السيارة كلما كان فيها اسرع حركة اذا فارق ما هو ابطأ حركة منه تقدم نحو المشرق وهذا في القمر
ظاهر جدا فانه يظهر بعد الاجتماع بيوم او بيومين من ناحية المغرب على بعد من الشمس ثم يزداد كل ليلة بعدا منها الى ان يقابلها
وكل كوكب كان قريبا منه على طريقه على ممر البروج مزدادا كل ليلة قربا منه ثم اذا ادركه ستره بطرفه الشرقي وينكشف
ذلك الكوكب بطرفه الغربي فعلمنا ان لهذه الكواكب السيارة حركة من المغرب الى المشرق واجيبوا بان ذلك محال لان الشمس
مثلا اذا كانت متحركة بذاتها من المغرب الى المشرق حركة بطيئة وهي متحركة بسبب الحركة اليومية من المشرق الى المغرب
لزم كون الجرم الواحد متحركا حركتين الى جهتين مختلفتين دفعة واحدة وذلك محال لان التحرك الى جهة يقتضي حصول
المتحرك في الجهة المنتقل اليها فلو تحرك الجسم الواحد دفعة واحدة الى مكانين وهو محال الى جهتين لزم حصوله دفعة
واحدة الى مكانين وهو محال قالوا ما ذكرتموه ينتقض بما اذا دارت الرحا الى جانب والنملة التي تكون عليها متحركة
الى خلاف ذلك الجانب وللكلام في هذه المسئلة مكان غير هذا **فصل** الفلك مدار النجوم والفلك
في كلام العرب كل مستدير وجمعه افلاك ومنه فلكة المغزل قال الضحاك الفلك ليس بجسم وانما هو مدار هذه النجوم
وقال الكلبي الفلك استدارة السماء وقال بعضهم الفلك موج مكفوف يجري الشمس والقمر والنجوم فيه وقيل ماء مجموع
يجري فيه الكواكب واحتجوا بان السباحة لا تكون الا في الماء واجيبوا بالمنع فانه يقال في الفرس الذي يمد يديه في الجري
سابح وقال الحسن الفلك طاحون كهيئة فلكة المغزل وقال جمهور الفلاسفة واصحاب الهيئة الافلاك اجرام صلبة
لا ثقيلة ولا خفيفة غير قابلة للخرق والالتيام والنمو والذبول واختلف الناس في حركات الكواكب فقال بعضهم
الفلك ساكن والكواكب تتحرك فيه كحركة السمكة في الماء وقال اخرون الفلك متحرك والكواكب تتحرك فيه ايضا اما مخالفا
لجهة حركته او موافقا لجهته اما بحركة مساوية لحركة الفلك في السرعة والبطء او مخالفة وقيل الفلك متحرك
والكواكب مغروزة فيه اما الاول فقالت الفلاسفة انه باطل لانه يوجب الخرق وان كانت حركتها الى غير جهة الفلك
فان كانت مخالفة لها في السرعة والبطء لزم الانخراق وان استويا في الجهة بالسرعة والبطء فالخرق ايضا لازم لان الكواكب
تتحرك بالعرض بسبب حركة الفلك فتبقى حركة الذاتية زائدة فيلزم الخرق فلم يبق الا القسم الثالث وهو ان يكون الكوكب
مغروزا في الفلك والفلك يتحرك فيتحرك الكوكب بسبب حركة الفلك واعلم ان مدار الكلام على امتناع الخرق على الافلاك وهو

محال واما الثاني فحركة الكوكب ان كانت مخالفة لحركة الفلك فذلك ايضا يوجب الخرق وان كانت حركتها الى جهة
الفلك فان كانت مخالفة لها في السرعة والبطء لزم الانخراق وان استويا في الجهة والسرعة والبطء فالخرق ايضا لازم لان
الكواكب تتحرك بالعرض بسبب حركة الفلك فتبقى حركتها الذاتية زائدة فيلزم الخرق فلم يبق الا القسم الثالث وهو ان يكون الكوكب
مغروزا في الفلك والفلك يتحرك فيتحرك الكوكب بسبب حركة الفلك واعلم ان مدار الكلام على امتناع الخرق على الافلاك
وهو باطل بل الحق ان الاقسام الثلاثة ممكنة والله سبحانه قادر على كل الممكنات والذي دل عليه لفظ القران ان الافلاك
ثابتة والكواكب جارية فيها كما تسبح السمكة في الماء **فصل** احتج ابن سينا على كون الكواكب احياء ناطقة بقوله تعالى
يسبحون قال والجمع بالواو والنون لا يكون الا للعقلاء وبقوله تعالى والشمس والقمر رايتهم لي ساجدين والجواب ان الاتيان
بضمير العقلاء للوصف بفعلهم وهو السباحة **قوله تعالى** وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد الاية لما استدل بالا
شياء المذكورة وهي من اصول النعم الدنيوية اتبعه بما يدل على ان هذه الدنيا امرها كذلك لا يبقى ولا يدوم وانما خلقها
سبحانه وتعالى للابتلاء والامتحان وليتوصل بها الى دار الخلود فقال تعالى وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد قال مقاتل
ان ناسا كانوا يقولون ان محمدا صلى الله عليه وسلم لا يموت فنزلت هذه الاية وقيل كانوا يقدرون انه سيموت فيشمتون
به في قولهم نتربص بمحمد ريب المنون فنفى الله تعالى عنه الشماتة بهذه الاية فقال افان مت فهم الخالدون اي قضى الله
ان لا يخلد في الدنيا بشر لا انت ولا هم وفي هذا المعنى قول القائل • فقل للشامتين بنا افيقوا •
سيلقى الشامتون كما لقينا • وقيل يحتمل انه لما اظهر انه صلى الله عليه وسلم خاتم الانبياء صلوات الله عليهم وجاز
ان يقدر مقدر انه لا يموت اذ لو مات لتغير شرعه فنبه الله تعالى على ان حاله كحال غيره من الانبياء صلوات الله عليهم
في الموت **قوله تعالى** افان مت نقل من نظيره في آل عمران عند قوله عز وجل افان مات او قتل وفي هذه الاية دليل
لمذهب سيبويه وهو انه اذا اجتمع شرط وقسم اجيب الشرط فتكون في الاية قد دلت فيها همزة الاستفهام على جملة الشرط
والجملة المقرونة بالفاء جواب الشرط وليست مصبا للاستفهام وزعم يونس ان الاستفهام منصب على الجملة المقرونة بالفاء
جواب الشرط وان الشرط معترض بين الاستفهام وبينها وجوابه محذوف وليس بشيء اذ لو كان كما قال لكان التركيب افان مت
هم الخالدون بغير فاء وكان ابن عطية نحى منحى يونس فانه قال والف الاستفهام داخلة في المعنى على جواب الشرط **قوله تعالى**
كل نفس ذائقة الموت هذا العموم مخصوص فان له تعالى نفسا لقوله تبارك وتعالى تعلم ما في نفسي ولا اعلم ما في نفسك
مع ان الموت لا يجوز عليه قال ابن الخطيب رحمه الله وكذا الجمادات لها نفوس وهي لا تموت والعام المخصوص حجة فيبقى
معمولا به فيما عدا هذه الاشياء وذلك يبطل قول الفلاسفة في ان الارواح البشرية والعقول والنفوس الفلكية
لا تموت واعلم ان الذوق ههنا لا يمكن اجراؤه على ظاهره لان الموت ليس من جنس المطعوم حتى يذاق بل الذوق ادراك خاص
فيجوز جعله مجازا عن اصل الادراك واما الموت فالمراد منه هنا مقدماته من الالام العظيمة لان الموت قبل دخوله
في الوجود يمتنع ادراكه وحال وجوده يصير الشخص ميتا والميت لا يدرك شيئا والاضافة في ذائقة الموت في تقدير
الانفصال لانه لما يستقبل كقوله تعالى غير محلي الصيد وهديا بالغ الكعبة **قوله تعالى** ونبلوكم بالشر والخير
نبلوكم نختبركم بالشر والخير بالشدة والرخاء والصحة والسقم والغنى والفقر وقيل بما تحبون وما تكرهون لكي تشكروا
على المنح وتصبروا على المحن فيعظم ثوابه اذا قام بما يلزم وانما سمي ذلك ابتلاء وهو عالم بما يكون من اعمال العاملين قبل
وجودهم لانه في صورة الاختبار **قوله تعالى** فتنة في نصبه ثلاثة اوجه احدها انه مفعول من اجله الثاني انه
مصدر في موضع الحال اي فاتنين الثالث انه مصدر من معنى العامل لا من لفظه لان الابتلاء فتنة فكانه قيل نفتنكم
فتنة ثم قال سبحانه والينا ترجعون اي الى حكمنا ومحاسبتنا ومجازاتنا بين بذلك بطلان قولهم في نفي البعث والمعاد
وقرا العامة ترجعون بتاء الخطاب مبنيا للمفعول وغيرهم بياء الغيبة على الالتفات **قوله تعالى** واذا رآك
الذين كفروا ان يتخذونك الا هزوا وهذا رجوع الى قبائح كفرهم قال السدي ومقاتل رحمهما الله نزلت في ابي جهل
مر به النبي صلى الله عليه وسلم وكان ابو سفيان مع ابي جهل فقال ابو جهل لابي سفيان هذا نبي بني عبد مناف
فقال ابو سفيان وما تنكر ان يكون نبيا في بني عبد مناف فسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم قولهما فقال لابي جهل ما اراك
تنتهي حتى ينزل بك ما نزل بعمك الوليد بن المغيرة واما انت يا ابا سفيان فانما قلت ما قلته حمية فنزلت هذه الاية
قوله تعالى ان يتخذونك ان هنا نافية وهي وما في حيزها جواب الشرط باذا واذا خالفت اخوات الشرط
في ذلك فان ادوات الشرط متى اجيبت بان النافية او بما النافية وجب الاتيان بالفاء تقول ان اتيتني فانا اهينك او فما اهينك
وتقول اذا اتيتني ما اهينك بغير فاء ويدل له قوله تعالى واذا تتلى عليهم اياتنا بينات ما كان حجتهم الا ان قالوا والقصد هنا
مفعول لا بين وهزوا هو الثاني اما على حذف مضاف واما على الوصف على المصدر مبالغة واما على وقوعه موقع اسم المفعول

وفي جواب اذا قولان احدهما انه ان النافية وقد تقدم والثاني انه محذوف وهو القول الذي قد حكي به الجملة
الاستفهامية في قوله تعالى اهذا الذي يذكر الهتكم اذ التقدير واذا رآك الذين كفروا يقولون اهذا الذي وتكون
الجملة المنفية معترضة بين الشرط وبين جوابه المقدر **قوله تعالى** وهم بذكر الرحمن هم كافرون هم الاولى مبتدا
ومخبر عنه بكافرون وبذكر متعلق بالخبر والتقدير وهم كافرون بذكر وهم الثاني تاكيد للاول تاكيدا لفظيا
ووقع الفصل بين العامل ومعموله بالموكد وبين الموكد والموكد بالمعمول وفي هذه الجملة قولان احدهما انها في محل
نصب على الحال من فاعل القول المقدر اي يقولون ذلك وهم على هذه الحالة والثاني انها حال من فاعل يتخذونك واليه نحى
الزمخشري فانه قال والجملة في موضع الحال اي يتخذونك هزوا وهم على حال هي اصل الهزو والسخرية وهي الكفر بالله عز وجل
فصل والمعنى انهم يعيبون عليه كونه يذكر الهتهم التي لا تضر ولا تنفع بالسوء مع انهم بذكر الرحمن المنعم
عليهم الخلاق المحيي المميت كافرون ولا فعل اقبح من ذلك فيكون الهزو واللعن والذم عليهم من حيث لا يشعرون
يقال فلان يذكر فلانا اي يعيبه وفلان يذكر الله اي يعظمه ويحتمل ان يراد بذكر الرحمن القران ومعنى اعادة هم
ان الاولى اشارة الى القوم الذين كانوا يفعلون ذلك الفعل والثانية ابانة لاختصاصهم به وايضا فان اعادة
تاكيد وتعظيم لفعلهم **قوله تعالى** خلق الانسان من عجل الاية في المراد بالانسان قولان احدهما انه النوع وذلك
انهم كانوا يستعجلون العذاب ويقولون متى هذا الوعد والمعنى ان بنيته من العجلة كما قال تعالى وكان الانسان عجولا
فان قيل مقدمة الكلام لا بد ان تكون مناسبة للكلام وكون الانسان مخلوقا من العجل مناسب كونه معذورا
فيه فلم رتب عليه هذه المقدمة قوله فلا تستعجلون فالجواب انه تعالى نبه بهذا على ان ترك الاستعجال حالة مرغوب
فيها القول الثاني ان المراد بالانسان شخص معين فقال ابن عباس في رواية عطاء نزلت الاية في النضر بن الحرث وقال
مجاهد وسعيد بن جبير وعكرمة والسدي والكلبي ومقاتل والضحاك المراد آدم صلى الله عليه وسلم روى ابن جريج وليث
ابن ابي سليم قال خلق الله تعالى آدم صلى الله عليه وسلم بعد كل شيء من آخر نهار يوم الجمعة فلما دخل الروح رأسه ولم يبلغ
اسفله نظر الى ثمار الجنة فلما دخل الروح جوفه اشتهى الطعام فوثب قبل ان يبلغ الروح الى رجليه عجلان الى ثمار الجنة
فوقع فقيل خلق الانسان من عجل والقول الاول اولى لان الغرض ذم القوم وذلك لا يحصل الا اذا حملنا لفظ الانسان
على النوع **قوله تعالى** من عجل فيه قولان احدهما انه من باب القلب والاصل خلق العجل من الانسان لشدة صدوره
منه وملازمته له والى هذا ذهب ابو عمرو ويؤيده قراءة عبد الله خلق العجل من الانسان والقلب موجود في كلامهم
قال الشاعر • حسرت كفي عن السربال آخذه • يريد حسرت السربال عن كفي ومثله في الكلام اذا طلع الشعرى
استوى العود على الحرباء وقالوا عرضت الحوض على الناقة اي على الحوض وتقدم منه امثلة الا ان بعضهم يخصه بالضرورة
وتقدم فيه ثلاثة مذاهب والثاني انه لا قلب فيه وفيه تاويلات احسنها ان ذلك على المبالغة جعل ذات الانسان
كانها خلقت من العجلة دلالة على شدة اتصاف الانسان بها وانها مادته التي اخذ منها كما قيل للرجل الذكي هو نار
تشتعل والعرب قد تسمي المرء بما يكثر منه فتقول ما انت الا اكل ونوم وما هو الا اقبال وادبار قال الشاعر
• ترتع ما رتعت حتى اذا ادكرت • فانما هي اقبال وادبار •
ويؤكد هذا قوله خلق الانسان عجولا قال المبرد خلق الانسان من عجل اي من شانه العجلة كقوله تعالى خلقكم
من ضعف اي ضعفاء ومثله في المبالغة من جانب النفي قوله صلى الله عليه وسلم لست من الدد ولا الدد مني والدد
اللعب وفيه لغات دد مثل يد وددا مقصور كعصا وددن بالنون والفه في احدى لغاته مجهولة الاصل
لا يدرى اهي عن ياء او واو وقيل خلق الانسان من عجل اي بسرعة وتعجيل غير ترتيب خلق سائر الادميين من النطفة
ثم العلقة ثم المضغة ثم العظام ثم انشاناه خلقا آخر وقال ابو عبيدة رحمه الله العجل الطين بلغة حمير قال شاعرهم
• والنبع في الصخرة الصماء منبته • والنخل ينبت بين الماء والعجل •
قال الزمخشري رحمه الله عن انشاده عجز هذا البيت والله اعلم بصحته قال شهاب الدين رحمه الله وهو معذور وهذا
الجار يحتمل تعلقه بخلق على المجاز والحقيقة المتقدمين وان يتعلق بمحذوف على انه حال كانه قال خلق الانسان
عجلا قاله ابو البقاء وقرا العامة مبنيا للمفعول الانسان مرفوعا لقيامه مقام الفاعل وقرا مجاهد وحميد وابن
محيصن خلق مبنيا للفاعل الانسان نصبا مفعولا به فان قيل القوم استعجلوا الوعيد على وجه التكذيب
ومن هذا حاله لا يكون مستعجلا على الحقيقة فالجواب ان استعجالهم بما يوعدهم من عقاب الاخرة او هلاك الدنيا
يتضمن استعجال الموت وهم عالمون بذلك فكانوا مستعجلين حقيقة **قوله تعالى** ساريكم اياتي مواعيدي
قيل هي الهلاك المعجل في الدنيا والاخرة ولذلك قال فلا تستعجلون اي انه سياتي لا محالة في وقته فلا تطلبوا العذاب

ادم

قبل وقته فانه هو يوم بدر وقيل كانوا يستعجلون القيامة وقيل الايات ادلة التوحيد وصدق الرسول
صلى الله عليه وسلم وقيل الايات اثار القرون الماضية بالشام واليمن **قوله تعالى** ويقولون متى هذا الوعد
ان كنتم صادقين هذا هو الاستعجال المذموم المذكور على سبيل الاستهزاء وهو كقوله تعالى ويستعجلونك
بالعذاب ولولا اجل مسمى لجاءهم العذاب فبين تعالى انهم يقولون ذلك لجهلهم وغفلتهم **قوله تعالى**
متى هذا الوعد متى خبر مقدم فهي في محل رفع وزعم بعض الكوفيين انها في محل نصب على الظرف والعامل فيها فعل
مقدر رافع لهذا والتقدير متى يجيء هذا الوعد ومتى ياتي والاول اظهر **قوله تعالى** لو يعلم جواب لو محذوف
لانه ابلغ منه في الوعيد فقدره الزمخشري رحمه الله تعالى لما كانوا بتلك الصفة من الكفر والاستهزاء والاستعجال
ولكن جهلهم هو الذي هونه عندهم وقدره ابن عطية لما استعجلوا وقدره الحوفي لسارعوا وقدره غيرهم لعلموا صحة البعث
وقال البغوي رحمه الله لما اقاموا على كفرهم ولما استعجلوا بقولهم متى هذا الوعد وحين مفعول به ليعلم وليس
منصوبا على الظرف اي لو يعلمون وقت عدم كفهم النار وقال الزمخشري ويجوز ان يكون يعلم متروكا بلا تعدية
بمعنى لو كان معهم علم ولم يكونوا جاهلين لما كانوا مستعجلين وحين منصوبا بمضمر اي حين لا يكفون عن وجوههم
النار يعلمون انهم كانوا على الباطل وعلى هذا الحين منصوب على الظرف لانه جعل مفعول العلم انهم كانوا وقال
ابو حيان والظاهر ان مفعول يعلم محذوف لدلالة ما قبله اي لو يعلم الذين كفروا مجيء الموعود الذي سالوا عنه
واستبطؤوه وحين منصوب بالمحذوف اي المفعول الذي هو مجيء ويجوز ان يكون من باب الاعمال على حذف مضاف
واعمل الثاني والمعنى لو يعلمون مباشرة النار حين لا يكفونها عن وجوههم **فصل** ثم انه تعالى ذكر في
دفع هذا عن قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم الاول انه بين ما لصاحب هذا الاستهزاء من العقاب الشديد
فقال لو يعلم الذين كفروا حين لا يكفون عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم ولا هم ينصرون اي لو يعلم الوقت الذي
يسالون عنه بقولهم متى هذا الوعد وهو وقت صعب شديد يحيط بهم فيه النار من قدامهم ومن خلفهم فلا يقدرون
على دفعها عن انفسهم ولا يجدون ناصرا ينصرهم لقوله تعالى فمن ينصرني من باس الله ان جاءنا وانما خص الوجوه
والظهور لان مس العذاب لها اعظم موقعا قال بعضهم ولا عن ظهورهم السياط **قوله تعالى** بغتة نصب
على الحال اي مباغتة والضمير في تاتيهم يعود على النار وقيل على الحين لانه في معنى الساعة وقيل على الساعة
لانها تضطرهم الى العذاب وقيل على الوعيد لانها في معنى الساعة وقيل على الساعة لانها تضطرهم الى العذاب
وقيل على الوعيد لانها في معنى النار التي وعدوها قاله الزمخشري وفيه تكلف وقرا الاعمش بل ياتيهم بالياء
بغتة بفتح الغين فيبهتهم بالياء ايضا فاما الياء فاعاد الضمير على الحين او على الوعد وقيل على النار وانما ذكر
ضميرها لانها في معنى العذاب ثم راعى اللفظ فانث في قوله ردها وقوله تعالى بل تاتيهم اضراب انتقال وقال ابن
عطية استدراك مقدر قبله نفي تقديره ان الايات لا تاتي على حسب اقتراحهم بل تاتيهم بغتة فيكون الظاهر ان
الايات تاتي بغتة وليس ذلك مرادا قطعا وان اراد ان يكون التقدير بل تاتيهم الساعة او النار فليس مطابقا
لقاعدة الاضراب **فصل** لما بين شدة هذا العقاب بين ان وقت مجيئه غير معلوم لهم بل تاتيهم
بغتة وهم غير محتسبين ولا مستعدين فتبهتهم اي تدعهم حيارى واقفين لا يستطيعون عن ردها ولا هم
ينظرون اي لا يمهلون لتوبة ومعذرة وانما لم يعلم المكلفين وقت الموت والقيامة لما فيه من المصلحة لان المرء
مع كتمان ذلك اشد حذرا واقرب الى التلافي ثم ذكر الوجه الثاني في قلب الرسول صلى الله عليه وسلم فقال عز وجل
ولقد استهزئ برسل من قبلك فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزئون عقوبة استهزائهم وحاق وحق
بمعنى نزل وانزل والمعنى وكذلك حقيق بهؤلاء وبال استهزائهم **قوله تعالى** قل من يكلؤكم الاية لما بين ان
الكفار في الاخرة لا يكفون عن وجوههم النار بسبب وصفه به اتبعه بانهم في الدنيا ايضا لولا ان الله تعالى
يحرسهم ويحفظهم لما بقوا في السلامة فقال للرسول صلى الله عليه وسلم قل لهؤلاء الكفار الذين يستهزئون
ويغترون بما هم عليه من يكلؤكم بالليل والنهار وهذا كقول الرجل لمن حصل في قبضته ولا مخلص له منه من ينصرك
مني وهل لك مخلص والكلاءة الحفظ اي يحفظكم بالليل والنهار من الرحمن ان نزل بكم عذابه يقال كلاه الله يكلؤه كلاءة
بالكسر كذا ضبطه الجوهري فهو كالئ ومكلوء قال ابن هرمة • ان سليمى والله يكلؤها • ضنت بشيء ما كان يرزؤها •
واكتلات منه احترست ومنه سمي النبات كلا لانه به تقوم البهائم وتحرس ويقال بلغ الله بك اكلا العمر والكلا موضع يحفظ
فيه السفن وفي الحديث نهى عن بيع الكالئ بالكالئ اي الدين بالدين قال الكلاجين رب العين يكلا الاحراف اي ... وقال
ابن عباس المعنى من يمنعكم من عذاب الرحمن وقرا الزهري وابن القعقاع يكلوكم بضمة خفيفة دون همز وحكى الكسائي والفراء

يكلوكم

يكلوكم بفتح اللام وسكون الواو قال شهاب الدين رحمه الله ولم اعرف فيها قراءة وهي قريبة من لغة الكلاءة
من خفف كلا الكلا على الكلو وقفا الا انه اجرى الوصل مجرى الوقف **قوله تعالى** من الرحمن متعلق بيكلؤكم
على حذف مضاف اي من الرحمن او باسه كقوله عز وجل يحفظونه من امر الله وفي الليل بمعنى بالليل وانما ذكر الليل
والنهار لان لكل واحد من الوقتين افات تختص به والمعنى من يحفظكم بالليل اذا نمتم وبالنهار اذا انصرفتم
في معايشكم وخص هاهنا اسم الرحمن بالذكر تلقينا للجواب حتى يقول العاقل انت الكالئ يا الهنا لكل الخلائق
برحمتك كما في قوله تعالى ما غرك بربك الكريم خص **قوله تعالى** بل هم اضراب عما تضمنه الكلام الاول
من النفي اذ التقدير ليس لهم كالئ ولا مانع غير الرحمن والمراد بذكر ربهم القران ومواعظ الله معرضون لا يتاملون
في شيء منها ليعرفوا انه لا كالئ لهم سواه ويتركوا عبادة الاصنام التي لا تحفظهم ولا تنعم عليهم **قوله تعالى**
ام لهم الهة ام منقطعة اي بل الهم الهة والميم صلة ومعنى الهة تمنعهم وقد تقدم ما فيها وقوله تعالى من دوننا
فيه وجهان احدهما انه متعلق بتمنعهم قيل والمعنى الهم الهة تجعلهم في منعة والى هذا ذهب الحوفي والثاني انه
متعلق بمحذوف لانه صفة لالهة اي الهة من دوننا تمنعهم ولذلك قال ابن عباس رضي الله عنه ان في الكلام تقديما
وتاخيرا ثم وصف الالهة بالضعف فقال لا يستطيعون نصر انفسهم وهذا مستانف لا محل له ويجوز ان يكون
صفة لالهة وفيه بعد من حيث المعنى قال ابن الخطيب رحمه الله لا يستطيعون خبر مبتدا محذوف اي فهذه الالهة لا
يستطيعون حماية انفسها على الافات وحماية النفس اولى من حماية الغير فاذا لم تقدر على حماية انفسها فكيف تقدر على
حماية غيرها **قوله تعالى** ولا هم منا يصحبون قال ابن عباس يجارون تقول العرب انا لك جار وصاحب
من فلان اي مجير امنه وقال مجاهد ينصرون وقال قتادة لا يصحبون من الله بخير بل متعنا هؤلاء الكفار واباءهم
في الدنيا اي امهلناهم وقيل اعطيناهم النعم حتى طال عليهم فيمتد بهم الزمان افلا يرون انا ناتي الارض ننقصها
من اطرافها اي فلا يرى هؤلاء المشركين بالله المستعجلون بالعذاب اثار قدرتنا اننا ننقص الارض من جوانبها فاخذ
الواحد بعد الواحد من المشركين وتفتح القرى والبلاد من حول مكة وتزيدها في ملك النبي صلى الله عليه وسلم افهم
اما كان لهم عبرة في ذلك فيؤمنوا برسول الله صلى الله عليه وسلم افهم الغالبون ام نحن وهو استفهام تقرير قال ابن عباس
ومقاتل والكلبي ننقصها بفتح البلدان وروي عن ابن عباس رواية اخرى المراد نقصان اهلها وقال عكرمة تخريب
القرى وموت اهلها وقيل موت العلماء وهذه الرواية ان صحت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا يعدل عنها والا فالاظهر
هاهنا ما يتعلق بالغلبة ولذلك قال افهم الغالبون **فصل** قال القفال نزلت هذه الاية في كفار مكة
فكيف يدخلها العلماء والفقهاء **قوله تعالى** قل انما انذركم بالوحي اي اخوفكم بالقران **قوله تعالى** ولا يسمع
قرا ابن عامر هنا ولا تسمع بضم التاء للخطاب وكسر الميم **قوله تعالى** الصم الدعاء منصوبين وقرا ابن كثير كذلك
في النمل والروم وقرا باقي السبعة بفتح ياء الغيبة والميم الصم بالرفع الدعاء بالنصب في جميع القران وقرا الحسن كقراءة ابن عامر
الانبياء الغيبة مبنيا للمفعول الصم رفعا الدعاء نصبا وروي عن ابي عمرو بن العلاء ولا يسمع بضم الياء من تحت وكسر الميم
نصبا الدعاء رفعا فاما قراءة ابن عامر وابن كثير فالفاعل ضمير المخاطب وهو الرسول صلى الله عليه وسلم فانتصب
الصم والدعاء على المفعولين اولهما وهو الفاعل المعنوي واما قراءة الجماعة فالفعل مسند للصم والنصب
الدعاء مفعولا به واما قراءة الحسن فالاولى فاسند الفعل فيها الى الصم والصم قائم مقام الفاعل وانتصب الثاني وهو
الثاني وهو الدعاء وهي قراءة ابي عمرو فكانه اسند الفعل فيها الدعاء على سبيل الاتساع ولفظه وحذف المفعول
الثاني للعلم به والتقدير ولا يسمع الصماء الدعاء الصم شيئا البتة ولما وصل ابو البقاء الى هذا قال ولا يسمع
فيه قراءات وجوهها ظاهرة ولم يذكرها واذا في ناصبه وجهان الاول انه يسمع والثاني ان الدعاء فاعل الفاعل
المعروف بالفاعلية واذا اعملوه في المفعول الصريح فانه في الظرف اولى قال الزمخشري فان قلت الصم لا يسمعون
دعاء المبشر كما لا يسمعون دعاء المنذر فكيف قيل اذا ما ينذرون قلت اللام في الصم عائدة الى هؤلاء المنذرين
كائنة للعهد لا للجنس والاصل ولا يسمعون اذا ما ينذرون فوضعوا الظاهر موضع المضمر للدلالة على تصامهم
وسدهم اسماعهم اذا انذروا اي انتم على هذه الصفة من الجراة والجسارة على التصام عن ايات الانذار والايات
ثم بين تعالى ان حالهم سيتغير الى ان يصيروا بحيث اذا شاهدوا اليسير مما انذروا به يسمعون ويعتذرون
ويعترفون حيث لا ينفعون وهذا هو المراد بقولهم ولئن مستهم نفحة من عذاب ربك ليقولن يا ويلنا انا كنا
ظالمين واصل النفح الريح اللين قال الزمخشري في المس والنفحة ثلاث لغات لفظ المس وهيئة النفح من معنى القلة والنزارة
يقال نفحته الدابة ضربته رمحا بيدها والنفح الخطرة قال ابن عباس نفحة طرف وقيل قليل قال ابن جريج نصيب من قولهم

نفح فلان لفلان من ماله اي اعطاه حظا منه قال الشاعر • اذا رده من حيث ما نفحت له • اتاه بريّاها خليل يواصله • وقيل ضربة من قولهم نفحته الدابة برجلها اي ضربت ومن هذا يصفة النفحة بقربين سبحانه ان جميع ما نزل بهم في الاخرة لا يكون الا عدلا فيهم بقوله ليقولن يا ويلنا انا كنا ظالمين اي معترفين دعوا على انفسهم بالويل بعد ما اقروا بالشرك **قوله تعالى** ونضع الموازين القسط قال الزجاج رحمه الله ذوات القسط ووضع احصنا لهما وانما جمع الموازين لكثرة من يوزن اعمالهم وهو جمع تفخيم ويجوز ان يرجع الى الوزنات في نصب القسط وجهان احدهما انه نعت للموازين وعلى هذا فلم افرد ولنا جوابان الاول انه في الاصل مصدر والمصدر يوحد مطلقا والثاني انه على حذف مضاف والوجه الثاني انه مفعول من اجله اي لاجل القسط الا ان في هذا نظر من حيث ان المفعول له اذا كان معرفا بال نقل تجرده بحرف العلة تقول جيت للاكرام وتقول جيت لاكرام كقوله • • لا اقعد الجبن عن الهيجاء • ولو توالت زمر الاعداء • وقرا الاصل بالقطا **قوله تعالى** ليوم القيمة في هذه اللام اوجه الاول قال الزمخشري مثلها في قولك جيت لخمس خلون من الشهر ومنه بيت النابغة لستة اعوام وذا العام سابع • الثاني انها بمعنى في واليه ذهب الزمخشري وابن قتيبة وابن مالك وهو راي الكوفيين ومنه لا يجليها لوقتها الا هو وكقول سليمان الدارمي • اولئك قومي قد مضوا لسبيلهم • كما قد مضى من قبل عاد وتبع وكقول الاخر • وكل اب وابن وان عمرا معا • مقيمين مفقود لوقت وفاقد • اي مفقود الثالث انها على بابها من التعليل ولكن على حذف مضاف اي لحساب يوم القيمة وشيا يجوز ان يكون مفعولا ثانيا وان يكون مصدرا اي شيا من الظلم **فصل** في وضع الموازين قولان الاول قال مجاهد هذا مثل والمراد بالموازين العدل وروي مثله عن قتادة والضحاك والمراد بالوزن القسط منهم بالاعمال فمن احاطت حسناته بسيئاته ثقلت موازينه اي ان حسناته تذهب سيئاته ومن احاطت سيئاته بحسناته فقد خفت موازينه اي اذهبت سيئاته بحسناته حكاه ابن جريج عن ابن عباس والثاني ان الموازين توضع حقيقة ويوزن بها الاعمال روي عن الحسن انه ميزان له لسان وكفتان وهو بيد جبريل صلى الله عليه وسلم وروي ان داود صلى الله عليه وسلم سال ربه عز وجل ان يريه الميزان فاراه كل كفة ما بين المشرق والمغرب فغشي عليه ثم افاق فقال الهي من الذي يقدر ان يملا كفته حسنات فقال الله عز وجل يا داود اني اذا رضيت عن العبد ملاتها بتمرة وعلى هذا القول في كيفية وزن الاعمال طريقان الاول انه يوزن صحايف الاعمال والثاني انه يجعل في كفة الحسنات جواهر بيض مشرقة وفي كفة السيئات جواهر سود مظلمة **فصل** اهل القيمة اما ان يكونوا عالمين بكونه تعالى عادلا غير ظالم او لا يعلمون ذلك فان علموا كان مجرد حكمه كافيا في معرفة ان الغالب هو الحسنات او السيئات فلا فايدة في وضع الميزان فان لم يعلموا ذلك فلا فايدة في وزن الصحايف لاحتمال انه جعل احدى الصحيفتين اثقل واخف ظلما فلا فايدة في وضع الميزان على كلا التقديرين **فصل** قال ابن الخطيب رحمه الله اما على قولنا لا يسال عما يفعل وايضا فيظهر حال الولي من العدو في مجمع الخلايق فيكون لاحد القبيلين في ذلك اعظم السرور وللاخر اعظم الغم ويكون ذلك بمنزلة نشر الصحف وغيره واذا ثبت ذلك فالدليل على وجود الموازين الحقيقية ان حمل لفظ الميزان على مجرد العدل مجاز وصرف اللفظ عن الحقيقة الى المجاز من غير دليل غير جائز ولا سيما وقد جاءت الاحاديث الكثيرة بالاسانيد الصحيحة في ذلك **قوله تعالى** وان كان مثقال حبة قرا نافع هنا وفي لقمان برفع مثقال على ان كان تامة اي وان وجد مثقال والباقون بالنصب على انها ناقصة واسمها مضمر اي وان كان العمل ومن خردل صفة لحبة وقرا العامة اتينا من الاتيان بقصر الهمزة اي جينا بها كذلك قرا ابن مسعود وهو تفسير معنى لا تلاوة وقرا ابن عباس ومجاهد وسعيد بن ابي اسحق والعلا بن عامر وجعفر بن محمد اتينا بها بمد الهمزة وفيها اوجه اصحها انه فاعلنا من المواتاة وهي المجازاة والمكافاة والمعنى جازينا بها وكذلك تعدى بالباء الثاني انها من فاعلة من الاتيان بمعنى المجازاة والمكافاة لانهم اتوه بالاعمال واتاهم بالجزاء الثالث انه افعل من الايتاء كذا توهم بعضهم وهو غلط قال ابن عطية ولو كان اتينا اعطينا لما تعدت بحرف جر ويوهن هذه القراءة بان بدل الواو المفتوحة همزة ليس بمعروف وانما يعرف ذلك في المضمومة والمكسورة يعني انه كان من حق هذا القاري ان يقرا اتينا مثل واطينا لانها من المواطاة على الصحيح فابدل هذا القاري الواو المفتوحة وهو قليل ومنه احد واناه وقال ابو البقا رحمه الله ويقرا بالمد بمعنى جازينا بها فهو يقرب من اعطينا لان الجزا اعطى وليس منقولا من اعطينا وانما لان ذلك لم ينقل عنهم وقوله احسبنا من الثواب والضمير في بها عايد على المثقال وانث ضميره لاضافته لمونث فهو كقوله • كما شرقت صدر القناة من الدم • في اكتسابه التانيث بالاضافة **فصل** زعم الجبائي ان من اخحط ما به جزء من العقاب فانه بطاعته ينحبط بها من الثواب حسم جزء فهذا الاقل محبط بالاكثر وهذه الاية تبطل قوله لان الله تعالى تمدح بان اليسير من

الطاعات لا تسقط ولو كان الامر كما قاله الجبائي لسقطت الطاعة من غير فايدة فان قيل الحبة اعظم من الخردلة فكيف قال حبة من خردل فالجواب لو جد فيه ان يغوص الخردلة كالدينار ثم يعتبر الحبة من ذلك الدينار والغرض المبالغة في ان شيا من الاعمال صغيرا كان او كبيرا غير ضايع عند الله تعالى ثم قال **قوله تعالى** وكفى بنا حاسبين قال السدي محصين والحسب معناه العد قال ابن عباس رضي الله عنه عالمين حافظين لان من حسب شيا علمه وحفظه والغرض منه التحذير فان المحاسب اذا كان عالما بحيث لا يمكن ان يفوته شي وكان في القدرة بحيث لا يعجز عن شي لحقيق بالعاقل ان يكون شديد الخوف منه **قوله تعالى** ولقد اتينا موسى وهرون الفرقان الاية لما امر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يقول انما انذركم بالوحي اتبعه بان عادة الله في الانبيا قبله فقال سبحانه وتعالى ولقد اتينا موسى وهرون الفرقان يعني الكتاب المفرق بين الحق والباطل وهو التوراة وكان فيها الغاية وضوحه يتوصل به الى طرق الهدى في معرفة الشرايع وكان ذكرى اي موعظة او ذكر ما يحتاجون اليهم في دينهم ومصالحهم وقال ابن زيد رحمه الله الفرقان النصر على الاعداء لقوله تعالى وما انزلنا على عبدنا يوم الفرقان يعني يوم بدر حين فرق الحق والباطل وهو مروي عن ابن عباس لانه ادخل في قوله وضياء اي اتينا موسى النصر وضياء وهو التوراة لان العطف يقتضي المغايرة وقيل المراد بالفرقان البرهان الذي فرق بين الحق والباطل قال الضحاك الفرقان هو فلق البحر وقال محمد بن كعب الفرقان الخروج عن الشبهات ومن قال المراد بالفرقان التوراة قال الواو في قوله عز وجل يكون من باب وصف الصفات والمراد به شي واحد اي اتينا والجامع بين هذه الاشياء وقيل الواو زايدة قال ابو البقا رحمه الله وضياء حال على هذا وانما خص الذكر بالمتقين كما في قوله جل ذكره هدى للمتقين **قوله تعالى** الذين يخشون في محله ثلاثة اوجه الاول الجر على النعت والبدل او البيان والرفع والنصب على القطع وفي معنى الغيب وجوه احدها يخشون يخافون ربهم فيما امروا باوامره وينتهون عن نواهيه ثانيها يخشون ربهم وهم غايبون في الاخرة واحكامها ثالثها يخشون ربهم في الخلوات اذا غابوا عن الناس وهم من الساعة مشفقون خايفون ثم قال ولما انزلت عليه الفرقان بكذلك هذا القران المنزل عليك وهو معنى قوله وهذا ذكر مبارك يعني الفرقان ذكر لمن يتذكر به مبارك لمن يتبرك به ويطلب منه الخير افانتم يا اهل مكة **قوله تعالى** له منكرون جاحدون استفهام توبيخ وتقريع والمعنى لا انكار في انزاله وعجايب ما فيه **قوله تعالى** ولقد اتينا ابراهيم رشده من قبل الاية رشده مفعول ثان وقرا العامة رشده بضم الراء وسكون الشين وعيسى الثقفي بفتحهما والرشد كالعدم والعدم وقد تقدم الكلام عليهما والمراد بالرشد النبوة لقوله تعالى وكنا به عالمين لانه تعالى انما خص بالنبوة من يعلم من حاله انه في المستقبل يقوم بحقها ويجتنب ما لا يليق بها ويحترز عما ينفر قومه من القبول وقيل الرشد الاهتدا لوجوه الصلاح في الدين والدنيا لقوله تعالى فان انستم منهم رشدا وقيل يدخل تحت الرشد النبوة الرشد والاهتدا **قوله تعالى** من قبل موسى وهرون قال ابن عطية وابن عباس وهذا احسن ما قدر به المضاف اليه وقيل من قبل بلوغه او نبوته حين كان في السرب فظهرت له الكواكب فاستدل بها وهذا يدل على قول من حمل الرشد على الاهتدا والا لزمه ان يحكم بنبوته صلى الله عليه وسلم قبل البلوغ قال مقاتل وروي الضحاك عن ابن عباس يعني من قبل اي حين كان في صلب ادم صلى الله عليه وسلم لما اخذ الله ميثاق النبيين والضمير في به يعود على ابراهيم وقيل على رشده والمعنى انه تعالى علم منه اشيا بديعة واسرارا عجيبة حتى اهله لان يكون خليلا لله وهذا كقولك في رجل كبير انا عالم بفلان فان هذا الكلام في الدلالة على تعظيمه ادل مما اذا شرحت حال كماله **فصل** دلت الاية على ان الايمان مخلوق لله تعالى لانه لو كان الرشد هو التوفيق والبيان وقد فعل الله تعالى بالكفار فقد يجب ان يكون قد اتاهم رشدهم اجاب الكعبي بان هذا يقال العينين قيل لا فيمن رد وذلك في من اعطي ابني المال والولد فقبله احدهما ورده الاخر ولحده ثم منعه يقال اعني فلان ابنه فيمن ثمر المال ولا يقال منه فيمن ضيع وهذا الجواب لانه لا اذ لحصلنا فبوله جزا من مسمى الرشد وذلك باطل لان المسمى اذا كان مركبا من جزين ولا يكون احدهما مقدور الفاعل لم يجز اضافته ذلك المسمى الى ذلك الفاعل فكان يلزم ان يجوز اضافة الرشد الى الله تعالى بالمنقول لكن النفي وقوله تعالى ولقد اتينا ابراهيم رشده صريح في ان ذلك الرشد انما حصل من الله تعالى فبطل قوله **فصل** وقال يجوز ان يكون منصوبا باتينا او برشده او بعالمين او بمضمر اي اذكر وقت قوله وجوز ابو البقا فيه وجها ان يكون بدلا من موضع قبل اي انه يحل محله فيصح المعنى ان يصير التقدير ولقد اتينا ما هذه التماثيل الصور اعني الامثال والتصاوير والاصنام اسم للشي الموضوع مشبها بخلق من خلق الله واصله من مثلت الشي بالشي اذا شبهته به فاسم ذلك الممثل تمثال والتماثيل جمع تمثال وهو الصورة المصنوعة من رخام او نحاس او خشب يشبه بخلق الادمي وغيره من الحيوانات قال امرؤ القيس • فيارب يوم قد لهوت وليلة •

والتمثال م

بالنسبة كانها خط مثال • لها قيل اللام للعلة اي عاكفون لاجلها وقيل بمعنى على اي عاكفون عليها وقيل
بمعنى على وقيل ضمن عاكفون معنى عابدين فلذلك اتى باللام وقال ابو البقاء وقيل افادت معنى الاختصاص
وقال الزمخشري لم ينو للعاكفين مفعولا واجراه مجرى ما لا يتعدى كقوله • فاعلون العكوف لها وفي فا •
فان قيل لو قصد التعدية لعداه بصلته التي هي على فانه هلا قيل عليها عاكفون كقوله تعالى يعكفون على اصنام
لهم فالجواب الاولى ان تكون اللام للتعليل لا لاصلة عاكفون محذوفة اي عاكفون عليها لاجلها لا لشيء آخر
قوله تعالى قالوا وجدنا اباءنا لها عابدين مفعول ثان لوجدنا ولها لا تعلق له لان اللام زائدة في المفعول به
لتقدمه فصل اعلم ان القوم لم يجدوا في جوابه الا طريقة التقليد فاجابوه بان اباءهم سلكوا
هذه الطريق فاقتدوا بهم فلا جرم اجابهم ابراهيم صلى الله عليه وسلم بقوله لقد كنتم انتم واباؤكم في ضلال مبين
وبين ان الباطل لا يصير حقا بكثرة المتمسكين قوله تعالى انتم تاكيد للضمير المتصل قال الزمخشري وانتم
من التاكيد الذي لا يصح الكلام مع الاخلال به لان العطف على ضمير هو في حكم بعض الفعل ممتنع نحو اسكن انت
وزوجك الجنة قال ابو حيان وليس هذا حكما مجمعا عليه ولا يصح الكلام مع الاخلال به لان الكوفيين يجيزون
العطف على الضمير المتصل المرفوع من غير تاكيد بالضمير المنفصل ولا فصل وتنظير ذلك باسكن انت وزوجك
الجنة مخالف لمذهبه والعطف في اسكن انت وزوجك ليس معطوفا على الضمير المستكن في اسكن بل مرفوع بفعل
مضمر اي وليسكن زوجك فهو عنده من قبيل عطف الجمل وهذا مخالف لمذهب سيبويه قال شهاب الدين لا يلزم
من ذلك انه خالف مذهبه اذ يجوز ان ينظر بذلك عند من يعتقد ذلك وان لم يعتقده هو وفي ضلال يجوز ان
يكون خبرا ان كانت كان ناقصة او متعلقا بكنتم ان كانت تامة قوله تعالى قالوا اجئتنا بالحق ام انت من
اللاعبين لما حقق صلى الله عليه وسلم ذلك عليهم ولم يجدوا من كلامه مخلصا وراوه منكرا عليهم مع كثرتهم قالوا
اجئتنا بالحق ام انت من اللاعبين فاوهموا بذلك الكلام انه يبعد ان يقدم على الانكار عليهم جادا في ذلك وقالوا
اجاد انت فيما تقول ام لاعب فاجابهم صلى الله عليه وسلم بل ربكم رب السموات والارض الاية قوله تعالى بالحق
متعلق بجئت وليس المراد بحقيقة المجيء اذ لم يكن غائبا قوله تعالى ام انت ام متصلة وان كان بعدها
جملة لانها في حكم المفرد اذ التقدير اي الامرين واقع مجيئك بالحق ام لعبك كقوله •

• لا ابالي انب بالحزن تيس • ام جفاني بظهر غيب لئيم •

وقوله • لعمرك ما ادري وان كنت داريا • شعيث بن سهم ام شعيث بن منقر •

يريد اي الامرين واقع وان كانت منقطعة لقدرت بالهمزة وبل وليس ذلك مرادا قوله تعالى الذي فطرهن
يجوز ان يكون مرفوع الموضع او منصوبه على القطع والضمير المنصوب في فطرهن للسموات والارض قال ابو حيان
ولما لم تكن السموات والارض تبلغ في العدد الكثير منه جاء الضمير ضمير القلة فصل قال شهاب الدين
ان عنى لم يبلغ كل واحد من السموات والارض تبلغ في العدد الكثير منه جاء الضمير ضمير القلة فسلم ولكنه غير مراد
بل المراد المجموع وان عنى لم يبلغ المجموع فيهما غير معول عليه وقيل على التماثيل قال الزمخشري لانه يبلغ اربعة عشر
وهو فوق حد جمع الكثرة اللهم الا ان يقول ان الارض شخص واحد وليست سبعا كالسماء على ما راه بعضهم فيصح ذلك
الا انه غير معول عليه وقيل على التماثيل قال الزمخشري وكونه للتماثيل اثبت لتضليله وادخل في الاحتجاج عليهم
وقال ابن عطية فطرهن عبارة عنها كانها تعقل وهذا من حيث لها طاعة وانقياد وقد وصفت في مواضع بوصف
من يعقل وقال غيره فطرهن اعاد ضمير من يعقل لما صدر منهن من الاحوال التي تدل على انها من قبيل من يعقل
فان الله تعالى اخبر بقوله تعالى اتينا طائعين وقوله صلى الله عليه وسلم اطت السماء وحق لها ان تئط قال شهاب الدين
كان ابن عطية وهذا القائل يوهمان انه من الضمائر المختصة بالمؤنثات العاقلات وغيرها قال تعالى منها اربعة حرم
ثم قال تعالى فلا تظلموا فيهن انفسكم قوله تعالى على ذلكم متعلق بمحذوف او بالشاهدين اتساعا او على
البيان وقد تقدم نظيره نحو لكما لمن الناصحين فصل اعلم ان القوم لما اوهموه انه كالمازح فيما خاطبهم
به من امر اصنامهم اظهر انه جاد في اظهار الحق الذي هو التوحيد وذلك بالقول اولا ثم بالفعل ثانيا اما القول فقوله ربكم رب السموات والارض وهذا
يدل على ان الخالق الذي خلقها لمنافع العباد هو الذي يحسن ان يعبد لان القادر على ذلك هو الذي يقدر على الضر
والنفع وهذه الطريقة هي نظير قوله لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئا ثم قال وانا على ذلكم من الشاهدين
اي انه لا اله الا الذي لا يستحق العبادة غيره وقيل من الشاهدين على انه خالق السموات والارض وقيل اني قادر على
اثبات ما ذكرته بالحجة واني لست مثلكم اقول ما لا اقدر على اثباته بالحجة ولم تزيدوا على انكم وجدتم عليها اباءكم وقيل

المراد منه المبالغة في التاكيد والتحقيق كقول الرجل اذا بالغ في مدح آخر او ذمه اشهد انه كريم او ذميم
واما الفعل فقوله وتالله لاكيدن اصنامكم لامكرن بها قرا العامة تالله بالمثناة فوق وقرا معاذ بن جبل
واحمد بن حنبل رضي الله عنهما بالله بالباء الموحدة قال الزمخشري فان قلت ما الفرق بين التاء والباء قلنا الباء هي الاصل
والتاء بدل من الواو المبدل منها وان التاء فيها زيادة معنى وهو التعجب • واما قوله ان الباء هي الاصل فيدل على ذلك
تصرفها في الباب بخلاف الواو والتاء وان كان السهيلي قد رد كون الواو بدلا منها وقال ابو حيان والتنظير
يقتضي ان كل واحد منهما اصل واما قوله التعجب فنصوص النحويين انه يجوز فيها التعجب وعدمه واما اللام
فتلزم ذلك مع اللام كقوله • لله يبقى على الايام ذو حيد • بمشمخر به الظيان والآس • وبعده منصوب بلاكيدن
ومدبرين حال مؤكدة لان تولوا يفهم معناها وقرا العامة تولوا بضم التاء واللام مضارع ولى مشددا
وقرا عيسى بن عمر تولوا بفتحهما مضارع تولى والاصل تتولوا فحذف احدى التاءين اما الاولى على راي هشام واما
الثانية على راي البصريين وتيسر قراءة الجمع فتولوا عنه مدبرين ولم يقرا احد تولوا وهي قياس قراءة الثاني
هنا وعلى كلتا القراءتين فلام الكلمة محذوفة لالتقاء الساكنين ومتعلق هذا الفعل محذوف تقديره تولوا الى
عيدكم وتحتفلون قيل الكيد ضرر الغير بحيث لا يشعر به ولا يتاتى ذلك في الاصنام فكيف قال لاكيدن
اصنامكم فالجواب توسعا لما كان عندهم ان الضرر يجوز عليها وقيل المراد لاكيدنكم في اصنامكم لانه بذلك
الفعل انزل بهم الغم قوله تعالى فجعلهم جذاذا العامة بضم الجيم والكسائي بكسرها وابن عباس وابو نهيك
وابن السماك بفتحها قال قطرب هي في لغاتها كلها مصدر فلا يثنى ولا يجمع ولا يؤنث والظاهر ان المضموم اسم
للشيء المكسور كالحطام والرفات والفتات بمعنى الشيء المحطم والمفتت وقال اليزيدي المضموم جمع جذاذة كزجاج
وزجاجة بالضم نحو زجاج في زجاجة والمكسور جمع جذيذ كخفيف وخفاف والمفتوح مصدر وقرا ابن وثاب جذذا بضمتين دون الف بين الذالين
وهو جمع جذيذ كقليب وقلب وقرئ بضم الجيم وفيها وجهان الاول ان يكون اصلها ضمتين وانما خففت
بابدال الضمة فتحة نحو سرر وذلل في جمع سرير وذليل وهي لغة لبني كلب الثاني انه جمع جذة نحو قبة في قبب ودرة
في درر والجذ القطع والتكسير وعليه قوله • بنو المهلب جذ الله دابرهم • امسوا رمادا فلا اصل ولا طرف
وتقدم هذا مستوفى في هود فان قيل لم قال فجعلهم وهذا جمع لا يليق الا بالعقلاء فالجواب فصل
عامل الاصنام معاملة العقلاء حيث اعتقدوا فيها ذلك قوله تعالى الا كبيرا استثناء من المنصوب في
فجعلهم اي لم يكسره بل تركه وهم صفة وهذا الضمير يجوز ان يعود على الاصنام وتاويل عود ضمير العقلاء
عليها تقدم ويجوز ان يعود على عابديها والضمير في اليه يجوز ان يعود على ابراهيم صلى الله عليه وسلم
اي يرجعون الى مقالته حين يظهر لهم الحق وغلب على ظنه انهم لا يرجعون الا اليه لما شاهدوه من انكاره لدينهم
وسب الهتهم فيبكتهم بما اجاب به من قوله بل فعله كبيرهم هذا فاسالوه ويجوز ان يعود على الكبير وفيه وجهان
احدهما لعلهم يرجعون اليه كما يرجعون الى العالم في حل المشكلات فيقولون ما لهؤلاء مكسورة وما لك صحيحا
والفاس على عاتقك وهذا قول الكلبي رحمه الله وانما قال ذلك بناء على كثرة جهالاتهم فلعلهم كانوا يعتقدون
فيها انها تجيب وتتكلم والثاني انه صلى الله عليه وسلم قال ذلك مع علمه انهم لا يرجعون اليه استهزاء بهم فصل
قال السدي كان لهم في كل سنة عيد يجتمعون فيه فكانوا اذا رجعوا من عيدهم دخلوا على الاصنام فسجدوا لها
ثم عادوا الى منازلهم فلما كان هذا الوقت قال آزر لابراهيم لو خرجت معنا فخرج معهم فلما كان ببعض الطريق
القى نفسه وقال اني سقيم اشتكي رجلي فلما مضوا وبقي ضعفاء الناس نادى وقال تالله لاكيدن اصنامكم بعد
ان تولوا مدبرين اي الى عيدكم فسمعوها منه واحتجوا بذلك واحتج هذا القائل بقوله تعالى قالوا سمعنا فتى يذكرهم
يقال له ابراهيم وقال الكلبي كان ابراهيم صلى الله عليه وسلم من اهل بيت ينظرون في النجوم وكانوا اذا خرجوا
الى عيدهم لم يتركوا الا مريضا فلما هم ابراهيم صلى الله عليه وسلم بكسر الاصنام نظر قبل يوم العيد لاصحابه
وقال انى الى السماء وقال لاصحابه اني اشتكي غدا وهو قوله تعالى فنظر نظرة في النجوم فقال اني سقيم واصبح
في الغداة معصوبا راسه فخرج القوم لعيدهم ولم يتخلف غيره فقال تالله لاكيدن اصنامكم فسمع رجل منهم
هذا القول فحفظه عليه ثم اخبر به غيره وانتشر ذلك في جماعة فلذلك قال تعالى قالوا سمعنا فتى يذكرهم
وقال الكلبي كان ابراهيم صلى الله عليه وسلم في بيت الاصنام فدخل فوجد سبعين صنما مصطفة وعند الباب
صنم عظيم من ذهب مستقبل الباب وفي عينيه جوهرتان تضيئان بالليل فكسرها كلها بفاس في يده حتى
بقي الكبير علق الفاس في عنقه فان قيل اولئك الاقوام اما ان يكونوا عقلاء او لم يكونوا عقلاء فان كانوا عقلاء

وجب ان يكونوا عالمين بالضرورة ان تلك الاصنام لا تسمع ولا تبصر ولا تضر ولا تنفع فاي حاجة في اثبات ذلك الي كسرها اقصى ما في الباب ان يقال ان القوم كانوا يعظمونها كما يعظم الواحد منا المصحف والمسجد والمحراب وكسرها لا يقدح في تعظيم الا في هذا الوجه وان لم يكونوا عقلاء لم يحسن مناظرتهم ولا بعثة الرسل اليهم فالجواب انهم كانوا عقلاء وكانوا عالمين بالضرورة انها جمادات ولكن لعلهم كانوا يعتقدون فيها انها تماثيل للكواكب وانها طلسمات موضوعات بحيث ان كل من كان عبدها انتفع وكل من استخف بها ناله منها ضرر شديد ثم ان ابراهيم صلى الله عليه وسلم كسرها ولم ينله منها ضرر البتة فكان فعلها دالا على فساد مذهبهم **قوله تعالى** من فعل هذا يجوز في من ان تكون استفهامية وهو الظاهر وعلى هذا تكون الجملة من قوله انه لمن الظالمين استئنافا لا محل لها من الاعراب ويجوز ان تكون موصولة بمعنى الذي وعلى هذا فالجملة من انه في محل رفع خبر الموصول والتقدير الذي فعل هذا بالهتنا انه والمعنى من فعل هذا الكسر والحطم الشديد معدود للظلمة اما لجرائته على الالهة الحقيقة بالتوقير والاعظام واما لانهم راوا افراطا في كسرها وتماديا في الاستهانة بها **قوله تعالى** يذكرهم في هذه الجملة وجهان الاول انه سمع هنا تتعدى لاثنين لانها معلقة بعين فيكون في مفعولا اولا ويذكرهم هذه الجملة في محل نصب مفعولا ثانيا الا ترى انك لو قلت سمعت زيدا وسكت لم يكن كلاما بخلاف سمعت كلامه وقراءته وحديثه والثاني انها في محل نصب نعتا صفة لابراهيم قال الزمخشري رحمه الله فان قيل ما حكم الفعلين بعد سمعنا وما الفرق بينهما فالجواب هما صفتان لفتى الا ان الاول وهو يذكرهم لا بد منه لسمع لانك لا تقول سمعت زيدا وتسكت حتى تذكر شيئا مما يسمع والثاني ليس كذلك لانه لا يتعين لما عرفت لان سمع ان تعلقت بما يسمع نحو سمعت مقالة بكر فلا خلاف بل لا بد من ذكر شيء يسمع فلو قلت سمعت زيدا وسكت او سمعت زيدا يركب لم يجز فان قلت سمعته يقرا صح وجرى ذلك في خلاف بين النحاة وابو علي يجعلها متعدية لاثنين ولا يمشي عليه قول الزمخشري وغيره يجعلها متعدية لواحد ويجعل الجملة بعد المعرفة حالا وبعد النكرة صفة وهذا اراده الزمخشري **قوله** ابراهيم في رفع ابرهيم اوجه الاول انه مرفوع على ما لم يسم فاعله او يقال له اللفظ ولذلك قال ابو البقا فالمراد الاسم لا المسمى وفي هذه المسئلة خلاف بين النحويين اعني تسلط القول المفرد الذي لا يؤدي معنى جملة ولا هو مقتطع جملة ولا هو مصدر يقال ولا هو صفة لمصدر نحو زيدا قلت اي هذا اللفظ فاجاز جماعة كالزجاج والزمخشري وابن خروف وابن مالك وتبعه اخرون وممن اختاره رفع ابراهيم على ما ذكر الزمخشري وابن عطية اما اذا كان المفرد معنى جملة فوهم قلت خطبة وشعرا او قصيدة او اقتطع من جملة كقولــــه

اذا ذقت فاها قلت طعم قصيدة • مدامة معتقة مما يجيء به التجر

او كان مصدرا نحو قلت قولا او صفة له نحو قلت حقا او باطلا فانه متسلط عليه كذا قالوا وفي قولهم المفرد المقتطع من الجملة نظر لان هذا لم يتسلط عليه القول انما تسلط على الجملة المشتملة الثاني انه خبر مبتدا مضمر اي يقال له هذا ابراهيم او هو ابراهيم الثالث انه مبتدا محذوف الخبر اي يقال له ابراهيم فاعل ذلك الرابع انه منادى وحرف النداء محذوف اي يا ابراهيم وعلى الاوجه الثلاثة فهو مقتطع من جملة وتلك الجملة محكية بيقال ونقل من تقرير هذا في البقرة عند قوله وقولوا حطة رفعا ونصبا وفي الاعراف عند قوله قالوا معذرة رفعا ونصبا والجملة من يقال له الجملة ان يكون مفعولا اخر نحو ظننت زيدا كاتبا شاعرا وان يكون صفة على راي الزمخشري ومن تابعه وان يكون حالا من فتى وجاز ذلك لتخصصها بالوصف **فصل** لما سمع قول ابراهيم صلى الله عليه وسلم بعض القوم تالله لاكيدن اصنامكم وسمعوا سبه لالهتهم غلب على ظنهم انه الفاعل لذلك فلذلك قالوا سمعنا فتى يذكرهم اي يعيبهم ويسبهم يقال له ابراهيم فهو الذي نظن انه صنع هذا فبلغ ذلك نمرود الجبار واشراف قومه فقالوا فاتوا به على اعين الناس قال نمرود اي جيئوا به ظاهرا اي بمراى من الناس لعلهم يشهدون عليه انه الذي فعله قال الحسن وقتادة والسدي كرهوا ان ياخذوه بغير بينة وقال محمد بن اسحق لعلهم يشهدون اي يحضرون عقابه فينزجروا عن الاقدام على مثله وقال الكلبي ومقاتل المراد مجموع الامرين اي يشهدون عليه ويشهدون عقابه **قوله تعالى** على اعين في محل نصب على الحال من الهاء في ائتوا به اي ظاهرا مكشوفا بمراى منهم ومنظر قال الزمخشري فان قلت ما معنى الاستعلاء في على قلت هو وارد على طريق المثل اي يثبت اتيانه على الاعين ويتمكن ثبات الراكب على المركوب وتمكنه منه **قوله تعالى** انت فعلت فيه وجهان الاول انه فاعل بفعل مقدر يفسره الظاهر بعده والتقدير افعلت هذا بالهتنا فلما حذف الفعل انفصل الضمير الثاني انه مبتدا والخبر بعده الجملة والفرق بين الوجهين من حيث اللفظ واضح والجملة من قوله فعلت الملفوظ بها

على الاول

على الاول لا محل لها لانها مفسرة ومحلها الرفع على الثاني ومن حيث المعنى ان الاستفهام اذا دخل على الفعل يشعر بان الشك انما تعلق به هل وقع ام لا من غير شك في فاعله واذا دخل على الاسم وقع الشك فيه هل هو الفاعل او غيره والفعل غير مشكوك فيه بل هو واقع فقط فاذا قلت اقام زيد كان شكك في قيامه واذا قلت ازيد قام وجعلته مبتدا كان شكك في صدور الفعل منه ام من عمرو والوجه الاول هو المختار عند النحاة لان الفعل تقدم وما يطلبه وهو اداة الاستفهام **قوله تعالى** بل فعله هذا الاضراب عن جملة محذوفة تقديره لم افعل انما الفاعل حقيقة هو الله سبحانه وتعالى واسناد الفعل الي كبيرهم من ابلغ التعاريض **قوله تعالى** هذا فيه ستة اوجه الاول ان يكون نعتا لكبيرهم الثاني ان يكون بدلا من كبيرهم الثالث ان يكون خبرا لكبيرهم على ان الكلام تم عند قوله بل فعله وفاعل الفعل محذوف كذا نقله ابو البقا قال وهذا بعيد لان حذف الفاعل لا يسوغ قال شهاب الدين وهذا القول يعزى للكسائي وحينئذ لا يحسن الرد عليه بحذف الفاعل فانه يجيز ذلك ويلتزمه ويجعل التقدير بل فعله من فعله ويجوز ان يكون اراد بالحذف الاضمار لانه لما لم يذكر الفاعل لفظا سمى ذلك لفظا الرابع ان يكون الفاعل ضمير فتى الخامس ان يكون الفاعل ضمير ابراهيم وهذان الوجهان يؤيدان ان المراد بحذف الفاعل انما هو الاضمار السادس ان فعله ليس فعلا بل الفاء حرف عطف دخلت على علي التي اصلها لعل حرف ترج وحذفت اللام الاولى فبات فصار اللفظ فعله اي فلعله ثم حذفت اللام الاولى وخففت الثانية وهذا يعزى للفراء وهو مرغوب عنه وقد استدل على مذهبه بقراءة ابن السميفع فعله بتشديد اللام وهي قراءة شاذة لا يرجع بالقراءة المشهورة اليها وكان الذي حملهم على هذا خفاء وجه صدور هذا الكلام من النبي صلى الله عليه وسلم **فصل** اعلم ان القوم لما قالوا انت فعلت هذا بالهتنا يا ابراهيم طلبوا منه الاعتراف بذلك ليقدموا على ايذائه فقلب الامر عليهم وقال بل فعله كبيرهم هذا وكان قد علق الفاس في رقبته واراد بذلك اقامة الحجة عليهم واظهار جهلهم في عبادة الاوثان وقال صلى الله عليه وسلم فاسالوهم ان كانوا ينطقون واعلم ان للناس هنا قولان احدهما قول كافة المحققين وهو ان قول ابراهيم صلى الله عليه وسلم بل فعله كبيرهم هذا من قبول التعريض وهو من وجوه الاول ان قصد ابراهيم تقرير الفعل لنفسه على اسلوب تعريضي ليس قصده نسبة الفعل الى الصنم وهذا كما لو قال وقد كتبت كتابا بخط رشيق وانت تحسن الخط ولا يقدر هو الا على خرمشة فاسدة انت كتبت هذا فقلت له بل كتبته انت وكان قصده بهذا تقريره لك مع الاستهزاء لا نفيه عنك وتقريره واثباته للامي او للاخرس لان اثباته والامر دائر بينهما العاجز منهما استهزاء واثبات للقادر الثاني ان ابراهيم صلى الله عليه وسلم غاظته تلك الاصنام حين ابصرها مصطفة وكان من كثرة ما راى من تعظيمهم له اسند الفعل اليه لانه هو السبب في استهانته لها الثالث ان يكون حكاية لما يلزم من مذهبهم كانه قال لهم ما تنكرون ان يفعله كبيرهم فان من حق من يعبد ويدعى الها ان يقدر على هذا او اكثر واشد منه ذكر هذه الثلاثة الزمخشري الرابع ما تقدم عن الكسائي انه كان يقف عند قوله كبيرهم ثم يبتدي فيقول هذا فاسالوهم والمعنى بل فعله كبيرهم وعنى نفسه لان الانسان اكبر من كل صنم واشه كناية عن غير مذكور اي فعله من فعله وكبيرهم ابتداء كلام الخامس قال القتيبي معناه على التقديم والتاخير اي بل فعله كبيرهم ان كانوا ينطقون فاسالوهم فجعل النطق شرطا للفعل ان قدروا على النطق قدروا على الفعل فاراهم عجزهم وفي ضمنه انا فعلت ذلك السادس قراءة السميفع المتقدمة القول الثاني قال البغوي رحمه الله والاصح انه قول ابراهيم صلى الله عليه وسلم اي ان ابراهيم اراد بذلك الفعل اقامة الحجة عليهم فذلك قوله فاسالوهم ان كانوا ينطقون حتى يخبروا من فعل ذلك بهم لما روى ابو هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكذب ابراهيم الا ثلاث كذبات ثنتان منهن في ذات الله تعالى قوله اني سقيم وقوله بل فعله كبيرهم هذا وقوله لسارة هذه اختي وفي حديث الشفاعة قول ابراهيم صلى الله عليه وسلم اني كذبت ثلاث كذبات والقائلون بهذا القول قدروا ذلك من جهة العقل وقالوا الكذب ليس قبيحا لذاته فان النبي اذا هرب من ظالم واختفى في دار انسان فجاء الظالم وسال عنه فانه يجب الكذب فيه واذا كان كذلك فاي بعد في ان ياذن الله في ذلك لتوبيخهم فالاحتجاج عليهم او لمصلحة لا يعلمها الا هو كما اذن ليوسف صلى الله عليه وسلم حين امر مناديه فقال ايتها العير انكم لسارقون ولم يكونوا سرقوا **فصل** قال ابن الخطيب رحمه الله وهذا القول مرغوب عنه اما الخبر فلان يضاف الكذب الى رواته اولى من ان يضاف الى الانبياء صلوات الله عليهم والدليل القاطع عليه لو جاز ان يكون لمصلحة وباذن الله تعالى فليجر هذا الاحتمال في كل ما اخبروا عنه وفي كل ما اخبر الله تعالى عنه وذلك يبطل الوثوق بالشرع ويطرق التهمة الى كله ثم لو صح ذلك الخبر فهو محمول على المعاريض على ما قال صلى الله عليه وسلم ان في المعاريض

لمدوحة عن الكذب فاما قوله اني سقيم فلعله سقيم القلب كما سياتي في موضعه واما قوله بل فعله كبيرهم
فقد ظهر الجواب عنه واما قوله لسارة هذه اختي في قصة يوسف فتقدم الكلام عليها **قوله تعالى**
ان كانوا ينطقون جوابه محذوف لدلالة ما قبله ومن جوز التقديم يجعل فاسالوهم هو الجواب **قوله تعالى**
فرجعوا الى انفسهم فقالوا انكم انتم الظالمون فيه وجوه الاول ان ابرهيم صلى الله عليه وسلم لما نبههم على قبح طريقهم
بما اورده عليهم علموا ان عبادة الاصنام باطلة وانهم على غرور وجهل في ذلك الثاني قال مقاتل فرجعوا الى انفسهم
فلاموها وقالوا انكم انتم الظالمون لابرهيم حيث تزعمون انه كسرها مع ان الفاس بين يدي الصنم الكبير الثالث
انتم الظالمون لانفسكم حيث سالتموه حتى انه يستهزئ بكم في الجواب **قوله تعالى** ثم نكسوا على رؤسهم قرا العامة
نكسوا مبنيا للمفعول مخفف الكاف اي نكسهم الله او خجلهم وعلى رؤسهم حال اي كائنين على رؤسهم ويجوز ان يتعلق
بنفس الفعل والنكس والتنكيس القلب يقال نكس راسه ونكسه مخففا ومشددا اي طاطاه حتى صار اعلاه اسفله
وقرا ابو حيوة وابن ابي عبلة وابن الجارود وابن مقسم نكسوا بالتشديد وقد تقدم انه لغة في المخفف فليس التشديد
لتعدية ولا لتكثير وقرا رضوان بن عبد نكسوا مخففا مبنيا للفاعل وعلى هذا فالمفعول محذوف تقديره نكسوا انفسهم
على رؤسهم **فصل** قال المفسرون اجرى الله الحق على السنتهم في القول الاول ثم ادركتهم الشقاوة فهو
معنى قوله ثم نكسوا على رؤسهم اي ردوا الى الكفر بعد ان اقروا على انفسهم بالظلم وقيل قلبوا على رؤسهم حقيقة
بفرط اطراقهم خجلا وانكسارا وانخزالا مما بهتهم ابرهيم فما اجابوا جوابا الا ما هو حجة لابرهيم صلى الله عليه وسلم
حين جادلهم فقالوا لقد علمت ما هؤلاء ينطقون فاقروا بهذه الحجة التي لحقتهم **قوله تعالى** لقد علمت هذه
الجملة جواب قسم محذوف والقسم وجوابه معمول لقول مضمر وذلك القول المضمر حال من مرفوع نكسوا اي نكسوا قائلين
والله لقد علمت ما هؤلاء ينطقون يجوز ان تكون ما هذه حجازية فيكون هؤلاء اسمها وينطقون في محل نصب
خبرها او تميمية فلا عمل لها والجملة المنفية باسرها سدت مسد المفعولين ان كانت علمت على بابها ومسد واحد
ان كانت عرفانية **قوله تعالى** افتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئا ان عبدتموه ولا يضركم ان تركتم
عبادته اف لكم اي تبا وقبحا لكم ولما تعبدون من دون الله تقدم الكلام على اف في سورة سبحان قال الزجاج
اف صوت اذا صوت به دل على ان صاحبه متضجر وان ابرهيم صلى الله عليه وسلم اضجره ما راى من ثباتهم على عبادتهم
بعد وضوح الحق وانقطاع عذرهم وزهوق الباطل فتافف واللام في لكم وفي لما لام التبيين اي التافيف لكم
لا لغيركم وهي نظير قوله هيت لك ثم قال افلا تعقلون اي اليس لكم عقل تعقلون هذا وتعرفونه فلما الزمهم الحجة
عجزوا عن الجواب قالوا حرقوه وانصروا الهتكم المسمى في القران من القائل ذلك والمشهور انه نمرود بن كنعان بن سنجاريب
بن كوش بن حام بن نوح صلى الله عليه وسلم وقال مجاهد سمعت ابن عمر يقول انما اشار بتحريق ابرهيم صلى الله عليه
وسلم رجل من الاكراد من فارس وروى ابن جريج عن وهب عن شعيب رحمهم الله قال ان الذي قال حرقوه اسمه هيزر
فخسف الله به الارض فهو يتجلجل فيها الى يوم القيمة قال مقاتل لما اجتمع نمرود وقومه لاحراق ابراهيم حبسوه في بيت
وبنوا له بنيانا كالحظيرة فلذلك قوله تعالى ابنوا له بنيانا فالقوه في الجحيم ثم جمعوا له الحطب الكثير حتى ان
الرجل والمراة لو مرضت قالت ان عافاني الله لاجمعن حطبا لابرهيم وقيل بنوا اتونا بقرية يقال لها كوثا ثم جمعوا
له اصلاب الحطب من اصناف الخشب مدة اربعين يوما وكانت المراة تغزل وتشتري الحطب بغزلها فتلقيه فيه احتسابا
فلما اشتعلت النار واشتدت حتى ان كانت الطير لتمر بها وهي في اقصى الجو فتحترق لشدة وهجها روي انهم لم يعلموا
كيف يلقونه فيها فجاء ابليس لعنه الله فعلمهم عمل المنجنيق فعملوه وقيل صنعه لهم رجل من الاكراد يقال له هيزر وكان
اول من صنع المنجنيق فخسف الله به الارض فهو يتجلجل فيها الى يوم القيمة ثم عمدوا الى ابراهيم فغلوه فيه اي وضعوه فيه
مقيدا مغلولا فصاحت السماء والارض ومن فيهما من الملائكة صيحة واحدة اي ربنا ما في ارضك احد يعبدك غير ابرهيم
انه يحرق فيك فاذن لنا في نصرته فقال سبحانه ان استغاث باحد منكم ودعاه فلينصره فقد اذنت له في ذلك وان لم يدع
غيري فانا اعلم به وانا وليه فخلوا بيني وبينه فانه خليلي ليس لي خليل غيره وانا الهه ليس له اله غيري فلما ارادوا القاءه
في النار اتاه خازن النار فقال ان اردت اخمدت النار واتاه خازن الرياح فقال ان شئت طيرت النار في الهواء فقال
ابراهيم صلى الله عليه وسلم حين قيل له ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل
فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء فحين القي في النار فقال لا اله الا انت سبحانك رب العالمين لك الحمد ولك
الملك لا شريك لك ثم رموه في المنجنيق الى النار فاتاه جبريل صلى الله عليه وسلم فقال يا ابرهيم الك حاجة اما اليك فلا
قال فاسال ربك قال حسبي من سوالي علمه بحالي فقال الله يا نار كوني بردا وسلاما على ابرهيم قال كعب الاحبار رضي الله عنه

جعل كل شي يطفي عنه النار الا الوزغ فانه كان ينفخ النار وروت ام شريك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
امر بقتل الوزغ وقال كان ينفخ على ابرهيم صلى الله عليه وسلم وقال السدي القائل كوني بردا وسلاما جبريل
وقال ابن عباس في رواية مجاهد لو لم يتبعها بردها سلاما لمات ابرهيم من بردها قال ولم يبق يومئذ نار الا طفيت
لو لم يقل على ابرهيم بقيت ذات برد ابدا قال السدي فاخذت الملائكة بضبعي ابرهيم واقعدوه على الارض فاذا عين
ماء عذب وورد احمر ونرجس ولم تحرق منه الا وثاقه وقال المنهال بن عمرو اخبرت ان ابرهيم لما القي في النار كان فيها
اما اربعين يوما او خمسين يوما وقال ما كنت اطيب منها مني اذ كنت فيها قال ابن يسار وبعث الله ملك الظل في صورة
ابرهيم فقعد الى جنب ابرهيم يونسه واتى جبريل بقميص من حرير الجنة وطنفسة فالبسه القميص واجلسه على الطنفسة
وقعد معه يحدثه وقال يا ابرهيم ان ربك يقول اما علمت ان النار لا تضر احبابي ثم نظر نمرود من صرح له واشرف على
ابرهيم فراه جالسا في روضة وراى الملك قاعدا الى جنبه وما حوله نار تحرق فناداه نمرود يا ابرهيم هل تستطيع
ان تخرج منها قال نعم قال قم فاخرج فقام يمشي حتى خرج منها فقال له نمرود من الرجل الذي رايته معك في صورتك
قاعدا الى جنبك قال ذلك ملك الظل ارسله ربي ليونسني فقال له نمرود اني مقرب الى الهك قربانا لما رايته من قدرته
وعزته فيما صنع بك اني اذبح له اربعة الاف بقرة فقال ابرهيم صلوات الله عليه لا يقبل الله منك ما دمت على دينك
هذا فقال نمرود لا استطيع ترك ملكي ولكن سوف اذبحها له فذبحها ثم كف عن ابرهيم روي صلى الله عليه وسلم القي
في النار وهو ابن ست عشرة سنة وانما اختاروا المعاقبة بالنار لانها اقوى العقوبات وروي ان هاران ابا لوط
قال لهم ان النار لا تحرقه لانه سحر النار ولكن اجعلوه على شي واوقدوا تحته ففعلوا فطارت شرارة في لحيته ابا لوط
فاحرقته **قوله تعالى** بردا اي ذات برد والظاهر في سلاما انه نسق على بردا فيكون خبرا عن كوني وجوز
بعضهم ان ينتصب على المصدر المقصود به التحية في العرف وقد رد هذا بانه لو قصد ذلك لكان الرفع فيه اولى
نحو قول ابرهيم سلام وهذا غير لازم لانه لا يجوز ان ياتي القران على الفصيح والافصح وقد دل على ذلك انه جاء
منصوبا والمقصود منه التحية نحو قول الملائكة قالوا سلاما وقوله على ابرهيم متعلق بنفس سلاما ان قصد به التحية
ويجوز ان يكون صفة فيتعلق بمحذوف وعلى هذا فيحتمل ان يكون قد حذف صفة الاول لدلالة صفة الثاني عليه
تقديره كوني بردا عليه وسلاما عليه **فصل** قال ابو مسلم الاصفهاني في تفسير قوله تعالى قلنا
يا ابرهيم وقال في تفسير قوله قلنا يا نار المعنى انه سبحانه وتعالى جعل النار بردا وسلاما لا ان هناك كلاما
كقوله ان يقول له كن فيكون اي يكونه واحتج عليه بان النار جماد فلا يجوز خطابه والاكثرون على انه وجد
ذلك القول ثم هؤلاء لهم قولان الاول قال السدي ان القائل هو جبريل الثاني قول الاكثرين ان القائل هو الله
تعالى وهو الاقرب الاليق بالظاهر فان قيل النار جماد فلا يكون في خطابها فائدة فالجواب لم لا يجوز ان
يكون المقصود من ذلك الامر مصلحة عائدة الى الملائكة **فصل** اختلفوا في كيفية برد النار
فقيل ان الله تعالى ازال عنها ما فيها من الحرارة والاحراق وابقى ما فيها من الاضاءة والاشراق والله على كل شي قدير
وقيل انه تعالى خلق في جسم ابرهيم كيفية مانعة من وصول اذى النار اليه كما يفعل بخزنة جهنم في الاخرة وكما انه
ركب بنية النعامة بحيث لا يضرها ابتلاع الحديدة المحماة وبدن السمندل بحيث انه لا يضره المكث في النار **قوله
تعالى** وارادوا به كيدا اي ارادوا ان يكيدوه **قوله تعالى** فجعلناهم الاخسرين قيل معناه انهم
خسروا السعي والنفقة ولم يحصل لهم مرادهم وقيل فجعلناهم مغلوبين غالبوه فغلبهم فلقنه الله الحجة
وقيل ارسل الله تعالى على نمرود وقومه البعوض فاكلت لحومهم وشربت دماءهم ودخلت في دماغه فاهلكته
قوله تعالى ونجيناه ولوطا الى الارض التي باركنا فيها للعالمين يعني مكة وقيل ارض الشام بارك الله فيها
بالخصب وكثرة الاشجار والثمار والانهار ومنها بعث اكثر الانبياء صلوات الله عليهم **قوله تعالى** وجعلناهم
ايمة يهدون بامرنا المعنى ان كلا من ابرهيم واسحاق ويعقوب جعلنا صالحين **قوله تعالى** فعل الخيرات
قال الضحاك اصله ان يفعلوا الخيرات ثم فعلوا الخيرات وكذلك اقام الصلاة وايتاء الزكوة ليس من الاحكام
المختصة بالموحى اليهم وغيرهم في ذلك مشتركون بني الفعل للمفعول حتى لا يكون المصدر مضافا من حيث
المعنى الى ضمير الموحى اليهم فلا يكون التقدير فعلهم الخيرات واقامهم الصلوة وايتاءهم ولا يلزم ذلك اذ الفاعل
من المصدر محذوف ويجوز ان يكون من حيث المعنى مضافا الى ضمير محذوف يشمل الموحى اليهم وغيرهم والتقدير
فعل المكلفين الخيرات ويجوز ان يكون مضافا الى ضمير الموحى اي يفعلوا الخيرات ويقيموا الصلوة ويؤتوا الزكوة
واذا كانوا هم قد اوحي اليهم ذلك فاتباعهم جارون مجراهم في ذلك ولا يلزم اختصاصهم به ثم اعتقد ان المصدر

للمفعول مخالف فيه اجاز ذلك الاخفش والصحيح منعه وليس ما اختاره الزمخشري بمختار قال شهاب الدين الذي يظهر ان الزمخشري لم يقدر هذا التقدير الذي ذكره الشيخ حتى يلزمه ما قاله بل انما قدر ذلك لان نفس الفعل الذي هو معنى صادر من فاعله لا يوحى انما يوحى الفاظ تدل عليه فكانه قيل واوحينا اي واوحينا هذا اللفظ وهو ان يفعل الخيرات ثم صاغ ذلك الحرف المصدري مع ما بعده مصدرا منونا ناصبا لما بعده ثم جعله مصدرا مضافا لمفعوله وقال ابن عطية واقام مصدر وفي هذا نظر انتهى يعني ابن عطية بالنظر ان مصدر افعل على الافعال فان كان صحيح العين جاء تاما كالاكرام وان كان معتلها حذفت احدى الالفين وعوض عنه تاء التانيث فيقال اقامة فلو لم يقل كذلك جاز فيه النظر المذكور قال ابو حيان واي نظر في هذا وقد نص سيبويه على انه مصدر بمعنى الاقامة وان كان الاكثر الاقامة بالتاء وهو المقيس في مصدر افعل اذا اعتلت عينه وحسن ذلك انه قال وايتاء الزكوة وهو بغير تاء فتقع الموازنة بين قوله واقام الصلوة وايتاء الزكوة وقال الزجاج حذفت التاء من اقامة لان الاضافة عوض عنها وهذا قول الفراء زعم ان التاء تحذف للاضافة كالتنوين وقد تقدم بسط القول في ذلك عند قراءة من قرا في براءة عدة ولكن كره **قوله تعالى** ولوطا اتيناه حكما وعلما الاية في الواو في قوله وعلما قولان احدهما قال الزجاج انه عطف على قوله واوحينا اليهم والثاني قال ابو مسلم انه عطف على قوله واوحينا اليهم واتينا ابراهيم رشده من قبل ولا بد من ضمير في قوله ولوطا كانه قال واتينا لوطا وهو منصوب بفعل يفسره الظاهر بعده تقديره واتينا لوطا اتيناه فهي من الاشتغال والنصب في مثله هو الراجح ولذلك لم يقرا الا به لعطف جملة على جملة فعلية وهو احد المرجحات وقيل لوطا منصوب باذكر ولوطا اتيناه حكما او الحكمة والفصل بين الخصوم بالحق وقيل النبوة وعلما قيل ادخل التنوين على الحكم فالعلم لله لا الله على علو شان ذلك الحكم وذلك العلم **قوله تعالى** ونجيناه من القرية اي من اهلها ذلك يدل على قولهم كانوا كذلك اسم الخبائث اليها والمراد بها سدوم وعاد والخبائث صفة لموصوف محذوف اي تعمل الاعمال الخبائث كانوا ياتون الذكران في ادبارهم ويتضارطون في انديتهم في اشياء اخر كانوا يعملون من المنكرات **قوله تعالى** انهم كانوا قوم سوء فاسقين وادخلناه في رحمتنا قال مقاتل رحمه الله الرحمة النبوة وقال ابن عباس والضحاك انها الثواب انه من الصالحين **قوله تعالى** ونوحا اذ نادى ربه من قبل الاية في نصب نوحا وجهان احدهما انه منصوب عطفا على لوط فيكون مشتركا معه في عامله الذي هو اتينا حكما المفسر باتيناه الظاهر وكذلك داود وسليمان والتقدير ولوطا اتيناه حكما وعلما وداود وسليمان اتيناهما حكما وعلى هذا فاذ بدل من نوحا ومن داود وسليمان بدل اشتمال وتقدم مثل هذا في طه الثاني انه منصوب باضمار اذكر اي اذكر نوحا وداود وسليمان اي اذكر خبرهم وقصتهم وعلى هذا فيكون اذ منصوبا بنفس المضاف المقدر اي خبرهم الواقع في وقت كان كيت وكيت وقوله تعالى من قبل اي قبل هؤلاء المذكورين **فصل** المراد من هذا النداء دعاؤه على قومه بالعذاب ويدل على ذلك قوله تعالى اني مغلوب فانتصر وقوله رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا ويؤكده قوله تعالى فاستجبنا له ونجيناه فدل ذلك على ان نداءه ودعاءه كان بان ينجيه مما لحقه من جهتهم من الاذى بسبب تكذيبهم ورد هم عليه واتفق المحققون على ان ذلك النداء كان بامر الله عز وجل لانه لو لم يكن باذنه لم يؤمن ان تكون المصلحة ان لا يجاب اليه فيصير ذلك سببا لنقصان حال الانبياء صلوات الله عليهم وقال اخرون لم يكن ماذونا له في ذلك قال ابو امامة لم يتحسر احد من خلق الله كحسرة ادم ونوح صلوات الله عليهما فحسرة ادم على قبول وسوسة ابليس لعنه الله وحسرة نوح على دعائه على قومه فاوحى الله اليه ان دعوتك وافقت قدري **قوله تعالى** فنجيناه واهله من الكرب العظيم المراد بالاهل هنا اهل دينه قال ابن عباس المراد بالكرب العظيم الغرق وتكذيب قومه وقيل لانه كان اطول الانبياء عمرا واشدهم بلاء والكرب اشد الغم **قوله تعالى** ونصرناه من القوم فيه وجهان الاول ان تضمن نصرناه معنى منعناه وعصمناه ومثله فمن ينصرنا من باس الله فلما ضمن معناه تعدى تعديته والثاني ان نصر مطاوعه انتصر فتعدى تعديته ما طاوعه **فصل** قال الزمخشري هو نصر الذي مطاوعه انتصر وسمعت هذليا يدعو على سارق اللهم انصرهم منه اي اجعلهم منتصرين منه ولم يظهر فرق بالنسبة الى التضمين المذكور بان معنى قوله منتصرين منه اي ممتنعين او معصومين منه الثالث ان من بمعنى على القوم قال المبرد تقديره ونصرناه من مكروه القوم قال تعالى فمن ينصرنا من باس الله والمعنى منعناه من القوم الذين كذبوا باياتنا ان يصلوا اليه بسوء انهم كانوا قوم سوء لتكذيبهم له وردهم عليه

لعله لم يحسر

فاعرفناه

فاغرقناهم اجمعين خلصه منهم بذلك **قوله تعالى** وداود وسليمان الاية تقدم الكلام على الاعراب واعلم ان المقصود ذكر نعم الله على داود وسليمان فذكر اولا النعمة المشتركة بينهما ثم ذكر ما يختص كل واحد منهما من النعم اما المشتركة فهي قصة الحكومة وهو ان الله تبارك وتعالى خصصهما بالعلم وزينهما بالعلم والفهم في قوله سبحانه وكلا اتينا حكما وعلما قال اكثر المفسرين المراد بالحرث الزرع وقال ابن مسعود وابن عباس رضي الله عنهما كان الحرث كرما قد تدلت عناقيده **قوله تعالى** اذ نفشت فيه غنم القوم اي رعته ليلا فافسدته والنفش الرعي بالليل قاله ابن السكيت وهو قول جمهور المفسرين والنفش الانتشار ومنه كالعهن المنفوش ونفشت الماشية اي رعت ليلا بغير راع عكس الهمل وهو رعيها نهارا بلا راع وعن الحسن ان النفش هو الرعي بلا راع ليلا كان او نهارا **قوله تعالى** وكنا لحكمهم شاهدين في الضمير المضاف اليه حكم وجوه الاول انه ضمير جمع يراد به المثنى وانما وقع الجمع موقع التثنية مجازا او لان التثنية جمع واقل الجمع اثنان ويدل على ان المراد التثنية قراءة ابن عباس لحكمهما بصيغة التثنية الثاني ان المصدر مضاف للحاكمين وهما داود وسليمان والمحكوم له والمحكوم عليه فهؤلاء جماعة وهذا مصدر مضاف لفاعله ومعموله دفعة واحدة وهو انما يضاف لاحدهما فقط وفيه الجمع بين الحقيقة والمجاز فان الحقيقة اضافة المصدر لفاعله والمجاز اضافته لمفعوله الثالث ان هذا مصدر لا يراد به الدلالة على علاج بل جيء به للدلالة على ان هذا الحدث تقرر ووقع له كقولهم له ذكاء ذكاء الحكماء وفهم فهم الاذكياء لا ينحل بحرف مصدري وفعل واذا كان كذلك فهو مضاف في المعنى للحاكم والمحكوم له والمحكوم عليه ويندفع المجاز وان المذكوران **قوله تعالى** ففهمناها قرا العامة ففهمناها بالتضعيف الذي للتعدية والضمير للمسالة او للفتيا وقرا عكرمة فافهمناها بالهمزة عداه العامة بالتضعيف **فصل** قال اكثر المفسرين دخل رجلان على داود صلى الله عليه وسلم احدهما صاحب حرث والاخر صاحب غنم فقال صاحب الحرث ان غنم هذا دخلت حرثي ليلا فافسدته فلم يبق منه شيئا فقال داود فان الغنم لك فخرجا فمرا على سليمان صلى الله عليه وسلم فقال لهما كيف قضى بينكما فاخبراه فقال لو وليت امركما لقضيت بغير هذا وروي انه قال غير هذا ارفق بالفريقين فاخبر بذلك داود فدعاه فقال كيف تقضي وروي انه قال له بحق النبوة والابوة الا اخبرتني بالذي هو ارفق للفريقين فقال ادفع الغنم الى صاحب الحرث ينتفع بدرها وصوفها ونسلها ومنافعها ويبذر صاحب الغنم لصاحب الحرث مثل حرثه فاذا صار الحرث كهيئته يوم اكل دفع الى اهله واخذ صاحب الغنم غنمه فقال القضاء ما قضيت وقال ابن مسعود وشريح ومقاتل ان راعيا دخل ذات ليلة بجنب كرم فدخلت الاغنام الكرم وهو لا يشعر فاكلت القضبان وافسدت الكرم فجاء صاحب الكرم من الغد الى داود فقضى له بالغنم لانه لم يكن بين ثمن الكرم وثمن الاغنام تفاوت وذكروا باقي القصة قال ابن عباس حكم سليمان بذلك وهو ابن احدى عشرة سنة واما حكم الاسلام انما افسدت الماشية المرسلة بالنهار من مال الغير فلا ضمان على ربها وما افسدته بالليل ضمنه ربها لان في عرف الناس ان اصحاب الزرع يحفظونها بالنهار والمواشي تسرح بالنهار وترد بالليل الى المراح روي محيصة ان ناقة البراء بن عازب دخلت حائطا فافسدت فقضى النبي صلى الله عليه وسلم ان على اهل الحائط حفظها بالنهار وما افسدت المواشي بالليل ضامن على اهلها وذهب اصحاب الراي الى ان المالك اذا لم يكن معها فلا ضمان عليه فيما اتلفت الماشية ليلا كان او نهارا قال ابو بكر رضي الله عنه انهما لم يختلفا في الحكم البتة وانه تعالى بين لهما الحكم على لسان سليمان والظاهر انهما اختلفا ويدل على اجماع الصحابة رضي الله عنهم وايضا قوله تعالى وكنا لحكمهم شاهدين ثم قال ففهمناها سليمان والفاء للتعقيب فوجب ذلك الحكم ان يكون سابقا على هذا التفهيم وذلك الحكم السابق ان اتفقا فيه لم يبق لقوله ففهمناها سليمان فائدة وان اختلفا فيه فهو المطلوب **فصل** احتج الجبائي على ان الاجتهاد غير جائز من الانبياء بوجوه الاول قوله تعالى قل ما يكون لي ان ابدله من تلقاء نفسي ان اتبع الا ما يوحى الي وقوله وما ينطق عن الهوى الثاني ان الاجتهاد طريقه الظن وهو قادر على اليقين فلا يجوز المصير الى الظن كالمعاين للقبلة لا يجوز له الاجتهاد الثالث لو جاز له الاجتهاد في الاحكام لكن لا يقف على شيء منها فلما وقف في مسئلة الظهار واللعان الى ورود الوحي دل على ان الاجتهاد غير جائز عليه الرابع ان الاجتهاد انما يصار اليه عند فقد النص وفقد النص في حق الرسول كالممتنع فوجب ان لا يجوز الاجتهاد الخامس لو جاز الاجتهاد من الرسول صلى الله عليه وسلم لجاز ايضا من جبريل وحينئذ لا يحصل الامان ان هذه الشرائع التي جاء بها هي من نصوص الله او من اجتهاد جبريل واجيب عن الاول ان الاية واردة في ابدال الاية لانه عقب قوله تعالى وقال الذين لا يرجون لقاءنا ائت بقران غير هذا او بدله ولا مدخل للاجتهاد في ذلك واما قوله وما ينطق عن الهوى فمن جوز له الاجتهاد يقول ان الذي اجتهد فيه هو عن وحي على الجملة وان لم يكن كذلك على التفصيل وايضا فان الاية واردة في الاداء عن الله لا في حكمه الذي يكون بالعقل وعن الثاني ان الله تعالى اذا قال له اذا غلب على ظنك كون الحكم معللا في الاصل بكذا ثم غلب على ظنك قيام ذلك المعنى في صورة اخرى فاحكم بمثل هذا الحكم فههنا الحكم مقطوع به والظن غير واقع فيه بل في طريقه وعن الثالث لعله صلى الله عليه وسلم كان ممنوعا عن الاجتهاد في بعض الانواع او كان ماذونا له مطلقا لكنه

لم يسلطه في ذلك الصورة وجه الاجتهاد فتوقف وعن الرابع لم لا يجوز ان يحبس النص عنه في بعض الصور وحينئذ يحصل
شرط جواز الاجتهاد لهم وجوه الاول انه صلى الله عليه وسلم اذا غلب على ظنه ان الحكم وعن الخامس ان هذا الاجتهاد مدفوع باجماع
الامة على خلافه فيه الذي يدل على جواز الاجتهاد لهم وجوه الاول انه صلى الله عليه وسلم اذا غلب على ظنه ان الحكم في الاصل معلل
على معنى ثم علم او ظن ان قيام ذلك المعنى في صورة اخرى فلا بد وان يغلب على ظنه ان حكم الله في هذه الصورة مثل ما في الاصل
لقوله صلى الله عليه وسلم ارأيت لو كان على ابيك دين فقضيته الثاني قوله تعالى فاعتبروا امر الكل بالاعتبار فوجب اندراج
الرسول صلى الله عليه وسلم فيه لانه امام المعتبرين وافضلهم الثالث ان الاستنباط ارفع درجات العلماء فوجب ان يكون للرسول
صلى الله عليه وسلم مدخل فيه والا لكان واحد من المجتهدين افضل منه في هذا الباب فان قيل انما لزم لو لم يكن درجته
اعلى من الاعتبار وليس الامر كذلك لانه كان يستدرك الاحكام وحيا على سبيل اليقين فكان ارفع درجة من الاجتهاد
الذي قصاراه الظن فالجواب لا يمتنع ان لا يجد النص في بعض المواضع فان لم يكن من اهل الاجتهاد لكان ادون درجة
من المجتهدين الذي يمكنه تعرف ذلك الحكم من الاجتهاد وايضا فقد تقدم ان الله تعالى لما امره بالاجتهاد وكان ذلك
معينا للقطع الرابع قوله صلى الله عليه وسلم العلماء ورثة الانبياء صلوات الله عليهم فوجب ان يثبت للانبياء درجة الاجتهاد
لتورث العلماء عنهم ذلك الخامس قوله تعالى عفا الله عنك لم اذنت لهم فذلك الاذن اما ان كان باذن الله تعالى استحال
ان يقال له فلم اذنت وان كان بهوى النفس فهو غير جائز وان كان بالاجتهاد فهو المطلوب فان قيل قال الجبائي
لو جوزنا الاجتهاد من الانبياء فنفي الاجتهاد في هذه المسئلة لا يجوز لوجوه الاول ان الذي وصل الى صاحب الزرع من
در الماشية وصوفها ومنافعها مجهول المقدار فكيف يجوز الاجتهاد ان يجعل المجهول عوضا عن الاجر الثاني ان اجتهاد داود
عليه السلام ان كان صوابا لزم ان لا ينقض بالاجتهاد وان كان خطأ وجب ان يبين الله توبته كما في سائر ما حكاه عن الانبياء
صلى الله عليهم فلما مدحهما بقوله وكلا آتينا حكما وعلما دل على انه لم يقع الخطأ من داود صلى الله عليه وسلم الثالث لو حكم
بالاجتهاد لكان الحاصل هناك الظن لا علما لكن الله تعالى قال وكلا آتينا حكما وعلما الرابع كيف يجوز ان يكون عن
اجتهاد مع قوله ففهمناها سليمان فالجواب عن الاول بان الجهالة في القدر لا يمنع من الاجتهاد كالجعالات وحكم المصراة
وعن الثاني لعل خطأه كان من باب الصغائر وعن الثالث ان التمسك بالقياس فان الظن واقع في طريق الحكم واما الحكم
فمقطوع به وعن الرابع ان المجتهد اذا تامل واجتهد واداه اجتهاده الى حكم كان الله تعالى فهمه من حيث بين الطريق ذلك
فهذا جملة الكلام في بيان انه لا يمتنع ان يكون اختلاف داود وسليمان في ذلك لاجتهاد انما كان بسبب الحكم الاجتهاد
واما بيان انه لا يمتنع ايضا ان يكون اختلافهما فيه بسبب النص فوجهه ان يقال ان داود عليه السلام كان مأمورا
بالحكم من قبل الله تعالى ثم انه تعالى نسخ ذلك بالوحي الى سليمان خاصة وامره ان يعرف داود وصار ذلك الحكم حكمهما جميعا فذلك
ففهمناها سليمان اي اوحينا اليه فان قيل هذا باطل لوجهين الاول لما نزل الله الحكم الاول على داود وجب
ان ينزل نسخه ايضا على داود لا على سليمان الثاني انه تعالى مدح كل واحد منهما على الفهم ولو كان ذلك على سبيل
النص لم يكن في فهمه كثير مدح واعلم ان القول الاول اولى لانه ورد في الاخبار الكثيرة ان داود لم يكن بت الحكم
في ذلك حتى سمع من سليمان ان غير ذلك اولى وفي بعضها ان داود ناشده لكي يورد ما عنده ولو كان نصا لكان يظهره
ولا يكتمه ووجه الاجتهاد فيه ما ذكره ابن عباس رضي الله عنه ان داود صلى الله عليه وسلم قوم قدر الضرر في الكرم
فكان مساويا لقيمة الغنم وكان عنده ان الواجب في ذلك الضرر ان يزال بمثله من النفع فلا جرم سلم الغنم الى المجني عليه
كما قال ابو حنيفة رحمه الله في العبد اذا جنى على النفس يدفعه المولى بذلك او يفديه واما سليمان فاداه اجتهاده
الى انه يجب مقابلة الاصول بالاصول والزوائد بالزوائد واما مقابلة الاصول بالزوائد فغير جائز لانه يقتضي الحيف ولعل
منافع الغنم في تلك السنة كانت موازنة فحكم به كما قال الشافعي رحمه الله فيمن غصب عبدا فابق من يده ان يضمن القيمة فينتفع
بها المغصوب منه بازاء ما فوته الغاصب من منافع العبد فاذا ظهر ترادا ثم ان تلك المخالفة كانت مبنية على الاجتهاد
فهل تدل هذه القصة على ان المصيب واحد والكل مصيبون فمن قال ان المصيب واحد ومخالفه مخطئ احتج بان قال
وكلا آتينا حكما وعلما ولو كان كذلك لثاني المصيب قال ابن الخطيب وكلا الاستدلالين ضعيف اما الاول فلان الله تعالى
لم يقل انه فهمه الصواب فتخصيصه انه فهمه الناسخ ولم يفهم ذلك داود فكل واحد منهما مصيب فيما حكم به على ان اكثر ما في
الآية اشهاد له على ان داود وسليمان ما كانا مصيبين وذلك لا يوجب ان يكون الامر كذلك في شرعنا واما الثاني
فلان الله تعالى لم يقل كلا آتيناه حكما فيما حكم به هنا بل يجوز ان يكون آتيناه حكما وعلما بوجه الاجتهاد وطرق الحكم
على انه لا يلزم من كون كل مجتهد مصيبا في شرعهم ان يكون الامر كذلك في شرعنا **قوله تعالى** وسخرنا مع داود الجبال
يسبحن هذه من النعم التي خصها الله تعالى داود ويقول يسبحن في محل نصب على الحال والطير يجوز ان ينتصب نسقا على الجبال

وان ينتصب على المفعول معه وقيل يسبحن مستانف فلا محل له وهو بعيد وقرئ والطير رفعا وفيه وجهان الاول
انه مبتدأ والخبر محذوف اي والطير مسخرات ايضا والثاني انه نسق على الضمير في يسبحن ولم يؤكد ولم يفصل وهو
موافق لمذهب الكوفيين **فصل** قال ابن عباس رضي الله عنه كان يفهم تسبيح الحجر والشجر وقال وهب كانت الجبال
تجاوبه بالتسبيح وكذلك الطير وقال قتادة يسبحن اي يصلين معه اذا صلى وقيل كان داود اذا فتر يسمعه الله تسبيح
الجبال والطير عنا به قوله تعالى وان من شيء الا يسبح بحمده وتخصيص داود عليه السلام بذلك انما كان بسبب انه
كان يعرف ذلك ضرورة فيزداد يقينا وتعظيما وقالت المعتزلة لو حصل الكلام في الجبل لحصل اما بفعله او بفعل الله
فيه والاول محال لان بنية الجبل لا تحتمل الحياة والعلم والقدرة ومن لم يكن حيا عاقلا قادرا استحال منه
الفعل والثاني محال لان المتكلم عندهم من كان فاعلا للكلام لا من كان محلا للكلام فلو كان فاعل ذلك الكلام هو الله لكان
المتكلم هو الله لا الجبال فثبت انه لا يمكن اجراؤه على ظاهره فعند هذا قالوا معنى قوله تعالى وسخرنا مع داود الجبال قوله
يا جبال اوبي معه وتسيري بامره ومعنى يسبحن من التسبيح الذي هو السباحة خرج فيه اللفظ على التكثير ولو افرد لقيل
يسبح فلما كثر قيل يسبحن معناه يسيرن وهو كقوله تعالى ان لك في النهار سبحا طويلا اي تصرفا ومذهبا اذا ثبت هذا
فنقول ان سير الجبال هو التسبيح لدلالته على قدرة الله تعالى واعلم ان مدار هذا القول على ان بنية الجبال لا تقبل القدرة
والحياة وان المتكلم من حمل الكلام وكلاهما ممنوع واما الطير فلا امتناع ان يصدر عنها الكلام ولكن اجمعت الامة
على ان المكلفين اما الجن او الانس او الملائكة فيمتنع فيها ان تبلغ في العقل الى درجة التكليف بل يكون حاله كحاله في الطير
والطفل في ان يؤمر وينهى وان لم يكن مكلفا فصار ذلك معجزة من حيث جعلها في الفهم بمنزلة المراهق وايضا دلالة
على قدرة الله تعالى وعلى تنزيهه مما لا يجوز فيكون القول فيه كالقول في الجبال وقدم الجبال على الطير لان تسخيرها
اعجب وادل على القدرة وادخل في الاعجاز لانها جماد والطير حيوان ثم قال **قوله تعالى** وكنا فاعلين اي قادرين
على ان نفعل هذا وان كان عجيبا عندكم وقيل نفعل ذلك بالانبياء صلوات الله عليهم الانعام الثاني **قوله تعالى**
وعلمناه صنعة لبوس لكم الجمهور على فتح اللام من لبوس وهو الشيء المعد للبس قال الشاعر

البس لكل حالة لبوسها * اما نعيمها واما بوسها *

والمراد باللبوس هنا الدرع لانها تلبس وهو في اللغة اسم لما يلبس ويستعمل في الاسلحة وهو بمعنى الملبوس كالحلوب
والركوب وقرئ لبوس بضم اللام وحينئذ اما ان يكون جمع لبس المصدر الواقع موقع المفعول واما ان لا يكون واقعا
موقعه فالاول اقرب ولكم يجوز ان تتعلق بعلمنا وان تتعلق بصفة قاله ابو البقا وفيه بعد وان تتعلق بمحذوف
على انه صفة للبوس **فصل** قال قتادة اول من صنع الدرع وسردها وحلقها داود صلى الله عليه وسلم
وانما كانت صفائح **قوله تعالى** ليحصنكم هذه لام كي وفي متعلقها اوجه الاول ان تتعلق بعلمنا وهذا ظاهر
على القول بان الاخرى واما على القول الثالث فمشكل وذلك انه يلزم تعلق حرفي جر متحدين لفظا ومعنى بفعل ويجاب
عنه بانه يجعل بدلا من لكم باعادة العامل كقوله تعالى لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم وهذا بدل اشتمال وذلك ان الناصبة
للفعل المقدر موصولة هي ومنصوبها اي لاحصانكم وذلك المصدر بدل من ضمير الخطاب في لكم بدل اشتمال والتقدير وعلمناه
صنعة لبوس لتحصنكم والثاني ان تتعلق بصنعة على معنى انه بدل من لكم كما تقدم تقريره وذلك على راي ابي البقا
فانه علق لكم بصنعة الثالث انها تتعلق بالاستقرار الذي تعلق به لكم اذا جعلته صفة لما قبله وقرئ الحرميان والاخوان
وابو عمرو ليحصنكم بالياء من تحت الفاعل الله تعالى وفيه التفات من هذا الوجه اذ تقدمه ضمير المتكلم في قوله وعلمناه
او داود او التعليم او اللبوس وقرأ حفص وابن عامر بالتاء من فوق والفاعل الصنعة او الدرع وهي مؤنثة او اللبوس لانها
يراد بها ما يلبس وهو الدرع والدرع مؤنثة كما تقدم وقرأ ابو بكر لنحصنكم بالنون جريا على علمنا وعلى هذه القراءات
الثلاث فالصاد مخففة وقرأ الاعمش ليحصنكم وكذا النعيمي عن ابي عمرو بفتح الحاء وتشديد الصاد على التكثير الا ان
الاعمش بالتاء من فوق وابي عمرو بالياء من تحت وقد تقدم ما هو الفاعل **فصل** معنى ليحصنكم اي ليمنعكم
ويحرزكم ويمنعكم من باسكم اي حرب عدوكم وقال السدي من وقع السلاح فيكم ذكر الحسن ان لقمان الحكيم عليه السلام حضر
داود عليه السلام وهو يعمل الدرع فاراد ان يسأله عما يفعل ثم كف عن السؤال حتى فرغ منها ولبسها على نفسه فقال عند
ذلك الصمت حكمة وقليل فاعله ثم قال **قوله تعالى** فهل انتم شاكرون يقول لداود واهل بيته وقيل
لجميع الانام وكذا فهل انتم شاكرون نعمتي بطاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم **قوله تعالى** ولسليمان الريح
العامة على النصب اي وسخرنا الريح لسليمان فهي منصوبة بعامل مقدر وقرأ ابن هرمز وابو بكر عن عاصم في رواية بالرفع
على الابتداء والخبر الجار قبله وقرأ الحسن وابو رجا بالجمع والنصب وابو حيوة بالجمع والرفع وتقدم الكلام على الجمع والافراد

في البقرة وبعض هؤلاء قرأ في سبا كذلك كما سيأتي ان شاء الله تعالى **قوله تعالى** عاصفة والعامل فيها سخرنا من نصب بجريا المقدر وفي قراءة من رفع الاستقرار الذي تعلق به الخبر يقال عصفت الريح تعصف عصفا وعصوفا فهي عاصف وعاصفة واسد تقوله اعصفت بالالف تعصف فهي معصف ومعصفة والريح تذكر وتؤنث والعاصفة الشديدة الهبوب فان قلت قد قال في موضع آخر تجري بامره رخاء والرخاء اللين قلت كانت الريح تحت امره ان اراد ان تشتد اشتدت وان اراد ان تلين لانت فان **قيل** قال في داود وسخرنا مع داود الجبال وقال في سليمان وسخرنا لسليمان الريح فذكر في حق داود بكلمة مع وسليمان باللام فالجواب يحتمل ان الجبل لما اشتغل بالتسبيح حصل له نوع شرف فما اضيف بلام التمليك واما الريح فلم يصدر منه الا ما يجري مجرى الخدمة فلا جرم اضيف الى سليمان بلام التمليك وهذا الجواب اقناعي **قوله تعالى** تجري يجوز ان تكون حالا ثانية وان تكون حالا من الضمير في عاصفة فيكونا حالين متداخلين وزعم بعضهم ان التي باركنا فيها اسم الريح وفي الاية تقديم وتأخير والتقدير الريح التي باركنا فيها الى الارض وهو تعسف والمراد بقوله تعالى الى الارض التي باركنا فيها بيت المقدس **فصل** قال الكلبي كان سليمان صلى الله عليه وسلم وقومه يركبون عليها من اصطخر الى الشام والى حيث شاء ثم يعود الى منزله ثم قال سبحانه **قوله تعالى** وكنا بكل شيء عالمين اي وكنا بكل شيء علمناه عالمين بصحة التدبير فيه علمنا انما يعطى سليمان صلى الله عليه وسلم من تسخير الريح وغيره يدعوه الى الخضوع لربه عز وجل **قوله تعالى** من يغوصون يجوز ان تكون موصولة او موصوفة وعلى كلا التقديرين فموضعها اما نصب نسقا على الريح اي وسخرنا له من يغوصون او رفع على الابتداء والجار قبله وجمع الضمير حملا على المعنى من وحسن ذلك تقدم الجمع في قوله الشياطين فلما ترشح جانب المعنى روعي نظيره قوله

وان من النسوان من هي روضة * تهيج الرياض قبلها وتصوح

راعى التأنيث لتقدم قوله وان من النسوان ودون ذلك صفة لعملا **فصل** يحتمل ان يكون من يغوصون منهم هو الذي يعمل سائر الاعمال ويحتمل انهم فرقة اخرى ويكون الكل داخلين في لفظة من والاول اقرب وظاهر الاية انهم سخروهم لكنه قد روي انه تعالى سخر له كفارهم دون المؤمنين وهو الاقرب من وجهين احدهما اطلاق لفظ الشياطين والثاني قوله وكنا لهم حافظين فان المؤمن اذا سخر في امر لا يجب ان يكون محفوظا لئلا يفسد وانما يجب ذلك في الكافر **فصل** معنى يغوصون اي يدخلون تحت الماء فيخرجون له من قعر البحر الجواهر ويعملون عملا دون ذلك اي دون الغوص وهو ما ذكره تعالى في قوله يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل الاية وكنا لهم حافظين حتى لا يخرجوا من امره وقيل وكلهم جمعا من الملائكة وجمعا من مؤمني الجن وقال ابن عباس رضي الله عنهما ان سلطانه مقيم عليهم لهم ما يشاء وفي كونهم محفوظين ثلاثة اوجه الاول انه تعالى كان يحفظهم لئلا يذهبوا الثاني قال الكلبي كان يحفظهم من ان يهيجوا احدا في زمانهم الثالث قال الزجاج كان يحفظهم من ان يفسدوا ما عملوا وكان دابهم ان يعملوا ثم يفسدون بالليل روي ان سليمان كان اذا بعث شيطانا مع انسان ليعمل له عملا قال اذا فرغ من عمله قبل الليل اشغله بعمل آخر لئلا يفسد ما عمله فكان من عادة الشياطين انهم اذا فرغوا من العمل ولم يشغلوا بعمل آخر خربوا ما عملوه وافسدوه **فصل** سأل الجبائي نفسه فقال كيف تهيأ لهم هذه الاعمال واجسامهم رقيقة لا يقدرون على عمل الثقيل وانما يمكنهم الوسوسة واجاب بانه سبحانه كثف اجسامهم وقواهم وزاد في عظمهم ليكون ذلك معجزة لسليمان فلما مات سليمان عليه السلام ردهم الى الخلقة الاولى لانه لو ابقاهم على الخلقة الثانية لصار شبهة على الناس ولو ادعى متنبي النبوة وجعله دلالة لكان كمعجزات الرسل فلذلك ردهم الى خلقتهم الاولى قال ابن الخطيب رحمه الله وهذا الكلام ساقط من وجوه الاول لو قلنا ان الجن من الاجسام ولم لا يجوز وجود محدث ليس بمتحيز ولا قائم بمتحيز ويكون الجن منهم فان قيل لو كان الامر كذلك لكان مثلا للباري تعالى فالجواب هذا ضعيف لان الاشتراك في اللوازم الثبوتية لا يدل على الاشتراك في الملزومات فكيف اللوازم السلبية سلمنا انه جسم لكن لم لا يجوز حصول القدرة على هذه الاعمال الشاقة في هذا الجسم اللطيف وكلامه بناء على ان البنية شرط وليس في يده الا استقراء ضعيف سلمنا انه لابد من تكثيف اجسامهم لكن لم قلت لابد من ردها الى الخلقة الاولى بعد سليمان وقوله انه يفضي الى التلبيس عنه لا دم لان النبي اذا جعل ذلك معجزة لنفسه فالمدعو ان يقول لم لا يجوز ان يقال ان قوة اجسامهم كانت معجزة لنبي آخر ومع قيام هذا الاحتمال لا يتمكن المتنبي من الاستدلال به واعلم ان اجسام هذا العالم اما كثيفة او لطيفة اما الكثيفة فاكثف الاجسام الحجارة والحديد وقد جعلهما الله تعالى معجزة لداود صلى الله عليه وسلم فانطق له الحجر والان الحديد وكل واحد منهما كما يدل على التوحيد فالنبوة يدل على صحة الحشر لانه اذا قدر على احياء الجماد فاي بعد في احياء العظم

الرميم واذا اقدر على ان يجعل في اصبع داود عليه السلام قوة النار مع كون الاصبع في غاية اللطافة فاي بعد في ان يجعل التراب اليابس جسما حيوانيا واما الطف الاشياء في هذا العالم الهوى والنار وقد جعلهما الله تعالى معجزة لسليمان صلى الله عليه وسلم اما الهوى فقوله تعالى وسخرنا له الريح واما النار فلان الشياطين مخلوقون من النار وقد سخرهم الله تعالى له ثم كان يامرهم في الغوص في المياه والنار تنطفي بالماء ولم تكن تضرهم وذلك يدل على قدرته على اظهار الضد من الضد **قوله تعالى** وايوب اذ نادى ربه الاية قوله وايوب كقوله ونوحا وما بعده وقرا العامة اني بالفتح لتسليط النداء عليها باضمار حرف الجر اي باني وعيسى ابن عمر بالكسر فمذهب البصريين اضمار القول اي نادى فقال اني ومذهب الكوفيين اجرى النداء مجرى القول والضر بالضم المرض في البدن وبالفتح الضرر في كل شيء فهو اعم من الاول **فصل** قال وهب بن منبه رضي الله عنه كان ايوب عليه السلام رجلا من الروم وهو ايوب بن اموص بن رازح بن روم بن عيص بن اسحاق بن ابراهيم صلى الله عليه وسلم وكانت امه من ولد لوط بن هاران وكان الله قد اصطفاه ونباه وبسط عليه الدنيا وكانت له البثنية من ارض الشام كلها سهلها وجبلها وكان له فيها من اصناف المال كله من الابل والبقر والغنم والخيل والحمير والبساتين وما لا يكون لرجل افضل منه في العدة والكثرة والاهل والولد من الرجال والنساء وكان رحيما بالمساكين يكفل الايتام والارامل ويكرم الضيفان ويبلغ ابن السبيل وكان معه ثلاثة نفر قد امنوا به ودينه وعرفوا فضله قال كان احدهم من اهل اليمن يقال له اليفن ورجلان من اهل بلده يقال لاحدهما بلدد وللآخر صافر وكانوا كهولا وكان ابليس لعنه الله لا يحجب عن شيء من السموات وكان يقف فيهن حيث ما اراد حتى رفع الله تعالى عيسى بن مريم عليه السلام فحجب من اربع فلما بعث الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم حجب من الثلاث الباقية فسمع ابليس تجاوب الملائكة بالصلاة على ايوب وذلك حين ذكره الله تعالى واثنى عليه فادركه البغي والحسد فصعد سريعا حتى وقف من السماء موقفا كان يقفه فقال الهي نظرت في عبدك ايوب فوجدته عبدا انعمت عليه فشكرك وعافيته فحمدك ولو ابتليته لنزع ما اعطيته لحال عما هو عليه من شكرك وعبادتك ولخرج من طاعتك فقال الله تعالى انطلق فقد سلطتك على ماله فانقض عدو الله ابليس حتى وقع على الارض ثم جمع عفاريت الجن ومردة الشياطين وقال لهم ما عندكم من القوة فاني سلطت على مال ايوب فقال عفريت من الشياطين اعطيت من القوة ما اذا شئت تحولت اعصارا من نار فاحرق كل شيء فقال له ابليس لعنه فأت الابل ورعاتها فذهب فاتى الابل حين وضعت رؤوسها وانبتت في مراعيها فلم يشعر الناس حتى ثار من تحت الارض اعصار من نار لا يدنو منه احد الا احترق فاحرق الابل ورعاتها حتى اتى على آخرها ثم جاء ابليس لعنه الله في زي بعض الرعاة الى ايوب عليه السلام فوجده قائما يصلي فقال يا ايوب اقبلت نار حتى غشيت ابلك فاحرقتها ومن فيها غيري فقال ايوب عليه السلام الحمد لله الذي هو اعطاها وهو اخذها وقديما وطنت نفسي ومالي على الفناء فقال ابليس ان ناسا من قومك يتعجبون فمن قائل يقول ما كان ايوب يعبد شيئا وما كان الا في غرور ومنهم من يقول لو كان اله ايوب يقدر على ان يمنع شيئا لمنع وليه ومنهم من يقول هو الذي فعل ما فعل ليشمت به عدوه ويفجع به صديقه فقال ايوب الحمد لله حين اعطاني وحين نزع مني عريانا خرجت من بطن امي وعريانا اعود في التراب وعريانا احشر الى ربي ولو علم الله فيك خيرا ايها العبد لنقل روحك مع تلك الارواح وصرت شهيدا ولكنه علم منك شرا فاخرك فرجع ابليس الى اصحابه خاسئا ذليلا فقال لهم ماذا عندكم من القوة فقال عفريت آخر عندي من القوة ما اذا شئت صحت صيحة لا يسمعها ذو روح الا خرجت روحه فقال له ابليس لعنه الله عليه فأت الغنم ورعاتها فانطلق فصاح بها فماتت وماتت رعاتها ثم جاء ابليس لعنه الله متمثلا بقهرمان الرعاة الى ايوب عليه السلام وهو يصلي فقال له مثل القول الاول ورد عليه ايوب مثل الرد الاول فرجع ابليس صاغرا الى اصحابه فقال لهم ما عندكم من القوة فاني لم اكلم قلب ايوب فقال عفريت آخر عندي من القوة ما اذا شئت تحولت ريحا عاصفا اقلع كل شيء اتيت عليه فقال اذهب الى الحرث والفدادين فاتاها فاهلكها ثم اتى ابليس متمثلا الى ايوب وقال مثل قوله فرد عليه ايوب الرد الاول وكلما انتهى اليه هلاك مال من امواله حمد الله واحسن الثناء عليه ورضي عنه بالقضاء ووطن نفسه بالصبر على البلاء حتى لم يبق له مال فلما راى ابليس لعنه الله صبره على ذلك وقف الموقف الذي كان يقفه عند الله تعالى فقال الهي ان ايوب يرى انك متعته بولده فانت معطيه المال فانت مسلطي على ولده فانها المصيبة التي لا تقوم لها قلوب الرجال فقال الله تعالى انطلق فقد سلطتك على ولده فانها المصيبة فاتى اولاد ايوب في قصرهم فلم يزل يزلزل بهم من قواعده حتى قلب القصر عليهم ثم جاء ايوب بالمعلم الذي يعلمهم الحكمة وهو جريح مشدوخ الوجه والراس يسيل دمه فقال لو رايت بنيك كيف انقلبوا منكوسين على رؤوسهم لتقطع قلبك فلم يزل يقول هذا ونحوه حتى رق ايوب عليه السلام وبكى وقبض قبضة من التراب ووضعها على راسه وقال يا ليت امي لم تلدني فاغتنم ابليس لعنه الله وصعد سريعا ووقف موقفه لم يلبث اذ افاق ايوب واستغفر وصعد قرناؤه من الملائكة صلوات الله عليهم بتوبته فسبقت توبته الى الله

تعالى وهو اعلم ثم وقف ابليس لعنه الله ذليلا فقال الهي انما هون على ايوب المال والولد لعلمه انه يرى انك اذا متعته
بنفسه فانت تعيد له المال والولد فهل انت مسلطي على جسده فقال الله عز وجل انطلق فقد سلطتك على جسده
وليس لك على قلبه وعقله ولسانه سلطان وكان الله عز وجل اعلم به لم يسلطه عليه الا رحمة ليعظم له الثواب ويجعله
عبرة للصابرين وذكرى للعابدين في كل بلاء نزل بهم ليتأسوا به في الصبر ورجاء الثواب فانقض عدو الله
سريعا فوجد ايوب ساجدا فعجل قبل ان يرفع رأسه فاتاه من قبل وجهه فنفخ في منخره نفخة اشتعل منها
جسده فخرج من قرنه الى قدمه ثآليل مثل اليات الغنم ووقعت فيه حكة لا يملكها فكان يحك باظفاره حتى سقطت
ثم حك بالمسوح الخشنة حتى قطعها ثم حكها بالفخار والحجارة الخشنة حتى تقطع لحمه وتغير وانتن فاخرجه اهل
القرية وجعلوه على كناسة وجعلوا له عريشا ورفضه الناس كلهم الا امرأته رحمة بنت افرائيم بن يوسف فكانت
تصلح اموره وتختلف اليه بما يصلحه ثم ان وهبا طول الحكاية الى ان قال ان ايوب عليه السلام اقبل على الله متضرعا
اليه فقال يا رب لاي شيء خلقتني يا ليتني عرفت الذنب الذي اذنبت والعمل الذي عملت فصرفت وجهك عني الم اكن
للغريب دارا وللمسكين قرارا ولليتيم وليا وللارملة قيما الهي انا عبد ذليل ان احسنت فالمن لك وان اسأت فبيدك
عقوبتي جعلتني للبلاء غرضا وللفتنة نصبا وسلطت علي ما لو سلطته على جبل لضعف عن حمله الهي تقطعت
اصابعي وتساقطت لهواتي وتناثر شعري ذهب المال فصرت اسأل اللقمة فيطعمني من يمن بها علي ويعيرني
بفقري وهلاك اولادي قال القاضي ابو القاسم الانصاري رحمه الله وفي جملة هذا الكلام ليتك اذ كرهتني
لم تخلقني ثم قال ولو كان ذلك صحيحا لما اغتم ابليس بان يحمله على الشكوى وان يخرجه عن جملة الصابرين
والله لم يخبر عنه الا قوله اني مسني الضر وانت ارحم الراحمين وقال انا وجدناه صابرا نعم العبد انه اواب واختلف
الناس في السبب الذي قال لاجله اني مسني الضر فروى ابن شهاب عن انس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ايوب
عليه السلام بقي في البلاء ثماني عشرة سنة فرفضه القريب والبعيد الا رجلين كانا يغدوان اليه ويروحان فقال
احدهما للاخر ذات يوم والله ان ايوب اذنب ذنبا ما اذنبه احد من العالمين فقال له صاحبه وما ذاك فقال
منذ ثماني عشرة سنة لم يرحمه ولم يكشف ما به فلما راحا الى ايوب لم يصبر حتى ذكر ذلك له فقال ايوب ما ادري ما
تقولان غير ان الله تعالى يعلم اني كنت امر على الرجلين يتنازعان فيذكران الله فارجع الى بيتي فاكفر عنهما
كراهية ان يذكر الله الا في حق وروي ان الرجلين لما دخلا عليه قالا لو كان لايوب عند الله منزلة ما بلغ الى
هذه الحالة فما شق على ايوب شيء اشد مما سمع منهما وقال اللهم ان كنت تعلم اني لم ابت شبعانا وانا اعلم مكان
جائع فصدقني فصدق ثم قال اللهم ان كنت تعلم اني لم البس قميصا قط وانا اعلم مكان عار فصدقني وهما
يسمعان فخر ايوب ساجدا ثم قال اللهم لا ارفع رأسي حتى تكشف ما بي قال فكشف الله ما به وروى الحسن قال
مكث ايوب بعد ما القي على الكناسة سبع سنين واشهرا ولم يبق له مال ولا ولد ولا صديق غير امرأته رحمة
صبرت معه وكانت تاتيه بطعام وتحمد الله مع ايوب وتصبر على ما ابتلاه فصرخ ابليس جزعا من ايوب
فاجتمع جنوده من اقطار الارض وقالوا له ما خبرك قال اعياني هذا العبد الذي سألت الله ان يسلطني
عليه وعلى ماله وولده فلم ادع له مالا ولا ولدا فلم يزدد بذلك الا صبرا وحمدا ثم سلطت على جسده فتركته
ملقى في كناسة ما يقربه الا امرأته وهو مع ذلك لا يفتر عن الذكر والحمد فاستعنت بكم لتعينوني فاشيروا
علي قالوا ارايت آدم حين اخرجته من الجنة من اين اتيته قال من قبل امرأته قالوا فشأنك من قبل امرأته فانه لا يستطيع
ان يعصيها لانه لا يقربه احد غيرها قال اصبتم فانطلق حتى اتى امرأته فتمثل لها في صورة رجل فقال اين بعلك يا
امة الله قال هو ذاك يحك قروحه ويتردد الدواب في جسده فلما سمع طمع ان يكون ذلك جزعا فوسوس اليها
وذكرها ما كان لها من النعم والمال وذكرها جمال ايوب وشبابه وحسنه قال الحسن فصرخت فلما صرخت علم انها جزعت
فاتاها بسخلة فقال ليذبح هذا ايوب لغير الله فيبرأ فجاءت تصرخ الى ايوب فقالت حتى متى يعذبك ربك الا
يرحمك اين المال اين الولد اين الماشية اين الصديق اين الحسن اين جسمك الذي قد بلي وصار مثل الرماد وتردد
فيك الدود اذبح هذه السخلة واسترح قال ايوب عليه السلام اتاك عدو الله ونفخ فيك فاجبته اما تذكرين
ما كنا فيه من المال والولد والصحة من اعطانا ذلك قالت الله قال فكم متعنا به قالت ثمانين سنة فقال فمذ كم
ابتلانا بهذا البلاء قالت سبع سنين قال ما انصفت ربك الا صبرت ثمانين سنة كما كنا في الرخاء ثمانين سنة
لئن شفاني الله لاجلدنك مائة جلدة امرتني ان اذبح لغير الله وحرام علي ان اذوق بعد هذا شيئا من طعامك
وشرابك الذي تاتيني به فطردها فذهبت فلما نظر ايوب في شأنه وليس عنده طعام ولا شراب ولا صديق وقد ذهبت

امرأته

امرأته خر ساجدا وقال رب مسني الضر وانت ارحم الراحمين فقال ارفع رأسك فقد استجبت لك اركض برجلك فركض
برجله فنبعت عين ماء فاغتسل منها فلم يبق في ظاهر بدنه دابة الا سقطت ثم ضرب برجله مرة اخرى فنبعت عين
اخرى فشرب منها فلم يبق في جوفه داء الا خرج وقام اليه صحيحا وعاد اليه شبابه وجماله حتى احسن ما كان ثم كسي حلة
فلما قام جعل يلتفت فلا يرى شيئا مما كان له من الاهل والمال الا وقد ضاعفه الله حتى ذكر ان الماء الذي اغتسل به
تطاير على صدره جرادا من ذهب فجعل يضمه بيده فاوحى الله اليه يا ايوب الم اغنك قال بلى ولكن من يشبع من نعمك
فخرج حتى جلس على مكان مشرف ثم ان امرأته قالت هب انه طردني افاتركه حتى يموت جوعا وتأكله السباع لارجعن
اليه فلما رجعت ما رأت تلك الكناسة ولا تلك الامور فجعلت تطوف حيث كانت الكناسة وتبكي وهابت صاحب
الحلة ان تأتيه وتسأل عنه فارسل اليها ايوب عليه السلام ودعاها فقال ما تريدين يا امة الله فبكت وقالت
اردت ذلك المبتلى الذي كان ملقى على الكناسة قال لها ايوب عليه السلام ما كان منك فبكت وقالت بعلي
قال اتعرفينه اذا رأيتيه قالت وهل يخفى علي فتبسم وقال انا هو فعرفته بضحكه فاعتنقته فقال انك امرتني ان
اذبح سخلة لابليس لعنه الله واني اطعت الله وعصيت ابليس ودعوت الله فرد علي ما ترين وروى الضحاك ومقاتل
رضي الله عنهما ان ايوب بقي في البلاء سبع سنين وسبعة اشهر وسبعة ايام وسبع ساعات وقال وهب رحمه الله بقي في
البلاء ثلاث سنين فلما غلب ايوب ابليس ذهب ابليس الى امرأته على هيئة ليس كهيئة بني آدم في العظم والحسن والجمال
على مركب ليس من مراكب الناس فقال لها انت صاحبة ايوب قالت نعم قال فهل تعرفينني قالت لا فقال انا اله الارض
صنعت بايوب ما صنعت وذلك لانه عبد اله السماء وتركني فاغضبني ولو سجد لي سجدة واحدة رددت عليك وعليه
جميع ما لكما من مال وولد فان ذلك عندي قال وهب سمعت انه قال لو ان صاحبك اكل طعاما ولم يسم الله
لعوفي مما به من البلاء وفي رواية اخرى قال لها لو سجد سجدة واحدة لرجعت المال والولد واعافي زوجك فرجعت
الى ايوب فاخبرته بما قال لها فقال لها ايوب عليه السلام اتاك عدو الله ليفتنك ثم اقسم ان عافاه الله ليضربنها
مائة سوط فقال عند ذلك مسني الضر يعني من طمع ابليس في سجوده له وسجود زوجته ودعائه اياها واياه الى الكفر
وفي رواية قال وهب كانت امرأة ايوب تعمل للناس وتاتيه بقوته فلما طال عليه البلاء وسئمها الناس فلم يستعملوها
فالتمست ذات يوم شيئا من الطعام فلم تجد شيئا فجزت قرنا لها من رأسها فباعته برغيف فاتته فقال لها اين قرنك
فاخبرته بذلك فحينئذ قال مسني الضر وفي رواية قال اسماعيل السدي لم يقل مسني الضر الا لاشياء ثلاثة الاول
قول الرجلين لو كان عملك خالصا لما اصابك ما اصابك الثاني كان لامرأته ثلاث ذوائب فعمدت الى احداها
فقطعتها وباعتها فاعطوها بذلك خبزا ولحما وجاءت الى ايوب فقال من اين هذا فقالت كل فانه حلال
فقال لا اكل ما لم تخبريني فباعت الثانية وكذلك فعلت في اليوم الثالث وقالت كل فانه حلال فقال
لا اكل ما لم تخبريني فاخبرته فبلغ ذلك من ايوب ما الله اعلم به وقيل انما باعته لان ابليس لعنه الله تمثل لقومه
في صورة بشر وقال لئن تركتم ايوب في قريتكم فاني اخاف ان يتعدى اليكم ما به من العلة فاخرجوه الى باب البلد
ثم قال لهم ان امرأته تدخل في بيوتكم وتعمل وتمس زوجها فاقول انه يتعدى اليكم علته فحينئذ لم يستعملها احد فباعت
ضفيرتها الثالث حين قالت له امرأته ما قالت وهي رواية قتادة وقيل سقطت دودة من فخذه فردها الى موضعها وقال
كلي طعمك الله فعضته عضة شديدة فقال مسني الضر فاوحى الله تعالى اليه لولا اني جعلت تحت كل شعرة صبرا لما صبرت

فصل طعنت المعتزلة في هذه القصة من وجوه الاول قال الجبائي ذهب بعض الجهال الى ان ما كان
به من المرض كان فعلا للشيطان سلطه الله عليه لقوله تعالى مسني الشيطان بنصب وعذاب وهذا جهل اما اولا فانه
لو قدر على احداث الامراض والاسقام وضدهما من العافية لتهيأ له فعل الاجسام ومن هذا حاله يكون الها واما
ثانيا فلان الله تعالى اخبر عنه وعن جنوده بان قال وما كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لي فلا
تصديق خبر الله دون الرجوع الى وهب بن منبه وهذا اعتراض ضعيف لان المذكور في الحكاية ان الشيطان نفخ في منخره
فوقعت الحكة فيه فلم قلتم ان القادر على هذه النفخة التي تولدت منها هذه الحكة لا بد وان يكون قادرا على خلق الاجسام
وهل هذا الا محض التحكم واما التمسك بالنص فضعيف لانه انما يقدر على هذا الفعل مع علمه انه لو اقدم عليه
لما منعه الله تعالى وهذه الحالة لم تحصل الا في حق ايوب عليه السلام مع انه استأذن الله فاذن له واذا كان كذلك
لم يكن بين ذلك النص وبين هذه الحكاية منافاة الثاني قالوا ما روي انه عليه السلام لم يسأل الا بعد امور مخصوصة
بعيد لان الثابت في العقل انه يحسن من المرء ان يسأل ذلك ربه ويفزع اليه كما يحسن منه المداواة واذا جاز ان
يسأل ربه كان من قبله فان **قيل** افلا يجوزون انه تعالى تعبده بان لا يسأل ربه الكشف الا في لزام فالجواب

ذلك بان يعلم ان ذلك به مدة مخصوصة من مصالحه ومصالح غيره لا محالة نعم عليه السلام انه لا وجه
للمسألة في هذا الامر الخاص فاذا قرب الوقت جاز ان يسأل ذلك من حيث يجوز ان يدوم ويجوز ان ينقطع **فصل**
اعلم انه عليه السلام الطف في السؤال حيث ذكر نفسه بما يوجب الرحمة وذكر ربه بغاية الرحمة ولم يصرح بالمطلوب
فان **قيل** اليس ان الشكوى تقدح في كونه صابرا **فالجواب** قال سفيان بن عيينة وكذا من شكى الى الله فانه لا يعد ذلك
جزعا اذا كان في شكواه راضيا بقضاء الله اذ ليس من شرطه استحلاء البلاء الم تسمع قول يعقوب انما اشكو بثي وحزني الى الله
قوله تعالى وانت ارحم الراحمين وذلك ان كل من يرحم غيره فاما ان يرحمه طلبا للثناء في الدنيا او الثواب في
الاخرة او الرقة الجنسية في الطبع فيكون مطلوب ذلك الراحم حظ نفسه واما الحق سبحانه فانه يرحم عباده من غير طلب
زيادة او نقصان لتعاليه عن صفات الكلام فهو ارحم الراحمين وايضا فكل من يرحم غيره فانما ذلك بمعونة رحمة الله
لان من اعطى غيره طعاما او شرابا او دفع عنه بلاء فلولا الله سبحانه خلق المطعوم والملبوس والادوية لما قدر على اعطاء
ذلك الشيء ولولا الله لما حصل النفع بذلك فاذا رحمة العباد مسبوقة برحمة الله تعالى وملحوقة برحمته فلما بين الطرفين
كالقطرة في البحر فوجب ان يكون ارحم الراحمين وايضا فان الله تعالى لولا ان خلق في قلب العبد هذه الدواعي والارادات
لاستحال صدور تلك الرحمة فكان الراحم في الحقيقة الحق سبحانه لانه هو الذي خلق تلك الداعية فكان تعالى ارحم
الراحمين فان **قيل** كيف يكون ارحم الراحمين مع انه ملأ الدنيا من الآفات والاسقام والامراض والآلام وسلط البعض
على البعض بالايذاء وكان قادرا على ان يغني كل واحد عن ايذاء الاخر وايلامه **فالجواب** انه كونه سبحانه ضارا لا ينافي
كونه نافعا بل هو الضار النافع فاضراره ليس لدفع مشقة ونفعه ليس لجلب منفعة بل لا يسأل عما يفعل **قوله
تعالى** فاستجبنا له يدل على انه دعا ربه لكن هذا الدعا يجوز ان يكون وقع منه على سبيل التعريض كما يقال
ان رأيت انا ذدت او احببت اذ افعل كذا ويجوز ان يكون على سبيل التصريح بازالة ما به من ضر ويتعالى انه
ادراه اهله فيدخل فيه من ينسب اليه من زوجة وولد وغيرهما قال ابن عباس وابن مسعود وقتادة ومقاتل والحسن
والكلبي وكعب رضي الله عنهم ان الله تعالى احيى له اهله يعني اولاده باعيانهم واعطاه مثلهم معهم وهو ظاهر القراءة
قال الحسن اتاه المثل من نسل ماله الذي رد عليه ويدل عليه ما روى الضحاك عن ابن عباس ان الله تعالى رد الى المرأة
شبابها فولدت له ستة وعشرين ولدا قال وهب كان له سبع بنات وثلاث بنين وقال ابن يسار كان له سبعة بنين
وسبع بنات وروي عن انس يرفعه ان كان له اندران اندر للقمح واندر للشعير فبعث الله سحابتين فافرغت احداهما
على اندر القمح الذهب وافرغت الاخرى على اندر الشعير الورق حتى فاض وروى ابو هريرة قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم بينما ايوب صلوات الله عليه يغتسل عريانا خر عليه جراد من ذهب فجعل ايوب يحثي في ثوبه فناداه
ربه جل جلاله يا ايوب الم اكن اغنيتك عما ترى قال بلى يا رب ولكن لا غنى لي عن بركتك وروى ليث رحمه الله قال
ارسل مجاهد الى عكرمة وسأله عن الاية فقال قيل لايوب ان اهلك لك في الاخرة فان شئت عجلناهم لك في الدنيا وان
شئت كانوا لك في الاخرة واتيناك مثلهم في الدنيا فقال يكونون في الاخرة واوتي مثلهم في الدنيا واراد بالاهل الاولاد
فاما الذين اهلكوا فانهم لم يردوا عليه في الدنيا **قوله تعالى** رحمة فيها وجهان اظهرهما انها مفعول من اجله
والثاني انها مصدر لفعل مقدر اي رحمناه رحمة ومن عندنا صفة لرحمة **قوله تعالى** وذكرى للعابدين اي فعلنا
تلك الرحمة وهي النعمة لكي يتفكر فيها بالذكر فيتعظون ويعتبرون وخص العابدين لانهم المنتفعون بذلك **قوله تعالى**
واسماعيل يعني ابن ابراهيم وادريس وهو اخنوخ وذا الكفل كل من الصابرين لما ذكر صبر ايوب اتبعه بذكر هؤلاء فانهم
ايضا كانوا من الصابرين على الشدائد والمحن والعبادة اما اسماعيل فصبر على الانقياد للذبح وصبر على المقام
ببلد لا زرع فيها ولا ضرع ولا بناء وصبر في بناء البيت فاكرمه الله تعالى واخرج من صلبه خاتم النبيين واما ادريس
فقد مر قصته في سورة مريم قال ابن عمر بعث الى قومه داعيا لهم الى الله فابوا فاهلكهم الله ورفع ادريس الى السماء
الرابعة واما ذو الكفل قال الزجاج الكفل في اللغة الكساء الذي يجعل على عجز البعير يركب عليه الرديف وقال ابن الانباري
هو كساء يحوط حول سنام البعير ثم يركب فذلك الكساء هو الكفل وهو بكسر الكاف واسكان الفاء واصله من الكفل
بفتح الكاف والفاء وايضا النصيب واختلفوا في تسميته بهذا الاسم فقال الحسن كان ضعف عمل الانبياء عليهم السلام
في زمانه وضعف ثوابهم وقال ابن عباس ان نبيا من انبياء بني اسرائيل آتاه الله الملك والنبوة ثم اوحى الله اليه اني اريد
قبض روحك فاعرض الملك على بني اسرائيل فمن تكفل لك انه يصلي بالليل لا يفتر ويصوم بالنهار لا يفطر ويقضي بين
الناس لا يغضب فادفع ملكك اليه ففعل ذلك فقام شاب فقال انا اتكفل لك بهذا فتكفل ووفى به فشكر الله له
ونبأه فسمي ذا الكفل وعلى هذا فالمراد بالكفل به هنا الكفل لانه تكفل له بامور وفى بها وقال مجاهد لما كبر اليسع

صلى الله

صلى الله عليه وسلم قال اني استخلف رجلا على الناس في حياتي حتى انظر كيف يعمل فجمع الناس فقال من يتقبل مني
ثلاثا استخلفه يصوم النهار ويقوم الليل ويقضي فلا يغضب فقام رجل تزدريه العيون فقال انا فرده
ذلك اليوم وقال مثلها في اليوم الاخر فسكت الناس وقام ذلك الرجل فقال انا فاستخلفه فاتاه ابليس في صورة شيخ
ضعيف حين اخذ مضجعه للقائلة وكان لا ينام الليل والنهار الا تلك النومة فدق الباب فقال من هذا فقال شيخ كبير
مظلوم فقال ففتح الباب فقال ان بيني وبين قومي خصومة وانهم ظلموني وفعلوا وجعل يطول حتى حضر الرواح وذهبت
القائلة فقال اذا رحت فائتني حتى اخذ حقك فانطلق وراح فكان في مجلسه ينظر هل يرى الشيخ فلم يره فلما كان الغد
يقضي بين الناس ينتظره فلا يراه فلما رجع الى القائلة اخذ مضجعه اتاه فدق فقال من هذا فقال الشيخ المظلوم
ففتح له فقال الم اقل اذا قعدت فائتني فقال انهم اخبث قوم اذا راوك قاعدا قالوا نحن نعطيك فاذا قمت جحدوني
قال فانطلق فاذا رحت فائتني فاتته القائلة فراح فجعل ينظر فلا يراه وشق عليه النعاس فقال للبواب في اليوم الثالث
قد غلبني النعاس فلا تدع احدا يقرب هذا الباب حتى انام فجاء ابليس لعنه الله في تلك الساعة فلم ياذن له الرجل
فدخل في كوة في البيت فتسور منها ودق الباب من داخل فاستيقظ وعاتب البواب فقال اما من قبلي فلم يات
فانظر من اين اتى فقام الى الباب فاذا هو مغلق كما اغلقه واذا الرجل معه في البيت فقال له اتنام والخصوم
ببابك فقال انت ابليس قال نعم اعييتني في كل شيء ففعلت هذه الافعال لك فعصمك الله فسمي ذا الكفل لانه تكفل
بامر وفى به وقيل غير ذلك **فصل** قال ابو موسى الاشعري ومجاهد ذو الكفل لم يكن نبيا بل كان
عبدا صالحا وقال الحسن الاكثرون انه كان نبيا وهو الاظهر لانه تعالى قرن ذكره باسماعيل وادريس والغرض
ذكر الفضلاء من عباده ليتأسى بهم وذلك يدل على نبوته ولان السورة ملقبة بسورة الانبيا ولان قوله ذو الكفل يحتمل
ان يكون لقبا وان يكون اسما والاولى ان يكون اسما لانه اكثر فائدة من اللقب واذا ثبت ذلك فالكفل هو النصيب
لقوله تعالى يكن له كفل منها والظاهر ان الله تعالى انما سماه بذلك تعظيما له فوجب ان يكون الكفل هو كفل الثواب
فسمي بذلك لان عمله وثواب عمله كان ضعف عمل غيره وضعف ثواب غيره وكان في زمنه انبياء على ما روي
فصل قيل ان ذا الكفل زكريا وقيل يوشع وقيل الياس ثم قالوا خمسة من الانبياء صلوات الله عليهم
سماهم الله تعالى باسمين اسرائيل ويعقوب والياس وذا الكفل وعيسى والمسيح ويونس وذو النون ومحمد واحمد
صلى الله عليهم **قوله تعالى** كل من الصابرين اي من القائمين بامر الله تعالى واحتمال الاذى في نصرة دينه وادخلناهم
في رحمتنا قال مقاتل الرحمة النبوة وصيرهم الى الجنة والثواب **قوله تعالى** وذا النون اذ ذهب مغاضبا الاية
ذا بمعنى صاحب والنون الحوت ويجمع على نينان كحوت وحيتان والمراد بذي النون يونس عليه السلام **فصل**
احتج القائلون بجواز الذنب من الانبياء بهذه الاية من وجوه الاول ان اكثر المفسرين على انه ذهب يونس مغاضبا
لربه وقيل هذا قول ابن مسعود وابن عباس والحسن والشعبي وسعيد بن جبير ووهب واختيار ابن قتيبة ومحمد بن جرير
واذا كان كذلك فمغاضبة الله تعالى من اعظم الذنوب ثم على تقدير ان هذه المغاضبة لم تكن مع الله عز وجل
بل كانت مع ذلك الملك او مع القوم فهو ايضا محظور لقول الله تعالى فاصبر لحكم ربك ولا تكن كصاحب الحوت اذ نادى
وهذا يقتضي ان ذلك الفعل من يونس محظور الثاني قوله فظن ان لن نقدر عليه وذلك يقتضي كونه شاكا في قدرة الله
تعالى الثالث قوله تعالى اني كنت من الظالمين والظلم مذموم قال تعالى الا لعنة الله على الظالمين الرابع انه لو لم
يصدر منه الذنب فلم عاقبه الله بان القاه في البحر في بطن الحوت الخامس قوله عز وجل ولا تكن كصاحب الحوت فالتقمه
الحوت وهو مليم والمليم هو ذو الملامة ومن كان كذلك فهو مذنب السادس قوله تعالى ولا تكن كصاحب الحوت
فلو لم يكن صاحب ذنب لم يجز النهي عن التشبه به وان كان مذنبا فهو المطلوب السابع قوله سبحانه فاصبر كما صبر
اولوا العزم من الرسل وهذا يقتضي ان ذلك الفعل يخرج ان يكون يونس من اولي العزم فان **قيل** انه ليس في الاية
من غاضبه فلا نقطع على نبي الله بانه غاضب ربه لان ذلك صفة من يجهل كون الله مالكا للامر والنهي والجاهل
بالله لا يكون مؤمنا فضلا عن ان يكون نبيا واما ما روي من انه خرج مغاضبا لامر يرجع الى الاستعداد فمما يرفع
حال الانبيا عنه لان الله تعالى اذا امرهم بشيء فلا يجوز ان يخالفوه لقوله تعالى وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى
الله ورسوله امرا ان تكون لهم الخيرة من امرهم وقوله تعالى فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا
في انفسهم حرجا مما قضيت فاذا كان في الاستعداد خالف لم يجز ان يقع ذلك منهم واذا ثبت انه لا يجوز صرف
هذه المغاضبة الى الله تعالى وجب ان يكون المراد انه خرج مغاضبا لغير الله تعالى والغالب انه انما يغاضب
من يعصيه فيما يامره به فيحمل على مغاضبة قومه او الملك او هما جميعا ومعنى مغاضبته لقومه انه غضبهم لمفارقته

لخوف حلول العذاب بهم وقرا مغضبا كما تقدم واما قولهم مغاضبة القوم ايضا محظورة لقوله تعالى ولا تكن
كصاحب الحوت وجوابه الخوان لا نسلم انه كانت محرمة اما الذهاب فلانه تعالى امره بتبليغ الرسالة اليهم وما امره
بان يبقى معهم ابدا فظاهر الامر لا يقتضي التكرار فلا يكن خروجه من بينهم معصية واما الغضب فلما لم يكن منهيا عنه
قبل ذلك لا نظن ان ذلك جائز من حيث انه لم يفعله الا غضبا لله وانفة لدينه بل كان الاولى ان يصابر وينتظر من الله
الامر بالمهاجرة عنهم ولهذا قال تعالى ولا تكن كصاحب الحوت كان الله تعالى اراد لمحمد صلى الله عليه وسلم افضل المنازل
واعلاها واما الجواب عن قوله فظن ان لن نقدر عليه فنقول من ظن عجز الله فهو كافر لا خلاف انه لا يجوز نسبة
ذلك الى احاد المؤمنين فكيف الى الانبياء فاذن لا بد فيه من التاويل وفيه وجوه الاول فظن ان لن نضيق عليه من قوله
لقوله تعالى يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ومن قدر عليه رزقه اي ضيق فحسبنا ان لن نضيق عليه وعلى هذا فالاية
حجة لنا لان يونس ظن انه مخير ان شاء اقام وان شاء خرج وانه تعالى لا يضيق عليه في اختياره وكان من المعلوم
ان الصلاح في تاخير خروجه وهذا من الله بيان لما يجري مجرى العذر له من حيث خرج لا على تعمد المعصية لكن ظن
ان الامر في خروجه موضع يجوز ان يتقدم ويتاخر وكان الصلاح خلاف ذلك الثاني ان يكون هذا من باب التمثيل
اي فكانت حالة ممثلة لحال من ظن ان لن نقدر عليه في خروجه عن قومه من غير انتظار لامر الله الثالث ان نفسر القدر
بالقضاء والمعنى فظن ان لن نقضي عليه بشيء قال مجاهد وقتادة والضحاك والكلبي وهي رواية العوفي عن ابن
عباس واختاره الفراء والزجاج فقال قدر الله الشيء قدرا وقدر تقديرا فالقدر بمعنى التقدير ويتقدم قراءة عمر بن
عبد العزيز والزهري بضم النون والتشديد بمعنى التشديد وروي انه دخل ابن عباس على معاوية فقال معاوية
لقد ضربتني امواج القران البارحة فغرقت فيها فلم اجد لنفسي خلاصا الا بك فقال وما هي فاطن نبي الله ان لن يقدر
عليه الله فقال ابن عباس رضي الله عنه هذا من القدر لا من القدرة الرابع فظن ان لن نبتلي القدرة والفعل متناسبة فلا
يبعد جعل احدهما مجازا عن الاخر الخامس انه استفهام بمعنى التوبيخ كما تقدم عن ابن زيد السادس قول من قال ان هذه
الواقعة قبل رسالة يونس فيكون هذا الظن حاصلا قبل الرسالة وان كان كذلك لا يبعد في حق غير الانبياء ان يبقى
ذلك الى وهمه بوسوسة الشيطان ثم انه يرده بالحجة والبرهان واما الجواب عن قوله اني كنت من الظالمين فنقول
ان حملناه على قبل النبوة فلا كلام وان حملناه على ما بعدها فيجب تاويله لانا لو اجريناه على ظاهره لا خص لنقول
وقد لا يقول به مسلم واذا وجب التاويل فنقول لا شك انه كان تاركا للفضيلة مع القدرة على تحصيل الافضل
فكان ذلك ظلما واما الجواب عن القائه في البحر في بطن الحوت وان كان عقوبة فلا نسلم ان ذلك عقوبة اذ الانبيا
لا يجوز ان يعاقبوا بل المراد المحنة واما الجواب عن الملامة فانما كان بسبب ترك الافضل **قوله تعالى** فنادى
في الظلمات قال الزمخشري اي في الظلمة الشديدة المتكاثفة في بطن الحوت كقوله تعالى ذهب الله بنورهم وتركهم
في ظلمات وقوله يخرجونهم من النور الى الظلمات وقيل ظلمة الليل والبحر وبطن الحوت **قوله تعالى** ان لا اله
الا انت نزه نفسه عن كل النقائص ومنها العجز وهذا يدل على انه ما كان مراده من قوله فظن ان لن نقدر عليه انه ظن
العجز وانما قال سبحانك لان معناه سبحانك ان تفعل جورا او شهوة الانتقام او عجزا عن تخليصي على هذا الحبس بل فعلته
بمقتضى الالهية كما نقال كنت من الظالمين فانا الان من التائبين النادمين فاكشف عني المحنة روي انس عن النبي صلى
الله عليه وسلم ما من مكروب يدعو بهذا الدعاء الا استجيب له **قوله تعالى** فاستجبنا له ونجيناه من الغم اي من غمه
بسبب كونه في بطن الحوت وبسبب خطيئته **قوله تعالى** وكذلك ننجي المؤمنين الكاف نعت لمصدر او حال من ضمير
المصدر اي كما انجينا يونس من كرب الحوت اذ دعانا وكما نجينا يونس كذلك ننجي المؤمنين من كربهم اذا استغاثوا بنا
وقرا العامة ننجي بضم النون الاولى واسكان الثانية من انجى ينجي وقرا ابن عامر وابو بكر عن عاصم نجي بنون واحدة وتشديد الجيم
فاستثقل توالي مثلين فحذفت الثانية كما حذفت في قوله فانزل السكينة ما تنزل الملائكة الا بالحق في قراءة من
قراه كما تقدم وكما حذفت التاء الثانية في قوله تذكرون وتظاهرون وبابه ولكن ابو البقا استضعف هذا
التوجيه بوجهين فقال احدهما ان النون الثانية اصل وهي فاء الكلمة فحذفها يبعد جدا الثاني ان حركتها
غير حركة النون الاولى فلا يستثقل الجمع بينهما بخلاف تظاهرون الا ترى انك لو قلت تحافى المظالم لم يمتنع
حذف الثانية اصلا فلا اثر مع ان الاولى هي اصل لانها على الكلمة واما اختلاف الحركة فلا اثر له ايضا لان الا
ستثقال باتحاد لفظ الحرفين على اي حركة كانا الوجه الثاني ان نجي فعل ماض مبني للمفعول وانما سكنت لامه
تخفيفا كما سكنت في قوله تعالى ما بقي من الربوا في قراءة شاذة تقدمت قالوا فاذا كان الماضي الصحيح قد سكن
تخفيفا فالمعتل اولى ومنه قوله انا شعري فقد قد خلط بجلجلان وتقدم من ذلك جملة واسند هذا الفعل

الي صير المصدر من وجوه المفعول الصريح كقراءة ابي جعفر ليجزي قوما بما كانوا يكسبون وهذا راي الكوفيين
والاخفش وتقدمت شواهد ذلك والتقدير نجي النجا قال ابو البقا وهو ضعيف من وجهين الاول تسكين
ذلك الفعل الماضي والاخر اقامة المصدر مع وجود المفعول الصريح وقد عرف جوابهما مما تقدم الوجه الثالث
ان الاصل ننجي كقراءة العامة الا ان النون الثانية قلبت جيما وادغمت في الجيم بعدها وهذا ضعيف جدا
لان النون لا تقارب الجيم فتدغم فيها الوجه الرابع انه ماض مسند لضمير المصدر اي نجي النجا كما تقدم في الوجه
الثاني الا ان المؤمنين ليس منصوبا بنجي بل بفعل مقدر وكان صاحب هذا الوجه فر من اقامة غير المفعول به
مع وجوده فجعله من جملة اخرى وهذه القراءة متواترة والالتفات الى من طعن على قارئها وان كان ابو علي
الفارسي وهذه جراة منه وقد سبقه الى ذلك ابو اسحاق الزجاج واما الزمخشري فانما طعن على بعض الوجوه
المتقدمة فقال ومن تمحل لصحته فجعله فعل وقال نجا النجا المؤمنين وارسل اليا واسنده الى مصدره ونصب
المؤمنين فتعسف بارداف التعسف فلم يرتض هذا التخريج بل التخريج عنده قراءة اخرى وقد حكي ان يكون هذا
المحلوف عليه هو المبتدا به لسلامته مما تقدم من الضعف **قوله تعالى** وزكريا اذ نادى ربه رب لا تذرني
فردا الاية اعلم ان هاهنا بين انقطاع زكريا الى ربه لما مسه الضر بتفرده واحب من يونسه ويقويه على امر دينه
ودنياه ويقوم مقامه بعد موته فدعا الله تعالى دعاء مخلص عارفا بقدرة ربه على ذلك وان تمت به الحال وبرق حيته
من الكبر وعقم وما يمنع من ذلك بحكم العادة فقال رب لا تذرني فردا وحيدا لا ولد لي وارزقني وارثا وانت
خير الوارثين على الله تعالى بانه الباقي بعد فناء الخلق وانه افضل من بقي حيا ويحتمل ان يكون المعنى ان لم ترزقني من يرثني
فلا ابالي فانك خير الوارثين قال ابن عباس كان سنه مائة سنة وسن زوجته تسعا وتسعين سنة فاستجبنا له اي فعلنا
ما اراده بسؤاله ووهبنا له يحيى ولدا صالحا واصلحنا له زوجه اي جعلناها ولودا بعد ما كان عقيما قاله اكثر
المفسرين وقيل كانت سيئة الخلق سليطة اللسان فاصلح الله خلقها وقيل جعلها مصلحة فان صلاحها في الدين
من اكبر اعوانه لانه يكون اعانة في الدين والدنيا **فصل** ان قوله تعالى ووهبنا له يحيى واصلحنا له
زوجه يدل على ان الواو لا تفيد الترتيب لان اصلاح الزوج مقدم على هبة الولد مع انه تعالى اخره في اللفظ
ثم قال انهم يعني الانبياء الذين سماهم في هذه السورة وقيل زكريا وولده واهله كانوا يسارعون في الخيرات
والمسارعة في طاعة الله من اكبر ما يمدح المرء به لانه يدل على حرص عظيم على الطاعة **قوله تعالى** ويدعوننا
العامة على ثبوت نون الرفع قبلها مكفوف منها وقرات فرقة يدعونا بحذف نون الرفع وطلحة بادغامها فيها
وهذان الوجهان فيهما اجراء نون نا مجرى نون الوقاية وقد تقدم **قوله تعالى** رغبا ورهبا يجوز ان ينتصبا
على المفعول من اجله وان ينتصبا على انهما مصدران واقعان موقع الحال اي راغبين راهبين وان ينتصبا
على المصدر الملاقي لعامله في المعنى دون اللفظ لان ذلك نوع منه والعامة على فتح العين والهاء وابن وثاب
والاعمش وروييت عن ابي عمرو بسكون العين والهاء ونقل عن الاعمش وهو لابن عيسى بضم الراء وما بعدها وقرات فرقة
بضمة وسكون ما قبلها **فصل** ومعنى رغبا طمعا ورهبا خوفا اي رغبا في رحمة الله ورهبا من عذاب
وكانوا لنا خاشعين اي متواضعين قال قتادة رحمه الله وذلك لامر الله وقال مجاهد الخشوع هو الخوف اللازم
في القلب **قوله تعالى** احصنت فرجها الاية يجوز ان ينتصب قوله والتي نسقا على ما قبلها وان ينتصب
باضمار اذكر وان يرتفع بالابتدا والخبر محذوف اي ومما يتلى عليكم التي احصنت ويجوز ان يكون الخبر فنفخنا
وزيدت الفاء على راي الاخفش نحو زيد فقائم وفي كلام الزمخشري نفخنا الروح في عيسى فيها قال ابو حيان
مولانا له فاستعمل نفخ متعديا والمحفوظ لا يتعدى فيحتاج في تعديه الى سماع وغير متعد استعمله هو في نفخت
في المزمار انتهى ما واخذه به قال شهاب الدين وقد سمع نفخ متعديا ويدل على ذلك ما قرئ في الشاذ فانفخها
فيكون شاذا او يكون طائرا وقد حكاها هو قراءة فكيف ينكرها تعليلا بالالتفات الى ذلك وقال ابن الخطيب
جعلنا النفخ في مريم من جهة روحنا وهو جبريل صلى الله عليه وسلم لانه نفخ في جيب درعها واحدثنا بذلك النفخ
المسيح في بطنها واضاف الروح اليه تشريفا لعيسى صلى الله عليه وسلم ومعنى احصنت فرجها اي احصانا تاما من الحلال والحرام
جميعا كما قالت ولم يمسسني بشر ولم اك بغيا وقيل منعت جبريل ان ينفخ بجيب درعها قبل ان تعرفه والاول اولى
لانه الظاهر من اللفظ **قوله تعالى** وجعلناها وابنها اية للعالمين اما مريم فاياتها كثيرة الاول ظهور الحبل
فيها لا من ذكر وذلك معجزة خارجة عن العادة الثاني ان رزقها كانت تاتيها به الملائكة من الجنة لقوله زكريا اني لك
هذا قالت هو من عند الله الثالث والرابع قال الحسن انها لم تلتقم ثديا قط وتكلمت هي ايضا في صباها كما تكلم عيسى

واما آيات عيسى عليه السلام فقد تقدم بيانها **فان قيل** هلا قيل آيتين كما قال وجعلنا الليل والنهار
آيتين ليطابق المفعول **فالجواب** ان كل واحد منهما آية بالآخر فصارا آية واحدة لان مجموعهما آية واحدة وهي
ولادتها اياه من غير فحل او نقول حذف من الاول لدلالة الثاني او بالعكس اي وجعلنا ابن مريم آية وامه آية كذلك
وهو نظير الحذف في قوله والله ورسوله احق ان يرضوه وقد تقدم او ان معنى الكلام وجعلنا شأنهما وامرهما آية
قوله تعالى ان هذه امتكم الآية العامة على رفع امتكم خبرا لان ونصب امة واحدة على الحال وقيل هو على البدل
من هذه فيكون قد فصل بين البدل والمبدل منه بالخبر نحو ان زيدا قائم اخاك وقرأ الحسن امتكم بالنصب على البدل
من هذه او عطف البيان وقرأ ايضا هو وابن ابي عبلة وابن ابي اسحاق والاشهب العقيلي وابو حيوة وهارون
عن ابي عمرو رضي الله عنه امة واحدة بالرفع على خبران وامتكم امة واحدة برفع الثلاثة على ان تكون امتكم خبرا كما تقدم
وامة واحدة بدل منها بدل نكرة من معرفة وان تكون امة واحدة خبر مبتدأ محذوف **فصل** ومعنى امتكم
قال الزمخشري الامة الملة واشار الى ملة الاسلام من الاديان واصل الامة الجماعة التي هي على مقصد واحد فجعلت
الشريعة ملة وامة لاجتماع اهلها على مقصد واحد ثم قال وانا ربكم فاعبدون **قوله تعالى** وتقطعوا
اي اختلفوا والاصل وتقطعتم الا ان الكلام صرف عن الغيبة الى طريقة الالتفات كانه ينعى عليهم ما افسدوه
الى آخرين ويقبح عندهم فعلهم ويقول لهم الا ترون الى عظيم ما ارتكب هؤلاء والمعنى اختلفوا في الدين فصاروا فرقا
احزابا قال الكلبي فرقوا دينهم بينهم يلعن بعضهم بعضا ويتبرأ بعضهم من بعض والتقطع هاهنا بمعنى التقطيع
قوله تعالى امرهم فيه ثلاثة اوجه الاول انه منصوب على اسقاط الخافض اي تفرقوا في امرهم فجعله منقولا من
الفاعلية وثانيها يجوز ان يكون مفعولا ثانيا على ان تضمن تقطعوا معنى صيروا بالتقطع واما ان ينتصب على الحال
من المفعول اي مثل زبر اي كتب لان الزبر جمع زبور كرسل جمع رسول او يكون حالا من الفاعل نقله ابو البقاء
في سورة المؤمنين وفيه نظر اذ لا معنى له وانما يظهر كونه حالا من الفاعل وقراءة زبرا بفتح الباء اي فرقا والمعنى
صيروا امرهم زبرا اي تقطعوه في هذه الحال والوجهان مأخوذان من تفسير الزمخشري معنى الآية الكريمة فانه
قال والمعنى جعلوا امر دينهم فيما بينهم كما يتوزع الجماعة ويقسمونه فيصير لهذا نصيب ولذلك نصيب تمثيلا
لاختلافهم فيه وصيرورتهم فرقا واحزابا وفي الكلام التفات من الخطاب وهو امتكم الى الغيبة تشنيعا عليهم
لسوء صنعهم وقرأ الاعمش زبرا بفتح الباء جمع زبرة وهي قطعة الحديد في الاصل ونصبه على الحال من ضمير الفاعل
في تقطعوا امرهم تقدم ولم يتعرض له ابو البقاء في هذه السورة وتعرض له في المؤمنون فقال فيه الاوجه المتقدمة
وزاد انه قرئ زبرا بسكون الباء وهو بمعنى المضموم **قوله تعالى** كل الينا راجعون توعدهم بان هذه الفرق المختلفة
الينا يرجعون فنحاسبهم ونجازيهم باعمالهم قال صلى الله عليه وسلم تفرقت بنو اسرائيل على احدى وسبعين فرقة
فهلكت سبعون وخلصت فرقة وان امتي ستفترق على اثنتين وسبعين فرقة تهلك احدى وسبعون فرقة
قالوا يا رسول الله من تلك الفرقة قال الجماعة الجماعة الجماعة وهذا الخبر يبين ان المراد بقوله تعالى ان هذه امتكم
الجماعة المتمسكة بما بينه الله تعالى في هذه السورة من التوحيد والنبوات وان قول الرسول صلى الله عليه وسلم
في الناجية انها الجماعة ليس تعريفا للفرقة الناجية اذ لا فرقة تمسكت بباطل او بحق الا وهي جماعة من حيث العدد
ولهذا طعن بعضهم في صحة الخبر فقال ان اراد بالاثنين وسبعين فرقة اصول الاديان فلن يبلغ هذا القدر العدد
وان اراد الفروع فانها تتجاوز هذا القدر الى اضعاف ذلك فان قيل وايضا ضد ذلك فانها كلها ناجية
للفرق الا فرقة واحدة **فالجواب** قال ابن الخطيب والمراد ستفترق امتي في حال ما وليس فيه دلالة على افتراقهم
في سائر الاحوال ولانه لا يجوز ان يزيد وينقص **قوله تعالى** فمن يعمل من الصالحات وهو مؤمن الآية لما ذكر
امر الامة وتفرقهم وانهم اليه راجعون والمراد من ذلك الترغيب في الطاعات والعبادات ونقل ما ذكره قوله
تعالى وانهم اليه راجعون اتبع ذلك بقوله فمن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا كفران لسعيه اي لا يجحد ولا يبطل
سعيه والكفران مصدر بمعنى الكفر قال الشاعر • رأيت اناسا لا تنام جدودهم • وجدي ولا كفران لله نائم •
ولسعيه متعلق بمحذوف اي نكفر لسعيه ولا يتعلق بكفران لانه يصير مطولا والمطول ينصب وهذا مبني والضمير
في له يعود على السعي والمعنى لا بطلان لثواب عمله وهو كقوله تعالى ومن اراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن
فاولئك كان سعيهم مشكورا فالكفران مثل في الحرمان للثواب والشكر مثل في اعطائه فقوله لا كفران المراد نفي
الجنس للمبالغة لان نفي الماهية يلزم منه نفي جميع افرادها ثم قال وانا له كاتبون اي لسعيه كاتبون اما في ام الكتاب
او في الصحف التي تعرض يوم القيامة والمراد بالترغيب المراد من ذلك ترغيب في العبادة في الطاعات **قوله تعالى**

وحرام على قرية قرأ الاخوان وابو بكر وروي عن ابي عمرو وحرم بكسر الحاء وسكون الراء وهما لغتان فيهما
كالحل والحلال وقرأ ابن عباس وعكرمة وحرم بفتح الحاء وكسر الراء وفتح الميم على انه فعل ماض وروي عنهما ايضا
وعن ابي العالية بضم الحاء والميم وفتح الراء بزنة كرم وهو فعل ماض ايضا وروي عن ابن عباس بفتح الجميع
وهو فعل ماض ايضا واليماني بضم الحاء وكسر الراء وفتح الميم وتنوين الميم وفتح الميم منونا ناصبا مبنيا
للمفعول وروي عن عكرمة بفتح الحاء وكسر الراء وفتح الميم منونا فمن جعله اسما ففي رفعه وجهان الاول انه مبتدأ
وفي الخبر حينئذ ثلاثة اوجه الاول قوله لا يرجعون وفي لا حينئذ ثلاثة اوجه اربع تاويلات التاويل
الاول ان لا زائدة والمعنى ممتنع على قرية قدرنا اهلاكها بكفرهم رجوعهم الى الايمان الى ان تقوم الساعة
وممن ذهب الى زيادتها ابو عمرو واستشهد عليه بقوله تعالى ما منعك ان لا تسجد يعني في احد القولين
الثاني انها غير زائدة وان المعنى انهم غير راجعين عن معصيتهم وكفرهم الثالث ان الحرام قد يدل به الواجب
ويدل عليه قوله تعالى قل تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم ان لا تشركوا وترك الشرك واجب ويدل عليه ايضا
في قول الخنساء • وان حراما لا ارى الدهر باكيا • على شجوه الا بكيت على صخر • فمن قرأ الاستعمال اطلاق
لفظ الضد على الآخر وهو مجاز مشهور قال تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها ومن ثم لفظ الضد فقال الحسن
والسدي لا يرجعون عن الشرك وقال قتادة لا يرجعون الى الدنيا الرابع قال مسلم بن بحر حرام ممتنع وانهم
لا يرجعون فيكون عدم رجوعهم واجبا وانما امتنع الانتفاء وجب الرجوع فيكون المعنى ان رجوعهم الى الحياة في الدار
الآخرة واجب ويكون الغرض منه ابطال قول من ينكر البعث وتحقيقه لما تقدم انه لا كفران لسعي احد انه تعالى مجازيه
يوم القيامة وقول ابن عطية قريب من هذا كأنه قال وممتنع على الكفرة والمهلكين انهم لا يرجعون الى عذاب الله واليم عقابه
فتكون لا على بابها والحرام على بابه الوجه الثاني الخبر محذوف تقديره وحرام توبتهم او رجاء بعثهم ويكون انهم لا يرجعون
علة لما تقدم من معنى الجملة فيكون حينئذ في لا احتمالان الاحتمال الاول ان تكون زائدة وكذلك قال ابو البقاء في
هذا الوجه بعد تقديره الخبر المتقدم اذ جعل لا زائدة قلت فالمعنى هذه لانهم يرجعون الى الآخرة وجزائها الاحتمال
الثاني ان تكون غير زائدة بمعنى ممتنع توبتهم او رجاء بعثهم لانهم لا يرجعون الى الدنيا فيستدركوا فيها ما فاتهم من ذلك
الوجه الثالث ان يكون هذا ابتداء لا خبر له لفظا ولا تقديرا وانما وقع شيئا يقوم مقامه خبره من باب اقائم اخواك
فصل قال ابو البقاء رحمه الله والجيد ان يكون انهم فاعلا سد مسد الخبر وفي ذلك نظر لان هذا يشترط
فيه ان يعتمد على نفي او وصف او استفهام وهنا فلم يعتمد المبتدأ على شيء من ذلك اللهم الا ان ينحو نحو الاخفش فانه
لا يشترط ذلك فهو الظاهر وحينئذ يكون في لا الوجهان المتقدمان من الزيادة وعدمها باختلاف معنيين
اي ممتنع رجوعهم الى الدنيا او عن شركهم اذا قدرتها زائدة او ممتنع عدم رجوعهم الى عقاب الله اذا قدرتها غير
زائدة الوجه الثاني من وجهي رفع حرام انه خبر مبتدأ محذوف فقدره بعضهم الاقالة والتوبة وقدره ابو البقاء اي
ذلك الذي ذكر من العمل الصالح حرام وقال الزمخشري قال وحرام على قرية اهلكناها ذاك وهو المذكور في الآية
المتقدمة من العمل الصالح والسعي المشكور غير المكفور ثم علل فقيل انهم لا يرجعون عن الكفر فكيف لا يمتنع ذلك وقرأ
العامة اهلكناها بنون العظمة وقرأ عبد الرحمن وقتادة اهلكتها بتاء المتكلم ومن قرأ حرم بفتح الحاء وكسر الراء وتنوين
الميم فهو في قراءته صفة على فعل نحو حذر قال الشاعر • وان اتاه خليل يوم مسغبة •
يقول لا غائب مالي ولا حرم • ومن قرأه فعلا ماضيا فهو في قراءته مسند لان وما في حيزها ولا يخفى الكلام في لا
بالنسبة الى زيادة وعدمها فان المعنى واضح مما تقدم وقراءته بالكسر على الاستئناف وحينئذ لا بد من تقدير مبتدأ
يتم به الكلام تقديره ذلك العمل الصالح حرام وتقدم تحرير ذلك **قوله تعالى** حتى اذا فتحت ياجوج الآية
تقدم الكلام على حتى الداخلة على اذا مشبعا وقال الزمخشري هنا فان قلت بم تعلقت **قلت** هي واقعة غاية له
لا يزال لانه هي واقعة متعلقة بحرام وهي غاية له لان امتناع رجوعهم لا يزول حتى تقوم الساعة وهي حتى التي يحكى
بعدها الكلام المحكي هو الجملة من الشرط والجزاء اعني اذا وما في حيزها وابو البقاء نحا هذا النحو فقال حتى متعلقة
في المعنى بحرام اي يستمر الامتناع الى هذا الوقت ولا عمل لها في اذا وقال الحوفي هي غاية والعامل فيها ما دل عليه المعنى من
تأسفهم على ما فرطوا فيه من الطاعة حين فاتهم الاستدراك وقال ابن عطية حتى متعلقة بقوله وتقطعوا ويحتمل
على بعض التاويلات المتقدمة ان تتعلق بيرجعون ويحتمل ان يكون حرف ابتداء وهو الاظهر بسبب اذا لانها تقتضي
جوابا هو المقصود ذكره **فصل** قال ابو حيان وكون حتى متعلقة بتقطعوا فيه بعد من حيث كثرة
الفصل لكنه من حيث المعنى جيد وهو انهم لا يزالون مختلفين على دين الحق الى قرب مجيء الساعة فاذا جاءت الساعة

انقطع ذلك كله وتخلص في تعلق حتى اوجه الاول انها متعلقة بحرام الثاني انها متعلقة بمحذوف دل عليه المعنى
وهو قول الحوفي الثالث انها متعلقة بيتقطعوا الرابع انها متعلقة بيرجعون **فصل** المحض في حتى وجهان
الاول انه حرف ابتداء وهو قول الزمخشري وابن عطية فقال واذا هي المفاجاة وهي تقع في المجازاة سادة مسد الفاء
كقوله اذا هم يقنطون فاذا جاء الفاء معها تعاونتا على وصل الجزاء بالشرط فيتأكد واذا قيل اذا هي شاخصة شديد
فصل قال ابن عطية والذي اقول ان الجواب في قوله فاذا هي شاخصة وهذا هو المعنى الذي قصد ذكره
لان رجوعهم الذي كانوا يكذبون به وحرم امتناعه **فصل** ياجوج هو ماجوج في معنا فاى يد ياجوج
وماجوج وتقدم الكلام فيهما وهما قبيلتان من جنس الانس يقال الناس عشرة اجزاء تسعة اجزاء منها ياجوج وماجوج
يخرجون حين يفتح السد قيل السد يفتحه الله ابتداء وقيل اذا جعل الارض مكانه دكا الصلابة من اجزاء الارض فحينئذ
يفتح عن جميع العالم باسرهم اي يخرجون من قبورهم ومن كل موضع فيحشرون الى موقف الحشر والاول اظهر لنا لنظم
ولانه روي في الخبر ان ياجوج وماجوج لا يزالون يسيروا في الارض ويقبلوا على الناس من كل موضع مرتفع وقرا العامة
ينسلون بكسر السين وابي السمال وابن ابي اسحق بضمها والحدب النشز من الارض اي المرتفع ومنه الحدب في الظهر وكل اكمة
او اكمة فهو حدبة ومنه سمي القبر لانه يظهر على وجه الارض والنسلان متقاربة الخطو مع الاسراع كالرمل يقال نسل
ينسل وينسل بالفتح في الماضي والكسر والضم في المضارع ونسل وعسل قال الشاعر • عسلان الذئب امسى قاربا •
برد الليل عليه فنسل • والنسل من ذلك وهو الذرية اطلق المصدر على المفعول ونسلت ريش الطاير وقدم الجار فيه
متعلقة لتواخي رؤس الآي وقرا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما جدث بالثاء المثلثة والجيم اعتبارا بقوله فاذا هم
من الاجداث الى ربهم ينسلون وقرا بالفاء وهي بدل منها قال الزمخشري الثاء للحجاز والفاء لتميم وينبغي ان يكونا اصلين
لان كلا منهما لغة مستقلة ولكن قد كثر ابدال الثاء من الفاء قالوا مغثور في مغفور وقالوا ثم في فم فابدلت هذه من هذه
وهذه من هذه اخرى روى حذيفة بن اسيد الغفاري قال اطلع النبي صلى الله عليه وسلم علينا ونحن نتذاكر فقال ما تذكرون
قالوا نذكر الساعة قال انها لن تقوم حتى ترون قبلها عشر آيات فذكر الدخان والدجال والدابة وطلوع الشمس من مغربها
ونزول عيسى ابن مريم وياجوج وماجوج وثلاث خسوف خسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب وآخر ذلك نار
تخرج من النار تطردهم الى المحشر **قوله تعالى** واقترب الوعد الحق المراد بالوعد الحق الوعد الموعود وهو القيامة
وسمي الموعود وعدا تجوزا **قوله تعالى** فاذا هي شاخصة ابصار اذا هي فجائية وفيها اوجه اجودها ان
تكون ضمير القصة وشاخصة خبر مقدم وابصار مبتدا موخر والجملة خبر لاذا او لهي لانها لا تفسر الا بجملة مصرح
بجزءيها وهذا مذهب البصريين والمعنى ان ابصار الذين كفروا تشخص عند ذلك من شدة الاهوال قال الفرا والجماعة
الواو في قوله واقترب الوعد الحق كقوله سبحانه فلما اسلما وتله للجبين وناديناه اي ناديناه ويدل عليه ما روي عن حذيفة
قال لو ان رجلا قتنى فلوا بعد خروج ياجوج وماجوج لم يركبه حتى تقوم الساعة وقال قوم لا يجوز طرح الواو وجعلوا
الجواب حتى اذا فتحت في قوله يا ويلنا فيكون مجاز الآية التقدير حتى اذا فتحت ياجوج وماجوج واقترب الوعد الحق
قالوا يا ويلنا قد كنا في غفلة الثاني ان تكون شاخصة مبتدا وابصار فاعل سد مسد الخبر وهذا يتمشى على راي
الكوفيين لان ضمير القصة يفسر عندهم بالمفرد العامل عمل الفعل فانه في قوة الجملة الثالث قال الزمخشري
هي ضمير مبهم توضحه الابصار وتفسره كما فسر الذين ظلموا واسروا ولم يذكر غيره قال شهاب الدين وهذا قول الفرا
فانه قال هي ضمير الابصار تقدمت لدلالة الكلام ومجيء ما يفسرها وانشد شاهدا على ذلك قوله

• فلا وابيها لا تقول حليلتي • الا فر عني مالك بن ابي كعب •

الرابع ان تكون هي عمادا وهو قول الفرا قال لانه يصلح موضعها هو فيكون كقوله انه انا الله ومثله فانها لا تعمى
الابصار وانشد • بثوب ودينار وشاة ودرهم • فهل هو مرفوع بما هاهنا راس •
وهذا لا يتمشى الا على احد قولي الكسائي وهو انه يجيز تقديم الفصل مع الخبر المقدم نحو هو خير منك زيد الاصل
زيد هو خير منك وقال ابو حيان اجاز وهو القائم زيد على ان زيد هو المبتدا والقائم خبره وهو عماد
واصل المسالة زيد هو القائم **فصل** قال شهاب الدين وفي هذا التمثيل نظر لان تقديم الخبر
هنا ممتنع لاستوائهما في التعريف بخلاف المثال المتقدم فيكون اصل الآية فاذا ابصار الذين ظلموا هي شاخصة
فلما قدم الخبر وهو شاخصة قدم معها العماد ايضا وهذا انما يجيء على مذهب من يجيز وقوع العماد قبل النكرة
غير المقاربة للمعرفة الخامس ان تكون هي مبتدا وخبره مضمر يتم الكلام حينئذ على هي ويبتدى بقوله شاخصة
ابصار والتقدير فاذا هي بارزة او حاضرة وشاخصة خبر مقدم وابصار مبتدا موخر ذكره الثعلبي وهو بعيد جدا

لتنافر

لتنافر التركيب وهو التعقيد عند علماء البيان **قوله تعالى** يا ويلنا معمول لقول محذوف اي يقولون
يا ويلنا وفي هذا القول المحذوف وجهان احدهما انه جواب حتى اذا كما تقدم والثاني في محل نصب على الحال من الذين
كفروا قاله الزمخشري **قوله تعالى** قد كنا في غفلة من هذا يعني في الدنيا حيث كذبناه وقلنا انه غير كائن بل
كنا ظالمين انفسنا بتلك الغفلة وتكذيب محمد وعبادة الاوثان **قوله تعالى** انكم وما تعبدون انما هنا
بما وهي لغير العقلاء لانه متى اختلط العاقل بغيره تخير الناطق بين ما ومن وقرا العامة حصب بالمهملتين والصاد
المفتوحة وهو ما يحصب اي يرمى في النار ولا يقال حصب وهو في النار فاما قبل ذلك فحطب وشجر وغير ذلك
وقيل يقال له حصب قبل الالقاء في النار وهو لغة اليمن وقال عكرمة هو الحطب بالحبشية وقرا ابن السميفع وابن ابي
عبلة ورويت عن ابن كثير بسكون الصاد وهو مصدر فيجوز ان يكون واقعا موقع المفعول وعلى المبالغة او على
حذف مضاف وقرا ابن عباس بالضاد معجمة مفتوحة او ساكنة وهو ايضا ما يرمى به في النار ومنه المحضب عود يحرك به
النار لتوقد وانشد • فلا تك في حربنا محضبا • فتجعل قومك شتى شعوبا • وقرا امير المؤمنين
وابي وعائشة وابن الزبير رضي الله عنهم حطب بالطاء ولا اظنها الا تفسيرا لا تلاوة **فصل** المعنى
انكم ايها المشركون وما تعبدون من دون الله يعني الاصنام حصب جهنم اي وقودها وهذا تشبيه واصل الحصب
الرمي قال تعالى انا ارسلنا عليهم حاصبا اي ريحا ترميهم بالحجارة **قوله تعالى** انتم لها واردون جوز ابو البقاء
في هذه الجملة ثلاثة اوجه الاول ان يكون بدلا من حصب جهنم اعني ان الجملة بدل من المفرد الواقع خبرا وابدال الجملة
من المفرد اذا كان احدهما بمعنى الآخر جائز اذ التقدير انكم انتم لها واردون الثاني ان تكون الجملة مستانفة الثالث
ان تكون في محل نصب على الحال من جهنم وفيه نظر من حيث مجيء الحال من المضاف اليه في غير المواضع المستثناة ومعنى انتم
لها واردون اي فيها داخلون واللام في لها دالة على التقديم لتقدمها كما تقول انت لزيد ضارب كقوله تعالى والذين
هم لاماناتهم وعهدهم راعون والمعنى لا بد وان تردوها ولا معدل لكم عن دخولها **فصل** روي عن ابن عباس
انه صلى الله عليه وسلم دخل المسجد وصناديد قريش في الحطيم وحول الكعبة ثلاثمائة وستون صنما فجلس اليهم فعرض له
النضر بن الحرث فكلمه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى افحمه ثم تلا عليهم انكم وما تعبدون من دون الله الآية فاقبل عبد الله
بن الزبعري فرآهم يتهامسون فقال فيما خوضكم فاخبره الوليد بن المغيرة بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ابن الزبعري
انت قلت ذلك قال نعم قال خصمتك ورب الكعبة اليس اليهود عبدوا العزير والنصارى عبدوا المسيح وبنو مليح عبدوا
الملائكة فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يجب فضحك القوم ونزل قوله تعالى ولما ضرب ابن مريم مثلا اذا قومك منه يصدون
وقالوا ءالهتنا خير ام هو ما ضربوه لك الا جدلا بل هم قوم خصمون ونزل في عيسى والملائكة ان الذين سبقت لهم
منا الحسنى وفي رواية اخرى انه صلى الله عليه وسلم قال بل هم عبدوا الشياطين التي امرتهم بذلك فانزل الله تعالى
ان الذين سبقت لهم منا الحسنى يعني عزيرا والمسيح والملائكة قال ابن الخطيب واعلم ان سؤال ابن الزبعري غير متوجه
من وجوه احدها ان ذلك الخطاب كان مع مشركي مكة وهم كانوا يعبدون الاصنام فقط الثاني انه لم يقل ومن
تعبدون وكلمة ما لا تتناول العقلاء واما قوله وما بناها وقوله لا اعبد ما تعبدون فمحمول على الشيء ونظيره هاهنا
انه يقال انكم والشيء الذي تعبدون من دون الله لكن لفظ الشيء لا يفيد العموم فلا يتوجه سؤال ابن الزبعري الثالث
ان من عبد الملائكة لا يدعي انهم آلهة وقال سبحانه لو كان هؤلاء آلهة ما وردوها الرابع هب انه ثبت العموم لكنه
مخصوص بالدلائل العقلية والسمعية في حق الملائكة اي في حق الملائكة والمسيح وعزير لبراءتهم من الذنوب والمعاصي
ووعد الله اياهم بكل خير وهو المراد بقوله سبحانه ان الذين سبقت لهم منا الحسنى الخامس الجواب الذي ذكره رسول
الله صلى الله عليه وسلم وهو انهم كانوا يعبدون الشياطين فان **قيل** الشياطين عقلاء ولفظ ما لا يتناولهم
فكيف قال ذلك **فالجواب** كانه قال صلى الله عليه وسلم لو ثبت لكم انه يتناول العقلاء فسؤالكم ايضا غير لازم
من هذا الوجه فاما ما قيل انه صلى الله عليه وسلم عن ايراد ابن الزبعري هذا السؤال فهو خطاء فانه لا اقل من انه صلى الله
عليه وسلم كان تنبه لهذه الاجوبة التي ذكرها المفسرون لانه اعلم منهم باللغة وتفسير القران فكيف يجوز ان يظهر هذه
الاجوبة لغيره ولم يظهر له منها شيء فان قيل يجوز ان يسكت صلى الله عليه وسلم انتظارا للبيان فالجواب لكان البيان
حاضرا معه فلم يجز عليه السكوت لكي لا يتوهم عليه الانقطاع من سوء الفهم ومن الناس من اجاب عن سؤال ابن الزبعري فقال
ان الله تعالى يصور لهم في النار ملكا على صورة من عبدوه وحينئذ تبقى الآية على ظاهرها وهذا ضعيف من وجهين
الاول ان القوم لم يعبدوا تلك الصورة وانما عبدوا اشياء اخر لم يحصل معهم في النار الثاني ان الملك لا يصير حصب
جهنم في الحقيقة وان صح ان يدخلها فان خزنة النار يدخلونها مع انهم ليسوا من حصب جهنم **فصل** الحكمة

فيهم قربوا الهتهم اما الاول انهم لا يزالون بمقارنتهم في زيادة غم وحسرة لانهم ما وقعوا في ذلك العذاب
الا بسببهم والنظر الى وجه العدو باب من العذاب الثاني انهم قدروا ان يشفعوا لهم في الآخرة فاذا وجدوا على عكس
ما قدروا لم يكن شيء ابغض اليهم منه الثالث ان القاءها في العذاب يجري مجرى الاستهزاء الرابع قيل ما كان منها حجرا
او حديدا يحمى فيعذب بعبادتها وما كان خشبا يجعل جمرة يعذب بها صاحبها **قوله تعالى** لو كان هؤلاء
آلهة ما وردوها اعلم ان قوله وما تعبدون بالاصنام اليق لدخول لفظ ما وهذا الكلام بالشياطين اليق
لقوله هؤلاء ويحتمل ان يريد الشياطين والاصنام وغلب العقلاء ونبه تعالى على ان من يرمى في النار لا يمكن
ان يكون الها قال ابن الخطيب رحمه الله وهنا سؤال وهو ان قوله لو كان هؤلاء آلهة ما وردوها لكنهم وردوها
فهم ليسوا آلهة **فصل** هذه الحجة اما ان يكون ذكرها لنفسه او لغيره فان ذكرها لنفسه فلا فائدة فيه
لانه كان عالما بانها ليست آلهة فان ذكرها لغيره فاما ان يذكرها لمن يصدق بنبوته او لم يقل بالهية هذه الاصنام او لذكرها
لمن يكذب بنبوته فمن لم يكذب لا نسلم ان تلك الالهة يردون النار فكان ذكر هذه الحجة لا فائدة فيه كيف كان والايضا
فالقائلون بالاهيتها لم يعتقدوا الا انها تماثيل الكواكب او صورة الشفعاء وذلك لا يمنع من دخولها النار واجيب
عن ذلك بان المفسرين قالوا لو كان المعنى هؤلاء يعني الاصنام آلهة على الحقيقة ما وردوها اي ما دخل عابدوها
النار **قوله تعالى** آلهة العامة على النصب لكان وقرا طلحة بالرفع وتخريجها لتخريج قوله • اذا مت كان الناس
صنفان يا اخي • ففيها ضمير الشان **قوله تعالى** وكل فيها خالدون يعني العابدين والمعبودين وهذا يدل على انه
تفسير لقوله انكم وما تعبدون من دون الله **قوله تعالى** لهم فيها زفير قال الحسن هو اللهيب يرتفعون
بسبب لهيب النار حتى اذا ارتفعوا وارادوا الخروج ضربوا بمقامع الحديد فهووا الى اسفلها سبعين خريفا قال الخليل
الزفير ان يملا الرجل صدره غما ثم يتنفس قال ابو مسلم قوله لهم عام لكل معذب فيقول لهم زفير من شدة ما ينالهم والضمير
في قوله وهم فيها يرجع على المعبودين اي لا يسمع صراخهم وشكواهم ومعناه لا يسمعون على قول ابي مسلم محمول على الاصنام
ومن حمله على الكفار فيحتمل ثلاثة اوجه الاول ان الكفار يحشرون صما كما يحشرون عميا زيادة في عذابهم الثاني
لا يسمعون ما ينفعهم لانهم انما يسمعون اصوات المعذبين او كلام من يتولى تعذيبهم من الملائكة الثالث قال ابن مسعود
ان الكفار يجعلون في توابيت من نار ثم يجعل تلك التوابيت في توابيت اخر من نار عليها مسامير من نار ثم يجعل تلك
فلذلك لا يسمعون شيئا ولا يرى احد منهم ان احدا في النار يعذب غيره والاول ضعيف لان اهل النار يسمعون كلام
اهل الجنة فلذلك يستغيثون بهم على ما ذكره الله في سورة الاعراف **قوله تعالى** ان الذين سبقت لهم منا الحسنى
الآية قال بعض اهل العلم ان ها هنا بمعنى الا قال ابن الخطيب قد بينا فساد هذا القول وذكرنا ان سؤال ابن الزبعرى لم
يرد فلم يبق الا الجواب الاول ان يقال ان عادة الله تعالى انه متى شرح عقاب الكفار ردفه بشرح ثواب الابرار فلذا
ذكر هذه الآية فبقيت تلك الآية فهي عامة في حق كل المؤمنين الثاني ان هذه الآية نزلت في تلك الواقعة فتكون
كالتاكيد في دفع سؤال ابن الزبعرى ثم قال العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب خصص قوله وهذا هو الحق اجراها على
عمومها فيكون الملائكة والمسيح وعزير صلوات الله عليهم داخلون فيها الا ان الآية مختصة بهم ومن قال العبرة بخصوص
السبب خصص قوله ان الذين بهؤلاء فقط **قوله تعالى** منا يجوز ان يتعلق بسبقت ويجوز ان يتعلق بمحذوف
على انه حال من الحسنى قال الزمخشري الحسنى المفضلة في الحسن تانيث الاحسن وهي اما السعادة واما البشرى بالثواب
واما التوفيق للطاعة ثم شرح احوال ثوابهم فقال سبحانه **قوله تعالى** اولئك عنها مبعدون قال اهل العفو
معناه اولئك عنها مخرجون واحتجوا بوجهين الاول قوله تعالى وان منكم الا واردها اثبت الورود والورود
الدخول فدل ان هذا الابعاد هو الاخراج الثاني ان ابعاد الشيء عن الشيء لا يصح الا اذا كانا متقاربين لانهما اذا كانا
متباعدين استحال ابعاد احدهما عن الآخر لان تحصيل الحاصل محال **فصل** قالت المعتزلة اولئك عنها
مبعدون لا يدخلون النار ولا يقربونها البتة واحتج القاضي عبد الجبار على فساد الاول بامور احدها ان قوله
ان الذين سبقت لهم منا الحسنى يقتضي ان الوعد بثوابهم قد تقدم في الدنيا وليس هذه حالة من يخرج من النار
ثانيها انه تعالى قال اولئك عنها مبعدون فكيف يدخل في ذلك من وقع فيها الثالث قوله تعالى لا يسمعون حسيسها
وقوله تعالى لا يحزنهم الفزع الاكبر والجواب عن ذلك لا نسلم ان المراد من قوله تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى
هو ان الوعد بثوابهم قد تقدم ولم لا يجوز ان يكون المراد من الحسنى تقدم الوعد بالثواب يليق بحال من يخرج من النار
فانه عند المخاطبة باطل ويجوز الجمع بينهما حقا في الثواب والعقاب وعن الثاني انا نتاول ان قوله سبحانه اولئك
عنها مبعدون لا يمكن اجراؤه على ظاهره الا في حق من كان في النار وعن الثالث ان قوله لا يسمعون حسيسها مخصوص

بما بعد

بما بعد الخروج وعن قول المعتزلة بان المراد بقوله سبحانه ان الذين سبقت لهم منا الحسنى اولئك عنها مبعدون
انهم لا يدخلون النار ولا يقربونها يبطل القول بان جميع الناس يردون النار ثم يخرجون الى الجنة فيجب
التوفيق بينه وبين قوله وان منكم الا واردها وقد تقدم **قوله تعالى** وهم فيما اشتهت الى قوله وتتلقاهم كل جملة
من هذه الجمل يحتمل ان يكون حالا مما قبلها وان تكون مستانفة وكذا الجملة المضمرة من قول القائل في جملة قوله
هذا يومكم اذ التقدير وتتلقاهم الملائكة كل جملة من هذه الجمل يحتمل ان يكون حالا مما قبلها وان تكون مستانفة
وكذا الجملة المضمرة من قول القائل في جملة قوله هذا يومكم اذ التقدير وتتلقاهم الملائكة هذا يومكم **فصل**
معنى لا يسمعون حسيسها اي صوتها وحركة تلهبها اذا نزلوا منازلهم في الجنة والحس والحسيس الصوت الخفي وهم
فيما اشتهت انفسهم خالدون مقيمون كقوله سبحانه وفيها ما تشتهيه الانفس وتلذ الاعين لا يحزنهم الفزع الاكبر
النفخة الاخيرة لقوله تعالى ونفخ في الصور ففزع من في السموات ومن في الارض وقال الحسن رحمه الله حين يؤمر
بالعبد الى النار قال ابن جريج حين يذبح الموت وينادي يا اهل الجنة خلود فلا موت وقال سعيد بن جبير والضحاك
هو ان يطبق جهنم وذلك بعد ان يخرج الله منها من يريد ان يخرجه وتتلقاهم الملائكة اي تستقبلهم الملائكة على
ابواب الجنة يقولون هذا يومكم الذي كنتم توعدون فان قيل اي بشارة في انهم لا يسمعون حسيسها فالجواب
المراد منه تاكيد بعدهم عنها لان من قرب منها قد يسمع حسيسها فان قيل اليس ان اهل الجنة يرون اهل النار
فكيف لا يسمعون حسيس النار فالجواب اذا حملناه على التاكيد زال هذا السؤال **قوله تعالى** يوم نطوي السماء
كطي السجل الآية في يوم نطوي اوجه الاول انه منصوب بلا يحزنهم الثاني انه منصوب بتتلقاهم الثالث انه منصوب
باضمار اذكر واعني الرابع انه بدل من العائد المقدر تقديره توعدونه يوم نطوي فيوم بدل من الهاء ذكره ابو البقاء
وفيه نظر اذ يلزم من ذلك خلو الجملة الموصول بها من عائد على الموصول ولذلك منعوا جاء الذي مررت به ابي عبد الله على ان
ابي عبد الله بدل من الهاء بما ذكر وان كان في المسالة خلاف الخامس انه منصوب بالفزع قاله الزمخشري وفيه نظر من حيث
انه اعمل المصدر الموصوف قبل اخذه معموله وقد تقدم ان نافعا يقرا يحزنهم بضم الياء الا هنا وقرا العامة
نطوي بنون العظمة وشيبة بن نصاح في آخرين بياء الغيبة والفاعل هو الله وقرا ابو جعفر في آخرين تطوى بالتاء
المثناة من فوق وفتح الواو مبنيا للمفعول وقرا العامة السجل بكسر السين والجيم وتشديد اللام وقرا ابو هريرة وصاحبه
ابو زرعة بن عمرو بن جرير بضمهما واللام مشددة ايضا بزنة عتل ونقل ابو البقاء تخفيفها في هذه القراءة ايضا
فيكون بزنة عنق وابو السمال وطلحة والاعمش بفتح السين والحسن وعيسى بن عمر بكسرها والجيم في هاتين القراءتين
ساكنة واللام مخففة وقراءة اهل مكة مثل قراءة الحسن والسجل الصحيفة مطلقا وقيل بل هو مخصوص بصحيفة
العهد وهي من المساجلة وهي المكاتبة والسجل الدلو الملأى وقال بعضهم هو فارسي معرب فلا اشتقاق له وطي مصدر
مضاف للمفعول والفاعل محذوف تقديره كما يطوي الرجل الصحيفة ليكتب فيها من المعاني والفاعل يحذف مع المصدر
اطرادا مع الكلام والكلام في الكاف معروف وفاعلى كونها نعتا لمصدر مقدر من فاعل ضميره واصل طي طوي فاعل
كنظائره **فصل** وروي على وابن عباس رضي الله عنهما اسم ملك يطوي كتب اعمال بني آدم وروى ابو الجوزاء
عن ابن عباس ان السجل اسم رجل كان يكتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى هذين القولين يكون المصدر مضافا للكاتب
اسم الصحيفة المكتوبة قال بعضهم وهذا القول بعيد لان كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا معروفين وليس
فيهم من يسمى بهذا وقال ابو اسحاق الزجاج السجل الرجل وقال الزمخشري كما يطوى الطومار للكتابة اي ليكتب فيه
لان الكتاب اصله المصدر كالبناء ثم يوقع على المكتوب فقدره الزمخشري من الفعل المبني للمفعول وقد عرفت ما فيه
من الخلاف واللام في الكتاب اما مزيدة في المفعول ان قلنا ان المصدر مضاف للفاعل واما متعلقة بطي اذا قلنا
المراد بالسجل الطومار فالمصدر وهو الطي مضاف للمفعول والفاعل والتقدير كطي الطاوي السجل وهذا قول الاكثرين
وقيل اللام بمعنى على وهذا لا ينبغي ان لا يجوز لبعد معناه على كل قول والقراآت المذكورة في السجل كلها لغات فيه
وقرا الاخوان وحفص للكتب جمعا والباقون للكتاب مفردا والرسم يحتملهما فالافراد يراد به الجنس والجمع للدلالة
على الاختلاف والمعنى المكتوبات اي لما يكتب فيه من المعاني بالكثرة فيكون معنى طي السجل للكتاب كونه ساترا
لتلك الكتابة ومخفيا لها لان الطي هو الدرج وهو ضد النشر الذي يكشف **قوله تعالى** كما بدانا في متعلق هذه الكاف
وجهان احدهما انها متعلقة بنعيده وما مصدرية وبدانا صلتها فهي وما في حيزها في محل جر بالكاف واول خلق مفعول
والمعنى نعيده اول خلق اعادة مثل بداءتنا له اي كما ابرزناه من العدم الى الوجود والى هذا نحا ابو البقاء فانه قال
والكاف نعت لمصدر محذوف اي نعيده عودا مثل بدئه وفي قوله وعد انظر اذ الاحسن ان يقول اعادة والثاني انها

تتعلق بفعل مضمر قال الزمخشري ووجه آخر وهو ان ينتصب الكاف بفعل مضمر يفسره نعيده وما موصولة اي
نعيد مثل الذي بدأنا نعيده واول الخلق ظرف لبدأنا اي اول ما خلق او حال من ضمير الموصول الساقط من اللفظ الثابت
في المعنى قال ابو حيان وتقدير بهيئة بدأنا لان تنتصب اول الخلق على المفعولية وقطعه عنه من غير ضرورة تدعو الى
ذلك وارتكاب اضمار نعيد مفسرا بنعيده وهذه عجمة في كتاب الله تعالى واما قوله ووجه آخر وهو ان ينتصب الكاف
بفعل مضمر يفسره نعيده فهو ضعيف جدا لانه مبني على ان الكاف اسم لا حرف وليس مذهب الجمهور وانما ذهب الى
ذلك الاخفش وكونها اسما عند البصريين مخصوصا بالشعر قال شهاب الدين كلا قدره فهو جار على القواعد المنضبطة
ومادة الى ذلك المعنى الصحيح فلا مؤاخذة عليه ويظهر ذلك بالعامل لغرا لفظ واما ما ففيها ثلاثة اوجه الاول انها
مصدرية والثاني انها بمعنى الذي وقد تقدم تقريرهما الثالث انها كافة للكاف عن العمل كما في قوله • كما الناس مجروم
عليه وجارم • فيمن رفع الناس قال الزمخشري اول خلق مفعول نعيد الذي يفسره نعيده والكاف مكفوفة بما
والمعنى نعيد اول الخلق كما بدأناه تشبيها للاعادة بالابتداء في تناول القدرة لهما على السواء فان قيل فما اول الخلق
حتى يعيده كما بداه فالجواب اوله ايجاده من العدم فكما اوجده اولا من عدم يعيده ثانيا من عدم واما اول الخلق
فتحصل فيه اربعة اوجه الاول انه مفعول بدأنا والثاني انه ظرف لبدأنا والثالث انه منصوب على الحال من ضمير الموصول
والرابع انه حال من مفعول نعيده قاله ابو البقاء والمعنى مثل اول خلقه واما تنكير خلق فلدلالته على التفصيل
قال الزمخشري فان قلت ما بال خلق منكرا قلت هو كقولك اول رجل جاءني زيد تريد اول الرجال ولكنك وحدته ونكرته
ارادة تفصيلهم رجلا رجلا فكذلك معنى اول خلق بمعنى اول الخلائق لان الخلق مصدر لا يجمع قوله تعالى وعدا منصوب
على المصدر المؤكد لمضمون الجملة المتقدمة فناصبه مضمر اي وعدنا ذلك وعدا فصل اختلفوا في كيفية
الاعادة فقيل ان الله تعالى يفرق اجزاء الاجسام ولا يعدمها ثم انه يعيد تركيبها فذلك هو الاعادة وقيل
ان الله تعالى يعدمها بالكلية ثم انه يوجدها بعينها مرة اخرى وهذه الآية دالة على هذا الوجه لانه تعالى شبه
الاعادة بالابتداء والابتداء ليس عبارة عن تركيب الاجزاء المتفرقة بل عن الوجود بعد العدم فوجب ان تكون الاعادة كذلك
واحتج الاولون بقوله تعالى والسموات مطويات بيمينه فدل هذا على ان السموات حال كونها مطوية تكون موجودة
وبقوله يوم تبدل الارض غير الارض وهذا يدل على ان الارض باقية لكنها جعلت غير الارض فصل
قال المفسرون كما بدأناهم في بطون امهاتهم عراة غرلا كذلك نعيدهم يوم القيامة ولقد جئتمونا فرادى كما
خلقناكم اول مرة روى ابن عباس رضي الله عنه قال انكم تحشرون عراة حفاة غرلا ثم قرأ كما بدأنا اول خلق نعيده
وعدا علينا انا كنا فاعلين يعني الاعادة والبعث وقيل المراد حقا علينا بسبب الاخبار عن ذلك وتعلق العلم
بوقوعه وان وقوع ما علم الله وقوعه واجب ثم حقق ذلك بقوله تعالى ولقد كتبنا في الزبور قرأ حمزة بضم الزاي
والباقون بفتحها بمعنى المزبور كالحلوب والمكتوب يقال زبرت الكتاب اي كتبته والزبور بضم الزاي جمع زبر
كقشر وقشور ومعنى القراءتين واحد لان الزبور هو الكتاب قال سعيد بن جبير ومجاهد والكلبي ومقاتل
الزبور جميع الكتب المنزلة والذكر ام الكتاب الذي عنده والمعنى من بعد ما كتب ذكره في اللوح المحفوظ وقال ابن
عباس والضحاك الزبور التوراة والذكر الكتب المنزلة من بعد التوراة وقال قتادة والشعبي الزبور والذكر
التوراة وقيل الزبور زبور داود صلى الله عليه وسلم والذكر القرآن وبعد بمعنى قبل كقوله تعالى وكان وراءهم
ملك اي امامهم والارض بعد ذلك دحاها اي قبله وقيل الزبور زبور داود صلى الله عليه وسلم والذكر هو ما
روي انه صلى الله عليه وسلم قال كان الله ولم يكن معه شيء ثم خلق الذكر قوله تعالى من بعد الذكر
يجوز ان يتعلق بكتبنا ويجوز ان يتعلق بنفس الزبور لانه بمعنى المكتوب اي المزبور بعد ومفعول
كتبنا ان وما في حيزها اي كتبنا وراثة الصالحين للارض اي حكمنا به قوله تعالى ان الارض يرثها اي ارض
الجنة يرثها عبادي الصالحون قال مجاهد يعني امة محمد صلى الله عليه وسلم ويدل عليه قوله تعالى وقالوا الحمد لله
الذي صدقنا وعده واورثنا الارض وقال ابن عباس اراد اراضي الكفار يفتحها المسلمون وهذا حكم من الله تعالى
باظهار الدين واعزاز دين المسلمين وقيل اراد الارض المقدسة يرثها الصالحون كقوله تعالى واورثنا القوم الذين
كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها التي باركنا فيها قوله تعالى ان في هذا اي في هذا القرآن
يعني ما فيه من الاخبار والوعد والوعيد والمواعظ البالغة لبلاغا وصولا الى البغية في اتبع القرآن وعمل به وصل
الى ما رجا من الثواب وقيل البلاغ الكفاية والقرآن زاد الجنة كبلاغ المسافر لقوم عابدين اي مؤمنين قال ابن
عباس عالمين قال كعب الاحبار هم امة محمد صلى الله عليه وسلم اهل الصلوات الخمس واهل شهر رمضان قوله تعالى

وما

وما ارسلناك الا رحمة يجوز ان ينتصب رحمة مفعولا له اي لاجل الرحمة ويجوز ان ينتصب على الحال مبالغة في
ان جعله نفس الرحمة واما على حذف مضاف اي ذا رحمة او بمعنى راحم وفي الحديث يا ايها الناس انما انا رحمة مهداة
قوله تعالى للعالمين يجوز ان يتعلق بمحذوف على انها صفة لرحمة كائنة للعالمين ويجوز ان يتعلق بارسلنا عند
من يتعلق بعد يرى تعلق ما بعد الا بما قبلها جائزا وبمحذوف عند من لا يرى ذلك هذا اذا لم يفرغ الفعل
لما بعدها اما اذا فرغ فيجوز نحو ما مررت الا بزيد كذا قاله ابو حيان هنا وفيه نظر من حيث ان هذا ايضا مفرغ
لان المفرغ عبارة عما افتقر ما بعد الا لما قبلها في المعمولية له فصل قال ابن عباس قوله رحمة للعالمين
عام في حق من امن ومن لم يؤمن اعلم انه صلى الله عليه وسلم كان رحمة في الدين والدنيا اما في الدين فلانه صلى الله عليه
وسلم بعث والناس في جاهلية وضلال واهل الكتابين كانوا في حيرة في امر دينهم لطول مكثهم وانقطاع تواترهم
ووقوع الاختلاف في كتبهم فبعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم حين لم يكن لطالب الحق سبيل الى الفوز والثواب
فدعاهم الى الحق وبين لهم الثواب وشرع لهم الاحكام وميز الحلال والحرام فمن كانت همته لطلب الحق فلا يركن الى
التقليد ولا الى الفساد والاستكبار قال تعالى قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء الى قوله وهو عليهم عمى واما
في الدنيا فلانهم تخلصوا بسببه من الذل والقتل فان قيل كيف كان رحمة وقد جاء بالسيف واستباحة المال
فالجواب من وجوه الاول انما جاء بالسيف لمن انكر وعاند ولم يتفكر ولم يتدبر ومن اوصاف الله الرحمن الرحيم وهو
منتقم من العصاة وقال سبحانه ونزلنا من السماء ماء مباركا ثم قد يكون سببا للفساد الثاني ان كل نبي من الانبياء
قبله اذا كذبه قومه اهلك الله المكذبين بالخسف والمسخ والغرق وانه تعالى اخر عذاب من كذب رسولنا الى الموت
او الى القيامة قال الله تعالى وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم ولا يقال اليس انه قال قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم وقال
ليعذب الله المنافقين لانا نقول تخصيص العام لا يقدح فيه الثالث انه صلى الله عليه وسلم كان في نهاية حسن
الخلق قال تعالى وانك لعلى خلق عظيم وقيل انه صلى الله عليه وسلم ادع على المشركين فقال انما بعثت رحمة ولم ابعث
عذابا وقال في رواية حذيفة انما انا بشر اغضب كما يغضب البشر فايما رجل سببته او لعنته فاجعلها اللهم عليه صلاة
الى يوم القيامة الرابع قال عبد الرحمن بن زيد الا رحمة للعالمين يعني المؤمنين خاصة فصل قالت المعتزلة
لو كان تعالى اراد من الكافر الكفر ولم يرد منه القبول من الرسول بل ما اراد منهم الا الرد عليه وخلق ذلك فيهم ولم يخلقهم
الا لذلك كما تقول اهل السنة لوجب ان يكون ارسال الرسل نقمة وعذابا عليهم لا رحمة وهذا خلاف هذا النص ولا يقال ان
رسالته رحمة للكفار من حيث لم يعجل عذابهم في الدنيا كما عجل عذاب سائر الامم لانا نقول ان كونه رحمة للجميع على حد
واحد وما ذكرتموه في الكفار فهو حاصل للمؤمنين وايضا فان الذي ذكروه من نعم الله كانت حاصلة للكفار قبل
بعثته صلى الله عليه وسلم كحصولها بعده بل كانت نعمهم في الدنيا قبل بعثته كحصولها بعده واعظم لان في بعثته
نزل بهم الغم والخوف ثم امر بالجهاد الذي فيه اكثرهم فلا يجوز ان يكون هذا هو المراد فان قيل ان يقال لم علم الله
ان ابا لهب لا يؤمن البتة واخبر عنه انه لا يؤمن كان امره بالايمان امرا بقلب علمه جهلا وخبره الصدق كذبا وذلك
محال فكان قد امره بالمحال ولما كانت البعثة مع هذا القول رحمة فلم لا يجوز ان يقال البعث رحمة مع انه تعالى خلق
الكفر في الكافر ولان قدرة الكافر ان لم تصلح الا للكفر فقط فالسؤال عليهم لازم وان كانت حاصلة للضدين
توقف الترجيح على مرجح من قبل الله تعالى للتسلسل وحينئذ يعود الالزام ثم نقول لم لا يجوز ان يكون رحمة للكفار بمعنى
تاخير عذاب الاستئصال عنهم وقولهم اولا لما كان رحمة للجميع على حد واحد وجب ان يكون رحمة للكفار من الوجه الذي
كان رحمة للمؤمنين والجواب ليس في الآية كون الوجه واحدا فتحكما وقولهم الدنيا كانت خالصة للكفار من قبل فالجواب
نعم ولكنه صلى الله عليه وسلم لكونه رحمة للمؤمنين لما بعث حصل الخوف للكفار من نزول العذاب فلما اندفع ذلك عنهم
بسبب حضوره كان ذلك رحمة في حق الكفار فصل تمسكوا بهذه الآية في انه افضل من الملائكة لان الملائكة
من العالمين فوجب ان يكون هو افضل منهم فصل ذكر بعضهم بانه معارض بقوله تعالى في حق الملائكة
ويستغفرون للذين آمنوا وذلك رحمة منهم في حق المؤمنين وكذا قوله تعالى ان الله وملائكته يصلون على النبي
يا ايها الذين قوله تعالى قل انما يوحى الي انما الهكم اله واحد الآية لما اورد على الكفار الحجج في انه لا اله سواه وبين
انه ارسل عليهم رسوله رحمة للعالمين اتبع ذلك بما يكون انذارا في مجاهدتهم والاقدام عليهم فقال قل انما يوحى الي
قوله تعالى انما الهكم ان وما في حيزها في محل رفع لقيامه مقام الفاعل اذ التقدير انما يوحى الي وحدانية الهكم
وقال الزمخشري انما لقصر الحكم على شيء او لقصر الشيء على حكم كقولك انما زيد قائم وانما يقوم زيد وقد اجتمع المثالان
في هذه الآية لان انما يوحى الي مع فاعله بمنزلة انما يقوم زيد وانما الهكم اله واحد بمنزلة انما زيد قائم وفائدة

اجتماعهما على الدلالة على ان الوحي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم مقصور على استيثار الله عز وجل بالوحدانية
قال ابو حيان اما ما ذكره في انما انها لقصر ما ذكر فهو مبني على ان انما للحصر وقد قررنا انها لا تكون للحصر وان ما مع ان
كهي مع كان ومع لعل فكما انها لا تفيد الحصر في التشبيه ولا الحصر في الترجي وكذلك لا يفيده مع ان واما جعله
ان ما المفتوحة مؤولة بحرف مصدري فيصير منسبكا منها مع ما بعدها بمصدر فالجملة بعدها ليست جملة مستقلة ولو كانت
انما دالة على الحصر لزم ان يقال انه لم يوح اليه شيء الا التوحيد قال شهاب الدين الحصر بحسب كل مقام على ما يناسبه
فقد يكون هذا المقام يقتضي الحصر في ايجاد الوحدانية لشيء جرى من انكار الكفار لوحدانيته سبحانه وان لم يوح اليه
شيئا وهذا كما اجاب الناس عن هذا الاشكال الذي ذكره الشيخ في قوله انما انت منذر انما انا بشر انما الحيوة الدنيا لعب
ولهو وزينة الى غير ذلك وما في قوله انما يوحي يجوز فيه وجهان احدهما ان تكون كافة وقد تقدم والثاني ان تكون موصولة
كهي في قوله تعالى انما صنعوا ويكون الخبر هو الجملة من قوله انما الهكم اله واحد تقديره ان الذي يوحي الي هذا هو الحكم
قوله تعالى فهل انتم مسلمون استفهام في معنى الامر اي اسلموا كقوله فهل انتم منتهون اي انتهوا قوله تعالى
فان تولوا فقل آذنتكم على سواء آذنتكم اعلمتكم فالهمزة فيه للنقل قال الزمخشري آذن منقول من اذن اذا علم ولكنه
كثر استعماله في الجري مجرى الانذار ومنه قوله تعالى فاذنوا بحرب ومنه قول ابن حلزة * آذنتنا ببينها اسماء * وقد
تقدم تحقيق هذا في البقرة قوله تعالى على سواء في محل نصب على الحال من الفاعل والمفعول معا اي مستوين في العلم
بما اعلمتكم به لم يطو عن احد منكم فصل قال ابو مسلم الانذار على السواء الدعاء الى الحرب مجاهرة كقوله
فانبذ اليهم على سواء وفائدة ذلك انه كان يجوز ان يقدر من اشرك ان حاله مخالف لسائر حال الكفار في المجاهرة
فاعلمهم بذلك انهم كالكفار في ذلك اي اعلمتكم بالحرب وان لا صلح بيننا اي على سواء اي انذار بينا لنا فهموا
لما اريدكم اي آذنتكم على وجه يستوي بحق وانتم في العلم به وقيل المعنى فقد اعلمتكم ما هو الواجب عليكم من التوحيد وغيره
على سواء في البلاغ والبيان لاني بعثت معلما والغرض منه ازاحة العذر لئلا يقولوا ربنا لولا ارسلت الينا رسولا وقيل
لتستوي في الايمان وقيل آذنتكم على سواء على مهل اي لا اعاجل بالحرب الذي آذنتكم بل امهل واؤخر رجاء اسلامكم وان
ادري لعله فتنة لكم بفتح الياء وخرجت على الياء او على التشبيه بياء الاضافة على ان ابن مجاهد نحو هذه القراءة البتة
وقال ابو جني هو غلط لان ان نافية لا عمل لها ونقل ابو البقاء عن غيره انه قال في تخريجها انه القى حركة الهمزة على الياء فتحركت
وبقيت الهمزة ساكنة فابدلت الفا لانفتاح ما قبلها ثم ابدلت همزة متحركة لانها في حكم المبتدا بها والابتدا بالساكن
محال وهذا التخريج متكلف لا حاجة اليه ونسبة راويها عن ابن عباس الى الغلط من هذا التكليف فانها قراءة شاذة
منكورة وهذا التخريج وان نفع في الاولى فلا يجري في الثانية شيئا وسياتي قريب من ادعاء قلب الهمزة الفا ثم قلب
الالف همزة في سبا ان شاء الله تعالى وبذلك يتبين الخطا في التخريج المذكور والجملة الاستفهامية في محل نصب
بادري لانها معلقة لها عن العمل واخر المستفهم عنه لكونه فاصلة ولو وسط لكان التركيب اقريب ام بعيد ما توعدون
جيد ولكنه اخر رعاية لرؤوس الاي وما توعدون يجوز ان يكون مبتدا وما قبله خبر عنه ومعطوف عليه وجوز ابو البقاء
فيه ان يرتفع فاعلا بقريب قال لانه اعتمد على الهمزة قال ويخرج على قول البصريين ان يرتفع ببعيد لانه اقرب اليه
يعني انه يجوز ان يكون المسالة من التنازع فان كلا من الوصفين يصح تسلطه على ما توعدون من حيث المعنى فصل
المعنى وما ادري اقريب ام بعيد ما توعدون يعني يوم القيمة او من عذاب الدنيا وقيل الذي آذنتكم به من الحرب لا اعلم
هو قريب ام بعيد لئلا يقدر ان يتاخر وذلك ان السورة مكية وكان الامر بالجهاد بعد الهجرة وقيل ما توعدون
من غلبة المسلمين عليكم قوله تعالى انه يعلم الجهر من القول ويعلم ما تكتمون والمقصود منه الامر بالاخلاص
وترك النفاق ومن القول من حال الجهر قوله تعالى لعله فتنة الظاهر ان هذه الجملة معلقة لادري والكوفيون
يجرون الترجي مجرى الاستفهام في ذلك الا ان البصريين لم يعدوا من المعلقات لعل وهي ظاهرة في ذلك كهذه
الاية وكقوله تعالى وما يدريك لعل الساعة قريب فصل المعنى وما ادري لعل تاخير العذاب عنكم
او لعل ابهام الوقت الذي ينزل عليكم العذاب فتنة لكم اي بلية لكم والفتنة البلوى والاختبار وقيل لعل
تاخير الجهاد فتنة لكم اذ انتم دمتم على كفركم وقيل لعل ما بينت لكم فتنة لكم لانه زيادة في عذابهم اذا لم يؤمنوا ومتاع
الى حين وتمتعون الى انقطاع آجالهم قوله تعالى قل رب احكم بالحق قرا حفص عن عاصم قال رب خبرا عن الرسول
صلى الله عليه وسلم والباقون قل على الامر وقرا الباقون رب بكسر الباء اجتزاء بالكسرة عن ياء الاضافة وهي الفصحى وقرا
ابو جعفر بضم الباء فقال صاحب اللوامح انه منادى مفرد ثم قال وحذف حرف النداء فيما كان وما يكون وصفا
لاي بعيد بابه الشعر قال شهاب الدين وليس هذا من المنادى المفرد بل نص بعضهم على ان هذه بعض اللغات الجائزة في المضاف

الى ياء المتكلم حالة ندائه وقرا العامة احكم على صورة الامر وقرا ابن عباس وعكرمة وابن يعمر ربي بسكون الياء احكم
افعل تفضيل فهما مبتدا وخبر وقرا احكم بفتح الميم كاكرم على انه فعل ماض في محل خبر ايضا ربي وقرا العامة تصفون
بالخطاب وقرا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ابي رضي الله عنه يصفون بالياء من تحت وهي مروية ايضا عن عاصم
وابن عامر والغيبة والخطاب واضحان فصل المعنى رب اقض بيني وبين قومي بالحق اي بالعذاب والحق
هاهنا بمعنى العذاب كانه استعجل لهم العذاب نظيره ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق فلا جرم حكم الله عليهم بالقتل
يوم بدر وقال اهل المعاني رب احكم بحكمك الحق فحذف الحكم واقيم الحق مقامه والله يحكم بالحق طلب او لم يطلب ومعنى
الطلب ظهور الرغبة من الطالب للحق وقيل المعنى افصل بيني وبينهم بما يظهر الحق للجميع وهو ان ينصرني عليهم قوله
تعالى وربنا الرحمن المستعان على ما تصفون من الكذب والباطل وقيل كانوا يطمعون ان لهم الشوكة والغلبة
فكذب الله ظنونهم وخيب آمالهم ونصر رسوله والمؤمنين فصل روي عن ابي بن كعب قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم من قرا سورة اقترب للناس حسابهم حاسبه الله حسابا يسيرا وسلم عليه كل نبي ذكر اسمه في القران

سورة الحج سبعون وثمان آيات مكية

بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى يا ايها الناس اتقوا ربكم اي احذروا عقابه والامر بالتقوى
يتناول اجتناب المحرمات واجتناب ترك الواجبات قوله تعالى ان زلزلة الساعة الزلزلة شدة حركة الشيء
ويجوز في هذا المصدر وجهان الاول ان يكون مضافا لفاعله وذلك على تقديرين احدهما ان يكون من زلزل
اللازم بمعنى تزلزل اللازم فالتقدير ان تزلزل الساعة والثاني ان يكون من زلزل المتعدي ويكون المفعول
محذوفا تقديره ان زلزال الناس الساعة كذا قدره ابو البقاء والاحسن ان يقدر ان زلزال الساعة الارض يدل عليه
قوله عز وجل اذا زلزلت الارض ونسبة التزلزل او الزلزال الى الساعة على سبيل المجاز الوجه الثاني ان يكون المصدر
مضافا الى المفعول به على طريقة الاتساع في الظرف كقوله * طباخ ساعات الكرى زاد الكسل * وقد اوضح الزمخشري
ذلك بقوله ولا تخلو الساعة من ان تكون على تقدير الفاعلة لها كانها هي التي تزلزل الاشياء على المجاز الحكمي فتكون الزلزلة
مصدرا مضافا الى فاعله او على تقدير المفعول فيها على طريقة الاتساع في الظرف واجرائه مجرى المفعول به كقوله
مكر الليل والنهار فصل اختلفوا في وقت هذه الزلزلة فقال علقمة والشعبي هي من اشراط الساعة قبل
قيام الساعة ويكون بعدها طلوع الشمس من مغربها قال ابن عباس زلزلة الساعة قيامها فتكون معها روي عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم في حديث الصور انه قرن عظيم ينفخ فيه ثلاث نفخات نفخة الفزع ونفخة الصعق ونفخة القيامة
وان عند نفخة الفزع تسير الله تعالى الجبال وترجف الراجفة تتبعها الرادفة قلوب يومئذ واجفة وتكون الارض
كالسفينة تضربها الامواج او كالقنديل المعلق ترججه الرياح وقال مقاتل وابن زيد هذا في اول يوم من ايام الاخرة
وليس في هذه الاية دلالة على شيء من هذه الاقوال قوله تعالى يوم ترونها فيه اوجه الاول انه منتصب بتذهل ولم
يذكر الزمخشري غيره والثاني انه منصوب بعظيم الثالث انه منصوب باضمار اذكر الرابع انه بدل من الساعة وانما
فتح لانه بني لاضافته الى الفعل وهذا انما يتمشى على قول الكوفيين وتقدم تحقيقه آخر المائدة الخامس انه بدل من
زلزلة لانه بدل اشتمال لان كلا من الحدث والزمان يصدق عليه انه مشتمل على الاخر ولا يلزم ان ينتصب بزلزلة
لئلا يلزم الفصل بين المصدر وبين معموله بالخبر قوله تعالى ترونها في هذا الضمير قولان اظهرهما انه ضمير
الزلزلة لانه المحدث عنها ويؤيده ايضا تذهل كل مرضعة والثاني انه ضمير الساعة فعلى الاول يكون الذهول والوضع
حقيقة لانه في الدنيا وعلى الثاني ان يكون على سبيل التعظيم والتهويل وانها بهذه الحيثية اذ المراد بالساعة
القيامة وهو كقوله تعالى يوما يجعل الولدان قوله تعالى تذهل في محل نصب على الحال من ها في ترونها فان
الرؤية بصرية وهذا انما يجيء على غير الوجه الاول واما الوجه الاول وهو ان يذهل ناصب ليوم ترونها فلا محل للجملة
من الاعراب لانها مستانفة او يكون محلها النصب على الحال من الزلزلة او من الضمير في عظيم وان كان مذكرا لانه
هو الزلزلة في المعنى او من الساعة وان كان مضافا اليها لانها اما فاعل او مفعول كما تقدم واذا جعلناها حالا
فلا بد من ضمير محذوف تقديره تذهل فيها وقرا العامة تذهل بفتح التاء والهاء من ذهل عن كذا يذهل وقرا ابن
ابي عبلة واليماني بضم التاء وكسر الهاء ونصب كل على المفعول به من اذهله كذا يذهله عنه بالهمزة والذهول الاشتغال

عن الشيء وقيل إذا كان مع دهشة وقيل إذا كان لطرو شاغل من هم أو مرض ونحوهما وذهل ابن شيبان لصلاته
من هذا والمرضعة هي التي تلبست بالفعل والمرضع من شأنها أن ترضع كحائض فإذا أريد التلبس قيل حائضة قال الزمخشري
فإن قلت لم قيل مرضعة دون مرضع قلت المرضعة التي هي في حال الإرضاع ملقمة ثديها للصبي والمرضع التي
من شأنها أن ترضع وإن لم تباشر الإرضاع في حال وصفها به والمعنى أن من شدة الهول تذهل هذه عن ولدها فكيف بغيرها
وقال بعض الكوفيين المرضعة يقال للأم والمرضع يقال للمستأجرة وغير الأم وهذا مردود بقول الشاعر

• كمرضعة أولاد أخرى وضيعت • بني بطنها هذا الضلال عن القصد •

وأطلق المرضعة بالتاء على غير الأم وقول العرب مرضعة يرد أيضا قول الكوفيين أن الصفات المختصة بالمؤنث
لا يلحقها تاء التأنيث نحو حائض وطالق والذي يقال أن قصد النسب فالأمر على ما ذكروا وإن قصدوا الدلالة
على التلبس بالفعل وجبت التاء فيقال حائضة وطالقة وطامثة **قوله تعالى** عما أرضعت يجوز فيها أن
تكون مصدرية أي عن إرضاعها ولا حاجة إلى حذف وعلى هذا ويجوز أن يكون بمعنى الذي فلا بد من حذف عائد
أي أرضعته ويقويه تعدي تضع إلى مفعول به دون مصدر والحمل بالفتح ما كان بالبطن أو على رأس شجرة وبالكسر
ما كان على ظهر **قوله تعالى** وترى الناس سكارى قرأ العامة سكارى على فتح التاء في ترى على خطاب الواحد
وقرأ زيد بن علي بضم التاء وكسر الراء على أن الفاعل ضمير الزلزلة أو الساعة وعلى هذه القراءة فلا بد من مفعول
أو المحذوف ليتم المعنى به أي وتري الزلزلة أو الساعة الخلق الناس سكارى ونويت هذه قراءة أبي هريرة وأبي زرعة
وأبي نهيك وترى الناس سكارى بضم التاء وفتح الراء على ما لم يسم فاعله وفتح الناس بنون المتعدي لثلاثة
فالأول قام مقام الفاعل وهو ضمير الخطاب والناس هما سكارى والثاني يجوز أن يكون متعديا لاثنين
فقط على معنى وتري الزلزلة أو الساعة الناس قوما سكارى فالناس هو الأول وسكارى هو الثاني وقرأ
الزعفراني وعباس في اختيار وترى قراءة أبي هريرة رضي الله عنهما إلا أنهما رفعا الناس على أنهما مفعول ما لم
يسم فاعله والتأنيث في الفعل على تأويله بالجماعة وقرأ الأخوان سكرى وما هم بسكرى على وزن وصف المؤنثة
واختلف في ذلك فعلى هذه صيغة جمع على فعلى كمرضى وقتلى أو صفة مفردة استغني بها وصف الجماعة خلاف
مشهور تقدم في قوله أسرى وظاهر كلام سيبويه أنه جمع تكسير فإنه قال وقوم يقولون سكرى جعلوه مثل مرضى
لأنهما شيئان يدخلان على الإنسان ثم جعلوا روبى مثل سكرى وهم المستثقلون نوما من شرب الرائب وقد حكي رجل
سكر بمعنى سكران فيجيء سكرى حينئذ لتأنيث الجمع قال شهاب الدين وورد سكرى بمعنى سكران قوله

• وقد جعلت إذا ما قمت يثقلني ثوبي • فأنهض نهض الشارب السكر •
• وكنت أمشي على اثنين معتدلا • فصرت أمشي على أخرى من الشجر •

وروي البيت الأول الشارب الثمل والأول أصح لدلالة البيت الثاني عليه وقرأ الباقون سكارى بضم السين وقد
تقدم في البقرة خلاف هذه الصيغة جمع تكسير أو اسم جمع وقرأ أبو هريرة وأبو نهيك وعيسى بفتح السين فيهما
وهو جمع تكسير واحده سكران قال أبو حاتم وهي لغة تميم وأبو الحسن والحسن والأعرج وأبو زرعة والأعمش قرأ سكرى
وما هم بسكرى بضم السين فيهما فقال ابن جني هو اسم مفرد كالبشرى بهذا أفتاني أبو علي وقال أبو الفضل فعلى
بضم الفاء من صفة الواحد من الإناث لكنها لما جعلت من صفات الناس وهم جماعة أجريت الجماعة مجرى المؤنثة الواحدة
وقال الزمخشري هو غريب قال شهاب الدين ولا غرابة فإن فعلى بضم الفاء كثير مجيئها في المؤنثة نحو الرجعى والحبلى
وجوز أبو البقاء فيه أن يكون محذوفا من سكارى وكان من حق هذا القارئ أن يحرك الكاف بالفتح إبقاء لها على ما
كانت عليه وقد رواها بعضهم كذلك عن الحسن وقرأ وتري الناس بالياء من تحت ورفع الناس وقرأ أبو زرعة في رواية
سكرى بالفتح وما هم بسكرى بالضم عن ابن جبير كذلك إلا أنه حذف الألف من الأول دون الثاني وإثبات السكر
وعدمه بمعنى الحقيقة والمجاز أي وترى الناس سكرى على التشبيه وما هم بسكرى على التحقيق قال الزمخشري
فإن قلت لم قيل أولا ترون ثم قيل ترى على الإفراد **قلت** لأن الرؤية أولا علقت بالزلزلة فجعل الناس
جميعا رائين لها وهي معلقة آخرا بكون الناس على حال السكر فلا بد أن يجعل كل واحد منهم رائيا لسائرهم
فصل روي أن هاتين الآيتين نزلتا بالليل في غزوة بني المصطلق والناس يسيرون فنادى رسول
الله صلى الله عليه وسلم فاجتمعوا حوله فقرأها عليهم فلم ير أكثر باكيا من تلك الليلة فلما أصبحوا لم يحطوا السروج
عن الدواب ولم يضربوا الخيام ولم يطبخوا القدور والناس بين باك وجالس حزين متفكر فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم أتدرون أي يوم ذلك اليوم قالوا الله ورسوله أعلم قال ذلك يوم يقول الله لآدم صلى الله عليه وسلم

قم فابعث بعث النار من ولدك فيقول آدم وما بعث النار فيقول الله عز وجل من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين
إلى النار وواحد إلى الجنة فعند ذلك يشيب الصغير وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى
قال فيقولون وأينا ذلك الواحد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم تسعمائة وتسعة وتسعين من يأجوج ومأجوج
ومنكم واحد وفي رواية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أبشروا وسددوا وقاربوا فإن فيكم خليقتين ما كانتا
في قوم إلا كثرتاه يأجوج ومأجوج ثم قال إني لأرجو أن تكونوا ربع أهل الجنة فكبروا وحمدوا الله تعالى
ثم قال إني لأرجو أن تكونوا نصف أهل الجنة إن أهل الجنة مائة وعشرون صفا ثمانون منها أمتي فما المسلمون في الكفار
إلا كالشامة في جنب البعير أو كالشعرة البيضاء في الثور الأسود ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخل من أمتي سبعون
ألفا الجنة بغير حساب فقال عمر رضي الله عنه سبعون ألفا قال نعم ومع كل واحد سبعون ألفا فقام عكاشة بن محصن وقال
يا رسول الله ادع الله أن يجعلني منهم قال أنت منهم فقام رجل من الأنصار وقال مثل قوله فقال سبقك بها عكاشة فخاض الناس
في السبعين ألفا فأخبروا رسول الله صلى الله عليه وسلم بما قالوا فقال صلى الله عليه وسلم هم الذين لا يكتوون ولا يسترقون ولا
يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون **فصل** معنى الآية قال ابن عباس رضي الله عنهما تذهل تشغل وقيل تنسى
كل مرضعة إذا شاهدت ذلك الهول وقد ألقمت ثديها ولدها نزعته من فيها لما يلحقها من الدهشة عما أرضعت أي عن إرضاعها
أو عن الذي أرضعته وهو الطفل وتضع كل ذات حمل حملها أي تسقط ولدها التمام وغير التمام قال الحسن وهذا يدل
على أن هذه الزلزلة تكون في الدنيا لأن بعد البعث لا يكون حمل قال القفال ويحتمل أن يكون من ماتت حاملا أو مرضعة
بعثت حاملا ومرضعة تضع حملها من الفزع ويحتمل أن يكون المراد من ذهول المرضعة ووضع الحامل على جهة المثل كما
قالوا قوله تعالى يوما يجعل الولدان شيبا وترى الناس سكارى من الخوف وما هم بسكارى من الشراب وقيل معناه كأنهم
سكارى ولكن ما رهقهم من خوف عذاب الله هو الذي أذهب عقولهم فإن قيل هل يحصل ذلك الخوف لكل أحد أو لأهل
النار قوم خاصة فالجواب قال قوم إن الفزع الأكبر وغيره مختص بالكل لأنه تعالى لا اعتراض عليه في شيء من أفعاله
فإن قيل احتجت المعتزلة بقوله تعالى إن زلزلة الساعة شيء عظيم وصفها بأنها شيء مع أنها معدومة وبقوله سبحانه إن الله
على كل شيء قدير فالشيء الذي قدرة الله سبحانه عليه إما أن يكون موجودا أو معدوما والأول محال وإلا لزم كون القادر
قادرا على إيجاد الموجود وإذا بطل هذا ثبت أن الشيء الذي قدرة الله عليه معدوم فالمعدوم شيء واحتجوا أيضا بقوله
ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غدا إلا أن يشاء الله أطلق اسم الشيء على المعدوم في الحال والمعدوم شيء فالجواب
عن الأول أن الزلزلة عبارة عن الأجسام المتحركة وهي جواهر قامت بها أعراض وتحقق ذلك في حال العدم محال فالزلزلة
يستحيل أن تكون شيئا عند عدمها فلا بد من التأويل ويكون المعنى أنها إذا وجدت صارت شيئا وهذا هو الجواب عن الباقي
قوله تعالى ومن الناس من يجادل الآية في النظم وجهان الأول أنه أخبر فيما تقدم عن أهوال القيامة وشدتها ودعا
الناس إلى تقوى الله عز وجل ثم بين في هذه الجملة قوما من الناس الذين ذكروا في الأولى وأخبر عن مجادلتهم الثاني أنه تعالى
بين أنه مع هذا التحذير الشديد بذكر زلزلة الساعة وشدائدها قال ومن الناس من يجادل في الله بغير علم **قوله تعالى**
من يجادل يجوز أن تكون نكرة موصوفة وأن تكون موصولة وفي الله أي في صفاته وبغير علم مفعول به أو حال من فاعل
يجادل وقرأ زيد بن علي ويتبع مخففا **فصل** قال المفسرون نزلت في النضر بن الحارث كان كثير الجدل وكان يقول
الملائكة بنات الله والقرآن أساطير الأولين وكان ينكر البعث وإحياء من صار ترابا ويتبع في جداله في الله بغير علم
كل شيطان مريد والمريد المتمرد والمستمر في الشر يعني شياطين الإنس وهم رؤساء الكفار الذين يدعون من دونهم مزيدة
على الكفر وقيل أراد إبليس وجنوده قال الزجاج المريد والمارد الأملس يقال امرأة مرداء أي ملساء ويجوز أن يستعمل في غير
الشيطان إذا جاوز حد مثله **قوله تعالى** كتب عليه أنه قرأ العامة كتب مبنيا للمفعول وفتح أن في الموضعين وفي ذلك
وجهان الأول أنه وما في حيزه في محل رفع لقيامه مقام الفاعل والهاء في عليه وفي أنه تعود على من المتقدم الثاني يجوز
أن تكون شرطية والفاء جوابها وأن تكون موصولة والفاء زائدة في الخبر لشبه المبتدأ بالشرط وفتحت أن الثانية لأنها وما في
حيزها في محل رفع خبر المبتدأ المحذوف تقديره فشأنه وحاله أن يضله أو بتقدير فإنه المبتدأ والخبر محذوف أي فله أن يضله
قال الزمخشري ومن فتح فلأن الأول فاعل كتب والثاني عطف عليه قال أبو حيان وهذا لا يجوز لأنك إذا جعلت فإنه
عطفا على أنه بقيت أنه بلا استيفاء خبر لأن من تولاه من فيه مبتدأ وإن قدرتها موصولة فلا خبر لها حتى تستقل خبرا
لأنه وإن جعلتها شرطية فلا جواب لها إذا جعلت فإنه عطفا على أنه قال شهاب الدين وقد ذهب ابن عطية إلى قول الزمخشري
فإنه قال وأنه في موضع رفع على المفعول الذي لم يسم فاعله وأما الثانية فعطف على الأولى وهذا واضح وقرئ مبنيا للفاعل
أي كتب الله فأن وما في حيزها في محل نصب على المفعول به وما في الآية على ما تقدم وقرأ الأعمش عن أبي عمرو إنه فإنه بكسرهما

المريتين وقال ابن عطية وقرا ابي عمرو انه فانه بالكسر فيهما وهذا يوهم انه منهو عنه وليس كذلك وفي تخريج
هذه القراءة ثلاثة اوجه ذكرها الزمخشري الاول ان تكون قبل حكاية المكتوب كما انه قيل كتب عليه هذا اللفظ كما تقال
كتب عليه ان الله هو الغني الحميد الثاني ان تكون على اضمار الثالث ان كتب فيه معنى قيل قال ابو حيان اما تقدير قيل اعني
فيكون عليه في موضع ما لم يسم فاعله وانه تولاه لا تكون الجملة مفعولة ما لم يسم فاعله لقيل المضمرة وهذا ليس مذهب
البصريين لانه لا تكون عندهم الا ما بعد القول الصريح لا ما هو بمعناه والضميران في انه عليه فانهما عايدان على من كالاولى
الاولى على ما تقدم وكذلك الضماير في تولاه وفانه والمرفوع في يضله ويهديه عايد على من الثانية وقيل الضمير في عليه
لكل شيطان وفي فانه يعود على من الذي هو المتولي **فصل** قيل معنى كتب عليه اي كانما كتب اضلال من تولاه
عليه لظهور ذلك في حاله وقيل كتب عليه في ام الكتاب واعلم ان هذا الكلام يحتمل ان يكون راجعا الى من يجادل وان
يرجع الى الشياطين وان رجع الى من يجادل فانه يرجع الى لفظة الذي فانه موحد فكانه قال من يتبع الشيطان اضله
عن الجنة وهداه الى النار وهذا زجر منه فكانه قال كتب على من هذا حاله ان يكون اصلا لهذا الوعد وان يكون راجعا
الى الشيطان كان المعنى ويتبع كل شيطان مريد قد كتب عليه انه من تولاه فهو ضال وعلى هذا الوجه ايضا يكون زاجرا
عن اتباعه **قوله تعالى** يا ايها الناس ان كنتم في ريب من البعث الاية لما حكى عنهم الجدال بغير علم في اثبات الحشر والنشر
وذمهم عليه اتبعه بالحجة واورد الدلالة على صحة ذلك من وجهين الاول الاستدلال بخلقة الحيوان اولا ثم بخلقة
النبات ثانيا وهذا موافق لما اجمله في قوله تعالى قل يحييها الذي انشاها اول مرة وقوله فسيقولون من يعيدنا قل الذي
فطركم اول مرة فكانه تعالى قال ان كنتم في ريب اي شك من البعث تفكروا في خلقتكم الاولى لتعلموا ان القادر على خلقكم
اولا قادر على خلقكم ثانيا **قوله تعالى** من البعث يجوز ان يكون متعلقا بريب وان يتعلق بمحذوف على انه صفة لريب
وقرا الحسن بفتح العين وهي لغة كالطرد والطرد والحلب والحلب في الطرد والحلب بالسكون قال ابو حيان والكوفيون اسكان العين عندهم
تخفيف فيما وسطه حرف حلق كالنهر والنهر والشعر والشعر والبصريون لا يقيسونه وما ورد من ذلك هو عندهم مما جاء فيه
لغتان وهذا يوهم ظاهره ان الاصل البعث بالفتح وانما خفف وليس الامر كذلك وانما محل النزاع اذا سمع الحلقي مفتوح
يجوز تسكينه ام لا لانه كلما جاء ساكن العين من الحلقي يدعي ان اصلها الفتح كما هو ظاهر عبارته **قوله تعالى** فانا
خلقناكم من تراب اي خلقنا اصلكم وهو ادم عليه السلام من تراب نظيره قوله تعالى كمثل ادم خلقه من تراب وقوله تعالى
منها خلقناكم ويحتمل ان خلقة الانسان من المني ودم الطمث وهما يتولدان من الاغذية اما حيوان او نبات وغذاء الحيوان
ينتهي الى النبات قطعا للتسلسل والنبات انما يتولد من الارض والماء فصح قوله انا خلقناكم من تراب **فصل**
قال النووي في التهذيب التراب معروف والصحيح المشهور قال الفراء والمحققون انه جنس لا يثنى ولا يجمع ونقل
ابو عمرو الزاهد في شرح الفصيح عن المبرد انه قال جمع واحده ترابة والنسبة الى التراب ترابي وذكر ابن النحاس في كتابه
صناعة الكتاب في التراب ثنتي عشرة لغة فقال التراب وتورب على وزن جعفر وتوارب وترب وترب بفتح الراء والاثلب
والاثلب الاولى بكسر الهمزة واللام والثاني بفتحهما والثاء مثلثة فيهما ومنه قولهم بفيه الاثلب وهو الكثكث وبالثاء
المثلثة المكررة والكثكث بكسر الكافين والدقعم بكسر الدال والعين والدقعا بالمد والرغام بفتح الراء والغين المعجمة
ومنه رغم الله انفه اي الصقه بالتراب وصبا مفتوح الباء الواحدة كالعصي والكلخ بكسر الكاف والخاء المعجمة واسكان اللام
بينهما والكلخ بكسر الكاف واسكان الميم والخاء ايضا معجمة والعثير بكسر العين المهملة وكسر الثاء المثلثة وبعدها ياء مثناة من تحت
مفتوحة **قوله تعالى** ثم من نطفة والنطفة اسم الماء القليل اي ماء كان وهو هنا ماء الفحل وجمعها نطاف
فكانه سبحانه يقول انا الذي قلبت ذلك التراب ماء لطيفا مع انه لا مناسبة بينهما والمراد من الخلق النطفة الذي
قوله تعالى ثم من علقة العلقة قطعة الدم الجامدة والجمع علق ولا شك ان بين الماء وبين الدم الجامد مباينة
شديدة وعن بعضهم وقد يمثل في صعب الاشياء فيقال وقع الزلق على العلق اي على دم القتلى في المعركة **قوله تعالى**
ثم من مضغة المضغة القطعة من اللحم قدر ما يمضغ نحو الغرفة والاكلة بمعنى المغروفة والماكولة **قوله تعالى**
مخلقة وغير مخلقة العامة على الجر في مخلقة وفي غير على النعت وقرا ابن ابي عبلة بنصبهما على الحال من النكرة وهو قليل
جدا وان كان سيبويه قاسه المخلقة الملساء التي لا عيب فيها من قولهم صخرة خلقاء اي ملساء وخلقت السواك سويته ولينته
وقيل التضعيف في مخلقة دلالة على تكثير الخلق لان الانسان ذو اعضاء متباينة وخلق متفاوت قاله الشعبي
وقتادة وابو العالية وقال ابن عباس وقتادة رضي الله عنهما مخلقة تامة الخلق وغير مخلقة اي ناقصة الخلق وقال
مجاهد مصورة وغير مصورة وهو السقط وقيل المخلقة من تمت فيه احوال الخلق وغير المخلقة لم يتم فيه احوال الخلق قال قتادة والضحاك
وقيل المخلقة الولد الذي تاتي به المراة لوقته وغير المخلقة السقط **فصل** روى علقمة عن ابن مسعود قال ان النطفة

اذا استقرت في الرحم اخذها ملك بكفه وقال اي رب مخلقة وغير مخلقة فان قال سبحانه غير مخلقة قذفها في
الرحم دما ولم تكن نسمة وان قال تعالى مخلقة قال الملك اي رب ذكر ام انثى اشقي ام سعيد ما الاجل ما العمل ما الرزق
وباي ارض يموت فيقال له اذهب الى ام الكتاب فانك تجد كل ذلك فيذهب فيجدها في ام الكتاب فينسخها ولا تزال
معه حتى ياتي على اخر صفته **قوله تعالى** لنبين لكم اي لنبين لكم كمال قدرتنا وحكمتنا في تصوير اطوار خلقكم لتستدلوا
بقدرته في ابتداء الخلق على قدرته على الاعادة وقيل لنبين لكم ان تغيير الصفة والخلقة هو اختيار من الفاعل المختار
ولولاه لما صار بعضه مخلقا وبعضه غير مخلق وقيل لنبين لكم ما تاتون وما تذرون وما تحتاجون اليه في [illegible]
قوله تعالى ونقر في الارحام ما نشاء العامة على رفع ونقر لانه مستانف وليس علة لما قبله فينصب نسقا على
ما تقدم وقرا يعقوب وعاصم في رواية بنصبه قال ابو البقاء ان يكون معطوفا في اللفظ والمعنى مختلف لان اللام
في لنبين لكم للتعليل واللام المقدرة مع نقر للصيرورة وفيه نظر لان قوله معطوفا في اللفظين فعلى قوله فاللام للعلة
فان تقدير اللام يقتضي النصب باضمار ان بعدها لا بالعطف على ما قبله والفاعل هو الله تعالى كما في قراءة النون
وقرا يعقوب في رواية ونقر بفتح النون وضم القاف ورفع الراء من قر الماء يقره اي صبه وقرا ابو زيد النحوي ونقر
بفتح الياء من نخرج وكسر القاف ونصب الراء ويقر الله وهو من قر الماء اذا صبه وفي الكامل لابن حيان لنبين ونقر ثم نخرجكم
وبالنصب فيهن يعني وبالنون في الجميع فان قيل الفصل بالياء فيهما ابو حاتم وبالياء والرفع ابو السمال انتهى
فالجواب قال الزمخشري والقراءة بالرفع اخبار بانه يقر في الارحام ان يقره ثم قال والقراءة بالنصب تعليل معناه
خلقناكم مدرجين هذا التدريج لغرضين احدهما ان نبين قدرتنا والثاني ان نقر في الارحام من نقر حتى يولدوا
وينشؤوا ويبلغوا حد التكليف فاكلفهم ويعضد هذه القراءة قوله تعالى ثم لتبلغوا اشدكم قال ابو حيان الذي تسميته
مثل هذه الافعال المسندة الى الله تعالى غرضا لا يجوز وقرا ابن وثاب نشاء بكسر النون وهو كسر حرف المضارعة
كما تقدم في قوله تعالى نستعين والمراد بالاجل المسمى يعني نقر في الارحام ما نشاء فلا نمحه ولا نسقطه الى اجل
مسمى وهو حد الولادة وهو اخر ستة اشهر او تسعة اشهر او اربع سنين كما شاء وقدر تمام الخلق والمدة **قوله تعالى**
ثم نخرجكم طفلا اي ثم نخرجكم من بطون امهاتكم طفلا حال من مفعول نخرجكم وانما وحد لانه في الاصل مصدر كالرضى
والعدل فيلزم الافراد والتذكير قاله المبرد واما انه مراد به الجنس ولان العرب تذكر الجمع باسم الواحد قال تعالى
والملائكة بعد ذلك ظهير واما لان المعنى نخرج كل واحد نحو القوم يشبعهم رغيف اي كل واحد منهم وقد يطابق به ما يراد
به فيقال طفل واطفال وفي الحديث سئل عن اطفال المشركين والطفل يطلق على الولد من حين الانفصال الى البلوغ
واما الطفل بالفتح فهو الناعم والمراة طفلة قال الشاعر

ولقد هويت بطفلة ميالة ● بلهاء تطلعني على اسرارها

وقال الاخر

احببت في الطفلة القبلا ● لا كثيرا يشبه الحولا

اما الطفيل بفتح الطاء والفاء فوقت ما بعد العصر من قولهم طفلت الشمس اذا مالت للغروب وطفلت المراة اذا
صارت ذات طفل **قوله تعالى** ثم لتبلغوا اشدكم الاشد كمال القوة والعقل وهو من الفاظ الجموع التي لا واحد لها
فبنيت لذلك على لفظ الجمع والمعنى انه يمهل في تربيتكم ويعدكم امورا الى اشدكم فنبه بذلك على الاحوال التي من خروج
الطفل من بطن امه وبين بلوغ الاشد لان بين الحالتين وسايط **قوله تعالى** ومنكم من يتوفى العامة على ضم الياء
من يتوفى وقرات فرقة يتوفى بفتح الياء وفيه تخريجان الاول ان الفاعل ضمير الله تعالى اي يتوفاه الله تعالى كذا قدره
الزمخشري الثاني ان الفاعل ضمير من اي يتوفى اجله وهذه القراءة كالتي في البقرة والذين يتوفون منكم اي يتوفون
مددهم ومعنى الاية ومنكم من يتوفى على قوته وكماله ومنكم من يرد الى ارذل العمر وهو الهرم والخرف فيصير كما كان
في اول الطفولية ضعيف البنية سخيف العقل قليل الفهم وروي عن ابي عمرو ونافع انهما قرا العمر بسكون الميم وهو
تخفيف قياسي نحو عنق في عنق **قوله تعالى** لكيلا يعلم هذا الجار متعلق بيرد وتقدم نظيره في النحل والمعنى
يبلغ من السن ما يتغير عقله فلا يعقل شيئا فان قيل انه يعلم بعض الاشياء كالطفل فالجواب المراد انه يزول
عقله فيصير كالذي لا يعلم شيئا لان مثل ذلك قد يقال في النفي مبالغة ومن الناس من قال هذه الحال لا تحصل
للمؤمنين لقوله تعالى ثم رددناه اسفل سافلين الا الذين امنوا وهو ضعيف لان معنى قوله ثم رددناه دلالة
على الذم فالمراد ما يجري مجرى العقوبة ولذلك قال تعالى الا الذين امنوا وعملوا الصالحات فلهم اجر غير ممنون
فهذا تمام الاستدلال بخلقة الحيوان واما الاستدلال بالنبات فهو **قوله تعالى** وترى الارض هامدة
فنصب هامدة على الحال لان الرؤية بصرية والهمود السكون والخشوع وهمدت الارض يبست ودرست وهمد

وهمد الثوب بلي قال الاعشى ٭ قالت قتيلة ما لجسمك شاحبا ٭ وارى ثيابك باليات همدا ٭ والاهتزاز
التحرك ويجوز به هنا عن انبات الارض نباتها بالماء والجمهور على ربت اي زادت من ربا يربو وقرا ابو جعفر وعبد الله
ابن جعفر وابو عمرو في رواية وربأت بالهمز اي ارتفعت يقال ربا بنفسه عن كذا اي ارتفع عنه ومنه الربيئة
وهو من يطلع على موضع عال لينظر للقوم ما ياتيهم وهو عين القوم ويقال له ربي ايضا قال الشاعر ٭
بعثنا ربيئا قبل ذلك مخملا ٭ كذئب الغضا يمشي الضراء ويتقي ٭
قوله تعالى من كل زوج فيه وجهان احدهما انه صفة للمفعول المحذوف تقديره وانبتت الوانا وانواعا من كل
زوج الثاني انه مزيدة اي انبتت كل شيء وهذا ماش عند الكوفيين والاخفش والبهيج الحسن الذي يسر الناظر وقد
بهج بالضم بهاجة وبهجة اي حسن وابهجني كذا اي سرني حسنه **فصل** المعنى وترى الارض هامدة يابسة
لا نبات فيها فاذا انزلنا عليها الماء اي المطر اهتزت تحركت بالنبات والاهتزاز الحركة على سرور وربت اي ارتفعت وزادت
وذلك لان الارض ترتفع وتنتفخ فذلك تحركها وقيل فيه تقديم وتاخير معناه ربت واهتزت قال المبرد اراد
اهتزت وربا نباتها فحذف المضاف والاهتزاز الحركة على سرور وربت اي ارتفعت وزادت وذلك لان الارض
ترتفع وتنتفخ فذلك تحركها والاهتزاز في النبات اظهر يقال اهتز النبات اي طال وانما انث لذكر الارض وانبتت
من كل زوج بهيج وهذا مجاز لان الارض لا تنبت وانما المنبت هو الله تعالى لكنه يضاف اليها توسعا ومعنى من كل
زوج بهيج وهذا مجاز لان الارض لا تنبت وانما المنبت هو الله تعالى لكنه يضاف اليها توسعا ومعنى من كل زوج بهيج
اي من كل نوع من انواع النبات والبهجة حسن الشيء ونضارته ثم انه تعالى لما قرر هذين الدليلين رتب عليهما ما هو المطلوب
وذلك **قوله تعالى** ذلك بان الله هو الحق الاية ذلك فيه اوجه الاول انه مبتدا والجار والمجرور بعده والمشار اليه ما تقدم
من خلق بني آدم وتصويرهم حاصل بان الله هو الحق وانه الخ الثاني ان ذلك خبر مبتدا مضمر اي الامر ذلك الثالث ان
ذلك منصوب بفعل مقدر اي فعلنا بان سبب ذلك هو الحق اعني ذلك بسبب ان الله هو الحق فالبا على الاول
مرفوعة المحل وعلى الثاني والثالث منصوبة **قوله تعالى** وان الساعة آتية فيه وجهان احدهما انه عطف على المجرور
بالباء اي ذلك بان الساعة والثاني ليس معطوفا عليه ولا داخلا في حيز السببية وانما هو خبر والمبتدا محذوف
لفهم المعنى والتقدير والامر ان الساعة ولا ريب فيها يحتمل ان يكون هذه الجملة خبرا ثانيا وان يكون حالا **فصل**
المعنى ذلك لتعلموا ان الله هو الحق والحق هو الموجود الثابت فكانه تعالى بين ان هذه الوجوه المتنافية وتواردها
على الاجسام يدل على وجود الصانع وانه يحيي الموتى وهذا تنبيه على انه لما لم يستبعد من الاله ايجاد هذه الاشياء
فكيف يستبعد منه اعادة الاموات وانه على كل شيء قدير اي ان الذي يصح منه ايجاد هذه الاشياء لا بد وان يجب اتصافه
بالقدرة ومن كان كذلك كان قادرا على الاعادة وان الساعة لا ريب فيها وان الله يبعث من في القبور والمعنى انه
تعالى لما اقام الدلالة على ان الاعادة في نفسها ممكنة وانه سبحانه قادر على كل الممكنات وجب القطع بكونه قادرا على
الاعادة واذا ثبت ذلك والصادق اخبر عن وقوعه ولا بد من القطع بوقوعه **قوله تعالى** ومن الناس من يجادل
في الله بغير علم قال ابن عطية هذه الواو للحال والمعنى كانه يقول هذه الامثال في غاية الوضوح ومن الناس مع
ذلك من يجادل وكان الواو للحال والاية المتقدمة الواو فيها واو عطف قال ابو حيان ولا يتخيل ان الواو في ومن
الناس مع ذلك من يجادل واو حال وعلى تقدير الجملة التي قدرها ابن عطية قبله كانه مصرحا بها ولا يتقدر واو حال نظرا لقوله
... مجرور **قوله تعالى** بغير علم يجوز ان يتعلق بيجادل وان يتعلق بمحذوف على انه حال من فاعل يجادل اي ملتبسا
بغير علم اي جاهلا **قوله تعالى** ثاني عطفه حال من فاعل يجادل اي معرضا وهي ايضا لفظية نحو ممطر والعطف
على كسر العين وهو الجانب كنى به عن التكبر والحسن بفتح العين وهو مصدر بمعنى التعطف وصفه بالقسوة ليضل
متعلق اما بيجادل واما بثاني عطفه وقرا العامة بضم الياء من يضل والمفعول محذوف اي ليضل غيره وقرا مجاهد
وابو عمرو في رواية بفتحها اي ليضل هو في نفسه **قوله تعالى** له في الدنيا خزي هذه الجملة تكون حالا مقارنة
اي مستحقا ذلك وان يكون حالا مقدرة وان تكون مستانفة وان زيد بن علي قرا واذيقه بهمزة المتكلم
وعذاب الحريق يجوز ان يكون من باب اضافة الموصوف لصفته اذ الاصل العذاب الحريق اي المحرق كالسميع بمعنى المسمع
فصل قال ابو مسلم ان الاية الاولى واردة في الاتباع المقلدين وهذه الاية واردة في المتبوعين المقلدين
فان كلا المجادلين جادل بغير علم وان كان احدهما تبعا والاخر متبوعا وبين ذلك قوله ولا هدى ولا كتاب منير
فان مثل ذلك لا يقال في المقلدين وانما يقال فيمن يخاصم بناء على شبهة فان قيل كيف يصح ما قلتم والمقلد لا يكون
مجادلا فالجواب يجادل تصويبا للتقليد وقد يورد الشبهة الظاهرة اذا تمكن منها وان كان معتمده الاصلي هو التقليد

وعن

وقيل ان الاية نزلت في النضر بن الحرث وهو قول ابن عباس رضي الله عنه وفائدة التكرير المبالغة في الذم وايضا ذكر
في الاية الاولى اتباعه تقليدا بغير حجة وفي الثانية مجادلته في الدين واضلاله غيره بغير حجة والاول اقرب لما تقدم ودلت
الاية على ان الجدال مع العلم والهدى والكتاب حق حسن والمراد بالعلم العلم الضروري وبالهدى الاستدلال والنظر لانه
يهدي الى المعرفة وبالكتاب المنير الوحي والمعنى يجادل من غير مقدمة ضرورية ولا نظرية ولا سمعية وهي كقوله سبحانه
ويعبدون من دون الله ما لم ينزل به سلطانا وما ليس لهم به علم ثم قال تعالى ثاني عطفه ليضل عن سبيل الله ثني العطف
عبارة عن التكبر والخيلاء قال مجاهد وقتادة لاوي عنقه وقال عطية وابن زيد معرضا وعطفا الرجل جانباه عن يمين
وشمال وهو الموضع الذي يعطفه الانسان اي يلويه ويميله عند الاعراض عن الشيء ونظيره قوله تعالى واذا تتلى عليه
آياتنا ولى مستكبرا وقوله تعالى واذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لووا رؤوسهم ليضل عن سبيل الله من ضم الياء
فمعناه ليضل غيره عن طريق الحق فجمع بين الضلال والكفر واضلال الغير ومن فتح الياء فالمعنى ليضل هو عن دين الله له في الدنيا
خزي عذاب وهوان وهو القتل ببدر فقتل النضر وعقبة بن ابي معيط يوم بدر صبرا ونذيقه يوم القيامة عذاب الحريق
ويقال له ذلك بما قدمت يداك وان الله ليس بظلام للعبيد والكلام في قوله ذلك بان الله كالكلام في قوله ذلك بما
قدمت وكذا قوله وان الله يجوز عطفه على السبب ويجوز ان يكون التقدير والامر ان الله فيكون منقطعا عما قبله
قوله تعالى ظلام مثال مبالغة فان قيل اذا قلت ليس زيد بظلام لا يلزم منه نفي اصل الظلم فان نفي الاصل يستلزم
نفي الاعم **فالجواب** ان المبالغة انما جيء بها لتكثير محلها لان العبيد جمع واحسن من هذا انه ايضا لاهنا للنسبة اي
بذي ظلم لا للمبالغة **فصل** قالت المعتزلة هذه الاية تدل على مطالب الاول دلت على ان العبد انما وقع
في ذلك العذاب بسبب عمله فلو كان فعله خلقا لله تعالى لكان حين خلقه استحال منه ان لا يتصف به فلا يكون ذلك العقاب
بسبب فعله فاذا عاقب عليه كان ذلك محض الظلم وذلك خلاف النص الثاني قوله سبحانه وان الله ليس بظلام للعبيد
يدل على انه سبحانه انما لم يكن ظالما لانه فعل ذلك العذاب وهذا يدل على انه لو عاقب لا بسبب فعل يصدر من جهته لكان ظالما
وهذا يدل على انه لا يجوز تعذيب اطفال الكفار بذنب ابائهم الثالث انه سبحانه تمدح بانه لا يفعل الظلم فوجب انه يكون قادرا
عليه خلافا لما يقول النظام واني يصح ذلك منه خلافا لما يقوله اهل السنة الرابع انه لا يجوز الاستدلال بهذه الاية
على انه تعالى لا يظلم لان عندهم صحة نبوة النبي موقوفة على نفي الظلم فلو اثبتنا ذلك بالدليل السمعي لزم الدور واجاب
ابن عطية عن الكل بالمعارضة بالعلم والداعي **قوله تعالى** ومن الناس من يعبد الله على حرف الاية قال ابن عباس
والحسن وابن جبير ومجاهد وقتادة نزلت في قوم من الاعراب كانوا يقدمون المدينة مهاجرين من باديتهم فكان احدهم
اذا قدم المدينة فصح بها جسمه ونتجت فرسه مهرا حسنا وولدت امرأته وكثر ماله قال هذا دين حسن وقد اصبت فيه خيرا
واطمان اليه واذا اصابه مرض وولدت امرأته جارية واجهضت ماله وقل ماله قال ما اصبت منذ دخلت هذا الدين
الا شرا فينقلب عن دينه وذلك الفتنة فانزل الله تعالى ومن الناس من يعبد الله على حرف قال اكثر المفسرين اي على شك
واصله من حرف الشيء وهو طرفه وقيل على انحراف او على طرف الدين لا في وسطه كالذي يكون في وسط العسكر ٥٥٥
فصل لما بين حال المظهرين للشرك المجادلين فيه عقبه بذكر المنافقين فقال سبحانه ومن الناس من يعبد الله
على حرف وهذا مثل لكونهم على قلق واضطراب في دينهم لا على سكون وطمانينة كالذي يكون على طرف العسكر فان احس
بغنيمة قر والا فر وهذا هو المراد بقوله سبحانه فان اصابه خير اطمان به وان اصابته فتنة انقلب على وجهه قال
الحسن رضي الله عنه هو المنافق يعبد الله بلسانه دون قلبه فان اصابه خير صحة في جسمه وسعة في معيشته اطمان به وسكن
اليه وان اصابته فتنة بلاء في جسده وضيق في معيشته انقلب على وجهه ارتد ورجع الى ما كان عليه في الكفر **فصل**
ذكروا في السبب وجوها الاول ما تقدم والثاني قال الضحاك نزلت في المؤلفة قلوبهم منهم عيينة بن بدر والاقرع بن حابس
والعباس بن مرداس قال بعضهم لبعض ندخل في دين محمد فان اصابنا خير عرفنا انه حق وان كان غير ذلك عرفنا انه باطل
الثالث قال ابو سعيد الخدري اسلم رجل من اليهود فذهب بصره وماله وولده فقال يا رسول الله اقلني فاني ما اصبت
من ديني هذا خيرا ذهب بصري ومالي وولدي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الاسلام لا يقال ان الاسلام يسبك
كما تسبك النار خبث الحديد والذهب والفضة ونزلت هذه الاية وهنا اشكال وهو ان المفسرين اجمعوا على ان هذه
السورة مكية الا ست ايات ذكروها اولها هذان خصمان اختصموا الى قوله تعالى صراط الحميد ولم يعدوا هذه
الوقائع التي ذكروها في سبب نزول هذه الاية مع انهم يقولون ان هذه الوقائع انما كانت بالمدينة كما نقل النقل
عليهم فان قيل كيف قال وان اصابته فتنة والخير ايضا فتنة لانه قال تعالى ونبلوكم بالشر والخير فتنة فالجواب
مثل هذا كثير في اللغة لان النعمة بلاء وابتلاء قال تعالى فاما الانسان اذا ما ابتلاه ربه فاكرمه ونعمه ولكن انما يطابق

لعلم ان ظلاما

اذا م

اسم البلاء على ما يفعل على الطبع والمنافق ليس عنده الخير الا الخير الدنيوي وليس عنده الشر الا الشر الدنيوي لانه
لا دين له فلذلك وردت الاية على ما يعتقده فان قيل اذا كانت الاية في المنافق فما قوله انقلب على وجهه وهو في
الحقيقة مقابل الخير هو الشر فلما قال فان اصابه خير اطمان به كان يجب ان يقال وان اصابه شر انقلب على وجهه فالجواب
لما كانت الشدة ليست بقبيحة لم يقل تعالى وان اصابه شر بل وصفه بما لا يفيد غير القبح **قوله تعالى** خسر الدنيا والاخرة
قرا العامة خسر فعلا ماضيا وهو يحتمل ثلاثة اوجه الاستيناف والحالية من فاعل انقلب ولا حاجة الى اضمار قد على الصحيح
والبدلية من قوله انقلب كما ابدل المضارع من مثله في قوله يلق اثاما يضاعف وقرا مجاهد والاعرج وابن محيصن
والجحدري في رواية خاسر بصيغة اسم الفاعل منصوب على الحال وهي تؤيد كون الماضي في قراءة العامة حالا وقرا
برفعه وفيه وجهان الاول ان يكون فاعلا بانقلب ويكون من وضع الظاهر موضع المضمر اي انقلب خاسر الدنيا
والاصل انقلب هو والثاني انه خبر مبتدا اي هو خاسر وهذه القراءة تؤيد الاستيناف في قراءة المضي على التخريج الثاني
وحق من قرا خاسر رفعا ونصبا ان يجر الاخرة بعطفها على الدنيا المجرورة بالاضافة ويجوز ان يبقى النصب فيها ويجوز ان
تكون الدنيا منصوبة وانما حذف التنوين من خاسر لالتقاء الساكنين نحو قوله ولا ذاكر الله الا قليلا **فصل**
معنى خسرانه الدنيا هو انه خسر العز والكرامة واصابة الغنيمة واهلية الشهادة والامامة والقضاء ولا يبقى ماله ودمه
مصونا واما خسارة الاخرة فتفويته الثواب الدائم وتحصيل العقاب الدائم وذلك هو الخسران المبين **قوله تعالى**
يدعو من دون الله ما لا يضره ان عصاه ولم يعبده **قوله تعالى** وما لا ينفعه ان اطاعه وعبده **قوله تعالى**
ذلك هو الضلال البعيد عن الحق والرشد وهذه الاية تدل على ان الاية الاولى ترد في اليهود لانه ليس ممن يدعو
من دون الله الاصنام والاوثان بل انها واردة في المشركين الذين انقطعوا الى الرسول على وجه النفاق **قوله تعالى**
يدعو لمن ضره اقرب من نفعه فيه عشرة اوجه الاول انه انما يجعل يدعو مسلطا على الجملة من قوله لمن ضره اقرب من نفعه
او لا فان جعلناه مسلطا عليها كان فيه سبعة اوجه الاول ان يدعو بمعنى يقول واللام للابتداء ومن موصولة في محل رفع
بالابتداء وضره مبتدا ثان واقرب خبره وهذه الجملة صلة للموصول وخبر الموصول محذوف تقديره يقول للذي
ضره اقرب من نفعه اله او الهي او نحو ذلك والجملة كلها في محل نصب لانه بمعنى يقول فهي محكية به وهذا قول الحسن وعلي
رضي الله عنهما هذا فيكون قوله لبئس المولى ولبئس مستانفا ليس داخلا في المحكي قبله لان الكفار لا يقولون في اصنامهم
ذلك ورد بعضهم هذا القول بانه فاسد المعنى اذ الكافر لا يعتقد في الاصنام ان ضرها اقرب من نفعها البتة الثاني ان
يدعو شبيها بافعال القلوب لان الدعاء لا يصدر الا عن اعتقاد وافعال القلوب تعلق فيدعو معلق ايضا باللام
ولمن مبتدا هو موصول والجملة بعده صلته وخبره محذوف على ما مر في الوجه قبله والجملة في محل نصب كما يكون كذلك
بعد افعال القلوب كلها يجوز ان تعلق قلبية كانت او غيرها فاللام معلقة ليدعو وهو مذهب يونس فالجملة بعده
الكلام فيها كما تقدم الخامس ان يدعو بمعنى يسمي فتكون اللام مزيدة في المفعول الاول وهو الموصول وصلته ويكون المفعول الثاني
محذوفا تقديره يسمي الذي ضره اقرب الها او معبودا او نحو ذلك السادس ان اللام مزحلقة من موضعها والاصل يدعو من ضره
اقرب فقدمت من تاخير وهذا قول الفراء ورد هذا بان ما في صلة الموصول لا يتقدم على الموصول السابع ان اللام زائدة
في المفعول وهو من والتقدير يدعو من ضره اقرب فمن موصولة والجملة بعدها صلتها والموصول هو المفعول بيدعو
زيدت فيه اللام لزيادتها في قوله تعالى ردف لكم في احد القولين ورد هذا بان زيادة اللام انما تكون اذا كان العامل فرعا
ورد هذا ايضا بان زيادة اللام وتقدم المعمول وقرا عبد الله يدعو من ضره بغير لام ابتداء وهي مؤيدة لهذا الوجه وان لم
يجعله مسلطا على الجملة بعده كان فيه ثلاثة اوجه اظهرها ان يدعو الثاني توكيد ليدعو الاول فلا معمول له كانه قيل
يدعو من دون الله الذي لا يضره ولا ينفعه وعلى هذا فتكون الجملة من قوله ذلك هو الضلال البعيد معترضة بين
المؤكد والمؤكد لان فيها تسديدا وتاكيدا للكلام ويكون قوله لمن ضره مستانفا فتكون اللام للابتداء ومن موصولة
وضره مبتدا واقرب خبره والجملة صلة ولبئس جواب قسم مقدر وهذا القسم وجوابه خبر للمبتدا الذي هو الموصول
الثاني ان يجعل ذلك موصولا بمعنى الذي وهو مبتدا والضلال خبره والجملة صلة له وهذا الموصول مع صلته
في محل نصب مفعولا بيدعو اي يدعو الذي هو الضلال وهذا منقول عن ابي علي الفارسي وليس هذا ماتي على راي
البصريين اذ لا يكون عندهم من اسماء الاشارة موصول الا ذا بشرط تقدم ما ذكرها واما الكوفيون فيجيزون في
اسماء الاشارة مطلقا ان تكون موصولة فعلى هذا يكون لمن ضره اقرب مستانفا على ما تقدم الثالث ان يجعل ذلك
مبتدا وهو ضمير فصل او بدل او مبتدا والضلال خبر ذلك وخبر هو على حسب الخلاف في هو وقد يدعو
حال والعائد منه محذوف تقديره يدعوه وقدره واهذا الفعل الواقع موقع الحال يدعو قال ابو البقاء وهو ضعيف

ولم يبين وجه ضعفه وكان وجهه ان يدعو مبنيا للفاعل ولا يناسب ان يقدر الحال الواقعة موقع اسم مفعول
بل المناسب ان يقدروا اسم فاعل لكان ينبغي ان يقدروه داعيا ولو كان التركيب يدعى مبنيا للمفعول لحسن تقديرهم
اختلفوا في المراد بقوله لمن ضره اقرب من نفعه فقيل المراد رؤساء الذين كانوا يفزعون اليهم لانه يصح منهم ان يضروا
ويؤيد هذا ان الله تعالى بين في الاية الاولى ان الاوثان لا تضرهم ولا تنفعهم وهذه الاية تقتضي كون المذكور
فيها ضارا نافعا فلو كان المذكور في هذه الاية هو الاوثان لزم التناقض وقيل المراد الاوثان ثم اجابوا عن
التناقض بوجوه الاول انها لا تضر ولا تنفع لانفسها ولكن عبادتها سبب الضرر وذلك يكفي في اضافة الضرر اليها
كقوله تعالى رب انهن اضللن كثيرا من الناس فاضاف الضلال اليهن من حيث انهن كن سببا للاضلال فكذلك ههنا
نفى الضر عنهم في الاية الاولى بمعنى كونها فاعلة واضاف الضر اليها في هذه الاية بمعنى ان عبادتها سبب للضرر
الثاني كانه سبحانه بين في الاية الاولى انها في الحقيقة لا تضر ولا تنفع ثم قال في الاية الثانية ولو سلمنا كونها ضارة
نافعة لكن ضرها اكثر من نفعها الثالث ان الكفار اذا انصفوا علموا انها لا يحصل منها لا نفع ولا ضر ثم انهم في الاخرة
يشاهدون العذاب العظيم بسبب عبادتها فكانهم يقولون لها في الاخرة ان ضركم اعظم من نفعكم **قوله تعالى**
لبئس المولى ولبئس العشير المولى هو الناصر والعشير هو الصاحب والعاشر والمخصوص بالذم محذوف تقديره
لبئس المولى ولبئس العشير ذلك المدعو اذا علم ان هذا الوصف بالرؤساء اليق لانه لا يكاد يستعمل في الاوثان فبين تعالى
انهم يعدلون عن عبادة الله الذي هو خير الدنيا والاخرة الى عبادة الاوثان والى عبادة الرؤساء بقوله لبئس المولى
والمراد ذم ما انتصروا به **قوله تعالى** ان الله يدخل الذين امنوا وعملوا الصالحات الاية لما بين في الاية السالفة حال عبادة
المنافقين وحال معبودهم وان عبادتهم ومعبودهم لا تضر ولا تنفع بين هاهنا صفة عبادة المؤمنين وصفة
معبودهم وان عبادتهم حقيقة ومعبودهم يعطيهم اعظم المنافع وهو الجنة التي من كمالها جمعها بين النزه والنعيم
وان تجري من تحتها الانهار وبين انه يفعل ما يريد بهم من انواع الفضل والاحسان زيادة على اجورهم كما قال تعالى فيوفيهم
اجورهم ويزيدهم من فضله واحتج اهل السنة في خلق الافعال بقوله تعالى ان الله يفعل ما يريد واجاب الكعبي عنه بان الله
يفعل ما يريد ان يفعله هو واجيب بان هذا يفيد العموم وهو خلاف الظاهر **قوله تعالى** من كان يظن يجوز ان تكون
من شرطية وهو الظاهر وان تكون موصولة والضمير في ينصره الظاهر عوده على من وفسر النصر بالرزق وقيل يعود
على الدين والاسلام فالنصر على بابه قاله ابن عباس والكلبي ومقاتل والضحاك وقتادة وابن زيد والسدي واختار الفراء
والزجاج ان الضمير في ينصره يرجع الى محمد صلى الله عليه وسلم يريد ان من ظن ان لن ينصر الله محمدا في الدنيا باعلاء كلمته واظهار
دينه وفي الاخرة باعلاء درجته والانتقام ممن كذبه والرسول صلى الله عليه وسلم وان لم يجر له ذكر في هذه الاية
ففيها ما يدل عليه وهو ذكر الايمان في قوله تعالى ان الله يدخل الذين امنوا وعملوا الصالحات والايمان لا يتم الا بالله
ورسوله **قوله تعالى** فليمدد اما جزاء للشرط او خبر للموصول والفاء للتشبيه بالشرط والجمهور على كسر اللام من ليقطع
وسكنها بعضهم كما سكنها بعد الفاء والواو لكونهن عواطف ولذلك اجرى ثم مجراها في تسكينها بعدها وهي في قراءة
الكسائي ونافع في رواية قالون عنه **قوله تعالى** هل يذهبن الجملة الاستفهامية في محل نصب على اسقاط الخافض
لان النظر تعلق بالاستفهام واذا كان بمعنى الفكر تعدى بفي **قوله تعالى** ما يغيظ ما موصولة بمعنى الذي والعائد هو
الضمير المستتر وما وصلتها مفعولة بقوله يذهبن اي هل يذهبن كيده الشيء الذي يغيظه فالمرفوع في يغيظه
عائد على الذي والمنصوب على من كان يظن وقال ابو حيان وما في ما يغيظ بمعنى الذي والعائد محذوف او مصدرية
قال انهما بالذي كلاهذين القولين لا يصح اما العائد محذوف فليس كذلك بل هو مضمر مستتر في حكم الموجود كما تقدم
تقريره وقيل غير ذلك وانما يقال المحذوف فيما كان منصوب المحل او مجروره واما قوله او مصدرية فليس كذلك
ايضا اذ لو كانت مصدرية لكانت حرفا على الصحيح واذا كانت حرفا لم يعد عليها ضمير واذا لم يعد عليها ضمير بقي الفعل بلا فاعل
فان قيل اضمر في يغيظ ضميرا فاعلا يعود على من كان يظن فالجواب ان من كان يظن في المعنى مغيظ لا غايظ وهذا
بحث حسن **فصل** المعنى من كان يظن ان لن ينصر الله نبيه صلى الله عليه وسلم في الدنيا والاخرة فليمدد
بسبب الى السماء والسبب الحبل والسماء سقف البيت هذا قول الاكثرين اي يشد حبلا في سقف فليختنق به حتى يموت
ثم ليقطع الحبل بعد الاختناق وقيل سمي الاختناق قطعا وقيل ليقطع اي ليمد الحبل حتى ينقطع فيموت مختنقا
فلينظر هل يذهبن كيده ما يغيظ صنيعه وحيلته اي هل يذهبن كيده وحيلته غيظه والمعنى فليختنق غيظا حتى
يموت وليس هذا على سبيل الحتم اي يفعل لانه لا يمكنه القطع والنظر بعد الاختناق والموت ولكنه كما يقال للحاسد
اذا لم ترض بهذا فاختنق ومت غيظا وقال ابن زيد المراد من السماء السماء المعروفة والمعنى من كان يظن ان لا ينظر بعد

بنبيه ويكيد في امره ليقطعه عنه فليقطعه من اصله فان اصله من السماء فليمدد بسبب الى السماء ثم ليقطع عن
النبي صلى الله عليه وسلم الوحي الذي ياتيه فلينظر هل يقدر على اذهاب غيظه بهذا الفعل **فصل** روي
ان هذه الاية نزلت في قوم من اسد وغطفان دعاهم النبي صلى الله عليه وسلم الى الاسلام وكان بينهم وبين
اليهود حلف وقالوا لا يمكننا ان نسلم لانا نخاف ان لا ينصر محمد ولا يظهر امره فينقطع الحلف بيننا وبين اليهود فلا
يميرونا ويؤوونا فنزلت هذه الاية وقال مجاهد النصر بمعنى الرزق والهاء راجعة الى من ومعناه من كان يظن ان لن
يرزقه الله في الدنيا والاخرة وقيل نزلت فيمن اساء الظن بالله عز وجل وخاف ان لا يرزقه فليمدد بسبب الى السماء
سقف البيت فلينظر هل يذهبن فعله ذلك ما يغيظ وهو خنقه فعله ان لا يرزق وقد ياتي النصر بمعنى الرزق تقول
العرب من ينصرني ينصره الله اي يعطني اعطاه الله قال ابو عبيدة تقول العرب ارض منصورة اي ممطورة وعلى كل الاقوال
فانه زجر للكفار عن الغيظ فيما لا فايدة فيه **قوله تعالى** وكذلك انزلناه اما حال من ضمير المصدر المقدر واما
نعت لمصدر محذوف على حسب ما تقدم من الخلاف اي ومثل ذلك الانزال انزلنا القران كله ايات بينات فايات
حال **قوله تعالى** وان الله يهدي من يريد اي انزلناه هداية انه لمن يريد هدايته الثاني انها على حذف حرف الجر وذلك
الجر متعلق بمحذوف والتقدير ولان الله يهدي من يريد انزلناه فيجي في موضعها القولان المشهوران اهي في محل نصب
ام جر والى هذا ذهب الزمخشري وقال في تقديره ولان الله يهدي به الذين يعلم انهم يؤمنون انزله لذلك مبينا
فصل قال اهل السنة المراد من الهداية اما وضع الادلة او خلق المعرفة اما الاول فغير جايز لانه تعالى فعل
ذلك في حق كل المكلفين ولان قوله يهدي من يريد دليل على ان الهداية غير واجبة عليه بل هي متعلقة بمشيته سبحانه
ووضع الادلة عند الخصم واجب فيكون المراد منه خلق المعرفة قال القاضي عبد الجبار في الاعتذار هذا يحتمل
وجوها الاول تكليف من يريد لان من كلف احدا شيئا فقد وصفه له وبينه الثاني ان يكون المراد يهدي الى الجنة
والاثابة من يريد ممن امن وعمل صالحا الثالث ان يكون المراد ان الله يلطف بمن يريد ممن علم انه اذا هدي ثبت على ايمانه
كقوله تعالى والذين اهتدوا زادهم هدى وهذا الوجه هو الذي اشار الحسن اليه بقوله ان الله يهدي من قبل لا من لم يقبل
والوجهان الاولان ذكرهما ابو علي واجيب عن الاول بان الله سبحانه ذكر ذلك بعد بيان الادلة وعن الثاني من الشبهات
لا يجوز حمله على محض التكليف واما الوجهان الاخيران فمدفوعان لانهما عند الخصم واجبان على الله تعالى وقوله
يهدي من يريد يقتضي عدم الوجوب **قوله تعالى** ان الذين امنوا الاية لما قال وان الله يهدي من يريد اتبعه ببيان
من يهديه ومن لا يهديه واعلم ان الثانية واسمها وخبرها في محل رفع لانها خبر لان الاولى قال الزمخشري وادخلت على
كل واحد من جزئي الجملة لزيادة التاكيد ونحوه قول جرير • ان الخليفة ان الله سربله • سربال ملك به ترجى الخواتيم •
فصل قال ابو حيان وظاهر هذا التشبيه البيت بالاية وكذلك قرنه الزجاج بالاية ولا يتعين ان يكون البيت
كالاية يحتمل ان يكون الخليفة خبره ترجى الخواتيم ويكون ان الله سربله جملة اعتراض بين اسم ان وخبرها بخلاف
الاية فانه يتعين في قوله ان الله يفصل وحسن دخول ان على الجملة الواقعة خبرا لطول الفصل بينهما بالمعاطف قال شهاب
الدين قوله فانه يتعين قوله ان الله يفصل يعني ان يكون خبرا ليس كذلك لان الاية محتملة لوجهين اخرين ذكرهما الناس
الاول ان يكون الخبر محذوفا تقديره يفترقون يوم القيامة ونحوه والمذكور تفسير له كذا قاله ابو البقا والثاني ان
ان الثانية تكرير للاولى على سبيل التاكيد وهذا ماش على القاعدة وهو ان الحرف اذا كرر توكيدا اعيد معه ما اتصل به
او ضمير ما اتصل به وهنا قد اعيد معه ما اتصل به اولا وهو الجلالة المعظمة فلم يتعين ان يكون قوله سبحانه ان الله
يفصل خبرا لان الاولى كما ذكر واختلف العلماء في المجوس فقيل هم يعبدون النار وقيل يعبدون الشمس والقمر وقيل
اعتزلوا النصارى ولبسوا المسوح وقيل اخذوا من دين النصارى شيئا ومن دين اليهود شيئا وهم القايلون بان للعالم
اصلين نور وظلمة وقيل هم يستعملون النجاسات والاصل نجوس بالنون فابدلت ميما ومعنى يفصل بينهم يوم القيامة
اي يحكم بينهم ان الله على كل شيء شهيد اي عالم بما يستحقه كل واحد منهم فلا يجري في ذلك الفعل ظلم ولا حيف **قوله تعالى**
الم تر ان الله يسجد له الاية المراد بهذه الروية العلم اي الم تعلم وقيل الم تر بقلبك قال الزجاج انها مطيعة لله تعالى كقوله
للسماء والارض ايتيا طوعا او كرها قالتا اتينا طايعين وقوله تعالى ان نقول له كن فيكون وان منها لما يهبط من خشية الله
وان من شيء الا يسبح بحمده وسخرنا مع داود الجبال يسبحن والمعنى ان هذه الاجسام لما كانت قابلة لجميع ما يحدثه الله تعالى
فيها من غير امتناع اشبهت الطاعة والانقياد وهو السجود فان **قيل** هذا التاويل يبطله قوله تعالى وكثير من الناس
فان السجود بالمعنى المذكور عام في الكل فاسناده الى كثير منهم يكون تخصيصا من غير فايدة فالجواب من وجوه الاول ان السجود
بالمعنى المذكور وان كان عاما في حق الكل لان بعضهم تكبر وترك السجود في الظاهر فهذا الشخص وان كان ساجدا بذاته

لا يكون ساجدا بظاهره واما المومن فانه ساجد بظاهره ولاجل هذا الفرق حصل التخصيص بالذكر الثاني
ان نقطع قوله وكثير من الناس عما قبله ثم فيه ثلاثة اوجه احدها ان تقدير الاية ولله يسجد من في السموات ومن
في الارض ويسجد له كثير من الناس فيكون السجود الاول بمعنى الانقياد والثاني بمعنى العبادة وانما فعلنا ذلك لقيام
الدلالة على انه لا يجوز استعمال اللفظ المشترك في معنييه جميعا الثاني ان يكون قوله وكثير من الناس مبتدا وخبره محذوف
وهو عذاب لان المقابلة تدل عليه وهو قوله حق عليه العذاب الوجه الثالث ان من يجوز استعمال اللفظ المشترك في
مفهوميه جميعا نقول المراد بالسجود في حق الاحياء العقلاء العبادة وفي حق الجمادات الانقياد ومن ينكر ذلك
يقول ان الله تكلم بهذه اللفظة مرتين فعنى بها في حق العقلاء الطاعة وفي حق الجمادات الانقياد فان **قيل** قوله تعالى
ولله يسجد من في السموات ومن في الارض عام فيدخل فيه الناس فلم قال وكثير من الناس مرة اخرى **فالجواب** لو اقتصر
على ما تقدم لاوهم ان كل الناس يسجدون كما ان كل الملايكة يسجدون فبين ان كثيرا منهم يسجد طوعا دون كثير منهم
يمتنع عن ذلك وهم الذين حق عليهم العذاب وقال القفال السجود ها هنا الخضوع بالذل بمعنى كونها معترفة
بالفاقة اليه والحاجة الى تخليقه وتكوينه وعلى هذا تاولوا قوله تعالى وان من شيء الا يسبح بحمده وقال مجاهد سجود هذه
الاشياء سجود ظلها كقوله تعالى يتفيوا ظلاله عن اليمين والشمايل سجدا لله وقال ابو العالية ما في السماء نجم ولا شمس
ولا قمر الا يقع ساجدا حين يغيب ثم لا ينصرف حتى يوذن له فياخذ ذات اليمين حتى يرجع الى مطلعه **قوله تعالى** وكثير
من الناس فيه اوجه احدها انه مرفوع بفعل مضمر تقديره ويسجد له كثير من الناس وهذا يمنع استعمال المشترك في معنييه
او الجمع بين الحقيقة والمجاز في كلمة واحدة وذلك ان السجود المسند لغير العقلاء فلا يعطف كثير من الناس فيما قبله
لاختلاف الفعل المسند اليهما في المعنى الا ترى ان سجود غير العقلاء هو الطواعية والاذعان لامره وسجود العقلاء هو
هذه الكيفية المخصوصة الثاني انه معطوف على ما تقدم وفي ذلك ثلاث تاويلات احدها ان المراد بالسجود القدر
المشترك بين العقلاء المشترك بين الكل العقلاء وغيرهم وهو الخضوع والطواعية وهو من باب الاشتراك المعنوي
والتاويل الثاني انه مشترك اشتراكا لفظيا ويجوز استعمال المشترك في معنييه التاويل الثالث ان السجود للعقلاء حقيقة
ولغيرهم مجاز ويجوز الجمع بين الحقيقة والمجاز على خلاف في هذه الاشياء مذكور في كتب الاصول الثالث من الاوجه المتقدمة
ان يكون كثير مرفوعا بالابتداء وخبره محذوف وهو مثاب لدلالة خبر مقابله عليه وهو قوله تعالى وكثير حق عليه العذاب
كذا قدره الزمخشري وقدره ابو البقا مطيعون او مثابون او نحو ذلك الرابع ان يرتفع كثير على الابتداء ايضا ويكون
خبره من الناس اي من الناس الذين هم الناس على الحقيقة وهم الصالحون والمتقون والخامس ان يرتفع بالابتداء
ايضا ويبالغ في تكثير المحقوقين بالعذاب فيعطف كثير على كثير ثم يخبر عنهم بحق عليه العذاب ذلك قاله الزمخشري
كما تقدم قال ابو حيان بعد ان حكى عن الزمخشري الوجهين الاخيرين قال وهذان التخريجان ضعيفان ولم يبين وجه
ضعفهما قال شهاب الدين اما اولهما فالامر في ضعفه ظاهر اذ لا فايدة طايلة في الاخبار بذلك واما الثاني فقد يظهر وذلك
ان التكرير يفيد التكثير وذلك قريب من قولهم عندي الف والف وقوله لو عد قبر وقبر كنت اكرمهم **فصل**
وقرا الزهري والدواب مخفف البا قال ابو البقا ووجهها انه خفف البا الاولى كراهية التضعيف والجمع بين ساكنين
وقرا جناح بن حبيش وكبير بالبا الموحدة وقرا وكثيرا بالنصب وناصبه محذوف وهو الخبر تقديره وكثير حق عليه العذاب يحتمل ان
يكون معطوفا على ما تقدم اي وكثيرا حق عليه العذاب يسجد اي كارها واما من جعلها فعلية او انها مخصوص بدليل انه مبتدا
وخبره قوله يسجد **فصل** قال ابن عباس في رواية عطا وكثير من الناس في الجنة وهذه القراءة تؤكد ان قوله وكثير
من الناس ثم استانف بواو الاستيناف فقال وكثير حق عليه العذاب ليس لهم احد يقدر على ازالة ذلك الهوان عنهم
مكرما لهم ثم بين بقوله ان الله يفعل ما يشاء انه الذي يصح منه الاكرام والهوان يوم القيامة بالثواب والعقاب **قوله تعالى**
قوله تعالى هذان خصمان اختصموا في ربهم الاية لما بين ان الناس قسمان منهم من يسجد لله ومنهم من حق عليه العذاب ذكر
ها هنا كيفية اختصامهم والخصم في الاصل مصدر ولذلك يوحد ويذكر غالبا وعليه قوله تعالى نبا الخصم اذ تسوروا
ويجوز ان يثنى ويونث ويجمع وعليه هذه الاية ولما كان كل خصم فريقا يجمع طايفة قال اختصموا بصيغة الجمع قال تعالى
وان طايفتان من المومنين اقتتلوا فالجمع مراعاة للمعنى وقرا ابن ابي عبلة اختصما مراعاة للفظ وهي مخالفة للسواد
قال ابو البقا والاكثر الاستعمال توحيده فمن ثناه وجمعه حمله على الصفات والاسماء واختصموا انما جمع حملا على المعنى
لان كل خصم تحته اشخاص وقال الزمخشري صفة وصف بها الجمع او الفوج او الفريق فكانه قيل هذان فوجان او فريقان
يختصمان وقوله هذان للفظ واختصموا للمعنى كقوله عز وجل ومنهم من يستمع اليك حتى اذا خرجوا ولو قيل هولاء اختصموا
او اختصما جاز ان يراد المومنون والكافرون قال الزجاج وشهاب الدين اي عني بقوله ان خصمان صفة بطريق الاستفهام

والاستعمال المجازي فسلم لان المصدر يكثر الوصف به وان اراد انه صفة حقيقية فخطا وظاهر التصريح فان
رجل خصم مثل رجل عدل وقوله خصمان للفظ اي انما اشير اليهم اشارة المثنى فان كان في الحقيقة الجمع باعتبار
لفظ الفوجين والفريقين ونحوهما وقوله كقوله ومنهم من يستمع اليك الي اخره فيه نظر لان في تلك الاية تقدم شي له
لفظ ومعني وهو من وهنا لم يتقدم شي له لفظ ومعني **قوله تعالي** في ربهم اي في دين ربهم فلا بد من حذف مضاف
اي في دينه وامره وقرا الكسائي في رواية عنه خصمان بكسر الخاء واحتج من قال اقل الجمع اثنان بقوله هذان خصمان
اختصموا في ربهم واجيب بان هذا جمع كما تقدم **فصل** اختلفوا في تفسير الخصمين فقيل المراد طايفة المومنين
وجماعتهم وان كل الكفار يختلفون في ذلك قال ابن عباس رجع اهل الاديان الستة في ربهم في ذاته وصفاته وقيل
اهل الكتاب نحن احق بالله واقدم منكم كتابا ونبيا وقال المومنون نحن احق بالله وامنا بمحمد وامنا بنبيكم وما انزل
الله من كتاب وانتم تعرفون كتابنا ونبينا ثم تكتمونه وكفرتم به حسدا فهذه خصومتهم في ربهم وقيل هو ما روي
قيس بن عباد عن ابي ذر الغفاري انه كان لا يحلف بالله ان هذه الاية نزلت في ستة نفر من قريش تبارزوا يوم بدر حمزة
وعلي وعبيدة بن الحرث وعتبة وشيبة بن ربيعة والوليد بن المغيرة وقال علي رضي الله عنه انا اول من يجثو للخصومة بين
يدي الله تعالي وقال عكرمة هما الجنة والنار قالت النار خلقني الله لعقوبته وقالت الجنة خلقني الله لرحمته فقص الله خبرهما
علي محمد والاقرب هو الاول لان السبب وان كان خاصا فالواجب حمل الكلام علي ظاهره وقوله تعالي هذان كالاشارة
الي من تقدم ذكره وهم اهل الاديان الستة المذكورون في قوله تعالي ان الذين امنوا والذين هادوا والصابين
والنصاري والمجوس والذين اشركوا ان الله يفصل بينهم يوم القيمة وايضا ذكر صنفين اهل طاعته واهل معصيته
ممن حق عليه العذاب فوجب رجوع ذلك اليهما فمن حمله علي منكري العرب واليهود من حيث قالوا في نبيهم وكتابهم ما حكينا فقد
اخطا وهذا هو الذي يدل علي قوله ان الله يفصل بينهم اراد به الحكم لان ذلك التخاصم يقتضي ان الواقع بينهم حكما
فبين تعالي حكمه في الكفار وذكر من احوالهم ثلثة امور الاول قوله سبحانه والذين كفروا قطعت لهم ثياب من نار
وهذه الجملة تفصيل وبيان لفصل الخصومة المعني بقوله تعالي ان الله يفصل قاله الزمخشري وعلي هذا فيكون هذان
معترضا والجملة من اختصموا حالية وليست موكدة لانها اخص من مطلق الخصومة المفهومة من خصمان وقرا الزعفراني
في اختياره قطعت مخففا والقراءة المشهورة تفيد التكثير وهذه محتملة فالمراد بالثياب احاطة النار بهم
كقوله لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش وقال سعيد بن جبير ثياب من نحاس مذاب وقال بعضهم يلبسون من النار
مقطعات من نار **قوله تعالي** يصب هذه الجملة يحتمل ان تكون خبرا ثانيا للموصول وان تكون حالا من الضمير
في لهم وان تكون مستانفة والحميم هو الماء الحار الذي انتهت حرارته قال ابن عباس لو قطرت منه قطرة علي جبال
الدنيا لاذابتها **قوله تعالي** يصهر جملة حالية من الحميم والضمير للاذابة يقال صهرت الشحم اي اذبته والصهارة الالية
المذابة واصهرت الشي اذبته بحرارتها قال الشاعر • تصهره الشمس ولا ينصهر • وسمي الصهر صهرا لامتزاجه
باصهاره تنزيلا للتمازج منزلة المخالطة وقرا الحسن في اخرين يصهر بفتح الصاد وتشديد الهاء مبالغة وتكثير والمعني
ان الحميم الذي يصب من فوق رؤسهم يذيب ما في بطونهم من الشحوم والاحشا **قوله تعالي** والجلود فيه وجهان اظهرهما
عطفه علي ما الموصولة اي يذاب الذي في بطونهم من الامعاء ويذاب ايضا الجلود الذي يباشر ظاهرهم وباطنهم
الثاني انه مرفوع بفعل مقدر اي وتحرق الجلود قال لان الجلود لا تذاب انما تنقبض وتنكمش اذا صليت بالنار وهو في
التقدير كقوله • علفتها تبنا وماء باردا • وقوله • وزججن الحواجب والعيونا •
قوله تعالي والذين تبوؤا الدار والايمان فانه علي تقدير وسقيتها ماء وكحلن العيونا واعتقدوا الايمان
قوله تعالي ولهم مقامع يجوز في هذا الضمير وجهان احدهما وهو الظاهر انه يعود علي الذين كفروا وفي اللام
قولان الاول انها للاستحقاق والثاني بمعني علي كقوله تعالي ولهم اللعنة وليس بشي الوجه الثاني ان الضمير يعود علي
الزبانية اعوان جهنم وذلك يعلم من سياق الكلام ويعني بعدمه من حديد بصفة المقامع وهي جمع مقمعة بالكسر المطرقة وقيل
السوط اي سياط وفي الحديث لو وضعت مقمعة منها في الارض فاجتمع عليها الثقلان ما اقلوها **قوله تعالي** كلما ارادوا
كلما منصوب علي الظرف وتقدم الكلام في تحقيقها في البقرة والعامل فيها هنا قوله اعيدوا **قوله تعالي** من غم
فيه وجهان اظهرهما انه بدل من الضمير وفيها باعادة العامل بدل اشتمال كقوله تعالي لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا
ولكن لا بد في بدل الاشتمال من رابط ولا رابط فقالوا هو مقدر تقديره من غمها والثاني انه مفعول له ولما نقص
شرط من شروط النصب جر بحرف السبب وذلك الشرط هو عدم الاتحاد اتحاد الفاعل فان فاعل الخروج غير فاعل
الغم فان الغم من النار والخروج من الكفار واعلم ان الاعادة لا تكون الا بعد الخروج والمعني كلما ارادوا ان يخرجوا منها

من غم فخرجوا اعيدوا فيها ومعني الخروج ما يروي عن الحسن ان النار تضربهم بلهبها فترفعهم حتي اذا كانوا في
اعلاها ضربوا بالمقامع فهووا فيها سبعين خريفا **قوله تعالي** وذوقوا منصوب بقول مضمر معطوف علي اعيدوا
اي وقيل لهم ذوقوا عذاب الحريق مثل الاليم والوجيع قال الزجاج هولاء احد الخصمين وقال في الخصم الاخر وهم المومنون
ان الله يدخل الذين امنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار **قوله تعالي** يحلون العامة علي ضم الياء
وفتح اللام مشددة من حلاه يحليه اذا البسه الحلي وقرئ بسكون الحاء وفتح اللام مخففة وهو بمعني الاول لانه يعدوه
تارة بالتضعيف وتارة بالهمزة قال ابو البقاء من قولك احلي اي البس الحلي وهو بمعني المشدد وقرا ابن عباس بفتح الياء وسكون
الحاء وفتح اللام مخففة وفيها ثلاثة اوجه الاول انه من حليت المراة تحلي فهي حال وكذلك الحلي حل فهو حال اذا لبس
الحلي وصار ذا حلي الثاني انه من حلي بعيني كذا يحلي اذا استحسنته ومن مزيدة في قوله من اساور فالمعني يستحسنون
فيها الاساور الملبوسة ونقل ابو حيان هذا الوجه عن ابي الفضل الرازي قال وهذا ليس بجيد لانه جعل حلي فعلا متعديا
ولذلك حكم بزيادة من في الواجب وليس مذهب البصريين وينبغي علي هذا التقدير انه لا يجوز لانه لا يحفظ بهذا المعني
لازما فاذا كانت بهذا المعني كان متعديا اي يلبسا من اساور الذهب يحلون بعين من راهم اي يحلي بعضهم في عين بعض وهذا الذي
نقله عن ابي الفضل قاله ابو البقا وجوز في مفعول الفعل بعلا اخر فقال ويجوز ان يكون من حليت بعيني كذا اذا حسن وتكون
من زائدة او يكون المفعول محذوفا ومن اساور نعت له فقد حكم عليه بالتعدي بلبس الاساور وجوز في المفعول الوجهين
المذكورين الثالث انه من حلي بكذا اذا ظفر به فيكون التقدير يحلون باساور ومن بمعني الباء ومن مجي حلي بمعني ظفر قولهم لم يحل
فلان بطايل اي لم يظفر به واعلم ان حلي بمعني لبس الحلية او بمعني ظفر من مادة الياء لانهما من الحلية وما حلي بعيني كذا فانه من
مادة الحلاوة وانما قلبت الواو ياء لانكسار ما قبلها ومن اساور من ذهب في من الاولي ثلاثة اوجه انها لابتداء الغاية كما تقدم تقريره
عن الرازي وابي البقا وان لم يكن من اصول البصريين الثاني انها للتبعيض اي بعض اساور الثالث انها لبيان الجنس قاله ابن
عطية وبه بدا وفيه نظر اذ لم يتقدم شي مبهم ومن في من ذهب لابتداء الغاية وهي نعت لاساور كما تقدم وقرا ابن عباس
من اسور دون الف ولا ها وهو محذوف من اساور كما قالوا جندل والاصل جنادل قال ابو حيان وكان قياسه صرفه
لانه نقص بناوه فصار كجندل لكنه قدر المحذوف موجودا فمنعه الصرف قال شهاب الدين فقد جعل التنوين
في جندل المقصود من جنادل تنوين صرف وقد نص بعض النحاة علي انه تنوين عوض كهو في جوار وغواش وبابهما والاساور
جمع سوار **قوله تعالي** ولولوا قرا عاصم ونافع بالنصب والباقون بالخفض فاما النصب ففيه اربعة اوجه الاول انه
منصوب باضمار فعل تقديره ويوتون لولوا ولم يذكر الزمخشري غيره وكذا ابو الفتح حمله علي اضمار فعل الثاني انه منصوب
نسقا علي موضع من اساور وهذا كتخريجهم وارجلكم بالنصب عطفا علي محل برؤسكم ولان يحلون فيها من اساور في قوة
يلبسون هذا عليه الثالث انه منصوب عطفا علي اساور لان من مزيدة فيها كما تقدم الرابع انه معطوف علي ذلك المفعول
المحذوف التقدير يحلون فيها الملبوس من اساور ولولوا فلولو عطف علي الملبوس واما الجر ففيه وجهان احدهما عطفه
علي اساور والثاني عطفه علي من ذهب لان السوار يتخذ من اللولو ايضا ينظم بعضه الي بعض وقد منع ابو البقا ان
يعطف علي ذهب قال لان السوار لا يكون من اللولو في العادة قال شهاب الدين بل يتخذ منه في العادة السوار واختلف الناس
في رسم هذه اللفظة في الامام فنقل الاصمعي انها في الامام لولو بغير الف بعد الواو ونقل الجحدري انها ثابتة في الامام
بعد الواو وهذا الخلاف بعينه قراءة وتوجيها جار في حرف فاطر ايضا قال البغوي واختلفوا في اثبات الالف فيه فنقل
ابو عمرو اثباتها كما اثبتوا في قالوا وكانوا وقال الكسائي اثبتوها للهمزة لان الهمزة حرف من الحروف وقرا ابو بكر في رواية المعلي
منصور عنه ولولو بهمزة اولي وواو اخرا وفي رواية يحيي عنه عكس ذلك وقرا الفياض ولوليا بواو ولا وياء اخرا والاصل
لولو ابدل الهمزتين واوين ثم في اخر الاسم واو بعد ضمة ففعل فيها ما فعل بادل جمع دلو بان قلبت الواو ياء والضمة كسرة
وقرا ابن عباس وليليا بياءين فعل ما فعل الفياض ثم اتبع الواو الاولي للثانية في القلب وقرا طلحة ولول عطفا علي المجرور
قبله ووجه نقل حركة والاصل ولولو بواوين ثم اعل باعلال ادل واللولو قيل كبار الجوهر وقيل صغاره **قوله تعالي** ولباسهم
فيها حرير اي انهم في الجنة يلبسون ثياب الابريسم والمعني انه تعالي وصلهم في الاخرة الي ما حرم عليهم في الدنيا قال صلي الله
عليه وسلم من لبس الحرير في الدنيا لم يلبسه في الاخرة فان دخل الجنة لبسه اهل الجنة ولم يلبسه **قوله تعالي** وهدوا الي
الطيب من القول يجوز ان يكون من القول حالا من الطيب وان يكون حالا من الضمير المستكن فيه ومن للتبعيض او للبيان
فصل قال ابن عباس الطيب من القول شهادة ان لا اله الا الله ويويده مثل هذا كلمة طيبة دل عليه قوله اليه
يصعد الكلم الطيب وهو صراط الحميد لقوله عز وجل وانك لتهدي الي صراط مستقيم الحميد بين الله فهو الاسلام
قال ابن زيد لا اله الا الله والله اكبر والحمد لله وسبحان الله وقال السدي هو القران وقال ابن عباس في رواية عطا هو قول اهل

الجنة الحمد لله الذي صدقنا وعده وهدوا الى صراط مستقيم الحميد دين الله وهو الاسلام وهو الله المحمود في افعاله
قوله تعالى ان الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله الاية لما فصل الكفار والمؤمنين ذكر عظم حرمة البيت وعظم كفر
هؤلاء فقال ان الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله والمسجد الحرام وذلك بالمنع من الهجرة والجهاد قال ابن عباس
نزلت الاية في ابي سفيان بن حرب واصحابه حين صدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم سنة الحديبية عن المسجد الحرام وعن
ان يحجوا ويعتمروا وينحروا الهدي فكره رسول الله صلى الله عليه وسلم قتالهم وهو محرم ثم صالحوه على ان يعود في العام
القابل **قوله تعالى** ويصدون فيه ثلاثة اوجه الاول انه معطوف على ما قبله وحينئذ ففي عطفه على الماضي ثلاثة
اوجه الاول ان المضارع قد لا يقصد به الدلالة على زمن معين من حال او استقبال وانما يراد به مجرد الاستمرار فكانه
قيل ان الذين كفروا ومن شانهم الصد عن سبيل الله ومثله الذين امنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله الثاني انه مؤول بالماضي
لعطفه على الماضي الثالث انه على بابه وان الماضي قبله مؤول بالمستقبل الوجه الثاني انه حال من فاعل كفروا وبه بدأ
ابو البقاء وهو فاسد ظاهرا لانه مضارع مثبت وما كان كذلك لا تدخل عليه الواو وما ورد منه على قلته مؤول فلا يحمل
عليه القران فالخبر محذوف واختلفوا في موضع تقديره فقدره ابن عطية بعد قوله والباد اي ان الذين كفروا هلكوا
ونحو ذلك وقدره الزمخشري بعد قوله والمسجد الحرام اي ان الذين كفروا نذيقهم من عذاب اليم وانما قدره كذلك لان
قوله تعالى نذقه من عذاب اليم يدل عليه الا ان ابا حيان قال في تقدير الزمخشري بعد المسجد الحرام لا يصح قال لان الذي
صفة للمسجد الحرام فموضع التقدير هو بعد والباد يعني انه يلزم من تقديره الفصل بين الصفة والموصوف باجنبي
وهو خبر ان فيصير التركيب ان الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله والمسجد الحرام نذيقهم من عذاب اليم الذي جعلناه
للناس وللزمخشري ان ينفصل عن هذا الاعتراض بان الذي جعلناه لا نسلم انه نعت للمسجد حتى يلزم ما ذكر بل نجعله مقطوعا
عليه نصبا او رفعا ثم قال ابو حيان لكن مقدر الزمخشري احسن من مقدر ابن عطية لانه يدل عليه الجملة الشرطية بعد من جهة
اللفظ وابن عطية لحظ من جهة المعنى لان من اذيق العذاب خسر وهلك الوجه الثالث ان الواو في ويصدون مزيدة في خبر ان
تقديره ان الذين كفروا يصدون وزيادة الواو مذهب كوفي تقدم بطلانه وقال ابن عطية وهذا مفسد للمعنى
المقصود قال شهاب الدين ولا ادري فساد المعنى من اي جهة الا ترى انه لو صرح بقولنا ان الذين كفروا يصدون لم يكن
فيه فساد معنى فالواقع انما هو فساد صناعي عند اهل البصرة لا معنوي اللهم الا ان يريد معنى خاصا يفسده هذا التقدير فيحتاج
الى بيانه **قوله تعالى** الذي جعلناه يجوز جره على النعت او البدل او البيان والنصب باضمار فعل والرفع باضمار مبتدأ
والجعل يتعدى لاثنين بمعنى صير وان يتعدى لواحد والعامة على رفع سواء وقرا حفص عن عاصم بالنصب هنا وفي الجاثية
الا حرف وسياتي توجيهه واما على قراءة الرفع فان قلنا ان جعل بمعنى صير كان في المفعول الثاني ثلاثة اوجه اظهرها ان
الجملة من قوله سواء العاكف فيه هي المفعول الثاني ثم الاحسن في رفع سواء ان يكون خبرا مقدما والعاكف والباد مبتدأ
موخر وانما وحد الخبر وان كان المبتدأ اثنين لان سواء في الاصل مصدر وصف به وقد تقدم اول البقرة واجاز بعضهم ان
يكون سواء مبتدأ وما بعده الخبر وفيه ضعف ومنع من حيث الابتداء بالنكرة من غير مسوغ ولانه متى اجتمع معرفة ونكرة
جعلت المبتدأ المعرفة وعلى هذا الوجه اعني كون الجملة مفعولا ثانيا فقوله للناس يجوز فيه وجهان احدهما انه متعلق بالجعل
اي جعلناه لاجل كذا والثاني انه متعلق بمحذوف على انه حال من مفعول جعلناه ولم يذكر ابو البقاء في هذا الوجه
غير ذلك وليس معناه متضحا الوجه الثاني ان للناس هو المفعول الثاني والجملة من قوله سواء في محل نصب على الحال اما من
الموصول واما من عائده وهذا الوجه بدأ به ابو البقاء وفيه نظر لانه جعل هذه الجملة التي هي محل الفائدة فضلة الوجه الثالث
ان المفعول الثاني محذوف قال ابن عطية والمعنى الذي جعلناه للناس قبلة ومتعبدا فتقدير ابن عطية هذا ارشد
لهذا الوجه الا ان ابا حيان قال ولا يحتاج الى هذا التقدير الا اذا كان اراد تفسير المعنى لا الاعراب فيسوغ لان
الجملة في موضع المفعول الثاني وان قلنا انه يتعدى لواحد كان قوله للناس متعلقا بالجعل على العلية وجوز فيه ابو البقاء وجهين
اخرين احدهما انه حال من مفعول جعلناه والثاني انه مفعول تعدى اليه بحرف الجر وهذا لا يعقل كيف لا يكون للناس
مفعولا عدي اليه الفعل بالحرف هذا ما لا يعقل فان اراد انه مفعول من اجله فهي عبارة بعيدة من عبارة النحاة فاما على
قراءة حفص فان قلنا جعلنا يتعدى لاثنين كان سواء مفعولا ثانيا وان قلنا يتعدى لواحد كان حالا من هاء
جعلناه كما تقدم وعلى التقديرين فالعاكف مرفوع به على الفاعلية لانه مصدر وصف به فهو في قوة اسم الفاعل المشتق تقديره
جعلناه مستويا فيه العاكف ويدل عليه قولهم مررت برجل سواء هو والعدم فهو تاكيد للضمير المستتر فيه والعدم نسق
على الضمير المستتر ولذلك ارتفع ويروى سواء والعدم بنون توكيد هو شاذ وقرا الاعمش وجماعة سواء نصبا العاكف
جرا وفيه وجهان احدهما انه بدل من الناس بدل تفصيل والثاني انه عطف بيان وهذا اراد ابن عطية بقوله عطفا على الناس

ويمتنع

ويمتنع في هذه القراءة رفع سواء لفساده صناعة ومعنى وكذلك ابو حيان قال وسواء على هذا نصب لا غير
واثبت ابن كثير الياء في والبادي وصلا ووقفا واثبتها ابو عمرو وورش وصلا وحذفاها وقفا وحذفها الباقون
وصلا ووقفا وهي محذوفة في الامام **فصل** معنى الكلام ويصدون عن سبيل الله المسجد
الحرام الذي جعلناه للناس قبلة لصلاتهم ومنسكا ومتعبدا كما قال تعالى وضع للناس وتقدم الكلام على
معنى سواء باختلاف القراءة والمراد بالعاكف المقيم فيه والبادي الطارئ من البدو وهو النازع اليه من غربة
وقال بعضهم يدخل في العاكف القريب اذا جاور ولزمه كالعبيد وان لم يكن من اهله واختلفوا في معنى سواء فقال
ابن عباس في بعض الروايات انهما يستويان في سكنى مكة والنازل بها فليس احدهما احق بالنزول الذي
كان فيه من الاخر الا ان يكون احدهما سبق الى المنزل وهو قول قتادة وسعيد بن جبير ومن مذهب هؤلاء تحريم
كراء دور مكة وبيعها واستدلوا بالاية والخبر اما الاية فهذه قالوا ان ارض مكة لا تملك فانها لو ملكت لم يستو العاكف
فيها والباد فلما استويا ثبت ان سبيلها سبيل المساجد واما الخبر فقوله صلى الله عليه وسلم مكة مباح لمن سبق اليه
وهذا مذهب ابن عمر وعمر بن عبد العزيز وابي حنيفة واسحاق بن الحنظل رضي الله عنهم وقال عبد الرحمن بن سابط كان
الحجاج اذا قدموا مكة لم يكن احد من اهل مكة احق بمنزله منهم وكان عمر بن الخطاب ينهى الناس ان يغلقوا ابوابهم
في الموسم وعلى هذا فالمراد بالمسجد الحرام مكة لان اطلاق لفظ المسجد الحرام وارادة البلد الحرام جائز لقوله تعالى
سبحان الذي اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام وايضا فقوله العاكف المراد منه المقيم واقامته لا تكون في المسجد بل
في المنازل وقيل سواء العاكف فيه والبادي في تعظيم حرمته وقضاء النسك به واليه ذهب مجاهد والحسن وجماعة
اي ليس للبادي ان يمنع المقيم وبالعكس قال صلى الله عليه وسلم يا بني عبد المطلب من ولي منكم من امور الناس شيئا فلا
يمنعن احدا طاف بهذا البيت وصلى اية ساعة من ليل او نهار وهذا قول من اجاز بيع دور مكة وقد جرت مناظرة بين
الشافعي رضي الله عنه واسحاق الحنظلي بمكة وكان اسحاق لا يرخص في كراء دور مكة فاحتج الشافعي بقوله تعالى الذين اخرجوا
من ديارهم واضاف الديار الى مالكيها والى غير مالكيها وقال صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة من اغلق بابه فهو آمن
وقوله صلى الله عليه وسلم هل ترك لنا عقيل من رباع وقد اشترى عمر رضي الله عنه دار السجن اترى انه اشتراها من مالكيها
او من غير مالكيها قال اسحاق فلما علمت ان الحجة لزمتني تركت قولي والقول بجواز بيع دور مكة واجارتها قول طاوس
وعمرو بن دينار وبه قال الشافعي رضي الله عنه **قوله تعالى** ومن يرد فيه بالحاد فيه اربعة اوجه الاول انه مفعول
يرد محذوف وقوله بالحاد بظلم حالان مترادفان والتقدير ومن يرد فيه مرادا ما عادلا عن القصد وظالما
نذقه من عذاب اليم وانما حذف ليتناول كل متناول قال معناه الزمخشري والثاني ان المفعول به ايضا محذوف تقديره
ومن يرد فيه تعديا وبالحاد حال اي ملتبسا بالحاد وبظلم بدل باعادة الجار الثالث ان يكون بظلم متعلقا بيرد
والباء للسببية اي بسبب الظلم وبالحاد مفعول به والباء مزيدة فيه كقوله تعالى ولا تلقوا بايديكم واليه ذهب
ابو عبيدة وانشد للاعشى • ضمنت برزق عيالنا ارماحنا • اي ضمنت رزق ويؤيده قراءة الحسن ومن يرد الحاده
بظلم قال الزمخشري اراد الحادا فيه فاضافه على الاتساع في الظرف كمكر الليل ومعناه ومن يرد ان يلحد فيه
ظالما الرابع ان يضمن يرد معنى يتلبس فلذلك تعدى بالباء اي ومن يتلبس بالحاد مريدا له والعامة على يرد بضم الياء
من الارادة وحكى الكسائي والفراء انه قرئ يرد بفتح الياء قال الزمخشري من الورود ومعناه من اتى فيه بالحاد ظالما
قوله تعالى الالحاد العدول عن القصد واصله الحاد الحافر واختلف المفسرون فيه فقيل انه الشرك اي من لجأ
الى الحرم ليشرك به عذبه الله وهو احدى الروايات عن ابن عباس وهو قول مجاهد وقتادة وروي عن ابن عباس انها نزلت
في عبد الله بن خطل حين قتل الانصاري وهرب الى مكة مشركا كافرا فامر النبي صلى الله عليه وسلم بقتله يوم الفتح
وقال مقاتل تضاعف السيئات بمكة كما تضاعف الحسنات وعن سعيد بن جبير وحبيب بن ابي ثابت هو احتكار
الطعام بمكة وقال عطاء هو قول الرجل في المبايعة لا والله وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه انه كان له فسطاطان
احدهما في الحل والاخر في الحرم فاذا اراد ان يعاتب اهله عاتبهم في الحل فقيل له في ذلك فقال كنا نحدث ان من
الالحاد فيه ان يقول الرجل كلا والله وبلى والله وعن عطاء دخول الحرم غير محرم وارتكاب شيء من محظورات الاحرام
مثل من قتل صيدا او قطع شجرا ولما كان الالحاد بمعنى الميل من امر الى امر بين تعالى ان المراد بهذا الالحاد ما يكون
ميلا الى الظلم فلهذا قرن الظلم بالالحاد لانه لا معصية كبرت او صغرت الا وهو ظلم ولذلك قال تعالى ان الشرك
لظلم عظيم وقوله تعالى نذقه من عذاب اليم بيان للوعيد **قوله تعالى** واذ بوانا لابراهيم مكان البيت الاية اي اذكر
حين واللام في لابراهيم فيها ثلاثة اوجه احدها انها للعلة ويكون مفعول بوانا محذوفا اي بوانا الناس

لاجل ابراهيم مكان البيت وبوءنا متعد بنفسه قال سبحانه وتعالى ولقد بوأنا بني اسرائيل لنبوئنهم من الجنة غرفا
وقال الشاعر • كم صاحب لي صالح • بوأته بيدي لحدا • والثاني انها مزيدة في المفعول وهو ضعيف لما تقرر
انها لا تزاد الا بعد تقدم المعمول او كان العامل فرعا الثالث ان تكون متعدية الفعل على انه تضمن معنى فعل يتعدى
بها اي هيأنا لابراهيم مكان البيت كقولك هيأت له بيتا فتكون اللام متعدية قال معناه ابو البقاء وقال الزمخشري
واذكر حين جعلنا لابراهيم مكان البيت مباءة ففسر المعنى بانه ضمن بوأنا معنى جعلنا ولا يريد تفسير الاعراب ولا
يزيد مكان البيت وجهان احدهما انه مفعول به والثاني قال ابو البقاء ان يكون ظرفا وهو ممتنع من حيث انه ظرف
مختص فحقه ان يتعدى اليه بفي **فصل** روي ان الكعبة الكريمة بنيت خمس مرات احداها بناء الملائكة قبل آدم
صلى الله عليه وسلم وكانت من ياقوتة حمراء ثم رفعت الى السماء ايام الطوفان وثانيها بناء ابراهيم وثالثها بناء قريش
في الجاهلية وقد حضر رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا البناء ورابعها ابن الزبير وخامسها بناء الحجاج وهو البناء
الموجود الان وروى ابو ذر قال قلت يا رسول الله اي مسجد وضع اول قال صلى الله عليه وسلم المسجد الحرام قلت اي
قال المسجد الاقصى قلت كم بينهما قال اربعون والمسجد الاقصى اسسه يعقوب صلى الله عليه وسلم وروى عبد الله بن عمرو بن
العاص قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث الله جبريل صلى الله عليه وسلم الى آدم وحوى فقال لهما ابنيا لي بيتا
فخط لهما جبريل فجعل آدم يحفر وحوى تنقل حتى اجابه الماء نودي من تحته حسبك يا آدم فلما بنياه اوحى الله اليه ان يطوف
به وقيل له انت اول الناس وهذا اول بيت ثم تناسخت القرون حتى حجه نوح ثم تناسخت القرون حتى رفع ابراهيم صلى الله عليه
وسلم القواعد منه وروي عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه ان الله تعالى اوحى الى ابراهيم صلى الله عليه وسلم ان ابن لي بيتا في الارض
فضاق به ذرعا فارسل الله تعالى السكينة وهي ريح خجوج لها رأس فاتبع احدهما صاحبه حتى انتهت ثم تطوقت بموضع
البيت تطوق الحية فبنى ابراهيم صلى الله عليه وسلم فلما بلغ مكان الحجر قال لابنه ابغني حجرا فالتمس حجرا حتى اتى به فوجد الحجر الاسود
قد ركب فقال لابنه من اين لك هذا قال جاء به من لا يتكل على بنائك جاء به جبريل من السماء فاتمه قال فمر عليه الدهر
فانهدم فبنته العمالقة ثم انهدم فبنته قريش ورسول الله صلى الله عليه وسلم شاب يومئذ فلما ارادوا ان يرفعوا الحجر
الاسود اختصموا فيه فقالوا نحكم بيننا اول رجل يخرج من هذه السكة فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اول من خرج
فقضى بينهم ان يجعلوه في مربط ثم ترفعه جميع القبائل كلهم فرفعوه ثم ارتقى هو فرفعوا اليه الركن فوضعه وكانوا
يدعونه الامين صلى الله عليه وسلم قال موسى بن عقبة رضي الله عنه كان بناء الكعبة قبل المبعث بخمس عشرة سنة وقال
ابن اسحق كانت الكعبة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثماني عشرة ذراعا وكانت تكسى القباطي ثم كسيت البرود واول
من كساها الديباج الحجاج بن يوسف ولما كثر الناس وسع عمر المسجد الحرام واخذ بنيان البيوت من حول الكعبة عمر بن الخطاب رضي الله عنه
اشتراها من اهلها وهدمها فلما كان عثمان رضي الله عنه اشترى دورا وزادها فيه فلما ولي ابن الزبير رضي الله عنه احكم
بنيانه واكثر ابوابه وحسن جدرانه ولم يوسعه شيئا آخر فلما استقر الامر الى عبد الملك بن مروان زاد في ارتفاع جداره
وزاد في الكعبة وامر بالكعبة فكسيت الديباج وتولى ذلك بامره الحجاج وروي ان الله تعالى لما امر ابراهيم صلى الله عليه وسلم
ببناء البيت لم يدر اين يبني فبعث الله تعالى ريحا خجوجا فكشفت ما حول البيت عن الاساس وقال الكلبي بعث الله سحابة
بقدر البيت فقامت بحيال البيت فيها رأس تتكلم وعينان يا ابراهيم ابن على قدري وحيالي فبنى عليه **قوله تعالى**
ان لا تشرك بي شيئا فيه اوجه الاول انها هي المفسرة قال الزمخشري بعد ان ذكر هذا الوجه فان **قيل** كيف يكون النهي
عن الشرك والامر بتطهير البيت تفسيرا للتبوئة **قلنا** كانت التبوئة مقصودة لاجل العبادة فكانه قيل تعبدنا ابراهيم قلنا لا تشرك بي
يعني الزمخشري ان المفسرة لا بد ان يتقدمها ما هو بمعنى القول لا حروفه ولم يتقدم الا التبوئة وليست بمعنى القول
فضمنها معنى القول ولا يريد بقوله قلنا لا تشرك تفسير الاعراب لا تفسير المعنى فالجواب لان المفسرة لا تفسر القول
الصريح الثاني انها المخففة من الثقيلة قال ابن عطية وفيه نظر من حيث ان المخففة لا بد ان يتقدمها فعل تحقيق
او ترجيح كما انها اذا كانت مشددة الثالث انها المصدرية التي تنصب المضارع وهي توصل بالماضي والمضارع والامر
والنهي والامر وعلى هذا فان مجرورة بلام العلة مقدرة اي بوأناه لئلا يشرك وكان من حق اللفظ على هذا الوجه ان يكون
ان لا يشرك بالياء للغيبة وقد قرئ بذلك قال ابو البقاء وقرئ ذلك قراءة من قرأ بالياء يعني من تحت ووجه قراءة العامة
على هذا الوجه ان يكون من الالتفات من الغيبة الى الخطاب الرابع ان الناصبة مجرورة باللام ايضا الا ان اللام متعلقة
بمحذوف اي فعلنا ذلك لئلا تشرك فجعل النهي صلة لها وقرأ عكرمة وابو نهيك ان لا يشرك قال ابو حيان على معنى ان يقول
على نقل القول الذي قيل له وقال ابو حاتم فلا بد من نصب الكاف على هذه القراءة بمعنى لئلا يشرك قال شهاب الدين
كانه لم يطلع على ان المصدرية توصل بجملة النهي فجعل لا نافية وسلط ان على المضارع بعدها حتى صار صلة للفعل قبله

مع الامن لما تقدم من وضوح المعنى مع جعلها ناهية **فصل** وههنا سؤالات الاول اذا قلنا ان ان
هي المفسرة فكيف يكون النهي عن الشرك والامر بتطهير البيت تفسيرا للتبوئة فان قيل انه سبحانه لما قال جعلنا البيت
مرجعا لابراهيم فكانه قيل ما معنى كون البيت مرجعا له فاجيب عنه انه يكون معناه قبلة موحد لوثنا ابعتمن الشرك
والتطهير مشتغلا بتنظيف البيت عن الاوثان والاصنام السؤال الثاني ان ابراهيم صلى الله عليه وسلم لما لم يشرك بالله
فكيف قال لا تشرك بي والجواب المعنى لا تجعل في العبادة لي شريكا ولا تشرك بي غرضا آخر في بناء البيت السؤال الثالث
ان البيت ما كان معمورا قبل ذلك فكيف قال وطهر بيتي والجواب لعل الخطاب ان المكان كان صحراء وكانوا يرمون اليها
الاقذار فامر ابراهيم ببناء البيت في ذلك المكان وتطهيره من الاقذار وكانت معمورة وكانوا يضعون فيها اصناما
فامره الله تعالى بتخريب ذلك البناء ووضع بناء جديد وذلك هو التطهير عن الاوثان او يكون المراد انك بعد ان تبنيه
فطهره عما لا ينبغي من الشرك وقوله تعالى للطائفين قال ابن عباس للطائفين بالبيت من غير اهل مكة والقائمين
اي المقيمين فيها والركع السجود اي المصلين من الكل وقيل القائمون هم المصلون **قوله تعالى** واذن في الناس
بالحج قرأ العامة بتشديد الذال بمعنى ناد وقرأ الحسن وابن محيصن آذن بالمد والتخفيف بمعنى اعلم ويبعده قوله في الناس
اذ كان ينبغي ان يتعدى بنفسه ونقل ابو الفتح عنهما انهما قرآ بالنصب وتخفيف الذال وخرجها ابو الفتح وصاحب
اللوامح فقال فيصير في الكلام تقديم وتاخير ويصير يأتوك جزما على جواب الامر الذي في ونسب ابن عطية
ابا الفتح في هذه القراءة الى التصحيف فقال بعد ان حكى قراءة الحسن وابن محيصن وانك بالمد وتصحيف هذا على
ابن جني فانه حكى عنهما وآذن على فعل ماض واعرب ذلك بان عطفه على بوأنا وقال شهاب الدين لم يتصحف عليه
بل حكي هذه القراءة ابي الفضل الرازي في اللوامح عنهما وذكرها ايضا ابن خالويه ولكنه لم يطلع عليها فنسب من
اطلع الى التصحيف ولو تأنى اصاب او كاد وقرأ ابن ابي اسحق بالحج بكسر الحاء حيث وقع كما تقدم **فصل**
قال اكثر المفسرين لما فرغ ابراهيم صلى الله عليه وسلم من بناء البيت قال له الله اذن في الناس بالحج قال يا رب وما
يبلغ صوتي قال الله عز وجل عليك الاذان وعلي البلاغ فصعد ابراهيم الصفا وفي رواية ابا قبيس وفي رواية على
المقام فارتفع المقام حتى صار كاطول الجبال وادخل اصبعيه في اذنيه واقبل بوجهه يمينا وشمالا وشرقا وغربا
وقال يا ايها الناس الا ان ربكم قد بنى بيتا وقد كتب عليكم الحج الى البيت العتيق فاجيبوا ربكم فاجابه كل من يحج من
اصلاب الاباء وارحام الامهات لبيك اللهم لبيك قال ابن سعيد فاول من اجابه اهل اليمن فهم اكثر الناس حجا وقال
مجاهد من اجاب مرة حج مرة ومن اجاب مرتين او اكثر فيحج مرتين او اكثر بتلك العدد وقال الحسن واكثر المعتزلة ان
المامور بالاذان هو محمد صلى الله عليه وسلم واحتجوا بان ما جاء في القرآن وامكن حمله على ان محمدا هو المخاطب به فهو
اولى وقد بينا ان قوله تعالى واذ بوأنا اي اذكر يا محمد او بوأنا فهو في حكم المذكور فلما قال واذن فاليه يرجع الخطاب
قال الجبائي امر محمدا صلى الله عليه وسلم ان يفعل ذلك في حجة الوداع قالوا انه ابتدا فرض الحج من الله تعالى للرسول صلى الله
عليه وسلم وفي قوله تعالى يأتوك دلالة على ان المراد ان يحج فيقتضوا اي فيقتدي به وروى ابو هريرة قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ان الله قد فرض عليكم الحج فحجوا **قوله تعالى** رجالا نصب على الحال وهو جمع راجل نحو صاحب
وصحاب وتاجر وتجار وقائم وقيام وقرأ عكرمة وابو مجلز رجالا بضم الراء وتشديد الجيم وروي عنهم تخفيفها ووافقهم
ابن ابي اسحق على التخفيف وجعفر بن محمد ومجاهد على التشديد وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما ايضا فالمخفف اسم جمع
كظئر وظؤار والمشدد جمع تكسير كصائم وصوام وروي عن عكرمة ايضا رجالى كنعامى بالف التانيث وكذلك عن ابن
عباس وعطا الا انهما شددا الجيم **قوله تعالى** على كل ضامر نسق على رجالا فيكون حالا اي مشاة وركبانا والضمر
ضمر يضمر ضمورا والمعنى ان الناقة صارت ضامرة لطول سفرها **قوله تعالى** يأتين النون ضمير كل ضامر حملا على المعنى
اذ المعنى على ضوامر فيأتين صفة لضامر واتى بضمير الجمع حملا على المعنى اي جماعة الابل وقد تقدم اول الكتاب ان كل اذا
اضيفت الى نكرة لم يراع معناها الا قليلا كقول الشاعر • جادت عليه كل عين ثرة • فتركن كل حديقة كالدرهم •
فان **قيل** وهذه الاية ترده فان كل فيها مضافة لنكرة وقد روعي معناه وكان بعضهم اجاب عن بيت زهير
بانه انما جاز ذلك لانه في جملتين قيل له لان هذه الاية في جملة واحدة لان يأتين صفة لضامر وجوز ابو البقاء
وابو حيان ان يكون الضمير يشمل رجالا وكل ضامر قال بمعنى الجماعات والرفاق قال شهاب الدين فعلى هذا يقال
في الرجال يأتين ولا يسوغه كونه اجتمع هنا مع الرجال كل ضامر فيقال لجاز ذلك لما اجتمع معه ما يجوز فيه ذلك
الا انه يلزم تغليب غير العاقل على العاقل وهو ممنوع قال الكلبي والبغوي جمع يأتين بمكان كل واراد النوق
وقرأ ابن مسعود والضحاك وابن ابي عبلة يأتون تغليبا للعقلاء المذكور وعلى هذا يحتمل ان يكون قوله وعلى كل ضامر

حالا ايضا ويكون يأتوك مستأنفا يتعلق به من كل فج عميق يأتون رجالا وركبانا ثم قال يأتون من كل فج
وان يتعلق بقوله يأتين اي يأتين على كل ضامر من كل فج ويأتون مستأنف ايضا ولا يجوز ان يكون صفة
لضامر لاختلاف الموصوف في الاعراب لان احدهما منصوب والآخر مجرور لو قلت رأيت زيدا ومررت بعمرو العاقلين
على النعت لم يجز بل على القطع وقد جوز ذلك الزمخشري فقال وقرئ يأتون صفة للرجال والركبان وهو مردود
بما ذكرنا والفج الطريق بين الجبلين ثم يستعمل في سائر الطرق اتساعا والعميق منتقاه يقال بير عميق ويجوز
ان يكون مقلوبا الا انه اقل من الاول قال الشاعر • اذا الخيل جاءت من فجاج عميقه •
يمد بها في السير اشعث شاحب • وقرأ ابن مسعود معيق ويقال عمق وعمق بكسر العين وضمها عمقا بفتح القاف
قال الليث رحمه الله عميق ومعيق والعميق في الطريق اكثر وقال الفراء عميق لغة الحجاز ومعيق لغة تميم وعمقت البئر
واعمقتها وعمقت عماقة ومعاقة وامعاقا قال رؤبة • وقاتم الاعماق خاوي المخترق •
الاعماق هنا بفتح الهمزة جمع عمق وعلى هذا فلا قلب في عميق لانها لغة مستقلة وهو ظاهر قول الليث ايضا ويؤيده
قراءة ابن مسعود بتقديم الميم ويقال غميق بالغين المعجمة ايضا **فصل** بدا الله بذكر المشاة تشريفا لهم
روى سعيد بن جبير باسناده عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان بكل خطوة يخطوها راحلته سبعون حسنة
وللماشي سبعمائة حسنة من حسنات الحرم قيل يا رسول الله وما حسنات الحرم قال الحسنة بمائة الف حسنة وانما قال
تعالى يأتوك رجالا لانه هو المنادي فمن اتى مكة حاجا فكانما اتى ابراهيم الخليل صلى الله عليه وسلم لانه مجيب نداه
قوله تعالى ليشهدوا يجوز في هذه اللام وجهان احدهما انه متعلق باذن اي اذن ليشهدوا والثاني انها
متعلقة بيأتوك وهو الاظهر قال الزمخشري ونكر منافع لانه اراد منافع مختصة بهذه العبادة دينية ودنيوية
لا توجد في غيرها من العبادات قال سعيد بن المسيب ومحمد بن علي المنافع هي العفو والمغفرة وقال سعيد بن جبير
التجارة وهي رواية ابن زيد عن ابن عباس الاسواق وقال مجاهد التجارة وما يرضي الله به من الدنيا والآخرة ويذكروا اسم
الله في ايام معلومات قال الاكثرون هي عشر ذي الحجة قيل لها معلومات للحرص على علمها بحسابها من اجل وقت الحج
في آخرها والمعدودات ايام التشريق وروي عن علي كرم الله وجهه انها يوم النحر وثلاثة ايام بعده وهو اختيار الزجاج
لان الذكر على بهيمة الانعام يدل على التسمية على نحرها والنحر للهدايا انما يكون في هذه الايام وروى عطاء عن ابن عباس
انها يوم عرفة ويوم النحر وايام التشريق وقيل عبر عن الذكر والنحر اعني عبر عن الذبح والنحر بذكر اسم الله لان المسلمين
لا يغفلون عن ذكر اسم الله اذا نحروا ثم قال على ما رزقهم من بهيمة الانعام يعني الهدايا والضحايا تكون من النعم وهي
الابل والبقر والغنم **قوله تعالى** فكلوا منها قيل هذا امر وجوب لان الجاهلية كانوا لا يأكلون من لحوم هداياهم
شيئا ترفقا على الفقراء وقيل هذا امر اباحة واتفق العلماء على ان الهدي اذا كان تطوعا كان للمهدي ان يأكل منه
وكذلك اضحية التطوع لان النبي صلى الله عليه وسلم امر ان يؤخذ من كل جزور بضعة فطبخت فأكل من لحومها وحسي
من مرقها وكان هديه تطوعا واختلفوا في الهدي والنذور والكفارات والجبرانات للنقصان مثل دم القران
ودم التمتع ودم التقليم والحلق والواجب بافساد الحج وفواته وجزاء الصيد والنذور يأكل مما سواهما فقال الشافعي
واحمد رضي الله عنهما لا يأكل منه وقال ابن عمر لا يأكل من جزاء الصيد والنذر ويأكل مما سواهما وقال ابن مالك رحمه الله
عنه يأكل من هدي وجب عليه الا من فدية الاذى وجزاء الصيد والنذور وعند اصحاب الرأي يأكل من دم التمتع والقران
ولا يأكل من واجب سواهما **قوله تعالى** واطعموا البائس الفقير يعني الزمن الفقير الذي لا شيء له قال ابن عباس
البائس الذي ظهر بؤسه في ثيابه وفي وجهه والفقير الذي لا يكون كذلك فيكون ثيابه نقية ووجهه وجه
غني والبؤس شدة الفقر **قوله تعالى** ثم ليقضوا تفثهم العامة على كسر اللام وهي لام الامر وقرأ نافع والكوفيون
والبزي بسكونها اجراء للمنفصل مجرى المتصل نحو كتف ونحو تسكينها بعد ثم في قراءة الكسائي وقالون
اجريت ثم مجرى الواو والفاء والتفث قيل اصله من التفث وهو وسخ الاظفار قلبت الفاء تاء كمعنوي في مغفور
وقيل هو الوسخ والقذر يقال ما تفثك وحكى قطرب تفث الرجل اي كثر وسخه في سفره وقال الزجاج ان اهل اللغة
لا يعرفون التفث الا من التفسير وقال المبرد اصل التفث في كلام العرب كل قاذورة تلحق الانسان نقضها
وقال القفال سألت اعرابيا فصيحا ما معنى قوله تعالى ثم ليقضوا تفثهم فقال لا افسر القرآن ولكنا نقول للرجل ما
اتفثك اي ما اوسخك وما ادرنك ثم قال القفال هذا اولى من قول الزجاج لان القول قول المثبت لا قول النافي
والمراد بالتفث هنا الوسخ والقذارة من طول الشعر والاظفار والشعث والحاج اشعث اغبر والمراد قص الشارب
والاظفار ونتف الابط وحلق العانة والمراد بالقضاء ازالة ذلك والمراد به الخروج من الاحرام بالحلق وقص الشارب

والتنظيف

والتنظيف ولبس الثياب وقال ابن عمر وابن عباس قضاء التفث مناسك الحج كلها وقال مجاهد هو مناسك
الحج واخذ الشارب ونتف الابط وحلق العانة وقلم الاظفار وقيل التفث هنا رمي الجمار وقيل معنى ليقضوا تفثهم
ليقضوا ما يصنعه المحرم من ازالة شعر وشعث ونحوها عند حله وفي ضمن هذا قضاء جميع المناسك اذ لا يفعل هذا
الا بعد فعل المناسك كلها **قوله تعالى** وليوفوا قال ابو بكر رضي الله عنه وليوفوا بالتشديد والباقون بالتخفيف
وتقدم في البقرة ان فيه ثلاث لغات وفى ووفى واوفى وقرأ ابن ذكوان وليوفوا باللام والباقون بسكونها
وهذا الخلاف جار في قوله وليطوفوا والمراد بالوفاء ما اوجبه بالنذر وقيل ما اوجبه الدخول في الحج من المناسك
قال مجاهد اراد نذر الحج والهدي وما ينذره الانسان من شيء يكون في الحج وقيل المراد بالوفاء بالنذر مطلقا وقوله
وليطوفوا المراد الطواف الواجب وهو طواف الافاضة يوم النحر بعد الرمي ويسمى البيت العتيق قال الحسن القديم لانه
اول بيت وضع للناس وقال ابن عباس وابن الزبير لانه اعتق من الجبابرة فكم من جبار سار اليه ليهدمه فمنعه الله
ولما قصده ابرهة فعل به ما فعل فان قيل قد تسلط الحجاج عليه فالجواب انه ما قصد التسلط على البيت
وانما تحصن به عبد الله بن الزبير فاحتال لاخراجه ثم بناه وقال ابن عيينة لم يملك قط وقال مجاهد اعتق من الغرق
وقيل لانه بيت كريم من قولهم عتاق الخيل والطير **فصل** والطواف ثلاثة اطواف الاول طواف
القدوم وهو اذا اتى مكة يطوف بالبيت سبعا يرمل ثلاثا من الحجر الاسود الى ان ينتهي اليه ويمشي اربعا وهذا
الطواف سنة لا شيء على تاركه والثاني طواف الافاضة يوم النحر بعد الرمي والحلق ويسمى ايضا طواف الزيارة
وطواف الصدر وهو واجب لا يحل التحلل من الاحرام ما لم يأت به الثالث طواف الوداع لا رخصة لمن اراد مفارقة
مكة الى مسافة القصر ان يفارقها حتى يطوف سبعا فمن تركه فعليه دم الا الحائض والنفساء فلا وداع عليهما
لما روى ابن عباس رضي الله عنه قال امر الناس ان يكون آخر عهدهم بالبيت الا انه رخص للمرأة الحائض والرمل يختص
بطواف القدوم ولا رمل في طواف الافاضة والوداع **قوله تعالى** ذلك ومن يعظم حرمات الله الآية وذلك
خبر مبتدأ مضمر اي الامر والشأن ذلك قال الزمخشري كما يقدم الكاتب جملة من كلامه في بعض المعاني فاذا اراد
الخوض في معنى آخر قال هذا وقد كان كذا وقدره ابن عطية فرضكم ذلك او الواجب ذلك وقيل هو خبر مبتدأ محذوف
اي ذلك الامر الذي ذكرته وقيل في محل نصب اي امتثلوا ذلك ونظير هذه الاشارة قول زهير بعد تقدم جمل
في وصف هرم بن سنان • • وهذا ليس كمن يعيى بخطبته • وسط الندي اذا ما ناطق نطقا • والحرمة
ما لا يحل هتكه وجميع ما كلف الله تعالى بهذه الصفة من مناسك الحج وغيرها يحتمل ان يكون عاما في جميع تكاليفه
ويحتمل ان يكون خاصا فيما يتعلق بالحج وعن زيد بن اسلم رضي الله عنه الحرمات خمس • الكعبة الحرام • والمسجد الحرام
والبلد الحرام • والمسجد الحرام • والاحرام • وقال الليث حرمات الله تعالى ما لا يحل انتهاكها وقال الزجاج الحرمة
ما وجب القيام به وحرم التفريط فيه **قوله تعالى** فهو هو ضمير المصدر المفهوم من قوله ومن يعظم اي تعظيم
حرمات الله خير له كقوله تعالى اعدلوا هو اقرب وخير هنا ظاهر في التفضيل بالتأويل المعروف ومعنى التعظيم
العلم بوجوب القيام بها وحفظها وقوله عند ربه اي عند الله في الآخرة وقال الاصم هو خير له من التهاون **قوله تعالى**
واحلت لكم بهيمة الانعام ووجه النظم انه كان يجوز ان يظن ان الاحرام اذا حرم الصيد وغيره فالانعام ايضا تحرم
فبين تعالى ان الاحرام لا يؤثر فيها ثم استثنى منه ما يتلى في كتاب الله تعالى من المحرمات من النعم وهو المذكور في سورة
المائدة في قوله عز وجل غير محلي الصيد وانتم حرم **قوله تعالى** الا ما يتلى عليكم يجوز ان يكون استثناء متصلا وينصرف
الى ما يحرم من بهيمة الانعام بسبب عارض كالموت ونحوه وان يكون استثناء منقطعا اذ ليس فيها محرم وقد تقدم
تحرير هذا اول المائدة **قوله تعالى** من الاوثان في من ثلاثة اوجه الاول انها لبيان الجنس وهو مشهور قول المعربين
ويقدر بقولك الرجس الذي هو الاوثان وقد تقدم ان شرط كونها بيانية يجي في مواضع كثيرة لا يتأتى فيها ذلك
ولا بعضه الثاني انها لابتداء الغاية قاله شهاب الدين وقد خلط ابو البقاء القولين فقال هنا يعني انه في المعنى يؤول
الى ذلك ولا يؤول البتة الثالث انها للتبعيض وقد غلط ابن عطية في المعنى القائل بكونها للتبعيض فقال ومن قال
ان من للتبعيض قلب معنى الآية وافسده وقد يمكن التبعيض فيها بان يعني بالرجس عبادة الاوثان وبه قال ابن عباس
وابن جريج فكانه قال فاجتنبوا من الاوثان الرجس وهو العبادة لان المحرم من الاوثان انما هو العبادة الا ترى انه
قد يتصور استعمال الوثن في بناء وغيره مما لم يحرم الشرع استعماله فللوثن جهات منها عبادتها وهي بعض جهاتها
قال ابو حيان والاوثان جمع وثن ويطلق على ما صور من نحاس وحديد وخشب ويطلقونه ايضا على الصليب قال صلى الله
عليه وسلم لعدي بن حاتم وقد رأى في عنقه صليبا الق هذا الوثن عنك قال الاعشى • يطوف العباد بابوابه •

لعله والشهر الحرام

كطواف النصارى ببيت الوثن • واشتقاقه من وثن الشيء اذا اقام بمكانه وثبت فهو واثن وانشد والرؤبة •
على اخلاء الصفا الوثن • اي المقيم على العهد وقد تقدم الفرق بين الوثن والصليب **فصل** قال المفسرون
فاجتنبوا الرجس من الاوثان اي عبادتها اي كونوا على جانب منها فانها رجس اي سبب الرجس وهو العذاب والرجس بمعنى
الرجز وقال الزجاج من هنا للتجنيس اي اجتنبوا الاوثان التي هي الرجس واجتنبوا قول الزور واعلم انه تعالى لما حث على تعظيم
حرماته اتبعه بالامر باجتناب الاوثان وقول الزور لان توحيد الله تعالى وصدق القول اعظم الحرمات وانما جمع
الشرك وقول الزور في سلك واحد لان الشرك من باب الزور لان المشرك زاعم ان الوثن تحق له العبادة فكانه قال تعالى
فاجتنبوا عبادة الاوثان التي هي رأس الزور واجتنبوا قول الزور كله ولا تقربوا شيئا منه وما ظنك بشيء من قبيله
عبادة الاوثان وسمى الاوثان رجسا لا للنجاسة لكن لان وجوب تجنبها اكد من وجوب تجنب الرجس ولان عبادتها
اعظم من التلوث بالنجاسة قال الاصم انما وصفها بذلك لان عادتهم في القربان ان يتعمدوا سقوط الدماء عليها وهذا
بعيد وانما وصفها بذلك استخفافا واستحقارا والزور من الازورار وهو الانحراف **فصل** ذكر المفسرون
في قول الزور وجوها الاول قولهم هذا حلال وهذا حرام وما اشبه ذلك والثاني شهادة الزور لان النبي صلى الله عليه
وسلم صلى الصبح فلما سلم قام قايما واستقبل الناس بوجهه وقال عدلت شهادة الزور الاشراك بالله تعالى وتلا هذه
الاية الثالث الكذب والبهتان الرابع قول اهل الجاهلية في تلبيتهم لبيك لا شريك لك الا شريك هو لك تملكه وما ملك **قوله
تعالى** حنفاء لله حال من فاعل اجتنبوا وكذلك غير مشركين وهي حال موكدة اذ يلزم من كونهم حنفاء عدم الاشراك اي مخلصين
له اي تمسكوا بالاوامر والنواهي على وجه العبادة لله وحده لا على وجه اشراك غير الله به فلذلك قال غير مشركين بالله ثم قال
ومن يشرك بالله فكانما خر من السماء اي سقط من السماء الى الارض **قوله تعالى** فتخطفه قرا نافع بفتح الخاء والطاء مشددة
واصلها تختطفه فادغم وباقي السبعة فتخطفه بسكون الخاء وتخفيف الطاء وقرا الحسن والاعمش وابو رجاء رضي الله عنهم
بكسر التاء والخاء والطاء مع التشديد وروي عن الحسن ايضا فتح الطاء مشددة مع كسر التاء والخاء وروي عن الاعمش كقراءة العامة
الا انه بغير فاء تخطفه وتوجيه هذه القراءات قد تقدم في اوايل البقرة عند قوله تعالى يكاد البرق يخطف ابصارهم وقرا ابو جعفر
الرياح جمعا وقوله خر في معنى يخر ولذلك عطف عليه المستقبل وهو فتخطفه فيجوز ان يكون على بابه ولا يكون تخطف
عطفا عليه بل هو خبر مبتدا مضمر اي فهو تخطفه قال الزمخشري يجوز في هذا التشبيه ان يكون من المركب
والمفرق وان كان تشبيها مركبا فكانه تعالى قال من اشرك بالله فقد اهلك نفسه اهلاكا ليس وراءه هلاك بان صور حاله
بصورة حال من خر من السماء فاختطفته الطير فتفرق مزعا في حواصلها او عصفت به الريح حتى هوت به في بعض المطارح
البعيدة وان كان مفرقا فقد شبه الايمان في علوه بالسماء والذي ترك الايمان واشرك بالله بالساقط من السماء والاهواء
التي تتوزع افكاره بالطير المختطفة والشيطان الذي يطوح به في وادي الضلالة بالريح التي تهوي بما عصفت به في
بعض المهاوي المتلفة والسحيق البعيد ومنه سحقه الله اي ابعده ومنه قوله صلى الله عليه وسلم سحقا سحقا اي بعدا بعدا
والنخلة السحوق المفرطة في السماء من ذلك **قوله تعالى** ذلك ومن يعظم شعاير الله الاية اعراب ذلك ذلك المتقدم وتقدم
تفسير الشعيرة واشتقاقها في المايدة والمعنى ذلك الذي ذكرت في اجتناب الرجس وقول الزور وتعظيم شعاير
الله من تقوى القلوب قال ابن عباس شعاير الله البدن والهدايا واصلها من الاشعار وهو اعلامها لتعرف انها هدي وتعظيمها
استحسانها واستسمانها وقيل شعاير الله اعلام دينه وقيل مناسك الحج **قوله تعالى** فانها من تقوى القلوب اي فان
تعظيمها من افعال ذوي تقوى القلوب فحذفت هذه المضافات ولا يستقيم المعنى الا بتقديرها لانه لا بد من راجع من الجزاء
الى من ليرتبط به قال الزمخشري وانما ذكرت القلوب لان
المنافق قد يظهر التقوى من نفسه وقلبه خال عنها ولهذا لا يكون مجدا في الطاعات واما المخلص فتمكنت التقوى من قلبه
فانه يبالغ في اداء الطاعات على سبيل الاخلاص واعلم ان الضمير في قوله تعالى فانها من تقوى القلوب فيه وجهان الاول
انه ضمير الشعاير على حذف مضاف اي فان تعظيمها من تقوى القلوب والعايد على اسم الشرط من هذه الجملة الجزائية مقدر
تقديره فانها من تقوى القلوب والثاني انه ضمير المصدر المفهوم من الفعل قبله اي فان التعظمة من تقوى القلوب
والعايد على اسم الشرط من هذه الجملة الجزائية مقدر تقديره فانها من تقوى القلوب منهم ومن جوز اقامة المقام
الضمير وهم الكوفيون اجاز ذلك هنا والتقدير من تقوى قلوبهم كقوله تعالى فان الجنة هي الماوى وتقدم
تقريره والعامة على خفض القلوب وقرى برفعها فاعلة بالمصدر قبلها وهو تقوى **قوله تعالى** لكم فيها منافع اي
في الشعاير بمعنى الذبايح اي لكم في التمسك بها وقيل في بهيمة الانعام وهو قول مجاهد وقتادة والضحاك ورواه مقسم
عن ابن عباس وعلى هذا فالمنافع درها ونسلها واصوافها واوبارها وركوب ظهورها الى اجل مسمى ان يسميها ويوجبها هديا وهذا اختيار

شعاير

النافع

٣٥٧

النافعي ومالك واحمد واسحق رضي الله عنهم وهو اقوى لان النبي صلى الله عليه وسلم مر برجل يسوق بدنة وهو
في جهد فقال صلى الله عليه وسلم اركبها فقال يا رسول الله انها هدي فقال اركبها ويلك وقال صلى الله عليه وسلم اركبوا الهدي
بالمعروف حتى تجدوا ظهرا فاحتج ابو حنيفة رضي الله عنه على انه لا يملك منافعها بانه لا يجوز له ان يوجرها للركوب فلو كان
مالكا لمنافعها لملكها عقد الاجارة عليها كمنافع ساير المملوكات واجيب بان هذا قياس في معارضة النص ولا عبرة به
وايضا فان ام الولد لا يملك بيعها ويملك الانتفاع بها فكذا هنا ومن حمل المنافع على ساير الواجبات يقول لكم
بها اي في التمسك بها منافع الى اجل منقطع التكليف عنه والاول قول جمهور المفسرين لقوله تعالى ثم محلها الى البيت العتيق
اي وقت وجوب نحرها منتهية الى البيت كقوله تعالى هديا بالغ الكعبة وقوله تعالى محلها يعني حيث يحل نحرها واما
البيت العتيق الحرم كله بقوله تعالى ولا تقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا فالمنحر على هذا القول مكة ولكنها نزهت عن الدماء
الى منى ومنى من مكة قال صلى الله عليه وسلم كل فجاج مكة منحر وكل فجاج منى منحر قال القفال هذا انما يختص بالهدايا التي
تبلغ منى فاما الهدي المتطوع به اذا عطب على بلوغ مكة فان محله موضعه ومن قال الشعاير المناسك قال معنى قوله ثم محلها
الى البيت العتيق اي محل الناس من احرامهم الى البيت العتيق ان يطوفوا به طواف الزيارة يوم النحر **قوله تعالى** ولكل امة
جعلنا منسكا الاية قرا الاخوان هنا وما بعده منسكا بالكسر والباقون بالفتح وقيل هما بمعنى واحد والمراد بالمنسك
مكان النسك او المصدر وقيل المكسور مكان والمفتوح مصدر قال ابن عطية والكسر في هذا من الشاذ ولا يسوغ فيه القياس
ويشبه ان يكون الكسائي سمعه والكسائي يقول قرات به فكيف يحتاج فيه القياس الى سماع من عسكر باقوى السماعات وهو رواية
لذلك قرانا متواترا وقوله من الشاذ يعني قياسا لا استعمالا فانه يصح في الاستعمال وذلك ان فعل يفعل بضم العين في المضارع
قياس المفعل منه ان بفتح عينه مطلقا اي سواء اريد به الزمان ام المكان ام المصدر وقد شذت الفاظ ضبطها النحاة في كتبهم
مذكورة في هذا الكتاب **قوله تعالى** ولكل امة اي جماعة مومنة سلفت قبلكم من عهد ابراهيم صلى الله عليه وسلم جعلنا منسكا
اي ضربا من القربان اي باهراق الدماء وجعل العلة في ذلك ان يذكر اسمه عند ذبحها ونحرها فقال تعالى ليذكروا اسم الله
على ما رزقهم من بهيمة الانعام اي عند الذبح او النحر لانها لا تتكلم فقال في بهيمة الانعام قيد من النعم لان من البهايم ما
ليس من بهيمة الانعام كالخيل والبغال والحمير لا يجوز ذبحها للقرابين وكانت العرب تسمي ما تذبحه للصنم العتر والعتيرة
كالذبح والذبيحة **قوله تعالى** فالهكم اله واحد في كيفية النظم وجهان الاول لا اله الا واحد وانما اختلفت التكاليف
باختلاف الازمنة والاشخاص لاختلاف المصالح والثاني فالهكم اله واحد لا تذكروا على ذبايحكم غيره فله اسلموا
انقادوا واطيعوا في انقاد لله كان مخبتا فلذلك قال وبشر المخبتين قال ابن عباس وقتادة رضي الله عنهم المخبت
المتواضع الخاشع وقال مجاهد المطمئن الى الله والخبت المكان المطمئن من الارض فالمخبت في الحقيقة من صار في خبت
من الارض يقال اخبت الرجل اذا صار في الخبت كما تقول انجد واتهم واشام وقال الكلبي هم الرقيقة قلوبهم وقال عمرو بن اوس
هم الذين لا يظلمون واذا ظلموا لم ينتصروا **قوله تعالى** الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم يجوز ان يكون هذا
الموصول في موضع جر او نصب او رفع فالجر من ثلاثة اوجه الاول النعت والبدل منهم والبيان لهم والنصب على المدح والرفع
على اضمارهم وهو مدح ايضا وتسميه النحويون قطعا والمعنى اذا ذكر الله ظهر عليهم الخوف من عقاب الله والخشوع والتواضع
والصابرين على ما اصابهم من البلايا والمصايب من قبل الله لانه الذي يجب الصبر عليه كالامراض والمحن فاما ما يصيبهم
من قبل الظلمة فالصبر عليه غير واجب بل لو امكنه دفع ذلك لزمه الدفع ولو بالمقاتلة والمقيمي الصلاة في اوقاتها والعامة
على خفض الصلاة بالاضافة المقيمين اليها وقرا الحسن وابو عمرو في رواية بنصبها على حذف النون تخفيفا كما تحذف النون
لالتقاء الساكنين وقرا ابن مسعود والاعمش بهذا الاصل والمقيمين الصلاة باثبات النون ونصب الصلاة وقرا
الضحاك والمقيم الصلاة بميم ليس بعدها شي وهذا لاجل القراءة الحسن وابو عمرو في رواية بنصبها العامة لفظا وانما
يظهر مخالفتها لها وقفا وخطا ثم قال سبحانه ومما رزقناهم ينفقون اي يتصدقون فهم خاشعون خايفون متواضعون لله
مشتغلون بخدمة ربهم بالبدن والنفس والمال **قوله تعالى** والبدن جعلناها لكم من شعاير الله الاية العامة على نصب
البدن على الاشتغال ورجح النصب وان كان محوجا للاضمار على الرفع الذي لم يحوج اليه لتقدم فعلية جملة على جملة الا
شتغال وقرى برفعها على الابتدا والجملة بعدها الخبر والعامة ايضا على تسكين الدال وقرا الحسن ويروى نافع من شيخه
وابي جعفر بضمها وهما جمعان لبدنة نحو ثمرة وثمر والتسكين يحتمل ان يكون تخفيفا من المضموم وان يكون اصلا وقيل البدن
والبدن جمع بدن والبدن جمع بدنة نحو خشبة وخشب ثم يجمع خشبا على خشب وخشب وقيل البدن اسم مفرد لا جمع يعنون
اسم جمع او اسم جنس وقرا ابن ابي اسحق رحمه الله البدن بضم الباء والدال وتشديد النون وهي تحتمل وجهين الاول انه قرا كالحسن
فوقف على الكلمة وضعف لانها كقولهم هذا فرج ثم اجري الوصل مجرى الوقف في ذلك ويحتمل ان يكون اسما على فعل كعتل

وسميت البدنة بدنة لانها تبدن اي تسمن وهل تختص بالابل الجمهور على ذلك الثاني قال الزمخشري انها
جمع بدنة سميت لعظم بدنها وهي الابل خاصة لان رسول الله صلى الله عليه وسلم الحق البقر بالابل حين قال البدنة
عن سبعة والبقرة عن سبعة فجعل البقر في حكم الابل فصارت البدنة متناولة في الشريعة للجنسين عند ابي حنيفة واصحابه
والا فالبدن هي الابل وعليه تدل الاية وقيل لا تختص بالابل فقال الليث البدنة بالهاء تقع على الناقة والبقرة والبعير مما
يجوز في الهدي والاضاحي ولا تقع على الشاة وقال عطاء وغيره ما اشعر من ناقة او بقرة لقول النبي صلى الله عليه وسلم حين
سئل عن البقر فقال وهل هي الا من البدن وقيل البدن يراد به العظيم السن من الابل والبقر ونقل النووي في تحرير الفاظ التنبيه
عن الازهري انه قال البدنة تكون من الابل والبقر والغنم ويقول للسمين من الرجال وهو اسم جنس مطرد قوله تعالى من شعائر الله
هو المفعول الثاني للجعل بمعنى التصيير وقوله تعالى لكم فيها خير الجملة حال اما من هاء جعلناها واما من شعائر الله وهذان
مبنيان على ان الضمير في فيها هل هما عائدان على الهدي او البدن او على شعائر والثاني قول الجمهور قوله تعالى فاذكروا
اسم الله عليها صواف نصب صواف على الحال اي مصطفة جنب بعضها الى بعض وقرا ابو موسى الاشعري ومجاهد وزيد بن اسلم
صوافي جمع صافية اي خالصة لوجه الله تعالى وقرا عمرو بن عبيد كذلك الا انه نون الياء فقال صوافيا واستشكلت من حيث
انه جمع متناه وخرجت على وجهين احدهما ذكره الزمخشري وهو ان يكون التنوين عوضا من حرف الاطلاق عند الوقف
يعني انه وقف على صوافي باشباع فتحة الياء فتولد منها الف تسمى حرف الاطلاق ثم عوض عنه هذا التنوين وهو الذي
تسميه النحويون تنوين الترنم والثاني انه جاء على لغة من يصرف ما لا ينصرف وقرا الحسن صواف بالكسر والتنوين ووجهه
انه نصبها بفتحة مقدرة فصار حكم هذه الكلمة كحكمها حالة الرفع والجر في حذف الياء وتعويض التنوين عنها نحو هذه جوار
ومررت بجوار وتقدير الفتحة في الياء كثير كقولهم اعط القوس باريها وقوله كان ايديهن بالقاع القرق
ايدي جوار يتعاطين الورق وقول الاخر وكسوت عار لحمه ويدل على ذلك قراءة بعضهم صوافي بياء ساكنة من غير
تنوين نحو رايت القاضي يا فتى بسكون ويجوز ان يكون سكن الياء في هذه القراءة للوقف ثم اجري الوصل مجراه وقرا العبادلة
والاعمش ومجاهد صوافن بالنون جمع صافنة وهي التي تقوم على ثلاث وطرف الرابعة على طرف سنبكه لان البدنة تعقل
احدى يديها فتقوم على ثلاث الا ان الصوافن انما تستعمل في الخيل كقوله الصافنات الجياد كما سياتي فيكون استعماله
في الابل استعارة فصل سميت البدنة بدنة لعظمها يريد الابل العظام الصحاح الاجسام يقال بدن الرجل بدنا وبدانة
اذا ضخم فاما اذا اسن وضعف يقال بدن تبدينا جعلناها لكم من شعائر الله اي من اعلام دينه سميت شعائر لانها تشعر
وهو ان تطعن بحديدة في سنامها فيعلم انها هدي لكم فيها خير النفع في الدنيا والاجر في العقبى فاذكروا اسم الله عليها عند
نحرها صواف اي قياما على ثلاث قوائم قد صفت رجليها واحدى يديها ويدها اليسرى معقولة فينحرها كذلك لما روي
زياد بن جبير قال رايت ابن عمر اتى على رجل قد اناخ بدنته ينحرها قال ابعثها قياما مقيدة سنة محمد صلى الله عليه وسلم وقال مجاهد
الصواف اذا عقلت رجلها اليسرى وقامت على الثلاث قال المفسرون قوله فاذكروا اسم الله عليها فيه حذف اي اذكروا اسم الله
على نحرها وهو ان يقال عند النحر بسم الله والله اكبر ولا اله الا الله والله اكبر اللهم منك واليك والحكمة في اصطفافها ظهور كثرتها
للناظرين فتقوى نفوس المحتاجين ويكون التقرب بنحرها عند ذلك اعظم اجرا واعلاء اسم الله وشعائر دينه فائدة
اذا قال علي بدنة هل يجوز له نحرها في غير مكة قال ابو حنيفة ومحمد يجوز وقال ابو يوسف لا يجوز الا بمكة واتفقوا فيمن نذر
هديا ان عليه ذبحه بمكة ومن قال علي لله جزور فانه ينحره حيث شاء وقال ابو حنيفة البدنة بمنزلة الجزور فوجب ان يجوز نحرها
حيث شاء بخلاف الهدي فانه قال هديا بالغ الكعبة فجعل بلوغ الكعبة من صفة الهدي واحتج ابو يوسف بقوله والبدن
جعلناها لكم من شعائر الله فكان اسم البدنة يفيد كونها قربة فكان كاسم الهدي واجاب ابو حنيفة بانه ليس كلما كان ذبحه قربة
اختص بالحرم فان الاضحية قربة وهي جائزة في سائر الاماكن قوله تعالى فاذا وجبت جنوبها اي سقطت الى
ووجب الحائط اي سقط ومنه الواجب الزاهي كانه وقع علينا ولزمنا قال اوس بن حجر الم تكسف الشمس شمس النهار والبدر
للجبل الواجب قوله تعالى فكلوا منها امر اباحة واطعموا القانع والمعتر اختلفوا في معناهما فقال عكرمة وابراهيم
وقتادة القانع الجالس في بيته المتعفف يقنع بما يعطى ولا يسال والمعتر الذي يسال قال الازهري قال ابن الاعرابي يقال
عروت فلانا واعتريته وعروته واعتررته اذا اتيته تطلب معروفه ونحوه قال ابو عبيد وروى العوفي عن ابن عباس
القانع الذي لا يتعرض ولا يسال لعلي صدي التاويلين يقال القانع من القناعة يقال قنع قناعة اذا رضي بما قسم الله وقال سعيد
بن جبير والحسن والكلبي القانع الذي يسال والمعتر الذي يتعرض ولا يسال وقيل القانع الراضي بالشيء اليسير من قنع يقنع قنعا
فهو قانع والقنع بغير الف هو السائل ذكره ابو البقاء قال الزمخشري القانع السائل من قنعت وكنعت اذا خضعت له وسالته
قنوعا والمعتر المعترض بغير سؤال او القانع الراضي بما عنده وبما يعطى من غير سؤال من قنعت قنعا وقناعة والمعتر المعترض بالسؤال

انتهى

انتهى وفرق بعضهم بين المعنيين بالمصدر فقال قنع يقنع قنوعا اي سال وقناعة اي تعفف ببلغته واستغنى بها
وانشد للشماخ لمال المرء يصلحه فيغني مفاقره اعف من القنوع وقال ابن قتيبة المعتر المتعرض من غير سؤال
يقال عره واعتره وعراه واعتراه اذا اتاه طالبا معروفه قال لعمرك ما المعتر يغشى بلادنا لنمنعه بالضائع المتهضم
وقول الاخر سلي الطارق المعتر يا ام مالك اذا ما اعتراني بين قدري ومجزري وقرا ابو رجاء القنع دون الف
وفيها وجهان احدهما ان اصلها القانع فحذف الالف كما قالوا مقول ومخيط وجندل وعلبط في مقوال ومخياط
وجنادل وعلابط الثاني ان القانع هو الراضي باليسير والقنع السائل كما تقدم تقريره وقال الزمخشري القنع الراضي
لا غير والمعتري اسم فاعل من اعترى يعتري وقرا اسماعيل ويروى عن ابي رجاء والحسن ايضا والمعتر بحذف الياء اجتزاء
بالكسرة عن لام الكلمة وقرا المعتري بفتح الياء وقال ابو البقاء وهو في معنى المعتر في قراءة العامة
والاقرب ان القانع هو الراضي بما يدفع له من غير سؤال والحاج والمعتار هو الذي يتعرض ويطالب ويعتريهم حالا بعد
حال فيفعل ما يدل على انه لا يقنع بما يدفع اليه ابدا وقال ابن زيد القانع المسكين والمعتر الذي ليس بمسكين ولا يكون له ذبيحة
ويجي الى القوم فيتعرض لهم لاجل لحمهم قوله تعالى كذلك سخرناها الكاف نعت مصدر او حال من ذلك المصدر اي مثل
وصفنا ما وصفنا من نحرها قياما سخرناها لكم نعمة منا لتتمكنوا من نحرها لعلكم تشكرون لكي تشكروا انعام الله عليكم
قوله تعالى لن ينال الله لحومها العامة على القراءة بياء الغيبة في الفعلين لان التانيث مجازي وقد وجد الفصل بينهما
وقرا يعقوب بالتاء فيهما اعتبارا باللفظ وقرا زيد بن علي لحومها ولا دماءها بالنصب والجلالة بالرفع ولكن يناله
بضم الياء على ان يكون القائم مقام الفاعل التقوى ومنكم حال من التقوى ويجوز ان يتعلق بنفس يناله فان قيل
لما كان عادة الجاهلية اذا نحروا الهدي اي البدن لطخوا الكعبة بدمائها قربة الى الله عز وجل فانزل الله هذه الاية لن ينال
الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم اي ولكن يرفع اليه منكم الاعمال الصالحة وهي التقوى والاخلاص وما اريد
به وجه الله فالجواب قالت المعتزلة دلت هذه الاية على امور الاول ان الذي ينتفع به فعله دون الجسم الذي ينحره الثاني
انه سبحانه غني عن كل ذلك وانما المراد ان يجتهد العبد في امتثال امره الثالث انه لما لم ينتفع بالاجسام التي هي اللحوم والدماء
وانتفع بتقواه وجب ان يكون تقواه فعلا له والا كان تقواه بمنزلة الباطل الرابع انه شرط القبول بالتقوى وصاحب
الكبيرة غير متق فوجب ان لا يكون عمله مقبولا وانه لا ثواب له فصل اما الاول والثاني فحقان واما الثالث فمعارض
بالداعي والعلم واما الرابع فصاحب الكبيرة وان لم يكن متقيا مطلقا ولكنه متق فيما اتى به من الطاعة على سبيل الاخلاص
فوجب ان تكون طاعته مقبولة وعلى هذا تنقلب الاية حجة عليهم قوله تعالى كذلك سخرها الكاف نعت مصدر او حال
من ذلك المصدر ولتكبروا متعلق به اي انما سخرها كذلك لتكبروا الله وهو التعظيم وبما تعلق بما تفعل عند النحر وقبله
وبعده وعلى ما هداكم متعلق بالتكبير عدي بعلى لتضمنه معنى الشكر على ما هداكم ارشدكم لمعالم دينه ومناسك حجه وهو
ان يقول الله اكبر على ما هدانا والحمد لله على ما ابلانا واولانا ثم قال بعده على سبيل الوعد لمن امتثل امره وبشر المحسنين
كما قال من قبل وبشر المخبتين قال ابن عباس المحسنين الموحدين والمحسن هو الذي يفعل الحسن من الاعمال فيصير محسنا الى نفسه
بتوفير الثواب عليه قوله تعالى ان الله يدافع عن الذين امنوا قرا ابن كثير وابو عمرو يدفع والباقون يدافع وفيه وجهان
احدهما ان فاعل بمعنى فعل المجرد نحو جاوزته وجزته وسافرت وطوفت الثاني انه اخرج على زنة المفاعلة مبالغة فيه لان
فعل المفاعلة ابلغ من غيره وقال ابن عطية يحسن دافع لانه قد عن للمؤمنين من يدفعهم ويؤذيهم فيجي مقاومته ودفعه
عنهم مدافعة بعني فيلحظ فيها المفاعلة فصل لما بين الحج ومناسكه وما فيه من منافع الدنيا والاخرة
وذكر قبل ذلك صد الكفار عن المسجد الحرام اتبع ذلك ببيان ما يزيل الصد ويؤمن معه التمكن من الحج فقال ان الله يدافع
عن الذين امنوا قال مقاتل ان الله يدفع كفار مكة عن الذين امنوا بمكة وهذا حين امر المؤمنين بالكف عن كفار مكة قبل الهجرة
حين اذوهم فاذن النبي صلى الله عليه وسلم في قتالهم سرا فنهاهم والمعنى ان الله يدفع غائلة المشركين عن المؤمنين ويمنعهم من المؤمنين
ولم يذكر ما يدفعه حتى يكون اعظم وافخم واعم وان كان في الحقيقة انه لا يدفع الا عن المشركين فلذلك قال بعده ان الله لا يحب
كل خوان كفور فنبه بذلك على انه يدفع عن المؤمنين كيد من هذه صفته وهذه بشارة للمؤمنين باعلائهم على الكفار
وهو كقوله لن يضروكم الا اذى وقوله انا لننصر رسلنا والذين امنوا وقوله انهم لهم المنصورون ان الله لا يحب كل خوان
كفور في امانة الله كفور لنعمته قال ابن عباس خانوا الله فجعلوا معه شريكا وكفروا نعمته قال الزجاج من تقرب الى الاصنام
بذبيحته وذكر عليها غير اسم الله فهو خوان كفور قال مقاتل اقروا بالصانع وعبدوا غيره فاي خيانة اعظم من هذه
قوله تعالى اذن للذين يقاتلون قرا اذن مبنيا للفاعل نافع وابو عمرو وعاصم والباقون مبنيا للمفعول
قال الفراء والزجاج يعني اذن الله للذين يحرصون على قتال المشركين في المستقبل وانما يقاتلون فقراه مبنيا للمفعول

نافع وابن عامر وحفص والباقون مبنيا للفاعل وحصل من مجموع الفعلين ان نافعا وحفصا بنيا هما للمفعول وان ابن كثير وحمزة والكسائي بنوهما للفاعل وان ابا عمرو وابا بكر بنيا الاول للمفعول والثاني للفاعل وان ابن عامر عكس هذا فهي اربع رتب والماذون فيه محذوف للعلم به اي للذين يقاتلون في القتال وبانهم ظلموا يتعلق باذن والباء سببية اي بسبب انهم مظلومون **فصل** قال المفسرون كان مشركو مكة يؤذون اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا يزالون يجيئون بين مضروب ومشجوج فيشكون ذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول لهم اصبروا فاني لم اومر بالقتال حتى هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله هذه الاية وهي اول اية اذن الله فيها بالقتال ونزلت هذه الاية بالمدينة وقال مجاهد نزلت هذه الاية في قوم باعيانهم خرجوا مهاجرين من مكة الى المدينة فصاروا يمنعوننا فاذن الله لهم في قتال الكفار والذين يمنعونهم من الهجرة بانهم ظلموا اي بسبب ما ظلموا واعتدوا عليهم بالايذاء وان الله على نصرهم لقدير وهذا وعد منه تعالى بنصرهم كما يقال اي يقول المرء لغيره ان اطعتني فانا قادر على مجازاتك لا يعني بذلك القدرة بل يريد انه سيفعل ذلك **قوله تعالى** الذين اخرجوا من ديارهم يجوز ان يكون في محل جر نعتا على الاول او بيانا له او بدلا منه وان يكون في محل نصب على المدح وان يكون في محل رفع على اضمار مبتدا فان **قيل** لما بين انهم انما اذنوا في القتال لاجل انهم ظلموا فسر ذلك الظلم بقوله الذين اخرجوا من ديارهم بغير حق الا ان يقولوا ربنا الله فبين الله تعالى ظلمهم لهم بهذين الوجهين احدهما انهم اخرجوا من ديارهم والثاني انهم اخرجوا بسبب قولهم ربنا الله وكل واحد من الوجهين عظيم في الظلم **فالجواب** الا ان يقولوا فيه وجهان الاول انه منصوب على الاستثناء المنقطع وهما مما يجمع العرب على نصبه نحو ما زاد الا ما نقص وما نفع الا ما ضر فلو توجه العامل جاز فيه لغتان النصب وهو لغة الحجاز وان يكون كالمتصل في النصب والبدل نحو ما فيها احد الا حمار وانما كانت الاية الكريمة من الذي لا يتوجه عليه العامل لانك لو قلت الذين اخرجوا من ديارهم الا ان يقولوا ربنا الله لم يصح الثاني انه في محل جر بدلا من حق قال الزمخشري اي بغير موجب سوى التوحيد الذي ينبغي ان يكون موجب الاقرار والتمكين لا موجب الاخراج والتسيير ومثله هل تنقمون منا الا ان امنا بالله انتهى ومن جعله في موضع جر بدلا الزجاج الا ان ابا حيان رد ذلك فقال ما اجازاه من البدل لا يجوز لان البدل لا يجوز الا حيث سبقه نهي او نفي او استفهام بمعنى النفي واما اذا كان الكلام موجبا او امرا فلا يجوز البدل لان البدل لا يجوز الا حيث يكون العامل يتسلط عليه ولو قلت قام الا زيد وليضرب الا عمرو لم يجز ولو قلت في غير القران اخرج الناس من ديارهم الا ان يقولوا لا اله الا الله لم يكن كلاما هذا اذا تخيل ان يكون الا ان يقولوا في موضع جر بدلا من غير المضاف الى حق واما اذا كان بدلا من حق كما نص عليه الزمخشري فهو في غاية الفساد لانه يلزم منه ان يكون البدل يلي غير فيصير التركيب الا ان يقولوا وهذا لا يصح ولو قدرنا غير كما يقدر في النفي فيما مررت باحد الا زيد ان يقول ما مررت بغير زيد الا ان الزمخشري لما مثل البدل قدره بغير موجب سوى التوحيد وهذا تمثيل للصفة جعل الا بمعنى سوى ويصح على الصفة كما نص عليه باب الصفة باب البدل ويجوز ان يقال ما مررت بالقوم الا زيد على الصفة على البدل **قوله تعالى** ولولا دفع الله تقدم الخلاف فيه في البقرة وتوجيه القراءتين وقراءة نافع وابن كثير لهدمت بالتخفيف والباقون بالتثقيل على التكثير لان المواضع كثيرة متعددة والقراءة الاولى صالحة لهذا المعنى ايضا **قوله تعالى** صوامع وبيع وصلوات ومساجد العامة على صلوات بفتح الصاد واللام جمع صلاة وقرا جعفر بن محمد بضمهما وروي عنه بكسر الصاد ايضا وسكون اللام وقرا الجحدري ايضا وصلوات بضم الصاد وسكون الواو وبعدها تاء مثناة من فوق مثل صلب وصلوب والكلبي والضحاك كذلك الا انهما اعجما التاء بثلاث من فوقها والجحدري ايضا وابو العالية وابو رجاء ومجاهد الا انهم كذلك الا انهم جعلوا بعد الثاء المثلثة الفا فقالوا صلوثا وروي عن مجاهد في هذه التاء مثناة من تحت بعدها الف وقرا ابن مجاهد وحكي انه قرا صلوات بكسر الصاد وسكون اللام بعدها واو والف وتاء مثلثة وقرا الجحدري وصلوب مثل كعوب بالباء الموحدة وهو جمع صليب وقيل جمع فعول شاذ ظريف وظروف واسيد واسود وروي عن ابي عمرو وصلوات كالعامة الا انه لم ينونه منعه الصرف للعلمية والعجمة كانه جعله اسم موضع فهذه اربع عشرة قراءات المشهور منها واحدة وهي هذه الصلوات المعهودة ولا بد من حذف مضاف ليصح تسلط الهدم اي مواضع صلوات وبعضهم هدمت بمعنى عطلت فيكون قدرا مشتركا بين المواضع والافعال فان تعطيل كل شيء بحسبه واخر الصلاة تحديدها في الموجود والانتقال الى الاشرف والصلوات في لاء المسلمين صلوة كل ملة بحسبها وكلام الزمخشري انها تعني اسم مكان لانه سميت الكنيسة صلوة لانه يصلى فيها وقيل هي كلمة معربة اصلها بالعبرانية صلوثا انتهى وما ذكرنا من القراءة فقيل هي سريانية او عبرانية دخلت في لسان العرب ولذلك كثر فيها اللغات والصوامع جمع صومعة وهي البناء المرتفع الاعلى من قولهم رجل اصمع وهو الحديد القول واصلها فوعلة كدوخلة وهي متعبد الرهبان

لانهم ينفردون وقال قتادة والزجاج وقال ابو العالية هي كنائس اليهود وقال الزجاج الصوامع للنصارى وهي التي بنوها في الصحارى والبيع لهم ايضا وهي التي بنوها في البلد والصلوات لليهود وقال الزجاج هي بالعبرانية صلوثا والمساجد للمسلمين وهذا هو الاشهر وقال ابو العالية الصلوات للصابئين وقال ابو الحسن انها باسرها اسماء المساجد واما الصوامع فلان المسلمين قد يتخذون الصوامع واما البيع فاطلق هذا الاسم على المساجد على التشبيه واما الصلوات فالمعنى انه لولا ذلك الدفع لانقطعت الصلوة ولخربت المساجد **فصل** معنى ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض اي بالجهاد واقامة الحدود كانه قال ولولا دفع الله اهل الشرك على اهل الا بالمؤمنين من حيث يأذن لهم في جهادهم وينصرهم على اعدائهم لاستولى اهل الشرك على اهل الاديان وعطلوا ما يبنونه من مواضع العبادة وقال الكلبي يدفع بالنبيين عن المؤمنين وبالمجاهدين عن القاعدين عن الجهاد وروى ابو الجوزاء عن ابن عباس يدفع الله بالمحسن عن المسيء وبالذي يصلي عن الذي لا يصلي وبالذي يتصدق عن الذي لا يتصدق وبالذي يحج عن الذي لا يحج وعن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله يدفع بالمسلم الصالح عن مائة من اهل بيته ومن جيرانه ثم تلا هذه الاية وقال الضحاك يدفع بدين الاسلام وباهله عن اهل الذمة وقال مجاهد يدفع عن الحقوق بالشهود وعن النفوس بالقصاص فان **قيل** لماذا جمع الله بين مواضع عبادات اليهود والنصارى وبين مواضع عبادات المسلمين **فالجواب** اما على قول الحسن فالمراد بهذه المواضع اجمع عبادة المؤمنين وان اختلفت العبادات منها واما على قول غيره فقال الزجاج المعنى لولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدم في شرع كل نبي المكان الذي يتعبد فيه فلولا الدفع لهدم في زمن موسى الكنائس التي كانوا يصلون فيها في شرعه وفي زمن عيسى الصوامع والبيع وفي زمن نبينا المساجد فعلى هذا انما دفع عنهم حين كانوا على الحق من غير تحريف وقبل النسخ فان قيل كيف تهدم الصلوات على تاويل من اوله على صلوات المسلمين فالجواب من وجوه الاول المراد من هدم الصلوة ابطالها واهلاك من يفعلها كقولهم هدم فلان احسان فلان اذا قابله بالكفر دون الشكر الثاني ما تقدم من باب حذف المضاف كقوله واسال القرية اي اهلها والمراد مكان الصلوة الثالث لما كان الاغلب فيما ذكرنا يصح ان يهدم جاز ضم ما لا يصح ان يهدم اليه كقوله متقلدا سيفا ورمحا وان كان الرمح لا يتقلد فان **قيل** لم قدم الصوامع والبيع في الذكر على المساجد **فالجواب** لانها اقدم في الوجود وقيل اخر المساجد في الذكر كما في قوله ومنهم سابق بالخيرات قال عليه السلام ونحن الاخرون السابقون قال الكلبي ومقاتل يعود الى الكل لان الله تعالى يذكر في هذه المواضع كلها ويجوز ان تكون صفة للمساجد فقط ان خصصنا الضمير في فيها بها تشريفا لها ثم قال ولينصرن الله من ينصره اي ينصر دينه ونبيه وقيل يلقى الجهاد بالقبول نصرة لدين الله ان الله لقوي على اهل هذه النصرة التي وعدها المؤمنين عزيز وهو الذي لا يضام ولا يمنع مما يريده **قوله تعالى** الذين ان مكناهم يجوز في هذا الموصول ما جاز في الموصول قبله ويزيد هذا عليه بانه يجوز ان يكون بدلا من من ينصره ذكره الزجاج اي ولينصرن الله الذين ان مكناهم وان مكناهم شرط وجوابه اقاموا والجملة الشرطية باسرها صلة للموصول **فصل** لما ذكر الذين اذن لهم في القتال وصفهم في هذه الاية فقال الذين ان مكناهم في الارض والمراد من هذا التمكين السلطنة ونفاذ القول على الخلق اي نصرناهم على عدوهم حتى تمكنوا من البلاد قال قتادة وهم اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم المهاجرون لان الانصار لم يخرجوا من ديارهم فوصفهم بانهم اقاموا الصلاة واتوا الزكوة وامروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ثم قال ولله عاقبة الامور اي اخر امور الخلق ومصيرهم اليه اي يبطل كل ملك سوى ملكه لتصير الامور اليه بلا منازع **قوله تعالى** وان يكذبوك فقد كذبت قبلهم قوم نوح الاية لما بين اخراج الكفار المؤمنين من ديارهم بغير حق واذن في قتالهم وضمن للرسول النصرة وبين ان لله عاقبة الامور اردفه بما يجري مجرى التسلية للرسول بالصبر على اذيتهم بالتكذيب وغيره فقال وان يكذبوك فقد كذبت قبلهم سائر الامم انبياءهم وذكر الله عز وجل سبعة منهم فان **قيل** فلم قال وكذب موسى ولم يقل وقوم موسى **فالجواب** من وجهين احدهما ان موسى ما كذبه قومه بنو اسرائيل وانما كذبه غير قومه وهم القبط الثاني كانه قيل بعدما ذكر تكذيب كل قوم رسولهم وكذب موسى ايضا مع وضوح اياته وعظم معجزاته فما ظنك بغيره فامليت للكافرين اي امهلتهم الى الوقت المعلوم ثم اخذتهم عاقبتهم فكيف كان نكير اي فكيف كان انكاري عليهم بالعذاب وهو استفهام تقرير اي اليس كان واقعا قطعا ابدلتهم بالنعمة نقمة وبالكثرة قلة وبالحياة موتا وبالعمارة خرابا واعطيت الانبياء جميع ما وعدتهم من النصر على اعدائهم والتمكين لهم في الارض فينبغي ان يكون عاقبتك يا محمد الصبر عليهم فانه تعالى انما يمهل لمصلحة فلا بد من الرضى والتسليم وان شق ذلك على القلب والنكير مصدر بمعنى الانكار كالنذير بمعنى الانذار واثبت ياء نكيري حيث وقع ورش في الوصل وحذفها في الوقف والباقون بحذفها وصلا ووقفا **قوله تعالى** وكاين من قرية يجوز ان يكون كاين منصوب المحل على الاشتغال بفعل مقدر يفسره اهلكناها وان يكون في محل رفع بالابتداء والخبر اهلكناها وتقدم تقرير القول فيها قال بعضهم المراد من قوله وكاين من قرية وكم على وجه التكثير وقيل معناه ورب قرية والاول اولى

لانه اوكد في الزجر وقوله اهلكتها قرا ابو عمرو ويعقوب اهلكتها بالتاء وهو اختيار ابو عبيد لقوله فامليت للذين كفروا
ثم اخذتهم وقرا ابن كثير واهل الكوفة والمدينة اهلكناها **قوله تعالى** وهي ظالمة جملة حالية من هاء اهلكناها
وقوله فهي خاوية على عطف على اهلكتها فيجوز ان تكون في محل رفع على القول الثاني على الخبر وان لا يكون لها محل
لعطفها على الجملة المفسرة على القول وهذا اعني الزمخشري بقوله والثانية اعني قوله فهي خاوية على محل لها لانها
معطوفة على اهلكنا وهذا الفعل ليس له محل تفريعا على القول بالاشتغال والا اذا قلنا انه خبر لكاي كان له محل ضرورة
فصل المعنى وكم من قرية اهلكناها اي اهلها لقوله وهي ظالمة اي واهلها ظالمون فهي خاوية ساقطة على
عروشها على سقوفها قال الزمخشري كل مرتفع اظلك من سقف بيت او خيمة او ظلة فهو عرش والخاوي الساقط من خوى
النجم اذا سقط او من خوى المنزل اذا خلا من اهله فاذا فسر الخاوي بالساقط كان المعنى انها ساقطة على سقوفها
اي خرت سقوفها على الارض ثم تهدمت حيطانها فسقطت فوق السقوف وان فسرناه بالخالي كان المعنى انها خلت من
الناس مع بقاء عروشها وسلامتها ويمكن ان يكون خبر بعد خبر اي هي خاوية وهي على عروشها يعني ان السقوف
سقطت على الارض فصارت في قرار الحيطان وبقيت الحيطان قائمة فهي مشرفة على السقوف الساقطة وبئر معطلة
عطف على قرية وكذلك وقصر اي وكاين من بئر وقصر اهلكناهما قيل ويحتمل ان تكون معطوفة وما بعدها على عروشها
اي خاوية على بئر وقصر ايضا وليس بشيء والبئر من بارت الارض اي حفرتها ومنه التابير وهو شق كيزان الطلع والبئر
فعل بمعنى مفعول كالذبح بمعنى المذبوح وهي مؤنثة وقد تذكر على معنى القليب وقوله وبئر ذو حفرت وذو طويت
يحتمل التذكير والتانيث والمعطلة المهملة والتعطيل الاهمال وقال الحسن معطلة بالتخفيف يقال اعطلت البئر
وعطلتها فعطلت بفتح الطاء واما عطلت المراة من الحلي فبكسر الطاء والمعنى وكم من بئر معطلة متروكة لا يستقى منها
اي مخلاة من اهلها والمشيد المرتفع قال قتادة والضحاك ومقاتل رفيع طويل وقال سعيد بن جبير وعطاء ومجاهد
المجصص من الشيد وهو الجص والغاية ههنا من شاده وفي الثاني شيدة لانه هناك بعد جمع فناسب التكثير وهنا بعد
مفرد فناسب التخفيف وانه راس اية فاصلة **فصل** المعنى انه تعالى بين لان اهل القرية مع تكلفهم بنيانها
واغتباطهم لها جعلت لاجل كفرهم بهذا الوصف وكذلك البئر الذي تكلفوها وصارت بهم صارت معطلة ولا
شارب ولا وارد والقصر الذي احكموه بالجص وطولوه صار خاليا بلا ساكن وجعل ذلك عبرة لمن اعتبر وهذا يدل
على ان تفسير على بمع اولى لان التقدير وهي خالية على عروشها مع عروشها قيل ان البئر المعطلة والقصر المشيد باليمن
اما القصر على قلة جبل والبئر في سفحه ولكل واحد قوم في نعمة فكفروا فاهلكهم الله وبقي القصر والبئر خاليين
وروى ابو روق عن الضحاك ان هذا البئر بحضرموت في بلدة يقال لها حاضورا وذلك ان صالحا مع اربعة الاف نفر
ممن امن به اتوا حضرموت فلما نزلوها مات فيها فسميت بذلك لان صالحا حين حضرها مات فيها فبنوا فيها حاضورا
وقعدوا على ذلك البئر وجعلوا امر عليهم جليس بن جلاس وجعلوا وزيرها سحارب فاقاموا عليها زمانا ثم كفروا
وعبدوا اصنافا فارسل الله اليهم حنظلة بن صفوان وكان حمالا فيهم فقتلوه في السوق فاهلكهم الله وعطل بئرهم
وخرب قصورهم قال الامام ابو قاسم الانصاري وهذا عجيب لاني زرت قبر صالح بالشام في بلدة يقال لها عكا فكيف
يقال انه بحضرموت **قوله تعالى** افلم يسيروا في الارض فينظروا الاية يعني كفار مكة افلم يسيروا في الارض فينظروا الى مصارع
المكذبين من الامم الخالية فذكر ما يكامل به الاعتبار لان الرؤية لها حظ عظيم في الاعتبار وكذلك سماع الاخبار
ولكن لا يكمل هذان الامران الا بتدبر القلب لان من عاين وسمع ولم يتدبر ولم يعتبر لم ينتفع فلهذا قال فانها لا
تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور فيكون هو منصوبا على جواب الاستفهام وعبارة الحوفي على جواب
التقرير وقيل على جواب النفي وقرا مبشر بن عبيد فيكون بالياء من تحت لان التانيث مجازي ومتعلق الفعل محذوف
اي ما حل بالامم السالفة ثم قال قلوب يعقلون بها اي يعلمون بها وهذا يدل على ان العقل هو العلم وعلى ان محل العلم
هو القلب لانه جعل القلب آلة لهذا العقل فيكون القلب محلا للعقل ولهذا سمي الجهل بالعمى لان الجاهل لكونه
متحيرا يشبه الاعمى ثم قال واذان يسمعون بها اي ما يذكر لهم من اخبار القرون الماضية فيعتبرون بها **قوله تعالى**
فانها لا تعمى الضمير للقصة ولا تعمى الابصار مفسرة له وحسن التانيث في الضمير كونه وليه فعل بعلامة تانيث ولو
ذكر في الكلام فصل فقيل فانه لجاز وهي قراءة مروية عن عبد الله بن مسعود والتذكير باعتبار الامر والشان وقال
الزمخشري ويجوز ان يكون ضميرا مبهما يفسره الابصار وهي تعمى ضميره راجع اليه قال ابو حيان وما ذكره لا يجوز لان الذي
لا يفسره ما بعده محصور وليس هذا واحدا منه وهو في باب رب وفي باب نعم وبئس وفي باب التنازع او في باب الاعمال
وفي باب المبتدا والخبر على خلاف في بعضها وفي باب ضمير الشان والخمسة الاول تفسر بمفرد والا ضمير الشان فانه تفسير

بجملة وليس هذا واحدا من الستة قال شهاب الدين بل هذا من المواضع المذكورة وهو المبتدا وغاية ما في ذلك انه فصل
عليه ناسخ وهو ان فنظيره قولهم هي العرب تقول ما شاءت وليس النفس تحمل ما حملت وقوله تعالى ان هي الا حياتنا وقد جعل
الناسخ الزمخشري اي جميع ذلك مما يفسر بما بعده ولا فرق بين الاية الكريمة وبين هذه الامثلة الا دخول الناسخ
ولا اثر له لانه قال وعجبت من غفلة الشيخ عن ذلك **قوله تعالى** التي في الصدور صفة او بدل او بيان وهل هو توكيد
كقوله يطير بجناحيه لان القلوب لا تكون في غير الصدور اولها معنى زائد كما قال الزمخشري الذي قد تعورف واعتقد
ان العمى في الحقيقة مكانه البصر وهو ان تصاب الحدقة بما يطفئ نورها واستعماله في القلب استعارة كما في مثل فلما اريد
اثبات ما هو خلاف المعتقد نسبة العمى الى القلوب حقيقة ونفيه عن الابصار احتاج هذا التصوير الى زيادة تعيين
وفضل تعريف ليتقرر ان مكان العمى هو القلوب لا الابصار كما تقول ليس المضاء للسيف ولكنه للسانك الذي بين فكيك
تقريرا لما ادعيته للسان وتثبيت لان محل المضاء هو هو لا غير وكانك قلت ما نفيت المضاء عن السيف واثبته للسانك فلتة مني
ولا سهوا ولكن تعمدت به اياه بعينه تعمدا وقرره ابو البقاء على الزمخشري قوله تعمدت به اياه وجعل هذه عجمة من حيث
انه فصل الضمير وليس من مواضع فصله وكان من صوابه تعمدته كما تقول السيف ضربتك به فان قيل هل لا قيل
لا ضرب به اياك كما تقدم نظير هذا فالجواب عنه بما اجيب بقوله تعالى يخرجون الرسول واياكم ولقد وصينا الذين
اوتوا الكتاب من قبلكم واياكم وهو انه مع قصد تقويم غير الضمير عليه لغرض يمتنع اتصاله قال شهاب الدين واي خطا
في مثل هذا حتى يدعي العجمة على فصيح شهد له بذلك اعداؤه وان كان مخطئا في بعض الاعتقادات مما لا نحن فيه
بصدده قال ابن الخطيب ولي فيه وجه اخر وهو ان القلب قد يجعل كناية عن الخاطر والتدبير كقوله تعالى ان في ذلك
لذكرى لمن كان له قلب وعند قوم ان محل الفكر هو الدماغ فالله تعالى بين ان محل ذلك هو الصدر وفي محل العقل
خلاف مشهور والى الاول ميل ابن عطية قال هو مبالغة كما تقول نظرت اليه بعيني وكقوله تعالى يقولون بافواههم
وقد تقدم ان في قوله بافواههم فائدة زيادة على التاكيد **قوله تعالى** ويستعجلونك بالعذاب ولن يخلف الله وعده
الاية نزلت في النضر بن الحرث حيث قال ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء وهذا يدل على
انه عليه السلام كان يخوفهم بالعذاب ان استمروا على كفرهم ولهذا قال ولن يخلف الله وعده فلا يجيء ذلك يوم بدر ثم بين ان
العاقل لا ينبغي له ان يستعجل عذاب الاخرة فقال وان يوما عند ربك اي فيما ينالهم من العذاب وشدته كالف سنة
فبين تعالى انهم لو عرفوا حال عذاب الاخرة وانه بهذا الوصف لما استعجلوه قال ابو مسلم وقيل المراد طول ايام الاخرة في المحاسبة
وقيل ان اليوم الواحد والف سنة بالنسبة اليه على السواء لانه القادر الذي لا يعجزه شيء فاذا لم يستبعدوا امهال يوم فلا
يستبعدوا ايضا امهال الف سنة مما تعدون قرا ابن كثير وحمزة والكسائي يعدون بياء الغيبة كقوله ويستعجلونك وقرا
الباقون بالتاء لانه اعم ولانه خطاب للمسلمين واختلفوا في تنزيل الحجة قال ابن عباس يعني يوما من الايام الستة التي خلق الله
فيها السموات والارض وقال مجاهد وعكرمة يوما من ايام الاخرة ولما روى ابو سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ابشروا صعاليك المهاجرين بالنور التام يوم القيامة تدخلون الجنة قبل اغنياء الناس بنصف يوم وذلك
قدر خمسمائة سنة **قوله تعالى** وكاين من قرية امليت لها وهي ظالمة اي امهلتها مع استمرارهم على ظلمهم واغتروا
بذلك التاخير ثم اخذتهم بان انزلت العذاب بهم ومع ذلك فعذابهم مدخر وهو معنى قوله والى الله المصير فان قيل
ما الفائدة في قوله فكاين بالفاء وها هنا قال وكاين بالواو فالجواب ان الاولى وقعت بدلا من قوله فكيف كان نكير
واما هذه فحكمها ما تقدمها من الجملتين المعطوفتين بالواو اعني قوله ولن يخلف الله وعده وان يوما عند ربك كالف سنة
قوله تعالى قل يا ايها الناس انما انا لكم نذير مبين امر رسوله بان يديم لهم التخويف والانذار وان لا يفيدهم استعجالهم
للعذاب على سبيل الهزء عن ادامة التخويف والانذار وان يقول لهم انما بعثت للانذار فاستهزاؤكم بذلك لا يمنعني
منه **قوله تعالى** فالذين امنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة ورزق كريم لما امر الرسول ان يقول لهم اني
نذير مبين اردف ذلك بان امره بوعدهم ووعيدهم لان هذه صفة المنذر فقال فالذين امنوا وعملوا الصالحات فجمع
بين الوصفين وهذا يدل على ان العمل خارج عن مسمى الايمان وهذا يبطل قول المعتزلة ويدخل في الايمان كل ما يجب
من الاعتقاد بالقلب والاقرار باللسان ويدخل في العمل الصالح كل واجب وترك كل محظور ثم بين تعالى ان من
جمع بينهما فالله تعالى يجمع له بين المغفرة والرزق الكريم فالمغفرة عبارة عن غفران الصغائر او عن غفران
الكبائر بعد التوبة او عن غفرانها قبل التوبة والاولان واجبان عند الخصم واداء الواجب لا يسمى غفرانا فبقي
الثالث وهو العفو عن اصحاب الكبائر من اهل القبلة واما الرزق الكريم فهو اشارة الى الثواب والكريم هو الذي لا ينقطع
ابدا وقيل هو الجنة **قوله تعالى** والذين سعوا في اياتنا معاجزين اي جهدوا في ردها والتكذيب بها وسموها سحرا

وسمعوا اساطير الاولين يقال لمن بذل جهده في امر انه سعى فيه توسعا كما اذا سعى الماشي نهاية طاقته فقال انه سعى وذكر الايات والمراد التكذيب بها مجاز قال الزمخشري يقال سعيت في امر فلان اذا اصلحته او افسدته بسعيه

قوله تعالى معاجزين قرا ابن كثير بتشديد الجيم وفي حرفي سبا والباقون معاجزين في الاماكن الثلاثة وقال الجحدري كقراءة ابن كثير وابي عمرو في جميع القران وابن الزبير معجزين بسكون العين فاما الاولى ففيها وجهان احدهما قال الفارسي معناه ناسبين اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم الى العجز نحو فسقته اي نسبته الى الفسوق فانها للتكثير ومعناها مثبطين للناس عن الايمان واما الثانية فمعناها ظانين انهم يعجزوننا وقيل معاندين وقال الزمخشري عاجزه سابقه لان كل واحد منهما في طلب اعجاز الاخر عن اللحاق به فاذا سبقه قيل اعجزه وعجزه والمعنى سابقين ومسابقين في زعمهم وتقديرهم طامعين ان كيدهم للاسلام يتم لهم والمعنى سعوا في معناها بالفساد قال ابو البقاء العاجزين في موضع الحال ومثله هو وعده وقيل عاجزه سابق وعجز سبق **فصل** اختلفوا في المراد هل معاجزين الله او الرسول والمؤمنين والاقرب هو الثاني لانهم ان انكروا الله استحال منهم ان يطمعوا في اعجازه وان اثبتوه يبعد ان يعتقدوا انهم يعجزونه ويغلبونه ويصح منهم ان يظنوا ذلك في الرسول بالحيل والمكايد فاما القائلون بالاول فقال قتادة ظانين ومقدرين انهم يعجزوننا بزعمهم ان لا بعث ولا نشور ولا جنة ولا نار ويعجزوننا ويسبقوننا فلا نقدر عليهم كقوله تعالى ام حسب الذين يعملون السيئات ان يسبقونا او يعجزوا الله بادخال الشبه في قلوب الناس واما معاجزين غالب في الحقيقة يرجع الى الرسول والامة لا الى الله تعالى ثم قال اولئك اصحاب الجحيم اي انهم يدومون فيها **قوله تعالى** وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الاية قال ابن عباس ومحمد بن كعب القرظي وغيرهما من المفسرين لما راى رسول الله صلى الله عليه وسلم اعراض قومه عنه وشق عليه ما راى من مباعدتهم عما جاءهم به تمنى في نفسه ان ياتيه من الله ما يقارب بينه وبين قومه لحرصه على ايمانهم فجلس ذات يوم في نادي من اندية قريش واحب يومئذ ان لا ياتيه من الله شيء ينفروا عنه فانزل الله سورة والنجم اذا هوى فقراها رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بلغ افرايتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى القى الشيطان على لسانه لما كان يحدث به نفسه ويتمناه تلك الغرانيق العلى منها الشفاعة ترتجى فلما سمعت قريش ذلك فرحوا به ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم في قراءته وقرا السورة كلها وسجد في اخر السورة فسجد المؤمنون لسجوده وسجد جميع من في المسجد من المشركين فلم يبق في المسجد مؤمن ولا كافر الا سجد الا الوليد بن المغيرة وابو احيحة سعيد بن العاص فانهما اخذا حفنة من البطحاء ورفعاها الى جبهتيهما لانهما كانا شيخين كبيرين فلم يستطيعا السجود وتفرقت قريش وقد سرهم ما سمعوا وقالوا قد ذكر محمد الهتنا باحسن الذكر وقالوا قد عرفنا ان الله يحيي ويميت ويخلق ويرزق ولكن الهتنا هذه تشفع لنا عنده فان جعل لها محمد نصيبا فنحن معه فلما امسى رسول الله صلى الله عليه وسلم اتاه جبريل فقال يا محمد ماذا صنعت تلوت على الناس ما لم ازل به عن الله عز وجل وقلت ما لم اقل لك فحزن رسول الله صلى الله عليه وسلم حزنا شديدا وخاف من الله خوفا عظيما فانزل الله هذه الاية يعزيه وكان به رحيما قال ابن الخطيب واما اهل التحقيق فقالوا هذه الرواية باطلة موضوعة لوجوه من القران والسنة والمعقول اما القران فقوله تعالى ولو تقول علينا بعض الاقاويل لاخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين وقوله تعالى قل ما يكون لي ان ابدله من تلقاء نفسي ان اتبع الا ما يوحى الي وقوله تعالى وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى فلو انه قرا عقيب هذه الاية قوله تلك الغرانيق العلى لكان قد ظهر كذب الله في الحال وذلك لا يقوله مسلم وقوله وان كادوا ليفتنونك عن الذي اوحينا اليك لتفتري علينا غيره واذا لاتخذوك خليلا وكلمة كاد عند بعضهم قرب ان يكون الامر كذلك مع انه لا يحصل وقوله تعالى ولولا ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم وكلمة لولا لانتفاء الشيء لانتفاء غيره فدل ذلك على ان الركون القليل لم يحصل وقوله لنثبت به فؤادك وقوله سنقرئك فلا تنسى واما السنة فروي عن محمد بن اسحق انه سئل عن هذه القصة فقال هذا من وضع الزنادقة وصنفت فيه كتابا وقال الامام ابو بكر احمد بن الحسين البيهقي في صحيحه انه عليه السلام قرا سورة النجم وسجد فيها المسلمون والمشركون والانس والجن وليس فيه ذكر الغرانيق وروي هذا الحديث طرق كثيرة وليس فيها البتة ذكر الغرانيق واما المعقول فمن وجوه الاول ان من جوز على الرسول تعظيم الاوثان فقد كفر لان من المعلوم بالضرورة ان اعظم سعيه كان في نفي الاوثان الثاني انه عليه السلام ما كان عليه في اول الامر ان يصلي ويقرا القران عند الكعبة امنا لاذاء المشركين له حتى كانوا ربما مدوا ايديهم اليه وانما كان يصلي اذا لم يحضروها ليلا او في اوقات خلوة وذلك يبطل قولهم الثالث ان معاداتهم للرسول كانت اعظم من ان يقروا بهذا القدر من غير ان يقفوا على حقيقة الامر فكيف اجمعوا على انه عظم الهتهم حتى خروا سجدا مع انه لم يظهر عندهم موافقته لهم الرابع قوله فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله اياته وذلك ان احكام الايات بازالة ما يلقيه الشيطان عن الرسول اقوى من نسخه لهذه الايات التي تبقى الشبهة معها فاذا اراد الله تعالى احكام الايات لئلا يلتبس القران بغيره فجاز منع الشيطان من ذلك اصلا اولى الخامس انا لو جوزنا ذلك ارتفع الامان عن شرعه وجوزنا

في كل الشرائع ان يكون كذلك ويبطل في قوله تعالى بلغ ما انزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس فانه لا فرق في العقل بين النقصان عن الوحي وبين الزيادة فيه فبهذه الوجوه عرفنا على سبيل الاجمال ان هذه القصة موضوعة موضوعة اكثر ما في الباب ان جمعا من المفسرين ذكروها لكنهم ما بلغوا حد التواتر وخبر الواحد لا يعارض الدلائل العقلية والنقلية المتواترة واما من جهة التفصيل فالتمني جاء في اللغة لامرين احدهما تمني القلب والثاني القراءة قال تعالى ومنهم اميون لا يعلمون الكتاب الا اماني الا قراءة لان الامي لا يعلم القران من المصحف وانما يعلمه من القراءة قال حسان • تمنى كتاب الله اول ليلة • واخرها لاقى حمام المقادر • وقيل انما سميت القراءة امنية لان القارئ اذا انتهى الى اية رحمة تمنى حصولها واذا انتهى الى اية عذاب تمنى ان لا يبتلى بها وقال ابو مسلم التمني هو التقدير وتمنى هو تفعل من منيت والمنية وفاة الانسان للوقت الذي قدره الله ومنى الله لك اي قدر لك واذا تقرر ذلك فان التالي مقدر للحروف يذكرها شيئا فشيئا فالحاصل ان القراءة اما الامنية واما ان الامنية اما القراءة واما الخاطر فان فسرناها بالقراءة ففيها قولان احدهما انه يقال اراد بذلك ما يجوز ان يسهو الرسول فيه ويشتبه على القارئ دون ما رووه من قوله تلك الغرانيق العلى الثاني المراد منه وقوع هذه الكلمة في قراءته ثم اختلف القائلون بهذا على وجوه الاول ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يتكلم بقوله تلك الغرانيق العلى ولا الشيطان تكلم به ولا احد تكلم به لكنه عليه السلام لما قرا سورة النجم اشتبه الامر على الكفار فحسبوا بعض الفاظه ما رووه من قولهم تلك الغرانيق العلى وذلك على حسب ما جرت العادة به من توهم بعض الكلمات على غير ما يقال فالجماعة وهو ضعيف لوجوه احدها ان التوهم في مثل ذلك انما يصح فيما جرت العادة بسماعه فاما غير المسموع فلا يقع ذلك فيه ثانيها انه لو كان كذلك لوقع التوهم في بعض هذا التوهم لبعض السامعين دون البعض فان كان العادة مانعة من اتفاق الجمع العظيم في الساعة الواحدة على خيال واحد فاسد في المحسوسات ثالثها لو كان كذلك لم يكن مضافا الى الشيطان الوجه الثاني قالوا ان ذلك الكلام كلام الشيطان وذلك بان يلفظ بكلام من تلقاء نفسه يوقع في درج تلك التلاوة في بعض وقفاته ليظن انه من جنس الكلام المسموع من الرسول قالوا ويؤكد ذلك انه لا خلاف ان الجن والشياطين يتكلمون فلا يمتنع ان ياتي الشيطان بصوت مثل صوت الرسول فيتكلم بهذه الكلمات في اثناء كلام الرسول وعند سكوته فاذا سمع الحاضرون تلك الكلمة بصوت مثل صوت الرسول وما راوه شخصا اخر ظن الحاضرون انه كلام الرسول ثم هذا لا يكون قادحا في النبوة لما لم يكن فعلا له وهذا ايضا ضعيف فانك اذا جوزت ان يتكلم الشيطان في اثناء كلام الرسول بما يشتبه على كل السامعين كونه كلاما للرسول بقي هذا الاحتمال في كل ما يتكلم به الرسول فيفضي الى ارتفاع الوثوق عن كل الشرع فان **قيل** هذا الاحتمال واقع في الكل ولكنه لو وقع لوجب في حكمة الله ان يبين الحال فيه كما في هذه الواقعة ازالة للتلبيس **فالجواب** لا يجب على الله تعالى ازالة الاحتمالات كما في المتشابهات واذا لم يجب على الله ذلك امكن الاحتمال في الكل الوجه الثالث ان يقال المتكلم بذلك بعض شياطين الانس وهم الكفرة فانه عليه السلام لما انتهى في قراءة هذه السورة الى هذا الموضع وذكر اسماء الهتهم وقد علموا من عادته انه يعيبها فقال بعضهم تلك الغرانيق فاشتبه الامر على القوم لكثرة لغط القوم وكثرة صياحهم وطلبهم تغليطه واخفاء قراءته ولعل ذلك في صلاته لانهم كانوا يقربون منه في حال صلاته ويسمعون قراءته ويلغون فيها وقيل انه عليه السلام كان اذا تلا القران على قريش توقف في فصول الايات فالقى بعض الحاضرين ذلك الكلام في الوقفات فتوهم القوم انه من قراءة الرسول ثم اضاف الله ذلك الى الشيطان لانه بوسوسته يحصل ولانه سبحانه جعل ذلك المتكلم نفسه شيطانا وهذا ايضا ضعيف لوجهين احدهما انه لو كان كذلك لكان يجب على الرسول ازالة الشبهة وتصريح الحق وتبكيت ذلك القائل واظهار ان ذلك الكلمة صدرت منه ولو فعل ذلك لنقل فان **قيل** انما لم يفعل الرسول ذلك لانه كان قد ادى السورة بكمالها الى الامة دون ذلك الزيادة فلم يكن ذلك مؤديا الى اللبس كما لو يؤد سهوه في الصلوة بعد ان وصفها باللبس **فالجواب** لان القران لم يكن مستقرا على حالة واحدة في زمان حياته لانه كان ياتيه الايات فيلحقها بالسور فلم تكن تادية تلك السور بدون هذه الزيادة سببا لزوال اللبس ثانيها لو كان كذلك لاستحق العقاب على فعل الغير وذلك لا يليق بالحكيم الوجه الرابع ان المتكلم بهذا هو الرسول عليه السلام ثم هذا يحتمل ثلاثة اوجه اما ان يكون قال هذه الكلمة سهوا او قسرا او اختيارا فان قالها سهوا كما يروى عن قتادة ومقاتل انهما قالا انه عليه السلام كان يصلي عند المقام فنعس وجرى على لسانه هاتان الكلمتان فلما فرغ من السورة سجد وسجد كل من في المسجد وفرح المشركون بما سمعوا واتاه جبريل واستقراه فلما انتهى الى الغرانيق قال لم اتك بهذا فحزن رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ان نزلت هذه الاية وهذا ضعيف لوجوه الاول لو جاز ذلك لجاز في جميع المواضع وحينئذ تزول الثقة عن الشرع الثاني ان الساهي لا يجوز ان يقع منه مثل هذه الالفاظ المطابقة لوزن السورة وطريقتها ومعناها فعلم بالضرورة ان واحدا لو انشد قصيدة حتى لا يجوز ان يسهو حتى يتفق منه بيت شعر في وزنها

ومعناها وطريقها الثالث هب انه تلفظ بذلك سهوا فكيف لا يتنبه لذلك حين قرأها على جبرائيل وذلك ظاهر
واما انه تكلم بذلك قسرا كما قال قوم ان الشيطان اجرى النبي على التكلم به وهذا ايضا فاسد لوجوه الاول ان الشيطان
لو قدر على ذلك في حق النبي لكان اقتداره علينا اكثر فوجب ان يزيل الشيطان الناس عن الدين ولجاز في اكثر ما يتكلم احدنا
ان ذلك يكون باجبار الشيطان الثاني ان الشيطان لو قدر على هذا الاجبار لارتفع الامان عن الوحي لقيام هذا الاحتمال
الثالث انه باطل لقوله تعالى حاكيا عن الشيطان وما كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لي وقوله تعالى
انه ليس له سلطان على الذين امنوا وقال الا عبادك منهم المخلصين ولا شك انه عليه السلام كان سيد المخلصين واما انه تكلم
بذلك اختيارا وهاهنا وجهان احدهما ان يقال ان هذه الكلمة باطلة والثاني ان يقول انها ليست كلمة باطلة اما على القول الاول
ذكروا فيه طريقين الاول قال ابن عباس في رواية عطا ان شيطانا يقال له الابيض اتاه على صورة جبريل والقى عليه هذه الكلمة فقرأها
فلما سمع المشركون ذلك اعجبهم فجاءه جبريل فاستعرضه فقرأ السورة فلما بلغ الى تلك الكلمة قال جبريل انا ما جئتك بهذه فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم انه اتاني آت على صورتك فالقاه على لساني الطريق الثاني قال بعض الجهال انه عليه السلام لشدة حرصه
على ايمان القوم ادخل هذه الكلمة من عند نفسه ثم رجع عنها وهذان القولان لا يرغب فيهما مسلم البتة لان الاول يقتضي
انه عليه السلام ما كان يميز بين الملك المعصوم والشيطان الخبيث والثاني يقتضي انه كان خائنا في الوحي وكل واحد منهما
خروج عن الدين واما الوجه الثاني وهو ان هذه الكلمة ليست باطلة فههنا ايضا طرق الاول ان يقال الغرانيق هم الملائكة
وقد كان ذلك قرآنا في وصف الملائكة فلما ظن المشركون انه يريد آلهتهم نسخ الله ذلك الثاني ان يقال المراد منه الاستفهام
على سبيل الانكار فكأنه قال شفاعتهن ترتجى الثالث ان يقال ذكر الله تعالى الاثبات واراد النفي كقوله تعالى يبين الله لكم
ان تضلوا اي لا تضلوا كما قد يذكر النفي ويريد به الاثبات كقوله تعالى قل تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم ان لا تشركوا به شيئا
اي والمعنى ان تشركوا وهذان الوجهان الاخيران يعترض عليهما بانه لو جاز ذلك بناء على هذا التاويل فلم لا يظهروا كلمة
الكفر في جملة القرآن او في الصلاة بناء على هذا التاويل لا يجوز عليهم شيء من ذلك لان الله تعالى قد نصبهم حجة
واصطفاهم للرسالة فلا يجوز عليهم ما يطعن في ذلك او ينفر ومثل ذلك في التنفير اعظم من الامور التي جنبه الله تعالى نحو الفظاظة
وقول الشعر فقد ظهر بالقطع بكذب هذه الوجوه المذكورة في قوله الغرانيق العلا هذا اذا فسرنا التمني بالتلاوة فاما اذا فسرنا
التمني بالخاطر وتمني القلب فالمعنى انه عليه السلام اذا تمنى بعض ما يتمناه من الامور وسوس الشيطان اليه بالباطل ويدعوه
الى ما لا ينبغي ثم ان الله تعالى ينسخ ذلك ويبطله ويهديه الى ترك الالتفات الى الوسوسة ثم اختلفوا في كيفية تلك الوسوسة
على وجوه الاول انه تمنى ما يتقرب به الى المشركين من ذكر آلهتهم بالثناء قالوا انه عليه السلام كان يحب ان يتألفهم فكان يتردد ذلك
في نفسه فعندما لحقه النعاس زاد تلك الزيادة من حيث كانت في نفسه وهذا ايضا خروج عن الدين لما تقدم الثاني قال
مجاهد انه عليه السلام كان يتمنى انزال الوحي اليه على سرعة دون تاخير فنسخ الله ذلك بان عرفه ان انزال ذلك بحسب المصالح في الحوادث
والنوازل وغيرها الثالث يحتمل انه عليه السلام عند نزول الوحي كان يتفكر في تاويله اذا كان مجملا فيلقي الشيطان في جملته
ما لم يرده فبين تعالى انه ينسخ ذلك بالابطال ويحكم ما اراده بادلته وآياته الرابع اذا تمنى اذا اراد فعلا مقربا الى الله القى
الشيطان في فكره ما يخالفه فرجع الى الله في ذلك وهو كقوله تعالى ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا
وكقوله تعالى واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله **فصل** من الناس من قال لا يجوز حمل الامنية
على تمني القلب لانه لو كان كذلك لم يكن ما يخطر ببال رسول الله صلى الله عليه وسلم فتنة للكفار وذلك قوله ليجعل ما يلقي
الشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم فان قيل لا يبعد انه اذا قوي التمني اشتغل الخاطر فحصل السهو
في الافعال الظاهرة بسببه فيصير ذلك فتنة للكفار **فالجواب** رجع حاصل البحث الى ان الغرض من هذه الاية بيان
ان الرسل الذين ارسلهم الله وان عصمهم عن الخطأ مع العلم فلم يعصمهم عن جواز السهو ووسوسة الشيطان بل حالهم في جواز
ذلك كحال سائر البشر فالواجب ان لا يتبعوا الا فيما يفعلونه عن علم وذلك هو المحكم وقال ابو مسلم معنى الاية انه لم يرسل
نبي الا اذا تمنى كأنه قيل وما ارسلنا الى البشر ملكا وما ارسلنا اليهم نبيا الا منهم وما ارسلنا من نبي خلا عند تلاوته من
وسوسة الشيطان وان يلقي في خاطره ما يضاد الوحي ويشغله عن حفظه فيثبت الله النبي على الوحي وعلى حفظه ويعلمه
ثواب ذلك ويبطل ما يكون من الشيطان وان يلقي في خاطره قال وفيما تقدم من قوله يا ايها الناس انما انا لكم نذير مبين
تقوية لهذا التاويل كأنه تعالى امره ان يقول للكافرين انما انا نذير لكم لكني من البشر لا من الملائكة ولم يرسل الله قبلي ملكا
وانما ارسل رجالا فقد يوسوس الشيطان اليهم **فان قيل** هذا انما يصح لو كان السهو لا يجوز على الملائكة **فالجواب**
اذا كانت الملائكة اعظم درجة من الانبياء لم يلزم من استيلائهم بالوسوسة على الانبياء استيلاؤهم بالوسوسة على الملائكة
واعلم ان الله تعالى لما شرح حال هذه الوسوسة اردف ذلك ببحثين احدهما انه كالتنفيه ازالتها وهو قوله فينسخ الله ما يلقي الشيطان

ثم يحكم الله آياته فاذا حمل التمني على القراءة فالمراد به آيات القرآن والا فيحمل على احكام الادلة التي لا يجوز فيها الغلط
البحث الثاني انه تعالى لما بين ان تلك الوسوسة شرح اصلها اثرها في حق الكفار اولا ثم في حق المؤمنين ثانيا اما في حق
الكفار فهو قوله ليجعل ما يلقي الشيطان فتنة وهو انهم افتتنوا لما سمعوا ذلك والمراد به تشديد التعبد لان ما يظهر
من الرسول صلى الله عليه وسلم من الاشتباه في القراءة سهوا يلزمهم البحث عن ذلك ليميز السهو من العمد وليعلموا ان العمد
صواب والسهو قد لا يكون صوابا ثم قال للذين في قلوبهم مرض شك ونفاق وخصهم بذلك لانهم مع كفرهم محتاجون
الى التدبر واما المؤمنون فقد تقدم علمهم بذلك ولا يحتاجون الى التدبر واما القاسية قلوبهم فهم المشركون المصرون
على الجهل باطنا وظاهرا ثم قال وان الظالمين لفي شقاق بعيد يريد ان هؤلاء المنافقين والمشركين والمعنى وانهم
فوضع الظاهر موضع المضمر قضى عليهم بالظلم ولنرجع الى الاعراب فنقول الشقاق الخلاف الشديد والمعاداة والمباعدة
سواء واما في حق المؤمنين فهو قوله وليعلم الذين اوتوا العلم انه الحق من ربك **قوله تعالى** الا اذا تمنى القى الشيطان
في هذه الجملة بعد الا ثلاثة اوجه الاول انها في محل نصب على الحال والمعنى وما ارسلناه الا حالة هذه والحال محصورة
والثاني انها في محل الصفة لرسول فيجوز ان يحكم على موضعها بالجر باعتبار لفظ الموصوف وبالنصب باعتبار محله فان
من مزيدة فيه الثالث انها في موضع استثناء من غير الجنس قاله ابو البقاء يعني انه استثناء من غير الجنس قاله ابو البقاء يعني انه
استثناء منقطع واذا هذه يجوز ان تكون شرطية وهو الظاهر واليه ذهب الحوفي وان يكون لمجرد الظرفية قال ابو حيان
ونصوا على انه يليها يعني الا في نفي المضارع بلا شرط نحو ما زيد الا يفعل وما رأيت زيدا الا يفعل والماضي بشرط تقدم فعل
نحو ما يأتيهم من رسول الا كانوا او مصاحبة قد نحو ما زيد الا قد فعل وما جاء بعد الا في الاية جملة شرطية ولم يليها ماض مصحوب
بقد ولا عار منها فان صح ما نصوا عليه يؤول على ان اذا جردت للظرفية ولا شرط فيها وفصل بها بين الا والفعل الذي
هو التي وهو فصل جائز فيكون الا قد وليها ماض في التقدير ووجد شرطه وهو تقدم فعل قبل الا وهو وما ارسلنا قال السمين
الدين ولا حاجة الى هذا التكلف المخرج للاية عن معناها بل هي جملة حالية اما حال او صفة او استثناء كقوله تعالى الا من تولى
وكفر فيعذبه الله وكيف يدعي الفصل بها وبالفعل بعدها بين الا وبين الفعل من غير ضرورة تدعو اليه ومع عدم صحة المعنى
وقوله تعالى الا اذا تمنى انما افرد الضمير بان تقدم شيئان معطوف احدهما على الاخر بالواو لان في الكلام حذفا تقديره
وما ارسلنا من قبلك من رسول الا اذا تمنى كقوله والله ورسوله احق ان يرضوه والحذف اما من الاول او من الثاني والضمير في
امنيته فيه قولان اظهرهما انه ضمير الشيطان والثاني انه ضمير الرسول **قوله تعالى** ليجعل في متعلق هذه اللام اوجه
الاول انها متعلقة بيحكم اي ثم يحكم الله آياته ليجعل وقوله والله عليم حكيم جملة اعتراض واليه نحا الحوفي والثاني انها متعلقة
بينسخ واليه نحا ابن عطية وهو ظاهر ايضا الثالث انها متعلقة بالقى وليس بظاهر وفي اللام قولان احدهما انها
للعلة والثاني انها للعاقبة وما في قوله ما يلقي الشيطان انها بمعنى الذي ويجوز ان تكون مصدرية **قوله تعالى**
والقاسية واللام في القاسية موصولة والصلة صفتها وقلوبهم فاعل والضمير المضاف اليه هو عائد الموصول وانث
الصلة لان موصولها مؤنث مجازي ولو فعل موضعها لجاز تانيثه والقاسية عطف على الذين اي فتنة للذين في قلوبهم مرض
وفتنة للقاسية قلوبهم **قوله تعالى** وليعلم الذين عطف على يجعل عطف علة على مثلها والضمير في انه يعود على تمكين
الشيطان اي ليعلم المؤمنون ان تمكين الشيطان من ذلك الالقاء هو الحق اما على قول اهل السنة فلانه تعالى يتصرف في ملكه
كيف يشاء وملكه كان حقا واما على قول المعتزلة فلانه تعالى حكيم فيكون كل افعاله صوابا فيؤمنوا به وقال ابن عطية
ان يعود على القرآن وان لم يجر له ذكر فهو في قوة المنطوق قال الكلبي وقال مقاتل انه يعود الى نسخ الله والقاء الشيطان
وقوله فيؤمنوا عطف على وليعلم وفتخبت عطف عليه وما احسن ما وقعت هذه الفاآت ومعنى فتخبت اي تخضع وتسكن لقلوبهم
لعلمهم بان القضا كائن وكل ميسر لما خلق له ومعنى اوتوا العلم اي التوحيد والقرآن وقال السدي التصديق فيؤمنوا به
اي يعتقدوا انه من الله **قوله تعالى** وان الله لهادي قرأ العامة لهادي الذين بالاضافة تخفيفا وابن ابي عبلة
وابو حيوة بتنوين الصفة واعمالها في الموصول والمعنى ان الله يهدي الذين آمنوا الى طريق قويم وهو الاسلام **قوله
تعالى** ولكن الله لهاد ولا يزال الذين كفروا في مرية الاية لما بين حال الكافرين اولا ثم حال المؤمنين عاد الى
شرح الكافرين مرة اخرى فقال ولا يزال الذين كفروا في مرية شك ونفاق منه اي من القرآن او من الرسول او من
ما القاه الشيطان والمرية والمرية بالكسر والضم لغتان مشهورتان وظاهر كلام ابي البقاء انهما لغتان **قوله تعالى**
حتى تاتيهم الساعة وهذا يدل على ان الاعصار الى يوم القيمة لا يخلو من هذا ووصف بغتة اي فجاة من دون ان
يشعروا ثم جعل الساعة غاية لكفرهم وانهم يؤمنون عند اشراط الساعة على وجه الالحاق وقيل اراد بالساعة
الموت او ياتيهم عذاب يوم عقيم قال الاكثرون هو يوم بدر وقال عكرمة والضحاك هو يوم القيمة والعقيم من العقم

وفيه قولان احدهما انه من السد يقال امراة معقومة الرحم اي مسدودة عن الولادة وهذا قول ابي عبيد والثاني
اصله القطع ومنه الملك عقيم الحكم اي انه يقطع صلة الرحم بالتراحم عليه ومنه العقيم لانقطاع ولادتها والعقم
انقطاع الخير ومنه يوم عقيم قيل لانه لا ليلة بعده ولا يوم فشبه من القطع مثله ولا قبل لانهم لا يرون فيه حبليا
ولا قبل لان كل ذات حمل تضع حملها في ذلك اليوم فكيف يحصل الحمل فيه هذا ان اريد به يوم القيمة وان اريد به يوم
بدر فقيل لان ابناء الحرب يقتل فيه فكان النسا لم يلدنهم فيكونون عقما يقال رجل عقيم اي لا يولد له والجمع عقم وقيل
لانه الذي لا خير فيه يقال ريح عقيم اذا لم تنشئ مطرا ولم تلقح شجرا وقيل لانه لا مثل له في عظم امره وذلك لقتال الملائكة
فيه والقول الاول اولى لانه لا يجوز ان يقال ولا يزال الذين كفروا ويكون المراد الى يوم بدر لان من المعلوم انهم في مرية
بعد يوم بدر فان قيل لما ذكر الساعة فلو حملتم اليوم العقيم على يوم القيمة لزم التكرار فالجواب ليس كذلك لان
الساعة مقدمات القيمة واليوم العقيم هو نفس ذلك اليوم وعلى ان الامر لو كان كما قال لم يكن تكرارا لان في الاول
ذكر الساعة وفي الثاني ذكر عذاب ذلك اليوم وان اريد بالساعة وقت الموت وبعذاب يوم عقيم القيامة والسؤال
زايل **قوله تعالى** الملك يومئذ وهذا من اقوى ما يدل على ان اليوم العقيم هو ذلك اليوم واراد انه لا مالك
في ذلك اليوم سواه ويومئذ منصوب بما تضمنه لله من الاستقرار لوقوعه خبرا ويحكم يجوز ان يكون حالا من اسم
الله وان يكون مستانفا والتنوين في يومئذ عوض عن الجملة فقدرها الزمخشري يوم يؤمنون وهو لازم لجواز
المرية وقدره ايضا يوم تزول مريتهم انه تعالى بين كيف يحكم بينهم وانه يصير المؤمنين الى جنات النعيم والكافرين الى عذاب
مهين **قوله تعالى** والذين كفروا مبتدا وقوله فاولئك وما بعده خبره دخلت الفا لتضمن المبتدا معنى الشرط
فالشرط المذكور ولم يحتمل ان يكون خبرا عن اولئك وعذاب فاعل به لاعتماده على المخبر عنه وان يكون خبرا مقدما
وما بعده مبتدا والجملة خبر اولئك **قوله تعالى** والذين هاجروا مبتدا وقوله ليرزقنهم جواب قسم مقدر والجملة
القسمية وجوابها خبر قوله والذين هاجروا وفيه دليل على وقوع الجملة القسمية خبرا للمبتدا ومن يمنع يضمر قولا
هو الخبر يحكى به هذه الجملة دليل على وقوع الجملة القسمية وهو قول مرجوح **قوله تعالى** رزقا يجوز ان يكون
مفعولا ثانيا على انه من باب الرعي والذبح اي مرزوقا حسنا وان يكون مصدرا مؤكدا وقوله تعالى ثم قتلوا وقوله تعالى
مرخلا تقدم الخلاف في القراءة وهما في آل عمران والنسا **فصل** لما ذكر ان الملك له يوم القيمة وانه يحكم
بينهم ويدخل المؤمنين الجنات اتبعه بذكر الوعد الكريم للمهاجرين وافردهم بالذكر تفخيما لشانهم فقال والذين
هاجروا فارقوا اوطانهم وعشايرهم في طاعة الله وطلب رضاه ثم قتلوا او ماتوا وهم كذلك قال مجاهد نزلت
في طوايف خرجوا من مكة الى المدينة للهجرة فتبعهم المشركون يقاتلوهم وظاهر الاية العموم ثم قال ليرزقنهم الله
رزقا حسنا والرزق الحسن هو الذي لا ينقطع ابدا وهو نعيم الجنة وقال الحسن انه العلم والفهم لقول شعيب عليه السلام
ورزقني منه رزقا حسنا اي حلالا وهو الغنيمة وهذان الوجهان ضعيفان لانه تعالى جعله جزاء على هجرتهم في
سبيل الله بعد القتل والموت وبعدهما لا يكون الا نعيم الاخرة ثم قال وان الله لهو خير الرازقين ومعلوم ان كل الرزق
من عنده فقيل التفاوت انما كان بسبب انه تعالى يختص بان يرزق بما لا يقدر عليه غيره وقيل المراد انه الاصل في الرزق
وغيره انما يرزق بما تقدم من الرزق من جهة الله وقيل ان غيره ينقل من يده الى يد لواجب ولاجل ان يستحق به حمدا وثنا
او لاجل الرقة الجنسية واما الحق سبحانه فان كماله صفة ثابتة فلا يستفيد من شي كمالا زايدا بالرزق الصادر منه
لمحض الاحسان وقيل غيره انما يرزق اذا حصل في قلبه ارادة ذلك الفعل وتلك الارادة من الله تعالى فالرازق في
الحقيقة هو الله عز وجل **فصل** قالت المعتزلة الاية تدل على امور ثلاثة الاول ان غير الله قادر والثاني
ان غير الله يصح ان يرزق ويملك ولولا كونه قادرا مالكا لما صح ذلك الثالث ان الرزق لا يكون الا حلالا لقوله خير الرازقين
تدل على كونهم محمودين وممدوحين فان قيل لا نزاع في كون العبد قادرا انما القدرة مع الداعي موثرة في الفعل بمعنى الاستلزام
والمعنى بحث لفظي تقدم الكلام عليه فالجواب دل قوله ماتوا او قتلوا على ان حال المقتول في الجهاد والميت على
فراشه سواء لانه تعالى جمع بينهما في الوعد ويؤيده ما روي انس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال المقتول في سبيل الله والمتوفي
بغير قتل هما في الاجر شريكان ولفظ الشركة تشعر بالتسوية والا لما بقي لتخصيصهما بالذكر فايدة **قوله تعالى** ليدخلنهم
هذه الجملة يجوز ان تكون بدلا من ليرزقنهم وان تكون مستانفة وقوله مدخلا يرضونه وقوله في عيشة راضية وقوله
ارجعي الى ربك راضية مرضية ورضوان من الله اكبر ثم قال وان الله لعليم حليم عليم بما يستحقونه فيفعل بهم ويزيدهم او عليم
بما يرضيهم فيعطيهم ذلك في الجنة واما الحليم فلا يعجل بالعقوبة على من يقدم على المعصية بل يمهل لتقع منه التوبة
فيستحق الجنة **قوله تعالى** ذلك ومن عاقب ذلك خبر مبتدا مضمر اي الامر ذلك وما بعده مستانف والبا في قوله بمثل

ما عوقب به للسببية في الموضعين قاله ابو البقا والذي يظهر ان الاولى ان تكون للالة ومن عاقب مبتدا خبره لينصرنه
الله **فصل** المعنى الامر ذلك الذي قصصنا عليك ومن عاقب بمثل ما عوقب به او قاتل من كان يقاتله ثم كان
المقاتل باغيا عليه بان اضطره الى الهجرة ومفارقة الوطن وابتدأه بالمقاتلة قال مقاتل نزلت في قوم من المشركين لقوا قوما
من المسلمين لليلتين بقيتا من المحرم وكره المسلمون قتالهم وسالوهم بان يكفوا عن القتال من اجل الشهر الحرام فابوا وقاتلوهم
فذلك بغيهم عليهم وثبت المسلمون لهم فنصروا اوقع في انفس المسلمين من القتال في الشهر الحرام فانزل الله هذه الاية وعفى
عنهم وغفر لهم والعقاب الاول بمعنى الجزاء واطلق اسم العقوبة على الاول للتعلق الذي بينه وبين الثاني بقوله
وجزاء سيئة سيئة مثلها يخادعون الله وهو خادعهم وهذه النصرة تقوي تاويل من تاول الاية على مجاهدة
الكفار لا على القصاص لان ظاهر النص لا يليق الا بذلك وقال الضحاك هذه الاية في القصاص والجراحات لانها
مدنية قال الشافعي واحمد في ظاهر الروايتين عنه من حرق حرقناه ومن غرق غرقناه لهذه الاية فان الله تعالى جوز
للمظلوم ان يعاقب بمثل ما عوقب به ووعده النصر قال ابو حنيفة واحمد في الرواية الاخرى بل يقتل بالسيف فان قيل
كيف تعلق الاية بما قبلها فالجواب كانه تعالى قال مع اكرامي لهم في الاخرة بالوعد لا ادع نصرهم في الدنيا على من بغى عليهم
ثم قال وان الله لعفو غفور اي ان الله ندب المعاقبين الى العفو عن الجاني لقوله فمن عفى واصلح فاجره على الله وان تعفوا اقرب
للتقوى ولمن صبر وغفر ان ذلك لمن عزم الامور فلما لم يات بهذا المندوب فهو نوع اساءة فكانه تعالى قال اني عفوت
عن هذه الاساءة وغفرتها وقيل انه تعالى وان ضمن له النصر على الباغي لكنه عرض مع ذلك بما هو اولى به وهو العفو
والمغفرة فلوح فذكر هاتين الصفتين وفيه وجه اخر وهو انه تعالى وان ضمن له النصر على الباغي لكنه عرض مع ذلك
بما هو اولى به وهو ذكر العفو والمغفرة على انه قادر على العقوبة لانه لا يوصف بالعفو الا القادر على ضده **قوله تعالى**
ذلك بان الله يولج الليل في النهار وفيه وجهان الاول ان ذلك النصر بسبب انه قادر ومن قدرته كونه خالق الليل والنهار
ومتصرفا فيهما فوجب ان يكون قادرا عالما بما يجري فيهما واذا كان كذلك كان قادرا على النصر الثاني انه مع ذلك
النصر ينعم في الدنيا بما يفعله من تعاقب الليل والنهار وولوج احدهما في الاخر ومعنى ولوج احدهما في الاخر انه يحصل
ظلمة هذا في ضياء ذلك بغيبوبة الشمس وضياء ذلك في ظلمة هذا بطلوعها كما يضيء السراج وكما يضيء البيت بالسراج ويظلم
بفقده وقيل هو ان يزيد في احدهما ما ينقص من الاخر من الساعات وذلك مشاهدا وذلك خبره ثم قال وان الله سميع
بصير اي انه كما يقدر على ما لا يقدر عليه غيره فكذلك يدرك المسموع والمبصور لا يجوز المنع عليه وذلك كالتحذير
من الاقدام على ما لا يجوز في المسموع والمبصور **قوله تعالى** ذلك بان الله هو الحق قرا العامة وانما عطفا على الاول
والباقون بكسرها استينافا وقوله تعالى هو الحق يجوز ان يكون فصلا ومبتدا وجوز ابو البقا ان يكون توكيدا وهو
غلط لان المضمر لا يوكد المظهر ولكان صفة النصب اولى به من الرفع فيقال اياه لان المتبوع منصوب وقرا الاخوان
وحفص وابو عمرو هنا وفي لقمان يدعون بالياء من تحت والباقون بالتاء من فوق والفعل مبني للفاعل وقرا مجاهد
واليماني بالياء من تحت مبنيا للمفعول والواو التي هي ضمير يعود على معنى ما والمراد بها الاصنام والشياطين ومعنى الاية
ان ذلك الوصف الذي تقدم من القدرة على هذه الامور لاجل ان الله هو الحق اي هو الموجود الواجب لذاته الذي
يمتنع عليه التغير والزوال وان ما يفعل من عبادته هو الحق وما يفعل من عبادة غيره فهو الباطل ليس له دعوة
في الدنيا ولا في الاخرة وان الله هو العلي الكبير القادر والمقتدر فنبه بذلك على انه القادر على الضر والنفع دون
سائر من يعبد منبها بذلك في عبادته وزاجرا عن عبادة غيره واما الكبير فهو العظيم في قدرته وسلطانه وذلك
يفيد كمال القدرة **قوله تعالى** الم تر ان الله انزل من السماء ماء الاية لما دل على قدرته بما تقدم اتبعه بانواع
اخر من الدلايل على قدرته ونعمته فقال الم تر ان الله انزل من السماء ماء وفيه ثلاثة اوجه الاول المراد الروية الحقيقية
لان الماء النازل من السماء يرى بالعين واخضرار النبات على الارض يرى حتى يحمل الكلام على حقيقته اولى الثاني الخبر
اذ لم يخبر على سبيل الاستفهام الثالث لم تعلم قال ابن الخطيب والاول ضعيف لان الماء وان كان مرئيا الا ان كونه
انزل من السماء غير مرئي واذا ثبت هذا وجب حمله على العلم لان المقصود من تلك الروية هو العلم لان الروية
اذا لم يقترن بها العلم كانت كانها لم تحصل **قوله تعالى** فتصبح فيه قولان احدهما انه مضارع لفظا ماض معنى
تقديره فاصبحت فهو عطف على انزل فلا موضع له اذن وهو كلام ضعيف لان عطفه على انزل يقتضي ان يكون
لها محل من الاعراب وهو الرفع خبر لان الكلية لا يجوز لعدم الرابط الثاني على بابه ورفعه على الاستيناف قال
ابو البقا فهي اي القصة وتصبح الخبر قال شهاب الدين ولا حاجة الى تقدير مبتدا بل هذه جملة فعلية مستانفة لا سيما
وقد قدر المبتدا ضمير القصة فحذفه وهذا لا يجوز لانه لا يؤتى بضمير القصة الا للتاكيد والتعظيم والحذف ينافيه

قال الزمخشري فان قلت هل لا قيل فاصبحت ولم صرف الى لفظ المضارع قلت لنكتة فيه وهي افادة بقاء اثر المطر زمانا بعد زمان كما يقال انعم علي فلان عام كذا فاروح واغدو شاكرا له ولو قلت فرحت وغدوت لم يقع ذلك الموقع فان قيل فما بالرفع ولم ينصب جوابا للاستفهام فالجواب لم ينصب لاعطى عكس الغرض لان معناه اثبات الاخضرار فينقلب بالنصب الى نفي الاخضرار مثاله ان تقول لصاحبك الم تر اني انعمت عليك فتشكر ان نصبت فانت ناف لشكره شاك تفريطه وان رفعته فانت مثبت للشكر وهذا وامثاله مما يجب ان يرغب له من اتسم بالعلم في علم الاعراب وتوقير اهله قال ابن عطية قوله فتصبح بمنزلة قوله فتضحي او تصير عبارة عن استعجالها اثر نزول الماء واستمرارها كذلك عادة ورفع قوله فتصبح من حيث الخبرية والفا عاطفة وليست بجواب لان كونها جوابا لقوله الم تر فاسد المعنى قال ابو حيان ولم يبين هو ولا الزمخشري قبله كيف يكون النصب نافيا للاخضرار ولا كون المعنى فاسدا قال سيبويه رحمه الله تعالى سالت الخليل عن قوله الم تر ان الله انزل من السماء ماء فتصبح الارض مخضرة فقال هذا واجب وتنبيه كانك قلت اتسمع انزل الله من السماء ماء فكان كذا وكذا قال ابن خروف وقوله هذا واجب وقوله كذا يريد انهما ماضيان وفسر الكلام بما تسمع ليريك انه لا ينفصل بالاستفهام لضعف حكم الاستفهام فيه وقال بعض شراح الكتاب فتصبح لا يمكن نصبه لان الكلام واجب الا ترى ان المعنى ان الله انزل فالارض هذه حالها وقال الفراء الم تر خبر كما تقول في الكلام اعلم ان الله يفعل كذا وتقول انما امتنع النصب جوابا للاستفهام هنا لان النصب ا[?] معنى النفي اذا دخل عليه الاستفهام وكان يقتضي تقريرا في بعض الكلام وهو معامل معاملة النفي المحض في الجواب الا ترى الى قوله تعالى الست بربكم قالوا بلى وكذا بالجواب بالفا اذا اجيب النفي كان على معنيين في كل منهما ينتفي الجواب فاذا قلت ما تاتينا فتحدثنا بالنصب فالمعنى ما تاتينا محدثا فانما تاتينا ولا تحدث ويجوز ان يكون المعنى انك لا تاتي فكيف تحدث فالحديث منتف في الحالتين والتقرير باداة الاستفهام كالنفي المحض في الجواب يثبت ما دخلته الهمزة وينتفي الجواب فيلزم من هذا التقرير اثبات الروية وانتفاؤها وهو خلاف المقصود وايضا فان جواب الاستفهام ينعقد منه مع الاستفهام السابق شرط وجزا كقوله • الم تسال فتخبرك الرسوم • يتقدر ان تسال تخبرك الرسوم وهنا لا يتقدر ان تر انزال المطر تصبح الارض مخضرة لان اخضرارها ليس مرتبا على علمك ولا رويتك انما هو مرتب على الانزال وانما عبر بالمضارع لان فيه تصويب الهيئة التي الارض عليها والحالة التي لابست الارض والماضي انقطاع الشي وهذا كقول جحدر بن معاوية يصف حاله مع اسد نازله في قصة جرت له مع الحجاج بن يوسف الثقفي وهي ابيات منها قولـــــــه •

• يسمو بناظرتين تحسب فيهما •	لما اجالهما شعاع سراج •
• لما نزلت بحصن ازبر مهصر •	للقرن ارواح العدا مجاج •
• فاكر احمل وهو يقعي باسته •	فاذا يعود فراجع ادراج •
• وعلمت اني ان ابيت نزاله •	مني الحجاج لست بناج •

وقوله فاكر تصويب للحال والحالة التي لابسها قال شهاب الدين اما قوله وايضا فان جواب الاستفهام الى قوله انما هو لا يرتب احدهما انه استفهام بمعنى الخبر اي قد رايت فلا يكون له جواب والثاني ان ما بعد الفا ينصب اذا كان المستفهم عنه سببا له ورويته في ذلك لانزال الماء لا يوجب اخضرار الارض وانما يجب عن الماء واما قوله انما عبر بالمضارع فهو معنى كلام الزمخشري بعينه وانما غير عبارته واوضعها وقوله فتصبح استدل به بعضهم على ان الفا لا تقتضي التعقيب قال لان اخضرارها متراخ عن انزال الماء هذا بالمشاهدة واجيب عن ذلك بما نقله عن عكرمة من ان ارض مكة وتهامة على ما ذكروا انها تمطر الليلة فتصبح الارض غدوة فالبا على بابها قال ابن عطية شاهدت هذا في السوس الاقصى نزل المطر ليلا بعد قحط فتصبح تلك الارض التي تسفيها الرياح قد اخضرت بنبات ضعيف وقيل تراخي كل شي بحسبه وقيل ثم جمل محذوفة قبل الفا تقديره فتهتز وتربو وتنبت فتصبح تبين ذلك قوله تعالى فاذا انزلنا عليها الماء اهتزت وربت وانبتت وهذا من الحذف الذي يدل عليه فحوى الكلام كقوله فارسلون يوسف ايها الصديق افتنا الى اخر القصة وتصبح يجوز ان تكون الناقصة وان تكون التامة ومخضرة حال قاله ابو البقا وفيه بعد من المعنى ان يصير التقدير فتدخل الارض في وقت الصباح على هذه الحال ويجوز فيها ايضا ان تكون على بابها من الدلالة على اقتران مضمون الجملة بهذا الزمن الخاص وانما خص هذا الوقت لان الخضرة والبساتين ابهج ما ترى فيه ويجوز ان تكون بمعنى تصير وقرا العامة مخضرة بصيغة اسم الفاعل من اخضرت فهي مخضرة والاصل مخضرة بكسر الراء الاولى فادغمت في مثلها وقرا بعضهم مخضرة بفتح الميم وتخفيف الراء بزنة مبقلة ومسبعة والمعنى ذات خضرة كما تقول مسباع وذلك نقل ثم قال ان الله لطيف خبير اي انه رحيم بعباده ولرحمته فعل ذلك حتى عظم انتفاعهم به لان الارض

اذا اصبحت مخضرة والسماء اذا امطرت كان ذلك سبب العيش للحيوان اجمع ومعنى خبير اي عالم بمقادير مصالحهم فيفعل على قدر ذلك من غير زيادة ولا نقصان وقال ابن عباس لطيف بارزاق عباده خبير بما في قلوبهم من القنوط وقال الكلبي لطيف في افعاله خبير باعمال خلقه وقال مقاتل لطيف باستخراج النبت خبير بكيفية خلقه له ما في السموات وما في الارض عبيدا وملكا وهو غني عن كل شي لانه كامل لذاته ولكنه لما خلق الحيوان ولا بد في الحكمة من مطر ونبات فخلق هذه الاشياء رحمة للحيوانات وانعاما عليهم لا لحاجة به الى ذلك فاذا كان كذلك كان انعامه خاليا عن عوض عايد عليه فكان مستحقا للحمد فكانه قال انه لكونه غنيا لم يفعل ما يفعله الا للاحسان ومن كان كذلك كان مستحقا للحمد فوجب ان يكون غنيا حميدا فلهذا قال وان الله لغني حميد **قوله تعالى** الم تر ان الله سخر لكم ما في الارض اي ذلل لكم ما فيها فلا اصلب من الحجر ولا اشد من الحديد ولا اكثر هيبة من النار وقد سخرها لكم وسخر الحيوانات ايضا حتى ينتفع بها للاكل والركوب والحمل **قوله تعالى** والفلك العامة على نصب الفلك وفيه وجهان الاول انها عطف على ما في الارض وسخر لكم الفلك فافردها بالذكر وان اندرجت بطريق العموم تحت ما في قوله ما في الارض لظهور الامتنان بها ولعجب تسخيرها دون سائر المسخرات وتجري على هذا حال والثاني انها عطف على الجلالة تقديره الم تر ان الفلك تجري في البحر فتجري خبر على هذا وضم لام الفلك هنا الكسائي فيما رواه عن الحسن وهي قراءة ابن مقسم وقرا ابو عبد الرحمن وطلحة والاعرج وابو حيوة والزعفراني برفع والفلك على الابتدا وتجري بعده الخبر ويجوز ان يكون ارتفاعه عطفا على محل اسم ان عند من يجوز ذلك نحو ان زيدا وعمرو قايمان وعلى هذا فتجري حال ايضا والبا في بامره للسببية **فصـــل** وكيفية تسخير الفلك هو من حيث سخر الماء والرياح تجريها فلولا صفتهما على ما هي عليه لما جرت بل كانت تغوص او تقف فنبه تعالى لما كان هو المجري لها بالرياح نسب ذلك الى امره توسعا لان ذلك يفيد لتعظيمه باكثر مما يفيد لو اضافه الى فعله على عادة الملوك في مثل هذه اللفظة **قوله تعالى** ويمسك السماء ان تقع في ان تقع ثلاثة اوجه لاول انها في محل نصب او جر لانها على حذف حرف الجر تقديره من ان تقع الثاني انها في محل نصب فقط لانها بدل من السماء بدل اشتمال اي ويمسك وقوعها بمنعه الثالث انها في محل نصب على المفعول من اجله فالبصريون يقدرون كراهة ان تقع والكوفيون لئلا تقع **قوله تعالى** الا باذنه في هذا الجار وجهان احدهما انه متعلق بيقع اي الا باذنه فتقع والثاني انه متعلق بيمسك قال ابن عطية ويحتمل ان يعود قوله الا باذنه على الامساك لان الكلام يقتضي بغير حمد ونحوه كانه اراد الا باذنه فيمسكها قال ابو حيان ولو كان على ما قال لكان التركيب باذنه دون اداة الاستثناء ويكون التقدير ويمسك السماء باذنه قال شهاب الدين وهذا الاستثناء مفرغ ولا يقع في موجب لانه لما كان الكلام قبله في قوة النفي ساغ ذلك اذ التقدير لا يتركها تقع الا باذنه والذي يظهر ان هذه الباء حالية اي الا ملتبسة بامره ثم قال ان الله بالناس لرءوف رحيم اي المنعم بهذه النعم الجامعة لمنافع الدنيا والدين قد بلغ الغاية في الاحسان والانعام فهو اذن رءوف رحيم **قوله تعالى** وهو الذي احياكم اذ كنتم لم تكونوا شيئا ثم يميتكم عند انقضاء اجالكم ثم يحييكم يوم القيمة للثواب والعقاب ان الانسان لكفور لنعم الله عز وجل وهذا كما يعدد المرء نعمه على ولده ثم يقول ان الولد لكفور لنعم الوالد زجرا له عن الكفران وبعثا له على الشكر فلهذا اورده تعالى في الكفار فبين انهم دفعوا هذه النعم وكفروا بها وجهلوا خالقها مع وضوح امرها ونظيره قوله تعالى وقليل من عبادي الشكور قال ابن عباس الانسان هنا الكافر وقال في رواية هو الاسود بن عبد الاسد وابو جهل والعاص وابي بن خلف والاولى انه في كل المنكرين لكل امة جعلنا منسكا هم ناسكوه لما عدد نعمه وانه رءوف رحيم بعباده وان كان منهم من يكفر ولا يشكر اتبعه بذكر نعمه بما كلف فقال لكل امة جعلنا منسكا وحذف الواو من قوله لكل امة لانه لا تعلق لهذا الكلام بما قبله فحذف العاطف قال الزمخشري لان تلك انما رفعت مع ما يدانيها ويناسبها في الاي الواردة في المناسك فعطفت على اخواتها واما هذه فواقعة مع اباعد من معناها فلم تجد معطف **قوله تعالى** هم ناسكوه هذه الجملة صفة لمنسكا وقد تقدم انه يقرا بالفتح والكسر وقد تقدم الخلاف فيه هل هو مصدر او مكان وقال ابن عطية ناسكوه يعطي ان المنسك المصدر ولو كان مكانا لقال ناسكون فيه يعني ان الفعل لا يتعدى الى ضمير الظرف الا بواسطة في زمان له جاز لانه قد يتسع في الظرف فيجري مجرى المفعول فيصل الفعل الى ضميره بنفسه وكذا ما عمل عمل الفعل ومن الاتساع في الظرف الزماني قوله • ويوم شهدناه سليما وعامرا • قليل سوى الطعن النهال نوافله • ومن الاتساع في ظرف المكان قوله • ومشرب اشربه رسيل • لا اجن الطعم ولا وبيل • يريد اشرب فيه روي عن ابن عباس للنسك شريعة عاملون بها ويؤيده قوله تعالى جعلنا منكم شرعة ومنهاجا وروي عنه انه قال عيدا يذبحون فيه وقال مجاهد وقتادة وقربانا يذبحون وقيل موضع عبادة وقيل مالفا يالفونه

والاول اولى لان المنسك ماخوذ من النسك وهو العبادة فاذا وقع الاسم على كل العبادة ولا وجه للتخصيص
فان قيل هل لا حملتموه على الذبح لان المنسك لا يفهم منه في العرف الا الذبح وهل لا حملتموه على موضع العبادة وعلى
وقتها فالجواب عن الاول لا نسلم ان المنسك في العرف مخصوص بالذبح لان سائر افعال الحج يسمى مناسك قال عليه
السلام خذوا عني مناسككم وعن الثاني ان قوله هم ناسكوه اليق بالعبادة منه بالوقت والمكان **قوله تعالى** فلا ينازعنك
قرأ الجمهور بتشديد النون وقرأ بالنون المخففة وقرأ ابو مجلز فلا ينزعنك من نزعته من كذا اي قلعته منه وقال الزجاج
هو من نازعته فنزعته اي غلبته في المنازعة ومجيء هذه الاية كقوله تعالى فلا يصدنك عنها **فصل**
معنى الكلام على قراءة ابي مجلز اي اثبت في دينك ثباتا لا يطمعوا ان يخدعوك ليزيلوك عنه وقراءة ينازعنك فيه قولان
احدهما قال الزجاج انه نهي له عن منازعتهم كما تقول لا يضاربك فلان اي لا تضاربه قال البعض المفسرين فلا ينازعنك
في الامر في امر الذبائح نزلت في بديل بن ورقاء وبشر بن سفيان ويزيد بن حبيش قالوا لاصحاب النبي صلى الله عليه وسلم
ما لكم تاكلون ما تقتلونه بايديكم ولا تاكلون ما قتله الله والثاني ان المراد ان عليهم اتباعك وترك مخالفتك وقد
استقر الامر الان على شرعك ولانه ناسخ لكل ما عداه فكانه قال لكل امة بقيت منها بقية يلزمها ان تتحول الى اتباع
الرسول صلى الله عليه وسلم فلذلك قال فادع الى ربك اي لا تخص بالدعاء امة دون امة فكلهم امتك فادعهم الى شريعتك فانك
على هدى مستقيم والهدى يحتمل ان يكون نفس الدين وان يكون ادلة الدين وهو اولى كانه قال ادعهم الى هذا الدين فانك من حيث
الدلالة على طريقة واضحة ولهذا قال فان جادلوك اي فان عدلوا عن هذه الادلة الى المنازعة بعادتهم فقل الله اعلم بما تعملون
اي انه يعلم بعد ايضاح الادلة الامر الحاصل الذي يجري مجرى الوعيد والتحذير من يوم القيمة الذي يتردد بين جنة وثواب
لمن قبل وبين نار وعقاب لمن رد وانكر فقال ان الله يحكم بينكم يوم القيمة فيما كنتم فيه تختلفون فيعرفون حينئذ الحق من
الباطل **قوله تعالى** الم تعلم ان الله يعلم ما في السماء والارض وهذا استفهام معناه تقوية قلب الرسول عليه السلام والوعد
وايعاد الكافرين بان افعالهم كلها محفوظة عند الله لا يضل عنه ولا ينسى والخطاب مع الرسول عليه السلام والمراد سائر
العباد لان الرسالة لا تثبت الا بعد العلم بكونه تعالى عالما بكل المعلومات ولم يثبت ذلك لجاز ان يشتبه عليه الكاذب بالصادق
فحينئذ لا يكون اظهار المعجزة دليلا على الصدق واذا كان كذلك استحال ان لا يكون الرسول عالما بذلك فثبت ان المراد
ان يكون خطابا مع الغير ثم قال ان ذلك في كتاب اي كله في كتاب يعني اللوح المحفوظ وقال ابو مسلم معنى الكتاب
الحفظ والضبط والشد يقال كتبت المزادة اكتبها اذا حرزتها فحفظت بذلك ما فيها ومعنى الكتاب بين الناس حفظ
ما يتعاملون به فان قيل ان القول الاول يوهم ان علمه مستفاد من الكتاب فالجواب بان هذا القول وان كان صحيحا
نظرا الى الاشتقاق لكن حمل اللفظ على المتعارف اولى ومعلوم ان الكتاب هو ما يكتب فيه فان قيل اي فائدة في
ذلك الكتاب اذا كان محفوظا فالجواب ان كتبه تلك الاشياء في ذلك الكتاب مع كونها مطابقة للموجودات دليل على
انه تعالى غني في علمه عن ذلك الكتاب وفائدته ان الملائكة ينظرون فيه ثم يرون الحوادث داخلة في الوجود على وفقه
فيصير ذلك لهم زائدا على كونه تعالى عالما بكل المعلومات وقوله تعالى ان ذلك على الله يسير والمعنى ان ذلك مما يتعذر
على الخلق لا انه متى اراده الله تعالى فكان تعبير عن ذلك ثم انه تعالى بين ما يقدم الكفار عليه مع عظم نعمه ووضوح دلائله
فقال ويعبدون من دون الله ما لم ينزل به سلطانا اي حجة وما ليس لهم به علم اي عن جهل وليس لهم به دليل عقلي فهو تقليد وجهل
والقول الذي هذا شانه يكون باطلا وما للظالمين من نصير اي وما للمشركين من نصير مانع يمنعهم من عذاب الله تعالى
قوله تعالى وإذا تتلى عليهم اياتنا يعني القرآن بينات لانه تضمن العاقلة للدلائل العقلية وبيان الاحكام **قوله**
تعرف العامة على تعرف خطابا مبنيا للفاعل المنكر مفعول هو عيسى بن عمر يعرف بالياء من تحت مبنيا للمفعول المنكر مرفوع قام
مقام الفاعل والمنكر فاعل بمعنى الانكار وقوله الذين كفروا من اقامة الظاهر مقام المضمر للشهادة عليهم بذلك قال
الكلبي يعرف في وجوههم الكراهة للقرآن وقال ابن عباس التجبر والترفع وقال مقاتل انكروا ان يكون من الله **قوله**
تعالى يكادون يسطون هذه حال اما من الموصول وان كان مضافا اليه لان المضاف جزؤه واما من الوجوه لانها يعبر
بها عن اصحابها كقوله تعالى وجوه يومئذ عليها غبرة ثم قال اولئك هم ويسطون ضمن معنى يبطشون فتعدى تعديته
والا فهو متعد بعلى يقال سطا عليه واصله القهر والغلبة وقيل هي اظهار ما يهول للاخافة ولفلان سطوة اي تسلط
وقهر وقال الخليل والفراء والزجاج السطو شدة البطش والمعنى يهمون بالبطش والوثوب تكبرا وتعظيما لانكار ما خوطبوا
به اي يكادون يبطشون بالذين يتلون عليهم اياتنا اي محمدا صلى الله عليه وسلم واصحابه من شدة الغيظ يقال سطا عليه وسطا به
اذا تناوله بالبطش والعنف ثم امر رسوله ان يقابلهم بالوعيد فقال قل افانبئكم بشر من ذلكم اي بشر لكم واكره اليكم من هذا القرآن
ما يتلى عليكم الذي تسمعون او من غيظكم على التالين وسطوكم او مما اصابكم من الكراهة والغيظ بسبب ما يتلى عليكم **قوله تعالى**

النار تقرأ بالحركات الثلاثة فالرفع من وجهين احدهما الرفع على الابتداء والخبر جملة وعدها الله والجملة لا محل لها فانها
مفسرة للشر المتقدم كانه قيل ما شر من ذلك فقيل النار وعدها الله والثاني انها خبر مبتدا مضمر كانه قيل ما شر من ذلك
فقيل النار اي هو النار وحينئذ يجوز في وعدها الله الرفع على انها خبر بعد خبر واجيز ان يكون بدلا من النار وفيه
نظر من حيث ان المبدل منه مفرد وقد يجاب عنه بان الجملة في تاويل مفرد ويكون بدل اشتمال كانه قيل النار وعدها الله
الكفار واجيز ان تكون مستانفة لا محل لها وقال الزمخشري يجوز ان تكون النار مبتدا وعدها خبر وان تكون حالا من
الاعراب الاول انتهى فالاعراب الاول هو كون النار خبر مبتدا مضمر والزمخشري لم يجعلها حالا الا اذا نصب النار وجرها
باضمار هذا نصه وانما منع ذلك لما تقدم من قول ابي البقا وهو عمل العامل واما النصب فهو قراءة زيد بن علي وابن
ابي عبلة وفيه ثلاثة اوجه الاول انها منصوبة بفعل مقدر يفسره الفعل الظاهر والمسالة من باب الاشتغال الثاني
قال الزمخشري انها منصوبة على الاختصاص الثالث ان تنتصب باضمار اعني وهو قريب مما قبله وهو واما الجر
فهو قراءة ابن ابي اسحاق وابراهيم بن نوح على البدل من شر والضمير في وعدها قال ابو حيان الظاهر انه هو المفعول
الاول على انه تعالى وعد النار بالكفار اي يطعمها اياهم الا ترى الى قوله تعالى وتقول هل من مزيد ويجوز ان يكون الضمير
هو المفعول الثاني والذين كفروا هو المفعول الاول ثم قال وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنم قال انهما
الذين وينبغي ان يتعين الثاني لانه متى اجتمع بعد ما يتعدى الى اثنين شيئان ليس ثانيهما عبارة عن الاول فالفاعل
المعنوي رتبته التقديم وهو المفعول الاول ونعني بالفاعل المعنوي من يتاتى منه فعل فاذا قلت وعدت زيدا دينارا
فالدينار هو المفعول لانه لا يتاتى منه فعل وهو نظير اعطيت زيدا درهما فزيد هو الفاعل لانه اخذ الدرهم وقوله وبئس المصير
المخصوص بالذم محذوف تقديره وبئس المصير هي النار **فصل** والمعنى ان الذي ينالكم من النار اعظم مما
ينالكم عند تلاوة هذه الايات من الغضب والغم وهي النار وعدها الله الذين كفروا اذا ماتوا على كفرهم وبئس المصير هي النار
قوله تعالى يا ايها الناس ضرب مثل فاستمعوا له الاية لما بين انهم يعبدون من دون الله ما لا حجة لهم به ولا علم ذكر هاهنا
ما يدل على ابطال قولهم **قوله تعالى** ضرب مثل قال الاخفش هذا ليس بمثل وانما المعنى جعل الكفار لله مثلا وقال الزمخشري
فان قلت الذي جاء به ليس بمثل فكيف سماه مثلا قلت قد سميت الصفة والقصة الرائعة المتلقاة بالاستحسان والا
ستغراب مثلا تشبيها لها ببعض الامثال المسيرة لكونها مستغربة مستحسنة وقيل معنى ضرب جعل كقولهم ضرب السلطان
البعث وضرب الجزية على الذمة اي جعل ذلك عليهم ومعنى الاية جعل لي شبه وشبه في الاوثان اي جعل المشركون الاصنام
شركاي فعبدوها وقيل هو مثل من حيث المعنى لانه ضرب مثل من يعبد الاصنام بمن يعبد ما لا يخلق ذبابا فاستمعوا له
اي فتدبروه حق تدبره لان نفس السماع لا ينفع وانما ينفع بالتدبر **قوله تعالى** ان الذين تدعون قرأ العامة
تدعون بتاء الخطاب والحسن ويعقوب وهارون ومحبوب عن ابي عمرو بالياء وهو في كلتيهما مبني للفاعل وموسى
الاسواري واليماني يدعون بالياء من اسفل مبني للمفعول والمراد الاصنام فان قيل قوله ضرب يفيد فيما مضى
والله تعالى هو المتكلم بهذا الكلام ابتداء فالجواب اذا كان ما يورد من الوصف معلوما من قبل جاز ذلك فيه ويكون
ذكره بمنزلة اعادة امر تقدم **قوله تعالى** لن يخلقوا جعل الزمخشري نفي لن للتابيد وتقدم البحث معه في ذلك والذباب
معروف واحده ذبابة وجمعه القليل اذبة وفي الكثرة يجمع على ذبان وذبان بكسر الذال وضمها وعلى ذب والمذبة ما يطرد بها الذباب
وهو اسم جنس واحدته ذبابة يقع للمذكر والمؤنث فيفرد بالوصف ولو اجتمعوا له قال الزمخشري نصب على الحال كانه قيل قال
مستحيل خلقهم الذباب حال اجتماعهم لخلقه وتعاونهم عليه فكيف حال انفرادهم وقد تقدم ان هذه الواو عاطفة لهذه
الجملة الحالية المقتضية لخلقهم فكانه تعالى قال ان هذه الاصنام ان اجتمعت لا تقدر على خلق ذبابة على ضعفها فكيف
يليق بالعاقل جعلها معبودا فان قيل قوله وان يسلبهم الذباب شيئا السلب اختطاف الشيء بسرعة يقال سلبه نعمته والسلب
ما على القتيل وفي الحديث من قتل قتيلا فله سلبه وقوله لا يستنقذوه منه الاستنقاذ استفعال بمعنى الافعال
يقال انقذه من كذا اي انجاه منه وخلصه ومثله ابل المريض واستبل فالجواب كانه تعالى قال اترك امر الخلق
والايجاد وتكلم فيما هو اسهل منه فان الذباب ان سلب منها شيئا فهي لا تقدر على استنقاذ ذلك الشيء من الذباب
واعلم ان الدلالة الاولى صالحة بان يتمسك كون الاوثان خالقة عالمة حية مدبرة واما النفي لكونها مستحقة للتعظيم
والاول فاسد لان نفي كونها كذلك معلوم بالضرورة فلا فائدة في اقامة الدلالة عليها واما الثاني فان الدلالة لا
تفيده لانه لا يلزم من عدم على صور الكواكب او انها تماثيل الملائكة والانبياء المتقدمين **فصل** اما كونها
طلسمات موضوعة على صور الكواكب بحيث يحصل منها الضر والنفع فهو يبطل بهذه الدلالة فانها لم تنفع نفسها في هذا القدر
وهو تخليص النفس من الذبابة فلان لا تنفع غيرها اولى فاما انها تماثيل الملائكة والانبياء المتقدمين فقد تقرر في العقل

بالاستحسان

ان تعظيم غير الله ينبغي ان يكون اقل من تعظيم الله والقوم كانوا يعطونها نهاية التعظيم وحينئذ كان يلزم التسوية بينها وبين الله سبحانه وتعالى في التعظيم فمن هاهنا استوجبوا الذم **فصل** قال ابن عباس كانوا يطلون الاصنام بالزعفران فاذا جف جاءت الذباب فاستلبته وقال السدي كانوا يضعون الطعام بين يدي الاصنام فيقع الذباب عليه فيأكل منه وقال ابن زيد كانوا يحلون الاصنام باليواقيت واللآلي وانواع الجواهر ويطيبونها بانواع الطيب فربما يسقط منها واحدة فيأخذها طائر او ذباب فلا تقدر الآلهة على استردادها **قوله تعالى** ضعف الطالب والمطلوب قيل هو اخبار وقيل تعجب والاول اظهر قال ابن عباس الطالب الذباب يطلب ما يسلب من الطيب من الصنم والمطلوب الصنم يطلب الذباب منه السلب وقيل بالعكس الطالب الصنم والمطلوب الذباب فالصنم كالطالب لانه لو طلب ان يخلقه ويستنقذ منه ما استلبه لعجز عنه والذباب بمنزلة المطلوب وقال الضحاك الطالب العابد والمطلوب المعبود لان كون الصنم طالبا ليس حقيقة على سبيل التقدير وقيل المعنى ضعفا يظهر قبح هذا المذهب كما يقال عند المناظرة ما اضعف هذا المذهب وما اضعف هذا الوجه **قوله تعالى** ما قدروا الله حق قدره ما عظموه حق تعظيمه حيث جعلوا هذه الاصنام على نهاية خساستها شركاء له في المعبودية ان الله لقوي عزيز قوي لا يتعذر عليه فعل شيء عزيز لا يقدر احد على مغالبته فاي حاجة الى القول بالشركاء قال الكلبي في هذه الاية وفي نظيرها في سورة الانعام انها نزلت في مالك بن الصيف وكعب بن الاشرف وكعب بن اسد وغيرهم من اليهود حيث قالوا ان الله سبحانه لما فرغ من خلق السموات والارض اعيا من خلقها فاستلقى واستراح ووضع احدى رجليه على الاخرى فنزلت هذه الاية تكذيبا لهم ونزل قوله تعالى وما مسنا من لغوب **قوله تعالى** الله يصطفي من الملائكة رسلا الاية لما ذكر ما يتعلق بالالهيات ذكرهم هنا ما يتعلق بالنبوات قال بعضهم تقدير الكلام ومن الناس رسلا ولا حاجة لذلك بل قوله ومن الناس معطوف على التقدير اي يصطفي من الملائكة ومن الناس قال مقاتل قال الوليد بن المغيرة ءانزل عليه الذكر من بيننا فانزل الله هذه الاية فان **قيل** كلمة من للتبعيض فقوله من الملائكة يقتضي ان يكون الرسل بعضهم لا كلهم وقوله جاعل الملائكة رسلا يقتضي كونهم كلهم رسلا فكيف الجمع **فالجواب** يجوز ان يكون المذكور هاهنا ان يكونوا رسلا الى بني آدم وهم كابر الملائكة كجبرائيل وميكائيل واسرافيل والحفظة صلوات الله عليهم واما كل الملائكة فبعضهم رسل البعض فان **قيل** قوله في سورة الزمر لو اراد الله ان يتخذ ولدا لاصطفى مما يخلق ما يشاء يدل على ان ولده يجب ان يكون مصطفى وهذه الاية تدل على ان بعض الملائكة وبعض الناس من المصطفين فلزم بمجموع الايتين اثبات الولد **فالجواب** ان قوله لو اراد الله ان يتخذ ولدا لاصطفى يدل على ان كل ولد مصطفى ولا يدل على ان كل مصطفى ولد ولا يلزم من دلالة هذه الاية على وجود مصطفى كونه ولدا وايضا فالمراد من هذه الاية تبكيت من عبد غير الله من الملائكة كانه سبحانه ابطل في الاية الاولى قول عبدة الاوثان وفي هذه الاية ابطل قول عبدة الملائكة فبين ان علو درجة الملائكة ليس بكونهم آلهة لان الله اصطفاهم لمكان عبادتهم فكانه تعالى بين انهم ما قدروا الله حق قدره اذ جعلوا الملائكة معبودة مع الله تعالى ثم بين تعالى بقوله ان الله سميع بصير انه يسمع ما يقولون ويرى ما يفعلون ولذلك اتبعه بقوله سبحانه يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم قال ابن عباس ما قدموا وما خلفوا وقال الحسن ما بين ايديهم ما عملوا وما خلفهم ما هم عاملون من بعد ثم قال والى الله ترجع الامور اشارة الى القدرة التامة والتفرد بالالهية والحكم ومجموعهما يتضمن نهاية الزجر عن الاقدام على المعصية **قوله تعالى** يا ايها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا الى آخر السورة لما ذكر الالهيات ثم النبوات اتبعه في الكلام في الشرائع وهو من اربعة اوجه الاول تعيين المامور والثاني اقسام المامور به والثالث ما يوجب قبول تلك الاوامر والرابع تاكيد ذلك التكليف فاما تعيين المامور فهو قوله يا ايها الذين آمنوا وفيه الخطاب للمؤمنين لانه صرح بهم وبقوله هو اجتباكم وبقوله هو سماكم المسلمين وبقوله وتكونوا شهداء على الناس وقيل خطاب لكل المكلفين مؤمنا كان او كافرا لان التكليف بهذه الاشياء عام في كل المكلفين فلا معنى لتخصيص المؤمن بذلك واما فائدة التخصيص فلانه لما لم يقبله الا المؤمن خصهم بالذكر ليحرضهم على المواظبة على ما قبلوه وكالتشريف لهم في ذلك الافراد واما المامور به فاربعة اشياء اولها الصلاة وهو المامور بقوله اركعوا واسجدوا لان اشرف اركان الصلاة هو الركوع والسجود والصلاة هي المختصة بهذين الركنين فجرى ذكرهما مجرى ذكر الصلاة وذكر ابن عباس ان الناس كانوا في اول اسلامهم يركعون ولا يسجدون حتى نزلت هذه الاية وثانيها قوله واعبدوا ربكم قيل وحدوه وقيل اعبدوا ربكم في سائر المامورات والمنهيات وقيل افعلوا الركوع والسجود وسائر الطاعات بنية العبادة وثالثها قوله وافعلوا الخير قال ابن عباس هو صلة الرحم ومكارم الاخلاق لعلكم تفلحون تفوزون بالجنة وقيل كلمة لعل للترجي وان الانسان قلما يخلو من اداء فريضة في تقصير فليس هو على يقين من ان الذي اتى به هل هو

مقبول عند الله والعواقب مستورة وكل ميسر لما خلق له **فصل** اختلفوا في سجود التلاوة عند قراءة هذه الاية فذهب عمر وعلي وعمر بن مسعود وابن عباس الى انه يسجد وبه قال ابن المبارك واحمد واسحق والشافعي لما روي عن عقبة بن عامر قال قلت يا رسول الله سورة فصلت وسورة الحج ان فيهما سجدتين قال نعم من لم يسجدهما فلا يقرأهما وقال سفيان الثوري واصحاب الرأي لا يسجد هاهنا وعدد سجود القرآن اربع عشرة سجدة عند اكثر اهل العلم منها ثلاث في المفصل وروي عن ابي بن كعب وابن عباس ليس في المفصل سجود وبه قال مالك وقد صح عن ابي هريرة قال سجدنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في اقرأ وفي السماء انشقت وابو هريرة متاخر الاسلام واختلفوا في سجدة ص فروي عن ابن عباس انها سجدة شكر وهو مذهب الشافعي وعن عمر انه يسجد فيها وهو قول الثوري وابن المبارك واصحاب الرأي واحمد واسحق رابعها **قوله تعالى** وجاهدوا في الله حق جهاده منصوبا على المصدر وهو واضح وقال ابو البقاء ويجوز ان يكون نعتا لمصدر محذوف اي جهادا حق جهاده وفيه نظر من حيث ان هذا معرفة فكيف يجعل صفة لنكرة قال الزمخشري فان **قلت** ما وجه هذه الاضافة وكان القياس حق الجهاد فيه او حق جهادكم فيه كما قال وجاهدوا في الله **قلت** الاضافة تكون بادنى ملابسة واختصاص فلما كان الجهاد مختصا بالله من حيث انه مفعول من اجله ولوجهه صحت اضافته اليه ويجوز ان يتسع في الظرف كقوله ويوم شهدناه سليما وعامرا يعني بالظرف الجار والمجرور كانه قال الاصل حق جهاد فيه فحذف المجرور واضيف المصدر للضمير وهو من باب هو حق عالم وجد عالم اي عالم حقا وعالم جدا **فصل** المعنى جاهدوا في الله اعداء الله حق جهاده وهو استفراغ الطاقة فيه قال ابن عباس ومنه لا تخافون لومة لائم وقال الضحاك ومقاتل اعملوا لله حق عمله واعبدوه حق عبادته وقال مقاتل بن سليمان نسختها قوله فاتقوا الله ما استطعتم وهذا بعيد لان التكليف شرطه القدرة لقوله تعالى لا يكلف الله نفسا الا وسعها وما جعل عليكم في الدين من حرج يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر فكيف تقول وجاهدوا في الله على وجه لا تقدرون وقال اكثر المفسرين حق الجهاد ان يكون بنية صادقة وقيل يفعله عبادة لا رغبة في الدنيا من حيث الاسم والغنيمة وقيل يجاهدوا آخرا كما جاهدوا اولا فقد كان جهادهم في الاول اقوى وكانوا فيه اثبت نحو صنعهم يوم بدر وروي عن عمر انه قال لعبد الرحمن بن عوف اما علمت انا كنا نقرأ وجاهدوا في الله حق جهاده في آخر الزمان كما جاهدتم في اوله فقال عبد الرحمن ومتى ذلك يا امير المؤمنين قال اذا كانت بنو امية الامراء وبنو المغيرة الوزراء واعلم انه يبعد ان تكون هذه الزيادة من القرآن والا لنقل كنقل نظائره ونقله ان صح ذلك عن الرسول فانما قاله كالتفسير للاية وروي عن ابن عباس انه قال وجاهدوا في الله حق جهاده كما جاهدتم اول مرة فقال عمر رضي الله عنه من الذي امرنا بجهادهم فقال قبيلتين من قريش مخزوم وعبد شمس فقال صدقت وقيل معنى الاية استفرغوا وسعكم في احياء دين الله واقامة حقوقه بالحرب واليد واللسان وجميع ما يمكن وردوا انفسكم عن الهوى والميل وقال ابن المبارك هو مجاهدة النفس والهوى هو الجهاد الاكبر وهو حق الجهاد وقد روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما رجع من غزوة تبوك قال رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر واراد بالجهاد الاصغر الجهاد مع الكفار وبالجهاد الاكبر الجهاد مع النفس واما ما يوجب قبول هذه الاوامر فهو ثلاثة اولها قوله تعالى هو اجتباكم اختاركم لدينه وهذا من اعظم التشريفات فاي رتبة اعلى من هذه واي سعادة فوق هذا ثم قال وما جعل عليكم في الدين من حرج وهذا كالجواب عن سؤال وهو ان الدين وان كان تشريفا الا ان التكليف وان كان تشريفا لكنه شاق على النفس فاجاب الله بقوله وما جعل عليكم في الدين من حرج روي ان ابا هريرة رضي الله عنه قال كيف قال الله ما جعل عليكم في الدين من حرج مع انه منعنا عن الزنا والسرقة فقال ابن عباس بلى ولكن الاصر الذي كان على بني اسرائيل وضع عنكم قال الكلبي هذا قال المفسرون معناه ان المؤمن لا يبتلى بشيء من الذنوب الا جعل الله له منه مخرجا بعضها بالتوبة وبعضها برد المظالم والقصاص وبعضها بالكفارات وليس في دين الاسلام ذنب الا يجد الانسان سبيلا الى الخلاص من العذاب فيه وقال مقاتل هو الاتيان بالرخص فمن لم يستطع ان يصلي قائما فليصل جالسا ومن لم يستطع ذلك فليوم واباحة الفطر في السفر للصائم والقصر فيه والتيمم واكل الميتة عند الضرورة فان **قيل** استدلت المعتزلة بهذه الاية على المنع من تكليف ما لا يطاق وقالوا لما خلق الله الكفر والمعصية في الكافر والعاصي ثم نهاه عنه كان ذلك من اعظم الحرج وذلك منفي بصريح هذا النص **فالجواب** انه لما امره بترك الكفر وترك الكفر يقتضي انقلاب علمه جهلا فقد امر المكلف بقلب علم الله جهلا وذلك من اعظم الحرج ولما استوى القدمان زال السؤال الموجب ثانيها قوله تعالى ملة ابيكم فيه اوجه الاول انها منصوبة باتبعوا مضمرا قاله الحوفي وتبعه ابو البقاء الثاني انها منصوبة بمضمون ما تقدمها كانه قال وسع دينكم توسعة ملة ابيكم وقيل منصوبة على الاختصاص اي اعني بالدين ملة ابيكم الثالث انها منصوبة ثم حذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه وقوله ابراهيم بدل او بيان او منصوب باعني قال الزمخشري وهذا اظهرها الرابع انها منصوبة بجعل مقدرا قاله ابن عطية الخامس انها منصوبة على حذف كاف الجر تقديره كملة ابيكم قاله الفراء قال ابو البقاء كانه قال وسع دينكم كملة ابيكم وقيل تقديره

لعل الجار

مثل ملة لان المعنى بهل عليكم الدين مثل ملة ابيكم ابراهيم فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه وقوله ابراهيم بدل او
بيان او منصوب باعني فصل والمقصود من ذكر ابراهيم التنبيه على ان هذه التكاليف والشرايع هي شريعة ابراهيم
والعرب كانوا محبين لابراهيم عليه السلام لانهم من اولاده فكان ذكره كالسبب لانقيادهم لقبول هذا الدين فان قيل
ليس كل المسلمين يرجع نسبه الى ابراهيم فالجواب ان هذا خطاب مع العرب وهم كانوا من نسل ابراهيم وقيل خاطب به جميع
المسلمين لان ابراهيم اب لهم على معنى وجوب اكرامه وحفظ حقه كما يجب احترام الاب وقال صلى الله عليه وسلم انما انا
لكم مثل الوالد فان قيل هذا يقتضي ان تكون ملة محمد كملة ابراهيم سوا فيكون الرسول ليس له شرع مخصوص ويؤيده قوله
تعالى اتبع ملة ابراهيم فالجواب انما وقع هذا الكلام مع عبدة الاوثان فكانه قال عبادة الله دون الاوثان هي ملة
ابراهيم واما تفاصيل الشرايع فلا تعلق لها بهذا الموضع قوله تعالى هو سماكم المسلمين في هذا الضمير قولان احدهما
انه يعود على ابراهيم لانه اقرب مذكور الا ان ابن عطية قال وفي هذه اللفظة يعني قوله وفي هذا ضعف قول من قال الضمير
لابراهيم ولا يتوجه الا بتقدير محذوف من الكلام انتهى وهو ضعف قول من قال بذلك لان قوله وفي هذا عطف على من
قبل وفي هذا اشارة الى القرآن فيلزم ان ابراهيم سماهم المسلمين في القرآن وهو غير واضح لان القرآن المشار اليه انما انزل
بعد ابراهيم بمدد طوال فلذلك ضعف قوله وقوله الا بتقدير محذوف الذي ينبغي ان يقدر وسميتم في هذا القرآن المسلمين
قال ابو البقاء قيل الضمير لابراهيم فعلى هذا الوجه يكون قوله وفي هذا اي وفي هذا القرآن سبب تسميتهم وهو قول ابراهيم
ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا امة مسلمة لك واستجاب الله له وجعلها امة محمد صلى الله عليه وسلم والثاني ان
الضمير يعود على الله تعالى ويدل له قراءة ابي الله سماكم بصريح الجلالة اي سماكم في الكتب السالفة وفي هذا القرآن
الكريم ايضا وهذا مروي عن ابن عباس ويؤيده قوله ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهداء على الناس فبين انه سماهم
بذلك لهذا الغرض ولهذا لا يليق الا بالله فقوله ليكون الرسول متعلق بسماكم فبين فضلكم على ساير الامم وسماكم بهذا الاسم
لاجل الشهادة المذكورة فلما خصكم بهذه الكرامة فاعبدوه ولا تردوا تكاليفه وهذا هو الموجب الثالث لقبول التكليف
وتقدم الكلام في انه كيف يكون الرسول شهيدا علينا وكيف تكون امته شهداء على الناس في سورة البقرة واما ما يجري
مجرى المؤكد لما مضى فهو قوله تعالى فاقيموا الصلاة واتوا الزكوة هي المفروضات المعهودة واعتصموا بحبل الله
اي بدلايله العقلية والسمعية قال ابن عباس سلوا الله العصمة عن كل المحرمات وقيل ثقوا بالله وتوكلوا عليه وقال
الحسن تمسكوا بدين الله هو مولاكم سيدكم والمتصرف فيكم وحافظكم وناصركم فنعم المولى ونعم النصير فكانه تعالى قال
انا مولاك بل انا ناصرك وحسن حذف المخصوص بالمدح وقوع الثاني راس اية وفاصلة فصل احتجت
المعتزلة بهذه الاية من وجوه الاول ان قوله لتكونوا شهداء على الناس يدل على انه تعالى اراد الايمان من الكل لانه
تعالى لا يريد الشهيد على عباده الا اذا كان عدلا مرضيا فاذا اراد ان يكونوا شهداء على الناس فقد اراد ان يكونوا
جميعا صالحين عدولا وقد علمنا ان منهم فاسق فدل ذلك على ان الله تعالى اراد من الفاسق كونه عدلا الثاني قوله
واعتصموا بالله وكيف يمكن الاعتصام به مع ان الشر لا يوجد الا منه الثالث قوله فنعم المولى فانه لو كان كما تقول اهل
السنة من انه خلق اكثر عباده ليخلق فيهم الكفر والعناد ثم يعذبهم لما كان نعم المولى بل كان لا يوجد من شر الموالي
احد الا وهو شر منه فكان يوجب ان يوصف بانه بيس المولى وذلك باطل فدل على انه سبحانه ما اراد من جميعهم
الا الصلاح فان قيل لم لا يجوز ان يكون نعم المولى للمؤمنين كما انه نعم النصير لهم خاصة فالجواب انه تعالى
مولى المؤمنين والكافرين جميعا فيجب ان يقال انه نعم المولى للمؤمنين وبيس المولى للكافرين فان ارتكبوا ذلك فقد
ردوا القرآن والاجماع فصرحوا بشتم الله تعالى عن ذلك الرابع ان قوله سماكم المسلمين من قبل يدل على اثبات الاسماء الشرعية
وانها من قبل الله لانها لو كانت لغة لما اضيفت الى الله تعالى على وجه الخصوص والجواب عن الاول وهو قوله ان كونه تعالى مريدا
لكونه شاهدا يستلزم كونه مريدا لكونه عدلا فنقول لو كان ارادة الشيء مستلزمة لارادة لوازمه فارادة الايمان من
الكافر يوجب ان تكون مستلزمة لارادة جهل الله فيلزم كونه سبحانه مريدا للجهل بنفسه وان لم يكن ذلك واجبا فقد سقط
الكلام واما قوله واعتصموا بالله فيقال هذا ايضا وارد عليكم فانه سبحانه خلق الشهوة في قلب الفاسق واكدها وخلق
المشتهى وقربه منه ورفع المانع ثم سلط عليه شياطين الانس والجن وعلم لا محالة انه يقع في الفجور والضلال لحدوث الداعي
كان من فعل ذلك فانه يكون بيس المولى فان صح قياس الغايب على الشاهد فهذا لازم عليكم وان بطل سقط كلامهم
بالكلية والله اعلم فصل روى الثعلبي باسناده عن ابي امامة عن ابي بن كعب رضي الله عنهما
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الحج اعطي من الاجر كحجة حجها وعمرة اعتمرها بعدد من حج
واعتمر فيما مضى وفيما بقي من ان مات والله اعلم بالصواب واليه المرجع والمآب

سورة المؤمنون مائة وثماني عشرة آية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى قد افلح المؤمنون الايات العشر روى ابن شهاب عن عروة
بن الزبير عن عبد الرحمن بن عبد القاري قال سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول كان اذا نزل على رسول الله صلى الله
عليه وسلم الوحي يسمع عند وجهه كدوي النحل فمكثنا ساعة وفي رواية فنزلت عليه يوما فمكثنا ساعة واستقبل القبلة ورفع
يديه وقال اللهم زدنا ولا تنقصنا واكرمنا ولا تهنا واعطنا ولا تحرمنا واثرنا ولا تؤثر علينا وارض عنا ثم قال لقد
انزل علينا عشر آيات من اقامهن دخل الجنة ثم قرا قد افلح المؤمنون عشر آيات ورواه الامام احمد وعلي بن المديني وجماعة عن
عبد الرزاق وقالوا اعطنا ولا تحرمنا وارض عنا فصل قد هنا للتوقع قال الزمخشري قد تقتضيه لما هي تثبت
المتوقع ولما تنفيه ولا شك ان المؤمنين كانوا متوقعين لهذه البشارة وهي الاخبار بثبات الفلاح لهم فخوطبوا بما دل
على ثبات ما توقعوه والعامة على افلح مفتوح الهمزة والحا فعلا ماضيا مبنيا للفاعل وورش على قاعدته من نقل حركة
الهمزة وحذفها وقال [illegible] القى حركة وحذفها فعلته ان الهمزة بعد حذف حركتها صيرت الفا ثم حذفت بسكونها وسكون الدال
قبلها في الاصل ولا يعتد بحركة الدال لانها عارضة وفي كلامه نظر من وجهين الاول ان اللغة الفصيحة في النقل حذف
الحركة من الاصل فيقولون المراة والكماة بمد بدل الهمزة كراي وفاسق فيمن خففهما فقوله صيرت الفا ارتكاب لاضعف
اللغتين الثاني انه وان سلم انها صيرت الفا فلا نسلم ان حذفها بسكونها وسكون الدال في الاصل بل حذفها الساكن محقق
في اللفظ وهو الفا من افلح ومتى وجد سبب ظاهر احيل الحكم عليه دون السبب المقدر وقرا طلحة بن مصرف وعمرو بن عبيد
افلح مبنيا للمفعول اي دخلوا في الفلاح فيحتمل ان يكون من افلح متعديا يقال افلحه اي صيره الى الفلاح فيكون افلح
مستعملا لازما ومتعديا وقرا طلحة ايضا افلحوا بفتح الهمزة واللام وضم الحاء وتخريجها على انها الاصل افلحوا المؤمنون
بلحاق علامة جمع قبل الفاعل كلغة اكلوني البراغيث فيجي فيها ما تقدم في قوله ثم عموا وصموا كثير منهم واسروا النجوى
الذين ظلموا قال عيسى وطلحة يقراها فقلت له اللحن قال نعم كما لحن اصحابي يعني ان مرجعهم فيما قرات به فان لحنوا على
سبيل فرض المحال فانا لاحن تبعا لهم وهذا يدل على صحة شدة اعتقاده واعتنا القدما بالنقل وضبطه خلافا لمن يغلط
الرواة قال ابن عطية وهي قراءة مردودة قال شهاب الدين ولا ادري كيف يردونها مع ثبوت مثلها في القرآن بالاجماع
وهما الآيتان المتقدمتان وقال الزمخشري وعنه اي عن طلحة افلح بضمة بغير واو اجتزا بها عنها كقوله
فلو ان الاطبا كان حولي • وفيه نظر من حيث ان الواو لا تثبت في مثل هذا وصلا لالتقاء الساكنين فالحذف هنا لا بد
منه فكيف يقول اجتزا بها عنها واما تنظيره بالبيت فليس مطابقا لانه حذفها من الاية ضرورة ومن البيت ضرورة وهذه
الواو لا يظهر لفظها في الدرج بل يظهر في الوقف وفي الخط وقد اختلف النقلة لقراءة طلحة هل يثبت للواو صورة ففي
كتاب ابن خالويه مكتوب بواو بعدها الحا وفي اللوامح وحذفت الواو بعد الحا لالتقائهما في الدرج وكانت الكتابة
عليها محمولة على الوصل نحو ويمح الله الباطل فصل قال شهاب الدين ومثله سندع الزبانية صال الجحيم
قال المفسرون والفلاح النجاة والبقا قال ابن عباس قد سعد المصدقون بالتوحيد وبقوا في الجنة وتقدم الكلام في البقرة
قوله تعالى في صلاتهم خاشعون الجار متعلق بما بعده وقدم للاهتمام به وحسنت كونها متعلقة اضيفت اليهم
فصل اختلفوا في الخشوع فمنهم من جعله من افعال القلوب كالخوف والرهبة ومنهم من جعله من افعال
الجوارح كالسكون وترك الالتفات ومنهم من جمع بين الامرين وهو الاولى قال ابن عباس مخبتون اذلا وقال الحسن
وقتادة خايفون وقيل متواضعون قاله مقاتل وقال مجاهد هو غض البصر وخفض الصوت والخشوع قريب من
الخضوع الا ان الخضوع في البدن والخشوع في البدن والبصر والصوت قال تعالى وخشعت الاصوات للرحمن وقال
علي هو ان لا يلتفت يمينا ولا شمالا وقال سعيد بن جبير هو ان لا يعرف من على يمينه ولا من على يساره وقال عطا هو ان لا
تعبث بشي من جسدك لان النبي صلى الله عليه وسلم ابصر رجلا يعبث بلحيته في الصلاة فقال لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه
فصل قال ابن الخطيب وهو عندنا واجب ويدل عليه امور الاول قوله تعالى افلا يتدبرون القرآن ام على
قلوب اقفالها والتدبر لا يتصور بدون الوقوف على المعنى وقوله تعالى ورتل القرآن ترتيلا اي قفوا على عجايبه
ومعانيه الثاني قوله تعالى اقم الصلاة لذكري وظاهر الامر للوجوب والغفلة تضاد الذكر فمن غفل في جميع صلاته فكيف
يكون مقيما للصلاة لذكره الثالث قوله تعالى ولا تكن من الغافلين وظاهره للتحريم وقوله حتى تعلموا ما تقولون تعليل

لهي السكران وهو مطرد في الغافل المستغرق في الدنيا الرابع قوله عليه السلام من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر
لم يزدد من الله الا بعدا وصلاة الغافل لا تمنع من الفحشاء وقال عليه السلام كم من قايم حظه من قيامه التعب والنصب
وما اريد به الا الغافل وقال ايضا ليس للعبد من صلاته الا ما عقل وقالت عايشة سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن الالتفات في الصلاة فقال هو اختلاس يختلسه الشيطان من صلاة العبد وعن ابي ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال لا يزال الله عز وجل مقبلا على العبد ما كان في صلاته ما لم يلتفت اعرض عنه وذهب بعضهم الى انه ليس بواجب
لان اشتراط الخضوع والخشوع خلاف لاجماع الفقهاء فلا يلتفت اليه واجيب بان هذا الاجماع ممنوع لان المتكلمين
اتفقوا على انه لا بد من الخضوع والخشوع واحتجوا بان السجود لله تعالى طاعة وللصنم كفر وكل واحد منهما يماثل الاخر
في ذاته ولوازمه فلا بد من امر لاجله يصير السجود في احدى الصورتين طاعة وفي الاخرى معصية قالوا وما ذاك
الا القصد والارادة والمراد بالقصد ايقاع تلك الافعال لداعية الامتثال وهذه الداعية لا يمكن حصولها الا عند
الحضور **قوله تعالى** والذين هم عن اللغو معرضون قال عطا ابن عباس عن الشرك وقال الحسن عن المعاصي وقال الزجاج
كل باطل ولهو وما لا يجمل من القول والفعل وقيل هو معارضة الكفار بالشتم والسب قال الله تعالى واذا مروا
باللغو مروا كراما اي اذا سمعوا الكلام القبيح اكرموا انفسهم عن الدخول فيه واعلم ان اللغو قد يكون كفرا كقوله تعالى
لا تسمعوا لهذا القران والغوا فيه وقد يكون كذبا كقوله لا تسمع فيها لاغية وقوله لا يسمعون فيها لغوا ولا تاثيما فلما
وصفهم بالخشوع في الصلاة اتبعه بوصفهم بالاعراض عن اللغو ليجمع لهم الفعل والترك **قوله تعالى** والذين هم
للزكوة فاعلون اللام في قوله للزكوة مزيدة في المفعول لتقدمه على عامله ولكونه فرعا والزكوة في الاصل مصدر
ويطلق على القدر المخرج من الاعيان وقال الزمخشري اسم مشترك بين عين ومعنى فالعين القدر الذي يخرجه المزكي
من النصاب والمعنى فعل المزكي وهو الذي اراده الله فجعل المزكين فاعلين له ولا يسوغ فيه غيره لانه ما من مصدر
الا يعبر عنه بالفعل ويقال لمحدثه فاعل تقول للضارب فاعل الضرب وللقاتل فاعل القتل وللمزكي فاعل التزكية وعلى هذا
الكلام كله والتحقيق في هذا انك تقول في جميع الحوادث فيقال لك فاعله الله او بعض الخلق ولم تمتنع الزكوة الدالة
على العين ان يتعلق بها فاعلون لخروجها من صحة ان يتناولها الفاعل ولكن لان الخلق ليسوا بفاعليها وقد انشد لامية بن الصلت

المطعمون الطعام في السنة الازمة • والفاعلون للزكوات •

ويجوز ان يكون المراد بالزكوة العين ويقدر مضاف محذوف وهو الاداء وحمل البيت عليه ويجوز ان يكون المراد بالزكوة
على هذا اصح لانها فيه مجموعة قال شهاب الدين ويجوز ان بعضهم زعم انه يتعين ان تكون الزكوة هنا المصدر لانه لو اراد العين
لقال مؤدون ولم يكن فاعلين قال الزمخشري لم يمتنع ان تكون الزكوة هنا المصدر لان ذلك لعدم صحة تناول فاعلها
بل لان الخلق ليسوا بفاعليها وانما جعل الزكوة في بيت امية اعيانا لجمعها لان المصدر لا يجمع وناقشه ابو حيان وقال يجوز
ان يكون مصدرا وانما جمع لاختلاف انواعه وقال ابو مسلم ان فعل الزكوة يقع على كل فعل محمود مرضي كقوله قد افلح من تزكى
وقوله تعالى فلا تزكوا انفسكم ومن جملته ما يخرج من حق المال وانما سمي بذلك لانها تطهر من القلوب لقوله تعالى تطهرهم
وتزكيهم بها وقال لا يكون المراد بها هنا الحق الواجب في الاموال خاصة لان هذه اللفظة قد اختصت في الشرع بهذا المعنى
فان **قيل** ان الله تعالى لم يفصل بين الصلاة والزكوة فلم فصل بينهما هنا والذين هم عن اللغو معرضون **فالجواب**
لان ترك اللغو من متممات الصلوة **قوله تعالى** والذين هم لفروجهم حافظون الفرج اسم يجمع سواة الرجل والمراة ومعنى حفظ
الفرج التعفف عن الحرام **قوله تعالى** الا على ازواجهم فيه اوجه احدها انه متعلق بحافظين على تضمين معنى ممسكين
او قاصرين وكلاهما يتعدى بعلى قال تعالى امسك عليك زوجك الثاني ان على بمعنى من اي الا من ازواجهم كما جاءت من بمعنى
على في قوله تعالى ونصرناه من القوم واليه ذهب الفراء الثالث ان يكون في موضع نصب على الحال قال الزمخشري الا والين على
ازواجهم او قوامين عليهن كقولك كان فلان على فلانة فمات عنها فخلف عليها فلان ومنها كان زياد على البصرة اي واليا
عليها ومنه قولهم فلان تحت فلان ومن ثم سميت المراة فراشا الرابع ان يتعلق بمحذوف يدل عليه غير ملومين قال الزمخشري
كانه قيل يلامون الا على ازواجهم اي يلامون على كل مباشرة الا على ما اطلق لهم فانهم غير ملومين عليه قال شهاب الدين فانما
لم يجعله متعلقا بملومين لوجهين الاول لانه ما بعد ان لا يعمل فيما قبلها الثاني ان المضاف اليه لا يعمل فيما قبل المضاف الخامس
ان يجعل صفة لحافظين قال الزمخشري من قولك احفظ علي عنان فرسي على تضمينه معنى النفي كما ضمن قولهم نشدتك بالله الا فعلت
معنى ما طلبت منك الا فعلك يعني ان صورته اثبات ومعناه نفي قال ابو حيان بعد ما ذكر ذلك عن الزمخشري وهذه وجوه
متكلفة ظاهر فيها العجمة قال شهاب الدين واي عجمة في ذلك على ان الشيخ جعلها متعلقة بحافظون على ما ذكره من التضمين وهذا
لا يصح الا ان يرتكب وجها منها وهو التاويل بالنفي كنشدتك الله لانه استثناء مفرغ ولا يكون الا بعد نفي او ما في معناه

النصر

قال ابو البقاء في موضع نصب بحافظون على المعنى لان المعنى صانوها عن كل فرج الا عن فروج ازواجهم قال شهاب الدين
وفيه بيان احدهما انه ضمن حافظون معنى صانوا والثاني تضمين على معنى عن **قوله تعالى** او ما ملكت ما بمعنى اللاتي
وما في محل الخفض بعطفه على ازواجهم وما ملكت ايمانهم وفي وقوعها على العقلاء وجهان الاول انها واقعة على الانواع كقوله
فانكحوا ما طاب اي انواع والثاني قال الزمخشري اريد من جنس العقلاء ما يجري مجرى غير العقلاء وهم الاناث قال ابو حيان
وقوله وهم ليس بجيد لان لفظهم مختص بالذكور فكان ينبغي ان يقول وهو على لفظ ما او وهي على معنى واجيب بان الضمير
عايد على العقلاء فقوله وهم اي العقلاء الاناث قال ابن الخطيب فان **قيل** هلا قيل من ملكت **فالجواب** لانه اجتمع
في السرية وصفان احدهما الانوثة وهي مظنة نقصان العقل والاخرى كونها • بحيث تباع وتشترى كسائر السلع فلهذين
الوجهين فيها جعلت كانها ليست من العقلاء **فصل** هذه الاية في الرجال خاصة لان المراة لا يجوز لها ان
تتمتع بفرج مملوكها فان **قيل** اليس الزوجة والمملوكة لا يجوز له الاستمتاع بهما في احوال كحال الحيض والعدة والصيام
والاحرام وفي الامة حال تزويجها من الغير وحال عدتها وكذا الغلام داخل في ظاهر قوله وما ملكت ايمانهم **فالجواب**
من وجهين الاول ان مذهب ابي حنيفة ان الاستثناء من النفي لا يكون اثباتا لقوله عليه السلام لا صلوة الا بطهور ولا نكاح
الا بولي فان ذلك لا يقتضي حصول الصلاة بمجرد حصول الطهور وحصول النكاح بمجرد حصول الولي وفايدة
الاستثناء صرف الحكم لا صرف المحكوم به فقوله تعالى والذين هم لفروجهم حافظون الا على ازواجهم معناه انه يجب حفظ الفرج عن الكل
الا في هاتين الصورتين فاني ما ذكرت حكمهما لا بالنفي ولا بالاثبات الثاني سلمنا ان الاستثناء من النفي اثبات فغايته
انه عام دخله التخصيص بالدليل فيبقى حجة فيما عداه وقوله تعالى فانهم غير ملومين يعني يحفظ فرجه الا من امراته وامته
فانه لا يلام على ذلك اذا كان على وجه اذن الشرع فيه دون الاتيان في غير المأتي وفي حال الحيض والنفاس فانه محظور ويلام
على فعله **قوله تعالى** فمن ابتغى وراء ذلك اي التمس وطلب سوى الازواج والمملوكات فاولئك هم العادون
الظالمون المتجاوزون من الحلال الى الحرام وفيه دليل على ان الاستمناء باليد حرام قال ابن جريج سالت عطاء عنه فقال
مكروه سمعت بان قوما يحشرون وايديهم حبالى فاظن انهم هؤلاء وعن سعيد بن جبير قال عذب الله امة كانوا يعبثون
بمذاكيرهم **قوله تعالى** والذين هم لاماناتهم قرا ابن كثير هنا وفي سال لامانتهم بالتوحيد والباقون بالجمع وهما
في المعنى واحد اذ المراد العموم والجمع اوفق والامانة في الاصل مصدر ويطلق على الشيء المؤتمن عليه كقوله تعالى ان تؤدوا
الامانات الى اهلها وتخونوا اماناتكم وانما يؤدى ويخان الاعيان لا المعاني كذا قال الزمخشري اما ما ذكره من الايتين
فسلم واما هذه الاية فيحتمل المصدر ويحتمل العين والعهد ما عقده على نفسه فيما يقربه الى الله ويقع ايضا على ما امر الله به
كقوله تعالى الذين يقولون ان الله عهد الينا والعقود التي عاقدوا الناس عليها يقومون بالوفاء بها والامانات تكون بين
الله وبين العبد كالصلاة والصيام والعبادات الواجبة وتكون بين العبيد كالودايع والبضايع فعلى العبد الوفاء بجميعها
وقوله تعالى راعون الراعي القايم على الشيء بحفظه ويصلحه كراعي الغنم ومنه يقال من راعي هذا الشيء اي متوليه **قوله تعالى**
والذين هم على صلاتهم يحافظون قرا الاخوان على صلوتهم بالتوحيد والباقون صلواتهم بالجمع وليس في المعارج خلاف في الافراد
والجمع كما تقدم في اماناتهم قال الزمخشري فان **قيل** كيف كرر ذكر الصلاة اولا واخرا **فالجواب** كررها ذكرا لا انهما مختلفان
وليس بتكرير وصفوا اولا بالخشوع في صلواتهم واخرا بالمحافظة عليها ثم قال ايضا وفي وحدت اولا ليفاد الخشوع
في جنس الصلاة اي صلاة كانت وجمعت اخرا ليفاد المحافظة على اعدادها وهي الصلاة الخمس والوتر والسنن الراتبة
وهذا انما يتجه في قراءة غير الاخوين واما الاخوان فانهما افردا اولا واخرا على ان الزمخشري قد حكى الخلاف في جميع
الصلاة الثانية وافرادها بالنسبة الى القراءة وقيل كرر ذكر الصلاة ليتبين ان المحافظة عليها واجبة كما ان الخشوع
فيها واجب ثم قال اولئك هم الوارثون اولئك اي اهل هذه الصفة هم الوارثون فان **قيل** كيف سمي ما يجدونه
من الثواب والجنة بالميراث مع انه سبحانه حكم بان الجنة حقهم في قوله ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم
الجنة **فالجواب** من وجوه الاول روى ابو هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما منكم من احد الا وله منزلان منزل
في الجنة ومنزل في النار فان مات ودخل النار ورث اهل الجنة منزله وذلك قوله تعالى اولئك هم الوارثون وايضا
فقد قال الفقهاء انه لا فرق بين ما ملكه الميت وبين ما يقدر عند الملك في انه يورث فيه كذلك قالوا في الدية التي انما
تجب بالقتل انها تورث مع انه ما ملكها على التحقيق وهذا يؤيد ما ذكرنا فان **قيل** انه تعالى وصف كل الذي
يستحقونه ارثا وعلى ما قلتم انما يدخل في الارث ما كان يستحقه غيرهم لو اطاع **فالجواب** لا يمتنع انه تعالى جعل ما هو
لهذا المؤمن بعينه منزلة لذلك الكافر لو اطاع لانه عند ذلك كان يزيد في المنازل فاذا امن هذا عدل بذلك اليه الثاني ان
انتقال الجنة اليهم من غير محاسبة اي من دون محاسبة ومعرفة بمقاديره يشبه انتقال المال الى الوارث الثاني ان الجنة كانت مسكن

ابينا آدم عليه السلام فاذا انتقلت الى الولادة كان ذلك شبيها بالميراث فان قيل كيف حكم على الموصوفين
بالصفات السبعة بالفلاح مع انه تعالى ما تمم ذكر العبادات الواجبة كالصوم والحج فالجواب ان قوله لاماناتهم
وعهدهم راعون يأتي على جميع الواجبات من الافعال والتروك كما تقدم والطهارات دخلت في جملة المحافظة
على الصلاة لكونها من شرائطها واعلم ان قوله هم الوارثون يفيد الحصر لكنه يجب ترك العمل به لانه ثبت ان الجنة يدخلها
الاطفال والمجانين والولدان والحور ويدخلها الفساق من اهل القبلة بعد العفو لقوله تعالى ويغفر ما دون ذلك
لمن يشاء وتقدم الكلام في الفردوس في سورة الكهف **قوله تعالى** هم فيها خالدون يجوز في هذه الجملة ان تكون
مستانفة وان تكون حالا مقدرة اما من الفاعل في يرثون واما من مفعوله اذ فيها ذكر كل منهما ومعنى الكلام
لا يموتون ولا يخرجون وقد جاء في الحديث ان الله خلق ثلاثة اشياء بيده خلق آدم بيده وكتب التوراة بيده وغرس
الفردوس بيده ثم قال وعزتي وجلالي لا يدخلها مدمن خمر ولا ديوث **قوله تعالى** ولقد خلقنا الانسان
من سلالة من طين الآيات لما امر بالعبادات في الآيات المتقدمة بطريق الحث عليها والاشتغال بها اي بعبادة الله
لا يصح الا بعد معرفة الله لا جرم عقبها بذكر ما يدل على وجوده واتصافه بصفات الجلال والوحدانية فذكر انواعا
من الدلائل منها تقلب الانسان في ادوار خلقته وهي تسعة اولها قوله تعالى ولقد خلقنا الانسان قال ابن عباس
وعكرمة وقتادة ومقاتل المراد بالانسان آدم عليه السلام سل من تربة وخلقت ذريته من ماء مهين وقيل الانسان
اسم جنس يقع على الواحد والجمع والسلالة هي الاجزاء الطيبة المبثوثة في اعضائه التي لما اجتمعت وحصلت في اوعية المني
صارت منيا وهذا يطابق قوله تعالى وبدأ خلق الانسان من طين ثم جعل نسله من ماء مهين قال ابن الخطيب وفيه وجه
آخر وهو ان الانسان انما يتولد من النطفة وهي انما تتولد من فضل الهضم الرابع وقيل انما تتولد من الاغذية وهي اما حيوانية
او نباتية والحيوانية تنتهي الى النباتية والنبات انما يتولد من صفو الارض والماء فالانسان في الحقيقة يكون متولدا
من سلالة من طين ثم ان تلك السلالة بعد ان تواردت عليها اطوار الخلقة وادوار الفطرة صارت منيا **قوله تعالى**
من سلالة فيه وجهان الاول ان يتعلق بخلقنا ومن لابتداء الغاية والثاني ان يتعلق بمحذوف على انه حال من الانسان
والسلالة فعالة وهو بناء يدل على القلة كالقلامة وهي من سللت الشيء من الشيء اي استخرجته منه ومنه قولهم هو سلالة
ابيه كانه انسل من ظهره وانشد • فجاءت به عصب الاديم غضنفرا • سلالة فرج كان غير حصين •
وقال امية ابن ابي الصلت • خلق البرية من سلالة منتن • والى السلالة كلها ستعود •
وقال عكرمة هو الماء يسيل من الظهر والعرب تسمي النطفة سلالة والولد سليلا وسلالة لانهما مسلولان وقال
الزمخشري السلالة الخلاصة لانها تسل من بين الكدر وهذه الجملة جواب قسم محذوف اي والله لقد خلقنا وعطف
على الجملة قبلها لما بينهما من المناسبة وهو انه لما ذكر ان المتصفين بتلك الصفات يرثون الفردوس فتضمن ذلك
المعاد الاخروي ذكر النشأة الاولى ليستدل بها على المعاد فان الابتداء في العادة اصعب من الاعادة لقوله تعالى
وهو اهون عليه وهذا احسن من قول ابن عطية هذا ابتداء كلام والواو في اوله عاطفة جملة كلام على جملة كلام وقد تقدم
وجه المناسبة **قوله تعالى** من طين في من وجهان احدهما انها لابتداء الغاية والثاني انها لبيان الجنس قال الزمخشري
فان قلت ما الفرق بين من ومن قلت الاولى للابتداء والثانية للبيان كقوله تعالى من الاوثان قال ابو حيان
ولا تكون للبيان الا اذا قلنا ان السلالة هي الطين اما اذا قلنا انه من انسل من الطين فمن لابتداء الغاية وفيما يتعلق
به من هذه ثلاثة اوجه الاول انها تتعلق بمحذوف اذ هي صفة لسلالة الثاني انها تتعلق بنفس سلالة لانها بمعنى مسلولة
الثالث انها تتعلق بخلقنا لانها بدل من الاولى ان قلنا ان السلالة هي نفس الطين **قوله تعالى** ثم جعلناه نطفة
في هذا الضمير قولان احدهما انه يعود على الانسان فان اريد غير آدم فيكون على حذف مضاف اي ويبدأ قوله وبدأ
خلق الانسان من طين ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين او عاد الضمير على الانسان اللائق به ذلك وهو نسل آدم فلفظ
الانسان من حيث هو صالح للاصل والفرع ويعود كل شيء لما يليق به والثاني قال الزمخشري **قوله تعالى** في قرار مكين ان
يتعلق بالجعل وان يتعلق بمحذوف على انه صفة لنطفة والقرار المستقر وهو موضع الاستقرار والمراد بها الرحم
ووصف بالمكانة التي هي صفة المستقر فيها كاحد معنيين اما على المجاز كطريق سائر واما للتناهي فيه واما لمكانها
في نفسها لانها مكنت بحيث هي واحرزت ومعنى جعل الانسان نطفة انه خلق جوهر الانسان اولا طينا ثم جعل قرارا
مكينا بهذه النطفة تخلق فيه الى ان يصير انسانا **قوله تعالى** ثم خلقنا النطفة علقة وما بعدها ضمن خلق معنى
جعل التصييرية فتعدت لاثنين كما تضمن جعل معنى خلق فتعدى لواحد نحو وجعل الظلمات والنور والمعنى حولنا
النطفة عن صفاتها الى صفات العلقة وهي الدم الجامد فخلقنا العلقة مضغة اي جعلنا ذلك الدم الجامد مضغة

بعده بالمكين

اي نطفة

اي قطعة لحم كانها مقدار ما يمضغ كالغرفة وهو ما يغترف وسمي التحويل خلقا لانه تعالى يفني بعض اعراضها
ويخلق اعراضا غيرها فسمى خلق الاعراض خلقا لها كانه سبحانه يخلق فيها اجزاء زائدة **قوله تعالى** فخلقنا المضغة عظاما
اي صيرناها كذلك وقرأ العامة عظاما والعظام بالجمع فيهما وابن عامر وابو بكر عن عاصم عظما والعظم بالافراد فيهما
والسلمي والاعرج والاعمش بافراد الاول وجمع الثاني وابو رجاء ومجاهد وابراهيم بن ابي بكر بجمع الاول وافراد الثاني
عكس ما قبله فالجمع على الاصل لانه يطابق ما يراد به والافراد للجنس كقوله والملك صفا وكقوله وهن العظم مني وقال
الزمخشري وضع الواحد موضع الجمع لزوال اللبس لان الانسان ذو عظام كثيرة قال ابو حيان وهذا عند سيبويه واصحابه
لا يجوز الا في ضرورة وانشدوا • كلوا في بعض بطنكم تعفوا • وان كان معلوما ان كل واحد له بطن قال شهاب الدين ومثله

• لا تنكروا القتل وقد سبينا • في حلقكم عظم وقد شجينا •

يريد في حلوقكم ومثله قول الاخر • بها جيف الحسرى فاما عظامها • فبيض واما جلدها فصليب •
يريد جلودها ومنه وعلى سمعهم **قوله تعالى** فكسونا العظام اي البسنا لان اللحم يستر العظم فجعله كالكسوة له
قال بين كل خلقين اربعون يوما **قوله تعالى** ثم انشأناه خلقا آخر اي مباينا للخلق الاول مباينة ما ابعدها حيث
جعله حيوانا فكان جمادا وناطقا وكان ابكم وسميعا وكان اصم وبصيرا وكان اكمه واودع باطنه وظاهره بل كل جزء من
اجزائه عجائب فطرة وغرائب حكمة لا يحيط بها وصف الواصفين قال ابن عباس ومجاهد والشعبي وعكرمة والضحاك وابو العالية
المراد بالخلق الاخر هو نفخ الروح فيه وقال قتادة نبات الاسنان والشعر وروى ابن جريج عن مجاهد انه استواء الشباب
وعن الحسن قال ذكرا وانثى وروى العوفي عن ابن عباس ان ذلك تصريف احواله بعد الولادة من الاستهلال الى الارتضاع
الى القعود الى القيام الى المشي الى ان يأكل ويشرب الى ان يبلغ الحلم وخلق العقل والفهم ويتقلب في البلاد الى ما بعدها الى
ان يموت قالوا وفي هذه الآية دلالة على بطلان قول النظام ان الانسان هو الروح لا البدن فانه سبحانه بين ان الانسان
هو المركب من هذه الاشياء وفيها دلالة ايضا على بطلان قول الفلاسفة الذين يقولون الانسان شيء لا ينقسم وانه ليس
بجسم ثم قال **قوله تعالى** فتبارك الله اي فتعالى الله لان البركة يرجع معناها الى الامتداد والزيادة وكل ما زاد
على الشيء فقد علاه ويجوز ان المعنى البركات والخيرات كلها من الله وقيل اصلها البروك وهو الثبات فكانه قال
البقاء والدوام والبركات كلها منه فهو الله المستحق للتعظيم والثناء بانه لم يزل ولا يزال احسن الخالقين المصورين
والمقدرين فالخلق في اللغة التقدير قال زهير • ولانت تفري ما خلقت • وبعض القوم يخلق ثم لا يفري •
قوله تعالى احسن الخالقين فيه ثلاثة اقوال الاول انه بدل من الجلالة الثاني انه نعت الجلالة وهو اولى مما قبله لان
البدل بالمشتق يقل الثالث ان يكون مبتدأ مضمرا اي هو احسن والاصل عدم الاضمار وقد منع ابو البقاء ان يكون وصفا
قال لانه نكرة وانما اضيف لمعرفة لان المضاف اليه عوض من من فهو كقولك جميع افضل منك قال شهاب الدين وهذا بناء منه
على احد القولين في افعل التفضيل اذا اضيف هل اضافته محضة ام لا والاول اولى والمميز لافعل محذوف لدلالة
المضاف اليه عليه اي احسن الخالقين الذي هو اجمع فحمله على عيسى لا يصح الثاني انه اذا صح وصف عيسى بانه يخلق صح انه
غيره سبحانه يخلق ويصح ايضا وصف غيره من المصورين بانه لا يخلق واجيب بان هذه الآية معارضة بقوله خالق كل
شيء فوجب حمل هذه الآية على انه احسن الخالقين في اعتقادكم وظنكم كقوله وهو اهون عليه وجواب ثاني وهو ان
الخالق هو المقدر لان الخلق هو التقدير فدلت الآية على انه تعالى احسن المقدرين والتقدير يرجع معناه الى الظن
والحسبان وذلك في حق الله سبحانه وتعالى محال فتكون الآية من المتشابه وجواب ثالث ان الآية تقتضي كون العبد خالقا
بمعنى كونه مقدرا لكن لم قلتم انه خالق بمعنى كونه موجدا فان قيل الآية تدل على ان كل ما خلقه الله حسن وحكمة وصواب والا
لما جاز وصفه بانه احسن الخالقين واذا كان كذلك وجب ان لا يكون خالقا للكفر والمعصية فوجب ان يكون العبد
هو الموجد لها فالجواب بان من الناس من حمل الحسن على الاحكام والاتقان في التركيب والتأليف ثم لو حملناه على ما قالوا
فعندنا انه يحسن من الله كل الاشياء لانه ليس فوق قاهر ونهي حتى يكون ذلك مانعا له عن فعل شيء **فصل**
روى الكلبي عن ابن عباس ان عبد الله بن سعد بن ابي سرح كان يكتب هذه الآيات لرسول الله صلى الله عليه وسلم فلما انتهى
الى قوله خلقا آخر عجب من ذلك فقال فتبارك الله احسن الخالقين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اكتبه فهكذا نزلت
فشك عبد الله وقال ان كان محمد صادقا فيما يقول فانه يوحى الي كما يوحى اليه وان كان كاذبا فلا خير في دينه
وهرب الى مكة فقيل انه مات على الكفر وقيل انه اسلم يوم الفتح وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس قال لما نزلت
هذه الآية قال عمر بن الخطاب فتبارك الله احسن الخالقين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هكذا انزلت يا عمر
وكان عمر يقول وافقني ربي في اربع الصلاة خلف المقام وضرب الحجاب على النسوة وقولي لهن او ليبدلنه الله خيرا منكن

فنزل قوله تعالى عسى ربه ان طلقكن والرابع قوله فتبارك الله احسن الخالقين قال العارفون هذه الواقعة كانت
من اسباب السعادة لعمر وسبب الشقاوة لعبد الله كما قال تعالى يضل به كثيرا فان قيل فعلى كل الحالات فقد تكلم
البشر ابتداء بمثل نظم القرآن وذلك يقدح في كونه معجزا كما ظنه عبد الله فالجواب هذا غير مستبعد اذا كان قدر المقدار
الذي لا يظهر فيه الاعجاز فسقطت شبهة عبد الله **قوله تعالى** ثم انكم بعد ذلك لميتون اي بعد ما ذكر ولذلك افرد اسم
الاشارة وقرأ العامة لميتون وزيد بن علي وابن ابي عبلة وابن محيصن لمائتون والفرق بينهما ان الميت يدل على الثبوت
والاستقرار والمائت على الحدوث كضيق وضائق وفرح وفارح ويقال لمن سيموت ميت ومائت ولمن مات ميت فقط
دون مائت لاستقرار الصفة وثبوتها وسيأتي مثله في الزمر ان شاء الله تعالى فان قيل الموت لم يختلف فيه اثنان وكم من
مخالف في البعث فلم اكد المجمع عليه ابلغ تأكيد وترك المختلف فيه من ترك المبالغة في التأكيد فالجواب ان البعث لما تظاهرت
ادلته وتظاهرت ابرز في صورة المستغنى عن ذلك وانهم لما لم يعملوا للموت ولم يهتموا بامره نزلوا منزلة من ينكره وابرز لهم
في صورة المنكر الذي استبعدوه كل الاستبعاد وكان ابو حيان سئل عن ذلك واجاب بان اللام غالبا تخلص المضارع للحال
ولا يمكن دخولها في يبعثون لانه مخلص للاستقبال لعمله في الظرف المستقبل واعترض على نفسه بقوله وان ربك ليحكم
بينهم يوم القيمة فان اللام دخلت على المضارع العامل في ظرف مستقبل وهو يوم القيمة فاجاب بانه خرج هذا بقوله
غالبا او بان العامل في يوم القيمة مقدر وفيه نظر اذ فيه تهيئة العامل للعمل وقطعه عنه وبعد ذلك متعلق بميتون
ولا يمنع لام الابتداء من ذلك **قوله تعالى** ثم انكم يوم القيمة تبعثون جعل الاماتة التي هي اعدام الحيوة والبعث الذي
هو اعادة ما يفنيه ويعدمه دليلين على اقتدار عظيم بعد الانشاء والاختراع فان قيل ما الحكمة في الموت وهي قاطعة
نعم الآخرة وثوابها بنعيم الدنيا فيكون ذلك في الانعام ابلغ فالجواب هذا كالمفسدة في حق المكلفين لانه متى جعل اللذة
الثواب فيما تحمله من المشقة في الطاعات صار اتيانه بالطاعات لاجل تلك المنافع لا لاجل طاعة الله بدليل انه لو قيل
لمن يصوم ويصلي اذا فعلت ذلك ادخلناك الجنة في الحال فانه لا ياتي بتلك الفعل الا لطلب الجنة ولا جرم اخر بعده
بالاماتة وهو الاعادة ليكون العبد عابدا لطاعته لا لطلب الانتفاع فان قيل هذه الآية تدل على نفي عذاب القبر
لانه قال ثم انكم بعد ذلك لميتون ثم انكم يوم القيمة تبعثون ولم يذكر بين الاحياء في القبر والاماتة فالجواب
من وجهين الاول انه ليس في ذكر الحياتين نفي الثالثة والثاني ان الغرض من ذكر هذه الاجناس الثلاثة الاحياء
والاماتة والذي ترك ذكره فهو من جنس الاعادة **قوله تعالى** ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق الآية اي سبع سموات
سميت طرائق لتطارقها وهو ان بعضها فوق بعض يقال طارقت النعل اذا اطبق النعل على نعل وطارق بين الثوبين
اذا لبس ثوبا على ثوب قاله الخليل والزجاج والفراء قال الزجاج هو كقوله سبع سموات طباقا وقال علي بن عيسى سميت
بذلك لانها طرائق الملائكة في العروج والهبوط وقيل لانها طرائق الكواكب في مسيرها والوجه في انعامه علينا
بذلك انه جعلها موضعا لارزاقنا بانزال الماء منها وجعلها مقرا للملائكة ولانها موضع الثواب ومكان ارسال الانبياء
ونزول الوحي **قوله تعالى** وما كنا عن الخلق غافلين اي بل كنا لهم حافظين من ان تسقط عليهم الطرائق السبع فتهلكهم
وهذا قول سفيان بن عيينة وهو كقوله تعالى ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا وقوله ويمسك السماء ان تقع
على الارض وقال الحسن انا خلقناها فوقهم ليدل عليهم بالارزاق والبركات منها وقيل خلقنا هذه الاشياء دلالة
على كمال قدرتنا ثم بين كمال العلم بقوله وما كنا عن الخلق غافلين بل نحن لها حافظين لئلا تخرج عن التقدير الذي اردنا
ما علينا كقوله ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت واعلم ان هذه الآية دالة على مسائل منها انها تدل على وجود الصانع
فان انقلاب هذه الاجسام من صفة الى صفة اخرى تضاد الاولى مع امكان بقائها على الصفة الاولى يدل على انه لابد
من مغير ومنها انها تدل على فساد القول بالطبيعة فان شيئا من تلك الصفات لو حصلت بالطبيعة لوجب بقاؤها
وعدم تغيرها ولو قيل انما تغيرت تلك الصفات لتغير تلك الطبيعة لافتقر الى موجد ومنها انها تدل على جواز الحشر
والنشر بصريح الآية ولان الفاعل لما كان قادرا على كل الممكنات وعالما بكل المعلومات وجب ان يكون قادرا على اعادة
التركيب الى تلك الاجزاء كما كانت ومنها ان معرفة الله يجب ان تكون استدلالية لا تقليدية والا لكان ذكر هذه الدلائل عبثا
قوله تعالى وانزلنا من السماء ماء بقدر الآية لما استدل اولا على كمال القدرة بخلق الانسان ثم استدل ثانيا بخلق السموات
واستدل ثالثا بنزول الامطار وكيفية تاثيرها في النبات واعلم ان الماء مع نفسه نعمة وهو مع ذلك سبب حصول
النعم فلا جرم ذكره الله اولا ثم ذكر ما يحصل به من النعم ثانيا قال اكثر المفسرين انه تعالى ينزل الماء في الحقيقة من السماء الظاهر
الآية ولقوله وفي السماء رزقكم وما توعدون وقال بعضهم المراد بالسماء السحاب وسماه سماء لعلوه والمراد صعود الاجزاء
المائية من قعر بحر الارض ومن الارض الى السماء حتى صارت عذبة صافية بسبب ذلك التصعيد ثم ان تلك الذرات تأتلف وتكون

ثم ينزل الله على قدر الحاجة اليه ولولا ذلك لم ينتفع بتلك المياه لتفرقها في قعر الارض ولا بماء البحار لملوحته
ولانه لا حيلة في اجراء مياه البحار على وجه الارض لان البحار هي الغاية في العمق وهذه الوجوه انما يحملها من ينكر الفاعل
المختار فاما من اقر بها فلا حاجة به الى شيء منها وقوله بقدر قال مقاتل بقدر ما يكفيهم للمعيشة من الزرع والغرس والحرث
والشرب ويسلمون معه من الضرر وقوله فاسكناه في الارض قيل جعلناه ثابتا في الارض **فصل** قال ابن عباس
انزل الله تعالى من الجنة خمسة انهار سيحون وجيحون ودجلة والفرات والنيل ثم انزلها من عين واحدة من عيون الجنة
من اسفل درجة من درجاتها على جناحي جبريل عليه السلام ثم استودعها الجبال واجراها في الارض وجعل فيها منافع للناس
فذلك قوله وانزلنا من السماء ماء بقدر فاسكناه في الارض ثم يرفعها عند خروج ياجوج وماجوج ويرفع ايضا
القرآن والعلم كله والحجر الاسود من ركن البيت ومقام ابراهيم وتابوت موسى بما فيه فيرفع كل ذلك الى السماء وذلك
قوله تعالى وانا على ذهاب به لقادرون فاذا رفعت هذه الاشياء من الارض فقد اهلها خير الدنيا والآخرة والدين
وقيل معناه فاسكناه في الارض ما يبقى في الغدران والمستنقعات ينتفع به الناس في الصيف عند انقطاع المطر
وقيل فاسكناه في الارض ثم اخرجنا منها ينابيع فماء الارض كله من السماء **قوله تعالى** وانا على ذهاب به لقادرون
على ذهاب متعلق بقادرون واللام كما تقدم فيها غير من ذلك وبه متعلق بذهاب وهي مرادفة للهمزة كهي
في لذهب بسمعهم اي على ذهابه والمعنى كما قدرنا على انزاله فكذلك نقدر على رفعه وازالته فتهلكوا عطشا وتهلك
مواشيكم وتخرب اراضيكم **فصل** قال الزمخشري قوله على ذهاب به من اوقع النكرات واحزها للفصل والمعنى على
وجه من وجوه الذهاب به وطريق من طرقه وفيه ايذان بكمال اقتدار المذهب وانه لا يتعسر عليه شيء وهو ابلغ في الايعاد
من قوله قل ارايتم ان اصبح ماؤكم غورا فمن ياتيكم بماء معين واعلم انه تعالى لما نبه على عظيم نعمته بخلق الماء ذكر بعده النعم
الحاصلة من الماء فقال فانشأنا لكم به اي بالماء جنات من نخيل واعناب وانما ذكر النخيل والاعناب لكثرة منافعهما
فانهما يقومان مقام الطعام والادام والفواكه رطبا ويابسا وقوله تعالى لكم فيها فواكه كثيرة اي في الجنات فكما
ان فيها النخيل والاعناب فيها الفواكه الكثيرة ومنها تاكلون شتاء وصيفا قال الزمخشري يجوز ان يكون هذا من
قولهم فلان ياكل من حرفة يحترفها ومن صنعة يعملها يعنون انها طعمته وجهته التي منها يحصل رزقه كانه قال وهذه
الجنات وجوه ارزاقكم ومعايشكم **قوله تعالى** وشجرة عطف اي وانشأنا لكم شجرة وقرئت مرفوعة على الابتداء
وقرأ نافع وابن كثير وابو عمرو سيناء بكسر السين والباقون بفتحها والاعمش كذلك الا انه قصرها فاما القراءة الاولى فالهمزة
فيها للتانيث اذ ليس في الكلام فعلاء بكسر الاول وهمزته للتانيث بل الملحق بسرداح وقرطاس فهي كعلباء فتكون الهمزة منقلبة
عن ياء او واو لان الالحاق يكون بهما فلما وقع حرف العلة متطرفا بعد الف زائدة قلبت همزة كرداء كما قال الزمخشري
والفارسي وهي التي ظهرت في درحاية والدرحاية الرجل القصير السمين وجعل ابو البقاء هذه الهمزة اصلية فقال والهمزة
على هذا اصل مثل حلاق وليست للتانيث اذ ليس في الكلام سيناء بعني مادة سين ونون وهمزة وهذا خلاف ما تقدم
من كونها بدلا من زائد ملحق بالاصل على ان كلامه محتمل للتاويل الى ما تقدم وعلى هذا امتنع الصرف للتانيث والتعريف لانها
اسم بقعة بعينها وقيل للتعريف والعجمة قال بعضهم والصحيح ان سيناء اسم عجمي نطقت به العرب فاختلفت فيه لغاتها فقالوا سينا
كحمراء وصفراء وسينا كعلباء وحرباء وسينين كخنديد وزنجبيل والخنديد النخل والخصي ايضا فهو من الاضداد وهي ايضا
راس الجبل المرتفع والرجل المتحمي من الرجال اذا وجمع قال الزمخشري طور سيناء وطور سينين لا يخلو اما ان يضاف فيه
الطور الى بقعة اسمها سيناء وسينون واما ان يكون اسما للجبل مركبا من مضاف ومضاف اليه كامرئ القيس وكبعلبك فيمن
اضاف فمن كسر سين سيناء فقد منع الصرف للتعريف والعجمة او التانيث لانها بقعة وفعلاء لا يكون الفه للتانيث
كعلباء وحرباء ومن فتح فلم يصرفه لان الالف للتانيث كصحراء وقيل هو فيعال ككيسان ووزنه عند البصريين فعلاء
كلامه محتمل للتاويل بما تقدم وعلى هذا امتنع الصرف للتعريف والتانيث لانها اسم بقعة وفعلاء لا يكون الفه للتانيث
وهو قول اهل البصرة واما الكوفيون فعندهم ان الفها تكون للتانيث فهي عندهم ممنوعة للتانيث وهو اللازم كحمراء
وبابها وكسر السين من سيناء لغة كنانة واما القراءة الثانية فانها للتانيث فمنع الصرف واضح قال ابو البقاء وهمزته للتانيث
اذ ليس في الكلام فعلال بالفتح وما حكى الفراء من قولهم ناقة فيها خزعال لا يثبت وان ثبت فهو شاذ لا يحمل عليه وقد
وهم بعضهم فجعل سيناء مشتقة من السنا والضوء لا يصح ذلك لوجهين احدهما انه ليس عربي الوضع نصوا على ذلك كما تقدم
الثاني انا وان سلمنا انه عربي الوضع لكن المادتان مختلفتان فان عين السنا نون وعين سيناء ياء كذا قاله بعضهم وفيه نظر
اذ للقائل ان يقول لا نسلم ان عين سيناء ياء بل عينها نون وياؤها مزيدة وهمزتها منقلبة عن واو كما قلبت في السناء وزنها
حينئذ فيعال موجود في كلامهم كديماس وقيل مصدر قاتل **قوله تعالى** تنبت قرأ ابن كثير وابو عمرو تنبت بضم التاء
وكسر الباء والباقون بفتح التاء وضم الباء فاما الاولى ففيها ثلاثة اوجه الاول ان انبت بمعنى نبت فهو مما اتفق فيه فعل وافعل

وانشدوا لزهير ● رايت ذوي الحاجات عند بيوتهم ● قطينا بها حتى اذا انبت البقل ●
وانكره الاصمعي اي نبت الثاني ان الهمزة للتعدية والمفعول محذوف لفهم المعنى اي بينت ثمرها او حملها او بالدهن
حال اي ملتبسا بالدهن الثالث ان الباء مزيدة في المفعول به كما في قوله تعالى ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة وقول الشاعر
سود المحاجر لا يقران بالسور ● وقول الاخر ● نضرب بالسيف ونرجو بالفرج ● واما القراءة الاخرى
فواضحة والباء للحال من الفاعل اي ملتبسة بالدهن يعني وفيها الدهن كما يقال ركب الامير بجنده وقرا الحسن بن هرمز
تنبت مبنيا للمفعول اي انبتها الله وبالدهن حال من الفاعل القايم مقام المفعول اي ملتبسة بالدهن وقرا زر بن حبيش
تنبت الدهن من انبت وسقوط الباء هنا تدل على زيادتها في قراءة من انبتها والاشهب وسليمان بن الاشهب بن عبد
الملك بالدهان وهو جمع كرمح ورماح واما قراءة ابي عمرو وعبد الله تخرج تفسير لا قراءة لمخالفة السواد والدهن
عصارة ما فيه دسم والدهن بالفتح المسح بالدهن مصدر دهن يدهن والمداهنة من ذلك لانه يمسح على صاحبه ليقر خاطره

فصل اختلفوا في طور سيناء وفي طور سينين فقال مجاهد معناه البركة اي من جبل مبارك وقال قتادة
معناه بالنبطية الحسن وقال عكرمة وقال الكلبي معناه الشجر اي جبل وشجر وقيل هو بالسريانية الملتف بالاشجار وقال
مقاتل كل جبل فيه اشجار مثمرة فهو سيناء وسينين بلغة النبط وقال ابن زيد هو الجبل الذي نودي منه موسى بين مصر
وايله وقال مجاهد سيناء اسم حجارة بعينها اضيف الجبل اليها لوجودها عنده والمراد بالشجر التي تنبت بالدهن اي تثمر الدهن
هي الزيتون قال المفسرون وانما اضافه الله الى هذا الجبل لان منها تشعبت في البلاد وانتشرت ولان منبتها هنالك

قوله تعالى وصبغ العامة على الجر عطفا على بالدهن والاعمش وصبغا بالنصب نسقا على موضع بالدهن كقراءة وارجلكم
في بعض محتملاته وعامر بن عبد الله وصباغ بالالف وهذه القراءة كانت مناسبة لقراءة من قرا بالدهان والصبغ والصباغ
كالدبغ والدباغ وهو اسم ما يفعل به قال الزمخشري هو ما يصبغ به اي يصبغ به الخبز وللاكلين صفة والمعنى ادام
للاكلين فنبه تعالى على احسانه بهذه الشجرة لانها تخرج هذه الثمرة التي يكثر الانتفاع بها وهي طرية ومدخرة وبان
تعصر فيظهر الزيت منها وتعظم وجوه الانتفاع به **قوله تعالى** وان لكم في الانعام لعبرة الاية لما ذكر النعم
الحاصلة من الحيوان فذكر ان فيها عبرة مجملا ثم فصله من اربعة اوجه الاول قوله تعالى نسقيكم مما في بطونها
والمراد منه جميع وجوه الانتفاع ووجه الاعتبار فيه انما يجتمع في الضروع وتخلص من بين الفرث والدم باذن الله
فتستحيل الى طهارة ولون وطعم موافق للشهوة وتصير غذاء وايضا فهذه الالبان التي تخرج من بطونها اذا ذبحت
لم يجد لها اثر وذلك دليل على عظم قدرة الله وتقدم الكلام في نسقيكم في النحل وقرا تسقيكم بالتاء من فوق مفتوحة
اي تسقيكم الانعام الثاني قوله ولكم فيها منافع بالست بالبيع والانتفاع باثمانها الثالث قوله ومنها تاكلون
اي كما تنتفعون بها وهي حية تنتفعون بها بعد الذبح والاكل الرابع قوله وعليها وعلى الفلك تحملون اي على الابل في البر
وعلى الفلك في البحر ولما بين دلايل التوحيد اردفها بالقصص كما هو العادة في ساير السور **قوله تعالى** ولقد
ارسلنا نوحا الى قومه الايات قيل كان نوح اسمه يشكر ثم سمي نوحا لكثرة ما ناح على نفسه حين دعا على قومه بالهلاك
فاهلكهم الله بالطوفان فندم على ذلك وقيل لمراجعة ربه في شان ابنه وقيل انه مر بكلب مجذوم فقال له اخسا
يا قبيح فعوتب على ذلك وقال الله تعالى اعبتني اذ خلقته او عبت الكلب وهذه وجوه متكلفة لان الاعلام
لا تفيد صفة في المسمى **قوله تعالى** يا قوم اعبدوا الله وحده ما لكم من اله غيره اي ان عبادة غير الله لا تجوز
اذ لا اله سواه وقرا غيره بالرفع على المحل وبالجر على اللفظ ثم انه لما لم ينتفع فيهم الدعاء واصروا على عبادة غير الله
حذرهم بقوله افلا تتقون فزجرهم ووعدهم بانزال العقوبة لينصرفوا عما هم عليه ثم انه تعالى حكى عن شبهتهم في انكار
نبوة نوح عليه السلام وهي كقولهم ما هذا الا بشر مثلكم وهذه الشبهة تحتمل وجهين الاول ان يقال انه لما كان ساير الناس
في القوة والفهم والعلم والغنى والفقر والصحة والمرض سواء امتنع كونه رسولا لله لانه لا بد وان يكون الرسول معظما
عند الله وحبيبا له والحبيب لا بد وان يكون مختصا من غير الحبيب بمزيد الدرجة والعزة فلما انتفت هذه الاشياء علمنا
انتفاء الرسالة الثاني ان يقال ان الانسان مشارك لكم في هذه الامور ولكنه احب الرياسة والمتبوعية فلم يجد اليها
سبيلا الا بادعاء النبوة فصار ذلك شبهة لهم في القدح في نبوته يؤكد هذا الاحتمال قوله يريد ان يتفضل عليكم
اي يطلب الفضل عليكم ويراسلكم الشبهة الثالث قوله ولو شاء الله لانزل ملايكة اي ولو شاء الله ان لا يعبد سواه
لانزل ملايكة بابلاغ الوحي لان بعثة الملايكة اشد افضاء الى المقصود من بعثة البشر لان الملايكة لعلو شانهم وشدة
سطوتهم وكثرة علومهم ينقاد الخلق اليهم ولا يشكون في رسالتهم فلما لم يفعل ذلك علمنا انه ما ارسل رسولا الشبهة الثالثة
قولهم ما سمعنا بهذا في ابائنا الاولين فقولهم بهذا اشارة الى نوح عليه السلام اي بارسال بشر رسولا او بهذا الذي يدعو

اليه نوح وهو عبادة الله وحده لان اباهم كانوا يعبدون الاوثان وذلك انهم كانوا لا يعولون في شيء من مذاهبهم
الا على التقليد والرجوع الى قول الاباء فلما لم يجدوا في نبوة نوح عليه السلام هذه الطريقة حكموا بفسادها الشبهة الرابعة
قولهم ان هو الا رجل به جنة اي جنون وهذه الشبهة من باب الترويج على العوام لانه عليه السلام كان يفعل افعالا على خلاف
عاداتهم فكان الرؤساء يقولون للعوام انه مجنون فكيف يكون رسولا الشبهة الخامسة قولهم فتربصوا به حتى حين وهذا
يحتمل ان يكون متعلقا بما قبله اي انه مجنون فاصبروا الى زمان يظهر عاقبة امره فان افاق والا فاقتلوه ويحتمل
ان يكون كلاما مستانفا وهو ان يقولوا لقومهم اصبروا فانه ان كان نبيا حقا فالله سينصره ويقوي امره فنتبعه حينيذ
وان كان كاذبا فالله يخذله ويبطل امره فحينيذ نستريح منه واعلم انه تعالى لم يذكر الجواب عن الشبهة هذه لركاكتها ووضوح
فسادها لان كل عاقل يعلم ان الرسول لا يصير رسولا لكونه من جنس الملك وانما يصير رسولا بتمييزه من غيره بالمعجزات
فسواء كان من جنس الملك او من جنس البشر اولى لما تقدم من ان الجنسية مظنة الالفة والمؤانسة واما قوله يريد ان يتفضل
عليكم فان اراد واارادته لاظهار فضله حتى يلزمهم الانقياد لطاعته فهذا واجب في الرسول وان ارادوا انه يترفع
عليهم على سبيل التكبر فالانبياء منزهون عن ذلك واما قولهم ما سمعنا بهذا فهو استدلال بعدم التقليد لا يدل على وجود
الشيء وعدمه من اين يدل على عدمه واما قولهم به جنة فكذبوا لانهم كانوا يعلمون بالضرورة كمال عقله واما قولهم فتربصوا
فضعيف لانه ان ظهرت الدلالة على نبوته وهي المعجزة وجب عليهم قبول قوله في الحال فلا يجوز توقيف ذلك الى ظهور
دولته لان الدولة لا تدل على الحقيقة وان لم يظهر المعجز لم يجز قبول قوله سواء ظهرت الدولة او لم تظهر **قوله تعالى**
قال رب انصرني بما كذبون اي عني على هلاكهم بتكذيبهم اياي كانه قيل اهلكهم بسبب تكذيبهم اياي وقيل انصرني بدل ما كذبوني
كما تقول هذا بذاك اي بدل ذاك ومكانه وقيل انصرني بانجاز ما وعدتهم من العذاب وهو ما كذبوه فيه حين قال لهم
اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم ولما اجاب الله دعاءه قال فاوحينا اليه ان اصنع الفلك باعيننا اي بحفظنا وكلاءتنا كان
معه من الله حفاظ وكلاءة يعينونه ويكلونه بعيونهم لئلا يتعرض له ولا يفسد عليه عمله قيل كان نوح نجارا
وكان عالما بكيفية اتخاذ الفلك وقيل ان جبريل عليه السلام علمه عمل السفينة وهذا هو الاقرب لقوله باعيننا ووحينا
فاذا جاء امرنا واعلم ان لفظ الامر كما هو حقيقة في طلب الفعل بالقول على سبيل وكذا هو حقيقة في الشان العظيم
لانك تقول هذا امر تردد الذهن بين المفهومين فدل ذلك على كونه حقيقة فيهما وقيل انما سماه امرا تعظيما وتفخيما
قال لها وللارض ايتيا طوعا او كرها **قوله تعالى** وفار التنور تقدم الكلام في التنور في سورة هود فاسلك اي ادخل
فيها يقال سلك فيها دخله فسلك واسلكه من كل زوجين اثنين اي من كل زوجين من الحيوان الذي يحضر في الوقت
اثنين الذكر والانثى كي لا ينقطع نسل ذلك الحيوان وكل واحد منهما زوج لا كما تقول العامة ان الزوج هو الاثنان
روي انه لم يحمل الا ما يلد ويبيض وقرئ من كل بالتنوين فاثنين تاكيد وزيادة بيان واهلك اي وادخل اهلك الا من سبق
عليه القول ولفظ على انما يستعمل في المضار قال تعالى لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت وهذه الاية تدل على امرين الاول
انه تعالى امره بادخال ساير من امن به وان لم يكن من اهله وقيل المراد من امن به من اهله وقيل المراد باهله من امن من دون
من يتصل به نسبا وسببا وهذا ضعيف والا لما جاز الاستثناء بقوله الا من سبق عليه القول الثاني قال ولا تخاطبني في الذين
ظلموا يعني كنعان فانه سبحانه لما اخبر باهلاكهم وجب ان ينهاه عن ان يساله في بعضهم لانه ان اجابه اليه فقد صير خبره الصادق
كذبا وان لم يجبه اليه كان ذلك تحقيرا لشان نوح عليه السلام فلذلك قال انهم مغرقون اي الغرق نازل بهم لا محالة
قوله تعالى فاذا استويت انت ومن معك على الفلك اعتدلت انت ومن معك على الفلك قال ابن عباس كان في السفينة
ثمانون انسانا نوح وامراته سوى التي غرقت وثلاثة بنين سام وحام ويافث وثلاث نسوة لهم واثنان وسبعون
انسانا فكل الخلايق نسل من كان في السفينة روي سعيد بن المسيب عن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ولد نوح
عليه السلام سام وحام ويافث فاما سام فابو العرب وفارس والروم واما يافث فابو ياجوج وماجوج واما حام
فابو هذه الجلدة السوداء وياجوج وماجوج بنو عم الترك **فصل** قال ابن الجوزي ولد لحام كوش وبوط
ومصر وبوان وولد لكوش نمرود وهو اول الجبابرة ملك بعد الطوفان ثلاثماية سنة وعلى عهده قسمت الارض
وتفرق الناس واختلفت الالسن وعزودا ابراهيم الخليل ومن ولد بني نوح الترك ومن ولد يومع ياجوج وماجوج ومن
ولد يوان الصقالبة والنوبة والحبشة والهند والسند ولما اقتسموا اولاد نوح الارض نزل بنو حام مجرى الجنوب
والدبور فجعل الله فيهم الادمة وبياضا قليلا ولهم اكثر الارض وروي ان نافع بن عامر قسم الارض بين اولاد نوح
فنزل بنو سام سرة الارض فكانت فيهم الادمة والبياض ونزل بنو يافث مجرى الشمال والصبا فكانت فيهم الحمرة والشقرة
ونزل بنو حام مجرى الجنوب والدبور فتغيرت الوانهم روى ابن شهاب قال قيل لعيسى بن مريم عليه السلام احيي حام بن نوح

فقال اروني قبره فقام فقال يا حام بن نوح احيا باذن الله تعالى فلم يخرج ثم قالها الثانية فخرج واذا شق
راسه ولحيته ابيض فقال له ما هذا قال سمعت الدعاء الاول فظننت انه من الله تعالى فشاب له شقي ثم سمعت الدعاء الثاني
فعلمت انه من الدنيا فخرجت قال منذ كم مت قال منذ اربعة الاف سنة ما ذهبت عني سكرة الموت حتى الان وروي ان الذي
احياه عيسى ابن مريم سام بن نوح والله اعلم وروي عن الحسن بن هلال قال الارض اربعة وعشرون الف فرسخ فاثنا عشر الف
للسودان وثمانية للروم وثلاثة للفرس والف للعرب **قوله تعالى** فقل الحمد لله الذي نجانا من القوم الظالمين
الكافرين وانما قال فقل ولم يقل فقولوا لان نوحا كان نبيا لهم وامامهم فكان قوله لهم مع ما فيه من الاشعار بفضل
النبوة واظهار كبرياء الربوبية وان رتبة ذلك المخاطب لا يترقى اليها الا ملك او نبي قال قتادة علمكم الله ان تقولوا عند
ركوب السفينة بسم الله مجراها ومرسيها وعند ركوب الدابة سبحان الذي سخر لنا هذا وعند النزول وقل رب
ادخلني مدخل صدق واخرجني مخرج صدق وقال واذا قرات القران فاستعذ بالله فكانه تعالى امرهم بان لا يغفلوا
عن ذكره في جميع احوالهم **قوله تعالى** وقل رب انزلني منزلا مباركا قرا ابو بكر بفتح ميم منزلا وكسر الزاي والمنزل
والمنزل لكل منهما يحتمل ان يكون اسم مصدر وهو الانزال وان يكون اسم مكان النزول والانزال الا ان العباس منزلا
بالضم والفتح كقوله انزلني واما الفتح والكسر فعلى نيابة مصدر الثلاثي مناب مصدر الرباعي كقوله تعالى انبتكم من الارض
نباتا وتقدم نظيره في مدخل ومدخل واختلفوا في المنزل فقيل نفس السفينة وقيل بعد خروجه من السفينة منزلا
من الارض مباركا والاول اقرب لانه امر بهذا الدعاء حال استقراره فيكون هو المنزل دون غيره ثم قال وانت خير
المنزلين وذلك ان الانزال في الامكنة قد يقع من غير الله كما يقع من الله لانه يحفظ من انزله في سائر احواله ثم بين تعالى
ان فيما ذكر من قصة نوح واياته وقومه ايات ودلالات وفي الدعاء الى الايمان والزجر عن الكفر فان اظهار تلك المياه العظيمة
ثم اذهابها لا يقدر عليه الا القادر على كل المقدورات وظهور تلك الواقعة على وفق قول نوح عليه السلام يدل على المعجز
العظيم وافناء الكفار وبقاء الارض لاهل الطاعة **قوله تعالى** وان كنا لمبتلين ان مخففة واللام فارقة
وقيل ان نافية واللام بمعنى الا وتقدم ذلك مرارا فعلى الاول معناه وقد كنا وعلى الثاني ما كنا الا مبتلين
فيجب على كل مكلف ان يعتبر بهذا الذي ذكرناه وقيل المراد لمعاقبين من كذب الانبياء وسلك مثل طريقة قوم نوح
وقيل المراد لمعاقبين كما عاقب بالغرق من كذب فقد يمتحن من لم يكذب على وجه المصلحة لا على وجه التكذيب
لكي لا يقدر ان كل الغرق يجري على وجه واحد **قوله تعالى** ثم انشانا من بعدهم قرنا اخرين الايات قال ابن عباس
واكثر المفسرين هذه قصة هود لقوله تعالى حكاية عن هود واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح ومجيء قصة هود
عقيب قصة نوح في سورة الاعراف وهود والشعراء وقال بعضهم هي قصة صالح لان قومه الذين كذبوه هم الذين
هلكوا بالصيحة وتقدم كيفية الدعوى في سورة نوح **قوله تعالى** فارسلنا فيهم قال الزمخشري فان قلت
حق ارسلنا ان تتعدى بالى كاخواته التي هي وجه وانفذ وبعث فما بال تعديه في القران بالى تارة وبفي اخرى كقوله
كذلك ارسلناك في امة قلت لم يعد بفي كما تعدى بالى ولم يجعله صلة مثله ولكن الامة او القرية جعلت موضعا للارسال
كقوله • ارسلت فيها مصعبا ذا لحام • وقد جاء بعث على ذلك كقوله تعالى ولو شئنا لبعثنا
في كل قرية نذيرا **قوله تعالى** ان اعبدوا الله يجوز ان تكون مصدرية اي ارسلناه بان اعبدوا اي بقوله اعبدوا وان
تكون مفسرة افلا تتقون قال بعضهم هذا الكلام غير موصول بالاول وانما قاله لهم بعد ان كذبوه وردوا عليه بعد
اقامة الحجة عليهم فعند ذلك خوفهم بقوله افلا تتقون هذه الطريقة مخافة العذاب الذي انتم فيه ويجوز ان يكون
موصولا بالكلام الاول بان راهم معرضين عن عبادة الله مشتغلين بعبادة الاوثان فدعاهم الى عبادة الله وحذرهم
من العذاب بسبب اقبالهم على عبادة الاوثان **قوله تعالى** وقال الملا قال الزمخشري فان قلت ذكر مقالة قوم
هود في جوابه في سورة الاعراف وسورة هود بغير واو وقال الملا الذين كفروا من قومه انا لنراك في سفاهة قالوا يا هود
لا بشر مثلنا وههنا مع الواو فاي فرق بينهما قلت الذي بغير واو على تقدير سؤال سائل قيل فماذا قيل له
قالوا كيت وكيت واما الذي مع الواو فعطف لما قالوه على ما قاله ومعناه انه اجتمع في الحصول اي في هذه الواقعة
هذا الكلام الحق وهذا الكلام الباطل وشتان ما بينهما **فصل** قال شهاب الدين ليس للقائل ان يقول هذا
جواب بنفس الواقع والسؤال باق اذ يحسن ان يقال لم لا حصل هنا قوله ايضا جواب سؤال سائل كما في نظيرتها او عكس
الامر **قوله تعالى** وكذبوا بلقاء الاخرة اي بالمصير الى الاخرة واترفناهم نعمناهم ووسعنا عليهم في الحيوة الدنيا
ما هذا الا بشر مثلكم ياكل مما تاكلون منه وقد تقدم شرح هذه القصة في السورة الاولى **قوله تعالى** ويشرب مما
تشربون اي منه فحذف العائد لاستكمال شروطه وهو اتحاد الحرف والمتعلق وعدم قيامه مقام مرفوع وعدم ضمير اخر

هذا اذا جعلنا ما بمعنى الذي فان جعلتها بمعنى الذي اعني جعلتها مصدرية لم يحتج الى عائد ويكون المصدر
واقعا موقع المفعول اي من مشروبكم وقال في التحرير وزعم الفراء ان معنى مما تشربون على حذف اي تشربون
منه وهذا لا يجوز عند البصريين ولا يحتاج الى حذف البتة لان ما اذا كانت مصدرية لم يحتج الى عائد فان
جعلتها بمعنى الذي حذفت العائد ولم يحتج الى اضمار من يعني انه من تقدير يشربون من غير حرف جر وحينئذ تكون
شروط الحذف ايضا موجودة ولكنه يفوت المقابلة وقوله ما كلون عند البصريين ممنوع بل هو جائز لوجود شرط
الحذف **قوله تعالى** ولئن اطعتم بشرا مثلكم انكم اذا لخاسرون لمبعوثون جعلوا اتباع الرسول خسرانا ولم يجعلوا عبادة
الصنم خسرانا قال الزمخشري واذا وقع في جزاء الشرط بل وقع بين انكم والخبر وانكم والخبر ليس جزاء للشرط بل ذلك
جواب للقسم المحذوف قبل الشرطية ولو كان التركيب انكم جوابا للزمت الفاء في انكم بل لو كان غالبا في تركيب غير
القران لم يكن ذلك التركيب جائزا الا عند الفراء والبصريون لا يجيزونه وهو عندهم خطا قال شهاب الدين يعني
انه اذا توالى شرط وقسم اجيب سابقهما والقسم هنا متقدم فينبغي ان يجاب ولا يجاب الشرط لا اختلف القاعدة
الا عند بعض الكوفيين فانه يجيب الشرط وان تاخر فهو موجود في الشعر **قوله تعالى** ايعدكم انكم اذا متم الاية
في اعرابها ستة اوجه اولها مضافا لضمير الخطاب حذف واقيم المضاف اليه مقامه في والخبر قوله اذا متم وانكم
مخرجون تكرير لان الاولى للتاكيد والدلالة على المحذوف والمعنى اخراجكم اذا متم وكنتم ثانيها ان خبر ان الاولى
هو مخرجون وهو العامل في اذا وكررت الثانية تاكيدا لما طال الفصل واليه ذهب الجرمي والمبرد والفراء ويدل
على كون الثانية توكيدا قراءة عبد الله وكنتم ترابا وعظاما تخرجون ثالثها انكم مخرجون مأول بمصدر مرفوع
بفعل محذوف ذلك الفعل المحذوف هو جواب اذا الشرطية واذا الشرطية وجوابها المقدر خبر لانكم الاولى تقديره
يحدث انكم مخرجون رابعها كالثالث في كونه مرفوعا بفعل مقدر الا ان هذا الفعل المقدر خبر لان الاولى وهو عامل
في اذا خامسها ان خبر الاولى محذوف للدلالة خبر الثانية عليه تقديره انكم تبعثون وهو العامل في الظرف لان
الثانية وما في حيزها بعد ان الاولى وهذا مذهب سيبويه سادسها ان يكون انكم مخرجون مبتدا وخبره
الظرف مقدما عليه والجملة خبر عن انكم الاولى والتقدير ايعدكم انكم اخراجكم كائن او مستقر وقت اخراجكم
وقت موتكم ولا يجوز ان يكون العامل في اذا تخرجون على كل قول لان ما في حيز ان لا يعمل فيما قبلها ولا يعمل
فيها متم لانه مضاف اليه وانكم وما في حيزه في محل نصب وجر بعد حذف الجر اذ الاصل ايعدكم بانكم ويجوز ان لا يقدر
حرف جر فيكون في محل نصب فقط نحو وعدت زيدا خيرا **قوله تعالى** هيهات هيهات اسم فعل معناه بعد وكرر
للتوكيد وليست المسالة من التنازع قال جرير • فهيهات هيهات العقيق واهله • وهيهات خل بالعقيق نواصله •
وفسر الزجاج في ظاهر عبارته بالمصدر فقال البعد لما توعدون فظاهرها انه مصدر بدليل عطف الفعل عليه
ويمكن ان يكون فسر المعنى فقط وهيهات اسم لفعل قاصر يرفع الفاعل وهنا قد جاءت ما ظاهره الفاعل محفوظ
باللام فمنهم من جعله على ظاهره وقال ما توعدون فاعل به وزيدت فيه اللام التقدير بعد ما توعدون وهو ضعيف
اذ لم يعهد زيادتها في الفاعل ومنهم من جعل الفاعل مضمرا لدلالة الكلام عليه فقدره ابو البقا هيهات التصديق
او الصحة لما توعدونا وقدره غيره لاخراجكم ولما توعدون للبيان قال الزمخشري لبيان المستبعد ما هو بعد التصويت
في كلمة الاستبعاد كما جاءت بعد الكلمة في هيت لك لبيان المهيت به وقال الزجاج البعد لما توعدون فجعله مبتدا
والجار بعده الخبر قال الزمخشري فان قلت ما توعدون هو المستبعد ومن حقه ان يرفع بهيهات كما ارتفع بقوله
• فهيهات هيهات العقيق واهله • فما هذه اللام قلت قال الزجاج في تفسير البعد لما توعدون او بعد لما
توعدون فيمن نون فنزله منزلة المصدر **فصل** قال ابو حيان فقول الزمخشري فيمن نونه
نزله منزلة المصدر لاجل قوله او بعد فالتنوين علة لتقديره اياه نكرة لا لكونه نزله منزلة المصدر وان اسماء
الافعال ما نون منها نكرة وما لم ينون معرفة بخصوصه وصفه يقدر الاول بالسكون كسكون ما وقال ابن عطية
طورا على الفاعل دون لام تقول هيهات مجيء زيد اي بعد واحيانا يكون الفاعل محذوفا وعند اللام كهذه الاية
التقدير بعد الوجود لما توعدون ولم يستجوده ابو حيان من حيث قوله حذف الفاعل والفاعل لا يحذف ومن حيث
فيه حذف المصدر وهو الوجود وابقاء معموله هو لما توعدون وهيهات الثاني تاكيد للاول تاكيدا لفظيا
وقد جاء غير مؤكد كقوله • هيهات منزلنا بعنف سويقة • كانت مباركة على الايام •
وقول الاخر • هيهات ناس من اناس ديارهم • دقاق ودار الاخرين الاوابي •
وقال روبة • هيهات نكن مخترق هباوه • قال العيني شارح ابيات الايضاح وهذا مثل

ويقرا الثاني م

وهذا مثل قولك بعد بعده وذلك انه بني من هذه اللفظة فعلا لا اصابة مجيء القلقال والزلزال والالف في
هيهات غير الالف في هيهاه الفا لفعلال الزائدة وفي هذه اللفظة لغات كثيرة تزيد على الاربعين ذكر منها الصغاني
ستة وثلاثين لغة وهي هيهات وايهات وايهان وهيهان وهايهات كل واحد من هذه الست مضمومة الاخر
ومفتوحة ومكسورة وكل واحدة منها منونة وغير منونة فتكون ستا وثلاثين وحكى غيره هيهات وايهان فكان
الخطاب وايهاه وايها وهيها فاما المشهورة ومنا قراته فالهيهات بفتح التاء من غير تنوين بني لوقوعه موقع المبني
او لشبهه بالحروف وتقدم تحقيق ذلك وبها قرا العامة وهي لغة اهل الحجاز وهيهات بالفتح والتنوين وبها قرا ابو عمرو
في رواية هارون عنه ونسبه ابن عطية لخالد بن الياس وهيهات بالضم والتنوين وبها قرا الاحمر وابو حيوة بالضم من غير
تنوين ويروى عن ابي حيوة ايضا وعنه فيها اوجهان وافق ابو السمال في الاولى دون الثانية وهيهات بالكسر والتنوين
وبها قرا عيسى وخالد بن الياس وبالكسر من غير تنوين وهي قراءة ابي جعفر وشيبة ويروى عن عيسى ايضا وهي لغة تميم
واسد وهيهات باسكان التاء وبها قرا عيسى بن عمر الهمداني ايضا وخارجة عن ابي عمرو والاعرج وهيهاه بالهاء اخرا
وصلا ووقفا وايهات بابدال الهاء همزة مع فتح التاء وبها تبين قرا بعض القراء فيما نقل ابو حيان فهذه تسع لغات
قد قرئ بهن لم يتواتر منها غير الاولى ويجوز ابدال الهمزة من الهاء الاولى في جميع ما تقدم فيكمل مع ذلك ستة عشر
لغة وايهان بالنون اخرا وايها بالالف اخرا في فتح التاء قالوا فهي جمع تانيث كزينبات وهندات ويعزى هذا
لسيبويه لانه قال هي مثل بيضات فنسب اليه انه جمع من ذلك حتى قال النحويون مفردها هيهة مثل بيضة وليس بشيء
بل مفردها هيهات قالوا وكان ينبغي على اصله ان يقول فيها هيهيات بقلب الف هيهات يا لمزيدتها على الاربعة نحو
سلقيات ومعزيات وجرهيات لانها من بنات الاربعة المضعفة من الياء من باب حاحيت وصاحبه واصلها بوزن القلقلة
والحجحجة فقلبت الياء الفا لتحركها وانفتاح ما قبلها فصارت هيهاه كالسلقاه والجعباه وان كانت الياء التي انقلبت
عنها الف سلقاه وجعباه زائدة وياء هيهاه اصلا فلما جمعت كان قياسها على قولهم ارطيات وعلقيات ان يقول فيها
هيهيات الا انهم حذفوا الالف لالتقاء الساكنين لما كانت في اخر اسم مبني كما حذفوها في ذان واللتان ليفصلوا بين اللغات
واواخر المبنية والالفات في اواخر المتمكنة وعلى هذا حذفوها في اولات وذوات ليخالف بنا حصيات ونويات وقالوا
من فتح تاء هيهات فحقه ان يكتبها هاء لانها في مفرد كنواة ونوى ومن كسرها فحقه ان يكتبها تاء لانها في جمع كهندات
ولذلك حكم الوقف سواء الا التفات الى لغة كيف الاخوه والاخوات ولا هذه مرة لعلنا وقد ثبت رسمها في المصحف
بالهاء واختلف القراء في الوقف عليها فمنهم من تبع الرسم فوقف بالهاء وهما الكسائي والبزي عن ابن كثير ومنهم من وقف
بالتاء وهم الباقون وكان ينبغي ان يكون الاكثر على الوقف بالهاء لوجهين الاول لموافقة الرسم والثاني انهم قالوا المفتوح
اسم مفرد اصله هيهية كزلزلة وقلقلة من مضاعف الرباعي وقد تقرر ان المفرد يوقف على تائه بالهاء واما التنوين
فهو على قاعدة تنوين اسماء الافعال دخوله دليل على التنكير وخروجه دال على التعريف قال القيسي من نون اعتقد
تنكيرها وتصور معنى المصدر النكرة كانه قال بعدا بعدا ومن لم ينون اعتقد تعريفها وتصور معنى المصدر المعرفة
فانه قال البعد البعد فجعل التنوين دليل التنكير وعدمه دليل التعريف انتهى فلا يوجد تنوين التنكير الا في نوعين
احاد الافعال واسماء الاصوات نحو صه وصه وسيبويه وسيبويه وليس بقياس لانه ليس لك ان تنون منها ما شئت بل ما سمع تنوينه
اعتقد تنكيره والذي يقول في القراءة المتقدمة ان من نون جعله للتنكير كما تقدم ومن لم ينون جعل عدمه للتعريف والتنوين
للتعريف ومن فتح فللخفة والاتباع ومن كسر فعلى اصل التقاء الساكنين ومن ضم فتشبيها بقبل وبعد ومن ضم فلان
اصل البنا السكون ومن وقف بالهاء فاتباعا للرسم ومن وقف بالتاء فعلى الاصل سواء كسر التاء او فتح لان الظاهر
انهما سواء وانما ذلك من تغيير اللغات وان كان المنقول عن مذهب سيبويه ما تقدم هكذا ينبغي ان تعلل القراءات
المتقدمة وقال ابن عطية في ضم ونون انه اسم معرب مستقل مرفوع بالابتداء وخبره لما توعدون اي البعد لوعدكم
كما تقول النجح لسعيد **فصل** قال الرازي في اللوامح فاما من رفع ونون احتمل ان يكون اسمين متمكنين مرفوعين
خبرهما من حروف الجر بمعنى البعد لما توعدون والتكرار للتاكيد ويجوز ان يكونا اسما للفعل والضم للبناء مثل حوب
في زجر الابل لكنه نونه نكرة قال شهاب الدين وكان ينبغي لابن عطية وابي الفضل ان يجعلا اسما ايضا في النصب
مع التنوين على انه مصدر واقع موقع الفعل وقرا ابن ابي عبلة هيهات هيهات ما توعدون من غير لام وهي
موضحة مزية المدعي زيادتها في قراءة العامة وما في لما توعدون تحتمل المصدرية اي لوعدكم وان يكون بمعنى الذي
والعائد محذوف اي ما توعدونه **قوله تعالى** ان هي ضمير يفسره سياق الكلام اي ان الحياة الا حياتنا وقال الزمخشري
هذا ضمير لا يعلم ما يراد به الا بما يتلوه من بيانه واصله ان الحياة الا حياتنا الدنيا فوضع هي موضع حياتنا لان الخبر

يدل عليها ويبينها ومنه هي النفس تحمل ما حملت وهي العرب تقول ما شاءت وبعضهم جعل هذا القسم مما يفسره ما بعده
لفظا ورتبة ونسبه الى الزمخشري متعلقا بنقلناه عنه قال شهاب الدين ولا تعلق له في ذلك **قوله تعالى** نموت ونحيى
جملة مفسرة لما ادعوه من ان حياتهم ما هي الا كذا وزعم بعضهم ان فيها دليلا على ما تقدم وهو عدم الترتيب في الواو
اذ المعنى نحيا ونموت اذ هو الواقع ولا دليل فيها لان الظاهر من معناها يموت البعض منا ويحيى اخرون وهلم جرا
يبيدون الى انقضاء العصر ويخلف مكانه وقيل يموت نحن ويحيا ابناؤنا وقيل القوم كانوا يعتقدون الرجعة
اي نموت ثم نحيا بعد ذلك الموت **فصل** اعلم ان القوم طعنوا في نبوته بكونه بشرا ياكل ويشرب ثم جعلوا
طاعته خسرانا اي انكم اذا اطعتموه الطاعة من غير ان يكون لكم بازائها نفع فذلك هو الخسران ثم طعنوا في صحة
الحشر والنشر فقالوا ايعدكم انكم اذا متم وكنتم ترابا وعظاما انكم مخرجون معادون احياء للمجازاة ثم لم يقتصروا
على هذا القدر حتى قرنوا به الاستبعاد العظيم فقالوا هيهات هيهات لما توعدون ثم اكدوا ذلك بقولهم ان هي الا حياتنا
الدنيا نموت ونحيى ولم يريدوا بقولهم نموت ونحيى الشخص الواحد بل ارادوا ان البعض يموت والبعض يحيا وانه لا اعادة
ولا حشر فلذلك قالوا وما نحن بمبعوثين ثم بنوا على هذا فطعنوا في نبوته فقالوا لما اتى في دينه بهذا الباطل فقد افترى
على الله كذبا وما نحن له بمؤمنين واعلم ان الله سبحانه ما اجاب عن هاتين الشبهتين لظهور فسادهما اما الاولى فتقدم
الجواب عنها واما انكارهم الحشر والنشر فجوابه انه سبحانه لما كان قادرا على كل الممكنات عالما بكل المعلومات وجب ان يكون
قادرا على الحشر والنشر فجوابه انه سبحانه وايضا فلولا الاعادة لكان تسليط القوي على الضعيف في الدنيا ظلما وهو غير لائق
بالحكيم على ما تقرر في قوله تعالى ان الساعة آتية اكاد اخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى واعلم ان الرسول لما يئس من قبول قومه
فزع الى ربه وقال رب انصرني بما كذبون وقد تقدم تفسيره واجاب الله سؤاله وقال عما قليل ليصبحن نادمين **قوله
تعالى** عما قليل في ما هذه وجهان الاول انها مزيدة بين الجار والمجرور للتوكيد كما زيدت في الباء نحو فبما رحمة وفي من نحو
مما خطاياهم وقليل صفة لزمن محذوف اي عن زمن قليل والثاني انها غير زائدة بل هي نكرة بمعنى شيء او زمن وقليل صفتها او بدل
منها وهذا الجار فيه ثلاثة اوجه الاول انها تتعلق بقوله ليصبحن عن زمن قليل نادمين وهذا على احد الاقوال في لام القسم
وذلك ان فيها ثلاثة اقوال جواز تقديم ما بعدها معمولها عليها وهو قول الفراء وابي عبيدة والثاني المنع مطلقا وهو قول
جمهور البصريين والثالث الفصل بين الظرف وعديله وبين غيرهما فيجوز فيهما للاتساع ويمتنع في غيرهما فلا يجوز في والله
لاضربن زيدا زيدا لاضربن لانه لا غير ظرف ولا عديله الثاني من الاوجه المتقدمة انه متعلق بمحذوف تقديره عما قليل
ينصر حذف لدلالة ما قبله عليه وهو قوله رب انصرني الثالث قوله ليصبحن بتاء الخطاب على الالتفات او على ان القول مصدر
من الرسول لقومه بذلك عما قليل الاية معناه انه سيظهر لهم علامات الهلاك فحينئذ تحصل لهم الحسرة والندامة على ترك
القبول ثم بين تعالى الهلاك الذي انزل عليهم بقوله فاخذتهم الصيحة بالحق قيل ان جبريل عليه السلام صاح بهم صيحة
عظيمة فهلكوا وقال ابن عباس الصيحة هي الرجفة وعن الحسن الصيحة نفس العذاب والموت كما يقال فيمن يموت دعا فاجاب
وقيل هي العذاب المصطلم قال الشاعر • صاح الزمان بآل برمك صيحة • خروا لشدتها على الاذقان •
والاول اولى لانه الحقيقة **قوله تعالى** بالحق اي دمرناهم بالعدل من قولك فلان يقضي بالحق اذا كان عادلا في
قضاياه وقال المفضل بالحق اي بما لا مدفع له كقوله تعالى وجاءت سكرة الموت بالحق **قوله تعالى** فجعلناهم
غثاء الغثاء بمعنى التصيير وغثاء مفعول ثان والغثاء قيل هو الجفاء وتقدم في الرعد قال الحسن وقال الزجاج هو البالي
من ورق الشجر والعيدان اذا جرى السيل خالط زبده واسود ومنه قوله تعالى غثاء احوى وقيل كل ما يبس السيل والعرب مما
لا ينتفع به وبه يضرب المثل في ذلك ولامه واو لانه من غثا الوادي يغثو غثوا وكذلك غثت القدر واما غثيت نفسه
تغثى غثيانا اي خبثت فهو قريب من معناه ولكنه من مادة الياء وتشديد الغثاء وتخفف وقد جمع على اغثاء وهو شاذ
بل كان قياسه ان يجمع على افعلة كاغربة وعلى غثيان كغربان وغلمان وانشدوا لامرئ القيس قوله •
من السيل والغثاء فلكة مغزل • بتشديد الثاء وتخفيفها والجمع اي والاغثاء **قوله تعالى** فبعدا للقوم الظالمين
بعدا مصدر بدل من اللفظ بفعله فناصبه واجب الاضمار لانه بمعنى الدعاء عليهم والاصل بعدوا بعدا نحو رشد رشدا
ورشدا وفي هذه اللام انها متعلقة بمحذوف للبيان كهي في سقيا له وحمدا لله قال الزمخشري والثاني المصدر وكذلك
منعوا الاشتغال في قوله والذين كفروا فتعسا لهم لان اللام لا تتعلق بتعسا بل بمحذوف وان كان الزمخشري جوز ذلك
وسياتي في موضعه ان شاء الله تعالى **قوله تعالى** فجعلناهم غثاء صيرناهم هلكى فبعدوا بين الغثاء من نبات
الارض فبعدا بمنزلة الذي هو بعيد من الخير **قوله تعالى** للقوم الظالمين الكافرين ذكرها على وجه الاستخفاف
والاهانة لهم **قوله تعالى** ثم انشانا من بعدهم قرونا اخرين اي اقواما اخرين قيل المراد قصة لوط وشعيب وايوب ويوسف

صلوات الله عليهم والمعنى انه ما اخلا الديار من المكلفين بالسبق من امة اجلها وما يستاخرون من صلة اي ما تسبق امة
اجلها وقت هلاكها وقيل آجال حياتها وتكليفها قال اهل السنة هذه الاية تدل على ان المقتول ميت باجله اذ لو قتل
قبل اجله لكان قد تقدم الاجل او تاخر وذلك ينافيه هذا النص **قوله تعالى** ثم ارسلنا رسلنا تترى في تترى وجهان
اظهرهما انه منصوب على الحال من رسلنا يعني متواترين اي واحدا بعد واحد او متواترين على حسب الخلاف في معناه
وحقيقته انه مصدر واقع موقع الحال والثاني انه نعت مصدر محذوف تقديره ارسالا تترى اي متتابعا او ارسالا
اثر ارسال وقرا ابن كثير وابو عمرو دون تنوين والوقف عندهم يكون بالياء ويميله حمزة والكسائي وهو مثل غضبى وسكرى
ولا يميله ابو عمرو في الوقف وعنده اي اللغة المشهورة في نون فله وجهان الاول ان وزن الكلمة فعل كفلس وعليه
فقوله تترى كقوله نصرته نصرا الثاني ان الالف للالحاق كهي في ارطى وعلقى فلما نون حذفت لالتقاء الساكنين **قوله
تعالى** ثم ارسلنا موسى وهارون الاية يجوز ان يكون هارون بدلا وان يكون بيانا وان يكون منصوبا باضمار اعني
واختلفوا في الايات فقال ابن عباس هي الايات التسع وهي العصا واليد والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم
والبحر والسنين ونقص الثمرات قال الحسن باياتنا اي بديننا واحتج لو كان المراد الايات المعجزات وقال السلطان المبين
هو ايضا المعجز لزم منه عطف الشيء على نفسه والاول اقرب لان لفظ الايات اذا ذكر مع الرسل فالمراد به المعجزات واما الجواب
فالجواب عنه من وجوه الاول ان المراد بالسلطان المبين يجوز ان يكون اشرف معجزاته وهي العصا لان فيها معجزات شتى
من انقلابها حية وتلقفها ما صنع السحرة وانفلاق البحر وانفجار العيون من الحجر بضربهما بها وكونها حارسا وشمعة
وشجرة مثمرة ودلوا ورشاء فلاجتماع هذه الفضائل فيها افردت كقوله تعالى وجبريل وميكال الثاني يجوز ان
يكون المراد بالايات نفس تلك المعجزات وبالسلطان المبين نفس دلالتها على الصدق فانها وان شاركت ايات سائر الانبياء
في كونها ايات فقد فارقتها في قوة دلالتها على قول موسى عليه السلام الثالث ان يكون المراد بالسلطان المبين استيلاء موسى
عليه السلام عليهم في الاستدلال على وجود الصانع واثبات النبوة وانه ما كان يقيم لهم قدرا ولا وزنا واعلم ان الاية
تدل على ان معجزات موسى كانت معجزات هارون ايضا وان النبوة مشتركة بينهما وكذلك المعجزات ثم قال الى فرعون
وملايه فاستكبروا عن الايمان وكانوا قوما عالين متكبرين قاهرين بالظلم **قوله تعالى** لبشرين بشر يقع
على الواحد والمثنى والمجموع والمؤنث والمذكر قال تعالى ما انتم الا بشر وقد يطابق ومنه هذه الاية واما افراد مثلها فانه
يجري مجرى المصادر في الافراد والتذكير ولا يؤنث اصلا وقد يطابق ما هو له تثنية كقوله تعالى مثليهم راي العين
وجمعا كقوله تعالى ثم لا يكونوا امثالكم وقيل اريد المماثلة في البشرية لا الكمية وقيل اكتفى بالواحد عن الاثنين وقومهما لنا
عابدون اي مطيعون متذللون قال ابو عبيدة والعرب تسمي كل من دان لملك عابدا له ويحتمل ان يقال انه كان يدعي
الالهية وان طاعة الناس له عبادة ولما خطر ببالهم هذه الشبهة صرحوا بالتكذيب ولما كان التكذيب كالعلة لهلاكهم
لا جرم رتبه عليه بفاء التعقيب فقال فكذبوهما وكانوا من المهلكين اي بالغرق اي في من حكم عليهم بالغرق فان الغرق لم يحصل
عقيب التكذيب انما حصل عقيب التكذيب حكم الله تعالى عليهم بالغرق في الوقت اللائق به **قوله تعالى** ولقد اتينا موسى
الكتاب لعلهم يهتدون بشرائعها ومواعظها وذكر موسى والمراد قوم موسى كما ذكر هاشم اعني كما يقال هاشم وثقيف والمراد قومهم
قوله تعالى وجعلنا ابن مريم وامه اية والمراد عيسى عليه السلام وامه اية دالة على قدرتنا ولم يقل ايتين قيل معناه
جعلنا شانهما اية وقيل المعنى كل واحد اية كقوله تعالى كلتا الجنتين آتت اكلها قال المفسرون معنى كون عيسى وامه اية حملها من
غير ذكر وانطقه في المهد في الصغر واجرى على يديه ابراء الاكمه والابرص واحيا الموتى واما مريم فانها حملت من غير ذكر وقال
الحسن تكلمت مريم في صغرها كما تكلم عيسى وهو قولها هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب ولم تلقم ثديا قط
فصل قال ابن الخطيب والاقرب انه جعلهما اية هو نفس الولادة لانه ولد من غير ذكر وولدته دون ذكر فاشتركا
جميعا في هذا الامر العجيب الخارق للعادة ويدل على هذا وجهان احدهما قوله وجعلنا ابن مريم وامه اية لان نفس المعجز ظهر فيهما
لا انه ظهر على يديهما لان الولادة فيه وفيها بخلاف الايات التي ظهرت على يد الثاني فقال آية ولم يقل ايتين وحمل هذا اللفظ
على الامر الذي لا يتم الا بمجموعهما اولى وذلك هو الولادة لا المعجزات التي كانت لعيسى **قوله تعالى** واويناهما الى ربوة
الربوة والرباوة في رائها الحركات الثلاث وهي الارض المرتفعة قال عطا عن ابن عباس هي بيت المقدس وهو قول قتادة وابي
العالية وكعب قال كعب هي اقرب الارض الى السماء بثمانية عشر ميلا وقال ابو هريرة انها الرملة وقال السدي ارض فلسطين
وقال عبد الله بن سلام هي دمشق وهو قول سعيد بن المسيب ومقاتل والضحاك والكلبي هي مصر والقرار المستقر من الارض
مستوية منبسطة وقال قتادة ذات ثمار وماء اي لاجل الثمار يستقر فيها ساكنوها **قوله تعالى** ومعين صفة لموصوف
محذوف اي وماء معين وفيه وجهان احدهما انه مفعول زائدة واصله معيون اي يبصر بالعين فاعل اعلال مبيع وبابه وهو مثل

تامر كبدته اي ضربت كبده وراسته اي اصبت راسه ولعنته اي ادركته بلعيني والثاني ان الميم اصلية ووزنه فعيل
مشتق من المعن واختلف في المعنى فقيل هو الشيء القليل وقيل الماعون وقيل هو من معن الشيء معانة اي كثر قال جرير

• ان الذين غدوا بلبك غادروا • وشلا بعينك لا يزال معينا •

دامعا قال الراغب هو من معن الماء جرى وسمي مجاري الماء معنانا والمعن الفرس تباعد في عدوه وفلان معن في حاجته
يعني سريع فكله راجع الى معنى الجري والسرعة وفي المعين قولان الاول انه مفعول لانه لظهوره مدرك بالعين من عانه اذا
ادركه بعينه وقال الفراء والزجاج ان شئت جعلته فعيلا من الماعون ويكون اصله من المعن والماعون فعول من المعن
قالوا وسبب الايواء انها فرت بابنها عيسى الى الربوة وبقيت بها اثنتي عشرة سنة وانما ذهب بها ابن عمها يوسف ثم رجعت
الى اهلها بعد ما مات ملكهم **قوله تعالى** يا ايها الرسل كلوا من الطيبات الاية اعلم ان هذا خطاب مع كل الرسل وذلك
غير ممكن لان الرسل انما ارسلوا متفرقين في ازمنة مختلفة فلهذا تاولوه على وجوه فقيل معناه الاعلام بان كل رسول
نودي في زمانه بهذا المعنى ووصي به ليعتقد السامع ان امرا نودي له جميع الرسل ووصوا به حقيق ان يوخذ به ويعمل عليه
وقال الحسن ومجاهد وقتادة والسدي والكلبي وجماعة ان المراد به محمد صلى الله عليه وسلم وحده على مذهب العرب في مخاطبة
الواحد بلفظ الجماعة كقولك للواحد ايها القوم كفوا عنا اذاكم ولانه ذكر ذلك بعد انقضاء اخبار الرسل وقال ابن جرير
المراد عيسى عليه السلام كان ياكل من غزل امه والاول اقرب لانه اوفق للفظ ولانه روي عن ابي عبد الله وروي عن ام عبد الله
اخت شداد بن اوس انها بعثت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بقدح لبن في شدة الحر عند فطره وهو صائم فرده الرسول اليها
وقال من اين لك هذا فقالت من شاة لي فقال من اين لك هذه الشاة فقالت اشتريتها بمالي فاخذه ثم انها جاءته فقالت
يا رسول الله لم رددته فقال عليه السلام بذلك امرت الرسل لا ناكل الا طيبا ولا نعمل الا صالحا واختلفوا في الطيب فقيل
هو الحلال وقيل هو المستطاب من الماكل **قوله تعالى** واعملوا صالحا يجوز ان يكون صالحا نصبا بمصدر محذوف اي
واعملوا صالحا من غير نظر الى ما تعملونه كقولهم يعطي ويمنع ويجوز ان يكون مفعولا به وهو واقع على نفس المعمول **قوله
تعالى** اني بما تعملون عليم وهذا تحذير من مخالفة ما امرهم به واذا كان ذلك تحذيرا للرسل مع عظيم شانهم فبان يكون تحذيرا
لغيرهم اولى **قوله تعالى** وان هذه امتكم امة واحدة قرا ابن كثير وحده وقرا ابن عامر وحده وان بفتح الهمزة وتخفيف
النون والكوفيون بكسرها والتثقيل والباقون بفتحها والتثقيل فاما قراءة ابن عامر فهي المخففة من الثقيلة وباقي
توجيه الفتح في الثقيلة فتصح معنى قراءته واما قراءة الكوفيين فعلى الاستئناف وعلى قراءة الباقين ففيها
ثلاثة اوجه الاول انها على حذف اللام اي ولان هذه فلما حذف الحرف جرى الخلاف المشهور وهذه اللام تتعلق باتقون
والكلام في الواو كالكلام في قوله واياي فارهبون الثاني انها منصوبة عطفا على بما تعملون اي وبان هذه فهذه داخلة في
حيز المعلوم الثالث ان في الكلام حذفا تقديره واعلموا ان هذه امتكم وتقدم فتقطعوا امرهم بينهم زبرا وما فيهما
والمعنى ان هذه ملتكم وشريعتكم التي انتم عليها ملة واحدة وهي الاسلام فان قيل لما كانت شرائعهم مختلفة فكيف يكون
دينهم واحدا فالجواب ان المراد بالدين ما لا يختلفون فيه من اصول الدين من معرفة ذات الله وصفاته واما الشرائع
فان الاختلاف فيها لا يسمى اختلافا في الدين فكما يقال في الحائض والطاهر من النساء ان دينهن واحد وان اختلف تكليفهما
وقيل المعنى امرتكم بما امرت به المرسلين قبلكم وامركم واحد وانا ربكم فاتقون فاحذرون فتقطعوا امرهم دينهم بينهم فتفرقوا
فصاروا فرقا يهودا ونصارى ومجوسا زبرا اي قطعا وفرقا مختلفة واحدها زبور وهو فرقة وطائفة ومثلها
الزبرة وجمعها زبر ومنه زبر الحديد وقرا بعض قراء الشام زبرا بالباء مفتوحة وقال مجاهد وقتادة زبرا اي كتبا
اي دان كل فريق بكتاب غير الكتاب الذي كان بيد الاخر وقيل جعلوا كتبهم قطعا امنوا بالبعض وكفروا بالبعض وحرفوا
البعض كل حزب بما لديهم فرحون بما عندهم من الدين معجبون مسرورون ولما ذكر تفرقهم في دينهم اتبعه بالوعيد
وقال فذرهم في غمرتهم وهذا خطاب لنبينا عليه السلام اي دع هؤلاء الكفار في جهلهم **قوله تعالى** في غمرتهم مفعول ثاني
لذرهم اي اتركهم مستقرين في غمرتهم ويجوز ان يكون ظرفا للترك والمفعول الثاني محذوف والغمرة في الاصل الماء الذي
يغمر القامة والغمر الماء الذي يغمر الارض ثم استعير ذلك للجهالة فقيل فلان في غمرة والمادة تدل على الغطاء والاستتار
ومنه الغمر بالضم لمن لم يجرب الامور وغمار الناس وخمارهم زحامهم والغمر بالكسر الحقد لانه يغطي القلب والغمرات الشدائد
والغامر الذي يلقي نفسه في المهالك وقال الزمخشري الغمرة الماء الذي يغمر القامة وضرب لهم مثلا لما هم فيه من جهلهم وعمايتهم
او شبهوا باللاعبين في غمرة الماء لما هم عليه من الباطل كقوله • كانني ضارب في غمرة لعب • وقرا امير المؤمنين وابو حياة
وابو عبد الرحمن في غمراتهم بالجمع لان لكل منهم غمرة تخصه وقراءة العامة لا تاتي هذا المعنى فانه اسم جنس مضاف **قوله تعالى**
حتى حين اي الى ان يموتوا وقيل الى حين المعاينة وقيل الى حين العذاب ولما كان القوم في نعم عظيمة في الدنيا جاز ان

يطعنوا ان تلك النعم كالثواب المعجل لهم على اديانهم فبين سبحانه ان الامر بخلاف ذلك قال الزمخشري بخلاف ايضا
فقال ايحسبون انما نمدهم به من مال وبنين اي انما نعطيهم ونجعله مددا لهم من المال والبنين في الدنيا نسارع لهم في
الخيرات ونقدمه ثوابا باعمالهم لمرضاتنا عنهم بل لا يشعرون ان ذلك استدراج لهم **قوله تعالى** انما نمدهم في ما
ثلاثة اوجه الاول انها بمعنى الذي وهي اسم ان وبه من بينهم صلتها ومن مال حال من الموصول او بيانا له فيتعلق بمحذوف
ونسارع خبران والعايد من هذه الجملة الى اسم ان محذوف تقديره نسارع لهم به او فيه الا ان حذف مثله قليل وقيل
الرابط بين هذه الجملة باسم ان هو الظاهر الذي قام مقام المضمر في قوله في الخيرات اذ الاصل نسارع لهم فيه فاوقع الخيرات
موقعه تعظيما وتنبيها على كونه من الخيرات وهذا يتمشى على مذهب الاخفش اذ يرى الربط بالاسماء الظاهرة وان لم يكن
بلفظ الاول فيجيز زيد الذي قام ابو عبد الله اذا كان ابو عبد الله كنية زيد وتقدمت منه امثلة قال ابو البقاء ولا يجوز
ان يكون الخبر من مال لانه كان من مال ولا يعاب عليهم اعتقادهم ان تلك الاموال خير لهم الثاني ان تكون ما مصدرية
فينسبك منها ومما بعدها مصدر هو اسم ان ونسارع هو الخبر وعلى هذا فلا بد من حذف ان المصدرية قبل نسارع
ليصح الاخبار تقديره ان نسارع فلما حذفت ان ارتفع المضارع بعدها والتقدير ايحسبون ان امدادنا لهم من كذا
مسارعة منا في الخيرات لهم الثالث انها مهيئة كافة قال الكسائي في هذه الاية وحينئذ يوقف على وبنين لانه قد حصل
بعد فعل الحسبان نسبة من مسند ومسند اليه نحو انما حسبت اي انما يقوم زيد وانما ينطلق عمرو وانما تقوم
انت وقرا يحيى بن وثاب انما بكسر الهمزة على الاستيناف ويكون حذف مفعول الحسبان اقتصارا او اختصارا وابن كثير في رواية
يمدهم بالياء وهو الله تعالى وقياسه ان يقرا يسارع ايضا بالياء وقرا السلمي وابن ابي بكرة يسارع بالياء وكسر الراء وفي فاعله
وجهان احدهما البارى تعالى والثاني ما الموصولة اي جعلناها بمعنى الذي او على المصدر ان جعلناها مصدرية
وحينئذ يكون نسارع لهم الخبر فعلى الاول يحتاج الى ضمير ما الموصولة وعن ابي بكرة المتقدم ايضا يسارع بالياء مبنيا
للمفعول وفي الخيرات هو القايم مقام الفاعل والجملة خبران والعايد محذوف على ما تقدم وقرا الحسن نسرع بالنون
من اسرع مضارع الفاعل وهي كنسارع فيما تقدم وبل لا يشعرون اضراب عن الحسبان المستلزم لاستفهام تقريع
وهو اضراب انتقال والمعنى انهم اشباه البهايم لا شعور لهم حتى يتفكروا في ذلك الامداد هو استدراج ام مسارعة في الخير
روى يزيد بن ميسرة قال اوحى الله الى نبي من الانبياء ايفرح عبدي ان ابسط له الدنيا وهو ابعد له مني ويجزع ان اقبض عنه الدنيا
وهو اقرب له مني ثم تلا انما نمدهم **قوله تعالى** ان الذين هم من خشية ربهم مشفقون والاشفاق يتضمن الخشية مع زيادة
رقة وضعف وقيل جمع بينهما للتاكيد ومنهم من حمل الخشية على العذاب والمعنى ان الذين هم من عذاب ربهم مشفقون
اي خايفون من عقابه **قوله تعالى** من خشية فيه وجهان الاول انها لبيان الجنس قال ابن عطية هي لبيان جنس الاشفاق
قال شهاب الدين وهي عبارة قلقة والثاني انها متعلقة بمشفقون قاله الحوفي وهو واضح **قوله تعالى** والذين هم بايات
ربهم يؤمنون يصدقون وايات الله هي المخلوقات الدالة على وجوده والذين هم بربهم لا يشركون وليس المراد منه الايمان
بالتوحيد ونفي الشرك لله تعالى لان ذلك داخل في قوله والذين هم بايات ربهم يؤمنون بل المراد منه نفي الشرك الخفي وهو ان
يكون مخلصا في العبادة لا يقدم عليها الا لوجه الله تعالى وطلب رضوانه **قوله تعالى** والذين يؤتون ما اتوا العامة
على انه من الايتاء اي يعطون ما اعطوا وقرات عايشة وابن عباس والحسن والاعمش يأتون ما اتوا فقط وليس بجيد لانه يوهم
ان من قرا اتوا بالقصر قرا يأتون من الاتيان وليس كذلك **قوله تعالى** وقلوبهم وجلة هذه الجملة حال من فاعل يؤتون
فالواو للحال والمعنى يؤتون ويعطون ما اعطوه ويدخل فيه كل حق يلزم ايتاؤه سواء كان من حقوق الله كالزكوات
والكفارات ونحوها او من حقوق الادميين كالودايع والديون واصناف الانصاف والعدل وبين ان ذلك انما
ينفع اذا فعلوه وقلوبهم وجلة اي انهم يقدمون على العبادة على وجل من تقصير واخلال بنقصان روي ان عايشة
قالت يا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت والذين يؤتون ما اتوا وقلوبهم وجلة اهو الذي يزني ويشرب الخمر ويسرق
وهو على ذلك يخاف الله **قوله تعالى** انهم يجوز ان يكون التقدير وجلة من انهم اي خايفة من رجوعهم الى ربهم ويجوز
ان يكون لانهم اي ان سبب الوجل الرجوع الى ربهم **قوله تعالى** اولئك يسارعون هذه الجملة خبر ان الذين وقرا
الاعمش انهم بالكسر على الاستيناف فالوقف على وجلة تام او كاف وقرا الحسن يسرعون من اسرع قال الزجاج يسارعون
ابلغ من حيث ان المفاعلة تدل على قوة الفعل لاجل المغالبة **قوله تعالى** وهم لها سابقون في الضمير في لها اوجه
الاول انها تعود على الخيرات لتقدمها في اللفظ وقيل يعود الى الجنة وقال ابن عباس الى السعادة وقال الكلبي سبقوا
الامم الى الخيرات والظاهر ان سابقون هو الخبر ولها متعلق به قدم للفاصلة وللاختصاص واللام قيل بمعنى الى
يقال سبقت له واليه بمعنى ومفعول سابقون محذوف تقديره سابقون الناس اليها وقيل اللام للتعليل اي سابقون

الناس لاجلها وتكون هذه الجملة مؤكدة بعد ما دلت الاولى على التجدد وقال الزمخشري اي فاعلون السبق لاجلها
او سابقون الناس لاجلها قال ابو حيان وهذان القولان عندي واحد قال شهاب الدين ليسا بواحد اذ مراده بالتقدير
الاول ان لا يعتبر السبق مفعول البتة فانما الغرض الاعلام بوقوع السبق منهم من غير نظر الى من سبقوه كقوله يحيي ويميت
وكلوا واشربوا يعطي ويمنع وغرضه في الثاني تقدير مفعول حذف للدلالة واللام للعلة في التقديرين وقال الزمخشري
ايضا واياها سابقون اي ينالونها قبل الاخرة حيث عجلت لهم في الدنيا قال شهاب الدين ليسا بواحد يعني ان لها هو المفعول
لسابقون وتكون اللام قد زيدت في المفعول وحسن زيادتها شيئان كل واحد منهما لو انفرد لاقتضى الجواز كون
العامل فرعا وكونه مقدما عليه معموله قال ابو حيان ولا يدل لفظ لها سابقون على هذا التفسير لان سبق الشيء يدل
على تقديم السابق على المسبوق فكيف يقول وهم يسبقون الخيرات هذا لا يصح قال شهاب الدين ولا ادري عدم الصحة
من اي جهة وكانه تخيل ان السابق يتقدم على المسبوق فكيف يتلاقيان لكنه كان ينبغي ان يقول فكيف يقول وهم
ينالون الخيرات وهم لا يجامعونها لتقدمهم عليها الا ان يكون قد سبقه القلم فكتب بدل وهم ينالون وهم يسبقون
وعلى كل تقدير فاين عدم الصحة وقال الزمخشري ايضا ويجوز ان يكون وهم لها سابقون خبرا بعد خبر ومعنى وهم
لها كمعنى قوله • انت لها احمد من بين البشر • اعني ان هذا الوصف الذي وصف به الصالحين غير خارج من حد
الوسع والطاقة فتحصل في الكلام ثلاثة اقوال الاول انها بمعنى الى والثاني انها للتعليل على بابها والثالث انها زايدة
وفي خبر المبتدا قولان احدهما ان سابقون هو الظاهر والثاني انه الجار كقوله • انت لها احمد من بين البشر •
لا نزلت للعلياء فامعا نزل • اي لا تزال وهذا قول مجاهد الطبري **قوله تعالى** ولا نكلف نفسا الا وسعها الاية
لما ذكر كيفية اعمال المؤمنين المخلصين ذكر حكمين من احكام اعمال العباد فالاول قوله تعالى ولا نكلف نفسا الا وسعها
قال المفضل الوسع الطاقة وقال مقاتل والضحاك والكلبي والمعتزلة هو دون الطاقة لان الوسع انما سمي وسعا لانه يتسع
عليه فعله ولا يصعب ولا يضيق فبين ان هؤلاء المخلصين لم يكلفوا اكثر مما عملوا قال مقاتل من لم يستطع القيام فليصل جالسا
ومن لم يستطع الصوم فليفطر **قوله تعالى** ولدينا كتاب ينطق بالحق صفة لكتاب وبالحق يجوز ان يتعلق بينطق
وان يتعلق بمحذوف حالا من فاعله اي ينطق ملتبسا بالحق ونظيره هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق يشبه الكتاب بمن يصدر
عنه البيان فان الكتاب لا ينطق لكنه يعرب بما فيه كما يعرب وينطق الناطق اذا كان محقا فان قيل هؤلاء الذين
يعرضون عليهم ذلك الكتاب اما ان يكونوا محيلين للكذب على الله او مجوزين ذلك عليه فان احالوه عليه فانهم يصدقون
في كل ما يقول سواء وجد الكتاب او لم يوجد وان جوزوه عليه لم يحصل لهم بذلك الكتاب يقين لتجويزهم انه سبحانه كتب
فيه خلاف ما حصل وعلى كلا التقديرين فلا فايدة في ذلك الكتاب فالجواب يفعل الله ما يشاء وعلى انه لا يبعد
ان يكون ذلك مصلحة للمكلفين من الملايكة **قوله تعالى** وهم لا يظلمون لا ينقص من حسناتهم ولا يزاد على سيئاتهم
ونظيره ووجدوا ما عملوا حاضرا ولا يظلم ربك احدا فان قيل قالت المعتزلة الظلم اما ان يكون بالزيادة في العقاب
او بالنقصان من الثواب او بان يعذب على ما لم يعمله او بان يكلفهم فتكون الاية دالة على كون العبد موجدا لفعله
والا لكان تعذيبه عليه ظلما ويدل على انه سبحانه لا يكلف ما لا يطاق فالجواب بانه لما كلف ابا لهب ان يؤمن والايمان
يقتضي تصديق الله في كل ما اخبر به ومما اخبر ان ابا لهب لا يؤمن فقد كلفه بان يؤمن وبان لا يؤمن فيلزمكم **قوله
تعالى** بل قلوبهم في غمرة اي في غفلة وجهالة يعني الكفار في غفلة من هذا اي القران اي من هذا الذي بيناه في القران
او من هذا الكتاب الذي ينطق بالحق او من هذا الذي هو وصف المشفقين ولهم اي ولهؤلاء الكفار اعمال من دون
ذلك اي اعمال خبيثة من المعاصي من دون ذلك اي سوى جهلهم وكفرهم وقيل دون ذلك يعني من دون اعمال المؤمنين
التي ذكرها الله عز وجل قال بعضهم اراد اعمالهم في الحال وقيل بل اراد المستقبل بقوله هم لها عاملون فانما قال هم لها
عاملون لانها مثبتة في علم الله وفي اللوح المحفوظ فوجب ان يعملوها ليدخلوا بها النار لما سبق لهم من الشقاوة وقال
ابو مسلم هذه الايات من صفات المشفقين كانه قال بعد وصفهم ولا نكلف نفسا الا وسعها ونهايته ما اتى به هؤلاء
المشفقون ولدينا كتاب يحفظ اعمالهم ينطق بالحق فلا يظلمون بل قلوبهم في غمرة من هذا هو ايضا وصفهم بالحيرة
كانه قال وهم مع ذلك الوجل والخوف كالمتحيرين في ان اعمالهم هل هي مقبولة او مردودة ولهم اعمال من دون ذلك
اي لهم ايضا من النوافل ووجوه البر سوى ما هم عليها اما اعمالا قد عملوها في الماضي او سيعملونها في المستقبل ثم انه
تعالى رجع بقوله حتى اذا اخذنا مترفيهم الى وصف الكفار وهذا قول قتادة قال ابن الخطيب وقول ابي مسلم اولى لانه اذا
امكن رد الكلام الى ما يتصل به كان اولى من رده الى ما بعد خصوصا وقد يرغب المرء في فعل الخير بان يذكر ان
اعمالهم محفوظة كما يحذر بذلك من الشر وقد يوصف المرء بشدة الفكر في امر اخرته بان قلبه في غمرة ويراد انه قد استولى عليه

عليه الفكر وقبوله وفي رده وفي انه هل ادى عمله كما يجب او قصر فان قيل فما المراد بقوله من هذا وهو اشارة الى ماذا
فالجواب اشارة الى اشفاقهم ووجلهم يعني انهما مستوليان على قلوبهم **قوله تعالى** هم لها عاملون كقولهم لها
سابقون **قوله تعالى** حتى اذا اخذنا مترفيهم اذا ابتداء والجملة الشرطية بعدها غاية لما قبلها واذا الثانية فجائية هي جواب
الشرطية واما هو حرف عند بعضهم وتقدم تحقيقه وقال الحوفي حتى غاية وهي عاطفة واذا ظرف مضاف لما بعده فيه
معنى الشرط واذا الثانية في موضع جواب الاولى ومعنى الكلام عامل في اذا والمعنى جار والعامل في الثانية احدها
وهو كلام لا يظهر وقال ابن عطية وحتى حرف ابتداء لا غير واذا الثانية التي هي جواب يمنعان من ان يكون حتى غاية لعاملون
قال شهاب الدين يعني ان الجملة الشرطية وجوابها لا يظهر ان يكون غاية لعاملون وظاهر كلام مكي انها غاية لعاملون فانه
قال اي لكفار قريش اعمال من الشر دون اعمال اهل البر هم لها عاملون الى ان ياخذ الله اهل النعمة والبطر منهم اذا هم يجأرون
والجؤار الصراخ مطلقا وانشد الجوهري • يراوح من صلوات المليك • فطورا سجودا وطورا جؤارا •
وتقدم مستوفى في النحل **فصل** قال الزمخشري حتى هذه هي التي يبتدأ بعدها الكلام والجملة الشرطية
واعلم ان الضمير في مترفيهم راجع الى من تقدم ذكره من الكفار لان العذاب لا يليق الا بهم والمراد بالمترفين رؤساؤهم
قال ابن عباس هو السيف يوم بدر وقال الضحاك يعني الجوع حين دعا عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اللهم اشدد
وطأتك على مضر واجعلها عليهم سنين كسني يوسف فابتلاهم الله بالقحط حتى اكلوا الكلاب والجيف وقيل اراد عذاب الاخرة
ثم بين تعالى انه اذا نزل بهم هذا يجأرون اي ترتفع اصواتهم بالاستغاثة والضجيج لشدة ما نالهم ويقال لهم على وجه
التبكيت لا تجأروا اليوم انكم منا لا تنصرون وهذا مثل يضرب لمن يتباعد عن الحق كل التباعد وهو كقوله وكنتم على اعقابكم
تنكصون اي ترجعون قهقرى وتتاخرون عن الايمان وتنفرون عن تلك الايات وعمن يتلوها كما يذهب الناكص على
عقبيه بالرجوع الى ورائه **قوله تعالى** على اعقابكم فيه وجهان الاول انه متعلق بتنكصون كقوله نكص على عقبيه والثاني
انه متعلق بمحذوف لانه حال من فاعل تنكصون قاله ابو البقاء وقال ابن السمين تنكصون بضم الكاف وهي لغة حال من فاعل
تنكصون قاله ابو البقاء وبه فيه وجهان احدهما انه متعلق بتنكصون او بمستكبرين والثاني انه متعلق بسامرا وعلى الاول
فالضمير للقرآن لانهم كانوا يجتمعون حول البيت بالليل يسمرون وكان عامة سمرهم ذكر القرآن وتسميته سحرا وشعرا وكانوا
يقولون لا يظهر علينا احد لانا اهل الحرم وكانوا يفتخرون به لانهم ولاته والقائمون به وقيل الضمير في به يعود للرسول
عليه السلام او للنكوص المدلول عليه بتنكصون كقوله اعدلوا هو اقرب للتقوى والباء في هذا كله للسببية لانهم استكبروا
بسبب القرآن لما تلي عليهم وبسبب البيت لانهم كانوا يقولون نحن ولاته وبالرسول لانهم يقولون هو منا دون غيرنا او با
النكوص لانه سبب الاستكبار ومعنى التكذيب فلهذا عدي بالباء وهذا يتأتى على ان يكون الضمير للقرآن او للرسول
واما على الثاني وهو تعلقه بسامرا فيجوز ان يكون الضمير عائدا الى ما عاد اليه فيما تقدم الا النكوص لانهم كانوا يسمرون
بالقرآن وبالرسول اي يجعلونهما حديثا لهم يخوضون في ذلك كما يسمر بالاحاديث وكانوا يسمرون في البيت فالباء
ظرفية على هذا وسامرا نصب على الحال اما من فاعل تنكصون واما من الضمير في مستكبرين وقرأ ابن عباس وابن مسعود
وابو حيوة ويروى عن ابي عمرو وسمرا بضم الفاء وفتح العين مشددة وزيد بن علي وابو رجاء وابن عباس ايضا سمارا
كذلك الا انه بزيادة الف بين الميم قالوا وكلاهما جمع كسامر وهما جمعان مقيسان لفاعل الصفة نحو ضرب وضراب في
ضارب والاوضح الافراد لانه يقع على ما فوق الواحد بلفظ الافراد يقول قوم سامر ونظيره نخرجكم طفلا والسامر
ماخوذ من السمر وهو سهر الليل وقيل ماخوذ من السمر وهو ما يقع على الشجر من ضوء القمر فيجلسون اليه يتحدثون
مستأنسين به قال الشاعر • كان لم يكن بين الحجون الى الصفا • انيس ولم يسمر بمكة سامر • وقال الراغب
السامر الليل المظلم ولا اتيك ما سمر ابنا سمير يعنون الليل والنهار قال الراغب ويقال سامر وسمار وسمر
وسامرون واسمرت الشيء وابل مسمرة اي مهملة والسامري منسوب الى رجل السمر احد الالوان والسمر كناية
عن الحنطة **قوله تعالى** تهجرون قرأ العامة بفتح التاء وضم الجيم وهي تحتمل وجهين الاول انها من الهجر
بسكون الجيم وهو القطع والصد اي تهجرون ايات الله ورسوله وتزهدون فيهما ولا تصلونهما والثاني انها
من الهجر بفتحها وهو الهذيان يقال هجر المريض هجرا اي هذى ولا مفعول له ونافع وابن محيصن بضم التاء وكسر الجيم
متعدية مضارع هجر بالتشديد وهو يحتمل ان يكون تضعيفا للهجر او الهجر وقرأ ابن ابي عاصم كالعامة الا انه بالياء
من تحت وهو التفات **قوله تعالى** افلم يدبروا القول اي يتدبروا القول يعني ما جاءهم من القول وهو القرآن من
حيث انه كان مباينا لكلام العرب في الفصاحة ومبرأ من التناقض مع طوله فيعرفوا ما فيه من الدلالات على صدق محمد
صلى الله عليه وسلم ومعرفة الصانع والوحدانية فيتركوا الباطل ويرجعوا الى الحق ام جاءهم ما لم يات اباءهم الاولين واعلم

ان اقدامهم على جهلهم وكفرهم لا بد وان يكون لاحد امور اربعة الاول ان لا يتاملوا دليل نبوته والمراد من قوله
افلم يدبروا القول وهو القرآن يعني انه كان معروفا لهم الثاني ان يعتقدوا ان مجيء الرسل على خلاف العادة وهو المراد
من قوله ام جاءهم ما لم يات اباءهم وذلك انهم عرفوا بالتواتر مجيء الرسل الى الامم السالفة وكانت الامم بين مصدق
ناج وبين مكذب هالك افما دعاهم ذلك الى تصديق الرسل وقال بعضهم ام هاهنا بمعنى بل المعنى بل جاءهم ما لم يات
اباءهم والثالث ان لا يكونوا عالمين بديانته وحسن خصاله قبل ادعاء النبوة وهو المراد من قوله ام لم يعرفوا رسولهم
والمعنى انهم كانوا يعرفونه قبل ان يدعي الرسالة وكونه في نهاية الامانة والصدق وغاية الفرار عن الكذب والاخلاق
الذميمة وكانوا يسمونه الامين فكيف كذبوه بعد ان اتفقت كلمتهم على تسميته بالامين الرابع ان يعتقدوا فيه الجنون
فيقولوا انما حمله على ادعاء الرسالة جنونه وهو المراد بقوله ام يقولون به جنة وهذا ايضا ظاهر الفساد لانهم
كانوا يعلمون بالضرورة انه اعقل الناس فالمجنون كيف يمكنه ان ياتي بمثل ما اتى به من الدلائل القاطعة والشرائع
الكاملة وفي كونهم سموه بذلك وجهان الاول انهم نسبوه الى ذلك من حيث كان يطمع في انقيادهم له وكان ذلك
من ابعد الامر عندهم فنسبوه الى الجنون لذلك والثاني انهم قالوا ذلك ايهاما لعوامهم لئلا ينقادوا له فذكروا
ذلك استخفافا له ثم انه تعالى بعد ان عد هذه الوجوه ونبه على فسادها قال بل جاءهم بالحق اي بالصدق والقول
الذي لا يخفى صحته على عاقل واكثرهم للحق كارهون لانهم تمسكوا بالتقليد وعلموا انهم لو اقروا بمحمد لزالت رياستهم ومناصبهم
فلذلك كرهوه **فصل** قوله واكثرهم للحق كارهون يدل على ان اقلهم لا يكرهون الحق انه كان منهم
من ترك الايمان انفة من توبيخ قومه وان يقولوا ترك دين ابائه لا كراهة للحق **قوله تعالى** ولو اتبع الحق اهواءهم
الجمهور على كسر الواو لالتقاء الساكنين وابن وثاب بضمها تشبيها بواو الضمير كما كسرت واو الضمير تشبيها بها
فصل قال ابن جريج ومقاتل والسدي وجماعة الحق هو الله اي لو اتبع الله مرادهم فيما يفعل وقيل لو اتبع
مرادهم فسمى لنفسه شريكا وولدا كما يقولون لفسدت السموات والارض ومن فيهن وهو كقوله تعالى لو كان فيهما الهة
الا الله لفسدتا **قوله تعالى** بل اتيناهم بذكرهم العامة على اسناد الفعل الى ضمير المتكلم المعظم نفسه والمراد انهم رسلنا
وقرأ ابو عمرو في رواية اتيناهم بالمد بمعنى اعطيناهم فيحتمل ان يكون المفعول الثاني غير مذكور ويحتمل ان يكون بذكرهم
والباء مزيدة فيه وابن ابي اسحاق وعيسى بن عمر وابو عمرو ايضا اتيتهم بتاء المتكلم وحده وابو البرهسم وابو حيوة والجحدري
وابو رجاء اتيتهم بتاء الخطاب وهو الرسول عليه السلام وعيسى بذكراهم بالف التانيث وقتادة بذكركم بنون التكلم
المعظم نفسه مكان باء الجر مضارع ذكر التشديد وتكون نذكرهم جملة حالية وتقدم الكلام في خرجا وخراج في الكهف
فصل قال ابن عباس بل اتيناهم بذكرهم بما فيه فخرهم وشرفهم وهو القرآن فهو كقوله لقد انزلنا اليكم كتابا فيه
ذكركم اي شرفكم وانه لذكر لك اي شرف لك ولقومك فهم عن ذكرهم معرضون وقيل الذكر هو الوعظ والتحذير
ام تسالهم على ما جئتهم به خرجا اجرا وجعلا فخراج ربك خير اي ما يعطيك الله من رزقه وثوابه خير وهو خير الرازقين
وتقدم الكلام على نظيره **قوله تعالى** وانك لتدعوهم الى صراط مستقيم وهو الاسلام **قوله تعالى** وان الذين
لا يؤمنون بالاخرة عن الصراط عن دين الحق لناكبون لعادلون عن هذا الطريق لان طريق الاستقامة واحد وما يخالفه
فكثير **قوله تعالى** عن الصراط متعلق بناكبون ولا يمنع لام الابتداء من ذلك على راي تقدم تحقيقه والنكوب
والنكب العدول والميل ومنه النكباء للريح بين ريحين سميت بذلك لعدولها عن المهاب ونكبت حوادث الدهر اي هبت
هبوب النكباء والمنكب مجتمع ما بين العضد والكتف والانكب المائل المنكب ولفلان نكابة في قومه اي نقابة فيشبه
ان تكون الكاف بدلا من القاف ويقال نكب ونكب مخففا ومثقلا **قوله تعالى** ولو رحمناهم وكشفنا ما بهم من ضر
قحط وجدب وقيل ضر القتال والسبي وقيل مضار الاخرة وعذابها **قوله تعالى** للجوا جواب لو وقد يقال فيه لاما
وفيه تضعيف لقول من قال ان جوابها اذا نفي بلم ونحوها مما صدره فيه حرف النفي انه لا يجوز دخول اللام لو قلت
لو قام زيد لم يقم عمرو لم يجز قال لئلا يتوالى لامان وهذا موجود في هذه الاية ولم يمتنع والا فالفرق بين النفي
والاثبات في ذلك واللجاج التمادي في العناد في تعاطي الفعل المزجور عنه ومنه اللجة بالفتح لتردد الصوت كقوله
في لجة امسك فلانا عن فل ولجة البحر لتردد امواجه ولجة الليل لتردد ظلامه والتلجلج بالجيم تردد الكلام وهو تكرير
لج ويقال لج والج ومعنى الاية لتمادوا في طغيانهم وضلالهم متحيرون ولم ينزعوا عنه **قوله تعالى** ولقد اخذناهم
بالعذاب قال المفسرون لما اسلم ثمامة بن اثال الحنفي ولحق باليمامة ومنع الميرة عن اهل مكة ودعا النبي صلى الله عليه وسلم
على قريش ان يجعل عليهم سنين كسني يوسف فاصابهم القحط حتى اكلوا العلهز جاء ابو سفيان الى النبي صلى الله عليه وسلم وقال انشدك
الله والرحم الست تزعم انك بعثت رحمة للعالمين فقال بلى فقال قتلت الاباء بالسيف والابناء بالجوع فادع الله يكشف عنا

هذا القحط فدعا فكشف عنهم فانزل الله هذه الاية والمعنى اخذناهم بالجوع فما اطاعوا وقال السدي والاهم
العذاب هو ما نالهم يوم بدر من القتل والاسر يعني ان ذلك مع شدته ما دعاهم الى الايمان وقيل المراد من عذب
من الامم الخالية **قوله تعالى** فما استكانوا اي مشركوا العرب وتقدم في آل عمران وجاء الاول ماضيا والثاني
مضارعا ولم يجيئا مضارعين ولا ماضيين ولا جاء الاول مضارعا والثاني ماضيا بل جاء الاول ماضيا والثاني مضارعا والثاني ماضيا
لافادة الماضي وجود الفعل وتحققه وهو بالاستكانة اليق بخلاف المضارع فانه اخبر عنهم بنفي ذلك في الاستقبال
واما الاستكانة فقد توجد منهم وقال الزمخشري فان **قلت** هلا قيل وما تضرعوا فما يستكينون **قلت** لان المعنى
محناهم فما وجدنا منهم عقيب المحنة استكانة وما من عادة هؤلاء ان يستكينوا ويتضرعوا حتى يفتح عليهم باب العذاب
الشديد فظاهر هذا ان حتى غاية لنفي الاستكانة والتضرع واما الاستكانة طلب السكون اي ما خضعوا وما ذلوا الى
ربهم وما تضرعوا الى ربهم بل مضوا على تمردهم **قوله تعالى** حتى اذا فتحنا عليهم بابا ذا عذاب شديد قرا فتحنا بالتشديد
قال ابن عباس ومجاهد يعني القتل يوم بدر وقيل الموت وقيل قيام الساعة وقيل الجوع اذا هم فيه مبلسون ايسون من كل
خير وقرا السلمي مبلسون بفتح اللام من ابلسه اي ادخله في الابلاس وتقدم الكلام في ذا **قوله تعالى** وهو الذي انشا
لكم السمع والابصار الاية العطف لا يحسن الا مع المجانسة فاي مناسبة بين قوله انشا لكم السمع وبين ما قبله والجواب
كانه تعالى لما بين مبالغة الكفار في الاعراض عن سماع الادلة والاعتبار وتامل الحقايق قال للمؤمنين هو الذي
اعطاكم هذه الاشياء ووفقكم لها تنبيها على ان من لم يعمل هذه الاعضا فيما خلقت له فهو بمنزلة عادمها كقوله تعالى
فما اغنى عنهم سمعهم ولا ابصارهم ولا افئدتهم من شيء وافرد السمع والمراد الاسماع ثم قال قليلا ما تشكرون وقال
ابو مسلم وليس المراد ان لهم شكرا وان قل كما انه يقال للكفور والجاحد للنعمة ما اقل شكر فلان ثم قال وهو الذي
ذراكم في الارض اي خلقكم قال ابو مسلم ويحتمل بسطكم فيها ذرية بعضكم من بعض حتى كثرتم كقوله ذرية من حملنا مع نوح
اي هو الذي جعلكم في الارض متناسلين ويحشركم يوم القيمة الى دار لا مالك لكم فيها سواه فجعل حشرهم الى ذلك الموضع
حشرا اليه لا بمعنى المكان ثم قال هو الذي يحيي ويميت اي نعمة الحياة وان كانت من اعظم النعم فهي منقطعة وانه
سبحانه وان انعم بها فالمقصود منها الانتقال الى دار الثواب ثم قال وله اختلاف الليل والنهار اي تدبير الليل
والنهار في الزيادة والنقصان ووجه النعمة بذلك معلوم **فصل** قال الفراء جعلهما مختلفين يتعاقبان
ويختلفان في السواد والبياض ثم قال افلا تعقلون قرا ابو عمرو في رواية يعقلون بياء الغيبة على الالتفات
والمعنى افلا تعقلون ما ترون من صنعه فتعتبرون **قوله تعالى** بل قالوا مثل ما قال الاولون اي كذبوا مثل ما
كذب الاولون قالوا ائذا متنا وكنا ترابا وعظاما ائنا لمبعوثون لمحشورون قالوا ذلك منكرين متعجبين واعلم
انه سبحانه لما اوضح دلايل التوحيد عقبه بذكر المعاد فذكر انكارهم البعث مع وضوح ادلته وذكر ان انكارهم ذلك كانه
تقليد للاولين وذلك يدل على فساد القول به وقع منه عليه السلام فقد وقع قديما من سابر الانبياء ثم لم يوجد
مع طول الدهر وظنوا ان الاعادة تكون في الدنيا ثم قال لما لم يكن ذلك فهو من اساطير الاولين والاساطير جمع اسطار
وهي جمع سطر اي ما كتبه الاولون مما لا حقيقة له او جمع اسطورة **قوله تعالى** قل لمن الارض ومن فيها الاية
اعلم انه يمكن ان يكون من هذه الايات الرد على منكري الاعادة وان يكون المقصود الرد على عبدة الاوثان لان القوم
كانوا مقرين بالله وقالوا نعبد الاصنام لتقربنا الى الله زلفى وقال تعالى قل يا محمد مجيبا لهم يعني اهل مكة لمن الارض
ومن فيها من الخلق ان كنتم تعلمون خالقها ومالكها سيقولون لله ولا بد لهم من ذلك لانهم يقرون انها مخلوقة قيل
لهم اذا اقروا بذلك افلا تذكرون فتعلمون ان من قدر على خلق الارض ومن فيها ابتداء يقدر على احيايهم بعد الموت
وفي قوله تعالى ان كنتم تعلمون سؤال يأتي في قوله وهو يجير ولا يجار عليه ان كنتم تعلمون ووجه الاستدلال به
يدل على نفي عبادة الاوثان من حيث ان عبادة من خلقهم وخلق الارض وكل من فيها هي الواجبة دون عبادة من لا ينفع
ولا يضر وقوله تعالى افلا تذكرون معناه الترغيب في التدبر ليعلموا بطلان ما هم عليه **قوله تعالى** قل من رب
السموات السبع ورب العرش العظيم سيقولون لله ووجه الاستدلال بهما على الارض كما تقدم وانما قال افلا تتقون
اي تحذرون تنبيها على ان اتقاء عذاب الله لا يحصل الا بترك عبادة الاوثان والاعتراف بجواز الاعادة **قوله
تعالى** سيقولون الله قرا ابو عمرو سيقولون الله في الاخيرتين من غير لام ورفع الجلالة جوابا على اللفظ لقوله من
قوله تعالى قوله سيقولون الله قل فاني تسحرون سيقولون الله قل فاني تسحرون لان المسؤول به مرفوع المحل
بيده ملكوت كل شيء لما ذكر السماء اولا والارض ثانيا عمم الحكم هاهنا فقال من بيده ملكوت كل شيء ويدخل في الملكوت الملك
والملك والثاني على سبيل المبالغة وهو يجير اي يؤمن من يشاء ولا يجار عليه اي لا يؤمن من اخافه الله يقال اجرت فلانا

على فلان اذا استغثته منه **قوله تعالى** ان كنتم تعلمون فيه سؤال وهو كيف قال ان كنتم تعلمون ثم حكى عنهم
سيقولون الله وفيه تناقض والجواب لا تناقض فيه لان قوله ان كنتم تعلمون ثم حكى عنهم سيقولون لله لا ينفي علمهم بذلك
وقد يقال مثل ذلك في الحجاج على وجه التاكيد بعلمهم والبعث على اعترافهم بما يورد من ذلك وقوله افلا تسحرون اي تصرفون
من توحيده وطاعته والمعنى كيف يخيل لكم الحق باطلا بل اتيناهم بالحق بالصدق وانهم لكاذبون فيما يدعون من الشرك
والولد وقرا هنا بعض ما قرا به في نظيره وقرا ابن ابي اسحاق اتيتهم بتاء الخطاب ويخبر عنه بتاء الخطاب وعنه بتاء المتكلم
قوله تعالى ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من اله وهذه الاية كالتنبيه على الرد على الكفار الذين يقولون الملائكة
بنات الله وقوله تعالى وما كان معه من اله رد على اتخاذهم الاصنام الهة ويحتمل ان يراد به ابطال قول النصارى والثنوية
ثم انه تعالى ذكر الدليل على ذلك لقوله اذن لذهب كل اله بما خلق ولعلى بعضهم على بعض اي لانفرد كل واحد من الالهة بما
خلقه ولم يرض ان يضاف خلقه الى غيره ومنع الاله الاخر من الاستيلاء على ما خلق ولعلى بعضهم على بعض اي طلب مغالبة
بعضهم بعضا كفعل ملوك الدنيا فيما بينهم وحيث لم تروا ذلك فاعلموا انه اله واحد **قوله تعالى** اذن جواب وجزاء قال الزمخشري
فان قلت اذن لا تدخل الا على كلام هو جواب وجزاء فكيف وقع على لذهب جواب وجزاء ولم يتقدم شرط ولا سؤال سائل
قلت الشرط محذوف تقديره لو كان معه الهة حذف لدلالة وما كان معه من اله عليه اي الفعل وقد تقدم في الاسراء في قوله
واذا لاتخذوك خليلا ثم انه تعالى نزه فقال سبحان الله عما يصفون من اثبات الولد والشريك وقرا تصفون بتاء الخطاب
وهو التفات **قوله تعالى** عالم الغيب قرا ابن كثير وابو عمرو وابن عامر وحفص عن عاصم بالجر على البدل من الجلالة وقال
الزمخشري صفة لله كانه يحقق الاضافة فيعرف المضاف والباقون بالرفع على القطع خبر مبتدا محذوف ومعنى الاية انه يختص
بعلم الغيب والشهادة فغيره وان علم الشهادة لكن لا يعلم الغيب لان الشهادة لا يتكامل بها النفع الا مع العلم بالغيب وذلك
كالوعيد لهم فلذلك قال تعالى فتعالى الله عما يشركون **قوله تعالى** قل رب اما تريني اي ان تريني ما يوعدون اي ما اوعدتهم
من العذاب قرا العامة تريني بصريح اليا والضحاك ترئني بالهمز عوض اليا وهذا كقراءة ترؤا ما ترين لترون بالهمز وهو بدل
ناذ **قوله تعالى** رب فلا تجعلني جواب الشرط ورب نداء معترض بين الشرط وجوابه وذكر الرب مرتين مرة قبل الشرط
ومرة قبل الجزاء مبالغة في التضرع فان قيل كيف يجوز ان يجعل الله نبيه مع الظالمين حتى يطلب ان لا يجعله معهم فالجواب
يجوز ان يسال العبد ربه ما علم انه يفعله وان يستعيذ به مما علم انه لا يفعله اظهارا للعبودية وتواضعا لربه **قوله تعالى**
وانا على ان نريك هذا الجار متعلق بلقادرون او بمحذوف على خلاف سبق في ان هذه اللام تمنع ما بعدها ان تعمل فيما قبلها
والمعنى انهم كانوا ينكرون الوعد بالعذاب فقيل لهم ان الله قادر على انجاز ما وعد في الدنيا وقيل المراد عذاب الاخرة **قوله
تعالى** ادفع بالتي هي احسن وهي الصفح والاعراض والصبر على اذاهم **فصل** قال الزمخشري قوله ادفع بالتي
هي احسن السيئة ابلغ من ان يقال بالحسنة السيئة لما فيه من التفضيل والمعنى الصفح عن اساءتهم ومقابلتها بما امكن من
الاحسان حتى اذا اجتمع الصفح والاحسان وبذل الطاقة فيه كانت حسنة مضاعفة بازاء السيئة قيل هذه الاية نسخت
باية السيف وقيل محكمة لان المداراة محثوث عليها ما لم تؤد الى نقصان دين ومروة **قوله تعالى** نحن اعلم بما يصفون اي
يقولون من الشرك **قوله تعالى** وقل رب اعوذ بك من همزات الشياطين الاية ادب رسوله بقوله ادفع بالتي هي احسن اتبعه بما
يقوى على ذلك وهو الاستعاذة بالله من امرين احدهما من همزات الشياطين والهمز جمع همزة وهي النخسة والدفعة بيد
وغيرها وهو كالنخس والاز ومنه مهماز الرايض والمهماز مفعال من ذلك كالمحراث من الحرث والهماز الذي يعيب الناس كانه
يدفع بلسانه وينخسهم به **قوله تعالى** حتى اذا جاء احدهم الموت الاية في حتى هذه اوجه الاول انها غاية لقوله بما يصفون
والثاني انها غاية لكاذبون وبين هذين الوجهين قال الزمخشري حتى يتعلق بيصفون اي لا يزالون على سوء الذكر الى هذا
الوقت والاية فاصلة بينهما على وجه الاعتراض والتاكيد ثم قال او على قوله وانهم لكاذبون قال شهاب الدين قوله او على قوله
لكاذبون وفي الجملة فعبارة مشكلة والثالث قال ابن عطية حتى في هذا الموضع حرف ابتداء ويحتمل ان تكون غاية مجردة
بتقدير كلام محذوف والاول بين لان ما بعده هو المعنى به المقصود ذكره قال ابو حيان فتوهم ابن عطية ان حتى اذا كانت
حرف ابتداء لا تكون غاية وهي وان كانت حرف ابتداء فالغاية معنى لا يفارقها ولم يبين الكلام المحذوف المقدر وقال
ابو البقا حتى غاية في معنى الرفع العطف وقال ابو حيان والذي يظهر لي ان قبلها جملة محذوفة تكون حتى غاية لها يدل عليها
ما قبلها التقدير فلا اكون كالكفار الذين تهمزهم الشياطين ويحضرونهم حتى اذا جاء ونظير حذفها قول الشاعر •
فيا عجبا حتى كليب تسبني • اي تسبني الناس كلهم حتى كليب الا ان في البيت دل ما بعدها عليها بخلاف الاية الكريمة **قوله تعالى**
رب ارجعون وقوله ارجعون خطاب الجمع ثلاثة اوجه الاول انه على سبيل التعظيم كقوله •
• فان شئت حرمت النساء سواكم • وان شئت لم اطعم نقاخا ولا بردا •

وقال الآخر • الا فارحموني يا اله محمد • وقد يؤخذ من هذا البيت ما يرد على ابن مالك حيث قال انه لم يعلم
احدا اجاز للداعي ان يقول يا رحيمون قال لئلا يتوهم خلاف التوحيد وقد اخبر تعالى عن نفسه بهذه الصفة وشبهها
للتعظيم في مواضع من كتابه الكريم كقوله تعالى انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون الثاني انه نادى ثم خاطب ملائكة
ربه بقوله ارجعون ويجوز على هذا الوجه ان يكون على حذف مضاف اي يا ملائكة ربي فحذف المضاف ثم التفت اليه
في عود الضمير كقوله وكم من قرية اهلكناها ثم قال او هم قائلون التفت الى الاهل المحذوفة الثالث ان ذلك يدل على تكرير
الفعل كانه قال ارجعني ارجعني ارجعني نقله ابو البقاء وهو يشبه ما قالوه في قوله تعالى القيا في جهنم انه بمعنى الق الق فثني الفعل
للدلالة على ذلك وانشدوا • قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل • اي قف قف قوله تعالى لعلي اعمل صالحا
فيما تركت اي ضيعت اي اقول لا اله الا الله وقيل اعمل بطاعة الله تعالى وقيل اعمل صالحا فيما قصرت فيدخل فيه العبادات
البدنية والمالية لان هذا اقرب لانهم تمنوا الرجعة ليصلحوا ما افسدوه فان قيل قوله تعالى اعمل صالحا كيف يجوز
ان يسال الرجعة مع الشك فالجواب ليس المراد بلعل الشك فانه في هذا الوقت باذل للجد في العزم على الطاعة وان
اعطي ما سال فهو مثل من قصر في حق نفسه وعرف سوء عاقبة ذلك التقصير فيقول مكنوني من التدارك لعلي اتدارك
فيقول هذه الكلمة مع كونه جازما بانه سيتدارك ويحتمل ايضا ان الامر المستقبل اذا لم يعرفوه واوردنا الكلام
الموضوع للترجي والظن دون اليقين فقد قال تعالى ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه قوله تعالى كلا كلمة ردع
اي لا ترجع معناه المنع مما طلبوا كما يقال لطالب الامر المستبعد هيهات ويحتمل ان يكون ذلك اخبارا بانهم يقولون
ذلك وان الخبر حق واراد الكل كقوله اصدق كلمة قالها شاعر لبيد يعني قوله • الا كل شيء ما خلا الله باطل •
وتقدم طرف من هذا في ال عمران وهو قائلها صفة لكلمة والمراد بالكلمة سؤال الرجعة كلمة هو قائلها ولا بد له منها وقيل معناه
لا يخليها ولا يسكت عنها لاستيلاء الحسرة قوله تعالى ومن ورائهم اي امامهم وبين ايديهم برزخ البرزخ الحاجز
بين المتنافيين وقيل الحجاب بين الشيئين ان يصل احدهما الى الاخر وهو بمعنى الاول وقال الراغب اصله برزه بالهاء
وهو في القيامة الحائل بين الانسان وبين المنازل الرفيعة والبرزخ قبل البعث المنع بين الانسان وبين الرجعة
التي يتمناها قال مجاهد حجاب بينهم وبين الرجوع الى الدنيا قال قتادة بقية الدنيا قال الضحاك البرزخ ما بين الموت
الى البعث وقيل هو القبر وهم فيه الى يوم يبعثون ذكر احوال ذلك اليوم قوله تعالى فاذا نفخ في الصور لانه
لما قال ومن ورائهم برزخ الى يوم يبعثون ذكر احوال ذلك اليوم فقال فاذا نفخ في الصور قرا العامة بضم الصاد وسكون
الواو وهو آلة اذا نفخ فيها ظهر صوت عظيم جعله الله علامة لخراب الدنيا ولاعادة الاموات قال عليه السلام انه قرن
ينفخ فيه وقال ابن عباس والحسن بفتح الواو جمع صورة والمعنى فاذا نفخ في الصور ارواحها وقرا ابو رزين بفتح الصاد
وفتح الواو وهو شاذ وهذا اعني لحى بضم اللام جمع لحية بكسرها وقيل اذا نفخ في الصور استعارة والمراد منه البعث والحشر
قوله تعالى فلا انساب جمع نسب وهو القرابة من جهة الولادة ويعبر به عن التواصل وهو في الاصل مصدر قال الشاعر

• لا نسب اليوم ولا خلة • اتسع الخرق على الراقع •

قوله تعالى بينهم يجوز تعلقه بنفس انساب والتنوين في يومئذ عوض من جملة تقديره يومئذ ينفخ في الصور
فصل قالت عائشة رضي الله عنها يا رسول الله اما نتعارف يوم القيمة اسمع الله يقول فلا انساب بينهم يومئذ
فقال عليه السلام ثلاث مواطن عند رؤية القيامة تذهل فيها كل مرضعة عما ارضعت وعند الموازين وعلى جسر جهنم
قوله تعالى فمن ثقلت موازينه فاولئك هم المفلحون لما ذكر القيامة شرح احوال السعداء والاشقياء فقيل المراد
بالموازين الاعمال فمن اتى بما له قدر وخطر فهو الفائز المفلح ومن اتى بما لا وزن له ولا قدر فهو الخاسر قال ابن عباس
الموازين جمع موزون وهي الموزونات من الاعمال الصالحة التي لها وزن وقدر عند الله من قوله فلا نقيم لهم
يوم القيمة وزنا اي قدرا وقيل ميزان له لسان وكفتان توزن به الحسنات في احسن صورة والسيئات في اقبح صورة
وتقدم ذلك في سورة الانبياء قوله تعالى ومن خفت موازينه فاولئك الذين خسروا انفسهم قال ابن عباس
غبنوها بان صارت منازلهم للمؤمنين وقيل امتنع انتفاعهم بانفسهم لكونهم في العذاب قوله تعالى في جهنم
خالدون يجوز ان يكون خالدون خبرا ثانيا لاولئك وان يكون خبر مبتدا مضمر اي هم خالدون وقال الزمخشري
في جهنم خالدون بدل من خسروا انفسهم ولا محل للمبدل والمبدل منه لان الصلة لا محل لها قال ابو حيان جعل
في جهنم بمعنى خبر لا من خسروا وهذا بدل غريب وحقيقته ان يكون البدل الفعل الذي تعلق به في جهنم اي استقروا
في جهنم وهو بدل شيء من شيء لان من خسر نفسه استقر في جهنم قال شهاب الدين فجعل الشيخ الجار والمجرور بدلا
دون خالدون والزمخشري جعل جميع ذلك بدلا بدليل قوله بعد ذلك او خبرا بعد خبر لاولئك او خبر مبتدا محذوف

وهذان

وهذان انما يليقان بخالدون واما في جهنم فمتعلق به فيحتاج كلام الزمخشري الى جواب وايضا جوز ابو البقاء ان
يكون الموصول نعتا لاسم الاشارة وفيه نظر اذ الظاهر كونه خبرا له قوله تعالى تلفح يجوز استئنافه ويجوز حاليته ويجوز
كونه خبرا اخر لاولئك واللفح اصابة النار الشيء بوهجها واحراقها له وهو اشد من النفح وقد تقدم النفح في الانبياء قوله تعالى
وهم فيها كالحون الكلوح تشمير الشفة العليا واسترخاء السفلى قال عليه السلام وهم فيها كالحون قال تشويه النار فتقلص
شفته العليا حتى تبلغ وسط راسه وتسترخي شفته السفلى حتى تبلغ سرته وقال ابو هريرة يعظم الكافر في النار مسيرة سبع
ليال ضرسه مثل احد وشفاههم عند صدورهم سود زرق خضر مقبوحون ومنه كلوح الاسد اي تكشيره عن انيابه ودهر كالح وبرد
كالح اي شديد وقيل الكلوح تقطيب الوجه وسوءه وكلح الرجل يكلح كلوحا وكلاحا قوله تعالى الم تكن اياتي تتلى عليكم
يعني القران قوله تعالى فكنتم بها تكذبون فان قيل قالت المعتزلة دلت الاية على انهم عذبوا بسوء افعالهم ولو كان فعل
العبد بخلق الله لما صح ذلك فالجواب ان القادر على الطاعة والمعصية ان صدرت المعصية عنه لا لمرجح البتة كان صدورها
عنه اتفاقيا لا اختياريا فوجب ان لا يستحق العقاب وان كان لمرجح فذلك المرجح ليس بفعله والا لزم التسلسل فحينئذ يكون
صدور تلك الطاعة عنه اضطراريا لا اختياريا فوجب ان لا يستحق الثواب قوله تعالى قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا الاية
لما قال سبحانه الم تكن اياتي تتلى عليكم فكنتم بها تكذبون ذكر ما يجري مجرى الجواب عنه من وجهين الاول قولهم ربنا غلبت
علينا شقوتنا قرا الاخوان شقاوتنا بفتح الشين والف بعد القاف والباقون بكسر الشين وسكون القاف وهما مصدران
بمعنى واحد فالشقاوة كالقساوة وهي لغة فاشية والشقوة كالفطنة والنعمة وانشد الفراء •

• كلف من عنائه وشقوته • بنت ثماني عشرة من حجته •

وهي لغة الحجاز قال ابو مسلم الشقوة من الشقا كجرية الماء والمصدر الجري وقد يجي لفظ فعلة والمراد به الهيئة والحال
فتقول جلسة حسنة وركبة وقعدة وذلك من الهيئة وتقول عاش فلان عيشة طيبة وميتة طيبة كريمة وهذا هو الحال
والهيئة فعلى هذا المراد من الشقوة حال الشقا وعن قتادة والحسن في رواية كالاخوين الا انهما كسرا الشين وشبل في اختياره
كالباقين الا انه فتح الشين قال الزمخشري غلبت علينا ملكتنا من قولك غلبني فلان على كذا اذا اخذه منك والشقاوة ••
فصل قال الجبائي المراد ان طلبنا اللذات المحرمة وحرصنا على العمل الحسن ساقنا الى هذه الشقاوة فاطلقوا اسم
السبب على المسبب وهذا باعتبار فيه لان لفظهم اي علمهم بان لا عذر لهم فيه ثابت عندهم ولكنه اعتراف بقيام الحجة عليهم
في سوء صنيعهم واجيب بانك حملت تلك الشقاوة على طلب اللذات المحرمة وطلب تلك اللذات حصل باختيارهم او بغير اختيارهم
فان حصل باختيارهم فذلك الاختيار محدث فان استغنى عن المؤثر فلا يجوز في تلك الحوادث ذلك وحينئذ ينسد عليك باب
اثبات الصانع وان افتقر الى محدث فمحدثه اما العبد او الله فان كان هو العبد فذلك باطل لوجوه الاول ان قدرة العبد صالحة
للفعل والترك فان توقف صدور تلك الارادة عنه الى مرجح اخر عاد الكلام فيه ولزم التسلسل وان لم يتوقف على المرجح
فقد جوزت رجحان احد طرفي الممكن على الاخر وذلك يسد باب اثبات الصانع الثاني ان العبد لا يمكن ولا يعلم كمية تلك الافعال
ولا كيفيتها والجاهل بالشيء لا يكون محدثا بالشيء والا لبطلت دلالة الاحكام والاتقان على العلم الثالث ان احدا في الدنيا
لا يرضى بان يختار الجهل بل لا يقصد الا تحصيل العلم فكيف يحصل الجهل فثبت ان الموجد للدواعي والبواعث هو الله ثم
ان الداعية ان كانت سابقة الى الخير كانت سعادة وان كانت سابقة الى الشر كانت شقاوة وقال القاضي قولهم غلبت علينا
شقوتنا دليل على انه لا عذر لهم لاعترافهم فلو كانت شقوتهم من خلقه وارادته وعلموا ذلك لكان ذكرهم اولى واقرب الى العذر
والجواب قد بينا ان الذي ذكروه ليس الا ذلك ولكنهم مقرون ان لا عذر لهم فلا جرم قال اخسئوا فيها الوجه الثاني لهم
في الجواب قولهم وكنا قوما ضالين اي عن الهدى وهذا الضلال الذي جعلوه كالعلة في اقدامهم على التكذيب لو لزم تعليل
الشيء بنفسه وهو باطل فلم يبق الا ان يكون ذلك الضلال عبارة عن شيء اخر ترتب عليه فعلهم وما ذاك الا خلق الداعي
الى الضلال ثم ان القوم لما اعتذروا بهذين العذرين قالوا ربنا اخرجنا منها اي من النار فان عدنا لما انكرنا فانا
ظالمون فعند ذلك اجابهم الله تعالى فقال اخسئوا فيها ولا تكلمون فان قيل كيف يجوز ان يطلبوا الخروج وقد علموا ان
عقابهم دايم فالجواب يجوز ان يلحقهم السهو عن ذلك في احوال شدة العذاب فيسالون الرجعة ويحتمل ان يكون
مع علمهم بذلك يسالون على وجه الغوث والاسترواح اخسئوا فيها ابعدوا فيها كما يقال للكلب اذا طرد اخسا اي ابعد
كما تزجر الكلاب فاذا زجرت يقال اخسا الكلب وخسا بنفسه ولا تكلمون في رفع العذاب فاني لا ارفعه عنكم وليس هذا
نهيا لانه لا تكليف في الاخرة فصل قال الحسن هو اخر كلام يتكلم به اهل النار ثم لا يتكلمون بعدها الا
الشهيق والزفير ويصير لهم عواء كعواء الكلاب لا يفهمون ولا يفهمون قوله تعالى انه كان فريق من عبادي
الاية العامة على كسر همزة انه استئنافا قوله تعالى فاتخذتموهم سخريا قرا الاخوان ونافع هنا وفي ص بكسر السين

والباقون بضمها في الموضعين وسخريا مفعول ثاني للاتخاذ واختلف في معناهما فقال الخليل وسيبويه والكسائي وابو زيد هما بمعنى واحد نحو دري ودري ولجي ولجي بضم اللام وكسرها وقال يونس ان اريد الخدمة والسخرة فالضم لا غير وان اريد الهزؤ فالضم والكسر ورجح ابو علي وتبعه مكي قراءة الكسر قالا لان ما بعدها اليق بها لقوله تعالى وكنتم منهم تضحكون ولا حجة فيهم لانهم جمعوا بين الامرين سخروهم في العمل وسخروا منهم استهزاء والسخرة بالتاء الاستخدام وسخريا بالضم منها والسخر بدونها الهزؤ والمكسور منه قال الاعشى ان اتاني حديث لا اسر به من علو لا كذب فيه ولا سخر ولم تختلف السبعة في ضم ما في الزخرف لان المراد الاستخدام وهو يقوي قول من يفرق بينهما الا ان ابن محيصن وابن مسلم واصحاب عبد الله كسروه ايضا وهي مقوية لقول من جعلهما بمعنى والياء في سخريا وسخريا للنسب زيدت للدلالة على قوة الفعل والسخري اقوى من السخر كما يقال في الخصوص خصوصية دلالة على قوة ذلك قال معناه الزمخشري **فصل**

اعلم انه تعالى قرعهم بامر يتصل بالمؤمنين قال مقاتل ان رؤس قريش مثل ابي جهل وعتبة وابي بن خلف كانوا يستهزؤن باصحاب محمد ويضحكون بالفقراء منهم كبلال وخباب وعمار وصهيب والمعنى اتخذتموهم هزؤا حتى انسوكم بتشاغلكم بهم على تلك الصفة ذكري وكنتم منهم تضحكون ونظيره ان الذين اجرموا كانوا من الذين امنوا يضحكون ثم انه تعالى ذكر ما يوجب اسفهم وحسرتهم بان وصف ما جازى به اولئك فقال اني جزيتهم اليوم بما صبروا اي جزيتهم الجزاء الوافر **فصل** انهم هم الفائزون قرا الاخوان بكسر الهمزة استينافا والباقون بالفتح وفيه وجهان اظهرهما انه تعليل فيكون نصبا باضمار الخافض اي لانهم هم الفائزون وهي موافقة للاولى فان الاستيناف معلل به ايضا والثاني قال الزمخشري ولم يذكر غيره انه مفعول ثان لجزيتهم اي بانهم اي فوزهم وعلى الاول يكون المفعول الثاني محذوفا **قوله تعالى** قال كم لبثتم قرا الاخوان قل كم لبثتم قل ان لبثتم بالامر في الموضعين وابن كثير كالاخوين في الاول فقط والباقون قال في الموضعين على الاخبار عن الله او الملك والفعلان مرسومان بغير الف في مصاحف الكوفة وبالف في مصاحف مكة والمدينة والشام والبصرة فحمزة والكسائي وافقا مصاحف الكوفة وخالفها عاصم ووافقها على تقدير حذف الالف من الرسم وارادتها واما الباقون فوافقوا مصاحفهم في الاول والثاني فعلى الامر معنى الاية قولوا ايها الكافرون فاخرج الكلام مخرج الواحد والمراد منه الجماعة اذ كان معناه مفهوما ويجوز ان يكون الخطاب لكل واحد منهم اي قل ايها الكافر واما على الخبر اي قال الله عز وجل للكفار يوم البعث كم لبثتم في الارض اي في الدنيا او في القبور وكم في موضع نصب على ظرف الزمان اي كم سنة وعدد بدل من كم قال ابو البقاء وقال غيره ان عدد سنين تمييز لكم وهذا هو الصحيح وقرا الاعمش والمفضل عن عاصم عددا منونا وفيه اوجه الاول ان يكون عددا مصدرا اقيم مقام الاسم فهو نعت تقدم على المنعوت قاله ابو البقاء يعني ان الاصل سنين عددا اي معدودة الثاني ان لبثتم بمعنى عددتم فيكون نصب عددا على المصدر وسنين بدلا منه وقال صاحب اللوامح وفيه بعد لان العدد لا يقع على اللبث الثالث ان عدد تمييز لكم وسنين بدل منه **فصل** الغرض من هذا السؤال التبكيت والتوبيخ لانهم كانوا ينكرون لبثا في الاخرة اصلا ولا يعدون اللبث الا في دار الدنيا ويظنون ان بعد الموت يدوم الفناء ولا اعادة فلما حصلوا في النار وايقنوا دوامها وخلودهم فيها سالهم كم لبثتم في الارض منبها لهم على ما ظنوه دائما طويلا وهو يسير بالاضافة الى ما انكروه فحينئذ تحصل لهم الحسرة على ما كانوا يعتقدون في الدنيا حيث اعتقدوا خلافه وهذا هو الغرض من السؤال فان قيل فكيف يصح ان يقولوا في جوابهم لبثنا يوما او بعض يوم ولا يقع الكذب من اهل النار فالجواب لعلهم نسوا لكثرة ما هم فيه من الاهوال وقد اعترفوا بهذا النسيان وقالوا فاسأل العادين قال ابن عباس انساهم ما كانوا فيه من العذاب **فصل** اختلفوا وقيل ارادوا ان لبثهم في الدنيا يوما او بعض يوم من ايام الاخرة لان مقداره خمسين الف سنة في ان السؤال عن اي لبث فقيل عن لبثهم احياء في الدنيا فاجابوا بان قدر لبثهم كان يسيرا بناء على ان الله اعلمهم ان الدنيا متاع قليل وان الاخرة هي دار القرار وقيل المراد اللبث في حال الموت لان قوله في الارض يفيد الكون في الارض اي في القبر والحي انما يقال فيه انه على الارض وهذا ضعيف بقوله ولا تفسدوا في الارض واستدلوا ايضا بقوله ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة ثم قال فاسال العادين اي الملائكة الذين يحفظون اعمال بني ادم ويحصونها وهذا قول عكرمة وقيل الملائكة الذين يعدون اعمار الدنيا اي ايام الدنيا وقيل المعنى سل من يعرف عدد ذلك فانا نسيناه وقرا العادين بالتخفيف وقرا الحسن والكسائي في رواية جمع عاد اسم فاعل من عدا اي الظلمة فانهم يقولون مثل ما قلنا وقيل العادين القدماء المعمرين فانهم سيقصونها قال ابو البقاء كقولك هذه بير عادية اي سل من يعدنا وحذف احدى ياءي النسب كما قالوا الاشعرون وحذف الاخرى لالتقاء الساكنين **فصل** قال شهاب الدين المحذوف اولا هي الياء الثانية ويحذفها يلتقي ساكنان ويؤيد ما ذكره ابو البقاء ما نقله الزمخشري قال وقرا العاديين اي القدماء

المعربين فانهم يستقصونها فكيف بمن دونهم وقال ابن خالويه ولغة اخرى العاديين يعني بياء مشددة جمع عادية بمعنى القدماء فان قيل احتج من انكر عذاب القبر بهذه الاية فقال قوله تعالى كم لبثتم في الارض يتناول زمان كونهم احياء فوق الارض وزمان كونهم امواتا في بطن الارض فلو كانوا معذبين في القبر لعلموا ان مدة مكثهم في الارض طويلة فلم يقولوا لبثنا يوما او بعض يوم فالجواب من وجهين الاول ان الجواب لا بد وان يكون بحسب السؤال وانما سئلوا عن موت لا حياة بعده الا في الاخرة وذلك لا يكون الا بعد عذاب القبر والثاني يحتمل ان يكونوا سالوا عن قدر اللبث الذي اجتمعوا فيه ولا مدخل في تقدم بعضهم على بعض فيصح ان يكون لبثنا يوما او بعض يوم عند انفسنا وهو جوابهم **قوله تعالى** ان لبثتم اي ما لبثتم الا قليلا فكانه قيل لهم صدقتم ما لبثتم فيها الا قليلا لانها في مقابلة ايام الاخرة **قوله تعالى** لو انكم جوابها محذوف تقديره ان كنتم تعلمون مقدار لبثكم من الطول ما اجبتم بهذه المدة وانتصب قليلا على النعت لزمن محذوف او لمصدر محذوف اي لا زمنا قليلا او لا لبثا قليلا **قوله** افحسبتم انما خلقناكم عبثا الاية في نصب عبثا وجهان احدهما انه مصدر واقع موقع الحال اي عابثين والثاني انه مفعول من اجله اي لاجل العبث والعبث اللعب وما لا فائدة فيه اي لتعبثوا وتلعبوا كما خلقت البهائم لا ثواب لها ولا عقاب وكل ما ليس له غرض صحيح يقال عبث يعبث عبثا اذا خلط عمله بلعب واصله قولهم عبثت الاقط اي خلطته والعبيثة طعام مخلوط بشيء ومنه العوبثاني لتمر وسويق وسمن مختلط **قوله تعالى** وانكم يجوز ان يكون معطوفا على انما خلقناكم فيكون الحسبان منسحبا عليه وان يكون معطوفا على عبثا اذا كان مفعولا من اجله **فصل** قال الزمخشري ويجوز ان يكون معطوفا على عبثا اي للعبث ولترككم غير مرجوعين وقدم الناس على ترجعون مبنيا للفاعل والباقون مبنيا للمفعول وقد تقدم ان رجع يكون لازما ومتعديا وقيل لا يكون الا متعديا والمفعول محذوف فان قيل لما شرح صفات القيامة استدل على وجودها بانه لولا القيامة لما تميز المطيع عن العاصي والصديق عن الزنديق وحينئذ يكون خلق هذا العالم عبثا وهو كقوله ايحسب الانسان ان يترك سدى والمعنى انما خلقناكم للعبادة واقامة اوامر الله عز وجل فالجواب روي ان رجلا مصابا مر به على ابن مسعود فرقاه في اذنيه افحسبتم انما خلقناكم عبثا وانكم الينا لا ترجعون حتى ختمها فبرا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بماذا رقيته في اذنه فاخبره فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لو ان رجلا موقنا قراها على جبل لزال ثم نزه نفسه تعالى عما يصفه به المشركون فقال **قوله تعالى** فتعالى الله الملك الحق والملك هو المالك للاشياء الذي لا يزول ملكه لا اله الا هو رب العرش الكريم قرا العامة الكريم مجرورا نعتا للعرش وصف بذلك لتنزل الخيرات منه والبركة والرحمة ولنسبته الى اكرم الاكرمين كما يقال بيت كريم اذا كان ساكنوه كراما وقرا ابو جعفر وابن محيصن واسماعيل عن ابن كثير وابان بن تغلب بالرفع وفيه وجهان احدهما انه نعت للعرش ايضا ولكنه قطع عن اعرابه لاجل المدح على خبر مبتدا مضمر وهذا جيد لتوافق القراءتين في المعنى والثاني انه نعت للرب **فصل** قال المفسرون العرش السرير الحسن وقيل المرتفع وقال ابو مسلم العرش هنا السموات بما فيها من العرش الذي تطوف به الملائكة ويجوز ان يراد به الملك العظيم والاكثرون على ان العرش حقيقة **قوله تعالى** ومن يدع شرط وفي جوابه وجهان احدهما انه قوله فانما حسابه وعلى هذا ففي الجملة المنفية وهي قوله لا برهان له به وجهان الاول انها صفة لالها وهي صفة لازمة اي لا يكون الاله المدعو من دون الله الا كذا فليس لها مفهوم لفساد المعنى ومثله ولا طائر يطير بجناحيه والثاني انها جملة اعتراض بين الشرط وجوابه والى الوجهين اشار الزمخشري بقوله وهي صفة لازمة نحو قوله يطير بجناحيه جيء بها للتوكيد لا ان يكون في الالهة ما يجوز ان يقوم عليه برهان ويجوز ان يكون اعتراضا بين الشرط والجزاء كقولك من احسن الى زيد لا احق بالاحسان منه فالله مثيبه والثاني من الوجهين الاولين قوله ان جواب الشرط قوله لا برهان له به كانه فر من مفهوم الصفة لما يلزم من فساده فوقع في شيء لا يجوز الا في ضرورة شعر وهو حذف فاء الجزاء من الجملة الاسمية كقوله • من يفعل الحسنات الله يشكرها • والشر بالشر عند الله سيان وقد تقدم كون لا برهان له على الصفة ولا اشكال لانها صفة لازمة او على انها جملة اعتراض **فصل** لما بين انه الملك الحق لا اله الا هو اتبعه بان من ادعى الها اخر فقد ادعى باطلا لا برهان له به ولا حجة ولا بينة له لانه لا حجة في دعوى الشرك وهذا يدل على صحة النظر وفساد التقليد ثم قال **قوله تعالى** فانما حسابه عند ربه اي جزاؤه عند ربه يجازيه بعمله كان عليهم حسابهم كانه قال ان عقابه بلغ الى حيث لا يقدر على حسابه الا الله تعالى **قوله تعالى** انه لا يفلح الكافرون تتناسق ما بين فاتحة السورة وخاتمتها قرا الجمهور بكسر همزة انه على الاستيناف المفيد للعلة وقرا الحسن وقتادة انه بالفتح وخرجه الزمخشري على ان يكون خبر حسابه قال ومعناه حسابه عدم الفلاح والاصل حسابه انه لا يفلح في معنى حسابهم انهم لا يفلحون انتهى ويجوز ان يكون على حذف حرف العلة اي انه لا يفلح وقرا الحسن لا يفلح بفتح الياء واللام مضارع فلح بمعنى افلح ففعل وافعل فيه بمعنى واحد والله اعلم المعنى لا يسعد من جحد وكذب ثم امر الرسول بان يقول رب اغفر وارحم ويثني عليه بانه خير الراحمين وقد تقدم بيان كونه ارحم الراحمين فان قيل كيف اتصال هذه الخاتمة بما قبلها فالجواب

انه سبحانه لما شرح احوال الكفار في جهنم في الدنيا وعذابهم في الآخرة امر بالانقطاع الى الله والالتجاء الى عفوه ورحمته فانهما الناهيان عن كل الآفات والمخافات روي ان اول سورة قد افلح وآخرها من كنوز العرش من عمل بثلاث آيات من اولها واتعظ باربع من آخرها فقد نجا وافلح وروى الثعلبي في تفسيره عن ابي بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة المؤمنين بشرته الملائكة بالروح والريحان وما تقر به عينه عند نزول ملك الموت والله اعلم بالصواب

سورة النور ستون واربع آية مدنية

بسم الله الرحمن الرحيم **قوله تعالى** سورة انزلناها وفرضناها الآية قرا العامة سورة بالرفع وفيه وجهان احدهما ان تكون مبتدا والجملة بعدها صفة لها وذلك هو المسوغ للابتداء بالنكرة وفي الخبر وجهان الاول ان الجملة من قوله تعالى الزانية والزاني والى هذا نحا ابن عطية فانه قال ويجوز ان يكون مبتدا والخبر الزاني والزانية وما بعد ذلك والمعنى السورة المنزلة والمفروضة كذا وكذا اذ السورة عبارة عن آيات مسرودة لها بداء وختم والثاني ان الخبر محذوف اي فيما يتلى عليكم سورة او فيما انزلنا سورة والوجه الثاني من الوجهين الاولين ان يكون خبر المبتدا مضمر اي هذه سورة وقال ابو البقا سورة بالرفع على تقدير هذه سورة او فيما يتلى عليك سورة فلا تكون سورة مبتدا لانها نكرة وهذه عبارة مشكلة على ظاهرها كيف لا يكون مبتدا مع تقدير فيما يتلى عليك سورة وكيف يعلل المنع مع انها نكرة مع تقدير مجاورها جار مقدما عليها وهو مسوغ للابتداء بالنكرة وقرا الحسن بن عبد العزيز وعيسى الثقفي وعيسى الكوفي ومجاهد وابو حيوة وطلحة بن مصرف في آخرين سورة بالنصب وفيه اوجه الاول انها منصوبة بفعل مقدر غير مفسر بما بعده تقديره اتل سورة او اقرا سورة والثاني انها منصوبة بفعل مضمر يفسره ما بعده والمسالة من باب الاشتغال تقديره انزلنا سورة انزلناها والفرق بين الوجهين ان الجملة بعد سورة في محل نصب على الاول ولا محل لها على الثاني الثالث انها منصوبة على الاغراء اي دونك سورة قاله الزمخشري ورده ابو حيان بانه لا يجوز حذف اداة الاغراء واستشكل ابو حيان ايضا على وجه الاشتغال جواز الابتداء بالنكرة من غير مسوغ ومعنى ذلك انه ما من موضع يجوز النصب على الاشتغال الا ويجوز ان يرفع على الابتداء وهنا لو رفعت سورة بالابتداء لم يجز اذ لا مسوغ ولا يقال رجل ضربته لامتناع رجل ضربته ثم اجاب بانه ان اعتقد حذف وصف جاز اي سورة معظمة او موضحة انزلناها فيجوز ذلك الرابع انها منصوبة على الحال من ها في انزلناها والحال من المكني يجوز ان يتقدم عليه قاله الفراء وعلى هذا فالضمير في انزلناها ليس عائدا على سورة بل على الاحكام كانه قال انزلنا الاحكام سورة من سور القرآن فهذه الاحكام ثابتة بالقرآن وغيرها فانه قد ثبت بالسنة وتقدم معنى الانزال **قوله تعالى** وفرضناها قرا ابن كثير وابو عمرو بالتشديد والباقون بالتخفيف والتشديد اما للمبالغة في الايجاب وتوكيده واما التكثير المفروض عليهم واما لتكثير الشيء المفروض والتخفيف بمعنى اوجبناها وجعلناها مقطوعا بها وقيل الزمناكم العمل بها وقد قدمنا ما فيها من الحدود والفرض التقدير قال الله فنصف ما فرضتم اي قدرتم ان الذي فرض عليك القرآن ثم ان السورة لا يمكن فرضها لانها قد دخلت في الوجود وتحصيل الحاصل محال فيجب ان يكون المراد فرضنا ما بين فيها من الاحكام ثم قال وانزلنا فيها آيات بينات واضحات لعلكم تذكرون بتشديد الذال وتخفيفها وتقدم معنى لعل في سورة البقرة قال القاضي لعل بمعنى كي **فان قيل** الانزال يكون من صعود الى نزول وهذا يدل لانه تعالى في جهة **فالجواب** ان جبريل كان يحفظها من اللوح ثم ينزلها على النبي صلى الله عليه وسلم فقيل انزلناها توسعا وقيل ان الله تعالى انزلها من ام الكتاب الى السماء الدنيا دفعة واحدة ثم انزلها بعد ذلك على لسان جبريل عليه السلام وقيل معنى انزلناها اعطيناها الرسول كما يقول العبد اذا علم سيده رفعت اليك حاجتي كذلك يكون من السيد الى العبد الانزال قال تعالى اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه **قوله تعالى** الزانية والزاني في رفعهما وجهان احدهما مذهب سيبويه انه مبتدا وخبره محذوف اي فيما يتلى عليكم حكم الزانية ثم بين ذلك بقوله تعالى فاجلدوا والثاني مذهب الاخفش انه مبتدا والجملة الامر خبر ودخلت الفاء لشبه المبتدا بالشرط وتكون الالف واللام بمعنى الذي تقديره من زنى فاجلدوه او والتي زنت والذي زنا فاجلدوهما وتقدم الكلام على هذه المسالة في قوله تعالى واللذان ياتيانها منكم فآذوهما وعند قوله والسارق والسارقة فاغنى عن اعادته وقرا عيسى الثقفي ويحيى بن يعمر وعمرو بن فائد وابو جعفر وابو شيبة وورش بالنصب على الاشتغال قال الزمخشري وهو احسن من سورة انزلناها لاجل الامر وقرا والزان بلا ياء ومعنى فاجلدوا فاضربوا كل واحد منهما مائة جلدة يقال جلده اذا ضرب جلده كما يقال راسه وبطنه اذا ضرب راسه وبطنه وذكر بضرب اي بلفظ الجلد

بلا ابيح ولا ينص ب بحيث يبلغ اللحم **قوله تعالى** ولا تاخذكم بهما رافة رحمة ورقة قرا العامة هنا وفي الحديد بسكون همزة رافة وابن كثير بفتحها وقرا ابن جريج ويروى ايضا عن ابن كثير وعاصم رآفة بالالف بعد الهمزة بوزن سحابة وكلها مصادر لراف يروف وتقدم معناه واشهر المصادر الاول ونقل ابو البقاء فيها لغة رابعة وهي ابدال الهمزة الفا وهذا ظاهر وقرا العامة تاخذكم بتاء التانيث مراعاة للفظ وعلي بن ابي طالب والسلمي ومجاهد بالياء من تحت لان التانيث مجازي وللفصل بالمفعول والجار وبهما يتعلق بتاخذكم او بمحذوف على سبيل البيان ولا يتعلق برافة لان المصدر لا يتقدم عليه معموله وفي دين الله متعلق بالفعل قبله ايضا وهذه الجملة دالة على جواب الشرط بعدها او هو الجواب عند بعضهم **قوله تعالى** الزنا حرام وهو من الكبائر لان الله تعالى قرنه بالشرك وقتل النفس في قوله ولا يزنون وقال تعالى ولا تقربوا الزنا وقال عليه السلام يا معشر الناس اتقوا الزنا فان فيه ست خصال ثلاث في الدنيا وثلاث في الآخرة اما التي في الدنيا فيذهب البهاء ويورث الفقر وينقص العمر واما التي في الآخرة فسخط الله وسوء الحساب وعذاب النار قال بعض العلماء في حد الزنا انه عبارة عن ايلاج فرج في فرج مشتهى طبعا محرم قطعا واختلف العلماء في اللواط هل هو زنا ام لا فقال نعم لقوله عليه السلام اذا اتى الرجل الرجل فهما زانيان ولدخوله في حد الزنا المتقدم وقيل لا يسمى زنا في العرف ولا يسمى زانيا ولو حلف لا يزني ولاط لا يحنث ولان الصحابة اختلفوا في حكم اللواط وكانوا عالمين باللغة واما الحديث فمحمول على الاثم بدليل قوله عليه السلام اذا اتت المراة المراة فهما زانيتان وقال عليه السلام اليدان تزنيان والعينان تزنيان واما دخوله في مسمى الفرج فلما فيه من الانفراج فبعيد لان الفم والعين منفرجان ولا يسمى فرجا وسمي الفرج فرجا وسمي النجم نجما لظهوره وما سمي كل نجم ظاهر نجما وسمي الجنين جنينا لاستتاره وما سمي كل مستتر جنينا واختلفوا في حد اللواط فقيل حد الزنا ان كان محصنا رجم وان كان غير محصن جلد وغرب وقيل يقتل الفاعل والمفعول مطلقا واختلفوا في كيفية قتله فقيل يضرب عنقه كالمرتد لقوله عليه السلام من عمل عمل قوم لوط فاقتلوه وقيل يرجم بالحجارة وقيل يهدم عليه جدار وقيل يرمى من شاهق لان الله تعالى عذب قوم لوط بكل ذلك وقيل يعزر الفاعل واما المفعول فعليه القتل ان قلنا بقتل الفاعل وان قلنا على الفاعل حد الزنا فعلى المفعول جلد مائة وتغريب عام محصنا كان او غير محصن وقيل ان كانت امراة محصنة فعليها الرجم **فصل** واجمعت الامة على حرمة اتيان البهيمة واختلفوا في حده فقيل حد الزنا وقيل يقتل مطلقا لقوله عليه السلام من اتى بهيمة فاقتلوه واقتلوها معه وقيل التعزير وهو الصحيح واما السحق واتيان الميتة والاستمناء باليد فلا يشرع فيه الا التعزير **فصل** تقدم الكلام على حد الزنا في سورة النساء واما اثباته فلا يحصل الا بالاقرار او بالبينة اما بالاقرار فقال الشافعي يثبت بالاقرار مرة واحدة لقصة العسيف وقال ابو حنيفة واحمد لا بد من الاقرار اربع مرات لقصة ماعز ولقوله عليه السلام انك شهدت على نفسك اربع مرات ولو كانت المرة الواحدة مثل الاربع في ايجاب الحد لكان هذا الكلام لغوا ولقول ابي بكر رضي الله عنه لماعز بعد اقراره الثالثة لو اقررت الرابعة لرجمك رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال بريدة الاسلمي كنا معشر اصحاب محمد لو لم يقر ماعز اربع مرات ما رجمه رسول الله صلى الله عليه وسلم وايضا فكما لا يقبل في الشهادة على الزنا الا اربع شهادات فكذا في الاقرار وكما ان الزنا لا ينتفي الا باربع شهادات في اللعان فلا يثبت الا بالاقرار اربع مرات واما البينة فاجمعوا على انه لا بد من اربع شهادات لقوله تعالى فاستشهدوا عليهن اربعة منكم **فصل** قال بعض العلماء لا خلاف في انه يجب على القاضي ان يمتنع عن القضاء بعلم نفسه كما اذا ادعى رجل على آخر حقا واقام عليه بينة والقاضي يعلم انه قد ابراه او ادعى انه قتل اباه وقد كان وقد راه القاضي حيا بعد ذلك او ادعى نكاح امراة وقد سمع القاضي طلقها لا يجوز ان يقضي به ولو اقام عليه شهودا وهل يجوز ان يقضي بعلم نفسه مثل ان ادعى عليه الفا وقد راه القاضي يقرضه او سمع المدعى عليه يقر به فقال ابو يوسف ومحمد والمزني يجوز ان يقضي بعلمه لانه لما جاز ان يحكم بشهادة الشهود وهي انما تفيد الظن فلان يجوز بما هو منه على علم اولى قال الشافعي اقتضى بعلمه هو اقوى من شاهدين او شاهد وامراتين وهو اقوى من شاهد ويمين وهو اقوى من النكول ورد اليمين وقيل لا يحكم بعلمه لان انتفاء التهمة شرط في القضاء ولم يوجد هذا في الاموال فاما العقوبات فان كانت العقوبة من حقوق العباد كالقصاص وحد القذف فهو مثل المال ان قلنا لا يقضي فيها هنا اولى والا فقولان والفرق بينهما ان حقوق الله تعالى مبنية على المساهلة والمسامحة ولا فرق على القولين ان يحصل العلم للقاضي في بلد ولايته وزمان ولايته او في غيره وقال ابو حنيفة ان حصل له العلم في بلد ولايته في زمن ولايته له ان يقضي بعلمه والا فلا **فصل** لا يقيم الحد الا الامام او نائبه وللسيد ان يقيم الحد على رقيقه لقوله عليه السلام اذا زنت امة احدكم فليجلدها وقيل بل يرفعه الى الامام ويجلد المحصن مع ثيابه ولا يجرد وقيل ينبغي بحيث يكون يحصل الم الضرب ويصل اليه والمراة فلا يجوز تجريدها بل يربط عليها ثيابها حتى لا تنكشف ويلي ذلك امراة

ونضرب بسوط لا جديد يجرح ولا خلق لا يولم ولا يمد ولا يربط بل يترك حتى يتقي بيده ويضرب الرجل قائما
والمراة جالسة ويفرق السياط على اعضائه ولا يجمعها في موضع واحد ويتقي المهالك كالوجه والبطن والفرج
قال الشافعي يضرب على الراس وقال ابو حنيفة لا يضرب على الراس **فصل** ولا يقام الحد على الحامل
حتى تضع ولدها وتستغني عنه لحديث الجهنية واما المريض وان كان مرضا لا يرجى زواله لم يضرب بالسياط بل يضرب
بضغث فيه عيدان بعدد ما يجب عليه لقصة ايوب عليه السلام وادلة جميع ما تقدم مذكورة في كتب الفقه فان قيل
لو فرق السياط تفريقا لا يحصل به التنكيل مثل ان ضرب كل يوم سوطا او سوطين لم يحسب وان ضرب كل يوم عشرين
او اكثر حسبت **فصل** ويقام الحد في وقت اعتدال الهوى فان كان في شدة حر او برد نظرنا ان كان الحد
رجما اقيم عليه كما يقام في المرض لان المقصود قتله وقيل ان كان الرجم ثبت باقراره اخر الى اعتدال الهوا وزوال المرض
ان كان يرجى زواله لانه ربما رجع عن اقراره في خلال الرجم في جسمه فيعين شدة الحر والبرد والمرض على اهلاكه وان ثبت
بالبينة لا يوخر لانه لا يسقط وان كان الحد جلدا لم يجز اقامته في شدة الحر والبرد كما لا يقام في المرض **فصل**
معنى قوله ولا تاخذكم بهما رافة قال مجاهد وعكرمة وعطا وسعيد بن جبير والنخعي والشعبي لا تاخذكم بهما رحمة اي رافة
فتعطلوا الحدود ولا تقيموها وقيل ولا تاخذكم رافة فتخففوا ولكن اوجعوهما ضربا وهو قول سعيد بن المسيب
والحسن قال الزهري ويجتهد في حد الزنا والفرية ويخفف في حد الشرب وقال قتادة يخفف في الشرب والفرية ويجتهد
في حد الزنا ومعنى في دين الله اي في حكم الله روي ان عبد الله بن عمر جلد جارية له زنت فقال للجلاد اضرب ظهرها ورجليها
فقال ابنه ولا تاخذكم بهما رافة في دين الله فقال يا بني ان الله لم يامرني بقتلها وقد ضربت فاوجعت **فصل**
اذا ثبت الزنا باقراره ثم رجع ترك وقد وقع به بعض الحد او لم يقع لان ماعزا لما مسته الحجارة هرب فقال عليه السلام
هلا تركتموه وقيل لا يقبل رجوعه ويحفر للمراة الى صدرها ولا يحفر للرجل واذا مات في الحد غسل وكفن وصلي عليه
ودفن في مقابر المسلمين **قوله تعالى** ان كنتم تومنون بالله واليوم الاخر معناه ان المومن لا تاخذه الرافة اذا جاء
امر الله **قوله تعالى** وليشهد عذابهما طايفة اي وليحضر عذابهما حدهما اذا اقيم عليهما طايفة نفر من المومنين قال النخعي
ومجاهد اقله رجل واحد لقوله تعالى وان طايفتان من المومنين اقتتلوا وقال عطا وعكرمة اثنان لقوله تعالى
فلولا نفر من كل فرقة منهم طايفة وكل ثلاثة فرقة والخارج من الثلاثة واحد واثنان والاحتياط يوجب الاخذ
بالاكثر وقال الزهري وقتادة ثلاثة فصاعدا لان الطايفة هي الفرقة التي تكون حافة حول الشي وهذه الصورة
اقل ما لا بد في حصولها الثلاثة وقال ابن عباس انها اربعة عدد شهود الزنا وهو قول مالك وابن زيد وقال
الحسن البصري عشرة لانها العدد الكامل **فصل** واعلم ان قوله تعالى وليشهد امر وظاهره للوجوب لكن
الفقهاء قالوا يستحب والمقصود من اعلام اقامة الحد لما فيه من الردع ورفع التهمة وقيل المراد بالطايفة الشهود ويجب
حضورهم ليعلم بقاوهم على الشهادة وقال الشافعي ومالك يجوز للامام ان يحضر رجمه وان لا يحضر وكذا الشهود
ولا يلزمهم الحضور وقال ابو حنيفة ان ثبت بالبينة وجب على الشهود ان يبدوا بالرجم ثم الامام ثم الناس وان ثبت
بالاقرار بدا الامام ثم الناس واحتج الشافعي بان النبي صلى الله عليه وسلم رجم ماعزا والغامدية ولم يحضر رجمهما
واما تسميته عذابا فانه يدل على انه عقوبة ويجوز ان يسمى عذابا لانه يمنع المعاودة كما يسمى نكالا لذلك **قوله تعالى**
الزاني لا ينكح الا زانية او مشركة والزانية لا ينكحها الا زان او مشرك وحرم ذلك على المومنين قرا ابو البرهسم وحرم
مبنيا للفاعل مشددا وزيد بن علي حرم بزنة كرم واختلفوا في معنى الاية وحكمها فقال مجاهد وعطا بن ابي رباح وقتادة
والزهري والشعبي ورواية العوفي عن ابن عباس قدم المهاجرون المدينة وفيهم فقراء لا مال لهم ولا عشاير وبالمدينة
نساء بغايا يكرين انفسهن وهن حينئذ اخصب اهل المدينة فرغب ناس من فقراء المومنين في نكاحهن لينفقن عليهم
فاستاذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الاية وحرم ذلك على المومنين ان يتزوجوا تلك البغايا لانهن
هن مشركات وقال عكرمة نزلت في نساء بمكة والمدينة منهن تسع لهن رايات كرايات البيطار يعرفن بها منهن ام مهزول
جارية السايب بن ابي السايب المخزومي وكان الرجل ينكح الزانية في الجاهلية فيتخذها ماكلة فاراد ناس من المسلمين نكاحهن
على تلك الجهة فاستاذن فنزلت هذه الاية فان **قيل** قوله تعالى الزاني لا ينكح الا زانية او مشركة والزانية لا ينكحها الا
زان او مشرك ظاهره خبر وليس الامر كذلك لان الزاني قد ينكح المومنة العفيفة والزانية قد ينكحها المومن العفيف ايضا
بقوله تعالى وحرم ذلك على المومنين ليس كذلك فان المومن قد يحل له التزوج بالمراة الزانية **فالجواب** من وجوه
الاول وهو احسنها ما قال القفال ان اللفظ وان كان عاما لكن المراد منه الاعم والاغلب لان الفاسق الخبيث الذي من شانه
الزنا لا يرغب في نكاح الصالحة وانما يرغب في فاسقة مثله او في مشركة والفاسقة لا ترغب في نكاح الرجل الصالح

بل ينفر عنه وانما يرغب فيمن هو جنسها من الفسقة والمشركين هذا على الاعم الاغلب كما يقال لا يفعل الخير الا الرجل التقي
وقد يفعل الخير من ليس بتقي فكذا هاهنا واما قوله تعالى وحرم ذلك على المومنين فالجواب من وجهين الاول ان نكاح
المومن الممدوح عند الله الزانية ورغبته فيها محرم عليه لما فيه من التشبه بالفساق وحضور موقع التهمة والتسبب لسوء المقالة
فيه والغيبة ومجالسة الخطائين فيها التعرض لاقتراف الاثام فكيف بمزاوجة الزواني والفجار الثاني ان صرف الرغبة بالكلية
الى الزواني وترك الرغبة في الصالحات محرم على المومنين لان قوله تعالى الزاني لا ينكح الا زانية معناه ان الزاني لا يرغب
الا في زانية وهذا المحرم على المومنين ولا يلزم من حرمة هذا الحصر حرمة التزويج بالزانية فهذا هو المعتمد في تفسير الاية
الوجه الثاني ان الالف واللام من قوله الزاني وفي قوله المومن وان كان للعموم ظاهرا لكنه مخصوص بالاقوام الذين نزلت
فيهم كما قدمنا انفا الوجه الثالث قوله تعالى لا ينكح الا زانية وان كان خبرا في الظاهر ولكن المراد منه النهي والمعنى كل من كان
زانيا فلا ينبغي ان ينكح الا زانية وحرم ذلك على المومنين هكذا كان الحكم في ابتداء الاسلام وعلى هذا الوجه ذكروا قولين
احدهما ان ذلك الحكم باق الى الان حتى يحرم على الزاني والزانية التزويج بالعفيف وبالعكس وهذا مذهب ابي بكر وعلي وعمر
وابن مسعود ثم في هولاء من يسوي بين الابتداء والدوام فيقول كما لا يحل للمومن ان يتزوج بالزانية فكذلك لا يحل له
اذا زنت تحته ان يقيم عليها ومنهم من يفصل لان في جملة ما يمنع من التزويج ما لا يمنع من دوام النكاح كالاحرام والعدة
والقول الثاني ان هذا الحكم صار منسوخا واختلفوا في ناسخه فقال الجبائي ان ناسخه هو الاجماع وعن سعيد بن المسيب
انه منسوخ بعموم قوله تعالى فانكحوا ما طاب لكم من النساء وانكحوا الايامى منكم قال المحققون هذان الوجهان ضعيفان
اما قول الجبائي فانه ثبت في اصول الفقه ان الاجماع لا ينسخ ولا ينسخ به وايضا فالاجماع الحاصل عقيب الخلاف لا يكون حجة
والاجماع في هذه المسالة مسبوق بمخالفة ابي بكر وعمر وعلي فكيف يصح فاما قوله فانكحوا ما طاب لكم من النساء فلا يصلح ان يكون
ناسخا لانه لا بد ان يشترط فيه ان لا يكون هناك مانع من النكاح من نسب او سبب وغيرهما وللقايل ان يقول لا يدخل فيه تزويج
الزانية من المومنين كما لا يدخل فيه تزويجها من الاخ وابن الاخ وان للزناء تاثيرا في الفرقة ما ليس غيره الا ترى انه اذا قذفها
بينها بالفرقة على بعض الوجوه ولا يجب مثل ذلك في سائر ما يوجب الحد لان الزنا يورث العار ويورث في الفراش نفارا وغيره
واحتج من ادعى النسخ بان رجلا سال النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ان امراتي لا ترد يد لامس قال طلقها
قال اني احبها وهي جميلة قال استمتع بها وفي رواية فامسكها اذا وروي ان عمر بن الخطاب ضرب رجلا وامراة في زنا وحرص
ان يجمع بينهما فابى الغلام ان يتزوجها وروي ان ابن عباس سيل عن رجل زنا بامراة فهل له ان يتزوجها فاجازه ابن عباس
وشبهه بمن سرق ثمر نخلة ثم اشتراه وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه سيل عن ذلك فقال اوله سفاح واخره نكاح وان الحرام لا يحرم
الحلال الوجه الرابع ان يحمل النكاح على الوطي والمعنى ان الزاني لا يطا حين يزني الا زانية او مشركة وكذا الزانية وحرم ذلك
على المومنين اي وحرم الزنا على المومنين وهذا تاويل ابي مسلم وهو قول سعيد بن جبير والضحاك بن مزاحم ورواية الوالبي عن ابن
عباس **فصل** قال الزجاج وهذا التاويل فاسد من وجهين الاول انه ما ورد النكاح في كتاب الله الا بمعنى التزويج
ولم يرد البتة بمعنى الوطي الثاني ان ذلك يخرج الكلام عن الفايدة لانا لو قلنا ان المراد ان الزاني لا يطا الا الزانية فالاشكال
عايد لانا نرى الزاني قد يطا العفيفة حين يتزوج بها ولو قلنا ان المراد ان الزاني لا يطا الا الزانية حين يكون وطيه زنا
فهذا كلام لا فايدة فيه فان **قيل** اي فرق بين قوله الزاني لا ينكح الا زانية وبين قوله الزانية لا ينكحها الا زان فالجواب
ان الكلام الاول يدل على ان الزاني لا يرغب الا في نكاح الزانية بخلاف الزانية فقد ترغب في نكاح غير الزاني فلا جرم بين
ذلك بالكلام الثاني فان قيل لم قدم الزانية على الزاني في اول السورة وهنا بالعكس **فالجواب** سيقت تلك الاية لعقوبتهما
لجنايتهما فالمراة هي المادة للزنا واما هاهنا فمسوقة لذكر النكاح والرجل اصل فيه لانه هو الراغب الطالب **قوله تعالى**
والذين يرمون المحصنات الاية هي كقوله تعالى الزانية والزاني فاجلدوا فيعود فيه ما تقدم بحاله وقوله المحصنات
فيه وجهان الاول ان المراد به النسا فقط وانما خصهن بالذكر لان قذفهن اشنع والثاني ان المراد بهن النسا والرجال
وعلى هذا فيقال كيف غلب المونث على المذكر والجواب انه صفة لشي محذوف يعم الرجال والنساء اي الانفس المحصنات وهو بعيد
او نقول انه معطوف محذوف لفهم المعنى والاجماع على ان حكمهم حكمهن اي والمحصنين **قوله تعالى** باربعة شهداء العامة
على اضافة اسم العدد الى المعدود وقرا ابو زرعة وعبد الله بن مسلم بالتنوين في العدد واستفصح الناس هذه القراءة
حتى تجاوز الحد كابن جني ففضلها على قراءة العامة قال لان المعدود متى كان صفة فالاجود الاتباع دون الاضافة
تقول عندي ثلاثة ضاربون ويضعف ثلاثة ضاربين وهذا غلط لان الصفة التي جرت مجرى الاسماء تعطى حكمها فيضاف
اليها العدد وشهداء من ذلك فانه كثر حذف موصوفه قال تعالى من كل امة بشهيد واستشهدوا شهيدين وتقول عندي
ثلاثة اعبد وكل ذلك في الاصل صفة ونقل ابن عطية عن سيبويه انه لا يجيز تنوين العدد الا في شعر وليس كما نقله عنه

انما قال سيبويه ذلك في الاسماء نحو ثلاثة رجال واما الصفات ففيها التفصيل المتقدم وعلى هذه القراءة في شهداء ثلاثة اوجه الاول انها تمييز وهذا فاسد لان من ثلاثة الى عشرة يضاف لمميزه ليس الا وغيره للضرورة الثاني انه حال وهو ضعيف ايضا لمجيئها من النكرة من غير مخصص الثالث انها مجرورة نعتا لاربعة ولم ينصرف لالف التانيث فان **قيل** ظاهر الاية لا يدل على الشيء الذي به رموا المحصنات وذكر الرمي لا يدل على الزنا وقد يرميها بسرقة او شرب خمر بل لا بد من قرينة دالة على التعيين واتفق العلماء على ان المراد الرمي بالزنا وفي الاية ما يدل عليه وجوه الاول تقدم ذكر الزنا والثاني انه تعالى ذكر المحصنات وهي العفائف فدل ذلك على ان المراد منها بغير العفاف الثالث قوله تعالى ثم لم ياتوا باربعة شهداء يعني على صحة ما رموا به وكون الشهود اربعة من شروط الزنا الرابع الاجماع على انه لا يجب الحد بالرمي بغير الزنا فوجب ان يكون المراد هو الرمي بالزنا فالجواب شروط الاحصان خمسة الاسلام والعقل والبلوغ والحرية والعفة من الزنا حتى ان من زنا اول مرة اول بلوغه ثم تاب وحسنت حالته منذ عمره فقذفه قاذف لا حد عليه فان اقر المقذوف على نفسه بالزنا او اقام القاذف اربعة من الشهود عليه بالزنا سقط الحد عن القاذف المعرة وقد ثبت صدقه **فصل** والفاظ القذف صريح وكناية وتعريض والصريح ان يقول يا زانية او زنيت او زنا قبلك او دبرك وان قال زنا يدك فقيل كناية لا حقيقة الزنا من الفرج والصحيح انه يقول يا زانية انه صريح لان الفعل يصدر بكل البدن والفرج آلة والكناية ان يقول يا فاسقة يا فاجرة يا خبيثة يا مواجرة يا بن الحرام او لا ترد يد لامس فلا يكون الا بالنية وكذا لو قال لعربي يا نبطي وبالعكس فان اراد القذف فهو قذف والا فلا وان قال عنيت نبطي الدار واللسان وادعت ام المقول له ارادة القذف فالقول قوله مع يمينه والتعريض ليس بقذف وان نواه يا بن الحلال اما انا فما زنيت وليست امي بزانية لان الاصل براءة الذمة فلا يجب بالشك حد وقال مجاهد يجب فيه الحد وقال احمد واسحق هو قذف في حال الغضب دون الرضى **فصل** اذا قذف شخصا واحدا مرارا فان اراد بالكل زنية واحدة وجب حد واحد لان هلال بن امية قذف امرأته لشريك بن سحما فقال عليه السلام البينة او حد في ظهرك فلم يوجب على هلال الا حدا واحدا مع انه قذفه وجبه لشريك وقيل لكل واحد حد وان كان بكلمات فلكل واحد حد **فصل** اذا قذف الصبي والمجنون امرأته او اجنبية فلا حد عليه ولا لعان لا في الحال ولا بعد البلوغ لقوله عليه السلام رفع القلم عن ثلاث ولكن يعزر للتاديب ان كان لهما تمييز والاخرس ان فهمت اشارته او كتابته وقذف بالاشارة او بالكتابة لزمه الحد وكذلك يصح لعانه بالاشارة والكتابة واما العبد اذا قذف فالحر فقيل يلزمه نصف الحد وقيل الحد كله واما الكافر اذا قذف المسلم فعليه الحد لدخوله في عموم الاية وان كان المقذوف غير محصن لم يجب الحد بل يوجب التعزير الا ان يكون المقذوف معروفا بما قذف به فلا حد هنالك ولا تعزير **قوله تعالى** ثم لم ياتوا باربعة شهداء اي يشهدون على زناهم فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة ابدا واولئك هم الفاسقون **قوله تعالى** واولئك هم الفاسقون يجوز ان تكون هذه الجملة مستانفة وهو الاظهر وجوز ابو البقا فيها ان تكون حالا وقوله الا الذين تابوا من بعد ذلك واصلحوا فان الله غفور رحيم اعلم ان في هذا الاستثناء خلافا وهل يعود لما تقدمه من الجمل ام الى الجملة الاخيرة فقط وتكلم عليها من النحاة ابن مالك والمهاباذي والمختار ابن مالك عوده الى الجملة المتقدمة والمهاباذي الى الاخيرة وقال الزمخشري وشهادة القاذف معلق عند ابي حنيفة رحمه الله باستيفاء الحد فاذا شهد قبل الحد او قبل تمام استيفائه قبلت شهادته واذا استوفي لم تقبل شهادته ابدا وان تاب وكان من الابرار الاتقياء وعند الشافعي رحمه الله يتعلق رد شهادته بنفس القذف واذا تاب عن القذف بان رجع عنه عاد مقبول الشهادة وكلاهما متمسك بالاية فابو حنيفة رحمه الله جعل جزاء الشرط الذي هو الرمي الجلد ورد الشهادة عقيب الجلد على التابيد وكانوا مردودي الشهادة عنده في ابدهم وهو مدة حياتهم وجعل قوله واولئك هم الفاسقون كلاما مستانفا غير داخل في حيز جزاء الشرط كانه حكاية حال الرامين عند الله بعد انقضاء الجملة الفعلية او الشرطية والا الذين تابوا استثناء من الفاسقين ويدل عليه قوله تعالى فان الله غفور رحيم والشافعي رحمه الله جعل جزاء الشرط الجملتين ايضا الا انه صرف الابد الى مدة كونه قاذفا وهي تنتهي بالتوبة عن القذف وجعل الاستثناء متعلقا بالجملة الثانية انتهى واعلم ان الاعراب متوقف على ذكر الحكم ومحل الاستثناء فيه ثلاثة اوجه الاول انه منصوب على اصل الاستثناء الثاني انه مجرور بدلا من الضمير في لهم وقد اختار الزمخشري ذلك بقوله وحق المستثنى عنده اي الشافعي ان يكون مجرورا بدلا من هم في لهم وحقه وعند ابي حنيفة ان يكون منصوبا لانه عن موجب والذي يقتضيه ظاهر الاية ونظيرها ان تكون الجمل الثلاث بمجموعهن جزاء الشرط كانه قيل ومن قذف المحصنات فاجلدوهم وردوا شهادتهم وفسقوهم اي فاجمعوا لهم الجلد والرد والفسق الا الذين تابوا عن القذف واصلحوا فان الله يغفر لهم فينقلبون غير مجلودين ولا مردودين ولا مفسقين قال ابو حيان وليس ظاهر الاية يقتضي عود الاستثناء الى الجمل الثلاث بل الظاهر هو ما يقتضيه كلام العرب وهو الرجوع الى الجملة التي تليها والوجه الثالث انه مرفوع بالابتداء وخبره الجملة من قوله فان الله

غفور رحيم واعترض بخلوها من رابط واجيب بانه محذوف اي غفور لهم واختلفوا ايضا في هذا الاستثناء هل هو متصل او منقطع والثاني ضعيف جدا فان **قيل** الاقرار بالزنا يثبت بشهادة رجلين بخلاف فعل الزنا لان الفعل يعسر الاطلاع عليه وقيل لا يثبت الا باربع كفعل الزنا فالجواب اذا شهدوا على فعل الزنا يجب ان يذكروا المزني بها لانه قد يراه على جارية ابنه فيظن انه زنا ويجب ان يشهدوا انا رأينا ذكره يدخل في فرجها دخول الميل في المكحلة فلو شهدوا مطلقا انه زنا لم يثبت بخلاف ما لو قذف انسانا وقال زنيت يجب الحد ولا يستفسر ولو اقر على نفسه بالزنا فقيل يجب ان يستفسر كالشهود وقيل لا يجب كما في القذف **فصل** لا فرق بين ان يجيء الشهود مجتمعين او متفرقين وقال ابو حنيفة اذا شهدوا ولا يثبت وعليهم حد القذف وحجة الاول ان الاتيان باربعة شهداء قدر مشترك بين الاتيان بهم مجتمعين ومتفرقين وايضا فكل حكم يثبت بشهادة الشهود اذا جاءوا متفرقين كساير الاحكام بل هذا اولى لان مجيئهم متفرقين ابعد من التهمة ومن تلقن بعضهم من بعض وكذلك اذا وقعت ريبة للقاضي في شهادة الشهود وايضا فانه لا يشترط ان يشهدوا معا في حالة واحدة بل اذا اجتمعوا عند القاضي قدم واحد بعد واحد واحتج ابو حنيفة بان الشاهد الواحد لما شهد فقد قذفه ولم يات باربعة من الشهداء فيجب عليه الحد لظاهر الاية اقصى ما في الباب انهم جاءوا على القذف بلفظ الشهادة لا عبرة به لانه يودي الى اسقاط حد القذف رأسا لان كل قاذف يمكن ان يقذف بلفظ الشهادة ويتوصل بذلك الى اسقاط الحد عن نفسه وتحصيل مقصوده وايضا فلان المغيرة بن شعبة شهد عليه بالزنا اربعة عند عمر بن الخطاب ابو بكرة وشبل بن معبد ونافع ونفيع قال زياد وقال الرابع رأيت استا تنبو ونفسا يعلو ورجلاها على عاتقه كاذني حمار ولا ادري ما وراء ذلك فجلد عمر الثلاثة ولم يسأل هل معهم شاهد آخر فلو قبل ذلك شهادة غيرهم لتوقف لاداء الحق عليه او لاداء الحد عليه فان **قيل** لو شهد على الزنا اقل من اربعة لم يثبت وهل يجب حد القذف على الشهود فقيل يجب عليهم حد القذف وحجة الاول ان الاتيان باربعة شهداء قدر مشترك بين الاتيان بهم مجتمعين ومتفرقين وايضا فكل حكم يثبت بشهادة الشهود وايضا فانه لا يشترط ان يشهدوا معا لما تقدم آنفا وقيل لا يجب لانهم جاءوا مجيء الشهود ولانا لو حددنا لانسد باب الشهادة على الزنا لان كل احد لا يامن ان يوافقه غيره فيلزمه الحد فالجواب لو اتى القاذف باربعة فساق فشهدوا على المقذوف بالزنا قال ابو حنيفة يسقط الحد عن القاذف ولا يجب الحد على الشهود وقال الشافعي في احد قوليه يحدون واحتج ابو حنيفة بانه اتى باربعة شهداء فلا يلزمه الحد فالفاسق من اهل الشهادة فقد وجدت شرائط الشهادة الا انه لم تقبل شهادتهم للتهمة واحتج الشافعي بانهم ليسوا من اهل الشهادة **قوله تعالى** فاجلدوهم ثمانين جلدة وهذا خطاب للامام او المالك ولو رجل صالح اذا فقد الامام ويخص من هذا العموم صور الاولى الوالد اذا قذف ولده او ولد ولده وان سفل لا يجب عليه الحد كما لا يجب القصاص بقتله الثانية القاذف اذا كان عبدا فالواجب جلد اربعين وكذا المكاتب وام الولد ومن بعضه حر فقيل كالرقيق وقيل بالحساب الثالث لو قذف امة من قذفه فيقه او ورثت فذيمه تابت فهي محصنة ولا يجب الحد بقذفها **فصل** قال الاصل الضرب في الحدود ضرب حد الزنا ثم ضرب حد الخمر ثم ضرب القاذف لان سبب عقوبته يحتمل الصدق والكذب الا انه عوقب صيانة الاعراض **فصل** قال مالك والشافعي حد القذف يورث وكذلك اذا كان الواجب بقذف التعزير يورث عنه وقيل لا يورث الا ان يطلب المقذوف قبل موته فان قذف بعد موته ثبت لوارثه الحد عنه وعند ابي حنيفة الحد لا يورث ويسقط بالموت حجة الشافعي انه حق آدمي يسقط بعفوه ولا يستوفى الا بطلبه ويحلف المدعى عليه اذا انكر واذا كان حق آدمي وجب ان يورث لقوله عليه السلام من مات عن حق فلورثته وحجة ابي حنيفة لو كان موروثا لورثه الزوج والزوجة ولانه حق ليس فيه معنى المال فلا يورث كالوكالة والمضاربة واجيب بان الاشهر ان الزوج والزوجة لا يرثانه وان سلم فالفرق بينهما ان الزوجية تنقطع بالموت ولان المقصود من الحد دفع العار عن النسب وذلك لا يلحق الزوج والزوجة **فصل** اذا قذف انسانا بين يدي الحاكم او قذف امرأته برجل بعينه والرجل غايب فعلى الحاكم ان يبعث الى المقذوف ويخبره ان فلانا قذفك ويثبت لك حد القذف عليه كما لو ثبت له مال على آخر وهو لا يعلم يجب عليه اعلامه ولهذا بعث النبي صلى الله عليه وسلم انيسا ليخبرها ان فلانا قذفها بابنه ولم يبعثه ليتفحص عن زناها وليس للامام اذا رمي رجل بالزنا ان يبعث اليه ليسأله عن ذلك **قوله تعالى** ولا تقبلوا لهم شهادة ابدا قال اكثر الصحابة والتابعين اذا تاب قبلت شهادته وهو قول الشافعي وقال ابو حنيفة واصحابه والثوري والحسن بن صالح لا تقبل شهادة المحدود في القذف اذا تاب وادلة المذهبين مذكورة في كتب الفقه وها هنا مبنية على ان الاستثناء هل يرجع الى الجملة الاخيرة او الى كل الجمل المتقدمة فذلك اختلف العلماء في قبول شهادة القاذف واذا تاب وندم بعد التوبة وفي حكم هذا الاستثناء فذهب قوم الى ان القاذف ترد شهادته بنفس القذف واذا تاب وندم على ما قال وحسنت حالته قبلت شهادته سواء تاب بعد اقامة الحد عليه او قبله لقوله تعالى الا الذين تابوا وقالوا الاستثناء راجع الى الشهادة

الى الفسق فبعد التوبة تقبل شهادته ويزول عنه اسم الفسق يروى ذلك عن عمر وابن عباس وهو قول سعيد بن جبير
ومجاهد وعطاء وطاوس وسعيد بن المسيب وسليمان بن يسار والشعبي وعكرمة وعمر بن عبد العزيز والزهري
وبه قال مالك والشافعي وذهب قوم الى ان شهادة المحدود في القذف لا تقبل ابدا وان تاب وقالوا الاستثناء
يرجع الى قوله واولئك هم الفاسقون وهو قول النخعي وشريح واصحاب الراي وقالوا بنفس القذف ترد شهادته
ما لم يحد قال الشافعي هو قبل ان يحد شر منه حين يحد لان الحد كفارات فكيف تردون شهادته في احسن حالته
وتقبلونها في شر حالته وذهب الشعبي الى ان حد القذف يسقط بالتوبة وقال الاستثناء يرجع الى الكل وعامة العلماء على انه
لا يسقط بالتوبة فان **قيل** اذا قبلتم شهادته بعد التوبة فما معنى قوله ابدا فالجواب معناه لا تقبل شهادته
ابدا ما دام مصرا على قذفه لان ابد كل انسان على ما يليق بحاله كقوله لا تقبل شهادة الكافر ابدا اي ما دام على الكفر
فصل اختلفوا في كيفية التوبة بعد القذف فقيل التوبة منه ان كذب نفسه بان يقول كذبت فلا اعود
الى مثله وقيل لا يقول كذبت لانه ربما يكون صادقا فيكون قوله كذبت كذبا والكذب معصية واثبات المعصية
لا يكون توبة من معصية اخرى بل يقول القذف باطل ندمت على ما قلت ورجعت عنه ولا اعود عليه ولا بد من مضي
مدة عليه بعد التوبة يحسن حاله فيها حتى تقبل شهادته وقدر تلك المدة سنة حتى يمر عليه الفصول الاربعة التي تتغير
فيها الاحوال والطباع كاجل العنين وقد علق الشرع احكاما بالسنة من الزكوة والجزية وغيرهما وهذا معنى قوله
واصلحوا ثم قال فان الله غفور رحيم اي يقبل التوبة **قوله تعالى** والذين يرمون ازواجهم الايات لما ذكر احكام قذف
الاجنبيات عقبه باحكام قذف الزوجات قال ابن عباس لما نزل قوله والذين يرمون المحصنات ثم لم ياتوا باربعة
شهداء وقال عاصم بن عدي الانصاري ان دخل رجل منا بيته فراى رجلا على بطن امراته فان جاء باربعة رجال يشهدون
بذلك فقد قضى الرجل حاجته وخرج وان قتله قتل به وان قال وجدت فلانا مع تلك المراة ضرب وان سكت سكت على غيظ
اللهم افتح وكان لعاصم هذا ابن عم يقال له عويمر وله امراة يقال لها خولة بنت قيس فاتى عويمر عاصما فقال لقد رايت
شريك بن سحماء على بطن امراتي خولة فاسترجع عاصم واتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ما اسرع ما ابتليت
بهذا في اهل بيتي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال وما ذاك فقال اخبرني عويمر ابن عمي انه راى شريك بن سحماء
على بطن امراته خولة فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بهم جميعا فقال لعويمر اتق الله في زوجتك وابنة عمك ولا
تقذفها فقال يا رسول الله لقد رايت شريكا على بطنها واني ما قربتها منذ اربعة اشهر وانها حبلى من غيري فقال لها
رسول الله اتقي الله ولا تخبريني الا بما صنعت فقالت يا رسول الله ان عويمر رجل غيور وانه راى شريكا يطيل النظر ويتحدث
فحملته الغيرة على ما قال فنزلت هذه الاية فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يؤذن الصلاة جامعة فصلى العصر ثم
قال لعويمر قم وقل اشهد بالله ان خولة لزانية واني لمن الصادقين ثم قال في الثانية اشهد اني رايت شريكا على بطنها واني
لمن الصادقين ثم قال في الثالثة اشهد بالله انها حبلى من غيري واني لمن الصادقين ثم قال في الرابعة قل اشهد بالله
انها زانية واني ما قربتها منذ اربعة اشهر واني لمن الصادقين ثم قال في الخامسة لعنة الله على عويمر يعني نفسه ان كان من
الكاذبين ثم قال اقعد وقال لخولة قومي فقامت وقالت اشهد بالله ما انا بزانية وان زوجي لمن الكاذبين وقالت
في الثانية اشهد بالله ما راى شريكا على بطني وانه لمن الكاذبين وقالت في الثالثة اشهد بالله ما انا حبلى وانه لمن الكاذبين
وقالت في الرابعة اشهد بالله ما راني على فاحشة قط وانه لمن الكاذبين وقالت في الخامسة غضب الله على خولة ان كان
عويمر من الصادقين في قوله ففرق رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهما وفي رواية عكرمة عن ابن عباس ان هلال بن امية
قذف امراته عند النبي صلى الله عليه وسلم بشريك بن سحماء فقال النبي صلى الله عليه وسلم البينة والا حد في ظهرك فقال
يا رسول الله اذا راى احدنا على امراته رجلا ينطلق يلتمس البينة فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يقول البينة والا حد في ظهرك
فقال هلال والذي بعثك بالحق اني لصادق ولينزلن الله ما يبرئ ظهري من الحد فنزل جبريل عليه السلام وانزل
عليه والذين يرمون ازواجهم فقرا عليه حتى بلغ ان كان من الصادقين فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم فارسل اليها
فجاء هلال فشهد والنبي صلى الله عليه وسلم يقول ان الله يعلم ان احدكما كاذب فهل منكما تائب ثم قامت فشهدت فلما كانت
عند الخامسة وقفوها وقالوا انها موجبة قال ابن عباس فتلكات ونكصت حتى ظننا انها ترجع ثم قالت لا افضح قومي
سائر اليوم فمضت وقال النبي صلى الله عليه وسلم ابصروها فان جاءت به اكحل العينين سابغ الاليتين خدلج الساقين فهو لشريك
ابن سحماء فجاءت به كذلك فقال النبي صلى الله عليه وسلم لولا ما مضى من كتاب الله عز وجل لكان لي ولها شان وفي رواية
عكرمة عن ابن عباس قال لما نزلت والذين يرمون المحصنات الاية قال سعد بن عبادة لو اتيت لكاع وقد تفخذها رجل
لم يكن لي ان اهيجه حتى اتي باربعة شهداء فوالله ما كنت لاتي باربعة شهداء حتى يفرغ من حاجته ويذهب وان قلت ما رايت

ان في ظهري ثمانين جلدة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا معشر الانصار الا تسمعون ما يقول سيدكم فقالوا
لا تلمه فانه رجل غيور ما تزوج امراة قط الا بكرا ولا طلق امراة له فاجترا رجل منا ان يتزوجها قال سعد يا رسول
الله بابي انت وامي والله اني لاعرف انها من الله وانها حق ولكن عجبت من ذلك فقال عليه السلام فان الله يابى الا ذلك
فقال صدق الله ورسوله قال فلم يلبثوا الا يسيرا حتى جاء ابن عم له يقال له هلال بن امية بن حذيفة وهو احد الثلاثة
الذين تاب الله عليهم فراى رجلا مع امراته يزني فامسك حتى اصبح فلما اصبح غدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس
مع اصحابه فقال يا رسول الله اني جئت اهلي عشيا فوجدت رجلا مع امراتي رايت بعيني وسمعت باذني فكره رسول الله
صلى الله عليه وسلم ما جاء به وثقل عليه حتى عرف ذلك في وجهه فقال هلال والله يا رسول الله والله اني لارى الكراهة
في وجهك مما اتيتك به والله يعلم اني لصادق وما قلت الا حقا واني لارجو ان يجعل الله لي فرجا فهم رسول الله بضربه
قال واجتمعت الانصار فقالوا ابتلينا بما قال سعد يجلد هلال وتبطل شهادته فهم بضربه لكذلك ورسول الله صلى الله
عليه وسلم يريد ان يامر بضربه اذ نزل عليه الوحي فامسك اصحابه عن كلامه حتى عرفوا ان الوحي قد نزل حتى فرغ فانزل الله
والذين يرمون ازواجهم الى اخر الايات فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ابشر يا هلال فان الله قد جعل لك فرجا
فقال كنت ارجو ذلك من الله عز وجل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ارسلوا اليها فجاءت فكذبت هلالا فقال عليه السلام
الله اعلم ان احدكما كاذب فهل منكما تائب وامر بالملاعنة وشهد هلال اربع شهادات بالله انه لمن الصادقين فقال عند
الخامسة عليه السلام له اتق الله يا هلال فان عذاب الدنيا اهون من عذاب الاخرة فقال والله لا يعذبني الله عليها كما لم يجلدني
عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم وشهد الخامسة ان لعنة الله عليه ان كان من الكاذبين ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اشهدي فشهدت اربع شهادات بالله انه لمن الكاذبين ثم قال لها عند الخامسة ووقفها اتقي الله فانها الخامسة
الموجبة وان عذاب الله اشد من عذاب الناس فتلكات ساعة وهمت بالاعتراف ثم قالت والله لا افضح قومي فشهدت الخامسة
ان غضب الله عليها ان كان من الصادقين ففرق رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهما وقضى ان الولد لها ولا يدعى لاب
ولا يرمى ولدها ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان جاءت به كذا وكذا فهو لزوجها وان جاءت به كذا وكذا فهو
للذي قيل فيه فجاءت به غلاما كانه جمل اورق على الشبه المكروه وكان بعد اميرا بمصر ولا يدرى من ابوه **فصل**
اذا رمى الرجل زوجته بالزنا يجب عليه الحد اذا كانت محصنة والتعزير ان لم تكن محصنة كما في رمي الاجنبي الا انه في قذف الاجنبي
لا يسقط الحد عن القاذف الا باقرار المقذوف او باربعة شهداء على الزنا وفي قذف الزوجة يسقط الحد عنه باحد هذين
الامرين وباللعان وانما اعتبر الشارع اللعان في الزوجات دون الاجنبيات لانه لا معيرة عليه في زنا الاجنبية
والاولى له ستره واما في الزوجة فيلحقه العار والنسب الفاسد ولا يمكنه الصبر عليه **فصل** اذا قذف زوجته
ونكل عن اللعان لزمه حد القذف فاذا لاعن ونكلت عن اللعان لزمها حد الزنا وقال ابو حنيفة يحبس لنا كل منهما حتى
يلاعن حجة القول الاول قوله والذين يرمون المحصنات ثم لم ياتوا باربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ثم عطف عليه
حكم الازواج فقال والذين يرمون ازواجهم ولم يكن لهم شهداء الا انفسهم الاية فكان مقتضى حكم الازواج فقال
والذين يرمون ازواجهم وكان مقتضى قذف الاجنبيات الاتيان بالشهود او الجلد فكما وجب قذف الزوجات الاتيان
باللعان او الجلد ايضا قوله ويدرؤ عنها العذاب ان تشهد اربع شهادات والالف واللام في العذاب للمعهود السابق وهو الحد
وليسا للعموم لانه لم يجب عليها جميع انواع العذاب ومما يدل على بطلان الحبس في حق المراة ان تقول ان كان الرجل صادقا
فحدوني وان كان كاذبا فخلوني وليس حبسي في كتاب الله وسنة رسوله ولا الاجماع ولا القياس واحتج ابو حنيفة بان المراة
ما فعلت سوى انها تركت اللعان وهذا الترك ليس ببينة على الزنا ولا اقرار منها به فوجب ان لا يجوز رجمها لقوله عليه
السلام لا يحل دم امرئ مسلم الحديث وانما لم يجب الرجم اذا كانت محصنة لم يجب الجلد في غير المحصن لانه لا قائل بالفرق
وايضا فالنكول ليس بصريح الاقرار ولم يثبت الحد به كاللفظ المحتمل للزنا ولغيره فان **قيل** من صح يمينه صح لعانه
فيجري اللعان بين الرقيقين والذميين والمحدودين وكذا اذا كان احدهما رقيقا وكان الزوج مسلما والمراة ذمية
فالجواب اللعان شهادة فوجب ان لا يصح لان من اهل الشهادة وانما قلنا اللعان شهادة لقوله تعالى ولم يكن لهم
شهداء الا انفسهم فشهادة احدهم اربع شهادات بالله سمي اللعان شهادة كقوله تعالى واستشهدوا شهيدين ولان النبي
صلى الله عليه وسلم امرهما باللعان بلفظ الشهادة ولم يقتصر على لفظ اللعان واذا ثبت اللعان شهادة وجب ان لا يقبل
من المحدودين في القذف لقوله ولا تقبلوا لهم شهادة ابدا واذا ثبت ذلك في المحدود ثبت في العبد والكافر واما
للاجماع على انهما ليسا من اهل الشهادة او لانه لا قائل بالفرق فان **قيل** ان اللعان ليس شهادة في الحقيقة بل هو يمين
مخصوصة لانه لا يجوز ان يشهد الانسان لنفسه ولانه لو كان شهادة لكان المراة تاتي بثمان شهادات لانها على النصف

يفيضون في قول اصحاب الافك ولا اشعر بشي من ذلك فاشتكيت حين قدمت شهرا وهو يريبني في وجعي اني لا ارى من رسول الله صلى الله عليه وسلم اللطف الذي كنت ارى منه حين اشتكي انما يدخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم فيسلم ثم يقول كيف تيكم ثم ينصرف فذلك يريبني ولا اشعر بالشر حتى خرجت حين نقهت فخرجت مع ام مسطح قبل المناصع وكانت متبرزنا وكنا لا نخرج الا ليلا الى ليل وذلك قبل ان نتخذ الكنيف قريبا من بيوتنا وامرنا امر العرب الاول في البرية قبل الغائط فكنا نتاذى بالكنيف ان نتخذها عند بيوتنا قالت فانطلقت انا وام مسطح وهي بنت ابي رهم بن المطلب بن عبد مناف وامها ابنة صخر بن عامر خالة ابي بكر الصديق رضي الله عنه وابنها مسطح بن اثاثة بن عبد بن المطلب فاقبلت انا وام مسطح قبل بيتي حين فرغنا من شاننا فعثرت ام مسطح في مرطها فقالت تعس مسطح فقلت لها بيس ما قلت اتسبين رجلا قد شهد بدرا فقالت اي هنتاه او لم تسمعي ما قال فقلت وما قال فاخبرتني بقول اهل الافك فقالت اشهد بالله انك من المومنات الغافلات فازددت مرضا على مرضي فلما رجعت الى بيتي دخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال كيف تيكم فقلت له اتاذن لي ان اتي ابوي قالت واريد ان استيقن الخبر من قبلهما قالت فاذن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت لامي يا اماه ماذا يتحدث الناس قالت يا بنية هوني عليك فوالله لقلما كانت امراة قط وضيئة عند رجل يحبها ولها ضرائر الا اكثرن عليها فقلت سبحان الله او لقد تحدث الناس بها فبكيت تلك الليلة حتى اصبحت لا يرقا لي دمع ولا اكتحل بنوم فدخل علي ابي وانا ابكي فقال لامي ما يبكيها قالت لم تكن علمت ما قيل فيها فاقبل يبكي قالت ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن ابي طالب واسامة بن زيد حين استلبث الوحي يستامرهما ويستشيرهما في فراق اهله فقالت اسامة يا رسول الله هم اهلك ولا نعلم الا خيرا واما علي فقال لم يضيق الله عليك والنساء سواها كثير وسل الجارية تصدقك فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بريرة فقال اي بريرة هل رايت من شي يريبك قالت له بريرة والذي بعثك بالحق نبيا ما رايت عليها امرا قط اغمصه اكثر من انها جارية حديثة السن تنام عن عجين اهلها فياتي الداجن فياكله قالت فقام نبي الله خطيبا على المنبر فقال يا معشر المسلمين من يعذرني من رجل قد بلغ اذاه في اهل بيتي عبد الله بن ابي فوالله ما علمت على اهلي الا خيرا ولقد ذكروا رجلا ما علمت عليه الا خيرا وما كان يدخل على اهلي الا معي فقال سعد بن معاذ اخو بني عبد الاشهل فقال انا يا رسول الله اعذرك فان كان من الاوس ضربت عنقه وان كان من اخواننا الخزرج فما امرتنا فعلناه فقال سعد بن عبادة وهو سيد الخزرج وكان رجلا صالحا ولكن احتملته الحمية وكانت ام حسان بنت عمه من فخذه فقال لسعد بن معاذ كذبت لعمر الله لا تقدر على قتله فقام اسيد بن حضير وهو ابن عم سعد بن معاذ فقال لسعد بن عبادة كذبت لعمر الله لنقتلنه وانك لمنافق تجادل عن المنافقين فثار الحيان الاوس والخزرج حتى هموا ان يقتتلوا ورسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر فلم يزل يخفضهم حتى سكتوا قالت فبكيت يومي ذلك وليلتي لا يرقا لي دمع ولا اكتحل بنوم فاصبح ابواي عندي وقد بكيت ليلتين ويوما حتى اظن ان البكاء فالق كبدي فبينا ابواي جالسان عندي وانا ابكي فاستاذنت علي امراة من الانصار فاذنت لها فجلست تبكي معي فبينا نحن على ذلك اذ دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم علينا فسلم ثم جلس قالت ولم يجلس عندي منذ قيل فيما قيل وقد لبث شهرا لا يوحى اليه في شاني بشي فتشهد رسول الله صلى الله عليه وسلم حين جلس ثم قال اما بعد يا عائشة فانه بلغني عنك كذا وكذا فان كنت بريئة فسيبرئك الله وان كنت الممت بذنب فاستغفري الله وتوبي اليه فان العبد اذا اعترف ثم تاب تاب الله عليه قالت فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم مقالته قلص دمعي حتى ما احس منه قطرة فقلت لابي اجب عني رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما قال فقال والله ما ادري ما اقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت لامي اجيبي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت امي والله لا ادري ما اقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت وانا جارية حديثة السن لا اقرا من القران كثيرا اني والله لقد علمت انكم قد سمعتم هذا الحديث حتى استقر في انفسكم وصدقتم به فلئن قلت لكم اني بريئة لا تصدقوني ولئن اعترفت لكم بامر والله يعلم اني منه بريئة لتصدقنني فوالله لا اجد لي ولكم مثلا الا ابا يوسف حين قال فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون ثم تحولت واضطجعت على فراشي وانا اعلم والله يعلم اني حينئذ بريئة على ما تصفون وان الله مبرئي ببراءتي ولكن والله ما كنت اظن ان الله منزل في شاني وحيا يتلى ولشاني في نفسي كان احقر من ان يتكلم الله في بامر ولكني كنت ارجو ان يري الله رسوله صلى الله عليه وسلم في النوم رويا يبرئني الله بها فوالله ما رام رسول الله صلى الله عليه وسلم من مجلسه ولا خرج من اهل البيت احد حتى انزل الله على نبيه فاخذه ما كان ياخذه من البرحاء من الوحي حتى انه ليتحدر منه العرق مثل الجمان في اليوم الشاتي من ثقل القول الذي انزل عليه فسري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يضحك وكان اول كلمة تكلم بها ان قال يا عائشة اما والله فقد براك الله قالت فقالت لي امي قومي اليه فقلت والله لا اقوم اليه فاني لا احمد الا الله قالت وانزل الله ان الذين جاءوا بالافك عصبة منكم العشر آيات فقال وكان ابو بكر والله لا انفق على مسطح بعدها وكان ينفق عليه لقرابته

منه فانزل الله ولا ياتل اولوا الفضل منكم والسعة الى قوله تعالى غفور رحيم فلما سمع ابو بكر رضي الله تعالى عنه قوله تعالى الا تحبون ان يغفر الله لكم قال ابو بكر والله اني لاحب اي والله اني لاحب ان يغفر الله لي ورجع الى النفقة على مسطح وقال والله لا انزعها منه ابدا قالت فلم يزل عذري حتى قام رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر فذكر ذلك وتلى القران فلما نزل ضرب عبد الله بن ابي ومسطح وحسان وحمنة الحد **فصل** الافك ابلغ ما يكون من الكذب والافترا وهو اسوأ الكذب وسمي افكا لكونه مصروفا عن الحق كقوله افك الشي اذا قلبه عن وجهه قيل هو البهتان واجمع المسلمون على ان المراد ما افك به على عائشة وانما وصف الله الكذب بكونه افكا لان المعروف من حال عائشة خلافه من وجوه الاول ان كونها معصومة وجه المعصوم يمنع من ذلك لان الانبياء مبعوثون الى الكفار ليدعوهم ويستعطفوهم فيجب ان لا يكون معهم ما ينفرهم عنهم وكون زوجة الانسان من كونها مسافحة من اعظم المنفرات فان **قيل** كيف يجوز ان تكون امراة الرسول كافرة كامراة نوح ولوط ولم يجز ان تكون فاجرة وايضا لو لم يجز لكان الرسول اعرف الناس بامتناعه ولو عرف ذلك لما خاف ولما سال عائشة عن كيفية الواقعة فالجواب عن الاول ان الكفر ليس من المنفرات بخلاف الفجور فانه من المنفرات والجواب عن الثاني انه عليه السلام كثيرا ما يضيق قلبه من اقوال الكفار مع علمه بفساد ذلك كما قال تعالى ولقد نعلم انك يضيق صدرك بما يقولون فهذا احد ذلك الباب الثاني ان المعروف من عائشة قبل تلك الواقعة انما هو الصون والبعد عن مقدمات الفجور ومن كان كذلك كان اللائق به احسان الظن به الوجه الثالث ان القاذفين كانوا من المنافقين واتباعهم وكلام المفتري يصرف من الهذيان فلمجموع هذه كان ذلك القول معلوم الفساد قبل نزول الوحي **فصل** العصبة قيل الجماعة من العشرة الى الاربعين وكذلك العصابة وهم عبد الله بن ابي راس المنافقين وزيد بن رفاعة وحسان بن ثابت ومسطح بن اثاثة وحمنة بنت جحش ومن ساعدهم **قوله تعالى** كبره العامة على كسر الكاف وضمها في قراءة الحسن والزهري وابو رجا وابو البرهسم وابن ابي عبلة ومجاهد وعمرة بنت عبد الرحمن ورويتا ايضا عن عمرو والكسائي فقيل هما لغتان في مصدر كبر الشي اي عظم لكن غلب في الاستعمال ان المضموم في السن والمكان يقال هو كبر القوم بالضم اي اكبرهم سنا او مكانة وفي الحديث في قصة محيصة وحويصة الكبر الكبر وقيل بالضم معظم الافك وبالكسر البداءة به وقيل بالكسر الاثم **قوله تعالى** منكم معناه انه الذين اتوا بالكذب في امر عائشة جماعة منكم ايها المومنون لان عبد الله كان من جملة من حكم له بالايمان ظاهرا **قوله تعالى** لا تحسبوه شرا لكم بل هو خير لكم فان قيل هذا شرح حال فالجواب عن الاول انه تعالى قد ذكرهم في قوله منكم وعن الثاني ان المراد من لفظ الجمع كل من تاذى بذلك الكذب ومعلوم انه صلى الله عليه وسلم تاذى بذلك وكذلك ابو بكر ومن يتصل به فان قيل فلاي جهة يصير خيرا لهم مع انه مضرة فالجواب من وجوه الاول انهم صبروا على ذلك الغم طلبا لمرضاة الله فاستوجبوا به الثواب وهذه طريقة المومنين الكمل والثاني لولا اظهارهم الافك كان يجوز ان يبقى لهم كامن في صدور البعض وعند الاظهار انكشف كذب القوم والثالث صار خيرا لهم لما فيه من شرفهم وبيان فضلهم من حيث نزلت ثماني عشرة اية كل واحدة منها مستقلة ببراءة عائشة وشهد الله بكذب القاذفين ونسبهم الى الافك واوجب عليهم اللعن والذم وهذا غاية الشرف والفضل والرابع صيرورتها بحال تعلق الكفر بقذفها فان الله لما نص على كون تلك الواقعة افكا وبالغ في شرحه فكل من يشك فيه كان كافرا قطعا وهذه درجة عالية وقال بعضهم قوله تعالى خطاب مع القاذفين وجعله الله خيرا لهم من حيث كان هذا الذكر عقوبة معجلة كالكفارة ومن حيث تاب بعضهم عنه وهذا القول ضعيف لانه تعالى خاطبهم بالكاف ولما وصف اهل الافك خاطبهم بالهاء بقوله تعالى لكل امرئ منهم ما اكتسب من الاثم ومعلوم ان ما اكتسبوه لا يكون لهم عقوبة والمراد يكون لهم جزاء ما اكتسبوه من العقاب في الاخرة والمذمة في الدنيا والمعوان قدر العقاب يكون مثل قدر الخوض **قوله تعالى** والذي تولى كبره اي الذي قام باشاعة هذا الحديث وهو عبد الله بن ابي سلول والعذاب العظيم هو النار في الاخرة

فصل روي عن عائشة في حديث الافك قالت ثم ركبت واخذ صفوان بالزمام فمررنا بملا من المنافقين وكانت عادتهم ان ينزلوا منتبذين من الناس فقال عبد الله بن ابي رئيسهم من هذه قالوا عائشة قال والله ما نجت منه ولا نجا منها وقال امراة نبيكم باتت مع رجل حتى اصبحت ثم جاء يقودها وشرع في ذلك ايضا حسان بن ثابت ومسطح وحمنة بنت جحش زوجة طلحة بن عبيد الله فهم الذين تولوا كبره والاقرب انه عبد الله بن ابي فانه كان منافقا يطلب ما يقدح في الرسول قال مسروق دخلت على عائشة رضي الله عنها وعندها حسان بن ثابت ينشد شعرا يشبب بابيات له قال

حصان رزان ما تزن بريبة ** وتصبح غرثى من لحوم الغوافل

فقالت له عائشة رضي الله عنها لكنك لست كذلك قال مسروق فقلت تاذنين له ان يدخل عليك وقد قال الله والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم قالت واي عذاب اشد من العمى قال وروي ان عائشة ذكر حسان وقالت ارجو له الجنة فقيل اليس هو الذي تولى كبره فقالت اذا سمعت شعره في مدح الرسول رجوت له الجنة وقال عليه السلام ان الله يويد حسان

من الرجل ولانه يصح من الاعمى والفاسق ولا يجوز شهادتهما فالجواب الفاسق والفاسقة قد يتوبان فان قيل
وكذلك العبد قد يتحقق عتقه فتجوز شهادته فالجواب قال عثمان البتي اذا لاعن الزوجان لم تقع الفرقة
لان اللعان ليس بصريح ولا كناية عن الفرقة فلا يفيد الفرقة التي لا اشعار بها بالفرقة ولان اكثر ما فيه ان يكون
الزوج صادقا في قوله وهذا لا يوجب تحريما الا ترى انه لو قامت عليها البينة عليها لم يوجب ذا كان كاذبا والمراة
صادقة فاولى ان لا يوجب تحريما وايضا لو تلاعنا فيما بينهما لم يوجب الفرقة فكذا عند الحاكم وايضا فاللعان
قايم مقام الشهود في قذف الاجنبيات فكما انه لا فايدة في احضار الشهود هنالك الا اسقاط الحد فكذا اللعان
لا تاثير له الا اسقاط الحد وايضا فلو كذب الزوج نفسه في قذفه اياها لم يوجب ذلك فرقة فكذا اذا لاعن
لان اللعان قايم مقام درء الحد فاما تفريق النبي صلى الله عليه وسلم في قصة العجلاني وكان قد طلقها ثلاثا بعد
اللعان فلذلك فرق بينهما وقال اصحاب الراي لا تقع الفرقة بفراغهما من اللعان حتى يفرق الحاكم بينهما لما روي عن
سهل في قصة العجلاني فمضت السنة في المتلاعنين ان يفرق بينهما ولان في قصة عويمر انهما لما فرغا قال كذبت عليها
يا رسول الله ان امسكتها فطلقها ثلاثا قبل ان يامرها ولو وقعت الفرقة باللعان لبطل قوله كذبت عليها ان امسكتها لان
امساكها غير ممكن ولان اللعان شهادة ولا يثبت حكمه الا عند الحاكم فوجب ان لا توجب الفرقة الا عند الحاكم كما لم يثبت الشهود
به الا بحكم الحاكم وقال مالك والليث اذا فرغا من اللعان وقعت الفرقة وان لم يفرق الحاكم بينهما لانهما لو تراضيا على البقاء
على النكاح لم يخليا بل فرق بينهما فدل على ان اللعان قد اوجب وقال الشافعي ان تم كل الزوج فقد زال فراش امراته ولا
تحل له ابدا لقوله تعالى ويدرؤ عنها العذاب الاية فدل هذا على انه لا تاثير للعان المراة الا في دفع العذاب عن نفسها
وان كل ما يجب باللعان من الاحكام فقد وقع بلعان الزوج ولان لعان الزوج مستقل بنفي الولد فيجب ان يكون
الاعتبار بقوله في الالحاق لا بقولها **فصل** في كيفية اللعان وهو مذكور في الاية وكونه صريحا فان العلما يقولون
الرجل حتى يشهد والمراة قاعدة وتقام المراة حتى تشهد والرجل قاعد ويامر الامام من يضع يده على فيه حتى ينتهي الى اللعنة
والغضب ويقول له اني اخاف ان لم تكن صادقا ويكون اللعان عند الحاكم فان كان بمكة كان بين المقام والركن وان كان
بالمدينة فعند المنبر وبيت المقدس في صخرته وفي المواضع المعظمة ولعان المشرك في الكنيسة واما في الزمان فيوم الجمعة بعد العصر
ولا بد من حضور جماعة واقلهم اربعة وهذا التغليظ قيل واجب وقيل مستحب **فصل** معنى الاية والذين يرمون
ازواجهم اي يقذفون نساءهم ولم يكن لهم شهداء يشهدون على صحة ما قالوا الا انفسهم في رفع انفسهم وجهان الاول انه
بدل من شهداء ولم يذكر الزمخشري في عصوره كلامه غيره الثاني انه نعت لهم على ان غير قال ابو البقاء ولو قري بالنصب جاز ان يكون
خبرا او منصوبا على الاستثناء واما كان الرفع هنا بمعنى قوي لان الا هنا صفة للنكرة كما ذكرنا في سورة الانبياء وعلى
قراءة الرفع يحتمل ان يكون كان ناقصا وخبرها الجار وان تكون تامة اي ولم يوجد لهم شهداء وقرا العامة يكن بالياء من تحت
وهو الفصيح لانه اذا اسند الفعل لما بعد الا على سبيل التفريغ او التفريع وجب عند بعضهم التذكير في الفعل نحو قام الا هند
ولا يجوز ما قامت الا في ضرورة كقوله • وما بقيت الا الضلوع الجراشع • او في شذوذ كقول الحسن لا ترى الا مساكنهم وقرا
ولم تكن بالتاء من فوق وقد عرف ما فيه **قوله تعالى** فشهادة احدهم في رفعها ثلاثة اوجه الاول ان يكون مبتدا وخبره مقدر التقدير
اي فعليهم شهادة اي موجب شهادة احدهم كافية وواجبة الثاني ان يكون خبر مبتدا مضمر اي فالواجب شهادة احدهم
الثالث ان يكون فاعلا بفعل مقدر اي فيكفي والمصدر هنا مضاف للفاعل وقرا العامة اربع شهادات بالنصب
على المصدر والعامل فيه شهادة فالناصب للمصدر مصدر مثله كما تقدم في قوله فان جهنم جزاؤكم جزاء موفورا
وقرا الاخوان وحفص برفع اربع على انها خبر المبتدا وهو قوله فشهادة ويتخرج على القولين تعلق الجار في قوله بالله
فعلى قراءة النصب يجوز فيه ثلاثة اوجه الاول ان يتعلق بشهادات لانه اقرب اليه والثاني انه متعلق بقوله فشهادة احدهم
بالله ولا يضر الفصل باربع لانها معمولة للمصدر فليست اجنبية الثالث ان المسالة من باب التنازع فان كلا من شهادة
وشهادات يطلبه من حيث المعنى وتكون المسالة من اعمال الثاني للحذف من الاول وهو اختيار البصريين وعلى قراءة الرفع
يتعين تعلقه بشهادات اذ لو علقت بشهادة لزم الفصل بين المصدر ومعموله بالخبر ولا يجوز لانه اجنبي ولا يختلف في
قوله تعالى والخامسة اربع الثانية وهي قوله ان تشهد اربع شهادات انها منصوبة للتصريح بالعامل فيها بالفعل
اتفق السبعة على رفع الخامسة الاولى واختلفوا في الثانية فنصبها حفص ونصبهما معا الحسن والسلمي وطلحة والاعمش
فالرفع على الابتداء وما بعده من ان وما في حيزها الخبر واما في الاولى فعلى قراءة من نصب تكون الثانية نعطفا على
ما قبلها من المنصوب وهو اربع شهادات والنصب هنا اقوى منه في الاولى لقوة النصب فيما قبلها لما تقدم تقديره
وكذا لم يختلف فيه ولما ان وما في حيزها فعلى قراءة الرفع يكون في محل رفع خبر للمبتدا كما تقدم وعلى قراءة النصب

يكون على اسقاط الخافض ويتعلق الخافض بذلك الناصب للخامسة اي وتشهد الخامسة بان لعنة الله عليه وقرا العامة
تشديد ان في الموضعين الا انه يقرا غضب الله بجعل غضب فعلا ماضيا والجلالة فاعلة كذا نقل ابو حيان عنه التخفيف
في الاولى ايضا ولم ينقله غيره فعلى قراءته يكون اسم ان ضمير الشان في الموضعين ولعنة الله مبتدا وعليه خبرها والجملة
خبران وفي الثانية غضب الله جملة فعلية في محل خبر ان ايضا ولكنه يقول يلزمكم احد امرين وهو اما عدم الفصل بين
المخففة والفعل الواقع خبرا واما وقوع الطلب خبرا في هذا الباب وهو ممتنع تقرير ذلك ان خبر المخففة متى كان
فعلا متصرفا غير مقرون فقد وجب الفصل بينهما بما تقدم في سورة المايدة وان اجيب بانه دعا اعترض بان الدعا طلب
وقد نصوا على ان الجمل الطلبية لا تقع خبرا لان حتى تاولوا قوله • انا الرياضة لا تنسبك للسبب • وقوله
ان الذين قتلتم امس سيدكم • لا تحسبوا ليلهم عن ليلكم ناما • على اضمار القول ومثل ان بورك من في النار وقرا الحسن
وابو رجا وقتادة والسلمي وعيسى بتخفيف ان وغضب الله بالرفع على الابتدا والجار بعده خبره والجملة خبر ان وقال ابن عطية
ان المخففة على قراءة الرفع في قوله ان غضب وقد وليها الفعل قال ابو علي واهل العربية يستقبحون ان يليها الفعل
الا ان يفصل بينها وبينه بشي نحو قوله تعالى علم ان سيكون افلا يرون او لا يرون ان لا يرجع فاما قوله وان ليس
للانسان فذلك لعلة تمكن ليس في الافعال واما قوله ان بورك من في النار فبورك في معنى المفعول ومعنى الدعا فلم يفصل
المعنى هذا ظاهر وظاهر هذا ان غضب ليس عامل خبر عن غضب الله عليها والظاهر انه دعا كما ان بورك كذلك وليس المعنى
على الاخبار فيها فاعتراض ابي علي وابي محمد ليس بمرضي **قوله تعالى** ولولا فضل الله جواب لولا محذوف اي لهلككم
ولعاجلكم بالعقوبة ولكنه ستر عليكم ورفع عنكم الحد باللعان وان الله تواب يعود على من يرجع عن المعاصي بالرحمة
حكيم على فيما فرض من الحدود **قوله تعالى** ان الذين جاوا بالافك عصبة منكم الاية في خبر ان وجهان الاول انه
عصبة ومنكم صفته قال ابو البقا وبه افاد الخبر الثاني ان الخبر الجملة من تحسبوه وتكون عصبة بدلا من فاعل جاوا قال ابن
عطية التقدير ان فعل الذين وهذا انسق في الاية في المعنى واكثر فايدة من ان تكون عصبة خبر ان كذا اورده عنه ابو حيان
فلم يعترض عليه والاعتراض عليه واضح من حيث انه اوقع خبر ان جملة طلبية وقد تقدم انه لا يجوز وان ورد منه شي في الشعر
اول كالبيتين المتقدمين وتقدير ابن عطية ذلك المضاف قبل الموصول يصح التركيب الكلامي اذ لو لم نقدر لكان التركيب
لا تحسبوهم ولا يعود الضمير في لا تحسبوه على ابن عطية التقدير ان فعل الذين وهذا انسق في الاية في المعنى واكثر فايدة
على الاول لئلا تخلو الجملة من رابط لانه ليس لها بالمبتدا وفي قول غيره يجوز ان يعود على الاول او على المقذوف او على المصدر
المفهوم من جاوا او على ما نال المسلمين من الغم **فصل** سبب نزول هذه الاية ما روى الزهري عن سعيد بن
المسيب وعروة بن الزبير وعلقمة بن ابي وقاص وعبد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود كلهم رووا عن عايشة رضي الله عنها
قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اراد سفرا اقرع بين نسايه فايتهن خرج سهمها خرج بها معه قالت فاقرع بيننا
في غزوة غزاها قبل بني المصطلق فخرج فيها سهمي فخرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد نزول اية الحجاب فحملت
في هودج فسرنا حتى اذا فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوته تلك وقفل دنونا من المدينة قافلين نزل منزلا ثم اذن
بالرحيل فقمت حين اذنوا ومشيت حتى جاوزت فلما قضيت شاني اقبلت الى رحلي فلمست صدري فاذا عقد لي من
جزع ظفار قد انقطع فرجعت والتمست عقدي فحبسني ابتغاوه واقبل الرهط الذي كانوا يرحلون بي فاحتملوا هودجي
فرحلوه على بعيري وهم يحسبون اني فيه لخفتي وكان النسا اذ ذاك خفافا لم يهبلن ولم يغشهن اللحم انما ياكلن العلقة
من الطعام فلم يستنكر القوم خفة الهودج حين رفعوه وحملوه وكنت جارية حديثة السن فبعثوا الجمل في الهودج وذهبوا
بالبعير ووجدت عقدي بعدما استمر الجيش فجيت منازلهم وليس بها منهم داع ولا مجيب فيممت منزلي الذي كنت فيه
فظننت انهم سيفقدوني ويعودون في طلبي فبينا انا جالسة في منزلي غلبتني عيني فنمت وكان صفوان بن المعطل
السلمي ثم الذكواني من وراء الجيش يتبع امتعة الناس يحمله الى المنزل الاخر لئلا يذهب شي فلما راني عرفني وكان قد
راني قبل الحجاب فاستيقظت باسترجاعه حين عرفني فخمرت وجهي بجلبابي والله ما تكلمنا بكلمة ولم اسمع منه كلمة
غير استرجاعه وهوى حتى اناخ راحلته فوطي على يديها فقمت اليها فركبتها وانطلق يقود بي الراحلة حتى اتينا
الجيش في نحر الظهيرة وهم نزول وافتقدني الناس حتى نزلوا وماج الناس فبينما الناس كذلك اذ هجم عليهم فتكلم القوم
وخاضوا في حديثي قالت فهلك من هلك وكان الذي تولى كبر الافك عبد الله بن ابي سلول قال عروة لم يسم من اهل الافك
الا حسان بن ثابت ومسطح بن اثاثة وحمنة بنت جحش في اناس اخرين لا علم لي بهم غير انهم عصبة كما قال الله عز وجل قال عروة
وكانت عايشة تكره ان يسب عندها حسان وتقول انه هو الذي قال • فان ابي ووالده وعرضي • لعرض محمد منكم وقا •
قالت عايشة وقدم رسول الله المدينة ولم ارمنه عليه السلام ما عهدته من اللطف الذي كنت اعرفه منه والناس

بروح القدس في شعره وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم امر بالذين رموا عايشة فجلدوا الحد جميعاً **فصل**
المراد من اضافة الكبر اليه انه كان مبتدياً بذلك القول فلا جرم حصل له من العقاب ما حصل لكل من قال ذلك لقوله
عليه السلام من سن سنة سيئة فله وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيمة وقال ابو مسلم سبب تلك الاضافة شدة
الرغبة في اشاعة تلك الفاحشة **قوله تعالى** لولا اذ سمعتموه لولا هذه تحضيضية اي هلا وذلك كثير في اللغة
اذا كانت تلي الفعل كقوله لولا اخرتني وقوله لو كانت فاما اذا ولي الاسم فليس كذلك كقوله تعالى لولا انتم لكنا مومنين
ولولا فضل الله عليكم واذ منصوب بظن والتقدير ولولا ظن المومنون بانفسهم اذ سمعتموه وفي هذا الكلام التفات
قال الزمخشري فان قلت هلا قيل لولا اذ سمعتموه ظننتم بانفسكم خيراً وقلتم ولم عدل عن الخطاب الى الغيبة وعن الضمير
الى الظاهر قلت ليبالغ في التوبيخ بطريقة الالتفات وليصرح بلفظ الايمان دلالة على ان الاشتراك فيه مقتضى ان
لا يصدق احد قاله في اخيه وان لا يظن بالمسلمين الا خيراً وقوله لم عدل عن الخطاب يعني في قوله وكانوا الا انه كان الاصل
وقلتم فعدل عن هذا الخطاب الى الغيبة فعدل عن ضمير الخطاب الى لفظ المومنين **فصل** المعنى هلا اذ سمعتموه
ظن المومنون والمومنات بانفسهم باخوانهم خيراً وقال الحسن باهل دينهم لان المومنين كنفس واحدة كقوله تعالى فلا
تقتلوا انفسكم فسلموا على انفسكم المعنى بامثالكم المومنين وقيل جعل المومنون كالنفس الواحدة فيما يجري عليها من الامور
فاذا جرى على احدهم مكروه فكانه جرى على جميعهم كما قال عليه السلام مثل المومنين في تواصلهم وتراحمهم كمثل الجسد
اذا وجع بعضه وجع كله بالسهر والحمى وقال عليه السلام المومنون كالبنيان يشد بعضه بعضاً وقوله تعالى هذا
افك مبين اي كذب بين لولا جاوا اي هلا جاوا عليه باربعة شهداء اي على ما زعموا يشهدون على معاينتهم بما رموها
به فاذ لم ياتوا بالشهداء ومن كذبهم فهو عند الله كاذب سواء اتى بالشهداء او لم يات ولم يقيموا بينة على ما قالوا
فاولئك عند الله اي في حكمه هم الكاذبون فان قيل كيف يصيرون عند الله كاذبين اذا لم ياتوا بالشهداء ومن كذبهم فهو عند الله
كاذب سواء اتى بالشهداء او لم يات فالجواب كذبوهم بامر الله وقيل هذا في حق عايشة خاصة فانهم كانوا عند الله
كاذبين وقيل المعنى في حكم الكاذبين فان الكاذب يجوز زجره عن الكذب والقاذف اذا لم يات بالشهود فانه يجب
زجره فلما اشبه الكاذب في الزجر اطلق عليه انه كاذب مجازاً **قوله تعالى** فاذ لم ياتوا بالشهداء اذ منصوب بالكاذبون
في قوله فاولئك عند الله هم الكاذبون وفي هذا الكلام قوة شرط وجزاء **قوله تعالى** ولولا فضل الله عليكم ورحمته
في الدنيا والاخرة لمسكم فيما افضتم فيه من الافك عذاب عظيم ولولا هنا لامتناع الشي لوجود غيره ويقال افاض
في الحديث واندفع وخاض والمعنى ولولا اني قضيت ان اتفضل عليكم في الدنيا بالنعم التي من جملتها الامهال والرحم
عليكم في الاخرة بالعفو لعاجلتكم بالعقاب على ما خضتم فيه من حديث الافك وقيل المعنى ولولا فضل الله عليكم لمسكم
العذاب في الدنيا والاخرة معاً فيكون فيه تقديم وتاخير هذا الفضل هو حكم الله لمن تاب وقال ابن عباس المراد بالعذاب
العظيم اي عذاب لا انقطاع له يعني في الاخرة لانه ذكر عذاب الدنيا من قبل فقال والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم
وقد اصابه فانه جلد وحد **قوله تعالى** اذ تلقونه اذ منصوب بمسكم او بافضتم وقرا العامة تلقونه والاصل تتلقونه
فحذفت احدى التاءين كتنزل ونحوه والمعنى يتلقاه بعضكم من بعض قال الكلبي وذلك ان الرجل منهم يلقى الرجل فيقول
بلغني كذا وكذا يتلقونه تلقياً قال الزجاج يلقيه بعضهم الى بعض والبزي على اصله من انه يشدد التاء وصلاً وتقدم تحقيقه
في البقرة نحو ولا تيمموا وهو هنا اشد لان ما قبله حرف لين بخلاف هنا وابو عمرو والكسائي وحمزة على اصولهم في
ادغام الذال في التاء وقرا ابي تتلقونه بتائين وتقدم انها الاصل وقرا ابن السميفع في رواية عنه تلقونه بضم التاء وسكون
اللام وضم القاف مضارع القى وقرا هو في رواية اخرى تلقونه بفتح التاء وسكون اللام وفتح القاف مضارع لقي وقرا
ابن عباس وعايشة وعيسى وابن يعمر وزيد بن علي بفتح التاء وكسر اللام وضم القاف من ولق الرجل اذا كذب قال ابن سيدة
جاوا بالمتعدي شاهداً على غير المتعدي وعندي انه اراد تلقون فيه فحذف الحرف ووصل الفعل للضمير يعني انهم جاوا
بتلقونه وهو متعد مفسراً بتكذبون وهو غير متعد ثم حمله على ما ذكر وقال الطبري وغيره ان هذه اللفظة ماخوذة
من الولق وهو الاسراع بالشي بعد الشي كعدد في اثر عدد وكلام في اثر كلام يقال ولق في سيره اي اسرع وانشد
جاءت به عيس من الشام تلق • وقال ابو البقا اي يسرعون فيه واصله من الولق وهو الجنون وقرا زيد بن اسلم وابو جعفر
تالقونه بفتح التاء وهمزة ساكنة ولام مكسورة وقاف مضمومة وهو من الالق وهو الكذب قاله ابو البقا وقوله تعالى
بافواهكم كقوله يقولون بافواههم وقد تقدم **فصل** اعلم ان الله تعالى وصفهم بارتكاب ثلاثة اثام
وعلق مس العذاب العظيم بها اولها تلقي الافك بالسنتهم وذلك ان الرجل كان يلقى الرجل فيقول له ما وراءك فيحدثه
بحديث الافك حتى شاع واشتهر ولم يبق بيت ولا نادي الا طار فيه فكانهم سعوا في اشاعة الفاحشة وهو من العظايم

وثانيها انهم كانوا يتكلمون بما لا علم لهم به وذلك يدل انه لا يجوز الاخبار الا مع العلم ونظيره ولا تقف ما ليس لك به علم
وثالثها انهم كانوا يستصغرون ذلك وهو عظيمة من العظايم وتدل الاية على ان القذف من الكباير لقوله وهو عند الله
عظيم ويدل على ان الواجب على المكلف في كل محرم ان يستعظم الاقدام عليه ونبه بقوله وتحسبونه هيناً على ان
عمل المعصية لا يختلف بظن فاعله وحسبانه بل ربما كان ذلك موكداً لعظمه فان قيل ما معنى قوله بافواهكم والقول
لا يكون الا بالفم فالجواب معناه ان الشي المعلوم يكون علمه في القلب فيترجم عليه باللسان وهذا الافك ليس الا قولاً
يجري على السنتكم من حيث ان القلب اي من غير ان يحصل في القلب علم به كقوله يقولون بافواههم ما ليس في قلوبهم **قوله تعالى**
ولولا اذ سمعتموه قلتم كقوله ولولا اذ سمعتموه ظن ولكن لا التفات فيه قال الزمخشري فان قلت كيف جاز الفصل بين لولا
وقلتم بالظرف قلت للظروف شان ليس لغيرها لانها لا تنفك عنها ما يقع فيها فلذلك اتسع فيها قال ابو حيان وهذا
يوهم اختصاص ذلك بالظروف وهو جار في المفعول به تقول لولا زيداً ضربت ولولا عمراً قتلت وقال الزمخشري ايضاً
فان قلت اي فايدة في تقديم الظرف حتى اوقع فاصلاً قلت الفايدة فيه بيان انه كان الواجب عليهم ان يتحرزوا اول ما سمعوا
بالافك عن التكلم به فلما كان ذكر الوقت اهم وجب تقديمه فان قيل ما معنى يكون والكلام بدونه سلس لو قيل ما لنا
ان نتكلم بهذا سبحانك هذا الكلام وما نتكلم بهذا فالجواب معناه ينبغي ويصح اي ما ينبغي وما يصح كقوله
ما يكون لي ان اقول **فصل** قوله لولا اذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا ان نتكلم بهذا سبحانك هذا اللفظ هنا معناه
التعجب هذا بهتان عظيم اي كذب عظيم يبهت ويتحير من عظمته روي ان ام ايوب قالت لابي ايوب الانصاري اما بلغك ما
يقول الناس في عايشة وقال ابو ايوب سبحانك هذا بهتان فنزلت الاية على وفق قوله **قوله تعالى** يعظكم الله ان
تعودوا الاية وهذا من باب الزواجر اي يعظكم الله بهذه المواعظ التي بها تعرفون عظم هذا الذنب وان فيه الحد والنكال
في الدنيا والعذاب في الاخرة لكي لا تعودوا الى مثل هذا الفعل ابداً **قوله تعالى** ان تعودوا فيه اوجه احدها انه
مفعول من اجله اي يعظكم كراهة ان تعودوا والثاني انه على حذف في ان تعودوا نحو وعظت فلاناً في كذا فتركه
والثالث انه ضمن معنى فعل يتعدى بعن ثم حذفت اي يزجركم بالوعظ عن العود وعلى هذين القولين يجري القولان في محل
ان بعد نزع الخافض قال ابن عباس يحرم الله عليكم وقال مجاهد ينهاكم الله ان تعودوا لمثله ابداً ان كنتم مومنين ويبين
الله لكم الايات في الامر والنهي والله عليم بامر عايشة وصفوان حكيم ببراءتهما واعلم ان الحكيم العليم هو الذي لا يامر الا
بما ينبغي ولا يهمل جزاء المستحقين فلهذا ذكرهاتين الصفتين وخصهما بالذكر فان قيل استدلت المعتزلة بقوله
ان كنتم مومنين على ان ترك القذف من الايمان لان المعلق على الشرط عدم عند عدم الشرط فالجواب ان هذا معارض
بقوله ان الذين جاوا بالافك عصبة منكم اي منكم ايها المومنون فدل ذلك على ان القذف لا يوجب الخروج من الايمان واذا
ثبت التعارض حملنا هذه الاية على التهييج في الاتعاظ والانزجار **فصل** قالت المعتزلة دلت هذه الاية على انه
تعالى اراد من جميع من وعظه مجانبة مثل ذلك في المستقبل وان كان فيهم من لا يطيع فمن هذا الوجه يدل على انه تعالى يريد
منهم كلهم الطاعة وان عصوا فلان قوله يعظكم الله ان تعودوا اي لكي لا تعودوا لمثله وذلك يدل على الارادة وتقدم الجواب
عنه مراراً فان قيل هل يجوز ان يسمى الله واعظاً لقوله تعالى يعظكم الله فالاظهر انه لا يجوز كما لا يجوز ان يسمى معلماً لقوله تعالى
الرحمن علم القران **قوله تعالى** ان الذين يحبون ان تشيع الفاحشة الاية لما بين ما على اهل الافك وعلى من سمع منه وما ينبغي
ان يتمسكوا به من اداب الدين اتبعه بقوله ان الذين يحبون ان تشيع الفاحشة ليعلم ان من احب ذلك فقد شارك في هذا الذم كما شارك
فيه من فعله والاشاعة الانتشار يقال في هذا العقار سهم شايع اذا كان في الجميع ولم يكن منفصلاً وشاع الحديث اذا ظهر
في العامة والمعنى ان الذين يحبون ان يظهر ويشيع الزنا في الذين امنوا لهم عذاب اليم في الدنيا والاخرة يعني عبد الله بن ابي
واصحابه المنافقين والعذاب في الدنيا الحد وفي الاخرة النار وظاهر الاية يتناول كل من كان بهذه الصفة والاية انما
نزلت في قذف عايشة رضي الله عنها الا ان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ثم قال والله يعلم وانتم لا تعلمون
وهذا حسن الموقع في هذا الموضع لان محبة القلب كامنة ونحن لا نعلمها الا بالامارة واما الله سبحانه فانه لا يخفى عليه
وهذا نهاية في الزجر لان من احب اشاعة الفاحشة وان بالغ في اخفاء تلك المحبة فالله يعلم ان ذلك منه ويعلم قدر
الجزاء عليه وهذه الاية تدل على ان العزم على الذنب العظيم ذنب وان ارادة الفسق فسق لانه تعالى علق الوعيد بمحبة
اشاعة الفاحشة فان قيل قالت المعتزلة ان الله بالغ في ذم من احب اشاعة الفاحشة فلو كان تعالى هو الخالق لافعال
العباد لما كان مشيع الفاحشة الا هو وكان يجب ان لا يستحق الذم على اشاعة الفاحشة الا هو لانه هو الذي فعل تلك
الفاحشة الاشاعة وغيره لم يفعل شيئاً فالجواب تقدم الكلام على نظيره **قوله تعالى** ولولا فضل الله
عليكم ورحمته وان الله رءوف رحيم جوابه محذوف اي لعاجلكم بالعقوبة قال ابن عباس يريد مسطحاً وحسان وحمنة

ويجوز ان يكون الخطاب عاما وقيل جوابه في قوله ما زكى منكم من احد وقيل جوابه لكانت الفاحشة تشيع فتعظم
المضرة وهو قول ابي مسلم والاقرب ان جوابه محذوف لان قوله من بعد ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم
كالمنفصل من الاول ولا يكون جوابا للاول خصوصا وقد وقع بين الكلامين كلام آخر **قوله تعالى** يا ايها الذين امنوا
لا تتبعوا خطوات الاية قرئ خطوات بضم الطاء وسكونها والخطوات جمع خطوة وهو من خطا الرجل يخطو خطوا
فاذا اردت الواحدة قلت خطوة مفتوحة الاول والمراد بذلك السيرة والمراد لا تتبعوا آثار الشيطان ولا تسلكوا
مسالكه في اتباع الفاحشة والله تعالى وان خص بذلك المؤمنين فهو نهي لكل المكلفين لان قوله تعالى ومن يتبع
خطوات الشيطان فانه يامر بالفحشاء منع لكل المكلفين من ذلك والفحشاء ما افرط قبحه والمنكر ما تنكره النفوس
فتنفر عنه ولا ترتضيه **قوله تعالى** فانه يامر في هذه الهاء ثلاثة اوجه الاول انه ضمير الشان وبه بدا ابو البقاء والثاني
انها ضمير الشيطان وهذان الوجهان انما يجوزان على راي من لا يشترط عود ضمير على اسم الشرط من جملة الجزاء والثالث
انه عائد على من الشرطية **قوله تعالى** ما زكى العامة على تخفيف الكاف يقال زكى يزكو في الفعل لازما له وعدمها وقرا
الاعمش وابن محيصن وابو جعفر بتشديدها وكتبت الفا وهو شاذ لانه من ذوات الواو كغزا يغزو وانما حمل على لغة
من امال او على كتابة المشدد فعلى قراءة التخفيف يكون من احد فاعلا وعلى قراءة التشديد يكون مفعولا ومن مزيدة
على كلا التقديرين والفاعل هو الله تعالى **فصل** قال مقاتل ما زكى ما صلح وقال ابن قتيبة ما طهر وقيل
من بلغ في الطاعة مبلغ الرضى يقال زكا الزرع فاذا بلغ المؤمن في الصلاح في الدين ما يرضاه يقال قد زكا
فلا يقال زكى الا اذا وجد زكيا كما لا يقال لمن ترك الهدى هداه الله مطلقا بل يقال هداه الله فلم يهتد ودلت
الاية على انه تعالى هو الخالق لافعال العباد لان التزكية كالتسويد والتحمير فكما ان التسويد يحصل السواد فكذا التزكية
تحصل الزكا في المحل والمعتزلة حملوه هنا على فعل الالطاف او على الحكم بكون العبد زكيا وهو خلاف الظاهر لان الله
تعالى قال ولكن الله يزكي من يشاء علق التزكية على الفضل والرحمة وخلق الالطاف واجبا فلا يكون متعلقا بالفضل
والرحمة واما الحكم بكونه زكيا فذلك واجب لانه لو لم يحكم به لكان كذبا والكذب على الله محال فكيف يجوز تعليقه بالمشيئة
فصل قال ابن عباس في رواية عطاء هذا خطاب للذين خاضوا في الافك ومعناه ما طهر من هذا الذنب
ولا يصلح امره بعد الذي فعل اي ما قبل منكم توبة احد منكم ابدا ولكن الله يزكي يطهر من يشاء بالرحمة والمغفرة والله سميع
عليم اي يسمع اقوالكم في القذف واقوالكم في البراءة وعليم بما في قلوبكم من محبة اشاعة الفاحشة او من كراهتها واذا كان
كذلك وجب الاحتراز عن معصيته **قوله تعالى** ولا يأتل اولوا الفضل منكم الاية يجوز ان يكون يأتل يفتعل من الالية
وهي الحلف كقوله • وآلت حلفة لم تحلل • ونصر الزمخشري هذا بقراءة الحسن ولا يتال من الالية كقوله •
من قال على الله يكذبه • ويجوز ان يكون يفتعل من الوت اي قصرت كقوله تعالى لا يالونكم خبالا قال الشاعر

• وما المرء ما دامت حشاشة نفسه • بمدرك اطراف الخطوب ولا آل •

وقال ابو البقاء ولا ياتل يفتعل وقرئ يتال وهو من الالية ايضا ومنه • تالى ابن اوس حلفة ليردني
الى نسوة كانهن معايد • **قوله تعالى** ان يوتوا هو على اسقاط الجار على القول الاول ولا يأتل اولوا
الفضل على ان لا يحسنوا وعلى الثاني ولا يقصر اولوا الفضل في ان يحسنوا وقرا ابو حيوة وابو البرهسم وابن قطيب
ان توتوا بالخطاب وهو التفات موافق لقوله الا تحبون وقرا الحسن وسفيان بن الحسين ولتعفوا ولتصفحوا بالخطاب
وهو موافق لما بعده **فصل** المشهور ان معنى الاية لا يحلف اولوا الفضل فيكون افتعالا من الالية قال ابو مسلم
وهذا ضعيف لوجهين احدهما ان ظاهر الاية على هذا التاويل يقتضي المنع من الحلف على الاعطا وهم ارادوا المنع من ذلك
الاعطا وهذا المتاول هنا قد اقام النفي مقام الايجاب وجعل المنهي عنه مامورا به الثاني انه قل ما يوجد في الكلام
افتعلت مكان افعلت وانما يوجد مكان تفعلت وهنا اليت من الالية افعلت فلا يقال افتعلت من ازمت التزمت
ومن اعطيت اعتطيت ثم قال في يأتل ان اصله يأتلي ذهبت الياء للجزم لانه نهي وهو من قولك ما الوت فلانا نصحا ولم آل
في امري جهدا اي لم اقصر ولم آل والمراد لا يقصروا في ان يحسنوا اليهم ويوجد كثيرا افتعلت مكان افعلت يقال كسبت
واكتسبت وصنعت واصطنعت وهذا التاويل مروي عن ابي عبيدة قال ابن الخطيب وهذا هو الصحيح دون الاول واجاب
الزجاج عن الاول بان لا يحذف في اليمين كثيرا قال الله تعالى ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم ان تبروا وقال امرؤ القيس
فقلت يمين الله ابرح قاعدا • اي لا ابرح واجابوا عن السوال الثاني ان جميع المفسرين كانوا قبل ابي مسلم فسروا اللفظ باليمين
وقول واحد منهم حجة في اللغة فكيف الكل ويعضده قراءة الحسن ولا يتال **فصل** قال المفسرون معناه
ولا يحلف اولوا الفضل منكم والسعة يعني اولوا الغنى يعني ابا بكر الصديق ان يؤتوا اولي القربى والمساكين والمهاجرين

في سبيل الله

في سبيل الله يعني مسطحا وكان مسكينا مهاجرا بدريا ابن خالة ابي بكر حلف ابو بكر رضي الله عنه لا ينفق عليه
وليعفوا وليصفحوا عنهم خوضهم في امر عائشة الا تحبون يخاطب ابا بكر ان يغفر الله لكم والله غفور رحيم فلما قراها
رسول الله صلى الله عليه وسلم على ابي بكر قال بلى اني احب ان يغفر الله لي ورجع الى مسطح نفقته التي كان ينفق عليه وقال والله
لا انزعها منه ابدا وقال ابن عباس والضحاك اقسم ناس من الصحابة فيهم ابو بكر ان لا يتصدقوا على رجل تكلم بشيء من الافك
ولا ينفعوهم فانزل الله هذه الاية **فصل** اجمع المفسرون على ان المراد من قوله اولوا الفضل ابو بكر وهذا يدل
على انه كان افضل الناس بعد الرسول لان الفضل المذكور في الاية اما في الدنيا واما في الدين والاول باطل لانه تعالى ذكره
في معرض المدح والمدح من الله بالدنيا غير جائز ولانه لو جاز ذلك لكان قوله والسعة تكريرا فتعين ان يكون المراد منه الفضل
في الدين فلو كان غيره مساويا له في الدرجة في الدين لم يكن هو صاحب الفضل لان المساوي لا يكون فاضلا فلما اثبت الله
له الفضل غير مقيد بشخص دون شخص وجب ان يكون افضل الخلق ترك العمل به في حق الرسول عليه السلام فيبقى معمولا به
في حق الغير واجمعت الامة على ان الافضل اما ابو بكر واما علي فاذا ثبت انه ليس المراد عليا تعين ان الاية في ابي بكر وانما قلنا ليس المراد
عليا لان ما قبل الاية وما بعدها يتعلق بابنة ابي بكر ولانه تعالى وصفه بانه من اولي السعة والسعة وان عليا رضي الله عنه
لم يكن من اولي السعة في الدنيا في ذلك الوقت فثبت ان المراد منه ابو بكر قطعا فان **قيل** اجمعوا على ان مسطحا كان من
البدريين وصح منه عليه السلام انه قال ان الله نظر الى اهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم فكيف صدرت الكبيرة منه
بعد ان كان بدريا **فالجواب** انه لا يجوز ان يكون المراد منه افعلوا ما شئتم من المعاصي فيامر بها لانا نعلم بالضرورة ان
التكليف كان باقيا عليهم ولو حملناه على ذلك لافضى الى زوال التكليف عنهم ولو كان كذلك لما جاز ان يحد مسطح على ما
فعل فوجب حمله على احد امرين الاول انه تعالى علم توبة اهل بدر فقال افعلوا ما شئتم من النوافل من قليل او كثير فقد غفرت
لكم لعلمي انكم تموتون على التوبة والانابة فذكر حالهم في الوقت واراد العاقبة فان **قيل** دلت الاية على ان الايمان على
الامتناع عن الخير غير جائز وانما يجوز اذا حصلت داعية صارفة عنه **فالجواب** مذهب الجمهور ان من حلف على يمين فراى
غيرها خيرا منها انه ينبغي ان ياتي الذي هو خير ثم يكفر عن يمينه وقال بعضهم انه ياتي الذي هو خير وذلك كفارته
لان الله تعالى امر ابا بكر بالحنث ولم يوجب عليه كفارة وكقوله عليه السلام من حلف على يمين فراى غيرها خيرا منها
فليات الذي هو خير وذلك كفارته واحتج الجمهور بقوله تعالى ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الايمان فكفارته وقوله ذلك
كفارة ايمانكم اذا حلفتم وقوله لايوب عليه السلام وخذ بيدك ضغثا فاضرب به ولا تحنث وقد علمنا ان الحنث كان خيرا
من تركه ولو كان الحنث فيها كفارتها لما امر بها بل كان يحنث بلا كفارة وقال عليه السلام من حلف على يمين فراى غيرها
خيرا منها فليات الذي هو خير وليكفر عن يمينه واما قولهم ان الله تعالى لم يذكر الكفارة في قصة ابي بكر فان حكمها كان معلوما
عندهم واما قوله عليه السلام وليات الذي هو خير منها وذلك كفارته فمعناه تكفير الذنب لا انها الكفارة المذكورة في
الكتاب **فصل** روي عن عائشة انها قالت فضلت ازواج النبي بعشر خصال تزوج رسول الله بي بكرا دون
غيري وابواي مهاجران وجاء جبريل بصورتي وامره ان يتزوج بي وكنت اغتسل معه في اناء وجبريل عليه وانا معه
في لحاف وتزوج بي في شوال وبنى بي في ذلك الشهر وقبض بين سحري ونحري وانزل الله عذري من السماء ودفن في بيتي
وكل ذلك لم يساوني فيه غيري **فصل** قال بعضهم لقد برا الله اربعة باربعة برا يوسف وشهد شاهد من اهلها
وبرا موسى من قول اليهود بالحجر الذي ذهب بثوبه وبرا مريم بانطاق ولدها وبرا عائشة بهذه الايات في كتابه المتلو
على وجه الدهر **قوله تعالى** ان الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات عن الفواحش والغافلة
عن الفاحشة اي لا يقع في مثلها وكانت عائشة كذلك فقال بعضهم الصيغة عامة فيدخل فيه قذف عائشة وغيرها
وقيل المراد قذف عائشة قالت عائشة رميت وانا غافلة فانما بلغني بعد ذلك فبينما رسول الله صلى الله عليه وسلم
عندي اذ اوحي اليه قال ابشري وقرا ان الذين يرمون المحصنات الغافلات وقيل المراد جملة ازواج رسول
الله وانهن لشرفهن خصصن بان من قذفهن فهذا الوعيد لاحق به واحتج هؤلاء بامور الاول ان قاذف المحصنات
تقبل توبته لقوله اول السورة والذين يرمون المحصنات الى قوله الا الذين تابوا واما القاذف في هذه الاية
فانه لا تقبل توبته لقوله تعالى لعنوا في الدنيا والاخرة ولم يذكر استثناء وايضا فهذه صفة المنافقين في قوله ملعونين
اينما ثقفوا الثاني ان قاذف سائر المحصنات لا يكفر والقاذف في هذه الاية كافر لقوله يوم تشهد عليهم السنتهم
وايديهم وذلك صفة الكفار والمنافقين لقوله ويوم يحشر اعداء الله الى النار الايات الثالث انه قال ولهم عذاب
عظيم والعذاب العظيم هو عذاب الكفر فدل على ان عذاب هذا القاذف عقاب الكفر وعقاب قاذف سائر المحصنات
لا يكون عقاب الكفر وروي عن ابن عباس كان بالبصرة يوم عرفة وكان يسال عن تفسير القرآن فسئل عن تفسير

هذه الآية فقال من اذنب ذنبا ثم تاب قبلت توبته الا من خاض في امر عائشة واجاب الاولون بان الوعيد
المذكور في هذه الآية لا بد وان يكون مشروطا بعدم التوبة لان الذنب سواء كان كفرا او فسقا فاذا تاب عنه
صار مغفورا وقيل هذه الآية نزلت في مشركي مكة حين كان بينهم وبين رسول الله عهد وكانت المرأة اذا خرجت
الى المدينة مهاجرة قذفها المشركون من اهل مكة حين كان بينهم وبين رسول الله عهد وقالوا انها خرجت لتفجر فنزلت
فيهم قوله تعالى يوم تشهد ناصبه الاستقرار الذي تعلق به لهم وقيل ناصبه عذاب ورد بانه مصدر موصوف واجيب
بان الظرف يتسع فيه ما لا يتسع في غيره وقرأ الاخوان يشهد بالياء من تحت لان التأنيث مجازي وقد وقع الفصل والباقون
بالتاء مراعاة التأنيث اللفظ قوله تعالى يومئذ التنوين في اذ عوض من الجملة تقديره يوم تشهد وقد تقدم
خلاف الاخفش فيه وقرأ زيد بن علي يوفيهم مخففا من اوفى وقرأ العامة بنصب الحق نعتا للدين وابو حيوة وابو روق
ومجاهد وهي قراءة ابن مسعود برفعه نعتا لله تعالى قوله تعالى يوم تشهد عليهم ألسنتهم قال المفسرون هذا قبل
ان يختم على ايديهم وافواههم وارجلهم فصل روي انه يختم على الافواه فتكلم الايدي والارجل بما عملت
في الدنيا وقيل تشهد ألسنة بعضهم على البعض وايديهم وارجلهم بما كانوا يعملون فيومئذ يوفيهم الله دينهم الحق
جزاؤهم الواجب وقيل حسابهم العدل ويعلمون ان الله هو الحق المبين يبين لهم ما كان يعدهم في الدنيا
اي يبين لهم حقيقة ما كان يعدهم في الدنيا وانما سمي الله بالحق لان عبادته هي الحق دون عبادة غيره وقيل
سمي بالحق ومعناه الموجود لان نقيضه الباطل وهو المعدوم ومعنى المبين المظهر قوله تعالى الخبيثات
للخبيثين الآية قال اكثر المفسرين الخبيثات من القول والكلام للخبيثين من الناس والخبيثون من الناس للخبيثات
من القول والطيبات من القول للطيبين من الناس والطيبون من الناس للطيبات من القول والمعنى الخبيث من
القول لا يليق الا بالخبيث من الناس والطيب لا يليق الا بالطيب فعائشة رضي الله عنها لا يليق بها الخبيثات من
القول لانها طيبة فيضاف اليها طيبات الكلام من الثناء الحسن وما يليق بها وقال الزجاج معناه لا يتكلم بالخبيثات
الا الخبيث من الرجال والنساء ولا يتكلم بالطيبات الا الطيب من الرجال والنساء وهذا ذم للذين قذفوا عائشة ومدح
للذين برأوها بالطيبات احق بالطهارة قال ابن زيد معناه الخبيثات من النساء للخبيثين من الرجال والخبيثون من
الرجال للخبيثات من النساء امثال عبد الله بن ابي والشاكين في الدين والطيبات من النساء للطيبين من الرجال والطيبون
من الرجال للطيبات من النساء يريد عائشة طيبها الله لرسوله الطيب صلى الله عليه وسلم اولئك مبرؤون يعني عائشة
وصفوان ذكرهما بلفظ الجمع كقوله فان كان له اخوة اي اخوان وقال اولئك مبرؤون يعني الطيبين والطيبات
من النساء منزهون مما يقولون وقيل الرمي تعلق بالنبي صلى الله عليه وسلم وبعائشة وصفوان فبرأ الله كل واحد
منهم وقيل المراد كل ازواج الرسول برأهن الله تعالى من هذا الافك ثم قال لهم مغفرة يعني براءة من الله وقيل
العفو عن الذنوب والرزق الكريم الجنة قوله تعالى لهم مغفرة يجوز ان تكون جملة مستأنفة وان تكون في
محل رفع خبرا ثانيا ويجوز ان يكون لهم خبرا اولئك ومغفرة فاعله قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا لا تدخلوا
بيوتا غير بيوتكم الآية لما ذكر حكم الرمي والقذف لان اهل الافك انما توصلوا الى بهتانهم بوجود الخلوة فصار
كانه طريق التهمة فاوجب الله تعالى ان لا يدخل المرء بيت غيره الا بعد الاستئذان والسلام لان الدخول على
غير هذا الوجه يوقع التهمة وفي ذلك من المضرة ما لا خفاء به قوله تعالى تستأنسوا يجوز ان يكون من الاستيناس
لان الطارق يستوحش من انه هل يؤذن له او لا فيزال استيحاشه وهو رديف الاستئذان فوضع موضعه
وقيل من الايناس وهو الابصار اي حتى تستكشفوا الحال وفسره ابن عباس حتى تستأذنوا وليست قراءة وما
ينقل عنه انه قال تستأنسوا خطأ من الكاتب انما هو تستأذنوا فشيء مفترى عليه ووصفه بعضهم وضعفه
بان هذا يقتضي الطعن في القرآن الذي نقل في التواتر ويقتضي صحة القرآن الذي لم ينقل بالتواتر وفتح
هذين الشيئين يطرق الشك الى كل القرآن فانه باطل وروي عن الحسن البصري انه قال ان في الكلام تقديما وتأخيرا
والمعنى حتى تسلموا على اهلها وتستأنسوا وهذا ايضا خلاف الظاهر واعلم ان هذا وفي قراءة عبد الله حتى تسلموا وتستأذنوا
وهو ايضا خلاف الظاهر واعلم ان هذا ايضا يظهر مما تقدم في الرعد اولم ييأس الذين آمنوا وتقدم القول
فيه والاستيناس الاستعلام قال كان رجل قال الشاعر • فقد كان رجل وقد زال النهار بنا •
يوم الجليل على مستأنس وجد • وقيل هو من الانس بكسر الهمزة اي يتعرف هل فيها انسي ام لا وحكى الطبري
انه بمعنى وتؤنسوا انفسكم قال ابن عطية وتصريف الفعل يأبى ان يكون من انس فصل قال الخليل
الاستيناس والاستكشاف من انس الشيء اذا ابصره كقوله تعالى اني آنست نارا اي ابصرت وقيل هو ان يتكلم بتسبيحة

انكير

انكيرا او يتنحنح يؤذن اهل البيت ومحل حكم الآية انه لا يدخل بيت الغير الا بعد السلام والاستئذان واختلفوا
هل يقدم الاستئذان او السلام فقيل يقدم الاستئذان فيقول ادخل سلام عليكم لقوله حتى تستأنسوا اي تستأذنوا
وتسلموا على اهلها والاكثرون على انه يقدم السلام فيقول سلام عليكم ادخل وروي ابن عمر ان رجلا استأذن عليه
فقال ادخل فقال ابن عمر لا فامر بعضهم الرجل ان يسلم فسلم فاذن له وقيل ان وقع بصره على انسان قدم السلام والا قدم
الاستئذان ثم سلم والحكمة في ايجاب تقديم السلام ان يهجم على ما لا يحل له ان ينظر اليه من عورة او ما لا يحب القوم ان
يعرف من الاحوال فصل عدد الاستئذان ثلاثا لما روى ابو هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
الاستئذان ثلاثا الاولى يستنصتون والثانية يستصلحون والثالثة يستأذنون او يردون وعن ابي سعيد الخدري
قال كنت جالسا في مجلس الانصار فجاء ابو موسى فزعا فقلنا له ما افزعك فقال امرني عمر ان آتيه فاتيته فاستأذنت
ثلاثا فلم يؤذن لي فرجعت فقال ما منعك ان تأتيني فقلت قد جئت فاستأذنت ثلاثا فلم يؤذن لي وقد قال عليه
السلام اذا استأذن احدكم ثلاثا فلم يؤذن فليرجع فقال لتأتيني على هذا بالبينة او لاعاقبنك فقال ابو سعيد
لا يقوم معك الا اصغر القوم قال فقام ابو سعيد فشهد له وفي بعض الروايات ان عمر قال لابي موسى لم اتهمك ولكن
خشيت ان يتقول الناس على رسول الله وعن قتادة الاستئذان ثلاثة الاول ليسمع الحي والثاني ليتهيأوا والثالث
ان شاء اذن وان شاء رد وهذا من محاسن الآداب لانه في اول مرة ربما منعهم بعض الاشتغال من الاذن وفي الثانية ربما
كان هناك ما يمنع فاذا لم يجب في الثالثة يستدل بعدم الاذن على مانع ويجب ان يكون بين كل واحدة والاخرى
وقت فاما قرع الباب بعنف والصياح بصاحب الدار فذلك حرام لانه ايذاء وكذا قصة بني اسد وما نزل فيها في قوله
ان الذين ينادونك من وراء الحجرات اكثرهم لا يعقلون فصل في كيفية الوقوف على الباب وروي ابو
سعيد قال استأذن رجل على رسول الله وهو مستقبل الباب فقال عليه السلام لا تستأذن وانت مستقبل الباب
وروي انه عليه السلام كان اذا اتى باب قوم لم يستقبل الباب من تلقاء وجهه ولكن من ركنه الايمن او الايسر فيقول السلام
عليكم وذلك ان الدور لم يكن عليها يومئذ ستور فان قيل كلمة حتى للغاية والحكم بعد الغاية يكون بخلاف ما قبلها
فقوله لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا يقتضي جواز الدخول بعد الاستئذان وان لم يكن من صاحب البيت اذن
فالجواب ان الله تعالى جعل الغاية الاستيناس ولا يحصل الا بعد الاذن وايضا فانا علمنا بالنص ان الحكمة في الاستئذان
ان لا يدخل الانسان على غيره بغير اذنه فان ذلك مما يسوءه وهذا المقصود انما يحصل اي لا يحصل الا بعد الاذن
وايضا فقوله فان لم تجدوا فيها احدا فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم فمنع الدخول الا مع الاذن فدل على ان الاذن
شرط في اباحة الدخول في الآية الاولى واذا ثبت هذا فنقول لا بد من الاذن او ما يقوم مقامه لقوله عليه السلام
اذا دعي احدكم فجاء مع الرسول فان ذلك له اذن وقال بعضهم ان من جرت العادة له باباحة الدخول فهو غير محتاج
الى الاستئذان واعلم ان ظاهر الآية يقتضي قبول الاذن مطلقا سواء كان الاذن صبيا او امرأة او عبدا او ذميا
فانه لا يعتبر في هذا الاذن عدالة الشهادة ولذلك قبول اخبار هؤلاء في الهدايا ونحوها ويستأذن على المحارم
لما روي ان رجلا سأل النبي صلى الله عليه وسلم فقال استأذن على اختي فقال ان لم تستأذن عليها رأيت ما يسوؤك
ولعموم قوله تعالى واذا بلغ الاطفال منكم الحلم فليستأذنوا الا ان ترك الاستئذان على المحارم وان كان غير جائز ليس لجواز
النظر الى شعرها وساقها ونحوه فصل اذا اطلع انسان في دار انسان بغير اذنه ففقأ عينه فهي هدر لقوله عليه السلام
من اطلع في دار قوم بغير اذنهم ففقؤوا عينه فقد هدرت عينه وقال ابو بكر الرازي هذا الخبر ورد على خلاف قياس الاصول
فانه لا خلاف انه لو دخل داره بغير اذنه ففقأ عينه كان ضامنا وكان عليه القصاص ان كان عامدا والارش ان كان مخطئا
والداخل قد اطلع وزاد على الاطلاع فظاهر الحديث مخالف لما حصل عليه الاتفاق فان صح فمعناه من اطلع في دار قوم
ونظر الى حرمهم فمنع فلم يمتنع فذهبت عينه في الممانعة فهي هدر فاما اذا لم يكن الا النظر ولم تقع فيه ممانعة ولا نهي
ثم جاء انسان ففقأ عينه فهذا الجاني يلزمه حكم جنايته بظاهر قوله تعالى العين بالعين الى قوله والجروح قصاص واجيب
بان التمسك بقوله العين بالعين ضعيف لانا اجمعنا على ان هذا النص مشروط بما اذا لم تكن العين مستحقة لانه لزم القصاص
فلم قلتم ان من اطلع في دار انسان لم تكن عينه مستحقة واما قوله انه لو دخل لم يجز فقء عينه فكذا اذا نظر فالفرق بينهما انه اذا دخل
علم القوم بدخوله عليهم فاحترزوا منه وتستروا فاما اذا نظر فقد لا يكون كذلك فيطلع منهم على ما لا يجوز الاطلاع عليه
فلا يبعد في حكم الشرع ان يبالغ في الزجر عن هذه المفسدة وايضا فرد حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذا القدر من الكلام
غير جائز فصل اذا عرض امر في دار من حريق او هجوم سارق او ظهور منكر فهل يجب الاستئذان فقيل كل ذلك
مستثنى بالدليل واما السلام فهو من سنة المسلمين التي امروا بها وهي تحية اهل الجنة ومجلبة للمودة ونافية للحقد

والضحايا قال عليه السلام لما خلق الله آدم ونفخ فيه الروح عطس فقال الحمد لله فحمد الله باذن الله فقال له الله
يرحمك ربك يا آدم اذهب الى هؤلاء الملائكة وملأ منهم جلوس فقل السلام عليكم فلما فعل ذلك رجع الى ربه
فقال هذه تحيتك وتحية ذريتك وعن علي بن ابي طالب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حق المسلم على المسلم
يسلم عليه اذا لقيه ويجيبه اذا دعاه وينصح له بالغيب ويشمته اذا عطس ويعوده اذا مرض ويشهد جنازته اذا مات
وعن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان سركم ان يسل الغل من صدوركم فافشوا السلام منكم **قوله تعالى**
ذلكم خير لكم اي ان فعل ذلك خير لكم واولى بكم من الهجوم بغير اذن لعلكم تذكرون اي تتعظوا وهذا التاديب فتمسكوا به
فان لم تجدوا فيها اي فان لم تجدوا في البيوت احدا ياذن لكم في دخولها فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم لجواز ان يكون
هناك احوال مكتومة واذا قيل لكم ارجعوا فارجعوا وذلك انه كما يكون الدخول قد يكرهه صاحب الدار فكذا الوقوف
على الباب قد يكرهه فلا جرم كان الاولى له ان يرجع هو ازكى لكم اي الرجوع هو اطهر واصلح لكم قال قتادة واذا
لم يؤذن لم فلا يقعد على الباب فان للناس حاجات فاذا حضر فلم يستاذن وقعد على الباب منتظرا جاز كان ابن عباس
ياتي الانصار لطلب الحديث فيقعد على الباب حتى يخرج ولا يستاذن فيخرج الرجل ويقول يا ابن عم رسول الله صلى
الله عليه وسلم لو اخبرتني فيقول هكذا امرنا ان نطلب العلم واذا وقف فلا ينظر من شق الباب اذا كان الباب مردودا
لما روي ان رجلا اطلع على النبي صلى الله عليه وسلم في ستر الحجرة وفي يد النبي صلى الله عليه وسلم مدرى فقال لو علمت ان
هذا ينظرني حتى آتيه لطعنت بالمدرى في عينه وهل جعل الاستيذان الا من اجل البصر **قوله تعالى** والله بما تعملون
عليم اي من الدخول بالاذن وغير الاذن ولما ذكر الله تعالى حكم الدور المسكونة ذكر بعده حكم الدور التي هي غير مسكونة
فقال ليس عليكم جناح ان تدخلوا بيوتا غير مسكونة قال المفسرون لما نزلت آية الاستيذان قالوا كيف بالبيوت التي بين
مكة والمدينة والشام وعلى ظهر الطريق ليس فيها ساكن فانزل الله عز وجل ليس عليكم جناح ان تدخلوا بيوتا غير مسكونة
اي بغير استيذان فيها متاع لكم اي منفعة لكم قال محمد بن الحنفية انها الخانات والرباطات وحوانيت البياعين
وقال ابن زيد هي بيوت التجار وحوانيتهم التي بالاسواق يدخلها للبيع والشرا وهو المنفعة قال ابراهيم النخعي ليس على حوانيت
السوق اذن وكان ابن سيرين اذا جاء الى حانوت السوق يقول السلام عليكم ادخل ثم يلج وقال عطا هي البيوت الخربة
والمتاع هو قضاء الحاجة فيها من البول والغائط وقيل هي جميع البيوت التي لا ساكن بها وقيل هي الحمامات فلا
يدخلها الا باذن فنزلت هذه الآية والاصح انه لا يمنع دخول الجميع تحت الآية لان الاستيذان انما جاء لئلا يطلع على عورة
فان لم يخف ذلك فله الدخول لانه ماذون فيها عرفا والله يعلم ما تبدون وما تكتمون وهذا وعيد للذين يدخلون
الخربات والدور الخالية من اهل الريبة **قوله تعالى** قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم الآية الغض اطباق الجفن بحيث
يمنع الرؤية قال الشاعر • فغض الطرف انك من نمير • فلا كعبا بلغت ولا كلابا • وفي من اربعة
اوجه الاول انها للتبعيض لانه يعفى عن الناظر اول نظرة تقع من غير قصد والثاني لبيان الجنس قاله ابو البقا وفيه نظر
من حيث انه لم يتقدم مبهم يكون مفسرا له الثالث انها لابتداء الغاية قاله ابن عطية الرابع قال الاخفش انها مزيدة
فصل قال الاكثرون المراد غض البصر عما يحرم والاقتصار به على ما يحل فان قيل كيف دخلت من على غض البصر
دون حفظ الفرج **فالجواب** ان ذلك دليل على ان امر النظر اوسع الا ترى ان المحارم لا باس بالنظر الى شعورهن
وصدورهن وكذا الجواري المستعرضات واما امر الفروج فضيق وقيل معنى يغضوا من ابصارهم اي ينقصوا من نظرهم
بالبصر اذ الرؤية من عمله هو مغضوض وعلى هذا من ليست زائدة ولا هي للتبعيض بل هي صلة للغض يقال غضضت
من فلان او تغضضت عنه **فصل** العورات تنقسم اربعة اقسام عورة الرجل مع الرجل وعورة المراة مع
المراة وعورة المراة مع الرجل وعورة الرجل مع المراة اما الرجل مع الرجل فيجوز له ان ينظر الى جميع بدنه الا العورة
وهي ما بين السرة والركبة والسرة والركبة ليستا بعورة وعند ابي حنيفة الركبة عورة وقال مالك الفخذ ليس بعورة
وهو مردود بقوله عليه السلام غط فخذك فانها من العورة وقوله لعلي لا تبرز فخذك ولا تنظر الى فخذ حي ولا ميت
فان كان امرد لم يحل النظر الى وجهه ولا الى شيء من سائر بدنه بشهوة ولا يجوز للرجل مضاجعة الرجل وان كان كل واحد
منهما في جانب من الفراش لقوله عليه السلام لا يفضي الرجل الى الرجل في فراش واحد ولا تفضي المراة الى المراة في ثوب واحد
ويكره معانقة الرجل للرجل وتقبيله الا لولده وشفقة لما روي انس قال قال رجل يا رسول الله الرجل منا يلقى اخاه
او صديقه اينحني له قال لا قال افيلتزمه ويقبله قال لا قال افياخذ بيده ويصافحه قال نعم ونهى رسول الله صلى الله
عليه وسلم عن المعانقة والمكامعة وهي معانقة الرجل وتقبيله واما عورة المراة مع المراة فهي كالرجل فيما ذكرناه
والذمية هل يجوز لها النظر الى بدن المسلمة فقيل هي كالمسلمة مع المسلمة والصحيح انه لا يجوز لها النظر لانها اجنبية

في الدين لقول الله تعالى او نسائهن والذمية ليست من نسائنا واما عورة المراة مع الرجل فاما ان تكون حرة فجميع
بدنها عورة الا الوجه والكفين لانها تحتاج الى ابراز الوجه للبيع والشرا والى اخراج الكف للاخذ والعطا والمراد الكفين
الكوع واعلم ان النظر الى وجهها ينقسم الى ثلاثة اقسام اما ان لا يكون فيه غرض ولا فتنة واما ان يكون فيه غرض لشهوة
فان كان لغير غرض فلا يجوز النظر الى وجهها فان وقع بصره عليها بغتة غض بصره لقوله تعالى قل للمؤمنين يغضوا
وقيل يجوز مرة واحدة اذا لم يكن فتنة وبه قال ابو حنيفة ولا يجوز تكرار النظر لقوله عليه السلام لا تتبع النظرة النظرة
فان لك الاولى وليست لك الآخرة وقال جابر سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن نظر الفجاة فامرني ان اصرف بصري فان
كان فيه غرض ولا فتنة وهو امور الاول ان يريد نكاح امراة فينظر الى وجهها وكفيها لقول رسول الله صلى الله عليه
وسلم للرجل الذي سال ان يتزوج امراة من الانصار انظر اليها فان في اعين الانصار شيئا وقال عليه السلام اذا خطب احدكم
المراة فلا جناح عليه ان ينظر اليها اذا كان انما ينظر اليها للخطبة وقال المغيرة بن شعبة خطبت امراة فقال عليه
السلام نظرت اليها فقلت لا قال فانظر فانه احرى ان يؤدم بينكما وذلك يدل على جواز النظر الى الكفين بشهوة والوجه
اذا اراد ان يتزوجها ولقوله تعالى لا يحل لك النساء من بعد ولا ان تبدل بهن من ازواج ولو اعجبك حسنهن ولا يعجبه حسن
الا بعد رؤية وجههن الثاني اذا اراد شرا جارية فله ان ينظر منها الى ما ليس بعورة الثالث عند المبايعة ينظر الى وجهها
متاملا حتى يعرفها عند الحاجة الرابع ينظر اليها عند تحمل الشهادة ولا ينظر الى غير الوجه وان كان النظر لشهوة فهو محرم
لقوله عليه السلام العينان تزنيان واما النظر الى بدن الاجنبية فلا يجوز الا في صور الاولى يجوز النظر للطبيب الامين
ان ينظر الى المعالجة والختان ينظر الى فرج المختون للضرورة الثاني ان يتعمد النظر الى فرج الزانيين ليشهد على الزنا وكذلك
ان ينظر الى فرجها ليشهد على الولادة والى ثدي المرضعة ليشهد على الرضاع وقال بعض العلماء لا يجوز للرجل ان يقصد النظر
الى هذه المواضع لان الزنا مندوب الى ستره وفي الولادة والرضاع تقبل شهادة النساء فلا حاجة الى نظر الرجال لو وقعت
في غرق او حرق فله ان ينظر الى بدنها ليخلصها وان كانت الاجنبية امة فقيل عورتها ما بين السرة الى الركبة وقيل عورتها
ما لا يبين في المهنة فخرج منه عنقها وساعدها ونحرها ولا يجوز لمسها ولا لها لمسه بحال لا لحاجة لان اللمس اقوى
من النظر لان الانزال باللمس يفطر الصائم وبالنظر لا يفطر فان كانت المراة ذات محرم بنسب او رضاع فعورتها مع الرجل
المحرم كعورة الرجل مع الرجل وقيل عورتها ما لا يبدو عند المهنة وهو قول ابي حنيفة وسياتي بقية التفاصيل
ان شاء الله تعالى في تفسير الآية فان **قيل** فان كانت المراة مستمتعة كالزوجة والامة التي يحل وطؤها **فالجواب**
يجوز للرجل اي للزوج والسيد ان ينظر الى جميع بدنها حتى الفرج الا انه يكره النظر الى الفرج ولا فرق فيه بين ان
تكون الامة قنة او مدبرة او ام ولد او مرهونة فان كانت مجوسية او مرتدة او وثنية او مشركة او بينه وبينها محرم او مزوجة
او مكاتبة فهي كالاجنبية لقول النبي صلى الله عليه وسلم اذا زوج احدكم عبده جاريته او اجيره فلا ينظر منها الى ما بين السرة
والركبة واما عورة الرجل مع المراة فلا يجوز لها قصد النظر عند خوف الفتنة ولا تكرير النظر الى وجهه لما روت
ام سلمة انها كانت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وميمونة اذ اقبل ابن ام مكتوم فقال احتجبا منه فقالت يا رسول
الله اليس هو اعمى لا يبصرنا فقال عليه السلام افعميا وان انتما الستما تبصرانه وان كان محرما لها فعورته ما بين السرة
والركبة وان كان زوجها او سيدها الذي له ان يطاها فلها ان تنظر الى جميع بدنه غير انه يكره النظر الى الفرج
كهو معها **فصل** ولا يجوز للرجل ان يجلس عاريا في بيت خال وله ما يستر عورته لانه عليه السلام سئل
عنه فقال الله احق ان يستحيا منه وقال عليه السلام اياكم والتعري فان معكم من لا يفارقكم الا عند الغائط وحين
يفضي الرجل الى اهله **قوله تعالى** ويحفظوا فروجهم اي عما لا يحل وقال ابو العالية كل ما في القرآن من حفظ الفرج
فهو عن الزنا والحرام الا في هذا الموضع فانه اراد به الاستتار حتى لا يقع بصر الغير عليه وهذا ضعيف لانه تخصيص
من غير دليل والذي يقتضيه الظاهر حفظ الفرج عن سائر ما حرم عليهم من الزنا واللمس والنظر **قوله تعالى** ذلك
ازكى لهم اي غض البصر وحفظ الفرج ازكى لهم اي خير لهم واطهر ان الله خبير بما يصنعون عليم بما يفعلون **قوله تعالى**
وقل للمؤمنات يغضضن من ابصارهن ويحفظن فروجهن والكلام كما تقدم وقدم غض البصر على حفظ الفرج
لان النظر بريد الزنا والبلوى فيه اشد واكثر ولا يكاد يقدر على الاحتراز منه **قوله تعالى** ولا يبدين زينتهن اي لا
يظهرن زينتهن لغير محرم والمراد بالزينة الخفية وهما زينتان خفية وظاهرة فالخفية مثل الخلخال في الرجل والسوار
في المعصم والقرط والقلائد فلا يجوز لها اظهارها ولا للاجنبي النظر اليها والمراد من الزينة موضع الزينة وقيل
المراد بالزينة محاسن الخلق التي خلقها الله تعالى وسائر ما يتزين به الانسان من فضل اللباس لان كثيرا من النساء ينفردن بخلقهن
من سائر ما يعد زينة فاذا حملناه على الخلقة وفينا العموم حقه ولا يمنع دخول ما عدا الخلقة فيه ولان قوله تعالى

وليضربن بخمرهن على جيوبهن يدل على ان المراة من الزينة ما يعم الخلقة وغيرها فكانه تعالى منعهن من اظهار محاسن
خلقتهن موجبا سترها بالخمار **قوله تعالى** الا ما ظهر منها اما الذين حملوا الزينة على الخلقة فقال القفال معنى الاية
الا ما يظهره الانسان في العادة وذلك من النساء الوجه والكفان ومن الرجال الوجه واليدين والرجلين فرخص
لهم في كشف ما اعتيد كشفه وادت الضرورة الى اظهاره وامرهم بستر ما لا ضرورة في كشفه ولما كان ظهور
الوجه والكفين ضرورة لا جرم اتفقوا على انهما ليسا بعورة واما القدم فليس ظهوره ضروري فلا جرم اختلفوا فيه
هل هو من العورة ام لا والصحيح انه عورة وفي صوتها وجهان احدهما ليس بعورة لان نساء النبي صلى الله عليه وسلم
كن يروين الاخبار للرجال واما الذين حملوا الزينة على ما عدا الخلقة فقالوا انه تعالى ذكر الزينة لانه لا خلاف في
انه يحل النظر اليها حال انفصالها عن اعضاء المراة وعلى هذا القول يحل النظر الى زينة وجهها من الوشمة والغمرة
وزينة بدنها من الخضاب والخواتيم والثياب لان سترها فيه حرج ولان المراة لا بد لها من مناولة الاشياء بيديها والحاجة
الى كشف وجهها للشهادة والمحاكمة والنكاح قال سعيد بن جبير والضحاك والاوزاعي الزينة الظاهرة
الوجه والكفان وقال ابن مسعود هي الثياب لقوله تعالى خذوا زينتكم عند كل مسجد وقال الحسن الوجه والثياب وقال
ابن عباس الكحل والخاتم والخضاب في الكف فما كان من الزينة الظاهرة يجوز للرجل الاجنبي النظر اليها اذا لم يخف
فتنة وشهوة فان خاف شيئا منها غض البصر **فصل** واتفقوا على تخصيص قوله ولا يبدين زينتهن الا ما
ظهر منها بالحرائر دون الاماء والمعنى فيه ظاهر لان الامة قال ولا بد من الاحتياط في بيعها وشرائها وذلك لا يمكن
الا بالنظر اليها على الاستقصا **قوله تعالى** وليضربن ضمن يضربن معنى يلقين فلذلك عداه بعلى وقرا ابو عمرو في رواية
ابو عمرو بكسر لام الامر وقرا طلحة بخمرهن بسكون الميم وتسكين فعل في الجمع اولى من تسكينه في المفرد وكسر الجيم من جيوبهن
ابن كثير والاخوان وابن ذكوان والخمر جمع خمار وفي القلة يجمع على اخمرة قال امرؤ القيس الشاعر

وترى الشجراء في ريقه • كرؤوس قطعت فيها الخمر •

والجيب ما في طوق القميص يبدو منه بعض الجسد **فصل** قال بعض المفسرين ان نساء الجاهلية كن
يسدلن خمورهن من خلفهن وان جيوبهن كانت قدام وكان ينكشف نحورهن وقلائدهن فامرن ان يضربن مقانعهن
على الجيوب ليغطين بذلك اعناقهن ونحورهن قالت عائشة رحم الله نساء المهاجرات الاول لما انزل الله وليضربن
بخمرهن على جيوبهن شققن مروطهن فاختمرن بها **قوله تعالى** ولا يبدين زينتهن اعني الزينة الخفية التي لم يبح
لهن كشفها في الصلاة ولا للاجانب وهو ما عدا الوجه والكفين الا لبعولتهن قال ابن عباس ومقاتل يعني لا يضعن
الجلباب والخمار الا لازواجهن او ابائهن او اباء بعولتهن او ابنائهن او ابناء بعولتهن او اخوانهن او بني اخوانهن
او بني اخواتهن فيجوز لهؤلاء ولا ينظروا الى الزينة الباطنة ولا ينظروا الى ما بين السرة والركبة الا الزوج فانه يجوز
له ان ينظر الى جميعها كما تقدم وهؤلاء محارم فان قيل ايحل لذي المحرم في المملوكة والكافرة ما لا يحل له في المؤمنة
فالجواب اذا ملك المراة من محارمه فله ان ينظر منها الى بطنها وظهرها لا على وجه الشهوة فان قيل فما القول في العم
والخال فالجواب ان الظاهر انهما كسائر المحارم في جواز النظر وهو قول الحسن البصري قال لان الاية لم يذكر فيها
الرضاع وهو كالنسب وقال في سورة الاحزاب لا جناح عليهن في ابائهن الاية ولم يذكر فيها البعولة وقد ذكره هنا وقال
الشعبي انما لم يذكرهما لئلا يصفها العم عند ابنه والخال كذلك والمعنى ان سائر القرابات تشترك مع الاب والابن في المحرمية
الا العم والخال وابناهما فاذا راها الاب وصفها لابنه وليس بمحرم وهذا من الدلالات البليغة ووجوب الاحتياط عليهن
في التستر **فصل** السبب في اباحة نظر هؤلاء الى زينة المراة وهو الحاجة الى مداخلتهن ومخالطتهن واحتياج
المراة الى صحبتهم في الاسفار والنزول والركوب **قوله تعالى** او نسائهن قال اكثر المفسرين المراد اللاتي على دينهن
قال ابن عباس ليس للمسلمة ان تتجرد بين نساء اهل الذمة ولا تبدي للكافرة الا ما تبدي للاجانب الا ان تكون
امة لها وكتب عمر الى ابي عبيدة ان يمنع نساء اهل الكتاب من دخول الحمام مع المؤمنات وقيل المراد بنسائهن جميع النساء
وهذا هو الاولى وقول السلف محمول على الاستحباب **قوله تعالى** او ما ملكت ايمانهن وهذا يشمل العبيد والاماء
واختلفوا في ذلك فقال قوم عبد المراة محرم يجوز له الدخول عليها اذا كان عفيفا وان ينظر الى بدن مولاته الا
ما بين السرة والركبة كالمحارم وهو ظاهر القران وهو مروي عن عائشة وام سلمة وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم
اتى فاطمة بعبد قد وهبه لها وعلى فاطمة ثوب اذا قنعت به راسها لم يبلغ رجليها واذا غطت به رجليها لم يبلغ
راسها فلما راى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تلقى قال انه ليس عليك باس انما هو ابوك وغلامك وعن مجاهد كن
امهات المؤمنين لا يحتجبن عن مكاتبهن ما بقي عليه درهم وكانت عائشة تمتشط والعبد ينظر اليها وقال ابن

مسعود والحسن وابن سيرين وسعيد بن المسيب لا ينظر العبد الى شعر مولاته وهو قول ابي حنيفة وقال ابن جريج
المراد من الاية الاماء دون العبيد وان قوله او نسائهن او ما ملكت ايمانهن انه لا يحل لامراة مسلمة ان تتجرد بين يدي
امراة مشركة الا ان تكون تلك المشركة امة لها **قوله تعالى** او التابعين غير اولي الاربة من الرجال قرا ابن عامر وابو بكر
غير نصبا وفيها وجهان الاول انه استثناء وقيل على القطع لان التابعين معرفة وغير نكرة والثاني انه حال والباقون
غير بالجر نعتا او بدلا او بيانا والاربة الحاجة وتقدم اشتقاقها في طه **فصل** المراد بالتابعين غير اولي الاربة
قال مجاهد وعكرمة والشعبي هم الذين يتبعون القوم ليصيبوا من فضل طعامهم لا همة لهم الا ذلك ولا حاجة لهم في النساء
وعن ابن عباس انه الاحمق العنين وقال الحسن هو الذي لا ينتشر اليه ولا يستطيع غشيان النساء ولا يشتهيهن وقال
سعيد بن جبير المعتوه وقال عكرمة المجبوب وقيل هو المخنث وقال مقاتل هو الشيخ الهرم والعنين والخصي والمجبوب
ونحوه واعلم ان الخصي والمجبوب ومن شاكلهما قد لا يكون له اربة في نفس الجماع ويكون له اربة فيما عداه من التمتع وذلك
يمنع من ان يكون هو المراد فلذلك يجب ان يحمل الاربة على من لا اربة له في سائر وجوه التمتع لما روت عائشة قالت كان رجل
مخنث يدخل على ازواج النبي صلى الله عليه وسلم وكانوا يعدونه من غير اولي الاربة فدخل النبي صلى الله عليه وسلم يوما وهو
عند بعض نسائه وهو ينعت امراة فقال انها اذا اقبلت اقبلت باربع واذا ادبرت ادبرت بثمان فقال النبي صلى الله عليه
وسلم لا ارى هذا يعلم ما ههنا لا يدخلن هذا فحجبوه وفي رواية عن زينب بنت جحش عن ام سلمة ان النبي صلى الله
عليه وسلم دخل عليها وعندها مخنث فاقبل على اخي ام سلمة فقال يا عبد الله ان فتح الله عليكم الطائف دللتك على بنت
غيلان فانها تقبل باربع وتدبر بثمان فقال عليه السلام لا يدخلن عليكم هذا فاباح رسول الله صلى الله عليه وسلم
دخول المخنث عليهن فلما عرف انه يعرف احوال النساء واوصافهن علم انه من اولي الاربة وحجبه وفي الخصي والمجبوب ثلاثة
اوجه الاول استباحة الزينة الباطنة والثاني تحريمها والثالث تحريمها على الخصي دون المجبوب **قوله تعالى** او الطفل
الذين لم يظهروا وتقدم في الحج ان الطفل يطلق على المثنى والمجموع فلذلك وصف بالجمع وقيل لما وصف به اي لما قصد
به الجنس وهي في الجمع كقولهم اهلك الناس الدينار الحمر والدراهم البيض وعورات جمع عورة وهو ما يريد الانسان من ستره
بدنه وغلب في السوءتين والعامة على عورات بسكون الواو وهي لغة عامة العرب بسكونها تخفيفا لحرف العلة وقرا ابن عامر
في رواية بفتح العين ونقل ابن خالويه انها قراءة ابن ابي اسحاق والاعمش وهي لغة هذيل بن مدركة قال الفراء وانشد في بعضهم

• اخو بيضات رائح متاوب • رفيق بمسح المنكبين سبوح •

وجعلها ابن مجاهد لحنا وخطا يعني غلطا من الرواة والا فهي لغة ثابتة فان **قيل** الظهور على الشيء يكون بمنزلة العلم
به كقوله تعالى انهم ان يظهروا عليكم اي يشعروا بكم ويكون بمعنى الغلبة عليه كقوله تعالى فاصبحوا ظاهرين فلهذا قال مجاهد
وابن قتيبة معناه لم يطلعوا على عورات النساء ولم يعرفوا العورة من غيرها من الصغر وقال الفراء والزجاج لم يبلغوا ان يطيقوا
اتيان النساء وقيل لم يبلغوا حد الشهوة **فالجواب** فاما المراهق فيلزم المراة ان تستتر منه ما بين سرتها وركبتها وفي لزوم
ستر ما عداه وجهان الاول لا يلزم لان القلم غير جار عليه والثاني يلزم كالرجل لانه مشتهى والمراة قد تشتهيه واسم الطفل
شامل له الى ان يحتلم واما الشيخ فان بقيت له شهوة فهو كالشاب وان لم يبق فيه شهوة ففيه وجهان احدهما ان الزينة الباطنة
معه مباحة والعورة معه ما بين السرة والركبة والثاني ان جميع البدن معه عورة الا الزينة الظاهرة وههنا اخر الصور
التي استثناها الله تعالى والرضاع كالنسب **قوله تعالى** ولا يضربن بارجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن قال ابن عباس وقتادة
كانت المراة تمر بالناس وتضرب برجلها فيقعقع خلخالها فنهين عن ذلك لان الذي تغلب عليه شهوة النساء اذا سمع صوت
الخلخال يصير ذلك داعية له زائدة الى مشاهدتهن وعلل تعالى ذلك بقوله ليعلم ما يخفين من زينتهن وفي الاية فوائد
الاولى لما نهي عن استماع الصوت الدال على وجود الزينة فلان يدل على المنع من اظهار الزينة اولى الثانية ان المراة منهية
عن رفع صوتها بالكلام بحيث يسمع ذلك الاجانب اذا كان صوتها اقرب الى الفتنة **قوله تعالى** وتوبوا الى الله جميعا
ايها المؤمنون قال ابن عباس توبوا عما كنتم تفعلونه في الجاهلية لعلكم تسعدون في الدنيا والاخرة وقيل توبوا من
التقصير الواقع في امره ونهيه وقيل راجعوا طاعة الله فيما امركم ونهاكم من الاداب المذكورة في هذه السورة **قوله تعالى**
ايها المؤمنون العامة على فتح الهاء واثبات الف بعدها وهي ها التي للتنبيه وقرا ابن عامر هنا وفي الزخرف يا ايه الساحر
وفي الرحمن ايه الثقلان بضم الهاء وصلا فاذا وقف سكن ووجهها انه لما حذفت الالف لالتقاء الساكنين استحقت
الفتحة على حرف خفي فضمت الهاء اتباعا وقد رسمت هذه المواضع الثلاثة دون الف فوقف ابو عمرو والكسائي بالالف والباقون
بدونها اتباعا للرسم ولموافقة الخط للفظ وثبتت في غير هذه المواضع حملا لها على الاصل نحو يا ايها الناس يا ايها الذين
امنوا وبالجملة في الرسم صفة متبعة **قوله تعالى** وانكحوا الايامى منكم لما امر تعالى بغض الابصار وحفظ الفروج

وبين بعده ان الذي امر به انما هو فيما لا يحل ثم ذكر بعد ذلك ما يطرق الحل فقال وانكحوا الايامى منكم الايامى جمع
ايم زنته فيعل يقال امراة ايم كما يقال رجل ايم قال الشاعر • كل امرئ سيئيم • منه العرس او منها يئيم • وقياس
جمعه ايايم كسيد وسيايد وايامى فيه وجهان اظهرهما من كلام سيبويه انه جمع على فعالى غير مقلوب وكذلك يتامى
وقيل ان الاصل ايايم ويتايم في ايم ويتيم فقلبا والايم من لا زوج له ذكرا كان او انثى قال البصريون سبيل الايم في
كلام العرب كل ذكر لا انثى له معه وكل انثى لا ذكر معها وهو قول ابن عباس في رواية الضحاك يقول زوجوا ايامكم بعضكم
من بعض وخصه ابو بكر الخصاف بمن فقدت زوجها فاطلاقه على البكر مجاز وقال الزمخشري تايما اذا لم يتزوج بكرين
كانا او ثيبين وانشد • فان تنكحي انكح وان تتايمي • وان كنت افتى منكم اتايم • وعن رسول الله
صلى الله عليه وسلم اني اعوذ بك من العيمة والغيمة والايمة والكرم والقرم العيمة بالمهملة شدة شهوة اللبن وبالمعجمة
شدة العطش والايمة طول العطش والكرم شدة شهوة الاكل والقرم شدة شهوة اللحم ومنكم حال وكذا من عبادكم
فصل قوله تعالى وانكحوا امر وظاهر الامر للوجوب فدل على ان الولي يجب عليه تزويج موليته اولان المولية
لو فعلت ذلك لفوتت على الولي تمكنه من اداء هذا الواجب وانه غير جائز ولم يطابق قوله عليه السلام اذا جاءكم من ترضون
دينه وخلقه فزوجوه الا تفعلوه تكن فتنة في الارض قال ابو بكر الرازي هذه الاية وان اقتضت الايجاب الا انه
اجمع السلف على انه لم يرد الايجاب ويدل عليه امور الاول لو كان ذلك واجبا لنقل عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن السلف
مستفيضا لعموم الحاجة اليه فلما علمنا ان سائر الاعصار كانت فيهم ايامى من الرجال والنساء ولم ينكروا ذلك ثبت انه
لم يرد الايجاب والثاني اجمعنا على ان الايم الثيب لو ابت التزويج لم يكن للولي اجبارها عليه الثالث اتفاق الكل على
انه لا يجب على السيد تزويج امته وعبده وهو معطوف على الايامى فدل على انه غير واجب في الجميع بل ندب الرابع ان لفظ
الايامى يشمل الرجال والنساء وهو في الرجال ما اريد به الاولياء دون غيرهم كذلك في النساء والجواب ان جميع ما ذكرتم
تخصيصات تطرقت الى الاية والعام بعد التخصيص حجة فوجب اذا التمست المراة الايم من الولي التزويج وجب عليه
وحينئذ ينتظم الكلام فان قيل قال الشافعي الاية تقتضي جواز تزويج البكر البالغة بدون رضاها لان الاية دالة
بذلك على امر الولي بتزويجها ولو قام الدلالة على انه لا تزوج الثيب الكبيرة بغير رضاها لكان جائزا تزويجها ايضا
لعموم الاية فالجواب الثاني في النكاح قسمان الاول من يتوق نفسه الى النكاح فيستحب له ان ينكح ان وجد اهبة سواء كان
مقبلا على العبادة او لم يكن لا يجب وان لم يجد اهبة يكسر شهوته بالصوم لقوله عليه السلام يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة
فليتزوج فانه اغض للبصر واحصن للفرج ومن لم يستطع فليصم فان الصوم له وجاء الثاني من لا يتوق نفسه الى النكاح
فان كان لعلة او مرض او عجز فيكره له لانه لا يلتزم ما لا يمكنه القيام به وكذلك اذا كان لا يقدر على النفقة وان لم يكن به
عجز وكان قادرا على القيام بحقه لم يكره له النكاح لكن الافضل ان يتخلى للعبادة ولان الله تعالى مدح يحيى بكونه حصورا
والحصور الذي لا ياتي النساء مع القدرة عليهن ولا يقال هو الذي لا ياتي النساء مع العجز لان مدح الانسان بما يكون
عيبا غير جائز واذا كان مدحا في حق يحيى وجب ان يشرع في حقنا لقوله تعالى فبهداهم اقتده ولا يحمل الهدى على الاصول
لان التقليد فيهما غير جائز فوجب حمله على الفروع وقال عليه السلام اعلموا ان خير اعمالكم الصلاة وقال عليه السلام اعلموا
ان خير اعمالكم الصلاة وقال عليه السلام افضل اعمال امتي قراءة القران وقال ابو حنيفة النكاح افضل لقوله عليه السلام
احب المباحات الى الله تعالى النكاح ولان النكاح يتضمن صون النفس عن الزنا فيكون دفعا للضرر عن النفس والنافلة
جلب نفع ودفع الضرر اولى من جلب النفع واجيب بان يحمل الاحب على الاصلح في الدنيا لئلا يقع التناقض بين كونه
احب وبين كونه مباحا والمباح ما يستوي طرفاه في الثواب والعقاب والمندوب ما ترجح وجوده على عدمه فتكون
العبادة افضل وبقية المباحات مذكورة في كتب الفقه فان قيل ظاهر الاية يدل على ان العبد لا يتزوج بنفسه
وانما يتزوج بزوجة مولاه لكن ثبت بالدليل انه اذا امره بان يتزوج جاز ان يتولى تزويج نفسه فيكون توليته
باذنه بمنزلة تولية السيد واما الاماء فان الولي يتولى تزويجهن خصوصا على قول من لا يجوز النكاح الا بولي
وقال عليه السلام ايما امراة نكحت بغير اذن وليها فنكاحها باطل ثلاثا فان اصابها فلها المهر بما استحل من فرجها
فان اشتجروا فالسلطان ولي قوله تعالى ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله الاصح ان هذا ليس بوعد بان من تزوج
بل المعنى لا تنظروا الى فقر من يخطب اليكم او الى فقر من تريدون تزويجها ففي فضل الله ما يغنيهم والمال غاد ورائح
وليس في الفقر ما يمنع من الرغبة في النكاح فهذا معنى صحيح وليس فيه الا ان الكلام قصد به وعد الغنا حتى لا يجوز ان يقع فيه
خلف وروي عن قدماء الصحابة ما يدل على ان ذلك وعد وروي عن ابي بكر قال اطيعوا الله فيما امركم به من النكاح ينجز لكم
ما وعدكم من الغنى وعن عمر وابن عباس مثله وشكى رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم الحاجة فقال عليك بالباءة وقال

ابن منصور تزوجوا فانه اوسع لكم في رزقكم واوسع في اخلاقكم ويزيد الله في مروتكم فان قيل فنحن نرى من كان
غنيا فيتزوج فيصير فقيرا فالجواب من وجوه الاول ان هذا الوعد مشروط بالمشيئة في قوله وان خفتم عيلة فسوف
يغنيكم الله من فضله ان شاء والمطلق يحمل على المقيد الثاني ان اللفظ وان كان عاما الا انه يختص ببعض المذكورين دون البعض
وهذا في الايامى الاحرار الذين يملكون فيستغنون بما يكون الثالث المراد بالغنى العفاف فيكون الغنا هنا معناه الاستغنا
بالنكاح عن الوقوع في الزنا فصل استدل بعضهم بهذه الاية على ان العبد والامة يملكان لان ذلك راجع الى
كل ما تقدم فاقتضى ان العبد قد يكون فقيرا وغنيا وذلك يدل على الملك فثبت انهما يملكان والمعترضون تاولوه على
الاحرار منهم خاصة فقالوا هو راجع الى الايامى وان فسرنا الغنى بالعفاف سقط استدلالهم وقوله والله واسع عليم اي يوسع
عليهم من افضاله عليم بمقادير ما يصلحهم من الافضال والرزق قوله تعالى وليستعفف الذين لا يجدون نكاحا لما ذكر
تزويج الحراير والاماء ذكر حال من يعجز عن ذلك فقال تعالى وليستعفف اي وليجتهد في العفة كان المستعفف طالب من
نفسه العفاف وقوله تعالى لا يجدون نكاحا اي لا يتمكنون من الوصول اليه يقال لا يجد المرء الشيء اذا لم يتمكن منه قال
تعالى فمن لم يجد فصيام شهرين ويقال هو غير واجد للماء وان كان موجودا اذا لم يمكنه ان يشتريه ويجوز ان يراد بالنكاح
ما ينكح من المال فبين تعالى ان من لا يتمكن من ذلك فليطلب التعفف ولينتظر ان يغنيه الله من فضله ثم يصل الى بغيته من النكاح
فان قيل فليس ملك اليمين يقوم مقام النكاح فالجواب نعم لكن من لم يجد المهر والنفقة فبان لا يجد ثمن الجارية
اولى قوله تعالى والذين يبتغون الكتاب الاية لما بعث السيد على تزويج الصالحين من العبيد والاماء مع الرق وغيرهم
ان يكاتبوهم اذا قصدوا ذلك فيصيروا احرارا فيتصرفون في انفسهم كالاحرار فقال والذين يبتغون الكتاب يجوز في الذين
الرفع على الابتداء والخبر الجملة المقترنة بالفاء لما تضمنه المبتدا من معنى الشرط ويجوز نصبه بفعل مقدر على الاشتغال كقوله
زيدا فاضربه وهو ارجح لمكان الامر والكتاب والكتابة كالعتاب والعتابة وفي اشتقاق لفظ الكتابة وجوه الاول ان اصل
الكلمة من الكتب وهو الضم والجمع ومنه سميت الكتابة لانها تضم النجوم بعضها الى بعض وتضم ماله الى ماله الثاني ماخوذ
من الكتابة ومعناه كتبت لك على نفسي ان تفي لي بذلك وكتبت لك الوفاء بالمال وكتبت على العتق قاله الازهري الثالث
سمي بذلك لما يقع فيه من التاجيل بالمال المعقود عليه لانه لا يجوز ان يقع على مال هو في يد العبد حين يكاتب لان ذلك مال
لسيده اكتسبه في حال ما كان يد السيد عليه مقبوضة عن كسبه فلا يجوز لهذا المعنى ان يقع هذا العقد حالا بل يقع موجلا
فيكون متمكنا من الاكتساب من ذلك ثم ان اداب الشريعة ان يكتب على من عليه المال الموجل كتاب فلهذا المعنى سمي هذا العقد
كتابا لما فيه من الاجل قال تعالى لكل اجل كتاب فصل قال بعض العلماء الكتابة ان يقول المولى كاتبتك على كذا
ويسمي مالا معلوما يؤديه في نجمين او اكثر ويبين عدد النجوم وما يؤدي في كل نجم ويقول اذا اديت ذلك المال فانت
حر وينوي ذلك بقلبه ويقول العبد قبلت فان لم يقل بلسانه او لم ينو بقلبه اذا اديت ذلك المال فانت حر لم يعتق
وقال مالك وابو حنيفة واصحابه لا حاجة الى ذلك لان قوله تعالى وكاتبوهم ليس فيه شرط فتصح الكتابة دون هذا
الشرط واذا صحت الكتابة وجب ان يعتق بالاداء بالاجماع واحتج الاولون بان الكتابة ليست عقد معاوضة محضة لانها
بين العبد وملك السيد والانسان لا يبيع ملكه بملكه بل قوله كاتبتك كناية في العتق فلا بد فيه من لفظ التعليق او نيته
فان قيل لا تجوز الكتابة الحالة لان العبد ليس له ملك يؤديه في الحال واذا عقدت حالة توجهت المطالبة عليه
في الحال فاذا عجز عن الاداء لم يحصل مقصود العقد كما لو اسلم في شيء لا يوجد عند المحل لا يصح بخلاف ما لو اسلم الى
معسر فانه يجوز ان يتصور ان له ملكا في الباطن فالعجز لا يتحقق وقال ابو حنيفة يجوز لقوله تعالى فكاتبوهم وهو
مطلق تناول الكتابة والموجل والحال ايضا فان قيل الكتابة بدل على الرقبة فهو بمنزلة اثمان السلع المبيعة فيجوز حالة وايضا
اجمعوا على جواز العتق معلقا على مال حال فالكتابة مثله لانه بدل عن العتق في الحالين الا ان في احدهما العتق معلق
على شرط الاداء وفي الاخر معجل فوجب ان لا يختلف حكمهما فالجواب لا تجوز الكتابة على اقل من نجمين لانه يروى عن علي
وعثمان وابن عمر روي ان عثمان غضب على عبده فقال لاضيقن عليك ولاكاتبنك على نجمين ولو جاز على اقل من ذلك
لكاتبه على الاقل لان التضييق فيه اشد وانما شرطنا التنجيم لانه عقد ارفاق ومن شرط الارفاق التنجيم ليتيسر الاداء
عليهم وقال ابو حنيفة يجوز الاداء على نجم واحد لان ظاهر قوله كاتبوهم ليس فيه تقييد فان قيل يشترط ان يكون
المكاتب بالغا عاقلا فان كان صبيا او مجنونا لم تصح كتابته لقوله تعالى والذين يبتغون الكتاب والابتغاء لا يتصور
من الصبي والمجنون وقال ابو حنيفة يجوز كتابة الصبي ويقبل عنه الولي فالجواب يشترط ان يكون السيد مكلفا
مطلقا فان كان صبيا او محجورا عليه لسفه لم تصح كتابته كما لا يصح بيعه لان قوله تعالى فكاتبوهم خطاب فلا يتناول غير
المكلف وقال ابو حنيفة يصح كتابة الصبي باذن الولي فان قيل اختلفوا في قوله تعالى فكاتبوهم هل هو امر ايجاب

او ندب فالجواب امر ايجاب فيجب على السيد ان يكاتب مملوكه اذا سأله ذلك بقيمته او اكثر اذا علم فيه خيرا فان
ساله بدون قيمته لم يلزمه وهذا قول ابن دينار وعطا واليه ذهب داود بن علي ومحمد بن جرير لظاهر الاية وايضا
فان سبب نزولها انها نزلت في غلام لحويطب بن عبد العزى يقال له صبيح سال مولاه ان يكاتبه فابى عليه فنزلت
الاية فكاتبه على مائة دينار ووهب له منها عشرين دينارا وروي ان عمر امر انسا بان يكاتب سيرين ابا محمد بن سيرين
فابى فرفع عليه الدرة وضربه وقال فكاتبوهم ان علمتم فيهم خيرا وحلف عليه ليكاتبنه ولو لم يكن واجبا لكان ضربه بالدرة
ظلما ولم ينكر عليه احد من الصحابة فجرى ذلك مجرى الاجماع وقال اكثر الفقهاء انه امر استحباب وهو ظاهر قول ابن عباس والحسن
والشعبي واليه ذهب مالك وابو حنيفة والشافعي والثوري واحمد لقوله عليه السلام لا يحل مال المسلم الا عن طيب نفس
ولانه لا فرق بين طلب الكتابة او طلب بيعه ممن يعتقه في الكفارة فكما لا يجب ذلك فكذا الكتابة فان قيل كيف يصح
ان يبيع ماله بماله فالجواب اذا ورد الشرع به جاز كما ان علق عتقه على مال يكسبه فيؤديه او يؤدي عنه صار سببا للعتق
فان قيل هل يستفيد العبد بعقد الكتابة ما لا يملكه لولا الكتابة فالجواب نعم لانه لو دفع اليه الزكوة قبل الكتابة
لم يحل له اخذها واذا صار مكاتبا حل له اخذها سواء ادى فعتق او عجز فعاد الى الرق واستفاد ايضا ان الكتابة
تبعثه الى الاجتهاد في الكسب ولولاها لم يكن ليفعل ذلك ويستفيد المولى الثواب لانه اذا باعه فلا ثواب واذا كاتبه
فالولاء له فورد الشرع بجواز الكتابة لهذه الفوائد **قوله تعالى** ان علمتم فيهم خيرا قال عليه السلام ان علمتم لهم حرفة
ولا تدعوهم كلا على الناس وقال ابن عمر قوة على الكسب وهو قول مالك والثوري وقال عطا والحسن ومجاهد والضحاك
الخير المال لقوله تعالى ان ترك خيرا اي مالا قال عطا بلغني ذلك عن ابن عباس ويروى ان عبدا لسلمان الفارسي قال كاتبني
قال الك مال قال لا قال تريد تطعمني اوساخ الناس ولم يكاتبه قال الزجاج لو اراد به المال لقال ان علمتم لهم خيرا وايضا لان
العبد لا مال له بل المال لسيده وقال ابراهيم النخعي وابن زيد وابو عبيدة صدقا وامانة وقال طاوس وعمرو بن دينار
مالا وامانة وقال الحسن صلاحا في الدين وقال الشافعي واظهر معاني الخير في العبد الاكتساب مع الامانة واحب ان لا يمنع من
الكتابة اذا كان هكذا لان مقصود الكتابة قلما يحصل الا بهما فانه ينبغي ان يكون كسوبا يحصل المال ويكون امينا
يصرفه في نجومه ولا يضيعه **قوله تعالى** وآتوهم من مال الله الذي آتاكم قيل هذا خطاب للموالي يجب على المولى ان يحط
عن مكاتبه من مال الكتابة شيئا وهو قول عثمان وعلي والزبير وجماعة وبه قال الشافعي وهؤلاء اختلفوا في قدره
فقيل يحط ربع مال الكتابة وهو قول علي ورواه بعضهم عن علي مرفوعا وعن ابن عباس يحط الثلث وقيل ليس له حد
بل يختلف بكثرة المال وقلته وهو قول الشافعي لان ابن عمر كاتب غلاما له على خمسة وثلاثين الف درهم فوضع من آخر
كتابته خمسة الاف درهم وقيل يحط عنه قدرا يحصل الاستغناء به قال سعيد بن جبير كان ابن عمر اذا كاتب مكاتبه
لم يضع عنه شيئا من اول نجومه مخافة ان يعجز فيرجع اليه صدقته ووضع من آخر كتابته ما احب وكاتب عمر عبدا فجاءه
بنجمه فقال اذهب واستعن على اداء مال الكتابة فقال المكاتب لو تركته الى آخر نجم فقال اني اخاف ان لا ادرك ذلك وقيل
هو امر استحباب لقوله عليه السلام المكاتب عبد ما بقي عليه درهم وقوله عليه السلام ايما عبد كاتب على مائة فاداها الا عشرة
فهو عبد ولو كان الحط واجبا لسقط عنه بقدره وايضا فلو كان الايتاء واجبا لكان وجوبه معلقا بالعقد فيكون العقد موجبا
ومسقطا له كان يسقط وذلك محال لتنافي الاسقاط والايجاب وايضا فلو كان الحط واجبا لما احتاج الى ان يضع عنه لكان
يسقط القدر المستحق كمن له على انسان دين ثم لذلك الآخر على الاول مثله فانه يصير قصاصا وايضا لو كان واجبا لكان
قدر الايتاء اما ان يكون معلوما او مجهولا فان كان معلوما وجب ان تكون الكتابة بثلاثة ارباع المال على قول من جعله
الربع فيعتق اذا ادى ثلاثة الاف اذا كان العقد على اربعة الاف وذلك باطل لان اداء جميعها شرط فلا يعتق **قوله
تعالى** ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء الاية لما بعث على تزويج العبيد والاماء وكتابتهم اتبع ذلك بالنهي عن
الاكراه على الفجور **فصل** اعلم ان العرب تقول للمملوك فتى وللمملوكة فتاة قال تعالى فلما جاوزا قال
لفتاه وقال تراود فتاها وقال مما ملكت ايمانكم من فتياتكم وقال عليه السلام ليقل احدكم فتاي وفتاتي ولا يقل
عبدي وامتي والبغاء الزنا مصدر بغت المرأة تبغي بغاء اي زنت وهو مختص بزنا النساء **قوله تعالى** فان الله جملة جوابا
للشرط والعائد على اسم الشرط محذوف تقديره غفور لهم وقدره الزمخشري [illegible] فقال فان قيل لا حاجة الى تعليق
المغفرة بهن لان المكرهة على الزنا بخلاف المكرهة غير آثمة فالجواب لعل الاكراه غير ما اعتبرته الشريعة من اكراه بقتل او بما
يخاف منه التلف او فوات عضو حتى يسلم من الاثم وربما قصرت عن الحد الذي تعذر فيه فتكون آثمة **قوله تعالى** ولقد
انزلنا اليكم آيات مبينات الاية لما ذكر الاحكام وصف القرآن بصفات ثلاث الاول قوله تعالى ولقد انزلنا اليكم آيات
مبينات اي مفصلات وقرأ حمزة والكسائي وابن عامر مبينات بكسر الياء اي انها تبين للناس الحلال والحرام كقوله تعالى تبيانا

مبينين وتقدم الكلام في مبينات كسرا وفتحا الثاني قوله تعالى ومثلا من الذين خلوا من قبلكم قال الضحاك
يريد بالمثل ما في التوراة والانجيل من اقامة الحدود فانزل الله في القرآن مثله وقال مقاتل قوله ومثلا اي شبها
من حالهم بحالكم في تكذيب الرسل يعني بينا لكم ما احللنا بهم من العقاب لتمردهم على الله فجعلنا ذلك مثلا لكم وهذا
تخويف لكم بقوله مثلا عطف على آيات اي وانزلنا مثلا من امثال الذين من قبلكم الثالث قوله وموعظة للمتقين اي الوعيد
والتحذير ولا شك انه موعظة للكل وخص المتقين بالذكر لما تقدم في قوله هدى للمتقين **قوله تعالى** الله نور السموات
والارض الاية هذه جملة من مبتدأ وخبر اما على حذف مضاف اي ذو نور السموات والمراد بالنور عدله ويؤيد هذا قوله تعالى
مثل نوره واضاف النور الى هذين الظرفين اما للدلالة على سعة اشراقه وفشو اضاءته حتى تضيء له السموات والارض واما
لارادة اهل السموات والارض وانهم يستضيئون به ويجوز ان يبالغ في العبارة على سبيل المدح كقولهم فلان شمس
البلاد وقمرها قال النابغة • فانك شمس والملوك كواكب • اذا ظهرت لم يبد منهن كوكب •
وقال قمر القبائل خالد بن يزيد ويجوز ان يكون المصدر واقعا موقع اسم الفاعل اي منور السموات والارض ويؤيد
هذا الوجه قراءة امير المؤمنين وزيد بن علي وابي جعفر وعبد العزيز المكي نور فعلا ماضيا وفاعله ضمير الباري تعالى
السموات مفعوله والارض بالنصب نسقا عليه وفسره الحسن فقال الله منور السموات **فصل** قال ابن عباس
هادي اهل السموات والارض فهم بنوره الى الحق يهتدون وبهداه من حيرة الضلالة ينجون وقال الضحاك منور السموات
والارض يقال نور السماء بالملائكة ونور الارض بالانبياء وقال مجاهد مدبر الامور في السموات والارض وقال ابي
بن كعب والحسن وابو العالية مزين السموات والارض زين السماء بالشمس والقمر والنجوم وزين الارض بالانبياء والعلماء
والمؤمنين وقيل بالنبات والاشجار وقيل معناه الانوار كلها منه كما يقال فلان رحمة اي منه الرحمة وقد يذكر مثل هذا
اللفظ على طريق المدح كقول القائل • اذا سار عبد الله من مرو ليلة • فقد سار منها نورها وجمالها •
قوله تعالى مثل نوره كمشكوة مبتدأ وخبر وهذه الجملة ايضاح وتفسير لما قبلها فلا محل لها وثم مضاف محذوف
اي كمثل مشكاة قال الزمخشري اي مثل نوره العجيبة الشان في الاضاءة كمشكاة اي كصفة مشكاة واختلفوا في الضمير في نوره
فقيل هو لله تعالى اي مثل نور الله عز وجل في قلب المؤمن وقال سعيد بن جبير وهو النور الذي يهتدي به قال فهو على نور
من ربه وكان ابن مسعود يقرأ مثل نوره في قلب المؤمن وقال سعيد بن جبير عن ابن عباس مثل نوره الذي اعطى المؤمن وعلى
هذا المراد بالنور الايمان والآيات البينات وقيل يعود على المؤمنين او المؤمن او من آمن به اي مثل نور قلب المؤمن وكان ابي
يقرأ بهذه الالفاظ كلها واعاد الضمير على ما قرأه والمراد بالنور الايمان والقرآن كقوله تعالى قد جاءكم من الله نور وكتاب
مبين يعني القرآن وقال سعيد بن جبير والضحاك الضمير يعود على محمد صلى الله عليه وسلم ولم يتقدم لهذه الاشياء ذكر واما
عوده على المؤمنين على قراءة ابي ففيه اشكال من حيث الافراد قال مكي يوقف على الارض في هذه الاقوال الثلاثة وقيل
اراد بالنور الطاعة سمى طاعة الله نورا واضاف هذه الانوار الى نفسه تفضيلا **فصل** اختلفوا في هذا التشبيه
هل هو تشبيه مركب اي انه قصد به التشبيه جملة بجملة من غير نظر الى مقابلة جزء بجزء بل قصد تشبيه هداه واتقانه صنعه
في كل مخلوق على الجملة من الجملة بهذه النور التي تتخذونه وهو ابلغ صفات النور عندكم او تشبيه غير مركب اي قصد مقابلة
جزء بجزء ويترتب الكلام فيه بحسب الاقوال في الضمير في نوره والمشكوة الكوة غير النافذة وهل هي عربية ام حبشية معربة
خلاف وقال مجاهد هي القنديل وقيل هي الحديدة او الرصاصة التي يوضع فيها الذبال وهو الفتيل ويكون في جوف
الزجاجة وقيل هي العمود الذي يوضع على راسه المصباح وقيل ما يعلق به القنديل من الحديدة واما المشكوة الدوري عن
الكسائي بتقدم الكسر وان وجد فاصل ورسمت بالواو كالزكوة والصلوة والمصباح السراج الضخم واصله من الصوء و
الصبح والزجاجة واحدة الزجاج وهو جوهر معروف وفيه ثلاث لغات فالزجاج بالضم لغة الحجاز وبها قراءة العامة
والكسر والفتح لغة قيس وبالفتح قرأ ابن ابي عبلة ونصر بن عاصم في رواية ابن مجاهد وبالكسر قرأ نصر بن عاصم في رواية عنه
وابو رجاء وكذلك الخلاف في قوله الزجاجة والجملة من قوله فيها مصباح صفة لمشكوة ويجوز ان يكون الجار وحده هو الصفة
ومصباح مرتفع به فاعلا **قوله تعالى** دري قرأ ابو عمرو والكسائي بكسر الدال وياء بعدها همزة وقرأ حمزة وابو بكر عن عاصم
بضم الدال وياء بعدها همزة والباقون بضم الدال وتشديد الياء من غير همزة وهذه الثلاثة في السبع وقرأ زيد بن علي
والضحاك وقتادة بفتح الدال وتشديد الياء وقرأ ابان بن عثمان وابن المسيب وابو رجاء وقتادة ايضا دري بفتح
الدال وياء بعدها همزة فاما الاولى فقراءة واضحة لانه بناء كثير يوجد في الاسماء نحوه واما القراءة الثانية فهي من
الدرء بمعنى الدفع اي يدفع بعضها بعضا او يدفع ضوءها خفاءها قيل ولم يوجد شيء وزنه وانما ابدال من احدى الضعفات
يا وادغمت فيها يا فعيل ومريخا للذي في داخل القرن اليابس ويقال بكسر الميم ايضا ودري في هذه القراءة ودريا ايضا

في وزن بعضهم ووزن دري في هذه القراءة فعيل فعول كسبوح فدعس فاستثقل توالي الضم فنقل الى الكسر
وهذا منقول ايضا في سورية ودرية واما القراءة الثالثة فتحتمل وجهين الاول ان يكون اصلها الهمز كقراءة
حمزة الا انه ابدل لمعنى الهمزة وادغم فيتحد معنى القراءتين ويحتمل ان يكون نسبة الى الدر لصفائها وظهور انوارها
وان كان الكوكب اكثر ضوءا من الدر لكنه يفضل الكواكب بضيائه كما يفضل الدر سائر الحب واما قراءة تشديد الياء
مع فتح الدال وكسرها والذي يظهر انه منسوب الى الدر والفتح والكسر في الدال من باب تغييرات النسب واما فتح
الدال مع المد والهمز ففيها اشكال قال ابو الفتح وهو بناء عزيز لم يحفظ منه الا السكينة بفتح الحاء وتشديد
السين قال ثعلب الذين وحكى الاخفش فعلية السكينة والوقار وكوكب دري من درارئ **قوله تعالى** توقد قرأ
ابن كثير وابو عمرو توقد بزنة تفعل فعلا ماضيا فيه ضمير فاعله يعود على المصباح ولا يعود على كوكب لفساد
المعنى والاخوان وابو بكر توقد بضم التاء من فوق وفتح القاف مضارع اوقد وهو مبني للمفعول والقائم
مقام الفاعل ضمير يعود على زجاجة واستتر في الفعل وباقي السبعة كذلك الا انه بالياء من تحت والضمير المستتر
يعود على المصباح وقرأ الحسن والسلمي وابن محيصن ورويت عن عاصم من طريق المفضل كذلك الا انه ضم الدال جعله
مضارع اوقد والاصل تتوقد بتاءين فحذف احدهما كتذكر والضمير ايضا للزجاجة وقرأ عبد الله وقد فعلا
ماضيا بزنة قتل مشددا اي المصباح وقرأ السلمي والحسن ايضا يوقد بالياء من تحت وضم الدال مضارع توقد
والاصل يتوقد بياء من تحت وتاء من فوق فحذف التاء من فوق وهذا شاذ اذ لم يتوالى مثلان ولم يبق في اللفظ
ما يدل على المحذوف بخلاف تنزل وتذكر وبابه فان فيه تاءين والباقي يدل على ما تقدم وقد يحتمل الصحة وجه
من القياس وهو انهم حملوا اعد وتعد ونعد على يعد في حذف الواو لوقوعها بين ياء وكسرة فلذلك حملوا يتوقد
بالياء والتاء على تتوقد بتاءين وان لم يكن الاستثقال موجودا في الياء والتاء من شجرة من لابتداء الغاية ثم مضاف
محذوف اي من زيت شجرة وزيتونة فيها لان اشهرهما انها بدل من شجرة الثاني انها عطف بيان وهذا مذهب الكوفيين
وتبعهم ابو علي وتقدم هذا في قوله من ماء صديد **قوله تعالى** لا شرقية صفة لشجرة ودخلت لا لتفيد النفي وقرأ
الضحاك بالرفع على اضمار مبتدا اي هي لا شرقية والجملة ايضا في محل جر نعتا لشجرة **قوله تعالى** ولو لم تمسسه
نار جوابها محذوف اي لاضاءت لدلالة ما تقدم عليه والجملة حالية وتقدم تحريرها هذا في قوله ردوا السائل ولو جاء
على فرس وانها لاستقصاء الاحوال حتى في هذه الحال وقرأ ابن عباس والحسن يمسسه بالياء لان التانيث مجازي
ولانه قد فصل بالمفعول ايضا **فصل** في كيفية هذا التمثيل قال جمهور المتكلمين معناه ان هداية الله قد
بلغت في الظهور والجلاء الى اقصى الغايات وصار ذلك بمنزلة المشكاة التي يكون فيها زجاجة صافية وفي الزجاجة
مصباح يتقد بزيت بلغ النهاية في الصفاء فان قيل لم شبهه بذلك مع ان ضوء الشمس اعظم منه فالجواب
انه تعالى اراد ان يصف الضوء الكامل الذي يلوح وسط الظلمة لان الغالب على اوهام الخلق وخيالاتهم انما هو الشبهات
التي هي كالظلمات وهذا المقصود لا يحصل من ضوء الشمس لان ضوءها اذا ظهر امتلأ العالم من النور الخالص واذا
غاب امتلأ العالم من الظلمة ولا جرم كان هذا المثل اليق واوفق **فصل** اعلم ان الامور التي اعتبرها
الله تعالى في هذا المثل توجب كمال الضوء فاولها ان المصباح اذا لم يكن في المشكوة تفرقت اشعته وكانت اشد انارة
وتحقيق ذلك ان المصباح ينعكس شعاعه من بعض جوانب الزجاجة الى البعض لما في شعاع الشمس الزجاجة من الصفاء والشفافية
فيزداد بسبب ذلك الضوء والنور والذي يحقق ذلك ان شعاع الشمس اذا وقع على الزجاجة الصافية تضاعف
الضوء الظاهر حتى انه يظهر فيما يقابله مثل ذلك الضوء فاذا انعكست تلك الاشعة من كل جانب من جوانب الزجاجة
الى الجانب الاخر كثرت الانوار والاضواء وبلغت النهاية ثانيها ان ضوء المصباح يختلف بحسب اختلاف ما يتقد به
وان كان الدهن صافيا خالصا كانت حالته بخلاف حاله اذا كان كدرا وليس في الادهان التي توقد ما يظهر فيه
من الصفاء مثل الذي يظهر في الزيت فربما بلغ في الصفاء والرقة مبلغ الماء مع زيادة بياض فيه وشعاع يتردد في
اجزائه ثالثها ان الزيت يختلف باختلاف شجرته فاذا كانت لا شرقية ولا غربية بمعنى انها بارزة للشمس في كل
فاذا اجتمعت هذه الامور وتعاونت صار ذلك الضوء خالصا كاملا فيصلح ان يجعل مثلا لهداية الله تعالى
فان قيل قال بعضهم هذه الاية من المقلوب والتقدير مثل نوره كمصباح في مشكاة لان المشبه به هو الذي يكون
معدنا للنور ومنبعا له وذلك هو المصباح لا المشكاة فالجواب قال مجاهد المشكاة القنديل والمعنى كمصباح
في مشكاة المصباح في زجاجة يعني القنديل قال الزجاج انما ذكر الزجاجة لان النور وضوء النار فيهما ابين من كل شيء
وضوءه يزيد في الزجاج ثم وصف الزجاجة فقال الزجاجة كانها كوكب دري قال الفراء الدفع لانها اعني لان الكوكب

يدفع الشياطين من السماء وشبهه حالة الدفع لانه يكون في تلك الحالة اضوء وانور وقيل دري اي طالع يقال
درا النجم اذا طلع وارتفع ويقال هو من درا الكوكب اذا اندفع منقضا فيضاعف ضوءه في ذلك الوقت ويقال
درا علينا فلان اي طلع فظهر وقيل دري اي ضخم دري ودراري النجوم عظامها وقيل الكوكب الدري واحد
من الكواكب الخمسة العظام وهو زحل والمريخ والمشتري والزهرة وعطارد وقيل الكواكب المضيئة كالزهرة والمشتري
والثوابت الذي في العظم الاول فان قيل لم شبهه بالكوكب ولم يشبهه بالشمس والقمر فالجواب لان الشمس والقمر
يلحقهما الخسوف والكسوف والكواكب لا يلحقها الخسوف والكسوف توقد يعني المصباح اي اتقد ويقال توقدت
النار اي اتقدت يعني نار الزجاجة لان الزجاجة لا توقد هذا على قراءة من ضم التاء وفتح القاف واما على قراءة الاخوين
توقد يعني المصباح من شجرة مباركة اي من زيت شجرة مباركة فحذف المضاف بدليل قوله يكاد زيتها يضيء واراد
بالشجرة المباركة الزيتون وهي كثيرة البركة والنفع لان الزيت يسرج به وهو اضوء واصفى الادهان وهو ادام
وفاكهة ولا يحتاج في اخراجه الى عصار بل كل واحد يستخرجه وقيل اول شجرة نبتت بعد الطوفان وبارك فيها سبعون نبيا
منهم الخليل وجاء في الحديث انه مصحة من الباسور وهي شجرة تورق من اعلاها الى اسفلها وقال عليه السلام كلوا الزيت
وادهنوا به فانه من شجرة مباركة وقيل المراد زيتون الشام لانه في ارض مباركة فلهذا جعل الله هذه الشجرة بانها لا شرقية
ولا غربية **فصل** استدلوا على ذلك بوجوه الاول ان الشام وسط الدنيا فلا توصف شجرتها بانها شرقية
او غربية وهذا ضعيف لان من قال الارض كرة لا يثبت المشرق والمغرب موضعين معينين بل لكل بلد مشرق ومغرب
على حدة لان المثل مضروب لكل من يعرف توقد يوجد في غير الشام لوجود فيه الثاني قال الحسن لانها من شجر الجنة لو كانت
من شجر الدنيا لكانت اما شرقية واما غربية وهذا ايضا ضعيف لانه تعالى انما ضرب المثل بما شاهدوه وهم ما شاهدوا
شجر الجنة الثالث انها شجرة يلتف بها ورقها التفافا شديدا ولا تصل الشمس اليها سواء كانت الشمس شرقية او غربية
وليس في الخبر ما يوافق عضته من اوله الى اخره مثل الزيتون والرمان وهذا ايضا ضعيف لان الغرض صفاء الزيتون
وذلك لا يحصل الا بكمال نضج الزيتون وذلك انما يحصل في العادة بوصول اثر الشمس اليها لا بعدمه وصوله الرابع
قال الزجاج قال ابن عباس المراد الشجرة التي تبرز على جبل عال او صحراء واسعة فتطلع الشمس عليها حالتي الطلوع والغروب
وهذا قول سعيد بن جبير وقتادة وقال الفراء والزجاج لا شرقية وحدها ولا غربية وحدها ولكنها شرقية وغربية كما يقال
فلان لا مسافر ولا مقيم اذا كان يسافر ويقيم اي تصيبها الشمس عند طلوعها فتكون شرقية غربية تاخذ حظها من
الامرين فيكون زيتها اضوء كما يقال فلان ليس باسود ولا بابيض يريد ليس باسود خالص ولا بابيض خالص بل اجتمع فيه
الامران وهذا الرمان ليس بحلو ولا حامض اي اجتمع فيه الحلاوة والحموضة لان الشجرة اذا كانت كذلك كان زيتها
في غاية الصفا وحينئذ يكون مقصودا للتمثيل انم وقيل المراد بالمشكاة صدر محمد والزجاجة قلب محمد والمصباح
ما في قلب محمد من الدين توقد من شجرة مباركة يعني واتبع ملة ابراهيم والشجرة ابراهيم ثم وصف ابراهيم بقوله لا شرقية
ولا غربية اي لا يصلي قبل المشرق ولا قبل المغرب كاليهود والنصارى بل كان عليه السلام يصلي الى الكعبة ثم قال
يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار لان الزيت اذا كان خالصا صافيا ثم رئي من بعيد يرى كان له شعاعا فيضيء
فاذا مسته النار ازداد ضوءا على ضوءه كذلك قال ابن عباس يكاد قلب المؤمن يعمل بالهدى قبل ان ياتيه العلم
فاذا جاءه العلم ازداد نورا على نور وهدى على هدى وقال الضحاك يكاد محمد يتكلم بالحكمة قبل الوحي قال عبد الله
بن رواحة لو لم تكن فيه ايات مبينة كانت بديهته تنبيك بالخبر وقال محمد بن كعب القرظي المشكاة ابراهيم والزجاجة
اسماعيل والمصباح محمد صلى الله عليه وسلم سماه الله مصباحا كما سماه سراجا فقال تعالى وسراجا منيرا توقد من شجرة
مباركة وهو ابراهيم عليه السلام وسماه مباركا لان اكثر الانبياء من صلبه لا شرقية ولا غربية اي لم يكن يهوديا ولا
نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما لان اليهود تصلي قبل المغرب والنصارى قبل المشرق يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه
نار تكاد محاسن محمد صلى الله عليه وسلم تظهر للناس من قبل الوحي اليه نور على نور نبي من نسل نبي نور محمد على نور ابراهيم
قوله تعالى نور على نور خبر مبتدا مضمر اي ذلك نور على نور صفة لنور والمعنى ان القران نور من الله عز وجل
لخلقه مع ما اقام لهم من الدلائل والاحكام قبل نزول القران فازدادوا بذلك نورا على نور يهدي الله لنوره
من يشاء قال ابن عباس لدين الاسلام وهو نور البصيرة وقيل القران لان المؤمن يتقلب على ذلك اي يتقلب في
خمسة انوار قوله نور وعمله نور ومدخله نور ومخرجه نور ومصيره الى النور واستدل اهل السنة بهذه الاية على صحة
مذهبهم فقالوا انه تعالى بعد ان بين ان هذه الدلائل التي بلغت في الظهور والوضوح الى هذا الحد الذي لا يمكن الزيادة
عليها قال يهدي الله باقتباس هذه الدلالة لنوره من يشاء اي وضوح هذه الدلائل لا يكفي ولا ينفع ما لم يخلق الايمان

ويضرب الله الأمثال للناس يبين الله الأشياء للناس أي للمكلفين تقريبًا لأفهامهم وتسهيلًا لنيل
الإدراك والله بكل شيء عليم وهذا كالوعيد لمن لا يعتبر ولا يتفكر في أمثاله ولا ينظر في أدلته فيعرف وضوحها
وبعدها عن الشبهات قالت المعتزلة قوله تعالى ويضرب الله الأمثال للناس ذكره في معرض النعمة فإنما يكون نعمة عظيمة
لو أمكنهم الانتفاع به وتقدم جوابه **قوله تعالى** في بيوت أذن الله أن ترفع الآية الثاني من الأوجه أنه صفة للمصباح
والباء من بيوت تضم وتكسر لغة واعلم أن قوله في بيوت يقتضي محذوفًا يكون فيها وذكروا فيه ستة أوجه الأول أن قوله
في بيوت صفة لمشكاة أي كمشكاة في بيوت أي في بيت من بيوت الله وهذا اختيار أكثر المحققين واعترض عليه أبو مسلم بن بحر
الأصفهاني من وجهين أحدهما أن المقصود من ذكر المصباح المثل وكون المصباح في بيت أذن الله لا يزيد في هذا المقصود
لأن ذلك لا يزيد المصباح إنارة وإضاءة والثاني أن الذي تقدم ذكره فيه وجوه تقتضي كونه واحدًا كقوله كمشكاة وقوله
فيها مصباح وقوله في زجاجة وقوله فإنها كوكب دري ولفظ البيوت جمع ولا يصح كون هذا الواحد في كل البيوت وأجيب
عن الأول أن المصباح الموضوع في الزجاجة الصافية إذا كانت في المساجد كان أعظم وأضخم فكان أضوأ وكان التمثيل
به أتم وأكمل وعن الثاني أنه لما كان القصد بالمثل هو الذي له هذا الوصف فيدخل تحته كل مشكاة فيها مصباح في زجاجة
يتوقد من الزيت وتكون الفائدة في ذلك أن ضوءه يظهر في هذه البيوت بالليالي عند الحاجة إلى عبادة الله تعالى كقوله
الذي يصلح لخدمتي رجل يرجع إلى علم وقناعة يلزم بيته لكان الحكم وإن ذكر بلفظ الواحد فالمراد النوع فكذا هاهنا
الوجه الثالث صفة لزجاجة الرابع أنه يتعلق بتوقد أي توقد في بيوت والبيوت هي المساجد قال سعيد بن جبير عن ابن عباس
قال المساجد بيوت الله في الأرض وهي تضيء لأهل السماء كما تضيء النجوم لأهل الأرض وعلى هذه الأقوال الأربعة لا يوقف
على عليم الخامس أنه متعلق بمحذوف كقوله في تسع آيات أي سبحوه في بيوت السادس أنه متعلق بيسبح أي يسبح رجال في بيوت
وفيها تكرير للتوكيد كقوله تعالى ففي الجنة خالدين فيها وعلى هذين القولين يوقف على عليم **قوله تعالى** أذن الله في محل
جر صفة للبيوت وأن ترفع على حرف الجار أي في أن ترفع ولا يجوز تعلق في بيوت بقوله ويذكر لأنه عطف على ما في حيز أن
وما بعد أن لا يتقدم عليها **فصل** قال المفسرون المراد بالبيوت هاهنا المساجد وقال عكرمة هي البيوت كلها
والأول أولى لأن في البيوت ما لا يوصف بأن الله أذن أن ترفع وأيضًا فإن الله تعالى وصفها بالذكر والتسبيح والصلاة
وذلك لا يليق إلا بالمساجد ثم القائلون بأنها المساجد قال بعضهم بأنها أربع مساجد لم يبنها إلا نبي الكعبة بناها إبراهيم
وإسماعيل فجعلاها قبلة وبيت المقدس بناه داود وسليمان عليهما السلام ومسجد المدينة بناه النبي صلى الله عليه وسلم
ومسجد قباء أسس على التقوى بناه رسول الله صلى الله عليه وسلم قاله ابن بريدة وعن الحسن أن ذلك بيت المقدس يسرج فيه عشرة
آلاف قنديل وهذا تخصيص بغير دليل وقال ابن عباس هي جميع المساجد كما تقدم **قوله تعالى** أن ترفع قال مجاهد
يبنى كقوله تعالى وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وهو مروي عن ابن عباس وقال الحسن والزجاج تعظم وتطهر من الأنـ
ـجاس ولغو الأفعال وقيل مجموع الأمرين **قوله تعالى** ويذكر فيها اسمه قال ابن عباس المراد جميع المساجد كما تقدم
في قوله تعالى أن ترفع قال مجاهد عن ابن عباس يتلى فيها كتابه وقال ابن هشام وقيل عام في كل ذكر **قوله تعالى** يسبح له فيها
قرأ ابن عامر وأبو بكر بفتح الباء مبنيًا للمفعول والقائم مقام الفاعل أحد المجرورات الثلاث والأولى بذلك الأول لأن طلب
العامل إليه من غير بعد فالذي يليه أولى ورجال على هذه القراءة مرفوع لوجهين إما بفعل مقدر ولتعذر إسناد الفعل إليه
وكأنه جواب فعل مقدر كأنه قيل من يسبحه فقيل يسبحه رجال وعليه في أحد الوجهين قول الشاعر

ليبك يزيد ضارع لخصومة • ومختبط مما تطيح الطوائح •

كأنه قيل من يبكيه فقيل يبكيه ضارع الثاني في الآية أن هذا حال فمنهم من جوزه وقاس عليه ضرب هند زيد أي ضربها
زيد ومنهم من منعه والوجه الثاني في البيت أن يزيد منادى حذف منه حرف النداء أي يا زيد وهو ضعيف جدًا والوجه
الثاني في الآية أن رجالًا خبر مبتدأ محذوف أي المسبح رجال وعلى هذه القراءة يوقف على الآصال وباقي السبعة
بكسر الباء مبنيًا للفاعل والفاعل رجال ولا يوقف على الآصال وقرأ ابن وثاب وأبو حيوة تسبح بالتاء من فوق وكسر الباء
لأن جمع التكسير يعامل معاملة المؤنث في بعض الأحكام وهذا منها وقرأ أبو جعفر كذلك إلا أنه فتح الباء وخرجها الزمخشري
على إسناد الفعل إلى الغدو والآصال على زيادة الباء كقولهم صيد عليه يومان وخرجها غيره على أن القائم مقام الفاعل
ضمير التسبيحة أي تسبح التسبيحة على المجاز المسوغ لإسنادها إلى الوقتين كما خرجوا قراءة أبي جعفر أيضًا ليجزى قومًا
وحمل هذا أولى من نيابة الجار إذ ليس هنا مفعول صريح **فصل** اختلفوا في هذا التسبيح فالأكثرون حملوه
على الصلوة المفروضة وهؤلاء منهم من حمله على صلاة الصبح والعصر فقال كانتا واجبتين في ابتداء الحال ثم زيد فيهما وقال
عليه السلام من صلى صلاة البردين دخل الجنة وقيل أراد الصلاة المفروضة فالتي تؤدى بالغداة صلاة الفجر والتي تؤدى

بالآصال

بالآصال صلاة الظهر والعصر والعشاءين لأن اسم الأصيل يجمعها والآصال جمع أصيل وهو العشي وإنما وحد الغدو
لأنه مصدر في الأصل لا يجمع والأصيل اسم فجمع وقال الزمخشري بالغدو أي بأوقات الغدو أي بالغدوات وقيل صلاة
الضحى قال عليه السلام من مشى إلى صلاة مكتوبة وهو متطهر فأجره كأجر الحاج المحرم ومن مشى إلى تسبيح الضحى لا ينصبه
إلا إياه فأجره كأجر المعتمر وصلاة على أثر صلاة لا لغو بينهما كتاب في عليين وقال ابن عباس إن صلاة الضحى لفي كتاب الله
تؤديه هذه الآية وقيل المراد منه تنزيه الله تعالى عما لا يليق به في ذاته وفعله لأنه قد عطف على ذلك الصلاة والزكاة
فقال عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وهذا الوجه أظهر وقرئ بالغدو والإيصال وهو الدخول في الأصيل **قوله
تعالى** لا تلهيهم في محل رفع صفة لرجال وخص الرجال بالذكر في هذه المساجد لأنه ليس على النساء جمعة ولا جماعة
في المسجد لا تلهيهم تشغلهم تجارة قيل خص التجارة بالذكر لأنها أعظم ما يشتغل به الإنسان عن الصلاة والطاعات
قال الحسن أما والله إنهم كانوا يتجرون ولكن إذا جاءتهم فرائض الله لم يلههم عنها شيء فقاموا بالصلاة والزكاة فإن قيل
البيع داخل في التجارات فلم أعاد البيع فالجواب من وجوه الأول أن التجارة جنس يدخل تحته أنواع الشراء والبيع وإنما خص
البيع بالذكر لأن الإلهاء به أعظم لكون الربح الحاصل من البيع معين بالجزم والربح الحاصل من الشراء مشكوك فيه في المستقبل
الثاني أن البيع يبتدل العرض بالنقدين والشراء بالعكس والرغبة في تبديل النقد أكثر من العكس الثالث قال الفراء التجارة
لأهل الجلب يقال تجر فلان في كذا إذا جلبه من غير بلده والبيع ما باعه على يديه الرابع أراد بالتجارة الشراء وإن كان
اسم التجارة يقع على البيع والشراء جميعًا لأنه ذكر البيع بعده كقوله تعالى وإذا رأوا تجارة أو لهوًا يعني الشراء **قوله تعالى**
عن ذكر الله عن حضور المساجد لإقامة الصلوة فإن قيل فما معنى قوله وإقام الصلوة فالجواب قال ابن عباس المراد
بإقام الصلوة إقامتها لمواقيتها لأن من أخر الصلاة عن وقتها لا يكون من مقيمي الصلوة ويجوز أن يكون قوله الصلاة
تفسير الذكر الله فهم يذكرون قبل الصلوة قال الزجاج وإنما حذفت الهاء لأنه يقال أقمت الصلاة إقامة وكان الأصل
إقوامًا ولكن قلبت الواو ألفًا فاجتمعت ألفان فحذفت إحداهما لالتقاء الساكنين فبقي أقمت الصلاة إقامًا فأدخلت
الهاء عوضًا من المحذوف وقامت الإضافة هاهنا في التعويض مقام الهاء المحذوفة وهذا إجماع من النحويين
فصل المراد الصلاة المفروضة لما روى سالم عن ابن عمر أنه كان في السوق فأقيمت الصلاة فقام الناس
وأغلقوا حوانيتهم ودخلوا المسجد فقال ابن عمر فيهم نزلت هذه الآية رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام
الصلاة وقوله وإيتاء الزكاة يريد المفروضة قال ابن عباس إذا حضر وقت أداء الزكاة لم يحبسوها وروي عن ابن عباس
أيضًا المراد من الزكاة طاعة الله والإخلاص وهذا ضعيف لأنه تعالى علق الزكاة بالإيتاء وهذا لا يحمل إلا على ما يعطى من
حقوق المال **قوله تعالى** يخافون يومًا يجوز أن يكون نعتًا ثانيًا لرجال وأن يكون حالًا من مفعول تلهيهم ويومًا
مفعول به لا ظرف على الأظهر وتتقلب صفة ليومًا **قوله تعالى** تتقلب فيه القلوب والأبصار تتقلب القلوب
عما كانت فيه في الدنيا من الشرك والكفر وتنفتح الأبصار من الأغطية بعد أن كانت مطبوعًا عليها لا تبصر وكلهم
انقلبوا من الشك إلى اليقين كقوله وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون وقوله لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا
عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد وقيل تتقلب القلوب تطمع في النجاة وتخشى الهلاك وتتقلب الأبصار
من كل ناحية يؤخذ من ناحية اليمين أو من ناحية الشمال يعطون كتابهم أمن قبل اليمين أم من قبل الشمال والمعتزلة
لا يرضون بهذا التأويل لكنهم قالوا إن أهل الثواب لا خوف عليهم البتة وأهل العقاب لا يرجون العفو وقيل إن
القلوب تزول عن أماكنها فتبلغ الحناجر والأبصار تصير زرقًا وقيل تقلب البصر شخوصه من هول الأمر وشدته
تغيرها بسبب ما ينالها من العذاب قال ويجوز أن يريد به تقلبها على جمر جهنم كقوله تعالى ونقلب أفئدتهم
وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة **قوله تعالى** ليجزيهم يجوز تعلقه بيسبح أي يسبحون لأجل الجزاء ويجوز
تعلقه بمحذوف أي فعلوا ذلك ليجزيهم ويكون على إعمال الثاني للحذف من الأول وقوله تعالى أحسن ما عملوا أي
ثواب أحسن أو أحسن جزاء ما عملوا وما مصدرية أو بمعنى الذي أو نكرة فإن **قيل** المراد بأحسن الحسنات أجمع
وهي الطاعات فرضها ونفلها قال مقاتل إنما ذكر الأحسن لأنه لا يجازيهم على مساوي أعمالهم بل يغفرها لهم وقيل يجزيهم
جزاء أحسن ما عملوا على الواحد عشرًا إلى سبع مائة ثم قال ويزيدهم من فضله أي ما لم يستحقوه بأعمالهم فالجواب هذا
يدل على أن فعل الطاعة أثر في استحقاق الثواب لأنه تعالى ميز الجزاء عن الفضل وأنتم لا تقولون بذلك فإن عندكم
العبد لا يستحق على ربه شيئًا **فصل** نحن نثبت الاستحقاق بالوعد بذلك القدر هو الذي يستحق والزائد
عليه هو الفضل ثم قال والله يرزق من يشاء بغير حساب وذلك تنبيه على كمال قدرته وكمال جوده وسعة إحسانه
فكأنه تعالى لما وصفهم بالجد والاجتهاد في الطاعة وهم مع ذلك في غاية الإجهاد ذاتي في نهاية الخوف فالحق سبحانه

يعطيهم الثواب العظيم على الطاعات ويزيدهم الفضل الذي لا حد له في مقابلة خوفهم **قوله تعالى** والذين
كفروا أعمالهم كسراب بقيعة الآية لما بين حال المؤمن أنه يكون في الدنيا في النور ويكون بسببه متمسكا بالعمل الصالح
ثم بين أنه يكون في الآخرة فائزا بالنعيم المقيم والثواب العظيم أتبع ذلك ببيان أن الكافر يكون في الآخرة في أشد الخسران
وفي الدنيا أعظم أنواع الظلمات وضرب لكل واحد منهم مثلا أما المثل الدال على خسرته في الآخرة فقوله والذين
كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه قال الأزهري السراب ما يتراءى للعين وقت الضحى في الفلوات شبيها بالماء الجاري
وليس بماء ولكن الذي ينظر إليه من بعيد يظنه ماء جاريا في الفلوات شبيها بالماء الجاري يقال سرب الماء يسرب
سروبا إذا جرى فهو سارب وقيل السراب ما يتراءى للإنسان في القفر في شدة الحر مما يشبه الماء وقيل ما يتكاثف من
قعور القيعان قال الشاعر • فلما كففنا الحرب كانت عهودهم • كلمع سراب في الفلا متألق •
يضرب به المثل لمن يظن بشيء خيرا فيخلف ظنه وقيل هو الشعاع الذي يرى نصف النهار في شدة الحر في البراري يخيل
للناظر أنه الماء السارب أي الجاري فإذا قرب منه انفش فلا يرى شيئا والآل ما ارتفع من الأرض وهو شعاع
يرى بين السماء والأرض بالغدوات يشبه الملاءة ترفع الشخوص يرى فيها الصغير كبيرا والقصير طويلا والرقراق
يكون بالعشايا وهو ما ترقرق من السراب أي جاء وذهب بقيعة فيه وجهان • الأول أنه متعلق بمحذوف على أنه صفة لسراب
والثاني أنه ظرف والعامل فيه الاستقرار العامل في كاف التشبيه والقيعة بمعنى القاع قال الزمخشري وهو المنبسط
من الأرض وتقدم في طه وقيل بل هي جمعه كجار وجيرة قاله الفراء وقرأ مسلمة بن محارب بتاء ممطوطة ويروى عنه بتاء
شكل الهاء ويقف عليها بالهاء فيها أوجه الأول أن تكون بمعنى قيعة كالعامة وإنما أشبع الفتحة فتولد منها الألف كقوله
مخرنبق لينباع قاله صاحب اللوامح والثاني أنه جمع قيعة كالعامة وإنما وقف عليها بالهاء ذهابا به مذهب لغة طيء في قولهم
الأخوة والأخوات ودفن البنات من المكرمات أي والأخوات والبنات والمكرمات وهذه القراءة تؤيد أن قيعة جمع قاع
الثالث قال الزمخشري وقد جعل بعضهم بقيعات بتاء ممدودة وظاهر هذا أنه اسم مستقل لا أنه جمع ولا إشباع **قوله
تعالى** يحسبه الظمآن جملة في محل الجر صفة لسراب أيضا وحسن ذلك لتقدم الجار على الجملة هذا إن جعلنا الجار صفة
والضمائر المرفوعة في جاءه وفي لم يجده وفي وجد والضمائر في عنده وفي وفاه وفي حسابه كلها ترجع على الظمآن لأن المراد
به الكافر المذكور أولا وهذا قول الزمخشري وهو حسن وقيل بل المراد أن الضمير في وجد وجاءه عائد على الظمآن
والباقية عائدة على الكافر وإنما أفرد الضمير على هذا وإن تقدمه جمع وهو قوله والذين كفروا حملا على المعنى إذ المعنى
كل واحد من الكفار والأول أولى لاتساق الضمائر وقرأ أبو جعفر ورويت عن نافع الظمان العطشى ثم وجه التشبيه
أن الذي يأتي به الكافر إن كان من أفعال البر فهو لا يستحق عليه ثوابا مع أنه يعتقد أن له ثوابا عليه وإن كان من أفعال
الإثم فهو يستحق العقاب عليه وروي عن نافع الظمان بإلقاء حركة الهمزة على الميم **فصل** قال الزجاج الظمآن
قد يخفف همزه وهو شديد العطش ثم وجه التشبيه أن الذي يأتي به الكافر إن كان من أفعال البر فهو لا يستحق عليه
ثوابا مع أنه يعتقد أن له ثوابا عليه وإن كان من أفعال الإثم فهو يستحق عليه العقاب مع أنه يعتقد أن له ثوابا فكيف كان
فهو يعتقد أن له ثوابا عند الله تعالى فإذا وافى عرصة القيامة ولم يجد الثواب بل وجد العقاب الأليم عظمت حسرته
وتناهى غمه فيشبه حاله حال الظمآن الذي تشتد حاجته إلى السراب ويتعلق قلبه به ويرجو النجاة ويقوي طمعه
فإذا جاءه وأيس مما كان يرجوه عظم ذلك عليه قال مجاهد السراب عمل الكافر وإتيانه إياه موته ومفارقة الدنيا
فصل قوله حتى إذا جاءه يدل على كونه شيئا وإن كان قد اجتمع الثاني إذا جاءه أي جاء موضع السراب لم يجده
السراب لأن السراب يرى من بعيد بسبب الكثافة كأنه ضباب وهباء فإذا قرب منه رق وانتشر وصار كالهواء **قوله تعالى**
ووجد الله عنده أي وجد عقاب الله عنده الذي يوجد والذي توعد به الكافر وقيل وجد الله عنده أي عند عمله
أي وجد الله بالمرصاد وقيل قدم على الله فوفاه حسابه أي جزاء عمله وقيل نزلت في عتبة بن ربيعة بن أمية كان قد
تعبد ولبس المسوح والتمس الدين في الجاهلية ثم كفر في الإسلام **قوله تعالى** والله سريع الحساب لأنه تعالى عالم
بجميع المعلومات فلا يشق عليه الحساب وقال بعض المتكلمين معناه لا يشغله محاسبة أحد عن آخر كنحن ولو كان يتكلم
بآلة كما تقول المشبهة لما صح ذلك **قوله تعالى** أو كظلمات هذا مثل آخر ضربه الله تعالى لأعمال الكفار وفي هذا العطف
أوجه الأول أنه نسق على كسراب على حذف مضاف واحد تقديره أو كذي ظلمات ودل على هذا المضاف قوله إذا أخرج
يده لم يكد يراها فالكناية تعود على المضاف المحذوف وهو قول أبي علي الثاني أنه على حذف مضافين تقديره أو كأعمال
ذي ظلمات فتقدر ذي ليصح عود الضمير إليه في قوله إذا أخرج يده وتقدر أعمال ليصح تشبيه أعمال الكفار بأعمال
صاحب الظلمة إذ لا معنى لتشبيه العمل بصاحب الظلمة الثالث أنه لا حاجة إلى حذف البتة والمعنى أنه شبه أعمال الكفار

في حيلولتها

في حيلولتها بين القلب وما يهتدي به بالظلمة وأما الضمير في أخرج يده فيعود على محذوف دل المعنى عليه
إذا أخرج يده من فيها وأو هنا للتنويع لا للشك وقيل بل هي للتخيير أي شبهوا أعمالهم بهذا أو بهذا وقرأ سفيان بن
حسين أو كظلمات بفتح الواو وجعلها عاطفة دخلت عليها همزة الاستفهام التي معناها التقرير وقد تقدم ذلك في
قوله أوأمن أهل القرى **قوله تعالى** في بحر لجي في محل صفة لظلمات فيتعلق بمحذوف واللجي منسوب إلى اللج وهو معظم
البحر قاله الزمخشري وقال غيره منسوب إلى اللجة بالتاء وهي أيضا معظمه واللجي هو العميق الكثير الماء وفيه لغتان كسر اللام
وضمها **قوله تعالى** يغشاه موج صفة أخرى لبحر هذا إذا أعدنا الضمير في يغشاه على بحر وهو الظاهر وإن قدرنا
مضافا محذوفا أو كذي ظلمات كما فعل بعضهم كان الضمير في يغشاه عائدا عليه وكانت الجملة حالا منه لتخصيصه بالإضافة
أو صفة له **قوله تعالى** من فوقه موج يجوز أن تكون هذه جملة من مبتدأ وخبر صفة لموج الأول ويجوز أن يكون
الوصف الجار والمجرور فقط وموج فاعل به لاعتماده على الموصوف **قوله تعالى** من فوقه سحاب فيه الوجهان
المذكوران قبله من كون الجملة صفة لموج الثاني والجار فقط **قوله تعالى** ظلمات قرأ العامة بالرفع وفيه وجهان أحدهما
أن يكون خبر مبتدأ مضمر تقديره هذه أو تلك ظلمات الثاني أن يكون ظلمات مبتدأ والجملة من قوله بعضها فوق
بعض خبره ذكره الحوفي وفيه نظر لأنه لا مسوغ للابتداء بهذه النكرة اللهم إلا أن يقال إنها موصوفة تقديرا أي ظلمات
كثيرة متكاثفة كقولهم السمن منوان بدرهم وقرأ ابن كثير ظلمات بالجر إلا أن البزي روى عنه حينئذ حذف التنوين
من سحاب فقرأ البزي عنه سحاب ظلمات بإضافة سحاب لظلمات وروى قنبل عنه التنوين كالجماعة مع جره
كظلمات فأما رواية البزي فقال أبو البقاء جعل الموج المتراكم بمنزلة السحاب وأما رواية قنبل فإنه جعل ظلمات
بدلا من ظلمات الأولى **قوله تعالى** بعضها فوق بعض جملة من مبتدأ وخبر في موضع رفع أو جر على حسب القراءتين
في ظلمات قبلها لأنها صفة لها وجوز الحوفي على قراءة رفع الظلمات في بعضها أن تكون بدلا من ظلمات ورد عليه من حيث
المعنى على الإخبار بأنها ظلمات وأن بعض تلك الظلمات فوق بعض وبين قولك الظلمات بعضها فوق بعض وإن تخيل
ذلك في بادي الرأي **قوله تعالى** إذا أخرج يده لم يكد يراها تقدم الكلام في كاد وأن بعضهم زعم أن نفيها إثبات
وإثباتها نفي وتقدمت أدلة ذلك في البقرة عند قوله تعالى وما كادوا يفعلون وقال الزمخشري هنا لم يكد يراها
مبالغة في لم يرها أي لم يقرب أن يراها فضلا عن أن يراها ومنه قول ذي الرمة •
• إذا غير النأي المحبين لم يكد • رسيس الهوى من حب مية يبرح •
أي لم يقرب من البراح فما باله يبرح وقال أبو البقاء اختلف الناس في تأويل هذا الكلام ومنشأ الاختلاف فيه
أن موضوع كاد إذا نفيت وقوع الفعل وأكثر المفسرين على أنه لا يرى يده فعلى هذا في التقدير ثلاثة أوجه أحدها
أن التقدير لم يرها ولم يكد أن أخرجها على مقتضى الباب كان التقدير ولم يكد يراها كما هو مصرح به في الآية فإن
أراد هذا القائل أنه لم يكد يراها وأنه رآها بعد جهد تناقض لأنه نفى الرؤية ثم أثبتها وإن كان معنى لم يكد يراها
البتة على خلاف الأكثر في هذا الباب ينبغي أن يحمل عليه من غير أن يقدر لم يرها والثاني أن كاد زائدة وهو بعيد
ثالثها أن كاد خرجت هاهنا على معنى قارب والمعنى يقارب رؤيتها وإذا لم يقاربها باعدها وعليه جاء قول ذي
الرمة في البيت المتقدم أي لم يقارب البراح ومن هنا حكي عن ذي الرمة أنه لما روجع في هذا البيت قال لم أجد بدل
لم يكد والمعنى الثاني أنه رآها بعد جهد والتشبيه على هذا صحيح لأنه من شدة الظلمة إذا أحد نظره إلى يده وقربها من عينه
رآها انتهى أما الوجه الأول وهو ما ذكره أنه قول الأكثرين أنه يكون نفيها إثباتا فقد تقدم أنه غير صحيح وأنه ليس قول
الأكثرين وإنما غرهم في ذلك آية البقرة وما أنشد بعضهم وهو نحوي هذا العصر ما هي لفظة البيتين وأما ما
ذكره من زيادة كاد فهو قول أبي بكر وغيره ولكنه مردود عندهم وأما ما ذكره من المعنى الثاني وهو أنه رآها بعد جهد
فهو مذهب الفراء والمبرد والعجب كيف يعدل عن المعنى الذي أشار إليه الزمخشري وهو المبالغة في نفي الرؤية وقال ابن
عطية ما معناه إذا كان الفعل بعد كاد منفيا دل على ثبوته نحو كاد زيد لا يقوم أو مثبتا دل على نفيه نحو كاد زيد
يقوم وتقول كاد النعام يطير فهذا مناقض نفي الطيران عنه وإذا قلت كاد النعام أن لا يطير وجب الطيران له
وإذا تقدم النفي كاد احتمل أن يكون موجبا وأن يكون منفيا تقول المفلوج لا يكاد يسكن فهذا يتضمن نفي السكون
وتقول رجل منصرف لا يكاد يسكن فهذا تضمن إيجاب السكون بعد جهد **فصل** اعلم أن الله تعالى بين أن
أعمال الكفار إن كانت حسنة فمثلها السراب وإن كانت قبيحة فهي الظلمات وفيه وجه آخر وهو أن أعمالهم إما كسراب
بقيعة وذلك في الآخرة وإما كظلمات في بحر وذلك في الدنيا وقيل إن الآية الأولى في ذكر أعمالهم وأنهم لا يحصلون
منها على شيء والآية الثانية في ذكر عقائدهم فإنها تشبه الظلمات كما قال يخرجهم من الظلمات إلى النور أي من الكفر

الى الايمان يدل عليه قوله تعالى ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور **فصل** واما تقرير المثل فهو ان البحر اللجي
يكون قعره مظلما جدا بسبب عمق الماء فاذا ترادفت عليه الامواج ازدادت الظلمة فاذا كانت فوق الامواج سحاب
بلغت الظلمة النهاية القصوى فالواقع في قعر هذا البحر اللجي في غاية شدة الظلمة ولما كانت العادة في اليد انها من اقرب
ما يراها وابعد ما يظن انه لا يراها فقال تعالى اذا اخرج يده لم يكد يراها فبين سبحانه بهذا بلوغ تلك الظلمة
التي هي اقصى النهايات ثم شبه الكافر في اعتقاده وهو ضد المؤمن في قوله تعالى نور على نور وفي قوله يسعى نورهم
بين ايديهم وبايمانهم ولهذا قال ابي بن كعب الكافر يتقلب في خمس من الظلم كلامه ظلم وعمله ظلم ومدخله ظلم ومخرجه
ظلم ومصيره الى الظلمات وفي كيفية هذا التشبيه وجوه الاول قال الحسن ان الله تعالى ذكر ثلاثة انواع من الظلمات
ظلمة البحر وظلمة الامواج وظلمة السحاب كذا الكافر له ظلمات ثلاث ظلمة الاعتقاد وظلمة القول وظلمة العمل الثاني قال ابن عباس
شبه قلبه وسمعه وبصره بهذه الظلمات الثلاث الثالث ان الكافر لا يدري ولا يدري انه لا يدري ويعتقد انه
يدري فهذه المراتب الثلاث شبه تلك الظلمات الثلاث الرابع قلب مظلم في صدر مظلم في جسد مظلم الخامس ان
هذه الظلمات الثلاث متراكمة فكذا الكافر لشدة اصراره على كفره قد تراكمت عليه الضلالات حتى لو ذكر عنده اظهر
الدلائل لم يفهمه **قوله تعالى** ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور قال ابن عباس ومن لم يجعل الله له دينا وايمانا
فلا دين له وقيل من لم يهده الله فلا ايمان له فلا يهديه احد قال اهل السنة انه تعالى لما وصف هداية المؤمن بانها
في نهاية الجلالة والظهور عقبها بان قال يهدي الله لنوره من يشاء ولما وصف ضلالة الكافر بانها في نهاية الظلمة
عقبه بقوله ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور والمراد من ذلك ان يعرف الانسان ان ظهور الدلائل لا يفيد الايمان
وظلمة الطريق لا تمنع منه فان الكل مربوط بخلق الله وهدايته وتكوينه قال القاضي من قوله ومن لم يجعل الله له نورا
اي في الدنيا بالالطاف فما له من نور اي لا يهتدي فيخيب وتقدم الكلام عليه **قوله تعالى** الم تر ان الله يسبح له
من في السموات ومن في الارض الاية لما وصف انوار قلوب المؤمنين وظلمات قلوب الجاهلين اتبع ذلك بدلائل التوحيد
والمعنى الم تعلم لان التسبيح لا يرى بالبصر بل يعلم بالقلب وهذا استفهام والمراد به التقرير والبيان قال ابن الخطيب
اما ان يكون المراد من هذا التسبيح دلالة تخلق هذه الاشياء على كونه تعالى منزها عن النقائص موصوفا بنعوت
الجلال او يكون المراد منه في حق البعض الدلالة على التنزيه وفي حق الباقين النطق باللسان والاول اقرب لان القسم
الثاني متعذر لان في الارض من لا يكون مكلفا لا يسبح بهذا المعنى والمكلفون منهم من لا يسبح ايضا بهذا المعنى
كالكفار واما القسم الثاني وهو ان يقال ان في السموات وهم الملائكة يسبحون باللسان واما الذين في الارض
فمنهم من يسبح على سبيل الدلالة فهذا يقتضي استعمال اللفظ الواحد في الحقيقة والمجاز معا وهو غير جائز فلم يبق الا
القسم الاول وهو ان هذه الاشياء مشتركة في ان اجسامها واوصافها دالة على تنزيه الله تعالى وقدرته والاهيته وتوحيده
وعدله فسمي ذلك تسبيحا توسعا فان قيل فالتسبيح بهذا المعنى حاصل لجميع المخلوقات فما وجه تخصيصه ههنا بالعقلاء
فالجواب لان خلقة العقلاء اشد دلالة على وجود الصانع لان العجائب والغرائب في خلقهم اكثر وهي العقل والنطق
والفهم **قوله تعالى** والطير قرأ العامة رفعا صافات نصبا فالرفع عطف على من والنصب على الحال وقرأ الاعرج
والطير نصبا على المفعول معه وصافات حال ايضا وقرأ الحسن وخارجة عن نافع والطير صافات برفعهما على
الابتداء والخبر ومفعول صافات محذوف اي اجنحتها **قوله تعالى** كل قد علم صلاته في هذه الضماير اقوال الاول
انها كلها عائدة على كل اي كل قد علم هو صلاة نفسه وتسبيحها وهذا اولى لتوافق الضماير الثاني ان الضمير في علم
عائد على الله تعالى وفي صلاته وتسبيحه عائد على كل ويدل عليه قوله والله عليم بما يفعلون الثالث بالعكس اي
علم كل صلاة الله وتسبيحه اي اللذين امر بهما وبان يفعلا كاضافة الخلق الى الخالق وعلى هذا قوله والله عليم استئناف
ورجح ابو البقاء ان لا يكون الفاعل ضمير كل قال لان القراءة برفع كل على الابتداء فيرجع ضمير الفاعل اليه ولو كان فيه
ضمير اسم الله تعالى لكان الاولى نصب كل لان الفعل الذي بعدها قد نصب ما هو من سببها فيصير كقولك زيدا
ضرب عمرو غلامه فتنصب زيدا بفعل دل عليه ما بعده وهو اقوى من الرفع والاخر جائز **فصل**
وجه اتصال هذا بما قبله انه تعالى لما ذكر ان اهل السموات والارض يسبحون ذكر ان المستقرين في الهواء الذي هو
بين السماء والارض وهم الطير يسبحون وذلك ان اعطاء الجرم الثقيل القوة التي يقوى بها الوقوف في جو السماء
صافة باسطة اجنحتها بما فيها من القبض والبسط من اعظم الدلائل على قدرة الصانع المدبر سبحانه وجعل طيرانها
سجودا منها له سبحانه وذلك يؤيد ان المراد من التسبيح دلالة هذه الامور على التنزيه لا النطق اللساني وقال ابو
ثابت كنت جالسا عند ابي جعفر الباقر فقال لي اتدري ما تقول هذه العصافير عند طلوع الشمس وبعد طلوعها قال

فانهن يقدسن ربهن ويسألنه قوت يومهن واستبعد المتكلمون ذلك فقالوا الطير لو كانت عارفة بالله
لكانت كالعقلاء الذين يفهمون كلامنا واشاراتنا لكنها ليست كذلك فانا نعلم بالضرورة بانها اشد نقصانا
من الصبي الذي لا يعرف هذه الامور فبان يمتنع ذلك اولى واذا ثبت انها لا تعرف الله استحال كونها مسبحة له
بالنطق فثبت انها لا تسبح الله الا بلسان الحال كما تقدم قال بعض العلماء انا نشاهد من الطيور وسائر الحيوانات
اعمالا لطيفة يعجز عنها اكثر العقلاء واذا كان كذلك فكيف لا يجوز ان يلهمها معرفته وتسبيحه وبيان انه سبحانه الهمها
الاعمال اللطيفة وجوه اولها ان الدب يرمي بالحجارة ويأخذ العصا ويرمي الانسان حتى يتوهم انه مات فيتركه
وربما عاد يتشممه ويتجنب نفسه ويصعد الشجر اخف صعود ويهشم الجوز بين كفيه تعريضا بالواحدة وصدمة
بالاخرى ثم ينفخ فيه فيذري قشره ويتغذى ويحكى عن الفار في سرقته امور عجيبة ثانيها امر النحل وما لها من
الرياسة والبيوت المسدسة التي لا يتمكن من بنائها افاضل المهندسين ثالثها انتقال الكراكي من طرف من اطراف
العالم الى الطرف الاخر طلبا لما يوافقها من الاهوية ويقال من خواص الخيل ان كل احد يعرف صوت الفرس الذي
قاتله وقتاله واما الفهد اذا شرب من الدواء المعروف بخانق الفهد عمد الى زبل الانسان لياكله والتماسيح
تفتح افواهها لطائر يقع عليها ينظف ما بين اسنانها ويقال له القطقاط وعلى راس ذلك الطائر كالشوكة
فاذا هم التمساح بالتقام ذلك الطائر تاذى من تلك الشوكة فيفتح فاه فيخرج ذلك الطائر والسلحفاة تتناول
بعد اكل الحية صعترا جبليا ثم تعود من ذلك وحكى عن بعض الثقات المجربين للصيد انه شاهد الحبارى تقاتل الافعى
وتنهزم عنه الى بقلة تتناول منها ثم تعود ولا تزال كذلك وكان ذلك الشخص قاعدا في كوة وكانت البقلة
قريبا من مسكنه فلما اشتغل الحبارى قلع البقلة فعاد الحبارى الى منبتها فلم يجدها وجعل يدور حول منبتها
دورانا متتابعا حتى خر ميتا فعلم الشخص انه يعالج باكلها من اللسعة وتلك البقلة هي الجرجير البري وابن عرس يستظهر
في محاربة الحية باكل السذاب فان النكهة السذابية تنفر عنها الافعى والكلاب اذا دودت بطونها اكلت سنبل القمح واذا
جرحت اللقالق بعضها بعضا داوت الجراحة بالصعتر الجبلي والقنافذ تحس بالشمال والجنوب قبل الهبوب فتغير
المدخل الى جحرها وكان رجل بالقسطنطينية قد اثرى بسبب انه ينذر بالرياح قبل هبوبها وينتفع الناس
بانذاره وكان السبب فيه قنفذا في بيته يفعل الصنع المذكور فيستدل به والخطاف صناع في اتخاذ العش
من الطين وقطع الخشب فاذا اعوزه الطين ابتل وتمرغ في التراب ليحمل جناحاه قدرا من الطين فاذا فرخ بالغ
في تعهد الفراخ واخذ ذرقها بمنقارها ورميه عن العش واذا دنى الصائد من مكان الفراخ القبجة ظهرت له
القبجة وقربت منه مطمعة له ليتبعها ثم تذهب الى جانب اخر سوى جانب الفراخ وناقر الخشب قلما يقع على الارض
بل على الشجر ينقر الموضع الذي يعلم ان فيه دودا والغرانيق تصعد في الجو عند الطيران فان حجب بعضها عن بعض سحاب
او ضباب احدثت من اجنحتها حفيفا مسموعا يتبع به بعضهم بعضا فاذا باتت على جبل فانها تضع رؤوسها تحت
اجنحتها الا القائد فانه ينام مكشوف الراس فيسرع انتباهه اذا سمع جرسا صاح وحال النمل في الذهاب الى مواضعها
على خط مستقيم يحفظ بعضها بعضا امر عجيب واذا كشف عن بيوتها الساتر الذي كان سترها وكان تحته بيض لها
فان كل نملة تاخذ بيضة في فمها وتذهب في اسرع وقت والاستقصاء في هذا الباب مذكور في كتاب طبائع
الحيوان والمقصود من ذلك ان الفضلاء من العقلاء يعجزون عن امثال هذه الحيل واذا كان كذلك فلم لا يجوز
ان يقال انها تسبح الله تعالى وتثني عليه وان كانت غير عارفة بسائر الامور التي يعرفها الناس ويؤيد هذا
قوله تعالى ولكن لا تفقهون تسبيحهم ثم قال والله عليم بما يفعلون قرأ الحسن والجمهور بالياء من تحت على المبالغة
في وصف قدرة الله تعالى وعلمه بخلقه وقرأ عيسى والحسن بالتاء من فوق ففي المعنى المذكور زيادة الوعيد
والتخويف من الله تعالى وفي مصحف ابي وابن مسعود والله بصير بما يفعلون **قوله تعالى** ولله ملك السموات
والارض تنبيه على ان الكل منه لان كل ما سواه ممكن ومحدث والممكن والمحدث لا يوجدان الا عند الانتهاء
الى القديم الواجب ويدخل في هذا جميع الاجرام والاعراض وافعال العباد واحوالهم وخواطرهم والى الله
المصير وهذا دليل على المعاد وانه لا بد من مصير الكل اليه **قوله تعالى** الم تر ان الله يزجي سحابا الاية
هذه الرؤية بصرية والازجاء السوق قليلا قليلا ومنه البضاعة المزجاة التي يزجيها كل احد وازجاء السير في الابل
الرفق بها حتى تسير شيئا فشيئا **قوله تعالى** ثم يجعله ركاما اي متراكما يركب بعضها على البعض ويتكاثف
والعرب تقول ان الله تعالى اذا لم يجعل السحاب ركاما بالريح عصر بعضه بعضا فيخرج الودق منه ومن ذلك
قوله تعالى وانزلنا من المعصرات ماء ثجاجا ومن ذلك قول حسان بن ثابت كلتاهما حلب العصير فعاطني

زجاجة حانها المفصل • ويروى المفصل بكسر الميم وفتح الصاد والمفصل احد المفاصل والمفصل اللسان ويروى
بالقاف لر ادحسان الخمر والماء الذي يرجت اي من عصير العنب وهذه من عصير السحاب نقله ابن عطية وقال اهل
الطبايع ان يكون السحاب والمطر والثلج والبرد والطل والصقيع في اكثر الامر من تكاثف البخار وفي الاقل من
تكاثف الهوى فاما الاول فالبخار الصاعد ان كان قليلا وكان في الهواء من الحرارة ما يحلله بتلك الابخرة المتصاعدة
واما ان تبلغ في صعودها الى الطبقة الباردة من الهواء او لا تبلغ فان بلغت فاما ان يكون البرد قويا او لا يكون
فان لم يكن البرد هناك قويا تكاثف ذلك البخار بذلك القدر من البرد واجتمع وتقاطر فالبخار المجتمع هو السحاب
والتقاطر هو المطر والديمة والوابل انما يكون من هذه الغيوم وان كان البرد شديدا فلا يخلو اما ان يصل البعض
الى الاجزاء البخارية قبل اجتماعها وانحلالها حبات كبارا او بعد صيرورتها كذلك فان كان على الاول نزل الثلج
وان كان على الوجه الثاني نزل البرد فان لم تبلغ الابخرة الى الطبقة الباردة فاما ان تكون كثيرة او قليلة فان كانت
كثيرة فقد تنعقد سحابا ماطرا وقد لا تنعقد اما الاول فلاسباب خمسة اولها اذا منع هبوب الرياح عن تصاعد
تلك الابخرة ثانيها ان يكون الرياح اتاها الى الاجتماع بسبب وقوف جبال قدام الريح ثالثها ان يكون هناك
رياح متقابلة متصادمة فتعود الابخرة حينئذ رابعها ان يعرض للبخار المتقدم وقوف لثقله وبطوء حركته
يلتصق به ساير الاجزاء الكثيرة المدد خامسها لشدة برد الهواء القريب من الارض وقد نشاهد البخار يصعد
في بعض الجبال صعودا يسيرا حتى كانه مكبة موضوعة على وهدة ويكون الناظر اليه فوق تلك الغمامة والذين
يكونون تحت الغمامة يمطرون والذين يكونون فوقها يكونون في الشمس وان كانت الابخرة القليلة الارتفاع
قليلة لطيفة فاذا ضربها برد الليل وكثفها فانها تصير ماء محسوسا ينزل نزولا متفرقا لا يحس به الا عند اجتماع
شيء يعتد به فان لم يجمد كان طلا وان جمد كان صقيعا ونسبة الصقيع الى الطل نسبة الثلج الى المطر والجواب
انا دللنا على حدوث الاجسام وتوسلنا بذلك الى كونه قادرا مختارا يمكنه ايجاد الاجسام فلا يمتنع ما ذكروه
وايضا فهب الامر على ما ذكرتم ولكن الاجسام بالاتفاق ممكنة على ذواتها فلا بد لها من موثر ثم انها متماثلة
فاختصاص كل واحد منها بالصفة المعينة من الصعود والهبوط والكثافة والحرارة والبرودة لا بد له من مخصص
فاذا كان هو سبحانه وتعالى خالقا لتلك الطبايع فتلك الطبايع في هذه الاحوال لا بد لها من سبب وخالق
السبب خالق المسبب فكان سبحانه هو الذي يزجي سحابا لانه هو الذي خلق تلك الطبايع المحركة لتلك الابخرة
من باطن الارض الى جو الهواء ثم تلك الابخرة ترادفت في صعودها والتصق بعضها بالبعض فهو سبحانه هو الذي جعلها
ركاما فعلى جميع التقديرات توجه الاستدلال بهذه الاشياء على القدرة والحكمة **قوله تعالى** فترى الودق
يخرج من خلاله تقدم الكلام على خلال هل هو مفرد كحجاب ام جمع كجبال جمع جبل ويويد الاول قراءة ابن مسعود
والضحاك ويروى عن ابن عمرو ايضا من خلله بالافراد وقرا عاصم والاعرج وينزل على المبالغة والجمهور على
التخفيف والودق قيل هو المطر ضعيفا كان او شديدا قال الشاعر

• فلا مزنة ودقت ودقها • ولا ارض ابقل ابقالها •

وقيل هو البرق وانشد الشاعر • اثرن عجاجة وخرجن منها • خروج الودق من خلل السحاب •
والودق في الاصل مصدر يقال ودق السحاب يدق ودقا ويخرج حال لان الروية بصرية **قوله تعالى** من السماء
من جبال فيها من برد من الاولى لابتداء الغاية اتفاقا لانه ابتداء الانزال من السماء واما الثانية ففيها ثلاثة
اوجه الاول انها لابتداء الغاية ايضا فهي ومجرورها بدل من الاولى باعادة العامل والتقدير وينزل من جبال
السماء اي من جبال فيها فهو بدل اشتمال الثاني انها للتبعيض قاله الزمخشري وابن عطية لان حبس تلك الجبال
من جنس فعلى هذا هي ومجرورها في موضع مفعول الانزال فانه قال وينزل بعض جبال الثالث انها زايدة اي ينزل
من السماء جبالا وقال الحوفي من جبال بدل من الاولى ثم قال وهي للتبعيض ورده ابو حيان بانه لا يستقيم البدل
الا بتوافقهما معنى لو قلت خرجت من بغداد من الكرخ لم تكن الاولى والثانية الا لابتداء الغاية واما الثالثة
ففيها اربعة اوجه الثلاثة المتقدمة والرابع انها لبيان الجنس قاله الحوفي والزمخشري فيكون التقدير على قولهما
وينزل من السماء بعض جبال التي هي البرد فالمنزل بعض برد ولان بعض البرد برد ومفعول ينزل برد من جبال
كما تقدم تقريره وقال الزمخشري او الاوليان للابتداء والثالثة للتبعيض بعوان الخلاف بدل من الاول كما
تقدم تقريره فحينئذ يكون مفعول ينزل هو الثالثة مع مجرورها لتقديره وينزل بعض برد من السماء
من جبال فيها واذا قيل بان الثانية زايدتان فمجرورهما في محل نصب والثاني بدل من الاول والتقدير

وينزل

وينزل من السماء جبالا بردا فيكون بدل كل من كل والثاني في محل نصب مفعولا لينزل والثالث في محل رفع على الابتدا
وخبره الجار قبله حال فالاول قول الاخفش والثاني قول الفرا وتكون الجملة على قول الفرا صفة لجبال المحكوم على موضعها بالجر
اعتبارا باللفظ او بالنصب اعتبارا بالمحل ويجوز ان يكون فيها وحده هو الوصف ويكون من برد فاعلا لاعتماده اي استقر
فيها برد وقال الزجاج معناه وينزل من السماء من جبال برد فيها كما تقول هذا خاتم في يدي وانما جيء في هذا وفي الاية
بمن لما فرغت ولانك اذا قلت هذا خاتم من حديد وخاتم حديد كان المعنى واحدا فيكون من برد في موضع جر صفة
لجبال كما كان من حديد صفة لخاتم ويكون مفعولا ينزل من جبال ويلزم من كون الجبال بردا ان يكون المنزل بردا وقال ابو البقا
والوجه الثاني ان التقدير شيئا من جبال فحذف الموصوف واكتفي بالصفة وهذا الوجه هو الصحيح لان قوله فيها من برد يحوج
الى مفعول الضمير اليه فيكون تقديره وينزل من جبال السماء جبالا فيها برد وفي ذلك زيادة حذف وتقدير مستغنى عنه
وليس ثم مانع يمنع من عوده على السماء وقوله احرا وتقدير مستغنى عنها في قوله وهذا الوجه هو الصحيح والضمير في به
يجوز ان يعود على البرد وهو الظاهر ويجوز ان يعود على الودق والبرد معا جريا بالضمير مجرى اسم الاشارة كانه قيل
فيصيب بذلك وقد تقدم نظيره **فصل** قال ابن عباس اخبر الله ان في السماء جبالا من برد ثم ينزل منها ما شاء
وهو قول اكثر المفسرين وقيل المراد بالسماء الغيم المرتفع سمي بذلك لسموه وارتفاعه وانه تعالى انزل الغيم الذي هو سماء البرد
واراد بقوله من جبال السحاب العظام لانها اذا اعظمت شبهت بالجبال كما يقال فلان يملك جبالا من مال ووصف بذلك توسعا
وذهبوا الى ان البرد ماء جامد خلقه الله في السحاب ثم انزل الى الارض وقال بعضهم انما سمي ذلك الغيم جبالا لانه سبحانه خلقها
من البرد وكل جسم متحجر فهو من الجبال ومنه قوله تعالى خلقكم والجبلة الاولين قال المفسرون والاول اولى لان السماء اسم لهذا
الجسم المخصوص فتسمية السحاب سماء بالاشتقاق مجاز وكما يصح ان يجعل الماء في السحاب ثم ينزله بردا فقد يصح في القدرة جعل
في الارض في السماء جبالا وجه لترك الظاهر **قوله** فيصيب به من يشاء اي بالبرد من يشاء فيهلكه زرعه وامواله
قوله تعالى ويصرفه عمن يشاء يصرف ضرره عمن يشاء بان لا يسقطه عليه **قوله** يكاد سنا برقه العامة على نصب
سنا وهو الضوء وهو من ذوات الواو ويقال سنا يسنو سنا اي اضاء قال امرؤ القيس يضيء سناه او مصابيح راهب
والسنا بالمد الرفعة قال الشاعر • وسن كسنيق سناء وسنما • وقرا ابن وثاب سناء برقه بالمد وضم الباء من برقه وفتح
الراء وروي عنه ضم الراء ايضا فاما قراءة المد فانه شبه المحسوس من البرق لارتفاعه في الهوا بغير المحسوس من الانسان فاما
برقه فجمع برقة وهو المقدار من البرق كغرفة وغرف ولقمة ولقم واما ضم الراء فللاتباع كظلمات بضم اللام اتباعا لضم الظاء
وان كان اصلها السكون وقرا العامة ايضا يذهب بفتح الياء والهاء وابو جعفر بضم الياء وكسر الهاء من اذهب وقد خطا هذه القراءة
الاخفش وابو حاتم قالا لان الباء تعاقب الهمزة وليس تخطيهما بصواب لانها تتخرج على ما خرج ما قرئ به في المتواتر ينبت بالدهن
من ان الباء مزيدة وان المفعول محذوف والباء بمعنى من تقديره يذهب النور من الابصار كقوله
شرب النزيف ببرد ماء الحشرج **فصل** المعنى يكاد ضوء برق السحاب يذهب بالابصار من شدة ضوئه
واعلم ان البرق الذي صفته كذلك لا بد وان يكون نارا عظيمة خالصة والنار ضد الماء والبرد فظهوره يقتضي ظهور
الضد من الضد وذلك لا يمكن الا بقدرة قادر حكيم ثم قال يقلب الله الليل والنهار يصرفهما في اختلافهما وتعاقبهما يأتي
بالليل ويذهب بالنهار ويأتي بالنهار ويذهب بالليل قال عليه السلام قال الله تعالى يوذيني ابن ادم يسب الدهر
وانا الدهر بيدي الامر اقلب الليل والنهار وقيل المراد ولوج احدهما في الاخر وقيل المراد تغيرهما في الحر والبرد
وغيرهما ان في ذلك لعبرة لاولي الابصار اي ان في الذي ذكرت من هذه الاشياء العبرة لاولي الابصار اي دلالة لاهل العقول
على قدرة الله وتوحيده **قوله تعالى** والله خلق كل دابة من ماء الاية لما استدل اولا باحوال السماء والارض وثانيا
بالاثار استدل ثالثا باحوال الحيوانات قال ابن عطية قرا حمزة والكسائي والله خالق كل دابة على الاضافة فان قيل
لما قال والله خلق كل دابة من ماء مع ان كثيرا من الحيوانات لم يخلق من الماء كالملائكة خلقوا من النور وهم اعظم الحيوانات عددا
وكذلك الجن وهم مخلوقون من النار وخلق ادم من التراب لقوله تعالى خلقه من تراب وخلق عيسى من الريح لقوله تعالى فنفخنا
فيها من روحنا ونرى كثيرا من الحيوانات يتولد لا عن نطفة فالجواب من وجوه احسنها ما قال القفال ان من ماء صلة
كل دابة وليس هو من صلة خلق والمعنى ان كل دابة متولدة من الماء فهي مخلوقة لله تعالى وثانيها ان اصل جميع المخلوقات
الماء على ما روي اول ما خلق الله جوهرة فنظر اليها بعين الهيبة فصارت ماء ثم خلق من ذلك الماء الهوى والنور
والمقصود من هذه الاية بيان ان اصل الخلقة الماء فلهذا ذكره الله تعالى ثالثها ان المراد من الدابة التي تدب على وجه الارض
ومسكنهم هنالك فيخرج الملائكة والجن ولما كان الغالب من هذه الحيوانات كونهم مخلوقين من الماء اما لكونها متولدة من النطفة
واما لانها لا تعيش الا بالماء لا جرم اطلق عليه لفظ الكل تنزيلا للغالب منزلة الكل وقيل الجار في قوله من ماء متعلق بخلق اي خلق

من ماء كل دابة من لابتداء الغاية ويرد على هذا السؤال المتقدم فان قيل لم نكر الماء في قوله من ماء وعرفه
في قوله من الماء كل شيء حي فالجواب جاء هاهنا منكرا لان المعنى خلق كل دابة من نوع من الماء مختصا بتلك
الدابة وعرفه في قوله من الماء كل شيء حي لانه المقصود هناك كونهم مخلوقين من هذا الجنس وهاهنا بيان ان ذلك
الجنس ينقسم الى انواع كثيرة **قوله تعالى** فمنهم من يمشي انما اطلق من على غير العاقل لاختلاطه بالعاقل في المفصل
عن العقلاء وهو كل دابة وكان التعبير بمن اولى لتوافق اللفظ وقيل لما وصفهم بما يوصف به العقلاء وهو اطلق عليها
من وفيه نظر لان هذه الصفة ليست خاصة بالعقلاء بخلاف قوله تعالى افمن يخلق كمن لا يخلق وقول الشاعر
اسرب القطا هل من يعير جناحه • البيت وقد تقدم خلاف القرا في كل دابة في ابرهيم واستعير المشي للزحف على البطن
كما استعير المشفر للشفة وبالعكس كما قالوا في العكس لمسمر وقد مشى هذا الامر ويقال فلان ما يمشي له امر فان قيل لم حصروا
القسمة في هذه الثلاثة انواع من المشي وقد نجد من يمشي على اكثر من اربع كالعناكب والعقارب والرتيلا والحيوان الذي
له اربع واربعون رجلا فالجواب هذا القسم الذي لم يذكر كالنادر فكان ملحقا بالعدم وايضا قال النقاش انما
اكتفى بذكر ما يمشي على اربع عن ذكر ما يمشي على اكثر لان جميع الحيوان انما اعتماده على اربع وهي قوام معيشته وكثرة الارجل
لبعض الحيوان زيادة في الخلقة لا يحتاج ذلك الحيوان في مشيه الى جميعها قال ابن عطية والظاهر ان تلك الارجل الكثيرة
ليست باطلا بل هي محتاج اليها في نقل الحيوان وهي كلها تتحرك في تصرفه وجواب اخر وهو ان قوله يخلق الله ما يشاء
كالتنبيه على سائر الاقسام وفي مصحف ابي بن كعب ومنهم من يمشي على اكثر فعم بهذه الزيادة جميع الحيوان وان لم يثبت الاجماع
قوله تعالى يخلق الله ما يشاء ان الله على كل شيء قدير لانه القادر على الكل والعالم بالكل هو المطلع على احوال هذه
الحيوانات فاي عقل يقف عليها واي خاطر يصل الى ذرة من اسرارها بل هو الذي يخلق ما يشاء كما يشاء ولا يمنعه مانع
قوله تعالى لقد انزلنا آيات مبينات والاولى حمله على كل الادلة وقيل المراد القرآن لانه كالمشتمل على كل الادلة
والعبر والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم وتقدم الكلام في نظائر هذه الآية بين اهل السنة والمعتزلة **قوله
تعالى** ويقولون آمنا بالله وبالرسول واطعنا الآية لما ذكر دلائل التوحيد اتبعه بذم قوم اعترفوا بالدين بالسنتهم
ولكنهم لم يقبلوه بقلوبهم قال مقاتل نزلت هذه الآية في بشر المنافق وكان قد خاصم يهوديا في ارض فقال له اليهودي
نتحاكم الى محمد صلى الله عليه وسلم وقال المنافق نتحاكم الى كعب بن الاشرف فان محمدا يحيف علينا فانزل الله هذه الآية
وقد مضت قصتها في سورة النساء وقال الضحاك نزلت في المغيرة بن وائل وكان بينه وبين علي بن ابي طالب رضي الله عنه ارض فتقاسما
فوقع الى علي ما لا يصيبه الماء الا بمشقة فقال المغيرة بعني ارضك فباعها اياه وتقابضا فقيل للمغيرة اخذت سبخة
لا يصيبها الماء فقال لعلي اقبض ارضك فانما اشتريتها ان رضيتها ولم ارضها فقال علي بل اشتريتها ورضيتها وقبضتها
وعرفت حالها لا اقبلها منك ودعاه الى ان يخاصمه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال المغيرة اما محمد فلا آتيه ولا احاكم
اليه فانه يبغضني وانا اخاف ان يحيف علي فنزلت الآية وقال الحسن نزلت هذه في المنافقين الذين كانوا يظهرون الايمان
ويخفون الكفر فان قيل المعنى ويقولون آمنا بالله وبالرسول واطعنا يعني المنافقين بقوله ثم يتولى يعرض عن
طاعة الله ورسوله فريق منهم من بعد ذلك اي من بعد قولهم آمنا ويدعو الى غير حكم الله ثم قال وما اولئك بالمؤمنين
فالجواب انه تعالى حكى عن كلهم انهم يقولون آمنا ثم حكى عن فريق منهم التولي فكيف يصح ان يقول في جميعهم وما اولئك
بالمؤمنين مع ان المتولي فريق منهم فان قيل ان قوله وما اولئك بالمؤمنين راجع الى الذين تولوا لا الى الجملة الاولى
وايضا لو رجع الى الجملة الاولى لصح ويكون معنى قوله ثم يتولى فريق منهم اي يرجع هذا الفريق الى المنافقين فيظهر
بعضهم الى بعض الرجوع كما اظهروه ثم بين تعالى انهم اذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم ان فريقا منهم معرضون وهذا
يدل على ان ترك الرضى بحكم الرسول لقوله تعالى وان يكن لهم الحق يأتوا اليه مذعنين منقادين اي اذا كان الحق لهم
على غيرهم اسرعوا الى حكمه لانه كان يحكم عليهم بالحق وهذا يدل على انهم انما يعرضون متى عرفوا الحق لغيرهم او شكوا واما
اذا عرفوه لانفسهم عدلوا عن الاعراض وسارعوا الى الحكم واذعنوا **قوله تعالى** ليحكم افرد الضمير وقد تقدم اثنان
وهما الله ورسوله فهو كقوله تعالى والله ورسوله احق ان يرضوه لان حكم رسوله هو حكمه قال
الزمخشري كقوله اعجبني زيد وكرمه اي كرم زيد ومنه قول الشاعر •

• ومنهل من الفلا في اوسطه • غلسته قبل القطا وفرطه •

اي قبل فرط القطا يعني قبل تقدم القطا وقرأ ابو جعفر الجحدري وخالد بن الياس ليحكم بينهم هنا وفي التي
بعدها مبنيا للمفعول والظرف قائم مقام الفاعل **قوله تعالى** اذا فريق اذا هي الفجائية وهي جواب اذا الشرطية
اولا وهذا احد الادلة على منع ان يعمل في اذا الشرطية جوابها فان ما بعد الفجائية لا يعمل فيما قبلها كذا ذكره ابو حيان

وتقدم تحرير هذا وجواب الجمهور عنه قوله مذعنين يجوز تعلقه بيأتوا لان اتى وجاء متعديين بالى ويجوز ان يتعلق
بمذعنين لانه بمعنى مسرعين في الطاعة وصححه الزمخشري قال لتقدم صلته ودلالته على الاختصاص ومذعنين حال
والاذعان الانقياد يقال اذعن فلان لفلان اي انقاد له وقال الزجاج الاذعان الاسراع مع الطاعة **قوله تعالى**
ام ارتابوا ام يخافون ام فيهما منقطعة تتقدر عند الجمهور بحرف الاضطراب وهمزة الاستفهام تقديره بل ارتابوا
بل يخافون ومعنى الاستفهام هنا التقرير والتوقيف ويبالغ به تارة في الذم كقول الشاعر •

• الستم القوم الذين تعاهدوا • على اللوم والفحشاء في سالف الدهر •

وتارة في المدح كقول جرير • الستم خير من ركب المطايا • واندى العالمين بطون راح • وان يحيف
مفعول الخوف والحيف الميل والجور في القضايا يقال حاف في قضيته اي مال **قوله تعالى** افي قلوبهم مرض
من نفاق ام ارتابوا شكوا وهو استفهام ذم وتوبيخ اي هم كذلك ام يخافون ان يحيف الله عليهم ورسوله اي يظلم
بل اولئك هم الظالمون لانفسهم باعراضهم عن الحق قال الحسن بن ابي الحسن من دعاه خصمه الى حاكم من حكام المسلمين فلم يجب
فهو ظالم فان قيل اذا خافوا ان يحيف الله عليهم ورسوله فقد ارتابوا في الدين واذا ارتابوا ففي قلوبهم مرض والكل واحد
فاي فائدة في التوحيد فالجواب قوله افي قلوبهم مرض اشارة الى النفاق وقوله ام ارتابوا اشارة الى انهم بلغوا في حب
الدنيا الى حيث يتركون الدين بسببه فان قيل هذه الثلاثة متغايرة ولكنها من هذه الاوصاف متلازمة
فكيف ادخل عليها كلمة ام فالجواب الاقرب انه تعالى نبههم على كل واحدة من هذه الاوصاف فكانوا في قلوبهم مرض
وهو النفاق وكان فيهم شك وارتياب وكانوا يخافون الحيف من الرسول وكل واحد من ذلك كفر ونفاق ثم بين
تعالى بقوله واولئك هم الظالمون بطلان ما هم عليه لان الظلم يتناول كل معصية كما قال تعالى ان الشرك
لظلم عظيم **قوله تعالى** انما كان قول المؤمنين العامة على نصب قول خبرا لكان والاسم ان المصدرية وما بعدها
وقرأ امير المؤمنين والحسن وابن ابي اسحاق برفعه على انه الاسم وان وما في حيزها الخبر وهي عندهم مرجوحة لانه متى
اجتمع معرفتان فالاولى جعل الاعرف الاسم وان كان سيبويه خير في ذلك بين كل معرفتين ولم يفرق هذه
التفرقة وتقدم هذا في آل عمران **قوله تعالى** اذا دعوا الى الله اي الى كتاب الله ورسوله ليحكم بينهم وهذا ليس
على طريق الخبر ولكنه تعليم ادب الشرع بمعنى ان المؤمنين ينبغي ان يكونوا هكذا ان يقولوا سمعنا واطعنا اي سمعنا
الدعاء واطعنا بالاجابة واولئك هم المفلحون ومن يطع الله ورسوله قال ابن عباس فيما ساءه وسره ويخشى الله فيما
صدر عنه من الذنوب في الماضي ويتقه فيما بقي من عمره فاولئك هم الفائزون الناجون **قوله تعالى** ويتقه
القراء بالنسبة الى القاف على مرتبتين الاولى تسكين القاف ولم يقرأ بها الا حفص والباقون بكسرها واما بالنسبة
الى هاء الكناية فانهم فيها على خمس مراتب الاولى تحريكها مفصولة قولا واحدا وبها قرأ ورش وابن ذكوان وخلف
وابن كثير والكسائي الثانية تسكينها قولا واحدا وبها قرأ ابو عمرو وابو بكر عن عاصم الثالثة تسكينها وايصالها
بياء وبها قرأ خلاد الرابعة تحريكها من غير صلة وبها قرأ قالون وحفص الخامسة تحريكها مكسورة او موصولة وبها
قرأ هشام فاما اسكان الهاء وقصرها واشباعها فقد مر تحقيقه مستوفى واما تسكين القاف فانهم حملوا المنفصل على
المتصل وذلك انهم يسكنون عين فعل فيقولون كبد وكتف وصبر في كبد وكتف وصبر لانها كلمة واحدة ثم اجري ما
اشبه ذلك من المنفصل مجرى المتصل فان يتقه صار منه تقه بمنزلة كتف فسكن كما يسكن ومنه قول الشاعر •

قالت سليمى اشتر لنا سويقا • بسكون الراء كما سكن الآخر في قوله • فبات منتصبا وما تكردسا •
وقول الآخر • عجبت لمولود وليس له اب • وذي ولد لم يلده ابوان • يريد منتصبا ولم يلده وتقدم
في اول البقرة تحرير هذا الضابط في قوله فهي كالحجارة وهي ونحوها قال مكي كان يجب على من سكن القاف
ان يضم الهاء لانها هاء الكناية اذا سكن ما قبلها ولم يكن الساكن ياء ضمت نحو منه وعنه ولكن لما كان سكون القاف
عارضا لم يعتد به وابقى الهاء على كسرها التي كانت عليها مع كسر القاف ولم يصلها بياء لان الياء المحذوفة
قبل الهاء مقدرة منوية فبقي الحذف الذي في الياء قبل الهاء على اصله وقال الفارسي الكسرة في الهاء لالتقاء
الساكنين وليست الكسرة التي قبل الصلة وذلك ان هاء الكناية ساكنة في قراءته ولما اجري تقه مجرى كتف وسكن
القاف التقى ساكنان ولما التقيا اضطر الى تحريك احدهما فاما ان يحرك الاول او الثاني ولا سبيل الى تحريك
الاول لانه يعود الى ما فر منه وهو ثقل فعل فحرك ثانيهما باصل التقاء الساكنين فلذلك كسر الهاء ويؤيده
قوله لم يلده ابوان وذلك ان اصله لم يلده بكسر اللام وسكون الدال للجزم ثم لما سكن اللام التقى ساكنان
فلو حرك الاول لعاد الى ما فر منه فحرك ثانيهما وهو الدال وحركها بالفتح وان كان على خلاف اصل التقاء الساكنين

مراعاة لفتح الياء وقد رد ابو البقا قول الفارسي وقال لا يصح قوله انكر الهاء لالتقاء الساكنين فلذلك كسر
الهاء لان حفصا لم يسكن الهاء في قراءته قط وقد رد ابو عبد الله شارح قصيدته هذا الرد وقال عجبت من نفيه الاسكان
عنه مع ثبوته عنه في اوجه وفاقه واذا قراه في ارجه وفاقه احتمل ان يكون يتقه عنده قبل سكون القاف عنده
لذلك وربما يرجح ذلك بما ثبت عن عاصم من قراءته اياه بسكون الهاء مع كسر القاف **فصل** قال شهاب الدين
لم يعني الشاطبي بانه لم يسكن الهاء قط من حيث هي في ويتقه وانما يتقه خاصة وكان الشاطبي ايضا يعترض لتوجيه الذي
تقدم عن مكي ويقول تعليله حذف الصلة بان الياء المحذوفة قبل انها مقدرة منوية فبقي في حذف الصلة بعد الهاء
على اصله غير مستقيم من قبل انه قرا ذلك وشهد بالصلة ولو كان يعتبر ما قاله من تقدير الياء قبل الهاء لم يصلها قال ابو
البقا هو ولمن قرا وشمه بالصلة فانه قرا يرضه بغير صلة فالحق مكي يتقه يرضه وجعله مما خرج فيه عن نظايره لاتباع
الاثر والجمع بين اللغتين ورجح ذلك عنده لان اللفظ دل عليه ولما كانت الكاف في حكم المكسورة بدليل كسرها ابعدها مال
الى ان صار كانه يتقه بكسر القاف واليها من غير صلة كقراءة قالون وهشام في احد وجهيه فعلله بما يعلله به قراءته
والشاطبي يرجح عنده جملة على الاكثر مما قرا به لا على ما تعلل ما قل وندر فاقتضى تعليله بما ذكر **قوله تعالى** واقسموا
بالله جهد ايمانهم في جهد ايمانهم وجهان احدهما انه منصوب على المصدرية لا من اللفظة بفعله اذ اصل اقسم بالله
جهد اليمين اقسم بجهد اليمين جهدا فحذف الفعل وقدم المصدر موضوعا موضعه مضافا الى المفعول كضرب الرقاب
قال الزمخشري والثاني انه حال تقديره مجتهدين في ايمانهم كقولهم افعل ذلك جهدك وطاقتك وقد خلط الزمخشري
الوجهين فجعلهما وجها واحدا فقال بعد ما تقدم عنه وحكم هذا المنصوب حكم الحال كانه قال جاهدين ايمانهم ونقل
الكلام على جهد ايمانهم في المايدة **فصل** قال مقاتل من حلف بالله فقد اجتهد في اليمين وذلك ان المنافقين
كانوا يقولون لرسول الله صلى الله عليه وسلم اين ما كنت نكن معك لئن خرجت خرجنا وان اقمت اقمنا وان امرتنا بالجهاد
جاهدنا فقال الله تعالى قل لهم لا تقسموا لا تحلفوا وها هنا تم الكلام وان قسمهم للمحب لم يحل النهي عنه لانه من حلف على القيام
بالبر والواجب لا يجوز النهي عنه فثبت ان قسمهم كان لنفاقهم وكان باطنهم بخلاف ظاهرهم ومن نوى العزلا الوفا فقسمه
قبيح **قوله تعالى** طاعة معروفة في رفعها ثلاثة اوجه الاول انه خبر مبتدا مضمر تقديره امرنا طاعة او المطلوب طاعة
والثاني انه مبتدا والخبر محذوف اي امثل او اولى وقد تقدم ان الخبر متى كان في الاصل مصدرا بدلا من اللفظ بفعله
وجب حذف مبتداه كقوله تعالى صبر جميل ولا يبرز الا اضطرارا كقول الشاعر •

فقالت على اسم الله امرك طاعة • وان كنت قد كلفت ما لم اعود •

على خلاف في ذلك والثالث ان يكون فاعله بفعل محذوف اي وليكن طاعة ولتوجد طاعة واستضعف ذلك بان
الفعل لا يحذف الا اذا تقدم مشعر به كقوله تعالى يسبح له فيها بالغدو والاصال في قراءة من بناه للمفعول اي يسبحه
رجال او يجاب به نفي كقوله بلى زيد لمن قال لم يقم احد او استفهام كقول الشاعر •

الا هل اتى ام الحويرث مرسل • بلى خالد ان لم تعقه العوايق •

وقرا زيد بن علي واليزيدي طاعة بنصبها بفعل مضمر وهو الاصل قال ابو البقا ولو قرا بالنصب لكان جايزا في العربية
وذلك على المصدر اي اطيعوا طاعة وقولوا قولا وقد دل عليه قوله بعدها قل اطيعوا الله قال شهاب الدين قوله ولو قرى
بالنصب لكان جايزا وقد تقدم النقل لقراءته واما قوله وقولوا قولا فكانه سبق لسانه الى اية القتال وهي فاولى لهم
طاعة وقول معروف ولكن النصب هناك ممتنع او بعيد **فصل** المعنى هذه طاعة بالقول باللسان دون
الاعتقاد وهي معروفة اي امر عرف منكم انكم تكذبون وتقولون ما لا تفعلون قاله مجاهد وقيل طاعة معروفة
بنية خالصة افضل وامثل من يمين باللسان لا يوافقها العمل والفعل وقال مقاتل بن سليمان ليكن منكم طاعة
معروفة هذا على قراءة الرفع واما على قراءة النصب فالمعنى اطيعوا الله طاعة والله خبير بما تعملون اي لا يخفى عليه
شيء من سرايركم فانه فاضحكم لا محالة ومجازيكم على نفاقكم ثم قال واطيعوا الله واطيعوا الرسول فان تولوا اي عن طاعة الله
ورسوله فانما عليه اي على الرسول ما حمل كلف وامر به من تبليغ الرسالة وعليكم ما حملتم من الاجابة والطاعة
وقرا نافع في رواية فانما عليه ما حمل بفتح الحاء والتخفيف اي فعليه اثم ما حمل من المعصية وان تطيعوه تهتدوا اي
تصيبوا الحق وان عصيتموه فما على الرسول الا البلاغ المبين والبلاغ بمعنى التبليغ والمبين الواضح **قوله تعالى**
فان تولوا يجوز ان يكون ماضيا ويكون الواو ضمير الغايبين ويكون الكلام فيه التفات من الخطاب الى الغيبة وحسن
الالتفات هنا كونه لم يواجههم بالتولي والاعراض وان يكون مضارعا حذفت احدى تاءيه والاصل تتولوا ويرجح
هذا قراءة البزي بتشديد التاء فان تولوا وان كان بعضهم يستضعفها للجمع بين ساكنين على غير حدهما ويرجح ايضا

الخطاب في قوله وعليكم ما حملتم وان تطيعوه تهتدوا ودعوى الالتفات من الغيبة ثانيا بعيد **قوله تعالى** وعد الله
الذين امنوا منكم وعملوا الصالحات الاية تقدير النظم بلغ ايها الرسول واطيعوا ايها المومنون فقد وعد الله الذين
امنوا منكم اي الذين جمعوا بين الايمان والعمل الصالح ان يستخلفهم في الارض فيجعلهم الخلفاء والغالبين والمالكين كما
استخلف عليها من قبلهم في زمن داود وسليمان عليهما السلام وغيرهما وانه يمكن لهم دينهم وتمكينه ذلك ان يويدهم
بالنصر والاعزاز ويبدلهم من بعد خوفهم من العدو امنا بان ينصرهم عليهم فيقتلوهم ولما جمعوا ويامنوا بذلك شرهم
قال ابو العالية مكث النبي صلى الله عليه وسلم بعد الوحي بمكة عشر سنين مع اصحابه وامروا بالصبر على اذى الكفار
وكانوا يصبحون ويمسون خايفين ثم امروا بالهجرة الى المدينة وامروا بالقتال وهم على خوفهم لا يفارق احدهم
سلاحه فقال رجل منهم ما ياتي علينا يوم نامن فيه ونضع السلاح فانزل الله هذه الاية وعد الله الذين امنوا منكم
وعملوا الصالحات ليستخلفنهم ادخل اللام في جواب اليمين المضمر يعني والله ليستخلفنهم في الارض ليورثنهم ارض الكفار من
العرب والعجم فيجعلهم ملوكها وسكانها كما استخلف الذين من قبلهم يعني بني اسرايل حيث اهلك الجبابرة بمصر والشام واورثهم
ارضهم وديارهم روى عدي بن حاتم قال اتينا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ اتاه رجل فشكى اليه الفاقة ثم اتاه
رجل اخر فشكى اليه قطع السبيل فقال يا عدي هل رايت الحيرة فقلت لم ارها وقد انبيت عنها قال فان طالت بك حياة
فلترين الظعينة ترتحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لا تخاف احدا الا الله قلت فيما بيني وبين نفسي فاين دعار الذين
قد سعروا البلاد ولين طالت بك حياة لتفتحن كنوز كسرى قلت كسرى بن هرمز قال ولين طالت بك حياة لترين الرجل
يخرج من كفه ملء كفه من ذهب او فضة يطلب من يقبله منه فلم يجد احدا يقبله وليلقين الله احدكم يوم القيمة
وليس بينه وبينه ترجمان يترجم له وليقولن الم ابعث اليك رسولا فيبلغك فيقول بلى فيقول الم اعطك مالا وافضل
عليك فيقول بلى فينظر عن يمينه فلا يرى الا جهنم وينظر عن يساره فلا يرى الا جهنم قال عدي سمعت رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقول اتقوا النار ولو بشق تمرة فمن لم يجد تمرا فبكلمة طيبة قال عدي فرايت الظعينة ترتحل من الحيرة
حتى تطوف بالكعبة لا تخاف احدا الا الله تعالى وكنت فيمن فتح كنوز كسرى بن هرمز ولين طالت بكم حياة لترون ما قال
النبي صلى الله عليه وسلم يخرج الرجل ملء كفه **قوله تعالى** ليستخلفنهم فيه وجهان الاول هو جواب قسم مضمر اي اقسم
ليستخلفنهم ويكون مفعول الوعد محذوفا تقديره وعدهم الاستخلاف لدلالة قوله ليستخلفنهم عليه والثاني انه وعد
يجري مجرى القسم لتحققه فكذلك يجري اجيب بما يجاب به القسم **قوله تعالى** كما استخلف اي استخلافا كاستخلافهم
والعامة على بناء استخلف للفاعل وابو بكر بناه للمفعول فالموصول منصوب على الاول ومرفوع على الثاني **قوله تعالى**
وليبدلنهم قرا ابن كثير وابو بكر وليبدلنهم بسكون الباء وتخفيف الدال من ابدل وتقدم توجيههما في الكهف في قوله ان
يبدلهما ربهما **قوله تعالى** يعبدونني فيه سبعة اوجه الاول انه مستانف وجواب لسوال مقدر كانه قيل ما بالهم يستخلفون
ويومنون فقيل يعبدونني الثاني انه خبر مبتدا مضمر اي هم يعبدونني والجملة ايضا استينافية تقتضي المدح الثالث انه
حال من مفعول وعد الله الرابع انه حال من فاعل ليستخلفنهم الخامس ان يكون حالا من فاعله السادس ان يكون حالا من
مفعول ليبدلنهم السابع ان يكون حالا من فاعله **قوله تعالى** لا يشركون يجوز ان يكون مستانفا وان يكون حالا
من فاعل يعبدونني اي يعبدونني موحدين وان يكون بدلا من الجملة التي قبله الواقعة حالا وتقدم ما فيها **فصل**
دل قوله وعد الله على انه تعالى متكلم لان الوعد نوع من انواع الكلام والموصوف بالنوع موصوف بالجنس ولانه تعالى
ملك مطاع والملك المطاع لا بد وان يكون بحيث يمكنه وعد اوليايه ووعيد اعدايه فثبت انه تعالى متكلم **فصل**
ودلت الاية على انه سبحانه يعلم الاشياء قبل وقوعها خلافا لهشام بن الحكم فانه قال لا يعلمها قبل وقوعها ووجه الاستدلال
انه تعالى اخبر عن وقوع شيء في المستقبل اخبارا على التفصيل وقد وقع المخبر مطابقا للخبر ومثل هذا الخبر لا يصح الا
مع العلم **فصل** دلت الاية على انه تعالى حي قادر على جميع الممكنات بقوله ليستخلفنهم في الارض وليمكنن لهم دينهم
الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم امنا وقد فعل كل ذلك وصدر هذه الاشياء لا تصح الا من القادر على
كل المقدورات **فصل** ودلت الاية على انه سبحانه هو المستحق للعبادة لانه قال يعبدونني وقالت المعتزلة
الاية تدل على ان فعل الله تعالى معلل بالغرض وقالوا ايضا الاية تدل على انه سبحانه يريد العبادة من الكل لان من فعل
فعلا لغرض فلا بد ان يكون مريدا لذلك الغرض **فصل** ودلت الاية على انه سبحانه منزه عن الشريك بقوله
لا يشركون بي شيا وذلك يدل على نفي الاله الثاني وعلى انه لا يجوز عبادة غير الله سبحانه **فصل** ودلت
الاية على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم لانه اخبر عن الغيب بقوله ليستخلفنهم في الارض وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم
وليبدلنهم من بعد خوفهم امنا وقد وجد هذا المخبر موافقا للخبر ومثل هذا الخبر معجز والمعجز دليل الصدق فتدل على

صدق محمد عليه الصلاة والسلام **فصل** دلت الاية على ان العمل الصالح خارج عن مسمى الايمان خلافا للمعتزلة
لانه عطف العمل الصالح على الايمان والمعطوف خارج عن المعطوف عليه **فصل** دلت الاية على امامة الائمة الاربعة
لانه تعالى وعد الذين امنوا وعملوا الصالحات من الحاضرين في زمان محمد صلى الله عليه وسلم بقوله منكم فانه يستخلفهم
في الارض كما استخلف الذين من قبلهم وان يمكن لهم دينهم المرضي وان يبدلهم بعد الخوف امنا ومعلوم ان المراد بهذا الوعد
بعد الرسول هولاء لان استخلاف غيره لا يكون الا بعده ومعلوم ان لا نبي بعده لانه خاتم الانبياء فاذن المراد بهذا
الاستخلاف طريقة الامامة ومعلوم ان بعد الرسول لم يحصل هذا الاستخلاف الا في ايام ابي بكر وعمر وعثمان لان في ايامهم
كان الفتوح العظيم وحصل التمكن وظهور الدين والامن ولم يحصل ذلك في ايام علي كرم الله وجهه لانه لم يتفرغ لجهاد الاشتغاله
بمحاربة من خالفه من اهل الصلاة فثبت بهذا دلالة الاية على صحة خلافة هولاء فان قيل الاية متروكة الظاهر لانها
تقتضي حصول الخلافة لكل من امن وعمل صالحا ولم يكن الامر كذلك نزلنا عنه ولكن لم لا يجوز ان يكون المراد من قوله
ليستخلفنهم هو انه تعالى اسكنهم في الارض ومكنهم من التصرف لان المراد خلافة الله ويدل عليه قوله تعالى كما استخلف الذين من قبلهم
واستخلاف من كان قبلهم لم يكن بطريق الامامة فوجب ان يكون الامر في حقهم ايضا كذلك نزلنا عنه لكن ههنا ما يدل على انه
لا يجوز حمله على خلافة رسول الله صلى الله عليه وسلم لان من مذهبكم انه عليه السلام لم يستخلف احدا وروي عن علي رضي الله عنه
انه قال انزلتكم على نبي الله تعبر عنه بلفظ الجمع على سبيل التعظيم كقوله تعالى انا انزلناه في ليلة القدر وقال في حق علي
رضي الله عنه الذين يقيمون الصلاة ويوتون الزكوة وهم راكعون نزلنا عنه ولكن نحمله على الائمة الاثني عشر فالجواب عن الاول
ان كلمة من للتبعيض فقوله منكم يدل على ان المراد من هذا الخطاب بعضهم وعن الثاني ان الاستخلاف بالمعنى الذي ذكرتموه
حاصل لجميع الخلق والمذكور ههنا في معرض البشارة ولا بد ان يكون مغايرا له واما قوله تعالى كما استخلف الذين من
قبلهم فالذين كانوا من قبلهم قد كانوا خلفاء تارة بسبب النبوة وتارة بسبب الملك فالخلافة حاصلة في الصورتين
وعن الثالث انه وان كان مذهبنا انه عليه السلام لم يستخلف احدا بالتعيين ولكن قد استخلف بذكر الوصف والامر بالاختيار
فلا يمتنع في هذا انه عني في هولاء انه تعالى استخلفهم وان الرسول استخلفهم وعلى هذا الوجه قالوا في ابي بكر الصديق رضي الله عنه
خليفة رسول الله والذي قيل انه عليه السلام لم يستخلف اريد به على وجه التعيين واذا قيل استخلف فالمراد على طريقة الوصف
والامر وعن الرابع انه حمل لفظ الجمع على الواحد مجاز وهو خلاف الاصل وعن الخامس انه باطل لوجهين الاول قوله تعالى
منكم يدل على ان هذا الخطاب كان مع الحاضرين وهولاء الائمة ما كانوا حاضرين الثاني انه تعالى وعدهم القوة والشوكة
والبقاء في العالم ولم يوجد ذلك فيهم فثبت بهذا صحة امامة الائمة الاربعة وبطل قول الرافضة الطاعنين على ابي بكر وعمر
وعثمان وعلى قول الخوارج الطاعنين على عثمان وعلي **قوله تعالى** ومن كفر بعد ذلك اراد كفر النعمة ولم يرد الكفر
بالله تعالى **قوله تعالى** فاولئك هم الفاسقون العاصون لله عز وجل **فصل** قال المفسرون اول من كفر
بهذه النعمة وجحدها الذين قتلوا عثمان فلما قتلوه غير الله بهم وادخل عليهم الخوف حتى صاروا يقتلون بعدما كانوا
اخوانا روى حميد بن هلال قال قال عبد الله بن سلام في عثمان ان الملائكة لم تزل محيطة بمدينتكم هذه منذ قدمها رسول
الله صلى الله عليه وسلم حتى اليوم فوالله لئن قتلتموه لتذهبون ثم لا تعودون ابدا فوالله لا يقتله رجل منكم الا لقي الله
اجذم لا يد له وان سيف الله لم يزل مغمودا عنكم والله لئن قتلتموه ليسلنه الله عز وجل ثم لا يغمده عنكم اما قال ابدا واما قال
الى يوم القيمة فما قتل نبي قط الا قتل به سبعون الفا ولا خليفة الا قتل به خمسة وثلاثون الفا وروي عن علي بن الجعد
قال اخبرني حماد هو ابن سلمة عن ابن دينار عن سعيد بن جهمان عن سفينة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
الخلافة ثلاثون سنة ثم يكون ملكا ثم قال امسك خلافة ابي بكر سنتين وخلافة عمر عشر وخلافة عثمان اثني عشر
وعلي ست قال علي قلت لحماد سفينة القائل السعيد قال امسك قال نعم **قوله تعالى** واقيموا الصلاة فيه وجهان احدهما
انه معطوف على اطيعوا الله والرسول وليس ببعيد ان يقع بين المعطوف والمعطوف عليه فاصل وان طال لان
حق المعطوف ان يكون غير المعطوف عليه قاله الزمخشري قال شهاب الدين وقوله لان حق المعطوف الى آخره لا يظهر علة للحكم
الذي ادعاه والثاني ان قوله واقيموا من باب الالتفات من الغيبة الى الخطاب وحسنه الخطاب في قوله قبل ذلك منكم ثم قال
واطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون اي افعلوها على رجاء الرحمة **قوله تعالى** لا تحسبن قرا العامة لا تحسبن بتاء الخطاب
والفاعل ضمير المخاطب اي لا تحسبن ايها المخاطب ممتنع او يبعد جعله الرسول عليه السلام لان مثل هذا الحسبان لا يتصور
منه حتى ينهى عنه وقرا حمزة وابن عامر لا يحسبن بياء الغيبة وهي قراءة حسنة واضحة فان الفاعل فيها مضمر يعود على ما
دل عليه السياق اي لا يحسبن حاسب او احد والفاعل الرسول لتقدم ذكره لكنه ضعيف المعنى المتقدم خلافا فالمرجح فلذلك هذه
القراءة ما يحاتم وابي جعفر والفرا قال النحاس ما علمنا ان احدا من اهل العربية بصريا ولا كوفيا الا وهو يلحن قراءة حمزة

فمنهم من يقول هي لحن لانه لم يات الا مفعول واحد وقال الفرا هو ضعيف واجازه على حذف المفعول الثاني التقدير لا يحسبن
الذين كفروا انفسهم معجزين قال شهاب الدين وسبب تلحينهم هذه القراءة انهم اعتقدوا ان الذين فاعل ولم يكن في اللفظ الا مفعول
واحد وهو معجزين فلذلك قالوا ما قالوا والجواب عن ذلك من وجوه الاول ان الفاعل ضمير يعود على ما تقدم او على ما يفهم من السياق
كما سبق تحريره الثاني ان المفعول الاول محذوف تقديره لا يحسبن الذين كفروا انفسهم معجزين الا ان حذف احد المفعولين ضعيف عند
البصريين ومنه قول عنتر • ولقد نزلت فلا تظني غيره • مني بمنزلة المحب المكرم • اي فلا تظني غيره واقعا ولما نحى الزمخشري
الى هذا الوجه قال فان يكون الاصل لا يحسبنهم الذين كفروا معجزين ثم حذف الضمير الذي هو المفعول الاول وقال الذي سوغ
ذلك ان الفاعل والمفعولين لما كانت كشي واحد اقتنع ذكر اثنين عن ذكر الثالث فقدر المفعول الاول ضميرا متصلا **فصل**
قال ابو حيان وقد رددنا هذا التخريج في اواخر آل عمران في قوله تعالى ولا يحسبن الذين يفرحون بما اتوا في قراءة من قرا بالغيبة
وجعل الفاعل الذين يفرحون وملخصه ان هذا ليس من الضمائر التي يفسرها ما بعدها فلا يتقدر لا يحسبنهم اذ لا يجوز ظنه
زيد قائما على رفع زيد وظنه وقد تقدم رد هذا الرد في الموضع المذكور الثالث ان المفعولين هما قوله معجزين في الارض قاله
الكوفيون ولما نحا اليه الزمخشري قال والمعنى لا يحسبن الذين كفروا احدا يعجز الله في الارض حتى يطمعوا هم في مثل ذلك وهذا
معنى قوي جيد قال شهاب الدين قيل هو خطا لان الظاهر تعلق في الارض بمعجزين فجعله مفعولا ثانيا كالتهيئة للعمل
والقطع عنه وهو نظير فثبت قائما في الدار **قوله تعالى** وماواهم النار فيه ثلاثة اوجه الاول ان هذه الجملة عطف على
جملة النهي قبلها من غير تاويل ولا اضمار وهو مذهب سيبويه لعدم عطف فعل بعضها على بعض وان اختلفت انواعها خبرا وطلبا
وانا وقد تقدم تحقيقه في اول الكتاب الثاني انها معطوفة عليها ولكن بتاويل جملة النهي بجملة خبرية والتقدير الذين
لا يغلبون الله وماواهم النار قاله الزمخشري فانه يرى تناسب الجمل شرطا في العطف هذا ظاهر حاله الثالث انها معطوفة
على جملة مقدرة قال الجرجاني لا يحتمل ان يكون وماواهم متصلا بقوله لا تحسبن ذلك نهي وهذا ايجاب فهو اذن معطوف
بالواو على مضمر قبله تقديره لا تحسبن الذين كفروا معجزين في الارض بل هم مقهورون وماواهم النار **قوله تعالى** يا ايها الذين
امنوا ليستاذنكم الذين ملكت ايمانكم الاية قال ابن عباس وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم غلاما من الانصار يقال له مدلج بن عمرو
الى عمر بن الخطاب وقت الظهيرة ليدعوه فدخل فراى عمر بحالة كره رويته ذلك فانزل الله هذه الاية وقال مقاتل نزلت في اسماء بنت
كان لها غلام كبير فدخل عليها في وقت كرهته فاتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت ان خدمنا وغلماننا يدخلون علينا
في وقت نكرهها فانزل الله تعالى يا ايها الذين امنوا ليستاذنكم بلام الامر الذين ملكت ايمانكم يعني العبيد والاماء قال القاضي
هذا الخطاب وان كان ظاهره للرجال فالمراد به الرجال والنساء لان التذكير يغلب على التانيث قال ابن الخطيب والاولى عندي ان الحكم
ثابت في النساء قياسا على لان النساء في باب العورة اشد حالا من الرجال فهو كتحريم الضرب بالقياس على حرمة التافيف وقال ابن عباس هي
في الرجال والنساء يستاذنون على كل حال في الليل والنهار واختلف العلماء في هذا الامر فقيل للندب وقيل للوجوب وهو الاظهر
قوله تعالى والذين لم يبلغوا الحلم منكم اي من الاحرار وليس المراد الاطفال الذين لم يظهروا على عورات النساء بل الذين
عرفوا امر النساء ولكن لم يبلغوا واتفق العلماء على ان الاحتلام بلوغ واختلفوا في بلوغ خمسة عشر سنة اذا لم يوجد احتلام
قال ابو حنيفة لا يكون بالغا حتى يبلغ ثماني عشر سنة ويستكملها الغلام والجارية خمسة عشر سنة وقال الشافعي وابو يوسف ومحمد
في الغلام والجارية خمس عشر سنة اذا لم يحتلم لما روي ابن عمر انه عرض على النبي يوم احد وهو ابن اربع عشرة سنة فلم يجزه وعرض عليه
يوم الخندق وله خمسة عشر سنة فاجازه قال ابو بكر الرازي هذا الخبر مضطرب لان احدا كان في سنة ثلاث والخندق في سنة
خمس فكيف يكون بينهما سنة ثم مع ذلك فالاجازة بالقتال لا تعلق لها بالبلوغ فقد لا يوذن للبالغ لضعفه ويوذن لغير
البالغ لقوته ولطاقته لحمل السلاح ولذلك لم يساله النبي صلى الله عليه وسلم عن الاحتلام والسن واختلفوا في الانبات فقد يكون
بلوغا فاصحاب الراي لم يجعلوه بلوغا لقوله عليه السلام وعن الصبي حتى يحتلم وقال الشافعي هو بلوغ لان النبي صلى الله عليه
وسلم امر بقتل من انبت من بني قريظة فان الانبات يدل على القوة البدنية وقال الرازي الامر بذلك اعني القتل لا البلوغ
فصل قال ابو بكر الرازي دلت هذه الاية على ان من لم يبلغ وقد عقل يومر بفعل الشرائع وينهى عن ارتكاب
القبائح فان الله تعالى امرهم بالاستيذان في هذه الاوقات وقال عليه السلام مروهم بالصلاة وهم ابناء سبع واضربوهم
على تركها وهم ابناء عشر وقال ابن عمر يعلم الصبي الصلاة اذا عرف يمينه من شماله وقال ابن مسعود اذا بلغ الصبي عشر سنين
كتبت له حسناته ولا تكتب عليه سيئاته حتى يحتلم واعلم انه انما يومر بذلك تمرينا للعبادة وليسهل عليه بعد البلوغ **فصل**
قال الاخفش الحلم من حلم الرجل بفتح اللام ومن الحلم حلم بضم اللام يحلم بكسر اللام **قوله تعالى** ثلاث مرات فيه وجهان احدهما
انه منصوب على الظرف الزماني اي ثلاثة اوقات ثم فسر تلك الاوقات بقوله من قبل صلاة الفجر وحين تضعون
ومن بعد صلاة العشاء والثاني انه منصوب على المصدرية اي ثلاثة استيذانات ورجح ابو حيان هذا فقال والظاهر

من قوله ثلاث مرات ثلاثة استيذانات لانك اذا قلت ضربت ثلاث مرات لا يفهم منها الا ثلاث ضربات ويؤيده قوله
عليه السلام الاستيذان ثلاث قال شهاب الدين مسلم ان الظاهر كذا ولكن الظاهر هنا متروك للقرينة المذكورة وهي التعبير
بثلاثة الاوقات المذكورة وقرا الحسن في رواية الحلم بسكون العين وكذلك ابي عمرو وهي لغة تميمية **قوله تعالى** من قبل
صلاة فيه ثلاثة اوجه الاول انه بدل من قوله ثلاث فيكون في محل نصب الثاني انه بدل من عورات فيكون في محل جر الثالث
انه خبر مبتدا مضمر اي هي من قبل اي تلك المرات فيكون في محل رفع وقيل وحين تضعون عطف على محل من قبل صلاة الفجر
قوله تعالى من الظهيرة فيه ثلاثة اوجه الاول ان من لبيان الجنس اي حين ذلك الذي هو الظهيرة الثاني انها بمعنى في اي
في تضعونها في الظهيرة الثالث انها بمعنى اللام اي من اجل حر الظهيرة وقوله من بعد صلاة العشاء عطف على ما قبله والظهيرة
شدة الحر وهو انتصاف النهار **قوله تعالى** ثلاث عورات قرا الاخوان وابو بكر ثلاث نصبا والباقون رفعا فالاولى يحتمل
اوجه ثلاثة اظهرها انه بدل من قوله ثلاث مرات قال ابن عطية انما يصح البدل بتقدير اوقات ثلاث عورات فحذف المضاف
اليه مقامه وكذا قدره الحوفي والزمخشري وابو البقاء ويحتمل انه جعل نفس ثلاث المرات نفس ثلاث العورات مبالغة ولا حاجة
الى حذف مضاف وعلى هذا الوجهين وجه البدل لا يجوز الوقف على ما قبل ثلاث عورات لانه بدل منه وتابع له ولا يوقف على
المتبوع دون تابعه الثاني ان ثلاث عورات بدل من الاوقات المذكورة قاله ابو البقاء يعني قوله من قبل صلاة الفجر وما عطف عليه
وكان بدلا على المحل فلذلك نصب الثالث ان ينتصب باضمار فعل فقدره ابو البقاء اعني واحسن من هذا التقدير اتقوا واحذروا
ثلاثة واما الثانية فثلاث خبر مبتدا محذوف تقديره هن ثلاث عورات وقدره ابو البقاء مع حذف مضاف فقال اوهي
اوقات ثلاث عورات فحذف المبتدا والمضاف قال شهاب الدين وقد لا يحتاج اليه على جعل العورات نفس الاوقات
مبالغة وهو المفهوم من كلام الزمخشري فانه كان قد قدر مضافا كما تقدم عنه قال الزمخشري وسمى كل واحد من هذه
الاحوال عورة لان الناس يختل تسترهم وتحفظهم فيها والعورة الخلل ومنه اعور الفرس واعور المكان والاعور المختل العين فهذا
منه يوذن بعدم تقدير اوقات مضاف لعورات بخلاف كلامه اولا فيؤخذ من مجموع كلامه وجهان وعلى قراءة الرفع
وعلى الوجهين قبلها في قراءة تخريج النصب يوقف على ما قبل ثلاث عورات لانها ليست تابعة لما قبلها وقرا الاعمش عورات
بفتح الواو وهي لغة هذيل وبني تميم يفتحون عين عورات اعني فعلات بالواو او بالياء وانشد

• اخو بيضات رائح متاوب • رفيق بمسح المنكبين سبوح •

المعنى ليستاذنوا في ثلاثة اوقات من قبل صلاة الفجر ووقت القيلولة ومن بعد صلاة العشاء وخص هذه الاوقات
لانها ساعات الخلوة ووضع الثياب فربما يبدو من الانسان ما لا يحب ان يراه احد من العبيد والصبيان فامرهم بالاستيذان
في هذه الاوقات واما غيرهم فيستاذنون في سائر الاوقات وسميت هذه الاوقات عورات لان الانسان يضع فيها ثيابه
فتبدو عورته **فصل** قال بعضهم ان قوله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستانسوا
وتسلموا على اهلها يدل على ان الاستيذان واجب في كل حال فنسخ بهذه الاية في غير هذه الاحوال الثلاثة قال ابن عباس لم يكن
للقوم ستور ولا حجاب وكان الخدم والولائد يدخلون فربما يرون منهم ما لا يحبون فامروا بالاستيذان وقال اخرون الاية
الاولى اريد بها المكلف لانه خطاب لمن امن والمراد بهذه الاية غير المكلف لا يدخل في بعض الاحوال الا باذن وفي بعضها
بغير اذن ولا شيء للنسخ فان قيل قوله تعالى الذين ملكت ايمانكم يدخل فيه من بلغ فالنسخ لازم فالجواب ان قوله تعالى
يا ايها الذين امنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستانسوا لا يدخل تحته العبيد والاما فلا يجب النسخ قال ابو عبيد لم يصر
احد من العلماء الى ان الامر بالاستيذان منسوخ وروى عطا عن ابن عباس انه قال ثلاث ايات من كتاب الله تركهن الناس ولا ارى
احدا يعمل بهن قال عطا حفظت اثنتين ونسيت واحدة قرا هذه الاية وقوله تعالى يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى
وذكر سعيد بن جبير ان الاية الثالثة قوله تعالى واذا حضر القسمة اولو القربى الاية وسئل الشعبي عن قوله ليستاذنكم الذين
ملكت ايمانكم منسوخة هي قال لا والله قيل له ان الناس لا يعملون بها قال الله المستعان وقال سعيد بن جبير في هذه الاية
ان الناس بعضهم يقولون نسخت والله ما نسخت ولكنها مما تهاون به الناس **قوله تعالى** ليس عليكم هذه الجملة يجوز ان يكون
لها محل من الاعراب وهو الرفع نعتا لثلاث عورات في قراءة من رفعها كانه قيل هن ثلاث عورات مخصوصة بعدم الاستيذان
وان لا يكون لها محل بل هي كلام مقرر للامر بالاستيذان في تلك الاحوال الخاصة وذلك في قراءة من نصب ثلاث عورات
قوله تعالى بعدهن قال ابو البقاء التقدير بعد استيذانهم فيهن ثم حذف حرف الجر والفاعل فبقي بعد استيذانهم ثم حذف المصدر
يعني بالفاعل الضمير المضاف للاستيذان فانه فاعل معنوي بالمصدر وهذا غير ظاهر بل الذي يظهر ان المعنى ليس عليكم
جناح ولا عليهم اي لا على العبيد والاما والصبيان جناح في عدم الاستيذان بعد هذه الاوقات المذكورة ولا حاجة الى التقدير
الذي ذكره **قوله تعالى** طوافون خبر مبتدا مضمر تقديره هم طوافون وعليكم متعلق به **قوله تعالى** بعضكم على بعض

في بعضكم ثلاثة اوجه الاول انه مبتدا وعلى بعض الخبر فقدره ابو البقاء يطوف على بعض وتكون هذه الجملة بدلا مما قبلها ويجوز
ان تكون مؤكدة مبينة يعني انها افادت افادة الجملة التي قبلها فكانت بدلا او مؤكدة ورده ابو حيان هذا بانه يكون مخصوص
فلا يجوز حذفه والجواب عنه ان الممتنع الحذف اذا لم يدل عليه دليل ولم يقصد اقامة الجار والمجرور مقامه وكذلك قال
الزمخشري خبره على بعض على معنى طايف على بعض وحذف لدلالة طوافون عليه الثاني ان يرتفع بدلا من طوافون قاله
ابن عطية قال ابو حيان ولا يصح ان قدر الضمير ضمير غيبة لتقدير المبتدا هم لانه يصير التقدير هم يطوفون بعضهم على
بعض وهو لا يصح فان جعلت التقدير انتم يطوف بعضكم على بعض فيدفعه ان قوله عليكم يدل على انهم هم المطوف عليهم
وانتم طوافون يدل على انهم طايفون فتعارضا قال شهاب الدين يختار ان التقدير انتم فلا يلزم محذور وقوله فيدفعه
الى اخره لا تعارض فيه لان المعنى كل منكم ومن عبيدكم طايف على صاحبه وان كان طواف احد النوعين غير طواف الاخر
لان المراد الظهور على احوال الشخص ويكون بعضكم بدلا من طوافون وعلى بعض بدلا من عليكم باعادة العامل فابدلت
مرفوعات من مرفوع ومجرورات من مجرور ونظيره قوله • فلما قرعنا النبع بالنبع بعضه • ببعض ابت عيدانه ان تكسرا •
فبعضه بدل من النبع المنصوب وببعض بدل من المجرور بالباء الثالث انه مرفوع بفعل مقدر اي يطوف بعضكم على بعض
حذف لدلالة طوافون عليه قاله الزمخشري وقرا ابن ابي عبلة طوافين بالنصب على الحال من ضمير عليهم فان قيل
المعنى ليس عليكم ولا عليهم يعني الاما والعبيد والصبيان جناح في الدخول عليكم بغير استيذان بعدهن اي بعد هذه الاوقات
الثلاثة طوافون عليكم اي العبيد والخدم يطوفون عليكم يترددون ويدخلون ويخرجون في اشغالهم بغير اذن بعضكم
على بعض فالجواب هل يقتضي ذلك اباحة كشف العورة في غير تلك الاوقات فمتى كشفت عورتها مع ظن دخول الخدم
فذلك محرم عليها فان كان الخادم مكلفا حرم عليه الدخول اذا ظن هناك ذلك **قوله تعالى** يحرم عليه اذا غلب على ظنه
كشف عورة فان قيل اليس في الناس من جوز للبايع من المماليك ان ينظر الى شعر مولاته فالجواب من جوز ذلك فالشعر
عنده ليس بعورة في حق المماليك كما هو في حق المحرم اذ العورة تنقسم اقساما وتختلف بالاضافات **فصل** هذه
الاية مقصورة على الخدم دون غيرهم وقوله ليس عليكم جناح هذا الحكم مختص بالصغار دون البالغين لقوله بعد ذلك
واذا بلغ الاطفال منكم الحلم فليستاذنوا كما استاذن الذين من قبلهم **قوله تعالى** واذا بلغ الاطفال منكم الحلم اي الاحلام
يعني الاحرار الذين بلغوا فليستاذنوا اي يستاذنون في جميع الاوقات في الدخول عليكم كما استاذن الذين من قبلهم
من الاحرار الكبار وقيل كان غيرهم اي الذين ذكروا ذلك يعنون الذين كانوا مع ابراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام
كذلك يبين الله لكم اياته دلالة وقيل احكامه والله عليم بامور خلقه حكيم بما دبر لهم قال سعيد بن جبير وسعيد بن المسيب
يستاذن الرجل على امه فانما انزلت هذه الاية في ذلك وسيل حذيفة ايستاذن الرجل على والدته قال نعم وان لم تفعل
رايت منها ما تكره **قوله تعالى** والقواعد من النسا القواعد جمع قاعد من غير تاء تانيث ومعناه القواعد من النكاح
او من الحيض او الاستمتاع او الحبل او من الجميع ولولا تخصيصهن بذلك لوجبت التا نحو ضاربة وقاعدة من القعود
المعروف وقوله من النساء وما بعده بيان لهم والقواعد من النسا حال واللاتي صفة للقواعد لا للنسا وقوله عليهن
الجملة خبر المبتدا وانما دخلت الفا لان المبتدا موصوف بموصول لو كان ذلك الموصول مبتدا جاز دخولها في خبره ولذلك
منعت ان تكون اللاتي صفة للنساء اذ لا يبقى مسوغ لدخول الفا في خبر المبتدا وقال ابو البقاء ودخلت الفا في المبتدا لان معنى
الشرط لان الالف واللام بمعنى الذي وهذا مذهب الاخفش وتقدم تحقيقه في المايدة ولكن هنا ما يغني عن ذلك وهو
وصف المبتدا بالموصول المذكور وغير متبرجات حال من عليهن والمتبرج وهو اللبسا الظاهر وقيل التبرج سعة العين
يرى بياضها محيطا بسوادها كله لا يخفى منه شيء وقيل التبرج اظهار ما يجب اخفاوه بان تكشف المراة للرجال ما بدا زينتها
واظهار محاسنها وبزينة متعلق به **قوله تعالى** وان يستعففن مبتدا ابتا وبل استعفافهن وخير خبره **فصل**
قال المفسرون القواعد هي اللواتي قعدن عن الحيض والولد من الكبر ولا يطمع لهن في الازواج والاولى ان لا يعتبر قعودهن
عن الحيض والولد من الكبر ولا يطمع لهن في الازواج والاولى ان يقال لان ذلك ينقطع والرغبة فيهن باقية والمراد قعودهن
عن الازواج ولا يكون ذلك الا عند بلوغهن في سن لا يرغب فيهن الرجال لكبرهن قال ابن قتيبة سميت المراة قاعدا
اذا كبرت لانها تكثر القعود وقال ابن ربيعة هن العجز اللواتي اذا راهن الرجال استقذروهن واما من كانت
فيها بقية من جمال وهو محل الشهوة فلا تدخل في هذه الاية فليس عليهن جناح ان يضعن ثيابهن عند الرجال يعني يضعن
ثيابهن وهي الجلباب والردا الذي فوق الثياب والقناع الذي فوق الخمار فلا يجوز وضعه لما فيه من كشف العورة
وقرا عبد الله بن مسعود وابي بن كعب ان يضعن من ثيابهن وروي عن ابن عباس ان يضعن جلابيبهن وعن السدي عن شيوخ
ان يضعن خمرهن عن رووسهن وانما خصهن الله بذلك لان التهم مرتفعة منهن وقد بلغن هذا المبلغ فلو غلب على ظنهن خلاف

ذلك لم يحل لهن وضع الثياب ولذلك قال وان يستعففن خير لهن وانما جعل ذلك افضل لانه ابعد من التهمة فعند التهمة
يلزمهن ان لا يضعن ذلك كما يلزم الشابة والله سميع عليم **قوله تعالى** ليس على الاعمى حرج الاية قال ابن عباس لما انزل الله
عز وجل يا ايها الذين امنوا لا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل تحرج المسلمون عن مؤاكلة المرضى والزمنى والعمي والعرج وقالوا
الطعام افضل الاموال وقد نهانا الله عز وجل عن اكل الاموال بالباطل والاعمى لا يبصر موضع الطعام الطيب والاعرج
لا يتمكن من الجلوس ولا يستطيع المزاحمة على الطعام والمريض يضعف عن التناول فلا يستوفي الطعام فانزل الله هذه
الاية وعلى هذا التاويل يكون على بمعنى في اي ليس في الاعمى يعني ليس عليكم في مؤاكلة الاعمى والاعرج والمريض حرج وقال
سعيد بن جبير والضحاك وغيرهما كان العرجان والعميان والمرضى يتنزهون عن مؤاكلة الاصحاء لان الناس يتقذرونهم
ويكرهون مؤاكلتهم ويقول الاعمى ربما اكل اكثر ويقول الاعرج ربما اكل احدهم مكان اثنين فنزلت هذه الاية وقال مجاهد
نزلت هذه الاية ترخيصا لهؤلاء في الاكل من بيوت من سمى الله في هذه الاية لان هؤلاء كانوا يدخلون على الرجل لطلب
العلم فاذا لم يكن عنده ما يطعمهم ذهب بهم الى بيوت ابائهم وامهاتهم وبعض من سمى الله عز وجل في هذه الاية فكان اهل
الزمانة يتحرجون في ذلك ويقولون لا ندخلها وهم غيب فانزل الله هذه الاية رخصة لهم وقال الحسن نزلت
الاية ترخيصا لهم اي لهؤلاء في التخلف عن الجهاد وقيل تم الكلام عند قوله ولا على المريض حرج وقوله تعالى ولا على
انفسكم كلام منقطع عما قبله وقيل لما نزل قوله تعالى ولا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل قالوا لا يحل لاحد منا ان ياكل
عند احد فانزل الله عز وجل ولا على انفسكم ان تاكلوا من بيوتكم اي لا حرج عليكم ان تاكلوا من بيوتكم فان **قيل** اي فائدة
في اباحة اكل الانسان طعامه في بيته فالجواب **قيل** المراد من اموال عيالكم وازواجكم وبيت المراة كبيت الزوج وقال
ابن قتيبة اراد من بيوت اولادكم نسب بيوت الاولاد الى الاباء لقوله عليه السلام انت ومالك لابيك **فصل**
دلت هذه الاية بظاهرها على اباحة الاكل في هذه المواضع بغير استيذان وهو منقول عن قتادة وانكر الجمهور
ثم اختلفوا فقيل كان ذلك في صدر الاسلام فنسخ بقوله عليه السلام لا يحل مال امرئ مسلم الا عن طيب نفس منه
ويدل على هذا النسخ قوله تعالى لا تدخلوا بيوت النبي الا ان يؤذن لكم الى طعام غير ناظرين اناه وكان في ازواج الرسول
من لهن الاباء والاخوات ثم بالنهي عن دخول بيوتهن الا باذن في الاكل فان **قيل** انما اذن الله تعالى في هذه الاية لان
المسلمين لم يكونوا يمنعون قراباتهم هؤلاء من ان ياكلوا من بيوتهم حضروا او غابوا فجاز ان يرخص في ذلك فالجواب
لو كان الامر كذلك لم يكن لتخصيص هؤلاء الاقارب اذا لم يكونوا مؤمنين لانه تعالى نهى من قبل مخالطتهم بقوله لا تجد
قوما يؤمنون بالله واليوم الاخر يوادون من حاد الله ورسوله ثم انه تعالى اباح في هذه الاية ما حظره هناك قال
ويدل عليه ان في هذه الاية السورة لم ان يسلموا على انفسهم فالمقصود من هذه الاية اثبات الاباحة في الجملة لا اثبات
الاباحة في جميع الاوقات وقيل لما علم بالعادة ان هؤلاء القوم تطيب نفوسهم باكل من يدخل عليهم والعادة
كالاذن فيجوز ان يقال خصهم الله بالذكر لان العادة في الاغلب توجد منهم ولذلك ضم اليها الصديق ولما علمنا
ان هذه الاباحة انما حصلت لاجل حصول الرضى فيها فلا حاجة الى النسخ **قوله تعالى** او بيوت ابائكم او بيوت خالاتكم
او ما ملكتم مفاتحه قال ابن عباس عني بذلك وكيل الرجل وقيمه في ضيعته لا باس عليه ان ياكل من ثمر ضيعته ولبن
دابته ولا يحمل ولا يدخر وملكه المفاتح كونه في يده وحفظه قال المفضل المفاتح واحدها مفتح بفتح الميم وواحد
المفاتيح مفتح بالكسر وقال الضحاك من بيوت عبيدكم ومماليككم لان السيد يملك منزل عبده والمفاتيح الخزائن لقوله
وعنده مفاتح الغيب ويجوز ان يكون الذي يفتح به وقال عكرمة اذا ملك الرجل المفتاح فهو خازن ولا باس ان يطعم الشيء
اليسير وقال السدي الرجل يولي طعامه غيره يقوم عليه فلا باس ان ياكل منه وقيل وما ملكتم مفاتحه ما خزنتموه
عندكم قال مجاهد وقتادة من بيوت انفسكم مما ادخرتم وملكتم **قوله تعالى** او ما ملكتم مفاتحه العامة على فتح
الميم واللام مخففة وابن جبير بضم الميم وكسر اللام مشددة او ما ملكتم غيركم والعامة على مفاتحه بدون ياء جمع مفتح
بالكسر وهو الالة وان يكون جمع مفتح بالفتح وهو مصدر بمعنى الفتح والاول اقيس وقرا ابو عمرو في رواية هارون
عنه مفتاحه بالافراد وهي قراءة قتادة **قوله تعالى** او صديقكم العامة على فتح الصاد وحميد الخزاز روي
كسرها اتباعا لكسرة الدال والصديق يقع للواحد والجمع كالخليط والقطين وشبههما **فصل** الصديق الذي
صدقك في المودة قال ابن عباس نزلت في الحرث بن عمرو خرج غازيا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلف مالك بن
زيد على اهله فلما رجع وجده مجهودا فساله عن حاله فقال تحرجت عن اكل طعامك بغير اذنك فانزل الله هذه الاية
وكان الحسن وقتادة يريان دخول الرجل بيت صديقه والتحرم بطعامه من غير استيذان منه في الاكل بهذه الاية
والمعنى ليس عليكم جناح ان تاكلوا من منازل هؤلاء اذا دخلتموها وان لم يحضروا من غير ان تزودوا وتحملوا **فصل**

يحكي

يحكي ان الحسن دخل داره واذا حلقة من اصدقائه وقد اخرجوا سلالا من تحت سريره فيها الخبيص واطايب الاطعمة مكبوبين عليها
ياكلون فتهللت اسارير وجهه سرورا وضحك وقال هكذا وجدنا الصحابة وعن ابن عباس الصديق اكبر من الوالدين لان اهل جهنم
لما استغاثوا لم يستغيثوا بالاباء والامهات بل قالوا فما لنا من شافعين ولا صديق حميم وحكي ان اخا الربيع بن خثيم دخل
منزله في حال غيبته فانبسط الى جاريته حتى قدمت اليه ما اكل فلما قدم اخبرته بذلك فانسر لذلك وقال ان صدقت فانت
حرة **فصل** احتج ابو حنيفة بهذه الاية على ان من سرق من ذي رحم محرم انه لا يقطع لانه تعالى اباح لهم الاكل من بيوتهم
ودخولها بغير اذنهم ولا يكون ماله محرزا منهم فان **قيل** فيلزم ان لا يقطع اذا سرق من مال صديقه فالجواب من اراد سرقة
ماله لا يكون صديقا له **قوله تعالى** ليس عليكم جناح ان تاكلوا جميعا او اشتاتا قال الاكثرون نزلت في بني ليث بن عمرو
وهي بن كنانة كان الرجل منهم لا ياكل وحده يمكث يومه حتى يجد ضيفا ياكل معه فان لم يجد من يواكله لم ياكل شيئا وربما قعد الرجل
والطعام بين يديه من الصباح الى الرواح وربما كانت معه الابل الحفل فلا يشرب من البانها حتى يجد من يشاربه فاذا امسى ولم يجد
احدا اكل هذا قول قتادة والضحاك وابن جريج وقال عطاء الخراساني عن ابن عباس كان الغني يدخل على الفقير من ذوي قرابته
فيدعوه الى طعامه فيقول والله اني لاجنح اي اتحرج الى اكل معك وانا غني وانت فقير فنزلت هذه الاية وقال عكرمة وابو صالح
نزلت في قوم من الانصار كانوا لا ياكلون اذا نزل بهم ضيف الا مع ضيفهم فرخص لهم ان ياكلوا كيف شاءوا جميعا مجتمعين او اشتاتا
متفرقين وقال الكلبي كانوا اذا اجتمعوا لياكلوا طعاما عزلوا للاعمى طعاما وحده وكذلك للزمنى والمريض فبين الله لهم ان
ذلك غير واجب **قوله تعالى** جميعا حال من فاعل تاكلوا واشتاتا عطف عليه وهو جمع شت وشتى جمع شتيت وشتان تثنية شت
وقال المفضل وقيل الشت مصدر بمعنى التفرق ثم يوصف به ويجمع **قوله تعالى** فاذا دخلتم بيوتا فسلموا على انفسكم اي ليسلم
بعضكم على بعض جعل انفس المسلمين كالنفس الواحدة كقوله تعالى ولا تقتلوا انفسكم قال ابن عباس فان لم يكن احد فعلى نفسه
ليقل السلام علينا من قبل ربنا قال جابر وطاوس والزهري وقتادة والضحاك وعمرو بن دينار اذا دخل الرجل على بيت نفسه يسلم
على اهله ومن في بيته قال قتادة والضحاك اذا دخلت بيتك فسلم على اهلك فهم احق من سلمت عليهم واذا دخلت بيتا لا احد فيه فقل
السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين حدثنا ان الملائكة ترد عليه وعن ابن عباس في قوله فاذا دخلتم بيوتا فسلموا على انفسكم قال اذا
دخلت المسجد فقل السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين قال القفال وان كان في البيت اهل الذمة فليقل السلام على من اتبع الهدى
قوله تعالى تحية منصوب على المصدر من معنى فسلموا فهو من باب قعدت جلوسا كانه قال فحيوا تحية وتقدم وزن التحية
من عند الله يجوز ان يتعلق بمحذوف صفة لتحية وان يتعلق بنفس تحية اي التحية صادرة من جهة الله ومن لابتداء الغاية مجازا
الا انه يعكر على الوصف تاخر الصفة الصريحة عن المؤولة وتقدم ما فيه **قوله تعالى** من عند الله مباركة طيبة قال ابن عباس
من قال السلام عليكم حسنة جميلة وقال الضحاك معنى البركة فيه تضعيف الثواب كذلك يبين الله لكم الايات اي يفصل الله شرائعه
لعلكم تعقلون عن الله امره ونهيه قال انس وقفت على راس النبي صلى الله عليه وسلم اصب الماء على يديه فرفع راسه وقال الا اعلمك ثلاث
خصال تنتفع بها قلت بابي انت وامي يا رسول الله بلى قال من لقيت من امتي فسلم عليهم يطل عمرك واذا دخلت بيتا فسلم عليهم يكثر خير
بيتك وصل صلاة الضحى فانها صلاة الاوابين **قوله تعالى** انما المؤمنون الذين امنوا بالله ورسوله واذا كانوا معه اي مع
رسول الله صلى الله عليه وسلم على امر جامع يجمعهم من حرب حضرت او صلاة جمعة او عيد او جماعة او تشاور في امر نزل فقوله امر جامع
من الاسنادي والمجازي لانه لما كان سببا في جمعهم نسب الفعل اليه مجازا وقرا اليماني على امر جميع فيحتمل ان يكون صفة صيغة مبالغة
بمعنى مجمع وان لا يكون والجملة الشرطية من قوله واذا كانوا وجوابها عطف على الصلة من قوله امنوا والامر الجامع هو الذي يعم
ضرره او نفعه والمراد به الخطب الجليل الذي لا بد لرسول الله صلى الله عليه وسلم من ارباب التجارب والاراء ليستعين بتجاربهم فمفارقة
احدهم في هذه الحالة مما يشق على قلبه **فصل** قال الكلبي كان النبي صلى الله عليه وسلم يعرض في خطبته بالمنافقين
ويعيبهم فينظر المنافقون يمينا وشمالا فاذا لم يرهم احد انسلوا وخرجوا ولم يصلوا وان ابصرهم احد ثبتوا وصلوا خوفا فنزلت
هذه الاية وكان المؤمنون بعد نزول هذه الاية لا يخرج لحاجته حتى يستاذن رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان المنافقون
يخرجون بغير اذن **فصل** قال العلماء كل امر اجتمع عليه المسلمون مع الامام لا يخالفونه ولا يرجعون عنه الا باذن
وهذا اذا لم يكن سبب يمنعه من المقام وان حدث سبب يمنعه من المقام بان يكونوا في المسجد فتحيض منهم امراة او يجنب رجل
او يعرض له مرض فلا يحتاج الى الاستيذان **فان قيل** قال الجبائي دلت الاية على ان استيذانهم الرسول من ايمانهم ولولا
ذلك لجاز ان يكونوا كاملي الايمان فالجواب هذا بناء على ان كلمة انما للحصر وايضا فالمنافقون انما تركوا الاستيذان استخفافا
وذلك كفر **قوله تعالى** ان الذين يستاذنونك تعظيما لك ورعاية للادب اولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله اي يعملون
بموجب الايمان ومقتضاه قال الضحاك ومقاتل المراد عمر بن الخطاب وذلك انه استاذن في غزوة تبوك في الرجوع الى اهله
فاذن له وقال انطلق فوالله ما انت بمنافق يريد ان يسمع المنافقين ذلك الكلام فلما سمعوا ذلك قالوا ما بال محمد اذا استاذنه

اصحابه اذن لهم واذا استاذنه نادى فوالله ما نواه بعدل قال ابن عباس ان عمر استاذن رسول الله صلى الله عليه وسلم
في العمرة فاذن له ثم قال يا ابا حفص لا تنسنا في صالح دعائك **قوله تعالى** لبعض شانهم تعليل اي لاجل بعض حاجتهم واظهر
العامة الضاد عند الشين وادغمها ابو جعفر فيها لما بينهما من التقارب لان الضاد من اقصى حافة اللسان والشين من
وسطه وقد استضعف جماعة من النحويين هذه الرواية واستضعفوها عن ابي عمرو راس الصناعة من حيث ان الضاد
اقوى من الشين ولا يدغم الاقوى في الاضعف واساء الزمخشري على راويها السوسي وقد اجاب الناس عنه بتعليل وجه
الادغام بان الشين اشد استطالة من الضاد وفيها نفس ليس في الضاد فقد صارت الضاد انقص منها وادغام الانقص
في الازيد جائز قال ويؤيد هذا ان سيبويه حكى عن بعض العرب اطجع في اضطجع واذا جاز ادغامها في الطاء فادغامها
في الشين اولى والخصم لا يسلم جميع ما ذكر ومستند المنع واضح فاذا استاذنوك لبعض شانهم
فاذن لمن شئت منهم بالانصراف اي ان شئت فاذن وان شئت فلا تاذن واستغفر لهم الله وهذا تنبيه على ان الاولى
ان لا يستاذنوا وان اذن لان الاستغفار يكون عن ذنب ويحتمل ان يكون امره بالاستغفار لهم مقابلة على تمسكهم باذن
الله تعالى في الاستيذان قال مجاهد قوله تعالى فاذن لمن شئت منهم نسخت هذه الاية وقال قتادة نسخت
هذه الاية بقوله لم اذنت لهم والاية تدل على انه تعالى فوض الى رسوله بعض امر الدين ليجتهد فيه امره لا تجعلوا
دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا قال سعيد بن جبير وجماعة كثيرة معناه لا تنادوا باسمه فتقولون يا محمد
ولا بكنيته فتقولون يا ابا القاسم بل نادوه وخاطبوه بالتوقير يا رسول الله يا نبي الله وعلى هذا يكون المصدر مضافا
لمفعوله وقال المبرد والقفال لا تجعلوا دعاءه اياكم كدعاء بعضكم لبعض فتتباطؤن كما يتباطا بعضكم عن بعض اذا دعاه
لامر بل يجب عليكم المبادرة لامره ويؤيده قوله تعالى فليحذر الذين يخالفون عن امره وعلى هذا يكون المصدر مضافا للفاعل
وقال ابن عباس احذروا دعاء الرسول عليكم اذا اسخطتموه فان دعاءه يوجب ليس كدعاء غيره وروي عنه ايضا لا ترفعوا اصواتكم
في دعائه وهو المراد من قوله ان الذين يغضون اصواتهم عند رسول الله وقول المبرد اقرب الى نظم الاية وقرا الحسن بينكم بتقديم
النون على الياء المكسورة بعدها مشددة مخفوضة بينكم الظرف في قراءة العامة وفيها ثلاثة اوجه الاول انها بدل من الرسول
الثاني انه عطف بيان له لان النبي باضافته الى المخاطبين صار اشهر من الرسول الثالث انه نعت لا يقال انه لا يجوز لان هذا كما
قررتم لا يعرف والنعت لا يكون اعرف من المنعوت بل اما اقل او مساوي لان الرسول صار علما بالغلبة على محمد صلى الله عليه وسلم
فقد تساويا تعريفا قد يعلم الله قد تدل على التقليل مع المضارع الا في افعال الله فيدل على التحقيق كهذه الاية
وقد ردها بعضهم الى التقليل لكن الى متعلق يعني ان الفاعلين لذلك قليل فالتقليل ليس في العلم بل في متعلقه
لواذا فيه وجهان احدهما انه منصوب على المصدر من معنى الفعل الاول اذ التقدير يتسللون تسللا او يلاوذون لواذا الثاني
انه مصدر في موضع الحال اي ملاوذين واللواذ مصدر لاوذ وانما صحت الواو وان انكسر ما قبلها ولم تقلب ياء كما قلبت
في قيام وصيام لانها صحت في الفعل نحو لاوذ فلو اعلت في الفعل اعلت في المصدر نحو القيام والصيام بقلبها الفا في قام
وصام واما مصدر لاذ فكذا بلوذ به فتعتل نحو لاذ لياذا مثل صام صياما وقام قياما واللواذ والملاوذة التستر يقال لاوذ
فلان بكذا اذا استتر به واللواذ ما يطيف بالجبل وقيل اللواذ الروغان من شيء الى شيء في خفية ووجه المفاعلة ان كلا منهم
يلوذ بصاحبه فالمشاركة موجودة وقرا يزيد لواذا بفتح الواو واللام وهي محتملة لوجهين احدهما ان يكون مصدر لاذ
ثلاثيا فيكون مثل طاف طوافا والثاني ان يكون مصدر لاوذ الا انه فتحت الفاء اتباعا لفتحة العين وهو تعليل ضعيف
يصلح لمثل هذه القراءة المعنى قال المفسرون ان المنافقين كانوا يخرجون متسترين بالناس من غير
استيذان حتى لا يروا وقال ابن عباس كان المنافقين يثقل عليهم المقام في المسجد يوم الجمعة واستماع خطبة النبي صلى الله عليه وسلم
وكانوا يلوذون ببعض اصحابه فيخرجون من المسجد في استتار وقال مجاهد يتسللون من الصف في القتال وقيل كان هذا
في حفر الخندق ينصرفون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مختفين وقيل يعرضون عن الله وعن كتابه وعن ذكره وعن نبيه
فليحذر الذين فيه وجهان احدهما وهو الذي لا يعرف النحاة غيره ان الموصول هو الفاعل فان يصيبهم مفعوله
اي فليحذر المخالفون عن امره اصابتهم فتنة والثاني ان فاعل فليحذر ضمير مستتر والموصول مفعول به ورد هذا لوجوه منها
ان الاضمار خلاف الاصل وفيه نظر لان هذا الاضمار في قوة المنطوق به فلا يقال هو في خلاف الاصل فيما كان حذفا
من طريق الفرض ومنها ان هذا الضمير لا مرجع له اي ليس له شيء يعود عليه فبطل ان يكون الفاعل ضميرا مستترا واجيب
بان الذي يعود عليه الضمير هو الموصول الاول اي فليحذر المتسللون المخالفين عن امره فيكونون قد امروا بالحذر منهم
اي امروا باجتنابهم كما يؤمر باجتناب الفساق ورد هذا بوجهين الاول ان الضمير يعود عليه جمع ففاتت المطابقة التي هي
شرط في تفسير الضمائر والثاني ان المتسللين هم المخالفون فلو امروا بالحذر عن الذين يخالفون لكانوا قد امروا بالحذر عن انفسهم

وهو لا يجوز لانه لا يمكن ان يؤمروا بالحذر من انفسهم ويمكن ان يجاب عن الاول بان الضمير وان كان مفردا فانما عاد على جمع
باعتبار المعنى فليحذر هو اي من ذكر قبل ذلك وحكى سيبويه ضربني وضربت قومك اي ضربني من ثم ومن ذكر وهي مسالة معروفة
في النحو ويكون التقدير فليحذر كل واحد من المتسللين وعن الثاني بانه يجوز ان يؤمر الانسان بالحذر عن نفسه مجازا يعني
انه لا يطاوعها على شهواتها وما تسوله من السوء كانه قيل فليحذر المخالفون انفسهم فلا يطيعوها فيما تامرهم به ولهذا
يقال امر نفسه ونهاها وامرته نفسه باعتبار المجاز ومنها انه يصير قوله ان تصيبهم فتنة او يصيبهم عذاب اليم مفلتا ضائعا
لان يحذر يتعدى لواحد وقد اخذه على زعمكم وهو الذين يخالفون ولا يتعدى الى اثنين حتى يقولوا ان تصيبهم فتنة
في محل مفعوله الثاني يبقى ضائعا وفيه نظر لانه لا يسلم ضياعه لانه مفعول من اجله واعترض على هذا بانه لم يستكمل شروط
النصب لاختلاف الفاعل لان فاعل الحذر غير فاعل الاصابة وهو ضعيف لان حذف حرف الجر يطرد مع ان وان فنقول سلم
شروط النصب غير موجودة وهو مجرور باللام تقديرا وانما حذفت الا مع ان لطولها بالصلة ويخالفون يتعدى
بنفسه نحو خالف امر زيد وبالى نحو خالف الى كذا فكيف يتعدى هنا بحرف المجاوزة وفيه اوجه الاول انه ضمن معنى صد
واعرض اي صد عن امره واعرض عنه مخالفا له والثاني قال ابن عطية معناه يقع خلافهم بعد امره كما يقال كان المطر عن
ريح كذا وعن لما عدا الشيء والثالث انها مزيدة اي يخالفون امره واليه نحا الاخفش وابو عبيدة والزيادة خلاف الاصل
وقرئ يخلفون بالتشديد ومفعوله محذوف اي يخلفون انفسهم فان قيل المعنى فليحذر الذين يخالفون اي يعرضون
عنه ويخالفون عن امره وينصرفون عنه بغير اذنه ان يصيبهم فتنة اي ليلا يصيبهم فتنة قال مجاهد بلاء في الدنيا
او يصيبهم عذاب اليم وجيع في الاخرة والضمير في امره يرجع الى الرسول وقال ابو بكر الرازي الاظهر انه لله تعالى لانه يليه
فالجواب الاية تدل على ان الامر للوجوب لان تارك المامور مخالف للامر ومخالف الامر يستحق العقاب ولا معنى
للوجوب الا ذلك **قوله تعالى** الا ان لله ما في السموات وما في الارض اي ملكا وعبيدا وهذا تنبيه على كمال قدرته
تعالى وعلى ما بينهما وفيهما **قوله تعالى** قد يعلم ما انتم عليه قال الزمخشري ادخل قد ليؤكد علمه بما هم عليه من المخالفة
عن الدين والنفاق ويرجع توكيد العلم الى توكيد الوعيد وذلك ان قد اذا دخلت على المضارع كانت بمعنى ربما فوافقت ربما
في خروجها الى معنى التكثير في نحو قوله • فان تمس مهجور الفناء فربما • اقام به بعد الوفود وفود • وقوله
• ولكنه قد يهلك المال نائله • ولكنه قد يعلم المال هالكه • ونحو ذلك قول زهير • اخي ثقة لا يهلك الخمر ماله •
قال ابو حيان وكون قد اذا دخلت على المضارع افادت التكثير هذا قول النحاة وليس بصحيح وانما التكثير مفهوم من السياق
والصحيح ان رب لتقليل الشيء او لتقليل نظيره وان فهم تكثير فمن السياق لا منها **قوله تعالى** ويوم يرجعون في يوم وجهان
احدهما انه مفعول به لا ظرف لعطفه على قوله ما انتم عليه اي يعلم الذي انتم عليه من جميع احوالكم ويعلم يوم يرجعون لقوله
تعالى ان الله عنده علم الساعة وقوله تعالى لا يجليها لوقتها الا هو والثاني انه ظرف لشيء محذوف قال ابن عطية ويجوز ان
يكون التقدير والعلم الظاهر لكم او نحو هذا يوم فيكون النصب على الظرف انتهى وقرا العامة يرجعون مبنيا للمفعول
وابو عمرو في اخرين مبنيا للفاعل وعلى كلتا القراءتين فيجوز وجهان احدهما ان يكون في الكلام التفات في قوله ما انتم
عليه من الخطاب الى الغيبة في قوله يرجعون الثاني ان ما انتم عليه خطاب عام لكل احد والضمير في يرجعون للمنافقين
خاصة فلا التفات حينئذ **فصل** المعنى يعلم ما انتم عليه من الايمان والنفاق وقد صدقه ويوم يرجعون
اليه يوم البعث فينبئهم بما عملوا من الخير والشر **قوله تعالى** والله بكل شيء عليم روي عن عائشة رضي الله عنها قالت
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تنزلوا النساء الغرف ولا تعلموهن الكتابة وعلموهن الغزل وسورة النور وروى الثعلبي
عن ابي امامة عن ابي بن كعب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة النور اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد كل مؤمن
فيما مضى وفيما بقي

سورة الفرقان سبع وسبعون اية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم **قوله تعالى** تبارك الذي نزل الفرقان على عبده
الاية اعلم انه تعالى تكلم في هذه السورة في التوحيد والنبوة واحوال القيامة ثم ختمها بذكر العباد المخلصين المؤمنين
قال الزجاج تبارك تفاعل من البركة والبركة كثرة الخير وزيادته وفيه معنيان احدهما تزايد خيره وتكاثره قال تعالى
معناه جاء بكل بركة قال تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها والثاني قال الضحاك تعظم الذي نزل الفرقان اي القران

علو عبده وقيل الكلمة تدل على البقا وهو ماخوذ من بروك البعير ومن بروك الطير على الماء وسميت البركة بركة
لثبوت الماء فيها والمعنى انه سبحانه باقي في ذاته ازلا وابدا ممتنع التغير وباقي في صفاته ممتنع التبدل **فصل**
كلمة الذي موضوعة في اللغة للاشارة الى الشيء عند محاولة تعريفه بقضية معلومة واذا كان كذلك فالقوم ما كانوا
عالمين بانه سبحانه الذي نزل الفرقان معجزا **فصل** انه في اظهر الدليل على كونه من عند الله فلقوة الدليل وظهوره
اجراه سبحانه مجرى المعلوم **فصل** وصف القران بالفرقان لانه فرق بين الحق والباطل في نبوة محمد صلى الله عليه
وسلم وبين الحلال والحرام لانه فرق في النزول كقوله تعالى وقرانا فرقناه لتقراه على الناس على مكث وهذا اقرب
لانه قال نزل الفرقان على عبده ولفظة نزل تدل على التفريق ولفظة انزل تدل على الجمع ولهذا قال في سورة ال عمران
نزل عليك الكتاب بالحق وانزل التورية والانجيل والمراد بالعبد هاهنا محمد صلى الله عليه وسلم **قوله تعالى** ليكون اللام
متعلقة بنزل وفي اسم كان ثلاثة اوجه الاول انه ضمير يعود على الذي نزل اي ليكون الذي نزل الفرقان نذيرا الثاني
انه يعود على الفرقان وهو القران نذيرا اضاف الانزال اليه واضاف الانذار اليه كما اضاف الهداية اليه في قوله تعالى
ان هذا القران يهدي وهذا بعيد لان المنذر والنذير من صفات الفاعل للتخويف ووصف القران به مجاز وحمل الكلام
على الحقيقة اولى الثالث انه يعود على عبده اي ليكون عبده محمد صلى الله عليه وسلم نذيرا وهذا احسن الوجوه معنى وصناعة
لقربه مما يعود عليه والضمير يعود على اقرب مذكور وللعالمين متعلق بنذيرا وانما قدم لاجل الفواصل ودعوى
افادة الاختصاص بعيدة لعدم تاتيها هاهنا ورجح ابو حيان عوده على الذي قال لانه العمدة المسند اليه الفعل وهو من
وصفه تعالى كقوله تعالى انا كنا منذرين وظاهر الظاهر فيه انه بمعنى منذر وجوز ان يكون مصدرا بمعنى الانذار كالنكير
بمعنى الانكار ومنه فكيف كان عذابي ونذر فان **قيل** قوله تبارك وتعالى تبارك يدل على كثرة الخير والبركة فالمذكور
عقيبه لابد وان يكون سببا لكثرة الخير والمنافع والانذار يوجب الغم والخوف فكيف يليق ذكره بهذا الموضع فالجواب
ان الانذار يجري مجرى تاديب الولد كما انه لما كانت المبالغة في تاديب الولد اكثر كان رجوع الخلق الى الله اكثر وكانت السعادة
الاخروية كما انه كلما اتم واكثر وهذا كانه كالتنبيه على انه لا التفات الى المنافع العاجلة لانه تعالى لما وصف نفسه بانه
معطي الخيرات الكثيرة لم يذكر الا منافع الدين ولم يذكر منافع الدنيا البتة **قوله تعالى** الذي له ملك السموات يجوز
في الذي الرفع نعتا للذي الاول او بيانا او بدلا وخبر المبتدا محذوف والنصب على المدح وما بعد بدل من تمام الصلة
فليس اجنبيا فلا يضر الفصل به بين الموصول الاول والثاني اذا جعلنا الثاني تابعا له قوله تعالى له ملك السموات والارض
اشارة الى احتياج هذه المخلوقات اليه سبحانه حال حدوثها وانه سبحانه هو المتصرف فيها كيف يشا ولم يتخذ ولدا اي هو الفرد
ابدا ولا يصح ان يكون غيره معبودا او وارثا للملك عنه وهذا رد على النصارى ولم يكن له شريك في الملك اي هو المنفرد
بالالهية واذا عرف العبد ذلك انقطع رجاوه عن كل ما سواه ولم يشتغل قلبه الا برحمته واحسانه وفيه رد على الثنوية
والقائلين بعبادة النجوم والاوثان **قوله تعالى** وخلق كل شي الخلق هنا عبارة عن الاحداث والتهيئة لما يصلح له
لا خلل فيه ولا تفاوت فيجي قوله فقدره تقديرا مفيدا اذ لو حملناه على اي ان لو حملنا خلق كل شي على معناه الاصلي من
التقدير لصار الكلام وقدر كل شي فقدره **قوله تعالى** خلق كل شي يدل على انه تعالى خالق الاعمال من وجهين الاول ان
قوله كل شي يتناول جميع الاشياء من جملتها افعال العباد الثاني انه تعالى نفى الشريك فكان قايلا قال هاهنا اقوام معترفون
بنفي الشركاء والانداد ومع ذلك يقولون بخلق افعال انفسهم فذكر الله تعالى هذه الاية ردا عليهم قال القاضي الاية لا تدل
عليه لوجوه الاول انه تعالى صرح بكون العبد خالقا فقال واذ تخلق من الطين كهيئة الطير وقال فتبارك الله احسن الخالقين
يمدح بانه قدره تقديرا ولا يجوز ان يريد به الا الحسن والحكمة دون غيره فظاهر الاية لا يدل الا على التقدير لان الخلق
عبارة عن التقدير وهو الاجسام لا الاعراض والجواب ان قوله واذ تخلق وقوله احسن الخالقين معارض بقوله الله خالق
كل شي وبقوله هل من خالق غير الله وقولهم لا يجوز التمدح بخلق الفساد والجواب لم لا يجوز ان يتمدح به من حيث نفاذ القدرة
قوله تعالى واتخذوا يجوز ان يعود الضمير على الكفار الذين تضمنهم لفظ العالمين وان يعود على من ادعى ان له شريكا وولدا لدلالة
قوله لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك وان يعود على المنذرين لدلالة نذيرا عليهم **قوله تعالى** لا يخلقون صفة لالهة
وغلب العقلاء على غيرهم لان الكفار كانوا يعبدون العقلاء كعزير والمسيح والملايكة وغيرهم كالكواكب والاصنام ومعنى لا
يخلقون لا يقدرون على التقدير والخلق يوصف به العباد قال زهير • ولانت تفري ما خلقت • وبعض القوم يخلق ثم لا يفري
ويقال خلقت الاديم اي قدرته هذا اذا اريد بالخلق التقدير فان اريد به الايجاد فلا يوصف به غير الباري تعالى وقد تقدم
وقيل معنى يخلقون كقوله تعالى وتخلقون افكا **فصل** لما وصف نفسه بصفات الجلال والعزة والعلو ذم
من عبد غيره ووصفها بصفات تنافيها ... بوصفه مذهب عبدة الاوثان من وجوه منها انها ليست خالقة للاشياء والاله يجب ان يكون قادرا على الخلق والايجاد

ومنها انها مخلوقة والمخلوق محتاج والاله يجب ان يكون غنيا ومنها انها لا تملك لنفسها نفعا ولا ضرا ومن كان كذلك
لا يملك موتا ولا حيوة ولا نشورا اي لا يقدر على الاحياء والاماتة لا في زمن التكليف ولا في زمن المجازاة ومن كان
كذلك كيف يسمى الها وكيف يستحق العبادة **فصل** احتج اهل السنة بقوله لا يخلقون شيا على ان فعل العبد
مخلوق لله تعالى لانه عاب هولاء الكفار من حيث عبدوا ما لا يخلق شيا وذلك يدل على ان من خلق يستحق ان يعبد
فلو كان العبد خالقا لكان معبودا الها واجاب الكعبي بانا لا نطلق اسم الخالق الا على الله تعالى الهم ارجل يمشون بها
في وصف الاصنام افيدل على ان كل من له رجل يستحق ان يعبد واذا قالوا لا قيل فكذلك ما ذكرتم وقد قال تعالى
فتبارك الله احسن الخالقين هذا كله كلام الكعبي والجواب قوله لا نطلق اسم الخالق على العبد قلنا بل يجب ذلك لان
الخلق في اللغة التقدير والتقدير يرجع الى الظن والحسبان فوجب ان يكون اسم الخالق حقيقة في العبد مجازا في الله
فكيف يمكنهم مع اطلاق لفظ الخالق على العبد واما قوله تعالى الهم ارجل يمشون بها فالعيب انما وقع عليهم فلا جرم
ان من تحقق العجز في حقه من بعض الوجوه لم يحسن عبادته واما قوله تعالى فتبارك الله احسن الخالقين فتقدم الكلام عليه
واعلم ان في استدلال اهل السنة بالاية نظر لاحتمال ان العيب انما حصل بمجموع الامرين وهو كونهم ليسوا خالقين
وكونهم مخلوقين والعبد وان كان خالقا الا انه مخلوق ولا يلزم ان يكون العبد الها معبودا دلت الاية على البعث
لانه تعالى ذكر النشور ومعناه ان المعبود يجب ان يكون قادرا على ايصال الثواب الى المطيعين والعقاب الى العصاة
فمن لا يكون كذلك يجب ان لا يصلح للالهية **قوله تعالى** وقال الذين كفروا ان هذا الا افك افتراه الاية لما تكلم
اولا في التوحيد وثانيا في الرد على عبدة الاوثان تكلم هنا في مسئلة النبوة وحكى شبه الكفار في انكار نبوة محمد
صلى الله عليه وسلم فالشبهة الاولى قوله تعالى وقال الذين كفروا ان هذا الا افك افتراه واعانه عليه قوم اخرون قال له
يعنون عامر مولى حويطب بن عبد العزى ويسار ابي فكيهة غلام عامر بن الحضرمي وجبر مولى عامر هولاء الثلاثة كانوا من اهل
الكتاب وكانوا يقرون التوراة فلما اسلموا وكان النبي صلى الله عليه وسلم يتعهدهم من اجل ذلك قال النضر ما قال وقال
الحسن عبيد بن الحضرمي الحبشي الكاهن وقيل جبر ويسار وعداس عبيد كانوا بمكة من اهل الكتاب
فزعم المشركون ان محمدا ياخذ منهم **قوله تعالى** افتراه الهاء تعود على افك وقال ابو البقا الهاء تعود على عبده في اول
السورة قال لا يناسب الذي ولا اظنه الا غلطا وكانه اراد ان يقول الضمير المرفوع في افتراه فغلط افتراه اختلقه ولا افتراه
افتعال من فريت الاديم **قوله تعالى** ظلما فيه اوجه الاول انه مفعول به لان جا يتعدى بنفسه وكذلك اتى والثاني
انه على اسقاط الخافض اي جاوا بظلم قاله الزجاج الثالث انه في موضع الحال فيجي ما فيه ما في قولك جاء زيد عدلا قال
الزمخشري فقد جاوا ظلما وزورا اي كفروا وظلموا وكذبوا كقوله تعالى لقد جيتم شيا ادا فانتصب بوقوع المجي الا كونه
ظلما فلانهم نسبوا هذا الفعل القبيح الى من هو مبرا عنه فقد وضعوا الشي في غير موضعه وذلك هو الظلم واما كونه
زورا فلانهم كذبوا فان **قيل** قال ابو مسلم الظلم تكذيبهم الرسول والرد عليه الثانية **قوله تعالى** وقالوا اساطير الاولين
اكتتبها الا يرجوز في اكتتبها ثلاثة اوجه الاول ان يكون حالا من اساطير الاولين والعامل فيها معنى التنبيه او الاشارة المقدرة
فان اساطير خبر مبتدا مضمر محذوف تقديره هذه اساطير الاولين مكتتبة والثاني ان يكون في موضع خبر ثان لهذه
الثالث اساطير مبتدا واكتتبها خبره واكتتبها الافتعال هنا يجوز ان يكون بمعنى امر بكتابتها كافتصد واحتجم اذا امر
بذلك ويجوز ان يكون بمعنى كتبها وهو من جملة افترايهم عليه لانه كان اميا لا يقرا ولا يكتب ويكون كقولهم استكبه
واصطبه اي سكبه وصبه والافتعال مشعر بالتكلف ويجوز ان يكون من كتب بمعنى جمع من الكتب وهو الجمع لا من الكتابة
بالقلم وقرا طلحة اكتتبها مبنيا للمفعول قال الزمخشري والمعنى اكتتبها له كاتب لانه كان اميا لا يكتب بيده ثم حذفت
اللام فافضى الفعل الى الضمير فصار اكتتبها اياه كاتب كقوله تعالى واختار موسى قومه ثم بني الفعل للضمير الذي هو اياه
فانقلب مرفوعا مستترا بعد ان كان منصوبا وبقي ضمير الاساطير على حاله فصار اكتتبها كما قال ابو حيان ولا يصح
ذلك على مذهب جمهور البصريين لان اكتتبها له كاتب متعديا لفعل فيه لمفعولين احدهما مسرح وهو ضمير الاساطير
والاخر مقيد وهو ضميره عليه السلام ثم اتسع في الفعل فحذف حرف الجر فصار اكتتبها اياه كاتب فاذا بني هذا للمفعول
انما ينوب عن الفاعل المفعول المسرح لفظا وتقديرا فعلى هذا يكون التركيب اكتتبته لا اكتتبها وعلى هذا الذي قلناه
جاء السماع قال الفرزدق • ومنا الذي اختير الرجال سماحة • وجودا اذا هب الرياح الزعازع • ولو جاء
على ما قرره الزمخشري لجاء التركيب ومنا الذي اختيره الرجال لان اختار يتعدى الى الرجال باسقاط حرف الجر اذ تقديره
اختير من الرجال وهو اعتراض حسن والنسبة الى مذهب الجمهور ولكن الزمخشري قد لا يلتزمه ويوافق الاخفش والكوفيين
واذا كان الاخفش وهم يتركون المسرح لفظا وتقديرا ويقيمون المجرور بالحرف مع وجوده وهذا اولى والظاهر

انه مجرد من قوله اكتتبها فهي من تتمة قول الكفار وعن الحسن انها من كلام الباري تعالى وكان حق الكلام على هذا اكتتبها بهمزة مقطوعة مفتوحة للاستفهام كقوله افترى على الله كذبا ام به جنة ويمكن ان يعتذر عنه انه حذف الهمزة للعلم بها كقوله تعالى وتلك نعمة تمنها علي وقول الاخر • افرح ان ارزا الكرام وان • اورث ذودا شصائصا نبلا • يريد اوتلك وافرح فحذف للدلالة الحال وحق ان يقف على الاولين قال الزمخشري فان قلت كيف قيل اكتتبها فهي تملى عليه وانما يقال امليت عليه فهو يكتبها قلت فيه وجهان احدهما انه اراد اكتتابها وطلبه فهي تملى عليه او كتبت له وهو امي فهي تملى عليه من كتاب يتحفظها لان صورة الالقاء على الحافظ كصورة الالقاء على الكاتب وقرا عيسى وطلحة تتلى بالتاء من فوق من التلاوة بكرة واصيلا اي دائما او في الخفية قبل انتشار الناس وحين ياوون الى مساكنهم وتقدم ذلك فصـــل المعنى ان هذا القران ليس من الله انما هو مما سطره الاولون كاحاديث رستم واسفنديار جمع اسطار واسطورة كاحدوثة استنسخها من اهل الكتاب فهي تملى عليه اي تقرا عليه ليحفظها لا ليكتبها بكرة واصيلا غدوة وعشيا قوله تعالى قل انزله الذي يعلم السر الاية وهذا جواب عن شبههم وذلك انه عليه السلام تحداهم بالمعارضة واظهر عجزهم عنها ولو كان عليه السلام اتى بالقران من عند نفسه او استعان باحد لكان من الواجب عليهم ايضا ان يستعينوا باحد فياتوا بمثل هذا القران فلما عجزوا عنه ثبت انه وحي الله وكلامه فلهذا قال قل انزله يعني القران الذي يعلم السر اي الغيب في السموات وفي الارض لان القادر على تركيب الفاظ القران لابد ان يكون عالما بكل المعلومات ظاهرها وخفيها ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا ثم قال انه كان غفورا رحيما غير مستعجل بالعقوبة الثاني انهم استوجبوا بمكابرتهم هذه ان يصب عليهم العقاب صبا ولكن صرف عنهم كونه غفورا رحيما يمهل ولا يعاجل الشبهة الثالثة قوله تعالى وقالوا ما لهذا الرسول ياكل الطعام الاية ما استفهامية مبتداة والجار بعدها خبر وياكل جملة حالية وبها تتم فائدة الاخبار كقوله تعالى فما لهم عن التذكرة معرضين وقد تقدم في النساء ان لام الجر كتبت مفصولة من مجرورها وهو خارج عن قياس الخط والعامل في الحال الاستقرار العامل في الجار او نفس الجار ذكره ابو البقا قوله تعالى فيكون العامة على نصبه وفيه وجهان الاول انه نصب على وجه التخصيص والثاني قال ابو البقا فيكون منصوبا على جواب الاستفهام وفيه نظر لان ما بعد الفا لا يترتب على هذا الاستفهام وشرط النصب ان ينعقد منهما شرط وجزا وقرا فيكون بالرفع وهو معطوف على انزل وجاز عطفه على انزل وعلى الماضي لان المراد بالماضي المستقبل اذ التقدير لولا ينزل قوله تعالى او يلقى او يكون معطوفا على انزل لما تقدم من كونه بمعنى ينزل ولا يجوز ان يعطفا على فيكون المنصوب في الجواب لانهما مندرجان في التخصيص في حكم الواقع بعد ولولا وليس المعنى على انهما جواب للتخصيص فيعطفا على جوابه وقرا الاعمش وقتادة او يكون له بالياء من تحت لان تانيث الجنة مجازي قوله تعالى ياكل منها الجملة في موضع الرفع صفة لجنة وقرا الاخوان ناكل بنون الجمع والباقون بالياء من تحت اي الرسول قوله تعالى وقال الظالمون وضع الظاهر موضع المضمر اذ الاصل وقالوا قال الزمخشري واراد بالظالمين اياهم باعيانهم قال ابو حيان وقوله ليس تركيبا سائغا بل التركيب العربي ان يقول اراهم باعيانهم فصـــل وهذه الشبهة التي ذكروها في نهاية الركاكة فقالوا ما لهذا الرسول ياكل الطعام كما ناكل نحن ويمشي في الاسواق يلتمس المعاش كما نلتمس فمن اين له الفضل علينا وكيف يمتاز عنا بالنبوة وهو مثلنا في هذه الامور وقالوا لولا انزل عليه ملك هلا انزل اليه ملك فيكون معه نذيرا يصدقه ويشهد له ويرد على من خالفه او يلقى اليه كنز من السماء فينفقه ولا يحتاج الى تردد لطلب المعاش وكانوا يقولون له لست انت بملك لانك تاكل والملك لا ياكل ولست بملك لان الملك لا يتسوق وانت تتسوق وتتبذل وما قالوه فاسد لانا كله الطعام لكونه ادميا ومشيه في الاسواق لتواضعه وكان ذلك صفة له وقالوا او تكون له جنة ياكل منها والمعنى ان لم يكن له كنز فلا اقل من ان يكون كواحد من الدهاقين فيكون له بستان ياكل منه وقال الظالمون ان تتبعون الا رجلا مسحورا مخدوعا وقيل مصروفا عن الحق وتقدمت هذه القصة في اخر بني اسرائيل ثم اجابهم الله تعالى عن هذه الشبهة بقوله انظر كيف ضربوا لك الامثال يعني الاشباه فضلوا عن الحق فلا يستطيعون سبيلا الى الهدى ومخرجا عن الضلالة وبيان وجه الجواب كانه تعالى قال انظر كيف اشتغل القوم بضرب هذه الامثال التي لا فائدة فيها لاجل انهم ضلوا وارادوا القدح في نبوتك لم يجدوا الى القدح فيه سبيلا البتة اذ الطعن عليه انما يكون مما يقدح في المعجزات التي ادعاها لا بهذا الجنس من القول قوله تعالى تبارك الذي ان شاء جعل لك خيرا من ذلك الاية وهذا هو الجواب الثاني عن الشبهة اي تبارك الذي ان شاء جعل لك خيرا من ذلك الذي قالوا وافضل من الكنز والبستان الذي ذكروا اي انه قادر على ان يعطي الرسول كلما ذكروه ولكنه تعالى يعطي عباده بحسب المصالح او على وفق المشيئة ولا اعتراض لاحد عليه في شيء من افعالـــه فصـــل قال ابن عباس خيرا من ذلك مما عيروك بفقد الجنة الواحدة وهو سبحانه قادر على ان يعطيك جنات كثيرة

وقال في رواية عكرمة خيرا من ذلك اي من المشي في الاسواق وابتغاء المعاش وقوله ان شاء معناه انه تعالى قادر على ذلك لا انه شاك لان الشك لا يجوز على الله تعالى وقيل ان هاهنا بمعنى قد اي جعلنا لك في الاخرة جنات ومساكن وانما دخل ان تنبيها للعباد على انه لا ينال ذلك الا برحمته وانه معلق على محض مشيئته وليس لاحد من العباد حق على الله لا في الدنيا ولا في الاخرة قوله تعالى جنات يجوز ان يكون بدلا من خيرا وان يكون عطف بيان لذلك الخير عند من يجوزه في النكرات وان يكون منصوبا باضمار اعني وتجري من تحتها الانهار صفة قوله تعالى ويجعل لك قرا ابن كثير وابن عامر وابو بكر برفع يجعل والباقون بادغام لام يجعل في لام لك واما الرفع ففيه وجهان احدهما انه مستانف والثاني انه معطوف على جواب الشرط قال الزمخشري لان الشرط اذا وقع ماضيا جاز في جوابه الجزم والرفع كقولـــه

• وان اتاه خليل يوم مسالة • يقول لا غائب مالي ولا حرم •

قال الزمخشري وليس هذا مذهب سيبويه بل مذهبه ان الجواب محذوف وان هذا المضارع منوي به التقديم ومذهب المبرد والكوفيين على حذف الفا ومذهب اخرين انه جواب لا على حذفها بل لما كان فعل الشرط ماضيا ضعف تاثيره فارتفع قال الزمخشري بني قوله على هذين المذهبين ثم قال ابو حيان وهذا التركيب جائز فصيح وزعم بعض اصحابنا انه لا يجيء الا في ضرورة واما القراءة الثانية فتحتمل وجهين احدهما انه سكون اللام للعطف جزما على محل جعل لانه جواب الشرط والثاني انه مرفوع وانما سكن لاجل الادغام قاله الزمخشري وغيره وفيه نظر لان من جملة من قرا بذلك وهو نافع والاخوان وحفص ليس من اصولهم الادغام حتى يدعي لهم في هذا المكان ابو بكر واصله الادغام وهو يقرا هنا بسكون اللام فيحتمل ذلك على قراءته وهذا من محاسن علم النحو والقراءات معا وقال الواحدي وبين القراءتين فرق في المعنى فمن جزم فالمعنى ان شاء يجعل لك قصورا في الدنيا ولا يحسن الوقف على الانهار ومن رفع حسن الوقف واستانف ويجعل لك قصورا في الاخرة وقرا ابن سليمان وطلحة بن سليمان ويجعل بالنصب وذلك باضمار ان على جواب الشرط واستضعفها ابن جني ومثل هذه القراءة قولـــه

• وان يهلك ابو قابوس يهلك • ربيع الناس والبلد الحرام •

• وياخذ بعده بذناب عيش • اجب الظهر ليس له سنام •

بالتثليث في ياخذ القصور جماعة القصر وهو المسكن الرفيع قال المفسرون هي البيوت المشيدة والعرب تسمي كل بيت مشيد قصرا ويحتمل ان يكون لكل جنة قصر فيكون مسكنا ومتنزها ويجوز ان يكون القصور مجموعة والجنان مجموعة وقال مجاهد ان شاء جعل لك جنات في الاخرة وقصورا في الدنيا فصـــل روي انه عليه السلام قال عرض علي ربي ليجعل لي بطحاء مكة ذهبا فقلت لا يا رب ولكن اشبع يوما واجوع يوما وقال ثلاثا او نحو هذا فاذا جعت تضرعت اليك ودعوتك واذا شبعت حمدتك وشكرتك وروت عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو شئت لسارت معي جبال الذهب جاءني ملك فقال ان ربك يقرا عليك السلام ويقول ان شئت نبيا عبدا وان شئت نبيا ملكا فنظرت الى جبريل عليه السلام فاشار الي ان ضع نفسك فقلت نبيا عبدا قالت وكان النبي صلى الله عليه وسلم بعد ذلك لا ياكل متكئا ويقول اكل كما ياكل العبد واجلس كما يجلس العبد وعن ابن عباس بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا وجبريل عليه السلام معه فقال جبريل هذا ملك نزل من السماء استاذن ربه في زيارتك فلم يلبث الا قليلا حتى جاء الملك وسلم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ان الله يخيرك ان يعطيك مفاتيح كل شيء لم يعط احدا قبلك ولا يعطيه احدا بعدك من غير ان ينقصك مما ادخر لك شيئا فقال عليه السلام بل يجمعهما لي جميعا في الاخرة فنزل تبارك الذي ان شاء الاية قوله تعالى بل كذبوا بالساعة اي القيامة فلا يرجون ثوابا ولا عقابا فلا يتكلفون النظر والفكر لهذا لا ينتفعون بما يورد عليهم من الدلائل قوله تعالى واعتدنا لمن كذب بالساعة سعيرا قال ابو مسلم اعتدنا اي جعلناها عتيدا ومعدا لهم والسعير النار الشديدة الاستعار وعن الحسن انه اسم من اسماء جهنم فان قيل احتج اهل السنة على ان الجنة مخلوقة لقوله تعالى اعدت للمتقين وعلى ان النار التي هي دار العقاب مخلوقة بهذه الاية فالجواب قال الجبائي يحتمل في قوله واعتدنا اي المراد منه نار الدنيا وبها يعذب الكفار والفساق في قبورهم ويحتمل نار الاخرة ويكون المعنى واعتدنا سعرها كقوله ونادى اصحاب الجنة اصحاب النار وانه تعالى يعذبهم في الدنيا بنار الدنيا ويعذبهم في الاخرة بنار الدنيا والاول باطل لان الله تعالى لا يعذبهم بالنار في الدنيا والثاني ايضا باطل لانه لم يقل احد من الايمة انه تعالى يعذب الكفرة بنيران الدنيا فثبت ان المراد نار الاخرة وانها معدة واما حمل الاية على ان الله تعالى سيجعلها معدة فترك للظاهر من غير دليل قوله تعالى اذا راتهم هذه الجملة الشرطية في موضع صفة لسعيرا لانه مؤنث بمعنى النار قوله تعالى سمعوا لها تغيظا وزفيرا فان قيل التغيظ لا يسمع فالجواب من ثلاثة اوجه احدها انه على حذف مضاف اي صوت تغيظها والثاني على حذف تقديره سمعوا وراوا تغيظا وزفيرا فرجع كل واحد الى ما يليق به اي راوا تغيظا وسمعوا زفيرا والثالث ان يضمن سمعوا معنى يشمل الشيئين اي ادركوا لها تغيظا وزفيرا وهذان الوجهان الاخيران

منقولان من قوله • • ورايت زوجك في الوغى • متقلداً سيفاً ورمحا • • ومن قوله • • •

• علفتها تبناً وماءً بارداً • • حتى بدت همالة عيناها •

اي ومعتقلاً سيفاً وسقيتها ماءً وتضمن متقلداً معنى متسلحاً وعلفتها معنى اطعمتها تبناً وسقيتها ماءً بارداً **فصل** معنى اذا رأتهم من مكان بعيد قال الكلبي والسدي من مسيرة عام وقيل من مسيرة مائة سنة روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من كذب علي متعمداً فليتبوأ بين عيني جهنم مقعداً قالوا وهل لها من عينين قال نعم الم تسمع قول الله عز وجل اذا رأتهم من مكان بعيد وقيل اذا رأتهم زبانيتها قال الجبائي ان الله تعالى ذكر النار واراد الخزنة الموكلين بتعذيب اهل النار لان الرؤية تصح منهم ولا تصح من النار وهو كقوله تعالى واسأل القرية واراد اهلها **قوله تعالى** فاذا القوا منها مكاناً ضيقاً منصوب على الظرف ومنها في محل نصب على الحال من مكان لانه في الاصل صفة له ومقرنين حال من مفعول مقدر بتقدير ثبوراً ثبوراً وقرأ معاذ بن جبل مقرنون بالواو ووجهها ان يكون بدلاً من مفعول القوا وقرأ عمرو بن محمد ثبوراً بفتح الثاء والمصادر التي على فعول بالفتح قليلة جداً وينبغي ان يضم هذا اليها وهي مذكورة في البقرة عند قوله تعالى وقودها الناس **فصل** قال ابن عباس تضيق جهنم عليهم كما يضيق الزج على الرمح وهو منقول ايضاً عن ابن عمر وسئل النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال والذي نفسي بيده انهم يستكرهون في النار كما يستكره الوتد في الحائط قال الكلبي الاسفلون يرفعهم اللهب والاعلون يحبطهم الداخلون فيزدحمون في تلك الابواب قال الزمخشري الكرب مع الضيق يقع كما ان الفرح مع السعة ولذلك وصف الله الجنة بان عرضها السموات والارض وقوله تعالى مقرنين اي مصفدين قد قرنت ايديهم الى اعناقهم في الاغلال وقيل مقرنين مع الشياطين في السلاسل كل كافر مع شيطان فعند ما يتعاهدوا هذا العذاب بالويل والثبور قال ابن عباس يقولون ويلا وقال الضحاك هلاكاً فيقولون واثبوراه هذا حينك وزمانك فيقال لهم لا تدعوا اليوم ثبوراً واحداً وادعوا ثبوراً كثيراً اي هلاككم اكثر من ان تدعوا مرة واحدة وادعوا ادعية كثيرة **فصل** قال الكعبي نزل هذا كله في ابي جهل والكفار الذين ذكروا تلك الشبهات **قوله تعالى** اذلك خير ام جنة الخلد الاية لما وصف العقاب المعد للمكذبين بالساعة اتبعه بما يؤكد الحسرة والندامة فقال اذلك خير فان قيل كيف يقال العذاب خير ام جنة الخلد وهل يجوز ان يقول العاقل السكر احلا ام الصبر فالجواب هذا يحسن في معرض التقريع كما اذا اعطى السيد عبده مالاً فتمرد وابى واستكبر فضربه ويقول له هذا خير ام ذلك فان قيل قال ابو مسلم جنة الخلد هي التي لا ينقطع نعيمها والخلد والخلود سواء كالشكر والشكور قال تعالى لا نريد منكم جزاء ولا شكوراً فالجواب الجنة اسم لدار مخلدة فاي فائدة في قوله جنة الخلد **فصل** لانها قد تكون للتمييز وقد تكون لبيان صفات الكمال كقوله تعالى الخالق البارئ وهذا من هذا الباب **فصل** احتجت المعتزلة بهذه الاية على اثبات الاستحقاق من وجهين احدهما ان اسم الجزاء لا يتناول الا المستحق فاما الموعود بمحض التفضيل فلا يسمى جزاء والثاني لو كان المراد بالجزاء ما صيرهم اليه بمجرد الوعد فلا يبقى بين قوله جزاء وبين قوله مصيراً تفاوت فيصير ذلك تكريراً من غير فائدة فان قيل انه لا نزاع في كونه جزاء انما النزاع في ان كونه جزاء ثبت بالوعد او الاستحقاق وليس في الاية ما يدل على التعيين فان قيل ان الجنة ستصير للمتقين جزاء ومصيراً بعد ما صارت كذلك فلم قال الله كانت لهم جزاء ومصيراً فالجواب من وجهين احدهما ان ما وعده فهو في تحققه كانه قد كان والثاني انه قد كان مكتوباً في اللوح المحفوظ قبل ان يخلقهم الله بازمنة متطاولة ان الجنة جزاؤهم ومصيرهم **قوله تعالى** لهم فيها ما يشاؤن هو نظير قوله ولكم فيها ما تشتهي انفسكم وفيها ما تشتهيه الانفس **فصل** اهل الدرجات النازلة اذا شاهدوا الدرجات العالية لابد وان يريدوها فاذا سألوها ربهم فان اعطاها لهم لم يبق بين الناقص والكامل تفاوت في الدرجة وان لم يعطها قدح ذلك في قوله تعالى لهم فيها ما يشاؤن وايضاً فالاب اذا كان في درك النيران واشد العذاب فلو اشتهى ان يخلصه الله تعالى من ذلك العذاب فان فعل قدح ذلك في ان عذاب الكافر مخلد وان لم يفعل قدح ذلك في قوله ولكم فيها ما تشتهي انفسكم وفي قوله لهم فيها ما يشاؤن فالجواب ان الله تعالى يزيل هذا الخاطر من قلوب اهل الجنة ويشتغلون بما هم فيه من اللذات عن الالتفات الى حال غيرهم **قوله تعالى** خالدين منصوب على الحال اما من فاعل يشاؤن او من فاعل لهم لوقوعه خبراً والعائد على ما محذوف اي لهم فيها الذي يشاؤنه حال كونهم خالدين **قوله تعالى** كان على ربك في اسم كان وجهان احدهما انه ضمير ما يشاؤن ذكره ابو البقاء والثاني انه يعود على الوعد المفهوم من قوله وعد المتقون ومسؤلاً على المجاز اي [illegible] ام لا او يسأل من وعد به **فصل** قوله كان على ربك وعداً مسؤلاً يدل على ان الجنة حصلت بحكم الوعد لا بحكم الاستحقاق كما تقدم وفي مسؤلاً اي مطلوباً قال بعضهم قيل ان المؤمنين سألوا ربهم في الدنيا فقالوا ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك وقال محمد بن كعب القرظي الملائكة سألوا ربهم للمؤمنين ربنا وادخلهم جنات عدن التي وعدتهم وقيل ان المكلفين سألوه بلسان الحال لانهم تحملوا المشقة الشديدة في طاعة الله كان ذلك قائماً مقام السؤال قال المتنبي • وفي النفس حاجات وفيك فطانة •

سكوتي

سكوتي كلاما عندها وخطاب • وقيل وعداً مسؤلاً اي واجباً وان لم يسأل قاله الفراء وان قيل مسؤلاً اي من حقه ان يكون مسؤلاً لانه حق واجب اما بحكم الاستحقاق على قول المعتزلة او بحكم الوعد على قول اهل السنة **قوله تعالى** ويوم نحشرهم وما يعبدون من دون الله الاية قرأ ابن عامر نحشرهم بالنون فيهما وفي فنقول وابن كثير وحفص بالياء من تحت فيهما والباقون بالنون في الاول وبالياء في الثاني وهو واضحات وقرأ الاعرج نحشرهم بكسر الشين في التعدي قيل من يفعل بضم العين وقال ابو الفضل الرازي وهو القياس في الافعال الثلاثية المتعدية لان يفعل بضم العين قد يكون من اللازم الذي هو فعل بضمها في الماضي قال ابو حيان وليس كما ذكر اهل فعل المتعدي الصحيح جميع حروفه اذا لم تكن للمبالغة ولا حلقي عين ولا لام فانه جاء على يفعل ويفعل كثيراً فاذا شهر احد الاستعمالين اتبع والا فالخيار حتى ان بعض اصحابنا خير فيهما سمعا للكلمة او لم يسمعا قال شهاب الدين الذي حكي في ذلك هو ابن عصفور عن ابي يقول زيد يفعل بكسر العين ويضرب بكسر الراء مع سماع الضم في الاول والكسر في الثاني وسبقه الى ذلك ابن درستويه الا ان النحاة على خلافه **قوله تعالى** وما يعبدون عطف على مفعول نحشرهم ويضعف نصبه على المعية وغلب غير العاقل عليه فاتى بما دون من **فصل** ظاهر قوله وما يعبدون انها الاصنام لان ما لما لا يعقل وظاهر قوله فيقول أأنتم اضللتم انه من عبد الاحياء كالملائكة والمسيح وعزير وغيرهم لان الاضلال وجوابهم فلهذا اختلفوا فقال مجاهد اراد الملائكة والجن والمسيح وعزيراً وقال عكرمة والضحاك والكلبي يعني الاصنام فقيل كيف يخاطبهم الله اعني كيف يخاطب الله الجماد فاجابوا بوجهين احدهما انه يخلق الحياة فيها ويخاطبها والثاني ان يكون الكلام بالكلام النفساني لا بالقول بل بلسان الحال كما ذكر بعضهم في تسبيح الموات وكلام الايدي والارجل كما قيل سل الارض من شق انهارك وغرس اشجارك فان لم تجبك حواراً اجابتك اعتباراً وقال الاكثرون المراد الملائكة وعيسى وعزير عليهم السلام قالوا ويتأكد هذا القول بقوله تعالى ويوم يحشرهم جميعاً ثم يقول للملائكة اهؤلاء اياكم كانوا يعبدون فان قيل لفظة ما لا تستعمل لمن يعقل لانهم قالوا من لمن لا يعقل في قوله تعالى فمنهم من يمشي على بطنه ومنهم من يمشي على رجلين ومنهم من يمشي على اربع الثاني انه اريد الوصف كانه قيل ومعبودهم وقال تعالى والسماء وما بناها ولا انتم عابدون ما اعبد وهذا لا يستقيم الا على احد هذين الوجهين فالجواب قالت المعتزلة هذه الاية تدل على القائلين فان الله يضل عباده في الحقيقة لانه لو كان الامر كذلك لكان من حق الجواب الصحيح ان يقولوا الهنا ها هنا فهم ثالث غيرهما هو الحق وهو انك اضللتهم فلما لم يقولوا ذلك بل نسبوا اضلالهم على انفسهم علمنا انه تعالى لا يضل احداً من عباده فان قيل لا نسلم ان المعبودين ما تعرضوا لهذا القسم لذكره وقالوا بل متعتهم ولكن متعتهم وآباءهم حتى نسوا الذكر وهذا تصريح بان ضلالهم انما حصل لاجل ما فعل الله بهم وهو انه تعالى متعهم وآباءهم بنعم الدنيا **فصل** لو كان الامر كذلك لكان يلزم ان يصير الله محجوجاً في يد اولئك المعبودين ومعلوم انه ليس الغرض ذلك بل الغرض ان يصير الكافر محجوجاً ثم معلوماً **فصل** واجاب اهل السنة بان القدرة على الضلال ان لم تصلح للاهتداء والضلال من الله تعالى وان صلحت لم يترجح اهتداؤها للضلال على اقتدارها على الاهتداء الا لمرجح من الله تعالى وعند ذلك يزول السؤال واما ظاهر هذه الاية وان كان لهم لكنه معارض بسائر الظواهر المطابقة لقولنا **قوله تعالى** هؤلاء يجوز ان يكون نعتاً لعبادي او بدلاً او بياناً **قوله تعالى** ضلوا السبيل على حذف حرف الجر وهو عن كما صرح به قوله يضل عن سبيله ثم اتسع فيه فحذف نحو هدى فانه يتعدى بالى وقد يحذف اتساعاً ويضل مضارع اضل فان قيل ان الله تعالى كان عالماً في الازل بحال المسؤل عنه فاي فائدة في هذا السؤال فالجواب هذا جواب تقريع للمشركين كما قيل لعيسى أأنت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله فان قيل فما فائدة انتم وهم للمشركين وهلا قيل اضللتم عبادي هؤلاء ام ضلوا السبيل فالجواب هذا سؤال عن الفاعل فلا بد من ذكره حتى يعلم انه المسؤل عنه وقوله تعالى أأنتم اضللتم ام هم ضلوا كما تقدم في قوله أأنت قلت للناس فان قيل ينبغي العامة على بنائه للفاعل وابو عيسى الاسود القارئ ينبغي مبنياً للمفعول قال ابن خالويه زعم سيبويه ان ينبغي لغة فالجواب ان نتخذ فاعل ينبغي او مفعول قائم مقام الفاعل في قوله قراءة الاسود وقرأ العامة نتخذ مبنياً للفاعل ومن اولياء مفعوله دون بعض فيمن ويجوز ان يكون مفعولاً اولاً على ان اتخذ متعدية لاثنين ويجوز ان لا تكون المتعدية لاثنين بل لواحد فعلى هذا تتعلق بالاتخاذ او بمحذوف على انه حال من اولياء وقرأ ابو الدرداء وزيد بن ثابت وابو رجاء والحسن وابو جعفر والحسن نتخذ مبنياً للمفعول وفيه اوجه احدها انها متعدية لاثنين والاول هو ضمير المتكلمين والثاني قوله اولياء ومن للتبعيض اي ما كان ينبغي ان نتخذ بعض اولياء قاله الزمخشري الثاني ان من اولياء هو المفعول الثاني ايضاً الا ان من مزيدة في المفعول الثاني وهذا مردود بان من لا تزاد في المفعول الثاني انما تزاد في الاول قال ابن عطية ويضعف هذه القراءة دخول من في قوله من اولياء اعترض بذلك سعيد بن جبير وغيره قال الزجاج خطأ من قرأ بفتح الخاء وضم النون لان من انما تدخل في هذا الباب في الاسماء اذا كانت مفعولة اولاً ولا تدخل على مفعول الحال تقول ما اتخذت من احد ولياً ولا يجوز ما اتخذت احداً من ولي

الثالث ان يكون من اولياء في موضع الحال قاله ابن جني لانه قال دخلت من لزيادة مكان النفي المتقدم كقولك ما اتخذت زيدا
من وكيل فظاهر هذا انه جعل الجار والمجرور في موضع الحال وحينئذ يستحيل ان تكون من مزيدة ولكنه يريد ان يكون هذا المجرور هو
الحال نفسه ومن مزيدة فيه الا انه لا يحفظ زيادة من في الحال وان كانت متعدية او منفية وانما حفظ زيادة الباء فيها على خلاف
في ذلك فان قيل هذه القراءة غير جائزة لانه لا مدخل لهم في ان يتخذ غيرهم اولياء فالجواب المراد انا لا نصلح لذلك فكيف
ندعوهم الى عبادتنا وقرا الحجاج نتخذ من دونك فبلغ عاصما فقال مقت المخدج اوما علم ان فيها من **فصل** اجابوا بقولهم
سبحانك وفيه اوجه الاول انه تعجب منهم تعجبوا مما قيل لهم لانهم ملائكة والانبياء معصومون فما ابعدهم عن الاضلال الذي
هو مختص بابليس وجنوده الثاني انهم نطقوا بسبحانك ليدلوا على انهم المسبحون الموصوفون بذلك فكيف يليق بحالهم ان يضلوا
عباده الثالث قصدوا به التسبيح تنزيهه عن الانداد سواء كان المسبح وثنا او نبيا او ملكا الرابع قصدوا تنزيهه ان يكون
مقصوده من هذا السؤال استفادة علم او ازالة من كان بريئا من الجرم بل انما سالهم تقريعا للكفار وتوبيخا لهم وقوله ما كان
ينبغي لنا ان نتخذ من دونك من اولياء ومعناه اذا كان لا نرى ان نتخذ من دونك وليا فكيف ندعو غيرنا الى ذلك اي ما كان
لنا ان نامرهم بعبادتنا ونحن نعبدك وقيل ما كان ينبغي لنا ان نكون امثال الشياطين وقيل ما كان لنا ان نتخذ من دون
رضاك من اولياء اي انا لما علمنا انك لا ترضى بهذا ما فعلنا فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه وقيل قالت الملائكة
انا وهم عبيدك ولا ينبغي لعبادك ان يتخذوا من دون اذنك وليا ولا حبيبا فضلا عن ان يتخذ عبد آخر الها وقيل قالت
الاصنام انا لا يصلح منا ان نكون من العابدين فكيف يمكن منا دعاء الناس الى ان نكون من المعبودين **قوله تعالى** ولكن متعتهم لما تضمن
كلامهم انا لم نضلهم ولم نحملهم على الضلال حسن هذا الاستدراك وهو انه ذكروا اسبابه اي انعمت عليهم وتفضلت فجعلوا ذلك
ذريعة الى ضلالهم عكس القضية والمعنى متعتهم واباءهم في الدنيا بطول العمر والصحة والمنعة حتى نسوا الذكر وتركوا المواعظ
والايمان بالقران وقيل تركوا ذكرك وغفلوا عنه **قوله تعالى** وكانوا قوما بورا اي هلكى غلب عليهم الشقاء والخذلان
وبورا يجوز ان يكون جمع بائر كعائذ وعوذ وان يكون مصدرا في الاصل كالزور فيستوي فيه المفرد والمثنى والمجموع والمذكر
والمؤنث وهو من البوار وهو الهلاك وقيل من الفساد وهي لغة الازد يقولون بارت بضاعته اي فسدت وامر بائر اي فاسد
وهذا معنى قولهم كسدت البضاعة وقال الحسن هو من قولهم ارض بور اي لا نبات بها وهذا يرجع الى معنى الهلاك والفساد
قوله تعالى فقد كذبوكم هذا الخطاب مع المشركين اي كذبكم المعبودون في قولكم انهم آلهة وانهم اضلوكم وقيل خطاب للمؤمنين
في الدنيا اي فقد كذبكم ايها المؤمنون الكفار بما تقولون من التوحيد في الدنيا وهو معنى قوله بما تقولون وهذه الجملة
من كلام الله تعالى اتفاقا فهي على اضمار القول والالتفات قال الزمخشري هذه المفاجأة بالاحتجاج حسنة رائعة وخاصة
اذا انضم اليها الالتفات وحذف القول ونحوها قوله تعالى يا اهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم على فترة من الرسل
ان تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير فقد جاءكم وقول القائل قالوا خراسان اقصى ما يراد بنا ثم القفول فقد جئنا خراسانا
انتهى ويريد الاصل في الاية الكريمة فقلنا قد كذبوكم وفي البيت فقلنا قد جئنا وقرا ابو حيوة وقنبل في رواية ابن ابي
الصلت عنه بالياء من تحت اي فقد كذبكم الالهة بما يقولون من الافتراء عليكم **قوله تعالى** فما يستطيعون قرا حفص
بتاء الخطاب والمراد عبادها والمعنى فما تستطيعون انتم بالكفار صرف العذاب عنكم وقيل الصرف التوبة وقيل الحيلة
وقرا الباقون بياء الغيبة والمراد الالهة التي كانوا يعبدونها من عاقل وغيره ولذلك غلب العاقل واتى بواو الضمير والمعنى
فما تستطيع الهتكم ان يصرفوا عنكم العذاب وان يحتالوا لكم **قوله تعالى** ومن يظلم منكم نذقه قرا العامة نذقه بنون العظمة
وقرا بالياء وفي الفاعل وجهان اظهرهما انه الله تعالى لدلالة قراءة العامة على ذلك والثاني انه ضمير الظلم المفهوم من الفعل
وفيه تجوز باسناد اذاقة العذاب الى سببها وهو الظلم والمعنى من يظلم منكم نذقه عذابا كبيرا فان قيل تمسكت المعتزلة
بهذه الاية ان الفاسق لا يعفى عنه بل يعذب لا محالة فالجواب انا لا نسلم ان كلمة من في معرض الشرط للعموم والكلام فيه
مذكور في اصول الفقه سلمنا انه للعموم لكن قطعا ام ظاهرا ودعوى القطع ممنوعة فانا نرى في العرف العام والاستعمال
المشهور استعمال صيغ العموم مع ارادة الاكثر ولان المراد قوم معينون ويدل عليه قوله تعالى ان الذين كفروا سواء عليهم
ءانذرتهم ام لم تنذرهم لا يؤمنون ثم ان كثيرا من الذين كفروا قد امنوا فلا دافع ان يقال قولنا الذين كفروا كان يفيد
العموم لكن المراد منه اما الغالب والمراد قوم مخصوصون وعلى التقديرين ثبت ان استعمال الفاظ العموم في الاغلب عام
واذا كان كذلك كانت دلالة هذه الصيغ على العموم دلالة ظاهرة لا قاطعة وذلك لا ينفي تجويز العفو سلمنا دلالته
قطعا لكن اجمعنا على ان قوله ومن يظلم منكم مشروط بان لا يزيل ذلك الظلم فيرجع حاصل الامر الى ان قوله يظلم منكم
بان لا يعاجل بما يزيله وعندنا هذا المعفو هذا مسلم لكن لم قلتم انه لم يوجد ما يزيله فانا العفو عندنا احد الامور المزيلة
التي تزيله وذلك هو اول المسالة سلمنا دلالته على ما قال ولكنه معارض بآيات الوعد كقوله تعالى ان الذين امنوا وعملوا الصالحات

كانت

كانت لهم جنات الفردوس نزلا فان قيل آيات الوعيد اولى لان السارق يقطع على سبيل التنكيل واذا ثبت انه مستحق للعقاب
ثبت ان استحقاق الثواب محبط لما بينا ان الجمع بين الاستحقاقين محال فالجواب لا نسلم ان السارق يقطع على سبيل التنكيل
ولنا هذه المقامات ولكن قوله تعالى ومن يظلم منكم خطاب مع قوم مخصوصين معينين فحسبانه لا يعفى عنهم فلم قلتم انه
لا يعفى عن غيرهم **قوله تعالى** وما ارسلنا قبلك من المرسلين الاية هذا جواب عن قولهم ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي
في الاسواق اي هذه عادة مستمرة من الله تعالى في كل رسله فلا وجه لهذا الطعن **قوله تعالى** الا انهم ليأكلون حق الكلام
ان يقال الا انهم بفتح الالف لانه متوسط والمكسور لا يليق الا بالابتداء فلهذا ذكروا في هذه الجملة ثلاثة اوجه الاول
انها في محل نصب صفة لمفعول محذوف فقدره الزجاج والزمخشري وما ارسلنا قبلك احدا من المرسلين الا آكلين وماشين
وانما حذف لان في قوله من المرسلين دليلا عليه نظيره قوله تعالى وما منا الا له مقام معلوم بمعنى وما منا احد وقدره
ابن عطية رجالا او رسلا والضمير في انهم وما بعده عائد في هذا الموصوف المحذوف والثاني حال قال الفراء انها لا محل لها
من الاعراب وانما هي صلة لموصول محذوف هو المفعول لارسلنا تقديره الا من انهم فالضمير في انهم وما بعده عائد على
معنى من المقدرة واكتفى بقوله من المرسلين عنه كقوله تعالى وان منكم الا واردها الا من يردها فعلى قول الزجاج الموصوف
محذوف وعلى قول الفراء الموصول هو المحذوف ولا يجوز حذف الموصول وتبقية الصلة عند البصريين الا في مواضع تقدم
التنبيه عليها في البقرة الثالث ان الجملة محلها النصب على الحال واليه ذهب ابن الانباري قال التقدير الا وانهم يعني انها
حالية فقدر معها الواو بيانا للحالية فكسر بعد استئناف ورد بكون ما بعد الا صفة لما قبلها ويكون ما بعدها الا صفة لما قبلها
وقرا ابو البقاء ايضا والعامة على كسر ان لوجود اللام على خبرها ولكون الجملة حالا على الراجح قال ابو البقاء وقيل لو لم
تكن اللام لان الجملة اذ المعنى الا وهم اي ما جعلناهم رسلا الى الناس الا لكونهم مثلهم وقرا العامة يمشون خفيفة وقرا امير المؤمنين
علي بن ابي طالب وعبد الله يمشون مشددا مبنيا للمفعول اي تمشيهم حوائجهم والناس وقرا عبد الله يمشون بالتشديد
مبنيا للفاعل وهي بمعنى يمشون وقال الشاعر • ومشى باغصان المياه وتبتغي • قلائص منها صعبة وركوب •
قال الزمخشري ولو قرئ يمشون لكان اوجه لولا الرواية يعني بالتشديد مبنيا قال شهاب الدين فقد قرأها السلمي ولله الحمد
فصل روى الضحاك عن ابن عباس قال لما عير المشركون رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا ما لهذا الرسول
يأكل الطعام ويمشي في الاسواق انزل الله عز وجل هذه الاية يعني ما انا الا رسول وما كنت بدعا من الرسل وهم كانوا يأكلون
الطعام ويمشون في الاسواق كما قال في موضع آخر ما يقال لك الا ما قد قيل للرسل من قبلك وجعلنا بعضكم لبعض فتنة
اي بلية فالغني فتنة للفقير يقول ما لي لم اكن مثله والصحيح فتنة للمريض والشريف فتنة للوضيع قال ابن عباس
اي جعلت بعضكم بلاء لبعض لتصبروا على ما تسمعون منهم وترون من خلافهم وتتبعون الهدى وقال الكلبي والفراء والزجاج
والفراء نزلت في رؤساء المشركين وفقراء الصحابة فاذا رأى الشريف الوضيع قد اسلم قبله انف ان يسلم واقام على كفره لئلا
يكون للوضيع السابقة والفضل عليه قوله تعالى لو كان خيرا ما سبقونا اليه وقيل هذا عام في جميع الناس روى
ابو الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ويل للعالم من الجاهل وويل للسلطان من الرعية وويل للرعية من السلطان
وويل للمالك من المملوك وويل للشديد من الضعيف وللضعيف من الشديد بعضهم لبعض فتنة وقرأ هذه الاية وروي عن
ابن عباس والحسن هذا في اصحاب البلاء والعافية والخلق وفي العقل وفي العلم وفي الرزق وفي الاجل وقيل هذا احتجاج
عليهم في تخصيص محمد بالرسالة مع مساواته لهم في البشرية وصفاتها فالمرسلون يتأذون من المرسل اليهم والمرسل
اليهم يتأذون ايضا من الرسل بحسب الحسد وصيرورته مكلفا بالخدمة وبذل النفس والمال بعد ان كان رئيسا مخدوما
والاولى حمل الاية على الكل لان بين الجميع قدرا مشتركا قال عليه السلام اذا رأى احدكم الى من فضل عليه في المال والجسم
فلينظر الى من دونه في المال والجسم **قوله تعالى** اتصبرون وكان ربك بصيرا المعادل محذوف اي ام لا تصبرون
وهذه الجملة استفهام والمراد منه التقرير فان موقعه بعد الفتنة موقع ايكم بعد الابتلاء في قوله ليبلوكم ايكم احسن عملا
بمعنى انها متعلقة لما فيها من معنى فعل القلب فيكون منصوبة المحل على اسقاط الخافض والمعنى اتصبرون على البلاء فقد
علمتم ما وعد الصابرين **قوله تعالى** وكان ربك بصيرا اي عالما بمن يصبر وبمن لا يصبر فيجازي كلا منهم بما يستحقه من
ثواب وعقاب **قوله تعالى** وقال الذين لا يرجون لقاءنا الاية هذه هي الشبهة الرابعة لمنكري نبوة محمد صلى الله عليه وسلم
لم تنزل الملائكة حتى يشهدوا ان محمدا محق في دعواه او نرى ربنا حتى يخبرنا بانه ارسله الينا قال الفراء قوله تعالى وقال الذين
لا يرجون لقاءنا اي لا يخافون لقاءنا فوضع الرجاء موضع الخوف لغة تهامية اذا كان معه جحد ومنه قوله تعالى ما لكم
لا ترجون لله وقارا اي لا تخافون له عظمة قال القاضي لا وجه لذلك لان الكلام متى امكن حمله على الحقيقة لم يجز حمله
على المجاز والمعلوم من حال عبادة الاصنام انهم كانوا لا يخافون العقاب لتكذيبهم بالعقاب فلذلك لا يرجون الثواب

لمثل ذلك فقوله تعالى لا يرجون لقاءنا محمول على الحقيقة وهو انهم لا يرجون لقاء ما وعدنا على الطاعة
من الثواب والجنة ومعلوم ان من لا يرجو ذلك لم يخف العقاب ايضا والخوف تابع للرجاء **فصل** دل ظاهر
الاية على جواز الرؤية لان اللقاء جنس تحته انواع احدها الرؤية والاخر الاتصال والمماسة وهما هنا باطلان فدل
على جواز الرؤية لان الرائي لم يتصل بالمرئي فيكون وصل برؤيته الى حقيقة المرئي فسمى الرؤية لقاء وقالت المعتزلة تفسير اللقاء بالرؤية بالبصر
جهل بالرؤية باللغة لانه يقال في الدعاء لقاك الله الخير ويقول القائل لم القى الامير وان رآه من بعيد اذا حجب عنه
ويقال في الضرير لقي الامير اذا اذن له ولم يحجب وقد تلقاه في الليلة الظلماء ولا يرى بل المراد من اللقاء هنا
المصير الى حكمه حيث لا حكم الى غيره في يوم لا تملك نفس لنفس شيئا لانه رؤية البصر قال ابن الخطيب وهذا الكلام ضعيف
لان اللفظ الموضوع لمعنى مشترك بين معان كثيرة يطلق على كل واحد من تلك المعاني فيصح من قوله لقاك الخير
ويصح قول الاعمى لقيت الامير ويصح قول البصير لقيته بمعنى وصلت اليه واذا ثبت هذا فنقول قوله وقال الذين
لا يرجون لقاءنا مذكور في معرض الذم لهم فوجب ان يكون رجاء اللقاء حاصلا ومسمى اللقاء مشترك بين الوصول الى الحكم
وبين الوصول بالرؤية وقد بطل الاول فتعين الثاني وقولهم المراد من اللقاء الوصول الى حكمه صرف للفظ عن ظاهره من غير
دليل فثبت دلالة الاية على صحة الرؤية على وجوبها بل على ان انكار الرؤية ليس الا من دين الكفار **قوله تعالى** لولا انزل
اي هلا انزل علينا الملائكة فيخبرونا ان محمدا صادق او نرى ربنا فيخبرنا بذلك **قوله تعالى** لقد استكبروا في
انفسهم بهذه المقالة وقال الكلبي ومقاتل نزلت الاية في ابي جهل والوليد واصحابهما المنكرين للنبوة والبعث **قوله
تعالى** وعتوا مصدر وقد صح هنا وهو الاكثر واعل في مريم في عتيا لمناسبة ذكرت هناك وهي تواخي رؤوس الفواصل
فان قيل قال مجاهد عتوا طغوا وقال مجاهد عتوا علوا في القول والعتو اشد الكفر وافحش الظلم وعتوهم طلبهم رؤية الله
حتى يؤمنوا به وقوله تعالى في انفسهم لانهم لا استكبار في قلوبهم واعتقدوه كما قال ان في صدورهم الا كبر ما هم ببالغيه
وعتوا تجاوزوا الحد في الظلم فالجواب وهذا جواب عن شبهتهم وبيانه من وجوه الاول ان القران لما ظهر كونه معجزا
فقد تمت دلالة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فعند ذلك يكون اقتراح امثال هذه الايات لا تكون الا محض التعنت
والاستكبار الثاني ان نزول الملائكة لو حصل لكان ايضا من جملة المعجزات فلا يدل على الصدق لخصوص كونه
نزول الملك بل لعموم كونه معجزا فيكون قبول ذلك المعجز ورد المعجز الاخر ترجيحا لاحد المثلين على الاخر من غير مزيد
فايدة ومرجح وهو محض الاستكبار والتعنت الثالث انهم بتقدير ان يروا الرب ويسالوه عن صدق محمد صلى الله عليه
وسلم وهو سبحانه يقول نعم هو رسولي فلان ذلك لا يزيد في التصديق على اظهار المعجز على يد محمد عليه السلام لانا بينا
ان المعجزة تقوم مقام التصديق بالقول اذ لا فرق وقد ادعى النبوة بين ان يقول اللهم ان كنت صادقا فاحي هذا الميت
فيحييه الله تعالى وبين ان يقول له صدقت واذا كان التصديق بالعقل والتصديق الحاصل بالمعجز سيان في كونه
تصديقا للمدعي ثم تعين احدهما لمحض الاستكبار والتعنت الرابع يمكن ان يكون المراد ان الله تعالى قال لو علمت انهم ما ذكروا
هذا السؤال لاجل الاستكبار والعتو الشديد لاعطيتهم مقترحهم ولكني علمت انهم ذكروا هذا الاقتراح لاجل الاستكبار
والتعنت فلو اعطيتهم مقترحهم لما انتفعوا به فلا جرم لا اعطيهم ذلك الخامس لعلهم سمعوا من اهل الكتاب ان الله لا يرى
وان الله تعالى لا ينزل الملائكة في الدنيا على عوام الخلق فانهم علقوا ايمانهم على ذلك على سبيل الاستهزاء **فصل**
استدلت المعتزلة بهذه الاية على عدم الرؤية لان رؤيته لو كانت جائزة لما كان سؤالها تعنتا اي لما كان سؤالها
عتوا واستكبارا قالوا فقوله لقد استكبروا في انفسهم وعتوا عتوا كبيرا ليس الا لاجل الرؤية واستعظم في اية اخرى قولهم
لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فاخذتهم الصاعقة فثبت ان الاستكبار والعتو لا يدل على ذلك ولا يدل ذلك على
ان الرؤية مستحيلة لان من طلب شيئا محالا لا يقال انه عتا واستكبر الا ترى قولهم اجعل لنا الها كما لهم الهة لم يثبت
لهم بطلب هذا المحال عتوا واستكبارا بل قال انكم قوم تجهلون ومما يدل على ذلك ان موسى عليه السلام لما قال رب
ارني انظر اليك ما وصفه الله بالاستكبار والعتو لانه عليه السلام طلب الرؤية شوقا وهؤلاء لما طلبوها امتحانا
وتعنتا لا جرم وصفهم بذلك **قوله تعالى** يوم يرون فيه اربعة اوجه الاول انه منصوب باذكر فيكون مفعولا
به الثاني انه منصوب بيعذبون مقدرا ولا يجوز ان تعمل فيه نفس البشرى لوجهين احدهما انها مصدر والمصدر
لا يعمل فيما قبله والثاني انها منفية بلا وما بعد لا لا يعمل فيما قبلها **قوله تعالى** لا بشرى هذه الجملة معمولة
لقول مضمر اي يرون الملائكة يقولون لا بشرى فالقول حال من الملائكة فهو نظير التقدير في قوله والملائكة
يدخلون الى قوله سلام عليكم قال ابو حيان واحتمل البشرى ان يكون مبنيا مع لا واحتمل ان يكون في نية التنوين
منصوبا ومنع من الصرف للتانيث اللازم وان كان مبنيا مع لا احتمل ان يكون يومئذ صفة خبرا وللمجرمين خبر بعد

خبرا او نعتا للبشرى او متعلقا بما تعلق به الخبر وان يكون يومئذ صفة للبشرى والخبر للمجرمين خلاف سيبويه والاخفش
على الخبر لنفي لا والخبر للمبتدا الذي هو مجموع لا وما بني معها وان كان في نية التنوين وهو معرب جاز ان يكون
يومئذ وللمجرمين خبرين وجاز ان يكون يومئذ خبرا وللمجرمين صفة والخبر اذا كان الاسم مبنيا لنفس لا باجماع
فالعامل له الذي قوله واحتمل ان يكون في نية التنوين الى اخره لا ياتي الا على قول ابي اسحق وهو انه يرى ان اسم
لا النافية للجنس معرب ويعتذر عن حذف التنوين بكثرة الاستعمال ويستدل عليه بالرجوع اليه في الضرورة وينشد
الا رجلا جزاه خيرا ويتاوله البصريون على اضمار الا ترونني رجلا ويمكن الشيخ ان يجعله معربا كما ادعى بطريق اخرى
وهي ان يجعل بشرى عاملة في يومئذ او في بشرى او في للمجرمين فيصير من قبيل المطول والمطول معرب لكنه لم يلتزم
بذلك وسياتي شيء من هذا في كلام ابي البقاء رحمه الله تعالى ويجوز ان يكون بشرى معربا منصوبا بطريق اخرى وهي
ان يكون منصوبة بفعل مقدر اي لا يبشرون بشرى كقوله تعالى لا مرحبا بهم لا اهلا ولا سهلا الا ان كلام الشيخ
لا يمكن تنزيله على هذا القول جاز ان يكون يومئذ للمجرمين خبرا فقد حكم ان له خبرا واذا جعلت منصوبة بفعل مقدر
لا يكون حينئذ خبرا لانها داخلة على ذلك الفعل المقدر وهذا موضع حسن **قوله تعالى** يومئذ للمجرمين قد
تقدم في يومئذ اوجه احدها ما تقدم وجوز ابو البقاء ان يكون منصوبا ببشرى قال اذا قدرت انها منونة غير
مبنية مع لا ويكون الخبر للمجرمين وجوز ابو البقاء ايضا هو والزمخشري ان يكون يومئذ تكريرا ليوم يرون ورده
ابو حيان سواء اريد بالتكرير التوكيد اللفظي ام اريد به البدل قال لان يوم منصوب بما تقدم ذكره من
اذكر او من يعدمون البشرى وما بعد لا العاملة في الاسم لا يعمل فيه ما قبلها وعلى تقدير ما ذكراه يكون العامل
فيه ما قبل لا وما رده ليس بظاهر لان الجملة المنفية معمولة للقول المضمر الواقع حالا من الملائكة فالملائكة معمولة
ليرون ويرون معمول ليوم خفضا بالاضافة بلا وما في حيزها من تمام الظرف الاول من حيث انها معمولة
لبعض ما في حيزها فليست باجنبية ولا مانعة من ان يعمل ما قبلها في ما بعدها والعجب ليس له كيف يخيل وهذا
عما تقدم وانه واضح مع التامل وللمجرمين من وضع الظاهر موضع المضمر شهادة عليهم بذلك والضمير في يقولون
يجوز عوده للكفار وللملائكة وحجرا من المصادر الملتزم اضمار ناصبها ولا يتصرف فيه نحو معاذ الله وقعدك وعمرك
فصل وهذه كلمة كانوا يتكلمون بها عند لقاء عدوهم وهجوم نازلة ونحو ذلك يضعونها موضع الاستعاذة
قال سيبويه ويقول الرجل للرجل انفعل كذا فيقول حجرا وهي من حجره اذا منعه لان المستعيذ طالب من الله ان يمنع
المكروه ولا يلحقه وكان المعنى اسال الله ان يمنعه منعا ويحجره حجرا والعامة على كسر الحاء والضحاك والحسن وابو رجاء
على ضمها هو لغة فيه قال الزمخشري ومجيئه على فعل او فعل في قراءة الحسن تصرف فيه لاختصاصه بموضع واحد
كان قعدك وعمرك وانشد لبعض الرجاز • قالت وفيها حيدة لاختصاصه • اعني لاختصاصه بموضع واحد
كما كان قعدك وعمرك كذلك وانشد • قالوا وفيها حيدة وذعر • عوذ بربي منكم وحجر • وهو الذي انشده
الزمخشري فيقتضي تصرف حجر وقد تقدم نص سيبويه فيه لغة ثالثة وهو الفتح قال وقد قرئ بها فعلى هذا كمل
فيه لغات ثلاثة مقرود ومحجورا صفة موكدة للمعنى كقولهم ذيل ذائل والذل الهوان وموت مائت والحجر
العقل لانه يمنع صاحبه **قوله تعالى** يوم يرون الملائكة عند الموت قاله ابن عباس وقال الباقون يوم
القيمة لا بشرى يومئذ للكافرين قالت المعتزلة الاية تدل على القطع بوعيد الفساق وعدم العفو لان قوله لا بشرى
يومئذ للكافرين في الوقت العلائي فلما كان ثبوت البشرى في وقت من الاوقات مذكورا للتكذيب هذه القضية
علمنا ان قوله لا بشرى يقتضي نفي جميع البشرى في كل الاوقات وشفاعة الرسول لهم من اعظم البشرى فوجب ان لا يثبت
ذلك لاحد من المجرمين والكلام على التمسك بصيغ العموم وقد تقدم مرارا **فصل** اختلفوا في القائلين
حجرا محجورا فقال ابن جريج كانت العرب اذا نزلت بهم شدة وراوا ما يكرهون قالوا حجرا محجورا فهم قالوه لما عاينوا
الملائكة قال مجاهد يعني عوذا معاذا فيستعيذون من الملائكة وقال ابن عباس تقول الملائكة حراما محرما ان يدخل
الجنة الا من قال لا اله الا الله قال مقاتل اذا خرجت الكفار من قبورهم قالت لهم الملائكة حجرا محجورا اي حرام عليكم ان
تكون لكم البشرى **قوله تعالى** وقدمنا الى ما عملوا من عمل اي وعمدنا الى عملهم **قوله تعالى** فجعلناه هباء منثورا
اذا ارتفع واهبته اهباء وقال الخليل والزجاج هو مثل الغبار الداخل في الكوة يرى مع ضوء الشمس فلا يمس
بالايدي ولا يرى في الظل وهو قول الحسن وعكرمة ومجاهد وقيل الهباء ما تطاير من شرر النار اذا اضرمت فالواحدة
هباة على حد نوى ونواة ومنثورا اي متفرقا نثرت الشيء فرقته كنجوم منتثرة والنثر الكلام غير المنظوم على المقابلة
بالشعر قال ابن عباس وقتادة وسعيد بن جبير وهو ما تسفيه الرياح وتذريه من التراب وحطام الشجر وقال مقاتل

هو ما يسطع من حوافر الدواب عند السير وفائدة الوصف بان الهباء تراه منتظماً مع الضوء فاذا حركته تحرك
مجي بهذه الصفة ليفيد ذلك وقال الزمخشري او مفعول ثالث لجعلناه اي جعلناه جامعاً لحقارة الهباء والتناثر
كقوله كونوا قردة خاسئين اي جامعين للمسخ والخسء قال ابو حيان وخالف ابن درستويه فخالف النحويين في منعه ان يكون
لكان خبران وازيد وقياس قوله في جعل ان يمنع ان يكون لها خبر ثالث قال شهاب الدين مقصوده ان كلام الزمخشري مردود
قياساً على ما منعه ابن درستويه من تعدد خبر كان **قوله تعالى** اصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا اي من هولاء المشركين
المستكبرين **قوله تعالى** واحسن مقيلا موضع قايلة وفي افعل هاهنا قولان احدهما على بابه من التفضيل والمعنى
ان المؤمنين خير في الاخرة مستقرا من مستقر الكفار واحسن مقيلا من مقيلهم او فرض ان يكون لهم ذلك او هم في الاخرة
خير منهم في الدنيا والثاني ان يكون لمجرد الوصف من غير مفاضلة **فصل** قال المفسرون يعني ان اهل الجنة
لا يمر بهم يوم القيمة الا قدر النهار من اوله الى قدر القايلة حتى يسكنوا مساكنهم من الجنة قال ابن مسعود لا ينتصف النهار
يوم القيمة حتى يقيل اهل الجنة في الجنة واهل النار في النار وقرأ ان مقيلهم لا الى الجحيم وهكذا كان يقرؤ وقال
ابن مسعود في هذه الاية الحساب ذلك اليوم في اوله وقال قوم حين قالوا في منازلهم قال الازهري القيلولة والمقيل
استراحة نصف النهار وان لم يكن مع ذلك نوم لان الله تعالى قال واحسن مقيلا والجنة لا نوم فيها وروي ان
يوم القيمة يقصر على المؤمنين حتى يكون كما بين العصر الى غروب الشمس **قوله تعالى** ويوم تشقق العامل في يوم اما اذكر واما
ينفرد الله بالملك ويوم تشقق لدلالة قوله الملك يومئذ الحق للرحمن عليه وقرأ الكوفيون وابو عمرو هنا وفي ق بتخفيف الشين على حذف احدى التاءين
او تاء التفعل على خلاف في ذلك والباقون ادغموا تاء التفعل في الشين لما بينهما من المقاربة وهما كقوله تظاهرون
وتظاهرون حذفا وادغاما وقد مضى في البقرة **قوله تعالى** بالغمام في هذه الباء ثلاثة اوجه احدها على السببية
اي بسبب الغمام يعني بسبب طلوعه منها ونحوه السماء منفطر به كانه الذي تتشقق به السماء الثاني انها للحال اي
ملتبسة بالغمام الثالث انها بمعنى عن اي عن الغمام كقوله تعالى يوم تشقق الارض عنهم **قوله تعالى** ونزل الملائكة فيها
اثنا عشر قراءة اثنتان في المتواتر والعشر في الشاذ فقرأ ابن كثير من السبعة وننزل بضم النون الاولى وسكون الثانية وزاي
خفيفة مكسورة مضارع انزل والملائكة بالنصب مفعول به وكان من حقه ان يجيء بعد هذه القراءة مصدره على انزال
قال ابو علي لما كان انزل ونزل يجريان مجرى واحد اجرى مصدر احدهما على الاخر وانشد
وقد تطويت انطواء الحضب
لان تطوت وانطويت بمعنى وعليه وتبتل اليه تبتيلا وقرأ الباقون من السبعة ونزل بضم النون وكسر الزاي المشددة
وفتح اللام ماضياً مبنياً للمفعول الملائكة بالرفع لقيامه مقام الفاعل وهي موافقة لمصدرها وقرأ ابن مسعود وابو رجاء
ونزل بالتشديد ماضياً مبنياً للفاعل وهو الله تعالى الملائكة مفعول به وعنه ايضا وانزل مبنياً للفاعل عداه
بالتضعيف مرة وبالهمزة اخرى والاعتداد مجيء مصدره على التفعيل كالاعتداد من ابن كثير وعنه ايضا وانزل مبنياً للمفعول
وقرأ هرون عن ابي عمرو وتنزل الملائكة بالتاء من فوق وتشديد الزاي ورفع اللام مضارعاً مبنياً للفاعل الملائكة
بالرفع مضارع نزل بالتشديد وعلى هذه القراءة فالمفعول محذوف اي وتنزل الملائكة بما امروا ان تنزل وقرأ الخفاف
وجناح بن حبيش ونزل مخففاً مبنياً للفاعل الملائكة بالرفع وخارجه عن ابي عمرو وايضا ابو معاذ ونزل بضم النون
وتشديد الزاي ونصب الملائكة والاصل وننزل بنونين ولتشديد الزاي وقرأ ابي ونزلت بالتشديد مبنياً للمفعول ونزلت
بزيادة تاء في قوله وتاء التانيث فيهما وقرأ ابو عمرو في طريقة الخفاف عنه ونزل بضم النون وكسر الزاي خفيفة مبنياً للمفعول
قال صاحب اللوامح فان صحت هذه القراءة فانه حذف منها المضاف واقيم المضاف اليه مقامه تقديره ونزل نزول الملائكة
فحذف النزول ونقل اعرابه الى الملائكة بمعنى نزل نازل الملائكة لان المصدر يجيء بمعنى الاسم وهذا مما يجيء على مذهب سيبويه
ترتيب بناء اللازم للمفعول به لان الفعل يدل على مصدره لان نزل لا يتعدى الى مفعول مبني هنا للملائكة ووجهه ان يكون
مثل زكم الرجل وجن لانه لا يقال الا ازكمه فاجنه الله وهذا باب سماع لا قياس ونظير هذه القراءة ما تقدم في سورة الكهف
في قراءة من قرأ ولا نقيم لهم يوم القيمة وزنا بنصب وزن من حيث تعدية القاصر وتقدم ما فيها **فصل** الغمام
هو الابيض الرقيق مثل الضباب ولم يكن الا لبني اسرايل في تيههم والالف واللام في الغمام ليست للعموم وهو ما ذكره في قوله
هل ينظرون الا ان ياتيهم الله في ظلل من الغمام قال ابن عباس تشقق سماء الدنيا فينزل اهلها وهم اكثر ممن في الارض من الانس
والجن ثم تشقق السماء الثانية فينزل اهلها وهم اكثر ممن في السماء من الجن والانس ثم كذلك حتى تشقق السماء السابعة واهل كل
سماء يزيدون على اهل السماء التي قبلها ثم ينزل الكروبيون ثم حملة العرش فان قيل ثبت بالقياس ان نسبة الارض الى سماء
الدنيا كحلقة في فلاة فكيف بالقياس الى الكرسي والعرش فالجواب ملايكة هذه المواضع مقل الملائكة **قوله تعالى** الملك
يومئذ فيه اوجه الاول ان يكون الملك مبتدأ والخبر الحق ويومئذ متعلق بالملك وللرحمن متعلق بالحق او محذوف على التبيين

او محذوف على انه صفة للحق الثاني ان الخبر يومئذ والحق نعت للملك وللرحمن على ما تقدم الثالث ان الخبر للرحمن ويومئذ
متعلق بالملك والحق نعت للملك قيل ويجوز نصب الحق باضمار اعني فان قيل المعنى ان الملك الذي هو الملك حقاً ملك الرحمن يوم
القيمة قال ابن عباس يريد ان يوم القيمة لا ملك يقضي غيره ومعنى وصفه بكونه حقاً انه لا يزول ولا يتغير فالجواب مثل
هذا الملك لا يكون قط الا للرحمن فما الفايدة في قوله تعالى يومئذ لا كما فالجواب لان في ذلك اليوم لا مالك له سواه لا في الصورة
ولا في المعنى فتخضع له الملوك وتعنو له الوجوه وتذل له الجبابرة بخلاف سائر الايام **قوله تعالى** وكان يوما على الكافرين
عسيرا اي شديدا وهذا الخطاب يدل على انه لا يكون على المؤمنين عسيرا جاء في الحديث انه يهون يوم القيمة على المؤمن
حتى انه يكون اخف عليه من صلاة مكتوبة صلاها في الدنيا **قوله تعالى** ويوم يعض الظالم يوم معمول لمحذوف او معطوف على
يوم تشقق ويعض مضارع عض ووزنه فعل بكسر العين بدليل قولهم عضضت اعض وحكى الكسائي فتحها في الماضي فعلى هذا
يقال اعض بالكسر في المضارع والعض هنا كناية عن شدة الندم ومثله حرق نابه قال الشاعر

ابى الضيم والنعمان يحرق نابه • عليه فافضى بالسيوف معاقله

وهذه الكناية ابلغ من تصريح المكني عنه **فصل** ال في الظالم يحتمل العهد والجنس على خلاف في ذلك فالقايلون
بالعهد اختلفوا على قولين الاول قال ابن عباس اراد بالظالم عقبة بن ابي معيط بن امية بن عبد شمس كان لا يقدم من سفر الا صنع
طعاما الا دعا اليه جيرته واشراف قومه وكان يكثر مجالسة النبي صلى الله عليه وسلم ويعجبه حديثه فقدم ذات يوم من سفر
وصنع طعاما ودعا الناس ودعا الرسول صلى الله عليه وسلم فلما قرب الطعام قال النبي صلى الله عليه وسلم ما انا باكل طعامك
حتى تشهد ان لا اله الا الله واني رسول الله فقال عقبة اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله فاكل الرسول من طعامه
وكان عقبة صديقا لابي بن خلف فلما اتى ابي بن خلف قال له صبات قال له لا والله ما صبات ولكن دخل علي رجل فابى ان
ياكل طعامي الا ان اشهد له فاستحييت ان يخرج من بيتي ولم يطعم فشهدت له فطعم فقال ما انا بالذي ارضى منك ابدا
الا ان تاتيه وتبصق في وجهه وتطا على عنقه ففعل ذلك عقبة فقال عليه السلام لا القاك خارجا من مكة الا علوتك
بالسيف فقتل عقبة يوم فتح مكة واما ابي بن خلف فقتله النبي صلى الله عليه وسلم بيده يوم احد قال الضحاك لما بصق عقبة
في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم عاد بصاقه في وجهه فاحترق خداه فكان اثر ذلك فيه حتى الموت وقال الشعبي كان عقبة
بن ابي معيط خليل امية بن خلف فاسلم عقبة فقال امية وجهي من وجهك حرام ان بايعت محمدا فكفر وارتد فانزل الله عز وجل
ويوم يعض الظالم على يديه يعني عقبة يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا اي ليتني اتبعت محمدا فاتخذت منه سبيلا الى
الهدى وقرأ ابو عمرو يا ليتني اتخذت بفتح الياء والاخرون باسكانها الثاني قالت الرافضة الظالم هو رجل بعينه وان المسلمين
غيروا اسمه وكتموه وجعلوه فلانا بدلا من اسمه وذكروا فاضلين من اصحاب الرسول ومن حمل الالف واللام على العموم لانها اذا
دخلت على الاسم المفرد افادت العموم بالقرينة وهي ان ترتيب الحكم على الوصف مشعر بعلية الوصف فدل على ان المؤثر في العض
على اليدين كونه ظالما فيعم الحكم لعموم علته وهذا القول اولى من التخصيص بصورة واحدة ونزوله في واقعة خاصة لا يدخل
في تلك الصورة وغيرها والمقصود من الاية زجر الكل عن الظلم وذلك لا يحصل الا بالعموم فان قيل قال الضحاك
ياكل يديه الى المرفق ثم تنبت ولا يزال هكذا كلما اكلها نبتت وقال المحققون هذه اللفظة للتحسر والغم يقال عض انامله
وعض على يديه فالجواب نقول هذه الجملة حال من فاعل يعض وجملة التمني بعد القول محكية بعده وتقدم الكلام في
مباشرة يا ليت في النساء في قوله يا ويلتا قرأ الحسن يا ويلتي بكسر التاء وياء صريحة بعدها وهي الاصل وقرأ الدوري بالامالة
قال ابو علي وترك الامالة احسن لان اصل هذه اللفظة الياء فبدلت الكسرة فتحة والياء الفا فرارا من الياء فمن امال رجع
الى الذي منه فر اولا وهذا مسقول حجو باع فان اصله الياء ومع ذلك اما لوا يا حسرتي على ما فرطت ويا اسفي وهما كيا ويلتي
في كون الفهما عن ياء المتكلم وفلان كناية عن علم من يعقل وهو منصرف وقيل كناية عن نكرة من يعقل من الذكور وفلة من يعقل
من الاناث والفلان والفلانة بالالف واللام من غير العاقل ويختص فل وفلة بالنداء الا في ضرورة كقوله في لجة امسك فلانا عن فل
وليس فل مرخما من فلان خلافا للفراء وزعم ابو حيان ان ابن عصفور وابن مالك وابن العلج وهموا في جعلهم فل كناية عن علم
من يعقل وهو منصرف كفلان وفيها وجهان احدهما انها واو والثاني انها ياء **فصل** تقدير الكلام يا ويلتي
في هود ليتني لم اتخذ فلانا خليلا يعني ابي بن خلف لقد اضلني عن الذكر اي الايمان والقران بعد اذ جاءني يعني الذكر
مع الرسول وكان الشيطان وهو كل متمرد عات من الانس والجن وكل من صد عن سبيل الله فهو شيطان وقيل اشار
الى خليله وقيل اراد ابليس فانه الذي حمله الى ان صار خليلا لذلك المضل ومخالفة الرسول ثم خذله وهو معنى قوله
للانسان خذولا اي تاركا يتركه ويتبرأ منه عند نزول البلاء والعذاب وقوله وكان الشيطان يحتمل ان تكون هذه
الجملة من مقول الظالم فتكون منصوبة المحل بالقول وان تكون من مقول الباري تعالى ولا محل لها لاستينافها **قوله تعالى**

وقال الرسول يا رب ان قومي اتخذوا هذا القران مهجورا قال اكثر المفسرين ان هذا القول وقع من الرسول وقال
ابو مسلم بل المراد ان الرسول يقوله في الاخرة كقوله فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا والاول
اولى لان قوله كذلك جعلنا لكل نبي عدوا من المجرمين تسلية للرسول واذا وقع القول منه ومهجورا مفعول ثان لاتخذوا
او حال وهو مفعول من الهجر بالضم اي مهجورا فيه ثم حذف الجار بدليل قوله مستكبرين به سامرا تهجرون وهجرهم فيه قولهم
انه سحر وشعر واساطير الاولين وكذب وهجر اي هذيان قال عليه السلام من تعلم القران وعلق مصحفا ولم يتعاهده ولم ينظر
فيه جاء يوم القيمة متعلقا به يقول يا رب العالمين عبدك هذا اتخذني مهجورا اقض بيني وبينه وجعل الزمخشري مفعولا
مصدرا بمعنى الهجر كالمجلود والمعقول قال شهاب الدين وهو مقيس ضبطه اهل اللغة في الفاظ فلا ينبغي الا بنقل
قوله تعالى وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا الاية ذكر ذلك الاية تسلية للرسول فان له اسوة لساير الرسل فليصبر على
ما يلقاه من قومه كما صبر اولوا العزم من الرسل قوله تعالى وكفى بربك هاديا ونصيرا قال المفسرون الباء زائدة بمعنى
كفى ربك وهاديا ونصيرا منصوبان على الحال وقيل على التمييز هاديا الى مصالح الدين والدنيا ونصيرا على الاعدا
فان قيل احتج اهل السنة بهذه الاية على انه تعالى خلق الخير والشر لان قوله تعالى جعلنا لكل نبي عدوا يدل على ان تلك العداوة
من جعل الله تعالى وتلك العداوة كفر قال الجبائي المراد من الجعل التبيين لانه تعالى لما بين انهم اعداؤه فقد جعلهم اعداءه
كما اذا بين الرجل ان فلانا لص فقد جعله لصا وكما يقال في الحاكم انه عدل فلانا او فسق فلانا وجرحه وقال الكعبي انه
تعالى لما امر بعداوة الكفار وعداوتهم للكفار تقتضي عداوتهم لهم فلهذا جاز ان يقول وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا من
المجرمين لانه سبحانه هو الذي حمله ودعاه اليها استعقب تلك العداوة وقال ابو مسلم يحتمل في العدو انه البعيد القريب
اذ المعاداة المباعدة كما ان النصرة قرب من الظهر وقد باعد الله بين المومنين والكافرين فالجواب عن الاول التبيين
لا يسمى البتة جعلا لان من بين لغيره وجود الصانع وقدمه لا يقال انه جعل الصانع وجعل قدمه والجواب عن الثاني
ان الذي امر الله تعالى هل له تاثير في وقوع العداوة في قلوبهم ولو لم يكن فيه تاثير فان كان الاول فقد تم الكلام لان
عداوتهم للرسول كفر واذا اثر الله الرسول بما له اثر في تلك العداوة فقد امر بما له اثر في وقوع الكفر وان لم يكن فيه تاثير البتة
كان منقطعا عنه بالكلية فيمتنع الاسناد اليه وهذا هو الجواب عن قول ابي مسلم فان قيل قوله عليه السلام يا رب
ان قومي اتخذوا هذا القران مهجورا كالمعنى كقول نوح عليه السلام رب اني دعوت قومي ليلا ونهارا فلم يزدهم دعائي
الا فرارا فكما ان المقصود من هذا انزال العذاب فكذا هنالك فكيف يليق هذا بمن وصفه الله بالرحمة في قوله وما ارسلناك
الا رحمة للعالمين فالجواب ان نوحا عليه السلام لما ذكر ذلك دعا عليهم واما محمد عليه السلام لما ذكر هذا ما دعا عليهم
بل انتظر فلما قال تعالى جعلنا لكل نبي عدوا كان ذلك الامر له بالصبر على ذلك وترك الدعا عليهم فافترقا فان قيل
قوله تعالى جعلنا صيغة التعظيم اذ ذكر نفسه في معرض التعظيم وذكر انه يعطي فلا بد وان يكون تلك العطية عظيمة كقوله
تعالى ولقد اتيناك سبعا من المثاني والقران العظيم وقوله تعالى انا اعطيناك الكوثر فكيف يليق بهذه الصيغة ان تكون
تلك العطية هي العداوة التي هي منشا الضرر في الدين والدنيا فالجواب خلق العدو وسبب لازدياد المشقة التي هي موجبة
لمزيد الثواب قوله تعالى وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القران الاية هذه شبهة لمنكري النبوة وانها اهل مكة قالوا تزعم
انك رسول من عند الله فهلا تاتينا بالقران جملة كما اتى موسى بالتوراة جملة وكما اتى عيسى بالانجيل جملة وداود بالزبور
قال ابن جريج من اوله الى اخره في ثنتين وثلاثين وعشرين سنة وجملة حال من القران وهي في معنى مجتمعا قوله تعالى
كذلك الكاف اما مرفوعة المحل اي الامر كذلك ولنثبت علة لمحذوف ولنثبت متعلق بذلك الفعل المحذوف وقال ابو حاتم
هي جواب قسم وهذا قول مرجوح نحا اليه الاخفش وجعل منه ولتصغى وقد تقدم في الانعام وقرا عبد الله ليثبت بالياء
اي الله تعالى فصل هذا جواب عن شبهتهم وبيانه من وجوه الاول انه عليه السلام لم يكن من اهل القراءة والكتابة
فلو نزل ذلك عليه جملة واحدة كان لا يضبط ويجاز عليه فيه الخطا والغلط الثاني ان من كان الكتاب عنده فربما اعتمد
على الكتاب وتساهل في الحفظ فالله تعالى ما اعطاه الكتاب جملة واحدة بل كان ينزل عليه وظيفة ليكون حفظه له اكمل
فيكون ابعد عن المساهلة وقلة التحصيل الثالث انه تعالى لو انزل الكتاب جملة واحدة كان لا يبسط لنزول الشرايع
باسرها دفعة على الخلق فكان يثقل عليهم ذلك فلما نزل مفرقا منجما نزلت التكاليف قليلا قليلا فكان تحملها اسهل
الرابع انه اذا شاهد جبريل حالا بعد حال يقوي قلبه بمشاهدته على اداء ما حمل وعلى الصبر على عوارض النبوة وعلى
احتمال الاذى وعلى التكاليف الشاقة الخامس انه لما شرط الاعجاز فيه مع كونه منجما ثبت كونه معجزا فانه لو كان ذلك مقدورا
للبشر لوجب ان ياتوا بمثله منجما مفرقا ولما عجزوا من معارضة نجوم المفرقة فعن معارضة الكل اولى السادس كان القران
ينزل بحسب اسئلتهم ووقايعهم وكانوا يزدادون بصيرة وكان ينضم الى الفصاحة الاخبار عن الغيوب السابع ان السعادة

بين الله وانبيائه ويبلغ كلامه الى الخلق منصب عظيم فيحتمل ان يقال انه تعالى لو انزل القران على محمد دفعة واحدة لبطل
المنصب على جبريل عليه السلام فلما انزله مفرقا منجما بقي ذلك المنصب العالي عليه فلذلك جعله الله تعالى منجما قوله تعالى
كذلك يحتمل ان يكون من تمام كلام المشركين اي جملة واحدة كذلك اي كالتوراة والانجيل ويحتمل ان يكون من كلام الله تعالى
ذكره جوابا لهم اي كذلك انزلناه مفرقا فان قيل كذلك اشارة الى شيء تقدمه والذي تقدم جوابا لهم لولا انزل جملة
فكيف فسره بذلك انزلناه مفرقا فالجواب ان الاشارة يسير دون قطع النفس ومنه ثغر رتل ومرتل اي مفلج الاسنان
بين اسنانه فرج يسيرة قال الزمخشري ونزل هنا بمعنى انزل لا غير كخبر بمعنى اخبر والا تدافعا يعني ان نزل بالتشديد
يقتضي بالاصالة التنجيم والتفريق فلو لم يجعل بمعنى انزل التي لا تقتضي ذلك لتدافع مع قوله مع جملة لان الجملة
تنافي التفريق وهذا بناء منه على معتقده وهو ان التضعيف يدل على التفريق وقد نص على ذلك في مواضع من الكشاف
في سورة البقرة واول ال عمران واخر الاسرا وحكى هناك عن ابن عباس ما يقوي ظاهره بحجة قوله قوله تعالى ورتلناه
ترتيلا قال ابن عباس بيناه والترتيل التبيين في ترسل وتثبت وقال السدي فصلناه تفصيلا وقال مجاهد اثره في اثر
بعض وقال النخعي والحسن وقتادة فرقناه تفريقا اية بعد اية ولا ياتونك يعني المشركين قوله تعالى بمثل يضربونه
في ابطال امرك الا جئناك بالحق الذي يدفع ما جاؤك به من المثل ويبطله كقوله تعالى بل نقذف بالحق على الباطل
فيدمغه فاذا هو زاهق فسمى ما يوردون من الشبهة مثلا قوله تعالى الا جئناك بالحق هذا الاستثناء مفرغ في الجملة
ومحل نصب على الحال اي لا ياتونك بمثل الا في حال ايتائنا اياك كذا المعنى ولا ياتونك بسؤال عجيب الا جئناك بالامر الحق
واحسن تفسيرا اي بيانا وتفصيلا وتفسيرا تمييز والمفضل عليه محذوف واحسن تفسيرا من مثلهم والتفسير تفعيل من
الفسر وهو كشف ما غطي ثم ذكر مال هؤلاء المشركين فقال الذين يحشرون على وجوههم على القفا وارجلهم الى فوق وقال
عليه السلام ان الذي امشاهم على ارجلهم قادر على ان يمشيهم على وجوههم والاول اولى لانه ورد ايضا قوله تعالى
الذين يحشرون يجوز رفعه خبر مبتدا محذوف اي هم الذين ويجوز نصبه على الذم ويجوز ان يرتفع بالابتداء وخبره
الجملة من قوله تعالى اولئك شر مكانا ويجوز ان يكون اولئك بدلا او بيانا للموصول وشر مكانا خبر الموصول قوله تعالى
اولئك شر مكانا منزلا ومصيرا من اهل الجنة واضل سبيلا واخطا طريقا وههنا سؤال كما تقدم في قوله اصحاب الجنة
يومئذ خير مستقرا ولما تكلم في التوحيد ونفي الانداد واثبات النبوة واحوال القيامة شرع في ذكر القصص على الطريقة
المعلومة قوله تعالى ولقد اتينا موسى الكتاب الاية ولما قال وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا من المجرمين وذكر ذلك في
معرض التنبيه له وذكر جماعة من الانبيا وعرفه تكذيب اممهم والمعنى لست يا محمد باول من ارسلنا فكذب فقد اتينا موسى الكتاب
وقوينا عضده باخيه هارون فان قيل كون هارون وزيرا كالمنافي لكونه شريكا بل يجب ان يقال انه لما صار شريكا خرج
عن كونه وزيرا فالجواب لا منافاة بين الشيئين لانه لا يمنع ان يشركه في النبوة ويكون وزيرا وظهيرا ومعينا له فلا وجه
لقول من قال في قوله فقلنا اذهبا انه خطاب لموسى وحده بل يجري مجرى قوله اذهبا الى فرعون انه طغى قوله تعالى
هارون بدلا او بيانا او منصوب على القطع ووزيرا منصوب ثان وقيل حال والمفعول الثاني قوله معه قال الزجاج
الوزير في اللغة الذي يرجع اليه ويعمل برايه والوزر ما يعتصم به ومنه كلا لا وزر لا ملجا ولا منجا قال القاضي وكذلك
لا يوصف تعالى بان له وزيرا قوله تعالى فقلنا اذهبا الى القوم الذين كذبوا باياتنا يعني القبط قوله تعالى
فدمرناهم العامة على فدمرنا فعلا ماضيا معطوفا على محذوف اي فذهبا فكذبوهما فدمرناهم تدميرا اهلكناهم
اهلاكا وقرا علي كرم الله وجهه فدمراهم امرا لموسى وهرون وعنه ايضا فدمرانهم كذلك ايضا ولكنه موكد بالنون
الشديدة وعنه ايضا فدمرا بهم بزيادة باء الجر بعد فعل الامر وهي تشبه القراءة قبلها في الخط ونقل عنه الزمخشري
فدمرتهم بتاء المتكلم فان قيل الفاء للتعقيب والاهلاك لم يحصل عقيب بعث موسى وهرون اليهم بل بعد مدة مديدة
فالجواب فاء التعقيب محمولة هنا على اخرها والمراد الزام الحجة ببعثة الرسل واستحقاق التدمير بتكذيبهم فصل
واعلم ان قوله كذبوا باياتنا ان حملناه على تكذيب الايات الالهية فلا اشكال وان حملناه على تكذيب ايات
النبوة فاللفظ وان كان للماضي فالمراد به المستقبل قوله تعالى وقوم نوح الاية يجوز ان يكون قوم منصوبا
عطفا على مفعول دمرناهم ويجوز ان يكون منصوبا بفعل مضمر يفسره قوله اغرقناهم ويرجح هذا تقدم جملة
فعلية قبله هذا اذا قلنا ان لما ظرف زمان واما اذا قلنا انها حرف وجوب لوجوب فلا ياتي ذلك لان اغرقناهم
حينئذ جواب لما وجوابها لا يفسر ويجوز ان يكون منصوبا بفعل مقدر لا على سبيل الاشتغال اي اذكر قوم نوح
فصل انما قال كذبوا الرسل اما لانهم كانوا من البراهمة المنكرين لكل الرسل ولان تكذيبهم لواحد تكذيب
للجميع لان من كذب واحدا من الرسل فقد كذب الجميع وقوله اغرقناهم قال الكلبي امطرنا عليهم من السماء اربعين يوما

وانضح ماء الارض ايضا في تلك الاربعين فصارت الارض بحرا واحدا وجعلناهم اي جعلنا اغراقهم وقصتهم
للناس آية للظالمين اي لكل من سلك طريقهم وسبيلهم واعتدنا للظالمين في الآخرة عذابا اليما قوله تعالى
وعادا وثمودا واصحاب الرس الآية وعادا فيه ثلاثة اوجه ان يكون معطوفا على قوم نوح وان يكون معطوفا على
مفعول جعلناهم وان يكون معطوفا على محل للظالمين لانه في قوة وعدنا الظالمين بعذاب قوله تعالى واصحاب الرس
فيه وجهان احدهما من عطف المغاير وهو الظاهر والثاني انه من عطف بعض الصفات على بعض والمراد باصحاب الرس
ثمود لان الرس البئر التي لم تطو وعن ابي سعيد وابي عبيد وثمود اصحاب بار وقيل الرس نهر بالمشرق وكانت قرى اصحاب
الرس على شاطئ النهر فبعث الله اليهم نبيا من اولاد يهودا بن يعقوب فكذبوه فلبث فيهم زمانا يشتكي الى الله منهم فحفروا بئرا
فارسلوه فيها وقالوا نرجو ان يرضى عنا الهتنا وكانوا عامة يومهم يسمعون انينه وهو يقول سيدي ترى ضيق مكاني
وشدة كربي وضعف ركني وقلة حيلتي فعجل قبض روحي حتى مات فارسل الله ريحا عاصفة شديدة الحر وصارت الارض
من تحتهم حجر كبريت فتوقد واظلتهم سحابة سوداء فذابت ابدانهم كما يذوب الرصاص ويقال انهم ناس عبدة اصنام فقتلوا نبيهم
ودسوه في بئر اي رسوه فيها وقال قتادة والكلبي الرس بئر بفلج اليمامة قتلوا نبيهم وهو حنظلة بن صفوان وقيل هم
بقية ثمود قوم صالح وهم اصحاب البئر التي ذكر الله تعالى في قوله وبئر معطلة وقصر مشيد وقال مقاتل والكلبي وكعب والسدي
البئر بانطاكية قتلوا فيها حبيبا النجار ورسوه في بئر وهم الذين ذكرهم الله تعالى في سورة يس وقيل هم اصحاب الاخدود
والرس هو الاخدود الذي حفروه وقال عكرمة هم قوم رسوا نبيهم في بئر وقيل البئر المعدن وجمعه رساس روي عن علي
رضي الله عنه انهم قوم يعبدون شجرة الصنوبر وسموا اصحاب الرس لانهم رسوا نبيهم في الارض وروى ابن جرير عن النبي صلى الله
عليه وسلم ان الله بعث نبيا الى اهل قرية فلم يؤمن به من اهل القرية احد الا عبد اسود ثم انهم حفروا للرسول بئرا والقوه فيها
ثم طبقوا عليها حجرا ضخما وكان ذلك الرجل الاسود يحتطب ويشتري له طعاما وشرابا ويرفع الصخرة ويدليه اليه
فكان كذلك ما شاء الله فاحتطب يوما فلما اراد ان يحملها وجد نوما فاضطجع وضرب الله على اذنه سبع سنين ثم تنبه
واحتمل حزمته واشترى طعاما وشرابا وذهب الى الحفرة فلم يجد احدا وكان قومه قد استخرجوه فآمنوا به وصدقوه
وكان ذلك النبي يسالهم عن الاسود ويقول لهم انه اول من يدخل الى الجنة قوله تعالى وقرونا اي واهلكنا قرونا كثيرا
بين عاد واصحاب الرس والقرون جمع قرن قال علي رضي الله عنه القرن اربعون سنة وهو قول النخعي وقيل مائة وعشرون
سنة وقيل غير ذلك وتقدم الكلام عليه في سورة سبحان عند قوله وكم اهلكنا من القرون من بعد نوح قوله تعالى
بين ذلك اشارة الى من تقدم ذكره وهم جماعات فلذلك حسن دخول بين عليه وقد يذكر الذاكر اشياء مختلفة ثم يشير اليها
بذلك ويحسب الحاسب اعدادا متكاثرة ثم يقول فذلك كيت وكيت اي ذلك المحسوب والمعدود قوله تعالى وكلا
يجوز نصبه بفعل يفسره ما بعده اي وحذرنا وذكرنا لانها في معنى ضربنا له الامثال ويجوز ان يكون معطوفا على
ما تقدم وضربنا بيان لسبب اهلاكهم واما كلا الثانية فمفعول مقدم قوله تعالى ضربنا له الامثال اي الاشباه في اقامة
الحجة عليهم فلم نهلكهم الا بعد الانذار وقيل بينا لهم وازحنا عللهم فلما كذبوا تبرناهم تتبيرا اهلكناهم اهلاكا وقال الاخفش
كسرناهم تكسيرا قال الزجاج كل شيء كسرته وفتته فقد تبرته قوله تعالى ولقد اتوا على القرية التي امطرت الآية
اراد بالقرية قريات لوط وكانت خمس قرى فاهلك الله منها اربعا ونجت واحدة وهي صغر كان اهلها لا يعملون العمل الخبيث
يعني ان قريشا مروا مرارا كثيرة في متاجرهم الى الشام على تلك القرية التي امطرت مطر السوء اي اهلكت بالحجارة من السماء افلم يكونوا
يرونها في مرورهم وينظرون الى آثار عذاب الله تعالى ونكاله فيعتبروا ويتذكروا قوله تعالى مطر السوء فيه
ثلاثة اوجه الاول انه مصدر على حذف الزوائد اي امطار السوء الثاني انه مفعول ثان اذ المعنى اعطيناها واوليناها مطر السوء
اي اهلكت بالحجارة الثالث انه نعت مصدر محذوف اي امطارا مثل امطار السوء وقرا زيد بن علي مطرت ثلاثيا مبنيا
ومطر متعد قال • كمن بواديه بعد المحل ممطور • وقرا ابو السماك مطر السوء بضم السوء وتقدم الكلام على السوء والسوء في قراءة
وقوله اتوا على القرية انما عدي الى بعلى لانه ضمن معنى مروا قوله تعالى بل كانوا لا يرجون نشورا في يرجون ثلاثة اوجه
اقواها ما قاله القاضي وهو انه محمول على حقيقة الرجاء لان الانسان لا يتحمل متاعب التكليف الا رجاء ثواب الآخرة فاذا لم يؤمن
بالآخرة لم يرج ثوابها فلا يتحمل تلك المشاق وتمام ثانيها معناه لا يتوقعون نشورا فوضع الرجاء موضع التوقع لانه انما
يتوقع العاقبة من يؤمن ثالثها معناه لا يخافون على اللغة التهامية قوله تعالى واذا رآك الذين كفروا الآية لما بين
مبالغة المشركين في انكار نبوته بايراد الشبهات بين بعد ذلك انهم اذا راوا الرسول اتخذوه هزوا ولم يقتصروا على ترك الايمان
بل زادوا عليه بالاستهزاء والاستخفاف ويقول بعضهم لبعض اهذا الذي بعث الله رسولا قوله تعالى ان يتخذونك
ان الاولى نافية والثانية مخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة بينهما وهذا مفعول ثان ويحتمل ان يكون التقدير

موضع

موضع هزو وان يكون مهزوا به وهذه الجملة المنفية تحتمل وجهين احدهما انها جواب اذا الشرطية واختصت اذا بان
جوابها اذا كان منفيا بما او ان او لا لا يحتاج الى الفاء بخلاف غيرها من ادوات الشرط فعلى هذا يكون قوله اهذا الذي في محل نصب
بالقول المضمر وذلك القول المضمر في محل نصب على الحال اي ان يتخذونك قائلين ذلك والثاني انها جملة معترضة بين اذا وجوابها
وذلك القول المضمر المحكي به اهذا الذي بعث والتقدير اذا راوك قالوا اهذا الذي بعث فاعترض بجملة النفي ومفعول بعث
محذوف هو عائد الموصول اي بعثه ورسولا حال بمعنى كونه صفة فينتصب على الحال وقيل هو مصدر بمعنى رسالة فيكون على
حذف مضاف اي ذا رسول بمعنى ذا رسالة او يجعل نفس المصدر مبالغة او بمعنى مرسل وهو تكلف قوله تعالى ان كاد ليضلنا
تقدم نظيره في سبحان قوله تعالى لولا ان صبرنا جوابها محذوف اي لاضلنا عن الهتنا قال الزمخشري ولولا في هذا الكلام
جار من حيث المعنى لا من حيث الصيغة مجرى التقييد للحكم فصل قال المفسرون ان ابا جهل كان اذا مر باصحابه على رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال مستهزئا اهذا الذي بعث الله رسولا ان كاد ليضلنا اي قد قارب ان يضلنا عن الهتنا لولا ان
صبرنا عليها لصرفنا عنها وسوف يعلمون حين يرون العذاب من اضل سبيلا من اخطا طريقا واعلم ان الله تعالى اخبر عن المشركين
انهم متى راوا الرسول عليه السلام اتوا بنوعين من الافعال احدهما الاستهزاء فيقولون اهذا الذي بعث الله رسولا وذلك جهل عظيم
لان الاستهزاء اما ان يكون بصورته او بحقيقته والاول باطل لانه عليه السلام ما كان يدعي التميز عنهم بالصورة بل بالحجة
والثاني باطل لانه عليه السلام ادعى التميز عنهم بالحجة بظهور المعجز عليه دونهم وانهم ما قدروا على القدح في حجته
ففي الحقيقة هم الذين يستحقون ان يهزا بهم ثم انهم لوقاحتهم قلبوا القضية واستهزؤوا بالرسول وذلك يدل على ان المبطل
ليس له الا السفاهة وثانيها قالوا ان كاد ليضلنا وذلك يدل على انهم كانوا مبالغين في تعظيم الهتهم ويدل على جده واجتهاده في صرفهم عن عبادة الاوثان
فلهذا قالوا ان كاد ليضلنا عن الهتنا لولا ان صبرنا عليها فسموا ذلك ضلالا وذلك يدل على انهم كانوا مقهورين بالحجة ولم يكن
في ايديهم الا الجحود والوقاحة قوله تعالى من اضل جملة الاستفهام معلقة ليعلمون فهي سادة مسد مفعوليها ان كانت على بابها
ومسد واحد ان كانت بمعنى عرف ويجوز في من ان تكون موصولة واضل خبر مبتدا مضمر هو العائد على من تقديره من هو اضل
وانما حذف للاستطالة بالتمييز كقولهم ما انا بالذي قائل لك سوءا وهذا ظاهر ان كانت متعدية لواحد وان كانت متعدية
لاثنين يحتاج الى تقدير ثان ولا حاجة اليه فصل لما وصفوه بالاضلال في قولهم ان كاد ليضلنا بين تعالى
انه سيظهر من المضل ومن الضال عند مشاهدة العذاب الذي لا محيص لهم منه فقال وسوف يعلمون حين يرون العذاب من اضل
سبيلا وهذا وعيد شديد على التعامي والاعراض عن الاستدلال والنظر قوله تعالى ارايت من اتخذ الهه هواه الآية
ارايت كلمة تصلح للاعلام والسؤال وههنا تعجب من جهل من هذا وصفه ونعته وقوله تعالى من اتخذ الهه هواه مفعولا الاتخاذ
من غير تقديم ولا تاخير لاستوائهما في التعريف قال الزمخشري فان قلت لم اخر هواه والاصل قولك اتخذ الهوى الها قلت
ما هو الا تقديم المفعول الثاني على الاول للعناية به كما تقول علمت منطلقا زيدا لفضل عنايتك بالمنطلق قال ابو حيان وادعاء
القلب يعني ان التقديم ليس بجيد لانه من ضرائر الاشعار فصل قال شهاب الدين قد تقدم فيه ثلاثة مذاهب
على انه هذا ليس من القلب المذكور في شيء انما هو تقديم وتاخير فقط وقرا ابن هرمز الهة هواه على وزن فعالة والالهة بمعنى
المالوه والهاء للمبالغة كعلامة ونسابة والالهة مفعول ثان قدم لكونه نكرة ولذلك صرف وقيل الالهة هي الشمس ورد بانه
كان ينبغي ان يمتنع من الصرف للعلمية والتانيث واجيب بانها تدخل عليها ال كثيرا فلما نزعت منها صارت نكرة جارية مجرى
الاوصاف ويقال الالاهة بضم الهمزة ايضا اسما للشمس وقرا بعض المدنيين الهه هواه جمع الهة وهو ايضا مفعول مقدم وجمع
باعتبار الانواع فقد كان الرجل يعبد الهة شتى ومفعول ارايت الاول من والثاني الجملة الاستفهامية قال ابن عباس الهوى
اله يعبد وقال سعيد بن جبير كان الرجل من المشركين يعبد الحجر فاذا راى حجرا احسن منه طرح الاول واخذ الاخر وعبده افانت
تكون عليه وكيلا اي حافظا تحفظه من اتباع هواه اي لست كذلك ونظيره لست عليهم بمسيطر وما انت عليهم بجبار لا
اكراه في الدين قال الكلبي نسختها اية القتال قوله تعالى ام تحسب ان اكثرهم يسمعون او يعقلون يسمعون ما تقول
سماع طالب الافهام او يعقلون ما يعاينون من الحجج والاعلام وام هنا منقطعة بمعنى بل ان هم الا كالانعام في عدم
انتفاعهم بالكلام وعدم تدبرهم وتفكرهم بل هم اضل سبيلا لان البهائم تهتدي لمراعيها ومشاربها وتنقاد
لاربابها التي تتعهدها وتطلب ما ينفعها وتجتنب ما يضرها وقلوب الانعام خالية من العلم وسالمة من الاعتقاد
الباطل وعدم علم الانعام لا يضر باحد وجهل هؤلاء منبع للضرر العظيم لانهم يصدون الناس عن سبيل الله والبهائم
لا تستحق عقابا على عدم العلم وهؤلاء يستحقون على عدم العلم اعظم العقاب وهؤلاء الكفار لا يعرفون طريق الجنة
ولا يطيعون ربهم الذي خلقهم ورزقهم ولان الانعام تسجد وتسبح لله وهؤلاء الكفار لا يعقلون فان قيل
لم قال ام تحسب ان اكثرهم فحكم بذلك على الاكثر دون الكل فالجواب لانه كان فيهم من يعرف الله ويعقل الحق الا انه

ترك الاسلام لحب الرياسة لا للجهل فان قيل انه تعالى لما نفى عنهم السمع والعقل فكيف ذمهم على الاعراض عن الدين
وكيف بعث الرسول اليهم فان من شرط التكليف العقل فالجواب ليس المراد انهم لا يعقلون بل المراد انهم لم ينتفعوا بذلك العقل
فهو كقول الرجل لغيره اذا لم يفهم انما انت اعمى واصم **قوله تعالى** الم تر الى ربك كيف مد الظل الاية لما بين جهل المعرضين عن
دلايل التوحيد وبين فساد طريقتهم ذكر انواعا من الدلايل الدالة على وجود الصانع فاولها الاستدلال بحال الظل
في زيادته ونقصانه وتغير احواله الم تر فيه وجهان احدهما انه من روية العين والثاني انه من روية القلب يعني العلم فان
حملناه على روية العين فالمعنى الم تر الى الظل كيف مده ربك وهو ان حملناه على العلم وهو اختيار الزجاج الم تعلم وهذا اولى
لان الظل اذا جعلناه من المبصرات فتاثير قدرة الله في تمديده غير مرئي بالاتفاق ولكن هو معلوم من حيث ان كل مبصر
فله موثر فحمل هذا اللفظ على روية القلب اولى من هذا الوجه وهذا الخطاب ان كان ظاهره للرسول فهو ظاهر عام في المعنى
لان المقصود بيان نعم الله بالظل وجميع المكلفين مشتركون في تنبيههم بهذه النعمة وكيف منصوبة بمد وهي متعلقة
بتري فهي في موضع نصب وقد تقدم القول في الم تر **فصل** الظل عبارة عن عدم الضوء مما من شانه ان يضيء
وهو ما بين طلوع الفجر الى طلوع الشمس جعله ممدودا لانه ظل لا شمس معه كما قال في ظل الجنة وظل ممدود اذا لم يكن معه
شمس ولو شاء لجعله ساكنا دايما ثابتا لا يزول ولا تذهبه الشمس قال ابو عبيدة الظل ما نسخته الشمس وهو بالغداة والفي ما نسخ الشمس
وهو بعد الزوال سمي فيا لانه فاء من جانب الغرب الى جانب الشرق ثم جعلنا الشمس عليه دليلا اي على الظل اي دليلا ومعنى دلالتها عليه
انه لو لم تكن الشمس لما عرف الظل ولولا النور ما عرفت الظلمة والشي يعرف باضداده قال الزمخشري فان قلت في هذين الموضعين
كيف موقعها قلت موقعها لبيان تفاضل الامر الثالث كان الثاني اعظم من الاول والثالث اعظم منهما تشبيها لتباعد ما
بينهما بالفضل لتباعد ما بينهما في الوقت **قوله تعالى** ثم قبضناه يعني الظل الينا قبضا يسيرا اي خفيا وقيل المراد من قبضها
يسيرا قبضها عند قيام الساعة وذلك بقبض اسبابها وهي الاجرام التي تلقي الظلال وقوله يسيرا كقوله حشر علينا يسير
قوله تعالى وهو الذي جعل لكم الليل لباسا الاية هذا هو النوع الثاني شبه الليل من حيث يستر الكل ويغطي باللباس الساتر
للبدن ونبه على ما لنا فيه من النفع قوله والنوم سباتا والسبات الراحة اي راحة لابدانكم وقطعا لعملكم واصل السبت
القطع والنايم مسبوت لانه انقطع عمله وحركته قال ابو مسلم السبات الراحة ومنه يوم السبت لما جرت به العادة من الا
ستراحة فيه ويقال للعليل اذا استراح من تعب العلة مسبوت قال الزمخشري السبات الموت والمسبوت الميت لانه
مقطوع الحياة قال وهذا كقوله تعالى وهو الذي يتوفاكم بالليل وانما قلنا ان تفسيره بالموت اولى من تفسيره بالراحة
لان النشور في مقابلته وجعل النهار نشورا قال ابو مسلم هو بمعنى الانتشار والحركة كما سمى تعالى نوم الانسان وفاة
فقال يتوفى الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها كذلك وفق بين القيام من النوم والقيام من الموت في التسمية
بالنشور **قوله تعالى** وهو الذي ارسل الرياح نشرا الاية هذا هو النوع الثالث وقد تقدم الكلام على نظيرها
في الاعراف بين يدي رحمته يعني المطر وقوله تعالى وانزلنا من السماء ماء طهورا قال الزمخشري فان قلت
انزال الماء موصوف بالطهارة وتعليله بالاحيا والسقي يوذن بان الطهارة شرط في صحة ذلك كما يقال حملني
الامير على فرس جواد لاصيد عليه الوحش قلت لما كان سقي الاناسي من جملة ما انزل له الماء وصف بالطهارة اكراما
لهم وتتميما للمنة عليهم وطهور يجوز ان يكون صيغة مبالغة منقولا من طاهر كقوله تعالى شرابا طهورا وقال
الى رجح الاكفال عيد من الطبا • عذاب الثنايا ريقهن طهور • وان يكون اسما لما يتطهر به كالسحور لما يتسحر به والفطور لما
يفطر به قال عليه السلام في البحر هو الطهور ماوه الحل ميتته اراد به المطهر والماء مطهر لانه يطهر الانسان من الحدث
والنجاسة كما قال تعالى في اية اخرى وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به فثبت ان التطهير مختص بالماء وذهب اصحاب الراي
الى ان الطهور هو الطاهر حتى جوزوا ازالة النجاسة بالمايعات كالخل وماء الورد والمرق ولو جاز ازالة النجاسة به
جاز رفع الحدث به وقال عليه السلام التراب طهور المسلم ولو لم يجد الماء عشر حجج ولو كان معنى الطهور هو الطاهر
لكان معناه التراب طاهر المسلم وحينيذ لا ينتظم الكلام وكذا قوله عليه السلام طهور اناء احدكم اذا ولغ الكلب فيه ان
يغسل سبعا واذا كان الطهور هو الطاهر لكان معناه طاهر اناء احدكم وحينيذ لا ينتظم الكلام ويجوز ان يكون مصدرا
كالقبول والولوغ **قوله تعالى** لنحيي به وجهان احدهما انه متعلق بالانزال والثاني انه متعلق بطهور ووصف بلدة بميت
وهي صفة للمذكر لانها بمعنى البلد **قوله تعالى** ونسقيه العامة على ضم النون وقرا ابو عمرو وعاصم في رواية عنهما والاعمش
وابن ابي عبلة بفتحها وقد تقدم انه قرا بذلك في النحل والمومنين وتقدم الكلام **قوله تعالى** مما خلقنا يجوز ان يتعلق
من وهي لابتداء الغاية ويجوز ان يتعلق بمحذوف على انها حال من انعاما ونكر الانعام والاناسي قال الزمخشري لان
عامة الناس وجلتهم مجتمعون بالاودية والانهار فهم غنية عن سقي الماء واغنايهم وهم كثير منهم لا يعيشهم الا ما ينزل الله من

رحمه وسقيه بما يرده **قوله تعالى** واناسي فيه وجهان احدهما وهو مذهب سيبويه انه جمع انسان والاصل اناسين واناسين
فابدلت النون ياء وادغم فيها قبلها نحو ظربان وظرابي في وظرابي والثاني وهو قول الفراء والمبرد والزجاج انه جمع
انسي وفيه نظر لانه فعالي انما يكون جمعا لما فيه يا مشددة لا تدل على نسب نحو كرسي وكراسي فلو اريد بكرسي النسب لم يجز جمعه
على كراسي ويبعد ان يقال ان اليا في اناسي ليست للنسب وكان حقه ان يجمع على اناسية نحو مهالبة في المهلبي وقرا يحيى بن الحارث
الذماري والكسايي في رواية واناسي بتخفيف اليا قال الزمخشري بحذف يا افاعيل كقولك اناعم في اناعيم قال الزمخشري
فان قلت لم قدم احياء الارض وسقي الانعام على سقي الاناسي قلت لان حياة الاناسي بحياة ارضهم وحياة انعامهم فقدم
ما هو سبب نعامهم حياتهم فاذا ظفروا بسقيا ارضهم وسقي انعامهم لم يعدموا سقياهم فان قيل لم خص الانسان هاهنا
بالذكر والاناسي دون الطير والوحش مع انتفاع الكل بالماء فالجواب لان الطير والوحش تبعد في طلب الماء فلا يعوزها
الشرب بخلاف الانعام لانها حوايج الاناسي وعامة منافعهم متعلقة بها وكان الانعام عليهم بسقي انعامهم كالانعام عليهم بسقيهم
وقال اناسي كثيرا ولم يقل كثيرين لانه قد جاء فعيل مفردا ويراد به الكثرة كقوله تعالى وقرونا بين ذلك كثيرا وحسن اولئك
رفيقا **قوله تعالى** ولقد صرفناه في هذه الهاء اقوال احدها قال الجمهور انها ترجع الى المطر ثم هولاء قال بعضهم المعنى
صرفنا نزول الماء من وابل وطل وجود وطش ورذاذ وغير ذلك وقال بعضهم صرفناه اجريناه في الانهار حتى انتفعوا بالشرب
وبالزراعات وانواع المعايش به وقال اخرون معناه انه تعالى ينزله في مكان دون مكان وفي عام ثم في العام الثاني يقع بخلاف
ما وقع في العام الاول **فصل** قال ابن عباس ما عام باكثر مطرا من عام ولكن الله يصرفه في الارض ثم قرا هذه الاية
وروي ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما من عام بامطر من عام ولكن اذا عمل قوم بالمعاصي حول الله ذلك الى
غيرهم فاذا عصوا جميعا صرف الله ذلك الى الفيافي الثاني من الاوجه قال ابو مسلم الضمير راجع الى المطر والسحاب والاظلال
وساير ما ذكره الله من الادلة الثالث ان هذا القول صرفناه بين الناس في القران وفي ساير الكتب والصحف التي انزلت
على الرسل وهو ذكر انشاء السحاب وانزال المطر ليتفكروا ويستدلوا به على الصانع وقرا عكرمة صرفناه بتخفيف الرا وقيل
التصريف راجع الى الريح ليذكروا ويتفكروا في قدرة الله تعالى فابى اكثر الناس الا كفورا جحودا وكفرانهم انهم اذا امطروا قالوا
مطرنا بنو كذا روي زيد بن خالد الجهني قال صلى فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الصبح بالحديبية في اثر سماء كانت
من الليل فلما انصرف اقبل على الناس فقال هل تدرون ما قال ربكم قالوا الله ورسوله اعلم قال اصبح من عبادي مومن بي وكافر فاما
من قال مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مومن بي وكافر بالكوكب واما من قال مطرنا بنو كذا وكذا فذلك كافر بي ومومن بالكوكب
فصل قال الجبايي قوله تعالى ليذكروا يدل على انه تعالى يريد من الكل ان يتذكروا ويشكروا ولو اراد منهم ان يكفروا ويعرضوا
لما صح ذلك وذلك يبطل قول من قال ان الله مريد لكفر من يكفر قال ويدل قوله فابى اكثر الناس الا كفورا على قدرتهم على فعل
هذا التذكر اذ لو لم يقدروا لما جاز ان يقال ابوا ان يفعلوه كما لا يقال في الزمن ابى ان يسعى وقال الكعبي قوله ولقد صرفناه
بينهم ليذكروا حجة على من زعم ان القران وبال على الكافرين وانه لم يرد بانزاله ان يومنوا ليذكروا وعام في الكل وقوله تعالى
اكثر الناس يقتضي ان يكون الاكثر داخلا في ذلك العام لانه لا يجوز ان يقال انزلناه على قريش ليومنوا فابى اكثر بني تميم
الا كفورا والجواب قد تقدم مرارا **قوله تعالى** ولو شينا لبعثنا في كل قرية نذيرا رسولا ينذرهم والمراد من ذلك تعظيم
النبي صلى الله عليه وسلم من وجوه الاول انه تعالى بين انه مع القدرة على بعث رسول ونذير في كل قرية خصه بالرسالة وفضله
بها على الكل ولذلك اتبعه بقوله تعالى فلا تطع الكافرين اي لا توافقهم الثاني المراد ولو شينا لخففنا عنك اعباء الرسالة
الى كل العالمين ولبعثنا في كل قرية نذيرا ولكنا قصرنا الامر عليك واجللناك وفضلناك على ساير الرسل فقابل هذا الاجلال
بالتشدد في الدين الثالث ان الاية تقتضي مزج اللطف بالعنف لانها تدل على القدرة على ان يبعث في كل قرية نذيرا مثل
محمد وانه لا حاجة بالحضرة الالهية الى محمد البتة وقوله ولو شينا يدل على انه تعالى لا يفعل ذلك ولكن بعثناك الى القرى كلها
وحملناك ثقل نذارة جميعها لتستوجب بصبرك عليه ما اعتدنا لك من الكرامة والدرجة الرفيعة فلا تطع الكافرين فيما
يدعونك اليه من موافقتهم وذلك يدل على ان المنهي عن الشي لا يقتضي كون المنهي عنه مشتغلا به **قوله تعالى** وجاهدهم به
اي بالقران او بترك الطاعة عليه المدلول بقوله تعالى ولا تطع او بما دل عليه ولو شينا لبعثنا في كل قرية نذيرا كافة القرى
او بالسيف والاقرب الاول لان السورة مكية والامر بالقتال ورد بعد الهجرة بزمان فالمراد بذل الجهد في الدعاء جهادا
كبيرا شديدا **قوله تعالى** وهو الذي مرج البحرين الاية هذا النوع الرابع في مرج وجهان الاول بمعنى خلط ومرج ومنه
مرج الامر اي اختلط قاله ابن عرفة وقيل مرج اجرى وامرج لغة فيه فيل مرج لغة الحجاز وامرج لغة نجد وفي بعض كلام الفصحاء
• بحران احدهما بالاخر ممزوج • وماء العذب منهما لا باجاج ممزوج •
وقيل ارسلهما في مجاريهما وخلاهما كما ترسل الخيل في المرج قال ابن عباس واصل المرج الخلط والارسال يقال مرجت الدابة

والمرجيها اذا ارسلتها في المرعى وخليتها تذهب حيث تشا قوله تعالى هذا عذب فرات وهذا ملح اجاج هذه الجملة لامحل لها لانها
مستانفة جواب لسوال مقدر كان قايلا قال كيف مرجها فقيل هذا عذب وهذا ملح ويجوز على ضعف ان تكون حالية
والفرات المبالغ في الحلاوة والتاء فيه اصلية لام الكلمة واصله فعالة وان بعض العرب يقف عليها ها وهذا كما تقدم
في التابوت وقيل سمي الماء الحلو فراتا لانه يفرط العطش اي يشقه ويقطعه والاجاج المبالغ في الملوحة وقيل في الحرارة
وقيل في المرارة وهذا من احسن المقابلة حيث قال تعالى عذب فرات وملح اجاج والشي يتضاد بمقابله قال وانشد بعضهم

قال الراجز	فلا والله لا انفك ابكي • الى ان نلتقي شعثا عراتا •
	الى ان مرجت اجاج عيني • على خدي جرى العذب الفراتا •

وقال ابن يوسف ما احسن ما كنى عن دمعه بالاجاج وعن المستلذ عليه بالعذب الفرات وكان سبب انشاد هذين البيتين ان
بعضهم حكى قايلها في قوله عراتا كيف يقف على تاء التانيث المنونة بالالف فقيل ان لها لغة مستفيدة يجعلون التا
كغيرها فيبدلون تنوينها بعد الفتح الفا حكى عن العرب اكلت تمرتا نحو اكلت زبيبا وقرا طلحة وقتيبة عن الكسائي ملح بفتح
الميم وكسر اللام وكذا في سورة فاطر وهو مقصور من مالح كقولهم برد في بارد وصببا ماء باردا وما مالح لغة شاذة وقال
ابو حاتم هذه قراءة منكرة قوله تعالى بينهما برزخا يجوز ان يكون الظرف معلقا بالجعل وان يتعلق بمحذوف على انه حال
من برزخا والاول اظهر ومعنى برزخا اي حاجزا بقدرته لئلا يختلط احدهما بالاخر قوله تعالى وحجرا محجورا معناه قلنا
هي الكلمة التي يقولها المتعوذ وقد فسرناها وهي هنا واقعة على سبيل المجاز كان كل واحد من البحرين يقول لصاحبه حجرا
محجورا كانه يتعوذ من صاحبه ويقول له حجرا محجورا كما قال لا يبغيان وهي من احسن الاستعارات وعلى ما قاله يكون
منصوبا بفعل مضمر فان قيل لا وجود للبحر العذب فكيف ذكره الله هنا لا يقال هذا مدفوع من وجهين
احدهما ان المراد منه الاودية العظام كالنيل وجيحون الثاني لعله حصل في البحار موضع يكون احد جانبيه عذبا
والاخر ملحا لانا نقول اما الاول فضعيف لان هذه الاودية ليس فيها ماء ملح والبحار ليس فيها ماء عذب فلم يحصل الله
موضع التعجب واما الثاني فضعيف لان موضع الاستدلال لا بد وان يكون معلوما واما محض التجويز فلا يحسن الاستدلال
فالجواب انا نقول المراد من البحر العذب هذه الاودية ومن البحر الاجاج البحار الكبار وجعل بينهما برزخا اي حاجزا من الارض
ووجه الاستدلال هاهنا ان العذوبة والملوحة ان كانت بسبب ملوحة الارض او بسبب طبيعة الارض والماء فلا بد من الا
ستوا وان لم يكن كذلك فلا بد من قادر حكيم يخص كل واحد من الاجساد بصفة خاصة وحكي الجواب بطريق اخر
وهو انا رأينا نيل مصر داخلا في بحر الملح ابيض لونه مغاير للون بحر الملح لا يختلط به وقد يوخذ منه ويشرب قوله تعالى
وهو الذي خلق من الماء بشرا الاية هذا نوع خامس وفي هذا الماء وجهان احدهما انه النطفة الثاني انه الماء الذي تسقى
به الارض فتتولد منه الاغذية ويتولد من الاغذية النطفة كما تقدم في قوله وجعلنا من الماء كل شي حي قوله تعالى من الماء
يجوز ان يتعلق بخلق وان يتعلق بمحذوف حالا من الماء ومن لابتداء الغاية او للتبعيض قوله تعالى فجعله نسبا
وصهرا اي جعله ذا نسب وصهر قال الخليل لا يقال لاهل بيت المراة الا اصهار ولا لاهل بيت الرجل الا اختان قال ومن
العرب من يطلق الاصهار على الجميع وهذا هو الغالب وقيل النسب ما لا يحل نكاحه والصهر ما يحل نكاحه والنسب ما يوجب الحرمة
والصهر ما لا يوجبها والصحيح ان النسب من القرابة والصهر الخلطة التي تشبه القرابة وهو النسب المحرم للنكاح وقد تقدم
ان الله تعالى حرم بالنسب سبعا في قوله عز وجل حرمت عليكم امهاتكم قوله تعالى وكان ربك قديرا حيث خلق من النطفة
نوعين من البشر الذكر والانثى قوله تعالى ويعبدون من دون الله الاية لما ذكر دلايل التوحيد عاد الى تهجين سيرتهم
فقال ويعبدون من دون الله اي هولاء المشركون ما لا ينفعهم ان عبدوه ولا يضرهم ان تركوه وكان الكافر على ربه ظهيرا
اي معينا للشيطان على ربه بالمعاصي قال الزجاج يعاون الشيطان على معصية الله لان عبادتهم الاصنام معاونة للشيطان
فان قيل كيف يصح في الكافر ان يكون معاونا للشيطان على ربه بالعداوة فالجواب انه تعالى ذكر نفسه واراد
رسوله فقال ان الذين يوذون الله ورسوله وقيل معناه وكان الكافر على ربه هينا ذليلا كما يقول الرجل لمن يستهين به
جعلني بظهر اي جعلني هينا ويقال ظهرت به اذا جعلته خلف ظهرك كقوله تعالى فاتخذتموه وراءكم ظهريا قال ابو مسلم
وقياس العربية ان يقول مظهورا اي مستخف به متروك الظاهر فقيل فيه ظهير بمعنى مظهور ومعناه هين على الله ان يكفر
الكافر وهو تعالى والمراد بالكافر قيل ابو جهل لان الاية نزلت فيه والاولى حمله على العموم لان خصوص السبب لا يقدح في عموم
اللفظ قيل ويجوز ان يراد بالظهير الجماعة كقوله تعالى والملايكة بعد ذلك ظهير كالصديق والخليط فعلى هذا يكون المراد
بالكافر الجنس وان بعضهم مظاهر لبعض على اطفاء نور الله تعالى قال تعالى واخوانهم يمدونهم في الغي قوله تعالى على ربه يجوز
ان يتعلق بمحذوف على انه خبر كان وظهيرا حال والظهير المعاون قوله تعالى وما ارسلناك الا مبشرا ونذيرا اي منذرا

ووجه تعلقه بما تقدم ان الكفار يطلبون العوز على الله ورسوله والله تعالى بعث رسوله لنفعهم لانه تعالى بعثه
يبشرهم على الطاعة وينذرهم على المعصية فيستحقوا الثواب ويحترزوا من العقاب فلا جهل اعظم من جهل من استفرغ
جهده في ايذاء شخص استفرغ جهده في اصلاح مهمات دينا ودنيا ولا يسالهم البتة على ذلك اجرا قوله تعالى الا من شاء
فيه وجهان احدهما انه منقطع اي لكن من شاء ان يتخذ الى ربه سبيلا فليفعل والثاني انه متصل على حذف مضاف يعني لا اجر
من اي لاجر الحاصل على دعايه الى الايمان وقبوله لانه تعالى يوجرني على ذلك حكاه ابو حيان وفيه نظر لانه لم يسند السوال
المنفي في الظاهر الى الله تعالى انما اسنده الى المخاطبين فكيف يصح هذا التقدير فصل المعنى ما اسالكم على
تبليغ الوحي من اجر فتقولوا انما يطلب محمد اموالنا بما يدعونا اليه فلا نتبعه وقوله تعالى الا من شاء ان يتخذ الى ربه سبيلا
استثناء منقطع معناه لكن من شاء ان يتخذ الى ربه سبيلا بانفاق ماله في سبيله فعل ذلك والمعنى لا اسالكم لنفسي
اجرا ولكن لا امنع من انفاق المال في طلب مرضاة الله واتخاذ السبيل الى جنته قوله تعالى وتوكل على الحي الذي
لا يموت لما بين ان الكفار يتظاهرون على ايذائه وامره ان لا يطلب منهم اجرا امره ان يتوكل عليه في دفع جميع المضار
وفي جلب جميع المنافع وانما قال على الحي الذي لا يموت لان من توكل على الحي الذي لا يموت فاذا مات المتوكل عليه صار المتوكل
ضايعا واما الله تعالى فهو حي لا يموت فلا يضيع المتوكل عليه وسبح بحمده قيل المراد بالتسبيح الصلاة وقيل قل سبحان الله
والحمد لله وكفى به بذنوب عباده خبيرا عالما وهذه كلمة يراد بها المبالغة يقال كفى بالعلم جمالا وكفى بالادب مالا وهو
بمعنى حسبك اي لا تحتاج معه الى غيره لانه خبير باحوالهم قادر على مكافاتهم وهذا وعيد شديد قوله تعالى الذي
خلق السموات والارض الاية لما امر الرسول بان يتوكل عليه وصف نفسه بامور منها انه حي لا يموت وانه عالم بجميع المعلومات
بقوله وكفى به بذنوب عباده خبيرا ومنها انه قادر على الممكنات وهو قوله الذي خلق السموات والارض وهذا متصل بقوله
الحي الذي لا يموت لانه سبحانه لما كان خالقا للسموات والارض ولكل ما بينهما ثبت انه القادر على جميع المنافع ودفع
المضار وان النعم كلها من جهته فحينيذ لا يجوز التوكل الا عليه والذي خلق يجوز ان يكون مبتدا والرحمن خبره وان يكون
خبر مبتدا مضمر مقدر اي هو الذي خلق وان يكون منصوبا بفعل مضمر وان يكون صفة للحي الذي لا يموت او بدلا او بيانا
هذا على قراءة الرحمن بالرفع ومن قرا بالجر فيتعين ان يكون الذي خلق صفة للحي فقط قوله تعالى في ستة ايام فيه سوال وهو
ان الايام عبارة عن حركات الشمس في السموات فقبل السموات لا ايام فكيف قال خلقها في ستة ايام والجواب في مدة مقدارها
والا يقال الشي بالمقدار المحدود ويقبل الزيادة والنقصان والتجزية لا تكون عدما محضا لا بد وان يكون موجودا فيلزم
من وجوده وجود مدة قبل وجود العالم وذلك يقتضي قدم الزمان لانا نقول هذا معارض بنفس الزمان لان المدة
المتوهمة المحتملة لعشرة ايام لا تحتمل خمسة ايام والمدة المتوهمة المحتملة لخمسة ايام لا تحتمل عشرة ايام فيلزم ان يكون للمدة
مدة اخرى فلما لم يلزم من هذا قدم الزمان لم يحرم ما قلتموه وعلى هذا القول لعل الله سبحانه خلق المدة اولا ثم خلق السموات
والارض فيها بمقدار ستة ايام وقيل في ستة ايام من الاخرة كل يوم مقداره الف سنة وهو بعيد لان التعريف لا بد وان يكون
بامر معلوم لا بامر مجهول فان قيل لم قدر الخلق والايجاد بهذا المقدار فالجواب على قول اهل السنة المشيئة والقدرة
كافية للتخصيص وقالت المعتزلة لا بد من حكمة وهو ان التخصيص بهذا المقدار اصلح وهذا بعيد لوجهين احدهما ان حصول
تلك الحكمة اما ان يكون واجبا لذاته او جايزا فان كان واجبا وجب ان لا يتغير فيكون واجبا في كل الازمنة فلا يصلح ان
يكون سببا لزمان معين فان كان جايزا افتقر حصول تلك الحكمة في ذلك الوقت الى مخصص اخر ولزم التسلسل الثاني
ان التفاوت بان واحد لا يصل اليه عقل المكلف فحصول تلك التفاوت لما لم يكن مستورا به فكيف يقدح في حصول
المصالح فصل واعلم انه يجب على المكلف على كل قول ان يقطع الطمع عن امثال هذه الاسيلة فانه بحر لا ساحل
له كتقدير ملايكة النار بتسعة عشر وحملة العرش بثمانية والشهور باثني عشر والسموات بالسبع وعدد الصلوات ومقادير
النصب في الزكوات وكذا الحدود والكفارات فالاقرار بكل ما قاله الله حق هو الدين والواجب ترك البحث عن هذه الاشيا
وقد نص الله على ذلك في قوله تعالى وما جعلنا اصحاب النار الا ملايكة وما جعلنا عدتهم الا فتنة للذين كفروا ليستيقن
الذين اوتوا الكتاب ويزداد الذين آمنوا ايمانا ولا يرتاب الذين اوتوا الكتاب والمومنون وليقول الذين في
قلوبهم مرض والكافرون ماذا اراد الله بهذا مثلا ثم قال وما يعلم جنود ربك الا هو وهو الجواب ايضا في ان لم يخلقها
في لحظة وهو قادر على ذلك وعن سعيد بن جبير انما خلقها في ستة ايام وهو يقدر ان يخلقها في لحظة وهو قادر على
ذلك وعن سعيد بن جبير انما خلقها في ستة ايام تعليما للخلق الرفق والتثبت وقيل ثم خلقها يوم الجمعة فجعله عيدا
للمسلمين قوله تعالى ثم استوى على العرش لا يجوز حمله على الاستيلاء والقدرة لان اوصاف الله لم تزل فلا يصح دخول
ثم فيه ولا على الاستقرار لانه يقتضي التغير الذي هو دليل الحدوث ومقتضي التركيب وكل ذلك على الله محال

المراد من خلق العرش رفعه فان قيل يلزم ان يكون خلق العرش بعد خلق السموات وليس كذلك كقوله تعالى وكان
عرشه على الماء فالجواب كلمة ثم ما دخلت على خلق العرش بل على رفعه على السموات **قوله تعالى** الرحمن قرا العامة بالرفع
وفيه اوجه الاول انه خبر الذي او خبر مبتدا محذوف اي هو الرحمن ولهذا اجاز الزجاج وغيره الوقف على العرش ثم يبتدي
الرحمن اي هو الرحمن الذي لا ينبغي السجود والتعظيم الا له او يكون بدلا من الضمير في استوى او يكون مبتدا وخبره الجملة
من قوله فاسئل على راي الاخفش كقوله • وقايلة خولان فانكح فتاتهم • او يكون صفة للذي خلق اذا قلنا
انه مرفوع وقرا زيد بن علي الرحمن بالجر فتعين ان يكون نعتا للذي خلق والذي خلق صفة للحي فقط بلا فصل بين النعت
والمنعوت باجنبي **قوله تعالى** فاسئل به في الباء قولان لان احدهما هي على بابها وهي متعلقة بالسوال والخبير هو الله تعالى
ويكون من التجريد كقولك لقيت به اسدا والمعنى فاسئل الله الخبير بالاشيا قال الزمخشري او فاسال سواله خبيرا
كقولك رايت به اسدا اي رايت برويته انتهى قال الكلبي فاسال به خبيرا به فقوله به يعود على ما ذكر من خلق السموات والا
ستوا على العرش والباء من صلة الخبير وذلك الخبير هو الله تعالى فانه لا دليل في العقل على كيفية خلق السموات
والارض ولا يعلمها احدا الا الله تعالى فخبيرا مفعول سل على هذا او منصوب على الحال المؤكدة واستضعفه ابو البقا
قال ويضعف ان يكون خبيرا حالا من فاعل اسال لان الخبير لا يسال الا على جهة التوكيد كقوله وهو الحق مصدقا ثم قال
ويجوز ان يكون حالا من الرحمن اذا رفعته باستوى والثاني ان يكون البا بمعنى عن اما مطلقا واما مع السوال خاصة
كهذه الاية الكريمة وقول علقمة بن عبدة • وان تسالوني بالنسا فانني • خبير بادوا النسا طبيب • والضمير في عنه
لله تعالى وخبيرا من صفات الملك وهو جبريل قال ابن عباس ان ذلك الخبير هو جبريل عليه السلام وانما قدم لروس الاي
وحسن النظم وهو قول الزجاج والاخفش ويجوز على هذا اي كون خبيرا من صفات جبريل ان تكون البا على بابها وهي
بخبيرا كما تقدم اي فاسال الخبير به قال ابن جرير البا في به صلة والمعنى فاسئله خبيرا وخبيرا نصب على الحال وقيل قوله به
يجري مجرى القسم كقوله تعالى فاتقوا الله الذي تساءلون به **قوله تعالى** واذا قيل لهم اسجدوا للرحمن الاية قال الاكثر
المفسرين الرحمن اسم من اسماء الله تعالى مكتوب في الكتب المتقدمة والعرب ما عرفوه **فصل** قال ابو الرجا ومقاتل
ان ابا جهل قال ان الذي يقول محمد شعر فقال عليه السلام الشعر غير هذا ان هذا الا كلام الرحمن فقال ابو جهل بخ بخ
لعمري والله انه لكلام الرحمن الذي باليمامة هو يعلمك فقال عليه السلام الرحمن الذي في السماء ومن عنده ياتيني الوحي
فقال يا آل غالب من يعذرني من محمد يزعم ان الله واحد وهو يقول الله يعلمني والرحمن لقسم تعلمون انهما الهان قال القاضي
والاقرب ان مرادهم انكار الله لا الاسم لان هذه اللفظة عربية وهم كانوا يعلمون انها تفيد المبالغة في الانعام ثم ان قلنا
انهم كانوا منكرين لله كانوا قالوا وما الرحمن سوال عن الحقيقة كقول فرعون وما رب العالمين وان قلنا انهم كانوا
مقرين بالله لكنهم جهلوا كونه تعالى يسمى هذا الاسم كان قولهم وما الرحمن سوال عن هذا الاسم **قوله تعالى** انسجد لما تامرنا
قرا الاخوان يامرنا بياء الغيبة يعنون محمدا كان بعضهم قال لبعض انسجد لما يامرنا محمد او يامرنا المسمى بالرحمن ولا نعرف
ما هو والباقون بالخطاب يعني لما تامرنا انت يا محمد وما يجوز ان تكون بمعنى الذي ذكره ابو البقا وهو ان الاصل
لما تامرنا بالسجود له ثم بسجوده ثم تامرناه ثم تامرنا كذا قدره وقال ثم هذا على مذهب ابي الحسن واما على مذهب
سيبويه فحذف ذلك من غير تدرج قال شهاب الدين وهذا ليس بمذهب سيبويه ويجوز ان تكون موصوفة والكلام في
عايدها كموصولة ويجوز ان تكون مصدرية وتكون اللام للعلة اي انسجد من اجل امرك ويكون اعني وعلى
هذا يكون المسجود له محذوفا اي انسجد للرحمن لما تامرنا وعلى هذا لا تكون ما واقعة على العالم وفي الوجهين الاولين
يحتمل ذلك وهو المتبادر للفهم **قوله تعالى** وزادهم نفورا اي قول القايل لهم اسجدوا للرحمن نفورا عن الدين والايمان
ومن حقه ان يكون باعثا على الحق والقبول **فصل** قال الضحاك سجد الرسول وابو بكر وعمر وعثمان وعلي
وعثمان بن مظعون وعمرو بن عبسة ولما راهم المشركون يسجدون تباعدوا في ناحية المسجد مستهزئين فهذا هو المراد
من قوله وزادهم نفورا اي فزادهم سجودهم نفورا **قوله تعالى** تبارك الذي جعل في السماء بروجا الاية لما حكى من بعد
نفورهم الكفار عن السجود وذكر ما لو تفكروا فيه لعرفوا وجوب السجود والعبادة للرحمن فقال تبارك الذي جعل في السماء
بروجا لظهورها لان اشتقاق البرج من التبرج وهو الظهور وقال عطية العوفي البروج هي القصور العالية
لانها لهذه الكواكب كالمنازل لسكانها وهذا اولى لقوله تعالى وجعل فيها اي في البروج فان **قيل** لم لا يجوز ان يكون
قوله فيها راجعا الى السماء دون البروج **فالجواب** لان البروج اقرب فعود الضمير اليها اولى وروى عطا عن ابن عباس
هي البروج الاثني عشر **قوله تعالى** وجعل فيها سراجا قرا الجمهور بالافراد والمراد به الشمس لقوله تعالى وجعل الشمس سراجا
ويؤيده ايضا ذكر القمر بعده والاخوان سرجا بضمتين جمعا نحو حمر في حمار وجمع باعتبار الكواكب النيرات وانما ذكر القمر

تزيينها كقوله تعالى وجبريل وميكال بعد انتظارهما في الملايكة وقرا الاعمش والنخعي وابن وثاب كذلك الا انه
بسكون الراء تخفيفا والحسن والاعمش والنخعي وعاصم في رواية وقرا بضمة وسكون وهو جمع قمر كالحمر في حمر والمعنى
وذا الليالي قمرا منيرا فحذف المضاف واقام المضاف اليه مقامه ثم التفت الى المضاف بعد حذفه فوصفه بمنير ولو لم
يعتبره لقال منيره ونظيره من مراعاة بعد حذفه قول حسان • يسقون من ورد البريص عليهم •
بردى يصفق بالرحيق السلسل • الاصل ماء بردى ثم حذفه مراعاة في قوله يصفق بالياء من تحت ولو لم يكن كذلك
لقال تصفق بالتاء من فوق على ان بيت حسان يحتمل ان يكون كقوله • ولا ارض ابقل ابقالها • مع ان
ابن كيسان يجيز ذلك سعة وقال بعضهم لا يبعد ان يكون القمر كالرشد والرشد **قوله تعالى** وهو الذي جعل الليل
والنهار خلفة في الخلفة وجهان احدهما انه مفعول ثان والثاني انه حال بحسب القولين في جعل وخلفة يجوز
ان يكون مصدرا من خلفه يخلفه اذا جاء مكانه وان يكون اسم هيئة منه كالركبة وان يكون من الاختلاف كقوله

• ولها بالماطرون اذا • اكل النمل الذي جمعا •
• خلفة حتى اذا ارتبعت • سكنت من جلق بيعا •
• في بيوت وسط دسكرة • حولها الزيتون قد ينعا •

ومثله قول زهير • بها العين والارام يمشين خلفة • وافرد خلفة **فصل** قال
ابو البقا لان المعنى يخلف احدهما الاخر فلا يتحقق هذا الا منهما قال ابن عباس جعل كل واحد منهما يخلف صاحبه
فيما يحتاج ان يعمل فيه فمن فرط في عمل في احدهما قضاه في الاخر جاء رجل الى عمر بن الخطاب فقال فاتتني الصلوة
الليلة فقال ادرك ما فاتك من ليلتك في نهارك فان الله عز وجل جعل الليل والنهار خلفة وقال مجاهد وقتادة
والكسائي يقال لكل شيء اختلفا هما خلفان فقوله خلفة اي مختلفين هذا اسود وهذا ابيض وهذا طويل
وهذا قصير والاول اقرب **قوله تعالى** لمن اراد ان يذكر قرا العامة بالتشديد وقرا حمزة بالتخفيف وعن ابي بن كعب
يتذكر والمعنى لينظر الناظر في اختلافهما فيعلم انه لا بد في انتقالهما من حال الى حال من ناقل والمعنى فيتعظ
قوله تعالى او اراد شكورا قال مجاهد اي شكر نعمة ربه فيهما والشكور بالضم مصدر شكر شكورا بمعنى الشكر وبالفتح
صيغة مبالغة **قوله تعالى** وعباد الرحمن الذين يمشون عباد الرحمن رفع بالابتدا وفي خبره وجهان احدهما
الجملة الاخيرة في اخر السورة اوليك يجزون وبه بدا الزمخشري والذين يمشون وما بعده صفات للمبتدا والثاني
انه الخبر يمشون والعامة على عباد واليماني بضم العين وتشديد البا جمع عابد والحسن عبد بضمتين والعامة يمشون
بالتخفيف مبنيا للفاعل واليماني والسلمي بالتشديد مبنيا للمفعول فان **قيل** هذه الاضافة للتخصيص والتفضيل
والا فالخلق كلهم عباد الله **فالجواب** هونا اما نعت مصدر اي مشيا هونا واما حال اي هينين والهون اللين والرفق
اي يمشون بالسكينة والوقار متواضعين ولا يضربون اقدامهم اشرا وبطرا ولا يتبخترون خيلا وقال الحسن علما حلما
وقال محمد بن الحنفية اصحاب وقار وعفة لا يسفهون وان سفه عليهم حلموا واذا خاطبهم يعني السفها بما يكرهونه قالوا
سلاما قال مقاتل قولا يسلمون فيه من الاثم وقيل المعنى لا نجاهلكم وقيل المراد حلمهم في مقابلة الجهل وقال الاصم
قالوا سلاما اي سلام توديع لا تحية كقول ابراهيم عليه السلام لابيه سلام عليك قال الكلبي وابو العالية نسختها اية القتال
قوله تعالى سلاما يجوز ان ينتصب على المصدر بفعل مقدر اي نسلم سلاما او نسلم سلاما من ذلك او نسلم تسليما منكم
لا نجاهلكم فاقيم السلام مقام التسليم ويجوز ان ينتصب على المفعول به اي قالوا هذا اللفظ قال الزمخشري اي قالوا سدادا
من القول يسلمون فيه من الاذى والمراد سلامتهم من السفه كقوله • الا لا يجهلن احد علينا • فنجهل فوق جهل
الجاهلينا • ورجح سيبويه ان المراد بالسلام السلامة لا التسليم لان المومنين لم يومروا قط بالتسليم على الكفرة وانما امروا
بالمسالمة ثم نسخ ذلك ولم يذكر سيبويه في كتابه نسخا الا في هذه الاية **قوله تعالى** والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما
لما ذكر وصفهم بالنهار من وجهين احدهما ترك الايذا بقوله يمشون على الارض هونا والثاني تحمل الاذى بقوله تعالى واذا
خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما شرح صفتهم في الليل قال الزجاج كل من ادركه الليل بات وان لم ينم كما يقال بات فلان قلقا
والمعنى يبيتون لربهم سجدا على وجوههم وقياما على اقدامهم **فصل** قال ابن عباس من صلى بعد العشاء ركعتين
فقد بات ساجدا وقايما وروى عثمان بن عفان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى العشاء في جماعة كانت
كقيام نصف ليلة ومن صلى الفجر في جماعة كان كقيام ليلة **قوله تعالى** سجدا خبر يبيتون ويضعف ان تكون تامة
اي دخلوا في البيات وسجدا جمع ساجد كضرب في ضارب وقرا ابو البرهسم سجودا بزنة قعود وبيت هي اللغة الفاشية
وازد السراة وبجيلة يقولون بيات وهي لغة العوام اليوم **قوله تعالى** والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم

قال ابن عباس يقولون في سجودهم وقيامهم هذا القول قوله تعالى غراما اي لازما دايما وعن الحسن كل غريم يفارق غريمه الا غريم جهنم وانشد بشر بن ابي حازم • يوم النسا ويوم الجفار • كانا عذابا وكانا غراما • وقول الاعشى

• ان يعاقب يكن غراما وان • يعط جزيلا فانه لا يبالي •

نعراما بمعنى شرا لازما وقيل خسرانا ملحا لازما ومنه الغريم لالحاحه والزامه ويقال فلان مغرم بالنساء اذا كان مولعا بهن وسال ابن عباس نافع بن الازرق عن الغرام فقال هو الوجع قوله تعالى انها ساءت مستقرا ومقاما يجوز ان يكون ساءت بمعنى احزنت فتكون متصرفة ناصبة للمفعول وهو هنا محذوف اي انها يعني جهنم احزنت اصحابها ومستقرا يجوز ان يكون تمييزا او ان يكون حالا اي يجوز ان يكون ساءت بمعنى حسنت فيعطى حكمها ويكون المخصوص بالذم محذوفا وفي ضمير ساءت مبهم يفسره مستقرا ومستقرا يتعين ان يكون تمييزا اي ساءت هي مخصوص وهو الرابط بين هذه الجملة وبين ما وقعت خبرا عنه وهو انها كذا قدره ابو حيان وقال ابو البقا ومستقر تمييز وساءت بمعنى بئس فان قيل يلزم من هذا اشكال وذلك انه يلزم تانيث فعل الفاعل المذكر من غير مسوغ لذلك فان الضمير في ساءت على هذا يكون ضميرا عايدا على ما بعده وهو مستقرا ومقاما وهما مذكران في ايجاب التانيث فالجواب ان المستقر عبارة عن جهنم فلذلك جاز تانيث فعله ومثله قوله • اوحرة عيطل ثبج مجفرة • دعايم الزور نعمت زورق البلد •

ومستقرا ومقاما قيل مترادفان وعطف احدهما على الاخر لاختلاف لفظيهما وقيل بل هما مختلفا المعنى فالمستقر للعصاة فانهم يخرجون والمقام للكفار فانهم مخلدون فان قيل انهم سالوا الله ان يصرف عنهم عذاب جهنم لعلتين احدهما ان عذابها كان غراما والثانية انها ساءت مستقرا ومقاما اشارة الى كونه دايم الحسرة والفرق بين الوجهين فالجواب قال المتكلمون عقاب الكافر يجب ان يكون مضرة خالصة عن شوايب النفع وقوله تعالى انها ساءت مستقرا ومقاما اشارة الى كونه دايما فحصلت المغايرة وقرات فرقة مقاما بفتح الميم اي مكان القيام وقراءة العامة هي المطابقة للمعنى الذي مكان اقامة وروي قوله انها ساءت مستقرا يحتمل ان يكون من كلامهم فتكون منصوبة المحل بالقول وان يكون من كلام الله تعالى قوله تعالى والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وقرا الكوفيون بفتح اليا وضم التا من يقتر ومنه وعلى المقتر قدره وانكر ابو حاتم اقتر وقال لا يناسب هنا فان اقتر بمعنى افتقر ومنه على المقتر قدره ورد عليه بان الاصمعي وغيره حكوا اقتر بمعنى ضيق وقرا العلا بن سيابة واليزيدي بضم اليا وفتح القاف وكسر التا مشددة من قتر بمعنى ضيق وكلها لغات والقتر والاقتار والتقتير التضييق الذي هو نقيض الاسراف والاسراف مجاوزة الحد في النفقة فصل المراد من الاية القصد بين الغلو والتقصير كقوله تعالى ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط وسال ابن الورد بعض العلما ما البناء الذي لا سرف فيه قال ما سترك عن الشمس واكنك من المطر وقال له ما الطعام الذي لا سرف فيه فقال ما سد الجوعة وقال له في اللباس ما ستر عورتك وادفاك من البرد وقال ابن عباس ومجاهد وقتادة والضحاك الاسراف في النفقة في معصية الله تعالى والاقتار منع حق الله تعالى قال مقاتل لو انفق الرجل مثل قبيس ذهبا في طاعة الله لم يكن سرفا وانشدوا

• ذهاب المال في حمد واجر • ذهاب لا يقال له ذهاب •

وقيل السرف مجاوزة الحد في التنعم والتوسع وان كان من حلال فانه يودي الى الخيلاء وكسر قلوب الفقرا قوله تعالى وكان بين ذلك قواما في اسم كان وجهان اشهرهما انه يعود على الانفاق المفهوم من قوله انفقوا اي وكان انفاقهم مستويا قصدا لا اسرافا ولا تقتيرا وفي خبرها وجهان احدهما هو قواما وبين ذلك اما معمول لا له ولكان عند من يرى عملها في الظرف واما بمحذوف على انه حال من قواما ويجوز ان يكون بين ذلك خبرا ثانيا لكان عند من يرى ذلك وهم الجمهور خلافا لابن درستويه والثاني ان الخبر بين ذلك وبني لاضافته الى غير متمكن وقواما حال قاله الفرا والزمخشري وهو من جهة الاعراب لا باس به ولكنه من جهة المعنى ليس بقوي لان ما بين الاسراف والتقتير قوام لا محالة فليس في الخبر الذي هو معتمد الفايدة فايدة قال شهاب الدين وهو يشبه قولك كان سيد الجارية مالكها قال ثعلب القوام بالفتح العدل والاستقامة وبالكسر ما يقام به الشي لا يفضل عنه ولا ينقص وقرا حسان بن عبد الرحمن قواما بكسر القاف فقيل هما بمعنى وقيل بالكسر اسم ما يقام به الشي وقيل بمعنى سدادا وملاكا قوله تعالى والذين لا يدعون الاية قال ابن عباس ان ناسا من اهل الشرك كانوا قد قتلوا واكثروا وزنوا واكثروا فاتوا محمدا صلى الله عليه وسلم فقالوا ان الذي يقول وتدعوا اليه لحسن لو تخبرنا ان لما عملنا كفارة فنزلت هذه الاية ونزل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله وروي ان رجلا قال يا رسول الله اي الذنب اكبر عند الله تعالى قال ان تدعوا لله ندا وهو خلقك قال ثم اي قال ان تقتل ولدك خشية ان يطعم معك قال ثم اي قال ان تزاني حليلة جارك فانزل

الله تصديقها هذه الاية فان قيل انه الله تعالى ذكر ان من صفات عباد الرحمن الاحتراز عن الشرك والقتل والزنا فلو كان الترتيب بالعكس لكان اولى فالجواب ان الموصوف بتلك الصفات السالفة قد يكون متمسكا بالشرك تدينا ويقتل الموودة تدينا ويزني تدينا فبين تعالى ان المرء لا يصير بتلك الخصال وحدها من عباد الرحمن حتى يجتنب هذه الكباير واجاب الحسن فقال المقصود من ذلك التنبيه على الفرق بين سيرة المسلمين وسيرة الكفار كانه قال وعباد الرحمن الذين لا يدعون مع الله الها اخر وانتم تدعون ولا يقتلون وانتم تقتلون الموودة ولا يزنون وانتم تزنون قوله تعالى الا بالحق يجوز ان تتعلق البا بنفس يقتلون اي لا يقتلونها بسبب من الاسباب الا بسبب الحق وان تتعلق بمحذوف على انها صفة للمصدر اي قتلا ملتبسا بالحق او على انها حال اي الا ملتبسين بالحق فان قيل من حل قتله لا يدخل في النفس المحرمة فكيف يصح هذا الاستثنا فالجواب ان المقتضي لحرمة القتل قايم ابدا وجواز القتل انما ثبت بمعارض فقوله حرم الله اشارة الى المقتضي وقوله الا بالحق اشارة الى المعارض والسبب المبيح للقتل هو الردة والزنا بعد الاحصان قوله تعالى ومن يفعل ذلك هذه اشارة الى جميع ما تقدم لانه بمعنى ما ذكر فلذلك وحد قوله تعالى يلق قرا العامة مجزوما على جزاء الشرط بحذف الالف وقرا عبد الله وابو رجا يلقى باثباتها كقوله ولا تنسى على احد القولين وكقراءة لا تخف دركا ولا تخشى في احد القولين ايضا وذلك بان تقدر علامة الجزم حذف الضمة المقدرة وقرا بعضهم يلق بضم اليا وفتح اللام وتشديد القاف من لقاه كذا والاثام مفعول على قراءة الجمهور ومفعول ثان على قراءة هولاء والاثام العقوبة قال الشاعر

• جزى الله ابن عروة حيث امسى • عقوقا والعقوق له اثام •

اي عقوبة وقيل هو الاثم نفسه اي يلق جزا اثمه وقال ابو مسلم والاثام والاثم واحد والمراد هاهنا جزا الاثام فاطلق اسم الشي على جزايه وقال الحسن الاثام اسم من اسما جهنم وقال مجاهد اسم واد في جهنم وقيل بير فيها وقرا ابن مسعود اياما جمع يوم يعني شدايد والعرب تعبر عن ذلك بالايام يقال يوم ذو ايام اليوم العصيب قوله تعالى يضاعف قرا ابن عامر وابو بكر برفع يضاعف ويخلد على احد وجهين اما الحال واما على الاستيناف والباقون بالجزم فيهما بدلا من يلق بدل اشتمال ومثله قوله • متى تاتنا تلمم بنا في ديارنا • تجد حطبا جزلا ونارا تاججا •

فابدل من الشرط كما ابدل هنا من الجزا وابن كثير وابن عامر قد ابدل من الشرط كما ابدل من الجزا وابن كثير على ما تقدم لهما في البقرة من القصر والتضعيف في العين ولم يذكر ابو حيان ابن عامر مع ابن كثير وذكره مع الجماعة في قراءتهم وقرا ابو جعفر وشيبة نضعف بالنون مضمومة وتشديد العين العذاب نصبا على الحال والمفعول به وطلحة نضاعف مبنيا للفاعل اي الله العذاب نصبا وطلحة بن سليمان ونخلد بالخطاب على الالتفات وابو حيان ونخلد مشددا مبنيا للمفعول وروي عن ابي عمرو كذلك الا انه بالتخفيف ومهانا حال وهو اسم مفعول من اهانه يهينه اي اذله واذاقه الهوان فصل قال القاضي بين الله المضاعفة والزيادة يكون حالها في الزيادة كحال الاصل فقوله ويخلد فيه اي يخلد في ذلك التضعيف وذلك انما يحصل بسبب العذاب على المعاصي فوجب ان يكون عقاب هذه المعاصي في حق الكافر دايما واذا كان كذلك وجب ان يكون في حق المومن كذلك لان حاله فيما يستحق به لا يتغير سواء فعل مع غيره او منفردا فان قيل لم لا يجوز ان يكون للاتيان بالشي مع غيره اثر في مزيد القبح لا تريا الى الشيين قد يكون كل واحد منهما في نفسه حسنا وان كان الجمع قبيحا وقد يكون كل واحد منهما قبيحا ويكون الجمع بينهما اقبح وسبب تضعيف العذاب ان المشرك اذا ارتكب المعاصي مع الشرك فيعذب على الشرك وعلى المعاصي فتضاعف العقوبة عليه وهذا يدل على ان الكفار مخاطبون بفروع الاسلام قوله تعالى الا من تاب فيه وجهان احدهما وهو الذي لا يعرف الناس غيره انه استثنا متصل لانه من الجنس والثاني انه منقطع قال ابو حيان ولا يظهر يعني الاتصال لان المستثنى منه محكوم عليه بانه يضاعف له العذاب فيصير التقدير الا من تاب وامن وعمل عملا صالحا فلا يضاعف له العذاب ولا يلزم من انتفا التضعيف انتفا العذاب غير المضعف فالاولى عندي ان يكون استثنا منقطعا اي لكن من تاب وامن وعمل عملا صالحا فاوليك يبدل الله سياتهم حسنات واذا كان كذلك فلا يلقى عذابا البتة قال شهاب الدين والظاهر قول الجمهور واما ما قاله فلا يلزم اذ المقصود الاخبار بان من فعل كذا فانه يحل ما ذكر الا ان يتوب واما اصابته اصل العذاب وعدمها فلا تعرض في الاية له واعلم ان البحث الذي ذكره ابو حيان ذكره ايضا ابن الخطيب فقال دلت الاية على ان التوبة مقبولة والاستثنا لا يدل على ذلك لانه اثبت انه يضاعف له العذاب ضعفين وانما يدل عليه قوله فاوليك يبدل الله سياتهم حسنات فصل نقل عن ابن عباس انه قال توبة القاتل لا تقبل وزعم ان هذه الاية منسوخة بقوله ومن يقتل مومنا متعمدا وقالوا نزلت الغليظة بعد اللينة بمدة يسيرة وعن الضحاك ومقاتل بثمان سنين وتقدم في سورة النسا فان قيل العمل الصالح في التوبة والايمان فذكرهما قبل العمل الصالح حشو فالجواب افردهما بالذكر لعلو شانهما

ولما كان لابد منهما من سائر الاعمال لاجرم ذكر عقبهما العمل الصالح قوله تعالى فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات قال ابن عباس والحسن وسعيد بن جبير ومجاهد وقتادة التبديل انما يكون في الدنيا فيبدل الله تعالى قبايح اعمالهم في الشرك بمحاسن الاعمال في الاسلام فيبدلهم بالشرك ايمانا وبقتل المومنين قتل المشركين وبالزنا احصانا وعفة وقيل يبدل الله سيئاتهم التي عملوها في الاسلام حسنات قال الزجاج السيئة بعينها لا تصير حسنة والتاويل ان السيئة تمحى بالتوبة وتكتب الحسنة مع التوبة والكافر يحبط الله عمله ويثبت عليه السيئات قوله تعالى سيئاتهم هو المفعول الثاني للتبديل وهو المقيد بحرف الجر وانما حذف لفهم المعنى وحسنات هو الاول المفتوح وهو الماخوذ والمجرور بالبا وهو المتروك وقد صرح بهذا في قوله تعالى وبدلناهم بجنتيهم جنتين قال الشاعر

• وتضحك مني اخت ذات النحيين • ابدلك الله بلون لونين •

• سواد وجه وبياض عينين •

وتقدم تحقيق هذا في البقرة عند قوله تعالى ومن يبدل نعمة الله من بعد ما جاءته قوله تعالى ومن تاب وعمل صالحا الاية قال بعض العلماء هذا في التوبة من غير ما سبق ذكره في الاية الاولى من القتل والزنا اي من تاب من الشرك فادى الفرايض ممن لم يقتل ولم يزن فانه يتوب الى الله متابا اي يعود الى بعد الموت متابا احسنا يفضل على غيره ممن قتل وزنى فالتوبة الاولى وهي قوله ومن تاب رجوع عن الشرك والثاني رجوع الى الله للجزاء والمكافاة وقيل هذه التوبة ايضا من جميع السيئات ومعناه من اراد التوبة وعزم عليها فليتب لوجه الله فقوله يتوب الى الله خبر بمعنى الامر اي يتب الى الله وقيل معناه وليعلم ان توبته ومصيره الى الله قوله تعالى والذين لا يشهدون الزور وفي الزور وجهان الاول انه مفعول به اي لا يحضرون الزور وفسر بالصنم واللهو وقال اكثر المفسرين يعني الشرك والثاني انه مصدر والمراد شهادة الزور فحذف المضاف واقام المضاف اليه مقامه قال علي بن ابي طالب وابن جريج الكذب وقال مجاهد اعياد المشركين وقيل النوح وقال قتادة لا يساعدون اهل الباطل على باطلهم وكل هذه الوجوه محتملة واصل الزور تحسين الشيء ووصفه بغير صفته فهو تمويه الباطل بما يوهم انه حق قوله تعالى واذا مروا باللغو مروا كراما قال مقاتل اذا سمعوا من الكفار الشتم والاذى اعرضوا وصفحوا كقوله واذا سمعوا اللغو اعرضوا عنه وقال الحسن والكلبي اللغو المعاصي كلها مما يجب ان يلقى ويترك مروا كراما مسرعين معرضين يقال تكرم فلان عما يشينه اذا تنزه واكرم نفسه عنها قوله تعالى والذين اذا ذكروا بايات ربهم لم يخروا عليها صما وعميانا النفي متسلط على القيد وهو الصمم والعمى اي انهم يخرون عليها لكن لا على هاتين الصفتين قال الزمخشري فقوله لم يخروا عليها ليس بنفي الخرور وانما هو اثبات له ونفي للصمم والعمى كما يقول لا يلقاني زيد مسلما هو نفي للسلام لا للقاء والمعنى انهم اذا ذكروا بها اكبوا عليها حرصا على استماعها واقبلوا على المذكر بها وهم في اكبابهم عليها سامعون باذان واعية ومبصرون بعيون واعية لا كالذين يذكرون بها فتراهم مكبين عليها مقبلين على من يذكرها مظهرين الحرص الشديد على استماعها وهم كالصم والعميان حيث لا يفهمونها ولا يبصرون ما فيها وفيه تعريض بالمنافقين قوله تعالى والذين يقولون ربنا هب لنا من ازواجنا وذرياتنا يجوز ان تكون من لابتداء الغاية اي هب لنا من جهتهم ما تقر به عيوننا من طاعة وصلاح وان يكون للبيان قاله الزمخشري وجعله من التجريد اي هب لنا قرة اعين من ازواجنا كقولك رايت منك اسدا وقرا ابو عمرو والاخوان وابو بكر وذريتنا بالتوحيد والباقون بالجمع سلامة وقرا ابو هريرة وابو الدرداء وابن مسعود قرات بالجمع وقال الزمخشري اتى هنا باعين صيغة القلة دون عيون صيغة الكثرة ايذانا بان عيون المتقين قليلة بالنسبة الى عيون غيرهم ورده ابو حيان بان اعينا تطلق على العشرة فما دونها وعيون المتقين كثيرة فوق العشرة وهذا تحامل عليه لانه اراد بالنسبة الى كثرة غيرهم ولم يرد قدرا مخصوصا فصل ارادوا قرة اعين لهم في الدين لا في الدنيا من الجمال والمال قال الزجاج يقال اقر الله عينك اي صادف فوادك ما يحبه وقال المفضل في قرة العين ثلاثة اقوال احدها برد دمعتها وهي التي تكون مع السرور ودمعة الحزن حارة والثاني نومها لانه يكون مع ذهاب الحزن والوجع الثالث قال الازهري حصول الرضى قوله تعالى واجعلنا للمتقين اماما في اماما وجهان احدهما انه مفرد وجاء به مفردا ارادة للجنس وحسنه كونه رأس فاصلة قال الفراء قال اماما ولم يقل ايمة كما قال للاثنين انا رسول رب العالمين وقيل اراد به ايمة كقوله تعالى فانهم عدو لي والمعنى اجعل كل واحد منا اماما كما قال يخرجكم طفلا واما لاتحادهم واتفاق كلمتهم واما لانه مصدر في الاصل كصيام وقيام الثاني انه جمع امام كحلال وحلل او جمع امامة كقلادة وقلاد قال القفال وعندي ان الامام اذا ذهب به مذهب الاسم وحد كانه قيل اجعلنا حجة للمتقين ومثله البينة يقال هولاء بينة فلان قال الحسن نقتدي بالمتقين ويقتدي بنا المتقون وقال ابن عباس اجعلنا ايمة هداة كما قال وجعلناهم ايمة يهدون ولا تجعلنا ايمة ضلالة كقوله وجعلناهم ايمة يدعون الى النار وقيل هذا من المقلوب

اي واجعل المتقين لنا اماما واجعلنا مومنين مقتدين بهم قاله مجاهد فان قيل قد نزلت الاية في العشرة المبشرين بالجنة قال بعضهم هذه الاية تدل على وجوب طلب الرياسة في الدين والرغبة فيها قال ابراهيم عليه السلام واجعل لي لسان صدق في الاخرين واحتج اهل السنة بهذه الاية على ان فعل العبد مخلوق لله تعالى لان الامامة في الدين لا تكون الا بالعلم والعمل والعلم والعمل انما يكون بجعل الله وخلقه قال القاضي المراد من هذا السوال الالطاف التي اذا كثرت صاروا مختارين هذه الاشيا فيصيرون ايمة والجواب ان تلك الالطاف مفعولة لا محالة فيكون سوالها عبثا واعلم انه تعالى لما بين صفات المتقين المخلصين بين بعده احسانه اليهم وهو قوله تعالى اولئك يجزون الغرفة اي يثابون الغرفة وهي الدرجات العالية والغرفة مفعول ثان ليجزون والغرفة كل بناء مرتفع قال والجمع غرف قوله تعالى بما صبروا اي بصبرهم اي بسببه او بسبب الذي صبروه والاصل صبروا عليه ثم حذف بالتدريج والبا للسببية كما تقدم وقيل للبدل كقولهم فليت لي بهم قوما ولا حاجة الى ذلك وذكر الصبر ولم يذكر المصبور عنه ليعم جميع انواع المشاق ولا وجه لقول من يقول المراد الصبر على الفقر خاصة قوله تعالى ويلقون فيها قرا ابو بكر والاخوان بفتح اليا وسكون اللام من لقي يلقى والباقون بضمها وفتح اللام وتشديد القاف على بنايه للمفعول كقوله ولقاهم نضرة وسرورا والتحية الدعا بالتعمير اي بقاء دايما وقيل الملك والسلام الدعا بالسلامة او ليسلم بعضهم على بعض وهذه التحية والسلام يمكن من الله تعالى كقوله سلام قولا من رب رحيم ويمكن ان يكون من الملايكة كقوله سلام عليكم والملايكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم ويمكن ان يكون من بعضهم على بعض قوله تعالى خالدين فيها حسنت مستقرا ومقاما وصف ذلك بالدوام في قوله خالدين فيها وقوله حسنت مستقرا ومقاما اي موضع قرار واقامة وهذا في مقابلة قوله ساءت مستقرا ومقاما اي ما اسوا ذلك واحسن هذا قوله تعالى قل ما يعبوا بكم ربي قال مجاهد وابن زيد اي ما يصنع وما يفعل بكم وقال ابو عبيدة يقال ما عبات به شيئا اي لم اعده وجوده وعدمه سواء وقال الزجاج معناه لا وزن لكم عندي والعبو في اللغة الثقل وقال ابو عمرو بن العلا ما يبالي بكم ويقال ما عبات بك اي ما اهتممت ولا اكترثت ويقال عبات الجيش وعباته اي عبايه واعددته قوله تعالى لولا دعاوكم جوابها محذوف لدلالة ما تقدم اي لولا دعاوكم ما عباكم ولا اكترث وما يجوز ان تكون نافية وهو الظاهر وان تكون استفهامية بمعنى النفي ولا حاجة الى التجوز في شي يصح ان يكون حقيقة في نفسه ودعاوكم يجوز ان يكون مضافا للفاعل لولا تضرعكم اليه ويجوز ان يكون مضافا للمفعول اي لولا دعاوه اياكم للهدى

فصل في معنى هذا الدعا وجوه الاول لولا دعاوكم اياه في الشدايد كما قال واذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين الثاني لولا شكركم له على احسانه كقوله تعالى ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم الثالث لولا عبادتكم الرابع لولا ايمانكم وقيل المعنى ما خلقتكم ولي اليكم حاجة الا ان تسالوني فاعطيكم وتستغفروني فاغفر لكم وقيل المعنى قل ما يعبوا بخلقكم ربي لولا عبادتكم وطاعتكم اياه انه خلقكم لعبادته كما قال وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون قال ابن عباس ومجاهد وقيل معناه ما يبالي بمغفرتكم ربي لولا دعاوكم معه الهة او ما يفعل الله بعذابكم لولا شركتم كما قال ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم وامنتم قوله تعالى فقد كذبتم ايها الكافرون يخاطب اهل مكة يعني ان الله دعاكم بالرسول الى توحيده وعبادته فقد كذبتم الرسول ولم تجيبوه فقد كذب الكافرون قوله تعالى فسوف يكون لزاما اي فسوف يلزمكم اثر تكذيبكم وهذا عقاب الاخرة ونظيره ان يقول الملك لمن استعصى عليه ان من عادتي ان احسن الى من يعصيني فقد عصيت فسوف ترى ما احل بك بسبب عصيانك قوله تعالى لزاما قرا بالفتح بمعنى اللزوم كالثبات والثبوت قال ابن عباس موتا وقال ابو عبيدة هلاكا وقال ابن زيد قتالا والمعنى يكون التكذيب لازما لمن كذب فلا يعطى التوبة حتى يجازى بعمله وقال ابن جريج عذابا دايما لازما وهلاكا مفنيا يلحق بعضكم ببعض قال ابن مسعود وابي بن كعب ومجاهد ومقاتل هو يوم بدر قتل بهم عذاب الاخرة لازما قال عبد الله بن مسعود خمس مضين الدخان والقمر والروم والبطشة واللزام فسوف يكون لزاما روى الثعلبي عن ابي بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الفرقان بعثه الله يوم القيمة وهو يومن ان الساعة اتية لا ريب فيها وان الله يبعث من في القبور ودخل الجنة بغير حساب والله تعالى اعلم بالصواب

سورة الشعراء مكية مائتان وعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى طسم تلك ايات الكتاب المبين اظهر حمزة نون سين قبل الميم كانه ما نوى الوقف والا فادغامه واجب والباقون يدغمون وتقدم اعراب الحروف المقطعة وفي مصحف عبد الله ط س

مقطوعة بها من بعضها قيل وهي قراءة ابي جعفر يعنون انه يقف على كل حرف وقفة يميز بها كل حرف طا لا لم يقصد
ان يتلفظ بها على صورتها في هذا الرسم وقرا عيسى بن يعقوب ويروي عن نافع بكسر الميم هنا وفي القصص على البناء
واما ال طا الاخوان وابو بكر وقد تقدم وروي عكرمة عن ابن عباس قال طسم عجزت العلماء عن علم تفسيرها
وروي علي بن ابي طلحة الوالبي عن ابن عباس انه قسم وهو من اسماء الله تعالى وقال قتادة اسم من اسماء القران وقال
مجاهد اسم للسورة وقال محمد بن كعب القرظي قسم بطوله وسناه وملكه تلك ايات اي هذه ايات الكتاب المبين قوله تعالى
لعلك باخع نفسك قرا قتادة باخع نفسك على الاضافة والمعنى قاتل نفسك ان لا يكونوا مؤمنين اي ان لم يكونوا
ذلك حين كذبه اهل مكة فشق عليه ذلك وكان يحرص على ايمانهم فانزل الله هذه الاية وهذا تسلية للرسول
اي لا تبالغ في الحزن والاسف فصبره وعزاه وعرفه ان غمه وحزنه لا ينفع كما ان وجود الكتاب ووضوحه لا ينفع
قوله تعالى ان نشا ننزل العامة على نون العظمة فيهما وروي عن ابي عمرو بالياء فيهما اي ان يشاء الله ينزل وان
اصلها ان يدخل على المشكوك والمحقق المبهم زمانه والاية من هذا الثاني قوله تعالى فظلت عطف على ننزل فهو في محل
جزم ويجوز ان يكون مستانفا غير معطوف على الجزاء ويويد الاول قراءة طلحة فتظل بالمضارع قوله تعالى
خاضعين فيه وجهان احدهما انه خبر عن اعناقهم واستشكل جمعه جمع سلامة لانه مختص بالعقلاء واجيب عنه باوجه
الاول ان المراد بالاعناق الروسا كما قيل لهم وجوه وصدور وقال في محفل من نواصي الخيل مشهود الثاني على
حذف مضاف اي فظل اصحاب الاعناق ثم حذف وبقي الخبر على ما كان عليه لما اضيف الى العقلاء اكتسب منهم هذا الحكم
كما يكتسب التانيث بالاضافة بالمونث في قوله • كما شرقت صدر القناة من الدم • الرابع ان الاعناق جمع عنق من الناس
وهم الجماعة فليس المراد الجارحة البتة ومنه قوله • ان العراق واهله عنق • وهذا قريب من معنى الاول الا
ان هذا القائل يطلق الاعناق على جماعة الناس مطلقا رؤساء كانوا او غيرهم الخامس قال الزمخشري اصل الكلام فظلوا
خاضعين فاقحمت الاعناق لبيان موضع الخضوع وترك الكلام على اصله كقولهم ذهبت اهل اليمامة كان الاهل غير
مذكور قال الشهاب الدين وفي التنظير بقوله ذهبت اهل اليمامة كان الاهل غير مذكور نظر لان اهل ليس مقحما البتة
لانه المقصود بالحكم واما التانيث فلاكتسابه التانيث السادس انها عوملت معاملة العقلاء لما اسند اليهم
ما يكون فعل العقلاء كقوله ساجدين وطائعين في يوسف والسجدة وقيل انما قال خاضعين لموافقة رؤس الاي
الثاني انه منصوب على الحال من الضمير في اعناقهم قاله الكسائي وضعفه ابو البقا قال لان خاضعين هم قال الشهاب الدين
ولم يجز خاضعين في اللفظ والمعنى لا على من هو له وهو الضمير في اعناقهم والمسالة التي قالها هي ان يجري الوصف على
غير من هو له في اللفظ دون المعنى فكيف يلزم ما الزمه به على انه لو كان كذلك لم يلزم ما قاله ولو ضعفه بمجي الحال من
المضاف اليه لكان اقرب على انه لا يضعف لان المضاف جزء من المضاف اليه كقوله ما في صدورهم من غل اخوانا قوله
وما ياتيهم من ذكر وعظ وتذكير قوله تعالى من الرحمن محدث صفة محدث في الانزال او التنزيل قال الكلبي كلما نزل من
القران شي بعد شي فهو احدث من الاول قوله تعالى الا كانوا جملة حالية وتقدم تحقيق هذا وما قبله في الانبيا
ومعنى معرضين اي عن الايمان به قوله تعالى فقد كذبوا اي بلغوا النهاية في رد ايات الله فسياتيهم اي فسوف ياتيهم
انبا اخبار وعواقب ما كانوا به يستهزءون وذلك اما عند نزول العذاب عليهم في الدنيا او عند المعاينة في الاخرة
كقوله تعالى المتقدم ولتعلمن نباه بعد حين قوله تعالى اولم يروا الى الارض كم انبتنا فيها من كل زوج صنف
والكريم صفة لكل ما يرضى ويحمد في بابه يقال وجه كريم اذا كان مرضيا في حسنه وجماله وكتاب كريم اذا كان مرضيا في
فوائده ومعانيه والنبات الكريم هو المرضي في منافعه مما ياكل الناس والانعام يقال نخلة كريمة اذا طاب حملها وناقة
كريمة اذا كثر لبنها قال الشعبي الناس مثل نبات الارض فمن دخل الجنة فهو كريم ومن دخل النار فهو لئيم قوله تعالى كم
انبتنا كم للتكثير فهي خبرية وهي منصوبة بما بعدها على المفعول به اي كثيرا من الازواج انبتنا ومن كل زوج تمييز
وجوز ابو البقا ان يكون حالا لا معنى له قال الزمخشري فان قلت ما معنى الجمع بين كم وكل ولو قيل انبتنا فيها من كل
زوج قلت قد دل كل على الاحاطة بازواج النبات على سبيل التفصيل وكم على ان هذا المحيط متكاثر مفرط في الكثرة
قوله تعالى ان في ذلك الذي ذكرت دلالة على وجودي وتوحيدي وكمال قدرتي وقوله للمؤمنين كقوله
تعالى هدى للمتقين لانهم المنتفعون بذلك وما كان اكثرهم مؤمنين مصدقين اي سبق علمي فيهم ان اكثرهم لا يؤمن
وقال سيبويه كان هاهنا صلة مجازة وما اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم فاما قدم ذكر العزيز
على ذكر الرحيم لانه لو لم يقدمه لكان ربما قيل انه رحيم لعجزه عن عقوبتهم فازال الله هذا الوهم وذكر العزيز وهو
الغالب القاهر ومع ذلك انه رحيم بعباده فان الرحمة اذا كانت من القدرة الكاملة كانت اعظم وقعا فان قيل

من ذكر الازواج ودل عليها بكلمتي الكثرة والاحاطة وكان لا يحصيها الا عالم الغيب فكيف قال ان في ذلك لاية
وهلا قال لايات فالجواب من وجهين احدهما ان يكون ذلك مشارا به الى مصدر انبتنا فكانه قال ان في ذلك الانبات
لاية والثاني ان يراد ان لكل واحد من تلك الازواج اي فيها لاية قوله تعالى واذ نادى ربك موسى العامل
في اذ نادي مضمر فقدره الزجاج اتل وقدره غيره اذكر واختلف في النداء الذي ذكره سمعه موسى عليه السلام من الله
تعالى فقيل هو الكلام القديم فكما ان ذاته تعالى لا تشبه سائر الذوات مع ان الدليل دل على انها معلومة ومرئية فكذا
كلامه منزه عن مشابهة الحرف والصوت مع انه مسموع وقيل كان نداء من جنس الحروف والاصوات وقالت المعتزلة كان
ذلك النداء حروفا واصواتا علم به موسى من قبل الله تعالى فصار معجزا علم به موسى ان الله تعالى مخاطبا له فلم يحتج مع ذلك
الى واسطة قوله تعالى ان ائت القوم الظالمين يجوز ان يكون ان مفسرة وان تكون مصدرية اي بان قوله تعالى
قوم فرعون بدل او عطف بيان للقوم الظالمين وقال ابو البقا انه مفعول يتقون على قراءة من قرا يتقون بالخطاب
وفتح النون كما سياتي ويجوز على هذه القراءة ان تكون منادى قوله تعالى الا يتقون العامة على اليا في يتقون
وفتح النون والمعنى قوم فرعون والمفعول محذوف اي يتقون عقابي والتقدير يا قوم فرعون وقرا بعضهم يتقون
بالياء من تحت وكسر النون وفيها تخريجان احدهما ان يتقون مضارع ومفعوله يا المتكلم اجتزي عنها بالكسرة والثاني
جوزه الزمخشري ان يكون يا للندا واتقون فعل امر كقوله الا يسجدوا اي يا قوم اتقون او يا ناس اتقون وسياتي تحقيق
مثل هذا في السورة تحتها وهذا التخريج بعيد وفي هذه الجملة وجهان الاول انها مستانفة لا محل لها من الاعراب وجوز
الزمخشري ان تكون حالا من الضمير قوله تعالى قال رب اني اخاف ان يكذبون لما امر موسى عليه السلام بالذهاب الى قوم
فرعون طلب موسى عليه السلام ان يبعث معه هارون عليه السلام ذكرا للامور الداعية الى ذلك قوله تعالى ويضيق صدري
ولا ينطلق العامة على الرفع قوله تعالى فارسل اي فارسل جبريل والملك قوله تعالى ولهم علي ذنب اي دعوى ذنب
وهو قتل القبطي اي لهم علي ذنب في زعمهم فاخاف ان يقتلون قال الله تعالى كلا اي لن يقتلوك قوله تعالى فاذهبا
عطف على ما دل عليه حرف الردع من الفعل كانه قيل ارتدع عما تظن فاذهب انت واخوك باياتنا انا معكم مستمعون
اي سامعون ما تقولون بلفظ الجمع وهما اثنان اجراهما مجرى الجمع وقيل اراد معكما ومع بني اسرائيل نسمع ما يجيبكم فرعون
قوله تعالى فاتيا فرعون فقولا انا رسول رب العالمين انما افرد رسول اما لانه مصدر بمعنى رسالة والمصدر يوحد
ومن مجيء رسول بمعنى رسالة قوله • لقد كذب الواشون ما فهت عندهم • بسر ولا ارسلتهم برسول •
اي برسالة واما لانهما ذوا شريعة واحدة فنزلا منزلة رسول واما لان المعنى كل واحد منا رسول واما لانه من وضع
الواحد موضع التثنية لتلازمهما فصارا كالشيئين المتلازمين كاليدين والعينين وحيث لم يقصد هذه المعاني
طابق في قوله انا رسولا ربك قوله تعالى الم نربك فينا وليدا اعلم ان في الكلام حذفا وهو انهما اتياه وقالا له ما
امرا به فعند ذلك قال فرعون ما قال روي انهما انطلقا الى باب فرعون فلم يؤذن لهما سنة حتى قال البواب ان هاهنا
انسانا يزعم انه رسول رب العالمين فقال ائذن له لعلنا نضحك منه فاديا الرسالة فعرف موسى فعدد عليه نعمه اولا
ثم اساءه موسى ثانيه اما النعم فقوله تعالى الم نربك فينا وليدا والوليد الصبي لقرب عهده من الولادة وقيل الغلام
تسمية له بما كان عليه ووليدا حال من مفعول وهو فعيل بمعنى مفعول قوله تعالى ولبثت فينا من عمرك سنين
قرا ابو عمرو في رواية بسكون ميم عمرك تخفيفا الفعل ومن عمرك حال من سنين قيل لبث عندهم ثلاثين سنة وقيل وكز
القبطي وهو ابن اثنا عشر سنة قوله تعالى وفعلت فعلتك قرا الشعبي فعلتك بالكسر على الهيئة لانها نوع من القتل
وهو الوكزة وانت من الكافرين يجوز ان يكون حالا قال ابن عباس اي وانت من الكافرين لنعمتي اي وانت اذ ذاك ممن تكفرهم
الساعة وقد افترى عليه او جهل امره لانه كان يعاشرهم بالتقية فان الكفر غير جائز على الانبياء قبل النبوة وان
يكون مستانفا معناه وانت ممن عادته كفران النعم ومن كانت هذه عادته لم يستبعد منه قتل خواص ولي نعمه وقيل
من الكافرين بفرعون والاهيته ومن الذين يكفرون في دينهم فقد كانت لهم الهة يعبدونها بدليل قوله تعالى ويذرك
والهتك قوله تعالى قال فعلتها اذا وانا من الضالين اذن هنا حرف جواب فقط قال الزمخشري انها جواب وجزاء
معا قال قوله اذن حرف جواب وجزاء معا والكلام وقع جوابا لفرعون فكيف وقع جزاء فصل قول فرعون
وفعلت فعلتك فيه معنى انك جازيت نعمتي بما فعلت فقال له موسى نعم فعلتها مجازيا لك تسليما لقوله كان نعمته كانت
عنده جديرة بان تجازى مثل ذلك الجزاء قال ابو حيان وهذا مذهب سيبويه يعني انها للجزاء والجواب معا قال ولكن
شراح الكتاب فهموا انه قد يتخلف عن الجواب والجزاء معنى لازم لها اعلم ان فرعون عدد عليه نعمه من تربيته وتبليغه مبلغ الرجال
ووبخه بما جرى على يده من قتل اجناده وعظم ذلك بقوله وفعلت فعلتك التي فعلت فلما ذكر فرعون التربية وذكر القتل

وكانت تربيته معلومة ما انكرها موسى عليه السلام وقد تقرر في العقول ان الرسول الى الغير اذا كان معه
معجزة وحجة لم يتغير حاله بان يكون المرسل اليه انعم عليه او لم ينعم فصار قول فرعون غير مؤثر فالاعراض عنه اولى
ولكن اجاب عن الشيء القتل بما لا شيء ابلغ منه في الجواب فقال فعلتها اذن وانا من الضالين اي من الجاهلين اي لم ياتني
من عند الله شيء او من الجاهلين بان ذلك يؤدي الى قتله لانه وكزه تاديبا ومثل ذلك ربما حسن وقيل من المخطئين
فبين انه فعله على وجه لا يجوز المؤاخذة به فيعد كافرا للنعمة **قوله تعالى** ففررت منكم لما خفتكم العامة على تشديد
ميم لما وهي لما التي هي حرف وجوب عند سيبويه او بمعنى حين عند الفارسي وروي عن حمزة بكسر اللام وتخفيف الميم
اي لتخويفي منكم وما مصدرية وهذه القراءة تشبه قراءته في آل عمران لما اتيتكم وقد تقدمت مستوفاة قال الزمخشري
انما اختلف الضمير في منكم وخفتكم مع افراده في تمنها وعبدت لان الخوف والفرار لم يكونا منه وحده ولكن منه ومن ملائه
المؤتمرين بقتله كقوله تعالى ان الملأ ياتمرون بك ليقتلوك واما الامتنان والتعبيد فمنه وحده فان قيل والمعنى
اني فعلت ذلك الفعل وانا جاهل من كونه مهلكا وكان مني في حكم السهو فلم استحق التخويف الذي يوجب الفرار ومع ذلك
فررت منكم لما خفتكم عند قولكم ان الملأ ياتمرون بك ليقتلوك فبين بذلك ان لا نعمة عليه في الفعلة بل يكون مسيئا فيه
[illegible] فالجواب قد ورد الفرار على اربعة اوجه الاول بمعنى الهرب كهذه الاية ومنه قل لن ينفعكم الفرار ان فررتم من
الموت او القتل الثاني بمعنى الكراهية قل ان الموت الذي تفرون منه اي تكرهونه الثالث بمعنى اشتغال المرء بنفسه
قال تعالى يوم يفر المرء من اخيه وامه وابيه اي لا يلتفت اليهم لاشتغاله بنفسه الرابع بمعنى التباعد لقوله تعالى فلم يزدهم
دعائي الا فرارا اي تباعدا ثم بين نعم الله عليه بعد الفرار فكانه قال اساتم واحسن الله الي بان وهب لي حكما فراعيتم
حكما بعلمكا فاتباعا والمراد بالحكم العلم والفهم قاله مقاتل وقيل النبوة والاول اقرب لان المعطوف غير المعطوف عليه
والنبوة مفهومة من قوله وجعلني من المرسلين **قوله تعالى** وتلك نعمة فيه قولان الاول انه خبر على سبيل التهكم اي ان كان
ثم نعمة فليست الا ان تمن علي لانك جعلت قومي عبيدا لك وهل حرف استفهام محذوف بمعنى الفهم المعنى اي او تلك
وهذا مذهب الاخفش وجعل من ذلك قوله • افرح ان ازرا الكرام وفد • وتقدم هذا مستوفى في الا
عند قوله وما اصابك من سيئة فمن نفسك وعند غيره قال الزمخشري فان قلت تلك اشارة الى ماذا قلت
اشارة الى خصلة شنعاء مبهمة لا يدري ما هي الا بتفسيرها **قوله تعالى** ان عبدت فيه اوجه الاول انها في
محل رفع عطف بيان لتلك كقوله وقضينا اليه ذلك الامر ان دابر هؤلاء مقطوع الثاني انها في محل نصب مفعولا
من اجله الثالث انها بدل من نعمة الرابع انها بدل من هاء تمنها الخامس انها مجرورة بباء مقدرة اي بان عبدت
السادس انها خبر مبتدا اي هي ان عبدت السادس انها خبر مبتدا اي هي ان عبدت السابع انها منصوبة باضمار اعني
والجملة من تمنها صفة لنعمة وتمن يتعدى بالباء فقيل هي محذوفة اي تمن بها وقيل ضمن تمن معنى تذكر ويقال عبدت
الرجل واعبدته وتعبدته واستعبدته اذا اتخذته عبدا **فصل** اختلفوا في تاويل ان عبدت فحملها بعضهم
على الاقرار وبعضهم على الانكار وعلى كلا القولين فهو جواب لقوله الم نربك فينا وليدا فمن قال هو اقرار قال عد
موسى نعمة منه عليه حيث رباه ولم يقتله كما قتل سائر غلمان بني اسرائيل ولم يستعبده كما استعبد بني اسرائيل اي تلك
وتلك نعمة تمنها علي ان عبدت بني اسرائيل وتركتني ولم تستعبدني ومن قال هو انكار قال قوله وتلك نعمة هو على
طريق الاستفهام كقوله فهم الخالدون وقال الشاعر • تروح من الحي ام تبتكر • وماذا يضرك لو تنتظر •
اي اتروح من الحي وقال عمر بن عبد الله ابن ابي ربيعة • لم انس يوم الرحيل وقفتها • وطرفها في دموعها غرق •
وقولها والركاب واقفة • تتركني هكذا وتنطلق • اي اتتركني فيقول تمن علي ان ربيتني وتنسى جنايتك على
بني اسرائيل بالاستعباد والمعاملة القبيحة او يريد كيف تمن علي بالتربية وقد اعبدت اي استعبدت قومي ومن
اهين قومه ذل فتعبدك بني اسرائيل قد احبط احسانك الي وقال الحسن انك استعبدت بني اسرائيل واخذت
اموالهم وانفقت منها علي فلا نعمة لك بالتربية وقيل ان الذين تولوا تربيتي هم الذين استعبدتهم فلا نعمة
لك علي لان التربية كانت من قبل امي ومن قومي ليس لك الا مجرد الاسم وهذا ما يعد انعاما وقيل معناه
تمن علي بالتربية وانت لولا استعبادك بني اسرائيل وقتلك اولادهم لما رفعت اليك لما ربيتني وكفلتني فانه
كان لي من اهلي من يربيني ويكفلني ولم يلقوني في اليم فاي نعمة لك علي وقيل معناه انك تدعي ان بني اسرائيل عبيدك
ولا منة للمولى على العبد في تربيته **قوله تعالى** قال فرعون وما رب العالمين انما اتى بما دون من لانه سال به
عن طلب الماهية كقولك ما العنقاء ولما كان سؤال هذا لم يمكن عند موسى عليه السلام الجواب ممكن فاجاب
بصفاته تعالى وخص تلك الصفات لانه لا يشاركه فيها احد وفيه ابطال الدعواه انه اله وقيل جهل السؤال فاتي بما

دون من ولم يبين شيء وقيل انما سال عن الصفات ذكره ابو البقاء وليس بشيء لان اهل البيان نصوا على انها لطلب الحقيقة
وقد جاء من في قوله فمن ربكما يا موسى **فصل** اعلم ان فرعون لم يقل وما رب العالمين الا وقد دعاه موسى
الى طاعة رب العالمين ويدل على ذلك قوله تعالى فاتيا فرعون فقولا انا رسول رب العالمين فلابد من انهما قالا ذلك
حين دخلا عليه فعند ذلك قال فرعون وما رب العالمين يقول اي شيء رب العالمين الذي تزعم انك رسوله اي
ببين صفة الاله الذي ارسله اليه وهو سؤال عن جنس الشيء والله منزه عن الجنسية فاجابه موسى عليه السلام بذكر
افعاله التي يعجز الخلق عن الاتيان بمثلها فقال رب السموات والارض وما بينهما ان كنتم موقنين انه خلقها قال اهل المعاني
كما توقنون هذه الاشياء التي تعاينوها ايقانا بالجنسين كما فعل ذلك في قوله • بين رماحي مالك ونهشل •
ولما ذكر موسى عليه السلام هذا الجواب الحق تحير فرعون في جواب موسى فقال لمن حوله من اشراف قومه قال ابن عباس كانوا خمسما
الا تستمعون على سبيل التعجب من جواب موسى اما طلب منه الماهية وهو يجيبني بالفاعلية وقيل استبعد جواب موسى
وقال الا تستمعون لانهم كانوا يعتقدون ان الهتهم ملوكهم فزادهم موسى بيانا فقال ربكم ورب ابائكم الاولين فعدل عن التعريف
بخالقية السموات والارض الى التعريف بكونه تعالى خالقنا ولابائنا وذلك انه يمكن ان يعتقد ان السموات والارض واجبة
لذواتها فهي غنية عن الخالق ولا يمكن ان يعتقد في نفسه وفي ابائه واجداده كونهم واجبين لذواتهم لان المشاهدة دلت على
انهم وجدوا بعد العدم وعدموا بعد الوجود وما كان كذلك استحال ان يكون واجبا لذاته واستحال وجوده الا بالموثر فكان
التعريف بهذا الاثر اظهر فلهذا عدل موسى عليه السلام اليه فقال ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون يعني ان المقصود من سؤال
طلب الماهية والحقيقة والتعريف بهذه الاثار الخارجية لا تفيد البتة تلك الخصوصية فهذا الذي يدعي الرسالة مجنون
لا يفهم السؤال فضلا عن ان يجيب عنه فقال موسى عليه السلام رب المشرق والمغرب وما بينهما ان كنتم تعقلون فعدل الى طريق
ثالث اوضح من الثاني وذلك انه اراد بالمشرق طلوع الشمس وظهور النهار واراد بالمغرب غروب الشمس وزوالها والامر ظاهر لان
هذا التدبير المستمر على الوجه العجيب لا يتم الا بتدبير مدبر وهذا بعينه طريقة ابراهيم عليه السلام مع نمرود فانه استدل اولا بالاحيا
والاماتة وهو الذي ذكره موسى عليه السلام بقوله ربكم ورب ابائكم الاولين فاجابه نمرود وانا احيي واميت فقال ان
الله ياتي بالشمس من المشرق فات بها من المغرب فبهت الذي كفر وهو الذي ذكره موسى عليه السلام بقوله رب المشرق والمغرب
واما قوله ان كنتم تعقلون فكانه عليه السلام قال ان كنتم من العقلاء عرفتم انه لا جواب عن سؤالك الا ما ذكرت لانك
طلبت مني تعريف حقيقته ولا يمكن تعريف حقيقته بنفس حقيقته ولا باجزاء حقيقته فلم يبق الا ان اعرف حقيقته بآثار
حقيقته فمن كان عاقلا يقطع بانه لا جواب عن سؤالك الا ما ذكرته واعلم ان حقيقته غير معقولة للبشر فيستحيل من موسى
عليه السلام ان يذكر ما يعرف الحقيقة الا ان عدم العلم بتلك الخصوصية لا يقدح في صحة الرسالة فلما انقطع فرعون عن الجواب
لزمه الحجة تكبر عن الحق وعدل الى التخويف وقال لئن اتخذت الها غيري لاجعلنك من المسجونين قال الكلبي كان سجنه اشد من القتل
لانه كان ياخذ الرجل فيطرحه في مكان وحده فردا لا يسمع ولا يبصر فيه شيئا يهوي به في الارض وقال لاجعلنك من المسجونين
ولم يقل لاسجننك وهو اخصر منه لان فيه مبالغة ليست في ذلك اذ معناه لاجعلنك ممن عرفت حاله في سجوني فعند ذلك
ذكر موسى كلاما مجملا ليتعلق قلبه به فيعدل عن وعيده فقال اولو جئتك بشيء مبين اي هل يحسن ان تذكر هذا مع اقتداري
لان اتيك بدليل يدل على وجود الله وعلى اني رسوله فعند ذلك قال فات به ان كنت من الصادقين وانما قال موسى
ذلك لان من اخلاق الناس السلوك الى الانصاف والاجابة الى الحق بعد التبيين فقال فرعون فات به فانا لن نسجنك حينئذ
ان كنت من الصادقين فان **قيل** كيف قطع الكلام بما لا تعلق له بالاول وهو قوله تعالى اولو جئتك بشيء مبين اي
باية بينة والعجز لا يدل على الله لدلالة سائر ما تقدم فالجواب بل يدل على ما اراد اذ يظهره من انقلاب العصا حية على
الله وعلى توحيده وعلى انه صادق في ادعاء الرسالة فالذي ختم به كلامه اقوى من كل ما تقدم والواو في قوله اولو جئتك
واو الحال دخلت عليها همزة الاستفهام والمعنى انفعل بي ذلك ولو جئتك بشيء مبين اي جائيا بالمعجزة وقال الحوفي هي واو
العطف وتقدم تحرير هذا عند قوله اولو كان اباؤهم في البقرة وغالب الجمل هنا تقدم اعرابها **قوله تعالى** فالقى
عصاه فاذا هي ثعبان مبين ونزع يده فاذا هي بيضاء للناظرين اعلم ان قوله اولو جئتك بشيء مبين يدل على ان الله تعالى
عرفه قبل القاء العصا بانها تصير ثعبانا فلذلك قال ما قال فلما القى عصاه صارت ثعبانا وروي انها لما انقلبت حية
ارتفعت في السماء قدر ميل ثم انحطت مقبلة الى فرعون تقول يا موسى مرني بما شئت ويقول فرعون اسالك بالذي ارسلك
الا اخذتها فاخذها فعادت عصا فان **قيل** كيف قال ثعبان مبين وفي اية اخرى حية تسعى وفي اية اخرى كانها جان
والجان ما يميل الى الصغر والثعبان الى الكبر فالجواب ان الحية اسم جنس ثم لكبرها صارت ثعبانا وشبهها بالجان لخفتها
وسرعتها فصح الكلامان ويحتمل انه شبهها بالشيطان لقوله تعالى والجان خلقناه من قبل من نار السموم ويحتمل انها كانت

صغيرة كالجان ثم كبرت وعظمت فصارت ثعبانا ثم ان موسى عليه السلام لما اراه اية العصا قال فرعون بل غيرها
قال نعم فاراه يده ثم ادخلها جيبه ثم اخرجها فاذا هي بيضاء يضيء الوادي من شدة بياضها من غير برص لها شعاع كشعاع
الشمس فعند هذا اراد فرعون تعمية هذه الحجة على قومه فذكر امورا منها قال لهم ان هذا الساحر عليم وكان زمانهم زمان
السحر وان هذا كيس من السحرة الثاني قال يريد ان يخرجكم من ارضكم بسحره وهذا موجب للتنفير عنه لئلا يقبلوا قوله
لان المرء يفرق جمعكم بما يلقيه من العداوة بينكم ومفارقة الوطن اصعب الامور وهذا نهاية ما يفعله المضل المنفر عن الحق
الثالث قوله فماذا تامرون اي ما رايكم فيه فاظهر لهم من نفسه اني متبع لرايكم ومثل هذا يوجب جذب القلوب وانصرافها عن
العدو **قوله تعالى** حوله حال من الملا ومفعول القول قوله ان هذا الساحر عليم وقيل صلة للملا فقيل انه بمعنى الذي
وقيل الموصول محذوف وهما قولان للكوفيين قال الزمخشري فان قلت قوله تعالى للملا حوله ما العامل في حوله قلت
هو منصوب نصبين نصب في اللفظ ونصب في المحل والعامل في النصب اللفظي ما تقدم في الظرف والعامل في النصب
المحلي هو النصب على الحال ارجئه وارجه بالهمز والتخفيف لما قال لهم فرعون تلك الكلمات اتفقوا على جواب واحد وهو قولهم
ارجئه قرئ ارجئه وارجه بالهمز والتخفيف وهما لغتان يقال ارجيته وارجاته اذا اخرته والمعنى اخره ومناظرته لوقت اجتماع
السحرة وقيل احبسه وابعث في المدائن حاشرين يأتوك بكل سحار عليم اشاروا عليه بانفاذ حاشرين يجمعون السحرة ظنا منهم
بانهم اذا كثروا غلبوه وكشفوا حاله وعارضوا قوله ان هذا الساحر عليم بكل سحار عليم فجاؤا بكلمة الاحاطة وبصيغة المبالغة
ليطيبوا قلبه **قوله تعالى** فجمع السحرة لميقات يوم معلوم اليوم المعلوم يوم الزينة قال ابن عباس وافق ذلك يوم السبت واول
يوم من السنة وهو يوم النيروز وميقاته وقت الضحى ولانه الوقت الذي وقت لهم موسى عليه السلام من يوم الزينة في قوله
موعدكم يوم الزينة وان يحشر الناس ضحى **قوله تعالى** وقيل للناس هل انتم مجتمعون فالمعنى انهم بعثوا على الحضور ليشاهدوا
ما يكون من الجانبين ولمن تكون الغلبة وكان موسى عليه السلام يطلب ذلك ليظهر حجته عليهم عند الخلق العظيم **قوله تعالى**
لعلنا نتبع السحرة اي نرجوا ان تكون الغلبة لهم ان كانوا هم الغالبين لموسى وقيل انما قالوا ذلك على طريق الاستهزاء وارادوا
بالسحرة موسى وهارون وقومهما فلما جاء السحرة قالوا لفرعون اين لنا لاجرا ان كنا نحن الغالبين قال نعم وانكم اذا لمن
المقربين لانها نهاية مطلوبهم البذل ورفع المرتبة **قوله تعالى** قال لهم موسى القوا ما انتم ملقون **فصل**
اعلم لما اجتمعوا كان لا بد من ابتداء موسى او ابتدائهم ثم انهم تواضعوا فقدموه على انفسهم وقالوا له اما ان تلقي واما ان
نكون نحن الملقين فلما تواضعوا تواضع هو ايضا لهم فقدمهم على نفسه وقال القوا ما انتم ملقون فان قيل كيف جاز لموسى
عليه السلام ان يامر السحرة بالقاء الحبال والعصي وذلك سحر وتلبيس وكفر والامر بمثله لا يجوز فالجواب ليس لذلك الامر
بل مراد موسى عليه السلام منهم ان يوتوا به ولا يقدموا على ما يجري مجرى المقاتلة واذا ثبت ذلك وجب تاويل صيغة الامر
وفيه وجوه احدها ان ذلك الامر كان مشروطا والتقدير القوا ما انتم ملقون ان كنتم محقين كقوله فاتوا بسورة من مثله
ان كنتم صادقين اي ان كنتم قادرين فلما تعين ذلك وقع تابعا لما تعين ذلك طريقا الى كشف الشبهة صار جائزا الثاني
ان هذا ليس بامر بل تهديد اي ان فعلتم ذلك اتينا بما يبطله كقول القائل لئن رميتني لافعلن ولاصنعن ثم يفوق له
السهم فيقول له ارم فيكون منه تهديدا رابعها انهم لما تواضعوا وقدموه على انفسهم فقدمهم على نفسه رجاء ان يصير تواضعه
سببا لقبول الحق وقد حصل ببركة ذلك التواضع ذلك المطلوب **قوله تعالى** فالقوا حبالهم وعصيهم روي عن ابن
عباس قال كانت الحبال مطلية بالزيبق والعصي مجوفة مملوة بالزيبق فلما حميت اشتد حركتها فصارت كانها حيات
تدب من كل جانب الارض **قوله تعالى** بعزة فرعون يجوز ان يكون قسما وجوابه انا لنحن الغالبون ويجوز ان يتعلق
بمحذوف اي نغلب بسبب عزتك يدل عليه ما بعده ولا يجوز ان يتعلق بالغالبون لان ما في خبر ان لا يتقدم عليها
قوله تعالى فالقى موسى عصاه فاذا هي تلقف ما يافكون تقدم خلاف القراء في تلقف وقال ابن عطية هنا وقرا البزي
وابن فليح بتشديد التاء وفتح اللام وتشديد القاف ويلزم على هذه القراءة اذا ابتدئ ان يجتلب همزة الوصل وهمزة الوصل
لا تدخل على افعال المضارعة كما لا تدخل على اسماء الفاعلين قال ابو حيان كانه يخيل اليه انه لا يمكن الابتداء بالكلمة الا
باجتلاب همزة الوصل وليس بلازم كثيرا ما يكون الوصل مخالفا للوقف والوقف مخالفا للوصل ومن له تمرن في القراءات
عرف ذلك قال الشهاب السمين يريد بقوله فاذا هي تلقف كان البزي يشدد التاء اذ الاصل تتلقف بتاءين فادغم فاذا وقف
على هي وابتدا بتلقف فانه يفك ولا يدغم لئلا يبتدا بساكن وهو جائز ممكن وقول ابن عطية ويلزم على هذه القراءة الى اخره
تضعيف للقراءة لما ذكره هو من ان همزة الوصل لا تدخل على فعل المضارع ولا يمكن الابتداء بالساكن فمن ثم ضعفت
وجواب الشيخ بمنع الملازمة حسن لانه كان ينبغي ان يبدل لفظة الوقف بالابتداء لانه هو الذي وقع الكلام فيه اعني
الابتداء بكلمة تلقف **قوله تعالى** فالقي قال الزمخشري فان قلت فاعل الالقاء ما هو لو صرح به قلت هو الله عز وجل

ثم قال وذلك ان لا تقدير فاعلا لان القي بمعنى خروا وسقطوا قال ابو حيان وهذا ليس بشيء لانه لا يبنى الفعل للمفعول الا
وله فاعل ينوب المفعول به عنه اما انه لا يقدر له فاعل فقول ذاهب عن الصواب **فصل** تقدم الكلام على نظير
هذه الاية واعلم ان السحرة لما شاهدوا امرا خارجا عن حد السحر لم يتمالكوا ان رموا بانفسهم الى الارض ساجدين وقالوا آمنا
برب العالمين **قوله تعالى** رب موسى وهارون عطف بيان لرب العالمين لان فرعون كان يدعي الربوبية فاراد عزله
ومعنى اضافته اليهما في ذلك المقام انه الذي دعا موسى وهرون عليهما السلام اليه **قوله تعالى** آمنتم له قبل ان آذن
لكم الآيات لما آمنوا بجمعهم لم يامن فرعون ان يقول قومه ان هؤلاء السحرة على كثرتهم وبصيرتهم لم يؤمنوا الا عن معرفة
بصحة امر موسى عليه السلام فيسلكوا طريقتهم فلبس على قومه وبالغ في التنفير عن موسى من وجوه الاول قوله قبل ان آذن لكم
والمعنى ان مسارعتكم الى الايمان به دالة على ميلكم اليه فتطرقوا التهمة اليهم فلعلهم قصروا في السحر حبا له الثاني قوله انه لكبيركم
الذي علمكم السحر وهذا تصريح بما رمز به اولا وتعريض منه بانهم فعلوا ذلك عن مواطاة بينهم وبين موسى وقصروا في السحر
ليظهروا امر موسى والا ففي السحرة ان يفعلوا مثل ما فعل وهذه شبهة مؤثرة في تنفير من قبل الثالث قوله فسوف تعلمون وهو
وعيد وتهديد شديد الرابع قوله لاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف ولاصلبنكم اجمعين وهذا الوعيد مفصل وليس
في الاهلاك اقوى منه ثم انهم اجابوا عن هذه الكلمات من وجهين احدهما قوله تعالى لا ضير انا الى ربنا منقلبون والمضرة
واحد وليس المراد ان ذلك ان وقع فانما عنوا بالاضافة الى ما عرفوه من دار الجزاء الجواب الثاني **قوله تعالى** انا نطمع ان
يغفر لنا ربنا خطايانا وهو اشارة منهم الى الكفر والسحر وغيرهما والطمع في هذا الموضع يحتمل اليقين كقول ابراهيم عليه السلام
والذي اطمع ويحتمل الظن لان المرء لا يعلم ما يختاره من قبل **قوله تعالى** ان كنا قرا العامة بفتح ان اي لان كنا
وقرا ابان بن تغلب وابو معاذ بكسر الهمزة وفيه وجهان احدهما انها شرطية والجواب محذوف لفهم المعنى او متقدم عند من
يجيزه والثاني انها المخففة من الثقيلة واستغني عن اللام الفارقة لارشاد المعنى الى الثبوت دون النفي كقوله
فان مالك كانت كرام المعادن • وفي الحديث ان كان رسول الله يحب العسل اي يحب والمعنى لان كنا اول المؤمنين
من الجماعة الذين حضروا ذلك الوقت او يكون المراد من السحرة خاصة او من رعية فرعون او من اهل زمانهم **قوله تعالى**
واوحينا الى موسى ان اسر بعبادي قرئ ان اسر بقطع الهمزة ووصلها لما ظهر من امر موسى عليه السلام ما شاهدوه امره الله ان
يخرج ببني اسرائيل لما كان في المعلوم من تدبير الله وتخليصهم من القوم وتمليكهم بلادهم واموالهم ولم يامن وقد جرت
تلك الغلبة الظاهرة ان يقع من فرعون ببني اسرائيل وهم الذين امنوا وكانوا من قوم موسى عليه السلام واعلم ان في الكلام
حذفا وهو انه اسرى بهم كما امره الله تعالى ثم ان قوم موسى قالوا لقوم فرعون ان لنا في هذه الليلة عيدا ثم استعاروا
منهم حليهم بهذا السبب ثم خرجوا بتلك الاموال في الليل الى جانب البحر فلما سمع فرعون بذلك ارسل في المدائن حاشرين يحشرون
الناس يعني الشرطة ليجمعوا السحرة وقيل ليجمعوا الجيش روي انه كان له الف مدينة واثنا عشر الف قرية وحاشرين مفعول
ارسل ثم انه قوى نفسه ونفس قومه بالاوصاف وقوم موسى بالذم ووصف قوم نفسه بالمدح اما وصفه قوم موسى
بالذم فقال ان هؤلاء لشرذمة معمول القول مضمرا اي قال ان هؤلاء وهذا القول يجوز ان يكون حالا اي ارسلهم قائلا
ذلك ويجوز ان يكون مفسرا لارسل والشرذمة الطائفة من الناس وقيل كل بقية من شيء خسيس يقال لها شرذمة ويقال
شراذم اي اخلاق قال الشاعر • جاء الشتاء وقميصي اخلاق • شراذم يضحك منه الخلاق •
وانشد ابو عبيد في شراذم النعال وجمع الشرذمة شراذم فذكرهم بالاسم الدال على القلة ثم جمعهم قليلا بالوصف
ثم جمع القليل فجعل كل حزب منهم قليلا واختار جمع السلامة الذي هو جمع القلة ويجوز ان يريد بالقلة الذلة لا قلة
العدد اي انهم لقلتهم لا يبالي بهم قال ابن عباس كان الشرذمة الذين قللهم ستمائة الف مقاتل لا شاب فيهم دون عشرين
سنة ولا شيخ يوفي على الستين سوى الحشم وفرعون يقللهم لكثرة من معه وهذا الوصف قد استعمل في الكثير عند الاضافة
الى ما هو اكثر منه وروي ان فرعون خرج على فرس ادهم حصان وفي عسكره على لون فرسه ثمانية الف **قوله تعالى**
وانهم لنا لغائظون يقال غاظه واغاظه وغيظه اذا اغضبه والغيظ الغضب والمعنى انهم يفعلون افعالا تغيظنا
واختلفوا في تلك الافعال فقيل اخذهم الحلي وغيره وقيل خروجهم من عبوديته وقيل خروجهم بغير اذنه وقيل
مخالفتهم له في الدين وقيل لانهم لم يتخذوا فرعون الها واما وصف قومه فهو **قوله تعالى** وانا لجميع حذرون قرا الكوفيون
وابن ذكوان حاذرون بالالف والباقون بدونها فقال ابو عبيدة والزجاج هما بمعنى واحد يقال رجل حذر وحذر
وحاذر بمعنى وقيل بل بينهما فرق فالحذر المتيقظ والحاذر الخائف وقيل الحذر المخلوق مجبولا على الحذر والحاذر ما
عرض له ذلك وقيل الحذر المسلح الذي له شوكة سلاح وانشد سيبويه في اعمال حذر على انه مثال مبالغة محول من حاذر
قوله • حذر امورا لا تضير وآمن • ما ليس منجيه من الاقدار •

وزعم ابن بعضهم ان سيبويه لما سأله هل تحفظ شيئا من اعمال فعل صنع هذا البيت فعيب على سيبويه كيف يأخذ
الشواهد الموضوعة وهذا غلط فان هذا الشخص قد اقر على نفسه بالكذب فلا يقدح قوله في سيبويه الذي ادعي انه صنع
البيت هو الاحقي وحذر يتعدي بنفسه قال تعالى يحذر الآخرة وقال العباس بن مرداس قوله

وانى حاذر انمى سلاحي • الى اوصال ذيال صنيع •

وقرأ ابن السميفع وابن ابي عمار حادرون بالدال المهملة من قولهم عين حدرة اي عظيمة كقوله وعين لهم حدرة بدرة
والمعنى عظيما وقيل الحادر القوي الممتلئ وحكي رجل حادر اي ممتلئ غيظا ورجل حادر اي احمق كانه ممتلئ من الحمق قال

احب الغلام السوء من اجل امه • وابغضه من بغضها وهو حادر •

ويقال ايضا رجل حذر بزنة يقظ مبالغة في حاذر من هذا المعنى فصار يقال حذر وحذر وحاذر بالذال المعجمة
والمهملة والمعنى مختلف واعلم ان الصفة اذا كانت جارية على الفعل وهو اسم الفاعل واسم المفعول كالضارب
والمضروب افادت الحدوث واذا لم يكن كذلك وهي المشبهة ذهبا الى معنى انا قوم من عادتنا الحذر ومن قرأ حاذرون
ذهب الى معنى انا قوم جددنا ان نحذر الآن هذا ومن قرأ حادرون بالدال المهملة فكانه ذهب الى نفي الحذر اصلا لان
الحادر هو السمين فاراد انا قوم اقويا اشدا واراد انا شاكون في السلاح والغرض من هذه التقادير ان لا يتوهم اهل المدائن
انه منكر من قوم موسى او خائف منهم قوله تعالى فاخرجناهم اي خلقنا في قلوبهم داعية الخروج فاستلزمت الداعية
الفعل وكان الفعل مضافا الى الله تعالى لا محالة وقوله تعالى من جنات وعيون وكنوز اي اخرجناهم من بساتينهم
التي فيها عيون الماء وكنوز الذهب والفضة قال مجاهد سماها كنوزا لانه لم يعط حق الله منها وما لم يعط حق الله منه
فهو كنز وان كان ظاهرا قوله تعالى ومقام قرأ العامة بفتح الميم وهو مكان القيام وقتادة والاعرج بضمها وهو
مكان الاقامة والمراد بالكريم الحسن فصل قال المفسرون هي مجالس الامرا والرؤسا التي كانت تحفها الاتباع
وقيل المواضع التي كانوا يتنعمون فيها قوله تعالى كذلك فيه ثلاثة اوجه قال الزمخشري يحتمل ثلاثة اوجه النصب
على اخرجناهم مثل ذلك الاخراج الذي وصفنا والجر على انه وصف لمقام اي ومقام كريم مثل ذلك المقام الذي
كان لهم والرفع على انه خبر لمبتدأ محذوف اي الامر كذلك قال ابو حيان فالوجه الاول لا يسوغ لانه يؤول الى تشبيه الشيء
بنفسه قال شهاب الدين وليس في ذلك تشبيه الشيء بنفسه لان المراد في الاول اخرجناهم اخراجا مثل الاخراج المعهود
المعروف المشهور وكذلك الثاني قوله تعالى واورثناها عطف على اخرجناهم اي واورثناها بهلاكهم بني اسرائيل
وذلك ان الله تعالى رد بني اسرائيل الى مصر بعدما اغرق فرعون وقومه واعطاهم جميع ما كان لفرعون وقومه من الاموال
والمساكن قوله تعالى فاتبعوهم قرأ العامة بقطع الهمزة من اتبعه اي الحقه نفسه فحذف الثاني وقيل يقال اتبعه بمعنى
اتبعه بوصل الهمزة اي لحقه وقرأ الحسن والحرث الذماري بوصلها وتشديد التاء وهي بمعنى اللحاق وقوله مشرقين
اي داخلين في وقت الشروق من شرقت الشمس شروقا اذا طلعت كاصبح وامسى اي دخل في هذين الوقتين وقيل داخلين
نحو المشرق ومشرقين منصوب على الحال والظاهر انه من الفاعل وقيل مشرقين بمعنى مضيئين وفي التفسير ان بني اسرائيل
كانوا في نور والقبط كانوا في ظلمة فعلى هذا يكون مشرقين حالا من المفعول قال شهاب الدين وعندي يجوز ان يكون
حالا من الفاعل والمفعول اذا جعلنا مشرقين داخلين في وقت الشروق او في مكان المشرق لان كلا من الفريقين
كان داخلا في ذلك الزمان او في ذلك المكان قوله تعالى فلما تراءى الجمعان قرأ العامة تراءى بتخفيف الهمزة وابو عمرو
والاعمش من غير همز بان تكون الهمزة مخففة بين بين لا بالابدال المحض لئلا يجتمع ثلاث الفات الاولى الزائدة بعد الراء
الثانية المبدلة من الهمزة الثالثة لام الكلمة لكن الثالثة لا تثبت وصلا لحذفها لالتقاء الساكنين ثم اختلف القراء في امالة
هذا الحرف اما ان يوقف عليه او لا فان وقف عليه حمزة يميل الالف الاخيرة لانها طرف منقلبة عن ياء ومن ضرورة امالتها
امالة فتحة الراء قبلها وامالة فتحة الهمزة المهملة لانه اذا وقف على مثل هذه سهلها على مقتضى مذهبه وامال الالف الاولى
اتباعا لامالة فتحة الهمزة ومن ضرورة امالتها امالة فتحة الراء قبلها وهذه الامالة لامالة وغيره من القراء لا يميل شيئا
من ذلك وقياس مذهب الكسائي يميل الالف الاخيرة وفتحة الهمزة قبلها وكذا نقله ابن البادش عنه وعن حمزة وان وصل
فالالف الاخيرة تذهب لالتقاء الساكنين ولاذهابها تذهب امالة فتحة الهمزة وتبقى امالة الالف الثانية امالة
فتحة الراء قبلها عنده اعتدادا بالالف المحذوفة وعند ذلك يقال حذف السبب وبقي المسبب لان امالة الالف الاولى
انما كان لامالة الالف الاخيرة كما تقدم تقريره وقد ذهبت الاخيرة فكان ينبغي الا تمال الاولى لذهاب المقتضي لذلك
ولكنه راعي المحذوف وجعله في قوة المنطوق ولذلك تجرأ عليه ابو حاتم فقال وقراءة هذا الحرف بالامالة محال وقد
تقدم في الانعام عند رأى القمر ورأى الشمس ما يشبه هذا العمل قوله تعالى لمدركون العامة على سكون الدال اسم مفعول

من ادرك اي لملحوق وقرأ الاعمش وعبيد بن عمير بفتح الدال المشددة وكسر الراء قال الزمخشري المعنى متتابعون في الهلاك
على ايديهم ومنه بيت الحماسة • ابعد بني ابي الذين تتابعوا • ارجي الحياة ام من الموت اجزع • يعني ان ادرك
على افتعل بمعنى فني واضمحل لازم يقال ادرك الشيء يدرك فهو مدرك اي فني تتابعا ولذلك كسرت الراء ومن نص على كرها
ابو الفضل الرازي قال وقد يكون ادرك على افتعل بمعنى افعل متعديا ولو كانت القراءة من هذا لوجب فتح الراء ولم يبلغني
فيها عن الاعرج وعنده الا الكسر فصل المعنى تراءى الجمعان اي رأى كل فريق صاحبه وقرب فلما تراءت
الفئتان قال اصحاب موسى انا لمدركون وقالوا يا موسى اوذينا من قبل ان تاتينا كانوا يذبحون ابناءنا ومن بعد ما
جئتنا يدركوننا في هذه الساعة فيقتلوننا ولا طاقة لنا بهم فعند ذلك قال موسى ثقة بوعد الله اياه كلا وذلك كالمنع
مما توهموه اي لن يدركونا ان معي ربي سيهدين يدلني على طريق النجاة قوله تعالى واوحينا الى موسى ان اضرب بعصاك
البحر لما قال موسى ان معي ربي سيهدين بين تعالى كيف هداه ونجاه واهلك اعداءه قال واوحينا الى موسى ان اضرب بعصاك
البحر فانفلق ولا بد قبله من جملة محذوفة اي فضرب فانفلق وزعم ابن عصفور ان المحذوف انما هو ضرب وفاء انفلق وان
الفاء الموجودة هي فاء فاضرب فابقي من كل فعل ما يدل على المحذوف ابقي الفاء من فضرب لتدل على ضرب وابقي انفلق لتدل على
الفاء المتصلة به قوله تعالى وكان كل فرق اختلف القراء فيه فرق فروي عن ورش الترقيق لاجل القاف وقرأ فلق
بلام بدل الراء لموافقة فانفلق والطود الجبل العظيم المتطاول في السماء فصل قال ابن جريج لما انتهى موسى
الى البحر هاجت الريح والبحر يرمي بموج كالجبال قال يوشع يا مكلم الله اين امرت فقد غشينا فرعون والبحر امامنا فقال موسى
هاهنا فخاض يوشع الماء وجاوز البحر ما يواري حافر دابته الماء وقال الذي يكتم ايمانه يا مكلم الله اين امرت قال هاهنا
فكبح فرسه بلجامه حتى طار الزبد من شدقيه ثم اقحمه البحر فارتسب بالماء وصنع القوم مثل ذلك فلم يقدروا وجعل
موسى لا يدري ما يصنع فاوحى الله اليه ان اضرب بعصاك البحر فضربه فانفلق فاذا الرجل واقف لم يبتل سرجه
ولا لبده وهذا معجز عظيم من وجوه الاول ان تفرق ذلك الماء معجز الثاني ان اجتماع ذلك الماء فوق كل فرق منه حتى صار
كالجبل معجز ايضا الثالث انه ثبت في الخبر انه تعالى ارسل على فرعون وقومه من الرياح والظلمة فاحتبسوا القدر الذي
تكامل معه عدد بني اسرائيل وهذا معجز ثالث الرابع ان جعل الله في تلك الجدران المائية كوى ينظر بعضهم الى بعض وهذا معجز
رابع الخامس ان بقي الله تلك المسالك حتى قرب منها فرعون وطمعوا ان يتخلصوا من البحر كما تخلص موسى عليه السلام فهو معجز خامس
قوله تعالى وازلفنا اي قربنا من النجاة ومن ظرف زمان بعيد والآخرين هم موسى واصحابه وقرأ الحسن وابو حيوة وزلفنا
ثلاثيا قال ابو عبيدة ازلفنا جمعنا ومنه ليلة المزدلفة اي الجمع وفي القصة ان جبريل كان بين بني اسرائيل وقوم فرعون
وكان يسوق بني اسرائيل ويقول ليلحق آخركم باولكم ويستقبل القبط ويقول رويدكم لكي يلحق آخركم وقرأ ابي وابن عباس
وعبد الله بن الحرث بالقاف اي ازلقنا والمراد بالآخرين في هذه القراءة فرعون وقومه والمعنى جعلنا طريقهم في البحر زلقا
على خلاف ما جعله لبني اسرائيل يبسا قوله تعالى وانجينا موسى ومن معه اجمعين والمعنى انه تعالى جعل البحر يبسا في حق موسى
ومن معه حتى خرجوا عنه واغرق فرعون ومن معه اجمعين لانه لما تكامل دخولهم في البحر انطبق الماء عليهم فغرقوا قوله
تعالى ان في ذلك لآية اي ان الذي حدث في البحر آية عجيبة من الآيات العظام الدالة على قدرة الله تعالى لان احدا من
البشر لا يقدر عليه وعلى حكمته وكونه وقوعه مصلحة في الدين والدنيا وعلى صدق موسى لكونه معجزة له وعلى التحذير
من مخالفة امر الله ورسوله وفيه تسلية للنبي عليه السلام لانه قد يغتم بتكذيب قومه مع ظهور المعجزات عليه فنبهه الله
تعالى بهذا الذكر على ان له اسوة بموسى وغيره ثم قال وما كان اكثرهم مؤمنين اي من اهل مصر قيل لم يكن آمن من اهل
مصر الا آسية امرأة فرعون وحزقيل المؤمن ومريم بنت ناموسا التي دلت على عظام يوسف عليه السلام قوله تعالى
وان ربك لهو العزيز في الانتقام من اعدائه قوله تعالى الرحيم بعباده لانه تعالى افاض عليهم اصناف نعمه وكان قادرا
ان يهلكهم فدل على كمال رحمته وسعة جوده وفضله قوله تعالى واتل عليهم نبأ ابراهيم الآيات اعلم انه تعالى ذكر
في اول السورة شدة حزن محمد عليه السلام ثم ذكر قصة موسى ليعرف محمد ان مثل تلك المحنة كانت حاصلة لموسى
ثم ذكر عقيبها قصة ابراهيم ليعرف محمد ان مثل تلك المحنة كانت حاصلة لموسى حزن ابراهيم بهذا السبب شديد حزنه
قوله تعالى اذ قال العامل في اذ نبأ واتل قاله الحوفي وهذا لا يتأتى الا على كونه مفعولا به وقيل وبدل من نبأ
بدل اشتمال وهو يؤول الى ان العامل فيه اتل بالتأويل المذكور قوله تعالى وقومه الهاء تعود على ابراهيم لانه
المحدث عنه وقيل تعود على ابيه لانه اقرب مذكور اذ قال لابيه وقوم ابيه ويؤيده اني اراك وقومك حيث اضاف القوم
اليه قوله تعالى ما تعبدون اي شيء تعبدون وهو يعلم انهم عبدة الاصنام ولكنه سألهم ليريهم ان ما يعبدونه
لا يستحق العبادة كما تقول للتاجر ما مالك وانت تعلم ان ماله الرقيق ثم تقول الرقيق جمال وليس بمال قوله تعالى

نعبد اصناما اتوا في الجواب بالتصريح في الفعل فيعطفوا عليه قولهم فنظل لها افتخارا بذلك وابتهاجا به والافكان
قولهم نعبد اصناما كافيا كقوله تعالى قل العفو قال الواحدي **قوله تعالى** فنظل لها عاكفين العكوف الاقامة على الشي
قال بعض العلما انما قالوا فنظل لانهم كانوا يعبدونها بالنهار دون الليل يقال ظل فلان يفعل كذا اذا فعل بالنهار
فقال ابرهيم عليه السلام منبها على فساد مذهبهم هل يسمعونكم لا بد من محذوف اي يسمعون دعاءكم او يسمعونكم تدعون
فعلى الاول هي متعدية لواحد اتفاقا وعلى الثاني هي متعدية لاثنين فامت الجملة المقدرة مقام الثاني وهو قول الفارسي
والمفعول الثاني محذوف اي يسمعونكم الجواب **قوله تعالى** اذ تدعون منصوب بما قبله فما قبله وما بعده ماضيان
معنى ولو كانا مستقبلين لفظا لعمل الاول في اذ وبعمل اذ في الثاني وقال بعضهم اذ هنا بمعنى اذا وقال الزمخشري
على حكاية الحال الماضية ومعناه استحضروا الاحوال التي كنتم تدعونها فيها هل سمعوكم اذ سمعوا وهو ابلغ في التبكيت
وقد تقدم انه قرا بادغام ذال اذ واظهارها في التا وقال ابن عطية ويجوز فيه قياس مذكر ونحوه ولم يقرا به احد
والقياس ان يكون اللفظ به اذدعون والذي يمنع من هذا اللفظ اتصال الدال الاصلية في الفعل فكثرت المتماثلات
يعني فيكون اللفظ بدال مشددة مهملة ثم بدال ساكنة مهملة ايضا قال ابو حيان وهذا لا يجوز لان هذا الابدال
انما هو في تاء الافتعال بعد الذال والدال والزاي نحو اذهن واذكر وازدجر وبعد جيم شذوذ نحو اجدمعوا في اجتمعوا
او في تاء الضمير بعد الدال والزاي نحو فزد في فزت وجلد في جلدت او تاء تولج قالوا فيها دولج وتاء المضارعة
ليس شيئا مما ذكر وقوله والذي منع الى اخره يقتضي جوازه لو لم يوجد ما ذكر وعلى مقتضى قوله يجوز ان يقول في اذ تخرج
اذخرج ولا يقول ذلك احد بل يقولون اذ تخرج فيدغمون الذال في التاء **فصل** تقرير هذه الحجة التي ذكرها
ابرهيم عليه السلام ان من عبد غيره لابد ان يلتجي اليه في المسالة ليعرف مراده او يسمع دعاءه ثم يستجيب له في بذل منفعة
او دفع مضرة فقال لهم اذا كان الذي تعبدونه لا يسمع دعاءكم حتى يعرف مقصودكم ولو عرف ذلك لما صح ان يبذل
النفع او يدفع الضرر فكيف تعبدون ما هذا كيفيته فعند هذه الحجة الباهرة لم يجدوا ما يدفعون به حجته الا التقليد
فقالوا وجدنا اباءنا كذلك يفعلون وهذا من اقوى الدلايل على فساد التقليد وذم الاستدلال لكان ذلك مدحا
لطريقة الكفار التي ذمها الله وذما لطريقة ابرهيم التي مدحها الله **قوله تعالى** كذلك منصوب بيفعلون اي يفعلون
مثل فعلنا ويفعلون في محل نصب مفعولا ثانيا لوجدنا **قوله تعالى** افرايتم ما كنتم تعبدون انتم واباؤكم الاقدمون
اراد به ان الباطل لا يتغير بان يكون قديما او حديثا ولا بان يكون في فاعليه قلة او كثرة **قوله تعالى** فانهم عدو لي
اللغة العالية افراد عدو وتذكيره قال تعالى هم العدو وانما فعل به ذلك تشبيها بالمصادر نحو الولوع والقبول وقد
يقال اعداء وعداوة وقوله عدو لي على اصله من غير تقدير مضاف ولا قلب فان العدو والصديق يجيئان في معنى الوحدة
والكثرة قال الشاعر •
وقوم على ذي ميرة • اراهم عدوا وكانوا صديقا •
وتقدم الكلام في نظيره
عند قوله انا رسول وقيل المعنى فانهم وعبدتهم عدو لي لو عبدتهم يوم القيمة كقوله سيكفرون بعبادتهم ويكونون
عليهم ضدا وقيل الاصنام لا تعادي لانها جماد فالتقدير فان عبادهم عدو لي فان **قيل** فلم لا يقول ان من يعبد
الاصنام عدو لي ليكون الكلام حقيقة **فالجواب** ان الذي تقدم ذكره هو ما عدوه دون العابدين وقيل بل في الكلام
قلب تقديره فاني عدو لهم وهذان مرجوحان لاستقامة الكلام بدونهما فان **قيل** لم قال فانهم عدو لي ولم يقل فانها
عدو لكم **فالجواب** انه عليه السلام صور المسالة في نفسه بمعنى اني فكرت في امري فرايت عبادتي لها عبادة للعدو
فاجتنبتها واراهم انها نصيحة ينصح بها نفسه فيكون ذلك ادعى الى القبول **قوله تعالى** الا رب العالمين فيه وجهان احدهما
انه منقطع اي لكن رب العالمين ليس بعدو لي وقال الجرجاني فيه تقديم وتاخير اي افرايتم ما كنتم تعبدون انتم واباؤكم
الاقدمون الا رب العالمين فانهم عدو لي والا بمعنى دون سوى والثاني انه متصل وهو قول الزجاج لانهم كانوا يعبدون
الاصنام فقال ابرهيم كل من تعبدون اعدا لي الا رب العالمين وقال الحسن بن الفضل معناه الا من عبد رب العالمين
وقيل معناه فانهم غير معبود لي الا رب العالمين ثم وصف معبوده وهو **قوله تعالى** الذي خلقني يجوز فيه اوجه
النصب على النعت لرب العالمين او البدل او عطف البيان او على اضمار اعني والرفع على خبر مبتدا مضمر اي هو الذي
خلقني او على الابتدا وفهو يهدين جملة اسمية في محل نصب او رفع خبرا له قال الحوفي ودخلت الفا لما تضمنه المبتدا
من معنى الشرط وهذا مردود لان الموصول معين ليس عاما ولان الصلة لا يمكن فيها التجدد فلم يشبه الشرط وتابع
ابو البقا الحوفي ولكنه لم يتعرض للفا فان عنى ما عناه الحوفي فقد تقدم ما فيه وان لم يعنه فيكون تابعا للاخفش
في تجويزه زيادة الفا في الخبر مطلقا نحو زيد فاضربه وقد تقدم تحريره واعلم ان ابرهيم عليه السلام لما استثنى رب العالمين
وصفه بما يستحق العبادة لاجله باوصاف اولها قوله تعالى الذي خلقني فهو يهدين وذلك لان الله تعالى اثنى على نفسه

يهدين

يهدين الامرين الذي خلق فسوى والذي قدر فهدى والذي خلقني بلفظ الماضي لان خلق الذات لا يتجدد في الدنيا
بل المنافع بقي الى الابد المعلوم وقال هو يهدين بلفظ المستقبل لان الهداية مما تتكرر كل حين واوان سواء كانت تلك
الهداية من المنافع الدنياوية فتمييز المنافع عن المضار او من المنافع الدينية بتمييز الحق عن الباطل والخير عن الشر
قوله تعالى والذي هو يطعمني ويسقين يجوز ان يكون مبتدا وخبره محذوف وكذلك ما بعده ودخول الواو جائز
وقد تقدم تحقيقه في اول البقرة كقوله •
الى الملك القرم وابن الهمام •
وليث الكتيبة في المزدحم •
واثبت ابن ابي اسحق ويروى عن عاصم ايضا ياء المتكلم في يسقيني ويسقيني ويحييني **فصل** المعنى يرزقني ويغذوني
بالطعام والشراب ونبه بذكر الطعام والشراب على ما عداهما **قوله تعالى** واذا مرضت فهو يشفين اضاف المرض الى
نفسه وان كان المرض والشفا كله من الله استعمالا لحسن الادب كما قال الخضر فاردت ان اعيبها وقال فاراد ربك ان يبلغا
اشدهما واجاب ابن الخطيب باجوبة احسنها ان اكثر اسباب المرض يحدث بتفريط الانسان في مطاعمه ومشاربه وغير ذلك
ومن ثم قال الحكما لو قيل لاكثر الموتى ما سبب اجالكم لقالوا التخم ومنها ان الشفا محبوب وهو من اصول النعم ولما لم يكن
المرض من النعم لا جرم لم يضفه الى الله فاذا قصدت بالاماتة فجوابه ان الموت ليس بضرر لان شرط كونه ضررا وقوع الاحساس به
لان الضرر انما هو في مقدماته وذلك هو عين المرض ولان الارواح اذا كملت في العلوم والاخلاق كان بقاوها
في هذه الاجساد عين الضرر وخلاصها عنها عين السعادة بخلاف المرض **قوله تعالى** والذي يميتني ثم يحيين والمراد
به الاماتة في الدنيا والتخلص عنها فانها والمراد من الاحيا المجازاة ولذلك ادخل ثم هاهنا للتراخي اي يميتني في الدنيا ويحييني
في الاخرة **قوله تعالى** والذي اطمع ان يغفر لي خطيئتي يوم الدين قرا العامة خطيئتي بالافراد والحسن خطاياي جمع تكسير
فان **قيل** لم قال والذي اطمع والطمع عبارة عن الظن والرجا وهو عليه السلام كان قاطعا بذلك فالجواب هذا الجواب
يتم على مذهب اهل السنة حيث قالوا لا يجب على الله لاحد شي وانه يحسن منه كل شي ولا اعتراض لاحد عليه في فعله
واجاب الجبائي عنه من وجهين احدهما ان قوله والذي اطمع ان يغفر لي اراد به ساير المومنين لانهم الذين يطمعون فيها
ولا يقطعون به والثاني ان المراد من الطمع اليقين وهو المروي عن الحسن واجاب الزمخشري بانه انما ذكره على هذا الوجه
تعليما للامة كيفية الدعا قال ابن الخطيب وهذه وجوه ضعيفة اما الاول فان الله تعالى حكى ثنا اولا والمدح ثانيا
ومن اول المدح الى اخر الدعا كلام ابرهيم عليه السلام فجعل الشي الواحد وهو قوله تعالى اطمع ان يغفر لي خطيئتي يوم
الدين كلام غيره مما يبطل نظم الكلام ويفسده واما قوله ان الطمع هو اليقين على خلاف اللغة واما الثالث وهو ان
المراد تعليم الامة فباطل ايضا لان حاصله راجع الى انه كذب على نفسه لغرض تعليم الامة وانه باطل ايضا فان **قيل**
واسند الى نفسه الخطيئة مع ان الانبياء منزهون عن الخطايا فالجواب من وجوه الاول قال مجاهد هي قوله اني سقيم وقوله بل
فعله كبيرهم هذا وقوله لسارة هذه اختي وزاد الحسن قوله للكواكب هذا ربي قال ابن الخطيب وهذا ضعيف لانه ان كان صادقا
في هذه المواضع فلم يكن خطا لا استكال وان كان كاذبا فيه فحينئذ يرجع حاصل الجواب الى الحاق المعصية به وهو منزه عن المعصية
الثالث وهو الجواب الصحيح ان يحمل ذلك على ترك الاولى وقد يسمى ذلك خطا فان من ملك جوهرة امكنه ان يبيعها بالف
دينار فباعها بدينار قيل انه اخطا وترك الاولى على الانبيا جايز فان **قيل** ما فايدة قوله يغفر لي فالجواب من وجوه
احدها ان الاب اذا عفا عن ولده والسيد عن عبده والزوج عن زوجته فانما يكون ذلك طلبا للثواب او لحسن الثواب
والمجد او دفعا للالم الحاصل من الرقة الجنسية وان كان كذلك لم يكن عفوه الا رعاية جانب نفسه اذ لتحصيل ما ينبغي
او لدفع ما ينبغي واما الاله سبحانه فانه كامل الذات فيستحيل ان تحدث له صفات كمال لم تكن او يزل عنه نقصان كان واذا
كان كذلك لم يكن عفوه الا رعاية لجانب المعفو عنه فقوله يغفر لي معناه ان عفوك لي فلاجلي لا لاجل امر عايد اليك البتة
ثانيها كانه قال خلقتني لاجلي فانك حين خلقتني لم اكن موجودا فاذا عفوت كان ذلك العفو لاجلي فلما خلقتني ولا حاجة
اني ما كنت محتاجا الى ذلك الخلق فلان تغفر لي وتعفو عن حالي ما اكون في اشد الحاجة الى العفو والمغفرة كان اولى ثالثها
ان ابرهيم عليه السلام كان مع شدة استغراقه في المعفرة سد باب الفرار عن الوسايط وذلك لما قال له جبريل الك
الحاجة قال اما اليك فلا فان **قيل** لم علق غفران الخطيئة بيوم الدين ومع ذلك وانما تغفر في الدنيا فالجواب
لان اثرها يظهر يوم الدين وهو الان خفي لا يعلم **قوله تعالى** رب هب لي حكما والحقني بالصالحين لما حكى ابرهيم
عليه السلام ثناه على الله تعالى ذكر بعد ذلك دعاءه ومسالته وذلك تنبيه على ان تقديم الثنا على الدعا
من المهمات فان **قيل** لم لم يقتصر ابرهيم على الثنا ولا سيما روي عنه انه قال حسبي من سوالي علمه بحالي **فالجواب** انه
عليه السلام انما ذكر ذلك حين اشتغاله بدعوة الخلق الى الحق فانه قال فانهم عدو لي الا رب العالمين ثم ذكر الثنا ثم ذكر
الدعا لما ان الشارع لابد له من تعليم الشرع فاما حين خلا بنفسه ولم يكن غرضه تعليم الشرع اقتصر على قوله حسبي من سوالي علمه بحالي

واعلم ان قوله رب هب لي حكما والحقني بالصالحين اجابه الله تعالى بقوله وانه في الاخرة لمن الصالحين والمراد بالحكم
ادراك الحق والعلم لان النبوة كانت حاصلة له وتحصيل الحاصل محال وهذا قول مقاتل وقال ابن عباس معرفة حدود
الله واحكامه وقال الكلبي النبوة والحقني بالصالحين من قبلي من النبيين في المنزلة والدرجة **قوله تعالى** واجعل
لي لسان صدق في الاخرين اي ثناء حسنا وذكرا جميلا وقبولا عاما في الامم التي تجيء بعدي قال ابن عباس اعطاه الله
بقوله وتركنا عليه في الاخرين فاهل الاديان يتولونه ويثنون عليه قال القتيبي وضع اللسان موضع القول
على الاستعارة لان القول يكون به وقيل المراد منه ان يجعل في ذريته في اخر الزمان من يكون داعيا الى الله تعالى
وذلك هو محمد عليه السلام فالمراد من قوله واجعل لي لسان صدق في الاخرين بعثة محمد صلى الله عليه وسلم **قوله تعالى**
واجعلني من ورثة جنة النعيم من ورثة اما ان يكون مفعولا ثانيا او مستقرا او كائنا من ورثة واما ان يكون صفة
لمحذوف هو المفعول الثاني اي وارثا من ورثة واعلم انه لما طلب سعادة الدنيا طلب بعدها سعادة الاخرة وهي جنة
النعيم وشبهها بما يورث لانه الذي يغتنم في الدنيا فشبه غنيمة الاخرة بغنيمة الدنيا **قوله تعالى** واغفر لابي انه كان من
الضالين لما فرغ من طلب السعادات الدنيوية والاخروية لنفسه طلبها لاشد الناس التصاقا به وهو الابوة وفيها
وجهان احدهما ان المغفرة مشروطة بالاسلام وطلب المشروط متضمن لطلب الشرط فقوله واغفر لابي كان دعاء له بالاسلام
الثاني ان اباه وعده بالاسلام لقوله وما كان استغفار ابراهيم لابيه الا عن موعدة وعدها اياه فدعا له قبل ان يتبين
له انه عدو لله كما سبق في سورة التوبة وقيل ان اباه قال له انه على دينه باطنا وعلى دين نمرود ظاهرا تقية وخوفا
فدعي له لاعتقاده ان الامر كذلك فلما تبين له خلاف ذلك تبرا منه ولذلك قال في دعائه انه كان من الضالين فلولا
اعتقاده فيه انه في الحال ليس بضال لما قال ذلك **قوله تعالى** ولا تخزني يوم يبعثون وايضا قال الله تعالى
قال الزمخشري الاخزاء من الخزي وهو الهوان ومن الخزاية وهي الحياء وهذه الاية تدل على انه لا يجب على الله شيء كما تقدم
في قوله والذي اطمع ان يغفر لي خطيئتي يوم الدين فان **قيل** لما قال اولا واجعلني من ورثة جنة النعيم كان كافيا
عن قوله ولا تخزني يوم يبعثون وايضا قال الله تعالى ان الخزي اليوم والسوء على الكافرين فانه كان يصيب الكفار
فقط فكيف يخافه المعصوم فالجواب ان حسنات الابرار سيئات المقربين فكذا درجات الابرار خزي المقربين وخزي كل
واحد بما يليق به قال الزمخشري في يبعثون ضمير العباد لانه معلوم او ضمير الضالين **قوله تعالى** يوم لا ينفع مال ولا
بنون الاية يوم لا ينفع بدل من يوم يبعثون ورده ابو حيان بان العامل في البدل هو العامل في المبدل منه او اخر مثله
مقدر وعلى كلا هذين القولين لا يصح لاختلاف المتكلمين **فصل** واعلم ان الله تعالى قد اكرمه بهذا الوصف
حيث قال وان من شيعته لابراهيم اذ جاء ربه بقلب سليم **قوله تعالى** الا من اتى الله فيه اوجه الاول انه منقطع اي لكن من
اتى الله بقلب سليم فانه ينفعه ذلك وقال الزمخشري ولا بد لك مع ذلك من تقدير مضاف وهو الحال المراد بها السلامة
وليست من جنس المال والبنين حتى يؤول المعنى الى ان المال والبنين لا ينفعان وانما ينفع سلامة القلب ولو لم يقدر مضافا
لم يتحصل الاستثناء المعنى قال ابو حيان ولا ضرورة تدعو الى حذف المضاف كما ذكر قال شهاب الدين انما قدر المضاف
ليتوهم دخول المستثنى في المستثنى منه لانه متى لم يتوهم ذلك لم يقع الاستثناء ولهذا منعوا صهلت الخيل الا الابل
الا تاويل الثاني انه مفعول له بقوله لا ينفع المال والبنون الا هذا الشخص فانه ينفعه ماله المصروف في وجوه البر وبنوه
الصلحاء لانه علمهم واحسن اليهم الثالث انه بدل من المفعول المحذوف او مستثنى منه اذا التقدير لا ينفع مال ولا
بنون احدا من الناس الا من كانت هذه صفته والمستثنى منه يحذف كقول الشاعر • ولم يبق الا خشن سيف ومئزرا •
اي ولم يبق شيء الرابع انه بدل من فاعل ينفع فيكون مرفوعا قال ابو البقاء وغلب من يعقل فيكون التقدير الا مال من او
بنون فانه ينفع نفسه وغيره بالشفاعة قال شهاب الدين وابو البقاء خلط وجها بوجه وذلك اذا اردنا ان نجعله بدلا
من فاعل ينفع قلنا فيه طريقان احدهما طريقة التغليب اي غلبنا البنين على المال فاستثنى من البنين فكانه قال لا ينفع
البنون الا من اتى من البنين بقلب سليم فانه ينفع نفسه بصلاحه وغيره بالشفاعة الطريقة الثانية ان نقدر مضافا
محذوفا قبل من اي الا مال من او بنو من فصارت الاوجه خمسة ووجه الزمخشري استثناء الاستثناء بوجهين احدهما
الاحالة من اتى الله بقلب سليم وهو من قولهم • تحية بينهم ضرب وجيع • وما ثوابه الا السيوف • ومثاله
ان يقال هل لزيد مال وبنون فيقال ما له وبنوه سلامة قلبه يريد نفي المال والبنين عنه واثبات سلامة قلبه
بدلا عن ذلك الثاني قال وان شئت حملت الكلام على المعنى وجعلت المال والبنين في معنى الغنى كانه قيل يوم لا ينفع غنى
الا غنى من اتى الله لان غنى الرجل في دينه بسلامة قلبه كما ان غناه في دنياه بماله وبنيه **فصل** وفي السليم ثلاثة
اوجه قال ابن الخطيب اصحها ان المراد منه سلامة النفس عن الجهل والاخلاق الرذيلة وقيل التسليم الخالص من الشرك والشك

فلنا

فاما الذنوب فليس يسلم منها احد وهذا قول اكثر المفسرين وقال سعيد بن المسيب القلب السليم هو الصحيح وهو قلب
المؤمن لان قلب الكافر والمنافق ضعيف مريض قال الله تعالى في قلوبهم مرض وقيل السليم هو اللديغ من خشية الله
وقيل السليم هو الذي سلم واسلم وسالم واستسلم **قوله تعالى** وازلفت الجنة للمتقين اي ان الجنة تكون قريبة من موقف
السعداء ينظرون اليها ويفرحون بانهم المحشورون اليها وبرزت الجحيم للغاوين اي اظهرت وقال مالك بن دينار
وبرزت بفتح الباء والراء خفيفة مبنيا للفاعل مسندا للجحيم فلذلك رفع والمراد بالغاوين الكافرون وقيل لهم اينما
كنتم تدعون من دون الله هل ينصرونكم يمنعونكم من العذاب بنصرهم او ينفعون انفسهم بانتصارهم فكبكبوا اي القوا
وقلب بعضهم على بعض قال الزمخشري الكبكبة تكرير الكب جعل التكرير في اللفظ دليلا على التكرير في المعنى وقال ابن عطية
نحو منه قال وهو الصحيح لان تكرير الفعل بين نحو صر وصرصر وهذا هو مذهب الزجاج وفي مثل هذا البناء ثلاثة
مذاهب احدها هذا والثاني وهو مذهب البصريين ان الحروف كلها اصول والثالث وهو قول الكوفيين ان الثالث
بدل من مثل الثاني واصل كبكب كبب بثلاث باءات كلها اصولا من غير خلاف نحو سمسم وجمجم وواو كبكبوا قيل للاصنام
اجري مجرى العقلاء وقيل لالهتها **فصل** قال ابن عباس جمعوا وقال مجاهد دهوروا وقال مقاتل
قذفوا وقال الزجاج طرح بعضهم على بعض وقال القتيبي القوا على رؤوسهم والغاوون يعني الشياطين قاله قتادة
ومقاتل وقال الكلبي كفرة الجن وجنود ابليس اجمعون اتباعه من الجن والانس وقيل ذريته **قوله تعالى** وهم فيها
يختصمون جملة حالية معترضة بين القول ومعموله بالجملة القسمية **قوله تعالى** ان كنا لفي مذهب البصريين ان ان
مخففة واللام فارقة ومذهب الكوفيين ان ان نافية واللام بمعنى الا **فصل** المعنى قال الغاوون للشياطين
والمعبودين وهم فيها يختصمون مع المعبودين ويجادل بعضهم بعضا تالله ان كنا لفي ضلال مبين يذكرون ذلك
يرون صورها على وجه الاعتراف والخطأ العظيم على وجه الندامة لا على وجه المخاطبة لانها جماد لا تخاطب وايضا
فلا ذنب لها بما عندها غيرها ومما يدل على ذلك ليس بخطاب لفاعل الحقيقة قوله تعالى وما اضلنا الا المجرمون
قوله تعالى اذ نسويكم اذ منصوب اما بمبين واما بمحذوف اي ضللنا في وقت تسويتنا لكم بالله في العبادة ويجوز
ان يكون على ضعف معمولا لضلال والمعنى عليه الا انه ضعيف صناعي وهو ان المصدر والموصوف لا يعمل بعد وصفه
وقوله نسويكم نعدلكم **قوله تعالى** برب العالمين فنعبدكم **قوله تعالى** وما اضلنا دعانا الى الضلال **قوله تعالى** الا
المجرمون قال مقاتل يعني الشياطين وقيل الا اولونا الذين اقتدينا بهم **قوله تعالى** فما لنا من شافعين اي يشفعون لنا
كما نرى المؤمنين لهم شفعاء من الملائكة والنبيين والمؤمنين ولا صديق وهو الصادق في المودة بشرط الدين قال جابر
بن عبد الله سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الرجل ليقول في الجنة ما فعل صديقي فلان وصديقه في الجحيم
فيقول الله تعالى اخرجوا له صديقه الى الجنة فيقول من بقي فما لنا من شافعين ولا صديق حميم قال الحسن اكثروا من الا
صدقاء المؤمنين فان لهم شفاعة يوم القيامة والحميم القريب من قولهم حامة فلان اي خاصته وقال الزمخشري الحميم
من الاحتمام وهو الاهتمام او من الحامة وهي الخاصة وهو الصديق الخالص والنفي هنا يحتمل نفي الصديق من اصله او نفي
صفته فقط وهو من باب على لاحب لا يهتدي بمناره **فصل** والصديق يحتمل ان يكون مفردا وان يكون
مستعملا للجمع كما يستعمل العدو له فيقال هم صديق وهم عدو وقد تقدم وانما جمع الشافعين ووحد الصديق لكثرة الشفعاء
في العادة وقلة الصديق **قوله تعالى** فلو ان لنا كرة لو يجوز ان تكون الشرطية بمعنى التمني فلا جواب لها على المشهور ويكون
نصب فنكون جوابا للتمني الذي افهمته لو ويجوز ان يكون على بابها وجوابها محذوف اي لوجدنا شفعاء واصدقاء او
لعملنا صالحا وعلى هذا فنصب الفعل بان مضمرة عطف على كرة اي لو ان لنا كرة كقوله • للبس عباءة وتقر عيني •
قال الجبائي قوله فنكون من المؤمنين ليس بخبر من عن ايمانهم لكنه خبر عن عزمهم لانه لو كان خبرا عن ايمانهم لوجب ان يكون
صدقا لان الكذب لا يقع من اهل الاخرة وقد اخبر الله تعالى بخلاف ذلك في قوله تعالى ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه
وقد تقدم في سورة الانعام بيان فساد هذا الكلام **قوله تعالى** ان في ذلك لاية اي فيما ذكر من قصة ابراهيم عليه
السلام لاية لمن اراد ان يستدل بذلك ثم قال وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم اي انه قادر على تعجيل
الانتقام لكنه رحيم بالامهال لكي يؤمنوا **قوله تعالى** كذبت قوم نوح المرسلين الايات لما قص على محمد صلى الله عليه وسلم
خبر موسى وابراهيم عليهما السلام تسلية له مما يلقاه من قومه قص عليه ايضا نبا نوح فقد كان نباه اعظم من نبا غيره
لانه دعاهم الف سنة الا خمسين عاما ومع ذلك كذبه قومه **قوله تعالى** كذبت انما انث فعل القوم لانه مؤنث بدليل
تصغير القوم على قويمة وقيل لان القوم بمعنى امة ولما كانت احاده عقلا ذكورا وانا ثا عاد الضمير عليه باعتبار الذكور
فقيل لهم اخوهم وحكى عنهم انهم كذبوا المرسلين لوجهين الاول انهم وان كذبوا نوحا فان تكذيبهم به في المعنى يقتضي تكذيب

خبره لان طريق معرفة الرسل لا تختلف من حيث المعنى فلذلك حكى عنهم انهم كذبوا المرسلين لوجهين الاول انهم سوا
الثاني ان قوم نوح كذبوا جميع رسل الله اما لانهم كانوا من الزنادقة او من البراهمة قوله تعالى اخوهم لانه كان منهم من
العرب اي كان منهم من قول العرب يا اخا بني تميم يريدون واحدا منهم فهو اخوهم في النسب لا في الدين قوله تعالى الا تتقون
اي عذاب الله بحذف تتقون قوله تعالى اني لكم رسول امين اي على الوحي وكان مشهورا فيهم بالامانة كمحمد صلى الله
عليه وسلم في قريش فكانه قال كنت امينا من قبل فكيف تتهموني اليوم ثم قال واتقوا الله فطاعته وعبادته واطيعون
فيما امرتكم به من الايمان والتوحيد وما اسالكم عليه من اجر اي ما انا فيه من دعاء الرسالة لئلا يظن به انه دعاهم اليه
رغبة في الدنيا ثم قال فاتقوا الله واطيعون فلذا ذكروا الامر بالتقوي لانه اراد في الاول الا تتقون مخالفتي وانا رسول
الله وفي الثاني الا تتقون مخالفتي ولست اخذا منكم اجرا فهو في المعنى مختلف ولا تكرار فيه وقد يقال الرجل لغيره الا تتقي الله
في حقوقي وقد ربيتك صغيرا الا تتقي الله وقد علمتك كبيرا وانما قدما الامر بتقوي الله على الامر بطاعته لان تقوي الله علة
لطاعته فقدم العلة على المعلول قوله تعالى انؤمن لك واتبعك الارذلون واتبعك جملة حالية قال الزمخشري والواو
للحال وحقها ان يضمر بعدها قد وقرا ابن مسعود وابن عباس وابو حيوة واتباعك جمع تابع كصاحب واصحاب او جمع
كثير وارتاف او شع كبرم وابرام وفي رفعه وجهان احدهما انه مبتدا والارذلون خبره والجملة حالية ايضا والثاني
انه عطف على الضمير المرفوع في نؤمن وحسن ذلك الفصل بالجار والارذلون صفة وقرا اليماني واتباعك بالجر عطفا على
الكاف في لك وهو ضعيف او ممنوع عند البصريين وعلى هذا فيرتفع الارذلون على خبر مبتدا مضمر اي هم الارذلون وقد
تقدم مادة الارذل في هود قوله تعالى وما علمي بما كانوا يعملون ان حسابهم الا على ربي لو تشعرون ان نافية اي ان
حسابهم الا على ربي قوله تعالى وما انا بطارد المؤمنين وذلك كالدلالة على ان القوم سالوه ابعادهم قوله تعالى
فانجيناه ومن معه في الفلك المشحون قال الزمخشري الفلك السفينة واحدها فلك قال تعالى وترى الفلك فيه مواخر
قوله تعالى كذبت عاد المرسلين الايات الكلام في فاتحة هذه القصة كالكلام في فاتحة قصة نوح قوله تعالى الا تتقون
جملة حالية من فاعل تبنون والريع بكسر الراء وفتحها ريعة وهي في اللغة المكان المرتفع قال ذو الرمة

• طراف الحوافي مرتف فوق ريعه • بذي ليلة في ليلة يتر قرق •

وقال ابو عبيدة هو الطريق وانشد للمسيب بن علس يصف ظعنا قوله

• في الال يخفضها ويرفعها • ريع يلوح كانه سحار •

والريع بالفتح ما يحصل من الخراج قوله تعالى وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون قال مجاهد قصورا مشيدة
قوله تعالى واذا بطشتم اي اذا اردتم فانما احتجنا الى تقدير الارادة لئلا يتحد الشرط والجزاء وجبارين حال قوله تعالى
امدكم بانعام فيه وجهان احدهما ان الجملة الثانية بيان للاولي وتفسير لها والثاني بدل من قوله بما تعلمون قوله تعالى
او عظت ام لم تكن من الواعظين معادل لقوله او عظت فانما اتي بالمعادلة بكذا دون قوله ام لم تعظ لتواخي القوافي
قوله تعالى لما وعظهم ورغبهم وخوفهم اجابوه بقولهم سواء علينا اي مستو عندنا او عظت او لم تكن من الواعظين طهي
فلما كثر ابهم بكلامه ثم قال ان هذا الا خلق الاولين قرا ابن كثير وابو عمرو والكسائي بفتح الخاء وسكون اللام اي اختلاق
الاولين وكذبهم كقوله وتخلقون افكا والباقون بضمتين فقيل معناهما الاختلاق وهو الكذب وقرا ابن مسعود وقيل
عادة الاولين من قبلنا حياة وموت وهو خلق الاولين وعادتهم وروي الاصمعي عن نافع وبها قرا ابو قلابة بضم الخاء وسكون
اللام وهي تخفيف المضمومة ثم قالوا وما نحن بمعذبين اظهروا بذلك تقوية نفوسهم فيما تمسكوا به من اظهار المعاد من
انكار المعاد فعند هذا بين الله تعالى انه اهلكهم وقد سبق بيان كيفية الهلاك قوله تعالى كذبت ثمود المرسلين
تقدم تفسيره قوله تعالى اتتركون فيما ها هنا آمنين اتظنون انكم تتركون في دياركم امنين وتطمعون في انه
لا دار للمجازاة وقوله فيما ها هنا اي في الذي اي في الذي استقر في هذا المكان من النعيم ثم فسره قوله تعالى
في جنات بدل بدل فيما ها هنا باعادة العامل فصل بعدما اجمل كما في القصة قبلها وما موصولة وظرف المكان صلتها
قوله تعالى ونخل يجوز ان يكون من ذكر الخاص بعد العام لان الجنات تشمل النخل ويجوز ان يكون نكرتا للنبي الواحد
بلفظ الاخر كانهم يطلقون اسم الجنة ولا يريدون الا النخل قال زهير

• كان عيني في غربي مقتلة • من النواضح تسقي جنة سحقا •

وسحقا جمع سحوق ولا يوصف بها الا النخل وقيل المراد بالجنات غيرها من الشجر لان اللفظ يصلح لذلك ثم يعطف عليها
النخل والطلع هو عنقود التمر قبل خروجه من الكم وقال الزمخشري الطلع الذي يطلع من النخلة كانصل السيف في جوفه
شماريخ القنو والقنو هو اسم للخارج من الجذع كما هو بعرجونه وهضيم قال ابن عباس هو اللطيف ومنه كشح هضيم

وروي عطية عنه يانع نضيج وقال عكرمة اللين وقيل المتراكب قال الضحاك ومقاتل قد ركب بعضه بعضا حتى هضم
بعضه بعضا اي كرم وقال اهل المعاني هو المنضم بعضه الى بعض في وعائه قبل ان يظهر قال الازهري الهضيم هو الداخل
بعضه في بعض من النضج والنعامة وقيل هضيم اي هاضم يهضم الطعام وكل هذا للطافة قوله تعالى وتنحتون
العامة على الخطاب وكسر الحاء الحسن وعيسى وابو حيوة بفتحها وعن الحسن ايضا تنحاتون بالف الاشباع وعنه وعن ابي حيوة
ينحتون بالياء من تحت وتقدم ذلك كله في الاعراف قوله تعالى فارهين قرا الكوفيون وابن ذكوان فارهين
بالالف كما قرا واحا ذرين بها والباقون فرهين بدون الف كما قرا وحذرون بدونها والفراهة النشاط والقوة وقيل
الحذق يقال دابة فاره ولا يقال فارهة وقد فره يفره فراهة وفرهين حال من الناحتين فصل من قرا فرهين
قال ابن عباس اشرين بطرين وقال عكرمة ناعمين وقال مجاهد شرهين وقال قتادة معجبين بصنيعكم وقال السدي
متجبرين وقال الاخفش فرحين والعرب تعاقب بين الحاء والهاء مثل مدحته ومدهته وقال الضحاك كيسين فاتقوا الله
واطيعون ولا تطيعوا امر المسرفين وقال مقاتل هم التسعة الذين عقروا الناقة وقيل هم الذين يفسدون في الارض بالمعاصي
ولا يصلحون اي ولا يطيعون الله فيما امرهم به فان قيل ما فائدة قوله ولا يصلحون مع قوله يفسدون في الارض فالجواب
ان فسادهم خالص ليس فيه شيء من الصلاح كما يكون حال بعض المفسدين مخلوطة ببعض الصلاح ثم ان القوم اجابوه بقولهم
انما انت من المسحرين قال مجاهد وقتادة من المسحورين من المخدوعين اي ممن سحر مرة بعد مرة وروي ابو صالح عن ابن عباس اي من
المخلوقين المعللين بالطعام والشراب فصل قال المؤرخ المسحر المخلوق بلغة ربيعة وبجيلة تريد تاكل الطعام
والشراب اي يسحر بل انت بشر مثلنا والمعنى من المسحرين اي ممن له سحر وكل دابة تاكل فهي مسحرة والسحر اعلا البطن وعن الفراء
المسحر من له جوف ارادوا انك تاكل الطعام والشراب ما انت الا بشر مثلنا فكيف تكون نبيا فات باية على صحة ما تقول ان كنت
من الصادقين انك رسول الينا فقال لصالح هذه ناقة الله لها شرب يجوز ان يكون لها شرب صفة للناقة ويجوز ان يكون
الوصف وحده الجار والمجرور وهو قوله لها شرب فاعل به لاعتماده وقرا ابن ابي عبلة بالضم فيهما والشرب بالكسر النصيب
من الماء كالسقي وبالضم المصدر فصل روي انهم قالوا نريد ناقة عشراء تخرج من الصخرة فتلد سقبا فتفكر صالح
فقال له جبريل صل ركعتين وسل ربك الناقة ففعل فخرجت الناقة وبركت بين ايديهم وحصل لها سقب مثلها في العظم
ثم قال لهم صالح هذه ناقة لها شرب بحظ ونصيب من الماء ولكم شرب يوم معلوم قال قتادة كانت يوم شربها تشرب ماءهم
كله وشربهم اليوم الذي لا تشرب هي ولا تمسوها بسوء بضرب او عقر او غيرهما فياخذكم عذاب يوم عظيم روي ان مسطحا
الجاها الى مضيق فرماها بسهم فسقطت ثم ضربها عقار ثم ضربها قدار فعقروها فاصبحوا نادمين على عقرها فان قيل
لم اخذهم العذاب وقد ندموا فالجواب ان ندمهم كان عند معاينة العذاب حين لم ينفعهم الندم وقيل لم يكن ندمهم
ندم الخائف من العقاب العاجل فاخذهم العذاب ان في ذلك لاية وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم
قوله تعالى كذبت قوم لوط المرسلين الايات قوله تعالى من العالمين يحتمل عوده الى الاتي اي انتم من جملة العالمين مخصوصون
بهذه الصفة وهي اتيان الذكران من العالمين لا الاناث منهم قوله تعالى من ازواجكم يصلح ان يكون تبيينا وان تكون
للتبعيض ويراد بها ما خلق العضو المباح منهن وكانوا يفعلون ذلك بنسائهم بل انتم قوم عادون معتدون مجاوزون الحلال
الى الحرام والعادي المتعدي في ظلمه والمعنى اتكون هذه المعصية على عظمها بل انتم قوم عادون في جميع المعاصي قالوا لئن
لم تنته يا لوط لتكونن من المخرجين اي من جملة ما اخرجناه من بلدنا ولعلهم كانوا يخرجون من يخرجونه على اسوا الاحوال
قوله تعالى لعملكم كقوله اني لكما لمن الناصحين وقد تقدم وقيل من القالين متعلق بمحذوف هذا الجار متعلق به اي اني
قال لعملكم من القالين المبغضين والقلي البغض كانه بغض يقلي الفؤاد والكبد وقوله من القالين ابلغ من ان يقول
اني لعملكم قال كما تقول فلان من العلماء ابلغ من قولك فلان عالم ويجوز ان يراد من الكاملين في قلاكم ثم دعا
فقال رب نجني واهلي مما يعملون من العمل الخبيث قال الله تعالى فنجيناه واهله من عقوبة عملهم الا عجوزا في الغابرين وهي امراة
لوط فبقيت في الهلاك والعذاب قوله تعالى في الغابرين صفة لها كانه قيل الا عجوزا غابرة وان لم يكن الغبور صفتها
وقت تنجيتهم فان قيل معناه الا عجوزا مقدرا غبورها في ذلك فالجواب قيل انما اهلكت مع من خرج من القرية
بما امطر من الحجارة ثم دمرنا الاخرين اي اهلكناهم وامطرنا عليهم مطرا فساء مطر المنذرين والمحذوف هو المخصوص
بالذم محذوف اي مطرهم قال وهب بن منبه الكبريت والنار ان في ذلك لاية وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك
لهو العزيز الرحيم فصل قال القاضي عبد الجبار في تفسير قوله وتذرون ما خلق لكم ربكم من ازواجكم
دليل على بطلان الجبر من وجوه الاول انه لا يقال تذرون الا مع القدرة على خلافه ولذلك لا يقال للمرء لم تذر
الصعود الى السماء كما يقال لم تذر الخروج الثاني انه قال خلق لكم ولو كان الفعل لله تعالى لكان الذي خلقه لهم ما خلقهم

فيهم واوجبه لاثم لم يفعلوه الثالث قوله تعالى بل انتم قوم عادون وان كان تعالى خلق فيهم ما كانوا يعملون
فكيف ينسبون الى انهم تعدوا وهل يقال للاسود انك متعد في لونك واجيب بان جاهل هذه الوجوه يرجع الى ان العبد
لو لم يكن موجدا لافعال نفسه لما توجه المدح والذم والامر والنهي عليه وليس بهذه الاية خاصة بل بما ورد من الامر والنهي
والمدح والذم في قصة ابراهيم وموسى ونوح وساير القصص فكيف خص هذه القصة بهذه الوجوه دون ساير القصص ثم
ثم ان هذه الوجوه هي ذلك الوجه المشهور والجواب عنها هو الجواب المشهور ان الاول ان الله تعالى لما علم وقوع هذه
الاشيا فعدمها محال لان عدمها يستلزم انقلاب العلم جهلا والمعنى الى المحال وان كان عدمها محالا كان التكليف
بالمحال محالا الثاني ان القادر لما كان قادرا على الضدين امتنع ان يرجح احد المقدورين على الاخر لا لمرجح والمرجح هو الداعي
والارادة وذلك المرجح مرجح محدث فله مؤثر وذلك المؤثر ان كان هو العبد لزم التسلسل وهو محال وان كان هو الله تعالى
فذلك الجبر على قولك فثبت بهذين البرهانين القاطعين سقوطها قاله **قوله تعالى** كذب اصحاب الايكة المرسلين
قرا نافع وابن كثير وابن عامر ليكة بلام واحدة وفتح التاء غير معرف بالالف واللام اصحاب هنا وفي صاد خاصة والباقون
الايكة معرفا بالالف فيما اجمع عليه في الحجر وفي ق وقد اضطربت اقوال الناس في القراءة الاولى وتجرا بعضهم على قارئيها
ووجهها على ما قاله ابو عبيد ان ليكة اسم للقرية التي كانوا عليها والايكة اسم للبلد كله قال ابو عبيد لا احب مفارقة
الخط في شي من القران الا ما يخرج من كلام العرب وهذا ليس بخارج من كلامها مع صحة المعنى في هذه الحروف وذلك انا
وجدنا في بعض التفاسير الفرق بين ليكة والايكة البلاد كلها فصار الفرق بينهما شبيها بما بين مكة وبكة ورايتهن
مع هذا في الذي يقال انه الامام مصحف عثمان مفترقات فوجدت التي في الحجر والتي في ق الايكة ووجدت التي في
الشعراء والتي في ص ليكة ثم اجتمعت عليها مصاحف الامصار بعد فلا نعلمها اختلفت فيهما وقرا اهل المدينة على هذا
اللفظ الذي قصصنا يعني بغير الف ولام معرفة لا ينطلق لام في الجمعة [?] وقد تعقبوا قول ابي عبيد وانكروا عليه فقال
ابو جعفر اجمع القرا على خفض التي في الحجر وق فيجب ان يرد ما اختلف فيه الى ما اتفق عليه اذ كان المعنى واحدا فاما
ما حكاه ابو عبيد من ان ليكة اسم للقرية وان الايكة اسم للبلد كله فشي لا يثبت ولا يعرف من قاله ولو عرف لكان فيه
نظر لان اهل العلم جميعا من المفسرين والعالمين بكلام العرب على خلافه ولا نعلم خلافا بين اهل اللغة ان الايكة
الشجر الملتف واما احتجاج بعض من احتج بقراءة من قرا في هذين الموضعين بالفتح لانه في السواد ليكة فلا حجة فيه
والقول فيه ان اصله الايكة ثم خففت الهمزة فالقيت حركتها على اللام فسقطت واستغنت عن الف الوصل لان اللام
قد تحركت فلا يجوز على هذا الا الخفض كما تقول مررت بالاحمر على تحقيق الهمزة ثم تخففها فتقول بلحمر فان شئت كتبت
في الخط على ما كتبته اولا وان شئت كتبت في ذلك بالحذف ولم يجز الا الخفض قال سيبويه واعلم ان كل ما لم ينصرف فاذا
دخلته الالف واللام او اضفته انصرف ولا نعلم احدا خالف سيبويه في هذا وقال المبرد في كتاب الخط كتبوا بالهمز [?]
وقيل قرا اصحاب الايكة بالهمز وتخفيفها وبالجر على الاضافة وهو الوجه وقيل كتبوا في بعض المصاحف كذب اصحاب ليكة
بغير الف لان الالف تذهب في الوصل ولذلك غلط القاري بالفتح ولذلك توهم انه اسم شي فان اللام اصل فقرا
ليكة وقال الفراء والله اعلم انها كتبت في هذين الموضعين بترك الهمزة فسقطت الالف لتحريك اللام قال مكي
تعقب ابن قتيبة على ابي عبيد فاختار الايكة بالالف والهمز والخفض وقال انما كتبت بغير الف على تخفيف الهمز
قال وقد اجمع الناس على ذلك يعني في الحجر وق فوجب ان يلحق ما في الشعراء وص بما اجمعوا عليه شاهدا لما اختلفوا فيه
قال ابو اسحق القراءة بجر ليكة وانت تريد الايكة اجود من ان تجعلها ليكة وتفتحها لانها لا تنصرف لان ليكة لا تعرف
وانما هي ايكة للواحد وايك للجمع مثل اجمة واجم والايك الشجر الملتف فاجود القراءة فيها الكسر واسقاط الهمزة
لموافقة المصحف ولا اعلمه الا قد قرئ به وقال الفارسي قول من قال ليكة بفتح التاء مشكل لانه فتح مع لحاق الالف واللام الكلمة
وهذا في الامتناع كقول من قال مررت بلحمر فيفتح ويبعد ان يفتح نافع مع ذلك ففتح الاخير مع لحاق لام المعرفة وانما كتبت
ليكة على تخفيف الهمزة والفتح لا يصح في العربية لانه فتح لام الاعراب في موضع الجر مع لام المعرفة فهو على قياس
قول من قال مررت بلحمر ويبعد ان يفتح نافع ذلك مع ما قال عنه ورش يعني ان ورشا نقل عن نافع نقل حركة الهمزة
الى الساكن قبلها حيث وجد بشروط مذكورة ومن جملة ذلك ما في قراءة سورة الحجر وق ومن لفظ الايكة فقرا على
قاعدته في السورتين بنقل الحركة وطرح الهمزة وخفض التاء ولذلك ينبغي ان يكون الهمز في هذين الموضعين ايضا
وقال الزمخشري قرا اصحاب الايكة بالهمزة وتخفيفها وبالجر على الاضافة وهو الوجه ومن قرا بالنصب وزعم ان ليكة
بوزن ليلة اسم بلد فتوهم قاد اليه خط المصحف وانما كتبت على حكم لفظ اللافظ كما يكتب اصحاب النحو لان ولاولى
على هذه الصورة لبيان لفظ المخفف وقد كتبت في ساير القران على الاصل والقصة واحدة على ان ليكة اسم لا يعرف

وروي ان اصحاب الايكة كانوا اصحاب شجر ملتف وكان شجرهم الدوم وهو شجر المقل لان مادة ليك مفقودة في لسان
العرب كذا قال الثقات ممن تتبع ذلك وهذا كما نصوا على ان حاق الذال المعجمة لم يجامعا الجيم في لغة العرب ولذلك لم
يذكرها صاحب الصحاح مع ذكره للتفرقة المتقدمة لشدة الاحتياج اليها وقال الزجاج ايضا اهل المدينة يفتحون على
ما جاء في التفسير ان اسم المدينة التي كان فيها شعيب ليكة قال ابو علي لو صح هذا فلم اجمع القرا على الهمز في قوله وان كان اصحاب
الايكة في الحجر والايكة التي ذكرت هنا هي الايكة التي ذكرت هناك وقد قال ابن عباس الايكة الغيضة ولم يفسرها بالمدينة
ولا البلد وقال شهاب الدين وهولاء كلهم كانهم زعموا ان هولاء الائمة انما اخذوا هذه القراءة من خط المصاحف دون افواه
الرجال وكيف يظن مثل اسن القرا واعلاهم اسنادا والاخذ للقران عن جماعة من الصحابة ابي الدرداء وعثمان بن عفان
وغيرهما وبمثل امام مكة شرفها الله تعالى وبمثل امام المدينة وكيف ينكر على ابي عبيد كقوله او يتوهم في نقله ومن حفظ
حجة على من لم يحفظ والتواتر قطعي فلا يعارض بالظني واما اختلاف القرا مع اتحاد القصة فلا يضر ذلك عبر عنها
تارة بالقرية وتارة بالمصر الجامع للقرى كلها الشامل هو لها واما تفسير ابن عباس لم يكن من اصحاب الايكة فلا ينافي
ذلك لانه عبر عنها بما كثر فيها **قوله تعالى** اذ قال لهم شعيب ولم يقل اخوهم لانه لم يكن من اصحاب الايكة في النسب
فلما ذكر مدين قال اخوهم لانه كان منهم وكان الله تعالى بعثه الى قومه اهل مدين والى اصحاب الايكة وفي الحديث ان شعيبا
اخا مدين ارسل اليهم والى اصحاب الايكة **قوله تعالى** اوفوا الكيل ولا تكونوا من المخسرين الناقصين لحقوق الناس
بالكيل والوزن واعلم ان الكيل على ثلاثة اضرب واف وطفيف وزايد فامر بالواجب الذي هو الايفا بقوله اوفوا الكيل
ونهى عن المحرم الذي هو التطفيف بقوله ولا تكونوا من المخسرين ولم يذكر الزايد لانه ان فعله فقد احسن وان لم يفعله
فلا اثم عليه لما امر بالايفا بين كيف يفعل فقال وزنوا بالقسطاس المستقيم قرا بالقسطاس مضموما ومكسورا وهو الميزان
وقيل القرسطون ولا تبخسوا الناس اشياءهم يقال بخسه حقه اذا نقصه اياه وهذا عام في كل حق ولا تعثوا في الارض مفسدين
وقد تقدم **قوله تعالى** والجبلة العامة على كسر اللام والبا وشد الجيم والسلمي بفتح الجيم وكسرها مع سكون البا وهذه اللغات
في هذا الحرف ومعناه الخلق المتجسد الغليظ ماخوذ من الجبل قال الشاعر * والموت اعظم حادث * مما يمر على الجبلة *
وقال الهروي الجبل والجبل والجبيل لغات وهو الجمع الكثير العدد من الناس وقيل الجبلة من قولهم جبل على كذا اي خلق
وطبع فيه وعليه وسياتي في يس ان شا الله تعالى تمام الكلام على ذلك عند قوله جبلا كثيرا والمراد بالجبلة الاولين
الامم المتقدمين اي انه المتفرد بخلقهم وخلق من تقدمهم **قوله تعالى** قالوا انما انت من المسحرين وما انت الا بشر مثلنا
جا في قصة ثمود ما انت بغير واو وهاهنا بالواو فقال الزمخشري اذا دخلت الواو فقد قصد
معنيان كلاهما مخالف للرسالة عندهم التسحير والبشرية وان الرسول لا يجوز ان يكون مسحرا ولا بشرا واذا تركت الواو فلم
يقصد الا معنى واحد وهو كونه مسحرا ثم قرر بكونه بشرا ثم قالوا وان نظنك لمن الكاذبين ومعناه ظاهر ثم انه
شعيبا عليه السلام كان يتوعدهم ان لم يؤمنوا فقالوا فاسقط علينا كسفا من السماء وقد تقدم الكلام في كسفا واشتقاقه
في الاسراء وانما طلبوا ذلك لاستبعادهم وقوعه فقال شعيب ربي اعلم بما تعملون اي من نقصان الكيل والوزن وهو
مجازيكم باعمالكم وليس العذاب الي وما علي الا الدعوة فلم يدع عليهم بل فوض الامر فيه الى الله تعالى **قوله تعالى** فكذبوه
فاخذهم عذاب يوم الظلة وذلك انه اخذهم حر شديد وكانوا يدخلون تحت الاسراب فيجدونها اشد حرا فاظلتهم
سحابة وهي الظلة فاجتمعوا تحتها فامطرت عليهم نارا فاحترقوا فان قيل لم لا يجوز ان يقال ان العذاب النازل
بعاد وثمود وقوم لوط وغيرهم ما كان بسبب كفرهم بل بسبب تاثيرات الكواكب واتصالاتها على ما اتفق عليه المنجمون واذا قام
هذا الاحتمال لا اعتبار بهذه القصص لان الاعتبار انما يحصل اذا علمنا ان نزول العذاب محنة للكافرين كما قال ولنبلونكم
حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين وقد ابتلي المومنون بالبلاء العظيم في مواضع كثيرة واذا كان كذلك لم يدل نزول البلايا
على كونهم مبطلين فالجواب هذا سوال باطل لانه يقال ما الاتصالات التي اوجبت نجاة بني اسرائيل من البحر واغرقت فرعون
وقومه في ساعة واحدة وما الاتصالات التي اوجبت الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم على القبط دون
بني اسرائيل وهم معهم في بلد واحد وما الاتصالات التي نجت لوطا ومن معه فاهلكت قومه وهم قريب منهم وما الاتصالات
التي اوجبت حمل الطير الابابيل حجارة من سجيل ورمت بها اصحاب الفيل دون غيرهم وما الاتصالات فرقت البحر
اثنا عشر فرقا بعدد اسباط بني اسرائيل وقلب العصا حية تسعى وتلقفت ما صنعته السحرة ونتقت الجبل فوق بني اسرائيل
كانه ظلة واخرجت الناقة من الحجر واطفات نار ابراهيم وكل ذلك ثابت بالتواتر لا يمكن انكاره وايضا فان الله تعالى
انزل هذه القصص على محمد عليه السلام تسلية له وازالة للحزن عن قلبه فلما اخبر الله تعالى محمدا انه هو الذي انزل العذاب
عليهم جزا على كفرهم علم ان الامر كذلك وحينئذ تحصل له التسلي **قوله تعالى** وانه لتنزيل رب العالمين الها نعود [?]

على القران وانه لم يجر له ذكر للعلم به وتنزيل بمعنى منزل او على حذف مضاف اي ذو تنزيل وقوله نزل به قرأ نافع
وابن كثير وابو عمرو وحفص نزل مخففا به الروح الامين مرفوعان باسناد الفعل للروح والامين نعته والمراد
به جبريل وباقي السبعة بالتشديد مبنيا للفاعل وهو قوله الروح الامين منصوبان على المفعول به والامين
صفته ايضا وقرئ بالتشديد مبنيا للمفعول والروح الامين مرفوعان على ما لم يسم فاعله وبه اما متعلق بنزل او بمحذوف
على انه حال على قلبك لتكون قال ابو حيان الظاهر يتعلق على قلبك ولتكون بنزل ولم يذكر ما يقابل هذا الظاهر واكثر
ما يحتمل انه يجوز ان يتعلقا بتنزيل اي وانه لتنزيل رب العالمين على قلبك لتكون ولكن فيه ضعف من حيث الفصل بين المصدر
ومعموله بجملة نزل به الروح وقد يجاب عنه بوجهين احدهما ان هذه الجملة اعتراضية وفيها تاكيد وتسديد فليست
باجنبية والثاني الاغتفار في الظرف وعديله وعلى هذا فلا يبعد ان يجيء في المسألة باب الاعمال فان كلا من تنزيل ونزل
يطلب هذين الجارين **فصل** لما ذكر قصص الانبياء لمحمد عليه السلام اتبعه بما يدل على نبوته فقال وانه لتنزيل
رب العالمين لانه لفصاحته معجز فيكون من رب العالمين وايضا فلانه اخبار عن الامم الماضية من غير تعلم البتة
وذلك لا يكون الا بوحي من الله تعالى وايضا فقوله وانه لفي زبر الاولين سوى لما ذكرنا لان هذه القصص على ما هي في زبر الاولين
من غير تفاوت اصلا مع انه لا يشتغل بالتعلم والاستفادة دليل على انه ليس من عند الله نزل به الروح على قلبك يا محمد
فهمك اياه واثبته في قلبك كي لا تنساه كقوله سنقرئك فلا تنسى لتكون من المنذرين المخوفين وسمى جبريل روحا لانه خلق
من الروح وقيل لانه نجاة الخلق في باب الدين هو كالروح الذي تثبت الحياة وقيل لانه روح كله لا كالناس في ابدانهم
روح وسماه ايضا امينا لانه مؤتمن على ما يؤديه الى الانبياء عليهم السلام **فصل** روي ان جبريل عليه السلام نزل على
ادم عليه السلام اثنتي عشرة مرة وعلى ادريس اربع مرات وعلى نوح خمسين مرة وعلى ابراهيم اثنين واربعين مرة وعلى موسى
اربعمائة مرة وعلى عيسى عشر مرات وعلى محمد عليه السلام اربعة وعشرين الف مرة فان قيل لم قال على قلبك وانما انزل
عليه فالجواب ليؤكد ان ذلك المنزل محفوظ وان الرسول متمكن من قلبه لا يجوز عليه التغيير ولان القلب هو المخاطب
في الحقيقة لانه موضع التمييز والاختيار واما سائر الاعضاء فمسخرة له ويدل على ذلك القران والحديث والمعقول
اما القران فقوله تعالى نزله على قلبك نزل به الروح الامين على قلبك ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب واستحقاق الجزاء
ليس الا على ما في القلب قال الله تعالى لا يؤاخذكم الله باللغو في ايمانكم ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم لن ينال الله لحومها
ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم والتقوى بالقلب لقوله تعالى اولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى وقوله
تعالى وحصل ما في الصدور وحكى عن اهل النار قولهم لو كنا نسمع او نعقل ما كنا في اصحاب السعير والعقل في القلب
والسمع منفذ اليه وقال ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك كان عنه مسؤولا والسمع والبصر لا يستفاد منهما الا ما يؤديانه
الى القلب وقال يعلم خائنة الاعين وما تخفي الصدور ولم يخص الاعين الا بما يضمر القلب الى غير ذلك من الايات واما
الحديث فقوله عليه السلام الا ان في الجسد مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله واذا فسدت فسد الجسد كله الا وهي القلب
واما المعقول فان القلب اذا غشي عليه فاذا قطع سائر الاعضاء لم يحصل به الشعور واذا افاق القلب شعر بجميع ما ينزل
بالاعضاء من الافات وايضا فاذا فرح القلب او حزن فانه يتغير حال الاعضاء عند ذلك وايضا فان القلب
منبع المشيئات الباعثة على الافعال الصادرة من سائر الاعضاء **قوله تعالى** بلسان يجوز ان يتعلق بالمنذرين
اي لتكون من الذين انذروا بهذا اللسان العربي وهم هود وصالح وشعيب واسماعيل ومحمد صلى الله عليه وسلم ويجوز
ان يتعلق بنزل اي نزله باللسان العربي لتنذر به لانه لو نزل بالاعجمي لقالوا لم نزل علينا ما لا نفهمه وجوز ابو البقاء
ان يكون بدلا من به باعادة العامل قال اي نزل بلسان عربي اي برسالة **فصل** قال ابن عباس نزل بلسان قريش ليفهموا
ما فيه **قوله تعالى** وانه لفي زبر الاولين اي وان القران وقيل ان محمدا ونعته لفي زبر الاولين اي كتب الاولين وقيل المراد
وجوه التخويف لان ذكر هذه الاشياء باسرها قد تقدم وفيه التفات اذ لو جرى على ما تقدم لقيل وانه لفي زبر وقرأ
الاعمش زبر بسكون الباء وهي مخففة من المشهورة **قوله تعالى** اولم يكن لهم اية قرأ ابن عامر تكن بالتاء من فوق واية بالرفع
والباقون يكن بالياء من تحت واية بالنصب وابن عباس تكن بالتاء من فوق اية بالنصب فاما قراءة ابن عامر فيكون يحتمل
ان تكون تامة وان تكون ناقصة فان كانت تامة جاز ان يكون لهم متعلقا بها واية فاعلا بها وان يعلمه اما بدل من اية
واما خبر مبتدأ مضمر اي او لم يحدث لهم علامة علم علماء بني اسرائيل وان كانت ناقصة جاز فيها اربعة اوجه الاول ان
يكون اسمها ضمير القصة ايضا ولهم خبر مقدم واية خبر مبتدأ مؤخر والجملة خبر تكن واية اما بدل من اية واما خبر
مبتدأ مضمر اي هي ان يعلمه الثالث ان يكون لهم خبر تكن واية اسمها وان يعلمه اما بدل من اية
على الوجهين المتقدمين البدلية وخبر المبتدأ المضمر الرابع ان يكون اسمها وان يعلمه خبرها وقد اعترض هذا بانه يلزم ان

يكون الاسم نكرة والخبر معرفة وقد نص بعضهم على انه ضرورة كقوله • ولا يك موقف منك الوداعا •
وقوله • يكون مزاجها عسل وماء • وقد اعتذر عن ذلك بان اية قد تخصصت بقوله لهم فانه حال منها والحال
صفة وبان تعريف الخبر ضعيف لعمومه وهو اعتذار باطل فلا ضرورة تدعو الى هذا التخريج بل التخريج ما تقدم واما
قراءة الباقين فواضحة جدا فاية خبر مقدم وان يعلمه اسمها مؤخر ولهم متعلق باية حالا من اية واما قراءة ابن عباس
كقراءة ثم لم تكن فتنتهم الا ان قالوا وكقول لبيد • فمضى وقدمها وكانت عادة • منه اذا هي عردت اقدامها •
اما التانيث للاسم ولغيره واما لانه بمعنى المؤنث الا ترى ان ان يعلمه في قوة المعرفة والا ان قالوا في قوة مقالتهم واقدامها
باقدامتها وقرأ الجحدري ان تعلمه بالتاء من فوق شبه البنين بجمع التكسير في تغيير صورة واحده فعامل فعله المسند اليه
معاملة فعله في الحاق علامة التانيث وهذا كقوله • قالت بنو عامر خالوا بني اسد • يا بؤس للجهل ضرارا لاقوام •
وكتبوا في الرسم الكريم علموا بواو بين الميم والالف قيل هو على لغة من يميل الالف نحو الواو وهذا كما فعل في الصلوة والزكوة
فصل المعنى اولم تكن لهؤلاء المنكرين علم بني اسرائيل علامة ودلالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم لان العلماء
الذين كانوا من بني اسرائيل كانوا يخبرون بذكره في كتبهم كعبد الله بن سلام وابن يامين وثعلبة واسد واسيد قال ابن
عباس بعث اهل مكة الى اليهود بالمدينة فسالوهم عن محمد صلى الله عليه وسلم فقالوا ان هذا لزمانه وانا لنجد في التوراة
نعته وصفته فكان ذلك اية على صدقه **قوله تعالى** ولو نزلناه على بعض الاعجمين قال صاحب التحرير والاعجمين
جمع اعجمي بالتخفيف ولولا هذا التقدير لم يجز ان يجمع جمع سلامة قال شهاب الدين وكان سبب منع جمعه من باب
افعل فعلاء كاحمر حمراء ان البصريين لا يجيزون جمعه جمع سلامة الا ضرورة كقوله • حلائل اسودين واحمرينا •
فلذلك قدره منسوبا مخففا لياء وقد جعله ابن عطية جمع اعجم فقال الاعجمون جمع اعجم وهو الذي لا يفصح وان
كان عربي النسب يقال له اعجم وذلك يقال للحيوانات ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم جرح العجماء جبار واسند الطبري
عن عبد الله بن مطيع انه كان واقفا بعرفة وتحته جمل فقال جملي هذا اعجم ولو انه انزل عليه ما كانوا يؤمنون والعجمي
هو الذي نسبته في العجم وان كان افصح الناس وقال الزمخشري الاعجم الذي لا يفصح وفي لسانه عجمة واستعجام والاعجمي مثله
الا ان فيه زيادة النسب تاكيدا وتقدم نحو من هذا في سورة النحل وقد صرح ابو البقاء بمنع ان يكون الاعجمين جمع اعجم
وانما جمع اعجم مخففا من اعجمي كالاشعرون في الاشعري وان الاعجمين الاعجميين لحذف ياء النسب كما قالوا الاشعرون
اي الاشعريون وواحده اعجمي ولا يجوز ان يكون جمع اعجم لان مؤنثه عجماء ومثل هذا لا يجمع جمع التصحيح قال شهاب الدين
وفيما قاله ابن عطية نظر واما الزمخشري فليس في كلامه انه جمع اعجم مخففا او غير مخفف وان كان ظاهره انه جمع اعجم واعجمي
على حذف ياء النسب كما قالوا الاشعرين وواحدهم اشعري وانشد الكميت • ولو جهزت قافية شرودا • لقد دخلت بيوت الاشعرينا •
لكن الفرا لا يصح ذلك فانه من الكوفيين وقد تقدم عنهم انهم يجيزون جمع افعل فعلاء وقرأ الحسن وابن مقسم الاعجميين
بياء النسب وهي مرجحة لتخفيف منه في قراءة العامة **قوله تعالى** ولو نزلناه يعني القران على رجل ليس بعربي اللسان
فقراه عليهم بغير لغة العرب ما كانوا به مؤمنين وقالوا ما نفقه قولك وجعلوه عذرا لجحودهم ونظيره ولو جعلناه
قرانا اعجميا لقالوا لولا فصلت اياته وقيل معناه ولو نزلناه على رجل ليس من العرب لما امنوا به وذلك انفة لاتباعه
قوله تعالى كذلك سلكناه في قلوب المجرمين كما سلكناه في قلوب المؤمنين وهذه الاية تدل على ان الكل بقضاء الله
وخلقه فان قلت قال الزمخشري اراد به ان ذلك التكذيب صار متمكنا في قلوبهم وقال الزمخشري ايضا اراد
به انه صار ذلك التكذيب متمكنا في قلوبهم اشد التمكن فصار ذلك كالشيء الجبلي قلت انه اما ان يكون قد فعل الله
تعالى ذلك فيهم ما يقتضي الترجيح ام لا وان كان الاول فقد دللنا في سورة الانعام على ان الترجيح لا يتحقق ما لم يكن
ينته الى حد الوجوب وحينئذ يحصل المقصود وان لم يفعل فيهم ما يقتضي الترجيح البتة امتنع ذلك قوله سلكناه
قوله تعالى لا يؤمنون به في الجملة وجهان احدهما الاستئناف على جهة الايضاح والبيان لما قبله والثاني انها حال من
الضمير في سلكناه اي سلكناه غير مؤمن به ويجوز ان يكون حالا من المجرمين لان المضاف جزء من المضاف اليه حتى يروا
العذاب الاليم يعني عند الموت **قوله تعالى** فياتيهم ويقولوا عطف على يروا وقرأ العامة بالياء من تحت والحسن وعيسى
بالتاء من فوق انث ضمير العذاب لانه في معنى العقوبة وقال الزمخشري انث على ان الفاعل الساعة قال الزمخشري
فان قلت ما معنى التعقيب في قوله فياتيهم قلت ليس المعنى التعقيب في الوجود بل المعنى ترتبها في الشدة كانه قيل
لا يؤمنون بالقران حتى تكون رؤيتهم العذاب اشد منها ومثال ذلك ان تقول ان اسات مقتك الصالحون فمقتك الله فانك لا تقصد
ان مقت الله بعد مقت الصالحين وانما قصدك الى ترتيب شدة الامر على المسيء وقرأ الحسن بغتة بفتح الغين **فصل**
المعنى ياتيهم العذاب بغتة اي فجاءة وهم لا يشعرون به في الدنيا فيقولوا هل نحن منظرون اي لنؤمن ونصدق يتمنون

الوجهة والنطق وانما يقولون ذلك استرواحا عند تعذر الخلاص اعني الخلاص لانهم يعلمون في الاخرة ان لا ملجا لهم قال مقاتل لما اوعدهم النبي صلى الله عليه وسلم قالوا الى متى توعدنا تقدم تحقيقه وقد تنازع افرايت وجاءهم في قوله ما كانوا يمتعون فان اعملت الثاني وهو جاءهم رفعت به ما كانوا فاعلا بهم ومفعول افرايت الاول ضمير ولكنه حذف والمفعول الثاني هو الجملة الاستفهامية في قولك ما اغنى عنهم ولابد من رابط بين هذه الجملة وبين المفعول الاول المحذوف وهو مقدر تقديره افرايت ما كانوا يوعدون ما اغنى عنهم تمتعهم حين حل اي الموعود به ودل على ذلك قوة الكلام وان اعملت الاول نصبت به ما كانوا يوعدون واضمرت في جاءهم ضميره فاعلا به والجملة الاستفهامية مفعول ثان مقدر العائد مقدر على ما تقرر في الوجه قبله والشرط معترض وجوابه محذوف وهذا كله مفهوم مما تقدم في سورة الانعام وانما ذكرناه هنا لانه تقدير يحتاج الى تامل وهذا كله انما ياتي على قولنا انما استفهامية ولا يضر تفسيرهم لها بالنفي فان الاستفهام قد يرد بمعنى النفي واما اذا جعلتها نافية حرفا كما قاله ابو البقا فلا ياتي ذلك لان مفعول اورايت الثاني لا يكون الا جملة استفهامية كما تقرر **قوله تعالى** افرايت ان متعناهم سنين كثيرة في الدنيا يعني كفار مكة ولم نهلكهم ثم جاءهم ما كانوا يوعدون يعني العذاب ما اغنى عنهم ما كانوا يمتعون في تلك السنين اي انهم وان طال تنعمهم بنعم الدنيا فاذا اتاهم العذاب لم يغن طول التمتع عنهم شيئا ويكون كانهم لم يكونوا في نعيم قط **قوله تعالى** ما اغنى عنهم يجوز ان تكون استفهامية في محل نصب مفعولا مقدما وما كانوا هو الفاعل وما مصدرية بمعنى اي شيء اغنى عنهم كونهم متمتعين وان تكون نافية والمفعول محذوف اي لم يغن عنهم تمتعهم شيئا وقرئ يمتعون باسكان الميم وتخفيف التاء من امتع الله زيدا بكذا **قوله تعالى** الا لها منذرون يجوز ان تكون الجملة صفة لقرية وان يكون حالا لانها وسوغ ذلك سبق النفي وقال الزمخشري فان قلت كيف عزلت الواو عن الجملة بعدها الا ولم تعزل عنها في قوله تعالى وما اهلكنا من قرية الا ولها كتاب معلوم قلت الاصل الواو لان الجملة صفة لقرية واذا زيدت فلتاكيد وصل الصفة بالموصوف كما في قوله تعالى وسبعة وثامنهم كلبهم قال ابو حيان ولو قدرنا لها منذرون جملة لم يجز ان تجي صفة بعد الا ومذهب الجمهور انه لا تجي الصفة بعد الا معتمدة على اداة الاستثنا نحو ما جاءني الا راكب واذا سمع مثل هذا خرجوه على البدل اي الا رجل راكب ويدل على صحة هذا المذهب ان العرب تقول ما مررت باحد الا قايما ولا يحفظ عنهم الا قايم يعني بالجر فلو كانت الجملة صفة بعد الا لسمع الجر في هذا وايضا فلو كانت الجملة صفة للنكرة لجاز ان يقع صفة المعرفة بعد الا يعني نحو ما مررت بزيد الا العاقل ثم قال فان كانت الصفة غير معتمدة على الاداة جاءت الصفة بعد الا نحو ما جاءني احد الا زيد خير من عمرو والتقدير ما جاءني احد خير من عمرو الا زيد واما كون الواو تزاد لتاكيد وصل الصفة بالموصوف فغير معهود في عبارة النحويين لو قلت جاءني رجل وعاقل اي رجل عاقل لم يجز وانما تدخل الواو في الصفات جوازا اذا عطف بعضها على بعض وتغاير مدلولها نحو مررت بزيد الشجاع والشاعر واما وثامنهم كلبهم فتقدم الكلام عليه قال شهاب الدين اما كون الصفة لا تقع بعد الا معتمدة فالزمخشري يختار غير هذا فانها مسالة خلافية واما كونه لم يقل الا قايما بالنصب دون قايم بالجر فذلك على احد الجايزين وليس فيه دليل على المنع من قسمه واما قوله فغير معهود فممنوع هذا ابن جني نص عليه في بعض كتبه واما الزامه انها لو كانت الجملة صفة بعد الا للنكرة لجاز ان يكون صفة المعرفة بعد الا فغير لازم لان ذلك مختص بكون الصفة جملة واذا كانت جملة تعذر كونها صفة وانما اختص ذلك بكونها بكون الجملة صفة لانها لتاكيد وصل الصفة والتاكيد لايق بالجمل واما قوله لو قلت جاءني رجل وعاقل لم يجز فسلم ولكن انما امتنع ذلك في الصفة المعرفة المفردة لئلا يلتبس بالمجي اثنان رجل واخر عاقل بخلاف كونها جملة فان اللبس منتف وقد تقدم سبعة وثامنهم **قوله تعالى** ذكرى يجوز فيها اوجه الاول انها مفعول من اجله وفي العامل فيها وجهان احدهما منذرون على ان المعنى منذرون لاجل الموعظة والتذكرة الثاني اهلكنا قال الزمخشري والمعنى وما اهلكنا من اهل قرية ظالمين الا بعدما الزمناهم الحجة بارسال المنذرين اليهم ليكون تذكرة وعبرة لغيرهم فلا يعصوا مثل عصيانهم ثم قال وهذا الوجه عليه المعول قال ابو حيان وهذا لا يعول عليه فان مذهب الجمهور ان ما قبل الا لا يعمل فيما بعدها الا ان يكون مستثنى او مستثنى منه او تابعا له غير معتمد على الاداة نحو ما مررت باحد الا زيد خير من عمرو والمفعول له ليس واحدا من هذه ويخرج مذهبه على مذهب الكسائي والاخفش وان كانا لم ينصا على المفعول له بخصوصيته

فصـــل قال شهاب الدين والجواب ما تقدم قبل ذلك من انه يختار مذهب الاخفش الثاني من الاوجه الاول انها في محل رفع خبر المبتدا المحذوف اي هذه ذكرى وتكون الجملة اعتراضية الثالث انها صفة لمنذرون اما على المبالغة واما على الحذف اي منذرون ذوو ذكرى او على وقوع المصدر موقع اسم الفاعل اي منذرون مذكرون وتقدم تقرير الرابع انها في محل نصب على الحال اي مذكرين او ذوي ذكرى وجهان كاحدهما او جعلوا نفس الذكرى مبالغة الخامس انها منصوبة على المصدر الموكد وفي العامل فيها حينئذ وجهان احدهما لفظ منذرون لانه

من معناها انها كقعدت جلوسا والثاني انه محذوف من لفظها اي مذكرون ذكرى وذلك المحذوف صفة لمنذرون وما كنا ظالمين في تعذيبهم حيث قدمنا الحجة عليهم واعذرنا اليهم او وما كنا ظالمين فنهلك قوما غير ظالمين **قوله تعالى** وما تنزلت به الشياطين العامة على الياء ورفع النون وهو جمع تكسير وقرا الحسن البصري وابن السميفع والاعمش بالواو ومكان الياء والنون مفتوحة اجري له مجرى السلامة وهذه القراءة قد ردها جمع كثير من النحويين قال الفرا غلط الشيخ ظن انها النون التي على هجائين فقال النضر بن شميل ان جاز ان يحتج بقول العجاج وروبة فهلا جاز ان يحتج بقول الحسن وصاحبه يعني محمد بن السميفع مع انا نعلم انهما لم يقرا به الا وقد سمعا فيه وقال النحاس هو غلط عند جميع النحويين وقال المهدوي هو غير جايز في العربية وقال ابو حاتم هي غلط منه وعليه وقد اثبت هذه القراءة جماعة من اهل العلم ودفعوا عنها الغلط فان القاري بها من العلم بمكان مكين واجابوا عنها باجوبة صالحة فقال النضر بن شميل قال يونس بن حبيب سمعت اعرابيا يقول دخلت بساتين من ورا بساتون فقلت ما اشبه هذا بقراءة الحسن وخرجها بعضهم على انها جمع شياط بالتشديد مثال مبالغة مثل ضراب وقتال على ان يكون مشتقا من شاط يشيط اي احرق ثم جمع جمع سلامة مع تخفيف الياء فوزنه فعالون مخففا من فعالين بتشديد العين ويدل على ذلك انهما وغيرهما قراوبذلك اعني بتشديد الياء وهذا منقول عن مورخ السدوسي ووجهها اخرون وان اخرها كان يشبه يبرين وفلسطين فاجري اعرابه تارة على النون وتارة بالحرف كما قالوا يبرون وفلسطون وتقدم القول في ذلك في البقرة والهاء في به يعود على القران وجاءت هذه الاحوال الثلاثة منتفية على احسن ترتيب نفي اولا تنزيل الشياطين به لان النفي في الغالب يكون في الممكن وان كان الامكان هنا منتفيا ثم نفى ثانيا استفادتهم لذلك اي ولو فرض الامكان لم يكونوا اهلا له ثم نفى ثالثا نفي الاستطاعة والقدرة ثم ذكر علة ذلك وهي انعزالهم عن السماع من الاعلى لانهم يرجمون بالشهب لو تسمعوا

فصـــل لما احتج على صدق محمد صلى الله عليه وسلم بكون القران تنزيل رب العالمين لوقوعه في الفصاحة القصوى ولاشتماله على قصص المتقدمين من غير تفاوت مع انه عليه السلام لم يتعلم من احد وكان الكفار يقولون هذا من القاء الجن والشياطين كسائر ما ينزل على الكهنة فاجاب الله تعالى بان ذلك لا يتسهل على الشياطين لانهم معزولون عن استماع كلام اهل السما يرجمهم بالشهب فان قيل العلم بكون الشياطين ممنوعين عن ذلك لم يحصل الا بخبر النبي الصادق فاذا اثبتنا كون محمد عليه السلام صادقا بفصاحة القران واخباره عن الغيب معجزا الا اذا ثبت كون الشياطين ممنوعين عن ذلك فيلزم الدور فالجواب لا نسلم ان العلم بكون الشياطين ممنوعين من ذلك لا يستفاد الا من قول النبي صلى الله عليه وسلم لانا نعلم بالضرورة ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يلعن الشياطين ويامر الناس بلعنهم فلو كان ذلك انما حصل من القاء الشياطين لكان الكفار اولى بان يحصل لهم مثل هذا العلم فيجب ان يكون اقدار الكفار على مثله اولى ولما لم يكن كذلك علمنا ان الشياطين ممنوعون لانهم معزولون عن تعرف الغيوب ثم انه تعالى لما ذكر هذا الجواب خاطب الرسول عليه السلام فقال فلا تدع مع الله الها اخر فتكون من المعذبين

فصـــل قال ابن عباس يحذر به غيره يقول انت اكرم الخلق علي ولو اتخذت الها غيري لعذبتك وقوله فتكون منصوب في جواب النهي **قوله تعالى** وانذر عشيرتك الاقربين روى عبد الله بن عباس عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه قال لما نزلت هذه الاية على رسول الله صلى الله عليه وسلم وانذر عشيرتك الاقربين دعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا علي ان الله امرني ان انذر عشيرتك الاقربين وضقت بذلك ذرعا وعرفت اني متى انادهم لهذا الامر اري منهم ما اكره فصمت عليها حتى جاءني جبريل فقال يا محمد الا تفعل ما تومر يعذبك ربك واجعل لنا صاعا من طعام واجعل عليه رجل شاة واملا لنا عسا من لبن ثم اجمع لي بني عبد المطلب حتى ابلغهم ما امرت به ففعلت ما امرني به ثم دعوتهم وهم يوميذ اربعون رجلا يزيدون رجلا او ينقصونه فيهم اعمامه ابو طالب وحمزة والعباس وابو لهب فلما اجتمعوا دعاني بالطعام الذي صنعت فجيت به فلما وضعته تناول رسول الله صلى الله عليه وسلم جذبة من اللحم فشقها باسنانه ثم القاها في نواحي الصحفة ثم قال خذوا باسم الله فاكل القوم حتى ما لهم بشي حاجة وايم الله ان كان الرجل الواحد منهم لياكل مثل ما قدمت لجميعهم ثم قال اسق القوم فجيتهم بذلك العس فشربوا حتى رووا جميعا وايم الله ان كان الرجل الواحد منهم ليشرب مثله فلما اراد رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يكلمهم بدره ابو لهب فقال لقد سحركم صاحبكم فتفرق القوم ولم يكلمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الغد يا علي ان هذا الرجل قد سبقني الى ما سمعت من القول فتفرق القوم قبل ان اكلمهم فعد لنا من الطعام مثل ما صنعت ثم اجمعهم ففعلت ثم جمعتهم ثم دعاني بالطعام فقربته ففعل كما فعل بالامس فاكلوا وشربوا ثم تكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم يا بني عبد المطلب قد جيتكم بخير الدنيا والاخرة وقد امرني الله ان ادعوكم اليه فايكم يوازرني على امري ويكون اخي ووصيي وخليفتي فيكم فاحجم القوم عنها جميعا فقلت انا

احدهم سنا انا يا نبي الله اكون وزيرك عليه فاخذ برقبتي ثم قال ان هذا اخي ووصيي وخليفتي فيكم فاسمعوا واطيعوا
فقام القوم يضحكون ويقولون لابي طالب قد امرك ان تسمع لعلي وتطيع قوله تعالى واخفض جناحك للمؤمنين اي
جناحك لمن اتبعك من المؤمنين قوله تعالى فان عصوك فقل اني بريء مما تعملون من الكفر وعبادة الاوثان وعبادة
غير الله قوله تعالى الذي يراك حين تقوم يجوز ان يكون في موضع الجر خبر المبتدا المحذوف او منصوبة على المدح او مجرورة
على النعت او البدل او البيان قوله تعالى والشعراء يتبعهم الغاوون وقد تقدم ان نافعا يقرا بتخفيف التاء ساكنة
وفتح الباء في سورة الاعراف عند قوله لا يتبعوكم والفرق بين المخفف والمثقل وسكن الحسن العين وروي عن ابي
عمرو وليست ببعيدة عنه كينصركم ويامركم وروى هارون عن بعضهم نصب العين وهي غلط والقول بان الفتحة
للاتباع خطا والعامة على رفع الشعراء بالابتدا والجملة بعده الخبر وقرا عيسى بالنصب على الاشتغال فصل
لما قال الكفار لم لا يجوز ان يقال الشياطين تنزل بالقران على محمد كما انهم ينزلون بالكهانة على الكهنة وعلى الشعراء
بالشعر ثم انه تعالى فرق بين محمد عليه السلام وبين الكهنة ذكر هاهنا ما يدل على الفرق بينه وبين الشعراء
بان الشعراء يتبعهم الغاوون وهم الضالون ثم بين ان ذلك لا يمكن القول به لامرين الاول انهم في كل واد يهيمون
والمراد منه الطرق المختلفة كقولك انا في واد وانت في واد وذلك انهم قد يمدحون الشيء بعد ان ذموه وبالعكس
وقد يعظمونه بعد ما يستحقرونه وبالعكس وذلك يدل على انهم لا يطلبون بشعرهم الحق ولا الصدق بخلاف امر محمد
عليه الصلاة والسلام فانه من اول امره الى اخر امره بقي على طريق واحد وهو الدعوة الى الله تعالى والترغيب في الاخرة
والاعراض عن الدنيا والثاني انهم يقولون ما لا يفعلون وذلك ايضا من علامات الغواية فانهم يرغبون في الجود
ويرغبون عنه وينفرون عن البخل ويصيرون اليه ويقدحون في الناس بادنى شيء صدر عنهم وعن واحد من اسلافهم
ثم انهم لا يرتكبون الا الفواحش وذلك يدل على الضلالة والغواية واما محمد عليه الصلاة والسلام فانه بدا بنفسه
ولا تدع مع الله الها اخر فتكون من المعذبين ثم بالاقرب فالاقرب فقال وانذر عشيرتك الاقربين وكل ذلك
خلاف طريقة الشعراء وظهر بهذا البيان ان حال محمد صلى الله عليه وسلم لم يشبه حال الشعراء قوله تعالى يهيمون
يجوز ان تكون هذه الجملة خبر ان وهذا هو الظاهر لانه محط الفائدة وفي كل واد متعلق به ويجوز ان يكون في كل
متعلق به ويجوز ان يكون في كل واد هو الخبر ويهيمون حال من الضمير في الخبر والعامل فيما تعلق به هذا الخبر
او نفس الجار كما تقدم في نظيره ويجوز ان تكون الجملة خبرا بعد خبر عند من يرى تعدد الخبر مطلقا وهذا من باب
تعدد الاستعارة البليغة والتمثيل الرائع شبه جولانهم في افانين القول وطرائق المدح والذم والتشبيب وانواع
المدح والذم والتشبيب وانواع الشعر بهيم الهائم في كل وجه وقيل اراد بكل واد اي على كل حرف من حروف الهجا
يصوغون قافية والهائم الذي يخبط في سيره ولا يقصد موضعا معينا هام على وجهه اي ذهب والهائم العاشق
من ذلك والهيمان العطشان والهيام داء ياخذ الابل من العطش وجمل اهيم وناقة هيما والجمع فيهما هيم قال تعالى
شرب الهيم والهيام من الرمل اليابس فانهم يخيلون فيه معنى العطش فصل قال المفسرون اراد شعراء الكفار
وكانوا يهجون رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه ويروون عنهم ذلك فذلك قوله وذكر مقاتل اسماءهم فقال منهم
عبد الله بن الزبعري السهمي وهبيرة بن ابي وهب المخزومي ومسافع بن عبد مناف وابو عزة عمرو بن عبد الله الجمحي وامية بن
ابي الصلت الثقفي فتكلموا بالكذب والباطل وقالوا نحن نقول كما قال محمد وقالوا الشعر واجتمع اليهم غواة من قومهم يستمعون
اشعارهم حين يهجون رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه ويروون عنهم فذلك قوله يتبعهم الغاوون
وهم الرواة الذين يروون هجاء المسلمين وقال قتادة هم الشياطين ثم انه تعالى لما وصف شعراء الكفار بهذه الاوصاف
استثنى المسلمين الذين كانوا يجيبون شعراء الجاهلية ويهجون الكفار وينافحون عن النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه
منهم حسان بن ثابت وعبد الله بن رواحة وكعب بن مالك فقال الا الذين امنوا وعملوا الصالحات فصل
روي عن كعب بن مالك انه قال للنبي صلى الله عليه وسلم ان الله قد انزل في الشعراء ما انزل فقال النبي صلى الله عليه وسلم
ان المؤمن يجاهد بسيفه ولسانه والذي نفسي بيده لكانما ترمونهم به نضح النبل وفي رواية قال له اهجهم والذي نفسي بيده
هو اشد عليهم من النبل وكان يقول لحسان قل فان روح القدس معك واعلم ان الله تعالى وصفهم باربعة امور الاول الايمان
وهو قوله الا الذين امنوا الثاني العمل الصالح وهو قوله وعملوا الصالحات الثالث ان يكون شعرهم في التوحيد والنبوة
ودعوة الخلق الى الحق وهو قوله تعالى وذكروا الله كثيرا الرابع ان لا يذكروا هجو احد الا على سبيل الانتصار ممن يهجوهم وهو قوله
وانتصروا من بعد ما ظلموا قال الله تعالى لا يحب الله الجهر بالسوء من القول الا من ظلم وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال
ان من الشعر لحكمة وقالت عائشة الشعر كلام فمنه حسن ومنه قبيح فخذ الحسن ودع القبيح وقال الشعبي كان ابو بكر يقول الشعر

وكان عمر يقول الشعر وكان علي اشعر الثلاثة وروي عن ابن عباس انه كان ينشد الشعر في المسجد ويستنشده وقوله
تعالى وذكروا الله كثيرا اي لم يشغلهم الشعر عن ذكر الله وانتصروا من بعد ما ظلموا اي انتصروا من المشركين لانهم بدءوا
بالهجاء او عن شعراء المشركين فقال وسيعلم الذين ظلموا اشركوا وهجوا رسول الله صلى الله عليه وسلم اي منقلب ينقلبون اي
مرجع يرجعون بعد الموت قال ابن عباس الى جهنم والسعير قوله تعالى اي منقلب منصوب على المصدر والناصب له ينقلبون
وقدم لتضمنه معنى الاستفهام وهو متعلق بسيعلم سادا مسد مفعوليها وقال ابو البقاء اي منقلب صفة لمصدر محذوف اي
ينقلبون انقلابا اي منقلب ولا يعمل فيه سيعلم لان الاستفهام لا يعمل فيه ما قبله وهذا مردود بان اي الواقعة صفة لا تكون
استفهامية وكذلك الاستفهامية لا تكون صفة لشيء بل كل منهما قسم برأسه لان اي تنقسم الى اقسام كثيرة وهي الشرطية
والاستفهامية والموصولة والصفة والموصوفة عند الاخفش خاصة والمناداة نحو يا ايها والموصولة لنداء ما قبله نحو
يا ايها الرجل عند غير الاخفش والاخفش يجعلها في النداء موصولة وقرا ابن عباس والحسن اي منفلت ينفلتون بالفاء والتاء
من فوق من الانفلات روى الثعلبي في تفسيره عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اعطيت السورة التي يذكر فيها البقرة
من تحت من الذكر الاول واعطيت طه والطواسين من الواح موسى واعطيت فواتح القران وخواتيم السورة التي يذكر فيها البقرة
من تحت العرش واعطيت المفصل نافلة وعن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله تعالى اعطاني السبع مكان التوراة واعطاني
الطواسين مكان الزبور وفضلني بالحواميم والمفصل ما قراهن نبي قبلي وعن ابي امامة عن ابي بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم من قرا سورة الشعراء كان له من الاجر عشر حسنات بعدد من صدق بنوح وكذب به وهود وشعيب وصالح وابراهيم وبعدد من كذب
بعيسى وصدق بمحمد صلى الله عليه وعلى اله وصحبه وسلم تسليما كثيرا كثيرا الى يوم الدين

سورة النمل اربع وتسعون آية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى طس تلك آيات القران وكتاب مبين
تلك اشارة الى آيات السورة اي هذه آيات القران قوله تعالى وكتاب العامة على جره عطفا على القران وهل المراد به نفس القران
فيكون المراد عطف بعض الصفات على بعض والمدلول واحد او اللوح المحفوظ او نفس السورة وقيل القران والكتاب علمان للمنزل
على نبينا صلى الله عليه وسلم فهما كالعباس وعباس فيكون ال فيهما للمح الصفة وهذا خطأ اذ لو كانا علمين لما وصفا بالنكرة وقد
وصف قران بها تلك آيات الكتاب وقران مبين في الحجر ووصف بها كتاب كما في هذه الاية الكريمة والذي يقال انه نكر هنا للافادة
التفخيم كقوله في مقعد صدق وقرا ابن ابي عبلة وكتاب مبين برفعهما عطفا على آيات والخبر بها عن تلك فان قيل كيف صح
الاشارة لاثنين احدهما مؤنث والاخر مذكر باسم اشارة المؤنث ولو قلت تلك هند وزيد لم يجز فالجواب من ثلاثة اوجه
احدها ان المراد بالكتاب هو الايات لان الكتاب عبارة عن ايات مجموعة فلما كانا شيئا واحدا صحت الاشارة اليهما باشارة الواحد
المؤنث الثاني انه على حذف مضاف اي وايات كتاب مبين الثالث انه لما ولي المؤنث ما تصح الاشارة به اليه اكتفى به وحسن ولو ولي
المذكر لم يحسن الا ترى انك تقول جاءتني هند وزيد ولو حذفت هندا واخرتها لم يجز تانيث الفعل قوله تعالى هدى وبشرى
يجوز فيهما اوجه الاول ان يكونا منصوبين على المصدر بفعل مقدر من لفظهما اي يهدي هدى ويبشر بشرى الثاني ان يكونا
في موضع الحال من آيات والعامل فيهما ما في تلك من معنى الاشارة الثالث ان
يكونا في موضع الحال من القران وفيه ضعف من حيث كونه مضافا اليه الرابع ان يكونا حالا من كتاب في قراءة من رفعه ويضعف
في قراءة من جره لما تقدم من كونه في حكم المضاف اليه لعطفه عليه الخامس انهما حالان من الضمير المستتر في مبين سواء رفعته
او جررته السادس ان يكونا بدلين من ايات السابع ان يكونا خبرا بعد خبر الثامن ان يكونا خبري ابتداء مضمر اي هي هدى
وبشرى للمؤمنين فصل المراد بهداهم الى الجنة وبشرهم كقوله تعالى يبشرهم ربهم برحمة منه وفضل
ويهديهم اليه صراطا مستقيما ولهذا خص به المؤمنين وقيل المراد بالهدى الدلالة وانما خص بالمؤمنين لانه ذكر مع الهدى
والبشرى والبشرى انما تكون للمؤمنين او لانهم تمسكوا به لقوله تعالى انما انت منذر من يخشاها او لانه مزيد في هداهم كقوله تعالى
ويزيد الله الذين اهتدوا هدى قوله تعالى الذين يقيمون الصلاة يجوز ان يكون مجرور المحل نعتا للمؤمنين او بدلا او بيانا
او منصوبة على المدح او مرفوعة على تقدير مبتدا اي هم الذين والمراد بها الصلوات الخمس وكذا في الزكاة فانها هي الواجبة
لان التعريف بالالف واللام يدل على ذلك وزيادة واقامة الصلوة ان يؤديها بشرائطها والزكاة ان يضعها في مواضعها
قوله تعالى وهم بالاخرة هم يوقنون الاولى تكرير للثانية على سبيل التوكيد اللفظي وفهم الزمخشري منه الحصر اي لا يوقن

بالآخرة حق الايقان الا هؤلاء المتقون بهذه الصفات ويدل عليه انه عقد جملة ابتدائية وكرر فيها المبتدا الذي هو هم
حق ما بعدها ما يوقن بالآخرة حق الايقان الا هؤلاء الجامعون من الايمان والعمل الصالح لانحوزوا العاقبة بحيلهم
على يحمل النشأة وبالآخرة متعلق بيوقنون ولا فصل الفصل بينهما بالتوكيد وهذه الجملة يحتمل ان يكون معطوفة على الصلة داخلة
في حيز الموصول وحينئذ فيكون قد فارق بين الصلتين جملة فعلية فقال يقيمون ويؤتون ولما كان الايقان بالآخرة امرا
ثابتا مطلوبا وقدم الى الصلة بجملة اسمية مكررا فيها المسند اليه مقدما فيها الموقن به الدال على الاختصاص ليدل على البيان
والاستقرار وجاء بالمسند في هذه الجملة من الاسم مضارعا دالة على انها تتجدد كل وقت غير منقطع ويحتمل ان تكون مستأنفة
غير داخلة في حيز الموصول قال الزمخشري ويحتمل ان تتم الصلة عنده اي عند قوله وهم قال وتكون الجملة اعتراضية يريد
ان الصلاة تمت عند الزكوة فيجوز في ذلك والا فكيف يصح اذا اخذنا بظاهر كلامه ان الصلة تمت وهم وتسميته
هذا اعتراضا يعني من حيث المعنى وسياق الكلام والا فالاعتراض في الاصطلاح انما تكون بين متلازمين من مبتدا وخبر
وشرط وجزاء وقسم وجوابه وتابع ومتبوع وصلة وموصول وليس هنا شيء من ذلك فان قيل ان المؤمنين الذين يقيمون
الصلوة ويؤتون الزكوة لا بد وان يكونوا متيقنين للآخرة فما وجه ذكره مرة اخرى فالجواب من وجهين الاول ان الذي
يستفاد منه طرق النجاة هو معرفة المبدأ ومعرفة المعاد والعمل الصالح اشرفه الطاعة بالنفس والطاعة بالمال فقوله
للمؤمنين الذين يؤمنون بالغيب وهو اشارة الى معرفة المبدأ وقوله الذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة اشارة
الى الطاعة بالنفس والمال وقوله بالآخرة هم يوقنون اشارة الى علم المعاد فكانه تعالى جعل معرفة المبدأ طرفا اولا ومعرفة
المعاد طرفا اخيرا وجعل الطاعة بالمال والنفس متوسطا بينهما الثاني ان المؤمنين الذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة
بعضهم من هو جازم بالحشر والنشر ومنهم من يكون شاكا فيه الا انه يأتي بهذه الطاعات احتياطا فيقول ان كنت مصيبا فيها
فقد فزت بالسعادة وان كنت مخطئا فيها لم يفتني الا خيرات قليلة في هذه المدة اليسيرة فمن اتى بالصلوة والزكوة على
هذا الوجه لم يكن في الحقيقة مهتديا به فلهذا ذكر هذا القيد **قوله تعالى** ان الذين لا يؤمنون بالآخرة الآية لما
بين ما للمؤمنين من البشرى واتبعه بما للكفار من سوء العذاب فقال ان الذين لا يؤمنون بالآخرة زينا لهم اعمالهم القبيحة
حتى رأوها حسنة فهم يعمهون يترددون فيها متحيرين فان قيل كيف اسند تزيين اعمالهم الى ذاته مع انه اسنده
الى الشيطان في قوله وزين لهم الشيطان اعمالهم فالجواب اما اهل السنة فاجروا الآية على ظاهرها لان الانسان لا يفعل
شيئا البتة الا اذا كان داعيه الى الفعل والمعقول من الداعي هو العلم والاعتقاد والعلم او الظن بكون الفعل مشتملا
على منفعة وهذا الداعي لا بد وان يكون من فعل الله تعالى لوجهين احدهما انه لو كان لافتقر فيه الى داع آخر التسلسل
والثاني ان العلم اما ان يكون ضروريا او كسبيا فان كان ضروريا فلا بد من تصور وبنو التصور يمتنع ان يكون مكتسبا
لان المكتسب ان كان شاعرا به فهو متصور له وتحصيل الحاصل محال وان لم يكن متصورا كان غافلا عنه والغافل عن
الشيء يمتنع ان يكون طالبا له فان قيل هو مشعور به من وجه فاجاب فالمشعور غير ما هو مشعور به فيعود التقسيم
المتقدم في كل واحد من هذين الوجهين واذا ثبت ان التصور غير مكتسب البتة والعلم الضروري هو الذي يكون مكتسبا
على كل واحد من تصوريه كافيا في حصول التصديق والتصورات غير كسبية فهي مستلزمة التصديقات النظرية فاذن
متى حصلت التصورات البديهية كانت التصديقات بها بديهيا وليس كسبيا ثم ان التصديقات البديهية كانت مستلزمة
التصديقات النظرية فلم تكن التصديقات النظرية كسبية لان لازم الضروري ضروري وان لم تكن مستلزمة لها لم تكن
تلك الاشياء التي سميناها علوما نظرية لذلك بل هي اعتقادات تقليدية لانه لا معنى لاعتقاد المقلد الا اعتقاد
يحصل عقيب اعتقاد آخر من غير ان يكون له موجب فثبت بهذا ان العلوم باسرها ضرورية وثبت ان مبادي الافعال هي
العلوم فالافعال العباد باسرها ضرورية فالانسان مضطر في صورة مختار فثبت ان الله تعالى هو الذي زين لكل عامل
عمله والمراد بالتزيين هو الذي يخلق في قلبه العلم بما فيه من المضار والآفات فثبت بهذه العقلية الناطقة اجراء
الآية على ظاهرها واما المعتزلة فتأولوها بوجوه الاول ان المراد زينا لهم امر الدين وما يلزمهم ان يتمسكوا وبناه
بان جعلناه حسنة وما فيه من الثواب لان التزيين من الله ليس الا وصفه بانه حسن وواجب وحميد العاقبة وهو المراد
بقوله حبب اليكم الايمان وزينه في قلوبكم وقوله فهم يعمهون يدل على ذلك اذ المراد فهم يعدلون ويتحيرون
عن هذا الثاني ان يحمل على انه تعالى لما متعهم بطول العمر وسعة الرزق فجعلوا انعام الله عليهم بذلك ذريعة الى اتباع
شهواتهم وتقوية الانقياد لما يلزمهم من التكاليف فكان تعالى زين بذلك اعمالهم ولذلك اشارت الملائكة عليهم
السلام بقولهم ولكن متعتهم واباءهم حتى نسوا الذكر الثالث انه لما خلى بين الشيطان وتخليته حتى زين لهم ملابسة
ظاهر الذين فاسند اليه والجواب عن الاول ان قوله تعالى زينا لهم اعمالهم صيغة عموم فوجب ان يكون الله تعالى قد زين

لهم كل اعمالهم حسنا كان العمل او قبيحا وعن الثاني ان الله تعالى لما متعهم بطول العمر وسعة الرزق فهل هذه الامور
في ترجيح فاعلية المعصية على تركها اثر او ليس لها اثر فيه فان كان الاول فقد دللنا على ان الحصول متى حصل فلا بد
وان ينتهي الى حد الوجوب والاستلزام وحينئذ يحصل الغرض وان لم يكن له فيها اثر صارت هذه الاشياء بالنسبة
الى اعمالهم وذلك يمنع من اسناد فعلهم اليها بعينه هو الجواب عن التأويل الثالث ذكره **قوله تعالى** اولئك الذين
لهم سوء العذاب اي الاسر والقتل يوم بدر وقيل المراد مطلق العذاب سواء كان في الدنيا او في الآخرة وسوء العذاب
شدته **قوله تعالى** الاخسرون في افعل قولان اظهرهما انها على بابها على التفضيل وذلك بالنسبة الى الكفار من حيث
اختلاف الزمان والمكان يعني انهم اكثر خسرانا في الآخرة منهم في الدنيا اي ان خسرانهم في الآخرة اكثر من خسرانهم في الدنيا
وقال جماعة منهم الكرماني هي هنا للمبالغة لا للشركة لان المؤمن لا خسران له في الآخرة البتة وقد تقدم الجواب
ذلك وهو ان الخسران راجع الى شيء واحد باعتبار اختلاف زمانه ومكانه وقال ابن عطية الاخسرون جمع اخسر لان افعل
صفة لا يجمع الا ان يضاف فيقوي رتبته في الاسماء وفي هذا نظر قال ابو حيان ولا نظر في انه يجمع جمع سلامة وجمع
تكسير اذا كان قبله ما يطابقه في الجمعية فتقول الزيدون هم الافضلون والافاضل والهندات هن الفضليات والفضل
واما قوله لا يجمع الا ان يضاف لا يتعين اذ ذاك جمعه بل اذا اضيف الى نكرة لا يجوز جمعه وان اضيف الى معرفة جاز فيه الافراد
والجمع **قوله تعالى** وانك لتلقى القرآن مخففا يتعدى لواحد وبالتضعيف يتعدى لاثنين فاقيم اولهما هنا مقام الفاعل
والثاني القرآن وهو قول من قال ان اصله تلقى بالنون تفسير معنى فلا يتعلق به متعلق بان النون ابدلت حرف علة
فصل المعنى لتؤتاه وتلقنه من عند اي حكيم واي عليم وهذا معنى مجيئهما نكرتين وهذه الآية تمهيد لما يريد
ان يسوق بعدها من القصص كانه قال على اثر ذلك خذ من آثار حكمته وعلمه قصة موسى فان قيل الحكمة اما ان
تكون نفس العلم واما ان يكون العلم داخلا فيها فبعد ذكر الحكمة لم يذكر العلم فالجواب ان الحكمة هي العلم بالامور
العملية فقط والعلم اعم منه لان العلم قد يكون عمليا وقد يكون نظريا والعلوم النظرية اشرف من العلوم العملية فذكر الحكمة
المشتملة على العلوم العملية ذكر العليم وهو البالغ في كمال العلم من جهات ثلاثة وجدتها دعوى تعلقها بكل المعلومات
وبقاؤها مصونة عن كل التغيرات وما حصلت هذه الجملة لان الثلاثة الا في علمه تعالى **قوله تعالى** اذ قال موسى لاهله الآية
يجوز ان يكون اذ منصوبا باضمار اذكر او بعليم مقدرا مدلولا عليه بعليم وفيه ضعف لتقييد الصفة بهذا الظرف
واذ قال موسى لاهله في مسيره من مدين الى مصر قيل انه لم يكن مع موسى عليه السلام غير امرأته ابنة شعيب عليه السلام وقد
كنى الله عنها بالاهل فتبع ذلك ورود الخطاب بلفظ الجمع وهو قوله امكثوا اني آنست نارا اي ابصرت نارا وذلك
انهما كانا يسيران ليلا وقد اشتبه الطريق عليهما والوقت وقت برد وفي مثل هذا الحال تقوى النفس بمشاهدة نار
من بعد لما يرجى فيها من زوال الحيرة في امر الطريق ومن الانتفاع بالنار للاصطلاء فلذلك قال اني آنست نارا سآتيكم
منها بخبر والخبر ما يخبر عن حال الطريق لانه كان قد ضله في الكلام حذف وهو انه لما ابصر النار توجها اليها وقال سآتيكم
بخبر يعرف به الطريق **قوله تعالى** او آتيكم بشهاب قبس قرأ الكوفيون بتنوين شهاب على ان قبس بدل من شهاب او صفة له لانه
بمعنى مقبوس كالقبض والنقض والباقون بالاضافة على البيان لان الشهاب يكون قبسا وغيره والشهاب الشعلة والقبس
قطعة منها تكون في عود وغير عود واو على بابها من التنويع والطاء في تصطلون بدل من تاء الافتعال لانه من صلي بالنار
فان قيل قال هاهنا سآتيكم منها بخبر وفي موضع آخر وهما كالمتدافعين لان احدهما ترج والآخر تيقن فالجواب
قد يقول الراجي اذا قوي رجاؤه سافعل كذا وسيكون كذا مع تجويزه الخيبة فان قيل كيف جاء بسين التسويف فالجواب
عدة لاهله انه يأتيهم به وان ابطأ او كانت المسافة بعيدة وادخل بين الامرين المقصودين يعني ان جاء على ان لم يظفر
بهما المقصودين يظفر باحدهما اما هداية الطريق واما اقتباس النار ثقة منه بعادة الله تعالى لا يكاد يجمع بين حرمانين
على عبده لعلكم تصطلون تستدفئون من البرد **قوله تعالى** نودي في القائم مقام الفاعل ثلاثة اوجه احدها انه
ضمير موسى وهو الظاهر وفي ان حينئذ ثلاثة اوجه الاول ان المفسرة لتقدم ما هو بمعنى القول الثاني انها الناصبة
للمضارع ولكن وصلت هنا بالماضي وتقدم تحقيق ذلك وذلك على اسقاط الخافض اي نودي موسى بان بورك الثالث
انها المخففة واسمها ضمير الشأن وبورك خبرها ولم يحتج هنا الى فاصل لانه دعاء وقد تقدم نحوه في النور في قوله
ان غضب في قراءة فعلا ماضيا قال الزمخشري فان قلت هل يجوز ان تكون المخففة من الثقيلة والتقدير بانه بورك والضمير
ضمير الشأن والقصة قلت لا لانه لا بد من قد فان قلت فعلى اضمارها قلت لا يصح لانها علامة ولا تحذف فيمتنع ان تكون مخففة
لما ذكر وهذا بناء منه على ان بورك خبر لا دعاء اما اذا قلنا انه دعاء كما تقدم في النور فلا حاجة الى الفاصل كما تقدم وقد
تقدم فيه استشكال وهو ان الطلب لا يقع خبرا في هذا الباب فكيف وقع هذا خبرا لان المخففة وهو دعاء الثاني من الاوجه

ان القايم مقام الفاعل نفس ان بورك على حذف حرف الجر اي بان بورك وان حينيذ اما ناصبة في الاصل واما
مخففة الثالث انه ضمير المصدر المفهوم من الفعل اي نودي النداء ثم فسر بما بعده ومثله ثم بدا لهم من بعد ما راوا الايات
ليسجننه **قوله تعالى** من في النار من قايم مقام الفاعل لبورك وبارك يتعدى بنفسه ولذلك بني للمفعول فقال
باركك الله وبارك عليك وبارك فيك وبارك لك قال الشاعر

وقال عبد الله بن الزبير	فبوركت مولودا وبوركت ناشيا ● وبوركت عند الشيب اذ انت شايب	
	فبورك في بنيك وفي بنيهم ● اذا ذكروا ونحن لك الفداء	
وقال اخر	فبورك في الميت الغريب كما ● بورك في نبع الرمان والزيتون	

والمراد بمن اما الباري تعالى وهو على حذف مضاف اي من قدرته وسلطانه في النار وقيل المراد به موسى والملايكة
من حولها وقيل المراد بمن غير العقلاء وهو النور والامكنة التي حولها فالاول مروي عن ابن عباس وروي ايضا عنه انه قال
معناه باركت النار وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس ايضا قال سمعت ابيا يقرا ان بوركت النار ومن حولها ومن قد تاتي
بمعنى ما كقوله ومنهم من يمشي على بطنه وما تكون صلة في الكلام لقوله جند ما هنالك ومعناه بورك من في النار وفيمن
حولها وهم الملايكة وموسى عليهم السلام وقال الزمخشري بورك من في النار بورك من في مكان النار ومن حول مكانها
ومكانها هي البقعة التي حصلت فيها وهي البقعة المذكورة في قوله من شاطي الوادي الايمن في البقعة المباركة ويدل
عليه قراءة ابي تباركت الارض ومن حولها **قوله تعالى** وسبحان الله فيه وجهان الاول انها من تتمة النداء اي نودي بالبركة
وتنزيه رب العزة اي نودي بمجموع الامرين الثاني انه من كلام الله تعالى مخاطبا لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم وهو على
هذا اعتراض بين ابناء القصة الثالث ان معناه وبورك من سبح الله يعني انه حذف من وصلتها وابقى معمول الصلة اذ
التقدير بورك من في النار ومن حولها ومن قال سبحان الله وسبحان في الحقيقة ليس معمولا للقال بل الفعل من لفظه
وذلك الفعل هو المنصوب بالقول **فصل** روي عن ابن عباس وسعيد بن جبير والحسن في قوله بورك من في
النار يعني قدس من في النار وهو الله اعني به نفسه على معنى انه نادى موسى منها واسمعه كلامه من جهتها كما روي انه
مكتوب في التوراة جاء الله من سيناء واشرق من ساعير واستعلى فاران فمجيئه من سيناء بعثته موسى منها ومن ساعير
بعثة المسيح ومن جبال فاران بعثة المصطفى منها وفاران مكة وهل كان ذلك نوره عز وجل قال سعيد بن جبير
كانت النار بعينها والنار احدى حجب الله تعالى كما جاء في الحديث حجابه النار لو كشفها لاحرقت سبحات وجهه ما انتهى اليه
بصره من خلقه والسبب الذي لاجله بوركت البقعة وبورك من فيها ومن حولها حدوث هذا الامر العظيم فيها
وهو تكليم موسى وجعله رسولا واظهار المعجزات عليه ولهذا جعل الله ارض الشام موسومة بالبركات في قوله
ونجيناه ولوطا الى الارض التي باركنا فيها وحقت ان تكون كذلك فهي مبعث الانبياء عليهم السلام ومهبط الوحي وكفاتهم
احياء وامواتا ولما نزه نفسه وهو المنزه من كل سوء وعيب تعرف الى موسى بصفاته **قوله تعالى** يا موسى انه انا الله العزيز
الحكيم في اسم ان وجهان اظهرهما انه ضمير الشان وانا الله مبتدا وخبره والعزيز الحكيم صفتان لله والثاني انه ضمير راجع
الى ما دل عليه ما قبله يعني ان مكلمك انا والله بيان لانا والعزيز الحكيم صفتان لله والثاني انه ضمير راجع للبيان قاله
الزمخشري قال ابو حيان واذا حذف الفاعل وبني الفعل للمفعول فلا يجوز ان يعود الضمير على ذلك المحذوف اذ
قد غير الفعل عن بنائه وعزم على ان لا يكون محدثا عنه فعود الضمير اليه مما ينافي ذلك اذ يصير معتنى به قال شهاب
الدين وفيه نظر لانه قد يلتفت اليه وقد تقدم ذلك في البقرة عند قوله فمن عفي له ثم قال واداء اليه باحسان فتل
دلي من عفي وهو ولي الدم كما تقدم تحريره ولئن سلم ذلك فالزمخشري لم يقل انه عايد على ذلك الفاعل انما قال راجع
الى ما دل عليه ما قبله يعني من السياق وقال ابو البقاء يجوز ان يكون ضمير رب اي ان الرب انا الله فيكون انا فصلا
او توكيدا او خبر ان والله بدل منه وقيل الهاء في قوله انه عماد وليست بكناية فان قيل هذا النداء يجوز ان يكون
من عند غير الله فكيف علم موسى انه من الله فالجواب لاهل السنة فيه طريقان الاول انه سمع الكلام المنزه عن مشابهة
كلام المخلوقين فعلم بالضرورة انه صفة الله الثاني قول ائمة ما وراء النهر وهو انه عليه السلام سمع الصوت من الشجرة
فيقول انما عرف ان ذلك من الله تعالى لامور الاول ان النداء اذا حصل في النار والشجرة علم انه من قبل الله تعالى لان
احدا منا لا يقدر عليه وهذا ضعيف لاحتمال ان الشيطان دخل في النار والشجرة ثم نادى والثاني يجوز في نفس النداء
ان يكون قد بلغ العظم مبلغا لا يكون الا معجزا وهو ايضا ضعيف لانا لا نعرف مقادير قوى الملايكة والشياطين
فلا قدر الا ويجوز صدوره منهم الثالث انه قد يقترن به معجزا دل على ذلك وقيل ان النار كانت مشتعلة في شجرة خضراء
لم تحترق فصار ذلك كالمعجزة وهذا ايضا في غاية البعد والضعف انه كيف تنادي النار والشجرة وتقول يا موسى

اني انا ربك واني انا الله رب العالمين **قوله تعالى** والق عطف على ما قبله من الجملة الاسمية الخبرية وقد تقدم
ان سيبويه لا يشترط تناسب الجمل وانه يجيز جاء زيد ومن ابوك وتقدم مسألة اول البقرة وقال الزمخشري فان
قلت علام عطف قوله والق عصاك قلت على قوله بورك لان المعنى نودي ان بورك وقيل له الق عصاك والدليل
على ذلك قوله وان الق عصاك بعد قوله ان يا موسى اني انا الله على تكرير حرف التفسير كما يقال كتبت اليه ان حج واعتمر وان
شيت ان حج وان اعتمر قال ابو حيان وقوله انه معطوف على بورك مناف لتقديره وقوله الق عصاك لان هذه جملة
معطوفة على بورك وانما احتاج الى تقدير وقيل له الق لتكون جملة خبرية مناسبة للجملة الخبرية التي عطفت عليها
كانه يرى في العطف تناسب الجمل المتعاطفين والصحيح انه لا يشترط ذلك ثم ذكر مذهب سيبويه **قوله تعالى** فلما
راها تهتز كانها جان وهي الحية الصغيرة التي يكثر اضطرابها سميت جانا لانها تستتر عن الناس وقرا الحسن والزهري
وعمرو بن عبيد جأن بهمزة مكان الالف وتقدم تقرير هذا عند قوله ولا الضالين على لغة من يهرب من التقاء
الساكنين فيقول شابة ودابة ولى مدبرا هاربا من الخوف ولم يعقب لم يرجع يقال عقب فلان اذا رجع وكل راجع معقب
وقال قتادة ولم يلتفت فقال الله يا موسى لا تخف اني لا يخاف لدي المرسلون يريد اذا امنتهم لا يخافون وقيل المراد
اني اذا امرتهم باظهار معجز ان لا يخافوا باظهار ذلك والا فالمرسل قد يخاف لا محالة لان الخوف الذي هو شرط الايمان
لا يفارقهم قال النبي صلى الله عليه وسلم انا اخشاكم لله **قوله تعالى** تهتز كانها جملة حالية من هاء راها لان
الرؤية بصرية وقوله كانها جان يجوز ان تكون حالا ثانية وان تكون حالا من ضمير تهتز فتكون حالا متداخلة وقوله
ولم يعقب يجوز ان يكون ولي وان يكون حالا اخرى والمعنى ولم يرجع على عقبه كقوله

فما عقبوا اذ قيل هل من معقب ● ولا نزلوا يوم الكريهة منزلا ●

قوله تعالى الا من ظلم فيه وجهان الاول انه استثناء منقطع لان المرسلين معصومون من المعاصي وهذا هو الظاهر
الصحيح والمعنى لكن من ظلم من ساير الناس فانه يخاف فان تاب وبدل حسنا بعد سوء فاني غفور رحيم الثاني انه
متصل وللمفسرين فيه عبارات قال الحسن ان موسى ظلم بقتل القبطي ثم تاب فقال رب اني ظلمت نفسي فاغفر لي وقال ابن
جريج قال الله تعالى اخفتك لقتلك النفس وقيل معنى الاية لا يخيف الله الانبياء الا بذنب يصيبه احدهم فان اصابه
اخافه حتى يتوب وقيل محمول على ما يصدر من الانبياء من ترك الافضل وقال بعض النحويين الا هنا بمعنى ولا بمعنى
لا يخاف لدي المرسلون ولا المذنبون التايبون كقوله تعالى لئلا يكون للناس عليكم حجة الا الذين ظلموا يعني ولا الذين
ظلموا وعن الفراء انه متصل لكن من جملة محذوفة تقديره وانما يخاف غيرهم الا من ظلم ورده النحاس بانه لو جاز هذا
لجاز لا اضرب القوم الا زيدا اي وانما اضرب غيرهم الا زيدا وهذا ضد البيان والمجيء بما لا يعرف معناه وقدره الزمخشري
لكن وهي علامة على انه منقطع وذكر كلاما طويلا الا فعلى الانقطاع يكون منصوبا فقط على لغة الحجاز وعلى لغة تميم
يجوز فيه النصب والرفع على البدل من الفاعل قبله واما على الاتصال فيجوز فيه الوجهان على اللغتين ويكون الاختيار
البدل لان الكلام غير موجب وقرا ابو جعفر وزيد بن اسلم الا بفتح الهمزة وتخفيف اللام جعلها حرف تنبيه ومن شرطية
وجوابها فاني غفور والعامة على تنوين حسنا ومحمد بن عيسى الاصبهاني غير منون جعله فعلى مصدرا كرجعى فمنعها
الصرف لالف التانيث وابن مقسم بضم الحاء والسين منونا ومجاهد وابو حيوة ورويت عن ابي عمرو بفتحهما وتقدم تحقيق
القراءتين في البقرة **قوله تعالى** تخرج الظاهر انه جواب كقوله ادخل اي ان ادخلها تخرج على هذه الصفة وقيل في الكلام
حذف تقديره ادخل يدك تدخل واخرجها تخرج فحذف من الثاني ما اثبته في الاول ومن الاول ما اثبته في الثاني
وهذا تقدير ما لا حاجة اليه **قوله تعالى** بيضاء حال من فاعل تخرج ومن غير سوء يجوز ان يكون حالا اخرى او من الضمير
في بيضاء او صفة لبيضاء والمراد بالجيب جيب القميص قال المفسرون كانت عليه مدرعة من صوف لا كمين لها ولا
ازرار فادخل يده في جيبه واخرجها فاذا هي تبرق مثل البرق **قوله تعالى** في تسع ايات فيه اوجه الاول انه حال
ثالثة قاله ابو البقاء يعني من فاعل تخرج اي انه في تسع ايات كذا قدره ابو البقاء الثاني انها متعلقة بمحذوف اي اذهب
في تسع وقد تقدم اختيار الزمخشري لذلك وعند ذكر البسملة ونظيره كقول الاخر

● فقلت الى الطعام فقال منهم ● وفريق الحسد الطعام البنين ●

وجعل هذا التقدير اعرب واحسن الثالث ان تتعلق بقوله والق عصاك وادخل قال الزمخشري ويجوز ان يكون
المعنى والق عصاك وادخل يدك في تسع ايات في جملة تسع ايات انت مرسل بهن الى فرعون وقومه لان اليد والعصا والتسع
الفلق والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والطمسة والجدب في بواديهم والنقصان من مزارعهم انتهى
وعلى هذا يكون في بمعنى مع اي هما ايتان مع تسع ايات انت مرسل بهن الى فرعون وقومه لان اليد والعصا حينئذ خارجتان

من التسع وكذا فعل ابن عطية اعني انه جعل في تسع متصلا بالق وادخل لانه جعل اليد والعصا من جملة التسع
وقيل تقديره بتمهيد ذلك لك وسر في تسع وجعل الزجاج في بمعنى من كما تقول خذلي من الابل عشرا فيها فحلان
اي منها فحلان **قوله** الى فرعون هذا متعلق بما تعلق به في تسع اذا لم نجعله حالا فان جعلناه حالا علقناه بمحذوف
فقدره ابو البقاء مرسلة الى فرعون وفيه نظر لانه كون مقيد وسبقه الى هذا التقدير الزجاج وكانهما ارادا تفسير
المعنى دون الاعراب وجوز ابو البقاء ايضا ان يكون صفة لايات وقدره واصلة الى فرعون وفيه ما تقدم **قوله**
مبصرة حال ونسب الابصار اليها مجازا لان بها يبصر وقيل هي من ابصر المنقولة بالهمزة من بصر اي انها تبصرهم لما
فيها من الظهور ولكنه مجاز آخر غير الاول وقيل بمعنى مفعول نحو ماء دافق اي مدفوق وقرا علي بن الحسين وقتادة بفتح
الميم والصاد اي على وزن ارض مسبعة اي ذات سباع ونصبها على الحال ايضا وجعلها ابو البقا في هذه القراءة مفعولا
من اجله وقد تقدم ذلك ومعنى مبصرة بينة واضحة قالوا هذا سحر مبين ظاهر **قوله تعالى** وجحدوا بها اي انكروا الايات
ولم يقروا انها من عند الله **قوله تعالى** واستيقنتها انفسهم يجوز ان تكون هذه الجملة معطوفة على الجملة قبلها ويجوز
ان تكون حالا من فاعل جحدوا وهو ابعد في الذم واستفعل هنا بمعنى تفعل نحو استعظم واستكبر والمعنى انهم
علموا انها من عند الله وفائدة ذكر الانفس انهم جحدوا بالسنتهم واستيقنوها في قلوبهم وضمائرهم والاستيقان ابلغ
من الايقان **قوله تعالى** ظلما وعلوا يجوز ان يكونا في موضع الحال اي ظالمين عالين وان يكونا مفعولا من اجلهما اي الحامل
على ذلك الظلم والعلو وقرا عبد الله وابن وثاب والاعمش وطلحة وعليا بكسر العين واللام وقلب الواو ياء وتقدم تحقيقه
في عتيا في مريم وروي عن الاعمش وابن وثاب بضم العين كما في عتيا وقرا وغلوا بالغين معجمة وهو قريب من هذا المعنى
اي ظلم الحق من ظلم من استيقن انها ايات بينة من عند الله ثم كابر بتسميتها سحرا مبينا والعلو التكبر والترفع على
الايمان والترك وعدم الايمان بما جاء به موسى كقوله تعالى فاستكبروا وكانوا قوما عالين فانظر كيف كان عاقبة
المفسدين فان قيل كيف كان عاقبة كيف خبر مقدم وعاقبة اسمها والجملة في محل نصب على اسقاط الخافض لانها
معلقة لانظر بمعنى تفكر **قوله تعالى** ولقد اتينا داود وسليمان علما الاية والمراد بالعلم اي علم القضاء ومنطق
الطير والدواب وتسبيح الجبال والمعنى طائفة من العلم والمعنى حسنا عزيزا **قوله تعالى** وقالا قال الزمخشري فان قلت
اليس هذا موضع الفاء دون الواو كقولك اعطيته فشكر ومنعته فصبر قلت بلى ولكن عطفه بالواو اشعار بان ما قالاه
بعض ما احدث فيهما ايتاء العلم وشيء من مواجيبه فاضمر ذلك ثم عطف عليه التحميد كانه قيل واتيناهما علما فعملا به
وعلماه وعرفا حق معرفته وقالا الحمد لله انتهى وانما نكر علما تعظيما له اي علما سنيا او دلالة على التبعيض لانه قليل
جدا بالنسبة الى علمه تعالى **فصل** المعنى وقالا الحمد لله الذي فضلنا بالنبوة والكتاب وتسخير الجن والطير
والانس على كثير من عباده المؤمنين ولم يفضلوا انفسهم على الكل وذلك يدل على حسن التواضع **قوله تعالى** وورث سليمان
داود قال الحسن المال لان النبوة عطية مبتداة لا تورث وقال غيره بل النبوة والعلم والملك دون اولاده ولو قال
الحسن نعلم ان المال لا يورث عن الانبياء لقوله عليه السلام نحن معاشر الانبياء لا نورث ما تركناه صدقة وايضا فان
المال اذا ورثه الولد فهو ايضا عطية مبتداة من الله تعالى ولذلك يرث الولد اذا كان مؤمنا ولا يرثه اذا كان كافرا
او قاتلا ولا كذلك النبوة لان النبوة لا تكون سببا لنبوة الولد وكان لداود تسعة عشر ابنا واعطي سليمان ما اعطي
داود من الملك وزيد له تسخير الريح وتسخير الشياطين قال مقاتل كان سليمان اعظم ملكا من داود واقضى منه وكان
داود اشد تعبدا من سليمان وكان سليمان شاكرا لنعم الله وقال يا ايها الناس علمنا منطق الطير يعني صوته سمي صوت
الطير منطقا لحصول الفهم منه كما يفهم من كلام الناس روي عن كعب قال صاح ورشان عند سليمان عليه السلام قال
اتدرون ما يقول قالوا لا قال انه يقول لدوا للموت وابنوا للخراب وصاحت فاختة فقال اتدرون ما تقول قالوا لا
قال فانها تقول ليت ذا الخلق لم يخلقوا وصاح طاووس فقال اتدرون ما يقول قالوا لا قال فانه يقول كما تدين تدان
وصاح هدهد فقال اتدرون ما يقول قالوا لا قال فانه يقول استغفروا الله يا مذنبين وصاح طيطوى فقال اتدرون
ما يقول قالوا لا قال فانه يقول كل حي ميت وكل جديد بال وصاح خطاف فقال اتدرون ما يقول قالوا لا قال فانه
يقول قدموا خيرا تجدوه وهدرت حمامة فقال اتدرون ما تقول قالوا لا قال فانها تقول سبحان ربي الاعلى قال والغراب
يدعو على العشار والحداة تقول كل شيء هالك الا الله والقطاة تقول من سكت سلم والببغا تقول ويل لمن الدنيا همه
والضفدع تقول سبحان ربي القدوس والبازي يقول سبحان ربي وبحمده **فصل** وعن مكحول قال صاح دراج
عند سليمان فقال اتدرون ما يقول قالوا لا قال فانه يقول الرحمن على العرش استوى **قوله تعالى** واوتينا من كل شيء
يعني الانبيا والملوك قال ابن عباس من امر الدنيا والاخرة وقال مقاتل يعني النبوة والملك وتسخير الجن والشياطين

والوجه

والوجه ان هذا لهو الفضل المبين والمراد بقوله اوتينا من كل شيء كثرة ما اوتي لان كثرة المشاركة سبب للجواز لا
استعارة فلا جرم يطلق لفظ الكل على الكثرة كقوله واوتيت من كل شيء وقوله ان هذا لهو الفضل المبين اي الزيادة
الظاهرة على ما اعطي غيرنا روي ان سليمان اعطي ملك مشارق الارض ومغاربها فملك سبع مائة وست اشهر
ملك جميع الدنيا من الجن والانس والدواب والطير والسباع واعطي على ذلك منطق كل شيء وفي زمانه صنعت الصنائع
العجيبة فقوله ان هذا لهو الفضل المبين تقرير لقوله الحمد لله الذي فضلنا والمقصود منه الشكر والمحمدة كما قال عليه
السلام انا سيد ولد آدم ولا فخر فان قيل كيف قال علمنا وهو كلام المتكبر فالجواب من وجهين الاول ان يريد
نفسه واباه والثاني ان هذه النون يقال لها نون الواحد المطاع وكان ملكا مطاعا **قوله تعالى** وحشر لسليمان وجمع
لسليمان جنوده من الجن والانس والطير في مسيره فقوله من الجن وما بعده بيان لجنوده فيتعلق بمحذوف ايضا
قوله تعالى فهم يوزعون اي يمنعون ويكفون والوزع الكف والحبس يقال وزعه يزعه فهو وازع وموزوع وقال
عثمان رضي الله عنه ما يزع السلطان اكثر مما يزع القران وقيل لا بد للقاضي من وزعة وقال الشاعر

ومن لم يزعه لبه وحياؤه ● فليس له من شيب فوديه وازع ●

قوله تعالى اوزعني ان اشكر بمعنى الهمني من هذا لان تحقيقه معنى اجعلني بحيث ازع نفسي عن الكفر فقوله فهم يوزعون
معناه يحبسون وهذا لا يكون الا اذا كان في كل قبيل منها وازع متسلط على من يرده ويكفه قال قتادة كان على كل
صنف من جنوده وزعة ترد اولاها على اخراها لئلا يتقدموا في المسير والوازع الحابس والنقيب وقال مقاتل يوزعون
يساقون وقال السدي يوقفون وقيل يجمعون **قوله تعالى** حتى اذا في المعنى بحتى وجهان احدهما هم يوزعون لانه
يتضمن معنى يسيرون ممنوعا بعضهم من مفارقة بعض حتى اذا والثاني انه محذوف فساروا حتى وتقدم الكلام في حتى
الداخلة على اذا هل هي حرف ابتداء او حرف جر **قوله تعالى** على واد يتعلق باتوا وانما عدي بعلى لان الواقع كذا
لانهم كانوا محمولين على الريح فهم مستعلون وقيل هو من قولهم اتيت عليه اي استقصيته الى اخره والمعنى انهم قطعوا
الوادي كله وبلغوا اخره ووقف القراء كلهم على واد دون ياء اتباعا للرسم ولانها محذوفة اصلا لفظا لالتقاء الساكنين
في الوصل ولانها قد تحذف حيث لم تحذف لالتقاء الساكنين في الوصل ولانها قد تحذف حيث لم تحذف لالتقاء الساكنين
نحو جابوا الصخر بالواد فحذفها وقفا وقد عهد حذفها دون التقاء الساكنين فحذفها عند التقاء الساكنين اولى
الا الكسائي فانه وقف بالياء قال لان الموجب للحذف انما هو التقاء الساكنين بالوصل وقد زال فعادت اللام واعتذر
عن مخالفة الرسم بقوة الاصل والنمل اسم جنس معروف واحده نملة ويقال بضم النون وسكون الميم ونملة ونمل بضمها ونملة
بالفتح والضم بوزن سمرة ونمل بوزن رجل واشتقاقه من التنمل لكثرة حركته ومنه قيل للواشي النمل يقال انمل بين القوم
ينمل اي وشى ونم لكثرة تردده وحركته في ذلك قال ● ولست بذي نيرب فيهم ● ولا منمش منهم منمل ● ويقال ايضا
نمل ينمل فهو نمل ونمال وتنمل القوم تفرقوا للجمع تفرق النمل وفي المثل اجمع من نملة والنملة ايضا قرحة تخرج في
الجنب تشبيها بها في الهيئة والنملة ايضا شق في الحافر ومنه فرس نمول القوائم والانملة طرف الاصبع من ذلك
لدقتها وسرعة حركتها والجمع انامل **فصل** قال كعب كان سليمان اذا سار بعسكره حملته الريح فهوى بهم
فسار من اصطخر الى اليمن فمر على مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم فقال سليمان هذه دار هجرة نبي الله في اخر الزمان
طوبى لمن امن به وطوبى لمن اتبعه وراى حول البيت اصناما تعبد من دون الله فلما جاوز سليمان البيت بكى البيت فاوحى
الله الى البيت ما يبكيك قال يا رب ابكاني ان هذا نبي من انبيائك وقوم من اوليائك مروا علي فلم يهبطوا ولم يصلوا عندي
والاصنام تعبد حولي من دونك فاوحى الله اليه لا تبك فاني سوف املاك وجوها سجدا وانزل فيك قرانا جديدا وابعث
منك في اخر الزمان احب انبيائي الي واجعل فيك عمارا من خلقي يعبدونني وافرض على عبادي فريضة يزفون اليك
زفيف النسور الى اوكارها ويحنون اليك حنين الناقة الى ولدها والحمامة الى بيضها واطهرك من الاوثان وعبدة
الشياطين ثم مضى سليمان حتى مر بوادي السدير من الطائف واتى على وادي النمل هكذا قال كعب انه واد بالطائف وقال
مقاتل انه واد بالشام كثير النمل وقيل واد كان يسكنه الجن واولئك النمل مراكبهم **قوله تعالى** قالت نملة هذه النملة هنا
مؤنثة حقيقة بدليل لحاق علامة التانيث فعلها لان نملة تطلق على الذكر وعلى الانثى فاذا اريد تمييز ذلك قيل
نملة ذكر ونملة انثى نحو حمامة ويمامة وحكى الزمخشري عن ابي حنيفة رحمه الله انه وقف على قتادة وهو يقول سلوني
فامر من ساله عن نملة سليمان هل كانت ذكرا ام انثى فلم يجب فقيل لابي حنيفة في ذلك فقال كانت انثى واستدل بلحاق
العلامة قال الزمخشري وذلك ان النملة مثل الحمامة والشاة في وقوعها على الذكر والانثى فيميز بينهما بعلامة نحو قولهم
حمامة ذكر وحمامة انثى وهو وهي انثى وقد رد هذا ابو حيان فقال لحاق التاء لا يدل على ان النملة مؤنثة بل يصح

ان يقال في المذكر قالت نملة لان نملة وان كانت بالتاء هو مما لا يتميز فيه المذكر من المونث وما كان كذلك كالحمامة
والنملة مما بينه في الجمع وبين واحده تاء التانيث من الحيوان فانه يخبر عنه اخبار المونث ولا يدل كونه يخبر عنه اخبار المونث
على انه ذكر او انثى لان التاء دخلت فيه للفرق لا للدلالة على التانيث الحقيقي بل دالة على الواحد من هذا الجنس قال وكان قتادة
بصيرا بالعربية وكونه لم يجب دليل على معرفته باللسان اذ علم ان النملة يخبر عنها اخبار المونث وان كانت تطلق على الانثى
والذكر اذ لا يتميز فيه احد هذين ولحاق العلامة لا يدل فلا يعلم التذكير والتانيث الا بوحي من الله قال واما استنباط
تانيثه من كتاب الله بقالت ولو كانت ذكرا لقيل قال فكلام النحاة على خلافه وانه لا يخبر عنه الا اخبار المونث سواء كان ذكرا
ام انثى قال واما تشبيه الزمخشري النملة بالحمامة والشاة فبينهما قدر مشترك يتميز فيهما المذكر من المونث فيمكن ان يقال
حمامة ذكر وحمامة انثى فتميزه بالصفة واما تميزه بهو وهي فانه لا يجوز لا تقول هو الحمامة ولا هو الشاة واما النملة
والقملة فلا يتميز فيهما المذكر من المونث ولا يجوز في الاخبار الا التانيث وحكمه حكم المونث بالتاء من الحيوان نحو المراة
او غير العاقل كالدابة الا ان وقع فصل بين الفعل وبين ما اسند اليه من ذلك فيجوز ان يلحق العلامة وان لا يلحقها
على ما تقرر في علم العربية انتهى قال الشهاب لدي اما ما ذكره ففيه نظر من حيث ان التانيث اما لفظي او معنوي واللفظي
لا يعتبر في لحاق العلامة البتة بدليل انه لا يجوز قامت ربعة وانت تعني رجلا فكذلك لا يجوز قامت طلحة ولا حمزة
علما لمذكر فتعين ان يكون اللحاق انما هو للتانيث المعنوي وانما يعتبر لفظ التذكير والتانيث في باب العدد على معنى خاص
ايضا وهو انا ننظر الى ما عاملت العرب ذلك اللفظ به من تذكير او تانيث من غير نظر الى مدلوله فهناك له هذا الاعتبار
وتحقيقه هنا يخرجنا عن المقصود وانما نبهت على القدر المحتاج اليه واما النملة والقملة فلا تميز يعني لا يتوصل
الى معرفة الذكر منهما ولا الانثى بخلاف الحمامة والشاة فان الاطلاع على ذلك ممكن فهو ايضا ممنوع وقد يمكن الاطلاع
على ذلك فان الاطلاع على ذكورية الحمامة والشاة اسهل من الاطلاع على ذكورية النملة والقملة ومنعه ايضا ان يقال
هو الشاة وهو الحمامة ممنوع وقرا الحسن وطلحة ومعمر بن سليمان النمل ونملة بضم الميم وفتح النون بزنة رجل وسمرة
وسليمان التيمي بضمتين فيهما وتقدم ان ذلك لغات في الواحد والجمع **قوله تعالى** لا يحطمنكم فيه وجهان احدهما انه نهي
والثاني انه جواب للامر واذا كان نهيا ففيه قولان الاول انه نهي مستانف لا تعلق له بما قبله من حيث الاعراب وانما هو نهي
للجنود في اللفظ وفي المعنى للنمل اي لا تكونوا بحيث يحطمونكم كقولهم لا ارينك هاهنا والثاني انه بدل من جملة الامر قبله
وهي ادخلوا **فصل** وقد تعرض الزمخشري لذلك فقال فان قلت لا يحطمنكم ما هو قلت يحتمل ان يكون جوابا للامر
وان يكون نهيا بدلا من الامر والذي جوز ان يكون بدلا انه في معنى لا تكونوا من حيث انهم يحطمونكم على
طريقة لا ارينك هاهنا اردت لا يحطمنكم جنود سليمان فجاءت بما هو ابلغ ونحوه عجبت من نفسي ومن اشفاقها قال ابو حيان
اما تخريجه على انه جواب الامر فلا يكون ذلك الا على قراءة الاعمش فانه مجزوم مع انه يحتمل ان يكون استيناف نهي يعني ان
الاعمش قرا لا يحطمكم بجزم الميم دون نون توكيد قال واما مع وجود نون التوكيد فلا يجوز ذلك الا ان كان في شعر
والا اذا لم يجز ذلك في جواب الشرط الا في الشعر فاحرى ان لا يجوز في جواب الامر الا في الشعر وكونه جواب الامر متنازع
فيه على ما قرر في علم النحو ومثال لمجيء النون في جواب الشرط قول الشاعر

وقول الاخر	يقيم بباب الخير رانة في الثري • حدثنا مني ما يانك الخير ينفعا •	
	فمهما تشا منه فزارة يعطكم • ومهما تشا منه فزارة تمنعا •	قال سيبويه وهو قليل

في الشعر شبهوه بالنهي حيث كان مجزوما غير واجب قال واما تخريجه على البدل فلا يجوز لان مدلول لا يحطمنكم مخالف
لمدلول ادخلوا واما قوله لانه في معنى لا تكونوا حيث انتم فيحطمنكم فتفسير معنى لا اعراب والبدل من صفة الالفاظ نعم لو كان
اللفظ القراني لا يحطمنكم لتخيل فيه البدل لان الامر بدخول الساكن نهي عن كونهم بظاهر الارض واما قوله انه اراد لا
يحطمنكم جنود سليمان الى اخره فيسوغ زيادة الاسماء وهي لا تجوز بل الظاهر اسناد الحكم الى جنوده وهو على حذف مضاف
اي خيل سليمان وجنوده او نحو ذلك مما يصح تقديره انتهى اما منعه كونه جواب الامر لاجل النون فقد سبقه اليه
ابو البقا فقال وهو ضعيف لان جواب الشرط لا يوكد بالنون في الاختيار واما منعه البدل بما ذكر فلا نسلم تغاير
المدلول بالنسبة لما يؤول اليه المعنى واما قوله وجاء الخطاب قولها ادخلوا لخطاب العقلاء لما عوملوا معاملتهم
وقرا ابي ادخلن مساكنكن لا يحطمنكم بالنون الخفيفة جاء به على الاصل وقرا شهر بن حوشب مسكنكم بالافراد وقرا الحسن
وابو رجاء وقتادة وعيسى الهمداني بضم الياء وفتح الحاء وتشديد الطاء والنون مضارع حطمه بالتشديد وقرا الحسن ايضا
قراءتان بفتح الياء وتشديد الطاء مع سكون الحاء وكسرها والاصل لا تحتطمنكم فادغم واسكان الحا مشكل تقدم نظيره
في لا يهدي ونحوه وقرا ابن ابي اسحاق ويعقوب وابو عمرو في رواية بسكون نون التوكيد والحطم الكسر يقال منه حطمه حطمه

فحطمه وتستعمل بكل كسر ومعناه والحطام ما تكسر يبسا وغلب على الاشياء التافهة والحطم السابق السريع كانه يحطم الابل
قال الشاعر • قد لفها الليل بسواق حطم • ليس براعي ابل ولا غنم • ولا بجزار على ظهر وضم •
والحطمة من دركات النار ورجل حطمة للاكول تشبيها لبطنه بالنار كقوله • كانما في جوفه تنور •
وقوله تعالى وهم لا يشعرون جملة حالية **فصل** قال الشعبي كانت تلك النملة ذات جناحين فنادت
يا ايها النمل ادخلوا مساكنكم ولم تقل ادخلن لانه لما جعل لهم قولا كالادميين خوطبوا بخطاب الادميين لا يحطمنكم
لا يكسرنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون فسمع سليمان قولها وكان لا يتكلم خلق الا حملته الريح ذلك فالقته في مسامع
سليمان فان قيل كيف يتصور الحطم من سليمان وجنوده وكانت الريح تحمل سليمان وجنوده على بساط بين السماء والارض
فالجواب كانت جنوده ركبانا وفيهم مشاة على الارض تطوى بهم وقيل يحتمل ان يكون هذا قبل تسخير الله الريح لسليمان
قال المفسرون علم النمل ان سليمان نبي ليس فيه جبرية ولا ظلم ومعنى الاية انكم لو لم تدخلوا مساكنكم وطئكم ولم يشعروا بكم
وروي ان سليمان لما بلغ وادي النمل حبس جنده حتى دخل النمل بيوتهم قال اهل المعاني في كلام هذه النملة انواع من البلاغة
نادت • ونبهت • وسمت • وامرت • ونصت • وحذرت • وخصت • وعمت • واشارت • ووجهه نادت يا • نبهت ها •
سمت النمل • امرت ادخلوا • نصت مساكنكم • حذرت لا يحطمنكم • خصت سليمان • وعمت جنوده • اشارت وهم • اعتذرت
لا يشعرون **قوله** ضاحكا قيل هي موكدة لانها مفهومة من تبسم وقيل بل هي حال مقدرة فان التبسم ابتداء الضحك
وقيل لما كان التبسم قد يكون للغضب ومنه تبسم الغضبان اي تضاحكا مبينا له قال عنترة •
• لما راني قد قصدت اريده • ابدى نواجذه لغير تبسم •
وتبسم تفعل بمعنى بسم المجرد قال الشاعر • تبسم عن المى كان منورا • تخلل حر الرمل وعض له ندي •
وقال بعض المولدين • كانما تبسم عن لولو • منضد او برد او قاح • وقرا ابن السميقع ضحكا مقصورا وفيه ثلاثة
اوجه الاول انه مصدر موكد بمعنى تبسم لان تفعله على فعل بكسر العين فهو لازم فهو كفرح وبطر **قوله تعالى**
ان اشكر مفعول ثان لاوزعني لان معناه الهمني وفعل معناه اصلق ازع شكر نعمتك اي اكفه وامنعه حتى لا ينفلت مني
فلا انفك شاكرا وتفسير الزجاج له امنعني ان اكفر نعمتك من باب تفسير المعنى باللازم **فصل** قال الزجاج اكثر
ضحك الانبياء التبسم وقوله ضاحكا اي متبسما قيل كان اوله التبسم واخره الضحك قال مقاتل كان ضحك سليمان من قول
النملة تعجبا لان الانسان اذا راى ما لا عهد له تعجب وضحك وانما ضحك لامرين احدهما اعجابه بما دل من قولها على
ظهور رحمته ورحمة جنوده وعلى شهرة حاله وحالهم في التقوى وهو قولها وهم لا يشعرون والثاني سروره بما اتاه
الله ما لم يوت احدا من سمع كلام النملة واحاطته بمعناه ثم حمد سليمان ربه بما انعم عليه فقال رب اوزعني ان اشكر
نعمتك الهمني ان اشكر نعمتك التي انعمت علي وعلى والدي وان اعمل صالحا ترضاه وادخلني في عبادك الصالحين وهذا يدل
على ان دخول الجنة برحمته وفضله لا باستحقاق العبد والمعنى ادخلني في جملتهم واثبت اسمي في اسمائهم واحشرني في زمرتهم
قال ابن عباس يريد مع ابراهيم واسحاق ويعقوب ومن بعدهم من الانبياء فان قيل درجات الانبياء افضل من درجات
الاولياء والصالحين فما السبب في ان الانبياء يطلبون جعلهم من الله وقال ابراهيم توفني مسلما والحقني بالصالحين
وقال سليمان وادخلني في عبادك الصالحين فالجواب الصالح الكامل هو الذي لا يعصي الله ولا يهم بمعصية وهذه
درجة عالية **قوله تعالى** وتفقد الطير الاية تفقد الطير طلبها وبحث عنها والتفقد طلب ما فقد والمعنى طلب
ما فقد من الطير واختلفوا في تفقده لاجله فقيل لانه اخل بالنوبة التي كان ينوبها وقيل لان هندسة الماء كانت
اليه وكان يرى الماء تحت الارض كما يرى في الزجاجة وكان يعرف قربه وبعده في عمق الارض **فصل** قال
سعيد بن جبير لما ذكر ابن عباس هذا قال له نافع بن الازرق يا وصاف انظر ما تقول ان الصبي منا يضع الفخ ويحثو عليه
التراب فيجي الهدهد ولا يبصر الفخ حتى يقع في عنقه فقال له ابن عباس ويحك اذا نزل القضاء والقدر ذهب اللب وعمي
البصر وهذا القول فيه نظر لان الجن اعرف بالارض من الهدهد فانهم سكانها وقيل لانه كان يظله من الشمس **قوله**
ما لي لا ارى الهدهد هذا استفهام توقيف ولا حاجة الى ادعاء القلب وان الاصل ما للهدهد لا اراه اذ المعنى قوي
دونه والهدهد معروف وتصغيره على هديهد وهو القياس وزعم بعض النحويين انه يقلب بالتصغير الفا فيقال
هداهد وانشد • كهداهد كسر الرماة جناحه • يدعو بقارعة الطريق هديلا •
كما قالوا كداية ودوابة وسوايه في ذريبة ودويبة وسويبة ورد بعضهم بان ... الهداهد الحمام الكثير ترجيع الصوت وزعم العرب
ان جارحا في زمن الطوفان اختطف فرخ حمامة يسمى الهديل قالوا فكل حمامة تبكي انما تبكي على الهديل **قوله تعالى** ام كان
ام هذه المنقطعة وتقدم الكلام فيها وقال ابن عطية قوله تعالى ما لي لا ارى الهدهد مقصد الكلام الهدهد غاب

ولكنه اخر اللازم عن مغيبه وهو ان لا يراه فاستفهم على جهة التوقف عن اللازم وهذا ضرب من الايجاز والاستفهام الذي في قوله مالي ناب منابه الالف التي تحتاجها ام قال ابو حيان فظاهر كلامه ان ام متصلة وان الاستفهام الذي في قوله مالي نائب منابه الالف الاستفهام فمعناه اغاب عني الان فلم اره حال التفقد ام كان ممن غاب قبل ولم اشعر بغيبته قال شهاب الدين ولا يظن بابي محمد ذلك فانه لا يجهل ان شرط المتصلة تقدم همزة الاستفهام والتسوية لا مطلق الاستفهام **قوله تعالى** عذابا اي تعذيبا فهو اسم مصدر او مصدر على حذف الزوايد كانبتكم من الارض نباتا وقد كتبوا ولا اذبحنه بزيادة الف بين لام الف والذال ولا يجوز ان يقرا بها وهذا كما تقدم انهم كتبوا ولا اوضعوا خلالكم بزيادة الف بين لام الف والواو **قوله تعالى** وليأتيني قرا ابن كثير بنون التوكيد المشددة بعدها نون الوقاية وهذا هو الاصل واتبع مع ذلك رسم مصحفه والباقون بنون مشددة فقط والاظهر انها نون التوكيد الشديدة توصل بكسرها ليا المتكلم وقيل بل هي نون التوكيد الخفيفة ادغمت في نون الوقاية وليس بشي لمخالفة الفعلين قبله وعيسى بن عمر بنون مشددة مفتوحة لم يصلها بالياء **فصل** قال المفسرون معنى الاية ما للهدهد لا اراه تقول العرب مالي اراك كئيبا فقال مالي لا ارى الهدهد على تقدير انه مع جنوده وهو لا يراه ثم ادركه الشك في غيبته فقال ام كان من الغائبين يعني اكان من الغائبين والميم صلة وقيل ام بمعنى بل ثم اوعد على غيبته فقال لاعذبنه عذابا شديدا فقيل ينتف ريشه ويضعه لهوام الارض وقيل يحبسه في القفص وقيل بان يفرق بينه وبين الفه وقيل لحبسه مع ضده او لاذبحنه او ليأتيني بسلطان مبين بحجة ظاهرة **قوله تعالى** فمكث قرا عاصم بفتح الكاف والباقون بضمها وهما لغتان الا ان الفتح اشهر ولذا جا اسم الفاعل على ماكث دون مكيث واعتذر عنه بان فاعلا قد جاء بفعل بالضم نحو حمض فهو حامض وخثر فهو خاثر وفره فهو فاره **قوله تعالى** غير بعيد يجوز ان يكون صفة للمصدر اي مكثا غير بعيد وللمكان اي مكانا غير بعيد والظاهر ان الضمير في مكث للهدهد او لسليمان عليه السلام فقال احطت بما لم تحط به والاحاطة العلم بالشي من جميع جهاته يقال علمت ما لم تعلمه وبلغت ما لم تبلغه انت ولا جنودك **قوله تعالى** من سبا قرا البزي وابو عمرو بفتح الهمزة جعلاه اسما للقبيلة والبقعة فمنعاه من الصرف للعلمية والتانيث وعليه قول الشاعر

من سبا الحاضرين مارب اذ يبنون من سيله العرما

وقرا قنبل بسكون الهمزة كانه نوى الوقف واجري الوصل مجراه والباقون بالجر والتنوين جعلاه اسما للحي او المكان وعلى قوله

الواردون وتيم في ذرى سبا قد عض اعناقهم جلد الجواميس

وهذا الخلاف جار في سورة سبا في قوله من سبا بنبا فيه من البديع التجانس وهو تجنيس التصريف وهو عبارة عن انفراد كل كلمة من الكلمتين عن الاخرى بحرف كهذه الاية ومثله تفرحون في الارض بغير الحق وبما كنتم تمرحون وفي الحديث الخيل معقود بنواصيها الخير وقال اخر

لله ما صنعت بنا تلك المعاجر والمحاجر

قال الزمخشري وقوله من سبا بنبا من جنس الكلام الذي سماه المحدثون البديع وهو من محاسن الكلام الذي يتعلق باللفظ بشرط ان يجي مطبوعا او بصيغة عالم بجوهر الكلام يحفظ معه صحة المعنى وسداده ولقد جاء هنا زايدا على الصحة فحسن وبدع لفظا الا ترى انه وضع مكان بنبا بخبر لكان المعنى صحيحا وهو كما جاء اصح لما في النبا من الزيادة التي يطابقها وصف الحال يريد بالزيادة ان النبا اخص من الخبر لانه لا يقال الا فيما له شان وبعضهم يعبر عن نحو من سبا في علم البديع بالتجديد او بالترديد قاله صاحب التحرير وقال غيره ان الترديد عبارة عن رد اعجاز البيوت على صدورها او رد كلمة من النصف الاول الى النصف الثاني فمثال الاول قوله

سريع الى ابن العم يلطم وجهه وليس الى داعي الخنا بسريع

ومثال الثاني قوله

واللبالي اذا نايتم طوال والليالي اذا دنوتم قصار

وقرا ابن كثير في رواية من سبا مقصورا منونا وعنه ايضا من سبا بسكون الباء وفتح الهمزة جعله على فعل ومنعه من الصرف لما تقدم وعن الاعمش من سبا بهمز مكسور من غير تنوين وفيهما اشكال اذ لا وجه للبيان ولا للبناء والذي يظهر ان من نونها لا بد وان يقلبها مما وصلا ضرورة ملاقاته للباء فسمعها الراوي وظن انه كسر من غير تنوين وروي عن ابي عمرو من سبا بالالف صريحة كقولهم تفرقوا ايدي سبا وكذلك قرا بها بالالف خالصة فينبغي ان يكونا لقاري واحد وسبا في الاصل اسم رجل من قحطان وسبا لقب له لانه اول من سبا **قوله تعالى** اني وجدت امراة تملكهم لما قال الهدهد لسليمان وجئتك من سبا بنبا يقين قال سليمان وما ذاك فقال اني وجدت امراة تملكهم وكان اسمها بلقيس بنت شراحيل وكان ابوها ملك ارض اليمن من نسل يعرب بن قحطان وكان ملكا عظيم الشان وكان يقول لملوك الاطراف ليس لاحد منكم اي ليس احد منكم كفوا لي وابى ان يتزوج منهم فزوجوه امراة من الجن يقال لها ريحانة بنت السكن فولدت له بلقيس ولم يكن له ولد غيرها وفي الحديث ان احد ابوي بلقيس كان جنيا وكانت هي وقومها مجوسا يعبدون الشمس والضمير في تملكهم يرجع الى سبا وان اريد به

القوم فالامر ظاهر وان اريد به المدينة فمعناه ملك اهلها **قوله تعالى** واوتيت من كل شي يجوز ان يكون معطوفا على تملكهم وجاز عطف الماضي على المضارع لان المضارع بمعناه اي ملكتهم ويجوز ان يكون في موضع نصب على الحال من تملكهم وقد معها مضمرة عند من يرى ذلك وقوله من كل شي عام مخصوص بالعقل لانها لم توت ما اوتيه سليمان **قوله تعالى** ولها عرش يجوز ان تكون هذه جملة مستقلة بنفسها سيقت للاخبار بها وان تكون معطوفا على اوتيت وان يكون حالا من مرفوع اوتيت والاحسن ان يجعل الحال الجار وعرش معمول به او مرفوع به وبعضهم يقف على عرش ويبتدي عظيم وجدتها يريد امر عظيم ان وجدتها قال الزمخشري ومن نوكى القصاص من يقف على قوله ولها عرش ثم يبتدي عظيم وجدتها يريد امر عظيم ان وجدتها فرمن استعظام الهدهد عرشها فوقع في عظيمة وهي نسخ كتاب الله **فصل** قال شهاب الدين النوكى الحمقى جمع انوك وهذا الذي ذكره من امر الوقف نقله القرافي عن نافع وقرره ابو بكر عن القرافي ورفعه الى بعض اهل العلم فلا ينبغي ان يقال نوكى القصاص وحجر الدياني على ان يكون عظيم مبتدا ووجدتها الخبر وهذا خطا كيف يبتدا بنكرة من غير مسوغ وتجر عنها برابط لاجملة بينها وبينه والاعراب ما قاله الزمخشري من ان عظيم صفة لمحذوف وخبر مقدما ووجدتها مبتدا او خبر مقدر امعه حرف مصدري اي امر عظيم وجداني اياها وقومها غير عباد الله **قوله تعالى** وجدتها اي التي بمعنى لقيت واصبت فيتعدى لواحد فيكون يسجدون الامن مفعولها وما عطف عليه فان قيل كيف استعظم الهدهد عرشها مع ما كان يرى من ملك سليمان وايضا فكيف سوى بين عرش بلقيس وعرش الله في الوصف بالعظم فالجواب عن الاول يجوز ان يستصغر حالها الى حال سليمان فاستعظم لها ذلك العرش ويجوز ان يكون لسليمان مع جلالته مثله كما قد يكون لبعض الامراء شي لا يكون مثله للسلطان وعن الثاني انه وصف عرشها بالعظم بالنسبة الى عروش ابناء جنسها من الملوك ووصف عرش الله بالعظم تعظيما له بالنسبة الى سائر ما خلق الله من السموات والارض قال المفسرون العرش السرير الضخم كان مضروبا من الذهب مكللا بالذهب والياقوت الاحمر والزبرجد الاخضر وقوايمه من الياقوت والزمرد وعليه سبعة ابواب على كل باب بيت مغلق قال ابن عباس كان عرشها ثلاثون ذراعا في ثلاثين ذراعا وطوله في السماء ثلاثون ذراعا واعلم ان قوله الله لا اله الا هو رب العرش العظيم ان قلنا انه من كلام الهدهد فالهدهد قد استدرك على نفسه واستقل عرشها بالنسبة الى عظمة عرش الله وان قلنا انه من كلام الله تعالى فالله رد عليه استعظامه لعرشها **فصل** طعنت الملاحدة في هذه القصة من وجوه الاول ان هذه الايات اشتملت على ان النملة والهدهد تكلما بكلام لا يصدر ذلك الا من العقلاء وذلك يجر الى السفسطة فانا لو جوزنا ذلك لما امنا من النملة التي نشاهدها في زماننا هذا ان يكون بالهندسة من اقليدس وبالنحو من سيبويه وهكذا القول في النملة والصبيان ولجوزنا ان يكون فيهم الانبياء والمعجزات والتكاليف ومعلوم ان من جوزه كان الى الجنون اقرب والثاني ان سليمان كان بالشام فكيف صار الهدهد في تلك اللحظة اللطيفة من الشام الى اليمن ثم رجع اليه الثالث كيف خفي على سليمان عليه السلام تلك المملكة العظيمة مع ان الجن والانس كانوا في طاعته وانه عليه السلام كان ملك الدنيا كلها وكان تحت طاعته على ما يقال اثنا عشر الف تحت يد كل واحد منهم مائة الف مع ما يقال انه لم يكن بين سليمان وبين بلدة بلقيس حال طيران الهدهد الا مسيرة ثلاثة ايام الرابع من اين حصل للهدهد انكار سجودهم للشمس واضافته للشيطان وتزيينه والجواب عن الاول ان ذلك الاحتمال قايم في اول العقل وانما يدفع ذلك الاجماع وعن البواقي ان الايمان بافتقار العالم الى القادر المختار يزيل هذه الشكوك فان قيل قالت المعتزلة قوله يسجدون للشمس من دون الله وزين لهم الشيطان اعمالهم يدل على ان فعل العبد من جهته لانه تعالى اضاف ذلك الى الشيطان بعد اضافته اليهم واورده مورد الذم وبين انهم لا يهتدون فالجواب من وجوه الاول ان هذا قول الهدهد فلا يكون حجة الثاني انه متروك الظاهر فانه قال فصدهم عن السبيل وصدهم الشيطان ما صد الكافر عن السبيل اذ لو صده الشيطان عن السبيل لكان معذورا ممنوعا فيسقط عنه التكليف فلم يبق الا التمسك بالمدح والذم وجوابه قد تقدم **قوله تعالى** الا يسجدوا قرا الكسائي بتخفيف الا والباقون بتشديدها فاما قراءة الكسائي فالا فيها تنبيه واستفتاح ويا بعدها حرف نداء او تنبيه ايضا على ما سياتي واسجدوا فعل امر وكان حق الخط على هذه القراءة ان يكون يا اسجدوا ولكن الصحابة اسقطوا الالف من يا وهمزة الوصل من اسجدوا خطا لما سقطا لفظا ووصلوا الياء بسين اسجدوا فصارت صورته يسجدوا كما ترى فالمنادى محذوف تقديره يا هؤلاء اسجدوا وقد تقدم ذلك عند قوله في سورة النساء يا ليتني والمرجح ان يكون للتنبيه لئلا يودي الى حذف كثير من غير بقاء ما يدل على المحذوف الا ترى ان جملة النداء حذفت فلو ادعيت حذف المنادى كثر الحذف ولم يبق معمول يدل على عامله بخلاف ما اذا جعلتها للتنبيه ولكن عارضنا هنا انها قبلها حرف تنبيه اخر وهو الا وقد اعتذر عن ذلك بانه جمع بينهما تاكيدا واذا كانوا قد جمعوا بين عاملين من حرفي للتاكيد كقوله

فاصبحن لا يسالنني عن بما به

نغير العاملين ايضا ولي فقد جمعوا بين حرفين

عاملين متحدي اللفظ والمعنى كقوله • فلا والله لا يلفى لما بي • ولا للما بهم ابدا دواء • فهذا اولى وقد كثر مباشرة بالفعل لا امر وقبلها الا التي للاستفتاح كقول الشاعر •

	• الا يا اسلمي ثم اسلمي • ثلاث تحيات وان لم تكلم •
وقوله •	• الا يا اسلمي يا دارمي على البلا • ولا زال منهلا بجرعائك القطر •
وقوله •	• الا يا اسلمي ذات الدمالج والعقد • وذات الثنايا الغر والفاحم الجعد •
وقوله •	• الا يا اسلمي يا هند هند بني بكر • وان كان حيانا عدى اخر الدهر •
وقوله •	• الا يا اسقياني قبل خيل ابي بكر • لعل منايانا قربن ولا ندري •
وقوله •	• الا يا اسقياني قبل غارة سنجال • وقد جاء ذلك وان لم يكن قبلها يا الا كقوله •
	• يا دار هند يا اسلمي ثم اسلمي • بسمسم او عن يمين سمسم •

فعلم ان قراءة الكسائي قوية لكثرة دوره في لغتهم وقد سمع ذلك في النثر سمع بعضهم يقول قوله • الا يا ارحموني الا يا تصدقوا علينا • واما قوله • يا لعنة الله والاقوام كلهم • والصالحين على سمعان من جار • فيحتمل ان يكون يا للندا والمنادي محذوف وان يكون محذوف للتنبيه وهو الارجح لما مر واعلم ان الوقف عند الكسائي على يهتدون تام وله ان يقف على الا يا معا ويبتدئ يا سجدوا بهمزة مضمومة وله ان يقف على الا وحدها وعلى يا وحدها لانهما حرفان منفصلان وهذان الوقفان وقفا اختبار لا اختيار لانهما حرفان لا يتم معناهما الا بما اتصلا به وانما فعله القرا امتحانا وبيانا فهذا توجيه قراءة الكسائي والخطب فيها سهل واما قراءة الباقين فتحتاج الى امعان نظر وفيها اوجه كثيرة الاول ان الا اصلها ان لا فان ناصبة للفعل بعدها ولذلك سقطت نون الرفع ولا بعدها حرف نفي وما بعدها في موضع مفعول يهتدون على اسقاط الخافض اي الى ان لا يسجدوا ولا مزيدة كزيادتها في لئلا يعلم اهل الكتاب والمعنى فهم لا يهتدون الى ان يسجدوا الثاني انه بدل من اعمالهم وما بينهما اعتراض تقديره وزين لهم الشيطان عدم السجود لله الثالث انه بدل من السبيل على زيادة لا ايضا والتقدير فصدهم عن السبيل لله الرابع ان لا يسجدوا مفعول له والتقدير وفي تعلقه وجهان الاول انه زين اي زين لهم لاجل ان لا يسجدوا الثاني انه متعلق بصدهم اي صدهم لاجل ان لا يسجدوا وفي لا حينئذ وجهان الاول انها ليست مزيدة بل نافية على معناها من النفي الثاني انها مزيدة والمعنى وزين لهم لاجل توقعه سجودهم او لاجل خوفه من سجودهم وعدم الزيادة اظهر الخامس من الاوجه المتقدمة انه خبر مبتدا مضمر وهذا المبتدا اما ان يقدر ضميرا عائدا على السبيل المتقدم واما انه المقدر وهي ان لا يسجدوا فتكون لا مزيدة على ما تقدم فيصح المعنى على بابها من النفي واما ان يقدر ضميرا عائدا على السبيل المقدر هو ان يسجدوا فتكون لا مزيدة على ما تقدم فيصح المعنى وعلى الاوجه الاربعة المتقدمة لا يجوز الوقف على يهتدون لان ما بعده اما معمول له او لما قبله من زين وصد وبدل مما قبله ايضا من اعمالهم ومن السبيل على ما قرر بخلاف الوجه الخامس انه مبني على مبتدا مضمر وان كان ذلك الضمير مفسرا بما سبق قبله وقد كتبنا الا موصولة غير مفصولة فلم تكتب ان منفصلة من لا فمن ثم امتنع ان يوقف لهؤلاء في الابتلاء والامتحان على ان وحدها لاتصالها بلا في الكتابة بل يوقف لهم على الا بجملتها كذا قال الفراء والنحويون متى سئلوا عن ذلك وقفوا لاجل البيان على كل كلمة على حدودها اوحدتها لضرورة البيان وكونها كتبت بالا متصلة غير مانع بذلك ثم كون القرا متصلة فيه تجوز وتسامح لان حقيقة هذا ان يبنوا صورة نون ويصلونها بلا فيكتبونها او لا ولما ادغمت وذهب لفظها الى لفظ ما بعدها قالوا ذلك تسامحا وقد ربتا بو اسحاق على القراءتين لعدم الامر فيها الا ان الزمخشري لم يرتضه فيه فانه قال فان قلت اسجدة التلاوة في القراءتين جميعا او في واحدة منهما قلت هي واجبة فيهما وان احدى القراءتين امر بالسجود والاخرى ذم للتارك وما ذكره الزجاج من وجوب السجدة مع التخفيف دون التشديد فغير مرجوع اليه قال شهاب الدين وكان الزجاج اخذ بظاهر الامر وظاهره للوجوب وهذا لو خلينا والاية لكان السجود واجبا وان دلت السنة على استحبابه دون وجوبه على انا نقول هذا مبني على نظر اخر وهو ان هذا الامر من كلام الله تعالى او من كلام الهدهد محكيا عنه فان كان من كلام الله تعالى فيقال يقتضي الوجوب الا ان يجي دليل يصرفه على ظاهره وان كان من كلام الهدهد وهو الظاهر وهذا الذي ذكروه ليس بشي لان المراد بالسجود هاهنا عبادة الشمس وعبادة الله واجبة وليس المراد سجود التلاوة فان كانت التلاوة في زمن سليمان عليه السلام ولم يكن ثم قرات وقرا الاعمش هلا وهلا بقلب الهمزة هاء مع تشديد لا وتخفيفها وكذا هي في مصحف عبد الله وقرا عبد الله تسجدون بتاء الخطاب ونون الرفع وقرا كذلك بالياء من تحت فمن اثبت نون الرفع فالا بالتشديد او التخفيف للتحضيض وقد تكون المخففة للعرض ايضا فالا ان تصل عند نا تحدث وفي حرف

عبد الله ايضا الا هل تسجدون بالخطاب **قوله تعالى** الذي يخرج الخبء يجوز ان يكون مجرور المحل نعتا لله او بدلا منه او بيانا او منصوبا على المدح ومرفوعه على خبر ابتداء مضمر والخبء مصدر خبأت الشي اخبوه خبا اي سترته ثم اطلق على الشي المخبوء ونحوه هذا خلق الله قال المفسرون الخبء في السموات وفي الارض النبات والخابية من هذا الا انهم التزموا فيها دون الهمزة كالبرية والذرية عند بعضهم وقيل الخبء المغيبات يعلم غيب السموات والارض وقرا ابي وعيسى الخب بنقل حركة الهمزة الى البا وحذف الهمزة فنصب نحو رايت الاب وقرا عبد الله وعكرمة ومالك بن دينار الخبا بالالف صحة وجهها انه ابدل الهمزة الفا فلزم تحريك البا وذلك على لغة من يقف من العرب بابدال الهمزة الفا مجانس حركتها فيقول هذا الخبو ورايت الخبا ومررت بالخبي ثم اجري الوصل مجرى الوقف وقيل انه لما نقل حركة الهمزة الى الساكن قبلها لم يحذفها بل تركها ساكنة بعد فتحة فدبرت بحركة ما قبلها وهي لغة ثابتة يقولون المراة والكماة بالالف فكان الهمزة بهذه الطريقة وقد طعن ابو حاتم على هذه القراءة فقال لا يجوز في العربية لانه ان حذف الهمزة التي حركها على البا فقال الخبا وان حركها فقال الخبي بسكون البا وبا بعدها قال المبرد كان ابو حاتم دون اصحابه في النحو لم يلحق بهم الا انه اذا خرج من بلدهم لم يلق **قوله تعالى** في السموات فيه وجهان احدهما انه متعلق بالخبء اي المخبوء في السموات والثاني انه متعلق بيخرج على ان معنى في معنى من اي يخرجه من السموات ومن في معنا وكان تقول العرب لا ستخرجن العلم فيكم اي منكم قال الفراء وقرا عبد الله يخرج الخبء من السموات **قوله تعالى** ما يخفون قرا الكسائي وحفص بالتاء من فوق فيهما والباقون بالياء من تحت فالخطاب ظاهر على قراءة الكسائي لان ما قبله امرهم بالسجود وخاطبهم به والغيبة على قراءة الباقين غير حفص ظاهرة ايضا لتقدم الضماير الغايبة في قوله لهم واعمالهم وصدهم وفهم واما قراءة حفص فتاويلها انه خرج الى خطاب الحاضرين بعد ان تم قصة اهل سبا ويجوز ان يكون التفاتا على ترك الغايب منزلة الحاضر فخاطبه ملتفتا اليه وقال ابن عطية القراءة بياء الغيبة تعطي ان الاية من كلام الهدهد وتاء الخطاب تعطي انها من خطاب الله لامة محمد صلى الله عليه وسلم وقد تقدم ان الظاهر من كلام الهدهد استدرا كا منه لما وصف عرش بلقيس بالعظيم او من كلام الله تعالى ردا عليه في وصفه عرشها بالعظم والعامة على جر العظيم تابعا للجلالة وابن محيصن بالرفع وهو يحتمل وجهين ان يكون نعتا للرب وان يكون مقطوعا في نعته العرش الى الرفع باضمار مبتدا **فصل** دل قوله يخرج الخبء في السموات والارض على كمال القدرة وسمى المخبوء بالمصدر ليتناول جميع الارزاق والاموال وقوله ويعلم ما يخفون وما يعلنون على كمال العلم فاذا كان قادرا على كل المقدورات عالما بكل المعلومات وجب ان يكون لها والشمس ليست كذلك فلا تكون الها واذا لم تكن الها لم تستحق العبادة **فصل** قال بعضهم ان ابراهيم وموسى عليهما السلام قد ما دلالة الانفس على دلالة الافاق قال ابراهيم قال ربي الذي يحيي ويميت ثم قال ان الله ياتي بالشمس من المشرق وموسى عليه السلام قال ربكم ورب ابائكم الاولين ثم قال رب السموات وقال رب المشرق والمغرب وهاهنا قدم خبء السموات على خبء الارض فجوابه ان ابراهيم وموسى ناظرا من ادعى الاهية البشر فابتدا بابطال الاهية البشر ثم انتقل الى الاهية السما وهاهنا الكلام مع من ادعى الهية الشمس لقوله رايتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله فلا جرم ابتدا بذكر السماويات ثم بالارضيات **قوله تعالى** اصدقت ام كنت الجملة الاستفهامية في محل نصب بننظر لانها معلقة هنا لها وام هنا متصلة وقوله ام كنت من الكاذبين ام ابلغ من قوله ام كذبت وان كان هو الاصل لان المعنى من الذين اتصفوا وانخرطوا في سلك الكاذبين وقوله سننظر من النظر الذي هو التامل **قوله** هذا يجوز ان يكون صفة لكتابي وبدلا منه او بيانا له قال المفسرون ان سليمان عليه السلام كتب كتابا فيه من عبد الله سليمان بن داود الى بلقيس ملكة سبا بسم الله الرحمن الرحيم السلام على من اتبع الهدى اما بعد فان لا تعلوا علي واتوني مسلمين قال ابن جريج لم يزد سليمان على ما نص الله في كتابه ثم ختمه بخاتمه ثم قال للهدهد اذهب بكتابي هذا فالقه اليهم **قوله تعالى** فالقه اليهم قرا ابو عمرو وحمزة وابو بكر باسكان الهاء وقالون بكسرها فقط بالاختلاف عنه وهشام عنه وجهان القصر والصلة والباقون بالصلة بلا خلاف وتقدم توجيه ذلك في ال عمران والنسا وغيرهما عند يؤده اليك ونوله ما تولى وقرا مسلم بن جندب بضم الها موصولة بواو فالقهو اليهم وقد تقدم ان الضم الاصل وقال اليهم على لفظ الجمع لانه قال وجدتها وقومها يسجدون للشمس والمعنى فالقه الى الذين هذا دينهم **قوله تعالى** ثم تول عنهم زعم ابو علي وغيره ان في الكلام تقديما وتاخيرا الاصل فانظر ماذا يرجعون ثم تول عنهم ولا حاجة الى هذا لان المعنى بدونه صحيح اي قف قريبا انتظر ماذا يكون **قوله تعالى** ماذا يرجعون ان جعلنا انظر بمعنى تامل وتفكر كانت ما استفهامية وفيها حينئذ وجهان الاول ان تجعل مع ذا بمنزلة اسم واحد ويكون مفعولا يرجعون تقديره اي شي يرجعون الثاني ان تجعل ما مبتدا وذا بمعنى الذي ويرجعون صلتها وعايدها محذوف تقديره اي شي الذي يرجعونه وهذا

الموصول على اسقاط الخافض اي انظر في كذا او فكر فيه وان جعلناه بمعنى انتظر من قوله انظرونا نقتبس من نوركم
كانت ماذا بمعنى الذي ويرجعون صلة فالعائد مقدر كما تقرر وهذا الموصول مفعول اي انتظر الذي يرجعون
وقال ابو حيان وماذا ان كان بمعنى انظر معنى التامل بالفكر كان انظر معلقا وماذا اما ان يكون كلمة استفهام
في موضع نصب واما ان يكون ما استفهاما وذا موصولة بمعنى الذي فعلى الاول يكون يرجعون خبرا عن ماذا
وعلى الثاني يكون ذا هو الخبر ويرجعون صلة انتهى وهذا غلط اما من الكاتب واما من غيره واما قوله فعلى الاول
يعني به ان ماذا كلمة استفهام في موضع نصب يمنع قوله يرجعون خبرا عن ماذا كيف يكون خبرا عنه وهو منصوب
به كما تقرر وقد صرح هو بانه منصوب بما بعده ولا يعمل فيه ما قبله وهو نظير ما تقدم في اخر السورة
قبلها في قوله وسيعلم الذين ظلموا اي منقلب ينقلبون في كون الاستفهام معمولا لما بعده وهو معلق لما قبله فكما حكم
على الجملة من ينقلبون وما اشتملت عليه من اسم الاستفهام المعمول لها بالنصب على سبيل التعليق كذلك نحكم على يرجعون
فكيف يقول انها خبر **قوله تعالى** انه من سليمان وانه العامة على كسر الهمزتين على الاستيناف جوابا لسؤال القوم فانهم
قالوا ممن الكتاب وما فيه فاجابتهم بالجوابين وقرا عبد الله وانه من سليمان بزيادة واو عاطفة انه من سليمان على قوله
اني القي الي وقرا عكرمة وابن ابي عبلة بفتح الهمزتين صرح بذلك الزمخشري وغيره ولم يذكر ابو البقا الا الكسر
في انه من سليمان وكانه سكت عن الثانية لانها معطوفة على الاول وفي تخريج الفتح فيهما اوجه الاول انه بدل من
كتاب بدل اشتمال او بدل كل من كل كانه قيل القي الي وقرا عكرمة وابن ابي عبلة بفتح الهمزتين صرح بذلك الزمخشري
وغيره ولم يذكر ابو البقا الا الكسر في انه من سليمان وانه كذا وكذا وهذا هو الاصح والثاني انه مرفوع بكريم ذكره
ابو البقا الثالث انه على اسقاط الخفض حرف العلة قال الزمخشري ويجوز ان يريد لانه من سليمان وكانها عللت كرمه
بكونه من سليمان وتصديره باسم الله وقال مكي واجاز الفرا الفتح فيهما في الكلام كانه لم يطلع على انها قراءة وقرا
ابي ان من سليمان وان بسم الله الرحمن الرحيم بسكون النون فيهما وفيها وجهان اظهرهما انها ان المفسرة لتقدم
ما هو بمعنى القول والثاني انها المخففة واسمها محذوف وهذا لا يتمشى على اصول البصريين لان اسمها لا يكون الا ضمير الشان
وضمير الشان لا يفسر الا بجملة يخبر بها **فصل** قال المفسرون اخذ الهدهد الكتاب واتى به الى بلقيس وكانت
بارض يقال لها مارب من صنعا فرمى الكتاب اليها فاخذته بلقيس وكانت قارية ومن ثم اخذ الناس البطاين فلما رات
الخاتم ارتعدت وخضعت لان ملك سليمان كان في خاتمه وعرفت ان الذي ارسل الكتاب اعظم ملكا منها لطاعة الطير
وهيبة الخاتم فقرات الكتاب وتاخر الهدهد غير بعيد فقعدت على سرير ملكها وجمعت الملا من قومها وقالت اني
القي الي كتاب كريم قال عطا والضحاك سمته كريما لانه كان كريما مختوما وروي عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال اكرام الكتاب ختمه وقال مقاتل والزجاج كريم اي حسن ما فيه وروي عن ابن عباس اي شريف لشرف صاحبه وقيل سمته
كريما لانه مصدر ببسم الله الرحمن الرحيم ثم بينت ممن الكتاب فقالت انه من سليمان وبينت المكتوب فقالت وانه بسم الله الرحمن
الرحيم فان قيل لم قدم سليمان اسمه على بسم الله الرحمن الرحيم فالجواب حاشاه من ذلك بل ابتدا الكتاب ببسم الله الرحمن الرحيم
وانما كتب اسمه عنوانا بعد ختمه لان بلقيس انما عرفت كونه من سليمان بقراءة عنوانه كما هو المعهود ولذلك قالت
بسم الله الرحمن الرحيم اي ان الكتابة فالتقديم واقع في حكاية الحال واعلم ان قوله بسم الله الرحمن الرحيم مشتمل على اثبات
الصانع سبحانه واثبات كونه عالما قادرا حيا مريدا حكيما رحيما **فصل** وقد استنبط الشيخ الامام العالم
شرف الدين محمد بن سعيد الصنهاجي البوصيري من اسرار البسملة ما ابطل به مذهب النصارى فقال بلغني ان بعض النصارى
انتصر لدينه وانتزع من البسملة الشريفة دليلا على تقويته اعتقاده في المسيح وصحة يقينه نقلت حروفها وتكرر معرفتها
دفوقها وفوقها وقدم فيها واخر وفكر وقدر فقتل كيف قدر ثم عبس وبسر ثم ادبر واستكبر فقال لقد انتظم
من البسملة المسيح ابن الله المحرر وظن ان ذلك سر في قلب البسملة مضمر وعلى جبين الكتاب العزيز مسطر فنظرت الى ما عراه
من البسملة واستخرجته من حروفها المستعملة والمهملة فاذا هو لا المسيح ابن الله المحرر فاسقط في يديه ونكص على عقبيه
وقامت حجته من لسانه عليه ثم عاد الى رسوله يخبران الذي صح له غلطه وثبت عنده منها حكمه الم المسيح ابن الله محرر
فقلت ورسل الله كلهم اولوا انبيائه فاي شيء خصوصية لرابع بالنبوة واي رتبة ردتم بها على النبوة فقال اردت بالم
اثبات ما انكرتم من الصلب ونفيتموه عنه من الم الطعن والضرب وقد صدقت به كتب الله المنزلة وشاهدتك به حروف
البسملة فقلت وهل ينحدث لك الا بالنقيض وردت منها باخيب قداح المغيض وحيث رضيت البسملة بيننا وبينك
حكما وجوزت منها الحكم لنا وعليك حكما فلتنصرن البسملة منا الاحبار على لا نزاع ولنفصلن اصحاب الجنة على اصحاب
النار وحيث كان مقصودكم من هذا الالم الافصاح عما اردتم من الصلب والطعن والضرب والطلب وسقيه من الخل

الممزوج

الممزوج بالمر ديس التراب فخذ الجواب عنه والله الموفق للصواب اما دعواكم النبوة فقد قالت لك البسملة بلسان حالها
لا اما المسيح ابن الله محرر والحقيقة بقولها الحلم ربح راس ماله محل الايمان الحلم ربح راس ماله الايمان ليس بربا من احل ما حرم الله
المسلم نبي حرم الراح المسلم حرم الراح لنبيه سلم بالله من حرم الراح لله نبي حرم سلم الراح المسلم للرحمانية راح لا مرحمة
للبائم ابناء البحر رحم حرم مسلم انا بالي الله انما الله رب للمسيح راحم وزعمت انه ربك فقالت حرم من لا رب له الا المسيح وقالت
ايضا البحر لا م لها المسيح رب وقلت انه حمل الله فقالت سمي الله من المحي رحما او قالت ما اسلم الرب حملة لبحر لا بحر من الرب
حمله من الم وقلت انه الم فقالت المحبس من ربه حل الالم وقالت سلحو ما ادبهم بحل الالم وقالت حرم حما ربيب الله لا الم
وقلت انه طعن بالحربة مسرا فقالت من راى المسيح الم الحربة وقالت ان ربه حال له مستوع لحلم وقالت احال له ربنا الحليم
سمع وقالت امحي له الرب الحي من سمع وقلت انه اله يحلل ويحرم فقالت ابن سلسل رحم لا اله يحرم وقالت سل ابن مريم احل
له الحرام وقالت الحلال لما حرم رب الناس وان قلت انه رسول صدقتك وقالت ابل ارسل الرحمن يلحم ويرحم واول اسم
من اسماء الله تعالى يلحان كبتهم ويرحمه بالجم بيت لحم الذي ولد فيه المسيح وقلت انه ركب الحمار فقالت سلم انا لو بالاجلاله حماد
وقالت للناس رب لم يحمله حمار وباهيتها ببسملتك التي لفقتها الفلاسفة للاساقفة فقالت لم راهبا الملة المسيح
وقالت احبار الملة محل اسلمين من سليمن وقالت ما حرم الابا للمسيح الامانة وقلت النصارى لا منهم النار فقالت
حرم نار لهب النار لا م المسيح وكرهت الاسلام فقالت للاسلام بحرم ما احل لا سمين الاسلام بحر حلال سهم حلال الاسلام
لحرده بايمان وقالت من حرم الاسلام لا ربح له وقالت ان المسلم حري بالرحمة وقالت ما بوح الله راحم المسلمين وقالت
ان ملة الاسلام بحرم رحيب وقالت لا راحة لمحارب المسلمين وقالت الاسلام لا راي لمحاربه وقالت المسلم حرب للمنار الحامية
وقالت حي المسلم الى رحمة الرب وقالت الاحبار رحمة للمسلمين وقالت المحارب راحة للمسلمين ونقمة قيام للدين بالسيف فقالت
ام الحسام للنبي الرحمة واثنت البسملة على نفسها فقالت البسملة لا ارحم الراحمين وقالت البحر بال الرحمة ما بسل فانظر
الى البسملة قد لا حت لك بارقة من انوارها وحلت لك عقدة من ازرار اسرارها تخبرك بما نمي ورا رحلها لخبر لا ولينا وما
دون طلبها سيوفا وعيونا واما بسملتك فلو كانت تخبر على اصل ثابت او لم تعر من الكفر على اخبث المنابت لهزت
البلاغ بجذعها واسندلت على طيب اصلها تجني فرعها لكني وجدتها شجرة خبيثة وثمرة لا تسوغها القريحة ولا الحديثة
الفاظها نصم الاسماع ومعانيها تحل عقود الاجتماع والنظر فيها يصدي القلوب والافهام والعقول ويعلم كل
غائب ما يقول ولذلك ضربت عن ذكرها صفحا ورددت الاعراض وعددت الاعراض عنها غنيمة وربحا فكفرها قائم
فاعل والمعترف بها سواء والجاحد والثلاثة الالهة فيها يوصفون بالواحد واما بسملة المسلمين فان الله اودعها
من العلوم والحكم ما فضلهم به على سائر الامم واعلم ان منها الفاظ اختصرت وبين الحجا من منعها غابت او حضرت وقد اشتملت
بعضها في بعض المواضع لا يبين حكمها واحوية حرمتها وصرفتها المسائلين وصارت كعبة فضلها للقبلتين وتارة توافق
حروفها في العدد لعادة وتارة تقضي على الفاء الوصل بالزيادة وما احطت بحمد الله واحدة منها صوابا ولا
عيبت جوابا ولا حرجت من عددها كتابا ولا حسابا ولا تحسبني استحسنت كلمتك البارحة فسجنت على منوالها وقابلت
الواحدة منها بعشر امثالها وما كان ذلك الهذيان مما يجاب لولا ما يلحظك من التيه والاعجاب فتظن انك جئت
بشي عجاب او حكمة كلمك الله بها وحيا او من وراء حجاب وتقول لاخوانك الذين يمدونك في الغي ويحسبونك انك على
شيء قد افتحمت بها التي المسلمين واسكت بكلمتي فضلا المتكلمين فنذر قومك في طغيانهم وكفرهم على فساد ايمانهم ولا انت
ممن يجري بمحاكاة كفرك قلبي ولا احرك به لساني ولا افغر به فمي وقد اتيتك بما يغيظك فيبهتك ويسمعك ما يصمتك
عن الاجابة ويصمتك على الملوب راسه في كتب انبيائك وتفسير علمائك نعم بان هذه البسملة مستقر لسائر العلوم والفنون
ومستودع نجوهر سرها المكنون الا ترى ان البسملة اذا حصلت جملتها كان عدده سبعماية وستة وثمانين ب س م
ا ل ل ه ا ل ر ح م ن ا ل ر ح ي م ٢ ٠ ٦٠ ٠ ٤٠ ١ ٣٠ ٣٠ ٥ ١ ٣٠ ٢٠٠ ٨ ٤٠ ٥٠ ١ ٣٠ ٢٠٠ ٨ ١٠ ٤٠ واذا قلت ان مثل عيسى كمثل ادم
وافق جملتها سبعماية وستة وثمانين وان باهيتها ببسملتك التي زعم من كفرها الفلاسفة ويجوز بالبهتان ما لا
يجوز على الله بالنقايص ردت حليته وقالت ليس لله من زوج جملتها سبعماية وستة وثمانين بحساب الالف التي بعد
لام الجلالة وقالت ولا شريك يرى احدا سبعماية وستة وثمانين باسقاط الف الجلالة فلو استشهدت ببسملتك
تشهد لي بالحق عليك وشكت الى الله والى الناس ما نسبت من الافك والبهتان اليك اذ الفاظها وجادتني الكافر بكافر
الكفر ليس بكاد ينافي المعقول والمنقول ويناقض الاب والابن وروح القدس اله واحد وباطنها يقول ما مسيح
الا بنور والاله الواحد واحد ويقول بسم الله بالقران ووحدوا الله بلا حسبه كافر الظاهر مومنة الباطن كسورة
باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب ونظرت في محصلها من العدد فاذا جملته سبعماية وستة وتسعون ولذلك

ما عطفته عليها من الكلام وهو وبئس الفسوق بعد الايمان موافق للمعنى مطابق للاعداد سمائة وستة وتسعون
وكذلك قولك لا بسملة بحساب الاكبر المسلمين سمائة وستة وتسعون وقد احاطت البسملة بما لم تحط به وجاءتك
بما لم تستطع عليه صبرا على الاسلوب الذي تتضمنه كتب شريعتكم فاني رايت في الانجيل وقد سالت بنو اسرائيل المسيح
ان يحضر اية ليومنوا به وهو في بيت المقدس فقال اهدموا هذا الهيكل وانا اقيمه فقالوا بيت بني في خمس واربعين
سنة تقيمه في ثلاثة ايام وعلله في الانجيل انه اشار الى هيكل نفسه الذي هو هيكل ادم وجملة خمسة واربعون وفي هذا
رد عليهم ليس هذا موضعه ورايت في التورية في البشارة باسمعيل بعد قوله واثمه بماد ماد ومعناه بجدا جدا بل
اشارتها الى اسم محمد صلى الله عليه وسلم بطريق الجمل اذ هو اثنان وتسعون في الموضعين وفي قصة يعقوب اذ قال لبنيه
ما تعبدون من بعدي فقالوا له اعلم اسرائيل الله احد فطابت نفسه وعلم ان بنيه الاثنى عشر سبطا يعبدون الله وحده
لانهم عدلوا عن قولهم الله واحد الى ان جملتها ثلاثة عشر وهي اشارة الى ان الاثنى عشر سبطا يعبدون الله الواحد وفيه
ان المصلي اذا دخل في الصلاة يكون على راسه طيلسان فيه صيصيت وفي طرفه خمس خيوط وثمان عقد فيجتمع له من
جملة صيصيت وهو ستمائة وثلاثة عشر فريضة ليذكروا بها ما كتب الله عليهم من الفرائض والتزموا ولنرجع الى
الاعراب والتفسير **قوله تعالى** ان لا تعلوا فيه اوجه الاول ان ان مفسرة كما تقدم في احد الاوجه في ان قبلها في قراءة
عكرمة ولم يذكر الزمخشري غيره وهو وجه حسن لما في ذلك من المشاركة والمشاكلة وهو عطف الامر عليه وهو قوله
واتوني الثاني انها مصدرية في محل رفع بدل من كتاب كانه قيل القي ان لا تعلوا علي الثالث انها في موضع رفع على
خبر ابتداء مضمر اي هو ان لا تعلوا الرابع انها على اسقاط الخافض اي بان لا تعلوا فيجي في موضعها القولان المشهوران
والظاهر ان لا في هذه الوجوه الثلاثة للنهي وقد تقدم ان المصدرية توصل بالنهي مطلقا وقال ابو حيان
وان في قوله وان لا تعلوا في موضع رفع على البدل من كتاب وقيل في موضع نصب على بان لا تعلوا وعلى هذين التقديرين
تكون ان ناصبة للفعل وظاهر هذا انها نافية اذ لا يتصور ان تكون نافية بعد ان الناصبة للمضارع ويرد هذا
ما حكاه عن الزمخشري فانه قال وقال الزمخشري وان لا تعلوا مفسرة قال فعلى هذا لا يكون لا في لا تعلوا للنهي وهو حسن
لمشاكلة عطف الامر عليه فقوله فعلى هذا الى اخره صريح بانها على غير هذا يعني الوجهين المتقدمين اعني ليست للنهي فيهما
ثم القول بانها للنفي لا يظهر اذ يصير المعنى على الاخبار منه عليه السلام بانهم لا يعلون عليه وليس هذا مقصودا
وانما المقصود انه نهاهم عن ذلك وقرا ابن عباس والعقيلي تغلوا بالغين المعجمة من الغلو وهو مجاوزة الحد **فصل**
قال ابن عباس لا تتكبروا علي وقيل لا تتعظموا ولا تترفعوا علي اي لا تمتنعوا من الاجابة فان ترك الاجابة من العلو
واتوني مسلمين مؤمنين طائعين قيل هو من الاسلام وقيل هو من الاستسلام فان قيل النهي عن الاستعلاء والامر
بالانقياد قبل اقامة الدلالة على كونه رسولا حقا يدل على الاكتفا بالتقليد فالجواب معاذ الله ان يكون هناك
تقليد وذلك لان رسول الملك الى بلقيس الهدهد ورسالة معجزة والمعجز يدل على وجود الصانع وصفاته ويدل على
صدق المدعي للرسالة دلالة على التوحيد والنبوة لا جرم لم يذكر في الكتاب دليل اخر **قوله تعالى** يا ايها الملا افتوني
في امري اشيروا علي فيما عرض لي واجيبوني فيما اشاوركم والفتوى الجواب في الحادثة استعيرت على طريق الاستعارة
من الفتى والسن اي اجيبوني في الامر الفتي وقصدت بذلك استطلاع رايهم وتطييب قلوبهم ما كنت قاطعة
قاضية وفاصلة امرا حتى تشهدون تحضرون فقالوا مجيبين لها نحن اولو قوة في القتال واولوا باس شديد في الحرب
قال مقاتل ارادوا بالقوة كثرة العدد وبالباس الشديد الشجاعة والباس النجدة والبلاء في الحرب وهذا تعريض منهم
بالقتال ان امرتهم بذلك ثم قالوا والامر اليك ايتها الملكة في القتال وتركه ماذا تامرين **قوله تعالى** ماذا
تامرين ماذا هو المفعول الثاني لتامرين والاول محذوف تقديره تامريننا والاستفهام معلق للنظر والا فحكمه
مما تقدم بعده او قبله والمعنى فانظري حتى لو اي ماذا تامرين نجد بنا لامرك طائعين قالت مجيبة لهم عن التعريض
بالقتال ان الملوك اذا دخلوا قرية بالقهر افسدوها خربوها وجعلوا اعزة اهلها اذلة فذكرت لهم عاقبة
الحرب وحذرتهم مسير سليمان اليهم ودخوله بلادهم **قوله تعالى** وكذلك اي مثل ذلك الفعل يفعلون وهل
ذلك الجملة من كلامها وهو الظاهر فتكون منصوبة بالقول او من كلام الله تعالى فهي استينافية لا محل لها من
الاعراب وهي معترضة بين قولها **قوله تعالى** واني مرسلة اليهم بهدية مانعة على وجه الاكراه وهي اسم المهدى
فيحتمل ان يكون واني مرسلة اليهم بهدية مانعة على وجه الاكرام صريحا ويحتمل ان يكون في الاصل مصدرا هذا
فصل اعلم ان بلقيس كانت امراة لبيبة قد سيست وساست فقالت للملا من قومها اني مرسلة اليهم اي الى سليمان
وقومه بهدية اصانعهم بها على ملكي واختبرهم بها املك ام نبي فان يكن ملكا قبل الهدية وانصرف وان يكن نبيا لم يقبل

الهدية ولم ترضه منا الا ان نتبعه على دينه فذلك قولها فناظرة بم يرجع المرسلون **قوله تعالى** فناظرة
عطف على مرسلة وبم متعلق بيرجع وقد وهم الحوفي فجعلها متعلقة بناظرة وهذا لا يستقيم لان اسم الاستفهام
له صدر الكلام وبم يرجع معلق بناظرة **قوله تعالى** فلما جاء سليمان اي فلما جاء الرسول اضمر لدلالة قولها مرسلة
فانها تستلزم رسولا والمراد به الجنس لا حقيقة رسول واحد بدليل خطابه لهم بالجمع في قوله اتمدونني الى اخره وكذلك
قرا عبد الله فلما جاوا فقرا فارجعوا اليهم اعتبارا بالاصل المشار اليه **قوله تعالى** اتمدونني استفهام انكار وقرا حمزة
بادغام نون الرفع في نون الوقاية واما اليا فانه يحذفها وقفا ويثبتها وصلا ويحذف فانها وقفا وابن كثير يثبتها في
الحالين والباقون يحذفونها في الحالين وروي عن نافع انه يقرا بنون واحدة فتكملت ثلاث قراات كما في تامروني اعبد
قال الزمخشري ما الفرق بين قولك اتمدونني بمال وانا اغنى منكم وبين ان تقوله بالفا قلت اذا قلته بالواو فقد
جعلت مخاطبي عالما بزيادتي عليه في الغنا وهو مع ذلك يمدني بالمال واذا قلته بالفا فقد جعلته ممن خفي عليه حالي
وانما اخبرته الساعة بما لا احتاج معه الى امداده كاني اقول انكر عليك ما فعلت فاني غني عنه وعليه ورد قوله فما اتاني الله
انتهى وفي هذا الفرق نظر اذ لا يفهم ذلك بمجرد الواو والفا ثم انه لم يجب عن السوال الاول وهو انه لم عدل عن قوله
وانا اغنى منكم الى قوله فما اتاني الله وجوابه انه اسند ايتاء الغنا الى الله اظهارا لنعمته عليه ثم قال وانا اغنى منكم كانت
فيه انكار من غير ذكر نعمة الله عليه فاظهر بهذا الكلام قلة الاكتراث بذلك المال **قوله تعالى** بل انتم اضراب انتقال
قال الزمخشري فان قلت فما وجه الاضراب قلت لما انكر عليهم الامداد وعلل انكاره اضرب عن ذلك الى بيان السبب
الذي حملهم عليه وهو انهم لا يعرفون سبب رضى الا ما يهدى اليهم من حظوظ الدنيا التي لا يعرفون غيرها والهدية
يجوز اضافتها الى المهدي اليه وهي هنا محتملة الامرين قال ابو حيان وهي هنا مضافة للمهدى اليه وهذا هو الظاهر
ويجوز ان تكون مضافة الى المهدي اي بل انتم بهديتكم هذه التي اهديتموها تفرحون فرح افتخار قال الشهاب الدين
كيف يجعل الاول هو الظاهر ولم ينقل ان سليمان صلى الله عليه وسلم ارسل اليهم هدية في هذه الحالة حتى يضيفها اليهم
بل الذي يتعين اضافتها الى المهدي ومعنى الاية بل انتم بهديتكم تفرحون لانكم اهل مفاخرة بالدنيا ومكاثرة بها
تفرحون باهداء بعضكم لبعض واما انا فلا افرح بها وليست الدنيا من حاجتي لان الله تعالى قد مكنني فيها واعطاني
منها ما لم يعط احدا ومع ذلك اكرمني بالدين والنبوة **قوله تعالى** ارجع الظاهر ان الضمير يعود على الرسول وتقدم
قراءة عبد الله ارجعوا وقيل يعود على الهدهد **قوله تعالى** فلنأتينهم بجنود هذا جواب قسم مقدر وكذلك قوله
ولنخرجنهم **قوله تعالى** لا قبل صفة لجنود اي لا طاقة وحقيقته لا مقابلة والضمير في بها عائد على جنود لانه يجري
جمع تكسير يجري مجرى المونثة الواحدة كقولهم الرجال واعضادها وقرا عبد الله بهم على الاصل **قوله تعالى** ولنخرجنهم
منها اي من بلادهم وارضها **قوله تعالى** اذلة حال والذل ان يذهب عنهم ما كان عندهم من العز والملك **قوله تعالى**
وهم صاغرون حال ثانية والظاهر انها موكدة لان اذلة يغني عنها فان قيل قوله تعالى فلناتينهم ولنخرجنهم قسم
فلا بد ان يقع فالجواب انه معلق على شرط حذف لفهم المعنى اي لم ياتوني مسلمين والصغار ان يقعوا في اسر واستعباد
فصل قال ابن عباس لما رجعت رسل بلقيس اليها من عند سليمان قالت قد عرفت والله ما هذا بملك ولا لنا
به طاقة وبعثت الى سليمان اني قادمة عليك بملوك قومي انظر ما امرك وما تدعوا اليه من دينك ثم امرت بالرحيل الى
سليمان فلما قربت منه على فرسخ راى سليمان رهجا قريبا فقال ما هذا قالوا بلقيس قد نزلت هنا بهذا المكان قال ابن عباس
وكان بين الكوفة والحيرة قدر فرسخ فاقبل سليمان على جنوده فقال يا ايها الملا ايكم ياتيني بعرشها قبل ان ياتوني مسلمين
قال ابن عباس وطائفة واختلفوا في السبب الذي لاجله امر سليمان باحضار عرشها فقال الاكثرون لان سليمان علم انها ان
اسلمت يحرم عليه مالها فاراد ان ياخذ سريرها قبل ان يحرم عليه اخذه باسلامها وقيل ليريها قدرة الله تعالى
وعظم سلطانه في معجزة ياتي بها في عرشها وقال قتادة لانه اعجبه صفته لما وصفه الهدهد فاحب ان يراه وقال ابن زيد
اراد ان يامر بتنكيرها وتغييرها فيختبر بذلك عقلها ويؤيد ذلك قوله تعالى نكروا لها عرشها ننظر اتهتدي **قوله
تعالى** قال عفريت من الجن العامة على كسر العين وسكون الياء صريحا وقرا ابو حيوة بفتح العين وابو رجا وابو السماك
ورويت عن ابي بكر الصديق عفرية بياء مفتوحة بعدها تاء التانيث المنقلبة هاء وقفا وانشدوا على ذلك قول
ذي الرمة

كانه كوكب في اثر عفرية * مسوّد في سواد الليل منقضب *

وقرات طائفة عفر بحذف الياء والتاء فهذه اربع قراات وقد قرئ بهن وفيه لغتان اخريان وهما عفارية وطي وتميم
يقولون عفري بالف التانيث كذكري واشتقاقه من العفر وهو التراب يقال عافره فعفره اي صارعه فصرعه
والقاه في العفر وهو التراب وقيل من العفر وهو القوة والعفريت من الجن المارد الخبيث ويقال عفريت نفريت

وهو اتباع كشيطان ليطان وحسن بسن وليتعار للعادم من الانس لاشتهار هذه الاستعارة وصف في الاية بكونه
من الجن مميزا له وقال ابن قتيبة العفريت الموثق الخلق وعفرية الديك والحبارى للشعر الذي على راسهما وعفري للقوي
ورجل عفر يتشديد بدلوا للمبالغة مثل شمر ونحو قيل ان الشيطان اقوى من الجن وان المودة اقوى من الشيطان وان المارد اقوى
منهما قال بعض المفسرين العفريت من الرجال الخبيث المنكر وقال ابن عباس العفريت الداهية وقال الربيع الغليظ وقال الفرا
القوي الشديد **قوله تعالى** انا اتيك به يجوز ان يكون فعلا مضارعا فوزنه افعل نحو اضرب والاصل اايتك بهمزتين
فابدلت الثانية الفا وان يكون اسم فاعل ووزنه فاعل والالف زائدة والهمزة اصلية عكس الاولى واما حمزة فانه كالموصوفة
من هذه السورة بلاد وغير خلاد **قوله تعالى** قبل ان تقوم من مقامك اي مجلسك الذي تقضي فيه قال ابن عباس كان له
كل غداة مجلس يقضي فيه الى انتصاف النهار واني عليه على حمله لقوي امين به على ما فيه من الجواهر فقال سليمان اريد اسرع
من هذا فقال الذي عنده علم من الكتاب فقيل جبريل وقيل ملك من الملائكة ايد الله به نبيه عليه السلام وقال الكثر
المفسرين هو اصف بن برخيا وكان وزير سليمان وكان صديقا يعلم اسم الله الاعظم اذا دعا به اجيب وقيل بل هو سليمان
والمخاطب هو العفريت الذي كلمه واراد سليمان عليه السلام اظهار معجزة فتحدى العفريت انه يأتي له من سرعة الاتيان
بالعرش ما لا يتهيأ للعفريت قال ابن الخطيب وهذا القول اقرب لوجوه الاول ان لفظة الذي موضوعة في اللغة
للاشارة الى شخص معين عند محاولة تعريفه بقصة معلومة والشخص المعروف بان عنده علم من الكتاب
هو سليمان عليه السلام فوجب انصرافه اليه اقصى ما في الباب ان اصف كان كذلك ايضا لانا نقول ان سليمان كان اعرف
بالكتاب منه لانه هو النبي فصار لفظ الصرف الى سليمان اولى الثاني ان احضار العرش في تلك الساعة اللطيفة درجة
عالية فلو حصلت لاصف دون سليمان لاقتضى ذلك قصور حال سليمان في اعين الخلق الثالث ان سليمان قال
هذا من فضل ربي ليبلوني ااشكر ام اكفر فظاهره يقتضي ان يكون ذلك المعجز قد اظهره الله بدعاء سليمان **فصل**
واختلفوا في الكتاب فقيل هو اللوح المحفوظ والذي عنده علم الكتاب جبريل عليه السلام وقيل كتاب سليمان او كتاب
بعض الانبياء وفي الجملة ان ذلك مدح وان هذا الوصف تاثير في نقل ذلك العرش ولذلك قيل انه اسم الله الاعظم وان
عنده وقعت الاجابة من الله تعالى في اسرع الاوقات **قوله تعالى** قبل ان يرتد اليك طرفك فيه وجهان احدهما انه الجفن
عبر به عن سرعة الامر كما تقول لصاحبك افعل هذا في لحظة وهذا قول مجاهد وقال الزمخشري هو تحريك اجفانك اذا نظرت
فوضع موضع النظر الثاني انه بمعنى المطروف اي الشيء الذي تنظره والاول هو الظاهر لان الطرف قد وصف بالارسال في

قوله	وكنت اذا ارسلت طرفك رائدا • لقلبك يوما اتعبتك المناظر •	
	وانت الذي لا كله انت قادر • عليه ولا عن بعضه انت صابر •	

قال سعيد بن جبير من قبل ان يرتد اي من قبل ان يرجع اليك اقصى من يرتد الطرف خاسئا وقال وهب تمد عينيك
وقال وهب ايضا تمد عينيك فلا ينتهي طرفك الى مداه حتى امثله بين يديك فان قيل هذا يقتضي اما القول واما حصول
الجسم الواحد دفعة واحدة في مكانين فالجواب ان المهندسين قالوا كرة الشمس مثل كرة الارض مائة واربعين مرة واربعة
واربعة وستين مرة ثم ان طلوع زمانها زمان قصير فاذا قسمنا تمام طلوع جميع القرص على زمان البعد الذي بين الشام الذي
كانت تلك اللمحة كيف فلما ثبت عقلا امكان وجود هذه الحركة السريعة وثبت انه تعالى قادر على كل الممكنات زال السؤال
قوله تعالى فلما راه يعني سليمان العرش مستقرا عنده محمولا اليه من مأرب الى الشام في قدر ارتداد الطرف فمستقرا رؤية
حال لان الرؤية بصرية وعنده معمول له لا يقال اذا وقع الظرف حالا اوجب حذف متعلقه فكيف ذكر عنده لان الاستقرار
هنا ليس هو ذلك الحصول المطلق بل المراد به هنا الثابت الذي لا ينتقل قاله ابو البقا ومن جعله ابن عطية هو
العامل في الظرف الذي كان يجب حذفه فقال وظهر العامل في الظرف من قوله مستقرا وهذا هو المقدر ابدا مع كل ظرف
وقع مظهرا وليس في كتاب الله مثله وما قاله ابو البقا مفردا احسن على انه قد ظهر العامل المطلق في قوله
فانت الذي بحبوحة الهون كائن • **فصل** وتقدم ذلك مخففا في اول الفاتحة **قوله تعالى** اشكر متعلق
ليبلوني وام منقطعة ام متصلة وكذلك قوله ننظر اتهتدي ام تكون **قوله تعالى** ومن شكر ومن كفر يحتمل ان
تكون من شرطية او موصولة متضمنة معنى الشرط فلذلك دخلت الفا في الخبر والظاهر ان جواب الشرط الثاني او خبر
الموصول قوله تعالى فان ربي غني كريم ولا بد حينئذ من ضمير يعود على من يقدر غني عن شكره وقيل الجواب محذوف
تقديره فانما كفره عليه لمقابلته اوله لاته مقابلة وهو قوله تعالى فانما يشكر لنفسه عليه **فصل**
تقدم معنى الابتلاء وقوله اشكر نعمته ام اكفرها فلا اشكرها ومن شكر فانما يشكر لنفسه اي يعود نفع شكره اليه وهو
ان يستوجب به تمام النعمة ودوامها عليه لان الشكر قيد النعمة الموجودة وصيد النعمة المفقودة ومن كفر فان ربي غني

من شكره كبيرا بالافضال على من يكفر نعمه **قوله تعالى** نكروا لها عرشها اي غيروا الهاء سريرها الى حال تنكره اذا راته
وذلك انه اذا ترك على حاله عرفته لا محالة واذا غيرت دلت معرفتها له على فضل عقل **قوله تعالى** ننظر العامة على جزمه
جوابا للامر قبله وابو حيوة بالرفع جعله استئنافا **فصل** روي كانه جعل اسفله اعلاه واعلاه اسفله وجعل
موضع الجوهر الاحمر اخضر ومكان الاخضر احمر اتهتدي بعرشها فتعرفه ام تكون من الجاهلين الذين لا يهتدون اليه
وقيل اتعرف به نبوة سليمان ولذلك قال ام تكون من الذين لا يهتدون وذلك كالذم ولا يليق الا بطريق الدلالة فكانه
عليه السلام احب ان ينظر اتعرف به نبوته حيث صار منتقلا من المكان البعيد الى هناك وذلك يدل على كمال قدرة الله
تعالى وعلى صدق سليمان عليه السلام وتعرف بذلك ايضا فضل عقلها لانه روي عنه انه القي اليه نقصان عقلها لكي لا
يتزوجها كما ذكر وهب ومحمد بن كعب وغيرهما ان الشياطين خافت ان يتزوجها سليمان فتفشي اليه اسرار الجن وذلك ان امها
كانت جنية واذا ولدت له ولدا لا ينفكون من تسخير سليمان وذريته من بعده فاساؤوا الثناء عليها ليزهدوه فيها وقالوا
ان في عقلها شيئا وان رجلها كحافر الحمار وانها شعراء الساقين فاراد سليمان ان يختبر عقلها بتنكير عرشها وينظر الى قدميها
ببناء الصرح **قوله تعالى** اهكذا عرشك ثلاث كلمات حرف التنبيه وكاف التشبيه وذا اسم الاشارة ففصل بحرف الجر بين حرف
التنبيه واسم الاشارة والاصل اكهذا اي امثل هذا عرشك لئلا يكون تلقينا ولا يجوز ذلك في غير الكاف لو قلت اهبذا
مررت والهذا فعلت لم يجز ان يفصل بحرف الجر بين ها وذا فتقول اها بذا مررت واها لذا فعلت **قوله تعالى** قالت
كانه هو قال مقاتل عرفته ولكنها شبهت عليهم كما شبهوا عليها وقال عكرمة كانت حكيمة لم تقل نعم خوفا من ان تكذب
ولم تقل لا خوفا من التكذيب قالت كانه هو فعرف سليمان كمال عقلها حيث توقفت في محل التوقف قيل لها فانه
عرشك فما اغنى عنك اغلاق الابواب عليه وكانت قد اغلقت عليه الابواب واخذت مفاتيحها **قوله تعالى** واوتينا
العلم من قبلها فيه وجهان احدهما انه من كلام بلقيس فالضمير في قبلها راجع للمعجزة والحالة الدال عليها السياق والمعنى
واوتينا العلم بنبوة سليمان من قبل ظهور هذه المعجزة او من قبل هذه الحالة وذلك لما رات قبل ذلك من امر الهدهد ورد
الهدية والرسل من قبلها من قبل الاية في العرش وكنا مسلمين منقادين طائعين لامر سليمان والثاني انه من كلام سليمان
واتباعه فالضمير في قبلها عائد على بلقيس فكان سليمان وقومه قالوا انها قد اصابت في جوابها وهي عاقلة وقد رزقت
الاسلام ثم عطفوا على ذلك قولهم واوتينا نحن العلم بالله وبقدرته مثل علمها وغرضهم من ذلك شكر الله تعالى في ان خصهم
بمزية التقدم في الاسلام قاله مجاهد **قوله تعالى** وصدها ما كانت تعبد من دون الله وهو الشمس وعلى هذا فما
كانت تعبد منصوب على اسقاط الخافض اي وصدها الله او سليمان عما كانت تعبد من دون الله قاله الزمخشري مجوزا له
وفيه نظر من حيث ان حذف الجار ضرورة كقوله • تمرون الديار فلم تعوجوا • وقوله تعالى قيل لها ادخلي الصرح وقد تقدم
ابيات كثيرة من هذا النوع الثاني ان الفاعل هو ما كانت اي صدها ما كانت تعبد عن الاسلام الثالث الظاهر ان الجملة من
قوله وصدها معطوف على قوله واوتينا وقيل هي حال من قوله ام تكون من الذين وقد مضمرة وهذا بعيد جدا وقيل
مستانف اخبار من الله تعالى بذلك **قوله تعالى** انها كانت من قوم كافرين يعبدون الشمس والعامة على كسرها استئنافا
وتعليلا وقرا سعيد بن جبير وابو حيوة بالفتح وفيها وجهان الاول انها بدل مما كانت اي تعبد وصدها انها كانت
والثاني انها على اسقاط حرف العلة اي لانها فهي قريبة من قراءة العامة **قوله تعالى** قيل لها ادخلي الصرح تقدم الكلام
في الظرف والجملة الواقع بعد دخل هل هو منصوب على الظرف وسد ذلك مع دخل خاصة كما قاله سيبويه او مفعول به
كهدمت البيت كما قاله الاخفش والصرح القصر وصحن الدار او بلاط متخذ من زجاج واصله من التصريح وهو الكشف
وكذب صراح اي ظاهر مكشوف ويوم صريح والصريح مقابل الكناية لظهوره واستتاره وقيل الصرح الخالص
من قولهم لبن صريح بين الصراحة والصروحة وقال الراغب الصرح بيت عال مزوق سمي بذلك اعتبارا بكونه صرحا
عن الشوب اي خالصا **قوله تعالى** ساقيها العامة على الف ساقيها الفصيحة وقيل وروي همزها عن ابن كثير وضعفها
ابو علي وكذلك لغة قنبل في جميع ساق في ص وفي الفتح همز واوه نحو بالسوق والاعناق فاستوى على سوقه بهمزة مكان
الواو وعنه وجه اخر وهو السووق وسووقه بزيادة واو بعد الهمزة وروي عنه انه كان يهمز مفردا في قوله يكشف
وقوله يكشف عن ساق واما همزة الواو ففيها اوجه الاول ان الواو الساكنة المضموم ما قبلها يقلبها بعض العرب همزة
وتقدم تحقيق هذا اول البقرة عند يؤمنون واستدل عليه • احب المؤقدين الي موسى • وكان ابو حيوة الهمز وهي
يهمز كل واو في القران هذا وضعفها الثاني ان ساقا على فعل كما سيقع على فعل بضم العين كاسد واسد الواو المضمومة
يقلب همزة نحو وجوه وقتت ثم بعد الهمز نقلت الثالث ان المفرد سمع همزه كما سياتي تقريره في جمعه عليه واما سووق بالواو
بعد الهمزة فان ساقا جمع على سوق بواوين همزت الاولى لانضمامها وهذه الرواية غريبة عن قنبل واما ساقها وجه الهمز

احد اوجه اما الغة من يقلب الالف همزة وعليه لغة العجاج في العالم والخاتم والسد وخندق هامة هذا العالم
وسياتي تقريره في مسالة ان شاء الله تعالى وتقدم طرف منه في الفاتحة واما في التشبيه براس وكاس كما قالوا حالات
السوق حملا على حلاته على لما اي طواوته واما حملا للمفرد والمعنى على جمعها الهمز **فصل** لما حكى تعالى اقامتهما
مع الدلايل المتقدمة ذكر ان سليمان اظهر امرا حرضها الى الاسلام فامر الشياطين فبنوا صرحا اي قصرا من الزجاج
كانه الماء بياضا واجري تحته الماء والقى فيه كل شيء من دواب البحر من السمك والضفادع وغيرهما ثم وضع سريره في صدره
وجلس عليه وعكفت عليه الطير والجن والانس وقيل اتخذ صحيفة من قوارير وجعل تحتها تماثيل من الحيتان والضفادع
فكان الانسان اذا راه ظنه ماء فلما جلس على السرير دعا بلقيس فجاءت قيل لها ادخلي الصرح فلما راته حسبته لجة وهي معظم
الماء وكشفت عن ساقيها لتخوضه الى سليمان فقيل كان المقصود من بناء الصرح تهويل المجلس وتعظيمه وحصل كشف الساق
على سبيل التبع وقيل ان سليمان اراد ان ينظر الى ساقيها من غير ان يسالها كشفها لما قالت الشياطين له ان رجلها كحافر الحمار
وهي شعراء الساقين فلما راى سليمان ذلك صرف بصره عنها وناداها انه صرح ممرد اي مملس ومنه الامرد لملاسة وجهه
من الشعر ويقال رملة مرداء وهي التي لا تنبت شيئا والمارد من الشياطين من تعرى من الخير وتجرد
منه ومارد حصن معروف وفي امثال الزباء تمرد مارد وعز الابلق فالتها في حصنين امتنع فتحهما عليها والقوارير
جمع قارورة وهي الزجاج الشفاف ومن قوارير صفة ثانية لصرح **قوله تعالى** قالت رب اني ظلمت نفسي قال مقاتل
لما رات السرير والصرح علمت ان ملك سليمان من الله فقالت رب اني ظلمت نفسي بعبادة غيرك واسلمت مع سليمان لله رب العالمين
اخلصت له التوحيد وقيل انها لما بلغت الصرح وظنته لجة قالت في نفسها ان سليمان يريد يغرقني وكان القتل اهون من هذا
فقولها ظلمت نفسي يعني بذلك الظن واختلفوا هل تزوجها سليمان ام لا وانه تزوجها في هذه الحال او من قبل ان يكشف عن
ساقيها والاظهر من كلام الناس انه تزوجها وروي عن ابن عباس انها لما اسلمت قال لها اختاري من قومك من تزوجك
فقالت مثلي لا ينكح الرجال مع سلطاني فقال النكاح من الاسلام فقالت ان كان كذلك فزوجني تبع ملك همدان فزوجها
اياه ثم ردها الى اليمن وروي ان الملك وصل الى سليمان وهو ابن ثلاث عشرة سنة ومات وهو ابن ثلاث وخمسين سنة
قوله تعالى مع سليمان متعلق بمحذوف على انه حال ولا يتعلق باسلمت لان اسلامه سابق اسلامها بزمان وهو وجه لطيف
وقال ابن عطية ومع ظرف بني على الفتح واما اذا اسكنت العين فلا خلاف انه حرف وقد تقدم القول في ذلك فقال الي هنا
نحو من قول ابن عطية **قوله تعالى** ولقد ارسلنا الى ثمود اخاهم صالحا الاية **قوله تعالى** ان اعبدوا الله اي وحدوه
ويجوز ان تكون ان مفسرة وان تكون مصدرية اي بان اعبدوا فيجيء في محلها القولان **قوله تعالى** فاذا هم فريقان تقدم
الكلام في اذا الفجائية والمراد بالفريقين قوم صالح وانهم انقسموا فريقين مؤمن وكافر وقد صرح بذلك في الاعراف في قوله
قال الذين استكبروا للذين استضعفوا لمن امن وجعل الزمخشري الفريق الواحد صالحا وحده والاخر جميع قومه وحمله على
ذلك العطف بالفاء فانه يؤذن انه بمجرد ارساله صاروا فريقين ولا يصير قومه فريقين الا بعد زمان ولو قليلا
ويختصمون صفة لفريقان على المعنى كقوله هذان خصمان اختصموا وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا واختير هنا
مراعاة الجمع لكونها فاصلة **قوله تعالى** يا قوم لم تستعجلون اي قال لهم صالح يا قوم لم تستعجلون بالسيئة بالبلاء
والعقوبة ان الله قد مكنكم بالتوصل الى رحمته وثوابه فلماذا تعدلون عنه الى استعجال عذابه وقيل انهم كانوا يقولون
ان العقوبة التي يعدها صالح ان وقعت على زعمه تبنا حينئذ واستغفرنا حينئذ يقبل الله توبتنا ويدفع العذاب عنا
فخاطبهم صالح على حسب اعتقادهم فقال هلا تستغفرون الله قبل نزول العذاب فان استعجال الخير وصف العذاب بانه سيئة
مجاز اما لان العذاب من لوازمه او لانه يشبهه في كونه مكروها واما وصف الرحمة بكونها حسنة فقيل حقيقة وقيل مجاز ثم ان
صالحا عليه السلام لما قرر هذا الكلام الحق اجابوه بكلام فاسد فقالوا اطيرنا بك اي تشاءمنا بك اي ان الذي يصيبنا
من قحط وشدة من شؤمك وشؤم من معك وقرا تطيرنا بك وهو الاصل وادغم وتقدم تقريره قال الزمخشري كان
الرجل يخرج مسافرا فيمر بطائر فيزجره فان مر بارحا تشاءم فلما نسبوا الخير والشر الى الطائر استعير لما كان
لهم الخير والشر وهو قضاؤه وقدره الله وقسمته فاجاب صالح عليه السلام بقوله طائركم عند الله اي السبب الذي يجيء منه خيركم
وشركم عند الله وهو قضاؤه وقدره وهو مكتوب عليكم سمي طائرا لسرعة نزوله بالانسان لانه لا شيء اسرع من قضاء
محتوم قال ابن عباس الشؤم اتاكم من عند الله بكفركم وقيل طائركم عملكم عند الله سمي طائرا لسرعة صعوده الى السماء قيل انما
قالوا ذلك لتفرق كلمتهم وقيل لانه امسك عنهم المطر في ذلك الوقت فقحطوا **قوله تعالى** تفتنون جاء الخطاب مراعاة
لتقدم الضمير ولو روعي ما بعده لقيل يفتنون بياء الغيبة وهو جائز ولكنه مرجوح تقول انت رجل تفعل
وتفعل بالياء والتاء ونحن قوم نقرا ويقراون والمراد من هذا الكلام ان صالحا عليه السلام بين بهذا الكلام جهلهم

بقوله

بقوله بل انتم قوم تفتنون فيحتمل ان غيرهم دعاهم الى هذا القول ويحتمل ان المراد ان الشيطان يفتنكم بوسوسته
وقال ابن عباس تختبرون بالخير والشر كقوله ونبلوكم بالشر والخير فتنة وقال محمد بن كعب تعذبون **قوله تعالى** وكان
في المدينة تسعة رهط يعني مدينة ثمود والاكثر ان تمييز العدد مجرور بمن كقوله اربعة من الطير وفي المسالة مذاهب
الاول انه لا يجوز الا في قليل الثاني انه لا يجوز ولكن لا ينقاس الثالث التفصيل بين ان يكون للقلة كرهط ونفر فيجوز
وللكثرة فقط او لها وللقلة فلا يجوز نحو تسعة قوم ونص سيبويه على امتناع ثلاثة غنم قال الزمخشري وانما جاز تمييز
التسعة بالرهط في معنى الجمع كانه قيل تسعة انفس قال ابو حيان وتقدير غيره تسعة رجال هو الاولى لانه من حيثما اضاف الى
انفس قال ابو حيان وتقدير غيره تسعة رجال هو الاولى لانه من حيث اضاف الى النفس كان ينبغي ان يقول تسع انفس على تانيث النفس
اذ الفصيح فيها التانيث الا تراهم عدوا من الشذوذ قول الشاعر ثلاثة انفس وثلاث ذود قال شهاب الدين وانما
اراد تفسير المعنى وقال ابن الخطيب فالاقرب ان يكون المراد تسعة جمع اذ الظاهر من الرهط الجماعة لا الواحد ثم يحتمل انهم
كانوا قبائل ويحتمل انهم دخلوا تحت العدد لاختلاف صفاتهم واحوالهم لا لاختلاف النسب **قوله تعالى** يفسدون يجوز
ان يكون نعتا للمعدود او العدد ويكون في موضع جر او رفع **قوله تعالى** ولا يصلحون قيل يؤكد الاول وقيل ليبين كذا
لان بعض المفسد قد يصلح في وقت وهم الذين اتفقوا على عقر الناقة وهم غواة قوم صالح وراسهم قدار بن سالف وهو عاقر الناقة
قوله تعالى قالوا تقاسموا يجوز في تقاسموا ان يكون امرا قال بعضهم لبعض احلفوا على كذا ويجوز ان يكون فعلا ماضيا
وحينئذ يجوز ان يكون مفسرا لقالوا كانه قيل ما قالوا فقيل تقاسموا ويجوز ان يكون حالا على اضمار قد اي قالوا ذلك متقاسمين
واليه ذهب الزمخشري فانه قال يحتمل ان يكون امرا وخبرا في محل الحال باضمار قد قال ابو حيان اما قوله وخبرا فلا يصح لان
الخبر احد قسمي الكلام لانه ينقسم الى الخبر والانشاء وجميع اقسامه راجعة الى هذين القسمين قال شهاب الدين ولا ادري
عدم الصحة لماذا لانه جعله خبرا لاحتمال الصدق والكذب مقابلا للامر الذي لا يحتملهما ودخل هذا في الرد على الزمخشري
ثم قال ابو حيان والتقييد بالحال ليس الا من باب نسبة التقييد لا نسبة الكلام التي هي الاسناد فاذا اطلق عليها الخبر
كان ذلك على تقدير انها لو لم تكن حالا لجاز ان يستعمل خبرا وكذلك قوله في الجملة الواقعة صلة هي خبرية فهو مجاز والمعنى
انها لو لم تكن صلة لما جاز ان تستعمل خبرا وهذا فيه غموض قال شهاب الدين مسلم ان الجملة ما دامت حالا او صلة لا يقال لها خبرية
بمعنى انها تستقل بافادة الاسناد لانها سيقت مساق القيد في الحال ومساق جزء الكلام في الصلة وكان ينبغي ان يذكر ايضا
الجملة الواقعة صفة فان الحكم فيها كذلك ثم قال واما اضمار قد فلا يحتاج اليه لكثرة وقوع الماضي حالا بغير قد فذكره شيخي
والقياس عليها قال شهاب الدين الزمخشري مشى مع الجمهور فان مذهبهم انه لا بد من قد ظاهرة او مقدرة لتقربه من الحال وقرا ابو علي تقسموا
دون الف مع تشديد السين والتقاسم والتقسم كالتظاهر والتظهر **قوله تعالى** بالله ان جعلت تقاسموا امرا تعلق بالجار
قولا واحدا وان جعلته ماضيا احتمل ان يتعلق به وان لا يكون داخلا تحت القول والقول هو لنبيتنه قرا الاخوان بتاء الخطاب
وضم اللام والباقون بنون التكلم وفتح التاء ثم لتقولن قراءة الاخوين بتاء الخطاب المفتوحة وضم اللام والباقون بنون
المتكلم وفتح اللام ومجاهد وابن وثاب والاعمش كقراءة الاخوين من السبعة في الثاني فاما قراءة الاخوين فان جعلنا تقاسموا
فعل امر فالخطاب واضح رجوعا باخر الكلام الى اوله وان جعلناه ماضيا فالخطاب على حكاية خطاب بعضهم لبعض بذلك واما قراءة
بقية السبعة ان جعلناه ماضيا او امرا فالامر فيهما واضح وهو حكاية اخبارهم عن انفسهم واما قراءة الغيبة فيهما فظاهرة
على ان يكون تقاسموا ماضيا رجوعا باخر الكلام الى اوله في الغيبة وان جعلناه امرا كان تقاسموا ولنبيتنه جوابا لسؤال مقدر
كانه قيل كيف تقاسموا فقيل لنبيتنه واما غيبة الاول والتكلم في الثاني فتعليله ماخوذ مما تقدم في تعليل القراءتين
وقال الزمخشري وقرئ لنبيتنه بالتاء والياء والنون فتقاسموا مع التاء والنون يصح فيه الوجهان يعني يصح في تقاسموا ان
يكون امرا وان يكون خبرا قال ومع الياء لا يصح الا ان يكون خبرا قال شهاب الدين وليس كذلك لما تقدم من انه يكون امرا
ويكون الغيبة فيما بعده جوابا لسؤال مقدر وقد تابع الزمخشري ابو البقا على ذلك فقال تقاسموا فيه وجهان الاول هو امر
اي امر بعضهم بذلك فعلى هذا يجوز في لنبيتنه النون تقديره قولوا لنبيتنه والتاء على خطاب الامر المامور ولا يجوز الياء والثاني
هو فعل ماض فعلى هذا يجوز الاوجه الثلاث النون والتاء والياء قال وهو على هذا تفسير اي تقاسموا على كونه ماضيا مفسر
لنفس قالوا وقد سبقهما الى ذلك مكي رحمه الله وقد تقدم توجيه ما منعوه رحمهم الله وتنزيل هذه الاوجه بعضها على بعض التصنيف
استخراجا من كلام القوم وتقدم الكلام في مهلك اهله في الكهف **فصل** من جعل تقاسموا امرا فموضع تقاسموا
جزم على الامر اي احلفوا ومن جعله فعلا ماضيا فمحله نصب اي تحالفوا وتوافقوا لنبيتنه بياتا اي ليلا واهله قومه الذين
اسلموا معه ثم لنقولن لوليه اي لولي دمه ما شهدنا ما حضرنا مهلك اهله اهلاككم ولا ندري من قتله ومن فتح الميم فمعناه هلاك
اهله وانا لصادقون في قولنا ما شهدنا **قوله تعالى** ومكروا مكرا غدروا واعتذروا وعدوا واعتدوا حين قصدوا

بتبييت صالح والفتك به ومكرنا مكرا جازيناهم على مكرهم بتعجيل عقوبتهم وهم لا يشعرون فشبه اهلاكهم من حيث
لا يشعرون بمكر الماكر على سبيل الاستعارة وقيل ان الله تعالى اخبر صالحا بمكرهم فتحرز عنهم فذلك مكر الله في حقهم
فانظر كيف كان عاقبة مكرهم انا دمرناهم وكان تامة وعاقبة فاعل بها وكيف حال الثاني ان يكون بدلا من عاقبة اي كيف
كان تدميرنا اياهم بمعنى كيف حدث الثالث ان يكون خبر مبتدا مضمر محذوف اي هي انا دمرناهم اي العاقبة تدميرنا
اياهم ويجوز مع هذه الاوجه الثلاثة ان يكون كيف ناقصة ويجعل كان خبرها فتصير الاوجه ستة ثلاثة مع تمام
كان وثلاثة مع نقصانها ويزيد مع الناقصة وجها آخر وهو ان يجعل عاقبة اسمها وانا دمرناهم خبرها وكيف
حال فهذه سبعة اوجه والثامن ان يكون كان زائدة وعاقبة مبتدا وخبرها كيف وانا دمرناهم بدل من عاقبة
او خبر مبتدا مضمر وفيه تعسف التاسع انها على حذف الجار ايضا الا انها الباء اي بانا دمرناهم ذكره ابو البقا العاشر
انها بدل من كيف وهذا وهم من قائله لان البدل من اسم الاستفهام يلزم معه اعادة حرف الاستفهام نحو كم مالك
عشرون ام ثلاثون وقال مكي ويجوز في الكلام نصب عاقبة ويجعل انا دمرناهم اسم كان انتهى بل كان هذا هو الارجح
كما كان النصب في قوله فما كان جواب قومه الا ان قالوا ونحوه ارجح لما تقدم من شبهه بالمضمر كما ذكره بالمصادر وتقدم
تحقيق هذا وقرئ اذا دمرناهم وهي ان المصدرية التي يجوز ان تنصب المضارع والكلام فيها كالكلام على انا دمرناهم
واما قراءة الباقين فعلى الاستئناف وهو تفسير للعاقبة وكان يجوز فيها التمام والنقصان والزيادة وما في حيزها
في محل نصب على اسقاط الخافض لانه معلق للنظر واجمعين تاكيد للمعطوف والمعطوف عليه **فصل** قال
ابن عباس ارسل الله الملائكة تلك الليلة الى دار صالح يحرسونه فاتى التسعة دار صالح شاهرين سيوفهم فرمتهم الملائكة
بالحجارة من حيث يرون الحجارة ولا يرون الملائكة فقتلتهم وقال ابن مقاتل نزلوا في سفح جبل ينتظر بعضهم بعضا ليأتوا
دار صالح فجثم عليهم الجبل فاهلكهم ثم اهلك الله قومهم بالصيحة **قوله تعالى** فتلك بيوتهم خاوية العامة على نصب خاوية
حالا والعامل فيها معنى الاشارة وقرا عيسى خاوية بالرفع على خبر تلك وبيوتهم بدل من تلك واما خبر ثان وبيوتهم خبر
اول واما على خبر مبتدا محذوف اي هي خاوية وهذا اضمار مستغنى عنه وبما ظلموا متعلق بخاوية اي بسبب ظلمهم وخاوية
اي خالية بما ظلموا بظلمهم ان في ذلك لعبرة لقوم يعلمون قدرتنا **قوله تعالى** وانجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون
قيل كان الناجون منهم اربعة الاف **قوله تعالى** ولوطا اذ قال لقومه الاية لوطا اما منصوب عطفا على صالحا اي وارسلنا
لوطا واما عطفا على الذين آمنوا اي وانجينا لوطا واما باذكر مضمرا واما بدل اشتمال من لوطا واما عطفا على الذين آمنوا
وتقدم نظيره في مريم وغيرها **قوله تعالى** اتاتون الفاحشة استفهام على وجه الانكار والتوبيخ بمثل هذا اللفظ
ابلغ والفاحشة الفعلة القبيحة **قوله تعالى** وانتم تبصرون جملة حالية من فاعل تاتون او من الفاحشة والعائد
محذوف اي وانتم تبصرونها لستم عميا عنها جاهلين بها وهو اشنع وقيل المعنى يرى بعضكم بعضا وكانوا لا يستترون
عتوا منهم فان قيل اذا فسر تبصرون بالعلم وبعده بل انتم قوم تجهلون فكيف يكونون علماء جهلاء فالجواب تفعلون
فعل الجاهلين بانها فاحشة مع علمكم بذلك او تجهلون العاقبة او اراد بالجهل السفاهة والمجانة التي كانوا عليها
قوله تعالى شهوة مفعول من اجله او في موضع الحال وقد تقدم فما كان جواب قومه خبر مقدم والا ان قالوا في
موضع الاسم وقرا الحسن وابن ابي اسحق برفعه اسما والا ان قالوا خبرا وهو ضعيف لما تقدم تقريره **فصل**
لما بين تعالى جهلهم بين انهم اجابوا بما لا يصلح ان يكون جوابا فقال فما كان جواب قومه الا ان قالوا اخرجوا آل لوط
من قريتكم انهم اناس يتطهرون اي يتنزهون عن هذا الصنع الفاحش وقيل قالوا ذلك على سبيل الهزء فانجيناه واهله
الا امراته قدرناها قضينا عليها وجعلناها بتقديرنا من الغابرين اي الباقين في العذاب وامطرنا عليهم مطرا وهي
الحجارة فساء فبئس مطر المنذرين **قوله تعالى** قل الحمد لله الاية العامة على كسر اللام لالتقاء الساكنين وابو السمال
بفتحها تخفيفا وكذا في قوله قل الحمد لله سيريكم اياته وسلام مبتدا سوغ الابتداء به كونه دعاء **فصل** المعنى
الحمد لله على هلاكهم وهذا خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم امره ان يحمد الله على هلاك كفار الامم الخالية وسلام على
عباده الذين اصطفى بان ارسلهم ونجاهم وقيل هذا كلام مبتدا فانه تعالى لما حكى ذكر احوال الانبياء عليهم السلام
وكان محمد عليه السلام كالمخالف لمن قبله في العذاب لان عذاب الاستئصال مرتفع عن قومه امره الله بان يشكر على ما
خصه به من هذه النعم وبان يسلم على الانبياء الذين صبروا على مشاق الرسالة **قوله تعالى** وسلام على عباده الذين
اصطفى قال مقاتل هم الانبياء والمرسلون بدليل قوله تعالى وسلام على المرسلين وقال ابن عباس في رواية ابي مالك هم اصحاب
محمد صلى الله عليه وسلم وقال الكلبي هم امة محمد وقيل هم كل المؤمنين من السابقين واللاحقين **قوله تعالى** ام ما ام هذه
متصلة عاطفة لاستكمال شروطها والتقدير ايهما خير وخير اما تفضيل على زعم الكفار والزام الخصم واما صفة لا تفضيل

فيها وما في ام ما معنا الذي وقيل مصدرية وذلك على حذف مضاف اي من الاول اي اتوحيد الله خير ام شرككم وقرا ابو عمرو
وعاصم اما يشركون بالغيبة حملا على ما قبله من قوله وامطرنا عليهم وما بعده من قوله بل اكثرهم والباقون على الخطاب وهو
التفات للكفار بعد خطاب نبيه عليه السلام وهذا تبكيت المشركين بحالهم لانهم اثروا عبادة الاصنام على عبادة الله تعالى
ولا يؤثر عاقل شيئا على شيء الا لزيادة خير ومنفعة فقيل لهم هذا الكلام تنبيها لهم على نهاية ضلالهم وجهلهم وروي
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا قراها قال بل الله خير وابقى واجل واكرم **قوله تعالى** امن خلق ام هذه منقطعة
لعدم تقدم همزة الاستفهام والتسوية ومن خلق مبتدا وخبره محذوف فقدره الزمخشري خير اما يشركون فقدر ما
اثبته في الاستفهام الاول وهو حسن وقدره ابن عطية يكفر بنعمته ويشرك به ونحو هذا من المعنى وقال ابو الفضل الرازي
لابد من اضمار جملة معادلة وصار ذلك المضمر كالمنطوق به لدلالة الفحوى عليه وتقدير تلك الجملة امن خلق السموات
والارض كمن لم يخلق وكذلك اخواتها وقد اظهر في غير هذه المواضع ما اضمر فيها كقوله تعالى افمن يخلق كمن لا يخلق وقال
ابو حيان وتسمية هذا المقدر جملة ان اراد انها جملة من جهة الالفاظ صحيح وان اراد الجملة المصطلح عليها في النحو
فليس بصحيح بل هو مضمر من قبيل المفرد وقرا الاعمش امن بتخفيف الميم جعلها من الموصولة داخلة عليها همزة الاستفهام وفي
فيها وجهان احدهما ان يكون مبتدا والخبر محذوف وتقديره ما تقدم من الاوجه قال ابو حيان والثاني انها بدل من الله
كانه قيل ام من خلق السموات والارض خير ام ما يشركون ولم يذكر الزمخشري غيره ويكون قد فصل بين البدل والمبدل منه
وهو نظير قولك ازيد خير ام عمرو ام اخوك على ان يكون بدلا من زيد وفي جواز مثل هذا نظر **قوله تعالى**
فانبتنا فيه التفات من الغيبة الى المتكلم لتاكيد معنى اختصاص الفعل بذاته والايذان بان انبات الحدائق المختلفة
الالوان والطعوم مع سقيها بماء واحد لا يقدر عليه الا هو وحده ولذلك رشحه بقوله ما كان لكم ان تنبتوا شجرها فان
الانسان ربما يقول انا الذي القي البذر في الارض واسقيها الماء واسعى في تنميتها وفاعل السبب فاعل المسبب فاذا انا المنبت
للشجر كان الاحتمال قائما فلاجرم ازال الله تعالى هذا الاحتمال فرجع من لفظ الغيبة الى لفظ التكلم والحدائق جمع حديقة
وهي البستان وقيل القطعة من الارض ذات الماء قال الراغب سميت بذلك تشبيها بحدقة العين في الهيئة وحصول الماء فيه
وقال غيره سميت بذلك لاحداق الجدران بها وليس بشيء لانه يطلق عليها ذلك مع عدم الجدران ووقف القراء على ذات
من ذات بهجة بتاء مجبورة والكسائي بالهاء لانها تاء تانيث وقيل ذات لانه بمعنى جماعة حدائق ذات بهجة كما يقال النساء ذهبت
والبهجة الحسن لان حسن الناظر يبتهج به وقرا ابن ابي عبلة ذوات بهجة بالجمع وفتح هاء بهجة **قوله تعالى** ما كان لكم ان تنبتوا
ان تنبتوا اسم كان ولكم خبر مقدم والجملة المنفية يجوز ان تكون صفة لحدائق وان تكون حالا لتخصصها بالصفة **قوله
تعالى** االه مع الله استفهام بمعنى الانكار هل معبود سواه اعانه على صنعه بل ليس معه اله وقرا الهامع الها اي تدعون او
تشركون بل هم قوم يعني كفار مكة يعدلون يشركون اي يعدلون بالله سواه وقيل يعدلون عن هذا الحق الظاهر ونظيره
هذه الاية اول سورة الانعام **قوله تعالى** ام من جعل الارض قرارا قال الزمخشري ام من وما بعده بدل من ام من خلق وحكمها
حكمه ومعنى قرارا لا تميد باهلها فانها لو كانت متحركة لما استقر احد بالسكون على الارض **قوله تعالى** خلالها يجوز ان يكون
ظرفا للجعل بمعنى خلق المتعدي لواحد وان يكون في محل المفعول الثاني على انها بمعنى صير وخلالها وسطها انهارا واعلم ان
المنبع في الارض اربعة الاول مياه العيون السائلة قال ابن الخطيب وهي تنبعث من ابخرة كثيرة المادة قوية الاندفاع
تفجر الارض بقوة الثاني مياه العيون الراكدة وهي تنبعث من ابخرة بلغت في قوتها الى وجه الارض ولم تبلغ من قوتها وكثرة مادتها
ان تطرد الثالث مياه القنى والانهار وهي متولدة من ابخرة ناقصة القوى عن ان تشق الارض فاذا ازيل عن وجهها ثقل التراب
صادفت حينئذ لتلك الابخرة منفذا تندفع اليه بادنى حركة الرابع مياه الابار وهي منبعثة كمياه الانهار الا انها ليس لها سبيل
الى الموضع سبيل اليه ونسبة القنى الى الابار نسبة العيون السيالة الى العيون الراكدة **قوله تعالى** وجعل لها رواسي
وهي الجبال **قوله تعالى** بين البحرين حاجزا يجوز فيه ما جاز في خلالها والحاجز الفاصل بحر بينهم بحرا اي منع وفصل والمراد
بالبحرين العذب والملح االه مع الله قرا اله بتخفيف الهمزتين وتحقيق الثانية وادخال الف بينهما تخفيفا وتسهيلا وهذا
كالمعروف من اول هذا الكتاب بل اكثرهم لا يعلمون توحيد ربهم **قوله تعالى** امن يجيب المضطر اذا دعاه المضطر اسم
مفعول ماخوذ من اضطر لا يستعمل الا مبنيا للمفعول وانما كرر الجعل هنا ولم يشرك اذ بين المعمولات في عامل واحد
لان كل واحدة من هذه منة مستقلة فابرزها في جملة مستقلة بنفسها قال الزمخشري الضرورة الحالة المحوجة الى الالتجاء
والاضطرار افتعال منها فيقال اضطره الى كذا والفاعل والمفعول مضطر فان قلت هذا يعم المضطرين وكم من مضطر
يدعو فلا يجاب قلت انه ثبت في اصول الفقه ان المفرد المعرف لا يفيد العموم وانما يفيد الماهية فقط والحكم المثبت
للماهية يكفي في صدقه ثبوته في فرد واحد من افراد الماهية فقط فانه تعالى وعد بالاجابة ولم يذكر انه يستجيب في الحال

قوله تعالى ويكشف السوء كالتفسير للاستجابة فانه لا يقدر احد على كشف دفع ما دفع اليه من فقر الى غنى ومرض الى
صحة الا القادر الذي لا يعجز والقاهر الذي لا ينازع **قوله تعالى** ويجعلكم خلفاء الارض اي يورثكم سكانها والتصرف
فيها **قوله تعالى** قليلا ما تذكرون قرا ابو عمرو وهشام يذكرون بالغيبة والباقون بالخطاب وهما واضحان
وابو حيوة تتذكرون بتائين **قوله تعالى** امن يهديكم في ظلمات البر والبحر يهديكم بالنجوم في السماء والعلامات في الارض
اذا سافرتم بالليل في البر والبحر ومن يرسل الرياح نشرا بين يدي رحمته وهو المطر وتقدم الكلام في نشرا في الاعراف
ءاله مع الله تعالى الله عما يشركون **قوله تعالى** امن يبدؤا الخلق ثم يعيده لما عدد نعم الدنيا اتبع ذلك نعم الاخرة وهي لا
تتم الا بعضها بالاعادة بعد الابتدا والابلاغ الحجة للتكليف فقد تضمن الكلام كل نعم الدنيا والاخرة وهي لا تتم الا بالارزاق
فلذلك قال ومن يرزقكم من السماء والارض من السماء المطر ومن الارض النبات ءاله مع الله قل هاتوا برهانكم حجتكم على
قولكم ان مع الله الها اخر ان كنتم صادقين ولا برهان لكم فاذن انتم مبطلون فان قيل كيف قيل لهم امن يبدؤا الخلق
ثم يعيده وهم ينكرون الاعادة فالجواب كانوا معترفين بالابتدا ودلالة الابتدا على الاعادة دلالة ظاهرة
قوية فلما كان الكلام مقرونا بالدلالة الظاهرة صاروا كانهم لم يبق لهم عذر في الانكار **قوله تعالى** قل لا يعلم من في
السموات والارض الغيب الا الله لما بين انه مختص بالقدرة بين انه المختص بعلم الغيب واذا ثبت ذلك ثبت انه الاله المعبود
وفي هذا الاستثناء اوجه الاول انه فاعل يعلم ومن مفعوله والغيب بدل من من في السموات اي لا يعلم غيب من في السموات
والارض الا الله اي الاشياء الغائبة التي تحدث في العالم وهو وجه غريب ذكره ابو حيان والثاني انه مستثنى متصل من من
ولكن لا بد من الجمع بين الحقيقة والمجاز في كلمة واحدة على هذا الوجه بيانه ان الظرفية المستفادة من في حقيقة
بالنسبة الى غير الله تعالى ومجاز بالنسبة الى الله تعالى يعني انه علمه في السموات والارض فيندرج من في السموات والارض
بهذا الاعتبار وهو مجاز وغيره من مخلوقاته في السموات والارض حقيقة فبذلك الاندراج المأول استثني من من
وكان الرفع على البدل اولى لان الكلام غير موجب قال المكي الرفع في اسم الله عز وجل على البدل لمن من ورد الزمخشري
هذا بانه جمع بين الحقيقة والمجاز واوجب ان يكون منقطعا فقال فان قيل لم رفع اسم الله والله تعالى ان يكون
ممن في السموات والارض فالجواب جاء على لغة بني تميم حيث يقولون ما في الدار احد الا حمار يريدون ما فيها الا حمار
كان احدا لم يذكر ومنه قوله • عشية ما تغني الرماح مكانها • ولا النبل الا المشرفي المصمم • وقولهم
ما اتاني زيد الا عمرو وما اعانني اخوانكم الا اخوانه فان قيل ما الداعي الى اختيار المذهب التميمي على الحجازي فالجواب
دعت اليه نكتة سرية حيث اخرج المستثنى مخرج قوله الا اليعافير بعد قوله ليس بها انيس ليؤول المعنى الى قولك ان كان الله
ممن في السموات والارض فهم يعلمون الغيب يعني ان علمهم الغيب في استحالته كاستحالة ان يكون الله منهم كما في معنى ما في البيت
ان كانت اليعافير انيسا ففيها انيس بتا للقول في خلوها عن الانيس فان قيل هل لا زعمت ان الله من في السموات
والارض كما تقول المتكلمون ان الله في كل مكان على معنى ان علمه في الاماكن كلها وكان ذاته فيها حتى لا تحمله على مذهب
بني تميم فالجواب يابى ذلك ان كونه في السموات والارض مجاز وكونهم فيهن حقيقة وارادة المتكلم بعبارة واحدة حقيقة
ومجازا غير صحيح على ان قولك من في السموات والارض وجمعك بينه وبينهم في اطلاق اسم واحد فيه ايهام تسوية والايهامات
مزالة عنه وعن صفاته الا ترى كيف قال عليه السلام لمن قال ومن يعصهما فقد غوى بئس خطيب القوم انت فقد رجح الانقطاع
واعتذر عن ارتكاب مذهب التميميين بما ذكر واكثر العلماء انه لا يجمع بين الحقيقة والمجاز في كلمة واحدة وفرقا ابن النقا
فصل نزلت هذه الاية في المشركين حيث سالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن وقت قيام الساعة وما يشعرون
صفة لاهل السموات والارض نفي ان يكون لهم علم بالغيب وذكر في جملة الغيب متى البعث لقوله ايان يبعثون وايان بمعنى
متى وهي كلمة مركبة من اي والان وهو الوقت وقرا ايان بكسر الهمزة السلمي وهي لغة قومه بني سليم وهي منصوبة
بيبعثون ومعلقة ليشعرون فهي مع ما بعدها في محل نصب باسقاط الخافض اي ما يشعرون بكذا **قوله تعالى** ادرك
قرا ابن كثير ونافع وابو عمرو ادرك فاكرمك والباقون من السبعة ادارك بهمزة وصل وتشديد الدال المفتوحة بعدها
الف والاصل تدارك وبه قرا ابي فاريد ادغام التا في الدال فادغمت بعد ما ابدلت دالا وسكنت وتعذر الابتدا بها لسكونها
فاجتلبت همزة الوصل فصار ادارك كما ترى وتقدم تحقيق هذا في قوله فادارءتم فيها **قوله تعالى** في الاخرة فيه وجهان
احدهما ان في على بابها وادرك وان كان ماضيا لفظا فهو مستقبل معنى لانه كائن قطعا كقوله اتى امر الله وعلى هذا
ففي متعلق بادرك والثاني ان في بمعنى البا اي بالاخرة وعلى هذا فيتعلق بنفس علمهم **قوله تعالى** وقال الذين كفروا يعني
مشركي مكة ايذا تقدم الكلام في الاستفهامين اذا اجتمعا في سورة الرعد والعامل في اذا محذوف يدل عليه لمخرجون
تقديره نبعث ونخرج **قوله تعالى** ردف لكم فيه اوجه الاول وهو الاظهر ان ردف بمعنى فعل يتعدى باللام اي دنا

وقرب

وقرب وازف وبهذا فسره ابن عباس وبعض الذي فاعل به وقد تتعدى بمن ايضا على تضمنه معنى دنى قال الشاعر

• فلما ردفنا من عمير وصحبه • تولوا سراعا والمنية تعنق •

اي دنونا من عمير والثاني انه مفعوله محذوف واللام للعلة اي ردف الخلق لاجلكم ولشومكم الثالث ان اللام مزيدة
في المفعول لتاكيد كزيادتها في قوله • انخنا للكلاكل فارتمينا • وكزيادتها في قول الشاعر المتقدم وقوله
لربهم يرهبون وكزيادة البا في قوله تعالى ولا تلقوا بايديكم وعلى هذه الاوجه الوقف على يستعجلون الرابع ان فاعل ردف
ضمير الوعد اي قرب ودنا مقتضاه ولكم خبر مقدم وبعض مبتدا مؤخر والوقف على هذا على ردف وهذا فيه تفكيك للكلام
الخامس ان الفعل محمول على مصدره اي الرادفة لكم وبعض على تقدير رادفة بعض يعني حتى يتطابق الخبر والمخبر عنه وهذا اضعف
مما قبله وقرا الاعرج ردف بفتح الدال وهي لغة والكسر هو بعض الذي تستعجلون من العذاب فحل بهم ذلك يوم بدر **قوله**
ان ربك لذو فضل على الناس قال مقاتل على اهل مكة حيث لم يعجل عليهم العذاب والفضل الافضال ومعناه انه متفضل
وهذه الاية تبطل قول من قال انه لا نعمة لله على الكفار **قوله تعالى** لا يشكرون يجوز ان يكون مفعوله محذوفا اي
لا يشكرون نعمه ويجوز ان يقدر لا بمعنى لا يعرفون حق نعمه فعبر عن انتفاء معرفتهم بالنعمة فاتوا على ما يترتب على معرفتها
وهو الشكر **قوله تعالى** وان ربك ليعلم ما تكن العامة على ضم تاء المضارع من اكن قال تعالى او اكننتم وابن محيصن وابن السميفع
وحميد بفتحها وضم الكاف يقال كننته واكننته بمعنى اخفيته وسترته **قوله تعالى** وما من غائبة في هذه التاء قولان
احدهما انها للمبالغة على صيغة تاء المضارعة كراوية وعلامة كقولهم ويل للشاعر من راوية السوء كانه تعالى قال وما من
شيء شديد الغيبوبة والخفا الا وقد علمها الله تعالى والثاني انها كالتاء الداخلة على المصادر نحو العاقبة والعافية
قال الزمخشري ونظيرها الذبيحة والنطيحة والرمية في انها اسماء غير صفات الا في كتاب مبين اي في اللوح المحفوظ والمبين الظاهر
المبين لمن ينظر فيه من الملائكة **قوله تعالى** ان هذا القران الاية لما تم الكلام في اثبات المبدا والمعاد ذكر بعده ما يتعلق
بالنبوة ولما كان العمدة الكبرى في اثبات نبوة محمد صلى الله عليه وسلم هي القران لا جرم بين الله تعالى اولا كونه معجزة من وجوه
الاول ان الاقاصيص المذكورة في القران موافقة للمذكورة في التوراة والانجيل مع العلم بانه عليه السلام كان اميا ولم يخالط
العلماء ولم يشتغل بالاستفادة والتعلم فاذا لا يكون ذلك الا من قبل الله تعالى واراد بما اختلفوا فيه وتنابزوا وقيل ما حرم
على بعضهم وقيل اخبار الانبياء الثاني قوله وانه لهدى ورحمة للمؤمنين وذلك لانا تاملنا في القران فوجدنا فيه من الدلايل
العقلية على التوحيد والحشر والنشر والنبوة وشرح صفات الله ما لم نجده في كتاب من الكتب ووجدناه مبرا عن
التناقض والتهافت وكان هدى ورحمة من هذه الوجوه ووجدنا القوى البشرية قاصرة عن جمع كتاب على هذا الوجه
فعلمنا انه ليس الا من عند الله تعالى فكان القران معجزا من هذه الجهة الثالث انه لهدى ورحمة للمؤمنين لبلوغه في الفصاحة
الى حيث عجزوا عن معارضته وذلك معجزة **قوله تعالى** بحكمه العامة على ضم الحا وسكون الكاف وجناح بن حبيش بكسرها وفتح
الكاف جمع حكمة اي يقضي بين المختلفين في الدين يوم القيمة بحكمه الحق وهو وهو العزيز المنيع ولا يرد له امر العليم باحوالهم
فلا يخفى عليه شيء فان قيل القضا والحكم شيء واحد فقوله يقضي بحكمه كقوله يقضي بقضائه ويحكم بحكمه فالجواب معنى
قوله بحكمه اي بما يحكم به وهو عدله لانه لا يقضي الا بالعدل او اراد بحكمه على القراءة بكسر الحا **قوله تعالى** فتوكل على الله انك على الحق
المبين اي البين **قوله تعالى** انك لا تسمع الموتى يعني الكفار **فصل** انما حسن جعله سببا للامر بالتوكل
لان الانسان ما دام يطمع في احد شيئا فانه لا يطيق لا يقوى قلبه على اظهار مخالفته فاذا قطع طمعه عنه قوي قلبه على اظهار
مخالفته فالله تعالى قطع طمع محمد عليه السلام بان بين انهم كالموتى وكالصم والعمي فلا يسمعون ولا يفهمون ولا يبصرون
ولا يلتفتون الى شيء من الدلايل وهذا سبب لقوة قلبه عليه السلام على اظهار الدين كما ينبغي **قوله تعالى** ولا تسمع الصم
العامة وقرا ابن كثير ولا يسمع بالياء مفتوحة وفتح الميم الصم رفع وكذلك في سورة الروم وقرا الباقون بالتاء وضمها وكسر
الميم الصم نصبا اذا ولوا مدبرين معرضين فان قيل ما معنى قوله ولوا مدبرين واذا كانوا صما لا يسمعون سواء ولوا
او لم يولوا فالجواب ذكره تاكيدا ومبالغة وقيل الاصم اذا كان حاضرا قد يسمع برفع الصوت ويفهم بالاشارة فاذا ولى
مدبرا لم يسمع ولم يفهم قال قتادة الاصم اذا ولى مدبرا ثم ناديته لم يسمع كذلك الكافر لا يسمع ما يدعى اليه من الايمان والعمي
انه لفرط اعراضهم عما يدعون اليه كالميت الذي لا سبيل الى اسماعه والاصم الذي لا يسمع **قوله تعالى** وما انت بهادي العمي العامة
على هادي مضافا للعمي وحمزة يهدي فعلا مضارعا والعمي نصب على المفعول به وكذلك التي في الروم ويحيى
بن الحارث وابو حيوة بهاد منونا العمي منصوب به وهو الاصل واتفق القراء على ان يقفوا على هاد في هذه السورة بالياء
لانها رسمت في المصحف ثابتة واختلفوا في الروم فوقف الاخوان عليها بالياء ايضا كهذه واما حمزة فانه يقراها تهدي
فعلا مضارعا فيوقف عبارة ثابتة قال الكسائي من قرا بهادي لزمه ان يقف بالياء وانما لزمه ذلك لان الفعل لا يدخله

تنوين في الوصل يحذف له اليا فيكون في الوقف كذلك كما يخل التنوين على هاد فمن هب اليا في الوصل فيجري الوقف على ذلك لكن وقف بعينيه ما انتهى ويلزم على ذلك ان يوقف على بعض الحق ويدع الانسان باثبات اليا والواو ولكن يلزم جمعه مخالفة الرسم دون القياس واما الكسائي فانه يقرا بهادي اسم الفاعل كالجماعة فاثباته باليا بالحمل على هادي في هذه السورة وفيها مخالفة الرسم السلفي **قوله تعالى** عن ضلالتهم فيه وجهان احدهما انه متعلق بهتدي وعدي بعن لتضمنه معنى تصرفهم والثاني انه متعلق بالعمى فانك تقول عمي عن كذا ذكره ابو البقا **فصل** المعنى ما انت بمرشد من اعماه الله عن الهدى واعمى قلبه عن الايمان ان تسمع الا من يومن باياتنا الا من يصدق بالقران انه من الله فهم مسلمون مخلصون لله في قراءة من اسلم وجهه لله يعني سال الله خالصا **قوله تعالى** فاذا وقع القول عليهم اي مضمون القول واطلق المصدر على المفعول اي المقول ومعنى وقع القول عليهم وجب العذاب عليهم وقال قتادة اذا غضب الله عليهم اخرجنا لهم دابة من الارض **قوله تعالى** تكلمهم العامة على التشديد وفيه وجهان اظهرهما انه من الكلام والحديث ويويده قراءة ابي تنبئهم وقراءة يحيى بن سلام تحدثهم وهنا تفسيران لها والثاني تجرحهم ويدل عليه قراءة ابن عباس وابن جبير ومجاهد وابي زرعة والجحدري تكلمهم بفتح التا وسكون الكاف وضم اللام من الكلم وهو الجرح وقد قرا تجرحهم وجاء في الحديث انها تسم الكافر **قوله تعالى** ان الناس قرا الكوفيون بفتح ان والباقون بالكسر فاما الفتح فعلى تقدير البا اي بان الناس او بسبب ان الناس وتجرحهم بان الناس اي تسمهم بهذا اللفظ او تسمهم بسبب انتفاء الايمان واما الكسر فعلى الاستيناف ثم هو يحتمل ان يكون من كلام الله تعالى وهو الظاهر وان يكون من كلام الدابة **قوله تعالى** ويوم نحشر من كل امة فوجا اي من كل قرن جماعة ومن كل امة يجوز ان يتعلق بالحشر **قوله تعالى** فهم يوزعون اي يحبس اولهم على اخرهم حتى يجتمعوا ثم يساقون الى النار **قوله تعالى** اماذا ام هنا منقطعة وتقدم حكمها **قوله تعالى** ليسكنوا فيه قيل فيه حذف فمن الاول ما اثبت نظيره في الاول **قوله تعالى** ويوم ينفخ في الصور هذه العلامة الثانية لقيام القيامة والصور قرن ينفخ فيه اسرافيل فاذا سمع الناس ذلك الصوت يصيحون ثم يموتون وهذا قول الاكثرين وقال الحسن الصور هو الصور واولى بعضهم كلامه ان الارواح تجمع في القرن ثم ينفخ فيه فتذهب الارواح الى الاجساد فتحيى الاجساد **قوله تعالى** ففزع من في السموات ومن في الارض قال ففزع بلفظ الماضي ولم يقل يفزع لتحققه وثبوته وانه كان لا محالة لان الفعل الماضي يدل على وجود الفعل كقولك اتى امر الله والمعنى يلقي عليهم الفزع الى ان يموتوا قيل ينفخ اسرافيل في الصور ثلاث نفخات نفخة الفزع ونفخة الصعق ونفخة القيام لرب العالمين **قوله تعالى** الا من شاء الله والمراد الا من ثبت الله قلبه من الملائكة قالوا وهم جبريل وميكائيل واسرافيل وملك الموت وجاء في الحديث انهم الشهدا يتقلدون اسيافهم حول العرش قال سعيد بن جبير وعطا عن ابن عباس هم الشهدا الا انهم احيا عند ربهم وعن الضحاك هم رضوان والحور وخزنة النار وحملة العرش وكل اتوه اي الذين احيوا بعد الموت **قوله تعالى** اتوه قرا حمزة وحفص اتوه فعلا ماضيا ومفعوله الها والباقون اتوه اسم فاعل مضافا للها وهذا حمل على معنى كل وهي مضافة تقديرا اي وكلهم وقرا قتادة اتاه ماضيا مسندا لضمير كل على اللفظ ثم حمل على معناها فقرا داخرين والاخفش والاعرج دخرين بغير الف اي صاغرين **قوله تعالى** وترى الجبال تحسبها جامدة وهذه العلامة الثالثة لقيام القيمة وهو قوله تعالى ويوم نسير الجبال جامدة قايمة واقفة وتحسبها جامدة هذه الجملة حالية من فاعل ترى او من مفعوله لان الروية بصرية **قوله تعالى** وهي تمر الجملة حالية من فاعل ترى او من مفعوله لان الروية بصرية **قوله تعالى** وهي تمر الجملة حالية من فاعل ترى ايضا وهكذا الاجرام العظيمة تراها واقفة وهي مارة قال النابغة الجعدي يصف جيشا كثيفا قوله

بارعن مثل الطود تحسب انهم • وقوف لحاج والركاب تهملج

مر السحاب مصدر تشبيهي **قوله تعالى** صنع الله مصدر موكد لمضمون الجملة السابقة عامله مضمر اي صنع بها ذلك صنعا ثم اضيف بعد حذف عامله وجعله الزمخشري موكدا للعامل في يوم ينفخ في الصور وقدره ويوم ينفخ وكان كيت وكيت اثاب الله المحسنين وعاقب المجرمين في كلام طويل جريا على مذهبه وقيل منصوب على الاغرا اي انظروا صنع الله وعليكم به والاتقان للاتيان بالشي على اكمل حالاته وهو من قولهم تقن ارضه اذا ساق اليها الما الخاثر بالطين لتصلح للزراعة وارض تقنة والتقن فعل ذلك بها والتقن ايضا ما رمي به في الغدير من ذلك اوالارض ومعنى اتقن كل شي اي احكمه انه خبير بما تفعلون قرا ابن كثير وابو عمرو وهشام بالغيبة جريا على قوله وكل اتوه والباقون بالخطاب جريا على قوله وترى لان المراد النبي صلى الله عليه وسلم وامته **قوله تعالى** من جاء بالحسنة فله خير منها في خير وجهان احدهما انها للتفضيل بامتياد زعمهم او على حذف مضاف اي خير من قدرها واستحقاقها فانها في محل نصب وان لا تكون للتفضيل فيكون منها في موضع رفع صفة لها **قوله تعالى** وهم من فزع يومئذ قرا اهل الكوفة من فزع بالتنوين يومئذ بفتح الميم وقرا الاخرون بالاضافة

لانه اعم فانه يقتضي الامن من جميع فزع ذلك اليوم وبالتنوين كانه فزع دون فزع ونفتح اهل المدينة اليوم من يومئذ وتقدم في هود فتح يوم وجره واذ مضافة للجملة حذفت وعوضت عنها التنوين والاحسن ان تقدر يومئذ جاء بالحسنة وقيل يومئذ ترى الجبال وقيل يومئذ ينفخ في الصور والاول اولى لقربه مما تقدم منه **فصل** لما تكلم في علامات القيامة شرح بعد ذلك احوال المكلفين بعد قيام القيمة والمكلف اما ان يكون مطيعا او عاصيا اما الذي جاء بالحسنة وهي كلمة الاخلاص قال ابو معشر يحلف ما استثنى ان الحسنة لا اله الا الله وقيل كل طاعة فله خير منها قال ابن عباس يعني له من تلك الحسنة خير يوم القيمة وهو الامن من العذاب اما ان يكون له خير من الايمان فلا فانه ليس شي خير من قول لا اله الا الله وقيل خير منها يعني رضوان الله قال تعالى ورضوان من الله اكبر وقال محمد بن كعب وعبد الرحمن بن زيد خير منها يعني الاضعاف اعطاه الله بالواحدة عشرا فصاعدا وهذا احسن لان الاضعاف خصايص وقيل ان الثواب دايم والعمل منقض ولان العمل فعل العبد والثواب فعل الله تعالى وهم من فزع يومئذ امنون اي امنون من كل فزع فان قيل اليس في الاية ففزع من في السموات ومن في الارض فكيف نفى الفزع ههنا فالجواب ان الفزع الاول هو ما لا يخلو منه احد عند الاحساس لشدة تقع وهول يفجا وان كان المحسن يامن وصول ذلك الضرر اليه واما الثاني فهو الخوف من العذاب واما من قرا من فزع بالتنوين فهو يحتمل معنيين من فزع واحد وهو خوف العذاب واما ما يلحق الانسان من الرعب عند مشاهدتها فلا ينفك منه احد فان قيل الحسنة لفظة مفردة معرفة وقد ثبت انها لا تفيد العموم بل يكفي في تحقيقها حصول فرد من افرادها واذا كان كذلك فلنحملها على اكمل الحسنات شانا واعلاها درجة وهو الايمان ولهذا قال ابن عباس الحسنة كلمة الشهادة وهذا يوجب القطع بانه لا يعاقب اهل الايمان فالجواب ذلك الخبر هو ان لا يكون عقابه مخلدا واما من يتعدى بالجار وبنفسه كقوله تعالى افامنوا مكر الله **قوله تعالى** ومن جاء بالسيئة يعني الاشراك فكبت وجوههم في النار يجوز ان يكون ذكر الوجه ايذانا بانهم يكبون على وجوههم فيها منكوسين يقال كببت الرجل اذا القيته على وجهه واكب وانكب **قوله تعالى** هل تجزون على اضمار قول وهذا القول حال مما قبله اي كبت وجوههم مقولا لهم ذلك القول **قوله تعالى** انما امرت اي قل يا محمد انما امرت ان اخص الله وحده بالعبادة ثم انه تعالى وصف نفسه بامرين احدهما انه رب هذه البلدة والمراد مكة وانما خصها من جميع البلاد باضافة اسمه اليها لانها احب البلاد اليه واكرمها عليه واشار اليها باشارة تعظيم لها دالا على انها موطن نبيه ومهبط وحيه **قوله تعالى** الذي حرمها هذه قراءة الجمهور وصفة للرب وابن مسعود وابن عباس التي صفة للبلدة والسياق انما هو للرب لا للبلدة فلذلك كانت قراءة العامة واضحة والمعنى جعلها الله حرما امنا لا يسفك فيه دم ولا يظلم فيها احد ولا يصطاد صيدها ولا يختلا خلاها وله كل شي خلقا وملكا وانما ذكر ذلك لان العرب كانوا معترفين بكون مكة محرمة وعلموا ان تلك الفضيلة ليست من الاصنام بل من الله فكانه قال لما علمت وعلم انه سبحانه هو اولى بهذه النعم وجب علي ان اخصه بالعبادة وامرت ان اكون من المسلمين لله **قوله تعالى** وان اتلو القران العامة على اثبات الواو بعد اللام وفيها تاويلان اظهرهما انها من التلاوة وهو القراءة ويتابعه بالاية والثاني من التلو وهو الاتباع كقوله واتبع ما يوحى اليك وقرا عبد الله وان اتل امرا له وتقدم ما فيه **فصل** والمعنى وامرت ان اتلو القران ولقد قام بذلك صلوات الله عليه وسلامه اتم قيام فمن اهتدى فيما تقدم من المسايل التوحيد والحشر والنبوة وانما يهتدي لنفسه اي منفعة اهتدايه راجعة اليه ومن ضل عن الايمان واخطا طريق الهدى فقل انما انا من المنذرين المخوفين فليس علي الا البلاغ نسختها اية القتال **قوله تعالى** ومن ضل يجوز ان يكون الجواب قوله فقل انما ولا بد من حذف عايد على اسم الشرط اي من المنذرين له لما تقدم في البقرة وان يكون الجواب محذوفا اي فوبال ضلاله عليه **قوله تعالى** وقل الحمد لله على ما اعطاني من نعم العلم والحكمة والنبوة وعلى ما وفقني من القيام باداء الرسالة والانذار **قوله تعالى** سيريكم اياته القاهرة **قوله تعالى** فتعرفونها يعني يوم بدر من القتل والسبي وضرب الملائكة وجوههم وادبارهم نظيره قوله تعالى ساريكم اياتي فلا تستعجلون وقال مجاهد سيريكم اياته في السماء والارض وفي انفسكم كما قال سنريهم اياتنا في الافاق وفي انفسهم فتعرفونها اي تعرفون الايات والدلالات **قوله تعالى** وما ربك بغافل عما يعملون قرا باليا والتا وهذا وعيد لهم بالجزاء على اعمالهم روى ابي بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا طس النمل كان له من الاجر عشر حسنات بعدد من صدق سليمان وكذب به وهود وشعيب وصالح وابراهيم عليهم السلام ويخرج من قبره وهو ينادي لا اله الا الله

الاول عز وجل الذي يا ايتام الكتاب الى قوله لا نبتغي الجاهلين وفيها اية نزلت بين مكة والمدينة وهي قوله ان الذي فرض

عليك القرآن لرادك الى معاد وهي ثمان وثمانون آية والف واربعمائة واحدى واربعون كلمة وخمسة آلاف وثمانمائة حرف ولقائل ان يقول لم سميت سورة موسى لاشتمالها على قصة موسى فقط من حين ولادته الى ان اهلك الله فرعون وخسف بقارون كما سميت سورة يوسف بيوسف لاشتمالها على قصته ولا يقال سميت بذلك لذكر القصص فيها في قوله فلما جاءه وقص عليه القصص لان سورة يوسف فيها ذكر القصص مرتين الاولى نحن نقص عليك احسن القصص والثانية قوله لقد كان في قصصهم عبرة فكانت سورة يوسف اولى بهذا الاسم وايضا فكانت سورة اولى بهذا الاسم يعني بسورة القصص لانه ذكر فيها قصص تسعة انبياء وهذه ليس فيها الا قصة واحدة فكان ينبغي العكس وان يسمى سورة هود سورة القصص وهذه سورة موسى

بسم الله الرحمن الرحيم **قوله تعالى** نتلوا عليك يجوز ان يكون مفعول نتلو محذوفا دلت عليه صفته وهي من نبإ موسى تقديره نتلوا عليك شيئا من نبإ موسى ويجوز ان تكون من مزيدة على رأي الاخفش اي نتلو عليك نبأ موسى **قوله تعالى** بالحق يجوز ان يكون حالا من فاعل نتلو او من مفعوله اي نتلو عليك بعض خبرهما ملتبسين او ملتبسا بالحق او متعلق بنفس نتلو يعني نتلوه بسبب الحق ولقوم يتعلق بفعل التلاوة اي لاجل هؤلاء يؤمنون يصدقون وخصهم بالذكر لانهم قبلوا وانتفعوا **قوله تعالى** ان فرعون هذا هو المتلو جيء به في جملة مستأنفة مؤكدة وقرأ فرعون بضم الفاء وكسرها والكسر افصح وهو الفسطاط علا في الارض استكبر وتجبر وجعل اهلها شيعا فرقا واصنافا الثاني انه حال من فاعل جعل اي جعلهم كذا حال كونه مستضعفا طائفة منهم الثالث انه صفة لطائفة **قوله تعالى** يذبح يجوز فيه الثلاثة الاوجه الاستئناف تفسيرا ليستضعف او الحال من فاعله او صفة ثانية لطائفة والعامة على التشديد في يذبح للتكثير وابو حيوة وابن محيصن يذبح مفتوح الياء والباء مضارع ذبح مخففا **فصل** المراد بالطائفة بنو اسرائيل ثم فسر الاستضعاف فقال يذبح ابناءهم ويستحيي نساءهم سمي هذا استضعافا لانهم عجزوا وضعفوا عن دفعه عن انفسهم انه كان من المفسدين وذكروا في سبب ذبح الابناء وجوها قيل ان كاهنا قال له يولد مولود في بني اسرائيل في ليلة كذا يذهب ملكك على يده فولد تلك الليلة اثنا عشر غلاما فقتلهم وبقي هذا العذاب في بني اسرائيل سنين كثيرة قال وهب قتل من القبط في طلب موسى تسعين الفا من بني اسرائيل **فصل** قال السدي ان فرعون رأى في منامه ان نارا اقبلت من بيت المقدس الى مصر فاحرقت القبط دون بني اسرائيل فسأل عن رؤياه فقيل له يخرج من هذا البلد من بني اسرائيل رجل يكون هلاك ملك مصر على يده فامر بقتل الذكور وقيل ان الانبياء الذين كانوا قبل موسى عليه السلام بشروا بمجيئه فسمع فرعون ذلك فامر بذبح ابناء بني اسرائيل **قوله تعالى** ونريد ان نمن فيه وجهان اظهرهما انه عطف على قوله ان فرعون عطف فعلية على اسمية لان كلتيهما تفسير للنبإ والثاني انها حال من فاعل يستضعف وفيه ضعف من حيث الصناعة ومن حيث المعنى اما الصناعة فلكونه مضارعا مثبتا فحقه ان يتجرد من الواو واضمار مبتدأ قبله اي ونحن نريد كقوله ● نجوت وارهنهم مالكا ● وهذا تكلف لا حاجة اليه واما المعنى فكيف يجتمع استضعاف فرعون وارادة المنة من الله تعالى لانه متى من الله عليهم تعذر استضعاف فرعون اياهم وقد اجيب عن ذلك بانه لما كانت المنة بخلاصهم من فرعون سريعة الوقوع جعلت ارادة وقوعها كانها مقارنة لاستضعافهم **قوله تعالى** ونجعلهم ائمة قال مجاهد دعاة الى الخير وقال قتادة ولاة وملوكا لقوله تعالى وجعلكم ملوكا وقيل يقتدى بهم في الخير ونجعلهم الوارثين لملك فرعون وقومه يخلفونهم في مساكنهم **قوله تعالى** ونمكن العامة على نصبه عطفا على ما قبله من غير لام علة والاعمش ولنمكن بلام العلة ومتعلقها محذوف اي ولنمكن فعلنا ذلك والمعنى نوطئ لهم في الارض مصر والشام ونجعلها لهم مكانا يستقرون فيه وينفذ امرهم ويطلقوا ايديهم فيها والتمكين لهم ومكن له اذا جعل له مكانا يقعد عليه ووطأه ومهده **قوله تعالى** ونري فرعون وهامان وجنودهما قرأ الاخوان بفتح الياء والراء مضارع رأى مسندا الى فرعون وما عطف عليه مفعولا اول والباقون بضم النون وكسر الراء مضارع ارى فلذلك نصب فرعون وما عطف عليه مفعولا اول وما كانوا هو الثاني ومنهم متعلق بفعل الرؤية والارادة لا بيحذرون لان ما بعد الموصول لا يعمل فيما قبله ولا ضرورة بنا الى ان نقول اتسع فيه والحذر هو التوقي من الضرر والمعنى ما كانوا خائفين منه **قوله تعالى** ان ارضعيه يجوز ان تكون المفسرة والمصدرية وقرأ عمر بن عبد العزيز وعمر بن عبد الواحد بكسر النون لالتقاء الساكنين كانه حذف همزة القطع على غير قياس فالتقى ساكنان فكسر اولهما **قوله تعالى** واوحينا الى ام موسى وحي الهام لا وحي نبوة قال قتادة قذفنا في قلبها واسمها يوحابذ وقيل احابذ وقيل اباذخا وقيل اياذخت قاله ابن كثير بنت لاوي بن يعقوب قيل ارضعيه ثمانية اشهر وقيل اربعة اشهر وقيل ثلاثة اشهر كانت ترضعه في حجرها وهو لا يبكي ولا يتحرك فاذا خفت عليه يعني من الذبح فالقيه في اليم واليم البحر والمراد به هنا النيل ولا تخافي ولا تحزني قيل لا تخافي عليه من الغرق وقيل من الضيعة ولا تحزني على فراقه انا رادوه اليك لتكوني انت المرضعة وجاعلوه من المرسلين لاهل مصر والشام قال المفسرون انها لما خافت عليه من الذبح وضعته في تابوت والقته في النيل ليلا قال ابن كثير وقيل انها ربطت التابوت في حبل

وكان دارها على حافة النيل وكانت ترضعه واذا خشيت من احد وضعته في ذلك التابوت وارسلته في البحر وامسكت طرف الحبل عندها فاذا ذهبوا استرجعته اليها وكان لفرعون قوابل معهم رجال يطوفون على الحوامل فمن وضعت ذكرا ذبحوه فارسلته ام موسى في التابوت يوما وذهلت عن ربطه فذهب مع النيل قال ابن عباس وغيره وكان لفرعون يومئذ بنت لم يكن له ولد غيرها وكانت من اكرم الناس عليه وكان بها برص فقال له الاطباء ايها الملك انها لا تبرأ الا من قبل البحر يوجد منه شبه الانس فيؤخذ من ريقه ويلطخ به برصها فتبرأ من ذلك وذلك في يوم كذا وساعة كذا حين تشرق الشمس فلما كان ذلك اليوم غدا الى فرعون في مجلس له كان على شفير النيل وكان معه آسية بنت مزاحم بن عبيد بن الريان بن الوليد الذي كان فرعون مصر في زمن الصديق وهي امرأة فرعون وقيل كانت من بني اسرائيل من سبط موسى وقيل كانت عمته حكاه السهيلي واقبلت بنت فرعون في جواريها حتى جلست على شاطئ النيل اذ اقبل النيل بتابوت تضربه الامواج تعلق بشجرة فقال فرعون ائتوني به فابتدروه بالسفن من كل جانب ووضعوه بين يديه فعالجوا فتحه فلم يقدروا فنظرت آسية فرأت نورا في جوف التابوت لم يره غيرها فعالجته ففتحته فاذا هو بصبي صغير في مهده اذ نور بين عينيه فالقى الله محبته في قلوب القوم وعمدت ابنة فرعون الى ريقه فلطخت به برصها فبرئت فقالت الغواة من قوم فرعون انا نظن ان هذا هو الذي نحذر منه رمي في البحر خوفا فاقتله فهم فرعون بقتله فاستوهبته امرأة فرعون فترك قتله وقوله فالتقطه آل فرعون اي جواريه **قوله تعالى** ليكون في اللام الوجهان المشهوران العلية المجازية بمعنى ان ذلك لما كان نتيجة فعلهم وثمرته شبه بالداعي الذي يفعل الفعل لاجله والصيرورة وقوله وحزنا قرأ العامة بفتح الحاء والزاي وهي لغة قريش والاخوان بضم وسكون وهما لغتان بمعنى كالعدم والعدم ان فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين العامة على الهمز مأخوذ على الخطإ ضد الصواب وقرئ خاطين دون همزة فاحتمل ان يكون كالاول ولكن خفف وان يكون من خطا يخطو اي يجاوز الصواب **قوله تعالى** قرة عين لي ولك فيه وجهان اظهرهما انه خبر مبتدأ مضمر اي هو قرة عين والثاني وهو بعيد جدا ان يكون مبتدأ والخبر لا تقتلوه وكأن هذا القائل حقه ان يقول تقتلونه اي لا تقتلوه الا انه لما كان منكرا ساغ ذلك والعامة من القراء والمفسرين واهل العلم يقفون على ذلك ونقل ابن الانباري بسنده الى ابن عباس انه وقف على لا اي هو قرة عين لي فقط ولك لا اي ليس هو لك قرة عين ثم يبتدئ بقوله تقتلوه وهذا لا ينبغي ان يصح عنه وكيف يبقى تقتلوه من غير نون ولا مقتضي لحذفها ولذلك قال الفراء هو لحن **قوله تعالى** عسى ان ينفعنا او نتخذه ولدا وكانت لا تلد فاستوهبت موسى من فرعون فوهبه لها قال فرعون اما انا فلا حاجة لي فيه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو قال يومئذ هو قرة عين لي كما هو لك لهداه الله كما هداها فقالت الآسية سميه فقالت سميته موسى لانا وجدناه في الماء والشجر من غير طلب **قوله تعالى** وهم لا يشعرون انهم على خطإ في التقاطه وان هلاكهم على يديه قال ابو حيان ومتى امكن حمل الكلام على ظاهره من غير فصل كان احسن **قوله تعالى** واصبح فؤاد ام موسى فارغا من كل هم الا هم موسى قال ابو مسلم فراغ الفؤاد هو الخوف والاشفاق كقوله تعالى وافئدتهم هواء وقال [illegible] فارغا صفرا من العقل والمعنى انها حين سمعت بوقوعه في يد فرعون طار عقلها من فرط الخوف والجزع وقال الحسن ومحمد بن اسحاق فارغا من الوحي الذي اوحينا اليها ان القيه في اليم ولا تخافي ولا تحزني انا رادوه اليك فجاءها الشيطان وقال لها كرهت ان يقتل فرعون ولدك فيكون لك اجر وثواب وتوليت انت قتله فالقيتيه في اليم واغرقتيه فلما اتاها خبر موسى انه وقع في يد فرعون فانساها عظيم البلاء ما كان من عهد الله اليها وقال ابو عبيدة فارغا من الحزن لعلمها انه لم يقتل اعتمادا على تكفل الله بمصلحته قال ابن قتيبة وهذا من العجائب كيف يكون فؤادها فارغا من الحزن والله تعالى يقول لولا ان ربطنا على قلبها وهل يربط الا على قلب الجازع المحزون ويمكن ان يجاب عنه بانها لا يمتنع انها لشدة وثوقها بوعد الله جاز عنها اظهار عدم الحزن واتفق انها ان ظهرت ذلك فانه لا يسلم لاجل خلف الوعد الا انه كان من المعلوم ان الاظهار يتعيب بربط الله على قلبها قال المعربون فارغا خبر اصبح اي فارغا من العقل او من الصبر او من الحزن وهو بعيدها وبردها وقرأ ابن محيصن فضالة والحسن بالزاي من الفزع وابن عباس فرغا بالقاف وكسر الزاي وسكونها من قرع رأسه اذا انحسر شعره والمعنى خاليا من كل شيء الا ذكر موسى وقيل الساكن الزاي مصدر قرع يقرع اي اصيب وقرئ فرغا بسكون الراء وكسر القاف والعين معجمة اي هدرا كقول الشاعر

● فان يك قتلى قد اصيب نفوسهم ● فلن يذهبوا فرغا بقتل حبال ●

فرغا حال من بقتل وقرأ الخليل فرغا بضم الفاء والراء واعجام الغين من هذا المعنى وعنه قولهم ● دماهم منهم فرغ ● اي هدر **قوله تعالى** ان كادت لتبدي به ان اما مخففة واما نافية واللام اما فارقة واما بمعنى الا والهاء في به راجعة الى موسى يعني ان كانت لتبدي به انه ابنها من شدة وجدها وقال عكرمة عن ابن عباس كادت تقول وا ابناه حين

رات الموج يرفع التابوت ويضعه وقال الكلبي كادت تظهر انه ابنها حين سمعت الناس يقولون انه ابن فرعون وقال
السدي لما اخذ من الماء كادت تقول هو ابني نعصمها الله وقال بعضهم لها عايدة الى الوحي اي كادت تبدي بالوحي الذي اوحى الله
اليها انه يرده عليها **قوله تعالى** لولا ان ربطنا جواب محذوف اي لابدت كقوله تعالى وهم بها لولا ان راى برهان ربه
والمعنى لولا ان ربطنا على قلبها بالعصمة والصبر والتثبت ولتكون من المومنين متعلق بربطنا والمعنى لتكون من المومنين
المصدقين بوعد الله وهو قوله انا رادوه اليك **قوله تعالى** وقالت لاخته قصيه اي قصي امر موسى تتبعي اثره حتى تعلمي
خبره وكانت اخته لابيه وامه واسمها مريم **قوله تعالى** فبصرت به اي ابصرته قال قتادة بصرت بفتح الصاد وحكي
بكسرها قال المبرد ابصرته وابصرت به بمعنى وتقدم معناه في طه وعن جنب في موضع الحال اما من الفاعل اي بصرت به
مستخفية كائنة عن جنب واما من المجرور اي بعيدا منها وقرا العامة جنب بضمتين وهي صفة لمحذوف اي من مكان بعيد
وقال عمرو بن العلا اي عن شوق وجذاه يقولون جنبت اليك اي اشتقت وقرا قتادة والحسن والاعرج وزيد بن علي بفتح الجيم
وسكون النون وعن قتادة ايضا بفتحهما وعن الحسن جنب بالضم والسكون وعن سالم عن جانب وكلها بمعنى واحد ومثله الجناب
والجنابة **قوله تعالى** وهم لا يشعرون جملة حالية ومتعلق الشعور محذوف اي انها تقصه او انه سيكون لهم عدوا وحزنا
او انها اخته او انها ترقبه **قوله تعالى** وحرمنا عليه المراضع من قبل يجوز ان يكون جمع مرضع وهي المراة وقيل جمع
مرضع بفتح الميم والضاد ثم جوزوا فيها ان يكون مكانا اي مكان الارضاع وهو الثدي وان يكون مصدرا وهو
الارضاعات اي انواعها ومن قبل اي من قبل قصها اثره او من قبل مجي اخت موسى ومن قبل ولادته في حكمنا وقضائنا
والمراد من التحريم المنع لان التحريم بالمنع لمن يعبد وذلك لا يصح فلا بد من فعل سواه فيحتمل انه تعالى غير طبعه عن لبن
نساء الناس فلذلك لم يرتضع او احدث في لبنهن طعما ينفر عنه طبعه او وضع في لبن امه لذة تعوده بها فكان يكره لبن غيرها
فصل قال ابن عباس ان امراة فرعون كان همها من الدنيا ان تجد له مرضعة فكلما اتوه بمرضعة لم ياخذ ثديها
فذلك قوله عز وجل وحرمنا عليه المراضع فلما رات اخت موسى التي ارسلتها امه في طلب ذلك قالت هل ادلكم على اهل بيت
يكفلونه اي يرضعونه ويضمونه وهي امراة قد قتل ولدها فاحب شي اليها ان تجد صغيرا ترضعه **قوله تعالى** وهم له ناصحون
الظاهر انه ضمير موسى وقيل لفرعون قال ابن جريج والسدي لما قالت اخت موسى وهم له ناصحون انكروا حالها واستنكروا حالها
وتفرسوا انها قرابته فقالت انما اردت وهم للملك ناصحون فتخلصت منهم وهذا يسمى عند اهل البيان الكلام الموجه ومثله لما
سال بعضهم وكان بين اقوام بعضهم يحب عليا دون غيره وبعضهم ابا بكر وبعضهم عمر وبعضهم عثمان فقيل له ايهم احب الى رسول
الله فقال من كانت ابنته تحته وقيل لما تفرسوا انها قرابته قالت انما قلت هذا رغبة في سرور الملك واتصال نابه وقيل انها
لما قالت هل ادلكم على اهل بيت قال لها هامان فالتي قالوا او لامك ابن قالت نعم هارون وكان هرون ولد في سنة لا يقتل
فيها قالوا صدقت فاتينا بها فانطلقت اليها فاخبرتها بحال ابنها وجاءت بها اليه فلما وجد الصبي ريح امه قبل ثديها
وجعل يمصه حتى امتلا جنباه ريا والنصح اخلاص العمل من شايب الفساد **قوله تعالى** فرددناه الى امه كي تقر عينها
برد موسى اليها ولا تحزن عطف على تقر ودمعة الفرح قارة ودمعة الترح حارة قال ابو تمام •
• فاما عيون العاشقين فاسخنت • واما عيون الشامتين فقرت •
ولتعلم تحقيق هذا في مريم ولتعلم ان وعد الله حق برده اليها وقد كانت عالمة بذلك ولكن ليس الخبر كالمعاين فتحققت
وجود الموعود ولكن اكثرهم لا يعلمون ان الله وعدها برده اليها قال الضحاك لما قبل ثديها قال لها هامان انك لامه
قالت لا قال فما باله قبل ثديك من بين النسوة قالت ايها الملك اني امراة طيبة الريح حلوة اللبن فما شم ريحي صبي الا اقبل على ثديي
قالوا نعم فلم يبق احد من آل فرعون الا اهدى اليها واتحفها بالذهب والجواهر **قوله تعالى** ولما بلغ اشده تقدم الكلام
عليه واستوى اي بلغ اربعين سنة قال ابن عباس وقيل استوى انتهى شبابه اتيناه حكما وعلما اي الفقه والعقل والعلم في الدين
تعلم موسى وحكم قبل ان يبعث نبيا وكذلك نجزي المحسنين وهذا يدل على انه ليس المراد بالحكم النبوة لانه جعل ايتاه الحكم
والعلم مجازاة على احسانه والنبوة لا تكون جزاء على العمل **قوله تعالى** ودخل المدينة اي ودخل موسى المدينة قال السدي
مدينة منف من ارض مصر وقال مقاتل قرية تدعى حانين على راس فرسخين من مصر وقيل عين شمس **قوله تعالى** على حين غفلة
في موضع الحال اما من الفاعل اي كائنا على حين غفلة اي مستخفيا واما من المفعول وقرا ابو طالب القارىء على حين بفتح النون
وتكلف ابو حيان تخريجها على انه حمل المصدر على الفعل في انه اذا اضيف الى الظرف او اضيف الظرف اليه جاز بناؤه كقوله
ومن حين عاينت المشيب على الصبا • ومن اهلها صفة لغفلة اي صادرة من اهلها **فصل** اختلفوا في السبب
الذي لاجله دخل موسى على حين غفلة من اهلها فقال السدي ان موسى كان يسمى ابن فرعون فكان يركب مراكب فرعون
ويلبس مثل ملابسه فركب فرعون يوما وليس عنده موسى فلما جاء موسى قيل له ان فرعون قد ركب فركب في اثره فادركه

المقيل بارض منف فدخلها نصف النهار وليس في طرقها احد فذلك قوله على حين غفلة من اهلها وقال ابن اسحق كان لموسى
شيعة من بني اسرائيل يسمعون منه ويقتدون به فلما عرف ما هو عليه من الحق فارق فرعون وقومه وخالفهم في دينهم حتى ذكر
ذلك منه وخافوه وخافهم فكان لا يدخل قرية الا خائفا مستخفيا وقال ابن زيد ان موسى ضرب راس فرعون ونتف لحيته
فاراد فرعون قتله فقالت امراته هو صغير فجيء بجمرة فاخذها وطرحها في فيه فبها عقدة لسانه فقال فرعون لا اقتله
ولكن اخرجوه من الدار والبلد فاخرج فلم يدخل عليهم حتى كبر فدخل على حين غفلة يقتتلان صفة لرجلين وقال ابن
عطية حال منهما وسيبويه وان كان يجوزها من النكرة قيل لا الا ان الاكثر يشترطون فيها ما لا يسوغ الابتداء بها وسيبويه
وان كان يجوزها وقرا نعيم وابن ميسرة يقتلان بالادغام نقل فتحة التاء الاولى الى القاف وادغم **قوله تعالى** هذا
من شيعته مبتدا او خبر في موضع الصفة لرجلين او الحال من الضمير في يقتتلان وهو بعيد لعدم انتقالها وقوله هذا وهذا
على حكاية الحال الماضية فكانهما حالا الان حاضران اي اذا نظر الناظر اليهما قال هذا من شيعته وهذا من عدوه وقال المبرد
العرب تشير بهذا الى الغايب وانشد لجرير • هذا ابن عمي في دمشق خليفة • لو شيت ساقكم الي قطينا •
قوله تعالى هذا من شيعته من بني اسرائيل وهذا من عدوه من القبط قال مقاتل كانا كافرين الا ان احدهما من القبط والاخر
من بني اسرائيل لقول موسى له انك لغوي مبين والمشهور ان الاسرائيلي كان مسلما قيل انه السامري والقبطي طباخ فرعون قال
ابن جبير عن ابن عباس لما بلغ موسى اشده لم يكن احد من آل فرعون يخلص الى احد من بني اسرائيل بظلم حتى منعوا كل الامتناع
وكان بنو اسرائيل قد عزوا بمكان موسى لانهم كانوا يعلمون انه منهم **قوله تعالى** فاستغاثه هذه قراءة العامة من الغوث
اي طلب غوثه ونصره وقرا سيبويه وابن مقسم والزعفراني بالعين المهملة والنون من الاعانة وقال ابن عطية هي تصحيف
التشبيه اليهود لاراء غير محمودة **قوله تعالى** فوكزه موسى اي دفعه بجميع كفه والفرق بين الوكز واللكز في الصدر والوكز
في الظهر واللكز كالوكز قال الشاعر • يا ربما الجاهل ذو التسفري • لا توعد في حية في النكز • وقرا ابن
مسعود فلكزه وفنكزه باللام والنون **قوله تعالى** فقضى اي موسى او الله تعالى او ضمير الفعل اي الوكز فقضى عليه اي
اماته وقتله وفرغ من امره وكل شي فرغت منه فقد قضيته وقضيت عليه فندم موسى ولم يكن قصده القتل فدفنه
في الرمل وقال هذا من عمل الشيطان انه عدو مضل مبين هذا اشارة الى القتل الصادر منه ومن عمل الشيطان اي من وسوسته
وتسويله **فصل** احتج بهذه الاية من طعن في عصمة الانبياء من وجوه الاول ان ذلك القبطي اما ان يكون مستحق
القتل او لم يكن كذلك فان استحق القتل فلم قال هذا من عمل الشيطان ولم قال ظلمت نفسي فاغفر لي وقال في سورة اخرى
فعلتها اذا وانا من الضالين وان لم يستحق القتل كان قتله معصية وذنبا الثاني ان قوله وهذا من عدوه يدل على انه كان
كافرا حربيا فكان دمه مباحا فلم استغفر عنه والاستغفار من الفعل المباح غير جائز لانه يوهم في المباح كونه حراما
الثالث ان الوكز لا يحصل منه القتل ظاهرا فكان ذلك قتل خطا فلم استغفر عنه فالجواب عن الاول يقال انه لكفره
مباح الدم واما قوله هذا من عمل الشيطان ففيه وجوه الاول ان الله تعالى وان اباح قتل الكفار الا انه كان الاولى تاخير
قتله الى زمان اخر فلما قتل فقد ترك ذلك المندوب وهو قوله هذا من عمل الشيطان الشيطان وحيد يقال فلان من عمل
الشيطان اي من احزابه واما قوله رب اني ظلمت نفسي فاغفر لي فعلى قول آدم عليه السلام ربنا ظلمنا انفسنا والمراد احد
وجهين اما على سبيل الانقطاع الى الله والاعتراف بالتقصير عن القيام بحقوقه وان لم يكن هناك ذنب قط او من حيث
حرم نفسه الثواب بترك المندوب واما قوله فاغفر لي اي ترك هذا المندوب وفيه وجه اخر وهو ان يكون المراد رب اني ظلمت
نفسي حيث قتلت هذا الملعون فان فرعون لو عرف ذلك لقتلني به فاغفر لي فاستره علي لا توصل خبره الى فرعون
ويدل على ذلك قوله رب بما انعمت علي فلن اكون ظهيرا للمجرمين فلما كانت اعانة المومن هنا سببا للمعصية لما قال ذلك
واما قوله اذا وانا من الضالين فلم يقل اني صرت بذلك ضالا بل اعترف انه كان ضالا اي متحيرا لا يدري ما يجب عليه
واما قوله ان كان كافرا حربيا فلم استغفر من قتله قلنا لا نسلم فلعل الرجل الكافر مباح الدم امر يختلف باختلاف الشرايع
فلعل قتلهم كان حراما في ذلك الوقت وان كان مباحا لكن الاولى تركه على ما قررناه واما قوله كان قتل الخطا قلنا
لا نسلم فلعل الرجل كان ضعيفا وموسى عليه السلام كان في شدة القوة ونهاية الشدة فوكزه كان قاتلا قطعا ثم ان سلمنا
ولكنه عليه السلام كان يمكنه ان يخلص الاسرائيلي من يده بدون الوكز الذي كان الاولى تركه فلهذا قدم على الاستغفار
على انا وان سلمنا دلالة هذه الاية على صدور المعصية لكنا بينا انه لا دلالة البتة فيه لانه لم يكن رسولا في ذلك الوقت
فيكون ذلك قبل النبوة وذلك لا نزاع فيه **فصل** قالت المعتزلة الاية تدل على بطلان قول من نسب
المعاصي الى الله لانه عليه السلام قال هذا من عمل الشيطان فلو كان بخلق الله لكانت من الله لا من الشيطان وهو كقول يوسف
عليه السلام بعد ان نزغ الشيطان بيني وبين اخوتي وقول موسى وما انسانيه الا الشيطان وقوله تعالى لا يفتننكم الشيطان

كما اخرج ابويكم من الجنة وتقدم الكلام على ذلك **قوله تعالى** بما انعمت علي يجوز في الباء ان تكون قسما والجواب مقدرا
لاتوبن وتفسيره فلن اكون **فصل** قال القفال كانه اقسم بما انعم الله عليه ان لا يظاهر مجرما اي بسببك علي وان
يكون متعلقة بمحذوف ومعناها السببية اي اعصمني بسبب ما انعمت علي ويترتب عليه قوله فلن وما مصدرية او بمعنى الذي
والعايد محذوف وقوله فلن نفي على حقيقته وهذا يدل على انه قال لما انعمت علي بهذا الانعام فاني لا اكون معاونا لاحد
من المجرمين بل اكون معاونا للمسلمين وهذا يدل على ان ما اقدم عليه من اعانة الاسرائيلي على القبطي كان طاعة لا معصية
اذ لو كان معصية لنزل الكلام منزلة قوله انك لما انعمت علي بتوبتي من تلك المعصية وقال الكسائي والفراء انه خبر ومعناه
الدعاء وان لن واقعة موقع لا كانه قال ولا تجعلني ظهيرا قال الفراء وفي حرف عبد الله ولا تجعلني ظهيرا وقال الشاعر

• لن يزالوا كذلكم ثم لازلت • لهم خالدا خلود الجبال •

قال ابن هشام الذي وليس في الاية والبيت دلالة على وقوع لن موقع لا لظهور النفي فيهما من غير تقدير دعا
فصل قال ابن عباس بما انعمت علي بالمغفرة فلن اكون ظهيرا عونا للمجرمين اي الكافرين وهذا يدل على ان
الاسرائيلي الذي اعانه موسى كان كافرا وهو قول مقاتل وقال قتادة لن اعين بعدها على خطيئة قال ابن عباس لم يستثن
فابتلي به في اليوم الثاني **قوله تعالى** فاصبح في المدينة ويضعف تمام اصبح اي دخل في الصباح **قوله تعالى** يترقب
يجوز ان يكون خبرا ثانيا وان يكون حالا ثانية وان يكون بدلا من الحال الاول او الخبر الاول او حالا من الضمير في خائفا
فتكون متداخلة ومفعول يترقب محذوف اي يترقب المكروه او الفرج او الخبر هل وصل لفرعون ام لا **قوله تعالى** فاذا الذي
اذا الفجائية والذي مبتدأ وخبره اما اذا ويستصرخه حال واما يستصرخه فاذا فضلة على بابها وبالامس معرب لانه متى دخل
عليه ال او اضيف اعرب واذا عري منهما فالحجاز يبنونه والتميميون يمنعونه الصرف كقول الشاعر •
لقد رايت عجبا مذ امسا • على انه قد بني مع ال بدون را كقوله •

• واني حبست اليوم والامس قبله • الى الشمس حتى كادت الشمس تغرب •

روي بكسر السين **قوله تعالى** قال له موسى الضمير قيل للاسرائيلي لانه كان سببا في الفتنة الاولى وقيل للقبطي
وذلك ان موسى لما اصبح خائفا من قتل القبطي يترقب ينتظر سوءا والترقب انتظار المكروه قال الكلبي ينتظر متى يؤخذ به
فاذا الذي استنصره بالامس يستصرخه يستغيثه ويصيح به من بعد قال ابن عباس اتى فرعون فقيل له ان بني اسرائيل قتلوا
منا رجلا فخذ لنا بحقنا قال ابغوا لي قاتله ومن يشهد عليه فلا يستقيم ان اقضي بغير بينة فبينما هم يطوفون لا يجدون
بينة اذ مر موسى من الغد فراى ذلك الاسرائيلي يقاتل فرعونيا فاستغاثه على الفرعوني فصادف موسى وقد ندم على ما كان
منه بالامس من قتل القبطي فقال موسى للاسرائيلي انك لغوي مبين اي ظاهر الغواية قال اهل اللغة الغوي يجوز ان يكون
فعيلا بمعنى مفعل اي انك لمغوي فاني وقعت بالامس فيما وقعت فيه بسببك ويجوز ان يكون بمعنى الغاوي فانك
رجلا بالامس فقتلته بسببك وتقاتل اليوم الاخر وتستعديني عليه وقيل انما قال موسى للفرعوني انك لغوي مبين
بظلمك والاكثرون على الاول **قوله تعالى** فلما اراد ان يبطش الظاهر ان الضمير لموسى وقيل للاسرائيلي والعدو
هو القبطي والضمير في قال يا موسى للاسرائيلي كانه توهم من موسى مخاشنة فمن ثم قال ذلك ولهذا افشا خبره وكان
مستورا في قتله وان يبطش زيادتها في موضعين احدهما بعد لما كهذه والثاني قبل لو مسبوقة بقسم كقوله

• فاقسم ان لو التقينا وانتم • لكان لنا يوم من الشر مظلم •

والعامة على يبطش بالكسر وضمها ابو جعفر وقيل ان القايل يا موسى هو القبطي وكان قد عرف القصة من الاسرائيلي
قال ابن الخطيب وهذا هو الظاهر لقوله فلما اراد ان يبطش بالذي هو عدو لهما قال يا موسى فهذا القول منه لا من غيره
وايضا فقوله ان تريد ان تكون جبارا في الارض لا يليق الا بقول الكافر والجبار هو الذي يفعل ما يريد من الضرب
والقتل بظلم ولا ينظر في العواقب وقيل المتعظم وما يريد ان يكون من المصلحين قال المفسرون فلما سمع القبطي
قول الاسرائيلي علم ان موسى هو الذي قتل ذلك الفرعوني فانطلق الى فرعون فاخبره بذلك فامر فرعون بقتل موسى
قال ابن عباس ارسل فرعون الذباحين لقتل موسى فاخذوا الطريق الاعظم **قوله تعالى** وجاء رجل من اقصى المدينة
يسعى اي من اخر المدينة اسمه حزقيل مؤمن من آل فرعون وقيل اسمه سمعون وقيل شمعان يسعى قال الزمخشري يجوز
ارتفاعه وصفا لرجل وانتصابه حالا منه لانه قد تخصص بالوصف بقوله من اقصى المدينة فان جعلت من اقصى
المدينة صلة ليسعى فيسعى صفة ليس الا وهذا بناء منه على مذهب الجمهور وقد تقدم ان سيبويه يجيز ذلك من غير شرط وفي رواية
ليس قدم يسعى على رجل لانه لم يكن من اقصاها وانما جاء منه وهنا وصفه بانه من اقصاها وهما رجلان
مختلفان وقضيتان متباينتان **قوله تعالى** يأتمرون اي يتوامرون بمعنى يتشاورون كقول النمر بن تولب

• ارى الناس قد احدثوا شيمة • وفي كل حادثة يؤتمر •

وعن ابن قتيبة يامر بعضهم بعضا اخذه من قوله تعالى وأتمروا بينكم بمعروف **قوله تعالى** فاخرج اي من المدينة
اني لك من الناصحين في الامر بالخروج فقولك يجوز ان يتعلق بما يدل الناصحين عليه اي ناصح لك من الناصحين في الامر
بالخروج او بنفس الناصحين للاتساع بالظرف او على جهة البيان او اعني لك فخرج منها موسى خائفا يترقب رائيه
وعون الله اياه قال رب نجني من القوم الظالمين اي الكافرين وهذا يدل على ان قتله لذلك القبطي لم يكن ذنبا
والا لكان هو الظالم لهم وما كانوا ظالمين له بسبب طلبهم له ليقتلوه قصاصا **قوله تعالى** ولما توجه تلقاء مدين
اي قصد نحوها ماضيا اليها يقال دار تلقاء دار فلان اذا كانت محاذيتها واصله من اللقاء قال الزجاج اي سلك
الطريق التي تلقاء مدين فيها قال ابن عباس خرج وما قصد مدين ولكنه سلم نفسه الى الله ومشى من غير معرفة فاوصله
الله الى مدين وقيل وقع في نفسه ان بينه وبينهم قرابة لانهم من ولد مدين بن ابراهيم وكان من بني اسرائيل سمى البلدة
باسمه فخرج ولم يكن له علم بالطريق بل اعتمد فضل الله وقيل جاءه جبريل عليه السلام وعلمه الطريق قال ابن اسحق خرج
من مصر الى مدين خائفا بلا زاد ولا ظهر وبينهما مسيرة ثمانية ايام ولم يكن طعام الا ورق البقل قال **قوله تعالى** عسى ان
يهديني سواء السبيل اي قصد الطريق الى مدين **قوله تعالى** ولما ورد ماء مدين وهو الماء الذي يستقون منه
وهو بير وورود مجيئه والوصول اليه ووجد عليه اي على شفيره امة جماعة كثيفة العدد من الناس مختلفين
يسقون منها مواشيهم ووجد من دونهم اي سوى الجماعة وقيل في مكان اسفل من مكانهم **قوله تعالى** امراتين تذودان
قوله تذودان صفة لامراتين لا مفعول ثاني لان وجد بمعنى لقي والذود الطرد والدفع قال الشاعر •
فقام يذود الناس عنها بسيفه • وقيل حبس ومفعوله محذوف اي يذودان الناس عن غنمهما او غنمهما عن مزاحمة الناس
وقال الزمخشري لم ترك المفعول غير مذكور في يسقون ويذودان ولا نسقي قلت لان الغرض هو الفعل لا المفعول
ولذلك قولهما لا نسقي حتى يصدر الرعاء المقصود منه السقي لا المسقي **قوله تعالى** ما خطبكما كما تقدم في طه وقال
الزمخشري هنا وحقيقته ما مخطوبكما اي ما مطلوبكما من الذياد سمي المخطوب خطبا كما سمي المشروب شرابا والمسؤول
شانا في قولك ما شانك يقال شانه وشانه اي قصدت قصده وقال ابن عطية السؤال بالخطب انما هو في مصاب
او مضطهد او من يشفق عليه او يأتي بمنكر من الامر وقرأ شمر خطبكما بالكسر اي ما زوجكما اي لم تسقيان ولم يسق زوجكما
وهي شاذة جدا **قوله تعالى** حتى يصدر الرعاء قرا ابو عمرو وابن عامر وابو جعفر بفتح اليا وضم الدال مضارع صدر
من صدر يصدر وهو قاصر اي حتى يرجع الرعاء او يرجعون بمواشيهم والباقي بضم اليا وكسر الدال مضارع اصدر معدى
بالهمزة والمفعول محذوف اي يصدرون مواشيهم **قوله تعالى** لما انزلت متعلق بفقير **قوله تعالى** فجاءته احداهما
قرا ابن محيصن فجاءته حداهما بفتح الحاء وحذف الهمزة تخفيفا على غير قياس كقولهم يا با فلان وقوله •

• يا با المغيرة رب امر معضل • فرجته بالمكر مني والدها •

وويلمها اي ويل لامه قال • ويلمها خلة لو انها صدقت • وتمشي حال وعلى استحياء حال من تمشي واما
من تمشي **قوله تعالى** فلما جاءه وقص عليه القصص مصدر كالعلل **قوله تعالى** قالت احداهما يا ابت استاجره اتخذه اجيرا
ليرعى غنمنا ان خير من استاجرت القوي الامين اي خير من استعملت من قوي على العمل وادى الامانة وانما
جعل خير من استاجرت اسما والقوي الامين خبرا مع ان العكس اولى لان العناية سبب التقديم فان قيل القوة والامانة
لا يكفيان في حصول المقصود ما لم ينضم اليهما الفطنة والكفاية فلم اهمل امر الكفاية قلت انهما داخلان في الامانة
قال ابن مسعود افرس الناس ثلاثة بنت شعيب وصاحب يوسف وابو بكر وعمر فقال لها ابوها وما علمك بقوته وامانته
قالت اما قوته فانه دفع حجرا من راس البير لا يرفعه الا عشرة وقيل الا اربعون واما امانته فانه قال لي امشي خلفي حتى لا يصف
الريح بدنك قال شعيب عند ذلك اني اريد ان انكحك احدى ابنتي هاتين قال اكثر المفسرين انه زوجه الصغرى منهما وهي
التي ذهبت لطلب موسى واسمها صفوريا **قوله تعالى** اني انكحك احدى ابنتي روي عن ابي عمرو انكحك حدى بحذف همزة
احدى وهذه مشبهة بقراءة ابن محيصن فجاءته حداهما وتقدم التشديد في نون هاتين في سورة النسا قوله على ان تاجرني
في محل نصب على الحال اما من الفاعل او من المفعول اي مشروطا علي او عليك ذلك وتاجرني مضارع اجرته كنت له اجيرا
ومفعول الثاني محذوف اي تاجرني نفسك وثماني حجج ظرف له ونقل ابو حيان عن الزمخشري انها هي المفعول الثاني قال
شهاب الدين الزمخشري لم يجعلها مفعولا ثانيا على هذا الوجه وانما جعلها مفعولا ثانيا على وجه اخر واما على هذا الوجه
فلا يجعلها الا ظرفا وعلى هذا نصه ليبين لك فان تاجرني من اجرته اذا كنت له اجيرا من قولك ابوته اذا كنت له ابا وثماني حجج
ظرف او من اجرته اذا اثبته ومنه تعزية رسول الله صلى الله عليه وسلم اجركم الله ورحمكم وثماني حجج مفعول به ومعناه رعية

ثماني حجج فنقل الشيخ عند الوجهة الاولي من المعنيين المذكورين في تاجرني فقط وحكي عنه انه اعرب ثماني حجج مفعولا به
وكيف يستقيم ذلك او يتجه وانظر الي الزمخشري كيف قدر مضافا ليصح المعنى به اي رعي ثماني حجج لان العمل هو الذي
يقع به الاثابة لا نفس الزمان فكيف توجد الاجارة على الزمان **قوله تعالى** فمن عندك يجوز ان يكون في محل رفع خبر المبتدا
محذوف تقديره فهي من عندك او نصب اي فقد زدتها او تفضلت بهما من عندك معنى الاية اريد ان انكحك ابنتي هاتين
على ان تكون اجري على ثماني سنين قال الفرا اي تجعل ثوابي من تزويجها ان ترعى غنمي ثماني حجج تقول العرب اجرك الله باجرك
اي اثابك والحجج السنون واحدها حجة فان اتممت عشرا اي عشر سنين فمن عندك اي ذلك تفضل منك وتبرع ليس واجب
عليك واعلم ان هذا اللفظ وان كان على الترديد فلا شبهة انه من عند التزويج يمن ولا شبهة في ان العقد وقع
على اقل الاجلين والزيادة كالتبرع ودلت الاية على ان العمل قد يكون مهرا كالمال وعلى ان الحاق الزيادة بالثمن
والمثمن جايز ولكنه شرع من قبلنا ودلت ايضا على انه يجوز ان يشترط للولي وعلى ان عقد النكاح لا تفسده الشروط
التي لا يوجبها العقد **قوله تعالى** وما اريد ان اشق عليك اي الزمك تمام العشر وان اشق مفعول اريد وحقيقة قوله
اشق عليه اي شق عليه ظنه فتارة تقول اطيق وتارة تقول لا اطيق وهو من احسن مجاز **قوله تعالى** ستجدني ان شاء
الله من الصالحين قال عمر اي في حسن الصحبة والوفا ولين الجانب وقيل اراد الصلاح على العموم وانما قال ان شاء الله
للاتكال على توفيقه واعانته ومعونته فان قيل كيف ينعقد العقد بهذا الشرط ولو قال انت طالق ان شاء الله
لم تطلق قلت هذا مما يختلف بالشرايع **قوله تعالى** ذلك مبتدا والاشارة به الي ما تعاقدا عليه والظرف خبره
واضيف بين لمفرد تكررها عطفا بالواو ولو قلت المال بين زيد فعمرو لم يجز واما قوله المتقدم له بين الدخول فحومل
فكان الاصمعي ياباها ويروي وحومل بالواو والصحيح بالفاء واول البيت على ان المفعول وحومل مكانان كل منهما
مشتمل على اماكن نحو قولك داري بين مصر لانه يريد به المكان الجامع والاصل ذلك بيننا ففرق بالعطف **قوله تعالى**
ايما الاجلين اي شرطية وجوابها فلا عدوان علي وفي ما هذه قولان اشهرهما انها زايدة كزيادتها في اخواتها من
ادوات الشرط والثاني انها نكرة والاجلين بدل منها وقرا الحسن وابو عمرو في رواية ايما بتخفيف الياء كقوله

• تنظرت نسرا والسماكين ايهما • علي من الغيث استهلت مواطره •

وقرا عبد الله اي الاجلين ما قضيت بلفظ ما بين الاجلين وقضيت قال الزمخشري فان قلت بين موقعي زيادة ما
في الموضعين قلت وقعت في المستفيضة موكدة لابهام اي زايدة في شانها او في اشياعها وفي الشاذة تاكيد اللفظ
كانه قال اي الاجلين صممت على قضائه وجردت عزيمتي وقرا ابو حيوة وابن قطيب عدوان قال الزمخشري فان
قلت تصور العدوان انما هو في احد الاجلين الذي هو اقصرهما وهو المطالبة بتتمة العشر فما معنى تعلق العدوان
بهما جميعا قلت كما اني ان طولت بالزيادة على العشر لا شك فيه فكذلك ان طولت بالزيادة على الثماني اراد بذلك
تقرير امر الخيار انه ثابت مستقر وان الاجلين على السوا اما هذا واما هذا او يكون اختيار الاقل والابعد كلاهما لا الي رايه
من غير ان يكون لاحدهما اليه اجيبا رتم قال ومعناه فلا اكون متعديا وهو في نفي العدوان عن نفسه كقولك لا اثم
علي ولا تبعة قال ابو حيان وجوابه الاول فيه تحيل قال شهاب الدين كانه اعجبه الثاني والثاني لم يرتضه الزمخشري
لانه ليس جوابا في الحقيقة فان السوال باق ايضا وكذلك نقله عن غيره ونقل المبرد وقد علم انه لا عدوان عليه في ايهما
ولكن جمعهما ليجعل الاول كالاتم في الوفا **فصل** قال المفسرون المعنى اي الاجلين قضيتها اتممت وفرغت
منه الثماني والعشر فلا عدوان علي لا اطلب علي باكثر والله على ما نقول وكيل قال ابن عباس ومقاتل شهيد
فيما بيني وبينك وقيل حفيظ ولما استعمل الوكيل بمعنى الشاهد عدي بعلى قال سعيد بن جبير سالني يهودي من اهل
الحيرة اي الاجلين قضى موسى قلت لا ادري حتى اقدم على حبر العرب فاساله فقدمت فسالت ابن عباس فقال قضى
اكثرهما واطيبهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قال فعل وروي عن ابي ذر مرفوعا اذا سالت اي الاجلين قضى
موسى فقل خيرهما وابرهما واذا سئلت اي المراتين تزوج بها موسى فقل اصغرهما وهي التي جاءت فقالت يا ابت استاجره
فتزوج صغراهما وقضى اوفاهما وهنا اسكن الكبرى ولما تعاقدا العقد بينهما امر شعيب ابنته ان تعطي موسى عصى يدفع
بها السباع عن غنمه واختلفوا في تلك العصى فقال عكرمة خرج بها ادم من الجنة فاخذها جبريل بعد موت ادم فكانت
معه حتى لقي بها موسى ليلا فدفعها اليه وقيل كانت من اس الجنة حملها ادم من الجنة فتوارثها الانبيا فكان لا ياخذها
غير نبي الا اكلته فصارت من ادم الي نوح ثم الي ابرهيم حتى وصلت الي شعيب وكانت عصى الانبيا عنده فاعطاها موسى
وقال السدي كانت تلك العصى استودعها اياه ملك في صورة رجل فامر ابنته ان تاتيه بعصى فدخلت واخذت العصى فاتته
بها فلما راها شعيب قال لها ردي هذه العصى واتيه بغيرها فدخلت والقتها وارادت ان تاخذ غيرها فلا يقع في يدها

الا هي حتى فعلت ذلك ثلاث مرات فاعطاها موسى واخرجها موسى معه ثم ان الشيخ ندم وقال كانت وديعة فذهب
في اثره فطلب ان يرد العصى فابى موسى ان يعطيه وقال هي عصاي فرضيا ان يجعلا بينهما اول رجل لقيهما فلقيهما
رجل ملك في صورة رجل فحكم ان تطرح العصى فمن حملها فهي له فطرح موسى العصا فعالجها الشيخ لياخذها
فلم يطقها واخذها موسى بيده فرفعها فتركها له الشيخ ثم ان موسى لما اتم العمل وسلم شعيب ابنته اليه قال مجاهد
لما قضى موسى الاجل مكث بعد ذلك عنده عشرا اخرى فاقام عنده عشرين سنة ثم استاذنه في العود الي مصر فاذن
له فخرج باهله الي جانب الطور اي ابصر من جانب الطور نارا وكان في البرية في ليلة مظلمة شديدة البرد واخذ
امراته الطلق فقال لاهله امكثوا اني انست نارا لعلي اتيكم منها بخبر عن الطريق لانه كان اخطا الطريق **قوله تعالى**
او جذوة قرا حمزة بضم الجيم وعاصم بالفتح والباقون بالكسر وهي لغات في العود الذي في راسه نار هذا هو المشهور

قال السلمي	• حمى حب هذي النار حب خليلتي • وحب الغواني ثم هو دون الحباحب	
	• وبدلت بعد المسك والبان شقوة • دخان الجذا في راس اشمط شاحب	

وقيد بعضهم فقال في راسه نار من لهب قال ابن مقبل شعرا

• باتت حواطب ليلي تلتمس لها • جزل الجذا غير خوار ولا دعر •

الخوار الذي يتقصف والدعر الذي فيه لهب دون وقد وردما يقتضي وجود اللهب فيه قال الشاعر

• والقى على قبس من النار جذوة • شديد عليها حميها والتهابها •

وقيل الجذوة العود الغليظ سواء كان في راسه نار او لم يكن وليس المراد هنا الا ما في راسه نار **قوله تعالى** من النار
صفة لجذوة ولا يجوز تعلقها باتيكم كما تعلق به منها لان هذه النار ليست النار المذكورة والعرب اذا قدمت نكرة واردت
اعادتها اعادتها مضمرة او معرفة بال العهدية وقد جمع الامران هنا لعلكم تصطلون تستدفيون من شاطي من لابتداء
الغاية والايمن صفة للشاطي او للوادي والايمن من اليمن وهو البركة او من اليمين المعادل لليسار من العضو ومعناه
على هذا بالنسبة الي موسى اي الذي يمينك دون يسارك والشاطي صفة الوادي والنهر اي حافته وطرفه وكذلك الشط
والسيف والساحل كلها بمعنى وجمع الشاطي اشطا قاله الراغب وشاطات فلانا ما شينه على الشاطي **قوله تعالى**
في البقعة متعلق بنودي او بمحذوف على انه حال من الشاطي وقرا العامة بضم الباء وهي اللغة العالية وقرا مسلمة
والاشهب العقيلي بفتحها وهي لغة حكاها ابو زيد قال سمعتهم يقولون هذه بقعة طيبة **قوله تعالى** من الشجرة وهذا
بدل من شاطي باعادة العامل وهو بدل اشتمال لان الشجرة كانت نابتة على الشاطي كقوله لجعلنا لمن يكفر بالرحمن
لبيوتهم سقفا من فضة **قوله تعالى** ان يا موسى هي المفسرة وجوز فيها ان تكون هي المخففة واسمها ضمير الشان وجملة
النداء مفسرة له وفيه بعد **قوله تعالى** اني انا الله العامة على الكسر على اضمار القول او على تضمين النداء معناه وقرا بالفتح
وفيه اشكال لانه ان جعلت ان تفسيرية وجب كسرها للاستيناف المفسر للنداء بماذا كان وان جعلتها المخففة لزم تقديرها
في مصدر والمصدر مضمر مفرد وضمير الشان لا يفسر بمفرد والذي ينبغي ان يخرج عليه هذه القراءة ان تكون ان تفسيرية
واني معمولة لفعل مضمر تقديره ان يا موسى اعلم اني انا الله واعلم انه تعالى قال في سورة النمل نودي ان بورك من في النار ومن
حولها وقال هاهنا نودي اني انا الله رب العالمين وقال في سورة طه نودي يا موسى اني انا ربك ولا منافاة بين هذه الاشياء تعالى ذكر
الكل لانه تعالى حكى في كل سورة بعض ما اشتمل عليه بعض ذلك النداء **قوله تعالى** وان الق عصاك تقدم الكلام على
ذلك واسلك يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء فقد عبر عن هذا المعنى بثلاث عبارات احدها هذه وثانيها واضمم يدك
الي جناحك وثالثها وادخل يدك في جيبك **قوله تعالى** من الرهب متعلق باحد اربعة اشيا اما بولي واما بمدبر واما باضمم
ويظهر هذا الثالث اذا فسرنا الرهب بالكم واما بمحذوف اي كا ينشي من الرهب وقرا حفص بفتح الراء وسكون الهاء والاخوان
وابن عامر وابو بكر بالضم والاسكان والباقون بفتحتين والحسن وعيسى والجحدري وقتادة بضمتين وكلها لغات بمعنى الخوف
وقيل بفتحتين الكم بلغة حمير قال الزمخشري هو من بديع التفاسير قال وليت شعري كيف صحته في اللغة وهل سمع من الثقات
الاثبات التي ترتضي عربيتهم ام ليت شعري كيف موقعه في الاية وكيف تطبيقه الفصل البايع كلمات التنزيل على ان موسى
صلوات الله عليه وسلامه ليلة المناجاة ما كان عليه الا زرمانقة من صوف لا كمي لها الزرمانقة المدرعة قال ابو حيان
هذا مروي عن الاصمعي وهو ثقة سمعتهم يقولون اعطني ما في رهبك اي كمك واما قوله كيف موقعه فقالوا معناه اخرج يدك
من كمك قال شهاب الدين كيف يستقيم هذا التفسير يفسرون اضمم بمعنى اخرج وقال الزمخشري فان قلت قد جعل الجناح
وهو اليد في احد الموضعين مضموما وفي الاخر مضموما اليه وذلك قوله واضمم اليك جناحك وقوله هو اليد اليسرى
وكل واحدة من عنى اليدين وبين هاهنا بالجناح قلت قال الزمخشري في قوله واضمم اليك جناحك من الرهب معنيان احدهما

ان موسى عليه السلام لما قلب الله له العصى حية فزع واضطرب والقاها بيده كما يفعل الخائف من الشيء فقيل له ان
انقالك بيدك فيه عضاضة عند الاعداء فاذا القيتها وقد انقلبت حية فادخل يدك مكان اتقائك بها ثم اخرجها بيضاء
لتحصيل الامران اجتناب ما هو عضاضة عليك واظهار معجزة اخرى والمراد بالجناح اليد لان يد الانسان بمنزلة جناح
الطائر واذا ادخل يده اليمنى تحت عضده اليسرى فقد ضم جناحه اليه الثاني ان يراد بضم جناحه تجلده وضبط نفسه
وتشدده عند انقلاب العصى حية حتى لا يضطرب ولا يرهب استعارة من فعل الطائر لانه اذا خاف نشر جناحيه وارخاهما
والا فجناحاه منضمان اليه مستمران ومعنى قوله من الرهب اي من اجل الرهب اذا اصابك الرهب عند رؤية الحية
واضمم اليك جناحك وقوله اسلك يدك على احد التفسيرين واحد واغا خولف بين العبارتين وكرر المعنى لاختلاف الغرضين
وذلك ان الغرض في احدهما خروج اليد بيضا وفي الثاني اخفاء الرهب وقال البغوي المعنى اذا هالك امر يدك وما
ترى من شعاعها فادخلها في جيبك تعد الى حالتها الاولى والجناح اليد كلها وقيل العضد وقال عطا عن ابن عباس
امره الله ان يضم يده الى صدره فذهب عنه ما ناله من الخوف عند معاينة الحية وقال ما من خائف بعد موسى الا اذا
وضع يده على صدره زال خوفه وقال مجاهد كل من فزع فضم يده اليه ذهب عنه الفزع وقيل المراد من ضم الجناح
السكون اي سكن روعك واحفظ عليك جناحك لان من شان الخائف ان يضطرب قلبه عليه وترتعد يداه ومنه قوله
واخفض لهما جناح الذل يريد الرفق وقوله واخفض جناحك لمن اتبعك اي ارفق بهم والن جانبك لهم وقال الفراء اراد
بالجناح العصى معناه واضمم اليك عصاك فصل وذلك تقدم قراءة التخفيف والتثقيل في النسا وقرا ابن
مسعود وعيسى وشبل وابو نوفل بيا بعد نون مكسورة وهي لغة هذيل قيل تميم وروى شبل عن ابن كثير بياء بعد نون
مفتوحة وهذا على لغة من يفتح نون التثنية كقوله • على احوذيين استقلت عشية • فما هي الا لمحة وتغيب •
والياء بدل من احدى النونين لتطبيب وقرا عبد الله بتشديد النون وياء بعدها ونسبت لهذيل قال المهدوي بل لغتهم
تخفيفا وكان الكسر هنا اشباع كقراءة هشام افيدة من الناس وذانك اشارة الى العصى واليد وهما مونثتان وانما
ذكر ما اشير بهما اليهما لتذكير خبرهما وهو برهانان كما انه قد يونث لتانيث خبره كقراءة ثم لم تكن فتنتهم الا ان قالوا بتأنيث
ان ونصب فتنتهم وكذا قوله • وقد خاب من كانت سريرته الغدر • وتقدم ايضاح هذا في الانعام والبرهان تقدم
اشتقاقه وهو الحجة وقال الزمخشري هنا فان قيل لم سميت الحجة برهانا قلت لبياضها وانارتها من قولهم للمراة برهرهة
بتكرير العين واللام والدليل على النون قولهم ابره الرجل اذا جا بالبرهان ونظيره اما ها سلطانا من السليط وهو الزيت
لانارته الى فرعون متعلق بمحذوف فقدره ابو البقاء مرسلان الى فرعون وغيره اذهبا الى فرعون وهذا القدر ينبغي ان
يكون حالا من برهانان اي مرسلا بهما الى فرعون والعامل في هذا الحال اما في اسم الاشارة قوله تعالى قال رب اني
قتلت منهم نفسا فاخاف ان يقتلون واخي هارون هو افصح مني لسانا لانه كان في لسانه حبسة اما في اصل الخلقة
واما لانه وضع الجمرة في فيه عندما نتف لحية فرعون قوله تعالى هو افصح الفصاحة لغة الخلوص ومنه فصح اللبن
وافصح فهو فصيح ومفصح اي خلص من الرغوة ومنه قولهم • وتحت الرغوة اللبن الفصيح • ومنه فصح الرجل
جادت لغته وافصح تكلم بالعربية وقيل بالعكس وقيل الفصيح الذي ينطق والاعجم الذي لا ينطق ومن هذا استعير
افصح الصبح اي بدا ضوءه وافصح النصراني دنا فصحه وكسر الفا وهو عيد لهم واما في الاصطلاح لاهل البيان فهو من
خلوص الكلمة من تنافر الحروف كقوله ترعى الهعخع والهمخع واما الغرابة كقوله مسرجا ومن مخالفة القياس
اللغوي كقوله الحمد لله العلي الاجلل وخلوص الكلام من ضعف التاليف كقوله • جزى ربه عني عدي بن حاتم • ومن تنافر الكلمات

كقوله • وقبر حرب بمكان قفر • وليس قرب قبر حرب قبر •

ومن التعقيد وهو اما اخلال لنظم الكلام فلا يدرى كيف يتوصل الى معناه كقوله •

• وما مثله في الناس الا مملكا • ابو امه حي ابوه يقاربه •

واما عدم انتقال الذهن من المعنى الاول الى المعنى الثاني الذي هو لازمه والمراد به ظاهرا كقوله •

• سأطلب بعد الدار عنكم لتقربوا • وتسكب عيناي الدموع لتجمدا •

وخلوص المتكلم من النطق بجميع ذلك فصارت الفصاحة يوصف بها ثلاثة اشيا الكلمة والكلام والمتكلم بخلاف
البلاغة فانه لا يوصف بها الا الاخيران فقط وهذا ليس موضع ايضاحه وانما ذكرناه تنبيها على اصله ولسانا تمييز
قوله تعالى ردا على الحال والردء القرن وهو فعل بمعنى مفعول كالدف بمعنى المدفوء به وردأته على عدوه اعنته
عليه وردأت الحائط دعمته بخشبة لئلا يسقط وقال النحاس يقال ردأته واردأته وقال سلامة بن جندل •
• وردئي كل ابيض مشرفي • شحيذ الحد ابيض ذا فلول •

وقال الآخر • الم تر ان اصرم كان ردئي • وخير الناس في قل ومال • وقرا نافع بغير همز
ردا بالنقل وابو جعفر كذلك الا انه لم ينونه كانه اجرى الوصل مجرى الوقف ونافع ليس من عادته النقل في كل كلمة
الا هنا وقيل ليس فيه نقل وانما هو اردى على كذا اي زاد قال الشاعر •
• واسمر خطيا كان كعوبه • نوى القسب قد اردى ذراعا على العشر •
اي زاد وانشده الجوهري قد ارمى وهو بمعناه قوله تعالى يصدقني قرا حمزة وعاصم بالرفع على الاستيناف
او الصفة لردا او الحال من ها ارسله او من الضمير في ردا اي مصدقا والباقون بالجزم جوابا للامر وزيد بن علي
وابي يصدقون اي فرعون وملاه قال ابن خالويه هذا شاهد لمن جزم لانه لو كان رفعا لقال يصدقونني يعني بنونين
وهذا سهو من ابن خالويه لانه متى اجتمعت نون الرفع مع نون الوقاية جازت اوجه اولها الحذف فهذا يجوز ان يكون
مرفوعا وحذف نونه عن رفع القاف فالتقدير ردا يصدقني ومن جزم كان على معنى الجزاء يعني ان ارسلته صدقني ونظيره
هب لي من لدنك وليا يرثني وروى السدي عن بعض شيوخه ردا فيما يصدقني والصديق لهارون في قول الجميع
وقال مقاتل لكي يصدقني فرعون اني اخاف ان يكذبون يعني فرعون وقومه قال ابن الخطيب ليس الغرض بتصديق
هارون ان يقول له صدقت او يقول الناس صدق موسى وانما هو ان يلخص بلسانه الفصيح وجوه الدلائل ويجادل
به الكفار فهذا هو التصديق المفيد الا ترى الى قوله واخي هارون هو افصح مني لسانا فارسله وفائدة الفصاحة انما
تظهر فيما ذكرناه لا في مجرد قوله صدقت فصل قال السدي نبيان وآيتان اقوى من نبي واحد وآية واحدة
قال القاضي والذي قاله من جهة العادة اقوى واما من حيث الدلالة فلا فرق بين معجز ومعجزين قوله تعالى عضدك
العامة على فتح العين وضم الدال والحسن وزيد بن علي بضمهما وعن الحسن بضمة وسكون وعيسى بفتحهما وبعضهم بفتح
العين وكسر الصاد وفيه لغة سادسة بفتح العين وسكون الضاد وهذا كناية عن التقوية له باخيه وكان هارون
يومئذ بمصر قوله تعالى ونجعل لكما سلطانا اي برهانا وحجة فلا يصلون اليكما فان قيل بين تعالى ان السلطان
هو بالآيات فكيف لا يصلون اليهما لاجل الآيات وليس فرعون قد وصل الى صلب السحرة وان كانت هذه الآيات
ظاهرة فالجواب ان الآية التي هي قلب العصى حية كما انها معجزة فهي ايضا تمنع من وصول ضرر فرعون الى موسى
وهرون لانهم علموا انه متى القاها صارت حية عظيمة وان اراد ارسالها عليهم اهلكتهم وجرهم ذلك عن الاقدام
عليهما فصارت مانعة من الوصول اليهما بالقتل وغيره وصارت آية ومعجزة وجمعنا بين الامرين واما صلب
السحرة ففيها خلاف فقيل انهم ما صلبوا وليس في القرآن ما يدل على ذلك وان سلم بوصول الضرر الى غيرهما لا يقدح
في عدم الوصول اليهما قوله تعالى بآياتنا يجوز فيه اوجه ان يتعلق بنجعل او بيصلون او بمحذوف اي اذهبا
او على البيان فيتعلق بمحذوف ايضا او بالغالبون على ان ال ليست موصولة او موصولة واتسع فيها ما لا يتسع في غيره
او قسم وجوابه متقدم وهو فلا يصلون او من لغو القسم قالها الزمخشري ورد عليه ابو حيان بان جواب القسم
لا تدخله الفاء عند الجمهور ويريد بلغو القسم ان جوابه محذوف اي وحق آياتنا لتغلبن ثم قال انتما ومن اتبعكما الغالبون
اي لكما ولاتباعكما الغلبة قوله تعالى فلما جاءهم موسى بآياتنا بينات واضحات وتقدم كيفية اطلاق لفظ الجمع
الآيات وهو جمع على العصى واليد في سورة طه قالوا ما هذا الا سحر مفترى مختلق ثم ضموا اليه ما يدل على جهلهم
وهو قولهم وما سمعنا بهذا في آبائنا الاولين اي ما حدثنا بهذا الذي تدعونا اليه قوله تعالى وقال موسى
هذه قراءة العامة باثبات واو العطف وابن كثير حذفها وكل وافق مصحفه فانها ثابتة في المصاحف غير مصحف
مكة واثباتها وحذفها واضحان وهو الذي في تسوية اهل البيان الوصل والفصل قوله تعالى ربي اعلم بمن جاء
بالهدى من عنده بالحق من المبطل قوله تعالى ومن تكون قراءة العامة تكون بالتانيث وله خبرها وعاقبة
اسمها ويجوز ان يكون اسمها والتذكير للفصل ولانه تانيث مجازي ويجوز ان تكون الجملة ضمير الشان والخبر جملة
كما تقدم ويجوز ان تكون تامة وفيها ضمير يرجع الى من والجملة في موضع الحال ويجوز ان تكون ناقصة واسمها ضمير من
والجملة خبرها ومعنى من تكون له عاقبة الدار اي العقبى المحمودة في الدار الآخرة كقوله تعالى اولئك لهم عقبى الدار
جنات عدن والمراد من الدار الدنيا وعقباها ان يختم للعبد بالرحمة والرضوان انه لا يفلح الظالمون اي الكافرون
قوله تعالى وقال فرعون يا ايها الملا ما علمت لكم من اله غيري فتضمن كلامه نفي الالهية عن غيره واثبات الالهية
لنفسه فاوقد لي يا هامان على الطين فاطبخ لي الآجر قيل انه اول من اتخذ الآجر وبنى به فاجعل لي صرحا اي قصرا
عاليا وقيل منارة واختلفوا في ذلك فقيل انه بناه حتى بلغ ما لم يبلغه بنيان احد من الخلق وانه صعد عليه
وانه رمى السهم عاد اليه ملطخا بدم وبعث الله جبريل عليه السلام فضربه بجناحه فقطعه ثلاث قطع وقيل انه لم يبن

الصرح لانه يبعد في العقل انهم بصعود الصرح يقربون الي السما بعلمهم بان من على اعلا الجبال الشاهقة يري السماء كما كان يراها في قرار الارض ومن شك في ذلك خرج من حد العقل وهذا القول في انه رجي الصعود الي السما وان من جاوز فلك كان من الخايبين ولا يليق بالعقل وانما قال ذلك على سبيل التهكم **قوله تعالى** لعلي اطلع الي اله موسي انظر اليه والنظر والاطلاع واحد يقال طلع الجبل واطلع واحد واني لاظنه يعني موسي من الكاذبين في زعمه ان للارض والخلق الها غيري وانه رسوله واستكبر هو وجنوده في الارض بغير الحق واعلم ان الاستكبار بالحق انما هو لله تعالى وهو المتكبر في الحقيقة قال عليه السلام فيما حكاه عن ربه الكبرياء ردائي والعظمة ازاري فمن نازعني واحدا منهما القيته في النار كل مستكبر سواه فاستكباره بغير الحق **قوله تعالى** بغير الحق حال اي استكبروا ملتبسين بغير الحق وظنوا انهم الينا لا يرجعون قرا نافع والاخوان ويعقوب يرجعون مبنيا للفاعل والباقون للمفعول **قوله تعالى** فاخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم وهذا من الكلام المفخم الذي يدل على عظمة شانه وكبرياء سلطانه شبههم استحقارا لهم واستقلالا لعددهم وان كانوا الجم الغفير بحصيات اخذهن احد في كفه وطرحهن في البحر ونحو ذلك وجعلنا فيها رواسي شامخات وحملت الارض والجبال فدكتا دكة واحدة وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيمة والسموات مطويات بيمينه وليس الغرض منها الا تصوير كل مقدور وان عظم فهو حقير بالنسبة الى قدرته **قوله تعالى** فانظر كيف كان عاقبة الظالمين وجعلناهم اي صيرناهم وقال الزمخشري دعوناهم كافة فرمن نسبة ذلك الى الله تعالى الى التصوير لانه لا يوافق مذهبهم ويدعون صفة لائمة وقال الجبائي وجعلناهم اي بيناه ذلك من حالهم وسميناهم به ومنه قوله وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا قال ابو مسلم معنى الامامة التقدم فلما عجل لهم العذاب صاروا متقدمين لمن وراءهم من الكفار الكافرين ومعنى دعوتهم الي النار دعوتهم الي موجباتها من الكفر والمعاصي فان احدا لا يدعو الي النار البتة وانما جعلهم الله ائمة في هذا الباب لانهم بلغوا في هذا الباب الي اقصى النهايات ومن كان كذلك استحق ان يكون اماما يقتدي به في ذلك الباب **قوله تعالى** ويوم القيمة لا ينصرون لا يمنعون من العذاب كما تنصر الائمة الدعاة الي الجنة فاتبعوا في هذه الدنيا لعنة خزيا وعذابا **قوله تعالى** ويوم القيمة هم فيه وجها الاول ان يتعلق بالمقبوحين على ان ليست موصولة او موصولة واتسع فيه وان يتعلق بمحذوف يفسره المقبوحين كانه قال وقبحوا يوم القيمة نحو لعملكم من القالين او يعطف على موضع في الدنيا اي واتبعناهم لعنة يوم القيمة او معطوفة على لعنة على حذف مضافا ولعنة يوم القيمة الوجه الثاني لظهورهما والمقبوح المطرود قبحه الله طرده قال الشاعر

• الا قبح الله البراجم كلها • وجدع يربوعا وعفر دارما •

وسمي ضد الحسن قبيحا لان المعنى تنبو عنه كانها تطرده ويقال قبح قباحة وقيل من المقبوحين من الموسومين بعلامة منكرة كزرق العيون وسواد الوجوه والقبيح ايضا اعظم الساعد مما يلي النصف منه الي المرفق وقال ابو عبيدة من المقبوحين من المهلكين ولقد اتينا موسي الكتاب من بعد ما اهلكنا القرون الاولي قوم نوح وعاد وثمود وغيرهم والمراد بالكتاب التوراة بين تعالى ان الذي يجب التمسك به ما جاء به موسي ووصفه بانه بصاير للناس من حيث يبصر به في باب الدين **قوله تعالى** بصاير يجوز ان يكون مفعولا له واما ان يكون حالا اما على حذف مضاف اي ذا بصاير او على المبالغة وهدي من حيث ان يستدل به ومن حيث ان المستدل به يتوصل به الي الثواب ووصفه بانه رحمة لانه من نعم الله على من تعبد به روي ابو سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما اهلك الله قرنا من القرون بعذاب من السماء ولا من الارض منذ انزل التوراة غير اهل القرية التي مسخها الله قردة وقوله تعالى لعلكم تذكرون بما فيه من المواعظ والبصاير **قوله تعالى** وما كنت بجانب الغربي قال قتادة والسدي وما كنت يا محمد بجانب الجبل الغربي فيكون على حذف الموصوف واقامة صفته مقامه وان يكون من اضافة الموصوف لصفته وهو مذهب الكوفيين ومثاله بقلة الحمقا ومسجد الجامع **قوله تعالى** اذ قضينا الي موسي الامر اي عهدنا اليه واحكمنا الامر معه بالرسالة الى فرعون وقومه والمعنى وما كنت الحاضر اي حاضر المكان الذي اوحينا فيه الي موسي ولا كنت من جملة الشاهدين للوحي اليه او على الوحي اليه وهم نقباؤه الذين اختارهم للميقات فان قيل لما قال وما كنت بجانب الغربي ثبت انه لم يكن شاهدا لان الشاهد لا بد وان يكون حاضرا فالفائدة في اعادة قوله وما كنت من الشاهدين فالجواب قال ابن عباس التقدير لم تحضر ذلك الموضع ولو حضرت ما شاهدت تلك المواضع والوقايع فانه يجوز ان يكون هناك ولا يشهد ولا يري **قوله تعالى** ولكنا انشانا قرونا وجه الاستدراك وما كنت شاهدا للوحي ما جري عليه ولكنا اوحينا اليك فذكر سبب الوحي الذي هو اطالة الفترة ودل به على المسبب على عادة الله في اختصاراته فاذا هو الاستدراك هو شبيه بالاستدراكين بعده قاله الزمخشري وهذا تنبيه على المعجز فانه قال ان في اخبارك عن هذه الاشيا من غير حضور ومشاهدة ولا تعلم من اهله دلالة ظاهرة على نبوتك

كقوله تعالى اولم تاتهم بينة ما في الصحف الاولي **قوله تعالى** وما كنت ثاويا اي مقيما يقال ثوي يثوي ثواء وثويا وثوي وثويا ومثوي قال ذو الرمة • لقد كان في حول ثواء ثويته • تقضي لبانات ويسام سايم • وقال آخر • طال الثوا على رسول المنزل • وقال العجاج • وبات حيث يدخل الثوي • يعني الضيف المقيم **قوله تعالى** تتلوا يجوز ان يكون حالا من الضمير في ثاويا وان يكون هو الخبر وثاويا حال وجعله الفرا منقطعا فاصله اي مستانفا كانه قيل وها انت تتلوا على امتك وفيه بعد **فصل** المعنى ولكنا انشانا قرونا خلقنا اممآ من بعد موسي فتطاول عليهم العمر وخلفت القرون اي طالت عليهم المهلة فنسوا عهد الله وتركوا امره وذلك ان الله عهد الي موسي وقومه عهودا في محمد صلى الله عليه وسلم والايمان به فلما طال عليهم العمر وخلفت القرون بعد القرون نسوا تلك العهود وتركوا الوفا بها وما كنت مقيما في اهل مدين كمقام موسي وشعيب فيهم تتلوا عليهم اياتنا تذكرهم بالوعد والوعيد وقال مقاتل يقول لم تشهد اهل مدين فتقرا على اهل مكة خبرهم ولكنا كنا مرسلين في كل زمان رسولا يعني ارسلناك رسولا وانزلنا عليك كتابا فيه هذه الاخبار فتتلوها عليهم ولولا ذلك ما علمتها ولم تخبرهم بها وما كنت بجانب الطور بناحية الجبل الذي كلم الله عليه موسي اذ نادينا اي نادينا موسي خذ الكتاب بقوة وقال ابن عباس اذ نادينا اي نادينا موسي خذ الكتاب بقوة وقال ابن عباس اذ نادينا امتك في اصلاب ابايهم يا امة محمد اجبتكم قبل ان تدعوني واعطيتكم قبل ان تسالوني وغفرت لكم قبل ان تستغفروني قال وانما قال ذلك حين اختار موسي سبعين رجلا لميقات ربه وقال وهب لما ذكر الله لموسي فضل امة محمد قال موسي يا رب قال الله تعالى يا امة محمد فاجابوه من اصلاب ابايهم **قوله تعالى** ولكن رحمة من ربك اي ارسلناك رحمة او علمناك ذلك رحمة اي ولكن رحمناك رحمة بارسالك والوحي اليك واطلاعك على الاخبار الغايبة عنك وقرا عيسي بن عمر وابو حياة رحمة بالرفع اي انت رحمة **قوله تعالى** ما اتاهم من نذير في موضع الصفة لقوما والمعنى لتنذر قوما ما اتاهم من نذير من قبلك يعني اهل مكة لعلهم يتذكرون **قوله تعالى** ولولا ان تصيبهم هي الامتناعية وان وما في حيزها في موضع رفع بالابتدا اي ولولا اصابتهم المصيبة وجوابها محذوف فقدره الزجاج ما ارسلنا اليهم رسلا يعني ان الحامل على ارسال الرسل ازاحة عللهم بهذا القول فهو كقوله تعالى لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وقدره ابن عطية لعاجلناهم ولا معنى لهذا فقولوا عطف على تصيبهم ولولا الثانية تحضيض وفنتبع جوابه فلذلك نصب باضمار ان قال الزمخشري فان قلت كيف استقام هذا المعنى وقد جعلنا العقوبة هي السبب لا القول لدخول حرف الامتناع عليه دونه قلت القول هو المقصود بان يكون سببا للارسال ولكن العقوبة لما كانت هي السبب للقول وكان وجوده بوجودها جعلت العقوبة كانها سبب للارسال بواسطة القول فادخل عليها الولا وجي بالقول معطوفا عليها بالفا المعطية معنى السببية ويؤول معناه الي قولك ولولا قولهم هذا اذا اصابتهم مصيبة لما ارسلنا ولكن اختيرت هذه الطريقة لنكتة وهي انهم لو لم يعاقبوا مثلا على كفرهم وقد عاينوا ما الجوا به الي العلم بعنى سلطان دينهم لم يقولوا لولا ارسلت الينا رسولا بل انما يقولون اذا نالهم العقاب وانما السبب في قولهم هذا هو العقاب لا غير لا التاسف على ما فاتهم من الايمان بخالقهم وهو كقوله ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه **قوله تعالى** فلما جاءهم يعني محمد بالحق من عندنا قالوا يعني كفار مكة لولا هلا اوتي محمد مثل ما اوتي موسي من الايات كاليد البيضا والعصي وفلق البحر وتظليل الغمام وانفجار الحجر والمن والسلوي وكلام الله وغيرها وقيل مثل ما اوتي موسي كتابا جملة واحدة قال الله عز وجل اولم يكفروا بما اوتي موسي من قبل **فصل** اختلفوا في الضمير في قوله اولم يكفروا فقيل ان اليهود امروا ان يسالوا محمدا مثل ما اوتي موسي عليه السلام فقال تعالى اولم يكفروا هولاء اليهود بما اوتي موسي مع تلك الايات الباهرة وقيل ان الذين اقترحوا هذا هم كفار مكة الذين كفروا بموسي وهم الذين كانوا في زمن موسي الا انه تعالى جعله كالشي الواحد لانهم في الكفر والتعنت كالشي الواحد وقال الكلبي ان مشركي مكة بعثوا رهطا الي يهود المدينة يسالونهم عن محمد وشانه فقالوا انا نجده في التوراة بنعته وصفته فلما رجع الرهط واخبروه بقول اليهود قالوا انه كان ساحرا كما ان محمدا ساحر فقال تعالى في حقهم اولم يكفروا بما اوتي موسي من قبل من البشارة بعيسي ومحمد فقالوا ساحران وقيل ان كفار قريش كانوا منكرين لجميع النبوات ثم انهم لما طلبوا من الرسول معجزات موسي عليه السلام قال الله تعالى اولم يكفروا بما اوتي موسي من قبل بل بما اوتي جميع الانبيا من قبل اي لا غرض لهم من هذا الاعتراض الا التعنت ثم حكي كيفية كفرهم بما اوتي موسي وهو قولهم ساحران تظاهرا **قوله تعالى** من قبل اما ان يتعلق بيكفروا او باوتي اي من قبل ظهورك **قوله تعالى** ساحران قرا الكوفيون سحران اي هما اي القران والتوراة او موسي وهارون وذلك على المبالغة جعلوهما نفس السحر او على حذف مضاف اي ذوا سحرين ولو صح هذا لكان ينبغي ان يفرد سحر ولكنه ثني تنبيها على التنويع وقيل المراد موسي ومحمد عليهما السلام والتوراة والانجيل والباقون ساحران اي موسي وهارون او موسي ومحمد كما تقدم **قوله تعالى** تظاهرا العامة على تخفيف الظا فعلا ماضيا صفة لساحران او لسحران اي تعاونا وقرا الحسن ويحيي بن الحرث الذماري

والوجوه قال اليزيدي بتشديدهما وقد لحنها الناس قال ابن خالويه تشديده لحن لانه فعل ماض وانما يشدد في المضارع
وقال الهذلي لا معنى له وقال ابو الفضل لا اعرف وجهه وهذا عجيب من هولاء وقد حذفت نون الرفع في مواضع من
الفصيح كقوله عليه السلام لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا ولا فرق بين كونها بعد واو او فاء او يا
وهذا اصله يتظاهران فادغم وحذفت نونه تخفيفا وقرا الاعمش وطلحة وكذا في مصحف عبد الله اظاهرا بهمزة وصل
وتشديد الظا واصله تظاهر كقراءة العامة فلما اريد الادغام سكن الاول فاجتلبت همزة الوصل واختار ابو عبيدة القراءة
بالالف لان المظاهرة بالناس وافعالهم اشبه منها لان المراد منه بالكتابين لكنه لما كان كل واحد من الكتابين يقوي الاخر
لو ساعدان يقال على سبيل المجاز تعاونا كما يقال تظاهرت الاخبار **قوله تعالى** وقالوا انا بكل كافرون اي بما انزل على
محمد وموسى وسائر الانبيا وهذا الكلام لا يليق الا بالمشركين لا باليهود ثم قال قل لهم يا محمد فاتوا بكتاب من عند الله هو اهدى
منهما يعني التورية والقران وهذا يويد قراءة سحران او من كتابيهما على حذف مضاف وهو مويد لقراءة ساحران اتبعه
وهذا تنبيه على عجزهم عن الاتيان بمثله **قوله تعالى** اتبعه جواب للامر وهو فاتوا وقرا زيد بن علي اتبعه بالرفع استئنافا
اي فانا اتبعه **قوله تعالى** فان لم يستجيبوا لك فاستجاب بمعنى اجاب قال ابن عباس يريد فان لم يومنوا بما جئت به من الحجج
وقال مقاتل فان لم يمكنهم ان ياتوا بكتاب افضل منهما وهذا اشبه بالاية قال الزمخشري فان قلت ما الفرق بين فعل
الاستجابة في الاية وبينه في قوله • فلم يستجبه عند ذاك مجيب • حيث عدي بغير لام قلت هذا الفعل يتعدى الى الدعا
بنفسه والى الداعي باللام ويحذف الدعا اذا عدي الى الداعي في الغالب فيقال استجاب الله دعاه على حذف الدعا وقد تقدم
هذا في البقرة وان استجاب بمعنى اجاب والبيت الذي اشاروا اليه هو قوله •

• وداع دعا يا من يجيب الى الندا • فلم يستجبه عند ذاك مجيب •

[illegible] على تعديه بنفسه فان قيل الاستجابة تقتضي دعا فاين الدعا هاهنا فالجواب قوله تعالى
فاتوا بكتاب امر والامر دعاء الى الفعل وقال تعالى فاعلم انما يتبعون اهواءهم اي صاروا ملتزمين طريقه ولم يبق شي الا اتباع
الهوى [illegible] بقولهم ومن اضل ممن اتبع هواه بغير هدى وهذا من اعظم الدلايل على فساد التقليد فانه لا بد
من حجة [illegible] الا ان الله لا يهدي القوم الظالمين **قوله تعالى** ولقد وصلنا لهم القول العامة على تشديد وصلنا
[illegible] القطع اي تابعنا بعضه ببعض **فصل** قال الفرا انزلنا ايات القران يتبع بعضها
بعضا واصله من وصل الحبل قال الشاعر • فقل لبني مروان ما بال ذمتي • بحبل ضعيف لا يزال يوصل •
وما جعلناه اوصالا اي انواعا من المعاني قاله مجاهد وقرا الحسن بتخفيف الصاد وهو قريب مما تقدم قال ابن عباس
ومقاتل وصلنا بينا لكفار مكة بما في القران من اخبار الامم الخالية كيف عذبوا بتكذيبهم وقال ابن زيد وصلنا لهم القول خبر
الدنيا بخبر الاخرة حتى كانهم عاينوا الاخرة في الدنيا لعلهم يتذكرون ثم لما اقام الدلايل على النبوة اكد ذلك بقوله الذين
اتيناهم الكتاب **قوله تعالى** الذين اتيناهم الكتاب الذين مبتدا وهم مبتدا ثان ويومنون خبره والجملة خبر الاول
وبه متعلق بيومنون وقد تشكك الزمخشري وغيره من اهل البيان حيث قالوا التقديم يفيد الاختصاص وهنا لا يتاتى
ذلك لانهم لو خصوا ايمانهم بهذا الكتاب فقط لزم كفرهم بما عداه وهو عكس المراد وقد ابدى اهل البيان هذا في قوله امنا به
وعليه توكلنا فقالوا لو قدم به لاوهم الاختصاص بالايمان بالله وحده دون دون ملايكته وكتبه ورسله واليوم
الاخر والجواب هذا بعينه جار هنا وجوابه ان الايمان بغيره معلوم فانصب الغرض الى الايمان بهذا **قوله تعالى**
من قبله اهل الكتاب من قبله اي من قبل محمد صلى الله عليه وسلم وقيل من قبل القران هم به يومنون قال قتادة نزلت
في مومني اهل الكتاب عبد الله بن سلام واصحابه وقال مقاتل هم اصحاب السفينة الذين قدموا من الحبشة اربعين رجلا
من اهل الانجيل امنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم قال سعيد بن جبير قدموا مع جعفر من الحبشة على النبي صلى الله عليه وسلم
فلما راوا ما بالمسلمين من الخصاصة قالوا يا نبي الله ان لنا اموالا فان اذنت لنا انصرفنا وجئنا باموالنا فواسينا
المسلمين بها فاذن لهم فانصرفوا فاتوا باموالهم فواسوا بها المسلمين فنزل فيهم الذين اتيناهم الكتاب الى قوله ومما رزقناهم
ينفقون **فصل** وعن ابن عباس قال نزلت في ثمانين من اهل الكتاب اربعون من نجران واثنان وثلاثون
من الحبشة وثمانية من الشام وقال رفاعة نزلت في عشرة انا احدهم وصفهم الله فقال واذا يتلى عليهم يعني القران عليهم
قالوا امنا به انه الحق من ربنا انا كنا من قبله مسلمين وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم كان مكتوبا عندهم في التورية
والانجيل اي كنا من قبل القران مسلمين مخلصين لله التوحيد مومنين بمحمد صلى الله عليه وسلم انه نبي حق **قوله تعالى**
اولئك يوتون اجرهم مرتين لايمانهم بالكتاب الاول وبالكتاب الاخر وقيل لايمانهم بالانبيا الذين كانوا قبل محمد
صلى الله عليه وسلم وقال مقاتل لما امنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم شتمهم المشركون فصفحوا عنهم فلهم اجران اجر على الصبر

واجر على الايمان وقوله بما صبروا اي على دينهم **فصل** قال مجاهد نزلت في قوم من اهل الكتاب اسلموا
فاوذوا **قوله تعالى** ويدرءون بالحسنة السيئة اي بالطاعة المعصية المتقدمة قال ابن عباس يدفعون ما سمعوا
من الاذى والشتم من المشركين بالصفح والعفو **قوله تعالى** ومما رزقناهم ينفقون في الطاعة **قوله تعالى** واذا
سمعوا اللغو وهو القبيح من القول اعرضوا عنه وذلك ان المشركين كانوا يسبون مومني اهل الكتاب ويقولون تبا لكم
تركتم دينكم فيعرضون عنهم ولا يردون عليهم ويقولون لنا اعمالنا ولكم اعمالكم لنا ديننا ولكم دينكم سلام عليكم
ليس المراد سلام التحية ولكنه سلام المتاركة ومعناه سلمتم منا لا نعارضكم بالشتم والقبيح ومثله واذا خاطبهم الجاهلون
قالوا سلاما ثم اكد ذلك بقوله حاكيا عنهم لا نبتغي الجاهلين اي دين الجاهلين اي لا نحب دينكم الذي انتم عليه وقيل لا نريد
ان نكون من اهل الجهل والسفه وقيل نسخ ذلك بالامر بالقتال وهو بعيد لان ترك المسافهة مندوب وان كان القتال واجبا
والله اعلم **قوله تعالى** انك لا تهدي من احببت اي احببت هدايته وقيل احببته لقرابته **فصل** قال المفسرون
نزلت في ابي طالب قال له النبي صلى الله عليه وسلم قل لا اله الا الله اشهد لك بها يوم القيمة قال لولا ان تعيرني قريش تقول انما
حمله على ذلك الجزع لاقررت بها عينك فانزل الله هذه الاية **فصل** قال في هذه الاية انك لا تهدي من احببت
ولكن الله يهدي من يشاء وقال في اية اخرى وانك لتهدي الى صراط مستقيم ولا تنافي بينهما فان الذي اثبته واضاف اليه الدعوة
والذي نفى عنه هداية التوفيق وشرح الصدر وهو نور يقذف في القلب فيحيى به القلب كما قال سبحانه او من كان ميتا فاحييناه
وجعلنا له نورا يمشي به في الناس **فصل** احتج اهل السنة بهذه الاية في مسالة الهدى والضلال فقالوا قوله انك لا
تهدي من احببت ولكن الله يهدي من يشاء يقتضي ان تكون الهداية في الموضعين بمعنى واحد لانه لو كان المراد من الهداية في قوله
انك لا تهدي شيا وفي قوله ولكن الله يهدي من يشا شيا اخر لاختل النظم ثم اما ان يكون المراد من الهداية بيان الادلة
والدعوة الى الجنة او تعريف طريق الجنة او خلق المعرفة على سبيل الالجا او خلق المعرفة لا على سبيل الالجا لا جائز ان يكون المراد منه
الهداية التي نفى الله عمومها وكذا القول في الهداية بمعنى الدعوة الى الجنة واما الهداية بمعنى تعريف طريق الجنة فهي ايضا غير مرادة لانه
تعالى علق هذه الهداية على المشيئة فمن وجب عليه عشرة دنانير لا يقول اعطي عشرة دنانير ان شئت واما الهداية بمعنى الالجا والقسر فغير جائز
لان ذلك عندهم قبيح من الله تعالى في حق المكلف وفعل القبيح مستلزم للجهل او الحاجة وهما محالان ومستلزم المحال محال فذلك محال
من الله والمحال لا يجوز تعلقه على المشيئة ولما بطلت الاقسام لم يبق الا ان المراد انه تعالى يخص البعض بخلق الهداية والمعرفة ويمنع
البعض منها لا يسال عما يفعل واذا اورد الكلام على هذا الوجه سقط ما اورده القاضي عذرا عن ذلك وهو اعلم بالمهتدين اي انه
المختص بعلم الغيب فيعلم من يهتدي ومن لا يهتدي ثم انه تعالى حكى عنهم شبهة اخرى متعلقة باحوال الدنيا وهي قولهم ان نتبع الهدى
معك نتخطف من ارضنا قال المبرد والتخطف الانتزاع بسرعة نزلت في الحرث بن نوفل بن عبد مناف [illegible] مكة فاجاب الله عنه من وجوه
الاول قوله اولم نمكن لهم حرما امنا اي اعطاكم مسكنا لا تخافون لكم فيه اما لان العرب كانوا يحترمون الحرم ولم يتعرضوا لسكانه فانه
روي ان العرب خارج الحرم كانوا لا يتعرضون لسكان الحرم **قوله تعالى** نتخطف العامة على الجزم جوابا للشرط والمنقري بالرفع
على حذف الفا كقوله • من يفعل الحسنات الله يشكرها • وكقراءة يدرككم بالرفع او على التقديم وهو مذهب سيبويه
قوله تعالى اولم نمكن لهم حرما قال ابو البقا عداه بنفسه لان نمكن ضمن معنى جعل كقوله مكناهم وتقدم تحقيقه في الانعام
وامنا قيل بمعنى مومن اي مومن من دخله وقيل هو على حذف مضاف اي امنا اهله وقيل فاعل بمعنى النسب اي ذا امن **قوله تعالى**
يجبى قرا نافع بتاء التانيث مراعاة للفظ ثمرات والباقون بالياء للفصل ولان تانيثه مجازي والجملة صفة لحرما وقرا العامة
ثمرات بفتحتين وابان بضمتين جمع ثمر وبعضهم بفتح وسكون **قوله تعالى** رزقا اي جعلته مصدرا جاز انتصابه على المصدر
المؤكد لان معنى يجبى اليه يرزقهم وان ينتصب على المفعول له والعامل محذوف اي نسوقه اليه رزقا وان يكون في موضع الحال من ثمرات
لتخصيصها بالاضافة وان جعلته اسما للمرزوق انتصب على الحال من ثمرات ومعنى يجبى اي يجلب ويجمع يقال جبيت الما في الحوض اي
جمعته قال مقاتل يحمل الى الحرم ثمرات كل شيء اي من اهل قرية بطرت معيشتها قال الزمخشري البطر سوء احتمال الغنى وهو ان لا
يحفظ حق الله فيه وانتصب معيشتها اما بحذف الجار واتصال الفعل اصله بطرت ايام معيشتها واما بتضمين بطرت معنى كفرت وخسرت او على التمييز
او تشبيها بالمفعول به وهو قريب من سفه نفسه **فصل** قال عطا عاشوا في البطر فاكلوا رزق الله وعبدوا غيره **قوله تعالى**
فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم الا قليلا قال ابن عباس لم يسكنها الا المسافرون ومار الطريق يوما او ساعة معناه لم تسكن
بعدهم الا سكونا قليلا وقيل لم يعمر منها الا اقلها واكثرها خراب فقوله لم تسكن جملة حالية والعامل فيها معنى تلك
ويجوز ان يكون خبرا ثانيا والا قليلا اي الا سكنا قليلا او الا زمنا قليلا او الا مكانا قليلا وكنا نحن الوارثين كقوله انا نحن
نرث الارض ومن عليها **قوله تعالى** وما كان ربك مهلك القرى بظلم يعني القرى الكافرة اهلها حتى يبعث في امها رسولا

اي اكبرها واعظمها رسولا لانذارهم وخص الاعظم ببعثة الرسول فيها لان الرسول يبعث الى الاشراف والاشراف يسكنون
المداين والمواضع التي هي ام ما حولها وهذا بيان لقطع عذرهم لان عدم البعثة يجري مجرى العذر للقوم فوجب ان لا يجوز
اهلاكهم الا بعد البعثة وقوله يتلو عليهم اياتنا اي يؤدي ويبلغ قال مقاتل يخبرهم الرسول ان العذاب نازل بهم ان لم
يؤمنوا وما كنا مهلكي القرى الا واهلها ظالمون مشركون اي اهلكهم بظلمهم واهل مكة ليسوا كذلك فان بعضهم قد امن
وبعضهم قد علم الله منهم وان لم يؤمنوا لكنه يخرج من نسلهم من يؤمن **قوله تعالى** وما اوتيتم من شيء فمتاع الحيوة الدنيا
اي فهو متاع وقرا فمتاعا الحياة بنصب متاعا على المصدر اي يتمتعون متاعا والحياة نصب على الظرف والمعنى يتمتعون بها
ايام حياتهم ثم هي الى فناء وانقضاء وما عند الله خير وابقى وهذا جواب عن شبهتهم وانهم وان قالوا تركنا الدين لئلا يفوتنا الدنيا
فبين تعالى ان ذلك خطأ عظيما لان ما عند الله خير وابقى من وجهين الاول ان المنافع هناك اعظم والثاني انها خالصة
عن الشوائب ومنافع الدنيا مشوبة بالمضار بل المضار فيها اكثر واما انها ابقى فلانها دائمة غير منقطعة ومتى قوبل المتناهي
بغير المتناهي كان عدما فظهر بهذا ان منافع الدنيا لا نسبة لها الى منافع الاخرة فلا جرم نبه على ذلك فقال افلا تعقلون
ان الباقي خير من الفاني يعني ان من لا يرجح منافع الاخرة على منافع الدنيا كانه يكون خارجا عن حد العقل ورحم الله الشافعي
حيث قال من وصى بثلث ماله لاعقل الناس صرف ذلك الثلث الى المشتغلين بطاعة الله تعالى لان اعقل الناس من اعطى القليل
واخذ الكثير وما هم الا المشتغلون بالطاعة فكانه رحمه الله انما اخذه من هذه الاية وقرا ابو عمرو افلا يعقلون بالياء
من تحتها نقطتان والباقون بالخطاب جريا على ما تقدم **قوله تعالى** افمن وعدناه قرا طلحة امن وعدناه بغير فاء وعدا
حسنا يعني الجنة **قوله تعالى** فهو لاقيه مصيبه ومدركه وصائر اليه كمن متعناه متاع الحيوة الدنيا ويزول عن قريب
ثم هو يوم القيمة من المحضرين النار قرا الكسائي وقالون ثم هو بسكون الهاء اجراء له مجرى الواو والفاء والباقون بالضم
على الاصل وتخصيص لفظ المحضرين بالذين احضروا للعذاب امر عرف من القران قال تعالى لكنت من المحضرين فانهم لمحضرون
وفي اللفظ اشعار به لان الاحضار يشعر بالتكليف والالزام وذلك لا يليق بمجالس اللذة وانما يليق بمجالس الضرر والمكاره
قوله تعالى ويوم يناديهم فيقول اين شركاي الذين كنتم تزعمون في الدنيا انهم شركاي وتزعمون انها تشفع فتخلصكم من هذا الذي
نزل بكم وتزعمون مفعولاه محذوفان اي تزعمونهم شركاء قال الذين حق عليهم القول اي وجب عليهم العذاب وهم رؤوس الضلالة
وقيل الشياطين **قوله تعالى** هؤلاء الذين اغوينا فيه وجهان الاول ان هؤلاء مبتدا والذين اغوينا صفته والعائد محذوف
اي اغويناهم والخبر اغويناهم وكما غوينا نعت لمصدر محذوف وذلك المصدر مطاوع لهذا الفعل اي فغووا غيا كما غوينا قال
الزمخشري وهذا الوجه منعه ابو علي قال لانه ليس في الخبر زيادة فائدة على ما في صفته قال فان قيل قد وصل بقوله كما غوينا
وفيه زيادة فالجواب الزيادة في الظروف لا تصير اصلا في الجملة لان الظروف صلات ثم اعرب هؤلاء مبتدا والذين
اغوينا خبره واغويناهم مستانف واجاب ابو البقاء وغيره عن الاول بان الظرف قد يلزم كقولك زيد عمرو في داره **فصل**
المعنى هؤلاء الذين دعوناهم الى الغي وهم الاتباع اغويناهم كما غوينا اضللناهم كما ضللنا تبرانا اليك منهم **قوله تعالى** ما كانوا
ايانا يعبدون ايانا مفعول يعبدون قدم لاجل الفاصلة وفي ما وجهان الاول هي نافية والثانية مصدرية ولا بد من
تقديرهم فجري تبرانا من ما كانوا اي من عبادتهم ايانا وفيه بعد **قوله تعالى** وقيل ادعوا شركاءكم اي وقيل للكافرين ادعوا
شركاءكم اي الاصنام لتخلصكم من العذاب فدعوهم فلم يستجيبوا لهم لم يجيبوهم والاقرب انه على سبيل التقريع لانهم يعلمون
انه لا فائدة في دعائهم له **قوله تعالى** لو انهم كانوا يهتدون جوابها محذوف اي لما راوا العذاب او لدفعوه وقال الضحاك ومقاتل يعني المتبوع
والتابع يرون العذاب ولو انهم كانوا يهتدون اذا راوا العذاب ويؤكد ذلك قوله لا يؤمنون به حتى يروا العذاب الاليم
فصل قال ابن الخطيب وعندي ان الجواب غير محذوف وفي تقريره وجوه الاول ان الله تعالى لما خاطبهم بقوله ادعوا شركاءكم
فههنا يشتد الخوف عليهم ويصيرون بحيث لا يبصرون شيئا فقال تعالى وراوا العذاب ويؤكد ذلك قوله لا لو انهم كانوا يهتدون
شيئا لما صاروا من شدة الخوف لا يبصرون شيئا لا جرم ما راوا العذاب الثاني تعالى لما ذكر عن الشركاء وهم الاصنام الذين لا يجيبون
الذين يدعونهم قال عنهم وراوا العذاب لو انهم كانوا يهتدون مشاهدين العذاب وكانوا من الاحياء لاهتدوا ولكنها ليست كذلك
فلا جرم ما رات العذاب فان قيل قوله وراوا العذاب لا يليق الا بالعقلاء فكيف يصح عوده للاصنام فالجواب هذا كقوله
فدعوهم فلم يستجيبوا لهم وانما ورد ذلك على حسب اعتقاد القوم فكذا هنا الثالث ان يكون المراد من الرؤية رؤية القلب
اي والكفار علموا حقيقة هذا العذاب في الدنيا لو كانوا يهتدون قال وهذه الوجوه عندي خير من الوجوه المبنية على ان
جواب لو محذوف فان ذلك يقتضي تفكيك نظم الاية **قوله تعالى** ويوم يناديهم اي ينادي الله الكفار فيقول ماذا اجبتم المرسلين
فعميت العامة على تخفيفها وقرا الاعمش وجناح بن حبيش بضم العين وتشديد الميم وتقدم مثل القراءتان في هود والسبعة

في هود

في هود والمعنى خفيت واشتبهت عليهم الانباء وهي الاخبار والاعذار وقال مجاهد الحجج يومئذ ولا يكون لهم عذر ولا حجة
فهم لا يتساءلون لا يجيبون وقال قتادة لا يحتجون وقيل لا يسكتون لا يسال بعضهم بعضا وقرا طلحة لا يسالون بتشديد
السين على ادغام التاء في السين كقراءة تساءلون به والارحام **فصل** قال القاضي هذه الاية تدل على بطلان قول
المجبرة لان فعلهم لو كان بخلق من الله ويجب وقوعه بالقدرة والارادة لما عميت عليهم الانباء ولقالوا انما كذبنا الرسل
من جهة خلقك فينا تكذيبهم والقدرة الموجبة لذلك فكانت حجتهم على الله تعالى ظاهرة وكذلك القول فيما تقدم لان
الشيطان كان له ان يقول انما اغويت بخلقك في الغواية فان قيل ان علم الله بعدم الايمان مع وجوب متنافيان لذاتهما
مع العلم بعدم الايمان اذا امرنا بادخال الايمان في الوجود فقد امرنا بالجمع بين الضدين فالجواب واعلم ان القاضي لا يترك
اية من الايات المشتملة على المدح والذم والعقاب الا ويعيد استدلاله بها فكان وجه استدلالنا بالكل هذا الحرف فكذا وجه
جوابنا حرف واحد وهو ما ذكرنا **قوله تعالى** فاما من تاب وامن وعمل صالحا فعسى ان يكون من المفلحين لما بين حال المعذبين
اتبعه بذكر من يتوب منهم في الدنيا ترغيبا في التوبة وزجرا عن الثبات على الكفر وفي عسى وجوه الاول انه من الكرام تحقيق فالله
اكرم الاكرمين الثاني انها للترجي للتائب وطمعه كانه قال فليطمع في الفلاح الثالث عسى ان يكون كذلك اذا داموا على التوبة
والايمان لجواز ان لا يدوموا **قوله تعالى** وربك يخلق ما يشاء ويختار نزلت هذه الاية جوابا للمشركين حيث قالوا لولا نزل
هذا القران على رجل من القريتين عظيم يعني الوليد بن المغيرة او عروة بن مسعود الثقفي اخبر الله تعالى انه لا يبعث الرسل باختيارهم
قوله تعالى ما كان لهم الخيرة فيه وجهان الاول ان ما نافية فالوقف على يختار والثاني ما مصدرية اي يختار اختيارهم والمصدر
واقع موقع المفعول به اي مختارهم الثالث ان يكون بمعنى الذي والعائد محذوف اي ما كان لهم الخيرة فيه كقوله ولمن صبر
وغفر ان ذلك لمن عزم الامور اي منه وجوز ابن عطية ان تكون كان تامة ولهم الخيرة جملة مستانفة قال ويتجه عندي ان
تكون ما مفعولة اذا قدرنا كان تامة اي ان الله يختار كل كائن ولهم الخيرة مستانف معناه تعديد النعم عليهم في اختيار الله لهم
لو قبلوا وجعل بعضهم في كان ضمير الشان وانشد • امن سمية دمع العين تذريف • لو كان ذا منك قبل اليوم معروف •
فلو كان ذا اسمها لقال معروفا وابن عطية منع ذلك في الاية قال لان تفسير الامر والشان لا يكون بجملة فيها محذوف كانه يريد
ان الجار متعلق بمحذوف وضمير الشان لا يفسر الا بجملة مصرح بجزئيها الا ان في هذا نظرا ان اراده لان هذا الجار قائم مقام
الخبر ولا اظن احدا يمنع هو السلطان في البلد وهي هند في الدار والخيرة من التخير كالطيرة من التطير فيستعملان استعمال
المصدر وقال الزمخشري ما كان لهم الخيرة بيان لقوله ويختار لان معناه ويختار ما يشاء ولهذا لم يدخل العاطف والمعنى
ان الخيرة بيان لقوله ويختار لان معناه ويختار ما يشاء ولهذا ان الخيرة لله في افعاله وهو العالم بوجوه الحكمة فيها ليس
لاحد من خلقه ان يختار عليه **فصل** قال [illegible] الذين لم يزل الناس يقولون ان الوقف على يختار والابتداء بما كان
على انها نافية هو مذهب اهل السنة ونقل ذلك عن جماعة كابي جعفر وغيره وان كونها موصولة متصلة بيختار غير موقوف
عليه مذهب المعتزلة وهذا الزمخشري قد قرر كونها نافية وجعل غرضه في كلامه وهو موافق لكلام اهل السنة لما اوان
كان لا يريد وهذا الطبري من كبار اهل السنة منع ان تكون نافية لئلا يكون المعنى انه لم تكن لهم الخيرة فيما مضى وهي لهم فيما
يستقبل وايضا فلم يتقدم نفي وهذا الذي قاله ابن جرير مروي عن ابن عباس وقال غيرهم ويختار لهم ما يشاؤه من الرسل فما على
هذا واقعة على العقلاء ان قيل ما للاثبات فمعناه ويختار الله ما كان لهم الخيرة اي ويختار ما كان لهم الاصلح والخير وان قيل
ما للنفي اي ليس لهم الاختيار او ليس لهم ان يختاروا على الله كقوله تعالى وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله امرا
ان يكون لهم الخيرة من امرهم قال ثم نزه نفسه سبحانه وتعالى عما يشركون يعني ان الخلق والاختيار والاعزاز والاذلال مفوض اليه
ليس لاحد فيه شركة ومنازعة ثم اكد ذلك بانه يعلم ما تكن صدورهم من عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وما يعلنون من مطاعنهم
فيه وقولهم هلا اختير عليه في النبوة ولما يخفون عليه بما هم عليه من الغل والحسد والسفاهة قال وهو الله لا اله الا هو له الحمد
في الاولى والاخرة وهذا تنبيه على كونه قادرا على كل الممكنات عالما بكل المعلومات منزها عن النقائص والافات له الحمد في الاولى
والاخرة وهذا ظاهر على مذهب اهل السنة لان الثواب غير واجب عليه بل يعطيه فضلا واحسانا فله الحمد في الاولى والاخرة
ويؤكد قول اهل الجنة الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن الحمد لله الذي صدقنا وعده واخر دعواهم ان الحمد لله رب العالمين وله الحكم
فصل القضاء بين الخلق قال ابن عباس حكم لاهل طاعته بالمغفرة ولاهل المعصية بالشقاء واليه ترجعون اي الى حكمه وقضائه
قوله تعالى قل ارايتم ان جعل الله عليكم الليل سرمدا الاية لما بين بقوله وهو الله لا اله الا هو له الحمد في الاولى والاخرة
وله الحكم واليه ترجعون فصل عقيب ذلك ببعض ما يجب ان يحمد عليه مما لا يقدر عليه سواه فقال قل ارايتم ان جعل الله عليكم
الليل سرمدا نبه بذلك على كون الليل والنهار نعمتان متعاقبتان على الزمان ووجهه ان المرء في الدنيا مضطر الى ان يتعب

لتحصيل ما يحتاج اليه ولا يتم ذلك الا براحة وسكون بالليل ولا بد منهما والحالة هذه فاما في الجنة فلا نصب ولا
تعب ولا حاجة لهم الى الليل فلذلك يدوم لهم الضيا واللذات فبين بذلك ان القادر على ذلك ليس الا الله فقال ارايتم اي اخبروني
يا اهل مكة ان جعل الله عليكم الليل سرمدا الى يوم القيمة لانها نعمة من اله غير الله ياتيكم بضياء النهار تطلبون فيه المعيشة
افلا تسمعون سماع فهم وقبول **قوله تعالى** ارايتم وجعل تنازعا في الليل واعمل الثاني ومفعول ارايتم هي جملة الاستفهام بعده
والعايد منها على الليل محذوف تقديره بضياء بعده وجواب الشرط محذوف وتقدم نحو هذا في الانعام وسرمدا مفعول
ثان ان كان الجعل تصييرا وحال ان كان خلقا وانشا والسرمد الدائم الذي لا ينقطع قال طرفة

• لعمرك ما امري علي بغمة • نهاري ولا ليلي علي بسرمد •

والظاهر ان ميمه اصلية ووزنه فعلل كجعفر وقيل هي زايدة واشتقاقه من السرد وهو تتابع الشي على الشي ومنه قولهم
في الاشهر الحرم ثلاثة سرد وواحد فرد الا ان زيادة الميم وسطا واخرا لا ينقاس نحو دلامص وزرقم من الدلاص والزرقة
قوله تعالى الى يوم يتعلق بجعل او بسرمدا او بمحذوف على انه صفة لسرمدا وانما قال افلا تسمعون افلا تبصرون لان الغرض
من ذلك الانتفاع بما يسمعون ويبصرون من جهة التدبر فلما لم ينتفعوا نزلوا منزلة من لا يسمع ولا يبصر **فصل**
قال المفسرون افلا تسمعون سماع فهم افلا تبصرون ما انتم عليه من الخطا والضلال قال الزمخشري فان قلت هلا قيل بنهار
تتصرفون فيه كما قيل بليل تسكنون فيه قلت ذكر هو ضوء الشمس لان المنافع التي تتعلق بها متكاثرة ليس التصرف وحده
والظلام ليس بتلك المنزلة وانما قرن بالضيا افلا تسمعون لان السماع اعني السمع يدرك ما لا يدركه البصر من ذكر مناقعه
ووصف فوايده وقرن بالليل افلا تبصرون لان غيرك يدرك من منفعة الظلام ما تبصره انت من السكون ونحوه **قوله تعالى**
لتسكنوا فيه اي في الليل ولتبتغوا من فضله اي في النهار وهذا من باب اللف والنشر ومنه قوله

• كان قلوب الطير رطبا ويابسا • لدى وكرها العناب والحشف البالي •

قوله تعالى لعلكم تشكرون نعم الله وقيل اراد الشكر على النعمتين معا واعلم انه وان كان السكون في النهار ممكنا الا ان
الاليق بكل واحد منهما ما ذكر الله تعالى فلهذا خصه به وقوله ويوم يناديهم كرر ذلك النداء للمشركين لزيادة التقريع
والتوبيخ **قوله تعالى** ونزعنا اخرجنا من كل امة شهيدا يعني رسولهم الذي ارسل اليهم كما قال فكيف اذا جينا من كل امة بشهيد
اي يشهد عليهم بانهم بلغوا القوم الدلايل واوضحوها لهم ليعلم ان التقصير منهم فيزيد ذلك في غمهم وقيل المراد الشهدا
الذين يشهدون على الناس ويدخل في جملتهم الانبيا فقلنا هاتوا برهانكم حجتكم بان معي شريكا فعلموا حينئذ ان الحق التوحيد لله
وضل عنهم ما كانوا يفترون من الباطل والكذب **قوله تعالى** ان قارون كان من قوم موسى الاية قال المفسرون كان ابن عم
لان قارون بن يصهر بن قاهث بن لاوي بن يعقوب وموسى بن عمران بن قاهث قال ابن اسحاق كان قارون عم موسى كان اخا
عمران وهما ابنا يصهر ولم يكن في بني اسرايل اقرا للتورية من قارون ولكنه نافق كما نافق السامري وكان يسمى المنور لحسن صورته
وعن ابن عباس انه كان ابن خالته فبغى عليهم قيل كان عاملا لفرعون على بني اسرايل وكان يبغي عليهم ويظلمهم وقال قتادة
بغى عليهم بكثرة المال ولم يرع لهم حق الايمان بل استخف بالفقرا وقال الضحاك بغى عليهم بالشرك وقال القفال طلب الفضل
عليهم وان يكونوا تحت يده وقال ابن عباس تكبر عليهم وتجبر وقال الكلبي حسد هارون على الحبورة لهارون فحصلت له النبوة
فصل روي ان موسى عليه السلام لما قطع الله له البحر واغرق فرعون جعل الحبورة لهارون فحصلت له الحبورة
والنبوة وكان له القربان والمذبح وكان لموسى الرسالة فوجد قارون لذلك في نفسه وقال يا موسى لك الرسالة ولهارون
الحبورة ولست في شي لا اصبر انا على هذا فقال موسى والله ما صنعت ذلك لهارون بل جعله الله له فقال قارون والله
لا اصدقك ابدا حتى تاتيني بحجة يعرف بها ان جعل ذلك لهارون قال فامر موسى رؤسا بني اسرايل ان يجي كل رجل منهم بعصاه
فجاوا بها والقاها موسى عليه السلام في قبة له وكان ذلك بامر الله ودعا موسى ربه ان يريهم بيان ذلك فباتوا يحرسون
عصيهم فاصبحت عصى هرون تهتز لها ورق وكانت من شجر اللوز فقال موسى لقارون الا ترى ما صنع الله بهارون فقال
والله ما هذا بعجب مما تصنع من السحر فاعتزل قارون ومعه ناس كثيرون وولي هارون الحبورة والمذبح والقربان وكانت
بنو اسرايل ياتون بهداياهم الى هرون فيضعها في المذبح فتنزل نار من السماء فتاكلها فاعتزل قارون باتباعه وكان
كثير المال والتبع من بني اسرايل فما كان ياتي موسى ولا يجالسه وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم ان قارون كان من السبعين
المختارة الذين سمعوا كلام الله **قوله تعالى** واتيناه من الكنوز ما ان مفاتحه ما موصولة بمعنى الذي صلتها ان وما في
حيزها ولهذا كسرت ونقل الاخفش الصغير عن الكوفيين منع الوصل بان وكان يستقبح ذلك عنهم يعني لوجوده في القران
والمفاتح جمع مفتح بفتح الميم وهو الذي يفتح به الباب قاله قتادة ومجاهد وجماعة وقيل مفاتحه خزائنه كقوله وعنده مفاتح الغيب

اي خزائنه **قوله تعالى** لتنوء بالعصبة اي لتثقل يقال ناء به واذهبت به وذهبت به ومعنى ناء بكذا نهض به
مثقلا قال الشاعر • • • • تنوء باخراها فلاتا قيامها • ويقال فلان عني قريب فيهم • • وقال
ابوزيد نوت بالحمل اذا نهضت به قال الشاعر • اذا وجدنا خلفا بيس الخلف • عبدا اذا ما ناء بالحمل وقف •
وفسره الزمخشري بالاثقال قال يقال ناء به الحمل حتى اثقله واماله وعليه يبطل قول من قال ان في الكلام قلبا
قال ابو عبيدة ان في الكلام قلبا والاصل لتنوء العصبة بالمفاتح اي لتنهض بها كقولهم عرضت الناقة على الحوض وتقدم
الكلام في القلب وان فيه ثلاثة مذاهب وقرا بديل بن ميسرة لينوء بالياء من تحت والتذكير لانه راعى المضاف المحذوف
اذ التقدير حملها او ثقلها وقال الضمير في مفاتحه لقارون فاكتسب المضاف من المضاف اليه التذكير كقولهم ذهبت اهل
اليمامة قال الزمخشري يعني كما اكتسب اهل التانيث اكتسب اهلا التذكير والعصبة الجماعة الكثيرة والعصابة مثلها قال
مجاهد ما بين العشرة الى الاربعين كقول اخوة يوسف ونحن عصبة وكانوا عشرة لان يوسف واخاه لم يكونا معهم
وقيل اربعون رجلا وقيل سبعون روي عن ابن عباس كان يحمل مفاتحه اربعون رجلا اقوى ما يكون من الرجال وروي
جرير عن منصور عن خيثمة قال وجدت في الانجيل ان مفاتح خزاين قارون وقر ستين بغلا ما يزيد مفتاح منها على اصبع
لكل مفتاح منها كنز وطعن بعضهم في هذا القول من وجهين الاول ان مال الرجل الواحد لا يبلغ هذا القدر ولو انا قدرنا
بلدة مملوة من الذهب والجواهر لكان لها اعداد قليلة من مفاتيح فاي حاجة الى تكثير هذه المفاتيح الثاني ان الكنوز هي
الاموال المدخرة في الارض فلا يجوز ان يكون لها مفاتيح والجواب عن الاول ان المال اذا كان من جنس النقد جاز ان يبلغ
في الكثرة الى هذا الحد وايضا ان قولهم تلك المفاتيح بلغت ستين حملا ليس مذكورا في القران فلا تقبل هذه الرواية وعن الثاني
ان الكنز وان كان من جهة العرف ما قالوا فقد يقع على المال المجموع في المواضع التي عليها اغلاق وحمل ابن عباس والحسن
المفاتيح على نفس المال وهذا ابين قال ابن عباس كانت خزاينه يحملها اربعون رجلا اقويا وقال ابو مسلم المراد من المفاتح
العلم والاحاطة كقوله تعالى وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو والمراد اتيناه من الكنوز نكنزها واختلافه اصنافها
ما يتعب القايمين ان يحفظوها **قوله تعالى** اذ قال فيه اوجه ان يكون معمولا لتنوء قاله الزمخشري والبغوي قال ابن عطية
وردهما ابو حيان بان المعنى ليس على التقييد بهذا الوقت او لاتيناه قاله ابو البقا ورده ابو حيان بان الاتيا لم يكن
ذلك الوقت او بمحذوف قدره ابو البقا بغى عليهم وهذا يرد بما رد به قول ابن عطية ورده الطبري بتقدير اذكر وقدره
ابو حيان اظهر الفرح وهو مناسب واعلم انه كان في قومه من وعظه بامور اولها قوله لا تفرح ان الله لا يحب الفرحين
وقال الفارحين حكاها الحجازي والمراد لا يلحقه من البطر والتمسك بالدنيا ما يلهيه عن امر الاخرة قال بعضهم انه لا يفرح
بالدنيا الا من رضي بها واطمان اليها فاما من يعلم انه سيفارق الدنيا عن قريب لم يفرح وما احسن قول المتنبي •

• اشد الغم عندي في سرور • تيقن عنه صاحبه انتقالا •

وقال الكيا لا تاسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما اتاكم قال ابن عباس كان فرحه ذلك شركا لانه ما كان يخاف معه عقوبة الله تعالى
الثاني قوله وابتغ فيما اتاك الله الدار الاخرة يجوز ان يتعلق فيما اتاك بابتغ وان يتعلق بمحذوف على انه حال اي متقلبا
فيما اتاك وما مصدرية او بمعنى الذي والمراد ان يصرف المال الى ما يوديه الى الجنة والظاهر انه كان مقرا بالاخرة
الثالث قوله ولا تنس نصيبك من الدنيا قال مجاهد وابن زيد لا يترك ان يعمل في الدنيا للاخرة وقال السدي بالصدقة
وصلة الرحم وقال علي لا تنس صحتك وقوة شبابك وغناك ان تطلب بها الاخرة قال عليه السلام لرجل وهو يعظه اغتنم
خمسا قبل خمس شبابك قبل هرمك وصحتك قبل سقمك وغناك قبل فقرك وفراغك قبل شغلك وحياتك قبل موتك
قوله تعالى واحسن كما احسن الله اليك اي احسانا كاحسانه اليك اي احسن بطاعة الله كما احسن اليك بنعمته وقيل احسن
الى الناس كما احسن الله اليك واعلم انه لما امره بالاحسان بالمال امره بالاحسان مطلقا ويدخل فيه الاعانة بالمال والجاه
وطلاقة الوجه وحسن اللقا **قوله تعالى** ولا تبغ الفساد في الارض ولا تطلب الفساد في الارض وكل من عصى
الله فقد طلب الفساد في الارض وقيل المراد ما كان عليه من الظلم والبغي وفي الارض يجوز ان يتعلق بتبغ او بالفساد
او بمحذوف على انه حال وهو بعيد ثم قال ان الله لا يحب المفسدين قيل ان هذا القايل هو موسى عليه السلام وقيل
مؤمنو قومه **قوله تعالى** على علم حال من مرفوع اوتيته وقوله عندي اما ظرف لاوتيته واما للعلم **فصل**
قال قارون انما اوتيته على علم عندي اي على فضل وخير علمه الله عندي فراني اهلا لذلك ففضلني بهذا المال
عليكم كما فضلني بغيره وقال سعيد بن المسيب والضحاك كان موسى عليه السلام يعلم علم الكيميا فعلم يوشع بن نون
ثلث ذلك العلم وعلم كالب بن يوقنا ثلثه وعلم قارون ثلثه فخدعهما قارون حتى اضاف علمهما الى علمه وكان ذلك سبب

اموالهم وقيل على علم عندي بالتصرف في التجارات والزراعات وانواع المكاسب ثم اجاب الله عن كلامه بقوله اولم
يعلم ان الله قد اهلك من قبله من القرون الخالية من هو اشد منه قوة واكثر جمعا للاموال او اكثر جماعة وعددا فقوله
اولم يعلم يجوز ان يكون هذا اثباتا لعلمه بان الله قد اهلك قبله من القرون من هو اقوى منه واغنى لانه قد قرأه في
التوراة واخبره به موسى وسمعه من حفاظ التواريخ كانه قيل اولم يعلم في جملة ما عنده من العلم هذا حتى لا يغتر بكثرة
ماله وقوته ويجوز ان يكون نفيا لعلمه بذلك لانه لما قال اوتيته على علم عندي فتصلف بالعلم وتعظم به قيل اعنده
مثل ذلك العلم الذي ادعاه ورأى نفسه به مستوجبا لكل نعمة ولم يعلم هذا العلم النافع حتى يقي به نفسه والمعنى
انه تعالى اذا اراد اهلاكه لم ينفعه ذلك ولا ما يزيد عليه اضعافا **قوله تعالى** من هو اشد من نكرة موصولة او
موصوفة وهو في موضع المفعول باهلك ومن قبله متعلق به ومن القرون يجوز فيه ذلك ويجوز ان يكون حالا
من هو اشد **قوله تعالى** ولا يسأل هذه قراءة العامة على البناء للمفعول وبالياء من تحت ورفع الفعل وقرأ ابو جعفر
ولا تسأل بالتاء من فوق والجزم وابن سيرين وابو العالية كذلك الا انه مبني للفاعل وهو المخاطب قال ابن ابي اسحق
لا يجوز ذلك حتى ينصب المجرمين قال صاحب اللوامح هذا هو الظاهر الا انه لم يبلغني فيه شيء فان تركاه مرفوعا
فيحتمل وجهين احدهما ان يكون المجرمون خبر مبتدأ محذوف اي هم المجرمون والثاني ان يكون بدلا من اصل الهاء والميم
في ذنوبهم لانهما مرفوعا المحل يعني ان ذنوبا مصدر مضاف لفاعله فالمجرمون على الاصل كما تقدم في قراءة مثلا
ما بعوضة بجر بعوضة وكان قد رجحا على الاصل بضرب مثل بعوضة وهذا تعسف كثير ولا ينبغي ان يقرأ ابن سيرين
وابو العالية الا المجرمين بالياء فقط وانما تركا لظهوره **قوله تعالى** ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون قال قتادة يدخلون
النار بغير حساب ولا سؤال وقال مجاهد يعني لا تسأل الملائكة عنهم لانهم يعرفونهم بسيماهم وقال الحسن لا يسألون
سؤال استعلام وانما يسألون سؤال تقريع وتوبيخ وقيل المراد ان الله تعالى اذا عاقب المجرمين فلا حاجة به الى ان يسأل
عن كيفية ذنوبهم وكميتها لانه تعالى عالم بكل المعلومات فلا حاجة الى السؤال فان **قيل** كيف الجمع بينه وبين قوله
فوربك لنسألنهم اجمعين عما كانوا يعملون فالجواب يحمل ذلك على وقتين كما قررناه وقال ابو مسلم السؤال قد يكون
للمحاسبة وقد يكون للتقريع والتوبيخ وقد يكون للاستعتاب والبق الوجوه بهذه الآية الاستعتاب لقوله ثم
لا يؤذن للذين كفروا ولا هم يستعتبون هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون **قوله تعالى** في زينته اما متعلق بخرج واما
بمحذوف على انه حال من فاعل خرج **فصل** دلت الآية على انه خرج باظهر زينته واكملها وليس في القرآن الا
القدر والناس ذكروا وجوها مختلفة والاولى ترك هذه التقديرات لانها متعارضة ثم ان الناس لما راوه على تلك
الزينة قال من كان يرغب منهم في الدنيا يا ليت لنا مثل ما اوتي قارون انه لذو حظ عظيم من المال وهو لا يرى الراغبون
يحتمل ان يكونوا من الكفار وان يكونوا من المسلمين الذين يحبون الدنيا واما الذين اوتوا العلم وهم اهل الدين قال ابن عباس
يعني الاحبار من بني اسرائيل وقال مقاتل اولوا العلم بما وعد الله في الآخرة فقالوا للذين تمنوا ويلكم ثواب الله خير من هذه النعم
اي ما عند الله من الجزاء والثواب خير لمن آمن وصدق بتوحيد الله وعمل صالحا لان الثواب منافع عظيمة خالصة من شوائب
المضار دائمة وهذه النعم على الضد في هذه الصفات **قوله تعالى** ويلكم منصوب بمحذوف اي الزمكم الله ويلكم قال
الزمخشري ويلك اصله الدعاء بالهلاك ثم استعمل في الزجر والردع والبعث على ترك ما يضر **قوله تعالى** ولا يلقاها
اي هذه الخصلة وهي الزهد في الدنيا والرغبة فيما عند الله وقيل الضمير يعود الى ما دل عليه قوله آمن وعمل صالحا
يعني هذه الاعمال لا يؤتاها الا الصابرون وقال الزجاج ولا يلقى هذه الكلمة وهي قولهم ثواب الله خير الا الصابرون
وقال الزجاج ولا يلقى هذه الكلمة على اداء الطاعات والاحتراز عن المحرمات وعلى الرضا بقضاء الله في كل ما قسم من
المنافع والمضار **قوله تعالى** فخسفنا به وبداره الارض الهاء في به وبداره لاجل كسر ما قبلها وقرئ بضمها وقد
تقدم انها الاصل وهي لغة الحجاز **فصل** قال الناس وخطوا وعنى خسف الله به وبداره الارض جزاء على عتوه
وبطره والفاء تدل على ذلك لان الفاء تشعر بالعلية وقيل ان قارون كان يؤذي نبي الله موسى عليه السلام كل وقت
وهو يداريه للقرابة التي بينهما حتى نزلت الزكاة فصالحه عن كل الف دينار على دينار وعن كل الف درهم على درهم
وعن كل الف شاة على شاة فاستكثره فشحت به نفسه فجمع بني اسرائيل وقال ان موسى يريد ان يأخذ اموالكم فقالوا انت
كبيرنا فمرنا بما شئت فقال ائتوا بفلانة البغية فنجعل لها جعلا حتى تقذف موسى بنفسها فاذا فعلت ذلك خرج عليه
بنو اسرائيل ورفضوه فدعوها فجعل لها قارون طستا من ذهب مملوءا من ذهب وقال لها هو لك واخلطك بنسائي على
ان تقذفي موسى بنفسك غدا اذا حضر بنو اسرائيل فلما كان من الغد جمع قارون بني اسرائيل ثم اتى موسى فقال ان بني اسرائيل

ينظرون خروجك فتأمرهم وتنهاهم فخرج اليهم موسى وهو في براح من الارض فقام فيهم فقال يا بني اسرائيل
من سرق قطعناه ومن افترى جلدناه ثمانين جلدة ومن زنى وليس له امرأة جلدناه مائة ومن زنى وله امرأة
رجمناه حتى يموت فقال له قارون وان كنت انت قال وان كنت انا قال فان بني اسرائيل يزعمون انك فجرت بفلانة قال ادعوها
فان قالت فهو كما قالت فلما جاءت قال لها موسى يا فلانة انا فعلت بك ما يقول هؤلاء وناشدها بالذي فلق البحر
وانزل التوراة ان تصدقي فتداركها الله فقالت في نفسها احدث اليوم توبة افضل من ان اوذي رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقالت لا كذبوا بل جعل لي قارون جعلا على ان اقذفك بنفسي فخر موسى ساجدا يبكي وقال يا رب ان كنت
رسولك فاغضب لي فاوحى اليه ان مر الارض بما شئت فانها مطيعة لك قال يا بني اسرائيل ان الله بعثني الى قارون
كما بعثني الى فرعون فمن كان معه فليلزم مكانه ومن كان معي فليعتزل فاعتزلوا جميعا ولم يبق مع قارون الا رجلان
قال يا ارض خذيهم فاخذتهم الى الاوساط ثم قال خذيهم فاخذتهم الى الاعناق وقارون واصحابه يتضرعون الى موسى
ويناشدونه بالله والرحم وهو لا يلتفت اليهم لشدة غضبه ثم قال خذيهم فانطبقت عليهم فاوحى الله الى موسى ما افظك
استغاثوا بك مرارا فلم ترحمهم اما وعزتي لو دعوني مرة واحدة لوجدوني قريبا فاصبحت بنو اسرائيل يتناجون بينهم
انما دعا موسى على قارون ليستبد بداره وكنوزه فدعا الله حتى خسف بداره وامواله ثم ان قارون يخسف به كل يوم قامة
فصل قال القاضي اذا هلك بالخسف فسواء نزل عن ظاهر الارض الى الارض السابعة او دون ذلك وان كان
لا يمتنع على وجه المبالغة في الزجر واما قوله ان الله تعالى قال لو استغاث بي لاغثته فان صح حمل على استغاثة مقرونة
بالتوبة واما وهو ثابت على ما هو عليه مع انه تعالى هو الذي حكم بذلك الخسف لان موسى ما فعله الا عن اذن فبعيد
وقولهم انهم يتجلجلون في الارض فبعيد لانه لا بد له من نهاية وكذا القول فيما ذكر من عدد القامات والذي عندي
في امثال هذه الحكايات انها قليلة الفائدة لانها من باب اخبار الآحاد ولا تفيد اليقين وليست المسألة علمية حتى يكتفى
فيها بالظن ثم انها في اكثر الامر متعارضة مضطربة فالاولى طرحها والاكتفاء بما دل عليه نص القرآن وتفويض سائر
التفاصيل الى عالم الغيب **قوله تعالى** من فئة يجوز ان يكون اسم كان ان كانت ناقصة وله الخبر او ينصرونه وان تكون
فاعلة ان كانت تامة وينصرونه صفة لفئة فيحكم على موضعها بالجر لفظا وبالرفع معنى لان من مزيدة فيهما ثم قال وما
كان من المنتصرين اي الممتنعين مما نزل به من الخسف يقال نصره من عدوه فانتصر اي منعه فامتنع **قوله تعالى** واصبح
الذين تمنوا مكانه بالامس اي صار اولئك الذين تمنوا مكانه بالامس ما رزق من المال والزينة يندمون على ذلك
التمني والعرب تعبر عن الصيرورة باصبح وامسى واضحى تقول اصبح فلان عالما واضحى معدما وامسى حزينا والمعنى
صار فكان ذلك زجرا لهم عن حب الدنيا ومخالفة موسى وداعيا لهم الى الرضا بقضاء الله وقسمته **قوله تعالى** ويكأن الله ويك
فيه مذاهب منها ان وي كلمة برأسها وهي اسم فعل معناه اعجب اي انا والكاف للتعليل وان وما في حيزها مجرورة بها
اي اعجب لانه لا يفلح الكافرون وسمع كأنه لا يعلم غفر الله له وقياس هذا القول ان يوقف على وي وحدها وقد فعل ذلك
الكسائي الا انه ينقل عنه انه يعتقد في الكلمة ان اصلها ويلك كما سيأتي وهذا ينافي وقفه وانشد سيبويه

وي كأن من يكن له نشب يحبب * ومن يفتقر يعش عيش ضر *
الثاني قال بعضهم كأن هنا للتشبيه الا انه ذهب معناها وصارت للخبر واليقين وانشد *
* كأنني حين امسي لا تكلمني * متيم يشتهي ما ليس موجودا *

وهذا ايضا يناسبه الوقف على وي الثالث ان ويك كلمة برأسها والكاف حرف خطاب وان معمولة لمحذوف اي اعلم انه لا يفلح
قاله الاخفش وعليه قوله * الا ويك المسرة لا تدوم * ولا يبقى على البؤس النعيم * وقال عنترة *
ولقد شفى نفسي وابرأ سقمها * قول الفوارس ويك عنتر اقدم * وحقه ان يقف على ويك وقد فعله ابو عمرو بن العلاء
الرابع ان اصلها ويلك فحذف واليه ذهب الكسائي ويونس وابو حاتم بحذف اللام وانما جاز هذا الحذف لكثرتها
في الكلام وجعل ان مفتوحة بفعل مضارع مضمر كانه قال ويلك اعلم وحقهم ان يقفوا على الكاف كما فعل ابو عمرو ومن
قال بهذا استشهد بالبيتين المتقدمين فانه يحتمل ان يكون الاصل فيهما ويلك فحذف ولم يرسم في القرآن الا ويكأن
ويكأنه متصلة في الموضعين فعامة القراء اتبعوا الرسم والكسائي وقف على وي وابو عمرو على ويك وهذا كله في وقف
الاختبار دون الاختيار كنظائر تقدمت الخامس ان ويكأن كلها كلمة مستقلة بسيطة ومعناها الم تر وربما نقل ذلك
عن ابن عباس ونقل الكسائي والفراء انها بمعنى اما ترى الى صنع الله وقال الفراء هي كلمة تقرير وذكر انه اخبره من سمع اعرابية
تقول لزوجها اين ابنك فقال ويكأنه وراء البيت يعني اما ترينه وراء البيت وحكى ابن قتيبة انها بمعنى رحمة لك في لغة حمير

قوله تعالى لولا ان منّ الله علينا قرأ الاعمش لولا منّ بحذف ان وهي مرادة لان لولا هذه لا يليها الا المبتدأ وعنه من برفع النون وجر الجلالة وهي واضحة **قوله تعالى** لخسف قرأ حفص لخسف مبنيًا للفاعل اي الله تعالى والباقون بنائه للمفعول وبنا هو القائم مقام الفاعل وعبد الله وطلحة لانخسف بنا اي المكان وقيل بنا هو القائم مقام الفاعل كقولك انقطع بنا وهي عبارة ردية وقيل الفاعل ضمير المصدر اي لانخسف الانخساف وهي ايضا وعن عبد الله لتخسف بناء من فوق وتشديد السين مبنيًا للمفعول وبنا قائم مقامه **قوله تعالى** ويكأنه كلمة مستعملة عند التنبيه للخطأ واستعماله عند الظهار الندم فلما قالوا يا ليت لنا مثل ما اوتي قارون ثم شاهدوا الخسف تنبهوا لخطائهم ثم قالوا كأنه يبسط الرزق لمن يشاء من عباده بحسب مشيئته وحكمته لا لكرامته عليه ويضيق على من يشاء لا لهوانه من يضيق عليه بل لحكمته وقضائه ابتلاء وفتنة قال سيبويه سألت الخليل عن هذا الحرف فقال وي مفصولة من كأن وان القوم تنبهوا وقالوا متندمين على ما سلف منهم **قوله تعالى** تلك الدار الآخرة مبتدأ وصفته ويجعلها هو الخبر ويجوز ان تكون الدار هو الخبر ويجعلها خبر آخر او حال والاول احسن وهذا تعظيم لها وتفخيم لشأنها يعني تلك التي سمعت بذكرها وبلغك وصفها للذين لا يريدون علوًا في الارض ولا فسادًا كرر لا ليفيد ان كلا منهما مستقل في بابه لا مجموعهما والعاقبة للمتقين **قوله تعالى** من جاء بالحسنة فله خير منها لما بين ان الدار الآخرة ليست الا للمتقين بين بعد ذلك ما يحصل لهم فقال من جاء بالحسنة فله خير منها والمعنى انهم يزادون على ثوابهم وقوله من جاء بالسيئة فلا يجزى الذين عملوا السيئات الا ما كانوا يعملون وظاهره انهم لا يزدادون على ما يستحقون فعوله فلا يجزى الذين عملوا بناء اقامة للظاهر اقامة المضمر تشنيعا عليهم وقوله الا ما كانوا اي الا مثل ما كانوا قال الزمخشري انما كرر ذلك السيئات لان في اسناد عمل السيئة اليهم مكررا فضل تهجين لحالهم وزيادة تبغيض السيئة الى قلوب السامعين وهذا من فضله العظيم انه لا يجزي بالسيئة الا مثلها ويجزي بالحسنة بعشر امثالها **فصل** قال تعالى ان احسنتم احسنتم لانفسكم وان اسأتم فلها كرر ذلك الاحسان واكتفى في ذكر الاساءة بمرة واحدة فما السبب فالجواب ان هذا المقام مقام ترغيب في الدار الآخرة فكانت المبالغة في النهي عن المعصية مبالغة في الدعوة الى الآخرة واما الآية الاخرى فهي شرح حالهم فكانت المبالغة في ذكر محاسنهم اولى فان قيل كيف قال لا يجزي السيئة الا مثلها مع ان المتكلم بكلمة الكفر اذا مات في الحال عذب ابد الآباد فالجواب لانه كان على عزم انه لو عاش ابدا لقال ذلك فعومل بمقتضى عزمه **قوله تعالى** ان الذي فرض عليك القرآن قال ابو علي فرض عليك احكامه وفرائضه لرادك بعد الموت الى معاد وتنكيره لتعظيمه كانه قال معاد واي معاد اي ليس لغيرك من البشر مثله وقيل المراد به مكة وترداده اليها يوم الفتح ووجه تنكيره انها كانت في ذلك اليوم معاد له شان عظيم لاستيلاء رسول الله صلى الله عليه وسلم عليها وقهره لاهلها واظهار عز الاسلام واذلال حزب الكفار والسورة مكية وكان الله تعالى وعده وهو بمكة حين اوذي وهو في غلبة من اهلها انه يهاجر منها ويعيده اليها ظاهرا قاهرا وقال مقاتل انه صلى الله عليه وسلم خرج من الغار وسار في غير الطريق مخافة الطلب فلما رجع الى الطريق نزل بالجحفة بين مكة والمدينة وعرف الطريق الى مكة واشتاق اليها وذكر مولده ومولد ابيه فنزل جبريل فقال له اتشتاق الى بلدك ومولدك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم فقال جبريل ان الله تعالى يقول ان الذي فرض عليك القرآن لرادك الى معاد يعني مكة ظاهرا عليهم **فصل** قال المحققون وهذا احد ما يدل على نبوته لانه اخبر عن الغيب ووقع ما اخبر به فيكون معجزا **قوله تعالى** من جاء بالهدى منصوب بمضمر اي يعلم او باعلم ان جعلناها بمعنى عالم واعملناها اعماله ووجه تعلقه بما قبله ان الله تعالى لما وعد رسوله صلى الله عليه وسلم الرد الى معاد قال قل للمشركين ربي اعلم من جاء بالهدى يعني نفسه وما يستحقونه من العذاب في معادهم **قوله تعالى** وما كنت ترجو ان يلقى اليك الكتاب اي يوحى اليك القرآن الا رحمة من ربك قال الفراء هذا استثناء منقطع اي لكن رحمة من ربك فاعطاك القرآن وقيل متصل قال الزمخشري هذا كلام محمول على المعنى كانه قيل وما القي اليك الكتاب الا رحمة فيكون استثناء من الاحوال او من المفعول له **قوله تعالى** ولا تكونن ظهيرا للكافرين اي معينا لهم على دينهم قال مقاتل وذلك حين دعا الى دين آبائه فذكره الله نعمه ونهاهم عن مظاهرتهم على ما هم عليه **قوله تعالى** ولا يصدنك عن آيات الله قرأ العامة بفتح الياء وضم الصاد من صد يصد وقرئ بضم الياء وكسر الصاد من اصد بمعنى صد حكاها ابو زيد عن كلب قال

• اناس اصدوا الناس عنهم بسيفهم • صدود السواقي عن انوف الحوائم •

واصل يصدنك يصدونك فعل فيه ما فعل في يقولن ما يحبه والمعنى لا تلتفت الى هؤلاء ولا تركن الى قولهم فيصدونك عن اتباع آيات الله يعني القرآن بعد اذ انزلت اليك وادع الى ربك اي الى دين ربك والى معرفته وتوحيده ولا تكونن من المشركين قال ابن عباس الخطاب في الظاهر للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد به اهل دينه اي لا تظاهروا الكفار ولا توافقوهم

ولا تدع مع الله الها آخر وهذا وان كان واجبا على الكل الا انه تعالى خاطبه به خصوصا لاجل التعليم فان قيل الرسول كان معلوما منه انه لا يفعل شيئا من ذلك البتة فما فائدة ذلك النهي فالجواب ان الخطاب وان كان معه الا ان المراد غيره ويجوز ان يكون المعنى لا تعتمد على غير الله ولا تتخذ غيره وكيلا في امورك فان من وثق بغير الله فكانه لم يكمل طريقه في التوحيد ثم بين انه لا اله الا هو اي لا نافع ولا ضار ولا معطي ولا مانع الا هو كقوله رب المشرق والمغرب لا اله الا هو فاتخذه وكيلا ولا يجوز اتخاذ غيره اعني لا يجوز اتخاذ اله سواه **قوله تعالى** كل شيء هالك الا وجهه من جعل شيئا يطلق على الباري تعالى وهو الصحيح قال هذا استثناء متصل والمراد بالوجه الذات والمراد بالوجه الذات وانما جرى على عادة العرب في التعبير بالاشرف عن الجملة ومن لم يطلقه عليه جعله متصلا ايضا وجعل الوجه ما عمل لاجله او الجاه الذي بين الناس او يجعله منقطعا اي لكن هو تعالى لم يهلك **فصل** استدلت المعتزلة على ان الجنة والنار غير مخلوقتين بان هذه الآية تقتضي فناء الكل فلو كانتا مخلوقتين لكان هذا يناقض قوله تعالى في صفة الجنة اعدت للمتقين وفي صفة النار وقودها الناس والحجارة اعدت للكافرين ثم اما ان يحمل قوله كل شيء هالك على الاكثر كقوله واوتيت من كل شيء او يحمل على الفناء القليل كقوله اكلها دائم على ان فناءهما لما كان قليلا بالنسبة الى زمان بقائهما لا جرم اطلق لفظ الدوام عليهما **فصل** واليه ترجعون اي في الآخرة والعامة على بنائه للمفعول وعيسى على بنائه للفاعل روى الثعلبي في تفسيره عن ابي بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ طسم القصص لم يبق ملك في السموات والارض الا شهد له يوم القيامة انه كان مصدقا ان كل شيء هالك الا وجهه له الحكم واليه ترجعون والله اعلم بالصواب واليه المرجع والمآب

سورة العنكبوت تسع وستون آية

الا عشر آيات من اولها الى قوله ان المنافقين قال الثعلبي فانها مدنية اربع وستون آية والف وتسعمائة واحدى وثمانون كلمة واربعة الاف ومائة وخمسة وتسعون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى الم احسب الناس ان يتركوا الآية في منكري الحشر يقولون لا فائدة في التكاليف فانها مشاق في الحال ولا فائدة لها في المآل ولا مرجع بعد الهلاك والزوال فلما بين الله تعالى انهم اليه يرجعون في آخر السورة قبلها قال الامر ليس على ما حسبوه لحسن التكليف لانه يعذب الشكور ويعذب الكفور فقال احسب الناس ان يتركوا اي يتركوا مكلفين من غير عمل يرجعون الى ربهم **فصل** في حكمة افتتاح هذه السورة بحروف التهجي ولنذكر كلاما كليا في افتتاح السور بالحروف اعلم ان الحكيم اذا خاطب من يكون محل الغفلة او من يكون مشغول البال بشغل يقدم على الكلام المقصود شيئا غيره ليلتفت المخاطب بسببه ويقبل بقلبه عليه ثم يشرع في المقصود واعلم ان ذلك المقدم قد يكون صوتا غير مفهوم كمن يصفر خلف انسان ليلتفت اليه وقد يكون ذلك الصوت بغير الفم كتصفيق الانسان بيديه ليقبل السامع عليه ثم ان توقع الغفلة كلما كان اتم والكلام المقصود كان اهم كان المقدم على المقصود اكثر فلهذا ينادي القريب بالهمزة فيقال ازيد والبعيد بيا فيقال يا زيد والغافل ينبه اولا فيقال الا يا زيد واذا كان كذلك فيقول النبي صلى الله عليه وسلم وان كان يقظان الجنان لكنه انسان يشغله شان عن شان فحسن من الحكيم ان يقدم على الكلام المقصود حروفا هي كالمنبهات وتلك الحروف اذا لم يفهم معناها تكون اتم في افادة المقصود الذي هو المنبه من تقديم الحروف المفهومة المعنى لان الحروف اذا كانت مفهومة عند السامع وذكرت لاقبال السامع على المتكلم لكي يسمع ما بعد ذلك ربما يظن السامع انه كل المقصود ولا كلام بعد ذلك فيقطع ما اذا سمع صوتا ولا معنى فانه يقبل عليه ولا يقطع نظره عنه ما لم يسمع غيره لجزمه بان ما سمعه ليس هو المقصود فاذن تقديم الحروف التي لا يفهم معناها على الكلام المتقدم فيه حكمة بالغة فان قيل ما العلة في اختصاص بعض السور بهذه الحروف فالجواب قال ابن الخطيب عقل البشر يعجز عن ادراك الاشياء الكلية على تفاصيلها لكن نذكر ما يوفقنا الله له فنقول كل سورة في اولها ذكر الكتاب او التنزيل او القرآن كقوله تعالى الم ذلك الكتاب الم الله لا اله الا هو الحي القيوم نزل عليك الكتاب المص كتاب انزل اليك يس والقرآن الحكيم ق والقرآن الم تنزيل الكتاب حم والكتاب المبين الا الم غلبت الروم والحكمة في افتتاح السور التي فيها التنزيل والكتاب والقرآن بالحروف هي ان القرآن عظيم والانزال له ثقيل كما قال تعالى انا سنلقي عليك قولا ثقيلا فلذلك قدم عليها تنبيه يوجب ثبات المخاطب لاستماعه لا يقال كل السورة قرآن واستماعها استماع القرآن سواء كان فيها ذكر الكتاب او التنزيل او القرآن او لم يكن فيجب ان يكون في اول كل سورة منبه وايضا فقد وردت سور فيها ذكر الانزال

والكتاب وليس فيها حروف كقوله تعالى الحمد لله الذي انزل على عبده الكتاب سورة انزلناها تبارك الذي نزل الفرقان
انا انزلناه في ليلة القدر لانا نقول جوابا عن الاول في ان كل سورة من القران فيها تنبيه على القران فان قوله تعالى طه ما انزلنا
عليك القران لتشقى مع انها بعض القران فيها ذكر جميع القران فيكون مثاله مثال كتاب يرد من ملك على مملوكه يشغل ما
وكتاب اخر يرد منه عليه فيه انا كتبنا اليك كتابا فيه امرنا فتمثله فلا شك ان الكتاب الاول اكثر تنبيها من الثاني وعن الثاني اذ
قوله الحمد لله وتبارك الذي فيجاب بمقصوده وتسبيح الله ولا يغفل عنه العبد فلا يحتاج الى تنبيه بخلاف الاوامر والنواهي
واما ذكر الكتاب فيها فلبيان وصف عظمة من له التسبيح وسورة انزلناها قد بينا انها ونص من القران فيها ذكر انها
وفي السورة التي ذكرناها ذكر جميع القران فهو اعظم وانقل واما قوله انا انزلناه فهذا ليس وروده على مشغول القلب بغيره
بدليل انه ذكر الكتاب فيها وهي ترجع الى ما ذكر سابقا ومعلوم عند النبي صلى الله عليه وسلم وكان تنبيها له فلم ينبه واعلم ان التنبيه
قد حصل في القران بغير الحروف التي لا يفهم معناها كقوله تعالى يا ايها الناس اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة شيء عظيم وقوله
يا ايها النبي اتق الله يا ايها النبي لم تحرم لانها اشياء هايلة عظيمة فان تقوى الله حق تقاته امر عظيم فيقدم عليها النداء الذي
للبعيد الغافل عنها واما هذه السورة فيها ذكر جميع التكاليف واما هذه السورة افتتحت بالحروف وليس فيها الابتداء بالكتاب والقران
وليس ذلك لان ثقل القران هو ما فيه من التكاليف والمعاد وهذه السورة فيها ذكر جميع التكاليف حيث قال احسب الناس ان يتركوا
ان يقولوا امنا يعني لا يتركون بمجرد ذلك بل لابد وان يؤمنوا بانواع التكاليف ففيها المعنى الذي في السورة التي فيها ذكر القران
المشتمل على الاوامر والنواهي فان قيل فهذا المعنى ورد في سورة التوبة وهو قوله تعالى ام حسبتم ان تتركوا ولما يعلم الله الذين جاهدوا
منكم ولم يقدم عليه حرف التهجي فالجواب ان هذا ابتداء كلام ولهذا وقع الاستفهام بالهمزة فقال احسب وذلك وسط
كلام بدليل وقوع الاستفهام ثانيا والتي تكون في اول الكلام لا في اثنائه واما الم غلبت الروم فيجيء في موضعه ان شاء الله تعالى
قوله تعالى ان يتركوا سد مسد مفعولي حسب عند الجمهور وسد احدهما عند الاخفش قوله تعالى ان يقولوا فيه وجهان احدهما
انه بدل من ان يتركوا بدل اشتمال والثاني على اسقاط الخافض وهو الباء او اللام بان يقولوا او لان يقولوا قال ابن
عطية وابو البقاء واذا قدرت الباء كان حالا قال ابن عطية والمعنى في الباء واللام مختلف وذلك انه في الباء كما تقول تركت
زيدا بحاله وهي في اللام بمعنى من اجل اي احسبوا ان ايمانهم علة للترك انتهى وهذا تفسير معنى ولو فسر الاعراب لقال احسبوا
الترك لاجل تلفظهم بالايمان وقال الزمخشري فان قلت فاين الكلام الدال على المضمون الذي يقتضيه الحسبان قلت
هو في قوله ان يتركوا ان يقولوا امنا وهم لا يفتنون وذلك ان تقديره احسبوا تركهم غير مفتونين فتمة الترك لانه من الترك
الذي هو بمعنى التصيير كقوله • • فتركته جزر السباع ينشنه • الا انك قبل المجيء بالحسبان • تقدم تقدير ان
تقول غير مفتونين لقولهم امنا على تقدير حاصل ومستقر قبل اللام فان قيل ان يقولوا امنا هو علة تركهم غير مفتونين
فكيف يصح ان يقع خبر مبتدا فالجواب كما تقول خروجه لمخافة الشر وضربه للتاديب وقد كان التاديب والمخافة في قولك
خرجت لمخافة الشر وضربته تاديبا تعليلين وتقول ايضا حسبت خروجه لمخافة الشر وظننت ضربه للتاديب فتجعلهما مفعولين
كما جعلتهما مبتدا وخبرا قال ابو حيان وعندي كلام فيه اضطراب ذكر اولا ان تقديره غير مفتونين تتمة يعني انه حال
لان الذي من قوله وهم لا يفتنون وهي جملة حالية ثم ذكر ان يتركوا هنا من الترك الذي هو تصيير ولا يصح لان مفعول صير
الثاني لا يستقيم ان يكون لقولهم اذ يصير التقدير ان يصير والقولهم وهم لا يفتنون وهذا كلام لا يصح واما ما مثله
من البيت فانه يصح ان يكون جزر السباع مفعولا ثانيا لترك بمعنى صير بخلاف ما قدر في الاية وانما تقدير تركهم غير
مفتونين لقولهم على تقدير حاصل ومستقر قبل اللام فلا يصح اذا كان تركهم بمعنى تصييرهم وكان غير مفتونين حالا اذ لا ينعقد
من تركهم بمعنى تصييرهم ولقولهم مبتدا وخبر لا يحتاج تركهم بمعنى تصييرهم الى مفعول ثان لان غير مفتونين هنا حال لا مفعول
ثان واما قوله فان قلت ان يقولوا الى اخره فيحتاج الى فصل وذلك ان قوله ان يقولوا هو علة تركهم فليس كذلك لانه
لو كان علة له لكان به متعلقا كما يتعلق بالفعل ولكنه علة للخبر المحذوف الذي هو مستقر وكان والخبر عن المبتدا ولو كان
لقولهم علة للترك لكان من تمامه فكان يحتاج الى خبر واما قوله كما تقول خروجه لمخافة الشر فلمخافة ليس علة للخروج
بل للخبر المحذوف الذي هو مستقر وكذا باقي ما انتهى قال ابن هشام ويجاب الشيخ بان الزمخشري انما نظر الى جانب المعنى وكلامه
عليه صحيح واما قوله ليس علة للخروج ونحو ذلك يعني في اللفظ واما في المعنى فهو علة له قطعا ولو حرف الخروج فان المقصود
فصل معنى الاية احسب الناس ان يتركوا بغير اختبار ولا ابتلاء ان يقولوا امنا وهم لا يفتنون وهم لا يبتلون في اموالهم
وانفسهم فلا لاختبار ليتبين المخلص من المنافق والصادق من الكاذب واختلفوا في سبب نزول هذه الاية قال الشعبي
نزلت في ناس كانوا بمكة قد اقروا بالاسلام فكتب لهم اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم لا يقبل منكم اقرارا بالاسلام حتى تهاجروا

عامدين الى المدينة فاتبعهم المشركون فقاتلوهم فقتل بعضهم ونجا بعضهم فانزل الله هاتين الايتين وقال ابن عباس
في الذين امنوا بمكة وكان يعدون سلمة بن هشام وعياش بن ابي ربيعة والوليد بن الوليد وعمار بن ياسر وغيرهم وقال مقاتل
نزلت في مهجع بن عبد الله مولى عمر كان اول قتيل من المسلمين قتل يوم بدر فقال النبي صلى الله عليه وسلم سيد الشهداء مهجع
وهو اول من يدعى الى باب الجنة من هذه الامة فجزع ابواه وامراته فانزل الله فيه هذه الاية وقيل وهم لا يفتنون بالاوامر
والنواهي وذلك ان الله تعالى امرهم في الابتداء بمجرد الايمان ثم فرض عليهم الصلوة والزكوة وسائر الشرايع فشق على بعض فانزل
الله هذه الاية ثم عزاهم فقال ولقد فتنا الذين من قبلهم يعني الانبياء والمؤمنين فمنهم من نشر بالمنشار ومنهم من قتل وابتلي
بنو اسرائيل بفرعون فكان يسومهم سوء العذاب قوله فليعلمن الله الذين صدقوا العامة على فتح اليا مضارع علم المتعدي لواحد كذا
قال وفيه اشكال مقدم وهو انها اذا تعدت لمفعول كانت بمعنى عرف وهذا المعنى لا يجوز اسناده الى الباري تعالى لانه يستدعي سبق جهل و
لانه يتعلق بالذات فقط دون ما هي عليه من الاحوال وقرا علي وجعفر بن محمد بضم اليا مضارع اعلم ويحتمل ان يكون من علم بمعنى عرف فلما
جيء بهمزة النقل اكسبها مفعولا اخر فحذف ثم هذا المعنى يحتمل ان يكون هو الاول اي ليعلمن الله الناس الصادقين وليعلمن الكاذبين
اي بشهرة يعرف بها هؤلاء من هؤلاء وان يكون الثاني اي ليعلم هؤلاء منازلهم وهؤلاء منازلهم في الاخرة ويحتمل ان يكون من
العلامة وهي السمة فلا يتعدى الا لواحد اي ليجعل لهم علامة يعرفون بها وقرا الزهري بالاولى كالمشهور والثانية كالشاذة المعنى فليعلمن
الله الذين صدقوا في قولهم امنا وليعلمن الكاذبين فصل قال المفسرون ظاهر الاية يدل على تجدد العلم الله تعالى عالم بهم قبل
الاختبار ومعنى الاية فليظهرن الله الصادقين من الكاذب حتى يوجد معلومه وقال مقاتل فليرين الله وقيل ليميز الله الخبيث
من الطيب وقال ابن الخطيب الاية محمولة على ظاهرها وذلك ان علم الله صفة يظهر فيها كل ما هو واقع فقبل التكليف كان الله يعلم
ان زيدا مثلا سيطيع وعمرا سيعصي ثم وقت التكليف والاتيان يعلم انه مطيع والاخر عاصي وبعد الاتيان يعلم انه مطاع والاخر
عصى ولا يتغير علمه في شيء من الاحوال واما التغير المعلوم ومثال ذلك في الحسبان ان المراة الصافية الصقيلة اذا علقناها في موضع
وقوبل بوجهها ثم مر عليها زيد يلبس ثوبا ابيض يظهر فيها زيد في ثوب ابيض وان اتى عليها عمرو في ثوب اصفر يظهر فيها كذلك فهل
يقع في ذهن احد ان المراة في جديدها ومقطع له انها في تدبيرها تبدلنا وانها في صفاتها اختلفنا او يخطر بالبال انها من مكانها
انتقلنا لا يقع لاحد شيئا من هذه الاشياء ويقطع بان المتغير انما هو الخارجات فعلم الله من هذا المثال بل اعلا من هذا المثال فان
المراة ممكنة التغير وعلم الله غير ممكن التغير فقوله فليعلمن الله الذين صدقوا يعني يعلم من علم انه ياتي بالطاعة فيعلم انه مطيع بذلك
العلم وليعلمن الكاذبين يعني من قال انا مؤمن وكان كاذبا منافقا من العبادات التي يظهر منه ذلك ويعلم وفي مثله قول الذين صدقوا
بصيغة الفعل وفي قوله الكاذبين فايدة مع ان الاختلاف في اللفظ ادل على الفصاحة وهي ان اسم الافعال يدل في كثير من الافعال
من المواضع على ثبوت المصدر في الفاعل ورسوخه فيه والفعل الماضي لا يدل عليه كما يقال فلان شرب الخمر وفلان شارب الخمر وفلان
نفذ امره وفلان نافذ الامر لا يفهم من صيغة الامر الفعل التكرير والرسوخ ويفهم من اسم الفاعل ذلك اذا ثبت هذا فنقول
وقت نزول الاية كانت الحكاية عن قوم قريبي العهد بالاسلام في اوايل ايجاب التكاليف وعن قوم مستمرين في الكفر مستمرين فيه فقال في حق المؤمنين الذين
صدقوا بصيغة الفعل اي وجد منهم الصدق وقال في حق الذين كفروا المكذبين بالصيغة المنبية للثبات والدوام ولهذا قال يوم ينفع الصادقين
صدقهم بصيغة اسم الفاعل لان في اليوم المذكور يكون الصدق قد رسخ في المؤمن وهو اليوم الاخر قوله تعالى ام حسب الذين يعملون السيئات
ام هذه منقطعة في الموضعين وهو اليوم الاخر فتقدر ببل والهمزة عند الاضراب والجمهور انتقال الاضراب ببطال وقال ابن عطية ام معادلة
للالف في قوله احسب وكانه عز وجل قرر الفريقين قرر المؤمنين على انهم لا يفتنون وقرر الكافرين انهم يسبقون نقمات الله قال ابو حيان ليست
معادلة اذ لو كانت كذلك لكانت متصلة ولا جايز ان تكون متصلة لفقد شرطين احدهما ان ما بعدها ليس مفردا او لا ما في قوته والثاني
انه لم يكن هنا ما يجاب به من احد شيئين او اشيا وجوز الزمخشري في حسب هذه ان يتعدى لاثنين وجعل ان وما في حيزها متصل بمسد
كقوله ام حسبتم ان تدخلوا الجنة وان يتعدى لواحد على انها مضمنة معنى قدر الا ان التضمين لا ينقاس قوله تعالى ساء ما يحكمون
يجوز ان يكون ساء بمعنى بئس فتكون ما اما موصولة بمعنى الذي ويحكمون صلتها وهي فاعلها والمخصوص بالذم محذوف اي حكمهم و
يجوز ان تكون ما تمييزا ويحكمون صفتها والفاعل مضمر مفسر بما والمخصوص ايضا محذوف ويجوز ان تكون ما مصدرية وهو قول ابن
كيسان وعلى هذا يكون التمييز محذوفا والمصدر المؤول مخصوص بالذم اي ساء حكما حكمهم وقد تقدم حكم ساء اذا اتصلت
بئس مشبعا في البقرة ويجوز ان يكون ساء بمعنى قبح فيكون في ما ان تكون مصدرية وبمعنى الذي نكرة موصوفة وجيء بيحكمون دون حكموا
اما للتنبيه على ان هذا ديدنهم واما لوقوعه موقع الماضي لاجل الفاصلة فصل لما بين حسن التكليف بقوله احسب الناس ان يتركوا
بين ان من كلف شيئا ولم يات به يعذب به في الحال فيستعذب بالاستقبال ولا يفوت الله شيء في الحال ولا في المال بقوله ام حسب الذين يعملون
السيئات يعني الشرك ان يسبقونا اي يعجزونا ويفوتونا ولا نقدر على الانتقام منهم ساء ما يحكمون بئس ما يحكمون او ساء ما حكموا

حين ظنوا ذلك قوله تعالى من كان يرجوا يجوز ان تكون من شرطية وان تكون موصولة ودخلت الفاء تشبيها بالشرطية كان قيل
المعلق بالشرط عدم عند عدم الشرط فمن كان لا يرجو لقاء الله لا يكون اجل الله آتيا له وهذا باطل لان اجل الله آت لا محالة من غير تقييد
بشرط فالجواب ان قوله فان اجل الله لآت ليس بجواب بل الجواب محذوف اي فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا كما صرح به
وقال ابن الخطيب المراد من ذكر اتيان الاجل وعد الطبع بما بعده من الثواب اي من كان يرجو لقاء الله فان اجل الله لآت يثيبه الله اي
على طاعته ومن لا يرجو ثواب الله ومن لا يرجو لقاء الله فان اجل الله يعني ما وعد به من الثواب والعقاب وقال مقاتل يعني يوم القيامة
لكائن والمعنى ان من يخشى الله ويامله فليستعد وليعمل لذلك اليوم كقوله فمن كان يرجو لقاء ربه الاية كما تقدم وهو السميع العليم لما ذكر
صفة غيرها لانه سبق القول في قوله احسب الناس ان يتركوا ان يقولوا امنا وسبق الفعل بقوله وهم لا يفتنون وبقوله فليعلمن الله الذين
صدقوا وبقوله ام حسب الذين يعملون السيئات ولا شك ان القول يدرك بالسمع والعمل منه ما يدرك بالبصر ومنه ما لا يدرك به والعلم
يشملها فقال وهو السميع العليم اي يسمع ما قالوه ويعلم من صدق فيما قال ممن كذب وعمل بما يعمل فيثيب ويعاقب قوله تعالى ومن جاهد
فانما يجاهد لنفسه اي يجاهد ثوابه والجهاد هو الصبر والشدة ويكون في العمل اي الطاعات قوله ذلك في الحرب وقد يكون على مخالفة النفس
فصل هذه الاية تدل على ان الجزاء على العمل واجب فان قوله فانما يجاهد لنفسه يقتضي منه ان من جاهد ربح بجهاده ما لولاه لما ربح
فان قيل هو كذلك ولكن بحكم الوعد لا بالاستحقاق فالجواب قوله فانما تفيد الحصر فيكون جهاد المرء لنفسه فقط ولا ينتفع به غيره
وليس كذلك فان من جاهد ينتفع به هو ومن يريد نفعه حتى ان الولد والوالد يتبركه المجاهد وجهاده ينتفعون به فصل
ذلك نفع فان انتفاع الولد انتفاع للاب والحصر نفعا معناه ان جهده لا يصل الى الله منه نفع ويدل عليه قوله ان الله لغني عن العالمين اي
عن اعمالهم وعباداتهم قوله تعالى والذين امنوا يجوز ان يكون مرفوعا بالابتداء والخبر جملة القسم المحذوف وجوابها اي والله لنكفرن
ويجوز ان يكون منصوبا بفعل مضمر على الاشتغال اي وليخلص الذين امنوا من سيئاتهم والتكفير اذهاب السيئة بالحسنة والمعنى لنزيلن
عنهم سيئاتهم حتى يصيروا كمن لم يعمل فان قيل قوله فلنكفرن لهم سيئة فالجواب ما من مكلف الا وله سيئة اما غير الانبياء فظاهر ومن الانبياء فلان
ترك الافضل منهم كالسيئة عن غيرهم ولهذا قوله تعالى عفى الله عنك لم اذنت لهم قوله تعالى احسن الذي كانوا يعملون قيل على حذف
مضاف اي ثواب والمراد باحسن هنا مجرد الوصف قيل لئلا يلزم ان يكون جزاؤهم مسكوتا عنه وهذا ليس شيء لانه من باب الاولى اذا جازاهم
بالاحسن جازاهم بما دونه فهو من التنبيه بالادنى على الاعلى فصل قال المفسرون معناه نجزيهم باحسن اعمالهم وهو
الطاعة وقيل نعطيهم اكثر مما عملوا واحسن كما قال من جاء بالحسنة فله عشر امثالها قوله تعالى ووصينا الانسان بوالديه حسنا الاية
لما بين حسن التكاليف وبين ثواب المطيع وحرص المكلف على الطاعة ذكر ما يمنع المكلف من اتباعه فقال ان الانسان ان انقاد لاحد ينبغي
ان ينقاد لابويه ومع هذا لو امراه بالمعصية لا يجوز قوله تعالى حسنا فيه اوجه الاول انه نعت مصدر محذوف اي ايصاء حسنا اما على المبالغة
جعل نفس الحسن واما على حذف مضاف الثاني انه مفعول به قال ابن عطية وفي ذلك تجوز والاصل ووصينا الانسان بالحسن في فعله
مع والديه ونظير هذا قول الشاعر • عجبت من دهماء اذ تشكونا • ومن ابي دهماء اذ يوصينا • خيرا كانا خائفونا •
ومثله قول الحطيئة • • وصيت من بره قبلها • بالكلب خيرا والحماة شرا • وعلى هذا فيكون الاصل ووصينا بحسن
في حق والديه ثم جر والديه بالباء فانتصب حسنا وكذلك البيان والباقي لاية والبيتين في هذه الحالة للظرفية الثالث انه بوالديه
هو المفعول الثاني ونصب حسنا باضمار فعل اي يحسن حسنا فيكون مصدرا مؤكدا قيل وفيه نظر لان عامل المؤكد لا يحذف الرابع انه مفعول
به على التضمين اي الزمناه حسنا الخامس انه على اسقاط الخافض اي بحسن وعبر صاحب التحرير عن ذلك بالقطع السادس بعض الكوفيين
قالوا ووصينا الانسان ان يفعل بوالديه حسنا وفيه حذف ان وصلتها وابقاء معمولها ولا يجوز عند البصريين السابع ان التقدير
الانسان وصيناه بايتاء والديه حسنا وفيه حذف المصدر وابقاء معموله ولا يجوز الثامن انه منصوب على الاغراء كقولك
لمن رايته متهيئا للضرب زيدا اي اضرب زيدا والتقدير هنا اولهما حسنا او افعل بهما حسنا قاله الزمخشري وقرا عيسى والجحدري
حسنا بفتحتين وهما لغتان كالبخل والبخل وقد تقدم ذلك في اول البقرة وقرا احسانا من قوله تعالى وبالوالدين احسانا
فصل معنى حسنا اي برا بهما وعطفا عليهما والمعنى ووصينا الانسان ان يفعل بوالديه ما يحسن نزلت هذه الاية
والتي في سورة لقمان والاحقاف في سعد بن ابي وقاص وهو سعد بن مالك بن اهيب الزهري وامه حمنة بنت ابي سفيان بن امية
بن عبد شمس لما اسلم وكان من السابقين الاولين وكان بارا بامه قالت امه ما هذا الدين الذي احدثت والله لا اكل ولا اشرب حتى ترجع
الى ما كنت عليه او اموت فتعير بذلك ابد الدهر ويقال يا قاتل امه ثم انها مكثت يوما لم تاكل ولم تشرب ولم تستظل فاصبحت
قد جهدت ثم مكثت يوما اخر لم تاكل ولم تشرب فجاء سعد اليها فقال يا اماه لو كانت لك مائة نفس فخرجت نفسا نفسا ما تركت ديني
فكلي وان شئت لا تاكلي فلما ايست منه اكلت وشربت فانزل الله هذه الاية وامره بالبر بوالديه والاحسان اليهما وعلم انه انما امر بالاحسان
للوالدين لانهما سبب وجود الولد بالولادة وسبب بقائه بالتربية المعتادة فهو اولى بان يحسن

العبد حاله معه قوله تعالى وان جاهداك لتشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما قال عليه السلام لا طاعة
لمخلوق في معصية الله ثم اوعد بالمصير اليه فقال الي مرجعكم فانبئكم بما كنتم تعملون اخبركم بصالح اعمالكم وسيئها فا
جازيكم عليها كانه تعالى يقول لا تظنوا اني غائب عنكم واباوكم حاضرين فتوافقون الحاضرين في الحال اعتمادا على غيبتي وعدم
علمي بمخالفتكم اياي فاني حاضر معكم اعلم ما تفعلون ولا انسى فانبئكم بجميعه قوله تعالى والذين امنوا يجوز فيه الرفع على
الابتداء والنصب على الاشتغال وقوله لندخلنهم في الصالحين اي نجعلهم معهم وندخلهم في عدادهم كما تقول الفقيه داخل في
العلماء والجملة والمعنى نجعلهم في جملة الصالحين وهم الانبياء والاولياء وقيل في مدخل الصالحين وهي الجنة فان قيل ما الفائدة
في اعادة الذين امنوا وعملوا الصالحات فالجواب انه ذكر الذين امنوا وعملوا الصالحات اولا لبيان حال المهتدي وثانيا
لبيان حال الهادي لانه قال اولا لنكفرن عنهم سيئاتهم وقال ثانيا لندخلنهم في الصالحين والصالحون هم الهداة لانها مرتبة
الانبياء ولهذا قال ابراهيم عليه السلام والحقني بالصالحين قوله تعالى ومن الناس من يقول امنا بالله المكلفين ثلاثة
اقسام مومن ظاهر بحسن اعتقاده وكافر مجاهر بكفره وعناده ومذبذب بينهما يظهر الايمان بلسانه ويضمر الكفر بالله تعالى
لما بين القسمين الاولين بقوله فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين وبين حالهما بقوله ام حسب الذين يعملون السيئات
الى قوله والذين امنوا وعملوا الصالحات بين القسم الثالث وهو المنافق فقال ومن الناس من يقول امنا بالله فاذا اوذي في الله
اصابه بلاء من الناس افتتن وجعل فتنة الناس كعذاب الله اي جعل اذى الناس وعذابهم كعذاب الله في الاخرة اي جزع من اذى الناس
ولم يصبر عليه فاطاع الناس كما اطاع الله من خاف عذابه فصل قال السدي وابن زيد هذا المنافق اذا اوذي في الله
رجع عن الدين وكفر فاعلم انه قال فتنة الناس ولم يقل عذاب الناس لان فعل العبد ابتلاء من الله وفتنة تسلط بعض الناس على من
اظهر كلمة الايمان ليؤذيه فيتبع منزلته كما جعل التكاليف ابتلاء وامتحانا وهذا اشارة الى ان الصبر على البلية الصادرة كالصبر
على العبادات فان قيل هذا يقتضي منع المومن من اظهار كلمة الكفر بالاكراه احترازا عن التعذيب العاجل يكون قد جعل
فتنة الناس كعذاب الله فالجواب ليس كذلك لان من اكره على الكفر وقلبه مطمئن بالايمان لم يجعل فتنة الناس كعذاب الله لان عذاب
الله يوجب ترك ما يعذب عليه ظاهرا وباطنا بل في ظاهر الايمان قوله تعالى ولئن جاء نصر من ربك اي فتح ودولة للمومنين
ليقولن يعني هؤلاء المنافقين للمومنين انا كنا معكم على عدوكم وقال ولئن جاء نصر من ربك ولم يقل نصر من ربكم ولئن جاء النصر
اذا جاءهم ما كانوا يقولون انا معكم وهذا يقتضي ان يقولوا قائلين انا معكم اذا جاء النصر لكن النصر لا يجيء الا للمومنين كما قال تعالى
وكان حقا علينا نصر المومنين ولان غلبة الكافر على المومن ليس بنصر لان النصر ما يكون عاقبة سليمة بدليل ان احد الجيشين اذا انهزم
في الحال ثم كر المهزوم كرة اخرى وهزم الغالبين لا يطلق اسم النصر الا لمن كان له العاقبة فكذلك المسلم وان كسر في الحال والعاقبة
للمتقين والنصر لهم في الحقيقة فان قيل قال ولئن جاء نصر من ربك ولم يقل من الله مع ما تقدم كله بذكر الله كقوله اوذي في الله
وقوله كعذاب الله فما الحكمة في ذلك فالجواب لان الرب اسم مدلوله الخاص به الشفقة والرحمة والله اسم مدلوله الهيبة والعظمة فعند
النصر ذكر الاسم الدال على الرحمة والشفقة وعند العذاب ذكر اللفظ الدال على العظمة قوله تعالى ليقولن العامة على ضم اللام اسند
الفعل للضمير جماعة حملا على معنى من بعد ان حمل على لفظها ونقل ابو معاذ النحوي انه قرا ليقولن بالفتح جريا على مراعاة لفظها
ايضا وقراءة العامة احسن لقوله انا كنا فصل المعنى ان المنافقين لما قالوا انا معكم اي على عدوكم وكنا مسلمين وانما اكرهنا
حتى قلنا ما قلنا فكذبهم وقال اوليس الله باعلم بما في صدور العالمين من الايمان والنفاق ولما بين انه اعلم بما في قلوب العالمين بين انه
يعلم المومن المحق وان لم يتكلم والكافر والمنافق وان لم يتكلم فقال وليعلمن الله الذين امنوا صدقوا فثبتوا على الايمان والاسلام عند
البلاء وتقدم الكلام على عكرمة عن ابن عباس نزلت في الذين اخرجهم المشركون معهم الى بدر وهم الذين نزلت فيهم ان الذين توفاهم
الملائكة ظالمي انفسهم وقال مجاهد نزلت في ناس كانوا يومنون بالسنتهم فاذا اصابهم بلاء من الناس ومصيبة في انفسهم افتتنوا وقال
الضحاك وقتادة نزلت في القوم الذين ردهم المشركون الى مكة قوله تعالى وقال الذين كفروا للذين امنوا اتبعوا سبيلنا قال
مجاهد هذا قول كفار مكة لمن امن منهم وذلك ان الكافر يقول للمومن تصبر على الذل وعلى الاسى لا لشيء ولم تدفع عن نفسك الذل
والعذاب بموافقتنا فيجيبه المومن بان يقول لحوق عذاب الله على خطيئة من جهتكم فقالوا لا خطيئة فيه وان كان فيه خطيئة فعلينا
قوله تعالى ولنحمل امر في معنى الخبر قال الزمخشري هو في معنى قول من يريد اجتماع امرين في الوجود فيقول ليكن منك العطاء ومني الدعاء
فقوله ولنحمل اي ليكن منا الحمل وليس في الحقيقة امر طلب وايجاب وقرا الحسن وعيسى بكسر لام الامر وهو لغة الحجاز قال الزمخشري وهذا قول
صناديد قريش كانوا يقولون لمن امن منهم لا نبعث نحن ولا انتم فان عسى كان ذلك فهو سيحمل قال ابو حيان هذا تركيب عجمي من جهة
ادخال حرف الشرط وهي جامدة واستعمالها من غير اسم ولا خبر وابلاؤها كان وقرا العامة خطاياكم جمع تكسير وداود بن ابي هند من خطيئاتكم
وعنه ايضا خطيئتهم بالتوحيد والمراد الجنس وهذا شبيه بقراءة واحاطت به خطيئته وعنه ايضا خطيئتهم بفتح الطاء وكسر الياء

يعني بكسر الهمزة القريبة من اليا لاجل تسهيلها بين بين ومن شيء هو مفعول ومن خطاياهم حال منه لما تقدم عليه انتصب حالا
فان قيل معنى الاية اتبعوا سبيلنا اي ديننا وملة ابائنا ونحن الكفلا لكل تبعة من الله تصيبكم وهو قول عمر ولنحمل خطاياكم بلفظ هذه
الصيغة فليلقه اليم بالساحل فاكذبهم الله تعالى فقال وما هم بحاملين من خطاياهم من شيء انهم لكاذبون فيما قالوا فالجواب
قال وما هم بحاملين من خطاياهم من شيء انهم لكاذبون قال بعده وليحملن اثقالهم واثقالا مع اثقالهم فنفى الحمل اولا واثبت الحمل ثانيا
فكيف الجمع بينهما فالجواب نحمل فلان عن فلان يريد ان نحمل فلا نخف فاذا لم يخف حمله لم يكن قد حمل عنه شيئا فقوله وما هم بحاملين
من خطاياهم اي لا يرجون لا يرفعون عنهم خطيئة بل يحملون وزر انفسهم واوزار بسبب اضلالهم كقوله عليه السلام من سن سيئة
فعليه وزرها ووزر من عمل بها من غير ان ينقص من وزره شيء والمعنى وليحملن اوزار اعمالهم التي عملوها بانفسهم واثقالا مع اثقالهم اي اوزارا
مثل اوزارهم من اضلوا مع اوزارهم كقوله ليحملوا اوزارهم كاملة يوم القيمة ومن اوزار الذين يضلونهم بغير علم وليسألن يوم القيمة عما
كانوا يفترون سؤال التوبيخ والتقريع وذلك لا افترى يحتمل ثلاثة اوجه الاول قولهم ولنحمل خطاياكم كان لاعتقادهم ان لا خطيئة في
الكفر ثم يوم القيمة يظهر لهم خلاف ذلك فيسألون من ذلك الافترا وثانيها ان قولهم ولنحمل خطاياكم كان لاعتقادهم ان لا حشر
فاذا جاء يوم القيمة ظهر خلافه فذلك فيسألون ويقال لهم ما قلتم ان لا حشر الثاني انهم لما قالوا لنحمل خطاياكم يوم القيمة يقال لهم
فاحملوا خطاياهم فلا يحملون فيسألون الثالث فيقال لهم فلم افتريتم **قوله تعالى** ولقد ارسلنا نوحا الى قومه لما بين التكليف
وذكر اقسام المكلفين ووعد المؤمن الصادق بالثواب العظيم واوعد الكافر والمنافق بالعذاب الاليم وكانه قال هذا التكليف ليس
مختصا بالنبي واصحابه وامته حتى صعب عليهم بل قبله كذلك كما قال تعالى ولقد فتنا الذين من قبلهم فذكر الذين كلفوا قبل نوح
عليه السلام وقومه وابراهيم عليه السلام وغيرهما **قوله تعالى** الف سنة منصوب على الظرف الا خمسين عاما على الاستثناء وفي
الاستثناء من اسماء العدد خلاف وللمانعين عنه جواب هذه الاية وقد ضبت هنا نكتة لطيفة وهو ان غاير بين تمييز العدد و
بين فقال في الاول سنة وفي الثاني عاما لان لا يتفق اللفظ ثم انه خص لفظ العام بالخمسين ايذانا بان النبي صلى الله عليه وسلم
لما استراح بقي في زمن منهم حسن فالعرب تعبر عن الخصيب بالعام وعن الجدب بالسنة **فصل** قال بعضهم ان الاستثنا
في العدد تكلم بالباقي فاذا قال القايل لفلان علي عشرة الا ثلاثة فكانه قال علي سبعة اذا علم هذا فقوله الف سنة الا خمسين عاما كقوله
تسعماية وخمسين سنة فالفايدة في العدول من هذه العبارة الى غيرها فقال الزمخشري فيه فايدتان احدهما ان الاستثناء يدل
على التحقيق وتركه قد يظن به التقريب فان من قال عاش فلان الف سنة تقريبا لا تحقيقا فاذا قال الا شهرا او الا سنة يزول ذلك الوهم
ويفهم منه التحقيق الفايدة الثانية هي ان ذكر لبث نوح عليه السلام في قومه كان لبيان انه صبر كثيرا والنبي عليه السلام اولى بالصبر
مع قصر مدته **قوله تعالى** فاخذهم الطوفان فغرقوا وهم ظالمون قال ابن عباس مشركون وفيه اشارة الى ان الله لا يعذب على مجرد
وجود الظلم ولا يعذب من ظلم فارتاب وجود الظلم وجد منه وانما يعذب على الاصرار على الظلم فقوله وهم ظالمون يعني اذ يكونوا
هم ملتبسون بالظلم **قوله تعالى** فانجيناه واصحاب السفينة يعني من الغرق وجعلناها يعني السفينة اية اي عبرة للعالمين وفي
كونها اية وجوه اولها كانت باقية على الجودي مدة مديدة ثانيها ان نوحا امر باتخاذ قوم معه ورفع قدر من الزاد والبحر العظيم
ولا يتوقع احد عمله لم تولى الماء الا بعض قبل نفاد الزاد ولولا ذلك لما حصل النجاة فهو بفضل الله لا بمجرد السفينة ثالثها ان الله سلم
السفينة من الرياح المزعجة والحيوانات المؤذية ولولا ذلك لما حصلت النجاة وقيل الهاء في جعلناها راجعة الى الواقعة او الى النجاة او الى
العقوبة بالغرق **فصل** قال ابن عباس بعث نوح لاربعين سنة وبقي في قومه يدعوهم الف سنة الا خمسين عاما وعاش بعد
الطوفان ستين سنة حتى كثر الناس وفشوا وكان عمره الفا وخمسين سنة وروي عن ابن عباس انه بعث وهو ابن اربعماية سنة وعاش بعد
الطوفان ثلاثماية وخمسين سنة فان كان هذا محفوظا عن ابن عباس فيضاف اليه لبثه في قومه وهو تسع ماية وخمسين سنة فيكون
فقد عاش الفا وسبعماية وثمانون سنة واما قبره عليه السلام فروي ابن جرير والازرقي حديثا مرسلا ان قبر نوح عليه السلام
بالمسجد الحرام وقيل ببلدة بالبقاع تعرف اليوم بكرك نوح وهناك جامع قد بني بسبب ذلك فالاول اولى واثبت **قوله تعالى**
وابراهيم اي وارسلنا ابراهيم والعامة على نصبه عطفا على نوحا او باضمار اذكر او عطفا على ما انجيناه والنخعي وابو جعفر وابو حنيفة
وابراهيم رفعا على الابتداء والخبر مقدر اي من المرسلين ابراهيم وقوله اذ قال بدل من ابراهيم بدل اشتمال فان قلنا هو ظرف ارسلنا
اي ارسلنا ابراهيم اذ قال لقومه ففيه اشكال ان قوله لقومه اعبدوا الله دعوة والارسال يكون قبل الدعوة فكيف بقولهم من قوله ارسلنا
ابراهيم حين قال لقومه مع انه يكون مرسلا قبل ذلك والجواب هنا كقول القايل وقفت الامير اذ خرج من الدار وقد يكون الوقوف
قبل الخروج لكن لما كان الوقوف ممتدا الى ذلك الوقت صح ذلك **فصل** معنى اعبدوا الله واتقوه واطيعوا الله وخافوه
وقيل اعبدوا الله اشارة الى الاتيان بالواجبات واتقوه اشارة الى الامتناع عن المحرمات ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون اي عبادة الله وتقواه
خير لان خلاف عبادة الله تعالى باطل وخلاف تقواه شر وكلاهما شر انما تعبدون من دون الله اوثانا اي اصناما فلا تستحق العبادة لكونها

منحوتة لا شرف لها وتخلقون افكا العامة على فتح التاء وسكون الخاء وضم اللام مضارع خلق وافكا بكسر الهمزة وسكون
الفاء اي وتخلقون كذبا او وتنحتون اصناما وعلي بن ابي طالب وزيد بن علي والسلمي وقتادة بفتح الخاء واللام مشددة وفي
وهو مضارع تخلق والاصل تتخلقون بتاءين فحذفت احداهما كتنزل ونحوه وروي عن زيد بن علي انه تخلقون بضم التاء
وتشديد اللام مكسورة مضارع خلق مضعفا وقرا ابن الزبير ونفيل بن ورقان افكا بفتح الهمزة واسكان الفاء وكسر الفاء
وهو مصدر كالكذب بمعنى وزنا وجوز الزمخشري في الافك بالكسر والسكون وجهين احدهما ان يكون مخففا من الافك بالفتح
والكسر كالكذب واللعب واصلهما ان يكون صفة على فعل اي خلقا افكا قال انهما بالدين ونقد يرمضا فا قيل افك مع جعله
له صفة غير محتاج اليه لو جعلته مصدرا **قوله تعالى** ان الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقا لا يقدرون ان
يرزقوكم وهذا اشارة الى عدم المنفعة في الحال والمآل **قوله تعالى** رزقا فيجوز ان يكون منصوبا على المصدر ومعناه
لا يملكون لانه في معناه وعلى اصول الكوفيين يجوز ان يكون الاصل لا يملكون ان يرزقوكم رزقا فان يرزقوكم هو مفعول
يملكون ويجوز ان يكون بمعنى الرزق فينتصب مفعولا به فابتغوا فاطلبوا عند الله الرزق وهذا اشارة الى استحقاق عبودية
لذاته فان قيل قال لا يملكون رزقا فنكر الرزق وقال فابتغوا عند الله الرزق فعرفه فما الفايدة فالجواب قال الزمخشري
نكره في معرض النفي اي لا رزق لهم عندهم اصلا وعرفه عند الاثبات عند الله تعالى اي كل الرزق عنده فاطلبوه منه وفيه
وجه اخر وهو ان الرزق من الله معروف بقوله وما من دابة في الارض الا على الله رزقها والرزق من الاوثان غير معلوم فقال لا
يملكون رزقا لعدم حصول العلم به فقال فابتغوا عند الله الرزق اي المعهود به ثم قال فاعبدوه واشكروا له اعبدوه لكونه
مستحقا للعبادة لذاته واشكروا له لكونه سابق النعم الى الخلق واليه ترجعون اي اعبدوه لكونه مرجعا منه يتوقع الخير منه لا من
غيره **قوله تعالى** وان تكذبوا فقد كذب امم من قبلكم في المخاطب بهذه الاية وجهان احدهما انه قوم ابراهيم لان القصة
لابراهيم فكان ابراهيم قال لقومه ان تكذبوا فقد كذب امم من قبلكم وما على الرسول الا البلاغ فان الرسول ليس عليه الا البلاغ والبيان
فان قيل ان ابراهيم لم يسبقه الا قوم نوح وهم امة واحدة فالجواب ان قبل نوح ايضا كان اقوام كقوم ادريس وقوم شيث وادم وايضا فان
نوحا عاش اكثر من الف سنة وكان القرن يموت ويجي اولاده والاباء يوصون الابناء بالامتناع عن الاتباع فكفى بقوم نوح امما الثاني
ان الاية خطاب مع قوم محمد صلى الله عليه وسلم لان هذه القصص اكثرها المقصود منه تذكير قومه بحال من مضى حتى يمتنعوا من التكذيب
ويرتدعوا خوفا من التعذيب فقال في اثناء حكايتهم يا قوم ان تكذبوا فقد كذب امم من قبلكم اقوام هلكوا فان كذبتم فاني اخاف عليكم
ان يقع بكم ما وقع بغيركم وهذه الاية تدل على انه لا يجوز تاخير البيان عن وقت الحاجة لان الرسول اذا بلغ شيئا ولم يبينه فلم يات بالبلاغ
المبين **قوله تعالى** اولم يروا كيف قرا الاخوان قالوا بالخطاب على خطاب ابراهيم لقومه بذلك والباقون بالغيبة ردا على الامم المكذبة
قوله تعالى كيف يبدي العامة على ضم اليا من ابدا والزبيري وعيسى وابو عمرو بخلاف عنه بفتحها مضارع بدا وقد صرح بماضيه
هاهنا حيث قال بدا الخلق وقرا الزهري كيف بدا بالف صريحة وهو تخفيف على غير قياس وقياسه بين بين وهو في الشذوذ كقوله
فارعي فزارة لا هناك المرتع **فصل** المعنى اولم يروا كيف خلقهم الله ابتدا نطفة ثم علقة ثم مضغة فان قيل
متى راى الانسان بدء الخلق حتى يقال اولم يروا كيف يبدي الله الخلق فالجواب ان المراد بالرؤية العلم الواضح الذي كالرؤية والعاقل
يعلم ان البدء من الله لان الخلق الاول لا يكون من مخلوق والا لما كان الخلق الاول خلق اوله فهو من الله هذا ان قلنا ان المراد اثبات
نفس الخلق وان قلنا ان المراد بالبدء خلق الادمي اولا وبالاعادة خلقه ثانيا يقول العاقل لا يخفى عليه ان خالق نفسه ليس الا حكيم
نصور الاولاد في الارحام والخلقة من نطفة في غاية الاتقان والاحكام فذلك الذي خلق اولا معلوم ذلك فاطلق على ذلك العلم
لفظ الرؤية وقال اولم يروا اي اولم تعلموا علما ظاهرا واضحا كيف يبدا الله الخلق وهو من هذا هو من ماء وتراب يجمعه فكذلك يجمع
اجزاؤه من التراب وينفخ فيه روحه بل هو اسهل بالنسبة اليكم فان من نحت حجارة حتى صارت اصناما ثم كسرها وفرقها فان وضعها ثانيا
يحسنها في هذه المرة اسهل لان الحجارة منحوتة معلومة مواضعها فان قيل علق الرؤية بالكيفية لا بالخلق ولم يقل اولم يروا
ان الله ابدا الخلق بالكيفية غير معلومة فالجواب هذا القدر من الكيفية معلوم وهو انه خلقه ولم يك شيئا مذكورا وانه خلقه
من نطفة هي من غذا هي من ماء وتراب **فصل** هذا القدر كاف في حصول العلم بامكان الاعادة فان قيل قال ثم
يعيده وذلك على الله يسير بابراز اسمه مرة اخرى ولم يقل ان ذلك عليه يسير كما قال ثم يعيده من غير ابراز فالجواب انه مع اقامة
البيان على انه يبدي اكده باظهار اسمه فانه يوجب المعرفة ايضا بكون ذلك بيانا فان الانسان اذا سمع لفظ الله وفهم معناه انه الحي
القادر بعلمه وقدرته لا يعجزه شيء محيط بذرات جسم نافذ الارادة فيقطع بجواز الاعادة **قوله تعالى** قل سيروا في الارض فانظروا
كيف بدا الله الخلق اي انظروا الى ديارهم واثارهم كيف بدا خلقهم فان قيل ما ورد اسم الله في الاية الاولى عند البدء وقال كيف يبدي
الله واسمه عند الاعادة وهاهنا اضمر عند البداية وابرزه عند الاعادة فقال ثم الله ينشئ النشاة فالجواب لان في الاية الاولى

لم يسبق ذكر الله بفعل حتى يسند اليه البدء فقال كيف يبدأ الله الخلق ثم يعيده كقولك ضرب زيد عمرا ثم ضرب بكرا
ولا يحتاج الى اظهار اسم زيد اكتفاء بالاول وفي الثانية كان ذكر البدء مسندا الى الله فاكتفى به ولم يبرزه واما اظهاره عند
الانشاء ثانيا فقال ثم الله ينشئ مع انه كان يكفي ان يقول ثم ينشئ النشأة الاخرة فحكمة بالغة وهو انه مع اقامة البرهان
على امكان الاعادة اظهر اسمه حتى يفهم المعنى به صفات كماله ونعوت جلاله فيقطع بجواز الاعادة ثم قال ثم الله ليظهر [illegible]
في ذهن الانسان من اسمه كمال قدرته وشمول علمه ونفوذ ارادته فيعترف بوقوع بدئه وجواز اعادته فان قيل فلم لم يقل ثم الله
يعيده بعين ما ذكر حتى الحكمة فالجواب لوجهين احدهما ان الله كان مظهرا او ما يقرب منه في قوله يبدأ الله الخلق لم يكن بينهما
الا لفظ الخلق واما ها هنا فلم يكن مظهرا بالبدء فاظهره الثاني ان الدليل ها هنا تم على جواز الاعادة لان الدليل منحصر في الآفاق وفي الانفس
كما قال تعالى سنريهم آياتنا في الآفاق وفي انفسهم ففي الآية الاولى اشارة الى الدليل الحاصل من الآفاق بقوله سيروا في الارض وعند
تمام الدليلين فاكده باظهار اسمه واما الدليل الاول فاكده بالدليل الثاني فلم يقل ثم الله يعيده فان قيل قال في الآية اولم يروا كيف
يبدئ الخلق بلفظ المستقبل وها هنا قال فانظروا كيف بدأ بلفظ الماضي فما الحكمة فالجواب ان الدليل الاول هو الدليل النفسي
الموجب فانظروا الى الاشياء المخلوقة ليحصل لكم العلم بان الله بدأ خلقا ويحصل من هذا العلم بانه ينشئ فان قيل قال في هذه الآية
ان الله على كل شيء قدير وقال في الاولى ان ذلك على الله يسير فما فائدته فالجواب فيه فائدتان احداهما ان الدليل الاول هو الدليل
النفسي وهو وان كان موجبا للعلم التام ولكن عند انضمام منهم ضم عليه بان كل شيء من الله فقال بعد تمام الدليلين ان الله على كل شيء
قدير وقال عند الدليل الواحد ان ذلك وهو الاعادة على الله يسير الفائدة الثانية ان العلم الاول اتم والثاني اعم وان كان
الاعم يسيرا على الفاعل اتم من كونه مقدورا له بدليل قول القائل لمن يحمل غاية ما ينبه انه قادر عليه ولا يقول انه سهل عليه فاذا سكت عن حمله
عشرة امثاله يقول ذلك سهل يسير فنقول كان التقدير ان لم يحصل لكم العلم التام بان هذه الامور عند الله سهلة يسيرة فسيروا في
الارض لتعلموا انه مقدور ونفس كونه مقدورا كاف في امكان الاعادة **قوله تعالى** ثم الله ينشئ النشأة قرأ ابن كثير وابو عمرو النشاءة
بالمد ها هنا وفي النجم والواقعة والباقون بالقصر مع سكون الشين وهما لغتان كالرأفة والرآفة وانتصابهما على المصدر المحذوف
الزوائد والاصل انشاءة او على حذف الفاعل اي ينشئ فيشئون النشأة وهي موسومة بالالة وهو يقرأ قراءة المد والمعنى ثم الله
الذي خلقها ينشئها نشأة ثانية بعد الموت فكما لا يتعذر عليه انشاؤها يعيد وقوله ثم يعيده ثم الله ينشئ مستأنفا من اخبار الله
يقال فليس الاول داخلا في حيز الرواية ولا الثاني في حيز النظر ان الله على كل شيء قدير **قوله تعالى** يعذب من يشاء ويرحم من يشاء
قدم التعذيب في الذكر على الرحمة مع ان رحمته سابقة كما قال عليه السلام عنه تعالى سبقت رحمتي غضبي لان السابق ذكر الكفار فذكر
العذاب لسبق ذكر مستحقه بحكم الايعاد وعقبه بالرحمة فذكر الرحمة وقع تبعا لئلا يكون العذاب مذكورا وحده وهذا تحقيق قوله
عليه السلام عنه سبقت رحمتي غضبي وذلك ان الله تعالى حيث كان المقصود ذكر العذاب لم يخصه بالذكر بل ذكر الرحمة معه فان قيل
ان كان ذكر هذه الآية لتخويف العاصي وتفريح المؤمن فلو قال يعذب الكافر ويرحم المؤمن لكان ادخل في تحصيل المقصود وقوله يعذب
من يشاء لا يرهب الكافر لجواز ان يقول لعلي لا اكون ممن يشاء الله عذابي فالجواب هذا ابلغ في التخويف لان الله اثبت
بهذا نفاذ مشيئته وانه اذا اراد تعذيب شخص لا يمنعه مانع ثم كان من المعلوم للعباد بحكم الوعد والايعاد انه شاء تعذيب الكافر
فلزم منه الخوف العام بخلاف ما لو قال يعذب العاصي فانه لا يدل على كمال مشيئته لانه لا يبعد انه لو شاء عذاب المؤمن يعذبه واذا لم
يعذبه فيقول الكافر اذا لم يحصل مراده في ذلك الصورة يمكن ان يحصل في صورة اخرى **فصل** اذا قيل ان الملك يقدر على
ضرب كل من في بلاده وقال لا بل من خالفني اضربه يحصل الخوف التام لمن يخالفه واذا قيل انه قادر على ضرب المخالفين ولا يقدر على ضرب المطيع
فاذا قال من خالفني اضربه يقع في وهم المخالف انه لا يقدر على ضرب المطيع ولا يقدر ايضا علي لكونه مثله **فصل** فيه فائدة وهو
الخوف العام والرجاء العام لان الامن الكلي من الله يوجب الجراءة فيفضي الى صيرورة المطيع عاصيا **قوله تعالى** واليه تقلبون
اي ترجعون وما انتم بمعجزين في الارض ولا في السماء والخطاب مع الآدميين وهم ليسوا في السماء قال الفراء معناه ولا من في السماء بمعجز
كقول حسان بن ثابت يهجو رسول الله صلى الله عليه وسلم * فمن يهجو رسول الله منكم * ويمدحه وينصره سواء * اراد ومن يمدحه
وينصره فاضمر من يريد لا يعجزه اهل الارض ولا اهل السما يعني ان من في السموات عطف على انتم بتقدير من بعض **فصل**
قال الفراء وهذا من غوامض العربية قال ابن [illegible] وهذا على اصله حيث يجوز حذف الموصول وتبقى صلته قال قطرب
ما انتم بمعجزين في الارض ولا في السماء لو كنتم فيها كقول القائل لا يفوتني فلان ها هنا ولا بالبصرة لو كان بها كقوله تعالى ان استطعتم
ان تنفذوا من اقطار السموات والارض اي على تقدير ان تكونوا فيها والابعد من ذلك المعنى قول من قال موصول لمحذوف اي وما انتم بمعجزين
من في الارض من الجن والانس ولا من في السماء من الملائكة فكيف تعجزون خالقها وعلى قول الجمهور يكون المعنى ان تعجزوا وفات ايد وما انتم
بمعجزين قائلين فاين يبلغ الله بكم **فصل** اعلم ان اعجاز المعذب عن التعذيب اما بالهرب منه وبالثبات ومدافعته فذكر الله تعالى

القسمين فقال وما انتم بمعجزين في الارض ولا في السماء يعني بالهرب لو صعدتم الى السماء او هويتم الى تخوم الارض لم تخرجوا
من قبضة قدرته ولا مطمع بالاعجاز بالهرب واما بالثبات فكذلك لان الاعجاز بالثبات اما ان يكون بالاستناد الى ركن
شديد يشفع ولا يمكن المعذب مخالفته فيشفع به المعذب ويعجز عنه او بالانتصار بقوي يدافعه وكلاهما محال فلهذا قال وما
لكم من دون الله من ولي يشفع ولا نصير يدفع فان قيل ما الحكمة في قوله وما انتم بمعجزين ولم يقل لا تعجزون بصيغة
الفعل فالجواب لان نفي الفعل لا يدل على نفي الصلاحية فمن قال ان فلانا لا يخيط لا يدل على ما يدل عليه انه ليس بخايط
وقدم الارض على السماء والولي على النصير لان هربهم الممكن في الارض فان كان يقع منهم هرب فانه يكون في الارض ثم انا فرضنا
لهم قدرة غير ذلك فيصعدون في السماء واما الدفع فان القائل اذا امكنه الدفع فان حمل الظرف فيه بالشفاعة لان ما من
احد في الشاهد الا ويكون له شفيع يتكلم عنه عند ملك وليس لكل احد ناصر يعاديه الملك فلذلك قدم الارض على السماء والولي على
النصير **قوله تعالى** والذين كفروا بآيات الله ولقائه اي بالقرآن والبعث اولئك يئسوا من رحمتي واولئك لهم عذاب اليم يوم
القيمة فان قيل ما المعنى بقوله اولئك مرة واحدة فالجواب ان ذلك الفائدة وهو انه قال اولئك يئسوا ولهم عذاب اليم
ذهب الى ان هذا انحصر فيهم كقولك فلا يوجد المجموع الا فيهم واضاف الرحمة الى نفسه في قوله تعالى يئسوا من رحمتي واضاف الياس اليهم
بقوله يئسوا اعلاما لعباده بعموم رحمته ولزوم مآله **قوله تعالى** فما كان جواب قومه العامة على نصبه والحسن وصالح وسالم
الافطس برفعه وتقدم تحقيق هذه الآيات في تذكير اهل مكة وتحذيرهم وهي معترضة في قصة ابراهيم صلوات الله عليه ثم عاد الى
قصة ابراهيم فقال تعالى فما كان جواب قومه الا ان قالوا اقتلوه او حرقوه لما اقام ابراهيم صلوات الله عليه البرهان على الاصول
الثلاثة لم يجيبوه الا بقولهم اقتلوه او حرقوه فان قيل كيف سمى قولهم اقتلوه جوابا مع انه ليس بجواب فالجواب عنه من وجهين
احدهما انه خرج مخرج المتكبر كما يقول الملك لرسول خصمه جوابكم السيف مع ان السيف ليس بجواب في معرض الجواب وانما معناه لا
اقابل بالجواب وانما اقابل بالسيف الثاني ان الله تعالى اراد بيان ضلالتهم وانهم ذكروا ما ليس بجواب في معرض الجواب فبين انهم لم يكن
لهم جواب اصلا وذلك ان من لا يجيب غيره وسكت لا يعلم انه قد يقدر على الجواب ام لا لجواز ان يكون سكوته لعدم الالتفات واما
اذا اجاب بجواب فاسد علم انه قصد الجواب وما قدر عليه وتذكر الامرين الثاني منهما الا يقال عن الاول كما تقول زوج او فرد
ويقال هذا انسان او حيوان يعني ان لم يكن انسانا فهو حيوان ولا يصح ان يقال هذا حيوان او انسان اذ يلزم منه ان يقال هذا
حيوان فان لم يكن حيوانا فهو انسان فاسد واذا كان كذلك فالتحريق يشتمل على القتل فقوله اقتلوه او حرقوه كذلك هذا
حيوان او انسان والجواب على هذا ينبني على وجهين الاول ان الاستعمال على حذف ما ذكر شايع كقولك لفظة دينار او دينار وربع
قال الله تعالى قم الليل الا قليلا نصفه او انقص منه قليلا او زد عليه فكذا ها هنا قال اقتلوه او زيدوا على القتل لان التحريق قتل
وزيادة الثاني مسلما ما ذكرتم فالامر ها هنا كذلك لان التحريق فعل يفضي الى القتل وقد يتخلف عنه القتل فان من القي في النار
احترق جلده باسره وخرج منها حيا يصح ان يقال احترق فلان واحرق فما مات فكذلك ها هنا قال اقتلوه ولا تعجلوا قتله وعذبوه
في النار فان تركتم مقالته تخلوا سبيله وان اصر فاتركوه في النار **قوله تعالى** فانجاه الله من النار قيل بردت النار وقيل ذكر
ابراهيم صلوات الله عليه كيفية استبردها منها النار وقيل نزع ابراهيم ما كان عليه ومنع اذى النار عنه والكل ممكن والله قادر عليه
فان قيل ما الحكمة في قوله هناك آية للعالمين في انجاء نوح صلوات الله عليه واصحاب السفينة جعلناها آية وقال ها هنا
آيات بالجمع فما الحكمة فالجواب ان انجاء السفينة شيء يتسع له العقول فلم يكن فيه من الآية الا اعلام الله تعالى اياه بالاتخاذ وقت الحاجة
بسبب ان الله تعالى صان السفينة عن المهلكات كالرياح واما الانجاء من النار فعجيب فقال فيه لآيات فان قيل ما الحكمة في قوله
تعالى هناك آية للعالمين وقال ها هنا لقوم يؤمنون خص الآيات بالمؤمنين فالجواب ان السفينة بقيت اعواما حتى مر عليها
الناس ورأوها فحصل العلم بها لكل واحد واما تبريد النار فلم يبق فلم يظهر له بعده الا بطريق الايمان والتصديق وفيه
لطيفة ان الله تعالى لما برد النار على ابراهيم بسبب اهتدائه في نفسه واهتدائه [illegible] وقد قال الله تعالى للمؤمنين لقد كان لكم
اسوة في ابراهيم فحصل للمؤمنين بشارة بان الله تبارك وتعالى يبرد عنهم النار يوم القيمة فقال ان في ذلك لتبريد لآيات لقوم
يؤمنون فان قيل لم قال هناك جعلناها فالجواب لان السفينة ما صارت آية في نفسها ولو لا خلق الله تعالى الطوفان
لبقيت [illegible] فالله تعالى جعل السفينة بعد وجودها آية واما تبريد النار فهو في نفسه اذا وجدته لا يحتاج الى شيء آخر
كخلق الطوفان حتى يصير آية **قوله تعالى** انما اتخذتم في ما هذه ثلاثة اوجه احدها انها موصولة بمعنى الذي والعائد محذوف
وهو المفعول الاول واوثانا مفعول ثان والخبر مودة وقراءة من رفع كما سيأتي والتقدير الذي اتخذتموه اوثانا مودة اي ذو مودة
وجعل نفس المودة والمحذوف على قراءة من نصب مودة اي تتخذوه اوثانا لاجل المودة لا ينفعكم او يكون عليكم لدلالة قوله
يوم القيمة يكفر بعضكم ببعض والثاني هو من دون الله لمن رفع مودة كانت خبر مبتدأ مضمر اي هو مودة ذات مودة او جعلت نفس المودة

مبالغة والجملة حينئذ صفة لأوثانا أو مستأنفة ومن نصب كانت مفعولا له أو باضمار أعني الثالث أن تجعل مصدرية
وحينئذ يجوز أن يقدر مضافا من الأول أي أن سبب اتخاذكم مودة مبالغة وفي قراءة من نصب يكون الخبر محذوفا والإضمار
في الوجه الأول وقرأ ابن كثير وأبو عمرو والكسائي برفع مودة غير منونة والرفع فتقدم والنصب أيضا تقدم وفيه وجهان
ويجوز وجه ثالث وهو أن يجعل مفعولا ثانيا على المبالغة والإضافة للاتساع في الظرف كقولهم يا سارق الليلة أهل الدار
من نقبه نقل اصله ونقل عن عاصم أنه رفع مودة غير منونة ونصب بينكم وخرجت على إضافة مودة للظرف وإنما بني لإضافته
إلى غير متمكن كقراءة لقد تقطع بينكم بالفتح إذ جعلنا بينكم فاعلا وأما في الحيوة ففيه أوجه الأول أنه هو وبينكم متعلقان
بمودة إذا نونت وجاز تعلقهما بعامل واحد لاختلافهما الثاني أن يتعلقا بمحذوف على أنهما صفتان لمودة الثالث أن يتعلق
بينكم بمودة وفي الحيوة صفة لمودة ولا يجوز العكس لئلا يلزم إعمال المصدر الموصوف والفرق بينه وبين الأول أن الأول أعمل فيه
المصدر قبل أن يوصف وهنا أعمل فيه بعد أن وصف على أن ابن عطية جوز ذلك هو وغيره وكأنهم تسعوا في ذلك فهذا وجه رابع
الخامس أن يتعلق في الحيوة بنفس بينكم لأنه بمعنى الفعل إذ التقدير اجتماعكم ووصلكم السادس أن يكون حالا من بعض بينكم السابع
أن يكون بينكم صفة لمودة وفي الحيوة حال من الضمير المستكن فيه الثامن أن يتعلق في الحيوة باتخذتم على أن تكون ما كافة ومودة
منصوبة قال أبو البقاء لئلا يؤدي إلى الفصل بين الموصول وما في الصلة بالخبر **فصل** وقال يعني إبراهيم إنما اتخذتم من
دون الله أوثانا مودة فعلى قراءة رفع مودة وخفض بينكم بالإضافة يكون المعنى اتخذتم من دون الله أوثانا وهي مودة بينكم
في الحياة الدنيا ثم تنقطع ولا تنفع في الآخرة ومن رفع مودة أو من خفض مودة من غير تنوين الإضافة بنوع الاتحاد بينها
ومن نصب مودة ونونها ونصب بينكم والمعنى أنكم إنما اتخذتم من دون الله هذه الأوثان مودة بينكم في الحيوة الدنيا أي
على عبادتها تتواصلون عليها في الدنيا ثم يوم القيمة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا تتبرأ الأوثان من عابديها
وتبرأ القادة من الأتباع ويلعن الأتباع القادة ومأواكم النار جميعا العابدون والمعبودون جميعا وما لكم من ناصرين فإن قيل
قال قبل هذا ومأواكم النار وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير على لفظ الواحد وقال هنا وما لكم من ناصرين على لفظ
الجمع فما الحكمة فيه فالجواب أنهم لما أرادوا إحراق إبراهيم عليه السلام قالوا نحن ننتصر لآلهتنا كما قال تعالى حرقوه وانصروا آلهتكم
فقال إبراهيم إن هؤلاء الناصرين ما لكم كلكم أي الأوثان وعبدتها من ناصرين وأما هنا فلم يسبق منهم دعوى النصر فنفى الجنس بقوله
ولا نصير **قوله تعالى** فآمن له لوط أي صدقه وهو أول من صدق إبراهيم وكان ابن أخيه وقال إبراهيم إني مهاجر إلى ربي أي
أمرني بالتوجه إليه من كوثى وهو من سواد الكوفة إلى حران ثم إلى الشام ومعه لوط وامرأته سارة وهو أول من هاجر قال مقاتل
هاجر إبراهيم عليه السلام وهو ابن خمس وسبعين سنة ثم قال إنه هو العزيز الحكيم عزيز يمنع أعدائي عن إيذائي بعزته وحكيم لا يأمرني
إلا بما يوافق الحكمة فإن قيل فآمن له لوط بعد ما رأى منه المعجز القاهر ودرجة لوط كانت عالية وبقاؤه إلى هذا الوقت فأي نقص
من الدرجة الأولى أن أبا بكر رضي الله عنه لما قبل دين محمد صلى الله عليه وسلم كان قبوله قبل الكل من غير سماع تكلم الحصا وانشقاق القمر
فالجواب أن لوطا لما رأى معجزته آمن برسالته وأما بالوحدانية فآمن حين سمع مقالته ولهذا قال فآمن له لوط ولم يقل فآمن لوط
فإن قيل ما وجه تعلق قوله وقال إني مهاجر إلى ربي بما تقدم فالجواب لما بالغ إبراهيم في الإرشاد ولم يهتد قومه وحصل
الإياس الكلي حيث رأى القوم الآية الكبرى ولم يؤمنوا وجبت المهاجرة لأن الهادي إذا هدى قومه ولم ينتفعوا فبقاؤه فيهم مفسدة
لأنه إن دام على الإرشاد كان اشتغالا بما لا ينفع في علمه فيصير كمن يقول للحجر صدق وهو عبث والسكوت دليل الرضا فيقال إنه
صار منا ورضي بأفعالنا وإذا لم يبق للإقامة وجه وجبت المهاجرة فإن قيل ما الحكمة في قوله إني مهاجر إلى ربي ولم يقل
مهاجر إلى حيث أمرني ربي مع أن المهاجرة إلى الرب توهم الجهة فالجواب أن قوله إلى حيث أمرني ربي ليس في الإخلاص كقوله إلى ربي لأن
الملك إذا صدر منه أمر بنقل الأجناد إلى الموضع الفلاني ثم إن واحدا منهم صار إلى ذلك الموضع لغرض نفسه فقد هاجر إلى حيث أمر الملك
ولكن لا مخلصا لوجهه فقال مهاجر إلى ربي يعني توجهي إلى الجهة المأمور بالهجرة إليها ليس طلبا للجهة إنما هو طلب لله **قوله**
ووهبنا له إسحاق ويعقوب وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب قيل إن الله لم يبعث نبيا بعد إبراهيم إلا من نسله وآتيناه
أجره في الدنيا وهو الثناء الحسن وكل أهل الأديان يتولونه وقال السدي هو الولد الصالح وقيل إنه رأى مكانه في الجنة وإنه
في الآخرة لمن الصالحين أي في زمرة الصالحين قال ابن عباس مثل هذه الآية في آدم ونوح وفي هذه الآية لطيفة وهو أن الله
تعالى بدل جميع أحوال إبراهيم في الدنيا بأضدادها لما أراد قومه تعذيبه بالنار وكان وحيدا فريدا بدل الله وحدته بالكثرة حتى ملأ
الدنيا من ذريته ولما كانت أقاربه العربية ضالين مضلين من جملتهم آزر بدل الله أقاربه بأقارب مهتدين هادين وهم
ذريته الذين جعل فيهم النبوة والكتاب وكان أولا لا جاه له ولا مال له وهما غاية اللذة في الدنيا فآتاه الله أجره من المال وكثر
ماله حتى كان له من المواشي ما علم الله عدده حتى قيل إنه كان اثنا عشر ألف كلب حارس بأطواق ذهب وأما الجاه وما خصه بتفرد الصلاة

عليه بالصلاة على سائر الأنبياء إلى يوم القيمة وصار معروفا بشيخ المرسلين بعد أن كان خاملا حتى قال قائلهم سمعنا
فتى يذكرهم يقال له إبراهيم وهذا الكلام لا يقال إلا في مجهول أمر النكر فإن قيل إن إسماعيل كان نبيا وأولاده الصالحين
أسلم لأمر الله بالذبح وانقاد لأمر الله وحكمه ولم يذكر فالجواب هو مذكور في قوله وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب
ولم يصرح باسمه لأنه كان يبين فضله معه هبة الأولاد والأحفاد فذكر من الأولاد واحدا وهو الأكبر ومن الأحفاد
واحدا كما يقول القائل إن السلطان في خدمته الملوك والأمير الفلاني والأمير الفلاني ولا يعد الكل لأنه ذكر ذلك الواحد
لبيان الجنس لا الخصوصية ولو ذكر لفهم منه التعديد واستيعاب الكل بالذكر فيظن أنه ليس معه غير المذكور فإن قيل
إن الله تعالى جعل في ذريته النبوة إجابة لدعائه والوالد يجب أن يسوي بين ولده فكيف صارت النبوة من ولد إسحاق
أكثر من النبوة في أولاد إسماعيل فالجواب أن الله تعالى قسم الزمان من وقت إبراهيم إلى يوم القيمة قسمين والناس أجمعين
فالقسم الأول من الزمان بعث الله تعالى فيه أنبياء لهم فضائل جمة وجاءوا تترى واحدا بعد واحد ومجتمعين في عصر واحد
كلهم من ذرية إسحاق عليه السلام وجعل لخاتم النبيين وقد دام الخلق على دين إسماعيل أكثر من أربعة آلاف سنة ولم يتعد
أن يبقى الخلق على دين ذرية إسماعيل مثل ذلك المقدار فإن قيل ولوطا إذ قال لقومه كما عطف إبراهيم إذ قال لقومه أئنكم قرأ أبو عمرو
وحمزة والكسائي وأبو بكر أئنكم بالاستفهام وقرأ الباقون على الاستفهام الثانية كلتا أئنكم لتأتون الفاحشة وهو إتيان الرجال
ما سبقكم يجوز أن تكون استئنافا فيه جوابا لمن قال عن ذلك وأن يكون الجواب حالية أو معترضين بها فالجواب قال إبراهيم
لقومه اعبدوا الله وقال لوط لقومه هاهنا أئنكم لتأتون الفاحشة ولم يأمرهم بالتوحيد فما الحكمة فالجواب أنه لما
ذكر الله لوطا عند ذكر إبراهيم كان لوطا في زمن إبراهيم فلم يذكر عن لوط أنه أمر قومه بالتوحيد مع أن الرسول لا بد من أن يقول
ذلك وحكاية لوط وغيرها هاهنا على سبيل الاختصار فاقتصر على ما اختص به لوط وهو المنع من الفاحشة ولم يذكر عنه
الأمر بالتوحيد وإن كان قاله في موضع آخر حيث قال اعبدوا الله ما لكم من إله غيره لأن ذلك قد أتى به إبراهيم وسبقه
فصار كالمختص به وأما المنع من عمل قوم لوط كان مختصا بلوط فذكر كل واحد بما اختص به عن غيره **فصل**
دلت الآية على وجوب الحد في اللواطة لأنه سماها فاحشة وقد ثبت أن إتيان الفاحشة توجب الحد وأيضا فإن الله
تعالى جعل عذاب من أتى بها إمطار الحجارة عليه عاجلا وهو الرجم وتقدم الكلام على قوله ما سبقكم بها من أحد **قوله تعالى**
أئنكم لتأتون الرجال وتقطعون السبيل قيل إنهم كانوا يفعلون الفاحشة بمن يمر بهم من المسافرين فترك الناس الممر بهم وقيل
يقطعون سبيل النسل بإتيان الرجال كقوله تعالى أتأتون الرجال شهوة من دون النساء وتأتون في ناديكم المنكر **فصل**
قال الخطيب المقري ورد به النادي في القرآن بأن نفسين الأول مكان يجلس القوم للحديث فيه كهذه الآية والثاني بمعنى الناصر كقوله
تعالى فليدع ناديه أي ناصره يعني أبا جهل واعلم أن النادي والندي والمنتدى مجلس القوم ومتحدثهم روى أبو صالح عن
أم هانئ بنت أبي طالب سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله وتأتون في ناديكم المنكر قالت ما المنكر الذي كانوا يأتون
قال كانوا يحذفون أهل الطرق ويسخرون منهم وروي أنهم كانوا يجلسون في مجالسهم وعند كل رجل منهم قصعة فيها حصى
وإذا مر بهم عابر سبيل حذفوه فأيهم أصابه كان أولى به وقيل إنه كان يأخذ ما معه وينكحه ويغرمه ثلاثة دراهم ولهم قاض بذلك
قال القاسم بن محمد كانوا يتضارطون في مجالسهم وقال مجاهد كان يجامع بعضهم بعضا في مجالسهم وعن عبد الله بن سلام يبزق
بعضهم على بعض وعن مكحول قال من أخلاق قوم لوط مضغ العلك وتطريف الأصابع بالحناء وحل الإزار والصفير والحذف
واللواطة **قوله تعالى** فما كان جواب قومه لما أنكر عليهم لوط ما يأتونه من القبائح إلا أن قالوا له استهزاء ائتنا بعذاب الله
إن كنت من الصادقين أن العذاب نازل بنا فعند ذلك قال لوط رب انصرني على القوم المفسدين بتحقيق العذاب فإن قيل
قال قوم إبراهيم اقتلوه أو حرقوه وقال قوم لوط ائتنا بعذاب الله وما هددوه وإن إبراهيم كان أعظم من لوط فإن لوطا كان
من قومه فالجواب أن إبراهيم كان يقدح في دينهم ويشتم آلهتهم ويعدد صفات نقصهم بقوله لا يسمع ولا يبصر ولا ينفع ولا يغني
والقدح في الدين صعب فجعلوا جزاءه القتل والتحريق ولوط كان ينكر عليهم فعلهم وينسبهم إلى ارتكاب الحرام وهم ما كانوا يقولون
إن هذا واجب من الدين فلم يصعب عليهم مثل ما صعب على قوم إبراهيم كلام إبراهيم فقالوا إنك تقول إن هذا حرام والله يعذب
عليه ونحن نقول لا يعذب عليه فإن كنت صادقا فائتنا بالعذاب فإن قيل إن الله تعالى قال في موضع آخر فما كان جواب
قومه إلا أن قالوا أخرجوا آل لوط من قريتكم وقال هاهنا فما كان جواب قومه إلا أن قالوا ائتنا فكيف الجمع فالجواب أن لوطا كان
ثابتا على الإرشاد مكررا على النهي والوعيد فقالوا أولا ائتنا ثم لما كثر عند ذلك ولم يسكت عنهم قالوا أخرجوا ثم إن لوطا لما
يئس منهم طلب النصرة من الله وذكرهم بما لا يحب الله فقال رب انصرني على القوم المفسدين واعلم أن كل نبي من الأنبياء ما طلب
هلاك قومه إلا إذا علم أن عدمهم خير من وجودهم كما قال نوح إنك إن تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا إلا فاجرا كفارا يعني أن

المصلحة الا ان يكون فيهم حالا اي ليس لهم حالا ولا منفعة ولا مصلحة فيها فانهم ضالون في الحال وفي المال فانهم يربون
اولادهم من صغرهم بالامتناع من الاتباع وكذلك لوطا لما رآهم يفسدون في الحال واشتغلوا بما لا يرجى منهم ولد صالح يعبد الله
فطلب المصلحة منهم حالا ومالا فبعدهم صار خيرا فطلب العذاب قوله ولما جاءت رسلنا ابراهيم بالبشرى يعني الله باسحاق
ويعقوب قالوا انا مهلكوا اهل هذه القرية يعني قوم لوط ان اهلها كانوا ظالمين قال ابراهيم ان فيها لوطا قالت الملائكة نحن اعلم بمن
فيها ويأتي بقية الكلام على ذلك قوله تعالى ولما ان جاءت تقدم نظيرها الى ان هنا زيدت ان وهو مطرد تأكيدا اعلم
ان الداعي لوط على قومه بقوله رب انصرني استجاب الله دعاءه وامر ملائكته باهلاكهم وارسلهم مبشرين ومنذرين فجاؤا ابراهيم
وبشروه بذرية طيبة وقالوا انا مهلكوا اهل هذه القرية يعني اهل سدوم فصل في الاية لطيفتان الاولى ان الله
جعلهم مبشرين ومنذرين لكن البشارة اثر الرحمة والانذار بالاهلاك اثر الغضب ورحمته سبقت غضبه فقدم البشارة على
الانذار وقال جاءت رسلنا ابراهيم بالبشرى ثم قال قالوا انا مهلكوا الثانية حين ذكروا البشرى ما هلكوا وقالوا انا نبشرك
لانك رسول او لانك مؤمن او لانك عادل وحين ذكروا الاهلاك هلكوا وقالوا ان اهلها كانوا ظالمين لان ذا الفضل لا
يكون فضله بعوض والعادل لا يكون عدله الا على جرم فان قيل قال في قوم نوح فاخذهم الطوفان وهم ظالمون وقيل
ان ذلك اشارة على انهم ظالمون ولم يقل فاخذهم وكانوا ظالمين وها هنا قالوا ان اهلها كانوا ظالمين ولم يقل وهم ظالمون
فالجواب لا فرق بين الوصفين في كونهم مهلكين وهم مصرون على الظلم لكن هناك الاخبار عن الله عن الماضي حيث قالوا انا
لمهلكوا والملائكة ذكروا ما يحتاجون اليه في ابانة حسن الامر من الله بالاهلاك فقالوا انا مهلكوا اهل هذه القرية لان ذا امرنا
وجاء امرنا كانوا ظالمين بحسن امر الله عند كل احد واما نحن فلا نخبر بما لا حاجة لنا اليه فان الملك عن الملك بغير اذنه سواء بفتح ما
احتجنا الى هذا القدر وهو انهم كانوا ظالمين في وقتنا هذا وكونهم يبقون كذلك فلا حاجة لنا اليه ثم ان ابراهيم لما سمع كلام
قال ان فيها لوطا اشفاقا عليه ليعلموا حاله قالت الملائكة نحن اعلم بمن فيها لننجينه قرأ حمزة والكسائي ويعقوب لننجينه بالتخفيف
وقرأ الاخرون بالتشديد الا امرأته كانت من الغابرين اي الباقين في العذاب ويجي استعمال الغابر في المهلك وجهان لان
الغابر مشترك في الماضي وفي الباقي يقال فيما غبر من الزمان اي فيما مضى وقال عليه السلام لما سئل عن الماء وما ينوبه من السباع
فقال لها ما غبر طهور اي ما بقي فعلى الاول ذكر الظالمين سبق في قولهم انا مهلكوا اهل هذه القرية ان اهلها كانوا ظالمين ثم جرى
قوم لوط وقول الملائكة لها انها من الغابرين من الراحلين الماضين لا من الباقين المستقرين واما على الثاني لما قضى الله على القوم بالهلاك
كان الكل في الهلاك لا من ينجي منهم فقالوا انا منجوا لوطا واهله واما امرأته فهي من الباقين في الهلاك قوله تعالى ولما جاءت
رسلنا لوطا اي انهم من عند ابراهيم جاؤا الى لوط على صورة البشر فظنهم بشرا فخاف عليهم من قومه لانهم كانوا في احسن صورة والقوم
كما عرف حالهم سيء بهم اي جاءه ما ساءه وخاف ثم عجز عن تدبيرهم فحزن وضاق بهم ذرعا كناية عن العجز في تدبيرهم قال الزمخشري
يقال طال ذرعه وذراعه للقادر وضاق للعاجز وذلك لان من طال ذراعه يصل الى ما لا يصل اليه قصير الذراع في الاستعمال
وجها اخر معقولا وهو ان الخوف والحزن يوجبان انقباض الروح ويتبعها اشتمال القلب عليه فينقبض هو ايضا والقلب هو
المعتبر من الانسان فكان الانسان انقبض واجتمع وما يكون كذلك يقصر ذرعه ومساحته ويضيق فيقال في الحزين ضاق ذرعه
والغضب والفرح يوجبان انبساط الروح فينبسط مكانه وهو القلب فيتسع فيقال طال ذرعه ثم ان الملائكة لما رأوا خوفه
وحزنه بسبب تدبيرهم في ثاني الامر قالوا لا تخف علينا من قومك ولا تحزن باهلاكنا اياهم انا منجوك واهلك وانا منزلون
عليهم العذاب حتى تبين له انهم ملائكة فيطول ذرعه ويزول روعه قوله تعالى انا منجوك في الكاف وما اشبهها مذهبان قول
سيبويه انها في محل جر فعلى هذا في نصب واهلك وجهان اضمار فعل او العطف على المحل وذهب الاخفش وهشام في محل نصب
وحذف التنوين والنون لشدة اتصال الضمير وقد تقدمت قراءة التخفيف والتثقيل في لننجينه ومنجوك في الحجر قوله
انا منزلون قرأ ابن عامر بالتشديد والاخرون بالتخفيف وقرأ ابن محيصن رجزا بضم الراء والاعمش وابو حيوة يفسقون
بالكسر فان قيل قالوا هنا انا منجوك وقال لابراهيم لننجينه بصيغة الفعل فما الحكمة فيه فالجواب ما من حرف ولا ذكر
في القرآن الا وفيه فايدة ثم ان العقول البشرية تدرك بعضها ولا تصل الى اكثرها وما اوتي البشر من العلم الا قليلا والذي
يظهر لي ان هناك لما قال ابراهيم ان فيها لوطا وعدوه التنجية ووعد الكريم حتم وها هنا لما قالوا للوط وكان ذلك بعد
سبق الوعد مرة قالوا انا منجوك اي ذلك واقع منا كقوله انك ميت لضرورة وقوعه فان قيل ما اصاب قوله انا منجوك
لقوله لا تخف ولا تحزن ولم يخف ما كان على نفسه فالجواب ان لوطا لما خاف عليهم وحزن لاجلهم قالوا لا تخف علينا
ولا تحزن لاجلنا فان الملائكة ثم قالوا يا لوط خفت علينا وحزنت لاجلنا ففي مقابلة خوفك علينا وحزنك لاجلنا وقت
الخوف نزول خوفك ونجيك وفي مقابلة حزنك فقالوا انا منجوك واهلك فان قيل القوم عذبوا بسبب ما صدر منهم من

الفاحشة

الفاحشة وامرأته لم يصدر منها ذلك فكيف كانت من الغابرين معهم فالجواب ان الدال على الشر كالدال على الخير
كفاعله وهي كانت تدل على القوم حتى قصدوهم فالدلالة صارت لاحدهم ثم انهم بشارة لوط بالتنجية ذكروا انهم
لمنزلون على اهل هذه القرية العذاب واختلفوا في ذلك فقيل حجارة وقيل نار وقيل خسف وعلى هذا يكون قولهم رجزا
من السماء يعني ان الامر بالخسف من السماء والقضاء به من السماء واعلم ان كلام الملائكة مع لوط جرى على نمط كلامهم مع ابراهيم
فقدموا البشارة على انزال العذاب فقالوا انا منجوك لانك نبي وعابد وعللوا الاهلاك بما كانوا يفسقون كقولهم هناك
ان اهلها كانوا ظالمين قوله تعالى ولقد تركنا فيها آية فيه وجهان احدهما ان بعضها باق وهي آية باقية الى اليوم والمعنى تركنا
من قريات لوط آية بينة وهي ظاهرة الثاني من مزيدة واليه نحا الفراء اي تركنا فيه كقوله • امهرت منها جبة وعنابا • اي امهرتها
وهذا يجي على رأي الاخفش اي ولقد تركنا القرية والقرية معلومة وفيها الماء الاسود وهي بين القدس والكرك فان قيل كيف
جعل الآية في نوح وابراهيم النجاة فقال فانجيناه واصحاب السفينة وجعلناها آية وقال فانجاه الله من النار ان في ذلك لآيات
وجعل الهلاك هنا الآية فالجواب ان الآية في ابراهيم كانت في النجاة لان في ذلك الوقت لم يكن هلاك واما في نوح فالماء الذي
من الطوفان الذي علا الجبال بأسرها امر عجيب الهي وما به النجاة وهو السفينة كانت باقيا والغرق لم يبق بعده اثر فجعل الباقي آية
واما ها هنا فنجاة لوط لم يكن بامر يبقى اثره للحس والهلاك والبلاد فجعل الامر ها هنا البلاد وهناك السفينة وها هنا لطيفة
وهو ان الله تعالى آية قدرته موجودة في الانجاء والاهلاك وذكر من كل باب آية وقدم آية الانجاء لانها اثر الرحمة واخر آية الاهلاك لانها
اثر الغضب ورحمته سابقة فان قيل ما الحكمة في قوله في السفينة جعلها آية ولم يقل بينة وقال ها هنا آية بينة فالجواب
ان الانجاء بالسفينة امر يسع له كل عاقل وقد يقع في ذهن جاهل ان الانجاء بالسفينة لا يفتقر الى امر آخر واما الآية ها هنا الخسف وجعل
ديارهم المعمورة عاليها سافلها وهو ليس معتادا وانما ذلك بارادة قادر يخصصه بمكان دون مكان وفي زمان دون زمان فهي بينة
لا يمكن الجاهل ان يقول هذا امر يكون كذلك وكان له ان يقول في السفينة امرها يكون كذلك فيقال له فلو دام الماء يغرقه ادهم
كيف يحصل له النجاة ولو سلط الله عليهم الريح العاصفة كيف يكون احوالهم واحوالهم فان قيل كيف ما الحكمة في قوله هناك العالمين
وقوله هنا القوم يعقلون فالجواب ان السفينة موجودة معلومة في جميع اقطار العالم فقصد كل قوم مثال السفينة يتكلمون بها
حالة نوح واذا ركبوها يطلبون من الله النجاة ولا يثق احد بمجرد السفينة بل يكون دائما في خوف القلب متضرعا الى الله تعالى طالب النجاة
واما اثر الهلاك في بلاد لوط مع موضع مخصوص لا يطلع عليها الا من مر بها ويصل اليها ويكون له عقل يعلم ان ذلك من الله تعالى
بارادته بسبب اختصاصه بمكان دون مكان ووجوده في زمان دون زمان قال ابن عباس الآية البينة آثار منازلهم الخربة وقال
قتادة هي الحجارة التي اهلكوا بها ابقاها الله تعالى حتى ادركها اوائل هذه الامة وقال مجاهد في ظهور الماء الاسود على وجه الارض
قوله تعالى والى مدين ارسلنا او بعثنا الى مدين اخاهم شعيبا بدلا او بيانا او باضمار اعني وقيل مدين اسم رجل في الاصل وحصل
له ذرية واشتهر في القبيلة كتميم وقيس وغيرهما وقيل اسم ما نسب الماء اليه فاشتهر في القوم والاول اظهر لان الله تعالى اضاف
الى مدين بقوله ولما ورد ماء مدين ولو كان اسم الماء لكانت الاضافة غير صحيحة او غير حقيقية والاصل في الاضافة التغاير حقيقة
وقوله اخاهم قيل لان شعيبا كان منهم نسبا فان قيل قال الله تعالى ولقد ارسلنا نوحا الى قومه فقدم نوحا في الذكر وعرف
القوم في الاضافة اليه وكذلك في ابراهيم ولوط وها هنا ذكر القوم اولا واضاف اليهم اخاهم شعيبا فما الحكمة فالجواب
ان الاصل في الجميع ان يذكر القوم ثم يذكر رسولهم لان الرسل لا تبعث الى غير معينين وانما تبعث الرسل الى قوم محتاجين الى الرسل
فيرسل اليهم من يختاره منهم الا ان قوم نوح وابراهيم ولوط لم يكن لهم اسم خاص ولا نسبة مخصوصة يعرفون بها فعرفوا بالنبي
فقيل قوم نوح وقوم لوط واما قوم شعيب وهود وصالح فكان لهم نسب معلوم اشتهروا به عند الناس فجرى الكلام على اصله
فقال الله والى مدين اخاهم شعيبا والى عاد اخاهم هودا فان قيل انه لم يذكر عن لوط انه امر قومه بالعبادة والتوحيد وذكر
عن شعيب ذلك فالجواب ما تقدم وهو ان لوطا كان من قوم ابراهيم وفي زمانه وكان ابراهيم سبقه بذلك واجتهد
فيه حتى اشتهر الامر بالتوحيد عند الخلق من ابراهيم فلم يحتج لوط الى ذكره وانما ذكر ما اختص به من المنع من الفاحشة وغيرها وان كان
هو ايضا امر بالتوحيد وشعيب بدأ به فقال اعبدوا الله وارجوا اليوم الآخر قال الزمخشري معناه افعلوا فعل من يرجو اليوم الآخر
اذ يقول القائل للغير كن عاقلا ويكون معناه افعل فعل من يكون عاقلا كقوله ارجوا اليوم الآخر بعد قوله اعبدوا الله يدل على
التفصيل لا على الوجوب قوله تعالى ولا تعثوا في الارض مفسدين تقدم الكلام عليه ونصب مفسدين على المصدر كقول
القائل اجلس قعودا قوله تعالى فكذبوه فاخذتهم الرجفة فان قيل ما الحكمة فيما حكاه الله عن شعيب امر ونهي والامر
لا يكذب ولا يصدق فان من قال لغيره اعبد الله لا يقال له كذبت فالجواب كان شعيب يقول الله واحد فاعبدوه والحشر
كائن فارجوه والفساد محرم فلا تقربوه وهذه فيها اخبارات فكذبوه فيما اخبر به فصل ها هنا وفي الاعراف

فاخذتهم الرجفة وقال في هود فاخذتهم الصيحة والحكاية واحدة لا تعارض بينهما فان الصيحة كانت سببا للرجفة قيل ان
جبريل صاح فتزلزلت الارض من صيحته فرجفت قلوبهم والاضافة الى السبب لا تنافي الاضافة الى سبب السبب فان قيل ما الحكمة
في انه حيث قال فاخذتهم الصيحة قال في ديارهم وحيث قال فاخذتهم الرجفة قال في دارهم فالجواب ان المراد من الدار هو الديار
والاضافة الى الجمع يجوز ان يكون بلفظ الجمع وان يكون بلفظ الواحد اذا امن من الالتباس وانما اختلف اللفظ لطيفة وهي ان
اللفظة اعني الرجفة هائلة في نفسها فلم يحتج ان تهول بها واما الصيحة فغير هائلة في نفسها لكن تلك الصيحة لما كانت عظيمة
حتى احدثت الزلزلة في الارض ذكر الديار بلفظ الجمع حتى يعلم هيبتها والرجفة بمعنى الزلزلة عظيمة عند كل احد فلم يحتج الى معظم
لامرها وقيل ان الصيحة كانت اعظم حيث عمت الارض والجو والزلزلة لم تكن الا في الارض فذكر الديار هناك وهذا ضعيف لان
الديار والدار موضع الجثوم لا موضع الصيحة والرجفة فهم على ما اصبحوا جاثمين الا في دارهم او ديارهم قوله تعالى وعادا وثمودا
نصب باهلكنا مقدرا وعطف على مفعول فاخذتهم وعلى مفعول فتنا اول السورة وهو قول الكسائي وفيه بعد كثير وتقدم تنوين
ثمود وعدمه في هود وقرا ابن وثاب وعاد وثمود بالخفض عطفا على مدين عطف الجمل بالدلالة ولا يلزم ان يكون شعيب مرسلا
اليهما وليس كذلك قوله تعالى وقد تبين لكم اي ما حل بهم وقرا الاعمش مساكنهم بالرفع على الفاعلية بحذف من [illegible]
عليهم وزين لهم الشيطان اعمالهم فصدهم عن السبيل اي عن سبيل الحق وكانوا مستبصرين قال مقاتل والكلبي وقتادة كانوا
معجبين في دينهم وضلالتهم يحسبون انهم على الهدى وهم على الباطل وقيل كانوا مستبصرين والمعنى انهم كانوا عند انفسهم مستبصرين
وقال الفراء كانوا عقلاء ذوي البصائر وقيل كانوا مستبصرين بواسطة الرسل لم يكن لهم في ذلك عذر لان الرسل اوضحوا السبيل
قوله تعالى وقارون وفرعون وهامان عطف على عادا وثمودا وعلى مفعول فصدهم وباضمار اذكر ولقد جاءهم موسى
بالبينات والدلالات كما قال في عاد وثمود وكانوا مستبصرين اي بالرسل فاستكبروا في الارض عن عبادة الله وقوله في الارض
اشارة الى قلة عقلهم في استكبارهم لان الارض اضعف اقسام المكلفين ومن في السماء اقوى منهم ثم ان من في السماء لا يستكبرون
على الله بالعبادة فكيف من في الارض وما كانوا سابقين اي فائتين من عقابنا قوله تعالى فكلا منصوب باخذنا وقوله بذنبه
اي بسبب او مصاحبا بذنبه فمنهم من ارسلنا عليه حاصبا وهم قوم لوط والحاصب الريح التي تحمل الحصباء وهو الحصا الصغار
وقيل كانت حجارة محماة تقع على كل واحد منهم فتنفذ من الجانب الآخر ومنهم من اخذته الصيحة يعني ثمود ومنهم من خسفنا به
الارض وهم قارون واصحابه ومنهم من اغرقنا يعني قوم نوح وفرعون وقومه وقوله من اغرقنا عائده محذوف لاجل
الفاصلة ثم قال وما كان الله ليظلمهم يعني ليظلمهم بالهلاك وانما ظلموا انفسهم بالاشراك قوله تعالى مثل الذين اتخذوا
من دون الله اولياء يعني الاصنام ويرجون نصرها ونفعها كمثل العنكبوت اتخذت بيتا اوي اليه وان بيتها في غاية الضعف
والوهن لا يدفع عنها حرا ولا بردا كذلك الاوثان لا تملك لعابدها ضرا ولا نفعا وان اوهن البيوت لبيت العنكبوت
نسجه بيتا ولم يعلمه ينجح لانه ينجح فيه فائدة لولاه ما حصل اصطيادها الذباب به من غير ان يفوته ما هو اعظم منه واتخاذ
الاوثان يفيدهم ما هو اقل منه من الذباب من متاع الدنيا ولكن يفوتهم ما هو اعظم منها وهو الدار الآخرة التي هي خير وابقى
فليس اتخاذهم كنسج العنكبوت وقوله وان اوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون اشارة الى ما بينا ان كل بيت ففيه
اما فائدة الاستظلال او غير ذلك وبيته يضعف عن اقامة ذلك لانه يخرب بادنى شيء ولا يبقى منه عين ولا اثر فكذلك عملهم
لو كانوا يعلمون العنكبوت معروف ونونه اصلية والواو والتاء مزيدتان بدليل جمعه على عناكب وتصغيره عنيكب ويذكر
ويونث فالتانيث قوله اتخذت ومن التذكير قوله • على هطالهم منهم بيوت • كان العنكبوت هو ابتناها • وهذا
يطرد في اسماء الاجناس لا اعلام اسماء الاجناس فيذكر ويونث قوله تعالى لو كانوا يعلمون جوابه محذوف اي لما اتخذوا او لما ضرب
لهم هذه الامثال لحقارته ويتعلق يعلمون لا يجوز ان يكون من جنس قوله وان اوهن البيوت لان كل احد يعلم ذلك وانما يتعلق
بمقدر من جنس ما يدل عليه السياق اي لو كانوا يعلمون ان هذا مثلهم قوله تعالى ان الله يعلم ما يدعون قرا ابو عمرو وعاصم
يدعون بياء الغيبة والباقون بالخطاب وانما يجوز فيها ان تكون موصولة منصوبة بيعلم اي يعلم الذين يدعونه ويعلم
احوالهم ومن شيء مصدر وان تكون استفهامية وان تكون هي وما عملت فيها معترضا بين قوله يعلم وبين قوله وهو العزيز الحكيم
كانه قيل اي شيء يدعون من دون الله وان تكون معلقة بيعلم فتكون في محل نصب بها وان تكون نافية ومن في من شيء مزيدة
في المفعول به كانه قيل ما يدعون من دونه ما يستحق ان يطلق عليه شيء قال الزمخشري هذا زيادة توكيد على التمثيل حيث انهم
لا يدعون من دونه من شيء يعني ما يدعون ليس بشيء وهو عزيز حكيم فكيف يجوز للعاقل ان يترك القادر الحكيم ويشتغل بعبادة
ما ليس بشيء اصلا وهذا يفهم منه ان يجعل ما نافية والوجه فيها حينئذ ان تكون الجملة معترضة كالاول ومن وجهي الاستفهام
وان يكون مصدرية قال ابو البقاء وشيء مصدر وفي هذا نظر لانه يصير التقدير يعلم دعاءكم من شيء من الدعاء قوله تعالى وتلك

الامثال نضربها يجوز ان يكون نضربها خبرا والامثال نعتا او بدلا او عطف بيان وان يكون الامثال الخبر ونضربها
حالا وان يكون خبرا ثانيا والامثال الاشباه والمثل كلام سائر يتضمن تشبيه الآخر بالاول يريد امثال القرآن التي شبه
بها احوال الكفار هذه الامثال باحوال الامم المتقدمة نضربها نبينها للناس قال مقاتل لكفار مكة وما يعقلها الا العالمون
اي ما يعقل الامثال الا العلماء الذين يعقلون عن الله روى جابر ان النبي صلى الله عليه وسلم تلا هذه الاية وتلك الامثال
نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون قال العالم من عقل عن الله فعمل بطاعته واجتنب سخطه فصل روي
ان الكفار قالوا كيف يضرب خالق السموات والارض الامثال بالهوام والحشرات كالبعوض والذباب والعنكبوت فقيل الامثال
تضرب للناس ان لم يكونوا كالانعام ويحصل لكم منه ادراك ما يوجب نفرتكم مما انتم فيه لان التشبيه يوثر في النفس تاثيرا
مثل ما يوثر الدليل فاذا قال الحكيم لمن يغتاب بالهمة كانك تاكل لحم ميت كانك وقعت في هذه الرذيلة وهو قائم لا يفهم
ما تقول ولا يسمع بحيث يفيد لمن يقع في ميت ياكل منه كما ينفر قال الله انه يوجب العقاب ويوثر العقاب قوله تعالى خلق السموات
والارض بالحق اي بالحق واظهار الحق ان في ذلك في خلقها لاية لدلالة للمؤمنين على قدرته وتوحيده فان قيل كيف خص الاية
في خلق السموات والارض بالمؤمنين مع ان في خلقها اية لكل عاقل كما قال تعالى ولئن سألتهم من خلق السموات
والارض وقال تعالى ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لايات لقوم يعقلون فالجواب خلق السموات والارض
اية لكل عاقل وخلقهما بالحق اية للمؤمنين حسب ويدل عليه النقل والعقل اما النقل فقوله تعالى وما خلقناهما الا بالحق ولكن
اكثر الناس لا يعلمون اكثر ذلك اخرج اكثر الناس عن العلم بكونه خلقهما بالحق ولكن اكثر الناس لا يعلمون بقوله ولئن سألتهم
من خلق السموات والارض ليقولن الله وهو ان العقل فان العاقل اول ما ينظر الى خلق السموات والارض يعلم ان لهما خالقا
متقنا محكما وهو المراد من قوله بالحق لان ما لا يكون محكما يفسد ويبطل فيكون باطلا واذا علم ان خالقهما يقول انه قادر كامل حيث
خلق فاحكم وعالم عالم شامل حيث اتقن فيقول لا يعزب عن علمه اجزاء الموجودات في الارض ولا في السماء ولا يعجز عن جمعها كما جمع
اجزاء الكائنات والمعدومات فيجوز بعث من في القبور وبعثة الرسل وهما بالحق موجودان فيحصل له الايمان بتمامه من خلق على
من خلقه على حسن نظامه قوله تعالى اتل ما اوحي اليك من الكتاب يعني القرآن ليعلم ان نوحا ولوطا وغيرهما كانوا مما اتوا عليه
لبلوغ الرسالة وبالغوا في اقامة الدلالة ولم ينقذوا قومهم من الضلالة وهذا تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم قوله تعالى واقم
الصلاة ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر الفحشاء ما قبح من الاعمال والمنكر ما لا يعرف في الشرع فصل قال ابن مسعود
وابن عباس في الصلاة منتهى ومزدجر عن معاصي الله فمن لم تامره صلاته لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر فصلاته وبال عليه
وروى انس بن مالك قال كان فتى من الانصار يصلي الصلوات مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم لا يدع شيئا من الفواحش الا
ركبه فوصف لرسول الله صلى الله عليه وسلم حاله فقال ان صلاته تنهاه يوما فلم يلبث ان تاب وحسن حاله وقال ابن عوف معنى الاية
ان الصلاة تنهى صاحبها عن الفحشاء والمنكر ما دام فيها وقيل المراد بالصلاة القرآن كما قال ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها
اي بقراءتك واراد انه يقرا القرآن في الصلاة فالقرآن ينهاه عن الفحشاء والمنكر قوله تعالى ولذكر الله اكبر اي الذكر افضل
الطاعات قال عليه السلام الا انبئكم بخير اعمالكم وازكاها عند مليككم وارفعها في درجاتكم وخير من اعطاء الذهب والفضة
وان تلقوا عدوكم فتضربوا اعناقهم ويضربوا اعناقكم قالوا وما ذاك يا رسول الله قال ذكر الله وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم
اي العباد افضل درجة عند الله يوم القيامة قال الذاكرون الله كثيرا قالوا يا رسول الله ومن الغازي في سبيل الله فقال لو ضرب
بسيفه الكفار حتى يتكسر او يختضب دما لكان الذاكرون الله كثيرا افضل منه وروى ابو هريرة قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يسير في طريق مكة فمر على جبل يقال له جمدان فقال سيروا هذا جمدان سبق المفردون قالوا وما المفردون يا رسول الله قال الذاكرون
الله كثيرا والذاكرات وقيل معنى قوله ولذكر الله اكبر اي ذكر الله اياكم افضل من ذكركم اياه روي ذلك عن عبد الله وهو قول مجاهد
وعكرمة وسعيد بن جبير وروي مرفوعا عن موسى بن عقبة عن نافع عن ابن عمر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال عطاء في قوله
ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله اكبر من ان تبقى معه معصية والله يعلم ما تصنعون قال عطاء لا يخفى عليه شيء
قوله تعالى ولا تجادلوا اهل الكتاب الا بالتي هي احسن اي لا تخاصموا الا بالتي هي احسن اي بالقرآن والدعاء الى الله باياته
والتنبيه على حججه واراد من قبل الجزية منهم لما يختلط بهم نور رشاد المشركين وبين طريقة ارشاد اهل الكتاب قوله تعالى الا الذين ظلموا
استثناء متصل وفيه قولان احدهما الا الظلمة فلا تجادلوهم بالحسنة بل جادلوهم بالسيف اذا ابوا ان يعطوا الجزية ويضيقون
الحرب فجادلوهم بالسيف حتى يسلموا او يعطوا الجزية ومجاز الاية الا الذين ظلموكم لان جميعهم ظالم بالكفر والثاني جادلوهم بغير
التي هي احسن اي اغلظوا لهم كما اغلظوا عليكم قال سعيد بن جبير هم اهل الحرب ومن لا عهد له وقال مقاتل وقتادة نسخت بقوله
قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله وقال ابن عباس الاحرف تنبيه اي فجادلوهم قوله تعالى وقولوا آمنا بالذي انزل الينا وانزل

اليكم وهذا بيان لمجادلتهم بالتي هي احسن يريد اذا اخبركم واحد منهم من قبل الجزية بشي مما في كتبهم فلا تجادلوهم عليه ولا
تصدقوهم ولا تكذبوهم وقولوا امنا بالذي انزل الينا وانزل اليكم والهنا والهكم واحد ونحن له مسلمون روي ابو هريرة قال كان
اهل الكتاب يقرؤن التورية بالعبرانية ويفسرونها بالعربية لاهل الاسلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تصدقوا
اهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا امنا بالله وما انزل الينا الاية وروي معمر عن الزهري ان ابا نملة الانصاري اخبره انه بينما
هو جالس عند رسول الله صلى الله عليه وسلم جاءه رجل من اليهود ومر بجنازة فقال يا محمد هل تتكلم هذه الجنازة فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم الله اعلم فقال اليهودي انها تتكلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثكم اهل الكتاب فلا تصدقوهم
ولا تكذبوهم وقولوا امنا بالله وكتبه ورسله فان كان باطلا لم تصدقوه وان كان حقا لم تكذبوه **قوله تعالى** وكذلك انزلنا
اي كما انزلنا اليهم الكتاب انزلنا اليك الكتاب فالذين اتيناهم الكتاب يؤمنون به يعني اهل الكتاب عبد الله بن سلام ومن هؤلاء يعني
اهل مكة يعني من امن وهو من امن من اهل مكة وما يجحد باياتنا الا الكافرون وذلك ان اليهود عرفوا ان محمدا نبي والقران حق فجحدوا
فصل قال قتادة الجحود انما يكون بعد المعرفة وهذا تعيير لهم عما هم عليه يعني انكم امنتم بكل شي واعترفتم من التركيب
بكل فضيلة الا هذه المسيلة الواحدة وبانكارها تلحقون بهم وتبطلون ما اتيكم فان الجاحد باية يكون كافرا **قوله تعالى** وما
كنت تتلو من قبله من كتاب اي من قبل ما انزلنا اليك الكتاب وقوله من كتاب مفعول تتلو ومن زائدة ومن قبله حال من كتاب
او متعلق بنفس تتلو ولا تخطه بيمينك اي ولا تكتبه اي لم تكن تقرا ولا تكتب قبل الوحي **قوله تعالى** اذا لارتاب جواب وجزا
اي لو تلوت كتابا قبل القران او كنت ممن يكتب المبطلون اي لشك من اهل مكة وقالوا انه يقراه من كتاب الاولين وقيل نسخها
وقال قتادة ومقاتل المبطلون هم اليهود والمعنى لشكوا فيك واتهموك وقالوا ان الذي نجد نعته في التورية لا يقرا ولا يكتب
وليس هذا على ذلك النعت **قوله تعالى** بل هو ايات بينات وقرا قتادة اية بالتوحيد قال الحسن يعني القران في صدور الذين
اوتوا الكتاب يعني المؤمنين الذين حملوا القران وقال ابن عباس وقتادة يعني هو محمد صلى الله عليه وسلم ذو ايات بينات في صدور
الذين اوتوا العلم من اهل الكتاب لانهم يجدونه بنعته وصفته في كتبهم وما يجحد باياتنا الا الظالمون فان قيل ما في قوله
هاهنا الظالمون ومن قبل قال الكافرون فالجواب انهم قبل بيان المعجزة قيل لهم ان لكم المزايا فلا تبطلوها بانكار محمد
فتكونوا كافرين بلفظ الكافر هناك ابلغ منعهم عن ذلك لاستنكافهم عن الكفر ثم بيان المعجزة قال لهم ان جحدتم هذه الايات
لزمكم بارسال الرسل فيلحقون في اول الامر بالمشركين حكما ويلحقون عند جحد هذه الايات بالمشركين حقيقة فيكونوا ظالمين
اي مشركين كما قال تعالى ان الشرك لظلم فهذا اللفظ هاهنا ابلغ **قوله تعالى** وقالوا لولا انزل اليك عليه ايات من ربه كما انزل على
الانبيا من قبل وقرا الاخوان وابن كثير وابن عامر اية بالافراد لان غالب ما جاء في القران كذلك والباقون ايات بالجمع لان بعده
قل انما الايات بالجمع اجماعا والرسم محتمل له **فصل** اعلم انهم قالوا انك تقول انزل اليك كتاب كما انزل الى موسى وعيسى
وليس كذلك لان موسى اوتي تسع ايات بينات علم بها كون الكتاب من عند الله تعالى وانت ما اوتيت شيا منها ثم انه تعالى ارشد
الى اجوبة هذه الشبهة منها قوله قل انما الايات عند الله وهو القادر على ارسالها اذا شاء ارسلها وانما انا نذير مبين انذر اهل
المعصية بالنار وليس انزال الايات بيدي **قوله تعالى** اولم يكفهم هذا جواب لقولهم لولا انزل عليه اية من ربه قل اولم يكفهم انا انزلنا
عليك الكتاب يتلى عليهم فما حال هو يكفيهم قوله انا انزلنا والمعنى ان كان انزال الايات شرطا في صحة الرسالة ولا يشترط الا انزال
اية وهذا قد انزل القران وهي اية ظاهرة معجزة كافية فقولهم اولم يكفهم عبادة تنبي عن كون القران اية فوق الكتابة وبيان
ان القران احسن من كل معجزة لوجوه الاول ان تلك المعجزات وجدت وما دامت فان قلب العصا ثعبانا واحياء الميت لم يبق لنا منه اثر
فلو انكره واحد لم يكن اثباتها معه بدون الكتاب واما القران فهو باق لو انكره واحد فيقال له فات باية مثله الثاني ان قلب العصا
ثعبانا كان في ان واحد لم يره من لم يكن في ذلك المكان واما القران فقد وصل الى المشرق والمغرب وسمعه كل احد وهاهنا
لطيفة وهي ان ايات النبي صلى الله عليه وسلم كان اشيا لا تختص بمكان دون مكان لان من جملتها انشقاق القمر وهو يعم الارض
لان الخسوف اذا وقع عم وذلك لان نبوته كانت عامة لا تختص بقطر دون قطر وفاض بحر ساوة في قطر وسقط ايوان
كسري في قطر واهتزت الكعبة بالروم في قطر اخر اعلاما بانه يكون امرا عاما الثالث ان غير هذه المعجزة يقول الكافر المعاند
هذا سحر عمل بدوا والقران لا يمكن هذا القول فيه ثم قال تعالى ان في ذلك لرحمة اي في انزال القران اي لرحمة وذكرى لقوم
يؤمنون اي تذكرة وعظة لمن امن وعمل **قوله تعالى** قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم شهيدا اني رسوله وهذا القران كتابه
وهذا كما يقول الصادق اذا كذب واتى بكل ما يدل على صدقه ولم يصدقه المعاند انه يعلم صدقي وتكذيبك ايها المعاند
وهو على ما اقول شهيد يحكم بيني وبينك كل ذلك انذار وتهديد ثم بين كونه كافيا بكونه عالما بجميع الاشيا فقال يعلم
ما في السموات والارض فان **قيل** ما الحكمة في انه اخر شهادة اهل الكتاب في اخر الرعد في قوله ويقول الذين كفروا لست

مرسلا قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب وهاهنا قدم شهادة اهل الكتاب فقال فالذين
اتيناهم الكتاب يؤمنون به من اهل الكتاب فالجواب ان الكلام هناك مع المشركين فاستدل عليهم بشهادة غيرهم ان شهادة
الله اقوى من شهادة غير الله وهاهنا الكلام مع اهل الكتاب وشهادة المرء على نفسه هو اقرار وهو اقوى الحجج عليه فقدم
ما هو الزم عليهم ثم تعالى لما بين لطريقين في الارشاد للفريقين المشركين واهل الكتاب عاد الى الكلام الشامل لهما فلا
تكل المقام فقال والذين امنوا بالباطل قال ابن عباس بغير الله وكفروا بالله اولئك هم الخاسرون فان قيل قوله اولئك هم
الخاسرون يقتضي الحصر في من اتى بالايمان والكفر فهم الخاسرون فمن ياتي باحدهما دون الاخر ينبغي ان لا يكون خاسرا فالجواب
انه يستحيل ان يكون الاتي باحدهما ان لا يكون اتيا بالاخر لان المؤمن بما سوى الله مشرك لانه جعل غير الله مثله وغير الله
عاجز ممكن باطل فيكون الله كذلك ومن كفر بالله وانكره فيكون قايلا بان العالم ليس له اله موجود فوجود العالم من
نفسه فيكون قايلا بان العالم واجب الوجود والواجب اله فيكون قايلا بان غير الله اله فيكون اثباتا لغير الله وايمانا
فان قيل اذا كان الايمان بما سواه كفر به فيكون كل من اتى بالباطل فقد كفر بالله فهل لهذا اللطف فايدة غير التاكيد
الذي في قول القايل قم ولا تقعد واقرب مني ولا تبعد فالجواب فيه فايدة غيرها وهو انه ذكر الثاني لبيان قبح
الاول لقول القايل القول بالباطل وترك الحق لبيان ان القول بالباطل قبيح **قوله تعالى** ويستعجلونك بالعذاب
نزلت في النضر بن الحرث قال فامطر علينا حجارة من السماء ولولا اجل مسمى قال ابن عباس ما وعدتك اني لا اعذب قومك ولا
استاصلهم واخر عذابهم الى يوم القيمة كما قال بل الساعة موعدهم وقيل يوم بدر ولولا ذلك الاجل المسمى الذي اقتضته حكمته
لجاءهم العذاب وليأتينهم بغتة يعني العذاب وقيل الاجل بغتة وهم لا يشعرون باتيانه وقوله وهم لا يشعرون يحتمل وجهين
احدهما معنى تاكيد قوله بغتة كما يقول القايل اتيته على غفلة بحيث لم يدر فقوله بحيث لم يدر اكد معنى الغفلة والثاني انه يفيد
فايدة مستقلة وهو ان العذاب ياتيهم بغتة وهم لا يشعرون هذا الامر وهم يظنون ان العذاب لا ياتيهم اصلا **قوله تعالى**
يستعجلونك بالعذاب وان جهنم لمحيطة بالكافرين ذكر هذا للتعجب لان من وعد بامر فيه ضرر يسير كلطمة وكلكمة فيري في نفسه
الجلد ويقول يسم الله هات واما من توعد باغراق او حرق او بقطع فان الموعد قادر لا يخلف الميعاد لا يخطر بال العاقل
ان يقول هات ما توعدني به فقال لهم هاهنا ويستعجلونك بالعذاب والعذاب بنار جهنم المحيطة فقوله اولا اخبار عنهم وثانيا
تعجبا منهم ثم ذكر كيفية احاطة جهنم فقال يوم يغشاهم العذاب من فوقهم ومن تحت ارجلهم فان **قيل** لم خص الجانبين
ولم يذكر اليمين والشمال وخلف وقدام فالجواب ان المقصود ذكر ما يتميز به نار جهنم عن نار الدنيا يحيط بالجوانب الاربعة
فان من دخلها يكون الشعاع قدامه وخلفه ويمينه ويساره واما النار من فوق فلا تنزل وانما تصعد في العادة من اسفل
وتحت الاقدام لا تبقى الشعلة بل تنطفي الشعلة التي تحت القدم ونار جهنم تنزل من فوق ولا تنطفي بالدوس موضع القدم فان
قيل ما الحكمة في قوله من فوقهم ومن تحت ارجلهم ولم يقل من فوق رؤوسهم ولا قال من فوقهم لذكر المضاف اليه عند ذكر تحت
ولم يذكره عند ذكر فوق فالجواب ان نزول النار من فوق سوا كان من سمت الرؤس او من موضع اخر عجيب لان طبع النار
الصعود الى فوق فلهذا لم يخصه بالرؤس واما بقاء النار تحت القدم فهو عجيب والا فمن جوانب القدم في الدنيا تكون
الشعلة فذكر العجيب وهو ما تحت الارجل حيث لم تنطفي بالدوس واما فوق فعلى الاطلاق **قوله تعالى** ويقول ذوقوا
قرا نافع واهل الكوفة ويقول بياء الغيبة اي الله تعالى او الملك الموكل بعذابهم واما الباقون بالنون اي جماعة الملايكة
او نون العظمة لله تعالى وابو البرهسم بالتا من فوق اي جهنم كقوله وتقول هل من مزيد وعبد الله وابن ابي عبلة ويقال
مبنيا للمفعول وقوله ما كنتم تعملون اي جزاء ما كنتم تعملون لما بين عذاب اجسامهم بين عذاب ارواحهم وهو ان يقال لهم
على سبيل التنكيل والاهانة ذوقوا ما كنتم تعملون جعل ذلك عين ما كانوا يعملون مبالغة بطريق اتيان اطلاق اسم السبب
على المسبب فان عملهم كان سببا لعذابهم وهذا كثير في الاستعمال **قوله تعالى** يا عبادي الذين امنوا ان ارضي واسعة
لما ذكر حال المشركين على حدة وحال اهل الكتاب على حدة وجمعهما في الابذار وجعلهما من اهل النار اشتد عنادهم وزاد
فسادهم وسعوا في ايذاء المسلمين ومنعهم من العبادة قال مقاتل والكلبي معناه نزلت في ضعفاء مسلمي مكة تقول ان كنتم في ضيق بمكة من
الايمان فاخرجوا منها فان ارض المدينة واسعة امنة قال مجاهد ان ارضي واسعة فهاجروا وجاهدوا فيها وقال سعيد بن جبير
اذا عمل في ارضي بالمعاصي فاخرجوا منها فان ارضي واسعة وقال عطا اذا امرتم بالمعاصي فاهربوا فان ارضي واسعة و
كذلك يجب على كل من كان في بلد يعمل فيها بالمعاصي ولا يمكنه تغيير ذلك ان يهاجر الى حيث تتهيا له العبادة وقيل نزلت
في قوم تخلفوا عن الهجرة بمكة وقالوا نخشى ان هاجرنا من الجوع وضيق المعيشة فانزل الله هذه الاية ولم يعذرهم بترك الخروج
وقال عبد الله بن مطرف ارضي واسعة ورزقي لكم واسع فاخرجوا **قوله تعالى** يا عبادي لا يدخل فيه الكافر لجهة الاول قوله

ان عبادي ليس لك عليهم سلطان والكافر تحت سلطنة الكفار والشياطين ولا يدخل في قوله يا عبادي الثاني قوله تعالى
يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله الثالث ان العباد ماخوذ من العبادة والكافر لا يعبد الله ولا يدخل
في قوله عبادي وانما يختص بالمؤمنين الذين يعبدونه الرابع الاضافة بين الله والعبد يقول العبد الهي ويقول الله عبدي
فان قيل اذا كان عبادي لا يتناول الا المؤمنين فما الفائدة في قوله الذين آمنوا مع ان الوصف انما يذكر لتمييز الموصوف
كما يقال يا ايها المكلفون المؤمنون يا ايها الرجال العقلاء لا تمييزا بين الكافر والجاهل فالجواب ان الوصف يذكر لا للتمييز
المجرد لبيان ان فيه الوصف كما يقال الانبياء المكرمون والملائكة المطهرون مع ان كل نبي مكرم وكل ملك مطهر وانما يقال لبيان
ان فيهم الاكرام والطهارة ومنه قولنا الله العظيم فههنا ذكر لبيان انهم مؤمنون فان **قيل** قوله يا عبادي يفهم منه كونهم
عابدين فما الفائدة في الامر بالعبادة بقوله فاعبدون **فالجواب** فيه فائدتان الاولى المداومة اي يا من عبدني اخلص العمل
لي ولا تعبد غيري فان قيل الثاني قوله فاياي يدل على انه جواب الشرط فما ذاك **فالجواب** قوله ان ارضي واسعة اشارة
الى عدم المانع من عبادته فكانه قال اذا كان لا مانع من عبادتي فاياي فاعبدون فهو كترتيب المقتضى على المقتضي
كما يقال هذا عالم فاكرموه فكذا ههنا لما اعلم نفسه بقوله فاياي وهو لنفسه مستحق العبادة فقال فاعبدون قال
الزمخشري هذا جواب شرط مقدر وجعل تقديم المفعول عوضا من حذفه مع افادة الاختصاص وقد تقدم مثاله
اي جاد له في مكانه في شطره **قوله تعالى** كل نفس ذائقة الموت ثم الينا ترجعون قرا العليمي ابا بكر وكذا في الروم في قوله
ثم اليه ترجعون وافقه ابو عمرو في الروم فقط والباقون بالخطاب فيهما وقرا ترجعون مبنيا للفاعل **فصل**
لما امر الله تعالى المؤمنين بالمهاجرة صعب عليهم ترك الاوطان ومفارقة الاخوان فخوفهم بالموت ليهون عليهم الهجرة اي كل احد
ميت اين ما كان ولا تبقوا ابدا [illegible] من الموت فان كل نفس ذائقة الموت والاولى ان يكون ذلك في سبيل الله فيجازيكم
عليه بان الى الله مرجعكم فيجازيكم باعمالكم وفيه وجه آخر دقيق وهو ان قوله كل نفس ذائقة الموت اي اذا كانت بعامة فيها
فهي الى الموت ثم الى الله ترجع الامور فلا تموت كما قال تعالى لا يذوقون فيها الموت وكل شيء هالك الا وجهه فاذن التعلق بالله
فقال تعالى اياي فاعبدون اي تعلقوا بي ولا تتبعوا النفس فانها ذائقة الموت ثم الينا ترجعون اي اذا تعلقتم بي فموتكم رجوع الي
وليس بموت كقوله ولا تحسبن الذين ظلموا ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا بل احياء وقال عليه السلام المؤمنون لا يموتون
بل ينقلون من دار الى دار **قوله تعالى** والذين آمنوا وعملوا الصالحات يجوز في الذين الوجهان المشهوران الابتداء والاشتغال
وقوله تعالى لنبوئنهم قرا الاخوان بثاء مثلثة ساكنة بعد النون وياء مفتوحة بعد الواو من الثواء وهو الاقامة يقال ثوى الرجل في الموضع
اذا تركه من لا يقيم فيه والباقون بباء موحدة مفتوحة بعد النون وهمزة مفتوحة بعد الواو من المباءة وهو الانزال اي
لننزلنهم في الجنة منازل **قوله تعالى** غرفا على القراءة الاولى مفعول به على تضمين نزل فتعدى لاثنين لان ثوى غير متعد
المعنى التعدي لواحد واما تشبيه الظرف المختص بالمبهم كقوله لاقعدن لهم صراطك واما على اسقاط الخافض اتساعا اي في غرف واما
في القراءة الثانية كمفعول ثان لان بوا يتعدى لاثنين قال تعالى تبوئ المؤمنين مقاعد للقتال ويتعدى باللام قال تعالى
بوانا لابراهيم وقرا الجحدري ثم بالتشديد مع المثلثة عدي بالتضعيف كما عدي بالهمزة وتجري صفة لغرفا خالدين فيها نعم اجر
العاملين وهذا في مقابلة قوله للكفار ذوقوا ما كنتم تعملون **قوله تعالى** الذين صبروا ويجوز فيه النصب والجر والرفع كنظائر
له تقدمت والمعنى الذين صبروا على الشدائد ولم يتركوا دينهم لشدة لحقتهم وعلى ربهم يتوكلون يعتمدون **قوله تعالى** وكاين
من دابة لا تحمل رزقها جوز ابو البقاء في كاين وجهين احدهما الابتداء ولا تحمل صفتها الله يرزقها خبر من دابة تبيين والثاني
ان يكون فيها نصب باضمار فعل يفسره يرزقها ويقدر بعد كاين لان لها صدر الكلام وفي الثاني نظر لان من شرط المفسر
العمل وهذا المفسر لا يعمل لانه لو عمل لحل محل المفعول لكنه لم يحل محله لان الخبر كان فعلا رافعا لضمير مفرد امتنع تقديمه على المبتدا
واذا اردت هذه القاعدة فعليك بسورة هود عند قوله الا يوم ياتيهم ليس مصروفا **قوله تعالى** لما ذكر الذين صبروا وعلى
ربهم يتوكلون ذكر ما يعين على التوكل وهو بيان حال الدواب التي لا تدخر شيئا ويأتيها رزقها كل يوم واعلم ان في
كاين اربع لغات غير هذه كائن على زنة راع وكاي على زنة رمي وكيء على زنة ريع وكا على زنة رع ولم يقرا الا بكاين وكائن
قراءة ابن كثير كاين كلمة مركبة من كاف التشبيه واي التي تستعمل استعمال من وما ركبتا وجعل المركب بمعنى كم ثم لم يكتب الا بالنون
ليفصل بين المركب وغير المركب لان كاي تستعمل غير مركب كما يقول القائل رايت رجلا لا كاي رجل يكون وحينئذ لا تكون كاي مركبا واذا
كان ههنا كاي مركبا كتبت بالنون للتمييز كما يكتب ثمة بالتاء مدورة للفرق بين ثم وبين ثمة فان **قيل** روي ان
النبي صلى الله عليه وسلم قال للمؤمنين الذين كانوا بمكة واذاهم المشركون هاجروا الى المدينة فقالوا كيف نخرج الى المدينة وليس لنا
بها دار ولا مال فمن يطعمنا بها ويسقينا فانزل الله تعالى وكاين من دابة اي وكم من دابة ذات حاجة الى الغذاء لا تحمل رزقها

اي لا ترفع رزقها ولا تدخر شيئا للغد مثل البهائم والطير وقيل لا تحمل رزقها لضعفها كالقمل والبرغوث والدود
الله يرزقها واياكم حيث ما كنتم وهو السميع لاقوالكم العليم بما في قلوبكم فالجواب قال سفيان ليس مما خلق الله شيء يخبا
الا الانسان والفارة والنملة روي ان ابن عمر قال دخلت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حائطا من حوائط الانصار فجعل
رسول الله صلى الله عليه وسلم يلتقط بيده ويأكل فقال كل يا ابن عمر فقلت انا اشتهيه وعلى الله المستعان قال يا ابن عمر لو سالت
ربي لاعطاني مثل ذلك قيصر وكسرى اضعافا مضاعفة ولكني اجوع يوما واشبع يوما فكيف بك يا ابن عمر اذا عمرت
وبقيت في حثالة من الناس يخبئون رزق سنة ويضعف اليقين فنزلت وكاين من دابة لا تحمل رزقها الآية وقال عليه
السلام لو انكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا **قوله تعالى** ولئن سالتهم
يعني كفار مكة من خلق السماوات والارض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله فانى يؤفكون اي هم يعتقدون هذا فكيف يصدون
عن عبادة الله مع ان من علم عظمته وجب عليه خدمته ولا عظمة فوق السماوات والارض ولا حقارة فوق حقارة الجماد لان الجماد
دون الحيوان والحيوان دون الانسان والانسان دون مكان السماوات فكيف يتركون عبادة اعظم الموجودات ويشتغلون
بعبادة اخس الموجودات **فصل** لما بين امر الشرك مخاطبا معه ما يكون ارشادا للمشرك بحيث يسمعه وهذا طريق في
غاية الحسن فان السيد اذا كان له عبدان او الوالد اذا كان له ولدان واحدهما رشيد والآخر مفسد ينصح اولا المفسد فان لم
يسمع يلتفت الى الرشيد ويعرض عن المفسد ويقول ان هذا لا يستحق الخطاب واسمع انت ولا تكن مثل هذا المفسد فيتضمن هذا الكلام
نصيحة الرشيد وزجر المفسد فان قوله هذا لا يستحق الخطاب يوقع نكاية في قلبه ثم اذا ذكر مع الصالح في اثناء الكلام والمفسد ان
هذا اخاك العجيب لان هذا يعرف قبح فعله ويعرف الفساد من الصلاح وسبيل الرشاد والفلاح ويشتغل بضده يكون هذا
الكلام ايضا داعيا الى الرشاد مانعا عن الفساد فلذلك قال الله تعالى للمؤمن مما يعجب منهم انهم ان سالتهم من خلق السماوات والارض
ليقولن الله ثم لا يؤمنون **فصل** ذكر في السماوات والارض الخلق وفي الشمس والقمر التسخير حكمة فان الشمس لو كانت مخلوقة
بحيث تكون في موضع واحد لا تتحرك ما حصل الليل والنهار ولا الصيف والشتاء فاذن الحكمة في تحريكها وغيرها واعلم ان في
لفظ التسخير دون التحريك فائدة وهي ان التحريك يدل على مجرد الحركة كافية لانها لو كانت تتحرك مثل حركة الماء كانت تقطع الفلك
في الوقت اليسير فالحكمة في تسخيرها تحريكها في قدر ما ينتفع الانسان [illegible] ثم لم يجعل لها حركة واحدة بل حركات
اولها حركتها من المشرق الى المغرب في كل يوم وليلة مرة والاخرى حركتها من المغرب الى المشرق وبذلك يظهر ان الهلال يرى في جانب الغرب على بعد
مخصوص من الشمس ثم يبعد منها الى الجانب المشرق حتى يرى القمر في نصف النهار في مقابلة الشمس والشمس على افق المغرب والقمر على افق المشرق وايضا
حركة الاوج وحركة التعديل والتدوير في القمر ولولا الحركة التي من المغرب الى المشرق لما حصلت الفصول واعلم ان اصحاب الهيئة قالوا
الشمس في فوق في الفلك والفلك يديرها بتدويره وانكره المفسرون الظاهريون واعلم انه لا بعد في ذلك ان لم يقولوا بالطبيعة فان الله
تعالى فاعل مختار اذا اراد ان يحركهما في الفلك والفلك ساكن يجوز وان اراد ان يحركهما بحركة الفلك وهما ساكنان يجوز ولم يرد فيه
نص قاطع وظاهر واعلم انه تعالى ذكر ايجاد الذوات بقوله خلق السماوات والارض وذكر ايجاد الصفات بقوله وسخر الشمس والقمر
ثم قال الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده لما ذكر الخلق ذكر الرزق لان كمال الخلق ببقائه وبقاء الانسان بالرزق فقال المعبود
اما ان يعبد لاستحقاق العبادة والاصنام ليست كذلك والله يستحقها واما لكونه عظيم الشان فالله الذي خلق السماوات عظيم الشان
جلي البرهان فله العبادة واما لكونه ولي الاحسان والله يرزق الخلق فله الفضل والاحسان والامتنان فله العبادة ان الله بكل
شيء عليم يعلم مقادير الحاجات والارزاق ولما قال الله تعالى يبسط الرزق ذكر اعترافهم بذلك فقال ولئن سالتهم من نزل من
السماء ماء فاحيا به الارض بعد موتها ليقولن الله يعني هذا سبب الرزق وموجد السبب فالرزق من الله **قوله تعالى**
قل الحمد لله على اقرارهم ولزوم الحجة عليهم بل اكثرهم لا يعقلون ينكرون التوحيد مع اقرارهم بانه خالق هذه الاشياء فقل الحمد لله
على ظهور تناقضهم بل اكثرهم لا يعقلون هذا التناقض وقيل هذا كلام معترض في اثناء الكلام كانه قال فاحيا به الارض بعد
موتها بل اكثرهم لا يعقلون فذكر في اثناء هذا الكلام الحمد لذكر النعمة كقوله • ان الثمانين وبلغتها • قد احوجت سمعي الى ترجمان
قوله تعالى وما هذه الحيوة الدنيا الا لهو ولعب واللهو هو الاستمتاع بلذات الدنيا واللعب العبث سميت بهما لانها فانية وقيل
اللهو الاعراض عن الحق واللعب الاقبال على الباطل قال في الانعام وما الحيوة الدنيا ولم يقل هذه الحيوة الدنيا فان قيل
وقال ههنا وما هذه الحيوة فما فائدته **فالجواب** ان المذكور ههنا امر الدنيا حيث قال فاحيا به الارض من بعد موتها
فقال هذه والمذكور هناك الآخرة حيث قال يا حسرتنا على ما فرطنا فيها وهم يحملون اوزارهم على ظهورهم فلم تكن الدنيا في ذلك الوقت
في خاطرهم فقال وما الحيوة الدنيا فان **قيل** ما الحكمة في تقديم هناك اللعب على اللهو وههنا اخر اللعب **فالجواب** لما
كان المذكور من قبل هناك الآخرة واظهارهم الحسرة ففي ذلك الوقت يبعد الاستغراق في الدنيا بل نفس الاشتغال بها فاخر

لا بعد وها هنا لما كان المذكور من قبل الدنيا وهي خداعة تدعو النفوس الى الاستقبال عليها والاستغراق فيها اللهم
الا المانع يمنع من الاستغراق فيشتغل من غير استغراق فيها او العاصم يعصمه فلا يشتغل بها اصلا وكان الاستغراق اقرب
من عدمه فقدم اللهو فان قيل ما الحكمة في قوله هناك وللدار الآخرة خير وقال ها هنا وان الدار الآخرة لهي الحيوان
فالجواب لما كان الحال هناك حال اظهار الحسرة ما كان المكلف يحتاج الى رادع قوي فقال الآخرة خير ولما كان الحال
ههنا حال الاشتغال بالدنيا احتاج الى رادع قوي فقال لا حياة الا حياة الآخرة **قوله تعالى** وان الدار الآخرة لهي الحيوان
قال ابو البقا وغيره وقيل المبتدا مضاف اي وان حياة الدار الآخرة وانما قدر ذلك لتطابق المبتدا بالخبر والمبالغة احسن
ووا والحيوان عند سيبويه يا وابتاعه وانما ابدلت واوا شذوذا وكذلك في حياة علما وقال ابو البقا لئلا يلتبس
بالتثنية يعني ان قيل حيان قال ولم تقلب الفا لتحركها وانفتاح ما قبلها لئلا يحذف احدى الالفين وغير سيبويه حمل ذلك
على ظاهره فالحيوة عنده لانها واو لا دليل لسيبويه في حتى لان الواو متى ما كسر ما قبلها قلبت يا نحو غزي ودعي ورضي
ومعنى الآية ان الدار الآخرة لهي الحيوان اي الحيوة الباقية الدائمة والحيوان بمعنى الحيوة اي فيها الحيوة الدائمة لو كانوا يعلمون
اي لو كانوا يعلمون انها الحيوان لما آثروا عليها الدنيا فان قيل ما الحكمة في قوله في الانعام افلا تعقلون وقال ها هنا
لو كانوا يعلمون فالجواب ان المثبت هناك كون الآخرة خيرا وانه ظاهر لا يتوقف الا على العقل والمثبت هنا ان لا حياة
الا حياة الآخرة وهذا دقيق لا يعرف الا بعلم نافع **قوله تعالى** فاذا ركبوا قال الزمخشري فان قلت بما اتصل قوله فاذا
ركبوا في الفلك قلت بمحذوف دل عليه ما وصفهم به وشرح من امرهم معناه هم على ما وصفوا به من الشرك والعناد فاذا ركبوا
قوله تعالى دعوا الله معناه فاذا خافوا الغرق دعوا الله مخلصين له الدين وتركوا الاصنام وهذا اشارة الى تحقيق ان المانع
من التوحيد هو الحيوة الدنيا لانهم اذا انقطع رجاؤهم من الدنيا رجعوا الى الفطرة الشاهدة بالتوحيد ووحدوا واخلصوا وان
انجاهم عادوا الى ما كانوا عليه من حب الدنيا واشركوا لقوله فلما نجاهم الى البر اذا هم يشركون وهذا اخبار منهم بانهم عند الشدائد يعرفون
ان القادر على كشفها هو الله عز وجل وحده واذا زالت عادوا الى كفرهم **فصل** قال عكرمة كان اهل الجاهلية اذا ركبوا البحر
حملوا معهم الاصنام فاذا اشتدت عليهم الريح القوها في البحر وقالوا يا رب يا رب **قوله تعالى** ليكفروا فيه وجهان احدهما ان اللام
لام كي اي يشركوا ليكون اشراكهم كفرا بنعمة الانجاء وليتمتعوا بسبب الكفر فسوف يعلمون وبال امرهم والثاني يكون لام الامر ومعناه
التهديد والوعيد كقوله اعملوا اي ليجحدوا نعمة الله في انجاء الله اياهم فسيعلمون فساد ما تعملون **قوله تعالى** وليتمتعوا
قرا ابو عمرو وابن عامر وابو عاصم وورش بكسرها وهي محتملة للوجهين المتقدمين والباقون بسكونها وهي ظاهرة في الامر
وان كانت اللام الاولى للامر فقد عطف امرا على مثله وان كانت للعلة فيكون قد عطف كلاما على كلام فيكون المعنى لا فائدة
لهم في الاشراك الا الكفر والتمتع بما يستمتعون به في العاجلة من غير نصيب في الآخرة وقرا عبد الله فتمتعوا فسوف تعلمون وابو
العالية فيمتعوا بالياء مبنيا للمفعول **قوله تعالى** اولم يروا انا جعلنا حرما آمنا وجه تعلقه بما قبله ان الانسان
يكون على امر ما يكون لا سيما اذا كان بيته في بلد حصين فلما ذكر انه حال المشركين عند الخوف والشديد وان افهم في تلك الحالة
راجعة الى الله ذكرهم حالة عند الامن العظيم وهي كونهم في مكة فانها مدينتهم وبلدهم وفيها سكناهم ومولدهم وهي حصن حصين
الله حيث كان من دخل يمتنع من قتال من حصل فيها والحصول فيها يدفع الشرور عن النفوس يعني انكم انتم اخوف ما انتم دعوتم الله
وفي امن ما جعلتم عليه كفرتم بالله وهذا معنا فيه لان دعاكم في هذا الوقت على سبيل الاخلاص ما كان الا لقطعكم بان النعمة
من الله لا غير وهذه النعمة العظيمة التي حصلت وقد اعترفتم بانها لا تكون الا من الله فكيف تكفرون بها والاصنام التي قلتم في حال الخوف
ان لا امن بها كيف امنتم بها في حال الامن قال ابو العالية قرا العامة يؤمنون ويكفرون بياء الغيبة والحسن والسلمي بتاء الخطاب
فيهما والمعنى انبا الاصنام والشياطين وبنعمة الله محمد والاسلام يكفرون **قوله تعالى** ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا
فزعم ان قوله شريكا والظلم وضع الشيء في غير موضعه فاذا وضعه في موضع لا يمكن ان يكون ذلك موضعه يكون الظلم لان
عدم الامكان اقوى من عدم الحصول **قوله تعالى** او كذب بالحق لما جاءه اي محمد والقرآن لما جاءه اليس في جهنم وهذا استفهام
تقرير كقوله • الستم خير من ركب المطايا • واندى العالمين بطون راح • والمعنى اما لهذا الكافر المكذب مأوى في
جهنم **قوله تعالى** والذين جاهدوا فينا يجوز فيه ما جاز في قوله والذين جاهدوا والمشركين سنضرع دينا لنهدينهم سبلنا
لنثبتنهم على ما قاتلوا عليه وقيل لنزيدنهم هدى كما قال ويزيد الله الذين اهتدوا هدى فليهدينهم لاصابة الطريق
المستقيمة هي التي توصل الى رضى الله عز وجل قال سفيان ابن عيينة اذا اختلف الناس فانظروا ما عليه اهل الثغور فان الله
قال والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وقال الحجاج هي الصبر على الطاعات قال الحسن افضل الجهاد مخالفة الهوى وقال
الفضيل بن عياض والذين جاهدوا في اقامة السنة لنهدينهم سبل الجنة **قوله تعالى** لمع المحسنين من اقامة الظاهر مقام المضمر

اظهاراً

اظهاراً لشرفهم والمعنى لمع المحسنين بالنصرة والمعونة في دنياهم وبالثواب والمغفرة في عقباهم **فصل** روى
ابو امامة عن ابي بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة العنكبوت فله من الاجر عشر حسنات بعدد المؤمنين والمنافقين

سورة الروم مكية

وهي ستون آية وثمانية وتسع عشرة كلمة وثلاثة آلاف وخمسمائة وثلاثة وثلاثون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم
قوله تعالى الم غلبت الروم في وجه تعلق هذه السورة بما قبلها ان الله تعالى لما قال ولا تجادلوا اهل الكتاب الا بالتي هي
احسن وكان يجادل المشركين بنسبتهم الى عدم العقل كما في قوله صم بكم عمي فهم لا يعقلون وكان اهل الكتاب يوافقون النبي
في الاله كما قال والهنا والهكم واحد وكانوا يؤمنون بكثير مما يقوله بل كثير منهم كانوا مؤمنين به كما قال والذين آتيناهم الكتاب
يؤمنون به ابغض المشركون اهل الكتاب وتركوا مراجعتهم وكانوا من قبل يراجعونهم في الامور وكان بين فارس والروم قتال
والمشركون يودون ان تغلب فارس الروم لان اهل الروم كانوا مجوسا اميين والمسلمون يودون غلبة الروم على فارس لكونهم
اهل كتاب فبعث كسرى جيشا الى الروم واستعمل عليهم رجلا يقال له شهربراز وبعث قيصر جيشا واستعمل عليهم رجلا يدعى يحنس فالتقيا باذرعات وبصرى قال عكرمة هي اذرعات وكسكر
وقال مجاهد ارض الجزيرة وقال مقاتل الاردن وفلسطين وهي ادنى الشام الى ارض العرب والعجم فغلبت فارس الروم فبلغ المسلمين
ذلك بمكة فشق ذلك عليهم وفرح به كفار مكة وقالوا للمؤمنين انكم اهل كتاب والنصارى اهل كتاب ونحن اميون وقد ظهر
اخواننا اهل فارس على اخوانكم من اهل الروم وانكم ان قاتلتمونا لنظهرن عليكم فانزل الله تعالى هذه الآية لبيان ان الغلبة لا تدل
على الحق بل الله قد يزيد في ثواب المؤمن فيبتليه ويسلط عليه الاعادي وقد يختار تعجيل العذاب الادنى دون العذاب الاكبر
قبل يوم الميعاد **فصل** قد تقدم ان كل سورة افتتحت بحروف الهجاء كان في اولها ذكر الكتاب او التنزيل او القرآن كقوله
الم ذلك الكتاب المص كتاب طه ما انزلنا عليك القرآن الم تنزيل الكتاب حم تنزيل من الرحمن الرحيم يس والقرآن الا هذه السور الثلاث
ن والقلم ذكرناها في العنكبوت وذكرنا الحكمة فيها هناك واما ما يتعلق بهذه السورة فنقول ان السور التي في اوائلها التنزيل او
الكتاب والقرآن في اوائلها ذكر ما هو معجزة فقدمت عليها الحروف على ما تقدم بيانها في العنكبوت وهذه في اوائلها ذكر ما هو
معجزة وهي الاخبار عن الغيب فقدمت الحروف التي لا يعلم معناها لتنبيه السامع فيقبل بقلبه على الاستماع ثم يرد عليه المعجزة
ويقرع الاسماع **قوله تعالى** في ادنى الارض زعم بعضهم ان الاصل في ادنى ارضهم وهو قول كوفي وهذا
على قول ان الحرب كان من جهة بلادهم واما من يقول انه من جهة بلاد العرب فلا يتاتى ذلك وقرا العامة غلبت مبنيا للمفعول
وعلي بن ابي طالب وابو سعيد الخدري وابو عمرو واهل الشام بنائه للفاعل **قوله تعالى** وهم من بعد غلبهم اي الروم من بعد
غلب فارس اياهم والغلب والغلبة لغتان فعلى القراءة المشهورة يكون المصدر مضافا لمفعوله ثم هذا المفعول اما ان يكون مرفوع
المحل على ان المصدر المضاف اليه ماخوذ من مبني على خلاف في ذلك واما منصوب المحل على ان المصدر المضاف من مبني من فاعل
والفاعل محذوف تقديره من بعد غلبهم عدوهم وهم فارس واما على القراءة الثانية فهو مضاف لفاعله **قوله تعالى** سيغلبون
خبر المبتدا ومن بعد غلبهم متعلق به والعامة بل نقل بعضهم الاجماع على سيغلبون مبنيا للفاعل فعلى الشهيرة واضح اي من بعد
ان غلبتهم فارس سيغلبون فارس واما على القراءة الثانية فاخبرهم سيغلبون ثانيا بعد ان غلبوا اولا وروي عن ابن عمر وانه
قرا بنائه للمفعول وهذا يخالف لما ورد في سبب الآية وما ورد في الاحاديث وقد يلائم هذا بعض ملائمة من قرا غلبت مبنيا
للفاعل وقد تقدم ان ابن عمر وممن قرا بذلك وقد خرج النحاس قراءة عبد الله بن عمرو على تخريج حسن وهو ان المعنى وفارس
من بعد غلبهم للروم سيغلبون الا ان فيه المنان مالم يذكر والاحرى بسبب ذكر **قوله تعالى** في بضع سنين متعلق بما قبله وتقدم
تفسير البضع واشتقاقه في يوسف وقال الفراء الاصل في غلبهم غلبتهم بالتاء فحذفت للاضافة كاقام الصلاة وغلطه
النحاس بان اقام الصلاة قد يقال فيها ذلك لاعتلالها واما هنا فلا ضرورة فلا تدعوا اليه وقرا ابن السميفع وابو حيوة
غلبهم بسكون اللام ويحتمل ان يكون تخفيفا شاذا وان يكون لغة في المفتوح كالظعن والظعن فان قيل قوله في ادنى
الارض اي ارض العرب فان الالف واللام للعهد والمعهود عندهم ارضهم فالجواب اي فائدة في ذكر قوله من بعد غلبهم لان
قوله سيغلبون بعد قوله غلبت الروم لا يكون الا من بعد الغلبة فالجواب فائدته اظهار القدرة وبيان ان ذلك بامر الله لا
من قلبه بعد غلبه لا يكون الا ضعيفا فلو كان غلبتهم بشوكتهم لكان الواجب ان يغلبوا قبل غلبهم فاذا غلبوا بعدما غلبوا دل
على ان ذلك بامر الله تعالى من بعد غلبهم ليتفكروا في ضعفهم ويتفكروا انه ليس بقوتهم وانما ذكر بامر من الله بقوله في ادنى الارض

فارس

لبيان شدة ضعفهم اي انتهى ضعفهم الى ان نصل عدوهم الى طرف الحجاز وكسروهم وهم في بلادهم ثم غلبوا حتى وصلوا الى المداين
وبنوا هناك الرومية لبيان ان هذه الغلبة العظيمة بعد ذلك الضعف العظيم باذن الله تعالى **فصل** قال في بضع سنين
وهو ما بين الثلاثة والعشرة وابهم الوقت مع ان المعجزة في تعيين الوقت لان السنة والشهر واليوم والساعة كلها معلومة
عند الله وبينها للنبيه وما اذن له في اظهاره لان الكفار كانوا معارضين والامور التي يقع فيها البلاد الثانية تكون
معلومة الوقوع حيث لا يمكن انكارها لكن وقتها ممكن الاختلاف فيه فالمعاند كان يتمكن من ان يرجف بوقوع الواقعة
قبل الوقوع ليحصل الخلاف في كلامه ولما نزلت الاية خرج ابو بكر رضي الله عنه الى الكفار فقال لهم اتفرحون بظهور اخوانكم
فلا تفرحوا فوالله ليظهرن الروم على فارس اخبرنا بذلك نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فقام اليه ابي بن خلف الجمحي فقال كذبت
فقال انت اكذب يا عدو الله فقال اجعل بيننا اجلا اناحبك عليه والمناحبة المراهنة على عشر قلايص منك فان ظهرت الروم
على فارس غرمت وان ظهرت فارس غرمت وجعلوا الاجل ثلاث سنين فجاء ابو بكر الى النبي صلى الله عليه وسلم فاخبره بذلك
وذلك قبل تحريم القمار فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فلهذا ذكرت انما البضع ما بين الثلاث الى التسع فزايده
في الخطر ومادة فجعلها مائة قلوص ومائة قلوص الى تسع سنين وقيل الى سبع سنين قال قد فعلت وهذا على علم النبي صلى الله
عليه وسلم بوقت الغلبة ثم ان ابي بن خلف خشي ان يخرج ابو بكر من مكة فاتاه ولزمه وقال اني اخاف ان تخرج من مكة فاقم لي كفيلا
فكفل له ابنه عبد الله بن ابي بكر فلزمه فقال والله لا ادعك حتى تعطيني كفيلا ثم خرج الى احد ثم رجع ابي بن خلف فمات بمكة من
جراحته التي جرحه رسول الله صلى الله عليه وسلم حين بارزه فظهرت الروم على فارس يوم الحديبية وذلك عند راس سبع سنين
من مناحبتهم وقيل كان يوم بدر فقال الشعبي لم تمض تلك المدة التي عقدوا المناحبة بينهم اهل مكة وصاحب قمارهم ابي بن خلف
والمسلمون وصاحب قمارهم ابو بكر الصديق وذلك قبل تحريم القمار حتى غلبت الروم فارس وربطوا خيولهم بالمداين وبنوا الرومية
ثم ابو بكر اسار احد مال الخطر من ورثته وجاء به الى النبي صلى الله عليه وسلم تصدق به **قوله تعالى** من قبل ومن بعد العامة
على بنائهما ضمة القطعهما عن الاضافة وارادتهما اي من قبل الغلب وبعده او من قبل كل امر ومن بعده وانما بني على الضم لما قطعا
عن الاضافة لان غير الضمة من الفتحة والكسرة لتبينه ما يدخل عليهما وهو النصب والجر اما النصب ففي قولك جئت قبله او بعده
واما الجر ففي قولك من قبله ومن بعده بني على الضم لعدم دخول امثلتها عليه في الاعراب وهو الرفع وحكى الفراء كسرهما من غير
تنوين وغلطه النحاس وقال انما يجوز من قبل ومن بعد يعني مكسورا منونا قال انهما قد ابدل وقد قرئ بذلك ووجهه انه لم ينو
اضافتهما فاعربهما كقوله ● وساغ لي الشراب وكنت قبلا ● اكاد اغص بالماء القراح ● وقوله ●
ونحن قتلنا الاسد اسد خفية ● فما شربوا بعدا على لذة خمرا ● وحكي من قبل بالتنوين والجر ومن بعد بالبناء على الضم وقد
خرج بعضهم ما حكاه الفراء على انه قدر ان المضاف اليه موجود فقول الاول بحاله وانشد ● من دراعي وجبهة الاسد ●
والفرق لائح فان اللفظ مثل المحذوف على خلاف في تقدير البيت ايضا وعلى قراءة عبد الله بن عمر وابي سعيد الخدري والحسن
وعيسى بن عمر غلبت الروم بفتح العين واللام سيغلبون بضم اليا وفتح اللام قالوا نزلت في ادنى الارض وهم من بعد غلبهم سيغلبون
المسلمين في بضع سنين وعند انقضاء هذه المدة اخذ المسلمون في جهاد الروم والاول قول اكثر المفسرين وهو الاصح **قوله تعالى**
لله الامر من قبل ومن بعد اي قبل دولة الروم على فارس ومن بعدها فاي الفريقين كان لهم الغلبة فهو بامر الله وقضائه
وقدره **قوله تعالى** ويومئذ اي يغلب الروم فارسا والناصب ليومئذ وجوز ابو البقاء ان يتعلق بنصر وهذا فيه تفكيك للنظم
فصل المعنى ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله الروم على فارس قال السدي فرح النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنون
بظهورهم على المشركين يوم بدر وظهور اهل الكتاب على ظهور اهل الشرك ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم الغالب بالمؤمنين
قوله تعالى وعد الله مصدر مؤكد ناصبه مضمر اي وعدهم الله ذلك وعدا بظهور الروم على فارس لا يخلف الله وعده وهذا
معنى يعمل القدر اي المصدر ويجوز ان يكون قوله لا يخلف الله وعده حالا من المصدر فيكون كالمصدر الموصوف فهو مبين
للنوع كانه قيل وعد الله وعدا غير مخلف ولكن اكثر الناس لا يعلمون **قوله تعالى** يعلمون ظاهرا من الحيوة الدنيا يعني امر معايشهم
كيف يتجرون ويكتسبون ومتى يغرسون ويزرعون ويحصدون وكيف يبنون ويعيشون قال الحسن ان احدهم لينقد الدرهم
بطرف ظفره فيذكر وزنه وهو لا يخطئ ولا يحسن يصلي والمعنى ان علمهم منحصر في الدنيا بل لا يعلمون الدنيا كما هي وانما يعلمون
ظاهرها وهو ملاذها وملاعبها ولا يعلمون باطنها وهو مضارها ومتاعبها ولا يعلمون فناءها وهم عن الاخرة هم غافلون تمام
جاهلون لا يتفكرون فيها وذكرهم الثانية ليفيد ان الغفلة منهم والا فاسباب التذكر حاصلة **قوله تعالى** اولم يتفكروا
في انفسهم فقوله في انفسهم ظرف للتفكر وليس مفعولا للتفكر والمعنى ان اسباب التفكر حاصلة وهي في انفسهم لو تفكروا فيها لعلموا
وحدانية الله وصدق النبوة والحشر اما الوحدانية فلان الله تعالى خلقهم في احسن تقويم ومن تفكر في تشريح بدن الانسان وجوانبه

راي ذلك حكما كل واحد منهما كافية في معرفة كون الله فاعلا مختارا كاملا قادرا عالما ومن يكون كذلك يكون
واحدا والا لكان عاجزا عند ارادة شركاء عندما اراده واما دلالة الانسان على الحشر فلانه اذا تفكر في نفسه يرى
قواه صائرة الى الزوال واجزاءه مائلة الى الانحلال وله فناء ضروري فلو لم يكن له حياة اخرى لكان خلقه على هذا
الوجه عبثا وعليه الاشارة له افحسبتم انما خلقناكم عبثا وهذا ظاهر لان من يفعل شيئا للعبث فلو بالغ في احكامه
ليضحك منه فاذا خلقه للبقاء ولا بقاء دون اللقاء بالاخرة فاذن لا بد من البعث ثم انه تعالى ذكر بعد دليل الانفس
دليل الاقطار فقال ما خلق الله السموات والارض وما بينهما الا بالحق واجل مسمى فقوله الحق اشارة الى وجه دلالتهما
على الوحدانية وقد بينا ذلك بقوله خلق السموات والارض بالحق ان في ذلك لاية للمؤمنين وفي هذه الجملة وجهان
احدهما انها مستانفة لا تعلق لها بما قبلها والثاني انها معلقة للتفكر فتكون في محل نصب على اسقاط الخافض ويضعف
ان تكون استفهامية بمعنى النفي وفيها الوجهان المذكوران والباء في بالحق اما سببية واما حالية قيل لاقامة الحق
وقوله واجل مسمى يذكر بالاصل الاخر الذي انكروه اي وقت معلوم اذا انتهت اليه فتلف وهو يوم القيمة وان كثيرا
من الناس بلقاء ربهم لكافرون لا يعلمون انه لا بد بعد الحيوة من لقاء وبقاء **قوله تعالى** بلقاء متعلق بالكافرين
واللام لا يمنع من ذلك لكونها في حيوان فان **قيل** ما الحكمة في تقديمه هاهنا دلايل الانفس على دلايل الافاق
وقدم دلايل الافاق على دلايل الانفس في قوله سنريهم اياتنا في الافاق وفي انفسهم **فالجواب** ان المفيد اذا افاد
فايدة يذكرها على وجه جيد يختاره فان فهمه السامع المفيد بذلك والا فذكرها على وجه ابين منه ويرتكه درجة
فدرجة واما المستفيد فانه يفهم اولا الابين ثم يرتقي الى فهم ذلك الاخفى الذي لم يكن فهمه فيفهمه بعد فهم الابين
الذكي واخر المفيد من الذكر واخر مفهوم عند السامع اولا اذا علم هذا فنقول هاهنا كان منسوبا الى السامع حيث قال
اولم يتفكروا فقال في انفسهم يعني فيما فهموه اولا ولم يرتقوا اليها فهموه ثانيا واما في قوله سنريهم الاخر منسوبا الى المفيد
من المستمع فذكر اولا الافاق وان لم يكن يفهموه فالانفس لان دلايل الانفس لا ذهول فيه للانسان عنها واما دلايل
الافاق فيمكن الذهول منها فهذا الترتيب مراعى في قوله تعالى المتقدم الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى
جنوبهم اي يعلمون الله بدلايل الانفس في سائر الاحوال ويتفكرون في خلق السموات والارض بدلايل الافاق **فصل**
وجه دلالة الخلق على الخلق بدلالة الوحدانية ظاهرا واما وجه دلالته على الحشر فلان نحو السموات وعدمها لا يعلم الا
بالعقل واما وقوعه فلا يعلم الا بالسمع فان الله قادر على ابقاء الحوادث ابدا كما انه يبقي الجنة والنار بعد احداثهما ابدا
والخلق دليل امكان العدم **فصل** لان المخلوق لم يجب له القدم فكان جائزا عليه العدم فاذا اخبر الصادق والعاقل
الصادق عن امر ممكن وجب على العاقل التصديق والاذعان لان العالم لما كان خلقه بالحق ينبغي ان يكون بعد هذه
الحياة حياة اخرى باقية لان هذه الحيوة ليست لعبا ولو كانت عبثا بقوله وما هذه الحيوة الدنيا الا لعب ولهو وخلق
السموات والارض للهو واللعب عبث والعبث ليس بحق فخلق السموات والارض بالحق يدل على انه لا بد بعد هذه الحيوة الدنيا
حيوة فان **قيل** ما الفايدة في قوله هاهنا كثيرا من الناس وقال من قبل ولكن اكثر الناس لا يعلمون **فالجواب** فايدته
انه من قبل لم يذكر دليلا على الاصلين وهاهنا قد ذكر الدلايل الواضحة والبراهين اللايحة ولا شك ان الايمان بعد الدليل
اكثر من الايمان قبل الدليل فسد الدليل لا بد ان من ذلك الاكثر جمع فلا يبقى الاكثر كما هو فقال بعدها قامة الدليل وان كثيرا وقال
قبله ولكن اكثر الناس لانه بعد الدليل الذي لا يمكن الذهول عنه وهو السموات والارض لان من البعيد ان يذهل الانسان
عن السماء الذي فوقه والارض الذي تحته فلهذا ذكر ما يقع الذهول عنه وهو امثالهم وحكايات اشكالهم فقال اولم يسيروا
في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم وقال في الدليلين المتقدمين اولم يروا اولم يتفكروا اذ لا حاجة هناك
الى السفر لحضور النفس والسماء والارض وقال هاهنا اولم يسيروا في الارض فينظروا اما ذكرهم بحال امثالهم ووبال اشكالهم
ثم ذكر انهم حلي بالاهلاك لانه عن تقدم من عاد وثمود وكانوا اكثر منهم قوة ولم تنفعهم قوتهم وكانوا اكثر مالا وعمارة
ولم ينفعهم من الهلاك اموالهم وحصونهم **قوله تعالى** واثاروا الارض حرثوها وقلبوها للزراعة ومنه البقرة تثير الارض
وقيل منه سمي ثورا وانتم لا حراثة لكم وعمروها اكثر مما عمروها اهل مكة قيل قال ذلك لانه لم يكن لاهل مكة حرث
وقوله اكثر مما نعته مصدر محذوف اي عمارة اكثر من عمارتهم وقرئ واثاروا بالف بعد الهمزة وهي اشباع لفتحة الهمزة **قوله
تعالى** وجاءتهم رسلهم بالبينات فلم يؤمنوا فاهلكهم الله فما كان الله ليظلمهم بنقص حقوقهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون
بنقص حقوقهم **قوله تعالى** عاقبة الذين قرا نافع وابن كثير وابو عمرو بالرفع والباقون بالنصب والرفع على
على انها اسم كان وذكر الفعل لان التانيث مجازي وفي الخبر حينئذ وجهان احدهما السوأى اي الفعلة السوأى الخصلة

السوى والثاني ان كذبوا اي كان اجرامهم التكذيب فعلى الاول يكون في ان كذبوا وجهان احدهما انه على اسقاط الخافض
اما لام العلة اي لان كذبوا واما باء السببية اي بان كذبوا فلما ذكر الحذف جرى القولان المذكوران المشهوران بين
الخليل وسيبويه في محل والثاني انه بدل من السوى اي ثم كان عاقبتهم التكذيب وعلى الثاني يكون السوى مصدر الاساءة
او يكون نعتا لمصدر محذوف اي اساوا الفعلة السوى والسوى تانيث الاسوا وجوز بعضهم ان يكون خبر كان
محذوفا كما تقدم للابهام والسوى اما مصدر واما مفعول كما تقدم اي اقترفوا الخطيئة السوى اي كان عاقبتهم الاساءة
واما النعت فعلى خبر كان واما الاسم ففيه وجهان احدهما السوى ان كانت الفعلة السوى عاقبة المسيئين التكذيب حملهم
تلك السيات على ما تقدم الثاني ان الاسم ان كذبوا والسوى على ما تقدم **فصل** المعنى ثم كان عاقبة الذين اساوا
السوء يعني الخلة التي تسوؤهم وهي النار وقيل السوء اسم لجهنم كما ان الحسنى اسم للجنة ان كذبوا وقيل بعير السوء ما بعده
وهو قوله ان كذبوا يعني ثم كان عاقبة المسيئين التكذيب حملهم تلك السيات على ان كذبوا بايات الله وكانوا بها يستهزءون
قوله تعالى الله يبدؤا الخلق ثم يعيده اي يخلقهم ابتداء ثم يعيدهم بعد الموت احياء ولم يقل يعيدهم رده الى الخلق ثم
اليه يرجعون فيجزيهم باعمالهم قرا ابو بكر وابو عمرو يرجعون بالياء والاخرون بالتاء **قوله تعالى** ويوم تقوم الساعة
يبلس المجرمون قرا العامة يبلس مبنيا للفاعل وهو المعروف يقال ابلس الرجل اي انقطعت حجته فسكت فهو قاصر لا يتعدى
قال العجاج … يا صاح هل تعرف رسما مكرسا . قال نعم اعرفه وابلسا . وقرا السلمي يبلس مبنيا للمفعول وفيه بعد
لان ابلس لا يتعدى وقد خرجت هذه القراءة على ان القايم مقام الفاعل مصدر الفعل ثم حذف المضاف واقيم المضاف اليه
مقامه اذ الاصل يبلس ابلاس المجرمين ويبلس هو الناصب ليوم تقوم ويومئذ مضاف لجملة تقديرها يومئذ تقوم وهذا
كانه تاكيد لفظي اذ يصير التقدير يبلس المجرمون يوم تقوم الساعة **فصل** قال قتادة والكلبي المعنى ييئس المجرمون
من كل خير وقال الفرا ينقطع كلامهم وحججهم قال مجاهد يفتضحون ولم يكن لهم من شركايهم اصنامهم الذين عبدوها ليشفعوا
لهم شفعاء وكانوا بشركايهم كافرين متبرين يتبرون منها وتتبرا منهم **قوله تعالى** ويوم تقوم الساعة يتفرقون اي
يتميز اهل الجنة من اهل النار وقال مقاتل يتفرقون بعد الحساب الى الجنة والنار فلا يجتمعون ابدا كما قال تعالى فريق
في الجنة وفريق في السعير **قوله تعالى** فاما الذين امنوا وعملوا الصالحات فهم في روضة يحبرون وهي البستان الذي فيه
غاية النضارة وقوله يحبرون قال ابن عباس يكرمون وقال قتادة ومجاهد ينعمون وقال مجاهد وابو عبيدة يسرون والحبر
والحبر السرور وقيل الحبرة في كل نعمة حسنة والتحبير التحسين يقال هو حسن الحبر والسبر بكسر الحاء والسين وفتحهما وفي الحديث
حبرته لك تحبيرا اي حسنت صوتي لك بالقران تحسينا وجاء في الحديث يخرج من النار رجل ذهب حبره وسبره فاصح
مصدر والمكسور اسم والروضة قبل الجنة فلا يكون روضة الا وفيها نبت وقيل الا وفيها ما وقيل ما كانت منخفضة والمرتفعة
يقال لها ترعة وقيل لا يقال لها روضة الا وهي في مكان غليظ مرتفع قال الاعشى ما روضة من رياض الحزن معشبة خضرا
جاد عليها مسبل هطل واصل رياض رواض فقلبت الواو ياء على حد حوض وحياض ونكر الروضة للتعظيم وقال هاهنا
يحبرون بصيغة الفعل وقال في الاخرى بصيغة الاسم ولم يقل محضرون لان الفعل يدل على التجديد والاسم لا يدل فقوله
يحبرون يعني كل ساعة ياتيهم ما يحبرون به وقوله محضرون اي الكفار في العذاب يبقون محضرون **قوله تعالى** فسبحان الله
حين تمسون وحين تصبحون اي سبحوا الله ومعنى صلوا لله حين تمسون تدخلون في المساء وهو صلوة المغرب والعشاء
وحين تصبحون اي حين تدخلون في الصباح وهو صلوة الصبح وله الحمد في السموات والارض قال ابن عباس يحمده اهل السموات
والارض ويصلون وعشيا اي صلوا لله عشيا يعني صلوة العصر وحين تظهرون اي تدخلون في الظهيرة وهو وقت الظهر قال
نافع الازرق لابن عباس هل تجد الصلوات الخمس في القران قال نعم وقرا هاتين الايتين وقيل جمعت الاية الصلوات الخمس
ومواقيتها وروى ابو هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قال سبحان الله وبحمده في يوم مائة مرة حطت خطاياه
وان كانت مثل زبد البحر وقال عليه السلام من قال حين يصبح وحين يمسي سبحان الله وبحمده مائة مرة لم يات احد يوم القيامة
بافضل مما جاء به الا احد قال مثل ما قال او زاد عليه وقال عليه السلام كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان
حبيبتان الى الرحمن سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم **قوله تعالى** تمسون وتصبحون اي تدخلون في المساء والصباح كقوله
اذا سمعت لبيتر العسير فاعلم انه يصبح اي يدخل في الصباح والعامة على اضافة الظرف الى الفعل بعده وقرا عكرمة حينا
بالتنوين والجملة بعده صفة له والعائد محذوف حينئذ اي تمسون فيه كقوله واتقوا يوما لا تجزي والذي عن وليه
والناصب لهذا الظرف سبحان لانه بابه عامله قوله وعشيا عطف على حين وما بينهما اعتراض وفي القران السموات
يجوز ان يتعلق بنفس الحمد اي ان الحمد يكون في هذين الظرفين **قوله تعالى** يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي وقد تقدم

خلاف القرا في تخفيف الميت وتثقيله وكذا قوله تخرجون في سورة الاعراف وكذلك نعت مصدر محذوف اي
ومثل ذلك الاخراج العجيب تخرجون واعلم انه وجه تعلق اخراج الحي من الميت واخراج الميت من الحي بما قبله هو ان عند
الاصباح يخرج الانسان من سنة الموت وهو النوم الى سنة الوجود وهي اليقظة وعند العشا يخرج الانسان من
اليقظة الى النوم واختلف المفسرون في قوله يخرج الحي من الميت فقال اكثرهم يخرج الدجاجة من البيضة ويخرج البيضة
من الدجاجة وكذلك الحيوان من النطفة والنطفة من الحيوان وقيل يخرج الكافر من المومن والمومن من الكافر ثم قال
ويحيي الارض بعد موتها وفي هذا معنى لطيف وهو ان الانسان بالموت يبطل حواسه واما نفسه الناطقة فتفارقه
وتبقى بعده كما قال تعالى ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا لكن الحيوان نام متحرك حساس لكن النايم لا يتحرك
ولا يحس والارض الميتة بعد موتها يسعى نباتها في ان يتحرك ذلك الساكن واعاد ذلك لموافقته سهل على الله كذلك احيا الا
موات سهل على الله وهذا اشارة بقوله وكذلك تخرجون **قوله تعالى** ومن اياته ان خلقكم مبتدا وخبر اي ومن جملة
علامات توحيده انه بعثكم خلقكم واخترعكم ومن لابتداء الغاية وقوله من تراب ان خلق اصلنا وهو ادم من تراب وانه
خلقنا من نطفة والنطفة من الغذا والغذا انما يتولد من الماء والتراب على ما تقدم شرحه ثم اذا انتم بشر تنتشرون في
الارض والترتيب والمهلة هنا ظاهران فانهم انما يصيرون بشرا بعد اطوار كثيرة وتنتشرون حال واذا هي الفجائية الا
ان الفجائية اكثر ما تقع بعد الفا لانها تقتضي التعقيب ووجه وقوعها مع ثم بالنسبة الى ما يليق بالحالة الخاصة اي بعد
تلك الاطوار التي قصها علينا في موضع اخر من كوننا نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم عظاما مكسوة لحما فاجا البشرية والانتشار
قوله تعالى ومن اياته ان خلق لكم من انفسكم ازواجا من انفسكم يعني من بني ادم وقيل خلق حوا من ضلع ادم لتسكنوا اليها
والصحيح ان المراد من جنسكم كما قال تعالى لقد جاءكم رسول من انفسكم كما يدل عليه قوله تعالى لتسكنوا اليها يعني ان الجنسين
المختلفين لا يسكن احدهما الى الاخر اي لا يثبت نفسه معه ولا يميل قلبه اليه وجعل بينكم مودة ورحمة قيل مودة بالجماع
للولد تمسكا بقوله تعالى ذكر رحمة ربك عبده زكريا وقيل جعل بين الزوجين المودة فيتحابان ويتراحمان وما من احد
الى احد من الاخر من غير رحم بينهما ان في ذلك يحتمل ان يكون المراد ان في خلق الازواج ايات ويحتمل ان يقال في جعل المودة
والرحمة بينهم ايات لقوم يتفكرون في عظمة الله وقدرته **قوله تعالى** ومن اياته خلق السموات والارض لما بين دلايل الا
نفس ذكر دلايل الافاق واظهرها خلق السموات والارض ثم اشار الى دلايل الانفس والافاق فذكرها هو من صفات الانفس
وهو قوله واختلاف السنتكم اي لغاتكم من عرب ومن عجم مع تنوع كل من الجنسين الى انواع شتى لا سيما العجم فان لغاتهم مختلفة
وليس المراد بالالسنة الجوارح وقيل اراد بالالسن اختلاف الاصوات واما اختلاف الالوان المراد ابيض واسود واحمر وانتم
ولد رجل منهم مع كثرة عددهم وصغر حجمهم وعدودهم لا تشبه بعضها بعضا والسموات مع كبرها وقلة عددها اشتبهتا في الصورة
ان في ذلك لايات للعالمين قرا حفص بكسر اللام جعله جمع عالم ضد الجاهل ونحوه وما يعقلها الا العالمون والباقون بفتحها
لانها ايات لجميع الناس واذا كان بعضهم يغفل عنها وقد تقدم اول الفاتحة الكلام على العالمين هو جمع او اسم جمع **قوله تعالى**
ومن اياته منامكم بالليل والنهار لما ذكر الاعراض اللازمة وهي الاختلاف ذكر الاعراض المفارقة ومن جملتها النوم بالليل
والحركة بالنهار وطلبا للرزق قيل في الاية تقديم وتاخير ليكون كل واحد مع ما يلايمه والتقدير ومن اياته منامكم
بالليل وابتغاؤكم من فضله بالنهار فحذف حرف الجر باتصاله بالليل وعطف عليه لان حرف الجر اذا حذف والعطف قد يقوم مقام الجار والا
ان يجعل على حاله والنوم بالنهار مما كانت العرب تعده نعمة من الله ولا سيما في اوقات القيلولة في الاوقات الحارة وقوله
وابتغاؤكم من فضله اي فيهما فان كثيرا ما يكتسب الانسان بالليل ويدل على الاول قوله تعالى وجعلنا اية النهار مبصرة
لتبتغوا فضلا من ربكم وقوله تعالى وجعلنا الليل لباسا وجعلنا النهار معاشا ثم قال ان في ذلك لايات لقوم يسمعون
سماع تدبر واعتبار وقال هاهنا لقوم يسمعون ومن قبل لقوم يتفكرون وقال للعالمين لان المنام بالليل والنهار
يظن العالم والجاهل والعاقل انهما يقتضيه طبع الحيوان فلا يظهر لكل احد كونهما من نعم الله فلم يقل ايات للعالمين ولان
الامرين الاولين وهما اختلاف الالسنة والالوان من اللوازم والمنام والابتغاء من الامور المفارقة بالنظر اليهما
لا يدوم لزومهما في بعض الاوقات ولا كذلك اختلاف الالسنة والالوان فانهما يدومان بدوام الانسان فجعلهما
ايات عامة واما قوله لقوم يتفكرون فان من الاشياء ما يعلم من غير تفكر ومنها ما يكفي فيه مجرد الفكرة ومنها ما يحتاج
الى موقف يقف عليه ومرشد يرشد عليه فيفهم اذا سمعه من ذلك المرشد ومنها ما يحتاج بعض الناس في تفهيمه الى امثلة
حسية كالاشكال الهندسية لان خلق الازواج لا يقع لاحد بالطبع ان يكون جامد الفكرة فاذا تفكر علم كون ذلك الخلق
اية واما المنام والابتغاء فقد يقع لكثير انهما من افعال العباد وقد يحتاج الى مرشد بغير فكر فقال لقوم يسمعون ويجعلون

بالهم من كلام المرشد **قوله تعالى** ومن اياته يريكم البرق خوفا وطمعا لما ذكر العرضيات اللازمة للانفس والمفارقة
ذكر العرضيات التي للآفاق **قوله تعالى** يريكم البرق فيه وجوه اولها الموافق للاخيرة ان يكون جملة من مبتدا وخبر الا انه
حذف الحرف المصدري ولما حذف بطل عمله والاصل ومن اياته ان يريكم كقوله • الا ايهذا الزاجري احضر الوغى •
الثاني ان من اياته يتعلق بيريكم او بمحذوف على انه حال من البرق والتقدير ويريكم البرق من اياته فيكون قد عطف جملة
فعلية على جملة اسمية الثالث ان يريكم جملة لمحذوف موصوفا وصفته له ومن اياته يريكم بها اي فيها البرق فحذف الموصول
والعائد عليه ومثله •• وما الدهر الا تارتان • فمنهما اموت • اي فمنهما تارة اموت فيها الرابع ان التقدير ومن
اياته سحابا ويريكم فيريكم صفة لذلك المقدر وفاعل يريكم ضمير يعود عليه بخلاف الوجه قبله فان الفاعل ضمير
الباري تعالى **فصل** المعنى يريكم البرق خوفا للمسافر من الصواعق وطمعا للمقيم في المطر وينزل من السماء ماء
فيحيي به الارض بعد موتها ان في ذلك لايات لقوم يعقلون فان **قيل** قدم لوازم الانفس على العوارض المفارقة على
اللوازم حيث قال يريكم البرق خوفا وطمعا وينزل عليكم وذلك لان الانسان متغير الحال فالعوارض له غير بعيدة واما
اللوازم فغريبة واما السموات والارض فقليلة التغير فالعوارض فيها اغرب من اللوازم فقدم ما هو عجيب لكونه ادخل في كونه
ايضا آية وايضا فان الانسان يتغير حاله بالكبر والصغر والصحة والسقم وله صوت يعرف به لا يتغير وله لون يتميز
به عن غيره وهو يتغير بذلك في الاحوال ولا يتغير ذلك وهو آية عجيبة والسماء والارض ثابتان لا يتغيران ثم نرى في بعض الا
حوال امطارا هاطلة وبروقا هائلة والسماء كما كانت والارض كما كانت وتلك آية تدل على فاعل مختار يديم امرا مع تغير المحل او
امرا مع ثبات المحل **فالجواب** كما قدم السماء على الارض قدم ما هو من السماء وهو البرق والمطر على ما هو من الارض وهو الانبات
والاحياء وكما في انزال المطر وانبات الشجر منافع كذلك في تقديم الرعد والبرق على المطر منفعة وهو ان البرق اذا لاح فالذي
لا يكون تحت كن يخاف الابتلال فيستعد له والذي له صهريج او موضع يحتاج الى الماء او زرع يسوي مجاري الماء وايضا اهل البوادي
لا يعلمون البلاد المعشبة ان لم يكن قد رأوا البرق اللائحة من جانب دون جانب فان **قيل** اعلم ان دلائل البرق وفوائده وان لم
يظهر للمقيمين في البلاد فهي ظاهرة للبادين فلهذا جعل تقديم البرق على تنزيل الماء من السماء نعمة وآية **فالجواب** قال
بعضهم ما كونه آية فلان النار التي في السحاب ليس الا ماء اذا هو وخروج النار منها عجيب بعد في الجبال في غاية البعد فلا بد له من خالق
هو الله قالت الفلاسفة السحاب فيه كثافة ولطافة بالنسبة الى الهواء والماء فالهواء الطف منه والماء اكثف فاذا هب ريح قوية
تحرك السحاب بعنف فيحدث صوت الرعد ويخرج منه النار كما ان النار تخرج من وقع الحجر على الحديد فان **قيل** الحديد
والحجر جسمان صلبان والسحاب والريح جسمان **فالجواب** فنقول لهم البرق والرعد حادثان لا بد لهما من سبب وقد علم
بالبرهان كون كل حادث من الله فهما من الله ثم نقول هب ان الامر كما تقولون فهبوب تلك الرياح القوية من الامور الحادثة
العجيبة فلا بد لها من سبب وينتهي الى واجب الوجود فهو آية للعاقل على قدرة الله تعالى كيف ما فرضتم فان **قيل** ما الحكمة في قوله
هنا آيات لقوم يعقلون وقوله فيما تقدم لقوم يتفكرون **فالجواب** لما كان حدوث الولد من الوالد امرا عاديا مطردا قليل
الاختلاف كان يتطرق الى الاوهام العامية ان ذلك الطبيعة لان المطرد اقرب الى الطبيعة من المختلف والبرق والمطر ليس
مطردا بل يختلف اذ يقع ببلدة دون بلدة وفي وقت دون وقت وتارة يكون قويا وتارة يكون ضعيفا فهو اظهر
في العقل دلالة على الظاهر الفاعل المختار فقال هو آية لمن له عقل وان لم يتفكر تفكرا تاما **قوله تعالى** ومن اياته ان تقوم
السماء والارض بامره قال ابن مسعود قامتا على غير عمد بامره **فصل** واعلم ان ذكر من لوازم السماء والارض قيامهما
فان الارض لثقلها يتعجب الانسان من وقوفها وعدم نزولها وكون السماء في علوها يتعجب من علوها وثباتها من غير عمد وهذا
من اللوازم فان الارض لا تخرج من مكانها الذي هي فيه بانها تتحرك في مكانها كالرحا ولكن اتفق العلماء على انها في مكانها من
الامور الممكنة وكونها في غير ذلك الموضع جائز وكان يمكن ان يخرج منه فلم يخرج فكان ذلك ترجيحا للجائز على غيره وذلك
لا يكون الا بايجاد فاعل مختار وقالت الفلاسفة كون الارض في المكان الذي هي فيه طبيعي لانها اثقل الاشياء والثقيل
يطلب المركز والخفيف يطلب المحيط وكون السماء في مكانها ان كانت ذات مكان فلذاتها وقيامها بامره لطبعها
واجيبوا بانكم تعترفون بان ما جاز على احد المثلين جاز على الآخر لكن الفلك لا يخالف بعضه في الطبع فيجوز حصول مقعره
في موضع محدبه وذلك بالخروج والزوال فاذن تتطرق الزوال اليه من المكان فيمكن لا سيما على سماء الدنيا فانها ليست
محددة للجهات على مذهبكم ايضا والارض كانت يجوز عليها الحركة الدورية كما تقولون على السماء فعدمها وسكونها ليس
الا بفاعل مختار فان **قيل** ذكر استدلالا من كل باب امرين اما من الانفس فقوله خلقكم وخلق لكم واستدل
بخلق الزوجين ومن الآفاق السماء والارض فقال خلق السموات والارض ومن لوازم الانسان اختلاف اللسان واختلاف الالوان

ومن عوارضها الآفاق البرق والامطار ومن لوازمها قيام السماء والارض لان الواحد يكفي للاقرار بالحق والثاني يفيد
الاستقرار ومن هذا اعتبر شهادة شاهدين فان قول احدهما يفيد الظن وقول الآخر يفيد تاكيده ولهذا قال ابراهيم
عليه السلام قال بلى ولكن ليطمئن قلبي **فالجواب** قوله بامره اي بقوله قوما او بارادته قيامهما لان الامر عند المعتزلة
موافق للارادة وعندنا ليس كذلك ولكن النزاع في امر التكليف لا في امر التكوين فاذا لا انفكاك فانه قوله كن وكونه وكونوا
موافق للارادة فان **قيل** ما الفائدة في قوله هاهنا ومن اياته ان تقوم وقال قبله ومن اياته يريكم البرق **فالجواب**
ان القيام لما كان معتبرا اخرج الفعل بان الفعل مستقبل ولم يذكر معه الحرف المصدري فان **قيل** ما الحكمة في انه ذكر دلائل
ولم يذكر منها غرائبه منها ان في ذلك لآيات فلم يذكر في الاول وهو قوله ان خلقكم من تراب ولا في الآخر **فالجواب** اما
الاول فلان قوله بعده ومن اياته ان خلق لكم ايضا دليل الانفس فخلق الانفس وخلق الازواج من باب واحد على ما تقدم من انه
تعالى ذكر من كل باب امرين التوحيد والتوكيد فلما قال في الثانية ان في ذلك لآيات كان عائدا اليهما واما في قيام السماء والارض
ولانه ذكر في الآيات الثابتة انها آيات للعالمين ولقوم يعقلون وذلك لظهورها فلما كان في اول الامر ظاهرا ففي آخر
الامر بعد سرد الادلة يكون اظهر فلم يبين احدا في ذلك في الآخر ثم انه تعالى لما ذكر الدليل على القدرة والتوحيد ذكر مدلوله
وهو قدرته على الاعادة فقال ثم اذا دعاكم دعوة من الارض اذا انتم تخرجون وجه العطف بثم وبم تعلق فمعناه انه تعالى اذا بين
لكم كمال قدرته بهذه الآيات بعد ذلك يخبركم ويعلمكم انه اذا قال للعظام الرميمة اخرجوا من الاجداث يخرجون احياء **قوله**
من الارض فيه اوجه اظهرها انه يتعلق بدعاكم الثاني انه متعلق بمحذوف صفة لدعوة الثالث انه متعلق بمحذوف يدل عليه
يخرجون اي خرجتم من الارض ولا يجوز ان يتعلق بتخرجون لان ما بعد اذا لا يعمل فيما قبلها **فصل** قول القائل
دعا فلان فلانا من كذا يحتمل ان يكون الداعي من الجبل كما يقول القائل يا فلان اصعد الى الجبل فيقال دعاه من الجبل ولا
يخفى على العاقل ان الدعاء لا يكون من الارض اذا كان الداعي هو الله والمدعو ايضا من الارض يعني انكم من الارض فيدعوكم منها
فتخرجون منها واذا هي المفاجأة قال اكثر العلماء معنى الآية ثم اذا دعاكم دعوة اذا انتم تخرجون من الارض فان **قيل**
قوله هاهنا اذا انتم تخرجون وقال في خلق السموات والارض الانسان اولا ثم اذا انتم بشر تنتشرون **فالجواب** لانه هناك
يكون خلق وتقدير وتدريج حتى يصير التراب قابلا للحياة فينفخ فيه روحه واذا هو بشر واما في الاعادة فلا يكون تدريج
وتراخ بل يكون نداء وخروج فلم هاهنا **قوله** وله من في السموات ومن في الارض كل له قانتون قال ابن عباس كل له
مطيعون في الحياة الدنيا والفناء والموت والبعث وان عصوا في العبادة وقال الكلبي هذا خاص لمن كان منهم مطيعا ولما ذكر
الآيات الدالة على القدرة على الحشر الذي هو الاصل الآخر والوحدانية التي هي الاصل الاول اشار اليهما بقوله وله
من في السموات والارض وبقوله السموات والارضين له وملكه فكل له منقادون قانتون والشريك يكون منازعا ولا شريك
له اصلا ثم ذكر المدلول الآخر فقال وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده خلقكم اولا ثم يعيدكم بعد الموت للبعث **قوله تعالى**
وهو اهون عليه فان قيل هو اهون فيه وجهان احدهما انها للتفضيل على بابها وعلى هذا يقال كيف يتصور التفضيل والاعادة والبداءة
بالنسبة الى الله تعالى على حد سواء وفي ذلك اجوبة اولها ان ذلك بالنسبة الى اعتقاد البشر باعتبار المشاهد من ان اعادة
الشيء اهون من اختراعه لاحتياج الابتداء الى اعمال فكر غالبا وان كان هذا منتفيا على الباري تعالى فخوطبوا بحسب ما الفوا
والثاني ان الضمير في عليه ليس عائدا على الله تعالى انما يعود على الخلق اي والعود اهون اي اسرع لان البداءة فيها تدريج
من طور الى طور الى ان صار انسانا والاعادة لا تحتاج الى هذه التدريجات فكانه قيل وهو اقصر عليه وايسر فانه يقال الاولى
يقومون بصيحة واحدة فتكون عليهم من ان يكونوا نطفا ثم علقا الى ان يصيروا رجالا او نساء وهي رواية الكلبي عن ابي صالح
عن ابن عباس الثالث ان الضمير في عليه يعود على المخلوق اي اعادته شيئا بعد ما ابداه هذا في
عرف المخلوقين فكيف تنكرون ذلك في جانب الله تعالى والثاني ان اهون ليست للتفضيل بل هي صفة بمعنى هين كقولهم الله
اكبر اي الكبير وهي رواية العوفي عن ابن عباس وقد يجيء افعل بمعنى الفاعل كقول الفرزدق • ان الذي سمك السماء بنى لنا
بيتا دعائمه اعز واطول • اي عزيزة وطويلة والظاهر عود الضمير في عليه لله تعالى ليوافق الضمير في قوله هو علي هين
قلت هنالك قصد الاختصاص وهو تجرؤ فقيل هو علي هين فان كان مستصعبا عندك ان يولد بين هرم وعاقر فذلك علي
هين لا على غيري واما هاهنا فلا معنى للاختصاص كيف والامر مبني على ما يعقلون من ان الاعادة اسهل من الابتداء فلو
قدمت الصلة لتغير المعنى قال ابو حيان ومبنى كلامه على ان التقديم يفيد الاختصاص وفيه نزاع وقال شهاب
الدين الصحيح ان يفيد ويغلب جميع ذلك وله المثل الاعلى يجوز ان يكون منتظما بما قبله وهو قوله وهو اهون عليه
اي قد ضرب لكم مثلا فيما يسهل ويصعب واليه نحا الزجاج وبما بعده من قوله ضرب لكم من انفسكم وقيل المثل الوصف اي الصفة

العليا قال ابن عباس هي انه ليس كمثله شيء وقال قتادة وهي انه لا اله الا هو قوله تعالى في السموات يجوز ان يتعلق
بالاعلى اي انه علي فيهما اي الجهتين ويجوز ان يتعلق بمحذوف على انه حال من الاعلى او من المثل او من الضمير في الاعلى فانه
يعود على المثل وهو العزيز في ملكه الحكيم في خلقه قوله تعالى ضرب لكم مثلا من انفسكم اي بين لكم شبها لحالكم ذلك المثل
من انفسكم ومن لابتداء الغاية في موضع الصفة لمثلا اي اخذ مثلا وانتزعه من اقرب شيء منكم وهو انفسكم ثم بين المثل فقال
هل لكم مما ملكت ايمانكم من شركاء فيما رزقناكم من المال والمعنى ان من يكون له مملوك لا يكون له شريكا في ماله فكيف يجوز ان
يكون لهم عظمة الله تعالى حين يبتدروا قوله تعالى من شركاء مبتدا ومن مزيدة فيه لوجود شرطا الزيادة وفي خبره وجهان
احدهما الجار الاول وهو لكم ومما ملكت يجوز ان يتعلق بمحذوف على انه حال من شركاء لانه في الاصل نعت نكرة قدم عليها
والعامل فيه العامل في هذا الجار الواقع خبرا والخبر مقدر بعد الابتداء وفيما رزقناكم متعلق بشركاء وما في فيما بمعنى النوع
تقديره ذلك كله هل شركاء فيما رزقناكم كائنون من النوع الذي ملكت ايمانكم مستقرون فكائنون هو الوصف المتعلق
بما ملكت وبما تقدم صار حالا ومستقرون هو الجار الذي تعلق به لكم والثاني ان الخبر مما ملكت ولكم متعلق بما تعلق به الخبر
او بمحذوف على انه حال من شركاء او بنفس شركاء كقولك في الدنيا محب فلك متعلق بمحب وفي الدنيا هو الخبر قوله تعالى فانتم فيه سواء
هذه الجملة جواب للاستفهام الذي بمعنى النفي وفيه متعلق بسواء قوله تعالى تخافونهم فيه وجهان احدهما خبر ثان لانتم
تقديره فانتم مستوون معهم فيما رزقناكم خائفون كخوف بعضكم بعضا ايها السادة والمراد نفي الاشياء الثلاثة اعني
الشركة والاستواء مع العبيد وخوفهم اياهم وليس المراد ثبوت الشركة ونفي الاستواء والخوف كما هي احد الوجهين في قولك
ما تأتينا فتحدثنا بمعنى ما تأتينا فلا تحدثنا بل المراد نفي الجميع كما تقدم وقال ابو البقا فانتم فيه سواء الجملة في موضع نصب على
على جواب الاستفهام اي هل لكم فتستووا انتهى وفيه نظر حيث يجعل جملة اسمية حالة محل جملة فعلية ويحكم على موضع الاسمية
بالنصب باضمار ناصب وهذا لا يجوز ولو انه فسر المعنى وقال ان الفعل لو حل بعد الفا لكان منصوبا باضمار ان لكان صحيحا ولا
بد ان يبين ان النصب على المعنى الذي قدمته من نفي الاشياء الثلاثة والوجه الثالث ان تخافونهم في محل نصب على الحال من ضمير الفاعل
في سواء اي فتساووا خائفا بعضكم من بعض مشاركته له في المال اي اذا لم ترضوا ان يشارككم عبيدكم في المال فكيف تشركون بالله من هو
مصنوع له قال ابو البقا وقال ابن الخطيب وهو ان بين المثل والممثل به مشابهة ومخالفة والمشابهة معلومة والمخالفة من
وجوه الاول قوله من انفسكم اي من نفسكم مع حقارة الانفس ونقصها وعجزها وقاس نفسه عليكم مع جلاله وعظمته وقدرته
وكماله الثاني قوله مما ملكت ايمانكم اي عبيدكم لكم عليهم ملك اليمين والملك طار قابل للنقل والزوال اما النقل فبالبيع
وغيره واما الزوال فبالعتق ومملوكه تعالى لا خروج له عن الملك فاذا لم يجز ان يكون مملوك يمينكم شريكا لكم مع انه
يجوز ان يصير مثلكم من جميع الوجوه بل هو في الحال مثلكم في الادمية حالة الرزق حتى انكم ليس تفرقون في بروحه وادمية
بقطع وقيل وليس لكم منعهم من العبادة وقضاء الحاجة فكيف يجوز ان يكون مملوك الله الذي هو مملوكه من جميع الوجوه
بل هو في الحال مثلكم في الادمية وهو مباين له بالكلية شريكا له الثالث قوله مما رزقناكم يعني الذي لكم هو في الحقيقة ليس
لكم بل هو لله ومن رزقه حقيقة فمن لم يجوز ان يكون شريكه فيما هو لكم من حيث الاسم فكيف يجوز ان يكون شريك فيما هو له
من حيث الحقيقة الرابع قوله فانتم فيه سواء اي هل انتم ومماليككم في شيء مما تملكون انتم سواء فليس كذلك فليس يكون
شريك في كل شيء لان كل شيء هو لله وما تدعون من الالهة لا يملك شيئا اصلا ولا مثقال ذرة من خردل فلا يعبد لعظمة
ولا لمنفعة تصل اليكم منه فانتم ومماليككم سواء ليس كذلك لان المملوك ليس له عندكم حرمة الاحرار واذا لم يكن المملوك
مع مساواته اياكم في الحقيقة والصفة عندكم حرمة فكيف يكون حال المماليك الذي لا مساواة بينهم وبين المالك بوجه
من الوجوه الى هذا اشار بقوله تخافونهم كخيفتكم انتهى وانما ذكرت هذا المعنى مبسوطا لانه مبين لما ذكرته من وجوه الاعراب
قوله تعالى كخيفتكم اي خيفة مثل خيفتكم والعامة على نصب انفسكم لان المصدر مضاف لفاعله وقرا ابن ابي عبلة بالرفع
على اضافة المصدر لمفعوله واستقبح بعضهم هذا اذا وجد الفاعل وقال بعضهم ليس بقبيح بل يجوز اضافته الى كل منهما اذا وجد
وانشد •

• افنى تلادي وما جمعت • من نشب قرع القواقيز •

افواه القواقيز اي افواه الاباريق بنصب افواه ورفعها قوله تعالى كذلك نفصل اي مثل ذلك التفصيل نفصل وقرا
ابو عمرو في رواية يفصل بياء الغيبة ردا على قوله ضرب لكم والباقون بالتكلم ردا على قوله رزقناكم والمعنى نبين الايات
والدلائل والبراهين القطعية والامثلة لقوم يعقلون ينظرون الى هذه الدلائل بعقولهم والامر لا يخفى بعد ذلك
الا على من لا يكون له عقل قوله تعالى بل اتبع الذين ظلموا اهواءهم اي لا يجوز ان يشرك مالك مملوكه ولكن الذين ظلموا اي اشركوا
اتبعوا اهواءهم من الشرك من غير علم اي من غير دليل جهلا لما يجب عليهم ثم ذلك بارادة الله بقوله فمن يهدي من اضل الله اي هؤلاء

اضلهم الله قاله الزمخشري ثم قال وما لهم من ناصرين ما نعين يمنعونهم من عذاب الله عز وجل قوله تعالى فاقم
وجهك للدين حنيفا اي اخلص دينك لله قال سعيد بن جبير واقامة الوجه اقامة الدين وقال غيره سدد عملك
والوجه ما يتوجه اليه وقيل اقبل بكلك على الدين عبر بالذات عن الوجه كقوله تعالى كل شيء هالك الا وجهه اي ذاته بصفاته
قوله تعالى حنيفا حال من مفعول اقم او من مفعوله او من الدين ومعنى حنيفا اي مائلا اليه مستقيما عليه عن كل شيء
لا يكون في قلبك شيء اخر وهذا قريب من معنى قولك ولا تكونن من المشركين قوله تعالى فطرة الله فيها وجهان احدهما
انه مصدر مؤكد لمضمون الجملة كقوله صبغة الله وصنع الله والثاني انه منصوب باضمار فعل قال الزمخشري اي الزموا
فطرة الله وانما اضمرته على خطاب الجماعة لقوله المنيبين اليه وهو حال من الضمير في الزموا وقوله واتقوه واقيموا ولا تكونوا
معطوف على هذا المضمر ثم قال او عليكم فطرة الله ورده ابو حيان اذ هي عوض عن الفعل فلو حذف فيها لزم حذف العوض والمعوض
عنه وهو اجحاف قال الشهاب لا يرد هذا راي البصريين واما الكسائي واتباعه فيجيزون ذلك ومعنى فطرة الله دين الله وهو
التوحيد فان الله فطر الناس عليه حين اخرجهم من ظهر آدم وقال سألهم الست بربكم قالوا بلى وقال عليه السلام ما من مولود
الا وهو يولد على الفطرة وانما ابواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه فقوله على الفطرة يعني على العهد الذي اخذه عليهم بقوله
الست بربكم قالوا بلى وكل مولود في العالم على ذلك الاقرار وهي الحنيفية التي وقعت الخلقة عليها وان عبد غيره قال الله تعالى
ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله وقالوا ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله ولكن لا عبرة بالايمان الفطري في احكام الدنيا
وانما يعتبر الايمان الشرعي المأمور به وهو قول ابن عباس وجماعة من المفسرين وقيل الاية مخصوصة بالمؤمنين وهم الذين فطرهم
الله على الاسلام روي عن عبد الله بن المبارك قال معنى الحديث ان كل مولود يولد على فطرته اي خلقته التي جعل عليها في علم
الله تعالى من السعادة والشقاوة فكل منهم صائر في العاقبة الى ما فطر عليها وعامل في الدنيا بالعمل المشاكل لها فمن علامات
الشقاء ان يولد بين يهوديين او نصرانيين فيحملانه لشقائه على اعتقاد دينهما وقيل معنى الحديث ان كل مولود يولد في مبدا
الخلقة على الفطرة اي على الجبلة السليمة والطبع المتهيئ لقبول الدين فلو ترك عليها لاستمر على لزومها لان هذا الدين موجود
حسنه في العقول وانما يعدل عنه من يعدل الى غيره لانه من آفات النشو والتقليد فمن يسلم من تلك الافات لم يعتقد غيره ذكر هذه المعاني
ابو سليمان الخطابي في كتابه قوله تعالى لا تبديل لخلق الله اي خلق الله فمن حمل الفطرة على الدين قال معناه لا تبديل لدين
الله فهو خبر بمعنى النهي اي لا تبدلوا دين الله قاله مجاهد وابراهيم اي الزموا طاعة الله اي دين الله واتبعوه ولا تبدلوا التوحيد
بالشرك وقيل هذا تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم عن الحزن حيث لا يؤمن قومه فقال هم خلقوا للشقاوة ومن كتب شقيا لا يسعد
وقال مجاهد وعكرمة معناه تحريم اخصاء البهائم ثم قال ذلك الدين القيم المستقيم الذي لا عوج فيه ولكن اكثر الناس لا يعلمون
ان ذلك هو الدين المستقيم منيبين حال من فاعل الزموا المقدر كما تقدم او من فاعل اقم على المعنى لانه ليس يراد به واحد بعينه وانما
المراد الجميع وقيل حال من الناس اذا اريد بهم المؤمنون وقال الزجاج بعد قوله وجهك معطوف محذوف تقديره فاقم وجهك
وامتك والحال من الجميع وجاز حذف المعطوف لدلالة منيبين عليه كما جاز حذفه في قوله يا ايها النبي والناس بدلالة اذا طلقتم
عليه كذا زعم الزجاج في يا ايها النبي وقيل على خبر كان اي كونوا منيبين لدلالة قوله ولا تكونوا فصل معنى منيبين
اليه اي مقبلين عليه بالتوبة والطاعة واتقوه اذا اقبلتم عليه وتركتم الدنيا فلا تأمنوا ان تتركوا عبادته بل خافوه وداوموا
على العبادة واقيموا الصلاة ولا تكونوا من المشركين اي لا تشركوا بعد الايمان ولا تقصدوا بذلك غير الله قوله تعالى
من الذين بدل من المشركين باعادة العامل وتقدم قراءة من قرا وفارقوا وتفسير الشيع ايضا قوله تعالى فرحون الظاهر انه
خبر كل حزب وجوز الزمخشري ان يرتفع صفة لكل قال ويجوز ان يكون من الذين منقطعا مما قبله ومعناه من المفارقين دينهم
كل حزب فرحين بما لديهم ولكنه رفع فرحين وصفا لكل كقوله • وكل خليل غير هاضم نفسه • قال ابو حيان قدر اولا
فرحين مجرورا صفة لحزب وهو الاكثر كقوله • جادت عليه كل عين ثرة • فتركن كل حديقة كالدرهم •
وجاز الرفع نعتا لكل كقوله • ولهت عليه كل معصفة • هوجا ليس لها لبها زجل • برفع هوجا
صفة لكل انتهى وهو نعت حسن قوله تعالى واذا مس الناس ضر في محل قوله تعالى دعوا ربهم منيبين اليه
مقبلين عليه بالدعاء ما لم يقتنعوا بالتوحيد بالدليل بالمثل يبين ان لهم حالة يعرفون به وان كانوا ينكرونه في وقت وهي حالة
الشدة ثم اذا اذاقهم منه رحمة خصبا ونعمة يعني اذا خلصهم من تلك الشدة اذا فريق منهم بربهم يشركون وقوله منه اي من الضر
لان الرحمة غير مطلقة لهم انما هي عن ذلك الضر وحده وانما الضر الموحد فلابد وقوف منه رحمة ويحتمل ان يكون الضمير في منه
عائدا الى الله تعالى والتقدير ثم اذا اذاقهم من فضله رحمة خلصهم بها من ذلك الضر قوله تعالى اذا فريق هذه الفجائية
وتقع جواب الشرط لانها كالفا في انها للتعقيب ولا تقع اول كلام وقد يجامعها الفاء زائدة فان قيل ما الحكمة

في قوله هنا اذا فريق منهم وقال في موضع فلما نجاهم الى البر اذا هم يشركون ولم يقل فريق فالجواب ان المذكور هناك ضير
معين وهو ما يكون من هول البحر والمتخلص منه بالنسبة الى الخلق قليل والذي لا يشرك منهم بعد الخلاص فرقة منهم في غاية
القلة فلم يجعل المشركين فريقا لقلة من خرج من الشرك واما المذكور هاهنا الضر مطلقا فيتناول ضر البحر والامراض والاهوال
والمتخلص من انواع الضر خلق كثير بل جميع الناس يكونون قد وقعوا في ضر فتخلصوا منه والذي لا يبقى بعد الخلاص
مشركا من جميع الانواع اذا جمع فهو خلق عظيم وهم جميع المسلمين فانهم تخلصوا من ضر ولم يبقوا مشركين واما المسلمون فلم يتخلصوا
من ضر البحر باجمعهم فلما كان الناجي من الضر المؤمن جمعا كثيرا سمى الباقي فريقا **قوله تعالى** ليكفروا يجوز ان تكون لام كي
وان تكون لام امر ومعناه التهديد كقوله اعملوا ما شئتم من دونه ثم خاطب الذين فعلوا هذا خطاب تهديد فقال فتمتعوا
قرا العامة بالخطاب فيه وفي تعلمون وابو العالية بالياء فيهما والاول مبني للمفعول وعنه ايضا فيتمتعوا بياء قبل التاء وعن
عبد الله فليتمتعوا باللام الامر والمعنى فسوف تعلمون حالكم في الآخرة **قوله تعالى** ام انزلنا عليهم سلطانا اي برهانا وحجة
فان جعلناه حقيقة كان يتكلم مجازا وان جعلناه حذف مضاف اي ذا سلطان كان يتكلم حقيقة وقال ابو البقاء هنا
وقيل هو جمع سليط كرغيف ورغفان انتهى قال شهاب الدين وهذا لا يجوز لانه كان ينبغي ان يقال فهم يتكلمون وهو يتكلم
جواب الاستفهام الذي تضمنه ام المنقطعة وهذا استفهام بمعنى الانكار اي ما انزلنا بما يقولون سلطانا قال ابن عباس
حجة وعذرا وقال قتادة كتابا يتكلم بما كانوا به يشركون اي ينطق بشركهم **قوله تعالى** واذا اذقنا الناس رحمة اي الخصب وكثرة
المطر فرحوا بها يعني فرح المطوع بما بين حال المشرك الظاهر حالة شركه بين حالة المشرك الذي دونه وهو من يكون عبادته للدنيا
فاذا اعطاه رضي واذا منعه سخط وقنط ولا ينبغي ان يكون العبد كذلك بل ينبغي ان يعبد الله في الشدة والرخاء فان قيل
الفرح بالرحمة مامور به قال تعالى قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا وهاهنا ذمهم على الفرح بالرحمة فالجواب هناك
قال افرحوا برحمة الله من حيث انها مضافة الى الله وهاهنا فرحوا بنفس الرحمة حتى لو كان المطر من غيره لكان فرحهم به مثل فرحهم
اذا كان من عند الله **قوله تعالى** وان تصبهم سيئة اي الجدب وقلة المطر وقيل الخوف والبلاء بما قدمت ايديهم من السيئات اذا هم
يقنطون ييأسون من رحمة الله وهذا خلاف وصف المؤمنين فانهم يشكرون عند النعمة ويرجونه عند الشدة **قوله تعالى** اولم
يروا ان الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر اي لم يعلموا ان الكل من الله فالمحق ينبغي ان لا يكون نظره الى ما يوجد بل الى من يوجد
وهو الله فلا يكون له تبدل حال وانما يكون عنده الفرح الدائم ولذلك قال ان في ذلك لآيات لقوم يؤمنون **قوله تعالى**
فآت ذا القربى حقه من البر والصلة **قوله تعالى** والمسكين بان يتصدق عليه **قوله تعالى** وابن السبيل يعني المسافر وقيل
الضعيف وخص هذه الاصناف الثلاثة بالذكر دون بقية الاصناف الثمانية المذكورة في الصدقات لانه اراد هاهنا بيان
من يجب الاحسان عليه على كل من له مال سواء كان زكويا او لم يكن وسواء كان قبل الحول او بعده لان المقصود هنا الشفقة العامة
وهذه الاشياء الثلاثة تجب للانسان عليهم وان لم يكن للانسان مال زائد ما القريب فيجب نفقته عليه اذا كان له مال
وان لم يحل عليه الحول والمسكين كذلك فان من لا شيء له اذا وقع في الحاجة حتى بلغ الشدة يجب على القادر دفع حاجته اليه وان لم
يكن عليه زكوة والفقير داخل في المسكين لان من اوصى للمساكين بشيء يصرف للفقراء ايضا وادى الى الباقين من الاصناف لانهم لا
يختصون بالمال اليهم الا على الذين وجبت الزكوة عليهم وقدم القريب لان دفع حاجته واجب سواء كان في مخمصة فلذلك قدم
على من لا يجب دفع حاجته من غير مال الزكوة الا اذا كان في شدة واما المسكين فحاجته ليست مختصة بموضع دون موضع **قوله
تعالى** ذلك خير يحتمل ان يراد من غيره وان يكون ذلك خير في نفسه للذين يريدون وجه الله اي يطلبون ثواب الله بما يعملون
واولئك هم المفلحون فان قيل كيف قال واولئك هم المفلحون مع ان الافلاح مرتبط بامور اخرى مذكورة في قوله قد افلح المؤمنون
فالجواب كل وصف مذكور هناك مفيد للافلاح اللهم الا اذا وجد مانع من ارتكاب محظور او ترك واجب فان قيل لم يذكر
شيئا من الافعال كالصلاة وغيرها فالجواب الصلاة مذكورة من قبل وكذا غيرها في قوله فاقم وجهك للدين حنيفا وقوله
منيبين اليه واتقوه واقيموا الصلاة ولا تكونوا من المشركين فان قيل قوله في البقرة واولئك هم المفلحون اشارة الى من اقام الصلاة
واتى الزكوة واراد وجه الله ثبت انه مفلح لصلوته ومؤتي الزكوة ومعترف بالآخرة **قوله تعالى** وما آتيتم من ربا قرابي
كثير مقصور اي فيء الاحوال بالمد اي اعطيتم ومن قصر فمعناه جئتم من ربا ومجيئهم ذلك على وجه الاعطاء كما تقول اتيت خطا
واتيت صوابا وهو يؤول في المعنى وهو قول ابن عباس **قوله تعالى** ليربوا العامة من تحت مفتوحة اسند الفعل لضمير الربا اي ليزداد
ونافع ويعقوب بتاء من فوق مضمومة خطابا للجماعة فالواو على الاول لام الكلمة وعلى الثاني كلمة ضمير الفاعل والغائبين
فصل ذكر هذا ابن عباس يعني انكم اذا طلبتم منكم واحدا باثنين ترغبون فيه وقوتونه وذلك لا يربو عند الله في حفظ
اموال الناس والزكوة تنمو عند الله كما اخبر النبي صلى الله عليه وسلم ان الصدقة تقع في يد الرحمن فتربو حتى تصير مثل الجبل

ينبغي ان تكون اقربكم على الزكوة اكثر واختلفوا في معنى الآية فقال سعيد بن جبير ومجاهد وطاوس وقتادة
والضحاك واكثر المفسرين هو الرجل يعطي غيره العطية ليثيب اكثر منها فهذا جائز حلال ولكن لا يثاب عليه في القيامة
فهذا معنى قوله تعالى فلا يربو عند الله وكان هذا حراما على النبي صلى الله عليه وسلم خاصة لقوله تعالى ولا تمنن تستكثر اي
لا تعط وتطلب اكثر مما اعطيت وقال النخعي هو الرجل يعطي صديقه او قريبه ليكثر ماله ولا يقصد به وجه الله تعالى
فقال الشعبي هو الرجل يلتزق بالرجل فيخدمه ويسافر معه فيحصل له نفع وربح لا لوجه الله فلا يربو عند الله لانه لم يرد
به وجه الله وما آتيتم من زكوة اعطيتم من صدقة تريدون وجه الله **قوله تعالى** فاولئك هم المضعفون اي اصحاب
الاضعاف وقرأ ابي بفتح العين وجعله اسم مفعول وقوله فاولئك الذين يريدون وجه الله بصدقاتهم هم المضعفون
والمعنى هم المضعفون به لانه لا بد من ضمير يرجع الى ما انتهى يعني ان اسم الشرط متى كان غير ظرف وجب عود ضمير من الجواب
عليه وتقدم ذلك في البقرة عند قوله من كان عدوا لجبريل ثم قال ووجه آخر وهو ان يكون تقديره فموتوه فاولئك
فاولئك هم المضعفون والحذف في الكلام من الدليل عليه وهذا اسهل والاول املا بالفائدة **قوله تعالى** الله
الذي خلقكم يجوز في الجلالة وجهان اظهرهما انها الموصول بعده والثاني ان الجملة من قوله هل من شركائكم من يفعل
والموصول للجلالة وقدر الزمخشري الرابط بين المبتدأ والجملة الواقعة فقال وقوله من ذلكم هو الذي ربط الجملة بالابتداء
لان معناه من افعاله قال ابو البقاء وابو حيان والذي ذكره النحويون ان اسم الاشارة يكون رابطا اذا اشير الى المبتدأ واما
ذلك هنا فليس باشارة الى المبتدأ لكنه شبيه بما اجازه الفراء من الربط بالمعنى وخالفه الناس وذلك في قوله والذين
يتوفون منكم ويذرون ازواجا يتربصن قال الزمخشري من ذلكم من افعاله مضافا الى الضمير العائد الى المبتدأ **قوله
تعالى** الله الذي خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم هل من شركائكم من يفعل جمع في هذه الآية بين الحشر والتوحيد
اما الحشر فقوله يحييكم واما الدليل فقدرته على الخلق ابتداء واما التوحيد فقوله هل من شركائكم من يفعل منكم من شيء ثم قال
سبحانه وتعالى عما يشركون اي سبحوه تسبيحا فنزهوه ولا تصفوه بالاشراك وقوله تعالى هل من شركائكم خبر مقدم ومن للتبعيض
ومن يفعل هو المبتدأ ومن ذلكم متعلق بمحذوف لانه حال من شيء بعده لانه في الاصل صفة له ومن الثالثة مزيدة في المفعول
به لانه في حيز النفي المستفاد من الاستفهام والتقدير ما الذي يفعل شيئا ذلكم من شركائكم وقال الزمخشري ومن الاولى والثانية
كل واحدة مستقلة تاكيد لتعجيز شركائهم وتجهيل عبدتهم قال ابو حيان ولا ادري ما اراد بهذا الكلام وقال الاعمش تشركون
بالخطاب **قوله تعالى** ظهر الفساد في البر والبحر وجه تعلق الآية بما قبلها ان الشرك سبب الفساد كما قال تعالى لو كان فيهما
آلهة الا الله لفسدتا واذا كان الشرك سببه جعل الله اظهارهم الشرك مورثا لظهور الفساد ولو فعل بما يقتضيه قولهم
لفسدت السموات والارض كما قال تعالى تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر
الجبال هدا ان دعوا للرحمن ولدا ولهذا اشار بقوله ليذيقهم بعض الذي عملوا واختلفوا في قوله في البر والبحر فقيل عدم انبات
بعض الارض وملوحة مياه البحار وقيل المراد قحط المطر وقلة النبات واراد بالبر البوادي والمفاوز وبالبحر المدائن والقرى
التي على المياه الجارية قال عكرمة العرب تسمي المصر بحرا تقول اجدب البر وانقطعت مادة البحر **قوله تعالى** بما كسبت اي بسبب
كسبهم والباء متعلقة بظهر ويبغي الفساد وقيل بعيد والمعنى بشؤم وقال عطية البر ظهر الارض الامطار وعنها
والبحر هو البحر المعروف والفساد قلة المطر يؤثر في البر والبحر اما تاثيره في البر فهو القحط واما تاثيره في البحر فيخلو اجواف
الاصداف لان الصدف اذا جاء المطر يرتفع الى وجه البحر ويفتح فاه فما وقع فيه من المطر فهو لؤلؤ وقال ابن عباس
وعكرمة ومجاهد الفساد في البر قتل احد بني آدم اخاه وفي البحر غصب الملك الجائر السفينة وقال الضحاك كانت الارض خضرة
مونقة لا ياتي ابن آدم شجرة الا وجد عليها ثمرة وكان ماء البحر عذبا وكان لا يقصد الاسد البقر والغنم فلما قتل قابيل هابيل
اقشعرت الارض وشاكت الاشجار وصار ماء البحر ملحا وعاقا وقصد الحيوان بعضه بعضا وقال قتادة هذا قبل
مبعث النبي صلى الله عليه وسلم امتلأت الارض ظلما وضلالة فلما بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم رجع راجعون من الناس
ما كسبت ايديهم اي بشؤم من المعاصي كفار مكة **قوله تعالى** ليذيقهم اللام للعلة متعلقة بظهر وقيل بمحذوف اي عاقبهم
بذلك وقيل ليذيقهم وقيل اللام للصيرورة وقرأ قنبل ليذيقهم بنون العظمة والباقون بياء الغيبة والمعنى ليذيقهم
عقوبة بعض الذي عملوا من الذنوب لعلهم يرجعون عن الكفر واعمالهم الخبيثة **قوله تعالى** قل سيروا في الارض اي بين
حالهم بظهور الفساد في احوالهم بسبب فساد اقوالهم بين لهم ضلال امثالهم واشكالهم الذين كانت افعالهم كافعالهم
فقال قل سيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبل اي قوم نوح وعاد وثمود لترو منازلهم ومساكنهم
خاوية كان اكثرهم مشركين فاهلكوا بكفرهم **قوله تعالى** فاقم وجهك للدين القيم لما نهى الكفار عما هم عليه من المحال امرهم

عليه وخاطب النبي صلى الله عليه وسلم ليعلم المؤمن فضله بما هو مكلف به فانه امر به اشرف الانبياء والدين القيم اي المستقيم
وهو دين الاسلام **قوله تعالى** من قبل ان ياتي يوم لا مرد له مصدر رد من الله يجوز ان يتعلق بياتي او بمحذوف يدل عليه
المصدر اي لا يرده من الله احد لا يجوز ان يعمل فيه مرد كان ينبغي ان يكون اذ هو من قبيل المطولات والمراد يوم القيامة
لا يقدر احد على رده من الله وغيره عاجز عن رده فلا بد من وقوعه **قوله تعالى** يومئذ يصدعون اي يتفرقون فريق في
الجنة وفريق في السعير ثم اشار الى التفرق بقوله من كفر فعليه كفره اي وبال كفره ومن عمل صالحا فلانفسهم يمهدون
اي يوطئون المضاجع ويسوونها في القبور **قوله تعالى** ليجزي في متعلقها اوجه الاول يمهدون والثاني يصدعون
والثالث محذوف قال ابن عطية تقديره ذلك ليجزي وتكون الاشارة الى قوله من كفر ومن عمل وجعل ابو حيان
قسم قوله الذين امنوا وعملوا المحذوف للدلالة قوله انه لا يحب الكافرين عليه هذا اذا علقت اللام بيصدعون وبذلك المحذوف
فان تقديره ليجزي الذين امنوا وعملوا الصالحات من فضله والكافرين بعدله **فصل** قال ابن عباس ليجزي الذين
امنوا وعملوا الصالحات ليثيبهم الله اكثر من ثواب اعمالهم انه لا يحب الكافرين **قوله تعالى** ومن اياته ان يرسل الرياح مبشرات
لما ذكر ظهور الفساد والهلاك بسبب الشرك ذكر ظهور الصلاح ولم يذكر انه بسبب العمل الصالح لان الكريم لا يذكر لا
حسانه عوضا ويذكر لاضراره شيئا لئلا يتوهم به الظلم فقال يرسل الرياح مبشرات قيل بالمطر كما قال تعالى بشرا بين يدي
رحمته اي قبل المطر وقيل مبشرات بصلاح الاهوية والاحوال فان الرياح لو لم تهب لظهر الوباء والفساد وقرا العامة الرياح
والرياح جمعا لاجل مبشرات لان الحال والصفة يقتضيان العلة وكان التقدير ليبشركم وليذيقكم واما ان يتعلق بمحذوف
اي وليذيقكم ارسلها واما ان تكون الواو مزيدة على راي فيتعلق اللام بان يرسل **قوله تعالى** وليذيقكم من رحمته يعني بالمطر
والخصب ولتجري الفلك لما اسند الفعل الى الفلك عقبه بقوله بامره اي الفعل ظاهر عليه ولكنه بامر الله والمعنى ولتجري الفلك
في البحر بهذه الرياح بامره وكذلك قال ولتبتغوا اسند الى العباد ذكر بعده اي لا اشتغال بعين بشيء والمعنى لتطلبوا من رزقه
بالتجارة في البحر ولعلكم تشكرون هذه النعم فان **قيل** قال تعالى ظهر الفساد في ليذيقهم بعض الذي عملوا وقال هاهنا
ليذيقكم من رحمته فخاطبهم هاهنا تشريفا ولان رحمة قريب من المحسنين والمحسن قريب فيخاطب والمسيء بعيد فلا يخاطب
وقال هاهنا بعض الذي عملوا فاضاف ما اصابهم الى ما عملوا الى انفسهم واضاف ما اصاب المؤمن الى رحمته فقال من رحمته لان
الكريم لا يذكر رحمته ولاحسانه عوضا فلا يقال اعطيتك لانك فعلت كذا بل يقول هذا لك مني واما ما فعلت من الحسنة فجزاؤه
بعد عندي وايضا فلو قال بما فعلتم لكان ذلك يوهم النقصان ثوابهم في الاخرة واما في حق الكفار فاذا قال بما فعلتم انبا
عن نقصان عقابهم وهو كذلك فقال هاهنا لعلهم يرجعون وقال هاهنا ولعلكم تشكرون **فالجواب** قال الى
الى توفيقهم في الشكر للنعم فعطف على النعم بالبراهين ذكر الاصل الثالث وهو النبوة فقال ولقد ارسلنا من قبلك رسلا اي رسلهم
وقيل رسالتك فانهم لم يكن لهم شغل غير شغلك فلم يظهر عليهم غير ما ظهر عليك ومن اتى بهم كان الخير لانصار ومن كذبهم اصابهم
البوار وفي تعلق الاية وجهان احدهما ان الله لما بين البراهين ولم ينتفع بها الكفار سلى قلب النبي صلى الله عليه وسلم وقال لك
كحال من تقدمك كانوا كذلك وجاءوا ايضا بالبينات اي بالدلالات الواضحات على صدقهم وكان في قومهم كافر ومؤمن كما في
قومك فانتقمنا من الذين اجرموا علينا الذين كذبوهم ونصرنا المؤمنين **قوله تعالى** وكان حقا وقف بعضهم على حقا وابتدا بما
بعده فجعل اسم كان مضمرا فيها وحقا خبرها اي وكان الانتقام حقا وقال ابن عطية وهذا ضعيف لانه لم يدر قدر
ما عرض في نظم الاية يعني الوقف على حقا وجعل بعضهم حقا منصوبا على المصدر واسم كان ضمير والثاني وعلينا خبر مقدم
ونصر اسم مؤخر وجعل بعضهم حقا منصوبا على المصدر ايضا والصحيح ان نصر اسمها وحقا خبرها وحقا متعلق بحقا او بمحذوف
صفة له فعلى الاول تكون بشارة للمؤمنين الذين امنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم اي علينا نصركم ايها المؤمنون ونصرهم انجاؤهم
من العذاب وعلى الثاني معناه وكان حقا علينا اي نصر المؤمنين كان حقا علينا **قوله تعالى** الله الذي يرسل الرياح
فتثير سحابا اي تنشره وتبسطه في السماء كيف يشاء مسيرة يوم او يومين واكثر على ما يشاء ويجعله كسفا قطعا متفرقة فترى
الودق يخرج من خلاله وسطه فاذا اصاب به من يشاء اذا هم يستبشرون يفرحون بالمطر **قوله تعالى** وان كانوا من قبل ان ينزل
وقد كانوا من قبل ان ينزل عليهم وقيل ما كانوا ابلسين اي ايسين من قبله فيه وجهان احدهما تكرير للاول على سبيل التوكيد
والثاني ان يكون غير مكرر والضمير في قبله للسحاب وجاز ذلك لانه اسم جنس يجوز تذكيره وتانيثه او للريح فيتعلق بنزل وقيل
يجوز عود الضمير على كسفا كذا اطلق ابو البقاء وابو حيان وهذا بقراءة من سكن السين وقد تقدم قراءة كسفا في سبحان وقد
ابدا الزمخشري وابن عطية فائدة الاعلام بزمن تقلب قلوب البشر من الابلاس الى الاستبشار وذلك ان قوله من قبل ان ينزل
يحتمل الفسحة في الزمان اي من قبل ان ينزل بكثير كالايام ونحوه فجاء قوله من قبله بمعنى متصلا بالمطر فهو تاكيد مفيد

وقال

وقال الزمخشري ومعنى التوكيد فيه الدلالة على ان عهدهم بالمطر قد بعد فاستحكم وكان استبشارهم على قدر اهتمامهم
بذلك وهو كلام حسن الا ان ابا حيان لم يرتضه منهما فقال ما ذكراه من فائدة التاكيد غير ظاهر وانما هو لمجرد التوكيد
ومفيد رفع المجاز فقط انتهى قال شهاب الدين ولا ادري عدم الظهور مماذا وقال قطرب وان كانوا من قبل التنزيل من
قبل المطر وقيل التقدير من قبل انزال المطر من قبل ان يزرعوا ودل المطر على الزرع لانه يخرج بسبب المطر ودل على ذلك
قوله تعالى فراوه مصفرا يعني الزرع قال ابو حيان وهذا لا يستقيم من قبل ان ينزل عليهم متعلق بمبلسين لانه حرفي
جر لا يتعلقان بعامل واحد الا بواسطة حرف العطف او البدل وليس هنا عطف والبدل لا يجوز اذ انزال الغيث ليس هو الزرع
ولا الزرع بعضه ويتخيل فيه بدل الاشتمال بتكلف اما الاشتمال على الزرع بمعنى ان الزرع يكون ناشئا من الانزال فكان
الانزال مشتملا عليه وهذا مذهب من يقول فكان الانزال مشتملا عليه وهذا من يقول الاول مشتمل على الثاني وهو المبرد
الثاني السحاب لانهم لما راوا السحاب كانوا راجين المطر انتهى يريد من قبل رؤية السحاب ويحتاج ايضا الى حرف عطف ليصح تعلق
الحرفين بمبلسين وقال الكرماني من قبل الارسال وقال الكرماني من قبل الاستبشار لانه قرنه بالابلاس ولانه علي ...
من الاستبشار ويحتاج قولهما الى حرف العطف لما تقدم وادعاء حرف العطف ليس بالسهل فان فيه خلافا فبعضهم يقيسه
وبعضهم لا يقيسه هذا كله في المفردات اما اذا كان في الجمل فلا خلاف في اقسامه وفي حرف عبد الله بن مسعود وان كانوا من
قبل التنزيل من قبل المطر وقيل التقدير من قبل انزال المطر من قبل ان يزرعوا ودل المطر على الزرع لانه يخرج بسبب المطر
ودل على ذلك **قوله تعالى** فراوه مصفرا يعني الزرع قال ابو حيان وهذا لا يستقيم من قبل ان ينزل عليهم متعلق بمبلسين
لانه حرفي جر لا يتعلقان بعامل واحد الا بواسطة حرف العطف او البدل وليس هنا عطف والبدل لا يجوز اذ انزال الغيث ليس
هو الزرع ولا الزرع بعضه ويتخيل فيه بدل الاشتمال بتكلف اما الاشتمال على الزرع بمعنى ان الزرع ان ينزل عليهم لمبلسين
غير مكرر **قوله تعالى** فانظر الى اثر قرا ابن عامر والاخوان وحفص بالجمع والباقون بالافراد وسلام الجحدري اثرة وسكون الثا
وهي لغة فيه وقرا العامة كيف يحيي بياء الغيبة اي الله او الرحمة من قرا بالافراد ومن قرا بالجمع مسند لله تعالى وهو محتمل بالافراد ايضا
والجحدري وابو حيوة وابن السميفع تحيي بتاء التانيث وفيها تخريجان اظهرهما ان الفاعل ضمير عائد على الرحمة والثاني قال ابو الفضل
عائد على اثر وانث اثر لاكتسابه بالاضافة التانيث كقطعت بعض اصابعه ورد عليه بان شرط ذلك كون المضاف بمعنى المضاف اليه
وهذا اجنبي وكيف معلق لانظر فهو في محل نصب على اسقاط الخافض وقال ابو الفتح الجملة من كيف يحيي في موضع نصب على الحال
حملا على المعنى انتهى وكيف يقع جملة الخبر وجملة الطلب حالا واذا بر حمة الله هنا المطر اي انظر الى حسن تاثيره في الارض
كيف يحيي الارض بعد موتها **قوله تعالى** ان ذلك لمحيي الموتى يعني ان ذلك الذي يحيي الارض بعد موتها لمحيي الموتى فاتي
باللام المؤكدة لاسم الفاعل **قوله تعالى** ولئن ارسلنا ريحا فراوه مصفرا المبالغة انهم عند الخير يكونون مبلسين آيسين وعند
ظهوره يكونوا مستبشرين بحيث ان تلك الحالة ايضا لا يدومون عليها بل لو اصاب زرعهم مفسدة لكفروا فهم منقلبون غير ناظرين
نظرهم الى الحال والى المآل فان **قيل** سمى الرياح نافعة والنافعة رياحا والضارة ريحا لوجوه اولها ان النافعة كثيرة
الافراد كثيرة الانواع فجمعها لان كل يوم وليلة تهب نفحات من الرياح النافعة ولا تهب الرياح الضارة في اعوام بل الضارة
لا تهب في دهور ثانيها ان النافعة لا تكون الا رياحا واما الضارة فنفحة واحدة تقتل كريح السموم ثالثها جاء في الحديث ان ريحا
هبت فقال عليه السلام اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا اشارة الى قوله تعالى يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته وقوله يرسل الرياح
مبشرات واشارة الى قوله تعالى يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته فارسلنا عليهم الريح العقيم وقوله ريحا صرصرا تنزع الناس
فالجواب معنى الاية ولئن ارسلنا ريحا اي مضرة اي فسدت الارض فراوه مصفرا بعد الخضرة لظلوا لصاروا من بعد اصفرار
الزرع يكفرون يجحدون بما سلف من النعمة يعني انهم يفرحون عند الخصب ولو ارسلت العذاب على زرعهم لجحدوا سالف نعمتي
قوله تعالى فراوه اي فراوا النبات لدلالة السياق عليه او على اثر رحمة الله هو الغيث واثرها هو النبات وهذا ظاهر على قراءة
الافراد واما على قراءة الجمع فيعود على المعنى وقيل الضمير للسحاب وقيل للرياح وقرا جناح بن حبيش مصفارا بالف ولظلوا
جوابا لقسم الموطا له بلئن وهو ماض لفظا مستقبل معنى قوله فاتبعوا قبلك والضمير في بعده يعود على الاصفرار المدلول
عليه بالصفة كقوله • اذا نهي السفيه جرى اليه • اي السفه لدلالة السفيه عليه انك لا تسمع الموتى لما علم رسوله
وجوه الادلة ووعد واوعد ولم يزدهم دعاؤهم الا فرارا واصرارا قال انك لا تسمع الموتى وقد تقدم الكلام على
على نحو قائل لا تسمع الى احد في الانبياء وفي النمل **فصل** واعلم ان ارشاد الميت محال والمحال ابعد من الممكن
ثم ارشاد الاصم صعب لانه لا يسمع الكلام وانما يفهم بالاشارة والافهام بالاشارة صعب ثم ارشاد الاعمى ايضا صعب
فانك اذا قلت له الطريق على يمينك يدور الى يمينه لكنه لا يبقى عليه بل يحيد عن قريب وارشاد الاصم اقرب واصعب وهذا

يكون المباشرة مع الاعمى اسهل من المعاشرة مع الاصم الذي لا يسمع لان غاية الافهام بالكلام وليس كل ما يفهم بالكلام يفهم
بالاشارة فان المعدوم والغايب لا اشارة اليه ثم قال انك لا تسمع الموتى ولا تهدي العمى وقال في الاصم اذا ولوا مدبرين ليكون
اوجل في الامتناع لان الاصم انما كان يفهم فانما يفهم بالاشارة فاذا ولى لا يكون نظره الى المشير والتمع فامتنع افهامه بالاشارة
ايضا ثم قال وما انت بهادي العمي عن ضلالتهم ان تسمع الا من يؤمن باياتنا لما نفى اسماع الميت والاصم واثبات اسماع المؤمن باياته
لزم ان يكون المؤمن حيا سميعا وهو كذلك لان المؤمن ينظر في البراهين ويسمع زواجر الوعظ فيسمع منه ويظهر منه الافهام الحسية
ويفعل ما يجب عليه فهم مسلمون كما قال تعالى عنهم قالوا سمعنا واطعنا قوله تعالى الله الذي خلقكم من ضعف لما اعاد دليل الافاق بقوله
الله الذي يرسل الرياح اعاد دليلا من دلايل الانفس ايضا وهو خلق الادمي وذكر احواله فقال خلقكم من ضعف كقوله الم نخلقكم من ماء
مهين وقرا بضعف بضم الضاد وفتحها والضم لغة قريش والفتح لغة تميم من ضعف اي من نطفة وتقدم الكلام في القراتين والفرق
بينهما في الانفال ثم جعل من بعد ضعف قوة من بعد ضعف الطفولية شبابا وهو وقت القوة ثم جعل من بعد ضعف قوة هو ما شيبة
والشيبة هي تمام الضعف يخلق ما يشا من الضعف والقوة والشباب والشيبة وهو العليم بتدبير خلقه القدير على ما يشا قوله
فان قيل ما الحكمة في قوله هنا وهو العليم القدير فقدم العلم على القدرة وقوله من قبل وهو العزيز الحكيم والقوة اشارة الى كمال
العلم فقدم القدرة هناك على العلم فالجواب ان المذكور هناك الاعادة لقوله وهو اهون عليه وله المثل الاعلى في السموات والارض
وهو العزيز الحكيم لان الاعادة بقوله كن فيكون والقدرة هناك اظهر وهاهنا المذكور الابدا والعلم بكل حال حاصل والعلم هاهنا
اظهر ثم ان قوله تعالى وهو العليم القدير فيه تبشير وانذار لانه اذا كان عالما باحوال الخلق يكون عالما باحوال المخلوق فان عملوا خيرا علمه
وان عملوا شرا علمه ثم اذا كان قادرا وعلم الخير اثاب واذا علم الشر عاقب ولما كان العلم بالاحوال قبل الاثابة والعقاب الذي هما بالقدرة
والعلم قدم العلم واما الاية الاخرى فالعلم بتلك الاحوال قبل العقاب فقال وهو العزيز الحكيم قوله تعالى ويوم تقوم الساعة
يقسم المجرمون يحلف المشركون ما لبثوا في الدنيا غير ساعة اي لا ساعة لما ذكر الابدا والاعادة ذكره بذكر احوالها واوقاتها قوله تعالى
ما لبثوا جواب قسم بقسيم وهو على المعنى اذ لو حكى قولهم لقال ما لبثنا والمعنى انهم استقلوا اجل الدنيا لما عاينوا الاخرة وقال مقاتل
والكلبي ما لبثوا في قبورهم غير ساعة كما قال كانهم يوم يرونها وقوله يرون ما يوعدون لم يلبثوا غير ساعة من نهار قوله تعالى كذلك
اي مثل ذلك الافك كانوا يوفكون اي يصرفون عن الحق في الدنيا قال الكلبي ومقاتل كذبوا في قولهم غير ساعة كما كذبوا في الدنيا ان لا بعث
وهو ان الله تعالى اراد ان يفضحهم فحلفوا على شي لاهل الجمع انهم كاذبون ثم ذكر انكار المؤمنين عليهم فقال الذين اوتوا العلم والايمان
لقد لبثتم في كتاب الله اي فيما كتب الله تعالى لكم في سابق علمه من اللبث في القبور وقيل في كتاب الله متعلقا بلبثتم وقال مقاتل وقتادة
فيه تقديم وتاخير معناه وقال الذين اوتوا العلم بكتاب الله والايمان لقد لبثتم الى يوم البعث وفي رد معنى لبا العامة على سكون العين من
البعث والحسن بفتحها وقرا بكسرها فالمكسور اسم والمفتوح مصدر قوله تعالى فهذا يوم البعث في الفا قولان لاظهرهما انها عاطفة
هذه الجملة على لقد لبثتم وقال الزمخشري هو جواب شرط مقدر كقوله ● فقد جينا خراسانا ● كانه قال ان صح ما قلتم ان خراسان اقصى
ما يريد بكم ذا ان لنا ان نخلص وكذلك ان كنتم منكرين للبعث فهذا يوم البعث ويشير الى البعث المشهور ويشير الى البيت المشهور
● قالوا خراسان اقصى ما يراد بنا ● ثم القفول فقد جينا خراسانا ●
فصل قوله تعالى لا يعلمون اي البعث اي ما يراد بكم ولا يقدر له مفعول ان لم تكونوا من اهل العلم وهو ابلغ
اعلم ان الموعود بوعيد اذا ضرب له مثل يستقل المدة ويريد تاخرها فالمجرم اذا حشر وعلم ان مصيره الى النار فيستكثر المدة ولا يريد تاخرها
فيختلف الفريقان ويقول احدهما ان مدة لبثنا قليل واليه الاشارة بقوله وقال الذين اوتوا العلم والايمان لقد لبثتم في كتاب الله الى
يوم البعث فهذا يوم البعث ولكنكم كنتم لا تعلمون وقوعه في الدنيا يعني ان طلبكم التاخير لانكم كنتم لا تعلمون البعث ولا تعرفون به
فصار مصيركم الى النار فتطلبون التاخير ولا ينفعكم العلم به الان قوله تعالى فيومئذ اي اذ يقع ذلك ويقول الذين اوتوا العلم
تلك المقالة لا ينفع هو الناصب فيومئذ قبله وقراه الكوفيون هنا وفي غافر بالياء من تحت ووافقهم نافع على ما في غافر لان التانيث
مجازي ولانه قد حصل ايضا والباقون بالتانيث فيهما مراعاة للفظ قوله تعالى ولا هم يستعتبون قال الزمخشري من قولك
استعتبني فلان فاستعتبته اي ارضاني فارضيته وذلك اذا كان جانيا وحقيقة اعتبته ازلت عتبه الا ترى الى قوله
● فضبت تميم ان يقتل عامر ● يوم النسار فاعتبوا بالصيلم ●
كيف جعلهم غضابا ثم قال فاعتبوا اي ازيل غضبهم والغضب في معنى العتب والمعنى لا يقال لهم ارضوا ربكم بتوبة وطاعة ومثله قوله
تعالى فاليوم لا يخرجون منها ولا هم يستعتبون فان قيل كيف جعلوا غير مستعتبين في بعض الايات وغير معتبين في
بعضها وهو قوله وان يستعتبوا فما هم من المعتبين فالجواب اما كونهم غير مستعتبين فهذا معناه وان قلت غير معتبين
فمعناه انهم غير راضين بما هم فيه فتشبهت حالهم بحال قوم جني عليهم فهم عاتبون على الجاني غير راضين بما هم فيه فتشبهت حالهم

بحال قوم جني عليهم فهم عاتبون على الجاني غير راضين منه فان يستعتبوا الله اي يسالوه ازالة ما هم فيه فما هم من المجابين
انتهى وقال ابن عطية ويستعتبون بمعنى يعتبون كما تقول يملك ويستملك والباب في استفعل طلب الشي وليس هذا منه
لان المعنى كان يفسد اذا كان المفهوم منه ولا يطلب منهم عتبى قال الشهاب الدين وليس فاسدا لما تقدم في قول الزمخشري قوله
تعالى ولقد ضربنا للناس في هذا القران من كل مثل وهذا اشارة الى ازالة الاعذار والاتيان بما فوق الكفاية من
الانذار وانه لم يبق من جانب الرسول تقصير وان طلبوا شيا فلم اذ ذاك عنادا محض لان من كذب دليلا لا يصعب عليه تكذيب
الدلايل بل لا يجوز للمستدل ان يشرع في دليل اخر بعد ذكره دليلا جيدا مستقيما ظاهرا لا اشكال عليه وعاند الخصم
لانه اما ان يعترف بورود سوال الخصم عليه او لا يعترف فان اعترف يكون انقطاعا وهو يقدح في الدليل والمستدل
اما ان يكون الدليل فاسدا واما ان يكون المستدل جاهلا بوجه الدلالة والاستدلال وكلاهما لا يجوز الاعتراف من العالم
فكيف من النبي صلى الله عليه وسلم واذ لم يعترف يكون المشروع في غيره يوهم ان الخصم معاند فيحترز عن المعاند في الثاني اكثر
فان قيل فالانبياء عليهم السلام ذكروا انواعا من الدلايل فالجواب سردوها سردا ثم قرروا فرادا كذا يقول
الدليل عليه من وجوه الاول كذا والثاني كذا وفي مثل هذا الواجب عدم الالتفات الى عدم المعاند لانه يريد تضييع الوقت في
لا يمكن المستدل من الاتيان بجميع ما وعد من الدليل فينحط درجته والى هذا اشار بقوله ولين جيتهم باية
ليقولن الذين كفروا ان انتم الا مبطلون اي ما انتم الا على باطل ووحد في قوله جيتهم وجمع في قوله ان انتم لنكتة وهي انه
تعالى اخبر في موضع اخر فقال ولين جيتهم بكل اية اي جاءت بها الرسل فقال الكفار ما انتم ايها المدعون الرسالة الا كذا قوله
تعالى كذلك يطبع الله اي مثل ذلك الطبع يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون توحيد الله فان قيل من لا يعلم اي
فايدة للاخبار من المطبع على قلبه فالجواب ان من لا يعلم الان فقد طبع الله على قلبه من قبل ثم انه تعالى سلى نبيه عليه السلام
فقال فاصبر ان وعد الله حق في نصرك واظهارك على عدوك وتبيين صدقك قوله تعالى ولا يستخفنك العامة من الاستخفا
بخا معجمة وقرا يعقوب وابن ابي اسحق بحا مهملة وقاف من الاستحقاق وابن ابي عبلة ويعقوب بتخفيف دون التوكيد والنهي
لا ادنيك من باب لا ارينك هاهنا فصل المعنى لا يستجهلنك لا يحملنك الذين لا يوقنون على الجهل واتباعهم في الغي وقيل
اي لا يستخفنك رايك وحلمك الذين لا يوقنون بالبعث والحسا وهذا اشارة الى وجوب مداومة النبي صلى الله عليه وسلم على الدعا
الى الايمان فانه لو سكت لقال الكافرون انه متقلب فلا راي لا ثبات له قال ابي امامة عن ابي كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم من قرا سورة الروم كان له من الاجر عشر حسنات بعدد كل ملك يسبح الله بين السما والارض وادرك ما ضيع في يومه وليلته
رواه الثعلبي في تفسيره والله سبحانه وتعالى اعلم

سورة لقمان وهي مكية

وهي اربع وثلاثون اية وخمسماية وثمانية واربعون كلمة والفان ومايه وعشرة احرف بسم الله الرحمن الرحيم
قوله تعالى الم تلك ايات الكتاب الحكيم تلك اشارة الى غايب والمعنى ايات القران ايات الكتاب الحكيم قيل فعيل بمعنى مفعول
وهذا قليل قالوا عقدت اللبن فهو عقيد او معقد او بمعنى ذي الحكمة واصله الحكيم قائله ثم حذف المضاف واقيم المضاف
اليه مقامه وهو الضمير المرفوع فانقلب مجرورا وانقلب مرفوعا واستتر في الصفة قال الزمخشري وهو حسن الصناعة
قوله تعالى هدى ورحمة العامة على النصب على الحال من ايات والعامل ما في اسم الاشارة من معنى الفعل والمدح وحمزة
بالرفع على خبر مبتدا مضمر وجوز بعضهم ان يكون هدى منصوبا على الحال والرفع رحمة قال ويكون رفعها على خبر ابتدا مضمر
اي هو رحمة وفيه بعد فصل قال في البقرة ذلك الكتاب ولم يقل الحكيم وهاهنا قال الحكيم لانه لما زاد ذكر وصف
في الكتاب زاد ذكر من احواله فقال هدى ورحمة وقال هناك هدى للمتقين فقال وقوله هدى في مقابلة قوله الحكيم ووصف
الكتاب بالحكيم على معنى ذو الحكمة كقوله تعالى في عيشة راضية اي ذات رضى فقال هناك للمتقين وقال هنا للمحسنين لانه لما ذكر
هدى فان قيل اخر قال للمتقين اي يهدي من يتقي الشرك والعناد وهاهنا زاد قوله ورحمة فقال للمحسنين فالجواب
لان رحمة الله قريب من المحسنين فقال تعالى للذين احسنوا الحسنى وزيادة وقال تعالى وزيادة فناسب زيادة قوله ورحمة ولان
المحسن متقي وقال زيادة قوله تعالى الذين يقيمون صفة او بدلا او بيانا لما قبله او منصوب او مرفوع على القطع على كل
تقدير فهو تفسير للاحسان تسيل الاصمعي عن الالمعي فانشد ● الالمعي الذي يظن بك الظن ● كان قد راي وقد سمعا ●
يعني ان الالمعي اذا ظن شيا كان كمن يراه وسمعه فكذلك المحسنون هم الذين يعقلون هذه الصناعات ومثله وسبل بعضهم

عن الهلوع فلم يرد ان تلي اذا مسه الخير منوعا واذا مسه الشر جزوعا فان قيل قال في البقرة الذين يومنون
بالغيب ويقيمون الصلوة ولم يقل هنا للذين يومنون بالغيب فالجواب فان المتقي هو التارك للكفر ويلزمه ان
يكون مومنا والمحسن هو الاتي بحقيقة الايمان ويلزمه ان لا يكون كافرا فاذا كان المتقي دالا على المومن بالالتزام مدح
الايمان هناك ولما كان المحسن دالا على الايمان بالتنصيص لم يصرح بالايمان وتقدم الكلام على نظير قوله يقيمون الصلوة
ويوتون الزكوة الى قوله المفلحون **قوله تعالى** ومن الناس من يشتري لهو الحديث لما بين ان القران كتاب حكيم يشتمل على ايات حكيمة
بين حال الكفار انهم يتركون ذلك ويشتغلون ذلك قال الكلبي ومقاتل نزلت في النضر بن الحرث بن كلدة كان يتجر فيأتي الحيرة
ويشتري اخبار العجم ويحدث بها قريشا ويقول ان محمدا يحدثكم بحديث عاد وثمود وانا احدثكم بحديث رستم واسفنديار واخبار الاكاسرة
فيستملحون حديثه ويتركون استماع القران فانزل الله هذه الاية وقال مجاهد شراء القيان والمغنين ووجه الكلام على هذا التاويل
من يشتري ذلك او يشتري ذات او ذا لهو الحديث قال عليه السلام لا تحل المغنيات ولا بيعهن واثمانهن حرام وفي مثل هذا
نزلت الاية ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله وما من رجل يبعث صوته بالغناء الا بعث الله تعالى شيطانين
احدهما على هذا المنكب والاخر على هذا المنكب فلا يزالان يضربان بارجلهما حتى يكون هو الذي يسكت قال النحويون لهو الحديث
من باب الاضافة بمعنى من لان اللهو يكون حديثا وغيره ليكون كبابا وهذا ابلغ من حذف المضاف **قوله تعالى** ليضل قرا ابن كثير
وابو عمرو ليضل بفتح المضارعة والباقون بضمها من اضل غيره فمفعوله محذوف وهو مستلزم للضلال لان من اضل فقد ضل من غير
عكس وقد تقدم الكلام على ذلك في ابراهيم قال الزمخشري هنالك فان **قيل** القراءة بالرفع بينة لان النضر كان غرضه باشتراء
اللهو ان يصد الناس عن الدخول في الاسلام واستماع القران ويضلهم عنه فما معنى القراءة بالفتح **قلت** فيه معنيان احدهما
ليثبت على ضلاله الذي كان عليه ولا يصدف عنه ويزيد فيه ويمده فان المخذول كان شديد الشكيمة في عداوة الدين وصد
الناس عنه والثاني ان يوضع ليضل موضع ليضل من قبل ان من اضل كان ضالا لا محالة فدل بالردف على المردوف **فصل** روي
عن عبد الله بن مسعود وابن عباس وعكرمة وسعيد بن جبير قالوا الحديث هو الغناء والاية نزلت فيه والمعنى قوله
يشتري لهو الحديث اي يستبدل ويختار الغناء والمزامير والمعازف على القران وقال ابن جريج هو الطبل وقال الضحاك
هو الشرك وقال قتادة حسب المرء من الضلالة ان يختار حديث الباطل على حديث الحق **قوله تعالى** بغير علم حال اي يشتري
بغير علم باحوال التجارة حيث يشتري ما يخسر فيه الدارين **قوله تعالى** ويتخذها قرا الاخوان وحفص بالنصب نسقا على ليضل
والذي قبله والباقون بالرفع عطفا على يشتري فهو صلة وقيل الرفع على الاستيناف من غير عطف على الصلة والضمير المنصوب
يعود على الايات المتقدمة والسبيل لانه يونث والاحاديث الدال عليها الحديث لانه اسم جنس **قوله تعالى** اولئك لهم حمل اولا على
اللفظ مرة ثم على معناها الجمع ثم على لفظها وافرد في قوله من لعنه الله وغضب عليه قال ابو حيان ولا نعلم جاء في القران حمل على اللفظ
غيرها بين الايتين قال شهاب الدين وجد غيرها كما تقدم التنبيه عليه في المائدة وقوله عذاب مهين اي دائم **قوله تعالى**
واذا تتلى عليه اياتنا ولى مستكبرا اي يشتري الحديث الباطل ويأبى الحق الصحيح فيعرض عنه **قوله تعالى** كان لم يسمعها حال من فاعل
ولى او من الضمير وقوله كان في اذنيه وقرا ادخل في الاعراض **قوله تعالى** ان الذين امنوا وعملوا الصالحات الاية لما بين حال المعرض
عن سماع الايات بين حال من يقبل على تلك الايات بان له جنات النعيم وكذلك عذابه مهين ووحد العذاب وجمع الجنات اشارة
الى ان الرحمة واسعة اكثر من الغضب ونكر العذاب وعرف الجنات اشارة الى ان الرحمة بين النعمة وتعرفها ولم يبين النقمة وانما
نبه عليها تنبيها **قوله تعالى** خالدين حال وجزاء الجملة قوله لهم جنات والاحسن ان يجعل لهم هو الخبر وحده وجنات فاعل به
وقرا زيد بن علي خالدون بالواو فيجوز ان يكون هو الخبر والجملة او الجار قبله حال ويجوز ان يكون خالدون خبرا ثانيا **قوله تعالى**
وعد الله حقا مؤكدا ومصدر مؤكد لنفسه لان قوله لهم جنات في معنى وعدهم الله ذلك وحقا مصدر مؤكد لغيره اي لمضمون
تلك الجملة الاولى وعاملها مختلف فتقديره الاول وعد الله ذلك وعدا وتقدير الثاني احق ذلك حقا واعلم انه لم يؤكد العذاب
المهين واكد نعيم الجنات بقوله وعد الله حقا وهو العزيز الحكيم العزيز في اقتداره الحكيم في افعاله **قوله تعالى** خلق السموات
والارض بغير عمد وهذا تبيين لعزته وحكمته وقد تقدم الكلام على نظيرها في الرعد واعلم ان اكثر المفسرين قال ان السموات
مبسوطة كصحيفة مطوية لقوله تعالى يوم نطوي السماء كطي السجل للكتاب قال بعضهم انها مستديرة وهو قول المهندسين والغزالي
رحمه الله قال لا نحن نوافقهم في ذلك لان لهم عليها دليلا من المحسوسات ومخالفة الحس لا تجوز وان كان في الباب خبر نؤوله بما يحتمله
فضلا من ليس في القران والخبر ما يدل على ذلك بصريحا بل فيه ما يدل على الاستدارة كقوله تعالى كل في فلك يسبحون والفلك
اسم لشيء مستدير بل الوجبان يقال السماء سواء كانت او مخفية مستقيمة وهو مخلوق بقدرة الله لا بالايجاب والطبع تقدم الكلام على
نظير الاية الى قوله كريم والكريم الحسن او ذي كرم لانه ياتي بكثير من غير حسنا او مكرم مثل نقيض للنقص **قوله تعالى** هذا خلق الله

يعني هذا

يعني هذا الذي ذكرت مما تعاينون خلق الله فاروني ماذا خلق الذين من دونه من الحتكم التي تعبدونها وتقدم تحقيق
الاستفهام في قوله ماجاء في البقرة بل الظالمون في ضلال مبين اي بين انا قال انه ضلال والمراد بالظالمين المشركين الواضعين
العبادة في غير موضعها **قوله تعالى** ولقد اتينا لقمان الحكمة لقمان قيل اعجمي وهو الظاهر فمنعه للتعريف وهو العجمة الشخصية
وقيل عربي مشتق من اللقم وهو حينئذ مرتجل لانه لم يسبق له وضع في النكرات ومنعه حينئذ للتعريف وزيادة الالف واللام
والعامل في اذ مضمر قال ابو اسحق لقمان هو باعور بن ماحور بن فارخ وهو آزر وقال وهب كان ابن اخت ايوب وذكر مقاتل
انه كان ابن خالة ايوب وقال الواقدي كان قاضيا في بني اسرائيل واتفق العلماء على انه كان حكيما ولم يكن نبيا الا عكرمة فانه
قال كان نبيا ويفرد بهذا القول وقال بعضهم خير لقمان بين النبوة والحكمة فاجاب **فصل** قال ان خيرني ربي
قبلت العافية ولم اقبل البلاء وان عزم علي سمعا وطاعة فاني اعلم ان افعل ذلك في اماني وعصمتي فقالت الملائكة بصوت لا يراه
انا لقمان قال لان الحاكم باشد المنازل واكدرها منشأة الظلم من كان ان يعين فبالحري ان ينجو وان اخطأ اخطأ طريق الجنة
ومن يكن في الدنيا ذليلا خير من ان يكون شريفا ومن تخير الدنيا على الاخرة نفسه الدنيا ولا يصيب الاخرة فتعجبت الملائكة
من حسن منطقه ونام نومة فاعطي الحكمة فانتبه وهو يتكلم بها ثم نودي بعده داود فقبلها ولم يشترط ما اشترط لقمان
نهو في الخطبة غير مرة كذلك يعفو الله عنه وكان لقمان يوازره بحكمته قال خالد الربعي كان لقمان عبدا حبشيا نجارا وقال
سعيد بن المسيب كان خياطا وقيل كان راعي غنم فروي انه لقيه رجل وهو يتكلم بالحكمة فقال الست فلانا الراعي فبم بلغت قال بصدق
الحديث واداء الامانة وترك ما لا يعنيني وقال مجاهد كان عبدا اسود عظيم الشفتين مشقق القدمين وقال الحسن اعتزل
لقمان الناس فنزل بين الرملة والقدس لا يخالطهم وقال ابو جعفر كان لقمان الحبشي عبدا لرجل فجاء به الى السوق ليبيعه فلما جاء
انسان يشتريه قال لقمان ما تصنع بي قال اصيرك بوابا على بابي فقال انا اشتري فاشتراه وجاء به الى داره وكان لمولاه
ثلاث بنات يتبغين في القرية واراد ان يخرج الى ضيعة له فقال اني دخلت اليهن الى طعامهن وما يحتجن اليه فاذا خرجت فاغلق
الباب واقعد من ورائه ولا تفتحه حتى احضر قال افعل فخرجن اليه كما كن يخرجن فقلن افتح الباب فابى عليهن فشججنه فسيل الدم
وجلس فلما قدم مولاه لم يخبره ثم عاد مولاه بعد ذلك ففعل وخرج قال اني قد دخلت اليهن وما يحتجن اليه فلا تفتحن
الباب فاغلق الباب فجئن اليه وقلن افتح الباب فابى عليهن فشججنه فسيل الدم وجلس فلما جاء مولاه لم يخبره قال فقالت الكبرى
ما بال هذا العبد الحبشي وهذه الكبرى اولى بطاعة الله عز وجل مني والله لاتوبن فتابت فقالت الوسطى ما بال هذا العبد الحبشي وهذه
الكبرى اولى بطاعة الله مني والله لاتوبن فتابت فقالت الصغرى ما بال هاتين والعبد الحبشي اولى بطاعة الله عز وجل مني والله
لاتوبن الى الله تعالى فتابت فصرن الى الله وكن عوابد القرية فقال عواة القرية ما بال هذا العبد الحبشي وبنات فلان اولى بطاعة الله
عز وجل منا والله لنتوبن فتابوا وعن مكحول ان لقمان كان عبدا حبشيا لرجل من بني اسرائيل كان مولاه يلعب بالنرد ويخاطر عليه وكان
على بابه نهر جار فلعب يوما بالنرد على ان من قمر صاحبه شرب الماء الذي في النهر كله او افتدى منه فقمر سيد لقمان فقال له
القامر اشرب ما في النهر كله والا فافتد منه فقال سلني الفداء فقال عينيك افقأهما او جميع ما تملك قال امهلني يوما قال لك ذلك
فامسى كئيبا حزينا فكلمه لقمان فاعرض عنه فاعاد عليه القول فاعرض عنه فقال اخبرني فلعل لك عندي فرجا فاخبره فقال اذا قال
لك الرجل اشرب ما في النهر فقل له اشرب ما بين حافتي النهر والمد عائد فيقول لك ما بين حافتي النهر فقل له احبس عني المد حتى اشرب
ما بين الحافتين فانه لا يستطيع وتكون قد خرجت فاضمنته لك فعرف الرجل انه صدق فطرف نفسه وطيبها فلما اصبح الرجل قال اوف
لي شرطي فقال له نعم اشرب ما بين الصفتين فقال ما بين الصفتين فقال احبس عني المد قال كيف استطيع فخصمه قال فاعتقه مولاه
فاكرمه فاكرمه الله تعالى وكان يختلف الى داود عليه السلام يقتبس منه فاختلف اليه سنة وداود يتخذ درعا لا يسأله لم هذا
ولم يخبره حتى فرغ منها ولبسه على نفسه فقال عند ذلك الصمت حكمة **فصل** لما بين الله تعالى فساد اعتقاد المشركين في عبادة
من لا يخلق شيئا بقوله هذا خلق الله فاروني ماذا خلق الذين من دونه وبين ان المشرك ظالم ضال ذكر ما يدل على ضلالتهم وظلمهم
نقيض الحكمة ان لم يكن هناك نبوة وذكر حكاية لقمان فقال ولقد اتينا لقمان الحكمة عبارة عن توفيق العمل بالعلم فان اريد تحديدها
بما يدخل فيه حكمة الله فنقول حصول العلم على وفق المعلوم **قوله تعالى** ان اشكر هذا ان المفسرة لان اتينا الحكمة بقوله ان اشكر
لله ثم بين ان الشكر لا ينفع الا الشاكر بقوله ومن شكر فانما يشكر لنفسه وبين ان من كفر فلا يتضرر غير الكافر فقال ومن كفر فان
الله غني حميد اي غير محتاج الى شكر وقدم الشكر على الكفر ان هاهنا وقال في الروم من كفر فعليه كفره ومن عمل صالحا فلانفسهم
يمهدون لان المذكور في الروم للترهيب قال يأتي يوم لا مرد له فقدم التخويف وهاهنا الذكر للترغيب لان وعظ الاب للابن
يكون بطريق اللطف والوعظ **قوله تعالى** واذ قال لقمان لابنه وهو يعظه هذا عطف على ما تقدم والتقدير اتينا لقمان
الحكمة حين جعلناه شاكرا في نفسه وحين جعلناه واعظا لغيره **قوله تعالى** يا بني قرا ابن كثير باسكان الياء وفتحها حفص

والباقون بالكسر لا تشرك بالله بدا في الوعظ بالاهم وهو المنع من الاشراك وقال ان الشرك لظلم عظيم اما انه ظلم فلانه وضع النفس الشريفة المكرمة في عبادة الخسيس ووضع العبادة في غير موضعها **قوله تعالى** ووصينا الانسان بوالديه لما منعه من العبادة لغير الله والخدمة قريب منها في الصورة بين انها غير ممتنعة بل هي واجبة لخدمة الابوين ثم بين السبب فقال حملته امه يعني ان الله على العبد نعمة الايجاد بالخلق ونعمة الابقاء بالرزق اي صادف بقدرة الله سبب وجوده فانها حملته وبرضاعته حصل التربية والبقا **قوله تعالى** وهنا على وهن يجوز ان ينتصب على الحال من امه اي ضعفا على ضعف ومن مفعول حملته اي علقة ثم نطفة ثم مضغة قال الضحاك ضعفا على ضعف ومن مفعول حملته وقال ابن عباس شدة بعد شدة وقال مجاهد مشقة بعد مشقة وقال الزجاج المراد اذ حملنا عليها وهن الضعف والمشقة وقيل الحمل ضعف والوضع ضعف وقيل منصوب على اسقاط الخافض اي في وهن قاله ابو البقا وعلى وهن صفة لوهنا وقرا الثقفي وابو عمرو في رواية وهنا على وهن بفتح الهاء فيهما فاحتمل ان يكونا لغتين لاشعر واحتمل ان يكون المفتوح وهن مصدر بالكسر يوهن وهنا **قوله تعالى** وفصاله قرا الجحدري وقتادة وابو رجا والحسن وفصله دون الف اي فطامه في عامين فان **قيل** وصى الله بالوالدين وذكر السبب في حق الام مع ان الاب وجد معه اكثر من الام لانه حمله في صلبه سنين ورباه بكسبه سنين فهو ابلغ فالجواب ان المشقة الحاصلة للام اعظم لان الاب حمله خفا لكونه من جسده والام حملته ثقلا ادميا موضع فيها وبعد وضعه وتربيته ليلا ونهارا وبينهما ما لا يخفى من المشقة **قوله تعالى** ان اشكر لي ان وجهان احدهما مفسرة والثاني انها مصدرية في محل نصب لوصينا قاله الزجاج لما كان الوالدان بسبب وجود الولد والوجود في الحقيقة للولد والوالدين هو الله امر ان يشكر لهما ثم بين الفرق فقال الي المصير اي المرجع قال سفيان بن عيينة في هذه الاية من صلى الصلاة الخمس فقد شكر الله ومن دعا للوالدين في ادبار الصلاة الخمس فقد شكر الوالدين **قوله تعالى** وان جاهداك على ان تشرك بي ما ليس لك به علم يعني ان خدمتهما لازمة وطاعتهما واجبة ما لم يكن فيها ترك طاعة الله فان افضى فلا تطعهما وتقدم تفسير الاية في العنكبوت وقوله معروفا صفة لمصدر محذوف اي صحابا معروفا وقيل الاصل بمعروف **قوله تعالى** واتبع سبيل من اناب الي اي دين من اقبل على طاعتي وهو النبي صلى الله عليه وسلم قال عطا عن ابن عباس يريد ابا بكر وذلك حين اسلم اتاه عثمان وطلحة والزبير وسعد بن ابي وقاص وعبد الرحمن بن عوف وقال اصدقت هذا الرجل وامنت به قال نعم هو صادق فامنوا به فحملهم الى النبي صلى الله عليه وسلم حتى اسلموا فهولاء لهم سابقة الاسلام اسلموا بارشاد ابي بكر قال الله واتبع سبيل من اناب الي يعني ابا بكر فان **قيل** الى متعلق باناب ثم الي متعلق بمحذوف لانه خبر مرجعكم فانبئكم بما كنتم تعملون فالجواب قيل نزلت هذه الايتان في سعد بن ابي وقاص وامه وقيل الاية عامة **قوله تعالى** يا بني انها هذا الضمير يرجع الى الخطيئة وذلك ان ابن لقمان قال لابيه يا ابت ان عملت الخطيئة حيث لا يراني احد كيف يعلمها الله قال يا بني انها ان تك مثقال حبة من خردل **قوله تعالى** فتكن الفا ايضا للاجتماع يعني ان كانت صغيرة ومعها صغر تكون حبة خفيفة في موضع حريز كالصخرة لا تخفى على الله لان الفا للاتصال بالتعقيب وقرا عبد الكريم الجحدري فتكن بكسر الكاف وتشديد النون مضارع وكن اي استتر في وكنه **فصل** الصخرة لا بد ان تكون في السموات او في الارض فما الفايدة في ذكرها قال بعض المفسرين المراد بالصخرة صخرة عليها الثور او في موضع اخر في السموات او في الارض وقيل هذا من تقدير الخاص وتقديم العام وهو جايز في مثل هذا التفسير وقيل خفا الشي يكون بطرق منها ان يكون في غاية الصغر ومنها ان يكون بعيدا ومنها ان يكون في ظلمة ومنها ان يكون وراء حجاب فان امتنعت هذه الامور فلا يخفى في العادة فاثبت الله الرؤية والعلم مع انتفا والشرايط بقوله ان تك مثقال حبة من خردل الى الصغر وقوله فتكن في صخرة اشارة الى الحجاب وقوله في السموات اشارة الى البعد فانها ابعد الابعاد وقوله او في الارض اشارة الى الظلمات فان جوف الارض اظلم الاماكن وقوله يات بها الله ابلغ من قول القايل يعلمه الله لان من يظهر له شي ويظهر لغيره فيقول يات بها الله اي يظهرها الاشهاد ان الله لطيف نافذ القدرة خبير عالم ببواطن الامور روي في بعض الكتب ان هذه اخر كلمة تكلم بها لقمان فانشقت مرارته من هيبتها فمات قال الحسن معنى الاية هي الاحاطة بالاشيا اي كبيرها وصغيرها **قوله تعالى** يا بني اقم الصلوة لما منعه من الشرك وخوفه بعلم الله وقدرته امره بما قدم من التوحيد هي الصلاة وهي العبادة لوجه الله تعالى مخلصا وبهذا يعلم ان الصلاة كانت في ساير الملل غير انها اختلفت وامر بالمعروف وانه عن المنكر اي اذ كملت انت في نفسك بعبادة الله فكمل غيرك فان شغل الانبيا ورثتهم من العلما هو ان تكملوا في انفسهم وتكمل غيرهم واصبر على ما اصابك يعني من الاذى لان من يامر بالمعروف وينهى عن المنكر موذى فامره بالصبر عليه فان **قيل** كيف قدم وصيته لابنه بالامر بالمعروف على النهي عن المنكر وحين امر ابنه قدم النهي عن المنكر على الامر بالمعروف فقال لا تشرك بالله ثم قال اقم الصلوة فالجواب انه كان يعلم ان ابنه كان معترفا بوجود الاله فما امره بهذا المعروف ونهاه عن المنكر الذي يترتب على هذا المعروف واما ابنه فامره امرا مطلقا والمعروف مقدم على المنكر **قوله تعالى** ان ذلك من عزم الامور يجوز ان يكون عزم بمعنى

مفعول اي من معزومات الامور او بمعنى عازم كقوله تعالى فاذا عزم الامر وهو مجاز بليغ وزعم المبرد ان العين تبدل حا فيقال عزم وحزم والصحيح انها من الامور الواجبة التي امر الله بها ويعزم عليها لوجوبها **قوله تعالى** ولا تصاعر قرا ابن كثير وابن عامر وعاصم تصاعر بالف وتخفيف العين والباقون بلا الف وتشديد العين والرسم يحتملها فانها رسمت بغير الف وهما اللغتين لغة الحجاز التخفيف ولغة تميم التثقيل في التشقيل قوله • وكنا اذا الجبار صعر خده • اقمنا له من ميله فيقوم • ويقال ايضا تصعر قال الشاعر • اقمنا له من خده المتصعر • وهو ميل اي من الميل وذلك ان المتكبر يميل بخده فالمتكبر يقول ثاني عطفه قال ابو عبيدة اصله من الصعر دا ياخذ الابل في اعناقها فتميل وتلتوي ويقال صعر وجهه وصاعر اذا مال واعرض وتكبر ورجل اصعر اي مايل العنق وتفسير الزبيدي له بانه التشدق في الكلام لا يوافق الاية هنا قال ابن عباس يقال لا تتكبر فتحتقر الناس وتعرض عنهم وجهك اذا كلموك وقال مجاهد هو الرجل يكون بينك وبينه احنة فتلقاه فيعرض عنك بوجهه وقال عكرمة هو الذي اذا سلم عليه لوى عنقه تكبرا وقال الربيع بن انس وقتادة ولا تحتقر الفقرا ليكون الغني والفقير عندك سوا واعلم بانه لما امره بان يكون كاملا في نفسه مكملا لغيره فكان يخشى بعدهما من امرين احدهما التكبر على الغير لكونه مكملا له والثاني التبختر في المشي لكونه كاملا في نفسه فقال ولا تصعر خدك للناس تتكبر ولا تمش في الارض مرحا اي خيلا ان الله لا يحب كل مختال في نفسه فخور على الناس بنفسه **قوله تعالى** واقصد هذا قاصد بمعنى اقصد بهمزة وقطع بمعنى اقصد واسلك الطريقة الوسطى بين ذلك قواما اي ليكن قصدك اي مشيك قصدا لا تخيلا وقال عطا امش بالوقار والسكينة كقوله يمشون على الارض هونا واقصد بهمزة وقطع من اقصد اذا سدد سهمه للرمية **قوله تعالى** واغضض من صوتك من تبعيضيه وعند الاخفش يجوز ان تكون مزيدة ويويده قوله يغضون من اصواتهم وقيل من صوتك صفة لموصوف محذوف اي شيا من صوتك وكانت الجاهلية يتمدحون برفع الصوت قال الشاعر

• جهير الكلام جهير العطاس • جهير الرواء جهير النعم •

والمعنى انقص من صوتك وقال مقاتل اخفض من صوتك فان **قيل** لما ذكر المانع من رفع الصوت ولم يذكر المانع من سرعة المشي فالجواب ان رفع الصوت يوذي السامع ويقرع الصماخ بقوته وربما يخرق الغشا الذي داخل الاذن واما سرعة المشي فلا يوذي وان اذى فلا يوذي غير من في طريقه والصوت يبلغ من على اليمين ومن على اليسار ولان اللمس يوذي الة اللمس والصوت يوذي الة السمع والة السمع على باب القلب فان الكلام ينتقل من السمع الى القلب ولا كذلك اللمس وايضا فلان قبح القول اقبح من قبح الفعل وحسنه احسن لان اللسان ترجمان القلب ان انكر قد انكر شي من شي فلمفعول نحو اشغل من ذات النحيين وهو مختلف فيه وحد صوت لانه يراد به الجنس والاضافة يجمع وقيل يحتمل ان يكون انكر من باب اطوع له من بنانه ومعناه اشد طاعة فان افعل لا يجي من مفعل ولا في مفعول ولا في باب العيوب الا ما شذ كقولهم اطوع من كذا للتفضيل على المطيع واشغل من ذات النحيين واحمق من دلات من باب العيوب وعلى هذا فهو من باب افعل كما نقل في باب مفعول فيكون للتفضيل على المذكر ويقول هو من باب شغل ماخوذ من منكر الشي فهو منكور وعلى هذا انكر منه وعلى هذا فله معنى لطيف وهي ان كل حيوان قد يفهم من صوته بانه يصيح من ثقل او تعب او غير ذلك كالبعير والحمار لو مات تحت الحمل لا يصيح وفي بعض اوقات عدم الحاجة يصيح بصوت منكر فيقال هو من نكيه كاحد من حديد فان **قيل** كيف يفهم انه انكر الاصوات مع ان جر المنشار بالمبرد ودق النحاس بالحديد اشد صوتا فالجواب من وجوه الاول انه انكر اصوات الحيوانات صوت الحمار فلا يرد السوال والثاني ان الامر بصلح وعبارة لا ينكر صوته بخلاف صوت الحمير **فصل** قال مقاتل المعنى اخفض من صوتك ان انكر الاصوات اقبح الاصوات لصوت الحمير اوله زفير واخره شهيق وهو صوت اهل النار قال الحسن بن اعين سمعت سفيان بن الثوري يقول في قوله تعالى ان انكر الاصوات لصوت الحمير قال هي العطسة الكبيرة المنكرة قال وهب تكلم لقمان باثني عشر الف كلمة من الحكمة ادخلها الناس في كلامهم ومن حكمه قال خالد الربعي كان عبدا حبشيا فدفع اليه مولاه شاة فقال اذبحها واتني باطيب مضغتين منها فاتاه باللسان والقلب فسال مولاه فقال ليس شي اطيب منهما اذا طابا ولا اخبث منهما اذا خبثا **قوله تعالى** الم تروا ان الله سخر لكم الاية اي سخر لاجلكم ما في السموات والارض والقمر والنجوم مسخرات بامره وفيها فوايد لعباده وسخر ما في الارض لاجل عباده **قوله تعالى** واسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة قرا نافع وابو عمرو وحفص نعمه جمع نعمة مضافا لها فظاهرة حال منها والباقون نعمة بسكون العين والحاق القاف وتقدم نظير هذه الجمل كلها في البقرة قال ابن عباس عن عكرمة النعمة الظاهرة الاسلام والقران والباطنة ما ستر عليكم من الذنوب وقال الربيع الظاهرة الجوارح والباطنة القلب وقيل الظاهرة تمام الرزق والباطنة حسن الخلق وقال عطا الظاهرة تخفيف الشرايع والباطنة الشفاعة وقال مجاهد الظاهرة ظهور الاسلام والنصر على الاعدا والباطنة الامداد بالملايكة والباطنة القا الرعب في قلوب الكفار وقال سهل بن عبد الله الظاهرة اتباع الرسول والباطنة محبته **قوله تعالى** ومن الناس من يجادل في الله وفي صفاته بغير علم ولا هدى

فی نوم جسوم

ولا كتاب منير اي نص هدى ارسلناه اليه وحيا ولا بكتاب يتلى عليه وعظا واذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله قالوا بل نتبع
ما وجدنا عليه اباءنا يعني ان مجادلتهم مع كونها من غير علم فهو في غاية القبح فان النبي عليه السلام كان يدعوهم الى كتاب الله
وهم يحتذون بكلام ابائهم وبين كلام الله وكلام العلماء بون عظيم فكيف ما بين كلام الله وكلام الجهال ثم قال اولو كان الشيطان
يدعوهم الى عذاب السعير جواب لو محذوف ومجازه يدعوهم فيتبعونه اي يتبعون الشيطان وان كان الشيطان يدعوهم الى العذاب
والمعنى يدعوهم الى الثواب والشيطان يدعوهم الى العذاب والمعنى وهم مع هذا ان الشيطان يتبعونه وقد تقدم الكلام على نحوه
قوله تعالى ومن يسلم وجهه الى الله قرا علي والسلمي يسلم بالتشديد لما بين حال المشرك والمجاهد في الله بين حال المسلم المستسلم
وقوله وهو مسلم محسن اي لله اي يخلص دينه لله ويفوض امره اليه وهو محسن في عمله فقد استمسك بالعروة الوثقى اي يعتصم
بالعهد الاوثق الذي لا يخاف انقطاعه لان اوثق العرى جانب الله فان كل ما عداه هالك منقطع وهو باق لا انقطاع له والى الله
عاقبة الامور معنى فقد استمسك بالعروة الوثقى التي توصله الى الله لان عاقبة كل شيء اليه فان قيل كيف قال هاهنا ومن
يسلم وجهه الى الله فعداه بالى وقال الزمخشري يسلم لله اي الى الله يعني ان اسلم يتعدى تارة باللام وتارة بالى قال تعالى
وارسلناك للناس رسولا وقال تعالى كما ارسلنا الى فرعون رسولا وقال ومن كفر فلا يحزنك كفره الينا مرجعهم فالجواب
فننبئهم اي لا يحزنك اذا كفر كافر كان من يكذب وهو مقطوع بما صدق فسنبين عن قريب لا يحزن بل قد يتوجب المكذب عن تكذيبه وانما
اذا كان لا يرجو ظهور صدقه فانه يتألم من التكذيب فقال لا يحزنك كفره فان مرجعهم اي فاذا المرجع الي فانبئهم بما عملوا فيعلمون
ثم طلب ان الله عليم بذات الصدور اي لا يخفى عليه سرهم وعلانيتهم فينبئهم بما اسرته صدورهم قوله تعالى نمتعهم قليلا اي
نمهلهم ليتمتعوا بنعم الدنيا قليلا الى انقضاء اجالهم ثم نضطرهم نلجئهم الى عذاب غليظ وهو عذاب النار قوله تعالى ولئن سألتهم
من خلق السموات والارض ليقولن الله الاية لما استدل بخلق السموات بغير عمد وبنعمه الظاهرة والباطنة بين انهم يعترفون بذلك
ولا ينكرونه وهذا يقتضي ان الحمد لله لان خالق السموات والارض يحتاج اليه كل من في السموات والارض وكون الحمد كله لله يقتضي ان لا
يعبد غيره لكنهم لا يعلمون هذا ووجه اخر وهو ان الله تعالى لما سلى قلب النبي صلى الله عليه وسلم بقوله فلا يحزنك كفره الينا مرجعهم فننبئهم
بما عملوا اي لا تحزن على تكذيبهم فان صدقك وكذبهم سيتبين عن قريب وهو رجوعهم الينا بل لا يتاخر ذلك اليوم بل يتبين قبل يوم
القيمة بانهم يعترفون بان خالق السموات والارض هو الله ثم قال في دعوى الوحدانية وتبين كذبهم في الاشتراك قل الحمد لله على صدقك
وتبين كذبهم بل اكثرهم لا يعلمون اي ليس لهم علم يمنعهم من تكذيبك مع اعترافهم بما يوجب تصديقك وعلى هذا لا يكون استعمالهم
استعمال الفعل مع القطع عن المفعول بالكلية كما يقال فلان يعطي ويمنع ولا يكون في ضميره ما يعطي بل يريد عطاء ومنعا فكذلك
هاهنا قال لا يعلمون اي ليس لهم علم وعلى الاول لا يعلمون له مفعول مفهوم وهو انهم لا يعلمون ان الحمد كله لله وعلى الثاني هو قول
القائل فلان لا اعلم له بكذا وكذا قوله فلان لا ينفع زيدا ولا يضر نحو قوله دون قوله فلان لا يضر قوله فلان لا يضر ولا ينفع
قوله تعالى لله ما في السموات والارض ذكر ما يلزم منه وهو ان يكون له ما فيهما ان الله هو الغني الحميد اي ان الكل لله وهو غير محتاج
اليه غير منتفع به وخلق منافعها فهو غني بعدم حاجته حميد شكور بدفع حوائجكم بها قوله تعالى ولو ان ما في الارض من شجرة اقلام
الاية لما قال لله ما في السموات والارض وهم يعلمون هي ملكه لا انحصار من في السموات والارض فيهما وحكم العقل الصريح بتناهيهما بين
ان في قدرته وعلمه عجائب لا نهاية لها فقال ولو ان ما في الارض من شجرة اقلام يكتب بها والبحر مدادا لا يفنى عجائب صنع الله قال
المفسرون نزل بمكة قوله ويسألونك عن الروح الى قوله وما اوتيتم من العلم الا قليلا فلما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم اتاه احبار اليهود
فقالوا يا محمد بلغنا انك تقول وما اوتيتم من العلم الا قليلا اتعنينا ام قومك فقال صلى الله عليه وسلم كلا قد عنيت فقالوا
قالوا الست تتلو فيما جاءك انا اوتينا التوراة وفيها علم كل شيء فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هي في علم الله قليل وقد اتاكم ما ان
عملتم به انتفعتم فقالوا يا محمد كيف تزعم هذا وانت تقول ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا فكيف يجتمع علم قليل وخير كثير
فانزل الله هذه الاية قال قتادة ان المشركين قالوا ان القران وما ياتي به محمد يوشك ان ينفد فينقطع فنزلت ولو ان ما في الارض من
شجرة اقلام من وحد الشجرة وجمع الاقلام ولم يقل ولو ان ما في الارض من الاشجار اقلام ولم يقل من شجرة قلم اشار الى التكثير يعني ولو
بعدد كل شجرة اقلام قال الزمخشري فان قلت لم قيل من شجرة بالتوحيد قلت اريد تفصيل الشجرة وتقصيها شجرة شجرة حتى لا يبقى من جنس
الشجر واحدة الا قد بريت اقلاما قال ابو حيان وهو من وقوع المفرد موقع الجمع والنكرة موقع المعرفة كقوله ما ننسخ من اية قال الشهاب
الدين وهذا يذهب بالمعنى الذي ابداه الزمخشري قوله تعالى والبحر قرا ابو عمرو بالنصب والباقون بالرفع والنصب بالوجهين
احدهما العطف على اسم ان وهي ولو ان البحر يمده الخبر الثاني النصب بفعل مضمر يفسره يمده والواو حينئذ للحال والجملة حالية ولم يحتج الى
ضمير رابط بين الحال وصاحبها للاستغناء عنه بواو التقدير ولو ان الذي محدود في البحر حاله كون الارض واما الرفع فمن وجهين
احدهما العطف على ان وما في حيزها وقد تقدم في انا الواقعة بعد لو مذهبان مذهب سيبويه الرفع على الابتداء ومذهب المبرد

على الفاعلية بفعل مقدر وهما عائدان هنا فعلى مذهب سيبويه يكون تقديره العطف ولو ان البحر الا ان ابا حيان
قال ان لا يلي لو للابتداء اسما صريحا الا في ضرورة كقوله • لو بغير الماء حلقي شرق • وهذا القول يؤدي الى ذلك ثم اجاب
بانه يغتفر في المعطوف ما لا يغتفر في المعطوف عليه كقوله رب شاة وسخلتها وعلى مذهب المبرد يكون تقديره
ولو ثبت البحر وعلى التقدير يكون عنده جملة حالية من البحر والثاني ان البحر مبتدا ويمده الخبر والجملة حالية كما تقدم في
جملة الاشتغال والرابط الواو وقد جعله الزمخشري سؤالا وجوابا وانشد • وقد اغتدي والطير في وكناتها •
ومن الشجرة حال اما من الضمير او من الموصول او الضمير الواقع صلة والاقلام خبر ان فصل قال ابو حيان وفيه دليل
على ان من يقول قال الزمخشري ومن تعصب له من العجم على ان خبر ان الواقعة بعد لو لا يكون اسما البتة لا جامدا ولا مشتقا
بل يتعين ان يكون فعلا قال وهو باطل وانشد • ولو ان لعصفور تحسبها • مسومة تدعو عبيدا وازنما •
وقال الاخر • ما اطيب العيش لو ان الفتى حجر • تنبو الحوادث عنه وهو ملموم • وقال الاخر •
ولو ان حيا فائت الموت انه • اخو الحرب فوق القارح العدوان • قال وهو كثير في كلامهم قال شهاب الدين وقد تقدم
ان هذه الاية ونحوها يبطل ظاهر قول المتقدمين في انها حرف امتناع لامتناع اذ يلزم محذور عظيم وهو ان ما بعدها
اذا كان منفيا لفظا فهو مثبت معنى وبالعكس قوله ما نفدت منفي لفظا فلو كان مثبتا معنى فسد المعنى فعليك بالالتفات
الى اول البقرة وقرا عبد الله وبحر بالتنكير وفيه وجهان معروفان ومسوغ الابتداء بالنكرة وقوعها بعد واو الحال وهو معدود
من مسوغات الابتداء بالنكرة وانشدوا • سرينا ونجم قد اضاء وقد بدا • محياك اخفى ضوءه كل شارق •
وعلى هذا يظهر فساد قول من قال ان في هذه القراءة يتعين بالفتح العطف على ان كانه يتوهم انه ليس ثم مسوغ وقرا عبد الله وابي
تمده بالتانيث لاجل سبعة والحسن وابن هرمز وابن مصرف يمده بالياء من تحت مضمومة وكسر الميم من امد وقد تقدم اللغتان
في اخر الاعراف واول البقرة والالف واللام في البحر لاستغراق الجنس اي وعلى بحر مداد فصل المعنى والبحر يمده اي يزيده
وينصب فيه من بعده اي من بعد خلقه سبعة ابحر وقد اشار الى بحار غير موجودة يعني لو مدت البحار الموجودة سبعة ابحر اخرى وقوله
سبعة ليس لانحصار في سبعة وانما الاشارة الى العدد الى المدد والكثرة ولو بالف بحر وانما خصصت السبعة بالذكر من بين
الاعداد لانها عدد كثير يحصر المعدودات في العادة ويدل على ذلك وجوه اولها ان المعلوم عند كل احد لحاجته اليه هو الزمان
والمكان اليه بالزمان منحصر في سبعة ايام والمكان منحصر في سبعة اقاليم ولان الكواكب السيارة سبعة والمنجمون
ينسبون اليها امورا فصارت السبعة كالعدد الحاصر للكثرات الواقعة في العادة واستعملت في كل كثير الثاني السبعة معنى نجمها
وكذلك كانت السموات سبعا والارضين سبعا وابواب جهنم سبعا وابواب الجنة ثمانية لانها الحسنى وزيادة فالزيادة هي الثمانية
لان العرب عند الثامن يزيدون واوا تقول الفراريها واو الثمانية وليس ذلك الا للاستئناف لان العدد تم في السبعة واعلم
ان في الكلام اختصارا تقديره ولو ان ما في الارض من شجرة اقلام والبحر يمده من بعده سبعة ابحر يكتب بها كلمات الله ما نفدت
كلمات الله قوله تعالى كلمات الله قال الزمخشري فان قلت الكلمات جمع كلمة والموضع موضع تكثير فهلا قيل كلم قلت معناه
ان كلماته لا يفي بكتبها البحار فكيف بكلمه يعني انه من باب التنبيه ببطون الاولى ورده ابو حيان بان جمع السلامة يكون بالى
العدد او اضيف هم قال شهاب الدين للناس خلاف في ال هل تعم او لا وقد يكون الزمخشري ممن لا يرى العموم ولم تزل الناس
يشكون في بيت حسان رضي الله عنه قوله • لنا الجفنات الغر يلمعن بالضحى • ويقولون كيف ادى جمع القلة في مقام
المدح ولم يقل الجفان وهو تقوية لما قاله الزمخشري واعتراف بان ال لا تؤثر في جمع القلة تكثيرا ثم قال تعالى ان الله عزيز اي كامل
القدرة لا نهاية لمقدوراته حكيم كامل العلم لا نهاية لمعلوماته وهذه الاية على قول عطاء بن يسار مدنية وعلى قول غيره مكية
قوله تعالى ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة خبر لما خلقكم والتقدير الا كخلق نفس واحدة وبعثها لا يتعذر عليه شيء
ان الله سميع بصير سميع لما يقولون بصير بما يعملون فاذا كان قادرا على البعث ومحيطا بالاقوال والافعال وجب الاحتراز
الكامل قوله الم تر ان الله سخر لكم ما في السموات وما في الارض على وجه العموم ذكر منها بعض ما فيها على الوجه المخصوص بقوله يولج الليل
في النهار وقوله وسخر الشمس اشارة الى ما في السموات الوجه الثالث ان الله تعالى لما ذكر البعث وكان من الناس من يقول وما يهلكنا الا
الدهر والدهر هو الليالي والايام قال الله تعالى هذه الليالي والايام التي ينسبون اليها الموت والحياة هي بقدرة الله تعالى يولج
الليل في النهار ثم قال ان ذلك باختلاف سير الشمس فتارة يكون القوس التي هي فوق الارض اكبر من التي تحت الارض فيكون الليل
اقصر والنهار اطول وتارة يكون بالعكس وتارة يتساويان فقال تعالى وسخر الشمس يعني ان كنتم لا تعترفون هذه الاشياء
كلها من الله فلا بد من الاعتراف بانها باسرها عائدة الى الله كالاجال ان كانت بالمدة والمدة بسير الكواكب فسير الكواكب الا بالله
وقدرته فان قيل قال يولج بصيغة المستقبل وقال في الشمس والقمر وسخر بصيغة الماضي لان ايلاج الليل في النهار امر يتجدد

كل يوم وتسخير الشمس والقمر امر مستمر كما قال تعالى حتى عاد كالعرجون القديم وقال ههنا الى اجل وفي الزمر لاجل لان المفسرين لا يفرقان بالحرفين فلا عليك في ايهما وقع فالجواب قال اكثر المفسرين هذا الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمومنين وقيل عام ثم قال والله بما تعملون خبير اي لما كان الليل والنهار محل الافعال تبين انما يقع في هذين الزمانين الذين هما بصر فالله لا يخفى على الله وقرا ابو عمرو في رواية ان الله بما يعملون بالغيب والباقون بالخطاب **قوله تعالى** ذلك بان الله هو الحق اي ذلك الذي ذكرت ليعلموا ان الله هو الحق وان ما يدعون من دونه الباطل الزائل يقال بطل ظله اذا زال وان الله هو العلي الكبير اي في ذاته **قوله تعالى** الم تر ان الفلك تجري في البحر بنعمة الله لما قال تعالى ان الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وسخر الشمس والقمر ذكر اية سماوية واشار الى السبب والمسبب ذكر بعده اية ارضية واشار الى السبب والمسبب بقوله تعالى الم تر ان الفلك تجري في البحر وقوله بنعمة الله اي الريح التي يامر الله ليريكم من اياته يعني يريكم من اجرائها بنعمة الله اية عجيبة ان في ذلك لايات لكل صبار شكور صبار على امر الله شكور لنعمة الله **قوله تعالى** واذا غشيهم موج كالظلل قال ان في ذلك لايات ذكر ان الكل معترفون به غير ان البصير يدركه اولا ومن في بصيرته ضعف لا يدركه اولا واذا غشيه موج وقع في شدة اعترف بان الكل من الله ودعاه مخلصا وقوله كالظلل قال مقاتل كالجبال وقال الكلبي كالسحاب والظلل جمع الظلة شبه بها الموج في كثرتها وارتفاعها وجعل الموج واحدا وهو جمع لان الموج ياتي منه شي بعد شي وقوله دعوا الله مخلصين له الدين اي يتركون كل شيء دعواهم فلما نجاهم الى البر اي انجاهم من تلك الشدة فمنهم من يبقى على تلك الحالة وهو المراد بقوله فمنهم مقتصد اي سائر في البر بما عاهد الله عليه في البحر التوحيد له يعني ثبت على ايمانه قيل نزلت في عكرمة بن ابي جهل هرب عام الفتح الى البحر فجاءهم ريح عاصف قال عكرمة لئن انجانا الله من هذا الامر لارجعن الى محمد ولاضعن يدي في يده فسكنت الريح فرجع عكرمة الى مكة فاسلم وحسن اسلامه وقال مجاهد مقتصد في القول اي من الكفار لان بعضهم كان اشد قولا واعلى في الافتراء من بعض فان قيل ما الحكمة في قوله في العنكبوت فلما نجاهم الى البر اذا هم يشركون وقال هاهنا فلما نجاهم الى البر فمنهم مقتصد فالجواب لما ذكر ههنا امرا عظيما وهو الموج الذي كالجبال اثر ذلك في قلوبهم فخرج منهم مقتصد اي في الكفر وهو الذي ينزجر بعض الانزجار ومقتصد في الاخلاص فبقي شي منه ولم يبق على ما كان عليه من الاخلاص وهناك لم يذكر ركوب البحر مع الهيبة مثل ذلك الامر فذكر اشراكهم حيث لم يبق عندهم اثر **قوله تعالى** وما يجحد باياتنا في مقابلة قوله تعالى ان في ذلك لايات معنى يعترف بها الصبار الشكور ويجحدها اختيار الكفر فالصبار في موازنة الختار لفظا ومعنى والكفور في موازنة الشكور اما لفظا فظاهر واما معنى فلان الختار هو الغدار الكثير الغدر وتشديد الغدر مثال مبالغة من الختر وهو اشد الغدر قال الاعشى * فالفوا ابا لفرد من نعما منزلة * حصن حصين وجار غير ختار * وقال عمرو بن معدي كرب * فانك لو رايت ابا عمرو * ملات يديك من غدر وختر * وقال الشاعر * انك لو مددت لنا بدا من ختر وغدر * مددنا لك باعا من ختر وغدر * والغدر لا يكون الا من قلة الصبر لان الصبور ان لم يعهد مع احد لم يعهد منه الاضرار فانه يصبر ويفوض الامر الى الله واما الغدار فيعاهد ولا يصبر على العهد واما ان الكفور في مقابلة الشكور معنى فظاهر **قوله تعالى** يا ايها الناس اتقوا ربكم لما ذكر الدلايل من اول السورة الى اخرها وعظ بالتقوى فقال يا ايها الناس اتقوا ربكم واخشوا يوما لا يجزي لا يقضي ولا يغني والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئا قال ابن عباس كل امري يهمه نفسه واعلم انه تعالى ذكر شخصين في غاية الشفقة والمحبة وهو الوالد والولد واستدل بالادنى على الاعلى فذكر الوالد والولد جميعا لان من الامور ما يبادر الاب الى تحمله عن الولد كدفع المال وتحمل الالام والولد لا يبادر الى تحمله عن الوالد ومنها ما يبادر الولد اليه كالاهانة فان من يريد احضار والد واحد عند قاض او وال يهون على الابن اي يدفع الاهانة عن والده ويحضر هو بنفسه وان انتهى الامر الى الالام يهون على الاب ان يدفع الالم عن ابنه ويتحمله هو عن نفسه فقوله لا يجزي والد عن ولده في قطع الالام ولا مولود هو جاز عن والده شيئا في دفع الاهانة ثم قال ان وعد الله حق فلا تغرنكم الحيوة الدنيا اي لا تغتروا بالدنيا فانها زائلة لوقوع اليوم المذكور بالوعد الحق ولا يغرنكم بالله الغرور يعني الشيطان يزين في عينه الدنيا ويومله ويقول له انك تحصل بها الاخرة وتلتذ بها ثم تتوب فتجمع لك الدنيا والاخرة فنهاهم عن الامرين **قوله تعالى** ولا مولود فيه وجهان احدهما انه مبتدا وما بعده الخبر والثاني انه معطوف على والد وتكون الجملة صفة له وفيه اشكال وهو انه نفى عنه ان يجزي ثم وصفه بانه جاز وقد يجاب عنه بانه وان كان جازيا عنه في الدنيا فليس جازيا عنه يوم القيمة فالجار باعتبار زمنين وقد منع المهدوي ان يكون مبتدا قال لان الجملة بعده صفة له فيبقى بلا خبر فلا يسوغ على الوصف وهو وهم لان النكرة متى اعتمدت على نفي ساغ الابتداء بها وهذا من اشهر مسوغاته وقال الزمخشري فان قلت ولا مولود هو جاز عن والده شيئا هو وارد على طريق من التوكيد لم يرد عليه ما هو معطوف عليه قلت الامر كذلك لان الجملة الاسمية اكد من الفعلية وقد انضم الى ذلك قوله هو وقوله مولود

التوكيد في لفظ المولود ان الواحد منهم لو نفع الوالد الولد لنفعه الولد الادنى الذي ولد منه لم يقبل منه فضلا ان يشفع لمن فوقه من اجداده لان الوالد نفع الولد وولد الولد بخلاف المولود لانه للذي ولد منه والسبب على هذا المعنى ان الخطاب للمومنين وعليهم قبض اباءهم على الكفر فاريد حسم اطماعهم واطماع الناس فيهم والجملة من قوله لا يجزي صفة ليوما والعايد محذوف اي فيه فحذف برمته او على التدريج وقرا عكرمة لا يجزي مبنيا منصوب على المصدر مبنيا للمفعول وابو السمال لا يجزي بالهمز من اجزى عنه اي اغنى **قوله تعالى** شيئا منصوب على المصدر وهو من اعمال الثاني يجزي وجاز يطلبانه والعامل جار على ما هو المختار للحذف من الاول **قوله تعالى** فلا تغرنكم الحيوة الدنيا العامة على تشديد النون من تغرنكم وابن ابي اسحق وابن ابي عبلة ويعقوب بالخفيفة وسماك بن حرب الغرور بالضم وهو مصدر وبالفتح صفة مبالغة كشكور وفسر بالشيطان على انه يجوز ان يكون المضموم مصدرا اوقع وصفا للشيطان **قوله تعالى** ان الله عنده علم الساعة الاية نزلت في الوارث بن حارثة بن محارب بن حصفة اتى الى النبي صلى الله عليه وسلم من البادية فساله عن الساعة ووقتها وقال ان ارضنا اجدبت فمتى ينزل الغيث وتركت امراتي حبلى فمتى تلد وقد علمت اين ولدت فباي ارض اموت فانزل الله هذه الاية روي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال مفاتح الغيب خمس ان الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الارحام وما تدري نفس ماذا تكسب غدا وما تدري نفس باي ارض تموت ان الله عليم خبير قال ابن الخطيب قال بعض المفسرين ان الله نفى علم خمسة عن غيره بهذه الاية وهو كذلك المقصود ليس ذلك لان الله يعلم الجوهر الفرد كالطوفان ويقلب الريح من المشرق الى المغرب كم مرة ويعلم اين هو ولا يعلمه غيره ويعلم انه قوله ذرة في برية لا يسلكها احد ولا يعلمها غيره فلا وجه لاختصاص هذه الاشياء بالذكر وان الحق فيه ان يقول لما قال اخشوا يوما لا يجزي والد عن ولده وذكر انه كائن بقوله ان وعد الله حق كان قايلا قال فمتى يكون هذا اليوم فاجيب ان هذا العلم لا يحصل لغير الله ولكن هو كائن **قوله تعالى** ماذا تكسب غدا يجوز ان تكون ما استفهامية فتعلق الدراية وان تكون موصولة فينتصب بها وقد تقدم هذا اول الكتاب وتكون في عضو **قوله تعالى** باي ارض تموت على تانيثها وهي لغة ضعيفة كما يقال كل حيث قال الكلبي والمشهور باي ارض لان الارض ليس فيها من علامة التانيث شيء وقيل الراض بالارض المكان فغلط البغوي والباقية بمعنى في اي ارض وبمكة اي فيها ثم قال ان الله عليم خبير للخصوص ولا علمه بالاشياء المذكورة بقوله ان الله عنده علم الساعة ذكر ان علمه ليس مختصا بل هو عليم مطلقا بكل شي وليس علمه علما بظاهر الاشياء فقط بل هو خبير بظواهر الاشياء وبواطنها روى الثعلبي عن ابي بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة لقمان كان له لقمان رفيقا يوم القيمة واعطي من الحسنات بعدد من عمل بالمعروف ونهى عن المنكر

سورة السجدة مكية

وهي ثلثون اية وثلثماية وثمانون كلمة والف وخمسماية وثمانية عشر حرفا بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى الم تنزيل الكتاب لا ريب فيه في تنزيل خمسة اوجه الاول انه خبر الم يراد به السورة وبعض القران وتنزيل بمعنى منزل والجملة في قوله لا ريب فيه حال من الكتاب والعامل فيها تنزيل لانه مصدر ومن رب متعلق به ايضا ويجوز ان يكون حالا من الضمير في فيه ولا يجوز حينئذ ان يتعلق بتنزيل لان المصدر قد اخبر عنه فلا يعمل ومن يتسع في الجار لا يبالي بذلك الثاني ان يكون تنزيل مبتدا ايضا ومن رب خبره الثالث ان يكون لا ريب حالا او معترضا الرابع ان يكون لا ريب ومن رب العالمين خبرا لتنزيل الخامس ان يكون تنزيل خبر مبتدا وكذلك لا ريب ومن رب فتكون كل جملة مستقلة براسها ويجوز ان يكونا حالين من تنزيل وان يكون من رب هو الحال ولا ريب معترض واول البقرة مرشد لهذا وجوز ابن عطية ان يكون من رب العالمين متعلقا بتنزيل قال على التقديم والتاخير ورده ابو حيان بانا اذا قلنا لا ريب فيه اعتراض لم يكن تقديما وتاخيرا بل لو تاخر لم يكن اعتراضا ويجوز ان يكون ايضا متعلقا بلا ريب اي لا ريب فيه من جهة رب العالمين وان وقع شك الكفرة وذلك لا يرى قال مقاتل لا شك فيه انه تنزيل من رب العالمين **قوله تعالى** ام يقولون هي المنقطعة والاضراب للانتقال لا للابطال وقيل الميم صلة اي يقولون افتراه وقيل فيه اضمار ومجازه فهل يومنون ام يقولون افتراه وقوله الحق اضراب ثان ولو قيل انه تقدير بتطيل لنفي افتراه وحده لكان صوابا وعلى هذا يقال كل ما في القران اضراب فهو انتقال الا هذا فانه يجوز ان يكون ابطالا لانه ابطال لقولهم اي ليس هو كما قالوا بل هو مفترى بل هو الحق وفي كلام الزمخشري ما يرشد الى هذا فانه قال والضمير في فيه راجع الى مضمون الجملة فانه قيل لا ريب في ذلك اي في كونه من رب العالمين ويشهد لوجاهته ام يقولون افتراه لان قولهم هذا مفترى انكار لان يكون من رب العالمين وكذلك قوله بل هو الحق من ربك وما فيه من تقرير انه من عند الله وهذا اسلوب صحيح محكم **قوله تعالى** من ربك حال من الحق والعامل فيه محذوف على القاعدة وهو العامل في الحق ايضا ويجوز ان يكون العامل في لتنذر اي انزله

لتنذر **قوله تعالى** قوماً ما أتاهم الظاهر أن المفعول الثاني للإنذار محذوف وقوماً هو الأول إذ التقدير لتنذر
قوماً العقاب وما أتاهم جملة منفية في محل نصب صفة لقوماً يريد الذين في الفترة بين عيسى ومحمد عليهما السلام
وجعله الزمخشري كقوله لتنذر قوماً ما أنذر آباؤهم فعلى هذا يكون من نذير هو فاعل من آباؤهم ومن مزيدة فيه ومن
قبلك صفة لنذير ويجوز أن يتعلق من قبلك بأتاهم وجوز أبو حيان أن تكون ما موصولة في الموضعين والتقدير
لتنذر قوماً العقاب الذي أتاهم من نذير من قبلك ومن نذير متعلق بأتاهم أي أتاهم على لسان نذير من قبلك وكذلك
لتنذر قوماً ما أنذر آباؤهم أي العقاب الذي أنذره آباؤهم فما مفعوله في الموضعين وأنذر يتعدى إلى اثنين قال تعالى فقل
أنذرتكم صاعقة وهذا القول جار على ظواهر القرآن قال تعالى وإن من أمة إلا خلا فيها نذير أن تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير
فقد جاءكم بشير ونذير وهذا الذي قاله ظاهر ويظهران في الآية الأخرى وجه آخر وهو أن تكون ما مصدرية تقديره لتنذر
قوماً إنذاراً مثل إنذار آبائهم لأن الرسل كلهم متفقة على كلمة الحق **فصل** المعنى بل هو معنى القرآن الحق من ربك لتنذر
قوماً ما أتاهم من نذير من قبلك قال قتادة كانوا أمة أمية لم يأتهم نذير قبل محمد صلى الله عليه وسلم لعلهم يهتدون **قوله تعالى**
الله الذي خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام لما ذكر الرسالة وبين ما على الرسول من الدعاء إلى التوحيد وإقامة الدليل
فقال خلق السموات ولم يخلقها إلا واحد فلا إله إلا واحد فقد تقدم الكلام على معنى قوله ستة أيام **قوله تعالى** ثم استوى
على العرش اختلف العلماء في هذه الآية ونظائرها على قولين أحدهما ترك التعرض إلى بيان المراد والثاني التعرض إليه والأول أسلم
لأن صفة الاستواء مما لا يجب العلم بها فمن لم يتعرض إليه لم يترك واجباً ومن تعرض إليه فقد يخطئ فيعتقد خلاف ما هو عليه فالأول
غاية ما يلزم منه أنه لا يعلم والثاني يكاد يقع في أن يكون جاهلاً وعدم العلم والجهل المركب كالسكوت والكذب ولا شك أن السكوت
خير من الكذب وأيضاً فإنه أقرب إلى الحكمة في قوله لأن من يطالع كتاباً صنفه إنسان وكتب له شرحاً والشارح دون المصنف فالظاهر
أنه لا يأتي على جميع ما أتى عليه المصنف ولهذا كثيراً ما نجد أن الإنسان يورد الإشكالات على المصنف المتقدم ثم يجيء من نصر كلام المصنف
ويقول لم يرد المصنف هذا وإنما أراد كذا أو كذا وإذا كان حال الكتب الحادثة التي كتب عن علم قاصر هكذا فما ظنك بالكتاب العظيم الذي
فيه كل حكمة كيف يجوز أن يدعي كل جاهل أن علمت كل سر في هذا الكتاب ولو ادعى عالم أن علمت كل سر وكل فائدة يشتمل عليها الكتاب
العالي يستقبح منه ذلك فكيف من يدعي علم كل ما في كتاب الله وليس لها بل أن يقول بأن الله كلما أنزله لأن تأخير البيان إلى وقت الحاجة
جائز ولعل في القرآن ما لا يحتاج إليه أحد غيره فتبين أنه لا يقع وإذا ثبت هذا علم أن في القرآن ما لا يعلم وهذا أقرب إلى ذلك
الذي لا يعلم المتشابه لبالغ الذي فيه **قوله تعالى** ليس لكم من دونه من ولي ولا شفيع أفلا تتذكرون لما ذكر الله خالق السموات
والأرض قال بعضهم نحن معترفون بأن خالق السموات والأرض واحد هو الله السموات والأرض وقال بعضهم وهذه الأصنام صور
كواكب تنصرنا وتقوينا وقال آخرون هذه صورة ملائكة شفعاء لنا عند الله فقال تعالى لا إله إلا الله ولا نصر من غير الله
ولا شفاعة إلا بإذن الله لعبادتكم لهذه الأصنام باطلة ضائعة ثم قال أفلا تتذكرون ما تعلمون من أنه خالق السموات والأرض
وخالق هذه الأجسام العظام لا تقيسوا على مثل هذه الأصنام حتى ينصروكم وتكون لنا شفاعة **قوله تعالى** يدبر الأمر من السماء
إلى الأرض لما بين الخلق بين الأمر كما قال تعالى ألا له الخلق والأمر يحكم الأمر وينزل القضاء والقدر من السماء إلى الأرض وقيل ينزل
الوحي مع جبريل عليه السلام **قوله تعالى** ثم يعرج إليه العامة على بنائه للفاعل وابن أبي عبلة على بنائه للمفعول والأصل يعرج به
ثم حذف الجار فارتفع الضمير واستتر وهو شاذ يصلح التوجيه مثلها والمعنى أن أمره ينزل من السماء على عباده ويعرج إليه أعمالهم
الصالحة فالصادرة على موافقة ذلك الأمر **قوله تعالى** في يوم كان مقداره ألف سنة أي في يوم واحد يعني نزول الأمر وعروج
العمل في مسافة ألف سنة مما تعدون وهو ما بين السماء والأرض فإن مسافته خمسمائة سنة تقول لو سار أحد من بني آدم لم يقطعه
إلا في ألف سنة والملائكة يقطعون في يوم واحد هذا في وصف عروج الملك من الأرض إلى السماء وأما قوله تعرج الملائكة والروح
إليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة أراد مدة المسافة إلى الأرض إلى سدرة المنتهى التي هي مقام جبريل عليه السلام يسير جبريل
والملائكة الذين معه من أهل مقامه مسيرة خمسين ألف سنة في يوم واحد من أيام الدنيا **فصل** قال مجاهد والضحاك
وقيل إن ذلك إشارة إلى امتداد نفاذ الأمر بذلك وذلك لأن من نفذ أمره غاية النفاذ في يوم أو يومين وانقطع لا يكون مثل
من ينفذ أمره في سنين متطاولة فقوله في يوم كان مقداره ألف سنة يعني يدبر الأمر في زمان يوم ألف سنة فكيف يكون
كم شهراً منه وكم يكون سنة منه وكم يكون دهراً منه وعلى هذا فلا فرق بين هذا وبين قوله خمسين ألف سنة لأن ذلك إنما
كان إشارة إلى دوام الأمر فسواء يعبر بألف سنة أو بخمسين ألف سنة لأن ذلك لا يتفاوت إلا أن المبالغة بالخمسين أكثر وسيأتي
بيان فائدتها في موضعها إن شاء الله تعالى وقيل ألف سنة وخمسون ألف سنة كلها في القيامة يكون على بعضهم أطول وعلى بعضهم
أكثر منه وأقصر منه يدبر الأمر من السماء إلى الأرض هذه الدنيا ثم يرجع يعرج أي يرجع الأمر إليه فإنه يبين إليه بعد فناء الدنيا

والانقطاع

وانقطاع أمر الأمراء وحكم الحكام في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة وهو يوم القيامة فأما خمسين ألف سنة فإنه أراد
على الكافر يجعل الله ذلك اليوم عليهم مقدار خمسين ألف سنة وعلى المؤمن دون ذلك حتى جاء في الحديث أنه يكون على المؤمن قدر
صلاة مكتوبة صلاها في الدنيا وقال إبراهيم التيمي لا يكون ذلك على المؤمن إلا كما بين الظهر والعصر ويجوز أن يكون هذا إخباراً عن
شدته ومشقته وهوله وقال ابن أبي مليكة دخلت أنا وابن أبي فيروز على ابن عباس فسئل عن هذه الآية وعن قوله خمسين ألف سنة
فقال ابن عباس أيام سماها الله لا أدري فأكره أن أقول في كتاب الله ما لا أعلم **قوله تعالى** مما تعدون العامة على الخطاب
والسلمي والحسن وابن وثاب والأعمش بالغيبة وهذا الجار صفة لألف أو لسنة **قوله تعالى** ذلك عالم العامة على رفع عالم والعزيز
والرحيم مبتدأ وصفته والذي أحسن خبره أو العزيز خبر مبتدأ مضمر وقرأ زيد بن علي بجر الثلاثة وتخريجها على إشكالها أن يكون
ذلك إشارة إلى الأمر المدبر فقد يكون ويكون فاعلاً ليعرج والأوصاف الثلاثة بدل من الضمير في إليه كأنه قيل ثم يعرج الأمر
المدبر إليه ويكون فاعلاً ليعرج كأنه قيل ثم يعرج الأمر المدبر إليه عالم الغيب أي عالم الغيب وأبو زيد برفع عالم وخفض العزيز
الرحيم على أن يكون ذلك عالم مبتدأ وخبر والعزيز الرحيم بدلان من الهاء في إليه أيضاً وتكون الجملة بينهما اعتراضاً **قوله تعالى**
الذي أحسن يجوز أن يكون تابعاً لما قبله في قراءتي الخفض والرفع وأن يكون خبر مبتدأ آخر وأن يكون خبر مبتدأ مضمر وأن يكون
منصوباً على المدح **قوله تعالى** خلقه قرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر بسكون اللام والباقون بفتحها فأما الأولى ففيها أوجه
أحدها أن يكون خلقه بدلاً من كل شيء بدل اشتمال من كل شيء والضمير عائد على كل شيء وهذا هو المشهور الثاني أنه بدل كل من كل
والضمير على هذا عائد على الباري تعالى ومعنى أحسن حسن لأن ما من شيء خلقه إلا وهو مرتب على ما تقتضيه الحكمة فالمخلوقات
كلها حسنة الثالث أن يكون كل شيء مفعولاً أول وخلقه مفعولاً ثانياً على أن يضمن أحسن معنى ألهم قال مجاهد أعطى كل جنس شكله
والمعنى خلق كل شيء على شكله الذي خصه به الرابع أن يكون كل شيء مفعولاً ثانياً قدم وخلقه مفعولاً أول أخر على أن يضمن أحسن
معنى ألهم وعرف **فصل** قال الفراء ألهم كل شيء خلقه فيما يحتاجون إليه فيكون أعلمهم ذلك الله تعالى ويكون
أو يجعل الخلق بمعنى المخلوق أي عرف مخلوقاته كل شيء يحتاجون إليه فيؤول المعنى إلى معنى قوله تعالى أعطى كل شيء خلقه ثم
هدى الخامس أن يعود على الله تعالى وأن يكون خلقه مصدراً منصوباً مؤكداً لمضمون الجملة كقوله صنع الله وهو مذهب
سيبويه أي خلقه خلقاً ورجح على بدل الاشتمال بأن فيه إضافة المصدر إلى فاعله وهو أكثر من إضافته إلى المفعول ولأنه
أبلغ من الإضافة لأنه إذا قال أحسن كل شيء كان أبلغ من خلق أحسن كل شيء لأنه قد يحسن الخلق وهو المجالة ولا يكون الشيء في نفسه
أبلغ حسناً وإذا قال أحسن كل شيء خلقه اقتضى أن كل خلقه حسن بمعنى أنه وضع كل شيء في موضعه وأما القراءة الثانية فخلق فيها
فعل ماض والجملة صفة للمضاف أو المضاف إليه فتكون منصوبة المحل أو مجرورته **قوله تعالى** وبدأ العامة على الهمز وقرأ الزهري
بدا بالألف خالصة وهو خارج عن قياس تخفيفها إذ قياسه بين بين على أن الأخفش حكى قريت وجوز أبو حيان أن يكون من لغة الأنصار
يقولون في بدأت بديت يكسرون الدال وبعدها ياء كقول عبد الله بن رواحة الأنصاري • باسم الإله وبه بدينا • ولو عبدنا غيره شقينا •
قال وطيء تقول في بقي بقا ويحتمل أن تكون قراءة الزهري على هذه اللغة أصله بدي ثم صار بدا قال شهاب الدين فتكون القراءة مركبة
من لغتين **قوله تعالى** ذلك عالم الغيب والشهادة يعني ذلك الذي صنع ما ذكر من خلق السموات والأرض عالم ما غاب عن الخلق
وما حضر العزيز الرحيم لما بين أنه عالم ذكر أنه عزيز قادر على الانتقام من الكفرة رحيم واسع الرحمة على البررة الذي أحسن كل شيء خلقه
أي أحسن خلق كل شيء قال ابن عباس أتقنه وأحكمه وقال مقاتل علم كيف يخلق كل شيء من قولك فلان يحسن كذا إذا كان يعلمه وقيل
خلق كل حيوان لم يخلق البعض على صورة وعلى صورة البعض وكل حيوان كامل في خلقته حسن وكل عضو من أعضائه مقدر بما يصلح
معاشه واعلم أنه تعالى لما ذكر الدليل على الوحدانية من الآفاق بقوله خلق السموات والأرض وما بينهما أتبعه بذكر الدليل الدال عليها
من الأنفس فقال الذي أحسن كل شيء خلقه وبدأ خلق الإنسان من طين يعني آدم ويمكن أن يقال الطين ماء وتراب مجتمعان وآدم أصله مني
والمني أصله غذاء والأغذية إما حيوانية وإما نباتية والحيوانية ترجع إلى نباتية والنبات وجوده بالماء والتراب وهو الطين ثم
جعل نسله أي من سلالة أي جعل ذريته من نطفة سميت سلالة لأنها تسل من الإنسان هذا على التفسير الأول لأن آدم كان من طين
ونسله من سلالة من ماء مهين وهو النطفة أو على التفسير الثاني هو أن أصله من طين ثم يوجد من ذلك الأصل سلالة هي من ماء
مهين أي ضعيف وهي نطفة الرجل ثم سواه سوى خلقه ونفخ فيه من روحه يعني آدم ثم عاد إلى ذريته فقال وجعل لكم السمع
والأبصار أي جعل لكم بعد أن كنتم نطفاً السمع والأبصار والأفئدة قليلاً ما تشكرون يعني لا تشكرون رب هذه النعم فتوحدونه
فقوله وجعل لكم هذه الالتفات من ضمير غائب مفرد في قوله نسله إلى الخطاب جماعة وفي هذا الخطاب لطيفة وهي أن الخطاب
يكون مع الحي فلما قال ونفخ فيه من روحه خاطبه من بعده وقال وجعل لكم فإن قيل الخطاب واقع قبل ذلك كما في قوله تعالى
ومن آياته أن خلقكم من تراب فالجواب هناك لم يذكر الأمور المترتبة وهي كون الإنسان طيناً ثم ماء مهيناً ثم خلقاً مصنفاً

بانواع القوى مخالطة في بعض المراتب دون بعض فان قيل لما الحكمة في ذكر المصدر في السمع وفي البصر وفي الفؤاد ولهذا
جمع الابصار والافئدة ولم يجمع السمع لان المصدر لا يجمع فالجواب ان السمع قوة واحدة ولها محل واحد هو الاذن ولا اختيار
لها فيه فان الصوت من كل جانب من اي جانب كان يصل اليه ولا قدرة للاذن على تخصيص السمع بادراك البعض دون البعض واما
الابصار فمحله العين ولها فيه اختيار فانها تتحرك الى جانب المرئي دون غيره وكذلك الفؤاد محل الادراك وله نوع
اختيار يلتفت الى ما يريد دون غيره واذا كان كذلك فلم يكن للمحل في السمع تأثير والقوة مستبدة فذكر القوة في العين والفؤاد
سمع زيد دار عمرو ولا يقال سمع اذن زيد ولا رأى عين عمرو الا نادرا لان المختار هو الاصل وغيره آلة فالاصل هو السمع والسمع
اصل دون محله لعدم الاختيار له والعين كالاصل وقوة الابصار آلتها والفؤاد كذلك وقوة الفهم آلتها فذكر في السمع المصدر
الذي هو القوة وفي الابصار والافئدة الاسم الذي هو محل القوة ولان السمع قوة واحدة لها محل واحد ولهذا لا يسمع الانسان في زمان
واحد كلامين على وجه يضبطهما ويرى في زمان واحد صورتين فاكثر ويتبينهما قوله تعالى أئذا ضللنا في الارض بعدم خلاف
القراء في الاستفهامين والواو للعطف على ما سبق منهم فانهم قالوا محمد ليس برسول الله ليس بواحد وقالوا الحشر ليس بممكن والعامل
في اذا محذوف نبعث او نخرج لدلالة خلق جديد عليه ولا يعمل فيه خلق جديد لان ما بعد ان والاستفهام لا يعمل فيما قبلها
وجواب اذا محذوف ان جعلتها شرطية وقرأ العامة ضللنا بضاد معجمة ولام مفتوحة بمعنى ذهبنا وضعنا من قولهم ضل اللبن
في الماء قال النابغة • فآب مضلوه بعين جلية • وغودر بالجولان حزم ونائل • والمضارع من هذا يضل بكسر العين
وهو كثير وقرأ يحيى بن يعمر وابن محيصن وابو رجاء بكسر اللام وهي لغة العالية والمضارع من هذا يضل بالفتح وقرأ علي وابو حيوة
ضُلّلنا بضم الضاد وكسر اللام المشددة من ضلّله بالتشديد وقرأ علي ايضا وابن عباس والحسن وابان بن سعيد صللنا بصاد
مهملة ولام مفتوحة وعن الحسن ايضا بكسر اللام وهما لغتان يقال صل اللحم يصل ويصل بفتح الصاد وكسرها بمجيء الماضي مفتوح
العين ومكسورها ومعنى انتن وتغيرت رائحته ويقال اصل بالف قال الشاعر • تلجلج مضغة فيها انيض اصلت
فهي تحت الكشح داء • وقال النحاس لا تعرف في اللغة صللنا ولكن يقال صل اللحم واصل وخم واخم وقد عرفها ابو جعفر فان قيل
قال في تكذيبهم بالرسالة بلفظ المستقبل وقال في تكذيبهم في الحشر وقالوا بلفظ الماضي لان تكذيبهم بالرسالة لم يكن قبل وجوده
وانما كان حال وجوده فقال يقولون هو فيه واما انكار الحشر فكان سابقا صادرا منهم ومن آبائهم فقال وقالوا وصرح بقولهم
في الرسالة فقال ام يقولون وفي الحشر فقال ائذا ضللنا ولم يصرح بقولهم في الوحدانية لانهم كانوا مصرين في جميع الاحوال على انكار
الحشر والرسالة واما الوحدانية فيعترفون بها في بعض الاحوال في قوله ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله فلم يقل قالوا
ان الله ليس بواحد وان كانوا قالوه في الظاهر فان قيل انه ذكر الرسالة من قبل وذكر دليلها وهو خلق السموات والارض وخلق
الانسان من طين ولما ذكر انكارهم الحشر لم يذكر الدليل فالجواب انه ذكر دليله ايضا وهو ان خلقه الانسان ابتداء دليل على قدرته
على الاعادة ولهذا استدل تعالى على امكان الحشر بالخلق الاول كما قال وهو اهون عليه وقوله قل يحييها الذي انشأها اول مرة
وايضا خلق السموات والارض قال اوليس الذي خلق السموات والارض بقادر على ان يخلق مثلهم قوله تعالى أئنا لفي خلق جديد
استفهام اي انا كائنون في خلق جديد او واقعون فيه بل هم بلقاء ربهم كافرون اضراب عن الاول يعني ليس انكارهم لمجرد الخلق
ثانيا بل يكفرون بجميع احوال الآخرة حتى لو صدقوا بالخلق الثاني لما اعترفوا بالعذاب والثواب او يكون المعنى لم ينكروا البعث
بنفسه بل يكفرهم بلقاء الله فانهم كرهوا فانكروا المفضي اليه ثم بين لهم ما يكون من الثواب من الموت ومن العذاب فقال قل
يتوفاكم يقبض ارواحكم ملك الموت الذي وكل بكم اي وكل بقبض ارواحكم وهو عزرائيل والتوفي استيفاء العدد معناه انه
يقبض ارواحهم حتى لا يبقى احد من العدد الذي كتب عليه الموت فصل روي ان ملك الموت جعلت له الدنيا
مثل راحة اليد يأخذ منها صاحبها ما احب من غير مشقة فهو يقبض نفس الخلق من مشارق الارض الى مغاربها وله اعوان من ملائكة
الرحمة وله اعوان من ملائكة العذاب وقال ابن عباس خطوة ملك الموت ما بين المشرق والمغرب وقال مجاهد جعلت له الارض مثل
طست يتناول منها حيث يشاء قوله تعالى ثم الى ربكم ترجعون اي تصيرون اليه احياء فيجزيكم باعمالكم ببنائه للمفعول وزيد
بن علي ببنائه للفاعل قوله تعالى ولو ترى في لو هذه وجهان احدهما انها لما كان سيقع لوقوع غيره وعرفها الزمخشري
بامتناع الامتناع وناقشه ابو حيان في ذلك وقد تقدم تحقيقه في اول البقرة وعلى هذا جوابها محذوف اي لرأيت امرا فظيعا
والثاني انها للتمني قال الزمخشري كانه قيل وليتك ترى وفيها اذا كانت للتمني خلاف هل يقتضي جوابا ام لا فظاهر تقدير
كلام الزمخشري هذا انه لا جواب لها قال ابو حيان والصحيح ان لها جوابا وانشد

فلو نبش المقابر عن كليب • فيخبر بالذنائب اي زير •
بيوم الشعثمين لقر عينا • وكيف لقاء من تحت القبور •

قال الزمخشري

قال الزمخشري ولو جاء في معنى التمني كقولك لو تأتيني فتحدثني كما تقول ليتك تأتيني فتحدثني قال ابن مالك ان اراد به الحذف
اي وددت لو تحدثني فصحيح وان اراد انها موضوعة له فليس بصحيح اذ لو كانت موضوعة له لم يجمع بينها وبينه كما لم يجمع بين ليت
والتمني ولا لعل والترجي ولا الا والتمني ويجوز ان يجمع بين لو واتمنى تقول تمنيت لو فعلت كذا والخاطب يحتمل ان يكون النبي
صلى الله عليه وسلم تشفيا لصدره فانهم كانوا يؤذونه بالتكذيب ويحتمل ان يكون عاما واذ على بابها من المضي لان من
لم يصدق المضارع للمعنى وانما جيء هنا ماضيا لتحقق وقوعه نحو اتى امر الله وجعله ابو البقاء مما وقع فيه اذ موقع اذا
ولا حاجة اليه والمجرمون المراد بالمجرمين المشركين قوله تعالى ناكسوا رؤوسهم العامة على انه اسم فاعل مضاف لمعموله تخفيفا وزيد
بن علي نكسوا فعلا ماضيا رؤوسهم مفعوله والمعنى مطأطئوا رؤوسهم قوله تعالى ربنا على اضمار القول اكثر قوله تعالى ابصرنا
وسمعنا يجوز ان يكون المفعول مقدرا اي ابصرنا ما كنا نكذب وسمعنا ما كنا ننكر ويجوز ان لا يقدر اي صرنا بصراء سميعين
فارجعنا نعمل صالحا يجوز ان يكون صالحا مفعولا به وان يكون نعت مصدر وقولهم انا موقنون اي انا موقنون آمنا في الحال
ويحتمل ان يكون المراد منه انهم ينكرون الشرك كقولهم والله ربنا ما كنا مشركين قوله تعالى ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها
رشدها وتوفيقها للايمان وهذا جواب ربنا ابصرنا وسمعنا وذلك ان الله تعالى قال ان لو رجعتم الى الايمان لهديتكم في الدنيا
ولما لكم اصدكم شيئان اني ما اردت وما شئت ايمانكم فما ارد كم وهذا اصرح في المعنى الى الدلالة على صحة مذهب اهل السنة حيث قالوا
ان الله تعالى ما اراد الايمان من الكافر وما شاء منه الا الكفر قوله تعالى ولكن حق القول مني وجب القول مني وهذا قوله تعالى
لاملأن جهنم منك وممن تبعك منهم اجمعين فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هذا ان تركتم الايمان في الدنيا قوله تعالى لقاء يومكم
ونسيتم مطلبه هذا ويجوز فيه اوجه الاول انه من التنازع وذوقوا عذاب لقاء يومكم هذا ويكون من اعمال الثاني عند البصريين
ومن اعمال الاول عند الكوفيين والاول اصح للحذف من الاول اذ لو اعمل الاول لاضمر في الثاني ان ذوقوا المحذوف اي ذوقوا العذاب
بسبب نسيانكم لقاء يومكم هذا قيل هذا يكون صفة ليومكم الثاني ان يكون مفعول هذا والاشارة للعذاب والباء سببية ايضا
فذوقوا هذا العذاب بسبب نسيانكم لقاء يومكم هذا يحتمل ثلاثة اوجه ان تكون اشارة الى اللقاء وان تكون اشارة الى العذاب ثم قال
انا نسيناكم تركناكم غير ملتفتين اليكم وذوقوا عذاب الخلد بما كنتم تعملون من الكفر والتكذيب قوله تعالى انما يؤمن بآياتنا الذين
اذا ذكروا بها وعظوا بها خروا سجدا سقطوا على وجوههم ساجدين وسبحوا بامر ربهم قيل سبحوا بامر ربهم وقيل قالوا سبحان الله وبحمده
وهم لا يستكبرون عن الايمان به والسجود له قوله تعالى تتجافى جنوبهم عن المضاجع يجوز تتجافى ان يكون مستأنفا وان يكون
حالا من الضمير في جنوبهم ولذلك يدعون واذ جعل يدعون حالا احتمل ان يكون حالة ثانية وان يكون حالا من الضمير في جنوبهم
لانه المضاف منه والتجافي عبر به عن ترك النوم قال ابن رواحة يبيت يجافي جنبه عن فراشه اذا استثقلت بالمشركين المضاجع والمعنى
ترتفع جنوبهم عن المضاجع جمع المضجع وهو الموضع الذي يضطجع عليه يعني الفراش وهذا للمتهجدين بالليل الذين يقيمون الصلاة
قال انس نزل فينا معاشر الانصار كنا نصلي المغرب فلا نرجع الى رحالنا حتى نصلي العشاء مع النبي صلى الله عليه وسلم كانوا يصلون من
صلاة المغرب الى صلاة العشاء وهو قول ابي حازم ومحمد بن المنكدر وقال هي صلاة الاوابين وهو المروي عن ابن عباس وقال عطاء هم الذين
لا ينامون حتى يصلوا العشاء الآخرة والفجر في جماعة قال عليه السلام من صلى العشاء في جماعة كان كقيام نصف ليلة والمشهور ان المراد منه
صلاة الليل وهو قول الحسن ومجاهد ومالك والاوزاعي وجماعة لقوله عليه السلام افضل الصيام بعد شهر رمضان شهر الله المحرم
وافضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل وقال عليه السلام ان في الجنة غرفا يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها
اعدها الله لمن الان الكلام واطعم الطعام وتابع الصيام وصلى بالليل والناس نيام قوله تعالى خوفا وطمعا اما مفعول من
اجله واما حالان والمصدر ان العامل مقدر وقال ابن عباس خوفا من النار وطمعا في الجنة ومما رزقناهم ينفقون قيل اراد به الصدقة
المفروضة وقيل عام الواجب والتطوع قوله تعالى فلا تعلم نفس ما اخفي لهم قرأ حمزة اخفي فعلا مضارعا مسندا لضمير المتكلم
فلذلك سكنت ياؤه مرفوعا ويؤيدها قراءة ابن مسعود ما نخفي بنون العظمة والباقون ما اخفي ماضيا مبنيا للمفعول ثم فتحت ياؤه
وقرأ محمد بن كعب اخفى ماضيا مبنيا للفاعل ويؤيدها قراءة الاعمش ما اخفيت مسندا للمتكلم وما يجوز ان تكون موصولة اي لا يعلم الذي
اخفاه الله وفي الحديث ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وان تكون استفهامية معلقة لتعلم فان كانت متعدية
لاثنين سدت مسدهما وان كانت لواحد سدت مسده قوله تعالى من قرة اعين قرأ عبد الله وابو الدرداء وابو هريرة من قرات
اعين جمعا بالالف والتاء جزاء مفعولا له او مصدر مؤكد لمعنى الجملة قبله وان كانت ما استفهامية فعلى قراءة من نقل بعدها فعلا
ماضيا يكون في محل رفع بالابتداء والفعل بعدها الخبر وعلى قراءة من قرأ مضارعا يكون مقدما ومن قرأ حالا من ما والمعنى ما يقر الله
اعينهم جزاء بما كانوا يعملون قال ابن عباس هذا مما لا تفسير له قال ابن عباس قال بعضهم اخفوا اعمالهم فاخفى الله ثوابهم قوله تعالى
افمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا قيل نزلت في علي بن ابي طالب والوليد بن عقبة بن ابي معيط اخي عثمان لامه وذلك انه كان بينهما تنازع

فقال الوليد بن عقبة لعلي اسكت فانك صبي وانا والله ابسط منك لسانا واحد سنانا واملأ منك حشوا في الكتيبة فقال علي
اسكت فانك فاسق فانزل الله هذه الاية افمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا **قوله تعالى** لا يستوون ولم يقل لا يستويان لانه
لم يرد مؤمنا واحدا ولا فاسقا واحدا بل اراد جميع المؤمنين وجميع الفاسقين وقوله لا يستوون مستانف روي ان النبي
صلى الله عليه وسلم كان يتعمد الوقف على قوله فاسقا ثم يبتدي لا يستوون **قوله تعالى** اما الذين امنوا وعملوا الصالحات
لما ان ذكر الله ان الفاسق والمؤمن لا يستويان بطريق الاجمال وعدم استوائهما على سبيل التفصيل فقال اما الذين امنوا وعملوا الصالحات
فلهم جنات الماوى قرا طلحة جنة الماوى بالافراد والباقون بالجمع اي التي ياوي اليها المؤمنون وقرا ابو حيوة بالضم والسكون وتقدم
تحقيقه اخر ال عمران واما الذين فسقوا وعملوا السيئات لان المراد من فسقوا كفروا ولو جعل العقاب في مقابلة الكفر والعمل لظن
ان مجرد الكفر لا عقاب عليه **قوله تعالى** الذي كنتم به صفة العذاب وجوز ابو البقا ان يكون صفة النار قال وذكر على معنى الجحيم
والحريق **قوله تعالى** ولنذيقنهم من العذاب الادنى دون العذاب الاكبر قال ابي بن كعب والضحاك والحسن وابرهيم العذاب
الادنى مصائب الدنيا واسقامها وهي رواية عن ابن عباس فقال عكرمة عنه الحدود وقال مقاتل الجوع سبع سنين بمكة حتى
اكلوا الجيف والعظام والكلاب وقال ابن مسعود القتل بالسيف يوم بدر وهو قول قتادة والسدي واما العذاب الاكبر فهو عذاب
الاخرة فان عذاب الدنيا لا نسبة له الى عذاب الاخرة فان قيل ما الحكمة في مقابلة الادنى بالاكبر والادنى انما هو في مقابلة
الاقصى والاكبر انما هو في مقابلة الاصغر فالجواب انه حصل في عذاب الدنيا امران احدهما انه قريب والاخر صغير قليل وحصل له
في عذاب الاخرة ايضا امران الاول انه مستعد والاخر انه كبير لكن الغرض في عذاب الدنيا هو انه الذي يصلح للتخويف به فان العذاب
العاجل فان كان قليلا فلا يحترز منه بعض الناس اكثر مما يحترز عن العذاب الشديد اذا كان اجلا وكذلك الثواب العاجل قد يرغب
فيه بعض الناس ويستبعد الثواب العظيم الاجل واما في عذاب الاخرة فالذي يصلح للتخويف به هو العظيم والكبير البعيد لما بينا فقال
في عذاب الدنيا العذاب الادنى ليحترزوا عنه لكونه عاجلا وقال في عذاب الاخرة الاكبر كذلك المكان ولو قال من العذاب الابعد الاقصى البعيد
للتخويف به مثل ما يحصل بوصفه بالكبر **قوله تعالى** لعلهم يرجعون الى الايمان يعني من بقي منهم بعد بدر فان قيل ما الحكمة في هذا
الترجي وهو على الله تعالى محال فالجواب فيه وجهان احدهما معناه لنذيقنهم اذاقة الراجين كقوله انا نسيناكم اي تركناكم كما يترك الناسي
حيث لا يبدي اصلا كذلك ها هنا والثاني نذيقهم العذاب اذاقة يقول القائل لعلهم يرجعون بسببه **قوله تعالى** ومن اظلم ممن ذكر
بايات ربه من النعم والنقم ثم اعرض عنها فلم يؤمنوا فلا اظلم منهم احدا **قوله تعالى** ثم اعرض عنها لبعد ما بين الوقتين معنى وشبهها
الزمخشري بقوله • ولا يكشف الغماء الا ابن حرة • يرى غمرات الموت ثم يزورها • قال استبعد غمرات الموت بعد ان راها وعرفها
واطلع على شدتها **قوله تعالى** انا من المجرمين يعني المشركين منتقمون **قوله تعالى** ولقد اتينا موسى الكتاب لما قرر
الاصول الثلاثة عاد الى الاصل الذي بدا به وهو الرسالة المذكورة في قوله لتنذر قوما ما اتاهم من نذير وذكر موسى
لقرب النبي صلى الله عليه وسلم ووجود من كان على دينه الزاما لهم وانما لم يختر عيسى عليه السلام للذكر والاستدلال لان اليهود ما
كانوا يتفقون على نبوته واما النصارى فكانوا يعترفون بنبوة موسى عليه السلام فتمسك بالمجمع عليه **قوله تعالى** فلا تكن
في مرية قرا الحسن بالضم وهي لغة وقوله من لقائه فيه اقوال الاول انها عائد على موسى والمصدر مضاف لمفعوله اي من لقائك
موسى ليلة الاسرى قاله المبرد وقال الزجاج في هذه المسالة فاجاب بما ذكر قال ابن عباس المعنى فلا تكن في شك من لقاء موسى فانك
تراه وتلقاه روي عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال رايت ليلة اسري بي موسى رجلا ادم طوالا جعدا كانه من رجال شنوءة
ورايت عيسى رجلا مربوعا الى الحمرة والبياض سبط الراس ورايت مالكا خازن النار والدجال في ايات اراهن الله الثاني انه الضمير
يعود على الكتاب وحينئذ يجوز ان تكون الاضافة الى الفاعل اي من لقاء الكتاب لموسى والمفعول اي من لقاء موسى الكتاب لان
اللقاء يصح ان يكون مسندا الى كل منهما لان من لقيك فقد لقيته قال السدي المعنى فلا تكن في مرية اي يلقى موسى من كتاب الله بالرضى
والقبول الثالث انه يعود على الكتاب على حذف مضاف اي من لقاء مثل كتاب موسى الرابع انه عائد على ملك الموت لتقدم
ذكره الخامس يعود على الرجوع المفهوم من قوله الى ربكم ترجعون اي انك في مرية من لقاء الرجوع السادس انه يعود على ما يفهم من
سياق الكلام فيما ابتلي به موسى من البلاء والامتحان قال الحسن اي لا بد ان تلقى ما لقي موسى من قومه فاخبار موسى عليه السلام
بحكم وهي احد من الانبياء لم يروه من قومه الا الذين لم يؤمنوا واما الذين امنوا به فلم ينج القوم غير قوم موسى عليه السلام فان
من لا امن به اراد كفر فرعون وغيره ومن امن من بني اسرائيل ايضا اذاه بالمخالفة وطلب اشيا مثل رؤية الله جهرة كقولهم اذهب
انت وربك فقاتلا واظهر هذه الاقوال ان الضمير انه لموسى واما الكتاب ثم بين له غير هذا ثم امته يهتدون كذلك جعل كتابك هدى
وجعل من امتك اصحاب يهتدون كما قال النبي صلى الله عليه وسلم اصحابي كالنجوم الحديث ثم بين ذلك ان ذلك تحصل بالصبر
فقال بما صبروا وكانوا باياتنا يوقنون **قوله تعالى** لما صبروا قرا الاخوان بكسر اللام وتخفيف الميم على انها لام الجر والمصدرية

واللام متعلق بالجعل اي جعلناهم كذلك لصبرهم ولبقائهم والباقون بفتحها وتشديد الميم تقتضي جوابا وتقدم فيها قول
سيبويه والفارسي والمعنى صبروا على دينهم وعلى البلاء من عدوهم بمصر **قوله تعالى** ان ربك هو يفصل بينهم يوم القيمة فيما كانوا
فيه يختلفون هذا يصلح انه يكون جوابا لسؤال وهو انه يقال وجعلنا منهم ائمة يهدون فكان القائل يقول كانوا يهتدون وهم
اختلفوا وصاروا فرقا والحق واحد فقال الله يبين المبتدع من المتبع كما يبين المؤمن من الكافر يوم القيمة **قوله تعالى** اولم يهد لهم
بين لهم كم اهلكنا من قبلهم من القرون وقوله يمشون في مساكنهم اي في مساكن المهلكين دالة على حالاتهم وانتم تمشون فيها وتمرون
ان في ذلك لايات لقوم افلا يسمعون ايات الله وعظاته واعتبر السمع لانهم ما كان لهم قوة الادراك والاستنباط بعقولهم افلا
يسمعون ليس لكم درجة المتعلم الذي يسمع الشيء ويفهمه **قوله تعالى** اولم يروا انا نسوق الماء الى الارض الجرز وهي الارض اليابسة
الغليظة التي لا نبات بها قال ابن عباس هي ارض باليمن وقال مجاهد هي ارض ابين والجرز هو القطع وكانها المقطوع عنها الماء
والنبات لما بين الاهلاك وهو الاماتة بين الاحياء ليكون اشارة الى الضر والنفع بيد الله ثم قال فنخرج به زرعا تاكل منه انعامهم
من العشب والتبن وانفسهم من الحبوب والاقوات وقدم الانعام على الانفس في الاكل لوجوه اولها ان الزرع اول ما ينبت يصلح للدواب
ولا يصلح للانسان الثاني ان الزرع غذا الدواب لا بد منه واما غذا الانسان فقد يصلح للحيوان فكان الحيوان ياكل الزرع ثم الانسان ياكل
من الحيوان **قوله تعالى** افلا يبصرون قرا العامة بالغيبة لعوده بالخطاب لنقان وقال يبصرون لان الامر يرى بخلاف حال
الماضي كانها كانت مسموعة ثم لما بين الرسالة قرر التوحيد بين الحشر فقال ويقولون متى هذا الفتح ان كنتم صادقين قيل اراد بيوم الفتح
يوم القيمة الذي فيه الحكم قال قتادة قال اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم للكفار ان لنا يوما نتنعم فيه ونستريح ويحكم الله بيننا
وبينكم فقالوا متى هذا الفتح اي القضاء والحكم وقال الكلبي كانوا يقولون لهم ان الله ناصرنا ومظهرنا عليكم فيقولون متى هذا
الفتح **قوله تعالى** قل يوم الفتح منصوب بينفع ولا غيره مانع من ذلك وقد تقدم فيها مذاهب والمعنى يوم الفتح يوم القيمة
لا ينفع الذين كفروا اذا جاءهم العذاب قبولهم ولا هم ينظرون اي لا يمهلون بالاعادة الى الدنيا ليؤمنوا ثم بين ان التدليل لا
تنفعهم فقال فاعرض قال ابن عباس نسختها اية القتال وانتظر انهم منتظرون **قوله تعالى** منتظرون العامة على كسر الظاء
من ينتظرون اسم فاعل والمفعول من انتظر ومن مبتدا محذوف اي ينتظر ما حل بهم وهم منتظرون اسم مفعول قيل المعنى انتظر
موعدي لك بالنصر انهم منتظرون بك حوادث الزمان وقيل انتظر عذابنا فيهم انهم منتظرون ذلك **فصل** روى
ابو هريرة رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرا في فجر يوم الجمعة الم تنزيل وهل اتى على الانسان وعن جابر
قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينام حتى يقرا تبارك والم تنزيل ويقول هما تفضلان على كل سورة بسبعين حسنة كل من قراها
كتب له سبعون حسنة ومحي عنه سبعون سيئة ورفع له سبعون درجة وروى الثعلبي عن ابن عباس عن ابي بن كعب ان النبي صلى الله
عليه وسلم قال من قرا سورة الم تنزيل اعطي من الاجر كمن احيا ليلة القدر والله تعالى اعلم

سورة الاحزاب مكية

وهي ثلاث وسبعون اية والف ومائتان وثمانون كلمة وخمسة الاف وسبعمائة وسبعون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم
قوله تعالى يا ايها النبي اتق الله الفرق بين المنادى بقوله يا رجل وقوله يا ايها الرجل يدل على ذلك ويبنى من خطب خطب المنادى
له او غفلة المنادى فقوله يا ايها النبي لا يجوز حمله على غفلة النبي صلى الله عليه وسلم لان قوله النبي ياب الغفلة لان النبي صلى الله عليه
وسلم خبير فلا يكون غافلا فيجب حمله على خطب الامر وخطر الخطب فان قيل الامر بالنبي لا يكون عند عدم اشتغال المامور
اذ لا يصلح ان يقال للجالس اجلس وللساكن اسكن والنبي صلى الله عليه وسلم كان متقيا فما الوجه في قوله اتق الله فالجواب
انه امر بالمداومة فانه يصح ان يقال للجالس اجلس ها هنا الى ان اتيك ويقال للساكن اسكن كما انت قد سكن سلم اي دم على ما انت
عليه وايضا من جهة العقل ان الملك يقع منه عبادة على ثلاثة اوجه بعضهم يخاف من عقابه وبعضهم يخاف من قطع ثوابه وثالث
يخاف من احتجابه فان النبي صلى الله عليه وسلم لم يؤمر بالتقوى بالاول ولا بالثاني واما الثالث فالمخلص لا يامنه ما دام في الدنيا فكيف
المامور بالبدنية على غفلة والادمي في الدنيا ان يتقي نعم الله والاخرى مقبل على ما لا بد منه وكان محمد الله ومن هنا اشار بقوله
قل انما انا بشر مثلكم يوحى الي يعني رفع الحجاب عن قضية الوحي ثم اعود اليكم كاني منكم فالامر بالتقوى يوجب استدامة الحضور
وقال المفسرون نزلت في ابي سفيان وعكرمة بن ابي جهل وابي الاعور عمرو بن ابي سفيان السلمي وذلك انهم قد توجهوا الى المدينة

ونزلوا على عبد الله بن أبي رأس المنافقين بعد قتال أحد وقد أعطاهم النبي صلى الله عليه وسلم الأمان على أن يكلموه فقام
عبد الله بن سعد بن أبي سرح وطعمة بن أبيرق فقالوا للنبي صلى الله عليه وسلم وعنده عمر بن الخطاب رضي الله عنه ارفض ذكر آلهتنا
اللات والعزى ومناة وقل إن لها شفاعة لمن عبدها وندعك وربك فشق على النبي صلى الله عليه وسلم قولهم فقال عمر يا رسول الله
ائذن لي في قتلهم فقال إني قد أعطيتهم الأمان فقال عمر اخرجوا في لعنة الله وغضبه وأمر النبي صلى الله عليه وسلم أن يخرجهم من المدينة
فأنزل الله يا أيها النبي اتق الله أي دم على التقوى كما يقول الرجل لغيره وهو قائم قم ها هنا أي اثبت قائما وقيل الخطاب مع النبي صلى الله عليه وسلم
والمراد الأمة وقال الضحاك معناه اتق الله ولا تنقض العهد الذي بينك وبينهم **قوله تعالى** ولا تطع الكافرين من أهل مكة
يعني أبا سفيان وعكرمة وأبا الأعور والمنافقين من المدينة عبد الله بن أبي وسعد إن الله كان عليما بخلقه قبل أن يخلقهم
حكيما فيما دبره لهم فإن **قيل** لم خص الكافرين والمنافقين بالذكر مع أن النبي صلى الله عليه وسلم كان ينبغي أن لا يطيع أحدا
غير الله **فالجواب** من وجهين أحدهما أن ذكر الغير لا حاجة إليه لأن غيرهما لا يطلب من النبي صلى الله عليه وسلم الاتباع ولا يتوقع
أن يصير النبي صلى الله عليه وسلم مطيعا له بل يقصد اتباعه ولا يكون عنده الاصطفاء الثاني أنه لما قال لا تطع الكافرين والمنافقين
منع طاعة الكل لأن كل من طلب من النبي صلى الله عليه وسلم طاعته فهو كافر أو منافق لأن من يأمر النبي صلى الله عليه وسلم بأمر إيجابا معتقدا
أنه لو لم يفعله يعاقبه يجب أن يكون كافرا **قوله تعالى** واتبع ما يوحى إليك من ربك وهذا يقرر ما ذكرناه ولأنه عليم حكيم
فاتباعه واجب **قوله تعالى** بما تعملون خبيرا وبعده تعليلا بما يعملون بصيرا قرأ أبو عمرو بياء الغيبة والباقون بتاء الخطاب
أما الغيبة فالأول فلقوله الكافرين والمنافقين وأما الخطاب فلقوله يا أيها النبي لأن المراد أمته أو خوطب بالجمع تعظيما كقوله
فإن شئت حرمت النساء سواكم **فصل** وجوز أبو حيان أن يكون التفاتا وأما في الثاني فلقوله إذ جاءتكم جنود ولما الخطاب
فلقوله يا أيها الذين آمنوا **قوله تعالى** وتوكل على الله أي ثق بالله يعني إن توهمت من أحد فتوكل على الله إنه كافيك وكفى بالله وكيلا
حافظا لك وقيل كفيلا برزقك **قوله تعالى** ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه نزلت في أبي معمر جميل بن معمر الفهري وكان رجلا
لبيبا حافظا لما يسمع فقالت قريش ما حفظ أبو معمر هذه الأشياء إلا وله قلبان وكان يقول فلما هزم الله المشركين يوم بدر
انهزم أبو معمر فيهم فلقيه أبو سفيان وإحدى نعليه بيده والأخرى في رجله فقال له يا أبا معمر ما حال الناس قال انهزموا قال فما بال إحدى
نعليك في يدك والأخرى في رجلك قال أبو معمر ما شعرت إلا أنهما في رجلي فعلموا حينئذ أنه لو كان له قلبان لما نسي نعله في يده
وقال الزهري ومقاتل هذا مثال ضربه الله للمظاهر من امرأته وللمتبني ولد غيره يقول فكما لا يكون لرجل قلبان كذلك لا تكون امرأة المظاهر
أمه حتى تكون له أمان ولا يكون ولد واحد من رجلين قال الزمخشري فإن قلت قوله وما جعل أزواجكم اللائي تظاهرون منهن أمهاتكم
أي ما جعل الله لرجل من قلبين فكما لم يجعل لولد أبوين قرأ الكوفيون وما جعل أزواجكم وابن عامر قرأ أيضا اللائي هنا وفي سورة الطلاق
بياء ساكنة بعد همزة مكسورة وهذا هو الأصل في هذه اللفظة لأنه جمع التي وأبو عمرو والبزي اللاي بياء ساكنة وصلا بعد الألف
محضة في أحد وجهيهما ولهما وجه آخر سيأتي ووجه هذه القراءة أنه حذف الياء بعد الهمزة تخفيفا ثم أبدل الهمزة ياء وسكنها
لصيرورتها ياء مكسورا ما قبلها كياء القاضي والقاري إلا أن هذا ليس بقياس وإنما قياس تخفيف الهمزة بين بين **فصل** قال أبو علي
لا يقدم على مثل هذا البدل إلا أن يسمع قال شهاب الدين أبو عمرو وأبو العلاء كلاهما لغة قريش التي أمر الناس أن يقرؤوا بها وقال بعضهم لم
يبدلوا وإنما كتبوا فعبر عنهم القراء بالإبدال وليس بشيء وقال أبو علي وغيره إظهار أبي عمرو اللاي يئسن يدل على أنه سهل ولم يبدل هذا
ضبطا لأن البدل عارض فكذلك لم يدغم وقرأها أيضا ورش بهمزة مسهلة بين بين وهذا الذي زعمه بعضهم لم يصح عنهم غيره وهو
تخفيف قياسي وإذا وقفوا سكنوا الهمزة ومتى سكنوها استحال التسهيل بين بين لزوال الحركة فتنقلب ياء ولوقوعها بعد كسرة ليس
من مذهبهم تخفيفها وقرأ قنبل وورش بهمزة مكسورة دون ياء بحذف الياء وإخراجها بالكسر وهذا الخلاف بعينه في المجادلة والطلاق
قوله تعالى تظاهرون قرأ عاصم تظاهرون بضم التاء وكسر الهاء بعد ألف مضارع ظاهر وابن عامر تظاهرون بفتح التاء والهاء
وتشديد الظاء مضارع تظاهر والأصل تتظاهرون بتاءين فأدغم والأخوان كذلك إلا أنهما خففا الظاء والأصل أيضا
بتاءين إلا أنهما حذفا إحداهما وهما طريقان أي طريقان في تخفيف هذا إما الإدغام وإما الحذف وقد تقدم تحقيقه في نحو تذكرون
وتذكرون مخففا ومثقلا وتقدم نحوه في البقرة أيضا والباقون تظاهرون وقرأ الجميع في المجادلة كقراءتهم هنا في قوله الذين
من نسائهم إلا الأخوين فإنهما خالفا أصلهما هنا فقرآ في المجادلة تظاهرون بتشديد الظاء كقراءة ابن عامر والظهار مشتق من
الظهر وأصله أن يقول الرجل لامرأته أنت علي كظهر أمي وإنما لم يقرأ الأخوان في المجادلة بالتخفيف لعدم وهو الحذف لأن الحذف
إنما كان لاجتماع مثلين وهما التاءان وفي المجادلة تاء من فوق لم يجتمع مثلان فلا حذف فاضطر إلى الإدغام هذا ما قرئ به
متواترا وقرأ ابن أبي عبلة وابن أبي تظهرون بضم التاء وسكون الظاء وكسر الهاء مضارع أظهر وعنه أيضا تظهرون بضم التاء
وسكون الظاء وكسر الهاء مضارع أظهر وعنه أيضا تظهرون بفتح التاء والظاء المخففة وتشديد الهاء مكسورة مضارع ظهر مشددا

وعن أبي عمرو تظهرون بفتح التاء والهاء وسكون الظاء مضارع ظهر مخففا وقرأ أبي وهي في مصحفه كذلك تتظهرون
فهذه تسع قراءات أربعة متواترة وخمسة شاذة أخذ هذه الأفعال من لفظ الظهر كأخذ لبى من التلبية وأف من أف وإنما
عدي بمن لأنه ضمن معنى التباعد كأنه قيل يتباعدون من نسائهم بسبب الظهار كما تقدم في تعدية الإيلاء بمن في البقرة
فصل الظهار أن يقول الرجل لامرأته أنت علي كظهر أمي فقيل يقولون هذا كلاما لكم في التحريم ولكنه منكر
وزور وفيه كفارة يأتي ذكرها إن شاء الله تعالى في سورة المجادلة **قوله تعالى** وما جعل أدعياءكم أبناءكم
ما جعل من تدعونهم أبناءكم أبناءكم التبنيين وذلك أن الرجل في الجاهلية كان يتبنى الرجل فيجعله كالابن يدعوه الناس إليه
ويرث ميراثه وكان النبي صلى الله عليه وسلم أعتق زيد بن حارثة بن شراحيل الكلبي وتبناه قبل الوحي فآخى بينه وبين حمزة
بن عبد المطلب فلما تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب بنت جحش وكانت تحت زيد بن حارثة قال المنافقون محمد
تزوج بامرأة ابنه وهو ينهى الناس عن ذلك فأنزل الله هذه الآية واعلم أن الظهار كان في الجاهلية طلاقا وكان للزوج
أن يتزوج بها من جديد **قوله تعالى** ذلكم قولكم مبتدأ وخبر أي دعاؤكم الأدعياء أبناء مجرد قول لسان من غير حقيقة والأدعياء
جمع دعي بمعنى مدعو فعيل بمعنى مفعول وأصله دعيو فأدغم ولكن جمعه على أدعياء غير مقيس لأن أفعلاء إنما يكون جمعا
لفعيل المعتل اللام إذا كان بمعنى فاعل نحو تقي وأتقياء وغني وأغنياء وهذا وإن كان فعيلا معتل اللام إلا أنه بمعنى مفعول فكان
قياس جمعه على فعلى كقتيل وقتلى وجريح وجرحى ونظير هذا الشذوذ قولهم أسير وأسراء والقياس أسرى وقد سمع به الأصل
واعلم أن الله تعالى قال ههنا ذلكم قولكم بأفواهكم وقال في قوله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم يعني نسبة
الشخص إلى غير الأب قول لا حقيقة له ولا يخرج عن قلب ولا يدخل أيضا في قلب فهو قول بالفم مثل أصوات البهائم **قوله تعالى**
والله يقول الحق أي قوله الحق وهو يهدي السبيل أي يرشد إلى سبيل الحق وهذا إشارة إلى أنه ينبغي أن يكون قوله إما عن عقل
أو شرع وإذا قال فلان ابن فلان يعني ينبغي أن يكون عن حقيقة أو عن شرع بأن يكون ابنه شرعا وإن لم يعلم الحقيقة كمن تزوج
بامرأة فولدت لستة أشهر فلانا وكانت الزوجة من قبل زوجة شخص آخر يحتمل أن يكون الولد منه فإنا نلحقه بالزوج الثاني لقيام
الفراش ونقول إنه ابنه شرعا وفي الدعوى لو توجد الحقيقة ولا يرد الشرع بل إنه لا نقول إلا الحق وهذا خلاف الحق لأن أباه
مشهور ظاهر أشار إليه من وجه آخر إلى أن قولكم هذه زوجة الابن فتحرم فقال الله تعالى هي لك حلال فقولهم لا اعتبار له فإنه
بأفواههم كأصوات البهائم وقوله الحق فيجب اتباعه وهو يهدي السبيل فيجب اتباعه لكونه حقا ولكونه هاديا **قوله تعالى**
ادعوهم لآبائهم أي الذين ولدوهم هو أقسط عند الله أي أعدل قال عبد الله بن عمر إن زيد بن حارثة مولى رسول الله صلى الله
عليه وسلم ما كنا ندعوه إلا زيد بن محمد حتى نزل القرآن ادعوهم لآبائهم هو ضمير المصدر لدلالة عليه كقوله اعدلوا هو أقرب قال ابن الخطيب
ويحتمل وجهين أحدهما أن يكون ترك الإضافة للعموم أي أعدل كل كلام كقولك الله أكبر الثاني أن يكون ما تقدم مستويا كأنه قال
ذلك أقسط من قولكم هو ابن فلان ثم تمم الإرشاد فقال فإن لم تعلموا آباءهم فإخوانكم في الدين أي قولوا لهم إخواننا فإن كانوا محررين
فقولوا موالي فلان ثم قال وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به أي قبل النهي فنسبوه إلى غير أبيه **قوله تعالى** ولكن ما تعمدت قلوبكم
يجوز فيها وجهان أحدهما أن تكون مجرورة المحل عطفا على المجرورة قبلها بفي والتقدير ولكن الجناح فيما تعمدت والثاني أنها مرفوعة المحل
بالابتداء والخبر محذوف المغفرة أن يستر القادر القبيح من تحت قدرته ستر العبد على سيده مخافة عقابه لا يقال غفر له والرحمة هي أن
يميل بالإحسان إلى المرحوم لعجز المرحوم لا لعوض فإن من مال إلى إنسان قادر كالسلطان لا يقال رحمه وكذلك من أحسن إلى غيره رجاء في خير
وعوضا عما صدر عنه من الإحسان لا يقال رحمه إذا علم هذا فالمغفرة إذا ذكرت قبل الرحمة معناها أنه ستر عيبه ثم رآه مفلسا عاجزا فرحمه وأعطاه
ما كفاه وإذا ذكرت المغفرة بعد الرحمة وهو قليل يكون معناها أنه مال إليه لعجزه فترك عقابه ولم يقتصر عليه بل ستر قوله النبي أولى بالمؤمنين من
أنفسهم أي من بعضهم ببعض في نفوذ حكمه ووجوب طاعته عليهم وقال ابن عباس وعطاء يعني إذا دعاهم النبي صلى الله عليه وسلم ودعتهم أنفسهم
إلى شيء كانت طاعة النبي صلى الله عليه وسلم أولى من طاعة أنفسهم وقال ابن زيد النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم فيما قضى فيهم كما أنت أولى
بعبدك فيما قضيت عليه وقيل أولى بهم في الحمل على الجهاد وبذل النفس دونه وقيل كان النبي صلى الله عليه وسلم يخرج إلى الجهاد فيقول قوم نذهب
فنستأذن من آبائنا وأمهاتنا فنزلت الآية وروى أبو هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما من مؤمن إلا أنا أولى به في الدنيا والآخرة
اقرؤوا إن شئتم النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم فأيما مؤمن مات وترك مالا فليرثه عصبته من كانوا ومن ترك دينا أو ضياعا فليأتني
فأنا مولاه **قوله تعالى** وأزواجه أمهاتهم أي مثل أمهاتهم في الحكم ويجوز أن يكون من باب التشبيه ويجعلون مبالغة في حرف التشبيه
وأزواجه أمهاتهم وهو أب لهم وأزواجه أمهاتهم في تعظيم حقهن وتحريم نكاحهن على التأبيد لا في النظر إليهن والخلوة بهن فإنه حرام في حقهن
كما في حق الأجانب قال الله تعالى وإذا سألتموهن متاعا فاسألوهن من وراء حجاب ولا يقال لبناتهن أخوات المؤمنين ولا لإخوانهن
وأخواتهن أخوال المؤمنين وخالاتهم قال الشافعي تزوج الزبير أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنه وهي أخت أم المؤمنين واختلفوا في أنهن

هل كن امهات النساء المومنات قيل كن امهات المومنين جميعا وقيل كن امهات المومنين دون النساء المومنات وقيل روي
الشعبي عن مسروق ان امراة قالت لعائشة يا امه فقالت لست لك ام انما انا ام رجالكم فدل على ان معنى هذه الامومة
تحريم نكاحهن **فصل** قال ابن الخطيب هذا تقرير آخر وهو وذلك لان زوجة النبي عليه السلام ما جعلها الله في حكم الام
الا لقطع نظر الامة عما تعرض تعلق بالنبي عليه السلام فاذا تعلق خاطره بامراة شاركت ازواجه في التحريم فحرمت مثل ما حرمت
ازواجه على غيره **فان قيل** كيف قال وازواجه امهاتهم وقال قبل وما جعل ازواجكم اللائي تظاهرون منهن امهاتكم الا اللائي
ولدنهم **فالجواب** ان قوله تعالى في الاية المتقدمة والله يقول الحق وهو يهدي السبيل دعوهم جواب عن هذا المعنى والمعنى ان
هذا الشرع مثل الحقيقة ولهذا يرجع العاقل عن تعذر الحقيقة اعتبار الحقيقة الي الشريعة كما ان امراتين ادعت كل واحدة ولدا بينة
ولم يكن لها بينة وحلفت احديهما دون الاخرى يحكم لها بالولد فعلم ان عدم الوصول الى الحقيقة يرجع في الشرع بل في بعض المواضع
على المندوب فعلت الشريعة على الحقيقة فان الزاني لا يجعل ابو الولد من الزنا وان كان ولده في الحقيقة فاذا كان كذلك فالشارع يحكم
بقول القائل هذه امي قوله نعم لا يحصل الحقيقة ولا يترتب عليه حقيقة واما قول الشارع فهو حق فلان يتصرف في الحقائق كيف شاء الا ترى
ان الام ما صارت اما الا بخلق الله الولد في رحمها ولو خلقه في جوف غيرها لكانت الام غيرها فاذا كان الذي يجعل الام الحقيقية اما فله
ان يسوي امراة اما ويعطيها حكم الامومة واما من جهة المعقول في جعل ازواجه امهاتنا هو ان الله تعالى جعل زوجة الاب محرمة على الابن
لان الوصية تحصل لغيره فان تزوج الابن بمن كان تحت الاب يفضي الى قطع الرحم والنبي صلى الله عليه وسلم اشرف واعلى درجة
من الاب واولى بالارضا فان الاب يربي في الدنيا والنبي عليه السلام يربي في الدنيا والاخرة فوجب ان يكون زوجاته مثل زوجات الاباء
فان قيل فلو لم يقل ان النبي ابوكم ويحصل المعنى او لم يقل ازواج ابيكم **فالجواب** ان الحكمة فيه هو ان النبي لما تبنا اذا اراد الله ان يزوج
ان يزوجه واحدا من الاماء وجب على زوجها تركها ليتزوج بها النبي صلى الله عليه وسلم فلو قال انت ابوهم لحرم عليه زوجات المومنين على التابيد
لانه جعل اولى بهم من انفسهم والنفس مقدمة على الاب لقوله عليك بنفسك ثم بمن تعول ولذلك كان المحتاج الى القرب لا يجب عليه صرفه الى الاب
ويجب عليه صرفه الى النبي صلى الله عليه وسلم ثم ان ازواجه لهم حكم ازواج الاب حتى لا يحرم ولا دهن على المومنين ولا اخواتهن ولا امهاتهن
فان الكل يحرم من الام الحقيقية في الرضاع **قوله تعالى** واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض في كتاب الله يعني في الميراث قال قتادة كان
المسلمون يتوارثون بالهجرة قال الكلبي اخا رسول الله صلى الله عليه وسلم بين الناس كان يواخي بين رجلين فاذا مات احدهما ورثه الاخر
دون عصبته حتى نزلت هذه الاية واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض في كتاب الله في حكم الله من المومنين الذين اخا رسول الله صلى الله عليه
وسلم بينهم والمهاجرين يعني ذو القرابات بعضهم اولى بميراث بعض من ان يرثوا بالايمان والهجرة فنسخت هذه الاية الموارثة بالمواخاة
والهجرة فصارت بالقرابة ويجوز فيه وجهان احدهما ان يكون بدلا من واولوا والثاني انه مبتدا وما بعده جملة والجملة خبر الاول **قوله
تعالى** في كتاب الله يجوز ان يتعلق باولى لان افعل التفضيل يعمل في الظرف ويجوز ان يتعلق بالظرف لانه حال من الضمير في اولى والعامل
فيها اولى لانها شبيهة بالظرف ولا يجوز ان يكون حالا **قوله تعالى** من المومنين يجوز فيه وجهان احدهما انها من الجارة للمفعول
كهي في زيد افضل من عمرو والمعنى اولوا الارحام اولى بالارث من المومنين والمهاجرين الاجانب الثاني انها للبيان ويجيء معناها واولى
الارحام فيتعلق بمحذوف اي اعني والمعنى واولوا الارحام من المومنين اولى بالارث من الاجانب **قوله تعالى** الا ان تفعلوا هذا استثناء
من غير الجنس وهو استثناء من الكلام وتقديره اذ التقدير واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض في الارث وغيره لكن اذا فعلتم مع غيرهم فانتم من
اوليائكم خيرا لكم ذلك الموعد ان تفعلوا الى المتصمة متى تدخلوا واراد بالمعروف الوصية للذين يتولونه من المعاقدين يعني ان اوصيتم لغيرهم من
ادنى وان لم توصوا فالوارثون اولى بميراثكم وذلك ان الله لما نسخ التوارث بالحلف والهجرة اباح ان يوصى لمن يتولاه بما احب من ثلثه
وقال مجاهد اراد بالمعروف النصرة وحفظ الحرمة بحق الايمان والهجرة يعني واولوا الارحام من المومنين والمهاجرين بعضهم اولى ببعض
اي لا توارث بين المسلم والكافر ولا بين المهاجر وغير المهاجر الا ان تفعلوا الى اوليائكم معروفا اي الا ان توصوا لذوي قرابتكم بشيء وان
كانوا من غير اهل الايمان والهجرة وهذا قول عطا وقتادة وعكرمة **فان قيل** اي تعلق للميراث والوصية بما تقدم **فالجواب**
قال ابن الخطيب وجوابه من وجهين احدهما ان غير النبي في حال حياته لا يصير له مال الغير اذا اراده ولا يصير بماله لورثته اي ان غير النبي
في حال حياته لا يصير له مال الغير وبعد وفاته لا يصير ماله لغير ورثته والنبي عليه السلام في حال حياته لا يصير له مال الغير اذا اراده
ولا يصير ماله لورثته بعد وفاته فكان الله تعالى عوض عن النبي بقطع ميراثه بعده بان له تملك مال الغير وعوض المومنين بان ما
تركه النبي يرجع اليهم حتى لا يكون حرج على المومنين في ان النبي عليه السلام اذا اراد شيئا اخذ نصيبه ثم يموت ويبقى لورثته فيفوت
اليهم ولا يرجع عليهم فقال الله تعالى واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض يعني ان التوارث منكم فيصير مال احدكم لغيركم بالارث
والنبي لا يورث بينه وبين اقاربه فينبغي ان يكون له بدل هذا وهو انه اولى في حياته مما في ايديكم الثاني ان الله تعالى ذكر دليلا
على ان النبي صلى الله عليه وسلم اولى بالمومنين وهو ان اولوا الارحام بعضهم اولى ببعض فانه اذا احد كم تصدق فيوصي له بشيء فيصير اولى

من قريبه فكانه قطع بالارث وقال هذا الي لا ينتقل هنا الا لمن اريده فلذلك جعل الله تصدقه من اراد ثم ما تفضل منه يكون
لعينه ثم قال ذلك كان في الكتاب مسطورا مكتوبا قال الهيثم يراد بالكتاب التوراة وقيل المعنى وقيل القران وهو اية التوارث والوصية
وقيل اللوح المحفوظ **قوله تعالى** واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم الاية وجه تعلق هذه الاية بما قبلها هو ان الله تعالى لما امر النبي صلى الله
عليه وسلم بالاتقاء وقال يا ايها النبي اتق الله واكد بالحكاية التي احسن فيها الناس لكي لا يخشى احدا غيره وبين انه لم يترك امر ابو حبيب
لخشية بقوله النبي اولى بالمومنين من انفسهم واكده بوجه آخر فقال واذ اخذنا كانه قال اتق الله ولا تخش احدا واذكر ان الله اخذ ميثاق
النبيين في انهم يبلغون رسالات الله ولا يمنعهم من ذلك الخوف ولا الطمع والمراد من الميثاق الماخوذ من رسالتهم وامرهم بالتبليغ وان يصدق
بعضهم بعضا قال مقاتل اخذ ميثاقهم على ان يعبدوا الله ويدعوا الى عبادته ويصدق بعضهم بعضا وينصحوا لقومهم قوله واذ يجوز فيه وجهان
احدهما ان يكون منصوبا باذكر اي اذكر واذ اخذنا الثاني ان يكون معطوفا على محل في الكتاب فيعمل فيه مسطورا اي كان هذا الحكم مسطورا
في الكتاب ووقت اخذنا **قوله تعالى** ومنك ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى ابن مريم خصهم بالذكر من بين النبيين لانهم اصحاب
الكتب والشرائع **قوله تعالى** واولوا العزم من الرسل وقدم النبي صلى الله عليه وسلم لقوله عليه السلام انا اول النبيين في الخلق واخرهم
في البعث قال قتادة وذلك قول الله عز وجل واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح فبدا بالنبي صلى الله عليه وسلم قال ابن الخطيب
وخص بالذكر اربعة من الانبياء وهم نوح وابراهيم وموسى وعيسى كان لهم في زمان نبينا قوم وامة فذكرهما احتجاجا على قومهما وابراهيم
كانت العرب تقول بفضله وكانوا يتبعونه في الشعائر ونوح لانه كان اصلا ثانيا للناس حيث وجد الخلق منه بعد الطوفان وعلى هذا لو كان
قال قائل فادم كان اولى بالذكر من نوح نقول خلق ادم كان للعمارة ونبوته كانت مثل الارشاد للاولاد ولهذا لم يكن في زمانه اهلاك
قوم ولا تعذيب قوم واما نوح فكان مخلوقا للنبوة وارسل للانذار ولهذا اهلك قومه واغرقوا ولما ذكر عيسى بقوله عيسى ابن مريم والمسيح ابن مريم
فيه اشارة الى انه لا اب له اذ كان الرفع للتعريف به **قوله تعالى** ميثاقا غليظا من الاول ولكن هو لزيادة صفته وايذانا بتوكيده قالى
المفسرون عهدا شديدا على الوفاء بما حملوا **قوله تعالى** ليسال فيها وجهان احدهما انها لام كي اي اخذنا ميثاقهم ليسال المومنين
من صدقهم والكافرين عن تكذيبهم فاستغنى عن الثاني بذكر سببه وهو قوله واعد الثاني ان يكون متعلقا بالفعل المحذوف اي صدقهم هذا
ويجوز ان يكون بصدقهم في معنى بتصديقهم فمفعوله محذوف ايضا من تصديقهم الانبياء **قوله تعالى** الصادقين عن صدقهم يجوز
فيها وجهان احدهما ان يكون معطوفا على ما دل عليه ليسال الصادقين اذ التقدير فاثاب الصادقين واعد للكافرين والثاني انه معطوف
على اخذنا لان المعنى ان الله اكد على الانبياء الدعوة الى دينه لاثابة المسلمين واعد للكافرين وقيل انه قد حذف من الثاني ما اثبت مقابله في الاول
ومن الاول ما اثبت مقابله في الثاني والتقدير ليسال الصادقين عن صدقهم فاثابهم ويسال الكافرين عما اجابوا به رسلهم واعد لهم
عذابا اليما **فصل** قال المفسرون المعنى اخذنا ميثاقهم لكي يسال الصادقين عن صدقهم يعني النبيين وعن تبليغهم الرسالة والحكمة
في سواله مع علمه انهم صادقون بكتبهم من ارسلوا اليهم وقيل ليسال الصادقين عن علمهم عز وجل وقيل ليسال الصادقين بافواههم عن صدقهم
في قلوبهم **قوله تعالى** يا ايها الذين امنوا اذكروا نعمة الله عليكم الاية وهي تحقيق لما سبق من الامر بتقوى الله حيث لا يبقى معه خوف
من احد وذلك حين حوصر المسلمون مع النبي صلى الله عليه وسلم ايام الخندق واجتمع الاحزاب واشتد الامر على الاصحاب حين جاءت المشركون
باسرهم واليهود باجمعهم ونزلوا على المدينة وعمل النبي صلى الله عليه وسلم الخندق وكان الامر في شدة الخوف بالغا الى الغاية والله دفع القوم عنهم
من غير قتال وامنهم من الخوف فينبغي ان لا يخاف العبد غير ربه فانه القادر على كل الممكنات فكان قادرا على ان يهزم المسلمين مع انهم ضعفا
فكان قهر المومنين الكافرين بالمومنين مع قوتهم وشوكتهم **قوله تعالى** اذ جاءتكم يجوز ان يكون منصوبا باذكروا على ان يكون
بدلا من نعمة بدل الاشتمال ويجوز ان يكون منصوبا بنعمة اي انعامه عليكم في ذلك الوقت والمراد بالجنود الاحزاب وهم قريش وغطفان
ويهود قريظة والنضير فارسلنا عليهم ريحا وهي الصبا قال عكرمة قالت الجنوب للشمال ليلة الاحزاب انطلقي ننصر رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقالت الشمال ان الحرة لا تسري بالليل فكانت الريح التي ارسلت عليهم ريح الصبا وروي مجاهد عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال
نصرت بالصبا واهلكت عاد بالدبور **قوله تعالى** وجنودا لم تروها قرء الحسن والجنود بفتح الجيم والعامة بضمها وجنودا عطف
على ريحا ولن تروها صفة لها وروي عن ابن عمرو وابي بكر لم يروها بيا الغيبة وهم الملائكة ولم تقاتل الملائكة يومئذ فبعث الله عليهم تلك
الليلة ريحا باردة فقلعت الاوتاد وقطعت اطناب الفساطيط واطفات النيران واكفات القدور وجالت الخيل بعضها في بعض وكثر تكبير الملائكة
في جوانب الملائكة فسكوهم حتى قال سيد كل حي يا بني فلان هلم الي فاذا اجتمعوا عنده قال النجا النجا اتيتم لما بعث الله عليهم من الرعب
فانهزموا من غير قتال وكان الله بما يعملون بصيرا وهذه اشارة الى ان الله علم التجاؤكم اليه ورجاءكم فضله فنصركم على الاعداء عند الاستعداد
القصة مشهورة **قوله تعالى** اذ جاؤكم بدل من اذ الاولى والحناجر جمع حنجرة وهي راس الغلصمة والغلصمة منتهى الحلقوم والحلقوم
مجرى الطعام والشراب والحنجور مجرى النفس والمري مجرى الطعام والشراب وهو تحت الحلقوم وقال الراغب راس الغلصمة من خارج **قوله
تعالى** الظنونا قرا نافع وابن عامر وابو بكر باثبات الف تعدونا الظنونا ولام الرسول في قوله واطعنا الرسولا ولام السبيلا

في قوله واضلونا السبيل وضلالا ووقفا موافقة للرسم لانهن رسمن في المصحف كذلك وايضا فان هذه الالف تشبه هاء السكت لبيان الحركة وهاء السكت تثبت وقفا للحاجة اليها وقد تثبت وصلا اجرا للوصل مجرى الوقف كما تقدم في البقرة والانعام فكذلك هاهنا هذه الالف وقرا ابو عمرو وحمزة بحذفها في الحالين لانها لا اصل لها وقولهم اجريت الفواصل مجرى القوافي غير معتد به لان القوافي يلزم الوقف عليها غالبا والفواصل لا يلزم ذلك فيها فلا تشبه بها والباقون باثباتها وقفا وحذفها وصلا اجرى الفواصل مجرى القوافي في ثبوت الالف للاطلاق كقوله • استأذنه بالوفاة وبالعدل • وذو الملامة الى جلاه • وقوله • اقلي اللوم عاذل والعتابا • وقولي ان اصبت لقد اصابا • ولانها كهاء السكت وهي تثبت وقفا وتحذف وصلا قال شهاب الدين كذا يقولون تشبيها للفواصل بالقوافي وانا لا احب هذه العبارة فانها منكرة لفظا ولا خلاف في قوله وهو يهدي السبيل انه بغير الف في الحالين فصل

المعنى اذ جاؤكم من فوقكم اي من فوق الوادي من قبل المشرق وهو اسد وغطفان عليهم مالك بن عوف النضري وعيينة بن حصن الفزاري في الف من غطفان ومعهم طليحة ابن خويلد الاسدي في بني اسد وحيي ابن اخطب في يهود بني قريظة ومن اسفل منكم اي من بطن الوادي من قبل المغرب وهم قريش وكنانة عليهم ابو سفيان بن حرب ومن معه وبني الاعور بن سفيان السلمي من قبل الخندق وكان الذي جر غزوة الاجلاء رسول الله صلى الله عليه وسلم بني النضير من ديارهم واذ زاغت الابصار مالت وشخصت من الرعب وقيل مالت عن كل شي فلم تنظر الى عدوها وبلغت القلوب الحناجر فزالت عن اماكنها حتى بلغت القلوب من الفزع وهذا على التمثيل عبر به عن شدة الخوف قال المفسرون معناه انهم جبنوا وسبيل الجبان اذا اشتد خوفه تنتفخ رئته فاذا انتفخت الرئة رفعت القلب الى الحنجرة ولهذا يقال للجبان انتفخ سحره لان بالقلب عند الغضب يندفع وعند الخوف يتعلق بالحنجرة وقد ينقص الى ان يسد مجرى النفس فلا يقدر المرء يتنفس ويموت من الخوف وتظنون بالله الظنونا وهو اختلاف الظنون فظن المنافقون استئصال محمد واصحابه وظن المؤمنون النصر والظفر بهم فان قيل المصدر لا يجمع فما الفائدة في جمع الظنون فالجواب لا شك انه منصوب على المصدر ولكن الاسم قد يجعل مصدرا كما يقال ضربته سياطا وادبته مرارا فكانه قال ظننتم ظنا بعد ظن اي ما ثبتم على ظن وفائدته ان الله تعالى لو قال تظنون ظنا جاز ان يكونوا مصيبين فاذا قال ظنونا تبين فيهم من كان ظنه كاذبا لان الظنون قد يكذب كلها وقد يكذب بعضها اذا كانت في امر واحد كما اذا راى جمع من بعيد وظنه بعضهم انه زيد وبعضهم انه عمرو واخرون انه بكر ثم ظهر لهم الحق قد يكونوا كلهم مخطئين والمرئي شجر او حجر وقد يكون احدهم مصيب ولا يمكن ان يكون كلهم مصيبين في ظنونهم فقوله الظنون افادنا ان فيهم من اخطا الظن ولو قال تظنون بالله ظنا ما كان يفيد هذا والالف واللام في الظنون يمكن ان يكون للاستغراق مبالغة يعني يظنون كل ظن لان عند الامر العظيم كل احد يظن شيئا ويمكن ان تكون الالف واللام للعهد اي يظنون ظنونهم المعهودة لان المعهود من المؤمن ظن الخير بالله كما قال صلى الله عليه وسلم ظنوا بالله خيرا ومن الكافر الظن السوء كقوله تعالى ذلك ظن الذين كفروا وقوله ان يتبعون الا الظن قوله تعالى هنالك منصوب بابتلي وقيل بتظنون واستضعفه ابن عطية وفيه وجهان احدهما انه ظرف مكان بعيد اي في ذلك المكان الدحض وهو الخندق والثاني انه ظرف زمان وانشد بعضهم في ذلك • واذا الامور تعاظمت وتشاكلت • فهناك يعترفون اين المفزع • قوله تعالى وزلزلوا قرا العامة بضم الزاي الاولى وكسر الثانية على ما لم يسم فاعله وروي عن [illegible] احمد عن ابي عمرو كسر الاولى وروي الزمخشري اشمامها كسرا ووجه هذه القراءة ان يكون اتبع الزاي الاولى للثانية في الكسر ولم يعتد بالساكن لكونه غير حصين كقوله منتن بكسر الميم والاصل ضمها قوله تعالى زلزالا مصدر مبين للنوع بالوصف والعامة على كسر الزاي وعيسى والجحدري فتحها وهما لغتان في مصدر الفعل المضعف فجاء على فعلال نحو زلزال وقلقال وصلصال وقد يراد بالمفتوح اسم الفاعل نحو صلصال بمعنى مصلصل وزلزال بمعنى مزلزل فصل

قال المفسرون يعني ابتلي المؤمنون اختبر المؤمنون بالحصر والقتال ليتبين المخلص من المنافق والابتلاء من الله ليس بانه الامر لانه يبتلي بحكمة اخرى وهي ان الله تعالى عالم بما هم عليه لكنه اراد اظهار الامر لغيره من الملائكة او الانبياء كما ان العبيد وغيرهم فيامر بامر عالما بانه يخالف السيد اذا اعلم من عبده المخالفة وعزم على معاقبته على مخالفته وعنده غيره من العبيد او غيرهم فيامره بامر عالما بانه يخالف ليتبين الامر عند الغير فتقع المعاقبة على احسن الوجوه حيث لا يقع لاحد انه ظالم وقوله وزلزلوا زلزالا شديدا اي ازعجوا وحركوا حركة شديدة فمن ثبت منهم كان من الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم ثم قال واذ يقول المنافقون معتب بن قشير وقيل عبد الله بن ابي واصحابه والذين في قلوبهم مرض شك وضعف اعتقاد ما وعدنا الله ورسوله الا غرورا وهذا تفسير للظنون وبيان لم ظن المنافقون انما قال الله ورسوله كان زورا ونقضها كان هو ذا حيث ظنوا بانا الغلبة واقعة لهم يعدنا محمد فتح قصور الشام وفارس واحدنا لا يستطيع ان يجاوز رحله هذا والله الغرور قوله تعالى واذ قالت طائفة منهم اي من المنافقين وهم اوس بن قيظي واصحابه يا اهل يثرب يعني المدينة قال ابو عبيدة يثرب اسم ارض ومدينة الرسول صلى الله عليه وسلم في ناحية منها ولو كان في بعض الاخبار ان النبي صلى الله عليه وسلم نهى ان تسمى المدينة بيثرب وقيل انطايوكانه كره هذه اللفظة فقال اهل اللغة يثرب اسم المدينة وقيل اسم البقعة التي فيها المدينة وامتناع صرفها اما للعلمية والعلمية والتانيث واما يثرب بالباء وفتح الراء موضع اخر باليمن قال الشاعر • وعدت وكان الخلف منك سجية •

مواعيد عرقوب اخاه بيترب • وقال • وقد وعدت مواعيد الوقت • مواعيد عرقوب اخاه بيثرب •

قوله تعالى لا مقام لكم قرا حفص وابو عبد الرحمن السلمي بضم الميم ونافع وابن عامر بضم ميمه ايضا في الدخان في قوله ان المتقين في مقام ولم يختلف في الاول انه بالفتح وهو ومقام كريم والباقون بفتح الميم في الموضعين والضم والفتح سفهوهما من سورة مريم عند قوله خير مقاما فمعنى الفتح لا مكان لكم تقيمون وتثركون فيه ومعنى الضم لا اقامة مقامه فارجعوا الى منازلكم عن اتباع محمد صلى الله عليه وسلم وقيل عن القتال الى منازلكم ويستاذن فريق منهم النبي وهم بنو حارثة وبنو سلمة يقولون ان بيوتنا عورة اي وقيل منكشفة اي قصيرة الجدران للسارق قال الشاعر • له الشدة الاولى اذا القرن اعورا • وقرا ابن عباس وابن يعمر وقتادة وابو رجاء وابو حيوة واخرون عورة بكسر الواو وكذلك وما هي بعورة وهي اسم فاعل يقال عور يعور عورا فهو عور وعورة وما عود ويقول ابن جني تصحيح الواو شاذ يعني تحركت وانفتح ما قبلها فلو تقلب الفا وفيه نظر لان شرط ذلك في الاسم الجاري على الفعل ان يعتل فعله نحو قام مقام واما هذا ففعله صحيح نحو عور فاما صح الفعل وان كان يقتضي الاعلال لمدرك اخر وهو في معنى ما لا يعل وهو كذلك ما لا يتعجب من عوره ما اعوره واعور المنزل بدت عورته واعور الفارس بدا منه خلل للضرب قال الشاعر •

• متى تلقهم لم تلق في البيت معورا • ولا الضيف لا الجار مرملا •

ثم كذبهم الله فقال وما هي بعورة ان يريدون ما يريدون الا فرارا قوله تعالى ولو دخلت عليهم من اقطارها جوانبها ونواحيها والاقطار جمع قطر بضم القاف وهو الناحية وفيه لغة قتر وافتار بالتاء والقطر الجانب ايضا ومنه قطرته اي القيته على قطرية فتقطر اي وقع عليه قال الشاعر • قد علمت سلمى وجاراتها • ما قطر الفارس الا انا • وفي المثل الانفاض يقطر الحلب تفسيره ان القوم اذا انفضوا قل زادهم احتاجوا الى حلب الابل وهي المقطر قطر اسقطه قوله تعالى ثم سئلوا قال مجاهد سولوا بواو ساكنة ثم ياء مكسورة كقولوا وحكى ابو زيد هما يتساولان بالواو والحسن سولوا بواو ساكنة فقط فاحتملت وجهين احدهما ان يكون اصلها سئلوا كالعامة ثم خففت الكسرة فسكنت كقولهم في ضرب بالكسر ضرب بالسكون فسكنت الهمزة نحو ضمة جعلت واوا نحو بوس في بؤس الثاني ان يكون من لغة الواو ونقل عن ابي عمرو وسيلوا بياء ساكنة بعد كسرة بعد قلبوا قوله تعالى لاتوها قرا نافع وابن كثير بالقصر اي لجاؤها وغشوها والباقون بالمد بمعنى لاعطوها ومفعولها الثاني محذوف تقديره لاتوها السائلين والمعنى ولو دخلت البيوت او المدينة من جميع نواحيها ثم سالت اهلها الفتنة ثم منعوا من اعطائها وقراءة المد تستلزم قراءة القصر من غير عكس بهذا المعنى الخاص قوله تعالى الا يسيرا الا تلبثا او الا زمانا يسيرا وكذلك قوله الا يسيرا الا قليلا اي لا تمنعوا او الا زمانا قليلا فصل دلت الاية على ان ذلك الفرار والرجوع ليس لحفظ البيوت لان من يفعل فعلا لغرض فاذا فاته الغرض لا يفعله فقال تعالى انهم قالوا بان رجوعنا منك لحفظ بيوتنا ولو دخلها الاحزاب واخذوا منهم لرجعوا منهم اي لرجعوا ايضا فليس رجوعهم عنك الا بسبب كفرهم وحبهم الفتنة وهي الشرك وما تلبثوا بها اي ما لبثوا بالمدينة او البيوت الا يسيرا وانا المومنين عرضهم قال الحسن وقيل ما تلبثوا اي احتبسوا عن الفتنة وهي الشرك ولا يرجعوا الا جاءوا الى الشرك طيبة بها انفسهم وهذا قول اكثر المفسرين قوله تعالى ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل اي من قبل غزوة الخندق لا يولون الادبار عدوهم اي لا ينهزمون قال يزيد بن رومان هم بنو حارثة هموا يوم احد ان يفشلوا مع بني سلمة فلما نزل فيهم عاهدوا الله ان لا يعودوا لمثلها وقال قتادة هم ناس غابوا عن وقعة بدر وما اعطى الله اهل بدر من الكرامة والفضيلة وقالوا لئن اشهدنا الله قتالا لنقاتلن وقال مقاتل والكلبي هم رجال لجاوا بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة وقالوا اشترط لنفسك ولربك ما شئت قال النبي صلى الله عليه وسلم اشترط لربي ان تعبدوه ولا تشركوا به شيئا واشترط لنفسي ان تمنعوني مما تمنعون منه انفسكم واولادكم قالوا فاذا فعلنا ذلك فما لنا يا رسول الله قال لكم النصر في الدنيا والجنة في الاخرة قالوا قد فعلنا فذلك عهدهم وهذا القول ليس بمرضي لان الذين بايعوا ليلة العقبة كانوا سبعين لم يكن فيهم شاك ولا من يقول فيهم مثل هذا القول وانما الاية في قوم عاهدوا ان يقاتلوا ولا يفروا فنقضوا عهدهم وهذا بيان لفساد سريرتهم وقبح حضرتهم لنقضهم العهود فانهم قبل ذلك حلفوا واظهروا عذرا وندما ثم عددهم بقوله وكان عهد الله مسئولا اي مسئولا عنه قوله تعالى لا يولون جواب لقوله عاهدوا لانه في معنى اقسموا وجاء على حكاية اللفظ فجاء بلفظ الغيبة ولو جاء على حكاية المعنى لقيل لا نولي والمفعول الاول محذوف اي لا يولون العدو الادبار وقرئ لا يولون بتشديد النون وحذف الواو على جواز تاكيد القسم قال شهاب الدين ولم ار هذا الا غلطا منه وذلك انه اما ان يقرا مع ذلك بلا النافية او بلام التاكيد والاول لا يجوز لان المضارع المنفي بلا لا يؤكد بالنون الا نادرا بما يقاس عليه والثاني فاسد بمعنى قوله تعالى ان فررتم جوابه محذوف لدلالة النفي قبله عليه او متقدم عند من يرى ذلك قوله تعالى واذا لا تمتعون اذن جواب وجزاء ولما وقعت بعد عاطف جاءت على الاكثر وهو عدم اعمالها ولم يشذ هنا ما شذ في الاسرا فلم يقرا بالنصب والعامة على الخطاب في تمتعون وقرا بالغيبة فصل المعنى قل لهم لن ينفعكم الفرار ان فررتم من الموت او القتل الذي كتب عليكم

لان من حضر لاجله مات او قتل واذن لا يمتعون الا قليلا اي لا يمتعون بعد الفرار الا مدة اجالكم وهذا اشارة الى ان الامور
مقدرة لا يمكن الفرار مما قدر الله لانه كائن لا محالة فلو فررتم لما دمتم بل لا تمتعون الا قليلا وهو ما بقي من اجالكم كما قال
لا ترهبن في شيء قليل يموت عليه شيئا كبيرا قوله تعالى من ذا الذي قال الزمخشري فان قلت كيف جعلت الرحمة قرينة السوء
في العصمة ولا عصمة الا من السوء قلت معناه او يصيبكم بسوء ان اراد بكم رحمة فاختصر الكلام واجري مجرى قوله متقلدا سيفا
ورمحا او حمل الثاني على الاول لما في العصمة من معنى المنع قال ابو حيان اما الوجه الاول ففيه حذف جملة لا ضرورة تدعو الى حذفها
والثاني هو الوجه لا سيما اذا قدر مضاف محذوف اي يمنعكم من مراد الله تعالى قال شهاب الدين والثاني من الاول ولو كان بمعنى حذف
جمل فصل المعنى من ذا الذي يمنعكم من الله ان اراد بكم سوءا من هزيمة او اراد بكم رحمة نصرة وهذا بيان لما تقدم من قوله لن ينفعكم الفرار
وقوله لا يجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيرا تقدير القول من ذا الذي يعصمكم من الله قيل ليس لكم ولي يشفع اي قريب ينفعكم ولا
نصير ينصركم ويدفع عنكم السوء اذا اتاكم قوله تعالى قد يعلم الله المعوقين منكم المثبطين من الناس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
والقائلين لاخوانهم هلم الينا ارجعوا الينا ودعوا محمدا فلا تشهدوا معه الحرب فانا نخاف عليكم الهلاك قال قتادة هم ناس من
المنافقين كانوا يثبطون انصار النبي صلى الله عليه وسلم ويقولون لاخوانهم ان محمدا واصحابه لو كانوا لحما لالتهمهم اي لابتلعهم
ابو سفيان واصحابه دعوا الرجل فانه هالك وقال مقاتل نزلت في المنافقين وذلك ان اليهود ارسلوا الى المنافقين فقالوا ما
الذي يحملكم على قتل انفسكم بقتل ابي سفيان ومن معه فانهم ان قدروا عليكم في هذه المرة لم يستبقوا منكم احدا وانا نشفق عليكم
انتم اخواننا وجيراننا هلم الينا كما فعل عبد الله بن ابي واصحابه على المؤمنين يعوقونهم ويخوفونهم بابي سفيان ومن معه قالوا لئن
قدروا عليكم لم يستبقوا منكم احدا ما ترجون من محمد ما عنده خير ما هو الا ان يقتلنا هنا انطلقوا الى اخواننا يعني اليهود
فلم يزدد المؤمنون بقول المنافقين الا ايمانا واحتسابا قوله تعالى هلم تقدم الكلام فيه في الانعام وهو هنا لازم وهناك
متعد بنفسه ونصب مفعوله وهو شهداءكم يعني احضروا هم ها هنا وهؤلاء بمعنى احضروا وتعالوا وكلام الزمخشري ها هنا موذن
بان يتعدى ايضا وحذف مفعوله فانه قال وهلم الينا اي قربوا انفسكم الينا قال وهي صوت سمي به فعل متعد كنحو احضر وقرب
وفي تسميته اياه صوتا نظر اذ اسماء الاصوات محصورة ليس هذا منها ولا يجمع في لغة الحجاز ويجمع في غيرها فيقال للجماعة هلموا
وللنساء هلممن قوله تعالى ولا يأتون البأس الا قليلا رياء وسمعة اي لا يقاتلون معكم ويعتلون من الاشتغال وقت الحضور
معكم فلو كان ذلك القليل لله لكان كثيرا قوله اشحة العامة على نصب وفيه وجهان احدهما انه منصوب على الذم والثاني على الحال وفي العامل
فيه اوجه الاول ولا يأتون قاله الزجاج الثاني هلم الينا قاله الطبري الثالث يعوقون مضمرا قاله الفراء الرابع المعوقين الخامس
القائلين ورد هذا ان الوجه الاخير فيه الوجهين ابعاض الصلة باجنبي وفي الرد لان العامل بين الابعاض والصلة متعلقا واما
ما يظهر الرد الخامس انه قد عطف على الموصول بعد تمام صلته فتأمل فانه حسن ولعل ولا يأتون معترض والمعترض لا يمنع من ذلك
وقرأ ابن ابي عبلة اشحة بالرفع على خبر ابتدا مضمر اي هم اشحة جمع شحيح وهو جمع لا ينقاس اذ قياس فعيل الوصف الذي عينه ولامه
من واد واحد ان يجمع على افعلاء نحو خليل واخلاء وظنين واظناء وضنين واضناء وقد سمع اشحاء وهو القياس والشح البخل وقد تقدم
في آل عمران فصل المعنى بخلا عليكم وبخلا بالنفقة في سبيل الله والنصرة وقال قتادة بخلا عن الغنيمة ووصفهم الله بالبخل
والجبن فقال فاذا جاء الخوف رايتهم ينظرون اليك تدور اعينهم من الخوف والجبن كالذي يغشى عليه من الموت اي كدوران عين الذي
يغشى عليه من الموت وذلك ان من قرب من الموت وغشيته اسبابه يذهب عقله ويشخص بصره فلا يطرف واعلم ان البخل سبب الجبن فلما ذكر
البخل بين سببه وهو الجبن لان الجبان يبخل بماله ولا ينفقه لا في سبيل ولا في وفقه لله لانه لا يتوقع الظفر فلا يرجع الغنيمة فيقول
هذا نفاق ولا بد له فيتوقف فيه اما الشجاع فيتيقن الظفر والاغتنام فيهون عليه اخراج المال في القتال طمعا فيما هو اضعاف
ذلك قوله تعالى ينظرون في محل حال من فاعل رايتهم لان الرؤية بصرية تدور حالا من يا انية واما حال من ينظرون قوله
تعالى كالذي يغشى عليه يجوز فيه ثلاثة اوجه الاول ان يكون حالا من اعينهم حالكونها مشبهة من الذي يغشى عليه من الموت ونو بنه
الاية الاخرى ينظرون اليك نظر المغشي عليه من الموت الثاني انه نعت لمصدر محذوف وايضا المدور اي دورانا مثل دوران عين الذي
يغشى عليه من الموت وهو على الوجهين مصدر تشبيهي قوله تعالى فاذا ذهب الخوف سلقوكم اي اذوكم ورموكم في حالة الامن بالسنة
حداد ذربة جمع حديد قال الخطيب الفصيح المعرب اللسان سلق ومسلاق وصلق وصلاق قال الشاعر

فصلقنا في مراد صلقة * وصداء الحقتهم بالثلل *

وقال ابن عباس سلقوكم اي عضدوكم وتناولوكم بالنقص والسنة وقال قتادة بسطوا السنتهم فيكم وقت قسمة الغنيمة ويقولون
اعطونا فانا شهدنا معكم القتال لستم باحق اي اخبر عليه في خطابه وخطابه مخاطبة بليغة واصله البسط ومنه سلق امرأته اي بسطها
قوله تعالى اولئك لم يؤمنوا فاحبط الله اعمالهم اي لم يؤمنوا حقيقة وان اظهروا الايمان لفظا فاحبط الله اعمالهم

الذين كانوا

الذين كانوا يأتون بها مع المسلمين وقال مقاتل ابطل الله جهادهم وكان ذلك على الله يسيرا وهذا اشارة الى مستأنف
اي هم من الخوف بحيث انهم لا يصدقون الى ما يكون في نظر الناظر كقوله تعالى ويعاهدون عليه قوله تعالى يحسبون
يجوز ان يكون حالا من احد الضمائر المتقدمة اذا صح المعنى بذلك ولو بعد العامل قاله ابو البقاء قوله يحسبون اي هؤلاء
المنافقين يحسبون الاحزاب يعني قريشا او غطفان واليهود لم يذهبوا لم ينصرفوا عن مكانهم من غاية الجبن عند خروجهم
او عند ذهابهم كانهم غائبون بحيث لا يقاتلون لقوله تعالى ولو كانوا فيكم ما قاتلوا الا قليلا وان يأت الاحزاب اي يرجعوا
اليهم للقتال بعد الذهاب يودوا لو انهم بادون في الاعراب اي يتمنوا لو كانوا في بادية مع الاعراب من الخوف والجبن قوله
تعالى بادون العامة جمع باد وهو المقيم بالبادية يقال بدا يبدو بداوة اذا خرج الى البادية وقرأ عبد الله وابن عباس
وطلحة وابن يعمر بدا بضم الباء وتشديد الدال المقصورة كغاز وغزى وسار وسري وليس بقياس وانما قياسه في التكسير
بداة كقاض وقضاة ولكن حمل الصحيح كقولهم ضرب وروي عن ابن عباس ايضا قراءة ثالثة بدى بزنة عدي وثالثة بدوا
فعلا ماضيا يسالون يجوز ان يكون مستأنفا وان يكون حالا من فاعل يحسبون والعامة على سكون السين بعدها همزة
ونقل ابن عطية عن ابي عمرو وعاصم بنقل حركة الهمزة الى السين كقوله سل بني اسرائيل وهذه ليست بالمشهورة ها هنا عنهم ولعلها
نقلت عنهما شاذة وانما هي معروفة بالحسن والاعمش وزيد بن علي والجحدري وقتادة والحسن يساءلون بتشديد السين والاصل
يتساءلون فادغم اي يسال بعضهم بعضا يسالون من ابنائكم اخباركم وما آل اليه امركم وما كانوا يعني هؤلاء المنافقين بينكم ما قاتلوا
الا قليلا اي يقاتلون قليلا يقيمون به عذرهم يقولون هذا قاتلنا قال الكلبي الا قليلا اي هبا بالحجارة وقال مقاتل الا رياء
وسمعة من غير احتساب قوله تعالى لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة قرا عاصم اسوة بضم الهمزة حيث وقعت هذه اللفظة
والباقون بكسرها وهم لغتان كالعدوة والعدوة والاسوة بمعنى الاقتداء اي قدوة صالحة وهو اسم وضع موضع المصدر وهو
الايتساء فالاسوة من الايتساء كالقدوة من الاقتداء واسى فلان بفلان اي اقتدى به واسوة اسم كان وفي الخبر وجهان احدهما
هو لكم ويتجوز في الجار الآخر والجور وجوز التعلق بما يتعلق به الخبر و بمحذوف انه حال من اسوة لو تأخر لكان صفة او كان على مذهب
من يرى الثاني ان الخبر هو في رسول الله ولكم على ما تقدم في رسول الله او يتعلق بمحذوف على التبيين اعني لكم قوله تعالى لمن كان
يرجو فيه اوجه الاول انه بدل من الكاف في لكم قاله الزمخشري ومنعه ابو البقاء وتبعه ابو حيان قال ابو البقاء وقيل هو بدل من
ضمير المخاطب باعادة الجار ومنع منه الاكثرون لان ضمير المخاطب لا يبدل منه وقال ابو حيان قال الزمخشري بدل من لكم كقوله الذين
استضعفوا لمن آمن منهم وقال لا يجوز على مذهب جمهور البصريين ان يبدل من ضمير المتكلم ولا من ضمير المخاطب بدل شيء من شيء
واجاز ذلك الكوفيون والاخفش وانشد * بكم قريش كفينا كل معضلة * وام نهج الهدى من كان ضليلا * قال شهاب الدين
لا نعلم ان هذا بدل شيء من شيء بل بدل بعض من كل باعتبار الواقع لان الخطاب في قوله لكم اعم من كان يرجو الله وغيره ثم خصص
ذلك العموم لان التأسي به عليه السلام في الواقع انما هو المؤمنون ويدل على ما قلته قصد الزمخشري هذه الآية بآية الاعراف
وآية الاعراف بدل فيها بدل بعض من كل ويجاب بانه انما قصد التشبيه في مجرد اعادة العامل والثاني ان يتعلق بمحذوف على انه صفة لحسنة
الثالث ان يتعلق بنفس حسنة قاله ابو البقاء ومنع ان يتعلق باسوة قال لانها قد وصفت وذكرا كثيرا قوله لقد كان لكم في رسول
الله اسوة حسنة اي قدوة صالحة ان تنصروا دين الله وتوازروا الرسول ولا تتخلفوا عنه وتصبروا على ما يصيبكم كما فعل هو اذ كسرت
رباعيته وجرح وجهه وقتل عمه واوذي بضروب من الاذى فواساكم مع ذلك بنفسه فافعلوا انتم كذلك ايضا وهذا نسبه لمن
كان يرجو الله واليوم الآخر يخشى يوم البعث وهذا تخصيص بعد التعميم بالمؤمنين يعني ان الاسوة برسول الله صلى الله عليه وسلم
لمن كان يرجو الله واليوم الآخر قال ابن عباس يرجو ثواب الله وقال مقاتل يخشى الله واليوم الآخر يخشى يوم البعث الذي فيه
جزاء الاعمال وذكر الله كثيرا في جميع المواطن على السراء والضراء ثم وصف حال المؤمنين عند لقاء الاحزاب فقال ولما رأى المؤمنون
الاحزاب لما ذكر حال المنافقين ذكر حال المؤمنين وهو انهم لما راوا الاحزاب قالوا تسليما لامر الله وتصديقا بوعده وهو قوله هذا
ما وعدنا الله ورسوله الا غرورا وقولهم وصدق الله لبيان اشارة الى ما وقع وانهم كانوا يعرفون صدق الله قبل الوقوع وانما هو اشارة
الى البشارة وهو انهم قالوا هذا ما وعدنا الله وقد وقع صدق في جميع ما وعد فيقع الكل مثل فتح مكة وفتح الروم وفارس وما زادهم
الا ايمانا وتسليما عند وجوده ووعد الله اياهم ما ذكر في سورة البقرة في قوله ام حسبتم ان تدخلوا الجنة الى قوله الا ان نصر الله قريب
فالآية تتضمن ان المؤمنين يلحقهم مثل ذلك البلاء فلما راوا الاحزاب ما اصابهم من الشدة قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله
ورسوله وما زادهم الا ايمانا وتسليما اي تصديقا لله وتسليما لامر الله قوله تعالى وصدق الله ورسوله من تكرير الظاهر تعظيما
كقوله * ارى الموت لا يسبق الموت شيء * ولو اعادهما مضمرين لجمع بين اسم الباري تعالى واسم رسوله في لفظة واحدة فكان
يقال وصدقا والنبي صلى الله عليه وسلم قد كره ذلك ورد على من قال لخطيب قال من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصهما فقد غوى

فقال بئس خطيب القوم انت ونحن نعص الله ورسوله صرفا الى تعظيم وقيل الى تعظيم الله وقيل رد عليه لانه وقف على بعضهما
او على الاول استشكل بعضهم قوله حتى يكون الله ورسوله احب اليه مما سواهما فقد جمع بينهما في ضمير واحد واجيب بان النبي
صلى الله عليه وسلم اعرف بقدر الله منا فليس لنا ان نقول كما يقول **قوله تعالى** وما زادهم ما زادهم على ضمير الوعد اي وما
زادهم وعد الله والصدق وقيل ضمير الروية وانما ذكر لان تانيثهما غير حقيقي ولم يذكر غيرهما لما نظروا وقال ايضا وهذا
مجيئ منه وقرا ابن ابي عبلة وما زادهم بضمير الجمع ويعود الاحزاب لان النبي صلى الله عليه وسلم اخبرهم ان الاحزاب تاتيهم
بعد عشر او تسع **قوله تعالى** من المومنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه وفوا بقوله صدقوا صدق يتعدى لاثنين
ثانيهما بحرف الجر ويجوز حذفه ومنه المثل صدقوني سن بكرة اي في سن والاية يجوز ان تكون من هذا والاول محذوف اي صدقوا
الله فيما عاهدوا عليه ويجوز ان يتعدى لواحد كقولك صدقني زيد وكذبني عمرو اي قال لي الصدق وقال الكذب
فيكون المعاهد عليه مكرفيا مصدرا وقائما كانهم قالوا للشي المعاهد عليه لو وفين بك قد فعلوا وما بمعنى الذي ولذلك
اعاد عليها الضمير في عليه وقال مكي ما في موضع نصب بصدقوا وهي والفعل مصدر تقديره صدقوا العهد اي وفوا به
هذا يرده عود الضمير لانه لا لاخفش وابي السراج تذهبان الى اسمية ما المصدرية قضى نحبه النحب النذر والانسان واعتقد
الوفا به قال الشاعر • عشية فر الحارثيون بعدما • قضى نحبه في ملتقى القوم هوبر •
وقال اخر • بطخفة جالدنا الملوك رجلنا • عشية بسطام جرين على نحب •
اي على امر عظيم وانه يقال نحب فلان اي نذر نذرا ويعبر به عن الموت كقوله قضى نحبه اي اجله لما كان الموت لابد منه جعل كالنذر
الملزم والنحيب البكا ومعه صوت والنحاب السعال **فصل** قال المفسرون معنى صدقوا ما عاهدوا الله عليه اي وفوا
بعهدهم الذي عاهدوا الله فمنهم من قضى نحبه اي فرغ من نذره ووفى بعهده فصبر على الجهاد وقاتل حتى قتل والنحب النذر قال
مقاتل قضى نحبه اجله فقتل على الوفاء يعني حمزة واصحابه وقيل قضى نحبه اي بذل جهده في الوفاء بالعهد من قول العرب نحب فلان
في سيره يومه ومنهم من ينتظر الشهادة يعني من بقي من المومنين ينتظرون احدى الحسنيين اما الشهادة واما النظر وما بدلوا تبديلا
بخلاف المنافقين فانهم قالوا لا نولي الادبار وخالفوا قولهم وولوا الادبار **قوله تعالى** ليجزي الله فيها قولين احدهما
انها لام العلة والثاني انها لام الصيرورة وفيما تتعلق به اوجه اما بصدقوا او بما زادهم واما بدلوا وعلى هذا قال الزمخشري
جعل المنافقين كانهم قصدوا عاقبة السوء وارادوها بتبديلهم كان صدق الصادقين عاقبة الصدق لوفائهم لان كلا الفريقين
موفى الى عاقبة من الثواب والعقاب فكانهما استويا في طلبها والسعي لتحصيلها والمعنى ليجزي الله الصادقين بصدقهم اي جزاء صدقهم
وهو الوفا بالعهد ويعذب المنافقين ان شاء اي الذين كذبوا واخلفوا قوله ان شاء ذلك ليميتهم على الايمان او يتوب عليهم فما بادوا
والجواب ان شاء بقدره وكذلك ان شاء تعذيبهم عذبهم فان **قيل** عذابهم محتم فكيف يصح تعليقه على المشية وهو قد شا تعذيبهم
اذا ماتوا على النفاق فالجواب اجاب ابن عطية بان تعذيب المنافقين ثمرة ادامتهم الاقامة على النفاق الى موتهم موازنة لتلك الاقامة
وثمرة التوبة تركهم دون عذاب فهما درجتان اقامة على نفاق او توبة منه وعنهما ثمرتان تعذيب او رحمة فذكر تعالى على جهة الايجاز
واحدة من هاتين ما ذكر على ما ترك ذكره ويدل على ان معنى قوله ليعذب ليديم على النفاق قوله ان شاء ومعادلته بالتوبة وقال
ابو البقا وكان ما ذكر يؤول الى النقدير ليقيموا على النفاق فيموتوا عليه ان شاء فيعذبهم او يتوب عليهم فيرحمهم فحذف سبب
التعذيب واثبت المسبب وهو التعذيب واثبت سبب الرحمة والغفران وحذف المسبب وهو الرحمة والغفران وقال ابن الخطيب انما قال
ذلك حيث لم يكن قد حصل ما بين النبي صلى الله عليه وسلم من ايمانهم ومن يعذب ذلك منهم وكان الله غفورا رحيما ستر ذنوبهم ورحيما
حيث رحمهم ورزقهم من الايمان فيكون هذا فيمن بعد او يقول ويعذب المنافقين مع انه كان غفورا رحيما لكثرة ذنوبهم وقوة
جرمهم ولو كان دون ذلك لغفر لهم ثم بين بعدما جزاهم الله على صدقهم فقال ورد الله الذين كفروا بغيظهم وهم قريش وغطفان
بغيظهم لم يشف صدورهم بنيل ما ارادوا لم ينالوا خيرا ظفرا وكفى الله المومنين القتال بالملائكة والريح اذ لم يحرجهم الى قتال وكان الله
قويا في ملكه فلم يحتاج الى قتالهم عزيزا في انتقامه قادرا على استيصال الكفار **قوله تعالى** بغيظهم يجوز ان يكون الباء سببية وهي الذي
قدرها ابو البقا بالمفعول انها معدية والثاني ان تكون للمصاحبة فيكون حالا اي مغيظين **قوله تعالى** لم ينالوا خيرا حال ثانية
او حال من الحال الاولى فهي متداخلة ويجوز ان تكون حالا من الضمير المجرور بالاضافة وجوز الزمخشري فيهما ان تكون بيانا للحال
الاولى مستانفة ولا يظهر البيان الا على البدل والاستيناف بعيد **قوله تعالى** وانزل الذين اي وانزل الله الذين ظاهروهم
اي عاونوا الاحزاب من قريش وغطفان على رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون وهم بنو قريظة **قوله تعالى** من اهل
الكتاب بيان للموصولة فيتعلق بمحذوف ويجوز ان يكون حالا ومن صياصيهم متعلق بانزل ومن لابتدا الغاية والصياصي جمع صيصة
وهي الحصون والقلاع والمعاقل ويقال لكل ما يمتنع منه ويتحصن صيصة ومنه قيل لقرن الثور وشوكة الديك صيصة والصياصي

ايضا

ايضا شوكة الحاكة ايضا ويتخذ من حديد قال دريد بن الصمة •• كوقع الصياصي في النسيج الممدد • **قوله تعالى** وقذف
في قلوبهم الرعب حتى سلموا انفسهم للقتل واولادهم ونساءهم للسبي **قوله تعالى** فريقا تقتلون فريقا منصوب بما بعده
والجملة مبينة ومقررة لقذف الله الرعب في قلوبهم والعامة على الخطاب في الفعلين وابن ذكوان في رواية بالغيبة عنهما
واليماني بالغيبة في الاولى فقط وابو حيان تاسرون بضم السين فان **قيل** ما فايدة تقديم المفعول في الاول حيث قال
فريقا تقتلون وتاخيره حيث قال وتاسرون فريقا فالجواب قال ابن الخطيب قال القايل يبدأ بالاهم والاقرب فالاقرب
فالرجال كانوا مشهورين وكان القتل واردا عليهم والسبي والاسر اظهر من القتل لانه يبقى فيظهر لكل احد انه اسير فقدم من
المحلين ما هو اشهر على الفعل القايم به ومن الفعلين ما هو اشهر قدمه على المحل الخفي وجواب اخر وهو ان قوله فريقا تقتلون
فعل ومفعول والاصل في الجمل الفعلية تقديم الفعل على المفعول والفاعل انها جملة فعلية ولانها لو كانت اسمية لكان الواجب
في فريق الرفع كان يقول فريق منهم تقتلونهم فلما نصب كان ذلك لانه فعل مضمر فسره الظاهر تقديره فريقا تقتلون
وتقتلون فريقا فالحامل على مثل هذا الكلام شدة الاهتمام ببيان المفعول وههنا كذلك لانه يقال لما ذكر حال الذين
ظاهروهم وانه قذف في قلوبهم الرعب فلما قال تقتلون اوهم ان يسمع السامع مفعول تقتلون يكون زمان وقد يمنعه مانع
فيفوته فلا يعلم انهم هم المقتولون فاما اذا قال فريقا سبق في قلوبهم الرعب الى سمعهم فيستمع الى تمام الكلام فلما كان الاول
فعلا ومفعولا قدم المفعول لفايدة عطف الجملة الثانية عليها على الاصل بتقديم الفعل على المفعول والفاعل لزوال الموجب
للتقديم اذا عرف حالهم وما يجي بعده يكون محصورا في الهم فلو قال تبدد لك وفريقا تاسرون فمن سمع فريقا ربما يظن ان يقال
فيهم يطلقون او لا يقدرون عليهم وكان تقديم الفعل ههنا اولى وكذا الكلام في قوله وانزل الذين وقوله وقذف فان قذف
الرعب قبل الانزال لان الرعب صار بسبب الانزال ولكن لما كان الفرح في انزالهم اكثر قدم الانزال على قذف الرعب والله اعلم
قوله تعالى فريقا تقتلون هم الرجال قيل كانوا ستمائة وتاسرون فريقا هم النساء والذراري قيل كانوا سبعمائة وخمسين
وقيل كانوا تسعمائة واورثكم ارضهم وديارهم واموالهم وارضا لم تطئوها بعد قال ابن زيد ومقاتل يعني خيبر وقال قتادة كنا
نحدث انها مكة وقال الحسن فارس والروم وقال عكرمة كل ارض تفتح الى يوم القيمة **قوله تعالى** لم تطئوها بواو بعد الطاء مضمومة
الجملة صفة لارضا والعامة على همزة مضمومة بعدها واو ساكنة مضارع وطي وزيد بن علي تطوها بواو بعد الطاء مفتوحة ووجهها
انها ابدل الهمزة والفاعل غير قياس كقوله • ان الاسود لتهدي في مرابضها • فلما التقى بالواو التقى ساكنان فحذف اولهما
فقوله ترودها وهذا احسن من ان يقول ثم حذف اي ثم اجري الالف المبدلة من الهمزة مجرى الالف المتأصلة فحذفها جزما لان الاصل
هنا ان لا تحذف اعتدادا باصلها واستشهد بعضهم على الحذف بقول زهير • جري متى يظلم يعاقب بظلمه • سريعا والا يبد بالظلم يظلم
قوله تعالى وكان الله على كل شي قديرا هذا يوكد قول من قال ان المراد من قوله وارضا لم تطئوها ما سيفتح بعد بنا قريظة لان الله تعالى
لما ملكهم تلك البلاد ووعدهم بغيرها دفع الميعاد من لا يكون قويا لا يتكل على الله تعالى وقال الله ملككم هذه وهو على كل شي قدير
ويملككم هذه عوضا **فصل** روي عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول لا اله الا الله وحده اعز جنده
ونصر عبده وغلب الاحزاب وحده فلا شي بعده **قوله تعالى** يا ايها النبي قل لازواجك ان كنتن تردن الحيوة الدنيا الاية
وجه التعلق ان مكارم الاخلاق منحصرة في شيئين التعظيم لامر الله والشفقة على خلق الله وعلى هذا اشار عليه السلام بقوله الصلاة
وما ملكت ايمانكم فالله تعالى لما ارشد نبيه الى ما يتعلق بجانب التعظيم بقوله يا ايها النبي اتق الله ذكر ما يتعلق بجانب الشفقة وبدا
بالزوجات فانهن اولى الناس بالشفقة ولهذا قدمهن في النفقة **فصل** قال المفسرون سبب نزول هذه الاية ان نساء النبي صلى الله
عليه وسلم سالنه من عرض الدنيا شيئا فيطلبن منه زيادة في النفقة واذينه بغيرة بعضهن على بعض فهجرهن رسول الله صلى الله عليه وسلم
والى ان لا يقربهن شهرا ولم يخرج الى اصحابه فقالوا ما شانه وكانوا يقولون طلق رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءه فقال عمر لاعلمن لكم
شانه قال فدخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله اطلقتهن قال لا فقلت يا رسول الله اني دخلت المسجد والمسلمون
يقولون طلق رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءه ونزلت هذه الاية واذا جاءهم امر من الامن او الخوف اذاعوا به ولو ردوه الى الرسول
والى اولي الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم فكنت انا استنبطت ذلك الامر فانزل الله اية التخيير وكانت تحت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يومئذ تسع نسوة خمس من قريش عائشة بنت ابي بكر وحفصة بنت عمر وام حبيبة بنت ابي سفيان وام سلمة بنت امية وميمونة بنت
الحارث الهلالية وصفية بنت حيي بن اخطب الخيبرية وجويرية بنت الحرث المصطلقية فلما نزلت اية التخيير بدا رسول الله صلى الله عليه وسلم
بعائشة وكانت احبهن اليه فخيرها وقرا عليها القران فاختارت الله ورسوله والدار الاخرة وروي الفرح في وجه رسول الله صلى الله
عليه وسلم وتابعنها على ذلك قال قتادة فلما اخترن الله ورسوله شكرهن الله على ذلك وقصره عليهن فقال لا يحل لك النساء من بعد
وعن جابر بن عبد الله قال دخل ابو بكر على علي يستاذن رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجد الناس جلوسا على بابه لم يوذن لاحد قال فاذن

لابي بكر يدخل فبل عمر فاستاذن فاذن له فوجد النبي صلى الله عليه وسلم جالسا حوله نساؤه واجما ساكتا فقال لاقولن شيا اضحك
النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله لو رايت بنت خارجة فقام ابو بكر الى عايشة يجا عنقها وقام عمر الى حفصة يجا عنقها كلاهما يقول
لا تسالي رسول الله صلى الله عليه وسلم شيا ابدا ليس عنده ثم اعتزلهن شهرا او تسعا وعشرين يوما ثم نزلت هذه الاية يا ايها النبي
قل لازواجك حتى بلغ للمحسنات منكن اجرا عظيما قال فبدا بعايشة اني اعرض عليك امرا لا احب ان تعجلي فيه حتى تستشيري ابويك
قالت وما هو يا رسول الله فتلا عليها الاية فقالت افيك يا رسول الله استشير ابوي بل اختار الله ورسوله والدار الاخرة واسالك
ان لا تخبر امراة من نسايك بالذي قلت قال لا تسالني امراة منهن الا اخبرتها ان الله لم يبعثني معنتا ولا متعنتا ولكن بعثني
معلما ميسرا وروى الزهري ان النبي صلى الله عليه وسلم اقسم ان لا يدخل على ازواجه شهرا قال الزهري فاخبرني عروة عن عايشة
قالت فلما مضى تسع وعشرون اعدهن دخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت بدا بي فقلت يا رسول الله انك اقسمت ان لا تدخل
علينا شهرا وانك دخلت من تسع وعشرين فقال ان الشهر تسع وعشرون **فصل** اختلف العلماء في هذا الخيار هل كان
ذلك تفويض الطلاق اليهن حتى يقع بنفس الاختيار ام لا فذهب الحسن وقتادة واكثر اهل العلم الى انه لم يكن تفويض الطلاق
وانما خيرهن على انهن اذا اخترن الدنيا فارقهن بقوله تعالى فتعالين امتعكن واسرحكن سراحا جميلا ويدل عليه انه لم يكن جوابهن
على الفور وذهب اخرون انه كان تفويض طلاق ولو قال اخترن انفسهن كان طلاقا واختلف العلماء في حكم التخيير فقال
عمر وابن مسعود وابن عباس اذا خير الرجل امراته فاختارت زوجها لا يقع شي ولو اختارت نفسها وقع طلقة واحدة وهو قول
عمر بن عبد العزيز وابن ابي ليلى وسفيان والشافعي واصحاب الراي الا ان عند اصحاب الراي يقع طلقة باينة اذا اختارت نفسها
وعند الاخرين رجعية وقال زيد بن الحسن ورواية عن مالك وروي عن علي ايضا انها اذا اختارت زوجها لا يقع شي لما روت
عايشة قالت خيرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخترنا الله ورسوله فلم يعد ذلك شيا **قوله تعالى** امتعكن واسرحكن
العامة على جزمهما وفيه وجهان احدهما انه مجزوم على جواب الشرط وما بين الشرط وجوابه معترض ولا يضر دخول الفاء على
جملة الاعتراض ومثله في دخول الفاء قوله • • واعلم فعلم المرء ينفعه • وانه سوف ياتي كلما قدرا •
يريد واعلم انه سوف ياتي والثاني ان الجواب قوله فتعالين وامتعكن جواب لهذا الامر وقرا زيد بن علي بتخفيف التاء من امتعكن وقرا
حميد الخزاز امتعكن واسرحكن بالرفع فيهما على الاستيناف وسراحا قايم مقام التسريح **فان قيل** قال ابن الخطيب وههنا
مسايل منها هل كان هذا التخيير واجبا على النبي ام لا **فالجواب** ان التخيير كان قولا واجبا من غير شك لانه ابلاغ للرسالة
لان الله تعالى لما قال قل لهم صار من الرسالة واما التخيير فمبني على ان الامر للوجوب ام لا والظاهر انهم لم يصفوا وانما تبين
المختارة نفسها فانه من جهة النبي عليه السلام بقوله فتعالين امتعكن واسرحكن سراحا جميلا ومنها ان واحدة منهن لو اختارت
نفسها وقالت وقلنا انها لا تبين الا بابانة النبي صلى الله عليه وسلم فهل كان يجب على النبي عليه السلام الطلاق ام لا الظاهر
نظرا الى منصب النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يجب لان الخلف في الوعد من النبي غير جايز بخلاف احدنا فانه لا يلزمه شرعا الوفا
بما يعد ومنها ان المختارة البينونة هل كانت تحرم ام لا والظاهر انها لا تحرم والا لا يكن التخيير ممكنا لها من التمتع بزينة
الدنيا ومنها ان من اختارت الله ورسوله هل كان يحرم على النبي صلى الله عليه وسلم طلاقها ام لا الظاهر الحرمة نظرا الى منصب
الرسول عليه السلام على معنى ان قوله تعالى اعد للمحسنات منكن اي عملا صالحا منكن كقوله تعالى ومن يسلم وجهه لله وهو محسن
والاجر الكبير العظيم الزايد في الطول والعرض وفي العمق حتى لو كان زايدا في طول يقال له طويل ولو كان زايدا في العرض يقال له
عريض وكذلك العمق فاذا وجدت الامور الثلاثة قيل عظيم اذا كان غالبا ممتدا في الجهات وان كان مرتفعا بحسب يقال جبل
عال اذا ظهر وهذا فاجر الدنيا في ذاته قليل وفي صفاته غير خال من جهة القبح لما في ماكوله ومشروبه من الضرورة وغيرهما وايضا
فهو غير دايم واجر الاخرة كثير يقال غير خال من القبح دايم فهو عظيم **قوله تعالى** يا نساء النبي من يات منكن العامة على
ان يات بالياء من تحت حملا على اللفظ من لانه اداة تقوم مقام الاسم يعبر به عن الواحد والجمع والمذكر والمونث وقرا زيد
بن علي والجحدري ويعقوب بالتاء من فوق حملا على معناه لانه يرشح بقوله منكن ومنكن حال من فاعل يات وتقدم القراءة
في مبينة بالتبيه فكسر الياء وفتحها في النساء **قوله تعالى** يضاعف قرا ابو عمرو يضعف بالياء من تحت وتشديد العين مفتوحة
على البناء للمفعول العذاب بالرفع لقيامه مقام الفاعل وقرا ابن كثير وابن عامر نضعف بنون العظمة وتشديد العين مكسورة
على البناء للفاعل العذاب بالنصب على المفعول به وقرا الباقون يضاعف من المفاعلة مبنيا للمفعول العذاب بالرفع لقيامه
مقام الفاعل وقد تقدم توجيه التضعيف والمضاعفة في سورة البقرة **فصل** قال ابن عباس المراد هنا بالفاحشة
النشوز وسوء الخلق وقيل هو كقوله تعالى لئن اشركت ليحبطن عملك ان النبي صلى الله عليه وسلم لما خير نساءه واخترن الله ورسوله
هددهن الله بالتوقي عما يسوء النبي ويقبح بهن من الفاحشة التي هي اصعب على الزوج من كل ما تاتي به زوجته واوعدهن بتضعيف

تضعيف

تضعيف العذاب وفيه حكمتان احداهما ان زوجة الغير تعذب على الزنا بسبب ما في الزنا من المفاسد وزوجة النبي تعذب
ان اتت به كذلك ولايذاء قلبه والازراء بمنصبه وعلى هذا بنات النبي صلى الله عليه وسلم كذلك ولان امراة لو كانت تحت النبي ويكون
ذلك الغير وانتت بفاحشة تكون قد اختارت غير النبي ويكون ذلك الغير خيرا عندها من النبي والنبي اولى من النفس التي هي اولى
من الغير فقد نزلت مرتين فتعذب من العذاب ضعفين ثانيهما ان هذا اشارة الى شرفهن لان الحرة عذابها ضعف عذاب الامة اظهارا
لشرفها ونسبة النبي الى غيرها من الرجال نسبة السادات الى العبيد لكونه اولى بهم من انفسهم فكذلك زوجاته اللاتي هن امهات المومنين وام
الشخص امراة حاكمة عليه واجبة الطاعة وزوجته مامورة محكومة فصارت زوجة الغير بالنسبة الى زوجة النبي عليه السلام كالامة
بالنسبة الى الحرة واعلم ان قول القايل من يفعل ذلك في قوة قوله لئن اشركت ليحبطن ذلك من حيث ان قولك ذلك ممكن لو وقع في اول النظر
ولا يقع في بعض النظر الصوري جزما وفي بعض يقع جزما وفي البعض يتردد السامع في الاخرين فقوله تعالى من يات منكن بفاحشة
من القبيل الاول فان الانبياء صان الله زوجاتهم من الفاحشة ثم قال وكان ذلك على الله يسيرا اي امر كونكن تحت النبي عليه السلام
وكونكن شريفات جليلات مما يدفع العذاب عنكم وليس امر الله كامر الخلق حيث يتعذر عليهم تعذيب الاعزة بسبب كثرة اوليايهم واعوانهم
او شفعايهم واخوانهم **قوله تعالى** ومن يقنت منكن لله ورسوله وهذا بيان لزيادة ثوابهن كما بين زيادة عقابهن نوتها اجرها
مرتين في مقابلة قوله يضعف لها العذاب ضعفين وفيه لطيفة وهي عند بيان الاجر ذكر المولي والله نوتها وعند العذاب
لم يصرح بالمعذب فقال يضاعف وهذا اشارة الى كمال الرحمة والكرم **قوله تعالى** وتعمل صالحا نوتها قرا الاخوان يوت وياتي
ويعمل بالياء من تحت فيهما والباقون وتعمل بالتاء ونوتها بالنون والياء في يعمل لاجل الحمل على لفظ من وهو منكن وقوله
وان من النساء من هي بروضة **فصل** لما تقدم قوله من النسوان يوجه المعنى الحمل عليه وانما قراها بالياء من تحت فالضمير
لله تعالى لتقدم اسم الله ورسوله وبالنون فهي نون العظمة وفيه انتقال من الغيبة الى التكلم وقرا الجحدري ويعقوب وابن عامر في رواية
وابو جعفر وشيبة تعمل بالتاء من فوق حملا على المعنى ولذلك لم تعمل وقال ابو البقاء ان بعضهم قرا ومن يقنت بالتانيث حملا على
اللفظ فقال بعض النحويين هذا ضعيف لان التذكير اصل فلا يجعل تبعا للتانيث وما عللوه به فقد جاء مثله في القران
قال تعالى خالصة لذكورنا ومحرم على ازواجنا **قوله تعالى** واعتدنا لها رزقا كريما يعني الجنة ووصف رزق الاخرة بالكريم
فالكريم لا يكون وصفا الا للرزاق وذلك اشارة الى ان الرزق في الدنيا مقدر على ايدي الناس التاجر يسترزق من السوقة والمعاملين
والصناع من المستعملين والملوك من الرعية والرعية منهم فالرزق في الدنيا لا ياتي بنفسه وانما هو مسخر للغير يمسكه ويرسله الى الاغيار
واما في الاخرة فلا يكون له مرسل وممسك في الظاهر وهو الذي ياتي بنفسه فلاجل هذا لا يوصف في الدنيا بالكريم الا الرازق وفي الاخرة
يوصف بالكريم نفس الرزق **قوله تعالى** يا نساء النبي لستن كاحد من النساء قال الزمخشري احد في الاصل بمعنى واحد وهو الواحد
ثم وضع في النفي العام مستويا فيه المذكر والمونث والواحد وما وراءه والمعنى لستن كجماعة واحدة من جماعات النساء اي اذا تقصيت
جماعة النساء واحدة واحدة لم يوجد منهن جماعة واحدة تساويكن في الفضل والسابقة ومنه قوله عز وجل والذين امنوا بالله ورسله
ولم يفرقوا بين احد منهم يريد بين جماعة واحدة منهم تسوية بين جميعهم في انهم على الحق المبين قال ابو حيان اما قوله احد في الاصل بمعنى وحد
وهو الواحد فصحيح واما قوله وضع الى اخره او الى قوله وما وراءه فليس بصحيح لان الذي يستعمل في النفي العام مدلوله غير مدلول
واحد لان واحد ينطلق على كل شي اتصف بالوحدة واحد في العام النفي العام مختص بمن يعقل وذكر النحويون ان مادته همزة وحا ودال
والكدوه ومادة احد بمعنى واحد واو وحا ودال فقد اختلف المادة والمدلول واما قوله لستن كجماعة واحدة لا على المجموع يستعمل
في النفي العام ولذلك ذكر قلنا الى معناه ليس كل واحدة منكن فهو حكم على واحدة لا على المجموع من حيث هو مجموع ولما لم يفرقوا بين
احد منهم فيجوز ان يكون الذي يستعمل في النفي العام وكذلك جا في سياق العام وصلحنا البيت للعموم ويجوز ان يكون احد بمعنى واحد
وحذف معطوف اي بين احد واحد كما قال وقال فما كان بين الخير لو جا سالما الا ليال قلايل اي بين الخير وبيني قال شهاب الدين اما
قوله فقد اختلفا مدلولا ومادة فمسلم ولكن الزمخشري لم يجعل احد الذي اصله واحد بمعنى احد المختص بالنفي ولا يمنع ان احد
الذي اصله واحد انه يقع في سياق النفي مما العام وبينهما ان الذي همزته اصل لا يستعمل الا في النفي كقوله كا خوانة عوف
وكيع ودابر وتامر والذي اصله واحد يجوز ان يستعمل اثباتا ونفيا والفرق ايضا بينهما ان المختص بالنفي جامد وهذا وصف
وايضا المختص بالنفي مختص بالعقلاء وهذا لا يختص واما معنى النفي فانه ظاهر على قول الزمخشري الحكم على المجموع ولكن المعنى
على ما قاله ابو حيان اوضح وان كان بخلاف الظاهر ان اتقيتن في جوابه وجهان احدهما انه محذوف لدلالة ما تقدم عليه
اي ان اتقيتن الله فلستن كاحد والشرط قيد في نفي ان يشبهن باحد من النساء والثاني ان جوابه لا تخضعن والتقوى على بابها
وجوز ابو حيان على هذا ان يكون تقوى بمعنى استقبل اي استقبلتن فلا يجوز في القول والتقى بمعنى استقبل معروف وانشد قوله
• سقط النصيف ولم ترد اسقاطه • فتناولته واتقتنا باليد •

أي واستقبلنا بالليل قال ويكون على هذا المعنى أبلغ في مدحهن إذ لم يعلق فضلهن على التقوى ولا علق نهيهن عن الخضوع بها
إذ هن متقيات في أنفسهن والتعليق يقتضي ظاهره أنهن لسن متحليات بالتقوى قال شهاب الدين هذا خروج عن الظاهر من غير
ضرورة وأما البيت فلا يتعين أيضاً على أن تراه يحتمل وجهاً يبديها هنا **قوله تعالى** فيطمع العامة على نصبه جواباً للنهي بالجزم
فيكسر العين لالتقاء الساكنين وروي عنه وعن ابن السماك وعيسى بن عمر وابن محيصن بفتح الياء أيضاً أنه قرأ بضم الياء وكسر الميم
من أطمع وهو يحتمل وجهين أحدهما أن يكون الفاعل ضمير المصدر أي الخضوع المفهوم من الفعل والذي مفعوله أي لا
تخضعن فيطمع الخضوع المريض القلب ويحتمل أن يكون المريض المبني فاعلاً ومفعوله محذوف أي فيطمع المريض نفسه

فصل قال ابن عباس لستن كأحد من النساء يريد ليس قدركن عندي مثل قدر غيركن من النساء الصالحات أنتن أكرم علي
وثوابكن أعظم ولم يقل كواحدة لأن الأحد عام يصلح للواحد والاثنين والجمع والمذكر والمؤنث قال تعالى لا نفرق بين أحد من رسله
قال فما منكم من أحد عنه حاجزين وقوله إن اتقيتن الله فأطعتنه ولما منعهن من الفعل القبيح منعهن من مقدماته وهي المحادثة
مع الرجال فقال فلا تخضعن بالقول أي لا تلن القول للرجال ولا ترققن الكلام فيطمع الذي في قلبه مرض أي فسق وفجور
وشهوة وقيل نفاق والمعنى لا تقلن قولاً يجد منافق أو فاجر به سبيلاً إلى الطمع فيكن والمرأة مندوبة إلى الغلظة في المقالة إذا خاطبت
الأجانب لقطع الأطماع وقلن قولاً معروفاً أي ذكر الله وما يحتجن إليه من الكلام ومما يوجب الدين والإسلام بتصريح وبيان
من غير خضوع وخضوع **قوله تعالى** وقرن في بيوتكن قرأ نافع وعاصم بفتح القاف والباقون بكسرها فأما الفتح ففيه وجهان
أحدهما أنه أمر من قررت بكسر الراء الأولى في المكان أقر به بالفتح فاجتمع راءان في اقررن فحذفت الثانية تخفيفاً ونقلت حركة الراء
الأولى إلى القاف فحذفت همزة الوصل استغناء عنها فصار قرن ووزنه على هذا فعن فإن المحذوف هو اللام لأنه حصل به الثقل وقيل
المحذوف الراء الأولى لأنه لما نقلت حركتها بقيت ساكنة وبعدها أخرى ساكنة فحذفت الأولى لالتقاء الساكنين ووزنه
على هذا فلن فإن المحذوف هو العين وقال أبو علي أبدلت الراء الأولى ياء ونقلت حركتها إلى القاف فالتقى ساكنان بالياء لالتقائهما
فعل ذلك أوجه في توجيه أمر من قررت بالمكان الوجه الثاني أنه أمر من قار يقار كخاف يخاف إذا اجتمع ومنه القارة لاجتماعها فحذفت
العين لالتقاء الساكنين فقيل قرن كخفن ووزنه على هذا أيضاً فلن لأن بعضهم تكلم في هذه القراءة من وجهين أحدهما قال أبو
حاتم يقال قررت بالمكان بالفتح أقر به بالكسر وقررت عينه بالكسر تقر بالفتح فكيف يقرأ وقرن بالفتح والجواب من هذا أنه قد سمع في
كل منهما الفتح والكسر حكاهما أبو عبيد وتقدم ذلك في سورة مريم الثاني أنه مسلم أنه يقال قررت بالمكان وبالكسر لغة به بالفتح وإن
الأمر منه أقررن إلا أنه مسوغ الحذف لأن الفتحة خفيفة فلا يجوز قياسهم على قولهم ظلت في ظللت قال تعالى فظلتم تفكهون
فظلت عليه عاكفاً رباه لأن هناك شيئين ثقيلين ويؤيد هذا أنهم لم يحذفوه مع التكرار ووجود الضمة وإن كان أثقل
نحو اغضضن أبصاركن وكان أولى بالحذف فيقال غضن لكن السماع خلافه قال تعالى وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن
على أن مالكاً قال إنه يخالف هذا أبطن بل الأولى أن يقول هذه القراءة أغاجي من قار يقار بمعنى اجتمع وهو وجه حسن يمنع من
التكلف فيدفع اعتراض أبي حاتم وغيره لولا أن المعنى على الأمر بالاستقرار لا بالاجتماع وأما الكسر ففيه وجهان أحدهما أنه أمر من قر
بالمكان بالفتح في الماضي والكسر في المضارع وهي اللغة الفصحى وحذف فيها كما قال الفارسي ولا اعتراض على هذه القراءة لمجيئها على سنن
اللغة فيندفع الاعتراض الثاني ومعناها مطابق لما يراد بها من الثبوت والاستقرار الوجه الثاني أنها أمر من وقر يقر أي ثبت
واستقر ومنه الوقار وأصله أوقرن وحذفت الفاء وهي الواو واستغني عن همزة الوصل فصار كالأمر من وعد سواء وقرن
ووزنه على هذا علن وقال البغوي الأصح أنه أمر من قرن في علم التصريف والاشتقاق وقوله تبرج الجاهلية مصدر تشبيهي
أي مثل تبرج والتبرج الظهور من البرج لظهوره وقد تقدم قراءة البزي ولا تبرجن بإدغام التاء في التاء والباقون بحذف إحداهما
وتقدم تحقيقه في البقرة ولا يحكمو **فصل** قال المفسرون وقرن أي الزمن بيوتكن من قولك قررت بالمكان قراراً يقال
قرن أقر وهما لغتان فإن كان من الوقار أي كن أهل وقار وسكون من قولهم وقرت بالمكان وقر فلان يقر وقوراً إذا سكن
واطمأن ولا تبرجن قال مجاهد وقتادة التبرج هو التكبر وقال ابن أبي نجيح هو التبختر وقيل هو إظهار الزينة وإظهار المحاسن
للرجال تبرج الجاهلية الأولى قال الشعبي هو ما بين عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم وعليهما وقال أبو العالية هو ما بين داود وسليمان
عليهما السلام وكانت المرأة تلبس قميصاً من الدر غير مخيط الجانبين فيرى خلقها فيه وقال الكلبي كان في زمن نمرود وكانت المرأة تتخذ
الدرع من اللؤلؤ فتلبسه وتمشي وسط الطريق ليس عليها شيء غيره وتعرض نفسها على الرجال وروي عن عكرمة عن ابن عباس أنه قال الجاهلية
الأولى فيما بين نوح وإدريس عليهما السلام وكانت ألف سنة وإن بطنين من ولد آدم وكان أحدهما يسكن السهل والآخر يسكن الجبل
وكان رجال الجبل صباحاً وفي النساء دمامة وكان نساء السهل صباحاً وفي الرجال دمامة وإن إبليس أتى رجلاً من أهل السهل وأجر نفسه
منه وكان يخدمه واتخذ شيئاً مثل الذي يزمر به الرعاء فجاء بصوت لم يسمع الناس مثله فبلغ ذلك من حولهم فانتابوهم يستمعون إليه

في السنة فتبرج النساء للرجال وتزين الرجال لهن وإن رجلاً هجم عليهم في عيدهم فرأى النساء وصباحتهن فأتى أصحابه فأخبرهم
بذلك فتحولوا إليهم فنزلوا معهم فظهرت الفاحشة فيهم فذلك قوله ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى وقيل الجاهلية الأولى وإن لم يكن لها أخرى
كقوله تعالى وأنه أهلك عاداً الأولى ولم يكن لها أخرى **قوله تعالى** وأقمن الصلاة وآتين الزكاة وأطعن الله ورسوله أمرهن بعين ليس
التكليف في النهي وحده حتى يحصل بقوله لا تخضعن ولا تبرجن بل في النهي وفي الأمر فأقمن الصلوة وآتين الزكوة وأطعن الله ورسوله
أما أمر به في نهي أو نهى عنه إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس قال مقاتل الرجس الإثم الذي نهى الله عنه وقال ابن عباس يعني عمل الشيطان
وما ليس لله فيه رضى وقال قتادة يعني السوء وقال مجاهد الرجس الشك **قوله تعالى** أهل البيت فيه وجهان الاختصاص إلا أنه
في المخاطب أقل منه في المتكلم وسمع بك الله نرجو الفضل والأكثر إنما هو في المتكلم كقولها • نحن بنات طارق • نمشي على النمارق •
وقوله • نحن بني ضبة أصحاب الجمل • الموت أحلى من العسل • نحن العرب أقرى الناس للضيف • نحن معاشر الأنبياء لا نورث •
أو على المدح أي أمدح أهل البيت واختلف في أهل البيت فروى سعيد بن جبير عن ابن عباس أنهم نساء النبي صلى الله عليه وسلم لأنهن في بيته
وتلا قوله واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله وهو قول عكرمة ومقاتل وذهب أبو سعيد الخدري وجماعة من التابعين منهم
مجاهد وقتادة وغيرهما إلى أنهم علي وفاطمة والحسن والحسين لما روت عائشة قالت خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات غداة وعليه
مرط من شعر أسود فجلس فأتت فاطمة فأدخلها فيه ثم جاء علي فأدخله فيه ثم جاء الحسن فأدخله فيه ثم جاء الحسين فأدخله فيه ثم قال إنما
يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت قالت فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى فاطمة وعلي والحسن والحسين فقال هؤلاء أهل بيتي فقلت
يا رسول الله أما أنا من أهل البيت قال إما على إن شاء الله وقال زيد بن أرقم أهل بيته من حرم الصدقة بعده آل علي وآل عقيل وآل جعفر
وآل العباس قال ابن الخطيب والأولى أن يقال هم أولاده وأزواجه والحسن والحسين وعلي منهم لأنه من كان من أهل بيته لمعاشرته بنت النبي
عليه السلام وملازمته له **قوله تعالى** واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله يعني القرآن العظيم والحكمة يعني السنة وقال مقاتل
أحكام القرآن ومواعظه ومن آيات الله بيان للموصول فيتعلق بأعني ويجوز أن يكون حالاً من الموصول أو من عائده المقدر فيتعلق بمحذوف
أيضاً إن الله كان لطيفاً بأوليائه خبيراً بجميع خلقه **قوله تعالى** إن المسلمين والمسلمات قال مقاتل قالت أم سلمة بنت أبي أمية
ونسيبة بنت كعب الأنصارية للنبي صلى الله عليه وسلم ما بال ربنا يذكر الرجال ولا يذكر النساء في شيء من كتابه نخشى أن لا يكون فيهن خير فنزلت
هذه الآية وروي أن أزواج النبي صلى الله عليه وسلم قلن يا رسول الله ذكر الرجال في القرآن ولم يذكر النساء بخير فما فينا خير نذكر به إنا نخاف
أن لا يقبل منا طاعة فأنزل الله هذه الآية وروي أن أسماء بنت عميس رجعت من الحبشة مع زوجها جعفر بن أبي طالب فدخلت على نساء النبي
صلى الله عليه وسلم فقالت هل نزل فينا شيء من القرآن قلن لا فأتت النبي صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله إن النساء لفي خيبة وخسار
قال ولم ذلك قالت لأنهن لا يذكرن بخير كما يذكر الرجال فأنزل الله عز وجل إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات
والصادقين في إيمانهم وفيما ساءهم والصادقات والصابرين والصابرات على ما أمر الله به والخاشعين المتواضعين والخاشعات وقيل أراد به الخشوع
في الصلوة ومن الخشوع أن لا يلتفت والمتصدقين مما رزقهم الله والمتصدقات والصائمين والصائمات والحافظين فروجهم عما لا يحل
والحافظات وحذف مفعول الحافظات لتقدم ما يدل عليه والتقدير والحافظاتها وكذلك والذاكرات وحسن الحذف رؤوس الفواصل
والذاكرين الله كثيراً والذاكرات قال مجاهد لا يكون العبد من الذاكرين الله كثيراً حتى يذكر الله قائماً وقاعداً ومضطجعاً وروي أن النبي صلى الله
عليه وسلم قال سبق المفردون قالوا وما المفردون قال الذاكرون الله كثيراً والذاكرات قال عطاء بن أبي رباح من فوض أمره إلى الله عز وجل فهو داخل
في قوله إن المسلمين والمسلمات ومن أقر بأن الله ربه ومحمداً رسوله ولم يخالف قلبه لسانه فهو داخل في قوله والمؤمنين والمؤمنات والقانتين
والقانتات ومن صان قوله عن الكذب فهو داخل في قوله والصادقين والصادقات ومن صبر على الطاعة وعلى المعصية وعلى الرزية فهو
داخل في قوله والصابرين والصابرات ومن صلى ولم يعرف من عن يمينه وعن يساره فهو داخل في قوله والخاشعين والخاشعات ومن تصدق كل
أسبوع بدرهم فهو داخل في قوله والمتصدقين والمتصدقات ومن صام في كل شهر أيام البيض الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر فهو داخل في
قوله والصائمين والصائمات ومن حفظ فرجه دخل في قوله والحافظين فروجهم والحافظات ومن صلى الصلوات الخمس بحقوقها فهو داخل في
قوله والذاكرين الله كثيراً والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجراً عظيماً وغلب المذكر على المؤنث في قوله لهم ولم يقل ولهن **قوله تعالى** وما
كان لمؤمن ولا مؤمنة نزلت الآية في زينب بنت جحش الأسدية وأخيها عبد الله بن جحش وأمها أميمة بنت عبد المطلب عمة النبي صلى الله عليه وسلم
خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب على مولاه زيد بن حارثة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اشترى زيداً في الجاهلية بعكاظ فأعتقه
فلما خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب رضيت وظنت أنه يخطبها لنفسه فلما علمت أنه يخطبها لزيد أبت وقالت أنا ابنة عمتك يا رسول الله
فلا أرضاه لنفسي وكانت جميلة فيها حدة وكذلك كره أخوها ذلك فأنزل الله عز وجل وما كان لمؤمن ولا مؤمنة يعني عبد الله بن جحش
ولا مؤمنة زينب إذا قضى الله ورسوله أمراً أي أراد الله ورسوله أمراً وهو نكاح زيد لزينب أن تكون لهم الخيرة من أمرهم والخيرة الاختيار
أي يريد غير ما أراد الله ويمتنع مما أمر الله ورسوله أن يكون وهو اسم كان والخبر الجار المتقدم وقوله إذا قضى الله يجوز أن يكون محض ظرف

معمول الاستقرار الذي تعلق به الخبر اي وما كان مستقر المومن ولا مومنة وقت قضاء الله كون خيرة وان تكون شرطية
ويكون جوابها مقدرا لعدلولا عليه بالنفي المتقدم وقرا الكوفيون وهشام يكون بالياء لان الخيرة مجازي التانيث والفعل
ايضا والباقون بالتاء من فوق مراعاة للفظها وقد تقدم والخيرة مصدر تخير كالطيرة من تطير ونقل عيسى بن سليمان انه قرا الخيرة
بسكون الياء ومن امرهم حال من الخيرة وقيل من معنى في وجمع الضمير في امرهم وما بعده لان المراد المومن والمومنة الجنس وغلب المذكر
على المونث وقال الزمخشري كان من حق الضمير ان يوحد كما تقول ما جاءني رجل ولا امراة الا كان من شانه كذا قال ابو حيان وليس بصحيح
لان العطف بالواو لا يجوز الا بالمطابقة الا بتاويل الحذف قوله ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا اخطا خطا ظاهرا فلما سمعا ذلك
رضيا بذلك وسلما وجعلت امرها بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذلك اخوها فانكحها رسول الله صلى الله عليه وسلم زيدا فدخل بها وساق
رسول الله صلى الله عليه وسلم اليها عشرة دنانير وستين درهما وخمارا ودرعا وازارا وملحفة وخمسين مدا من الطعام وثلاثين صاعا
من تمر **قوله تعالى** واذ تقول للذي انعم الله عليه وهو زيد انعم الله عليه بالاسلام وانعمت عليه بالتحرير والاعتاق **قوله تعالى**
امسك عليك نص بعض النحويين على ان على مثل هذا التركيب انه قال لا يتعدى فعل المضمر المتصل الى ضميره المتصل في غير باب
الظن وفي لفظي فقد وعدم وجعل من ذلك قوله • هون عليك فان الامور بكف الاله مقاديرها • حكم على من في قوله
دع عنك نهبا صيح في حجراته • وقد تقدم ذلك مشبعا في الكل في قوله ولهم ما يشتهون وقوله وهزي اليك بجذع النخلة واضمم اليك
جناحك **قوله تعالى** وتخفي فيه اوجه احدها انه معطوف على تقول اي واذ تجمع بين قولك كذا واخفاء كذا وخشية الناس قاله
الزمخشري الثاني انها واو الحال اي تقول كذا في هذه الحالة قاله الزمخشري ايضا وفيه نظر من حيث انه مضارع مثبت فكيف
تناسبه الواو وتخرجه كتخريج قمت واصك عينه اعني على اضمار مبتدا الثالث انه مستانف قاله الحوفي وقوله والله احق ان تخشاه
تقدم مثله في براءة **فصل** قال المفسرون ان الاية نزلت في زينب بنت جحش وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
اتى زيدا ذات يوم لحاجة فابصر زينب قائمة في درع وخمار وكانت بيضاء جميلة ذات خلق من اتم نساء قريش فوقعت في نفسه
واعجبه حسنها فقال سبحان الله مقلب القلوب فانصرف فلما جاء زيد ذكرت له ذلك ففطن زيد فالقي في نفس زيد كراهتها في الوقت
فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اني اريد ان افارق صاحبتي قال ما لك ارابك منها شيء قال لا والله يا رسول الله ما رايت منها الا خيرا
ولكنها تتعظم علي لشرفها وتوذيني بلسانها فقال له النبي صلى الله عليه وسلم امسك عليك زوجك يعني زينب بنت جحش واتق الله في امرها
ثم طلقها زيد فذلك قوله عز وجل واذ تقول للذي انعم الله عليه بالاسلام وانعمت عليه بالاعتاق وهو زيد بن حارثة امسك عليك زوجك
واتق الله في امرها فيها ولا تفارقها وتخفي في نفسك ما الله مبديه اي تسر في نفسك ما الله مظهره اي كان في قلبه لو فارقها تزوجها
وقال ابن عباس حبها وقال قتادة ود انه لو طلقها وتخشى الناس قال ابن عباس والحسن تستحييهم وقيل تخاف لائمة الناس ان تقول
امر رجلا بطلاق امراته ثم نكحها فالله احق ان تخشاه قال عمر بن مسعود عن مسروق قال قالت عائشة لو كتم النبي صلى الله عليه وسلم
شيئا مما اوحي اليه لكتم هذه الاية وتخفي في نفسك ما الله مبديه وروى سفيان عن علي بن جدعان قال سالني علي بن الحسين زين العابدين
ما يقول الحسن في قوله وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله احق ان تخشاه قال قلت يقول لما جاء زيد الى النبي صلى الله
عليه وسلم فقال له يا نبي الله اني اريد ان اطلق زينب فاعجبه ذلك فقال امسك عليك زوجك واتق الله فقال علي بن الحسين ليس كذلك
كان الله قد اعلمه انها ستكون من ازواجه وان زيدا سيطلقها فلما جاء زيد قال اني اريد ان اطلقها قال له امسك عليك زوجك
وهذا هو الاولى والاليق بحال الانبياء وهو مطابق للتلاوة لان الله تعالى اعلم ان الله يبدي ويظهر ما اخفاه ولم يظهر غير تزويجها منه فقال زوجناكها
فلو كان الذي اضمره رسول الله صلى الله عليه وسلم محبتها وارادة طلاقها لكان يظهر ذلك لانه لا يجوز ان يخبر انه يظهره ثم يكتمه فلا يظهره
فدل على انه انما عوتب على اخفاء ما اعلمه الله انها ستكون زوجة له وانما اخفاه استحياء ان يقول لزيد ان التي تحتك في نكاحك
ستكون امراتي وهذا قول حسن وان كان الاخر وهو انه اخفى محبتها او نكاحها لو طلقها لا يقدح في حال الانبياء لان العبد غير ملوم
على ما يقع في قلبه من مثل هذه الاشياء ما لم يقصد فيه المأثم لان الود وميل النفس من طبع البشر وقوله امسك عليك زوجك واتق الله
امر بالمعروف وهو خشية الاثم فيه وقوله والله احق ان تخشاه لم يرد به انه لم يكن يخشى الله فيما سبق وانه عليه السلام قد قال انا
اخشاكم لله واتقاكم له ولكن المعنى الله احق ان تخشاه وحده ولا تخش احدا معه وانت تخشاه وتخشى الناس ايضا فلما ذكر الخشية من الله
ذكر ان الله احق بالخشية في عموم الاحوال وفي جميع الاشياء **قوله تعالى** فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها والوطر مفعول قضى
والوطر الشهوة والحاجة قال المبرد وانشد • وكيف ثواي بالمدينة بعدما • قضى وطرا منها جميع بن معمر • وقال
ابو عبيدة الوطر الارب والحاجة وانشد للربيع الفزاري • ودعنا قبل ان نودعه • لما قضى من شبابنا وطرا •
وقرا العامة زوجناكها وهو ههنا ناصبة فقط لدخول الجار عليها فاتصل الضميران بالفعل لاختلافهما رتبة **فصل**
المعنى فلما قضى زيد منها حاجته من نكاحها زوجناكها وذكر قضاء الوطر ليعلم ان زوجة المتبنى تحل بعد الدخول بها اذا طلقت وانقضت

عدتها

عدتها لان الزوجة ما دامت في نكاح الزوج فهي تدفع حاجته وهو محتاج اليها فلم يقض منها الوطر بالكلية ولم يستغن عنها
وكذلك اذا كانت في العدة له بها تعلق اذ كانت تشغل الرحم فلم يقض منها بعد وطره فاذا انطلقت وانقضت عدتها استغنى عنها
ولم يبق له معها تعلق فيقضي منها الوطر وزوجني من فوق سبع سموات وقال الشعبي كانت زينب تقول للنبي صلى الله عليه وسلم
اني لادل عليك بثلاث ما من نسائك امراة تدل بهن جدي وجدك واحد واني انكحك في السماء وان السفير جبريل **قوله تعالى** لكيلا
يكون على المومنين حرج في ازواج ادعيائهم اذا قضوا منهن وطرا فالادعياء جمع الدعي وهو المتبنى اي زوجناك زينب وهي امراة زيد
الذي تبنيته ليعلم ان زوجة المتبنى وان كان قد دخل بها المتبنى بخلاف امراة ابن الصلب لا تحل للاب وكان امر الله مفعولا اي
قضاء الله ماضيا وحكمه نافذا وقد قضى في زينب ان يتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم **قوله تعالى** ما كان على النبي
من حرج فيما فرض الله له اي فيما احل الله له **قوله تعالى** سنة الله منصوب على المصدر كصنع الله ووعد الله او اسم وضع موضع
المصدر او منصوب بجعل او بالاغراء اي فعليه سنة الله **فصل** قال ابن عطية ورده ابو حيان بان عامل الاغراء لا يحذف
وان فيه اغراء الغائب وما ورد منه مؤول على ندور فال منها بالذي ورد قوله عليه السلام والا فعليه بالصوم فقيل هو اغراء
وقيل ليس به وانما هو مبتدا وخبر والباء زائدة في المبتدا وهو تخريج فاسد المعنى لان الصوم ليس واجبا على ذلك وقال البغوي
نصب بنزع الخافض اي كسنة الله **والجواب** المراد بسنة الله في الذين خلوا من قبل اي في الانبياء الماضين ان لا يواخذهم بما احل لهم
قال الكلبي ومقاتل اراد داود حين جمع بينه وبين المراة التي هويها فكذلك جمع بين محمد وزينب وقيل اراد بالسنة النكاح فانه
من سنة الانبياء عليهم السلام وكان امر الله قدرا مقدورا قضاء مقضيا كائنا ماضيا **فصل** اعلم ان في قوله تعالى وكان
امر الله مفعولا اي تزويجنا زينبا اياه كان مقصودا متبعا مقضيا بامراعاة ولما قال سنة الله في الذين خلوا اشار الى قصة داود
حين افتتن بامراة اوريا قال وكان امر الله قدرا مقدورا اي كان ذلك حكما تبعيا **فان قيل** الذين يبلغون يجوز ان يكون تابعا للذين
خلوا وان يكون مقطوعا عنه رفعا ونصبا على اضمارهم او اعني او امدح **فالجواب** المعنى ان الذين يبلغون رسالات الله كانوا
انصارا لامتثال ثم ذكر احوالهم بانهم جردوا الخشية ووحدوها فيخشونه ولا يخشون احدا سواه فصار كقوله فبهداهم اقتده
ولا تخشى قالة الناس فانهم ليسوا عندهم فيما احل لهم وفرض عليهم وكفى بالله حسيبا حافظا لاعمال خلقه ومحاسبته فالخشية منه
قوله تعالى ما كان محمد ابا احد من رجالكم لما تزوج النبي صلى الله عليه وسلم قال الناس ان محمدا تزوج امراة ابنه فانزل الله عز
وجل ما كان محمد ابا احد من رجالكم يعني زيد بن حارثة اي ليس ابا احد من رجالكم الذين لم يلده فيحرم عليه نكاح زوجته بعد
فراقه اياها **فان قيل** اليس كان له ابناء القاسم وابراهيم وكذلك الحسن والحسين قال عليه السلام ان ابني هذا سيد **فالجواب**
هولاء كانوا صغارا ولم يكونوا رجالا والصحيح انه اراد ابا احد من رجالكم يعني زيد بن حارثة اي ليس ابا احد من رجالكم الذين لم يلده
ولكن رسول الله قرا العامة بالتخفيف لكن ونصب على رسول الله صلى الله عليه وسلم ونصبه اما على اضمار كان لدلالة كان السابقة عليها
اي ولكن كان واما بالعطف على ابا احد والاول اليق لان لكن ليست عاطفة لاجل الواو والاليق بها ان تدخل على الجمل التي ليست عاطفة
وقرا ابو عمرو في رواية مبتدا بها على ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اسمها وخبرها محذوف للدلالة اي ولكن رسول الله محمد وحذف
خبرها شائع وانشد • فلو كنت ضبيا عرفت قرابتي • ولكن زنجيا عظيم المشافر • اي انت وهذا البيت يروونه ايضا
ولكن وتخشى بالرفع شاهدا على حذف اسمها اي ولكنك وقرا زيد بن علي بتخفيفها ورفع رسول على الابتداء والخبر بعده اي هو اي
بالعكس اي ولكن هو رسول كقوله • ولست الشاعر السفساف فيهم • ولكن مدرة الحرب العوالي • وذكر ابو البقاء
اوجها اخر منها اي بمعنى المصدر قال كذا ذكر في بعض الاعاريب قال شهاب الدين وهو غلط محض كيف وهو مخرج الى تزوج او اضمار
ولو حكي هذا في خاتم بالكسر لكان اقرب لانه قد يجي المصدر على فاعل او فاعلة وسياتي ذكره قريبا ومنها انه اسم بمعنى اخر ومنها انه فعل
ماض مثل قابل فيكون النبيين والكسر على انه اسم فاعل قابل فيكون النبيين مفعولا به قال شهاب الدين ويويد هذا قراءة عبد الله
المتقدمة وقال بعضهم هو بمعنى المفتوح يعني بمعنى اخرهم لانه ختم النبيين فهو خاتمهم **فصل** قال ابن عباس يريد لو لم
اختم به النبيين لجعلت له ابنا يكون من بعده نبيا وروى عطاء عن ابن عباس ان الله تعالى لما حكم انه لا نبي بعده لم يعطه ولدا ذكرا
يصير رجلا وصل على من لا نبي بعده يكون اشفق على امته واهدى لهم اذ قال اي اذ هو كالوالد يولد ليس له غيره وكان الله بكل شيء عليما
اي علمه بكل شيء دخل فيه من لا نبي بعده وعلم ان من الحكمة اكمال شرع محمد صلى الله عليه وسلم تزوجه بزوجة دعيه تكميلا للشرع وذلك
من حيث ان قول النبي صلى الله عليه وسلم يفيد شرعا لكن اذا امتنع هو فيه يفيد في بعض النفوس نفرة الا ترى انه ذكر بقوله ما هم فيه
تنبيه على اكمال المنصب ثم لما لم يكن يبقى في النفوس شيء ولما اكمل لهم الجمال طابت الكل مع انه في بعض الملل لا يوكل وكذلك الارنب روى ابو هريرة
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال مثلي ومثل الانبياء كمثل قصر احسن بنيانه ترك منه موضع لبنة فطاف به النظار يتعجبون من حسن
بنائه الا موضع تلك اللبنة لا يعيبون سواها فكنت انا موضع تلك اللبنة ختم بي البنيان وختم بي الرسل وقال عليه السلام ان لي اسما

انا محمد وانا احمد وانا الماحي يمحو الله بي الكفر وانا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي وانا العاقب الذي ليس بعده نبي
قوله تعالى يا ايها الذين امنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا قال ابن عباس لم يفرض الله على عباده فريضة الا جعل لها حدا معلوما ثم
عذر اهلها في حال العذر فانه لم يجعل له حدا ينتهي اليه ولم يعذر احدا في تركه الا مغلوبا على عقله وامرهم به في الاحوال كلها
فقال فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم وقال اذكروا الله ذكرا اي بالليل والنهار والبر والبحر والصحة والسقم والسر
والعلانية وقال مجاهد الذكر الكثير ان لا ينساه ابدا وسبحوه بكرة واصيلا صلاة الظهر والعصر والعشاء وهو قول الكلبي وقال
مجاهد معناه قولوا سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر ولا حول ولا قوة الا بالله فعبر بالتسبيح عن اخواته وقيل المراد من قوله
ذكرا كثيرا هذه الكلمات يقولها الطاهر والجنب والمحدث قوله تعالى هو الذي يصلي عليكم وملائكته الصلاة من الله الرحمة
ومن الملائكة الاستغفار ومن المومنين الدعاء فذكره صلاته تحريضا للمومنين على الذكر والتسبيح قال السدي قال بنو اسرائيل لموسى
ايصلي ربنا فكبر هذا الكلام على موسى فاوحى اليه قل لهم اني اصلي وان صلاتي رحمتي وقد وسعت رحمتي كل شيء وقيل الصلاة من الله
هي اشاعة الذكر الجميل له في عباده وقيل الثناء عليه قال انس لما نزلت ان الله وملائكته يصلون على النبي قال ابو بكر ما خصك الله يا رسول
الله بشرف الا وقد اشركنا فيه فانزل الله عز وجل هذه الاية قوله تعالى وملائكته اما عطف على فاعل يصلي واغنى الفصل
فالجار بالتاكيد في الضمير وهذا عند من يرى الاشتراك او المجاز لان صلاة الله غير صلاتهم واما مبتدا وخبره محذوف اي وملائكته
يصلون وهذا عند من يرى شيئا مما تقدم جائزا الا ان فيه نظرا وهو انهم اذا اختلفا مدلولا الخبرين فلا يجوز حذف احدهما لدلالة
الاخر عليه وان كان بلفظ واحد لا يقال زيد ضارب وعمرو يعني عمرو يضارب في الارض اي يسافر فصل الصلاة من
الله رحمة ومن الملائكة استغفار فقيل ان اللفظ المشترك يجوز استعماله في معنييه معا وكذلك الجمع بين الحقيقة والمجاز في لفظ واحد
قال ابن الخطيب وينسب هذا القول للشافعي رضي الله عنه وهو غير بعيد وذلك لان الرحمة والاستغفار مشتركان في العناية بحال المرحوم
والمستغفر له والمراد هو القدر المشترك فتكون الدلالة تضمنية ثم قال ليخرجكم من الظلمات الى النور اي من ظلمة الكفر الى نور الايمان
يعني انه برحمته وهدايته ودعاء الملائكة لكم اخرجكم من ظلمة الكفر الى نور الايمان وكان بالمومنين رحيما وهذه بشارة لجميع المومنين
واشارة بقوله يصلي عليكم ان هذا غير مختص بالسامعين وقت الخطاب كقوله تحيتهم يجوز ان يكون مصدرا مضافا لمفعوله وان يكون مضافا
لفاعله ومفعوله على معنى ان بعضهم يحيي بعضا فيصح ان يكون الضمير للفاعل والمفعول باعتبارين لانه يكون فاعلا مفعولا من وجه
واحد كقولك من قال وكنا لحكمهم شاهدين انه اضاف للفاعل والمفعول فصل المعنى تحية المومنين يوم يلقونه اي
يرون الله سلام اي يسلم عليكم ويسلمهم من جميع الآفات وروي عن البراء بن عازب قال تحيتهم يوم يلقونه سلام يعني ملك الموت
لا يقبض روح مومن الا يسلم عليه وعن ابن مسعود قال اذا جاء ملك الموت يقبض روح مومن قال ربك يقرئك السلام
وقيل تسلم عليهم الملائكة وتبشرهم حين يخرجون من قبورهم ثم قال واعد لهم اجرا كريما يعني الجنة وتقدم ذكر الكريم فان قيل
معنى الاعداد ان يكون مما لا يستغني عن الحاجة الى المعنى عليه واما الله تعالى فغير محتاج ولا فاعل يحب تلقاه يومئذ ما ترضى به
وذا يوم فقوله معنى الاعداد من قبل فالجواب ان الاعداد للاكرام لا للحاجة قوله تعالى يا ايها النبي انا ارسلناك شاهدا
اي شاهدا للرسل بالتبليغ ومبشرا لمن امن بالجنة ونذيرا لمن كذب بالنار فكان ذلك شاهدا حال مقدرة او مقارنة لقرب الزمان
وداعيا الى الله الى توحيده وطاعته وقوله باذنه حال اي ملتبسا بتسهيله ولا يريد حقيقة الاذن لانه مستفاد من ارسلناك
قوله تعالى وسراجا يجوز ان يكون معطوفا على ما تقدم اما على التشبيه واما على حذف مضاف اي ذا سراج وهو القران ان يكون
الاصل وتاليا سراجا ويعني بالسراج القران وعلى هذا تكون الصفات وهي لذات واحدة لان التالي هو المرسل وجوز الزمخشري ان يعطف
على مفعول ارسلناك وفيه نظر لان السراج هو القران ولا يوصف بالارسال بل الانزال الا ان يقال انه حمل على المعنى كقوله
• علفتها تبنا وماء باردا • وايضا فيغتفر في الثواني ما لا يغتفر في الاوائل وقوله منيرا لانه يهتدى به كالسراج يستضاء به في الظلمة
واعلم ان في قوله وسراجا ولم يقل انه شمس مع ان الشمس اشد ضوءا من السراج فيه وهي ان نور الشمس لا يوخذ منه شيء والسراج يوخذ منه
انوار كثيرة اذا انطفى الاول يبقى الذي اخذ منه وكذلك ان غاب النبي صلى الله عليه وسلم لم يجعل اصحابه كالسراج وجعلهم كالنجوم
بايهم اقتديتم لان النجم لا يوخذ منه نور بل ان له في نفسه نورا اذا غرب لا يبقى له نور استفاد منه فكذلك الصحابي والتابعي اذا مات
فقيل النبي صلى الله عليه وسلم فلا يوخذ الا قول النبي صلى الله عليه وسلم ولو جعلهم كالسراج والنبي عليه السلام كان سراجا كان للشرع
بما اراد منهم وياخذ النور ممن اختار وليس كذلك فان مع نص النبي صلى الله عليه وسلم لا يعمل بقول الصحابي بل يوخذ النور من النبي صلى
الله عليه وسلم ولم يوخذ من الصحابي ولم يجعله سراجا قوله تعالى وبشر المومنين عطف على مفهوم تقديره انا ارسلناك
شاهدا ومبشرا ونذيرا فاشهد وبشر ولم يذكر فاشهد للاستغناء عنه واما البشارة فذكرت اشارة للكرم ولانها غير واجبة
لولا الامر وقوله ان لهم من الله فضلا كبيرا كقوله تعالى اعد لهم اجرا عظيما والعظيم والكبير متقاربان قوله تعالى ولا تطع

الكافرين

الكافرين والمنافقين تقدم تفسيره اول السورة وهو اشارة الى الانذار يعني خوفهم اي اشارة الى الانذار يعني خالفهم ورد عليهم
قوله تعالى ودع اذاهم يجوز ان يكون اذاهم مضافا لمفعوله اي اترك اذاك اياهم اي عقابك اياهم قال الزجاج لا تجازهم وهذا
منسوخ باية السيف ويجوز ان يكون مضافا لفاعله اي ترك ما اذوك به فلا تواخذهم حتى يومر فيهم الى الله فانه يعذبهم بايديكم وبالنار
وتبين هذا قوله تعالى وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا اي حافظا قوله تعالى يا ايها الذين امنوا اذا نكحتم المومنات الاية
وجه تعلق الاية بما قبلها هو ان الله تعالى ذكر في هذه السورة مكارم الاخلاق وادب نبيه على ما تقدم والله تعالى امر عباده المومنين بما
امر به نبيه فكلما ذكر لنبيه مكرمة وعلمه ادبا ذكر للمومنين ما يناسبه فكما بدا الله تعالى في تاديب النبي صلى الله عليه وسلم بذكر ما يتعلق في
جانب الله بقوله يا ايها النبي اتق الله وثنى بما يتعلق بجانب من هو تحت يديه من ازواجه بقوله بعده يا ايها النبي قل لازواجك وثلث بما يتعلق بجانب
العامة بقوله يا ايها النبي انا ارسلناك شاهدا ومبشرا كذلك بدا في ارشاد المومنين بما يتعلق بجانب الله تعالى يا ايها الذين امنوا اذكروا الله
ذكرا كثيرا ثم بما يتعلق بجانب من تحت ايديهم بقوله يا ايها الذين امنوا اذا نكحتم المومنات ثم كما ثلث في تاديب النبي بجانب الامة ثلث في حق
المومنين بما يتعلق بهم فقال بعد هذا يا ايها الذين امنوا لا تدخلوا بيوت النبي فان قيل ما كان اذا كان هذا ارشادا الى ما
يتعلق بجانب من هو من خواص الامر او على خص المطلقات اللاتي طلقهن قبل المسيس لم يحصل بينهما تاكد العهد ولهذا قال تعالى في حق
الممسوسة وكيف تاخذونه وقد افضى بعضكم الى بعض واخذن منكم ميثاقا غليظا فالجواب ان المراة اذا طلقت قبل المسيس
واذا امر الله بالتمتع والاحسان على من لا مودة بينه وبينها فما ظنك بمن حصلت المودة بالنسبة اليها بالافضاء وحصل تاكدها بحصول
الولد بينهما وهذا كقوله تعالى ولا تقل لهما اف وقال لا تنهرهما ولا تشتمهما على انه حرام بمعنى مختص بالضرب والشتم فان قال لا تقل
لهما اف بيان كثيرة فكذلك هاهنا لما امر بالاحسان مع من لا مودة معها علم منه الاحسان مع الممسوسة يعني من لم تطلق بعد من ولدت
عنده منه قوله تعالى ثم طلقتموهن فان قيل ما الفائدة بالاتيان بثم وحكم من طلقها على الفور بعد العقد كذلك فالجواب
انه جرى على الغالب وقال الزمخشري نفى التوهم عمن عسى يتوهم تفاوت الحكم بين ان يطلقها قريبة العهد بالنكاح وبين ان يبعد عهدها
بالنكاح في حبالة الزوج ثم طلقها قال ابو حيان واستعماله لعسى صلة لمن وهو لا يجوز قال شهاب الدين يخرج قوله ما خرج عليه قول الاخر
• واني لكرام منطق قبل التي • لعلي وان شطت نواها ازورها • وهو احتمال القول وفي هذه الادلة اي الاية دليل على ان تعليق الطلاق
قبل النكاح لا يصح لان الله تعالى رتب الطلاق على النكاح بكلمة ثم وهي للتراخي حتى لو قال لاجنبية اذا نكحتك فانت طالق او كل امراة
تزوجتها فهي طالق ثم لا يقع الطلاق وهو قول علي وابن مسعود وجابر وعائشة وبه قال سعيد بن المسيب وعروة وشريح وسعيد
بن جبير والقاسم وطاوس والحسن وعكرمة وعطاء بن يسار وروى الشعبي وقتادة واكثر اهل العلم وبه قال الشافعي واحمد وروي عن ابن
مسعود انه قال يقع الطلاق وهو قول النخعي واصحاب الراي وقال ربيعة ومالك والاوزاعي اذا عين امراة يقع وان عمم فلا يقع وروي
عكرمة عن ابن عباس قال كذبوا على ابن مسعود وان كان قالها يقول ان تزوجت فلانة فهي طالق يقول الله تعالى اذا نكحتم المومنات
ثم طلقتموهن ولم يقل ثم نكحتموهن وروى عطاء عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا طلاق قبل النكاح قوله تعالى من قبل
ان تمسوهن تجامعوهن فما لكم عليهن من عدة تعتدونها اي تحصونها وتستوفونها بالاقراء والاشهر فتعتدونها صفة لعدة وتعتدونها
تفتعلونها اما من العد واما من الاعتداد اي تحسبونها اي تستوفون عددها من قولك عد الدراهم اي عدها اي استوفى في عددها نحو كال
وورقتها وقرا ابن كثير في رواية واهل مكة بتخفيف الدال وفيها وجهان احدهما انها من الاعتداد وانما كره التضعيف لخفته قال
الرازي ولو كان من الاعتداء الذي هو الظلم ضعف لان الاعتداء يتعدى بعلى قال ويجوز ان يكون من الاعتداء وحذف الجر اي تعتدون
عليها اي على العدة مجازا ثم تعتدونها كقوله • تحن فتبدي ما بها من صبابة • وقوله • واخفي الذي لولا الاسى لقضاني
اي لقضى علي وقال الزمخشري وقرئ تعتدونها مخففا اي تعتدون فيها كقوله • ويوم شهدناه • والمراد بالاعتداء ما في قوله
ولا تمسكوهن ضرارا لتعتدوا وعنى انه حذف الجر كما حذف في قوله تعتدون عليهن فيها وقد انكر ابن عطية القراءة عن ابن كثير وقال
غلط ابن ابي بزة عنه وليس كما قال والثاني انها من العدوان او الاعتداء وقد تقدم شرحه واعتراض ابي الفضل عليه بانه كان ينبغي ان يتعدى
بعلى وتقدم جوابه وقرا الحسن تعتدونها بسكون العين وتشديد الدال وهو جمع بين ساكنين على غير حدهما فصل
دلت هذه الاية على ان العدة حق الزوج فيها غالب وان كان لا يسقط باسقاطه لما فيه من حق الله تعالى ثم قال فمتعوهن اي اعطوهن ما
يستمتعن به قال ابن عباس هذا اذا لم يسم لها صداقا فلها المتعة وان كان قد فرض لها صداقا فلها نصف الصداق ولا متعة لها وقال
قتادة هذه الاية منسوخة بقوله فنصف ما فرضتم وقيل انه عام وعلى هذا اهل هو امر وجوب او امر استحباب فقيل للوجوب فيجب المتعة
مع نصف المهر وقيل للاستحباب المستحب ان يمتعها مع الصداق بشيء ثم قال وسرحوهن سراحا جميلا اي خلوا سبيلهن بالمعروف
من غير ضرار وقيل السراح الجميل ان لا يطالبها بما اتاها قوله تعالى يا ايها النبي انا احللنا لك ازواجك اللاتي اتيت اجورهن
اي مهورهن وما ملكت يمينك وقوله مما افاء الله عليك رده عليك من الكفار وهذا بيان لما ملكت وليس هذا قيدا بل لو ملكت بالشرا

كان الحكم كذا وانما خرج مخرج الغالب واعلم انه ذكر للنبي عليه السلام ما هو اولى فان الزوجة التي اوتيت مهرها اطيب قلبا
من التي لم توت والمملوكة التي اصابها الرجل بنفسه اطهر من التي اشتراها الرجل لانه لا يدري كيف حالها ومن هاجرت من اقارب النبي صلى
الله عليه وسلم معه اشرف ممن لم تهاجر وقال بعضهم ان النبي عليه السلام ما كان يستوفي ما لا يحل له والوطي قبل اخذ الفراق غير مستحق وان
كان حلالا لنا وكيف والنبي صلى الله عليه وسلم اذا طلب طلب شيا حرم الامتناع على المطلوب والظاهر ان الطالب في المرة الاولى انما
هو الوجود لحياة المراة ولو طلب النبي صلى الله عليه وسلم من المراة التمكين قبل المهر للزم ان يجب وهو محال ولا كذا احدنا ويوكد قوله
تعالى وامراة مومنة ان وهبت نفسها للنبي يعني حينئذ لا يبقى لها صداق فتصير كالمستوفية مهرها واعلم ان اللاتي ملكت يمينه
مثل صفية وجويرية ومارية وبنات عمك يعني نساء قريش وبنات خالك وبنات خالاتك يعني نساء بني زهرة اللاتي هاجرن معك
الى المدينة فمن لم تهاجر منهن لم يحل له نكاحها روى ابو صالح عن ام هانئ ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما فتح مكة خطبني فانزل الله
هذه الاية فلم احل له لاني لم اكن من المهاجرات وكنت من الطلقا ثم نسخ شرط الهجرة في التحليل **قوله تعالى** وامراة العامة على النصب
وفيه وجهان احدهما انه عطف على مفعول احللنا اي واحللنا لك امراة موصوفة بهذين الشرطين قال ابو البقا وقد رد هذا
قوم وقالوا احللنا ماض وقد وهبت صفة المراة مستقبل واحللنا في موضع جواب الشرط لا يكون ماضيا في المعنى قال وهذا
ليس بكلام لان ان سلم عليك والثاني انه ينتصب بمقدر تقديره ويحل لك امراة **قوله تعالى** ان وهبت ان اراد هذا من اعتراض
الشرط على الشرط والثاني هو قيد في الاول ولذلك اعربه حالا لان الحال قيد ولهذا اشترط الفقها ان تقدم الثاني على الاول
للوجود فلو قال ان اكلت ان ركبت فانت طالق فلا بد ان يتقدم الركوب على الاكل وهو لتقييد الحالية والتقييد كما ذكرنا اذ لو لم
يتقدم بخلاف من جوز العقد او من الاكل غير تقييد بركوب فلهذا اشترطنا تقدم الثاني على الاول كقولك ان تزوجتك ان طلقتك
فعبدي حر لا يتصور هنا تقديم الطلاق على التزويج قال شهاب الدين وقد ورد على اشكال ما قال الفقها بهذه الاية وذلك
ان الشرط الثاني لا يمكن تقدمه في الوجود بالنسبة الى الحكم الخاص بالنبي صلى الله عليه وسلم لا يمكن عقلا وذلك ان المفسرين فسروا قوله
تعالى ان اراد ان قبل الهبة لان بالقبول منه عليه السلام يتم نكاحه وهذا لا يتصور تقدمه على الهبة اذ القبول متاخر وايضا فلذلك العقد
على ما ذكرته في تاخرها اراده عن هبتها وهو مذكور في التفسير وابو حيان لما جا الى هنا جعل الشرط الثاني متقدما على الاول على القاعدة
العامة ولم يستشكل شيا مما ذكرته وقد عرضت هذا الاشكال على جماعة من اعيان زماننا فاعترفوا فلم يظهر منه جواب الى ما قدمته
من انه ثم قرينة مانعة من ذلك كما تقدم وقرا ابو حيوة وامراة بالرفع على الابتدا والخبر مقدر اي احللناها لك ايضا وفي قوله ان اراد النبي
التفات من الخطاب الى الغيبة بلفظ الظاهر تنبيها على ان سبب ذلك النبوة ثم رجع الى الخطاب فقال خالصة لك وقرا ابو الحسن وعيسى
ان بالفتح وفيه قولان الاول انه بدل من امراة بدل اشتمال قاله ابو البقا كانه قيل واحللنا لك هبة المراة نفسها لك والثاني انه على حذف
لام العلة اي لان وهبت وزيد بن علي اذ وهبت وفيه معنى العلة **قوله تعالى** خالصة العامة على النصب وفيه اوجه احدها انه
منصوب على الحال من فاعل وهبت اي حال كونها خالصة لك دون غيرك الثاني انه حال من امراة لانها ذكرت فتخصصت وهي بمعنى الاول
واليه ذهب الزجاج الثالث انه نعت مصدر مقدر اي هبة خالصة لك فنصبها بوهبت وتقدم معنى ذلك الرابع انها مصدر مؤكد
بوعد الله قال الزمخشري والفاعل والفاعلة في المصادر غير عزيز كالخارج والقاعد والكاذبة والعاقبة يريد بالخارج ما في قول
الفرزدق • ولا خارجا من في زور كلام • وبالقاعد ما في قولهم • اقاعدا وقد صار الراكب • وبالكاذبة ما في قوله تعالى ليس
لوقعتها كاذبة وقد انكر ابو حيان عليه قوله غير عزيز وقال بل هما عزيزان وما ورد متاول وقرا خالصة بالرفع فان كانت خالصة حالا فذلك
المبتدا هي اي المراة الواهبة وان كانت مصدرا قدر فتلك الحالة خالصة ولك على البيان اي اعني لك نحو سقيا لك **فصل**
المعنى احللنا لك امراة مومنة وهبت نفسها لك من غير صداق فاما غير المومنة فلا تحل له اذا وهبت نفسها منه واختلفوا في انه هل كان
يحل للنبي صلى الله عليه وسلم نكاح اليهودية والنصرانية فذهب اكثرهم الى انه كان لا يحل له ذلك لقوله وامراة مومنة واول بعضهم الهجرة في
قوله هاجرن معك يعني على الاسلام اي اسلمن معك فيدل ذلك على انه لا يحل له نكاح غير المسلمة وكان النكاح ينعقد في حقه بمعنى الهبة من غير
ولي ولا شهود ولا مهر وكان ذلك من خصائصه صلى الله عليه وسلم لا مشاركة لاحد معه واختلفوا في انعقاد النكاح بلفظ الهبة في حق الامة فقال
سعيد بن المسيب والزهري ومجاهد وعطا لا ينعقد الا بلفظ الانكاح والتزويج وبه قال ربيعة ومالك والشافعي ومعنى الاية
اذا باحة الوطي بالهبة وحصول التزويج بلفظها من غير خاصة عليه السلام وقال النخعي وابو حنيفة واهل الكوفة ينعقد بلفظ الهبة
والتمليك وان معنى الاية ان تلك المراة صارت زوجة لك خالصة من امهات المومنين لا تحل لاحد غيرك اي صارت خالصة لك زوجة
من امهات المومنين لا تحل لاحد غيرك بالتزويج واجيب بان هذا التخصيص بالواهبة لا فائدة فيه فان ازواجه كلهن خالصات له
وما ذكرناه فللتخصيص فائدة **فصل** اختلفوا في التي وهبت نفسها لرسول الله صلى الله عليه وسلم امراة وهبت
نفسها منه هل كانت عنده امراة منهن فقال عبد الله بن عباس ومجاهد لم يكن عند النبي صلى الله عليه وسلم امراة وهبت نفسها منه ولم يكن

عند امراة

عنده امراة الا بعقد نكاح او ملك يمين وقوله وهبت على طريق الشرط والجزا لكانت موهوبة واختلفوا فيها فقال الشعبي
هي زينب بنت خزيمة الهلالية يقال لها ام المساكين وقال قتادة هي ميمونة بنت الحرث وقال علي بن الحسين والضحاك هي ميمونة
بنت الحرث وقال علي بن الحسين والضحاك هي ام شريك بنت جابر من بني اسد وقال عروة بن الزبير هي خولة بنت الحكيم من بني سليم **قوله تعالى**
قد علمنا ما فرضنا ادجبنا على المومنين في ازواجهم من الاحكام في ملك اليمين وانما ذكر هذا ليلا يحمل واحد من المومنين نفسه على ما
كان على النبي عليه السلام فان له في النكاح خصايص ليست لغيره وكذلك في السراري **قوله تعالى** لكيلا يتعلق بخالصة وليس بينهما
اعتراض ومن دون متعلق بخالصة كما تقول خلص من كذا **فصل** قال المفسرون هذا يرجع الى اول الاية اي احللنا لك
ازواجك وما ملكت يمينك والموهوبة لكيلا يكون عليك حرج ضيق وكان الله غفورا رحيما يغفر الذنوب جميعها ويرحم العبيد كلها
قوله تعالى ترجي اي تؤخر من تشا منهن وتووي اي تضم اليك من تشا واختلف المفسرون في معنى الاقاويل فاشهر الاية فانه
في القسم بينهن وذلك ان التسوية بينهن في القسم كان واجبا عليه فلما نزلت هذه الاية حين غار بعضهن اليه عليه وصار الاختيار اليه
فيهن قال الرازي قال ابو رزين وابن زيد حين نزلت هذه الاية حين غار بعض امهات المومنين على النبي صلى الله عليه وسلم وطلب بعضهن
زيادة النفقة فهجرهن النبي صلى الله عليه وسلم شهرا حتى نزلت اية التخيير وامره الله عز وجل ان يخيرهن بين الدنيا والاخرة وان يخلي
سبيل من اختارت الدنيا ويمسك من اختارت الله ورسوله على انهن امهات المومنين فلا ينكحن ابدا على انه يووي اليه من يشا
منهن ويرجي من يشا فيرضين به قسم لهن او لم يقسم او قسم لبعض دون بعض او فضل بعضهن على بعض في النفقة والقسمة
فيكون الامر في ذلك اليه يفعل كيف يشا وكان ذلك من خصايصه فرضين بذلك واخترنه على هذا الشرط وذلك لان النبي صلى
الله عليه وسلم بالنسبة الى امته نسبة السيد المطاع والرجل وان لم يكن الامر في ذلك اليه يفعل كيف يشا تبقى لو وجد في ملك نكاحه
والنكاح عليها فكيف زوجات النبي صلى الله عليه وسلم اذ هن كالمملوكات له ولا يجب القسم بين المملوكات والارجا التاخير
واختلفوا في انه هل يخرج احد منهن من القسم فقيل لم يخرج احد بل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مع ما جعل الله له من ذلك يسوي
بينهن في القسم الا سودة فانها رضيت بترك حقها من القسم وجعلت نوبتها لعايشة وقيل اخرج بعضهن روى جرير عن منصور عن ابي رزين
قال لما نزلت اية التخيير اشفقن ان يطلقهن فقلن يا رسول الله اجعل لنا من مالك ونفسك ما شيت ودعنا على حالنا فنزلت هذه
الاية فارجا رسول الله صلى الله عليه وسلم بعضهن واوى اليه بعضهن فكان ممن اوى عايشة وحفصة وزينب وام سلمة وكان يقسم بينهن
سوا وارجا منهن خمسا ام حبيبة وميمونة وسودة وصفية وجويرية وكان يقسم لهن ما شا وقال مجاهد ترجي من تشا منهن يعني
تترك من تشا منهن بغير طلاق وترد اليك من تشا بعد العزل بلا تجديد عقد وقال ابن عباس تطلق من تشا منهن وتمسك من تشا
وقال الحسن تترك نكاح من شيت وتنكح من شيت من نسا امتك قال وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقبل من يشا من المومنات اللاتي
يهبن انفسهن له ويترك من يشا فلا يقبلها وروى هشام عن ابيه قال كانت خولة بنت حكيم من اللاتي وهبن انفسهن للنبي صلى الله عليه وسلم
فقالت عايشة ما تستحي المراة ان تهب نفسها للرجل فلما نزلت ترجي من تشا منهن قلت يا رسول الله ما ارى ربك الا يسارع في هواك
قوله تعالى ومن ابتغيت يجوز في من وجهان احدهما انها شرطية في محل نصب بما بعدها وقوله فلا جناح عليك جوابها والمعنى
من النسوة اللاتي عزلتهن فليس عليك في ذلك جناح الثاني ان تكون مبتدا والعايد محذوف وعلى هذا فيجوز ان تكون موصولة وان تكون شرطية
ولا جناح عليك خبر وجوابا اي والذي ابتغيتها ولا بد حينئذ من ضمير راجع الى اسم الشرط من الجواب او في ابتغايها وطلبها وقيل
في الكلام حذف محذوف تقديره ومن ابتغيت ممن عزلت وان لم تعزل سوا لا جناح عليك حتى تقول من لقيك عم لم تلقك جميعهم لك
شاتم يريد من لقيك ومن لم يلقك وهذا فيه الغاز **قوله تعالى** ذلك اي التفويض الى مشيئتك او سيلك ادنى ان تقر اعينهن اي
اقرب الى اعينهن والعامة تقر مبنيا للفاعل مسندا لاعينهن وابن محيصن تقر من اقر رباعيا وفاعله ضمير المخاطب اعينهن
نصب على المفعول وبه قرا تقر مبنيا للمفعول اعينهن رفع لقيامه مقام الفاعل وتقدم معنى قرة العين في مريم قوله كلهن العامة
على رفعه توكيدا لفاعل يرضين **فصل** قال المفسرون لا جناح عليك لا ائم عليك اباح له ترك القسم لهن حتى انه يرجي
من تشا في نوبتها ويطا من تشا منهن في غير نوبتها ويرد الى فراشها من عزلها تفضلا لله على سائر الرجال وذلك ادنى ان تقر
اعينهن ولا يحزن اي ذلك التخيير الذي خيرتك في صحبتهن اقرب الى رضاهن واطيب لانفسهن واقل لحزنهن اذا علمن ان ذلك
من الله عز وجل ويرضين بما اتيتهن من تقريب وارجا وعزل وايوا والله يعلم ضماير القلوب فانه عليم وان لم يعاتبهن في الحال
فلا يغترون فانه حليم لا يعجل **قوله تعالى** لا تحل لك النسا قرا ابو عمرو لا تحل بالتانيث اعتبارا باللفظ والباقون بالياء
لانه جنس والفصل ايضا وقوله من بعد لا اتي نصص لك على احلالهن كما تقدم وقيل من بعد اباحة النسا المسلمات
دون الكتابيات **فصل** قال المفسرون من بعد اي من بعدهن والاولى ان يقال لا تحل لك النسا من بعدهن لانه التسع
خيرتهن فاخترنك وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم لما خيرهن فاخترن الله ورسوله شكرهن وشكر الله لهن وحرم عليه النسا

سواهن ونهاه عن تطليقهن وعن الاستبدال واختلفوا هل انه يصح له النسا بعد التحريم قال عكرمة معنى الاية لا يحل لك النساء
الا اللاتي احللنا لك ازواجك الاية ثم قال لا يحل لك النساء من بعد اللاتي احللنا بالصفة التي تقدم ذكرها وقيل لابي بن كعب لو مات
نساء النبي صلى الله عليه وسلم كان يحل له ان يتزوج قال وما يمنعه من ذلك قيل قوله عز وجل لا يحل لك النساء من بعد قال ابو صالح
قال انما احل الله لك ضربا من النساء فقال يا ايها النبي انا احللنا لك ازواجك ثم قال لا يحل لك النساء من بعد قال ابو صالح امر
ان لا يتزوج اعرابية ولا عربية ويتزوج من نساء قومه من بنات العم والعمة والخال والخالة ان شاء وقال مجاهد لا يحل لك اليهوديات
ولا النصرانيات بعد المسلمات الا ان تبدل المسلمات غيرهن من اليهود والنصارى يقول لا تكن ام اليهود لا تكون ام المومنين
يهودية ولا نصرانية الا ما ملكت يمينك احل الله لك ما ملكت يمينك من الكتابيات ان يتبدل بهن وروي عن الضحاك معنى ولا
ان تبدل بهن ولا ان تبدل بازواجك اللاتي هن في حبالك ازواجا غيرهن بان تطلق فتنكح غيرهن فحرم عليه طلاق النسا اللواتي
كن عنده اذ جعلهن امهات المومنين وحرمهن على غيره فاما نكاح غيرهن فلم يمنع منه وقال ابن زيد في قوله ولا ان تبدل بهن من ازواج كانت
العرب في الجاهلية يتبادلون بازواجهم يقول الرجل للرجل تنزل لي عن امراتك وانزل لك عن امراتي فانزل الله عز وجل ولا ان تبدل بهن
من ازواج يعني تبادل بازواجك غيرك بان تعطيه زوجتك وتاخذ زوجته الا ما ملكت يمينك اي لا باس بان تبادل بجاريتك ما
شئت فان الحرائر فلا روي عطاء بن يسار عن ابي هريرة قال دخل عيينة بن حصن على النبي صلى الله عليه وسلم بغير اذن وعنده عائشة
ام المومنين فقال له النبي صلى الله عليه وسلم يا عيينة اين الاستيذان قال يا رسول الله ما استاذنت على رجل منذ ادركت ثم قال من هذه
الحميرا الى جنبك فقال هذه عائشة ام المومنين فقال ابو عيينة افلا انزل لك عن احسن الخلق فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان الله قد حرم ذلك فلما خرج قالت عائشة من هذا يا رسول الله قال هذا احمق مطاع وعلى انه على ما ترين لسيد قومه **قوله
تعالى** ولو اعجبك كقوله اعطوا السايل ولو جاء فرس اي في كل حال ولو على هذه الحالة المنافية قال الزمخشري قوله ولو اعجبك حسنهن
على معنى الحال يعني ولو اعجبك جمالها **فصل** قال ابن عباس يعني اسما بنت عميس الخثعمية امراة جعفر بن ابي طالب
فلما استشهد جعفر اراد رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يخطبها فنهي عن ذلك قال بعض المفسرين ظاهر هذا ناسخ لما كان قد ثبت له عليه
السلام من انه اذا راى واحدة فوقعت في قلبه موقعا كانت تحرم على الزوج ويجب عليه طلاقها وهذه مسيلة حكمية وهو انه عليه السلام
وسائر الانبيا في اول البعث يوحى الوحي ثم يبتلون به فينزل عليهم وهم يتحدثون مع اصحابهم ولا يمنعهم من ذلك مانع الا في
اول الكلام لعل الله ما احل ووقع في قلبه تعريفا وتوسعا للصدر لئلا يكون مشغول القلب بغير الله ثم لما استانس الوحي نسخ ذلك
اما بعوته عليه السلام بين الامرين واما لانه بدوام الانزال له بالوحي من سور الدنيا فلم يبق له التفات الى غير الله فلم يبق له حاجة
الا احلال التزوج بمن وقع بنص عليهما **قوله تعالى** الا ما ملكت فيه اوجه الاول انه مستثنى من النسا فيجوز فيه وجهان
النصب على اصل الاستثنا والرفع على البدل والاختيار وهو المختار الثالث انه مستثنى من ازواج قال ابو البقا فيجوز ان يكون في
محل نصب على اصل الاستثنا وان يكون بدلا من على اللفظ فهي في موضع نصب لانه من غير الجنس وليس بجيد لانه قال بعد ذلك والتقدير
الا ما ملكت اليمين يعني مملوك انتهى فاذا كان بمعنى مملوك صار من الجنس واذا صار من الرفع بدلا والنصب على الاصل كالمتصل لم يكن
منقطعا على انه على تقدير انقطاعه لا يتحتم نصبه بل يجوز عندهم الرفع بدلا والنصب على الاصل كالمتصل بشرط توجه العامل اليه
كما تقدم تحقيقه وهذا يمكن توجه العامل اليه ولكن اللغة المشهورة لغة الحجاز وهي لزوم النصب في المنقطع مطلقا كما ذكره ابو محمد انتهى
فصل قال ابن عباس ملك بعدهن مارية وكان الله على كل شيء رقيبا حافظا عالما بكل شيء قادرا عليه وفي الاية دليل
على جواز النظر الى من يريد نكاحها من النساء روي عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا خطب احدكم المراة فان استطاع
ان ينظر الى ما يدعوه الى نكاحها فليفعل **قوله تعالى** يا ايها الذين امنوا لا تدخلوا بيوت النبي الاية قال اكثر المفسرين نزلت
هذه الاية في شان وليمة زينب لما روى ابن شهاب قال اخبرني انس بن مالك انه كان ابن عشر سنين مقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم
المدينة قال فكانت امهاتي يواظبنني على خدمة النبي صلى الله عليه وسلم فخدمته عشر سنين وتوفي وانا ابن عشرين سنة فكنت اعلم الناس
بشان الحجاب حين نزل وكان ما انزل لما ابتنى رسول الله صلى الله عليه وسلم بزينب بنت جحش اصبح النبي صلى الله عليه وسلم فاطالوا المكث
فقام النبي صلى الله عليه وسلم عروسا بها فدعا القوم فاصابوا من الطعام ثم خرجوا وبقي رهط منهم عند النبي صلى الله عليه وسلم فاطالوا
المكث فقام النبي صلى الله عليه وسلم فخرج وخرجت معه لكي يخرجوا فمشى النبي صلى الله عليه وسلم ومشيت حتى جاء عتبة حجرة عائشة ثم ظن
انهم قد خرجوا فرجع ورجعت معه حتى اذا بلغ عتبة حجرة عائشة فظن انهم خرجوا فرجع ورجعت معه فاذا هم قد خرجوا فضرب
النبي صلى الله عليه وسلم بيني وبينه بالستر فانزل الله الحجاب وقال ابو عثمان واسمه الجعد عن انس قال فدخل يعني رسول الله صلى الله
عليه وسلم البيت وارخى الستر وهو يقول يا ايها الذين امنوا لا تدخلوا بيوت النبي الا ان يوذن لكم الى قوله والله لا يستحيي من الحق
وروي عن ابن عباس انها نزلت في ناس من المسلمين كانوا يتحينون طعام رسول الله صلى الله عليه وسلم فيدخلون عليه قبل الطعام

الى ان يدرك ثم ياكلون ولا يخرجون وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتاذى بهم فنزلت الاية يا ايها الذين امنوا لا تدخلوا
بيوت النبي الاية وروي عن ابن شهاب عن عروة عن عائشة ان ازواج النبي صلى الله عليه وسلم كن يخرجن بالليل اذا تبرزن الى المناصع
وهو صعيد افيح فكان عمر يقول للنبي صلى الله عليه وسلم احجب نساءك فلم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل فخرجت سودة بنت زمعة
زوج النبي صلى الله عليه وسلم ليلة من الليالي عشاء وكانت امراة طويلة فناداها عمر قد عرفناك يا سودة حرصا على ان تنزل
اية الحجاب فانزل الله الحجاب وعن انس قال قال عمر وافقني ربي في ثلاثة قلت يا رسول الله لو اتخذت من مقام ابرهيم مصلى فانزل
الله واتخذوا من مقام ابرهيم مصلى وقلت يا رسول الله انه يدخل عليك البر والفاجر فلو امرت امهات المومنين بالحجاب فانزل الله
اية الحجاب وبلغني ما اذى رسول الله صلى الله عليه وسلم نساؤه قال فدخلت عليهن استقريهن واحدة واحدة قلت والله لئن لم تنتهين
ليبدلنه الله ازواجا خيرا منكن حتى اتيت على زينب فقالت يا عمر اما كان في رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يعظ نساءه حتى تعظهن
انت قال فخرجت فانزل الله عسى ربه ان طلقكن ان يبدله ازواجا خيرا منكن **قوله تعالى** الا ان يوذن لكم فيه اوجه الاول انها
في موضع نصب على الحال تقديره لا مصحوبين بالاذن الثاني على اسقاط السبب تقديره بسبب الاذن لكم كقوله فاخرج اي بسببه
الثالث انه منصوب على الظرف قال الزمخشري الا ان يوذن لكم في معنى الظرف تقديره الا وقت ان يوذن لكم الى ناظرين حال من لا تدخلوا
وقع الاستثنا على الحال والوقت معا كانه قيل لا تدخلوا بيوت النبي الا وقت الاذن ولا تدخلوا الا غير ناظرين اناه ورد ابو حيان
الاول بان النحاة نصوا على ان المصدرية لا تقع لا يجوز والديك الى الصبح اتيتك الى ان يصيح الديك وان جاز ذلك في المصدر والصريح نحو
اتيتك صياح الديك ورد الثاني انه لا يقع بعد الا في الاستثنا الا المستثنى والمستثنى منه او صفته ولا يجوز فيما عدا هذا عند الجمهور
واجاز ذلك الكسائي والاخفش اجازا ما قام القوم الا يوم الجمعة الى طعام متعلق بيوذن لانه بمعنى الا ان يوذن الى ان تدعوا الى
طعام وقرا العامة غير ناظرين بالنصب على الحال كما تقدم عند الزمخشري ومن تابعه العامل فيه يوذن وعند غيره العامل فيه مقدر
تقديره ادخلوا غير ناظرين وقرا ابن ابي عبلة غير بالجر صفة لطعام واستضعفها الناس من اجل عدم بروز الضمير على جريانه
لغير من هو له فكان من حقه ان يقال غير ناظرين اناه انتم وهذا راي البصريين والكوفيون يجيزون ذلك ان لم يلبس هذه الاية وقد
تقدم هذه المسالة وفروعها وما قيل فيها وهل ذلك مختص بالاسم او يجري في الفعل خلاف مشهور قل من يضبطه **قوله تعالى**
اناه قرا العامة اناه مفردا اي نضجه يقال انى الطعام انى نحو قلاه قلى اي غير منتظرين ادراكه ووقت نضجه ويقال انى الحميم اذا انتهى حره
وانى ان يفعل كذا اجاز اي حان الهمزة مقصورة وقرا الاعمش اناه جميعا على فعال فابدلت الهمزة الثانية الفا والياء همزة لتطرفها بعد
الف زائدة فصار في اللفظ كاناء من قوله ومن اناء الليل وان كان المعنى مختلفا وقال البغوي اذا فتحت الهمزة فقلت الانا وفيه لغتان
انا يانى وانى يانى مثل حان يحين **قوله تعالى** ولكن اذا دعيتم فادخلوا واذا طعمتم فانتشروا تفرقوا واخرجوا
من منزله **فصل** قال ابن الخطيب قوله الا ان يوذن لكم فلا يكون منعا عن الدخول ولا تدخلوا الا ان يوذن لكم الى طعام
فيكون الاذن مشروطا بكونه الى طعام فان لم يكن الى طعام لم يجز الدخول فلو اذن لواحد في الدخول واما كونه لا يجوز الا باذن
الى الطعام فلما تقدم في سبب النزول وان الخطاب مع قوم كانوا يجيئون حين الطعام ويدخلون من غير اذن فمنعوا من الدخول
في وقتهم بغير اذن ان يقال المراد هو الثاني لان التقديم والتاخير خلاف الاصل وقوله الى طعام من باب التخصيص بالذكر فلا يدل
على نفي ما عداه لاسيما اذا علم ان غيره مثله فان من جاز دخوله بيته باذنه الى طعامه جاز دخوله الى غير طعامه فان غير الطعام يمكن
وجوده مع الطعام فان من الجائز ان يتكلم معه وقت ما يدعوه الى الطعام ويستقضيه في حوائجه يعلمه بما عنده من العلوم مع زيادة
الطعام فان رضي بالكل فرضاه بالبعض اقرب الى العقل فيصير من باب ولا تقل لهما اف وقوله غير ناظرين اناه اي لا تنتظروا وقت
الطعام زمانا لا تنهيئا **فصل** لا يشترط في الاذن التصريح به بل اذا حصل العلم بالرضا جاز الدخول ولهذا قال
ان يوذن من غير بيان فاعل فالاذن ان كان من الله او النبي او العقل المويد بالدليل جاز والنقل دال عليه حيث قال او صديقكم
فلو جاء الرجل وعلم ان لا مانع في البيت من تكشف او حضور غير محرم او علم خلو الدار من الاهل او اطفا حريق فيها او غير ذلك جاز
الدخول وفي معنى موضع مباح واختار شخص لعبادته او اشتغاله يشتغل فيا فيه احد ويطيل المكث عنده **قوله تعالى** ولا
مستانسين يجوز ان يكون منصوبا عطفا على غير ان لا تدخلوا اما غير ناظرين ولا مستانسين وقيل معطوف على حال مقدرة
اي لا تدخلوها هاجمين ولا مستانسين وان يكون مجرورا عطفا على ناظرين وغير مستانسين والمعنى ولا تطيلوا الا في الا
طالبين الانس للحديث وان كانوا يجلسون بعد الطعام يتحدثون طويلا فنهوا عن ذلك قوله لحديث يحتمل ان يكون لام العلة
اي مستانسين لاجل ان يحدث بعضكم بعضا وان تكون المقوية للعامل لانه فرع اي ولا مستانسين لحديث اهل البيت وغيرهم
قوله تعالى ان ذلكم اي انتظاركم واستيناسكم فاشير اليهما اشارة الواحد كقوله عوان بين ذلك يستحيي منكم وقرا الا يستحي بياء
واحدة والاخرى محذوفة واختلف فيها هل هي الاولى او الثانية وتقدم ذلك في البقرة وانها رواية عن ابن كثير وهي لغة تميم

يقولون استحي يستحي مثل استسقي يستسقي **قوله تعالى** والله لا يستحيي من الحق اي لا يترك ذلك وهذا اشارة الى انه
ذلك حق وادب ثم ذكر ادبا اخر فقال واذا سألتموهن متاعا فاسألوهن من وراء حجاب اي من وراء ستر فبعد اية الحجاب لم يكن
لاحد ان ينظر الى امراة من نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم منتقبة كانت وغير منتقبة ذلكم اطهر لقلوبكم وقلوبهن من الريب
لان العين روزنة القلب فاذا لم تر العين لا يشتهي القلب فاما ان رأت العين فقد يشتهي القلب وقد لا يشتهي فالقلب عند عدم الروية
اطهر وعدم الفتنة حينئذ اظهر قوله ان تؤذوا هو اسم كان ولكم الخبر ولا تنكحوا عطف على اسم كان وابدا ظرف واعلم انه تعالى لما
بين للمومنين الادب اكده بما يحملهم على محافظته فقال وما كان لكم ان تؤذوا رسول الله وكل ما منعهم عنه موذي فامتنعوا
عنه وليس لكم اذاه في شيء من الاشياء **قوله تعالى** ولا ان تنكحوا ازواجه من بعده ابدا نزلت في رجل من اصحاب النبي صلى الله
عليه وسلم قال لئن قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم لانكحن عائشة قال مقاتل بن سليمان وهو طلحة بن عبيد الله فاخبر الله
عز وجل ان ذلك محرم وقال ان ذلكم كان عند الله عظيما وروى معمر عن الزهري ان العالية بنت ظبيان التي طلقها النبي
صلى الله عليه وسلم تزوجت رجالا وولدت له وذلك قبل تحريم ازواج النبي صلى الله عليه وسلم على الناس **قوله تعالى**
ان تبدوا شيئا او تخفوه الاية نزلت فيمن اضمر نكاح عائشة رضي الله عنها بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل قال رجل
من الصحابة ما بالنا نمنع من الدخول على بنات اعمامنا فنزلت هذه الاية ولما نزلت اية الحجاب قال الاباء والابناء والاقارب ونحن
ايضا نكلمهن من وراء الحجاب اعني ونحن ايضا من وراء الحجاب فانزل الله عز وجل لا جناح عليهن في ابائهن ولا ابنائهن ولا اخوانهن
ولا ابناء اخوانهن ولا ابناء اخواتهن اي لا اثم عليهن في ترك الاحتجاب عن هؤلاء ولا نسائهن قيل اراد بها النساء المسلمات
حتى لا يجوز للكتابيات الدخول عليهن وقيل هو عام في المسلمات والكتابيات ومن قال لا النساء لانهن من اجناسهن
وقدم الاباء لان اطلاعهم على بناتهم اكثر وكيف وهم قد رأوا جميع بدن البنات في حال صغرهن ثم الاخوة ثم الابناء وذلك
ظاهر وانما الكلام في بني الاخوة حيث قدمهم الله على بني الاخوات لان الاخوات اباؤهم ليسوا بمحارم خالات ابنائهم وبني
الاخوة اباؤهم محارم ايضا ففي بني الاخوات مفسدة ما هي ان الابن ربما يحكي خالته عند ابيه وليس بمحرم ولا كذلك في بني الاخوة
فان **قيل** لم يذكر الله من المحارم الاعمام والاخوال ولا اعمامهن ولا اخوالهن **فالجواب** من وجهين احدهما ان ذلك معلوم
من بني الاخوة والاخوات لان من علم ان بني الاخ للعمات محارم علم ان بنات الاخ للمحارم اعمام وكذلك الاخ وكذلك الخال في ابن
الخال وبناتها ان الاعمام ربما يذكرون بنات الاخ عند ابنائهم وغير محارم وكذلك الخال في ابن الخال **قوله تعالى** وما ملكت
ايمانهن ذكر هذا بعد الكل فان المفسدة في التكشف لهم ظاهرة واختلفوا في عبد المراة هل يكون محرما لها فقيل يكون محرما وقوله وما
ملكت ايمانهن وقيل المراد من كان دون البلوغ **قوله تعالى** واتقين عطف على محذوف وقوله ان الله كان على كل شيء شهيدا
في غاية الحسن في هذا الموضع لان ما سبق اشارة الى جواز الخلوة بهم والتكشف لهم فقال ان الله تعالى شاهد عند اختلاء بعضكم
ببعض فخلوتكم مثل ملأكم لشهادة الله فاتقوا الله فانه شهيد على اعمال العباد **قوله تعالى** ان الله وملائكته يصلون على النبي
العامة على نصب الملائكة نسقا على اسم ان ويصلون هل هو خبر عن الله وملائكته او عن الملائكة فقط وخبر الجلالة محذوف لتغاير
الصلاتين بخلاف تقدم وقرأ ابن عباس وروي عن ابي عمرو وملائكته رفعا فيحتمل ان يكون على محل اسم ان بعضهم وان يكون مبتدا
وهو الخبر محذوف وهذا مذهب البصريين وقد تقدم فيه نحو زيد ضارب وعمرو اي ضارب في الارض فان **قيل** لما امر با
الاستيذان وعدم النظر الى نسائه احتراما له على ما ذكرتم وذلك ان حالا انه متحصر لحرمتها واحترامه في تلك الحالة
بقوله لا تدخلوا بيوت النبي وحاله يكون في الملأ الاعلى واما الملأ الادنى فاحترامه في الملأ الاعلى فان الله وملائكته
يصلون عليه واما احترامه في الملأ الادنى فقوله يا ايها الذين امنوا صلوا عليه وسلموا تسليما **فالجواب** قال ابن عباس اراد الله
ان يرحم النبي والملائكة يريدون يدعون له وعن ابن عباس ايضا يصلون يتبركون وعن الصلاة من الله رحمة ومن الملائكة الدعا
وروي عن عبد الرحمن بن ابي ليلى لقيني كعب بن عجرة فقال ومن الملائكة الاستغفار قال ابو العالية صلاة الله ثناؤه عليه عند الملائكة
وصلاة الملائكة الدعا وروي عن عبد الرحمن بن ابي ليلى قال لقيني كعب بن عجرة فقال الا اهدي لك هدية سمعتها من رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقلت بلى واهدها لي قال قلنا يا رسول الله قد علمنا كيف نسلم عليك وكيف نصلي عليك قال قولوا اللهم صل على محمد
وعلى ال محمد كما صليت على ابراهيم وعلى ال ابراهيم انك حميد مجيد **فصل** روي عن ابي حميد الساعدي انهم قالوا
يا رسول الله كيف نصلي عليك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قولوا اللهم صل على محمد وازواجه وذريته كما باركت على ابراهيم
انك حميد مجيد **فصل** روى ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اولى الناس بي يوم القيمة اكثرهم علي صلاة
وروى ابو هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من صلى علي واحدة الحديث وروى ابن عبد الله بن ابي طلحة عن ابيه عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم انه جاء ذات يوم والبشر في وجهه فقال انه جاءني جبريل فقال اما يرضيك يا محمد ان لا يصلي عليك احد من امتك الا

صليت عليه

صليت عليه عشرا ولا يسلم عليك يقول من صلى عليه صلوة صلت عليه الملائكة فليقل العبد من ذلك او يكثر روى عبد الله بن مسعود
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لله ملائكة سياحين في الارض يبلغون عن امتي السلام **فصل** دلت الاية
على وجوب الصلوة على النبي صلى الله عليه وسلم لان الامر للوجوب ولا يجب في غير التشهد فيجب في التشهد قوله وسلموا تسليما امر فيجب السلام
ولا يجب في غير الصلاة فيجب فيها فهو قولنا في التشهد السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته وذكر في السلام المصدر للتاكيد ولم
يوكد الصلوة لانها كانت موكدة بقوله ان الله وملائكته يصلون على النبي فان **قيل** اذا صلى الله وملائكته عليه فاي حاجة به الى صلاتنا
فالجواب ان الصلوة عليه ليست لحاجته اليها والا فلا حاجة الى صلاة الملائكة مع صلوة الله عليه وانما هو اظهار تعظيمه كما ان الله
تعالى اوجب علينا ذكر نفسه ولا حاجة له اليه وانما هو لاظهار عظمته منا شفقة علينا ليثيبنا عليه السلام ولهذا قال عليه السلام من صلى
علي صلوة واحدة صلى الله عليه عشرا **قوله تعالى** ان الذين يؤذون الله قيل وصفوا لها ان يقولون فيه ما صورته اذى وان كان تعالى لا
يلحقه ضرر ذلك حيث وصفوه بما لا يليق بجلاله من اتخاذ الانداد ونسبة الولد والزوجة اليه قال ابن عباس هم اليهود والنصارى
والمشركون قال عليه السلام يقول الله تعالى يؤذيني ابن ادم يسب الدهر وانا الدهر بيدي الامر اقلب الليل والنهار وقيل يؤذون يلحدون
في اسمائه وصفاته وقال عكرمة هم اصحاب التصاوير **فصل** روى ابو هريرة قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول قال الله
تعالى ومن اظلم ممن ذهب يخلق كخلقي فليخلقوا ذرة وليخلقوا حبة او شعيرة ويحتمل ان يكون على حذف مضاف اي اولياء الله كقوله تعالى
واسأل القرية اي اسأل اهل القرية قال عليه السلام قال الله تعالى من عادى لي وليا فقد اذنته بالحرب وقال من اهان لي وليا فقد بارزني
بالمحاربة ومعنى الاذى هو مخالفة امر الله تعالى وارتكاب معاصيه ذكره على ما يتعارفه الناس بينهم والله عز وجل منزه ان يلحقه اذى من احد
وقال بعضهم المراد يؤذون رسوله كقوله انما يبايعون الله واما قوله وايذاء الرسول فقال ابن عباس هو انه شج في وجهه وكسرت رباعيته وقيل
ساحر وشاعر معلم مجنون ثم قال لعنهم الله في الدنيا والاخرة واللعن الطرد واشارة الى بعدهم لا رجاء للقرب معه لان البعيد في الدنيا يرجو القرب
في الاخرة فاذا اصابه خاب وخسر اي فاذا اصابهم في الاخرة فقد خاب وخسر ثم ان الله تعالى لم يجعل جزاءه في الابعاد بل اوعده
بالعذاب المهين فقال واعد لهم وهذا يفيد التاكيد لان السيد اذا عذب عبده حالة الغضب من غير اعداد يكون دون ما اعد له قبل وغلا
قوله تعالى والذين يؤذون المومنين والمومنات بغير ما اكتسبوا اي من غير ما عملوا ما اوجب اذاهم وقال مجاهد يقعون فيهم ويرمونهم
من غير جرم وقيل [illegible] فقد اوذي بغير ما اكتسبوا **قوله تعالى** فقد احتملوا [illegible] في الدنيا
الدين ودخلت الفاء لشبه الموصول بالشرط وقوله بهتانا واثما مبينا قال مقاتل نزلت في علي بن ابي طالب رضي الله عنه كانوا يؤذونه ويسمعونه
وقيل نزلت في شان عائشة وقال الضحاك والكلبي نزلت في الزناة الذين كانوا يمشون في طرق المدينة يتبعون النساء اذا برزن بالليل لقضاء
حوائجهن فيغمزون المراة فان سكتت اتبعوها وان زجرتهم انتهوا عنها ولم يكونوا يطلبون الا الاماء ولكن كانوا لا يعرفون الحرة من الامة لان
زي الكل كان واحدا يخرجن في درع وخمار الحرة والامة فشكون ذلك الى ازواجهن فذكروا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الاية
والذين يؤذون المومنين والمومنات الاية ثم نهى الحرائر ان يتشبهن بالاماء فقال عز وجل يا ايها النبي قل لازواجك وبناتك ونساء
المومنين يدنين عليهن من جلابيبهن فان **قيل** الايذاء هو الزور وهو لا يكون في القول والايذاء قد يكون بغير القول كمن اذى مومنا
بالضرب او اخذ ماله فلا يكون قد احتمل بهتانا **فالجواب** ان المراد والذين يؤذون المومنين والمومنات بالقول لان الله تعالى اراد
اظهار شرف المومنين لانه لما ذكر ان من اذى الله ورسوله لعن وايذاء الله ان يكون جحوده او اشراك من لا يسمع ولا يبصر وذلك قوله قد ذكر
ايذاء المومنين بالقول وعلى هذا خص ايذاء القول بالذكر لان الانسان لا يقدر ان يوذي الله بما يؤذيه من ضرب او اخذ ماله ويؤذيهم بالقول
وكذا الغائب لا يمكن ايذاؤه بالفعل ولا يمكن ايذاؤه بالقول بان يقول عنه ما يصل اليه فيتاذى وقد خرج في الجواب ان يقال قوله بعد
ذلك واثما مبينا لانه يستدرك فيكون قوله احتملوا بهتانا ان كان بالقول واثما مبينا كيف ما كان الايذاء **قوله تعالى** يدنين عليهن كقوله
قل لعبادي يقيموا ومن للتبعيض والجلابيب جمع الجلباب وهي الملاءة التي تشتمل بها المراة فوق الدرع والخمار قال ابن عباس وعبيدة امر نساء
المومنين ان يغطين رؤوسهن ووجوههن بالجلابيب الا عينا واحدة ليعلم انهن حرائر **قوله تعالى** ذلك ادنى اي ادنى الجلابيب اقرب
الى معرفتهن اي ادنى ان يعرفن انهن حرائر فلا يؤذين لا يتعرض لهن ويمكن ان يكون المراد يعرفن انهن لا يزنين لان من تستر وجهها
مع انه ليس بعورة لا يطمع فيها انها تكشف عورتها فيعرفن انهن مستورات لا يمكن الزنا منهن وكان الله غفورا رحيما قال انس مرت بعمر بن
الخطاب جارية متقنعة فعلاها بالدرة وقال يا لكاع اتتشبهين بالحرائر القي القناع **قوله تعالى** لئن لم ينته المنافقون والذين في
قلوبهم مرض لما ذكر حال المشرك الذي يوذي الله ورسوله والمجاهر الذي يوذي المومنين ذكر حال المشرك الذي يظهر الحق ويضمر الباطل
وهو المنافق ولما كان المذكورين اولا ثلاثة نظرا الى من ثلاثة احدها المنافق الذي يوذي الله سرا والثاني وهو الذي في قلبه
مرض وهو الذي يوذي المومن باتباع نسائه والثالث المرجف الذي يوذي النبي عليه السلام بالارجاف بقوله غلب محمد وسيخرج
من المدينة وسيؤخذ هؤلاء فانه كانوا قوما واحدا لا انهم بكون اعتبارات وهذا كقوله تعالى ان المسلمين والمسلمات والمومنين والمومنات

حيث ذكر اصنافا عشرة وكلام موجد في شخص واحد لكنه كثير بالاعتبارات فقال لئن لم ينته المنافقون اي عن نفاقهم والذين
في قلوبهم مرض يعني الزناة والمرجفون في المدينة بالكذب وذلك ان ناسا منهم كانوا اذا خرجت سرايا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوقعون
انهم قتلوا او هزموا ويقولون قد اتاكم العدو ونحوه وقال الكلبي كانوا يحبون ان تشيع الفاحشة في الذين آمنوا ويفشون الاخبار **قوله**
لنغرينك بهم اي لنحرشنك بهم ولنسلطنك عليهم لتخرجهم من المدينة ثم لا يجاورونك فيها اي في المدينة **قوله تعالى** الا قليلا حتى
يخرجوا منها وقيل لنسلطنك عليهم وتخلو منهم المدينة قوله الا قليلا اي الا زمانا قليلا او الا جوارا قليلا وقيل قليلا نصب على الحال
من فاعل يجاورونك اي الا اقلاء اذلاء بمعنى قليلين وقيل قليلا منصوب على الاستثناء اي لا يجاورك الا القليل منهم على اول حال
او اقله **قوله تعالى** ملعونين حال من فاعل يجاورونك او حال من فاعل يجاورونك قال ابن عطية والزمخشري دخل حرف الاستثناء
على الحال والظرف معا كما في قوله الا ان يؤذن لكم الى طعام وتقدم رد ابي حيان عليه وهو ههنا وجوز الزمخشري ان ينتصب
على الشتم وجوز ابن عطية ان يكون بدلا من قليلا والحال انه حال كما تقدم تقريره اي لا يجاورك منهم احد الا قليلا ملعونا ويجوز ان يكون
منصوبا باخذوا الذي هو جواب الشرط وهو عند الكسائي والفراء فانهما يجيزان تقدم معمول الجواب ولا يجوز تقديم معمول الشرط
وهو راي الفراء **قوله تعالى** اخذوا وقتلوا العامة على التشديد وقرئ بالتخفيف وهذه تذكرها بمعنى المصدر على الفعل الان بقاء على غير
مصدره وقوله سنة تقدم نظيرها **قوله تعالى** يسألك الناس عن الساعة قل انما علمها عند الله اي ان وقت القيمة علمه عند الله لا يتبين
لهم فان الله اخفاها لحكمة وهي امتناع المكلف من الاجرام وخوفهم منها في كل وقت **قوله تعالى** وما يدريك لعل الساعة الظاهر ان
لعل تعلق كما تعلق التمني وقريبا خبر كان على حذف موصوف اي شيئا قريبا وقيل التقدير قيام الساعة فروعي الساعة وروعي المضاف
المحذوف في تذكير قريبا وقيل كثر استعماله استعمال الظروف فهو ههنا ظرف في موضع الخبر وقال ابن الخطيب فعيل يستوي المذكر والمؤنث قال تعالى
ان رحمة الله قريب من المحسنين اي لعل الساعة قريبة فان **قيل** المعنى اي شيء يعلمك امر الساعة ومتى يكون قيامها اي انت لا تعرف
لعل الساعة تكون قريبا وهذا اشارة الى التخويف ثم قال ان الله لعن الكافرين واعد لهم سعيرا كما قال لعنهم الله في الدنيا والاخرة واعد
لهم عذابا مهينا خالدين فيها ابدا اللبث مستمرين فيها وقوله فيها اي في السعير لانها مؤنثة او لانه في معنى جهنم ولا يأتيه فالجواب
او من خالدون او المحذوف او الضمير او ليقولون يوم تقلب وقرا العامة تقلب مبنيا للمفعول وجوههم رفع على ما لم يسم فاعله وقرا الحسن
وعيسى والرواسي بفتح التاء اي تتقلب وجوههم فاعل به وابو حيوة نقلب بالنون اي نحن وجوههم بالنصب على المفعول به وعيسى يقلب
بضم الياء وكسر اللام اي يقلب السعير او الملائكة وجوههم بالنصب على المفعول به تحول حالا بعد حال يعني قوله تقلب وجوههم في النار وظهر البطن
كانوا يحبون عليها يقولون يا ليتنا اطعنا الله واطعنا الرسول في الدنيا **قوله تعالى** سادتنا قرا ابن عامر في الحرب في الجمع بالالف والتاء
قال البغوي على الجمع والباقون سادتنا على انه جمع تكسير على انه مجموع بالالف والتاء ثم سادة يجوز ان يكون جمعا لسيد ولكن لا ينقاس سيدا
لان فيعلا لا يجمع على فعلة وسادة فعلة اذ الاصل سودة ويجوز ان يكون نحو فاجر وفجرة وكافر وكفرة وهو اقرب الى القياس مما قبله
وابن عامر جمع هذا ثانيا بالالف والتاء وهو غير مقيس ايضا نحو بيوتات وجمالات **فصل** لما بين انه لا شفيع لهم يدفع عنهم العذاب
بين ان بعض اعضائه ايضا لا يدفع العذاب عن البعض بخلاف عذاب الدنيا فان الانسان يدفع عن نفسه الضربة بيده فان من يقصد
وجهه يجعل يده جنة لوجهه ووقاية له يقولون يا ليتنا اطعنا الله واطعنا الرسول في الدنيا فيندمون حيث لا تنفعهم الندامة
ثم يقولون ربنا انا اطعنا سادتنا اي اطعنا السادة فاضلونا السبيلا ربنا آتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعنا كبيرا قرا عاصم كبيرا
بالباء الموحدة والباقون بالمثلثة وتقدم معناهما في البقرة والمراد بضعفين من العذاب اي ضعفي عذاب غيرهم **قوله تعالى**
يا ايها الذين امنوا لا تكونوا كالذين اذوا موسى لما بين ان من يؤذي الله ورسوله يلعن ويعذب وكان ذلك اشارة الى الاذى الكفر
ارشد المؤمنين الى الامتناع عنه فقال لا تكونوا من الاذى المؤذي وهو لا يورث كفرا وهو من لم يرض بقسمة النبي صلى الله عليه وسلم
في حديثه وبحكمه فقال لا تكونوا كالذين اذوا موسى قال بعضهم بناؤه هذا موسى تنبيه عيب في بدنه وقيل ان قارون قال للامرأة قولي ان
موسى قد وقع في فاحشة والايذاء المذكور في القرآن كاف وهو قولهم اذهب انت وربك فقاتلا وهو قولهم لن نصبر على طعام واحد
الى غير ذلك فقال للمؤمنين لا تكونوا امثالهم اذا طلبكم الرسول للقتال لا تقولوا اذهب انت وربك فقاتلا واذا امركم الرسول بشيء
فأتوا منه ما استطعتم قوله فبراه الله مما قالوا على الاول الظاهر لانه ابرز جسمه لقوله فعلموا فساد اعتقادهم ونطقت المراة بالحق
وامر الملائكة حتى مروا به هارون عليهم فراوه غير مجروح فعلموا براءة موسى عليه السلام عن ما رموه به وعلى الثاني فبراه الله مما قالوا
اي اخرجه عن عهدة ما طلبوا باعطائهم بعض اباتهم واظهاره عدم جوازه البعض وقطع حجتهم ضرب عليهم الذلة والمسكنة وغضب
عليهم **قوله تعالى** عند الله العامة على عند الظرفية المجازية وابن مسعود والاعمش وابو حيوة عبدا لله العبودية لله جار ومجرور
وهي حسنة قال ابن خالويه صليت خلف ابن شنبوذ في رمضان فسمعته يقرا بقراءة ابن مسعود في ذلك هذه قال شهاب الدين
وكان مولعا بنقل الشهادة وتمامها قالوا اما مصدرية ولما بمعنى الذي وجيها كريما ذا جاه يقال وجه الرجل يوجه وجاهة فهو وجيه

اذاكان

اذا كان ذا جاه وقدر وقال ابن عباس كان حظيا عند الله لا يسأل شيئا الا اعطاه وقال الحسن كان مستجاب الدعوة وقيل كان
محببا مقبولا واختلف فيما اوذي به موسى فقيل روى ابو هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان موسى كان رجلا حييا
ستيرا لا يرى من جلده شيء استحياء منه فآذاه من آذاه من بني اسرائيل فقالوا ما يستتر هذا التستر الا من عيب بجلده اما برص واما ادرة
واما آفة وان الله اراد ان يبرئه مما قالوا فخلا يوما وحده فوضع ثيابه على حجر ثم اغتسل فلما فرغ اقبل الى ثيابه ليأخذها فان
الحجر عدا بثوبه فاخذ موسى عصاه وطلب الحجر فجعل يقول ثوبي حجر ثوبي حجر حتى انتهى الى ملأ من بني اسرائيل فراوه عريانا احسن ما
خلق الله وابراه مما يقولون وقام الحجر فاخذ ثوبه فاستتر وطفق بالحجر يضربه بعصاه فوالله ان بالحجر لندبا من اثر ضربه ثلاثا او اربعا
او خمسا وقيل انما اتهموه بهارون في التيه ادعوا على موسى انه قتله فامر الله الملائكة حتى مروا به على بني اسرائيل فعرفوا انه لم يقتله ولم
يروا به اثر جراحة وقال ابو العالية ان قارون استأجر امرأة لتقذف موسى بنفسها على رأس الملأ فعصمها الله وبرأ موسى واهلك قارون
وروى ابو وائل قال سمعت عبد الله قال قسم النبي صلى الله عليه وسلم قسما فقال رجل ان هذه لقسمة ما اريد بها وجه الله فاتيت النبي صلى الله
عليه وسلم فاخبرته فغضب حتى رأيت الغضب في وجهه ثم قال يرحم الله موسى لقد اوذي باكثر من هذا فصبر **قوله تعالى** يا ايها الذين
امنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا قال ابن عباس صوابا وقال قتادة عدلا وقال الحسن صدقا وقيل مستقيما وقال عكرمة هو قول
لا اله الا الله **قوله تعالى** يصلح لكم اعمالكم قال ابن عباس يتقبل حسناتكم وقال مقاتل يزكي اعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم **قوله تعالى**
ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما لان النجاة من العذاب فان من اراد ان يضرب عبده سوطا ثم نجا لا يقال فاز فوزا عظيما
ويحتمل انه اراد بالفوز العظيم الثواب الكثير الدائم الابدي **قوله تعالى** انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال وهذا
اما حقيقة واما تمثيل تخييل واراد بالامانة الطاعة والفرائض التي فرضها الله على عباده عرضها على السموات والارض والجبال على انهم
ان ادوها اثابهم وان ضيعوها عذبهم قال ابن مسعود وابن عباس الامانة اداء الصلوات وايتاء الزكوة وصوم رمضان وحج البيت
وصدق الحديث وقضاء الدين والعدل في المكيال والميزان واشد من هذا كله الودائع وقال مجاهد الامانة الفرائض وحدود
الدين وقال ابو العالية ما امروا به وما نهوا عنه وقال ابن سلام هو الصوم والغسل من الجنابة وما يخفى من الشرائع وقال عبد الله بن عمرو بن
العاص اول ما خلق الله من الانسان فرجه وقال هذه امانة استودعتكها فالفرج امانة والعين امانة والاذن امانة واليد امانة
والرجل امانة ولا ايمان لمن لا امانة له وقيل هي امانات الناس والوفاء بالعهود فحق على كل مؤمن ان لا يغش مؤمنا ولا معاهدا في شيء
قليل ولا كثير وهي رواية الضحاك عن ابن عباس وجماعة من التابعين واكثر السلف ان الله عرض هذه الامانة على السموات والارض
والجبال فقال لهن اتحملن لا يريدون ثوابا ولا عقابا وقلن لا نحن فعلن خشية وتعظيما لله خوفا ان لا يقوموا بها لا معصية ومخالفة وكان العرض
تخييرا لا الزاما ولو الزمهن لا امتنعن من حملها والجمادات كلها خاشعة لله تعالى عز وجل مطيعة ساجدة له كما قال تعالى للسموات والارض
ائتيا طوعا او كرها قالتا اتينا طائعين وقال في الحجارة وان منها لما يهبط من خشية الله وقال الم تر ان الله يسجد له من في السموات ومن
في الارض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب الاية وقال بعضهم ركب الله عز وجل فيهن العقل والفهم حين عرض الامانة
عليهن وهي الدين الاول حتى عقلن الخطاب واجبن بما اجبن وقيل المراد من العرض على السموات والارض هو العرض على اهل السموات والارض
عرضها على من فيهما من الملائكة وقيل المراد المقابلة اي قابلة الامانة مع السموات فرجحت الامانة وهل الدين الاول وهو قول اكثر العلماء
قوله تعالى فابين ان يحملنها اتى بضمير كضمير الاناث لان جمع التكسير غير العاقل يجوز فيه ذلك وان كان مذكرا وانما ذكرنا ذلك لئلا يتوهم
انه قد غلب المؤنث وهو السموات على المذكر وهو الجبال واعلم انه لم يذكر اباهن كاباء ابليس في قوله تعالى ابى ان يكون مع الساجدين لان
هناك كان فرضا وههنا الامانة كانت عرضا والاباء هناك كان استكبارا وههنا استصغارا لقوله تعالى واشفقن منها اي خفن
من الامانة اي لا يؤدينها فيلحقهن العقاب وحملها الانسان يعني ادم عليه السلام فقال لادم اني عرضت الامانة على السموات والارض والجبال
فلم تطقها فهل انت اخذها بما فيها فقال يا رب وما فيها فقال ان احسنت جوزيت وان اسأت عوقبت فتحملها ادم عليه السلام فقال
بين اذني وعاتقي فقال الله تعالى اما اذا تحملت فساعينك اجعل لبصرك حجابا فاذا خشيت ان تنظر الى ما لا يحل لك فارخ عليه حجابه واجعل
للسانك لحيين وغلقا وقال مجاهد فما كان بين ان تحملها وبين ان اخرج من الجنة الا مقدار ما بين الظهر والعصر **قوله تعالى**
انه كان ظلوما جهولا بعاقبة ما تحمل قال ابن عباس اي ظلوما لنفسه جهولا بامر الله وما احتمل من الامانة وقال الكلبي ظلوما حين
عصى ربه جهولا لا يدري ما العقاب في ترك الامانة وقال مقاتل ظلوما جهولا بعاقبة ما تحمل وذكر الزجاج وغيره من اهل المعاني
في قوله وحملها الانسان انه كان فقالوا ان الله ائتمن ادم واولاده على شيء وائتمن اهل السموات والارض والجبال على شيء فالامانة
في حق بني ادم ما ذكرنا من الطاعة والقيام بالفرائض والامانة في حق السموات والارض والجبال هي الخضوع ابين ان يحملنها اي دين
الامانة يقال فلان لم يحمل الامانة اي يخون فيها وحملها الانسان اي خان فيها ويقال فلان حمل الامانة اي اثم فيها بالخيانة
قال تعالى وليحملن اثقالهم واثقالا مع اثقالهم انه كان ظلوما جهولا حكي عن الحسن على هذا التأويل انه كان وحملها الانسان يعني الكافر

والمنافق حمل الامانة اي حال والاول قول السلف قوله تعالى ليعذب متعلق بقوله وحملها فهي لام الصيرورة لانها لم يحملها
لذلك وقيل هي لام العلة على المجاز لعصه حمله ذلك فعلت كالعلة الباعثة فصل قال مقاتل ليعذب المنافقين
والمنافقات والمشركين والمشركات بما خانوا الامانة ونقضوا العهود ثم قال ويتوب الله على المومنين والمومنات قرا الاعمش
برفع ويتوب على الاستيناف اي يهديهم ويرحمهم بما ادوا من الامانة وقال ابن قتيبة عرضنا الامانة ليظهر نفاق المنافق وشرك
المشرك فيعذبهما الله ويظهر ايمان المومن فيتوب عليه اي يعود عليه بالرحمة والمغفرة ان حصل منه تقصير في الطاعات وعطف
الشرك على النفاق ولو بعد اسمه فقال ويتوب الله على المومنين ثم قال وكان الله غفورا رحيما على الجهول روى الثعلبي عن ابي امامة
عن ابي بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الاحزاب وعلمها اهله وما ملكت يمينه اعطي الامان من عذاب القبر

سورة سبا مكية

وهي خمس وخمسون اية وثمانمائة وثلاث وثمانون كلمة واربعة الاف وخمسمائة واثنا عشر حرفا بسم الله الرحمن الرحيم
قوله تعالى الحمد لله الذي له ما في السموات علم ان السورة المفتتحة بالحمد خمس سورتان منها في النصف الاول وهما الانعام والكهف
وسورتان في النصف الاخير وهما هذه وسورة الملائكة والخامسة هي فاتحة الكتاب تقرا مع النصف الاول ومع النصف الاخير
والحكمة فيها ان نعم الله مع كثرتها وعدم قدرتنا على احصائها منحصرة في قسمين نعمة الايجاد ونعمة الابقا فان الله خلقنا اولا
برحمته وخلق لنا ما نقوم به وهذه النعمة توجد مرة اخرى بالاعادة فانه يخلقنا مرة اخرى ويخلق لنا ما ندوم به فلنا حالتان
الابدا والاعادة وفي كل حالة لله تعالى علينا نعمتا الايجاد ونعمة الابقا فقال في النصف الاول الحمد لله الذي خلق السموات والارض
وجعل الظلمات والنور اشار الى الشكر على نعمة الايجاد ويدل عليه قوله تعالى الذي خلقكم من طين فاشار الى الايجاد الاول وقال
في السورة الثانية الحمد لله الذي انزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا قيما لينذر فاشار الى الشكر على نعمة الابقا فان الشرائع
بها البقا ولولا الشرع منقادا له يتبع كل واحد هواه ووقعت المنازعة وادت الى الفنا والتفاني وقال هاهنا الحمد لله الذي له ما في
السموات اشارة الى نعمة الايجاد الثاني بدليل قوله وله الحمد في الاخرة وقال في الملائكة الحمد لله فاطر السموات اشارة الى نعمة الابقا
بدليل قوله تعالى جاعل الملائكة رسلا اي يوم القيامة يرسلهم الله على المسلمين كما قال تعالى وتتلقاهم الملائكة وقال تعالى عنهم
سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين وفاتحة الكتاب لما اشتملت على ذكر نعمتين اشار بقوله الحمد لله رب العالمين الى النعم العاجلة
واراد بقوله مالك يوم الدين الى النعم الاجلة فرتبت لافتتاح والاختتام عليهما فان قيل قد ذكرتم ان الحمد هنا اشارة الى النعم
التي في الاخرة فلما ذا ذكر السموات والارض ان نعم الاخرة غير مرئية فذكر الله النعم المرئية وهي ما في السموات وما في الارض ثم قال وله
الحمد في الاخرة ليقاس نعم الاخرة بنعم الدنيا ويعلم فضلها بدوامها فالجواب الذي يجوز فيه ان يكون تابعا وان يكون مقطوعا
نصبا او رفعا على القطع فيهما وما في السموات يجوز ان يكون فاعلا وهو الاحسن وان يكون مبتدا قوله تعالى في الاخرة يجوز ان
يتعلق بنفس الحمد وان يتعلق بما تعلق به خبره وهو الحكيم ويجوز ان يكون معترضا ان اعربنا له حالا وان يكون مستانفا حالا من
الخبر قوله تعالى له ما في السموات وما في الارض ملكا وخلقا وله الحمد في الاخرة كما هو له في الدنيا لان النعم في الدارين كلها منه وقيل
الحمد في الاخرة هو حمد اهل الجنة كما قال تعالى الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن والحمد لله الذي صدقنا وعده وهو الحكيم الخبير فالحكمة
هي العلم الذي يتصل به العمل والفعل فان من يعلم امرا ولم يات بما يناسب علمه لا يقال له حكيم والفاعل الذي فعله على وفق العلم
هو الحكيم الخبير اي بعواقب الامور وبواطنها فقوله حكيم اي ابتدا الخلق كما ينبغي وخبير اي بالانتها يعلم ما يصدر من المخلوق وما
لا يصدر في الابتدا خبير في الانتها ثم بين خبره لكن الخبير يعلم ما يلج في الارض اي يدخل فيها من الما والاموات وما يخرج منها
من النبات والاموات اذا حشروا قوله تعالى وما ينزل العامة على ينزل مفتوح اليا وتخفيف الزاي مسند الى ضمير ما وقرا علي
رضي الله عنه والسلمي بضمها وتشديد الزاي اي الله والمراد به هنا الملائكة والقرآن وما يعرج فيها من الكلام الطيب بقوله اليه
يصعد الكلم الطيب والملائكة والاعمال الصالحة لقوله والعمل الصالح يرفعه وقدم ما يلج في الارض على ما ينزل من السماء لان الحبة تبذر
اولا ثم تسقى قال وما يعرج فيها ولم يقل وما يعرج اليها لفهم لو توقف عند السموات وما في يعرج فيها اشارة الى قبول الاعمال
الصالحة لان كلمة الى للغاية فلو قال وما يعرج اليها لفهم لو توقف عند السموات وما في يعرج فيها يعلم نفوذها فيها وصعودها
منها ولهذا قال في الكلم الطيب اليه يصعد الكلم الطيب لان الله هو المنتهى ولا مرتبة فوق الوصول اليه ثم قال وهو الرحيم
الغفور رحيم بالانزال حيث ينزل الرزق من السماء غفور عندما يعرج اليه الارواح والاعمال ثم بين ان هذه النعمة يستحق الله بها الحمد
وهي نعمة الاخرة انكرها قوم فقال وقال الذين كفروا لا تاتينا الساعة قوله تعالى بلى جواب لقولهم لا تاتينا وما بعدها

قسم على ذلك وقرا العامة لتاتينكم بالتانيث وقرا بالياء ليأتينكم اي البعث وقيل معنى الساعة اي اليوم قاله الزمخشري
ورده ابو حيان بانه ضرورة كقوله • ولا ارض ابقل ابقالها • وليس مثله لان الله معنى مرة ويجوز على قياس هذا الوجه
ان يكون عالم فاعلا لتاتينكم في قراءة من رفعه قوله عالم قرا العامة علام على صيغة المبالغة وحفص نعتا للرب او بدلا منه وهو
قليل لكونه مبنيا ونافع وابن عامر بالرفع على انه مبتدا وخبره لا يعزب او على انه خبر مضمر اي هو ذكره الحوفي وفيه بعد واما قوله
عالم بالخفض على ما تقدم واذا حصل نعتا فلا بد من تقرير تعريفه وقد تقدم ان كل صفة يجوز ان يتصرف بالاضافة الى الصفة
المشبهة وقد تقدمت قراءتا يعزب في يونس فصل اعلم انه تعالى رد على منكري الساعة فقال قل بلى وربي لتاتينكم
فاخبر باتيانها واكدها باليمين فان قيل لا ريب وان كانوا يقولون بذلك المسالة الاصولية لا تثبت باليمين فالجواب
عن هذا بانه لا يقتصر على اليمين بل ذكر الدليل وانه وهو قوله ليجزي الذين امنوا وعملوا الصالحات وبيان كونه دليلا هو ان المسيء قد يبقى
دليلا في الدنيا مدة مديدة في اللذات العاجلة ويموت عليها والمحسن قد يدوم في الدنيا في الالام الشديدة ويموت عليها فلولا ما
يكون الجزا لكان الامر على خلاف الحكمة في ذلك فان قيل لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الارض فالجواب فيه لطيفة
وهي ان الانسان له جسم وروح والروح ثم اجزاوها في الارواح في السما فقوله لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات اشارة الى علمه
بالارواح وقوله في الارض اشارة الى علمه بالاجسام فاذا علم الروح والاجسام دل على جمعهما فلا استبعاد في الاعادة قوله تعالى
ولا اصغر العامة على رفع واكبر وفيه وجهان احدهما الابتدا والخبر والثاني النسق على مثقال وعلى هذا فيكون الا في كتاب تاكيدا
لا يعزب لانه قال الا في كتاب وقرا قتادة والاعمش وروت عن ابي عمرو ونافع ايضا بفتح الراء وفيها وجهان احدهما انها كلا التبرئة
بني اسمها معها والخبر قوله الا في كتاب والثاني النسق على ذرة وتقدم في يونس قراءة حمزة بالفتح في اصغر واكبر هنا وافق على الرفع وتقدم
البحث هناك قال الزمخشري فان قلت هل لا جاز عطف لا اصغر على مثقال وعطف ولا اكبر على ذرة قلت ما في ذلك الا حرف
الاستثنا الا اذا جعلت الضمير في عنه للغيب وجعلت الغيب اسما للخفيات قبل ان يكتب في اللوح لان اثباتها في اللوح نوع من البروز
على معنى انه ينفصل عن الغيب شي ولا يزل عنه الا مسطورا في اللوح قال ابو حيان ولا احتاج الى هذا التاويل بل اذا جعلنا الكتاب
ليس اللوح المحفوظ وقال زيد بن علي حفص اي اصغر واكبر وهي مشكلة جدا وخرجت على انها في نية الاضافة اذ الاصل ولا اصغره ولا اكبره
وما لا ينصرف اذا اضيف انجر في موضع الجر وحذف المضاف اليه ونوي معناه فيترك المضاف بحاله وله نظاير كقوله
بين ذراعي وجبهة الاسد • ويا تيم تيم عدي • على خلاف وقد يفرق بان هناك ما يدل على المحذوف لفظا بخلاف هنا وقدر
بعضهم هذا التخريج لوجود من لان افعل متى اضيفت لم تجامع من واجيب عن ذلك بوجهين احدهما انها من ليست متعلقة بافعل بل
بمحذوف على سبيل البيان لانه لما حذف المضاف اليه ابهم المضاف فبين بمن ومجرورها اي اعني من ذلك والثاني انه مع تقدير المضاف
اليه نوي طرحه فلذلك اتي بمن ويدل على ذلك انه قد ورد التصريح بالاضافة مع وجود من قال قوله
نحن بغرس الودي اعلمنا منا • بركض الجياد في السدد • وخرج على هذين الوجهين اما التعليق بمحذوف واما نية اطراح المضاف
اليه وهذا كما احتاجوا الى تاويل الجمع بين ال ومن في فعل كقوله • ولست بالاكثر منهم حصى • وهذه توجيهات شذوذ يلتفت فيها
مثل ذلك ولا اصغر من ذلك اشارة الى ان من مثقال لم يذكر للتحديد بل الاصغر منه لا يعزب فان قيل فاي حاجة الى ذكر الاكبر
وان من علم الاصغر من الذرة لا بد وان يعلم الاكبر فالجواب لما كان الله تعالى علم ان اعني لما كان الله تعالى اراد بيان اثبات
الامور في الكتاب فلو لا اقتصر على الاصغر لتوهم متوهم انه يكتب الصغار لكونها محل النسيان واما الاكبر فلا ينسى فلا حاجة الى اثباته
فقال الاثبات في الكتاب ليس كذلك لان الاكبر في البيان ايضا فيه مكتوب ثم لما بين علمه بالصغائر والكبائر ذكر ان جميع ذلك
واثبات الجزا فقال ليجزي الذين امنوا وعملوا الصالحات فصل ليجزي فيه وجهان احدهما انه متعلق بلا يعزب وقال ابو
البقاء بمعنى لا يعزب اي يحصي ذلك ليجزي والثاني وهو حسن انه متعلق بقوله لتاتينكم او بالعامل في قوله الا في كتاب اي الا استقر ذلك في كتاب
مبين في بيان مبين ليجزي فصل اعلم انه تعالى ذكر فيهم امرين الايمان والعمل الصالح وذكر فيهم امرين المغفرة والرزق
الكريم فالمغفرة جزاء الايمان فكل مومن مغفور له يخرج لقوله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء وقوله
عليه السلام يخرج من النار من قال لا اله الا الله ومن في قلبه وزن ذرة من ايمان والرزق الكريم على عمله العمل الصالح وهذا مناسب
فان من عمل لسيد كريم عملا فعند فراغه من العمل لا بد وان ينعم عليه وتقدم وصف الرزق الكريم انه يعني ذا كرم او مكرم او لانه ياتي
من غير طلب بخلاف رزق الدنيا فانه ان لم يطلب ويتسبب له لا ياتي فان قيل ما الحكمة في تمييز الرزق بوصفه فانه كريم ولم
يصف المغفرة فالجواب لان المغفرة واحدة وهي للمومنين واما الرزق فيه شجرة الزقوم والحميم ومنه الفواكه والشراب الطهور
فميز الرزق برزق كريم يحتمل وجهين احدهما ان يكون ذلك لهم جزاء فمن صلة لهم بقوله ليجزي الذين اسوا والثاني ان
يكون ذلك لهم والله يجزيهم بشي اخر لان قوله اوليك لهم جملة تامة اسمية وقوله تعالى ليجزي الذين امنوا جملة فعلية

مستقلة وهذا ابلغ في الاشارة من قول القايل ليجزي الذين امنوا وعملوا الصالحات رزقا **فصل** اللام في ليجزي
للتعليل وسا الاخرة للجزا فان قيل لما وجه المناسبة فالجواب ان الله تعالى اراد ان لا ينقطع ثوابه فجعل المكلف دارا
لا فيه يكون ثوابه واصلا اليه فيها دايما ابدا وجعل قبلها الالام والاسقام وفيها الموت ليعلم المكلف مقدارها فيها او مقدار ما
يكون فيه في الاخرة اذا نسبته الى ما قبله والذين سعوا فيه وجهان اظهرهما انه مبتدا واولئك ما بعده خبره والثاني انه عطف
على الذين قبله والذين سعوا ويكون اولئك الذين بعده مستانفا واولئك الذين قبله ما في خبره معترضا **قوله تعالى**
والذين سعوا في اياتنا معجزين اي في ابطال ادلتنا معجزين يحسبون انهم يفوتون وقد تقدم في الحج قراتان معجزين واعلم انه تعالى
لما بين حال المومنين يوم القيمة بين حال الكافرين والمراد بهم الذين كذبوا باياتنا وقوله معجزين اي سعوا في ابطالها لان المكذب بايات
ياضعا دايات تبيان فيحتاج الى السعي العظيم والجد البليغ ليروج كذبه فعله لعجز المتمسك به **قوله تعالى** اولئك لهم عذاب من رجز اليم
قرا ابن كثير وحفص هنا وفي الجاثية اليم بالرفع والباقون بالخفض والرفع على انه نعت لعذاب والخفض على انه نعت لرجز الا ان مكيا ضعف
الرفع واستبعدها قال لان الرجز هو العذاب فيصير التقدير عذاب اليم من عذاب والمعنى غير ممكن والاختيار خفض اليم لانه اصح في
التقدير والمعنى اذ تقديره لهم عذاب وعذاب اليم اي هذا الصنف من اصناف العذاب لان العذاب بعضه الم من بعض واجيب بان الرجز
مطلق العذاب **فصل** قال قتادة الرجز سوء العذاب فيكون من لبيان التعقيب او لبيان الجنس كقولك خاتم من فضة
فصل قال ابن الخطيب قال هنالك لهم رزق كريم ولم يقل له من التعقيب فلم يقل لهم نصيب من رزق ولا رزق من جنس
كريم وقال هنا عذاب من رجز اليم بلفظة صالحة للتبعيض وذلك اشارة الى سعة الرحمة وقلة النصيب وقال هنالك لهم مغفرة
وقال رزق كريم وههنا لم يقل الا لهم عذاب فزادهم هنالك الرزق الكريم وههنا لم يزدهم على العذاب **فصل** فيما قاله
نظر لقوله تعالى في موضع اخر زدناهم عذابا فوق العذاب **قوله تعالى** ويرى الذين اوتوا العلم فيه وجهان احدهما انه عطف على
ليجزي قال الزمخشري اي وليعلم الذين اوتوا العلم عند مجي الساعة والثاني انه مستانف بقوله عند مجي الساعة **فصل** لما بين حال من يكذب
بالاخرة بين حاله في الدنيا وهو ان سعيه باطل فان من اوتي علما لا يعتبر بتكذيبه وهو يعلم ان ما انزل الى محمد حق وصدق وقوله هو الحق
يفيد الحصر اي ليس الحق الا ذلك واما قول المكذب فباطل بخلاف ما اذا تنازع خصمان والنزاع لفظي فيكون قول كل واحد حقا في المعنى
قال المفسرون ويرى الذين اوتوا العلم يعني مومني اهل الكتاب عبد الله بن سلام واصحابه الذي انزل اليك من ربك هو الحق يعني القران
من الحق يعني انه من عند الله **قوله تعالى** ويهدي فيه وجهان الاول انه مستانف وفي فاعله احتمالان اظهرهما انه ضمير الذي انزل وهو
القران والثاني ضمير اسم الله تعالى ويتعلق هذا بقوله الى صراط العزيز الحميد ولو كان كذلك لقيل الى صراطه ويجاب بانه من التفات
ابرز المضمر ظاهرا تنبيها على وصفه بهاتين الصفتين الوجه الثاني انه معطوف على موضع الحق وان معه مضمرة تقديره هو الحق والهدى
الثالث انه عطف على الحق عطف فعل على اسم لانه في تاويله كقولك صافات ويقبضن اي وقابضات كما عطف الاسم على الفعل لان الفعل معناه
كقوله • فالفيته يوما يبير عدوه • ومجر عطاء يستحق المعابرا • كانه قيل وللرؤية الحق وهاديا الرابع ان ويهدي حال
من الذي انزل ولا بد من اضمار مبتدا اي وهو يهدي كقوله • نجوت وارهنهم مالكا • وهو قليل جدا ثم قال الى صراط العزيز
الحميد فهاتان الصفتان يفيدان الرغبة والرهبة فالعزيز يفيد التخويف والانتقام من المكذب والحميد يفيد الترغيب في الرحمة
للصدق **قوله تعالى** وقال الذين كفروا هل ندلكم على رجل لما بين حال المكذب بالساعة ورد عليهم بقوله قل بلى وربي لتاتينكم
ثم بين ما يكون بعد اتيانها من جزاء المومن على عمله الصالح وجزاء الساعي في تكذيب الايات بالتعذيب على السيئات وبين حال الكافر
والمومن بعد قوله عليه السلام بلى وربي لتاتينكم فقال المومن الذي انزل اليك من ربك الحق وهو يهدي وقال الكافر المنكر للبعث متعجبا هل
ندلكم على رجل ينبئكم يخبركم يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم وهذا كقول القايل في الاستبعاد جاء رجل يقول ان الشمس تطلع من المغرب
الى غير ذلك من المحالات **قوله تعالى** اذا مزقتم اذا منصوب بمقدر اي تبعثون وتحشرون وقت تمزيقكم لدلالة انكم لفي خلق
جديد لان ما بعد ان لا يعمل فيما قبلها ومن توسع في الظرف اجازه هذا اذا جعلناه ظرفا محضا وان جعلناه شرطا لان وجوابها
مقدر اي تبعثون وهو العامل في اذا الشرطية والصحيح ان العامل فيها فعل الشرط في اذا عند جمهور النحاة وجوز الزجاج ان تكون معمولة
لمزقتم وجعله ابن عطية خطا وافسادا للمعنى قال ابو حيان وليس بخطا ولا افساد وقد اختلف في العامل في اذا الشرطية والصحيح ان العامل
فيها فعل الشرط كاخواتها من اسما الشرط قال الشهاب الذي والجمهور على خلافه فتم قال ابو حيان والجملة الشرطية يحتمل ان يكون انكم لفي
خلق جديد معلقه لينبئكم سادا مسد المفعولين ولولا اللام لفتحت ان وعلى هذا الجملة الشرطية اعتراض وقد منع قوم التعليق في اعلم
وبابها والصحيح جوازه قال الشاعر • حذار فقد نبيت انك للذي • ستجزى بما تسعى فتسعد او تشقى • وقرا زيد بن علي ينبيكم بابدال الهمزة ياء وعنه
ينبيكم بالياء كاكرم **فصل** المعنى ان الكفار قالوا لعوامهم متعجبين انه يقول انكم اذا متم ومزقتم وتقطعتم كل تقطيع
وتفرقتم كل تفريق وصرتم ترابا [illegible] انكم لفي خلق جديد اي تخلقون خلقا جديدا **قوله تعالى** افترى هذه همزة

استفهام وجدت لاجلها همزة الوصل فلذلك ثبتت هذه الهمزة وصلا وابتداء وقال البغوي هذه همزة استفهام دخلت على الف
الوصل فلذلك نصبت على انه كذبا وبهذه الاية استدل الجاحظ على ان الكلام ثلاثة اقسام صدق وكذب ولا صدق ولا كذب
ووجه الدلالة منه على القسم الثالث ان **قوله تعالى** ام به جنة لا جايز ان يكون كذبا لانه قسيم الكذب وقسيم الشيء غيره ولا جايز ان يكون
صدقا لانهم لم يعتقدوه فثبت ذلك فاجيب عنهم بان المعنى ام لم يفتر ولكن عبر عن هذا بقولهم ام به جنة لان المجنون لا افترا له والظاهر
في ام هذه انها متصلة لانها تتقدرها اي ويجاب باحدهما كانه قيل اي الشيين واقع افترا الكذب ام كونه مجنونا ولا يضر كونها بعدها
جملة لان الجملة بتاويل المفرد كقوله • لا ابالي انبث بالحزن بيس • ام جنائي بظهر غيب لئيم • ومثله قول الاخر
• لعمرك ما ادري وان كنت داريا • شبيب بن سهم وشبيب بن عصفر •
لان ابن عصفر خبر لا نعت كذا انشد بعضهم مستشهدا على انها الجملة وفيه حذف التنوين مما قبل ابن وليست صفة وهذا اشارة الى ان
البحث المتقدم في سورة التوبة وقوله افترى على الله كذبا يحتمل ان يكون من تمام قول الكافرين ولا اي من كلام القايلين هل ندلكم
ويحتمل ان يكون من كلام السامع المجيب للقايلين هل ندلكم قال السامع لا قايل هل ندلكم على رجل قال له هو يفتري على الله كذبا ان كان
يعتقد خلافه او به جنة مجنون ان كان لا يعتقد خلافه وفي هذه لطيفة وهي ان الكافر لا يرضى بان يظهر كذبه فلهذا قسم ولم يجزم
بانه يفتري بل قال مفتر او مجنون احترازا من ان يقول قايل كيف تقول فانه مفتر مع انه جاز ان يظن ان الحق ذلك وظن الصدق يمنع
تسمية القايل مفتريا وكاذبا في بعض المواضع الا ترى ان من يقول جاء زيد فاذا تبين انه لم يجي وقيل له كذبت تقول ما كذبت وانما
سمعت من فلان فظننت انه صادق فيدفع الكذب عن نفسه بالظن فهم احترزوا عن تبيين كذبهم فكل عاقل ينبغي ان يحترز عن ظهور كذبه
عند الناس ولا يكون العاقل ادنى درجة من الكافر ثم انه تعالى اجابهم مرة اخرى ورد عليهم فقال بل الذين لا يومنون بالاخرة في العذاب
في مقابلة قولهم افترى على الله كذبا وقوله في الضلال البعيد عن الحق في الدنيا وهذا في مقابلة قولهم ام به جنة وكلاهما مناسب اما
العذاب فلان نسبة الكذب الى الصادق مود بانه شهادة عليه بانه يستحق العذاب فجعل العذاب عليهم حيث نسبوا العذاب الى النبي
واما المجنون فلان نسبة الجنون الى العاقل دونه في ايذاء الايذا فانه لا ينسب عليه بانه يعذب وبانه ينسبه الى عدم الهداية فبين
انهم هم الضالون ثم وصف ضلالهم بالبعد لان من يسمي المهتدي ضالا يكون اضل والنبي عليه السلام كان هاديا لكل مهتدي **قوله تعالى**
افلم يروا فيه المذهبان المشهوران قدرهما الزمخشري اعني افلا يرون وغيره يدعي ان الهمزة مقدمة على حرف العطف من البنا للمفعول
ان يتعلق بمحذوف ويجوز ان يكون حالا فيتعلق بمحذوف ايضا تقديره افلم يروا الى كذا مقهورا تحت قدرتنا اي محيطا بهم فيعلمون انهم حيث كانوا
فان ارضي وسمايي محيطة بهم لا يخرجون من اقطارها وانا القادر عليهم **قوله تعالى** ان نشا نخسف قرا الاخوان نخسف بالياء في الثلاثة
والباقون بنون العظمة فيها وهما واضحان وادغم الكسايي الفا في اليا واسقطها اعني وضعفها الناس من حيث ادغم الاقوى في الاضعف
قال الفارسي وذلك لا يجوز لان اليا اضعف في الصوت من الفا فلا تدغم فيها نحو اضرب فلانا كما تدغم البا في الميم كقولك اضرب مالكا
وان كانت الميم لا تدغم في البا نحو اصمم بكرا لان البا انحطت عن الميم لفقد الغنة وقال الزمخشري وليست بالقوية وهذا لا ينبغي لانها
تواترت **فصل** لما ذكر الدليل لكونه عالم الغيب وكونه جازيا على السيات والحسنات ذكر دليلا اخر فيه التهديد
والتوحيد اما دليل التوحيد فذكر السماء والارض فانهما يدلان على الوحدة كما تقدم ويدلان على الحشر والاعادة لانهما يدلان على كمال القدرة
لقوله تعالى اوليس الذي خلق السموات والارض بقادر على ان يخلق مثلهم واما التهديد فقوله ان نشا نخسف بهم الارض او نسقط عليهم من السماء
كسفا اي نجعل عين نافعهم ضارهم بالخسف والكسف ثم قال ان في ذلك لاية اي فيما يرون من السماء والارض انهما تدل على قدرتنا على البعث
لكل عبد منيب تايب راجع الى الله بقلبه ثم انه تعالى ذكر من ينيب من عباده وذكر منهم من اناب ومن جملتهم داود كما قال تعالى فاستغفر
ربه وخر راكعا واناب **قوله تعالى** ولقد اتينا داود منا فضلا مستقبلا بالمفهوم كما يقول القايل الملك زيد خلعه فاذا قال
القايل اتاه منه خلعة يفيد انه كان من الخاص لما يكون له فكذلك ايتاء الفضل العام لكن النبوة من عنده خاص بالبعض نظيره قوله
تعالى يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان فان رحمة الله واسعة افضل الكل واحدة لكن رحمته في الاخرة على المومنين رحمة من عنده والمراد
بالفضل النبوة والكتاب وقيل الملك وقيل الجمع ما اوتي من العيون وتليين الحديد وغيره وذلك مما خص به **قوله تعالى** يا جبال
محكي بقول مضمر ثم ان شيت قدرته مقدرا ويكون بدلا من فضل على جهة تفسيره به كانه قيل اتيناه فضلا قولنا يا جبال وان شيت
فلت جعلته مستانفا **قوله تعالى** اوبي العامة على فتح الهمزة والتشديد لو او امر من التاويب وهو الترجيع وقيل التسبيح بلغة
الحبشة وقال القتيبي اصله من التاويب في السير وهو ان يسير النهار كله وينزل ليلا كانه قال اوبي النهار كله بالتسبيح معه وقال وهب
نوحي معه وقيل سيري معه والتضعيف يحتمل ان يكون للتكثير واختار ابو حيان ان يكون للتعدي قال لانهم فسروه برجعي معه التسبيح
ولا دليل فيه لانه يسير تفسير معنى وقرا ابن عباس والحسن وقتادة وابن ابي اسحاق اوبي بضم الهمزة امرا من آب يؤوب اي ارجعي معه
بالتسبيح **قوله تعالى** والطير العامة على نصبه وفيه اوجه احدها انه عطف على محل جبال لانه منصوب تقديرا الثاني انه مفعول معه

قال الزجاج ورد عليه بان قبله لفظ معه ولا يقتضي العامل اكثر من مفعول بعد واحد الا بالبدل او العطف لا يقال جاء زيد
مع عمرو مع بكر وقال شهاب الدين وهذا في تقضيه حالين يقتضي بحسب الثاني انه عطف على فضلا قاله الكسائي ولا بد من حذف
مضاف تقديره اتيناه فضلا وتسبيح الطير الثالث انه منصوب باضمار فعل اي وسخرنا له الطير قاله ابو عمرو وقرأ السلمي والاعرج ويعقوب
وابو نافع وابو يحيى وابو نوفل وعاصم في رواية الطير بالرفع وفيه وجه النسق على لفظ جبال وانشدوا •

• الا يا زيد والضحاك سيرا • فقد جاوزتما خمر الطريق •

بالوجهين وفيه عطف المعرب حال على المنادي المضموم ثالثها مذاهب عطفه على الضمير المستكن في اوبي وجاز ذلك للفصل بالظرف
والرفع على الابتداء والخبر مضمر اي والطير كذلك اي لم يكن الموافق له في التاويب منحصرا في الطير والجبال ولكن ذكر الجبال لان الصخور
للجماد والطير للنفور وكلاهما يستبعد منه الموافقة فاذا وافقته هذه الاشياء فغيرها اولى ثم من الناس من لم يوافقه وهي القاسية قلوبهم
التي هي اشد قسوة قال المفسرون وكان داود اذا نادى بالنياحة اجابته بصداها وعكفت الطير عليه من فوق فصدى الجبال الذي
يسمعه الناس من ذلك وقيل كان داود اذا تخلل الجبال يسبح الله جعلت الجبال تجاوبه بالتسبيح نحو ما يسبح وقيل كان داود اذا لحقه
فتور اسمعه الله تسبيح الجبال تنشيطا له **فصل** والنا له الحديد حتى صار في يده كالشمع والعجين يعمل منه ما شاء من غير
نار ولا ضرب مطرقة وذلك في قدرة يسير روي انه طلب من الله ان يغنيه عن مال بيت المال فالان له الحديد وعلمه صنعة اللبوس وهو
الدرع وهو اول من اتخذها وانما اختار الله له ذلك لانه وقاية للروح التي هي حرمه ويحفظ الادمي من القتل فالزراد احسن من النبال
والقواس وغيرهما لان القوس والسيف وغيرهما من السلاح ربما استعمل في قتل النفس المحرمة بخلاف الدرع قال عليه السلام كان داود يأكل
من عمل يده **قوله تعالى** ان اعمل فيه وجهان اظهرهما انها مصدرية على حذف حرف الجر اي لان والثاني قاله الحوفي وغيره انها مفسرة
قوله تعالى وقدر في السرد السرد نسج الدرع ويقال لصانعه السراد والزراد والمعنى قدر المسامير في حلق الدرع ان لا يجعل المسامير
غلاظا فتكسر الحلق ولا دقاقا فتقلقل فيها ويقال السرد المسامير في الحلقة يقال درع مسرودة اي مسمورة الحلق وقدر في السرد اي
اجعله على القصد وقدر الحاجة ويحتمل ان يقال هو السرد وهو عمل وقوله وقدر في السرد اي انك غير مأمور به امر ايجاب انما هو اكتساب والكسب
يكسب بقدر الحاجة والباقي الايام والليالي للعبادة فقدر في ذلك العمل ولا تشغل جميع اوقاتك بالكسب بل حصل به القوت وقوله تعالى
واعملوا اي استعملوا فيه الا العمل الصالح لقوله اني بما تعملون بصير يدل على ان المراد داود وال العرب لما ذكر المنيب الواحد ذكر منيبا اخر وهو سليمان
لقوله تعالى والقينا على كرسيه جسدا ثم اناب ثم ذكر ما استفاد من الانابة وهو قوله تعالى ولسليمان الريح العامة على النصب باضمار فعل
اي وسخرنا لسليمان وابو بكر بالرفع على الابتداء والخبر في الجار قبله والمحذوف وجوز ابو البقاء ان يكون فعلا يعني بالجار وليس بقوي يعني اعتماده
وكان قد قاله في الانبياء غيره وعن العامة الريح بالافراد والحسن وابو حياة وخالد عن الياس الرياح جميعا وتقدم في الانبياء ان الحسن يقرأ مع ذلك
بالنصب وهذا لم ينقل له ذلك فان **فصل** الواو في قوله ولسليمان للعطف فعلى قراءة الرفع يصير عطفا للجملة الاسمية على فعلية وهو
لا يجوز ولا يحسن فالجواب انه لما بين حال داود فكانه قال ما ذكرنا لداود ولسليمان الريح واما النصب فعلى قوله والنا له الحديد
كانه قال والنا له الحديد وسخرنا لسليمان الريح **قوله تعالى** غدوها شهر مبتدا وخبر ولا بد من حذف مضاف اي غدوها مسيرة شهر
او مقدار غدوها شهر ولو نصب لجاز الا انه لم يقرأ بها في علمنا وقرأ ابن ابي عبلة غدوتها وروحتها على المرة والجملة اما مستانفة واما
في محل الحال **فصل** معنى غدو تلك الريح المسخرة له مسيرة شهر ومسيرة رواحها شهر فكانت تسير به في يوم واحد مسيرة شهرين قال
الحسن كان يغدو من دمشق فيقيل باصطخر وبينهما مسيرة شهر ثم يروح من اصطخر فيبيت بكابل وبينهما مسيرة شهر للراكب المسرع وقيل كان
يتغدى بالري ويتعشى بسمرقند فان **فصل** ما الحكمة في قوله والجبال مع داود في الانبياء وفي هذه السورة فقال يا جبال اوبي معه وقال
في الريح وههنا لسليمان فقوله من يعمل يجوز ان تكون اللام فالجواب ان الجبال لما سبحت شرفت بذكر الله فلم يضفها الى داود بلام
الملك على جعلها معه كالمصاحب للريح **فصل** سخر الله الريح وقال ابن عباس سخر الله الجن لسليمان وامرهم بطاعته فيما يامرهم به ومن
يزغ يعدل منهم من الجن عن امرنا الذي امرنا به من طاعة سليمان نذقه من عذاب السعير **قوله تعالى** يعملون له ما يشاء كقوله من يعمل ومن
محاريب بيان لما يشاء والمراد بالمحاريب المساجد والابنية المرتفعة وكان مما عملوه بيت المقدس ابتداه داود ورفعه قامة رجل فاوحى الله اليه
اني لم اقض ذلك على يدك ولكن ابن لك اسمه سليمان اقضي تمامه على يده فلما توفاه الله سبحانه استخلف سليمان فاحب اتمام بناء بيت المقدس
فجمع الجن والشياطين وقسم عليهم الاعمال فخص كل واحدة منهم بطائفة فعمل مستصلحا له فارسل الجن والشياطين في تحصيل الرخام والمها
الابيض من معادنه وامر ببناء المدينة بالرخام والصفاح وجعلها اثني عشر ربضا وانزل كل ربض منها سبطا وكانوا اثني عشر سبطا فلما فرغ من
بناء المدينة ابتدا في بناء المسجد فوجه الشياطين فرقا يستخرجون الذهب والفضة والياقوت من معادنها والدر الصافي الطيب من اماكنه
فاتى من ذلك بشيء من الجوهر فرقا يقلعون الجواهر من الحجارة من اماكنها وفرقا ياتون بالمسك والعنبر وسائر الحجارة المرتفعة وسائر الطيب
من اماكنها فاتي من ذلك بشيء لا يحصيه الا الله عز وجل ثم احضر الصناع وامرهم بنحت تلك الحجارة المرتفعة وتصييرها الواحا واصلاح تلك الجواهر

بل ما يحصل به

وثقب اليواقيت واللالي فبنى المسجد بالرخام الابيض والاخضر والاصفر وعمده باساطين الصافي وسقفه بالواح الجواهر الثمينة
وفصص سقوفه وحيطانه باللالي واليواقيت وسائر الجواهر وبسط ارضه بالواح الفيروزج فلم يكن يومئذ في الارض بيت
ابهى ولا انور من ذلك المسجد كان يضيء المسجد في الليلة المظلمة كالقمر ليلة البدر فلما فرغ منه جمع احبار بني اسرائيل واعلمهم
انه بناه لله تعالى وكل شيء فيه خالص لله تعالى واتخذ ذلك اليوم الذي فرغ منه عيدا روى عبد الله بن عمرو بن العاص عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال لما فرغ سليمان من بناء بيت المقدس سال ربه ثلاثا فاعطاه اثنين وانا ارجو ان يكون اعطاه الثالثة
سأله حكما يصادف حكمه فاعطاه اياه وساله ملكا لا ينبغي لاحد من بعده فاعطاه وساله لا ياتي هذا البيت احد يصلي ركعتين فيه
الا خرج من ذنوبه كيوم ولدته امه وانا ارجو ان يكون اعطاه ذلك قال فلم يزل بيت المقدس على ما بناه سليمان حتى غزاه بخت نصر
فخرب المدينة وهدمها ونقض المسجد واخذ ما كان في سقوفه وحيطانه من الذهب والفضة والدر واليواقيت وسائر الجواهر
الى دار مملكته من ارض العراق وبنا الشياطين باليمن حصونا كثيرة من الصخر **قوله تعالى** وتماثيل وهي الصور التي تكون في الابنية
وقيل صور من نحاس وصفر وشبه وزجاج ورخام وقيل كانوا يصورون السباع والطيور وقيل كانوا يتخذون صور الملائكة
والانبياء والصالحين في المساجد ليراها الناس فيزدادوا عبادة ولعلها كانت مباحة في شريعتهم كما ان عيسى كان يتخذ صورا من طين فينفخ
فيها فتكون طيرا **قوله تعالى** وجفان كالجوابي الجفان القصاع قرأ ابن كثير باثبات ياء الجوابي وصلا ووقفا وابو عمرو وورش
باثباتها وصلا وحذفها وقفا والباقون بحذفها وكالجوابي صفة لجفان جمع جفنة والجوابي جمع جابية كضاربة وضوارب
الجابية الحوض العظيم سميت بذلك لانه يجبى اليها الماء اي يجمع واسناد الفعل اليها مجاز لانه يجبى فيها كما قيل في خابية العراقي لما يجبى فيها

قال الشاعر • جفان معتري بجفان معتري عاديا • من سدرن حين هاج الصبر •
• كالجوابي لا ينثني يترعـــــه • يقري الاضياف والمحتضر •
وقال الاعشى نفى الذم عن ال المحلق جفنة كجابية الشيخ العراقي تفهق قال الافوه قولـــــه •
• وقدور كالربا راسية • وجفان كالجوابي مترعة •

قيل كان يقعد على الجفنة الواحدة الف رجل ياكلون منها قوله وقدور راسيات ثابتات لها قوائم لا يتحركن عن اماكنها ولا يبدلن
ولا يبطلن وكان يصعد اليها بالسلالم وكانت باليمن **قوله تعالى** اعملوا ال داود شكرا يجوز في شكرا اوجه الاول انه مفعول به
اي اعملوا الطاعة سميت الصلاة ونحوها شكرا لسدها مسده الثاني انها مصدر من معنى اعملوا كانه قيل اشكروا شكرا باعمالكم واعملوا
عمل شكر الثالث انه مفعول من اجله اي لاجل الشكر كقولك جئتك طمعا في الله رجاء غفرانه الرابع انه مصدر واقع موقع الحال اي شاكرين
الخامس انه منصوب بفعل مقدر من لفظه تقديره واشكروا شكرا السادس انه صفة لمصدر اعملوا تقديره اعملوا عملا شكرا اي ذا شكر قال
المفسرون معناه اعملوا يا ال داود بطاعة الله شكرا له على نعمه واعلم انه كما قال عقيب قوله تعالى ان اعمل سابغات اعملوا صالحا قال عقيب ما
نقله للجن له اعملوا ال داود شكرا الى ما تقدم من انه لا ينبغي ان يجعل الانسان نفسه مستغرقة في هذه الاشياء وانما يجب الاكثار من العمل
الصالح الذي يكون خيرا **قوله تعالى** وقليل خبر مقدم ومن عبادي صفة له والشكور مبتدا والمعنى ان العامل بطاعتي شكرا لنعمتي
قليل قيل المراد من ال داود هو داود نفسه وقيل داود وسليمان واهل بيته **فصل** قال جعفر بن سليمان ثابت يقول
كان داود نبي الله صلى الله عليه وسلم قد قسم ساعات الليل والنهار على اهله فلم تكن تاتي ساعة من ساعات الليل والنهار الا وانسان من
ال داود قائم يصلي **قوله تعالى** فلما قضينا عليه الموت اي على سليمان قال اهل العلم كان سليمان عليه السلام يتجرد في بيت المقدس
السنة والسنتين والشهر والشهرين واقل من ذلك واكثر يدخل فيه طعامه وشرابه فادخله في المرة التي مات فيها وذلك انه كان لا يصبح
يوما الا نبتت في محرابه ببيت المقدس شجرة فيسالها ما اسمك فتقول اسمي كذا فيقول لاي شيء انت فتقول لكذا وكذا فيومر بها فتقطع
فان كانت نبتت لغرس غرس لها وان كانت لدواء كتبت حتى نبتت الخروبة فقال لاي شيء نبتت قالت لخراب مسجدك فقال سليمان ما كان الله
ليخربه وانا حي انت التي على وجهك هلاكي وخراب بيت المقدس فنزعها وغرسها في حائط له ثم قال اللهم عم على الجن موتي حتى يعلم
الانس ان الجن لا يعلمون الغيب وكانت الجن تخبر الانس انهم يعلمون من الغيب اشياء يعلمون ما في غد ثم دخل المحراب فقام يصلي متكئا على
عصاه فمات قائما وكان للمحراب كوى بين يديه وخلفه فكانت الجن تعمل الاعمال الشاقة التي كانوا يعملونها في حياته وينظرون الى سليمان
فيرونه قائما متكئا على عصاه فيحسبونه حيا فلا ينكرون خروجه الى الناس لطول صلاته فمكثوا يعملون له بعد موته حولا كاملا حتى
اكلت الارضة عصاة سليمان فخر ميتا فعلموا بموته قال ابن عباس فشكرت الجن الارضة فهم ياتونها بالماء والطين في الخشب **قوله تعالى**
ما دلهم على موته الا دابة الارض وهي الارضة تاكل منساته اي عصاه **قوله تعالى** تاكل اما حال او مستانفة وقرأ ابن ذكوان منساته
بهمزة ساكنة ونافع وابو عمرو بالف محضة والباقون بهمزة محذوفة مفتوحة والمنساة العصا اسم الة من نساه اي اخره كالمكسحة
والمكنسة ومنساة الغنم اي زجرتها وسقتها ومنه نسا الله في اجله اي اخره وفيه الهمز وهي لغة تميم • اذا دببت الناس على كثير •

فقد تباعد عنك الهم والعزل • فاما بالهمزة المفتوحة فهي الاصل اذ الاشتقاق يشهد له والشيخ لاجل بناء مفعلة
كمكنسة واما سكونها ففيه وجهان احدهما انه ابدل الهمزة الفا كما ابدلها نافع وابو عمرو وسياتي ثم ابدل هذه الالف همزة على لغة
من يقول العألم والخأتم وقوله • وصدق هامته هذا العالم • ذكره ابن مالك قال انها بالدين وهذا لا ادري ما حمله
عليه كيف يعتقد انه هرب من شيء ثم يعود اليه وايضا فانهم نصوا على انه ابدل من الالف همزة فان كان لتلك الالف اصل حركت الهمزة
بحركة اصل الالف وانشد ابن عصفور على ذلك • ولى نعام بني صفوان زوزأة • فان الاصل زوزاة واصل هذا زوزوة
فلما ابدل من الالف همزة حركها بحركة الواو فاذا عرف هذا وكان ينبغي ان تبدل هذه الهمزة مفتوحة لانها من اصل متحرك وهي الهمزة
المفتوحة فيعود الى الاول وهذا لا يقال للثاني انه سكن الفتحة تخفيفا والفتحة قد سكنت في مواضع تقدم التنبيه عليها وشاهدها
وتحسين هذا ان الهمزة تشبه حرف العلة وحروف العلة تستثقل عليها الحركة من حيث الجملة وان كان لا تستثقل الفتحة عليها لخفتها وانشدوا
على تسكين همزتها • صريع خمر قام من وكاية • كهمزة الشيخ الى منساته • وقد طعن قوم على هذه القراءة ونسبوا راويها الى الغلط قالوا
لان قياس تخفيفها انما هو بين بين وبه قرا ابن عامر واصحابه فظن الراوي انهم سكنوا وضعفها بعضهم ايضا فانه يلزم سكون
ما قبل تاء التانيث وما قبلها واجب الفتح الا الالف واما قراءة الابدال فقال هي غير قياسية يعنون انها ليست على قياس تخفيفها
الا انها مردودة بانها لغة الحجاز ثابتة ولا يلتفت لمن طعن وقد قال ابو عمرو كفى بها انا لا اهمزها لاني لا اعرف لها اشتقاقا فان كانت مما لا تهمز فقد
حنطا وقد احتطت وان كان تهمز فقد يجوز ترك الهمزة فيما يهمز وهذا الذي ذكره ابو عمرو احسن ما يقال في هذا ونظائره وقرا من ساته
بفتح الميم مع تخفيف الهمزة وابدلها الفا وحذفها تخفيفا وقرئ من ساته بفتح الميم بزنة ميضاة كقولهم ميضاة وميضاة وكلها
لغات وقرا ابن جبير من ساته **فصل** من جعلها حرف جر وجعل ساته مجرورة بها والساة والسية هنا العصى واصلها القوس
العليا والسفلى يقال ساة القوس مثل شاة وسيتها فسميت العصى بذلك على وجه الاستعارة والمعنى تاكل من طرف عصاه ووجه ذلك
كما جاء في التفسير انه اتكا على عصى خضراء من خرنوب والعصا الخضراء متى اتكا عليها تصير كالقوس في الاعوجاج وساة فعلة وسية فعلة
والعين محذوفة قال انها بالدين وهذا يقتضي ان تكون القراءة شاذة والمنقول ان هذه بالفصيحة ولابي الفتح ان تكون اصلها
الهمزة ولكن ابدلت قوله دابة الارض فيه وجهان احدهما هذا المعروفة والمراد بدابة الارض دويبة تاكل الخشب والثاني ان الارض
مصدر موكد كقولك ارضت الدابة الخشبة فان صحها ارضا اي اكلها فكانه يقال دابة الارض ارضت الدابة الخشبة تارضها ارضا فارضت
بالكسر تارض هي بالفتح نصا ونحوه ايضا جدعت انفه جدعا بالجذع جدعا بفتح عين المصدر وقرا ابن عباس والعباس بن الفضل بفتح الراء
وهو يقوي مصدريته في القراءة المشهورة وقيل الارض بالفتح نحو اكلت فوارح الاسنان تاكلها اكلا فاكلت هي بالكسر تاكل الاكل بالفتح
ليس مصدرا بجمع ارضة وعلى هذا يكون من باب اضافة العام الى الخاص لان الدابة اعم من الارضة وغيرها من الدواب **قوله تعالى** فلما خر
اي سقط الظاهر ان فاعله ضمير سليمان عليه السلام وقيل عائد على الباب لان الدابة اكلت فوقع وقيل بل اكلت عتبة الباب وهي الخارجة وينبغي
ان لا يصح اذ كان التركيب حينئذ بناء التانيث ابقاها ضرورة او نادرة وتاويلها بمعنى العود اي وقد مر تبيين العامة على بنائه للفاعل
مسند للجن وفيه تاويلات الاول انه على حذف مضاف تقديره تبين امر الجن اي ظهر وبان وتبين يعني بان لازما كقوله •

تبين لي ان القماءة ذلة • وان اعزاء الرجال طيالها •

فلما حذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه وكان مما يجوز تانيث فعله الحقت علامة التانيث **فصل** المعنى
ان سليمان لما سقط ميتا تبينت الجن ان لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين في التعب والشقاء مسخرين لسليمان وهو ميت
وهم يظنونه حيا اراد الله بذلك ان يعلم الجن انهم لا يعلمون الغيب لانهم كانوا يظنون انهم يعلمون الغيب لغلبة جهلهم وذكر الزهري
قوله ما لبثوا في العذاب المهين ان معنى تبينت الجن اي ظهرت وانكشفت الجن للانس اي ظهر لهم امرهم انهم لا يعلمون الغيب لانهم قد شبهوا على
ذلك ويويد هذا قراءة ابن مسعود وابن عباس المتقدمة وقوله ما لبثوا في العذاب المهين يدل على ان المومن من الجن لم يكونوا في التسخير
لان المومن لم يكن في زمان النبي في العذاب المهين **فصل** روي ان سليمان كان عمره ثلاثا وخمسين سنة ومدة ملكه اربعون
سنة وملك يوم ملك وهو ابن ثلاث عشرة سنة وابتدا في بناء بيت المقدس لاربع سنين مضين من ذلك **قوله تعالى** لقد كان
لسبا في مساكنهم اية قرا حمزة وحفص مسكنهم بفتح الكاف مفردا والكسائي كذلك الا انه كسر الكاف والباقون مساكنهم جمعا فاما الافراد
فلعدم اللبس لان المراد الجمع كقوله في بعض بطنكم تعفوا والمشهور الفتح وهو القياس لان الفعل متى ضمت عين مضارعه او فتحت جاء
المفعل منه زمانا او مكانا او مصدرا بالفتح والكسر مسموع على غير قياس **فصل** لما بين حال الشاكرين لنعمه بذكر داود
وسليمان بين حال الكافرين لانعمه بحكاية اهل سبا وقرا سبا بالفتح على انه اسم بقعة وبالجر مع التنوين على انه اسم قبيلة وهو الاظهر
لان الله تعالى جعل الاية لسبا والاظهر هو العاقل لا المكان فلا يحتاج الى اضمار الاهل وقوله الاية من فضل ربهم دلالة على وحدانيته
وقدرته وكانت مساكنهم بمارب من اليمن واسم سبا عبد شمس بن يشجب بن يعرب بن قحطان وسمي سبا قيل لانه من سبا في العرب قال السهيلي

ويقال انه اول من تتوج وذكر بعضهم انه كان مسلما وكان له شعر يبشر فيه بوجود رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يعني سليمان صلى الله عليه
وسلم

سيملك بعدنا ملكا عظيما • نبي لا يرخص في الحرام •
ويملك بعده منهم ملوك • يدينون العباد بغير ذام •
ويملك بعدهم منا ملوك • يصير الملك فينا باقتسام •
ويملك بعد قحطان نبي • تقي خبته خير الانام •
يسمى احمدا يا ليت اني • اعمر بعد مبعثه بعام •
فاعضده واحبوه بنصري • بكل مدجج وبكل رام •
متى يظهر فكونوا ناصريه • ومن يلقاه يبلغه سلامي •

قال سال عروة بن مسيك القطيعي النبي صلى الله عليه وسلم عن سبا ما هو كان رجلا او امراة ايضا بل هو رجل من العرب وله عشرة من الولد سكن
اليمن منهم ستة وبالشام منهم اربعة فاما الذين تيامنوا فمذحج وكندة والازد والاشعريون وانمار وحمير فقال رجل وما انمار
قال الذين منهم خثعم وبجيلة واما الذين تشاءموا فلخم وجذام وعاملة وغسان ولما هلكت اموالهم وخربت بلادهم تفرقوا في هولاء البلاد
ويجوز ما ايدي سبا شذر مذر فكذلك قيل لكل متفرقين بعد اجتماع تفرقوا ايادي سبا فنزلت طوايف منهم الحجاز فمنهم خزاعة نزلوا بظاهر مكة
ومنهم الاوس والخزرج نزلوا يثرب فكانوا اول من سكنها ثم نزلت عندهم ثلاث قبايل من اليهود بني قينقاع وبنو قريظة والنضير فحالفوا الاوس
والخزرج واقاموا ثلاث عندهم ونزلت طوايف اخر منهم الشام وهم الذين تنصروا فيما بعد وهم غسان وعاملة ولخم وجذام وتنوخ
وتغلب وغيرهم وسبا يجمع غيرهم جميع هذه القبايل كلها والجمهور على ان جميع العرب ينقسمون الى قسمين قحطانية ربيعة ومضر واما قضاعة
فمختلف فيها فبعضهم نسبها الى قحطان وبعضهم الى عدنان قيل ان قحطان الاول من صالحا وابا للعرب قال بعضهم ان جميع العرب ينتسبون
الى اسماعيل بن ابراهيم عليهما السلام وليس بصحيح فان اسماعيل نشا بين جرهم بمكة وكانوا عربا والصحيح ان العرب العاربة كانوا قبل
اسماعيل منهم عاد وثمود وطسم وجديس وهم جرهم والعماليق يقال ولمن سقف البيوت الخشب المنشور فاهلكهم وفي ذلك يقول
بعض الشعراء • وكر دهر على وبار • فهلكت عنوة وبار • جاز فيه ثلاثة اوجه الرفع على البدل من اية وابدل من مفرد
لان هذا المفرد يصدق على هذا المثنى وتقدم في قوله وجعلنا ابن مريم وامه اية الثاني انه خبر مبتدا فضعف ابن عطية الاول ولم يبين
ولم يظهر ضعفه بل قوته وكان يعم هو انه مختلفان افرادا وتثنية ولذلك ضعف البدل عنده والله اعلم الثالث واليه نحا ابن عطية ان
يكون جنتان مبتدا وخبره عن يمين وشمال ورده ابو حيان بانه ابتدا بنكرة من غير مسوغ فاعتذر عنه بانه قد يعتقد حذف وصف اي جنتان
لهم اي جنتان عظيمتان فيصح ما ذهب اليه وقرا ابن ابي عبلة جنتين بالياء نصبا على خبر كان واسمها اية فان قيل اسم كان المبتدا
اذ لا يسوغ الابتدا به حتى يجعل اسم كان فالجواب انه تخصص بالحال المقدمة وهي صفته في الاصل الا ترى انه لو تاخر لكان صفة
لاية في هذه القراءة **قوله تعالى** كلوا على اضمار القول اي قال الله او الملك كلوا من رزق ربكم وهذا اشارة الى تكميل النعمة عليهم **قوله**
واشكروا على ما رزقكم من النعمة فان الشكر لا يطلب الا على النعمة المعتبرة او اعملوا بطاعته **قوله تعالى** بلدة اي بلدتكم بلدة ورب
غفور **فصل** قال ابن عباس ووهب وغيرهما كان السد بنته بلقيس وذلك انهم كانوا يقتتلون على ماء واديهم فامرت بواديهم
فسد بالعرم وهو المسناة فسدت ما بين الجبلين بالصخر وجعلت له ابوابا ثلاثة بعضها فوق بعض وبنت من دونه وجعلت فيها
اثني عشر مخرجا على عدد انهارهم يفتحونها اذا احتاجوا الى الماء واذا استغنوا سدوها فاذا جاء المطر اجتمع اليه ماء اودية اليمن فاحتبس
السيل من وراء السد فامرت بالباب الاعلى ففتح فجرى ماؤه في البركة وكانوا يسقون من الباب الاعلى ثم من الثاني ثم من الثالث الاسفل
فلا ينفد الماء حتى يثوب الماء من السنة المقبلة فكانت تقسمه بينهم على ذلك فبقوا على ذلك بعدها مدة فلما طغوا وكفروا سلط الله عليهم
جرذا يسمى الخلد فنقب السد من اسفله فغرق الماء جناتهم وخرب ارضهم **قوله تعالى** بجنتيهم جنتين وقد تقدم في البقرة
ان المجرور بالباء هو الخارج والمنصوب هو الداخل ولهذا غلط من قال من الفقها فلا بد فلو ابدل ضادا ظاء بطلت صلوته
بل الصواب ان يبدل ظاء بضاد **قوله تعالى** اكل خمط قرا ابو عمرو باضافة اكل الى خمط والباقون بتنوينه غير مضاف وتقدم
ان غير المضاف في البقرة ان ابن عامر وابو عمرو يسكونها بتفصيل هناك حتى يضمون كاف اكل الى غير المضاف تضمينا للمونثة وان
نافع وابن كثير يسكونها بتفصيل هناك تقدم تحريره فتكون القراءة هنا على ثلاث مراتب الاولى لابي عمرو اكل خمط بضم كاف
اكل الى مضاف لخمط الثانية لنافع وابن كثير بسكون كافه وتنوينه الثالثة للباقين بضم كافه وتنوينه فمن اضاف وجعل
الاكل بمعنى واحد والثمر والخمط قيل شجر الاراك وثمره يقال له البرير هذا قول اكثر المفسرين وقيل كل شجر ذي شوك وقال
المبرد والزجاج كل نبت اخذ طعما من مرارة حتى لا يمكن اكله هو خمط وقال ابن الاعرابي الخمط ثمر شجرة يقال لها شجرة الغضى على صورة
الخشخاش لا ينتفع به قال البغوي فمن جعل الخمط اسما للماكول فالتنوين في اكل حسن ومن جعله اصلا وجعل الاكل ثمره

فالاضافة فيه ظاهرة والتنوين شايع تقول العرب في بستان فلان اعناب بكروم واعناب كروم بترجم الاعناب بالكروم لانها
منه **قوله تعالى** قليل نعت لسدر وقيل نعت للاكل وقال ابو البقا ويجوز ان يكون نعتا لخمط واثل وسدر وقراوا بالنصب بهما
عطفا على جنتين ثم بين الله تعالى ان ذلك كان مجازاة لهم على كفرهم فقال ذلك جزيناهم بما كفروا وهل يجازي بذلك الجزا
الا الكفور **قوله تعالى** وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها وهي قرى الشام قرى ظاهرة متواصلة **قوله تعالى**
وقدرنا فيها السير سيروا اي وقلنا لهم سيروا فالقول والامر بمعنى الخبر اي مكناهم من السير وكانوا يسيرون فيها الليالي والايام
اي بالليالي والايام اي وقت شيتم امنين لا تخافون عدوا ولا جوعا ولا عطشا وقيل معنى قوله ليالي واياما انكم تسيرون
فيها ان شيتم ليالي وان شيتم اياما لعدم الخوف بخلاف المواضع المخوفة فان بعضها يسلك ليلا لئلا يعلم العدو بسيرهم وبعضها
يسلك نهارا لئلا يقصدهم العدو واذا كان العدو غير مجاهر بالقصد والعداوة فبطروا وطغوا ولم يصبروا على العافية وقالوا
قوله تعالى وقالوا ربنا باعد بين اسفارنا اجعل بيننا وبين الشام فلوات ومفاوز لنركب فيها الرواحل ونسير ونتزود فيها
الازواد وقال مجاهد بطروا النعمة وسيموا الراحة كما طلبت اليهود الثوم والبصل ويحتمل ان يكون ذلك لفساد اعتقادهم وشدة
اعتمادهم على ان ذلك لا يعدم على ما يقول القايل لغيره اضرب اشارة الى انه لا يقدر عليه ويحتمل ان يكون قولهم ربنا باعد بيان
للحال اي لما نفروا اطلب بعد وبعد اسفارهم وتخرب العمر دمن ديارهم وقوله وظلموا بيانا لذلك **قوله تعالى** ربنا العامة على
النصب على النداء وابن كثير وابو عمرو وهشام بعد بتشديد العين فعل طلب والباقون باعد طلب ايضا من المباعدة بمعنى الثلاثي
قوله تعالى فجعلناهم احاديث يعني لمن بعدهم يتحدثون في شانهم **قوله تعالى** ومزقناهم كل ممزق وفرقناهم في كل وجه
من البلاد كل التفريق وهذا بيان لجعلهم احاديث قال الشعبي لما غرقت قراهم تفرقوا في البلاد اما غسان فلحقوا بالشام ومر الازد
على عمان وخزاعة الى تهامة ومر آل خزيمة الى العراق والاوس والخزرج الى يثرب وكان الذي قدم منهم المدينة عمرو بن عامر
وهو جد الاوس والخزرج **قوله تعالى** ان في ذلك لايات اي فيما ذكرنا من حال الشاكرين ووبال الكافرين لعبرا ودلالات
لكل صبار عن معاصي الله شكور للنعمة **قوله تعالى** ولقد صدق عليهم ابليس ظنه فاتبعوه قرا الكوفيون صدق بتشديد الدال والباقون
بتخفيفها فاما الاولى فظنه مفعول به والمعنى فظن ابليس ذهب الى شي يوافق فصدق في ظنه او ظنه على الاتساع والمجاز ومثله كذبت
نفسي وظني وصدقتهما وصدق فايق وكذب نايف وهو مجاز شايع اي ظن شيا فوقع واصله من قوله ولاغوينهم ولاضلنهم وقوله لاغوينهم
اجمعين ولا تجد اكثرهم شاكرين فصدق ظنه وحققه بفعله ذلك واتباعهم اياه واما الثانية فنصبه على ما تقدم ومن المفعول به
كقولهم اصبت ظني واخطات ظني او على المصدر بفعل مقدر اي يظن ظنه او على اسقاط الخافض اي في ظنه وزيد بن علي والزهري بنصب
ابليس ورفع ظنه كقول الشاعر • فان يك ظني صادقا فهو صادق • جعل ظن صادقا فيها ظنه مجازا واتساعا وروي
عن ابي عمرو برفعهما وهي واضحة جعل ظنه بدل اشتمال من ابليس والظاهر ان الضمير في عليهم عايد على اهل سبا والا فريقا استثناء من
فاعل اتبعوه ومن المومنين صفة فريقا ومن للبيان لا للتبعيض لئلا يفسد المعنى لو يلزم ان يكون بعض من اتبع ابليس **قوله
تعالى** وما كان له عليهم من سلطان هذا استثناء مفرغ من العلل العامة بتقدير وما كان له عليهم استيلا بشي من الاشياء
الا لنعلم وهو تمييز المحق من الشاك **فصل** قال ابن الخطيب ان علم الله من الازل الى الابد محيط بكل معلوم وعلمه لا يتغير
وهو في كونه عالما لا يتغير ولكن يتغير تعلق علمه فان العلم صفة كاشفة فظهر فيها كل ما هو في نفس الامر فعلم الله في الازل ان العالم سيوجد
فاذا وجد علمه موجودا بذلك العلم فاذا عدم علمه معدوما ومثاله كالمراة المصقولة الصافية يظهر فيها صورة زيد ان قابلها ثم
اذا قابلها عمرو يظهر فيها صورته والمراة لم تتغير فانها ولو تبدلت في صفاتها وانما التغيير في الخارجات فكذلك هاهنا في قوله الا لنعلم
اي يقع في العلم صدور الكفر من الكافر والايمان من المومن وكان علمه قبل ان سيكفر زيد ويومن عمرو وقال البغوي المعنى الا لنميز المومن
من الكافر واراد علم الوقوع والظهور وقد كان معلوما عنده بالغيب وقوله وربك على كل شي حفيظ يحقق ذلك اي الله تعالى قادر
على منع ابليس عنه عالم بما يحفظ فالحفظ يدخل في مفهومه العلم والقدرة اذ الجاهل بالشي لا يمكنه حفظه ولا العاجز **قوله تعالى**
ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن اذن له اللام في لمن اذن فيها اوجه الاول ان اللام متعلقة بنفس الشفاعة قال ابو البقا كما تقول شفعت
له الثاني ان تتعلق بتنفع قال ابو البقا وهو اشد لان الامر يحتمل لام ايه اعادها باللام في المفعول في غير موضعها واما حاذف مفعول بنفع
وكلاهما خلاف الاصل الثالث انه استثنا مفرغ من مفعول الشفاعة **فصل** ومعنى الاية الا لمن اذن له في الشفاعة
قال تكذيبا لهم حيث قالوا هولاء شفعاونا عند الله ويجوز ان يكون المعنى الا لمن اذن الله في ان يشفع له **قوله تعالى** حتى اذا فزع
اذا الغاية وفيه وجه الاول ان قوله فاتبعوه على ان يكون الضمير في عليهم من قوله صدق عليهم وفي قلوبهم عايدا على جميع الكفار ويكون
التفريع حال مفارقة الحياة او يجعل اتباعهم اياه استصحابا لهم الى يوم القيمة مجازا او الجملة من قوله قل ادعوا الى اخرها جملة معترضة
الغاية والمغيا ذكره ابو حيان وهو حسن الثاني انه محذوف قال ابن الخطيب كانه قيل ولا هم شفعا كما تزعمون بل هم مسلمون اي

منقادون حتى اذا فزع عن قلوبهم انتهى وجعل الضمير في قلوبهم عايدا على الملايكة وقرر ذلك وضعف قول من جعله عايدا
على او جميع العالم وقوله قالوا ماذا هو الجواب وقوله قالوا الحق جواب لقوله ماذا قال ربكم والحق منصوب بقال مضمرا اي قالوا قال
ربنا الحق اي قول الحق الا ان ابا حيان رد هذا فقال وما قدره ابن عطية لا يصح لان ما بعد الغاية مخالف لما قبلها وهم
منقادون عنده دايما لا ينفكون عن ذلك لا اذا فزع عن قلوبهم ولا اذا لم يفزع الثاني ان قوله زعمتم الكفر الى غاية التفزيع
ثم تركتم ما زعمتم وقلتم قالوا الحق وعلى هذا يكون في الكلام التفات من قوله زعمتم من الخطاب الى الغيبة في قلوبهم الرابع انه ساقه من
سياق الكلام قال الزمخشري فان **قلت** باي شي اتصل قوله حتى اذا فزع ولاي شي وقعت حتى غاية **قلت** بما فهم من هذا الكلام
من ان ثم من انتظار الاذن وتوقفا وتمهلا وفزعا من الراجين للشفاعة والشفعا هل يوذن لهم او لا يوذن وانه لا يطلق الاذن الا
بعد ملي من الزمان وطول من التربص ودل على هذه الحالة قوله عز من قايل رب السموات والارض الى قوله الا من اذن له الرحمن وقال صوابا
فكانه قيل يتربصون ويتوقفون مليا فزعين ذاهلين حتى اذا فزع عن قلوبهم اي كشف الفزع عن قلوب الشافعين والمشفوع لهم بكلمة
يتكلم بها رب العزة في اطلاق الاذن تباشروا بذلك وسال بعضهم بعضا ماذا قال ربكم قالوا الحق اي القول الحق وهو الاذن بالشفاعة
لمن ارتضى وقرا ابن عامر فزع مبنيا للفاعل فان كان الضمير في قلوبهم للملايكة فالفاعل في فزع ضمير اسم الله تعالى لتقدم ذكره وان كان
للكفار فالفاعل ضمير مغويهم كذا قال ابو حيان والظاهر انه يعود على الله مطلقا وقرا الباقون مبنيا للمفعول والقايم مقام الفاعل
الجار بعده وفعل بالتشديد معناه السلب هنا نحو قردت البعير اي ازلت قراده كذا هنا اي الفزع عنها اي كشف الفزع واخرج من قلوبهم
التفزيع لا ازالة التحريض اي الفزع فالتحريض والتفزيع بمعنى وقرا الحسن وقتادة ومجاهد فرغ مشددا مبنيا للفاعل من الفراغ وعن الحسن
ايضا تخفيف الراي وعنه ايضا وعن ابن عمر الرازي مشددا مبنيا للمفعول والمعنى واطمنا حتى اذا انو الله الوجل او انتفى بنفسه او نفي
الوجل والخوف من قلوبهم فلما بني للمفعول قام المجرور **قوله تعالى** وهو العلي الكبير فقوله الحق اشارة الى انه كامل وقوله وهو
العلي الكبير اشارة الى انه فوق الكاملين في ذاته وصفاته وقوله قل من يرزقكم من السموات المطر ومن الارض النبات على الله يعني ان لم
يقولوا رازقنا الله فقل انت ان رازقكم الله **قوله تعالى** وانا او اياكم عطف على اسم ان وفي الخبر اوجه احدها ان الملفوظ به الاول وحذف
خبر الثاني للدلالة عليه اي وانا لعلى هدى او في ضلال مبين او انكم لعلى هدى او في ضلال والثاني العكس اي حذف الاول والملفوظ به
خبر الثاني وهو خلاف مشهور تقدم تحقيقه عند قوله فالله ورسوله احق ان يرضوه وهذان الوجهان لا ينبغي ان يحملا على ظاهرهما
قطعا لان النبي صلى الله عليه وسلم لم يشك انه على هدى ويقين وان الكفار على ضلال وانما هذا الكلام جار على ما يتخاطب به العرب من استعمال
الانصاف في محاوراتهم على سبيل الفرض والتقدير ويسميه اهل البيان استدراج وهو ان يذكر لمخاطبه امرا يسلمه وان كان بخلاف ما يذكر
حتى يصغي الى ما يلقيه اليه اذ لو بداه بما يكره لم يصغ ونظيره قولهم اخزى الله الكاذب مني ومنك ومثله قول الاخر

• فاني وما اياك كان شرا • فسيق الى المقامة لا يراها •

وقول حسان رضي الله عنه اتهجوه ولست له بكفو فشركما لخيركما الفدا مع العلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم انه خير خلق الله كلهم الثالث انه
من باب اللف والنشر والتقدير وانا لعلى هدى وانكم لفي ضلال مبين ولكن لف الكلام واخرجه كذلك لعدم اللبس وهذا لا ياتي
الا ان يكون او بمعنى الواو وهي مسالة خلاف ومن مجي او بمعنى الواو قوله • قوم اذا سمعوا الصريخ رايتهم • ما بين ملجم مهره او سافع
وتقدم تقرير هذا وهو الذي ذكرناه منقول عن ابي عبيدة الرابع قال ابو حيان واو هنا على موضوعها لكونها لاحد الشيين وخبرانا واياكم
لعلى هدى او في ضلال مبين ولا يحتاج الى تقدير حذف والمعنى ان احدنا لفي احد هذين وقيل الخبر محذوف كقولك زيد وعمرو في
المسجد لا يحتاج الى تقدير حذف الى مضاف احد هذين وقيل الخبر محذوف ثم ذكر ما تقدم الى اخره وهذا الذي ذكره تفسير
معنى لا تفسير اعراب والناس نظروا الى تفسير الاعراب فاحتاجوا الى ما احتاجوا وذكر في الهدى كلمة على وفي الضلال كلمة في لان المهتدي
كانه مرتفع فذكره بالتعالي والضال منغمس في الظلمة غريق فيها فذكره بكلمة في **قوله تعالى** قل لا تسالون عما اجرمنا اضاف الاجرام الى
النفس وقال في حقهم ولا نسال عما تعملون ذكر بلفظ العمل لئلا يحصل الاغضاب المانع من الفهم **قوله تعالى** قل يجمع بيننا ربنا
يعني يوم القيمة ثم يفتح بيننا بالحق وهو الفتاح العليم وهاتان صيغتا مبالغة وقرا عيسى بن عمر والفاتح اسم فاعل اروني فيها وجهان
الاول انها علمية متعدية قبل النقل الى اثنين فلما جي بهمزة النقل تعدت لثلاثة اولها ياء المتكلم الثاني الموصول الثالث عايد الموصول
محذوف اي الحقتموهم والوجه الثاني من الاوجه انها بصرية قبل النقل لواحد وبعده لاثنين اولهما ياء المتكلم ثانيهما الموصول
وشركا نصب على الحال من عايد الموصول اي ابصروني ملحقين به حال كونهم شركا قوله لم قال ابن عطية في هذا الثاني ولا طائل له
اي منفعة له فيه يعني ان معناه ضعيف قال ابو حيان وقوله لا طائل له ليس بجيد بل معناه ان في ذلك تبكيتا لهم وتوبيخا ولا يريد حقيقة
الامر بل المعنى الذين هم شركا لله على زعمكم هم ممن ان اريتموهم لانهم خشب وحجر وغير ذلك **فصل** الضمير في به اي
بالله اروني الذين الحقتم بالله شركا في العبادة معه هل يخلقون وهل يرزقون كلا لا يخلقون ولا يرزقون **قوله تعالى**

بل هو الله في هذا الضمير قولان احدهما انه ضمير عايد على الله والله مبتدا والعزيز الحكيم صفتان والثاني ضمير هو الغالب على امره
الحكيم في تدبيره وخلقه فاني يكون له شريك في ملكه قوله كافة فيه اوجه احدها انه حال من كاف ارسلناك والمعنى الا جامعا للناس
في الكافة والطهيرة اي جامعا للناس في الابلاغ والكافة بمعنى الجامع والها فيه للمبالغة فان اللغة لا تدل على ذلك لان كف ليس معناه
محفوظا بمعنى جمع لان المحفوظ معناه جمع يقال كف يكف اي منع والمعنى الا مانعا لهم من الكفر وان يشهدوا من تبليغك ومنه الكف لانه
يمنع خروج ما فيه الثاني ان كافة مصدر جاءت على المفاعلة كالعافية والعاقبة وعلى هذا فوقوعها حالا اما على المبالغة واما على حذف
مضاف اي ذا كافة للناس الثالث انها كافة صفة لمصدر محذوف تقديره الا ارسالة كافة قال الزمخشري الا ارسالة عامة لهم محيطة
بهم لانها اذا شملتهم وقد كفتهم ان يخرج منها احد منهم قال ابو حيان اما كافة بمعنى عامة والمنقول عن النحويين انها لا تكون الا حالا
ولم يتصرف فيها بغير ذلك فجعلها صفة لمصدر محذوف خروج عما نقلوا ولا يحفظ ايضا استعمالها صفة لموصوف محذوف الرابع ان
كافة حال عليه فقد لحظ ان لا يتقدم حال المجرور عليه في الاحالة بميزانه تقدم الجار على المجرور وقد جرى مجراه يكتب مثل هذا الخطا
ثم لا ينفع بحق لا يصلح ان يجعل اللام بمعنى الى لانه لا يستوي له الخطا الاول بالخطا الثاني فيه تكب الخطاين معا قال ابو حيان
اما قوله كذا هو مختلف فيه ذهب الجمهور الى انه لا يجوز وذهب ابو علي وابن كيسان وابن برهان وابن مالك الى جوازه قال وهو الصحيح
ومن امثلته اي على زيد خيرا ما يكون خير منك التقدير زيد خير منك خيرا ما تكون حالا من الكاف في منك وقدمت عليها وانشد
• اذا المرء اعيته المروة ناشيا • فطلبها كهلا عليه شديد •
اي فطلبها كهلا عليه كهلا وانشد ايضا • تكيتط منكم ببر بعيد كم • تذكركم حتى كانكم عندي • اي منكم طروقد جاكم
تقدم الحال على صاحبها المجرور وعلى ما يتعلق به قال الشاعر • مشغوفة بك قد شغفت وانما • حتم الفراق فما اليك سبيل •
اي قد شغفت بك مشغوفة وقال الاخر • تسلا فلا بعرض المنية للفتى • فيدعي ولاة خيرا ابا • اي تعرض المنية
للمرء غافلا قال وانما جاز تقديمها على صاحبها وعلى العامل فيه تقديمها على صاحبها وحده اجوز قال وممن حمله على الحال ابن عطية
فانه قال قدمت للاهتمام والمنقول عن ابن عباس قوله الى العرب والعجم وساير الامم وتقديره الى الناس كافة قال وقول الزمخشري
لا يقوى له الخطا الاول الى اخره يقع لان العامل لا اول لا يحتاج ان يجعل المعنى بمعنى الى لان ارسل يتعدي باللام قوله تعالى
ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين متى يوم القيمة مضاف لظرفه اي الميعاد يطلق على الوعد والوعيد قال الزمخشري
الوعد ظرف الميعاد من مكان او زمان وهو هنا ظرف زمان والدليل عليه قراءة من قرا ميعاد يوم يعني برفعهما منونين فابدل
منه اليوم واما الاضافة فاضافة تبيين قال ابو حيان ولا يتبين ما قال لاحتمال ان يكون التقدير لكم ميعاد يوم فلما حذف
المضاف اعرب المضاف اليه باعرابه قال شهاب الدين والزمخشري لو فعل مثل ذلك لسمع وجوزه الزمخشري وفي الرفع وجها اخر
وهو الرفع على التعظيم يعني على اضمار مبتدا وهو الذي يسمى القطع وسيا تي هذا قريبا وقرا ابن ابي عبلة والترمذي ميعاد يوم بتنوين
الاول ونصب يوما منونا وفيه وجهان الاول انه منصوب على الظرف والعامل فيه مقدر تقديره لكم انجاز وعد في يوم صفته كيت
وكيت الثاني ان ينتصب باضمار فعل قال الزمخشري واما نصب اليوم فعلى التعظيم باضمار فعل اعني يوما ويجوز ان يكون الرفع على
هذا اعني التعظيم وقرا عيسى بتنوين الاول ونصب يوما مضافا للجملة بعده وفيه الوجهان المتقدمان النصب على التعظيم والظرف
قوله تعالى لا تستاخرون عنه يجوز في هذه الجملة ان تكون صفة لميعاد ان عاد الضمير في عنه عليه او لليوم ان عاد الضمير في عنه عليه
ويجوز ان يحكم على موضعها بالرفع او الجر واما على قراءة عيسى فينبغي ان يعود الضمير في عنه على ميعاد دليل الا انهم نصوا على ان الظرف
اذا اضيف الى جملة لم يعد منها اليه ضمير الا في ضرورة كقوله • مضت لسنة لعام ولدت فيه • وعشر بعد ذاك وحجتان •
تقدم الكلام في سورة الاعراف ان قوله لا تستاخرون يوجب الاقرار لان معناه عدم المهلة عن الاجل لكن الاستعدام ما وجهه قد تقدم ذكره
ههنا انهم لما طلبوا الاستعجال فيه كان لا امهال وهذا منه يفيد عظيم الامر وخطب الخطب لان الامر الحقير اذا طلب طالب من غيره تقدمه بوجوه
لا يوقفه على وقت بخلاف الامر الخطير والمراد باليوم يوم القيمة وقال الضحاك يوم الموت لا تستاخرون عنه ولا تستقدمون بان يزاد في اجلكم
او ينقص قوله تعالى وقال الذين كفروا لن نومن بهذا القران لما بين التوحيد والرسالة والحشر وكانوا بالكل كافرين بين كفرهم العام بقوله
وقال الذين كفروا لن نومن بهذا القران وذلك لان القران مشتمل على الكل وقوله ولا بالذي بين يديه يعني التوراة والانجيل وعلى هذا
فالمراد بالذين كفروا هم المشركون المنكرون للثواب والحشر ويحتمل ان يكون المراد بالذين كفروا العموم ويكون المراد بقوله القران ولا بالذي
بين يديه ان لا نومن بالقران انه من الله ولا بالذي بين يديه اي ولا بما فيه من الاخبارات والايات والدلالات وذلك لان اهل
الكتاب لم يصدقوا بالقران انه من عند الله ولا بالذي فيه انه من الرسالة وتفاصيل الحشر لانه قيل انهم مومنين بالوحدانية والحشر والجزاء
اذا لو صدق واحد في الكتاب بمعنى الامور المختصة بانه لن يومن بنبي وان امن بما بعض ما فيه لكونه في عزمه فيكون ايمانه كمن يكذب
رجلا فيما يقوله فاذا اخبر بان الشارحة لا يكذبه فيه ولكن لا يقال بانه صدقه لانه ما صدق نفسه فانه كان عالما به من قبل وعلي

هذا

هذا او قوله بين يديه الذي هو مشتمل عليه من حيث انه ولهذا في قوله ولو ترى وجوبا محذوفا للفهم اي لو ترى
حال الظالمين وقت وقوفهم راجعا بعضهم الى بعض القول لرايت فظيعة وامرا منكرا ويرجع حال من ضمير موقوفون والحال منصوب
بيرجع بانه لا يتعدي قال تعالى فان رجعك الله وقوله يقول الذين استضعفوا الى اخره تفسير لقوله يرجع ولا محل له وانتم بعد لولا
خلاف فالمبرد حيث جعله بحالة وهذا الخلاف وانه لو يرد الا في قول زياد وقد تقدم تحقيقه والاخفش جعل انه ضمير نصب او جر
قام مقام ضمير الرفع وسيبويه جعله ضمير جر قوله تعالى واسروا الندامة لما راوا العذاب اي انهم يتراجعون القول ثم
اذا جاءهم العذاب الشاغل يسرون ذلك القول على الندامة او معنى الاسرار الاظهار وهي من الاضداد اي اظهروا الندامة ويحتمل
ان يقال بانهم لما تراجعوا في القول يرجعوا الى الله بقولهم ابصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا واجيبوا بان الامر لكم فاسروا ذلك القول
وقوله وجعلنا الاغلال في اعناق الذين كفروا اي الاتباع والمتبوعين جميعا في النار وهذا اشارة الى كيفية عذابهم هل يجزون
الا ما كانوا يعملون من الكفر والمعاصي في الدنيا قوله وما ارسلنا في قرية من نذير الا قال مترفوها اغنياوها ورؤساوها وقوله
الا قال مترفوها جملة حالية من قرية وان كانت نكرة لانها في سياق النفي قوله تعالى بما ارسلتم متعلق بكافرون وبه متعلق بارسلتم
والتقدير انا كافرون بالذي ارسلتم به وانما قدم للاهتمام وحسنه تواطي الفواصل وهذا تسلية لقلب النبي صلى الله عليه وسلم لان ايذاء
الكفار للانبياء ليس بدعا بل ذلك عادة جرت من قبل وانما نسب القول الى المترفين مع ان غيرهم ايضا قالوا ذلك القول لان المترفين
هم اصل ذلك القول كقول المستضعفين للذين استكبروا لولا انتم لكنا مومنين ثم انشدوا على كذبهم مصيبين في ذلك بكثرة الاموال
والاولاد فقالوا نحن اكثر اموالا واولادا اي ليست لزومنا الدنيا كم ولو لم يكن الله راضيا بما نحن عليه من الدين والعمل الصالح لم يخولنا
الاموال والاولاد وما نحن بمعذبين اي ان الله احسن الينا في الدنيا بالمال فلا يعذبنا ثم ان الله تعالى بين خطاهم بقوله قل ان ربي
يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ان الرزق في الدنيا لا يدل سعته وضيقه على حال المحق والمبطل فكم من موسر شقي ومعسر تقي فقوله ويقدر
اي ويضيق بالدليل بدليل مقابلته ليبسط وهذا هو الطباق الذي البديعي وقرا الاعمش ويقدر بالتشديد ثم قال ولكن اكثر الناس
لا يعلمون ان قلة الرزق وضيق العيش وكثرة المال وخفض العيش بالنسبة من غير اختصاص بالفاسق والصالح ثم بين ههنا فساد استدلالهم
بقوله وما اموالكم واولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى يعني ان قولكم نحن اكثر اموالا واولادا فهو احسن حالا عند الله ليس استدلالا صحيحا
فان المال لا يقرب الى الله وانما العمل الصالح بعد الايمان وذلك لا يحصل الى المال فالولد يشغل عند الله فيبعد عنه فكيف يقرب منه
والعمل الصالح اقبال على الله واشتغال بالله ومن توجه الى الله وصل ومن طلب من الله شيئا حصل قوله تعالى تقربكم صفة للاموال
والاولاد لان جمع التكسير غير العاقل يعامل معاملة المونثة الواحدة وقال الفراء والزجاج انه حذف من الاول لدلالة الثاني عليه
والتقدير وما اموالكم بالتي تقربكم عندنا زلفى ولا اولادكم بالتي تقربكم وهذا لا حاجة اليه ايضا ونقل عن الفراء ما تقدم بيانه ان التي
للاموال والاولاد صفة معا وهو الصحيح وجعل الزمخشري التي صفة لموصوف محذوف قال ويجوز ان تكون هي التقوى وهي المقربة
التي عند الله زلفى وحدها اي ليست اموالكم ولا اولادكم تلك الموصوفة عند الله بالتقريب قال ابو حيان ولا حاجة الى هذا قال شهاب
الدين والحاجة اليه بالنسبة الى المعنى الذي ذكره داعية وزلفى مصدر من معنى الاول اذ التقدير تقربكم قربى وقرا الضحاك زلفا بفتح
اللام وتنوين الكلمة على انها جمع زلفى نحو قربة وقرب جمع المصدر لاختلاف انواعه وقال الاخفش جمع مصدر كانه قال بالتي تقربكم
عندنا تقريبا قوله الا من امن فيه اوجه احدها انه استثناء منقطع فهو منصوب المعنى لكن من امن وعمل صالحا قال ابن عباس يريد ايمانه وعمله
ثم يقربه الثاني انه في محل نصب وجر بدلا من الضمير في اموالكم قال الزجاج وغلطه النحاس بانه بدل من ضمير المخاطب قال ولو جاز هذا لجاز
وقال ابو اسحاق هذا قول الفراء انتهى قال ابو حيان ومذهب الاخفش والكوفيين انه يجوز البدل من ضمير المخاطب والمتكلم الا ان البدل
في الاية لا يصح الا ترى تفريغ الفعل الواقع صلة لما بعد الا لو قلت ما زيد بالذي يضرب الا خالدا لم يجز وتخيل الزجاج ان الصفة
فان كانت من حيث المعنى منفية انه يجوز البدل وليس بجائز اذا كان على الجملة اعطي حكم ما لو باشر ذلك الشي الا ترى ان النفي في قولك ما ظننت
احدا يفعل ذلك الا زيد سوغ البدل في زيد من شي يفعل وان لم يكن النفي متسلطا عليه قالوا ولكنه لما كان في حيز النفي صح منه ذلك فهذا
مثله وقال الزمخشري ايضا تبع الزجاج والفراء في ذلك من حيث المعنى الا انه لم يجعله بدلا بل منصوبا على انه منصوب على اصل الاستثناء قوله
تعالى فاولئك لهم جزاء الضعف قرا العامة جزاء الضعف مضافا على انه مصدر مضاف لمفعوله اي يجازيهم الضعف وقدره الزمخشري
مبنيا للمفعول اي يجزون الضعف ورده ابو حيان بانه الصحيح صفة وقرا قتادة برفعهما على ابدال الضعف من جزاء وهو وعنه ايضا
وعن يعقوب بنصب جزاء على الحال منونا والعامل فيها الاستقرار وهذا كقوله فله جزاء الحسنى فيمن قرا بنصب جزاء في الكهف قوله
تعالى وهم في الغرفات امنون قرا حمزة الغرفة بالتوحيد على ارادة الجنس ولعدم اللبس لانه معلوم ان لكل احد غرفة
مختصة وقد اجمع على التوحيد في قوله يجزون الغرفة ولان لفظ الواحد اخف فوضع موضع الجمع امن اللبس والباقون الغرفات
جمع سلامة وقد اجمع على الجمع في قوله لنبوئنهم من الجنة غرفا والرسم محتمل للقراءتين وقرا الحسن بضم الراء من غرفات في اتباع الاتباع

وتعظيم بعضهم بعضها وتقدم تحقيق ذلك اول البقرة وقرا ابن وثاب الغرفة بضم الراء والتوحيد **فصل** والمؤمن يضعف
الله حسناته فيجزي بالحسنة الواحدة عشرا الى سبع مائة لان الضعف لا يكون الا في الحسنة او في السيئة ثم زاد فقال وهم في الغرفات
امنون اشارة الى دوام النعم وتابيدها ثم بين حال المسيء فقال والذين يسعون في اياتنا معاجزين اي يسعون في ابطال حجتنا معاجزين
معاندين يحسبون انهم يعجزوننا ويفوتوننا وقد تقدم تفسير اولئك في العذاب محضرون وهذا اشارة الى الدوام ايضا كقوله
وما هم عنها بغائبين ثم قال مرة اخرى قل ان ربي يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له اشارة الى ان نعم الاخرة لا ينافي نعم الدنيا
بل الصالحون قد يحصل لهم في الدنيا النعم مع القطع بحصول النعم في العقبى بناء على الوعد فقط فالقول من يقول اذا كانت العاجلة
لنا والاجلة لهم فالنقد اولى يقال هذا النقد ليس بصحيح اي ليس مختصا بكم فان كثيرا من الاشقيا مرفوعون وكثيرا من الاتقياء
ممنوعين ولهذا المعنى ذكر هذا الكلام مرتين مرة لبيان ان كثرة اموالهم واولادهم غير دالة على حسن فعالهم واحوالهم ومرة لبيان
انه لا يختص بهم كانه قال وجود القرب لا يدل على الشرف ثم ان سلمنا ذلك لكن المؤمنون يحصل لهم ذلك فان الله يملكهم ديارهم واموالهم
ويدل على ذلك ان الله تعالى لم يذكر اولا لمن يشاء من عباده بل قال لمن يشاء وقال ثانيا لمن يشاء من عباده فالكافر نعمه مقطوع وماله
له الزوال وماله الى الوبال واما المؤمن فما ينفقه يخلفه الله **قوله تعالى** وما انفقتم يجوز ان تكون ما موصولة في محل رفع
بالابتداء والخبر قوله فهو يخلفه ودخلت الفاء لشبهه بالشرط ومن شيء بيان كذا قيل وفيه نظر لابهام شيء فان تبيين فيه ويجوز ان تكون
ما شرطية فتكون في محل نصب مفعولا مقدما فهو يخلفه جوابا للشرط **قوله تعالى** ويوم يحشرهم جميعا ثم يقول تقدم انه
يقرا بالياء والنون في الانعام **قوله تعالى** اهؤلاء اياكم كانوا يعبدون اياكم منصوب بخبر كان وقدم لاجل الفواصل
والاهتمام واستدل به على جواز تقديم خبر كان عليها اذا كان خبرها جملة فان فيه خلافا فاجوزه ابن السراج ومنعه غيره وكذلك
اختلفوا في توسطه اذا كان جملة قال ابن السراج القياس جوازه ولكن لم يسمع قال شهاب الدين قد تقدم في قوله ما كان يصنع فرعون
ونحوه يجوز ان يكون من تقديم الخبر ووجه الدلالة هنا ان تقديم المعمول يؤذن بتقديم العامل وتقدم تحقيق هذا في هود
قوله تعالى الا يوم ياتيهم ليس مصروفا عنهم ومنع هذه القاعدة **قوله تعالى** لا يملكون الشفاعة كقوله نفعا ويقول الذين ظلموا
ذوقوا ولو كان المخاطب هم الكفار لقال فذوقوا ويحتمل ان يكون الكفار داخلين في الخطاب حتى يصح معنى قوله بعضكم لبعض اي
الملائكة والجن لا تملكونها لانفسكم ولا تملكونها لغيركم ويحتمل ان يكون المخاطب هم الكفار لان ذكر اليوم يدل على حضورهم وعلى
هذا فقوله ونقول للذين ظلموا اما تاكيد لبيان حالهم في الظلم **قوله تعالى** نفعا يفيد الحسرة فما فائدة ذلك الضر انهم
لو كانوا يملكون الضر لما نفع الكافر ذلك **فصل** لما كانت العبادة نفع لدفع ضرر المعبود كما يعبد الجبار ويخاف مخافة
شره بين انهم ليس فيهم ذلك الوجه الذي يحسن لاجله عبادتهم **فان قيل** قال ههنا التي كنتم بها وفي السجدة وصف العذاب
فجعل المكذب هنا النار وجعل المكذب في السجدة العذاب وهم كانوا يكذبون بالكل فما فائدته **فالجواب** قيل انهم هنالك
كانوا متلبسين بالعقاب مترددين فيه بدليل قوله كلما ارادوا ان يخرجوا منها اعيدوا فيها وقيل لهم ذوقوا عذاب النار الذي كنتم به
تكذبون فوصف لهم بما لابسوه وهنا لم يلابسوه بعد لانه عقيب حشرهم وسؤالهم فهو اول ما راوا النار فقيل لهم هذه النار التي كنتم بها
تكذبون **قوله تعالى** واذا تتلى عليهم اياتنا بينات قالوا ما هذا يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم الا رجل يريد ان يصدكم عما كان يعبد
اباؤكم لم يعارضوا البرهان وقالوا ما هذا الا افك مفترى يعنون القران وقيل القول بالوحدانية الا افك مفترى كقوله تعالى في حقهم
ائفكا الهة دون الله تريدون وقولهم للرسول اجئتنا لتافكنا عن الهتنا وعلى هذا يكون قوله وقال الذين كفروا ابتداء من قوله
وقالوا للحق لما جاءهم هذا افك للتوحيد وكان مختصا بالمشركين واما انكار القران والمعجزة فكان متفقا عليه بين المشركين
واهل الكتاب فقال تعالى وقال الذين كفروا للحق لما جاءهم على العموم وقوله وما اتيناهم يعني هؤلاء المشركين من كتب يدرسونها
العامة على التخفيف مضارع درس مخففا وابو حيوة يدرسونها بفتح الدال مشددة وكسر الراء من التدريس والمعنى يقرءونها وقوله
وما ارسلنا اليهم قبلك من نذير اي لم يات العرب قبلك نبي ولا نزل عليهم كتاب ولا اتاهم نذير يشافههم بالنذارة فلا تعارض بينه وبين قوله
وان من امة الا خلا فيها نذير لان المراد هناك اثار النذير ولا شك ان هذا كان موجودا يذهب النبي وتبقى شريعته ثم بين انهم
كالذين من قبلهم كذبوا مثل عاد وثمود وقوله وما بلغوا الظاهر ان الضمير في بلغوا وفي اتيناهم للذين من قبلهم ليتناسق قوله فكذبوا رسلي
يعني انهم لم يبلغوا في شكر النعمة وجزاء المنة معشار ما اتيناهم من النعم والاحسان اليهم وقيل بل ضمير الرفع لقريش والنصب للذين من قبلهم
وهو قول ابن عباس على معنى انهم كانوا اكثر اموالا واولادا وقيل بالعكس على معنى ما اعطينا قريشا من الايات والبراهين ما لم نعط
من قبلهم واختلف في المعشار فقيل هو بمعنى العشر بني مفعالا من لفظ العشر كما قال كالمرباع ولا ثالث لهما من الفاظ العدد ولا يقال
سداس ولا خماس وقيل هو عشر العشر والعشير هو عشر العشر فيكون جزءا من الف قال الماوردي وهو الاظهر لان المراد به المبالغة في التقليل **قوله**
تعالى فكذبوا فيه وجهان احدهما انه معطوف على كذب الذين من قبلهم الثاني انه معطوف على وما بلغوا وضعهما الزمخشري فان قلت

ما معنى فكذبوا رسلي وهو مستغنى عنه بقوله وكذب الذين من قبلهم **قلت** لما كان معنى قوله وكذب الذين من قبلهم وفعل الذين
من قبلهم التكذيب واقدموا عليه جعل تكذيب الرسل مسببا عنه ونظيره ان يقول القائل اقدم فلان على الكفر فكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم ويجوز
ان يعطف على قوله وما بلغوا كقولك ما بلغ زيد معشار فضل عمرو فيفضل عليه فكيف نكير مصدر مضاف اما على اي انكاري وتقدم حذف يائه
واثباتها **قوله تعالى** قل انما اعظكم بواحدة اي امركم واوصيكم بواحدة اي بخصلة واحدة ثم بين تلك الخصلة فقال ان تقوموا لله
اي لاجل الله **قوله تعالى** ان تقوموا فيه اوجه الاول انها مجرورة المحل بدلا من واحدة على سبيل البيان قاله الفارسي الثاني انها عطف
بيان لواحدة قاله الزمخشري وهو مردود لتخالفهما تعريفا وتنكيرا وقد تقدم هذا عند قوله فيه ايات بينات مقام ابراهيم الثالث
انها منصوبة باضمار اعني الرابع انها مرفوعة على خبر ابتداء مضمر اي هو ان تقوموا مثنى وفرادى حال وتقدم تحقيق الصيغ والقول
في مثنى في سورة النساء ومعنى القول في فرادى في الانعام ومعنى مثنى اي اثنين اثنين وفرادى واحدا واحدا **قوله تعالى** ثم تتفكروا
عطف على ان تقوموا اي قيامكم ثم تفكركم والوقف عند ابي حاتم على هذه القراءة ثم يبتدئ ما بصاحبكم وقال مقاتل تم الكلام في قوله
ثم تتفكروا اي في خلق السموات والارض فتعلمون ان خالقهما واحد لا شريك له فقال ما بصاحبكم من جنة وفي ما هذه قولان احدهما انها نافية
والثاني انها استفهامية لكن لا يراد به حقيقة الاستفهام فيعود الى النفي وهل اذا كانت نافية فهل اذا هي معلقة او مستانفة او
جواب القسم الذي هو تضمنه معنى تتفكروا لان فعل التحقيق كتبين وبابه ثلاثة اوجه نقل الثالث ابن عطية وهو مذهب سيبويه
واذا كانت استفهامية جاز فيها الوجهان الاولان دون الثالث ومن جنة يجوز ان يكون فاعلا بالجار لاعتماده وان يكون مبتدا وخبر
ويجوز فيها اذا كانت نافية ان تكون الحجازية او التميمية **قوله تعالى** مثنى وفرادى اشارة الى جميع الاحوال فان الانسان اما
ان يكون مع غيره فيدخل في قوله مثنى وان كان وحده دخل في قوله فرادى فكانه قال تقوموا لله مجتمعين ومنفردين لا تمنعكم الجمعية
من ذكر الله ولا يحوجكم الانفراد الى نصير يعينكم على ذكر الله ثم تتفكروا في حال محمد صلى الله عليه وسلم فتعلموا ما بصاحبكم من جنة جنون
وليس المراد من القيام القيام الذي هو ضد الجلوس وانما هو القيام من الامر الذي هو طلب الحق كقوله وان تقوموا لليتامى بالقسط
قال ابن الخطيب وقوله ما بصاحبكم من جنة يفيد كونه رسولا وان كان لا يلزم في كل من لا يكون به جنة ان يكون رسولا لان النبي صلى الله عليه
وسلم كان يظهر منه اشيا لا تكون مقدورة للبشر وغير البشر من يظهر منه العجائب اما الجن واما الملك فاذا لم يكن الصادر من النبي عليه السلام
بواسطة الجن بل بفعل الله من غير واسطة وعلى التقدير فهو رسول وهذا من احسن الطرق وهو ان يثبت الصفة التي هي اشرف الصفات
في البشر بنفي احسن الصفات فانه لو قال اولا هو رسول لكانوا يقولون فيه النزاع فاذا قال ما هو مجنون لم يسعهم انكار ذلك لعلمهم بشانهم
وحاله في لسانه فاذا ساعدوا على ذلك لزمتهم المسالة ولهذا قال بعده ان هو الا نذير لكم يعني اما هو جنة او هو رسول لكن تبين انه ليس
بجنة فهو نذير وقوله بين يدي عذاب شديد اشارة الى قرب العذاب كانه قال ينذركم بعذاب حاضر قريب **قوله تعالى**
قل ما سالتكم من اجر في ما وجهان احدهما انها شرطية فتكون مفعولا وهو لكم جوابها والثاني انها موصولة في محل رفع بالابتدا والخبر
والعائد محذوف اي سالتكموه والخبر هو لكم ودخلت الفاء لشبه الموصول بالشرط والمعنى يحتمل انه لم يسالهم اجرا البتة فالمعنى كقولك ان اعطيتني
شيا فخذه مع علمك انه لم يعطك شيا وقول القائل • ما لي من هذا فقد وهبته • اي فقد وهبته لك يريد ليس فيه شي وقوله ان اجري الا
على الله ويحتمل انه سالهم شيا نفعه عليهم وهو المراد بقوله الا المودة في القربى ان اجري الا على الله وهو على كل شيء شهيد قل ان
ربي يقذف بالحق يجوز ان يكون يقذف بالحق مفعوله محذوف لان القذف في الاصل الرمي وعبر به هنا عن الالقا اي يلقي الوحي الى
انبيائه بالحق اي بسبب الحق ويجوز ان يكون التقدير يقذف الباطل بالحق اي يدفعه ويطرحه به كقوله بل نقذف بالحق على الباطل ويجوز
ان تكون الباء زائدة اي يلقي الحق كقوله ولا تلقوا بايديكم او يضمن يقذف معنى يقضي ويحكم والقذف الرمي بالسهم والحصاة او بالكلام قال
المفسرون معناه يلقي بالحق بالوحي ينزله من السما منفذا الى الانبيا عليهم السلام علام الغيوب العامة على رفعه وفيه وجهان
احدهما اظهرهما انه خبر ثان لان او خبر مضمر او بدل من الضمير في يقذف او نعت له على راي الكسائي لانه يجيز نعت الضمير الغايب
وقد صرح به هنا وقال الزمخشري رفع على محل ان واسمها او على المستكن في يقذف يعني بقوله محمول على محل ان واسمها يعني به
النعت الا ان ذلك ليس مذهب البصريين لانهم لم يعتبروا المحل في الاصل بالحرف بشروط عند بعضهم ويريد بالحمل على الضمير في يقذف انه بدل
منه لا انه نعت له لان ذلك انفرد به الكسائي وقرا زيد بن علي وعيسى بن عمر وابن ابي اسحق نصبا لاسم ان او بدلا منه على قلة الابدال او منصوب
على المدح وقرا الغيوب بالحركات الثلاث في الغين فالضم والكسر تقدما في بيوت وبابه واما الفتح فصيغة مبالغة كالمكسور والمقصور وهو الشي
الغايب الخفي قال ابن الخطيب في يقذف بالحق وجهان احدهما بالحق في قلوب المحقين وعلى هذا تعلق الاية بما قبلها انه لما بين ان الله
تعالى لما بين رسالة النبي عليه السلام بقوله استبعاد تخصيص الواحد من بينهم بانزال الذكر عليه كما اخبر عنهم قوله اانزل عليه الذكر
من بيننا ذكر ما يصلح جوابا فقال قل ان ربي يقذف بالحق اشارة الى ان الحق بيده يفعل ما يريد ويعطي ما يشا لمن يشا ثم قال
علام الغيوب اشارة الى جواب سوال فاسد تذكره وهو ان من فعل شيا كما يريد من غير اختصاص محل الفعل بشي لا يوجد

في غيره ولا يكون عالما وانما يكون ذلك فعل الثاني كما يصيب السهم موضعا دون غيره مع تسوية المواضع في المحاذات فقال يقذف
بالحق كيف يشا وهو عالم بما يفعله وعالم بعواقب ما يفعله اذ هو علام الغيوب اذ هو يفعل ما يريد لا كما يفعل الهاجم الغافل عن
العواقب الوجه الثاني ان المراد منه انه يقذف بالحق على الباطل فيدمغه وعلى هذا تعلق الاية بما قبلها من حيث ان الحق التوحيد لما ظهرت
وسمتهم واحدة وقال قل ان ربي يقذف بالحق اي يبطل باطلكم وعلى هذا الوجه الثاني فقوله علام الغيوب هو ان المراد البرهان الباطل
المفعول لم يقع الا على التوحيد والرسالة فلما قال نقذف بالحق على الباطل واما الحشر فلا برهان عليه ووقوعه لاحسانه عنه وعن اطلاعه
واهوالة ولو بيان الله بالقول الحكان لما كان يخالف التوحيد والرسالة فلما قال نقذف بالحق اشارة الي ظهور البراهين على التوحيد
والنبوة ثم قال علام الغيوب اي ما يخبره من الغيب وهو قيام الساعة واحوالها فهو لا خلف فيه فان الله علام الغيوب ويحتمل الاية
وجها آخر وهو ان يقال ربي يقذف بالحق لا بالباطل والبا على الوجهين المتقدمين متعلق بالمفعول به والحق مقذوف على الوجهين
المتقدمين وعلى هذا الباء في قوله كالبا في بالحق والمعنى على هذا الوجه هو ان الله تعالى قذف ما قذف في قلب الرسول وهو علام
الغيوب يعلم ما في قلوبكم وما في قلوبهم **قوله تعالى** قل جاء الحق يعني القرآن وقيل التوحيد والحشر وكلما ظهر على لسان النبي
عليه السلام وقيل المعجزات الدالة على نبوة محمد عليه السلام وقيل المراد من جاء الحق اي ظهر الحق لان كلما جاء فقد ظهر وما يبدئ
يجوز في ما ان تكون نفيا وان يكون استفهاما ولكن يؤول معناه الى النفي يبدي ولا يعيد اذ المراد لا يوقع هذين الفعلين كقوله
اقفر من اهله عبيد • اصبح لا يبدي ولا يعيد • وقيل مفعوله محذوف اي ما يبدي لاهله خيرا ولا يعيده وهو تقدير الحسن
والمعنى ذهب الباطل وزهق فلم يبق منه بقية بحيث يبدي شيئا او يعيده كقوله بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه قال قتادة الباطل
هو ابليس اي ما يخلق ابليس احدا ابتداء ولا يبعثه وهو قول مقاتل والكلبي وقيل الباطل الاصنام **قوله تعالى** ان ضللت العامة
على فتح لامه في الماضي وكسرها في المضارع ولكن ينقل الى الساكن قبلها والحسن وابن وثاب بالعكس وهي لغة تميم وتقدم ذلك
فصل قال المفسرون ان كفار مكة كانوا يقولون انك ضللت حتى تركت دين ابائك فقال الله تعالى قل ان ضللت
فانما اضل على نفسي اي اثم ضلالي على نفسي وان اهتديت فبما يوحي الي ربي من القرآن والحكمة انه سميع قريب **قوله تعالى**
فبما يوحي ان تكون مصدرية اي بسبب ايحاء ربي او تكون موصولة اي بسبب الذي يوحيه وفايدة قوله سميع اي يسمع اذا ناديته
وان نفيته عليكم قريب يا تيكم من غير تاخير ليس كمن يسمع من بعيد ولا يجيء الداعي **قوله تعالى** ولو ترى اذ فزعوا فلا فوت
العامة على بنائه على الفتح واخذوا فعلا ماضيا مبنيا للمفعول معطوفا على فزعوا وقيل على معنى فلا فوت اي فلم يفوتوا واخذوا
وقرا عبد الرحمن مولى بني هاشم وطلحة فلا فوت واخذ امر فوعين منونين والفتح فوت واخذ وارفع فوت على الابتدا او على اسم
لا السبيبة ومن رفع واخذ وارفع بالابتدا والخبر محذوف اي واخذهناك او على خبر ابتداء مضمر اي وحالهم اخذوا ويكون
من عطف الجمل عطف مثبتة على منفية **قوله تعالى** واخذوا من مكان قريب قال الكلبي من تحت اقدامهم وقيل اخذوا من بطن
الارض الى ظهرها وحيث ما كانوا فهم من الله قريب لا يفوته وقيل من مكان قريب يعني عذاب الدنيا وقال الضحاك هو يوم بدر وقال
غيره خسف البيدا وجواب لو ترى محذوف اي لرايت امرا يعتبر به **قوله تعالى** وقالوا امنا اي عند اليأس به والضمير في به
للرسول او للقرآن او للعذاب او للبعث وانى لهم اي من اين لهم كيف يكونوا يقدرون على الظفر بالمطلوب وذلك لا يكون الا في
الدنيا وهم في الاخرة والدنيا من الاخرة بعيدة فان **قيل** فكيف قال في كثير من المواضع ان الاخرة من الدنيا قريبة وسماها
الساعة قريبة قال اقتربت الساعة اقترب للناس حسابهم لعل الساعة قريب **فالجواب** ان الماضي كالامس الدابر وهو ابعد ما
يكون اذ لا وصول اليه والمستقبل وان كان بينه وبين الحاضر سنين فانه ات فيوم القيمة الدنيا بعيدة منه لمضيها ويوم الدنيا
في القيمة قريب لاتيانها **قوله تعالى** التناوش مبتدا او حال ويجوز ان يكون واقعا لاهتمامه على الاستفهام تقديره كيف استقر
لهم التناوش والتناوش مهموز في قراءة الاخوين وابي عمرو وابي بكر بالواو وفي قراءة غيرهم يحتمل ان يكون مادتين مستقبلتين
مع اتحاد معناهما وقيل الهمزة عن الواو لاجتماعها ولانضمامها كوجوه واجوه ووقت واقتت واليه ذهب جماعة كثيرة كالزجاج
والزمخشري وابن عطية والحوفي وابي البقا قال الزجاج كل واو مضمومة لانزمة فانت فيها بالخيار وتبعه الباقون قريبا من
عبارته ورد ابو حيان هذا الاطلاق وقيده انه لا بد ان يكون اللازم الواو وغير مدغم فيها تحرزا من العقود وان تكون غير مصححة
في الفعل فانها متى صحت في الفعل صحت في تناوش ومتى يسلط هذا القيدان والاخير منهما ثبت رد التناوش الرجوع قال
الشاعر • تمنى ان يؤوب الي مي • وليس الى تناوشها سبيل • اي الرجوع بها وقيل هو التناول
يقال ناش كذا اي تناوله ومنه تناوش القوم بالسلاح كقولهم • ظلت سيوف بني امية تنوشه • الله ارحام هناك تشقق
وقول الاخر • فهي تنوش الحوض نوشا من علا • نوشا به تقطع اجواز الفلا • وفرق بعضهم بين المهموز
وغيره فجعل المهموز بمعنى التاخير قال الفرا من ناشت اي تاخرت وانشد بعضهم قول الشاعر

بني منبثا

بني منبثا اي يكون مطاعا • وقد وجدت بعد الامور امورا • وقال آخر • تعدت زمانا عن طلابك للعلى
وجئت نئيشا بعد ما فاتك الحي • وقال الفراء هما يتقاربان يعني الهمزة وتركها مثل ذمت الرجل وذامته اي عبته وانتاش
الشي انتاشا كتناوش تناوش قال • كانت تنوش العنق انتياشا • وهذا مصدر على غير المصدر ومن مكان متعلق بالتناوش
المعنى كيف لهم تناول ما بعد عنهم وهو الايمان والتوبة وقد كان قريبا في الدنيا فضيعوه وهذا على قراءة من لم يهمز واما من
همز فقيل معناه هذا ايضا وعلى التناوش من النئيش وهي حركة في ابطاء يقال جاء نئيشا اي مبطئا متاخرا والمعنى من اين لهم الرد
الى الدنيا من مكان بعيد من الاخرة الحركة فيها لا حركة لهم فيه قال ابن عباس يسالون الرد فيقال لهم واني لهم الرد الى الدنيا من مكان
بعيد اي من الاخرة **قوله تعالى** وقد كفروا به جملة حالية وقوله به اي بالقرآن وقيل بالله اي بمحمد صلى الله عليه وسلم وقيل بالعذاب
او بالبعث ومن قبل اي من قبل نزول العذاب وقيل من ان عاينوا اهوال القيامة ويجوز ان تكون الجملة مستانفة والاول اظهر
قوله تعالى ويقذفون يجوز فيها الاستيناف والحال وفيه بعد عكس الاول لدخول الواو على مضارع مثبت وقرا ابو حيان ومجاهد
ومحبوب عن ابي عمرو ويقذفون مبنيا للمفعول اويرجمون بما يسوءهم من جزاء اعمالهم من حيث لا يحتسبون **قوله تعالى** وحيل تقدم
فيه الاشمام والكسر اول البقرة والقايم مقام الفاعل ضمير المصدر اي وحيل هو اي الحول ولا يقدر مصدرا موكدا بل مختصا
حتى يصح قيامه وجعل الحوفي القايم مقام الفاعل بينهم واعترض عليه بانه كان ينبغي ان يرفع واجيب عنه بانه انما بني
على الفتح لاضافته الى غير متمكن ورد ابو حيان لانه لا يبنى المضاف الى غير متمكن مطلقا فلا يجوز قام غلامك ولا مررت بغلامك
بالفتح قال ثم هذا الذي وقد تقدم في قوله لقد تقطع بينكم ما يغني عن اعادته ثم قال ابو حيان وما يقول قايل ذلك في قول الشاعر
وقد حيل بين العير والنزوان • فانه نصب بين مضافة الى معرف وخرج ايضا على ذلك قول الآخر •

• وقالت متى يبخل عليك • ويعتلل يسوك •
• وان يكشف غرامك تدرب • اي تعتلل الاعلال •

وحيل بينهم وبين ما يشتهون اي الايمان والتوبة والرجوع الى الدنيا وقيل نعيم الدنيا وزهرتها كما فعل باشياعهم بنظرائهم
ومن كان على مثل حالهم من الكفار من قبل لم يقبل منهم الايمان في وقت الياس انهم كانوا في شك من البعث ونزول العذاب لهم من قبل
متعلق بفعل او باشياعهم اي الذين شايعوهم ذلك الخبر **قوله تعالى** مريب قد تقدم هو اسم فاعل من اراب واتى الى الريب اي
دخل فيه ريبة او وقعه في الريب ونسبته الى الارابة او الشك مجاز وقال الزمخشري هنا الا انه هنالك فرقا وهو ان المريب من الاعيان
منقول ممن يصح ان يكون مريبا من الاعيان الى المعنى ومن الاول مفعول من صاحب الشك كما تقول شعر شاعر وهي عبارة حسنة مفيدة
وابن هذا من قول بعضهم ويجوز ان يكون ردا على الشكل لتناسق الاية بالتي قبلها من مكان قريب وقول ابن عطية الشك المريب اقوى
ما يكون من الشك واشده وتقدم تحقيق الريب اول البقرة وتسيع الرايب على من يفسر بالشك والله اعلم وروى ابو امامة
عن ابي كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة سبا لم يبق نبي ولا رسول الا كان له يوم القيمة رفيقا ومصافحا

سورة فاطر مكية

وهي خمس واربعون اية وسبع مائة وسبعة وتسعون كلمة وثلاثة الاف ومائة وثلاثون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم
قوله تعالى الحمد لله فاطر السموات والارض قد تقدم ان الحمد يكون على النعمة في اكثر الامور ونعم الله قسمان عاجلة واجلة
والعاجلة وجود وبقا والاجلة كذلك ايجاد مرة واخرى ابقا وقوله فاطر ان جعلته انها في محضة كان نعتا لله وان جعلتها
غير محضة كان بدلا وهو قليل من حيث انه مشتق وهذه قراءة العامة فاطر اسم فاعل والزهري والضحاك فطر فعلا ماضيا وفيه
ثلاثة اوجه احدها انه صلة الموصول محذوف اي الذي فطر كذا قدره ابو الفضل ولا يليق بمذهب البصريين لان حذف الموصول لا
يجوز وتقدم الخلاف مستوفي في البقرة الثاني انه حال على اضمار قد قاله ابو الفضل الثالث انه خبر مبتدا مضمر اي هو فطر وقد
حكى الزمخشري قراءة زيد وذهب اليه الذي فقال وقرا الذي فطر وجعل مصرحا بالموصول **قوله تعالى** معنى فاطر السموات
والارض اي خالقها اي شاقهما لنزول الارواح من السما وخروج الاجساد من الارض ويدل عليه **قوله تعالى** جاعل الملائكة
رسلا قال في ذلك اليوم تكون الملائكة رسلا قوله جاعل العامة على جره نعتا او بدلا والحسن بالرفع والاضافة وروي عن
ابي عمرو كذلك الا انه لم ينون ونصب الملائكة وذلك على حذف التنوين لالتقاء الساكنين كقوله • ولا ذاكر الله الا قليلا •
وابن يعمر وخليل بن نشيط جعل فعلا ماضيا بعد قراءة فاطر بالجر وهذه كقراءة فالق الاصباح وجاعل الليل والحسن وحميد
رسلا بسكون السين وهي لغة تميم وجاعل يجوز ان يكون بمعنى مصير وبمعنى خالق فعلى الاول يجري الخلاف على نصب الثاني

بالفاعل او باضمار فعل هذا اذا اعتقد ان جاعل غير ماض اما اذا كان ماضيا تعين ان ينتصب باضماره وتقدم
تحقيق ذلك في الكلام في الانعام وعلى الثاني ينتصب على الحال **قوله تعالى** مثنى وثلاث ورباع صفة لاجنحة واولي صفة لرسلا وتقدم
تحقيق الكلام في مثنى في سورة النساء قال ابو حيان وقيل اولي اجنحة معترض ومثنى حال والعامل فعل محذوف يدل عليه رسلا
اي يرسلون مثنى وثلاث ورباع وهذا لا يسمى اعتراضا لوجهين احدهما انه صفة لرسلا والصفة لا يقال فيها معترضة والثاني
انها لا يصح حالا من رسلا بل من محذوف فكيف يكون ما قبل معترضا ولو جعله حالا من الضمير في رسلا لانه مشتق من ارسل لذلك
لمعنى شيء فيكون الاعتراض بالصفة مجازا من حيث انه فاصل في الصورة مرتبة مستانف ومثنى هو المفعول الثاني للزيادة
والاول لم يقصد فهو محذوف اقتصارا لان قوله في الخلق يغني عنه **فصل** قال قتادة ومقاتل اولي اجنحة بعضهم
له جناحان وبعضهم له ثلاثة اجنحة وبعضهم له اربعة يزيد فيها ما يشاء وهو قوله يزيد في الخلق ما يشاء قال عبد الله بن مسعود
في قوله عز وجل لقد رأى من آيات ربه الكبرى قال رأى جبريل في صورته له ستمائة جناح وقال ابن شهاب في قوله يزيد في الخلق
ما يشاء قال حسن الصوت وعن قتادة هو الملاحة في العينين وقيل هو العقل والتمييز ان الله على كل شيء قدير **قوله تعالى**
ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها لما بين كمال القدرة ذكر بيان دعوة النبوة ونفاذ الامر وقال ما يفتح يعني ان رحم الله فلا
مانع له وان لم يرحم فلا باعث له عليها وفي الآية دليل على ما سبق رحمته من وجوه احدها التقديم حيث قدم بيان ابواب الرحمة
في الذكر الثاني انه انث الكناية فقال لا ممسك لها ويجوز من حيث العربية ان يقول عود الى ما ولكن قال الله تعالى ذلك ليعلم
ان المفتوح ابواب الرحمة وهي واصلة الى من رحمه وقال عند الامساك وما يمسك فلا مرسل له بالتذكير ولم يقل لها فلم يصرح بان
الامر بانه لا مرسل للرحمة بل ذكر بلفظ يحتمل ان يكون الذي يرسل هو غير الرحمة فان قوله تعالى وما يمسك عام من غير بيان فلا
تخصيص الثالث قوله من بعده اي من بعد الله فاستثنى ها هنا وقال لا مرسل له الا الله وعند الامساك قال لا ممسك لها ولم يقل
غير الله لان الرحمة اذا جاءت لا ترفع قال من رحمه الله في الآخرة لا يعذبه بعدها هو لا غيره ومن يعذبه الله قد يرحمه بعد العذاب
كالفساق من اهل الايمان **قوله تعالى** من رحمة تمييز او حال من اسم الشرط ولا يكون صفة لان اسم الشرط لا يوصف قال الزمخشري
فتنكير الرحمة للاشاعة والابهام كانه قيل اي رحمة كانت سماوية او ارضية قال ابو حيان والعموم مفهوم من اسم الشرط ومن رحمة
بيان لذلك العام من الصنف وهو مما احتوى فيه النكرة المفردة من الجمع المطابق في العموم لاسم الشرط وتقديره من الرحمات ومن
في موضع الحال انتهى **قوله تعالى** وما يمسك يجوز ان يكون على عمومه اي اي شيء امسكه من رحمة او غيرها فعلى هذا التذكير من
قوله له ظاهر لانه عائد على ما يمسك ويجوز ان يكون بعد حذف المضاف اليه لدلالة الاول عليه تقديره وما يمسكه من رحمة فعلى
تذكير في قوله له على لفظها وفي قوله اولا فلا ممسك لها التانيث فيه حملا على معنى ما لان المراد به الرحمة حمل اولا على المعنى وفي الثاني
على اللفظ والفتح والامساك استعارة حسنة وهو العزيز فيما امسك اي الكامل القدرة الحكيم فيما ارسل اي الكامل العلم قال عليه
السلام اللهم لا مانع لما اعطيت ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد **قوله تعالى** يا ايها الناس اذكروا نعمة الله عليكم
لما بين ان الحمد لله وبين بعض وجوه النعمة التي تستوجب الحمد على سبيل التفصيل بين النعمة على سبيل الاجمال فقال اذكروا نعمة الله عليكم
وهي مع كثرتها منحصرة في قسمين نعمة الايجاد ونعمة الابقاء فقال هل من خالق غير الله اشارة الى نعمة الايجاد في الابتداء وقال يرزقكم
اشارة الى نعمة الابقاء بالرزق الى الانتهاء **قوله تعالى** من خالق غير الله قرأ الاخوان غير بالجر نعتا لخالق على اللفظ ومن خالق مبتدأ
مزاد فيه من وفي خبره قولان احدهما هو الجملة من قوله يرزقكم والثاني انه محذوف تقديره لكم ونحوه وفي يرزقكم على هذا وجهان
الاول انه صفة ايضا لخالق فيجوز ان يحكم على موضعه بالجر اعتبارا باللفظ وبالرفع اعتبارا بالموضع الثاني انه مستانف
وقرأ الباقون بالرفع وفيه وجوه ثلاثة اولها انه خبر المبتدأ ثانيها انه نعت لخالق على الموضع والجر على اللفظ والخبر اما محذوف واما يرزقكم ثالثها
انه مرفوع باسم الفاعل على جهة الفاعلية لان اسم الفاعل قد اعتمد على اداة الاستفهام الا ان ابا حيان توقف في مثل هذا من حيث ان
اسم الفاعل وان اعتمد الا انه لم يحفظ فيه زيادة من قال فيحتاج مثله الى سماع ولا يظهر التوقف فان شروط الزيادة والعمل
موجودة وعلى هذا الوجه فيرزقكم اما صفة او مستانف فان الصفة تقييد فيكون ثم خالق غير الله لكنه ليس برازق وقرأ الفضل
ابن ابراهيم النحوي غير بالنصب على الاستثناء والخبر يرزقكم او محذوف ويرزقكم مستانف او صفة **فصل** قال المفسرون
من السماء المطر ومن الارض النبات لا اله الا هو مستانف فانى تؤفكون اي فانى تصرفون عن هذا الظاهر فكيف تشركون المنحوت بمن له الملكوت
ثم لما بين الاصل الاول وهو التوحيد ذكر الاصل الثاني وهو الرسالة فقال وان يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك
يسلي نبيه صلى الله عليه وسلم ثم بين من حيث الاجمال ان المكذب في العذاب وان المكذب في الثواب بقوله والى الله ترجع الامور ثم بين
الاصل الثالث وهو الحشر فقال يا ايها الناس ان وعد الله حق يعني وعد القيامة فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور
يعني الشيطان وقرأ العامة بفتح الغين وهي صيغة مبالغة كالصبور والشكور وقرأ ابو السمال وابو حيان بضمها اما جمع غار كقاعد

وقعود واما جمع مصدر كالجلوس **قوله تعالى** ان الشيطان لكم عدو وقال تعالى ولا يغرنكم بالله الغرور ذكر ما يمنع
العاقل من الاغترار وقال تعالى ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا ولا تسمعوا قوله وقوله فاتخذوه عدوا اي اعملوا
ما يسوءه وهو العمل الصالح ثم قال انما يدعو حزبه اي اشياعه ليكونوا من اصحاب السعير وفي الآية اشارة الى معنى لطيف
وهو ان من يكون له عدو فاما ان يعاديه مجازاة له واما ان يرضيه فلما قال تعالى ان الشيطان لكم عدو وامرهم بالعداوة
اشار الى الطريق ليس هذا فاما الارضاء فلا فائدة فيه لانكم ان ارضيتموه واتبعتموه فهو لا يوديكم الا الى السعير واعلم ان من علم
ان له عدوا لا مهرب له منه وجزم بذلك فانه يقف له ويصبر معه على قتاله الى ان يظفر به وكذلك الشيطان لا يقدر
الانسان ان يهرب منه فانه يقف معه ولا يزال ثابتا على الجهاد والامكان على العبادة ثم بين تعالى ما حال حزبه وحال حزب الله
وهو قوله الذين كفروا ويجوز رفعه ونصبه وجره فرفعه من وجهين اظهرهما ان يكون مبتدأ والجملة بعده خبره والاحسن
ان يكون لهم هو الخبر وعذاب فاعله والثاني انه بدل من واو ليكونوا ونصبه من اوجه البدل من حزبه او النعت له او اضمار
فعل او ذم ونحوه وجره من وجهين النعت او البدل من اصحاب فاحسن الوجوه الاول لمطابقة القسم واللام في ليكونوا اما للعلة
على المجاز اقامة للمسبب مقام السبب واما للصيرورة ثم قال لهم عذاب شديد وهذا حال حزب الشيطان والذين آمنوا وعملوا
الصالحات لهم مغفرة واجر كبير فالايمان في مقابلة المغفرة فلا يؤبد هو في النار والعمل الصالح في مقابلة الاجر الكبير
قوله تعالى افمن زين له سوء عمله من موصولة مبتدأ وما بعدها صلته والخبر محذوف فقدره الكسائي تذهب نفسك عليهم حسرات
لدلالة فلا تذهب عليه **فصل** قال ابن عباس نزلت في ابي جهل وكفار مكة وقال سعيد بن جبير نزلت في اصحاب
الاهواء والبدع قال قتادة منهم الخوارج الذين يستحلون دماء المسلمين واموالهم واما الكبائر فليسوا منهم لانهم لا يستحلون الكبائر
ومعنى زين له سوء عمله شبه له وموه عليه وحسن له سوء عمله اي القبيح من عمله فرآه حسنا زين له الشيطان ذلك بالوسواس
وفي الآية حذف مجاز افمن زين له سوء عمله فرأى الباطل حقا كمن هداه الله فرأى الحق حقا والباطل باطلا فان الله يضل
من يشاء ويهدي من يشاء وذلك لان اشخاص الناس متساوية في الحقيقة والاساءة والاحسان والسيئة والحسنة
ممتاز بعضها عن بعض فاذا عرفها البعض دون البعض لا يكون ذلك بالاستقلال منهم فلا بد من الاستناد الى ارادة
الله ثم تسلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث حزن على اصرارهم بعد اتيانه بكل آية ظاهرة وحجة باهرة فقال فلا تذهب
نفسك عليهم حسرات كقوله تعالى فلعلك باخع نفسك على آثارهم اي لا تغتم بكفرهم ان لم يؤمنوا **قوله تعالى** فلا تذهب
العامة على فتح التاء والهاء مسندا لنفسك من باب لا ارينك ها هنا اي لا تتعاط اسباب ذلك وقرأ ابو جعفر وقتادة والاشهب
بضم التاء وكسر الهاء مسندا لضمير المخاطب نفسك مفعول به **قوله تعالى** حسرات فيه وجهان احدهما انه مفعول من اجله
اي لاجل الحسرات والثاني انه في موضع الحال على المبالغة كان كلها صارت حسرات لفرط التحسر كما قال الشاعر

مشق الهواجر لحمهن مع السرى ♦ حتى ذهبن كلاكلا وصدورا

يريد رجعن كلاكلا وصدورا اي لم يبق الا كلاكلها وصدورها كقولهم فعلى ابراهيم لساقط نفسي حسرات وذكرهم
المقام وقول كلاكل حال قول سيبويه وجعلها المبرد تمييزا من الفاعلية والحسرة شدة الحزن على ما فات من الامر ثم قال
ان الله عليم بما يصنعون اي الله عالم بفعلهم يجازيهم على ما يصنعون ثم عاد الى البيان فقال الله الذي ارسل الرياح وهبوب الرياح
دليل ظاهر على الفاعل المختار لان الهواء قد يسكن وقد يتحرك وعند حركته قد يتحرك الى اليمين وقد يتحرك الى اليسار وفي حركاته
المختلفة قد ينشئ السحاب وقد لا ينشئ فهذه الاختلافات دليل على مسخر مدبر ومؤثر مقدر **قوله تعالى** فتثير
عطف على ارسل لان ارسل بمعنى المستقبل فلذلك عطف عليه واتى بارسل لتحقق وقوعه وتثير لتصوير الحال واستحضار الصورة
البديعة كقوله انزل من السماء ماء فتصبح الارض مخضرة وقوله

الا من مبلغ فتيان فهم ♦ بما لاقيت عند رحى بطان
باني قد لقيت الغول تهوي ♦ بسهب كالصحيفة صحصحان
فقلت لها كلانا نضو ارض ♦ اخو سفر فخلي لي مكاني
فشدت شدة نحوي فاهوى ♦ لها كفي بمصقول يماني
فاضربها بلا دهش فخرت ♦ صريعا لليدين وللجران

حيث قال فاضربها ليصور لقومه حاله وشجاعته وجراته وقوله فسقناه بعد ولاهما عن لفظ الغيبة الى ما هو داخل
في الاختصاص مما دل عليه وقال ارسل بلفظ الماضي وقال فتثير سحابا بلفظ المستقبل لانه لما اسند فعل الارسال الى الله تعالى
وما يفعل الله يكون بقوله ولا يبقى في العدم لا زمانا ولا جزءا من الزمان فلم يقل بلفظ المستقبل لوجوب وقوعه

اهل

وسرعة كونه كانه قال ولانه فرع عن كل شيء فهو قدر الارسال في الاوقات المعلومة والي المواضع المعينة ولما اسند فعل
الاشارة الي الريح وهو توقف في زمان تثير اي على هيئتها وقوله سقناه اسند فعل المتكلم الي المتكلم وكذلك في قوله فاحيينا
لانه في الاول عرف نفسه بفعل من الافعال وهو الارسال ثم لما عرف قال انا الذي بعثت السحاب واحييت الارض ففي الاول
كان تعريفا بالفعل العجيب وفي الثاني كان تذكيرا بالنعمة فان كمال نعمة السحاب والرياح بالسوق والاحيا وقوله سقنا
واحيينا بصيغة الماضي يريد ما ذكرنا من الفرق بين قوله ارسل وبين قوله تثير ثم قال كذلك النشور اي من الصور ووجه
المشابهة من وجوه الاول ان الارض الميتة لما قبلت الحياة اللائقة بها كذلك الاعضا تقبل الحياة الثاني كما ان الريح والسحب
الي الارض الميتة كذلك نسوق الروح الي الجسد الاول الميت فان قيل ما الحكمة في اختيار هذه الاية من بين الايات مع ان الله تعالى
له في كل شيء اية تدل على انه واحد فالجواب انه تعالى لما ذكر كونه فاطر السموات والارض وذكر من الامور السماوية الارواح
والارسال بقوله جاعل الملائكة رسلا ذكر من الامور الارضية الرياح **قوله تعالى** من كان يريد شرط جوابه يتعين ويختلف
تقديره وما اختلف المفسرون في قوله من كان يريد العزة قال مجاهد معناه من كان يريد العزة بعبادة الاوثان فيكون
تقديره فليطلبها وقال قتادة من كان يريد العزة وطريقه القويم ويحب ان يعلم من كان يريد فيكون تقديره على هذا
فليطلبها وقال الفرا من كان يريد العزة التي لا يعقبها ذلة فيكون التقدير فهو لا ينالها ودل هذه الاجوبة على هذه
الاجوبة قوله فلله العزة وانما قيل ان الجواب محذوف وليس هو هذه الجملة لوجهين احدهما ان العزة لله مطلقا من غير
ترتيبها على شرط ارادة احد والثاني انه لا بد في الجواب من ضمير يعود على اسم الشرط اذا كان غير شرط ولم يوجد هنا وجميعا
حال والعامل فيها الاستقرار **قوله تعالى** اليه يصعد العامة على بيان الفاعل من صعد ثلاثيا الكلم الطيب منصوبان
على المفعول والنعت برفعهما فاعلا ونعتا وعن ابن مسعود يصعد من اصعد الكلم الطيب منصوبان على المفعول والنعت
وقرا يصعد مبنيا للمفعول **فصل** قال اكثر المفسرين الكلم الطيب قول لا اله الا الله وهو قول الرجل سبحان الله والحمد لله
ولا اله الا الله والله اكبر وعن ابن عباس قال ان انا حدثتكم بحديث اتاكم بتصديقه من كتاب الله عز وجل ما من عبد مسلم يقول خمس
كلمات سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر وتبارك الله الا اخذهن ملك فجعلهن تحت جناحه ثم صعد بهن
على جمع من الملائكة الا استغفروا للقائلين حتى يحيي بهن رب العالمين ومصداقه من كتاب الله عز وجل قوله اليه
يصعد الكلم الطيب اي يقبل الله الكلم الطيب **قوله تعالى** والعمل الصالح العامة على الرفع وفيه وجهان احدهما انه
معطوف على الكلم فيكون صاعدا ايضا ويرفعه استئناف اخبار من الله بانه يرفعهما وافرد الضمير وان كان المراد
الكلم والعمل الصالح ذهابا بالضمير مذهب اسم الاشارة كقوله عوان بين ذلك وقيل لاشتراكهما صفة واحدة وهي الصعود
والثاني انه مبتدا ويرفعه الخبر ولكن اختلفوا في فاعل يرفع على ثلاثة اوجه الاول انه ضمير الله تعالى اي والعمل الصالح يرفعه
الله اليه والثاني انه ضمير العمل الصالح اي العمل الصالح يرفع الكلم الطيب ونقل هذا عن ابن عباس وسعيد بن جبير والحسن
وعكرمة واكثر المفسرين الا ان ابن عطية منع هذا عن ابن عباس وقال لا يصح لان مذهب اهل السنة ان الكلم الطيب مقبول
وان كان صاحبه عاصيا والثالث ان ضمير الرفع للمتكلم والنصب للعمل اي الكلم يرفع وقرا ابن ابي عبلة وعيسى بنصب العمل
الصالح على الاشتغال والضمير يرفع الكلم او الله والمنصوب بالعمل **فصل** قال الحسن وقتادة الكلم الطيب
ذكر الله والعمل الصالح اداء فريضته ومن لم يؤد فرائضه رد كلامه على عمله وليس الايمان بالتمني ولا بالتحلي ولكن ما وقر في
القلوب وصدقته الاعمال فمن قال حسنا وعمل غير صالح رد الله عليه قوله ومن قال حسنا وعمل عملا صالحا رفعه العمل
لقوله تعالى اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه وقال عليه السلام لا يقبل الله قولا الا بعمل ولا قولا ولا عملا الا
ومن قال الهاء في قوله يرفعه راجعة الي العمل الصالح اي الكلم الطيب يرفع العمل الصالح فلا يقبل عملا الا ان يكون صادرا عن
التوحيد وهذا معنى قول الكلبي ومقاتل وقال سفيان بن عيينة العمل الصالح هو الخالص يعني ان الاخلاص سبب قبول
الخيرات من الافعال والاقوال لقوله تعالى فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا فجعل نقيض الصالح الشرك والريا
قوله تعالى والذين يمكرون السيئات قاصر فعلى هذا نصب السيئات ويجوز ان يكون يمكرو ضمنا معنى فينصب
السيئات مفعولا به قال الزمخشري ويحتمل ان يقال استعمل المكر استعمال العمل فعداه تعديته كما قال الذين يعملون السيئات
فعلى هذا يحتمل ان يكون وصف المصدر تقديره الذين يعملون العملات السيئات وعلى هذا يكون هذا في مقابلة قوله والعمل
الصالح يرفعه وقال الكلبي معناه يعملون السيئات قال مقاتل يعني الشرك وقال ابو العالية يعني الذين مكروا برسول الله صلى
الله عليه وسلم في دار الندوة كما قال تعالى واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك **قوله تعالى** ومكر اولئك هو يبور هو مبتدا
ويبور خبره وهو مفرد بان اولئك وجوز الحوفي وابو البقاء ان يكون داخلا بين المبتدا وخبره والجملة خبر قوله الفصل لا يقع

قبل الخبر اذا كان فعلا الا ان الجرجاني جوز ذلك وجوز ابو البقا ايضا ان يكون هو تاكيدا وهذا مردود بان المضمر
لا يؤكد الظاهر ومعنى يبور يهلك ويبطل في الاخرة **قوله تعالى** والله خلقكم من تراب الاية وقد تقدم ان الدلايل مع كثرتها
منحصرة في قسمين دلايل الافاق ودلايل الانفس كما قال تعالى سنريهم اياتنا في الافاق وفي انفسهم فلما ذكر دلايل الافاق
من السموات وما يرسل فيهما من الرياح شرع في دلايل الانفس وتقدم ان الكلام غير محتاج الي هذا التاويل بل ذكره
خطاب مع الناس وهم اولاد ادم وكلهم من تراب ومن نطفة والنطفة من الغذا والغذا انتهى بالاخرة الي الما والتراب فهو من
تراب صار نطفة ثم جعلكم ازواجا ذكرا وانثى **قوله تعالى** من انثى مزيدة في انثى وكذلك في من معمر الا ان الاولى فاعل
وهذا قائم مقامه والا بعلمه حال اي لا يلابسه ملتبسة بعلمه **قوله تعالى** من معمر في هذا الضمير قولان احدهما انه يعود
على معمر اخر لان المراد بقوله من معمر الجنس فهو يعود عليه لفظا لا معنى لانه بعد ان افرض كونه معمرا استحال ان ينقص من عمره نفسه
كقوله • وكل اناس قاربوا قيد فحلهم • ونحن خلعنا قيده فهو سارب • ومنه • عندي درهم ونصفه • اي نصف درهم اخر
والثاني انه يعود على معمر لفظا ومعنى والمعنى انه اذا مضى من عمره حول احصي وكتب ثم حول اخر كذلك فهو النقص واليه ذهب ابن عباس
وابن جبير وابو مالك ومنه قول الشاعر • حياتك انفاس تعد فكلما • مضى نفس منك انتقصت به جزءا • وقرا به
يعقوب وسلام ويروى عن ابي عمرو ولا ينقص مبنيا للفاعل وقرا الحسن من عمره بسكون الميم **قوله تعالى** وما تحمل من انثى ولا تضع
اشارة الي كمال قدرته فان ما في الارحام قبل الخلق بل بعده ما دام في البطن لا يعلم حاله احد كيف والارحام الحاملة لا تعلم
منه شيئا فلما ذكر بقوله خلقكم من تراب كمال القدرة بين بقوله وما تحمل من انثى ولا تضع الا بعلمه كمال علمه ثم بين نفوذ ارادته بقوله
وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره الا في كتاب فتبين انه هو القادر العليم المريد والاصنام لا قدرة لها ولا علم ولا ارادة
فكيف يستحق فيها العبادة ثم قال ان ذلك على الله يسير اي الخلق من التراب ويحتمل ان يكون المراد ان التعمير والنقصان
على الله يسير والاول اشبه لان استعمال اليسير في الفعل اليق **قوله تعالى** وما يستوي البحران يعني العذب والملح ثم ذكرهما
فقال هذا عذب فرات طيب سايغ شرابه جايز في الحلق عذب وهذا ملح شديد الملوحة وقال الضحاك هو المر قوله سايغ شرابه
يجوز ان يكون مبتدا وخبر والجملة خبر ثان وان يكون سايغ وشرابه فاعل به لانه اعتمد وقرا عيسى ويروى عن ابي عمرو سيغ
مثل سيد وميت وعن عيسى تخفيف يايه كما تخفف هين وميت وقرا ابو طلحة وابو نهيك ملح بفتح الميم وكسر اللام فقيل هو مقصور
من مالح وملح لغة شاذة وقيل ملح بالفتح لغة في ملح بالكسر والسكون **فصل** قال اهل اللغة لا يقال في ما البحر
ان كان فيه ملوحة وانما يقال فيه ملح وقد يذكر في بعض كتب الفقه يصير به ما البحر مالحا ولو اخذ قايله هو وهو اصح مما
يذهب اليه الفقهاء وذلك لان الماء العذب اذا القي فيه ملح حتى ملح لا يقال له الا مالح وماء مالح للماء الذي من اصل خلقته كذلك
لان المالح شيء فيه ملح ظاهر في الذوق واما الملح ليس ماء ومالحا بخلاف الطعام المالح فان العذب الملقى فيه الملح ما هو ظاهر في الذوق
بخلاف ما هو في اصل خلقته كذلك فالفقيه المح اجزاء ارضية سبخة يصير بها ماء البحر مالحا راعى فيه الاصل فانه جعله مالحا وملح
واهل اللغة حيث قالوا في البحر ماء ملح جعلوه كذلك من الفعل اصل الخلقة والاجاج المر كما تقدم **قوله تعالى** ومن كل تاكلون
لحما طريا من الطير والسمك من العذب والملح جميعا وتستخرجون حلية يعني من الملح دون العذب **قوله تعالى** تلبسونها من اللؤلؤ
والمرجان وقيل نسب اللؤلؤ اليهما لانه قد يكون في البحر الاجاج عيون عذبة تمتزج بالملح فيكون اللؤلؤ من ذلك **قوله تعالى**
وترى الفلك فيه مواخر اي ماخرات تمخر البحر اي تشق جواري مقبلة ومدبرة بريح واحدة **قوله تعالى** لتبتغوا من فضله بالتجارة
قوله تعالى ولعلكم تشكرون على نعمه وهذا يدل على ان المراد من الاية الاستدلال بالبحرين وما فيهما على وجود الله ووحدانيته
وكمال قدرته **قوله تعالى** يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وهذا استدلال باختلاف الازمنة وقوله وسخر الشمس
والقمر جواب لسؤال يذكره المشركون وهو انهم قالوا اختلاف الليل والنهار له سبب باختلاف المسير الواقع فوق الارض وتحتها
فان في الصيف يكون الشمس تحت الروس في بعض البلاد المايلة الافاق وتسير الشمس هناك مايلة فيقع تحت الارض اقل من
نصف دايرة فيطول زمان مكثها تحت الارض فيقصر الليل في الشتا بالعكس فيقصر النهار فقال الله تعالى وسخر الشمس والقمر
يعني سبب الاختلاف وان كان ما ذكرتم لكن سير الشمس والقمر بارادة الله وقدرته وهو الذي فعل ذلك كل يجري لاجل مسمى
قوله تعالى ذلكم الله ربكم مبتدا والله خبره وربكم خبر ثان او نعت لله وقال الزمخشري يجوز في حكم الاعراب ايقاع اسم الله صفة
لاسم الاشارة او عطف بيان وربكم خبر لولا ان المعنى يا باه وقال لانه قد يكون قد اخبر عن المشار اليه بتلك الصفات ثم الا
فعال انه مالككم ومصلحكم **فصل** المعنى ذلك الذي فعل هذه الاشيا من فطر السموات والارض وارسال الرياح
والارواح وخلق الانسان من التراب وغير ذلك له الملك كله ولا معبود الا هو واذا كان له الملك فله العبادة كلها ثم ذكر
ما ينافي الالهية فقال والذين يدعون من دونه يعني الاصنام ما يملكون من قطمير قوله والذين يدعون من دونه العامة على الخطاب

في يدعون عيسى وسلام ويعقوب ويروى عن ابي عمرو بيا الغيبة اما على الالتفات واما على الانتقال على الاخبار والفرق بينهما انه يكون في الالتفات المراد الضميرين واحد بخلاف الثاني وانما خبر وما يملكون هو خبر الموصول ومن قطمير مفعول به ومن قبيل زيدة القطمير المشهور وقيل انه لفافة النواة وهو مثل في القلة كقوله •

• وابوك يخصف نعله متوركا • ما يملك المسكين من قطمير •

وقيل هو القمع وقيل ما بين القمع والنواة وقد تقدم ان في النواة اربعة اشيا يضرب بها المثل في القلة وهو ما في شق النواة والقطمير هو اللفافة والنقير وهو ما في ظهرها والمعروق وهو ما بين القمع والنواة **قوله تعالى** ويوم القيمة يكفرون بشرككم اي يتبراون من عبادتكم ومنكم ويقولون ما كنتم ايانا تعبدون واعلم انه لما بين عدم النفع فيهم في الدنيا بين عدم النفع منهم في الآخرة ووجود الضرر منهم في القيمة بقوله ويوم القيمة يكفرون بشرككم اي باشراككم بالله غيره وهذا مصدر مضاف لفاعله ثم قال **قوله تعالى** ولا ينبئك مثل خبير اي نفسه يعني لا ينبئك احد مثل خبير عالم بالاشيا وهذا الخطاب يحتمل وجهين احدهما ان يكون خطابا للنبي صلى الله عليه وسلم ووجهه ان الله تعالى لما اخبر ان الخشب والحجر ينطق ويكذب على يديه وذلك مما لا يعلم بالعقل المجرد لولا اخبار الله تعالى عنه بقوله انهم يكفرون بهم يوم القيمة وهذا الكون مع كون المخبر عنه امرا عجيبا فان المخبر عنه خبير والثاني ان ذلك الخطاب غير مختص باحد ان هذا الذي ذكره هو كما ذكر ولا ينبئك ايها السامع كائنا من كان مثل خبير **قوله تعالى** يا ايها الناس انتم الفقراء الى الله اي الى فضل الله والفقير هو المحتاج والله هو الغني عن خلقه الحميد اي المحمود في احسانه اليهم واعلم انه لما كثر الدعاء من النبي صلى الله عليه وسلم والاصرار من الكفار قالوا ان الله لعله محتاج الى عبادتنا حتى يامرنا بها امرا بالغا ويهددنا على تركها مبالغا فقال الله تعالى انتم الفقراء الى الله والله الغني فلا يامركم بالعبادة لاحتياجه اليكم وانما هو لاشفاقه عليكم **فصل** التعريف في الخبر قليل والاكثر ان يكون الخبر نكرة والمبتدأ معرفة لان المبتدأ لا يخبر في الاكثر الا بما لا يعلم المخبر او في نكرة المتكلم الى السامع لا علم به ثم ان المبتدأ لا بد ان يكون معلوما عند السامع حتى يقال له ايها السامع الامر الذي تعرفه انت فيه المعنى الفلاني كقول القائل زيد قايم او قايم زيد اي زيد الذي تعرفه ثبت له قيام لا علم عندك به فان كان معلوما عند السامع والمبتدأ كذلك ويقع الخبر بينهما فانه يحسن تعريف الخبر كقول القائل الله ربنا ومحمد نبينا حيث عرف كون الله ربنا وكون محمد نبينا وهاهنا لما كان الناس فقراء امرا ظاهرا لا يخفى عليه قال انتم الفقراء وقوله الى الله اعلام بان لا افتقار ولا اتكال الا عليه وهذا يوجب عبادته لكونه مفتقرا اليه وعدم عبادة غيره لعدم الافتقار الى غيره ثم قال والله هو الغني اي هو مع استغنائه يدعوكم الى الدعا وانتم مع احتياجكم لا تجيبونه **قوله تعالى** ان يشا يذهبكم ويات بخلق جديد وفيه اثبات لعبادة وفيه بالحكمة لان قوله تعالى ان يشا يذهبكم اي ليس اذهابكم موقوفا الا على مشيته بخلاف الشي المحتاج اليه كان قال المحتاج الى الشي لا يقال ان شا فلان هدم داره وانما يقال لولا حاجة السكنى الى الدار لبعتها ثم انه تعالى زاد على بيان الاستغناء بقوله ويات بخلق جديد يعني احسن من هذا واجمل وما ذلك على الله بعزيز يعني ان كان يتوهم ان هذا الملك كما له عظمة ولو اذهبه لزال الملكة وعظمته فهو قادر بان يخلق خلقا جديدا احسن من هذا واجمل وما ذلك على الله بعزيز اي الاذهاب والاتيان اعلم ان لفظة العزيز استعمله الله تارة في القايم بنفسه فقال في حق نفسه وكان قويا عزيزا وقال في هذه السورة عزيز غفور واستعمله تارة في القيام بغيره فقال وما ذلك على الله بعزيز وقال عزيز عليه ما عنتم فهل هما بمعنى واحد فنقول العزيز في اللغة هو الغالب والفعل اذا كان لا يطيقه شخص فهو مغلوب بالنسبة الى ذلك الفعل بقوله وما ذلك على الله بعزيز اي ذلك الفعل لا يغلبه بل هو هين على الله تعالى وقوله عزيز عليه ما عنتم ويود به كالشغل الغالب **قوله تعالى** ولا تزر وازرة وزر اخرى اي نفس الوازرة بحذف الموصول للعلم ومعنى ولا تزر اي لا تحمل نفس حاملة نفس اخرى **قوله تعالى** وان تدع مثقلة الى حملها اي نفس مثقلة بالذنوب نفسا الى حملها بحذف المفعول به كالعلم به والعامة لا يحمل مبنيا للمفعول وهي قايمة مقام الفاعل وابو السمال وطلحة ويروى عن الكسائي بفتح التاء من فوق وكسر الميم اسند الفعل الى ضمير النفس المحذوفة التي هي معروفة لتدع اي لا تحمل تلك النفس المدعوة شيا منه مفعول بل تحمل **قوله تعالى** ولو كان ذا قربى اي ولو كان المدعو ذا قربى وقيل التقدير ولو كان الداعي ذا قربى والمعنيان حسنان وقرا ذو بالرفع على انها التامة اي ولو حضر ذو قربى نحو قد كان من مطر وان كان ذو عسرة قال الزمخشري ونظم الكلام احسن ملائمة للناقصة اذ المعنى على ان النفس المثقلة اذا دعت احدا الى حملها لا تحمل منه ولو كان مدعوها ذا قربى وهو ملتئم ولو قلت فلو حد ذو قربى لخرج عن اتساقه قال ابو حيان وهو ملتئم من المعنى الذي ذكرناه قال شهاب الدين والذي قاله اي هو احضر اذ ذاك ذو قربى ثم قال الزمخشري كان وهو مبني للفاعل وحاء وهو مبني للمفعول تفسيره معنى والذي نعيد المعنى النحوي به كان تامة عن حدث ووقع

قوله تعالى انما تنذر الذين يخشون ربهم يخافون ربهم ولم يروه قال الاخفش تاويله انذارك انما ينفع الذين يخشون ربهم بالغيب **قوله تعالى** ومن تزكى قرا العامة تزكى بفعل فانما يتزكى بتزكى بفعل وعن ابي عمرو ومن تزكى فانما يزكى والاصل فيهما يتزكى فادغمت التاء في الزاي كما ادغمت في الذال نحو يذكرون وابن مسعود وطلحة ومن ازكى والاصل تزكى فادغم باختلاف عمرو في هذه الوصل فانما يزكى اصله تتزكى قوله ومن تزكى صلى وعمل خيرا فانما يتزكى لنفسه ثوابه والى الله المصير اي المتزكي ان لم تظهر له فايدة عاجلا فالمظهر في المصير تظهر عنده في يوم القيمة في دار البقا والانوار وان لم تظهر بعده وزره في الدنيا فهي تظهر في الآخرة اذ المصير الى الله ثم لما بين الهدى والضلال ولم يتبين للكافر وهدى الله الى من ضرب الله مثلا للبصير والاعمى **قوله تعالى** وما يستوي الاعمى والبصير المستوي من الاعمال التي لا يكتفى فيها بواحد لو قلت استوى زيد لم يصح ثم لزم العطف على الفاعل او بعد تعدده ولا في قوله الظلمات الى اخره مكروه تاكيد النفي وقال ابن عطية دخول لا انما هو على نية التكرار كانه قال ولا الظل ولا الظل ولا النور ولا الظلمات ولا النور فاستغنى بذكر الاوايل عن الثواني ودل كثير بذكر والكلام على متروكه قال ابو حيان وهذا غير محتاج اليه لانه اذا نفي استواؤهما اولا فاي فايدة في نفي استوائهما ثانيا وهو كلام حسن الا ان ابا حيان هنا قد خبرك في النفي لتاكيد معناه كقوله ولا تستوي الحسنة ولا السيئة وللناس في هذه الاية قولان احدهما ما ذكر والثاني انها غير مؤكدة اذ يراد بالحسنة الجنس وكذلك السيئة فكل واحد منهما يتفاوت في جنسه لان الحسنات درجات متفاوتة وكذلك السيئات وسيأتي تحقيق هذا ان شاء الله تعالى في هذا يمكن ان يقال بهذا هنا اوهو ان المراد استوا نفي الظلمات وهو استوا جنس النور الا ان هذا غير مراد هنا في الظاهر اذ المراد هنا مقابلة هذه الاجناس بعضها ببعض لا مقابلة بعض افراد كل جنس على حدته ويرجح هذا الظاهر التصريح بهذا في قوله ولا وما يستوي الاعمى والبصير حيث لم يكررها وقدما على صنع الحسنة والحرور شدة حر الشمس وقال الزمخشري الحرور السموم الا ان السموم بالنهار والحرور فيه وبالليل خاصة نقله ابن عطية عن روبة وقال ليس بصحيح وانما الصحيح ما قاله الفرا وهذا عجيب منه كيف يرد على اصحاب اللسان بقول من ياخذ عنهم وقرا الكسائي في رواية وازاد ان عندو ولا الاحيا بالتانيث على معنى الجماعة وهذه الاشيا جي بها على سبيل الاستعارة والتمثيل فالاعمى والبصير الكافر والمومن والظلمات والنور الكفر والايمان والظل والحرور الحق والباطل والاحيا والاموات لمن دخل في الاسلام ولمن لم يدخل فيه وترتيب هذه المثالات على احسن الوجوه كانه تعالى ضرب الاعمى والبصير مثلين للكافر والمومن عقبه بما كل منهما فيه فالكافر في ظلمة والمومن في نور ان البصير وان كان حديد البصر لا بد له من ضوء يبصر فيه وقدم الاعمى لان البصير فاصلة تقدم تاخيره لما تقدم الاعمى في الذكر لا يناسب تقديم ما هو فيه فكذلك قدمت الظلمة على النور ولان النور فاصلة ثم ذكر ما لكل منهما المومن من الظل وللكافر من الحرور واخر الحرور لاجل الفاصلة كما تقدم وقولنا لاجل الفاصل هنا في غيره من الاماكن احسن من قول بعضهم لاجل السجع لان القرآن منزه عن ذلك وقد منع الجمهور من ذلك ان يقال في القرآن سجع وانما ذكر الفعل في قوله وما يستوي الاحيا مبالغة في ذلك لان المنافاة بين الحياة والموت اتم من الحياة من المنافاة المتقدمة وقدم الاحيا لشرف الاحيا ولم يعد لا توكيدا في قوله الاعمى والبصير وكررهما في غيره لان المنافاة بين الحيوة والموت من المنافات لان المنافاة بين الحيوة والموت اتم مما بين الاعمى والبصير ولا منافاة الا من حيث الوصف بخلاف الظل والحرور والظلمات فانهما منافية ابدا لا يجتمع اثنان منهما في محل فالمنافاة بين الظل والحرور وبين الظلمة والنور قايمة فان **قيل** الحيوة والموت غير العمى والبصير فان الجسم قد يكون متصفا بالحيوة ثم قال متصف بالموت **فالجواب** ان المنافاة بينهما اتم من المنافاة بين الاعمى والبصير لان الاعمى والبصير يشتركان في ادراك كثيرة ولا كذلك الحي والميت والمنافاة بينهما اتم وافراد الاعمى والبصير لانه قابل الجنس بالجنس ان قد يوجد في افراد العميان ما يساوي بعض افراد البصير كاعمى ذكي له بصيرة فالتفاوت بين الجنسين مقطوع به لا بين الافراد وجمع الافراد الظلمات عبارة عن الكفر والضلال وطرقهما كثيرة متسعة ووحد النور لانها عبارة عن التوحيد وهو واحد فالتفاوت بين كل فرد من الافراد الظلمة وبين هذا الفرد الواحد ومعنى الظلمات كلها لا تجد فيها ما يساوي هذا الواحد قال شهاب الدين كذا عندي وهذا ينبغي ان يقال ان هذا الجمع لا يساوي هذا الواحد فيعلم انتفاء مساواة فرد منه لهذا الواحد بطريق الواحد واما جمع الاحيا والاموات لان التفاوت بينهما اكثر وما من ميت ليساوي في الادراك حيا وذكر ان الاحيا ليسا دون الاموات سواء ما قبلت الجنس بالجنس ام الفرد بالفرد **قوله تعالى** انا ارسلناك بالحق بشيرا ونذيرا لما قال ان انت الا نذير بين انه ليس نذيرا من تلقاء نفسه انما هو نذير باذن الله وارساله **قوله تعالى** بالحق يجوز فيه اوجه الاول انه حال من الفاعل اي ارسلناك محقين اي من المفعول اي محقا او نعت لمصدر محذوف اي ارسالا ملتبسا بالحق او متعلقا ببشيرا ونذيرا قال الزمخشري بشيرا بالوعد الحق قال ابو حيان ولا يمكن ان يتعلق بالحق هذا ببشيرا ونذيرا معا بل ينبغي ان يتاول كلامه على انه اراد ان ثم محذوفا والتقدير بشيرا بالوعد الحق ونذيرا بالوعيد الحق قال شهاب الدين قد صرح الرجل بهذا **قوله تعالى** وان من امة اي وما من امة فيما مضى وقوله الا خلا فيها نذير نبي منذر

قوله تعالى وان يكذبوك فقد كذب الذين من قبلهم جاءتهم رسلهم بالبينات وبالزبر اي الكتب وبالكتاب المنير الواضح
وكرر ذكر الكتاب بعد ذكر الزبر على طريق التاكيد وقيل البينات المعجزات والزبر هي الكتب التي فيها اعظم مواعظ وتبيان
لا تحتمل النسخ والمراد بالكتاب المنير الشريعة والاحكام الموافقة للحكمة الالهية والجملة للتسبيح وهذا تسلية النبي صلى
الله عليه وسلم حيث تعلم ان غيره كان مثله محتملا لاذى القوم وان غيرهم ايضا اتاهم مثل ذلك فكذبوه واذوه
فصبروا على تكذيبهم ثم اخذت الذين كفروا فكيف كان نكير وهذا سوال تقرير فانهم علموا شدة انكار الله عليهم واستيصالهم
قوله تعالى الم تر ان الله انزل من السماء ماء قيل الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وفيه حكمة وهي ان الله تعالى لما ذكر الدلائل ولم
ينفعوا قطع الكلام معهم ولا يكون مع هذا وتكرر معه كما ذكر الاول ويكون فيه اشعار بان الاول نقيضه لا يصلح للخطاب
فينبه به ويدفع عن نفسه تلك النقيصة وايضا فالخروج الى كلام اجنبي عن الاول بل يأتي بما يقرب به ليلا يسمع الاول
على الامر فيترك التفكر فيما كان من النصيحة قوله تعالى فاخرجنا هذا التفات من الغيبة نعت الثمرات الى المتكلم وانما كان ذلك
بان المنة بالاخراج ابلغ من انزال الماء ومختلفا نعت الثمرات والوانها فاعل به ولولا ذلك لانث الثمرات ولانث مختلفا ولكنه
لما اسند الفعل الى جمع تكسير ضميرها ولولا انث لقيل مختلفة كما تقول اختلفت الوانها مجازية وبه قرا زيد بن علي قوله تعالى
ومن الجبال جدد بيض العامة على ضم الجيم وفتح الدال جمع جدة وهي الطريقة قال ابن بحر قطع من قولك جددت الشيء قطعته
وقال ابو الفضل سمي ما يخالف من الطريق لون ما يليها ومنه جدة الحمار الخط الذي بين ظهره وقرا الزهري جدد بضم الجيم
والدال جمع جديد قوله تعالى مختلفا الوانها مختلف صفة لجدد ايضا والوانها فاعل به كما تقدم في نظيره ولا يجوز
ان يكون مختلفا خبرا مقدما والوانها مبتدا موخرا والجملة صفة اذ كان يجب ان يقال مختلفة فيحتمل ضمير المبتدا وقوله الوانها
صنفان احدهما البياض والحمرة يتفاوتان بالشدة والضعف فرب ابيض اشد من ابيض واحمر اشد من احمر فنفس البياض
مختلف وكذلك الحمرة فلذلك جمع الوانها فيكون من باب المشكل والثاني ان الجدد كلها على لونين بياض وحمرة فالبياض والحمرة
وان كانا لونين الا انهما جمعا باعتبار محالهما قوله تعالى وغرابيب سود فيه ثلاثة اوجه احدها انه معطوف على حمر
عطف ذي لون على ذي لون كالاقوال المتقدمة وقول الشاعر • وبحر على جوانبها فتورا • تنفض الطرف كالابل القماح • وقيل
عطف ذي لون الثاني انه معطوف على بيض الثالث انه معطوف على جدد قال الزمخشري معطوف على بيض او على جدد
كانه قيل ومن الجبال مخطط ذو جدد ومنها ما هو على لون واحد ثم قال ولا بد من تقدير حذف مضاف في قوله ومن الجبال
جدد يعني ومن الجبال ذو جدد بيض وحمر وسود حتى يوول الى قولك ومن الجبال مختلف الوانها كما قال ثمرات مختلفا الوانها
ولم يذكر بعد غرابيب سود مختلف الوانها كما ذكر ذلك بعد بيض وحمر لان الغرابيب هو المبالغ في السواد فصار لونا
واحدا غير متفاوت بخلاف ما تقدم وغرابيب جمع غربيب وهو الاسود المتناهي في السواد فهو تابع للاسود كقاني وناصع
وناصر ويقق فمن ثم زعم بعضهم انه في نية التاخير ومن مذهب هولاء يجوز تقديم الصفة على موصوفها وانشدوا •
والمومن العايذات الطير يمسحها • يريد والمومن الطير العايذات • وقول الاخر • وبالطويل العمر عمرا حيدرا •
يريد وبالعمر الطويل والبصريون لا يرون ذلك ويخرجون هذا وامثاله على ان الثاني بدل من الاول فسود والطير والعمر
ابدال مما قبلها وخرجه الزمخشري وغيره على انه حذف الموصوف وقامت صفته مقامه وان المذكور بعد الوصف دال على
الموصوف قال الزمخشري الغربيب تاكيد للاسود ومن حق التوكيد ان يتبع الموكد كقولك اصفر فاقع وابيض يقق وما اشبه
ان يضمر الموكد قبله فيكون الذي بعده تفسير لما اضمر كقوله • والمومن العايذات الطير • وانما يفعل ذلك لزيادة التوكيد
حيث يدل على المعنى الواحد من طريقي الاظهار والاضمار يعني فيكون الاصل وسود غرابيب سود والمومن الطير العايذات
الطير قال ابو حيان وهذا لا يصح الا على مذهب من يجوز حذف الموكد ومن النحويين من منعه وهو اختيار ابن مالك قال
شهاب الدين ليس هذا هو التوكيد المختلف في حذف موكده لان هذا من باب الصفة والموصوف ومعنى تسمية الزمخشري لها
تاكيدا من حيث انها لا تفيد معنى زايدا انما تفيد المبالغة والتوكيد في ذلك اللون والنحويون قد سموا الوصف اذا لم
يفد غير الاول تاكيدا فقالوا وقد يجيء لمجرد التوكيد نحو نفخة واحدة والهين اثنين والتوكيد المختلف في حذف موكده
انما هو في باب التوكيد الصناعي ومذهب سيبويه يجوز اجازه مررت باخوتك انفسهما بالنصب والرفع على تقدير
اعنيهما انفسهما فاين هذا من ذاك الا انه يشكل على الزمخشري هذا المذكور بعد غرابيب ونحوه بالنسبة الى انه جعله مفسرا
لذلك المحذوف وهذا انما يعهد في الجمل لا في المفردات الا في باب البدل وعطف البيان فباي شيء يسميه والاولى فيه ان يسمى
توكيد اللفظية اذ الاصل سود غرابيب سود قوله تعالى مختلف الوانه مختلف نعت لمنعوت محذوف هو مبتدا والجار قبله
خبره اي من الناس صنف او نوع مختلف ولذلك عمل اسم الفاعل كقوله • كناطح صخرة يوما ليفلقها • وقرا ابن السميفع

الوانها وهو ظاهر وقرا الزهري والدواب خفيفة الباء هربا من التقاء الساكنين كما حرك اولهما في الضالين وجان
فصل قال ابن الخطيب في هذه الاية لطايف الاولى قوله انزل وقال اخرجنا وفايدته ان قوله تعالى الم تر ان الله انزل
من السماء ماء فان كان جاهلا تقول نزول الماء بالطبع لثقله فيقال له الاخراج لا يمكنك ان تقول فيه انه بالطبع فهو بارادة
الله تعالى فلما كان ذلك اظهر اسنده الى المتكلم وايضا فان الله تعالى لما قال ان الله انزل علم الله بالدليل وقرب المتفكر
فيه الى الله فصار من الحاضرين فقال اخرجنا لقربه وايضا فالاخراج اتم نعمة من الانزال لان الانزال لفايدة الاخراج فاسند
الاتم الى نفسه بصيغة المتكلم وما دونه بصيغة الغايب الثانية قال تعالى ومن الجبال جدد بيض وحمر كان قايلا قال اختلاف
الثمرات لاختلاف البقاع الا ترى ان بعض النباتات لا ينبت ببعض البلاد كالزعفران فقال تعالى اختلاف البقاع ليس الا
بارادة الله والا فلم صار بعض الجبال فيه مواضع حمر ومواضع بيض فان قيل الواو في ومن الجبال ما تقديرها فالجواب
نقول هي تحتمل وجهين احدهما ان يكون للاستيناف كانه تعالى قال اخرجنا بالماء ثمرات مختلفة الالوان وفي الجبال جدد
بيض دالة على القدرة الرادة على من ينكر الارادة في اختلاف الوان الثمار وثانيهما ان يكون للعطف والتقدير وخلق من الجبال
جدد قال الزمخشري اراد ذو جدد الثالث ذكر الجبال ولم يذكر في الاية الارض كما قال في موضع اخر وفي الارض قطع متجاورات
مع ان هذا الدليل مثل ذلك وذلك لان الله تعالى لما ذكر في الاول اخرجنا به ثمرات كان نفس اخراج الثمار دليلا على القدرة
ثم زاد عليه بيانا وقال مختلفا كذلك في الجبال في نفسها دليل القدرة والارادة لكن كون الجبل في بعض نواحي الارض دون
بعضها وكون بعضها اخفض وبعضها ارفع دليل القدرة والاختيار ثم زاد بيانا وقال جدد بيض اي دالة بنفسها وهي دالة
باختلاف الوانها كما ان اخراج الثمرات في نفسها دلايل واختلاف الوانها دليل الرابعة قوله مختلفا الوانها الظاهر ان الاختلاف
راجع الى كل لون اي بيض مختلف الوانها وحمر مختلف الوانها لان الابيض قد يكون على لون الجص وقد يكون على لون التراب
الابيض وبالجملة فالابيض تتفاوت درجاته في البياض وكذلك الاحمر تتفاوت درجاته في الحمرة ولو كان المراد البيض
والحمر مختلفا الالوان لكان لمجرد التاكيد والاول اولى وعلى هذا ذكر مختلفا الوانها في البيض والحمر ولم يذكر في السود الغرابيب لان الاسود
لما ذكره مع الموكد وهو الغربيب يكون بالغا غاية السواد فلا يكون فيه اختلاف قوله تعالى ومن الناس والدواب والانعام
لما ذكر دلايل الخلق في هذا العالم وهو عالم المركبات قسمين حيوان وغير حيوان
وهو اما نبات واما معدن والنبات اشرف فاشار اليه بقوله فاخرجنا به ثمرات ثم ذكر المعدن بقوله ومن الجبال ثم ذكر الحيوان
وبدا بالاشرف منها وهو الانسان فقال ومن الناس ثم ذكر الدواب لان منافعها في حياتها والانعام منفعتها في الاكل منها ولان
الدواب في العرف تطلق على الفرس وهو بعد الانسان اشرف من غيره وقوله مختلف الوانه القول فيه كما تقدم كما انها في انفسها دلايل
كذلك باختلافها دلايل وقوله مختلف الوانه ذكر اللون لان الانسان من جملة المذكورين فكان التذكير اولى قوله تعالى كذلك
فيه وجهان اظهرهما انه متعلق بما قبله اي مختلف اختلافا مثل الاختلاف في الثمرات والجدد والوقف على كذلك والثاني متعلق
بما بعده والمعنى مثل ذلك المطر والاعتبار في مخلوقات الله واختلاف الوانها يخشى الله العلماء والى هذا نحا ابن عطية وهو فاسد
من حيث ان ما بعد انما مانع من العمل فيما قبلها وقد نص ابو عمرو الداني على ان الوقف على كذلك تام ولم يحك فيه خلافا قوله
تعالى انما يخشى الله العامة على نصب الجلالة ورفع العلماء وهي واضحة وقرا عمر بن عبد العزيز وابو حنيفة فيما نقل الزمخشري
وابو حيوة فيما نقل الهذلي في كامله بالعكس وتوولت على معنى التعظيم اي انما يعظم الله من عباده العلماء وهذه القراءة شبيهة
بقراءة واذ ابتلى ابرهيم ربه برفع ابرهيم ونصب ربه فصل قال ابن عباس يريد انما يخافني من خلقي من علم جبروتي وعزتي
وسلطاني واعلم ان الخشية بقدر معرفة المخشي والعالم يعرف الله فيخافه ويرجوه وهذا دليل على ان العالم اعلى درجة من العابد
لقوله تعالى ان اكرمكم عند الله اتقاكم بين ان الكرامة بقدر التقوى والتقوى بقدر العلم لا بقدر العمل قال عليه السلام والله اني
لاعلمكم بالله واشدكم له خشية وقال عليه السلام لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا قال مسروق وكفى بخشية الله علما
وكفى بالاغترار بالله جهلا ثم قال ان الله عزيز غفور اي عزيز في ملكه غفور لذنوب عباده فذكر ما يوجب الخوف والرجا فكونه
عزيزا ذا انتقام يوجب الخوف التام وكونه غفورا لما دون ذلك يوجب الرجاء البالغ وقراءة من قرا بنصب العلماء ورفع الجلالة
تقدم معناه قوله تعالى ان الذين يتلون في خبران وجهان احدهما الجملة من قوله يرجون اي ان التالين يرجون ولن تبور
صفة تجارة وليوفيهم متعلق بيرجون او بتبور او بمحذوف اي فعلوا ذلك ليوفيهم على الوجهين الاولين يجوز ان تكون لام
العاقبة والثاني ان الخبر انه غفور شكور جوزه الزمخشري على حذف العايد اي غفور لهم وعلى هذا فيرجون حال من انفقوا اي
انفقوا ذلك راجين فصل المراد بالذين يتلون كتاب الله اي قرا القران لما بين العلماء بالله وخشيتهم وكرامتهم بسبب
خشيتهم ذكر العاملين بكتاب الله العاملين بما فيه فقوله يتلون كتاب الله اشارة الى الذكر وقوله واقاموا الصلوة اشارة الى العمل

المالي وفي الاية حكمة بالغة وهي قوله انما يخشى الله اشارة الى عمل القلب وقوله الذين يتلون اشارة الى عمل اللسان وقوله
واقاموا الصلوة اشارة الى عمل الجوارح ثم ان هذه الاشياء الثلاثة متعلقة بجانب تعظيم الله وقوله وانفقوا مما رزقناهم
سرا وعلانية يعني الشفقة على خلقه وقوله سرا وعلانية حث على الانفاق كيف ما تهيأ فان تهيأ سرا فذاك والا فعلانية
ولا يمنعه ظنه ان يكون ريا بان ترك الخير مخافة ذلك هو عين الريا ويمكن ان يكون المراد بالسر الصدقة المطلقة وبالعلانية
الزكوة فان الاعلان بالزكوة كالاعلان بالفرض وهو مستحب يرجون تجارة وهي ما وعد الله من الثواب لن تبور لن تفسد
ولن تهلك ليوفيهم اجورهم جزاء اعمالهم بالثواب ويزيدهم من فضله قال ابن عباس يعني سوى الثواب ما لم تر عين ولم
تسمع اذن ويحتمل ان يزيدهم النظر اليه كما جاء في تفسير الزيادة انه غفور شكور قال ابن عباس يغفر الذنب العظيم من ذنوبهم
ويشكر اليسير من اعمالهم وقيل غفور عند اعطاء الاجر شكور عند اعطاء الزيادة **قوله تعالى** والذي اوحينا اليك من الكتاب
يعني القران وقيل اللوح المحفوظ لما بين الاصل الاول وهو وجود الله الواحد بالدلائل في قول الله الذي يرسل الرياح وقوله
الله خلقكم وقوله الم تر ان الله انزل من السماء ماء ذكر الاصل الثاني وهو الرسالة وقال والذي اوحينا اليك من الكتاب هو الحق
قوله تعالى من الكتاب يجوز ان يكون للبيان كما يقال ارسل الي فلان من النبات حملة وان يكون للجنس وان يكون لابتداء الغاية
كما يقال جاء في كتاب من الامير وعلى هذا فالكتاب يمكن ان يراد به اللوح المحفوظ يعني الذي اوحينا من اللوح المحفوظ اليك حق
ويمكن ان يكون المراد به القران يعني الارشاد والتبيين الذي اوحينا اليك من القران ويمكن ان يكون للتبعيض وهو فصل
او مبتدا او مصدقا حال موكدة **قوله تعالى** هو الحق اكد من قول القائل الذي اوحينا حق اليك من وجهين احدهما ان
التعريف للخبر يدل على ان الامر في غاية الظهور لان الخبر في الاكثر يكون نكرة الثاني ان الاخبار في الغالب يكون اعلاما بثبوت
امر لا يعرفه السامع كقولنا زيد قائم فان السامع ينبغي ان يكون عارفا بزيد ولا يعلم قيامه فيخبر به فاذا كان خبرا معلوما
فيكون الاخبار للتنبيه فيعرفان باللام كقولنا ان زيدا العالم في هذه المدينة اذا كان علمه مشهورا وقوله مصدقا لما بين يديه
من الكتب وهذا تقرير لكونه وحيا لان النبي عليه السلام لما لم يكن قاريا كاتبا واتى ببيان ما في كتاب الله لا يكون ذلك الا بوحي
من الله تعالى او يقال ان هذا الوحي مصدق لما تقدم لان الوحي لو لم يكن موجودا لكذب موسى وعيسى عليهما السلام في انزال
التورية والانجيل فاذا وجد الوحي ونزل على محمد عليه السلام علم جوازه وصدق ما تقدم وفي هذه لطيفة وهي انه تعالى جعل
القران مصدقا لما مضى لان ما مضى ايضا مصدق له لان الوحي اذا نزل على واحد جاز ان ينزل على غيره وهو محمد عليه السلام ولم يجعل
ما تقدم مصدقا للقران لان القران كونه معجزة يكفي في تصديقه بانه وحي واما ما تقدم فلا بد فيه من معجزة مصدقة ثم قال ان الله
بعباده لخبير بصير خبير بالبواطن بصير بالظواهر فلا يكون الوحي من الله باطلا لا في الباطن ولا في الظاهر ويمكن ان يكون جوابا
لقولهم ان القران لم ينزل على رجل من القريتين عظيم فقال ان الله بعباده خبير يعلم بواطنهم وبصير يرى ظواهرهم فاختار محمدا
ولم يختر غيره كقوله الله اعلم حيث يجعل رسالاته **قوله تعالى** ثم اورثنا الكتاب الذين اصطفينا مفعولا
اورثنا والكتاب هو الثاني قدم لشرفه واكثر المفسرين على ان المراد بالكتاب القران وقيل المراد جنس الكتاب ينتهي الى الذين اصطفينا
من عبادنا ويجوز ان يكون ثم بمعنى الواو اي واورثنا كقوله ثم كان من الذين امنوا ومعنى اورثنا اعطينا
لان الميراث عطا قاله مجاهد وقيل اورثنا اخرنا ومنه الميراث لانه اخر عن الميت ومعناه اخر القران من الامم السالفة واعطيناكم
واهلناكم له **قوله تعالى** من عبادنا يجوز ان يكون للبيان على معنى ان المصطفين هم عبادنا وان يكون للتبعيض اي ان
المصطفين بعض عبادنا الاكلهم وقرا ابو عمران الجوني ويعقوب وابو عمرو في رواية سباق مثال المبالغة **فصل**
قال ابن عباس يريد بالعباد امة محمد صلى الله عليه وسلم ثم قسمهم ورتبهم فقال فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات
وروى اسامة بن زيد في هذه الاية قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلهم من هذه الامة وروى ابو عثمان النهدي قال سمعت
عمر بن الخطاب قرا على المنبر ثم اورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا الاية فقال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سابقنا سابق
ومقتصدنا ناج وظالمنا مغفور له وروى ابو الدرداء قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قرا هذه الاية ثم اورثنا الكتاب
الاية وقال اما السابق بالخيرات فيدخل الجنة بغير حساب واما المقتصد فيحاسب حسابا يسيرا واما الظالم لنفسه فيحبس في المقام
حتى يدخله الهم ثم يدخل الجنة ثم قرا الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن ان ربنا لغفور شكور وقال عقبة بن صهبان سالت عائشة عن قول الله
عز وجل ثم اورثنا الكتاب الذين اصطفينا الاية فقالت يا بني كلهم في الجنة اما السابق بالخيرات فمن مضى على عهد رسول الله صلى الله عليه
وسلم شهد له رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجنة واما المقتصد فمن اتبع اثره من اصحابه حتى لحق به واما الظالم فمثلي ومثلكم فجعلت
نفسها معنا وقال مجاهد والحسن وقتادة فمنهم ظالم لنفسه هم اصحاب المشامة ومنهم مقتصد اصحاب الميمنة ومنهم سابق بالخيرات
السابقون المقربون من الناس كلهم وعن ابن عباس قال السابق المؤمن المخلص والمقتصد المرائي والظالم الكافر لنعمة الله غير الجاحد لها

لانه

لانه حكم للثلاثة بدخول الجنة وقيل الظالم هو الراجح السيات والمقتصد هو الذي تساوت سيئاته وحسناته والسابق هو الذي
رجحت حسناته وقيل الظالم هو الذي ظاهره خير من باطنه والمقتصد من تساوي ظاهره وباطنه والسابق من باطنه خير من
ظاهره وقيل الظالم هو الموحد بلسانه الذي تخالفه جوارحه والمقتصد هو الموحد الذي يمنع جوارحه عن المخالفة بالتكليف والسابق
هو الموحد الذي يمنع جوارحه بتنبيه التوحيد غير التوحيد وقيل الظالم صاحب الكبيرة والمقتصد صاحب الصغيرة والسابق المعصوم
وقيل الظالم التالي للقران غير العالم به والعامل به والمقتصد التالي العالم والسابق التالي العالم العامل وقيل الظالم الجاهل
والمقتصد المتعلم والسابق العالم وقال ابو جعفر الصادق بدا بالظالم اخبارا انه لا يتقرب اليه الا بكرمه وان الظلم لا يؤثر في
الاصطفاء ثم ثنى بالمقتصد لانه بين الخوف والرجاء وختم بالسابق لئلا يامن احد مكر الله وكلهم في الجنة وقال ابو بكر الوراق رتبهم على
مقامات الناس لان احوال العبد ثلاثة معصية وغفلة ثم توبة ثم قربة فاذا عصى دخل في حيز الظالمين واذا تاب دخل
في جملة المقتصدين فاذا صحت له التوبة وكثرت العبادة والمجاهدة دخل في عداد السابقين وقيل غير ذلك واما من قال المراد
بالكتاب جنس الكتاب كقوله جاءتهم رسلهم بالبينات وبالزبر وبالكتاب المنير والمعنى انا اعطينا الكتاب الذين اصطفينا وهم الانبيا
لان لفظ المصطفى انما يطلق في الاكثر على الانبيا لا على غيرهم ولان قوله من عبادنا يدل على ان العباد كانوا مكرمون لانه اضافهم
اليه ثم المصطفين منهم اشرف ولا يليق بمن يكون اشرف الشرفا ان يكون ظالما مع ان لفظ الظالم اطلقه الله في كثير من المواضع
على الكافر وسمى الشرك ظلما فان قيل كيف قال في حق من ذكر في حقه انه من عباده وانه مصطفى ظالم مع ان الظالم يطلق على الكافر في كثير
من المواضع فالجواب ان المراد المؤمن عند المعصية يضع نفسه في غير موضعها فهو ظالم لنفسه حال المعصية قال عليه السلام لا يزني
الزاني حين يزني وهو مؤمن الحديث وقال ادم عليه السلام مع كونه مصطفى ربنا ظلمنا انفسنا واما الكافر فيضع قلبه الذي به اعتماد
الجسد في غير موضعه فهو ظالم على الاطلاق واما قلب المؤمن فمطمئن بالايمان لا يضعه في غير التفكير في الاء الله ومن غيره هو ان
قوله منهم غير راجع الى الانبياء المصطفين بل المعنى ان الذي اوحينا اليك هو الحق وانت المصطفى كما اصطفينا رسلنا واتيناهم
كتبا ومنهم اي من قومك ظالم كفر بك وبما انزل اليك ومقتصد امن به ولم يات بجميع ما امر به فيه وسابق امن وعمل صالحا وقال الكلبي
المراد بالظالم لنفسه هو الكافر وقيل المراد منه المنافق وعلى هذا لا يدخل الظالم في قوله جنات عدن يدخلونها وحمل هذا القايل
الاصطفاء على الاصطفاء في الخلقة وارسال الرسول اليهم وانزال الكتاب والذي عليه عامة اهل العلم ان المراد من جميعهم المؤمنون **فصل**
معنى سابق بالخيرات اي سابق الى الجنة والى رحمة الله بالخيرات اي بالاعمال الصالحة باذن الله اي بامر الله وارادته ذلك هو الفضل
الكبير يعني ايراثهم الكتاب ثم اخبر بثوابهم فقال جنات عدن يدخلونها يعني الاصناف الثلاثة **قوله تعالى** جنات عدن يجوز ان
يكون مبتدا والجملة بعدها الخبر وان يكون بدلا من الفضل قاله الزمخشري وابن عطية الا ان الزمخشري اعترض واجاب فقال
فان قلت فكيف جعل جنات عدن بدلا من الفضل الذي هو السبق بالخيرات المشار اليه بذلك قلت لما كان السبب في نيل الثواب
نزل منزلة المسبب كانه هو الثواب فابدل عنه جنات عدن وقرا الزهري جنة مفردا والجحدري جنات بالنصب على الاشتغال
وهي تويد رفعها بالابتدا وجوز ابو البقاء ان يكون جنات بالرفع خبرا ثانيا لاسم الاشارة وان يكون خبر مبتدا محذوف
وتقدمت قراءة يدخلونها مبنيا للفاعل او المفعول وباقي الاية في الحج **فصل** قيل المراد بالداخلين الاقسام
الثلاثة وهذا على قولنا بانهم اقسام المؤمنين وقيل الذين يتلون كتاب الله وقيل هم السابقون وهذا اقوى لقرب ذكرهم ولانه
ذكر اكرامهم بقوله يحلون والمكرم هو السابق فان **قيل** تقديم الفاعل على الفعل وتاخير المفعول عنه موافق لترتيب المعنى فالجواب
اذا كان المفعول حقيقيا كقولنا الله الذي خلق السموات وقول القائل زيد بنى الجدار فان الله موجود قبل كل شي ثم له فعل هو الخلق ثم
حصل به المفعول وهو السموات وكذا زيد ثم البنا ثم الجدار من البنا واذا لم يكن المفعول حقيقيا كقولنا دخل الداخل الدار وضرب
عمرو فان الدار في الحقيقة ليس مفعولا للداخل وانما فعله متحقق بالنسبة الى الدار وكذلك عمرو وفعل زيد تعلق به فيسمى مفعولا
ولكن الاصل تقديم الفعل على المفعول ولهذا يعاد الفعل المقدم بالضمير فنقول عمرا ضربه زيد فنوقع بعد الفعل بالهاء العايد
اليه وحينئذ يطول الكلام فلا يختاره الحكيم الا لفايدة في تقديم الجنات على الفعل الذي هو الدخول واعادة ذكرها بالهاء في
يدخلونها وما الفرق بين هذا وبين قول القايل يدخلون جنات عدن والجواب ان السامع اذا علم له مدخلا من المداخل
ولم دخول ولم يعلم غير المدخل فاذا قيل له انت تدخل قال الى ان يسمع الدار او السوق فيبقى متعلق القلب بانه في اي المداخل يكون
فاذا قيل له الدار تدخلها فبذكر الدار يعلم مدخله وبما عنده من العلم السابق بان له دخولا يعلم المدخول فلا يبقى متعلق القلب لا
سيما الجنة والنار فان بين المدخلين بونا بعيدا **قوله تعالى** يحلون فيها اشارة الى سرعة الدخول فان التحلية لو وقعت خارجا
لكان فيه تاخير الدخول فقال يدخلونها وفيها تقع تحليتهم وقوله من اساور جمع الجمع فانه جمع اسورة وهي جمع سوار من ذهب ولولو
وقوله ولباسهم اي ليس كذلك لان الاكثار من اللباس يدل على حاجة من دفع برد او غيره والاكثار من الزينة لا يدل على الغنى وذكر الاساور

من بين سائر الحلي في مواضع كثيرة كقوله تعالى وحلوا اساور من فضة وذلك لان التحلي يعني بين احدهما اظهار كون المتحلي غير
مبتذل في الاشتغال لان التحلي لا يكون في حالة الطبخ والغسل وثانيهما اظهار الاستغناء عن الاشياء واظهار المقدرة على الاشياء لان
التحلي اما باللآلي والجواهر واما بالذهب والفضة والتحلي بالجواهر واللآلي يدل على ان المتحلي لا يعجز عن الوصول الى الاشياء الكثيرة
عند الحاجة حيث لم يعجز عن الوصول الى الاشياء العزيزة الوجود لحاجة والتحلي بالذهب والفضة يدل على انه غير محتاج حاجة اصلية
والا لصرف الذهب والفضة الى دفع حاجة واذا عرف هذا فنقول الاساور محلها الايدي واكثر الاعمال باليد فاذا حليت بالاساور
علم بالفراغ من الاعمال **قوله تعالى** وقالوا الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن قرا العامة بفتحتين وجناح جيش بضم الحاء وسكون
الزاي وتقدم معنى ذلك اول القصص والمعنى يقولون اذا دخلوا الجنة الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن والحزن والحزن واحد
كالبخل والبخل قال ابن عباس حزن النار وقال قتادة حزن الموت وقال مقاتل لانهم كانوا لا يدرون ما يصنع بهم وقال عكرمة
حزن السيئات والذنوب وخوف رد الطاعات وقال القاسم حزن زوال النعم وخوف العاقبة وقيل حزن اهوال يوم القيمة
وقال الكلبي ما كان يحزنهم في الدنيا من امر يوم القيمة وقال سعيد بن جبير هم الخبز في الدنيا وقيل هم المعيشة وقال الزجاج
اذهب الله عن اهل الجنة كل الاحزان ما كان منها لمعاش او معاد قال عليه السلام ليس على اهل لا اله الا الله وحشة في قبورهم
ولا في منشرهم وكاني باهل لا اله الا الله ينفضون التراب عن رؤسهم ويقولون الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن ثم قالوا
ان ربنا لغفور شكور ذكر الله عنهم امورا كلها تفيد الكرامة الاول ان الحمد لله فان الحامد مثاب الثاني قولهم ربنا فان الله
تعالى اذا نودي بهذا اللفظ استجاب للمنادي اللهم الا ان يكون المنادي يطلب ما لا يجوز الثالث قولهم غفور شكور والغفور
اشارة الى ما غفر لهم في الاخرة بحمدهم في الدنيا والشكور اشارة الى ما يعطيهم الله ويزيدهم بسبب حمدهم في الاخرة **قوله تعالى**
الذي احلنا اي انزلنا دار المقامة مفعول ثان لاحلنا ولا يكون ظرفا لانه مختص فلو كان ظرفا لتعدى اليه الفعل بفي والمقامة
الاقامة والمفعول قد يجي بالمصدر يقال له معقول اي عقل قال تعالى مدخل صدق ومزقناهم كل ممزق وكذلك المستخرج
للاخراج لان المصدر هو المفعول في الحقيقة فانه هو الذي فعل **فصل** في قوله دار المقامة اشارة الى ان الدنيا
ينتقل بها المكلف ويرتحل عنها الى منزلة القبور ومن القبور الى منزلة العرصة التي فيها الجمع ومنها التفريق وقد يكون النار لبعضهم
منزلة اخرى والجنة دار البقاء وكذا النار لاهلها **قوله تعالى** من فضله متعلق باحلنا ومن اما للعلة واما لابتداء الغاية ومعنى
فضله اي بحكم وعده لا بايجاب من عنده **قوله تعالى** لا يمسنا حال من مفعول احلنا الاول او الثاني لان الجملة مشتملة على ضمير
كل منهما وان كان الحال من الاول اظهر والنصب التعب والمشقة واللغوب الفتور الناشئ عنه وعلى هذا فيقال اذا انتفى السبب
نفي المسبب فاذا قيل لم آكل فيعلم انتفاء الشبع فلا حاجة الى قوله ثانيا فلم اشبع بخلاف العكس الا ترى انه يجوز لم اشبع ولم آكل والاية
الكريمة على ما تقرر من نفي السبب ثم نفي المسبب فما فائدته وقد اجاب ابن الخطيب بانه بين مخالفة الجنة لدار الدنيا فان اماكنها على
قسمين موضع يمس فيه المشاق كالبراري وموضع يمس فيه الاعيا كالبيوت والمنازل التي في الاسفار فقيل لا يمسنا فيها نصب
لانها ليست مكان المتاعب كدار الدنيا ولا يمسنا فيها لغوب اي ولا نخرج منها الى مواضع نتعب ونرجع اليها فيمسنا فيها الاعيا
وهذا الجواب ليس بذاك والذي يقال ان النصب هو تعب البدن واللغوب تعب النفس وقيل اللغوب الوجع وعلى هذين فالسؤال
زايل وقرا علي والسلمي بفتح لام لغوب وفيه وجوه احدها انه مصدر على فعول كالقبول والثاني انه اسم لما يلغب به كالفطور والسحور
قاله الفرا والثالث انه صفة لمصدر مقدر اي لا يمسنا لغوب لغوب نحو شعر شاعر وموت مائت وقيل صفة لشيء غير مقدر اي امر لغوب
قوله تعالى والذين كفروا لهم نار جهنم عطف على قوله ان الذين يتلون كتاب الله وما بينهما كلام يتعلق بالذين يتلون كتاب
الله على ما تقدم **قوله تعالى** فيموتوا العامة على نصبه بحذف النون جوابا للنفي وهو على احد معنيين نصب ما تاتينا فتحدثنا
اي ما يكون منك اتيان ولا حديث انتفى السبب وهو الاتيان فانتفى مسببه وهو الحديث والمعنى الثاني اثبات الاتيان ونفي الحديث
اي ما تاتينا محدثا بل تاتينا غير محدث وهذا لا يجوز في الاية البتة وقرا عيسى والحسن فيموتون باثبات النون قال ابن عطية
هي ضعيفة قال ابن هشام اي الدين وقد وجهها المازني على العطف على لا يقضى اي لا يقضى عليهم فلا يموتون وهو احد الوجهين في معنى
الرفع في قولك ما تاتينا فتحدثنا اي انتفاء الامرين معا كقوله ولا يؤذن لهم فيعتذرون اي فلا يعتذرون وعليهم قائم
مقام الفاعل وكذلك عنهم بعد يخفف ويجوز ان يكون القائم من عذابها ومنهم منصوب المحل ويجوز ان يكون من مزيدة عند
الاخفش فيتعين لقيامه مقام الفاعل لانه هو المفعول به وقرا ابو عمرو في رواية ولا يخفف بسكون الفاء شبه المنفصل بعضه
كقوله • فاليوم اشرب غير مستحقب • **قوله تعالى** لا يقضى عليهم فيموتوا اي لا يهلكون فيستريحوا كقوله تعالى
فوكزه موسى فقضى عليه اي قتله ويقضى عليهم الموت فيموتوا كقوله ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك اي الموت فنستريح بل
العذاب دائم ولا يخفف عنهم من عذابها اي من عذاب النار وفي الاية لطائف الاولى ان العذاب في الدنيا ان دام قتل وان لم يقتل

يعتاده البدن ويصير مزاجا فاسدا لا يحس به المعذب فقال عذاب نار الاخرة ليس كعذاب الدنيا اما ان يفني واما ان يالفه
البدن بل هو في كل زمان شديد والعذاب فيه دايم الثانية وصف العذاب بانه لا يفتر ولا ينقطع ولا بالاسباب
وهو الموت حتى يتمنوه ولا يجابون كما قال تعالى ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك اي بالموت الثالثة ذكر في المعذبين الاشقيا
بانه لا ينقص عذابهم ولم يقل يزيدهم عذابا وفي المثابين قال يزيدهم من فضله **قوله تعالى** كذلك اما مرفوع المحل اي الامر كذلك
واما منصوب اي مثل ذلك الجزاء نجزي وقرا ابو عمرو يجزى مبنيا للمفعول كل رفع والباقون نجزي بنون العظمة مبنيا للفاعل كل منصوب
والكفور الكافر **قوله تعالى** وهم يصطرخون يستغيثون ويصيحون فيها وهو يفتعلون من الصراخ وهو الصياح فابدلت التاء
طاء لوقوعها قبل الطاء يقولون ربنا اخرجنا منها من النار فقوله ربنا على اضمار القول وذلك القول ان شئت قدرته فعلا مفسرا
ليصطرخون اي يقولون في صراخهم كما تقدم وان شئت قدرته حالا من فاعل يصطرخون اي قايلين ربنا **قوله تعالى** صالحا
غير الذي كنا نعمل يجوز ان يكونا بمعنى مصدر محذوف اي عملا صالحا غير الذي كنا نعمل وان يكون صالحا نعتا للمصدر وغير الذي كنا
نعمل هو المفعول به وقال الزمخشري فان قلت فهلا اكتفى بصالحا كما اكتفى به في قوله فارجعنا نعمل صالحا وما فايدة زيادة غير الذي
كنا نعمل على انه يوهم انهم يعملون صالحا آخر غير الصالح الذي عملوه قلت فايدته زيادة التحسر على ما عملوه من غير الصالح مع الاعتراف به
واما الوهم فزايل بظهور حالهم في الكفر وظهور المعاصي ولانهم كانوا يحسبون انهم على سيرة صالحة كما قال تعالى وهم يحسبون
انهم يحسنون صنعا فقالوا اخرجنا نعمل صالحا غير الذي كنا نحسبه صالحا فنعمله **قوله تعالى** اولم نعمركم اي فيقول لهم توبيخا
اولم نعمركم اي عمرناكم مقدارا يمكن التذكر فيه **قوله تعالى** ما يتذكر جوزوا في ما هذه وجهين احدهما ولم يحك ابو حيان
غيره انها مصدرية ظرفية قال اي مدة تذكر وهذا غلط لان الضمير في فيه يمنع من ذلك لعوده على ما ولم يقل باسمية ما المصدرية
الا الاخفش وابن السراج والثاني انها نكرة موصوفة اي نعمركم تعميرا يتذكر فيه او زمانا يتذكر فيه وقرا الاعمش ما يذكر بالادغام من اذكر
قال ابو حيان بالادغام واجتلاب همزة الوصل ملفوظا بها في الدرج وهذا غريب حيث اثبت همزة الوصل مع الاستغناء عنها الا ان
يكون حافظ على سكون من وبيان ما بعدها **فصل** معنى قوله اولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر قيل هو البلوغ وقال عطا
وقتادة والكلبي ثمانية عشر سنة وقال الحسن اربعون سنة وقال ابن عباس ستون سنة روي ذلك عن علي وهو العمر الذي اعذر الله
الى ابن آدم قال عليه السلام اعذر الله الى امرء اخر اجله حتى بلغ ستين سنة وقال عليه السلام اعمار امتي ما بين الستين الى السبعين واقلهم
من يجوز ذلك **قوله تعالى** وجاءكم عطف على اولم نعمركم لانه في معنى قد عمرناكم كقوله الم نربك ثم قال ولبثت الم نشرح لك ثم قال ووضعنا
اذ هما في معنى ربيناك وشرحنا والمراد بالنذير محمد صلى الله عليه وسلم في قول اكثر المفسرين وقيل القران وقال عكرمة وسفين بن عيينة
ووكيع هو الشيب والمعنى اولم نعمركم حتى شبتم ويقال الشيب نذير الموت وفي الاثر ما من شعرة تبيض الا قالت لاختها استعدي فقد قرب
الموت وقري النذر جمعا **قوله تعالى** فذوقوا فما للظالمين الذين وضعوا اعمالهم واقوالهم في غير موضعها من نصير في وقت
الحاجة ينصرهم ومن نصير يجوز ان يكون فاعلا بالجار لاعتماده وان يكون مبتدا مخبرا عنه بالجار قبله **قوله تعالى** ان الله عالم
غيب السموات والارض قرا العامة عالم غيب على الاضافة تخفيفا وجناح بن جيش بتنوين عالم ونصب غيب انه عليم بذات الصدور
وهذا تقرير لدوامهم في العذاب وذلك من حيث ان الله تعالى لما قال ان جزا السيئة سيئة مثلها ولا يزاد عليها فلو قال قايل
الكافر ما كفر بالله الا اياما معدودة فكان ينبغي ان لا يعذب الا مثل تلك الايام فقال ان الله لا يخفى عليه غيب السموات والارض فلا
يخفى عليه ما في الصدور وكان يعلم من الكافر ان في قلبه تمكن الكفر لو دام الى الابد لما اطاع الله **قوله تعالى** هو الذي جعلكم خلايف
في الارض اي خلف بعضكم بعضا وقيل جعلكم امة واحدة خلفت من قبلها ورات في من قبلها ما ينبغي ان يعتبر به فجعلكم خلايف في الارض
اي خليفة بعد خليفة يعلمون حال الماضين ويرضون بحالهم فمن كفر بعد هذا كله فعليه كفره اي وبال كفره ولا يزيد الكافرين كفرهم
عند ربهم الا مقتا اي غضبا لان الكافر السابق كان ممقوتا ولا يزيد الكافرين كفرهم الا خسارا اي الكفر لا ينفع عند الله حيث لا
يزيد الا المقت ولا ينفعهم في انفسهم حيث لا يفيدهم الا الخسار لان العمر كراس مال من اشترى به رضى الله ربح ومن اشترى به سخط الله
خسر **قوله تعالى** ارايتم فيها وجهان احدهما انها الف استفهام على بابها ولم تتضمن هذه الكلمة معنى اخبروني بل هو استفهام حقيقي
وقوله اروني امر تعجيز والثاني ان الاستفهام غير مراد وانها ضمنت معنى اخبروني فعلى هذا تتعدى لاثنين احدهما شركاكم
والثاني الجملة الاستفهامية من قوله ماذا خلقوا واروني يحتمل ان تكون جملة اعتراضية والثاني ان تكون المسئلة من باب الاعمال فان
ارايتم يطلب ماذا خلقوا مفعولا ثانيا واروني ايضا يطلبه معلقا له وتكون المسئلة من باب اعمال الثاني على مختار البصريين
واروني هنا بصرية تعدت للثاني بهمزة النقل والبصرية قبل النقل تعلق بالاستفهام كقولهم اما ترى اي برق ههنا وقد تقدم
الكلام على ارايتم في الانعام وهو غلط بل يحتاج كما تقدم تقريره وجعل الزمخشري الجملة من قوله اروني بدلا من قوله ارايتم قال لان
معنى ارايتم اخبروني ورده ابو حيان بان البدل اذا دخلت عليه اداة الاستفهام يلزم اعادتها في المبدل ولم تعد هنا وايضا فابدال

جملة من جملة لم يوجد في لسانهم قال شهاب الدين والجواب عن الاول ان الاستفهام فيه غير مراد قطعا فلم يعد ادا به لعدم ارادته
واما قوله لم يوجد في لسانهم فقد وجد ومنه قوله • متى تأتنا تلمم بنا • وقوله • ان علي الله ان تبايعا • تؤخذ كرها او تجيء طائعا •
وقد نص النحويون على انه متى كانت الجملة في معنى الاول ومبينة لها ابدلت منها **فصل** هذه الاية تقرير للتوحيد وابطال
للاشراك والمعنى جعلتموهم شركائي بزعمكم يعني الاصنام اروني اخبروني ماذا خلقوا من الارض فقوله شركاءكم فاضافهم اليهم من حيث
ان الاصنام في الحقيقة لم يكن شركاء الله وانما هم الذين جعلوها شركاء فقال شركاءكم اي الشركاء بجعلكم ويحتمل ان يقال معنى
شركاءكم اي انتم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم ويحتمل ان يكون معنى ارايتم اي اعلمتم هذه الاصنام التي تدعونها اهل لها
قدرة ام لا فان كنتم تعلمونها عاجزة فكيف تعبدونها وان كنتم تعلمون ان لها قدرة فاروني قدرتها في اي شيء اهي في الارض كما قال
بعضهم ان الله اله السماء وهؤلاء الهة الارض وهم الذين قالوا امور الارض من الكواكب والاصنام صورها ام هي في السموات كما قال
بعضهم ان السموات خلقت باستعانة بالملائكة فالملائكة شركاء في خلق السموات وهذه الاصنام صورها ام قدرتها في الشفاعة
لكم كما قال بعضهم انما نعبدهم ليقربونا الى الله زلفى فهل معهم كتاب من الله قال مقاتل هل اعطينا كفار مكة كتابا فهم على بينة
منه **قوله تعالى** اتيناهم فمن الاحسن في هذا الضمير ان يعود على الشركاء لتناسق الضمائر وقيل يعود على المشركين كقول مقاتل
فيكون التفاتا من خطاب الى غيبة وقرا ابو عمرو وحمزة وابن كثير وحفص بينة بالافراد والباقون بينات بالجمع اي دلائل
واضحات منه مما في ذلك الكتاب من ضروب البيان **قوله تعالى** بل ان يعد ان نافية والمعنى ما يعد الظالمون بعضهم بعضا
الا غرورا اغرهم الشيطان وزين لهم عبادة الاصنام والغرور ما يغر الانسان مما لا اصل له قال مقاتل يعني ما يعد الشيطان
كفار بني ادم من شفاعة الالهة لهم في الاخرة غرور وباطل **قوله تعالى** ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا لما بين انه لا خلق
للاصنام ولا قدرة لها بين ان الله قادر بقوله ان الله يمسك السموات والارض ويحتمل ان يقال لما بين شركهم قال يقتضي شركهم
زوال السموات والارض كقوله تعالى تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا ان دعوا للرحمن ولدا ويؤيد هذا
قوله تعالى في اخر الاية انه كان حليما غفورا حليما ما ترك تعذيبهم الا لحلمه والا كانوا يستحقون اسقاط السماء وانطباق الارض
عليهم وانما اخر ازالة السموات لقيام الساعة حلما ويحتمل ان يقال ان ذلك من باب التسليم واثبات المطلوب كانه تعالى قال شركاءكم
ما خلقوا من الارض شيئا ولا من السماء جزءا ولا قدرة لهم على الشفاعة فلا عبادة لهم وهب انهم فعلوا شيئا من الاشياء فهل يقدرون
على امساك السموات والارض ولا يمكنهم القول بانهم يقدرون لانهم ما كانوا يقولون ذلك كما قال تعالى عنهم ولئن سألتهم من
خلق السموات والارض ليقولن الله ويؤيد هذا قوله ولئن زالتا ان امسكهما من احد من بعده فاذن تبين ان لا معبود الا الله من
حيث ان غيره لم يخلق شيئا من الاشياء وان قال كافر بان غيره خلق فما خلق مثل ما خلق فلا شريك له **قوله تعالى** ان تزولا يجوز
ان يكون مفعولا من اجله اي كراهة ان تزولا وقيل لئلا تزولا ويجوز ان يكون مفعولا ثانيا على اسقاط الخافض اي يمنعهما
من ان تزولا كذا قدره ابو اسحاق ويجوز ان يكون بدل اشتمال اي يمنع زوالهما **فصل** قوله ان امسكهما جواب القسم الموطأ
بلام القسم وجواب الشرط محذوف يدل عليه جواب القسم ولذلك كان فعل الشرط ماضيا وقول الزمخشري انه سد مسد الجوابين
يعني انه دل على جواب الشرط قال ابو حيان وان اخذ كلامه على ظاهره لم يصح لانه لو سد مسدهما لكان له موضع من الاعراب
من حيث انه سد مسد جواب الشرط ولا موضع له من حيث انه سد مسد جواب القسم والشيء الواحد لا يكون معمولا وغير معمول ومن
من مزيدة لتاكيد الاستغراق ومن بعده من لابتداء الغاية والمعنى احد سواه انه كان حليما غفورا حليما حيث لم يعجل في اهلاكهم
بعد اصرارهم على اشراكهم غفورا لمن تاب ويرجو وان استحق العقاب فان **قيل** ما معنى ذكر الحليم ههنا **فالجواب** قيل لان السموات
والارض همت بما همت من عقوبة الكفار فامسكهما الله عز وجل عن الزوال لحلمه وغفرانه ان يعاجلهم بالعقوبة **قوله تعالى** واقسموا
بالله يعني كفار مكة لما بلغهم ان اهل الكتاب كذبوا رسلهم قالوا لعن الله اليهود والنصارى اتتهم الرسل فكذبوهم واقسموا بالله وقالوا
لو اتانا رسول لنكونن اهدى دينا منهم وذلك قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم فلما بعث محمد كذبوه فانزل الله عز وجل واقسموا
بالله جهد ايمانهم لئن جاءهم نذير رسول ليكونن اهدى من احدى الامم للتبيين كما يقال زيد من المسلمين ويؤيده قوله تعالى
فلما جاءهم نذير ما زادهم الا نفورا اي صاروا اضل مما كانوا يقولون يكون اهدى مما نحن عليه وعلى هذا فقوله من احدى الامم
يعني اليهود والنصارى وقيل المعنى اهدى مما نحن عليه وعلى هذا فقوله من احدى الامم للتبيين كما يقال زيد من المسلمين ويؤيده
قوله تعالى فلما جاءهم نذير ما زادهم الا نفورا اي صاروا اضل مما كانوا يقولون يكونون اهدى وقيل المراد اهدى من احدى
الامم كقولك زيد اوطى من عمرو وقيل المراد باحدى الامم العموم اي ان احدى الامم بعرض وليعلم انه لما بين انكارهم للتوحيد من
تكذيبهم للرسول ومبالغتهم فيه حيث كانوا يقسمون على انهم لا يكذبون الرسل اذا تبين لهم كونهم رسلا وقالوا انما نكذب محمدا عليه
السلام لكونه كاذبا ولو تبين [illegible] في التكذيب **قوله تعالى** ليكونن جواب للقسم المقدر والكلام فيه كما تقدم وقوله لئن جاءهم

حكاية

حكاية لمعنى كلامهم لا للفظه اذ لو كان كذلك لكان التركيب لئن جاءنا لنكونن **قوله تعالى** من احدى الامم اي من الامة التي
يقال فيها هي احدى الامم تفضيلا لها كقولهم هو احدى الاحدين قال الشاعر • حتى استثاروا بي احدى الاحدى •
ليثا هزبرا ذا سلاح معتدي • **قوله تعالى** ما زادهم جواب لما وفيه دليل على انها حرف لا ظرف اذ لا يعمل ما بعد ما النافية
فيما قبلها وتقدمت له نظائر واسناد الزيادة للنذير مجاز لانه سبب في ذلك كقوله تعالى فزادتهم رجسا الى رجسهم **فصل**
معنى فلما جاءهم اي صح لهم مجيئه بالمعجزة وهو محمد صلى الله عليه وسلم ما زادهم الا نفورا اي ما زادهم مجيئه الا تباعدا عن الهدى
قوله تعالى استكبارا يجوز ان يكون مفعولا له اي لاجل الاستكبار وان يكون بدلا من نفورا وان يكون حالا اي حال كونهم مستكبرين
قاله الاخفش **قوله تعالى** ومكر السيء فيه وجهان اظهرهما انه عطف على استكبارا والثاني انه عطف على نفورا وهذا من اضافة
الموصوف الى صفته في الاصل اذ الاصل والمكر السيء والبصريون يؤولونه على حذف موصوف اي العمل السيء وقرا العامة بخفض
همزة السيء وحمزة والاعمش بسكونها وصلا وقد تجرأت النحاة وغيرهم على هذه القراءة ونسبوها للحن ونزهوا الاعمش عن ان يكون
قرأ بها وقالوا انما وقف مسكنا فظن انه واصل فغلط عليه وقد احتج لها قوم بانه اجرى الوصل مجرى الوقف واجرى المنفصل مجرى المتصل
وحسنه كون الكسرة على حرف ثقيل بعد ياء مشددة مكسورة وقد تقدم ان ابا عمرو يقرا الى بارئكم عند بارئكم بسكون الهمزة
هذا اولى لزيادة الثقل هنا وقد تقدم هناك امثلة وشواهد وروي عن ابن كثير ومكر السايء بهمزة ساكنة بعد السين ثم ياء
مكسورة وخرجت على انها مقلوبة من السيء والسيء مخفف من السيء كالميت من الميت قال الحماسي • ولا يجزون من غلظ بلين • وذكر
في قراءته القلب خصوصا ونايء وللايايس كما تقدم تحقيقه وقرا عبد الله ومكرا سيئا بالتنكير وهو موافق لما قبله وقرئ ولا يحيق
بضم الياء والمكر السيء بالنصب على ان الفاعل ضمير الله تعالى اي لا يحيق الله المكر السيء الا باهله **فصل** المراد بالمكر السيء
اي القبيح اضيف المكر الى صفته قال الكلبي هو اجتماعهم على الشرك وقتل النبي صلى الله عليه وسلم وقال ابن الخطيب هذا من اضافة الجنس
الى نوعه كما يقال علم الفقه وحرفة الحدادة ومعناه ومكروا مكرا سيئا ثم عرف لظهور مكرهم ثم ترك التعريف باللام واضيف الى
السيء لكون السوء فيه ابين الامور ويحتمل ان يقال بان المكر استعمل استعمال العمل كما ذكرنا في قوله تعالى والذين يمكرون السيئات اي
يعملون السيئات وقوله ولا يحيق المكر السيء اي لا يحل ولا يحيط وقوله يحيق ينبئ عن الاحاطة التي هي فوق اللحوق فان قيل كثيرا ما نرى
الماكر يمكر ويفيده المكر ويغلب الخصم بالمكر والاية تدل على عدم ذلك فالجواب من وجوه احدها ان يكون المكر المذكور في الاية هو المكر
الذي مكروه مع النبي صلى الله عليه وسلم من العزم على القتل والاخراج ولم يحق الا بهم حيث قتلوا يوم بدر وغيره وثانيها ان يقول المكر
السيء عام وهو الاصح فان النبي عليه السلام نهى عن المكر واخبر بقوله لا تمكروا ولا تعينوا ماكرا فان الله يقول ولا يحيق المكر السيء
الا باهله وعلى هذا فذلك الرجل الماكر يكون اهلا فلا يرد نقضا وثالثها ان الاعمال بعواقبها ومن مكر غيره ونفذ فيه المكر عاجلا
في الظاهر فهو في الحقيقة هو الفائز والماكر هو الهالك كمثل راحة الكافر ومشقة المسلم في الدنيا ويؤيد هذا المعنى قوله تعالى
فهل ينظرون الا سنة الاولين يعني اذا كان لمكرهم في الحال رواج فالعاقبة للتقوى والامور بخواتيمها **قوله تعالى** سنة
الاولين مصدر مضاف لمفعوله وسنة الله مضاف لفاعله لانه سنها بهم فصحت اضافتها الى الفاعل والمفعول وهذا جواب عن
سؤال وهو ان الاهلاك ليس سنة الاولين انما هو سنة الله في الاولين والجواب عن هذا السؤال من وجهين احدهما ان المصدر الذي
هو المفعول المطلق يضاف الى الفاعل والمفعول لتعلقه بهما من وجه دون وجه فيقال فيما اذا ضرب زيد عمرا واعجب من ضرب
عمرو وكيف ضرب مع ما له من العزم والقوة وعجبت من ضرب عمرو وكيف ضرب مع ما له من العلم والحكم فكذلك سنة الله بهم اضافها
اليهم لانها سنة سنت بهم واضافها الى نفسه بعدها بقوله ولن تجد لسنة الله لانها سنة من الله فعلى هذا القول اضافها في الاول
اليهم حيث قال سنة الاولين لان سنة الله الاهلاك بالاشراك والاكرام على الاسلام فلا يعلم انهم ينتظرون ايهما فاذا قال
سنة الاولين تميزت وفي الثاني اضافها الى الله لانها لما علمت فالاضافة الى الله تعظيما وتبيين انها امر واقع ليس لها من دافع وثانيها
ان المراد من سنة الاولين استمرارهم على الانكار واستكبارهم عن الاقرار وسنة الله استئصالهم باصرارهم فكانه قال انتم
تريدون الاتيان بسنة الاولين والله يأتي بسنة لا تبديل لها ولا تحويل عن مستحقها فان **قيل** ما الحكمة في تكرار التبديل
والتحويل **فالجواب** ان بقوله فلن تجد لسنة الله تبديلا حصل العلم بان العذاب لا يبدل بغيره وبقوله ولن تجد لسنة الله تحويلا
حصل العلم بان العذاب مع انه لا تبديل بالثواب لا يتحول عن مستحقه الى غيره فيتم تهديد المسيء **فصل** المعنى فهل
ينظرون الا ان ينزل بهم العذاب كما نزل بمن مضى من الكفار والمخاطب بقوله فلن تجد عام كانه قال لن تجد ايها السامع وقيل
الخطاب مع محمد عليه السلام **قوله تعالى** اولم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم لما ذكر الاولين
وسنته في اهلاكهم نبههم بتذكير حال الاولين فانهم كانوا يمرون على ديارهم ويرون اثارهم واملهم كان فوق املهم
وعملهم كان دون عملهم وكانوا اطول اعمارا منهم واشد اقتدارا ومع هذا لم يكذبوا مثل محمد وانتم يا اهل مكة كذبتم محمدا ومن تقدمه

قوله تعالى وكانوا اشد جملة في موضع نصب على الحال ونظيرتها في الروم كانوا بالواو وعلى انها مستانفة فالمقصد انه لما قال

وقال ابن الخطيب الفرق بينهما ان قول القايل اما رايت زيدا كيف اكرمني هو اعظم منك يفيد ان القايل يخبره بان زيدا اعظم واذا

قال اما رايته كيف اكرمني وهو اعظم منك يفيد انه يقرر ان المعنيين حاصلا عند السامع كانه يراه اكرمه وراه اكرم منه ولا شك في

ان هذه العبارة الاخيرة يفيد كون الامر الثاني في الظهور مثل الاول بحيث لا يحتاج الى اعلام من المتكلم ولا اخبار واذا علم هذا

فيقول المذكور ههنا كونهم اشد منهم قوة لا غير ولعل ذلك كان ظاهرا عندهم فقال بالواو اي نظرتم كما يقع على عاقبة امرهم يقع

على قوتهم واما هناك فالمذكور اشياء كثيرة فانه قال كانوا اشد منهم قوة واثاروا الارض وعمروها اكثر وفي موضع آخر قال افلم يسيروا

في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا اكثر منهم واشد قوة واثارا في الارض ولعل علمهم لم يحصل باثارهم

في الارض وبكثرتهم ولكن نفس القوة ورجحانهم كان معلوما عندهم فان كل طايفة معتقد فيمن تقدمها انه اقوى منه ولا ينازع

فيه قوله تعالى وما كان الله ليعجزه من شيء اي ليفوت عنه وهذا يحتمل شيئين احدهما ان يكون المراد بيان ان الاولين مع شدة

قوتهم ما اعجزوا الله وما فاتوه فهم اولى بان لا يعجزوه الثاني ان يكون قطعا لاعتقاد الجهال فان قايلا لو قال ان الاولين كانوا

اشد قوة واطول اعمارا لكنا نستخرج بذكائنا ما يزيد على قواهم ونستعين بامور ارضية لها خواص او كواكب سماوية لها اثار فقال

تعالى وما كان الله ليعجزه من شيء في السموات ولا في الارض وكان الله عالما بافعالهم واقوالهم قديرا على اهلاكهم واستيصالهم

قوله تعالى ولو يواخذ الله الناس بما كسبوا من الجرايم ما ترك على ظهرها من دابة يعني على ظهر الارض كناية عن غير مذكور

وتقدم نظيرها في النحل لان هناك لم يجر للارض ذكر بل عاد الضمير على ما فهم من السياق وهنا قد صرح بها في قوله في السموات

ولا في الارض فيعود الضمير اليها لانها اقرب وايضا فلقوله من دابة والدب انما يكون على ظهر الارض وهنا قال على ظهرها

استعارة من ظهر الدابة لانه على التمكن والتقلب عليها والمقام هنا يناسب ذلك لانه حث على السير للنظر والاعتبار قوله

تعالى من دابة اي كما كان في زمن نوح عليه السلام اهلك الله ما على ظهر الارض الا من كان في السفينة مع نوح فان قيل اذا كان

الله يواخذ الناس بما كسبوا فما بال الدواب يهلكوا فالجواب من وجوه احدها ان خلق الدواب نعمة فاذا كفر الناس يزيل الله النعم

والدواب اقرب النعم لان المفرد او لا ثم المركب والمركب اما ان يكون ناميا والنامي اما ان يكون حيوانا او نباتا والحيوان اما

انسان او غير انسان فالدواب اعلا درجات المخلوقات في عالم العناصر للانسان الثاني ان ذلك بيان لشدة العذاب وعمومه

فان بقاه بالانسان كما يقال الانسان بالاشياء لان الانسان يدبر الاشياء ويصلحها فتبقى الاشياء ثم ينتفع بها الانسان فاذا

كان الهلاك عاما لا يبقى من الانسان من يعمر فلا يبقى الابنية والزروع فما يبقى الحيوانات الاهلية فان بقاها بحفظ الانسان

اياها عن التلف فالهلاك بالسقي والعلف الثالث ان انزال المطر انعام من الله في حق العباد فاذا لم تستحقوا الانعام قطعت

الامطار عنهم فيظهر الجفاف على وجه الارض فيموت جميع الحيوانات فان قيل كيف يقال لما عليه الخلق من الارض وجه الارض وظهر الارض

مع ان الظهر مقابله الوجه فهو كالمتضاد فيقال من حيث ان الارض كالدابة الحاملة والحمل يكون على الظهر واما وجه الارض فلانه

من باب والبطن والباطن فوجه الارض ظهر لانه هو الظاهر وغيره منها باطن وبطن كما ذكر فالجواب على ذلك انه من باب عطف

الحمل على غيرها وهو مضموم اليه قوله تعالى ولكن يوخرهم الى اجل مسمى قيل هو يوم القيمة وقيل يوم لا يوجد في الخلق من

وقيل لكل امة اجل ولكل اجل كتاب واجل قوم محمد عليه السلام ايام القتل والاسر كيوم بدر وغيره قوله تعالى فاذا جاء اجلهم

فان الله كان بعباده بصيرا تسلية للمومنين لانه تعالى لما قال ما ترك على ظهرها من دابة وقال لا يصيبن الذين ظلموا منكم خاصة

فقال فاذا جاء الهلاك فالله بالعباد بصير قال ابن عباس يريد اهل طاعته واهل معصيته روى ابو امامة عن ابي بن كعب

قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الملائكة دعته يوم القيمة ثمانية ابواب الجنة ان ادخل من اي الابواب شئت

سورة يس مكية

وهي ثلاث وثمانون اية وسبع مائة وتسع وعشرون كلمة وثلاثة الاف حرف بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى يس قرا العامة يس بسكون النون وادغم النون في الواو بعدها ابن كثير وابو عمرو وحمزة وحفص وقالون

وورش بخلاف عنه وكذلك النون من نون والقلم واظهرها الباقون فمن ادغم فللخفة ولانه لما وصل والتقى متقاربان

من كلمتين اولهما ساكن وجب الادغام كالمثلين ومن اظهر فللمبالغة في تفكيك هذه الحروف بعضها من بعض لانه بنية الوقف وهذا

اجري على القياس في الحروف المقطعة ولذلك التقى فيها الساكنان وصلا ونقل اليها حركة همزة الوصل على راي في الم الله كما تقدم

تقريره واما الياء من يس الاخوان وابو بكر لانها اسم من الاسماء كما تقدم تقريره اول البقرة قال الفارسي واذا امالوا

يا وهي حرف نداء فلان يامن يس اجدر وقرا عيسى وابن ابي اسحق بفتح النون اما على البناء على الفتح تخفيفا كاين وكيف واما على انه

مفعول باتل واما على انه مجرور بحرف القسم وهو على الوجهين غير منصرف للعلمية والتانيث ويجوز ان يكون منصوبا على اسقاط

حرف القسم كقوله فامانة الله لا اريده وقرا الكلبي بضم النون فقيل على انها خبر مبتدا مضمر اي هذه يس ومنعت من الصرف

لما تقدم وقيل بل هي حركة بناء كحيث فيجوز ان يكون خبرا كما تقدم وان يكون مقسما بها نحو عهد الله لافعلن وقيل لانها

منادى فبنيت على الضم ولهذا قرها الكلبي القاري لها بيا انسان قال وهي لغة طي قال الزمخشري ان صح معناه فوجهه

ان يكون اصله يا انيسين فكثر النداء به على السنتهم حتى اقتصروا على شطره كما قالوا في القسم م الله في ايمن الله قال ابو حيان

والذي نقل عن العرب في تصغير انسان انيسيان بياء بعدها الف فدل على ان اصله انسيان لان التصغير يرد الاشياء

الى اصولها ولا نعلم انهم قالوا في تصغيره انيسين وعلى تقدير انه تصغير كذلك فلا يجوز ذلك الا ان يبنى على الضم لانه منادى

مقبل عليه ومع ذلك فلا يجوز لانه تحقير ويمتنع ذلك في حق النبوة قال شهاب الدين اما الاعتراض الاخير فصحيح نصوا

على ان التصغير لا يدخل في الاسماء المعظمة شرعا ولذلك يحكى ان ابن قتيبة لما قال في المهيمن انه مصغر من مؤمن والاصل

مؤيمن فابدلت الهمزة هاء قيل له هذا يقرب من الكفر فليتق الله قايله وقد تقدم هذه الحكاية في المايدة وما قيل فيها

وقد تقدم عن الزمخشري في طه ما يقرب من هذا البحث وتقدم كلام الشيخ معه وقرا ابن ابي اسحاق ايضا وابو السمال

يس بجر النون وذلك على اصل التقاء الساكنين ولا يجوز ان يكون حركة اعراب والقران اما قسم مستانف ان لم يجعل

ما تقدم قسما واما عطف على ما قبله ان كان مقسما به وقد تقدم كلام عن الخليل في ذلك اوايل البقرة فاعتبره هنا فانه

حسن جدا فصل قد تقدم في سورة العنكبوت ذكر حروف التهجي وان كل سورة بدا الله فيها بحروف التهجي كان

في اوايلها الذكر او الكتاب او القران ولنذكر ههنا ان في ذكر هذه الحروف اوايل السور امورا تدل على انها غير خالية عن الحكمة

لكن علم الانسان لا يصل اليها والذي يدل على ان فيها حكمة من حيث الجملة هو ان الله تعالى ذكر من الحروف نصفها وهي اربعة عشر

حرفا وهي نصف ثمانية وعشرين حرفا هي جميع الحروف التي في لسان العرب على قولنا الهمزة الف متحركة ثم انه تعالى قسم الحروف

ثلاثة اقسام تسعة احرف من الالف الى الذال والتسعة الاخيرة من الفاء الى الياء وعشرة في الوسط من الراء الى الغين وذكر من

القسم الاول حرفين الالف والحاء وترك سبعة وترك من القسم الاخير حرفين هما الالف واللام وذكر سبعة ولم يترك من القسم

الاول من حروف الحلق المصدرة الا واحدا لم يذكره وهو الخاء ولم يذكر من القسم الاخير من حروف الشفة الا واحدا لم يتركه وهو

الميم والعشر الاوسط ذكر منه حرفا وترك حرفا فترك الزاي وذكر الراء وذكر السين وترك الشين وذكر الصاد وترك الضاد

وذكر الطاء وترك الظاء وذكر العين وترك الغين وليس هذا امرا يقع اتفاقا بل هو ترتيب مقصود فهو لحكمة لكنها غير معلومة

وهب ان واحدا يدعي فيه شيئا فماذا يقول في كون بعض السور مفتتحة بحرف كسورة ن وق وص وبعضها بحرفين كسورة

حم ويس وطس وطه وبعضها بثلاثة احرف كسورة الم وطسم والر وبعضها باربعة احرف كسورة المر والمص وبعضها بخمسة

كسورة حمعسق وكهيعص وهب ان قايلا يقول ان هذا اشارة بان الكلام اما حرف واما فعل واما اسم والحرف كثيرا ما جاء

على حرف كواو العطف وفاء التعقيب وهمزة الاستفهام وكاف التشبيه وباء الالصاق وغيرها وجاء على حرفين كمن للتبعيض

واو للتخيير وام للاستفهام المتوسط وان للشرط وغيرها وجاء على حرفين والفعل والاسم والحرف جاء على ثلاثة احرف

كالى وعلى في الحرف والى وعلا في الاسم والا يالو وعلا يعلو في الفعل والاسم والفعل جاء على اربعة احرف والاسم جاء بخاصة

على ثلاثة احرف واربعة وخمسة كجحل وسجل وجردحل فما جاء في القران اشارة الى ان تركيب العربية من هذه الحروف على هذه الوجوه

فماذا يقول هذا القايل في تخصيص بعض السور بالحرف الواحد والبعض باكثر فلا يعلم ما السر الا الله ومن اعلمه الله به واذا

علم هذا فالعبادة فيها قلبية ومنها لسانية ومنها جارحية وكل واحد منها قسمان قسم عقل معناه وحقيقته وقسم لم يعلم

اما القلبية مع انها ابعد عن الشك والجهل ففيها ما لم يعلم دليله عقلا وانما وجب الايمان به والاعتقاد سمعا كالصراط الذي

هو ادق من الشعر واحد من السيف ويمر عليه المومن كالبرق الخاطف والميزان الذي يوزن به الاعمال الذي لا ثقل لها في نظر الناظر

وكيفية الجنة والنار فان هذه الاشياء وجودها لم يعلم بدليل عقلي وانما المعلوم بالعقل امكانها ووقوعها معلوم مقطوع

به بالسمع ومنها ما علم كالتوحيد والنبوة وقدرة الله وصدق الرسول وكذلك في العبادات الجارحية ما علم معناه وما لم

يعلم كمقادير النصب وعدد الركعات والحكمة في ذلك ان العبد اذا اتى بما امر به من غير ان يعلم ما فيه من الفايدة لا يكون الا اتيانه

الا لمحض العبادة بخلاف ما لو علم الفايدة فربما ياتي للفايدة وان لم يومر كما لو قال السيد لعبده انقل هذه الحجارة من ههنا

ولم يعلمه بما في الفعل فنقلها ولو قال انقلها وتحتها كنز هو لك فانه ينقلها وان لم يومر واذا علم هذا فكذلك في العبادات

اللسانية الذكية يجب ان يكون ما لم يفهم معناه اذا تكلم به العبد علم انه لا يعقل غير الانقياد لامر المعبود الالهي فاذا قال
حم يس طس علم انه لا يذكر ذلك لمعنى يفهمه بل يتلفظ به امتثالا لما امر به **فصل** قال ابن عباس يس قسم وروي عنه
ان معناه يا انسان بلغة طي قيل لان تصغير انسان انيسين كما تقدم عن الزمخشري فكانه حذف الصدر منه واخذ العجز
وقال يا يس اي يا انيسين قال اكثر المفسرين يعني محمدا صلى الله عليه وسلم قاله الحسن وسعيد بن جبير وجماعة وقال ابو العالية
يا رجل وقال ابو بكر الوراق يا سيد البشر وقوله والقران الحكيم اي ذي الحكمة كعيشة راضية اي ذات رضى او انه ناطق بالحكمة
فهو كالحي المتكلم **قوله تعالى** انك جواب القسم وعلى صراط يجوز ان يكون متعلقا بالمرسلين تقول ارسلت عليه كذا قال تعالى وارسل
عليهم طيرا وان يكون متعلقا بمحذوف على انه حال من الضمير المستكن في لمن المرسلين لوقوعه خبرا وان يكون حالا من المرسلين وان يكون
خبرا ثانيا لانك **فصل** اقسم بالقران على ان محمدا من المرسلين وهو رد على الكفار حيث قالوا لست مرسلا فان قيل المطلب
يثبت بالدليل لا بالقسم فما الحكمة بالاقسام فالجواب من وجوه الاول ان العرب كانوا يتقون الايمان الفاجرة وكانوا
يقولون بان الايمان الفاجرة توجب خراب العالم وصحح النبي عليه السلام ذلك بقوله اليمين الكاذبة تدع الديار بلاقع ثم انهم كانوا
يقولون ان النبي عليه السلام يصيبه عذاب من الهتهم وهي الكواكب والنبي عليه السلام يحلف بامر الله وانزال كلامه عليه باشياء
مختلفة وما كان يصيبه عذاب بل كان كل يوم ارفع شانا وامنع مكانا فكان ذلك يوجب اعتقاد انه ليس بكاذب الثاني ان المتناظرين
اذا وقع بينهما كلام وغلب احدهما الاخر بتمشية دليله واسكته يقول المغلوب انك قررت هذا بقوة جدالك وانت خبير بنفسك
بضعف مقالتك وتعلم ان الامر ليس كما تقول وان اقمت عليه الدليل صورة وعجزت انا عن القدح فيه وهذا كثير الوقوع بين المتناظرين
فعند هذا لا يجوز ان يأتي هو بدليل اخر لان الساكت المنقطع يقول في الدليل الاخر ما قاله في الاول فلا يجد امرا الا اليمين فيقول والله
اني لست مكابرا وان الامر على ما ذكرت ولو علمت خلافه لرجعت اليه فههنا يتعين اليمين فكذلك النبي عليه السلام قام لهم بالبراهين
وقالت الكفرة ما هذا الا رجل يريد ان يصدكم عما كان يعبد اباؤكم وقالوا للحق لما جاءهم ان هذا الا سحر مبين فالتمسك بالايمان
لعدم فائدة الدليل الثالث ان هذا ليس مجرد الحلف بل دليل خرج في صورة اليمين لان القران معجزة ودليل كونه مرسلا هو المعجزة والقران
كذلك فان قيل لم لم يذكر في صورة الدليل وما الحكمة في ذكر الدليل في صورة اليمين فالجواب ان الدليل اذا ذكر في صورة اليمين فقد لا
يقبل عليه السامع لانه لا يقبل فائدة فاذا ابتدأ به على صورة اليمين واليمين لا يقع ولا سيما من العظيم الا على امر عظيم والامر العظيم يتوفر
الدواعي على الاصغاء اليه فلصورة اليمين يقبل عليه الاستماع لكونه دليلا شافيا يتشربه الفؤاد فيقع في السمع وفي القلب **قوله تعالى**
على صراط مستقيم اي انك على صراط مستقيم والمستقيم اقرب الطرق الموصلة الى المقصد والدين كذلك فانه يوصل الى الله وهو
المقصد **قوله تعالى** تنزيل العزيز الرحيم قرا نافع وابن كثير وابو عمرو وابو بكر برفع تنزيل على انه خبر مبتدا مضمر اي هو تنزيل او هذه
الاحرف المقطعة تنزيل ويجوز ان يكون خبر المبتدا اذا جعلت يس اسما للسورة اي هذه السورة المسماة بيس تنزيل والجملة القسمية
على هذا اعتراض والباقون بالنصب على المصدر كانه قال والقران الحكيم اعني تنزيل العزيز الرحيم لتنذر وعلى انه مفعول بفعل مضمر كانه
قال والقران الحكيم اعني تنزيل العزيز الرحيم انك لمن المرسلين لتنذر وهذا اختيار الزمخشري وهو المراد بقوله وعلى المدح وهو في المعنى
كالرفع على خبر ابتداء مضمر وتنزيل مصدر مضاف لفاعله وقيل هو بمعنى منزل وقرا ابو حيوة واليزيدي وابو جعفر وزيد بن
القعقاع وشيبة تنزيل بالجر على النعت للقران او البدل منه كانه قال والقران الحكيم تنزيل العزيز الرحيم انك لمن المرسلين وقوله العزيز
الرحيم اشارة الى ان الملك اذا ارسل رسولا فالمرسل اليهم اما ان يخالفوا المرسل ويهينوا المرسل وحينئذ لا يقدر الملك على الانتقام منهم
الا اذا كان عزيزا واما ان يخافوا المرسل ويكرموا المرسل وحينئذ يرحمهم الملك او يقال المرسل يكون معه في رسالته منع عن اشياء واطلاق لاشياء
والمنع يؤكده العزة والاطلاق يدل على الرحمة **قوله تعالى** لتنذر يجوز ان يتعلق بتنزيل او بمعنى المرسلين يعني باضمار فعل يدل
عليه هذا اللفظ اي ارسلناك لتنذر **قوله تعالى** ما انذر اباؤهم يجوز ان يكون ما هذه بمعنى الذي وان تكون نكرة موصوفة
والعائد على الوجهين مقدر اي ما انذره اباؤهم فيكون ما وصلتها او وصفها في محل نصب مفعولا ثانيا لقوله لتنذر كقوله انا
انذرناكم عذابا والتقدير لتنذر قوما الذي انذره اباؤهم من العذاب او لتنذر قوما عذابا انذره اباؤهم ويجوز ان تكون
مصدرية اي انذار ابائهم اي مثله ويجوز ان تكون نافية وتكون الجملة المنفية صفة لقوما اي قوما غير منذر اباؤهم ويجوز ان تكون
زائدة اي قوما انذر اباؤهم والجملة المثبتة ايضا صفة لقوما قاله ابو البقا وهو مناف للوجه الذي قبله فعلى قولنا ما نافية فالمعنى
ما انذر اباؤهم لا اولون وان قلنا ما للاثبات فالمعنى لتنذرهم بما انذر به اباؤهم الاولون وقوله فهم غافلون اي عن الايمان
والرشد **قوله تعالى** لقد حق القول وجب العذاب على اكثرهم فهم لا يؤمنون وهذا كقوله ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين
وفي الاية وجوه اشهرها ان المراد من القول هو قوله تعالى لقد حق القول مني لاملان جهنم منك وممن تبعك والثاني ان معناه
لقد سبق في علمه ان هذا يؤمن وهذا لا يؤمن فحق القول اي وجد وثبت بحيث لا يبدل بغيره لا يبدل القول لدي الثالث المراد

لقد حق

لقد حق القول الذي قال الله على لسان الرسل من التوحيد وغيره وبان برهانه فانهم لما لم يؤمنوا عند ما حق القول واستمر فانهم
كانوا يريدون شيئا اوضح من البرهان فهو العناد وعند العناد لا يفيد الايمان وقوله على اكثرهم على هذا الوجه معناه ان من لم
تبلغه الدعوة والبرهان قليلون فحق القول على اكثرهم وهو من لم يوجد منه الايمان وعلى الاول والثاني فظاهر لان اكثر الكفار ماتوا
على الكفر **قوله تعالى** انا جعلنا في اعناقهم اغلالا نزلت في ابي جهل وصاحبه وذلك ان ابا جهل كان قد حلف لئن راى محمدا يصلي
ليرضخن راسه فاتاه وهو يصلي ومعه حجر ليدمغه به فلما رفعه انثنت يده الى عنقه ولزق الحجر بيده فلما رجع الى اصحابه
واخبرهم بما راى سقط الحجر فقال رجل من بني مخزوم انا اقتله بهذا الحجر فاتاه وهو يصلي ليرميه بالحجر فاعمى الله بصره فجعل يسمع
صوته ولا يراه فرجع الى اصحابه فلم يرهم حتى نادوه فقالوا له ما صنعت فقال ما رايته ولقد سمعت كلامه وحال بيني وبينه
كهيئة الفحل يخطر بذنبه لو دنوت منه لاكلني فانزل الله تعالى انا جعلنا في اعناقهم اغلالا ووجه المناسبة لما تقدم انه لما قال
لقد حق القول على اكثرهم وتقدم ان المراد به البرهان قال بعد ذلك بل عاينوا وابصروا ما يقرب من الضرورة حيث التزقت
يده بعنقه ومنع من رؤيته الحجر وهو مضطر الى الايمان ولم يؤمن علم انه لا يؤمن اصلا وقال الفراء معناه حبسناهم عن
الانفاق في سبيل الله كقوله تعالى ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك معناه لا تمسكها عن النفقة الثالث قال ابن الخطيب وهو
الاقوى واشد مناسبة لما تقدم ان قوله تعالى لا يؤمنون ان ذلك كناية عن منع الله اياهم عن الاهتداء واما مناسبة قول الفراء
لما تقدم ان قوله تعالى فهم لا يؤمنون يدخل فيه انهم لا يصلون كقوله تعالى ليضيع ايمانكم اي صلاتكم عند بعض المفسرين والزكاة
مناسبة للصلوة فكانه قال لا يصلون ولا يزكون **قوله تعالى** فهي الى الاذقان في هذا الضمير وجهان اشهرهما انه عائد
على الاغلال لانها هي المحدث عنها ومعنى هذا الترتيب بالفا ان الغل لغلظه وعرضه يصل الى الذقن لانه يلبس العنق جميعه
قال الزمخشري والمعنى انا جعلنا في اعناقهم اغلالا ثقالا غلاظا بحيث يبلغ الى الاذقان فلم يتمكن المغلول معها من ان يطاطي
راسه الثاني ان الضمير يعود على الايدي لان الغل لا يكون الا في العنق واليدين ولذلك سمي جامعة ودل على الايدي وان
لم تذكر الملازمة المفهومة من هذه الالة اعني الغل واليه ذهب الطبري الا ان الزمخشري قال جعل الاقماح نتيجة قوله فهي الى الاذ
قان ولو كان للايدي لم يكن معنى التسبب في الاقماح ظاهرا على ان هذا الاضمار فيه ضرب من التعسف وترك للظاهر وفي هذا الكلام
قولان احدهما ان جعل الاغلال حقيقة والثاني انه استعارة وعلى كل من القولين جماعة من الصحابة والتابعين وقال الزمخشري
مثل تصميمهم على الكفر وانه لا سبيل الى ارعوائهم بان جعلهم كالمغلولين المقمحين في انهم لا يلتفتون الى الحق ولا يعطفون اعناقهم
نحوه ولا يطاطئون رؤوسهم له وكالحاصلين بين سدين لا يبصرون ما قدامهم وما خلفهم في ان لا تامل لهم ولا تبصر وانهم
متعامون عن ايات الله وقال غيره هذا استعارة لمنع الله اياهم من الايمان وحوله بينهم وبينه قال ابن عطية وهذا ارجح الاقوال لانه
تعالى لما ذكر انهم لا يؤمنون لما سبق لهم في الازل عقب ذلك بان جعل لهم من المنع واحاطة الشقاوة ما حالهم معه حال المغلولين
وتقدم تفسير الاذقان وقال ابن الخطيب المانع اما ان يكون في النفس فهو الغل واما من الخارج فالسد فلا يقع نظرهم على
انفسهم فيرون الايات التي في انفسهم كما قال تعالى سنريهم اياتنا في الافاق وفي انفسهم وذلك لان المقمح لا يرى نفسه ولا يقع
بصره على يديه ولا يقع نظرهم على الافاق فلا يتبين لهم الايات التي في الافاق وعلى هذا فقوله انا جعلنا في اعناقهم وجعلنا من
بين ايديهم اشارة الى عدم هدايتهم لايات الله في الانفس ولا في الافاق **قوله تعالى** فهم مقمحون هذه الفا احسن ترتيب لانه
لما وصلت الاغلال الى الاذقان لعرضها لزم من ذلك ارتفاع رؤوسهم الى فوق او لما جمعت الايدي الى الاذقان وصارت تحتها
لزم من ذلك رفعها الى فوق فترتفع رؤوسهم والاقماح رفع الرؤوس الى فوق كالاقناع وهو من قمح البعير راسه اذا رفعها بعد الشرب
اما لبرودة الماء واما لكراهة طعمه قموحا وقماحا بكسر القاف وضمها واقمحته انا اقماحا والجمع قماح وانشد
ونحن على جوانبها قعود • نغض الطرف كالابل القماح •
يصف نفسه وجماعة كانوا في سفينة فاصابهم الميل قال الزجاج قيل للكانونين شهرا قماح لان الابل اذا وردت الماء رفعت
رؤوسها لشدة البرد وانشد ابو زيد الهذلي • فتى ما ابن الاغر اذا شتونا • وحب الزاد في شهري قماح • كذا رواه بضم القاف
وابن السكيت بكسرها وهما لغتان في المصدر كما تقدم وقال الليث القموح رفع البعير راسه عن الحوض ولم يشرب والمشهور انه
رفع الراس الى السماء كما تقدم تحريره وقال الحسن القامح الطامح ببصره الى موضع قدمه وهذا ينبو عنه اللفظ والمعنى وزاد بعضهم
مع رفع الراس غض البصر مستدلا بالبيت المتقدم نغض الطرف كالابل القماح وزاد مجاهد مع ذلك وضع اليد على الفم
وسال الناس امير المؤمنين كرم الله وجهه عن هذه الاية فجعل يده تحت لحيته ورفع راسه وهذه الكيفية ترجح قول الطبري في عود هي الى
الايدي **قوله تعالى** وجعلنا من بين ايديهم سدا ومن خلفهم سدا تقدم خلاف القرا في فتح السين وضمها والفرق بينهما في سورة
اخر الكهف والحمد لله واما فائدة السد من بين الايدي فانهم في الدنيا سالكون فينبغي ان يسلكوا الطريقة المستقيمة ومن بين ايديهم سدا

فلا يقدرون على السلوك واما فايدة السد من خلفهم فهو ان الانسان له فطرية والكافر ما ادركها فكانه تعالى يقول جعلنا من
بين ايديهم سدا فلا يسلكون طريق الاهتدا التي هي فطرية وجعلنا من خلفهم سدا فلا يرجعون الى الهداية والجبلية التي هي فطرته
وايضا فان الانسان مبداه من الله ومصيره اليه فعمي الكافر لا يبصر ما بين يديه من المصير الى الله وما خلفه من الدخول في الوجود
بخلق الله وايضا فان السالك اذا لم يكن له بد من سلوك طريق فان سد الطريق الذي قدامه يفوته المقصد ولكنه يرجع واذا
انسد الطريق من خلفه ومن قدامه والموضع الذي هو فيه لا يكون موضع اقامة يهلك فقوله وجعلنا من بين ايديهم سدا ومن
خلفهم سدا اشارة الى اهلاكهم فصار بمنزلة من يبني عليه الحائط وهو واقف قوله تعالى فاغشيناهم العامة على الغين
المعجمة اي غطينا ابصارهم فهم على حذف مضاف وابن عباس وعمر بن عبد العزيز والحسن وابن يعمر وابو رجا في اخرين بالعين
المهملة وهو ضعف البصر يقال عشي بصره واعشيته انا وهذا يحتمل الحقيقة والاستعارة فصل قوله فاغشيناهم
بحرف الفا يقتضي ان يكون الاغشا مرتبا على جعل السد فما وجهه فيقال فيه وجهين احدهما ان ذلك بيان لامور مرتبة ليس بعضها
سببا في البعض فكانه تعالى قال انا جعلنا في اعناقهم اغلالا ولا يبصرون انفسهم لاقماحهم وجعلنا من بين ايديهم سدا
ومن خلفهم سدا فلا يبصرون ما في الافاق وحينئذ يمكن ان يرون السماء وما على يمينهم وشمالهم فقال بعد هذا كله
جعلنا على ابصارهم غشاوة فلا يبصرون شيئا اصلا والثاني ان ذلك بيان لكون السد قريبا منهم بحيث يصير ذلك
كالغشاوة على ابصارهم فان من جعل من خلفه وقدامه سدين ملتزقين به بحيث يبقى بينهما ملتزقا بهما يبقى عينه على سطح
السد فلا يبصر شيئا لان المرئي ان لا يكون قريبا من العين جدا فان قيل ذكر السد من بين الايدي ومن خلف ولم يذكر
من اليمين والشمال فما الحكمة فيه فالجواب ان قلنا انه اشارة الى الهداية الفطرية والنظرية فظاهر واما على غيره فلان
فيقال انه حصل العموم بما ذكر والمنع من انتهاج المناهج المستقيمة لانهم اذا قصدوا السلوك الى جانب اليمين او جانب الشمال
صاروا متوجهين الى شيء ومولين عن شيء فصار ما اليه توجههم ما بين ايديهم فيجعل الله السد هناك فيمنعه من السلوك
فكيف ما توجه الكافر يجعل الله بين يديه سدا وايضا فانا لما بينا انه جعل السد سببا لا سناد بصره فكان السد ملتزقا به
وهو ملتزق بالسدين فلا قدرة له على الحركة يمنة ولا يسرة فلا حاجة الى السد عن اليمين وعن الشمال وقوله فاغشيناهم فهم لا
يبصرون شيئا او لا يبصرون سبيل الحق لان الكافر مصدود عن سبيل الهدى قوله تعالى وسواء عليهم ءانذرتهم ام لم تنذرهم
تقدم الكلام عليه اول البقرة يعني ان الانذار لا ينفعهم مع ما فعل الله بهم من الغل والسد والاغشا والاعما بقوله انذرتهم
ام لم تنذرهم لا يومنون اي الانذار وعدمه سيان بالنسبة الى ايمانهم قوله تعالى انما تنذر من اتبع الذكر وخشي الرحمن بالغيب
فان قيل قبل هذا نفى ما وذلك يقتضي الانذار العام وقال انما تنذر وهو يقتضي التخصيص فكيف الجمع بينهما وطريقه من
وجوه الاول ان قوله لتنذر اي كيف ما كان سواء كان مفيدا او لم يكن وقوله انما تنذر اي الانذار المفيد لا يكون الا بالنسبة
لمن يتبع الذكر ويخشى الثاني ان الله تعالى لما بين ان الارسال والانزال او الانذار وذكر ان الانذار وعدمه سيان بالنسبة
الى اهل العناد قال لنبيه ليس انذارك غير مفيد من جميع الوجوه فانذر على سبيل العموم وانما ينذر بذلك الانذار العام من
يتبع الذكر كانه يقول يا محمد انذر بانذارك ويتبع بذكرك الثالث ان يقول لتنذر ولا فاذا انذرت وبالغت واشتهر البعض
وتولى واستكبر فبعد ذلك انما تنذر الذين اتبعوك والمراد بالذكر القران لتعريف الذكر بالالف واللام وقد تقدم ذكر
القران في قوله تعالى والقران الحكيم وقيل ما في القران من الايات لقوله والقران ذي الذكر فما جعل القران نفس الذكر والمعنى
انما تنذر العلماء الذين يخشون ربهم بالغيب وقوله وخشي الرحمن اي عمل صالحا لقوله فبشره بمغفرة واجر كريم وهذا جزاء العمل
كقوله والذين امنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة ورزق كريم والمراد بالغيب ما غاب وهو احوال القيامة وقيل الوحدانية
وقوله فبشره اشارة الى الرسالة فان النبي بشير ونذير وقوله بمغفرة على التنكير اي بمغفرة واسعة تستر من جميع الجوانب واجر
كريم اي ذاكره كقوله ورزق كريم والمراد به الجنة قوله تعالى انا نحن نحيي الموتى عند البعث لما بين الرسالة وهو اصل من
الاصول الثلاثة التي بها يصير المكلف مومنا مسلما ذكر اصلا اخر وهو الحشر ووجه اخر وهو ان الله تعالى لما ذكر الانذار
والبشارة بقوله فبشره بمغفرة ولم يظهر ذلك بكماله في الدنيا فقال ان لم ير في الدنيا فالله يحيي الموتى ويجزي المنذرون
والمبشرون ووجه اخر وهو انه تعالى لما ذكر خشية الرحمن بالغيب ذكر ما يوكده وهو احياء الموتى فصل انا نحن
يحتمل وجهين احدهما ان يكون مبتدا وخبرا كقوله • انا ابو النجم وشعري شعري • ومثل هذا يقال عند الشهرة
العظيمة وذلك لان من لا يعرف فيقال من انت فيقول انا ابن فلان فيعرف ومن يكون مشهورا اذا قيل له من انت يقول انا
ولا معرفة لي اظهر من نفسي فقال انا نحن معروفون باوصاف الكمال واذا عرفنا بانفسنا فلا تنكر قدرتنا على احياء الموتى
والثاني ان الخبر يحيي كانه قال انا نحيي الموتى ونحن تكون تاكيدا وفي قوله انا نحن نحيي اشارة الى التوحيد لان الاشتراك يوجب

التمييز فان زيدا اذا شاركه غيره في الاسم فلو قال انا زيد لا يحصل التعريف التام وللسامع ان يقول ايما زيد فيقول ابن عمرو
فلما قال الله انا نحيي اي ليس غيرنا احد شاركنا حتى نقول انا كذا فنمتاز وحينئذ تبين الاصول الثلاثة من كون الرسالة والتوحيد
والحشر قوله تعالى ونكتب العامة على بنائه للفاعل فيكون ما قدموا مفعولا به واثارهم عطف عليه وزر ومسروق قراه
مبنيا للمفعول واثارهم بالرفع عطفا على ما قدموا لقيامه مقام الفاعل فصل المعنى ما قدموا واخروا فاكتفى باحدهما
لدلالته على الاخر كقوله تعالى سرابيل تقيكم الحر اي والبرد وقيل المعنى ما اسلفوا من الاعمال صالحة كانت او فاسدة كقوله
تعالى بما قدمت ايديهم اي بما قدمته في الوجود واوجدته وقيل نكتب نياتهم فانها قبل الاعمال واثارهم اي اعمالهم
وفي اثارهم وجوه احدها ما سنوا من سنة حسنة وسيئة فالحسنة كالكتب المصنفة والقناطر المبنية والسيئة كالظلامات
المستمرة التي وضعها ظالم والكتب المضلة قال عليه السلام من سن في الاسلام سنة حسنة فعمل بها من بعده كان له اجرها ومثل
اجر من عمل بها من غير ان ينقص من اوزارهم شيا وقيل نكتب اثارهم اي خطاهم الى المسجد لما روي ابو سعيد الخدري قال شكت
بنو سلمة بعد منازلهم من المسجد فانزل الله ونكتب ما قدموا واثارهم فقال عليه السلام ان الله يكتب خطواتكم ويثيبكم عليها
وقال عليه السلام اعظم الناس اجرا في الصلوة ممشى والذي ينتظر الصلوة حتى يصليها مع الامام اعظم اجرا من الذي يصلي ثم
ينام فان قيل الكتابة قبل الاحيا فكيف اخر في الذكر حيث قال نحيي ونكتب ولم يقل نكتب ما قدموا ونحييهم فالجواب
ان الكتابة معظمة لامر الاحيا لان الاحيا ان لم يكن للحساب لا يعظم والكتابة في نفسها ان لم يكن احيا واعادة لا يبقى لها اثر اصلا
والاحيا هو المعتبر والكتابة موكدة معظمة لامره فلهذا قدم الاحيا ولانه تعالى قال انا نحن وذلك يفيد العظمة والجبروت
والاحيا العظيم مختص بالله والكتابة دونه تقريرا لتعريف الامر العظيم وذلك مما يعظم ذلك الامر العظيم قوله تعالى
وكل شيء احصيناه العامة على نصب كل على الاشتغال وابو السمال قراه مرفوعا بالابتدا والارجح قراءة العامة لعطف جملة
الاشتغال على جملة فعلية فصل قوله احصيناه حفظناه وثبتناه في امام مبين فقوله احصيناه ابلغ من كتبناه
لان من كتب شيئا مفرقا يحتاج الى جمع عدده فقال احصي فيه والامام جا جمعا في قوله ويوم ندعو كل اناس بامامهم اي بائمتهم
وحينئذ فامام اذا كان فردا فهو ككتاب وحجاب واذا كان جمعا فهو كجبال والمبين هو المظهر الامور لكونه مظهرا للملئكة
كما يفعلون والناس ما يفعل بهم وهو الفارق بين احوال الخلق فيجعل فريقا في الجنة وفريقا في السعير وسمي الكتاب اماما
لان الملائكة ياتمون به ويتبعونه وهو اللوح المحفوظ وهذا بيان لكون ما قدموا واثارهم امرا مكتوبا عليهم لا يبدل فان القلم
جف بما هو كاين فلما قال نكتب ما قدموا بين ان قبل ذلك كتابة اخرى فان الله كتب عليهم انهم سيفعلون كذا وكذا ثم اذا
فعلوا كتب عليهم انهم فعلوه وقيل ان ذلك موكد لمعنى قوله ونكتب لان من يكتب شيئا في اوراق ويرميها قد لا يجدها فكانه لم يكتب
فقال نكتب ونحفظ ذلك في امام مبين وهو كقوله تعالى علمها عند ربي في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى وقيل ان ذلك تعميم
بعد التخصيص كانه تعالى يكتب ما قدموا واثارهم وليست الكتابة مقتصرة عليه بل كل شيء محصي في امام مبين وهذا يفيد ان
شيئا من الافعال والاقوال لا يعزب عن علم الله ولا يفوته وهو كقوله تعالى وكل شيء فعلوه في الزبر وكل صغير وكبير يعني ليس ما في
الزبر منحصرا فيما فعلوه بل كل شيء مكتوب قوله تعالى واضرب لهم مثلا اصحاب القرية تقدم الكلام على نظيره في البقرة والنحل
والمعنى واضرب لاجلهم مثلا او واضرب لاجل نفسك اصحاب القرية مثلا اي مثلهم عند نفسك باصحاب القرية فعلى الاول لما
قال تعالى انك لمن المرسلين وقال لتنذر قوما قال قل لهم ما انا بدعا من الرسل بل قبلي بقليل جا اصحاب القرية مرسلون وانذروهم
بما انذرتكم وذكروا التوحيد وخوفوا بالقيمة وبشروا بنعيم دار الاقامة وعلى الثاني لما قال تعالى ان الانذار لا ينفع من اضله
الله وكتب عليه انه لا يومن قال للنبي عليه السلام ولا باس واضرب لنفسك ولقومك مثلا اي مثل لهم عند نفسك مثلا باصحاب القرية
حيث جاهم ثلثة رسل ولم يومنوا وصبر الرسل على القتل والايذا وانت جيتهم واحدا وقومك اكثر من قوم الثلاثة فانهم جاوا قرية
وانت بعثت الى العالم قوله تعالى اصحاب القرية اي واضرب لهم مثلا مثل اصحاب القرية فترك المثل واقيم الاصحاب مقامه
في الاعراب كقوله واسئل القرية قال الزمخشري فلا حاجة الى الاضمار بل المعنى اجعل اصحاب القرية لهم مثلا ومثل اصحاب القرية
بهم قال المفسرون المراد بالقرية انطاكية قوله تعالى اذ جاءها بدل اشتمال قال الزمخشري اذ منصوبة لانها بدل من اصحاب
القرية كانه قال تعالى واضرب لهم وقت مجي المرسلين ويقال ذلك الوقت بوقت مجيهم وقيل منصوب بقوله اضرب كانه
حين مجيهم ووقائع فيه والمرسلون من قوم عيسى وهم اقرب المرسل ارسل الى القوم الى زمان محمد عليه السلام وهم ثلاثة قوله تعالى
اذ ارسلنا بدل من اذ الاولى كانه قال اضرب لهم مثلا اذ ارسلنا الى اصحاب القرية اثنين قال ابن الخطيب والاصح الاوضح ان يكون
اذ ظرفا والفعل الواقع فيه جاءها اي جاءها المرسلون حين ارسلناهم اليهم واما جاوهم حيث امروا وهذا فيه لطيفة وهي ان في
القصة ان الرسل كانوا مبعوثين من جهة عيسى عليه السلام ارسلهم الى انطاكية فقال تعالى ارسال عيسى عليه السلام هو ارسالنا ورسول

رسول الله باذن الله رسول الله فلا يقع لك يا محمد ان اوليك كانوا رسل الرسل وانما هم رسل الله فان تكذيبهم كتكذيبك فتتم
التسلية بقوله اذ ارسلنا ونوبين هذا مسيلة فقهية وهي ان وكيل الوكيل باذن الموكل وكيل الموكل لا وكيل الوكيل حتى لا ينعزل بعزل
اياه وينعزل اذا عزله الموكل الاول وهذا على قولنا واضرب لهم مثلا ضرب لمثل لاجل محمد عليه السلام ظاهر في قولنا اذ ارسلنا
اليهم اثنين في بعثة الاثنين حكمة بالغة وهي انهما كانا مبعوثين من جهة عيسى عليه السلام باذن الله فكان عليهما انهاء الامر
الى عيسى عليه السلام والاتيان بما امر الله والله عالم بكل شيء لا يحتاج الى شاهد يشهد عنده واما عيسى عليه السلام فهو بشر فامره الله
بارسال اثنين ليكون قولهما على قومهما عند عيسى حجة تامة **فصل** قال ابن كثير روى ابن اسحاق عن ابن عباس وكعب
الاحبار ووهب بن منبه وروي عن بريدة بن الحصيب وعكرمة وقتادة والزمخشري ان هذه القرية انطاكية وكان اسم ملكها
انطيخس بن انطيخس وكان يعبد الاصنام فبعث الله اليه ثلاثة من الرسل وهم صادق وصدوق وشلوم فكذبهم وهذا ظاهر انهم
رسل الله عز وجل وزعم قتادة انهم كانوا رسلا من عند المسيح وكان اسم الرسولين الاولين شمعون ويوحنا واسم الثالث بولس
والقرية انطاكية وهذا القول ضعيف جدا لان اهل انطاكية لما بعث اليهم المسيح ثلاثة من الحواريين كانت اول مدينة امنت بالمسيح
في ذلك الوقت ولهذا كانت احدى المدن الاربع التي تكون فيها بتاركة النصارى وهي انطاكية والقدس واسكندرية ورومية
ثم بعدها قسطنطينية ولم يهلكوا واهل هذه القرية المذكورة في القران اهلكوا لقول الله تعالى ان كانت الا صيحة واحدة فاذا هم
خامدون لكن ان كانت الرسل الثلاثة المذكورون في القران بعثوا الى انطاكية قديما فكذبوهم فاهلكهم الله ثم عمرت بعد ذلك
فلما كان في زمن المسيح امنوا برسله اليهم فيجوز والله اعلم **قوله تعالى** فعززنا قرا ابو بكر بتخفيف الزاي بمعنى غلبنا ومنه
وعزني في الخطاب ومنه قولهم من عز بز اي صار له بز والباقون بالتشديد بمعنى قوينا يقال عزز المطر الارض اي قواها
ولبدها ويقال لتلك الارض العزاز وكذا كل ارض صلبة وتعزز لحم الناقة اي صلب وقوي وعلى كلتا القراءتين المفعول محذوف
اي فقويناهما بثالث او فغلبناهما بثالث لان المقصود من البعثة نصرة الحق لا نصرتهما والكل كانوا مقوين للدين بالبرهان
وقرا عبد الله بالثالث بالف ولام **قوله تعالى** انا اليكم مرسلون جر وخبران هذه من لام التوكيد وادخلها في خبر الثانية
لانهم في الاولى استعملوا مجرد الانكار فقابلهم الرسل بتوكيد واحد وهو الاتيان بان وفي الثانية بالغوا في الانكار فقابلهم
بزيادة التاكيد فاتوا بان واللام قال اهل البيان الاخبار ثلاثة اقسام ابتدائي وطلبي وانكاري فالاول يقال لمن لا يتردد
في نسبة احد الطرفين الى الاخر نحو زيد عارف والثاني لمن هو متردد في ذلك طالب له منكر لبعض انكار فيقال له ان زيدا
عارف والثالث لمن بالغ في انكاره فيقال له ان زيدا لعارف ومن احسن ما يحكى ان رجلا جاء الى ابي العباس الكندي فقال
يا ابا العباس اني اجد في كلام العرب حشوا قال وما ذاك قال يقولون زيد قايم وان زيدا قايم وان زيدا لقايم فقال
كلا بل المعاني مختلفة فعبد الله قايم اخبار بقيامه وان عبد الله قايم جواب لسؤال سايل وان عبد الله لقايم جواب عن
انكار منكر وهذا هو الكندي الذي سال ان يعارض القران ففتح المصحف فراى سورة المايدة وتقدمت حكايته في المايدة
وقال ابو حيان وجاء اولا مرسلون بغير لام لانه ابتداء اخبار فلا يحتاج الى توكيد بعد المحاورة لمرسلون بلام التوكيد لانه جواب
عن انكار قال شهاب الدين وهذا التصور منهم مما قاله اهل البيان فانه جعل المقام الثاني وهو الطلبي مكان المقام الاول
وهو الابتدائي **قوله تعالى** ما انتم الا بشر مثلنا وما انزل الرحمن من شيء جعلوا كونهم بشرا مثلهم دليلا على عدم الارسال
وهذا عام في المشركين قالوا في حق محمد عليه السلام أانزل عليه الذكر من بيننا وانما ظنوه دليلا بناء على انهم لم يعتقدوا في الله
الاختيار وانما قالوا انه موجب بالذات وقد استوينا في البشرية فلا يمكن الرجحان فرد الله تعالى عليهم بقوله الله اعلم حيث يجعل
رسالاته وبقوله الله يجتبي اليه من يشاء الى غير ذلك ثم قالوا وما انزل الرحمن من شيء وهذا يحتمل وجهين احدهما ان يكون متمما لما
ذكروه فيكون الكل شبهة واحدة والمعنى وما انزل الله اليكم احدا فكيف صرتم رسلا والثاني ان يكون هذا شبهة اخرى مستقلة
وهي انهم لما قالوا انتم بشر مثلنا فلا يجوز رجحانكم علينا ذكروا الشبهة من جهة المنظر الى المرسلين ثم قالوا شبهة اخرى من جهة
المرسل وهو انه تعالى ليس ينزل شيئا في هذا العالم فان تصرفه في العالم العلوي فالله لم ينزل شيئا من الاشياء في الدنيا
فكيف نزل اليكم وقوله تعالى الرحمن اشارة الى الرد عليهم لان الله تعالى لما كان رحمان الدنيا فكيف لا ينزل رحمته وهو من
ثم قال ان انتم الا تكذبون اي ما انتم الا كاذبين فيما تزعمون **قوله تعالى** انا ارسلنا اليهم اثنين قال وهب اسمهما
يحيى ويونس فكذبوهما فعززنا برسول ثالث وهو شمعون وقال كعب الرسولان صادق وصدوق قوله ما انتم فهو
بين في نظيرنا لم يقطن سبق قلم لانه واجب الرفع ليفرغ ما قبل الا للعمل فيما بعدها ولا يجوز ان تكون ما حجازية لان شرطها
ان لا ينتقض خبرها بالا وهو وارد ما قوله وما الدهر الا منجنونا باهله فلا يعاب عليه والبد المستعاذ والثالث شلوم
وانما اضافه الى الارسال لان عيسى عليه السلام انما بعثهم بامر الله عز وجل **قوله تعالى** قالوا ربنا يعلم انا اليكم لمرسلون وهذا

اشارة الى انهم بمجرد التكذيب لم يسامحوا ولم يتركوا بل اعادوا ذلك لهم وكرروا القول عليهم واكدوه باليمين وقالوا ربنا يعلم انا
اليكم لمرسلون واكدوه باللام لان علم الله يجري مجرى القسم كقوله الله اعلم حيث يجعل رسالاته اي هو عالم بالامور وما علينا الا البلاغ
المبين وذلك تسلية لانفسهم اي نحن خرجنا عن عهدة ما علينا وهو البلاغ وقوله المبين اي المبين الحق عن الباطل وهو الفارق بالمعجزة
والبرهان او البلاغ المظهر لما ارسلنا الى الكل اي لا يكفي ان نبلغ الرسالة الى شخص وشخصين او المظهر الحق بكل ما يمكن فاذا لم يقبلوا
الحق فهنالك الهلاك فما كان جوابهم بعد هذا الا قولهم انا تطيرنا بكم اي تشاءمنا بكم وذلك ان المطر حبس عنهم فقالوا اصابنا هذا
بشومكم لئن لم تنتهوا لنرجمنكم لنقتلنكم قال قتادة بالحجارة وقيل لنشتمنكم وليمسنكم منا عذاب اليم كانهم قالوا لا نكتفي برجمكم
بحجر وحجرين بل نديم ذلك عليكم الى الموت وهو العذاب الاليم او يكون المراد وليمسنكم بسبب الرجم منا عذاب اليم اي مولم وان قلنا الرجم
الشتم فكانهم قالوا ولا يكفينا الشتم بل شتم يودي الى الضرب والايلام الحسي واذا قرانا اليم بمعنى مولم فالفعيل بمعنى مفعل قليل ويحتمل
ان يقال هو من باب قوله عيشة راضية اي ذات رضى اي عذاب ذو الم فيكون فعيلا بمعنى فاعل وهو كثير ثم اجابهم المرسلون فقالوا طايركم
اي شومكم معكم اي بكفركم **قوله تعالى** طايركم العامة على طاير اسم فاعل اي ما طار لكم من الخير والشر فعبر عن الحظ والنصيب وقرا الحسن
فيما روى عنه الزمخشري اطيركم مصدر اطير الذي اصله تطير فلما اريد ادغامه ابدلت التاء طاء وسكنت واجتلبت همزة الوصل فصار اطير
يكون مصدره اطيرا ولما ذكر ابو حيان هذا لم يرد عليه وكان هو في بعض ما رد به على ابن مالك في شرح التسهيل في باب المصادر ان
مصدر تطير وتدارا اذا ادغما وصار اطير وادارا لا يجيء مصدرهما عليهما بل على اصلهما فيقال اطير تطيرا وادارا تدارا ولكن هذه القراءة
ترده ان صحت وهو بعيد وقد روي عنه طيركم بياء ساكنة وتعليل على لفظ انها هذه وانما تصحفت على الراوي فحسبها مصدرا وظن ان
الف قالوا همزة وصل **قوله تعالى** اين ذكرتم قرا السبعة بهمزة استفهام بعدها ان الشرطية وهم على اصولهم من التسهيل والتحقيق
وادخال الف بين الهمزتين وعدمه في سورة البقرة واختلف سيبويه ويونس اذا اجتمع استفهام وشرط ايهما يجاب فذهب سيبويه الى اجابة
الاستفهام ويونس الى اجابة الشرط على القولين محذوف وقد تقدم هذا في سورة الانبياء وقرا ابو جعفر وطلحة وزر بهمزتين مفتوحتين
الا ان زرا سهل الثانية كقوله • ان كنت داود بن احوى مرجلا • فلست براع لابن عمك محرما • وروي عن ابي عمرو وزر
ايضا كذلك الا انهما فصلا بالف بين الهمزتين وقرا الماجشون بهمزة واحدة مفتوحة وتخرج هذه القراءات الثلاث على حذف لام
العلة اي لان ذكرتم تطيرتم فتطيرتم هو المعلول وان ذكرتم علته والاستفهام منسحب عليهما في قراءة الاستفهام وفي غيرها يكون
اخبارا بذلك وقرا الحسن بهمزة واحدة مكسورة وهي شرط من غير استفهام وجوابه محذوف ايضا وقرا الاعمش والهمداني ابن بصيغة
الظرف وهي اين الشرطية وجوابها محذوف عند جمهور البصريين اي اين ذكرتم فطايركم معكم ومن يجوز تقديم الجواب لا يحتاج الى
حذف وقرا الحسن وابو جعفر والاصمعي وابو رجاء عن نافع ذكرتم بتخفيف الكاف **فصل** قوله اين ذكرتم جواب عن قولهم
لنرجمنكم اي اتفعلون بنا ذلك وان ذكرتم اي وعظتم بالله وبين لكم الامر بالمعجزة والبرهان بل انتم قوم مسرفون مشركون متجاوزون
الحد حيث تجعلون ما يتبرك به تتشاءمون به وتقصدون ايلام من يجب اكرامه ومسرفون حيث تكفرون ثم تصرون بعد ظهور الحق
بالمعجزة والبرهان فان قيل بل للاضراب والامر المضروب عنه فالجواب يحتمل ان يقال قوله اين ذكرتم وارد على تكذيبهم فانهم
قالوا نحن كاذبون وان جينا بالبرهان لا بل انتم قوم مسرفون ويحتمل ان يقال انحن مستحقون الرجم والايلام وان جينا بصحة ما اتينا
به لا بل انتم قوم مسرفون **فصل** ذكر المفسرون ان عيسى عليه السلام بعث رجلين الى اهل انطاكية يدعيان الى توحيد الله
واظهر المعجزة من ابراء الاكمه والابرص واحياء الميت فحبسهما الملك فارسل بعدهما شمعون فاتى الملك وهو لم يدع الرسالة وقرب
نفسه من الملك بحسن التدبير ثم قال اني سمعت ان في الحبس رجلين يدعيان امرا بديعا فلا يحضران نسمع كلامهما فقال الملك بلى فاحضرا
وذكرا مقالتهما الحقة فقال شمعون وهل لكما بينة فقالا ابراء الابرص واحياء الموتى فقال شمعون يا ايها الملك ان شئت ان تعلم
فعل الالهة التي تعبدونها تفعل شيئا من ذلك فقال له الملك انت لا يخفى عليك انها لا تسمع ولا تبصر ولا تعلم فقال شمعون فاذن
ظهر الحق من جانبهم فامن الملك وقوم وكفر اخرون وكانت الغلبة للمكذبين **قوله تعالى** وجاء من اقصى المدينة رجل يسعى في تعلقه
بما قبله وجهان احدهما انه بيان لكونهم اتوا بالبلاغ المبين حيث امن بهم الرجل الساعي وعلى هذا فقوله من اقصى المدينة فيه بلاغة
باهرة لانه جاء من اقصى المدينة رجل وهو قد امن دل على ان انذارهم وابلاغهم بلغ الى اقصى المدينة والثاني انه ضرب لمثل لما كان للتسلية
قلب محمد عليه السلام ذكر بعد الفراغ من ذكر الرسل سعي المومنين في تصديق انبيايهم وصبرهم على ما اوذوا ووصول الجزاء الاوفى اليهم ليكون
ذلك تسلية لقلب اصحاب محمد عليه السلام **قوله تعالى** رجل يسعى في تنكير الرجل مع انه كان معروفا معلوما عند الله فايدتان الاولى ان
يكون تعظيما لشانه اي رجل كامل في الرجولية الثانية ان يكون مفيدا ليظهر من جانب المرسلين امر من الرجال لا معرفة لهم به فلا يقال
انهم تواطؤوا والرجل هو حبيب النجار كان ينحت الاصنام وقال السدي كان قصارا وقال وهب كان يعمل الحرير وكان سقيما قد اسرع
فيه الجذام وكان منزله عند اقصى باب في المدينة وكان مومنا وامن بمحمد عليه السلام قبل وجوده حين صار من العلماء بكتاب الله وراى
فيه وقت محمد وبعثته وقوله يسعى تبصير للمسلمين وهداية لهم ليبذلوا جهدهم في النصح **قوله تعالى** قال يا قوم اتبعوا المرسلين

تقدم الكلام في فائدة قوله يا قوم عند قول موسى يا قوم انكم ظلمتم انفسكم فان قيل هذا مثل مؤمن آل فرعون وقال اتبعوني
وهذا قال اتبعوا المرسلين فما الفرق فالجواب هذا الرجل جاءهم وفي اول مجيئه نصحهم ولم يعلموا سيرته فقال اتبعوا هؤلاء الذين
اظهروا لكم الدليل واوضحوا لكم السبل واما مؤمن آل فرعون فكان فيهم ونصحهم مرارا فقال اتبعوني في الايمان لموسى وهرون
عليهما السلام واعلموا انه لو لم يكن خيرا لما اخترته لنفسي وانتم تعلمون اني اخترته ولم يكن للرجل الذي جاء من اقصى المدينة ان يقول
انتم تعلمون اتباعي لهم واعلم انه جمع بين اظهار النصيحة واظهار ايمانه فقوله اتبعوا النصيحة وقوله المرسلين اظهار ايمانه وقدم اظهار
النصيحة على اظهار الايمان لانه كان ساعيا في النصيحة واما الايمان فكان قد آمن من قبل وقوله يسعى يدل على ارادته النصح **قوله
تعالى** من لا يسألكم اجرا بدل من المرسلين باعادة العامل الا ان ابا حيان قال النحاة لا يقولون ذلك الا اذا كان العامل حرف جر
والا فلا يسمونه بدلا بل تابعا وكأنه يريد التوكيد اللفظي بالنسبة الى العامل **فصل** هذا الكلام في غاية الحسن
لانه لما قال اتبعوا المرسلين كأنهم منعوا كونهم مرسلين فنزل درجة وقال لا شك ان الخلق في الدنيا سالكون طريقة الاستقامة
والطريق اذا كان فيه دليل وجب اتباعه والامتناع من الدليل لا يحسن الا عند احد امرين اما لطلب الدليل الاجرة واما لعدم الاعتماد
على اهتدائه ومعرفته الطريق لكن هؤلاء لا يطلبون اجرة وهم مهتدون عالمون بالطريق المستقيم الموصلة الى الحق فهب انهم ليسوا مرسلين
هادين اليس انهم مهتدين فاتبعوهم **قوله تعالى** وما لي لا اعبد الذي فطرني اصل الكلام وما لكم لا تعبدون ولكنه صرف الكلام
عنهم ليكون الكلام اسرع قبولا ولذلك جاء قوله واليه ترجعون دون واليه ارجع وقوله أأتخذ مبني على كلامه الاول وهذه الطريقة
احسن من ادعاء الالتفات وقرأ حمزة ويعقوب ما لي باسكان الياء والآخرون بفتحها واعلم ان في قوله وما لي اي اي مانع من جانبي
وهذا اشارة الى ان الامر من جهة المعبود ظاهر لا خفاء فيه فمن يمتنع من عبادته يكون من جانبه مانع ولا مانع من جانبي فلا جرم
عبدته وفي العدول من مخاصمة القوم الى حال نفسه حكمة اخرى وهي ان قوله لو قال لا تعبدون الذي فطركم لم يكن في البيان مثل
قوله ما لي لانه لما قال ما لي واحد لا يخفى عليه حال نفسه علم كل احد انه لا يطلب العلة وبيانها من احد لانه اعلم بحال نفسه فهو يبين
عدم المانع واما لو قال ما لكم جاز ان يفهم منه انه يطلب بيان العلة لكون غيره اعلم بحال نفسه وقوله الذي فطرني اشارة الى
وجود المقتضي فان قوله ما لي اشارة الى المانع وعند عدم المانع لا يوجد الفعل ما لم يوجد المقتضي فقوله الذي فطرني دليل المقتضي
فان الخالق ابتداء مالك يجب على المملوك اكرامه وتعظيمه ومنعم بالايجاد والمنعم يجب على المنعم عليه شكر نعمته وقدم بيان عدم المانع
على بيان وجود المقتضي مع ان المحسن تقديم المقتضي لان المقتضي لظهوره كان مستغنيا عن البيان فلا اقل من تقديم ما هو اولى
بالبيان للحاجة اليه واختار من الآيات فطرة نفسه لان خالق عمرو يجب على زيد عبادته لان من خلق عمرا لا يكون الا كامل القدرة
واجب الوجود فهو مستحق العبادة بالنسبة الى كل مكلف لكن العبادة على زيد بخلقه زيدا اظهر ايجابا **فصل** اضاف
الفطرة الى نفسه والرجوع اليهم لان الفطرة اثر النعمة وكان عليه اظهر وفي الرجوع معنى الزجر وكان بهم اليق روي انه لما قال اتبعوا
المرسلين اخذوه ورفعوه الى الملك فقال له افانت تتبعهم فقال وما لي لا اعبد الذي فطرني اي اي شيء يمنعني ان اعبد خالقي واليه
ترجعون تردون عند البعث فيجزيكم باعمالكم ومعنى فطرني خلقني اختراعا ابتداء وقيل جعلني على الفطرة كما قال تعالى فطرة الله التي
فطر الناس عليها **قوله تعالى** أأتخذ استفهام بمعنى الانكار اي لا اتخذ من دونه آلهة ومن دونه يجوز ان يتعلق باتخذ على انها
متعدية لواحد وهو آلهة ويجوز ان يتعلق بمحذوف على انه حال من آلهة وان يكون مفعولا ثانيا قدم على انها المتعدية لاثنين
فصل في قوله من دونه آلهة لطيفة وهي انه لما بين انه يعبد الذي فطره بين ان من دونه لا تجوز عبادته لان الكل محتاج
مفتقر حادث وقوله أتخذ اشارة الى ان غيره ليس باله لان المتخذ لا يكون الها **قوله تعالى** ان يردني شرط جوابه لا تغن عني
والجملة الشرطية في محل نصب صفة لآلهة وفتح طلحة السلمي وقيل طلحة بن مصرف ياء المتكلم وقال الزمخشري وقرئ ان يردني
الرحمن بضر بمعنى ان يوردني ضرا اي يجعلني موردا للضر قال ابو حيان وهذا والله اعلم رأى في كتب القراءات بفتح الياء فتوهم
انها ياء المضارعة فجعل الفعل متعديا بالياء المعدية كالهمزة فلذلك ادخل همزة التعدية فنصب به اثنين والذي في كتب
القراءات الشواذ انها ياء الاضافة المحذوفة خطا ونطقا لالتقاء الساكنين قال شهاب الدين وهذا رجل ثقة قد نقل هذه القراءة
فيقبل منه فان قيل ما الحكمة في قوله ان يردني الرحمن بضر ولم يقل ان اراد الرحمن بي ضرا وكذلك قوله تعالى ان ارادني
الله بضر هل هن كاشفات ضره ولم يقل ان اراد الله بي ضرا فالجواب ان الفعل اذا كان متعديا الى مفعول واحد تعدى الى مفعولين
بالحرف كالامر يتعدى بحرف في قولهم امرته به واخرج به ثم ان المتكلم يجعل المفعول بغير حرف اولى بوقوع الفعل عليه ويجعل الآخر
مفعولا بحرف فاذا قال القائل مثلا كيف حال فلان يقول اختصه الملك بالكرامة والنعمة فاذا قال كيف كرامة الملك يقول اختصها
بزيد فيقول المسؤول مفعولا بغير حرف لانه هو المقصود واذا تقرر هذا فالمقصود فيما نحن فيه بيان كون العبد بحيث يضره الله
وينفعه كيف يشاء في البؤس والرخاء وليس الضر مقصودا ببيانه كيف والقائل مؤمن يرجو الرحمة والنعمة بناء على ايمانه بحكم وعد الله
ويؤيد هذا قوله من قبل الذي فطرني حيث جعل نفسه مفعول الفطرة فلذلك جعلها مفعول الارادة ووقع الضر تبعا وكذا القول

في قوله

في قوله ان ارادني الله بضر المقصود بيان انه يكون كما يريده الله وليس الضر لخصوصيته مقصودا بالذكر ويؤيده ما تقدم حيث
قال الله تعالى أليس الله بكاف عبده يعني هو تحت ارادته فان قيل ما الحكمة في قوله ههنا ان يردني الرحمن بصيغة المضارع وقال
في الزمر ان ارادني الله بصيغة الماضي وذكر المريد هنا باسم الرحمن وذكر المريد هناك باسم الله فالجواب ان الماضي والمستقبل مع الشرط
يصير الماضي مستقبلا لان المذكور ههنا من قبل بصيغة الاستقبال في قوله أأتخذ وقوله وما لي لا اعبد والمذكور هناك من قبل
بصيغة الماضي في قوله أفرأيتم **قوله تعالى** لا تغن عني شفاعتهم شيئا اي ان يمسسني الله بضر اي بسوء ومكروه لا تغن عني شفاعتهم
شيئا اي لا شفاعة لها فتغني ولا ينقذون من ذلك المكروه او لا ينقذون من العذاب لو عذبني الله ان فعلت ذلك **قوله تعالى**
اني اذا لفي ضلال مبين اي ظاهر ان فعلت ذلك فانا ضال ضلالا بينا والمبين مفعل بمعنى فعيل وعكسه فعيل بمعنى مفعول في
قوله اليم بمعنى مؤلم **قوله تعالى** اني آمنت بربكم فيه وجوه احدها انه خاطب المرسلين قال المفسرون اقبل القوم عليه يريدون
قتله فاقبل هو على المرسلين وقال اني آمنت بربكم فاسمعوا قولي واشهدوا لي الثاني هم الكفار فما نصحهم وما نفعهم قال آمنت فا
سمعون الثالث بربكم ايها السامعون فاسمعون على العموم كقول الواعظ يا مسكين ما اكثر املك يريد كل سامع يسمعه وفي قوله
فاسمعون فوائد منها انه كلام متفكر حيث قال اسمعوا فان المتكلم اذا كان يعلم ان لكلامه جماعة سامعين يتفكرون به ويقول
اني اخبرتكم بما فعلت حتى لا تقولوا لم اخفيت عنا امرك ولو اظهرته لآمنا معك فان قيل قال من قبل ما لي لا اعبد الذي فطرني
وقال ههنا آمنت بربكم ولم يقل آمنت بربي فالجواب ان قلنا الخطاب مع الرسل فالامر ظاهر لانه لما قال آمنت بربكم ظهر عند الرسل
انه قبل قولهم وآمن بالرب الذي دعوه اليه وقال بربكم وان قلنا الخطاب مع الكفار ففيه بيان للتوحيد لانه لما قال آمنت
بربكم فهم انه يقول ربي وربكم واحد وهو الذي فطرني وهو بعينه ربكم بخلاف ما لو قال آمنت بربي فيقول الكافر وانا ايضا آمنت
بربي **قوله تعالى** فاسمعون العامة على كسر النون وهي نون الوقاية حذفت بعدها ياء الاضافة مجتزأ عنها بكسرة النون وهي
اللغة الغالبة وقرأ عصمة عن عاصم بفتحها وليست هذه الاغلاط على عاصم اذ لا وجه وقد وقع لابن عطية وهم فاحش في ذلك فقال
وقرأ الجمهور فاسمعون بفتح النون قال ابو حاتم هذا خطأ فلا يجوز لانه امر فاما حذف النون واما كسرها على جهة الياء يعني ياء
المتكلم وقد يكون قوله الجمهور سبق قلم منه او من النساخ وكان الاصل وقرأ غير الجمهور فسقط لفظة غير وقال ابن عطية حذف من
الكلام ما تواترت الاخبار والروايات به وهو انهم قتلوه فقيل له عند موته ادخل الجنة بعد القتل وقيل قوله قيل ادخل الجنة
عطف على قوله آمنت بربكم فعلى الاول يكون قوله يا ليت قومي يعلمون بعد موته والله اخبر بقوله وعلى الثاني قال ذلك في حياته
وكانه سمع الرسل يقولون انه من الداخلين الجنة وصدقهم وقطع به **قوله تعالى** قال يا ليت قومي يعلمون كما علمت فيؤمنون كما
آمنت وقال الحسن حرقوه حرقا في حلقه وعلقوه في سور المدينة وقبره بانطاكية فادخله الله الجنة وهو حي فيها يرزق فذلك
قوله عز وجل قيل ادخل الجنة فلما افضى الى الجنة قال يا ليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي اي بغفران ربي لي وجعلني من المكرمين
قوله تعالى بما غفر لي يجوز في ما هذه ثلاثة اوجه احدها المصدرية كما تقدم والثاني انها بمعنى الذي والعائد محذوف اي
بالذي غفره لي ربي واستضعف هذا من حيث انه يبقى معناه انه تمنى ان يعلم قومه بذنوبه المغفورة وليس المعنى على ذلك انما المعنى
على تمني علمهم بغفران ربه ذنوبه والثالث انها استفهامية قاله ذهابا للفراء ورده الكسائي بانه كان ينبغي حذف الفها لكونها
مجرورة وهو رد صحيح وقال الزمخشري الاجود طرح الالف والمشهور من مذهب البصريين وجوب حذف الفها كقوله
علام يقول الرمح يثقل عاتقي • اذا انا لم اطعن اذ الخيل كرت • الا في ضرورة كقوله • على ما قام يشتمني لئيم كخنزير تمرغ في رماد
وقرئ من المكرمين بتشديد الراء **قوله تعالى** وما انزلنا على قومه من بعده من جند من السماء لما تمنى ان يعلم قومه ان الله غفر له
واكرمه ليرغبوا في دين الرسل فلما قتل حبيب غضب الله له وعجل لهم النقمة وامر جبريل عليه السلام فصاح بهم صيحة فماتوا عن آخرهم
فذلك قوله وما انزلنا على قومه من بعده من جند من السماء يعني الملائكة **قوله تعالى** وما كنا منزلين في ما هذه ثلاثة اوجه
احدها انها نافية كالتي قبلها فتكون الجملة الثانية جارية مجرى التاكيد للاولى والثاني انها مزيدة قال ابو البقاء اي وقد كنا
منزلين وهذا لا يجوز البتة لفساده لفظا ومعنى الثالث انها اسم معطوف على جند قال ابن عطية اي من جند ومن الذي كنا
منزلين ورده ابو حيان فان من مزيدة وهذا التقدير يؤدي الى زيادتها في الموجب جارة لمعرفة ومذهب البصريين غير الاخفش
ان يكون الكلام غير موجب وان يكون المجرور نكرة قال شهاب الدين فالذي ينبغي عند من يقول بذلك ان يقدرها نكرة اي ومن
عذاب كنا منزليه والجملة بعدها صفة لها واما قوله ان هذا التقدير يؤدي الى زيادتها في الموجب فليس بصحيح البتة وتعجبت
كيف يلزم ذلك **فصل** قال ههنا وما انزلنا باسناد الفعل الى النفس وقال في بيان حال المؤمن وقيل ادخل الجنة باسناد
القول الى غير مذكور لان العذاب من باب الهيبة فقال بلفظ التعظيم واما ادخال الجنة فقال قيل ليكون كالمهنأ يقول الملائكة
ونقول لكل صالح يراه ادخل الجنة خالدا كالتهنئة له وكثيرا ما ورد في القرآن قوله تعالى وقيل ادخلوا اشارة الى ان الدخول يكون
دخولا باكرام فان قيل لم اضاف القوم اليه مع ان الرسل اولى ويكون الجمع قوما لهم لان الرسول لكونه مرسلا يكون جميع

الخلق او جميع من ارسل اليهم قوما لهم فالجواب لبيان الفرق بينه وبينهم لانهما من قبيلة واحدة اكرم احدهما غاية الاكرام بسبب الايمان واهين الاخر غاية الاهانة بسبب الكفر ونبيهما من قبيلة واحدة وايضا فالعذاب كان مختصا بهم وهم اقاربه لان غيرهم من قوم الرسل امنوا بهم فلم يصبهم العذاب فان قيل لم خصص عدم الانزال بما بعده والله تعالى لم ينزل عليهم جندا قبله ايضا فما فائدة التخصيص فالجواب ان استحقاقهم العذاب كان بعد حين اصروا واستكبروا فبين حال الاهلاك فان قيل قال من السماء وهو تعالى لم ينزل عليهم ولا ارسل اليهم جندا من الارض فما فائدة التقييد فالجواب من وجهين احدهما ان يكون المراد ما انزلنا عليهم جندا بامر من السماء فيكون للعموم الثاني ان العذاب نزل عليهم من السماء فبين ان النازل لم يكن جندا وانما كان بصيحة اخذتهم وخربت ديارهم فان قيل اي فائدة في قوله وما كنا منزلين مع قوله وما انزلنا وهو يستلزم ان لا يكون من المنزلين فالجواب ان قوله وما كنا اي ما كان ينبغي ان ينزل لان الامر كان يتم بدون ذلك والمعنى وما انزلنا وما كنا محتاجين الى الانزال او وما كنا منزلين في مثل تلك الواقعة جندا في غير تلك الواقعة اي وما انزلنا على قومه من بعده اي على قوم حبيب من بعد قتله من جند وما كنا منزلين ما نزله على الامم اذا اهلكناهم كالطوفان والصاعقة والريح فان قيل فكيف انزل الله جنودا في يوم بدر وفي غير ذلك حيث قال تعالى فانزل الله ريحا وجنودا لم تروها فالجواب ان ذلك تعظيما لمحمد عليه السلام والا فكان تحريك ريشة من جناح ملك كافيا في استيصالهم ولم تكن رسل عيسى عليه السلام في درجة محمد عليه السلام ثم بين الله تعالى عقوبتهم فقال ان كانت الا صيحة واحدة **قوله تعالى** ان كانت الا صيحة واحدة العامة على النصب على ان كان ناقصة واسمها ضمير الاخذة لدلالة السياق عليها وصيحة خبرها وقرا ابو جعفر وشيبة ومعاذ القاري برفعها على انها التامة اي ما وقع وحدث وكان ينبغي ان لا يلحق تاء التانيث للفصل بالا بل الواجب في غير ندور واضطرار حذف التاء نحو ما قام الا هند وقد لحن جماعة فقرا فاصبحوا لا ترى الا مساكنهم كما سياتي ان شاء الله تعالى وقوله • وما بقيت الا الضلوع الجراشع • وقول الشاعر •
ما برئت من ريبة وذم • في حربنا الا بنات العم • قال الزمخشري اصله ان كانت الاخذة الا صيحة فكان الاصل ان يذكر لكنه تعالى انث لما بعده من المفسر وهو الصيحة وقوله واحدة تاكيد لكون الامر هينا عنده وقوله فاذا هم خامدون اشارة الى سرعة الهلاك فان خمودهم كان مع الصيحة في وقتها لم يتاخر ووصفهم بالخمود في غاية الحسن لان الحي فيه الحرارة الغريزية وكلما كانت الحرارة اوفر كانت القوة الغضبية والشهوانية اتم وهم كانوا كذلك اما الغضب فانهم قتلوا مؤمنا كان ينصحهم واما الشهوة فلانهم احتملوا العذاب الدائم بسبب استيفاء اللذات الحالية فاذن كانوا كالنار الموقدة لانهم كانوا جبارين ومستكبرين كالنار ومن خلق منها فقال فاذا هم خامدون قال المفسرون اخذ جبريل بعضادتي باب المدينة ثم صاح بهم صيحة واحدة فاذا هم خامدون ميتون **قوله تعالى** يا حسرة العامة على نصبها وفيه وجهان احدهما انها منصوبة على المصدر والمنادى محذوف تقديره يا هؤلاء تحسروا حسرة والثاني انها منونة لانها منادى منكر فنصبت على اصلها كقول الشاعر • • •
فيا راكبا اما عرضت فبلغن • نداماي من نجران ان لا تلاقيا • **فصل** ومعنى النداء هنا على المجاز كانه قيل هذا اوانك فاحضري وقرا قتادة وابي في احد وجهيه يا حسرة بالضم جعلها مقبلا عليها وابي ايضا وابن عباس وعلي بن الحسين يا حسرة العباد بالاضافة فيجوز ان تكون الحسرة مصدرا مضافا لفاعله اي يتحسرون على غيرهم لما يرون من عذابهم وان يكون مضافا لمفعوله اي يتحسر عليهم غيرهم وقرا ابو الزناد وابن هرمز وابن جندب يا حسره بالهاء المبدلة من تاء التانيث وصلا وكانهم اجروا الوصل مجرى الوقف وقد نظائر مرت وقال صاحب اللوامح وقفوا بالهاء مبالغة في التحسر لما في الهاء من التاهد بمعنى التاوه ثم وصلوا على تلك الحال وقرا ابن عباس ايضا يا حسرة بفتح التاء من غير تنوين ووجهها ان الاصل يا حسرتا فاجتزى بالفتحة عن الالف كما اجتزى بالكسرة عن الياء ومنه قوله • ولست براجع ما فات مني • بلهف ولا بليت ولا لواني • اي ملهفا بمعنى لهفي وقرا يا حسرتا بالالف كالتي في الزمر وهي شاهدة لقراءة ابن عباس وتكون الحسرة من الله تعالى وذلك على سبيل المجاز دلالة على فرط هذه الحسرة والا فالله تعالى لا يوصف بذلك **قوله تعالى** ما ياتيهم هذه الجملة لا محل لها لانها مفسرة لسبب الحسرة عليهم وهذا الضمير يجوز ان يكون عائدا الى قوم حبيب اي ما ياتيهم من رسول من الرسل الثلاثة ويجوز ان يعودا الى الكفار المعاندين وقوله الا كانوا الجملة حالية من مفعول ياتيهم **فصل** الالف واللام في العباد قيل للعهد وهم الذين اخذتهم الصيحة فيا حسرة على اولئك وقيل لتعريف الجنس اي جنس الكفار المكذبين وقيل المراد بالعباد الرسل الثلاثة كان الكافرين يقولون عند ظهور الباس يا حسرة عليهم يا ليتهم كانوا حاضرين لنؤمن بهم ثانيا وهم قوم ذوي التحسر وجوه الاول لا يتحسر اصلا في الحقيقة اذ المقصود بيان ان ذلك وقت طلب الحسرة حيث تحققت الندامة عند تحقق العذاب وههنا بحث لغوي وهو ان المفعول قد يرفض كثيرا اذا كان الغرض غير متعلق به يقال فلان يعطي ويمنع ولا يكون هناك شيء معطى ولا يخص بعطى اذ المقصود ان له المنع والاعطاء ورفض المفعول كثير وما نحن فيه رفض الفاعل وهو قليل والوجه فيه ان ذكر المتحسر غير مقصود وانما المقصود ان الحسرة متحققة في ذلك الوقت الثاني ان القائل يا حسرة هو الله على الاستعارة

تعظيما للامر وتهويلا له وحينئذ يكون كالالفاظ التي وردت في حق الله كالضحك والنسيان والسخرية والتعجب والتمني او نقال ليس معنى قوله يا حسرة او يا ندامة ان القائل متحسر او نادم بل المعنى انه مخبر عن وقوع الندامة ولا احتياج الى التجوز في كونه تعالى قائلا يا حسرة بل يجرى على حقيقته الا في النداء فان النداء مجاز والمراد الاخبار الثالث ان المتلهفين من المسلمين والملائكة لما حكي عن حبيب انه حين القتل كان يقول اللهم اهد قومي وبعدما قتلوه وادخل الجنة قال يا ليت قومي يعلمون فيجوز ان يتحسر المسلم للكافر ويتندم وعليه قوله تعالى ما ياتيهم من رسول الا كانوا به يستهزئون هذا سبب الندامة **فصل** قال الزهري الحسرة لا تدعى ودعاؤها تنبيه للمخاطبين وقيل العرب تقول يا حسرتا ويا عجبا على طريق المبالغة والنداء عندهم بمعنى التنبيه فكانه يقول ايها العجب هذا وقتك وايتها الحسرة هذا اوانك وحقيقة المعنى ان هذا زمان الحسرة والتعجب **قوله تعالى** الم يروا كم اهلكنا لما بين حال الاولين قال للحاضرين الم يروا الباقون ما جرى على من تقدم منهم قوله كم اهلكنا كم هنا خبرية فهي مفعول باهلكنا تقديره كثيرا من القرون اهلكنا وهي معلقة ليروا ذهابا بالخبرية مذهب الاستفهامية منه وقيل لم يروا عاملة وكم استفهامية كما سياتي بيانه وانهم اليهم لا يرجعون فيه وجه احدها انه بدل من كم قال ابن عطية وكم هنا خبرية وانهم بدل منها والرؤية بصرية قال ابو حيان وهذا لا يصح لانها اذا كانت خبرية كانت في موضع نصب باهلكنا ولا يسوغ فيها الا ذلك واذا كانت كذلك امتنع ان يكون انهم بدلا منها لان البدل على نية تكرار العامل ولو سلطت اهلكنا على انهم لا يصح الا ترى انك لو قلت اهلكنا انتفاء رجوعهم او اهلكنا كونهم لا يرجعون لم يكن كلاما ابن عطية توهم ان يروا مفعوله كم فتوهم ان قوله انهم لا يرجعون بدل منه لانه يسوغ ان يسلط عليه فيقول الم يروا انهم لا يرجعون وهذا وامثاله دليل على ضعفه في علم العربية قال الشهاب الدين وهذا الانحا تحامل عليه لانه لقائل ان يقول كم قد جعلها خبرية والخبرية يجوز ان تكون معمولة لما قبلها عند قوم فيقولون ملكت كم عبد فلم يلزم المصدر فيجوز ان يكون بناء هذا التوجيه على هذه اللغة وجعل كم منصوبة بيروا وانهم بدل منها وليس هو ضعيفا في العربية حينئذ الثاني ان انهم بدل من الجملة قبله قال الزجاج هو بدل من الجملة والمعنى الم يروا ان القرون التي اهلكناها اليهم لا يرجعون لان عدم الرجوع والهلاك بمعنى قال ابو حيان وليس بشيء لانه ليس بدلا صناعيا وانما فسر المعنى ولم يلحظ صناعة النحو قال الشهاب الدين بل هو بدل صناعي لان الجملة في قوة المفرد اذ هي سادة مسد مفعولي يروا فانها معلقة لها كما تقدم الثالث قال الزمخشري الم يروا الم يعلموا وهو معلق عن العمل في كم لان كم لا يعمل فيها عامل قبلها سواء كانت للاستفهام الا ان معناها نافذ في الجملة كما تقدم في قولك الم يروا ان زيدا لمنطلق وان لم يعمل في لفظه وانهم اليهم لا يرجعون بدل من كم اهلكنا على المعنى لا على اللفظ تقديره الم يروا كثرة اهلكنا القرون من قبلهم كونهم غير راجعين اليهم قال ابو حيان قوله لان كم لا يعمل فيها ما قبلها كانت للاستفهام والخبر ليس على اطلاقه لان العامل اذا كان حرف جر او اسما مضافا جاز ان يعمل فيها نحو على كم جذع بيتك وابن كم وبئس صحبت وعلى كم فقير تصدقت ارجو الثواب وابن كم شهيد في سبيل الله احسنت اليه وقوله والخبرية فيها لغتان الفصيحة كما ذكر لا يتقدمها عامل الا ما ذكرنا من الجار واللغة الاخرى حكاها الاخفش يقولون ملكت كم غلام اي ملكت كثيرا من الغلمان فكما يجوز تقدم العامل على كثير كذلك يجوز على كم لانها بمعناها وقوله لانها اصلها الاستفهام والخبرية ليس اصلها الاستفهام بل كل واحدة اصل بنفسها ولكنهما لفظان مشتركان بين الاستفهام والخبر وقوله ان معناها نافذ في الجملة يعني معنى يروا نافذ في الجملة لانه جعلها معلقة وشرح يروا بيعلموا وقوله كما تقدم في قولك الم يروا ان زيدا لمنطلق يعني انه لو كان معمولا من حيث اللفظ لامتنع دخول اللام ولفتحت ان فان ان التي في خبرها اللام من الادوات المعلقة لافعال القلوب وقوله انهم اليهم لا يرجعون الى اخر كلامه لا يصح ان يكون بدلا لا على اللفظ ولا على المعنى اما على اللفظ فانه زعم ان يروا معلقة فتكون كم استفهامية فهي معمولة لاهلكنا واهلكنا لا يتسلط على انهم اليهم لا يرجعون كما تقدم واما على المعنى فلا يصح ايضا لانه قال تقديره اي على المعنى الم يروا كثرة اهلكنا القرون من قبلهم كونهم غير راجعين اليهم فكونهم غير كذا ليس كثرة الاهلاك فلا يكون بدل كل من كل وليس بعض الاهلاك فلا يكون بدل بعض من كل ولا يكون بدل اشتمال لان بدل الاشتمال يصح ان يضاف الى ما ابدل منه وكذلك بدل بعض من كل وهذا لا يصح هنا لا تقول الم يروا انتفاء رجوع كثرة اهلاكنا القرون من قبلهم وفي بدل الاشتمال نحو اعجبتني الجارية ملاحتها وسرق زيد ثوبه يصح اعجبتني ملاحة الجارية وسرق ثوب زيد الرابع ان يكون انهم بدلا من موضع كم اهلكنا والتقدير الم يروا انهم اليهم قاله ابو البقاء ورده ابو حيان بان كم اهلكنا ليس بمعمول ليروا قال الشهاب الدين وقد تقدم انها معمولة لها على معنى انها معلقة لها الخامس وهو قول الفراء ان يكون يروا عاملا في الجملتين من غير ابدال ولم يبين كيفية العمل وقوله الجملتين تجوز لان انهم ليس بجملة لتاوليه بالمفرد الا انه مشتمل على مسند اليه السادس ان انهم معمول لفعل محذوف دل عليه السياق والمعنى تقديره قضينا وحكمنا انهم اليهم لا يرجعون ويدل على صحة هذا قراءة ابن عباس والحسن انهم بكسر الهمزة على الاستيناف والاستيناف قطع لهذه الجملة عما قبلها فهو معمول لان

نكون معمولا لفعل محذوف يقتضي انقطاعها عما قبلها والضمير في انهم عايد على معنى كم وفي اليهم عايد على ما عاد عليه
واو يروا والثاني عايد على المهلكين **فصل** المعنى الم يخبروا اهل مكة كم اهلكنا قبلهم من القرون والقرون اهل
كل عصر سموا بذلك لاقترانهم في الوجود انهم اليهم لا يرجعون اي لا يعودون الى الدنيا افلا يعتبرون وقيل لا يرجعون
اي الباقون لا يرجعون الى المهلكين بسبب ولا ولادة اي اهلكناهم وقطعنا نسلهم ولا شك ان الاهلاك الذي يكون مع
قطع النسل اتم واعم والاول اشهر نقلا والثاني اظهر عقلا **قوله تعالى** وان كل لما جميع تقدم في هود تشديد لما وتخفيفها
والكلام في ذلك وقال ابن الخطيب في مناسبة وقوع لما المشددة موقع الا ان لما كانها حرفا نفي جميعا وهما لم وما فاكد
النفي والا كانها حرفا نفي ان ولا فاستعمل احدهما مكان الاخر انتهى وهذا يجوز ان يكون اخذه في قول الفرا في الا في الاستثنا
انها مركبة من ان ولا الا ان الفرا جعل ان مخففة من الثقيلة وجعلها نافية وهو قول ركيك رده عليه النحويون وقال الفرا
ايضا ان لما هذه اصلها لمما فخفف بالحذف وتقدم هذا كله موضحا وكل مبتدا وجميع خبره ومحضرون خبر ثان لا يختلف
ذلك سواء شددت لما ام خففتها الا ان جميعا تاكيد لا خبر لا نجميعا هنا فعيل بمعنى مفعول اي مجموعون فكل يدل على
الاحاطة والشمول وجميع يدل على الاجتماع فمعناها حمل على لفظها كما في قوله جميع منتصر وقدم جميع في الموضعين لاجل الفواصل
ولدينا متعلق بمحضرون لمن شدد فلما بمعنى الا وان نافية كما تقدم والتقدير وما كل الا جميع ومن خفف فان مخففة واللام
فارقة وما مزيدة هذا قول البصريين والكوفيون يقولون ان نافية واللام بمعنى الا كما تقدم مرارا **فصل** لما بين
الاهلاك بين ان من هلكه ليس متروكا له بل بعده جمع وحساب وحبس وعقاب ولو ان من اهلك ترك لكان الموت راحة
ونعم ما قال القايل ٭ ولو انا اذا متنا تركنا ٭ لكان الموت راحة كل حي ٭ ولكنا اذا متنا بعثنا ٭ ونسال بعدها عن كل شي ٭
قال الزمخشري ان قال قايل كل وجميع بمعنى واحد فكيف جعل جميعا خبرا لكل حيث ادخل اللام عليه اذ التقدير وان كل لجميع قول
معنى جميع مجموع ومعنى كل اي كل فرد مجموع مع الاخر مضموم اليه ويمكن ان يقال محضرون يعني عما ذكر وذلك لانه لو قال
وان جميع لجميع محضرون لكان كلاما صحيحا قال ابن الخطيب ولم يوجد ما ذكره من الجواب بل الصحيح ان محضرين كالصفة
للجمع فكانه قال الجمع جميع محضرون كما يقول الرجل رجل عالم والنبي نبي مرسل والواو في وان كل معطوف على الحكاية كانه يقول
بينت لك ما ذكرت وابين ان كلا لدينا محضرون **قوله تعالى** واية خبر مقدم ولهم صفتها او متعلقة باية لانها بمعنى علامة
والارض مبتدا وتقدم تخفيف الميتة وتشديدها في اول ال عمران ومنع ابو حيان ان يكون لهم صفة لاية ولم يبين وجهه
ولا وجه له واعرب ابو البقا اية مبتدا ولهم الخبر والارض الميتة وصفته واحييناها خبره والجملة مفسرة لاية وبهذا
بدا ثم قال وقيل قد ذكر الوجه الاول وكذلك الحكي مكي اعني ان يكون اية ابتدا ولهم الخبر وجوز مكي ايضا ان يكون اية
مبتدا والارض خبره وهذا ينبغي ان لا يجوز لانه لا يترك المعرفة من الابتدا بها ويبتدا بالنكرة الا في مواضع للضرورة
قوله تعالى احييناها تقدم انه يجوز ان يكون خبر الارض ويجوز ان يكون ايضا حالا من الارض اذا جعلناها مبتدا واية
خبر مقدم وجوز الزمخشري في احييناها وفي نسلخ ان يكون صفتين للارض والليل وان كانا معرفتين بال لانه تعريف
بال الجنسية فهما في قوة النكرة كقوله ٭ ولقد امر على اللييم يسبني ٭ لانه لم يقصد لييما بعينه ورده ابو حيان بان فيه
هدما للقواعد من انه لا تنعت المعرفة بنكرة قال وقد تبعه ابن مالك ثم خرج ابو حيان الجمل على الحال اي الارض محياة والليل
منسلخا منه النهار واللييم شاتما لي قال شهاب الدين وقد اعتبر النحاة ذلك في مواضع فاعتبروا معنى المعرف بال الجنسية دون
لفظه فوصفوه بالنكرة الصريحة نحو ما لرجل خير منك على احد الاوجه وقوله الا الذين بعد ان الانسان وقوله او الطفل الذين
لم يظهروا واهلك الناس الدينار الحمر والدرهم البيض كل هذا ما روعي فيه المعنى دون اللفظ وان اختلف نوع المراعاة ويجوز
ان يكون احييناها استينافا بين به كونها اية **فصل** وجه التعلق بما قبله من وجهين احدهما انه تعالى لما قال وان كل لما جميع
كان ذلك اشارة الى الحشر فذكر ما يدل على امكانه قطعا لانكارهم واستبعادهم واصرارهم وعنادهم فقال واية لهم الارض
الميتة احييناها كذلك يحيي الموتى وثانيهما انه لما ذكر حال المرسلين واهلاك المكذبين وكان شغلهم التوحيد ذكر ما يدل
عليه وبدا بالارض لكونها مكانا لهم لا مفارقة لهم منها عند الحركة والسكون فان قيل الارض اية مطلقا فلم خصهم بها
حيث قال واية لهم فالجواب لان الاية تعدد وتسرد لمن لم يعرف الشي بابلغ الوجوه اما من عرف الشي بطريق الروية لا يذكر له
دليل فالنبي عليه السلام وعباد الله المخلصين عرفوا الله قبل الارض والسما فليست الارض معرفة لهم وهذا كما قال الله
تعالى سنريهم اياتنا في الافاق وفي انفسهم حتى يتبين لهم وقال اولم يكف بربك انه على كل شي شهيد يعني انت الحق كما قال الله
معرفا به عرفت كل شي فهو شهيد لك على كل شي واما هولاء يتبين لهم الحق بالافاق والنفس وكذلك ههنا الا انها اية لهم
فان قيل الاية ان قلنا انها مذكورة للاستدلال على جواز الاحيا للموتى فيكفي قوله احييناها ولا حاجة الى قوله واخرجنا
منها حبا وغير ذلك وان قلنا انه للاستدلال على وجود الاله ووحدانيته فلا فايدة في قوله الارض الميتة فقوله الميتة احييناها

كان في التوحيد فما فايدة قوله واخرجنا منها حبا فالجواب هي مذكورة للاستدلال عليهما ولكل ما ذكره الله تعالى فايدة
اما فايدة قوله واخرجنا منها حبا فهو بالنسبة الى بيان احياء الموتى لانه لما احيا الارض واخرج منها حبا كان ذلك احياء تاما
لان الارض الخضرة التي لا تنبت الزرع ولا تخرج الحب دون ما تنبته في الحياة فكانه تعالى قال الذي احيا الارض احياء كاملا منبتا
للزرع يحيي الموتى احياء كاملا بحيث يدرك الامور واما بالنسبة الى التوحيد فلان فيه تقرير النعم كانه يقول اية لهم الارض فانها
مكانهم ومهدهم الذي فيه تحريكهم واسكانهم والامر الضروري الذي عنده وجودهم فامكانهم وسواء كانت ميتة او لم تكن
فهي مكان لهم لا بد لهم منها فهي نعمة ثم احياؤها نعمة ثانية فانها تصير احسن وانزه ثم اخراج الحب منها نعمة ثالثة فان قوتهم يصير
في مكانهم وكان يمكن ان يجعل رزقهم في السماء وفي الهوا فلا يحصل لهم الوثوق ثم جعل الحياة منها نعمة رابعة لان الارض تنبت
الحب في كل سنة والاشجار بحيث يوجد منها الثمار فيكون بعدا لوجود حبا ثم تجري فيها العيون ليحصل لهم الاعتماد بالحصول
ولو كان ماوها من السماء لحصل ولكن لم يعلم انها امن تغرس او من المطر **فصل** المعنى احييناها بالمطر واخرجنا منها حبا
يعني الحنطة والشعير وما اشبههما فمنه ياكلون اي من الحب وجعلنا فيها جنات بساتين من نخيل واعناب وفجرنا فيها في الارض من
العيون لياكلوا من ثمره الحاصل بالما **قوله تعالى** وفجرنا العامة على التشديد تكثيرا لانها مخففة مسعود قرا جناح بن حبيش
بالتخفيف والمفعول محذوف على كلتي القراتين اي ينبوعا كما في اية سبحان **قوله تعالى** من ثمره قيل الضمير عايد على النخيل لانه اقرب
مذكور وكان من حق الضمير ان يثنى على هذا التقديم بشيين وهما الاعناب والنخيل الا انه اكتفى بذكر احدهما وقيل يعود على جنات
وعاد بلفظ المفرد ذهابا بالضمير مذهب اسم الاشارة كقول روبة ٭ فيها خطوط من سواد وبلق ٭ كانه في الجلد توليع البهق ٭
فقيل له فقال اردت كان ذاك وتلك وقيل عايد على الما المدلول عليه بعيون وقيل بل عاد عليه لانه مقدر اي من العيون
ويجوز ان يعود على العيون ويعتذر عن افراده بما تقدم في عوده على جنات ويجوز ان يعود على الاعناب والنخيل معا ويعتذر
عنه بما تقدم ايضا وقال الزمخشري اصله من ثمرنا لقوله وفجرنا الارض وايدينا فنقل الكلام من التكلم الى الغيبة على طريق الالتفات
والمعنى لياكلوا مما خلقه الله من الثمر فعلى هذا يكون الضمير عايدا على الله تعالى ولذلك فسر معناه بما ذكر وتقدم تقدم القراات
في هذه اللفظة في سورة الانعام **قوله تعالى** وما عملته ايديهم في ما هذه اربعة اوجه احدها انها موصولة اي ومن الذي
عملته ايديهم من الغرس والمعالجة وفيه تجوز على هذا والثاني انها نافية اي لم يعملوه هم بل الفاعل له هو الله تعالى اي
وجدوها معمولة ولا صنع لهم فيها وهو قول الضحاك ومقاتل وقيل اراد العيون والانهار التي لم تعملها يد خلق نحو الدجلة
والفرات والنيل ونحوها وقرا الاخوان وابو بكر بحذف الهاء والباقون وما عملته باثباتها فاذ كانت ما موصولة فعلى
قراءة الاخوين وابي بكر حذف العايد كما حذف في قوله اهذا الذي بعث الله رسولا بالاجماع وعلى قراءة غيرهم جي به على الاصل
وان كانت نافية فعلى قراءة الاخوين وابي بكر لا ضمير مقدر ولكن المفعول محذوف اي ما عملت ايديهم شيا من ذلك وعلى قراءة
غيرهم الضمير يعود على ثمره وهي مرسومة بالها في غير مصاحف الكوفة وبحذفها فيما عداها فالاخوان وابو بكر وافقوا مصاحفهم
والباقون غير حفص وافقوها ايضا وحفص خالف مصحفه وهذا يدل على ان القراءة متلقاة من افواه الرجال
فيكون عاصم قد اقراها لابي بالها ولحفص بدونها الثالث انها نكرة موصوفة والكلام فيها كالكلام في الموصولة والرابع انها
مصدرية اي ومن عمل ايديهم والمصدر واقع موقع المفعول به فيعود المعنى الى معنى الموصولة او الموصوفة **فصل**
اذا قلنا ما موصولة يحتمل ان يكون المعنى وما عملته ايديهم بالتجارة كانه ذكر نوعي ما ياكل الانسان وهما الزراعة والتجارة
ومن النبات ما يوكل من غير عمل الايدي كالعنب والتمر وغيرهما ومنه ما يعمل فيه عمل فيوكل كالاشياء التي لا توكل الا مطبوخة
او كالزيتون الذي لا يوكل الا بعد اصلاح ثم لما ذكر عدد النعم اشار الى الشكر بقوله افلا يشكرون ذكر بصيغة الاستفهام
لما تقدم في فوايد الاستفهام **قوله تعالى** سبحان الذي خلق الازواج كلها اي الاصناف وسبحان علم دال على التسبيح تقديره
سبح تسبيح الذي خلق الازواج ومعنى نزه ووجه تعلق الاية بما قبلها هو انه تعالى لما قال افلا يشكرون وشكر الله بالعبادة
وهم تركوها وعبدوا غيره واشركوا فقال سبحان الذي خلق الازواج كلها وغيره لم يخلق شيا او يقال لما بين انهم انكروا الايات
ولم يشكروا بين ما ينبغي ان يكون عليه العامل فقال سبحان الذي خلق تنزه عن ان يكون له شريك او يكون عاجزا عن احيا الموتى
قوله تعالى مما تنبت الارض من الثمار والحبوب والمعادن ونحوها ومن انفسهم يعني الذكور والاناث والدلايل النفسية
ومما لا يعلمون يدخل فيه ما في اقطار السموات وتخوم الارضين **قوله تعالى** واية لهم الليل كقوله واية لهم الارض ونسلخ
استعارة بديعة شبه انكشاف ظلمة الليل بكشط الجلد عن الشاة لما استدل تعالى باحوال الارض وهو المكان الكلي استدل
بالليل والنهار وهو الزمان الكلي فان دلالة الزمان والمكان متناسبة لان المكان لا يستغني عنه الجواهر والزمان لا
يستغني عنه الاعراض لان كل عرض فهو في زمان فان قيل اذا كان المراد منه الاستدلال بالزمان فلم خص الليل فالجواب
انه لما استدل بالمكان المظلم وهو الارض استدل بالزمان المظلم وهو الليل ووجه اخر وهو ان الليل فيه سكون الناس

وهدت الاصوات وقيل النوم وهو الموت الاصغر فيكون بعد طلوع الفجر كالنفخ في الصور فيتحرك الناس فذكر الموت كما قال في
الارض وآية لهم الارض الميتة وذكر من الزمان اشبههما بالموت كما ذكر من المكان اشبههما بالموت فان قيل الليل بنفسه آية
فاي حاجة الى قوله نسلخ منه النهار فالجواب ان الشيء تتبين بضده منافعه ومحاسنه ولهذا لم يجعل الله الليل وحده آية في موضع
من المواضع الا وذكر آية النهار معها قوله تعالى فاذا هم مظلمون اي داخلون في الظلام كقوله مصبحين واذا للمفاجأة اي
ليس بعد ذلك امر ولا بد لهم من الدخول فيه قوله تعالى والشمس تجري لمستقر لها يحتمل ان تكون الواو للعطف على الليل تقديره
وآية لهم الليل نسلخ والشمس تجري والقمر قدرناه فهي كلها آية وقوله والشمس تجري اشارة الى سبب سلخ النهار فانها تجري
لمستقر لها ويحتمل ان تكون الواو للعطف فغرب الشمس سالخ النهار فذكر السبب ليبين صحة الدعوى ويحتمل ان يقال بان قوله
والشمس تجري لمستقر لها اشارة الى نعمة النهار بعد الليل كانه تعالى لما قال وآية لهم الليل نسلخ منه النهار ذكر ان الشمس تجري
فتطلع عند انقضاء الليل فيعود النهار بمنافعه قال المفسرون ان الاصل هي الظلمة والنهار داخل عليها فاذا غربت
الشمس سلخ النهار من الليل فتظهر الظلمة قوله تعالى لمستقر قيل في الكلام حذف مضاف تقديره تجري لمجرى مستقر لها وعلى
هذا فاللام للعلة اي لاجل جري مستقر لها والصحيح انه لا حذف وان اللام بمعنى الى ويدل على ذلك قراءة بعضهم الى مستقر
وقرا عبد الله وابن عباس وعكرمة وزين العابدين وابنه الباقر والصادق بن الباقر لا مستقر بلا النافية للجنس وبنا مستقر
على الفتح ولها الخبر وابن ابي عبلة لا مستقر لها بالرفع ملغاة عمل ليس فمستقر اسمها ولها في محل نصب خبرها كقوله

• تعز فلا شيء على الارض باقيا • ولا وزر مما قضى الله واقيا •

والمراد بذلك انها لا تستقر في الدنيا بل هي دائمة الجريان وذلك اشارة الى جريها المذكور **فصل** قيل المراد بالمستقر
يوم القيامة فعنده تستقر ولا يبقى لها حركة وقيل تسير حتى تنتهي الى ابعد مغاربها فلا تتجاوزه ثم ترجع وقيل الليل وقيل
نهاية ارتفاعها في الصيف ونهاية هبوطها في الشتاء وروى ابو ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابي ذر حين غربت الشمس
تدري اين تذهب قلت الله ورسوله اعلم قال فانها تذهب حتى تسجد تحت العرش فتستاذن فيؤذن لها ويوشك ان تسجد
فلا يقبل منها وتستاذن فلا يؤذن لها يقال لها ارجعي من حيث جئت فتطلع من مغربها فذلك قوله والشمس تجري لمستقر لها
ذلك تقدير العزيز العليم وروى عمرو بن دينار عن ابن عباس والشمس تجري لا مستقر لها اي لا قرار لها ولا وقوف وهي
جارية ابدا قوله تعالى ذلك اشارة الى جري الشمس اي ذلك الجري تقدير الله ويحتمل ان تكون اشارة الى المستقر اي ذلك المستقر
تقدير الله والعزيز الغالب والعليم الكامل العلم اي قادر على اجرائها على الوجه الانفع وذلك من وجوه الاول ان الشمس كل
يوم تمر على مسامتة شيء لم تمر في مسامتها عليه في ستة اشهر الا مرة فلو قدر الله مرورها كل يوم على مسامتة واحدة لاحترقت
الارض التي تسامتها لمرورها عليها كل يوم وبقي الجمود مستوليا على الاماكن الاخر فقدر الله لها بعدا لتجتمع الرطوبات
في باطن الارض والاشجار في زمن الشتاء ثم قدر قربها بتدريج ليخرج النبات والثمار من الارض والشجر وينضج ويجف الثاني
قدر لها في كل يوم طلوعا وفي كل ليلة غروبا لئلا يكل القوى والابصار بالسهر والتعب ولئلا يخرب العالم بترك العادة بسبب
الظلمة الدائمة الثالث جعل سيرها ابطأ من سير القمر واسرع من سير زحل لانها كاملة النور فلو كانت بطيئة السير لدامت
زمانا كثيرا في مسامتة شيء واحد فتحرقه ولو كانت سريعة السير لما حصل لها لبث بقدر ما ينضج الثمار في بقعة واحدة
قوله تعالى والقمر قدرناه قرأ نافع وابن كثير وابو عمرو برفع القمر والباقون بنصبه فالرفع على الابتداء والنصب باضمار
فعل على الاشتغال والوجهان مستويان لتقدم جملة ذات وجهين وهي قوله والشمس تجري فان راعيت صدرها رفعت
لتعطف جملة اسمية على مثلها وان راعيت عجزها نصبت لتعطف فعلية على فعلية وبهذه الآية يبطل قول الاخفش انه لا يجوز
النصب في الاسم الا اذا كان في جملة الاشتغال ضمير يعود على الاسم الذي تضمنته جملة ذات الوجهين قال لان المعطوف على الخبر
خبر فلا بد من ضمير يعود على المبتدا فيجوز زيد قام وعمرو اكرمته في داره ولو لم يقل في داره لم يجز ووجه الرد من هذه الآية
ان اربعة من السبعة نصبوا وليس في جملة الاشتغال ضمير يعود على الشمس وقد اجمع على النصب في قوله تعالى والسماء رفعها
بعد قوله والنجم والشجر يسجدان قوله تعالى منازل فيه وجهان احدهما انه مفعول ثان لان قدرنا بمعنى صيرنا الثاني انه حال
ولا بد من حذف مضاف قبل منازل تقديره ذا منازل قال الزمخشري لا بد من تقدير لفظ يتم به معنى الكلام لان القمر
لم يجعل نفسه منازل الثالث انه ظرف اي قدرنا سيره في منازل وتقدم نحوه اول يونس قوله تعالى حتى عاد كا
لعرجون العامة على ضم العين والجيم وفي وزنه وجهان احدهما انه فعلول فنونه اصلية وهذا هو المرجح والثاني وهو
قول الزجاج ان نونه مزيدة ووزنه فعلون مشتقا من الانعراج وهو الانعطاف وقرا سليمان التيمي بكسر العين وفتح
الجيم وهما لغتان كالبزيون والبزيون والعرجون عود العذق ما بين الشماريخ الى منبته من النخلة وهو تشبيه بديع
شبه به القمر في ثلاثة اشياء دقته واستقواسه واصفراره لان العذق الذي عليه الشماريخ اذا قدم وعتق دق وتقوس

واصفر والقديم ما تقادم عهده بحكم العادة ولا يشترط في جواز اطلاق لفظ القديم عليه مدة بعينها بل انما يعتبر العادة
حتى لا يقال للمدينة بنيت من سنة او سنتين لبنائها قديم او هي مدينة قديمة ويقال لبعض الاشياء انه قديم وان لم يكن له
سنة ولهذا جاز ان يقال بيت قديم وبناء قديم ولم يجز ان يقال في العالم انه قديم لان القدم في البيت والبناء يثبت بحكم
تقادم العهد ومرور السنين عليه واطلاق القديم على العالم بتمادي الازمنة عند من لا يعتقد انه لا اول له ولا سابق عليه
قوله تعالى لا الشمس ينبغي لها ان تدرك القمر اي لا يدخل النهار على الليل قبل انقضائه ولا يدخل الليل على النهار قبل انقضائه
وهو معنى قوله ولا الليل سابق النهار اي يتعاقبان بحساب معلوم لا يجيء احدهما قبل وقته وقيل لا يدخل احدهما في سلطان الآخر
لا تطلع الشمس بالليل ولا يطلع القمر بالنهار وله ضوء فاذا اجتمعا وادرك كل واحد منهما صاحبه قامت القيامة وقيل لا الشمس ينبغي
لها ان تدرك القمر لا يجتمع معه في فلك واحد ولا الليل سابق النهار اي لا يتصل ليل بليل لا يكون بينهما نهار فاصل فان قيل
ما الفائدة في قوله تعالى لا الشمس ينبغي لها ان تدرك القمر بصيغة الفعل وقوله ولا الليل سابق بصيغة اسم الفاعل ولم يقل ولا
الليل يسبق ولا قال لا الشمس مدركة القمر فالجواب ان حركة الشمس التي لا تدرك القمر مختصة بالشمس فجعلها كالصادرة منها
فذكر بصيغة الفعل لانه لا يطلق على من لا يصدر منه الفعل فلا يقال يخيط ولا يكون تصدر منه الخياطة واما حركة القمر فليست مختصة
بكوكب من الكواكب بل الكل فيها مشترك بسبب حركة فلك لا يختص بكوكب فالحركة ليست كالصادرة منه فاطلق عليه اسم الفاعل لانه
لا يستلزم صدور الفعل يقال فلان خياط وان لم يكن يخيط فان قيل قوله يغشي الليل النهار يطلبه حثيثا يدل على ان الليل
سابق فالجواب ان المراد من الليل ههنا سلطان الليل وهو القمر ولا يسبق الشمس بالحركة اليومية السريعة والمراد من الليل هناك
نفس الليل وكل واحد لما كان في عقب الآخر فكأنه طالبه فان قيل قد ذكرهم انه سابق وقال هناك يطلبه ولم يقل طالبه فالجواب
لما بينا من ان المراد في هذه السورة من الليل كواكب الليل وحركاتها بحركة الفلك فكأنها لا حركة لها فلا سبق ولا من شأنها انها سابقة
والمراد هناك نفس الليل والنهار وهما زمانان والزمان لا قرار له فهو يطلب حثيثا المصدر والمنقضي منه فان قيل اما الحكمة في
اطلاق الليل وارادة سلطانه وهو القمر وماذا يكون لو قال ولا القمر سابق الشمس فالجواب لو قال ولا القمر سابق الشمس ما كان
يفهم ان الاشارة الى الحركة اليومية فكان يتوهم المناقض بان الشمس اذا كانت لا تدرك القمر فالقمر اسرع ظاهرا واذا قال ولا القمر
سابق يظن ان القمر لا يسبق فليس باسرع فقال الليل والنهار ليعلم ان الاشارة الى الحركة التي بها تتم الدورة في يوم وليلة مرة وان جميع
الكواكب لها طلوع وغروب في الليل والنهار قوله تعالى ولا الليل سابق النهار قرا عمارة بنصب النهار حذف التنوين لالتقاء الساكنين
قال المبرد سمعته يقول بقراءتها فقلت ما هذا فقال اردت سابق يعني بالتنوين فخففت قوله تعالى وكل في فلك يسبحون اي
يجرون وهذا يحقق ان لكل طلوع في يوم وليلة لا يسبق بعضها بعضا بالنسبة الى هذه الحركة والتنوين في قوله كل عوض عن الاضافة
والمعنى كل واحد واسقاط التنوين للاضافة حتى لا يجتمع التعريف والتنكير في شيء واحد فلما سقط المضاف اليه لفظا رد التنوين
عليه لفظا وفي المعنى معرف بالاضافة فان قيل فهل يختلف الامر عند الاضافة لفظا وتركها فالجواب نعم لان قول القائل كل واحد
من الناس كذا لا يذهب الفهم الى غيرهم فيفيد اقتصار الفهم عليه فاذا قال كل كذا يدخل في الفهم عموم اكثر من العموم عند الاضافة وهذا
كما قبل وبعد اذا قلنا افعل قبل كذا واذا حذفنا المضاف وقلت افعل قبل افاد فهم الفعل قبل كل شيء فان قيل فهل بين قولنا كل منهم
وبين كلهم وبين كل فرق فالجواب نعم فقولك كلهم يثبت الامر للاقتصار عليهم وقولك كل منهم يثبت الامر اولا للعموم ثم يستدرك بالتخصيص
فقلت منهم وقولك كل يثبت الامر على العموم وتركت عليه فان قيل اذا كان كل بمعناه كل واحد منهم والمذكور الشمس والقمر فكيف قال
يسبحون فالجواب ان قوله كل للعموم فكانه اخبر عن كل كوكب في السماء سيار وايضا فلفظ كل يجوز ان يوحد نظرا الى كون لفظه
موحدا غير مثنى ولا مجموع ويجوز ان يجمع لكون معناه جمعا واما التثنية فلا يدل عليه اللفظ ولا المعنى وعلى هذا يحسن ان يقال
زيد وعمرو كل جاء ولا يقال كل جاءا بالتثنية وجواب آخر ان قوله ولا الليل سابق فالمراد من الليل الكواكب فقال يسبحون **فصل**
الفلك هو الجسم المستدير او السطح المستدير او الدائرة لان اهل اللغة اتفقوا على ان فلكة المغزل سميت فلكة لاستدارتها وفلكة
الخيمة هي الخشبة المسطحة المستديرة التي توضع على رأس العمود لئلا يمزق العمود الخيمة وهي صفحة مستديرة فان قيل فعلى هذا يكون
السماء مستديرة وقد اتفق اكثر المفسرين على ان السماء مبسوطة لها اطراف على جبال وهي كالسقف المستوي ويدل عليه قوله تعالى
والسقف المرفوع قال ابن الخطيب ليس في النصوص ما يدل دلالة قاطعة على كون السماء مبسوطة غير مستديرة بل دل الدليل الحسي
على كونها مستديرة فوجب المصير اليه والسقف المقبب لا يخرج عن كونه سقفا وكذلك كونه على جبال واما الدليل الحسي فوجوه الاول
ان من امعن في السير في جانب الجنوب ظهر له كواكب مثل سهيل وغيره ظهورا ابديا ولو كان السماء مسطحا مستويا لبان الكل للكل
بخلاف ما اذا كان مستديرا فان بعضه حينئذ يستتر باطراف الارض فلا يرى الثاني ان الشمس اذا كانت مقارنة للحمل مثلا
فاذا غربت ظهر لنا كواكب في منطقة البروج من الحمل الى الميزان ثم في كل قليل يستتر الكواكب الذي يكون طلوعه بعد طلوع
الشمس وبالعكس وهذا دليل ظاهر وان بحث فيه بصير قطعيا الثالث ان الشمس قبل طلوعها وبعد غروبها يظهر ضوؤها ويستتر

الجو بعض الاستنارة ثم تطلع ولولا ان بعض السماء مستتر بالارض وهو محل الشمس فلا يري جرمها ويتنشر نورها في الاماكن
كذا بل كان اعادتها الي السما يظهر لكل احد جرمها ونورها معا لكون السماء مستوية حينئذ مكشوفة كلها لكل احد الرابع لو كانت
السماء مستوية لكان القمر عند ما يكون فوق رؤوسنا على المسامتة اقرب ما يكون الينا وعند ما يكون على الافق ابعد منا لان العمود
اصغر من القطر والوتر وكذلك في الشمس والكواكب وكان يجب ان يري اكبر لان القريب يري اكبر وليس كذلك الخامس لو كانت
السماء مستوية لكان ارتفاعها اول النهار ووسطه واخره مستويا وليس كذلك والوجوه كثيرة وفي هذا كفاية **فصل**
قال المنجمون قوله تعالى يسبحون يدل على انها احيا لان ذلك لا يطلق الا على العاقل قال ابن الخطيب ان ارادوا القدر الذي يكون
منها التسبيح فنقول به لان كل شي يسبح بحمده وان ارادوا شيئا اخر فلم يثبت ذلك والاستعمال لا يدل كما في قوله تعالى في حق الا
صنام ما لكم لا تنطقون وقوله الا تاكلون **قوله تعالى** وآية لهم انا حملنا ذريتهم لما بين باحياء الارض وهي مكان الحيوانات
بين انه لم يقتصر عليه بل بين للانسان طريقا يتخذ من البحر ويسير فيها كما يسير في البر وهو كقوله تعالى وحملناكم في البر والبحر ويؤيد
هذا قوله تعالى وخلقنا لهم من مثله ما يركبون اذا فسر بان المراد منه الابل فانها سفن البر ووجه اخر وهو ان الله تعالى لما بين سباحة
الكواكب في الافلاك ذكر ما هو مثله وهو سباحة الفلك في البحار ووجه اخر وهو ان الامور التي انعم الله تعالى على عباده منها
ضرورية ومنها نافعة فالاول للحاجة والثاني للزينة فخلق الله الارض واحياها من القبيل الاول فانها المكان الذي لولاه
لما وجد الانسان ولولا احياؤها لما عاش الانسان ثم انه تعالى لما ذكر من القبيل الاول آيتين ذكر من القبيل الثاني وهو الزينة
آيتين احدهما الفلك التي تجري في البحر فيستخرج من البحر ما يتزين به كما قال تعالى ومن كل تاكلون لحما طريا وتستخرجون حلية
تلبسونها وتري الفلك مواخر فيه وثانيهما الدواب التي هي في البر كالفلك في البحر في قوله وخلقنا لهم من مثله ما يركبون فان الدواب
زينة كما قال تعالى والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة **قوله تعالى** انا حملنا مبتدأ وآية خبر مقدم وجوز ابو البقا ان يكون
انا حملنا خبر مبتدأ محذوف بناء منه على ان آية لهم مبتدأ وخبر كلام مستقل بنفسه كما تقدم في نظيره والظاهر ان الضميرين في
لهم وذريتهم لشي واحد ويراد بالذرية اما هم المحمولين في سفينة نوح عليه السلام او يكون الضميران مختلفين اي ذرية القرون
الماضية ووجه الامتنان عليهم انهم في ذلك مثل الذرية من حيث انهم ينتفعون بها كانتفاع اولئك وقوله ما يركبون هذا يحتمل ان
يكون من جنس الفلك ان اريد بالفلك سفينة نوح عليه السلام خاصة وان يكون من جنس اخر كالابل ونحوها وهذا سماها العرب
سفن البر فقوله من مثله اي من مثل الفلك او من مثل ما ذكر من خلق الازواج والضمير في لهم يحتمل ان يكون عائدا الي الذرية اي حملنا
ذريتهم وخلقنا للمحمولين ما يركبون ويحتمل ان يعود الي العباد الذي عاد اليهم قوله وآية لهم وهو الظاهر لعود الضماير الي شي
واحد ومن يحتمل ان تكون صلة اي خلقنا لهم مثله وان يكون للبيان لان المخلوق كان اشيا فقال من مثل الفلك للبيان وتقدم اشتقاق
الذرية في البقرة واختلاف القراء فيها في الاعراف **فصل** قال المفسرون المراد بالذرية الاباء والاجداد واسم الذرية يقع على
الاباء كما يقع على الاولاد اي حملنا اباءكم في الفلك والالف واللام للتعريف اي فلك نوح وهو مذكور في قوله واصنع الفلك وهو
معلوم عند العرب وقال الاكثرون الذرية لا تطلق الا على الولد وعلى هذا فالمراد اما ان يكون الفلك المعين الذي كان لنوح واما
ان يكون المراد الجنس كقوله تعالى وجعل لكم من الفلك والانعام ما تركبون وقوله وتري الفلك فيه مواخر وقوله فاذا ركبوا في الفلك
الي غير ذلك من استعمال لام التعريف في الفلك لبيان الجنس فان كان المراد سفينة نوح ففيه وجوه الاول ان المراد حملنا اولادهم الي
يوم القيمة في ذلك الفلك ولولا ذلك لما بقي الي الان نسل ولا عقب وعلى هذا فقوله حملنا ذريتهم اشارة الي كمال النعمة مقتصرة
عليكم مستمرة الي اعقابكم الي يوم القيمة وهذا قول الزمخشري ويحتمل ان يقال انه تعالى انما خص الذريات بالذكر لان الموجودين كانوا
كفارا لا فائدة في وجودهم فقال حملنا ذرياتهم اي لم يكن الحمل حملا لهم وانما كان حملا لما في اصلابهم من المؤمنين كمن حمل صندوقا فيه
جواهر قيل انه لم يحمل الصندوق انما حمل ما فيه الثاني ان المراد بالذرية الجنس اي حملنا اجناسهم لان ذلك الحيوان من جنسه ونوعه
والذرية تطلق على الجنس ولذلك يطلق على النسا كنهي النبي عليه السلام عن قتل الذراري اي النسا لان المراة وان كانت صنفا غير صنف
الرجل لكنها من جنسه ونوعه فقال ذرياتهم اي امثالهم الثالث ان الضمير في قوله وآية لهم عائد على العباد حيث قال يا حسرة على العباد
وقال بعد ذلك وآية لهم الارض وقال وآية لهم الليل وقال وآية لهم انا حملنا ذريتهم واذا علم هذا فكانه تعالى قال وآية للعباد
انا حملنا ذريات العباد ولا يلزم ان يكون المراد بالضمير في الموضعين اشخاصا معينين كقوله ولا تقتلوا انفسكم ويذيق بعضكم
باس بعض وكذلك اذا تقاتل قوم ومات الكل في القتال يقال هؤلاء القوم هم قتلوا انفسهم فهم في الموضعين يكون عائدا على القوم
ولا يكون المراد اشخاصا معينين بل المراد ان بعضهم قتل بعضهم فكذلك قوله تعالى وآية لهم اي آية لكل بعض منهم انا حملنا ذرية كل
بعض منهم او ذرية بعض منهم وان قلنا المراد جنس الفلك وهو الاظهر لان سفينة نوح لم تكن بحضرتهم ولم يعلموا من حمل فيها فاما
جنس الفلك فانه ظاهر لكل احد وقوله تعالى في سفينة نوح وجعلناها آية للعالمين اي بوجود جنسها ومثلها ويؤيده قوله تعالى
الم تر ان الفلك تجري في البحر بنعمة الله ليريكم من آياته ان في ذلك لايات لكل صبار شكور وان قيل المراد سفينة نوح فوجه المناسبة

انه ذكرهم بحال نوح وان المكذبين هلكوا والمؤمنين فازوا فكذلك هم ان امنوا يفوزوا وان كذبوا يهلكوا والاول اظهر
وهو ان المراد بالفلك الموجود في زمانهم ويؤيده قوله تعالى وان نشا نغرقهم **فان قيل** لم قال حملنا ذريتهم ولم يقل حملناهم
ليكون اعم كما قال وآية لهم الارض الميتة احييناها واخرجنا منها حبا فمنه ياكلون ولم يقل ما كل ذريتهم **فالجواب** قوله تعالى
حملنا ذريتهم اي ذريات القوم ولم يقل حملناهم لان سكنى الارض عام لكل احد يسكنها فقال وآية لهم الارض الميتة الي ان قال
فمنه ياكلون لان الاكل عام واما الحمل في السفينة فمن الناس من لا يركبها في عمره ولا يحمل فيها ولكن ذرية العباد لا بد لهم
من ذلك فان فيهم من يحتاج اليها فيحمل فيها **فان قيل** ما الحكمة في كونه جمع الفلك في قوله وتري الفلك فيه مواخر وافرده في قوله
في الفلك المشحون **فالجواب** ان فيه تدقيق مليح من علم اللغة وهو ان الفلك قد تكون حركتها مثل حركة تلك الكلمة في الصورة
والحركتان مختلفتان في المعنى مثاله قولك سجد يسجد سجودا للمصدر وهم قوم سجود في جمع ساجد يظن انها كلمة واحدة لمعنيين
وليس كذلك بل السجود عند كونه مصدرا حركته اصلية اذا قلنا ان الفعل مشتق من المصدر وحركة السجود عند كونه للجمع حركة
معتبرة من حيث ان الجمع يشتق من الواحد وينبغي ان يلحق المشتق تغيير في حرف وحركة او في مجموعهما فساجد لما اردنا ان نشتق
منه لفظ جمع غيرناه وجئنا بلفظ السجود فان السجود للمصدر والجمع ليس من قبيل الالفاظ المشتركة التي وضعت بحركة واحدة
لمعنيين واذا عرف هذا فنقول الفلك عند كونه واحدا مثل قفل وبرد وعند كونها جمعا مثل خشب او برد وغيرهما **فان قيل**
فاذا جعلته جمعا فاذن ما يكون واحدها **فالجواب** نقول جاز ان يكون واحدها فلكة او غيرها مما لم يستعمل كواحد النساء
حيث لم يستعمل وكذا القول في امام مبين كزمام وكتاب عند قوله تعالى كل اناس بامامهم اي بائمتهم **فصل** امام كرام
وهجان وهذا من دقيق التصريف واما من جهة المعنى ففيه سؤالات الاول قال ههنا حملنا ذريتهم من عليهم بحمل ذرياتهم
وقال تعالى انا لما طغى الماء حملناكم في الجارية من عليهم هناك بحمل انفسهم فالجواب ان من نفع المتعلق بالغير يكون قد نفع ذلك
الغير ومن يدفع الضرر عن المتعلق بالغير لا يكون قد دفع الضرر عن ذلك الغير بل يكون قد نفعه كمن احسن الي ولد انسان
وفرحه فرح بفرحه ابوه واذا دفع الالم عن ولد انسان يكون قد فرح اباه ولا يكون في الحقيقة ازال الالم عن ابيه فعند طغيان
الماء كان الضرر يلحقهم فقال دفعت عنكم الضرر ولو قال دفعت عن اولادكم الضرر لما حصل بيان دفع الضرر عنهم وههنا
اراد بيان المنافع فقال حملنا ذرياتهم لان النفع حاصل بنفع الذرية ويدل على هذا قوله في الفلك المشحون فان امتلاء الفلك
من الاموال يحصل بذكره بيان المنفعة فاذا دفع المضرة فلا لان الفلك كلما كان انقل كان الخلاص بها ابطا وهنالك السلامة
فاختار ههنا ما يدل على الخلاص من الضرر وهو الجري وههنا ما يدل على كمال المنفعة وهو الشحن **فان قيل** قال تعالى وحملناكم
في البر والبحر ولم يقل وحملنا ذريتهم مع ان المقصود في الموضعين بيان النعمة لا دفع النقمة **فالجواب** نقول لما قال في البر والبحر
عم الخلق لان ما من احد الا وحمل في البر او البحر واما الحمل في البحر فلم يعم فقال ان كنا ما حملناكم بانفسكم فقد حملنا من يهمكم امره
من الاولاد والاقارب والاخوان والاصدقاء **فصل** وفي قوله المشحون فائدة اخري وهي ان الادمي يرسب ومع
هذا حمل الله الانسان فيه مع ثقله **فان قيل** ما الحكمة في قوله وآية لهم الارض وآية لهم الليل ولم يقل وآية لهم الفلك جعلناها
بحيث تحملهم **فالجواب** ان حملهم في الفلك هو العجيب اما نفس الفلك فانه ليس بعجيب لانه كبيت مبني من خشب واما نفس الارض فعجيب
ونفس الليل عجيب لا قدرة لاحد عليهما الا الله تعالى **قوله تعالى** وان نشا نغرقهم قرا الحسن بتشديد الراء وهذه الاية تدل على ان
المراد الابل لانها سفن البر لان ذلك يؤدي الي ان يكون قوله وخلقنا لهم من مثله ما يركبون فاصلا بين متصلين ويحتمل ان
يقال الضمير في مثله يعود الي معلوم غير مذكور ويقرب ان يقال وخلقنا لهم من مثل ما ذكر من المخلوقات كما في قوله تعالى ليأكلوا
من ثمره ان الهاء عائدة الي ما ذكرنا اي من ثمر ما **فصل** في قوله وان نشا نغرقهم فائدتان احدهما ان في حال النعمة
ينبغي ان لا يامن من عذاب الله والثانية ان ذلك جواب عن سؤال مقدر وهو ان الطبيعي يقول السفينة تحمل بمقتضى الطبيعة
والمجوف لا يرسب فقال ليس كذلك بل لو شاء الله اغرقهم لاغرقهم وليس ذلك بمقتضى الطبيعة ولو صح كلامه الفاسد لكان لقائل
ان يقول الست توافق ان من السفن ما ينقلب وينكسر ومنها ما ينقبه ثاقب فيرسب وكل ذلك بمشيئة الله فان شاء الله اغراقهم
اغرقهم من غير شي من هذه الاسباب كما هو مذهب اهل السنة وبشي من تلك الاسباب التي يسلمها انت **قوله تعالى** فلا صريخ لهم
فعيل بمعنى فاعل اي لا مغيث لهم وقيل فلا مستغيث وقال الزمخشري فلا اغاثة جعله مصدرا من اصرخ قال ابو حيان ويحتاج
الي نقل ان صريخا يكون مصدرا بمعنى اصراخ والعامة على فتح صريخ وحكي ابو البقا انه قرئ بالرفع والتنوين قال ووجهه
على ما في قوله فلا خوف عليهم **فصل** معناه لا مغيث لهم يمنع عنهم الغرق ولا هم ينقذون اذا ادركهم الغرق لان
الخلاص من العذاب اما ان يكون بدفع العذاب من اصله او برفعه بعد وقوعه فقال لا صريخ لهم بدفع ولا هم ينقذون بعد
الوقوع فيه وهو كقوله تعالى لا تغن عني شفاعتهم شيئا ولا ينقذون وفيه فائدة اخري غير الحصر وهي انه تعالى قال لا صريخ
لهم ولم يقل ولا منقذ لهم لان من لا يكون من شانه ان ينصر لا يشرع في النصر مخافة ان يغلب ويذهب ماء وجهه وانما

يبصر ويعيث من كان شانه ان يعيث فقال لا صريخ لهم واما من لا يكون من شانه ان ينقذ اذا راي من يعين عليه في نصو
بسرع في الانقاذ وان لم يثق من نفسه في الانقاذ ولا يغلبطنه وانما يبذل المجهود فقال ولا هم ينقذون ولم يقل ولا
منقذ لهم ثم استثنى وقال الا رحمة منا ومتاعا الى حين وهو يفيد امرين احدهما انقسام الانقاذ الى قسمين الرحمة والمتاع
اي فمن علم انه يومن فينقذه الله رحمة ومن علم انه لا يومن فليتمتع زمانا ويزداد اثما وثانيهما انه بيان لكون الانقاذ غير مفيد
للدوام بل الزوال في الدنيا لا بد منه فينقذه الله رحمة ويمتعه الى حين ثم يميته فاذن الزوال لازم ان يقع قال ابن عباس المراد
بالحين انقضاء اجالهم يعني الا ان يرحمهم ويمتعهم الى حين اجالهم قوله تعالى الا رحمة منصوب على المفعول له وهو استثناء
مفرغ وقيل استثناء منقطع وقيل على المصدر بفعل مقدر وعلى اسقاط الخافض اي الا برحمة والفا في قوله فلا صريخ رابطة لهذه
الجملة بما قبلها والضمير في لهم عايد على المغرقين وجوز ابن عطية هذا ووجها اخر وجعله احسن منه وهو ان يكون استيناف
اخبار عن المسافرين في البحر ناجين كانوا او مغرقين هم بهذه الحالة لا نجاة لهم الا برحمة الله وليس قوله فلا صريخ لهم مربوطا
بالمغرقين انتهى وليس جعله هذا الاحسن بالحسن لئلا يخرج الفا عن موضوعها والكلام حق التيامه قوله تعالى واذا قيل لهم
اتقوا جوابها محذوف اي اعرضوا ويدل عليه قوله بعده الا كانوا عنها معرضين وعلى هذا فلفظ كانوا ابدا قال ابن عباس ما بين ايديكم
يعني الاخرة فاعملوا لها وما خلفكم يعني الدنيا فاحذروها ولا تغتروا بها وقيل ما بين ايديكم وقايع الله فيمن كان قبلكم من الامم
وما خلفكم عذاب الاخرة قاله قتادة ومقاتل لعلكم ترحمون قوله تعالى وما تاتيهم من اية من ايات ربهم اي دالة على صدق محمد صلى الله
عليه وسلم الا كانوا عنها معرضين وهذا الاستثناء في محل حال كما تقدم في نظايره وهذه الاية متعلقة بقوله تعالى يا حسرة على العباد
ما ياتيهم من رسول الا كانوا به يستهزءون اي اذا جاءتهم الرسل كذبوا واذا اتوا بالايات اعرضوا قوله تعالى واذا قيل لهم اتقوا لما عدد
الايات فقوله واية لهم الارض واية لهم الليل واية لهم انا حملنا وكانت الايات تفيد اليقين والقطع ولم تفدهم اليقين قال فلا اقل
من ان يجوزوا وقوع العذاب فان من جوز وقوع العذاب يتقيه احتياطا وان لم يقطع بصدق المخبر فقال تعالى اذا ذكر لهم الدليل
القاطع لا يعترفون به واذا قيل لهم اتقوا لا يتقوا فهم في غاية الجهل ونهاية الغفلة لا مثل العلماء الذين يبنون الامر على الاحوط
ويدل على ذلك قوله تعالى لعلكم ترحمون بحرف التمني اي ان من يخفى عليه البرهان لا يترك الاحتراز والاحتياط قوله تعالى واذا قيل
لهم انفقوا مما رزقكم الله اي اعطاكم الله وهذا اشارة الى انهم تخلوا جميع التكاليف لان المكلف يجب عليه التعظيم لجانب الله والشفقة على
خلق الله وهم تركوا التعظيم حيث قيل لهم اتقوا فلم يتقوا وتركوا الشفقة على خلق الله حيث قيل لهم انفقوا ولم ينفقوا فان قيل
ما الحكمة في حذف الجواب في قوله واذا قيل لهم اتقوا وههنا اجاب واتى باكثر من الجواب ولو قال واذا قيل لهم انفقوا قالوا انطعم
من لو يشاء الله اطعمه لكان كافيا فما الفايدة في قوله تعالى قال الذين كفروا للذين امنوا فالجواب ان الكفار كانوا يقولون بان
الاطعام من الصفات الحميدة وكانوا يفتخرون بطعمة الاضياف فاوردوا ذلك على المومنين معتقدين بان افعالنا منا ولولا
اطعامنا لما اندفعت حاجة الضيف وانتم تقولون ان الهكم يرزق من يشاء فلم تقولون لنا انفقوا فلما كان غرضهم الرد على
المومنين لا الامتناع من الاطعام قال تعالى عنهم قال الذين كفروا للذين امنوا اشارة الى الرد واما قوله اتقوا ما بين
ايديكم فلم يكن لهم رد على المومنين فاعرضوا فاعرض عن ذكر اعراضهم لحصول العلم به فصل قال المفسرون
ان المومنين قالوا لكفار مكة انفقوا على المساكين مما زعمتم انه لله من اموالكم وهو ما جعلوا لله من حروثهم وانعامهم قالوا انطعم
اي انرزق من لو يشاء الله رزقه ثم لم يرزقه مع قدرته عليه فنحن نوافق مشية الله فلا نطعم من لم يطعمه الله وهذا مما يتمسك
به البخلاء يقولون لا نعطي من حرمه الله وهذا الذي يزعمون باطل لان الله تعالى اغنى بعض الخلق وافقر بعضهم ابتلاء فمنع الدنيا
من الفقير لا بخلا وامر الغني بالانفاق لا حاجة الى ماله ولكن ليبلو الغني بالفقير فيما فرض له في مال الغني ولا اعتراض لاحد
على مشية الله وحكمه في خلقه فان قيل ما الفايدة في تغيير اللفظ في جوابهم حيث لم يقولوا انفق من لو يشاء الله رزقه
وذلك انهم امروا بالانفاق في قوله واذا قيل لهم انفقوا فكان جوابهم ان يقولوا انفق فلم قالوا انطعم فالجواب ان في هذا
بيان غاية مخالفتهم لانهم اذا امروا بالانفاق والانفاق يدخل فيه الاطعام وغيره فلم ياتوا بالانفاق ولا باقل منه وهو الاطعام
وهذا كقول القايل لغيره اعط زيدا دينارا فيقول لا اعطيه درهما مع ان المطابق هو ان يقول لا اعطيه دينارا ولكن المبالغة
في هذا الوجه اتم فكذلك ههنا فان قيل قولهم من لو يشاء الله اطعمه كلام حق فلماذا ذكر في معرض الذم فالجواب
لان مرادهم كان الانكار لقدرة الله او لعدم جواز الامر بالانفاق مع قدرة الله وكلاهما فاسد فبين الله ذلك بقوله
مما رزقكم الله فانه يدل على قدرته ويصحح امره بالاعطا لان من كان له في يد الغير مال وله في خزانته مال فهو مخير ان اراد اعطى
مما في خزانته وان اراد امر من عنده المال بالاعطا ولا يجوز ان يقول من في يده ماله في خزانتك اكثر مما في يدي اعطه منه
قوله تعالى من لو يشاء الله اطعمه مفعول انطعم واطعمه جواب لو وجاء على احد الجايزين وهو تجرده من اللام والافصح
ان يكون باللام نحو لو نشاء لجعلناه حطاما قوله تعالى ان انتم الا في ضلال مبين يقول الكفار للمومنين ما انتم الا في خطاء بين

في اتباعكم محمدا وترك ما نحن عليه وهذا اشارة الى انهم قطعوا المومنين بهذا الكلام وان امرهم بالانفاق مع قولهم
بقدرة الله ظاهر الفساد واعتقادهم هو الفاسد فصل اعلم ان وردت للنفي بمعنى ما وكان الاصل في ان تكون
للشرط والاصل في ما ان تكون للنفي لكنهما اشتركا من بعض الوجوه فتعارضا واستعمل ما في الشرط واستعمل ان في النفي اما وجه
اشتراكهما فهو ان لكل واحد منهما حرفا مركب من حرفين متقاربين فان الهمزة تقرب من الالف والميم من النون ولان ان يكون المعنى
الذي يدخل عليه ما ان لا يكون ثابتا اما في ما فظاهر واما في ان فلانك اذا قلت ان جاء زيد اكرمه ينبغي ان لا يكون له في الحال مجي
فاستعمل ان مكان ما وقيل ان زيد قايم اي ما زيد بقايم واستعمل ما في الشرط تقول ما تصنع اصنع والذي يدل على ما ذكرنا ان ما
النافية يستعمل حيث لا يستعمل بان لانك تقول ما ان جلس زيد فتجعل ان صلة ولا تقول ما جلس زيد بمعنى النفي وبمعنى الشرط تقول
اما تريني فتجعل ان اصلا وما صلة فدلنا هذا على ان ان في الشرط اصل وما في النفي بالعكس فصل قوله ان انتم
الا يفيد ما لا يفيد قوله ان انتم في ضلال لان الاول يفيد الحصر وانهم ليسوا في غير الضلال ووصف الضلال بالمبين اي انه لظهوره
مبين نفسه انه ضلال اي في ضلال لا يخفى على احد انه ضلال وقوله في ضلال بعيد كونهم مغمورين فيه غايصين فاما قوله في موضع
اخر على بينة وعلى هدي فهو اشارة الى كونهم راكبين متن الطريق المستقيم قادرين عليه فصل انما وصفوا المومنين
بانهم في ضلال مبين لظنهم ان كلام المومنين متناقض ومن يتناقض كلامه يكون في غاية الضلال قال ابن الخطيب ووجه ذلك انهم
قالوا انطعم من لو يشاء الله اطعمه وهذا اشارة الى ان الله ان شاء يطعمهم فهو يطعمهم فكان الامر باطعامهم امرا بتحصيل الحاصل
وان لم يشأ اطعامهم لا يقدر احد على اطعامهم لامتناع وقوع ما لم يشأ الله فلا قدرة لنا على الاطعام فكيف تامروننا بالاطعام
ووجه اخر وهو انهم قالوا ان اراد الله تجويعهم فلو اطعمناهم يكون ذلك سعيا في ابطال فعل الله وانه لا يجوز وانتم تقولون اطعموهم
فهو ضلال واعلم انه لا يكون في الضلال الا هم حيث نظروا الى المراد ولم ينظروا الى الطلب والامر وذلك لان العبد اذا امره السيد
بامر لا ينبغي الاطلاع على المقصود الذي لاجله امره به مثاله اذا اراد الملك الركوب للهجوم على عدوه بحيث لا يطلع عليه احد وقال
للعبد احضر المركوب فلو تطلع واستكشف المقصود الذي لاجله الركوب تسبب الى انه يريد ان يطلع عدوه على الحذر منه وكشف سره
فالادب في الطاعة هو امتثال الامر لا تتبع المراد فالله تعالى اذا قال انفقوا مما رزقكم الله لا يجوز ان يقال لو لم يطعمهم الله مما في
خزاينه قوله تعالى ويقولون متى هذا الوعد اي القيمة والبعث ان كنتم صادقين وهذا اشارة الى ما اعتقدوا ان التقوى
المامور بها في قوله واذا قيل لهم اتقوا والانفاق المذكور في قوله واذا قيل لهم انفقوا لا فايدة فيه لان الوعد لا حقيقة له
وقولهم متى هذا الوعد اي متى يقع الموعود به فصل ان للشرط وهي تستدعي جزاء ومتى للاستفهام لا تصلح جوابا
فيه فما الجواب قيل هو في صورة الاستفهام وهو في المعنى انكار كانهم قالوا ان كنتم صادقين في وقوع الحشر فقولوا متى يكون
فصل الظاهر ان هذا الخطاب مع الانبياء لانهم لما انكروا الرسالة قالوا ان كنتم ايها المدعون للرسالة صادقين فا
خبرونا متى يكون ما تعدوننا به فان قيل ليس في هذا الموضع وعد فالاشارة بقوله هذا الوعد اي وعد فالجواب
هو ما في قوله تعالى واذا قيل لهم اتقوا ما بين ايديكم وما خلفكم من قيام الساعة او يقول هو معلوم وان لم يكن مذكورا لكون
الانبياء مقيمين على تذكرهم بالساعة والحساب والثواب والعقاب قوله تعالى ما ينظرون الا صيحة واحدة قال ابن عباس
ما ينتظرون الا الصيحة المعلومة يريد النفخة الاولى والتنكير للتكثير فان قيل هم ما كانوا ينتظرون بل كانوا يجزمون
لعدمها فالجواب المراد بالانتظار فعلهم لانهم كانوا يفعلون ما يستحق به فاعله البوار وتعجيل العذاب وتقريب الساعة
لولا حكم الله وعلمه بانهم لا يقولونه او يقال لما لم يكن قولهم متى استفهاما حقيقيا قال ينتظرون انتظارا غير حقيقي لان القايل
متى يفهم منه الانتظار منظرا الى قوله فصل ذكر في الصيحة امورا تدل على عظمها احدها التنكير وثانيها قوله واحدة
اي لا يحتاج معها الى ثانية وثالثها تاخذهم اي تعمهم بالاخذ وتصل الى من في الارض مشارقها ومغاربها قوله تعالى
وهم يخصمون قرا حمزة بسكون الخاء وتخفيف الصاد من خصم يخصم والمعنى يخصم بعضهم بعضا فالمفعول محذوف وابو عمرو
وقالون باخفاء فتحة الخاء وتشديد الصاد ونافع وابن كثير وهشام كذلك الا انهم باخلاص فتحة الخاء والباقون بكسر الخاء
وتشديد الصاد والاصل في القراات الثلاث يختصمون فادغمت التاء في الصاد فنافع وابن كثير وهشام نقلوا فتحتها الى
الساكن قبلها نقلا كاملا وابو عمرو وقالون اختلسا حركتها تنبيها على ان الخاء اصلها السكون والباقون حذفوا حركتها فالتقى
ساكنان كذلك فكسروا اولهما فهذه اربع قراات قرئ بها في المشهور وروي عن ابي عمرو وقالون سكون الخاء وتشديد الصاد
والنحاة يستشكلونها للجمع ساكنين على غير حدهما وقرا جماعة يختصمون بكسر الياء والخاء وتشديد الصاد وكسروا الياء
اتباعا وقرا ابي يختصمون على الاصل وقال ابو حيان وروي عنهما اي عن ابي عمرو وقالون سكون الخاء وتخفيف الصاد من خصم
قال شهاب الدين هذه هي قراءة حمزة ولم يحكها هو عنه وهذا الشبه قوله يخطف ابصارهم في البقرة ولا يهدي في يونس وقرا
ابن محيصن يرجعون مبنيا للمفعول فصل قال عليه السلام لتقومن الساعة وقد نشر الرجلان ثوبهما بينهما فلا

يبيعانه ولا يطويانه ولتقومن الساعة وقد رفع الرجل اكلته الى فيه فلا يطعمها **قوله تعالى** فلا يستطيعون توصية
اي لا يقدرون على الايصاء قال مقاتل اي عجلوا عن الوصية فماتوا ولا الى اهلهم يرجعون ينقلبون اي ان الساعة لا تمهلهم
لشيء واعلم ان قول القايل فلان في هذه الحالة لا يوصي دون قوله لا يستطيع التوصية لان من لا يوصي قد يستطيعها
والتوصية بالقول والقول يوجد اسرع مما يوجد الفعل فقال لا يستطيعون كلمة فكيف الذي يحتاج الى زمن طويل من اداء
الواجبات ورد المظالم واعتبار الوصية من بين ساير الكلمات يدل على انه لا قدرة له على اهم الكلمات فان وقت الموت الحاجة
الى التوصية امس والتنكير في التوصية للتعميم اي لا يقدر على توصية ما ولو كانت بكلمة يسيرة ولان الوصية قد تحصل بالاشارة
فالعاجز عنها عاجز عن غيرها وقوله ولا الى اهلهم يرجعون بيان لشدة الحاجة الى التوصية ثم بين ما بعد الصيحة الاولى
فقال ونفخ في الصور اي نفخ فيه اخرى كقوله تعالى ونفخ فيه اخرى فاذا هم قيام ينظرون وقرا الاعرج ونفخ في الصور بفتح
الفا وهذه هي نفخة البعث وبين النفختين اربعون سنة **قوله تعالى** فاذا هم من الاجداث وهي القبور واحدها جدث
وقرئ من الاجداف بالفا وهي لغة في الاجداث يقال جدث وجدف كثم وفم وثوم وفوم **فان قيل** اين يكون ذلك الوقت
اجداث وقد زلزلت الصيحة الجبال **فالجواب** ان الله يجمع اجزاء كل ميت في الموضع الذي اقبر فيه فيخرج من ذلك الموضع
وهو جدثه **قوله تعالى** الى ربهم ينسلون اي يخرجون من القبور احيا وقرا ابن ابي اسحق وابو عمرو في رواية ينسلون بضم السين
يقال نسل الثعلب ينسل وينسل اي اسرع في عدوه ومنه قيل للولد نسل لخروجه من ظهر ابيه وبطن امه **فان قيل** المسيء
اذا توجه الى من احسن اليه يقدم رجلا ويوخر اخرى والنسلان سرعة المشي فكيف يوجد منهم ذلك **فالجواب** ينسلون من
غير اختيارهم والمعنى انه اراد ان يبين كمال قدرته ونفوذ ارادته حيث ينفخ في الصور فيكون في وقته جمع واحياء وقيام
وعدو في زمان واحد فقوله اذا هم ينسلون اي في زمان واحد ينتهون الى هذه الدرجة وهي النسلان الذي لا يكون
الا بعد مراتب **فان قيل** قال في اية فاذا هم قيام ينظرون وقال ههنا فاذا هم من الاجداث الى ربهم ينسلون والقيام
غير النسلان وقوله في الموضعين اذا هم يقتضي ان يكونا معا **فالجواب** من وجهين الاول ان القيام لا ينافي المشي السريع
لان الماشي قايم ولا ينافي النظر الثاني ان سرعة الامور كان الكل في زمان واحد كقول القايل مكر مفر مقبل مدبر معا
واعلم ان النفختين يورثان تزلزلا وانتقالا للاجرام فعند اجتماع الاجرام تفرقها وهو المراد بالنفخة الاولى وعند
تفرق الاجرام تجمعها وهي النفخة الثانية **قوله تعالى** يا ويلنا العامة على الاضافة الى ضمير المتكلمين دون تانيث وهو
ويل مضاف لما بعده ونقل ابو البقاء عن الكوفيين ان وي كلمة برأسها ولنا جار ومجرور انتهى قال الشهاب الذي لا معنى لهذا الا
انا ويل بعيد وهو ان يكون يا عجبا لنا لان وي تفسر بمعنى العجب وابن ابي ليلى يا ويلتنا بتاء التانيث وعنه ايضا يا ويلتي
بابدال النا الفا وتاويل هذه ان كل واحد منهم يقول يا ويلتي **قوله تعالى** من بعثنا العامة على فتح ميم من بعثنا فعلا ماضيا
خبر من الاستفهامية قبله وابن عباس والضحاك وابو نهيك بكسر الميم على انها حرف جر وبعثنا مصدر مجرور بمن في الاولى
تتعلق بالويل والثانية تتعلق بالبعث والمرقد يجوز ان يكون مصدرا اي من رقادنا وان يكون مكانا وهو مفرد اقيم مقام
الجمع والاول احسن اذ المصدر مفرد مطلقا **فصل** قال ابي بن كعب وابن عباس وقتادة انما يقولون هذا لان
الله يرفع عنهم العذاب بين النفختين فيرقدون فاذا بعثوا بعد النفخة الاخيرة وعاينوا القيامة دعوا بالويل وقال اهل المعاني
ان الكفار اذا عاينوا جهنم وانواع عذابها صار عذاب القبر في جنبها كالنوم فقالوا من بعثنا من مرقدنا **فصل**
لو قيل فاذا هم من الاجداث الى ربهم ينسلون يقولون يا ويلنا كان اليق قال ابن الخطيب نقول معاذ الله وذلك لان قوله
اذا هم من الاجداث ينسلون اشارة الى انه تعالى في اسرع زمان يجمع اجزاءهم ويولفها ويحييها ويحركها بحيث يقع نسلانهم
في وقت النفخ مع ان ذلك لا بد له من الجمع والتاليف فلو قال يقولون لكان ذلك مثل الحال لينسلون اي ينسلون قايلين يا
ويلنا وليس كذلك فان قولهم يا ويلنا قبل ان ينسلوا وانما ذكر النسلان لما ذكرنا من الغاية **فان قيل** ما وجه تعلق
من بعثنا من مرقدنا بقولهم يا ويلنا **فالجواب** لما بعثوا تذكروا ما كانوا يسمعون من الرسل فقالوا يا ويلنا ابعثنا الله
البعث الموعود به ام كنا نياما فنبهنا كما اذا كان انسان موعودا بان ياتيه عدو لا يطيقه ثم يرى رجلا هائلا يقبل عليه
فيرجف في نفسه ويقول اهذا ذاك ام لا ويدل على هذا قولهم من مرقدنا حيث جعلوا القبور موضع الرقاد اشارة الى انهم
شكوا في انهم كانوا نياما فنبهوا او كانوا موتى فبعثوا وكان الغالب على ظنهم هو البعث فجمعوا بين الامرين وقالوا من بعثنا
اشارة الى ظنهم انهم بعثهم الموعود به وقالوا من مرقدنا اشارة الى توهمهم احتمال الانتباه **قوله تعالى** هذا ما وعد الرحمن
في هذا وجهان اظهرهما انه مبتدا وما بعده خبره ويكون الوقف تاما على قوله من مرقدنا وهذه الجملة حينئذ فيها وجهان
احدهما انها مستانفة اما من قول الله تعالى او من قول الملايكة او من قول المومنين للكفار والثاني انها من كلام الكفار فيكون
في محل نصب بالقول الثاني من الوجهين الاولين هذا صفة لمرقدنا وما وعد منقطع عما قبله ثم في ما وجهان احدهما انها

في محل رفع بالابتداء والخبر مقدر اي الذي وعده الرحمن وصدق فيه المرسلون حق عليكم واليه ذهب الزجاج والزمخشري
والثاني انه خبر مبتدا مضمر اي هذا وعد الرحمن وقد تقدم اول الكهف ان حفصا يقف على مرقدنا وقفة لطيفة دون
قطع نفس لئلا يتوهم ان اسم الاشارة تابع لمرقدنا وهذان الوجهان يقويان ذلك المعنى المذكور الذي يجعل الوقف لاجله
وما يصح ان تكون موصولة اسمية او حرفية كما تقدم ومفعولا الوعد والصدق محذوفان اي وعدناه الرحمن وصدقناه
المرسلون والاصل صدقنا فيه ويجوز حذف الخافض وقد تقدم ذلك نحو صدقني سن بكره اي في سنه **قوله تعالى** ان كانت
الا صيحة واحدة تقدمت قراءتا صيحة واحدة نصبا ورفعا اي ما كانت النفخة الا صيحة واحدة ويدل على النفخة قوله ونفخ
في الصور ويحتمل ان يقال ان كانت اذا وقعت الواقعة وقربت الصيحة مرفوعة على ان كان هي التامة بمعنى ما وقعت الا صيحة
قال الزمخشري لو كان كذلك لكان الاحسن ان يقال ان كان لان المعنى حينئذ ما وقع شيء الا صيحة لكن التانيث جايز
احالة على الظاهر ويمكن ان يقول الذي قرا بالرفع ان قوله اذا وقعت الواقعة تانيث تهويل ومبالغة بدليل قوله تعالى
ليس لوقعتها كاذبة فانها للمبالغة فكذلك ههنا قال ان كانت الا موتتنا الاولى تانيث تهويل ولهذا جاءت اسماء يوم الحشر
كلها مونثة كالقيامة والقارعة والحاقة والطامة والصاخة الى غيرها والزمخشري يقول كاذبة بمعنى ليس لوقعتها نفس
كاذبة وتانيث اسماء الحشر لكون الحشر مسمى بالقيامة وقوله محضرون دليل على ان كونهم ينسلون اجباري لا اختياري ثم بين
ما يكون في ذلك اليوم فقال فاليوم لا تظلم نفس شيئا فاليوم منصوب بلا تظلم وشيئا اما مفعول ثان واما مصدر فقوله
لا تظلم نفس ليامن المومن ولا تجزون الا ما كنتم تعملون لييأس المجرم الكافر **فان قيل** ما الفايدة في الخطاب عند
الاشارة الى يأس المجرم وترك الخطاب في الاشارة الى امان المومن **فالجواب** ان قوله لا تظلم نفس شيئا يفيد العموم وهو
كذلك فانه لا يظلم احدا واما لا تجزون فيختص بالكافر لان الله يجزي المومن وان لم يفعل فان لله فضلا مختصا بالمومن وعلما
عاما وفيه بشارة ثم بين حال المحسن فقال ان اصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون فقوله في شغل يجوز ان يكون خبرا لان وفاكهون
خبر ثان وان يكون فاكهون هو الخبر وفي شغل متعلق به وان يكون حالا وقرا الكوفيون وابن عامر شغل بضمتين والباقون
بضم وسكون وهما لغتان للحجازيين قاله الفراء ومجاهد وابو السمال بفتحتين ويزيد النحوي وابن هبيرة بفتحة وسكون وهما
لغتان ايضا والعامة على رفع فاكهون على ما تقدم والاعمش وطلحة فاكهين نصبا على الحال والجار الخبر والعامة ايضا على فا
كهين بالالف بمعنى اصحاب فاكهة كلابن وتامر ولاحم والحسن وابو جعفر وابو حيوة وابو رجا وشيبة وقتادة ومجاهد
فكهون بغير الف بمعنى طربون فرحون من الفكاهة بالضم وقيل الفاكه والفكه بمعنى المتلذذ المتنعم لان كلا من الفاكهة
والفكاهة مما يتلذذ به ويتنعم كحاذر وحذر وقرئ فكهين بالقصر والياء على ما تقدم وفكهون بالقصر وضم الكاف
يقال رجل فكه وفكه كرجل ندس وندس وحذر وحذر **فصل** اختلفوا في الشغل فقال ابن عباس في افتضاض
الابكار وقال وكيع بن الجراح في السماع وقال الكلبي في شغل عن اهل النار وما هم فيه لا يهمهم امرهم ولا يذكرونهم
وقال ابن كيسان في زيارة بعضهم بعضا وقيل في ضيافة الله فاكهون وقيل في شغل عن هول اليوم يأخذ ما اتاهم الله
من الثواب فما عندهم خبر من عذاب ولا حساب وقوله فاكهون متمم البيان سلامتهم فانه لو قال في شغل جاز ان يقال
هم في شغل عظيم التفكر في اليوم واهواله فان من تصيبه فتنة عظيمة ثم يعرض عليه امر من اموره ويخبر بخسران وقع في ماله
يقول انا مشغول عن هذا بما هو اهم منه فقال فاكهون اي شغلوا عنه باللذة والسرور لا بالويل والثبور وقال ابن عباس فاكهون
فرحون **قوله تعالى** هم وازواجهم يجوز في هم ان يكون مؤكدا للضمير المستكن في فاكهون وازواجهم عطف على المستكن
في فاكهون ويجوز ان يكون تاكيدا للضمير المستكن في شغل اذا جعلناه خبرا وازواجهم عطف عليه ايضا كذا ذكره ابو حيان
وفيه نظر من حيث الفصل بين المؤكد والمؤكد بخبر ان ونظيره ان تقول ان زيدا في الدار قايم هو وعمرو وعلى ان تجعل هو
تاكيدا للضمير في قولك في الدار وعلى هذين الوجهين يكون قوله متكيون خبرا اخر لان وفي ظلال متعلق به او حال وعلى
الارايك يتعلق به ويجوز ان يكون هم مبتدا ومتكيون خبره والجاران على ما تقدم وجوز ابو البقاء ان يكون في ظلال هو الخبر
قال وعلى الارايك مستانف وهي عبارة موهمة غير الصواب ويريد بذلك ان متكيون خبر مبتدا مضمر وعلى الارايك متعلق
به وانما وجه استينافه لانه خبر مقدم ومتكيون مبتدا مؤخر اذ لا معنى له وقرا عبد الله متكيين نصبا على الحال وقرا الاخوان
في ظلل بضم الظاء والقصر وهو جمع ظلة نحو غرفة وغرف وحلة وحلل وهي عبارة عن الفرش والستور والباقون بكسر
الظاء والالف جمع ظلة ايضا كخلة وخلال وبرمة وبرام او جمع فعلة بالكسر اذ يقال ظلة وظلة بالضم والكسر فهو
كلقحة ولقاح الا ان فعالا لا ينقاس فيها او جمع نحو ذيب وذياب وريح ورياح **فصل** الارايك هي السرر في الحجال
واحدها اريكة قال ثعلب لا يكون اريكة حتى يكون عليها حجلة متكيون ذوو اتكاء وهو اشارة الى عدم الفراغ وفي قوله
وازواجهم اشارة الى عدم الوحشة لهم فيها فاكهة ولهم ما يدعون اشارة الى دفع جميع حوايجهم وقوله لهم فيها فاكهة

إشارة إلى أن لا جوع هناك لأن التفكه لا يكون لدفع ألم الجوع قوله تعالى ولهم ما يدعون في ما هذه ثلاثة أوجه موصولة اسمية نكرة موصوفة والعائد على هذين محذوف ويدعون مضارع ادّعى افتعل من دعا يدعو بمعنى التمني قال أبو عبيدة العرب تقول ادّعِ عليّ ما شئت أي تمنَّ وفلان في خير ما ادّعى أي ما تمنى وقال الزجاج هو من الدعاء أي ما يدعون أهل الجنة يأتيهم من دعوت غلامي فيكون الافتعال بمعنى الفعل كالاحتمال بمعنى الحمل والارتحال بمعنى الرحل وقيل افتعل بمعنى تفاعل أي ما يتداعونه كقولهم ارتعوا وتراموا بمعنى وما مبتدأ وفي خبرها وجهان أظهرهما أنه الجار قبلها والثاني أنه سلام أي مسلّم خالص أو ذو سلامة قوله تعالى سلام العامة على رفعه وفيه أوجه أحدها ما تقدم من كونه خبر ما يدعون الثاني أنه بدل منها قاله الزمخشري قال أبو حيان وإذا كان بدلاً كان ما يدعون خصوصاً والظاهر أنه عموم في كل ما يدعونه وإذا كان عموماً لم يكن بدلاً منه الثالث أنه صفة لما وهذا إذا جعلتها نكرة موصوفة أما إذا جعلتها بمعنى الذي أو مصدرية تعذر ذلك لتخالفهما تعريفاً وتنكيراً الرابع أنه خبر مبتدأ مضمر أي هو سلام الخامس أنه مبتدأ خبره الناصب لقولاً أي سلام يقال لهم قولاً وقيل تقديره سلام عليكم السادس أنه مبتدأ وخبره من رب وقولاً مصدر مؤكد لمضمون الجملة وهو مع عامله معترض بين المبتدأ والخبر وقرأ أبي وعبد الله وعيسى سلاماً بالنصب وفيه وجهان أحدهما أنه حال قال الزمخشري أي لهم مرادهم خالصاً والثاني أنه مصدر يسلمون سلاماً إما من التحية وإما من السلامة وقولاً إما مصدر مؤكد وإما منصوب على الاختصاص قال الزمخشري وهو الأوجه ومن رب إما صفة لقولاً وإما خبر سلام كما تقدم وقرأ القرطبي سلم بالكسر والسكون وتقدم الفرق بينهما في البقرة فصل إذا قيل بأن سلام بدل مما يدعون فكأنه تعالى قال لهم ما يدعون ثم بيّنه بدله فقال لهم سلام فيكون مبتدأ وخبره الجار والمجرور كما يقال في الدار رجل ولزيد مال وإن كان في النحو ليس كذلك بل هو بدل وبدل النكرة من المعرفة جائز فيكون ما بمعنى الذي معرفة وسلام نكرة ويحتمل على هذا أن يقال ما في قوله تعالى ما يدعون لا موصوفة ولا موصولة بل هي نكرة تقديره لهم شيء يدعون ثم بيّن بذكر البدل فقال سلام والأول أصح وإن قيل سلام خبر ما ولهم لبيان الجهة فتقديره ما يدعون سلام لهم أي خالص لهم والسلام بمعنى السالم والسليم يقال عبد سلام أي سليم من العيوب كما يقال لزيد الشرف متوفر فالجار والمجرور يكون لبيان من له ذلك والشرف هو المبتدأ ومتوفر خبره وإن قيل بأن سلام منقطع عما قبله وهو مبتدأ وخبره محذوف فتقديره سلام عليهم ويكون ذلك إخباراً من الله تعالى في يومنا هذا كأنه تعالى حكى لنا وقال أصحاب الجنة في شغل ثم لما بيّن كمال حالهم قال سلام عليهم كقوله تعالى سلام على نوح وسلام على المرسلين فيكون الله تعالى أحسن إلى عباده المؤمنين كما أحسن إلى عباده المرسلين أو يقال تقديره سلام عليكم ويكون التفاتاً حيث قال لهم كذا وكذا ثم قال سلام عليكم فصل إذا قيل إن قولاً منصوب على المصدر فتقديره على قولنا إن المراد لهم سلام هو أن يقال لهم سلام يقوله الله قولاً أو تقوله الملائكة قولاً وعلى قولنا ما يدعون سلام لهم فتقديره قال الله ذلك قولاً ووعدهم أن لهم ما يدعون سلام وعداً وعلى قولنا سلام عليهم فتقديره أقوله قولاً وقوله من رب رحيم يكون لبيان أن السلام منه أي سلام عليهم من رب رحيم أقوله قولاً ويحتمل أن يقال على هذا أنه مميّز لأن السلام قد يكون قولاً وقد يكون فعلاً فإن من يدخل على الملك فيطأطئ رأسه يقال سلّم على الملك فهو حينئذ كقول القائل موجود حكماً لا حسّاً فصل روى جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بينا أهل الجنة في نعيمهم إذ سطع لهم نور فرفعوا رؤوسهم فإذا الرب عز وجل قد أشرف عليهم من فوقهم فقال السلام عليكم يا أهل الجنة فذلك قوله عز وجل سلام قولاً من رب رحيم فينظر إليهم وينظرون إليه فلا يلتفتون إلى شيء من النعيم ما داموا ينظرون إليه حتى يحتجب عنهم فيبقى نوره وبركته عليهم في ديارهم وقيل تسلم عليهم الملائكة من ربهم لقوله والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم أي يقولون سلام عليكم يا أهل الجنة من ربكم الرحيم وقيل يعطيهم السلامة قوله تعالى وامتازوا على إضمار قول تقابل لما قيل للمؤمنين أي ويقال للمجرمين امتازوا أي انعزلوا من ما زه يميزه قال المفسرون إن المجرم يرى منزلة المؤمن ورفعته ويرى ذلة نفسه فيتحسر فيقال لهم امتازوا اليوم وقيل المعنى ادخلوا مساكنكم من النار وقال أبو العالية تميّزوا وقال السدي كونوا على حدة وقال الزجاج انفردوا عن المؤمنين والمجرم هو الذي يأتي بالجريرة وقيل إن قوله وامتازوا أمر تكوين فحين يقول امتازوا اليوم فيميزون بسيماهم ويظهر على جباههم أو في وجوههم سواد كما قال تعالى يعرف المجرمون بسيماهم قوله تعالى ألم أعهد إليكم العامة على فتح الهمزة على الأصل في حرف المضارعة وتقدم ذكره في الفاتحة وقرأ ابن وثاب أحهد بحاء مهملة وهي لغة تميم ومنه دحّا محّا أي دعها معها فقلبت الهاء حاء ثم العين حاء حين أريد الإدغام والأحسن أن يقال إن العين أبدلت حاء وهي لغة هذيل فلما أدغم قلب الثاني للأول وهو عكس باب الإدغام وقد مضى تحقيقه آخر آل عمران وقال ابن خالويه وابن وثاب والهذيل ألم إعهد بكسر الميم والهمزة وفتح الهاء وهي على لغة من كسر أول المضارع سوى الياء وروي عن ابن وثاب إعهد بكسر الهاء يقال عهد وعهد انتهى يعني بكسر الميم

والهمزة أن الأصل في هذه القراءة أن يكون كسر حرف المضارعة ثم نقل حركته إلى الميم فكسرت لأن الكسر موجود في الميم وفي الهمزة لفظاً إذ يلزم من ذلك قطع همزة الوصل وتحريك الميم من غير سبب وأما كسر الهاء فلما ذكر من أنه سمع في الماضي عهد بفتحها وقولوا سوى الياء وكذا قال الزمخشري هو المشهور وقد نقل عن بعض كلب أنهم يكسرون الياء فيقولون يعلم وقال الزمخشري فيه وقد جوز الزجاج أن يكون من باب نعم ينعم وضرب يضرب يعني أن يخرج على أحد وجهين إما الشذوذ فيما اتحد فيه فعل يفعل بالكسر فيهما كنعم ينعم وحسب يحسب ويئس ييئس وهي ألفاظ معدودة في البقرة وإما أنه سمع في ماضيه الفتح كضرب كما حكاه ابن خالويه وحكى الزمخشري أنه قرئ أحهد بإبدال العين حاء وقد تقدم أنها لغة هذيل وهذه تقوي أن أصل أحّا أحهد فأدغم كما تقدم قوله تعالى أن لا تعبدوا وأن اعبدوني يجوز في أن تكون مفسرة للعهد بنهي وأمر وأن تكون مصدرية ألم أعهد إليكم في عدم عبادة الشيطان وفي عبادتي فصل في معنى هذا العهد وجوه أقواها الأوصل إليكم واختلفوا في هذا العهد فقيل هو العهد الذي كان مع آدم في قوله ولقد عهدنا إلى آدم وقيل هو الذي كان مع ذرية آدم حين أخرجهم وقال ألست بربكم قالوا بلى وقيل مع كل قوم على لسان رسولهم وهو الأظهر وقوله لا تعبدوا الشيطان أي لا تطيعوا الشيطان والطاعة قد تطلق على العبادة ثم قال إنه لكم عدو مبين أي ظاهر العداوة ووجه عداوته أنه لما أكرم الله آدم عليه السلام عاداه إبليس فإن قيل إذا كان الشيطان عدواً للإنسان فما بال الإنسان يقبل على ما يرضيه من الزنا والشرب ويكره ما يسخطه من المجاهدة والعبادة فالجواب استعانة الشيطان بأعوان من عند الإنسان وترك استعانة الإنسان بالله فيستعين بشهوته التي خلقها الله فيه لمصالح بقائه وبقاء نوعه ويجعلها سبباً لفساد حاله ويدعوه بها إلى مسالك المهالك ولذلك يستعين بغضبه الذي خلقه الله فيه لدفع المفاسد عنه ويجعلها سبباً لوباله وفساد أحواله وميل الإنسان إلى المعاصي كميل المريض إلى المضار وذلك حين ينحرف المزاج عن الاعتدال فترى المحموم يريد الماء البارد وهو يزيد في مرضه ومن معدته فاسدة لا يهضم القليل من الغذاء يميل إلى الأكل الكثير ولا يشبع بشيء وهو يزيد فساد معدته وصحيح المزاج لا يشتهي إلا ما ينفعه قوله تعالى وأن اعبدوني أي وحدوني هذا صراط مستقيم لما منع من عبادة الشيطان حمل على عبادة الرحمن ثم ذكر ما ينبه لعداوة الشيطان بقوله ولقد أضل منكم جبلاً كثيراً أي خلقاً كثيراً قوله تعالى جبلاً قرأ نافع وعاصم بكسر الجيم والباء وتشديد اللام وأبو عمرو وابن عامر بضمه وسكون الباء والباقون بضمتين واللام مخففة في كلتيهما وابن أبي إسحاق والزهري وابن هرمز بضمتين وتشديد اللام والأعمش بكسرتين وتخفيف اللام والأشهب العقيلي واليماني وحماد بن سلمة بكسر وسكون وهذه لغات في هذه اللفظة وتقدم معناها آخر الشعراء وقرئ جبلاً بكسر الجيم وفتح الباء جمع جبلة كفطر جمع فطرة وقرأ علي بن أبي طالب جيلاً بالياء من أسفل ثنتان وهي واضحة قال ابن الخطيب الجيم والباء واللام لا تخلو عن معنى الاجتماع الجبل فيه اجتماع الأجسام الكثيرة وجبل الطين فيه اجتماع أجزاء الماء والتراب وشاة جبا إذا كانت مجتمعة اللبن الكثير ويقال البلجة نقص لما ذكر ثم فإنها تنبئ عن التفرق فإن الأبلج خلاف المقرون هي لاجتماع الأماكن الخالية التي تسع المتمكنات فإن البلجة والبلدة بمعنى والبلد سمي بلداً للاجتماع لا للتفرق الجمع العظيم حتى قيل إن دون العشرة الآلاف لا يكون جبلاً وإن لم يكن صحيحاً قوله تعالى أفلم تكونوا تعقلون قرأ العامة بالخطاب لبني آدم وطلحة وعيسى بياء الغيبة والضمير للجبل ومن حقهما أن يقرأ الذين كانوا يوعدون لولا أن يعتذروا بالالتفات فصل في كيفية هذا الإضلال وجهان الأول تولية عن المقصد وخديعته فالشيطان يأمر البعض بترك عبادة الله وبعبادة غيره فهو تولية فإن لم يقدر يحمد بأمر غير ذلك من رياسة وجاه وغيرهما وهو يفضي إلى التولية لأن مقصوده لو حصل لترك الله وأقبل على ذلك الغير فتحصل التولية ثم قال أفلم تكونوا تعقلون ما أتاكم من هلاك الأمم الخالية بطاعة إبليس ويقال لهم لما دنوا من النار هذه جهنم التي كنتم توعدون بها في الدنيا اصلوها اليوم أي ادخلوها اليوم بما كنتم تكفرون وفي هذا الكلام ما يوجب شدة ندامتهم وحزنهم من ثلاثة أوجه أحدها قوله تعالى اصلوها أمر تنكيل وإهانة كقوله ذق إنك أنت العزيز الكريم الثاني قوله اليوم يعني العذاب حاضر ولذاتك قد مضيت وبقي اليوم العذاب الثالث قوله تعالى بما كنتم تكفرون فإن الكفر والكفران ينبئ عن نعمة كانت فكفر بها وحياء الكفور من المنعم من أشد الآلام كما قيل أليس بكاف لذي همة حياء المسيء من المحسن قوله تعالى اليوم نختم اليوم ظرف لما بعده وقرئ يختم مبنياً للمفعول والجار بعده قائم مقام فاعله وقرئ نتكلم بتاءين من فوق وقرئ ولتكلم ولتشهد بلام الأمر وقرأ طلحة ولتكلمنا ولتشهد بلام كي ناصبة للفعل ومتعلقها محذوف أي للتكلم وللشهادة ختمنا وبما كانوا أي بالذي كانوا أو بكونهم كاسبين فصل في الترتيب وجهان الأول أنهم حين يسمعون قوله تعالى بما كنتم تكفرون يريدون ينكرون كفرهم كما قال عنهم ما أشركنا وقالوا آمنا به فيختم الله على أفواههم فلا يقدرون على الإنكار وينطق الله جوارحهم غير لسانهم فيعترفون بذنوبهم الثاني لما قال تعالى لهم ألم أعهد إليكم لم يكن لهم جواب فسكتوا وخرسوا وتكلمت أعضاؤهم غير اللسان وفي الختم على الأفواه وجوه أقواها أن الله تعالى يسكت ألسنتهم وينطق جوارحهم فيشهدون عليهم وأنه في قدرة الله يسير وأما الإسكات فلا خفاء فيه وأما الإنطاق فلأن اللسان عضو متحرك بحركة مخصوصة كما جاز تحرك غيره مثلها والله قادر على كل الممكنات

والوجه الاخر انهم لا يتكلمون بشيء لانقطاع اعذارهم وانتهاك استارهم فيقفون ناكسوا الرؤس لا يجدون عذرا فيعتذرون ولا مجال توبة فيستغفرون وتكلم الايدي هو ظهور الامور بحيث لا يسع معه الانكار كقول القائل الحيطان تبكي على صاحب الدار اشارة الى ظهور الحزن والصحيح الاول لما ثبت في الصحيح ان الله تعالى يقول للعبد كفى بنفسك اليوم عليك شهيدا وبالكرام الكاتبين شهودا قال فيختم على فيه فيقال لاركانه انطقي قال فينطق باعماله ثم يخلي بينه وبين الكلام فيقول بعدا لكن وسحقا فعنكن كنت اناضل وقال عليه السلام اول ما يسال من احدكم فخذه وكفه **فان قيل** ما الحكمة في اسناده الختم الى نفسه وقال نختم واسند الكلام والشهادة الى الارجل والايدي **فالجواب** انه لو قال نختم على افواههم وننطق ايديهم لاحتمل ان يكون ذلك جبرا منهم وقهرا والاقرار بالاجبار غير مقبول فقال تكلمنا ايديهم وتشهد ارجلهم اي باختيارها بعد ما يقدرها الله تعالى على الكلام ليكون دالا على صدور الذنب منهم **فان قيل** ما الحكمة في جعل الكلام للايدي وجعل الشهادة للارجل **فالجواب** لان الافعال تسند الى الايدي قال تعالى وما عملته ايديهم اي ما عملوه وقال ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة اي لا تلقوا بانفسكم فاذن الايدي كالعاملة والشاهد على العامل ينبغي ان يكون غيره فيجعل الارجل والجلود من الشهود لبعد اضافة الافعال اليهم **فان قيل** ان يوم القيمة من تقبل شهادته من المقربين والصديقين كلهم اعداء للمجرمين وشهادة العدو على العدو غير مقبولة وان كان عدلا وغير الصديقين من الكفار والفساق لا تقبل شهادتهم والايدي والارجل صدرت الذنوب منها فهي فسقة فينبغي ان لا تقبل شهادتها **فالجواب** ان الايدي والارجل ليسوا من اهل التكليف ولا ينسب اليهما عدالة ولا فسق انما المنسوب من ذلك الى العبد المكلف لا الى اعضائه ولا يقال ان العين تزني وان الفرج يزني وان اليد كذلك لان معناه ان المكلف يزني بها لا انها هي تزني وايضا فانا نقول في رد شهادتها لانها ان كذبت في مثل ذلك اليوم مع ظهور الامور لابد ان يكون مذنبا في الدنيا وان صدقت في ذلك اليوم فقد صدر منها الذنب في الدنيا وهذا كمن قال للفاسق ان كذبت في نهار هذا اليوم فعبدي حر فقال الفاسق كذبت في نهار هذا اليوم عتق العبد لانه ان صدق في قوله كذبت في نهار هذا اليوم فقد وجد الشرط ايضا بخلاف ما لو قال في اليوم الثاني كذبت في نهار اليوم الذي علقت عتق عبدك على كذبي فيه **قوله تعالى** ولو نشاء لطمسنا على اعينهم اي اذهبنا اعينهم الظاهرة بحيث لا يبدو لها جفن ولا شق وهو معنى الطمس كقوله تعالى ولو شاء الله لذهب بسمعهم وابصارهم يقول اذا اعمينا قلوبهم ولو شئنا اعمينا ابصارهم الظاهرة **قوله تعالى** فاستبقوا الصراط عطف على لطمسنا وهذا على سبيل الفرض والتقدير وقراءة عيسى فاستبقوا امرا وهو على اضمار القول اي فيقال لهم استبقوا والصراط ظرف فكان مختص عند الجمهور فلذلك تاولوا وصول الفعل اليه اما بانه مفعول به مجازا جعله مسبوقا لا مسبوقا اليه ويضمن استبقوا معنى بادروا واما على حذف الجار اي الى الصراط وقال الزمخشري منصوب على الظرف وهو ماش على قول ابن الطراوة فان الصراط والطريق ونحوهما ليست عنده مختصة الا ان سيبويه استدل على ان قوله • لدن بهز الكف يعسل متنه فيه كما عسل الطريق الثعلب • ضرورة لنصبه الطريق وقرا ابو بكر مكاناتهم جمعا وتقدم في الانعام والعامة على مضيا بضم الميم وهو مصدر على فعول اصله مضوي فادغم وكسر ما قبل اليا ليصح نحو لقيا وقرئ بفتحها وقرا ابو حيوة ورويت عن الكسائي بكسر الميم اتباعا لحركة العين نحو عتيا وصليا وقرئ بفتحها وهو من المصادر التي وردت على فعيل كالرسيم والذميل **فصل** المعنى اذا اعمينا قلوبهم لو شئنا اعمينا ابصارهم الظاهرة فاستبقوا الصراط فتبادروا الى الطريق فانى يبصرون كيف يبصرون وقد اعمينا اعينهم يعني لو نشاء لاضللناهم عن الهدى وتركناهم عميا يترددون فكيف يبصرون الطريق حينئذ هذا قول الحسن والسدي وقال ابن عباس ومقاتل وعطاء وقتادة معناه لو نشاء لفقانا اعين ضلالتهم فاعميناهم عن غيهم وحولنا ابصارهم من الضلالة الى الهدى فابصروا رشدهم فانى يبصرون ولم افعل ذلك بهم ولو نشاء لمسخناهم على مكانتهم اي مكانهم اي لو نشاء جعلناهم قردة وخنازير في منازلهم وقيل لو نشاء لجعلناهم حجارة وهم قعود في منازلهم لا ارواح لهم فما استطاعوا مضيا ولا يرجعون الى ما كانوا عليه وقيل لا يقدرون على ذهاب ولا رجوع **قوله تعالى** ومن نعمره ننكسه في الخلق قرا عاصم وحمزة بضم النون الاولى وفتح الثانية وكسر الكاف مشددة من نكسه مبالغة والباقون بفتح الاولى وتسكين الثانية وضم الكاف خفيفة من نكسه وهي محتملة للمبالغة وعدمها وقد تقدم في الانعام ان نافعا وابن ذكوان قرا تعقلون والباقون بالغيبة **فصل** معنى ننكسه نرده الى ارذل العمر شبه الصبي في اول الخلق وقيل ننكسه في الخلق اي نضعف جوارحه بعد قوتها ونقصانها بعد زيادتها افلا تعقلون فتعتبرون وتعلمون ان الذي قدر على تصريف احوال الانسان يقدر على البعث بعد الموت **قوله تعالى** وما علمناه الشعر وما ينبغي له قال الكلبي ان كفار مكة قالوا ان محمدا شاعر فانزل الله تكذيبا لهم وما علمناه الشعر وما ينبغي له اي ما يتسهل له ذلك وما كان يتزن له بيت شعر حتى اذا تمثل ببيت شعر جرى على لسانه منكسرا روى الحسن ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يتمثل بهذا البيت كفى بالاسلام والشيب للمرء ناهيا فقال ابو بكر يا نبي الله انما قال الشاعر كفى الشيب والاسلام للمرء ناهيا فقال عمر

اشهد

اشهد انك رسول الله يقول الله عز وجل وما علمناه الشعر وما ينبغي له وعن ابي شريح قال قلت لعائشة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتمثل شيئا من الشعر قالت كان يتمثل من شعر عبد الله بن رواحة قالت وربما قال ويأتيك بالاخبار من لم تزود وفي رواية قالت كان الشعر ابغض الحديث اليه قالت ولم يتمثل بشيء من الشعر الا ببيت اخي بني قيس طرفة • ستبدي لك الايام ما كنت جاهلا • ويأتيك بالاخبار من لم تزود • فجعل يقول ويأتيك من لم تزود بالاخبار فقال ابو بكر ليس هكذا يا رسول الله فقال اني لست بشاعر ولا ينبغي لي وقيل معناه ما كان يتأتى له قال ابن الخطيب وفيه وجه احسن من ذلك وهو ان تحمل ما ينبغي له على مفهومه الظاهر وهو ان الشعر ما كان يليق به ولا يصلح له لان الشعر يدعو الى تغيير المعنى لمراعاة اللفظ والوزن والشارع يكون اللفظ منه تبعا للمعنى والشاعر يكون المعنى منه تبعا للفظ لانه يقصد لفظا يصح به وزن الشعر او قافيته فيحتاج الى التخيل لمعنى يأتي به لاجل ذلك اللفظ وعلى هذا فنقول الشعر هو الكلام الموزون الذي قصد الى وزنه قصدا اوليا واما من يقصد المعنى فيصدر موزونا لا يكون شاعرا الا ترى ان قوله تعالى لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون ليس بشعر والشاعر اذا صدر منه هذا الكلام فيه متحركات وساكنات بعدد ما في الاية تقطيعه تفاعلاتن فاعلاتن فاعلاتن ويكون شعرا لانه قصد الاتيان بالفاظ حروفها ساكنة ومتحركة كذلك والمعنى تبعه والحكيم قصد المعنى فجاء على تلك الالفاظ وعلى هذا يحصل الجواب على قول من يقول ان النبي ذكر بيت شعر وهو قوله • انا النبي لا كذب • انا ابن عبد المطلب • او تبيين لانا نقول ذلك ليس بشعر لعدم قصده الى الوزن والقافية وعلى هذا لو صدر من النبي عليه السلام كلام كثير موزون مقفى لا يكون شعرا لعدم قصده اللفظ قصدا اوليا ويؤيد ما ذكرنا انك اذا تتبعت كلام الناس في الاسواق تجد فيه ما يكون موزونا واقعا في بحر من بحور الشعر ولا يسمى المتكلم به شاعرا ولا الكلام شعرا لفقد القصد الى اللفظ اولا **فصل** وجه الترتيب ما تقدم من انه تعالى في كل موضع ذكر اصلين الوحدانية والحشر اما الوحدانية ففي قوله تعالى الم اعهد اليكم يا بني ادم ان لا تعبدوا الشيطان وفي قوله وان اعبدوني هذا صراط مستقيم واما الحشر ففي قوله تعالى اصلوها اليوم وبقوله اليوم نختم الى غير ذلك فلما ذكرهما وبينهما ذكر الاصل الثالث وهو الرسالة فقال وما علمناه الشعر وما ينبغي له ان هو الا ذكر وقران مبين فقوله وما علمناه الشعر اشارة الى انه معلم من عند الله فعلمه ما اراد ولم يعلمه ما لم يرد **فان قيل** لم خص الشعر بنفي التعليم مع ان الكفار كانوا ينسبون الى النبي صلى الله عليه وسلم اشياء من جملتها السحر والكهانة ولم يقل وما علمناه السحر وما علمناه الكهانة **فالجواب** اما الكهانة فكانوا ينسبون النبي عليه السلام اليها عندما كان يخبر عن الغيوب ويكون كما يقول واما السحر فكانوا ينسبونه اليه عندما كان يفعل ما لا يقدر عليه الغير كشق القمر وتكلم الحجر والجذع وغير ذلك واما الشعر فكانوا ينسبونه اليه عندما كان يتلو القران عليهم لكنه عليه السلام ما كان يتحدى الا بالقران كما قال تعالى وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة من مثله الى غير ذلك ولم يقل ان كنتم في شك من رسالتي فاقطعوا الجذوع او اشبعوا الخلق العظيم او اخبروا بالغيوب فلما كان تحديه عليه السلام بالكلام وكانوا ينسبونه الى الشعر عند الكلام خص الشعر بنفي التعليم **قوله تعالى** ان هو اي ان القران دل عليه السياق او ان المعلم الا ذكر يدل عليه وما علمناه والضمير في قوله له للنبي صلى الله عليه وسلم وقيل للقران **قوله تعالى** الا ذكر موعظة وقران مبين فيه الفرائض والحدود والاحكام **قوله تعالى** لينذر قرا نافع وابن عامر هنا وفي الاحقاف لتنذر خطابا والباقون بالغيبة بخلاف عن البزي في الاحقاف والغيبة يحتمل ان يكون الضمير فيها للنبي صلى الله عليه وسلم وان يكون للقران وقرا الجحدري واليماني لينذر مبنيا للمفعول وابو السمال واليماني ايضا لينذر بفتح الياء والذال من نذر بكسر الذال اي علم فيكون من فاله **فصل** المعنى لينذر القران من كان حيا يعني مؤمنا حي القلب لان الكافر كالميت في انه لا يتدبر ولا يتفكر قال تعالى او من كان ميتا فاحييناه وقيل من كان حيا اي عاقلا ذكره الزمخشري في ربيع الابرار ويحق القول ويجب العذاب على الكافرين ثم انه تعالى اعاد الوحدانية والدلائل الدالة عليها فقال اولم يروا انا خلقنا لهم مما عملت ايدينا اي من جملة ما عملت ايدينا اي ما عملناه من غير معين ولا ظهير بل عملناه بقدرتنا وارادتنا انعاما فهم لها مالكون ضابطون قاهرون اي لم نخلق الانعام وحشية نافرة من بني ادم لا يقدرون على ضبطها بل هي مسخرة لهم لقوله وذللناها لهم سخرناها لهم فمنها ركوبهم اي ما يركبون هي الابل ومنها ياكلون من لحمانها **قوله تعالى** ركوبهم اي مركوبهم كالحلوب والحصور بمعنى المفعول وهو لا ينقاس وقرا ابي وعائشة ركوبتهم بالتاء وقد عد بعضهم دخول التاء على هذه الزنة شاذا وجعلها الزمخشري في قول بعضهم جمعا يعني اسم جمع والا فلم يرد في ابنية التكسير هذه الزنة وقد عد ابن مالك ايضا ابنية اسماء الجموع فلم يذكر فيها فعولة وقرا الحسن وابو البرهسم والاعمش ركوبهم بضم الراء ولا بد من حذف مضاف اما من الاول اي فمن منافعها ركوبهم واما من الثاني اي ذو ركوبهم قال ابن خالويه العرب تقول ناقة ركوب حلوب وركوبة حلوبة وركباة حلباة وركبوت حلبوت وركبي حلبي وركبوتا وركبانة حلبانة وانشد • ركبانة حلبانة زفوف • تخلط بين وبر وصوف • **فصل** لما بين الركوب والاكل ذكر غير ذلك فقال ولهم فيها منافع

ومشارب والمراد بالمنافع أصوافها وأوبارها وأشعارها ونسلها وبالمشارب ألبانها والمشارب جمع مشرب بالفتح
مصدرا أو مكانا ثم قال أفلا يشكرون رب هذه النعم واتخذوا من دون الله آلهة إشارة إلى بيان زيادة ضلالهم لأنه كان
الواجب عليهم عبادة الله شكر الأنعم فتركوها وأقبلوا على عبادة من لا يضر ولا ينفع لعلهم ينصرون أي لتمنعهم من عذابه
ولا يكون ذلك والضمير في قوله لا يستطيعون إما للآلهة وإما لعابديها وكذلك الضمائر بعده قال ابن عباس لا يقدر الأصنام
على نصرهم ومنعهم من العذاب وهم لهم جند محضرون أي الكفار جند الأصنام يغضبون لها ويحضرونها في الدنيا وهي لا
تسوق إليهم خيرا ولا تستطيع لهم نصرا وقيل هذا في الآخرة يؤتى بكل معبود من دون الله ومعه أتباعه الذين عبدوه كأنهم
جند يحضرون في النار وهذا إشارة إلى الحشر بعد تقرير التوحيد وهذا كقوله تعالى إنكم وما تعبدون من دون الله حصب
جهنم وقوله احشروا الذين ظلموا وأزواجهم وما كانوا يعبدون من دون الله فاهدوهم إلى صراط الجحيم **قوله تعالى**
فلا يحزنك به تقدم قراءة حزن ويحزن قولهم يعني قول الكفار في تكذيبك وهذا إشارة إلى الرسالة لأن الخطاب معه بما
يوجب تسلية قلبه إنا نعلم ما يسرون وما يعلنون ما يسرون في ضمائرهم وما يعلنون من عبادة الأصنام وما يعلنون
بألسنتهم من الأذى **قوله تعالى** أولم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفة لما ذكر دليلا من الآفاق على وجوب عبادته بقوله أولم
يروا أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا أنعاما ذكر دليلا من الأنفس فقال أولم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفة قيل المراد
بالإنسان أبي بن خلف الجمحي خاصم النبي صلى الله عليه وسلم في إنكار البعث وأتاه بعظم قد بلي ففتته بيده وقال أترى يحيي الله
هذا العظم بعد ما رم فقال النبي صلى الله عليه وسلم نعم ويبعثك ويدخلك النار فأنزل الله هذه الآيات قال ابن الخطيب
وقد ثبت في أصول الفقه أن الاعتبار بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ألا ترى قوله تعالى قد سمع الله قول التي تجادلك
في زوجها نزلت في واحدة وأراد الحكم في الكل فكذلك كل إنسان ينكر الله أو الحشر هذه الآية رد عليه وقوله تعالى فإذا هو
خصيم مبين أي جدل بالباطل مبين بين الخصومة يعني أنه مخلوق من نطفة فكيف يخاصم وكيف لا يتفكر في بدء خلقه
حتى يدع الخصومة وفي الآية لطيفة وهي أن اختلاف صور أعضائه مع تشابه أجزاء النطفة آية ظاهرة ومع ذلك فهناك
ما هو أظهر وهو نطقه وفهمه لأن النطفة جسم فهب أن جاهلا يقول إنه استحال جسما آخر لكن القوة الناطقة والقوة
الفاهمة من أين يقتضيها النطفة فإبداع النطق والفهم أعجب وأغرب من إبداع الخلق والجسم وهو إلى إدراك القوة والاختيار
منه أقرب فقوله خصيم أي ناطق وإنما ذكر الخصيم مكان الناطق لأنه أعلى أحوال الناطق فإن الناطق مع نفسه لا يبين كلامه
مثل ما يبينه وهو يتكلم مع غيره والمتكلم مع غيره إذا لم يكن خصما لا يبين ولا يجتهد مثل ما يجتهد إذا كان كلامه مع
خصمه **قوله تعالى** وضرب لنا مثلا ونسي خلقه قرأ زيد بن علي ونسي خالقه بزنة اسم الفاعل **فصل** المعنى ونسي
خلقه أي بدء أمره قال من يحيي العظام وهي رميم قيل فعيل بمعنى فاعل وقيل بمعنى مفعول فعلى الأول عدم التاء ظاهر
وقال الزمخشري الرميم اسم لما بلي من العظام غير صفة كالرمة والرفات فلا يقال لم لم يؤنث وقد وقع خبرا لمؤنث ولا هو
فعيل بمعنى فاعل أو مفعول وقال البغوي ولم يقل رميمة لأنه معدول عن فاعله فكل ما كان معدولا عن وجهه ووزنه
كان مصروفا عن إعرابه كقوله تعالى وما كانت أمك بغيا أسقط الهاء لأنها مصروفة عن باغية **فصل** هذه الآية
وما بعدها إشارة إلى بيان الحشر واعلم أن المنكرين للحشر منهم من لم يذكر فيه دليلا ولا شبهة بل اكتفى بمجرد الاستبعاد وهم
الأكثرون كقولهم وقالوا أإذا ضللنا في الأرض أإنا لفي خلق جديد أإذا متنا وكنا ترابا وعظاما أإنا لمبعوثون قال
قال من يحيي العظام وهي رميم على طريق الاستبعاد فأبطل استبعادهم بقوله ونسي خلقه أي نسي أنا خلقناه من تراب
ومن نطفة متشابهة الأجزاء ثم جعلنا لهم من النواصي إلى الأقدام أعضاء مختلفة الصور وما اكتفينا بذلك حتى أودعناهم
ما ليس من قبيل هذه الأجرام وهو النطق والعقل الذي بهما استحقوا الإكرام فإن كانوا يقنعون بمجرد الاستبعاد فهلا
يستبعدون خلق الناطق العاقل من نطفة قذرة لم تكن محلا للحياة أصلا ويستبعدون إعادة النطق والعقل إلى محل
كانا فيه واختاروا العظم بالذكر لأنه أبعد عن الحياة لعدم الإحساس فيه ووصفوه بما يقوي جانب الاستبعاد
من البلى والتفتت والله تعالى دفع استبعادهم من جهة ما في العبد من القدرة والعلم فقال وضرب لنا مثلا أي جعل
قدرتنا كقدرتهم ونسي خلقه العجيب وبدأه الغريب ومنهم من ذكر شبهة وإن كان في آخرها يعود إلى مجرد الاستبعاد
وهي على وجهين الأول أنه بعد العدم لم يبق شيئا فكيف يصح على العدم الحكم بالوجود فأجاب الله تعالى عن هذه الشبهة
بقوله تعالى الذي أنشأها أول مرة يعني كما خلق الإنسان ولم يك شيئا مذكورا كذلك يعيده وإن لم يبق شيئا مذكورا
الثاني أن من تفرقت أجزاؤه في مشارق العالم ومغاربه وصار بعضه في أبدان السباع وبعضا في حواصل الطيور وبعضا
في جدران الرباع كيف يجمع وأبعد من هذا لو أكل إنسان إنسانا وصار أجزاء المأكول في أجزاء الآكل فإن أعيدت أجزاء الآكل
فلا يبقى للمأكول أجزاء تخلق منها أعضاؤه وإما أن تعاد إلى بدن المأكول فلا يبقى للآكل أجزاء فأبطل الله تعالى هذه الشبهة

بقوله وهو بكل خلق عليم ووجهه أن في الآكل أجزاء أصلية وأجزاء فضلية وفي المأكول كذلك فإذا أكل إنسان إنسانا
صار الأصلي من أجزاء المأكول فضليا من أجزاء الآكل والأجزاء الأصلية للآكل هي ما كان قبل الأكل فالله بكل خلق عليم يعلم
الأصل من الفضل فيجمع الأجزاء الأصلية للمأكول وينفخ فيه روحه وكذلك يجمع أجزاءه المتفرقة في البقاع المتبددة
بحكمته وقدرته ثم إنه تعالى عاد إلى تقرير ما تقدم من دفع استبعادهم وإبطال إنكارهم فقال الذي جعل لكم من الشجر الأخضر
نارا هذه قراءة العامة وقرئ الخضراء اعتبارا بالمعنى وقد تقدم أنه يجوز تذكير اسم الجنس وتأنيثه قال تعالى نخل منقعر
نخل خاوية وتقدم أن بني تميم ونجد يذكرونه والحجاز يؤنثونه إلا ألفاظا استثنيت **فصل** قال ابن عباس
هما شجرتان يقال لإحداهما المرخ وللأخرى العفار فمن أراد منهما النار قطع منهما غصنين مثل السواكين وهما خضراوان
وأن يقطران الماء فيسحق المرخ على العفار فيخرج منهما النار بإذن الله تعالى وتقول العرب في كل شجر نار واستمجد المرخ والعفار
وقال الحكماء في كل شجر نار إلا العناب فإذا أنتم منه توقدون أي تقدحون وتوقدون النار من ذلك الشجر ثم ذكر ما هو أعظم من
خلق الإنسان فقال أوليس الذي خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم هذه قراءة العامة ودخلت الباء زائدة على اسم
الفاعل وقرأ الجحدري وابن أبي إسحق والأعرج يقدر فعلا مضارعا والضمير في مثلهم قيل عائد على الناس لأنهم هم المخاطبون
وقيل على السموات والأرض لتضمنهم من يعقل ثم قال بلى أي قل بلى هو قادر على ذلك وهو الخلاق العليم يخلق خلقا بعد خلق
العليم بجميع ما خلق وبلى جواب لليس وإن دخل عليها الاستفهام لمصيرها إيجابا والعائد على الخلاق صيغة مبالغة وقرأ الجحدري
والحسن ومالك بن دينار الخالق اسم فاعل **قوله تعالى** إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون تقدم الخلاف في فيكون
نصبا ورفعا وتوجيه ذلك في البقرة **قوله تعالى** فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء قرأ طلحة والأعمش ملكة بزنة شجرة
وقرئ مملكة بزنة مفعلة وقرئ ملك والملكوت أبلغ الجميع والعامة على ترجعون مبنيا للمفعول وزيد بن علي مبنيا للفاعل
وتقدم الكلام على قوله سبحان والتسبيح هو التنزيه والملكوت مبالغة في الملك كالرحمن والرحموت فعلول أو فعلوت في كلام
قال عليه السلام اقرؤوا على موتاكم يس وقال عليه السلام لكل شيء قلب وإن قلب القرآن سورة يس ومن قرأ يس كتب الله له بقراءتها
قراءة القرآن عشر مرات وعن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن في القرآن سورة تشفع لقارئها وتغفر لمستمعها
ألا وهي سورة يس وعن أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يس تدعى المعمة قيل يا رسول الله وما المعمة
قال تعم صاحبها خير الدنيا والآخرة وتدعى الدافعة القاضية تدفع عنه كل سوء وتقضي له كل حاجة ومن قرأها عدلت له عشرين
حجة ومن سمعها كان له ثواب ألف دينار أنفقها في سبيل الله ومن كتبها وشربها أدخلت جوفه ألف دواء وألف يقين وألف رأفة
ونزع منه كل داء وغل وعن أبي أمامة عن أبي بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ يس يريد بها وجه الله عز وجل
غفر الله له وأعطي من الأجر كأنما قرأ القرآن اثني عشر مرة وأيما مريض قرئ عنده سورة يس نزل عليه بعدد كل حرف عشرة أملاك
يقومون بين يديه صفوفا فيصلون عليه ويستغفرون له ويشهدون قبضه وغسله ويتبعون جنازته ويصلون عليه
ويشهدون دفنه وأيما مريض قرأ سورة يس وهو في سكرات الموت لم يقبض ملك الموت روحه حتى يجيئه رضوان خازن الجنان
بشربة من الجنة فيشربها وهو على فراشه فيموت وهو ريان ويبعث وهو ريان ويحاسب وهو ريان ولا يحتاج إلى حوض من حياض
الأنبياء حتى يدخل الجنة وهو ريان وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة يس في ليلة أصبح مغفورا له
وعن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من دخل المقابر فقرأ سورة يس خفف عنهم يومئذ وكان له بعدد من فيها
حسنات وعن يحيى بن أبي كثير قال بلغنا أنه من قرأ يس حين يصبح لم يزل في فرح حتى يمسي ومن قرأها حين يمسي لم يزل في فرح حتى يصبح

سورة والصافات مكية

وهي مائة واثنتان وثمانون آية وثمانمائة وستون كلمة وثلاثة آلاف وثمانمائة وستة وعشرون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم
قوله تعالى والصافات صفا قرأ أبو عمرو وحمزة بإدغام التاء من الصافات والزاجرات والتاليات في صاد صفا وزاي زجرا
وذال ذكرا وكذلك فعلا في الذاريات ذروا وفي الملقيات ذكرا وفي العاديات ضبحا بخلاف عن خلاد في الأخيرين وأبو عمرو
جار على أصله في إدغام المتقاربين كما هو المعروف من أصله وحمزة خارج عن أصله والفرق بين مذهبيهما أن أبا عمرو يجيز الروم
وحمزة لا يجيزه وهذا كما اتفقا في إدغام بيت طائفة في سورة النساء وإن كان ليس من أصل حمزة إدغام مثله وقرأ الباقون بإظهار
جميع ذلك قال الواحدي إدغام التاء في الصاد حسن لمقاربة الحرفين ألا ترى أنهما من طرف اللسان وأصول الثنايا يجتمعان في
الهمس والمدغم فيه يزيد على المدغم بالإطباق والصفير وإدغام الأنقص في الأزيد حسن ولا يجوز أن يدغم الأزيد صوتا في الأنقص

وايضا ادغام التاء في الزاي في قوله فالزاجرات زجرا احسن لان التاء مهموسة والزاي مجهورة وفيها زيادة صفير كما كان في الصاد
وايضا حسن ادغام التاء في الذال في قوله فالتاليات ذكرا لاتفاقهما في انهما من طرف اللسان واصول الثنايا واما من قرا بالاظهار
فلاختلاف المخارج ومفعول الصافات والزاجرات غير مراد اذ المعنى الفاعلات لذلك واعربها ابو البقاء صفا مفعولا به على انه قد
يقع على الصفوف وهذا ضعيف وقيل هو مراد والمعنى والصافات انفسها وهم الملائكة او المجاهدون او المصلون او الصافات
اجنحتها وهي الطير لقوله والطير صافات والزاجرات السحاب او العصاة ان اريد بهم العلماء والزجر الدفع بقوة وهو قوة
التصويت وانشد زجر ابي عروة السباع اذا اشفق ان يختلطن بالغنم وزجرت الابل والغنم اذا افزعت من صوتك واما
والتاليات فيجوز ان يكون ذكرا مفعوله والمراد بالذكر القران وغيره من تسبيح وتحميد ويجوز ان يكون ذكرا مصدرا ايضا
من معنى التاليات وهذا اوفق لما قبله قال الزمخشري الفاء في فالزاجرات فالتاليات اما ان تدل على ترتب معانيها في الوجود
كقوله يا لهف زيابة للحارث الصابح فالغانم فالآيب اي الذي صبح فغنم فآب واما على ترتبها في التفاوت من بعض
الوجوه كقولك خذ الافضل فالاكمل واعمل الاحسن فالاجمل واما على ترتب موصوفاتها في ذلك كقولك رحم الله المحلقين
فالمقصرين فاما هاهنا ان وحدت الموصوف كانت للدلالة على ترتب الصفات في التفاضل فاذا كان الموحد الملائكة فيكون الفضل
للصف ثم للزجر ثم للتلاوة وعلى العكس وان ثنيت الموصوف فترتب في الفضل فيكون الصافات ذوات فضل والزاجرات افضل
الى فاضل الى مفضول او تبدا بالادنى ثم بالفاضل ثم بالافضل والواو في هذه للقسم والجواب قوله ان الهكم لواحد وقد
ذكرنا الكلام في الواو الثانية والثالثة هل هي للقسم او للعطف **فصل** قال ابن عباس والحسن وقتادة والصافات
صفا هم الملائكة في السماء يصفون كصفوف الخلق في الدنيا للصلوة وقال عليه السلام الا تصفون كما تصف الملائكة عند ربهم
قلنا وكيف تصف الملائكة عند ربهم قال يتمون الصفوف المقدمة ويتراصون في الصف وقيل هم الملائكة تصف اجنحتها
في الهواء واقفة حتى يامرها الله بما يريد وقيل هي الطير لقوله تعالى والطير صافات فالزاجرات زجرا يعني الملائكة تزجر
السحاب وتسوقه وقال قتادة هي زواجر القران تنهى وتزجر عن القبيح فالتاليات ذكرا هم الملائكة يتلون ذكر الله وقيل هم جماعة
قراء القران وهذا كله قسم وقيل فيه اضمار اي ورب الصافات والزاجرات والتاليات **فصل** قال ابو مسلم الاصفهاني
لا يجوز حمل هذه الالفاظ على الملائكة لانها مشعرة بالتانيث والملائكة مبرؤون عن هذه الصفة واجيب بوجهين الاول
ان الصافات جمع الجمع فانه يقال جماعة صافة ثم يجمع على صافات والثاني انهم مبرؤون عن التانيث المعنوي واما التانيث
اللفظي فلا وكيف وهم يسمون بالملائكة مع ان علامة التانيث حاصلة **فصل** اختلف الناس هاهنا في المقسم به
على قولين احدهما ان المقسم به خالق هذه الاشياء لنهيه صلى الله عليه وسلم عن الحلف بغير الله تعالى ولان الحلف في مثل هذا
الموضع تعظيم للمحلوف به ومثل هذا التعظيم لا يليق الا بالله تعالى ومما يؤكد هذا انه تعالى صرح به في قوله والسماء وما بناها
والارض وما طحاها ونفس وما سواها الثاني ان المقسم به هو هذه الاشياء لظاهر اللفظ فالعدول عنه خلاف الدليل واما
قوله تعالى وما بناها فانه علق لفظ القسم بالسماء ثم عطف عليه القسم بالباني للسماء ولو كان المراد من القسم بالسماء القسم بباني
السماء لزم التكرار في موضع واحد وانه لا يجوز وايضا لا يبعد ان يكون الحكمة في قسم الله تعالى بهذه الاشياء التنبيه على شرف
ذواتها **فان قيل** ذكر الحلف في هذا الموضع غير لائق وبيانه من وجوه الاول ان المقصود من هذا القسم اما اثبات المطلوب
عند المؤمن او عند الكافر والاول باطل لان المؤمن مقر به من غير حلف والثاني باطل لان الكافر لا يقر به سواء حصل الحلف او لم
يحصل فهذا الحلف عديم الفائدة على كل تقدير الثاني انه تعالى اقسم في اول هذه السورة على ان الاله واحد واقسم في اول سورة
الذاريات على ان القيامة حق فقال والذاريات ذروا الى قوله انما توعدون لصادق وان الدين لواقع واثبات هذه المطالب العالية
الشريفة على الخالفين من الدهرية وامثالهم بالحلف لا يليق بالعقلاء **فالجواب** من وجوه الاول انه تعالى قرر التوحيد وصحة
البعث والقيامة في سائر السور بالدلائل اليقينية فلما تقدم ذكر تلك الدلائل لم يبعد تقريرها بذكر القسم تاكيدا لما تقدم
لا سيما والقران انزل بلغة العرب واثبات المطالب بالحلف واليمين طريقة مالوفة عند العرب الثاني انه تعالى لما اقسم بهذه
الاشياء على صحة قوله تعالى ان الهكم لواحد ذكر عقيبه ما هو الدليل اليقيني في كون الاله واحدا وهو قوله تعالى رب السموات
والارض وما بينهما ورب المشارق كانه قيل وذلك لانه تعالى بين في قوله لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا ان انتظام احوال
السموات والارض تدل على ان الاله واحد فهاهنا لما قال ان الهكم لواحد اردفه بقوله رب السموات والارض وما
بينهما ورب المشارق كانه قيل بينا ان النظر في انتظام هذا العالم يدل على كون الاله واحدا فتاملوا ليحصل لكم العلم
بالتوحيد الثالث ان المقصود من هذا الكلام الرد على عبدة الاصنام في قولهم بانها الهة فكانه قيل ان هذا المذهب قد بلغ
في السقوط والركاكة الى حيث يكفي في ابطاله مثل هذه الحجة **قوله تعالى** رب السموات يجوز ان يكون خبرا ثانيا وان يكون
بدلا من لواحد وان يكون خبر مبتدا مضمر وجمع المشارق والمغارب باعتبار جميع السنة فان للشمس ثلثمائة وستين مشرقا

وثلثمائة وستين مغربا واما قوله المشرقين والمغربين فباعتبار الصيف والشتاء وقيل المراد بالمشارق مشارق الكواكب
لان لكل كوكب مشرقا ومغربا اراد المشارق والمغارب كما قال في موضع اخر فلا اقسم برب المشارق والمغارب **فان قيل**
لم اكتفى بذكر المشارق **فالجواب** من وجهين الاول انه اكتفى بذكر المشارق كقوله تقيكم الحر والثاني ان الشروق ابهى حالا
من الغروب واكثر نفعا من الغروب فذكر المشرق تنبيها على كثرة احسان الله تعالى على عباده ولهذه الدقيقة استدل ابرهيم عليه
السلام بالمشرق فقال ان الله ياتي بالشمس من المشرق **فصل** دل قوله تعالى رب السموات والارض وما بينهما على كونه تعالى
خالقا لاعمال العباد لان اعمال العباد موجودة فيما بين السموات والارض وهذه الاية دلت على ان كل ما حصل بين السموات
والارض فالله ربه ومالكه وهذا يدل على ان فعل العبد حصل بخلق الله **فان قيل** الاعراض لا يصح وصفها بانها حصلت بين
السموات والارض لان هذا الوصف انما يكون حاصلا في حيز وجهة والاعراض ليست كذلك قلنا انها لما كانت حاصلة في الاجسام
الحاصلة بين السموات والارض فهي ايضا حاصلة بين السموات والارض **قوله تعالى** انا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب قرا عاصم
برواية ابي بكر بزينة منونة ونصب الكواكب وفيه وجهان احدهما ان تكون الزينة مصدرا وفاعله محذوف تقديره بان زين الله
الكواكب في كونها مضيئة حسنة في انفسها والثانية ان الزينة اسم لما يزان به كالليقة اسم لما تلاق به الدواة وتكون الكواكب
على هذا منصوبة باضمار اعني ويكون بدلا من سماء الدنيا بدل اشتمال اي كواكبها او من محل بزينة وحمزة وحفص كذلك الا انهما
خفضا الكواكب على ان يراد بزينة ما يزان به والكواكب بدل او بيان للزينة وهي قراءة مسروق بن الاجدع قال الفراء وهو رد
معرفة على نكرة كقوله بالناصية ناصية فرد نكرة على معرفة وقال الزجاج الكواكب بدل من الزينة لانها هي كقولك مررت بابي عبد الله
زيد والباقون باضافة زينة الى الكواكب وهي تحتمل ثلاثة اوجه احدها ان يكون اضافة اعم الى اخص فيكون للبيان نحو ثوب خز
الثاني انها مصدر مضاف لفاعله اي بان زينت الكواكب السماء بضوئها والثالث انه مضاف لمفعوله اي بان زينها الله بان جعلها مشرقة
مضيئة في نفسها وقرا ابن عباس وابن مسعود بتنوينها ورفع الكواكب فان جعلتها مصدرا ارتفع الكواكب به وان جعلتها اسما لما يزان
به فعلى هذا يرتفع الكواكب باضمار مبتدا اي هي الكواكب وهي في قوة البدل ومنع الفراء اعمال المصدر المنون وزعم انه لم يسمع وهو
غلط لقوله تعالى او اطعام في يوم ذي مسغبة يتيما كما سياتي ان شاء الله تعالى **قوله تعالى** وحفظا منصوب على المصدر باضمار فعل اي حفظناها
حفظا واما على المفعول من اجله على زيادة الواو والعامل فيه زينا او على ان يكون العامل مقدرا اي لحفظها زيناها او على الحمل على
المعنى المتقدم اي انا خلقنا السماء الدنيا زينة وحفظا ومن كل متعلق بحفظا ان لم يكن مصدرا موكدا وبالمحذوف ان جعل مصدرا
موكدا ويجوز ان يكون صفة لحفظا قال المبرد اذا ذكرت فعلا ثم عطفت عليه مصدر فعل اخر نصبت المصدر لانه قد دل على فعل
كقولك افعل وكرامة لما قال افعل علم ان الاسماء لا تعطف على الافعال فكان المعنى افعل ذاك واكرمك كرامة **فصل**
قال ابن عباس زينا السماء الدنيا بضوء الكواكب وحفظناها من كل شيطان مارد اي متمرد يرمون بها وتقدم الكلام على
المارد عند قوله مردوا على النفاق واعلم انه تعالى بين انه زين السماء بالمنفعتين احديهما تحصيل الزينة والثانية الحفظ من الشيطان
المارد **فان قيل** انه ثبت في علم الهيئة ان هذه الكواكب الثوابت مركوزة في الكرة الثامنة وان السيارات مركوزة في الكرات
الستة المحيطة بسماء الدنيا فكيف يصح قوله انا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب **فالجواب** ان الناس الساكنين على سطح كرة
الارض اذا نظروا الى السماء فانهم يشاهدونها مزينة بهذه الكواكب فصح قوله تعالى انا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب وايضا فكون
هذه الكواكب مركوزة في الفلك الثامن لم يتم دليل الفلاسفة عليه **فان قيل** هذه الشهب التي يرمى بها هل هي من الكواكب التي زين
الله السماء بها ام لا والاول باطل لان هذه الشهب تبطل وتضمحل فلو كانت هذه الشهب تلك الكواكب الحقيقية لوجب ان يظهر نقصان
كثير في اعداد كواكب السماء ولم يوجد ذلك فان اعداد كواكب السماء باقية لم تتغير البتة وايضا فجعلها رجوما للشياطين مما يوجب
وقوع النقصان في زينة السماء فكان الجمع بين هذين المقصودين كالمتناقض وان كانت هذه الشهب جنسا اخر غير الكواكب المركوزة
في الفلك فهو ايضا مشكل لانه تعالى قال في سورة الملك ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين فالضمير
في قوله وجعلناها عائد الى المصابيح فوجب ان تكون تلك المصابيح هي الرجوم باعيانها **فالجواب** ان هذه الشهب غير تلك الكواكب
الثابتة واما قوله تعالى ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين فنقول كل نير يحصل في الجو العالي
فهو مصباح لاهل الارض الا ان تلك المصابيح منها باقية على وجه الدهر امنة من التغير والفساد ومنها ما لا يكون كذلك وهي
هذه الشهب التي يحدثها الله تعالى ويجعلها رجوما للشياطين الى حيث يعلمون وبهذا يزول الاشكال **فان قيل** كيف يجوز ان يذهب
الشياطين حيث يعلمون ان الشهب تحرقهم ولا يصلون الى مقصودهم البتة وهل يمكن ان يصدر مثل هذا الفعل عن عاقل فكيف من الشياطين
الذين لهم مزية في معرفة الحيل الدقيقة **فالجواب** ان حصول هذه الحالة ليس له موضع معين والا لم يذهبوا اليه وانما يمنعون
من المصير الى مواضع الملائكة ومواضعها مختلفة فربما صاروا الى موضع تصيبهم الشهب وربما صاروا الى غيره ولا صادفوا الملائكة
ولا تصيبهم الشهب فلما هلكوا في بعض الاوقات وسلموا في بعض الاوقات جاز ان يصيروا الى موضع يغلب على ظنونهم انهم لا تصيبهم

الشهب فلما هلكوا في بعض الاوقات وسلموا في بعض الاوقات جاز ان يصيروا الى مواضع يغلب على ظنونهم انهم لا تصيبهم
الشهب فيها كما يجوز فيمن سلك البحر ان يسلكه في موضع يغلب على ظنه حصول النجاة هذا ما ذكره ابو علي الجبائي في الجواب عن
هذا السؤال في تفسيره وفي هذا الجواب نظر فان السموات ليس فيها موضع خال من الملائكة لقوله عليه السلام اطت السماء وحق
لها ان تئط ما فيها موضع قدم الا وفيه ملك قائم او راكع او ساجد قال ابن الخطيب ولقائل ان يقول انهم اذا صعدوا فاما ان
يصلوا الى مواضع الملائكة او الى غير تلك المواضع فان وصلوا الى مواضع الملائكة احترقوا وان وصلوا الى غير مواضع الملائكة
لم يفوزوا بمقصود اصلا وعلى كلا التقديرين فالمقصود غير حاصل واذا كان الفوز بالمقصود محالا وجب ان يمتنعوا
عن هذا الفعل وان لا يقدموا عليه اصلا بخلاف حال المسافرين في البحر فان الغالب عليهم السلامة والفوز بالمقصود واما
ههنا فالشيطان الذي يسلم من الاحراق انما يسلم اذا لم يصل الى مواضع الملائكة واذا لم يصل الى ذلك الموضع لم يفز بالمقصود
فوجب ان لا يعودوا الى هذا العمل البتة والاقرب في الجواب ان يقال هذه الواقعة انما تتفق في الندرة فلعلها لا تشتهر بسبب
ندرتها فيما بين الشياطين والله اعلم **فان قيل** دلت التواريخ المتواترة على ان حدوث الشهب كان حاصلا قبل مجيء النبي
صلى الله عليه وسلم وكذلك فان الحكماء الذين كانوا موجودين قبل مجيء النبي صلى الله عليه وسلم بزمان طويل ذكروا ذلك وتكلموا
في سبب حدوثه واذا ثبت ان ذلك كان موجودا قبل مجيء النبي صلى الله عليه وسلم امتنع حمله على مجيء النبي صلى الله عليه وسلم **اجاب**
القاضي بان الاقرب ان هذه الحالة كانت موجودة قبل النبي صلى الله عليه وسلم لكنها كثرت في زمان النبي صلى الله عليه وسلم
فصارت بسبب الكثرة معجزة **فان قيل** الشيطان مخلوق من النار كما حكى عن قول ابليس خلقتني من نار وقال والجان خلقناه من
قبل من نار السموم ولهذا السبب يقدر على الصعود الى السموات واذا كان كذلك فكيف يعقل احراق النار بالنار **فالجواب**
يحتمل ان الشياطين وان كانوا من النيران الا انها نيران ضعيفة ونيران الشهب اقوى حالا منهم لا جرم صار الاقوى مبطلا
للاضعف الا ترى ان السراج الضعيف اذا وضع في النار القوية فانه ينطفئ فكذلك ههنا **قوله تعالى** لا يسمعون قرأ الاخوان
وحفص بتشديد السين والميم والاصل يتسمعون فادغم والباقون بالتخفيف فيهما واختار ابو عبيد الاولى وقال لو كان مخففا
لم يتعد بالى واجيب عنه بان معنى الكلام لا يسمعون الى الملأ وقال مكي لانه جرى مجرى مطاوعه وهو يتسمعون فكما كان يتسمع
يتعدى بالى تعدى سمع بالى وفعلت وافتعلت في التعدي سواء فتسمع مطاوع سمع واستمع ايضا مطاوع سمع فتعدى سمع تعدي
مطاوعه وهذه الجملة منقطعة عما قبلها ولا يجوز فيها ان تكون صفة لشيطان على المعنى اذ يصير التقدير من كل شيطان مارد
غير سامع او مستمع وهو فاسد ولا يجوز ايضا ان يكون جوابا لسؤال سائل لم يحفظ من الشياطين اذ يفسد معنى ذلك وقال
بعضهم اصل الكلام لئلا يسمعوا فحذفت اللام وان فارتفع الفعل وفيه تعسف وقد وهم ابو البقاء فجوز ان يكون صفة وان
يكون حالا وان يكون مستانفة فالاول ظاهر الفساد والثالث ان عني به الاستئناف البياني فهو فاسد ايضا وان اراد الانقطاع
على ما تقدم فهو صحيح **فصل** واحتج القراءة التخفيف بقوله تعالى انهم عن السمع لمعزولون وروى مجاهد عن ابن عباس
ان الشياطين يتسمعون الى الملأ الاعلى ثم يمنعون ولا يسمعون وللاولين ان يجيبوا فيقولوا التنصيص على كونهم معزولين عن
السمع لا يمنع من كونهم معزولين ايضا عن التسمع بدلالة هذه الاية بل هذا اقوى في ردع الشياطين ومنعهم من استماع اخبار
السماء فان الذي منع من الاستماع بان يكون ممنوعا عن السمع اولى واعلم ان الفرق بين قولك سمعت حديث فلان وبين قولك
سمعت الى حديثه ان قولك سمعت حديثه يفيد الادراك وسمعت الى حديثه يفيد الاصغاء مع الادراك وفي قوله لا يسمعون الى
الملأ الاعلى قولان اشهرهما ان تقدير الكلام لئلا يسمعوا فلما حذف الناصب صار كقوله يبين الله لكم ان تضلوا وقوله رواسي
ان تميد بكم قال الزمخشري حذف اللام وان كل واحد منهما جائز بانفراده اما اجتماعهما فمن المنكرات التي يجب صون القرآن عنها
قال الزمخشري انه كلام منقطع عما قبله وهو حكاية المسترقين السمع وانهم لا يقدرون ان يسمعوا الى كلام الملائكة الكتبة سكان
السموات ومعنى يقذفون يرمون من كل جانب من افاق السماء **قوله تعالى** دحورا العامة على ضم الدال وفي نصبه اوجه احدها
المفعول له اي لاجل الطرد الثاني مصدر ليقذفون اي يدحرون دحورا او يقذفون قذفا فالتجوز اما في الاول واما في الثاني
الثالث انه مصدر لمقدر اي يدحرون دحورا الرابع انه في موضع الحال اي ذوي دحور او مدحورين وقيل هو جمع داحر
نحو قاعد وقعود فيكون حالا بنفسه من غير تاويل قال مجاهد دحورا مطرودين وروي عن ابي عمرو انه قرأ ويقذفون مبنيا
للفاعل وقرأ علي والسلمي وابن ابي عبلة دحورا بفتح الدال وفيها وجهان احدهما انه صفة كالقبول والولوع وقد تقدم انه
محصور في الفاظ والدحور قال المبرد اشد الصغار والذل وقال ابن قتيبة دحرته دحرا ودحورا اي دفعته وطردته
وتقدم في سورة الاعراف عند قوله مذؤوما مدحورا **قوله تعالى** ولهم عذاب واصب دائم قال مقاتل دائم الى النفخة
الاولى وتقدم في سورة النحل في قوله وله الدين واصبا **قوله تعالى** الا من خطف فيه وجهان احدهما انه مرفوع المحل بدلا
من ضمير لا يسمعون وهو احسن لانه غير موجب والثاني انه منصوب على اصل الاستثناء والمعنى ان الشياطين لا يسمعون الملائكة

الا من خطف فاتبعه شهاب الثاني يجوز ان تكون من شرطية وجوابها فاتبعه او موصولة وخبرها فاتبعه وهو استثناء منقطع
وقد نصوا على ان مثل هذه الجملة تكون استثناء منقطعا كقوله لست عليهم بمسيطر الا من تولى والخطفة مصدر معرف بال الجنسية
او العهدية وقرأ العامة خطف بفتح الخاء وكسر الطاء مخففة وقتادة والحسن بكسرهما وتشديد الطاء وهي لغة تميم بن مرة
وبكر بن وائل وعنهما ايضا وعن عيسى بفتح الخاء وكسر الطاء مشددة وعن الحسن ايضا خطف كالعامة واصل القراءتين اختطف
فلما اريد الادغام سكنت التاء وقبلها الخاء ساكنة فكسرت الخاء لالتقاء الساكنين ثم كسرت الطاء اتباعا لحركة الخاء وهذه واضحة
واما الثانية فمشكلة جدا لان كسر الطاء انما كان لكسر الخاء وهو مفقود وقد وجه على التوهم وذلك انهم لما ارادوا الادغام
نقلوا حركة التاء الى الخاء ففتحت وهم يتوهمون انها مكسورة لالتقاء الساكنين كما تقدم تقريره فاتبعوا الطاء لحركة الخاء المتوهمة
واذا كانوا قد فعلوا ذلك في مقتضيات الاعراب فلان يفعلوه في غيره اولى وبالجملة فهو تعليل شذوذ وقرأ ابن عباس خطف بكسر
الخاء والطاء خفيفة وهو اتباع كقولهم نعم بكسر النون والعين وقرئ فاتبعه بالتشديد **فصل** ومعنى الخطف
اي اختلس الكلمة من كلام الملائكة مسارقة فاتبعه اي لحقه شهاب ثاقب كوكب مضيء قوي لا يخطئه يقتله او يحرقه وقيل سمي
ثاقبا لانه يثقب بنوره الهواء قال ابن عباس في تفسير قوله والنجم الثاقب قال انه زحل سمي بذلك لانه يثقب بنوره سبع سموات
وقال عطاء سمي النجم الذي يرمى به الشياطين ثاقبا لانه يثقبهم وانما يعودون الى استراق السمع مع علمهم بانهم لا يصلون
اليه طمعا في السلامة وقيل المراد كراكب البحر **قوله تعالى** فاستفتهم يعني كفار مكة اي سلهم اهم اشد خلقا ام من خلقنا يعني السموات
والارض والجبال وهو استفهام بمعنى التقرير اي هذه الاشياء اشد خلقا كقوله لخلق السموات والارض اكبر من خلق الناس
وقوله ءانتم اشد خلقا ام السماء بناها وقيل معنى امن خلقنا يعني من الامم الخالية لان من يذكر لمن يعقل والمعنى ان هؤلاء
ليسوا باحكم خلقا من غيرهم من الامم وقد اهلكناهم بذنوبهم فما الذي يؤمن هؤلاء من العذاب **قوله تعالى** امن خلقنا
العامة على تشديد الميم الاصل ام من وهي ام المتصلة عطفت من على هم وقرأ الاعمش بتخفيفها وهو استفهام ثان فالهمزة
للاستفهام ايضا ومن مبتدأ وخبره محذوف اي الذي خلقناه اشد فهما جملتان مستقلتان وغلب من يعقل على غيره
فلذلك اتى بمن **قوله تعالى** انا خلقناهم من طين لازب اي جيد حر لاصق يعلق باليد واللازب واللازم بمعنى وقد قرئ لازم
لانه يلزم اليد وقيل اللازب اللزج وقال مجاهد والضحاك المنتن واكثر اهل اللغة على ان الباء في اللازب بدل من الميم **فصل**
وجه النظم انه قد تقرر ان المقصود الاعظم من القرآن اثبات الاصول الاربعة وهي الالهيات والمعاد والنبوة واثبات القضاء
والقدر فافتتح تعالى هذه السورة باثبات ما يدل على وجود الصانع وعلى علمه وقدرته وحكمته ووحدانيته وهو خالق السموات
والارض وما بينهما ورب المشارق والمغارب ثم فرع عليها اثبات الحشر والنشر والقيامة وهو ان من قدر على ما هو اصعب واشق
وجب ان يقدر على ما هو دونه وهو قوله فاستفتهم اهم اشد خلقا ام من خلقنا فمن قدر على ما هو اشد واصعب فبان يكون
قادرا على اعادة الحيوة في هذه الاجساد كان اولى وايضا فقوله انا خلقناهم من طين لازب يعني ان هذه الاجساد قابل
للحيوة اذ لو لم يكن قابلة للحيوة لما صارت حية في المرة الاولى والمراد بقوله انا خلقناهم من طين لازب يعني اصلهم وهو
ادم عليه السلام روي ان القوم قالوا كيف يعقل تولد الانسان لا من ابوين ولا من نطفة فكانه تعالى قال لهم انكم لما اقررتم
بحدوث العالم واعترفتم بان السموات والارض وما بينهما انما حصل بتخليق الله تعالى وتكوينه فلا بد وان تعترفوا بان الانسان
الاول انما حدث لا من الابوين فان اعترفتم به فقد سقط قولكم ان الانسان كيف يحدث من غير نطفة ومن غير الابوين وايضا
فقد اشتهر عند الجمهور ان ادم مخلوق من طين لازب ومن قدر على خلق الحيوة من الطين اللازب كيف يعجز عن اعادة الحيوة الى هذه
الذوات ويمكن ان يكون المراد بقوله انا خلقناهم من طين لازب اي كل الناس ووجهه ان الحيوان انما يتولد من المني ودم الطمث
والمني انما يتولد من الدم فالحيوان انما يتولد من الدم والدم انما يتولد من الغذاء والغذاء اما حيواني واما نباتي اما تولد الحيوان
الذي صار غذاء فالكلام في كيفية تولده كالكلام في تولد الانسان فثبت ان الاصل في الاغذية هو النبات والنبات انما يتولد
من امتزاج الارض بالماء وهو الطين اللازب فظهر ان الخلق كلهم متولدون من الطين اللازب وهو قابل للحيوة والله تعالى
قادر عليها وهذه القابلية والقادرية واجبة البقاء فوجب بقاء هذه الصفة في كل الاوقات وهذه بيانات ظاهرة **قوله
تعالى** بل عجبت قرأ الاخوان بضم التاء والباقون بفتحها فالفتح ظاهر وهو ضمير الرسول او كل من يصح منه ذلك واما الضم
فعلى صرفه للمخاطب اي قل يا محمد بل عجبت انا او على اسناده للباري تعالى على ما يليق به وقد تقدم تحريره في البقرة وما ورد
في الكتاب والسنة وعن شريح انه انكرها وقال الله لا يعجب فبلغت ابرهيم النخعي فقال ان شريحا كان معجبا برأيه قرأها من هو اعلم منه
يعني عبد الله بن مسعود وابن عباس والعجب من الله ليس كالتعجب من الادميين كما قال فيسخرون منهم سخر الله منهم وقال نسوا الله فنسيهم
فالعجب من الادميين انكاره وتعظيمه والعجب من الله تعالى قد يكون بمعنى الانكار والذم وقد يكون بمعنى الاستحسان والرضى
كما جاء في الحديث عجب ربكم من شاب ليست له صبوة وقوله عجب ربكم من الكم وقنوطكم وسرعة اجابته اياكم وسئل جنيد عن هذه الاية

فقال ان الله لا يعجب من شيء ولكن الله وافق رسوله لما عجب رسوله وقال ان تعجب فعجب قولهم اي هو كما يقوله **قوله تعالى**
ويسخرون يجوز ان يكون استينافا وهو الاظهر وان يكون حالا والمعنى اي عجبت من تكذيبهم اياك وهم يسخرون من تعجبك وقال
قتادة عجب نبي الله صلى الله عليه وسلم من هذا القران حين نزل وضلال بني ادم وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يظن ان كل من
يسمع القران يومن به فلما سمع المشركون القران سخروا منه ولم يومنوا عجب النبي صلى الله عليه وسلم من ذلك فقال الله تعالى بل
عجبت ويسخرون واذا ذكروا لا يذكرون اي اذا وعظوا بالقران لا يتعظون وقرا جناح بن حبيش ذكروا مخففا واذا راوا اية قال ابن
عباس ومقاتل يعني انشقاق القمر يستسخرون يسخرون ويستهزءون وقيل يستدعي بعضهم من بعض السخرية وقري يستحرون
بالحاء المهملة وقالوا ان هذا الا سحر مبين اي سحر بين يعني اذا راوا اية ومعجزة سحروا منها لاعتقادهم انها من باب السحر

فصل قال ابن الخطيب والذي عندي في هذا الباب ان يقال القوم كانوا يستبعدون الحشر والقيمة ويقولون من مات
وصار ترابا وتفرقت اجزاوه في العالم كيف يعقل عوده بعينه وبلغوا في هذا الاستبعاد الى حيث كانوا يسخرون ممن يذهب الى
هذا المذهب واذا كان كذلك فلا طريق الى ازالة هذا الاستبعاد عنهم الا من وجهين احدهما ان يذكر لهم الدليل على صحة الحشر
والنشر مثل ان يقال لهم هل تعلمون ان القادر على الاصعب الاشق يجب ان يكون قادرا على الاسهل فهذا الدليل وان كان جليا
قويا الا ان اوليك المنكرين اذا عرض على قلوبهم هذه المقدمات لا يفهمونها ولا يقفون عليها واذا ذكروا لم يتذكروها لشدة
بلادتهم وجهلهم فلا جرم لم ينتفعوا بهذا الدليل والطريق الثاني ان يثبت الرسول صلى الله عليه وسلم صحة رسالته بالمعجزات
ثم نقول لما ثبت بالمعجزة كوني رسولا صادقا من عند الله فانا اخبركم بان البعث والقيمة حق ثم ان اوليك المنكرين لا ينتفعون
بهذا الطريق ايضا لانهم اذا راوا معجزة قاهرة واية باهرة حملوها على انها سحر وسخروا منها واستهزءوا بها وهذا هو المراد من قوله
تعالى واذا راوا اية يستسخرون وقالوا ان هذا الا سحر مبين **قوله تعالى** ائذا متنا وكنا ترابا وعظاما انا لمبعوثون وهذا
بيان للسبب الذي حملهم على الاستهزاء بجميع المعجزات وهو اعتقادهم ان من مات وتفرقت اجزاوه في العالم فما فيه من الارض
اختلط بتراب الارض وما فيه من المائية والهوائية اختلط بجارات العالم فهذا الانسان كيف يعقل عوده بعينه حيا ثانيا
ثم انه تعالى لما حكى عنهم هذه الشبهة قال قل يا محمد نعم وانتم داخرون اي نعم تبعثون وانتم صاغرون والدخور اشد الصغار
وانما اكتفى تعالى بهذا القدر من الجواب لانه ذكر في الاية المتقدمة البرهان القطعي على انه امر ممكن واذا ثبت الجواز القطعي فلا سبيل
الى القطع بالوقوع الا باخبار المخبر الصادق فلما قامت المعجزات على صدق محمد عليه السلام كان واجب الصدق فكان مجرد قوله
نعم دليلا قاطعا على الوقوع **قوله تعالى** او اباونا قرا ابن عامر وقالون بسكون الواو على انها او العاطفة المقتضية للشك والباقون
بفتحها على انها همزة استفهام دخلت على واو العطف وهذا الخلاف جار ايضا في الواقعة وتقدم مثل هذا في الاعراف في قوله او امن
اهل القرى فمن فتح الواو جاز في اباونا وجهان احدهما ان يكون معطوفا على محل ان واسمها والثاني ان يكون معطوفا على الضمير
المستتر في لمبعوثون واستغني بالفصل بهمزة الاستفهام ومن سكنها تعين فيه الاول دون الثاني على قول الجمهور لعدم الفاصل
وقد اوضح هذا الزمخشري حيث قال او اباونا معطوف على محل ان واسمها او على الضمير في لمبعوثون والذي جوز العطف عليه
الفصل بهمزة الاستفهام قال ابو حيان اما قوله معطوف على محل ان واسمها فمذهب سيبويه خلافه فان قولك ان زيدا قائم
وعمرو فيه مرفوع بالابتداء وخبره محذوف واما قوله او على الضمير في لمبعوثون الى اخره فلا يجوز ايضا لان همزة الاستفهام
لا تدخل الا على الجمل لا على المفرد لانه اذا عطف على المفرد كان الفعل عاملا في المفرد بواسطة حرف العطف وهمزة الاستفهام لا
يعمل ما قبلها فيما بعدها فقوله او اباونا مبتدا محذوف الخبر تقديره او اباونا مبعوثون يدل عليه ما قبله فاذا قلت اقام
زيد او عمرو فعمرو مبتدا محذوف الخبر لما ذكر قال شهاب الدين اما الرد الاول فلا يلزم لانه لا يلتزم مذهب سيبويه واما الثاني
فان الهمزة موكدة الاولى فهي داخلة في الحقيقة على الجملة الا انه فصل بين الهمزتين بان واسمها وخبرها ويدل على هذا ما قاله في
سورة الواقعة فانه قال دخلت همزة الاستفهام على حرف العطف فان قلت كيف حسن العطف على المضمر في لمبعوثون من غير تاكيد
بنحن قلت حسن للفاصل الذي هو الهمزة كما حسن في قوله ما اشركنا ولا اباونا لفصل الموكدة بالنفي انتهى فلم يكن هنا غير هذا الا
ويشهد بقوله لفصل الموكدة للنفي لان لا موكدة للنفي المتقدم الا ان هذا مشكل بان الحرف اذا كرر للتوكيد لم يعد في الامر العام
الا باعادة ما اتصل به اولا او بضميره وقد مضى القول فيه ويحصل في رفع اباونا ثلاثة اوجه العطف على محل ان واسمها والعطف
على الضمير المستكن في لمبعوثون والرفع على الابتداء والخبر مضمر والعامل في اذا محذوف اي انبعث اذا متنا هذا اذا جعلتها ظرفا غير
متضمن لمعنى الشرط فان جعلتها شرطية كان جوابها عاملا فيها اي اذا متنا بعثنا او حشرنا وقري اذا دون استفهام وقد مضى القول
فيه في الرعد **قوله تعالى** وانتم داخرون جملة حالية العامل فيها الجملة القائمة مقامها نعم اي تبعثون وانتم صاغرون اذلاء قال
ابو حيان وقرا ابن وثاب نعم بكسر العين وتقدم ان الكسائي قراها كذلك حيث وقعت وكلهم هنا سوى ابن وثاب منفردا بها
قوله تعالى فانما هي قال الزمخشري فانما هي جواب شرط مقدر تقديره اذا كان ذلك فما هي الا زجرة واحدة قال ابو حيان وكثيرا ما

تضمر جملة الشرط قبل فيما اذا ساغ تقديره ولا ضرورة تدعو الى ذلك ولا يحذف الشرط ويبقى جوابه الا اذا انجزم الفعل في الذي
يطلق عليه انه جواب للامر والنهي وما ذكر معهما اما ابتدا فلا يجوز حذفه **قوله** هي ضمير البعثة المدلول عليها بالسياق لما كانت بعثتهم
ناشية عن الزجرة جعلت اياها مجازا وقال الزمخشري هي مبهمة يوضحها خبرها قال ابو حيان وكثيرا ما يقول هو وابن مالك ان الضمير
يفسره خبره ووقف ابو حاتم على ويلنا وجعل ما بعده من قول الباري تعالى وبعضهم جعل هذا يوم الدين من كلامهم فيقف عليه
وقوله هذا يوم الفصل من قول الباري تعالى وقيل الجميع من كلامهم وعلى هذا فيكون قوله تكذبون اما التفاتا من التكلم الى الخطاب
واما مخاطبة بعضهم لبعض **فصل** لما بين في الاية المتقدمة ما يدل على انكار البعث والقيمة واردفه بما يدل على وقوع القيمة
ذكر في هذه الايات بعض تفاصيل احوال القيمة فمنها قوله فانما هي زجرة واحدة اي قصة البعث والقيمة زجرة واحدة اي صيحة واحدة
وهي نفخة البعث فاذا هم ينظرون اي احياء ينظر بعضهم الى بعض وقيل ينتظرون ما يحدث لهم او ينظرون الى البعث الذي كذبوا
به والزجرة هي الصيحة التي يزجر بها كالزجر بالنعم والابل عند الحث ثم كثر استعمالها حتى صارت بمعنى الصيحة قال ابن الخطيب
ولا يبعد ان يقال تلك الصيحة انما سميت زجرة لانها تزجر الموتى عن الرقود في القبور وتحثهم على القيام من القبور الى الحضور في
موقف القيمة **فان قيل** ما الفايدة في هذه الصيحة للاموات وهذه النفخة جارية مجرى السبب لحياتهم فتكون متقدمة على
حياتهم فلزم ان هذه الصيحة انما تكون حال كونهم امواتا فتكون الصيحة عديمة الفايدة فهي عبث والعبث لا يجوز في فعل الله تعالى
فالجواب على قول اهل السنة يفعل الله ما يشاء واما المعتزلة فقال القاضي فيه وجهان الاول ان يعتبر بها الملايكة والثاني
ان يكون فايدتها التخويف والارهاق **فصل** وهذه الصيحة لا تاثير لها في الحيوة بدليل ان الصيحة الاولى استعقبتهم
الموت والثانية الحيوة وذلك يدل على ان الصيحة لا اثر لها في الموت ولا في الحيوة بل خالق الموت والحيوة هو الله تعالى كما قال
الذي خلق الموت والحيوة روي ان الله تعالى يامر اسرافيل فينادي ايتها العظام النخرة والجلود البالية والاجزاء المتفرقة اجتمعوا
فاذن الله تعالى الحالة الثانية من تفاصيل احوال القيمة قولهم بعد القيام من القبور يا ويلنا هذا يوم الدين اي يوم الحساب
ويوم الجزاء قال الزجاج الويل كلمة يقولها القايل وقت الهلكة ويحتمل ان يكون المراد بقولهم هذا يوم الدين اي اليوم المذكور في قوله
مالك يوم الدين اي لا مالك في ذلك اليوم الا الله تعالى واما قوله هذا يوم الفصل الذي كنتم به تكذبون تقدم الكلام على قايله
هل هو من كلام الله تعالى او من كلام الملايكة او من كلام المومنين او من كلام الكفار **قوله تعالى** احشروا الذين ظلموا وهذا من
كلام الملايكة الموكلين احشروا الذين اشركوا الى الموقف للحساب والجزاء **فان قيل** ما معنى احشروا مع انهم قد حشروا من قبل وحضروا المحفل
القيمة وقالوا هذا يوم الدين وقالت الملايكة لهم بل هذا يوم الفصل اجاب القاضي عنه وقال المراد احشروهم الى دار الجزاء وهي النار
ولذلك قال بعده فاهدوهم الى صراط الجحيم اي دلوهم على ذلك الطريق ثم سال نفسه وقال كيف يصح ذلك وقد قال بعده
وقفوهم انهم مسيولون ومعلوم ان حشرهم الى الجحيم انما يكون بعد المسايلة فاجاب بانه ليس في العطف بحرف الواو ترتيب ويمتنع
ان يقال احشروهم وقفوهم مع انا بعقولنا نعلم ان التوقف كان قبل الحشر الى النار قال ابن الخطيب وعندي فيه وجه اخر وهو انه
يقال انهم اذا قاموا من قبورهم لم يبعد ان يقفوا هناك لحيرة تلحقهم بسبب معاينتهم اهوال القيمة ثم ان الله تعالى يقول للملايكة
احشروا الذين ظلموا واهدوهم الى صراط الجحيم اي سوقوهم الى طريق جهنم وقفوهم هناك ويحصل السوال هناك ثم من
هناك يساقون الى النار **قوله تعالى** وازواجهم العامة على نصبه وفيه وجهان احدهما العطف على الموصول والثاني انه مفعول
معه قال ابو البقا وهو في المعنى اقوى وانما قال في المعنى لانه في الصناعة ضعيف لانه امكن العطف فلا يعدل عنه وقرا عيسى بن
سليمان الحجازي بالرفع عطفا على ضمير ظلموا وهو ضعيف لعدم الفاصل وقوله وما كانوا يعبدون لا يجوز فيه هذا لانه لا يسند اليهم
ظلم ان لم يرد بهم الشياطين وان اريد بهم ذلك جاز فيه الرفع ايضا على ما تقدم **قوله تعالى** انهم مسيولون العامة على الكسر على الاستيناف
المفيد للعلة وقري بفتحها على حذف لام العلة اي قفوهم لاجل سوال الله اياهم **فصل** المراد بالازواج اشباههم وامثالهم
واتباعهم قال قتادة والكلبي كل من عمل مثل عملهم فاهل الخمر مع اهل الخمر واهل الزنا مع اهل الزنا واليهودي مع اليهودي والنصراني
مع النصراني لقوله تعالى وكنتم ازواجا ثلاثة اي اشكالا واشباها وتقول عندي من هذا ازواج اي امثال وتقول زوجان من خف
لان كل واحد منهما نظير الاخر وكذلك الرجل والمراة يسميان زوجين لكونهما متشابهين وكذلك العدد الزوج وقال الضحاك ومقاتل
قرناوهم من الشياطين كل كافر مع شيطانه في سلسلة وقال الحسن ازواجهم المشركات وما كانوا يعبدون من دون الله في الدنيا يعني الاوثان
والطواغيت وقال مقاتل يعني ابليس وجنوده لقوله الا تعبدوا الشيطان فاهدوهم الى صراط الجحيم قال ابن عباس دلوهم الى طريق
النار وقال ابن كيسان والاصم قدموهم والعرب تسمي السابق هاديا قال الواحدي وهذا وهم لانه يقال هدي اذا تقدم ومنه
الهادية والهوادي وهاديات الوحش ولا يقال هدي بمعنى قدم وقفوهم احبسوهم يقال وقفت الدابة اقفها وقفا فوقفت هي
وقوفا قال المفسرون لما سيقوا الى النار حبسوا عند الصراط لان السوال عند الصراط فقال وقفوهم انهم مسيولون قال ابن عباس عن
اقوالهم وافعالهم وقيل تسالهم الخزنة الم ياتكم نذير الم ياتكم رسل منكم بالبينات قالوا بلى ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين

ويجوز ان يكون هذا السؤال هو قوله بعد ذلك ما لكم لا تناصرون قال ابن عباس لا ينصر بعضكم بعضا كما كنتم في الدنيا وذلك
ان ابا جهل قال يوم بدر نحن جميع منتصر فقيل لهم يوم القيمة ما لكم لا تناصرون وقيل يوم القيمة يقال للكفار ما لشركائكم لا
يمنعونكم من العذاب قوله تعالى ما لكم يجوز ان يكون منقطعا عما قبله والمسؤول عنه غير مذكور ولذلك قدره بعضهم عن اعمالهم
ويجوز ان يكون هو المسؤول عنه في المعنى فيكون معلقا للسؤال ولا تناصرون جملة حالية العامل فيها الاستقرار في لكم وقيل بل هي
على حذف حرف الجر وان الناصبة فلما حذفت ان ارتفع الفعل والاصل في ان لا وتقدمت قراءة البزي لا تناصرون بتشديد التا
وقرئ تتناصرون على الاصل قوله تعالى بل هم اليوم مستسلمون قال ابن عباس خاضعون وقال الحسن منقادون يقال
استسلم للشيء اذا انقاد له وخضع والمعنى هم اليوم اذلا منقادون لا حيلة لهم في دفع تلك المضار قوله تعالى واقبل
بعضهم على بعض يتساءلون قيل الرؤسا والاتباع يتساءلون يتخاصمون وقيل هم والشياطين يقولون انكم كنتم تاتوننا عن
اليمين اي من قبل الدين فتضلوننا عنه قاله الضحاك وقال مجاهد عن صراط الحق واليمين عبارة عن الدين والحق كما اخبر الله
عن ابليس ثم لاتينهم من بين ايديهم ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شمائلهم فمن اتاه الشيطان من قبل اليمين اتاه من قبل الدين فلبس
عليه الحق واليمين ههنا استعارة عن الخيرات والسعادات لان الجانب الايمن افضل من الجانب الايسر اجماعا ولا تباشر الاعمال
الشريفة الا باليمين ويتفاءلون بالجانب الايمن ويسمونه البارح وكان عليه السلام يحب التيامن في شانه كله وكاتب الحسنات
من الملائكة على اليمين ووعد الله المحسن ان يعطيه الكتاب باليمين وقيل ان الرؤسا كانوا يحلفون للمستضعفين ان ما يدعونهم
اليه هو الحق فوثقوا بايمانهم وقيل عن اليمين اي عن القوة والقدرة لقوله لاخذنا منه باليمين وقوله عن اليمين حال من فاعل تاتوننا
واليمين اما الجارحة عبر بها عن القوة واما الحلف لان المتعاقدين بالحلف يمسح كل منهما يمين الآخر فالتقدير على الاول تاتوننا
اقوياء وعلى الثاني مقسمين حالفين قوله تعالى بل لم تكونوا مؤمنين وهذا جواب الرؤسا للاتباع اي ما كنتم موصوفين بالايمان
حتى يقال انا ازلناكم عنه وانما الكفر من قبلكم وما كان لنا عليكم من سلطان من قوة وقدرة حتى نقهركم ونجبركم بل كنتم قوما
طاغين ضالين فحق علينا وجب علينا جميعا قول ربنا يعني كلمة العذاب وهو قوله لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين قوله تعالى
انا لذائقون الظاهر انه من اخبار الكفرة المتبوعين او الجن بانهم ذائقوا العذاب ولا عدول في هذا الكلام وقال الزمخشري
ولزمنا قول ربنا انا لذائقون يعني وعيد الله بانا لذائقون لعذابه لا محالة ولو حكى الوعيد كما هو لقال انكم لذائقون ولكنه
عدل به الى لفظ المتكلم لانهم متكلمون بذلك عن انفسهم ونحوه قول القائل * لقد علمت هوازن قل مالي * ولو حكى قولها لقال قل مالك
ومنه قول المحلف للحالف احلف لاخرجن ولتخرجن الهمزة لحكاية الحالف والتاء لاقبال المحلف على الحلف قوله تعالى فاغويناكم
انا كنا غاوين اي انما قدمنا على اغوائكم لانا كنا موصوفين في انفسنا بالغواية وفيه دقيقة اخرى كانهم قالوا ان اعتقدتم ان
غوايتكم بسبب اغوائنا فغوايتنا ان كانت بسبب اغواء لزم التسلسل وذلك محال فعلمنا ان حصول الغواية والرشد ليس من
قبلنا بل من قبل غيرنا وذلك الغير هو الذي ذكره فيما قبل وهو قوله فحق علينا قول ربنا ثم قال تعالى بعده فانهم يومئذ في العذاب
مشتركون يعني الرؤسا والاتباع يومئذ يسالون ويراجعوا الكلام فيما بينهم ثم قال انا كذلك نفعل بالمجرمين اي الكفار قال
ابن عباس الذين جعلوا لله شركا ثم وصفهم بانهم كانوا اذا قيل لهم لا اله الا الله يستكبرون عن كلمة التوحيد ويمتنعون
منها ويقولون ائنا لتاركوا الهتنا لشاعر مجنون يعني النبي صلى الله عليه وسلم وقرا ابن كثير اينا لتاركوا الهتنا بهمزة وياء بعدها
خفيفة والف ساكنة بلا مدة وقرا نافع في رواية قالون وابو عمرو كذلك ويمدان والباقون بهمزتين بلا مد ثم انه تعالى كذبهم
في ذلك الكلام بقوله بل جاء بالحق اي جاء بالدين الحق قوله تعالى وصدق المرسلين اي صدقهم محمد عليه السلام يعني صدقهم في مجيئهم
بالتوحيد وقرا عبد الله وصدق بتخفيف الدال المرسلون فاعل به اي صدقوا فيما جاوا به ثم التفت من الغيبة الى الحضور فقال انكم لذائقوا
العذاب الاليم قوله تعالى لذائقوا العذاب العامة على حذف النون والجر وقرا بعضهم باثباتها والنصب وهو الاصل وقرا ابان بن
تغلب عن عاصم وابو السمال في رواية بحذف النون والنصب اجرى النون مجرى التنوين في حذفها لالتقاء الساكنين كقوله احد
الله الصمد * ولا ذاكر الله الا قليلا * وقال ابو البقا وقرئ شاذا بالنصب وهو سهو من قاريه لان اسم الفاعل يحذف منه النون تخفيفا
اذا كان فيه الالف واللام قال شهاب الدين وليس بسهو لما تقدم وقرا ابو السمال ايضا لذائق بالافراد والتنوين العذاب نصبا
ويخرج على حذف اسم جمع هذه صفته اي انكم لفريق او لجمع ذائق ليتطابق الاسم والخبر في الجمعية ثم كانه قيل فكيف يليق بالرحيم
الكريم المتعالي عن النفع والضرر ان يعذب عباده فاجاب بقوله وما تجزون الا ما كنتم تعملون اي الا جزاء ما كنتم تعملون
قوله تعالى الا عباد الله استثناء منقطع اي لكن عباد الله المخلصين الموحدين وقوله اولئك لهم بيان لحالهم وقد تقدم
في فتح اللام وكسرها من المخلصين قراءتان فمن قرا بالفتح فالمعنى ان الله تعالى اخلصهم واصطفاهم بفضله ومن قرا بالكسر فمعناه انهم
اخلصوا الطاعة لله تعالى والرزق المعلوم قيل بكرة وعشيا لقوله ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا فيكون المراد منه معلوم الوقت
وهو مقدار غدوة او عشوة وان لم يكن ثم بكرة ولا عشية وقيل ذلك الرزق معلوم الصفة اي مخصوصا بصفات من طيب طعم

ولذة وحسن منظر وقيل معناه انهم يتيقنون دوامه لا كرزق الدنيا الذي لا يعلم متى يحصل ومتى ينقطع وقيل معلوم
المقدار الذي يستحقونه باعمالهم من ثواب الله وقد بين تعالى انه يعطيهم غير ذلك تفضلا قوله تعالى فواكه يجوز ان يكون بدلا
من رزق وان يكون خبر مبتدا مضمر اي ذلك الرزق فواكه وفي الفواكه قولان احدهما انها عبارة عما يوكل للتلذذ لا للحاجة وارزاق
اهل الجنة كلها فواكه لانهم مستغنون عن حفظ الصحة بالاقوات فان اجسامهم محكمة مخلوقة للابد لكل ما ياكلونه فهو على سبيل
التلذذ والثاني ان المقصود بذكر الفاكهة التنبيه بالادنى على الاعلى اي لما كانت الفاكهة حاضرة ابدا كان الماكول للغذا اولى بالحضور
قوله تعالى وهم مكرمون قرا العامة مكرمون بتخفيف الراء وابو مقسم بتشديدها والمعنى وهم مكرمون بثواب الله في جنات النعيم
لما ذكر ماكولهم ذكر مسكنهم وقوله في جنات يجوز ان يتعلق بمكرمون وان يكون خبرا ثانيا وان يكون حالا قوله تعالى على سرر
العامة على ضم الراء وابو السمال بفتحها وهي لغة بعض كلب وتميم يفتحون عين فعل جمعا اذا كان اسما مضاعفا واما الصفة نحو
ذلل ففيها خلاف والصحيح انه لا يجوز لان السماع ورد في الجوامد دون الصفات وعلى سرر ومتقابلين حال ويجوز ان يتعلق
على سرر بمتقابلين ويطاف صفة لمكرمون او حال من الضمير في متقابلين او من الضمير في الجار اذ جعلناه حالا ومعنى
متقابلين لا يرى بعضهم قفا بعض ولما ذكر الماكل والمسكن ذكر بعده صفة المشرب فقال يطاف عليهم بكاس من معين والكاس
من الزجاج ما دام فيه شراب والا فهو قدح وقد يطلق الكاس على الخمر نفسها وهو مجاز سائغ وانشد
وكاس شربت على لذة * واخرى تداويت منها بها * ومن معين صفة لكاس والمعين معناه الخمر الجارية في الانهار راي ظاهرة تراها
العيون وتقدم الكلام في معين ماخوذ من عين الما اي يخرج من العيون كما يخرج الما وسمي معينا لظهوره يقال عان الما اذا ظهر
جاريا بلعب فهو مفعول من العين نحو مبيع ومكيل سمي معينا لانه يجري ظاهرا للعين كما تقدم ويجوز ان يكون فعيلا من المعن وهو
الماء الشديد الجري ومنه امعن في السير اذا اشتد فيه قوله تعالى بيضاء صفة لكاس وقال ابو حيان صفة لكاس او للخمر
قال شهاب الدين لم يذكر الخمر اللهم الا ان يعني بالمعين الخمر وهو بعيد جدا ويمكن ان يجاب بان الكاس انما سميت كاسا اذا
كان فيها الخمر وقرا عبد الله صفراء وهي مخالفة للسواد الا انه قد جاء وصفها بهذا اللون وانشد لبعض المولدين قوله
صفراء لا تنزل الاحزان ساحتها * لو مسها حجر مسته سراء * صفة ايضا وصف بالمصدر مبالغة كانها نفس اللذة
وعينها كما يقال فلان جود وكرم اذا ارادوا المبالغة وقال الزجاج وعلى حذف المضاف اي ذات لذة او على تانيث لذ بمعنى لذيذ
فيكون وصفا على فعل كصعب يقال لذ الشيء يلذ لذا فهو لذيذ ولذ وانشد * بحديثها اللذ الذي لو كلمت *
اسد الفلاة به اتين سراعا * وقال اخر * ولذ كطعم الصرخدي تركته * بارض العدى من خشية الحدثان *
واللذيذ كل شيء مستطاب وانشد * بلذ لطعمه وتخار فيه اذا شربها بعد المنام * قوله تعالى للشاربين صفة للذة
وقال الليث اللذة واللذيذ يجريان مجرى واحد في النعت يقال شراب لذ ولذيذ قال تعالى بيضاء لذة للشاربين وقال
تعالى من خمر لذة للشاربين وعلى هذا لذة بمعنى لذيذة قوله تعالى لا فيها غول صفة ايضا وبطل عمل لا وتكررت لتقدم
خبرها وتقدم اول البقرة فائدة تقديم مثل هذا الخبر والبحث مع ابي حيان فيه قال الفراء العرب تقول ليس فيها غيلة وغائلة
وغول سواء وقال ابو عبيدة الغول ان تغتال عقولهم وانشد قول مطيع بن اياس * وما زالت الكاس تغتالهم *
وتذهب بالاول فالاول * وقال الليث الغول الصداع والمعنى ليس فيها صداع كما في خمر الدنيا وقال الواحدي الغول حقيقته
الاهلاك يقال غاله غولا واغتاله اي اهلكه والغول والغائل المهلك وسمي الموضع غولا لانه يؤدي الى الهلاك والغول
كلما اغتالك اي اهلكك ومنه الغول بالضم شيء توهمته العرب ولها فيه اشعار كالعنقا يقال غالته غالتي كذا ومنه الغيلة
في القتل والرضاع قال * مضى اولونا ناعمين بعيشهم جميعا وغالتني بمكة غول * فالغول اسم لجميع الاذى وقال الكلبي لا فيها اثم وقال
قتادة وجع البطن وقال اهل المعاني الغول فساد يلحق امرا في خفية وخمر الدنيا يحصل فيها انواع من الفساد منها السكر
وذهاب العقل ووجع البطن والصداع والقي والبول ولا يوجد شيء من ذلك في خمر الجنة قوله تعالى ولا هم عنها
ينزفون قرا الاخوان ينزفون هنا وفي الواقعة بضم الياء وكسر الزاي ووافقهما عاصم على ما في الواقعة فقط والباقون
بضم الياء وفتح الزاي وابن ابي اسحق بالفتح والكسر وطلحة بالفتح والضم فالقراءة الاولى من انزف اذا ذهب عقله
من السكر فهو نزيف ومنزوف وكان قياسه منزف ككرم ونزف الرجل فانزف هو فهذا مما تعدى ثلاثيه وقصر رباعيه بالهمزة
قاصرا وهو نحو كببته فاكب وقشعت الريح السحاب فاقشع اي دخلا في الكب والقشع وقال الاسود قوله
لعمري لئن انزفتم او صحوتم * لبئس الندامى انتم ال ابجرا * ويقال انزف ايضا اي فقد شرابه واما الثانية فمن نزف
الرجل ثلاثيا مبنيا للمفعول بمعنى سكر وذهب عقله ايضا ويجوز ان يكون هذه القراءة من انزف ايضا بالمعنى المتقدم
وقيل هو من قولهم نزفت الركية اي نزحت ماءها والمعنى انهم لا تذهب خمورهم بل هي باقية ابدا وضمن ينزفون
معنى يصدون عنها بسبب النزيف واما القراءتان الاخيرتان فيقال نزف الرجل ونزف بالكسر والضم بمعنى ذهب عقله

بالسكون ولما ذكر تعالى صفة مشروبهم ذكر عقيبه صفة منكوحهم فقال وعندهم قاصرات الطرف عين فقوله قاصرات
الطرف يجوز ان يكون من باب الصفة المشبهة اي قاصرات اطرافهن كمنطلق اللسان وان يكون من باب اسم الفاعل على
اصله فعلى الاول المضاف اليه مرفوع المحل وعلى الثاني منصوبه اي قصرن اطرافهن على ازواجهن وهو مدح عظيم قال امرؤ القيس
من القاصرات الطرف لو دب محول • من الذر فوق الاتب منها لاثرا • ومعنى القصر في اللغة الحبس ومنه قوله تعالى مقصورات في الخيام
والمعنى انهن يحبسن نظرهن ولا ينظرن الى غير ازواجهن والعين جمع عيناء وهي الواسعة العين والذكر اعين قال الزجاج كبار
الاعين حسانها يقال رجل اعين وامراة عيناء ورجال ونساء عين **قوله تعالى** كانهن بيض مكنون والبيض جمع بيضة وهو معروف
والمراد به بيض النعام والمكنون المصون المستور من كننته اي جعلته في كن والعرب تشبه المراة بها في لونها وهو بياض مشوب
بصفرة والعرب تحبه قال امرؤ القيس • وبيضة خدر لا يرام خباؤها • تمتعت من لهو بها غير معجل • كبكر مقاناة البياض
بصفرة • غذاها نمير الماء غير المحلل • وقال ذو الرمة • بيضاء في برج صفراء في غنج • كانها فضة قد مسها ذهب • وقال بعضهم
انما شبهت المراة بها في اجزائها فان البيضة من اي جهة اتيتها كانت في راي العين مشبهة للاخرى وهو في غاية المدح وقد لحظ هذا
بعض الشعراء حيث قال • تناسبت الاعضاء فيها فلا ترى • بهن اختلافا بل اتين على قدر • ويجمع البيض على بيوض قال •
فهن بها قفص والمطي كانها • قطا الحزن قد كانت فراخا بيوضها • قال الحسن شبههن ببيض النعام تكنها بالريش من الريح والغبار فلونها
ابيض في صفرة يقال هذا احسن الوان النساء تكون المراة بيضاء مشربة صفرة **قوله تعالى** فاقبل بعضهم على بعض وهذا
عطف على قوله يطاف عليهم والمعنى يشربون فيتحادثون على الشراب قال • وما بقيت من اللذات الا • محادثة الكرام
على المدام • واتى بقوله فاقبل ماضيا لتحقق وقوعه كقوله ونادى اصحاب الجنة اصحاب النار وقوله يتساءلون حال من
فاعل اقبل والمعنى ان اهل الجنة يسال بعضهم بعضا عن حالهم في الدنيا **قوله تعالى** قال قائل منهم اني كان لي قرين اي في الدنيا
ينكر البعث ويقول ائنك لمن المصدقين اي كان يوبخني على التصديق بالبعث والقيامة ويقول تعجبا ائذا متنا وكنا ترابا وعظاما
ائنا لمدينون اي لمحاسبون ومجازون والمعنى ان ذلك القرين كان يقول هذه الكلمات على سبيل الاستنكار واعلم انه تعالى لما
ذكر ان اهل الجنة يتساءلون عند اجتماعهم على الشرب ويتحدثون وكان من جملة كلامهم انهم يتذكرون ما كان قد حصل لهم
في الدنيا مما يوجب الوقوع في عذاب الله ثم انهم تخلصوا منه وفازوا بالسعادة الابدية قال مجاهد كان ذلك القرين شيطانا
وقيل كان من الانس وقال مقاتل كانا اخوين وقيل كانا شريكين حصل لهم ثمانية الاف دينار فتقاسماها واشترى احدهما
دارا بالف دينار فاراها صاحبه وقال كيف ترى حسنها فقال ما احسنها ثم خرج فتصدق بالف دينار وقال اللهم ان صاحبي
قد ابتاع هذه الدار بالف دينار واني اسالك دارا من دور الجنة ثم ان صاحبه تزوج امراة حسناء بالف دينار فتصدق
صاحبه بالف دينار لاجل ان يزوجه الله تعالى من الحور العين ثم ان صاحبه اشترى بساتين بالفي دينار ثم ان الله تعالى اعطاه
ما طلب في الجنة قيل وانما ذكر المكنون والبيض جمع مؤنث لانه رده الى اللفظ وقيل كان احدهما كافرا اسمه تطروس والاخر
مؤمن اسمه يهودا وهما اللذان قص الله خبرهما في سورة الكهف واضرب لهم مثلا رجلين **قوله تعالى** لمن المصدقين العامة
على تخفيف الصاد من التصديق اي لمن المصدقين بلقاء الله وقرئ بتشديدها من التصدق واختلف القراء في هذه الاستفهامات
الثلاثة وهي قوله ائنك لمن المصدقين ائذا متنا وكنا ترابا وعظاما ائنا لمدينون فقرا نافع الاولى والثانية بالاستفهام
بهمزة غير ممدودة والثالث بكسر الالف من غير استفهام ووافقه الكسائي الا انه يستفهم الثانية بهمزتين وابن عامر الاول
والثالث بالاستفهام بهمزتين والثانية بكسر الالف من غير استفهام والباقون بالاستفهام في جميعها ثم اختلفوا فابن كثير
يستفهم بهمزة واحدة غير مطولة وبعدها ساكنة خفيفة وابو عمرو مطولة وعاصم وحمزة بهمزتين **فصل**
ثم ان ذلك الرجل يقول لجلسائه يدعوهم الى كمال السرور بالاطلاع الى النار لمشاهدة ذلك القرين ومخاطبته هل انتم
مطلعون الى النار فيقول اهل الجنة انت اعرف به منا فاطلع انت قال ابن عباس ان في الجنة كوى ينظر اهلها منها الى النار
قوله تعالى مطلعون قرا العامة بتشديد الطاء مفتوحة وبفتح النون فاطلع ماضيا مبنيا للفاعل افتعل من الطلوع وقرا
ابن عباس في آخرين ويروى عن ابي عمرو بسكون الطاء وفتح النون فاطلع بهمزة مضمومة وكسر اللام ماضيا مبنيا للمفعول
ومطلعون على هذه القراءة يحتمل ان يكون قاصرا اي يصلون من قولك اطلع علينا فلان اي اقبل وان يكون متعديا
ومفعوله محذوف اي اصحابكم وقرا ابو البرهسم وحماد بن ابي عمار مطلعون خفيفة الطاء مكسورة النون فاطلع مبنيا
للمفعول ورد ابو حاتم وغيره هذه القراءة من حيث الجمع بين النون وضمير المتكلم اذ كان قياسها مطلعي والاصل مطلعون
فابدل وادغم نحو جاء مسلمي العاقلون وقوله عليه السلام او مخرجيهم وقد وجهها ابن جني على انها اجرى فيها اسم الفاعل
مجرى المضارع معنى في اثبات النون فيه مع الضمير وانشد الطبري على ذلك • وما ادري وظني كل ظن • اسلمني الى قومي
شراح • والى هذا الزمخشري قال او شبه اسم الفاعل في ذلك كانه قال يطلعون وهو ضعيف لا يقع الا في شعر وذكر فيه

توجيها آخر فقال اراد مطلعون اياي فوضع المتصل موضع المنفصل كقوله • هم الفاعلون الخير والآمرونه • ورده ابو حيان
بان هذا ليس من مواضع المنفصل حتى يدعى ان المتصل وقع موقعه لا يجوز هند زيد ضاربها ولا زيد ضارب اياي
قال شهاب الدين انما لم يجز ما ذكر لانه اذا قدر على المتصل لم يعدل الى المنفصل ولقائل ان يقول اسلم انه يقدر على المتصل حالة
ثبوت النون والتنوين قبل الضمير بل يصير الموضع موضع ضمير المنفصل فيصح ما قال الزمخشري وللنحاة في اسم الفاعل المنون
قبل ياء المتكلم نحو البيت المتقدم وقول الآخر • فهل فتى من سراة القوم يحملني • وليس حاملني الا ابن حمال • وقول الآخر
ممتعين وفي الناس ممنع • صديق وقد اعيا على صديق • قولان احدهما انه تنوين وانه شذ ثبوته مع الضمير وان قلنا ان
الضمير بعده في محل نصب والثاني انه ليس تنوينا وانما هو نون وقاية واستدل ابن مالك على هذا بقوله وليس بمعييني وبقوله
ايضا وليس الموافيني • وفي الناس ممنع صديق اذا اعيى على صديق • ووجه الدلالة من الاول انه لو كان تنوينا لكان ينبغي ان يحذف
الياء قبله لانه منقوص منون والمنقوص المنون يحذف ياؤه رفعا وجرا لالتقاء الساكنين ووجهها من الثاني ان الالف واللام
لا يجامع التنوين والذي يرجح القول الاول ثبوت النون في قوله والآمرونه وفي قول الآخر • ولم يرتفق والناس محتضرونه
جميعا وايدي المعتفين رواهقه • فان النون قائمة مقام التنوين تثنية وجمعا على حدها وقال ابو البقاء ويقرا بكسر النون وهو
بعيد جدا لان النون ان كانت للوقاية فلا تلحق الاسماء وان كانت نون الجمع فلا تثبت في الاضافة وهذا التوهين صحيح لولا ما
تقدم من الجواب عنه مع تكلف فيه وخروج عن القواعد وقرئ مطلعون بالتخفيف فاطلع مخففا ماضيا مخففا مضارعا
منصوبا على ما تقدم يقال طلع علينا فلان واطلع كاكرم واطلع بالتشديد بمعنى واحد واما قراءة من بنى الفعل للمفعول
ففي القائم مقام الفاعل ثلاثة اوجه احدها مصدر الفعل اي اطلع الاطلاع الثاني الجار المقدر والثالث وهو الصحيح انه
ضمير القائل لاصحابه ما قاله لانه يقال طلع زيد واطلعه غيره فالهمزة فيه للتعدية واما الوجهان الاولان فذهب اليهما
ابو الفضل الرازي في لوامحه فقال طلع واطلع اذا بدا وظهر واطلع اطلاعا اذا جاء واقبل ومعنى ذلك هل انتم مقبلون فاقبل
وانما اقيم المصدر فيه مقام الفاعل بتقدير فاطلع الاطلاع او بتقدير حرف الجر المحذوف اي اطلع به لان اطلع لازم كما ان اقبل
كذلك ورد عليه ابو حيان هذين الوجهين فقال قد ذكرنا ان اطلع بالهمزة معدى من طلع اللازم واما قوله او حرف الجر المحذوف
اي اطلع به فهذا لا يجوز لان مفعول ما لم يسم فاعله لا يجوز حذفه لانه نائب عنه فكما ان الفاعل لا يجوز حذفه دون عامله
فكذلك هذا لو قلت زيد ممرور او منصوب تريد به او عليه لم يجز قال شهاب الدين ابو الفضل لا يدعي ان النائب عن الفاعل
محذوف وانما قال بتقدير حرف الجر المحذوف ومعنى ذلك في حذف عائد الموصول المجرور عند عدم شروط الحذف وينتهي
الحذف على التدريج وقوله فرآه عطف على فاطلع وسواء الجحيم وسطها واحسن ما قيل فيه ما قاله ابن عباس سمي بذلك لاستواء
المسافة منه الى الجوانب وعن عيسى بن عمر انه قال لابي عبيدة كنت اكتب حتى ينقطع سواي **قوله تعالى** تالله قسم فيه تعجب وان
مخففة او نافية واللام في لتردين فارقة او بمعنى الا على التقديرين فهي جواب القسم واعلم ان وعملها في خبرها **فصل**
قال المفسرون انه ذهب الى اطراف الجنة فاطلع عندها الى النار فرآه في سواء الجحيم اي في وسط الجحيم فقال له توبيخا تالله
ان كدت لتردين اي والله لقد كدت ان تهلكني وقال مقاتل والله لقد كدت ان تغويني ومن اغوى انسانا فقد اهلكه والردى
الهلاك اي لتهلكني بدعائك اياي الى انكار البعث والقيامة ولولا نعمة ربي والعصمة على الاسلام لكنت من المحضرين معك في
النار ولما تم الكلام مع قرينه الذي هو في النار عاد الى مخاطبة جلسائه من اهل الجنة وقال افما نحن بميتين قال بعضهم
ان اهل الجنة لا يعلمون في اول دخولهم الجنة انهم لا يموتون فاذا جيء بالموت على صورة كبش املح وذبح يقول اهل الجنة للملائكة
افما نحن بميتين فتقول الملائكة لا فعند ذلك يعلمون انهم لا يموتون وعلى هذا فالكلام حصل قبل ذبح الموت وقيل ان الذي
تكاملت سعادته اذا عظم تعجبه بها يقول ذلك والمعنى هذا على جهة الحديث بنعمة الله عليه وقيل يقوله المؤمن لقرينه
توبيخا له بما كان ينكره **قوله تعالى** بميتين قرا زيد بن علي بمائتين وهما مثل ضيق وضائق كما تقدم وقوله افما في الفاء
المشهور فقدره الزمخشري انحن مخلدون منعمون فما نحن بميتين وغيره يجعل الهمزة متقدمة على الفاء **قوله تعالى** الا
موتتنا منصوب على المصدر والعامل فيه الوصف قبله ويكون استثناء مفرغا وقيل هو استثناء منقطع اي لكن الموتة
الاولى كانت لنا في الدنيا وهذا قريب في المعنى من قوله تعالى لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الاولى وفيها هنا كبحث
قوله تعالى ان هذا لهو الفوز العظيم وهذا قول اهل الجنة عند فراغهم من هذه المحادثات وقوله لمثل هذا فليعمل العاملون
قيل انه من بقية كلامهم وقيل انه ابتداء كلام من الله تعالى اي لمثل هذا النعيم الذي ذكرناه **قوله تعالى** اذلك خير
نزلا اي ذلك الذي ذكره لاهل الجنة خير نزلا ام شجرة الزقوم فنزلا تمييز والخيرية بالنسبة الى ما اختاره الكفار
على غيره والزقوم شجرة مسمومة يخرج لها لبن متى مس جسد احد تورم فمات والتزقم البلع بشدة وجهد للاشياء الكريهة
وقول ابي جهل وهو من العرب العرباء لا نعرف الزقوم الا التمر بالزبد من العناد والكذب البحت **فصل** لما ذكر ثواب اهل

الجنة ووصفها وذكر مآكل اهل الجنة ومشاربهم وقال لمثل هذا فليعمل العاملون اتبعه بقوله قل يا محمد اذلك خير ام شجرة
الزقوم ليصير ذلك زاجرا لهم عن الكفر وذكر مآكل اهل النار ومشاربهم والنزل الفضل الواسع في الطعام يقال طعام كثير
النزل واستعير للحاصل من الشيء ويقال ارسل الامير الى فلان نزلا وهو الشيء الذي يحصل حال من نزل بسببه واذا عرفت هذا فالحاصل
الرزق المعلوم لاهل الجنة اللذة والسرور وحاصل شجرة الزقوم الالم والغم ومعلوم انه لا نسبة لاحدهما على الاخر في الخيرية
الا انه جاء هذا الكلام اما على سبيل السخرية بهم او لاجل ان المؤمنين لما اختاروا ما اوصلهم الى الرزق الكريم والكافرين
اختاروا ما اوصلهم الى العذاب الاليم قيل لهم ذلك توبيخا لهم على اختيارهم قال الكلبي لما نزلت هذه الاية قال ابن الزبعرى
اكثر الله في بيوتكم الزقوم فان اهل اليمن يسمون التمر والزبد بالزقوم فقال ابو جهل لجاريته زقمينا فاتته بزبد وتمر وقال
تزقموا قال الواحدي ومعلوم ان الله تعالى لم يرد بالزقوم ههنا التمر والزبد قال ابن دريد لم يكن للزقوم اشتقاق
من التزقم وهو الافراط في اكل الشيء حتى يكره ذلك يقال بات فلان يتزقم وظاهر لفظ القران يدل على انها شجرة كريهة الطعم
منتنة الرائحة شديدة الخشونة موصوفة بصفات ردية وانه تعالى يكره اهل النار على اكلها **قوله تعالى** انا جعلناها فتنة
للظالمين اي للكافرين وذلك ان الكفار لما سمعوا هذه الاية قالوا كيف يكون في النار شجرة والنار تحرق الشجر فاجيبوا بان خالق
النار قادر على ان يمنع النار من احراق الشجر لانه اذا جاز ان يكون في النار زبانية والله تعالى يمنع النار عن احراقهم فلم لا يجوز مثله
في هذه الشجر فمعنى كون شجرة الزقوم فتنة للظالمين هو انهم لما سمعوا هذه الاية وبقيت تلك الشبهة في قلوبهم وصارت
سببا لتماديهم في الكفر فهو المراد من كونها فتنة لهم او يكون المراد صيرورة هذه الشجرة فتنة لهم في النار لانهم اذا كلفوا
تناولها شق ذلك عليهم فحينئذ يصير ذلك فتنة في حقهم او يكون المراد من الفتنة الامتحان والاختبار فان هذا شيء بعيد
عن العرف والعادة واذا ورد على سمع المؤمن فوض علمه الى الله واذا ورد على الزنديق توسل به الى الطعن في القران والنبوة
ثم انه تعالى وصف هذه الشجرة بصفات الاولى قوله انها شجرة تخرج في اصل الجحيم قال الحسن اصلها في قعر جهنم واغصانها
ترتفع الى دركاتها الصفة الثانية قوله طلعها اي ثمرها سمي طلعا لطلوعه قال الزمخشري الطلع للنخلة فاستعير لما طلع
من شجرة الزقوم من حملها اما استعارة لفظية او معنوية قال ابن قتيبة سمي طلعا لطلوعه كل سنة فلذلك قيل طلع النخل
لاول ما يخرج من ثمره **قوله تعالى** روس الشياطين فيه وجهان احدهما انه حقيقة وان روس الشياطين شجرة معينة بناحية
اليمن وتسمى الاستن قال النابغة • تحيد عن استن سود اسافله • مشي الاماء الغوادي تحمل الحزما • وهو شجر منكر الصورة
مر تسميه العرب بذلك تشبيها برؤس الشياطين في القبح ثم صار اصلا يشبه به وقيل الشياطين ضرب من الحيات ولهن
اعراف قال • عجيز تحلف حين احلف • كمثل شيطان الحماط اعرف • وقيل شجر يقال له الصوم فيرميه قول ساعدة بن جوية
موكل بشدوف الصوم يرقبها • من المعارف مخطوف الحشا زرم • فعلى هذا قد خوطب العرب بما تعرفه وهذه الشجرة
معروفة موجودة فالكلام حقيقة والثاني انه من باب التخييل والتمثيل وذلك انه كل ما يستنكر ويستقبح في الطباع
والصورة يشبه بما يتخيله الوهم وان لم يره والشياطين وان كانوا موجودين غير مرئيين للعرب الا انه خاطبهم بما الفوه
من الاستعارات التخييلية كقول امرئ القيس • اتقتلني والمشرفي مضاجعي • ومسنونة زرق كانياب اغوال • ولم
يرانيابها بل ليست موجودة البتة قال ابن الخطيب وهذا هو الصحيح وذلك ان الناس لما اعتقدوا في الملائكة كمال
الفضل في الصورة والسيرة فكما حسن التشبيه بالملك عند ارادة الكمال والفضيلة في قول النساء ان هذا الا ملك
كريم فكذلك حسن التشبيه برؤس الشياطين بالقبح وتشويه الخلقة ويؤكد هذا ان العقلاء اذا راوا شيئا شديد
الاضطراب منكر الصورة قبيح الخلقة قالوا انه شيطان واذا راوا شيئا حسنا قالوا انه ملك من الملائكة قال ابن عباس
هم الشياطين باعيانهم شبه بها لقبحه **قوله تعالى** فانهم لآكلون منها فمالئون منها البطون والملء حشو الوعاء بما لا
يحتمل الزيادة عليه **فان قيل** كيف ياكلونها مع نهاية خشونتها ونتنها ومرارة طعمها **فالجواب** ان المضطر ربما
استروح من الضرر بما يقاربه في الضرر فاذا جوعهم الله الجوع الشديد فزعوا الى ازالة ذلك الجوع بتناول هذا الشيء
او يقال ان الزبانية يكرهونهم على الاكل من تلك الشجرة تكميلا لعذابهم **قوله تعالى** ثم ان لهم عليها لشوبا من حميم
قرا العامة بفتح الشين وهو مصدر على اصله وقيل يراد به اسم المفعول ويدل له قراءة شيبان النحوي لشوبا بالضم قال
الزجاج المفتوح مصدر والمضموم اسم بمعنى المشوب كالنقض بمعنى المنقوض وعطف بثم لاحد معنيين اما لانه يؤخر ما
يظنونه يرويهم من عطشهم زيادة في عذابهم فلذلك اتى بثم المقتضية للتراخي واما لان العادة تقتضي تراخي الشرب عن الاكل
فعمل على ذلك المنوال واما ملء البطن فيعقب الاكل فلذلك عطف على ما قبله بالفاء قال الزجاج الشوب اسم عام
في كل ما خلط بغيره والشوب الخلط والمزج ومنه شاب اللبن يشوبه اي خلطه ومزجه والحميم الماء الحار المتناهي في
الحرارة ومن حميم صفة لشوبا واعلم ان الله تعالى وصف شرابهم في القران باشياء منها غساقا ومنها وسقوا ماء حميما

فقطع امعاءهم ومنها المذكور في هذه الاية ولما ذكر الطعام بتلك البشاعة والكراهية وصف الشراب بما هو اشنع
منه وسماه شوبا اي خلطا ومزجا من حميم من ماء حار فاذا اكلوا الزقوم وشربوا عليه الحميم فيشوب الحميم في بطونهم الزقوم
فيصير شوبا له **قوله تعالى** ثم ان مرجعهم لالى الجحيم قال مقاتل اي بعد اكل الزقوم وشرب الحميم وهذا يدل على انهم عند شرب
الحميم لم يكونوا في الجحيم وذلك بان يكون الحميم في موضع خارج عن الجحيم فهم يوردون الحميم لاجل الشرب كما تورد الابل الى الماء
ثم يردون الى الجحيم ويدل عليه قوله تعالى يطوفون بينها وبين حميم ان وقرا ابن مسعود ثم ان منقلبهم لالى الجحيم انهم الفوا
وجدوا اباءهم ضالين فهم على اثارهم يهرعون قال الفراء الاهراع الاسراع يقال هرع واهرع اذا استحث والمعنى انهم
يتبعون اباءهم اتباعا في سرعة كانهم يزعجون الى اتباع ابائهم وقال الكلبي يعملون مثل عملهم ثم انه تعالى ذكر لرسوله ما يسليه
في كفرهم وتكذيبهم فقال ولقد ضل قبلهم اكثر الاولين من الامم الخالية ولقد ارسلنا فيهم منذرين فبين تعالى ان ارساله
الرسل قد تقدم والتكذيب لهم قد سلف فوجب ان يكون له صلى الله عليه وسلم اسوة بهم حتى يصبر كما صبروا ويستمر على
الدعاء الى الله وان تمردوا فليس عليه الا البلاغ ثم قال فانظر كيف كان عاقبة المنذرين الكافرين اي كان عاقبتهم العذاب
وهذا الخطاب وان كان ظاهره مع الرسول عليه السلام الا ان المقصود منه خطاب الكفار لانهم سمعوا بالاخبار ما جرى
على قوم نوح وعاد وثمود وغيرهم من انواع العذاب فان لم يعلموا ذلك فلا اقل من ظن وخوف يحتمل ان يكون زاجرا لهم
عن كفرهم **قوله تعالى** الا عباد الله استثناء من قوله ولقد ضل قبلهم اكثر الاولين فالمراد بالمخلصين الموحدين نجوا من العذاب وتقدم
الكلام على الاخلاص في سورة الحجر عند قوله تعالى الا عبادك منهم المخلصين **قوله تعالى** ولقد نادانا نوح الاية لما قال ولقد
ضل قبلهم اكثر الاولين وقال فانظر كيف كان عاقبة المنذرين اتبعه بشرح وقائع الانبياء عليهم السلام فالقصة الاولى
حكاية حال نوح عليه السلام فقال ولقد نادانا نوح اي نادى ربه ان ينجيه مع من نجا من الغرق وقيل نادى ربه اي استنصره
على كفار قومه فاجاب الله دعاءه **قوله تعالى** فلنعم المجيبون جواب لقسم مقدر اي فوالله ومثله لعمري لنعم السيدان وجدتما
فصل والمخصوص بالمدح محذوف اي نحن اجبنا دعاءه واهلكنا قومه ونجيناه واهله من الكرب العظيم واعلم ان هذه الاجابة
كانت من النعم العظيمة وذلك من وجوه احدها انه تعالى عبر عن ذاته بصيغة الجمع فقال ولقد نادانا نوح والقادر العظيم لا يليق
به الا الاحسان العظيم وثانيها انه اعاد صيغة الجمع في قوله فلنعم المجيبون من ذلك ايضا يدل على تعظيم تلك النعمة لا سيما
وقد وصف تلك الاجابة بانها نعمة وثالثها ان الفاء في قوله فلنعم المجيبون يدل على ان النداء بالاخلاص سبب حصول الاجابة
ثم انه تعالى لما بين انه نعم المجيب بين ان الانعام حصل في تلك الاجابة بقوله ونجيناه واهله من الكرب العظيم والكرب هو الخوف
الحاصل من الغرق والكرب الحاصل من اذى قومه وجعلنا ذريته هم الباقين وذلك يفيد الحصر وذلك يدل على ان كل من سواه
وسوى ذريته فقد فنوا قال ابن عباس ذريته بنو الثلاثة سام وحام ويافث فسام ابو العرب وفارس وحام ابو السودان
ويافث ابو الترك والخزر وياجوج وماجوج قال ابن عباس لما خرج نوح من السفينة مات من كان معه من الرجال والنساء الا
ولده ونساءهم **قوله تعالى** وتركنا عليه في الاخرين اي ابقينا له ثناء حسنا وذكرا جميلا فيمن بعده من الانبياء والامم
الى يوم القيمة **قوله تعالى** سلام على نوح مبتدا وخبر وفيه اوجه احدها انه مفسر لتركنا والثاني انه مفعول لتركنا اي تركنا
عليه ثناء وهو هذا الكلام وقيل ثم قول مقدر اي فقلنا سلام وقيل ضمن تركنا معنى قلنا وقيل سلط تركنا على ما بعده قال
الزمخشري وتركنا عليه في الاخرين هذه الكلمة وهي سلام على نوح يعني يسلمون عليه تسليما ويدعون له وهو من الكلام المحكي
كقولك قرات سورة انزلناها وهذا الذي قاله قول الكوفيين جعلوا الجملة في محل نصب مفعولا بتركنا لا انه ضمن معنى القول بل هو على
معناه بخلاف الوجه قبله وهو ايضا من اقوالهم وقرا عبد الله سلاما وهو مفعول به بتركنا وكذلك نعت مصدر او حال على ضعيف
كما تقدم تحريره **فصل** المعنى سلام عليه منا في العالمين وقيل تركنا عليه في الاخرين ان يصلى عليه الى يوم القيمة انا كذلك
نجزي المحسنين انما خصصنا نوحا عليه السلام بهذه التشريفات الرفيعة من جعل الدنيا مملوءة من ذريته ومن تبقية ذكر الحسن
في السنة العالمين لاجل كونه محسنا ثم علل كونه محسنا بانه كان عبدا مؤمنا القصة الثانية قصة ابراهيم عليه السلام **قوله تعالى**
وان من شيعته اي من اهل دينه وسنته وفي الضمير وجهان اظهرهما انه يعود على نوح اي ممن كان يتابعه اي يتابعه على دينه
والتصلب في امر الله والثاني انه يعود على محمد صلى الله عليه وسلم وهو قول الكلبي والشيعة قد تطلق على المتقدم كقوله
وما لي الا آل احمد شيعة • وما لي الا مشعب الحق مشعب • فجعل آل احمد وهم متقدمون عليه وهو تابع لهم شيعة له قاله الفراء
والمعروف ان الشيعة تكون في المتاخر قالوا كان بين نوح وابراهيم نبيان هود وصالح وروى الزمخشري انه كان بين نوح وابراهيم
الفان وستمائة واربعون سنة **قوله تعالى** اذ جاء ربه في العامل فيه وجهان احدهما اذكر مقدرا وهو المتعارف والثاني قال
الزمخشري ما في الشيعة من معنى المشايعة يعني وان ممن شايعه على دينه وتقواه حين جاء ربه قال ابو حيان لا يجوز لان
فيه الفصل بين العامل والمعمول باجنبي وهو لابراهيم لانه اجنبي من شيعته ومن اذ وزاد المنع ان قدر ممن شايعه حين جاء

ربه

لابرهيم لانه قد بمعنى شايعه فجعل العامل قبله صلة لموصول وفصل بينه وبين اذ باجنبي وهو لابرهيم وايضا
فلازم الابتداء يمنع ان يعمل ما قبلها فيما بعدها لو قلت ان ضاربا لقادم علينا زيدا تقديره ان ضاربا زيدا قادم علينا
لم يجز **فصل** قال مقاتل والكلبي المعنى انه سليم من الشرك لانه انكر على قومه الشرك لقوله اذ قال لابيه وقومه ماذا
تعبدون وقال الاصوليون معناه انه عاش ومات على طهارة القلب من كل معصية **قوله تعالى** اذ قال بدل من اذ الاولى
او ظرف لسليم اي سلم عليه في وقت كيت وكيت او ظرف لجاء ذكره ابو البقا وقوله ماذا تعبدون استفهام توبيخ وتهجين
لتلك الطريقة وتقبيحها **قوله تعالى** ائفكا فيه اوجه احدها انه مفعول من اجله اي تريدون الهة دون الله افكا فالهة
مفعول به ودون ظرف لتريدون وقدمت معمولات الفعل اهتماما بها وحسنه كون العامل راس فاصلة وقدم المفعول
من اجله على المفعول به اهتماما به لانه مكافح لهم بانهم على افك وباطل وبهذا الوجه بدا الزمخشري الثاني ان يكون مفعولا به
بتريدون ويكون الهة بدلا منه جعلها نفس الافك مبالغة فابدلها عنه وفسره بها ولم يذكر ابن عطية غيره الثالث انه حال
من فاعل تريدون اي اتريدون الهة افكين او ذوي افك واليه نحا الزمخشري قال ابو حيان وجعل المصدر حالا لا يطرد
الا مع اما نحو اما علما فعالم والافك اسوأ الكذب **قوله تعالى** فما ظنكم برب العالمين اي اتظنون برب العالمين انه يجوز
جعل هذه الجمادات مشاركة له في العبودية او اتظنون برب العالمين انه من جنس هذه الاجسام حتى جعلتموها مساوية
له في العبودية فنبههم بذلك على انه ليس كمثله شيء او فما ظنكم برب العالمين اذا لقيتموه وقد عبدتم غيره انه يصنع بكم
قوله تعالى فنظر نظرة في النجوم فقال اني سقيم قال ابن عباس كان قومه يتعاطون علم النجوم فعاملهم على مقتضى عادتهم
وذلك انه اراد ان يكايدهم في اصنامهم ليلزمهم الحجة في انها غير معبودة وكان لهم من العادة يوم عيد يخرجون اليه فاراد ان
يتخلف عنهم ليبقى خاليا في بيت الاصنام فيقدر على كسرها **فان قيل** النظر في علم النجوم غير جائز فكيف اقدم ابرهيم عليه السلام
وايضا لم يكن سقيما فكيف اخبرهم بخلاف حاله **فالجواب** من وجوه الاول ان نظره في النجوم اي في اوقات الليل والنهار وكانت
تاتيه الحمى في بعض ساعات الليل والنهار فنظر ليعرف هل هي تلك الساعة فقال اني سقيم فجعله عذرا في تخلفه من العيد الذي لهم فكان
صادقا فيما قال لان السقم كان ياتيه في ذلك الوقت الثاني انهم كانوا اصحاب النجوم يعظمونها ويقضون بها امورهم فلذلك
نظر ابرهيم في النجوم اي في علم النجوم كما يقولون نظر فلان في الفقه اي في علم الفقه فاراد ابرهيم ان يوهمهم انه نظر في علمهم
وعرف منه ما يعرفونه حتى اذا قال اني سقيم سكنوا الى قوله واما قوله اني سقيم فمعناه ساسقم كقوله انك ميت اي ستموت
الثالث ان نظره في النجوم هو قوله تعالى فلما جن عليه الليل راى كوكبا الى اخر الايات فكان نظره ليعرف احوال هذه الكواكب
هل هي قديمة او محدثة وقوله اني سقيم القلب اي غير عارف بربي وكان ذلك قبل البلوغ الرابع قال ابن زيد كان له نجم مخصوص
وكلما طلع على صفة مخصوصة مرض ابرهيم فلهذا الاستقرا لما راه في تلك الحالة اني سقيم اي مريض القلب بسبب اطباق ذلك
الجمع العظيم على الكفر والشرك كقوله تعالى لمحمد رسول الله صلى الله عليه وسلم فلعلك باخع نفسك السادس انا لا نسلم
ان النظر في علم النجوم والاستدلال بها حرام لان من اعتقد ان الله تعالى خص كل واحد من هذه الكواكب بطبع وخاصية
لاجلها يظهر منه اثر مخصوص فهذا العلم على هذا الوجه ليس بباطل واما الكذب فغير لازم لان قوله اني سقيم على سبيل
التعريض بمعنى ان الانسان لا ينفك في اكثر حاله عن حصول حالة مكروهة اما في بدنه واما في قلبه وكل ذلك سقم السابع قال ابن
الخطيب قال بعضهم ذلك القول عن ابرهيم عليه السلام كذبة واوردوا فيه حديثا عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما كذب
ابرهيم الا ثلاث كذبات قلت لبعضهم هذا الحديث لا ينبغي ان يقبل لان فيه نسبة الكذب الى ابرهيم فقال ذلك الرجل فكيف
نحكم بكذب الراوي العدل فقلت لما وقع التعارض بين نسبة الكذب الى الراوي وبين نسبته الى الخليل عليه السلام
من المعلوم بالضرورة ان نسبته الى الراوي اولى ثم نقول لم لا يجوز ان يكون المراد من قوله فنظر نظرة في النجوم اي في نجوم كلامهم
ومتفرقات قولهم فان الاشياء التي تحدث قطعة قطعة يقال انها منجمة اي متفرقة ومنه نجوم الكتابة والمعنى انه لما سمع
كلماتهم المتفرقة نظر فيها حتى يستخرج منها حيلة يقدر بها على اقامة عذر لنفسه في التخلف عنهم فلم يجد عذرا احسن من قوله
اني سقيم والمراد انه لا بد من ان يصير سقيما كما تقول لمن رايته يتجهز للسفر انك مسافر ولما قال اني سقيم تولوا عنه مدبرين
وتركوه وعذروه في عدم الخروج الى عيدهم **قوله تعالى** فراغ اي مال في خفية واصله من روغان الثعلب وهو تردده
وعدم ثبوته بمكان ولا يقال راغ حتى يكون صاحبه مخفيا لذهابه ومجيئه فقال استهزاء بها الا تاكلون يعني الطعام
الذي كان بين ايديهم ما لكم لا تنطقون فلما لم يجيبوا قال ايضا استهزاء فراغ عليهم مال عليهم مستخفيا **قوله تعالى** ضربا مصدر واقع
موقع الحال اي فراغ عليهم ضاربا او مصدر لفعل ذلك الفعل حال تقديره فراغ يضرب ضربا او ضمن راغ معنى يضرب
وهو بعيد وباليمين متعلق بضربا ان لم تجعله مؤكدا والا فبعامله واليمين يجوز ان يراد بها احدى اليدين وهو الظاهر
وان يراد بها القوة فالبا على هذا للحال اي ملتبسا بالقوة وان يراد بها الحلف وفاء بقوله وتالله لاكيدن والبا على هذا للسبب

وعدي

وعدي راغ الثاني بعلى لما كان مع الضرب المستولي عليهم من فوقهم الى اسفلهم بخلاف الاول فانه مع توبيخ لهم واتى بضمير العقلاء
في قوله عليهم جريا على ظن عبدتها انها كالعقلاء **قوله تعالى** يزفون حال من فاعل اقبلوا واليه يجوز تعلقه بما قبله او بما
بعده وقرا حمزة يزفون بضم اليا من ازف وله معنيان احدهما انه من ازف يزف اي دخل في الزفيف وهو الاسراع او زفاف
العروس وهو المشي على هينة لان القوم كانوا في طمانينة من امرهم كذا قيل وهذا الثاني ليس بشيء اذ المعنى انهم لما سمعوا
بذلك بادروا مسرعين فالهمزة على هذا ليست للتعدية والثاني انه من ازف غيره اي حمله على الزفيف وهو الاسراع
او على الزفاف وقد تقدم ما فيه وباقي السبعة بفتح اليا من زف الظليم يزف اي عدا بسرعة واصل الزفيف للنعام وقرا مجاهد
وعبد الله بن يزيد والضحاك وابن ابي عبلة يزفون من وزف يزف اي اسرع الا ان الكسائي والفرا قالا لا نعرفها بمعنى زف
وقد عرفها غيرهما قال مجاهد وهو بعض من قراها الوزيف النسلان وقري يزفون مبنيا للمفعول ويزفون كيرمون
من زفاه بمعنى حداه كان بعضهم يزفو بعضا لتسارعهم اليه وبين قوله فاقبلوا وقوله فراغ عليهم جمل محذوفة يدل عليها
الفحوى اي فبلغهم الخبر فرجعوا من عيدهم ونحو هذا قال ابن عرفة من قراها بالنصب فهو من زف يزف ومن قراها بالضم فهو من
ازف يزف قال الزجاج يزفون يسرعون واصله من زفيف النعامة وهو من اشد عدوها **قوله تعالى** اتعبدون ما تنحتون
لما عابوا ابرهيم على كسر الاصنام ذكر لهم الدليل الدال على فساد عبادتها فقال اتعبدون ما تنحتون والله خلقكم وما
تعملون ووجه الاستدلال ان الخشب والحجر قبل النحت والاصلاح ما كان معبودا البتة فاذا نحته وشكله على الوجه المخصوص
لم يحدث فيه الا اثار تصرفه فلو صار معبودا عند ذلك لكان معناه ان الشي الذي لم يكن معبودا اذا حصلت اثار تصرفاتي فيه
صار معبودا الي وفساد ذلك معلوم ببديهة العقل **قوله تعالى** وما تعملون في ما هذه اربعة اوجه اجودها انها بمعنى الذي
اي وخلق الذي تصنعونه فالعمل هنا التصوير والنحت نحو عمل الصائغ السوار الذي صاغه ويرجح كونها بمعنى الذي تقدم
ما قبلها فانها بمعنى الذي اي تعبدون الذي تنحتون والله خلقكم وخلق ذلك الذي تعملونه بالنحت والثاني انها مصدرية
اي خلقكم واعمالكم وجعلها الاشعرية دليلا على خلق افعال العباد لله تعالى وهو الحق الا ان دليل ذلك من هنا غير قوي لما
تقدم من ظهور كونها بمعنى الذي وقال مكي يجب ان يكون ما والفعل مصدرا جيء به ليفيد ان الله خالق الاشياء كلها وقال ايضا وهذا
اليق لقوله من شر ما خلق اجمع القرا على الاضافة فدل على انه خالق الشر وقد فارق عمرو بن عبيد الناس فقرا من شر بالتنوين ليثبت
مع الله خالقين وشنع الزمخشري على القائل هنا بكونها مصدرية قلنا الثالث انها استفهامية وهو استفهام توبيخ اي واي شي
تعملون الرابع انها نافية اي ان العمل في الحقيقة ليس لكم فانتم لا تعملون شيئا والجملة من قوله والله خلقكم حال ومعناها حسن
اي اتعبدون الاصنام على حالة تنافي ذلك وهي ان الله خالقكم وخالقهم جميعا ويجوز ان تكون مستانفة **فصل**
دلت الاية على ان فعل العبد مخلوق لله تعالى لان النحويين اتفقوا على ان لفظ ما مع ما بعده في تقدير المصدر فقوله وما تعملون
معناه وعملكم وعلى هذا فيصير معنى الاية والله خلقكم وخلق عملكم فان قيل هذه الاية حجة عليكم من وجوه الاول انه تعالى قال
اتعبدون ما تنحتون اضاف العبادة والنحت اليهم اضافة الفعل الى الفاعل ولو كان ذلك واقعا بتخليق الله تعالى لاستحال
كونه فعلا للعبد الثاني انه تعالى انما ذكر هذه الاية توبيخا لهم على عبادة الاصنام لانه تعالى لما ذكر هذه الاية بين انه
خالقهم وخالق لتلك الاصنام فالخالق هو المستحق للعبادة دون المخلوق فلما تركوا عبادته سبحانه وتعالى وهو خالقهم
وعبدوا الاصنام لا جرم انه سبحانه وبخهم على هذا الخطا العظيم فقال اتعبدون ما تنحتون والله خلقكم وما تعملون
ولو لم يكونوا فاعلين لاعمالهم لما جاز توبيخهم عليها سلمنا ان هذه الاية ليست حجة عليكم ولكن لا نسلم انها حجة لكم
قولكم لفظ ما مع ما بعدها في تقدير المصدر قلنا ممنوع لان سيبويه والاخفش اختلفا هل يجوز ان يقال اعجبني ما قمت اي قيامك
فجوزه سيبويه ومنعه الاخفش وزعم ان هذا لا يجوز الا في الفعل المتعدي وذلك يدل على ان ما مع ما بعده في تقدير المفعول
عند الاخفش سلمنا ان ذلك قد يكون بمعنى المصدر لكنه ايضا قد يكون بمعنى المفعول ويدل عليه وجوه الاول قوله اتعبدون
ما تنحتون المنحوت لا النحت لانهم ما عبدوا النحت وانما عبدوا المنحوت فوجب ان يكون المراد بقوله وما تعملون المعمول لا العمل
حتى يكون كل واحد من هذين اللفظين مطابقا لمدلول الاخر الثاني انه تعالى قال فاذا هي تلقف ما يافكون وليس المراد
انها تلقف نفس الافك بل اراد العصي والحبال التي هي متعلقات ذلك الافك فكذا هاهنا الثالث ان العرب تسمي محل العمل
عملا يقال في الباب والخاتم هذا عمل فلان والمراد محل عمله فثبت بهذه الوجوه ان لفظ ما مع ما بعده كما يجي بمعنى المصدر
قد يجي ايضا بمعنى المفعول فكان حمله هاهنا على المفعول اولى لان المقصود في الاية تزييف مذهبهم في عبادة الاصنام لا بيان
انهم لا يوجدون افعال انفسهم لان الذي جرى ذكره من اول الاية الى هذا الموضع هو مسالة عبادة الاصنام لا خلق الاعمال
قال ابن الخطيب وهذه سوالات قوية فالاولى ترك الاستدلال بهذه الاية **قوله تعالى** قالوا ابنوا له بنيانا قال ابن عباس
بنوا حائطا من حجر لما اوردوا عليهم الحجة القوية ولم يقدروا على الجواب عدلوا الى طريقة الايذاء فقالوا ابنوا له بنيانا فبنوا له حائطا حتى

طوله في السماء ثلاثون ذراعا وعرضه عشرون ذراعا وملوه نارا وطرحوه فيها وذلك قوله فالقوه في الجحيم وهي النار
العظيمة قال الزجاج كل نار بعضها فوق بعض فهي جحيم والالف واللام في الجحيم يدل على الكناية والمعنى ان في وقت الحاجة
حصلت الغلبة له وعندما القوه في النار صرف الله عنه ضرر النار فصار هو الغالب عليهم واردوا به كيدا اي شرا وهو
ان يحرقوه فجعلناهم الاسفلين المقهورين من حيث سلم الله ابرهيم ورد كيدهم ولما انقضت هذه الواقعة قال ابرهيم
اني ذاهب الى ربي سيهدين ونظيره قوله تعالى وقال اني مهاجر الى ربي والمعنى اهجر دار الكفر اي اذهب الى مواضع دين ربي
وقال الكلبي ذاهبا الى معادي الى ربي سيهدين ونظيره قوله تعالى وقال اني مهاجر الى ربي والمعنى اهجر دار الكفر اي اذهب
الى مواضع دين ربي وقوله سيهدين اي الى حيث امرني بالمصير اليه وهو الشام وهذا يدل على ان الهداية لا تحصل الا من الله
تعالى ولا يمكن حمله على وضع الادلة وازاحة الاعذار لان ذلك كان حاصلا له في الزمان الماضي قال مقاتل فلما قدم الارض
المقدسة سال ربه الولد فقال رب هب لي من الصالحين اي هب لي ولدا صالحا لان لفظ الهبة غلب في الولد وان كان قد جاء
في الاخ في قوله تعالى ووهبنا له من رحمتنا اخاه هرون نبيا فبشرناه بغلام حليم قيل غلام في صغره حليم في كبره ففيه بشارة
انه ابن وانه يعيش وينتهي الى سن يوصف بالحلم واي حلم اعظم من انه عرض عليه ابوه الذبح فقال ستجدني ان شاء الله من الصابرين
قوله تعالى فلما بلغ معه متعلق بمحذوف على سبيل البيان كان قائلا قال مع من بلغ السعي فقيل مع ابيه ولا يجوز تعلقه
ببلغ لانه يقتضي بلوغهما معا حد السعي ولا يجوز تعلقه بالسعي لان صلة المصدر لا تتقدم عليه فيتعين ما تقدم قال معناه
الزمخشري ومن يتسع في الظروف يجوز تعلقه بالسعي **فصل** قال ابن عباس وقتادة معنى بلغ معه السعي اي المشي معه
الى الجبل قال مجاهد عن ابن عباس لما شب بلغ معه السعي ابراهيم والمعنى بلغ ان يتصرف معه ويعينه في عمله قال الكلبي يعني العمل
لله وهو قول الحسن ومقاتل وابن حيان وابن زيد قالوا هو العبادة لله واختلفوا في سنه فقيل كان ابن ثلاث عشرة سنة
وقيل ابن سبع سنين **قوله تعالى** اني ارى في المنام اني اذبحك قال المفسرون لما بشر ابرهيم عليه السلام بالولد قبل ان يولد
له قال هو اذن لله ذبيح فقيل لابرهيم قد نذرت نذرا فاوف بنذرك فلما اصبح قال يا بني اني ارى في المنام اني اذبحك وقيل
راى في ليلة التروية في منامه كان قائلا يقول له ان الله يامرك بذبح ابنك فلما اصبح تردد في ذلك من الصباح الى
الرواح امن الله ام من الشيطان فمن ثم سمي يوم التروية فلما راى ايضا مثل ذلك عرف انه من الله تعالى فسمي به يوم عرفة
ثم راى مثله في الليلة الثالثة فهم بنحره فسمي يوم النحر وهذا على قول اكثر المفسرين وهو يدل على انه راى في المنام ما يوجب
ان يذبح ابنه في اليقظة وعلى هذا فتقدير اللفظ اري في المنام ما يوجب اني اذبحك **فصل** اختلفوا في الذبيح فقيل
اسحق وهو قول عمر وعلي وابن مسعود والعباس بن عبد المطلب وكعب الاحبار وقتادة وسعيد بن جبير ومسروق وعكرمة
والزهري والسدي ومقاتل وهي رواية عكرمة وسعيد بن جبير عن ابن عباس وقالوا كانت هذه القصة بالشام وقيل
انه اسمعيل وهو قول ابن عباس وابن عمر وسعيد بن المسيب والحسن والشعبي ومجاهد والكلبي والربيع بن انس ومحمد بن كعب
القرظي وهي رواية عطاء بن ابي رباح ويوسف بن ماهك عن ابن عباس وكلا القولين روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
واحتج القائلون بانه اسمعيل بقوله عليه السلام انا ابن الذبيحين وقال له اعرابي يا ابن الذبيحين فتبسم النبي صلى الله عليه
وسلم فسئل عن ذلك فقال ان عبد المطلب لما حفر بئر زمزم نذر ان سهل الله له امرها ليذبحن احد ولده فخرج السهم
على عبد الله فمنعه اخواله وقالوا له افد ابنك بمائة من الابل والذبيح الثاني اسمعيل ونقل الاصمعي انه قال سالت ابا عمرو بن
العلاء عن الذبيح فقال يا اصمعي اين عقلك ومتى كان اسحق بمكة وانما كان اسمعيل بمكة وهو الذي بنى البيت مع ابيه والنحر
بمكة وقد وصف الله اسمعيل بالصبر دون اسحق في قوله واسمعيل واليسع وذا الكفل كل من الصابرين وهو صبره على الذبح
فقال ستجدني ان شاء الله من الصابرين وقال تعالى فبشرناها باسحق ومن وراء اسحق يعقوب فكيف تقع البشارة المتقدمة
وقال الامام احمد الصحيح ان الذبيح هو اسمعيل وعليه جمهور العلماء من السلف والخلف قال ابن عباس وزعمت اليهود انه اسحق
وكذبت اليهود وروي عن ابن عباس انه هبط عليه الكبش فذبحه وهو الكبش الذي قربه ابن ادم فتقبل منه فذبحه بمنى وقيل
بالمقام وروي انه كان وعلا وقيل تيسا من الاروي قال سفين لم يزل قرنا الكبش في البيت حتى احرق البيت فاحترقا وروي
عن ابن عباس ان راس الكبش لم يزل معلقا عند ميزاب الكعبة حتى يبس وارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى عثمان بن طلحة
فقالت امراة عثمان لم دعاك رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قال اني كنت رايت قرني الكبش حين دخلت البيت وهذا يدل
على ان الذبيح كان اسمعيل لانه الذي كان مقيما بمكة واسحق لا نعلم انه كان قدمها في صغره وهذا ظاهر القران لانه ذكر قصة
الذبيح ثم قال بعده وبشرناه باسحق نبيا من الصالحين قال ابن كثير ومن قال انه اسحق فانما اخذه والله اعلم من كعب الاحبار
او من صحف اهل الكتاب وليس في ذلك حديث صحيح عن المعصوم حتى يترك لاجله ظاهر الكتاب العزيز **قوله تعالى** ماذا ترى
يجوز ان يكون ماذا مركبة بمعنى الاستفهام فتكون منصوبة بترى وهي وما بعدها في محل نصب بانظر لانها معلقة له

وان تكون ما استفهامية وذا موصولة فتكون مبتدا وخبرا والجملة معلقة ايضا وان يكون ماذا بمعنى الذي فيكون
معمولا لانظر وقرا الاخوان تري بالضم والكسر والمفعولان محذوفان اي توريني اياه من صبرك واحتمالك وباقي
السبعة ترى بفتحتين من الراي وقرا الاعمش والضحاك ترى بالضم والفتح بمعنى ما يخيل اليك ويسنح لخاطرك **قوله**
ما تومر يجوز ان تكون ما بمعنى الذي والعائد مقدر اي تومره والاصل تومر به ولكن حذف الجار مطرد فلم يحذف العائد
الا وهو منصوب المحل فليس حذفه هنا كحذفه في قولك جا الذي مررت وان تكون مصدرية قال الزمخشري او امرك على
اضافة المصدر للمفعول وتسمية المامور به امرا يعني بقوله المفعول اي الذي لم يسم فاعله الا ان في تقدير المصدر بفعل
مبني للمفعول خلافا مشهورا **قوله تعالى** ستجدني ان شاء الله من الصابرين لما نام انما علق المشية بالله تعالى على
سبيل التبرك والتيمن فانه لا حول عن معصية الله الا بعصمة الله ولا قوة على طاعة الله الا بتوفيق الله **فصل**
اختلف الناس في ان ابرهيم عليه السلام كان مامورا بهذا وهذا الاختلاف يتفرع عليه مسئلة اصولية وهي انه هل يجوز
نسخ الحكم قبل حضور وقت الامتثال فقال بعضهم انه يجوز وقالت المعتزلة وبعض الشافعية والحنفية انه لا يجوز فعلى
الاول ان الله تعالى امره بالذبح وانما امره بمقدمات الذبح واحتج الاولون بقصة ابرهيم عليه السلام وقول الولد لابيه
افعل ما تومر وقالت المعتزلة لا نسلم انه امره بذبح ولده بل انما امره بمقدمات الذبح وهي اضجاعه ووضع السكين على حلقه
والعزم الصحيح في الاتيان بذلك الفعل ثم ان الله تعالى اخبر عنه بانه اتى بما امر به لقوله يا ابرهيم قد صدقت الرويا فدل
على انه انما امر بمقدمات الذبح لا بنفس الذبح وايضا فان الذبح عبارة عن قطع الحلقوم فلعل ابرهيم عليه السلام قطع الحلقوم
الا انه كلما قطع جزءا اعاد الله التاليف فلهذا السبب لم يحصل الموت وايضا فانه تعالى لو امر شخصا معينا بايقاع فعل معين
في وقت معين فهذا يدل على ان ايقاع ذلك الفعل في ذلك الوقت حسن فلو حصل النهي عقيب ذلك الامر لزم احد امرين
اما ان يكون عالما بحال ذلك الفعل فيلزم ان يقال انه امر بالقبيح ونهى عن الحسن وان لم يكن عالما به لزم جهل الله وانه محال والجواب
عن الاول انه تعالى انما امره بالذبح لظاهر الاية واما قولهم كلما قطع ابراهيم عليه السلام جزءا اعاد الله التاليف فهذا باطل لان
ابرهيم عليه السلام لو اتى بكل ما امر به لما احتاج الى الفدا وحيث احتاج اليه علمنا انه لم يات بكل ما امر به واما قولهم يلزم اما الامر
بالقبيح واما الجهل فنقول هذا بناء على ان الله لا يامر الا بما يكون حسنا في ذاته ولا ينهى الا عما يكون قبيحا في ذاته فذلك مبني على
تحسين العقل وتقبيحه وهو باطل فان سلمنا ذلك فلم لا يجوز ان يكون الامر بالشي تارة حسنا لكون المامور به حسنا في ذلك
الوقت لمصلحة من المصالح وان لم يكن المامور به حسنا كما اذا اراد السيد اختبار طاعة العبد فيقول له افعل الفعل الفلاني
يوم الجمعة ويكون ذلك الفعل شاقا ويكون مقصود السيد ليس ان ياتي العبد بذلك الفعل بل ان يوطن العبد نفسه على
الانقياد والطاعة ثم ان السيد اذا علم منه توطين نفسه على الطاعة فقد يزيل ذلك التكليف عنه فكذا ههنا **فصل**
احتجوا بهذه الاية على انه تعالى قد يامر بما لا يريد وقوعه لانه تعالى لو اراد وقوعه لوقع الذبح لا محالة **فصل** في الحكمة في
ورود هذا التكليف في النوم لا في اليقظة وذلك من وجوه الاول ان هذا التكليف في نهاية المشقة على الذابح والمذبوح فورد
اولا في النوم حتى يصير ذلك كالمنبه لوروده هذا التكليف الشاق ثم يتاكد ذلك باحوال اليقظة لكيلا يهجم هذا التكليف الشاق
على النفس دفعة واحدة بل على التدريج الثاني ان الله تعالى جعل رويا الانبياء عليهم السلام حقا قال تعالى لقد صدق الله رسوله
الرويا بالحق وقال عن يوسف اني رايت احد عشر كوكبا والشمس والقمر رايتهم لي ساجدين وقول ابرهيم اني ارى في المنام اني اذبحك
والمقصود من ذلك تقوية الدلالة على كونهم صادقين فاذا تطابقت الحالتان على الصدق دل ذلك على نهاية كونهم محقين
صادقين في كل الاحوال **فصل** والحكمة في مشاورة هذا الابن في هذا الامر ليظهر له صبره في طاعة الله فيكون قرة
عين لابرهيم حيث يراه قد بلغ في الحكمة الى هذا الحد العظيم في الصبر على اشد المكاره الى هذه الدرجة العالية ويحصل للابن
الثواب العظيم في الاخرة والثناء الحسن في الدنيا **قوله تعالى** فلما اسلما في جوابها ثلاثة اوجه اظهرها انه محذوف اي نادته الملائكة
او ظهر صبرهما او اجزلنا لهما اجرهما وقدره بعضهم بعد الرويا اي كان ما كان مما ينطق به الحال والوصف مما لا يدرك كنهه ونقل ابن عطية
ان التقدير فلما اسلما وتله للجبين فال كقوله • فلما اجزنا ساحة الحي وانتحى • بنا بطن حقف ذي ركام عقنقل • اي فلما اجزنا
اجزنا وانتحى ويعزى هذا لسيبويه وشيخه الخليل وفيه نظر من حيث اتحاد الفعلين الجاريين مجرى الشرط والجواب الا ان يقال
جعل التغاير في الاية بالعطف على الفعل وفي البيت بعمل الثاني في ساحة وبالعطف عليه ايضا والظاهر ان مثل هذا لا يكفي في التغاير
الثاني انه وتله للجبين والواو زائدة وهو قول الكوفيين والاخفش والثالث انه ونادينه والواو زائدة ايضا كقوله واجمعوا
ان يجعلوه في غيابت الجب واوحينا اليه فنودي من الجبل ان يا ابرهيم قد صدقت الرويا ثم الكلام ههنا ثم ابتدا انا كذلك
وقرا علي وعبد الله وابن عباس سلما وقرئ استسلما وتله اي صرعه واضجعه على شقه وقيل هو الرمي بقوة واصله من رماه
على التل وهو المكان المرتفع او من التليل وهو العنق اي رماه على عنقه ثم قيل لكل اسقاط وان لم يكن على تل ولا على عنق والتل

الوجه الذي يلي به والجبين ما انكشف من الجبهة من هنا ومن هنا وشذ جمعه على اجبن وقياسه في القلة اجبنة كارغفة
وفي الكثرة جبن وجبنان كرغيف ورغف ورغفان **فصل** المعنى سلم لامر الله واسلم واستسلم بمعنى واحد اي انقا
د وخضع والمعنى اخلص نفسه لله وجعلها سالمة له خالصة وكذلك استسلم استخلص نفسه لله وعن قتادة في اسلما اسلم
هذا ابنه وهذا نفسه وقوله وتله للجبين اي صرعه على شقه فوقع احد جبينيه على الارض وللوجه جبينان والجبهة بينهما
قال ابن الاعرابي التليل والمتلول المصروع والتل الذي تل به اي صرع والمعنى انه صرعه على جنبه وقال مقاتل كبه على جبهته
وهذا خطا لان الجبين غير الجبهة وناديناه ان يا ابرهيم قد صدقت الرؤيا قال المفسرون لما اضجعه للذبح نودي من الجبل
يا ابرهيم قد صدقت الرؤيا فان قيل له قد صدقت الرؤيا وكان قد راى الذبح ولم يذبح قيل جعله مصدقا لانه قد اتى بما امكنه
والمطلوب استسلامهما لامر الله وقد فعلا وقيل كان قد راى في النوم ولذلك قال قد صدقت الرؤيا قال المحققون السبب في هذا
التكليف كمال طاعة ابرهيم لتكاليف الله فلما كلفه الله بهذا التكليف الشاق الشديد وظهر منه كمال الطاعة وظهر من ولده كمال
الطاعة والانقياد لاجرم قال الله تعالى قد صدقت الرؤيا وقوله انا كذلك نجزي المحسنين ابتدا اخبار من الله والمعنى انا كما عفونا
عن ذبح ولده كذلك نجزي من احسن في طاعتنا قال مقاتل جزاه الله باحسانه في طاعته العفو عن ذبح ابنه ان هذا لهو البلاء المبين
اي الاختبار المبين الذي يتميز فيه المخلصون من غيرهم او المحنة البينة المصعوبة التي لا محنة اصعب منها وقال مقاتل البلاء هاهنا
النعم وهو ان فدى ابنه بالكبش وقوله وفديناه بذبح عظيم الذبح مصدر ذبحت والذبح ايضا ما يذبح وهو المراد في هذه الاية وسمي
عظيما لعظمته وسمنه وقال سعيد بن جبير حق له ان يكون عظيما لعظمة قدره حيث قبله الله تعالى فداء ولد ابرهيم وتقدم الكلام
على نظير بقية القصة **قوله تعالى** وبشرناه باسحق نبيا من الصالحين نبيا نصب على الحال وهي حال مقدرة قال ابو حيان ان كان الذبيح
اسحق فيظهر كونها حالا مقدرة وان كان اسمعيل هو الذبيح وكانت هذه البشارة بشارة بولادة اسحق فقد جعل الزمخشري ذلك محل
سوال قال فان قلت فرق بين هذا وبين قوله فادخلوها خالدين وذلك ان المدخول موجود مع وجود الدخول والخلود غير موجود
معهما فقدرت مقدرين الخلود فكان مستقيما وليس كذلك المبشر به فانه معدوم وقت وجود البشارة وعدم المبشر به اوجب
عدم حاله لان الحال حلية لا يقوم الا بالمحلى وهذا المبشر به الذي هو اسحق حين وجد لم توجد النبوة ايضا بوجوده بل تراخت
عنه مدة طويلة فكيف يجعل نبيا حالا مقدرة والحال صفة للفاعل والمفعول عند وجود الفعل منه او به فالخلود وان لم يكن
صفتهم عند دخول الجنة فتقديرها صفتهم لان المعنى مقدرين الخلود وليس كذلك النبوة فانه لا سبيل الى ان يكون موجودة
او مقدرة وقت وجود البشارة باسحق لعدم اسحق قلت هذا سوال دقيق السلك ضيق المسلك والذي يحل الاشكال انه لا بد
من تقدير مضاف محذوف وذلك قوله وبشرناه بوجود اسحق نبيا اي بان يوجد مقدرة نبوته فالعامل في الحال الوجود
لا فعل البشارة وبذلك يرجع نظير قوله تعالى فادخلوها خالدين انتهى وهو كلام حسن **قوله تعالى** من الصالحين يجوز ان يكون
صفة لنبيا وان يكون حالا من الضمير في نبيا فيكون حالا متداخلة ويجوز ان يكون حالا ثانية قال الزمخشري ورودها
على سبيل الثناء والتقريظ لان كل نبي لا بد ان يكون من الصالحين **قوله تعالى** وباركنا عليه يعني على ابرهيم في اولاده
وعلى اسحق بان اخرج جميع انبياء بني اسرائيل من صلبه وقيل هو الثناء الحسن على ابرهيم واسحق الى يوم القيمة ومن ذريتهما
محسن اي مؤمن وظالم لنفسه اي كافر مبين ظاهر وفي ذلك تنبيه على انه لا يلزم من كثرة فضائل الاب فضيلة الابن لئلا
تصير هذه الشبهة سببا لمفاخرة اليهود ودخل تحت قوله محسن الانبياء والمؤمنون وتحته قوله وظالم الكافر والفاسق
قوله تعالى ولقد مننا على موسى وهرون انعمنا عليهما بالنبوة ونجيناهما وقومهما من الكرب العظيم اي الغم العظيم
الذي كانوا فيه من استعباد فرعون اياهم وقيل من الغرق **قوله تعالى** ونصرناهم الضمير يعود على موسى وهرون
وقومهما وقيل عايد على الاثنين بلفظ الجمع تعظيما كقوله • فان شئت حرمت النساء سواكم • يا ايها النبي اذا طلقتم
قوله تعالى فكانوا هم يجوز في هم ان يكون تاكيدا وان يكون بدلا وان يكون فصلا وهو الاظهر **فصل**
المعنى فكانوا هم الغالبين على القبط في كل الاحوال اما في اول الامر فبظهور الحجة واما في اخر الامر فبالدولة والرفعة واتيناهما
الكتاب المستبين المشتمل على جميع العلوم المحتاج اليها في مصالح الدين والدنيا كما قال تعالى انا انزلنا التورية فيها
هدى ونور وهديناهما الصراط المستقيم اي دللناهما على طريق الحق عقلا وسمعا وتركنا عليهما في الاخرين تقدم الكلام
عليه الى اخر القصة **قوله تعالى** وان الياس لمن المرسلين قرا العامة الياس بهمزة مكسورة همزة قطع وابن ذكوان بوصلها
ولم ينقلها عنه ابو حيان بل نقلها عن جماعة غيره ووجه الوصل انه اسم اعجمي تلاعبت به العرب فقطعت همزته تارة ووصلتها
اخرى وقالوا فيه الياسين كجبرائين وقيل يحتمل قراءة الوصل ان يكون اسمه ياسين ثم دخلت عليه ال المعرفة كما دخلت على
يسع وقد تقدم والياس هذا قيل هو ابن الياسين المذكور بعد من ولد هرون اخي موسى وقال ابن عباس هو ابن عم اليسع قال ابن
اسحق هو الياس بن نسي بن فنحاص بن العيزار بن هرون بن عمران وروي عن عبد الله بن مسعود قال الياس هو ادريس وفي

مصحفه وان ادريس لمن المرسلين وبها قرا عبد الله والاعمش وابن وثاب وهذا قول عكرمة وقرئ ادراسيل كابراهيم وابراهام
وفي مصحف ابي وقرابه وان ايليس بهمزة مكسورة ثم ياء ساكنة بنقطتين من تحت ثم لام ساكنة ثم سين مهملة مفتوحة **قوله
تعالى** اذ قال ظرف لقوله لمن المرسلين والتقدير اذكر يا محمد لقومك اذ قال لقومه الا تتقون اي الا تخافون الله ولما خوفهم
على سبيل الاجمال ذكر ما هو السبب لذلك التخويف فقال اتدعون بعلا وتذرون احسن الخالقين **قوله تعالى** بعلا
القراء على تنوينه منصوبا وهو الرب بلغة اليمن سمع ابن عباس رجلا منهم ينشد ضالة فقال اخر انا بعلها فقال الله اكبر
وتلا الاية ويقال من بعل هذه الدار اي من ربها وسمي الزوج بعلا لهذا المعنى قال تعالى وبعولتهن احق بردهن وقال
وهذا بعلي شيخا فعلى هذا التقدير المعنى اتعبدون بعض البعول وتتركون عبادة الله تعالى وقيل هو علم لصنم بعينه وقيل
هو علم لامراة بعينها اتتهم بضلال فاتبعوها ويؤيده قراءة من قرا اتدعون بعلاء بزنة حمراء **قوله تعالى** وتذرون يجوز ان
يكون حالا على اضمار مبتدا وان يكون عطفا على تدعون فيكون داخلا في حيز الانكار **قوله تعالى** الله ربكم ورب قرا
الاخوان وحفص بنصب الثلاثة من ثلاثة اوجه النصب على المدح او البدل او البيان ان قلنا ان اضافة افعل اضافة محضة
والباقون بالرفع اما على خبر ابتداء مضمر اي هو الله او على ان الجلالة مبتدا وما بعده الخبر وروي عن حمزة انه كان اذا وصل
نصب واذا وقف رفع وهو حسن جدا وفيه جمع بين الروايتين **فصل** قال المفسرون لما قبض الله حزقيل عليه السلام
عظمت الاحداث في بني اسرائيل وظهر فيهم الفساد والشرك وعبدوا الاوثان من دون الله عز وجل فبعث الله اليهم الياس
نبيا وكانت الانبياء من بني اسرائيل يبعثون من بعد موسى بتجديد ما نسوا من التورية وبنو اسرائيل كانوا متفرقين في ارض الشام
وسبب ذلك ان يوشع بن نون لما فتح الشام بوأها بني اسرائيل وقسمها بينهم فاحل سبطا منهم ببعلبك ونواحيها وهم السبط
الذين كان منهم الياس فبعثه الله اليهم نبيا وعليهم يومئذ ملك يقال له احب فدا ضل قومه واجبرهم على عبادة الاصنام
وكان يعبد هو وقومه صنما يقال له بعل وكان طوله عشرين ذراعا وله اربعة اوجه فجعل الياس يدعوهم الى الله عز وجل
وهم لا يسمعون منه الا ما كان من الملك فانه صدقه وامن به ثم ذكروا قصة طويلة وذكروا في اخرها ان الياس رفع الى السما
وكساه الله الريش وقطع عنه لذة المطعم والمشرب فكان انسيا ملكيا ارضيا سماويا قال ابن ابي رواد ان الخضر والياس يصومان
شهر رمضان ببيت المقدس ويوافيان الموسم في كل عام وقيل ان الياس موكل بالفيافي والخضر موكل بالبحار ثم قال تعالى
فكذبوه فانهم لمحضرون اي لمحضرون النار غدا الا عباد الله المخلصين من قومه اي الذين اتوا بالتوحيد الخالص فانهم
لا يحضرون وتركنا عليه في الاخرين **قوله تعالى** الا عباد الله استثناء متصل من فاعل فكذبوه وفيه دلالة على ان في قومه
من لم يكذبه فلذلك استثنوا ولا يجوز ان يكونوا مستثنين من ضمير لمحضرون لانه يلزم ان يكونوا مندرجين فيمن كذب لكنهم
لم يحضروا لكونهم عباد الله المخلصين وهو بين الفساد ولا يقال هو مستثنى منه استثناء منقطعا لانه يصير المعنى لكن
عباد الله المخلصين من غير هولاء لم يحضروا ولا حاجة الى هذا بوجه اذ به يفسد نظم الكلام **قوله تعالى** على الياسين قرا نافع
وابن عامر على آل ياسين باضافة ال بمعنى اهل الى ياسين والباقون بكسر الهمزة وسكون اللام موصولة بياسين كانه جمع
الياس جمع سلامة فاما الاولى فانه اراد بالال الياس وولده ياسين كما تقدم واصحابه وقيل المراد بياسين هذا الياس المتقدم
فيكون له اسمان مثل اسمعيل واسمعين وميكائيل وميكائين وآله رهطه وقومه المؤمنون وقيل المراد بياسين محمد بن عبد الله
صلى الله عليه وسلم وقيل المراد بياسين اسم القران كانه قيل سلام على من آمن بكتاب الله الذي هو يس واما القراءة الثانية
فقيل هي جمع الياس المتقدم وجمع باعتبار اصحابه كالمهالبة والاشاعثة في المهلب وبنيه والاشعث وقومه وهو في الاصل
جمع المنسوب الى الياس والاصل الياسيين كاشعري ثم استثقل تضعيفها فحذفت احدى يائي النسب فلما جمع جمع سلامة التقى ساكنان
احدى اليائين وياء الجمع فحذفت اولاهما لالتقاء الساكنين فصار الياسين كما ترى ومثله الاشعرون والخبيبون قال •
قدني من نصر الخبيبين قدي • وقد تقدم طرف من هذا اخر الشعراء عند قوله الاعجمين الا ان الزمخشري قد رد هذا بانه لو كان
على ما ذكر لوجب تعريفه بال فكان يقال على الالياسين قال شهاب الدين لانه متى جمع العلم جمع سلامة او ثني لزمته الالف
واللام لانه تزول علميته فيقال الزيدان الزيدون الزينبات ولا يلتفت الى قولهم جماديان وعمايتان علمي شهرين وجبلين
لندورهما وقرا الحسن وابو رجاء على الياسين بوصل الهمزة على انه جمع الياسين وقومه المنسوبين اليه بالطريقة المذكورة
وهذه واضحة لوجود ال المعرفة فيه كالزيدين وقرا عبد الله على ادراسين لانه قرا في الاول وان ادريس وقرا ابي على ايليسين
لانه قرا في الاول وان ايليس كما تقدم عنه وهاتان تدل على ان الياسين جمع الياس وتقدم الكلام على باقي القصة
قوله تعالى وان لوطا لمن المرسلين تقدم الكلام على نظيره وقوله مصبحين حال وهو من اصبح التامة بمعنى داخلين في
الصباح ومنه اذا سمعت بسرى القين فاعلم بانه مصبح اي مقيم في الصباح وتقدم ذلك في سورة الروم وبالليل عطف على
الحال قبلها اي وملتبسين بالليل والمعنى انا وليك القوم كانوا يسافرون الى الشام والمسافر في اكثر الامر انما يمشي في الليل

او في اول النهار فلهذا السبب عبر تعالى عن هذين الوقتين ثم قال افلا تعقلون اي ليس فيكم عقول تعتبرون بها

قوله تعالى وان يونس لمن المرسلين قرئ يونس بضم النون وكسرها قاله الزمخشري قال ابن الخطيب وانما صارت هذه القصة اخر القصص لانه لما لم يصبر على اذى قومه وابق الى الفلك وقع في تلك الشدائد فصار هذا سببا لصبر النبي صلى الله عليه وسلم على اذى قومه قال المفسرون بعث الله يونس عليه السلام الى اهل نينوى من ارض الموصل فدعاهم الى الله عز وجل فكذبوه وتمادوا على كفرهم فلما طال ذلك عليه خرج من بين اظهرهم ووعدهم حلول العذاب بهم بعد ثلاث كما سياتي **قوله تعالى** اذ ابق والجمع اباق كضراب وفيه لغة ثانية ابق بالكسر يابق بالفتح ويابق الرجل نسبه في الاستتار وقول الشاعر • قد احكمت حكمات القد والابقا

قوله تعالى فساهم اي فغالبهم في المساهمة وهي الاقتراع واصله ان يخرج السهم على من غلب فكان من المدحضين اي المغلوبين يقال ادحض الله حجته فدحضت اي ازالها فزالت واصل الكلمة من المدحض وهو المزلق يقال دحضت رجل البعير اذا زلقت **فصل** قال ابن عباس ووهب كان يونس وعد قومه العذاب فلما تاخر عنهم خرج كالمتشرد منهم فقصد البحر فركب السفينة فاحتبست السفينة فقال الملاحون هاهنا عبد ابق من سيده فاقترعوا فوقعت القرعة على يونس فاقترعوا ثلاثا فوقعت على يونس فقال يونس انا الابق وزج نفسه في الماء

قوله تعالى فالتقمه الحوت وهو مليم المليم الذي اتى بما يلام عليه قال الشاعر • وكم من مليم لم يصب بملامه • ومتبع بالذنب ليس له ذنب • يقال الام فلان اي فعل ما يلام عليه وقوله وهو مليم حال وقرئ مليم بفتح الميم من لام يلوم وهي شاذة جدا اذ كان قياسها ملوم لانها من ذوات الواو كمقول ومصون قيل ولكن اخذه من ليم على كذا مبنيا للمفعول ومثله في ذلك شيب الشيء فهو مشيب ودعي فهو مدعي والقياس مشوب ومدعو لانهما من يشوب ويدعو **فصل** وروى ابن عباس ان يونس عليه السلام كان يسكن مع قومه فلسطين فغزاهم ملك وسبى منهم تسعة اسباط ونصف وبقي سبطان ونصف وكان تعالى اوحى الى بني اسرائيل اذا اسركم عدوكم واصابتكم مصيبة فادعوني استجب لكم فلما نسوا ذلك واسروا اوحى الله تعالى بعد حين الى نبي من انبيائهم ان اذهب الى ملك هؤلاء الاقوام وقل له يبعث الى بني اسرائيل نبيا فاختار يونس عليه السلام لقوته وامانته قال يونس الله امرك بهذا قال لا ولكن امرت ان ابعث قويا امينا وانت كذلك فقال يونس وفي بني اسرائيل من هو اقوى مني علم لا تبعثه فالح الملك عليه فغضب يونس منه وخرج حتى اتى بحر الروم فوجد سفينة مشحونة فحملوه فيها فلما اشرفت على لجة البحر اشرفوا على الغرق فقال الملاحون ان فيكم عاصيا والا لم يحصل في السفينة ما نراه وقال التجار قد جربنا مثل هذا فاذا رايناه نقترع فمن خرج عليه نغرقه فلان يغرق واحد منا خير من غرق الكل فخرج من بينهم يونس فقال يا هؤلاء انا العاصي وتلفف في كساء ورمى نفسه فالتقمه الحوت واوحى الله تعالى الى الحوت لا تكسر منه عظما ولا تقطع منه وصلا ثم ان السمكة خرجت الى نيل مصر ثم الى بحر فارس ثم الى البطائح ثم دجلة وصعدت به ورمته في ارض نصيبين بالعراء وهو كالفرخ الممتوف لا شعر ولا لحم فانبت الله عليه شجرة من يقطين فكان يستظل بها وياكل من ثمرها حتى اشتد ثم ان الارضة اكلتها فحزن يونس لذلك حزنا شديدا فقيل يا يونس تحزن على شجرة انبتت في ساعة وبلغت في ساعة ولا تحزن على مائة الف او يزيدون تركتهم فانطلق اليهم **قوله تعالى** فلولا انه كان من المسبحين من الذاكرين الله قبل ذلك وكان كثير الذكر وقال ابن عباس من المصلين وقال وهب من العابدين وقال الحسن ما كانت له صلوة في بطن الحوت ولكنه قدم عملا صالحا وقال سعيد بن جبير هو قوله في بطن الحوت لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين **قوله تعالى** في بطنه الظاهر انه متعلق بلبث وقيل حال اي مستقرا وكان بطنه قبرا له الى يوم البعث قال الحسن لم يلبث الا قليلا ثم اخرج من بطن الحوت وقال بعضهم التقمه ضحى ولفظه عشاء وقال مقاتل وابن حيان ثلاثة ايام وعن عطاء سبعة ايام وعن الضحاك عشرين يوما وقيل شهرا وقيل اربعين يوما قال ابن الخطيب ولا ادري باي دليل عينوا هذه المقادير وروى ابو بردة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال سبح يونس في بطن الحوت فسمعت الملائكة تسبيحه فقالوا ربنا انا نسمع صوتا ضعيفا بارض غريبة فقال ذاك عبدي يونس عصاني فحبسته في بطن الحوت في البحر قالوا العبد الصالح الذي كان يصعد اليك منه في كل يوم وليلة عمل صالح قال نعم فشفعوا له فامر الحوت فقذفه بالساحل وروي ان يونس لما ابتلعه الحوت ابتلع الحوت حوت اخر اكبر منه فلما استقر في جوف الحوت حسب انه قد مات فحرك جوارحه فتحركت فاذا هو حي فخر لله ساجدا وقال يا رب اتخذت لك مسجدا لم يعبدك احد في مثله **قوله تعالى** فنبذناه اضاف النبذ الى نفسه فعم ذلك النبذ وانما حصل ذلك النبذ بفعل الحوت وهذا يدل على ان فعل العبد مخلوق لله تعالى وقوله بالعراء اي في العراء نحو زيد بمكة والعراء الارض الواسعة التي لا نبات بها ولا معلم اشتقاقه من العري وهو عدم الستر وسميت الارض الجرداء بذلك لعدم استتارها بشيء والعرا بالقصر الناحية ومنه اعتراه اي قصد عراه واما الممدود فهو كما تقدم الارض الفيحاء قال الشاعر • ورفعت رجلا لا اخاف عثارها • ونبذت بالمتن العراء ثيابي

قوله تعالى وانبتنا عليه اي له وقيل عنده شجرة من يقطين اليقطين يفعيل من قطن بالمكان اذا اقام فيه لا يبرح قال

المبرد والزجاج اليقطين كل ما لم يكن له ساق من عود كالقثاء والقرع والبطيخ والحنظل وهو قول الحسن ومقاتل قال البغوي المراد هنا القرع على قول جميع المفسرين وروى الفراء انه قيل عند ابن عباس هو ورق القرع فقال ومن جعل القرع من بين الشجر يقطينا كل ورقة انشقت وشربت فهي يقطين واعلم ان في قوله شجرة ما يرد قول بعضهم ان الشجر في كلامهم ما كان لها ساق من عود بل الصحيح انها اعم وكذلك ثبت بقوله من يقطين واما قوله والنجم والشجر فلا دليل فيه لانه استعمال للفظ العام في احد مدلولاته وقيل بل انبت الله اليقطين الخاص على ساق معجزة له فجاء على اصله قال الواحدي الاية تقتضي شيئين لم يذكرهما المفسرون احدهما ان هذا اليقطين لم يكن فانبته الله لاجله والاخر ان اليقطين معروشا ليحصل له ظل ولو كان منبسطا على الارض لم يمكن ان يستظل به قال مقاتل ابن حيان كان يونس يستظل بالشجرة وكانت وعلة تختلف اليه فيشرب من لبنها بكرة وعشيا حتى اشتد لحمه ونبت شعره **فان قيل** قال هاهنا فنبذناه بالعراء وقال في موضع اخر لولا ان تداركه نعمة من ربه لنبذ بالعراء وهذا يدل على انه لم ينبذ **فالجواب** لولا هناك ترجع الى الذم معناه لولا نعمة من ربه لنبذ بالعراء وهو مذموم ولكنه تداركه النعمة فنبذ وهو غير مذموم **فصل** قال شهاب الدين ولو بنيت من الوعد مثل يقطين لقلت يوعيد لا يقال بحذف الواو لوقوعها بين ياء وكسرة كيعد مضارع وعد لان شرط تلك الياء ان تكون للمضارعة وهذه مما يلحن بها اهل التصريف بعضهم بعضا **قوله تعالى** وارسلناه الى مائة الف او يزيدون يحتمل ان يكون المراد وارسلناه قبل ملتقمه وعلى هذا فالارسال وان ذكر بعد الالتقام فالمراد به التقديم والواو معناها الجمع ويحتمل ان يكون المراد الارسال بعد الالتقام قال ابن عباس كان ارسال يونس بعد ما نبذه الحوت وعلى هذا التقدير يجوز انه ارسل الى قوم اخرين سوى القوم الاول ويجوز ان يكون ارسل الى الاولين ثانيا بشريعة فامنوا بها **قوله تعالى** او يزيدون في او هذه سبعة اوجه تقدم تحقيقها اول البقرة عند قوله تعالى او كصيب فالشك بالنسبة الى المخاطبين اي ان الرائي يشك عند رؤيتهم والابهام بالنسبة الى ان الله تعالى ابهم امرهم والاباحة اي ان الناظر اليهم يباح له ان يحزرهم بهذا القدر او بهذا القدر وكذلك التخيير اي هو مخير بين ان يحزرهم كذا او كذا والاضراب ومعنى الواو واضحان **قوله تعالى** فامنوا فمتعناهم الى حين قال قتادة ارسل الى اهل نينوى من ارض الموصل قبل الالتقام كما تقدم وقيل بعد الالتقام وقيل الى قوم اخرين وتقدم الكلام على او وقال ابن عباس انها بمعنى الواو وقال مقاتل والكلبي بمعنى بل وقال الزجاج على الاصل بالنسبة الى المخاطبين واختلفوا في مبلغ الزيادة قال ابن عباس ومقاتل كانوا عشرين الفا ورواه ابي بن كعب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال الحسن بضعا وثلاثين الفا وقال سعيد بن جبير سبعين الفا فامنوا يعني الذين ارسل اليهم يونس بعد معاينة العذاب فامنوا فمتعناهم الى حين انقضاء اجالهم **قوله تعالى** فاستفتهم قال الزمخشري معطوف على مثله في اول السورة وان تباعدت قال ابو حيان واذا كانوا قد عدوا الفصل بجملة نحو كل لحما واضرب زيدا وخبزا من اقبح التركيب فكيف بجمل كثيرة وقصص متباينة قال شهاب الدين ولقائل ان يقول ان الفصل وان كثر بين الجمل المتعاطفة مغتفر واما المثال الذي ذكره من قبيل المفردات الا ترى كيف عطف خبزا على لحما فعلى الاول انه تعالى لما ذكر اقاصيص الانبياء عليهم السلام عاد الى شرح مذاهب المشركين وبيان قبحها من جملة اقوالهم الباطلة انهم اثبتوا الاولاد لله تعالى ثم زعموا انها من جنس الاناث لا من جنس الذكور فقال فاستفتهم اهم اشد خلقا وذلك انه تعالى امر رسول الله صلى الله عليه وسلم باستفتاء قريش عن وجه انكار البعث اولا ثم ساق الكلام موصولا بعضه ببعض الى ان امره بان يستفتيهم في انهم لم يثبتوا الله سبحانه البنات ولانفسهم البنين ونقل الواحدي عن المفسرين انهم قالوا ان قريشا واجناس العرب جهينة وبني سلمة وخزاعة وبني مليح قالوا الملائكة بنات الله وهذا الكلام يشتمل على امرين احدهما اثبات البنات لله وذلك باطل لان العرب كانوا يستنكفون من البنت والشيء الذي يستنكف منه المخلوق كيف يمكن اثباته للخالق والثاني اثبات ان الملائكة اناث وهذا ايضا باطل لان طريق العلم اما الحس واما الخبر واما النظر اما الحس فمفقود لانهم لم يشاهدوا كيف خلق الله الملائكة وهو المراد من قوله ام خلقنا الملائكة اناثا وهم شاهدون واما الخبر فمفقود ايضا لان الخبر انما يفيد العلم اذا علم كونه صدقا قطعا وهؤلاء الذين يخبرون عن هذا الحكم كذابون افاكون لم يدل على صدقهم دليل وهذا هو المراد من قوله الا انهم من افكهم ليقولون ولد الله وانهم لكاذبون واما النظر فمفقود من وجهين الاول ان دليل العقل يقتضي فساد هذا المذهب لانه تعالى اكمل الموجودات والاكمل لا يليق به اصطفاء البنات على البنين بمعنى اسناد الافضل الى الافضل اقرب الى العقل من اسناد الاخس الى الافضل فان كان حكم العقل معتبرا في هذا الباب كان قولكم باطلا الثاني ان يتركوا بترك الاستدلال على فساد مذهبهم بل نطالبهم باثبات الدليل الدال على صحة مذهبهم فاذا لم يجد واد ليلا ظهر بطلان مذهبهم وهذا هو المراد من قوله ام لكم سلطان مبين فاتوا بكتابكم ان كنتم صادقين فقوله فاستفتهم فسل يا محمد اهل مكة وهو سؤال توبيخ الربكم البنات ولهم البنون ام خلقنا الملائكة اناثا وهم شاهدون حاضرون وهذه جملة حالية من الملائكة والرابط الواو وهي هنا واجبة لعدم رابط غيرها قال

شهاب الدين ويحتمل ان تكون جملة حالية من المسئولين **قوله تعالى** الا انهم من افكهم ليقولون ولد الله العامة
على ولد فعلا ماضيا مسندا للجلالة اي اتى بالولد تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا وقرئ ولد الله باضافة الولد اليه
اي يقولون الملائكة ولده فحذف المبتدا للعلم به وابقى خبره والولد فعل بمعنى مفعول كالقبض فلذلك يقع خبرا عن
المفرد والمثنى والمجموع تذكيرا وتانيثا يقول هذي ولدي وهم ولدي **قوله تعالى** اصطفى العامة على فتح الهمزة
على انها همزة استفهام بمعنى الانكار والتقريع وقد حذف معها همزة الوصل استغناء عنها وقرا نافع في رواية وابو جعفر
وشيبة والاعمش بهمزة وصل تثبت ابتداء وتسقط درجا وفيه وجهان احدهما انه على نية الاستفهام وانما حذف للعلم
ومنه قول عمرو بن ابي ربيعة • ثم قالوا تحبها قلت بهرا عدد الرمل والحصى والتراب • اي اتحبها والثاني ان هذه الجملة بدل
من الجملة المحكية بالقول وهي ولد الله اي يقولون كذا ويقولون اصطفى هذا الجنس على هذا الجنس ضعفها ان هذه الجملة قد
اكتنفها الانكار من جانبيها وذلك قوله وانهم لكاذبون ما لكم كيف تحكمون فمن جعلها للاثبات فقد اوقعها دخيلة
بين نسبتين قال ابو حيان وليست دخيلة بين نسبتين لان لها مناسبة ظاهرة مع قولهم ولد الله واما قوله وانهم
لكاذبون فهي جملة اعتراض بين مقالتي الكفرة جاءت للتشديد والتاكيد في كون مقالتهم تلك هي من افكهم ونقل ابو البقا
انه قرئ آصطفى بالمد قال وهو بعيد جدا **قوله** ما لكم كيف تحكمون جملتان استفهاميتان ليس لاحداهما تعلق بالاخرى
من حيث الاعراب استفهم اولا عما استقر لهم وثبت استفهام انكار وثانيا استفهام تعجب من حكمهم بهذا الحكم الجائر وهو
انهم نسبوا افضل الجنسين وما يتطيرون منه ويتوارى احدهم من قومه عند بشارته به الى ربهم ولحسن الجنسين اليهم
والمعنى ما لكم كيف تحكمون لله بالبنات ولكم بالبنين افلا تذكرون اي يتعظون ام لكم سلطان مبين برهان بين على ان
لله ولدا فاتوا بكتابكم الذي لكم فيه حجة ان كنتم صادقين في قولكم **قوله تعالى** وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا قال مجاهد
وقتادة اراد بالجنة الملائكة سموا جنة لاجتنانهم عن الابصار وقال ابن عباس حي من الملائكة يقال لهم الجن منهم ابليس
وقيل انهم خزان الجنة قال ابن الخطيب وهذا القول عندي مشكل لانه تعالى ابطل قولهم الملائكة بنات الله ثم عطف عليه
قوله وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا والعطف يقتضي كون المعطوف مغايرا للمعطوف عليه فوجب ان يكون المراد من الاية
غير ما تقدم وقال مجاهد قالت كفار قريش الملائكة بنات الله فقال لهم ابو بكر الصديق فمن امهاتهم قالوا سروات الجن وهذا
ايضا بعيد لان المصاهرة لا تسمى نسبا قال ابن الخطيب وقد روينا في تفسير قوله تعالى وجعلوا لله شركاء الجن ان قوما من
الزنادقة يقولون ان الله وابليس اخوان فالله هو الحر الكريم وابليس هو الاخ الشرير فقوله تعالى وجعلوا بينه وبين الجنة
نسبا المراد منه هذا المذهب وهذا القول عندي هو اقرب الاقاويل وهو مذهب المجوس القائلين بيزدان واهرمن ثم
قال ولقد علمت الجنة انهم لمحضرون اي علمت الجنة ان الذين قالوا هذا القول محضرون النار ويعذبون وقيل المراد ولقد
علمت الجنة انهم لمحضرون العذاب فعلى الاول الضمير عائد الى القائل وعلى الثاني عائد الى نفس الجنة ثم انه تعالى نزه نفسه عما
قالوا من الكذب فقال سبحان الله عما يصفون **قوله تعالى** الا عباد الله في هذا الاستثناء وجوه احدها انه مستثنى منقطع
والمستثنى اما فاعل جعلوا اي جعلوا بينه وبين الجنة نسبا الا عباد الله الثاني انه فاعل يصفون اي لكن عباد الله يصفونه
بما يليق به تعالى الثالث انه ضمير محضرون اي لكن عباد الله ناجون وعلى هذا فتكون جملة التسبيح معترضة وظاهر كلام
ابي البقا انه يجوز ان يكون استثناء متصلا لانه قال مستثنى من جعلوا او محضرون ويجوز ان يكون منفصلا وظاهر
هذه العبارة ان الوجهين الاولين هو فيهما متصل لا منفصل وليس ببعيد كانه قيل وجعل الناس ثم استثنى منهم
هؤلاء وكل من لم يجعل بين الله وبين الجنة نسبا فهو عند الله مخلص من الشرك **قوله تعالى** فانكم وما تعبدون في الواو
وجهان احدهما انه معطوف على اسم ان وما نافية وانتم اسمها او مبتدا وانتم فيه تغليب المخاطب على الغائب اذ الاصل فانكم
ومعبودكم ما انتم وهو فغلب الخطاب وعليه متعلق بقوله بفاتنين والضمير عائد على ما تعبدون بتقدير حذف مضاف
ضمن فاتنين معنى حاملين بالفتنة والتقدير فانكم والهتكم ما انتم وهم حاملين على عبادته الا الذي سبق في علمه
انه من اهل صلي الجحيم فمن مفعول بفاتنين والاستثناء مفرغ الثاني انه مفعول معه وعلى هذا فيحسن السكوت على تعبدون
كما يحسن في قولك ان كل رجل وصنعته فيقترنان وقوله ما انتم عليه بفاتنين مستانف اي ما انتم على ما تعبدون
بفاتنين او بحاملين على الفتنة الا من هو صال منكم قالهما الزمخشري الا ان ابا البقا ضعف الثاني وتابعه ابو حيان في
تضعيفه بعدم تبادره الى الفهم قال شهاب الدين الظاهر انه معطوف واستيناف ما انتم عليه بفاتنين غير واضح والحق
احق ان يتبع وجوز الزمخشري ان يعود الضمير في عليه على الله تعالى قال فان قلت كيف يفتنونهم على الله قلت يفسدونهم عليه
باغوائهم من قولك فتن فلان على فلان امراته كما يقول افسدها عليه وخببها عليه ومن هو يجوز ان تكون موصولة او موصوفة
وقرا العامة صال الجحيم بكسر اللام لانه منقوص مضاف حذفت لامه لالتقاء الساكنين وحمل على لفظ من فافرد كما افرد هو وقرا

الحسن وابن ابي عبلة بضم اللام مع واو وبعدها فيما نقله الهذلي عنهما وابن عطية عن الحسن وقرا بضمها مع عدم واو فيما
نقل ابن خالويه عنهما وعن الحسن فقط فيما نقله الزمخشري وابو الفضل فاما مع الواو فانه جمع سلامة بالواو والنون
ويكون قد حمل على لفظ من اولا فافرد في قوله هو وعلى معناها ثانيا فجمع في قوله صالوا وحذفت النون للاضافة ومما حمل فيه
على اللفظ والمعنى في جملة واحدة وهي صلة للموصول قوله تعالى الا من كان هودا او نصارى فافرد في كان وجمع في هودا ومثله
قول الاخر • وايقظ من كان منكم نياما • واما مع عدم الواو فيحتمل ان يكون جمعا ايضا وانما حذفت الواو خطا كما حذفت لفظا وكثيرا
ما يفعلون هذا يسقطون في الخط ما يسقط في اللفظ ومنه يقص الحق في قراءة من قرا بالضاد المعجمة رسم بغير ياء وكذلك واخشون
اليوم ويحتمل ان يكون مفردا وحقه على هذا كسر اللام فقط لانه عين منقوص وعين المنقوص مكسورة ابدا وحذفت اللام وهي الياء
لالتقاء الساكنين نحو هذا قاض البلد وقد ذكروا فيه توجيهين احدهما انه مقلوب اذ الاصل صالي ثم صائل قدموا اللام الى موضع العين
ووقع الاعراب على العين ثم حذفت لام الكلمة بعد القلب فصار اللفظ كما ترى ووزنه على هذا فاع فيقال على هذا جاء صال ورايت
صالا ومررت بصال فيصير في اللفظ كقولك هذا باب ورايت بابا ومررت بباب ونظيره في مجرد القلب شاك ولاث في شائك
ولائث ولكن شائك ولائث قبل القلب صحيحان فصارا به معتلين منقوصين بخلاف صال فانه قبل القلب معتل منقوص صار
به صحيحا والثاني ان اللام حذفت استثقالا من غير قلب وهذا اسهل مما قبله لانهم يتناسون اللام المحذوفة ويجعلون
الاعراب على العين وقد قرئ وله الجوار برفع الراء وجنى الجنتين دان برفع النون تشبيها بجناح وجان وقالوا ما باليت به بالة
والاصل بالية كعافية وقد تقدم طرف من هذا عند قوله ومن فوقهم غواش فيمن قراه برفع الشين **فصل** قال المفسرون
المعنى فانكم تقولون لاهل مكة وما تعبدون من الاصنام ما انتم عليه ما تعبدون بفاتنين بمضلين احدا الا من هو صال الجحيم
الا من قدر الله انه سيدخل النار اي من سبق له في علم الله الشقاوة واعلم انه لما ذكر الدلائل الدالة على فساد مذاهب الكفار
اتبعه بما ينبه به على ان هؤلاء الكفار لا يقدرون على اضلال احد الا اذا كان قد سبق حكم الله في حقه بالعذاب والوقوع في النار
واحتج اهل السنة بهذه الاية على انه لا تاثير لايحاء الشيطان ووسوسته وانما المؤثر قضاء الله وتقديره **قوله تعالى** وما منا
الا له مقام وحذف المبتدا مع من جيد فصيح والثاني ان المبتدا محذوف ايضا والا له مقام صفته حذف موصوفها والجر على
هذا هو الجار المتقدم والتقدير وما منا احد الا له مقام قال الزمخشري حذف الموصوف واقام الصفة مقامه كقوله •
انا ابن جلا وطلاع الثنايا • يرمي بكفي كان من ارمى البشر • ورده ابو حيان فقال ليس هذا من حذف الموصوف واقامة الصفة
مقامه لان المحذوف مبتدا والا له مقام خبره ولانه لا ينعقد كلام من قوله وما منا احد وقوله الا له مقام معلوم محط الفائدة
وان تخيل ان الا له مقام معلوم في موضع الصفة فقد نصوا على ان الا لا تكون صفة اذا حذف موصوفها وانها فارقت غيرا اذا
كانت صفة في ذلك لتمكن غير في الوصف وعدم تمكن الا فيه وجعل ذلك كقوله • انا ابن جلا • اي انا ابن رجل جلا ويكفي اي
رجل كان فقد عده النحويون من اقبح الضرائر حيث حذف الموصوف والصفة جملة لم يتقدمها من بخلاف قوله منا ظعن ومنا
اقام يريدون منا فريق ظعن ومنا فريق اقام وقد تقدم نحو من هذا في النساء عند قوله وان من اهل الكتاب الا ليؤمنن به
وهذا الكلام وما بعده ظاهره انه من كلام الملائكة وقيل من كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم **فصل** قال المفسرون
يقول جبريل للنبي صلى الله عليه وسلم وما منا معشر الملائكة الا له مقام معلوم اي ما منا ملك الا له مقام معلوم في السموات
يعبد الله فيه قال ابن عباس ما في السموات موضع شبر الا وعليه ملك يصلي او يسبح وقال عليه السلام اطت السماء وحق لها ان تئط
والذي نفسي بيده ما فيها موضع اربعة اصابع الا وفيه ملك واضع جبهته ساجد لله وقال السدي الا له مقام معلوم الصافون
والمسبحون يجوز ان يكون مرادا اي الصافون اقدامنا واجنحتنا والمسبحون الله تعالى وان لا يراد البتة اي نحن من اهل هذا
الفعل فعلى الاول يفيد الحصر ومعناه انهم هم الصافون في مواقف العبودية لا غيرهم وذلك يدل على ان طاعات البشر بالنسبة
الى طاعات الملائكة كالعدم حتى يصح هذا الحصر قال ابن الخطيب وكيف يجوز مع هذا الحصر ان يقال البشر اقرب درجة من الملك
فضلا عن ان يقال هو افضل منه ام لا قال قتادة قوله وانا لنحن الصافون هم الملائكة صفوا اقدامهم وقال الكلبي صفوف الملائكة
في السماء كصفوف الناس في الارض وانا لنحن المسبحون اي المصلون المنزهون الله عن السوء اخبر جبريل عليه السلام النبي صلى الله عليه
وسلم انهم يعبدون الله بالصلوة والتسبيح وانهم ليسوا معبودين كما زعمت الكفار ثم اعاد الكلام الى الاخبار عن المشركين فقال وان
كانوا اي وقد كانوا يعني اهل مكة ليقولون بلام التاكيد لو ان عندنا ذكرا من الاولين اي كتابا مثل كتاب الاولين لكنا عباد الله المخلصين
اي لاخلصنا العبادة لله ولما كذبنا به فجاءهم الذكر الذي هو سيد الاذكار وهو القران فكفروا به فسوف يعلمون عاقبة
هذا الكفر وهذا تهديد عظيم **قوله تعالى** ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين وهي قوله كتب الله لاغلبن انا ورسلي لما هدد
الكفار بقوله فسوف يعلمون اردفه بما يقوي قلب الرسول فقال ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون
وان جندنا لهم الغالبون والنصرة والغلبة قد تكون بالحجة وقد تكون بالدولة والاستيلاء وقد تكون بالدوام والثبات فالمؤمن

في التربة والمشاهدة م

وان صار مغلوبا في بعض الاوقات بسبب ضعف احوال الدنيا فهو الغالب ولا يلزم على هذه الاية ان يقال قد قتل بعض الانبيا
وهزم كثير من المومنين **قوله تعالى** انهم لهم المنصورون تفسير للكلمة فيجوز ان لا يكون لها محل من الاعراب ويجوز ان يكون
خبر مبتدا مضمر ومنصوبة باضمار فعل اي هي انهم لهم المنصورون او اعني بالكلمة هذا اللفظ ويكون ذلك على سبيل الحكاية
لانك لو صرحت بالفعل قبلها حاكيا للجملة بعده كان صحيحا كانك قلت قلت هذا اللفظ كما تقول كتبت زيد قايم وان زيدا لقايم
وقرا الضحاك كلماتنا جمعا **قوله تعالى** فتول عنهم اي اعرض عنهم حتى حين قال ابن عباس يعني الموت وقال مجاهد يوم بدر وقال
السدي حتى يامرك الله بالقتال وقيل الى ان يامرهم الله وقيل الى فتح مكة قال مقاتل بن حيان نسختها اية القتال وابصرهم اذا نزل
بهم العذاب من القتل والاسر في الدنيا والعذاب في الاخرة فسوف يبصرون ذلك من النصرة والتاييد في الدنيا والثواب العظيم
في الاخرة فقالوا متى هذا العذاب فقال تعالى افبعذابنا يستعجلون اي ان ذلك الاستعجال جهل لان لكل شي من افعال الله تعالى
وقتا معينا لا يتقدم ولا يتاخر **قوله تعالى** فاذا نزل بساحتهم العامة على نزل مبنيا للفاعل وعبد الله بنايه للمفعول والجار
قايم مقام فاعله والساحة الفنا الخالي من الابنية وجمعها سوح فالفها عن واو فيصغر على سويحة قال الشاعر •
فكان سيان ان لا يسرحوا نعما • او يسرحوه بها واغبرت السوح • وبهذا يتبين ضعف قول الراغب انها من ذوات اليا حيث عدها
في مادة سيح ثم قال الساحة المكان الواسع ومنه ساحة الدار والسايح الما الجاري في الساحة وساح فلان في الارض مر
مر السايح ورجل سايح وسياح انتهى ويحتمل ان يكون لها مادتان لكن كان ينبغي ان يذكر ما هي الاشهر او يذكرهما معا

فصل فاذا نزل يعني العذاب بساحتهم قال مقاتل بحضرتهم وقيل بفنايهم قال الفرا العرب تكتفي بذكر الساحة عن القوم
فسا صباح المنذرين فبيس صباح الكافرين الذين انذروا بالعذاب لما خرج عليه السلام الى خيبر اتاها ليلا وكان اذا جا
قوما بليل لم يغر حتى يصبح فلما اصبح خرجت يهود خيبر بمساحيها ومكاتلها فلما راوه قالوا محمد والله محمد والخميس فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم الله اكبر خربت خيبر انا اذا نزلنا بساحة قوم فسا صباح المنذرين **قوله تعالى** فتول عنهم حتى حين وابصر
فسوف يبصرون قيل المراد من هذه الكلمة فيما تقدم من احوال الدنيا وفي هذه الكلمة احوال القيمة وعلى هذا التقدير فالتكرير
زايل وقيل المراد من التكرير المبالغة في التهديد والتهويل فان قيل ما الحكمة في قوله اولا وابصرهم وههنا قال وابصر
بغير ضمير فالجواب انه حذف مفعول ابصر الثاني اما اختصارا لدلالة الاول عليه واما اقتصارا تفننا في البلاغة ثم انه تعالى
ختم السورة بتنزيه نفسه عن كل ما لا يليق بصفات الالهية فقال سبحان ربك رب العزة اي الغلبة والقوة اضاف الرب الى
العزة لاختصاصه بها كانه قيل ذو العزة كما يقول صاحب صدق لاختصاصه به وقيل المراد العزة المخلوقة الكاينة بين خلقه
ويترتب على القولين مسيلة اليمين فعلى الاول تنعقد بها اليمين لانها صفة من صفاته بخلاف الثاني فانه لا تنعقد بها اليمين

فصل قوله رب العزة الربوبية اشارة الى كمال الحكمة والرحمة والعزة اشارة الى كمال القدرة فقوله رب العزة يدل على
انه القادر على جميع الحوادث لان الالف واللام في قوله العزة يفيد الاستغراق واذا كان الكل ملكا له لم يبق لغيره شي فثبت ان قوله
سبحان ربك رب العزة عما يصفون كلمة محتوية على افضل الدرجات واكمل النهايات وسلام على المرسلين الذين بلغوا عن الله التوحيد
بالشرايع والحمد لله رب العالمين على هلاك الاعدا ونصرة الانبيا عليهم السلام روي عن علي رضي الله عنه قال من احب ان يكتال
بالمكيال الاوفى من الاجر يوم القيمة فليكن اخر كلامه من مجلسه سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب
العالمين روى ابو امامة عن ابي بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا والصافات اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد
كل جني وشيطان وتباعدت منه مردة الشياطين وبرى من الشرك وشهد له حافظاه يوم القيمة انه كان مومنا

سورة ص مكية

بسم الله الرحمن الرحيم وهي خمس وثمانون اية وسبع ماية واثنان وثمانون كلمة وثلاثة الاف وتسعة وتسعون حرفا
قوله تعالى ص قرا العامة بسكون الدال كسائر حروف التهجي في اوايل السور وقد مر ما فيه وقرا ابي والحسن وابن ابي اسحق وابن ابي
وابو السمال بكسر الدال من غير تنوين وفيها وجهان احدهما انه كسر لالتقاء الساكنين وهذا اقرب والثاني انه من المصاداة
وهي المعارضة ومنه صوت الصدى لمعارضته لصوتك وذلك في الاماكن الصلبة الخالية والمعنى عارض القران بعملك فاعمل
باوامره وانته عن نواهيه قال الحسن وعنه ايضا انه من صاديت اي حادثت والمعنى حادث الناس بالقران وقرا ابن ابي اسحق كذلك
الا انه نونه وذلك على انه مجرور بحرف قسم مقدر حذف وبقي عمله كقولهم الله لافعلن بالجر الا ان الجر يقل في غير الجلالة وانما
صرفه ذهابا به الى معنى الكتاب والتنزيل وعن الحسن ايضا وابن السميفع وهرون الاعور صاد بالضم من غير تنوين على انه اسم السورة

وهو خبر مبتدا مضمر اي هذه صاد ومنع من الصرف للعلمية والتانيث وكذلك قرا ابن السميفع وهرون قاف ونون
بالضم على ما تقدم وقرا عيسى وابو عمرو في رواية محبوب صاد بالفتح من غير تنوين وهي تحتمل ثلاثة اوجه البنا على الفتح
تخفيفا كاين وكيف والجر بحرف القسم المقدر وانما منع من الصرف للعلمية والتانيث كما تقدم والنصب باضمار فعل وعلى
حذف حرف القسم كقوله • فذاك امانة الله الثريد • وامتنعت من الصرف لما تقدم ولذلك قرا قاف ونون بالفتح فيهما
وهما كما تقدم ولم يحفظ التنوين مع الفتح والضم **فصل** قيل هذا قسم وقيل اسم للسورة كما ذكر في الحروف المقطعة
في اوايل السور وقال محمد بن كعب القرظي ص مفتاح اسم الصمد وصادق الوعد وقال الضحاك معناه صدق الله وروي عن ابن عباس
صدق محمد صلى الله عليه وسلم وقيل ان القران مركب من هذه الحروف وانتم قادرون عليها ولستم قادرين على معارضته فان قيل قوله
والقران ذي الذكر قسم فاين المقسم عليه فالجواب من وجوه احدها قال الزجاج والكوفيون غير الفرا هو قوله ان ذلك لحق قال
الفرا لا نجده مستقيما لتاخره جدا عن قوله والقران قال ثعلب والفرا هو قوله كم اهلكنا والاصل لكم اهلكنا فحذفت اللام كما حذفها
في قوله قد افلح من زكاها بعد قوله والشمس لما طال الكلام الثالث قال الاخفش هو قوله ان كل الا كذب الرسل كقوله تالله ان كنا وقوله
والسما والطارق ان كل الرابع قوله ان هذا لرزقنا الخامسة هو قوله ص لان المعنى والقران لقد صدق محمد قاله الفرا وثعلب
ايضا وهذا بنا منهما على جواز تقديم جواب القسم وان هذا الحرف مقتطع من جملة دال هو عليها وكلاهما ضعيف السادس
انه محذوف واختلفوا في تقديره فقال الحوفي تقديره لقد جا كم الحق ونحوه وقدره ابن عطية ما الامر كما يزعم الكفار ودل على
هذا المحذوف قوله بل الذين كفروا والزمخشري انه لمعجز وابو حيان انك لمن المرسلين قال لانه نظير يس والقران الحكيم انك لمن المرسلين
وللزمخشري ههنا عبارة بشعة جدا قال فان قلت قوله ص والقران ذي الذكر بل الذين كفروا في عزة وشقاق كلام ظاهره متناف
غير منتظم كما وجه انتظامه قلت فيه وجهان احدهما ان يكون قد ذكر اسم هذا الحرف من حروف المعجم على سبيل التحدي والتنبيه
على الاعجاز كما مر في اول الكتاب ثم اتبعه القسم محذوف الجواب لدلالة التحدي عليه كانه قال والقران ذي الذكر انه لكلام معجز
والثاني ان يكون صاد خبر مبتدا محذوف على انها اسم للسورة كانه قال هذه صاد يعني هذه السورة التي اعجزت العرب والقران ذي الذكر
كما تقول هذا حاتم والله تريد هو المشهور بالسخا والله وكذلك اذا اقسم بها كانه قال اقسمت بصاد والقران ذي الذكر انه لمعجز ثم
قال بل الذين كفروا في عزة واستكبار عن الاذعان لذلك والاعتراف والشقاق لله ورسوله واذا جعلتها مقسما بها وعطفت عليها
والقران ذي الذكر جاز لك ان تريد بالقران التنزيل كله وان تريد السورة بعينها ومعناه اقسم بالسورة الشريفة والقران ذي
الذكر كما تقول مررت بالرجل الكريم وبالنسمة المباركة ولا تريد بالنسمة غير الرجل وقيل فيه تقديم وتاخير تقديره بل الذين
كفروا في عزة وشقاق والقران ذي الذكر والمراد بكون القران ذي الذكر اي ذي الشرف قال تعالى وانه لذكر لك ولقومك وقال
لقد انزلنا اليكم كتابا فيه ذكركم كما تقول لفلان ذكر في الناس ويحتمل ان يكون معناه ذو البيان اي فيه اخبار الاولين والاخرين
وبيان العلوم الاصلية والفرعية **قوله تعالى** بل الذين كفروا اضراب انتقال من قصة الى اخرى وقرا الكسائي في رواية سورة وحماد
ابن الزبرقان وابو جعفر والجحدري في غرة بالغين معجمة والرا وقد نقل الرواة ان حمادا قراها كذلك تصحيفا فلما رد عليه قال ما
ظننت ان الكافرين في عزة وهو منه لان العزة المذكورة الحمية الجاهلية والتنكير في عزة وشقاق دلالة على شدتهما وتفاقمهما
فصل قالت المعتزلة دل قوله ذي الذكر على انه محدث ويويده قوله وانه لذكر لك ولقومك وهذا ذكر مبارك ان هو الا ذكر
وقران مبين والجواب انا نصرف دليلكم الى ما نقله نحن ونتلفظ **فصل** قال القتيبي بل لتدارك كلام ونفي اخر ومجاز الاية
ان الله اقسم بصاد والقران ذي الذكر بل الذين كفروا من اهل مكة في عزة حمية جاهلية وتكبر عن الحق وشقاق خلاف وعداوة
لمحمد صلى الله عليه وسلم قال مجاهد في عزة معازين **قوله تعالى** كم اهلكنا كم مفعول اهلكنا ومن قرن تمييز ومن قبلهم لابتدا الغاية
والمعنى كم اهلكنا من قبلهم من قرن يعني من الامم الخالية فنادوا استغاثوا عند نزول العذاب وحلول النقمة وقيل نادوا بالايمان
والتوبة عند معاينة العذاب **قوله تعالى** ولات حين هذه الجملة في محل نصب على الحال من فاعل نادوا اي استغاثوا والحال انه لا
مهرب ولا منجا وقرا العامة لات بفتح التا وحين بالنصب وفيها اوجه احدها وهو مذهب سيبويه ان لا نافية بمعنى ليس والتا
مزيدة فيها كزيادتها في رب وثم كقولهم ربت وثمت واصلها ها وصلت بلا فقالوا لاه ولا تعمل الا في الازمان خاصة نحو لات
حين ولات اوان كقولهم • طلبوا صلحنا ولات اوان • فاجبنا ان ليس حين بقا • وقول الاخر • ندم البغاة ولات ساعة مندم
والبغي مرتع مبتغيه وخيم • والاكثر حينيذ حذف مرفوعها تقديره ولات الحين حين مناص وقد يحذف المنصوب ويبقى
المرفوع وقد قرا هنا بذلك بعضهم كقوله • من صد عن نيرانها فانا ابن قيس لا براح • اي لا براح لي ولا تعمل في غير الاحيان على المشهور
وقد تمسك باعمالها في غير الاحيان في قوله • حنت نوار ولات هنا حنت • وبدا الذي كانت نوار اجنت • فان هنا من
ظروف الامكنة وفيه شذوذ من ثلاثة اوجه احدها عملها في اسم الاشارة وهو معرفة ولا تعمل الا في النكرات الثاني كونه
لا يتصرف الثالث كونه غير زمان وقد ذهب بعضهم هذا بان هنا قد تخرج عن المكانية واستعملت في الزمان كقوله تعالى هنالك

ابتلي المومنون وقوله • فهنالك يعرفون اين المفزع • كما تقدم في سورة الاحزاب الا ان الشذوذ في الاخيرة باقيان
وتاول بعضهم البيت ايضا بتاويل اخر وهو ان لات هنا مهملة لا عمل لها وهنا ظرف خبر مقدم وحنت مبتدأ بتاويل حذف
ان المصدرية تقديره ان حنت نحو تسمع بالمعيدي خير من ان تراه وفي هذا تكلف وبعد لان فيه لا استراحة من الشذوذات
المذكورات او الشذوذين وفي الوقف عليها مذهبان اشهرهما عند العرب وجماهير القراء السبعة بالتاء المجبودة اتباعا لرسم
الخط والكسائي وحده من السبعة بالهاء والاول مذهب الخليل وسيبويه والزجاج والفراء وابن كيسان والثاني مذهب المبرد
واغرب ابو عبيد فقال الوقف على لا والتاء متصلة بحين فيقولون تمت تحين وتحين كان كذا فعلت كذا وقال رايتها
في الامام كذا ولاتحين متصلة واستدل على ذلك ايضا قول ابي وجزة السعدي • العاطفون تحين ما من عاطف • والمطعمون زمان
لا من مطعم • وبحديث ابن عمر وساله رجل عن عثمان فذكر مناقبه ثم قال اذهب تلان الى اصحابك يريد الان والمصاحف انما
هي لات حين وحمل العامة ما راه على انه مما شذ عن قياس الخط كنظائر له مرت واما البيت فقيل فيه انه شاذ لا يلتفت اليه
وقيل انه اذا حذف الحين المضاف الى الجملة التي فيها لات جاز ان يحذف لا وحدها كما انه قد صرح باضافة حين اليها في قول الاخر
وذلك حين لات اوان حلم • ذكر هذا الوجه ابن مالك وهو متعسف جدا وقد نقل اضافة حين اليها من جر حين ولها كقوله
تذكرت ليلى لات حينا • اي حين لات حينا وايضا فكيف يصنع ابو عبيد بقوله • ولات ساعة مندم • ولات اذان فانه قد
وجدت التاء مع لا دون حين الوجه الثاني من الاوجه السابقة انها عاملة عمل ان بمعنى انها نافية للجنس فيكون تحين مناص اسمها
وخبرها مقدر تقديره ولات حين مناص لهم كقولك لا غلام سفر لك واسمها معرب لكونه مضافا الثالث ان بعدها فعل
مقدر ناصب لحين مناص بعدها اي لات ارى حين مناص لهم بمعنى لست ارى ذلك ومثله لا مرحبا بهم ولا اهلا ولا سهلا
اي لا تاتوا مرحبا ولا وطئوا سهلا ولا لقيتوا اهلا وهذان الوجهان ذهب اليهما الاخفش وهما ضعيفان وليس اضمار الفعل هنا
نظير اضماره في قوله • الا رجلا جزاه الله خيرا • لضرورة ان اسمها المفرد النكرة مبني على الفتح فلما راينا هذا معربا قدرنا له فعلا
خلافا للزجاج فانه يجوز تنوينه في الضرورة ويدعي ان فتحته اعراب وانما حذف التنوين للتخفيف ويستدل بالبيت المذكور
وقد تقدم تحقيق هذا الرابع ان لات هذه ليست هي لا وفيها تاء التانيث وانما هي ليس فابدلت السين تاء وقد ابدلت منها في موضع
قالوا النات يريدون الناس ومنه ست واصله سدس وقال • يا قاتل الله بني السعلات • عمرو بن يربوع شرار النات • ليسوا
باخيار ولا اكيات • وقراءة اذا قل اعوذ برب النات الى اخره يريدون شرار الناس ولا اكياس فابدل ولما ابدل السين تاء خاف
من التباسها بحرف التمني فقلب الياء الفا فبقيت لات وهو من الاكتفاء بحرف العلة لان حرف العلة لا تبدل الفا الا بشرط
منها ان تتحرك وان ينفتح ما قبلها فيكون حين مناص خبرها والاسم محذوف على ما تقدم والعمل هنا يجوز لاصالة لا الفرعية
وقرا عيسى بن عمر ولات حين مناص بكسر التاء وجر حين وهي قراءة مشكلة جدا زعم الفراء ان لات يجر بها وانشد •
لتندمن ولات ساعة مندم • وانشد غيره • طلبوا صلحنا ولات اوان • البيت وقال الزمخشري ومثله قول ابي زبيد الطائي
طلبوا صلحنا البيت • قال فان قلت ما وجه الجر في اوان قلت شبه باذ في قوله • وانت اذ صحيح • في انه زمان قطع منه المضاف اليه
وعوض منه التنوين لان الاصل ولات اوان صلح فان قلت فما تقول في حين مناص والمضاف اليه قائم قلت نزل قطع المضاف
اليه من مناص لان اصله حين مناصهم منزلة قطعه من حين لاتحاد المضاف والمضاف اليه وجعل تنوينه عوضا من المضاف
المحذوف ثم بني الحين لكونه مضافا الى غير متمكن انتهى وخرجه ابو حيان على اضمار من والاصل ولات من حين مناص فحذفت
من وبقي عملها نحو قولهم على كم جذع بنيت بيتك اي من جذع في اصح القولين وفيه قول اخر ان الجر بالاضافة ومثله قوله
رقال الا لا من سبيل الى هند • قال ويكون موضع من حين مناص رفعا على انه اسم لات بمعنى ليس كما تقول ليس من رجل قائما
وهذا على قول سيبويه وعلى انه مبتدأ والخبر محذوف على قول الاخفش وخرج الاخفش ولات اوان على حذف مضاف بمعنى انه
حذف المضاف وبقي المضاف اليه مجرورا على ما كان والاصل ولات حين اوان وقد رد هذا الوجه مكي فانه كان ينبغي ان
يقوم المضاف اليه مقامه في الاعراب فيرفع قال شهاب الدين قد جاء بقاء المضاف اليه على جره وهو قسمان قليل وكثير
فالكثير ان يكون في اللفظ مثل المضاف نحو قوله • اكل امرئ تحسبين امرا • ونار توقد بالليل نارا • اي وكل نار والقليل ان لا
يكون كقراءة من قرا والله يريد الاخرة بجر الاخرة فليكن هذا منه على ان المبرد رواه بالرفع على اقامته مقام المضاف وقال الزجاج
الاصل ولات اواننا فحذف المضاف اليه فوجب ان لا يعرب وكسره لالتقاء الساكنين قال ابو حيان وهذا هو الوجه الذي
قرره الزمخشري اخذه من ابي اسحق يعني الوجه الاول وهو قوله ولات اوان صلح هذا ما يتعلق بجر حين واما كسر تاء لات
فعلى اصل التقاء الساكنين كجير الا انه لا يعرف تاء تانيث الا مفتوحة وقرا عيسى ايضا بكسر التاء فقط ونصب حين كالعامة
وقرئ ايضا ولات حين بالرفع مناص بالفتح وهذه قراءة مشكلة جدا لا تبعد عن الغلط من راويها عن عيسى فانه بمكان من العلم
المانع له من مثل هذه القراءة وقد خرجها ابو الفضل الرازي في لوامحه على التقديم والتاخير وان حين اجري مجرى قبل وبعد في بنائه

على الضم عند قطعه عن الاضافة بجامع ما بينه وبينهما من الظرفية الزمانية ومناص اسمها مبني على الفتح فصل بينه وبينها
بحين المقطوع عن الاضافة والاصل ولات مناص حين كذا ثم حذف المضاف اليه حين وبني على الضم وقدم فاصلا بين لات
واسمها قال وقد يجوز ان يكون كذلك بعدها لا اعرفه وقد روي في تاء لات الفتح والكسر والضم فنادوا والمفعول له لان القصد
تعلو النداء من غير قصد منادى وقال الكلبي كانوا اذا قاتلوا فاضطربوا نادى بعضهم لبعض مناص اي عليكم بالفرار فلما اتاهم
العذاب قالوا مناص فقال الله لهم ولات حين مناص قال القشيري فعلى هذا يكون التقدير فنادوا مناص فحذف لدلالة ما
بعده عليه قال شهاب الدين فيكون قد حذف المنادى وهو بعضا وما ينادون به وهو مناص اي نادوا بعضهم بهذا اللفظ
وقال الجرجاني اي فنادوا حين لا مناص اي ساعة لا منجى ولا فوت فلما قدم لا واخر حين اقتضى ذلك الواو كما يقتضي الحال اذا جعل
ابتداء وخبرا مثل ما تقول جاء زيد راكبا ثم تقول جاء وهو راكب فحين ظرف لقوله فنادوا قال ابو حيان وكون اصل هذه الجملة
فنادوا حين لا مناص وان حين ظرف لقوله فنادوا دعوى اعجمية في نظم القرآن والمعنى على نظمه في غاية الوضوح قال شهاب
الدين الجرجاني لا يعني ان حين ظرف لنادوا في التركيب الذي عليه القرآن الان انما يعني بذلك في اصل المعنى والتركيب كما شبهه
ذلك بقولك جاء زيد راكبا ثم بجاء زيد وهو راكب فراكبا في التركيب الاول حال وفي الثاني خبر مبتدأ كذلك حين كان في الاصل
ظرفا للنداء ثم صار خبرا للات او اسمها على حسب الخلاف المتقدم **والمناص** مفعل من ناص ينوص اي هرب فهو مصدر يقال ناصه
ينوصه اذا فاته فهو متعد وناص ينوص اي تاخر ومنه ناص عن قرنه اي تاخر عنه جبنا قال الفراء وانشد قول امرئ القيس
امن ذكر سلمى ان نأتك تنوص • فتقصر عنها خطوة وتبوص • وقال ابو جعفر النحاس ناص ينوص اي تقدم فيكون من الاضداد
واستناص طلب المناص قال حارثة بن بدر الغداني • اذا قصرت عنانه بيدي استناص ورام جري المسحل • ويقال ناص الى كذا
ينوص نوصا اذا التجا اليه قال بعضهم المناص المنجا والغوث يقال ناصه ينوصه اذا اغاثه قال ابن عباس كان كفار مكة اذا قاتلوا
فاضطروا في الحرب قال بعضهم لبعض مناص اي اهربوا وخذوا حذركم فلما نزل بهم العذاب ببدر قالوا مناص فانزل الله تعالى
ولات حين مناص اي ليس حين هذا القول **قوله تعالى** وعجبوا ان جاءهم اي من ان فيها الخلاف المشهور وقال الكافرون
من باب وضع الظاهر موضع المضمر شهادة عليهم بهذا الوصف القبيح **فصل** لما حكى عن الكفار كونهم في عزة وشقاق
اتبعه بشرح كلماتهم الفاسدة فقال وعجبوا ان جاءهم منذر منهم وفي قوله منهم وجهان الاول انهم قالوا ان محمدا
مساو لنا في الخلقة الظاهرة والاخلاق الباطنة والنسب والشكل والصورة فكيف يعقل ان يختص من بيننا بهذا المنصب
العالي والثاني ان الغرض من هذه الكلمة التنبيه على كمال جهلهم لانهم جاءهم رجل يدعوهم الى التوحيد والترغيب في الاخرة
ثم ان هذا الرجل من اقاربهم يعلمون انه كان بعيدا عن الكذب والتهمة وكل ذلك مما يوجب الاعتراف بتصديقه ثم انهم
لحماقتهم يتعجبون له من قوله ونظيره قوله ام لم يعرفوا رسولهم فهم له منكرون وقال الكافرون هذا ساحر كذاب اجعل
الالهة الها واحدا ان هذا لشيء عجاب مبالغة في عجيب كقولهم رجل طوال وامر سراع هما ابلغ من طويل وسريع وقرا علي
والسلمي وعيسى وابن مقسم عجاب بتشديد الجيم وهي ابلغ مما قبلها فهي مثل رجل كريم وكرام بالتخفيف وكرام بالتشديد
كقوله ومكروا مكرا كبارا هو ابلغ من كبار وكبار ابلغ من كبير وقوله اجعل اي صيرها الها واحدا في قوله وزعمه **قوله تعالى**
وانطلق الملأ منهم الملأ هم القوم الذين اذا حضروا في مجلس ملأت العيون والقلوب مهابتهم وقوله منهم اي من قريش
انطلقوا عن مجلس ابي طالب بعد ما بكتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجواب العتيد قائلين بعضهم لبعض ان امشوا واصبروا
على الهتكم وذلك ان عمر بن الخطاب اسلم فشق ذلك على قريش وفرح به المومنون فقال الوليد بن المغيرة للملأ من قريش وهم
الصناديد والاشراف وكانوا خمسة وعشرين رجلا اكبرهم سنا الوليد بن المغيرة قال امشوا الى ابي طالب وقالوا له انت
شيخنا وكبيرنا وقد علمت ما فعل هؤلاء السفهاء وانا قد اتيناك لتقضي بيننا وبين ابن اخيك فارسل ابو طالب الى النبي
صلى الله عليه وسلم فقال ما ذا تسألون فقالوا ارفض ذكر الهتنا وندعك والهك فقال النبي صلى الله عليه وسلم اتعطوني
كلمة واحدة تملكون بها العرب وتدين لكم بها العجم فقال ابو جهل لله ابوك لنعطيكها وعشر امثالها فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم قولوا لا اله الا الله فنفروا من ذلك وقالوا اجعل الالهة الها واحدا كيف يسع الخلق كلهم اله واحد ان هذا لشيء عجاب
اي عجيب **قوله تعالى** ان امشوا يجوز ان تكون ان مصدرية اي انطلقوا بقولهم ان امشوا وان تكون مفسرة اما لان الانطلاق لانه
ضمن معنى القول قال الزمخشري لان المنطلقين عن مجلس التقاول لا بد لهم ان يتكلموا ويتفاوضوا فيما جرى لهم انتهى
وقيل بل هي مفسرة لجملة محذوفة في محل حال تقديره وانطلقوا يتحاورون ان امشوا ويجوز ان تكون مصدرية معمولة
لهذا المقدر وقيل الانطلاق هنا الاندفاع في القول والكلام نحو انطلق لسانه فان مفسرة له من غير تضمين ولا حذف والمشي
الظاهر انه المتعارف وقيل بل هو دعاء بكثرة الماشية وهذا فاسد لفظا ومعنى اما اللفظ فلانه انما يقال من هذا المعنى
امشى الرجل اذا كثرت ماشيته بالالف اي صار ذا ماشية فكان ينبغي على هذا ان يقرا امشوا بقطع الهمزة مفتوحة واما المعنى

فليس مرادًا البتة واي معنى على ذلك الا ان الزمخشري ذكر وجهًا صحيحًا من حيث الصناعة واقرب يعني مما تقدم فقال الجزم
انهم قالوا امشوا اي اكثروا واجتمعوا من مشت المرأة اذا كثرت ولادتها ومنه الماشية للتفاؤل انتهى واذا وقف على ان وابتدى
بما بعدها فليبتد بكسر الهمزة لا بضمها لان الثالث مكسور تقديرًا اذ الاصل امشيوا ثم اعل بالحذف وهذا كما يبتد بضم الهمزة
في قولك اغزي يا امرأة وان كانت الزاي مكسورة لانها مضمومة في الاصل اذ الاصل اغزوي كاخرجي فاعل بالحذف **فصل**
لما اسلم عمر وحصل للمسلمين قوة بمكانه قال المشركون ان هذا الذي نراه من زيادة اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم لشيء يراد بنا
وقيل يراد باهل الارض وقيل يراد محمد ان يملك علينا وقيل ان دينكم لشيء يراد اي يطلب ليؤخذ منكم **قوله تعالى** ما سمعنا
بهذا في الملة اي ما سمعنا بهذا الذي يقوله محمد من التوحيد في الملة الآخرة قال ابن عباس والكلبي ومقاتل يعنون في النصرانية
لانها آخر الملل وهم لا يوحدون بل يقولون ثالث ثلاثة وقال مجاهد وقتادة يعنون ملة قريش دينهم الذي هم عليه **قوله تعالى**
في الملة فيه وجهان احدهما انه متعلق بسمعنا اي لم نسمع في الملة الآخرة اي لم نسمع من الكهان ولا من اهل الكتاب انه يحدث توحيد
في الملة الآخرة وهذا من فرط كذبهم **قوله تعالى** ان هذا الا اختلاق اي افتعال وكذب أانزل عليه الذكر من بيننا قد تقدم حكم
هاتين الهمزتين في اوائل آل عمران وان الوارد منه في القرآن ثلاثة اماكن والاعرابات في هذه الآية واضحة وام منقطعة **فصل**
المعنى انزل عليه الذكر اي القرآن من بيننا وليس باكبرنا ولا اشرفنا وهذا استفهام على سبيل الانكار فاجابهم
الله تعالى بقوله بل هم في شك من ذكري اي وحيي وما انزلت وقيل بل هم في شك من ذكري اي من الدلائل التي لو نظروا فيها
لزال عنهم هذا الشك بل لما يذوقوا عذاب ولو ذاقوه لما قالوا هذا القول وقيل معنى بل هم في شك من ذكري هو ان النبي صلى
الله عليه وسلم كان يخوفهم من عذاب الله لو اصروا على الكفر ولم ينزل عليهم العذاب كان ذلك سببًا لشكهم في صدقه وقالوا
اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة **قوله تعالى** ام عندهم خزائن رحمة ربك معنى مفاتيح نعم ربك
وهي النبوة يعطونها من شاؤا ونظيره اهم يقسمون رحمة ربك اي نبوة ربك العزيز في ملكه الكامل القدرة الوهاب
اي وهب النبوة لمحمد صلى الله عليه وسلم **قوله تعالى** ام لهم ملك السموات والارض وما بينهما لما قال ام عندهم خزائن رحمة
ربك خزائن الله تعالى غير متناهية كما قال وان من شيء الا عندنا خزائنه ومن جملة تلك الخزائن السموات والارض فلما ذكر الخزائن
اولًا على العموم اردفها بذكر السموات والارض وما بينهما يعني ان هذه الاشياء احد انواع خزائن الله فاذا كانوا عاجزين عن هذا
القسم فبان يكونوا عاجزين عن كل خزائن الله اولى **قوله تعالى** فليرتقوا قال ابو البقاء هذا كلام محمول على المعنى اي ان زعموا
ذلك فليرتقوا فجعلها جوابًا لشرط مقدر وكثيرًا ما يفعل الزمخشري ذلك ومعنى الكلام ان ادعوا شيئًا من ذلك فليصعدوا
في الاسباب التي توصلهم الى السماء فليأتوا منها بالوحي الى من يختارون قال مجاهد اراد بالاسباب ابواب السماء وطرقها
من سماء الى سماء وكل ما يوصلك الى شيء من باب او طريق فهو سببه وهذا امر توبيخ وتعجيز واستدل حكماء الاسلام بقوله
فليرتقوا في الاسباب على ان الاجرام الفلكية وما اودع الله فيها من القوى والخواص اسباب لحوادث العالم السفلي لان الله
تعالى سمى الفلكيات اسبابًا وذلك يدل على ما ذكرنا **قوله تعالى** جند يجوز فيه وجهان اظهرهما انه خبر مبتدأ مضمر اي هم
جند وما فيها وجهان انها مزيدة والثاني انها صفة لجند على سبيل التعظيم للهزء بهم وللتحقير فان ما للصفة تستعمل
لهذين المعنيين ومثله قول امرئ القيس وحديث ما على قصره وقد تقدم هذا في اوائل البقرة وهنالك يجوز فيه ثلاثة اوجه
احدها ان يكون خبر لجند وما مزيدة ومهزوم نعت لجند ذكره مكي الثاني ان تكون صفة لجند الثالث ان يكون منصوبًا بمهزوم
ومهزوم يجوز فيه ايضًا وجهان احدهما انه خبر ثان لذلك المبتدأ المقدر والثاني انه صفة لجند الا ان الاحسن على هذا الوجه ان لا تجعل
هنالك صفة بل متعلقًا به لئلا يلزم تقديم الوصف غير الصريح على الصريح وهنالك مشار به الى موضع التقاولهم وحاورتهم بالكلمات
السابقة وهو مكة اي سيهزمون بمكة وهو اخبار بالغيب وقيل مشار به الى نصرة الاصنام وقيل الى حفر الخندق يعني الى مكان
ذلك الثاني من الوجهين الاولين ان يكون جند مبتدأ وما مزيدة وهنالك نعت ومهزوم خبره قاله ابو البقاء قال ابو حيان
وفيه بعد لتفلته عن الكلام الذي قبله قال شهاب الدين وهذا الوجه المنقول عن ابي البقاء قد سبقه اليه مكي **قوله تعالى**
من الاحزاب يجوز ان تكون صفة لجند وان تكون صفة لمهزوم وجوز ابو البقاء ان يكون متعلقًا به وفيه بعد لان المراد
بالاحزاب هم المهزومون **فصل** المعنى ان الذين يقولون هذا القول جند هنالك وما صلة مهزوم مغلوب
من الاحزاب اي من جملة الاجناد يعني قريشًا قال قتادة اخبر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم وهو بمكة انه سيهزم جند
المشركين فقال سيهزم الجمع ويولون الدبر فجاء تاويلها يوم بدر وهنالك اشارة الى بدر ومصارعهم وقيل يوم الخندق
قال ابن الخطيب والاصح عندي حمله على يوم فتح مكة لان المعنى انهم جند سيصيرون منهزمين في الموضع الذي ذكروا فيه
هذه الكلمات وذلك الموضع هو مكة فوجب ان يكون المراد انهم سيصيرون منهزمين في مكة وما ذاك الا يوم الفتح وقوله
من الاحزاب اي من جملة الاحزاب اي هم من القرون الماضية الذين تحزبوا وتجمعوا على الانبياء بالتكذيب فقهروا واهلكوا

ثم قال لنبيه صلى الله عليه وسلم معزيًا له كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وفرعون ذو الاوتاد قال ابن عباس ومحمد
ابن كعب ذو البناء المحكم وقيل اراد ذو الملك الشديد الثابت وقال القتيبي تقول العرب هم في عز ثابت الاوتاد يريدون
انه دائم شديد وقال الضحاك ذو القوة والبطش وقال عطية ذو الجنود والجموع الكثيرة الوتد يعني انهم كانوا يقودون امره
ويشدون ملكه كما يقوي وسميت الاجناد اوتادًا لكثرة المضارب التي كانوا يضربونها ويوقدونها في اسفارهم وهي رواية
عطية العوفي عن ابن عباس وهذه استعارة بليغة حيث شبه الملك ببيت الشعر وبيت الشعر لا يثبت الا بالاوتاد والاطناب كما قال
الاوه الاودي • والبيت لا يبنى الا على عمد • ولا عماد اذا لم ترس اوتاد • فاستعير لثبات العز والملك واستقرار الامر
كقول الاسود بن يعفر • ولقد غنوا فيها بانعم عيشة • في ظل ملك ثابت الاوتاد • والاوتاد جمع وتد وفيه لغات فتح الواو
وكسر التاء وهي الفصحى ووتد بفتحتين وود بادغام التاء في الدال قال • تخرج الود اذا ما اشحذت • وتواريه اذا ما تشتكي • وودت
بابدال الدال تاء ثم ادغام التاء فيها وهذا شاذ لان الاصل ابدال الاول للثاني لا العكس وقد تقدم نحو من هذا في آل عمران
عند قوله تعالى فمن زحزح عن النار ويقال وتد واتد اي قوي ثابت وهو مثل جواز قولهم شغل شاغل وانشد الاصمعي
لاق على الماجد ملاء واتدا • ولم يكن يخلفها المواعدا • وقيل الاوتاد هنا حقيقة لا استعارة قال الكلبي ومقاتل الاوتاد جمع الوتد
وكان له اوتاد يعذب الناس عليها فكان اذا غضب على احد مده مستلقيًا بين اربعة اوتاد تشد كل يد وكل رجل منه الى سارية
ويتركه كذلك في الهواء بين السماء والارض حتى يموت وقال مجاهد ومقاتل بن حيان كان يمد الرجل مستلقيًا على الارض ثم تشد
يداه ورجلاه ورأسه على الارض بالاوتاد وقال السدي كان يمد الرجل ويشده بالاوتاد ويرسل عليه العقارب والحيات وقال قتادة
وعطاء كانت له اوتاد وارسان وملاعب يلعب عليها بين يديه ثم قال وثمود وقوم لوط واصحاب الايكة تقدم الخلاف في الايكة
في سورة الشعراء **قوله تعالى** اولئك الاحزاب يجوز ان يكون مستأنفة لا محل لها وان يكون خبرًا والمبتدأ قال ابو البقاء من قوله وعاد
وان يكون من ثمود وان يكون من قوله وقوم لوط قال شهاب الدين الظاهر عطف عاد وما بعده على قوم نوح واستيناف الجملة بعده
وكان يسوغ على ما قاله ابو البقاء ان يكون المبتدأ وحده واصحاب الايكة **فصل** المعنى ان هؤلاء الذين ذكرناهم من
الامم هم الذين تحزبوا على انبيائهم فاهلكناهم وكذلك قومك هم من جنس الاحزاب المتقدمين وقيل المعنى اولئك الاحزاب
مبالغة في وصفهم بالقوة كما يقال فلان هو الرجل اي اولئك الاحزاب مع كمال قوتهم لما كان عاقبتهم هي الهلاك والبوار فكيف
حال هؤلاء الضعفاء المساكين **قوله تعالى** ان كل الا كذب الرسل ان نافية ولا عمل لها هنا البتة ولو على لغة من قال • ان هو مستوليًا
على احد • وعلى قراءة ان الذين يدعون من دون الله عباد امثالكم لانتقاض النفي بالا فان انتقاضه مع الاصل وهي ما مبطل فكيف بفرعها
وقد تقدم انه يجوز ان يكون جوابًا للقسم **فصل** المعنى كل هذه الطوائف لما كذبوا انبياءهم في الترغيب والترهيب لا جرم
نزل العقاب عليهم وان كان ذلك بعد حين والمقصود منه زجر السامعين ثم بين تعالى ان هؤلاء المكذبين وان تأخر هلاكهم
فكأنه واقع بهم فقال وما ينظر هؤلاء يعني كفار مكة الا صيحة واحدة وهي نفخة الصور الاولى كقوله ما ينظرون الا صيحة واحدة
تأخذهم وهم يخصمون فلا يستطيعون توصية ولا الى اهلهم يرجعون والمعنى انهم وان لم يذوقوا عذابي في الدنيا فهو معد لهم
يوم القيامة فجعلهم منتظرين لها على معنى قربها منهم كالرجل الذي ينتظر الشيء فهو ماد الطرف اليه يطمع كل ساعة في حضوره وقيل
المراد بالصيحة عذاب يفجأهم ويجيئهم دفعة واحدة كما يقال صاح الزمان بهم اذا هلكوا قال • صاح الزمان بآل قوم صيحة
خروا لشدتها على الاذقان • ونظيره قوله تعالى فهل ينتظرون الا مثل ايام الذين خلوا من قبلهم قل فانتظروا اني معكم من المنتظرين
قوله تعالى ما لها من فواق يجوز ان يكون لها رافعًا لمن فواق بالفاعلية لاعتماده على النفي وان يكون جملة من مبتدأ وخبر وعلى
التقديرين فالجملة المنفية في محل نصب صفة لصيحة ومن مزيدة وقرأ الاخوان فواق بضم الفاء والباقون بفتحها قال الكسائي
والفراء وابو عبيدة هما لغتان بمعنى واحد وهما الزمان الذي بين حلبتي الحالب ورضعتي الراضع والمعنى ما لها من توقف قدر
فواق ناقة وفي الحديث العيادة قدر فواق ناقة وهذا في المعنى كقوله تعالى فاذا جاء اجلهم لا يستأخرون ساعة وقال ابن
عباس ما لها من رجوع من افاق المريض اذا رجع واجتمعت الفيقة في ضرعها والفيقة اللبن الذي يجتمع بين الحلبتين ويجمع
على افواق واما افاويق فجمع الجمع ويقال ناقة مفيق ومفيقة وقال الفراء وابو عبيد ومؤرخ السدوسي الفواق بالفتح
الافاقة والاستراحة كالجواب من الاجابة وهو قول ابن زيد والسدي واما المضموم فاسم لا مصدر اي اسم لما بين الحلبتين
والمشهور انهما بمعنى واحد كقصاص الشعر وقصاصه وحمام المكوك وحمامه فالفتح لغة قريش والضم لغة تميم قال الواحدي
الفواق والفواق اسمان من الافاقة والافاقة معناها الرجوع والسكون كافاقة المريض الا ان الفواق بالفتح يجوز ان يقام
مقام المصدر والفواق بالضم اسم لذلك الزمان الذي يعود فيه اللبن وروى الواحدي في البسيط عن ابي هريرة عن النبي صلى الله
عليه وسلم انه قال في هذه الآية يأمر الله تعالى اسرافيل ينفخ نفخة الفزع قال فيمدها ويطولها وهي التي يقول ما لها من فواق ثم قال
الواحدي وهذا يحتمل معنيين احدهما ما لها من سكون والثاني ما لها رجوع والمعنى ما تسكن تلك الصيحة ولا ترجع الى السكون

ويقال لكل من بقي على حالة واحدة بانه لا يفيق منه ولا يستفيق **قوله تعالى** قطنا اي نصيبنا وحظنا واصله من قط
الشيء اي قطعه ومنه قط القلم والمعنى قطعة مما وعدتنا به ولهذا يطلق على الصحيفة والصك قط لانهما قطعتان
يقطعان ويقال للجائزة ايضا قط لانها قطعة من العطية قال الاعشى * ولا الملك النعمان يوم لقيته * بغبطته يعطي القطوط
ويافق * واكثر استعماله في الكتاب قال امية بن ابي الصلت * قوم لهم ساحة ارض العراق وما * يجبى اليهم بها والقط والقلم *
ويجمع على قطوط كما تقدم وعلى قططة نحو قرد وقرود وقردة وفي القلة على اقطة واقطاط كقدح واقدحة واقداح الا
ان فعلة في فعل شاذ **فصل** قال سعيد بن جبير عن ابن عباس يعني كتابنا والقط الصحيفة التي احصت كل شيء قال الكلبي
لما نزل قوله في الحاقة واما من اوتي كتابه بيمينه واما من اوتي كتابه بشماله قالوا استهزاء عجل لنا كتابنا في الدنيا قبل يوم الحساب
وقال سعيد بن جبير يعنون حظنا ونصيبنا من الجنة التي تقول وقال الحسن وقتادة ومجاهد والسدي يعني عقوبتنا ونصيبنا
من العذاب قال عطا قاله النضر بن الحرث وهو قوله ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء وعن مجاهد قطنا
حسابنا يقال لكتاب الحساب قط وقال ابو عبيدة والكسائي القط الكتاب بالجوائز واعلم ان القوم تعجبوا من امور ثلاثة اولها
من امر النبوات واثباتها فقال وعجبوا ان جاءهم منذر منهم فقال الكافرون هذا ساحر كذاب وثانيها تعجبهم من الالهيات
فقالوا اجعل الالهة الها واحدا وثالثها تعجبهم من المعاد والحشر والنشر فقالوا ربنا عجل لنا قطنا قبل يوم الحساب
قالوا ذلك استهزاء فامره الله تعالى بالصبر على جرائمهم فقال اصبر على ما يقولون فان قيل اي تعلق بين قوله اصبر على ما
يقولون وبين قوله اذكر عبدنا داود فالجواب هذا التعلق من وجوه الاول كانه قيل ان كنت شاهدت من هؤلاء الجهال
جرائمهم على الله وانكارهم الحشر والنشر فاذكر قصة داود حتى تعرف شدة خوفه من الله تعالى ومن يوم الحشر فان تعلم
ما يزداد احد الضدين شرفا يزداد الاخر نقصانا الثاني كانه قيل لمحمد صلى الله عليه وسلم لا تضيق صدرك بسبب انكارهم
لقولك ودينك فانهم ان خالفوك فالاكابر من الانبياء وافقوك الثالث ان للناس في قصة داود قولان منهم من قال
انها تدل على دينه ومنهم من قال انها لا تدل عليه فمن قال بالاول كان وجه المناسبة فيه كانه قيل لمحمد عليه السلام ان
حزنك ليس الا لان الكفار كذبوك واما حزن داود فكان بسبب وقوع ذلك الذنب ولا شك ان حزنه اشد فتامل في قصة
داود وما كان فيه من الحزن ومن قال بالثاني فالخصمان اللذان دخلا على داود كانا من البشر وانما دخلا عليه لقصد
قتله فخاف منهما داود ومع ذلك فلم يتعرض لايذائهما ولا دعا عليهما بسوء بل استغفر لهما فانت بهذه الطريقة فالحاصل امر
الله تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم بان يقتدي به في حسن الخلق الخامس ان قريشا انما كذبوا محمدا صلى الله عليه وسلم واستخفوا به
لقولهم انه يتيم فقير ثم انه تعالى قص على محمد صلى الله عليه وسلم ما كان في مملكة داود ثم بين بعد ذلك انه ما سلم من الاحزان
والغموم ما يعلم انه لا خلاص من الحزن لا سبيل اليه في الدنيا السادس ان قوله تعالى اصبر على ما يقولون واذكر عبدنا داود لم يقتصر
على قصة داود بل ذكر عقيب قصة داود قصص انبياء كثيرة فكانه تعالى قال فاصبر على ما يقولون واعتبر بحال سائر الانبياء
ليعلم ان كل واحد منهم كان مشغولا بهم خاص وحزن خاص فيعلم حينئذ ان الدنيا لا تنفك عن الهموم والاحزان وان استحقاق
الدرجات العالية عند الله لا تحصل الا بتحمل المشاق والمتاعب في الدنيا قال ابن الخطيب وههنا وجه اخر اقوى واحسن من كل
هذه الوجوه وسياتي ذكره ان شاء الله تعالى عند الانتهاء الى تفسير قوله كتاب انزلناه اليك مبارك الاية **قوله تعالى**
داود بدل وعطف بيان او منصوب باضمار اعني وذا الايد نعت له والايد القوة يقال رجل ايد واياد قال ابن عباس اي القوة
في العبادة وقيل القوة في الملك واعلم ان قوله عبدنا داود وصفه بكونه عبدا له وعبر عن نفسه بصيغة الجمع الدالة على نهاية
التعظيم وذلك يدل على غاية التشريف الا ترى انه تعالى لما اراد ان يشرف محمدا صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج قال سبحان الذي اسرى
بعبده وايضا فان وصف الانبياء بالعبودية مشعر بانهم قد حصلوا معنى العبودية بسبب الاجتهاد في الطاعة والمراد بالايد
القوة في الطاعة والاحتراز عن المعاصي لان مدحه بالقوة يوجب ان تكون تلك القوة موجبة للمدح العظيم وليست الا القوة
على فعل ما امره الله به وترك ما نهى عنه والايد المذكور ههنا كالقوة المذكورة في قوله يا يحيى خذ الكتاب بقوة وقوله وكتبنا له
في الالواح من كل شيء موعظة وتفصيلا لكل شيء فخذها بقوة اي باجتهاد ويشتد في القيام بالدعوة وترك اظهار الوهن
والضعف والايد والقوة سواء ومنه قوله هو الذي ايدك بنصره وقوله وايدناه بروح القدس والسماء بنيناها بايد
وقال عليه السلام احب الصيام الى الله صيام داود عليه السلام واحب الصلوة الى الله عز وجل صلوة داود وكان يصوم يوما
ويفطر يوما وكان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه **قوله تعالى** انه اواب اي رجاع الى الله عز وجل بالتوبة
من كل ما يكره والاواب فعال من آب يؤوب اذا رجع قال تعالى ان الينا ايابهم وهذا مبالغة كما يقال قتال وضراب
وهو ابلغ من قاتل وضارب وقال ابن عباس مطيع وقال سعيد بن جبير مسبح بلغة الحبشة **قوله تعالى** انا سخرنا الجبال معه
يسبحن فقوله يسبحن جملة حالية من الجبال واتى بها فعلا مضارعا دون اسم فاعل فلم يقل مسبحات دلالة على التجدد والحدوث

شيئا بعد شيء كقول الاعشى * لعمري لقد لاحت عيون كثيرة * الى ضوء نار في يفاع تحرق * اي تحرق شيئا فشيئا ولو قال محرقة
لم يدل على هذا المعنى **فصل** المعنى يسبحن بتسبيحه وفي كيفية تسبيح الجبال وجوه الاول ان الله تعالى يخلق في جسم الجبال حياة
وعقلا وقدرة ونطقا وحينئذ يصير الجبل مسبحا لله تعالى الثاني قال القفال ان داود عليه السلام اوتي من شدة الصوت وحسنه
ما كان له في الجبال دوي حسن وما تصغي الطير اليه لحسنه فيكون دوي الجبال وتصويت الطير معه واصغاؤها اليه تسبيحا
وروى محمد بن اسحاق ان الله تعالى لم يعط احدا من خلقه مثل صوت داود حتى انه كان اذا قرا الزبور دنت منه الوحوش حتى يؤخذ باعناقها
الثالث ان الله تعالى سخر الجبال حتى انها كانت تسير الى حيث يريده داود فجعل ذلك السير تسبيحا لانه يدل على كمال قدرة الله وحكمته
قوله تعالى بالعشي والاشراق قال الكلبي غدوة وعشيا والاشراق هو ان تشرق الشمس ويتناهى ضوؤها قال الزجاج يقال
شرقت الشمس اذا طلعت واشرقت اذا اضاءت وقيل هما بمعنى الاول اكثر تقول العرب شرقت الشمس ولما تشرق وفسره ابن عباس
بصلوة الضحى قال ابن عباس كنت امر بهذه الاية لا ادري ما هي حتى حدثتني ام هاني بنت ابي طالب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
دخل عليها فدعا بوضوء فتوضأ ثم صلى الضحى وقال يا ام هاني هذه صلوة الاشراق وروى طاوس عن ابن عباس قال هل
تجدون ذكر صلوة الضحى في القران قالوا لا فقرا انا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشي والاشراق قال وكانت صلوة يصليها داود
عليه السلام لم يزل في نفسي من صلوة الضحى شيء حتى طلبتها فوجدتها في قوله تعالى يسبحن بالعشي والاشراق **قوله تعالى** والطير
محشورة العامة على نصبها عطفا على مفعول لا على مفعول وحالا على حال كقولك ضربت زيدا مكتوفا وعمرا منطلقا واتى بالحال
اسما لانه لم يقصد ان الفعل وقع شيئا فشيئا لان حشرها دفعة واحدة ادل على القدرة والحاشر الله تعالى وقرا ابن ابي عبلة والجحدري
برفعهما جعلاهما جملة مستقلة من مبتدا وخبر والمعنى وسخرنا الطير محشورة قال ابن عباس كان داود اذا سبح جاوبته الجبال
واجتمعت اليه الطير فسبحت معه واجتماعها اليه هو حشرها فيكون على هذا التقدير حاشرها هو الله تعالى فان قيل كيف يصدر
تسبيح الله عن الطير مع انها لا عقل لها فالجواب انه لا يبعد ان يخلق الله تعالى لها عقولا حتى تعرف الله فتسبحه حينئذ ويكون
ذلك معجزة لداود وقال الزمخشري قوله محشورة في مقابلة يسبحن الا انه في الحشر مثل ما كان في التسبيح من ارادة الدلالة على
الحدوث شيئا بعد شيء فلا جرم اتى به اسما لا فعلا وذلك انه لو قيل وسخرنا الطير محشورة تحشر على تقدير ان الحشر يوجد
من حاشرها شيئا بعد شيء والحاشر هو الله عز وجل لكان خلفا لانه تعالى حشرها جملة واحدة **قوله تعالى** كل له اواب
اي كل من الجبال والطير لداود اي لاجل تسبيحه مسبح فوضع اواب موضع مسبح وقيل الضمير في له للباري تعالى والمراد كل من
داود والجبال والطير مسبح ورجاع لله تعالى **قوله تعالى** وشددنا العامة على تخفيف شددنا اي قوينا كقوله سنشد
عضدك باخيك وابن ابي عبلة والحسن شددنا بالتشديد وهي مبالغة كقراءة العامة ومعنى الكلام قويناه بالحرس والجنود
قال ابن عباس كان اشد ملوك الارض سلطانا كان يحرس محرابه كل ليلة ستة وثلاثون الف رجل **قوله تعالى** وآتيناه الحكمة
وفصل الخطاب اما الحكمة فهي النبوة وقيل العلم والعمل قال تعالى ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا واما فصل الخطاب
فقال بعض المفسرين ان داود اول من قال في كلامه اما بعد وقيل المراد منه معرفة الامور التي بها يفصل بين الخصوم وهو
طلب البينة واليمين قال ابن الخطيب وهذا بعيد لان فصل الخطاب عبارة عن كونه قادرا على التعبير عن كل ما يخطر بالبال
ويحضر في الخيال بحيث لا يخلط شيئا بشيء وبحيث يفصل كل مقام عن مقام وهذا معنى عام يتناول فصل الخصومات
ويتناول الدعوة الى الدين الحق ويتناول جميع الاقسام والله اعلم وروي عن ابن عباس ان رجلا من بني اسرائيل استعدى
على رجل من عظمائهم عند داود ان هذا غصبني بقرا فساله داود فجحد فقال للاخر البينة فلم يكن له بينة فقال لهما داود قوما حتى
انظر في امركما فاوحى الله اليه ان تقتله او تاتيه العقوبة فارسل داود اليه فقال ان الله اوحى الي ان اقتلك فقال تقتلني
بغير بينة فقال داود نعم والله لانفذن امر الله فيك فلما عرف الرجل انه قاتله قال لا تعجل حتى اخبرك اني والله ما اخذت بهذا
الذنب ولكني كنت اغتلت والد هذا فقتلته ولذلك اخذت فامر به داود فقتل فاشتدت هيبة داود عند ذلك في قلوب بني
اسرائيل واشتد به ملكه فذلك قوله وشددنا ملكه وآتيناه الحكمة يعني النبوة والاصابة في الامور وفصل الخطاب قال ابن عباس
بيان الكلام وقال ابن مسعود والحسن والكلبي ومقاتل علم الحكم والتبصر بالقضاء وقال علي بن ابي طالب هو ان البينة على المدعي
واليمين على من انكر لان كلام الخصوم ينقطع وينفصل به وروي ذلك عن ابي بن كعب قال فصل الخطاب الشهود والايمان
وقال مجاهد وعطا ابن ابي رباح ويروى عن الشعبي فصل الخطاب هو قول الانسان بعد حمد الله والثناء عليه اما بعد اذا شرع
في كلام آخر **قوله تعالى** وهل اتاك نبؤا الخصم وقد تقدم ان الخصم في الاصل مصدر فلذلك يصلح للمفرد والمذكر وضديهما
وقد يطابق ومنه لا تخف خصمان هذان خصمان والمراد بالخصم هنا جمع بدليل قوله اذ تسوروا وقوله اذ دخلوا قال الزمخشري
وهو يقع على الواحد والجمع كالضيف قال تعالى حديث ضيف ابراهيم المكرمين لانه مصدر في اصله يقال خصمه يخصمه خصما كما
تقول ضافه ضيفا فان قلت هذا جمع وقوله خصمان تثنية فكيف استقام ذلك قلت معنى خصمان فريقان خصمان فان قلت

ما تصنع بقوله ان هذا اخي وهو دليل على الاثنين قلت هذا قول البعض المراد به بعضنا على بعض فان قلت فقد جاء في الرواية
انه بعث اليه ملكان قلت معناه ان التحاكم بين ملكين لا يمنع ذلك ان يصحبهما اخرون فان قلت كيف سماهم جميعا خصما في قوله
نبا الخصم وخصمان قلت لما كان صحب كل واحد من المتحاكمين في صورة الخصم صحت التسمية به **قوله تعالى** اذ تسوروا في
العامل في اذا اوجه احدها انه معمول للنبا اذ المراد به القصة واليه ذهب ابن عطية وابو البقا ومكي اي هل اتاك الخبر الواقع في
وقت تسورهم المحراب وقد رد بعضهم هذا بان النبا الواقع في ذلك الوقت لا يصح اتيانه رسول الله صلى الله عليه وسلم وان
اريد بالنبا القصة لم يكن ناصبا قاله ابو حيان الثاني ان العامل فيه اتاك ورد بما رد به الاول وقد صرح الزمخشري بالرد على
هذين الوجهين فقال فان قلت بم انتصب اذ قلت لا يخلو اما ان ينتصب باتاك او بالنبا او بمحذوف فلا يسوغ انتصابه باتاك
لان اتيان النبا رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يقع الا في عهده لا في عهد داود ولا بالنبا لان النبا واقع في عهد داود فلا يصح
اتيانه رسول الله صلى الله عليه وسلم وان اردت بالنبا القصة في نفسها لم يكن ناصبا فبقي ان يكون منصوبا بمحذوف وتقديره وهل
اتاك نبا تحاكم الخصم اذ فاختار ان يكون معمولا لمحذوف الرابع ان ينتصب بالخصم لما فيه من معنى الفعل **قوله تعالى** اذ دخلوا
فيه وجهان احدهما انه بدل من اذ الاولى الثاني انه منصوب بتسوروا ومعنى تسوروا علوا اعلاه السور وهو الحائط غير مهموز كقولك
تسنم البعير اي بلغ سنامه والضمير في تسوروا ودخلوا راجع على الخصم لانه جمع في المعنى على ما تقدم او لذلك جاء بقوله بعضنا
ومن قرا بعضهم بالغيبة يجوز ان يقدره لذلك ويكون قد راعى لفظ خصمان ويجوز ان يقدرهم خصمان ليطابق وروي
عن الكسائي خصمان بكسر الخاء وقد تقدم انه قراها كذلك في الحج **قوله تعالى** بغى بعضنا على بعض وهما ملكان على بعضهم والملكان
لا يبغيان قيل معناه ارايت خصمين بغى احدهما على الاخر وهذا من معاريض الكلام لا على تحقيق البغي من احدهما **قوله تعالى**
فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط العامة على ضم التاء وسكون الشين وكسر الطاء الاولى من اشطط يشطط اشطاطا اذا جار في الحكم
قال ابو عبيدة شططت في الحكم واشططت فيه اذا جرت فهو مما اتفق فيه فعل وافعل وانما فكه على احد الجايزين كقوله من يرتدد
ونقل بتخفيفه وقرا الحسن وابو رجا وابن ابي عبلة تشطط بفتح التاء وضم الطاء من شط بمعنى اشط كما تقدم وقرا قتادة تشط
من اشط رباعيا الا انه ادغم وهو احد الجايزين كقراءة من قرا من يرتد منكم وعنه ايضا تشطط بفتح الشين وكسر الطاء
مشددة من شطط يشطط والتثقيل فيه للتكثير وقرا زر بن حبيش تشاطط من المفاعلة واصل الكلمة من شطت الدار واشطت اذا
بعدت واهدنا الى سواء الصراط ارشدنا الى طريق الصواب فقال لهما داود تكلما فقال احدهما ان هذا اخي اي على ديني وطريقتي
له تسع وتسعون نعجة يعني امراة ولي نعجة واحدة اي امراة واحدة **قوله تعالى** تسع وتسعون العامة على كسر التاء وهي اللغة الفاشية
وزيد بن علي والحسن بفتحها فيهما وهي لغية وقرا العامة نعجة بفتح النون والحسن وابن هرمز بكسرها قيل وهي لغة لبعض تميم
وكنى في كلامهم بالكناية بها عن المراة قال ابن عون • انا ابوهن ثلاث هنه • رابعة في البيت صغراهنه • ونعجتي خمسا توفيهنه •
وقال • هما نعجتان من نعاج تبالة • لدي جوذرين او كبعض دمى هكر • قال الحسين بن الفضل هذا تعريض للتنبيه والتفهيم لانه
لم يكن هناك نعاج ولا بغي وهو كقولهم ضرب زيد عمروا واشترى بكر دارا ولا ضرب هناك ولا شرا قال الزمخشري اخي بدل
من هذا وقرا عبد الله تسعة وتسعون نعجة انثى وهذا تاكيد كقوله وقال الله لا تتخذوا الهين اثنين قال الليث النعجة الانثى من الضان
والبقر الوحشي والشاة والجمع النعاج **قوله تعالى** فقال اكفلنيها قال ابن عباس اعطنيها وقال مجاهد انزل لي عنها وحقيقته
ضمها الي واجعلني كافلها وهو الذي يعولها وينفق عليها والمعنى طلقها لا تزوجها **قوله تعالى** وعزني اي غلبني قال الشاعر •
قطاة عزها شرك فباتت • تجاذبه وقد علق الجناح • يقال عزه يعزه بضم العين ونقل تخفيفه في يونس عند قوله تعالى تعزرنا
ثالث وقرا طلحة وابو حيوة وعزني بالتخفيف قال ابن جني حذف الزاي الواحدة تخفيفا كما قال الشاعر • احس به فهن اليه شوس •
يريد احسسن فحذف ويروى هذه قراءة عن عاصم وقرا عبد الله والحسن وابو وايل ومسروق والضحاك وعازني بالف مع تشديد
الزاي اي غالبني **قوله تعالى** بسؤال نعجتك مصدر مضاف لمفعوله والفاعل محذوف اي بان سالك نعجتك وضمن السؤال معنى الا
ضافة والانضمام اي باضافة نعجتك على سبيل السؤال ولذلك عدي بالى **فصل** قال ابن الخطيب للناس في هذه القصة
ثلاثة اقوال احدها ان هذه القصة دلت على صدور الكبيرة عنه وثانيها انها دلت على الصغيرة وثالثها لا تدل على كبيرة ولا على
صغيرة اما القول الاول فقالوا ان داود احب امراة اوريا فاحتال في قتل زوجها ثم تزوج بها ثم ارسل الله تعالى ملكين في صورة
المتخاصمين في واقعة تشبه واقعته وعرضا تلك الواقعة عليه فحكم داود بحكم لزم منه اعترافه بكونه مذنبا ثم تنبه لذلك فا
شتغل بالتوبة قال ابن الخطيب والذي ادين به واذهب اليه ان ذلك باطل لوجوه الاول ان هذه الحكاية لا تناسب داود لانه لو نسب
الى افسق الناس واشرهم لاستنكف منه والرجل الحشوي الخبيث الذي يقرر تلك القصة لو نسب الى مثل هذا العمل لبالغ في تنزيه نفسه
وربما لعن من نسبه اليها فكيف يليق بالعاقل نسبة المعصية اليه الثاني ان حاصل القصة يرجع الى امرين الى
السعي في قتل رجل مسلم بغير حق والطمع في زوجته اما الاول فامر منكر قال عليه السلام من سعى في دم مسلم ولو بشطر كلمة جاء
مكتوب على جبهته ايس من رحمة الله واما الثاني فمنكر عظيم قال عليه السلام المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده وان اوريا لم يسلم

من داود لا في روحه ولا في منكوحه الثالث ان الله تعالى وصف داود عليه السلام بصفات تنافي كونه عليه السلام موصوفا
بهذا الفعل المنكر فالصفة الاولى انه تعالى امر محمدا صلى الله عليه وسلم بان يقتدي بداود في المصابرة مع المكاره فلو قلنا ان
داود لم يصبر على مخالفة النفس بل سعى في اراقة دم مسلم لغرض شهوته فكيف يليق باحكم الحاكمين ان يامر محمدا افضل الرسل بان
يقتدي بداود في الصبر على طاعة الله واما الصفة الثانية فانه وصفه بكونه عبدا له وقد بينا ان المقصود من هذا الوصف
بيان كون ذلك الموصوف كاملا في وصف العبودية اما في القيام باداء الطاعات والاحتراز عن المحظورات فلو قلنا ان داود اشتغل
بتلك الاعمال الباطلة فحينئذ ما كان داود كاملا الا في طاعة الهوى والشهوة واما الصفة الثالثة وهي قوله ذا الايد
اي ذا القوة ولا شك ان المراد منه القوة في الدين لان القوة في غير الدين كانت موجودة في ملوك الكفار ولا معنى للقوة
في الدين الا القوة الكاملة في اداء الواجبات والاجتناب عن المحظورات واي قوة لمن لم يملك نفسه عن القتل والرغبة
في زوجة المسلم الصفة الرابعة كونه اوابا كثير الرجوع الى الله تعالى فكيف يليق هذا بمن قلبه مشغوفا بالقتل والفجور الصفة
الخامسة قوله تعالى انا سخرنا الجبال معه يسبحن افترى انه سخرت له الجبال ليتخذها سبيلا الى القتل والفجور الصفة السادسة
قوله تعالى والطير محشورة قيل انه كان محرما عليه صيد شيء من الطير فكيف يعقل ان يكون الطير امنا منه ولا يجوز
امن الرجل المسلم عن زوجته ومنكوحته الصفة السابعة قوله تعالى وشددنا ملكه ومحال ان يكون المراد انه تعالى شد ملكه
باسباب الدنيا قيل المراد بانا ملكناه بقوي الدين واسباب سعادة الاخرة او المراد تشديد ملكه في الدين والدنيا ومن
لا يملك نفسه عن القتل والفجور والحكمة اسم جامع لكل ما ينبغي علما وعملا فكيف يجوز ان يقال انا اتيناه الحكمة وفصل
الخطاب والحكمة اسم جامع لكل ما ينبغي علما وعملا فكيف يجوز ان يقال انا اتيناه الحكمة وفصل الخطاب مع اصراره على ما يستنكف
عنه الشيطان من مزاحمة اخص اصحابه في الروح والمنكوح فهذه الصفات التي وصفه بها قبل شرح القصة واما الصفات المذكورة
بعد ذكر القصة فاولها قوله تعالى وان له عندنا لزلفى وحسن ماب وهذا الكلام انما يناسب لو دلت القصة المتقدمة
على قوته في طاعة الله اما لو كانت القصة المتقدمة دالة على سعيه في القتل والفجور لم يكن قوله وان له عندنا لزلفى وحسن ماب
لايقا وثانيها قوله تعالى يا داود انا جعلناك خليفة في الارض وهذا يدل على كذب تلك القصة من وجوه الاول ان الملك
الكبير اذا حكى عن عبده انه قصد دماء الناس واموالهم وازواجهم فعند فراغه من شرح قصته على الناس يقبح منه ان يقول
عقيبه ايها العبد اني فوضت اليك خلافتي ونيابتي لان ذكر تلك القبايح والافعال المنكرة يناسب الزجر والحجر فاما جعله
نايبا وخليفة لنفسه فلذلك مما لا يليق البتة الثاني انه ثبت في اصول الفقه ان ذكر الحكم عقيب الوصف المناسب يدل على كون ذلك
الحكم معللا بذلك الوصف فلما حكى الله تعالى عنه تلك الواقعة القبيحة ثم قال بعده انا جعلناك خليفة في الارض اشعر هذا
بان الموجب لتفويض هذه الخلافة هو اتيانه بتلك الافعال المنكرة ومعلوم ان هذا فاسد اما لو ذكرنا ان تلك القصة كانت
على وجه تدل على براءة ساحته عن المعاصي والذنوب وعلى شدة مصابرته في طاعة الله تعالى فحينئذ يناسب ان يذكر عقيبه
انا جعلناك خليفة في الارض فثبت ان الذي يختاره اولى الثالث لما كان تقدمة الاية دالة على مدح داود عليه السلام وتعظيمه
ومؤخرتها ايضا دالة على ذلك فلو كانت الواسطة دالة على القبايح والمعايب لجرى مجرى ان يقال فلان عظيم الدرجة
عالي المرتبة في طاعة الله تعالى يقتل ويزني ويسرق وقد جعله الله خليفة له في ارضه وصوب احكامه فكما ان هذا الكلام
مما لا يليق بالعاقل فكذا هاهنا ومعلوم ان ذكر الفسق والسعي في القتل من اعظم ابواب العيوب ورابعها ان بعض القايلين ذكروا
في هذه الاية ان داود عليه السلام تمنى ان يحصل له في الدين كما حصل للانبياء المتقدمين من المنازل العالية مثل ما حصل
للخليل من الالقاء في النار وحصل للذبيح من الذبح وحصل ليعقوب من الشدايد الموجبة لكثرة الثواب فاوحى الله اليه انهما
وجدوا تلك الدرجات انهم لما ابتلوا صبروا فعند ذلك سال داود عليه السلام الابتلا فاوحى الله تعالى اليه انك مبتلى في يوم
كذا فبالغ في الاحتراز ثم وقعت الواقعة فنقول ان حكايتهم تدل على ان الله تعالى يبتليه بالبلاء الذي يزيد في منقبته ويكمل
مراتب اخلاصه فالسعي في قتل النفس بغير الحق والافراط في العشق كيف يليق بهذه الحالة بحيث ان الحكاية التي ذكروها
يناقض اولها اخرها وخامسها ان داود عليه السلام قال وان كثيرا من الخلطاء ليبغي بعضهم على بعض الا الذين امنوا
وعملوا الصالحات وقليل ما هم استثنى الذين امنوا من البغي فلو قلنا انه كان موصوفا بالبغي لزم ان يقال انه حكم بعدم الايمان
على نفسه وذلك باطل وسادسها حضرت في مجلس وفيه بعض اكابر المسلمين وكان يريد ان يتعصب لتقرير ذلك القول
الفاسد والقصة الخبيثة لسبب اقتضى ذلك فقلت له لا شك ان داود عليه السلام كان من اكابر الانبياء والرسل
وقال الله تعالى الله اعلم حيث يجعل رسالاته ومن مدحه الله تعالى بمثل هذا المدح العظيم لم يجز لنا ان نبالغ في الطعن فيه
وايضا فبتقدير انه ما كان نبيا فلا شك انه كان مسلما وقال صلى الله عليه وسلم لا تذكروا موتاكم الا بالخير ثم على تقدير
انا لا نلتفت الى شيء من هذه الدلايل الا انا نقول ان من المعلوم بالضرورة ان بتقدير ان يكون القصة التي ذكرتموها في حقه

صحيحة فان روايتها وذكرها لا يوجب شيئا من الثواب لان اشاعة الفاحشة ان لم توجب العقاب فلا اقل مما لا توجب
الثواب واما بتقدير ان تكون هذه القصة باطلة فاسدة فان ذكرها يستحق به اعظم العقاب والواقعة التي هذا شانها
وصفتها فان صريح العقل يوجب السكوت عنها فثبت ان الحق ما ذهبنا اليه وان شرح تلك القصة محرم محظور فلما سمع
ذلك الملك الشديد هذا الكلام سكت ولم يذكر شيئا السابع ان ذكر هذه القصة وذكر قصة يوسف عليه السلام تقتضي اشاعة
الفاحشة في الذين امنوا الثامن لو سعى داود في قتل ذلك الرجل لدخل تحت قوله من سعى في دم امرء مسلم ولو بشطر كلمة جاء
يوم القيمة مكتوب بين عينيه آيس من رحمة الله وايضا لو فعل ذلك لكان ظالما وكان يدخل تحت قوله الا لعنة الله على الظالمين
التاسع عن سعيد بن المسيب ان علي بن ابي طالب قال من حدثكم بحديث داود على ما يرويه القصاص جلدته مائة وستين وهو حد الفرية
على الانبياء ومما يقوي هذا انهم قالوا ان المغيرة بن شعبة زنا وشهد ثلاثة من عدول الصحابة بذلك واما الرابع فانه لم يقل انى رايت
ذلك بعيني فان عمر بن الخطاب كذب اولئك الثلاثة وجلد كل واحد منهم ثمانين جلدة لاجل انهم قذفوا فاذا كان الحال في واحد من احاد
الصحابة كذلك فكيف الحال مع داود عليه السلام مع انه من اكابر الانبياء عليهم السلام العاشر روي ان بعضهم ذكر هذه القصة
على ما في كتاب الله فما ينبغي ان يزاد عليها وان كانت الواقعة على ما ذكرت ثم انه تعالى لم يذكرها الستر تلك الواقعة على داود عليه السلام
فلا يجوز للعاقل ان يسعى في هتك ستر ستره الله الف سنة او اقل او اكثر فقال عمر سماعي هذا الكلام احب الي مما طلعت عليه
الشمس فثبت بهذه الوجوه التي ذكرناها ان القصة التي ذكروها باطلة فاسدة فان قال قائل ان كثيرا من اكابر المحدثين والمفسرين
ذكروا هذه القصة فكيف الحال فيها فالجواب الحقيقي انه لما وقع التعارض بين الدلائل القاطعة وبين خبر واحد من اخبار الاحاد
كان الرجوع الى الدلائل القاطعة اولى وايضا فالاصل براءة الذمة وايضا فلما تعارض دليل التحريم والتحليل كان جانب التحريم
اولى وايضا طريقة الاحتياط توجب ترجيح قولنا وايضا فنحن نعلم بالضرورة ان بتقدير وقوع هذه الواقعة لا يقول لنا الله
يوم القيمة لم لم تسعوا في تشهير هذه الواقعة اما بتقدير كونها باطلة فانه يوجب انه لا يجوز التشهير بها وايضا كل المفسرين
لم يتفقوا على هذا القول بل الاكثرون والمحققون يردونه ويحكمون عليه بالكذب واذا تعارضت اقوال المفسرين والمحدثين
تساقطت وبقي الرجوع فيه الى الدلائل التي ذكرناها الاحتمال الثاني ان نحمل هذه القصة على حصول الصغيرة لا على حصول
الكبيرة وذلك من وجوه الاول ان هذه المراة خطبها اوريا فاجابوه ثم خطبها داود فاثره اهلها فكان ذنبه ان خطب على خطبة
اخيه المؤمن مع كثرة نسائه الثاني قالوا انه وقع بصره عليها فمال قلبه اليها وليس له في هذا ذنب البتة اما وقوع بصره عليها
من غير قصد فليس بذنب واما حصول الميل عقيب النظر فليس ايضا ذنبا لان الميل ليس في وسعه فلا يكون مكلفا به بل لما اتفق
قتل زوجها مال اليها لاجل انه طمع ان يتزوج تلك المراة فحصلت الخطيئة بسبب هذا المعنى وهو انه لم يبق عليه قتل ذلك الرجل
الثالث انه كان اهل زمان داود عليه السلام يسال بعضهم بعضا ان يطلق زوجته حتى يتزوجها وكانت عادتهم ما لوفة معهودة
في هذا المعنى فاتفق ان عين داود عليه السلام وقعت على تلك المراة فاحبها فساله النزول فاستحيا ان يرده ففعل وهي ام سليمان
فقيل له هذا وان كان جائزا في ظاهر الشريعة الا انه لا يليق بك فان حسنات الابرار سيئات المقربين فهذه وجوه ثلاثة لو حملنا
هذه القصة على واحد منها لم يلزم في حق داود عليه السلام الا ترك الافضل والاولى الاحتمال الثالث ان نحمل هذه القصة
على وجه لا يلزم منه الحاق كبيرة ولا صغيرة لداود عليه السلام بل يوجب الحاق اعظم انواع المدح والثناء به وهو ان نقول
روي ان جماعة من الاعداء طمعوا في ان يقتلوا نبي الله داود عليه السلام وكان له يوم يخلو فيه بنفسه ويشتغل بطاعة ربه
فانتهزوا الفرصة في ذلك اليوم وتسوروا المحراب فلما دخلوا عليه وجدوا عنده اقواما يمنعونهم منه فخافوا ووضعوا
كذبا وقالوا خصمان بغى بعضنا على بعض الى اخر القصة وليس في لفظ القران ما يمكن ان يحتج به في الحاق الذنب بداود عليه السلام
الا الفاظ اربعة احدها قوله وظن داود انما فتناه وثانيها قوله فاستغفر ربه وثالثها قوله واناب ورابعها قوله
فغفرنا له ذلك ثم نقول هذه الالفاظ لا يدل شيء منها على ما ذكروه من وجوه الاول انهم لما دخلوا عليه لطلب قتله بهذا الطريق
وعلم داود عليه السلام دعاه الغضب الى ان يشتغل بالانتقام منهم الا انه مال الى الصفح والتجاوز عنهم طلبا لمرضات الله
تعالى فكانت هي الفتنة لانها جارية مجرى الابتلاء والامتحان ثم انه استغفر ربه مما هم به من الانتقام وتاب عن ذلك الهم
واناب فغفر له ذلك القدر من الهم والعزم الثاني انه وان غلب على ظنه انهم دخلوا عليه ليقتلوه الا انه ندم على ذلك الظن
وقال لما لم تقم دلالة ولا امارة على ان الامر كذلك فبئس ما عملت حيث ظننت بهم هذا الظن الردي فكان هذا هو المراد
من قوله وظن داود انما فتناه ثم انه استغفر ربه واناب منه فغفر الله له ذلك الثالث دخولهم عليه كان فتنة لداود
عليه السلام الا انه استغفر عليه السلام لذلك العازم على قتله كقوله في حق محمد صلى الله عليه وسلم واستغفر لذنبك
وللمؤمنين والمؤمنات فداود عليه السلام استغفر لهم واناب اي رجع الى الله تعالى في طلب المغفرة لذلك الرجل الداخل
القاصد للقتل وقوله فغفرنا له ذلك اي غفرنا ذلك الذنب لاجل احترام داود ولتعظيمه كما قال بعض المفسرين في قوله

تعالى ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر ان معناه ان الله يغفر لك ولاجلك ما تقدم من ذنب امتك الرابع هب انه
تاب داود عليه السلام عن زلة صدرت منه لكن لا نسلم ان تلك الزلة وقعت بسبب المراة ولم لا يجوز ان يقال ان تلك الزلة
انما حصلت لانه قضى لاحد الخصمين قبل ان يسمع كلام الخصم الثاني لانه لما قال لقد ظلمك بسؤال نعجتك حكم عليه بكونه ظالما
بمجرد دعوى الخصم بلا بينة لكون هذا الحكم مخالفا للصواب فعند هذا اشتغل بالاستغفار والتوبة الا ان هذا من باب ترك
الافضل والاولى فثبت بهذه البيانات انا اذا حملنا هذه الايات على هذا الوجه فانه لا يلزم اسناد شيء من الذنوب الى داود
عليه السلام بل ذلك يوجب اسناد اعظم الطاعات اليه ثم نقول وحمل الاية عليه اولى لوجوه الاول ان الاصل في حال المسلم
البعد عن المناهي لا سيما وهو رجل من اكابر الانبياء والرسل الثاني انه احوط الثالث انه تعالى قال في اول الاية لمحمد صلى الله
عليه وسلم اصبر على ما يقولون واذكر عبدنا داود فان قوم محمد صلى الله عليه وسلم لما اظهروا السفاهة حيث قالوا
انه ساحر كذاب واستهزءوا به حيث قالوا ربنا عجل لنا قطنا قبل يوم الحساب فقال تعالى في اول الاية اصبر على ما يقولون
يا محمد وعلى سفاهتهم وتحمل ولا تظهر الغضب واذكر عبدنا داود فهذا الذكر انما يحسن اذا كان داود عليه السلام قد صبر
على اذاهم وتحمل سفاهتهم وحلم ولم يظهر الطيش والغضب وهذا المعنى انما يحصل اذا حملنا الاية على ما ذكرناه واما اذا
حملناها على ما ذكروه صار الكلام متناقضا الرابع ان تلك الرواية انما تمشي اذا قلنا ان الخصمين كانا ملكين واذا كانا
ملكين ولم يكن بينهما مخاصمة ولم يبغ احدهما على الاخر كان قولهما خصمان بغى بعضنا على بعض كذب فهذه الرواية لا تتم
الا بشيئين احدهما اسناد الكذب الى الملائكة والثاني اسناد افحش القبائح الى رجل كبير من اكابر الانبياء واما اذا حملنا
الاية على ما ذكرناه استغنينا عن اسناد الكذب الى الملائكة وعن اسناد القبيح الى الانبياء فكان قولنا اولى **فصل**
قال المفسرون قوله وعزني اي قهرني وغلبني في الخطاب اي في القول قال الضحاك يقول ان تكلم كان افصح مني وان حارب
كان ابطش مني وحقيقة المعنى ان الغلبة كانت له لضعفي في يده وان كان الحق معي فقال داود لقد ظلمك بسؤال نعجتك
الى نعاجه اي بسؤاله نعجتك ليضمها الى نعاجه فان قيل كيف قال لقد ظلمك ولم يكن سمع قول صاحبه فالجواب قيل ان معناه ان الامر
ان كان كما تقول فقد ظلمك قال ابن اسحق لما فرغ الخصم الاول من كلامه نظر داود الى الخصم الذي لم يتكلم وقال لئن صدق
لقد ظلمه وقال ابن الانباري لما ادعى احد الخصمين اعترف الثاني فحكم داود عليه ثم قال وان كثيرا من الخلطاء ليبغي بعضهم على
بعض قال الليث خليط الرجل مخالطه وقال الزجاج الخلطاء الشركاء فان قيل لم خص الخلطاء ببغي بعضهم على بعض مع ان غير الخلطاء
يفعلون ذلك فالجواب ان المخالطة توجب كثرة المنازعة والمخاصمة لانهما اذا اختلطا اطلع كل واحد منهما على احوال الاخر
فكل ما يملكه من الاشياء النفيسة اذا اطلع عليه عظمت رغبته فيه فيفضي ذلك الى زيادة المخاصمة والمنازعة فلهذا خص داود
عليه السلام الخلطاء بزيادة البغي والعدوان ثم استثنى عن هذا الحكم الذين امنوا وعملوا الصالحات لان مخالطة هؤلاء يكون لاجل
الدين وهذا استثناء متصل من قوله بعضهم **قوله تعالى** وقليل ما هم خبر مقدم وما مزيدة للتعظيم وهم مبتدأ قال الزمخشري
وما في قوله وقليل ما هم للابهام وفيه تعجب من قلتهم قال فان اردت ان تتحقق فايدتها وموقعها فاطرحها من قول امرئ القيس
وحديث ما على قصره • وانظر هل بقي لها معنى قط **قوله تعالى** وظن داود انما فتناه اي امتحناه قرا العامة فتناه بالتخفيف
واسناده الى ضمير المتكلم المعظم نفسه وعمر بن الخطاب والحسن وابو رجا فتناه بتشديد التاء وهي مبالغة وقرا الضحاك
افتناه يقال فتنه وافتنه اي حمله على الفتنة ومنه قوله • لئن فتنتني لهي بالامس فتنت • وقرا قتادة وابو عمرو في رواية
فتناه بالتخفيف وفتناه بالتشديد والالف ضمير الخصمين وتركها حال مقدرة قاله ابو البقا وفيه نظر لظهور المقاربة
فصل قال المفسرون ان الظن ههنا بمعنى العلم لان داود عليه السلام لما قضى بينهما نظر احدهما الى صاحبه
فضحك ثم صعد الى السماء حيال وجهه فعلم داود ان الله ابتلاه بذلك فثبت ان داود علم ذلك وانما جاز حمل لفظ
الظن على العلم لان العلم الاستدلالي يشبه الظن مشابهة عظيمة والمشابهة العظيمة تجوز المجاز قال ابن الخطيب هذا الكلام
انما يلزم اذا قلنا الخصمان كانا ملكين اما اذا لم نقل ذلك لا يلزمنا حمل الظن على العلم بل للقائل ان يقول انه لما غلب على ظنه
حصول الابتلاء من الله تعالى اشتغل بالاستغفار والانابة **قوله تعالى** فاستغفر ربه اي سال الغفران من ربه ثم ههنا
وجهان ان قلنا انه صدرت منه زلة حمل هذا الاستغفار عليها وان لم نقل به قلنا فيه وجوه الاول ان القوم لما دخلوا
عليه قاصدين قتله وانه كان سلطانا شديد القهر عظيم القوة مع انه مع القدرة الشديدة على الانتقام ومع حصول الفزع
في قلبه عفى عنهم ولم يقل لهم شيئا قرب الامر من ان يدخل قلبه شيء من العجب فاستغفر ربه من تلك الحالة واناب الى الله واعترف
بان اقدامه على ذلك الخير ما كان الا بتوفيق الله فغفر له وتجاوز عنه بسبب طريان ذلك الخاطر الثاني لعله هم بايذاء القوم
ثم قال انه لم يدل دليل قاطع على ان هؤلاء قصدوا الشر فعفى عنهم ثم استغفر عن ذلك الهم الثالث لعل القوم تابوا الى
الله تعالى وطلبوا منه ان يستغفر الله لاجل ان تقبل توبتهم فاستغفر وتضرع الى الله فغفر لهم بسبب شفاعته

ودعايه وهذه كلها وجوه محتملة ظاهرة والقران مملو من امثال هذه الوجوه واذا كان اللفظ محتملا لما ذكرناه ولم يقم
دليل قطعي ولا ظني على التزام ما ذكروه من المنكرات فما الذي حمل على التزامه والقول به ويؤيد ما ذكرنا انه تعالى ختم هذه القصة
بقوله وان له عندنا لزلفى وحسن مآب ومثل هذه الخاتمة انما تحصل في حق من صدر عنه امتثال الاوامر في الخدمة والطاعة
وتحمل انواعا من الشدايد في الموافقة والانقياد **قوله تعالى** وخر راكعا واناب يدل على حصول الركوع واما السجود فقد ثبت
بالاخبار وكذلك البكاء الشديد في مدة اربعين يوما ثبت في الاخبار واستدل ابو حنيفة بهذه الاية على مشروعية سجود التلاوة
وعلى ان الركوع يقوم مقام السجود **قوله تعالى** ذلك الظاهر انه مفعول غفرنا وجوز ابو البقا فيه ان يكون خبر مبتدا مضمر
اي الامر ذلك ولا حاجة الى هذا والمشهور ان الاستغفار انما كان بسبب قصة النعجة والنعاج وقيل بسبب انه حكم لاحد الخصمين
قبل ان يسمع كلام الثاني وذلك جور جاير **قوله تعالى** يا داود انا جعلناك خليفة في الارض اي تدبر امور العالم بامرنا واعلم
انه لما تمم الكلام في شرح القصة اردفها ببيان ان الله تعالى فوض الى داود خلافة الارض وهذا من اقوى الدلايل على فساد
القول المشهور في القصة لانه من البعيد جدا ان يوصف الرجل بكونه ساعيا في سفك دماء المسلمين رغبة في انتزاع ازواجهم
ثم يذكر عقيبه ان الله تعالى فوض خلافة الارض اليه ثم في تفسير كونه خليفة وجهان الاول جعلناك تخلف من تقدمك من
الانبياء في الدعاء الى الله تعالى وفي سياسة الناس لان خليفة الرجل من يخلفه وذلك انما يعقل في حق من يصح عليه الغيبة وذلك
على الله محال الثاني انا جعلناك ممكنا في الناس نافذ الحكم فيهم فبهذا التاويل سمي خليفة ومنه يقال خليفة الله في ارضه وحاصله
ان خليفة الرجل يكون نافذ الحكم في رعيته وحقيقة الخلافة ممتنعة في حق الله تعالى فلما امتنعت الحقيقة جعلت اللفظة
للزوم نفاذ الحكم في تلك الحقيقة **قوله تعالى** فاحكم بين الناس بالحق اي بالعدل لان الاحكام اذا كانت مطابقة للشريعة
الحقيقة الالهية انتظمت مصالح العالم واتسعت ابواب الخيرات واذا كانت الاحكام على وفق الاهوية وتحصل مقاصد
الانفس افضى الى تخريب العالم ووقوع الهرج فيه والمرج في الخلق وذلك يفضي الى هلاك ذلك الحاكم ولهذا قال ولا تتبع الهوى
فيضلك عن سبيل الله لان متابعة الهوى توجب الضلال عن سبيل الله والضلال عن سبيل الله يوجب سوء العذاب **قوله تعالى**
فيضلك فيه وجهان اظهرهما انه منصوب في جواب النهي الثاني انه عطف على لا تتبع فهو مجزوم وانما فتحت اللام لالتقاء الساكنين وهو نهي عن كل واحد على حدته والاول فيه النهي عن الجمع بينهما وقد يترجح الثاني لهذا المعنى وقد تقدم تقرير ذلك في البقرة
في قوله وتكتموا الحق وفاعل فيضلك يجوز ان يكون الهوى ويجوز ان يكون ضمير المصدر المفهوم من الفعل اي فيضلك اتباع
الهوى **قوله تعالى** ان الذين يضلون الناس وهي مستلزمة للقراءة الاولى فانه لا يضل غيره الا ضال بخلاف العكس **قوله تعالى**
بما نسوا ما مصدرية والجار متعلق بالاستقرار الذي تضمنه لهم ولهم عذاب يجوز ان يكون جملة خبرا لان ويجوز ان يكون
الخبر وحده الجار وعذاب فاعل به وهو الاحسن لقربه من المفرد قيل معناه بما تركوا الايمان بيوم الحساب وقال الزجاج
بتركهم العمل لذلك اليوم وقال عكرمة والسدي في الاية تقديم وتاخير تقديره لهم عذاب شديد يوم الحساب بما نسوا اي
تركوا القضاء بالعدل **قوله تعالى** وما خلقنا السماء والارض وما بينهما باطلا قال ابن عباس اي لا لثواب ولا عقاب
احتج الجبائي بهذه الاية على انه تعالى لا يجوز ان يكون خالقا لاعمال العباد قال لانها مشتملة على الكفر والفسق وكلها باطل
فلما بين تعالى انه ما خلق السماء والارض وما بينهما باطلا وعند المجبرة انه خلق الكافر لاجل ان يكفر والكفر باطل فقد خلق الباطل
ثم اكد تعالى ذلك بان قال ذلك ظن الذين كفروا اي كل من قال بهذا القول فهو كافر فهذا تصريح بان مذهب المجبرة عين
الكفر واحتج اهل السنة بان هذه الاية تدل على انه تعالى خلق اعمال العباد لان الاية دلت على انه تعالى خلق كل ما بين السماء
والارض واعمال العباد مما بين السماء والارض فوجب ان يكون تعالى خالقا لها **فصل** دلت الاية على صحة القول بالحشر
والنشر لانه تعالى لما خلق الخلق في هذا العالم فاما ان يكون خلقهم للاضرار او للانتفاع او لا لشيء والاول باطل لان
ذلك لا يليق بالرحيم الكريم والثالث ايضا باطل لان هذه الحالة حاصلة حين كانوا معدومين فلم يبق الا ان يقال خلقهم
للانتفاع فذلك الانتفاع اما ان يكون في حياة الدنيا او في حياة الاخرة والاول باطل لان منافع الدنيا قليلة ومضارها
كثيرة وتحمل الضرر الكثير لوجدان المنفعة القليلة لا يليق بالحكمة ولما بطل هذا القول ثبت القول بوجود حياة اخرى
بعد هذه الحيوة الدنيا وذلك هو القول بالحشر والنشر والقيمة **قوله تعالى** باطلا يجوز ان يكون نعتا لمصدر محذوف
او حالا من ضمير اي خلقا باطلا ويجوز ان يكون حالا من فاعل خلقنا اي مبطلين او ذوي باطل ويجوز ان يكون مفعولا
من اجله اي للباطل وهو العبث **قوله تعالى** ذلك ظن الذين كفروا يعني اهل مكة هم الذين ظنوا انهما خلقا لغير شيء وانه
لا بعث ولا حساب فويل للذين كفروا من النار لان من انكر الحشر والنشر كان شاكا في حكمة الله تعالى في خلق السماء والارض
وهذا هو المراد من قوله ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار **قوله تعالى** ام نجعل الذين امنوا وعملوا الصالحات
كالمفسدين في الارض ام في الموضعين منقطعة وقد تقدم ما فيها قال مقاتل قال كفار قريش للمؤمنين انا نعطى في الاخرة

من الخير ما تعطون فنزلت هذه الاية ام نجعل المتقين كالفجار اي المؤمنين كالكفار وقيل اراد بالمتقين اصحاب النبي عليه
السلام **قوله تعالى** كتاب انزلناه اليك يجوز ان يكون كتاب خبر مبتدا مضمر اي هذا كتاب وانزلناه صفة ومبارك
خبر مبتدا مضمر او خبر ثان ولا يجوز ان يكون نعتا ثانيا لانه لا يتقدم عند الجمهور غير الصريح على الصريح ومن يرى ذلك
استدل بظاهرها وقد تقدم تحرير هذا في المايدة **قوله تعالى** ليدبروا متعلق بانزلناه وقرى مباركا على الحال اللازمة
لان البركة لا تفارقه وقرا علي رضي الله عنه ليتدبروا وهي اصل قراءة العامة فادغمت التا في الدال وابو جعفر وروي عن
عاصم والكسائي لتدبروا بتاء الخطاب وتخفيف الدال واصلها لتتدبروا بتائين فحذفت احديهما وفيها الخلاف المشهور
هل هي الاولى او الثانية قال الحسن تدبروا اياته اتباعه وليتذكر وليتعظ اولوا الالباب اي العقول **قوله تعالى**
ووهبنا لداود سليمان نعم العبد المخصوص بالمدح محذوف اي نعم العبد سليمان وقيل داود لانه وصفه بهذا المعنى
فقد تقدم حيث قال داود ذا الايد انه اواب والاول اظهر لانه هو المسوق للحديث عنه وقرى بكسر العين وهي الاصل
كقوله • نعم الساعون في اليوم الشطر **فصل** قوله انه اواب يدل على انه انما كان نعم العبد لانه كان اوابا اي
كثير الرجوع الى الله تعالى في اكثر اوقاته ومهماته **قوله تعالى** اذ عرض في ناصبه اوجه احدها نعم وهو اضعفها لانه لا يتقيد
مدحه بوقت ولعدم تصرف نعم قال ابن الخطيب التقدير نعم العبد هو انه كان من اعماله الثاني انه اواب وفيه تقييد وصفه
بذلك بهذا الوقت الثالث اذكر مقدرا وهو اسلمها والعشي من العصر الى اخر النهار **والصافنات** جمع صافن وفيه خلاف بين
اهل اللغة فقال الزجاج هو الذي يقف على احدى يديه ويقف على طرف سنبكه وقد يفعل ذلك باحدى رجليه قال وهي
علامة الفراهة فيه وانشد • الف الصفون فلا يزال كانه • مما يقوم على الثلاث كسيرا • وقيل هو الذي يجمع يديه ويسويهما
واما الذي يقف على سنبكه فاسمه المتخيم قال ابو عبيدة وقيل هو القايم مطلقا اي سواء كان من الخيل ام من غيرها
قاله القتيبي واستدل بقوله عليه السلام من سره ان يقوم الناس له صفونا فليتبوا مقعده من النار اي يديمون له القيام
وحكاه قطرب ايضا وجاء في الحديث قمنا صفونا اي صافين اقدامنا وقيل هو القيام مطلقا سواء وقف على طرف
سنبك ام لا قال الفرا على هذا رايت اشعار العرب انتهى وقال النابغة • لنا قبة مضروب بفنايها • عتاق المهاري والجياد الصوافن
والجياد اما من الجودة يقال جاد الفرس يجود جودة وجودة بالفتح والضم فهو جواد للذكر والانثى والجمع جياد واجواد
واجاويد وقيل جمع لجود بالفتح كثوب وثياب وقيل جمع جيد واما من الجيد وهو العنق والمعنى طويلة الاجياد وهو دال على
فراهتها **قوله تعالى** حب الخير فيه اوجه احدها هو مفعول احببت لانه بمعنى اثرت وعن علي هذا بمعنى على اي على ذكر ربي لانه
روي انه عرض الخيل حتى شغلته عن صلوة العصر اول الوقت حتى غربت الشمس وقال ابو حيان ذكر انه منقول عن الفرا انه ضمن احببت
معنى اثرت حتى نصب حب الخير مفعولا به وفيه نظر لانه متعد بنفسه وانما يحتاج الى التضمين لو لم يكن متعديا الثاني ان حب
مصدر على حذف الزوايد والناصب له احببت الثالث انه مصدر تشبيهي اي حبا مثل حب الخير الرابع انه قيل ضمن معنى انبت
فلذلك تعدى بعن الخامس ان احببت بمعنى لزمت قال ابن الخطيب ان الانسان قد يحب من لا يحبه كالمريض الذي يشتهي في
مرضه فاما من احب شيئا واحب ان يحبه فذلك غاية المحبة فقوله احببت حب الخير اي احببت حبي الخير السادس ان احببت من احب
البعير اذا سقط وبرك من الاعيا والمعنى قعدت عن ذكر ربي فيكون حب الخير على هذا مفعولا من اجله والمراد بقوله عن ذكر ربي
قيل عن صلوة العصر وقيل عن كتاب ربي وهو التورية لان ارتباط الخيل كما انه في القران ممدوح فكذلك في التورية ممدوح وقوله ذكر
ربي يجوز ان يكون مضافا للمفعول اي عن ان اذكر ربي وان يكون مضافا للفاعل اي عن ان ذكرني ربي والمراد بالخير الخيل
والعرب تعاقب بين الراء واللام خيلت الرجل وخيرته اي خدعته وسميت الخير لانه معقود بنواصيها الخير الاجر والمغنم **قوله تعا**
حتى توارت في الفاعل وجهان احدهما هو الصافنات والمعنى حتى دخلت اصطبلاتها فتوارت وغابت والثاني انها الشمس اضمرت
لدلالة السياق عليها وقيل لدلالة العشي عليها فانها تشعر بها وقيل يدل عليه الاشراق في قصة داود وما بعده **قوله تعا** ردوها
هذا الضمير للصافنات وقيل للشمس وهو غريب جدا قال ابن الخطيب وهذا بعيد لوجوه منها ان الصافنات مذكورة بالصريح
والشمس غير مذكورة وعود الضمير الى المذكور اولى من عوده الى المقدر ومنها لو انه اشتغل بالخيل حتى غربت الشمس وفاتته صلوة
العصر كان ذلك ذنبا عظيما ومن كان هذه حالته فطريقه التضرع والبكا والمبالغة في اظهار التوبة فاما ان يقول على سبيل
العظمة لرب العالمين مثل هذه الكلمة العارية عن كل جهات الادب عقيب ذلك الجرم العظيم لا يصدر عن ابعد الناس عن الخير
فكيف يجوز اسناده للرسول المطهر المكرم ومنها ان القادر على تحريك الافلاك والكواكب هو الله تعالى فكان يجب ان يقول
ردها علي ولا يقول ردوها لان هذا اللفظ مشعر باعظم انواع الاهانة فكيف يليق بهذا اللفظ رعاية التعظيم ومنها ان الشمس
لو رجعت بعد الغروب لصار ذلك مشاهدا لكل اهل الدنيا ولو كان كذلك لتوفرت الدواعي على نقله وحيث لم ينقل علمنا فساده
قوله تعالى فطفق مسحا نصب مسحا بفعل مقدر وهو خبر طفق اي وطفق يمسح مسحا لان خبر هذه الافعال لا يكون الا مضارعا

في الاطعام وقال ابو البقا وبه معا نصدر في موضع الحال وهذا ليس بشيء لانطوقا لا بد لها من خبر وقرا زيد بن علي مسلحا
جزنة فبال والبا في بالسوق مزيدة مثلها في قوله فامسحوا برؤسكم وحكى سيبويه مسحت رأسه وبرأسه بمعنى واحد ويجوز ان
يكون للالصاق كما تقدم وتقدم همز السوق وعدمه في النمل وجعل الفارسي الهمز ضعيفا وليس كما تقدم من الادلة وقرا زيد بن علي
بالساق مفردا اكتفاء بالواحد لعدم اللبس كقوله • واما جلدها فصليب • وقوله • كلوا في بعض بطنكم تعفوا • وقوله •
في حلقكم عظم وقد شجينا • وقال الزمخشري فان قلت بم اتصل قوله ردوها علي قلت بمحذوف تقديره قال ردوها فاضمر
واضمر ما هو جواب له كان قائلا قال فماذا قال سليمان لانه موضع مقتضى للسؤال اقتضاء ظاهرا قال ابو حيان وهذا لا يحتاج
اليه لان هذه الجملة مندرجة تحت حكاية القول وهو فقال اني احببت **فصل** قال المفسرون انه عليه السلام لما فاته
صلوة العصر لاشتغاله بالنظر الى تلك الخيل استردها وعقر سوقها واعناقها تقربا الى الله تعالى وبقي منها مائة فالخيل
التي في ايدي الناس اليوم من نسل تلك المائة قال الحسن فلما اعقر الخيل ابدله الله عز وجل خيرا منها واسرع وهي الريح تجري بامره
كيف شاء قال ابن الخطيب وهذا عندي بعيد لوجوه الاول انه لو كان مسح السوق والاعناق قطعها لكان معنى فامسحوا برؤسكم
اي اقطعوها وهذا لا يقوله عاقل بل لو قيل مسح رأسه بالسيف فربما فهم منه ضرب العنق اما اذا لم يذكر لفظ السيف لم يفهم منه
البتة من المسح العقر والذبح الثاني ان القائلين بهذا القول جمعوا على سليمان عليه السلام انواعا من الافعال المذمومة فاولها ترك
الصلوة وثانيها انه استولى عليه الاشتغال بحب الدنيا حتى نسي الصلوة وقال عليه السلام حب الدنيا رأس كل خطيئة وثالثها انه
بعد الاتيان بهذا الذنب العظيم لم يشتغل بالتوبة والانابة البتة ورابعها انه خاطب رب العالمين بقوله ردوها علي وهذه
كلمة لا يقولها الرجل الحصيف الا مع الخادم الخسيس وخامسها انه اتبع هذه المعاصي بعقر الخيل في سوقها واعناقها وقد نهى النبي
صلى الله عليه وسلم عن ذبح الحيوان الا لماكله وهذه انواع من الكبائر نسبوها الى سليمان عليه السلام مع ان لفظ القران لم يدل
على شيء منها وخامسها ان هذه القصص انما ذكرها الله تعالى عقيب قوله وقالوا ربنا عجل لنا قطنا قبل يوم الحساب وان
الكفار لما بلغوا في السفاهة الى هذا الحد قال الله عز وجل لمحمد عليه السلام اصبر يا محمد على سفاهتهم واذكر عبدنا داود
ثم ذكر عقيبه قصة سليمان فكان التقدير انه تعالى قال لمحمد عليه السلام يا محمد اصبر على ما يقولون واذكر عبدنا سليمان
وهذا الكلام انما يليق اذا قلنا ان سليمان عليه السلام اتى في هذه القصة بالاعمال الفاضلة والاخلاق الحميدة وصبر على طاعة
الله تعالى واعرض عن الشهوات واللذات فلو كان المقصود من قصة سليمان عليه السلام في هذا الموضع انه اقدم على الكبائر العظيمة
والذنوب لم يكن ذكر هذه القصة لائقا والصواب ان نقول ان رباط الخيل كان مندوبا اليه في دينهم كما هو في دين محمد عليه
السلام ثم ان سليمان عليه السلام احتاج الى الغزو فجلس وامر باحضار الخيل وامر باجرائها وذكر اني لا احبها لاجل الدنيا ونصيب
النفس وانما احبها لامر الله تعالى وطلب تقوية دينه وهو المراد من قوله عن ذكر ربي ثم انه عليه السلام امر باجرائها وتسييرها
حتى توارت بالحجاب اي غابت عن بصره ثم انه امر الرائضين بان يردوها فردوا تلك الخيل اليه فلما عادت اليه طفق يمسح
سوقها واعناقها والغرض من ذلك امور الاول تشريفا لها وابانة لعزتها لكونها من اعظم الاعوان في دفع العدو الثاني انه
اراد ان يظهر انه في ضبط السياسة والملك يتضع الى حيث يباشر اكثر الامور بنفسه الثالث انه كان اعلم باحوال الخيل وامراضها
وعيوبها فكان يمتحنها ويمسح سوقها واعناقها حتى يعلم هل فيها ما يدل على المرض فهذا التفسير هو الذي ينطبق عليه
لفظ القران ولا يلزم منه نسبة شيء من تلك المنكرات الى سليمان عليه السلام والعجب منهم كيف قبلوا هذه الوجوه
السخيفة مع ان العقل والنقل يردها وليس لهم في اثباتها شبهة فضلا عن حجة فان قيل فالجمهور فسروا الاية بتلك
الوجوه فالجواب ان نقول لفظ الاية لا تدل على شيء من تلك الوجوه التي يذكرونها لما ذكرنا وايضا فان الدلائل الكثيرة
قامت على عصمة الانبياء عليهم السلام ولم يدل على صحة هذه الحكايات دليل قطعي ورواية الاحاد لا تصلح معارضة للدلائل
القوية فكيف الحكايات عن اقوام لا يلتفت الى اقوالهم والذي ذهبنا اليه قول الزهري وابن كيسان **قوله تعالى** ولقد
فتنا سليمان قال بعض المفسرين ان سليمان عليه السلام بلغه خبر مدينة في بعض جزائر البحر يقال لها صيدون فخرج
اليها بجنوده فاخذها وقتل ملكها واخذ بنتا له اسمها جرادة من احسن الناس وجها فاصطفاها لنفسه واسلمت فاحبها
فكانت تبكي على ابيها فامر سليمان الشيطان فمثل لها صورة ابيها فكستها مثل كسوته وكانت تذهب الى تلك الصورة بكرة
وعشيا مع جواريها يسجدون لها فاخبر اصف سليمان بذلك فكسر الصورة وعاقب المراة وخرج وحده الى فلاة وفرش
الرماد وجلس عليه تائبا الى الله تعالى وكانت له ام ولد يقال لها الامينة اذا دخل للطهارة او لاصابة امراة وضع خاتمه عندها
وكان ملكه فيه فوضعه عندها يوما فاتاها الشيطان صاحب البحر واسمه صخر على صورة سليمان وقال لها يا امينة
خاتمي فناولته الخاتم فتختم به وجلس على كرسي سليمان فعكفت عليه الطير والجن والانس وتغيرت هيئة سليمان فاتى
الامينة فطلب الخاتم فانكرته فعرف ان الخطيئة قد ادركته فكان يدور على البيوت يتكفف واذا قال انا سليمان حثوا

عليه التراب وسبوه فاخذ ينقل السمك للسماكين فيعطونه كل يوم سمكتين فمكث على هذه الحالة اربعين يوما عدة ما عبد
الوثن في بيته فانكر اصف وعظماء بني اسرائيل حكم الشيطان وسال اصف نساء سليمان فقلن ما يدع امراة في دمها ولا يغتسل من
جنابة وقيل نفذ حكمه في كل شيء الا فيهن ثم طار الشيطان وقذف الخاتم في البحر فابتلعته سمكة ووقعت السمكة في يد سليمان
فبقر بطنها فاذا هو بالخاتم فتختم به ووقع ساجدا لله تعالى ورجع اليه ملكه واخذ ذلك الشيطان فحبسه في صخرة والقاها
في البحر وقيل ان تلك المراة لما اقدمت على عبادة تلك الصورة افتتن سليمان فكان يسقط الخاتم من يده ولا يتماسك فيها
فقال له اصف انك لمفتون بذنبك فتب الى الله تعالى وقيل ان سليمان قال لبعض الشياطين كيف تفتنون الناس فقال ارني
خاتمك اخبرك فلما اعطاه اياه نبذه في البحر فذهب ملكه وقعد هذا الشيطان على كرسيه ثم ذكر الحكاية الى اخرها
فقالوا المراد من قوله ولقد فتنا سليمان ان الله تعالى ابتلاه وقوله والقينا على كرسيه جسدا هو جلوس ذلك الشيطان
على كرسيه عقوبة له قال ابن الخطيب واستبعد اهل التحقيق هذا الكلام من وجوه الاول ان الشيطان لو قدر على ان يتشبه
في الصورة والخلقة بالانبياء فحينئذ لا يبقى اعتماد على شيء من ذلك فلعل هؤلاء الذين راهم الناس على صورة محمد وعيسى
وموسى عليهم السلام ما كانوا اولئك بل كانوا شياطين تشبهوا بهم في الصورة لاجل الاغواء والاضلال وذلك يبطل الدين
بالكلية الثاني ان الشيطان لو قدر ان يعامل نبي الله سليمان بمثل هذه المعاملة لوجب ان يقدر على مثلها مع جميع العلماء والزهاد
وحينئذ يجب ان يقتلهم ويمزق تصانيفهم ويخرب ديارهم ولما بطل ذلك في حق احاد العلماء فلان يبطل في حق اكابر
الانبياء اولى الثالث كيف يليق بحكمة الله واحسانه ان يسلط الشيطان على ازواج سليمان ولا شك انه قبيح الرابع لو قلنا ان
سليمان اذن لتلك المراة في عبادتها لتلك الصورة فهذا كفر منه وان لم ياذن فيه البتة فالذنب على تلك المراة فكيف يؤاخذ
الله سليمان بفعل لم يصدر منه واما اهل التحقيق فذكروا وجوها الاول ان فتنة سليمان انه ولد له ولد فقالت الشياطين
ان عاش صار مسلطا مثل ابيه فسبيلنا ان نقتله فعلم سليمان ذلك فكان يربيه في السحاب فبينما هو يشتغل بمهماته اذ القي
ذلك الولد ميتا على كرسيه فتنبه على خطيئته في انه لم يثق ويتوكل على الله فاستغفر ربه وتاب الثاني روي عن النبي صلى الله
عليه وسلم انه قال قال سليمان لاطوفن الليلة على سبعين امراة كل امراة تاتي بفارس يجاهد في سبيل الله ولم يقل ان شاء الله
تعالى فطاف عليهن فلم تحمل الا امراة واحدة جاءت بشق رجل والذي نفسي بيده لو قال ان شاء الله تعالى لجاهدوا في سبيل الله
فرسانا اجمعين فذلك قوله لحم على وضم وجسم بلا روح ثم اناب اي رجع الى حال الصحة فاللفظ يحتمل لهذه الوجوه
ولا حاجة الى حمله على تلك الوجوه الركيكة الثالث لا يبعد ايضا ان يقال انه ابتلاه الله تعالى بتسليط خوف او توقع بلاء
يوقعه من بعض الجهات حتى صار بسبب قوة ذلك الخوف كالجسد الضعيف الحفي على ذلك الكرسي ثم ان الله تعالى ازال عنه
ذلك الخوف واعاده الى ما كان عليه من القوة وطيب القلب **قوله تعالى** جسدا فيه وجهان اظهرهما انه مفعول به لالقينا
والثاني انه حال وصاحبها اما سليمان لانه يروى انه مرض حتى صار كالجسد الذي لا روح فيه واما ولده قالهما ابو البقا
ولكن جسد جامد فلا بد من تاويله بمشتق اي ضعيفا وفارغا **قوله تعالى** قال رب اغفر لي تمسك به من حمل الكلام المتقدم
على صدور الزلة لانه لولا تقدم الذنب لما طلب المغفرة ويمكن ان يجاب بان الانسان لا ينفك عن ترك الافضل والاولى
وحينئذ يحتاج الى طلب المغفرة لان حسنات الابرار سيئات المقربين ولانه ابدا في مقام هضم النفس واظهار الذلة
والخضوع كما قال عليه السلام اني لاستغفر الله في اليوم والليلة سبعين مرة مع انه غفر له ما تقدم من ذنبه وما تاخر
فلا يبعد ان يكون المراد من هذه الكلمة هذا المعنى **قوله تعالى** وهب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي دلت هذه الاية
على انه يجب تقديم مهم الدين على مهم الدنيا لان سليمان طلب المغفرة اولا ثم طلب المملكة بعده ودلت الاية ايضا على ان
طلب المغفرة من الله تعالى سبب لانفتاح ابواب الخيرات في الدنيا لان سليمان طلب المغفرة اولا ثم توسل به الى طلب المملكة ونوح
عليه السلام قال فقلت استغفروا ربكم انه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا ويمددكم باموال وبنين وقال لمحمد عليه
السلام وامر اهلك بالصلوة واصطبر من بعدي مشعر بالحسد فالجواب ان يقال ان القائلين بان الشيطان استولى على مملكته
قالوا معناه هو ان يعطيه الله ملكا لا يقدر الشيطان على ان يقوم مقامه البتة واما المنكرون فاجابوا بوجوه
الاول ان الملك هو القدرة فكان المراد اقدرني على اشياء لا يقدر عليها غيري البتة ليصير اقتداري عليها معجزة تدل على صحة
نبوتي ورسالتي ويدل على صحة هذا قوله تعالى عقيبه فسخرنا له الريح تجري بامره رخاء حيث اصاب فكون الريح جارية
بامره قدرة عجيبة وملك عجيب دل على صحة نبوته لا يقدر احد على معارضته الثاني انه عليه السلام لما مرض ثم عاد الى الصحة
عرف ان خيرات الدنيا صائرة الى التغيرات فسال ربه ملكا لا يمكن ان ينتقل مني الى غيري الثالث ان الاحتراز عن طيبات
الدنيا مع القدرة عليها اشق من الاحتراز عنها حال عدم القدرة فكانه قال يا الهي اعطني مملكة فائقة على ممالك البشر بالكلية
حتى احترز عنها مع القدرة عليها ليصير ثوابي اكمل وافضل الرابع سال ذلك ليكون علما على قبول توبته حيث اجاب الله دعاءه

وترد عليه ملكه وزاده فيه قوله تعالى فسخرنا له الريح تجري بامره رخاء لينة اي رخوة لينة وهي من الرخاوة والريح
اذا كانت لينة لا تزعزع فان قيل قد قال في اية اخرى ولسليمان الريح عاصفة تجري بامره فالجواب من وجهين الاول لا منافاة
بين الاثنين وان المراد ان تلك الريح كانت في قوة الرياح العاصفة الا انها لما مرت بامره كانت لذيذة طيبة وكانت رخاء الثاني
ان تلك الريح كانت لينة مرة وعاصفة اخرى فلا منافاة بين الاثنين قوله تعالى حيث اصاب ظرف لتجري او لسخرنا واصاب اراد
بلغة حمير وقيل بلغة هجر وحكى الاصمعي عن العرب انهم يقولون اصاب الصواب فاخطا الجواب وروي ان رجلين خرجا يقصدان رؤبة
ليسألاه عن هذا الحرف فقال لهما ابن نصيبان فعرفاها وقالا هذه بغيتنا وانشد الثعلبي على ذلك • اصاب الجواب فلم يستطع
فاخطا الجواب لدى المفصل • اي اراد الجواب ويقال اصاب الله بك خيرا اي اراده بك وقيل الهمزة في اصاب للتعدية من صاب
يصوب اي نزل قال • تنزل من جو السماء يصوب • والمفعول محذوف اي اصاب جنوده اي حيث وجههم وجعلهم يصوبون صوب
المطر والشياطين نسق على الريح وكل بناء بدل من الشياطين كانوا يبنون له ما شاء من الابنية روي ان سليمان عليه السلام امر الجان
فبنت له اصطخر وكان بها قرار مملكة الترك قديما وبنت له الجان ايضا تدمر وبيت المقدس وباب جيرون وباب البريد الذين بدمشق
على احد الاقوال وبنوا له ثلث قصور باليمن غمدان وسلحين وبينون ومدينة صنعا وقوله وغواص نسق على بناء اي يغوصون له
فيستخرجون اللولؤ واتى بصيغة المبالغة لانه في معرض الامتنان قوله تعالى واخرين عطف على كل فهو داخل في حكم البدل وتقدم
شرح مقرنين في الاصفاد آخر سورة ابرهيم فصل قال ابن الخطيب دلت هذه الايات على ان الشياطين لها قوة عظيمة
قدروا بها على بناء تلك الابنية العظيمة التي لا يقدر عليها البشر وقدروا على الغوص في البحار واستخراج اللآلي وقيد سليمان عليه
السلام ولقايل ان يقول هذه الشياطين اما ان تكون اجسادهم كثيفة او لطيفة فان كانت كثيفة وجب ان يراهم من كان
صحيح الحاسة اذ لو جاز ان لا نراهم مع كثافة اجسادهم فليجز ان يكون بحضرتنا جبال عالية واصوات هائلة ولا نراها ولا نسمعها
وذلك دخول في السفسطة وان كانت اجسادهم لطيفة فمثل هذا يمتنع ان يكون موصوفا بالقوة الشديدة ويلزم ايضا ان تتفرق
اجسادهم وان تتمزق بالرياح العاصفة القوية وان يموتوا في الحال ومع ذلك وصفهم بالقوة وايضا فالجن والشياطين ان كانوا
موصوفين بهذه القوة والشدة فلم لا يقتلون العلماء والزهاد في زماننا هذا ولم لا يخربون ديار الناس مع ان المسلمين يبالغون في
اظهار لعنهم وعداوتهم وحيث لم يحس بشيء من ذلك علمنا ان القول باثبات الجن ضعيف قال ابن الخطيب واعلم ان اصحابنا يجوزون
ان يكون اجسادهم كثيفة مع انا لا نراهم وايضا لا يبعد ان تكون اجسادهم لطيفة بمعنى عدم اللون ولكنها صلبة بمعنى انها لا
تقبل التفرق واما الجبائي فقد سلم انها كانت كثيفة الاجسام وزعم ان الناس كانوا يشاهدونهم في زمن سليمان عليه السلام
ثم انه لما توفي سليمان عليه السلام امات الله اولئك الجن والشياطين وخلق نوعا اخر من الجن والشياطين تكون اجسامهم في غاية
الرقة ولا يكون لهم شيء من القوة والموجود في زماننا من الجن والشياطين ليس الا من هذا الجنس والله اعلم قوله تعالى هذا عطاؤنا
اي قلنا له هذا عطاؤنا فامنن او امسك قال ابن عباس اعط من شئت وامنع من شئت قوله تعالى بغير حساب فيه ثلاثة اوجه احدها انه متعلق
بعطاؤنا اي اعطيناك بغير حساب ولا تقدير وهو دلالة على كثرة الاعطاء الثاني انه حال من عطاؤنا اي في حال كونه غير محاسب عليه
لانه جم كثير يعسر على الحساب ضبطه الثالث انه متعلق بامنن او امسك ويجوز ان يكون حالا من فاعلهما اي غير محاسب عليه
فصل قال المفسرون معناه لا حرج عليك فيما اعطيت وفيما امسكت قال الحسن ما انعم الله على احد نعمة الا عليه
تبعة الا سليمان فانه ان اعطى اجر وان لم يعط لم يكن عليه تبعة وقال مقاتل هذا في امر الشياطين يعني خل من شئت منهم وامسك من شئت
في وثاقك لا تبعة عليك فيما تتعاطاه قوله تعالى وان له عندنا لزلفى وحسن مآب تقدم تفسيره والعامة على نصب وحسن
مآب نسقا على اسم ان وهو لزلفى وقرا الحسن وابن ابي عبلة برفعه على الابتداء وخبره مضمر لدلالة ما تقدم عليه والوقف على
لزلفى ويبتدا بان يحسن مآب اي وحسن مآب له ايضا قوله تعالى واذكر عبدنا ايوب كقوله عبدنا داود وفيه الثلاثة الاوجه
واذ نادى بدل منه بدل اشتمال اي باني وقوله اني جاء به على حكاية كلامه الذي ناداه بسببه ولو لم يحكه لقال انه مسه لانه غائب
وقرا العامة بفتح الهمزة على انه هو المنادى بهذا اللفظ وعيسى بن عمر بكسرها على اضمار القول او على اجراء النداء مجراه قوله تعالى
بنصب قرا العامة بالضم والسكون فقيل هو جمع نصب بفتحتين نحو وثن ووثن واسد واسد وقيل هو لغة في النصب نحو رشد
ورشد وحزن وحزن وعدم وعدم وابو جعفر وشيبة وحفص ونافع في رواية بضمتين وهو تثقيل نصب بضمة وسكون قاله
الزمخشري وفيه بعد لما تقرر ان مقتضى اللغة تخفيف فعل كعنق لا تثقيل فعل كقفل وفيه خلاف وقد تقدم في العسر واليسر
وقرا ابو حيوة ويعقوب وحفص في رواية بفتح وسكون وكلها بمعنى واحد وهو التعب والمشقة قوله تعالى النصب المشقة
والضر قال قتادة ومقاتل النصب في الجسد والعذاب في المال واعلم ان داود وسليمان عليهما السلام كانا ممن افاض الله عليه اصناف
الالاء والنعماء وايوب كان ممن خصه الله تعالى بانواع البلاء والمقصود من جميع هذه القصص الاعتبار كان الله تعالى قال
يا محمد اصبر على سفاهة قومك فانه ما كان في الدنيا اكثر نعمة وما لا وجاها اكثر من داود وسليمان وما كان اكثر بلاء ومحنة

من ايوب فتامل في احوال هؤلاء لتعرف ان احوال الدنيا لا تنتظم لاحد وان العاقل من البشر لا بد له على المكاره فصل
قال بعض العلماء ان الالام والاسقام الحاصلة في جسمه انما حصلت بفعل الشيطان وقيل انما حصلت بفعل الله تعالى والعذاب
المضاف في هذه الاية الى الشيطان عذاب الوسوسة والقاء الخواطر الفاسدة اما تقرير القول الاول فهو ما روي ان ابليس سال فيه
ربه فقال هل في عبيدك من لو سلطتني عليه يمتنع مني فقال الله تعالى نعم عبدي ايوب فجعل ياتيه بوساوسه وهو يرى ابليس عيانا
ولا يلتفت اليه فقال رب انه قد امتنع علي فسلطني على ماله فكان يجيئه ويقول له هلك من مالك كذا وكذا فيقول الله اعطى والله اخذ
ثم يحمد الله تعالى فقال يا رب ان ايوب لا يبالي بماله فسلطني على ولده فجاءه واخبره به فلم يلتفت اليه فقال يا رب انه لا يبالي بماله
وولده فسلطني على جسده فاذن فيه فنفخ في جلد ايوب فحدث فيه اسقام عظيمة والام شديدة فيه فمكث في ذلك البلاء سنين حتى
استقذره اهل بلده فخرج الى الصحراء وما كان يقرب منه احد فجاء الشيطان الى امراته وقال ان زوجك ان استغاث بي خلصته من هذا البلاء
فذكرت المراة ذلك له فحلف بالله لئن عافاه الله ليجلدنها مائة جلدة وعند هذه الواقعة قال اني مسني الشيطان بنصب وعذاب فاجاب
الله دعاءه واوحي اليه ان اركض برجلك واظهر الله تعالى من تحت رجله عينا باردة طيبة فاغتسل منها فاذهب الله عنه كل داء في ظاهره
وباطنه ورد عليه اهله وماله واما القول الثاني ان الشيطان لا قدرة له البتة على ايقاع الناس في الامراض والاسقام ويدل عليه وجوه
الاول انا لو جوزنا حصول الموت والحيوة والصحة والمرض من الشيطان فلعل الواحد منا انما وجد الحيوة بفعل الشيطان ولعل ما عندنا من الخيرات
والسعادات قد حصل بفعل الشيطان وحينئذ لا سبيل لنا الى معرفة معطي الحيوة والموت والصحة والسقم هو الله تعالى ام الشيطان الثاني
ان الشيطان لو قدر على ذلك فلم لا يسعى في قتل الانبياء والاولياء ولم لا يخرب دورهم ولم لا يقتل اولادهم الثالث ان الله تعالى حكى عن
الشيطان انه قال وما كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لي فصرح بانه لا قدرة له في حق البشر الا القاء الوساوس والخواطر
الفاسدة فدل ذلك على فساد القول بان الشيطان هو الذي القاه في تلك الامراض فان قيل لم لا يجوز ان يقال ان الفاعل لهذه الاحوال
هو الله تعالى لكن على وفق التماس الشيطان قلنا فاذا كان لا بد من الاعتراف بان خالق تلك الالام والاسقام هو الله تعالى فاي فايدة
في جعل الشيطان واسطة في ذلك بل الحق ان المراد من قوله اني مسني الشيطان بنصب وعذاب انه بسبب القاء الوساوس الفاسدة كان يلقيه
في انواع العذاب والقايلون بهذا القول اختلفوا في ان تلك الوساوس كيف كانت وذكروا وجوها الاول ان علته كانت شديدة الالم
ثم طالت تلك المدة واستقذره الناس ونفروا عن مجاورته ولم يبق له مال البتة وامراته كانت تخدم الناس وتحصل قدر القوت ثم بلغت
نفرة الناس عنه الى ان منعوا امراته من الدخول عليهم ومن خدمتهم والشيطان كان يذكره النعم التي كانت والافات التي حصلت وكان
يحتال في دفع تلك الوساوس فلما قوي تلك الوساوس في قلبه خاف وتضرع الى الله تعالى وقال مسني الشيطان بنصب وعذاب لانه
كلما كثرت تلك الخواطر كان تالم قلبه منها اشد الثاني انه لما طالت مدة المرض جاءه الشيطان فكان يقنطه مرة ويزين له ان يجزع فخاف
من خطر القنوط في قلبه فتضرع الى الله تعالى وقال اني مسني الشيطان الثالث روي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال بقي ايوب
في البلاء ثماني عشرة سنة حتى رفضه القريب والبعيد الا رجلان ثم قال احدهما لصاحبه لقد اذنب ايوب ذنبا ما اتى به احد من العالمين
ولولاه لما وقع في مثل هذا البلاء فذكروا ذلك لايوب فقال لا ادري ما يقولان غير اني كنت امر على الرجلين يتنازعان فيذكران الله
تعالى فارجع الى بيتي فاكفر عنهما كراهية ان يذكر الله الا في حق الرابع قيل ان امراته كانت تخدم الناس وتاخذ منهم قدر القوت وتجيء به
الى ايوب فاتفق انهم لما استخدموها طلب بعض النساء منها قطع احدى ذوائبها على ان تعطيها قدر القوت ففعلت ثم في اليوم الثاني
فعلت مثل ذلك فلم يبق لها ذوائب وكان ايوب عليه السلام اذا اراد ان يتحرك على فراشه تعلق بتلك الذوائب فلما لم يجد الذوائب
وقعت الخواطر الردية في قلبه فعند ذلك قال مسني الشيطان بنصب وعذاب الخامس روي انه عليه السلام قال في بعض الايام
يا رب لقد علمت انه ما اجتمع علي امران الا اثرت طاعتك ولما اعطيتني المال كنت للارامل قيما ولابن السبيل معينا ولليتامى ابا
نودي يا ايوب ممن كان ذلك التوفيق فاخذ ايوب التراب ووضعه على راسه وقال منك يا رب ثم خاف من الخاطر الاول فقال
مسني الشيطان بنصب وعذاب وذكروا اقوالا اخر والله اعلم قوله تعالى اركض برجلك معناه انه لما اشتكى مس الشيطان فكانه
سال ربه ان يزيل عنه تلك البلية فاجابه الله اليه بان قال اركض برجلك والركض هو الدفع القوي بالرجل ومنه ركض الفرس
والتقدير قلنا له اركض برجلك قيل انه ضرب برجله تلك الارض فنبعت عين فقيل هذا مغتسل بارد وشراب اي هذا ماء
تغتسل به فيبرا ظاهرك وتشرب منه فيبرا باطنك وظاهر اللفظ يدل على انه نبعت له عين واحدة من الماء فاغتسل منه وشرب منه
والمفسرون قالوا نبعت له عينان فاغتسل من احديهما وشرب من الاخرى فذهب الداء من ظاهره ومن باطنه باذن الله تعالى
وقيل ضرب برجله اليمنى فنبعت عين حارة فاغتسل منها ثم باليسرى فنبعت عين باردة فشرب منها قوله تعالى ووهبنا
له اهله ومثلهم معهم قيل هم عين اهله وذريته ومثلهم وقيل غيرهم مثلهم والاول اولى لانه الظاهر فلا يجوز العدول عنه
من غير ضرورة ثم اختلفوا فقيل ازلنا عنهم السقم فاعيدوا اصحاء وقيل بل حضروا عنده بعد ان غابوا عنه واجتمعوا بعد ان تفرقوا
وقيل بل تمكن منهم وتمكنوا منه كما يفعل بالعشرة والخدمة وقوله ومثلهم معهم الاقرب انه تعالى صححه وبماله وقواه حتى كثر نسله

وصار أهله ضعف ما كانوا وأضعاف ذلك وقال الحسن المراد بهبة الأهل أنه تعالى أحياهم بعد أن هلكوا قوله تعالى
رحمة منا وذكرى مفعول من أجله أي وهبناهم له لأجل رحمتنا إياه وليتذكر بحاله أولوا الألباب بمعنى سلطنا البلاء عليه
أولا فصبر ثم أزلنا عنه البلاء وأوصلنا إليه الآلاء والنعماء تنبيها لأولي الألباب على أن من صبر ظفر وهو تسلية لمحمد عليه السلام
كما تقدم قالت المعتزلة وهذا يدل على أن أفعال الله تعالى معللة بالأغراض والمقاصد والمصالح لقوله رحمة منا وذكرى لأولي
الألباب قوله تعالى وخذ بيدك ضغثا معطوف على اركض والضغث الحزمة الصغيرة من الحشيش والقضبان وقيل الحزمة الكبيرة
من القضبان وفي المثل ضغث على إبالة والإبالة الحزمة من الحطب قال الشاعر • وأسفل مني نهدة قد ربطتها • وألقيت
ضغثا من خلى متطيب • وأصل المادة يدل على جميع المختلطات وقد تقدم هذا في يوسف في قوله أضغاث أحلام قوله تعالى
فاضرب به ولا تحنث الحنث الإثم ويطلق على فعل ما حلف على تركه أو ترك ما حلف على فعله لأنهما سببان فيه غالبا
فصل هذا الكلام يدل على تقدم يمين منه وقد روي أنه حلف على أهله واختلفوا في سبب حلفه عليها ويبعد ما قيل
إنها رغبته في طاعة الشيطان ويبعد ما قيل إنها رغبته في طاعة الشيطان ويبعد أيضا ما روي أنها قطعت ذوائبها لأن
المضطر يباح له ذلك بل الأقرب أنها خالفته في بعض المهمات وذلك أنها ذهبت في بعض المهمات فأبطأت فحلف في مرضه
ليضربنها مائة إذا برأ ولما كانت حسنة الخدمة لا جرم أن الله تعالى حلل يمينه بأهون شيء عليه وعليها وهذه الرخصة باقية
لما روي أن النبي عليه السلام أتي برجل ضعيف زنى بأمة فقال خذوا عثكالا فيه مائة شمراخ فاضربوه بها ضربة واحدة قوله تعالى إنا
وجدناه صابرا فإن قيل كيف وجده صابرا وقد شكا إليه فالجواب من وجوه الأول أنه شكا من الشيطان إليه وما شكا إلى أحد
والثاني أن الآلام حين كانت على الجسد لم يذكر شيئا فلما عظمت الوساوس خاف على القلب والدين فتضرع الثالث أن الشيطان
عدو والشكاية من العدو إلى الحبيب لا تقدح في الصبر قوله تعالى نعم العبد إنه أواب يدل على أن التشريف بقوله نعم العبد إنما
حصل لكونه أوابا وروي أنه لما نزل قوله تعالى نعم العبد في حق سليمان تارة وفي حق أيوب أخرى عظم في قلوب أمة محمد صلى الله
عليه وسلم وقالوا إن قوله نعم العبد تشريف عظيم فإن احتجنا إلى تحمل بلاء مثل أيوب لم نقدر عليه فكيف السبيل إلى تحصيله
فأنزل الله تعالى قوله نعم المولى ونعم النصير والمراد أنك إن لم تكن نعم العبد فأنا نعم المولى فإن كان منك الفضل فمني الفضل
وإن كان منك التقصير فمني الرحمة والتيسير قوله تعالى واذكر عبادنا إبراهيم وإسحاق ويعقوب قرأ ابن كثير عبدنا
بالتوحيد والباقون عبادنا بالجمع والرسم يحتملهما فأما قراءة ابن كثير فإبراهيم بدل أو عطف بيان أو بإضمار أعني وما بعده
عطف على نفس عبدنا لا على إبراهيم ويلزم إبدال الجمع من مفرد ولقائل أن يقول لما كان المراد بعبدنا الجنس جاز إبدال الجمع منه
كقراءة ابن عباس وإله أبيك إبراهيم في البقرة في أحد القولين وقد تقدم وأما قراءة الجماعة فواضحة لأنها موافقة للأول
في الجمع قال ابن الخطيب لأن غير إبراهيم من الأنبياء قد أجري عليه هذا الوصف فجاء في حق عيسى إن هو إلا عبد أنعمنا عليه وفي أيوب
نعم العبد وفي نوح إنه كان عبدا شكورا والمعنى اصبر يا محمد على ما يقولون واذكر صبر أيوب على البلاء واذكر صبر إبراهيم حين
ألقي في النار وصبر إسحاق حين عرض على الذبح وصبر يعقوب حين فقد ولده وذهب بصره قوله تعالى أولي الأيدي العامة
على ثبوت الياء وهو جمع يد وهي إما الجارحة وكنى بذلك عن الأعمال لأن أكثر الأعمال إنما تزاول باليد وقيل المراد بالأيدي
جمع يد المراد بها النعمة وقرأ عبد الله والأعمش والحسن وعيسى الأيد بغير ياء فقيل هي الأولى وإنما حذفت الياء اجتزاء عنها
بالكسرة ولأن أل تعاقب التنوين والياء تحذف مع التنوين فأجريت مع أل إجراءها معه وهذا ضعيف جدا وقيل الأيد القوة
إلا أن الزمخشري قال وتفسيره بالأيد من التأييد قلق غير متمكن انتهى وكأنه إنما قلق عنده لعطف الأبصار عليه فهو مناسب
للأيدي لا للأيد من التأييد وقد يقال إنه لا يراد حقيقة الجوارح إذ كل أحد كذلك إنما المراد الكناية عن العمل الصالح والتفكر
ببصيرته فلم يقلق حينئذ إذ لم يرد حقيقة الأبصار وكأنه قيل أولي القوة والتفكر بالبصيرة وقد نحا الزمخشري إلى شيء من
هذا قبل ذلك قال ابن عباس أولي القوة في طاعة الله والأبصار في المعرفة بالله أي البصائر في الدين وقال مجاهد وقتادة أعطوا
قوة في العبادة وبصرا في الدين قوله تعالى إنا أخلصناهم بخالصة ذكرى الدار قرأ نافع وهشام بخالصة ذكرى بالإضافة
وفيها أوجه أحدها أن يكون أضاف خالصة إلى ذكرى للبيان لأن الخالصة تكون ذكرى وغير ذكرى كما في قوله بشهاب قبس لأن
الشهاب يكون قبسا وغيره الثاني أن خالصة مصدر بمعنى إخلاص فيكون مصدرا مضافا للمفعول والفاعل محذوف أي بأن أخلصوا
ذكرى الدار وتناسوا عندها ذكرى الدنيا وقد جاء المصدر على فاعلة كالعاقبة أو يكون المعنى بأن أخلصنا نحن لهم ذكرى الدار الثالث
أنها مصدر أيضا بمعنى الخلوص فيكون مضافا لفاعلها أي بأن خلصت لهم ذكرى الدار وقرأ الباقون بالتنوين وعدم الإضافة
وفيها أوجه أحدها أنها مصدر بمعنى الإخلاص فيكون ذكرى منصوبا به وأن يكون بمعنى الخلوص فيكون ذكرى منصوبا به وأن
يكون بمعنى الخلوص فيكون ذكرى مرفوعا به كما تقدم والمصدر يعمل منونا كما يعمل مضافا أو يكون خالصة اسم فاعل على بابه
وذكرى بدل أو بيان لها أو منصوب بإضمار أعني أو مرفوع على إضمار مبتدأ والدار يجوز أن يكون مفعولا به بذكرى وأن

يكون ظرفا إما على الاتساع وإما على إسقاط الخافض ذكرهما أبو البقاء وخالصة إذا كانت صفة فهي صفة لمحذوف أي بسبب
خصلة خالصة فصل من قرأ بالإضافة فمعناه أخلصناهم بذكرى الدار الآخرة أن يعملوا لها والذكرى بمعنى الذكر قال مالك
ابن دينار نزعنا من قلوبهم حب الدنيا وذكرها وأخلصناهم بحب الآخرة وذكرها وقال قتادة كانوا يدعون إلى الآخرة وإلى الله عز وجل
وقال السدي أخلصوا الخوف للآخرة وقيل أخلصناهم بأفضل ما في الآخرة قاله ابن زيد ومن قرأ بالتنوين فمعناه بخلة خالصة وهي ذكرى
الدار فيكون ذكرى الدار بدلا عن الخالصة أو جعلناهم مخلصين بما أخبرنا من ذكر الآخرة المراد بذكرى الدار الذكر الجميل الرفيع لهم في الآخرة
وقيل إنه أبقى لهم الذكر الجميل في الدنيا وقيل هو دعاؤه واجعل لي لسان صدق في الآخرين قوله تعالى وإنهم عندنا لمن المصطفين الأخيار
أي المختارين من أبناء جنسهم والأخيار جمع خير أو خير بالتثقيل والتخفيف كأموات في جمع ميت أو ميت واحتج العلماء بهذه الآية
على إثبات عصمة الأنبياء لأنه تعالى حكم عليهم بكونهم أخيارا على الإطلاق وهذا يعم حصول الخير به في جميع الأفعال والصفات
بدليل صحة الاستثناء منه قوله تعالى واذكر إسمعيل واليسع وذا الكفل وكل من الأخيار وهم قوم آخرون من الأنبياء تحملوا الشدائد
في دين الله وقد تقدم شرح أصحاب هذه الأسماء في سورة الأنعام قوله تعالى هذا ذكر جملة جيء بها إيذانا بأن القصة
قد تمت وأخذ في أخرى وهذا كما فعل الجاحظ في كتبه تقول فهذا باب ثم يشرع في آخر ويدل على ذلك أنه لما أراد أن يعقب بذكر أهل
الجنة ثم قال هذا وإن للطاغين وقيل المراد هذا شرف وذكر جميل لهؤلاء الأنبياء يذكرون أبدا والصحيح الأول قوله تعالى وإن
للمتقين لحسن مآب المآب المرجع لما حكى سفاهة قريش على النبي صلى الله عليه وسلم بقولهم ساحر كذاب وقولهم له استهزاء عجل لنا قطنا
ثم أمره بالصبر على سفاهتهم والاقتداء بالأنبياء المذكورين في صبرهم على المكاره والشدائد بين ههنا أن من أطاع الله كان له من الثواب
كذا وكذا وكل من خالفه كان له من العقاب كذا وكذا وذلك يوجب الصبر على تكاليف الله تعالى وهذا نظم حسن وترتيب لطيف قوله
تعالى جنات عدن العامة على نصب جنات بدلا من حسن مآب سواء كانت جنات عدن معرفة أم نكرة لأن المعرفة تبدل من النكرة
وبالعكس ويجوز أن يكون عطف بيان إن كانت نكرة ولا يجوز ذلك فيها إن كانت معرفة وقد جوز الزمخشري ذلك بعد حكمه واستدلاله
على أنها معرفة وهذا كما تقدم له في مواضع يجيز عطف البيان وإن تخالفا تعريفا وتنكيرا وقد تقدم هذا في قوله تعالى فيه آيات
بينات مقام إبراهيم ويجوز أن ينتصب جنات عدن بإضمار فعل ومفتحة حال من جنات عدن أو نعت لها إن كانت نكرة وقال
الزمخشري حال والعامل فيها ما في المتقين من معنى الفعل انتهى وقد علل أبو البقاء بعلة في متكئين يقتضي منع مفتحة أن يكون حالا
وإن كانت العلة غير صحيحة فقال ولا يجوز أن يكون معنى متكئين حالا من المتقين كما ذكره الزمخشري إلا أن هذه العلة ليست صحيحة
وهو نظير قولك إن لهند مالا قائمة وأيضا في عبارته تجوز فإن المتقين لم يخبر عنهم بصناعة إنما أخبر عنهم معنى وإلا فقد أخبر
عن حسن مآب بأنه لهم وجعل الحوفي العامل مقدرا أي يدخلونها مفتحة قوله تعالى الأبواب في ارتفاعها وجهان أشهرهما عند الناس
أنها مرتفعة باسم المفعول كقوله وفتحت أبوابها واعترض على هذا بأن مفتحة إما حال وإما نعت لجنات وعلى التقديرين فلا رابط
ولا بد منه فأجيب بوجهين أحدهما قول البصريين وهو أن ثم ضميرا مقدرا تقديره الأبواب منها والثاني أن أل قامت مقام الضمير إذ الأصل
أبوابها وهو قول الكوفيين وتقدم تحقيق هذا والوجهان جاريان في قوله فإن الجنة هي المأوى الثاني أنها مرتفعة على البدل
من الضمير في مفتحة العائد على جنات وهو قول الفارسي لما رأى خلوها من الرابط لفظا ادعى ذلك واعترض على هذا بأن هذا
من بدل البعض أو الاشتمال وكلاهما لا بد فيهما من ضمير فيضطر إلى تقديره كما تقدم ورجح بعضهم الأول بأن فيه إضمارا واحدا
وفي هذا إضماران وتبعه الزمخشري فقال والأبواب بدل من الضمير في مفتحة أي مفتحة هي الأبواب كقولك ضرب زيد اليد
والرجل وهو من بدل الاشتمال انتهى يعني به الأبواب لأن الأبواب قد يقال إنها ليست بعض الجنات وأما ضرب زيد اليد والرجل
فهو بدل بعض من كل ليس إلا وقرأ زيد بن علي وأبو حيوة جنات عدن مفتحة برفعهما إما على أنهما جملة من مبتدأ وخبر وإما على أن
كل واحد خبر مبتدأ مضمر أي هي جنات هي مفتحة قوله تعالى متكئين حال من هم العامل فيها مفتحة وقيل العامل يدعون تأخر
عنها وقد تقدم منع أبي البقاء أنها حال من المتقين وما فيه ويدعون يجوز أن يكون مستأنفا وأن يكون حالا إما من ضمير متكئين وإما
حالا ثانية فصل اعلم أنه تعالى وصف أحوال أهل الجنة في هذه الآية فذكر أولا أحوال المساكن فقال جنات عدن وذلك يدل على أمرين
أحدهما كونها بساتين والثاني كونها دائمة ليست منقضية وقوله مفتحة لهم الأبواب قيل المراد أن الملائكة يفتحون لهم أبواب الجنة
ويحيونهم بالسلام كما قال تعالى حتى إذا جاؤوها وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين وقيل المعنى
أنهم كلما أرادوا انفتاح الأبواب انفتحت لهم وكلما أرادوا انغلاقها انغلقت لهم وقيل المراد من هذا الفتح وصف تلك المساكن
بالسعة وقرة العيون فيها وقوله متكئين فيها قد ذكر في آيات أخر كيفية ذلك الاتكاء فقال في آية على الأرائك متكئون وقال في أخرى
متكئين على رفرف خضر وقوله يدعون في الجنات بألوان الفاكهة وألوان الشراب والتقدير بفاكهة كثيرة وشراب كثير ولما
بين المسكن والمأكول والمشروب ذكر أمر المنكوح فقال وعندهم قاصرات الطرف أي عن غيرهم وقوله أتراب أي على سن واحد
قيل بنات ثلاث وثلاثين سنة واحدها ترب وعن مجاهد متواخيات لا يتباغضن ولا يتغايرن وقيل أترابا للأزواج

قال القفال والسبب في اعتبار هذه الصفة انهن لما تشابهن في الصفة والسن والجبلة كان الميل اليهن على السوية وذلك يقتضي عدم الغيرة **قوله تعالى** هذا ما توعدون قرأ ابن كثير وابو عمرو وهنا يدعون بالغيبة وفي ق ابن كثير وحده والباقون بالخطاب فيهما ووجه الغيبة هنا وفي ق تقدم ذكر المتقين ووجه الخطاب الالتفات اليهم والاقبال عليهم اي قل للمتقين هذا ما توعدون ليوم الحساب اي في يوم الحساب ان هذا لرزقنا ما له من نفاد اي فناء وانقطاع وهذا اخبار عن دوام هذا الثواب **قوله تعالى** من نفاد اما مبتدا واما فاعل ومن مزيدة والجملة في محل نصب على الحال من رزقنا اي غير فان ويجوز ان يكون خبرا ثانيا **قوله تعالى** هذا وان للطاغين يجوز ان يكون هذا مبتدا والخبر مقدر فقدره الزمخشري هذا كما ذكر وقدره ابو علي هذا للمتقين ويجوز ان يكون خبر مبتدا مضمر اي الامر هذا **فصل** لما وصف ثواب المتقين وصف بعده عقاب الظالمين ليكون الوعيد مذكورا عقيب الوعد والترهيب عقيب الترغيب فقال هذا وان للطاغين لشر مآب اي مرجع وهذا في مقابلة قوله وان للمتقين لحسن مآب والمراد بالطاغين الكفار وقال الجبائي هم اصحاب الكبائر سواء كانوا كفارا ام لا واحتج الاولون بقوله تعالى ان الانسان ليطغى ان رآه استغنى فدل على ان الوصف بالطغيان قد يحصل لصاحب الكبيرة لان من تجاوز حد تكاليف الله وتعداها فقد طغى **قوله تعالى** جهنم يجوز ان يكون بدلا من شر مآب او منصوبة باضمار فعل وقياس قول الزمخشري في جنات عدن ان يكون عطف بيان وان يكون منصوبة بفعل مقدر على الاشتغال اي يصلون جهنم يصلونها والمخصوص بالذم محذوف اي هي **قوله تعالى** فبئس المهاد وهو معنى قوله لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش شبه الله تعالى ما تحتهم من النار بالمهاد الذي يفرشه النائم **قوله تعالى** هذا فليذوقوه في هذا اوجه احدها ان يكون مبتدا وخبره حميم وغساق وقد تقدم ان اسم الاشارة يكتفى بواحده في المثنى كقوله عوان بين ذلك او يكون المعنى هذا جامع بين الوصفين ويكون قوله فليذوقوه جملة اعتراضية الثاني ان يكون هذا منصوبا بمقدر على الاشتغال اي ليذوقوا هذا وشبهه الزمخشري بقوله تعالى واياي فارهبون يعني على الاشتغال والكلام على مثل هذه الفاء قد تقدم وحميم على هذا خبر مبتدا مضمر او مبتدا وخبره مضمر اي منه حميم ومنه غساق كقول الشاعر •

حتى اذا ما اضاء البرق في غلس • وغودر البقل ملوي ومحصود •

اي منه ملوي ومنه محصود الثالث ان يكون هذا مبتدا والخبر محذوف اي هذا كما ذكر او هذا للطاغين الرابع انه خبر مبتدا مضمر اي الامر هذا ثم استأنف امرا فقال فليذوقوه الخامس ان يكون مبتدا خبره فليذوقوه وهو رأي الاخفش ومنه قوله • وقائلة خولان فانكح فتاتهم • وتقدم تحقيق هذا عند قوله والسارق والسارقة وقرأ الاخوان وحفص غساق بتشديد السين هنا وفي عم يتساءلون وخففه الباقون فيهما فاما المثقل فهو صفة كالجبار والضراب مثال المبالغة وذلك ان فعالا في الصفات اغلب منه في الاسماء ومن وروده في الاسماء الكلاء والجبان والفياد لذكر البوم والعقار والخطار واما المخفف فهو اسم لا صفة لان فعالا بالتخفيف في الاسماء كالعذاب والنكال اغلب منه في الصفات على ان منهم من جعله صفة بمعنى ذو كذا اي ذي غسق وقال ابو البقاء او يكون فعال بمعنى فاعل قال شهاب الدين وهذا غير معروف **فصل** قيل هذا على التقديم والتاخير والتقدير هذا حميم وغساق فليذوقوه ثم يبتدئ فيقول حميم وغساق اي منه حميم ومنه غساق **والغسوق** السيلان يقال غسقت عينه اي سالت قال المفسرون انه ما يسيل من صديدهم وقيل غسق اي امتلأ ومنه غسقت عينه اي امتلأت بالدمع ومنه الغاسق للقمر لامتلائه وكماله وقيل الغساق ما قتل ببرده ومنه قيل لليل غاسق لانه ابرد من النهار قال ابن عباس هو الزمهرير يحرقهم ببرده كما تحرقهم النار بحرها وقال مجاهد وقتادة هو الذي انتهى برده وقيل الغسق شدة الظلمة ومنه قيل لليل غاسق ويقال للقمر غاسق اذا كسف لاسوداده والقولان منقولان في تفسير قوله تعالى ومن شر غاسق وقيل الغساق المنتن بلغة الترك حكى الزجاج لو قطرت منه قطرة بالمغرب لانتنت اهل المشرق وقال ابن عمر هو القيح الذي يسيل منهم يجتمع فيسقونه قال قتادة هو ما يغسق اي يسيل من القيح والصديد من جلود اهل النار ولحومهم وفروج الزناة من قولهم غسقت عينه اذا انصبت والغسقان الانصباب وقال كعب الغساق عين في جهنم يسيل اليها كل ذوات حمة من حية وعقرب **قوله تعالى** وآخر قرأ ابو عمرو بضم الهمزة على انه جمع وارتفاعه من اوجه احدها انه مبتدا ومن شكله خبره وازواج فاعل به الثاني ان يكون مبتدا ايضا ومن شكله خبر مقدم وازواج مبتدا والجملة خبره وعلى هذين فيقال كيف يصح من غير ضمير يعود على آخر فان الضمير في شكله يعود على ما تقدم اي من شكل المذوق والجواب ان الضمير عائد على المبتدا وانما افرد وذكر لان المعنى من شكل ما ذكرنا ذكره هذا التاويل ابو البقاء وقد منع مكي ذلك لاجل الخلو من الضمير وجوابه ما ذكرنا الثالث ان يكون من شكله نعتا لآخر وازواج خبر المبتدا اي وآخر من شكل المذوق ازواج الرابع ان يكون من شكله نعتا ايضا وازواج فاعل به والضمير عائد على آخر بالتاويل المتقدم وعلى هذا فيرتفع آخر على الابتدا والخبر مقدر اي ولهم انواع اخر استقر من شكلها ازواج الخامس ان يكون الخبر مقدرا كما تقدم اي ولهم آخر ومن شكله وازواج صفتان لآخر وقرأ العامة من شكله بفتح الشين وقرأ مجاهد بكسرها وهما لغتان بمعنى المثل والضرب تقول هذا على شكله اي مثله وضربه واما الشكل بمعنى الغنج فبالكسر لا غير قاله الزمخشري وقرأ الباقون وآخر بفتح الهمزة وبعدها الف بصيغة افعل التفضيل والاعراب فيه كما تقدم والضمير في واحد

الاوجه يعود عليه من غير تاويل لانه مفرد الا انه في احد الاوجه يلزم الاخبار عن المفرد بالجمع او وصف المفرد بالجمع لان من جملة الاوجه المتقدمة ان يكون ازواج خبرا عن آخر او نعتا له كما تقدم وعنه جوابان احدهما ان التقدير وعذاب آخر او مذوق آخر وهو ضروب ودرجات فكان في قوة الجمع او يجعل كل جزء من ذلك الآخر مثل الكل وسماه باسمه وهو شائع كثير نحو غليظ الحواجب وشابت مفارقه على ان لقائل ان يقول ان ازواجا صفة للثلاثة الاشياء المتقدمة اعني الحميم والغساق وآخر من شكله فيلغى السؤال **قوله تعالى** هذا فوج مقتحم معكم مفعول مقتحم محذوف اي مقتحم النار والاقتحام الدخول في الشيء بشدة والقحمة الشدة وقال الراغب الاقتحام توسط شدة مخيفة ومنه تقحم الفرس فارسه اي توغل به ما يخاف منه والمقاحم الذين يقتحمون في الامر الذي يتجنب **قوله تعالى** معكم يجوز ان يكون نعتا ثانيا لفوج وان يكون حالا منه لانه قد وصف وان يكون حالا من الضمير المستتر في مقتحم قال ابو البقاء ولا يجوز ان يكون ظرفا لفساد المعنى قال شهاب الدين ولا ادري من اي وجه يفسد والحالية والصفة في المعنى كالظرفية وقوله هذا فوج الى النار يجوز ان يكون من كلام الرؤساء بعضهم لبعض بدليل قول الاتباع لا مرحبا بكم انتم قدمتموه لنا وان يكون من كلام الخزنة ويجوز ان يكون هذا فوج من كلام الملائكة والباقي من كلام الرؤساء وكان القياس على هذا ان يقال بل هم لا مرحبا بهم لانهم لا يقولون للملائكة ذلك الا انهم عدلوا عن خطاب الملائكة الى خطاب اولئك تشفيا منهم والمعنى هذا جمع كثيف قد اقتحم معكم النار كما كانوا قد اقتحموا معكم في الجهل والضلال **والفوج** القطيع من الناس وجمعه افواج **قوله تعالى** لا مرحبا بهم في مرحبا وجهان اظهرهما انه مفعول بفعل مقدر اي لا اصبتم مرحبا بل ضيقا ثم في الجملة المنفية وجهان احدهما انها مستأنفة سيقت للدعاء عليهم وقوله بهم بيان للمدعو عليهم والثاني انها حالية وقد يعترض عليه بانه دعاء والدعاء طلب والطلب لا يقع حالا والجواب انه على اضمار القول اي مقولا لهم لا مرحبا قال المفسرون قوله تعالى لا مرحبا بهم دعاء منهم على اتباعهم يقول الرجل لمن يدعو له مرحبا اي اتيت رحبا من البلاد لا ضيقا او رحبت بلادك رحبا ثم يدخل عليه كلمة لا في دعاء النفي **قوله تعالى** انهم صالوا النار تعليل لاستحقاقهم الدعاء عليهم ونظير هذه الآية قوله كلما دخلت امة لعنت اختها قالوا اي الاتباع بل انتم لا مرحبا بكم يريدون ان الدعاء الذي دعوتم به علينا انتم احق به وعللوا ذلك بقولهم انتم قدمتموه لنا والضمير للعذاب او الضلال فان قيل ما معنى تقديمهم العذاب لهم فالجواب الذي اوجب التقديم هو عمل السوء كقوله تعالى ذوقوا عذاب الحريق ذلك بما قدمت ايديكم الا ان الرؤساء لما كانوا هم السبب فيه باغوائهم وكان العذاب جزاءهم عليه قيل انتم قدمتموه لنا وقوله فبئس القرار اي بئس المستقر والمسكن جهنم **قوله تعالى** من قدم يجوز ان يكون من شرطية وفزده جوابها وان تكون استفهامية وقدم خبرها اي اي شخص قدم لنا هذا ثم استأنفوا دعاء بقولهم فزده وان تكون موصولة بمعنى الذي وحينئذ يجوز فيها وجهان الرفع بالابتداء والخبر فزده والفاء زائدة تشبيها له بالشرط والثاني انها منصوبة بفعل مقدر على الاشتغال والكلام في مثل هذه الفاء قد تقدم وهذا الوجه يجوز عند بعضهم حال كونها شرطية او استفهامية اعني الاشتغال الا انه لا يقدر الفعل الا بعدها لان لها صدر الكلام وضعفا نعت لعذابا اي مضاعفا **قوله تعالى** في النار يجوز ان يكون ظرفا لزده او نعتا لعذاب او حالا منه لتخصيصه او حالا من مفعول زده **فصل** قالوا يعني الاتباع ربنا من قدم لنا هذا اي شرعه وسنه لنا فزده عذابا ضعفا اي مضاعفا في النار ونظيره قوله تعالى ربنا هؤلاء اضلونا فآتهم عذابا ضعفا من النار وقولهم انا اطعنا سادتنا وكبراءنا فاضلونا السبيل ربنا آتهم ضعفين من العذاب فان قيل كل مقدار يعرض من العذاب فان كان بقدر الاستحقاق ولم يكن مضاعفا وان كان زائدا عليه كان ظلما وانه لا يجوز فالجواب المراد منه قوله صلى الله عليه وسلم من سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيامة والمعنى انه يكون احد القسمين عذاب الضلال والثاني عذاب الاضلال والله اعلم وهذا آخر شرح احوال الكفار مع الذين كانوا احبابا لهم في الدنيا واما شرح احوالهم مع الذين كانوا اعداء لهم في الدنيا فهو **قوله تعالى** وقالوا ما لنا لا نرى رجالا كنا نعدهم من الاشرار اي ان صناديد قريش قالوا وهم في النار ما لنا لا نرى رجالا كنا نعدهم من الاشرار في الدنيا يعنون فقراء المؤمنين عمارا وخبابا وصهيبا وبلالا وسلمان وسموهم اشرارا اما بمعنى الاراذل الذين لا خير فيهم ولا جدوى ولانهم كانوا على خلاف دينهم فكانوا عندهم اشرارا **قوله تعالى** اتخذناهم سخريا قرأ الاخوان وابو عمرو بوصل الهمزة وهي تحتمل وجهين احدهما ان يكون خبرا محضا وتكون الجملة في محل نصب صفة ثانية لرجالا كما وقع كنا نعدهم صفة وان يكون المراد الاستفهام وحذفت اداته لدلالة ام عليها كقوله • تروح من الحي ام تبتكر • وما ذا عليك بان تنتظر • فام متصلة على هذا وعلى الاول منقطعة بمعنى بل والهمزة لانها لم يتقدمها همزة استفهام ولا تسوية والباقون بهمزة استفهام سقطت لاجلها همزة الوصل والظاهر انه لا محل للجملة حينئذ لانها طلبية وجوز بعضهم فيها ان تكون صفة لكن على اضمار القول اي رجالا مقولا فيهم اتخذناهم كقوله • جاؤوا بمذق هل رايت الذئب قط • الا ان الصفة في الحقيقة ذلك القول المضمر وقد تقدم الخلاف في سخريا في قد افلح المؤمنون والمشهور ان المكسور هنا الهزء كقوله • اني اتاني لسان لا اسر بها • من علو لا كذب فيها ولا سخر • وتقدم معنى لحاق الياء المشددة في ذلك وام مع الخبر منقطعة فقط كما تقدم ومع الاستفهام يجوز ان يكون متصلة وان تكون منقطعة كقولك ازيد عندك ام عندك عمرو ويجوز ان يكون ام زاغت متصلا بقوله ما لنا لا نرى لانه استفهام الا انه يتعين انقطاعها لعدم الهمزة ويكون ما بينهما معترضا على

قراءة اتخذناهم بالاستفهام ان تجعله صفة على اضمار القول كما تقدم قال اهل المعاني قراءة الاخوين اولى لانهم علموا انهم
اتخذوهم سخريا لقوله تعالى فاتخذتموهم سخريا حتى انسوكم ذكري فلا يستقيم الاستفهام وتكون ام على هذه القراءة بمعنى بل واجاب
الفراء عن هذا بان قال هذا من الاستفهام الذي معناه التعجب والتوبيخ ومثل هذا الاستفهام جائز عن الشيء المعلوم ومن فتح الالف قال
هو على اللفظ لا على المعنى ليعادل ام في قوله ام زاغت فان قيل فالجملة المعادلة بقوله ام زاغت على القراءة الاولى فالجواب انها محذوفة
والتقدير ام زاغت عنهم الابصار وقرا نافع سخريا بضم السين والباقون بكسرها فقيل هما بمعنى وقيل الكسر بمعنى الهزء وبالضم
التذليل والتسخير واما نظم الاية على قراءة الاخبار فالتقدير ما لنا لا نراهم حاضرين لاجل انهم لحقارتهم تركوا لاجل انهم زاغت
عنهم الابصار ووقع التعبير عن حقارتهم بقولهم اتخذناهم سخريا واما على قراءة الاستفهام فالتقدير لاجل انا قد اتخذناهم سخريا
وما كانوا كذلك فلم يدخلوا لاجل انه زاغت عنهم الابصار **فصل** معنى الاية ما لنا لا نرى هؤلاء الذين اتخذناهم سخريا
لم يدخلوا معنا النار ام دخلوها فزاغت اي فمالت عنهم ابصارنا وقال ابن كيسان ام كانوا خيرا منا ونحن لا نعلم فكانت ابصارنا
ترتفع عنهم في الدنيا فلا نعدهم شيئا **قوله تعالى** ان ذلك لحق اي الذي ذكرت لحق اي لا بد وان يتكلموا به ثم بين ذلك الذي حكاه
عنهم فقال تخاصم اهل النار العامة على رفع تخاصم مضافا فالحق وفيه اوجه احدها انه بدل من لحق الثاني انه عطف بيان الثالث انه
بدل من ذلك على الموضع حكاه مكي وهذا يوافق بعض الكوفيين الرابع انه خبر ثان لان الخامس انه خبر مبتدا مضمر اي هو تخاصم السادس
انه مرفوع بقوله لحق الا ان ابا البقاء قال ولو قيل هو مرفوع بحق لكان بعيدا لانه يصير جملة ولا ضمير فيها يعود على اسم ان وهذا رد صحيح
وقد يجاب عنه وقرا ابن محيصن بتنوين تخاصم الزيدون اي ان تخاصموا وهذا قول البصريين وبعض الكوفيين خلافا للفراء وقرا ابن ابي عبلة
تخاصم بالنصب مضافا لاهل وفيه اوجه احدها انه صفة لذلك على اللفظ قال الزمخشري لان اسماء الاشارة توصف باسماء الا
جناس وهذا فيه نظر لانهم نصوا على ان اسماء الاشارة لا توصف الا بما فيه ال نحو بهذا الرجل ولا يجوز بهذا غلام الرجل فهذا بعيد ولان الصحيح
ان الواقع بعد اسم الاشارة المقارن لال ان كان مشتقا كان صفة والا كان بدلا وتخاصم ليس مشتقا والثاني انه بدل من ذلك الثالث
انه عطف بيان الرابع على اضمار اعني وقال ابو الفضل ولو نصب تخاصم على انه بدل من ذلك لجاز انتهى كانه لم يطلع عليها قراءة وقرا
ابن السميفع تخاصم فعلا ماضيا اهل فاعل به وهي جملة استئنافية وانما سمى الله تعالى تلك الكلمات تخاصما لان قول الرؤساء لا مرحبا بهم
وقول الاتباع بل انتم لا مرحبا بكم من باب الخصومة **قوله تعالى** قل انما انا منذر لما شرح نعيم اهل الثواب وعقاب اهل العقاب عاد الى
تقرير التوحيد والنبوة والعذاب المذكور من اول السورة فقال قل يا محمد انما انا منذر مخوف ولا بد من الاقرار بانه ما من اله الا الله الواحد
القهار فكونه واحدا يدل على عدم الشريك وقوله قهار اشعر بالترهيب والتخويف ولما ذكر ذلك اردفه بما يدل على الرجاء والترغيب
فقال رب السموات والارض وما بينهما العزيز الغفار فكونه ربا يشعر بالتربية والاحسان والكرم والجود وكونه غفارا يشعر بانه
لو اقدم على المعاصي والذنوب فانه يغفر برحمته وهذا الموصوف هو الذي يجب عبادته لانه هو الذي يخشى عقابه ويرجى ثوابه ويجوز
ان يكون رب السموات خبر مبتدا محذوف وفيه معنى المدح **قوله تعالى** هو نبا هو يعود على القران وما فيه من القصص والاخبار وقيل
على تخاصم اهل النار وقيل على ما تقدم من اخباره صلى الله عليه وسلم بانه نذير مبين وبان الله له واحد متصف بتلك الصفات الحسنة
وانتم عنه معرضون صفة لنبا او مستانفة قال ابن عباس ومجاهد وقتادة المراد بالنبا العظيم القران وقيل القيمة لقوله عم يتساءلون
عن النبا العظيم قال ابن الخطيب هذا النبا يحتمل وجوها يمكن ان يكون المراد به القول بان الاله واحد وان يكون المراد القول بان
الحشر والقيمة نبا عظيم ويمكن ان يكون المراد كون القران معجزا لتقدم ذكره في قوله كتاب انزلناه اليك مبارك ليدبروا اياته
وهؤلاء القوم اعرضوا عنه **قوله تعالى** ما كان لي من علم بالملا الاعلى يعني الملائكة فقوله بالملا متعلق بقوله من علم وضمن معنى الاحاطة
فلذلك تعدى بالبا وتقدم تحقيقه **قوله تعالى** اذ يختصمون فيه وجهان احدهما هو منصوب بالمصدر ايضا والثاني بمضاف
مقدر اي بكلام الملا الاعلى اذ قاله الزمخشري والضمير في يختصمون للملا الاعلى هذا هو الظاهر وقيل لقريش اي يختصمون في الملا
الاعلى فبعضهم يقول بنات الله وبعضهم يقول غير ذلك فالتقدير اذ يختصمون فيهم في شان آدم حين قال الله تعالى اني جاعل في
الارض خليفة قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء فالجواب لانك اجري هناك سؤال وجواب وذلك يشبه المخاصمة
والمناظرة والمشابهة علة لجواز المجاز فلهذا السبب حسن اطلاق لفظ المخاصمة عليه ولما امر الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم ان يذكر
هذا الكلام على سبيل الرمز امره ان يقول ان يوحى الي الا انما انا نذير مبين يعني انا ما عرفت هذه المخاصمة الا بالوحي **قوله تعالى** الا انما انا
العامة على فتح الهمزة من انما وفيها وجهان احدهما انها مع ما في حيزها في محل رفع لقيامها مقام الفاعل اي ما يوحى الي الا الانذار او الا
كوني نذيرا مبينا والثاني انها في محل نصب او جر بعد اسقاط لام العلة والقائم مقام الفاعل هذا الجار والمجرور اي ما يوحى الي الا للانذار
او لكوني نذيرا ويجوز ان يكون القائم مقام الفاعل على هذا ضميرا ما يدل عليه السياق اي ما يوحى الي ذلك الوحي الا للانذار وقرا ابو جعفر
بالكسر لان الوحي قول كانه قال الي وهي القائمة مقام الفاعل على سبيل الحكاية اي الا هذا القول كانه قيل ما يوحى الي الا هذه الجملة المتضمنة
لهذا الاخبار وقال الزمخشري على الحكاية اي الا هذا القول وهو ان اقول لكم انما انا نذير مبين ولا ادعي شيئا اخر قال ابو حيان وفي تخريجه

تعارض لانه قال الا هذا القول فظاهره الجملة التي هي انما انا نذير مبين ثم قال وهو ان اقول لكم اني نذير فالمقام مقام الفاعل هو
ان اقول لكم واني وما بعده في موضع نصب وعلى قوله الا هذا القول يكون في موضع رفع فتعارضا قال شهاب الدين ولا تعارض البتة
لانه تفسير معنى في التقدير الثاني وفي الاول تفسير اعراب فلا تعارض **قوله تعالى** اذ قال يجوز ان يكون بدلا من اذ الاولى وان يكون
منصوبا باذكر مقدرا قال الاول الزمخشري واطلق ابو البقاء الثاني واطلق وفصل ابو حيان فقال بدل من اذ يختصمون هذا اذا كانت
الخصومة في شان من يستخلف في الارض وعلى غيره من الاقوال يكون منصوبا باذكر انتهى قال شهاب الدين وتلك الاقوال ان التخاصم اما
بين الملائكة الاعلى او بين قريش وفيما اذا كان المخاصمة بخلافه **قوله** من طين يجوز ان يتعلق بمحذوف صفة لبشرا وان يتعلق بخالق **فصل**
اعلم ان المقصود من ذكر هذه القصة المنع من الحسد والكبر لان ابليس انما وقع فيما وقع فيه بسبب الحسد والكبر والكفار انما نازعوا محمدا
صلى الله عليه وسلم بسبب الحسد والكبر فذكر الله تعالى هذه القصة ههنا ليصير سماعها زاجرا لهم عن هاتين الخصلتين المذمومتين
والمراد بالبشر ههنا ادم عليه السلام **قوله تعالى** فاذا سويته اتممت خلقه ونفخت فيه من روحي فاضاف الروح الى نفسه وذلك يدل
على انه جوهر شريف علوي قدسي والفاء في قوله فقعوا له ساجدين يدل على انه كما تم نفخ الروح في الجسد توجه امر الله عليهم بالسجود وقد
تقدم الكلام في الملائكة المامورين بالسجود هل هم ملائكة الارض او يدخل فيه ملائكة السموات مثل جبريل وميكائيل والروح الاعظم
المذكور في قوله يوم يقوم الروح والملائكة فقط وقال بعض الصوفية الملائكة الذين امروا بالسجود لادم هم القوى البدنية والحيوانية
الحسية والحركية فانها في بدن الانسان خول لادم النفس الناطقة وابليس الذي لم يسجد هو القوى الوهمية التي هي المنازعة لجوهر العقل
قوله تعالى كلهم اجمعون تاكيدان وقال الزمخشري كل للاحاطة واجمعون للاجتماع فافادا معا انهم سجدوا عن اخرهم ما بقي
منهم ملك الا سجد وانهم سجدوا عن اخرهم جميعا في وقت واحد غير متفرقين وقد تقدم الكلام في ذلك في سورة الحجر **قوله تعالى**
ان تسجد قد يستدل به من يرى ان لا في ان لا تسجد في السورة الاخرى زائدة حيث سقطت هنا والقصة واحدة وقوله لما خلقت
قد يستدل به من يرى جواز وقوع ما على العاقل لان المراد به آدم وقيل لا دليل فيه لانه كان فخارا غير حساس فاشير اليه في تلك
الحال وهذا ليس بشيء لان هذا الخطاب انما كان بعد نفخ الروح فيه لقوله فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين فلما
امتنع من السجود قال له ما منعك ان تسجد لما خلقت وقيل ما مصدرية والمصدر غير مراد فيكون واقعا موقع المفعول به اي لمخلوقي وقرا
الجحدري لما بتشديد الميم وفتح اللام وهي لما الظرفية عند الفارسي وحرف وجوب لوجوب عند سيبويه والسجود له على هذا غير
مذكور اي ما منعك من السجود لما خلقت اي حين خلقت لمن امرتك بالسجود له وقرئ بيدي بكسر الياء كقراءة حمزة مصرخي وتقدم ما
فيها وقرئ بيدي بالافراد **قوله تعالى** استكبرت قرا العامة بهمزة الاستفهام وهو استفهام توبيخ وانكار وام متصلة هنا هذا
قول جمهور النحويين ونقل ابن عطية عن بعض النحويين انها لا تكون معادلة للالف مع اختلاف الفعلين وانما تكون معادلة اذا
اذا دخلت على فعل واحد كقولك اقام زيد ام عمرو وازيد قام ام عمرو واذا اختلف الفعلان كهذه الاية فليست معادلة وهذا
الذي حكاه عن بعض النحاة مذهب جمهور النحاة على خلافه قال سيبويه وتقول اضربت زيدا ام قتلته فالبدء بالفعل هنا احسن
لانك انما تسال عن احدهما لا تدري ايهما كان ولا تسال عن موضع احدهما كانك قلت اي ذلك كان انتهى فعادل بها الالف مع اختلاف
الفعلين وقرا جماعة منهم ابن كثير وليست مشهورة عنه استكبرت بالف الوصل فاحتملت وجهين احدهما ان يكون الاستفهام مرادا
يدل عليه ام كقوله ٭ بسبع رمين الجمر ام بثمان ٭ وقوله ٭ تروح من الحي ام تبتكر ٭ فتتفق القراءتان في المعنى ويحتمل ان يكون
خبرا محضا وعلى هذا فام منقطعة لعدم شرطها **فصل** المعنى استكبرت الان ام كنت من المتكبرين ابدا اي من القوم الذين تكبروا
تكبرت عن السجود لكونك منهم فاجاب ابليس بقوله انا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين فبين كونه خيرا منه بان اصله من النار
واصل آدم من الطين والنار اشرف من الطين والدليل على ان النار افضل من الطين وان الاجرام الفلكية افضل من الاجرام العنصرية
والنار اقرب العناصر من الفلك والارض ابعدها عنه فوجب كون النار افضل من الارض وايضا فالنار خليفة الشمس والقمر في اضاءة العالم
عند غيبتهما والشمس والقمر اشرف من الارض فخليفتهما في الاضاءة افضل من الارض وايضا فالكيفية الفاعلة الاصلية اما الحرارة او البرودة
والحرارة افضل من البرودة لان الحرارة تناسب الحيوة والبرودة تناسب الموت وايضا فالنار لطيفة والارض كثيفة واللطافة اشرف
من الكثافة وايضا فالنار مشرقة والارض مظلمة والنور خير من الظلمة وايضا فالنار خفيفة تشبه الروح والارض كثيفة تشبه الجسد
والروح افضل من الجسد فالنار افضل من الارض وذهب اخرون الى تفضيل الارض على النار فقالوا الارض امين مصلح فاذا اودعته
حبة ردها اليك شجرة مثمرة والنار خائن مفسد كلما اسلمته اليه وايضا فالنار بمنزلة الخادم لما في الارض ان احتيج اليها استدعيت
استدعاء الخادم وان استغني عنها طردت وايضا فالارض مستولية على النار فانها تطفي النار وايضا فان استدلال ابليس بكون اصله
خيرا من اصله فهو استدلال فاسد لان اصل الرماد النار واصل البساتين المزهرة والاشجار المثمرة هو الطين ومعلوم بالضرورة ان
الاشجار المثمرة خير من الرماد وايضا هب ان اعتبار هذه الجهة توجب الفضيلة الا ان هذا يمكن ان يعارض بجهة اخرى توجب الرجحان
مثل انسان نسبه عاري من كل الفضائل فان نسبه يوجب رجحانه الا ان الذي لا يكون نسيبا قد يكون كثير العلم والزهد فيكون افضل

من النسب بدرجات لاحدلها فكذبت تقدم ابليس **فصل** هب ان ابليس اخطأ في هذا القياس لكن كيف لزمه الكفر في تلك
المخالفة وتقريرهذا السؤال من وجوه الاول ان قوله اسجدوا امر والامر لايقتضي الوجوب بل الندب ومخالفة الندب لاتقتضي العصيان
فضلا عن الكفر وايضا فالذين يقولون ان الامر للوجوب فهم لاينكرون كونه محتملا للندب احتمالا ظاهرا ومع قيام هذا الاحتمال
الظاهر كيف يلزم العصيان فضلا عن الكفر الثاني هب انه للوجوب الا ان ابليس لما كان من الملائكة فامر الملائكة بالسجود لادم لايدخل
فيه ابليس الثالث هب انه تناوله الا ان تخصيص العام بالقياس جائز فجاز ان يخصص نفسه من عموم ذلك الامر بالقياس الرابع هب
انه لم يسجد مع علمه بانه كان مامورا به الا ان هذا القدر يوجب العصيان ولا يوجب الكفر فكيف لزمه الكفر **فالجواب** هب ان صيغة
الامر لاتدل على الوجوب ولكن يجوز ان ينضم اليها من القراين ما يدل على الوجوب وههنا حصلت تلك القراين وهي قوله تعالى استكبرت
ام كنت من العالين فلما اتى ابليس بقياسه الفاسد دل ذلك على انه انما ذكر القياس ليتوصل به الى القدح في امر الله وتكليفه وذلك
يوجب الكفر واذا عرف هذا فنقول ان ابليس لما ذكر هذا القياس الفاسد قال تعالى اخرج منها فانك رجيم وقد ثبت في اصول الفقه
ان ذكر الحكم عقيب الوصف المناسب يدل على كون ذلك الحكم معللا بذلك الوصف وههنا الحكم بكونه رجيما ورد عقيب ما حكي عنه انه
خصص النص بالقياس فهذا يدل على ان تخصيص النص بالقياس يوجب هذا الحكم **قوله تعالى** منها اي من الجنة او من الخلقة لانه كان
حسنا فرجع قبيحا وكان نورانيا فعاد مظلما وقيل من السموات وقال هنا لعنتي وفي غيرها اللعنة وهما وان كانا في اللفظ عاما وخاصا
الا انهما من حيث المعنى عامان بطريق اللازم لان من كانت عليه لعنة الله كانت عليه لعنة كل احد لا محالة وقال تعالى اولئك عليهم
لعنة الله والملائكة والناس اجمعين وتقدم في الحجر نظيرها **فصل** الرجيم المرجوم والرجم ههنا عبارة عن الطرد لان
الظاهر ان من طرد فقد رمي بالحجارة وهو الرجم فلما كان الرجم من لوازم الطرد جعل الرجم كناية عن الطرد فان قيل الطرد هو اللعن فلو حملنا
قوله رجيم على الطرد لكان قوله بعد ذلك وان عليك لعنتي تكرارا فالجواب من وجهين الاول ان نحمل الرجم على الطرد من الجنة
ومن السموات ونحمل اللعن على الطرد من رحمة الله الثاني ان نحمل الرجم على الطرد ونحمل قوله عليك لعنتي الى يوم الدين على ان الطرد الى يوم القيمة
فيكون هذا فائدة زائدة ولايكون تكرارا وقيل المراد بالرجم كون الشياطين مرجومين بالشهب فان قيل كلمة الى لانتهاء الغاية فقوله الى يوم
الدين يقتضي انقطاع تلك اللعنة عند مجيء يوم الدين واجاب الزمخشري بان اللعنة باقية عليه في الدنيا فاذا جاء يوم القيمة حصل مع
اللعنة انواع من العذاب فتصير اللعنة مع حضورها منسية واعلم بان ابليس لما صار ملعونا قال فانظرني الى يوم يبعثون فبين انما طلب
الانظار الى يوم البعث لاجل ان يتخلص من الموت لانه اذا انظر الى يوم البعث لم يمت قبل البعث وعند مجيء البعث لايموت فحينئذ يتخلص
من الموت فقال تعالى انك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم اي انك من المنظرين الى يوم يعلمه الله ولايعلمه احد سواه فقال ابليس فبعزتك
قسم بعزة الله وسلطانه لاغوينهم اجمعين فههنا اضاف الاغواء الى نفسه على مذهب القدر وقال مرة اخرى رب بما اغويتني فاضاف
الاغواء الى الله على ما هو مذهب الجبر ثم قال الا عبادك منهم المخلصين قيل ان غرض ابليس من هذا الاستثناء ان لايقع في كلامه الكذب لانه لو لم
يذكر هذا الاستثناء وادعى انه يغوي الكل لظهر كذبه حين يعجز عن اغواء عباد الله المخلصين وعند هذا يقال ان الكذب شيء يستنكف منه
ابليس فكيف يليق بالمسلم وهذا يدل على ان ابليس لايغوي عباد الله المخلصين وقد قال تعالى في صفة يوسف عليه السلام انه من عبادنا
المخلصين فتحصل من مجموع الاثنين ان ابليس ما اغوى يوسف عليه السلام فدل على كذب الحشوية فيما نسبوه الى يوسف عليه السلام
من القبايح **قوله تعالى** فالحق والحق قراهما العامة منصوبين وفي نصب الاول اوجه احدها انه مقسم به حذف منه حرف القسم
فانتصب كقوله • فذاك امانة الله الثريد • وقوله لاملان جواب القسم قال ابو البقا الا ان سيبويه يدفعه لانه لايجوز حذف
حرف القسم الا مع اسم الله تعالى ويكون قوله والحق اقول معترضا بين القسم وجوابه قال الزمخشري كانه قيل ولا اقول الا الحق يعني ان
تقديم المفعول افاد الحصر والمراد بالحق اما الباري تعالى كقوله ويعلمون ان الله هو الحق المبين واما نقيض الباطل والثاني انه منصوب
على الاغراء اي الزموا الحق والثالث انه مصدر موكد لمضمون قوله لاملان قال الفراء هو على معنى قولك حقا لاتينك ووجود الالف واللام
وطرحهما سواء اي لاملان جهنم حقا انتهى وهذا لايتمشى على قول البصريين فان شرط نصب المصدر الموكد لمضمون الجملة ان يكون بعد جملة
ابتدائية جزاها معرفتان جامدان جمودا محضا وجوز ابن العلج ان يكون الخبر نكرة وايضا فان المصدر الموكد لايجوز تقديمه على الجملة
الموكد هو لمضمونها وهذا قد تقدم واما الثاني فمنصوب باقول بعده والجملة معترضة كما تقدم وجوز الزمخشري ان يكون منصوبا
على التكرير بمعنى ان الاول والثاني كليهما منصوبان باقول وسياتي ايضاح ذلك في عبارته وقرا عاصم وحمزة برفع الاول ونصب الثاني
فرفع الاول من اوجه احدها انه مبتدا وخبره مضمر تقديره فالحق مني او فالحق انا الثاني انه مبتدا خبره لاملان قاله ابن عطية قال
لان المعنى ان املا قال ابو حيان وهذا ليس بشيء لان لاملان جواب قسم ويجب ان يكون جملة فلا يتقدر بمفرد وايضا ليس مصدرا
مقدرا بحرف مصدري والفعل حتى ينحل اليهما ولكنه لما صح له اسناد ما قدر الى المبتدا حكم انه خبر عنه قال شهاب الدين وتاويل
ابن عطية صحيح من حيث المعنى لا من حيث الصناعة الثالث انه مبتدا خبره مضمر تقديره فالحق قسمي ولاملان جواب القسم كقوله
لعمرك انهم لفي سكرتهم يعمهون ولكن حذف الخبر ههنا ليس بواجب لانه ليس نصا في اليمين بخلاف لعمرك ومثله قول امرئ القيس قوله •

فقلت يمين الله ابرح قاعدا • ولو قطعوا راسي لديك واوصالي • واما نصب الثاني فبالفعل بعده اي وانا اقول الحق وقرا ابن عباس
ومجاهد والاعمش برفعهما فرفع الاول على ما تقدم ورفع الثاني بالابتدا وخبره الجملة بعده والعايد محذوف كقوله تعالى في قراءة ابن عامر
وكل وعد الله الحسنى وقول ابي النجم • قد اصبحت ام الخيار تدعي • علي ذنبا كله لم اصنع • ويجوز ان يرتفع على التكرير عند الزمخشري وسياتي
وقرا الحسن وعيسى بجرهما وتخريجهما على ان الاول مجرور بواو القسم مقدرة اي فوالحق والحق عطف عليه كقولك والله والله لاقومن واقول اعتراض
بين القسم وجوابه ويجوز ان يكون مجرورا على الحكاية وهو منصوب المحل باقول بعده قال الزمخشري ومجرورين على ان الاول مقسم به
قد اضمر حرف قسمه كقولك الله لافعلن والحق اقول اي ولا اقول الا الحق على حكاية لفظ المقسم به ومعناه التوكيد والتشديد وهذا الوجه جائز
في المرفوع والمنصوب ايضا وهو وجه حسن دقيق انتهى يعني انه اعمل القول في قوله والحق على سبيل الحكاية فيكون منصوبا باقول سواء نصب
او رفع او جر كانه قيل واقول هذا اللفظ المتقدم مقيدا بما لفظ به اولا **فصل** معنى لاملان جهنم منك اي من جنسك وهم الشياطين
وممن تبعك منهم من ذرية ادم **قوله تعالى** اجمعين فيها وجهان اظهرهما انه توكيد للضمير في منك ولمن عطف عليه في قوله وممن تبعك والمعنى
لاملان جهنم من المتبوعين والتابعين لا اترك منهم احدا وجيء باجمعين دون كل وقد تقدم ان الاكثر خلافه وجوز الزمخشري ان يكون
تاكيدا للضمير في منهم خاصة فقدر لاملان جهنم من الشياطين وممن تبعهم من جميع الناس لاتفاوت في ذلك بين ناس وناس **قوله تعالى**
قل ما اسئلكم عليه اي على تبليغ الرسالة من اجر جعل فقوله عليه متعلق باسئلكم لا بالاجر لانه مصدر ويجوز ان يكون حالا من اجر والضمير اما
للقران واما للوحي واما للدعاء الى الله تعالى **قوله تعالى** وما انا من المتكلفين المتقولين القران من تلقاء نفسي وكل من قال شيئا من تلقاء
نفسه فقد تكلف له وقيل معناه ان هذا الدين الذي ادعوكم اليه ليس يحتاج في معرفة صحته الى التكليفات الكثيرة بل هو دين يشهد صريح
العقل بصحته **قوله تعالى** ان هو ما هو يعني القران الا ذكر موعظة للعالمين اي الخلق اجمعين ولتعلمن جواب قسم مقدر ومعناه لتعرفن
نباه انتم يا كفار نباه خبر صدقه بعد حين قال ابن عباس وقتادة بعد الموت وقال عكرمة يعني يوم القيمة وقال الكلبي من بقي علم ذلك
اذا ظهر امره وعلا ومن مات علمه بعد الموت قال الحسن ابن ادم عند الموت ياتيك الخبر اليقين روي الثعلبي في تفسيره ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال من قرا سورة ص اعطي من الاجر بعدد كل جبل سخره الله تعالى لداود عليه السلام عشر حسنات وعصمه ان يصر على ذنب صغيرا او كبيرا وقال
ابو امامة عصمه الله من كل ذنب صغيرا او كبير والله سبحانه وتعالى اعلم بالصواب واليه المرجع والماب وحسبنا الله ونعم الوكيل

سورة الزمر

سورة الزمر مكية الا قوله يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم الاية وهي خمس وسبعون اية والف ومائة واثنتان وسبعون كلمة
واربعة الاف وسبع مائة وثمانية احرف بسم الله الرحمن الرحيم **قوله تعالى** تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم في تنزيل وجهان
احدهما انه خبر مبتدا مضمر تقديره هذا تنزيل وقال ابو حيان واقول انه خبر والمبتدا هو ليعود على قوله ان هو الا ذكر للعالمين كانه قيل
وهذا الذكر ما هو فقيل هو تنزيل الكتاب الثاني انه مبتدا والجار بعده خبره اي تنزيل الكتاب كاين من الله واليه ذهب الزجاج والفرا قال بعضهم
وهذا اولى من الاول لان الاضمار خلاف الاصل فلا يصار اليه الا لضرورة وايضا فانا اذا قلنا تنزيل الكتاب من الله جملة تامة من المبتدا
والخبر افاد فائدة شريفة وهي ان تنزيل الكتاب يكون من الله لا من غيره وهذا الحصر معنى معتبر واذا اضمرنا المبتدا لم تحصل هذه الفائدة
وايضا فانا اذا اضمرنا المبتدا صار التقدير هذا تنزيل الكتاب وحينئذ يلزم مجاز لان هذا اشارة الى السورة وهي ليست نفس التنزيل
بل السورة منزلة فحينئذ يحتاج الى ان نقول المراد منه المعنى وهو مجاز تحملناه لا لضرورة **قوله تعالى** من الله يجوز فيه اوجه احدها
انه مرفوع المحل خبرا لتنزيل كما تقدم الثاني انه خبر بعد خبر اذا جعلنا تنزيل خبر مبتدا مضمر كقولك هذا زيد من اهل العراق الثالث انه
خبر مبتدا مضمر اي هذا تنزيل هذا من الله الرابع انه متعلق بنفس تنزيل اذا جعلناه خبر مبتدا مضمر الخامس انه متعلق بمحذوف على
انه حال من تنزيل عمل فيه اسم الاشارة المقدر قاله الزمخشري قال ابو حيان ولايجوز ان يكون حالا عمل فيها معنى الاشارة لان معاني
الافعال لاتعمل اذا كان ما هي فيه محذوفا ولذلك ردوا على ابي العباس قوله في بيت الفرزدق • واذ ما مثلهم بشر • ان مثلهم منصوب
بالخبر المحذوف وهو مقدر فاذ ما في الوجود في حال مماثلتهم بشر السادس انه حال من الكتاب قاله ابو البقا وجاز مجيء الحال من المضاف
اليه لكونه معمولا للمضاف فان المضاف مصدر مضاف لمعموله والعامة على رفع تنزيل على ما تقدم وقرا زيد بن علي وعيسى وابن ابي
عبلة بنصبه باضمار فعل تقديره الزموا واقرؤا ونحوهما **فصل** احتج القايلون بخلق القران بان الله تعالى وصف القران بكونه
تنزيلا ومنزلا وهذا الوصف لايليق الا بالمحدث المخلوق قال ابن الخطيب والجواب انا نحمل هذه اللفظة على الصيغ والحروف **قوله تعالى**
العزيز الحكيم فالعزيز هو القادر الذي لا يغلب والحكيم هو الذي يفعل لداعية الحكمة وهذا انما يتم اذا كان عالما بجميع المعلومات
غنيا عن جميع الحاجات **قوله تعالى** انا انزلنا اليك الكتاب بالحق اعلم ان لفظ تنزيل يشعر بانه تعالى انزله نجما نجما على سبيل التدريج

ولفظ الانزال يشعر بانه تعالى انزله دفعة واحدة وطريق الجمع ان يقال انا حكمنا حكما كليا بان نوصل اليك هذا الكتاب وهذا هو
الانزال ثم اوصلنا اليك نجما نجما على وفق المصالح **قوله تعالى** بالحق يجوز ان يتعلق بالانزال اي بسبب الحق وان يتعلق بمحذوف وهو
انه حال من الفاعل او المفعول وهو الكتاب اي ملتبسين بالحق او ملتبسا بالحق والصدق والصواب والمعنى كل ما فيه من اثبات التوحيد
والنبوة والمعاد وانواع التكاليف فهو حق يجب العمل به وفي قوله انا انزلنا اليك الكتاب تكرير تعظيم بسبب ابرازه في جملة اخرى مضافا
انزاله الى المعظم نفسه **قوله تعالى** فاعبد الله مخلصا المراد ان يشتغل الانسان بعبادة الله على سبيل الاخلاص فقال فاعبد الله
مخلصا له الدين فقوله مخلصا حال من فاعل اعبد والدين منصوب باسم الفاعل والفاء في فاعبد للربط كقولك احسن اليك فلان
فاشكره والعامة على نصب الدين وقرا ابن ابي عبلة برفعه وفيه وجهان احدهما انه مرفوع بالفاعلية رافعه مخلصا وعلى هذا فلا بد
من تجوز واضمار اما التجوز فاسناد الاخلاص للدين وهو لصاحبه في الحقيقة ونظيره قولهم شعر شاعر واما الاضمار فهو اضمار
ما يدل على ذي الحال اي مخلصا له الدين منك هذا راي البصريين في مثل هذا واما الكوفيون فيجوزون ان يكون عندهم ال عوضا من الضمير
اي مخلصا دينك قال الزمخشري وحق من رفعه ان يقرا مخلصا بفتح اللام لقوله تعالى واخلصوا دينهم لله حتى يطابق قوله الا لله الدين
الخالص والخالص والمخلص واحد الا ان يصف الدين بصفة صاحبه على الاسناد المجازي كقولهم شعر شاعر الثاني اي من الكلام حتى مخلصا
وهو حال من فاعل فاعبد وله الدين مبتدا وخبر وهذا قول الفراء وقد رده الزمخشري وقال فقد جا باعراب رجع بالكلام الى قولك
لله الدين الا لله الدين الخالص قال الشهاب الدين وهذا الذي ذكره الزمخشري لا يظهر فيه رد على هذا الاعراب **فصل** المراد بالخالص
الدين الطاعة الا لله الدين الخالص قال قتادة شهادة ان لا اله الا الله واعلم ان العبادة فعل او قول او ترك فعل يؤتى به لمجرد اعتقاد
ان الامر به عظيم يجب الانقياد له واما الاخلاص فهو ان يكون الداعي الى الاتيان بذلك الفعل او الترك مجرد الانقياد والامتثال وحجة
قتادة بما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا اله الا الله حصني ومن دخل حصني امن من عذابي وهذا قول من يقول لا تضر المعصية
مع الايمان كما لا ينفع بالطاعة مع الكفر وقال الاكثرون الاية متناولة لكل ما كلف الله به من الاوامر والنواهي لان قوله تعالى فاعبد الله
عام وروي ان امراة الفرزدق لما قربت وفاتها اوصت ان يصلي الحسن البصري عليها فلما دفنت قال الحسن للفرزدق يا ابا فراس ما الذي
اعددت لهذا الامر قال شهادة ان لا اله الا الله قال الحسن هذا العمود فاين الطنب فبين بهذا اللفظ الوجيز ان عمود الخيمة لا ينفع الا
مع الطنب حتى يمكن الانتفاع بالخيمة قال القاضي فاما ما روي انه صلى الله عليه وسلم قال لمعاذ ولابي الدرداء وان زنا وان سرق على رغم
انف ابي الدرداء فان صح فانه يجب ان يحمل عليه بشرط التوبة والا لم يجز قبول هذا الخبر لانه يخالف القران ولانه يوجب ان لا يكون الانسان
مزجورا عن الزنا والسرقة ويكون اغراء له بفعل القبيح وذلك لا يليق بحكمة الله وهذا يدل على ان اعتقاد فعل القبيح لا يضر مع التمسك
بالشهادتين هذا تمام قول القاضي قال ابن الخطيب فيقال له اما قولك ان القول بالمغفرة يخالف القران فليس كذلك بل القران يدل عليه
قال تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء وقال وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم كما يقال رايت
الامير على اكله وشربه اي حين كونه اكلا وشاربا وقال يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب
جميعا واما قوله ان ذلك يوجب الاغراء بالقبيح فيقال له ان كان الامر كذلك يوجب ان يقبح غفرانه عقلا وهذا مذهب البغداديين من المعتزلة
وانتم لا تقولون به لان مذهب البصريين ان غفران الذنب جائز عقلا وايضا فيلزمه عليه ان لا يحصل الغفران بالتوبة لانه اذا علم انه اذا اذنب
ثم تاب غفر الله له لم ينزجر واما الفرق الذي ذكره القاضي فبعيد لانه اذا عزم على ان يتوب عنه في الحال علم انه لا يضره ذلك الذنب
البتة ثم نقول مذهبنا انا نقطع بحصول العفو عن الكبائر في الجملة الا انه تعالى لم يقطع بحصول هذا الغفران في حق كل احد بل في حق
من يشاء واذا كان الامر كذلك كان الخوف حاصلا والله اعلم **قوله تعالى** والذين اتخذوا الاية فيه اوجه احدها ان يكون الذين مبتدا
وخبره قول مضمر حذف وبقي معموله وهو قوله ما نعبدهم والتقدير يقولون ما نعبدهم الثاني ان يكون الخبر قوله ان الله يحكم ويكون
ذلك القول المضمر في محل نصب على الحال اي والذين اتخذوا قائلين كذا ان الله يحكم بينهم والذين في هذه الاقوال عبارة عن المشركين المتخذين
غيرهم اولياء الرابع ان يكون الذين عبارة عن الملائكة وما عبد من دون الله كعزير واللات والعزى ويكون فاعل اتخذ عائدا على المشركين
ومفعول الاتخاذ الاول محذوف هو عائد الموصول والمفعول الثاني هو اولياء والتقدير والذين اتخذهم المشركون اولياء ثم الذي في
خبر هذا المبتدا وجهان احدهما القول المضمر والتقدير والذين اتخذهم المشركون اولياء مقول فيهم المشركون ما نعبدهم
الا والثاني ان الخبر هي الجملة من قوله ان الله يحكم بينهم وقرئ ما نعبدهم بضم النون اتباعا للباء ولا يعتد بالساكن **قوله تعالى**
زلفى مصدر مؤكد على غير الصدر ولكنه ملاق لعامله في المعنى والتقدير ليزلفونا زلفى او ليقربونا قربى وجوز ابو البقاء ان يكون
حالا مؤكدة **فصل** قوله والذين اتخذوا من دونه اولياء يقولون ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى وهذا الضمير
عائد الى الاشياء التي عبدت وهذا الكلام انما يليق بالعقلاء لان الضمير في نعبدهم ضمير العقلاء فيحمل على المسيح وعزير والملائكة
لكي يشفعوا لهم عند الله ويمكن ان يحمل على الاصنام ايضا لان العاقل لا يعبد الصنم من حيث انه خشب او حجر وانما يعبدونها لاعتقادهم
انها تماثيل الكواكب وتماثيل الارواح السماوية وتماثيل الملائكة او تماثيل الصالحين الذين مضوا ويكون مقصودهم من عبادتها توجيه

تلك العبادة الى اصحاب تلك الصور ولما حكى الله تعالى مذاهبهم اجاب عنها من وجوه الاول انه اقتصر في الجواب على مجرد التهديد فقال
ان الله يحكم بينهم فيما هم فيه يختلفون واعلم ان المبطل اذا ذكر مذهبا باطلا واصر عليه فعلاجه ان يحتال بحيلة توجب زوال الاصرار
عن قلبه فاذا زال الاصرار عن قلبه فبعد ذلك يذكر له الدليل الدال على بطلانه فيكون هذا الطريق افضى الى المقصود كما يقول الاطباء لا
بد من تقديم المنضج على سقي المسهل فان تناول المنضج يصير المواد الفاسدة رخوة قابلة للزوال فاذا سقي المسهل بعد ذلك حصل النقا
التام فكذلك ههنا اسماع التهديد والتخويف ولا يجري مجرى سقي المنضج اولا ثم اسماع الدليل ثانيا يجري مجرى سقي المسهل ثانيا فهذا
هو الفائدة في تقديم هذا التهديد ثم قال تعالى ان الله لا يهدي من هو كاذب كفار اي من اصر على الكذب والكفر بقي محروما عن الهداية
والمراد بهذا الكذب وصفهم الاصنام بانها الهة مستحقة للعبادة مع علمهم بانها جمادات خسيسة ويحتمل ان يكون المراد بالكفار
كفران النعمة لان العبادة نهاية التعظيم وذلك لا يليق الا بمن يصدر عنه غاية الانعام وهو الله تعالى والاوثان لا مدخل لها في الانعام
فعبادتها توجب كفران نعمة المنعم الحق **قوله تعالى** كاذب كفار قرا الحسن والاعرج ويروى عن انس كذاب كفار وزيد بن علي كذوب كفور
قوله تعالى لو اراد الله ان يتخذ ولدا لاصطفى مما يخلق ما يشاء يعني الملائكة كما قال لو اردنا ان نتخذ لهوا لاتخذناه من لدنا
ثم نزه نفسه فقال سبحانه تنزيها له عن ذلك وعما لا يليق بطهارته هو الله الواحد القهار والمراد من هذا الكلام اقامة الدلائل القاهرة على
كونه منزها عن الولد **قوله تعالى** خلق السموات والارض بالحق لما بين في الاية المتقدمة كونه منزها عن الولد بكونه الها واحدا قهارا
اي كامل القدرة ذكر عقيبه ما يدل على الاستغناء وايضا لما ابطل الهية الاصنام ذكر عقيبها الصفات التي باعتبارها تحصل الالهية
وقد تقدم ان الدلائل التي يذكرها الله تعالى في اثبات الالهية اما ان تكون فلكية او ارضية اما الفلكية فاقسام احدها خلق السموات
والارض وقد تقدم شرحها في تفسير قوله تعالى الحمد لله الذي خلق السموات والارض وثانيها اختلاف احوال الليل والنهار وهو المراد
من **قوله** يكور الليل على النهار في هذه الجملة وجهان اظهرهما انه مستانفة اخبر تعالى بذلك والثاني انها حال قال ابو البقا وفيه ضعف
من حيث ان تكوير احدهما على الاخر انما كان بعد خلق السموات والارض الا ان يقال هي حال مقدرة وهو خلاف الاصل **والتكوير** اللف
والليّ يقال كار العمامة على راسه وكورها ومعنى تكوير الليل على النهار وتكوير النهار على الليل على هذا المعنى ان الليل والنهار خلفة يذهب
هذا ويغشى مكانه هذا واذا غشي مكانه فكانما الف عليه كما يلف اللباس على اللابس او ان كل واحد منهما يغيب الاخر اذا طرا عليه فهو شبه
في تغييبه اياه بشي ظاهر لف عليه ما غيبه عن مطامح الابصار او ان هذا يكر على هذا كرورا متتابعا فشبه ذلك بتتابع اكوار العمامة
بعضها على بعض قاله الزمخشري وهو اوفق للاشتقاق من اشياء قد ذكرت وقال الراغب كور الشي ادارته وضم بعضه الى بعض ككور
العمامة وقوله يكور الليل على النهار اشارة الى جريان الشمس في مطالعها وانتقاص الليل والنهار وازديادهما وكوره اذا القاه مجتمعا
واكوار الفرس اذا ادرد نه في مرود وكوارة النحل معروفة والكور الرحل وقيل لكل مصر كوره وهي البقعة التي يجتمع فيها قرى ومحال
قال ابن الخطيب ان النور والظلمة عسكران عظيمان وفي كل يوم يغلب هذا ذاك وذاك هذا وذلك يدل على ان كل واحد منهما مغلوب
مقهور ولا بد من غالب قاهر لهما يكونان تحت تدبيره وقهره وهو الله تعالى والمراد من هذا التكوير انه يزيد في كل واحد منهما بقدر ما
ينقص من الاخر والمراد من تكوير الليل والنهار ما ورد في الحديث نعوذ بالله من الحور بعد الكور اي من النقصان بعد الزيادة وقيل
من الادبار بعد الاقبال **قوله تعالى** وسخر الشمس والقمر فالشمس سلطان النهار والقمر سلطان الليل واكثر مصالح هذا العالم مربوطة
بهما كل يجري لاجل مسمى اي الى يوم القيامة لا يزالان يجريان الى هذا اليوم فاذا كان يوم القيامة ذهبا والمراد من هذا التسخير انهما لا
يزالان يدوران كدوران المضمون على حد واحد ثم قال الا هو العزيز الغفار ومعناه ان خلق هذه الاجرام العظيمة وان دل على كونه عزيزا
اي كامل القدرة الا انه غفار عظيم الرحمة والفضل والاحسان فانه لما كان الاخبار عن كونه عظيم القدرة يوجب الخوف والرهبة
فكونه غفارا كثير الرحمة موجب للرجاء والرغبة ثم انه تعالى لما ذكر الدلائل الفلكية اتبعها بذكر الدلائل السفلية فبدا بذكر الانسان
فقال خلقكم من نفس واحدة يعني ادم **قوله تعالى** ثم جعل منها زوجها في ثم هذه اوجه احدها انها على بابها من الترتيب بمهلة وذلك
انه روي انه تعالى اخرجنا من ظهر ادم كالذر ثم خلق حوى بعد ذلك بزمان الثاني انها على بابها ايضا ولكن لمدرك اخر وهو ان يعطف
بها ما بعدها على ما فهم من الصفة في قوله واحدة اذ التقدير من نفس وحدت اي انفردت ثم جعل منها زوجها الثالث انها للترتيب
في الاخبار لا في الزمان الوجودي كانه قيل كان من امرها قبل ذلك ان جعل فيها زوجها الرابع انها للترتيب في الاحوال والرتب
قال الزمخشري فان قلت ما وجه قوله ثم جعل منها زوجها وما يعطيه من التراخي قلت هما ايتان من جملة الايات التي عددها
دالا على وحدانيته وقدرته بتشعيب هذا الخلق الفائت للحصر من نفس ادم عليه السلام وخلق حوى من قصيراه الا ان احداهما جعلها الله
عادة مستمرة والاخرى لم تجر بها العادة ولم تخلق انثى غير حوى من قصيرى رجل فكانت ادخل في كونها اية واجلب لعجب السامع
فعطفها بثم على الاية الاولى للدلالة على مباينتها فضلا ومزية وتراخيها عنها فيما يرجع الى زيادة كونها اية فهي من التراخي في الحال
والمنزلة لا من التراخي في الوجود قال ابن الخطيب ان كلمة ثم كما تجي لبيان كون احدى الواقعتين متاخرة عن الثانية فكذلك تجي لبيان
تاخر احد الكلامين عن الاخر كقول القائل بلغني ما صنعت اليوم ثم ما صنعت امس اعجب واعطيتك اليوم شيئا ثم الذي اعطيتك امس

اكثر **قوله تعالى** وانزل لكم من الانعام ثمانية ازواج عطف على خلقكم والانزال يحتمل الحقيقة يروى انه خلقها في الجنة ثم انزلها
ويحتمل المجاز وله وجهان احدهما انها لما لم تعش الا بالنبات والماء والنبات انما يعيش بالماء والماء ينزل من السحاب لطلق الانزال عليها وهو في
الحقيقة يطلق على سبب السبب كقوله • اسنمة الآبال في ربابه • وقوله • صار الثريد في رؤوس العيدان • وقوله • اذا نزل السماء بارض قوم
رعيناه وان كانوا غضابا • والثاني ان قضاياه واحكامه منزلة من السماء من حيث كتبها في اللوح المحفوظ وهو ايضا سبب في ايجادها
وقال البغوي معنى الانزال هنا الاحداث والانشاء كقوله انزلنا عليكم لباسا وقيل معناه انزل لكم من الانعام جعلها نزلا لكم ورزقا
ومعنى ثمانية ازواج اي ثمانية اصناف وهي الابل والبقر والضان والمعز وتقدم تفسيرها في سورة الانعام **قوله تعالى** يخلقكم
هذه الجملة استينافية ولا حاجة الى جعلها خبر مبتدا مضمر او استرتيب للاخبار بجملة فعلية وقد تقدم خلاف القراء في كسر الهمزة وفتحها
وكذا الميم وامهاتكم **قوله تعالى** خلقا مصدر ليخلق وقوله من بعد خلق صفة له فهو لبيان النوع من حيث انه لما وصف زاد معناه على معنى
عامله ويجوز ان يتعلق من بعد خلق بالفعل قبله فيكون خلقا لمجرد التوكيد **قوله تعالى** في ظلمات متعلق بخلق الذي قبله ولا يجوز
تعلقه بخلقا المنصوب لانه مصدر موكد وان كان ابو البقاء جوزه ثم منعه بما ذكرت فانه قال وفي متعلق به اي بخلقا او بخلق الثاني
لان الاول موكد فلا يعمل ولا يجوز تعلقه بالفعل قبله لانه تعلق به حرف مثله ولا يتعلق حرفان متحدان لفظا ومعنى الا بالبدلية
او العطف فان جعلت في ظلمات بدلا من في بطون امهاتكم بدل اشتمال لان البطون مشتملة عليها ويكون بدلا باعادة العامل جاز
ذلك اعني تعلق الجارين بخلقكم ولا يضر الفصل بين البدل والمبدل منه بالمصدر لانه من تتمة العامل فليس بأجنبي **فصل**
هذه الحالة مشتركة بين الانسان وبين الانعام وهي كونها مخلوقة في بطون الامهات وقوله خلقا من بعد خلق معناه ما ذكره الله
تعالى في قوله ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين الايات وقوله في ظلمات ثلاث قال ابن عباس
ظلمة البطن وظلمة الرحم وظلمة المشيمة وقيل الصلب والرحم والبطن ووجه الاستدلال بهذه الايات مذكور في قوله هو الذي يصوركم في
الارحام كيف يشاء **قوله تعالى** ذلكم الله ربكم يجوز ان يكون الله خبرا لذلكم وربكم نعت لله او بيان له او بدل منه ويجوز ان يكون الله بدلا
من ذلكم وربكم خبره والمعنى ذلكم الله الذي خلق هذه الاشياء ربكم **قوله تعالى** له الملك يجوز ان يكون مستأنفا ويجوز ان يكون خبرا
بعد خبر وان يكون الله بدلا من ذلكم وربكم نعت لله او بدل منه والخبر الجملة من له الملك ويجوز ان يكون الخبر نفس الجار والمجرور وحده
والملك فاعل به فهو من باب الاخبار بالمفرد **قوله تعالى** لا اله الا هو يجوز ان يكون مستأنفا وان يكون خبرا بعد خبر **فصل**
قوله له الملك يفيد الحصر اي له الملك لا لغيره ولما ثبت انه لا ملك الا له وجب القول بانه لا اله الا هو ولما بين بهذه الدلائل
كمال قدرته وحكمته ورحمته زيف طريقة المشركين وقال فاني تصرفون عن طريق الحق بعد هذا البيان وهذا يدل على انهم
لم يصرفوا بانفسهم عن هذه البيانات بل صرفهم عنها غيرهم وما ذلك الغير الا الله وايضا بدليل العقل يقوي ذلك لان كل
احد يريد لنفسه تحصيل الحق والصواب فلما لم يحصل ذلك وانما حصل الجهل والضلال علمنا انه من غيره لا منه واستدل القدرية
بهذه الاية ايضا لان قوله تعالى فاني تصرفون تعجب من هذا الانصراف ولو كان الفاعل لذلك التصرف هو الله تعالى لم يبق
لهذا التعجب معنى **قوله تعالى** ان تكفروا فان الله غني عنكم اي انه تعالى ما كلف المطيعين ليجر الى نفسه منفعة او ليدفع عن نفسه
مضرة لانه تعالى غني عنكم على الاطلاق فيمتنع في حقه جر المنفعة ودفع المضرة لانه واجب الوجود لذاته وواجب الوجود
لذاته في جميع صفاته يكون غنيا على الاطلاق وايضا فالقادر على خلق السموات والارض والشمس والقمر والنجوم والعرش
والكرسي والعناصر الاربعة والمواليد الثلاثة يمتنع ان ينتفع بصلوة زيد وصيام عمرو وان يستضر بعدم صلوة هذا وعدم صيام
ذاك ثم قال ولا يرضى لعباده الكفر اي وان كان لا ينفعه ايمانهم ولا يضره كفرهم الا انه لا يرضى بالكفر قال ابن عباس والسدي
ولا يرضى لعباده المؤمنين الكفر وهم الذين قال الله تعالى فيهم ان عبادي ليس لك عليهم سلطان فيكون عاما في اللفظ خاصا في
المعنى كقوله عينا يشرب بها عباد الله يريد بعض العباد وقال قتادة لا يرضى لاحد من عباده الكفر اي لا يرضى لعباده ان يكفروا به
وهو قول السلف قالوا كفر الكافر غير مرضي لله وان كان بارادته واحتج الجبائي بهذه الاية من وجهين الاول ان المجبرة يقولون ان الله
تعالى خلق العباد وافعالهم واقوالهم وكل ما خلقه حق وصواب واذا كان كذلك كان قد رضي بالكفر من الوجه الذي خلقه وذلك ضد
الاية الثاني لو كان الكفر بقضاء الله تعالى لوجب علينا ان نرضى به لان الرضا بقضاء الله واجب وحيث اجتمعت الامة على ان الرضا بالكفر
كفر ثبت انه ليس بقضاء الله وليس ايضا برضا الله تعالى والجواب بوجوه احدها ان عادة القران جارية بتخصيص لفظ العباد بالمؤمنين
كما قدمناه عن ابن عباس وثانيها قول السلف المتقدم وانشد ابن دريد • رضيت قسرا وعلى القسر رضي • من كان ذا سخط على صرف القضا
اثبت الرضا مع القسر وثالثها ان الرضى هو الارادة الا ان قوله ولا يرضى لعباده الكفر عام مخصص بالايات الدالة على انه تعالى
لا يريد الكفر كقوله تعالى وما تشاؤون الا ان يشاء الله **قوله تعالى** وان تشكروا اي تؤمنوا بربكم وتطيعوه يرضه لكم فيثيبكم عليه
قرا ابن كثير والكسائي وابن ذكوان يرضهو بالصلة وهي الاصل من غير خلاف وهي قراءة واضحة قال الواحدي من اشبع الهاء من غير صلة بلا خلاف
نافع وعاصم وحمزة وقرا يرضه باسكانها وصلتهما من غير خلاف السوسي عن ابي عمرو وقرا بالوجهين اعني الاسكان والصلة للدوري عن ابي عمرو

وبالاسكان والتحريك من غير صلة هشام عن ابن عامر فهذه خمس مراتب للقراء وقد تقدم توجيه الاسكان والقصر والاشباع اول
الكتاب وما انشد عليه ولا يلتفت الى ابي حاتم في تغليطه راوي السكون فانها لغة ثابتة من بني عقيل وبني كلاب **قوله تعالى** ولا تزر وازرة
وزر اخرى قال الجبائي هذا يدل على انه لا يجوز ان يقال انه تعالى ياخذ الاولاد بذنوب الاباء واحتج به ايضا من انكر وجوب الدية
على العاقلة ثم قال ثم الى ربكم مرجعكم وهذا يدل على اثبات البعث والقيمة فينبئكم بما كنتم تعملون وهذا تهديد للعاصي وبشارة للمطيع
وقوله انه عليم بذات الصدور كالعلة لما سبق اي انه انما ينبئكم باعمالكم لانه عالم بجميع المعلومات يعلم ما في قلوبكم من الدواعي والصوارف
قال صلى الله عليه وسلم ان الله لا ينظر الى صوركم ولا الى اموالكم ولكن ينظر الى قلوبكم واعمالكم **قوله تعالى** واذا مس الانسان ضر دعا
ربه لما بين فساد القول بالشرك وبين انه تعالى هو الذي يجب ان يعبد بين ههنا ان طريقة الكفار متناقضة لانهم اذا مسهم الضر
طلبوا دفعه من الله واذا زال ذلك الضر عنهم رجعوا الى عبادة الاصنام فكان الواجب عليهم ان يعرفوا بالله تعالى في جميع الاحوال
لانه القادر على ايصال الخير ودفع الشر فظهر تناقض طريقتهم والمراد بالانسان الكافر وقيل المراد اقوام مؤمنين كعتبة بن ربيعة وغيره
والمراد بالضر جميع المكاره سواء كان في جسمه او ماله او في اهله وولده لان اللفظ مطلق فلا معنى لتقييده **قوله تعالى** منيبا حال
من فاعل دعا واليه متعلق بمنيبا اي راجعا اليه في ازالة ذلك الضر لان الانابة الرجوع **قوله تعالى** ثم اذا خوله اعطاه نعمة منه
اي اعطاها اياه ابتداء من غير مقتض ولا يستعمل في الجزاء بل في ابتداء العطية قال زهير • هنالك ان يستخولوا المال يخولوا • ويروى
يستخبلوا المال يخبلوا • وقال ابو النجم • اعطى فلم يبخل ولم يبخل • كوم الذرى من خول المخول • وحقيقة خول من احد معنيين اما من قولهم
هو خائل مال اذا كان متعهدا له حسن القيام عليه واما من خال يخول اذا اختال وافتخر ومنه قول العرب • ان الغني طويل الذيل مياس •
وقد تقدم اشتقاق هذه المادة مستوفى في الانعام **قوله تعالى** منه يجوز ان يكون متعلقا بخول وان يكون متعلقا بمحذوف على انه
صفة لنعمة **قوله تعالى** نسي اي ترك ما كان يدعو يجوز في ما هذه اربعة اوجه احدها ان تكون موصولة بمعنى الذي مرادا بها الضر اي
نسي الضر الذي يدعو الى كشفه اي ترك دعاءه كانه لم يتضرع الى ربه الثاني انها بمعنى الذي مرادا بها الباري تعالى اي نسي الله الذي
كان يتضرع اليه وهذا عند من يجيز وقوع ما على اولي العلم وقال ابن الخطيب وما بمعنى من كقوله وما خلق الذكر والانثى ولا انتم عابدون
ما اعبد فانكحوا ما طاب لكم الثالث ان تكون ما مصدرية اي نسي كونه داعيا الرابع ان تكون ما نافية وعلى هذا فالكلام تام على قوله
نسي ثم استانف اخبارا بجملة منفية والتقدير نسي ما كان فيه لم يكن دعاء هذا الكافر خالصا لله تعالى وقوله من قبل اي من قبل الضر
على القول الاخير فاما على الاقوال قبله فالتقدير من قبل تخويل النعمة **قوله تعالى** وجعل لله اندادا يعني الاوثان ليضل عن سبيله قرا ابن
كثير وابو عمرو ليضل بفتح الياء اي ليفعل الضلال بنفسه والباقون بضمها اي لم يقنع بضلاله في نفسه حتى حمل غيره عليه فمفعوله محذوف
وله نظائر تقدمت واللام يجوز ان تكون للعلة وان تكون لام العاقبة كقوله تعالى فالتقطه ال فرعون ليكون لهم عدوا ثم قال
قل يا محمد لهذا الكافر تمتع بكفرك قليلا في الدنيا اي الى انقضاء اجلك وليس المراد منه الامر بل المراد منه الزجر وان يعرف قلة تمتعه
في الدنيا ثم مصيره الى النار قيل نزلت في عتبة بن ربيعة وقال مقاتل نزلت في حذيفة بن المغيرة المخزومي وقيل عام في كل كافر **قوله تعالى**
امن هو قانت لما شرح الله تعالى صفات المشركين وتمسكهم بغير الله اردفه بشرح احوال المحققين قرا الحرميان نافع وابن كثير بتخفيف الميم
والباقون بتشديدها فاما الاولى ففيها وجهان احدهما انها همزة استفهام دخلت على من بمعنى الذي والاستفهام للتقرير ومقابله
محذوف تقديره امن هو قانت كمن جعل لله اندادا او امن هو قانت كغيره او التقدير اهذا القانت خير ام الكافر المخاطب بقوله تمتع بكفرك
قليلا ويدل عليه قوله قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون فحذف خبر المبتدا وما يعادل المستفهم عنه والتقديران الاولان
اولى لقلة الحذف ومن حذف المعادل للدلالة قول الشاعر • دعاني اليها القلب اني لامرها • سميع فما ادري ارشد طلابها •
يريد ام غي الثاني ان تكون الهمزة للنداء ومن منادى ويكون المنادى هو النبي صلى الله عليه وسلم وهو المامور بقوله قل هل يستوي
الذين يعلمون كانه قال يا من هو قانت قل كيت وكيت كقول الاخر • ازيد اخا ورقاء ان كنت ثائرا • وفيه بعد ولم يقع في القران نداء
بغير يا حتى يحمل هذا عليه وضعف ابو حيان هذا الوجه بانه اجنبي مما قبله ومما بعده قال شهاب الدين قد تقدم انه ليس اجنبيا
مما بعده اذ المنادى هو المامور بالقول وضعفه الفارسي ايضا بقريب من هذا وتجرا على قارئ هذه القراءة ابو حاتم والاخفش
اما القراءة الثانية فهي ام داخلة على من الموصولة ايضا فادغمت الميم في الميم وفي ام حينئذ قولان احدهما انها متصلة ومعادلها
محذوف تقديره الكافر خير ام الذي هو قانت وهذا معنى قول الاخفش قال ابو حيان ويحتاج حذف المعادل اذا كان اولى الى سماع
وقيل تقديره اهن يعصي ام من هو مطيع يستويان وحذف الخبر لدلالة قوله هل يستوي الذين يعلمون والثاني انها منقطعة فتقدر
ببل والهمزة اي بل امن هو قانت كغيره او كالكافر المقول له تمتع بكفرك وقال ابو جعفر هي بمعنى بل ومن بمعنى الذي تقديره بل الذي
هو قانت افضل ممن ذكر قبله واستدل عليه هذا التقدير من حيث ان من تقدم ليس له فضيلة البتة حتى يكون هذا افضل منه والذي
ينبغي ان يقدر بل الذي هو قانت من اصحاب الجنة لدلالة ما القسمية عليه من قوله انك من اصحاب النار وقال البغوي من شدد
فله وجهان احدهما ان تكون الميم في ام صلة ويكون معنى الكلام استفهاما وجوابه محذوف مجازه امن هو قانت كمن هو غير قانت

كقوله أفمن شرح الله صدره للإسلام يعني كمن لم يشرح صدره والثاني انه عطف على الاستفهام بمجازه الذي جعل لله انداداً قوله
القانت هو القائم بما يجب عليه من الطاعة ومنه قوله عليه السلام افضل الصلوة صلوة القنوت وهو القيام فيها ومنه القنوت
لانه يدعو قائماً وعن ابن عمر انه قال لا اعلم القنوت الا قراءة القران وطول القيام وتلا امن هو قانت وعن ابن عباس القنوت الطاعة لقوله
كل له قانتون اي مطيعون قوله تعالى آناء الليل آناء منصوب على الظرف وتقدم اشتقاقه والكلام في مفرده والمعنى ساعات الليل
وفي هذه الاية دلالة على ان قيام الليل افضل من قيام النهار قال ابن عباس في رواية عطا نزلت في ابن مسعود وعمار وسلمان قوله تعالى
ساجداً حال وقائماً حال ايضاً وفي صاحبهما وجهان اظهرهما انه الضمير المستتر في قانت والثاني انه الضمير المرفوع بيحذر قدما على
عاملهما والعامة على نصبهما وقرأ الضحاك برفعهما على احد وجهين اما النعت لقانت واما انهما خبر بعد خبر قوله تعالى يحذر يجوز
ان يكون حالاً من الضمير في قانت وان يكون حالاً من الضمير في ساجداً وقائماً وان يكون مستانفاً جواباً لسؤال مقدر كانه قيل
ما شانه يقنت آناء الليل ويتعب نفسه ويكدها فقيل يحذر الاخرة ويرجوا رحمة ربه اي عذاب الاخرة وفي الكلام حذف والتقدير
كمن لا يفعل شيئاً من ذلك وانما حسن هذا الحذف دلالة ذكر الكافر قبل هذه الاية وذكر بعدها قل هل يستوي الذين يعلمون
والذين لا يعلمون والتقدير قل هل يستوي الذين يعلمون وهم الذين وصفهم انهم يقنتون آناء الليل ساجداً وقائماً والذين لا
يعلمون وهم الذين وصفهم عند البلاء والخوف يوحدون وعند الراحة والفراغ يشركون وانما وصف الله الكفار بانهم لا يعلمون
لانه تعالى وان آتاهم آلة العلم الا انهم اعرضوا عن تحصيل العلم فلهذا جعلهم الله كانهم ليسوا اولي الالباب من حيث انهم لم ينتفعوا
بعقولهم وقلوبهم قوله تعالى قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون قيل الذين يعلمون عمار والذين لا يعلمون ابو حذيفة
المخزومي وهذا الكلام تنبيه على فضيلة العلم قيل لبعض العلماء انكم تقولون العلم افضل من المال ثم نرى العلماء عند ابواب الملوك ولا
نرى الملوك عند ابواب العلماء فاجاب بان هذا ايضاً يدل على فضيلة العلم لان العلماء علموا ما في المال من المنافع فطلبوه والجهال لم يعرفوا
ما في العلم من المنافع فلا جرم تركوه قوله انما يتذكر اولوا الالباب قرئ انما يذكر بادغام التاء في الذال قوله تعالى قل يا عبادي الذين
آمنوا اتقوا ربكم لما نفى المساواة بين من يعلم وبين من لا يعلم امر رسوله بان يخاطب المؤمنين فقال قل يا عبادي الذين آمنوا اتقوا
ربكم اي بطاعته واجتناب معاصيه قال القاضي امرهم بالتقوى لكي لا يحبطوا ايمانهم باعمالهم لان عند الاتقاء من الكبائر يسلم
لهم الثواب فمع الاقدام عليها يحبط فيقال هذا بان يدل على ضد قولك اولى لانه امر المؤمنين بالتقوى فدل ذلك على انه يبقى مؤمناً مع
مع عدم التقوى وذلك يدل على ان الفسق لا يزيل الايمان واعلم انه تعالى لما امر المؤمنين بالاتقاء بين لهم ما في هذا الاتقاء من الفوائد
فقال للذين احسنوا في هذه الدنيا حسنة قوله تعالى في هذه الدنيا يجوز ان يتعلق بالفعل قبله وحذفت صفة حسنة اذ المعنى حسنة
عظيمة لانه لا يوجد من عمل حسنة كانت في الدنيا حسنة مطلقاً بل مقيدة بالعظم وان يتعلق بمحذوف على انه حال من حسنة كانه صفتها
فلما تقدمت بقيت حالاً فصل قوله في هذه الدنيا يحتمل ان يكون صلة لقوله للذين احسنوا اي آمنوا واحسنوا العمل في الدنيا
حسنة في الاخرة وهي دخول الجنة والتنكير في حسنة للتعظيم اي حسنة لا يصل العقل الى كنه كمالها قاله مقاتل ويحتمل ان يكون صلة
لقوله حسنة وعلى هذا قال السدي معناه في هذه الدنيا حسنة يريد الصحة والعافية قال ابن الخطيب الاولى ان يحمل على الثلاثة
المذكورة في قوله صلى الله عليه وسلم ثلاثة ليس لها نهاية الامن والصحة والكفاية وقال بعضهم الاول اولى لوجوه احدها ان التنكير
يفيد النهاية في التعظيم والرفعة وذلك لا يليق باحوال الدنيا لانها خسيسة منقطعة وانما يليق باحوال الاخرة وثانيها ان الثواب
للتوحيد والاعمال الصالحة انما يحصل في الاخرة واما الامن والصحة والكفاية فحاصل للكفار اكثر من حصولها للمؤمنين كما قال عليه
السلام الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر وقال تعالى لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفاً من فضة وثالثها قوله للذين احسنوا في هذه
الدنيا حسنة يفيد الحصر ومعناه ان حسنة هذه الدنيا لا تحصل الا للذين احسنوا وهذا باطل اما لو حملنا هذه الحسنة على حسنة
الاخرة صح هذا الحصر فكان حمله على حسنة الاخرة اولى قوله تعالى وارض الله واسعة قال ابن عباس يعني ارتحلوا من مكة وفيه حث
على الهجرة من البلد الذي تظهر فيه المعاصي ونظيره قوله تعالى قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الارض قالوا الم تكن ارض الله
واسعة فتهاجروا فيها وقيل نزلت في مهاجري الحبشة وقال سعيد بن جبير من امر بالمعاصي فليهرب وقال ابو مسلم لا يمتنع ان يكون
المراد من الارض ارض الجنة لانه تعالى امر المؤمنين بالتقوى وهي حسنة الله ثم بين انه من اتقى فله في الاخرة الحسنة وهي الخلود في الجنة
ثم بين ان ارض الله اي جنته واسعة كقوله تعالى نتبوأ من الجنة حيث نشاء وقوله تعالى جنة عرضها السموات والارض اعدت للمتقين
قال ابن الخطيب والاول عندي اولى لان قوله انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب لا يليق الا بالاول قوله تعالى انما يوفى الصابرون
اجرهم بغير حساب اي الذين صبروا على دينهم فلم يتركوه للاذى وقيل نزلت في جعفر بن ابي طالب واصحابه حيث لم يتركوا دينهم لما اشتد
بهم البلاء وصبروا وهاجروا وقوله بغير حساب اي بغير نهاية لان كل شيء دخل تحت الحساب فهو متناه وما لا نهاية له كان خارجاً عن الحساب
قال علي رضي الله عنه كل مطيع يكال له كيلاً ويوزن له وزناً الا الصابرون فانه يحثى لهم حثياً ويروى انه يؤتى باهل البلاء فلا ينصب
لهم ميزان ولا ينشر لهم ديوان ويصب عليهم الاجر صباً قال الله تعالى انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب حتى يتمنى اهل العافية

ان اجسادهم تقرض بالمقاريض مما يذهب به اهل البلاء من الفضل قوله تعالى قل اني امرت ان اعبد الله مخلصاً له الدين
اي مخلصاً له التوحيد لا اشرك به شيئاً وهذا هو النوع الثاني من البيانات التي امر الله رسوله ان يذكرها قوله تعالى وامرت لان اكون في
هذه اللام وجهان احدهما انها للتعليل تقديره وامرت بما امرت به لان اكون قال الزمخشري فان قلت كيف عطف امرت على امرت وهما
واحد قلت ليسا بواحد لاختلاف جهتيهما وذلك ان الامر بالاخلاص وتكليفه شيء والامر به ليحوز به قصب السبق في الدين شيء اخر
واذا اختلف وجها الشيء وصفتاه ينزل بذلك منزلة شيئين مختلفين الثاني ان تكون اللام مزيدة قال الزمخشري وذلك
ان تجعل اللام مزيدة مثلها في قولك اردت لان افعل ولا تزاد الا مع ان خاصة دون الاسم الصريح كانها زيدت عوضاً من ترك
الاصل الى ما يقوم مقامه كما عوض السين في اسطاع عوضاً من ترك الاصل الذي هو اطوع والدليل على هذا الوجه مجيئه بغير لام في قوله
وامرت ان اكون من المسلمين وامرت ان اكون من المؤمنين ان اكون اول من اسلم انتهى قوله ولا تزاد الا مع ان فيه نظر من حيث انها تزاد باطراد
اذا كان المعمول مقدماً او كان العامل فرعاً وبغير اطراد في غير الموضعين ولم يذكر احد من النحويين هذا التفصيل وقوله كما عوض السين في
اسطاع هذا على احد القولين والقول الاخر ان اسطاع تحذف بالاستعمال وقوله والدليل عليه مجيئه بغير لام وقد يقال ان اصله
باللام وانما حذفت لان حرف الجر يطرد حذفه مع ان وان ويكون المأمور به محذوفاً تقديره وامرت ان اعبد لان اكون فصل
المراد من الكلام ان يكون اولى من تمسك بالعبادات التي ارسلت بها واعلم ان العبادة لها ركنان عمل القلب وعمل الجوارح وعمل القلب اشرف
من عمل الجوارح فقدم ذكر الاشرف وهو قوله مخلصاً له الدين ثم ذكر عقيبه الادون وهو عمل الجوارح وهو الاسلام فقال وامرت
لان اكون اول المسلمين اي من هذه الامة قوله تعالى قل اني اخاف ان عصيت ربي وعبدت غيره عذاب يوم عظيم وهذا حين دعي الى دين
ابائه والمقصود منه المبالغة في زجر الغير عن المعاصي ودلت هذه الاية على ان الامر للوجوب لقوله في اول الاية اني امرت ان اعبد الله
ثم قال بعده قل اني اخاف ان عصيت ربي فيكون معنى هذا العصيان ترك الامر الذي تقدم ذكره ودلت الاية ايضاً على ان المرتب على المعصية
ليس حصول العقاب بل الخوف من العقاب قوله تعالى قل الله اعبد قدم الجلالة عند قوم لافادة الاختصاص قال الزمخشري ولدلالته
على ذلك قدم المعبود على فعل العبادة هنا واخره في الاولى فالكلام اولاً واقع في الفعل نفسه وايجاده وثانياً فيمن يفعل الفعل من اجله
فلذلك رتب عليه قوله فاعبدوا ما شئتم من دونه قال ابن الخطيب فان قيل ما معنى التكرير في قوله قل اني امرت ان اعبد الله مخلصاً له
الدين وقوله قل الله اعبد مخلصاً له ديني قلنا هذا ليس بتكرير لان الاول اخبار بانه مأمور من جهة الله بالايمان بالعبادة والثاني اخبار
بانه امر ان لا يعبد احداً غير الله وذلك لان قوله امرت ان اعبد الله لا يفيد الحصر وقوله تعالى قل اعبدوا ما شئتم من دونه وهذا امر توبيخ
وتهديد والمراد منه الزجر كقوله اعملوا ما شئتم ثم بين كمال الزجر بقوله قل ان الخاسرين الذين خسروا انفسهم اي اوقعوها في هلاك لا
يعقل هلاك اعظم منه وخسروا اهليهم ايضاً لانهم ان كانوا من اهل النار فقد خسروهم كما خسروا انفسهم وان كانوا من اهل الجنة
فقد ذهبوا عنهم ذهاباً لا رجوع بعده البتة وقيل خسران النفس بدخول النار وخسران الاهل ان يفرق بينه وبين اهله ولما شرح الله
تعالى خسرانهم وصف ذلك الخسران بالفظاعة فقال الا ذلك بقوله الا ذلك هو الخسران المبين وهذا التكرير لاجل التاكيد
وثانيها ذكر حرف الا وهو للتنبيه يدل على التعظيم كانه قيل بلغ في العظم الى حيث لا تصل عقولكم اليه فتنبهوا له وثالثها قوله
هو الخسران المبين ولفظة هو تفيد الحصر كانه قيل كل خسران يصير في مقابلته بالا خسران ورابعها وصفه بكونه خسراناً
مبيناً وذلك يدل على التهويل قوله تعالى لهم من فوقهم ظلل يجوز ان يكون الخبر احد الجارين المتقدمين وان كان الظاهر جعل الاول
هو الخبر ويكون من فوقهم اما حالاً من ظلل فيتعلق بمحذوف واما متعلقاً بما تعلق به الخبر ومن النار صفة لظلل وقوله ومن تحتهم
ظلل كما تقدم وسماها ظللاً بالنسبة لمن تحتهم ونظيره قوله لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش وقوله يوم يغشاهم العذاب
من فوقهم ومن تحت ارجلهم والمعنى ان النار محيطة بهم من جميع الجوانب فان قيل الظلة ما علا الانسان فكيف سمى ما تحته بالظلة
فالجواب من وجوه الاول انه من باب اطلاق اسم احد الضدين على الاخر كقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها الثاني ان الذي
تحته يكون ظلة لغيره لان النار دركات كما ان الجنة درجات الثالث ان الظلة التحتانية اذا كانت مشابهة للظلة الفوقانية
في الحرارة والاحراق والايذاء اطلق اسم احدهما على الاخر لاجل المماثلة والمشابهة قوله تعالى ذلك مبتدأ وقوله الذي يخوف
الله به خبر والتقدير ذلك العذاب المعد للكفار هو الذي يخوف الله به عباده اي المؤمنين لان لفظ العباد في القران
يختص باهل الايمان وقيل تخويف للكفار والضلال والاول اقرب لقوله بعده يا عباد فاتقون والظاهر ان المراد منه
المؤمنون قوله تعالى والذين اجتنبوا الطاغوت الذين مبتدأ والجملة من لهم البشرى الخبر وقيل لهم هو الخبر بنفسه
والبشرى فاعل به وهذا اولى لانه من باب الاخبار بالمفردات والطاغوت قال الزمخشري فعلوت من الطغيان كالملكوت
والرحموت الا ان فيها قلباً بتقديم اللام على العين لما ذكر وعيد عبدة الاصنام ذكر وعد من اجتنب عبادتها واحترز عن
الشرك ليكون الوعد مقروناً بالوعيد ابداً فيحصل كمال الترغيب والترهيب قيل المراد بالطاغوت هنا الشيطان فان قيل
انما عبدوا الصنم فالجواب ان الداعي الى عبادة الصنم هو الشيطان فلما كان الشيطان هو الداعي كانت عبادة الصنم عبادة

للشيطان وقيل المراد بالطاغوت الصنم وسميت طواغيت على سبيل المجاز لانه لا فعل لها اطلاقا لاسم السبب على المسبب
بحسب الظاهر وقيل الطاغوت كل من يعبد ويطاع دون الله تعالى في التواريخ ان الاصل في عبادة الاصنام ان القوم مشبهه
واعتقدوا في الاله انه نور عظيم وان الملائكة انوار مختلفة في الصغر والكبر فوضعوا تماثيل صور على وفق تلك الخيالات فكانوا
يعبدون تلك التماثيل على اعتقادهم انهم يعبدون الله والملائكة **قوله تعالى** ان يعبدوها الضمير يعود على الطاغوت
لانها تؤنث وقد تقدم الكلام عليها مستوفى في البقرة وان يعبدوها في محل نصب على البدل من الطاغوت بدل اشتمال كانه
قيل اجتنبوا عبادة الطاغوت **قوله تعالى** فبشر عبادي من ايقاع الظاهر موقع المضمر اي فبشرهم اي اولئك المجتنبين
وانما فعل ذلك تصريحا بالوصف المذكور **قوله تعالى** الذين اجتنبوا الطاغوت اي اعرضوا عن معبودية ما سوى الله تعالى
وانابوا اي رجعوا بالكلية الى الله واقبلوا بالكلية على عبادة الله ثم انه تعالى وعد هؤلاء باشياء احدها قوله لهم البشرى
وهذه البشرى تحصل عند القرب من الموت وعند الوضع في القبر وعند الخروج من القبر وعند الوقوف في عرصة القيمة وعند
ما يصير فريق في الجنة وفريق في السعير ففي كل موضع من هذه المواضع تحصل البشارة بنوع من الخير وهذا المبشر يحتمل ان يكون هم
الملائكة عند الموت لقوله الذين يتوفاهم الملائكة طيبين يقولون سلام عليكم وبعد دخول الجنة لقوله والملائكة يدخلون
عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار ويحتمل ان يكون هو الله تعالى لقوله تحيتهم يوم يلقونه سلام ثم قال فبشر
عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه وهم الذين اجتنبوا وانابوا الى غيرهم وهذه الاية تدل على وجوب النظر والاستدلال
لانه مدح الانسان الذي اذا سمع اشياء كثيرة يختار منها ما هو الاحسن الاصوب ويميز الاحسن الاصوب عما سواه لا ياتي بالسماع
وانما ياتي بحجة العقل واختلفوا في المراد باتباع الاحسن فقيل هو مثل ان يسمع القصاص والعفو فيعفو لان العفو مندوب
اليه لقوله وان تعفوا اقرب للتقوى وقد يسمع العزائم والرخص فيتبع الاحسن وهو العزائم وقيل يستمعون القران وغير القران فيتبعون
القران وروي عطاء عن ابن عباس ان ابا بكر آمن بالنبي صلى الله عليه وسلم فجاءه عثمان وعبد الرحمن بن عوف وطلحة والزبير وسعد بن ابي وقاص
وسعيد بن زيد فسالوه فاخبرهم بايمانه فآمنوا فنزلت فيهم فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه وقال ابن الخطيب
انا نقل البحث عن الدلائل وتقريرها والشبهات وترتيبها نعرض تلك المذاهب واضدادها على عقولنا فكل ما حكم به اول العقل بانه افضل
واكمل كان اولى بالقبول مثاله ان صريح العقل شاهد بان الاقرار بان الله لا يجري في ملكه وسلطانه الا ما كان على وفق مشيئته
اولى من القول بان اكثر ما يجري في سلطان الله على خلاف ارادته والاقرار بان الله تعالى فرد احد صمد منزه عن التركيب والاعضاء
اولى من القول بكونه شخصا مؤلفا وايضا القول باستغنائه عن المكان والزمان اولى من القول بانه لا يستغني عنه البتة فكل هذه الابواب
داخلة تحت قوله الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه فهذا في ابواب الاعتقادات واما ابواب التكاليف فهي قسمان عبادات
ومعاملات فاما العبادات فكقولنا الصلوة التي يذكر في تحريمها الله اكبر وهي بنية ويقرا فيها بالفاتحة ويوتى فيها بالطمانينة
في المواقف الخمسة ويتشهد فيها ويخرج منها بالسلام بلا شك انها احسن من الصلوة التي لا يراعى فيها شيء من هذه الاحوال
فوجب على العاقل ان يختار هذه الصلوة دون غيرها وكذا القول في جميع ابواب العبادات واما المعاملات فكما تقدم في القصاص
والعفو عنه وروي عن ابن عباس ان المراد منه ان الرجل يجلس مع القوم فيسمع الحديث فيه محاسن ومساوئ فيحدث بالحسن
ما سمع ويترك ما سواه **قوله تعالى** الذين يستمعون الظاهر انه نعت لعبادي او بدل منه او بيان له وقيل يجوز ان يكون مبتدأ وقوله
اولئك الذين الى آخره خبره وعلى هذا فالوقف على قوله عبادي والابتداء بما بعده **قوله تعالى** اولئك الذين هداهم الله واولئك
هم اولو الالباب قال ابن زيد نزلت والذين اجتنبوا الطاغوت ان يعبدوها الآيتان في ثلاثة نفر كانوا في الجاهلية يقولون
لا اله الا الله زيد بن عمرو وابو ذر الغفاري وسلمان الفارسي والاحسن قول لا اله الا الله وفي هذه الاية لطيفة وهي ان حصول الهداية
في العقل والروح حادث فلا بد له من فاعل وقابل اما الفاعل فهو الله تعالى وهو المراد من قوله اولئك الذين هداهم الله واما القابل
فاليه الاشارة بقوله واولئك هم اولو الالباب فان الانسان ما لم يكن عاقلا كامل الفهم امتنع حصول هذه المعارف الحقيقية
في قلبه **قوله تعالى** افمن حق عليه في من هذه وجهان اظهرهما انها موصولة في محل رفع بالابتداء وخبره محذوف فتقديره ابو لهب
كمن نجا وقدره الزمخشري فانت تخلصه فالحذف للدلالة افانت تنقذ عليه وقدره غيره تتاسف عليه وقدره آخرون يتخلص منه
اي من العذاب وقدر الزمخشري على عادته جملة بين الهمزة والفاء تقديره انت مالك امرهم فمن حق عليه كلمة العذاب واما
غيره فيدعي ان الاصل تقديم الفاء وانما اخرت لما تستحقه الهمزة من التصدير وقد نقلنا تحقيق هذين القولين الثاني ان تكون
من شرطية وجوابها افانت فالفاء فالجواب دخلت على جملة الجزاء واعيدت الهمزة لتوكيد معنى الانكار واوقع الظاهر وهو من
في النار موقع المضمر اذ كان الاصل افانت تنقذه وانما وقع موقعه شهادة عليه بذلك والى هذا نحا الحوفي والزمخشري قال الحوفي
وجيء بالف الاستفهام لما طال الكلام توكيدا ولولا طوله لم يجز الاتيان بها لانه لا يصلح في العربية ان ياتي بالف الاستفهام في الاسم
والف اخرى في الجزاء ومعنى الكلام افانت تنقذه وعلى القول بكونها شرطية يترتب على قول الزمخشري وقول الجمهور مسئلة وهي انه على قول

الجمهور

الجمهور يكون قد اجتمع شرط واستفهام وفيه حينئذ خلاف بين سيبويه ويونس هل الجملة الاخيرة جواب الاستفهام اذ اداة الاستفهام
مقدمة داخلة على جملة محذوفة عطفت عليها جملة الشرط ولم يدخل على جملة الشرط وقوله افانت تنقذ استفهام توقيف وقدم فيها
الضمير اشعارا بانك لست قادرا على انقاذه انما القادر عليه الله تعالى وحده **فصل** قال ابن عباس معنى الاية من سبق في علم الله
انه في النار وقيل كلمة العذاب قوله تعالى لاملان جهنم وقيل هي قوله هؤلاء للنار ولا ابالي وقوله افانت تنقذ من في النار اي لا يقدر عليه
قال ابن عباس يريد ابا لهب وولده **فصل** احتج اهل السنة بهذه الاية في مسئلة الهدى والضلال بقوله افمن حق عليه كلمة العذاب
فاذا حقت كلمة العذاب عليه امتنع منه فعل الايمان والطاعة والا لزم انقلاب خبر الله الصدق كذبا وانقلاب علمه جهلا وهو محال
وايضا فانه تعالى حكم بان حقية كلمة العذاب مانعة منه لم يبق لهذا الاستنكار والاستبعاد معنى **فصل** احتج القاضي بهذه
الاية على ان النبي صلى الله عليه وسلم لا يشفع لاهل الكبائر لانه حق عليهم العذاب فتلك الشفاعة تكون جارية مجرى انقاذهم
من النار وان الله تعالى حكم عليهم بالانكار والاستبعاد واجيب بانه لا نسلم ان اهل الكبائر قد حق عليهم العذاب وكيف يحق عليهم العذاب
مع ان الله تعالى قال ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء وقال ان الله يغفر الذنوب جميعا **قوله تعالى** لكن الذين
اتقوا ربهم لما بين شيئين نقيضين او ضدين وهما المؤمنون والكافرون وقوله لهم غرف من فوقها غرف وهذا كالمقابل لما ذكر
في وصف الكفار لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل والمعنى لهم منازل في الجنة رفيعة وفوقها منازل ارفع فان قيل ما معنى
قوله مبنية قلنا لان المنزل اذا بني على منزل آخر كان الفوقاني اضعف بناء من التحتاني فقوله مبنية معناه انه وان كان فوق غيره
لكنه في القوة والشدة مساو للمنزل الاسفل ثم قال تجري من تحتها الانهار وذلك معلوم **قوله تعالى** وعد الله مصدر مؤكد لمضمون
الجملة فهو منصوب بواجب الاضمار لان قوله لهم غرف في معنى وعدهم الله ذلك وفي الاية دقيقة شريفة وهي انه تعالى في كثير من آيات
الوعد يصرح بان هذا وعد الله وانه لا يخلف وعده ولم يذكر في آيات الوعيد البتة مثل هذا التاكيد والتقوية وذلك يدل على
ان جانب الوعد ارجح من جانب الوعيد بخلاف قول المعتزلة انه قال في جانب الوعيد ما يبدل القول لدي وما انا بظلام للعبيد واجيبوا
بان قوله ما يبدل القول لدي ليس تصريحا بجانب الوعيد بل هو عام يتناول القسمين الوعد والوعيد فثبت ان الترجيح الذي ذكرناه
حق والله اعلم **قوله تعالى** الم تر ان الله انزل من السماء ماء الاية لما وصف الآخرة بوصف يوجب الرغبة العظيمة فيها وصف الدنيا
بصفة توجب اشتداد النفرة عنها وذلك انه انزل من السماء ماء وهو المطر وقيل كل ما في الارض فهو من السماء ثم انه تعالى ينزله الى بعض
المواضع ثم يقسمه فسلكه ينابيع في الارض اي عيونا ومسالك وركايا في الارض ومجاري كالعروق في الاجساد ثم يخرج به زرعا
مختلفا الوانه من خضرة وحمرة وصفرة وبياض وغير ذلك مختلفا اصنافه من بر وشعير وسمسم ثم يهيج اي ييبس فتراه مصفرا
لانه اذا تم جفافه جاز له ان ينفصل من منابته وان لم تتفرق اجزاؤه فتلك الاجزاء كانها هاجت لان تتفرق ثم نصيره حطاما
فتاتا متكسرا ان في ذلك لذكرى لاولي الالباب يعني ان من شاهد هذه الاحوال في النبات علم ان احوال الحيوان والانسان كذلك
وانه وان طال عمره فلا بد من الانتهاء الى ان يصير مصفر اللون متحطم الاعضاء والاجزاء ثم يكون عاقبته الموت فاذا كانت مشاهدة
هذه الاحوال في النبات مذكرة حصول مثل هذه الاحوال في نفسه وفي حياته فحينئذ تعظم نفرته عن الدنيا ولذاتها **قوله تعالى** ثم يجعله
حطاما العامة على رفع الفعل نسقا على ما قبله وقرأ ابو بشر ثم يجعله منصوبا قال ابو حيان قال صاحب الكامل وهو ضعيف ولا
تخريجه فاما ضعفه فواضح حيث لم يتقدم ما يقتضي نصبه في الظاهر واما تخريجه فذكر ابو البقاء فيه وجهين احدهما ان ينتصب باضمار
ان ويكون معطوفا على قوله ان الله انزل من السماء ماء في اول الاية والتقدير الم تر ان الله ثم جعل والثاني ان يكون منصوبا بتقدير
ترى اي ثم ترى وجعله حطاما يعني انه ينتصب بان مضمرة ويكون ان ومعمولاها في خبرها مفعولا به بفعل مقدر وهو ترى لدلالة الم تر
عليه **قوله تعالى** افمن شرح الله صدره للاسلام الاية لما بين الدلائل الدالة على وجوب الاقبال على طاعة الله ووجوب الاعراض
عن الدنيا ذكر ان الانتفاع بهذه البيانات لا يكمل الا اذا شرح الصدر ونور القلب والكلام في قوله افمن شرح الله وقوله افمن يتقي
كالكلام في افمن حق والتقدير افمن شرح الله صدره للاسلام كمن قسا قلبه او كالقاسي المعرض لدلالة فويل للقاسية قلوبهم عليه
وكذا التقدير في افمن يتقي اي كمن امن العذاب وهو تقدير الزمخشري او كالمتنعمين في الجنة وهو تقدير ابن عطية **فصل**
معنى شرح الله صدره للاسلام اي وسعه لقبول الحق فهو على نور من ربه كمن اقسى الله قلبه فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله اولئك
في ضلال مبين قال مالك بن دينار ما ضرب عبد بعقوبة اعظم من قسوة القلب وما غضب الله على قوم الا نزع منهم الرحمة فان قيل
ان ذكر الله عز وجل سبب لحصول النور والهداية وزيادة الاطمئنان قال تعالى الا بذكر الله تطمئن القلوب فكيف جعله في هذه
الاية سببا لحصول القسوة في القلب فالجواب ان النفس اذا كانت خبيثة الجوهر كدرة العنصر بعيدة عن مناسبة الروحانيات
شديدة الميل الى الطبائع البهيمية والاخلاق الذميمة فان سماعها الذكر الله يزيدها قسوة وكدورة مثاله ان الفاعل الواحد يختلف
افعاله بحسب اختلاف القوابل كنور الشمس يسود وجه القصار ويبيض ثوبه وحرارة الشمس تلين الشمع وتعقد الملح وقد نرى انسانا
واحدا يذكر كلاما واحدا في مجلس واحد فيستطيبه واحد ويستكرهه غيره وما ذاك الا بسبب اختلاف جواهر النفوس ولما نزل

قوله تعالى ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين وعمر بن الخطاب حاضر وانسان آخر فلما انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم
الى قوله تعالى ثم انشأناه خلقا آخر قال كل واحد منهما فتبارك الله احسن الخالقين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اكتب
فكذا نزلت فازداد عمر ايمانا على ايمان وازداد ذلك الانسان كفرا واذا عرف ذلك لم يبعد ان يكون ذكر الله عز وجل يوجب النور والهداية
والاطمئنان في النفوس الطاهرة الروحانية ويوجب القسوة والبعد عن الحق في النفوس الخبيثة الشيطانية **قوله تعالى**
الله نزل احسن الحديث احتج القائلون بحدوث القرآن بهذه الآية من وجوه الاول انه تعالى وصفه بكونه حديثا في هذه الآية
وفي قوله فليأتوا بحديث مثله وفي قوله افبهذا الحديث انتم مدهنون والحديث لا بد وان يكون حادثا بل الحديث اقوى في الدلالة
على الحدوث من الحادث لانه يصح ان يقال هذا حديث وليس بعتيق وهذا عتيق وليس بحديث ولا يصح ان يقال هذا عتيق وليس بحادث
فثبت ان الحديث هو الذي يكون قريب العهد بالحدوث وسمي الحديث حديثا لانه مؤلف من الحروف والكلمات وتلك الحروف والكلمات
تحدث حالا فحالا وساعة فساعة الثاني قالوا انه تعالى وصفه بانه نزله والمنزل يكون في محل تصرف الغير وما كان كذلك فهو
محدث وحادث الثالث قالوا ان قوله احسن الحديث يقتضي ان يكون هو من جنس سائر الاحاديث كما ان قوله زيد افضل الاخوة يقتضي
ان يكون زيد مشاركا لاولئك الاقوام في صفة الاخوة ويكون من جنسهم فثبت ان القرآن من جنس سائر الاحاديث ولما كان سائر
الاحاديث حادثة وجب ايضا ان يكون القرآن حادثا الرابع قالوا انه تعالى وصفه بكونه كتابا والكتاب مشتق من الكتيبة وهي
الاجتماع وهذا يدل على انه مجموع جامع ومحل تصرف ومتصرف فيه وذلك يدل على كونه حادثا قال ابن الخطيب والجواب
ان نحمل هذا الدليل على الكلام المؤلف من الحروف والالفاظ والعبارات وذلك الكلام عندنا محدث ومخلوق **فصل** كون القرآن
احسن الحديث اما ان يكون بحسب اللفظ وذلك من وجهين الاول ان يكون ذلك الحسن لاجل الفصاحة والجزالة الثاني ان يكون
بحسب النظم في الاسلوب وذلك لان القرآن ليس من جنس الشعر ولا من جنس الخطب ولا من جنس الرسائل بل هو نوع يخالف الكل مع ان كل
طبع سليم يستلذه ويستطيبه واما ان يكون احسن الحديث لاجل المعنى وهو من وجوه الاول انه كتاب منزه عن التناقض قال تعالى
ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا ومثل هذا الكتاب اذا خلا عن التناقض كان ذلك من المعجزات الثاني اشتماله على الغيوب
الكثيرة في الماضي والمستقبل الثالث ان العلوم الموجودة فيه كثيرة جدا وقد شرح ابن الخطيب منها اقساما كثيرة **قوله تعالى** كتابا فيه وجهان
اظهرهما انه بدل من احسن الحديث والثاني انه حال منه قال ابن حيان لما نقله عن الزمخشري وكانه بناه على ان احسن الحديث معرفة
لاضافته الى معرفة وافعل التفضيل اذا اضيف الى معرفة فيه خلاف فقيل اضافته محضة وقيل غير محضة قال شهاب الدين وعلى تقدير
كونه نكرة يجوز ايضا ان يكون حالا لان النكرة متى اضيفت ساغ مجيء الحال منها بلا خلاف والصحيح ان اضافة افعل محضة وقوله
متشابها نعت لكتاب وهو المسوغ لمجيء الجامد حالا ولانه في قوة مكتوب او مبين مفعولا من الفاعلية اي متشابها مثانيه والى هذا
ذهب الزمخشري **قوله تعالى** مثاني قرأ العامة مثاني بفتح الياء صفة ثانية او حالا اخرى وقرأ هشام عن ابن عامر وابو بشر بسكونها
وفيها وجهان احدهما انه من تسكين حرف العلة استثقالا للحركة عليه كقراءة تطعمون اهاليكم كان ايديهن ونحوهما والثاني
خبر مبتدا محذوف اي هو مثاني كذا ذكره ابو حيان وفيه نظر من حيث انه كان ينبغي ان ينون ويحذف ياؤه لالتقاء الساكنين
فيقال مثان كما يقال هؤلاء جوار وقد يقال انه وقف عليه ثم اجرى الوصل مجرى الوقف لكن يعترض عليه بان الوقف على المنقوص
المنون بحذف الياء نحو هذا قاض واثباتها لغة قليلة ويمكن الجواب عنه بانه قد قرئ بذلك في المتواتر نحو من والي وباقي وهادي
في قراءة ابن كثير **فصل** تقدم تفسير الكتاب عند قوله ذلك الكتاب في اول الكتاب وقوله متشابها اي يشبه بعضه بعضا
في الحسن ويصدق بعضه بعضا ليس فيه تناقض ولا اختلاف قاله ابن عباس وقوله مثاني اي تثنى فيه ذكر الوعد والوعيد
والامر والنهي والاخبار والاحكام او جمع مثنى مفعل من التثنية بمعنى التكرير وانما وصف كتاب وهو مفرد بمثاني وهو جمع لان
الكتاب مشتمل على سور وآيات او هو من باب برمة اعشار وثوب اخلاق قاله الزمخشري وقيل ثم موصوف محذوف اي فصولا مثاني
حذف للدلالة عليه وقال ابن الخطيب اكثر الاشياء المذكورة زوجين زوجين مثل الامر والنهي والعام والخاص والمجمل والمفصل
واحوال السموات والارض والجنة والنار والنور والظلمة واللوح والقلم والملائكة والشياطين والعرش والكرسي والوعد والوعيد
والرجاء والخوف والمقصود منه بيان كل ما سوى الحق زوج يدل على ان كل شيء مبتل بضده ونقيضه وان الفرد الاحد الحق هو الله
تعالى **قوله تعالى** تقشعر هذه الجملة يجوز ان يكون صفة لكتاب وان يكون حالا منه لاختصاصه بالصفة وان يكون مستأنفة
واقشعر جلده اذا تقبض وتجمع من الخوف ووقف شعره والمصدر الاقشعرار والقشعريرة ايضا ووزن اقشعر افعلل ووزن
القشعريرة فعليلة **فصل** قال المفسرون تقشعر تضطرب وتشمئز منه جلود الذين يخشون ربهم والاقشعرار
تغير في جلد الانسان عند الوجل والخوف وقيل المراد من الجلود القلوب الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله
اي لذكر الله قيل اذا ذكرت آيات العذاب اقشعرت جلود الخائفين لله واذا ذكرت آيات الرحمة لانت وسكنت قلوبهم كما قال الا
بذكر الله تطمئن القلوب وحقيقة المعنى ان قلوبهم تقشعر عند الخوف وتلين عند الرجاء قال عليه السلام اذا اقشعر جلد الانسان

من خشية الله

من خشية الله حرمه الله على النار قال قتادة هذا نعت اولياء الله نعتهم بان تقشعر جلودهم وتطمئن قلوبهم ولم ينعتهم
بذهاب عقولهم والغشيان عليهم انما ذلك في اهل البدع وهو من الشيطان وعن عروة بن الزبير قال قلت لجدتي اسماء بنت ابي بكر كيف
كان يفعل اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قرئ عليهم القرآن قالت كانوا كما نعتهم الله عز وجل تدمع اعينهم وتقشعر جلودهم
قال فقلت لها ان ناسا اليوم اذا قرئ عليهم القرآن خر احدهم مغشيا عليه فقالت اعوذ بالله من الشيطان الرجيم وعن ابن عمر انه مر برجل
من اهل العراق ساقط فقال ما بال هذا قالوا انه اذا قرئ عليه القرآن او سمع ذكر الله سقط فقال ابن عمر انا لنخشى الله وما نسقط وقال
ابن عمر ان الشيطان يدخل في جوف احدهم ما كان هذا صنع اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم **فصل** قال المفسرون تركيب لفظ
القشعريرة من حروف القشع وهو الاديم اليابس وضموا اليه حرفا رابعا وهو الراء ليكون رباعيا دالا على معنى زائد فقال اقشعر جلده من الخوف
اذا وقف شعره وهو في شدة الخوف فان قيل كيف قال تلين الى ذكر الله فعداه بحرف الى فالجواب التقدير تلين جلودهم وقلوبهم حال
وصولها الى حضرته وهو لا يحتجب للادراك فان قيل كيف قال الى ذكر الله ولم يقل الى ذكر رحمة الله فالجواب ان من احب الله لاجل رحمته
فهو ما احب الله وانما احب شيئا غيره واما من احب الله لا لشيء سواه فهو المحب المحق وهي الدرجة العالية فلهذا قال ثم تلين جلودهم
وقلوبهم حال وصولها الى ذكر رحمة الله وانما قال الى ذكر الله وقد بين الله تعالى هذا بقوله الا بذكر الله تطمئن القلوب فان قيل لم ذكر
في جانب الخوف قشعريرة الجلود فقط وفي جانب الرجاء لين الجلود والقلوب فالجواب لان المكاشفة في مقام الرجاء اكمل منها في مقام
الخوف لان الخير مطلوب بالذات والشر مطلوب بالعرض ومحل المكاشفات هي القلوب والارواح والله اعلم ثم انه تعالى لما وصف
القرآن بهذه الصفات قال ذلك هدى الله يهدي به من يشاء فقوله ذلك اشارة الى الكتاب وهو هدى الله وهو الذي شرح
صدره لقبول الهداية ومن يضلل الله اي جعل قلبه قاسيا مظلما فما له من هاد واعلم ان سؤالات المعتزلة وجوابها من مثل هذه
الآية قد نقلها في قوله فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام ونظائرها **قوله تعالى** افمن يتقي بوجهه سوء العذاب
الآية لما حكم على القاسية قلوبهم بحكم في الدنيا وهو الضلال التام حكم عليهم في الآخرة بحكم آخر وهو العذاب الشديد فقال افمن
يتقي بوجهه سوء العذاب يوم القيامة وتقريره ان اشرف الاعضاء الظاهرة الوجه لانه محل الصباحة وصومعة الحواس والسعادة
فانها الانظار الانيقة قال تعالى وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة ووجوه يومئذ عليها غبرة ترهقها قترة اولئك هم
الكفرة الفجرة ويقال المقدم القوم يا وجه العرب ويقال للطريق الدال على حال الشيء انه وجه كذا هو كذا فثبت بما ذكرنا ان اشرف
الاعضاء الظاهرة هو الوجه واذا وقع الانسان في نوع من انواع العذاب فانه يجعل يده وقاية لوجهه واذا عرف هذا فنقول اذا كان
القادر على الاتقاء يجعل كل ما سوى الوجه وقاء للوجه لاجرم حسن جعل الاتقاء بالوجه كناية عن العجز عن الاتقاء ونظيره قول النابغة
ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم * بهن فلول من قراع الكتائب * اي لا عيب فيهم الا هذا وهو ليس بعيب فلا عيب فيهم اذن بوجه من الوجوه
فكذا ههنا لا يقدرون على الاتقاء بوجه من الوجوه الا بالوجه وهذا ليس باتقاء فلا قدرة لهم على الاتقاء البتة وقيل انه يلقى في النار
مغلولة يداه الى عنقه فلا يتهيأ له ان يتقي النار الا بوجهه وتقدم الكلام على الاعراب وسوء العذاب اشده قال مجاهد يجر على وجهه
في النار وقال عطاء يرمى به في النار منكوسا فاول شيء يمس النار منه وجهه **قوله تعالى** وقيل للظالمين اي تقول الخزنة للظالمين ذوقوا
ما كنتم تكسبون اي وباله ولما بين كيفية عقاب القاسية قلوبهم في الآخرة وبين كيفية وقوعهم في العذاب قال كذب الذين من قبلهم
اي من قبل كفار مكة كذبوا الرسل فاتاهم العذاب من حيث لا يشعرون يعني وهم آمنون غافلون عن العذاب اي من الجهة التي لا يحتسبون
ولا يخطر ببالهم ان الشر ياتيهم منها فاذاقهم الله الخزي في الحياة الدنيا وهو الذل والصغار والهوان ثم قال ولعذاب الآخرة
اكبر لو كانوا يعلمون يعني ان اولئك وان نزل بهم العذاب والخزي في الدنيا فالعذاب المدخر لهم يوم القيامة اكبر واعظم من ذلك الذي
وقع بهم في الدنيا ولما ذكر الله تعالى هذه الفوائد الكثيرة في هذه المطالب بين ان هذه البيانات بلغت حد الكمال والتمام فقال ولقد
ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل لعلهم يتذكرون يتعظون قالت المعتزلة دلت الآية على ان افعال الله تعالى واحكامه
معللة ودلت ايضا على انه تعالى يريد الايمان والمعرفة من الكل لان قوله ولقد ضربنا للناس مشعر بالتعليل وقوله في آخر الآية
لعلهم يتذكرون مشعر بالتعليل ايضا ومشعر بان المراد من ضرب هذه الامثال حصول التذكر والعلم **قوله تعالى** قرآنا عربيا
فيه ثلاثة اوجه احدها ان يكون منصوبا على المدح لانه لما كان نكرة امتنع اتباعه للقرآن الثاني ان ينتصب بيتذكرون اي يتذكرون
قرآنا الثالث ان ينتصب على الحال من القرآن على انها حال مؤكدة وتسمى حالا موطئة لان الحال في الحقيقة عربيا وقرآنا توطئة
له نحو جاء زيد رجلا صالحا وقوله غير ذي عوج نعت لقرآنا او حال اخرى قال الزمخشري فان قلت فهلا قيل مستقيما او غير معوج
قلت فيه فائدتان احدهما نفي ان يكون فيه عوج قط كما قال ولم يجعل له عوجا والثاني ان العوج يختص بالمعاني دون
الاعيان وقيل المراد بالعوج الشك واللبس والتناقض وقد قال يعني غير ذي عوج من الاله وقيل غير مخلوق **فصل** اعلم انه تعالى
وصف القرآن بصفات ثلاثة اولها كونه قرآنا والمراد كونه متلوا في المحاريب الى قيام الساعة وثانيها كونه عربيا اي انه
اعجز الفصحاء والبلغاء عن معارضته كما قال قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان ياتوا بمثل هذا القرآن لا ياتون بمثله وثالثها كونه

غير ذي عوج والمراد براءته من التناقض قال ابن عباس غير مختلف وقال مجاهد غير ذي لبس وقال السدي غير مخلوق ويروى
ذلك عن ابن عباس ومالك بن انس وحكى سفيان بن عيينة عن سبعين من التابعين ان القرآن ليس بخالق ولا مخلوق **قوله تعالى**
لعلهم يتقون الكفر والتكذيب به وتمسكت المعتزلة به في تعليل احكام الله تعالى وقوله في الآية الاولى لعلهم يتذكرون
وههنا لعلهم يتقون لان التذكر يتقدم على الاتقاء والاحتراز والله اعلم **قوله تعالى** ضرب الله مثلا رجلا قال الكسائي نصب
رجلا لانه تفسير للمثل واعلم انه تعالى لما شرح وعيد الكفار مثل بما يدل على فساد مذهبهم وقبح طريقتهم فقال ضرب الله مثلا
قوله تعالى فيه شركاء يجوز ان يكون هذه الجملة من مبتدأ وخبر في محل نصب صفة لرجل ويجوز ان يكون الوصف الجار وحده
وشركاء فاعل به وهو اولى لقربه من المفرد **متشاكسون** صفة لشركاء والتشاكس التخالف واصله سوء الخلق وعسره وهو سبب
التخالف والتشاجر ويقال التشاكس والتشاخس بالخاء موضع الكاف وقد تقدم الكلام على نصب المثل وما بعده الواقعين
بعد ضرب وقال الكسائي انتصب رجلا على اسقاط الجار اي لرجل او في رجل والمتشاكسون المختلفون العسرون يقال شكس
يشكس شكوسا وشكسا اذا عسر وهو رجل شكس اي عسر وشاكس اذا تعاسر قال الليث التشاكس التضاد والاختلاف ويقال
الليل والنهار يتشاكسان اي يتضادان اذا جاء احدهما ذهب الآخر وقوله فيه صلة شركاء كما تقول اشتركوا فيه اي في رقه قال
شهاب الدين وقال ابو البقاء كلاما لا يشبه ان يصدر من مثله بل ولا اقل منه قال وفيه شركاء والجملة صفة لرجل وفي يتعلق
بمتشاكسون وفيه دلالة على جواز تقديم خبر المبتدأ عليه انتهى اما هذا فلا شك انه سهو لانه من حيث جعله جملة كيف يقول
بعد ذلك ان فيه يتعلق بمتشاكسون وقد يقال اراد من حيث المعنى وهو بعيد جدا ثم قوله وفيه دلالة الى آخره يناقضه ايضا
وليست المسألة غريبة حتى يقول وفيه دلالة وكانه اراد وفيه دلالة على تقديم معمول الخبر على المبتدأ بناء منه على ان فيه
متعلق بمتشاكسون ولكنه فاسد والفاسد لا يراد صاحبه **قوله تعالى** سالما لرجل قرأ ابن كثير وابو عمرو سالما بالالف
وكسر اللام والباقون سلما بفتح السين واللام وابن جبير بكسر السين وسكون اللام قال ابن الخطيب ويقال ايضا بفتح السين
وسكون اللام فالقراءة الاولى اسم فاعل من سلم له كذا فهو سالم والقراءتان الاخيرتان سلما وسلما فهما مصدران وصف
بهما على سبيل المبالغة او على حذف مضاف او على وقوعهما موقع اسم الفاعل فيعود كالقراءة الاولى وقرئ ورجل سالم
برفعهما وفيه وجهان احدهما ان يكون مبتدأ والخبر محذوف تقديره وهناك رجل سالم كذا قدره الزمخشري الثاني انه
مبتدأ وسالم خبره وجاز الابتداء بالنكرة لانه موضع تفصيل كقول امرئ القيس • اذا ما بكى من خلفها انصرفت له • بشق
وشق عندنا لم يحول • وقولهم الناس رجلان رجل اكرمت ورجل اهنت **قوله تعالى** مثلا منصوب على التمييز المنقول من الفاعلية
اذ الاصل هل يستوي مثلهما وافرد التمييز لانه مقتصر عليه اولا في قوله ضرب الله مثلا وقرئ مثلين مطابقا لحالي الرجلين
وقال الزمخشري فيمن قرأ مثلين ان الضمير في يستويان للمثلين لان التقدير مثل رجل ومثل رجل والمعنى هل يستويان فيما يرجع
الى الوصفية كما يقول كفى بهما رجلين قال ابو حيان والظاهر انه يعود الضمير في يستويان على رجلين واما اذا جعلته عائدا
الى المثلين اللذين ذكر ان التقدير مثل رجل ومثل رجل فان التمييز يكون اذ ذاك قد فهم من المميز الذي هو الضمير اذ يصير التقدير
هل يستوي المثلان مثلين قال شهاب الدين وهذا لا يضر اذ التقدير هل يستوي المثلان مثلين في الوصفية فالمثلان الاولان
معهودان والثانيان جنسان مبهمان كما تقول كفى بهما رجلين فان الضمير في بهما عائد على ما يراد بالرجلين فلا فرق بين المسألتين
فما كان جوابا عن كفى بهما رجلين يكون جوابا له **فصل** تقدير الكلام اضرب لقومك مثلا وقل ما تقولون في رجل مملوك
لشركاء بينهم اختلاف وتنازع فيه وكل واحد يدعي انه عبده فهم يتجاذبونه وهو متحير في امره وكلما ارضى احدهم غضب
الباقون واذا احتاج اليهم فكل واحد منهم يرده الى الآخر فيبقى متحيرا لا يعرف ايهم اولى ان يطلب رضاه وايهم يعينه في حاجاته
فهو بهذا السبب في عذاب دائم وآخر له مخدوم واحد يخدمه على سبيل الاخلاص وذلك المخدوم يعينه على مهماته فاي هذين
العبدين احسن حالا والمراد ان من اثبت آلهة اخرى فان اولئك الآلهة تكون متنازعة متغالبة كما قال تعالى لو كان فيهما
آلهة الا الله لفسدتا وقال ولعلا بعضهم على بعض فيبقى ذلك المشرك متحيرا ضالا لا يدري اي هؤلاء الآلهة يعبد وعلى
ربوبية ايهم يعتمد وممن يطلب رزقه فهمه متشاع وقلبه اوزاع اما من لم يثبت الا الها واحدا فهو قائم بما كلفه عارف
بما يرضيه ويسخطه فكان حال هذا اقرب الى الصلاح من حال الاول وهذا المثال في غاية الحسن في تقبيح الشرك وتحسين التوحيد
فان قيل هذا المثال لا ينطبق على عبادة الاصنام لانها جمادات فليس بينها منازعة ولا تشاكس فالجواب ان عبدة الاصنام
مختلفون منهم من يقول هذه الاصنام تماثيل الكواكب السبعة فهم في الحقيقة انما يعبدون الكواكب السبعة وهم يثبتون بينها
منازعة ومشاكسة الا ترى انهم يقولون زحل هو النحس الاعظم والمشتري هو السعد الاعظم ومنهم من يقول هذه الاصنام
تماثيل الارواح الفلكية والقائلون بهذا القول زعموا ان كل نوع من انواع حوادث هذا العالم يتعلق بروح من ارواح السماء
وحينئذ يحصل بين تلك الارواح منازعة ومشاكسة وحينئذ يكون المثال مطابقا ومنهم من يقول هذه الاصنام تماثيل

الاشخاص من العلماء والزهاد يشفعاء لهم عند الله والقائلون بهذا القول يزعم كل طائفة منهم ان المحق هو ذلك الرجل الذي
هو على دينه وان من سواه مبطل وعلى هذا التقدير ايضا ينطبق المثال **قوله تعالى** قل الحمد لله يعني انه لما بطل القول باثبات الشركاء
والانداد وثبت انه لا اله الا الواحد الاحد الحق ثبت ان الحمد له لا لغيره ثم قال بل اكثرهم لا يعلمون ان الحمد لله لا لغيره وان المستحق للعبادة
هو الله وقيل لا يعلمون ما يصيرون اليه وقيل المراد انه لما سبقت هذه الدلائل الظاهرة قال الحمد لله على حصول هذه البيانات
وظهور هذه البينات وان اكثر الخلق لا يعرفونها قال البغوي والمراد بالاكثر الكل **قوله تعالى** انك ميت اي ستموت وانهم ميتون اي
سيموتون قال الفراء والكسائي الميت بالتشديد من لم يمت وسيموت والميت بالتخفيف من فارقه الروح ولذلك لم يخففه هنا والعامة
على ميت وميتون وقرأ ابن محيصن وابن ابي عبلة واليماني مائت ومائتون وهي صفة مشعرة بحدوثها دون ميت وقد تقدم انه لا خلاف
بين القراء في تثقيل مثل هذا **فصل** والمراد ان هؤلاء الاقوام وان لم يلتفتوا الى هذه الدلائل القاهرة لاجل الحسد فلا يبالي
محمد بهذا فانك ستموت وهم ايضا يموتون ثم انكم تحشرون يوم القيامة وتختصمون عند الله تعالى والعادل الحق يحكم بينهم فيوصل
الى كل احد حقه وحينئذ يتميز المحق من المبطل ثم انه تعالى بين نوعا آخر من قبائح افعالهم وهو انهم يكذبون ويضمون اليه انهم
يكذبون القائل المحق اما كذبهم فهو انهم اثبتوا لله ولدا وشركاء واما تكذيبهم الصادق فلانهم يكذبون محمدا صلى الله عليه وسلم
بعد قيام الدلائل القاطعة على كونه صادقا في ادعاء النبوة ثم اردفه بالوعيد فقال اليس في جهنم مثوى للكافرين اي منزل ومقام
للكافرين وهذا استفهام بمعنى التقرير ولما ذكر من افترى على الله الكذب او كذب بالحق ذكر مقابله وهو الذي جاء بالصدق وصدق به
قوله تعالى والذي جاء بالصدق لفظه مفرد ومعناه جمع لانه اريد به الجنس وقيل لانه قصد به الجزاء وما كان كذلك كثر فيه وقوع
الذي موقع الذين ولذلك روعي معناه فجمع في قوله اولئك هم المتقون كما روعي معنى من في قوله للكافرين فانه اظهر موضع
موقع المضمر اذ الاصل مثوى لهم وقيل بل الاصل والذين جاؤا بالصدق فحذفت النون تخفيفا كقوله والذي خاضوا وهذا وهم اذ لو
قصد ذلك لجاء بعده ضمير الجمع فكان يقال والذي جاؤا كقوله كالذي خاضوا ويدل عليه ان نون التثنية اذا حذفت عاد الضمير
مثنى كقوله • ابني كليب ان عمي اللذا • قتلا الملوك وفككا الاغلالا • وكما كقوله • ان الذي حانت بفلج دماؤهم • هم القوم كل القوم
يا ام خالد • وقرأ عبد الله والذي جاؤا بالصدق وصدقوا به وقد تقدم تحقيق نظير هذه الآية في اوائل البقرة وغيرها وقيل الذي
صفة لموصوف محذوف بمعنى الجمع تقديره والفريق او الفوج ولذلك قال اولئك هم المتقون وقيل المراد بالذي واحد بعينه وهو
محمد صلى الله عليه وسلم ولكن لما كان المراد هو واتباعه اعتبر ذلك فجمع فقال اولئك هم كقوله ولقد آتينا موسى الكتاب لعلهم
يهتدون قاله الزمخشري وعبارته هو رسول الله صلى الله عليه وسلم اراد به اياه ومن تبعه كما اراد بموسى اياه وقومه ونازعه ابو حيان
في ايقاع الضمير المنفصل موضع المتصل قال واصلاحه ان يقول واراد به كما اراده بموسى وقومه قال شهاب الدين ولا مناقشة
لانه مع تقديمه به وبموسى لغرض من الاغراض يستحيل اتصال الضمير وهذا كالبحث المتقدم في قوله تعالى ولقد وصينا الذين اوتوا الكتاب
من قبلكم واياكم وقوله يخرجون الرسول واياكم وهو ان بعض الناس زعم انه يجوز الانفصال مع القدرة على الاتصال وتقدم الجواب
بقريب مما ذكر هنا وتقدم بيان حكمة التقديم ثمة وقول الزمخشري ان الضمير في لعلهم يهتدون لموسى وقومه فيه نظر بل الظاهر
خصوص الضمير بقومه دونه لانهم هم المطلوب منهم الهداية واما موسى عليه السلام فمهتد ثابت على الهداية وقال الزمخشري ايضا ويجوز
ان يريد والفوج او الفريق الذي جاء بالصدق وصدق به وهم الرسول الذي جاء بالصدق وصحابته الذين صدقوا به قال ابو حيان
توزيع الصلة والفوج هو الموصول فهو كقولك جاء الفريق الذي شرف وشرف والاظهر عدم التوزيع بل المعطوف على الصلة
صلة لمن له الصلة الاولى وقرأ ابو صالح وعكرمة بن سليمان ومحمد بن جحادة مخففا بمعنى صدق فيه ولم يغيره بل اداه من غير تحريف وقرئ
وصدق به مشددا مبنيا للمفعول **فصل** المعنى فمن اظلم ممن كذب على الله فزعم ان له ولدا وشريكا وكذب بالصدق بالقرآن
او بمحمد اذ جاءه ثم قال والذي جاء بالصدق وصدق به قال ابن عباس والذي جاء بالصدق يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم
بلا اله الا الله وصدق به الرسول ايضا بلغه الى الخلق وقال السدي والذي جاء بالصدق جبريل جاء بالقرآن وصدق به محمد صلى الله
عليه وسلم تلقاه بالقبول وقال ابو العالية والكلبي والذي جاء بالصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم وصدق به ابو بكر رضي الله عنه
وقال قتادة ومقاتل والذي جاء بالصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم وصدق به المؤمنون لقوله اولئك هم المتقون وقال عطاء
والذي جاء بالصدق الانبياء وصدق به الاتباع وحينئذ يكون الذي بمعنى الذين كقوله مثلهم كمثل الذي استوقد نارا ثم قال
ذهب الله بنورهم وقال الحسن هم المؤمنون صدقوا به في الدنيا وجاؤا به في الآخرة اولئك هم المتقون لهم ما يشاؤن عند ربهم
وهذا لا يفيد العندية بمعنى الجهة والمكان بل بمعنى الاخلاص كقوله عند مليك مقتدر ثم قال ذلك جزاء المحسنين قالت المعتزلة وهذا
يدل على ان هذا الاجر مستحق لهم على احسانهم في العبادة **قوله تعالى** ليكفر الله في تعلق الجار وجهان احدهما انها متعلقة بمحذوف
اي يسر لهم ذلك ليكفر والثاني ان يتعلق بنفس المحسنين كانه قيل الذين احسنوا ليكفر اي لاجل التكفير **قوله تعالى** اسوأ الذي الظاهر
انه افعل تفضيل وبه قرأ العامة وقيل ليست للتفضيل بل بمعنى سيء الذي عملوا كقولهم الاشج والناقص اعدلا بني مروان اي عادلاهم

ويدل على هذا قراءة ابن كثير في رواية أسواء بألف بين الواو والهمزة بزنة أفعال جمع سوء وكذا قرئ في حم السجدة **قوله تعالى** لهم ما يشاؤن عند ربهم يدل على حصول الثواب على أكمل الوجوه وقوله تعالى ليكفر الله عنهم يدل على سقوط العقاب عنهم على أكمل الوجوه ومعنى تكفيرها أي يسترها عليهم بالمغفرة ويجزيهم أجرهم بأحسن الذي كانوا يعملون وقال مقاتل يجزيهم بالمحاسن من أعمالهم ولا يجزيهم بالمساوي قال ابن الخطيب واعلم أن مقاتلا كان شيخ المرجئة وهم الذين يقولون لا يضر شيء من المعاصي مع الإيمان كما لا ينفع شيء من الطاعات مع الكفر واحتج بهذه الآية فقال إنها تدل على أن من صدق الأنبياء والرسل فإنه تعالى يكفر عنهم أسوأ الذي عملوا ولا يجوز حمل هذا الأسوأ على الكفر السابق لأن ظاهر الآية أن التكفير إنما حصل في حال وصفهم بالتقوى من الشرك وإذا كان كذلك وجب أن يكون المراد منه الكبائر التي يأتي بها بعد الإيمان فتكون هذه الآية تنصيصا على أنه تعالى يكفر عنهم بعد إيمانهم ما يأتون به وذلك هو الكبائر **قوله تعالى** أليس الله بكاف عبده قرأ العامة على توحيد عبده والأخوان عباده جمعا وهم الأنبياء وأتباعهم وقرئ بكافي عباده بالإضافة ويكافي مضارع كافى وعباده نصب على المفعول به ثم المفاعلة هنا تحتمل أن تكون بمعنى فعل نحو جازى بمعنى جزى وبني على لفظة المفاعلة لما تقدم من أن بناء المفاعلة تشعر بالمبالغة لأنه للمغالبة ويحتمل أن يكون أصله يكافئ بالهمز من المكافأة بمعنى يجزيهم فخففت الهمزة وهذا استفهام تقرير **قوله تعالى** ويخوفونك يجوز أن يكون حالا إذ المعنى أليس كافيك حال تخويفهم إياك بكذا كأن المعنى أنه كافيه في كل حال حتى في هذه الحال ويجوز أن تكون مستأنفة **فصل** من قرأ بكاف عبده يعني محمدا صلى الله عليه وسلم ومن قرأ عباده يعني الأنبياء عليهم السلام قصدهم قومهم بالسوء كما قال تعالى وهمت كل أمة برسولهم ليأخذوه وكفاهم الله شر من عاداهم وقيل إن المراد أن الله تعالى كفى نوحا عليه السلام الغرق وإبراهيم النار ويونس ما دفع إليه فهو سبحانه وتعالى كافيك يا محمد كما كفى هؤلاء الرسل قبلك وقوله تعالى ويخوفونك بالذين من دونه وذلك أن قريشا خوفوا النبي صلى الله عليه وسلم معاداة الأوثان وقالوا لتكفن عن شتم آلهتنا أو ليصيبنك منهم خبل أو جنون فأنزل الله هذه الآية ولما شرح الوعد والوعيد والترغيب والترهيب ختم الكلام بخاتمة هي الفصل الحق فقال ومن يضلل الله فما له من هاد ومن يهد الله فما له من مضل أي هذه الدلائل والبينات لا تنفع إلا إذا خص الله العبد بالهداية والتوفيق ثم قال أليس الله بعزيز ذي انتقام وهذا تهديد للكفار **فصل** احتج أهل السنة بهذه الآية على مسألة خلق الأعمال لأن قوله ومن يضلل الله فما له من هاد ومن يهدي الله فما له من مضل صريح في ذلك وتمسك المعتزلة بقوله أليس الله بعزيز ذي انتقام ولو كان الخالق للكفر فيهم هو الله تعالى لكان الانتقام والتهديد غير لائق والله أعلم **قوله تعالى** ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله الآية لما بين وعيد المشركين ووعد الموحدين عاد إلى إقامة الدليل على تزييف طريق عبدة الأوثان وهذا التزييف مبني على أصلين الأصل الأول أن هؤلاء المشركون يقرون بوجود الإله القادر العالم الحكيم الرحيم وهو المراد من قوله ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله قال بعض العلماء العلم بوجود الإله القادر الحكيم الرحيم علم متفق عليه بين جمهور الخلائق لا نزاع فيه بينهم وفطرة العقل شاهدة بصحة هذا العلم فإن من تأمل في عجائب بدن الإنسان وما فيه من أنواع الحكم الغريبة والمصالح العجيبة علم أنه لا بد من الاعتراف بالإله القادر الحكيم الرحيم والأصل الثاني أن هذه الأصنام لا قدرة لها على الخير والشر وهو المراد من قوله قل أفرأيتم ما تدعون من دون الله إن أرادني الله بضر هل هن كاشفات ضره أو أرادني برحمة هل هن ممسكات رحمته وثبت أنه لا بد من الإقرار بوجود الإله القادر الحكيم الرحيم وثبت أن هذه الأصنام لا قدرة لها على الخير والشر وإذا كان كذلك كانت عبادة الله كافية والاعتماد عليه كافيا وهو المراد من قوله قل حسبي الله عليه يتوكل المتوكلون **قوله تعالى** أرأيتم ما تدعون هي المتعدية لاثنين أولهما ما تدعون وثانيهما الجملة الاستفهامية والعائد على المفعول منها قوله هن وإنما أنث تحقيرا لما تدعون من دونه ولأنهم كانوا يسمونها بأسماء الإناث اللات ومناة والعزى وتقدم تحقيق هذا **قوله تعالى** هل هن كاشفات قرأ أبو عمرو كاشفات وممسكات بالتنوين ونصب ضره ورحمته وهو الأصل في اسم الفاعل والباقون بالإضافة وهو تخفيف **فصل** قال مقاتل لما نزلت هذه الآية سألهم النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك فسكتوا فقال الله لرسوله صلى الله عليه وسلم قل حسبي الله ثقتي بالله واعتمادي عليه يتوكل المتوكلون يثق الواثقون **قوله تعالى** قل يا قوم اعملوا على مكانتكم وهذا أمر تهديد أي إنكم تعتقدون في أنفسكم أنكم في زيادة القوة والشدة فاجتهدوا في أنواع مكركم وكيدكم فإني عامل في تقرير ديني فسوف تعلمون أن العذاب والخزي يصيبني أو يصيبكم **قوله تعالى** إنا أنزلنا عليك الكتاب للناس بالحق الآية اعلم أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يعظم عليه إصرارهم على الكفر كما قال تعالى فلعلك باخع نفسك على آثارهم وقال فلا تذهب نفسك عليهم حسرات وقال لعلك باخع نفسك ألا يكونوا مؤمنين فلما بين الله تعالى في هذه الآيات فساد مذاهب المشركين تارة بالدلائل والبينات وتارة بضرب الأمثال وتارة بذكر الوعد والوعيد أردفه بكلام يزيل ذلك الخوف العظيم عن قلب الرسول صلى الله عليه وسلم فقال إنا أنزلنا عليك الكتاب الكامل الشريف لنفع الناس ولهداهم وجعلناه مقرونا بالحق وهو المعجز الذي يدل على أنه من عند الله فمن اهتدى فنفعه يعود إليه ومن ضل فضرر ضلاله يعود إليه وما أنت عليهم بوكيل أي لست مأمورا بأن تحملهم على الإيمان على سبيل القهر بل القبول وعدم القبول مفوض إليهم

وذلك تسلية للرسول عليه السلام ثم بين تعالى أن الهداية والضلال لا يحصلان إلا من الله تعالى لأن الهداية تشبه الحياة واليقظة والضلال يشبه الموت والنوم فكما أن الحياة واليقظة لا يحصلان إلا بتخليق الله كذلك الهداية لا تحصل إلا بتوفيق الله تعالى وكما أن الموت والنوم لا يحصلان إلا بتخليق الله تعالى كذلك الضلال لا يحصل إلا بإرادة الله تعالى ومن عرف هذه الدقيقة فقد عرف سر الله في القدر ومن عرف سر الله في القدر هانت عليه المصائب فيصير التنبيه على هذه الدقيقة سببا لزوال ذلك الحزن عن قلب الرسول صلى الله عليه وسلم فهذا أوجه النظم وفيه وجه آخر وهو أن الله تعالى ذكر حجة أخرى في إثبات أنه الإله العالم ليدل على أنه بالعبادة أحق من هذه الأصنام **قوله تعالى** الله يتوفى الأنفس حين موتها أي الأرواح حين موتها فيقبضها عند انقضاء أجلها وقوله حين موتها يريد موت أجسادها والتي لم تمت يريد يتوفى الأنفس التي لم تمت في منامها والتي تتوفى عند النوم هي النفس التي يكون بها العقل والتمييز ولكل إنسان نفسان أحدهما نفس الحياة وهي التي تفارقه عند الموت وتزول بزوالها النفس والأخرى هي النفس التي تفارقه إذا نام وهو بعد النوم يتنفس فيمسك التي قضى عليها الموت فلا يردها إلى الجسد ويرسل الأخرى أي يردها إلى الجسد وهي التي لم يقض عليها الموت إلى أجل مسمى وهو وقت موته **قوله تعالى** والتي لم تمت عطف على الأنفس حين موت وتتوفى أيضا الأنفس التي لم تمت في منامها ففي منامها ظرف ليتوفى وقرأ الأخوان قضي مبنيا للمفعول الموت رفعا لقيامه مقام الفاعل **فصل** قيل إن للإنسان نفسا وروحا فعند النوم تخرج النفس وتبقى الروح وعن علي قال تخرج إلى الجسد بأسرع من لحظة ويقال إن أرواح الأحياء والأموات تلتقي في المنام فتتعارف ما شاء الله فإذا أرادت الرجوع إلى أجسادها أمسك الله أرواح الأموات عنده وأرسل أرواح الأحياء حتى ترجع إلى أجسادها إلى انقضاء مدة حياتها إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون لدلالات على قدرته حيث لم يغلط في إمساك ما يمسك من الأرواح وإرسال ما يرسل منها وقال مقاتل لعلامات لقوم يتفكرون في أمر البعث يعني أن توفي نفس النائم وإرسالها بعد التوفي دليل على البعث فإن قيل قوله الله يتوفى الأنفس يدل على أن المتوفي هو الله تعالى فقط ويؤكده قوله تعالى الذي خلق الموت والحياة وبقوله الذي يحيي ويميت وقال في آية أخرى قل يتوفاكم ملك الموت وقال في آية أخرى إذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا فكيف الجمع والجواب أن المتوفي في الحقيقة هو الله تعالى إلا أنه تعالى فوض كل نوع إلى ملك من الملائكة ففوض قبض الأرواح إلى ملك الموت وهو الرئيس وتحته أتباع وخدم فأضيف التوفي في آية إلى الله تعالى وهي الإضافة الحقيقية وفي آية إلى ملك الموت لأنه الرئيس في هذا العمل وفي آية إلى أتباعه والله أعلم **قوله تعالى** أم اتخذوا أم منقطعة فتقدر ببل والهمزة واعلم أن الكفار أوردوا على هذا الكلام سؤالا قالوا نحن لا نعبد هذه الأصنام لاعتقاد أنها تضر وتنفع وإنما نعبدها لأنها تماثيل الأشخاص كانوا عند الله من المقربين فنحن نعبدها لتشفع لنا أولئك المقربون عند الله فأجاب الله تعالى عنه بقوله أم اتخذوا من دون الله شفعاء **قوله تعالى** قل أولو كانوا تقدم الكلام على نحو أولو وكيف هذا التركيب والمعنى قل يا محمد أولو كانوا أي وإن كانوا يعني الآلهة لا يملكون شيئا من الشفاعة ولا يعقلون أنكم تعبدونهم وجواب هذا المحذوف تقديره وإن كانوا بهذه الصفة تتخذونهم قل لله الشفاعة جميعا قال مجاهد لا يشفع أحد إلا بإذنه له ملك السموات والأرض ثم إليه ترجعون **قوله تعالى** وإذا ذكر الله وحده اشمأزت نفرت قال ابن عباس ومجاهد ومقاتل أي انقبضت عن التوحيد وقال قتادة استكبرت وأصل الاشمئزاز النفور والاستكبار قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة وهذا نوع آخر من أعمال المشركين القبيحة وإذا ذكر الذين من دونه يعني الأصنام إذا هم يستبشرون يعني يفرحون قال مجاهد ومقاتل وذلك حين قرأ النبي صلى الله عليه وسلم سورة النجم فألقى الشيطان في أمنيته تلك الغرانيق العلى ففرح به الكفار **قوله تعالى** وإذا ذكر الذين قال الزمخشري فإن قلت ما العامل في إذا ذكر قلت العامل في إذا الفجائية تقديره وقت ذكر الذين من دونه فاجأوا وقت الاستبشار قال أبو حيان أما قول الزمخشري فلا أعلمه من قول من ينتمي إلى النحو وهو أن الظرفين معمولان لفاجأوا ثم إذا الأولى تنتصب على الظرفية والثانية على المفعول به وقال الحوفي إذا هم يستبشرون إذا مضافة إلى الابتداء والخبر وإذا مكررة للتوكيد وحذف ما يضاف إليه والتقدير إذا كان ذلك هم يستبشرون فيكون هم يستبشرون هو العامل في إذا المعنى إذا كان كذلك استبشروا قال أبو حيان هذا بعيد جدا عن الصواب إذ جعل إذا مضافة إلى الابتداء والخبر ثم قال وإذا مكررة للتوكيد وحذف ما يضاف إليه إلى آخر كلامه فإذا كانت إذا حذف ما يضاف إليه فكيف تكون مضافة إلى الابتداء والخبر الذي هو هم يستبشرون وهذا كله توجيه عجمة عدم الإتقان لعلم النحو والتحذق فيه انتهى قال شهاب الدين وفي هذه العبارة تحامل على أهل العلم المرجوع إليهم فيه واختار أبو حيان أن يكون العامل في إذا الشرطية الفعل بعدها لا جوابها وأنها ليست مضافة لما بعدها وإن كان قول الأكثرين وجعل إذا الفجائية معمولة لما بعدها سواء كانت زمانا أم مكانا أما إذا قيل إنها حرف فلا تحتاج إلى عامل وهي رابطة لجملة الجزاء بالشرط كالفاء والاشمئزاز النفور التقبض وقال أبو زيد هو الذعر اشمأز فلان أي ذعر ووزنه افعلل كاقشعر قال الشاعر

إذا عض الثقاف بها اشمأزت • وولته عشوزنة زبونا

قال الزمخشري ولقد تقابل الاستبشار والاشمئزاز إذ كل واحد منهما غاية في بابه لأن الاستبشار أن يمتلئ قلبه سرورا حتى يظهر ذلك السرور وبشره في وجهه ويتهلل والاشمئزاز أن يعظم غيظه فينقبض الروح إلى داخل القلب فيبقى في أديم الوجه أثر الغبرة والظلمة اللازمة ولما حكى عنهم هذا الأمر العجيب الذي تشهد فطرة العقل بفساده أردفه بذكر الدعاء العظيم

فقال قل اللهم فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة انت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون روي ابو سلمة قال سألت
عائشة بم كان يفتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاته بالليل قالت كان يقول اللهم رب جبريل وميكائيل واسرافيل فاطر السموات
والارض عالم الغيب والشهادة انت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اهدني لما اختلف فيه من الحق باذنك انك تهدي من تشاء
الى صراط مستقيم ولما حكى عنهم هذا المذهب الباطل ذكر في وعيدهم اشياء اولها ان هؤلاء الكفار لو ملكوا كل ما في الارض من الاموال
وملكوا مثله معه لجعلوا الكل فدية لانفسهم من العذاب الشديد وثانيها قوله وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون اي ظهرت لهم
انواع من العذاب لم يكن في حسابهم وهذا كقوله عليه السلام في صفة الثواب في الجنة فيها ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر
على قلب بشر فكذلك حصل في العقاب مثله وهو قوله تعالى وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون وقال مقاتل ظهر لهم حين بعثوا
ما لم يحتسبوا في الدنيا انه نازل بهم في الآخرة وقال السدي ظنوا ان اعمالهم حسنات فبدت لهم سيئات والمعنى انهم كانوا يتقربون
الى الله بعبادة الاصنام فلما عوقبوا عليها بدا لهم من الله ما لم يحتسبوا وثالثها قوله تعالى وبدا لهم سيئات ما كسبوا اي مساوي
اعمالهم من الشرك وظلم اولياء الله وحاق بهم اي احاط بهم من جميع الجوانب ما كانوا به يستهزءون فنبه تعالى بهذه الوجوه على عظم عقابهم
قوله تعالى سيئات ما كسبوا يجوز ان تكون ما مصدرية اي سيئات كسبهم وبمعنى الذي اي سيئات اعمالهم التي كسبوها **قوله تعالى**
فاذا مس الانسان ضر دعانا الآية وهذه حكاية طريقة اخرى من طرائقهم الفاسدة وهي انهم عند الوقوع في الضر الذي هو الفقر والمرض
يفزعون الى الله تعالى ويرون ان دفع ذلك البلاء لا يكون الا منه ثم انه تعالى اذا خوله اعطاه نعمة يقول انما اوتيته على علم اي على علم من الله
تعالى اني له اهل وقيل ان كان ذلك سعادة في المال او عافية في النفس يقول انما حصل له ذلك بجده واجتهاده وان كان مالا
يقول انما حصل بكسبي وان كان صحة قال انما حصل بسبب العلاج الفلاني وهذا تناقض عظيم لانه لما كان عاجزا محتاجا اضاف
الكل الى الله وفي حال الصحة والسلامة قطعه عن الله واسنده الى كسب نفسه وهذا تناقض قبيح **قوله تعالى** انما اوتيته يجوز ان تكون
ما مهيئة زائدة على ان كقولك انما قام زيد ويجوز ان تكون موصولة والضمير عائد عليها من اوتيته على علم مني او على علم من الله في اني استحق
ذلك **قوله تعالى** بل هي فتنة الضمير للنعمة ذكرها اولا في قوله انما اوتيته لانها بمعنى الانعام وقيل تقديره شيئا من النعمة وانث هنا اعتبارا
بلفظها وقيل بل الحالة او الاساءة وانما عطفت هذه الجملة وهي قوله فاذا مس الانسان بالفاء والتي في اول السورة بالواو لان هذه
مسببة عن قوله واذا ذكر اي يشمئزون من ذكر الله ويستبشرون بذكر الهتهم فاذا مس احدهم ضر بخلاف الاولى حيث لا سبب فيها فجيء بالواو
التي لمطلق العطف وعلى هذا فالسبب والمسبب جملة اعتراضية قال معناه الزمخشري واستبعده ابو حيان من حيث ان ابا علي يمنع الاعتراض
بجملتين فكيف بهذه الجمل الكثيرة ثم قال والذي يظهر في الربط انه لما قال ولو ان للذين ظلموا الآية كان ذلك اشعارا بما ينال الظالمين
من شدة العذاب وانه يظهر لهم يوم القيمة من العذاب تبع ذلك بما يدل على ظلمه وبغيه اذ كان اذا مسه ضر دعا الله فاذا احسن اليه
لم ينسب ذلك اليه وقال ابن الخطيب السبب في عطف هذه الآية بالفاء انه تعالى حكى عنهم قبل هذه الآية انهم يشمئزون من سماع
التوحيد ويستبشرون من سماع ذكر الشركاء ثم ذكر بفاء التعقيب انهم اذا وقعوا في الضر والبلاء التجؤا الى الله وحده فكان الفعل
الاول مناقضا للفعل الثاني فذكر بفاء التعقيب ليدل به على انهم واقعون في المناقضة الصريحة في الحال وانه ليس بين الاول والثاني
فاصلة مع ان كل واحد منهما مناقض للثاني فهذا فائدة ذكر فاء التعقيب ههنا واما الآية الاولى فليس المقصود منها بيان وقوعهم
في التناقض في الحال فلا جرم ذكره تعالى بحرف الواو لا بحرف الفاء ومعنى قوله فتنة اي استدراج من الله تعالى وامتحان وبلية وقيل
بل الكلمة التي قالها فتنة ولكن اكثرهم لا يعلمون انه استدراج وامتحان **قوله تعالى** قد قالها اي قال المقالة المذكورة وهي قوله انما اوتيته
على علم لانها كلمة او جملة من القول وقرئ قد قاله اي هذا القول او الكلام والمراد بالذين من قبلهم قارون وقومه حيث قال انما
اوتيته على علم عندي وقومه راضون به فكأنهم قالوها ويجوز ان يكون في الامم الماضية من قالها **قوله تعالى** فما اغنى يجوز ان
تكون هذه نافية او استفهامية مؤولة بالنفي واذا احتجنا الى تأويلها بالنفي فلنجعلها نافية استراحة من المجاز ومعنى الآية ما اغنى
عنهم الكفر من العذاب شيئا **قوله تعالى** فاصابهم سيئات ما كسبوا اي جزاؤها يعني العذاب ثم اوعد كفار مكة فقال والذين ظلموا
من هؤلاء سيصيبهم سيئات ما كسبوا ثم قال وما هم بمعجزين اي بفائتين لان مرجعهم الى الله عز وجل **قوله تعالى** اولم يعلموا ان الله
يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر يعني اولم يعلموا ان الله هو الذي يبسط الرزق تارة ويقبض اخرى ويدل على ذلك انا نرى الناس
مختلفين في سعة الرزق وضيقه فلا بد لذلك من سبب وذلك السبب ليس هو عقل الرجل وجهله لانا نرى العاقل القادر في اشد
الضيق ونرى الجاهل الضعيف في اعظم السعة وليس ذلك ايضا لاجل الطبائع ولا النجوم والافلاك لان في الساعة التي ولد فيها
ذلك الملك الكبير والسلطان القاهر قد ولد فيها ايضا عالم من الناس وعالم من الحيوانات غير الانسان وتولد ايضا في تلك
الساعة الواحدة مع كونها مختلفة في السعادة والشقاوة علمنا ان الفاعل لذلك هو الله تعالى فصح بهذا البرهان القاطع صحة
قوله تعالى الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر وقال الشاعر • فلا السعد يقضي به المشتري • ولا النحس يقضي علينا زحل •
ولكنه حكم رب السما • وقاضي القضاة تعالى وجل • **قوله تعالى** قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم الآية لما ذكر الوعيد

اردفه بشرح كمال رحمته وفضله قيل في هذه الآية انواع من المعاني والبيان حسنة منها اقباله عليهم ونداؤهم ومنها
اضافتهم اليه اضافة تشريف ومنها الالتفات من التكلم الى الغيبة في قوله من رحمة الله ومنها اضافة الرحمة لاجل اسمائه الحسنى
ومنها اعادة الظاهر بلفظه في قوله ان الله ومنها ابراز الجملة من قوله انه هو الغفور الرحيم مؤكدة بان وبالفصل وباعادة الصفتين
اللتين تضمنتهما الآية السابقة **فصل** روى سعيد بن جبير عن ابن عباس ان ناسا من اهل الشرك كانوا قتلوا واكثروا
وزنوا واكثروا فاتوا النبي صلى الله عليه وسلم وقالوا ان الذي تدعو اليه لحسن لو تخبرنا ان لما عملنا كفارة فنزلت هذه الآية
وروى عطاء بن ابي رباح عن ابن عباس انها نزلت في وحشي قاتل حمزة حين بعث اليه النبي صلى الله عليه وسلم يدعوه الى الاسلام
فارسل اليه كيف تدعوني الى دينك وانت تزعم انه من قتل او اشرك او زنى يلق اثاما يضاعف له العذاب يوم القيمة وانا قد
فعلت ذلك كله فانزل الله الا من تاب وآمن وعمل صالحا فقال وحشي هذا شرط شديد لعلي لا اقدر عليه فهل غير ذلك فانزل
الله عز وجل ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فقال وحشي اني بعد في شبهة فلا ادري ايغفر لي ام لا فانزل الله
تعالى قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله قال وحشي نعم هذا فجاء واسلم فقال المسلمون هذا له خاصة
ام للمسلمين عامة قال بل للمسلمين عامة وروي عن ابن عمر قال نزلت هذه الآية في عياش بن ابي ربيعة والوليد بن الوليد ونفر من
المسلمين كانوا قد اسلموا ثم فتنوا او عذبوا فافتتنوا وكنا نقول لا يقبل الله من هؤلاء صرفا ولا عدلا ابدا فقد اسلموا ثم تركوا
دينهم لعذاب عذبوا به فانزل الله هذه الآيات فكتبها عمر بن الخطاب بيده ثم بعث بها الى عياش بن ابي ربيعة والوليد بن الوليد
والى اولئك النفر فاسلموا وهاجروا واعلم ان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب **فصل** دلت هذه الآية على انه تعالى
يعفو عن الكبائر لان عرف القرآن جار بتخصيص اسم العباد بالمؤمنين قال تعالى وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا وقال
عينا يشرب بها عباد الله واذا كان لفظ العباد مذكورا في معرض التعظيم وجب ان لا يقع الا على المؤمنين واذا ثبت هذا ظهر
ان قوله يا عبادي مختص بالمؤمنين ولان المؤمن هو الذي يعترف بكونه عبدا لله واما المشركون فانهم يسمون انفسهم بعبد اللات
وعبد العزى وعبد المسيح واذا ثبت ذلك فقوله تعالى يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم عام في جميع المسرفين ثم قال ان
الله يغفر الذنوب جميعا وهذا يقتضي كونه غافرا لجميع الذنوب الصادرة عن المؤمنين وهو المطلوب فان قيل هذه الآية لا يمكن
اجراؤها على ظاهرها والا لزم القطع بكون الذنوب مغفورة قطعا وانتم لا تقولون به فسقط الاستدلال وايضا فانه تعالى
قال عقيب هذه الآية وانيبوا الى ربكم واسلموا له من قبل ان يأتيكم العذاب الآية ولو كان المراد من الآية انه تعالى يغفر الذنوب جميعا
قطعا لما امر عقيبه بالتوبة ولما خوفهم بنزول العذاب عليهم من حيث لا يشعرون وايضا قال ان تقول نفس يا حسرتا
على ما فرطت في جنب الله الآية وايضا فلو كان المراد ما دل عليه ظاهر الآية لكان ذلك اغراء بالمعاصي واطلاقا في الاقدام عليها وذلك
لا يليق بحكمة الله تعالى واذا ثبت هذا وجب ان يحمل على ان المراد منه التنبيه على انه لا يجوز ان يظن العاصي ان لا مخلص له من العذاب
البتة فان اعتقد ذلك فهو قانط من رحمة الله اذ لا احد من العصاة المذنبين الا ومتى تاب زال عقابه وصار من اهل المغفرة والرحمة
فمعنى قوله ان الله يغفر الذنوب جميعا اي بالتوبة والانابة فالجواب قوله ان الآية تقتضي كون كل الذنوب مغفورة قطعا وانتم
لا تقولون به قلنا بل نحن نقول به لان صيغة يغفر للمضارع وهي للاستقبال وعندنا ان الله يخرج من النار من قال لا اله الا الله محمد رسول
الله وعلى هذا التقدير فصاحب الكبيرة مغفور له قطعا اما قبل دخول النار واما بعد دخولها فثبت ان دلالة ظاهر الآية عين مذهبنا
واما قوله لو صارت الذنوب باسرها مغفورة لما امر بالتوبة فالجواب ان عندنا التوبة واجبة وخوف العقاب قائم فاذن لا
نقطع بازالة العقاب بالكلية بل نقول لعله يعفو مطلقا ولعله يعذب بالنار مدة ثم يعفو بعد ذلك وبهذا يخرج الجواب
عن بقية الاسولة والله اعلم وروى مقاتل بن حيان عن نافع عن ابن عمر قال كنا معشر اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
نرى او نقول ليس شيء من حسناتنا الا وهي مقبولة حتى نزلت اطيعوا الله واطيعوا الرسول ولا تبطلوا اعمالكم فلما نزلت هذه الآية
قلنا ما هذا الذي يبطل اعمالنا فقلنا الكبائر والفواحش وكنا اذا رأينا من اصاب منها قلنا قد هلك فانزل الله هذه الآية فكففنا
عن القول في ذلك فكنا اذا رأينا احدا اصاب منها شيئا خفنا عليه وان لم يصب منها شيئا رجونا له واراد بالاسراف ارتكاب الكبائر
وروي عن ابن مسعود انه دخل المسجد فاذا قاص يقص وهو يذكر النار والاغلال فقام على رأسه فقال يا مذكر لم تقنط الناس
ثم قرأ قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا ولا يبالي وروى ابو هريرة ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال قال رجل لم يعمل خيرا قط لاهله اذا مات فحرقوه ثم ذروا نصفه في البر ونصفه في البحر فوالله لئن
قدر الله عليه ليعذبنه عذابا لا يعذبه احدا من العالمين فلما مات فعلوا ما امرهم فامر الله البحر فجمع ما فيه وامر البر فجمع ما فيه
ثم قال له لم فعلت هذا قال من خشيتك يا رب وانت اعلم فغفر له وعن ضمضم بن جوش قال دخلت مسجد المدينة فناداني شيخ فقال
يا اعرابي تعال وما اعرفه فقال لا تقولن لرجل والله لا يغفر الله لك ابدا ولا يدخلك الجنة قلت ومن انت يرحمك الله قال ابو هريرة قال
فقلت ان هذه الكلمة يقولها احدنا لبعض اهله اذا غضب او لزوجه او لخادمه قال فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول

أن رجلين كانا في بني إسرائيل متحابين أحدهما مجتهد في العبادة والآخر كان يقول أنا مذنب فجعل يقول اقصر عما أنت فيه فقال
خلني وربي قال حتى وجده يوما على ذنب استعظمه فقال اقصر فقال خلني وربي أبعثت علي رقيبا فقال والله لا يغفر الله لك أبدا
ولا يدخلك الجنة أبدا قال فبعث الله إليهما ملكا يقبض روحهما فاجتمعا عنده فقال للمذنب ادخل الجنة برحمتي وقال للآخر أتستطيع
أن تحظر على عبدي رحمتي فقال لا يا رب فقال اذهبوا به إلى النار قال أبو هريرة والذي نفسي بيده لتكلم بكلمة أوبقت دنياه وآخرته
قوله عز وجل إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم **قوله تعالى** يا عبادي قرأ نافع وابن كثير وابن عامر وعاصم يا عبادي
بفتح الياء والباقون وعاصم في بعض الروايات بغير فتح وكلهم يقفون عليها بإثبات الياء لأنها ثابتة في المصحف إلا في بعض رواية
أبي بكر عن عاصم أنه يقف بغير ياء **قوله تعالى** لا تقنطوا قرأ أبو عمرو والكسائي بكسر النون والباقون بفتحها وهما لغتان قال الزمخشري
وفي قراءة ابن عباس وابن مسعود يغفر الذنوب جميعا لمن يشاء **قوله تعالى** وأنيبوا إلى ربكم قال الزمخشري أي توبوا إليه وأسلموا له أي
وأخلصوا له العمل من قبل أن يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربكم يعني القرآن والقرآن كله حسن ومعنى
الآية ما قال الحسن الزموا طاعته واجتنبوا معصيته فإن في القرآن ذكر القبيح ليجتنبه وذكر الأدون لئلا ترغب فيه وذكر الأحسن
لتؤثره وقيل الأحسن الناسخ دون المنسوخ لقوله تعالى ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها ثم قال من قبل أن يأتيكم العذاب
بغتة وأنتم لا تشعرون وهذا تهديد وتخويف والمعنى يفاجئكم العذاب وأنتم غافلون عنه واعلم أنه تعالى لما خوفهم بالعذاب بين أنهم
بتقدير نزول العذاب عليهم ماذا يقولون فحكى تعالى عليهم ثلاثة أنواع من الكلام فالأول أنهم بتقدير نزول مفعول من أجله فقدره الزمخشري
كراهة أن تقول ولا حاجة إلى إضمار هذا العامل مع وجود أنيبوا وإنما نكر نفسا لأن المراد التكثير كقول الأعشى • ورب بقيع لو هتفت بجوه
أتاني كريم ينفض الرأس مغضبا • يريد أتاني كرام كثيرون لا كريم فكذلك هنا فإنه المعنى المقصود ويجوز أن يريد نفسا متميزة من بين الأنفس باللجاج
الشديد في الكفر أو بالعذاب العظيم **قوله تعالى** يا حسرتا العامة على الألف بدلا من ياء الإضافة وعن ابن كثير يا حسرتاه بهاء
السكت وقفا وأبو جعفر يا حسرتي على الأصل وعنه أيضا يا حسرتاي بالألف والياء وفيها وجهان أحدهما الجمع بين العوض
والمعوض منه والثاني أنه تثنية حسرة مضافة لياء المتكلم واعترض على هذا بأنه كان ينبغي أن يقال يا حسرتي بإدغام ياء النصب
في ياء الإضافة وأجيب بأنه يجوز أن يكون راعى لغة الحرث بن كعب وغيرهم نحو رأيت الزيدان وقيل الألف بدل من الياء والياء بعدها
مزيدة وقيل الألف مزيدة بين المتضايفين وكلاهما ضعيف **قوله تعالى** على ما فرطت ما مصدرية أي على تفريطي وثم مضاف أي
في جنب طاعة الله وقيل في جنب الله المراد به الأمر والجهة يقال هو في جنب فلان وجانبه أي جهته وناحيته قال الشاعر •
الناس جنب والأمير جنب • وقال آخر • أفي جنب بكر قطعتني ملامة • سليمى لقد كانت ملامتها ثنا • ثم اتسع فيه فقيل فرط في جنبه
أي في حقه قال الشاعر • أما تتقين الله في جنب عاشق • له كبد حرى عليك تقطع • **فصل** المعنى أن تقول نفس أجريا
بمعنى لئلا تقول نفس كقوله تعالى وألقى في الأرض رواسي أن تميد بكم أي لئلا تميد بكم قال المبرد أي بادروا واحذروا أن تقول نفس
قال الزجاج خوفا أن تصير إلى حال يقولون يا حسرتا يا ندامتا والتحسر الاغتمام على ما فات وأراد يا حسرتي على الإضافة
لكن العرب تحول ياء الكناية ألفا في الاستغاثة فيقول يا ويلتا ويا ندامتا وربما ألحقوا بها الياء بعد الألف ليدل على الإضافة كقراءة
أبي جعفر المتقدمة وقيل معنى قوله يا حسرتاي يا أيتها الحسرة هذا وقتك على ما فرطت في جنب الله قال الحسن قصرت في طاعة الله
وقال مجاهد في أمر الله وقال سعيد بن جبير في حق الله وقيل قصرت في الجانب الذي يؤدي إلى رضا الله والعرب تسمي الجنب جانبا قال وإن
كنت لمن الساخرين المستهزئين بدين الله قال قتادة لم يكفه أن ضيع طاعة الله حتى جعل يسخر بأهل طاعته ومحل وإن كنت النصب على الحال
كأنه قال فرطت وأنا ساخر أي فرطت في حال سخريتي النوع الثاني من الكلمات التي حكاها الله تعالى بعد نزول العذاب عليهم **قوله تعالى** أو تقول
لو أن الله هداني لكنت من المتقين النوع الثالث أو تقول حين ترى العذاب عيانا لو أن لي كرة رجعة إلى الدنيا فأكون من المحسنين
الموحدين فتحسر أولا على التفريط في طاعة الله وثانيا عللوا بفقد الهداية وثالثا تمنوا الرجعة **قوله تعالى** فأكون في نصبه وجهان
أحدهما عطفه على كرة فإنها مصدر فعطف مصدر مؤول على مصدر مصرح به كقولها • للبس عباءة وتقر عيني • أحب إلي من لبس الشفوف
وقول الآخر • فما لك منها غير ذكرى وحسرة • وتسأل عن ركبانها أين يمموا • والثاني أنه منصوب على جواب التمني المفهوم من قوله لو أن
لي كرة والفرق بين الوجهين أن الأول يكون فيه الكون متمنى ويجوز أن تضمر أن وأن تظهر والثاني يكون فيه الكون مترتبا على حصول
التمني لا متمنى ويجيبان تضمر أن على حد جواب وفيما رفعت جوابا له وجهان أحدهما هو نفي مصدر قال ابن عطية وحق بلى أن تجيء
بعد نفي عليه تقرير كأن النفس قال لم يسمع لي النظر ولم يبين الأمر قال أبو حيان ليس حقها النفي المقرر بل حقها النفي ثم حمل التقرير
عليه فلذلك أجاب بعض العرب النفي المقدر بنعم دون بلى وكذا وقع في عبارة سيبويه نفسه والثاني أن التمني المذكور وجوابه متضمنا
لنفي الهداية كأنه قال لم أهتد فرد الله عليه ذلك قال الزجاج بلى جواب النفي وليس في الكلام لفظ النفي إلا أنه حصل فيه معنى النفي لأن
قوله لو أن الله هداني أي أنه ما هداني فأجيب بنفي ذلك قال الزمخشري فإن قلت هلا قرن الجواب بما هو جواب له
وهو قوله لو أن الله هداني ولم يفصل بينهما قلت لأنه لا يخلو إما أن يقدم على إحدى القرائن الثلاث فيفرق بينهن وإما أن

يؤخر القرينة الوسطى فلم يحسن الأول لما فيه من تغيير النظم بالجمع بين القرائن وأما الثاني فلما فيه من نقض الترتيب وهو التحسر
على التفريط في الطاعة ثم التعلل بفقد الهداية ثم تمني الرجعة فكان الصواب ما جاء عليه وهو أنه حكى أقوال النفس على ترتيبها ونظمها
ثم أجاب من بينها عما اقتضى الجواب **قوله تعالى** جاءتك قرأ العامة بفتح الكاف فكذبت واستكبرت وكنت بفتح التاء خطابا للكافر دون
النفس وقرأ الجحدري وأبو حيوة وابن يعمر والشافعي عن ابن كثير ورويت عن أم سلمة عنه عليه السلام وبها قرأ أبو بكر وابنته عائشة رضي الله عنهما
بكسر الكاف والتاء خطابا للنفس والحسن والأعرج والأعمش جاءتك بوزن جعلتك بهمزة دون ألف فيحتمل أن يكون قصرا كقراءة
قنبل أن رآه استغنى وأن يكون في الكلمة قلب بأن قدمت اللام على العين فالتقى ساكنان فحذفت الألف لالتقائهما نحو رمت وغزت
ومعنى الآية فقال لهذا القائل بلى قد جاءتك آياتي يعني القرآن فكذبت بها وقلت ليست من الله واستكبرت أي تكبرت عن الإيمان بها
وكنت من الكافرين **قوله تعالى** ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة العامة على رفع وجوههم مسودة وهي جملة من
مبتدأ وخبر وفي محلها وجهان أحدهما النصب على الحال من الموصول لأن الرؤية بصرية وكذا قررها الزمخشري ومن مذهبه أنه لا يجوز
إسقاط الواو من مثلها إلا شذوذا فهذا رجوع منه عن ذلك والثاني أنها في محل نصب مفعولا ثانيا لأن الرؤية قلبية
وهو بعيد لأن تعلق الرؤية البصرية بالأجسام وألوانها أظهر من تعلق القلبية بها وقرئ وجوههم مسودة بنصبهما على أن وجوههم
بدل بعض من كل ومسودة على ما تقدم من النصب على الحال أو على المفعول الثاني وقال أبو البقاء ولو قرئ وجوههم بالنصب لكان على بدل
الاشتمال قال شهاب الدين قد قرئ به والحمد لله ولكن ليس كما قال على بدل الاشتمال بل على بدل البعض وكأنه سبق لسان أو طغيان قلم
وقرأ أبي أجوههم بقلب الواو همزة وهو فصيح نحو أقتت وبابه وقوله أليس في جهنم مثوى للمتكبرين عن الإيمان **قوله تعالى** وينجي
الله الذين اتقوا بمفازتهم قرأ الأخوان وأبو بكر بمفازاتهم جمعا لما اختلفت أنواع المصدر جمع كقوله تعالى وتظنون بالله الظنونا
ولأن لكل متق نوعا آخر من المفازة والباقون بالإفراد على الأصل وقيل ثم مضاف محذوف أي بدواعي مفازتهم أو بأسبابها
والمفازة المنجاة وقيل لا حاجة لذلك إذ المراد بالمفازة الفلاح قال البغوي لأن المفازة بمعنى الفوز أي ينجيهم بفوزهم من النار
بأعمالهم الحسنة وقال المبرد المفازة مفعلة من الفوز والجمع حسن كالسعادة والسعادات **قوله تعالى** لا يمسهم السوء
يجوز أن يكون حالا من الذين اتقوا فيكون في محل نصب ومعنى الكلام لا يصيبهم مكروه ولا هم يحزنون **قوله تعالى** الله خالق
كل شيء الآية تقدم الكلام على هذه الآية في الأنعام وأنها تدل على أن أعمال العباد مخلوقة لله تعالى وقال الكعبي إن الله تعالى
مدح نفسه بقوله الله خالق كل شيء وليس من المدح أن يخلق الكفر والقبائح فلا يصح احتجاج المخالف به وأيضا فلفظة كل قد لا توجب
العموم لقوله تعالى وأوتيت من كل شيء يريد كل شيء يحتاج الملك إليه وأيضا لو كانت أعمال العباد من خلق الله لما أضافها إليهم
بقوله كفارا حسدا من عند أنفسهم ولما صح قوله تعالى ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله وقال الجبائي الله خالق كل شيء سوى
أفعال خلقه التي صح فيها الأمر والنهي واستحقوا بها الثواب والعقاب ولو كانت أفعالهم خلقا لله لما جاز ذلك فيها كما لا يجوز في ألوانهم
وصورهم وقال أبو مسلم الخلق هو التقدير لا الإيجاد فإذا أخبر الله أنهم يفعلون الفعل الفلاني فقد قدر ذلك الفعل فصح أن يقال
الله تعالى خلقه وإن لم يكن موجدا له والجواب عن هذه الوجوه تقدم في سورة الأنعام وأما قوله وهو على كل شيء وكيل أي الأشياء كلها
موكولة إليه فهو القائم بحفظها وتدبيرها من غير مشارك وهذا أيضا يدل على أن فعل العبد مخلوق لله تعالى لأن فعل العبد لو وقع بخلق
العبد لكان ذلك الفعل غير موكول إلى الله تعالى فلم يكن الله وكيلا عليه وذلك ينافي قوام الآية **قوله تعالى** له مقاليد السماوات والأرض
له مقاليد جملة مستأنفة والمقاليد جمع مقلاد أو مقليد ولا واحد له من لفظه كأساطير وإخوته ويقال أيضا إقليد وأقاليد
وهي المفاتيح والكلمة فارسية معربة وفي هذا الكلام استعارة بديعة نحو قولك بيد فلان مفتاح هذا الأمر وليس ثم مفتاح وإنما
هو عبارة عن شدة تمكنه من ذلك الشيء قال الزمخشري قيل سأل عثمان رسول الله صلى الله عليه وسلم عن تفسير قوله تعالى له مقاليد
السماوات والأرض فقال يا عثمان ما سألني عنها أحد قبلك تفسيرها لا إله إلا الله والله أكبر وسبحان الله وبحمده أستغفر الله ولا حول ولا
قوة إلا بالله هو الأول والآخر والظاهر والباطن بيده الخير يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير وقال قتادة ومقاتل مفاتيح السماوات
والأرض بالرزق والرحمة وقال الكلبي خزائن المطر والنبات **قوله تعالى** والذين كفروا بآيات الله أولئك هم الخاسرون وهذا
يقتضي أن لا خاسر إلا الكافر وأن من لم يكن كافرا فإنه لا بد وأن يحصل له حظ من رحمة الله قال الزمخشري فإن قلت بم اتصل قوله
والذين كفروا بآيات الله بقوله له مقاليد السماوات والأرض قلت اتصل بقوله وينجي الله الذين اتقوا أي ينجي الله المتقين بمفازتهم
والذين كفروا هم الخاسرون واعترض ما بينهما أنه خالق الأشياء كلها وأن له مقاليد السماوات والأرض قال ابن الخطيب وهذا
عندي ضعيف من وجهين الأول أن وقوع الفاصل الكثير بين المعطوف والمعطوف عليه بعيد الثاني أن قوله وينجي الله الذين اتقوا
جملة فعلية وقوله والذين كفروا بآيات الله أولئك هم الخاسرون جملة اسمية وعطف الجملة الاسمية على الجملة الفعلية لا يجوز
قال شهاب الدين وهذا الاعتراض معترض إذ لا مانع من ذلك ثم قال ابن الخطيب بل الأقرب عندي أن يقال إنه لما وصف الله تعالى
بصفات الإلهية والجلالة وهو كونه خالقا للأشياء كلها وكونه مالكا لمقاليد السماوات والأرض بأسرها قال بعده والذين كفروا

بهذه الآيات الظاهرة والباهرة هم الخاسرون **قوله تعالى** قل افغير الله تامروني اعبد فيه ثلاثة اوجه اظهرها ان
غير منصوب باعبد واعبد معمول لتامروني على اضمار ان المصدرية فلما حذفت بطل عملها وهو احد الوجهين والاصل افتامروني
بان اعبد غير الله ثم قدم مفعول اعبد على تامروني العامل في عامله وقد ضعف بعضهم هذا بانه يلزم منه تقديم معمول الصلة
على الموصول وذلك ان غير منصوب باعبد واعبد صلة لان وهو لا يجوز وهذا الرد ليس بشيء لان الموصول لما حذف لم يراع
حكمه فيما ذكر انما يراعي معناه لتصحيح الكلام قال ابو البقا لو حكمنا بذلك لافضى الى حذف الموصول وابقاء صلته وذلك لا يجوز
الا في ضرورة شعر وهذا الذي ذكره فيه نظر من حيث ان هذا مختص بان دون سائر الموصولات وهو انها تحذف وتبقى صلتها
وهو منقاس عند البصريين في مواضع تحذف وتبقى عملها وفي غيرها اذا حذفت لا يبقى عملها الا في ضرورة او قليل وينشد بالوجهين
قوله • الا ايها ذا الزاجري احضر الوغى • وان اشهد اللذات هل انت مخلدي • ويدل على ارادة ان في الاصل قراءة بعضهم اعبد بنصب
الفعل اعتدادا بان الثاني ان غير منصوب بتامروني واعبد بدل منه بدل اشتمال وان مضمرة معه ايضا والتقدير افغير الله
تامروني عبادته والمعنى افتامروني بعبادة غير الله الثالث انها منصوبة بفعل مقدر تقديره افتلزموني غير الله اي عبادة غير الله
وقدره الزمخشري تعبدونني وتقولون لي اعبده والاصل تامروني ان اعبد فحذف ان ورفع الفعل الا ترى انك تقول افغيره
تقول لي اعبده وافغير الله تقولون لي اعبد فكذلك افغير الله تقولون لي ان اعبده وافغير الله تامروني ان اعبد والدليل على صحة هذا الوجه
قراءة من قرا اعبد بالنصب واما اعبد ففيه ثلاثة اوجه احدها انه مع ان المضمرة في محل نصب على البدل من غير وقد تقدم الثاني
انه في محل نصب على الحال الثالث انه لا محل له البتة **قوله تعالى** تامروني قرا الجمهور تامروني بادغام نون الرفع في نون الوقاية
وفتح اليا ابن كثير واسكنها الباقون وقرا نافع تامروني بنون خفيفة وفتح اليا وابن عامر تامرونني بالفك وسكون اليا وقد
تقدم في سورة الانعام والحجر وغيرهما انه متى اجتمع نون الرفع مع نون الوقاية جاز فيه ثلاثة اوجه وتقدم تحقيق الخلاف في ايهما
المحذوفة قال مقاتل وذلك حين قال له المشركون دع دينك واتبع دين ابائك ونؤمن بالهك ونظير هذه الاية قل اغير الله
اتخذ وليا وتقدم في تلك الاية وجه الحكمة في تقديم المفعول ووصفهم بالجهل لانه تقدم وصف الاله بكونه خالقا للاشيا كلها
وبكونه له مقاليد السموات والارض وكون هذه الاصنام جمادات لا تضر ولا تنفع ظاهر فمن اعرض عن عبادة الاله الموصوف
بتلك الصفات المقدسة الشريفة واشتغل بعبادة هذه الاصنام الخسيسة فقد بلغ في الجهل مبلغا لا مزيد عليه فلهذا قال
ايها الجاهلون **قوله تعالى** ولقد اوحي اليك والى الذين من قبلك لئن اشركت ليحبطن عملك الذي عملت قبل الشرك واعلم
ان الظاهر ان قوله لئن اشركت هذه الجملة هي القايمة مقام الفاعل لانها هي الموحاة واصول البصريين تابى ذلك ويقدرون ان
القايم مقامه ضمير المصدر لان الجملة لا تكون فاعلا عندهم والقايم هنا مقام الفاعل الجار والمجرور وهو اليك وقرئ ليحبطن
بضم اليا وكسر البا اي الله وليحبطن بنون العظمة وليحبطن على البناء للمفعول وعملك مفعول به على القراءتين الاوليين ومرفوع
على الثالثة لقيامه مقام الفاعل قال ابن الخطيب واللام الاولى موطية للقسم المحذوف والثانية لام الجواب فان قيل كيف اوحي
اليه والى من قبله حال شركه على التعيين فالجواب تقدير الاية اوحي اليك لئن اشركت ليحبطن عملك والى الذين من قبلك مثله
اي اوحي اليك والى كل احد منهم لئن اشركت كما تقول كسانا حلة اي كل واحد منا فان **قيل** كيف صح هذا الكلام مع علم الله تعالى
ان رسله لا يشركون ولا يحبط اعمالهم فالجواب ان قوله لئن اشركت ليحبطن عملك قضية شرطية والقضية الشرطية لا يلزم من
صدقها صدق جزئيها الا ترى ان قولك لو كانت الخمسة زوجا لكانت منقسمة بمتساويين قضية صادقة مع ان كل واحد من جزئيها
غير صادق قال تعالى لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا ولم يلزم من هذا صدق بان فيهما الهة وانهما قد فسدتا قال المفسرون هذا
خطاب مع الرسول صلى الله عليه وسلم والمراد منه غيره **فصل** هذا ادب من الله لنبيه وتهديد لغيره لان الله عز وجل عصمه من الشرك وقوله
ولتكونن من الخاسرين قال ابن الخطيب كما ان طاعات الانبيا والرسل افضل من طاعات غيرهم فكذلك القبايح التي تصدر عنهم فانها
بتقدير الصدور يكون اقبح لقوله تعالى اذن لاذقناك ضعف الحيوة وضعف الممات فكان المعنى ان الشرك الحاصل منه بتقدير حصوله
منه يكون تاثيره في غضب الله تعالى اقوى واعظم **قوله تعالى** بل الله فاعبد الجلالة منصوبة باعبد وتقدم الكلام في مثل هذه الفاء
وجعلها الزمخشري جواب شرط مقدر اي ان كنت عاقلا فاعبد الله فحذف الشرط وجعل تقديم المفعول عوضا منه ورد ابو حيان عليه
بانه يجوز ان يجي زيدا فعمرا اضرب فلو كان التقديم عوضا لجمع بين العوض والمعوض منه وقرا عيسى بل الله رفعا على الابتداء والعايد
محذوف اي فاعبده **فصل** لما قال تعالى قل افغير الله تامروني اعبد يعني انهم امروه بعبادة غير الله فقال الله تعالى له لا تعبد
الا الله فان قوله بل الله فاعبد يفيد الحصر وكن من الشاكرين لانعامه عليك بالهداية **قوله تعالى** وما قدروا الله حق قدره قرا الحسن
وابو حيوة وعيسى قدره بفتح الدال والمعنى وما عظموه حق عظمته
حين اشركوا به غيره **قوله تعالى** والارض جميعا قبضته مبتدا وخبر في محل نصب على الحال اي ما عظموه حق تعظيمه والحال انه موصوف
بهذه القدرة الباهرة كقوله تعالى كيف تكفرون بالله وكنتم امواتا فاحياكم اي كيف تكفرون بمن هذا وصفه وحال ملكه كذا جميعا

حال وهي دالة على ان المراد بالارض الارضون فان هذا التاكيد لا يحسن ادخاله الا على الجمع قال ابن الخطيب ونظيره قوله تعالى
كل الطعام وقوله او الطفل الذين لم يظهروا وقوله تعالى ان الانسان لفي خسر الا فالموضع موضع تفخيم ولعطف الجمع عليها والعامل في هذه
الحال ما دل عليه قبضته ولا يجوز ان يعمل فيها قبضته سواء جعلته مصدرا لان المصدر لا يتقدم عليه معموله ام مرادا به المقدار قال الزمخشري
ومع القصد الى الجمع لمعنى في الارض وانه اريد به الجمع وتاكيده بالجمع اتبع الجمع مؤكده قبل مجي الخبر ليعلم اول الامر ان الخبر الذي يرد لا يقع
عن ارض واحدة ولكن عن الارضين كلها وقال ابو البقا وجميعا حال من الارض والتقدير اذا كانت مجتمعة قبضته اي مقبوضته فالعامل في اذا المصدر
لانه بمعنى المفعول وقال ابو علي في الحجة التقدير ذات قبضته وقد رد عليه ذلك بان المضاف اليه لا يعمل فيما قبله وهذا لا يصح لانه الان في
مضاف اليه وبعد حذف المضاف لا يبقى حكمه انتهى وهو كلام فيه اشكال اذ لا حاجة الى تقدير العامل في اذا التي لم يلفظ بها وقوله قبضته ان
قلنا مضافا فاما قال الفارسي اي ذات قبضته لم يكن فيه وقوع المصدر موقع مفعول وان لم يقدره فلك احتمال ان يكون المصدر واقعا موقعه
وحينيذ قال كيف ان المصدر الواقع موقع مفعول وهو غير جايز ولا بقاء حلة نسج اليمن اي منسوجه والجواب ان الممتنع دخول التا
الدالة على التحديد وهذه لمجرد التانيث كذا اجيب وليس بذاك فان المعنى على التحديد لانه ابلغ في القدرة ويحتمل ان يكون اريد بالمصدر مقدار
ذلك القبضة بالفتح المرة وبالضم اسم المقبوض كالغرفة والغرفة قال تعالى فقبضت قبضة من اثر الرسول والعامة على رفع قبضته
والحسن بنصبها وخرجها ابن خالويه وجماعة على النصب على الظرفية اي في قبضته ورد هذا بانه ظرف مختص فلا بد من وجود في وهذا
هو راي البصريين واما الكوفيون فهو جايز عندهم اذ يجيزون زيد دارك بالنصب اي في دارك وقال الزمخشري جعلها ظرفا مشبها
للموقت بالمبهم فوافق الكوفيين **قوله تعالى** والسموات مطويات العامة على رفع مطويات خبرا وبيمينه فيه وجهان احدهما انه
متعلق بمطويات الثاني انه حال من الضمير في مطويات الثالث انه خبر ثان وعيسى والجحدري نصباها حالا واستدل بها الاخفش على
جواز تقديم الحال اذا كان العامل فيها حرفا وجر نحو زيد قايما في الدار وهذه لا حجة فيها لامكان تخريجها على وجهين اظهرهما ان
يكون السموات نسقا على الارض ويكون قد اخبر عن الارضين والسموات بان الجميع قبضته ويكون مطويات حالا من السموات كما كان
جميعا حالا من الارض وبيمينه متعلق بمطويات والثاني ان يكون مطويات منصوبا بفعل مقدر وبيمينه الخبر ومطويات وعاملها جملة
معترضة وهو ضعيف **فصل** لما حكى عن المشركين انهم امروا الرسول بعبادة الاصنام ثم انه تعالى اقام الدلايل على فساد
قولهم وامر الرسول بان يعبد الله ولا يعبد سواه بين انهم لو عرفوا الله حق معرفته لما جعلوا هذه الاشيا الخسيسة مشاركة له في المعبودية
فقال وما قدروا الله حق قدره اي ما عظموا الله حق عظمته ولما بين انهم ما عظموه تعظيما لايقا به اردفه بما يدل على كمال عظمته
فقال والارض جميعا قبضته يوم القيمة والسموات مطويات بيمينه روى البخاري ان حبرا من الاحبار اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد
انا نجد ان الله يجعل السموات على اصبع والارضين على اصبع والشجر على اصبع والماء والثرى على اصبع وساير الخلق على اصبع ويقول انا الملك
فضحك النبي صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه تصديقا لقول الحبر ثم قرا وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيمة
روى مسلم قال والجبال والشجر على اصبع وقال ثم يهزهن فيقول انا الملك انا الله وروي عن ابن ابي شيبة باسناده عن ابن عمر قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم يطوي الله السموات يوم القيمة ثم ياخذهن بيده اليمنى ثم يقول انا الملك اين الجبارون اين المتكبرون ولما بين
سبحانه وتعالى عظمته قال سبحانه وتعالى عما يشركون **فصل** قال ابن الخطيب وههنا سؤالات الاول ان العرش اعظم من السموات
السبع والارضين السبع ثم انه تعالى قال في صفة العرش ويحمل عرش ربك فوقهم يوميذ ثمانية فاذا وصف الملايكة بكونهم حاملين العرش
العظيم فكيف يجوز تقرير عظمة الله عز وجل بكونه حاملا للسموات والارض السؤال الثاني قوله تعالى والارض جميعا قبضته يوم القيمة
والسموات مطويات بيمينه شرح حال لا تحصل الا في القيمة والقوم ما شاهدوا ذلك فان كان هذا الخطاب مع المصدقين للانبيا فهم
معترفون بانه لا يجوز القول بجعل الاصنام شركا لله فلا فايدة في ايراد هذه الحجة عليهم وان كان الخطاب مع المكذبين بالنبوة فهم
ينكرون قوله والارض جميعا قبضته يوم القيمة فكيف يمكن الاستدلال به على ابطال القول بالشرك السؤال الثالث حاصل القول بالقبضة
واليمين هو القدرة الكاملة الوافية بحفظ هذه الاجسام العظيمة فكما ان حفظها وامساكها يوم القيمة ليس الا بقدرة الله تعالى فكذلك
الان فما الفايدة في تخصيص هذه الاحوال بيوم القيمة والجواب عن الاول انه مراتب التعظيم كثيرة فاولها تقرير عظمة الله بكونه قادرا على
حفظ هذه الاجسام العظيمة كما ان حفظها وامساكها يوم القيمة عظيم ثم بعده تقرير عظمته بكونه قادرا على امساك اوليك الملايكة
الذين يحملون العرش والجواب عن الثاني ان المقصود منه ان المتولي لابقاء السموات والارضين من وجوه العمارة في هذا الوقت هو المتولي
لتخريبها وافنايها يوم القيمة وذلك يدل على حصول قدرة تامة على الايجاد والاعدام ويدل ايضا على كونه قادرا غنيا على الاطلاق
فانه يدل على انه اذا حاول تخريب الارض فكانه يقبض قبضة صغيرة وذلك يدل على كمال الاستغنا والجواب عن الثالث انه انما خصص تلك
الحالة بيوم القيمة ليدل على انه كما ظهر كمال قدرته في الايجاد عند عمارة الدنيا يظهر كمال قدرته في الاعدام عند خراب الدنيا والله اعلم
قوله تعالى ونفخ في الصور العامة على سكون الواو وزيد بن علي وقتادة بفتحها جمع صورة وهذا يرد قول ابن عطية ان الصور هنا
يتعين ان يكون القرن ولا يجوز ان يكون جمع صورة وقرى فصعق مبنيا للمفعول وهو ماخوذ من قولهم صعقتهم الصاعقة يقال صعقه الله

فصعق قوله تعالى الا من شاء الله متصل فالمستثنى اما جبرئيل وميكائيل واسرافيل واما رضوان والحور والزبانية واما الباري تعالى
قاله الحسن وفيه نظر من حيث قوله من في السموات ومن في الارض فانه لا يتحيز فعلى هذا يتعين ان يكون منقطعا قوله تعالى ثم نفخ فيه
اخرى يجوز ان يكون اخرى هي القائمة مقام الفاعل وهي في الاصل صفة لمصدر محذوف اي نفخ فيه نفخة اخرى ويقويه التصريح
بذلك في قوله فاذا نفخ في الصور نفخة واحدة فصرح باقامة المصدر ويجوز ان يكون القائم مقامه الجار واخرى منصوبة على ما تقدم
قوله تعالى فاذا هم قيام قرأ العامة على رفع قيام خبرا وزيد بن علي بنصبه حالا وفيه حينئذ اوجه احدها ان الخبر ينظرون وهو العامل
في هذه الحال اي فاذا هم ينظرون قياما والثاني ان العامل في الحال ما عمل في اذا الفجائية اذا كانت ظرفا فان كانت مكانية كما قاله
سيبويه فالتقدير فبالحضرة هم قياما وان كانت زمانية كقول الرماني فتقديره ففي ذلك الزمان هم قياما اي وجودهم وانما
احتيج الى تقدير مضاف في هذا الوجه لانه لا يخبر بالزمان عن الجثث الثالث ان الخبر محذوف هو العامل في الحال اي فاذا هم مبعوثون
ومجموعون قياما واذا جعلنا الفجائية حرفا كقول بعضهم فالعامل في الحال اما ينظرون واما الخبر المقدر كما تقدم تحقيقهما
فصل لما كان ذكر كمال قدرته وعظمته بما سبق ذكره اردفه بذكر طريق اخر يدل ايضا على كمال عظمته وهو شرح مقدمات
يوم القيمة لان نفخ الصور يكون قبل ذلك اليوم فقال ونفخ في الصور الاية اختلفوا في الصعقة فقيل انها غير الموت لقوله تعالى في موسى
عليه السلام وخر موسى صعقا وهو لم يمت فهذه النفخة تورث الفزع الشديد وعلى هذا فالمراد من نفخ الصعقة ومن نفخ الفزع واحد
وهو المذكور في سورة النمل في قوله تعالى ونفخ في الصور ففزع من في السموات ومن في الارض الا من شاء الله وعلى هذا القول فنفخ
الصور ليس الا مرتين وقيل الصعقة عبارة عن الموت والقائلون بهذا قالوا المراد بالفزع اي كادوا يموتون من الفزع وهي المذكورة
في سورة النمل والثانية نفخة الصعق والثالثة نفخة القيام وهما مذكورتان في هذه السورة وقوله الا من شاء الله قال ابن عباس
نفخة الصعق يموت من في السموات ومن في الارض الا جبرائيل وميكائيل واسرافيل وملك الموت ثم يميت الله تعالى ميكائيل واسرافيل
ويبقى جبرائيل وملك الموت ثم يميت جبريل ثم يميت ملك الموت وقيل المستثنى هم الشهداء لقوله تعالى بل احياء عند ربهم يرزقون وروى
ابو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم لانه صعق ولا يصعق ثانيا وقيل هم الحور العين وسكان العرش والكرسي وقال قتادة الله اعلم
بهم وليس في القرآن والاخبار ما يدل على انهم من هم ثم قال ثم نفخ فيه اخرى فاذا هم قيام ينظرون وهذا يدل على ان هذه النفخة متأخرة
عن النفخة الاولى لان لفظة ثم للتراخي وروى ابو هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بين النفختين اربعون قالوا اربعون يوما
قال ابيت قالوا اربعون شهرا قال ابيت قالوا اربعون سنة قال ابيت قال ثم ينزل الله من السماء ماء فينبتون كما ينبت البقل ليس من الانسان
شيء لا يبلى الا عظم واحد وهو عجب الذنب ومنه يركب الخلق يوم القيمة وقوله فاذا هم قيام ينظرون يعني ان قيامهم من القبور يحصل
عقيب هذه النفخة الاخيرة في الحال من غير تراخ لان الفاء في قوله فاذا هم يدل على التعقيب وقوله ينظرون ماذا يفعل بهم ويجوز ان يكون
القيام بمعنى الوقوف والجمود في مكان لاجل استيلاء الحيرة والدهشة عليهم قوله تعالى واشرقت الارض قرأ العامة على بنائه للفاعل
وابن عباس وابو الجوزاء وعبيد بن عمير على بنائه للمفعول وهو منقول بالهمزة من شرقت اذا طلعت وليس من اشرقت بمعنى اضاءت لان ذاك
لازم وجعله ابن عطية مثل رجع ورجعته ووقف ووقفته بمعنى يكون اشرقت لازما ومتعديا فصل هذه الارض ارض
القيمة وليست بارضنا الآن لقوله تعالى يوم تبدل الارض غير الارض وقوله بنور ربها اي خالقها حين يتجلى الرب لفصل القضاء بين
خلقه وقال الحسن والسدي بنور ربها اي بعدل ربها قال عليه السلام انكم سترون ربكم وقال كما لا تضارون في الشمس في اليوم الصحو
وقوله ووضع الكتاب اي كتاب الاعمال لقوله وكل انسان الزمناه طائره في عنقه ونخرج له يوم القيمة كتابا يلقاه منشورا وقوله
ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها وقيل المراد بالكتاب اللوح المحفوظ وقوله وجيء بالنبيين والشهداء قال ابن عباس
يعني الذين يشهدون للرسل بتبليغ الرسالة وهم امة محمد صلى الله عليه وسلم وقال عطاء ومقاتل يعني الحفظة لقوله تعالى وجاءت كل نفس
معها سائق وشهيد وقيل المراد بالشهداء المستشهدون في سبيل الله ثم قال وقضي بينهم بالحق اي بالعدل وهم لا يظلمون اي لا يزاد
في سيئاتهم ولا ينقص من حسناتهم ووفيت كل نفس ما عملت اي ثواب ما عملت واعلم انه تعالى لما بين انه يوصل الى كل واحد حقه عبر عن هذا
المعنى باربع عبارات اولها قوله تعالى وقضي بينهم بالحق وثانيها قوله تعالى وهم لا يظلمون وثالثها قوله تعالى ووفيت كل نفس ما
عملت اي جزاء ما عملت ورابعها قوله تعالى وهو اعلم بما يفعلون يعني انه ان لم يكن عالما بكيفيات احوالهم فلعله لا يقضي بالحق لاجل
عدم العلم اما اذا كان عالما بمقادير افعالهم وبكيفياتها امتنع دخول الخطأ عليه والمقصود من الاية المبالغة في تقرير ان كل مكلف
فانه يصل الى حقه قال عطاء يريد اني عالم بافعالهم لا احتاج الى كاتب ولا شاهد قوله تعالى وسيق الذين كفروا الى جهنم زمرا لما شرح
احوال اهل القيمة على سبيل الاجمال فقال ووفيت كل نفس ما عملت بين بعده كيفية احوال اهل الثواب فاما شرح احوال العقاب فهو هذه
الاية وهذا السوق يكون بالعنف والدفع بدليل قوله تعالى يوم يدعون الى نار جهنم دعا اي يدفعون دفعا وقوله ونسوق المجرمين
الى جهنم وردا قوله تعالى زمرا حال والزمر جمع زمرة وهي الجماعات في تفرقة بعضها في اثر بعض وتزمروا اجتمعوا قال الشاعر
حتى احزألت زمر بعد زمر * هذا قول ابي عبيدة والاخفش وقال الراغب الزمرة الجماعة القليلة ومنه شاة زمرة اي قليلة الشعر ورجل

زمر اي قليل ال

زمر اي قليل المروة وزمرت النعامة تزمر زمارا ومنه اشتق الزمر والزمارة كناية عن الفاجرة قوله تعالى حتى اذا تقدم الكلام في
حتى الداخلة على اذا مرارا وجواب اذا قوله فتحت وتقدم خلاف القراء في التشديد والتخفيف في سورة الانعام قوله تعالى وقال لهم
خزنتها الم يأتكم قرأ ابن هرمز الم تأتكم بتاء التأنيث لتأنيث الجمع ومنكم صفة لرسل او متعلق بالاتيان ويتلون صفة اخرى وخالدين
والموصفين حال مقدرة فصل بين تعالى انهم يساقون الى جهنم فاذا جاؤها فتحت ابوابها وهذا يدل على ان ابواب جهنم
تكون مغلقة قبل ذلك وانما تفتح عند وصول الكفار اليها فاذا دخلوا جهنم قال لهم خزنة جهنم الم يأتكم رسل منكم اي من جنسكم يتلون
عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا فان قيل لم اضيف اليوم اليهم فالجواب اراد لقاء وقتكم هذا وهو وقت دخولهم النار
لا يوم القيمة واستعمال لفظ اليوم والايام في اوقات الشدة مستفيض فعند هذا تقول الكفار بلى اتونا وتلوا علينا ولكن حقت
كلمة العذاب على الكافرين اي وجبت كلمة العذاب وهي قوله عز وجل لاملأن جهنم من الجنة والناس اجمعين وهذا صريح في ان السعيد
لا ينقلب شقيا والشقي لا ينقلب سعيدا ودلت الاية على انه لا وجوب قبل مجيء الشرع لان الملائكة بينوا انهم ما بقي لهم عذر ولا
علة بعد مجيء الانبياء عليهم السلام ولو لم يكن مجيء الانبياء شرطا في استحقاق العذاب لما بقي في هذا الكلام فائدة ثم ان الملائكة
اذا سمعوا منهم هذا الكلام قالوا لهم ادخلوا ابواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين قالت المعتزلة لو كان دخولهم
النار لاجل انه حقت عليهم كلمة العذاب لم يبق لقول الملائكة فبئس مثوى المتكبرين فائدة واجيبوا بان هذا الكلام انما يبقى مفيدا
اذا قلنا انهم انما دخلوا النار لانهم تكبروا على الانبياء ولم يقبلوا قولهم ولم يلتفتوا الى دلائلهم وذلك يدل على صحة قولنا والله
اعلم قوله تعالى وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة زمرا فان قيل السوق في اهل النار معقول لانهم لما امروا بالذهاب الى موضع
العذاب لا بد وان يساقوا اليه واما اهل الثواب فاذا امروا بالذهاب الى موضع السعادة والراحة فاي حاجة فيه الى السوق فالجواب
من وجوه الاول ان المحبة والصداقة باقية بين المتقين يوم القيمة كما قال تعالى الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين
فاذا قيل لواحد منهم اذهب الى الجنة فيقول لا ادخلها الا مع احبائي واصدقائي فيتأخرون لهذا السبب فحينئذ يحتاجون
الى السوق الى الجنة والثاني ان المتقين قد عبدوا الله لا للجنة ولا للنار فيصير شدة استغراقهم في مشاهدة مواقف الجلال مانعا
لهم من الرغبة في الجنة فلا جرم يحتاجون الى ان يساقوا الى الجنة والثالث ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اكثر
اهل الجنة البله وعليون للابرار فلهذا السبب يساقون الى الجنة الرابع ان اهل النار واهل الجنة يساقون الا ان المراد بسوق
اهل النار طردهم اليها بالهوان والعنف كما يفعل بالاسير الذي يساق الى الحبس والقتل والمراد بذلك السوق اسراعهم الى دار
الكرامة والرضوان كما يفعل بمن يكرم من الوافدين الى الملوك فشتان ما بينهما قوله تعالى وفتحت في جواب اذا ثلاثة اوجه احدها
قوله وفتحت والواو زائدة وهو رأي الكوفيين والاخفش وانما جيء هنا بالواو دون التي قبلها لان ابواب السجون مغلقة الى ان
يجيئها صاحب الجريمة فيفتح له ثم تغلق عليه فناسب ذلك عدم الواو فيها بخلاف ابواب السرور والفرح فانها تفتح انتظارا
لمن يدخلها فعلى هذا ابواب جهنم تكون مغلقة لا تفتح الا عند دخول اهلها فيها فاما ابواب الجنة ففتحها يكون متقدما على وصولهم
اليها كما قال تعالى جنات عدن مفتحة لهم الابواب فلذلك جيء بالواو فكانه قيل حتى اذا جاؤها وقد فتحت ابوابها والثاني ان الجواب
قوله وقال لهم خزنتها على زيادة الواو ايضا حتى اذا جاؤها قال لهم خزنتها الثالث ان الجواب محذوف قال الزمخشري وحقه ان
يقدر بعد خالدين لانه يجيء بعد متعلقات الشرط وما عطف عليه والتقدير اطمأنوا وقدره المبرد سعدوا وعلى هذين
الوجهين فتكون الجملة من قوله وفتحت في محل نصب على الحال قال البغوي وقال الزجاج القول عندي ان الجواب محذوف تقديره حتى
اذا جاؤها وفتحت ابوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين ادخلوها لحذف لدلالة الكلام عليه وسمى
بعضهم الواو في قوله وفتحت واو الثمانية قال لان ابواب الجنة ثمانية وكذا قالوا في قوله وثامنهم كلبهم وقيل تقديره حتى اذا جاؤها
وفتحت ابوابها يعني ان الجواب بلفظ الشرط ولكنه بزيادة تقييده بالحال فلذلك صح قوله تعالى وقال لهم خزنتها سلام عليكم
طبتم فادخلوها خالدين يريد ان خزنة الجنة يحبسون على قنطرة بين الجنة والنار فيقتص بعضهم من بعض حتى اذا هذبوا وطيبوا
ادخلوا الجنة فيقول لهم رضوان واصحابه سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين وروي عن علي قال سيقوا الى الجنة فاذا انتهوا
اليها وجدوا عند بابها شجرة يخرج من تحت ساقها عينان فيغتسل المؤمن من احديهما فيطهر ظاهره ويشرب من الاخرى فيطهر باطنه
وتلقاهم الملائكة على ابواب الجنة يقولون سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين فعند ذلك يقول المتقون الحمد لله الذي
صدقنا وعده واورثنا الارض اي ارض الجنة وهو قوله تعالى ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر ان الارض يرثها عبادي الصا
لحون قوله تعالى نتبوأ جملة حالية وحيث مفعول به ويجوز ان يكون ظرفا على بابها وهو الظاهر قال ابن الخطيب انما عبر عن
ارض الجنة بالارض لوجوه الاول ان الجنة كانت في اول الامر لآدم عليه السلام لانه تعالى قال فكلا منها رغدا حيث شئتما فلما عادت
الجنة الى اولاد آدم كان ذلك سببا للارث الثاني ان هذا اللفظ ماخوذ من قول القائل هذا القول اورث كذا وهذا العمل اورث
كذا فلما كانت طاعاتهم قد افادتهم الجنة لا جرم قالوا واورثنا الارض والمعنى ان الله تعالى اورثنا الجنة بان وفقنا للاتيان

باعمال اورثت الجنة الثالث ان الوارث يتصرف فيما يرثه كيف شاء من غير منازع فكذلك المومنون المتقون يتصرفون في الجنة
حيث شاؤا وارادوا فان قيل هل يتبوا احدهم مكان غيره فالجواب يكون لكل واحد منهم جنة لا يحتاج معها الى جنة غيره قال تعالى
فنعم اجر العاملين اي ثواب المطيعين قال مقاتل هذا ليس من كلام اهل الجنة بل الله تعالى لما حكى ما جرى بين الملائكة وبين المتقين
من صفة ثواب اهل الجنة قال بعده فنعم اجر العاملين **قوله تعالى** وترى الملائكة حافين من حول العرش حافين جمع حاف وهو المحدق
بالشيء من حففت بالشيء اذا احطت به قال الشاعر • تحفه جانبا نيق ويتبعه • مثل الزجاجة لم يكحل من الرمد • وهو ماخوذ
من الحفاف وهو الجانب قال الشاعر • له لحظات عن حفافي سريره • اذا كرها فيها عقاب ونايل • وقال الفراء وتبعه الزمخشري
لا واحد لحافين وكانهما لا يحيزان في جمع **فصل** لما ذكر صفة ثواب البشر ذكر عقيبه ثواب الملائكة فكما ان ثواب المتقين
هو الجنة فكذلك دار ثواب الملائكة جوانب العرش فقال حافين من حول العرش اي محدقين محيطين بالعرش محفا فيه اي بجوانبه
قال الليث حف القوم بسيدهم يحفون حفا اذا طافوا به **قوله تعالى** من حول في من وجهان احدهما وهو قول الاخفش انها مزيدة
والثاني انها للابتداء وقوله يسبحون بحمد ربهم يسبحون من الضمير في حافين قيل هذا تسبيح تلذذ لا تسبيح تعبد لان التكليف
يزول في ذلك اليوم وهذا يشعر بان ثوابهم هو عين ذلك التسبيح **قوله تعالى** وقضي بينهم بالحق هذا الضمير اما للملائكة واما للعباد
وقيل قضي بين اهل الجنة والنار بالعدل وقيل الحمد لله رب العالمين وقيل ان الملائكة لما قضي بينهم بالحق قالوا الحمد لله رب العالمين
على قضائه بينهما بالحق وروى ابو امامة عن ابي بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الزمر لم يقطع الله رجاه
واعطاه ثواب الخائفين وعن عائشة رضي الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرا كل ليلة بني اسرائيل والزمر رواهما
الثعلبي في تفسيره والله اعلم بالصواب واليه المرجع والماب والحمد لله وحده وصلى الله على من لا نبي بعده

سورة الطول مكية

سورة المومن مكية وتسمى سورة الطول وسورة غافر وهي خمس وثمانون اية والف ومائة وتسع وتسعون كلمة واربعة الاف وتسع مائة وستون
حرفا بسم الله الرحمن الرحيم **قوله تعالى** حم كقوله الم وبابه وقرا الاخوان وابو بكر وابن ذكوان بامالة الحا في السور السبع امالة
محضة وورش وابو عمرو بالامالة بين بين والباقون بالفتح والعامة على سكون الميم كسائر الحروف المقطعة وقرا الزهري برفع الميم على انها خبر
مبتدا مضمر او مبتدا والخبر ما بعدها وقرا عيسى بفتحها وهي تحتمل وجهين احدهما انها منصوبة بفعل مقدر اي اقرا حم وانما منع من الصرف
للعلمية والتانيث او العلمية وشبه العجمة وذلك انه ليس في الاوزان العربية وزن فاعيل بخلاف الاعجمية نحو قابيل وهابيل والثاني انها
حركة بناء تخفيفا كاين وكيف وفي احتمال هذين الوجهين قول الكميت • وجدنا لكم في ال حم اية • تاولها منا تقي ومعرب •
وقول شريح ابن اوفى • تذكرني حم والرمح شاجر • فهلا تلا حم قبل التقدم • وقرا ابو السمال بكسرها وهل يجوز ان يجمع حم على حواميم نقل
ابن الجوزي عن شيخه الجواليقي انه خطا وليس بصواب بل الصواب ان يقول قرات ال حم وفي الحديث عن ابن مسعود عنه عليه السلام اذا وقعت
في ال حم وقعت في روضات اتانق فيهن وقال سعيد بن ابرهيم كن الحم يسمين العرائس وقال الكميت وجدنا لكم في ال حم اية ومنهم من جوزه
وروي في ذلك احاديث منها قوله عليه السلام الحواميم ديباج القران وقوله عليه السلام الحواميم سبع وابواب جهنم سبع • جهنم • والحطمة •
ولظى • والسعير • وسقر • والهاوية • والجحيم • فتجيء كل حم منهن يوم القيمة على باب من هذه الابواب فتقول لا يدخل النار من كان يؤمن بي
ويقراني وقوله عليه السلام لكل شيء ثمرة وثمرة القران ذوات حم هن روضات حسان مخصبات متجاورات فمن احب ان يرتع في رياض الجنة
فليقرا الحواميم وقوله عليه السلام مثل الحواميم في القران كمثل الحبرات في الثياب وقال ابن عباس لكل شيء لباب ولباب القران الحواميم فان صحت
هذه الاحاديث فهي الفيصل في ذلك **قوله تعالى** تنزيل اما خبر حم ان كانت مبتدا واما خبر لمبتدا مضمر واما مبتدا وخبره الجار بعده
قال ابن الخطيب تنزيل والمراد منه المنزل **فصل** روى السدي عن ابن عباس قال حم اسم الله الاعظم وروى عكرمة عنه قال الر وحم
ونون حروف الرحمن مقطعة وقاله سعيد بن جبير وقال عطا الخراساني الحا افتتاح اسمائه حكيم حميد حي حليم حنان والميم افتتاح اسمائه
مليك مجيد قال الضحاك والكسائي معناه قضي ما هو كائن كانهما اشارا الى ان معناه حم بضم الحاء وتشديد الميم وقوله من الله لما ذكر حم
تنزيل الكتاب وجب بيان المنزل من هو فقال من الله ثم بين ان الله تعالى موصوف بصفات الجلال فقال العزيز العليم فبين انه بقدرته وعلمه
نزل القران الذي يتضمن المصالح والاعجاز ولولا كونه عزيزا عالما لما صح ذلك **قوله تعالى** غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب
في هذه الاوصاف ثلاثة اوجه احدها انها كلها صفات الجلالة كالعزيز العليم وانما جاز وصف المعرفة بهذه وان كانت اضافتها لفظية لانه
يجوز ان يجعل اضافتها معنوية فتتعرف بالاضافة نص سيبويه على ان كل ما اضافته غير محضة جاز ان يجعل محضة ويوصف به المعارف الا الصفة
المشبهة ولم يستثن غيره شيا وهم الكوفيون يقولون في نحو حسن الوجه انه يجوز ان تصير اضافته محضة وعلى هذا فقوله شديد العقاب

من باب الصفة المشبهة فكيف اجرت جعله صفة للمعرفة وهو لا يتعرف الا بالاضافة والجواب اما بالتزام مذهب الكوفيين وهو ان
الصفة المشبهة يجوز ان يتمحض اضافتها ايضا فتكون معرفة واما بان شديد بمعنى مشدد كاذين بمعنى موذن فتتمحض اضافته الثاني ان يكون
الكل ابدالا لان اضافتها غير محضة قاله الزمخشري الا انه لا ابدال بالمشتق فليل جدا الا ان يجري فيها جانب الوصفية الثالث ان يكون غافر
وقابل نعتين وشديد بدلا لما تقدم من ان الصفة المشبهة لا تتعرف بالاضافة قاله الزجاج الا ان الزمخشري قال جعل الزجاج شديد
العقاب وحده بدلا من الصفات فيه نبو ظاهر والوجه ان يقال لما صودف بين هذه المعارف هذه النكرة الواحدة فقد اذنت بان كلها
ابدال غير اوصاف ومثال ذلك قصيدة جاءت تفاعيلها كلها على مستفعلن فهي محكوم عليها انها من الرجز فان وقع فيها جزء واحد على متفاعلن
كانت من الكامل وناقشه ابو حيان فقال ولا نبو في ذلك لان الجري على القواعد التي قد استقرت وصحت هو الاصل وقوله فقد اذنت
بان كلها ابدال تركيب غير عربي لانه جعل فقد اذنت جواب لما وليس في كلامهم لما قام زيد فقد قام عمرو وقوله بان كلها ابدال فيه تكرير
للابدال اما بدل البدا عند من اثبته فقد تكررت فيه الابدال واما بدل كل من كل وبدل بعض من كل وبدل اشتمال فلا نص عن احد من النحويين
اعرفه في جواز التكرار فيها او منعه الا ان في كلام بعض اصحابنا ما يدل على ان البدل لا يكرر وذلك في قول الشاعر •

• فالى ابن ام اياس ارحل ناقتي • عمرو فتبلغ حاجتي او تزحف •
• ملك اذا نزل الوفود ببابه • عرفوا موارد مزبد لا ينزف •

قال فملك بدل من عمرو بدل نكرة من معرفة قال فان قلت لم لا يكون بدلا من ابن ام اياس قلت لانه قد ابدل منه عمرو فلا يجوز ان
يبدل منه مرة اخرى لانه قد طرح انتهى قال ابو حيان فدل هذا على ان البدل لا يتكرر ويتحد المبدل منه ودل على ان البدل من البدل
جايز قال شهاب الدين وهذا البحث قد تقدم في قوله غير المغضوب عليهم فليلتفت اليه قال وقوله تفاعيلها هو جمع تفعال او تفعول
او تفعول او تفعيل وليس شيء منها معدودا من اجزاء العروض فان اجزاءه منحصرة ليس فيها شيء من هذه الاوزان وصوابه ان يقول
جاءت اجزاؤها كلها على مستفعلن وقال الزمخشري ايضا ولقائل ان يقول هي صفات وانما حذف الالف واللام من شديد العقاب ليزاوج
ما قبله وما بعده لفظا فقد غيروا كثيرا من كلامهم عن قوانينه لاجل الازدواج فقالوا اما تعرف بمحادلته عن صادلته فثنوا ما هو وتر
لاجل ما هو شفع على ان الخليل قال في قولهم ما يحسن بالرجل مثلك ان يفعل ذلك وما يحسن بالرجل خير منك انه على نية الالف واللام
كما كان الجماء الغفير على نية طرح الالف واللام ومما يسهل ذلك الامن من اللبس وجهالة الموصوف قال ابو حيان ولا ضرورة الى الحذف ال
من شديد العقاب وتشبيهه بنادر مغير وهو تثنية الوتر لاجل الشفع ونزه كتاب الله عن ذلك قال شهاب الدين اما الازدواج فهو
من المشاكلة من حيث هو فانه واقع في القران وقد مضى منه مواضع وقال الزمخشري ايضا ويجوز ان يقال قد تعمد تنكيره وابهامه
للدلالة على فرط الشدة وعلى ما هو ادهى منه وامر لزيادة الانذار انتهى وقال مكي يجوز في غافر وقابل البدل على انهما نكرتان لاستقبالهما
والوصف على انهما معرفتان لمضيهما وقال ابن الخطيب لا نزاع في جعل غافر صفة وانما كان كذلك لانه لا يفيد ان معنى الدوام والاستمرار
فكذلك شديد العقاب يفيد ذلك لان صفاته منزهة عن الحدوث والتجدد فمعناه كونه بحيث شديد عقابه وهذا المعنى حاصل
ابدا لا يوصف بانه حصل بعد ان لم يكن قال ابو حيان وهذا كلام من لم يقف على علم النحو ولا نظر فيه ويلزمه ان يكون حكيم عليم ومليك
معارف لتنزيه صفاته عن الحدوث والتجدد لانها صفات لم تحصل بعد ان لم تكن ويكون تعريف صفاته بال وتنكيرها سواء
وهذا لا يقوله مبتدي في علم النحو بل لا ان يصنف فيه ويقدم على تفسير كتاب الله تعالى انتهى وقد ورد هذه الصفات كلها من غير عاطف
الا قابل التوب قال بعضهم وانما عطف لاجتماعهما وتلازمهما وعدم انفكاك احدهما عن الاخر وقطع شديد عنهما فلم يعطف
لانفراده قال ابو حيان وفيه منزعة اعتزالية ومذهب اهل السنة جواز الغفران للعاصي وان لم يتب الا الشرك قال شهاب الدين
وما ابعده عن نزعة الاعتزال ثم اقول التلازم لازم من جهة انه تعالى متى قبل التوبة فقد غفر الذنب وهو كاف في التلازم قال الزمخشري
فان قلت ما بال الواو في قوله وقابل التوب قلت فيها نكتة جليلة وهي افادة الجمع للمذنب التائب بين رحمتين بين ان يقبل توبته
فيكتبها له طاعة من الطاعات وان يجعلها محاة للذنوب كمن لم يذنب كانه قال جامع المغفرة والقبول انتهى وبعد هذا الكلام الانيق
وابرازه هذه المعاني الحسنة قال ابو حيان وما اكثر تبجح هذا الرجل وشقشقته والذي افاد ان الواو للجمع وهذا معروف من ظاهر علم النحو
قال شهاب الدين وقد انشدني بعضهم • وكم من عايب قولا صحيحا • وافته من الفهم السقيم • وقال الاخر •
• قد تنكر العين ضوء الشمس من رمد • وينكر الفم طعم الماء من سقم • والتوب يحتمل ان يكون اسما مفردا مرادا به الجنس كالذنب وان
يكون جمعا لتوبة كتمر وتمرة وذي الطول نعتا او بدلا كما تقدم والطول سعة الفضل ولا اله الا هو يجوز ان يكون مستانفا وان
يكون حالا وهي حال لازمة وقال ابو البقا يجوز ان تكون صفة وهذا على ظاهره فاسد لان الجملة لا تكون صفة للمعارف ويمكن ان يريد
انه صفة لشديد العقاب لانه لم يتعرف عنده بالاضافة والقول في اليه المصير كالقول في الجملة قبله ويجوز ان يكون حالا من الجملة قبله
فصل قال المفسرون غافر الذنب ساتر الذنب وقابل التوب اي التوبة مصدر تاب يتوب توبا وقيل التوب جمع توبة مثل
دومة ودوم وحومة وحوم قال ابن عباس غافر الذنب لمن قال لا اله الا الله وقابل التوب ممن قال لا اله الا الله شديد العقاب لمن لا

يقول لا اله الا الله ذي الطول ذي الغنى عمن لا يقول لا اله الا الله قال مجاهد ذي الطول ذي السعة والغنى وقال الحسن ذو الفضل وقال قتادة ذو النعم وقيل ذو القدرة واصل الطول الانعام الذي تطول مدته على صاحبه لا اله الا هو اليه المصير والمعنى انه لما وصف نفسه بصفات الرحمة والفضل فلو حصل معه اله آخر يشاركه في صفة الرحمة والفضل لما كانت الحاجة الى عبوديته شديدة فكان الترغيب والترهيب الكاملين حاصلين بسبب هذا التوحيد وقوله اليه المصير مما يقوي الرغبة في الاقرار بالعبودية قوله تعالى ما يجادل في آيات الله الا الذين كفروا لما قرر ان القرآن الكتاب انزله ليهتدى به في الدين ذكر احوال من جادل لغرض ابطاله فقال ما يجادل في آيات الله الا الذين كفروا اي في دفع آيات الله بالتكذيب والانكار واعلم ان الجدال نوعان جدال في تقرير الحق وجدال في تقرير الباطل اما الجدال في تقرير الحق فهو حرفة الانبياء عليهم السلام قال تعالى لمحمد عليه السلام وجادلهم بالتي هي احسن وحكى عن قوم نوح قولهم يا نوح قد جادلتنا فاكثرت جدالنا واما الجدال في تقرير الباطل فهو مذموم وهو المراد بهذه الآية وقال عليه السلام ان جدالا في القرآن كفر وروي عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده قال سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم قوما يتمارون فقال انما هلك من كان قبلكم بهذا ضربوا كتاب الله عز وجل بعضه ببعض وانما نزل كتاب الله يصدق بعضه بعضا فلا تكذبوا بعضه ببعض فما علمتم منه فقولوه وما جهلتم فكلوه الى عالمه وقال ما ضربوه لك الا جدلا بل هم قوم خصمون وقال وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق قوله تعالى فلا يغررك تقلبهم قرأ العامة بالفك وهي لغة الحجاز وزيد بن علي وعبيد بن عمر فلا يغرك بالادغام مفتوح الراء وهي لغة تميم

فصل

جدالهم في آيات الله هو قولهم مرة سحر ومرة هو شعر ومرة انه قول الكهنة ومرة اساطير الاولين ومرة انما يعلمه بشر وقولهم ما انتم الا بشر مثلنا لولا انزل علينا الملائكة واشباه هذا ثم قال فلا يغررك تقلبهم في البلاد اي لا تغتر باني امهلتهم وتركتهم سالمين في ابدانهم واموالهم يتقلبون في البلاد اي يتصرفون فيها للتجارات وطلب المعاش فاني وان امهلتهم فاني سآخذهم وانتقم منهم كما فعلت بالامم الماضية ثم كشف عن هذا المعنى فقال كذبت قبلهم قوم نوح والاحزاب من بعدهم وهم الكفار الذين تحزبوا على انبيائهم بالتكذيب وهمت كل امة برسولهم ليأخذوه وقال ابن عباس ليقتلوه ويهلكوه وقيل ليأسروه وقرأ عبد الله برسولها اعاد الضمير على لفظ امة والجمهور على معناها وفي قوله ليأخذوه عبارة عن المسبب بالسبب وذلك ان القتل مسبب عن الاخذ ومنه قيل للاسير اخيذ قال الشاعر

فاما تأخذوني تقتلوني • فكم من اخذ يهوى خلودي

وجادلوا بالباطل ليدحضوا ليبطلوا به الحق الذي جاءت به الرسل فاخذتهم فكيف كان عقاب اجتزاء عن ياء المتكلم بالكسرة وصلا ووقفا لانها رأس فاصلة والمعنى فانزلت بهم من الهلاك ما هموا بانزاله بالرسل وارادوا ان يأخذوهم فاخذتهم انا فكيف كان عقابي اياهم أليس كان مستأصلا فانا افعل بقومك ما فعلت بهؤلاء ان اصروا على الكفر والجدال في آيات الله قوله تعالى وكذلك حقت يحتمل الكاف ان تكون مرفوعة المحل على خبر مبتدأ مضمر اي والامر كذلك ثم اخبر بانه حقت كلمة الله عليهم بالعذاب وان يكون نعتا لمصدر محذوف اي مثل ذلك الوجوب من عقابهم وجب على الكفرة والمعنى كما حقت كلمة العذاب على الامم المكذبة حقت ايضا على الذين كفروا من قومك قوله تعالى انهم اصحاب النار يجوز ان يكون على حذف حرف الجر اي لانهم فحذف فيجري في محلها القولان قال الاخفش لانهم او بانهم اصحاب النار ويجوز ان يكون في محل رفع بدلا من كلمة وقد تقدم خلافهم في افراد كلمة وجمعها وان نافعا وابن عامر قرأ كلمات على الجمع والباقون بالافراد قوله تعالى الذين يحملون مبتدأ ويسبحون خبره والعامة على فتح عين العرش وابن عباس في آخرين بضمها فقيل يحتمل ان يكون مرفوع المحل عطفا على الذين يحملون اخبر عن الفريقين بانهم يسبحون وهذا هو الظاهر وان يكون منصوب المحل عطفا على العرش يعني انهم يحملون ايضا الملائكة الحافين بالعرش وليس بظاهر

فصل لما بين ان الكفار يبالغون في اظهار العداوة مع المؤمنين بين ان اشرف طبقات المخلوقات هم الملائكة الذين هم حملة العرش والحافون حول العرش يبالغون في اظهار المحبة والنصرة للمؤمنين فكأنه تعالى يقول ان كان هؤلاء الاراذل يبالغون في العداوة فلا تلتفت اليهم ولا تقم لهم وزنا فان حملة العرش معك والحافون من حول العرش ينصرونك وهم الكروبيون قال ابن عباس حملة العرش ما بين كعب احدهم الى اسفل قدميه مسيرة خمسمائة عام وروى جعفر بن محمد عن ابيه عن جده انه قال بين القائمة من قوائم العرش والقائمة الثانية خفقان الطير المسرع ثلاثين الف عام وقال مجاهد بين السماء السابعة وبين العرش سبعون الف حجاب من نور وحجاب من ظلمة وقال وهب بن منبه ان حول العرش سبعون الف صف من الملائكة صف خلف صف يطوفون بالعرش قوله تعالى يسبحون بحمد ربهم قال شهر بن حوشب حملة العرش ثمانية فاربعة منهم يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على عفوك بعد قدرتك قال وكأنهم يرون ذنوب بني آدم قوله تعالى ويؤمنون به فيه سؤال وهو ان يقال ما الفائدة في قوله ويؤمنون به مع ان الاشتغال بالتسبيح والتحميد لا يمكن الا بعد سبق الايمان بالله واجاب الزمخشري بان المقصود منه التنبيه على ان الله تعالى لو كان حاضرا لكان حملة العرش والحافون بالعرش يشاهدونه ويعاينونه ولو كان كذلك لما كان ايمانهم بوجود الله موجبا للمدح والثناء لان الاقرار بوجود شيء مشاهد معاين لا يوجب المدح والثناء الا ترى ان الاقرار بوجود الشمس وكونها مضيئة لا يوجب المدح والثناء فلما ذكر الله سبحانه ايمانهم بالله على سبيل المدح والثناء والتعظيم دل على انهم انما آمنوا به مع انهم ما شاهدوه حاضرا جالسا هناك قوله تعالى ويستغفرون للذين آمنوا اعلم ان كمال السعادة بامرين احدهما التعظيم لامر الله والثاني الشفقة على خلق الله وجب

ان يكون التعظيم لامر الله مقدما على الشفقة على خلق الله فقوله تعالى يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به مشعر بالتعظيم لامر الله وقوله ويستغفرون للذين آمنوا مشعر بالشفقة على خلق الله واحتج كثير من العلماء بهذه الآية على ان الملك افضل من البشر لانها دلت على ان الملائكة لما فرغوا من ذكر الله تعالى بالثناء والتقديس اشتغلوا بالاستغفار لغيرهم وهم المؤمنون وهذا يدل على انهم مستغنون بانفسهم اذ لو كانوا محتاجين الى الاستغفار لاستغفروا لانفسهم اولا لقوله صلى الله عليه وسلم ابدأ بنفسك ولقوله تعالى لمحمد عليه السلام واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات وحكي عن نوح عليه السلام قوله رب اغفر لي ولوالدي ولمن دخل بيتي مؤمنا وللمؤمنين والمؤمنات وهذا يدل على ان كل من كان محتاجا الى الاستغفار فانه يقدم الاستغفار لنفسه على الاستغفار لغيره والملائكة لو كانوا محتاجين الى الاستغفار لاستغفروا لانفسهم اولا ثم استغفروا لغيرهم ولما لم يذكر الله تعالى استغفارهم لانفسهم علمنا انهم لم يكونوا محتاجين الى الاستغفار واما الانبياء عليهم السلام فهم محتاجون الى الاستغفار لقوله تعالى لمحمد عليه السلام واستغفر لذنبك فظهر ان الملك افضل من البشر والله اعلم قوله تعالى ربنا معمول لقول مضمر تقديره يقولون ربنا والقول المضمر في محل نصب على الحال من فاعل يستغفرون او خبر بعد خبر ورحمة وعلما تمييز منقول من الفاعلية اي وسع كل شيء رحمتك وعلمك واعلم ان الدعاء في اكثر الامور مذكور بلفظ الرب لان الملائكة قالوا في هذه الآية ربنا وقال آدم عليه السلام ربنا ظلمنا انفسنا وقال نوح عليه السلام رب اني دعوت قومي وقال رب اغفر لي ولوالدي وقال ابرهيم عليه السلام رب ارني كيف تحيي الموتى وقال ربنا واجعلنا مسلمين لك وقال يوسف عليه السلام رب قد آتيتني من الملك وقال موسى عليه السلام رب ارني انظر اليك وقال رب اني ظلمت نفسي فاغفر لي وحكي عن داود عليه السلام انه استغفر ربه وخر راكعا وقال سليمان عليه السلام رب هب لي ملكا وحكي عن زكريا عليه السلام اذ نادى ربه نداء خفيا وقال عيسى عليه السلام ربنا انزل علينا مائدة من السماء وقال تعالى لمحمد عليه السلام وقل رب اعوذ بك من همزات الشياطين وحكي عن المؤمنين انهم قالوا ربنا ما خلقت هذا باطلا الآيات فان قيل لفظ الله اعظم من لفظ الرب فلم خص لفظ الرب بالدعاء فالجواب كان العبد يقول كنت في العدم المحض والنفي الصرف فاخرجتني الى الوجود وربيتني فاجعل تربيتك وحالي لاجابة دعائي فان قيل قوله ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما فيه سؤال لان العلم وسع كل شيء واما الرحمة فما وصلت الى كل شيء لان المضرور حال وقوعه في الضرر لا يكون ذلك في حقه رحمة وهذا السؤال ايضا مذكور في قوله ورحمتي وسعت كل شيء فالجواب كل موجود فقد نال من رحمة الله نصيبا لان الموجود اما واجب واما ممكن اما الواجب فليس الا الله سبحانه وتعالى واما الممكن فوجوده من الله تعالى وبايجاده وذلك رحمة فثبت انه لا موجود غير الله الا وقد حصل له نصيب من الرحمة فلهذا قال ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما وهذه الآية دلت على انه تعالى عالم بجميع المعلومات التي لا نهاية لها من الكليات والجزئيات قوله تعالى فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم فان قيل لا معنى للغفران الا اسقاط العذاب وعلى هذا فلا فرق بين قوله فاغفر لهم وبين قولهم وقهم عذاب الجحيم فالجواب قولهم فاغفر فيه رمز واشارة لاسقاط العذاب فلهذا اردفوه بذكره على سبيل التصريح تاكيدا ومبالغة واعلم انهم لما طلبوا من الله ازالة العذاب عنهم اردفوه بطلب ايصال الثواب اليهم فقالوا ربنا وادخلهم جنات عدن التي وعدتهم فان قيل انتم زعمتم ان الشفاعة انما حصلت للمذنبين وهذه الآية تبطل ذلك لانه تعالى ما وعد المذنبين بان يدخلهم جنات عدن فالجواب لا نسلم ان ما وعدهم بذلك لان الدلائل الكثيرة دلت على انه لا يخلد اهل لا اله الا الله محمد رسول الله في النار واذا اخرجهم من النار وجب ان يدخلهم الجنة فكان هذا وعدا من الله بان يدخلهم جنات عدن اما من غير دخول النار واما بعد ان يدخلهم النار قوله تعالى ومن صلح في محل نصب اما عطفا على مفعول ادخلهم واما على مفعول وعدتهم وقال الفراء والزجاج نصبه من مكانين ان شئت على الضمير في ادخلهم وان شئت على الضمير في وعدتهم والعامة على فتح لام صلح يقال صلح فهو صالح وابن ابي عبلة بضمها يقال صلح فهو صليح والعامة على ذرياتهم جمعا وعيسى وذريتهم افرادا والمراد بقوله ومن صلح من اهل الايمان ثم قالوا انك انت العزيز الحكيم وانما ذكروا في دعائهم هذين الوصفين لانه لو لم يكن عزيزا بل كان بحيث يغلب ويمنع لما صح وقوع المطلوب منه ولو لم يكن حكيما لما حصل هذا المطلوب على وفق الحكمة والمصلحة ثم قالوا بعد ذلك وقهم السيئات قال بعض المفسرين المراد منه عذاب السيئات فان قيل فعلى هذا التقدير لا فرق بين قوله وقهم السيئات وبين قولهم وقهم عذاب الجحيم وحينئذ يلزم التكرار الخالي من الفائدة وهو لا يجوز فالجواب ان التفاوت حاصل من وجهين الاول ان يكون قوله وقهم عذاب الجحيم دعاء مذكورا للاصول وقوله وقهم السيئات دعاء مذكورا للفروع وهم الآباء والازواج والذريات الثاني ان يكون قوله وقهم عذاب الجحيم مقصورا على ازالة عذاب الجحيم وقوله وقهم السيئات يتناول عذاب الجحيم وعذاب موقف القيامة والحساب والسؤال وقال بعض المفسرين المراد بقوله وقهم السيئات هو ان الملائكة طلبوا ازالة عذاب النار بقولهم وقهم عذاب الجحيم وطلبوا ايصال الثواب اليهم بقولهم وادخلهم جنات عدن ثم طلبوا بعد ذلك ان يصونهم الله تعالى في الدنيا عن العقائد الفاسدة بقوله وقهم السيئات ثم قالوا ومن تق السيئات يومئذ فقد رحمته يعني من تق السيئات في الدنيا فقد رحمته يوم القيامة ثم قالوا وذلك هو الفوز العظيم حيث وجدوا باعمال منقطعة نعيما لا ينقطع وبافعال حقيرة ملكا لا تصل العقول الى كنه جلالته والله اعلم قوله تعالى

التنوين عوض من جملة محذوفة ولكن ليس في الكلام جملة مصرح بها عوض منها هذا التنوين بخلاف قوله تعالى وانتم حينئذ
تنظرون اي حين اذ بلغت الحلقوم لتقدمها في اللفظ فلا بد من تقدير جملة تكون هذا عوضا منها تقديره يوم اذ يواخذهم فصل
قال مطرف انصح عباد الله للمومنين الملائكة واغش الخلق للمومنين هم الشياطين قال سعيد بن جبير في تفسير قوله ومن صلح من اباءهم
يدخل المومن الجنة فيقول اين ابي اين امي اين ولدي اين زوجتي فيقال لهم انهم لم يعملوا مثل عملك فيقول اني كنت اعمل لي ولهم فيقال ادخلوهم الجنة
قوله تعالى ان الذين كفروا ينادون اي يوم القيمة وهم في النار وقد مقتوا انفسهم حين عرض عليهم سيئاتهم وعاينوا العذاب
فيقال لهم لمقت الله اكبر من مقتكم انفسكم اذ تدعون الى الايمان فتكفرون اي لمقت الله اياكم في الدنيا اذ تدعون الى الايمان فتكفرون اكبر
من مقتكم اليوم انفسكم عند حلول العذاب قاله البغوي واعلم انه تعالى عاد الى شرح احوال الكافرين المجادلين في ايات الله وهم المذكورون
في قوله ما يجادل في ايات الله الا الذين كفروا وبين انهم في القيمة يعترفون بذنوبهم واستحقاقهم العذاب ويسالون الرجوع الى الدنيا
ليتلافوا ما فرط منهم قوله تعالى اذ تدعون منصوب بمقدر يدل عليه هذا الظاهر تقديره مقتكم اذ تدعون وقدره بعضهم اذكروا
اذ تدعون وجوز الزمخشري ان يكون منصوبا بالمقت الاول ورد عليه ابو حيان بانه يلزم منه الفصل بين المصدر ومعموله باجنبي وهو
الخبر وقال هذا من ظواهر علم النحو التي لا تكاد تخفى على المبتدي فضلا عمن يدعي من العجم انه شيخ العرب والعجم قال شهاب الدين ومثل هذا
لا يخفى على ابي القسم وانما اراد انه دال على ناصبه وعلى تقدير ذلك فهو مذهب كوفي قال به او لان الظرف يتسع فيه ما لا يتسع في غيره
واي غموض في هذا حتى يحكي عليه هذا الانحا ولله در القايل • حسدوا الفتى اذ لم ينالوا سعيه • فالقوم اعداء له وخصوم •
كضرائر الحسناء قلن لوجهها • كذبا وزورا انه لدميم • وهذا الرد قد سبقه اليه ابو البقا فقال لا يجوز ان يعمل فيه مقت الله
لانه مصدر اخبر عنه وهو قوله اكبر فمن ثم اخذه ابو حيان ولا يجوز ان ينتصب بالمقت الثاني لانهم لم يمقتوا انفسهم وقت دعائهم
الى الايمان انما مقتوها يوم القيمة والظاهر ان مقت الله واقع في الدنيا كما تقدم في تفسير الاية وجوز الحسن ان يكون في الاخرة
وضعفه ابو حيان بانه يبقى اذ تدعون مفلتا من الكلام لكونه ليس له عامل مقدم ولا ما يفسر عاملا فاذا كان المقت في الدنيا امكن
ان يضمر له عامل تقديره مقتكم قال شهاب الدين وهذا التجري على مثل الحسن يهون عليك تجريه على الزمخشري ونحوه واللام في لمقت
لام ابتداء او قسم ومفعوله محذوف اي لمقت الله اياكم انفسكم فهو مصدر مضاف لفاعله كالثاني ولا يجوز ان تكون المسئلة من باب
التنازع في انفسكم بين المقتين لئلا يلزم الفصل بالخبر بين المقت الاول ومعموله على تقدير اعماله لكن قد اختلف النحاة في مسئلة
وهي التنازع في فعلي التعجب فمن منع امتثل بما تقدم لانه لا يفصل بين فعل التعجب ومعموله ومن جوز قال يلتزم اعمال الثاني حتى لا يلزم
الفصل فليكن هذا منه والحق عدم الجواز فانه على خلاف قاعدة التنازع فصل ذكروا في تفسير مقتهم انفسهم وجوها
الاول انهم اذا شاهدوا القيمة والجنة والنار مقتوا انفسهم على اصرارهم على التكذيب بهذه الاشياء في الدنيا الثاني ان الاتباع يشتد
مقتهم للروسا الذين دعوهم الى الكفر في الدنيا والروسا ايضا يشتد مقتهم للاتباع فعبر عن مقت بعضهم بعضا بانهم مقتوا انفسهم
كقوله تعالى فاقتلوا انفسكم والمراد قتل بعضهم بعضا الثالث قال محمد بن كعب اذا خطبهم ابليس وهم في النار بقوله ما كان لي عليكم
من سلطان الى قوله ولوموا انفسكم ففي هذه الحالة مقتوا انفسهم واما الذين ينادون الكفار بهذا الكلام فهم خزنة جهنم فصل
المقت اشد البغض وذلك في حق الله تعالى محال فالمراد منه ابلغ الانكار والزجر قال الفرا قوله ينادون لمقت الله معناه ينادون
ان مقت الله يقال ناديت ان زيدا قايم وناديت لزيد قايم ثم انه تعالى بين ان الكفار اذا خوطبوا بهذا الخطاب قالوا ربنا امتنا اثنتين
واحييتنا اثنتين الاية اثنتين نعت مصدر محذوف تقديره اماتتين اثنتين قال ابن عباس وقتادة والضحاك كانوا امواتا في اصلاب
ابائهم فاحياهم الله في الدنيا ثم اماتهم الموتة التي لا بد منها ثم احياهم للبعث يوم القيمة فهما موتتان وحياتان وهو كقوله كيف
تكفرون بالله وكنتم امواتا فاحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم وقال السدي اميتوا في الدنيا ثم احيوا في قبورهم للسوال ثم اميتوا في قبورهم
ثم احيوا في الاخرة وقوله فاعترفنا بذنوبنا فهل الى خروج من سبيل اي من خروج من النار الى الدنيا فنصلح اعمالنا ونعمل بطاعتك
ونظيره هل الى مرد من سبيل والمعنى انهم لما عرفوا ان الذي كانوا عليه في الدنيا كان فاسدا باطلا تمنوا الرجوع الى الدنيا ليشتغلوا
بالاعمال الصالحة فان قيل الفاء في قوله فاعترفنا تقتضي ان تكون الاماتة مرتين والاحياء مرتين سببا لهذا الاعتراف فما وجه
هذه السببية فالجواب لانهم كانوا منكرين البعث فلما شاهدوا هذا الاحيا بعد الاماتة مرتين لم يبق لهم عذر في الاقرار بالبعث
فلا جرم وقع هذا الاقرار كالمسبب عن تلك الاماتة والاحيا واعلم انهم لما قالوا فهل الى خروج من سبيل فالجواب الصريح عنه
ان يقال لا او نعم وهو تعالى لم يفعل ذلك بل قال كلاما يدل على انه لا سبيل لهم الى الخروج وهو قوله ذلكم بانه اذا دعي الله وحده
كفرتم اي ذلكم الذي انتم فيه من العذاب والخلود في النار وان لا سبيل لكم الى خروج قط انما وقع بسبب كفركم بتوحيد الله اي اذا قيل
لا اله الا الله كفرتم وقلتم اجعل الالهة الها واحدا وان يشرك به غيره تومنوا اي تصدقوا ذلك الشرك قوله تعالى وحده فيه وجهان
احدهما انه مصدر في موضع الحال وجاز كونه معرفة لفظا لكونه في قوة النكرة كانه قيل منفردا والثاني وهو قول يونس انه منصوب
على الظرف والتقدير دعي على حياله وهو مصدر محذوف الزوايد والاصل اوحدته ايحادا قوله تعالى فالحكم لله حيث حكم عليكم

بالعذاب السرمد وقوله العلي الكبير يدل على الكبرياء والعظمة الذي لا اعلا منه ولا اكبر قوله تعالى هو الذي يريكم اياته ليدل على كمال
قدرته وحكمته وانه لا يجوز جعل هذه الاحجار المنحوتة والخشب المصورة شركا لله تعالى في المعبودية ثم قال وينزل لكم من السماء رزقا
من المطر الذي هو سبب الارزاق وقرا ابن كثير وابو عمرو ينزل بالتخفيف والباقون بالتشديد واعلم ان اهم المهمات رعاية مصالح الاديان
ومصالح الابدان فالله تعالى راعى مصالح اديان العباد باظهار البينات والايات وراعى مصالح ابدانهم بانزال الرزق من السماء فموقع
الايات من الاديان كموقع الارزاق من الابدان وعند حصولهما يحصل الانعام الكامل ثم قال وما يتذكر الا من ينيب اي ما يتعظ بهذه الايات
الا من يرجع الى الله في جميع اموره فيعرض عن غير الله ويقبل بالكلية على الله ولهذا قال فادعوه مخلصين له الدين ولو كره الكافرون
قوله تعالى رفيع فيه وجهان احدهما ان يكون مبتدا والخبر ذو العرش ويلقي الروح يجوز ان يكون خبرا ثانيا وان يكون حالا ويجوز ان تكون
الثلاثة اخبارا لمبتدا محذوف ويجوز ان تكون الثلاثة اخبارا لقوله هو الذي يريكم اياته قال الزمخشري ثلاثة اخبار يجوز ان تكون
مترتبة على قوله هو الذي يريكم اياته واخبار مبتدا محذوف وهي مختلفة تعريفا وتنكيرا قال شهاب الدين اما الاول ففيه طول
الفصل وتعدد الاخبار وليست في معنى خبر واحد واما الثاني ففيه تعدد الاخبار وليست في معنى خبر واحد وهي مسئلة خلاف ولا
يجوز ان يكون ذو العرش صفة لرفيع الدرجات ان جعلناه صفة مشبهة اما اذا جعلناه مثال مبالغة اي يرفع درجات المومنين فيجوز ذلك
على ان تجعل اضافته محضة وكذلك عند من يجوز تمحض اضافة الصفة المشبهة ايضا وقد تقدم وقري رفيع بالنصب على المدح فصل
لما ذكر من صفات كبريائه كونه مظهرا للايات منزلا للارزاق ذكر في هذه الاية ثلاثة اخرى من صفات الجلال والعظمة وهو قوله رفيع الدرجات
وهذا يحتمل ان يكون المراد منه الرافع وان يكون المراد منه المرتفع فان حملناه على الاول ففيه وجوه الاول انه تعالى يرفع درجات الانبياء
والاولياء في الجنة والثاني يرفع درجات الخلق في العلوم والاخلاق الفاضلة فجعل لكل احد من الملايكة درجة معينة كما قال وما منا الا له
مقام معلوم وجعل لكل واحد من العلماء درجة معينة فقال يرفع الله الذين امنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات وعين لكل جسم درجة
معينة فجعل بعضها سفلية كدرة وبعضها فلكية كوكبية وبعضها من جواهر العرش والكرسي وايضا جعل لكل واحد مرتبة معينة في الخلق
والخلق والرزق والاجل فقال هو الذي جعلكم خلايف الارض ورفع بعضكم فوق بعض درجات وجعل لكل احد من السعداء والاشقياء درجة
في الدنيا معينة من موجبات السعادة وموجبات الشقاوة وفي الاخرة تظهر تلك الاثار وان حملنا الرفيع على المرتفع فهو سبحانه ارفع الموجودات
في جميع صفات الكمال والجلال قوله تعالى ذو العرش اي خالقه ومالكه ومدبره قوله تعالى يلقي الروح اي ينزل الوحي سماه روحا
لانه يحيي به القلوب كما يحيي الابدان بالارواح قوله تعالى من امره متعلق بيلقي ومن لابتداء الغاية ويجوز ان يكون متعلقا بمحذوف
على انه حال من الروح فصل قال ابن عباس معنى من امره اي من قضائه وقيل من قوله وقال مقاتل بامره على من يشاء من عباده
قوله تعالى لينذر العامة على بنائه للفاعل ونصب يوم اما على الظرفية والمنذر به محذوف تقديره لينذر العذاب يوم التلاق واما على المفعول
به اتساعا في الظرف وقرا ابي وجماعة كذلك الا انه رفع اليوم على الفاعلية مجازا اي لينذر الناس العذاب يوم التلاق وقرا الحسن واليماني
لتنذر بالتاء من فوق وفيه وجهان احدهما انه ضمير الفاعل ضمير المخاطب وهو الرسول صلى الله عليه وسلم والثاني ان الفاعل ضمير الروح
فانها مونثة على راي وقرا اليماني ايضا لينذر مبنيا للمفعول يوم بالرفع وهي تويد نصبه في قراءة الجمهور على المفعول به اتساعا واثبت
ياء التلاق وصلا ووقفا ابن كثير واثبتها في الوقف دون الوصل من غير خلاف ورش وحذفها الباقون وصلا ووقفا الا قالون
فانه روي عنه وجهان كحكم ورش وكذلك هذا الخلاف بعينه جار في يوم التناد وقد تقدم توجيه هذين الوجهين
في الرعد في قوله الكبير المتعال قوله تعالى يوم هم بارزون في يوم اربعة اوجه احدها انه بدل من يوم التلاق بدل كل الثاني
ان ينتصب بالتلاق اي يقع التلاقي في يوم بروزهم الثالث ان ينتصب بقوله لا يخفى على الله ذكره ابن عطية وهذا على احد الاقوال الثلاثة
في لا هل يعمل ما بعدها فيما قبلها ثالثها التفصيل بين ان يقع جواب قسم فيمتنع او لا فيجوز وهذا على قول ابن من هذه الاقوال الرابع ان
ينتصب باضمار اذكر ويوم ظرف مستقبل كاذا وسيبويه لا يرى اضافة الظرف المستقبل الى الجمل الاسمية والاخفش يراه ولذلك قدر سيبويه
في قوله اذا السماء انشقت ونحوه فعلا قبل الاسم والاخفش لم يقدره وعلى هذا فظاهر الاية مع الاخفش ويجاب عن سيبويه بان هم
ليس مبتدا بل مرفوعا بفعل محذوف يفسره اسم الفاعل اي يوم برزوا ويكون بارزون خبر مبتدا مضمر فلما حذف الفعل انفصل
الضمير فبقي كما ترى وهذا كما قالوا في قوله • لو بغير الماء حلقي شرق • كنت كالغصان بالماء اعتصاري • في ان حلقي مرفوع بفعل يفسره
شرق لان لو لا يليها الا الافعال وكذا قوله • فهلا نفس ليلى شفيعها • لان هلا لا يليها الا الافعال فالمفسر في هذه المواضع اسماء مشتقة
وهو نظير ايا زيدا ضاربه من حيث التفسير وحركة يوم هم حركة اعراب على المشهور ومنهم من جوز بناءها لظرف وان اضيفا الى فعل مضارع
او جملة اسمية وهم الكوفيون وقد وهم بعضهم فحتم بناء الظرف المضاف الى الجملة الاسمية وقد نقلوا انه لا يبنى عند البصريين
الا ما اضيف الى فعل ماض كقوله • على حين عاتبت • وتقدم هذا مستوفى في اخر المائدة وكتبوا يوم هم هنا وفي الذاريات منفصلا
وهو الاصل قوله تعالى لا يخفى يجوز ان تكون مستانفة وان تكون حالا من ضمير بارزون وان يكون خبرا ثانيا فصل قال
بعض المفسرين يوم التلاق هو يوم يلتقي اهل السماء واهل الارض وقال قتادة ومقاتل يلتقي الخلق والخالق وقال ابن زيد يتلاقى العباد

وقال ميمون بن مهران يلتقي الظالم والمظلوم وقيل يلتقي العابدون والمعبودون وقيل يلتقي فيه المرء مع عمله وقيل يلتقي الأرواح بالأجساد مع مفارقتها إياها يوم هم بارزون خارجون من قبورهم وقيل ظاهرون لا يسترهم شيء من جبل أو أكمة وقيل بارزون خارجون من قبورهم وقيل بارزون كناية عن ظهور أعمالهم وانكشاف أسرارهم كما قال تعالى يوم تبلى السرائر لا يخفى على الله منهم شيء أي من أعمالهم وأحوالهم شيء ويقول الله في ذلك اليوم بعد فناء الخلق لمن الملك اليوم فلا يجيبه أحد فيجيب نفسه فيقول لله الواحد القهار الذي قهر الخلق بالموت فإن قيل الله تعالى لا يخفى عليه منهم شيء في جميع الأيام فما معنى تقييد هذا العلم بذلك اليوم فالجواب أنهم كانوا يتوهمون في الدنيا أنهم إذا استتروا بالحيطان والحجب أن الله لا يراهم ويخفى عليه أعمالهم فهم في ذلك اليوم صائرون من البروز والانكشاف إلى حال لا يتوهمون فيها مثل ما يتوهمونه في الدنيا كما قال تعالى ولكن ظننتم أن الله لا يعلم كثيرا مما تعملون وقال تعالى يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله وهو معهم وهو معنى قوله وبرزوا لله الواحد القهار **فصل** قال المفسرون إذا هلك كل من في السموات ومن في الأرض فيقول الرب تعالى لمن الملك اليوم يعني يوم القيمة فلا يجيبه أحد فهو تعالى يجيب نفسه فيقول لله الواحد القهار قال ابن الخطيب قال أهل الأصول هذا القول ضعيف من وجوه الأول أنه تعالى بين أن هذا النداء إنما يحصل يوم التلاق يوم هم بارزون ويوم تجزى كل نفس ما كسبت والناس في ذلك الوقت أحياء فبطل قولهم إن الله تعالى إنما ينادي هذا النداء حين يهلك كل من في السموات ومن في الأرض الثاني أن الكلام لا بد فيه من فائدة لأن الكلام إما أن يذكر حال حضور الغير أو حال ما لا يحضر الغير والأول باطل ههنا لأن القوم قالوا إنه تعالى إنما يذكر هذا الكلام عند فناء الكل والثاني أيضا باطل لأن الرجل إنما يحسن تكلمه حال كونه وحده إما لأن يحفظ به شيئا كتكريره على الدرس وذلك على الله تعالى محال أو لأجل أنه يتعبد الله بذلك الذكر وذلك أيضا على الله تعالى محال فثبت أن قولهم إن الله تعالى يذكر هذا النداء حال هلاك جميع المخلوقات باطل وقال بعض المفسرين إنه في يوم التلاق إذا حضر الأولون والآخرون وبرزوا لله نادى مناد لمن الملك اليوم فيقول كل الحاضرين في محفل القيمة لله الواحد القهار فالمؤمنون يقولونه تلذذا بهذا الكلام حيث نالوا بهذا الذكر المنزلة الرفيعة والكفار يقولونه تحسرا وصغارا وندامة على تفويتهم هذا الذكر في الدنيا وقال القائلون بهذا القول إن صح القول الأول عن ابن عباس رضي الله عنهما أن هذا النداء بعد هلاك البشر لم يمتنع أن يكون هناك ملائكة يسمعون ذلك النداء ويجيبون بقولهم لله الواحد القهار قال ابن الخطيب وأيضا على هذا القول لا يبعد أن يكون السائل والمجيب هو الله تعالى ولا يبعد أيضا أن يكون السائل جمع من الملائكة والمجيب جمع آخرون وليس على التعيين دليل **قوله تعالى** اليوم تجزى كل نفس بما كسبت يجزي المحسنين بإحسانه والمسيئين بإساءته لا ظلم اليوم إن الله سريع الحساب **قوله تعالى** وأنذرهم يوم الآزفة الآية والمقصود بها وصف يوم القيمة ويوم الآزفة يجوز أن يكون مفعولا به اتساعا وأن يكون ظرفا والمفعول محذوف والآزفة فاعلة من أزف الأمر إذا دنا وحضر كقوله في صفة القيمة أزفت الآزفة أي قربت قال النابغة • أزف الترحل غير أن ركابنا • لما تزل برحالنا وكأن قد • وقال كعب بن زهير • بان الشباب وهذا الشيب قد أزفا • ولا أرى لشباب ذاهب خلفا • وقال الراغب أزف وأفد يتقاربان لكن أزف يقال اعتبارا بضيق وقتها ويقال أزف الشخوص والأزف ضيق الوقت قال شهاب الدين فجعل بينهما فرقا ويروى بيت النابغة أفد والآزفة صفة لمحذوف فيجوز أن يكون التقدير الساعة الآزفة أو الطامة الآزفة وقوله إذ القلوب بدل من يوم الآزفة أو من هم في أنذرهم بدل اشتمال **فصل** المقصود من الآية التنبيه على أن يوم القيمة قريب ونظيره قوله تعالى اقتربت الساعة قال الزجاج إنما قيل لها آزفة لأنها قريبة وإن استبعد الناس مداها وما هو كائن فهو قريب واعلم أن الآزفة نعت لمحذوف مؤنث فقيل يوم القيمة الآزفة أو يوم المجازاة الآزفة قال القفال وأسماء القيمة تجري على التأنيث كالطامة والحاقة ونحوهما فإنها ترجع معناها على الداهية وقيل المراد بيوم الآزفة مشارفتهم دخول النار فإن عند ذلك ترتفع قلوبهم عن مقارها من شدة الخوف وقال أبو مسلم يوم الآزفة يوم حضور الأجل لأنه تعالى وصف يوم القيمة بأنه يوم التلاق ويوم هم بارزون ثم قال بعده وأنذرهم يوم الآزفة فوجب أن يكون هذا اليوم غير ذلك اليوم وأيضا فهذه الصفة مخصوصة في سائر الآيات بيوم الموت قال تعالى فلولا إذا بلغت الحلقوم وقال كلا إذا بلغت التراقي وأيضا فوصف يوم الموت بالقرب أولى من وصف يوم القيمة بالقرب وأيضا فالصفات المذكورة بعد قوله يوم الآزفة لائقة بيوم حضور المنية لأن الرجل عند معاينة ملائكة العذاب تعظم فزعته فكأن قلوبهم تبلغ حناجرهم من شدة الخوف ويبقوا كاظمين ساكتين عن ذكر ما في قلوبهم من شدة الخوف ولا يكون لهم من حميم ولا شفيع يدفع ما بهم من أنواع الخوف والقلق **قوله تعالى** كاظمين نصب على الحال واختلفوا في صاحبها والعامل فيها فقال الحوفي القلوب مبتدأ ولدى الحناجر خبر وكاظمين حال من الضمير المستكن فيه قال شهاب الدين ولا بد من جواب عن جمع القلوب جمع من يعقل فقال كاظمين وهو أن يكون لما أسند إليهم ما يسند للعقلاء جمعت جمعه كقوله تعالى رأيتهم لي ساجدين فظلت أعناقهم لها خاضعين ويعضده قراءة من قرأ كاظمون الثاني أنها حال من القلوب وفيه السؤال والجواب المتقدمان والمعنى أن القلوب كاظمة على كرب وغم مع بلوغها الحناجر الثالث أنه حال من أصحاب القلوب قال الزمخشري هو حال من أصحاب القلوب على المعنى إذ المعنى إذ قلوبهم لدى الحناجر كاظمين عليها قال شهاب الدين فكأنه في قوة أن جعل أل عوضا من الضمير في حناجرهم الرابع أن يكون حالا من هم في أنذرهم ويكون حالا مقدرة لأنهم وقت الإنذار غير كاظمين وقال ابن عطية كاظمين حال مما أبدل منه إذ القلوب أو مما تضاف إليه القلوب إذ المراد إذ قلوب الناس لدى حناجرهم وهذا كقوله تخشع فيه الأبصار

أراد تخشع فيه أبصارهم قال شهاب الدين ظاهر قوله أنه حال مما أبدل منه قوله إذ القلوب مشكل لأنه أبدل من قوله يوم الآزفة وهذا لا يصح البتة وإنما يريد بذلك على الوجه الثاني وهو أن يكون بدلا من هم في أنذرهم بدل اشتمال وحينئذ يصح وقد تقدم الكلام على الكظم والحناجر في آل عمران والأحزاب **فصل** قيل المراد بقوله إذ القلوب لدى الحناجر كاظمين شدة الخوف والفزع ونظيره قوله وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا وقال فلولا إذا بلغت الحلقوم وأنتم حينئذ تنظرون وقال الحسن القلوب تنتزع من الصدور لشدة الخوف وبلغت القلوب الحناجر فلا هي تخرج فيموتوا ولا ترجع إلى مواضعها فيتنفسوا ويتروحوا وقوله كاظمين أي مكروبين والكاظم الساكت حال امتلائه غما وغيظا والمعنى أنهم لا يمكنهم أن ينطقوا وأن يشرحوا ما عندهم من الحزن والخوف وذلك يوجب مزيد القلق والاضطراب **قوله تعالى** ما للظالمين من حميم قريب ينفعهم ولا شفيع يطاع فيشفع لهم وقوله يطاع يجوز أن يحكم على موضعه بالجر نعتا على اللفظ وبالرفع نعتا على المحل لأنه معطوف على المجرور بمن المزيدة وقوله ولا شفيع يطاع من باب على لاحب لا يهتدى بمناره أي لا شفيع فلا طاعة أو ثم شفيع ولكن لا يطاع **فصل** احتجت المعتزلة بهذه الآية في نفي الشفاعة عن المذنبين فقالوا نفى حصول شفيع لهم يطاع فوجب أن لا يحصل لهم هذا الشفيع وأجيبوا بوجوه الأول أنه تعالى نفى أن يحصل لهم شفيع يطاع وهذا لا يدل على نفي الشفيع كقولك ما عندي كتاب يباع فيقتضي نفي كتاب يباع ولا يقتضي نفي الكتاب قال الشاعر • ولا ترى الضب بها ينجحر • ولفظ الطاعة يقتضي حصول المرتبة فهذا يدل على أنه ليس لهم يوم القيمة شفيع يطيعه الله لأنه ليس في الوجود أحد أعلى حالا من الله تعالى حتى يقال إن الله تعالى يطيعه الثاني أن المراد بالظالمين ههنا الكفار لأن هذه الآية وردت في زجر الكفار وقال تعالى إن الشرك لظلم عظيم الثالث أن لفظ الظالمين إما أن يفيد الاستغراق أو لا يفيد الاستغراق فإن كان المراد من الظالمين مجموعهم فيدخل في هذا المجموع الكفار وعندنا أنه ليس لهذا المجموع شفيع لأن بعض هذا المجموع هم الكفار وليس لهم شفيع فحينئذ لا يكون لهذا المجموع شفيع وإن لم يفد الاستغراق كان المراد من الظالمين بعض الموصوفين بهذه الصفة ليس لهم شفيع وهم الكفار أجاب المعتزلة عن الأول فقالوا يجب حمل كلام الله تعالى على محمل مفيد وكل أحد يعلم أنه ليس في الوجود شيء يطيعه الله لأن المطيع أدون حالا من المطاع وليس في الوجود أعلى درجة من الله حتى يقال إن الله يطيعه وإذا كان هذا المعنى معلوما بالضرورة كان حمل الآية عليه إخراجا لها من الفائدة فوجب حمل الطاعة على الإجابة ويدل على أن لفظ الطاعة بمعنى الإجابة قول الشاعر • رب من أنضجت غيظا صدره • قد تمنى لي موتا لم يطع • وعن الثاني بأن لفظ الظالمين صيغة جمع دخل عليها حرف التعريف فتفيد العموم أقصى ما في الباب أن هذه الآية وردت لذم الكفار لأن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب وعن الثالث أن قوله ما للظالمين من حميم يفيد أن كل واحد من الظالمين محكوم عليه بأنه ليس له حميم ولا شفيع يطاع وأجيبوا عن الأول بأن القوم كانوا يقولون في الأصنام إنها شفعاء وهم عند الله وكانوا يقولون إنها تشفع لهم عند الله من غير حاجة إلى إذن فلهذا السبب رد الله تعالى عليهم ذلك بقوله من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه فهذا يدل على أن القوم اعتقدوا أنه يجب على الله تعالى إجابة تلك الأصنام في الشفاعة وهذا نوع طاعة فالله تعالى نفى تلك الطاعة بقوله ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع وعن الثاني بأن قالوا الأصل في حرف التعريف أن ينصرف إلى المعهود السابق فإذا دخل حرف التعريف على صيغة الجمع وكان هناك معهود سابق انصرف إليه وقد حصل في هذه الآية معهود سابق وهم الكفار الذين يجادلون في آيات الله فوجب أن ينصرف إليهم وعن الثالث بأن قالوا قوله ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع يحتمل عموم السلب ويحتمل سلب العموم أما الأول فعلى تقدير أن يكون المعنى أن كل واحد من الظالمين محكوم عليه بأنه ليس له حميم ولا شفيع وأما الثاني فعلى تقدير أن يكون مجموع الظالمين ليس له حميم ولا شفيع ولا يلزم من نفي الحكم عن المجموع نفيه عن كل واحد من آحاد ذلك المجموع ويؤيد ما ذكرناه قوله تعالى إن الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون وقوله إن الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون فإن حملناه على أن كل واحد منهم محكوم عليه بأنه لا يؤمن لزم وقوع الخلف في كلام الله تعالى لأن كثيرا ممن كفر قد آمن بعد ذلك أما لو حملناه على مجموع الذين كفروا لا يؤمنون سواء آمن بعضهم أو لم يؤمن صدق وتخلص عن الخلف فلا جرم حملنا هذه الآية على سلب العموم لا على عموم السلب وحينئذ يسقط استدلال المعتزلة بهذه الآية **قوله تعالى** يعلم خائنة الأعين فيه أربعة أوجه أظهرها أنه خبر آخر عن هو في قوله هو الذي يريكم آياته قال الزمخشري فإن قلت بم اتصل قوله يعلم خائنة الأعين قلت هو خبر من أخبار هو في قوله هو الذي يريكم مثل يلقي الروح ولكن يلقي الروح قد علل بقوله لينذر ثم استطرد لذكر أحوال يوم التلاق إلى قوله ولا شفيع يطاع فبعد لذلك عن إخوانه الثاني أنه متصل بقوله وأنذرهم لما أمر بإنذاره يوم الآزفة وما يعرض فيه من شدة الغم والكرب وأن الظالم لا يجد من يحميه ولا شفيع له ذكر اطلاعه على جميع ما يصدر من الخلق سرا وجهرا والمعنى أنه تعالى عالم لا يخفى عليه مثقال ذرة في السموات والأرض والحاكم إذا بلغ في العدل إلى هذا الحد كان خوف المذنب شديدا جدا وعلى هذا فهذه الجملة لا محل لها لأنها في قوة التعليل للأمر بالإنذار الثالث أنها متصلة بقوله سريع الحساب الرابع أنها متصلة بقوله لا يخفى على الله وعلى هذين الوجهين فيحتمل أن تكون جارية مجرى العلة وأن تكون في محل نصب على الحال **قوله تعالى** خائنة الأعين فيه وجهان أحدهما أنها مصدر بمعنى الخيانة كالعافية بمعنى المعافاة والعاقبة أي يعلم خائنة الأعين أي استراق النظر إلى ما لا يحل كما يفعل أهل الريب والثاني أنها صفة على بابها وهو من باب إضافة الصفة للموصوف والأصل الأعين الخائنة كقوله • وإن سقيت كرام الناس فاسقينا • وقدره الزمخشري وقال الأعين

ان يراد الخائنة من الاعين الآن قوله وما تخفي الصدور لا يساعد عليه يعني انه لا يناسب ان يقابل المعنى الا بالمعنى وفيه نظر اذ لقائل ان
يقول لا نسلم ان ما في قوله وما تخفي الصدور مصدرية حتى يلزم ما ذكره بل يجوز ان تكون بمعنى الذي وهو عبارة عن نفس ذلك الشيء الخفي
فيكون قد قابل الاسم عن المصدر بمثله والمراد بقوله وما تخفي الصدور اي تضمر القلوب واعلم ان الافعال قسمان افعال الجوارح وافعال
القلوب اما افعال الجوارح فاخفاها خائنة الاعين والله عالم بها فكيف الحال في سائر الاعمال واما افعال القلوب فهي معلومة لله تعالى
لقوله وما تخفي الصدور فدل هذا على كونه عالما بجميع افعالهم **قوله تعالى** والله يقضي بالحق وهذا ايضا يوجب عظم الخوف لان الحاكم
اذا كان عالما بجميع الاحوال وثبت انه لا يقضي الا بالحق في كل ما دق وجل كان خوف المذنب منه في الغاية القصوى **قوله تعالى** والذين
يدعون قرا نافع وهشام تدعون بالخطاب للمشركين والباقون بالغيبة اخبارا عنهم بذلك واعلم ان الكفار انما عولوا في دفع العقاب
عن انفسهم على شفاعة هذه الاصنام فبين الله تعالى انه لا فائدة فيها البتة فقال والذين يدعون من دونه لا يقضون بشيء ثم قال ان الله
هو السميع البصير اي يسمع من الكفار ثناءهم على الاصنام ولا يسمع ثناءهم على الله ويبصر خضوعهم وسجودهم لها للاوثان ولا يبصر
خضوعهم وتواضعهم لله ولما بالغ في تخويفهم باحوال الآخرة اردفه ببيان تخويفهم باحوال الدنيا فقال اولم يسيروا في الارض فينظروا
كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم والمعنى ان العاقل من اعتبر بغيره فان الذين مضوا من الكفار كانوا اشد قوة من هؤلاء الحاضرين من الكفار
وآثارا في الارض اي حصونهم وقصورهم وعساكرهم فلما كذبوا رسلهم اهلكهم الله عاجلا حتى ان هؤلاء الجاحدين من الكفار شاهدوا
تلك الآثار فحذرهم الله تعالى من مثل ذلك وقال وما لهم من الله من واق اي لما نزل العذاب بهم لم يجدوا معينا يخلصهم **قوله تعالى** فينظروا
يجوز ان يكون منصوبا في جواب الاستفهام وان يكون مجزوما نسقا على ما قبله كقوله • الم تسال فتخبرك الرسوم • رواه بعضهم بالجزم والنصب
قوله تعالى منهم قوة قرا ابن عامر منكم على سبيل الالتفات وكذلك هو في مصاحفهم والباقون منهم بضمير الغيبة جريا على ما سبق من الضماير الغائبة
قوله تعالى وآثارا عطف على قوة وقوله وتنحتون من الجبال بيوتا آمنين وجعله الزمخشري منصوبا بمقدر قال • او اراد واكثر آثارا • كقوله
قد غدا متقلدا سيفا ورمحا • ولا حاجة الى هذا مع الاستغناء عنه **قوله تعالى** ذلك اي ذلك العذاب الذي نزل بهم بانهم كانت تاتيهم
رسلهم بالبينات فكفروا فاخذهم الله انه قوي شديد العقاب وهذا مبالغة في التحذير والتخويف **قوله تعالى** ولقد ارسلنا موسى بآياتنا
لما سلى رسوله بذكر الكفار الذين كذبوا الانبياء قبله ومشاهدة آثارهم سلاه ايضا بذكر قصة موسى عليه السلام وانه مع قوته ومعجزته
بعثه الى فرعون وهامان وقارون فكذبوه وقالوا ساحر كذاب فلما جاءهم بالحق من عندنا اي بتلك الآيات الباهرة والسلطان المبين
وهو المعجزات القاهرة قالوا يعني فرعون وقومه اقتلوا ابناء الذين آمنوا معه قال قتادة هذا غير القتل الاول لان فرعون كان قد امسك
عن قتل الولدان فلما بعث موسى اعاد القتل عليهم فمعناه اعيدوا عليهم القتل لئلا ينشؤا على دين موسى فيقوى بهم وهذه العلة مختصة بالبنين
دون البنات فلهذا امر بقتل الابناء واستحيوا نساءهم ليصدوهم بذلك عن متابعة موسى ومظاهرته ثم قال وما كيد الكافرين اي وما مكر
فرعون وقومه واحتيالهم الا في ضلال اي يذهب كيدهم باطلا ويحيق بهم ما يريده الله عز وجل **قوله تعالى** وقال فرعون ذروني
اقتل موسى اي قال فرعون للملأ ذروني اقتل موسى فتح ابن كثير ياء ذروني وسكنها الباقون وانما قال فرعون ذلك لانه كان في خاصة
قوم فرعون من يمنعه من قتل موسى وفي منعهم من قتله احتمالان الاول انهم منعوه من قتله لوجوه اولها لعله كان فيهم من يعتقد بقلبه
كون موسى صادقا فيتحيل في منع فرعون من قتله وثانيها قال الحسن ان اصحابه قالوا له لا تقتله فانما هو ساحر ضعيف ولا يمكن ان يغلب
سحرتنا وان قتلته ادخلت الشبهة على الناس ويقولوا انه كان محقا وعجزوا عن جوابه فقتلوه وثالثها انهم كانوا يحتالون في منعه من قتله
لاجل ان يبقى فرعون مشغول القلب بموسى فلا يتفرغ لتاديب اولئك الاقوام لان من شان الامراء ان يشغلوا قلب ملكهم بخصم خارجي حتى
يصيروا آمنين من قلب ذلك الملك الاحتمال الثاني ان احدا ما منع فرعون من قتل موسى وانه كان يريد قتله الا انه كان خائفا من انه لو حاول
قتله لظهرت معجزات ظاهرات تمنعه من قتله فيفتضح لانه قال ذروني اقتل موسى وغرضه منه اخفاء خوفه **قوله تعالى** وليدع ربه
اي وليدع موسى ربه الذي يزعم انه ارسله الينا فيمنعه منا ذكر ذلك استهزاء **قوله تعالى** اني اخاف ان يبدل دينكم وان يظهر في الارض
الفساد قرا الكوفيون ويعقوب او ان باو التي للابهام ومعناه انه لا بد من وقوع احد الامرين والباقون بواو النسق على تسلط الخوف
على التبديل وظهور الفساد معا وفتح نافع وابن كثير وابو عمرو الياء من اني اخاف وقرا نافع وابو عمرو وحفص يظهر بضم الياء وكسر الهاء من
اظهر وفاعله ضمير موسى عليه السلام الفساد نصبا على المفعول به والباقون بفتح الياء والهاء من ظهر الفساد رفعا بالفاعلية وزيد بن علي
يظهر مبنيا للمفعول الفساد مرفوع لقيامه مقام الفاعل ومجاهد يظهر بتشديد الظاء والهاء واصلها يتظهر من تظهر بتشديد الهاء
فادغم التاء في الظاء الفساد رفع على الفاعلية **فصل** ذكر فرعون السبب الذي لاجله اعتقدوا ان الدين الصحيح هو دينهم الذي
كانوا عليه فلما كان موسى ساعيا في افساده اعتقدوا انه ساع في افساد الدين الحق واما فساد الدنيا فهو انه لا بد وان يجتمع عليه
قوم ويصير ذلك سببا لوقوع الخصومات واثارة الفتن والملك يحب الناس للاديان فوق حبهم لاموالهم لا جرم بدأ فرعون
بذكر الدين فقال اني اخاف ان يبدل دينكم ثم اتبعه بذكر فساد الدنيا فقال وان يظهر في الارض الفساد **قوله تعالى** وقال موسى
اني عذت قرا نافع وابو عمرو وحمزة والكسائي عذت بادغام الذال في التاء والباقون بالاظهار وقوله لا يؤمن صفة لمتكبر **فصل**

فرعون موسى بالقتل لم ياتي في دفع شره الا بان استعاذ بالله واعتمد على فضل الله فلا جرم صانه الله وحفظه منه واعلم ان الموجب
للاقدام على ايذاء الناس امران احدهما كون الانسان متكبرا قاسي القلب والثاني كونه منكر البعث والقيامة لان المتكبر القاسي القلب قد
يحمله طبعه على ايذاء الناس الا انه اذا كان مقرا بالبعث والحساب صار خوفه من الحساب مانعا له من الجري على موجب تكبره فاذا لم
يحصل له الايمان بالبعث والقيامة كان طبعه داعيا له الى الايذاء والمانع وهو الخوف من السؤال والحساب زائل فلا جرم تحصل القسوة
والايذاء **قوله تعالى** وقال رجل مؤمن من آل فرعون اختلفوا في هذا المؤمن قال مقاتل والسدي كان قبطيا ابن عم فرعون وهو الذي
حكى الله عنه وجاء رجل من اقصى المدينة يسعى وقيل كان اسرائيليا روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الصديقون حبيب النجار
مؤمن آل يس ومؤمن آل فرعون الذي قال اتقتلون رجلا ان يقول ربي الله والثالث ابو بكر الصديق وهو افضلهم وعن جعفر بن محمد
انه قال كان ابو بكر خيرا من مؤمن آل فرعون لانه كان يكتم ايمانه وقال ابو بكر جهارا اتقتلون رجلا ان يقول ربي الله وكان ذلك سرا
وهذا جهرا روي عروة بن الزبير قال قلت لعبد الله بن عمرو بن العاص اخبرني باشد ما صنعه المشركون برسول الله صلى الله عليه وسلم
قال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي بفناء الكعبة اذ اقبل عقبة بن ابي معيط فاخذ بمنكب رسول الله صلى الله عليه وسلم فلوى
ثوبه في عنقه فخنقه خنقا شديدا فاقبل ابو بكر فاخذ بمنكبه ودفع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال اتقتلون رجلا ان يقول
ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم قال ابن عباس واكثر العلماء كان اسم الرجل حزقيل وقال ابن اسحق جبريل وقيل حبيب **قوله تعالى** رجل
مؤمن الاكثرون قراوا بضم الجيم وقرئ رجل بكسر الجيم كما يقال عضد في عضد وقرا الاعمش وعبد الوارث بتسكينها وهي لغة تميم ونجد
والاولى هي الفصحى **قوله تعالى** من آل فرعون يحتمل ان يكون متعلقا بيكتم بعده اي يكتم ايمانه من آل فرعون قيل هذا الاحتمال غير جائز لانه لا يقال
كتمت من فلان كذا انما يقال كتمته كذا قال تعالى ولا يكتمون الله حديثا بل الظاهر تعلقه بمحذوف صفة لرجل قال ابن الخطيب يجوز ان يكون
متعلقا بقوله مؤمن وان كان ذلك المؤمن شخصا من آل فرعون فالتشبه بالدين وجاء هنا على احسن ترتيب حيث قدم المفرد ثم ما يقرب
منه وهو حرف الجر ثم الجملة وقد تقدم ايضاح هذه المسئلة في المائدة وغيرها ويترتب على الوجهين هل كان هذا الرجل من قرابة فرعون
فعلى الاول لا دليل فيه وعلى الثاني فيه دليل وقد رد بعضهم الاول بما تقدم وانه لا يقال كتمت من فلان كذا انما يقال كتمت فلانا كذا
فيتعدى لاثنين بنفسه قال تعالى ولا يكتمون الله حديثا وقال الشاعر • كتمت همًا بالحي من ساهر • وهمين هما مستكنا وظاهرا •
احاديث نفس تشتكي ما يريبها • وورد هموم لن يجدن مصادرا • اي لحادث نفس وهمين فقدم المعطوف على المعطوف عليه ومحله الشعر
قوله تعالى ان يقول ربي الله اي كراهة ان يقول او لان يقول وقال الزمخشري ولك ان تقدر مضافا محذوفا اي وقت ان يقول والمعنى
اتقتلونه ساعة سمعتم منه هذا القول من غير روية ولا فكر وهذا الذي اجازه رده ابو حيان بان تقدير هذا الوقت لا يجوز الا
مع المصدر المصرح به نحو جئتك صياح الديك اي وقت صياحه ولو قلت جئتك ان صاح الديك او ان يصيح لم يجز نص عليه النحويون
قوله تعالى وقد جاءكم جملة حالية يجوز ان يكون من المفعول فان قيل هي نكرة فالجواب انه في حيز الاستفهام وكل ما سوغ الابتداء بالنكرة
سوغ انتصاب الحال عنها ويجوز ان يكون حالا من الفاعل **فصل** لما حكى الله تعالى عن موسى عليه السلام انه ما زاد في دفع مكر فرعون
وشره على الاستعاذة بالله بين انه تعالى قيض له انسانا اجنبيا حتى ذب عنه باحسن الوجوه وبالغ في تسكين تلك الفتنة فقال اتقتلون
رجلا ان يقول ربي الله وهذا استفهام على سبيل الانكار وذكر في هذا الكلام ما يدل على حسن ذلك الانكار وذلك لانه ما زاد على ان قال ربي
الله وجاء بالبينات وذلك لا يوجب القتل البتة فقوله وقد جاءكم بالبينات من ربكم يحتمل وجهين الاول ان قوله ربي الله اشارة الى التوحيد
وقوله وقد جاءكم بالبينات من ربكم اشارة الى تقرير النبوة باظهار المعجزة الثاني ان قوله ربي الله اشارة الى التوحيد وقوله وقد جاءكم
بالبينات من ربكم اشارة الى الدلائل الدالة على التوحيد ثم ذكر ذلك المؤمن حجة ثانية على ان الاقدام على قتله غير جائز وهي حجة مذكورة
على طريق التقسيم فقال ان كان هذا الرجل كاذبا كان وبال كذبه عائدا عليه فاتركوه وان كان صادقا يصبكم بعض الذي يعدكم
فعلى كلا التقديرين الاولى ابقاؤه حيا فان قيل الاشكال على هذا الدليل من وجهين الاول ان قوله فان يك كاذبا فعليه كذبه معناه ان
ضرر كذبه مقصور عليه ولا يتعداه وهذا الكلام فاسد لوجوه اولها انا لا نسلم ان بتقدير كونه كاذبا يكون ضرر كذبه مقصورا
عليه فلانه يدعو الناس الى ذلك الدين الباطل ويغتر به جماعة ويقعون في المذهب الباطل والاعتقاد الفاسد ثم يقع بينهم وبين
غيرهم الخصومات الكثيرة فثبت ان بتقدير كونه كاذبا لم يكن ضرر كذبه مقصورا عليه بل يكون متعديا الى الكل ولهذا اجمع العلماء
على ان الزنديق الذي يدعو الناس الى زندقته يجب قتله وثانيها انه اذا كان الكلام حجة له فلا كذاب الا ويمكنه ان يتمسك بهذه الطريقة
فيمكن جميع الزنادقة والمبطلة من اديانهم الباطلة وثالثها ان الكفار الذين انكروا نبوة موسى عليه السلام يجب ان لا يجوز الانكار
عليهم لانه يقال ان كان ذلك المنكر كاذبا في ذلك الانكار فعليه كذبه وان يك صادقا فما انتفعتم بصدقه فثبت ان هذه
الطريق موجب صدقه وما افضى ثبوته الى عدم صدقه كان فاسدا الوجه الثاني كان من الواجب ان يقال وان يك صادقا يصبكم كل الذي
يعدكم لان الذي يصيب من بعض الذي يعد دون البعض هم الكهان والمنجمون اما الرسول الصادق الذي لا يتكلم الا بالوحي فانه
يجب ان يكون صادقا في كل ما يقول فكان قوله يصبكم بعض الذي يعدكم غير لائق بهذا المقام والجواب عن الاسولة الثلاثة بان تقدير

ن
بسكون

الكلام ان يقال انه لا حاجة بكم في دفع شره الى قتله بل يكفيكم ان تمنعوه من اظهار هذه المقالة ثم يتركوا قتله فان كان كاذبا
فحينئذ لا يعود ضرره الا اليه وان كان صادقا فهاهنا انتفعتم به فالمقصود من ذلك التقسيم انه لا حاجة بكم الى قتله بل يكفيكم ان تعرضوا
عنه وان تمنعوه من اظهار دينه واما الجواب عن الوجه الثاني وهو قوله كان الاولى ان يقال يصيبكم كل الذي يعدكم فهو من وجوه
الاول ان مدار هذا الاستدلال على اظهار الانصاف وترك اللجاج لان المقصود منه انه ان كان كاذبا كان ضرر كذبه مقصورا عليه وان
كان صادقا فلا اقل من ان يصيبكم بعض ما يعدكم واذا كان المقصود من الكلام هذا صح ونظيره قوله وانا او اياكم لعلى هدى او في
ضلال مبين الثاني انه عليه السلام كان يتوعدهم بعذاب الدنيا وبعذاب الآخرة فاذا وصل اليهم في الدنيا عذاب الدنيا فقد اصابهم بعض
الذي وعدهم به الثالث قال الزمخشري بعض على بابها وانما قال ذلك ليهضمه موسى بعض حقه في ظاهر الكلام فيريهم انه ليس بكلام من
اعطاه حقه وافيا فضلا عن ان يتعصب له وهذا احسن من قول ابي عبيدة وغيره ان بعض بمعنى كل وانشدوا قول لبيد • قوله •
تراك امكنة اذا لم ارضها • او يرتبط بعض النفوس حمامها • وانشدوا ايضا قول عمرو بن شييم • قد يدرك المتأني بعض حاجته •
وقد يكون مع المستعجل الزلل • وقول الآخر • ان الامور اذا الاحداث دبرها • دون الشيوخ ترى في بعضها خللا • قال شهاب الدين
ولا ادري كيف فهموا الكل من البيتين الاخيرين واما الاول ففيه بعض دليل لان الموت يأتي على الكل قال ابن الخطيب والجمهور على ان هذا
القول خطأ قالوا واراد لبيد ببعض النفوس نفسه ومعنى البيت انه وصف نفسه بانه تراك امكنة اي كثير النزول في اماكن لا يرضاها الا
ان يرتبط نفسه الحمام وهو الموت وقال الليث بعض هاهنا صلة يريد يصيبكم الذي يعدكم ولما حكى الزمخشري قول ابي عبيدة ان بعض بمعنى كل
وانشد عنه بيت لبيد قال ان صحت الرواية عنه فقد حق فيه قول المازني في مسألة العلقى كان اجفى من ان يفقه ما اقول له قال شهاب الدين
ومسألة المازني معه هي ان ابا عبيدة قال للمازني ما اكذب النحويين يقولون هاء التأنيث لا تدخل على الف التأنيث وان الالف في علقى ملحقة
قال فقلت له وما انكرت من ذلك فقال سمعت رؤبة ينشد • يخط في علقى • فلم ينونها فقلت ما واحد علقى قال علقاة قال المازني فاسفت
ولم افسر له لانه كان اغلظ من ان يفهم مثل هذا قال شهاب الدين وانما استغلظه المازني لان الالف التي للالحاق تدخل عليها تاء التأنيث
نحو [illegible] وانما عدم تنوين علقى فلانه سمى بها شيئا بعينه والف الالحاق المقصورة حال العلمية تجري مجرى تاء التأنيث فيمنع
الاسم الذي هي فيه كما يمنع فاطمة وينصرف قائمة **قوله تعالى** ان الله لا يهدي من هو مسرف كذاب وفيه احتمالان الاول ان هذا
اشارة الى الرمز والتعريض بعلو شان موسى عليه السلام والمعنى ان الله تعالى هدى موسى الى الاتيان بالمعجزات الباهرة ومن هداه الى
الاتيان بالمعجزات لا يكون مسرفا كذابا فدل على ان موسى ليس من الكذابين الاحتمال الثاني ان يكون المراد ان فرعون مسرف في عزمه على
قتل موسى كذاب في ادعائه الالهية والله لا يهدي من هذا شانه وصفته بل يبطله ويهدم امره **قوله تعالى** يا قوم لكم الملك اليوم اعلم
ان مؤمن آل فرعون لما استدل على انه لا يجوز قتل موسى خوف فرعون وقومه ذلك العذاب الذي توعدهم به في قوله يصبكم بعض الذي
يعدكم فقال يا قوم لكم الملك اليوم ظاهرين في الارض اي ارض مصر يعني قد علوتم الناس وقهرتموهم فلا تفسدوا امركم على انفسكم ولا تعرضوا
لعذاب الله بالتكذيب وقتل النبي فانه لا مانع من عذاب الله ان حل بكم وانما قال ينصرنا وجاءنا لانه كان يظهر انه منهم وان الذي ينصحهم به
هو مشارك لهم فيه **قوله تعالى** ظاهرين حال من الضمير في لكم والعامل فيها وفي اليوم ما تعلق به لكم ولما قال المؤمن هذا الكلام قال
فرعون ما اريكم الا ما ارى هي من رؤية الاعتقاد فيتعدى لمفعولين ثانيهما الا ما ارى اي الا ما ارى لنفسي وقال الضحاك ما اعلمكم
الا ما اعلم **قوله تعالى** وما اهديكم الا سبيل الرشاد العامة على تخفيف الشين مصدر رشد يرشد وقرأ معاذ بن جبل بتشديدها وخرجها
ابو الفتح وغيره على انها صيغة مبالغة نحو ضرب فهو ضراب وقال النحاس هو لحن وتوهمه من الرباعي يعني ارشد ورد على النحاس قوله بانه
يحتمل ان يكون من رشد الثلاثي وهو الظاهر وقد جاء فعال ايضا من افعل وان كان لا ينقاس قالوا ادرك فهو دراك واجبر فهو جبار
واقصر فهو قصار واسار فهو سآر ويدل على انه صيغة مبالغة ان معاذا كان يفسرها بسبيل الله قال ابن عطية ويبعد عندي على معاذ
رضي الله عنه وهل كان فرعون يدعي الا الالهية ويقلق بناء اللفظ على هذا التركيب قال شهاب الدين يعني ابن عطية انه كيف يقول فرعون
ذلك فيفسر بانه من يهدي الى الرشاد غيره مع انه يدعي انه اله وهذا الذي عزاه ابن عطية والزمخشري وابن جبارة صاحب الكامل الى معاذ
ابن جبل من القراءة المذكورة ليس هو في الرشاد الذي هو في كلام فرعون كما توهموا وانما هو في الرشاد الثاني الذي هو من قول المؤمن
بعد ذلك ويدل على ذلك ما قال ابو الفضل الرازي في كتاب اللوامح معاذ بن جبل سبيل الرشاد الحرف الثاني بالتشديد وكذلك الحسن وهو
سبيل الله تعالى الذي اوضحه لعباده كذلك فسره معاذ وهو منقول من مرشد كدراك من مدرك وجبار من مجبر وقصار من مقصر عن الامر
ولها نظائر معدودة فاما قصار الثوب فهو من قصرت الثوب قصارة فعلى هذا يزول اشكال ابن عطية المتقدم ويتضح القراءة والتفسير
وقال ابو البقاء وهو الذي يكثر منه الارشاد او الرشد يعني انه يحتمل ان يكون من ارشد الرباعي او رشد الثلاثي والاولى ان يكون من الثلاثي
لما عرفت انه ينقاس دون الاول **قوله تعالى** يا قوم اني اخاف عليكم مثل يوم الاحزاب اعلم انه تعالى حكى عن ذلك المؤمن انه كان يكتم ايمانه
والذي يكتم ايمانه كيف يمكنه ان يذكر هذه الكلمات مع فرعون فلهذا السبب حصل هاهنا قولان الاول ان فرعون لما قال ذروني اقتل موسى
لم يصرح ذلك المؤمن بانه على دين موسى بل اوهم انه على دين فرعون الا انه زعم ان المصلحة تقتضي ترك قتل موسى لانه لم يصدر عنه الا الدعوة الى الله

والاتيان بالمعجزات القاهرة وهذا لا يوجب القتل فالاقدام على قتله يوجب الوقوع في السنة الناس بقبح الكلمات بل الاولى تاخير
قتله ومنعه من اظهار دينه لانه ان كان كاذبا فوبال كذبه عليه وان كان صادقا حصل الانتفاع به من بعض الوجوه ثم اكد ذلك بقوله
ان الله لا يهدي من هو مسرف كذاب يعني انه ان صدق فيما يدعيه من اثبات الاله القادر الحكيم فهو لا يهدي المسرف الكذاب فاوهم بقوله
ان الله لا يهدي من هو مسرف كذاب انه يريد به موسى وانما كان يقصد به فرعون لان المسرف الكذاب هو فرعون والقول الثاني ان مؤمن
آل فرعون كان يكتم ايمانه اولا فلما قال فرعون ذروني اقتل موسى ازال الكتمان واظهر انه على دين موسى وشافه فرعون بالحق وقال يا قوم اني
اخاف عليكم مثل يوم الاحزاب اي مثل ايام الاحزاب الا انه اضاف اليوم الى الاحزاب وفسرهم بقوم نوح وعاد وثمود وكان لكل حزب يوم في
العذاب فاقتصر من الجمع على ذكر الواحد لعدم الالتباس **قوله تعالى** مثل داب يجوز ان يكون مثل بدلا او ان يكون عطف بيان والمعنى مثل دابهم
في عملهم من الكفر والتكذيب وسائر المعاصي دائما لا يفترون عليه ولا بد من حذف مضاف يريد مثل جزاء دابهم والحاصل انه خوفهم
الهلاك في الدنيا ثم خوفهم هلاك الآخرة فقال وما الله يريد ظلما للعباد اي لا يهلكهم قبل اقامة الحجة عليهم والمقصود التنبيه على عذاب
الآخرة يعني ان تدمير اولئك الاحزاب كان عدلا لانهم استوجبوا بتكذيبهم الانبياء وتلك العلة قائمة هنا فوجب حصول الحكم هنا قالت
المعتزلة قوله وما الله يريد ظلما للعباد يدل على انه لا يريد ان يظلم العباد ولا يريد الظلم من احد من العباد البتة ولو خلق الكفر فيهم
ثم عذبهم على ذلك الكفر لكان ظالما واذا ثبت انه لا يريد الظلم البتة ثبت انه غير خالق لافعال العباد لانه لو خلقها لارادها وثبت ايضا
انه قادر على الظلم اذ لو لم يقدر عليه لما حصل التمدح بترك الظلم وهذا الاستدلال قد تقدم مرارا مع الجواب **قوله تعالى** ويا قوم
اني اخاف عليكم يوم التناد التنادي تفاعل من النداء يقال تنادى القوم اي نادى بعضهم بعضا والاصل الياء وقد تقدم الخلاف في يائه
كيف تحذف وتثبت وهو مصدر تنادى نحو تقاتل تقاتلا والاصل تناديا بضم الدال ولكنهم كسروها لتصح الياء وقرأت طائفة
بسكون الدال اجراء للوصل مجرى الوقف وتنادى القوم اي نادى بعضهم بعضا قال • تنادوا بالرحيل غدا • وفي ترحالهم نفسي • وقال الآخر
تنادوا فقالوا اردت الخيل فارسا • فقلنا عبيد الله ذلكم الردي • وقرأ ابن عباس والضحاك والكلبي وابو صالح وابن مقسم والزعفراني
في آخرين بتشديد مصدر تناد من ند البعير اذا هرب ونفر وهو في معنى قوله تعالى يوم يفر المرء من اخيه الآية ويدل على صحة هذه
القراءة قوله تعالى بعد ذلك يوم تولون مدبرين قال ابو علي التنادي مخففا من قولهم ند فلان اذا هرب وفي الحديث ان للناس
جولة يندون يظنون انهم يجدون مهربا وقال امية بن ابي الصلت • وبث الخلق فيها اذ دحاها • فهم سكانها حتى التنادي **قوله تعالى**
يوم تولون يجوز ان يكون بدلا من يوم التناد وان يكون منصوبا باضمار اعني ولا يجوز ان يكون عطف بيان لانه نكرة وما قبله معرفة
وقد تقدم في قوله فيه آيات بينات مقام ابراهيم ان الزمخشري جعله بيانا مع تخالفهما تعريفا وتنكيرا وهو عكس هذا فان الذي نحن
فيه الثاني نكرة والاول معرفة **قوله تعالى** ما لكم من الله من عاصم يجوز في من عاصم ان يكون فاعلا بالجار لاعتماده على النفي وان يكون
مبتدأ ومن مزيدة على كلا التقديرين ومن الله متعلق بعاصم **فصل** اجمع المفسرون على ان يوم التنادي يوم القيامة وفي تسميته
بهذا الاسم وجوه قيل لان اهل النار ينادون اصحاب الجنة واصحاب الجنة ينادون اصحاب النار كما حكى الله عنهم وقال الزجاج هو قوله تعالى
يوم ندعو كل اناس بامامهم وقيل ينادي بعض الظالمين بعضا بالويل والثبور فيقولون يا ويلنا وقيل ينادون الى المحشر وقيل ينادي
المؤمن هاؤم اقرؤوا كتابيه والكافر يا ليتني لم اوت كتابيه وقيل ينادى باللعنة على الظالمين وقيل يجاء بالموت على صورة كبش املح ثم
يذبح بين الجنة والنار ثم ينادى يا اهل الجنة خلود بلا موت ويا اهل النار خلود بلا موت وقيل ينادى بالسعادة والشقاوة الا ان
فلان بن فلان سعد سعادة لا يشقى بعدها ابدا وفلان بن فلان شقي شقاوة لا يسعد بعدها ابدا وقوله يوم تولون مدبرين قال الضحاك
اذا سمعوا زفير النار ندوا هربا فلا يأتون قطرا من الاقطار الا وجدوا الملائكة صفوفا فيرجعون الى مكانهم فذلك قوله والملك على ارجائها
وقوله يا معشر الجن والانس ان استطعتم ان تنفذوا من اقطار السماوات والارض فانفذوا وقال مجاهد فارين من النار غير معجزين ثم اكد
التهديد فقال ما لكم من الله من عاصم يعصمكم من عذابه ثم نبه على قوة ضلالتهم وشدة جهالتهم فقال ومن يضلل الله فما له من هاد **قوله تعالى**
ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات يعني يوسف بن يعقوب من قبل موسى بالبينات ونقل الزمخشري انه قيل يوسف بن ابراهيم بن يوسف بن يعقوب
اقام فيهم نبيا عشرين سنة وقيل ان فرعون موسى هو فرعون يوسف بقي حيا الى زمانه وقيل هو فرعون آخر والمقصود من الكل شيء واحد
وهو ان يوسف جاء قومه بالبينات وهي قوله أأرباب متفرقون خير ام الله الواحد القهار والاولى ان يراد بها المعجزات واعلم ان مؤمن آل
فرعون لما قال ومن يضلل الله فما له من هاد ذكر هذا المثال وهو ان يوسف جاءهم بالبينات الباهرة فاصروا على التكذيب
ولم ينتفعوا بتلك الدلائل وهذا يدل على ان من اضله الله فما له من هاد ثم قال فما زلتم في شك مما جاءكم به قال ابن عباس من عبادة الله وحده
لا شريك له فلم ينتفعوا البتة بتلك البينات **قوله تعالى** حتى اذا غاية لقوله فما زلتم في شك فلما هلك قلتم لن يبعث الله من بعده
رسولا اي اقمتم على كفركم وظننتم ان الله لا يجدد عليكم الحجة وقرئ الن يبعث الله بادخال همزة التقرير يقرر بعضهم بعضا **قوله تعالى**
كذلك اي الامر كذلك ومثل هذا الضلال يضل الله كل مسرف كذاب في عصيانه مرتاب في دينه فقوله يضل الله مستأنف او نعت مصدر
اي مثل اضلال اياكم حين لم تقبلوا من يوسف يضل الله من هو مسرف ثم بين تعالى ما لاجله بقوا في ذلك الشك والاسراف فقال الذين

قوله تعالى الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان أتاهم أي بغير حجة بل إما بناء على التقليد وإما بناء على شبهات خسيسة
يجوز فيه عشرة أوجه أحدها أنه بدل من قوله من هو مسرف وإنما جمع اعتبارا بمعنى من الثاني أن يكون بيانا له الثالث أن يكون صفة
له وجمع على معنى من أيضا الرابع أن ينتصب بإضمار أعني الخامس أن يرتفع خبر مبتدأ مضمر أي هم الذين السادس أن يرتفع مبتدأ خبره يطبع الله
وكذلك خبر مبتدأ مضمر أيضا أي الأمر كذلك والعائد من الجملة وهي يطبع الله على المبتدأ محذوف أي على كل قلب متكبر منهم السابع أن
يكون مبتدأ والخبر كبر مقتا ولكن لا بد من حذف مضاف ليعود الضمير من كبر عليه والتقدير حال الذين يجادلون كبر مقتا ويكون مقتا تمييزا
وهو منقول من الفاعلية إذ التقدير كبر مقت حالهم أي حال المجادلين الثامن أن يكون الذين مبتدأ أيضا ولكن لا تقدر حذف مضاف ويكون
فاعل كبر ضميرا عائدا على جدالهم المفهوم من قوله ما يجادل والتقدير كبر جدالهم مقتا ومقتا على ما تقدم أي كبر مقت جدالهم التاسع أن يكون
الذين مبتدأ أيضا والخبر بغير سلطان أتاهم قاله الزمخشري ورده أبو حيان بأن فيه تفكيك الكلام بعضه من بعض لأن الظاهر تعلق
بغير سلطان بيجادلون ولا يتعقل جعله خبرا للذين لأنه جار ومجرور فيصير التقدير الذين يجادلون كائنون أو مستقرون بغير سلطان
أي في غير سلطان لأن الباء إذ ذاك ظرفية خبر عن الجثث العاشر أنه مبتدأ وخبره محذوف أي معاندون ونحوه قاله أبو البقا **قوله تعالى**
كبر مقتا يحتمل أن يراد به التعجب والاستعظام وأن يراد به الذم كبئس وذلك أنه يجوز أن يبنى فعل بضم العين مما يجوز التعجب منه ويجري
مجرى نعم وبئس في جميع الأحكام وفي فاعله ستة أوجه الأول أنه ضمير عائد على حال المضاف إلى الذين كما تقدم تقريره الثاني أنه ضمير
يعود على جدالهم المفهوم من يجادلون كما تقدم تقريره أيضا الثالث أنه الكاف في كذلك قال الزمخشري وفاعل كبر قوله كذلك أي كبر
مقتا مثل ذلك الجدال ويطبع الله كلام مستأنف ورده أبو حيان بأن فيه تفكيكا للكلام وارتكاب مذهب ليس بصحيح أما التفكيك
فلأن ما جاء في القرآن من كذلك نطبع أو يطبع إنما جاء مربوطا بعضه ببعض فكذلك هنا وأما ارتكاب مذهب غير صحيح فإنه جعل الكاف
اسما ولا يكون اسما إلا في ضرورة خلافا للأخفش الرابع أن الفاعل محذوف نقله الزمخشري قال ومن قال كبر مقتا عند الله جدالهم فقد
حذف الفاعل والفاعل لا يصح حذفه قال شهاب الدين القائل بذلك الحوفي لكنه لا يريد بذلك تفسير الإعراب إنما يريد به تفسير المعنى وهو
معنى ما تقدم من أن الفاعل ضمير يعود على جدالهم المفهوم من فعله فصرح الحوفي بالأصل وهو الاسم الظاهر ومراده ضمير يعود عليه
الخامس أن الفاعل ضمير يعود على ما بعده وهو التمييز نحو جاء زيد وبئس رجلا عمرو والسادس أنه ضمير يعود على من في قوله من هو مسرف
وأعاد الضمير من كبر مفردا اعتبارا بلفظها وحينئذ يكون قد راعى لفظ من أولا في قوله من هو مسرف كذاب ثم معناها ثانيا في قوله
الذين يجادلون إلى آخره ثم لفظها ثالثا في قوله كبر وهذا كله إذا أعربت الذين تابعا لمن هو مسرف نعتا أو بيانا أو بدلا وقد تقدم أن
الجملة من قوله كبر مقتا فيها وجهان أحدهما الرفع إذا جعلناها خبرا للمبتدأ والثاني أنها لا محل لها إذا لم تجعلها خبرا بل هي جملة استئناف
وقوله عند الله متعلق بكبر وكذلك قد تقدم أنه يجوز أن يكون خبر المبتدأ المحذوف وأن يكون فاعلا وهما ضعيفان والثالث وهو
الصحيح أنه معمول ليطبع أي مثل ذلك الطبع يطبع الله وفي ويطبع الله وجهان أظهرهما أنه مستأنف والثاني أنه خبر للموصول كما
تقدم **قوله تعالى** قلب متكبر قرأ أبو عمرو وابن ذكوان بتنوين قلب وصفا القلب بالتكبر والجبروت لأنهما ناشئان منه وإن كان المراد
الجملة كما وصف بالإثم في قوله فإنه آثم قلبه وفي قوله إن في صدورهم إلا كبر قال ابن الخطيب وأيضا قال قوم الإنسان الحقيقي جزء في القلب
والباقون بإضافة قلب إلى ما بعده أي على كل قلب شخص متكبر قال أبو عبيد الاختيار الإضافة لوجوه الأول أن عبد الله قرأ على قلب كل متكبر
وهو شاهد لهذه القراءة الثاني أن وصف الإنسان بالتكبر والجبروت أولى من وصف القلب بهما وقدر الزمخشري مضافا في القراءة الأولى
أي على كل ذي قلب متكبر لجعل الصفة لصاحب القلب قال أبو حيان ولا ضرورة تدعو إلى اعتقاد الحذف قال شهاب الدين بل ثم ضرورة إلى
ذلك وهو توافق القراءتين فإنه يصير الموصوف في القراءتين واحدا وهو صاحب القلب بخلاف عدم التقدير فإنه يصير الموصوف في إحداهما
القلب وفي الأخرى صاحبه **فصل** قال الزجاج قوله الذين يجادلون في آيات الله أي في إبطالها بالتكذيب بغير سلطان حجة أتاهم
كبر مقتا أي كبر ذلك الجدال مقتا عند الله وعند الذين آمنوا ودلت الآية على أنه يجوز وصف الله تعالى بأنه قد يمقت بعض عباده إلا أنها
صفة واجبة التأويل في حق الله كالغضب والحياء والعجب والمراد أن هذا المقت كما حصل عند الله فكذلك حصل عند الذين آمنوا قال القاضي
مقت الله إياهم يدل على أن فعلهم ليس بخلق الله لأن كونه فاعلا للفعل وماقتا له محال **فصل** قد تقدم الكلام في الطبع والرين
والقسوة قال أهل السنة قوله كذلك يطبع الله يدل على أن الكل من عند الله وقالت المعتزلة الآية تدل على أن هذا الطبع إنما حصل لأنه
كان في نفسه متكبرا جبارا قال ابن الخطيب وعند هذا تصير الآية حجة لكل واحد من الفريقين من وجه وعليه من وجه آخر والقول الذي
يخرج عليه رجحان مذهبنا وهو أنه تعالى يخلق دواعي الكبر والرياسة في القلب فتصير تلك الدواعي مانعة من حصول ما يدعو إلى الطاعة
والانقياد لأمر الله فيكون القول بالقضاء والقدر حقا ويكون تعليل الطبع بكونه متكبرا جبارا باقيا فثبت أن القول بالقضاء والقدر
هو الذي ينطبق عليه لفظ القرآن من أوله إلى آخره **فصل** قال مقاتل الفرق بين المتكبر والجبار أن المتكبر عن قبول التوحيد
والجبار في غير الحق قال ابن الخطيب كمال السعادة في أمرين التعظيم لأمر الله والشفقة على خلق الله **قوله تعالى** وقال فرعون يا هامان ابن لي
صرحا الآية قال المفسرون إن فرعون قال لوزيره هامان ابن لي صرحا والصرح البناء الظاهر الذي لا يخفى على الناظر وإن بعد وأصله

من التصريح وهو الإظهار لعلي أبلغ الأسباب أسباب السموات طرقها فإن قيل ما فائدة هذا التكرير ولو قيل لعلي أبلغ أسباب السموات
كان كافيا فالجواب قال الزمخشري عنه فقال بأنه إذا أبهم الشيء ثم أوضح كان تفخيما لشأنه فلما أراد تفخيم أسباب السموات أبهمها ثم أوضحها
فصل اختلف الناس في أن فرعون هل قصد بناء الصرح ليصعد منه إلى السموات أم لا قال ابن الخطيب أما الظاهريون من المفسرين
فقد قطعوا بذلك وذكروا حكاية طويلة في كيفية بناء الصرح والذي عندي أن هذا بعيد والدليل عليه أن فرعون لا يخلو إما أن يقال
إنه كان مجنونا أو عاقلا فإن كان مجنونا لم يجز من الله عز وجل أن يذكر حكاية كلامه في القرآن وإن كان عاقلا فنقول إن كل عاقل
يعلم ببديهة عقله أنه يتعذر في قدرة البشر وضع ما يكون أرفع من الجبل العالي ويعلم أيضا ببديهة عقله أنه لا يتفاوت البصر
من حال السماء بين أن ينظر إليها من أسفل الجبال وبين أن ينظر إليها من أعلى الجبال وإذا كان هذان العلمان بديهيان امتنع أن يقصد
العاقل وضع بناء يصعد منه إلى السماء وإذا كان فساده معلوما بالضرورة امتنع إسناده إلى فرعون والذي عندي في تفسير هذه الآية
أن فرعون كان من الدهرية وغرضه من هذا الكلام إيراد شبهة في نفي الصانع وتقريره أنه قال إنا لا نرى شيئا نحكم عليه أنه إله العالم فإنه لو كان
موجودا لكان في السماء ونحن فلا سبيل لنا إلى صعود السموات فكيف يمكننا أن نراه ثم إنه لأجل المبالغة في بيان أنه لا يمكن الصعود إلى السماء
قال يا هامان ابن لي صرحا لعلي أبلغ الأسباب والمقصود أنه لما عرف كل أحد أن هذا الطريق ممتنع كان الوصول إلى معرفة وجود الله بطريق الحس
ممتنعا ونظيره قوله تعالى فإن استطعت أن تبتغي نفقا في الأرض أو سلما في السماء فتأتيهم بآية وليس المراد منه أن محمدا صلى الله عليه وسلم
طلب نفقا في الأرض أو وضع سلما في السماء بل المعنى أنه لما عرف أن هذا المعنى ممتنع فقد عرفت أنك لا سبيل لك إلى تحصيل ذلك المقصود
كذا هاهنا غرض فرعون من قوله يا هامان ابن لي صرحا يعني أن الاطلاع إلى إله موسى لما كان لا سبيل إليه إلا بهذا الطريق وكان هذا الطريق
ممتنعا فحينئذ يظهر منه أنه لا سبيل إلى معرفة الإله الذي يثبته موسى واعلم أن هذه الشبهة فاسدة لأن طرق العلم ثلاثة الحس والخبر والنظر
ولا يلزم من انتفاء طريق واحد في معرفة الله تعالى وهو الحس انتفاء المطلوب وذلك أن موسى عليه السلام قد بين لفرعون أن الطريق في
معرفة الله تعالى إنما هو الحجة والدليل كما قال ربكم ورب آبائكم الأولين ورب المشرق والمغرب إلا أن فرعون بخبثه ومكره تغافل عن ذكر
الدليل وألقى إلى الجهال أنه لما كان لا طريق إلى قبله بدلا أو عطف بيان والثاني أنه منصوب بإضمار أعني والأول أولى إذ الأصل عدم الإضمار
قوله تعالى فأطلع العامة على رفعه عطفا على أبلغ فهو داخل في حيز الترجي وقرأ حفص في آخرين بنصبه وفيه ثلاثة أوجه أحدها أنه
جواب الأمر في قوله ابن لي فنصب بأن مضمرة بعد الفاء في جواب على قاعدة البصريين كقوله * يا ناق سيري عنقا فسيحا
إلى سليمان فنستريحا * وهذا أوفق لمذهب البصريين الثاني أنه منصوب قال أبو حيان عطفا على التوهم لأن خبر لعل كثيرا جاء مقرونا بأن
كثيرا في النظم وقليلا في النثر فمن نصب توهم أن الفعل المرفوع الواقع خبرا منصوب بأن والعطف على التوهم كثير وإن كان لا ينقاس انتهى
الثالث أن ينتصب على جواب الترجي في لعل وهو مذهب كوفي يستشهد أصحابه بهذه القراءة وبقراءة نافع وما يدريك لعله يزكى أو يذكر فتنفعه
بنصب فتنفعه جوابا لقوله لعله وإلى هذا نحا الزمخشري قال تشبيها للترجي بالتمني والبصريون يأبون ذلك ويخرجون القراءتين على ما
تقدم وفي سورة عبس يجوز أن يكون جوابا للاستفهام في قوله وما يدريك فإنه مترتب عليه معنى وقال ابن عطية وابن جبارة الهذلي
على جواب التمني وفيه نظر إذ ليس في اللفظ تمن إنما فيه ترج وقد فرق الناس بين الترجي والتمني بأن الترجي لا يكون إلا في الممكن عكس التمني فإنه
يكون فيه وفي المستحيل كقوله * ليت الشباب هو الرجيع على الفتى * والشيب كان هو البدي الأول * **قوله تعالى** وكذلك زين
لفرعون قرئ زين مبنيا للفاعل وهو الشيطان وتقدم الخلاف في وصدوا عن السبيل في الرعد فمن بناه للفاعل حذف المفعول أي صد قومه
عن السبيل وهو الإيمان قالوا ومن صده قوله لأقطعن أيديكم وأرجلكم الآية ويدل على ذلك قوله الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله وقوله
هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام وقرأ ابن وثاب وصد بكسر الصاد كأنه نقل حركة الدال الأولى إلى فاء الكلمة بعد توهم سلب حركتها وقد
تقدم ذلك في نحو رد وأنه يجوز فيه ثلاث لغات الجائزة في قيل وبيع وابن أبي إسحاق وعبد الرحمن بن أبي بكرة وصد بفتح الصاد ورفع الدال منونا
جعله مصدرا منسوقا على سوء عمله أي زين له الشيطان سوء العمل والصد ثم قال وما كيد فرعون إلا في تباب أي وما كيده في إبطال ما
جاء به موسى إلا في خسارة وهلاك والتباب الخسار وقد تقدم في قوله غير تتبيب **قوله تعالى** وقال الذي آمن يا قوم اتبعون أهدكم
سبيل الرشاد أي طريق الهدى يا قوم إنما هذه الحياة الدنيا متاع أي متعة ينتفعون بها مدة ثم تنقطع وإن الآخرة هي دار القرار التي
لا تزول ثم قال من عمل سيئة فلا يجزى إلا مثلها ومن عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة تقدم الخلاف في
قوله يدخلون الجنة في سورة النساء يرزقون فيها بغير حساب قال مقاتل لا تبعة عليهم فيما يعطون في الجنة من الخير واختلفوا في تفسير
قوله بغير حساب فقيل لما كان لا نهاية لذلك الثواب قيل بغير حساب وقيل لأنه تعالى يعطيهم ثواب أعمالهم ويضم إلى ذلك الثواب من الفضل
ما يخرج عن الحساب وقوله بغير حساب واقع في مقابلة إلا مثلها يعني أن جزاء السيئة له حساب وتقدير لئلا يزيد على الاستحقاق
فأما جزاء العمل الصالح فبغير تقدير وحساب وهذا يدل على أن جانب الرحمة والفضل راجح على جانب العقاب فإذا عارضنا عمومات
الوعيد بعمومات الوعد وجب أن يكون الترجيح لجانب عمومات الوعد وذلك يهدم قواعد المعتزلة **فصل** احتج أهل السنة
بهذه الآية فقالوا قوله ومن عمل صالحا ذكره في معرض الشرط في جانب الثواب تجري مجرى أن يقال من ذكر كلمة أو خطا خطوة كذا وكذا فله كذا

يبدل من اي تلك الكلمة وتلك الخطوة مرة واحدة فكذلك ههنا وجب ان يقال كل من عمل صالحا واحدا من الصالحات فانه يدخل
الجنة ويرزق فيها بغير حساب والاتي بالايمان والمواظب على التوحيد والتنزيه والتقديس مدة ثمانين سنة قد اتى باعظم الطاعات
وباحسن الطاعات فوجب ان يدخل الجنة والخصم يقول انه يخلد في النار ابد الاباد وذلك مخالف لهذا النص الصريح قالت المعتزلة انه تعالى
شرط فيه كونه مؤمنا ومرتكب الكبيرة عندنا ليس بمؤمن فلا يدخل في هذا الوعد والجواب ما تقدم في قوله تعالى يؤمنون بالغيب
فان صاحب الكبيرة مؤمن فسقط كلامهم **فصل** دلت الاية على اعتبار المماثلة في الشريعة وان الزيادة على المثل غير مشروع وليس في
الاية بيان ان تلك المماثلة معتبرة في اي الامور فلو حملناها على رعاية المماثلة في جميع الامور صارت الاية عامة خاصة وقد ثبت في
اصول الفقه ان التعارض اذا وقع بين الاجمال والتخصيص كان الاول اولى فوجب ان نحمل هذه الاية على رعاية المماثلة من كل الوجوه الا ما
خصه الدليل واذا ثبت ذلك بني عليه احكام كثيرة من الجنايات على النفوس والاعضاء والاموال لانه تعالى بين ان جزاء السيئة مقصور على
المثل وبين ان جزاء الحسنة ليس مقصورا على المثل بل هو خارج من الحساب **قوله تعالى** ويا قوم قال الزمخشري فان قلت لم جاء بالواو في النداء
الثالث دون الثاني قلت لان الثاني داخل على كلام هو بيان للمجمل وتفسير له فاعطي الداخل عليه حكمه في امتناع دخول الواو واما الثالث
فداخل على كلام ليس بتلك المثابة اي كلام مباين للاول والثاني فحسن ايراد الواو العاطفة فيه وكرر النداء لان فيه زيادة تنبيه لهم وايقاظ
من سنة الغفلة واظهار ان له بهذا المهم مزيد اهتمام وعلى اولئك الاقوام فرط شفقة **قوله تعالى** وتدعونني الى النار هذه الجملة مستانف
اخبر عنهم بذلك بعد استفهامه عن دعائه نفسه ويجوز ان يكون التقدير ومالكم تدعونني الى النار وهو الظاهر ويضعف ان تكون
الجملة حالا اي مالكم ادعوكم الى النجاة حال دعاكم اياي الى النار **قوله تعالى** تدعونني هذه الجملة بدل من تدعونني الاولى على جهة البيان
لها واتى في قوله تدعونني بجملة فعلية لتدل على ان دعوتهم باطلة لا ثبوت لها وفي قوله وانا ادعوكم بجملة اسمية لتدل على ثبوت دعوته
وتقويتها **فصل** معنى قوله مالكم كقولك مالي اراك حزينا اي مالك تقول اخبروني عنكم كيف هذه الحال ادعوكم الى النجاة من
النار بالايمان بالله وتدعونني الى النار الى الشرك الذي يوجب النار ثم فسر فقال تدعونني لاكفر بالله واشرك به ما ليس لي به علم المراد
بنفي العلم نفي الاله كانه قال واشرك به ما ليس لي بالهيته علم يعني كيف اجعله شريكا لله والغاية انهم يدعونه الى الكفر وبين انه يدعوهم
الى الايمان بالعزيز الغفار العزيز في انتقامه ممن كفر الغفار لذنوب اهل التوحيد فقوله العزيز اشارة الى كونه كامل القدرة واما فرعون
فهو في غاية العجز فكيف يكون الها واما الاصنام فانها احجار منحوتة فكيف يعقل كونها الهة وقوله الغفار اشارة الى انهم يجب ان لا ييأسوا
من رحمة الله بسبب اصرارهم على الكفر مدة مديدة فان اله العالم وان كان عزيزا لا يغلب قادرا لا يعارض لكنه غفار يغفر كفر سبعين
سنة بايمان ساعة واحدة **قوله تعالى** لا جرم تقدم الخلاف في لا جرم في سورة هود في قوله لا جرم انهم في الاخرة وقال الزمخشري هنا
وروي عن بعض العرب لا جرم انه يفعل كذا بضم الجيم وسكون الراء بمعنى لا بد وفعل وفعل اخوان كرشد ورشد وعدم وعدم وشانه
على مذهب البصريين ان يجعل ردا لما دعاه اليه قومه وجرم فعل بمعنى حق وان مع ما في خبرها فاعله اي حق ووجب بطلان دعوته او بمعنى
كسب من قوله تعالى ولا يجرمنكم شنآن قوم ان صدوكم عن المسجد الحرام ان تعتدوا اي بسبب ذلك الدعاء اليه بطلان دعوته بمعنى انه
ما حصل من ذلك الا ظهور بطلان دعوته ويجوز ان يقال ان لا جرم نظير لا بد فعل من الجرم وهو القطع كما ان بدا فعل من التبديد
وهو التفريق فكما ان معنى لا بد انه يفعل كذا بمعنى انه لا بد لك من فعله فكذلك لا جرم ان لهم النار اي لا قطع لذلك بمعنى انهم ابدا
يستحقون النار لا انقطاع لاستحقاقهم ولا قطع لبطلان دعوة الاصنام اي لا تزال باطلة لا ينقطع ذلك فينقلب حقا **فصل**
قال البغوي لا جرم حقا ان ما تدعونني اليه ليس له اي للاصنام دعوة في الاخرة قال السدي لا يستجيب لاحد في الدنيا ولا في الاخرة يعني
ليست له استجابة دعوة تسمى استجابة الدعوة دعوى اطلاقا لاسم احد المتضايفين على الاخر كقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها وقيل
ليست له دعوة اي عبادة في الدنيا لان الاوثان لا تدعي الربوبية ولا تدعو الى عبادتها وفي الاخرة تتبرأ من عابديها ثم قال وان
مردنا اي مرجعنا الى الله فيجازي كلا بما يستحقه وان المسرفين اي المشركين هم اصحاب النار قاله قتادة وقال مجاهد السفاكين الدماء
ولما بالغ مؤمن آل فرعون في هذا البيان ختم كلامه بخاتمة لطيفة فقال فستذكرون ما اقول لكم وهذا كلام مبهم يوجب التخويف
ويحتمل ان يكون المراد منه ان هذا الذكر يحصل في الدنيا اي عند الموت وان يكون في القيمة عند مشاهدة العذاب حين لا ينفعهم
الذكر **قوله تعالى** وافوض هذه مستانفة وجوز ابو البقا ان يكون حالا من فاعل اقول وفتح نافع وابو عمرو الياء من امري والباقون
بالاسكان **فصل** لما خوفهم بقوله فستذكرون ما اقول لكم توعدوه وخوفوه بالقتل فقال في دفع تخويفهم وكيدهم
ومكرهم على الله تعالى بقوله وافوض امري الى الله وهو انما تعلم هذه الطريقة من موسى عليه السلام حين خوفه فرعون بالقتل فرجع
موسى في دفع ذلك الشر الى الله فقال اني عذت بربي وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب ثم قال ان الله بصير بالعباد اي عالم
باحوالهم فيعلم المحق من المبطل **قوله تعالى** فوقاه الله سيئات ما مكروا قال المفسرون لما قال هذه الكلمات قصدوا قتله فهرب منهم
الى الجبل فطلبوه فلم يقدروا عليه وقيل المراد بقوله فوقاه الله سيئات ما مكروا انهم قصدوا ادخاله في الكفر وصرفه عن الاسلام فوقاه
الله من ذلك والاول اولى لكن قوله بعد ذلك وحاق بال فرعون سوء العذاب لا يليق الا بالوجه الاول وقرا حمزة وحاق بكسر الحاء وكذلك

وكذلك في كل القران والباقون بالفتح قال قتادة جامع موسى وكان قبطيا وحاق نزل بال فرعون سوء العذاب الغرق في الدنيا
والنار في الاخرة **قوله تعالى** النار الجمهور على رفعها وفيه ثلاثة اوجه احدها انها بدل من سوء العذاب قال الزجاج الثاني انها خبر مبتدا
محذوف اي هو اي سوء العذاب النار لانه جواب لسؤال مقدر ويعرضون على هذين الوجهين يجوز ان يكون حالا من النار ويجوز ان
يكون حالا من آل فرعون الثالث انه مبتدا وخبره يعرضون وقرا النار منصوبا وفيه وجهان احدهما انه منصوب بفعل مضمر يفسره يعرضون
من حيث المعنى اي يصلون النار يعرضون عليها كقوله والظالمين اعد لهم والثاني ان ينتصب على الاختصاص قاله الزمخشري فعلى الاول
لا محل ليعرضون لكونه مفسرا وعلى الثاني هو حال كما تقدم **فصل** دلت الاية على اثبات عذاب القبر لان الاية تقتضي عرض النار
عليهم غدوا وعشيا وليس المراد منه يوم القيمة لقوله بعده ويوم تقوم الساعة ادخلوا ال فرعون اشد العذاب وليس المراد منه ايضا الدنيا
لان عرض النار عليهم غدوا وعشيا ما كان حاصلا في الدنيا فثبت ان هذا العرض انما حصل بعد الموت وقبل القيمة وذلك يدل على اثبات عذاب
القبر في حق هؤلاء واذا ثبت في حقهم ثبت في حق غيرهم لانه لا قائل بالفرق فان قيل لم لا يجوز ان يكون المراد من عرض النار عليهم غدوا
وعشيا عرض القبائح عليهم في الدنيا لان اهل الدين اذا ذكروا لهم الترغيب والترهيب وخوفوهم بعذاب الله فقد عرضوا عليهم النار
ثم في الاية ما يمنع حمله على عذاب القبر بيانه من وجهين احدهما ان ذلك العذاب يجب ان يكون دائما غير منقطع وقوله يعرضون عليها
غدوا وعشيا يقتضي ان لا يحصل ذلك العذاب الا في هذين الوقتين فثبت ان هذا لا يمكن حمله على عذاب القبر الثاني ان الغدوة والعشية
انما يحصلان في الدنيا اما في القيمة فلا وجود لهما فثبت انه لا يمكن حمل هذه الاية على عذاب القبر والجواب عن الاول ان في الدنيا اذا
عرض عليهم الكلمات التي تذكرهم امر النار لم يعرض عليهم نفس النار وهذا ترك لظاهر الاية وارتكاب للمجاز واما قولهم الاية تدل على
حصول العذاب في هذين الوقتين وذلك لا يجوز فالجواب لم لا يجوز ان يكتفي في القبر بايصال العذاب اليه في هذين الوقتين ثم عند
قيام القيمة يلقى في النار فيدوم عذابه حينئذ وايضا لا يمتنع ان يكون ذكر الغدوة والعشية كناية عن الدوام كقوله تعالى ولهم رزقهم
فيها بكرة وعشيا واما قولهم انه ليس في القبر والقيمة غدوة وعشية قلنا لم لا يجوز ان يقال ان عند حصول هذين الوقتين لاهل الدنيا
يعرض عليهم العذاب **فصل** قال ابن مسعود ارواح آل فرعون في اجواف طير سود يعرضون على النار كل يوم مرتين تغدو وتروح
الى النار يقال يا آل فرعون هذه منازلكم وقال قتادة والسدي والكلبي تعرض روح كل كافر على النار بكرة وعشيا ما دامت الدنيا وروى
ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان احدكم اذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي ان كان من اهل الجنة فمن اهل الجنة وان
كان من اهل النار فمن اهل النار فيقال له هذا مقعدك حتى يبعثك الله اليه يوم القيمة **قوله تعالى** ويوم تقوم فيه ثلاثة اوجه اظهرها
انه معمول لقول مضمر وذلك القول المضمر محكي به الجملة الامرية من قوله ادخلوا والتقدير ويقال لهم يوم تقوم الساعة ادخلوا الثاني
انه منصوب بادخلوا اي ادخلوا يوم تقوم وعلى هذين الوجهين فالوقف تام على قوله وعشيا الثالث انه معطوف على الظرفين قبله
فيكون معمولا ليعرضون والوقف على هذا على قوله الساعة وادخلوا معمول لقول مضمر اي يقال لهم كذا وقرا الكسائي وحمزة ونافع وحفص
ادخلوا بقطع الهمزة وكسر الخاء اي يقال للملائكة ادخلوا امر من ادخل فآل فرعون مفعول اول واشد العذاب مفعول ثان والباقون
ادخلوا بهمزة وصل من دخل يدخل فآل فرعون منادى حذف حرف النداء منه واشد منصوب به اما ظرفا واما مفعولا به اي ادخلوا يا آل
فرعون في اشد العذاب قال ابن عباس يريد الوان العذاب غير العذاب الذي كانوا يعذبون به منذ غرقوا **قوله تعالى** واذ يتحاجون
في العامل في اذ ثلاثة اوجه احدها انه معطوف على غدوا فيكون معمولا ليعرضون اي يعرضون على النار في هذه الاوقات كلها قاله
ابو البقا والثاني انه معطوف على قوله اذ القلوب لدى الحناجر قاله الطبري وفيه نظر لبعد ما بينهما ولان الظاهر عود الضمير من
يتحاجون على آل فرعون الثالث انه منصوب باضمار اذكر **قوله** تبعا فيه ثلاثة اوجه احدها انه اسم جمع لتابع ونحو خادم وخدم
وغايب وغيب وادم وادم قال البغوي والتبع يكون واحدا وجمعا في قول اهل البصرة واحده تابع وقال الكوفيون هو جمع لا واحد له
وجمعه اتباع والثاني انه مصدر واقع موقع اسم الفاعل اي تابعين والثالث انه مصدر واقع موقعه ايضا ولكن على حذف مضاف اي
ذوي تبع **قوله تعالى** نصيبا فيه ثلاثة اوجه احدها ان ينتصب بفعل مقدر يدل عليه قوله مغنون تقديره هل انتم دافعون
عنا نصيبا الثاني ان يضمن مغنون معنى حاملين الثالث ان ينتصب على المصدر قال ابو البقا كما كان شيء كذلك الا ترى الى قوله
لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيئا في موضع غنا فكذلك نصيبا ومن النار صفة لنصيبا **قوله تعالى** انا كل فيها
على رفع كل ورفعه على الابتدا وفيها خبره والجملة خبر ان وهذا كقوله في آل عمران قل ان الامر كله لله في قراءة ابي عمرو وقرا ابن السميفع
وعيسى بن عمر بالنصب وفيه ثلاثة اوجه احدها ان يكون تاكيدا لاسم ان قال الزمخشري توكيد لاسم ان وهو معرفة والتنوين عوض
من المضاف اليه يريد انا كلنا فيها انتهى يعني فيكون فيها هو الخبر والى كونه تاكيدا ذهب ابن عطية ايضا ورد ابن مالك هذا المذهب
فقال في تسهيله ولا يستغنى بنيته اضافته خلافا للزمخشري قال شهاب الدين وليس هذا مذهبا للزمخشري وحده بل هو منقول
من الكوفيين ايضا الثاني ان تكون على الحال قال ابن مالك والقول المرضي عندي ان كلا في القراءة المذكورة منصوبة على الحال
من الضمير المرفوع في فيها وفيها هو العامل وقد قدمت عليه مع عدم تصرفه كما قدمت في قراءة من قرا والسموات مطويات

جميته وفي قول النابغة • رهط ابن كوز محقبي ادراعهم • فيهم ورهط ربيعة بن حذار • وقول بعض الطائيين ••
دعا فاجبنا وهو بادي ذلة • لديكم وكان النصر غير بعيد • يعني بنصب بادي وهذا هو مذهب الاخفش الا ان الزمخشري منع من ذلك
قال رحمه الله تعالى فان قلت هل يجوز ان يكون كلاهما الا قد عمل فيها قلت لا لان الظرف لا يعمل في الحال متقدمة كما تعمل في الظرف متقدما
تقول كل يوم لك ثوب ولا تقول قائما في الدار زيد قال ابو حيان وهذا الذي منعه اجازه الاخفش اذا توسطت الحال نحو زيد قائما في
الدار او زيد قائما عندك والمثال الذي ذكره ليس مطابقا لما في الاية لان الاية تقدم فيها المسند اليه الحكم وهو اسم ان وتوسطت الحال
اذا قلنا انها حال وتاخر العامل فيها واما تمثيله بقوله ولا تقول قائما في الدار زيد فقد تاخر فيه المسند والمسند اليه وقد ذكر بعضهم
ان المنع في ذلك اجماع من النحاة قال شهاب الدين الزمخشري منعه صحيح لانه ماش على مذهب الجمهور واما تمثيله بما ذكر فلا يضره لانه
في محل المنع لعدم وجوبه صحيح الثالث ان كلا بدل من نا في انا لان كلا قد وليت العوامل فكانه قيل ان كلا فيها واذا كانوا قد تاولوا
حولا اكتعا وحولا اجمعا على البدل مع عدم تصرف اكتع واجمع فلان يجوز ذلك في كل اولى واحرى وايضا فان المشهور تعريف كل حال
قطعها وحكي في الكتب لغة مررت بكل قائما وببعض جالسا وعزاه بعضهم لسيبويه وتنكير كل ونصبها حالا في غاية الشذوذ نحو مررت
بهم كلا اي جميعا فان قيل فيه بدل الكل من الكل في ضمير الحاضر وهو لا يجوز اجيب بوجهين احدهما ان الكوفيين والاخفش يرون ذلك
وانشدوا قوله • انا سيف العشيرة فاعرفوني • حميدا قد تذريت السناما • فحميد بدل من يا اعرفوني وقد تاوله البصريون على النصب
على الاختصاص والثاني ان هذا الذي نحن فيه ليس محل الخلاف لانه دال على الاحاطة والشمول وقد قالوا انه متى كان البدل دالا على
ذلك جاز وانشدوا • فما برحت اقدامنا في مكاننا • ثلاثتنا حتى اريحوا المنايا • ومثله قوله تعالى لنا عيدا لاولنا واخرنا قالوا فثلاثتنا
بدل من نا في مكاننا الا لانها على الاحاطة وكذلك لاولنا واخرنا بدل من نا في لنا فلان يجوز ذلك في كل التي هي اصل في الشمول والاحاطة
بطريق الاولى هذا كلام ابي حيان في الوجه الثالث وفيه نظر لان المبرد ومكيا نصا على ان البدل في هذه الاية لا يجوز فكيف يدعي انه لا خلاف
في البدل والحالة هذه الرابع ان في الاية قولا رابعا وهو ان كلا نعت لاسم ان وقد صرح الكسائي والفراء بذلك فقالا هو نعت لاسم ان
لان الكوفيين يطلقون اسم النعت على التاكيد ولا يريدون حقيقة النعت وممن نص على هذا التاويل مكي رحمه الله ولان الكسائي انما
جوز نعت ضمير الغائب فقط دون المتكلم والمخاطب **فصل** معنى الاية واذكر يا محمد لقومك اذ يتحاجون اي يحاج بعضهم
بعضا ثم شرح خصومتهم وهي ان الضعفاء يقولون للرؤساء انا كنا لكم تبعا في الدنيا فهل انتم مغنون عنا نصيبا من النار اي فهل
تقدرون على ان تدفعوا عنا ايها الرؤساء نصيبا من العذاب ومقصودهم من هذا الكلام المبالغة في تحقير اولئك الرؤساء وايلام قلوبهم
لانهم يعلمون ان اولئك الرؤساء لا قدرة لهم على ذلك التخفيف فعند ذلك تقول الرؤساء انا كل فيها اي انا كلنا واقعون في هذا العذاب
فلو قدرنا على ازالة العذاب عنكم لدفعناه عن انفسنا ثم تقولون ان الله قد حكم بين العباد اي فاوصل الى كل احد حقه من النعيم ومن
العذاب فعند هذا يحصل اليأس للاتباع من المتبوعين فيرجعون الى خزنة جهنم ويقولون لهم ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب
فان قيل لم لم يقل وقال الذين في النار لخزنتها فالجواب من وجهين الاول ان يكون المقصود من ذكر جهنم التهويل والتفظيع والثاني ان تكون
جهنم اسم لموضع من اشد المواضع بعيد القعر من قولهم بئر جهنام اي بعيدة القعر وفيها اعظم اقسام الكفار عقوبة وخزنة ذلك الموضع
تكون اعظم خزنة جهنم عند الله درجة فاذا عرف الكافر ان الامر كذلك استغاثوا بهم فيقولون لهم اولم تك تاتيكم رسلكم بالبينات **قوله تعالى**
يوما من العذاب في يوما وجهان احدهما انه ظرف ليخفف ومفعول يخفف محذوف اي يخفف عنا شيئا من العذاب في يوم ويجوز على راي الاخفش
ان تكون من زائدة فيكون العذاب هو المفعول اي يخفف عنا في يوم العذاب الثاني ان يكون مفعولا به واليوم لا يخفف وانما يخفف مظروفه
والتقدير يخفف عذاب يوم وهو قلق لقوله من العذاب والقول بانه صفة مؤكدة كالحال اقلق منه والظاهر ان من العذاب هو المفعول ليخفف
ومن تبعيضية ويوما ظرف سالوا ان يخفف عنهم بعض العذاب لا كله في يوم ما لا في كل يوم ولا في يوم معين **فصل** اجابوا
الخزنة بقولهم اولم تك تاتيكم رسلكم بالبينات قالوا بلى والمعنى ان لولا ارسال الرسل كان للقوم ان يقولوا ما جاءنا من نذير وهذه الاية
تدل على ان الوجوب لا يتحقق الا بعد مجيء الشرع ثم ان اولئك الملائكة يقولون لهم ادعوا انتم فانا لا نجترئ على ذلك ولا نشفع الا بشرطين
احدهما ان يكون المشفوع له مؤمنا والثاني حصول الاذن في الشفاعة ولم يوجد شيء من هذين الشرطين لكن ادعوا انتم وليس قولهم
فادعوا لرجاء المنفعة ولكن للدلالة على الخيبة وان الملك المقرب اذا لم يسمع دعاؤه فكيف يسمع دعاء الكافر ثم صرحوا لهم بانه لا اثر
لدعائهم فقالوا وما دعاء الكافرين الا في ضلال اي يبطل ويضل ولا ينفعهم فان قيل انه تعالى يمتنع عليه ان يتاذى من المجرمين
بسبب جرمهم واذا كان التاذي محالا كانت شهوة الانتقام ممتنعة في حقه واذا ثبت هذا فنقول ايصال هذه المضار العظيمة الى اولئك الكفار
اضرار خال عن جميع جهات المنفعة فكيف يليق بالرحيم الكريم ان يعذب بتلك الالام ابد الاباد ودهر الداهرين من غير ان يرحم حاجتهم
ومن غير ان يسمع دعاءهم ومن غير ان يلتفت الى تضرعهم وانكسارهم ولو ان اقسى الناس قلبا فعل مثل هذا التعذيب ببعض عبيده لاداه
كرمه ورحمته الى العفو عنه مع ان هذا السيد في محل الحاجة والنفع والضرر فاكرم الاكرمين كيف يليق به هذا الاضرار فالجواب
ان افعال الله لا تعلل ولا يسال عما يفعل وهم يسالون فلا ملجا الا الحكم الحق بهذا الكتاب الحق وجبا لا اقرار به والله اعلم **قوله تعالى**

انا لننصر رسلنا الاية في كيفية النظم وجوه الاول انه تعالى لما ذكر وقاية الله موسى صلوات الله عليه وذلك المؤمن من مكر فرعون
بين في هذه الاية بانه ينصر رسله والذين امنوا معه الثاني لما بين من قبل تخاصم اهل النار وانهم عند الفزع الى خزنة جهنم يقولون
اولم تك تاتيكم رسلكم بالبينات اتبع ذلك بذكر الرسل وانه ينصرهم في الدنيا والاخرة الثالث قال ابن الخطيب وهو الاقرب عندي
ان الكلام في اول السورة انما وقع من قوله انما يجادل في ايات الله الا الذين كفروا فلا يغررك تقلبهم في البلاد واتصل الكلام
في الرد على اولئك المجادلين وعلى ان المحقين ابدا مشغولين بدفع كيد المبطلين وكل ذلك انما ذكره الله تعالى تسلية للرسول صلى
الله عليه وسلم وتصبيرا له على تحمل الاذى من قومه ولما بلغ الكلام في تقرير هذا المطلوب الى الغاية القصوى وعد تعالى بان ينصر
رسوله على اعدائه فقال انا لننصر رسلنا في الحياة الدنيا قال ابن عباس بالغلبة والقهر وقال الضحاك بالحجة وفي الاخرة
بالانتقام من الاعداء وباعلاء درجاتهم في مراتب الثواب وكل ذلك قد كان للانبياء والمؤمنين فهم منصورون بالحجة على من خالفهم
واهلك اعداؤهم بعد ان قتلوا بالانتقام من اعدائهم كما نصر يحيى بن زكريا لما قتل فقتل به سبعين الفا **قوله تعالى** ويوم يقوم
الاشهاد قرا الجمهور يقوم بالياء من اسفل وابو عمرو في رواية المنقري عنه وابن هرمز واسمعيل بالتاء من فوق لتانيث الجماعة والاشهاد
يجوز ان يكون جمع شهيد كشريف واشراف وهو مطابق لقوله فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وان يكون جمع شاهد كصاحب واصحاب
وطائر واطيار قال المبرد وهو مطابق لقوله انا ارسلناك شاهدا واعلم ان قوله تعالى ويوم يقوم الاشهاد فيه دقيقة لطيفة وهي
ان السلطان العظيم اذا خص بعض خواصه بالاكرام العظيم عند حضور الجمع من اهل المشرق والمغرب كان ذلك اكد وابهج والمراد
بالاشهاد كل من يشهد باعمال العباد يوم القيامة من ملك ونبي ومؤمن اما الملائكة فهم الكرام الكاتبون يشهدون للرسل بالتبليغ وعلى
الكفار بالتكذيب واما الانبياء فقال تعالى فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا واما المؤمنون فقال تعالى
وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس **قوله تعالى** يوم بدل من يوم قبله او بيان له او نصب باضمار اعني وتقدم
الخلاف في قوله ينفع الظالمين بالياء والتاء اخر الروم والمعنى لا ينفع الظالمين معذرتهم ان اعتذروا ولهم اللعنة البعد من الرحمة
وهذا يفيد الحصر يعني ان اللعنة مقصورة عليهم وهي الاهانة والاذلال ولهم سوء الدار يعني جهنم فان قيل قوله لا ينفع الظالمين
معذرتهم يدل على انهم يذكرون الاعذار ولكن تلك الاعذار لا تنفعهم فكيف الجمع بين هذا وبين قوله ولا يؤذن لهم فيعتذرون
فالجواب قوله لا ينفع الظالمين معذرتهم لا يدل على انهم ذكروا الاعذار بل ليس فيه الا انه ليس عندهم عذر مقبول وهذا لا يدل
على انهم ذكروه ام لا وايضا فيوم القيامة يوم طويل فيعتذرون في وقت ولا يعتذرون في وقت اخر **قوله تعالى** ولقد اتينا
موسى الهدى واورثنا بني اسرائيل الكتاب الاية لما بين انه تعالى ينصر الانبياء والمؤمنين في الدنيا والاخرة ذكر نوعا من انواع تلك
النصرة في الدنيا فقال ولقد اتينا موسى الهدى قال مقاتل هدى من الضلالة يعني التوراة ويجوز ان يكون المراد الدلائل القاهرة
التي اوردها على فرعون واتباعه وكادهم بها ويجوز ان يكون المراد بالهدى النبوة التي هي اعظم المناصب الانسانية واورثنا بني
اسرائيل الكتاب وهو التوراة هدى وذكرى لاولي الالباب يعني انه تعالى لما انزل التوراة على موسى بقي ذلك العلم فيهم وتوارثوه
خلفا عن سلف وقيل المراد سائر الكتب التي انزلها الله عليهم وهي كتب انبياء بني اسرائيل كالتوراة والانجيل والزبور **قوله تعالى** هدى
وذكرى فيهما وجهان احدهما انهما مفعول من اجلهما اي لاجل الهدى والذكر والثاني انهما مصدران في موضع الحال والفرق بين
الهدى والذكرى ان الهدى ما يكون دليلا على الشيء وليس من شرطه ان يذكر شيئا اخر كان معلوما ثم صار منسيا واما الذكرى فهو
الذي يكون كذلك فكتب انبياء الله تعالى مشتملة على هذين القسمين بعضها دلائل في انفسها وبعضها مذكرات لما ورد في الكتب الالهية
المتقدمة ولما بين تعالى انه ينصر رسله وينصر المؤمنين في الدنيا والاخرة وضرب المثال في ذلك بحال موسى خاطب بعد ذلك محمدا
صلى الله عليه وسلم فقال فاصبر ان وعد الله حق اي فاصبر يا محمد على اذاهم ان وعد الله حق في اظهار دينك واهلاك اعدائك قال
الكلبي نسخت اية القتال اية الصبر **قوله تعالى** واستغفر لذنبك قيل المصدر مضاف للمفعول اي لذنب امتك في حقك والظاهر ان
الله يقول ما اراد وان لم يجز لنا نحن ان نضيف اليه عليه السلام ذنبا قال المفسرون هذا تعبد من الله ليزيده به درجة وليصير
سنة لمن بعده **قوله تعالى** وسبح بحمد ربك صل شاكرا لربك بالعشي والابكار قال الحسن يعني صلاة العصر وصلاة الفجر وقال
ابن عباس الصلوات الخمس **قوله تعالى** ان الذين يجادلون في ايات الله بغير سلطان اتاهم الاية لما ابتدا بالرد على الذين يجادلون في ايات الله
بغير سلطان اتاهم الاية واتصل الكلام بعضه ببعض على الترتيب المتقدم الى هاهنا نبه تعالى على الداعية التي تحمل اولئك الكفار على
تلك المجادلة فقال ان الذين يجادلون في ايات الله بغير سلطان اتاهم ان في صدورهم الا كبر اي ما يحملهم على هذا العمل الباطل
الا الكبر الذي في صدورهم قاله ابن عباس والمراد ما في قلوبهم والصدر موضع القلب فكني به عن القلب لمجاورته **قوله تعالى** ما هم
ببالغيه قال مجاهد ما هم ببالغي مقتضى ذلك الكبر لان الله عز وجل مذلهم وقال ابن قتيبة ان في صدورهم الا تكبر على محمد وطمع ان يغلبوه
وما هم ببالغي ذلك وقوله فاستعذ بالله قال المفسرون نزلت في اليهود وذلك انهم قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم ان صاحبنا المسيح بن داود
يعنون الدجال يخرج في اخر الزمان فيبلغ سلطانه البر والبحر ويرد الملك الينا قال الله تعالى فاستعذ بالله من فتنة الدجال انه هو السميع

البصير وقال ابن الخطيب معنى قوله ما هم ببالغيه يعني انهم يريدون اذلالك ولا يصلون الى هذا المراد بل لابد وان يصير ولي
امرك وتنهيك ثم قال تعالى فاستعذ بالله اي فالتجئ اليه من كيد من يحسدك انه هو السميع بما يقولون ويقول البصير بما يعملون ويعمل
فهو يجعلك نافذ الحكم عليهم ويصونك عن مكرهم وكيدهم **قوله تعالى** لخلق السموات والارض اكبر من خلق الناس المصدر ان مضافان
لمفعولهما والفاعل محذوف وهو الله تعالى ويجوز ان يكون الثاني مضافا للفاعل اي اكبر مما يخلقه الناس اي يصنعونه ويجوز ان
يكونا مصدرين واقعين موقع المخلوق اي مخلوقهما اكبر من مخلوقهم اي جرمهما اكبر من جرمهم **فصل** اعلم ان الله تعالى لما وصف
جدالهم في الآيات بانه بغير سلطان ولا حجة ذكر لهذا مثالا لان خلق السموات والارض اكبر من خلق الناس والقادر على الاكبر قادر على
الاقل لا محالة وتقرير هذا الكلام ان الاستدلال بالشيء على غيره ينقسم ثلاثة اقسام احدها ان يقال لما قدر على الشيء قدر على مثله فهذا
استدلال صحيح لما ثبت في الاصول ان حكم الشيء حكم مثله وثانيها ان يقال لما قدر على الاقوى الاكمل بعينه على الاقل الارذل اولى وهذا الاستدلال
في غاية الصحة والقوة ولا يرتاب فيه عاقل البتة ثم ان هؤلاء القوم يسلمون ان خالق السموات والارض يكون قادرا على اعادة الانسان الذي خلقه
اولا فهذا برهان كلي في افادة هذا المطلوب ثم ان هذا البرهان على قوته صار بحيث لا يعرفه اكثر الناس والمراد منهم الذين ينكرون الحشر والنشر
فظهر بهذا المثال ان هؤلاء الكفار يجادلون في آيات الله بغير سلطان ولا حجة بمجرد الحسد والكبر والغضب ثم لما بين الله تعالى ان الجدال
المقرون بالكبر والحسد والجهل كيف يكون وان الجدال بالحجة والبرهان كيف يكون نبه تعالى على الفرق بين البابين بذكر مثال فقال وما
يستوي الاعمى والبصير يعني وما يستوي المستدل والجاهل المقلد ثم قال تعالى والذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا المسيء قليلا ما يتذكرون
فالمراد بالاول التفاوت بين الآتي بالاعمال الصالحة وبين الآتي بالاعمال السيئة الباطلة ثم قال قليلا ما يتذكرون يعني انهم
وان كانوا يعلمون ان العلم خير من الجهل وان العمل الصالح خير من العمل الفاسد الا انه قليلا ما يتذكرون فيبقى في النوع الاول العوم في
الاعتقاد انه علم او جهل وفي النوع الثاني المعنى من العمل انه عمل صالح او فاسد **فصل** قوله والبصير اعلم ان التقابل يجيء على ثلاث
طرق احدها ان يجاور المناسب ما يناسبه كهذه الآية والثانية ان يتأخر المتقابلان كقوله تعالى مثل الفريقين كالاعمى والاصم والبصير
والسميع والثالثة ان يتقدم مقابل الاول ويؤخر مقابل الآخر كقوله تعالى وما يستوي الاعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور وكل ذلك
تفنن في البلاغة وقدم الاعمى في نفي التساوي لمجيئه بعد صفة الذم في قوله ولكن اكثر الناس لا يعلمون **قوله تعالى** ولا المسيء لا زائدة
للتوكيد لانه لما طال الكلام بالصلة بعد قسم المؤمنين فاعاد معه لا توكيدا وتقدم المؤمنين لمجاورتهم **قوله تعالى** تتذكرون
قرأ الكوفيون بتاء الخطاب والباقون بياء الغيبة فالخطاب على الالتفات للمذكورين بعدما لاخبار عنهم والغيبة نظرا لقوله ان الذين
يجادلون وهم الذين التفت اليهم في قراءة الخطاب **قوله تعالى** ان الساعة يعني القيمة لآتية لا ريب فيها ولكن اكثر الناس لا يؤمنون
والمراد باكثر الناس الكفار الذين ينكرون البعث والقيمة لما قرر الدليل على امكان وجود يوم القيمة اردفه بالاخبار عن وقوعها
قوله تعالى وقال ربكم ادعوني استجب لكم الآية لما بين ان القول بالقيمة حق وكان من المعلوم بالضرورة ان الانسان لا ينتفع في يوم
القيمة الا بطاعة الله تعالى والتضرع اليه لا جرم كان الاشتغال بالطاعة من اهم المهمات ولما كان اشرف انواع الطاعات الدعاء
والتضرع لا جرم امر الله تعالى به فقال وقال ربكم ادعوني استجب لكم واختلفوا في المراد بقوله ادعوني فقيل المراد منه الامر بالدعاء
وقيل الامر بالعبادة بدليل قوله بعده ان الذين يستكبرون عن عبادتي وايضا الدعاء بمعنى العبادة كثير في القرآن كقوله ان يدعون
من دونه الا اناثا واجاب الاولون بان هذا ترك للظاهر فلا يصار اليه الا بدليل فان قيل كيف قال ادعوني استجب لكم وقد يدعى كثيرا فلا
يستجاب واجاب الكعبي بان الدعاء انما يصح بشرط ومن دعا كذلك استجيب له وذلك الشرط ان يكون المطلوب بالدعاء مصلحة وحكمة
ثم سأل نفسه فقال ان الله تعالى يفعل ما هو الاصلح بغير دعاء فما الفائدة في الدعاء واجاب عنه بوجهين الاول ان فيه الفزع والانقطاع
الى الله تعالى والثاني ايضا ان هذا وارد على الكل لانه ان علم انه يفعله فلابد وان يفعله فلا فائدة في الدعاء وان علم انه لا يفعله فانه
البتة لا يفعله فلا فائدة في الدعاء ايضا فكل ما يقولونه ههنا فهو جوابنا قال ابن الخطيب وعندي وجه آخر وهو انه قال ادعوني
استجب لكم وكل من دعا الله وفي قلبه ذرة من الاعتماد على ماله وجاهه واصدقائه واجتهاده فهو في الحقيقة ما دعا الله الا باللسان
واما القلب فانه يعول في تحصيل ذلك المطلوب على غير الله فهذا الانسان ما دعا ربه اما اذا دعا في وقت لا يكون القلب فيه ملتفتا الى غير
الله فالظاهر انه يستجاب له **قوله تعالى** ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين وهذا احسان عظيم من
الله تعالى حيث ذكر الوعيد الشديد على ترك الدعاء وروى ابو هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من لم يدع الله غضب الله عليه
فان قيل انه صلى الله عليه وسلم قال حكاية عن ربه عز وجل من شغله ذكري عن مسألتي اعطيته افضل ما اعطي السائلين فهذا يقتضي ان
ترك الدعاء افضل وهذه الآية تدل على ان ترك الدعاء يوجب الوعيد الشديد فكيف الجمع بينهما فالجواب لا شك ان العقل اذا كان مستغرقا
في الثناء كان ذلك افضل من الدعاء لان الدعاء طلب الجنة والاستغراق في معرفة جلال الله افضل من طلب الجنة اما اذا لم يحصل الاستغراق
كان الاشتغال بالدعاء اولى لان الدعاء يشتمل على معرفة عز الربوبية وذل العبودية **قوله تعالى** سيدخلون قرأ ابن كثير وابو جعفر
سيدخلون بضم الياء وفتح الخاء وقرأ الآخرون بفتح الياء وضم الخاء داخرين صاغرين ذليلين **قوله تعالى** الله الذي جعل لكم الليل
لتسكنوا فيه اعلم ان تعلقه بما قبله من وجهين الاول كانه تعالى قال اني انعمت عليك قبل طلبك هذه النعم العظيمة ومن انعم عليك
قبل السؤال بهذه النعم العالية فكيف لا ينعم بالاشياء القليلة بعد السؤال والثاني انه تعالى لما امر بالدعاء فكانه قيل الاشتغال
بالدعاء لابد وان يكون مسبوقا بحصول المعرفة فما الدليل على وجود الاله القادر فذكر تعالى هذه الدلائل العشرة على وجوده وقدرته
وحكمته وقد تقدم ذكر الدلائل الدالة على وجود الله وقدرته وهي اما فلكية واما عنصرية وان الفلكيات اقسام كثيرة احدها الليل
والنهار وان اكثر مصالح العالم مربوطة بهما فذكرهما الله تعالى ههنا وبين ان الحكمة في خلق الليل حصول الراحة بالنوم والسكون والحكمة
في خلق النهار ابصار الاشياء ليمكن التصرف فيها على الوجه الانفع فان قيل هلا قيل بحسب رعاية النظم هو الذي جعل لكم الليل
لتسكنوا فيه والنهار لتبصروا فيه وقيل جعل لكم الليل ساكنا والنهار مبصرا ولكنه لم يقل ذلك فما الفائدة فيه وما الحكمة في تقديم
ذكر الليل فالجواب عن الاول هو ان الليل والنوم في الحقيقة طبيعة عدمية فهو غير مقصود بالذات واما اليقظة فامور وجودية
وهي مقصودة بالذات وقد بين الشيخ عبد القاهر النحوي في دلائل الاعجاز ان دلالة صيغة الاسم على الكمال والتمام اقوى من دلالة
صيغة الفعل عليهما فهذا هو السبب في الفرق واما الجواب عن الثاني فهو ان الظلمة عدمية والنور طبيعة وجودية والعدم في المحدثات
مقدم على الوجود فلهذا السبب قال في اول سورة الانعام وجعل الظلمات والنور ثم قال تعالى ان الله لذو فضل على الناس ولكن اكثر الناس
لا يشكرون والمعنى ان فضل الله تعالى على الخلق كثير جدا ولكنهم لا يشكرونه واعلم ان ترك الشكر لوجوه الاول ان يعتقد الرجل ان هذه
النعم ليست من الله مثل ان يعتقد ان هذه الافلاك واجبة الوجود لذواتها واجبة الدوران لذواتها فيعتقد ان هذه النعم منها الثاني
ان يعتقد ان كل هذا العالم حصل بخلق الله وتكوينه الا ان نعمة تعاقب الليل والنهار لما دامت واستمرت نسيها الانسان فاذا ابتلي الانسان
بفقدان شيء منها عرف قدرها مثل ان يحبس في بئر عميق مظلمة مدة مديدة فحينئذ يعرف ذلك الانسان قدر نعمة الهواء الصافي وقدر نعمة
الضوء وقد كان بعض الملوك يعذب بعض خدمه بان يامر اقواما يمنعونه عن النوم وعن الاستناد الى الجدار الثالث ان الانسان وان
كان عارفا بهذه النعم الا انه يكون حريصا على الدنيا محبا للمال والجاه فاذا فاته المال الكثير والجاه العريض وقع في كفران هذه النعم العظيمة
ولما كان اكثر الخلق واقعين في احد هذه الاودية الثلاثة لا جرم قال تعالى ولكن اكثر الناس لا يشكرون ونظيره قوله تعالى وقليل
من عبادي الشكور وقول ابليس ولا تجد اكثرهم شاكرين ولما بين الله تعالى تلك الدلائل المذكورة وجود الاله القادر قال ذلكم الله ربكم
خالق كل شيء لا اله الا هو قال الزمخشري ذلكم المعلوم المتميز بالافعال الخاصة التي لا يشاركه فيها احد هو الله ربكم خالق كل شيء لا اله الا هو
اخبار مترادفة اي هو الجامع لهذه الاوصاف من الالهية وخلق كل شيء وانه لا ثاني له فانى تؤفكون اي فانى تصرفون اي ولم تعدلون
عن هذه الدلائل وتكذبون بها **قوله تعالى** خالق كل شيء العامة على الرفع وزيد بن علي بالنصب قال الزمخشري على الاختصاص وقرأ طلحة
يؤفكون بياء الغيبة وقوله كذلك اي مثل ذلك الافك يعني كما افكتم عن الحق مع قيام الادلة كذلك يؤفك الذين كانوا بآيات الله يجحدون
يعني كل من جحد بآيات الله ولم يتأملها ولم يكن فيه همة طلب الحق وخوف العاقبة افك كما افكوا **قوله تعالى** الله الذي جعل لكم الارض
قرارا الآية لما تقدم ان دلائل وجود الله تعالى وقدرته اما ان تكون من دلائل الآفاق وهي غير الانسان وهي اقسام ذكر منها احوال الليل
والنهار كما تقدم ذكر ايضا منها ههنا الارض والسماء فقال الله الذي جعل لكم الارض قرارا قال ابن عباس قرارا اي منزلا في حال الحياة
وبعد الممات والسماء بناء اي قائما ثابتا ولولا ذلك لوقعت علينا وقيل سقفا كالقبة ثم ذكر دلائل النفس وهي دلالة احوال بدن الانسان على
وجود الصانع القادر الحكيم وهو قوله وصوركم فاحسن صوركم **قوله تعالى** فاحسن صوركم قرأ ابو رزين والاعمش صوركم بكسر الصاد
فرارا من الضمة قبل الواو وقرأت فرقة بضم الصاد وسكون الواو وحكوه اسم جمع لصورة كبسر وبسرة **فصل** قال مقاتل خلقكم
فاحسن خلقكم قال ابن عباس خلق ابن آدم قائما معتدلا ياكل ويتناول بيده وغير ابن آدم يتناول بفيه ورزقكم من الطيبات قيل من غير رزق الدواب
ثم قال ذلكم الله ربكم فتبارك الله رب العالمين ومعنى تبارك اما الدوام والثبات واما كثرة الخيرات ثم قال هو الحي وهذا يفيد الحصر
وان لا حي الا هو ثم نبه على الوحدانية فقال لا اله الا هو ثم امر العباد بالاخلاص في الدعاء فقال فادعوه مخلصين له الدين ثم قال الحمد لله
رب العالمين والمراد انه لما كان موصوفا بصفات الجلال والعزة استحق لذاته ان يقال له الحمد لله رب العالمين وقال الفراء هو خبر وفيه
اضمار الامر ومجازه فادعوه واحمدوه وروى مجاهد عن ابن عباس من قال لا اله الا الله فليقل على اثرها الحمد لله رب العالمين فذلك
قوله فادعوه مخلصين له الدين الحمد لله رب العالمين **قوله تعالى** قل اني نهيت ان اعبد الذين تدعون من دون الله لما اورد على الكفار
تلك الادلة الدالة على اثبات الاله العالم امره بهذا القول ليصرفهم عن عبادة الاوثان وبين وجه النهي في ذلك وهو ما جاء من البينات
وهو ما تقدم من الدلائل الدالة على ان اله العالم قد ثبت كونه موصوفا بصفات الجلال والعظمة على ما تقدم وصريح العقل يشهد بان
العبادة لا تليق الا به وان الاحجار المنحوتة والاخشاب المصورة لا تصلح ان تكون شركا له تعالى وامرت ان اسلم لرب العالمين وذلك
دعاء الى الكفر **قوله تعالى** هو الذي خلقكم من تراب الآية لما استدل على اثبات الالهية بدلائل الآفاق وذكر منها الليل والنهار والارض
والسماء ثم ذكر الدليل على اثبات الاله القادر بخلق الانفس وهو نوعان احدهما حسن الصورة ورزق الطيبات ذكر النوع الثاني وهو
كيفية تكوين البدن من ابتداء كونه نطفة وجنينا الى آخر الشيخوخة والموت فقال هو الذي خلقكم من تراب ثم من نطفة قيل المراد آدم

قال بن الخطيب وعندي لا حاجة الى ذلك لان كل انسان فهو مخلوق من المني ومن دم الطمث والمني مخلوق من دم فالانسان مخلوق من الدم
والدم انما يتولد من الاغذية والاغذية اما حيوانية واما نباتية والحال في ذلك الحيوان كالحال في تكوين الانسان فكانت الاغذية
كلها منتهية الى النبات والنبات انما يكون من التراب ولما ثبت ان كل انسان متكون من التراب ثم ان ذلك التراب يصير نطفة ثم علقة ثم
بعد كونه علقة مراتب الى ان ينفصل من بطن الام والله تعالى ترك ذكرها هنا لانه ذكرها في ايات اخر ثم قال ثم يخرجكم طفلا اي اطفالا
ثم لتبلغوا اشدكم قال الزمخشري قوله لتبلغوا اشدكم متعلق بفعل محذوف تقديره ثم يبقيكم لتبلغوا اشدكم ثم لتكونوا شيوخا ومنكم
من يتوفى من قبل اي من قبل ان يصير شيخا او من قبل هذه الاحوال اذا خرج سقطا ثم قال ولتبلغوا اجلا مسمى اي ولتبلغوا جميعا اجلا مسمى
وقتا محدودا لا تجاوزونه وهو وقت الموت وقيل يوم القيمة ولعلكم تعقلون لكي تعقلوا توحيد ربكم وقدرته وتستدلوا بهذه الاحوال
العجيبة على وحدانية الله تعالى ثم قال هو الذي يحيي ويميت فاذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون والمعنى انه تعالى لما ذكر انتقال الاجسام
من كونها ترابا الى ان بلغت الشيخوخة واستدل بهذه التغيرات على وجود الاله القادر قال بعده هو الذي يحيي ويميت اي كما ان الانتقال
من صفة الى صفة اخرى من الصفات المتقدمة يدل على الاله القادر فكذلك الانتقال من الحيوة الى الموت وبالعكس يدل على الاله القادر قوله
فاذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون فيه وجوه الاول معناه انه لم ينقل هذه الاجسام من صفة الى صفة اخرى بالة تعينه انما يقول له كن
فيكون فكانه قيل الانتقال من كونه ترابا الى كونه نطفة ثم الى كونه علقة انتقالات تحصل على التدريج قليلا قليلا واما صيرورته حيا
فهي انما تحصل بتعلق جوهر الروح وذلك يحدث دفعة واحدة فلهذا عبر عنه بقوله كن فيكون الثالث ان من الناس من يقول ان الانسان انما
يكون من المني والدم في الرحم في مدة معينة بحسب الانتقالات من حال الى حال فكانه قيل له يمتنع ان يكون كل انسان من انسان اخر لان التسلسل
محال ووقوع الحادث في الازل محال فلا بد من الاعتراف بانسان هو اول الناس وحينئذ يكون حدوث ذلك الانسان لا بواسطة المني والدم
بل بايجاد الله تعالى ابتداء فعبر الله تعالى عن هذا المعنى بقوله كن فيكون **قوله تعالى** الم تر الى الذين يجادلون في ايات الله الايات
اعلم انه تعالى عاد الى ذم الذين يجادلون في ايات الله يعني في انكار ايات الله ودفعها والتكذيب بها فعجب تعالى منهم بقوله انى يصرفون
كيف صرفوا عن دين الحق وهذا كما يقول الرجل لمن لا يسمع نصحه الى اين يذهب بك تعجبا من غفلته قوله الذين كذبوا يجوز فيه اوجه ان
يكون بدلا من الموصول قبله او بيانا له او نعتا او خبر مبتدا محذوف او منصوبا على الذم وعلى هذه الاوجه فقوله فسوف يعلمون جملة
مستانفة سيقت للتهديد ويجوز ان يكون مبتدا والخبر الجملة من قوله فسوف يعلمون ودخول الفاء فيه واضح **فصل** المعنى
هم الذين كذبوا بالكتاب اي بالقران وبما ارسلنا به رسلنا من ساير الكتب قيل هم المشركون وعن محمد بن سيرين وجماعة انها نزلت في
القدرية **قوله تعالى** اذ الاغلال فيه سوال وهو ان سوف للاستقبال واذ للماضي فقوله فسوف يعلمون اذ الاغلال في اعناقهم مثل قولك
سوف اصوم امس والجواب جوزوا في اذ هذه ان تكون بمعنى اذا لان العامل فيها محقق الاستقبال وهو فسوف يعلمون قالوا وكما يقع اذا
موقع اذ في قوله تعالى واذا راوا تجارة او لهوا انفضوا اليها كذلك تقع اذ موقعها وقد مضى نحو من هذا في البقرة عند قوله ولو يرى الذين
ظلموا اذ يرون العذاب قالوا والذي حسن هذا تيقن وقوع الفعل فاخرج في صورة الماضي قال شهاب الدين ولا حاجة الى اخراج اذ عن موضعها
بل هي باقية على دلالتها على المضي وهي منصوبة بقوله فسوف يعلمون نصب المفعول به اي فسوف يعلمون يوم القيمة وقت الاغلال في اعناقهم
وهو وجه واضح غاية ما فيه التصرف في اذ بجعلها مفعولا بها ولا يضر ذلك فان المعربين غالب اوقاتهم يقولون منصوب باذكر مقدرا
ولا يكون حينئذ الا مفعولا به لاستحالة عمل المستقبل في الزمن الماضي وجوزوا ان يكون منصوبا باذكر مقدرا اي اذكر لهم وقت
الاغلال ليخافوا وينزجروا فهذه ثلاثة اوجه خيرها اوسطها **قوله تعالى** والسلاسل العامة على رفعها وفيه ثلاثة اوجه احدها
انه معطوف على الاغلال والخبر عن الموضعين بالجار فالجار في نية التاخير والتقدير اذ الاغلال والسلاسل في اعناقهم الثاني انه مبتدا
وخبره محذوف لدلالة خبر الاول عليه الثالث انه مبتدا ايضا وخبره الجملة من قوله يسحبون ولا بد من ذكر ضمير يعود عليه منها
والتقدير والسلاسل يسحبون بها حذف لقوة الدلالة عليه فيسحبون مرفوع المحل على هذا الوجه واما في الوجهين المتقدمين فيجوز
فيه النصب على الحال من الضمير المنوي في الجار ويجوز ان يكون مستانفا وقرا ابن مسعود وابن عباس وزيد بن علي وابن وثاب والمشنى
في اختياره والسلاسل نصبا يسحبون بفتح الياء مبنيا للفاعل فتكون السلاسل مفعولا مقدما ويكون قد عطف جملة فعلية على جملة
اسمية قال ابن عباس في معنى هذه القراءة اذا كانوا يجرونها فهو اشد عليهم يكلفون ذلك ولا يطيقونه وقرا ابن عباس وجماعة
والسلاسل بالجر يسحبون مبنيا للمفعول وفيها ثلاثة تاويلات احدها الحمل على المعنى تقديره اذ اعناقهم في الاغلال والسلاسل
فلما كان معنى الكلام ذلك حمل عليه في العطف قال الزمخشري ووجهه انه لو قيل اذ اعناقهم في الاغلال مكان قوله اذ الاغلال
في اعناقهم لكان صحيحا مستقيما فلما كانتا عبارتين معتقبتين حمل قوله والسلاسل على العبارة الاخرى ونظيره قوله •

• مشائيم ليسوا مصلحين عشيرة • ولا ناعب الا ببين غرابها •

كانه قيل بمصلحين وقرئ بالسلاسل وقال ابن عطية تقديره اذ اعناقهم في الاغلال والسلاسل فعطف على المراد من الكلام لا على
ترتيب اللفظ اذ ترتيبه فيه قلب وهو على حد قول العرب ادخلت القلنسوة في راسي وفي مصحف ابي وفي السلاسل يسحبون قال ابو حيان

بعد قول ابن عطية قال الزمخشري المتقدم ويسمى هذا العطف على التوهم الا ان توهم ادخال حرف الجر على مصلحين اقرب من تغيير
تركيب الجملة باسرها والقراءة من حيث تركيب الجملة السابقة باسرها ونظير ذلك قوله • اجدك لن ترى بثعيلبات • ولا بيدا ناجية ذمولا
• ولا متدارك والليل طفل • ببعض نواشغ الوادي حمولا • التقدير لست براء ولا متدارك وهذا الذي قالاه سبقهما اليه الفراء فانه
قال من جر السلاسل حمله على المعنى اذ المعنى اعناقهم في الاغلال والسلاسل الوجه الثاني انه عطف على الحميم فقدم على المعطوف عليه وسياتي
تقرير هذا الثالث ان الجر على تقدير اضمار الخافض ويؤيده قراءة ابي وفي السلاسل وقراءة غيره وبالسلاسل والى هذا نحا الزجاج الا ان
ابن الانباري رده وقال لو قلت زيد في الدار لم يحسن ان تضمر في فيقول زيد الدار ثم ذكر تاويل الفراء وخرج القراءة عليه ثم قال
كما تقول خاصم عبد الله زيد العاقلين بنصب العاقلين ورفعه لان احدهما اذا خاصم صاحبه فقد خاصمه الاخر وهذه المسئلة
ليست جارية على اصول البصريين ونصوا على منعها وانما قال بها من الكوفيين ابن سعدان وقال مكي وقد قرئ والسلاسل بالخفض على
العطف على الاعناق وهو غلط لانه يصير الاغلال في الاعناق وفي السلاسل ولا معنى للاغلال في السلاسل قال شهاب الدين وقوله
على العطف على الاعناق ممنوع بل خفضه على ما تقدم وقال ايضا وقيل هو معطوف على الحميم وهو ايضا لا يجوز لان المعطوف المخفوض
لا يتقدم على المعطوف عليه لو قلت مررت وزيد بعمرو لم يجز وفي المرفوع يجوز نحو قام وزيد عمرو ويبعد في المنصوب لا يحسن رايت
وزيدا عمروا ولم يجزه في المخفوض احد قال شهاب الدين وظاهر كلامه انه يجوز في المرفوع منعه وقد نصوا على انه لا يجوز الا ضرورة
بثلاثة شروط ان لا يقع حرف العطف صدرا وان يكون العامل متصرفا وان لا يكون المعطوف عليه مجرورا وانشدوا •
عليك ورحمة الله السلام • الى غير ذلك من الشواهد مع تنصيصهم على انه مختص بالضرورة والسلسلة معروفة قال الراغب وتسلسل
الشيء اضطرب كانه تصور منه تسلسل متردد في فقره والسحب الجر بعنف والسحاب من ذلك لان الريح تجره او لانه يجر الماء وسجرت التنور
اي ملاته نارا وهيجتها ومنه البحر المسجور اي المملوء وقيل المضطرم نارا قال الشاعر • اذا شاء طالع مسجورة • يرى حولها النبع والسوحطا •
يعني قوله تعالى هنا ثم في النار يسجرون اي يوقدهم لقوله تعالى وقودها الناس والحجارة والسجير الخليل الذي يسجر في مودة خليله كقولهم
فلان يحترق في مودة فلان **فصل** هذه كيفية عقابهم والمعنى انه يكون في اعناقهم اغلال وسلاسل ثم يسحبون بتلك السلاسل
في الماء المسخن بنار جهنم ثم يوقد بهم النار ثم قيل لهم اينما كنتم تشركون من دون الله يعني الاصنام قالوا ضلوا عنا اي فقدناهم وغابوا
من عيوننا فلا نراهم ثم قالوا بل لم نكن ندعوا من قبل شيئا انكروا كقولهم في سورة الانعام والله ربنا ما كنا مشركين وقيل معناه لم نكن
ندعوا من قبل شيئا اي ضاعت عبادتنا لها كما تقول من ضاع عمله ما كنت اعمل شيئا ثم قال تعالى كذلك يضل الله الكافرين قال القاضي
معناه انه يضلهم عن طريق الجنة ولا يجوز ان يقال يضلهم عن الحجة وقد هداهم في الدنيا اليها وقال يضل الله الكافرين مثل ضلال الهتهم
عنهم يضلهم عن الهتهم حتى انهم لو طلبوا الالهة او طلبتهم الالهة لم يجد احدهما الاخر **قوله تعالى** ذلكم بما كنتم تفرحون اي ذلكم العذاب
الذي نزل بكم بما كنتم تفرحون تبطرون وتاشرون في الارض بغير الحق وبما كنتم تمرحون تفرحون وتختالون وقوله تفرحون وتمرحون
من باب التجنيس المحرف وهو ان يقع الفرق بين اللفظين بحرف **قوله تعالى** ادخلوا ابواب جهنم اي السبعة المقسومة لكم خالدين فيها
وقوله فبئس مثوى المتكبرين المخصوص بالذم محذوف اي جهنم او مثواكم ولم يقل فبئس مدخل لان الدخول لا يدوم وانما يدوم
الثواء فلذلك خصه بالذم وان كان الدخول ايضا مذموما **قوله تعالى** فاصبر ان وعد الله حق لما زيف طريقة المجادلين في ايات
الله امر في هذه الاية رسوله بان يصبر على اذاهم بسبب جدالهم ثم قال ان وعد الله حق والمراد ما وعد الرسول من نصرته ومن انزال
العذاب على اعدائه **قوله تعالى** فاما نرينك قال الزمخشري اصله فان نرك وما مزيدة لتاكيد معنى الشرط ولذلك الحقت النون
بالفعل الا تراك لا تقول ان تكرمني اكرمك ولكن اما تكرمني اكرمك قال ابو حيان وما ذكره من تلازم النون وما الزائدة ليس مذهب
سيبويه انما هو مذهب المبرد والزجاج ونص سيبويه على التخيير وقد تقدمت هذه القواعد مستوفاة **قوله تعالى** فالينا يرجعون
ليس جوابا للشرط الاول بل جوابا للمعطوف عليه وجواب الاول محذوف تقديره فان نرينك بعض الذي نعدهم من العذاب وهو
القتل يوم بدر فذاك وان نتوفينك قبل يوم بدر فالينا يرجعون فننتقم منهم اشد انتقام وقد تقدم مثل هذا في سورة يونس
ونحا ابو حيان نحوه وقال ابو حيان هنا وقال بعضهم جواب اما نرينك محذوف لدلالة المعنى عليه اي فيقر عينك ولا يصح ان
يكون فالينا يرجعون جوابا للمعطوف عليه والمعطوف لان تركيب فاما نرينك بعض الذي نعدهم في حياتك فالينا يرجعون
ليس بظاهر وهو يصح ان يكون جوابا او نتوفينك اي فالينا يرجعون فننتقم منهم ونعذبهم لكونهم لم يتبعوك ونظير هذه الاية
قوله تعالى فاما نذهبن بك فانا منهم منتقمون او نرينك الذي وعدناهم فانا عليهم مقتدرون الا انه هنا صرح بجواب الشرط
قال شهاب الدين وهذا بعينه هو قول الزمخشري وقرا السلمي ويعقوب يرجعون بفتح ياء الغيبة مبنيا للفاعل وابن مصرف ويعقوب
ايضا بفتح تاء الخطاب **قوله تعالى** منهم من قصصنا يجوز ان يكون منهم صفة لرسلا فيكون من قصصنا فاعلا به لاعتماده ويجوز
ان يكون خبرا مقدما ومن مبتدا مؤخر ثم في الجملة وجهان احدهما الوصف لرسلا وهو الظاهر والثاني الاستيناف **فصل**
معنى الاية انه قال لمحمد انت كالرسل من قبلك وقد ذكرنا حال بعضهم لك ولم نذكر حال الباقين وليس فيهم احد اعطاه الله ايات ومعجزات

الا وقد جادله قومه فيها وكذبوه فصبروا وكانوا ابدا يقترحون على الانبيا اظهار المعجزات الزايدة على الحاجة عنادا وعبثا وما كان لرسول ان ياتي باية الا باذن الله والله تعالى عليم بالصالح في اظهار ما اظهروه ولم يقدح ذلك في نبوتهم فكذلك الحال في اقتراح قومك عليك المعجزات الزايدة لما لم يكن اظهارها صالحا لاجرم ما اظهرناها ثم قال فاذا جاء امر الله قضي بالحق اي فاذا جاء قضا الله بين الانبياء والامم قضي بالحق وخسر هنالك المبطلون وهم المعاندون الذين يجادلون في ايات الله فيقترحون المعجزات الزايدة على الحاجة تعنتا وعبثا **قوله تعالى** الله الذي جعل لكم الانعام الاية لما ذكر الوعيد عاد الى ذكر ما يدل على وجود الاله القادر الحكيم والى ذكر ما يصلح ان يعد انعاما على العباد قال الزجاج الانعام الابل خاصة وقال القاضي الازواج الثمانية **قوله تعالى** منها ومنها من الاولى يجوز ان تكون للتبعيض اذ ليس كلها تركب ويجوز ان تكون لابتداء الغاية اذ المراد بالانعام شي خاص وهي الابل قال الزجاج لانه لم يعهد الركوب غيرها واما الثانية فكالاولى وقال ابن عطية هي لبيان الجنس قال لان الخيل منها ولا توكل فان قيل ما السبب في ادخال لام الغرض على قوله لتركبوا وعلى قوله لتبلغوا ولم يدخل على الركوب والاكل فالجواب قال الزمخشري الركوب في الحج والغزو اما ان يكون واجبا او مندوبا وايضا ركوبها لاجل حاجتهم وهي الانتقال من بلد الى بلد اخر لطلب علم او اقامة دين يكون اما واجبا او مندوبا فهذان القسمان اغراض دينية فلاجرم ادخل عليها حرف التعليل نظيره قوله تعالى والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة فادخل حرف التعليل على التعليل ولم يدخله على الزينة **قوله تعالى** لتركبوا منها اي بعضها ومنها تاكلون ولكم فيها منافع اي في اصوافها واوبارها واشعارها والبانها ولتبلغوا عليها حاجة في صدوركم تحمل اثقالكم من بلد الى بلد **قوله تعالى** وعليها وعلى الفلك تحملون اي على الابل في البر وعلى السفن في البحر فان قيل لم لم يقل وفي الفلك كما قال قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين فالجواب كلمة على للاستعلا والشي الذي يوضع على الفلك كما صح ان يقال وضع فيه صح ان يقال وضع عليه ولما صح الوجهان كانت لفظة على اولى حتى تتم المزاوجة في قوله وعليها وعلى الفلك تحملون وقال بعضهم ان لفظة في هنالك اليق لان سفينة نوح على ما قيل كانت مطبقة عليهم وهي محيطة بهم كالوعاء واما غيرها فالاستعلا فيه واضح لان الناس على ظهرها **قوله تعالى** ويريكم اياته دلايل قدرته وقوله فاي ايات الله منصوب بتنكرون وقدم وجوبا لان له صدر الكلام قال المكي ولو كان مع الفعل ها لكان الاختيار الرفع في اي بخلاف الف الاستفهام تدخل على الاسم وبعده فعل واقع على ضمير الاسم فالاختيار النصب نحو قولك ازيدا ضربته هذا مذهب سيبويه فرق بين الالف وبين اي يعني لك اذا قلت ايهم ضربته كان الاختيار الرفع لانه لا يحوج الى اضمار مع اي الاستفهام موجود وفي ازيدا ضربته يختار النصب لاجل الاستفهام فكان مقتضاه اختيار النصب ايضا فيما اذ كان الاستفهام بنفس الاسم والفرق حسن وقال الزمخشري فاي ايات الله جات على اللغة المستفيضة وقوله فايه ايات الله قليله لان التفرقة بين المذكر والمونث في الاسماء غير الصفات نحو حمار وحمارة غريب وهو في اي اغرب لابهامه قال ابو حيان ومن قلة تانيث اي قوله • باي كتاب ام باية سنة • ترى حبهم عارا علي وتحسب • وقوله وهو في اي اغرب ان عني اي على الاطلاق فليس بصحيح لان المستفيض في النداء ان يونث في نداء المونث كقوله تعالى يا ايتها النفس المطمينة ولا نعلم احدا ذكر تذكيرها فيه فيقول يا ايها المراة الا صاحب البديع في النحو وان عني غير المناداة فكلامه صحيح يقل تانيثها في الاستفهام وموصولة وشرطية قال انها بالذي واما اذا وقعت صفة لنكرة او حالا لمعرفة فالذي ينبغي ان يجوز الوجهان كالموصولة ويكون التانيث اقل نحو مررت بامراة اية امراة وجاءت هند اية امراة وكان ينبغي لابي حيان ان ينبه على هذين الفرعين

فصل

معنى قوله فاي ايات الله تنكرون اي هذه الايات التي عددناها كلها ظاهرة باهرة ليس في شي منها ما يمكن انكاره **قوله تعالى** افلم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم الاية معناه ان هولاء الكفار الذين يجادلون في ايات الله وحصل الكبر العظيم في صدورهم انما كان السبب في ذلك طلب الرياسة والتقدم على الغير في المال والجاه ومن ترك الانقياد الى الحق طلبا لهذه الاشياء فقد باع الاخرة بالدنيا وهذه طريقة فاسدة لان الدنيا فانية ذاهبة واحتج بقوله تعالى افلم يسيروا في الارض لانه يعني لو ساروا في اطراف الارض لعرفوا ان عاقبة المتكبرين والمتمردين ليس الا الهلاك والبوار مع انهم كانوا اكثر عددا وعددا ومالا وجاها من هولاء المتاخرين فلما لم تفدهم تلك المكنة العظيمة الا الخيبة والخسار فكيف حال هولاء الفقرا المساكين **قوله تعالى** فما اغنى عنهم يجوز في ما ان تكون نافية واستفهامية بمعنى النفي ولا حاجة اليه وقوله ما كانوا يجوز ان تكون ما مصدرية ومحلها الرفع اي مكسوبهم او كسبهم ويجوز ان تكون بمعنى الذي فلا عايد على الاول وعلى الثاني هو محذوف اي كسبوه وهي فاعل باغنى على التقديرين **قوله تعالى** بما عندهم من العلم فيه اوجه احدها انه تهكم بهم والمعنى ليس عندهم علم الثاني ان ذلك جا على زعمهم ان عندهم علما ينتفعون به الثالث ان من بمعنى بدل اي بما عندهم من الدنيا بدل العلم وعلى هذه الاوجه فالضميران للكفار الرابع ان يكون الضميران للرسل اي فرح الرسل بما عندهم من العلم الخامس ان الاول للكفار والثاني للرسل ومعناه فرح الكفار فرح ضحك واستهزا بما عند الرسل من العلم اذ لم ياخذوه بقبول ويمتثلوا باوامر الوحي ونواهيه وقال الزمخشري ومنها اي من الوجوه ان يوضع قوله فرحوا بما عندهم من العلم مبالغة في نفي فرحهم بالوحي الموجب لاقصى الفرح والمسرة مع تهكم بفرط خلوهم من العلم وجهلهم قال ابو حيان ولا يعبر بالجملة الظاهر كونها مثبتة عن الجملة المنفية الا في قليل من الكلام نحو شر اهر ذا ناب

مع خلاف فيه ولما آل امره الى الاثبات المحظور جاز في امثاله في الاية فينبغي ان لا يحمل على القليل لان في ذلك تخليط المعاني الجمل المتباينة

فصل

قال المفسرون الضمير في قوله فرحوا يحتمل ان يكون عايدا الى الكفار وان يكون عايدا الى الرسل فان عاد الى الكفار فذلك العلم الذي فرحوا به فيه هو الاشيا التي كانوا يسمونها علما وهي الشبهات الحكية عنهم في القران كقولهم وما يهلكنا الا الدهر وقولهم لو شاء الله ما اشركنا ولا اباونا وقولهم من يحيي العظام وهي رميم ولين رددت الى ربي لاجدن خيرا منها منقلبا فكانوا يفرحون بذلك ويدفعون به علوم الانبيا كما قال كل حزب بما لديهم فرحون وقيل المراد علوم الفلاسفة فانهم كانوا اذا سمعوا بوحي الله دفعوه وصغروا علوم الانبيا عند علومهم كما روي عن سقراط انه سمع بمجي بعض الانبيا عليهم السلام فقيل له لو هاجرت اليه فقال نحن قوم مهتدون فلا حاجة بنا الى من يهدينا وقيل المراد علمهم بامور الدنيا ومعرفتهم بتدبيرها كقوله تعالى يعلمون ظاهرا من الحيوة الدنيا وهم عن الاخرة هم غافلون ذلك مبلغهم من العلم فلما جاءتهم الرسل بعلوم الديانات ومعرفة الله تعالى ومعرفة المعاد وتطهير النفس من الرذايل لم يلتفتوا اليها واستهزوا بها واعتقدوا انه لا علم انفع واجلب للفوايد من علمهم ففرحوا به وان عاد الضمير الى الانبيا ففيه وجهان الاول ان يفرح الرسل اذا راوا من قومهم جهلا كاملا واعراضا عن الحق وعلموا سوء عاقبتهم وما يلحقهم من العقوبة على جهلهم واعراضهم فرحوا بما اوتوا من العلم وشكروا الله عليه وحاق بالكافرين جزاء جهلهم واستهزايهم الثاني ان المراد ان الرسل فرحوا بما عندهم من العلم فرح ضحك واستهزا **قوله تعالى** فلما راوا باسنا اي عذابنا قالوا امنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين اي تبرانا مما كنا نعدل بالله والباس شدة العذاب ومنه قوله تعالى بعذاب بيس فلم يك ينفعهم ايمانهم يجوز رفع ايمانهم اسما لكان وينفعهم جملة خبر مقدما ويجوز ان يرتفع بانه فاعل ينفعهم وفي كان ضمير الشان وقد تقدم هذا محققا في قوله ما كان يصنع فرعون وانه ليس من باب التنازع ودخل حرف النفي على الكون لا على النفي لانه بمعنى لا يصح ولا ينبغي كقوله ما كان لله ان يتخذ من ولد واعلم ان المراد بالوقت الذي لا ينفع الايمان فيه هو وقت معاينة نزول ملايكة الرحمة وملايكة العذاب لان في ذلك الوقت يصير المرء ملجا الى الايمان فذلك الايمان لا ينفع **قوله تعالى** سنة الله يجوز انتصابها على المصدر المؤكد لمضمون الجملة يعني ان الذي فعل الله بهم سنة سابقة من الله ويجوز انتصابها على التحذير اي احذروا سنة الله في المكذبين التي قد خلت في عباده وتلك السنة انهم اذا عاينوا العذاب امنوا ولا ينفعهم ايمانهم وخسر هنالك الكافرون هنالك في الاصل مكان فاستعير هنا للزمان ولا حاجة له فالمكانية فيه ظاهرة اي وخسر هنالك الكافرون بذهابهم الى الدارين قال الزجاج الكافر خاسر في كل وقت ولكنه يتبين لهم خسارتهم اذا راوا العذاب

فصل

قال ابن سيرين راى رجل في المنام سبع جوار حسان في مكان واحد لم ير احسن منهن فقال لهن لمن انتن فقلن لمن قرا الحم والله اعلم بالصواب واليه المرجع والماب

سورة فصلت مكية

وهي اربع وخمسون اية وسبع مائة وتسعة وتسعون كلمة وثلاثة الاف وثلثمائة وخمسون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى حم تنزيل من الرحمن الرحيم يجوز ان يكون تنزيل خبرا لحم على القول انها اسم للسورة ويجوز ان يكون تنزيل خبر ابتداء مضمر اي هذا تنزيل وقال الاخفش تنزيل رفع بالابتدا وكتاب خبره **قوله تعالى** كتاب قد تقدم انه يجوز ان يكون خبرا لتنزيل ويجوز ان يكون خبرا ثانيا وان يكون بدلا من تنزيل وان يكون فاعلا بالمصدر وهو تنزيل اي نزل كتاب قاله ابو البقا وفصلت اياته صفة لكتاب **قوله تعالى** قرانا في نصبه ستة اوجه احدها هو حال بنفسه وعربيا صفته او هو حال موطية والحال في الحقيقة عربيا وهي حال غير منتقلة وصاحب الحال اما كتاب لوصفه بفصلت واما اياته او منصوب على المصدر اي يقرؤه قرانا او على الاختصاص والمدح او مفعول ثان لفصلت او منصوب بتقدير فعل اي فصلناه قرانا **قوله تعالى** لقوم فيه ثلاثة اوجه احدها ان يتعلق بفصلت اي فصلت لهولاء وبينت لهم لانهم هم المنتفعون بها وان كانت مفصلة في نفسها لجميع الناس الثاني ان يتعلق بمحذوف صفة لقرانا اي كاينا لهولاء خاصة لما تقدم من المعنى الثالث ان يتعلق بتنزيل وهذا اذا لم يجعل من الرحمن صفة له لانك ان جعلت من الرحمن صفة له فقد اعملت المصدر الموصوف واذا لم يجعل كتاب خبرا عنه ولا بدلا منه لئلا يلزم الاخبار عن الموصول والبدل منه قبل تمام صلته ومن يتسع في الظرف وعديله لم يبال بشي من ذلك واما اذا جعلت من الرحمن متعلقا به وكتاب فاعلا به فلا يضر ذلك لانه من تمامه وليس باجنبي

فصل

اعلم انه تعالى حكم على هذه السورة باشيا اولها كونها تنزيلا والمراد المنزل والتعبير عن المفعول بالمصدر مجاز مشهور كقوله هذا بنا الامير اي مبنيه وهذا الدرهم ضرب السلطان اي مضروبه ومعنى كونها منزلا ان الله تعالى كتبها في اللوح المحفوظ وامر جبريل ان يحفظ الكلمات ثم ينزل بها على محمد

صلى الله عليه وسلم ويؤديها اليه فلما حصل تفهيم هذه الكلمات بواسطة نزول جبريل عليه السلام سمي بذلك تنزيلاً
وثانيها كون ذلك التنزيل من الرحمن الرحيم وذلك يدل على ان ذلك التنزيل نعمة عظيمة من الله تعالى لان الفعل المقرون بالصفة
لا بد وان يكون مناسباً لتلك الصفة فكونه تعالى رحماناً رحيماً صفتان دالتان على كمال الرحمة فالتنزيل المضاف الى ها
تين الصفتين لا بد وان يكون دالاً على اعظم وجوه الرحمة والنعمة والامر كذلك لان الخلق في هذا العالم كالمرضى والمحتا
جين والقران مشتمل على كل ما يحتاج اليه المرضى من الادوية وعلى ما يحتاج اليه الاصحاء من الاغذية فكان اعظم النعم من الله تعالى
على اهل هذا العالم انزال القران عليهم وثالثها كونه كتاباً وقد تقدم ان هذا الاسم مشتق من الكتب وهو الجمع فسمي كتاباً لانه جمع فيه
علم الاولين والاخرين ورابعها قوله فصلت آياته اي ميزت وجعلت تفاصيل في معان مختلفة فبعضها وصف ذات الله تعالى
وصفاته التنزيه والتقديس وشرح كمال علمه وقدرته ورحمته وحكمته وعجائب احوال الخلقة من السموات والكواكب وتعاقب
الليل والنهار وعجائب احوال النبات والحيوان والانسان وبعضها في المواعظ والنصائح وبعضها في تهذيب الاخلاق ورياضة
النفس وبعضها في قصص الانبياء وتواريخ الماضين وبالجملة فمن انصف علم انه ليس في بدء الخلق كتاب اجتمع فيه من العلوم المختلفة
مثل ما في القران وخامسها قوله قرانا وقد سبق توجيه هذا الاسم وسادسها قوله عربياً اي انما نزل بلغة العرب ويؤكده قوله
تعالى وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه وسابعها قوله لقوم يعلمون اي جعلناه قرانا لاجل انا انزلناه على قوم عرب بلغتهم
ليتمكنوا من فهم المراد وثامنها وتاسعها قوله تعالى بشيراً ونذيراً يجوز ان يكونا نعتين لقرانا وان يكونا حالين اما من كتاب واما
من آياته واما من الضمير المنوي في قرانا وقرا زيد بن علي برفعهما على النعت لكتاب وعلى خبر ابتداء مضمر اي هو بشير ونذير ومعناه
بشيراً للمطيعين بالثواب ونذيراً للمجرمين بالعقاب قال ابن الخطيب والحق ان القران بشارة ونذارة الا انه اطلق اسم الفاعل
عليه للتنبيه على كونه كاملاً في هذه الصفة كما يقال شعر شاعر وكلام قائل وعاشرها كونهم معرضين عنه فلا يسمعونه
ولا يلتفتون اليه فهذه الصفات العشرة التي وصف الله تعالى القران بها فان قيل احتج القائلون بخلق القران بهذه الاية
من وجوه الاول انه وصف القران بكونه منزلاً وتنزيلاً والمنزل والتنزيل مشعر بالتغير من حال الى حال فوجب ان يكون مخلوقاً
الثاني ان التنزيل مصدر والمصدر هو المفعول المطلق باتفاق النحويين الثالث المراد بالكتاب اما الكتابة وهي المصدر الذي
هو المفعول المطلق واما المكتوب الذي هو المفعول الرابع انه قوله فصلت آياته تدل على ان متصرفاً يتصرف فيه بالتفصيل
وذلك لا يليق بالقديم الخامس انما سمي قرانا لانه قرن بعض اجزائه ببعض وذلك يدل على كونه مفعول فاعل ومجعول جاعل
السادس وصفه بكونه عربياً وانما صحت هذه النسبة لان هذه الالفاظ انما دلت على هذه المعاني بحسب وضع العرب واصطلاحاتهم
وما حصل بجعل جاعل وفعل فاعل فلا بد وان يكون محدثاً ومخلوقاً والجواب ان كل هذه الوجوه المذكورة عائدة الى اللغات
والى الحروف والكلمات وهي حادثة **فصل** ذهب قوم الى ان في القران من سائر اللغات كالاستبرق والسجيل فانهما فارسيان
والمشكاة فانها حبشية والقسطاس فانه من لغة الروم وهذا فاسد لقوله تعالى قرانا عربياً وقوله وما ارسلنا من رسول الا بلسان
قومه **فصل** قالت المعتزلة الايمان والكفارة والصلوة والزكوة والصوم والحج الفاظ شرعية لا لغوية بمعنى ان الشرع
نقل هذه الالفاظ عن مسمياتها اللغوية الاصلية الى مسميات اخرى وهذا باطل وليس للشرع تصرف في هذه الالفاظ الا من وجه
واحد وهو انه خصص هذه الاسماء بنوع معين من انواع مسمياتها كان الايمان عبارة عن التصديق والصلاة عبارة عن الدعا
فخصصه الشرع بنوع معين من الدعاء وكذا القول في البواقي ويدل على هذا قوله تعالى قرانا عربياً وقوله وما ارسلنا من رسول
الا بلسان قومه **فصل** تمسك القائلون بان افعال الله تعالى معللة بالمصالح والحكمة بهذه الاية فقالوا انها تدل
على انه انما جعله قرانا عربياً لاجل ان يعلم المراد منه فدل ذلك على ان تعليل افعال الله واحكامه جائز **فصل** قال
قوم القران كله معلوم لقوله تعالى قرانا عربياً لقوم يعلمون انما جعلناه عربياً ليصير معلوماً والقول بانه غير معلوم يقدح
فيه **قوله تعالى** فاعرض اكثرهم فهم لا يسمعون لا يسمعون تكبراً وهذه الاية تدل على انه لا يهتدي الا من هداه الله ولا يضل الا
من اضله الله ولما وصف الله تعالى القران بانهم اعرضوا عنه ولم يلتفتوا اليه بين انهم صرحوا بهذه النفرة وذكروا ثلثة اشياء
احدها **قوله تعالى** في اكنة قال الزمخشري فان قلت هلا قيل على قلوبنا اكنة كما قيل وفي اذاننا وقر ليكون الكلام على نمط
واحد قلت هو على نمط واحد لانه لا فرق في المعنى بين قولك قلوبنا في اكنة والدليل عليه قوله تعالى وجعلنا على قلوبهم اكنة
ولو قيل جعلنا قلوبهم في اكنة لم يختلف المعنى وترى المطابيع منهم لا يرون الطباق والملاحظة الا في المعاني قال ابو حيان
وفي هنا ابلغ من على لانهم قصدوا الافراط في عدم القبول لحصول قلوبهم في اكنة احتوت عليها احتواء الظرف على المظروف
فلا يمكن ان يصل اليها شيء كما تقول المال في الكيس بخلاف قولك المال على الكيس فانه لا يدل على الحصر وعدم الوصول دلالة الوعاء
واما وجعلنا فهو من اخبار الله تعالى فلا احتياج الى مبالغة وتقدم تفسير الاكنة والوقر وقرا طلحة بن مصرف وقر بكسر الواو وتقدم
الفرق بينهما **قوله تعالى** مما تدعونا من في مما وفي ومن بيننا لابتداء الغاية والمعنى ان الحجاب ابتدا منا وابتدا منك فالمسافة المتوسطة

لجهتنا وجهتك مستوعبة بالحجاب لا فراغ فيها فلو لم ترد من لكان المعنى ان حجاباً حاصل وسط الجهتين والمقصود المبالغة
بالتباين المفرط فلذلك جي بمن قاله الزمخشري وقال ابو البقا هو محمول على المعنى لان المعنى في اكنة محجوبة عن سماع ما تدعونا
اليه ولا يجوز ان يكون نعتاً لاكنة لان الاكنة الاغشية وليست الاغشية مما يدعون اليه **فصل** وقال الواحدي مشركي مكة
قلوبنا في اكنة اغطية والاكنة جمع كنان كاغطية جمع غطاء والكنان هو الذي يجعل فيه السهام والمعنى لا نفقه ما تقول وفي
اذاننا وقر اي صمم فلا نسمع ما تقول والمعنى انا في ترك القبول منك بمنزلة من لا يفهم ولا يسمع ومن بيننا وبينك حجاب
خلاف في الدين فلا نوافقك على ما تقول فاعمل انت على دينك انا عاملون على ديننا **قوله تعالى** قل انما انا بشر قرا ابن وثاب
والاعمش قال فعلاً ماضياً خبراً عن الرسول والرسم يحتملهما وقد تقدم مثل هذا في الانبياء وآخر المؤمنين وقرا الاعمش والنخعي
يوحى بكسر الحاء اي الله تعالى والمعنى انما انا بشر مثلكم اي كواحد منكم لولا الوحي ما دعوتكم انما الهكم اله واحد قال الحسن علمه الله
التواضع **قوله تعالى** فاستقيموا اليه عدى بالى لتضمنه معنى توجهوا والمعنى وجهوا استقامتكم اليه بالطاعة ولا تميلوا عن
سبيله واستغفروه من ذنوبكم **قوله تعالى** وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكوة قال ابن عباس الذين لا يقولون لا اله الا الله
وهي زكوة الانفس والمعنى لا يطهرون انفسهم من الشرك بالتوحيد وهو ماخوذ من قوله ونفس وما زكاها وقال الحسن وقتادة
لا يقرون بالزكوة ولا يرون ايتاءها واجباً وكان يقال الزكوة قنطرة الاسلام فمن قطعها نجا ومن تخلف عنها هلك وقال
الضحاك ومقاتل لا ينفقون في الطاعة ولا يتصدقون وقال مجاهد لا يزكون اعمالهم وهم بالاخرة هم كافرون **فصل**
احتج من قال ان الكفار مخاطبون بفروع الاسلام بهذه الاية فقالوا انه تعالى توعدهم بامرين احدهما كونهم مشركين
والثاني لا يؤتون الزكوة فوجب ان يكون لكل واحد من هذين تاثير عظيم في حصول الوعيد وذلك يدل على ان لعدم ايتاء الزكوة
من المشرك تاثيراً عظيماً في زيادة الوعيد وهو المطلوب **فصل** احتج بعضهم على ان مانع الزكوة كافر بهذه الاية فقال
ان الله تعالى لما ذكر هذه الصفة ذكر قبلها ما يوجب الكفر وهو قوله وويل للمشركين وذكر بعدها ما يوجب الكفر وهو قوله وهم
بالاخرة هم كافرون فلو لم يكن منع الزكوة كفراً لكان ذكره فيما بين الوصفين الموجبين للكفر قبيحاً لان الكلام انما يكون فصيحاً اذا كا
المناسبة مرعية بين اجزائه ثم اكدوا ذلك بان ابا بكر الصديق رضي الله عنه حكم بكفر مانعي الزكوة قال ابن الخطيب والجواب انه
ثبت بالدليل ان الايمان عبارة عن التصديق بالقلب والاقرار باللسان وهما حاصلان عند عدم ايتاء الزكوة فلم يلزم حصول
الكفر بسبب عدم ايتاء الزكوة والله اعلم **قوله تعالى** ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم اجر غير ممنون قال ابن عباس غير مقطوع
من قولك مننت الحبل اي قطعته ومنه قولهم قد منه السفر اي قطعه وانشدوا

فضل الجواد على الخيل البطا فلا • يعطي بذلك ممنوناً ولا نزقا

وقال مقاتل غير منقوص ومنه المنون لانه ينقص منة الانسان وقوته وانشدوا قوله

لذي الاصبع العدواني • اني لعمرك ما بابي بذي غلق • على الصديق ولا خيري بممنون •

وقيل غير ممنون به عليهم لان عطاء الله لا يمن به انما يمن المخلوق وقال مجاهد غير محسوب وقال السدي نزلت هذه الاية في المرضى
والزمنى والهرمى اذا عجزوا عن الطاعة يكتب لهم الاجر كاصح ما كانوا يعملون فيه روى عبد الله بن عمر قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان العبد اذا كان على طريقة حسنة من العبادة ثم مرض قيل للملك الموكل به اكتب له مثل عمله اذا كان
طليقاً حتى اطلقه او اكفته الي **قوله تعالى** قل ائنكم لتكفرون بالذي خلق الارض في يومين الاية قرا ابن كثير ائنكم لتكفرون
بهمزة وبعدها ياء خفيفة ساكنة بلا مد والباقون ممدوداً مشدد النون وهو استفهام بمعنى الانكار اي كيف تكفرون بالله وكيف
يجوز جعل هذه الانداد الخسيسة انداداً لله مع انه تعالى خلق الارض في يومين وهما يوم الاحد ويوم الاثنين وتمم بقية
مصالحها في يومين اخريين وخلق السموات باسرها في يومين اخريين فمن قدر على خلق هذه الاشياء العظيمة كيف يعقل الكفر به
وانكار قدرته على الحشر والنشر فان قيل من استدل بشيء على اثبات شيء فذلك الشيء المستدل به يجب ان يكون مسلماً عند الخصم حتى
يصح الاستدلال به وكونه تعالى خالقاً للارض في يومين امر لا يمكن اثباته بالعقل المحض انما يمكن اثباته بالسمع ووحي الانبياء والكفار
كانوا منازعين في الوحي والنبوة فلا يعقل تقرير هذه المقدمة عليهم واذا امتنع تقريرها عليهم امتنع الاستدلال بها على فساد
مذاهبهم فالجواب اثبات كون السموات والارض مخلوقة بالعقل ممكن واذا امكن ذلك امكن الاستدلال به على وجود الاله القادر
القاهر العظيم وحينئذ يقال للكافر كيف يعقل التسوية بين الاله الموصوف بهذه القدرة القاهرة وبين الصنم الذي هو جماد لا يضر
ولا ينفع في المعبودية والالهية بقي ان يقال فحينئذ لا يبقى في الاستدلال بكونه تعالى خالقاً للارض في يومين اثر قال ابن الخطيب
لا اثر في هذا الباب وذلك ان التورية مشتملة على هذا المعنى فكان ذلك في غاية الشهرة بين اهل الكتاب وكفار مكة كانوا يعتقدون
في اهل الكتاب انهم اصحاب العلوم والظاهر انهم كانوا قد سمعوا من اهل الكتاب هذه المعاني واعتقدوا كونها حقاً واذا كان الامر
كذلك حسن ان يقال لهم ان الاله الموصوف بالقدرة على خلق هذه الاشياء العظيمة في هذه المدة اللطيفة كيف يليق بالعقل جعل

للخشب المنجور والحجر المنحوت شريكاً له في المعبودية والالهية فهذا التقدير حسن للاستدلال **قوله تعالى** وتجعلون
عطف على لتكفرون فهو داخل في حيز الاستفهام وقوله ذلك رب العالمين اي ذلك الموجود الذي علمت من صفته وقدرته خلق
الارض في يومين اخبر انه اتى بثلاثة انواع من الصنع العجيب والفعل البديع بعد ذلك فالاول قوله وجعل فيها رواسي وهذا استئناف
ولا يجوز عطفه على صلة الموصول للفصل بينهما باجنبي وهو قوله وتجعلون فانه معطوف على لتكفرون كما تقدم والمراد بالرواسي الجبال
فان قيل ما الفائدة في قوله من فوقها ولم يقتصر على قوله وجعل فيها رواسي كما اقتصر على قوله وجعلنا فيها رواسي شامخات
وقوله وجعلنا في الارض رواسي وقوله وجعل فيها رواسي فالجواب انه تعالى لو جعل لها رواسي من تحتها لاوهم ذلك ان تلك الاساطين
التحتانية هي التي امسكت هذه الارض الثقيلة عن النزول ولكنه تعالى قال خلقت هذه الجبال الثقال فوق الارض ليرى الانسان بعينه
ان الارض والجبال اثقال على اثقال وكلها مفتقرة الى ممسك وحافظ وما ذاك الحافظ المدبر الا الله سبحانه وتعالى
النوع الثاني **قوله** وبارك فيها اي في الارض بما خلق من البحار والانهار والاشجار والثمار وقال ابن عباس يريد شق الانهار
وخلق الجبال وخلق الاشجار وخلق اصناف الحيوانات وكلها يحتاج اليه من الخيرات النوع الثالث **قوله** وقدر فيها اقواتها
قيل المعنى وقدر فيها اقوات اهلها ومعايشهم وما يصلحهم وقال محمد بن كعب قدر اقوات الابدان قبل ان يخلق الابدان
وقال مجاهد وقدر فيها اقواتها من المطر وعلى هذا فالاقوات للارض لا للسكان والمعنى ان الله عز وجل قدر لكل ارض حظها من المطر
وقيل المراد من اضافة القوت الى الارض كونها متولدة في تلك الارض وحادثة فيها لان النحاة قالوا يكفي في حسن الاضافة ادنى سبب
فالشيء قد يضاف الى فاعله تارة والى محله اخرى فقوله وقدر فيها اقواتها اي قدر الاقوات التي يختص حدوثها بها وذلك لانه تعالى
جعل كل بلدة معدناً لنوع من الاشياء المطلوبة حتى ان اهل هذه البلدة يحتاجون الى الاشياء المتولدة في تلك البلدة وبالعكس فصار هذا
المعنى سبباً لرغبة الناس في التجارات واكتساب الاموال **قوله تعالى** في اربعة ايام تقديره في تمام اربعة ايام باليومين المتقدمين
قال الزجاج في تتمة اربعة ايام يريد بالتتمة اليومين وقال الزمخشري في اربعة ايام فذلك لمدة خلق الله الارض وما فيها كانه قال
كل ذلك في اربعة ايام كاملة مستوية بلا زيادة ولا نقصان قال شهاب الدين وهذا كقولك بنيت بيتي في يوم واكملته في يومين
اي بالاول وقال ابو البقاء اي في تمام اربعة ايام ولولا هذا التقدير لكانت الايام ثمانية يومان في الاول وهو قوله خلق الارض
في يومين ويومان في الاخر وهو قوله فقضاهن سبع سموات في يومين واربعة في الوسط وهو قوله في اربعة ايام فان قيل انه تعالى
لما ذكر خلق الارض في يومين فلو ذكر انه خلق هذه الانواع الثلاثة الباقية في يومين اخرين كان ابعد عن الشبهة وعن الغلط فلم ترك
التصريح وذكر الكلام المجمل فالجواب ان قوله في اربعة ايام سواء فيه فائدة زائدة على ما اذا قال خلقت هذه الثلاثة في يومين لانه
لو قال خلقت هذه الاشياء في يومين لم يفد هذا الكلام كون اليومين مستغرقين بتلك الاعمال لانه قد يقال عملت هذا العمل في يومين
مع ان اليومين ما كانا مستغرقين بذلك العمل اما لما ذكر خلق الارض وخلق هذه الاشياء ثم قال في اربعة ايام سواء دل على ان هذه
الايام الاربعة صارت مستغرقة في تلك الاعمال من غير زيادة ولا نقصان **قوله تعالى** سواء العامة على النصب وفيه وجوه احدها
انه منصوب على المصدر بفعل مقدر اي استوت استواء قاله مكي وابو البقاء وفيه نظر لان المعنى انما هو وصف الايام بانها سواء لا وصف
الارض بذلك وعلى هذا جاء التفسير ويدل على ذلك قراءة سواء بالجر صفة للمضاف او المضاف اليه وقال السدي وقتادة سواء
معناه سواء لمن سال عن الامر واستفهم عن حقيقته وقوعه واراد العبرة فيه فانه يجده كما قال تعالى الا ان ابن زيد وجماعة قالوا شيئاً
يقرب من المعنى الذي ذكره ابو البقاء فانه قالوا معناه مستو مهيأ امر هذه المخلوقات ونفعها المحتاجين اليها من البشر فعبر بالسائلين
عن الطالبين وقرأ زيد بن علي والحسن وابن ابي اسحق وعيسى ويعقوب وعمرو بن عبيد سواء بالخفض على ما تقدم وابو جعفر بالرفع وفيه
وجهان احدهما على انه خبر ابتداء مضمر اي هي سواء لا تزيد ولا تنقص وقال مكي هو مرفوع بالابتداء وخبره للسائلين وفيه نظر من حيث
الابتداء بنكرة من غير مسوغ ثم قال بمعنى مستويات لمن سال فقال في كم خلقت وقيل للسائلين لجميع الخلق لانهم يسالون الرزق وغيره
من عند الله تعالى **قوله تعالى** للسائلين فيه ثلاثة اوجه احدها انه متعلق بسواء بمعنى مستويات للسائلين الثاني انه متعلق بقدر
اي قدر فيها اقواتها لاجل الطالبين لها المحتاجين المقتاتين الثالث انه يتعلق بمحذوف كانه قيل هذا الحصر لاجل من سال في كم خلقت الارض
وما فيها **قوله تعالى** ثم استوى الى السماء وهي دخان اي عمد الى خلق السماء قال ابن الخطيب من قولهم استوى الى مكان كذا اذا توجه اليه
توجهاً لا يلتفت معه الى عمل اخر وهو من الاستواء الذي هو ضد الاعوجاج ونظيره قولهم استقام اليه وامتد اليه قال تعالى
فاستقيموا اليه والمعنى ثم دعاه داعي الحكمة الى خلق السموات بعد خلق الارض وما فيها من صارف يصرفه عن ذلك والدخان هو
ما ارتفع من لهب النار ويستعار لما يرى من بخار الارض عند جدبها وقيل جمعه في القلة ادخنة وفي الكثرة دخان نحو غراب واغربة
وغربان وشذ على غير قياس في جمعه على دواخن قيل هو جسم رخو ليس متداخلاً على سبيل الاسناد المجازي ومثله عثان وعواثن وقيل وهي
دخان من باب التشبيه الصوري لان صورتها صورة الدخان في راي العين فان **قيل** قال المفسرون هذا الدخان بخار الماء
وذلك لان العرش كان على الماء قبل خلق السموات والارض كما قال تعالى وكان عرشه على الماء ثم ان الله تعالى احدث في ذلك الماء

اضطراباً فازبد وارتفع وخرج منه دخان فاما الزبد فبقي على وجه الماء فخلق منه اليبوسة واحدث منه الارض واما الدخان
فارتفع وعلا فخلق منه السموات فان قيل قوله تعالى ثم استوى الى السماء وهي دخان يشعر بان تخليق السماء حصل بعد تخليق الارض
وقوله تعالى والارض بعد ذلك دحاها يشعر بان تخليق الارض حصل بعد تخليق السماء وذلك يوجب التناقض فالجواب المشهور
ان يقال انه تعالى خلق الارض اولاً ثم خلق بعدها السماء ثم بعد خلق السماء دحا الارض وبهذه الطريق يزول التناقض قال ابن
الخطيب وهذا الجواب عندي مشكل من وجوه الاول انه تعالى خلق الارض في يومين ثم انه في اليوم الثالث جعل فيها رواسي
من فوقها وبارك فيها وقدر فيها اقواتها وهذه الاحوال لا يمكن ادخالها في الوجود الا بعد ان صارت الارض منبسطة وقوله تعالى
وبارك فيها مفسر بخلق الاشجار والنبات والحيوان فيها وذلك لا يمكن الا بعد صيرورتها منبسطة ثم انه تعالى قال بعد ذلك
ثم استوى الى السماء فهذا يقتضي انه تعالى خلق السماء بعد خلق الارض وبعد ان جعلها مدحوة وحينئذ يعود السؤال الثاني ان قوله
وبرهان الدلائل الهندسية دلت على ان الارض كرة فهي اول حدوثها ان قلنا انها كرة والان بقيت كرة ايضاً فهي منذ خلقت كانت
مدحوة وان قلنا انها غير كرة ثم جعلت كرة فيلزم ان يقال انها كانت مدحوة قبل ذلك ثم ازيل عنها هذه الصفة وذلك باطل الثالث
ان الارض جسم في غاية العظم والجسم الذي يكون كذلك فانه من اول دخوله في الوجود يكون مدحواً فالقول بانها كانت غير
مدحوة ثم صارت مدحوة قول باطل اذا كان المراد انها على عظمها خلقت من ذلك الموضع ثم خلق بقية اجزائها واضيفت الى تلك
الاجزاء التي خلقت اولاً فهذا يكون اعترافاً بان تخليق الارض وقع متاخراً عن تخليق السماء الرابع انه لما حصل تخليق ذات الارض
في يومين وتخليق سائر الاشياء الموجودة في الارض في يومين وتخليق السموات في يومين اخرين كان مجموع ذلك ستة ايام
فاذا حصل دحو الارض بعد ذلك فقد حصل هذا الدحو في زمان اخر بعد الايام الستة فحينئذ يقع تخليق السموات والارض
في اكثر من ستة ايام وذلك باطل الخامس انه لا نزاع في ان قوله تعالى بعد هذه الاية ثم قال لها وللارض ائتيا طوعا او كرها
كناية عن ايجاد الموجودات وانتحال باطل هذا تمام البحث عن هذا الجواب ونقل الواحدي في البسيط عن مقاتل انه قال خلق السماء
قبل الارض وتاول قوله ثم استوى الى السماء ثم قد كان استوى الى السماء وهي دخان قبل ان يخلق الارض فاضمر فيه كان كما
قال تعالى قالوا ان يسرق فقد سرق اخ له من قبل معناه ان يكن سرق وقال تعالى وكم من قرية اهلكناها فجاءها باسنا والمعنى فكان
قد جاءها هذا ما نقله الواحدي قال ابن الخطيب وهذا جمع بين الضدين لان كلمة ثم تقتضي التاخير وكلمة كان تقتضي التقديم
والجمع بينهما يفيد التناقض وانما يجوز تاويل كلام الله بما لا يؤدي الى وقوع التناقض والركاكة فيه والمختار عندي ان يقال خلق
السماء مقدم على خلق الارض وتاويل الاية ان نقول الخلق ليس عبارة عن التكوين والايجاد والدليل عليه قوله تعالى ان مثل عيسى عند
الله كمثل ادم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون فلو كان الخلق عبارة عن الايجاد والتكوين لصار تقدير الاية اوجده من تراب
ثم قال له كن فيكون وهذا محال فثبت ان الخلق ليس عبارة عن الايجاد والتكوين بل هو عبارة عن التقدير والتقدير في حق الله تعالى
هو كلمته بان سيوجده واذا ثبت هذا فنقول قوله خلق الارض في يومين معناه انه قضى بحدوثه في يومين وقضاء الله انه سيحدث
كذا في مدة كذا لا يقتضي حدوث ذلك الشيء في الحال فقضاء الله بحدوث الارض في يومين قد تقدم على احداث السماء وحينئذ يزول
السؤال **قوله تعالى** ثم قال لها وللارض ائتيا طوعا او كرها قالتا اتينا طائعين قرا العامة ائتيا امر من الاتيان قالتا اتينا منه
ايضاً وقرا ابن عباس وابن جبير ومجاهد آتيا قالتا آتينا بالمد فيهما وفيه وجهان احدهما انه من المواتاة وهي الموافقة اي لتوافق
كل منهما الاخرى لما يليق بها واليه ذهب الرازي والزمخشري فوزن آتيا فاعلا كقاتلا وزنة آتينا فاعلنا كقاتلنا والثاني انه
من الايتاء بمعنى الاعطاء فوزن آتيا افعلا كاكرما ووزن آتينا افعلنا كاكرمنا فعلى الاول يكون قد حذف مفعولا وعلى الثاني يكون
قد حذف مفعولين اذ التقدير اعطيا الطاعة من انفسكما من امركما قالتا اعطيناه الطاعة وقد منع ابو الفضل الرازي الوجه
الثاني فقال آتينا بالمد على فاعلنا من المواتاة بمعنى سارعنا على حذف المفعول به ولا يكون من الايتاء الذي هو الاعطاء لبعد حذف
حذف مفعوليه قال شهاب الدين وهذا هو الذي منع الزمخشري ان يجعله من الايتاء **قوله تعالى** طوعا او كرها مصدران في موضع
الحال اي طائعين او مكرهين وقرا الاعمش كرها بالضم وتقدم الكلام على ذلك في النساء **قوله تعالى** قالتا اي قالت السماء
والارض وقال ابن عطية اراد الفرقتين المذكورتين جعل السموات سماء والارضين ارضاً كقوله • الم يحزنك ان حبال قومي
وقومك قد تباينتا انقطاعاً • عبر عنهما بتباينتا قال ابو حيان وليس كما ذكر لانه لم يتقدم الا ذكر الارض مفردة فلذلك حسن
التعبير بالتثنية واما البيت فكانه قال حبلي قومي وقومك وانث في تباينتا على المعنى لانه عنى بالحبال المودة **قوله تعالى** طائعين
في مجيئه مجيء جمع المذكرين العقلاء وجهان احدهما ان المراد باتينا من فيهما من العقلاء وغيرهم فلذلك غلب العقلاء على
غيرهم وهو راي الكسائي والثاني انه لما عاملهما معاملة العقلاء في الاخبار عنهما والامر لهما جمعهما جمعهم كقوله رايتهم
لي ساجدين وهل هذه المحاورة حقيقة او مجاز واذا كانت مجازاً فهل هو تمثيل او تخييل خلاف **فصل** ظاهر هذا الكلام
يقتضي ان الله تعالى انطق الجبال مع داود عليه السلام فقال يا جبال اوبي معه والطير وانطق الايدي والارجل فقال يوم تشهد

عليهم السنتهم وايديهم وارجلهم بما كانوا يعملون وقوله وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا انطقنا الله الذي
انطق كل شيء واذا كان كذلك فكيف يستبعد ان يخلق الله تعالى في ذات السموات والارض حياة وعقلا ثم يوجه الامر والتكليف
عليهما ويؤكد هذا وجوه الاول ان الاصل حمل اللفظ على ظاهره الا ان يمنع منه مانع وههنا لا مانع الثاني انه تعالى جمعهما
جمع العقلاء فقال قالتا اتينا طائعين الثالث قوله انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فابين ان يحملنها واشفقن
منها وهذا يدل على كونها عارفة بالله عالمة بتوجه تكليف الله عليها واجاب ابن الخطيب عن هذا القول بان المراد من قوله ائتيا
طوعا او كرها الاتيان الى الوجود والحدوث والحصول فعلى هذا التقدير فحال توجه هذا الامر كانت السموات والارض معدومة
اذ لو كانت موجودة فذلك لا يجوز فثبت انه حال توجه هذا الامر عليهما كانت معدومة واذا كانت معدومة لم تكن فاهمة
ولا عارفة للخطاب فلم يجز توجه الامر عليهما فان قيل روي مجاهد وطاوس عن ابن عباس انه قال قال الله للسموات اخرجا ما فيكما
من المنافع لمصالح العباد اما انت يا سما فاطلعي شمسك وقمرك ونجومك وانت يا ارض فشققي انهارك واخرجي ثمارك ونباتك
وقال لهما افعلا ما امرتكما طوعا والا الجأتكما الى ذلك حتى تفعلاه فنقول فعلى هذا التقدير لا يكون المراد من قوله ائتيا طائعين
حدوثهما في ذاتهما بل يصير المراد من هذا الامر ان يظهرا ما كان مودعا فيهما وهذا باطل لانه تعالى قال فقضاهن سبع سموات
في يومين وذلك يدل على ان حدوث السماء انما حصل بعد قوله ائتيا طوعا او كرها **فصل** اعلم ان المقصود من هذا
الكلام اظهار كمال القدرة والتقدير ائتيا شئتما ذلك او ابيتما كما يقول الجبار لمن تحت يده لتفعلن هذا شئت او ابيت ولتفعلنه
طوعا او كرها وقيل انه تعالى ذكر السماء والارض ثم ذكر الطوع والكره فوجب ان ينصرف الطوع الى السماء والكره الى الارض
وتخصص السما بالطوع لوجوه احدها ان السماء في دوام حركتها على نهج واحد لا يختلف تشبه حيوانا مطيعا لله عز وجل بخلاف
الارض فانها مختلفة الاحوال تارة تكون ساكنة وتارة تضطرب وثانيها ان الموجود في السماء ليس الا الطاعة قال تعالى يخافون
ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون واما اهل الارض فليس كذلك وثالثها ان السماء موصوفة بكمال الحال قيل انها افضل
الالوان وشكلها افضل الاشكال وهو المستدير ومكانها افضل الامكنة وهو العلو وسكانها افضل الاجرام وهي الكواكب المنيرة
بخلاف الارض فانها مكان الظلمة والكثافة واختلاف الاحوال وتغيير الذات والصفات فلا جرم عبر عن تكوين السماء بالطوع وعن
تكوين الارض بالكره **قوله تعالى** فقضاهن سبع سموات في نصب سبع اربعة اوجه احدها انه مفعول ثان لقضاهن لانه ضمن
معنى صيرهن بقضائه سبع سموات والثاني انه منصوب على الحال من مفعول فقضاهن اي قضاهن معدودة وقضى بمعنى
صنع كقول ابي ذويب • وعليهما مسرودتان قضاهما • داود او صنع السوابغ تبع • اي صنعهما الثالث انه تمييز قال الزمخشري
ويجوز ان يكون ضميرا مبهما مفسرا بسبع سموات على التمييز يعني بقوله مبهما انه لا يعود على السماء لا من حيث اللفظ ولا من حيث
المعنى بخلاف كونه حالا او مفعولا ثانيا الرابع انه بدل من هن في فقضاهن قاله مكي وقال ايضا السماء تذكر وتؤنث وعلى التانيث
جاء القران ولو جاء على التذكير لقيل سبعة سموات وتقدم تحقيق تذكيره وتانيثه في اوايل البقرة **فصل** قال اهل الاثر
ان الله تعالى خلق الارض يوم الاحد والاثنين وخلق سائر ما في الارض يوم الثلاثا والاربعا وخلق السموات وما فيها في يوم
الخميس والجمعة وفرغ في اخر ساعة يوم الجمعة فخلق فيها ادم وهي الساعة التي تقوم فيها القيمة فان قيل اليوم عبارة عن النهار
والليل وذلك انما يحصل بطلوع الشمس وغروبها وقبل حدوث السموات والشمس والقمر كيف يعقل حصول اليوم فالجواب
معناه انه مضى من المدة ما لو حصل هناك فلك وشمس لكان المقدار مقدرا بيوم وقضاء الشي اتمامه والفراغ منه **قوله تعالى**
واوحى في كل سماء امرها قال عطاء عن ابن عباس خلق في كل سماء خلقها من الملائكة وما فيها من البحار وجبال البرد وما لا يعلمه
الا الله وقال قتادة والسدي يعني خلق فيها شمسها وقمرها ونجومها وقال مقاتل واوحى الى كل سماء ما اراد من الامر والنهي
وذلك يوم الخميس والجمعة قال السدي ولله في كل سماء بيت يحج اليه ويطوف به الملائكة كل واحد منها مقابل للكعبة بحيث لو وقعت
منها حصاة لوقعت على الكعبة **قوله تعالى** وزينا السماء الدنيا بمصابيح وهي النيرات التي خلقها في السموات وخص كل واحد
بضوء معين وسر معين وطبيعة معينة لا يعرفها الا الله تعالى **قوله تعالى** وحفظا في نصبه وجهان احدهما انه منصوب
على المصدر بفعل مقدر اي وحفظناها بالثواقب من الكواكب حفظا والثاني انه مفعول من اجله على المعنى فان التقدير خلقنا الكواكب
زينة وحفظا قال ابو حيان وهو تكلف وعدول عن السهل البين **فصل** المعنى وحفظناها من الشياطين الذين يسترقون
السمع ثم قال ذلك اي الذي ذكر من صنعه تقدير العزيز في ملكه العليم في خلقه فالعزيز اشارة الى كمال القدرة والعليم اشارة الى كمال العلم
قوله تعالى فان اعرضوا فقل انذرتكم صاعقة الاية هذا التفات من خطابهم بقوله قل ائنكم الى الغيبة لفعلهم الاعراض اعرض عن
خطابهم وهو تناسب حسن والمعنى ان الحجة قد تمت على اكمل الوجوه فان بقوا مصرين على الجهل لم يبق حينئذ علاج في حقهم
الا انزال العذاب عليهم فلهذا قال فان اعرضوا فقل انذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود اي هلاكا مثل هلاكهم والانذار
التخويف قال المبرد والصاعقة المرة المهلكة لاي شي كان وقرا الجمهور صاعقة مثل صاعقة بالالف فيهما وابن الزبير والنخعي

والسلمي وابن محيصن صعقة مثل صعقة بحذف الالف وسكون العين وتقدم الكلام في ذلك في اوايل البقرة فقال
صعقت الصاعقة تصعق وهذا مما جاء فيه فعلته بالفتح فيفعل بالكسر ومثله جذعته فجذع قال الزمخشري والصعقة
المرة من الصعق **قوله تعالى** اذ جاءتهم فيه اوجه احدها انه ظرف لانذرتكم نحو لقيتك اذ كان كذا الثاني انه منصوب بصاعقة
لانها بمعنى العذاب اي انذرتكم العذاب الواقع في وقت مجيء رسلهم الثالث انه صفة لصاعقة الاولى الرابع انه حال من صاعقة
الثانية قالهما ابو البقا وفيهما نظر اذ الظاهر ان الصاعقة جثة وهي قطعة نار تنزل من السماء فتحرق كما تقدم تفسيرها
فلا يقع الزمان صفة لها ولا حالا عنها وتاويلها بمعنى العذاب اخراج لها عن مدلولها من غير ضرورة وانما جعلها وصفا
للاولى لانها نكرة وحالا من الثانية لانها معرفة لاضافتها الى علم ولو جعلها حالا من الاولى لانها تخصصت بالاضافة
لجاز فتعود الاوجه خمسة **قوله تعالى** من بين ايديهم ومن خلفهم الظاهر ان الضميرين عايدان على عاد وثمود وقيل الضمير
في خلفهم يعود على الرسل واستبعد هذا من حيث المعنى اذ يصير التقدير جاءتهم الرسل من خلف الرسل اي من خلف انفسهم وقد
يجاب عنه بانه من باب درهم ونصفه اي ومن خلف رسل اخرين **قوله تعالى** الا تعبدوا يجوز في ان ثلاثة اوجه احدها ان
تكون المخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشان محذوف والجملة النهيية بعدها خبر كذا اعربه ابو حيان وفيه نظر من وجهين
احدهما ان المخففة لا يقع بعدها فعل الا من افعال اليقين والثاني ان الخبر في باب ان واخواتها لا يكون طلبا فان ورد منه
شي اول ولذلك تاولوا • ان الذين قتلتم امس سيدهم • لا تحسبوا ليلهم عن ليلكم ناما • وقوله • ولو اصاب لقالت وهي صادقة
ان الرياضة لا تنصب للقلب • على اضمار القول الثاني انها الناصبة للمضارع والجملة النهيية بعدها صلتها وصلت بالنهي
كما توصل بالامر في كتبت اليه بان قم وقدم في وصلها بالامر اشكال يأتي مثله في النهي الثالث ان تكون مفسرة لمجيئهم لانه يتضمن
قولا وفي هذه الاوجه كلها ناهية ويجوز ان تكون نافية على الوجه الثاني ويكون الفعل منصوبا بان بعد لا النافية فان
لا النافية لا تمنع العامل ان يعمل في ما بعدها نحو جئت بلا زيد ولم يذكر الحوفي غيره **قوله تعالى** لو شاء قدر الزمخشري
مفعول شاء لو شاء ارسال الرسل لانزل ملايكة قال ابو حيان تتبعت القران وكلام العرب فلم اجد حذف مفعول شاء الواقع
بعد لو الا من جنس جوابها نحو ولو شاء الله لجمعهم على الهدى اي لو شاء جمعهم على الهدى لجمعهم عليه لو نشاء لجعلناه حطاما
لو نشاء جعلناه اجاجا ولو شاء ربك لامن ولو شاء ربك ما فعلوه لو شاء الله ما عبدنا من دونه وقال الشاعر
فلو شاء ربي كنت قيس بن خالد • ولو شاء ربي كنت قيس بن مرثد • وقال الاخر • والذي لو شاء كنت صخرا •
او جبلا اشم مشمخرا • قال فعلى ما تقدم لا يكون المحذوف ما قدره الزمخشري وانما التقدير لو شاء ربنا انزال الملايكة
بالرسالة منه الى الانس لانزلهم بها اليهم وهذا ابلغ في الامتناع من ارسال البشر اذ علقوا ذلك بانزال الملايكة وهو لم
يشا ذلك فكيف يشاء ذلك في البشر قال شهاب الدين وتقدير ابي القاسم اوقع معنى واخلص من ايقاع الظاهر موقع المضمر
اذ يصير التقدير لو شاء انزال الملايكة لانزل ملايكة **قوله تعالى** بما ارسلتم به هذا خطاب لهود وصالح وغيرهم من الانبياء
عليهم السلام وغلب المخاطب على الغايب نحو انت وزيد تقومان وما يجوز ان تكون موصولة بمعنى الذي وعايدها به وان تكون
مصدرية اي بارسالكم فعلى هذا يكون به يعود على ذلك المصدر المؤول ويكون من باب التاكيد كانه قيل كافرون بارسالكم به
فصل معنى جاءتهم الرسل من بين ايديهم ومن خلفهم اي ان الرسل المبعوثين اليهم اتوهم من كل جانب واتوا بجميع وجوه
الدلالات فلم يروا منهم الا العتو والاعراض كما حكى الله تعالى عن الشيطان قوله لاتينهم من بين ايديهم ومن خلفهم اي من كل
جهة وقيل المعنى ان الرسل جاءتهم من قبلهم اي ارسلوا الى ابائهم ومن خلفهم يعني الذين ارسلوا اليهم فان قيل كيف يمكن وصفهم
بانهم جاؤوهم فالجواب قد جاءهم هود وصالح داعيين الى الايمان بهما وبجميع الرسل وبهذا التقدير فكان جميع الرسل
قد جاؤوهم وامروهم بالتوحيد ونفي الشرك وامروهم فقالوا لو شاء ربنا لانزل ملايكة وجعلوا عدم انزال الملايكة
دليلا على تكذيب الرسل والمعنى انه تعالى لو شاء ارسال الرسل الى البشر لجعل رسله ملايكة لان الملايكة افضى الى المقصود
من بعثة البشر ثم قالوا فانا بما ارسلتم به كافرون وتقدم الجواب عن هذه الشبهة في سورة الانعام واعلم ان قولهم ارسلتم
به ليس اقرارا بان اوليك الانبيا رسل وانما ذكروه حكاية لكلام الرسل او على سبيل الاستهزا كما قال فرعون ان رسولكم الذي
ارسل اليكم لمجنون **فصل** روي ان ابا جهل قال في ملاء من قريش التبس علينا امر محمد فلو التمستم لنا رجلا عالما بالشعر
والسحر والكهانة وكلمه ثم اتانا ببيان من امره فقال عتبة بن ربيعة والله لقد علمت الشعر والسحر والكهانة وعلمت من ذلك علما
وما يخفى علي فاتاه فقال له يا محمد انت خير ام هاشم انت خير ام عبد المطلب انت خير ام عبد الله فلم تشتم الهتنا وتضلل
اباءنا فان كنت تريد الرياسة عقدنا لك اللوا فكنت رئيسنا وان اردت الباءة زوجناك عشر نسوة تختارهن من اي بنات
قريش شئت وان كنت تريد المال جمعنا لك ما تستغني به على ذلك ورسول الله صلى الله عليه وسلم ساكت فلما فرغ قال له
رسول الله صلى الله عليه وسلم افرغت قال نعم قال فاسمع ثم ان النبي صلى الله عليه وسلم تعوذ ثم قرا بسم الله الرحمن الرحيم

حم تنزيل من الرحمن الرحيم كتاب فصلت آياته الى ان بلغ قوله فان اعرضوا فقل انذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود فامسك
عتبة على فيه وناشده بالرحم الا ما سكت ثم رجع الى اهله ولم يخرج الى قريش فلما احتبس عنهم قالوا ما نرى عتبة الا قد صبا فانطلقوا
اليه وقالوا يا عتبة ما حبسك عنا الا انك قد صبوت الى محمد واعجبك طعامه فان كانت بك حاجة جمعنا لك من اموالنا ما يغنيك
عن طعام محمد فغضب واقسم لا يكلم محمدا ابدا ثم قال والله لقد علمتم اني من اكثر قريش مالا ولكني اتيته وقصصت عليه القصة
فاجابني بشيء والله ما هو شعر ولا كهانة ولا سحر وقرأ السورة ولما بلغ صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود امسكت بفيه وناشدته
بالرحم حتى سكت ولقد علمتم ان محمدا اذا قال شيئا لم يكذب فخفت ان ينزل العذاب **قوله تعالى** فاما عاد فاستكبروا في الارض
بغير الحق قيل هذا الاستكبار اظهار العجب والتيه وعدم الالتفات الى الغير وقيل الاستعلاء على الناس واستخدامهم ثم ذكر تعالى
سبب ذلك الاستكبار وهو قولهم من اشد منا قوة وكانوا ذوي اجسام طوال وقوة شديدة ثم انه تعالى ذكر ما يدل على انهم لا
يجوز لهم ان يغتروا بشدة قوتهم فقال اولم يروا ان الله الذي خلقهم هو اشد منهم قوة فان كانت الزيادة في القوة توجب
كون الناقص في طاعة الكامل فيجب عليهم الانقياد لله تعالى والخضوع لاوامره ونواهيه فان قيل صيغة افعل للتفضيل
انما تجري بين شيئين لاحدهما نسبة الى الآخر لكن قدرة العبد متناهية وقدرة الله لا نهاية لها والمتناهي لا نسبة له الى غير
المتناهي فما معنى قوله ان الله اشد منهم قوة فالجواب هذا ورد على قانون قولنا الله اكبر ثم قال وكانوا باياتنا يجحدون واما قولهم
والمعنى انهم يعرفون انها حق ولكنهم يجحدونها كما يجحد المودع الوديعة واعلم ان نظم الكلام ان يقال اما عاد فاستكبروا
في الارض بغير الحق وكانوا باياتنا يجحدون واما قولهم وقالوا من اشد منا قوة اولم يروا ان الله الذي خلقهم هو اشد منهم
قوة اعتراض وقع في البين لتقرير السبب الداعي لهم الى الاستكبار **قوله تعالى** فارسلنا عليهم ريحا صرصرا الصرصر الريح الشديدة
فقيل هي الباردة من الصر وهو البرد وقيل هي الشديدة السموم وقيل هي المصوتة من صر الباب اي سمع صريره والصرة الصيحة
ومنه فاقبلت امرأته في صرة قال ابن قتيبة صرصر يجوز ان يكون من الصر وهو البرد وان يكون من صر الباب وان يكون من
الصرة وهي الصيحة ومنه فاقبلت امرأته في صرة وقال الراغب صرصر لفظه من الصر وذلك يرجع الى الشدة لما في البرودة من
التعقد **قوله تعالى** في ايام نحسات قرأ الكوفيون وابن عامر بكسر الحاء والباقون بسكونها فاما الكسر فهو صفة على فعل
وفعله نحس بكسر العين ايضا كفعله يقال نحس فهو نحس كفرح فهو فرح واشر فهو اشر ومعناه نكدات مشؤومات ذات
نحوس واما الليث عن الكسائي الفتح لاجل الكسر ولكنه غيرهم من عنه حتى نسبه الداني للوهم واما قراءة الاسكان فيحتمل ثلاثة
اوجه احدها ان يكون مخففا من فعل في القراءة المتقدمة وفيه توافق القراءتين الثاني انه مصدر وصف به كرجل عدل الا ان هذا
يضعفه الجمع فان الفصيح في المصدر الموصوف ان يوحد وكان المسوغ للجمع اختلاف انواعه في الاصل الثالث انه صفة
مستقلة على فعل بسكون العين ولكن اهل التصريف لم يذكروا في الصفة الجائية من فعل بكسر العين الا اوزانا محصورة
ليس فيها فعل بالسكون فذكروا فرح فهو فرح وحور فهو احور وشبع فهو شبعان وسلم فهو سالم وبلي فهو بال وفي معنى نحسات
قولان احدهما انها من الشوم قال السدي اي مشايم من النحس المعروف والثاني انها شديدة البرد وانشدوا على الاول قول
الشاعر • يومين غيمين ويوما شمسا • نجمين سعدين ونجما نحسا • وعلى المعنى الثاني • كان سلافة عرضت لنحس
يحيل شفيفها الماء الزلالا • ومنه • قد اغتدي قبل طلوع الشمس • للصيد في يوم قليل النحس • وقيل يريد به في هذا
البيت الغبار اي قليل الغبار وقد قيل بذلك في الآية انها ذات غبار ونحسات نعت لايام والجمع بالالف والتاء مطرد
في صفة ما لا يعقل كايام معدودات كما تقدم تحقيقه في البقرة **فصل** الصرصر العاصفة التي تصرصر في هبوبها
روي عبد الله بن عباس انه قال الرياح ثمان اربع منها عذاب وهي العاصف والصرصر والعقيم والقاصف واربع منها رحمة
وهي الناشرات والمبشرات والمرسلات والذاريات وعن ابن عباس ان الله تعالى ما ارسل على عباده من الريح الا قدر خاتمي
قال الضحاك امسك الله عنهم المطر ثلاث سنين وتوالت الرياح عليهم من غير مطر **فصل** استدل الاحكاميون
من المنجمين بهذه الآية على ان بعض الايام قد يكون نحسا وبعضها سعدا واجاب المتكلمون بان المراد بهذه النحسات اي ذات
غبار وتراب ثائر لا يكاد يبصر فيه ولا يتصرف فيه وقالوا ايضا معنى كون هذه الايام نحسات ان الله اهلكهم فيها واجاب
الاحكاميون بان النحسات في وضع اللغة هي المشؤومات لان النحس يقابله السعد والهواء الكدر يقابله الصافي وايضا فانه
تعالى اخبر عن ايقاع ذلك العذاب في تلك الايام النحسات فوجب ان يكون تلك الايام نحسة مغايرة لذلك العذاب الذي
وقع فيها **قوله تعالى** لنذيقهم عذاب الخزي في الحيوة الدنيا اي عذاب الهوان والذل مقابلة لذلك الاستكبار ولعذاب الآخرة
اخزى اي اشد اهانة وهم لا ينصرون اي لا يكون لهم ناصر يدفع عنهم ذلك الخزي **قوله تعالى** واما ثمود الجمهور على
رفعه ممنوع الصرف والاعمش وابن وثاب مصروفا وكذلك كلما في القرآن الا قوله وآتينا ثمود الناقة فانهم الا الرسم
ثمود بغير الف وقرأ ابن عباس وابن ابي اسحق والاعمش في رواية وعاصم في رواية ثمودا منصوبا مصروفا والحسن وابن هرمز

وعاصم ايضا منصوبا غير منصرف فاما الصرف وعدمه فقد تقدم توجيههما في هود واما الرفع فعلى الابتداء والجملة
بعده الخبر وهو متعين عند الجمهور لان اما لا يليها الا المبتدأ فلا يجوز فيما بعدها الاشتغال الا في قليل كهذه القراءة واذا قدرت
الفعل الناصب فقدره بعد الاسم المنصوب اي واما ثمود هدينا هم فهديناهم قالوا لانها لا يليها الا الافعال **فصل**
قال الزمخشري وقرئ بضم الثاء قال مجاهد هديناهم دعوناهم وقال ابن عباس بينا لهم سبيل الهدى وقيل دللناهم
على طريق الخير والشر كقوله تعالى وهديناه السبيل فاستحبوا العمى على الهدى اي فاختاروا الكفر على الايمان وذكر الزمخشري
في تفسير الهدى في قوله تعالى هدى للمتقين ان الهدى عبارة عن الدلالة الموصلة الى البغية وهذه الآية تبطل قوله
لانها تدل على ان الهدى قد حصل مع ان الافضاء الى البغية لم يحصل فان قيل قالت المعتزلة دلت هذه الآية على ان الله
تعالى ينصب الدلائل ويزيح الاعذار الا ان الايمان انما يحصل من العبد لان قوله تعالى فهديناهم يدل على انه تعالى نصب
لهم الدلائل وقوله فاستحبوا العمى على الهدى يدل على انهم من عند انفسهم اتوا بذلك العمى وهذا يدل على ان الكفر والايمان
يحصلان من العبد والجواب من وجهين الاول انه انما صدر عنهم ذلك العمى لانهم احبوا تحصيله فلما وقع في قلوبهم هذه
المحبة دون محبة ضده فان حصل هذا الترجيح لا لمرجح فهو باطل وان كان لمرجح فان كان المرجح هو العبد عاد الطلب وان كان
المرجح هو الله فقد حصل المطلوب الثاني انه تعالى قال فاستحبوا العمى على الهدى ومن المعلوم بالضرورة ان احدا لا يحب
العمى والجهل مع العلم بكونه عمى وجهلا بل ما لم يظن في ذلك العمى والجهل كونه تبصرة وعلما لا يرغب فيه فاقدامه على اختياره ذلك
الجهل الثاني ان كان باختياره لزم التسلسل وهو محال فلا بد من انتهاء تلك الجهالات الى جهل يحصل فيه لا باختياره وهو المطلوب
قوله تعالى فاخذتهم صاعقة العذاب الهون بما كانوا يكسبون وصاعقة العذاب المهلكة والعذاب الهون اي ذي الهون اي
الهوان وهو الذي يهينهم بما كانوا يكسبون من شركهم وتكذيبهم صالحا ثم قال ونجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون
يعني يتقون الاعمال التي كانوا ياتون بها عاد وثمود فان قيل كيف يجوز للرسول صلى الله عليه وسلم ان ينذر قومه مثل صاعقة
عاد وثمود مع العلم بان ذلك لا يقع في امة محمد صلى الله عليه وسلم وقد صرح الله تعالى بذلك في قوله وما كان الله ليعذبهم
وانت فيهم وجاء في الحديث الصحيح ان الله تعالى رفع عن هذه الامة هذه الانواع فالجواب انهم لما عرفوا كونهم مشاركين
لعاد وثمود في استحقاق مثل تلك الصاعقة وان السبب الموجب للعذاب واحد وربما يكون العذاب النازل بهم من جنس ذلك
العذاب وان كان اقل درجة وهذا القدر يكفي في التخويف **قوله تعالى** ويوم يحشر اعداء الله الى النار الآية لما بين كيفية
عقوبة اولئك الكفار في الدنيا اردفه ببيان كيفية عقوبتهم في الآخرة ليحصل تمام الاعتبار في الزجر والتحذير فقال ويوم
يحشر العامل في هذا الظرف وجهان احدهما محذوف دل عليه ما بعده من قوله فهم يوزعون تقديره يساق الناس
يوم يحشر وقدره ابو البقاء يمنعون يوم يحشر الثاني انه منصوب باذكر اي اذكر يوم وقرأ نافع نحشر بنون العظمة وضم الشين اعداء
نصبا اي نحشر نحن والباقون بياء الغيبة مضمومة والشين مفتوحة على ما لم يسم فاعله واعداء رفعا لقيامه مقام الفاعل ووجه
الاول انه معطوف على ونجينا فحسن ان يكون على وفقه في اللفظ وقوله يوم نحشر المتقين وحشرناهم ووجه الثانية ان قصة
ثمود قد تمت وقوله ويوم يحشر ابتداء كلام آخر وايضا الحاشرون لهم هم المامورون بقوله احشروا الذين ظلموا وهم الملائكة
وايضا موافقة لقوله فهم يوزعون وايضا فتقدير القراءة الاولى ان الله تعالى قال ويوم يحشر اعداء الله فكان الاولى على هذا
التقدير ان يقال ويوم نحشر اعداءنا الى النار وكسر الاعرج شين يحشر ثم قال فهم يوزعون اي يساقون ويدفعون الى النار وقال
قتادة والسدي يحبس اولهم على آخرهم ليتلاحقوا اي يوقف سوابقهم حتى يصل اليهم تواليهم **قوله تعالى** حتى اذا ما جاؤها شهد عليهم
للحشر والمعنى حتى اذا جاؤا النار فتكون ما صلة وقيل فيها فائدة زائدة وهي تاكيد ان عند مجيئهم لا بد وان تحصل هذه الشهادة كقوله
تعالى اثم اذا ما وقع آمنتم به اي لا بد لوقت وقوعه من ان يكون وقت ايمانهم به **فصل** في كيفية تلك الشهادة
ثلاثة اقوال الاول ان الله تعالى يخلق الفهم والقدرة والنطق فيها فتشهد كما يشهد الرجل على ما يعرفه والثاني انه تعالى يخلق في تلك الاعضاء
الاصوات والحروف الدالة على تلك المعاني الثالث ان يظهر في تلك الاعضاء احوال تدل على صدور تلك الاعمال من ذلك الانسان
وتلك الامارات تسمى شهادات كما يقال تشهد هذا العالم بتغير احواله على حدوثه **فصل** قال ابن الخطيب والسبب في
تخصيص هذه الاعضاء الثلاثة بالذكر ان الحواس خمس وهي السمع والبصر والشم والذوق واللمس وآلة اللمس هي الجلد فالله تعالى ذكر
ههنا ثلاثة انواع من الحواس وهي السمع والبصر واللمس واهمل ذكر نوعين وهما الذوق والشم فالذوق داخل في اللمس من بعض الوجوه
لان ادراك الذوق انما يتاتى بان يصير جلدة اللسان مماسة لجرم الطعام وكذلك الشم لا يتاتى حتى يصير جلدة الحنك مماسة لجرم المشموم
فكانا داخلين في جنس اللمس واذا عرف هذا فنقول نقل عن ابن عباس انه قال المراد من شهادة الجلود شهادة الفروج وهذا من باب الكنايات
كما قال تعالى لا تواعدوهن سرا واراد النكاح وقال او جاء احد منكم من الغائط والمراد قضاء الحاجة وقال عليه السلام اول ما
يتكلم من الآدمي فخذه وكفه وعلى هذا التقدير فتكون هذه الآية وعيدا شديدا في اتيان الزنا لان مقدمة الزنا انما تحصل بالفخذ وقال

مقاتل تنطق جوارحهم بما كتمته الألسن من عملهم **قوله تعالى** وقالوا يعني الكفار الذين يحشرون إلى النار لجلودهم لم شهدتم
علينا قالوا أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء وهو خلقكم أول مرة وإليه ترجعون هذا من جواب الجلود ومعناه أن القادر على خلقكم
وإنطاقكم في المرة الأولى حال كونكم في الدنيا ثم على خلقكم وإنطاقكم في المرة الثانية وهي حال القيامة والبعث كيف يستبعد منه إنطاق
الجوارح والأعضاء **قوله تعالى** وما كنتم تستترون أي تستخفون عند الإقدام على الأعمال القبيحة وقال مجاهد تتقون وقال
قتادة تظنون **قوله تعالى** أن يشهد يجوز فيه أوجه أحدها من أن تشهد الثاني خيفة أن تشهد الثالث لأجل أن تشهد وكل هذا
بمعنى المفعول له الرابع عن أن تشهد أي ما كنتم تمتنعون ولا يمكنكم الاختفاء عن أعضائكم والاستتار عنها الخامس أنه ضمن معنى الظن
وفيه بعد **فصل** معنى الكلام أنهم كانوا يستترون عند الإقدام على الأعمال القبيحة لأن استتارهم ما كان لأجل خوفهم
من أن يشهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم لأنهم كانوا منكرين للبعث والقيامة وذلك الاستتار لأجل أنهم كانوا يظنون
أن الله لا يعلم الأعمال التي يخفونها روي عن ابن مسعود قال كنت مستترا بأستار الكعبة فدخل ثلاثة نفر ثقفيان وقرشي أو قرشيان
وثقفي كثير شحم بطونهم قليل فقه قلوبهم فقال أحدهم أترون أن الله يسمع ما نقول قال الآخر يسمع إن جهرنا ولا يسمع إن أخفينا
وقال الآخر إن كان يسمع إذا جهرنا يسمع إذا أخفينا فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله وما كنتم تستترون الآية
قيل الثقفي عبد يا ليل وختناه القرشيان ربيعة وصفوان بن أمية **قوله تعالى** وذلكم ظنكم فيه أوجه أحدها أن ذلكم رفع بالابتداء وظنكم
خبره والذي ظننتم نعته وأرداكم حال وقد معه مقدرة على رأي الجمهور خلافا للأخفش ومنع مكي الحالية للخلو من قد وهو ممنوع
لما تقدم الثاني أن يكون ظنكم بدلا والموصول خبره وأرداكم حال أيضا الثالث أن يكون الموصول خبرا ثانيا الرابع أن يكون ظنكم بدلا
أو بيانا والموصول هو الخبر وأرداكم خبر ثان الخامس أن يكون ظنكم والموصول والجملة من أرداكم أخبارا إلا أن أبا حيان رد على الزمخشري
قوله وظنكم وأرداكم خبران قال لأن قوله وذلكم إشارة إلى ظنهم السابق فيصير التقدير وظنكم بربكم أنه لا يعلم ظنكم بربكم فاستفيد
من الخبر ما استفيد من المبتدأ وهو لا يجوز وهذا نظير ما منعه النحاة من قولك سيد الجارية مالكها وقد منع ابن عطية كون أرداكم
حالا لعدم وجود قد وتقدم الخلاف في ذلك **فصل** قال المفسرون وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم أي ظنكم أن الله لا
يعلم كثيرا مما تعملون أرداكم أهلككم قال ابن عباس طرحكم في النار فأصبحتم من الخاسرين وهذا نص صريح في أن من ظن أنه يخرج
شيء من المعلومات عن علم الله فإنه يكون من الهالكين الخاسرين قال المحققون الظن قسمان أحدهما حسن والآخر فاسد فالحسن
أن يظن بالله عز وجل الرحمة والفضل والإحسان قال عليه السلام حكاية عن الله تعالى أنا عند ظن عبدي بي وقال عليه السلام لا يموتن
أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله والظن القبيح أن يظن أنه تعالى يعزب عن علمه بعض هذه الأحوال وقال قتادة والظن نوعان منجي
ومردي فالمنجي قوله إني ظننت أني ملاق حسابيه وقوله الذين يظنون أنهم ملاقوا ربهم والمردي هو قوله وذلكم ظنكم الذي ظننتم
بربكم أرداكم **قوله تعالى** فإن يصبروا فالنار مثوى لهم أي مسكن لهم يعني إن أمسكوا عن الاستغاثة لفرج ينتظرونه لم يجدوا ذلك
وتكون النار مثوى لهم أي مقاما لهم **قوله تعالى** وإن يستعتبوا فما هم من المعتبين العامة على فتح الياء من يستعتبوا وكسر التاء
الثانية مبنيا للفاعل فما هم من المعتبين بكسر التاء اسم فاعل ومعناه وإن طلبوا العتبى وهو الرضا فما هم ممن يعطاها والمعتب
الذي قبل عتابه وأجيب إلى ما سأل يقال أعتبني فلان أي أرضاني بعد إسخاطه إياي واستعتبته طلبت منه أن يعتب أي يرضى
وقيل المعنى وإن طلبوا زوال ما يعتبون فيه فما هم من المجابين إلى إزالة العتب وأصل العتب المكان النابي بنازله ومنه قيل لأسكفة
الباب والمرقاة عتبة ويعبر بالعتب عن الغلظة التي يجدها الإنسان في صدره على صاحبه وعتبت فلانا أبرزت له الغلظة
وعتبته أزلت عتباه فأعتبته وقيل حملته على العتب وقرأ الحسن وعمرو بن عبيد وإن يستعتبوا مبنيا للمفعول فما هم من المعتبين
اسم فاعل بمعنى إن يطلب منهم أن يرضوا فما هم فاعلون ذلك لأنهم فارقوا دار التكليف وقيل معناه أن يطلب ما لا يعتبون
عليه فما هم ممن يزيل العتبى وقال أبو ذؤيب • أمن المنون وريبه تتوجع • والدهر ليس بمعتب من يجزع **قوله تعالى** وقيضنا لهم
بعثنا ووكلنا وقال مقاتل هيأنا وقال الزجاج سببنا لهم وأصل التقييض التيسير والتهيئة قيضته للداهية أي يسرته وهذان
ثوبان قيضان أي كل منهما مكافئ للآخر في الثمن والمقايضة المعارضة وقوله نقيض له شيطانا أي نسهل ليستولي عليه استيلاء
القيض على البيض والقيض في الأصل قشر البيض الأعلى قال الجوهري قايضت الرجل مقايضة أي عارضته بمتاع وهما قيضان كما يقال
بيعان وقيض الله فلانا لفلان أي جاءه به ومنه قوله تعالى وقيضنا لهم قرناء والمراد بالقرناء النظراء من الشياطين حتى أضلوهم فزينوا
لهم ما بين أيديهم من أمر الدنيا حتى آثروه على الآخرة وما خلفهم من أمر الآخرة فدعوهم إلى التكذيب وإنكار البعث وقال الزجاج زينوا
لهم ما بين أيديهم من أمر الآخرة أنه لا بعث ولا جنة ولا نار وما خلفهم من أمر الدنيا وأن الدنيا قديمة ولا صانع إلا الطبع والأفلاك
وقيل ما بين أيديهم أعمالهم التي يعملونها وما خلفهم ما يعزمون أن يعملوه وقال ابن زيد ما بين أيديهم ما مضى من أعمالهم الخبيثة
فصل دلت هذه الآية على أنه تعالى يريد الكفر من الكافر لأنه تعالى قيض لهم قرناء فزينوا لهم الباطل وهذا يدل على
أنه تعالى أراد منهم الكفر وأجاب الجبائي بأن قال لو أراد المعاصي لكانوا بفعلها مطيعين لأن الفاعل لما يريده منه غيره يجب أن يكون

مطيعا له وأجاب ابن الخطيب بأنه لو كان من فعل ما أراده غيره مطيعا له لوجب أن يكون الله مطيعا للعباد إذا فعل ما أرادوه
فهذا إلزام للشيء على نفسه وإن أردت غيره فلا بد من بيانه حتى ينظر فيه هل يصح أم لا **قوله تعالى** في أمم نصب على الحال من الضمير
في عليهم والمعنى كائنين في جملة أمم وهذا كقوله إن تك عن أحسن الصنيعة مأفوكا ففي آخرين قد أفكوا أي في جملة قوم آخرين وقيل في
بمعنى مع **فصل** احتج أهل السنة بأنه تعالى أخبر أن هؤلاء حق عليهم القول فلو لم يكونوا كفارا لانقلب هذا الخبر الحق باطلا وهذا
العلم جهلا وهذا الخبر الصدق كذبا وكان ذلك محالا ومستلزم المحال محال فثبت أن صدور الإيمان منهم وعدم صدور الكفر عنهم
محال **قوله تعالى** وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه الآية اعلم أن الكلام ابتدأ من قوله تعالى وقالوا قلوبنا في أكنة
إلى قوله إنا عاملون وأجاب الله تعالى عن تلك الشبهة واتصل الكلام إلى هذا الموضع ثم إنه تعالى حكى عنهم شبهة أخرى فقال وقال الذين
كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه العامة على فتح الغين وهي تحتمل وجهين أحدهما أن يكون من لغي بالكسر يلغى وفيها
معنيان أحدهما من لغي إذا تكلم باللغو وهو ما لا فائدة فيه والثاني أنه من لغي بكذا أي رمى به فيكون في بمعنى الباء أي ارموا به وانبذوه
والثاني من الوجهين الأولين أن يكون من لغا بالفتح يلغا بالفتح أيضا حكاه الأخفش وكان قياسه الضم كغزا يغزو ولكنه فتح
لأجل حرف الحلق وقرأ قتادة وأبو حيوة وأبو السمال والزعفراني وابن أبي إسحاق وعيسى بضم الغين من لغا بالفتح يلغو كدعا يدعو
وفي الحديث فقد لغوت وهذا موافق لقراءة غير الجمهور **فصل** قال ابن عباس يعني الغطوا فيه كان بعضهم يوصي بعضا
إذا رأيتم محمدا يقرأ فعارضوه بالرجز والشعر واللغو وقال مجاهد والغوا فيه بالمكاء والصفير وقال الضحاك أكثروا الكلام فيختلط عليه
ما يقول وقال السدي صيحوا في وجهه لعلكم تغلبون على قراءته وهذا جهل منهم لأنهم في الحال أقروا بأنهم مشتغلون باللغو الباطل
من العمل والله تعالى ينصر محمدا بفضله ولما ذكر الله تعالى ذلك هددهم بالعذاب الشديد وقال فلنذيقن الذين كفروا عذابا
شديدا وهذا تهديد شديد لأن لفظ الذوق إنما يذكر في القدر القليل الذي يؤتى به لأجل التجربة ثم إنه تعالى ذكر أن ذلك
الذوق عذاب شديد فكيف يكون حال الكثير منه ثم قال ولنجزينهم أسوأ الذي كانوا يعملون قال أكثر العلماء المراد بالأسوأ
أي قبح أعمالهم وهو الشرك وقال الحسن المراد منه أنه لا يجازيهم على محاسن أعمالهم لأنهم أحبطوها بالكفر فضاعت أعمالهم
الحسنة ولم يبق معهم إلا الأعمال القبيحة فلا جرم لم يحصلوا إلا على جزاء السيئات **قوله تعالى** ذلك فيها وجهان
أحدهما أنه مبتدأ وجزاء خبره والثاني أنه خبر مبتدأ محذوف أي الأمر ذلك وجزاء أعداء الله النار جملة مستقلة مبينة للجملة
قبلها **قوله تعالى** النار فيها ثلاثة أوجه أحدها أنها بدل من جزاء وفيه نظر إذ البدل يحل محل المبدل منه فيصير التقدير ذلك
النار الثاني أنها خبر مبتدأ مضمر الثالث أنها مبتدأ ولهم فيها دار الخلد الخبر ودار يجوز ارتفاعها بالفاعلية أو الابتداء
وقوله فيها دار الخلد يقتضي أن يكون دار الخلد غير النار وليس الأمر كذلك لأن النار هي نفس دار الخلد وأجيب عن ذلك بأنه قد
يجعل الشيء ظرفا لنفسه باعتبار متعلقه على سبيل المبالغة كأن ذلك المتعلق صار مستقرا له وهو أبلغ من نسبة المتعلق
إليه على سبيل الإخبار به عنه ومثله قول الأخطل • وفي الله إن لم تنصفوا حكم عدل • وقوله تعالى لقد كان لكم في رسول الله
أسوة حسنة والرسول هو نفس الأسوة كذا أجابوا وفيه نظر إذ الظاهر وهو معنى صحيح منقول أن في النار دارا تسمى
دار الخلد والنار محيطة بها **قوله تعالى** جزاء في نصبه ثلاثة أوجه أحدها أنه منصوب بفعل مقدر وهو مصدر مؤكد
أي يجزون جزاء الثاني أن يكون منصوبا بالمصدر الذي قبله وهو جزاء أعداء الله والمصدر ينصب بمثله كقوله فإن جهنم جزاؤكم
جزاء الثالث أن ينتصب على أنه مصدر واقع موقع الحال وبما متعلق بجزاء الثاني إن يكون مؤكدا وبالأول وبآياتنا متعلق
بيجحدون **فصل** لما قال ولنجزينهم أسوأ الذي كانوا يعملون بين أن ذلك الأسوأ الذي جعل جزاء أعداء الله هو النار
ثم قال لهم فيها دار الخلد أي لهم في جملة النار دار معينة وهي دار العذاب جزاء بما كانوا بآياتنا يجحدون أي يلغون في القراءة
وسماه جحودا لأنهم لما علموا أن القرآن بالغ إلى حد الإعجاز خافوا من أنه لو سمعه الناس لآمنوا به فاستخرجوا تلك الطريقة
الفاسدة وذلك يدل على أنهم علموا كونه معجزا وأنهم جحدوا حسدا قال الزمخشري أي بما كانوا يلغون فذكر الجحود لأنه سبب
اللغو يعني أنه من باب إقامة السبب مقام المسبب وهو مجاز سائغ **قوله تعالى** وقال الذين كفروا ربنا أرنا اللذين أضلانا
الآية تقدم الخلاف في أرنا وفي نون اللذين وقال الخليل إذا قلت أرني ثوبك بالكسر فمعناه بصرنيه وبالسكون أعطنيه
فصل لما بين أن الذي حملهم على الكفر الموجب للعقاب الشديد مجالسة قرناء السوء بين أن الكفار في النار يقولون
ربنا أرنا اللذين أضلانا من الجن والإنس ومعناه أن الشيطان على نوعين جني وإنسي قال تعالى وكذلك جعلنا لكل نبي
عدوا شياطين الإنس والجن وقال الذي يوسوس في صدور الناس من الجنة والناس وقيل هما إبليس وقابيل ابن آدم الذي
قتل أخاه لأن الكفر سنه إبليس والقتل بغير حق سنه قابيل فهما سنا المعصية نجعلهما تحت أقدامنا ليكونا من الأسفلين
قال مقاتل يكونون أسفل منا في النار وقال الزجاج ليكونا في الدرك الأسفل وقال بعض الحكماء المراد باللذين يضلانا الشهوة
والغضب والمراد بجعلهما تحت أقدامهم كونهما مسخرين للنفس مطيعين لها وأن لا يكونا مستولين عليها قاهرين لها **قوله تعالى**

إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا الآية لما ذكر الوعيد أردفه بذكر الوعد كما هو الغالب واعلم أن ثم لتراخي الرتبة في الفضيلة سئل أبو بكر الصديق رضي الله عنه عن الاستقامة فقال أن لا تشرك بالله شيئا وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه الاستقامة أن تستقيم على الأمر والنهي ولا تروغ روغان الثعلب وقال عثمان رضي الله عنه أخلصوا العمل لله وقال علي رضي الله عنه أدوا الفرائض وقال ابن عباس استقاموا على أداء الفرائض وقال الحسن استقاموا على أمر الله بطاعته واجتنبوا معصيته وقال مجاهد وعكرمة استقاموا على شهادة أن لا إله إلا الله حتى لحقوا بالله وقال قتادة كان الحسن إذا تلا هذه الآية قال اللهم ربنا فارزقنا الاستقامة **قوله تعالى** تتنزل عليهم الملائكة قال ابن عباس عند الموت وقال قتادة ومقاتل إذا قاموا من قبورهم وقال وكيع بن الجراح البشرى تكون في ثلاثة مواطن عند الموت وفي القبر وعند البعث **قوله تعالى** أن لا تخافوا يجوز في أن تكون المخففة أو المفسرة أو الناصبة ولا ناهية على الوجهين الأولين ونافية على الثالث وقد تقدم ما في ذلك من الإشكال والتقدير بأن لا تخافوا وقايلين أن لا تخافوا فعلى الأول هو حال أي نزلوا بقولهم لا تخافوا وعلى الثاني الحال محذوفة وقال شهاب الدين يعني أن الباء المقدرة حالية فالحال غير محذوفة وعلى الثاني الحال هو القول المقدر وفيه تسامح وإلا فالحال محذوفة في الموضعين وكما قام المعمول مقام الحال كذلك قام الجار مقامها وقرأ عبد الله لا تخافوا بإسقاط أن وذلك على إضمار القول أي يقولون لا تخافوا **فصل** أن لا تخافوا من الموت قال مجاهد لا تخافوا على ما تقدمون عليه من أمر الآخرة ولا تحزنوا على ما خلفتم من أهل وولد فإنا نخلفكم في ذلك كله وقال عطاء بن أبي رباح لا تخافوا ولا تحزنوا على ذنوبكم فإني أغفرها لكم **قوله تعالى** وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون فإن قيل البشارة عبارة عن الخبر الأول بحصول المنافع فأما إذا أخبر الرجل بحصول المنفعة ثم أخبر ثانيا بحصولها كان الإخبار الثاني إخبارا ولا يكون بشارة والمؤمن قد يسمع بشارات الخير فإذا سمع المؤمن هذا الخبر من الملائكة وجب أن يكون هذا إخبارا ولا يكون بشارة فما السبب في تسمية هذا الخبر بشارة فالجواب أن المؤمن قد يسمع بشارات الخير من الملائكة بأن له الجنة فإذا سمع هذا الكلام من الملائكة كان إخبارا بنفع عظيم مع أنه هو الخبر الأول فكان ذلك بشارة واعلم أن هذا الكلام يدل على أن المؤمن عند الموت وفي القبر وعند البعث يكون فارغا عن الأهوال والفزع الشديد **قوله تعالى** نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة وهذا في مقابلة ما ذكره في وعيد الكفار حيث قال وقيضنا لهم قرناء قال السدي تقول الملائكة نحن الحفظة الذين كنا معكم في الدنيا ونحن أولياؤكم في الآخرة أي لا نفارقكم حتى تدخلوا الجنة ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم من الكرامات واللذات ولكم فيها ما تدعون أي ما تتمنون فإن قيل على هذا التفسير لا فرق بين قوله ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم وبين قوله ولكم فيها ما تدعون قال ابن الخطيب والأقرب عندي أن قوله ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم إشارة إلى الجنة الروحانية المذكورة في قوله دعواهم فيها سبحانك اللهم الآية **قوله تعالى** نزلا فيه أوجه أحدها أنه منصوب على الحال من الموصول أو من عائده والمراد بالنزل الرزق المعد للنازل كأنه قيل ولكم فيها الذي تدعونه حال كونه معدا الثاني أنه حال من فاعل تدعون أو من الضمير في لكم على أن يكون نزلا جمع نازل كصابر وصبر وشارف وشرف الثالث أنه مصدر مؤكد وفيه نظر لأن مصدر نزل النزول وقيل هو مصدر أنزل **قوله تعالى** من غفور رحيم يجوز أن يتعلق بمحذوف على أنه صفة لنزلا وأن يتعلق بتدعون أي تطلبونه من جهة غفور رحيم وأن يتعلق بما تعلق به الظرف في لكم من الاستقرار أي استقر لكم من جهة غفور رحيم قال أبو البقاء فيكون حالا من ما قال شهاب الدين وهذا البناء ليس بواضح بل هو متعلق بالاستقرار فضلة كسائر الفضلات وليس حالا من ما **قوله تعالى** ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله الآية قال ابن سيرين والسدي هو رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا إلى شهادة أن لا إله إلا الله وقال الحسن هو المؤمن الذي أجاب الله في دعوته ودعا الناس إلى ما أجاب إليه وعمل صالحا في إجابته وقال إنني من المسلمين وقالت عائشة إن هذه الآية نزلت في المؤذنين وقال عكرمة هو المؤذن وقال أبو أمامة الباهلي وعمل صالحا ركعتين بين الأذان والإقامة **قوله تعالى** وقال إنني العامة على إنني بنونين وابن أبي عبلة وابن نوح بنون واحدة **قوله تعالى** ولا السيئة في لا هذه وجهان أحدهما أنها زائدة للتوكيد كقوله ولا الظل ولا الحرور وكقوله ولا المسيء لأن استوى لا يكتفي بواحد والثاني أنها مؤسسة غير مؤكدة إذ المراد بالحسنة والسيئة الجنس أي لا تستوي الحسنات في أنفسها فإنها متفاوتة ولا تستوي السيئات أيضا فرب واحدة أعظم من أخرى وهو مأخوذ من كلام الزمخشري وقال أبو حيان فإن أخذت الحسنة والسيئة جنسا لم تكن زيادتها في الوجه الذي قبل هذا قال شهاب الدين فقد جعلها في المعنى الثاني زائدة وفيه نظر لما تقدم **فصل** قال المفسرون المراد بالحسنة الصبر وبالسيئة الغضب وقيل الحلم والجهل وقيل العفو والإساءة قال ابن الخطيب لما حكى الله تعالى عنهم قولهم قلوبنا في أكنة وإصرارهم الشديد على دينهم وعدم التأثر بكلام محمد صلى الله عليه وسلم ثم أطنب في الجواب عن شبهاتهم ثم رغب محمدا صلى الله عليه وسلم في أن لا يترك الدعوة إلى الله بقوله إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا أفلح للثواب العظيم ثم ترقى من تلك الدرجة إلى درجة أخرى وهو أن الدعوة إلى الله أعظم الدرجات ثم كأن سائلا قال إن الدعوة إلى الله وإن كانت طاعة عظيمة إلا أن الصبر على سفاهة الكفار شديد فذكر الله تعالى ما يصلح لأن يكون دافعا لهذا الإشكال فقال ولا تستوي الحسنة ولا السيئة والمراد بالحسنة دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم إلى الدين الحق والصبر على جهالة الكفار وترك الانتقام وترك الالتفات إليهم والمراد بالسيئة ما أظهروه

من الجلافة في قولهم قلوبنا في أكنة وقولهم لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه فكأنه قال يا محمد فعلك حسنة وفعلهم سيئة ولا تستوي الحسنة ولا السيئة أنك إذا أتيت بهذه الحسنة تستوجب التعظيم في الدنيا والثواب في الآخرة وهم بالضد من ذلك فلا ينبغي أن يكون إقدامهم على تلك السيئة مانعا لك من الاشتغال بهذه الحسنة ثم قال ادفع بالتي هي أحسن يعني ادفع سفاهتهم وجهالتهم بالطريق التي هي أحسن الطرق قال ابن عباس أمر بالصبر عند الغضب وبالحلم عند الجهل وبالعفو عند الإساءة والمعنى أنك إذا صبرت على سوء أخلاقهم مرة بعد أخرى ولم تقابل سفاهتهم بالغضب استحيوا من تلك الأخلاق المذمومة وتركوا أفعالهم القبيحة وانقلبوا من العداوة إلى المحبة ومن البغضاء إلى المودة فقال فإذا الذي بينك وبينه عداوة يعني إذا فعلت ذلك خضع لك عدوك وصار الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم أي كالصديق القريب قال مقاتل بن حيان نزلت في أبي سفيان بن حرب وذلك أنه لان للمسلمين بعد شدة عداوته بالمصاهرة التي حصلت بينه وبين النبي صلى الله عليه وسلم ثم أسلم فصار وليا بالإسلام حميما بالقرابة **قوله تعالى** كأنه ولي في هذه الجملة التشبيهية وجهان أحدهما أنها في محل نصب على الحال والموصول مبتدأ وإذا الذي للمفاجأة خبره والعامل في هذا الظرف من الاستقرار هو العامل في هذه الحال ومحط الفائدة في هذا الكلام هي الحال والتقدير فبالحضرة المعادي مشبها بالقريب الشفوق والثاني أن الموصول مبتدأ أيضا والجملة بعده خبره وإذا معمول لمعنى التشبيه والظرف يتقدم على عامله المعنوي هذا إن قيل إنها ظرف وإن قيل إنها حرف فلا عامل **قوله تعالى** وما يلقاها العامة على يلقاها من التلقية وابن كثير في رواية وطلحة بن مصرف يلاقاها من الملاقاة والضمير للخصلة أو الكلمة أو الجنة أو شهادة التوحيد **فصل** لما أرشدنا الله تعالى إلى الطريق النافع في الدين والدنيا قال وما يلقاها إلا الذين صبروا قال الزجاج وما يلقى هذه الفعلة إلا الذين صبروا على تحمل المكاره وتجرع الشدائد وكظم الغيظ وترك الانتقام وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم من الفضائل النفسانية وقال قتادة الحظ العظيم الجنة أي وما يلقاها إلا من وجبت له الجنة **قوله تعالى** وإما ينزغنك من الشيطان نزغ الآية تقدم تفسيرها في آخر سورة الأعراف قال الزمخشري النزغ والنسغ بمعنى واحد وهو شبه النخس والشيطان ينزغ الإنسان كأنه ينخسه يبعثه على ما لا ينبغي والمعنى فإن صرفك الشيطان عما شرع لك من الدفع بالتي هي أحسن فاستعذ بالله من شره إنه هو السميع لاستعاذتك وأقوالك العليم بأفعالك وأحوالك **قوله تعالى** ومن آياته الليل والنهار الآية لما بين تعالى في الآية المتقدمة أن أحسن الأعمال والأقوال هو الدعوة إلى الله تعالى وهي عبارة عن تقرير الدلائل الدالة على ذاته وصفاته ومن جملتها العالم بجميع أجزائه فبدأ هاهنا بذكر الفلكيات وهي الليل والنهار والشمس والقمر وقدم ذكر الليل على ذكر النهار تنبيها على أن الظلمة عدم والنور وجود والعدم سابق على الوجود وهذا كالتنبيه على وجود الصانع وتقدم شرحه مرارا ولما بين أن الشمس والقمر محدثان وهما دليلان على وجود الإله القادر قال لا تسجدوا للشمس ولا للقمر يعني أنهما عبدان دليلان على وجود الإله والسجود عبارة عن نهاية التعظيم وهو لا يليق إلا بمن كان أشرف الموجودات فقال لا تسجدوا للشمس ولا للقمر لأنهما عبدان مخلوقان واسجدوا لله الخالق القدير الحكيم **قوله تعالى** خلقهن في هذا الضمير ثلاثة أوجه أحدها أنه يعود على الليل والنهار والشمس والقمر وفي مجيء الضمير كضمير الإناث كما قال الزمخشري أن جمع ما لا يعقل حكمه حكم الأنثى أو الإناث نحو الأقلام بريتها أو بريتهن وناقشه أبو حيان من حيث إنه لم يفرق بين جمع القلة والكثرة في ذلك لأن الأفصح في جمع القلة أن يعامل معاملة الإناث وفي جمع الكثرة أن يعامل معاملة الأنثى فالأفصح أن يقال الأجذاع كسرتهن والجذوع كسرتها والذي تقدم في هذه الآية ليس بجمع قلة أعني بلفظ واحد ولكنه ذكر أربعة متعاطفة فتنزلت منزلة الجمع المعبر عنها بلفظ واحد قال شهاب الدين والزمخشري ليس في مقام بيان الفصيح والأفصح بل في مقام كيفية مجيء الضمير ضمير إناث بعد تقدم ما ذكر أنه أشياء مذكران وواحد مؤنث فالقاعدة تغليب المذكر على المؤنث ولما قال ومن آياته كن في معنى الآيات فقيل خلقهن ذكره الزمخشري أيضا أنه يعود على لفظ الآيات وهذا هو الوجه الثاني الثالث أنه يعود على الشمس والقمر لأن الاثنين جمع والجمع مؤنث ولقولهم شموس وأقمار وقال البغوي إنما قال خلقهن بالتأنيث لأنه أجراها على طريق جمع التكسير ولم يجر على طريق التغليب للمذكر على المؤنث **قوله تعالى** إن كنتم إياه تعبدون قيل كان ناس يسجدون للشمس والقمر كالصابئين في عبادتهم الكواكب ويزعمون أنهم يقصدون بالسجود لهما السجود لله فنهوا عن هذه الواسطة وأمروا أن لا يسجدوا إلا لله الذي خلق هذه الأشياء **قوله تعالى** فإن استكبروا أي عن السجود فالذين عند ربك يعني الملائكة يسبحون له بالليل والنهار وهم لا يسأمون لا يملون فإن قيل إن الذين يسجدون للشمس والقمر يقولون نحن أقل وأذل من أن يحصل لنا أهلية لعبادة الله تعالى ولكنا عبيد للشمس والقمر وهما عبدان لله تعالى وإذا كان قولهم هكذا فكيف يليق بهم أنهم استكبروا عن السجود لله تعالى فالجواب ليس المراد من الاستكبار هاهنا ما ذكرتم بل المراد استكبارهم عن قبول قول محمد بالنهي عن السجود للشمس والقمر **فصل** قال ابن الخطيب ليس المراد بهذه العندية قرب المكان بل يقال عند الملك من الجند كذا وكذا ويدل عليه قوله أنا عند ظن عبدي بي وأنا عند المنكسرة قلوبهم من أجلي في مقعد صدق عند مليك مقتدر ويقال عند الشافعي أن المسلم لا يقتل بالذمي **فصل** دلت هذه الآية على أن الملك أفضل من البشر لأنه إنما استدل بحال الأعلى

على الاذى فيقال هؤلاء انما القوم ان استكبروا عن طاعة فلان فالاكابر يخدمونه فان قيل وصف الملائكة بانهم يسبحون له
بالليل والنهار وهذا يدل على مواظبتهم على التسبيح لا ينفكون عنه لحظة واحدة كما قال يسبحون الليل والنهار لا يفترون واشتغالهم
بهذا العمل على سبيل الدوام يمنعهم من الاشتغال بسائر الاعمال لكنهم ينزلون الى الارض كما قال تعالى نزل به الروح الامين
على قلبك وقال ونبئهم عن ضيف ابرهيم وقال عليها ملائكة غلاظ شداد وقال عن الذين قاتلوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
يوم بدر يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين فالجواب ان الذين ذكرهم الله ههنا بكونهم مواظبين على التسبيح اقوام
معينون من الملائكة **فصل** اختلفوا في مكان السجدة فقال الشافعي رضي الله عنه هو عند قوله تعالى اياه تعبدون
وقال ابو حنيفة عند قوله تعالى وهم لا يسأمون **قوله تعالى** ومن آياته انك ترى الارض خاشعة
اي يابسة غير الانبات فيها فاذا انزلنا عليها الماء اهتزت وربت اي تحركت بالنبات وربت انتفخت لان النبت اذا قرب ان
يظهر ارتفعت له الارض وانتفخت ثم تصدعت عن النبات واعلم انه تعالى لما ذكر الدلائل الاربعة الفلكية اتبعها بذكر الدلائل
الارضية وهي هذه الآية ثم قال ان الذي احياها لمحيي الموتى يعني ان القادر على احياء الارض بعد موتها هو القادر على احياء
هذه الاجساد بعد موتها ثم قال انه على كل شيء قدير وهذا هو الدليل الاصلي وتقدم تقريره مرارا **قوله تعالى** ان الذين يلحدون
في آياتنا الآية لما بين ان الدعوة الى دين الله تعالى اعظم المناصب واشرف المراتب ثم بين ان الدعوة انما تحصل بذكر دلائل التوحيد
والعدل وصحة البعث والقيامة عاد الى تهديد من ينازع في تلك الآيات ويجادل بالقاء الشبهات فيها فقال ان الذين يلحدون في
آياتنا لا يخفون علينا يقال لحد الحافر والحد اذا مال عن الاستقامة فحفر في شق فالملحد هو المنحرف ثم اختص في العرف بالمنحرف عن الحق
الى الباطل فقال مجاهد يلحدون في آياتنا بالمكاء والتصدية واللغو واللغط وقال قتادة يكذبون في آياتنا وقال السدي يعاندون
ويشاقون لا يخفون علينا وهذا كقول الملك المهيب ان الذين ينازعون في ملكي اعرفهم فان ذلك يكون تهديدا ثم قال افمن يلقى
في النار خير ام من يأتي آمنا يوم القيامة وهذا استفهام بمعنى التقرير والغرض منه التنبيه على ان الملحدين في الآيات يلقون في النار
وان المؤمنين بالآيات يأتون آمنين يوم القيامة قال المفسرون المراد حمزة وقيل عثمان وقيل عمار بن ياسر ثم قال اعملوا ما شئتم
آمنين وهذا امر تهديد ووعيد ايضا انه بما تعملون بصير اي عالم باعمالكم فيجازيكم **قوله تعالى** ان الذين كفروا وفي خبرها ستة
اوجه احدها انه مذكور وهو قوله اولئك ينادون وقد سئل بلال بن ابي بردة عن ذلك في مجلسه فقال لا اجد لها منفذا فقال
له ابو عمرو بن العلاء انه منك لقريب اولئك ينادون وقد استبعد هذا من وجهين احدهما كثرة الفواصل والثاني تقدم من تصح
الاشارة اليه بقوله اولئك وهو قوله والذين لا يؤمنون واسم الاشارة يعود على اقرب مذكور الثاني انه محذوف لفهم المعنى
تقديره معذبون او مهلكون او معاندون وقال الكسائي سد مسده ما تقدم من الكلام قبل ان وهو قوله افمن يلقى في النار يعني
في الدلالة عليه والتقدير يخلدون في النار وقال البغوي يجازون بكفرهم وسأل عيسى بن عمر عمرو بن عبيد عن ذلك فقال معناه
في التفسير ان الذين كفروا بالذكر لما جاءهم كفروا به فقال الخبر من حسن الصلة وفيه نظر من حيث اتحاد الخبر والمخبر في المعنى من غير
زيادة فائدة نحو سيد الجارية مالكها الثالث ان الذين الثانية بدل من ان الذين الاولى والمحكوم به على البدل محكوم به على المبدل منه
فيلزم ان يكون خبره لا يخفون علينا وهو منتزع من كلام الزمخشري الرابع ان الخبر قوله لا يأتيه الباطل والعائد محذوف تقديره لا
يأتيه الباطل منهم نحو السمن منوان بدرهم اي منوان منه او يكون عوضا من الضمير في اي عند الكوفيين تقديره ان الذين كفروا بالذكر
لا يأتيه باطله الخامس ان الخبر قوله ما يقال لك والعائد محذوف ايضا تقديره ان الذين كفروا بالذكر ما يقال لك في شأنهم الا
ما قد قيل للرسل من قبلك وهذان الوجهان ذهب اليهما ابو حيان السادس قال بعض الكوفيين انه قوله وانه لكتاب عزيز وهذا غير
متعقل **قوله تعالى** وانه لكتاب عزيز جملة حالية وقوله لا يأتيه الباطل صفة لكتاب على ان لا يأتيه معترض او صفة كما تقدم على رأي
من يجوز تقديم غير الصريح من الصفات على الصريح وتقدم تحقيقه في المائدة ومن حكيم صفة لتنزيل او متعلق به والباطل اسم فاعل
وقيل مصدر واللام لام العاقبة **فصل** لما بالغ في تهديد الملحدين في آيات القرآن اتبعه ببيان تعظيم القرآن فقال وانه
لكتاب عزيز قال الكلبي عن ابن عباس اي كريم على الله وقال قتادة اعزه الله تعالى فلا يجد الباطل اليه سبيلا قال قتادة والسدي الباطل
هو الشيطان لا يستطيع ان يغيره او يزيد فيه او ينقص منه وقال الزجاج معناه انه محفوظ من ان ينقص منه فيأتيه الباطل من خلفه
وعلى هذا فمعنى الباطل هو الزيادة والنقصان وقال مقاتل لا يأتيه التكذيب من الكتب التي قبله ولا يأتي بعده كتاب فيبطله وقال
الزمخشري هذا تمثيل والمقصود ان الباطل لا يتطرق اليه ولا يجد اليه سبيلا من جهة من الجهات حتى يصل اليه **فصل** اعلم
ان لابي مسلم الاصفهاني ان يحتج بهذه الآية على انه لم يوجد النسخ فيه لان النسخ ابطال فلو دخل النسخ فيه لكان قد اتاه الباطل من خلفه
وهذا خلاف الآية ثم قال تنزيل من حكيم حميد اي حكيم في جميع افعاله حميد الى جميع خلقه بسبب كثرة نعمه **قوله تعالى** ما يقال لك
الا ما قد قيل للرسل من قبلك الآية لما هدد الملحدين في آيات الله ثم بين شرف آيات الله وعلو درجة كتاب الله رجع الى امر رسوله
بان يصبر على اذى قومه وان لا يضيق قلبه بسبب ما حكاه عنهم في اول السورة وهو قولهم قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه الى قوله فاعمل

اننا عاملون فقال ما يقال لك الا ما قد قيل للرسل من قبلك اي انهم قالوا للانبياء قبلك ساحر وكذبوهم كما كذبت
وقيل المراد ما قال الله لك الا مثل ما قال لسائر الرسل وهو انه امرك وامرهم بالصبر على سفاهة الاقوام **قوله تعالى** ان ربك لذو
مغفرة قيل هو مستأنف ومعناه لذو مغفرة لمن تاب وآمن بك وذو عقاب اليم لمن اصر على التكذيب **قوله تعالى** ولو جعلناه
اي جعلنا هذا الكتاب الذي تقرأه على الناس قرآنا اعجميا بغير لغة العرب لقالوا لولا فصلت آياته هلا بينت آياته بالعربية حتى
نفهمها **قوله تعالى** أأعجمي قرأ الاخوان وابو بكر بتحقيق الهمزة وهشام باسقاط الاولى والباقون بتسهيل الثانية بين بين واما
المد فقد تقدم حكمه من قوله أأنذرتهم في اول الكتاب فمن استفهم قال معناه أكتاب اعجمي ورسول عربي وقيل ومرسل اليه عربي
وقيل معناه ابعضه اعجمي وبعضه عربي ومن لم يثبت همزة استفهام فيحتمل انه حذفها لفظا وارادها معنى وفيه توافق
القراءتين الا ان ذلك لا يجوز عند الجمهور الا ان كان في الكلام ام نحو • بسبع رمين الجمار ام بثمان • فان لم تكن ام لم يجز
الا عند الاخفش وتقدم ما فيه ويحتمل ان يكون جعله خبرا محضا ويكون معناه هلا فصلت آياته فكان بعضها اعجميا يفهمه
العجم وبعضها عربيا تفهمه العرب والاعجمي من لا يفصح وان كان من العرب وهو منسوب الى صفته كاحمري ودواري
فالياء فيه للمبالغة في الوصف وليس النسب فيه حقيقيا وقال الرازي في لوامحه فهو كياء كرسي وبختي وفرق ابو حيان بينهما
فقال ليست كياء كرسي فان ياء كرسي وبختي بنية الكلمة عليها بخلاف ياء اعجمي فانهم يقولون رجل اعجم واعجمي وقرئ عجمي
بفتح العين وهو منسوب الى العجم والياء فيه للنسب حقيقة يقال رجل عجمي وان كان فصيحا وقد تقدم الكلام
في الفرق بينهما في سورة الشعراء وفي رفع اعجمي ثلاثة اوجه احدها انه مبتدأ والخبر محذوف تقديره أأعجمي وعربي يستويان
والثاني انه خبر مبتدأ محذوف اي هو اي القرآن اعجمي والمرسل به عربي الثالث انه فاعل فعل مضمر اي يستوي اعجمي وعربي
وهذا ضعيف اذ لا يحذف الفعل الا في مواضع تقدم بيانها **فصل** قال المفسرون هذا استفهام على وجه
الانكار لانهم كانوا يقولون المنزل عليه عربي والمنزل اعجمي وذلك انه روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يدخل على يسار غلام
عامر بن الحضرمي وكان يهوديا اعجميا يكنى ابا فكيهة فقال المشركون انما يعلمه يسار فضربه سيده وقال انك تعلم محمدا
فقال يسار هو يعلمني فانزل الله تعالى هذه الآية وقال ابن الخطيب نقلوا في نزول هذه الآية ان الكفار لاجل التعنت قالوا لو نزل
القرآن بلغة العجم فنزلت هذه الآية وعندي ان امثال هذه الكلمات فيها حيف عظيم على القرآن لانه يقتضي ورود آيات لا
تعلق للبعض فيها بالبعض وانه يوجب اعظم انواع الطعن فكيف يتم مع التزام مثل هذا الطعن ادعاء كونه كتابا منتظما فضلا
عن ادعاء كونه معجزا بل الحق عندي ان هذه السورة من اولها الى آخرها كلام واحد على ما حكى الله عنهم من قولهم قلوبنا في اكنة مما تدعونا
اليه وفي آذاننا وقر وهذا الكلام متعلق به ايضا وجواب له والتقدير انا لو انزلنا هذا القرآن بلغة العجم لكان لهم ان يقولوا
كيف ارسلت الكلام العجمي الى القوم العرب ويصح لهم ان يقولوا قلوبنا في اكنة من هذا الكلام وفي آذاننا وقر منه لانا لا نفهمه ولا
نحيط بمعناه اما لما انزلت هذا الكتاب بلغة العرب وبالفاظهم وانتم من اهل هذه اللغة فكيف يمكنكم ادعاء ان قلوبكم في اكنة منها
وفي آذانكم وقر منها فظهر انا اذا جعلنا هذا الكلام جوابا عن ذلك الكلام بقيت السورة من اولها الى آخرها على احسن وجوه
النظم واما على الوجه الذي يذكره الناس فهو عجيب جدا **قوله تعالى** قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء اي قل يا محمد هو يعني
القرآن للذين آمنوا هدى وشفاء هدى من الضلالة وشفاء لما في القلوب وقيل شفاء من الاوجاع قال ابن الخطيب هذا متعلق
بقولهم وقالوا قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه الآية كانه تعالى يقول ان هذا الكلام ارسلته اليكم بلغتكم لا بلغة اجنبية عنكم فلا
يمكنكم ان تقولوا قلوبنا في اكنة منه بسبب جهلنا هذه اللغة فكل من اعطاه الله طبعا مائلا الى الحق وقلبا داعيا الى الصدق وهمة
تدعوه الى بذل الجهد في طلب الدين فان هذا القرآن يكون في حقه هدى وشفاء اما كونه هدى فانه اذا امكنه الاهتداء فقد حصل
الهدى وذلك شفاء لهم من مرض الكفر والجهل واما من غرق في بحر الخذلان وشغف بمتابعة الشيطان فكان هذا القرآن عليهم
عمى كما قال ومن بيننا وبينك حجاب فاولئك ينادون من مكان بعيد بسبب ذلك الحجاب الحائل بينه وبين الانتفاع ببيان
القرآن وكل من انصف ولم يتعسف علم ان التفسير على هذا الوجه الذي ذكرناه اولى مما ذكروه لان السورة تصير من اولها الى آخرها
كلاما واحدا منتظما مسوقا نحو غرض واحد **قوله تعالى** والذين لا يؤمنون فيه ثلاثة اوجه احدها ان يكون مبتدأ
وفي آذانهم خبره ووقر فاعل او في آذانهم خبر مقدم ووقر مبتدأ مؤخر والجملة خبر الاول الثاني ان وقر خبر مبتدأ مضمر والجملة
خبر الاول والتقدير والذين لا يؤمنون هو وقر في آذانهم لما اخبر عنه بانه هدى لاولئك اخبر عنه انه وقر في آذان هؤلاء
وعمى عليهم قال معناه الزمخشري ولا حاجة الى الاضمار مع تمام الكلام بدونه الثالث ان يكون الذين لا يؤمنون عطفا على
الذين آمنوا ووقر عطف على هدى وهذا من باب العطف على معمولي عاملين وفيه مذاهب تقدم تحريرها **قوله تعالى**
عمى العامة على فتح الميم منونة وهو مصدر لعمي يعمى عمى فهو مصدر يصدي صدى وهوي يهوي هوى وقرأ ابن عباس
وابن عمر وابن الزبير وجماعة عم بكسرها منونة اسما منقوصا وصف بذلك مجازا وقرأ عمرو بن دينار وروي عن ابن عباس

عمي بكسر الميم وفتح اليا فعلًا ماضيًا وفي الضمير وجهان اظهرهما انه للقران والثاني انه للوقر والمعنى يأباه وفي اذانهم
ان لم تجعله خبرا تعلق بمحذوف على انه حال منه لانه صفة في الاصل ولا يتعلق به لانه مصدر فلا يتقدم معموله عليه وقوله
وهو عليهم عمى كذلك في قراءة العامة واما في القراءتين المتقدمتين فيتعلق على بما بعده اذ ليس بمصدر قال ابو عبيد والاولى
هي الوجه لقوله هدى وشفاء وكذلك عمى وهو مصدر مثلهما ولو كان المذكور انه هاد وشاف لكان الكسر في عمى اجود فيكون
نعتا لهما **فصل** قال قتادة عموا عن القران وصموا عنه فلا ينتفعون به اولئك ينادون من مكان بعيد قال ابن
عباس يريد مثل البهيمة التي لا تفهم الا دعاء ونداء وقيل من دعي من مكان بعيد لم يسمع وان سمع لم يفهم فكذا حال هؤلاء
وهذا مثل لقلة انتفاعهم بما يوعظون به **قوله تعالى** ولقد اتينا موسى الكتاب فاختلف فيه وجه تعلقه بما قبله كانه قيل
انا لما اتينا موسى الكتاب فقبله بعضهم ورده اخرون فكذلك اتيناك هذا الكتاب فقبله بعضهم وهم اصحابك ورده
اخرون وهم الذين يقولون قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه ثم قال ولولا كلمة سبقت من ربك يعني في تاخير العذاب
عنهم الى اجل مسمى وهو يوم القيمة لقضي بينهم يعني المصدق والمكذب بالعذاب الواقع اي لفرغ من عذابهم وعجل اهلاكهم
وانهم لفي شك من صدقك وكتابك مريب موقع لهم الريبة فلا ينبغي ان يعظم استيحاشك من قولهم قلوبنا في اكنة مما تدعونا
اليه ثم قال من عمل صالحا فلنفسه ومن اساء فعليها يعني خفف على نفسك اعراضهم فانهم ان امنوا فنفع ايمانهم يعود عليهم وان
كفروا فضرر كفرهم يعود عليهم والله سبحانه يوصل الى كل احد ما يليق بعمله من الجزاء وما ربك بظلام للعبيد **قوله تعالى**
فلنفسه يجوز ان يتعلق بفعل مقدر اي فلنفسه عمله وان يكون خبر مبتدا مضمر اي فالعمل الصالح لنفسه وقوله فعليها
مثله ثم قال وما ربك بظلام للعبيد والكلام على نظيره قد تقدم في سورة ال عمران عند قوله وان الله ليس بظلام للعبيد
قوله تعالى اليه يرد علم الساعة لما هدد الكفار بقوله من عمل صالحا فلنفسه ومن اساء فعليها ومعناه ان جزاء كل احد
يصل اليه يوم القيمة فكان سائلا قال ومتى يكون ذلك اليوم فقال تعالى انه لا سبيل للخلق الى معرفة وقت ذلك اليوم ولا يعلمه
الا الله فقال اليه يرد علم الساعة وهذه الكلمة تفيد الحصر اي لا يعلم وقت الساعة بعينها الا الله وكذلك العلم بحدوث الحوادث
المستقبلة في اوقاتها المعينة ليس الا عند الله ثم ذكر من امثلة هذا الباب مثالين احدهما **قوله تعالى** وما تخرج من ثمرة من
اكمامها ما هذه يجوز ان تكون نافية وهو الظاهر وان تكون موصولة وجوز ذلك ابو البقا ولم يبين وجهه وبيانه انها تكون
مجرورة المحل عطفا على الساعة اي علم الساعة وعلم التي تخرج ومن ثمرة على هذا حال وتكون من للبيان ومن الثانية لابتدا الغاية
واما الثانية فنافية فقط قال ابو البقا لانه عطف عليها ولا تضع ثم نقض النفي بالا ولو كانت بمعنى الذي معطوفة على الساعة
لم يجز ذلك وقرا نافع وابن عامر ثمرات وتقويه انها رسمت بالتاء المبسوطة والباقون ثمرة بالافراد والمراد بها الجنس فان كانت
ما نافية كانت من مزيدة في الفاعل وان كانت موصولة كانت للبيان كما تقدم والاكمام جمع كم بكسر الكاف كذا ضبطه الزمخشري
وهو ما يغطي الثمرة كجف الطلع وقال الراغب الكم ما يغطي اليد من القميص وما يغطي الثمرة وجمعه اكمام وهذا يدل على انه مضموم
الكاف اذ جعله مشتركا بين كم القميص وكم الثمرة ولا خلاف في كم القميص انه بالضم فيجوز ان يكون في وعاء الثمرة لغتان دون
كم القميص جمعا بين قوليهما واما اكمة فواحدها كمام كازمة وزمام قال ابو عبيدة اكمامها اوعيتها وهي ما كانت فيه الثمرة واحدها
كم وكمة قال ابن عباس يعني الكفرى قبل ان ينشق وما تحمل من انثى ولا تضع الا بعلمه اي اليه يرد علم الساعة كما يرد اليه علم
الثمار والنتاج **قوله تعالى** ويوم يناديهم اين شركائي اي بحسب زعمكم واعتقادكم وفتح ابن كثير ياء شركائي قالوا اذناك قال
ابن عباس اسمعناك كقوله واذنت لربها يعني سمعت وقال الكلبي اعلمناك قال ابن الخطيب وهذا بعيد لان اهل القيمة يعلمون
ان الله تعالى يعلم الاشياء علما واجبا فالاعلام في حقه محال **قوله تعالى** ما منا من شهيد هذه الجملة المنفية معلقة لاذناك
لانها بمعنى اعلمناك قال الشاعر • اذنتنا ببينها اسماء • رب ثاو يمل منه الثواء • وتقدم الخلاف في تعليق اعلم
ومن الغاية والصحيح وقوعه سماعا من العرب وجوز ابو حاتم ان يوقف على اذناك وعلى ظنوا ويبتدأ بالنفي بعدهما
على سبيل الاستيناف وما بعده من شهيد مبتدا ويجوز ان يكون من شهيد فاعلا بالجار قبله لاعتماده على النفي **فصل**
في معنى الاية وجوه ليس احد منا يشهد بان لك شريكا لما عاينوا العذاب تبرءوا من الاصنام وقيل معناه ما منا احد يشاهدهم
لانهم ضلوا عنهم وضلت عنهم الهتهم فلا يبصرونها في ساعة التوبيخ وقيل هذا كلام الاصنام كان الله يحييها ثم انها تقول
ما منا احد يشهد بصحة ما اضافوا الينا من الشركة وعلى هذا التقدير فمعنى ضلالهم عنهم انهم لا ينفعونهم فكانهم ضلوا عنهم
وهو معنى قوله وضل عنهم ما كانوا يدعون من قبل **قوله تعالى** وظنوا ما لهم من محيص كقوله ما منا من شهيد ومعناه
انهم ايقنوا انه لا محيص لهم عن النار اي مهرب وهذا ابتداء كلام من الله تعالى **قوله تعالى** لا يسأم الانسان من دعاء الخير
لما بين تعالى من حال هؤلاء الكفار انهم بعد ان كانوا مصرين على القول باثبات الشركاء والاضداد لله تعالى في الدنيا
تبرءوا عن تلك الشركاء في الاخرة بين ان الانسان في جميع الاوقات متغير الاحوال فان احس بخير وقدرة تعاظم وان احس ببلاء

ومحنة ذل والمعنى ان الانسان في حال الاقبال لا ينتهي الى درجة الا ويطلب الزيادة عليها وفي حال الادبار والحرمان
يصير ايسا قانطا وفي قوله يؤوس قنوط مبالغة من وجهين احدهما من طريق فعول والثاني من طريق التكرير واليأس
من صفة القلب والقنوط ان تظهر اثار اليأس في الوجه والاحوال الظاهرة ثم بين تعالى ان الذي صار ايسا قانطا لو عاودته
النعمة والدولة وهو قوله ولئن اذقناه رحمة منا من بعد ضراء مسته فانه ياتي بثلاثة انواع من الاقاويل
الفاسدة الموجبة للكفر والبعد عن الله فالاول **قوله تعالى** ليقولن هذا لي وهو جواب القسم لسبقه الشرط وجواب الشرط
محذوف كما تقدم تقريره وقال ابو البقا ليقولن جواب الشرط والفاء محذوفة قال شهاب الدين وهذا لا يجوز الا في شعر
كقوله • من يفعل الحسنات الله يشكرها • حتى ان المبرد يمنعه في الشعر ويروي البيت • من يفعل الخير فالرحمن يشكره •
فصل معنى قوله هذا لي اي هذا حقي وصل الي لاني استوجبته بعلمي وعملي ولا يعلم المسكين ان احدا لا يستحق على الله
شيا لانه ان كان عاريا من الفضائل فكلامه ظاهر الفساد وان كان موصوفا بشيء من الفضائل والصفات الحميدة فهي انما حصلت
بفضل الله واحسانه فثبت بهذا فساد قوله انما حصلت هذه الخيرات بسبب استحقاقي النوع الثاني من كلامه الفاسد **قوله**
وما اظن الساعة قائمة والمعنى انه يكون شديد الرغبة في الدنيا عظيم النفرة عن الاخرة فاذا ال الامر الى احوال الدنيا يقول انها
واذا ال الامر الى الاخرة يقول وما اظن الساعة قائمة النوع الثالث من كلامه الفاسد **قوله تعالى** ولئن رجعت الى ربي
ان لي عنده للحسنى اي ان هذا الكافر يقول لست على يقين من البعث وان كان الامر على ذلك ورددت الى ربي ان لي عنده للحسنى
اي الجنة كما اعطاني في الدنيا سيعطيني في الاخرة ولما حكى الله تعالى عنهم هذه الاقوال الثلاثة الفاسدة قال فلننبئن الذين
كفروا بما عملوا قال ابن عباس لنقفنهم على مساوي اعمالهم ولنذيقنهم من عذاب غليظ وهذا في مقابلة قولهم ان لي عنده للحسنى
ولما حكى الله تعالى اقوال الذي انعم عليه بعد وقوعه في الافات حكى افعاله ايضا فقال واذا انعمنا على الانسان اعرض ونأى
بجانبه اي اعرض عن التعظيم لامر الله والشفقة على خلق الله ونأى بجانبه اي تعاظم ثم ان مسه الضر والفقر اقبل على دوام الدعاء
واخذ في الابتهال والتضرع ومعنى عريض كثير والعرب تستعمل الطول والعرض في الكثرة يقال اطال فلان الكلام والدعاء واعرض
اي اكثر **قوله تعالى** قل ارايتم تقدم الكلام عليها ومفعولها الاول هنا محذوف تقديره ارايتم انفسكم والثاني هو الجملة
الاستفهامية **فصل** ومعنى الاية انكم لما سمعتم هذا القران اعرضتم عنه وما تاملتم فيه وبالغتم في النفرة
عنه حتى قلتم قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه وفي اذاننا وقر ومن المعلوم بالضرورة انه ليس العلم بكون القران باطلا
وليس العلم بفساد القول بالتوحيد والنبوة علما بديهيا فقبل الدليل يحتمل ان يكون صحيحا وان يكون فاسدا فبتقدير ان
يكون صحيحا كان اصراركم على دفعه من اعظم موجبات العقاب فيجب عليكم ان تتركوا هذه النفرة وان ترجعوا الى الاستدلال
فان دل الدليل على صحته قبلتموه وان دل على فساده تركتموه وقبل الدليل فالاصرار على الدفع والاعراض بعيد عن العقل فقوله
من هو في شقاق بعيد موضوع موضع بيان لحالهم وصفتهم ولما ذكر هذه الوجوه الكثيرة في تقرير التوحيد والنبوة اجاب
عن شبهات المشركين فقال سنريهم اياتنا في الافاق وفي انفسهم الافاق جمع افق وهو الناحية نقل النووي في التهذيب
قال اهل اللغة الافاق النواحي الواحد افق بضم الهمزة والفا وافق باسكان الفا قال الشاعر • لو نال حي من الدنيا بمنزلة
افق السما لنالت كفه الافقا • وهو كاعناق في عنق ابدلت همزته الفا ونقل الراغب انه يقال افق بفتح الهمزة والفا فيكون كجبل
واجبال وافق فلان اي ذهب في الافاق والافق الذي بلغ نهاية الكرم تشبيها في ذلك بالذاهب في الافاق والنسب الى الافق
افقي بفتحهما ويحتمل انه نسبة الى المفتوح واستغنوا بذلك عن النسبة الى المضموم وله نظاير قال النووي قالوا والنسبة
اليه افقي بضم الهمزة والفا وبفتحهما لغتان مشهورتان **فصل** قال ابن عباس معنى قوله سنريهم اياتنا في الافاق
اي منازل الامم الخالية وفي انفسهم بالبلاء والامراض وقال قتادة يعني وقايع الله في الامم الخالية وفي انفسهم يوم
بدر وقال مجاهد والحسن والسدي في الافاق ما يفتح الله من القرى على محمد عليه السلام والمسلمين وفي انفسهم فتح مكة فان قيل
حمل الاية على هذا الوجه بعيد لان اقصى ما في الباب ان محمدا صلى الله عليه وسلم استولى على البلاد المحيطة بمكة ثم استولى على مكة
الا ان الاستيلاء على بعض البلاد لا يدل على كون المستولي محقا فانا نرى بعض الكفار قد يستولي على بلاد المسلمين وعلى ملوكهم
وذلك لا يدل على كونهم محقين فالجواب انا لا نستدل بمجرد استيلاء محمد عليه السلام على تلك البلاد على كونه محقا في ادعاء
النبوة بل يستدل به من حيث انه صلى الله عليه وسلم اخبر عن انه سيستولي عليها ويقهر اهلها وهذا اخبار عن الغيب وقد وقع
مخبره مطابقا لخبره فيكون هذا اخبارا صدقا عن الغيب فيكون معجزا فبهذا الطريق نستدل بحصول هذا الاستيلاء على كون
هذا الدين حقا وقال عطاء وابن زيد في الافاق يعني اقطار السموات والارض من الشمس والقمر والنجوم وايات الليل والنهار
والاضواء والاظلال والظلمات والنبات والاشجار والانهار وفي انفسكم من لطيف الصنعة وبديع الحكمة في كيفية تكوين
الاجنة في ظلمات الارحام وحدوث الاعضاء العجيبة والتركيبات الغريبة كقوله وفي انفسكم افلا تبصرون يعني نريهم هذه الدلايل

حتى يتبين لهم انه الحق من عند الله يعني محمدا صلى الله عليه وسلم وانه مرسل من عند الله فان قيل هذا الوجه ضعيف لان قوله
تعالى سنريهم اياتنا يقتضي انه تعالى ما اطلعهم على تلك الايات الى الان وسيطلعهم عليها بعد ذلك والايات الموجودة في العالم
الاعلى والاسفل قد اطلعهم عليها قبل ذلك فيتعذر حمل هذا اللفظ على هذا الوجه فالجواب ان القوم وان كانوا قد راوا هذه
الاشيا الا ان العجايب التي اودعها الله تعالى في هذه الاشياء مما لا نهاية لها فهو تعالى يطلعهم على تلك العجايب زمانا فزمانا
لان كل احد راي بنية الانسان وشاهدها الا ان العجايب التي ابدعها الله تعالى في تركيب هذا البدن كثيرة واكثر الناس لا يعرفونها
والذي وقف على شيء منها كلما ازداد وقوفا على تلك العجايب ازداد يقينا وتعظيما وكذلك التركيبات الفلكية ايضا والاولى
ان يقال ان كان المراد بقوله حتى يتبين لهم انه الحق هذا الرسول فقول مجاهد اولى وان كان المراد به الدين والتوحيد فهذا اولى
قوله تعالى اولم يكف بربك فيه وجهان احدهما ان الباء مزيدة في الفاعل وهذا هو الراجح والمفعول محذوف اي اولم يكف
ربك وفي قوله انه على كل شيء شهيد وجهان احدهما انه بدل من بربك فيكون مرفوع المحل مجرور اللفظ كمتبوعه والثاني
ان الاصل بانه ثم حذف الجار فجرى مجرى الخلاف الثاني من الوجهين الاولين ان يكون بربك هو المفعول وانه وما بعده هو الفاعل
اي اولم يكف ربك شهادته وقرئ انه على كل بالكسر وهو على اضمار القول او على الاستيناف **فصل** اعلم ان قوله بربك
في موضع الرفع على انه فاعل كفى كما تقدم ومعناه اولم يكفهم ان ربك على كل شيء شهيد اي شهيدا على الاشياء لانه خلق الدلائل
الدالة عليها وقال مقاتل اولم يكف بربك شاهدا ان القران من الله عز وجل قال الزجاج معنى الكفاية ههنا ان الله عز وجل قد
بين من الدلايل ما فيه كفاية **قوله تعالى** الا انهم في مرية من لقاء ربهم اي في شك من البعث والقيمة وقرا ابو عبد الرحمن والحسن
في مرية بضم الميم وقد تقدم انها لغة في المكسورة الميم ثم قال الا انه بكل شيء محيط اي عالم بكل المعلومات التي لا نهاية لها فيعلم
بواطن الكفار وظواهرهم ويجازي كل واحد على فعله فان قيل الاحاطة مشعر بالنهاية فهذا يقتضي ان تكون معلومة
متناهية فالجواب ان قوله بكل شيء محيط يقتضي ان يكون علمه بكل شيء محيطا اي بكل واحد من الاشياء وهذا يقتضي ان يكون
واحد منها متناهيا لا كون مجموعها متناهيا والله اعلم روى الثعلبي في تفسيره ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
من قرا حم السجدة اعطاه الله تعالى من الاجر بكل حرف منها عشر حسنات والله اعلم بالصواب واليه المرجع والماب

سورة الشورى مكية

وهي ثلاث وخمسون اية وثمانماية وست وستون كلمة وثلاثة الاف وخمسماية وثمانية وثمانون حرفا
بسم الله الرحمن الرحيم **قوله تعالى** حم عسق تقدم الكلام في امثال هذه الفواتح سئل الحسن بن الفضل
لم قطع حم عسق ولم يقطع كهيعص فقال لانها سور اوايلها حم فجرت مجرى نظايرها فكان حم مبتدا وعسق خبره ولانها عدا
ايتين واخواتها مثل كهيعص والمص والمر عدت اية واحدة وقيل لان اهل التاويل لم يختلفوا في كهيعص واخواتها انها حروف التهجي
لا غير واختلفوا في حم فاخرجها بعضهم من حيز الحروف وجعلها فعلا ثم قيل معناها حم اي قضي ما هو كاين روى عكرمة عن
ابن عباس انه قال ح حلمه م مجده ع علمه س سناؤه ق قدرته اقسم الله بها وقال شهر بن حوشب وعطاء بن ابي رباح ح حرب يعز فيها
الذليل ويذل فيها العزيز في قريش م ملك يتحول من قوم الى قوم ع عدو لقريش يقصدهم س سبي يكون فيهم ق قدرة الله النافذة
في خلقه وروي عن ابن عباس انه قال ليس من نبي صاحب كتاب الا وقد اوحيت اليه حم عسق فلذلك قال يوحي اليك والى الذين
من قبلك وعلى هذا فقوله الله العزيز الحكيم تبيين للفاعل كانه يقال من يوحي فقيل الله العزيز الحكيم كما سياتي وقرا ابن عباس
وابن مسعود حم سق **قوله تعالى** كذلك يوحي اليك قرا العامة يوحي بالياء من اسفل مبنيا للفاعل وهو الله تعالى والعزيز الحكيم نعتان
والكاف منصوبة المحل اما نعتا لمصدر او حالا من ضميره اي يوحي ايحاء مثل ذلك الايحاء وقرا ابن كثير ويروى عن ابي عمرو يوحى بفتح الحاء
مبنيا للمفعول وفي القايم مقام الفاعل ثلاثة اوجه احدها ضمير مستتر يعود على كذلك لانه مبتدا والتقدير مثل ذلك الايحاء
يوحى هو اليك فمثل ذلك مبتدا ويوحى اليك خبره الثاني ان القايم مقام الفاعل اليك والكاف منصوبة المحل على الوجهين المتقدمين
الثالث ان القايم مقامه الجملة من قوله الله العزيز الحكيم اي يوحى اليك هذا اللفظ واصول البصريين لا تساعد عليه لان الجملة
لا تكون فاعلة ولا قايمة مقامه وقرا ابو حيوة والاعمش وابان نوحي بالنون وهي موافقة للعامة ويحتمل ان تكون الجملة
من قوله الله العزيز الحكيم منصوبة المحل مفعولة بنوحي اي نوحي اليك هذا اللفظ الا ان فيه حكاية الجمل بغير القول الصريح ونوحي
على اختلاف قراته يجوز ان يكون على بابه من الحال او الاستقبال فيتعلق قوله والى الذين من قبلك بمحذوف لتعذر ذلك تقديره
واوحي الى الذين وان يكون بمعنى الماضي وجيء به على صورة المضارع وهو تصوير الحال **قوله تعالى** الله العزيز يجوز ان يرتفع

بالفاعلية

بالفاعلية في قراءة العامة وان يرتفع بفعل مضمر في قراءة ابن كثير كانه قيل من يوحيه فقيل الله كيسبح له فيها بالغدو
والاصال رجال وقوله ليبك يزيد ضارع لخصومة وقد مر وان يرتفع بالابتدا وما بعده خبره والجملة قايمة
مقام الفاعل على ما مر وان يكون العزيز الحكيم خبرين او نعتين والجملة من قوله له ما في السموات خبرا اولا وثانيا على ما
تقدم في العزيز الحكيم وجوز ابو البقا ان يكون العزيز مبتدا والحكيم خبره او نعته وله ما في السموات خبره وفيه نظر اذ الظاهر
تبعيتهما للجلالة وانما اذا قلت جاء زيد العاقل الفاضل لا تجعل العاقل مرفوعا على الابتدا **فصل** الكاف في كذلك
معناه المثل وذا للاشارة الى شيء سبق ذكره فيكون المعنى مثل حم عسق يوحي اليك والى الذين من قبلك وعند هذا حصل
قولان احدهما ما نقل عن ابن عباس انه قال لا نبي صاحب كتاب الا وقد اوحي اليه حم عسق كما تقدم قال ابن الخطيب وهذا
عندي بعيد والثاني ان يكون مثل الكتاب المسمى بحم عسق يوحي الله اليك والى الذين من قبلك وهذه المماثلة المراد منها
المماثلة في الدعوة الى التوحيد والنبوة والمعاد وتقبيح احوال الدنيا والترغيب في امور الاخرة قال الزمخشري لم يقل اوحي
اليك ولكن قال يوحي اليك على لفظ المضارع ليدل على ان ايحاء مثله عادة وكونه عزيزا يدل على كونه قادرا على ما لا نهاية له
وكونه حكيما يدل على كونه عالما بجميع المعلومات غنيا عن جميع الحاجات كما تقدم بيانه في اول سورة حم المومن وقوله له ما
في السموات وما في الارض يدل على كونه موصوفا بالقدرة الكاملة النافذة في جميع اجزاء السموات والارض على عظمها
وسعتها بالايجاد والاعدام وان ما في السموات وما في الارض ملكه وملكه وهو العلي اي المتعالي عن مشابهة الممكنات
العظيم بالقدرة والقهر والاستعلا **قوله تعالى** تكاد السموات يتفطرن تقدم الكلام فيه مشبعا في مريم الا ان
الزمخشري زاد هنا وروى يونس عن ابي عمرو قراءة غريبة تتفطرن بتاءين مع النون ونظيرها حرف نادر روي في نوادر
ابن الاعرابي الابل تتشمن قال ابو حيان والظاهر ان هذا وهم منه لان ابن خالويه قال في شواذ القران ما نصه تنفطرن
بالتاء والنون يونس عن ابي عمرو وقال ابن خالويه وهذا حرف نادر لان العرب لا تجمع بين علامتي التانيث لا يقال النساء
تقمن ولكن يقمن والوالدات يرضعن ولا يقال ترضعن وقد كان ابو عمر الزاهد روى في نوادر ابن الاعرابي الابل
تتشمن فانكرناه فقد قواه الان هذا قال ابو حيان فان كانت نسخ الزمخشري متفقة على قوله بتاءين مع النون فهو وهم
وان كان في بعضها بتاء مع النون كان موافقا لقول ابن خالويه وكان بتاءين تحريفا من النساخ وكذلك كتبهم تتفطرن
وتتشمن بتاءين انتهى قال شهاب الدين كيف يستقيم ان تكون كتبهم تتشمن بتاءين وهما وذلك لان ابن خالويه اورده في معرض
الندرة والانكار حتى يقوى عنده بهذه القراءة وانما يكون نادرا منكرا بتاءين فانه حينئذ يكون مضارعا مسندا للضمير
الاناث فكان من حقه ان يكون حرف مضارعته يا منقوطة من اسفل نحو النسا يقمن فكان ينبغي ان يقال الابل يتشمن بالياء
من تحت ثم بالتاء من فوق فلما جاء بتاءين كلاهما من فوق ظهر شذوذه وانكاره ولو كان على ما قال ابو حيان ان كتبهم بتاء
وهما لكان ينبغي كتبه بتاء واحدة لما كان فيه شذوذ ولا انكار لانه نظير تدحرجن فانه ماض مسند لضمير الاناث وكذا لو كتب
بياء من تحت وتاء من فوق لم يكن فيه شذوذ ولا انكار وانما يجي الشذوذ والانكار اذا كان بتاءين منقوطتين من فوق ثم
انه سواء قرئ تتفطرن بتاءين او بتاء ونون فانه نادر لما ذكر ابن خالويه وهذه القراءة لم يقرا بها في نظيرتها في سورة مريم
قوله تعالى من فوقهن في هذا الضمير ثلاثة اوجه احدها انه عايد على السموات اي كل واحدة منها تنفطر فوق التي تليها
من قول المشركين اتخذ الله ولدا كما في سورة مريم اي يبتدي انفطارهن من هذه الجهة فمن لابتداء الغاية متعلقة بما قبلها
الثاني انه يعود على الارضين لتقدم ذكر الارض الثالث انه يعود على فرق الكفار والجماعات الملحدين قاله الاخفش الصغير
وانكره مكي وقال لا يجوز ذلك في الذكور من بني ادم وهذا لا يلزم الاخفش فانه قال على الفرق والجماعات فراعى ذلك المعنى
فصل قال الزمخشري كلمة الكفر انما جاءت من الذين تحت السموات فكان القياس ان يقال يتفطرن من تحتهن
اي من الجهة التي جاءت منها الكلمة ولكن بولغ في ذلك فجعلت موثرة من جهة الفوق فكانه قيل يكدن يتفطرن من الجهة التي فوقهن
دع الجهة التي تحتهن ونظيره في المبالغة قوله تعالى يصب من فوق رؤسهم الحميم يصهر به ما في بطونهم والجلود فجعل موثرا في
اجزايهم الباطنة وقال ابن الخطيب معنى من فوقهن اي من فوق الجهة التي حصلت هذه السموات فيها وتلك الجهة هي فوق
فقوله اي من الجهة الفوقانية التي هن فيها **قوله تعالى** والملايكة يسبحون بحمد ربهم والتسبيح عبارة عن تنزيه الله تعالى عما لا
ينبغي والتحميد عبارة عن وصفه بكونه مفيضا لكل الخيرات **قوله تعالى** ويستغفرون لمن في الارض اي من المومنين كما حكى
عنهم في سورة المومن فقال ويستغفرون للذين امنوا فان قيل قوله ويستغفرون لمن في الارض عام فيدخل فيهم الكفار
وقد لعنهم الله تعالى فقال اولئك عليهم لعنة الله والملايكة والناس اجمعين فكيف يكونون لاعنين لهم ومستغفرين
لهم قال ابن الخطيب فالجواب من وجوه انه عام مخصوص باية المومن كما تقدم الثاني ان قوله لمن في الارض لا يفيد العموم لانه
يصح ان يقال انهم استغفروا لكل من في الارض وان يقال انهم استغفروا لبعض من في الارض دون البعض ولو كان صريحا

في العموم لما صح ذلك الثالث يجوز ان يكون المراد من الاستغفار ان لا يعاجلهم بالعقاب كما في قوله تعالى ان الله يمسك
السموات والارض ان تزولا الى ان قال انه كان حليما غفورا الرابع يجوز ان يقال انهم يستغفرون لكل من في الارض اما في حق
الكفار فبطلب الايمان لهم واما في حق المؤمنين فبالتجاوز عن سيئاتهم فانا نقول اللهم اهد الكفار وزين قلوبهم بنور
الايمان وازل عن خواطرهم وحشة الكفر وهذا استغفار لهم في الحقيقة **فصل** قال ابن الخطيب قوله
ويستغفرون لمن في الارض يدل على انهم لا يستغفرون لانفسهم ولو وجد منهم معصية لاستغفروا لانفسهم قبل
استغفارهم لمن في الارض فحيث لم يذكر الله عز وجل استغفارهم لانفسهم علمنا انهم مبرؤون من كل الذنوب والانبياء عليهم
السلام لهم ذنوب والذي لا ذنب له البتة افضل ممن له ذنب وايضا فقوله ويستغفرون لمن في الارض يدل على انهم
يستغفرون للانبياء عليهم السلام لانهم من جملة من في الارض واذا كانوا مستغفرين للانبياء عليهم السلام كان الظاهر
انهم افضل منهم ثم قال تعالى الا ان الله هو الغفور الرحيم وهذا تنبيه على ان الملائكة وان كانوا يستغفرون للبشر الا ان
المغفرة المطلقة لله تعالى وهذا يدل على انه تعالى يعطي المغفرة التي طلبوها ويضم اليها الرحمة **قوله تعالى** والذين اتخذوا
من دونه اولياء اي جعلوا له شركاء وانداد الله حفيظ عليهم اي رقيب عليهم يحفظ اعمالهم واقوالهم ويحصيها ليجازيهم
بها وما انت يا محمد عليهم بوكيل لم توكل بهم ولا امرهم اليك انما انت منذر **قوله تعالى** وكذلك اوحينا اليك قرانا عربيا
في قرانا وجهان اظهرهما انه مفعول اوحينا والكاف للمصدر نعتا او حالا الثاني انه حال من الكاف والكاف هي المفعول لاوحينا
اي اوحينا مثل ذلك الايحاء وهو قران عربي واليه نحا الزمخشري وكون الكاف اسما مذهب الاخفش **فصل** قال
ابن الخطيب قوله وكذلك اوحينا اليك قرانا عربيا يقتضي تشبيه وحي الله بالقران بشيء سبق ذكره وليس هنا شيء سبق
ذكره يكون تشبيه وحي القران به الا قوله والذين اتخذوا من دونه اولياء الله حفيظ عليهم وما انت عليهم بوكيل يعني كما اوحينا
اليك انك لست حفيظا عليهم ولست وكيلا عليهم وكذلك اوحينا اليك قرانا عربيا لتكون نذيرا لهم **قوله تعالى** لتنذر
ام القرى اي اهل ام القرى لان البلد لا تعقل وقوله ومن حولها عطف على اهل القرى قبل ام القرى والمفعول الثاني محذوف
اي العذاب وقرئ ليتنذر بالياء من تحت اي القران وام القرى اصل القرى يعني مكة وسميت بهذا الاسم اجلالا لان فيها
البيت ومقام ابرهيم والعرب تسمي اصل كل شيء امه حتى يقال هذه القصيدة من امهات قصائد فلان ومعنى ومن حولها
اي قرى الارض كلها من اهل البدو والحضر واهل المدر والوبر والانذار التخويف **قوله تعالى** وتنذر يوم الجمع اي تنذرهم
بيوم الجمع وهو يوم القيمة يجمع الله فيه الاولين والاخرين واهل السموات والارض وقيل المراد تجمع الارواح بالاجساد
وقيل يجمع بين العامل وعمله وقيل يجمع بين الظالم والمظلوم **قوله تعالى** لا ريب فيه اخبار فهو مستانف
فتكون صفة ليوم الجمع ويجوز ان يكون حالا من يوم الجمع وجعله الزمخشري اعتراضا وهو غير ظاهر صناعة اذ لم يقع
بين متلازمين **قوله تعالى** فريق العامة على رفعه باحد وجهين اما الابتدا وخبره الجار بعده وساغ هذا في النكرة لانه
مقام تفصيل كقوله فثوب لبست وثوب اجر ويجوز ان يكون الخبر مقدرا تقديره منهم فريق وساغ الابتدا بالنكرة
لشيئين تقديم خبرها جارا ومجرورا ووصفها بالجار بعدها والثاني انه خبر ابتداء مضمر اي المجموعون دل على ذلك
قوله يوم الجمع وقرا زيد بن علي فريقا وفريقا نصبا على الحال من جملة محذوفة اي افترقوا اي المجموعون وقال مكي وأجاز
الكسائي والفراء النصب في الكلام في فريقا بمعنى تنذر فريقا في الجنة وفريقا في السعير يوم الجمع فكانه لم يطلع على انها
قراءة وظاهر نقله عن هذين الامامين انهما لم يطلعا عليها وجعل فريقا مفعولا اول لتنذر يوم الجمع مفعولا ثانيا وفي
ظاهره اشكال وهو ان الانذار لا يقع للفريقين وهما في الجنة وفي السعير انما يكون الانذار قبل استقرارهما فيهما
ويمكن ان يجاب عنه بان المراد من هو من اهل الجنة ومن اهل السعير وان لم يكن حاصلا فيهما وقت الانذار وفي الجنة صفة
لفريقا او متعلق بذلك المحذوف فان قيل يوم الجمع يقتضي كون القوم مجتمعين والجمع بين الصفتين محال فالجواب
انهم يجتمعون اولا ثم يصيرون فريقين **قوله تعالى** ولو شاء الله لجعلهم امة واحدة قال ابن عباس على دين واحد
وقال مقاتل على ملة الاسلام كقوله ولو شاء الله لجمعهم على الهدى ولكن يدخل من يشاء في رحمته اي في دين الاسلام
والظالمون الكافرون ما لهم من ولي ولا نصير يدفع عنهم العذاب ولا نصير يمنعهم من النار وهذا تقرير لقوله الله
حفيظ عليهم وما انت عليهم بوكيل اي انت لا تقدر ان تحملهم على الايمان فلو شاء الله لفعله لانه اقدر منك لكنه جعل البعض
مومنا والبعض كافرا **قوله تعالى** ام اتخذوا من دونه اولياء هذه ام المنقطعة فتقدر ببل التي للانتقال وبهمزة الانكار او بالهمزة
فقط او ببل فقط واعلم انه تعالى لما حكى عنهم اولا انهم اتخذوا من دونه اولياء ثم قال لمحمد عليه السلام لست عليهم
بوكيل اي لا يجب عليك ان تحملهم على الايمان فان الله لو شاء لفعله اعاد ذلك الكلام على سبيل الاستنكار ثم قال فالله هو
الولي قال ابن عباس وليك يا محمد وولي من تبعك والفاء جواب شرط مقدر كانه قال ان ارادوا اولياء بحق فالله هو الولي

الولي

لا ولي سواه لانه يحيي الموتى وهو على كل شيء قدير فهو الحقيق بان يتخذ وليا دون من لا يقدر على شيء قال الزمخشري
وقيل الفا عاطفة ما بعدها على ما قبلها **قوله تعالى** وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه الى الله وجه النظم انه تعالى
كما منع الرسول صلى الله عليه وسلم ان يحمل الكفار على الايمان قهرا فكذلك منع المؤمنين ان يشرعوا معهم في الخصومات
والمنازعات فقال وما اختلفتم فيه من شيء من امر الدين فحكمه الى الله يقضي فيه ويحكم يوم القيمة بالفصل الذي يزيل
الريب وقيل وما اختلفتم فيه من شيء من امر الدين فحكمه الى الله ونازعتم فتحاكموا فيه الى الرسول صلى الله عليه وسلم ولا
تؤثروا حكومة غيره على حكومته وقيل ما وقع منكم فيه خلاف من الامور التي لا يتصل بتكليفكم ولا طريق لكم الى علمه فقولوا الله
اعلم كما قال تعالى ويسئلونك عن الروح قل الروح من امر ربي **فصل** قوله فحكمه الى الله اما ان يكون المراد فحكمه مستفاد
من نص الله عليه او المراد فحكمه مستفاد من القياس على ما نص الله عليه والثاني باطل لانه يقتضي كون كل الاحكام مثبتة
بالقياس وانه باطل فتعين الاول فوجب كون كل الاحكام مثبتة بالنص وذلك ينفي العمل بالقياس فان قيل لم لا يجوز ان
يكون المراد فحكمه معروف من بيان الله تعالى سواء كان ذلك البيان بالنص او القياس فالجواب ان المقصود من التحاكم
الى الله قطع الاختلاف والرجوع الى القياس يقوي حكم الاختلاف ولا يوضحه فوجب كون كل الاحكام ان يكون الواجب
هو الرجوع الى نص الله تعالى **قوله تعالى** ذلكم الله اي الذي يحكم بين المختلفين هو ربي عليه توكلت في كيد الاعداء وفي طلب
كل خير واليه انيب اي ارجع اليه في كل المهمات وهذا يفيد الحصر اي لا اتوكل الا عليه **قوله تعالى** فاطر العامة على رفعه
خبرا لذلكم او نعتا لربي على محض اضافته وعليه توكلت معترض على هذا او مبتدا وخبره جعل لكم او خبر مبتدا مضمر اي هو
وقرا زيد بن علي فاطر بالجر نعتا للجلالة في قوله الى الله وما بينهما معترض او بدلا من الها في عليه او اليه وقال مكي واجاز الكسائي
النصب على النداء وقال غيره على المدح ويجوز في الكلام الخفض على البدل من الها في عليه كانه لم يطلع على انها قراءة زيد بن علي
قوله تعالى جعل لكم من انفسكم ازواجا ومن الانعام ازواجا قيل معناه جعل لكم من انفسكم ازواجا اي مثل خلقكم وازواجا
اي حلائل وقيل معنى من انفسكم اي خلق حواء من ضلع ادم ومن الانعام ازواجا اي اصنافا ذكورا واناثا **قوله تعالى** يذرؤكم
اي يكثركم وقوله فيه يجوز ان يكون في على بابها والمعنى يكثركم في هذا التدبير وهو ان جعل للناس والانعام ازواجا حتى كان
بين ذكورهم واناثهم التوالد والضمير في يذرؤكم للمخاطبين والانعام الا انه غلب فيه العقلاء من وجهين احدهما انه غلب فيه
جانب العقلاء على غير العقلاء والثاني انه غلب جانب المخاطبين على الغائبين قال الزمخشري وهي من الاحكام ذات العلتين
قال ابو حيان وهو اصطلاح غريب يعني ان الخطاب يغلب على الغيبة اذا اجتمعا ثم قال الزمخشري فان قلت ما معنى يذرؤكم
في هذا التدبير وهلا قيل يذرؤكم به قلت جعل هذا التدبير كالمنبع والمعدن للبث والتكثير الا تراك تقول للحيوان في خلق
الازواج تكثير كما قال تعالى ولكم في القصاص حيوة وقيل انها للسببية كالباء اي يكثركم بسببه والضمير يعود للجعل او
للمخلوق وقيل بيذرؤكم فيه اي يخلقكم في الرحم وقيل في البطن **قوله تعالى** ليس كمثله شيء في هذه الاية اوجه اشهرها
ان الكاف زائدة في خبر ليس وشيء اسمها والتقدير ليس شيء مثله قالوا ولولا ادعاء زيادتها للزم ان يكون له مثل وهو
محال اذ يصير التقدير على اصالة الكاف ليس مثل مثله شيء فنفى المماثلة عن مثله فثبت ان له مثلا لا مثل لذلك المثل وهذا
محال تعالى الله عن ذلك وقال ابو البقاء ولو لم تكن زائدة لافضى ذلك الى المحال اذ كان يكون المعنى ان له مثلا وليس لمثله
مثل وفي ذلك تناقض لانه اذا كان له مثل فلمثله مثل وهو هو مع ان اثبات المثل لله تعالى محال وهذه طريقة حسنة في تقرير
زيادة الكاف وفيها حسن صناعة الثاني ان مثل هي الزائدة كزيادتها في قوله تعالى بمثل ما امنتم به قال الطبري كما زيدت
الكاف في قوله • وصاليات ككما يؤثفين • وفي قوله • فصيروا مثل كعصف ماكول • وهذا ليس بجيد لان زيادة الاسماء
ليست بجائزة وايضا يصير التقدير ليس كهو شيء ودخول الكاف على الضمائر لا يجوز الا في شعر الثالث ان العرب تقول مثلك
لا يفعل كذا يعنون المخاطب نفسه لانهم يريدون المبالغة في نفي الوصف عن المخاطب فينفونها في اللفظ عن مثله فيثبت
انتفاؤها عنه بدليلها ومنه قول الشاعر • على مثل ليلى يقتل المرء نفسه • وان بات من ليلى على الياس طاويا • وقال اوس بن
حجر • ليس كمثل الفتى زهير • خلق يوازيه في الفضائل • وقال آخر • وقتلى كمثل جذوع النخيل • تغشاهم مسبل منهمر •
وقال اخر • سعد بن زيد اذا ابصرت فضلهم • فما كمثلهم في الناس من احد • قال ابن قتيبة العرب تقيم المثل مقام النفس
فتقول مثلي لا يقال له هذا اي انا لا يقال لي قيل ونسبة المثل الى من لا مثل له قولك فلان يده مبسوطة يريد انه جواد ولا
نظير في الحقيقة الى اليد حتى تقول ذلك لمن لا يد له كقوله تعالى بل يداه مبسوطتان الرابع ان يراد بالمثل الصفة وذلك ان
المثل بمعنى المثل والمثل الصفة كقوله مثل الجنة فيكون المعنى ليس مثل صفته تعالى شيء من الصفات التي لغيره **فصل** قال ابن
عباس معناه ليس له نظير وهو السميع البصير اي سامعا للمسموعات بصيرا للمرئيات فان قيل قوله وهو السميع البصير يفيد
الحصر فما معنى هذا الحصر مع ان العباد ايضا موصوفون بكونهم سميعين بصيرين فالجواب السميع البصير لفظان مشعران

حصول هاتين الصفتين على سبيل الكمال والكمال في كل الصفات ليس الا لله فهذا هو المراد من هذا الحصر قوله تعالى له مقاليد
السموات والارض اي مفاتيح الرزق في السموات والارض قال المفسرون مفاتيح السموات الامطار ومقاليد الارض النبات وتقدم
الكلام على المقاليد في الزمر يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر لان مفاتيح الارزاق بيده انه بكل شيء من البسط والتقدير عليم قوله تعالى
شرع لكم من الدين الاية لما عظم وحيه الى محمد عليه السلام بقوله كذلك يوحي اليك والى الذين من قبلك الله العزيز الحكيم ذكر في
هذه الاية تفصيل ذلك فقال شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا اي بين لكم من الدين يا اصحاب محمد ما وصى به نوحا وهو اول
انبياء الشريعة قال مجاهد اوصيناك واياه يا محمد دينا واحدا والذي اوحينا اليك من القران وشرائع الاسلام ما وصينا به ابرهيم
وموسى وعيسى وانما خص هولاء الانبياء الخمسة بالذكر لانهم اكابر الانبياء واصحاب الشرائع العظيمة والاتباع الكثيرة واختلفوا
في الموصى به فقال قتادة تحليل الحلال وتحريم الحرام وقال الحكم تحريم الامهات والبنات والاخوات وقال مجاهد لم يبعث الله نبيا
الا وصاه باقام الصلوة وايتاء الزكوة والاقرار لله بالطاعة فذلك دينه الذي شرع لهم وقيل هو التوحيد والبراءة من
الشرك وقيل هو ما ذكر من بعد في قوله ان اقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه بعث الانبياء كلهم باقامة الدين والالفة والجماعة وترك
الفرقة والمخالفة فصل قال ابن الخطيب في لفظ الاية اشكال لانه قال في اول الاية ما وصى به نوحا وفي اخرها وما وصينا
به ابرهيم وفي الوسط والذي اوحينا اليك فما فائدة هذا التفاوت وثانيها ذكر نوحا على سبيل الغيبة فقال ما وصى به نوحا
وقال وما وصينا به ابرهيم وثالثها تقدير الاية شرع الله لكم من الدين الذي اوحينا اليك وهذا يقتضي الجمع بين خطاب الغيبة
وخطاب الحضور في الكلام الواحد بالاعتبار الواحد وهو مشكل وهذه مضايق يجب البحث عنها والقوم ما داروا حولها بالجملة
واعلم ان المقصود من الاية ان يقال شرع لكم من الدين دينا تطابقت الانبياء على صحته فيجب ان يكون المراد من هذا الدين
شيئا مغايرا للتكاليف في الاحكام لانها مختلفة متفاوتة قال تعالى لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا فوجب ان يكون المراد منه
الامور التي لا تختلف باختلاف الشرائع وهو الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الاخر واصول الدين فصل
استدل بعضهم بقوله شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا على ان النبي صلى الله عليه وسلم كان في اول الامر كان متعبدا بشريعة
نوح عليه السلام واجيب بانه عطف عليه سائر الانبيا فدل ذلك على ان المراد هو الاخذ بالشريعة المتفق عليها بين الكل
قوله تعالى ان اقيموا الدين يجوز فيها اوجه احدها ان تكون مصدرية في محل رفع على خبر ابتداء مضمر كانه قيل وما ذلك
المشروع فقيل هو اقامة الدين المشروع توحيد الله الثاني انها في محل نصب بدلا من الموصوف كانه قيل شرع لكم ما وصى به
نوحا توحيد الله الثالث انها في محل جر بدلا من الدين الرابع انها في محل جر ايضا بدلا من الهاء الخامس ان تكون مفسرة لانه قد تقدمها
ما هو بمعنى القول قوله تعالى كبر على المشركين ما تدعوهم اليه من التوحيد ورفض الاوثان قوله تعالى الله يجتبي اي يصطفي اليه
من يشاء ويهدي اليه من ينيب يصطفي لدينه من عباده من يشاء ويهدي اليه من ينيب يقبل الى طاعته والاجتباء يدل على
الضم ومنه جبي الخراج واجتباء الماء في الحوض فقوله الله يجتبي اي يضم اليه ويقربه منه تقريب الاكرام والرحمة فصل
حتج نفاة القياس بهذه الاية فقالوا انه تعالى اخبر بان اكابر الانبيا اطبقوا على انه يجب اقامة الدين بحيث لا يفضي الى الاختلاف
والنزاع والله تعالى ذكر في معرض المنة على عباده انه ارشدهم الى الدين الخالي عن التفرق والمخالفة ومعلوم ان فتح باب
القياس يفضي الى اعظم انواع التفرق والمنازعة فان الحس شاهد بان هولاء الذين بنوا دينهم على القياس تفرقوا تفرقا
لا رجاء في حصول الاتفاق بينهم الى قيام القيمة فوجب ان يكون ذلك محرما فصل اعلم انه تعالى لما بين انه
امر كل الانبيا والامم بالاخذ بالدين المتفق عليه كان لقائل ان يقول فلماذا نجدهم متفرقين فاجاب بقوله وما
تفرقوا الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم يعني انهم ما تفرقوا الا من بعد ان علموا ان الفرقة ضلالة ولكنهم فعلوا ذلك
للبغي وطلب الرياسة فحملتهم الحمية النفسانية الطبيعية على ان ذهبت كل طائفة الى مذهب ودعوا الناس اليه وقبحوا
ما سواه طلبا للذكر والرياسة فصار ذلك سببا لوقوع الاختلاف ثم اخبر تعالى انهم استحقوا العذاب بسبب هذا الفعل
الا انه تعالى اخر عنهم ذلك العذاب لان لكل عذاب عنده اجلا مسمى اي وقتا معلوما وهذا معنى قوله ولولا كلمة سبقت
من ربك الى اجل مسمى لقضي بينهم والاجل المسمى قد يكون في الدنيا وقد يكون في الاخرة اختلفوا في الذين اريد بهذه
الصفة فقال ابن عباس والاكثرون هم اليهود والنصارى لقوله تعالى في ال عمران وما اختلف الذين اوتوا الكتاب
الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم وقوله في سورة لم يكن وما تفرق الذين اوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءتهم
البينة وقيل هم العرب وهذا باطل لما تقدم ولان قوله تعالى بعد هذه الاية وان الذين اورثوا الكتاب من بعدهم
المراد بهم اهل الكتاب الذين كانوا في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله من بعدهم اي من بعد انبيائهم وقيل
من بعد الامم الخالية لفي شك منه اي من كتابهم وقيل من محمد صلى الله عليه وسلم مريب صفة لشك اي لا يؤمنون به
حق الايمان قوله تعالى اورثوا قرا زيد بن علي ورثوا بالتشديد مبنيا للمفعول قوله تعالى فلذلك فادع في اللام وجهان

احدهما ان يكون بمعنى الى اي فالى ذلك الدين فادع واستقم وهو الاتفاق على الملة الحنيفية واستقم عليها اي اثبت
على الدين الذي امرت به كما امرك الله ولا تتبع اهواءهم المختلفة الباطلة والثاني انها للعلة اي لاجل التفرق والا
ختلاف ادع للدين القيم وقل امنت بما انزل الله من كتاب اي باي كتاب صح ان الله انزله يعني الايمان بجميع الكتب المنزلة
قوله تعالى وامرت لاعدل بينكم يجوز ان يكون التقدير وامرت بذلك لاعدل بينكم في الحكم وقيل وامرت ان اعدل
فاللام مزيدة وفيه نظر لانك بعد زيادة اللام تحتاج الى تقدير حرف جر اي بان اعدل فصل قال القفال
معناه ان ربي امرني ان لا افرق بين نفسي ونفسك بان امرك بما لا اعمله او اخالفكم الى ما انهاكم عنه لكني اسوي بينكم
وبين نفسي وكذلك اسوي بين اكابركم واصاغركم في الحكم وقيل معناه لا احيف عليكم باكثر مما افترض الله عليكم
من الاحكام قوله تعالى الله ربنا وربكم لنا اعمالنا ولكم اعمالكم يعني الهنا واحد وان اختلفت اعمالنا فكل يجازى
بعمله لا حجة لا خصومة بيننا وبينكم نسختها اية القتال واذا لم يؤمر بالقتال وامر بالدعوة لم يكن بينه وبين من لا
يجيب خصومة قال ابن الخطيب معنى الاية ان الاله واحد وكل واحد مخصوص بعمله فوجب ان يشتغل كل واحد في
الدنيا بنفسه فان الله يجمع بين الكل يوم القيمة ويجازيه على عمله فان قيل كيف يليق بهذه المتاركة ما فعل بهم
من القتل وتخريب البيوت وقطع النخيل والاجلاء فالجواب هذه المتاركة كانت مشروطة بشرط ان يقبلوا الدين
المتفق على صحته بين كل الانبياء ودخل فيه التوحيد وترك عبادة الاصنام والاقرار بنبوة الانبيا وبصحة البعث
والقيامة فلما لم يقبلوا هذا الدين فحينئذ فات الشرط فيفوت المشروط واعلم ان قوله تعالى لا حجة بيننا وبينكم
يجري مجرى محاجتهم بدليل ان هذا الكلام مذكور في معرض المحاجة فلو كان المراد من هذه الاية تحريم المحاجة لزم كونها
محرمة لنفسها وهو متناقض وايضا لولا الادلة لما توجه التكليف وايضا ان الدليل يفيد العلم وذلك لا يمكن تحريمه
بل المراد ان القوم عرفوا بالحجة صدق محمد صلى الله عليه وسلم وانما تركوا تصديقه عنادا فبين تعالى انه حصل
الاستغناء عن محاجتهم لانهم عرفوا صدقه فلا حاجة معهم الى المحاجة البتة ومما يقوي عدم تحريم المحاجة قوله
وجادلهم بالتي هي احسن وقوله ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وقوله ولا تجادلوا اهل الكتاب الا بالتي
هي احسن وقوله يا نوح قد جادلتنا فاكثرت جدالنا وقوله وتلك حجتنا اتيناها ابراهيم على قومه قوله تعالى والذين
يحاجون في الله مبتدا وحجتهم مبتدا ثان وداحضة خبر الثاني والثاني وخبره خبر الاول واعرب مكي حجتهم
بدلا من الموصول بدل اشتمال والهاء في له تعود على الله او على الرسول عليه السلام اي من بعد ما استجاب الناس لله
او من بعد ما استجاب الله لرسوله حين دعا على قومه وقال ابن الخطيب تعود على الدين اي من بعد ما استجاب الناس
لذلك الدين فصل المعنى والذين يخاصمون في دين الله نبيه قال قتادة هم اليهود قالوا كتابنا قبل
كتابكم ونبينا قبل نبيكم فنحن خير منكم فهذه خصومتهم من بعد ما استجاب له الناس فاسلموا ودخلوا في دينه
لظهور معجزته حجتهم داحضة خصومتهم باطلة عند ربهم قال ابن الخطيب تلك المخاصمة هي ان اليهود قالوا الستم
تقولون ان الاخذ بالمتفق عليه اولى بالاخذ من المختلف فيه فنبوة موسى عليه السلام وحقية التوراة معلومة
بالاتفاق ونبوة محمد صلى الله عليه وسلم ليس متفقا عليها فوجب الاخذ باليهودية فبين تعالى فساد هذه الحجة
وذلك لان اليهود اجمعوا على انه انما وجب الايمان بموسى عليه السلام لاجل ظهور المعجزات على وفق قوله وفي قول محمد صلى الله
عليه وسلم واليهود شاهدوا تلك المعجزات فان كان ظهور المعجزة يدل على الصدق فهاهنا يجب الاعتراف بنبوة محمد
صلى الله عليه وسلم وان كان لا يدل على الصدق وجب في حق موسى ان لا يقروا بنبوته بظهور المعجزات لانه يكون متناقضا
ولما قرر تعالى هذه الدلايل خوف المنكرين بعذاب القيمة فقال وعليهم غضب ولهم عذاب شديد في الاخرة
قوله تعالى الله الذي انزل الكتاب بالحق والميزان قال قتادة ومجاهد ومقاتل سمي العدل ميزانا لان الميزان الة
للانصاف والتسوية قال ابن عباس امر الله تعالى بالوفاء ونهى عن البخس ومعنى الاية انه تعالى انزل الكتاب المشتمل
على الدلايل والبينات وانزل الميزان وهو الفصل الذي هو القسطاس المستقيم وانهم لا يعلمون ان القيمة متى تفاجئهم
ومتى كان الامر كذلك وجب على العاقل ان يجتهد في النظر والاستدلال ويترك طريقة اهل الجهل والتقليد ولما
كان الرسول عليه السلام يهددهم بيوم القيمة ولم يروا لذلك اثرا قالوا على سبيل السخرية متى تقوم الساعة وليتها
قامت حتى يظهر لنا الحق اهو الذي نحن عليه ام الذي عليه محمد واصحابه قوله تعالى لعل الساعة قريب انما ذكر قريبا
وان كان صفة لمؤنث لان الساعة في معنى الوقت او البعث او على معنى النسب اي ذات قرب او على حذف مضاف اي مجيء
الساعة وقيل للفرق بينها وبين قرابة النسب وقيل لان تانيثها مجازي نقله مكي وليس بشيء اذ لا يجوز الشمس طالع
ولا القدر فاير وجملة الترجي والاشفاق معلقة للدراية وتقدم مثله اخر الانبيا فصل قال مقاتل

ذكر النبي صلى الله عليه وسلم الساعة وعنده قوم من المشركين فقالوا استهزاء متى تكون الساعة فأنزل الله هذه الآية
يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها ظنا منهم أنها غير آتية والذين آمنوا مشفقون خائفون منها ويعلمون أنها الحق آتية
لا ريب فيها ثم قال ألا إن الذين يمارون يخاصمون وقيل تدخلهم المرية والشك في وقوع الساعة لفي ضلال بعيد لأن
استيفاء حق المظلوم من الظالم واجب في العدل فلو لم تحصل القيامة لزم إسناد الظلم إلى الله عز وجل وهذا من أمحل المحالات
فلا جرم كان إنكار القيامة ضلالا بعيدا **قوله تعالى** الله لطيف بعباده قال ابن عباس حفي بهم وقال عكرمة بار بهم وقال
السدي رفيق بهم وقال مقاتل لطيف بالبر والفاجر حيث لم يهلكهم جوعا بمعاصيهم بدليل قوله يرزق من يشاء فكل من رزقه الله
من مؤمن وكافر وذي روح فهو ممن يشاء الله أن يرزقه قال جعفر الصادق اللطيف في الرزق من وجهين أحدهما أنه جعل
رزقك من الطيبات والثاني أنه لم يدفعه إليك مرة واحدة وهو القوي القادر على كل ما يشاء العزيز الذي لا يغالب
فصل إنما حسن ذكر هذا الكلام ههنا لأنه أنزل عليهم الكتاب المشتمل على هذه الدلائل اللطيفة فكان ذلك من لطف
الله بعباده وأيضا فالمتفرقون استوجبوا العذاب الشديد ثم إنه تعالى أخر عنهم ذلك العذاب فكان ذلك أيضا من لطف الله
تعالى بعباده فلما سبق ذكر إيصال أعظم المنافع إليهم ودفع أعظم المضار عنهم لا جرم حسن ذكره ههنا **قوله تعالى** من كان
يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه الآية الحرث في اللغة الكسب أي من كان يريد بعمله الآخرة نزد له في حرثه بالتضعيف بالواحدة
عشرة إلى ما شاء الله من الزيادة قاله مقاتل وقيل معناه إنا نزيد في توفيقه وإعانته وتسهيل سبيل الخيرات والطاعات عليه
وقال الزمخشري إنه تعالى سمى ما يعمله العامل مما يطلب به الفائدة حرثا على سبيل المجاز واعلم أنه قد تقدم أن كون الشرط ماضيا
والجزاء مضارعا مجزوما لا يختص بجنسه بكان خلافا لأبي الحكم مصنف كتاب الإعراب فإنه قال لا يجوز ذلك إلا مع كان إلا
في ضرورة شعر وأطلق النحويون جواز ذلك وأنشدوا أبيات الفرزدق ٭ دست رسولا بأن القوم إن قدروا ٭ عليك يشفوا صدورا
ذات توغير ٭ وقوله أيضا ٭ تعش فإن عاهدتني لا تخونني ٭ نكن مثل من يا ذئب يصطحبان ٭ وقرأ ابن مقسم والزعفراني ومحبوب
يزد ويؤته بالياء أي الله تعالى وقرأ سلام نؤته بضم هاء الكناية وهو الأصل وهو لغة الحجاز ونقل خلاف القراء في ذلك
فصل قال قتادة معنى قوله ومن كان يريد حرث الدنيا أي يريد بعمله حرث الدنيا نؤته منها أي نؤته بقدر ما قسم له
كما قال عجلنا له فيها ما نشاء وما له في الآخرة من نصيب لأنه لم يعمل للآخرة قال عليه السلام بشر هذه الأمة بالسناء والرفعة والنصر
والتمكين في الأرض فمن عمل منهم عمل الآخرة للدنيا لم يكن له في الآخرة نصيب واعلم أنه تعالى قال في طالب الآخرة أنه يزد له في
حرثه ولم يذكر أنه يعطيه الدنيا أم لا بل سكت عنه نفيا وإثباتا وأما طالب الدنيا فبين أنه لا يعطيه شيئا من نصيب الآخرة على
التنصيص وهذا يدل على التفاوت العظيم كأنه يقول الآخرة أصل والدنيا تبع فواجد الأصل يكون واجدا للتبع بقدر الحاجة
إلا أنه لم يذكر ذلك تنبيها على أن الدنيا أخس من أن يقرن ذكرها بذكر الآخرة وأيضا بين أن طالب الآخرة يزاد في مطلوبه
وطالب الدنيا يعطى بعض مطلوبه ولا يحصل له في الآخرة من نصيب البتة فبين أن طالب الآخرة يكون حاله أبدا في التزايد
وأن طالب الدنيا يكون حاله في النقصان والبطلان في الآخرة وذلك يدل على تفضيل طلب الآخرة وأيضا فإنه تعالى بين أن
منافع الآخرة ومنافع الدنيا ليست حاضرة ناجزة بل لا بد فيهما من الحرث والحرث لا يتأتى إلا بتحمل المشاق في البذر ثم السقية
والتنمية ثم الحصد ثم التنقية فلما سمى الله كلا القسمين حرثا علمنا أن كل واحد منهما لا يحصل إلا بتحمل المشاق والمتاعب
ثم بين تعالى أن مصير الآخرة إلى الزيادة والكمال وأن مصير الدنيا إلى النقصان والفناء فكأنه قيل إذا كان لا بد في القسمين
من متاعب الحراثة من السقية والتنمية والحصد والتنقية فصرف هذه المتاعب إلى ما يكون في التزايد الباقي أولى من صرفها إلى ما
يكون في التناقص والانقضاء **فصل** قال ابن الخطيب فإن قيل ظاهر اللفظ يدل على أن من صلى لأجل طلب الثواب أو لأجل
دفع العقاب فإنه تصح صلاته وأجمعوا على أنها لا تصح فالجواب أنه تعالى قال من يريد حرث الآخرة والحرث لا يتأتى إلا بإلقاء
البذر الصحيح في الأرض والبذر الصحيح الجامع للخيرات والسعادات ليس إلا عبودية الله سبحانه وتعالى **فصل**
إذا توضأ بغير نية لم يصح لأنه لم يرد حرث الآخرة وذلك لا يحصل بالوضوء العاري عن النية **قوله تعالى** أم لهم شركاء شرعوا
لهم من الدين الآية لما بين القانون الأعظم في أعمال الآخرة والدنيا أردفه ببيان ما هو الأصل في باب الضلالة والشقاوة
فقال أم لهم شركاء شرعوا لهم ومعنى الهمزة في أم للتقرير والتقريع والضمير في شرعوا يجوز أن يكون عائدا على الشركاء
والضمير في لهم على الكفار ويجوز العكس لأنهم جعلوا لهم أنصباء فالمعنى شركاؤهم أي شياطينهم الذين زينوا لهم الشرك وإنكار
البعث والعمل للدنيا وقيل شركاؤهم أوثانهم وإنما أضيفت إليهم لأنهم هم الذين اتخذوها شركاء لله ولما كانت سببا
لضلالتهم جعلت شارعة لدين ضلالتهم لهم كما قال إبراهيم عليه السلام رب إنهن أضللن كثيرا من الناس قال المفسرون
يعني كفار مكة أي لهم آلهة سنوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله قال ابن عباس شرعوا لهم دينا غير دين الإسلام
قوله تعالى ولولا كلمة الفصل أي لولا القضاء السابق بتأخير الجزاء ولولا الوعد بأن الفصل يكون بينهم يوم القيامة

لقضي بينهم أي بين الكافرين والمؤمنين أو بين المشركين وشركائهم **قوله تعالى** وإن الظالمين العامة بكسر إن على الاستئناف
ومسلم بن جندب والأعرج بفتحها عطفا على كلمة الفصل وفصل بين المتعاطفين بجواب لولا تقديره ولولا كلمة واستقرار الظالمين
في العذاب لقضي بينهم في الدنيا وهو نظير ولولا كلمة سبقت من ربك لكان لزاما وأجل مسمى ثم إنه تعالى ذكر أحوال أهل العقاب وأحوال
أهل الثواب أما الأول فهو قوله ترى الظالمين مشفقين أي ترى المشركين يوم القيامة خائفين وجلين مما كسبوا من السيئات وهو واقع
بهم أي جزاء كسبهم واقع بهم سواء أشفقوا أو لم يشفقوا وأما الثاني وهو أحوال أهل الثواب فهو قوله والذين آمنوا وعملوا الصالحات
في روضات الجنات قال أبو حيان اللغة الكثيرة تسكين واو روضات ولغة هذيل فتح الواو وإجراؤها مجرى الصحيح نحو جفنات ولم يقرأ
أحد فيما علمناه بلغتهم قال شهاب الدين إن عنى لم يقرأ أحد بلغتهم في هذا الباب من حيث هو فليس كذلك لما تقدم في سورة النور أن الأعمش
قرأ ثلاث عورات بفتح الواو وإن عنى أنه لم يقرأ في روضات بخصوصها فقريب لكن ليس هو ظاهر عبارته **فصل** اعلم أن
روضة الجنة أطيب بقعة فيها وفيه تنبيه على أن الفساق من أهل الصلاة كلهم من أهل الجنة لأنه خص الذين آمنوا وعملوا الصالحات
بأنهم في روضات الجنات وهي البقاع الشريفة من الجنة فالبقاع التي دون تلك الروضات لا بد وأن تكون مخصوصة بمن كانوا دون
الذين آمنوا وعملوا الصالحات ثم قال لهم ما يشاؤون عند ربهم وهذا يدل على أن تلك الأشياء حاضرة عنده مهيأة والعندية مجاز
وعند ربهم يجوز أن يكون ظرفا ليشاؤون قاله الحوفي أو للاستقرار العامل في لهم قاله الزمخشري ثم قال ذلك هو الفضل
الكبير وهذا يدل على أن الجزاء المرتب على العمل إنما حصل بطريق الفضل من الله تعالى لا بطريق الوجوب والاستحقاق **قوله تعالى** ذلك
الذي يبشر الله عباده كقوله كالذي خاضوا وقد تقدم تحقيقه وتقدم القراءات في يبشر وقرأ مجاهد وحميد بن قيس يبشر بضم
الياء وسكون الباء وكسر الشين من أبشر منقولا من بشر بالكسر لا من بشر بالفتح لأنه متعد والتشديد في بشر للتكثير لا للتعدية
لأنه متعد بدونها ونقل أبو حيان قراءة يبشر بفتح الياء وضم الشين عن حمزة والكسائي من السبعة ولم يذكر غيرهما من السبعة وقد
تقدم وقد وافقهما على ذلك ابن كثير وأبو عمرو وذلك مبتدأ والموصول بعده خبره وعائده محذوف على التدريج المذكور في قوله كالذي
خاضوا أي يبشر به ثم يبشره على الاتساع وأما على رأي يونس فلا يحتاج إلى عائد لأنها عنده مصدرية وهو قول الفراء أيضا أي ذلك
تبشير الله عباده وذلك إشارة إلى ما أعده الله لهم من الكرامة وقال الزمخشري أو ذلك التبشير الذي يبشره الله عباده قال أبو حيان
وليس بظاهر إذ لم يتقدم في هذه السورة لفظ البشرى ولا ما يدل عليها من بشر أو شبهه **فصل** هذه الآيات دالة على
على تعظيم حال الثواب من وجوه الأول أن الملك الذي هو أعظم الموجودات وأكرمهم إذا رتب على أعمال شاقة جزاء دل ذلك على أن
ذلك الجزاء قد بلغ إلى حيث لا يعلم كنهه إلا الله تعالى الثاني أن قوله تعالى لهم ما يشاؤون يدخل في باب غير المتناهي لأنه لا درجة إلا
والإنسان يريد ما هو أعلى منها الثالث أنه تعالى قال ذلك هو الفضل الكبير والذي يحكم بكبره من له الكبرياء والعظمة على الإطلاق
يكون في غاية الكبر واعلم أنه تعالى لما أوحى إلى محمد صلى الله عليه وسلم هذا الكتاب الشريف وأودع فيه أقسام الدلائل والتكاليف ورتب
على الطاعة الثواب وأمره بتبليغه إلى الأمة أمره بأن يقول إني لا أطلب منكم بسبب هذا التبليغ نفعا خاصا فقال قل لا أسألكم
عليه أجرا إلا المودة في القربى في هذا الاستثناء قولان أحدهما أنه منقطع إذ ليست المودة من جنس الأجر والثاني أنه متصل أي لا أسألكم
عليه أجرا إلا هذا وهو أن تودوا أهل قرابتي ولم يكن هذا أجرا في الحقيقة لأن قرابته قرابتهم فكانت صلتهم لازمة لهم في المودة
قاله الزمخشري وقال أيضا فإن قلت هلا قيل إلا مودة القربى أو إلا المودة للقربى قلت جعلوا مكانا للمودة
ومقرا لها كقولك لي في آل فلان مودة وليست في صلة للمودة كاللام إذا قلت إلا المودة للقربى إنما هي متعلقة بمحذوف تعلق الظرف به
في قولك المال في الكيس وتقديره إلا المودة ثابتة في القربى ومتمكنة فيها وقال أبو البقاء وقيل متصل أي لا أسألكم شيئا إلا المودة
قال شهاب الدين وفي تأويله متصلا بما ذكر نظر لمجيئه بشيء الذي هو عام وما من استثناء منقطع إلا ويمكن تأويله بما ذكر ألا ترى
إلى قولك ما جاءني أحد إلا الحمار إذ يصح ما جاءني شيء إلا الحمار وقرأ زيد بن علي مودة دون ألف ولام **فصل** في الآية
ثلاثة أقوال الأول قال الشعبي أكثر الناس علينا في هذه الآية فكتبنا إلى ابن عباس نسأله عن ذلك فكتب ابن عباس أن رسول الله صلى
الله عليه وسلم كان وسط النسب من قريش ليس بطن من بطونهم إلا وقد ولده وكان له فيهم قرابة فقال الله عز وجل قل لا أسألكم
عليه أجرا على ما أدعوكم إليه إلا أن تودوني لقرابتي أي تصلوا ما بيني وبينكم من القرابة والمعنى أنكم قومي وأحق من أجابني وأطاعني
فإذا قد أبيتم ذلك فاحفظوا حق القربى وصلوا رحمي ولا تؤذوني وإلى هذا ذهب مجاهد وقتادة وعكرمة ومقاتل والسدي
والضحاك الثاني روى الكلبي عن ابن عباس قال إن النبي صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة كانت تنوبه نوائب وحقوق وليس في
يده سعة فقال الأنصار إن هذا الرجل هداكم وهو ابن أختكم وجاركم في بلدكم فاجمعوا له طائفة من أموالكم ففعلوا ثم أتوه بها
فردها عليهم ونزل قوله تعالى قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى أي على الإيمان إلا أن تودوا أقاربي وعترتي وتحفظوني
فيهم قاله سعيد بن جبير وعمرو بن شعيب الثالث قال الحسن معناه إلا أن تودوا الله وتتقربوا إليه بالطاعة والعمل الصالح
ورواه ابن أبي نجيح عن مجاهد فالقربى على القول الأول القرابة التي بمعنى الرحم وعلى الثاني بمعنى الأقارب وعلى الثالث فعلى بمعنى

القرب والتقرب **فصل** طلب الاجر على تبليغ الوحي لا يجوز لوجوه احدها انه تعالى حكى عن اكثر الانبياء التصريح بنفي طلب
الاجر فقال في قصة نوح عليه السلام وما اسألكم عليه من اجر الاية وكذا في قصة هود وصالح ولوط وشعيب عليهم السلام ورسولنا
افضل الانبياء فبان لا يطلب الاجر على النبوة والرسالة اولى وثانيها انه عليه السلام صرح بنفي طلب الاجر فقال قل لا اسألكم عليه من اجر
وما انا من المتكلفين وقال قل ما سألتكم من اجر فهو لكم وثالثها ان التبليغ كان واجبا عليه قال تعالى بلغ ما انزل اليك من ربك الاية
وطلب الاجر على اداء الواجب لا يليق باقل الناس فضلا عن اعلم العلماء ورابعها ان النبوة افضل من الحكمة وقد قال تعالى ومن يؤت الحكمة
فقد اوتي خيرا كثيرا ووصف الدنيا بانها متاع قليل فقال قل متاع الدنيا قليل فكيف يحسن بالعقل مقابلة اشرف الاشياء باخس الاشياء
وخامسها ان طلب الاجر يوجب التهمة وذلك ينافي القطع بصحة النبوة فثبت بهذه الوجوه انه لا يجوز من النبي صلى الله عليه وسلم
ان يطلب اجرا البتة على التبليغ والرسالة وههنا قد ذكر ما يجري مجرى طلب الاجر وهو المودة في القربى **فان قيل** انه لا نزاع في انه
لا يجوز طلب الاجر على التبليغ واما قوله الا المودة في القربى **فالجواب** عنه من وجهين الاول ان هذا من باب قوله • ولا عيب فيهم
غير ان سيوفهم • بهن فلول من قراع الكتائب • يعني انا لا اطلب منكم الا هذا وهذا في الحقيقة ليس اجرا لان حصول المودة بين المسلمين امر
واجب قال تعالى والمؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء بعض وقال عليه السلام المؤمنون كالبنيان يشد بعضه بعضا والايات
والاخبار في هذا كثيرة فاذا كان حصول المودة بين المسلمين واجبا فحصولها في حق الرسول اولى فقوله الا المودة في القربى تقديره
والمودة في القربى ليست اجرا فرجع الحاصل الى انه لا اجر البتة الثاني ان هذا استثناء منقطع وتم الكلام عند قوله لا اسألكم عليه
اجرا ثم قال الا المودة في القربى اي اذكركم قرابتي منكم فكانه في اللفظ اجر وليس باجر **فصل** اختلفوا في قرابته فقيل هم
فاطمة وعلي وابناهما وفيهم نزل انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا وروى زيد بن ارقم عن النبي صلى الله
عليه وسلم انه قال اني تارك فيكم الثقلين كتاب الله تعالى واهل بيتي اذكركم الله في اهل بيتي قيل لزيد بن ارقم رضي الله عنه فمن اهل بيته
فقال هم آل علي وآل عقيل وآل جعفر وآل العباس رضي الله عنهم وروي عن ابن عمر عن ابي بكر رضي الله عنهما قال ارقبوا محمدا صلى الله عليه وسلم
في اهل بيته وقال هم الذين تحرم عليهم الصدقة من اقاربكم ويقسم فيهم الخمس وهم بنو هاشم وبنو المطلب الذين لم يفترقوا جاهلية
ولا اسلاما وقيل هذه الاية منسوخة واليه ذهب الضحاك بن مزاحم والحسين بن الفضل قال البغوي وهذا قول غير مرضي لان مودة
النبي صلى الله عليه وسلم وكف الاذى عنه ومودة اقاربه والتقرب الى الله تعالى بالطاعة والعمل الصالح من فرائض الدين **قوله تعالى**
ومن يقترف حسنة اي من يكتسب حسنة نزد له فيها حسنا العامة على نزد بالنون وزيد بن علي وعبد الوارث عن ابي عمرو يزد بالياء
من تحت اي يزد الله والعامة حسنا بالتنوين مصدرا على فعل نحو شكر وهو مفعول وعبد الوارث عن ابي عمرو حسنى بالف التانيث على
وزن بشرى ورجعى وهو مفعول به ويجوز ان يكون صفة كفضلى فيكون وصفا لمحذوف اي خصلة حسنى قيل نزلت هذه الاية
في ابي بكر الصديق رضي الله عنه والظاهر العموم في اي حسنة كانت الا انها لما ذكرت عقيب المودة في القربى دل ذلك على ان المقصود
التاكيد في تلك المودة ثم قال سبحانه غفور رحيم شكور غفور للذنب شكور للقليل حتى يضاعفها والشكر في حق الله تعالى مجاز والمعنى
انه تعالى يحسن المطيعين في ايصال الثواب اليهم وفي ان يزيد عليه انواعا كثيرة من التفضيل **فان قيل** ام يقولون افترى على الله كذبا
اعلم ان الكلام ابتداء من اول هذه السورة في تقرير ان هذا الكتاب انما حصل بوحي الله تعالى قال كذلك يوحي اليك والى الذين من قبلك الله
العزيز الحكيم واتصل الكلام في تقرير هذا المعنى وتعلق بعضه ببعض الى ههنا ذكر ههنا شبهة القوم وهو قولهم ان هذا ليس وحيا
من الله تعالى ام يقولون افترى على الله كذبا قال الزمخشري ام منقطعة ومعنى الهمزة فيه للتوبيخ والمعنى ايقع في قلوبهم ويجري في السنتهم
ان ينسبوا مثله الى الافتراء على الله سبحانه وتعالى الذي هو افحش الانواع واقبحها ثم اجاب عنه بان قال فان يشأ الله يختم على قلبك قال
مجاهد يربط على قلبك بالصبر حتى لا يشق عليك اذاهم وقولهم انه مفتر كذاب وقال قتادة انه معنى يطبع على قلبك فينسيك
القرآن وما آتاك فاخبرهم انه لو افترى على الله كذبا لفعل به ما اخبر في هذه الاية الكريمة انه لا يجترئ على افتراء الكذب الا من كان
في هذه الحالة والمقصود من هذا الكلام المبالغة في تقرير الاستبعاد ومثاله ان ينسب رجل بعض الامناء الى الخيانة فيقول الامين
لعل الله خذلني لعل الله اعمى قلبي وهو لا يريد اثبات الخذلان ولا عمى القلب وانما يريد استبعاد صدور الخيانة عنه **قوله تعالى**
ويمح الله الباطل هذا استئناف غير داخل في جزاء الشرط لانه تعالى يمحو الباطل مطلقا وسقطت الواو منه لفظا لالتقاء الساكنين في
الدرج وخطا حملا للخط على اللفظ كما كتبوا سندع الزبانية عليه ولكن ينبغي ان لا يجوز الوقف على هذه الاية لانه ان وقف عليه
بالاصل وهو الواو خالف خط المصحف وان وقفنا عليه بغيرها موافقة للرسم خالفنا خط المصحف والاصل وتقدم بحث ذلك
وقد منع من الوقف على نحو ومن تؤت الشيطان وقال الكسائي فيه تقديم وتاخير مجازه والله يمح الباطل وهو في محل رفع ولكن حذفت منه الواو
في المصحف على اللفظ كما حذفت من قوله سندع الزبانية **فصل** اخبر تعالى ان ما يقولونه باطل يمحوه الله ويحق الحق اي الاسلام
بكلماته اي بما انزل الله من كتاب وقد فعل الله ذلك فمحى باطلهم واعلى كلمة الاسلام انه عليم بذات الصدور وصدورهم قال ابن عباس رضي الله عنهما
قل لا اسألكم عليه اجرا الا المودة في القربى وقع في قلب قوم منها شيء وقالوا يريد ان يحثنا على اقاربه من بعده فنزل جبريل عليه الصلاة والسلام

فاخبره صلى الله عليه وسلم انهم اتهموه فانزل الله هذه الاية فقال القوم يا رسول الله نشهد انك صادق فنزل وهو الذي يقبل التوبة
عن عباده وقال ابن عباس يريد اولياءه واهل طاعته قال الزمخشري يقال قبلت منه الشيء وقبلته عنه وعزلته عنه **فصل**
قيل التوبة ترك المعاصي نية وفعلا والاقبال على الطاعة نية وفعلا وقال سهل بن عبد الله التوبة الانتقال من الاحوال المذمومة
الى الاحوال المحمودة وقيل الندم على الماضي والترك في الحال والعزم على ان لا يعود اليه في المستقبل وروي جابر ان اعرابيا دخل مسجد
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اللهم اني استغفرك واتوب اليك وكبر فلما فرغ من صلوته قال له علي رضي الله عنه يا هذا ان
سرعة اللسان بالاستغفار توبة الكذابين فقال يا امير المؤمنين ما التوبة فقال اسم يقع على ستة اشياء على الماضي من الذنوب الندامة ولتضييع
الفرائض الاعادة ورد المظالم واذابة النفس في الطاعة كما ربيتها في المعصية واذاقة النفس مرارة الطاعة كما اذقتها حلاوة
المعصية والبكاء بدل كل ضحك ضحكته **فصل** قالت المعتزلة يجب على الله تعالى عقلا قبول التوبة وقال اهل السنة لا يجب
على الله تعالى وكلما يقبله فهو كرم وفضل واحتجوا بهذه الاية فقالوا انه تعالى تمدح بقبول التوبة ولو كان ذلك القبول واجبا
لما حصل المدح العظيم الا ترى ان من تمدح نفسه بان لا يضرب الناس ظلما كان ذلك مدحا **قوله تعالى** ويعفو عن السيئات اما
ان يكون المراد منه ان يعفو عن الكبائر بعد التوبة والاول باطل والثاني ان المراد ان يعفو عن الصغائر او المراد ان يعفو عن الكبائر قبل التوبة
والاول باطل والا لصار قوله ويعفو عن السيئات عين قوله وهو الذي يقبل التوبة عن عباده والتكرار خلاف الاصل والثاني ايضا
باطل لان ذلك واجب واداء الواجب لا يمدح به فبقي القسم الثالث فيكون المعنى انه تارة يعفو بواسطة قبول التوبة وتارة يعفو
ابتداء من غير توبة **فصل** روى انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله اشد فرحا بتوبة عبده حين يتوب اليه
من احدكم كان على راحلته بارض فلاة فانفلتت منه وعليها طعامه وشرابه فايس منها فاتى شجرة فاضطجع في ظلها قد ايس
من راحلته فبينما هو كذلك اذ هو بها قائمة عنده فاخذ بخطامها ثم قال من شدة الفرح اللهم انت عبدي وانا ربك اخطأ من شدة
الفرح **قوله تعالى** ويعلم ما تفعلون قرأ الاخوان وحفص يفعلون بالياء من تحت نظرا الى قوله عن عباده وقال بعده ويزيدهم
من فضله والباقون بالخطاب اقبالا على الناس عامة وهو خطاب للمشركين **قوله تعالى** ويستجيب الذين آمنوا يجوز ان يكون
الموصول فاعلا اي يجيبون ربهم اذا دعاهم كقوله استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم واستجاب كاجاب ومنه **قوله**
وداع دعا يا من يجيب الى الندا • فلم يستجبه عند ذاك مجيب • ويجوز ان يكون السين للطلب على بابها بمعنى ويستدعي المؤمنون
الاجابة من ربهم بالاعمال الصالحة ويجوز ان يكون الموصول مفعولا به والفاعل مضمر يعود على الله بمعنى ويجيب الله الذين آمنوا
اي دعاءهم وقيل ثم لام مقدرة اي ويستجيب الله للذين آمنوا فحذفها للعلم بها كقوله واذا كالوهم قال عطاء عن ابن عباس
معناه ويثيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات ويزيدهم من فضله سوى ثواب اعمالهم تفضلا منه وروى ابو صالح عنه يشفعهم
ويزيدهم من فضله قال في اخوان اخوانهم والكافرون لهم عذاب شديد **قوله تعالى** ولو بسط الله الرزق لعباده الاية قال
خباب بن الارت فينا نزلت هذه الاية وذلك انا نظرنا الى اموال بني قريظة والنضير وبني قينقاع وتمنيناها فانزل الله عز
وجل ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الارض قال ابن عباس بغيهم طلبهم منزلة بعد منزلة ومركبا بعد مركب وملبسا
بعد ملبس ولكن ينزل ارزاقهم بقدر ما يشاء نظرا منه لعباده قرأ ابن كثير وابو عمرو ينزل مشددة والباقون مخففة انه بعباده
خبير بصير روى انس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم عن جبريل عن الله عز وجل في حديث طويل وفيه قال يقول الله عز وجل
ما ترددت في شيء انا فاعله ترددي في قبض روح عبدي المؤمن يكره الموت واكره مساءته ولا بد له منه وان من عبادي المؤمنين لمن يسالني
الباب من العبادة فاكفه عنه لا يدخله العجب ويفسده ذلك وان من عبادي المؤمنين لمن لا يصلح ايمانه الا الغنى ولو افقرته لافسده
ذلك وان من عبادي المؤمنين لمن لا يصلح ايمانه الا الفقر ولو اغنيته لافسده ذلك وان من عبادي المؤمنين لمن لا يصلح ايمانه الا
الصحة ولو اسقمته لافسده ذلك وان من عبادي المؤمنين لمن لا يصلح ايمانه الا السقم ولو اصححته لافسده ذلك وذلك اني
ادبر امر عبادي بعلمي بقلوبهم اني عليم خبير **فان قيل** وجه التعلق انه تعالى لما قال في الاية الاولى انه يجيب دعاء المؤمنين ورد
عليه سؤال وهو ان المؤمن قد يكون في شدة وبلية وفقر ثم يدعو فلا يظهر اثر الاجابة فكيف الجمع بينه وبين قوله ويستجيب
الذين آمنوا **فاجاب** تعالى عنه بقوله ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الارض ولاقدموا على المعاصي فلذلك وجب ان
لا يعطيهم ما طلبوا ويؤيده الحديث المتقدم **فان قيل** قال الجبائي هذه الاية تدل على فساد قول المجبرة من وجهين الاول انه
تعالى لو بسط الرزق لعباده لبغوا في الارض والبغي في الارض غير مراد فعلمنا انه تعالى لا يريد البغي في الارض وذلك يوجب فساد
قول المجبرة الثاني انه تعالى انما لم يرد بسط الرزق لانه يفضي الى المفسدة فبان لا يكون مريدا للمفسدة كان اولى لان الله لا يريد ما
يفضي الى المفسدة **واجيب** بان الميل الى البغي والقسوة والقهر صفة حدثت بعد ان لم تكن فلا بد لها من فاعل وفاعل هذه الاحوال
اما العبد او الله والاول باطل لانه انما يفعل هذه الاشياء لو مال طبعه اليها فيعود السؤال في انه من احدث ذلك الميل الثاني ويلزم
التسلسل وايضا فالميل الى الظلم والقسوة عيوب ونقصانات والعاقل لا يرضى بتحصيل موجبات النقصان لنفسه فعلم ان هذا

ثبت ان محدث هذا الميل والرغبة هو الله ثم اورد الجبائي على نفسه سؤالا فقال فان قيل اليس قد يبسط الله الرزق لبعض عباده مع انه يبغي واجاب عنه بان الذي يبسط له الرزق اذا بغى كان المعلوم من حاله انه يبغي واجاب عنه بانه يبغي على كل حال اعطي ذلك الرزق او لم يعط قال ابن الخطيب هذا الجواب فاسد ويدل عليه القرآن فقوله تعالى كلا ان الانسان ليطغى ان رآه استغنى حكم مطلقا بكون حصول الغنى سببا لحصول الطغيان واما العقل فهو ان النفس اذا كانت مائلة الى الشر مع حصول الغنى تميل الى الشر اكثر فثبت ان وجدان المال يوجب الطغيان **فصل** في كون بسط الرزق موجبا للطغيان وجوه الاول ان الله تعالى لو سوى في الرزق بين الكل لامتنع كون البعض محتاجا الى البعض وذلك يوجب خراب العالم وتعطيل المصالح الثاني ان هذه الآية مختصة بالعرب فانهم كلما اتسع رزقهم ووجدوا من ماء المطر ما يرويهم ومن الكلأ والعشب ما يشبعهم قدموا على النهب والغارة الثالث ان الانسان متكبر بالطبع فاذا وجد الغنى والقدرة عاد الى مقتضى خلقته الاصلية وهو التكبر واذا وقع في شدة وبلية ومكروه انكسر وعاد الى التواضع والطاعة **قوله تعالى** وهو الذي ينزل الغيث اي المطر من بعد ما قنطوا من بعد ما يئس الناس منه وانزل الغيث بعد القنوط ادعى الى الشكر لان الفرح بحصول النعمة بعد البلية اتم قال الزمخشري قرئ قنطوا بفتح النون وكسرها فاما فتح النون فهي قراءة العامة واما كسرها فهي قراءة يحيى بن وثاب والاعمش وهي لغة وعليها قرئ لا تقنطوا بفتح النون في المتواتر ولم يقرأ بالكسر في الماضي الا شاذا وما مصدرية اي من بعد قنوطهم قال مقاتل حبس الله المطر عن اهل مكة سبع سنين حتى قنطوا ثم انزل الله المطر فذكرهم الله نعمه **قوله تعالى** وينشر رحمته يبسط مطره كما قال وهو الذي يرسل الرياح نشرا بين يدي رحمته وهو الولي الحميد الولي الذي يتولى عباده باحسانه الحميد المحمود على ما يوصل الى الخلق من الرحمة وقيل الولي لاهل طاعته الحميد عند خلقه **قوله تعالى** ومن آياته خلق السموات والارض الآية قد تقدم الكلام على دلالة خلق السموات والارض والحيوانات على وجود الاله الحكيم **فان قيل** كيف يجوز اطلاق لفظ الدابة على الملائكة **فالجواب** فيه وجوه الاول انه قد يضاف الفعل الى جماعة وان كان فاعله واحدا منهم كما يقال بنو فلان فعلوا كذا وانما فعله واحد منهم ومنه قوله يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان الثاني ان الدابة عبارة عما فيه الروح والحركة والملائكة لهم الروح والحركة الثالث لا يبعد ان يقال انه تعالى خلق في السموات انواعا من الحيوانات يمشون مشي الاناسي على الارض وروي عن العباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فوق السماء السابعة بحر بين اسفله واعلاه كما بين السماء والارض ثم فوق ذلك ثمانية اوعال بين ركبهن واظلافهن كما بين السماء والارض ثم فوق ذلك العرش الحديث **قوله تعالى** وما بث يجوز ان يكون مجرورة المحل عطفا على السموات او مرفوعة عطفا على خلق على حذف مضاف اي وخلق ما بث قال ابو حيان وفيه نظر لانه يؤول الى جره بالاضافة فخلق المقدر فلا يعدل عنه **قوله تعالى** اذا يشاء اذا منصوبة بجمعهم لا بقدير قال ابو البقاء لان ذلك يؤدي الى ان يصير المعنى وهو على جمعهم قدير اذا يشاء فتتعلق القدرة بالمشيئة وهو محال قال شهاب الدين ولا ادري ما وجه كونه محالا على مذهب اهل السنة فان كان يقول بقول المعتزلة وهو ان القدرة تتعلق بما لم يشأ الله مشى كلامه ولكنه مذهب ردي لا يجوز اعتقاده ونقول يجوز تعلق الظرف به ايضا قال الزمخشري اذا تدخل على المضارع كما تدخل على الماضي قال تعالى والليل اذا يغشى ومنه اذا يشاء قدير والمقصود انه تعالى خلقها لا لعجز ولكن للمصلحة ولهذا قال وهو على جمعهم اذا يشاء قدير يعني الجمع والحشر والمحاسبة **فصل** احتج الجبائي بقوله اذا يشاء قدير على ان مشيئته تعالى محدثة قال لان كلمة اذا ظرف لما يستقبل من الزمان وكلمة يشاء صيغة المستقبل فلو كانت مشيئته تعالى قديمة لم يكن لتخصيصها بذلك الوقت المستقبل فائدة ولما دل قوله اذا يشاء على هذا التخصيص علمنا ان مشيئته تعالى محدثة واجيب بان هاتين الكلمتين كما دخلتا على المشيئة فقد دخلتا ايضا على لفظ القدير فلزم على هذا ان تكون قدرته صفة محدثة ولما كان هذا باطلا فكذا القول في المشيئة **قوله تعالى** وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم قرأ نافع وابن عامر بما كسبت بغير فاء والباقون بالفاء فما في القراءة الاولى الظاهر انها موصولة بمعنى الذي والخبر الجار من قوله بما كسبت وقال قوم منهم ابو البقاء انها شرطية حذفت منها الفاء قال ابو البقاء كقوله تعالى وان اطعتموهم انكم لمشركون وقول الشاعر ● من يفعل الحسنات الله يشكرها ● وهذا ليس مذهب الجمهور انما قال به الاخفش وبعض البغداديين واما قوله انكم لمشركون فليس جوابا للشرط انما هو جواب لقسم مقدر حذفت لامه الموطئة قبل اداة الشرط واما القراءة الثانية فالظاهر انها فيها شرطية وقال ابو البقاء انه ضعيف ولا يلتفت الى ذلك ويجوز ان تكون الموصولة والفاء داخلة في الخبر تشبيها للموصول بالشرط بشروط مذكورة في هذا الكتاب وقد وافق نافع وابن عامر مصاحفهما فان الفاء ساقطة من مصاحف المدينة والشام وكذلك الباقون فانها ثابتة في مصاحف مكة والعراق **فصل** اختلفوا فيما يحصل في الدنيا من الالام والاسقام والقحط والغرق والمصائب هل هي عقوبات على ذنوب سلفت ام لا فمنهم من انكر ذلك لوجوه الاول قوله تعالى اليوم تجزى كل نفس بما كسبت بين تعالى ان ذلك انما يحصل يوم القيامة وقال تعالى مالك يوم الدين اي يوم الجزاء واجمعوا على ان المراد منه يوم القيامة الثاني مصائب الدنيا يشترك فيها الزنديق والصديق فيمتنع ان تكون عقوبة على الذنوب بل حصول المصائب للصالحين والمتقين اكثر منه للمذنبين ولهذا قال عليه السلام خص البلاء بالانبياء ثم الاولياء ثم الامثل فالامثل الثالث ان الدنيا دار تكليف فلو حصل الجزاء فيها لكانت دار

تكليف

تكليف ودار جزاء معا وهو محال وقال الآخرون هذه المصائب قد تكون اجزية على ذنوب متقدمة لهذه الآية ولما روى الحسن قال لما نزلت هذه الآية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده ما من خدش عود ولا عثرة قدم ولا اختلاج عرق الا بذنب وما يعفو الله عنه اكثر وقال علي بن ابي طالب رضي الله عنه الا اخبركم بافضل آية في كتاب الله حدثنا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم ويعفو عن كثير قال وسافسرها لك يا علي ما اصابكم من مرض او عقوبة او بلاء في الدنيا فبما كسبت ايديكم والله عز وجل اكرم من ان يثني عليكم العقوبة في الآخرة وما عفا الله عنه في الدنيا فالله احلم من ان يعود بعد عفوه وتمسكوا ايضا بقوله تعالى بعد هذه الآية او يوبقهن بما كسبوا وذلك تصريح بان ذلك الاهلاك بسبب كسبهم واجاب الاولون بان حصول هذه المصائب تكون من باب الامتحان والتكليف لا من باب العقوبة كما في حق الانبياء والاولياء ويحمل قوله فبما كسبت ايديكم على ان الاصلح عند اتيانكم بذلك الكسب انزال هذه المصائب عليكم **فصل** هذه الآية تقتضي اضافة الكسب الى اليد والكسب لا يكون باليد بل بالقدرة القائمة باليد فوجب ان يكون المراد من لفظ اليد هاهنا القدرة واذا كان هذا المجاز مشهورا مستعملا كان لفظ اليد الوارد في حق الله تعالى يجب حمله على القدرة تنزيها لله تعالى عن الاعضاء **قوله تعالى** ويعفو عن كثير اي قد يترك الكثير بفضله ورحمته قال الواحدي بعد ان روى حديث علي المتقدم وهذه ارجى آية في كتاب الله لان الله تعالى جعل ذنوب المؤمنين صنفين صنف كفره عنهم بالمصائب وصنف عفا عنه في الدنيا وهو كريم لا يرجع في عفوه فهذه سنة الله مع المؤمنين واما الكافر فانه لا يعجل له عقوبة ذنبه حتى يوافي به يوم القيامة ثم قال وما انتم بمعجزين اي بفائتين في الارض هربا اي لا تعجزونني حيث ما كنتم ولا تسبقوني وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير والمراد به من يعبد الاصنام بين انه لا فائدة فيها البتة بل النصير هو الله تعالى فلا جرم هو الذي يحسن عبادته **قوله تعالى** ومن آياته الجوار الآية قرأ نافع وابو عمرو الجواري بياء في الوصل واما الوقف فاثباتها على الاصل وحذفها للتخفيف وهي السفن واحدتها جارية وهي السائرة في البحر **فان قيل** الصفة متى لم تكن خاصة بموصوفها امتنع حذف الموصوف لا تقول مررت بماش لان المشي عام وتقول مررت بمهندس وكاتب والجري ليس من الصفات الخاصة فما وجه ذلك **فالجواب** ان قوله في البحر قرينة دالة على الموصوف ويجوز ان تكون هذه غالبة كالابطح والابرق فوليت العوامل دون موصوفها وفي البحر متعلق بالجواري اذا لم يجر مجرى الجوامد فان جرى مجراه كان حالا منه وكذا قوله كالاعلام وهي الجبال قالت الخنساء ● وان صخرا لتأتم الهداة به ● كأنه علم في رأسه نار ● روي ان النبي صلى الله عليه وسلم استنشد قصيدتها هذه فلما وصل الراوي هذا البيت قال قاتلها الله ما رضيت تشبيهه بالجبل حتى جعلت في رأسه نارا وقال مجاهد الاعلام القصور واحدها علم وقال الخليل بن احمد كل شيء مرتفع عند العرب فهو علم وسمع هذا الجواب ودكنا الجواري في الجوار بالاعراب على ان اتنا ثنيا للمحذوف وتقدم هذا في قوله ومن فوقهم غواش في الاعراف **فصل** اعلم ان المقصود من ذكر هذه الآية امران احدهما ان يستدل به على وجود الاله القادر الحكيم الثاني ان يعرف ما فيها من النعم العظيمة لله تعالى على العباد اما وجه الاول فان هذه السفن العظيمة التي كالجبال تجري على وجه البحر عند هبوب الرياح على اسرع الوجوه وعند سكون الرياح تقف وقد تقدم في سورة النحل ان محرك الرياح ومسكنها هو الله تعالى اذ لا يقدر احد من البشر على تحريكها ولا على تسكينها وذلك يدل على وجود الاله القادر مع ان تلك السفينة في غاية الثقل ومع ثقلها بقيت على وجه الماء ايضا واما دلالتها على النعم العظيمة وهو ما فيها من المنافع فانه تعالى خص كل جانب من الارض بنوع من الامتعة فاذا نقل متاع هذا الجانب الى الجانب الآخر في السفن وبالعكس حصلت المنافع العظيمة بالتجارة فلهذه الاسباب ذكر الله تعالى حال هذه السفن **قوله تعالى** ان يشأ يسكن الريح التي تجري بها فيظللن رواكد قرأ ابو عمرو والجمهور ان يشأ بهمز لان سكون الهمزة علامة الجزم وورش عن نافع بلا همزة وقرأ نافع يسكن الرياح على الجمع والباقون الريح على التوحيد **قوله تعالى** فيظللن العامة على فتح اللام التي هي عين الكلمة وهو القياس لان الماضي بكسرها تقول ظللت قائما وقرأ قتادة بكسرها وهو شاذ نحو حسب يحسب واخواته وقد تقدمت آخر البقرة وقال الزمخشري قرئ بفتح اللام وكسرها من ظل يظل ويظل نحو ضل يضل ويضل قال ابو حيان وليس كما ذكر لان يضل بفتح العين من ضللت بكسرها في الماضي ويضل بالكسر من ضللت بالفتح وكلاهما مقيس يعني ان كلا منهما له اصل يرجع اليه بخلاف ظل فان ماضيه مكسور العين فقط والنون اسمها ورواكد خبرها ويجوز ان يكون ظل هنا بمعنى صار لان المعنى ليس على وقت الظلول وهو النهار فقط وهو نظير اي بانت يده من هذه الحيثية والركود الثبوت والاستقرار قال الشاعر ● وقد ركدت وسط السماء نجومها ● ركودا بوادي الربرب المتفرق ● والمعنى فيظللن رواكد اي ثوابت على ظهر البحر لا يجري ان في ذلك لآيات لكل صبار على البلاء شكور على نعمائه **قوله تعالى** او يوبقهن عطف على يسكن قال الزمخشري لان المعنى ان يشأ يسكن فيركدن او يعصفها فيغرقن بعصفها قال ابو حيان ولا يتعين ان يكون التقدير او يعصفها فيغرقن لان اهلاك السفن لا يتعين ان تكون بعصف الريح بل قد يهلكها بقلع لوح او خسف قال شهاب الدين والزمخشري لم يذكر ان ذلك متعين وانما ذكر شيئا مناسبا لان قوله يسكن الريح يقابله يعصفها فهو في غاية الحسن والطباق **فصل** معنى يوبقهن اي يهلكهن ويغرقهن بما كسبوا اي بما

كسبت وكابها من الذنوب ويعف عن كثير من ذنوبهم فلا يعاقب عليها يقال اوبقه اي اهلكه كما يقال للمجرم اوبقته ذنوبه
اي اهلكته فان قيل ما معنى ادخال العفو في حكم الايباق حيث جعل مجزوما مثله فالجواب معناه ان يشا يهلك ناسا
وينج ناسا على طريق العفو عنهم واما من قرا ويعفوا فقد استانف الكلام والعامة على الجزم عطفا على جواب الشرط واستشكله
القشيري وقال لان المعنى ان يشا يسكن الريح فتبقى تلك السفن رواكد ويهلكها بذنوب اهلها فلا يحسن عطف ويعف على هذا
لان المعنى يصير ان يشا يعف وليس المعنى على ذلك بل المعنى الاخبار عن العفو من غير شرط المشية فهو عطف على المجزوم من حيث
اللفظ لا من حيث المعنى قال ابو حيان وما قاله ليس بجيد اذ لم يفهم مدلول التركيب والمعنى الا انه تعالى ان يشا اهلك ناسا
وانجى ناسا على طريق العفو عنهم وقرا الاعمش ويعفوا بالواو وهي تحتمل ان تكون كالمجزوم وثبتت الواو في الجزم كثبوت الياء
في من يتق ويصبر ويحتمل ان يكون الفعل مرفوعا اخبر تعالى انه يعفو عن كثير من السيئات وقرا بعض اهل المدينة بالنصب باضمار
ان بعد الواو كنصبه في قول النابغة • فان يهلك ابو قابوس يهلك • ربيع الناس والبلد الحرام • ونأخذ بعده بذناب عيش
اجب الظهر ليس له سنام • بنصب ونأخذ ورفعه وجزمه وهذا كما ترى بالاوجه الثلاثة بعد الفا في قوله تعالى فيغفر لمن
يشاء كما تقدم اخر البقرة ويكون قد عطف هذا المصدر المؤول من ان المضمرة والفعل على مصدر متوهم من الفعل قبله تقديره
او يقع ايباق وعفو عن كثير فقراءة النصب كقراءة الجزم في المعنى الا ان في هذه عطف مصدر مؤول على مصدر متوهم وفي تلك
عطف فعل على مثله قوله تعالى ويعلم الذين يجادلون قرا نافع وابن عامر برفعه والباقون بنصبه وقرئ بجزمه ايضا
فاما الرفع فواضح جدا وهو يحتمل وجهين الاستيناف بجملة فعلية والاستيناف بجملة اسمية فيقدر قبل الفعل مبتدا اي وهو
يعلم الذين فالذين على الاول فاعل وعلى الثاني مفعول واما قراءة النصب ففيها اوجه احدها قال الزجاج على الصرف قال ومعنى
الصرف صرف العطف عن اللفظ الى العطف على المعنى قال وذلك انه لما لم يحسن عطف ويعلم مجزوما على ما قبله اذ يكون المعنى
ان يشا يعلم عدل الى العطف على مصدر الفعل الذي قبله ولا يتاتى ذلك الا باضمار ان ليكون مع الفعل في تاويل اسم وقال
البغوي قرئ بالنصب على الصرف والجزم اذا صرف عنه معطوفه نصب كقوله ويعلم الصابرين نقل من حال الجزم الى النصب
استخفافا وكراهية توالي الجزم الثاني قول الكوفيين انه منصوب بواو الصرف يعنون ان الواو نفسها هي الناصبة لا باضمار ان
وتقدم معنى الصرف الثالث قال الفارسي ونقله الزمخشري عن الزجاج ان النصب على اضمار ان لان قبلها جزاء تقول ما تصنع
اصنع واكرمك على وانا اكرمك وان شئت واكرمك جزما قال الزمخشري وفيه نظر لما اورده سيبويه في كتابه قال واعلم ان
النصب بالواو والفاء في قوله ان تأتني اتك واعطيك ضعيف وهو نحو من قوله • والحق بالحجاز فاستريحا • فهذا لا يجوز
لانه ليس بحد الكلام ولا وجهه الا انه في الجزاء صار اقوى قليلا لانه ليس بواجب انه يفعل الا ان يكون من الاول فعل فلما ضارع
الذي لا يوجبه كالاستفهام ونحوه اجازوا فيه هذا على ضعفه قال الزمخشري ولا يجوز ان تحمل القراءة المستفيضة على
وجه ليس بحد الكلام ولا وجهه ولو كانت من هذا الباب لما اخلا منها سيبويه كتابه وقد ذكر نظايرها من الايات المشكلة
الرابع ان ينتصب عطفا على تعليل محذوف تقديره لينتقم منهم ويعلم الذين ونحوه في العطف على التعليل المحذوف غير
عزيز في القران ومنه ولنجعله اية للناس وخلق السموات والارض بالحق ولتجزى قاله الزمخشري قال ابو حيان ويبعد تقديره
لينتقم منهم لانه ترتب على الشرط اهلاك قوم ونجاة قوم فلا يحسن لينتقم منهم واما الايتان فيمكن ان تكون اللام متعلقة
بفعل محذوف تقديره ولنجعله اية للناس فعلنا ذلك ولتجزى كل نفس فعلنا ذلك وهو كثير يقدر هذا الفعل مع هذه اللام
اذا لم يكن فعل يتعلق به قال شهاب الدين بل يحسن تقدير لينتقم لانه يعود في المعنى على اهلاك قوم المترتب على الشرط واما
الجزم فقال الزمخشري فان قلت كيف يصح المعنى على جزم ويعلم قلت كانه قيل او ان يشا يجمع بين ثلاثة امور اهلاك قوم ونجاة
قوم وتحذير اخرين واذا قرئ بالجزم فتكسر الميم لالتقاء الساكنين وقوله ما لهم من محيص في محل نصب لسدها مسد معمولي
العلم فصل ويعلم الذين يجادلون في اياتنا اي يكذبون بالقران اذا صاروا الى الله عز وجل بعد البعث
لا مهرب لهم من عذاب الله كما انه لا مخلص لهم اذا وقفت السفن واذا عصفت الرياح ويكون ذلك سببا لاعترافهم بان الاله
النافع الضار ليس الا الله قوله تعالى وما اوتيتم من شيء فمتاع الحيوة الدنيا الاية لما ذكر دلايل التوحيد اردفها بالتنفير عن الدنيا
وتحقير شانها لان المانع من قبول الدليل هو الرغبة في الدنيا فقال وما اوتيتم ما شرطية وهي في محل نصب مفعولا ثانيا لاوتيتم
والاول هو ضمير المخاطبين قام مقام الفاعل وانما قدم الثاني لان له صدر الكلام وقوله من شيء بيان لما الشرطية لما فيها من
الابهام وقوله فمتاع الفا جواب الشرط ومتاع خبر مبتدا مضمر اي فهو متاع وقوله وما عند الله ما موصولة مبتداة وخير
خبرها وللذين متعلق بابقى فصل المعنى وما اوتيتم من شيء من رياش الدنيا فمتاع الحيوة الدنيا ليس من زاد المعاد
وسماه متاعا تنبيها على قلته وحقارته وجعله من متاع الدنيا تنبيها على انقراضه واما الاخرة فانها خير وابقى والباقي خير
من الخسيس الفاني ثم بين ان هذا الخير انما يحصل لمن كان موصوفا بصفات منها ان يكون من المومنين فقال للذين امنوا وعلى

ربهم يتوكلون

ربهم يتوكلون وهذا يرد على من زعم ان الطاعة توجب الثواب لانه متكل على عمل نفسه لا على الله فلا يدخل تحت الاية
الصفة الثانية قوله تعالى والذين يجتنبون نسق على الذين الاولى وقال ابو البقا الذين يجتنبون في موضع جر بدل من للذين
امنوا ويجوز ان يكون في موضع نصب باضمار اعني او في موضع رفع على تقديرهم وهذا وهم منه في التلاوة كانه اعتقد ان
القران وعلى ربهم يتوكلون الذين يجتنبون فبنى عليه الثلاثة الاوجه وهو بناء فاسد قوله تعالى كباير الاثم قرا الاخوان هنا
وفي النجم كبير الاثم بالافراد والباقون كباير بالجمع في السورتين والمفرد هنا في معنى الجمع والرسم الكريم يحتمل القراءتين
فصل تقدم معنى كباير الاثم في سورة النساء قال ابن الخطيب نقل الزمخشري عن ابن عباس ان كبير الاثم هو الشرك
وهو عندي ضعيف لان شرط الايمان مذكور وهو يغني عن عدم الشرك وقيل كباير الاثم ما يتعلق بالبدع واستخراج الشبهات
واما الفواحش فقال السدي يعني الزنا وقال مقاتل ما يوجب الحد قوله تعالى واذا ما غضبوا اذا منصوبة بيغفرون ويغفرون
خبر لهم والجملة باسرها عطف على الصلة وهي يجتنبون والتقدير والذين يجتنبون وهم يغفرون عطف اسمية على فعلية
ويجوز ان يكون هم توكيدا للفاعل في قوله غضبوا وعلى هذا فيغفرون جواب الشرط وقال ابو البقا هم مبتدا ويغفرون الخبر
والجملة جواب اذا قال شهاب الدين وهذا غير صحيح لانه لو كان جوابا لاذا لاقترن بالفا تقول اذا جاء زيد فعمرو منطلق ولا يجوز
عمرو منطلق وقيل هم مرفوع بفعل مقدر يفسره يغفرون بعده ولما حذف الفعل انفصل الضمير ولم يستبعده وقال ينبغي ان
يجوز ذلك في مذهب سيبويه لانه اجازه في الاداة الجازمة تقول ان ينطلق زيد ينطلق تقديره ينطلق زيد ينطلق فينطلق
واقع جوابا ومع ذلك فسر الفعل فكذلك هذا وايضا فذلك جار في فعل الشرط بعدها نحو اذا السماء انشقت فليجر في
جوابها ايضا فصل واذا ما غضبوا هم يغفرون يحلمون ويكظمون الغيظ وخص الغضب بلفظ الغفران لان الغضب
على طبع النار واستيلاؤه شديد ومقاومته صعبة فلهذا خصه الله بهذا اللفظ قوله تعالى والذين استجابوا لربهم اي اجابوه
الى ما دعاهم اليه من طاعته وقال ابن الخطيب المراد منه تمام الانقياد فان قيل اليس لما حصل الايمان فيه شرطا فقد دخل
في الايمان اجابة الله قال ابن الخطيب والجواب ان يحمل هذا على الرضا بقضاء الله من صميم القلب وان لا يكون في قلبه منازعة
ثم قال واقاموا الصلوة اي الواجبة لان هذا هو الشرط في حصول الثواب قوله تعالى وامرهم شورى بينهم اي يتشاورون فيما
يبدو لهم ولا يعجلون والشورى مصدر كالفتيا بمعنى التشاور ومما رزقناهم ينفقون قوله تعالى والذين اذا اصابهم
البغي اي الظلم والعدوان هم ينتصرون اي ينتقمون من ظالمهم من غير ان يعتدوا قال ابن زيد جعل الله المؤمنين صنفين
صنف يعفون عن ظالمهم فبدا بذكرهم وهو قوله واذا ما غضبوا هم يغفرون وصنف ينتصرون من ظالمهم وهم المذكورون
في هذه الاية كانوا يكرهون ان يستذلوا فاذا قدروا عفوا وقال عطا هم المومنون الذين اخرجهم الكفار من مكة وبغوا عليهم
ثم مكنهم الله في الارض حتى انتصروا ممن ظلمهم وعن النخعي انه كان اذا قراها قال كانوا يكرهون ان يذلوا انفسهم فيجترئ عليهم
السفهاء فان قيل هذه الاية مشكلة لوجهين الاول انه لما ذكر قبله واذا ما غضبوا هم يغفرون كيف يليق ان يذكر معه
ما يجري مجرى الضد له وهم الذين اصابهم البغي هم ينتصرون الثاني ان جميع الايات دالة على ان العفو احسن قال تعالى
وان تعفوا اقرب للتقوى قال واذا مروا باللغو مروا كراما وقال خذ العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين وان عاقبتم
فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين فالجواب ان العفو على قسمين احدهما ان يصير العفو سببا
لتسكين الفتنة ورجوع الجاني عن جنايته والثاني ان يصير العفو سببا لمزيد جراة الجاني وقوة غيظه وغضبه فايات العفو
محمولة على القسم الاول وهذه الاية محمولة على القسم الثاني وحينئذ يزول التناقض روي ان زينب اقبلت على عايشة تشتمها
فنهاها النبي صلى الله عليه وسلم فلم تنته فقال صلى الله عليه وسلم دونك فانتصري وايضا فانه تعالى لم يرغب في الانتصار بل بين انه
مشروع فقط ثم بين ان مشروعيته برعاية المماثلة فقال وجزاء سيئة سيئة مثلها ثم بين ان العفو اولى بقوله فمن عفى
واصلح فاجره على الله فزال السوال قوله تعالى هم ينتصرون اعرابه كاعراب واذا ما غضبوا هم يغفرون وفيه ما تقدم الا
انه يزيد هنا انه يجوز ان يكون هم توكيدا للضمير المنصوب في اصابهم اكد بالضمير المرفوع وليس فيه الا الفصل بين المؤكد والمؤكد
بالفاعل والظاهر انه غير ممنوع قوله تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها الاية لما قال والذين اذا اصابهم البغي هم ينتصرون
بين بعده ان ذلك الانتصار يجب ان يكون مقيدا بالمثل فان العدل هو المساواة وسمي الجزاء سيئة وان كان مشروعا
ماذونا فيه قال الزمخشري كلتا الفعلتين الاولى وجزاؤها سيئة لانها تسوء من تنزل به قال تعالى وان تصبهم سيئة يقولوا
هذه من عندك يريد ما يسوءهم من المصايب والبلايا واجاب غيره بانه لما جعل في مقابلة الاخر اطلق اسم احدهما على الاخر
مجازا والاول اظهر وقال اخرون انما سمي الجزاء سيئة لتشابههما في الصورة فصل قال مقاتل يعني القصاص
في الجراحات والدماء وقال مجاهد والسدي هو جواب القبيح اذا قال اخزاك الله تقول اخزاك الله واذا شتمك فاشتمه
بمثلها من غير ان تعتدي قال سفين بن عيينة قلت لسفين الثوري ما قوله عز وجل وجزاء سيئة سيئة مثلها قال ان يشتمك

رجل فشتمه او يفعل بك فتفعل به فلم اجد عنده شيئا فسألت هشام بن حجير عن هذه الاية فقال الجارح اذا جرح يقتص منه
وليس هو ان يشتمك فتشتمه **فصل** دلت هذه الاية على ان المسلم لا يقتل بالذمي وان الحر لا يقتل بالعبد لان المماثلة
شرط لجريان القصاص وهي مفقودة في المسألتين وايضا فان الحر اذا قتل العبد يكون قد اتلف على مالك العبد شيئا يساوي عشرة
دنانير مثلا فوجب ان يلزمه اداء عشرة دنانير لهذه الاية واذا وجب الضمان وجب ان لا يجب القصاص لانه قائل بالفرق
فوجب ان لا يجري القصاص بينهما والدليل على ان المماثلة شرط لوجوب القصاص هذه الاية وقوله من عمل سيئة فلا يجزى الا
مثلها وقوله وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به وقوله تعالى والجروح قصاص وقوله تعالى كتب عليكم القصاص في القتلى
الحر بالحر والقصاص عبارة عن المساواة والمماثلة فهذه النصوص تقتضي مقابلة الشيء بمثله ودلت الاية ايضا على ان الايدي تقطع
باليد الواحدة لان كل القطع او بعضه صدر من كل اولئك القاطعين او من بعضهم فوجب ان يشرع في حق اولئك القاطعين
مثله بهذه النصوص **فان قيل** فيلزم استيفاء الزيادة من الجاني وهو ممنوع **فالجواب** انه لما وقع التعارض بين جانب
الجاني وبين جانب المجني عليه كان جانب المجني عليه بالرعاية اولى ودلت الاية ايضا على مشروعية القصاص في حق شريك الاب
لانه صدر عنه الجرح فوجب ان يقابل بمثله ودلت الاية ايضا على ان من حرق حرقناه ومن غرق غرقناه وعلى ان شهود القصاص
اذا رجعوا وقالوا تعمدنا الكذب يلزمهم القصاص لانهم بتلك الشهادة اهدروا دمه فوجب ان يهدر دمهم ودلت ايضا
على ان المكره يجب عليه القود لانه صدر منه القتل ظلما فوجب مثله اما صدور القتل فالحس يدل عليه واما انه قتل ظلما
فلاجماع المسلمين على انه مكلف بان لا يقتل فوجب ان يقابل بمثله ودلت ايضا على ان منافع الغصب مضمونة لان الغاصب
فوت على المالك منافع تقابل في العرف بدينار مثلا فوجب ان يفوت على الغاصب مثله من المال **قوله تعالى** فمن عفا واصلح
العفو بينه وبين ظالمه فاجره على الله قال الحسن اذا كان يوم القيمة نادى مناد من كان له عند الله اجر فليقم فلا يقوم الا
من عفا ثم قرا هذه الاية انه لا يحب الظالمين قال ابن عباس الذين يبدءون بالظلم وفيه تنبيه على ان المجني عليه لا يجوز له الزيادة
والتعدي في الاستيفاء خصوصا في حال الحرد والتهاب الحمية فربما صار المظلوم عند الاستيفاء ظالما وفيه ايضا دقيقة
وهو انه تعالى لما حث على العفو عن الظالم واخبر انه لا يحب الظالم واذا كان لا يحبه ويندب المجني الى العفو عنه فالمؤمن الذي
يحبه الله بسبب ايمانه اولى ان يعفو عنه **قوله تعالى** ولمن انتصر هذه لام الابتداء وجعلها الحوفي وابن عطية للقسم
وليس بجيد لان جعلنا من شرطية كما سيأتي لانه كان ينبغي ان يجاب السابق وهنا لم يجب الا الشرط ومن يجوز ان تكون شرطية
وهو الظاهر والفاء في فاولئك جواب الشرط وان تكون موصولة ودخلت الفاء لشبه الموصول بالشرط وظلمه مصدر مضاف
للمفعول وايدها الزمخشري بقراءة من قرا بعد ما ظلم مبنيا للمفعول **فصل** معنى الاية ومن انتصر بعد ظلم الظالم
اياه فاولئك المنتصرين ما عليهم من سبيل لعقوبة ومؤاخذة لانهم فعلوا ما ابيح لهم من الانتصار واحتجوا بهذه الاية على ان سراية
القود مهدرة لانه فعل ماذون فيه مطلقا فيدخل تحت هذه الاية **قوله تعالى** انما السبيل على الذين يظلمون الناس
اي يبدءون بالظلم ويبغون في الارض بغير الحق يعملون فيها بالمعاصي اولئك لهم عذاب اليم **قوله تعالى** ولمن صبر الكلام
في اللام كما تقدم فان جعلناها شرطية فان جواب القسم المقدر حذف جواب الشرط لدلالة هذا عليه وان كانت موصولة كان
قوله ان ذلك هو الخبر وجوز الحوفي وغيره ان تكون من شرطية وان ذلك جوابها على حذف الفاء على حد حذفها في قوله
من يفعل الحسنات الله يشكرها وفي الرابط قولان احدهما هو اسم الاشارة اذا اريد به المبتدا ويكون حينئذ على حذف مضاف
تقديره ان ذلك لمن ذوي عزم الامور والثاني انه ضمير محذوف تقديره لمن عزم الامور منه او له وقوله ولمن صبر عطف على
قوله ولمن انتصر والجملة من قوله انما السبيل اعتراض **فصل** المعنى ولمن صبر وغفر فلم ينتقم وتجاوز ان ذلك الصبر
والتجاوز من عزم الامور حقها وحزمها والرغبة في الثواب انه حزمها **قوله تعالى** ومن يضلل الله فما له من ولي من بعده
اي فليس له ناصر يتولاه من بعد اضلال الله اياه وليس له من يمنعه من عذاب الله وهذا صريح في جواز ان الاضلال من الله وان
الهداية ليست في مقدور احد سوى الله قال القاضي المراد ومن يضلل الله عن الجنة لجنايته فما له من ولي من بعده ينصره واجيب
بان تقييد الاضلال بهذه الصورة المعينة خلاف الدليل وايضا فالله تعالى ما اضله عن الجنة في قولكم بل هو اضل نفسه
عن الجنة **قوله تعالى** وترى الظالمين لما راوا العذاب يوم القيمة يقولون هل الى مرد من سبيل اي يطلبون الرجوع الى الدنيا
لعظم ما شاهدوا من العذاب ثم ذكر حالهم عند عرض النار **قوله تعالى** يعرضون عليها حال لان الرؤية بصرية وخاشعين
حال والضمير في عليها يعود على النار لدلالة العذاب عليها وقرا طلحة من الذل بكسر الذال وقد تقدم الفرق بين الذل والذل
ومن الذل يتعلق بخاشعين اي من اجل وقيل هو متعلق بينظرون وقوله من طرف خفي يجوز في من ان تكون لابتداء الغاية
وان تكون تبعيضية وان تكون بمعنى الباء والطرف قيل يراد به العضو وقيل يراد به المصدر يقال طرفت عينه تطرف طرفا
اي ينظرون نظرا خفيا **فصل** اعلم انه ذكر حالهم عند عرضهم على النار فقال خاشعين اي خاضعين حقيرين

٥٨

بسبب ما لحقهم من الذل ينظرون من طرف خفي النظر لما عليهم من الذل يسارقون النظر الى النار خوفا منها وذلة
في انفسهم كما ينظر المقتول الى السيف فلا يقدر ان يملا عينيه منها ولا يفتح عينيه انما ينظر ببعضها واذا كانت من بمعنى الباء اي
بطرف خفي ضعيف من الذل **فان قيل** انه قال في صفة الكفار انهم يحشرون عميا فكيف قال هاهنا انهم ينظرون من طرف
خفي **فالجواب** لعلهم يكونون في الابتداء هكذا ثم يصيرون عميا او لعل هذا في قوم وذاك في قوم اخرين وقيل
معنى ينظرون من طرف خفي اي ينظرون الى النار بقلوبهم لانهم يحشرون عميا والنظر بالقلب خفي ولما وصف الله تعالى
حال الكفار حكى ما تقوله المؤمنون فيهم فقال وقال الذين امنوا ان الخاسرين الذين خسروا انفسهم واهليهم يوم
القيمة قيل خسروا انفسهم بان صاروا الى النار واهليهم بان صاروا لغيرهم في الجنة وهذا القول يحتمل ان يكون
واقعا في الدنيا واما ان يقولوه يوم القيمة اذا راوهم على تلك الصفة ثم قال الا ان الظالمين في عذاب مقيم اي دائم
قال القاضي هذا يدل على ان الكافر والفاسق يدوم عذابهما والجواب ان لفظ الظالم المطلق في القران مخصوص بالكافر
قال تعالى والكافرون هم الظالمون والذي يؤكد هذا قوله تعالى بعد هذه الاية وما كان لهم من اولياء ينصرونهم
من دون الله والمعنى ان الاصنام التي كانوا يعبدونها لتشفع لهم عند الله تعالى ما اتوا بتلك الشفاعة وهذا لا يليق الا
بالكافر **قوله تعالى** ينصرونهم صفة لاولياء فيجوز ان يحكم على موضعها بالجر اعتبارا بلفظ موصوفها وبالرفع اعتبارا بمحله
فانه اسم لكان وقوله من سبيل اما فاعل واما مبتدا والمعنى فما له من سبيل الى الحق في الدنيا والجنة في العقبى وقد انسد عليهم
طريق الخير **قوله تعالى** وقال الذين امنوا يجوز ان يكون ماضيا على حقيقته ويكون يوم القيمة معمولا لخسروا ويجوز ان يكون
بمعنى يقول فيكون يوم القيمة معمولا له **قوله تعالى** استجيبوا لربكم الاية لما ذكر الوعد والوعيد ذكر بعده ما هو المقصود
فقال استجيبوا لربكم اي اجيبوا داعي ربكم يعني محمدا صلى الله عليه وسلم من قبل ان ياتي يوم لا مرد له من الله اي لا يقدر احد على
رده وهو يوم القيمة **قوله تعالى** من الله يجوز تعلقه بياتي اي ان ياتي من الله يوم لا مرد له وان يتعلق بمحذوف يدل عليه
لا مرد له اي لا يرد ذلك اليوم مما حكم الله به فيه وجوز الزمخشري ان يتعلق بلا مرد ورده ابو حيان بانه يكون مطولا فكان
ينبغي ان يعرب فينصب منونا واختلفوا في المراد بذلك اليوم فقيل هو ورود الموت وقيل يوم القيمة قال ابن الخطيب ويحتمل
ان يكون معنى قوله لا مرد له اي لا يقبل التقديم ولا التاخير وان يكون معناه انه لا مرد فيه الى حال التكليف حتى يحصل فيه
التلافي ثم وصف اليوم فقال فيه ما لكم من ملجا تلجئون اليه يقع به التخلص من العذاب وما لكم من نكير ينكر تغيير ما بكم ويجوز
ان يكون المراد من النكير الانكار اي لا تقدرون ان تنكروا شيئا مما اقترفوه من الاعمال **قوله تعالى** فان اعرضوا عن الاجابة
ولم يقبلوا هذا الامر فما ارسلناك عليهم حفيظا بان تحفظ اعمالهم وتحصيها ان عليك الا البلاغ وذلك تسلية من الله تعالى
ثم بين السبب في اصرارهم على الكفر فقال وانا اذا اذقنا الانسان منا رحمة قال ابن عباس يعني الغنى والصحة فرح بها واعلم
ان نعم الله وان كانت في الدنيا عظيمة الا انها بالنسبة الى سعادات الاخرة كالقطرة بالنسبة الى البحر فلذلك سمي ذوقا فبين
تعالى ان الانسان اذا حصل له هذا القدر الحقير في الدنيا فرح به وعظم غروره ووقع في العجب والكبر وظن انه فاز بكل المنى ووصل
الى اقصى السعادات وهذه طريقة من ضعف اعتقاده في سعادات الاخرة ثم انه تعالى بين انه متى اصابهم سيئة اي شيء يسوءهم
في الحال كالمرض والفقر والقحط وغيرهما فانه يظهر الكفران وهو قوله فان الانسان كفور والكفور هو المبالغ في الكفران والمراد
بقوله كفور اي لما تقدم من نعمة الله عليه ينسى ويجحد باول شدة جميع ما سلف من النعم وقوله فان الانسان من وقوع الظاهر
موقع المضمر اي فانه كفور وقدر ابو البقاء ضميرا محذوفا فقال فان الانسان منهم ولما ذكر اذاقة الانسان الرحمة واصابة ضدها
اتبع ذلك بقوله لله ملك السموات والارض له التصرف فيهما والمقصود ان لا يغتر الانسان بما ملكه من المال والجاه بل اذا
علم ان الكل ملك الله وملكه انما حصل له ذلك القدر انعاما من الله عليه فيصير ذلك حاملا له على مزيد الطاعة ثم ذكر من اقسام
تصرف الله تعالى في العالم انه يخص البعض بالاولاد الاناث والبعض بالذكور والبعض بهما والبعض بان يجعله محروما من الكل
وهو المراد بقوله ويجعل من يشاء عقيما **قوله تعالى** ذكرانا واناثا حال وهي حال لازمة وسوغ مجيئها كذلك انها بعد ما يجوز
ان يكون الامر على خلافه لان معنى قوله يزوجهم يقرنهم قال الزمخشري فان قلت لم قدم الاناث على الذكور مع تقدمهم عليهن
ثم رجع فقدمهم ولم عرف الذكور بعد ما نكر الاناث قلت لانه ذكر البلاء في اخر الاية الاولى وكفران الانسان بنسيانه الرحمة
السابقة ثم ذكره بذكر ملكه ومشيئته وذكر قسمة الاولاد فقدم الاناث لان سياق الكلام انه فاعل ما يشاء لا ما يشاء الانسان
فكان ذكر الاناث اللاتي من جملة ما لا يشاؤه الانسان اهم والاهم واجب التقديم وليلي الجنس الذي كانت العرب تعده بلاء ذكر البلاء
واخر الذكور فلما اخرهم تدارك تاخيرهم وهم احقاء بالتقديم بالتعريف لان تعريفهم فيه تنويه وتشهير كانه قال ويهب لمن يشاء
الفرسان الاعلام المذكورين الذين لا يخفون عليكم ثم اعطى بعد ذلك كلا الجنسين حقه من التقديم والتاخير وعرف ان تقديمهن
لم يكن لتقدمهن ولكن لمقتضى اخر فقال ذكرانا واناثا كما قال انا خلقناكم من ذكر وانثى فجعل منه الزوجين الذكر والانثى **فصل**

قال ابن الخطيب وفي الاية سؤالات الاول انه قدم الاناث في الذكر على الذكور ولانه قدم الذكور على الاناث ثانيا فما السبب
في هذا التقديم والتاخير الثاني انه نكر الاناث وعرف الذكور وقال في الصنفين معا او يزوجهم ذكرانا واناثا الثالث
لما كان حصول الولد هبة من الله فيكفي في عدم حصوله ان لا يهب فاي حاجة في عدم حصوله الى قوله ويجعل من يشاء عقيما
الرابع هل المراد بهذا الحكم جمع معينون او الحكم على الانسان المطلق والجواب عن الاول ان الكريم يسعى في ان يقع الختم على الخير
والراحة فاذا وهب الانثى اولا ثم اعطى الذكر بعده فكانه نقله من الغم الى الفرح وهذا غاية الكرم اما اذا اعطى الذكر اولا ثم اعطى
الانثى ثانيا فكانه نقله من الفرح الى الغم فذكر الله تعالى هبة الانثى اولا ثم هبة الذكر حتى يكون قد نقله من الغم الى الفرح
فيكون اليق بالكرم قيل من يمن المراة تبكيرها بالانثى قبل الذكر لان الله تعالى بدا بالاناث واما تقديم ذكر الذكور على ذكر الاناث
ثانيا لان الذكر اكمل وافضل من الانثى والافضل مقدم على المفضول واما الجواب عن تنكير الاناث وتعريف الذكور فهو ان
المقصود منه التنبيه على ان الذكر افضل من الانثى واما قوله او يزوجهم ذكرانا واناثا وهو ان كل شيئين يقرن احدهما بالاخر
فهما زوجان وكل واحد منهما يقال له زوج والكناية في يزوجهم عائدة على الاناث والذكور والمعنى يجعل الذكور والاناث ازواجا
اي يجمع له بينهما فيولد له الذكور والاناث واما الجواب عن قوله عقيما فالعقيم هو الذي لا يلد ولا يولد له يقال رجل عقيم وامراة
عقيم واصل العقم القطع ومنه قيل الملك عقيم لانه يقطع فيه الارحام بالقتل والعقوق واما الجواب عن الرابع فقال ابن عباس
يهب لمن يشاء اناثا يريد لوطا وشعيبا لم يكن لهما الا البنات ويهب لمن يشاء الذكور يريد ابرهيم لم يكن له الا الذكور او يزوجهم
ذكرانا واناثا يريد محمدا صلى الله عليه وسلم كان له من البنين ثلاثة على الصحيح القاسم وعبد الله وابرهيم ومن البنات اربعة
زينب ورقية وام كلثوم وفاطمة ويجعل من يشاء عقيما يريد يحيى وعيسى عليهما السلام وقال اكثر المفسرين هذا على وجه
التمثيل وانما الحكم عام في كل الناس لان المقصود بيان نفاذ قدرة الله تعالى في تكوين الاشياء كيف شاء فلا معنى للتخصيص
ثم انه تعالى ختم الاية بقوله انه عليم قدير قال ابن عباس عليم بما خلق قدير على ما يشاء ان يخلقه والله اعلم قوله تعالى وما
كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا الاية لما بين حال قدرته وعلمه وحكمته اتبعه ببيان انه كيف يخص انبياءه وحيا الاية لما بين
حال قدرته وعلمه وحكمته اتبعه ببيان انه كيف يخص انبياءه بوحيه وكلامه قوله تعالى ان يكلمه ان ومنصوبها اسم كان وليس
حرفا وقال ابو البقاء ان والفعل في موضع رفع على الابتداء وما قبله الخبر او فاعل بالجار لاعتماده على حرف النفي وكانه وهم
في التلاوة فزعم ان القران وما لبشر ان يكلمه مع انه يمكن الجواب عنه بتكلف والا وحيا يجوز ان يكون مصدرا اي الا كلام
وحي وقال ابو البقاء استثناء منقطع لان الوحي ليس من جنس الكلام وفيه نظر لان ظاهره انه مفرغ والمفرغ لا يوصف بذلك
ويجوز ان يكون مصدرا في موضع الحال قوله تعالى او يرسل قرا نافع او يرسل برفع اللام وكذلك فيوحي فسكنت ياؤه
والباقون بنصبهما فاما القراءة الاولى ففيها ثلاثة اوجه احدها انه رفع على اضمار مبتدا اي او هو يرسل الثاني انه عطف
على وحيا على انه حال لان وحيا في تقدير الحال ايضا فكانه قال الا موحيا او مرسلا الثالث ان يعطف على ما يتعلق به
من وراء اذ تقديره او يسمع من وراء حجاب ووحيا في موضع الحال عطف عليه ذلك المقدر المعطوف عليه او يرسل والتقدير
الا موحيا او مسمعا من وراء حجاب او مرسلا واما الثانية ففيها ثلاثة اوجه احدها ان يعطف على المضمر الذي يتعلق به
من وراء حجاب اذ تقديره او يكلمه من وراء حجاب وهذا الفعل المقدر معطوف على وحيا والمعنى الا بوحي او اسماع من وراء حجاب
او ارسال رسول ولا يجوز ان يعطف على يكلمه لفساد المعنى اذ يصير التقدير وما كان لبشر ان يرسل الله رسولا فيفسد لفظا
ومعنى وقال مكي لانه يلزم منه نفي الرسل ونفي المرسل اليهم الثاني ان ينتصب بان مضمرة وتكون هي وما نصبته معطوفين
على وحيا ووحيا حال فيكون هنا ايضا حالا والتقدير الا موحيا او مرسلا وقال الزمخشري وحيا وان يرسل مصدران
واقعان موقع الحال لان ان يرسل في معنى ارسالا ومن وراء حجاب ظرف واقع موقع الحال ايضا كقوله وعلى جنوبهم والتقدير
وما صح ان يكلم احدا الا موحيا او مسمعا من وراء حجاب او مرسلا ورد عليه ابو حيان بان وقوع المصدر موقع الحال غير منقاس
وانما قال المبرد منه ما كان نوعا للفعل فيجيز اتيته ركضا ومنع اتيته بكاء اي باكيا وبان ان يرسل لا يقع حالا لنص سيبويه
على ان ان والفعل لا يقع حالا وان كان المصدر الصريح يقع حالا تقول جاء زيد ضحكا ولا يجوز جاء ان يضحك الثالث انه
عطف على معنى وحيا فانه مصدر مقدر بان والفعل والتقدير الا بان يوحي اليه او بان يرسل ذكره مكي وابو البقاء قوله تعالى
او من وراء حجاب العامة على الافراد وابن ابي عبلة حجب جمعا وهذا الجار يتعلق بمحذوف تقديره او يكلمه من وراء حجاب
وقد تقدم ان هذا الفعل معطوف على معنى وحيا اي الا ان يوحي او يكلمه قال ابو البقاء ولا يجوز ان يتعلق من بيكلمه الموجودة
في اللفظ لان ما قبل الاستثناء لا يعمل فيما بعد الا ثم قال وقيل من متعلقة بيكلمه لانه ظرف والظرف يتسع فيه فصل
ذكر المفسرون ان اليهود قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم الا تكلم الله وتنظر اليه ان كنت نبيا كما كلمه موسى ونظر اليه فقال لم
ينظر موسى الى الله عز وجل فانزل الله تعالى وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا او يوحي اليه في المنام او بالالهام او من وراء حجاب

يسمع كلامه ولا يراه كما كلم موسى عليه السلام او يرسل رسولا اما جبريل او غيره من الملائكة فيوحي باذنه ما يشاء اي يوحي
ذلك الرسول الى المرسل اليه باذن الله ما يشاء وهذه الاية تدل على ان الحسن لا يحسن لوجه عائد اليه وان القبيح لا يقبح لوجه
عائد اليه بل لله ان يامر بما يشاء من غير تخصيص وان ينهى عما يشاء من غير تخصيص اذ لو لم يكن الامر كذلك لما صح قوله ما يشاء
ثم قال انه علي حكيم اي عليم بصفات المخلوقين حكيم يجري افعاله على الحكمة فيتكلم تارة بغير واسطة على سبيل الالهام واخرى
باسماع الكلام وثالثا بواسطة الملائكة الكرام ولما بين الله تعالى كيفية اقسام الوحي الى الانبياء عليهم السلام قال وكذلك
اوحينا اليك روحا من امرنا اي كما اوحينا الى سائر رسلنا اوحينا اليك روحا من امرنا قال ابن عباس نبوة وقال الحسن
رحمة الله وقال السدي ومقاتل وحيا وقال الكلبي كتابا وقال الربيع جبريل وقال مالك بن دينار يعني القران قوله تعالى
ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان ما الاولى نافية والثانية استفهامية والجملة الاستفهامية معلقة للدراية
وهي في محل نصب لسدها مسد مفعولين والجملة المنفية باسرها في محل نصب على الحال من الكاف في اليك فصل
المعنى ما كنت تدري قبل الوحي ما الكتاب ولا الايمان يعني شرائع الايمان ومعالمه وقال محمد بن اسحق بن خزيمة الايمان هنا
الصلوة لقوله تعالى وما كان الله ليضيع ايمانكم اي صلاتكم وقيل هذا على حذف مضاف اي ما كنت تدري ما الكتاب
ولا الايمان حين كنت طفلا في المهد وقيل الايمان عبارة عن الاقرار بجميع ما كلف الله تعالى به وانه قبل النبوة ما كان
عارفا بجميع تكاليف الله تعالى بل كان عارفا بالله تعالى وقال بعضهم صفات الله تعالى على قسمين منها ما يمكن معرفته بمحض
دلائل العقول ومنها ما لا يمكن معرفته الا بالدلائل السمعية فهذا القسم الثاني لم تكن معرفته حاصلة قبل النبوة واعلم ان
اهل الاصول قالوا على ان الانبياء عليهم السلام كانوا مومنين من قبل الوحي وكان النبي صلى الله عليه وسلم يعبد الله قبل الوحي
على دين ابرهيم ولم يتبين له شرائع دينه قوله تعالى جعلناه الضمير يعود اما للروح واما للكتاب واما لهما لانهما مقصد واحد
فهو كقوله والله ورسوله احق ان يرضوه فصل قال ابن عباس يعني الايمان وقال السدي يعني القران يهدي به
يرشد من يشاء من عبادنا ويهدي يجوز ان يكون مستانفا وان يكون مفعولا مكررا للجعل وان يكون صفة لنورا قوله تعالى
وانك لتهدي قرا ابن حوشب لتهدي مبنيا للمفعول وابن السميفع لتهدي بضم التاء وكسر الدال من اهدى والمراد بالصراط
المستقيم الاسلام قوله تعالى صراط الله بدل من صراط قبله بدل كل من كل معرفة من نكرة فصل نبه بهذه الاية على ان
الذي تجوز عبادته هو الذي يملك السموات والارض ثم قال الا الى الله تصير الامور اي امور الخلائق في الاخرة وهذا كالوعيد
والزجر ترجع الامور كلها الى الله حيث لا حاكم سواه فيجازي كلا منهم بما يستحقه من ثواب او عقاب روى ابو امامة
عن ابي بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة حم عسق كان ممن تصلي عليه الملائكة ويستغفرون له
ويترحمون عليه

سورة الزخرف مكية

وهي تسع وثمانون اية وثمان مائة وثلاث وثلاثون كلمة وثلاثة الاف واربعمائة حرف بسم الله الرحمن الرحيم
قوله تعالى حم والكتاب المبين ان جعلت حم قسما كانت الواو عاطفة وان لم تكن كانت الواو للقسم وقوله انا جعلناه جواب
القسم وهذا عندهم من البلاغة وهو كون القسم والمقسم عليه من واد واحد كقول ابي تمام وثناياك انها اغريض
ان اريد بالكتاب القران وان اريد به جنس الكتب المنزلة غير القران لم يكن من ذلك والضمير في جعلناه على الاول يعود
على الكتاب وعلى الثاني للقران وان لم يصرح بذكره والجعل هنا تصيير ولا يلتفت لخطا الزمخشري في تجويزه ان يكون
بمعنى خلقناه فصل ذكر المفسرون في هذه الاية وجهين الاول ان يكون التقدير هذه حم والكتاب المبين
فيكون القسم واقعا على ان هذه السورة هي سورة حم الثاني ان يكون القسم واقعا على قوله انا جعلناه قرانا عربيا
وفي المراد بالكتاب قولان احدهما انه القران فيكون قد اقسم بالقران انه جعله عربيا والثاني المراد بالكتاب الكتابة
والخط اقسم بالكتاب لكثرة ما فيه من المنافع ووصف الكتاب بانه مبين اي بان طريق الهدى من طريق الضلال وابان
ما يحتاج اليه الامة من الشريعة وتسميته مبينا مجاز لان المبين هو الله تعالى وانما سمي القران بذلك توسعا من حيث انه
حصل البيان عنده وقوله جعلناه اي صيرنا قراءة هذا الكتاب عربيا وقيل بيناه وقيل وصفناه يقال الجعل قال ابن زيد الا
اي وصفه هذا كقوله وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا وجعلوا القران عضين اجعلتم سقاية الحاج كلها بمعنى الوصف
والتسمية فصل احتج القائلون بحدوث القران بهذه الاية من وجوه الاول انها تدل على ان القران مجعول والمجعول

هو المصنوع المخلوق فإن قيل المراد به أنه سماه عربياً فهذا مدفوع من وجهين الأول أنه لو كان المراد من الجعل التسمية
لزم أن سماه عجمياً أنه يصير عجمياً وإن كان بلغة العرب وهذا باطل الثاني أنه لو صرف الجعل إلى التسمية لزم كون التسمية
مجعولة والتسمية أيضاً كلام الله وذلك أنه جعل بعض كلامه وإذا صح ذلك في البعض صح في الكل الثاني أنه وصفه بكونه قرآناً
وهو إنما سمي قرآناً لأنه جعل بعضه مقروناً بالبعض وما كان كذلك كان مصنوعاً الثالث وصفه بكونه عربياً وإنما يكون عربياً
لأن العرب اختصت بوضع ألفاظه واصطلاحهم وذلك يدل على أنه مجعول والتقدير حم ورب الكتاب المبين ويؤكد هذا
بقوله عليه السلام يا رب طه ويس ويا رب القرآن العظيم وأجاب ابن الخطيب بأن هذا الذي ذكرتموه حق لأنكم استدللتم
بهذه الوجوه على كون الحروف المتواليات والكلمات المتعاقبة محدثة وذلك معلوم بالضرورة ومن الذي ينازعكم فيه قوله
تعالى لعلكم تعقلون كلمة لعل للتمني والترجي وهي لا تليق بمن كان عالماً بعواقب الأمور فكان المراد ههنا أنزلناه قرآناً عربياً
لأجل أن تحيطوا بمعناه قوله تعالى وإنه في أم الكتاب لدينا يتعلقان بما بعدهما ولا تمنع اللام من ذلك ويجوز أن يكونا حالين
مما بعدهما لأنهما كانا وصفين له في الأصل فيتعلقان بمحذوف ويجوز أن يكون لدينا متعلقاً بما تعلق به الجار قبله إذا جعلناه
حالاً من لعلي وأن يكون حالاً من الضمير المستتر فيه وكذا يجوز في الجار أن يتعلق بما تعلق به الظرف وأن يكون حالاً من ضميره
عند من يجوز تقديمها على العامل المعنوي ويجوز أن يكون الظرف بدلاً من الجار قبله وأن يكونا حالين من الكتاب أو من أم
ذكر هذه الأوجه الثلاثة أبو البقاء وقال لا يجوز أن يكون واحد من الظرفين خبراً لأن الخبر لزم أن يكون على من أجل اللام قال
شهاب الدين وهذا يمنع أن يقول إن زيداً كاتب لشاعر لأنه منع أن يكون غير المقترن بها خبراً وقرأ حمزة والكسائي أم الكتاب
بكسر الألف والباقون بالضم والضمير في قوله وإنه عائد إلى الكتاب المتقدم ذكره **فصل** قيل أم الكتاب هو اللوح
المحفوظ قال قتادة أم الكتاب أصل الكتاب وأم كل شيء أصله قال ابن عباس أول ما خلق الله القلم فأمره أن يكتب بما يريد
أن يخلق فالكتاب عنده ثم قرأ وإنه في أم الكتاب لدينا فالكتاب مثبت عنده في اللوح المحفوظ كما قال بل هو قرآن مجيد في لوح
محفوظ وقوله لعلي حكيم قال قتادة يخبر عن منزلته وشرفه أي إن كذبتم بالقرآن يا أهل مكة فإنه عندنا لعلي رفيع شريف
حكيم أي محكم في أبواب البلاغة والفصاحة أو ذو حكمة بالغة وقيل المراد بأم الكتاب الآيات المحكمة لقوله تعالى هو الذي
أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب والمعنى أن سورة حم واقعة في الآيات المحكمة التي هي الأصل والأم فإن قيل
ما الحكمة في خلق هذا اللوح المحفوظ مع أنه تعالى علام الغيوب يستحيل عليه السهو والنسيان فالجواب أنه تعالى لما أثبت في ذلك
أحكام حوادث المخلوقات ثم إن الملائكة إذا شاهدوا أن جميع الحوادث إنما تحدث على موافقة ذلك المكتوب استدلوا
بذلك على كمال حكمته وعلمه قوله تعالى أفنضرب عنكم الذكر صفحاً في نصب صفحاً خمسة أوجه أحدها أنه مصدر في معنى
نضرب لأنه يقال ضرب عن كذا وأضرب عنه بمعنى أعرض عنه وصرف وجهه عنه قال الشاعر
اضرب عنك الهموم طارقها ... ضربك بالسيف قونس الفرس
والتقدير أفنصفح عنكم الذكر أي أفنزيل القرآن عنكم إزالة
ينكر عليهم ذلك الثاني أنه منصوب على الحال من الفاعل أي صافحين الثالث أن ينتصب على المصدر المؤكد لمضمون الجملة
فيكون عامله محذوفاً نحو صنع الله قاله ابن عطية الرابع أن يكون مفعولاً من أجله الخامس أن يكون منصوباً على الظرف
قال الزمخشري وصفحاً على وجهين إما مصدر من صفح عنه إذا أعرض عنه منتصب على أنه مفعول له على معنى أفنعزل عنكم
إنزال القرآن وإلزام الحجة به إعراضاً عنكم وإما بمعنى الجانب من قولهم نظر إليه بصفح وجهه وصفح وجهه بمعنى أفننحيه
عنكم جانباً فينتصب على الظرف نحو ضعه جانباً وامش جانباً ويعضده قراءة صفحاً بالضم منبهاً إلى قراءة حسان بن عبد
الرحمن الضبعي وسميط بن عمير وشبيل بن عزرة قرأوا صفحاً بضم الصاد وفيها احتمالان أحدهما ما ذكر من كونه لغة
في المفتوح ويكون ظرفاً وظاهر عبارة أبي البقاء أنه يجوز فيه جميع ما جاز في المفتوح لأنه جعله لغة فيه كالسد والسد
والثاني أنه جمع صفوح نحو صبور وصبر فينتصب حالاً من فاعل نضرب وقدر الزمخشري على عادته فعلاً بين الهمزة
والفاء أي أنهملكم فنضرب وقد تقدم ما فيه قوله تعالى إن كنتم قرأ نافع والأخوان بالكسر على أنها شرطية وإسرافهم
كان محققاً وإن إنما تدخل على غير المحقق أو المحقق المبهم الزمان وأجاب الزمخشري بأنه من الشرط الذي يصدر عن المدل
بصحة الأمر والمتحقق لثبوته كقول الأجير إن كنت عملت لك عملاً فوفني حقي وهو عالم بذلك ولكنه يخيل في كلامه
أن تفرطك في إيصال حقي فعل من له شك في استحقاقه إياه تجهيلاً له وقيل المعنى على المجازاة والمعنى أفنضرب عنكم الذكر صفحاً متى
أسرفتم أي إنكم غير متروكين من الإنذار متى كنتم قوماً مسرفين وهذا أراد أبو البقاء بقوله وقرئ إن بكسرها على الشرط وما تقدم
يدل على الجواب والباقون بالفتح على العلة أي لأن كنتم كقوله • أتجزع أن بان الخليط المودع • ومثله قوله • أتجزع أن أذنا قتيبة حزتا •
ويعني بالفتح الكسر وقد تقدم عوض من هذا أول المائدة وقرأ زيد بن علي إذ بدال عوض النون وفيها معنى العلة كقوله وأنتم الأعلون
إن كنتم مؤمنين **فصل** قال الفراء والزجاج يقال ضربت عنه وأضربت عنه أي تركته وأمسكت عنه وقوله صفحاً أي إعراضاً

والأصل

والأصل فيه أنك توليه صفحة عنقك والمراد بالذكر عذاب الله وقيل أفنرد عنكم النصائح والمواعظ والإعذار بسبب كونكم مسرفين
وقيل أفنرد عنكم القرآن وهذا استفهام على سبيل الإنكار والمعنى أفنترك عنكم الوحي ونمسك عن إنزال القرآن فلا نأمركم ولا ننهاكم
من أجل أنكم أسرفتم في كفركم وتركتم الإيمان وهذا قول قتادة وجماعة قال قتادة والله لو كان هذا القرآن رفع حين رده أوائل
هذه الأمة لهلكوا ولكن الله برحمته كرره عليهم ودعاهم إليه عشرين سنة أو ما شاء الله وقيل معناه أفنضرب عنكم بذكرنا
إياكم صافحين معرضين وقال الكسائي أفنطوي عنكم الذكر طياً فلا تدعون ولا توعظون وقال الكلبي أفنترككم سدى لا نأمركم
ولا ننهاكم وقال مجاهد والسدي أفنعرض عنكم ونترككم فلا نعاقبكم على كفركم قوله تعالى وكم أرسلنا كم خبرية مفعول مقدم
ومن نبي تمييز وفي الأولين يتعلق بالإرسال أو بمحذوف على أنه صفة لنبي والمعنى أن عادة الأمم مع الأنبياء الذين يدعونهم
إلى الدين الحق هو التكذيب والاستهزاء فلا ينبغي أن تتأذى من قومك بسبب تكذيبهم واستهزائهم لأن المصيبة إذا عمت خفت
ثم قال فأهلكنا أشد منهم بطشاً أي أن أولئك المتقدمين الذين أرسل الله إليهم الرسل كانوا أشد بطشاً من قريش وأكثر عدداً
وجلداً قوله تعالى بطشاً فيه وجهان أحدهما أنه تمييز لأشد والثاني أنه حال من الفاعل أي أهلكناهم باطشين قوله تعالى ومضى
مثل الأولين والمعنى أن كفار مكة سلكوا في الكفر والتكذيب مسلك من كان قبلهم فليحذروا أن ينزل بهم من الخزي مثل ما نزل با
الأولين أي صفتهم وسنتهم وعقوبتهم فعاقبهم هؤلاء كذلك في الإهلاك قوله تعالى ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض الآية
والمعنى ولئن سألت قومك من خلق السماوات والأرض وقيل الضمير في سألتهم يحتمل رجوعه إلى الأنبياء والأقرب الأول أي إنهم مع
كفرهم مقرون بعزته وعلمه ثم عبدوا غيره وأنكروا قدرته على البعث لفرط جهلهم قوله تعالى خلقهن العزيز كرر الفعل للتوكيد إذ لو
جاء العزيز بغير خلقهن لكان كافياً كقولك من قام فيقال زيد وفيها دليل على أن الجلالة الكريمة من قوله ولئن سألتهم من خلقهم
ليقولن الله مرفوعة بالفاعلية لا بالابتداء للتصريح بالفعل في نظيرتها وهذا الجواب مطابق للسؤال من حيث المعنى إذ لو جاء على
اللفظ لجيء فيه بجملة ابتدائية كالسؤال قوله تعالى الذي جعل لكم الأرض مهاداً اعلم أنه تم الإخبار عنهم ثم ابتدأ دالاً على نفسه
بذكر مصنوعاته فقال الذي جعل لكم الأرض مهاداً ولو كان هذا من جملة كلام الكفار لقالوا الذي جعل لنا الأرض مهاداً الآن
وفي أثناء الكلام فأنشرنا به بلدة ميتاً لا يليق إلا بكلام الله ونظيره من كلام الناس أن يسمع الرجل رجلاً يقول الذي بنى هذا المسجد
فلان العالم فيقول السامع لهذا الكلام الزاهد الكريم كأن ذلك السامع يقول أنا أعرفه بصفات حميدة فوق ما تعرفه فأزيد في
صفته فيكون النعتان جميعاً من رجلين لرجل واحد ومعنى كون الأرض مهاداً أن الانتفاع بها إنما حصل لكونها واقفة ساكنة فإنها
لو كانت متحركة لما أمكن الانتفاع بها في الزراعة والأبنية وستر عيوب الأحياء والأموات ولأن المهد موضع راحة الصبي فكانت
الأرض مهاداً لكثرة ما فيها من الراحات وجعل لكم فيها سبلاً وذلك أن انتفاع الناس بها إنما يكمل إذا سعوا في أقطار الأرض فهيأ تعالى
تلك السبل ووضع عليها علامات ليحصل الانتفاع ثم قال لعلكم تهتدون إلى مقاصدكم في أسفاركم أو لتهتدوا إلى الحق في الدين
قوله تعالى والذي نزل من السماء ماء بقدر أي بقدر حاجتكم إليه من غير زيادة ولا نقصان لا كما أنزل على قوم نوح بغير قدر حتى
أغرقهم قوله تعالى فأنشرنا به بلدة ميتاً قراءة العامة مخففاً وعيسى وأبو جعفر مثقلاً وتقدم الكلام فيه في آل عمران وتقدم في
الأعراف كذلك تخرجون ويخرجون أي كما أحيينا هذه البلدة بالمطر ومعنى الميتة الخالية من النبات كذلك تخرجون من قبوركم أحياء
والمعنى أن هذا الدليل كما دل على قدرة الله وحكمته فكذلك يدل على قدرته على البعث والقيامة ووجه التشبيه أنه جعلهم أحياء بعد
الإماتة كهذه الأرض التي انتشرت بعدما كانت ميتة وقيل بل وجه التشبيه أنه يعيدهم ويخرجهم من الأرض بماء كالمني كما تنبت
الأرض بماء المطر وهذا ضعيف لأن ظاهر اللفظ الإنشار والإعادة فقط دون هذه الزيادة قوله تعالى والذي خلق الأزواج
كلها قال ابن عباس الأزواج الضروب والأنواع كالحلو والحامض والأبيض والأسود والذكر والأنثى وقال بعض المحققين
كل ما سوى الله فهو زوج كالفوق والتحت واليمين واليسار والقدام والخلف والماضي والمستقبل والذوات والصفات والصيف
والشتاء والربيع والخريف وكونها أزواجاً يدل على أنها ممكنة الوجود في ذواتها محدثة مسبوقة بالعدم فأما الحق تعالى
فهو الفرد المنزه عن الضد والند والمقابل والمعاضد فلهذا قال تعالى والذي خلق الأزواج كلها أي كل ما هو زوج فهو مخلوق
فدل هذا على أن خالقها فرد مطلق منزه عن الزوجية قال ابن الخطيب وأيضاً علماء الحساب بينوا أن الفرد أفضل من الزوج لوجوه
الأول أن الاثنين لا توجد إلا عند حصول وحدتين فالزوج محتاج إلى الفرد والفرد هو الوحدة وهي غنية عن الزوج والغني
أفضل من المحتاج الثاني أن الزوج يقبل القسمة بقسمين متساويين والفرد لا يقبل القسمة وقبول القسمة انفعال وتأثر
وعدم قبولها شدة فكان الفرد أفضل من الزوج ثم ذكر وجوهاً أخر تدل على أن الفرد أفضل من الزوج وإذا كان كذلك ثبت
أن الأزواج ممكنات ومحدثات ومخلوقات وأن الفرد هو القائم بذاته المستقل بنفسه الغني عما سواه قوله تعالى وجعل لكم من الفلك
والأنعام ما تركبون ما موصولة وعائدها محذوف أي ما تركبونه وركب بالنسبة إلى الفلك يتعدى بحرف الجر فإذا ركبوا
في الفلك وفي غيره بنفسه قال لتركبوها فغلب هنا المتعدي بنفسه على المتعدي بواسطة فلذلك حذف العائد **فصل**

السفر اما ان يكون في البحر واما في البر فاما سفر البحر فعلى السفينة واما سفر البر فعلى الانعام **فان قيل** لم لم يقل على ظهورها
فالجواب من وجوه الاول قال ابو عبيدة التذكير لقوله ما تركبون والتقدير ما تركبونه فالضمير يعود على لفظ ما فلذلك
افرده الثاني قال الفراء اضاف الظهور الى واحد فيه معنى الجمع بمنزلة الجنس فلذلك ذكر وجمع الظهور باعتبار معناها الثالث
ان التانيث فيها ليس حقيقيا فجاز ان يختلف اللفظ فيه كما يقال عندي من النساء من يوافقك **قوله تعالى** لتستووا يجوز ان تكون
هذه لام العلة وهو الظاهر وان تكون للصيرورة فتتعلق في كليهما بجعل وجوز ابن عطية ان يكون للامر وفيه بعد لقلة
دخولها على امر المخاطب قرئ شاذا فلتفرحوا وفي الحديث لتاخذوا مصافكم وقال • لتقم انت يا ابن خير قريش •
فلتقض حوائج المسلمينا • نص النحويون على قلتها ما عدا ابا القاسم الزجاجي فانه جعلها لغة جيدة **قوله تعالى** ثم تذكروا
نعمة ربكم اذا استويتم عليه اي تذكروها في قلوبكم وذلك الذكر هو ان يعرف ان الله تعالى خلق البحر وخلق الرياح وخلق
جرم السفينة على وجه يمكن الانسان من تصريف هذه السفينة الى اي جانب شاء فاذا تذكر ان خلق البحر وخلق الرياح
وخلق السفينة على هذه الوجوه القابلة لتصرف الانسان ولتحريكاته انما هو من تدبير الحكيم العليم القدير عرف ان ذلك نعمة
من الله تعالى فيحمله ذلك على الانقياد لطاعة الله تعالى وعلى الاشتغال بالشكر لنعم الله التي لا نهاية لها **قوله تعالى**
وتقولوا سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين مطيقين وقيل ضابطين واعلم انه تعالى عين ذكرا لركوب السفينة
والدابة وهو قوله سبحان الذي سخر لنا هذا وذكر عند دخول المنازل قوله تعالى رب انزلني منزلا مباركا وانت خير المنزلين
وتحقيقه ان الدابة المركوبة لا بد وان تكون اكثر قوة من الانسان بكثير وليس لها عقل يهديها الى طاعة الانسان ولكنه تعالى
خلق تلك البهيمة على وجوه مخصوصة في خلقها الظاهر وخلقها الباطن يحصل منهما هذا الانتفاع اما خلقها الظاهر فلانها
تمشي على اربع فكان ظهرها محلا لاستقرار الانسان عليه واما خلقها الباطن فلانها مع قوتها الشديدة قد صيرها الله
تعالى منقادة للانسان ومسخرة له فاذا تامل الانسان في هذه العجائب عظم تعجبه من تلك القدرة والحكمة التي لا نهاية لها
فلا بد وان يقول سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين **قوله تعالى** له مقرنين له متعلق بمقرنين وقدم للفواصل
والمقرن المطيق للشيء الضابط له من اقرنه اي اطاقه قال الواحدي كان اشتقاقه من قولك صرت له قرنا ومعنى فلان قرن فلان اي
مثله في الشدة وقال ابو عبيدة فلان قرن لفلان اي ضابط له والقرن الحبل وقال ابن هرمة • واقرنت ما حملتني ولقلما •
يطاق احتمال الصد يا دعد والهجر • وقال عمرو بن معدي كرب • لقد علم القبائل ما عقيل • لنا في النائبات بمقرنينا •
وحقيقة اقرنه وجده قرينه لان القوي لا يكون قرينا للضعيف قال • وابن اللبون اذا ما لز في قرن • لم يستطع صولة البزل القناعيس •
وقرئ مقترنين بالتاء قبل الراء **فصل** ومعنى الاية ليس عندنا من القوة والطاقة ان نقرن هذه الدابة
والفلك وان نضبطها فسبحان من سخر لنا هذا بقدرته وحكمته روى الزمخشري عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان اذا وضع
رجله في الركاب قال بسم الله فاذا استوى على الدابة قال الحمد لله على كل حال سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين
وانا الى ربنا لمنقلبون وروي عن علي ايضا مثله وزاد ثم حمد ثلاثا وكبر ثلاثا ثم قال لا اله الا انت ظلمت نفسي فاغفر لي انه لا يغفر
الذنوب الا انت ثم ضحك فقيل مم تضحك يا امير المؤمنين قال رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم فعل ما فعلت فقلنا ما
يضحكك فقلنا ما يضحكك يا نبي الله قال العبد اذا قال لا اله الا الله ظلمت نفسي فاغفر لي انه لا يغفر الذنوب الا انت يعلم انه
لا يغفر الذنوب الا هو **فصل** دلت هذه الاية على خلاف قول المجبرة من وجوه الاول انه تعالى قال لتستووا على ظهوره
ثم تذكروا نعمة ربكم فذكره بلام كي وهذا يدل على انه اراد منا هذا الفعل وهذا يدل على بطلان قولهم انه اراد الكفر منه الثاني
قوله لتستووا يدل على ان فعله معلل بالاغراض الثالث انه تعالى بين ان خلق هذه الحيوانات على هذه الطبائع انما كان لغرض ان
يصدر الشكر عن العبد ولو كان فعل العبد فعلا لله تعالى لكان معنى الاية اني خلقت هذه الحيوانات على هذه الطبائع لاجل
ان اخلق سبحاني في لسان العبد وهذا باطل لانه تعالى قادر على ان يخلق هذا اللفظ في لسانه بدون هذه الوسائط قال ابن
الخطيب والكلام على هذه الوجوه معلوم مما تقدم فلا فائدة في الاعادة **قوله تعالى** وانا الى ربنا لمنقلبون اي لصائرون
في المعاد ووجه اتصال الكلام بما قبله ان راكب الفلك في خطر الهلاك وراكب الدابة كذلك ايضا لان الدابة قد يحصل لها ما
يوجب هلاك الراكب وكذا السفينة قد تنكسر ففي ركوبهما تعريض النفس للهلاك فوجب على الراكب ان يتذكر امر الموت ويقطع
انه هالك وانه منقلب الى الله وغير منفلت من قضائه وقدره فاذا اتفق له ذلك كان قد وطن نفسه على الموت **قوله تعالى**
وجعلوا له من عباده جزءا الاية لما قال ولئن سالتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله بين انهم مع اقرارهم بذلك جعلوا له
من عباده جزءا والمراد التنبيه على قلة عقولهم **قوله تعالى** جزءا قرا عاصم في رواية ابي بكر جزؤا بضم الزاي والهمز في كل القران
والباقون باسكان الزاي في كل القران وهما لغتان واما حمزة فاذا وقف فالجزا بفتح الزاي بلا همز وجزءا مفعول اول لجعل
والجعل تصيير قولي ويجوز ان يكون بمعنى سموا واعتقدوا واغرب ما قيل هنا ان الجزء الانثى وانشد • واوله

ان اجزات حرة يوما فلا عجب • قد تجزئ الحرة المذكار احيانا • وقول الاخر • زوجتها من بنات الاوس مجزئة •
للعوسج اللدن في ابياتها غزل • قال الزمخشري انه الصنعة فيهما ظاهر وقال الزجاج والازهري هذه اللغة فاسدة وهذه
الابيات مصنوعة **فصل** المشهور ان المراد من هذا الجعل انهم اثبتوا لله ولدا بمعنى حكموا به كما تقول جعلت زيدا افضل الناس
اي وصفته وحكمت به وذلك هو قولهم الملائكة بنات الله لان ولد الرجل جزء منه قال عليه السلام فاطمة بضعة مني والمعقول
من الولد ان ينفصل من الوالد جزء من اجزائه ثم يتربى ذلك الجزء ويتولد منه شخص مثل ذلك الاصل واذا كان كذلك فولد الرجل
جزء منه وقيل المراد بالجزء اثبات الشركاء لله وذلك انهم لما اثبتوا الشركاء فقد زعموا ان كل العبادة ليست لله بل بعضها لله وبعضها
لغير الله فهم ما جعلوا لله من عباده كلهم بل جعلوا له من بعضهم جزءا منهم قالوا وهذا القول اولى لانا اذا حملنا هذه الاية على انكار
الشريك لله وحملنا الاية التي بعدها على انكار الولد لله كانت الاية جامعة للرد على جميع المبطلين ثم قال ان الانسان لكفور يعني
الكافر لكفور جحود لنعم الله مبين ظاهر الكفر **قوله تعالى** ام اتخذ مما يخلق بنات هذا استفهام توبيخ وانكار تقول اتخذ ربكم
لنفسه البنات واصفاكم اخلصكم بالبنين يقال اصفيت فلانا اي اثرته به ايثارا حصل له على سبيل الصفاء من غير ان يكون له
فيه مشارك كقوله افاصفاكم ربكم بالبنين فقوله واصفاكم يجوز ان يكون داخلا في حيز الانكار معطوفا على اتخذ ويجوز ان
يكون حالا اي ام اتخذ في هذه الحالة وقد مقدرة عند الجمهور **فصل** اعلم ان الله تعالى رتب هذه المناظرة على احسن الوجوه
وذلك لانه بين ان اثبات الولد لله محال فلان الولد لا بد وان يكون جزءا من الوالد وما كان له جزء كان مركبا وكل مركب ممكن
وايضا ما كان كذلك فانه يقبل الاتصال والانفصال والاجتماع والافتراق وما كان كذلك فهو محدث عبد فلا يكون الها
قديما ازليا واما المقام الثاني وهو ان يكون لله ولد فانه يمتنع ان يكون بنتا لان الابن افضل من البنت فلو اتخذ لنفسه البنات
واعطى البنين لعباده لزم ان يكون حال العبد اكمل وافضل من حال الله وذلك مدفوع ببديهة العقل **قوله تعالى** واذا بشر
احدهم تقدم نظيره قال الزمخشري وقرئ هنا وجهه مسود ومسواد بالرفع على انها جملة في موضع خبر ظل واسم ظل
ضمير الشان **فصل** والمعنى بما ضرب للرحمن مثلا اي جعل لله شبها لان ولد كل شيء يشبهه ظل وجهه اي صار وجهه
مسودا وهو كظيم من الحزن والغيظ والمعنى ان الذي يبلغ حاله في النقص الى هذا الحد كيف يجوز للعاقل اثباته لله روي ان بعض
العرب هجر بيته حين وضعت امراته بنتا فقالت المراة • ما لابي حمزة لا ياتينا • يظل في البيت الذي يلينا • غضبان ان لا نلد البنينا •
ليس لنا من القضا ما شينا • وانما ناخذ ما اعطينا • **قوله تعالى** او من ينشا في الحلية يجوز في من وجهان احدهما ان يكون في
محل نصب مفعولا بفعل مقدر اي او تجعلون من ينشا في الحلية والثاني انه مبتدا وخبره محذوف تقديره او من ينشا جزء او ولد
اذ جعلوه لله جزءا وقال البغوي يجوز ان تكون من في محل خفض ردا على قوله مما يخلق وقوله بما ضرب وقرا العامة ينشا بفتح اليا
وسكون النون من نشا في كذا ينشا فيه والاخوان وحفص بضم اليا وفتح النون وتشديد الشين مبنيا للمفعول والمفاعلة
تاتي بمعنى الافعال كالمغالاة بمعنى الاغلاء **فصل** المراد من هذا الكلام التنبيه على نقصانها في ذاتها والمعنى
ان الذي يتربى في الحلية والزينة يكون ناقص الذات لانه لولا نقصانها في ذاتها لما احتاجت الى تزيين نفسها بالحلية
ثم بين نقصان حالها بطريق اخر وهو قوله وهو في الخصام غير مبين الجملة حال وفي الخصام يجوز ان يتعلق بمحذوف يدل
عليه ما بعده تقديره وهو لا يبين في الخصام اي الحجة ويجوز ان يتعلق بمبين وجاز للمضاف اليه ان يعمل فيما قبل المضاف لان
غير بمعنى لا كما تقدم تحقيقه اخر الفاتحة **فصل** المعنى وهو في المخاصمة غير مبين الحجة من ضعفهن وسفههن قال قتادة
في هذه الاية قلما تتكلم امراة فتريد ان تتكلم بحجتها الا تكلمت بالحجة عليها **قوله تعالى** وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن
اناثا جعلوا اي حكموا به وقرا نافع وابن كثير وابن عامر عند الرحمن ظرفا ويؤيده قوله ان الذين عند ربك والباقون عباد جمع
عبد فالرسم يحتملهما وقرا الاعمش كذلك الا انه نصب عبادا على اضمار فعل اي الذين هم خلقوا عبادا ونحوه وقرا عبد الله
وكذلك هي في مصحفه الملائكة عباد الرحمن بالافراد واناثا هو المفعول الثاني للجعل بمعنى الاعتقاد والتصيير القولي وقرا
زيد بن علي اناثا جمع الجمع **قوله تعالى** اشهدوا قرا نافع بهمزة مفتوحة ثم باخرى مضمومة مسهلة بينها وبين الواو وسكون
الشين على ما لم يسم فاعله اي احضروا خلقهم حين خلقوا كقوله ام خلقنا الملائكة اناثا وهم شاهدون وهذا استفهام
على سبيل الانكار وقرا قالون ذلك بالمد يعني بادخال الف بين الهمزتين والقصر يعني بعدم الالف والباقون بفتح الشين
بعد همزة واحدة فنافع ادخل همزة التوبيخ على اشهدوا فعلا رباعيا مبنيا للمفعول فسهل همزته الثانية وادخل الفا بينهما
كراهة لاجتماعهما وتارة لم يدخلها اكتفاء بتسهيل الثانية وهي اوجه والباقون ادخلوا همزة الانكار على شهدوا ثلاثيا
والشهادة هنا الحضور ولم ينقل ابو حيان عن نافع تسهيل الثانية بل نقله عن علي بن ابي طالب وقرا الزهري اشهدوا رباعيا
مبنيا للمفعول وفيه وجهان احدهما ان يكون حذف الهمزة لدلالة القراءة الاخرى كما تقدم في قراءة اعجمي والثاني ان تكون
الجملة خبرية وقعت صفة لاناثا اي اجعلوهم اناثا مشهودا خلقهم كذلك **قوله تعالى** ستكتب شهادتهم قرا العامة ستكتب

بالتاء من فوق مبنيًا للمفعول شهادتهم بالرفع لقيامه مقام الفاعل وقرا الحسن شهاداتهم بالجمع والزهري سيكتب بالياء من تحت وهو في الباقي كالعامة وابن عباس وزيد بن علي وابو جعفر وابو حيوة سنكتب بنون العظمة شهادتهم بالنصب فصل المعنى سنكتب شهادتهم على الملائكة انهم بنات الله ويسألون عنها قال الكلبي ومقاتل لما قالوا هذا القول سألهم النبي صلى الله عليه وسلم فقال ما يدريكم انهم اناث فقالوا سمعنا من ابائنا ونحن نشهد انهم لم يكذبوا فقال الله تعالى ستكتب شهادتهم ويسألون عنها في الاخرة وهذا يدل على ان القول بغير دليل منكر وان التقليد حرام يوجب الذم العظيم والعقاب الشديد قال المحققون هؤلاء الكفار كفروا في هذا القول من ثلاثة اوجه اولها اثبات الولد وثانيها ان ذلك الولد بنت وثالثها الحكم على الملائكة بالانوثة فصل احتج من قال بتفضيل الملائكة على البشر بهذه القراآت اما قراءة عند بالنون فهي تدل العندية لا شك انها عندية الفضل والقرب من الله تعالى بسبب الطاعة ولفظة هم توجب الحصر والمعنى انهم هم الموصوفون بهذه العندية لا غيرهم فوجب كونهم افضل من غيرهم رعاية للفظ الدال على الحصر واما قراءة عباد جمع العبد فقد تقدم ان لفظ العباد في القرآن مخصوص بالمؤمنين فقوله عباد الرحمن يفيد حصر العبودية فيهم فاذا كان اللفظ الدال على العبودية دالا على حصر الفضل والقرب والشرف فيهم وجب كونهم افضل والله تعالى اعلم قوله تعالى وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم الآية يعني الملائكة قاله قتادة ومقاتل والكلبي وقال مجاهد يعني الاوثان وانما لم يعجل عقوبتنا على عبادتنا اياهم لرضاه منا بعبادتها وهذا نوع آخر من كفرهم وشبهاتهم فصل قالت المعتزلة هذه الآية تدل على فساد القول بالجبر في ان كفر الكافر يقع بارادة الله من وجهين الاول انه تعالى حكى عنهم انهم قالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم وهذا تصريح بقول المجبرة ثم انه تعالى ابطله بقوله ما لهم بذلك من علم ان هم الا يخرصون فثبت بطلان هذا المذهب ونظيره قوله تعالى في سورة الانعام سيقول الذين اشركوا لو شاء الله ما اشركنا الى قوله هل عندكم من علم فتخرجوه لنا ان تتبعون الا الظن وان انتم الا تخرصون الثاني انه تعالى حكى عنهم قبل هذه الآية انواع كفرهم فاولها قوله تعالى وجعلوا له من عباده جزءا وثانيها قوله وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا وثالثها قوله تعالى وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم فلما حكى هذه الاقاويل بعضها على اثر بعض وثبت ان القولين الاولين كفر محض فكذلك هذا القول الثالث يجب ان يكون كفرا واجاب الواحدي في البسيط بوجهين الاول ما ذكره الزجاج وهو ان قوله تعالى ما لهم بذلك من علم عائد الى قولهم الملائكة بنات الله والثاني انهم ارادوا بقولهم لو شاء الرحمن ما عبدناهم انه امرنا بذلك ورضي بذلك فقررنا عليه فانكر عليهم ذلك قال ابن الخطيب وهذان الوجهان عندي ضعيفان اما الاول فلانه تعالى حكى عن القوم قولين باطلين وبين وجه بطلانهما ثم حكى بعده وجها ثالثا في مسألة اجنبية عن المسألتين الاولتين ثم حكى بالبطلان والوعيد فصرف هذا الابطال الذي ذكره هنا الى كلام متقدم اجنبي عنه في غاية البعد واما الوجه الثاني فهو ايضا ضعيف لان قوله لو شاء الرحمن ما عبدناهم ليس فيه بيان متعلق تلك المشيئة والاجمال خلاف الدليل فوجب ان يكون التقدير لو شاء الله ان لا نعبدهم ما عبدناهم وكلمة لو تفيد انتفاء الشيء لانتفاء غيره فهذا يدل على انه لم توجد مشيئة لعدم عبادتهم وهذا عين مذهب المجبرة والابطال والافساد يرجع الى فساد هذا المعنى ومن الناس من اجاب عن هذا الاستدلال بان قال انهم انما ذكروا ذلك الكلام على سبيل الاستهزاء والسخرية فلهذا السبب استوجبوا الطعن والذم واجاب الزمخشري عنه من وجهين الاول انه ليس في اللفظ ما يدل على انهم قالوه مستهزئين وادعاء ما لا دليل عليه باطل الثاني انه تعالى حكى عنهم ثلاثة اشياء وهي انهم جعلوا له من عباده جزءا وانهم جعلوا الملائكة اناثا وانهم قالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم فلو قلنا بانه انما جاء الذم على القول الثالث لانهم قالوه على طريق الهزء لا على سبيل الجد وجب ان يكون الحال في الحكاية للقولين كذلك فيلزم انهم لو نطقوا بتلك الاشياء على سبيل الجد ان يكونوا محقين ومعلوم انه كفر واما القول بان الطعن في القولين الاولين انما توجه على نفس ذلك القول وفي القول الثالث لا على نفسه بل على ايراده على سبيل الاستهزاء فهذا يوجب تشويش النظم وانه لا يجوز في كلام الله قال ابن الخطيب والجواب الحق عندي من هذا الكلام هو ما ذكرناه في سورة الانعام وهو ان القوم لما ذكروا هذا الكلام استدلوا بمشيئة الله تعالى للكفر على انه لا يجوز وروده بالامر بالايمان فاعتقدوا ان الامر والارادة يجب كونهما متطابقين وعندنا ان هذا باطل فالقوم لم يستحقوا الذم بمجرد قولهم ان الله يريد الكفر من الكافر بل لاجل انهم قالوا لما اراد الكفر من الكافر وجب ان يقبح منه امر الكافر بالايمان فاذا صرفنا الذم الى هذا المقام سقط استدلال المعتزلة بهذه الآية وتمام التقرير مذكور في سورة الانعام قوله تعالى ما لهم بذلك من علم فيما يقولون ان هم الا يخرصون ما هم الا كاذبون في قولهم ان الله رضي عنا بعبادتنا وقيل ان هم الا يخرصون في قولهم الملائكة اناث وهم بنات الله قوله تعالى ام آتيناهم كتابا من قبله اي من قبل القرآن والرسول بان يعبدوا غير الله فهم به مستمسكون يعني ان القول الباطل الذي حكاه الله عنهم عرفوا صحته بالعقل او بالنقل اما اثباته بالعقل فهو باطل لقوله تعالى ما لهم بذلك من علم انهم الا يخرصون واما اثباته بالنقل فهو ايضا باطل لقوله تعالى ام آتيناهم

بو اكى ورق زايد در غلطدر ادلنيه بعض مكرردر

كتابا من قبله فهم به مستمسكون والمعنى انهم وجدوا ذلك الباطل في كتاب الله منزل قبل القرآن حتى جاز لهم ان تمسكوا به فذكر هذا في معرض الانكار قوله تعالى بل قالوا انا وجدنا اباءنا على امة وانا على آثارهم مهتدون والمقصود انه تعالى لما بين انه لا دليل على صحة قولهم البتة لا من العقل ولا من النقل بين انه ليس لهم حامل يحملهم عليه الا التقليد المحض ثم بين ان تمسك الجهال بالتقليد امر كان حاصلا من قديم الزمان فقال وكذلك ما ارسلنا من قبلك في قرية من نذير الا قال مترفوها انا وجدنا اباءنا على امة وانا على آثارهم مقتدون قوله تعالى امة العامة على ضم الهمزة بمعنى الطريقة والدين قال قيس بن الخطيم • كنا على امة اباءنا • ونقتدي بالاول الآخر • اي على طريقتهم وقال آخر • وهل يستوي ذو امة وكفور • اي ذو دين وقرا مجاهد وقتادة وعمر بن عبد العزيز بالكسر قال الجوهري هي الطريقة الحسنة لغة في امة كالضم قال الزمخشري كلاهما من الام وهو القصد فالامة الطريقة التي تؤم كالرحلة للمرحول اليه والامة الحالة يكون عليها الآم وهو القاصد وقرا ابن عباس بالفتح وهي المرة من الام والمراد بها القصد والحال فصل المراد بالمترفين الاغنياء والرؤساء فالمترف هو الذي اترفته النعمة فلا يحب الا الشهوات والملاهي ويبغض المشاق في طلب الحق واذا عرف ذلك علمنا ان راس جميع الآفات حب الدنيا واللذات الجسمانية وراس جميع الخيرات هو حب الله تعالى والدار الآخرة ولهذا قال عليه السلام حب الدنيا راس كل خطيئة قوله تعالى قل اولو جئتكم الآية قرا ابن عامر وحفص قال ماضيا فكان قال امرا اي قال النذير والرسول وهو النبي صلى الله عليه وسلم والامر في قل يجوز ان يكون للنذير والرسول وهو الظاهر وقرا ابو جعفر وشيبة جئناكم بنون المتكلم باهدى اي بدين اصوب مما وجدتم عليه اباءكم وان جئتكم باهدى منه فعند هذا حكى الله عنهم انهم قالوا انا لا ننفك عن دين ابائنا وان جئتنا بما هو اهدى فانا بما ارسلتم به كافرون وان كان اهدى مما كنا عليه فعند هذا لم يبق لهم عذر فلهذا قال تعالى فانتقمنا منهم فانظر كيف كان عاقبة المكذبين وهذا تهديد للكفار قوله تعالى واذ قال ابرهيم لابيه وقومه انني براء مما تعبدون لما بين في الآية المتقدمة انه ليس لاولئك الكفار حجة الا تقليد الآباء ثم بين انه طريق باطل وان الرجوع الى الدليل اولى من التقليد اردفه بهذه الآية وهو وجه آخر يدل على فساد التقليد من وجهين الاول انه تعالى حكى عن ابرهيم عليه السلام انه تبرأ من دين ابائه بناء على الدليل وذلك ان تقليد الآباء في الاديان اما ان يكون محرما او جائزا فان كان محرما فقد بطل القول بالتقليد وان كان جائزا فمعلوم ان اشرف اباء العرب هو ابرهيم عليه السلام لانهم لا يتشرفون ولا يتفخرون الا بكونهم من اولاده واذا كان كذلك فتقليد هذا الاب الذي هو اشرف الآباء اولى من تقليد سائر الآباء واذا ثبت ان تقليده اولى من تقليد غيره فنقول انه ترك دين الآباء وحكم بان اتباع الدليل اولى من متابعة الآباء فوجب تقليده في ترجيح الدليل على التقليد الوجه الثاني انه تعالى بين ان ابرهيم عليه السلام لما عدل عن طريقة ابيه الى متابعة الدليل لا جرم جعل الله دينه ومذهبه باقيا في عقبه الى يوم القيامة واما اديان اباءه فقد اندرست وبطلت فثبت ان الرجوع الى متابعة الدليل يبقى محمود الاثر الى قيام الساعة وان التقليد ينقطع اثره قوله تعالى براء العامة على فتح الباء والف وهمزة بعد الراء وهو مصدر في الاصل وقع موقع الصفة وهي بري وبها قرا الاعمش ولا يثنى براء ولا يجمع ولا يؤنث كالمصادر في الغالب قال الزمخشري والفراء والمبرد لا يقولون البراآن ولا البراؤون ولا البراوات لان المعنى ذو البراءة وذوو البراءة فان قلت منك ثنيت وجمعت وقرا الزعفراني وابن المبارك عن نافع بضم الباء بزنة طوال وكرام ويقال طويل وطوال وبري وبراء وقرا الاعمش اني بنون واحدة قوله تعالى الا الذي فطرني فيه اربعة اوجه احدها انه استثناء منقطع لانهم كانوا عبدة اصنام فقط الثاني انه متصل لانه روي انهم كانوا يشركون مع الباري غيره الثالث ان يكون مجرورا بدلا من ما الموصولة في قوله مما تعبدون قاله الزمخشري ورده ابو حيان بانه لا يجوز الا في نفي وشبهه قال وغره كون براء في معنى النفي ولا ينفعه ذلك لانه موجب قال شهاب الدين قد تاول النحاة ذلك في مواضع من القرآن كقوله ويابى الله الا ان يتم نوره وانها لكبيرة الا على الخاشعين والاستثناء المفرغ لا يكون في ايجاب ولكن لما كان يابى بمعنى لا يفعل وانها لكبيرة بمعنى لا تسهل ولا تخف ساغ ذلك فهذا مثله الرابع ان تكون الا صفة بمعنى غير على ان تكون ما نكرة موصوفة قاله الزمخشري قال ابو حيان وانما اخرجها في هذا الوجه عن كونها موصولة لانه يرى ان الا بمعنى غير صفة لها فصل الا الذي فطرني اي خلقني فانه سيهدين يرشدني لدينه ويوفقني لطاعته قوله تعالى وجعلها الضمير المرفوع لابرهيم وهو الظاهر او لله والضمير المنصوب لكلمة التوحيد المفهومة من قوله انني براء الى آخره او لانها بمنزلة الكلمة فعاد الضمير على ذلك اللفظ لاجل المعنى به وقرا حميد بن قيس كلمة بكسر الكاف وسكون اللام وقرئ في عقبه اي في ذريته من بعده كلمة باقية ويوحده قال القرطبي بسكون القاف وقرئ في عاقبه اي وارثه والمعنى ان هذه الكلمة كلمة باقية في عقبه اي في ذريته من يعبد الله ويوحده قال القرطبي يعني وجعل وصية ابرهيم التي وصى بها بنيه باقية في ذريته وهو قوله عز وجل ووصى بها ابرهيم بنيه وقال ابن ابي زيد يعني قوله اسلمت لرب العالمين وقرا هو سماكم المسلمين لعلهم يرجعون لعل اهل مكة

يتبعون هذا الدين ويرجعون عما هم عليه الى دين ابرهيم وقال السدي لعلهم يتوبون ويرجعون الى طاعة الله عز وجل **قوله تعالى** بل متعت قرأ الجمهور متعت بتاء المتكلم وقتادة والاعمش بفتحها للمخاطب خاطب ابرهيم او محمد ربه بذلك وبها قرأ نافع في رواية يعقوب والاعمش ايضا بل متعنا بنون العظمة هؤلاء وآباءهم يعني اهل مكة وهم عقب ابرهيم يريد مشركي مكة ولم اعاجلهم بالعقوبة على الكفر حتى جاءهم الحق وهو القرآن وقال الضحاك يعني الاسلام ورسول مبين برسالته واضحة بين لهم الاحكام وهو محمد صلى الله عليه وسلم فلم يطيعوه وعصوا وكذبوا به وسموه ساحرا ووجه النظم انهم لما عولوا على تقليد الآباء ولم يتفكروا في الحجة اغتروا بطول الامهال وامتاع الله اياهم بنعيم الدنيا فاعرضوا عن الحق وقال الزمخشري ان قيل ما وجه من قرأ متعت بفتح التاء قلنا كان الله سبحانه وتعالى اعترض على ذاته في قوله وجعلها كلمة باقية في عقبه لعلهم يرجعون فقال بل متعتهم بما متعتهم به من طول العمر والسعة في الرزق حتى منعهم ذلك عن كلمة التوحيد واراد بذلك المبالغة في تعييرهم لانه اذا متعهم بزيادة النعم وجب عليهم ان يجعلوا ذلك سببا في زيادة الشكر والثبات على التوحيد لا ان يشركوا به ويجعلوا له اندادا ومثاله ان يشكو الرجل اساءة من احسن اليه ثم يقبل على نفسه فيقول انت السبب في ذلك بمعروفك واحسانك اليه ويريد بهذا الكلام توبيخ المسيء لا تقبيح فعل نفسه **قوله تعالى** ولما جاءهم الحق وثانيها قوله وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا وثالثها قوله وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم ورابعها قوله وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم وخامسها هذه الآية وليس في لفظها ما يدل على ان ذلك المثل اي شيء كان والمفسرون ذكروا فيه وجوها اشهرها قال ابن عباس واكثر المفسرين نزلت الآية في مجادلة عبد الله بن الزبعري مع النبي صلى الله عليه وسلم في شأن عيسى عليه السلام لما نزل قوله عز وجل انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم كما تقدم في سورة الانبياء والمعنى ولما ضرب عبد الله بن الزبعري عيسى بن مريم مثلا وجادل رسول الله صلى الله عليه وسلم بعبادة النصارى اياه اذا قومك من قريش منه اي من هذا المثل يصدون اي يرتفع لهم ضجيج فرحا بسبب ما رأوا من سكوت النبي صلى الله عليه وسلم فانه قد جرت العادة بان احد الخصمين اذا انقطع اظهر الخصم الثاني الفرح والضجيج وقيل ان النبي صلى الله عليه وسلم لما حكى ان النصارى عبدوا المسيح وجعلوه الها لانفسهم قال كفار قريش ان محمدا يريد ان يجعل نفسه لنا الها كما جعل النصارى المسيح الها لانفسهم فعند هذا قالوا آلهتنا خير ام هو فعند ذلك قالوا ان محمدا يدعونا الى عبادة نفسه وآباؤنا زعموا انه يجب عبادة هذه الاصنام واذا كان لا بد من عبادة احد هذين فعبادة الاصنام اولى لان آباءنا واسلافنا اجمعوا على ذلك واما محمد فانه متهم في امرنا بعبادته ثم انه تعالى لم يقل ان عبادة المسيح طريق حسن بل هو كلام باطل وان عيسى ليس الا عبدا انعمنا عليه فزالت شبهتهم في قولهم ان محمدا يريد ان يأمرنا بعبادة نفسه وقيل ان الكفار لما ارادوا النصارى يعبدون عيسى قالوا اذا عبد النصارى عيسى فآلهتنا خير من عيسى فعبدوا الملائكة **قوله تعالى** يصدون قرأ نافع وابن عامر والكسائي يصدون بضم الصاد والباقون بكسرها فقيل هما بمعنى واحد وهو الصحيح واللفظ يقال صد يصد ويصد كعكف يعكف ويعكف ويعرش ويعرش قال ابن عباس يضجون وقال سعيد بن المسيب يصيحون وقال الضحاك يعجون وقال قتادة يجزعون وقال القرطبي يضجرون وقيل الضم من الصدود وهو الاعراض وقد انكر ابن عباس الضم وقد روي له عن علي رضي الله عنه وهذا والله اعلم قبل بلوغه تواتره **قوله تعالى** وقالوا آلهتنا خير قرأ اهل الكوفة بتحقيق الهمزة الثانية والباقون بتسهيلها بين بين ولم يدخل احد من القراء الذين من قاعدتهم الفصل بين الهمزتين بالف الفا كراهة لتوالي اربع متشابهات وابدل الجميع الهمزة الثانية الفا ولا بد من زيادة بيان وذلك ان آلهة جمع اله كعماد واعمدة والاصل ءألهة بهمزتين الاولى زائدة والثانية فاء الكلمة وقعت الثانية ساكنة بعد مفتوحة فوجب قلبها الفا كآمن وبابه ثم دخلت همزة الاستفهام على الكلمة فالتقى همزتان في اللفظ الاولى للاستفهام والثانية همزة افعلة فالكوفيون لم يعتدوا باجتماعهما فابقوهما على حالهما وغيرهم استثقل فخفف الثانية بالتسهيل بين بين والثالثة فالف محضة لم تغير البتة واكثر اهل العصر يقرؤون هذا الحرف بهمزة واحدة بعدها الف على لفظ الخبر ولم يقرأ به احد من السبعة فيما علمنا الا انه قد روي ان ورشا قرأ كذلك في رواية ابي الازهر وهي تحتمل الاستفهام كالعامة وانما حذفت اداة الاستفهام لدلالة ام عليها وهو كثير ويحتمل انه قرأه خبرا محضا وحينئذ تكون ام منقطعة فتقدر ببل والهمزة واما الجماعة فهي عندهم متصلة فقوله ام هو على قراءة العامة عطف على آلهتنا وهو من عطف المفردات والمعنى آلهتنا ام هو خير اي ايهما خير وعلى قراءة ورش يكون هو مبتدأ وخبره محذوف فتقدير بل اهو خير وليست ام حينئذ عاطفة

فصل قال قتادة معنى قوله ام هو يعني عيسى قالوا يزعم محمد ان كل ما عبد من دون الله في النار فنحن نرضى ان تكون آلهتنا مع عيسى وعزير والملائكة في النار قال الله تعالى ما ضربوه لك الا جدلا اي خصومة بالباطل وقد علموا

ان المراد من قوله وما تعبدون من دون الله حصب جهنم هؤلاء الاصنام بل هم قوم خصمون مبالغون في الخصومة روي انه عليه السلام قال ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه الا اوتوا الجدل ثم قرأ ما ضربوه لك الا جدلا بل هم قوم خصمون **قوله تعالى** جدلا مفعول من اجله اي لاجل الجدل والمراء لا لاظهار الحق وقيل هو مصدر في موضع الحال اي الا مجادلين وقرأ ابن مقسم جدالا والوجهان جاريان فيه والظاهر ان الضمير في هو لعيسى كغيره من الضمائر وقيل هو للنبي عليه السلام وبكل قال به المفسرون كما تقدم **فصل** تمسك القائلون بذم الجدل بهذه الآية والآيات الكثيرة دالة على مدح الجدل فالتوفيق بينهما ان تصرف الآيات الدالة على مدح الجدل الى الجدل الذي يفيد تقرير الحق وتصرف هذه الآية الى الجدل الذي يوجب تقرير الباطل **قوله تعالى** ان هو الا عبد اي ما هو يعني عيسى الا عبد كسائر العبيد انعمنا عليه حيث جعلناه آية بان خلقناه من غير ذكر كما خلقنا آدم وشرفناه بالنبوة وجعلناه مثلا اي آية وعبرة لبني اسرائيل يعرفون به قدرة الله على ما يشاء حيث خلقه من غير اب ولو نشاء لجعلنا منكم ملائكة في الارض يخلفون اي يكونون خلفا منكم يعمرون الارض ويعبدونني ويطيعونني وقيل يخلف بعضهم بعضا **قوله تعالى** لجعلنا منكم ملائكة في من هذه اقوال احدها انها بمعنى بدل اي لجعلنا بدلكم كما تقدم في التفسير ومنه ايضا أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة اي بدلها وانشد

وقال آخر	أخذوا المخاض من الفصيل غلبة ظلما ويكتب للامير افالا	
	جارية لم تأكل المرققا ولم تذق من البقول الفستقا	

والثاني وهو المشهور انها تبعيضية وتأويل الآية لولدنا منكم يا رجال ملائكة في الارض يخلفونكم كما يخلفكم اولادكم كما ولدنا عيسى بن مريم من انثى دون ذكر ذكره الزمخشري والثالث انها تبعيضية قال ابو البقاء وقيل المعنى لحولنا بعضكم ملائكة **قوله تعالى** وانه لعلم المشهور ان الضمير لعيسى يعني نزوله آخر الزمان وقيل الضمير للقرآن اي فيه علم الساعة واهوالها او هو علامة على قربها ومنه اقترب للناس حسابهم اقتربت الساعة ومنه بعثت انا والساعة كهاتين والعامة على علم مصدرا جعل علما مبالغة لما كان به يحصل العلم او لما كان شرطا يعلم به ذلك اطلق عليه علم وابن عباس وابو هريرة وابو مالك الغفاري وزيد بن علي لعلم بفتح الفاء والعين اي لشرط وعلامة وقرأ ابو نضرة وعكرمة كذلك الا انهما عرفا باللام نقرأ للعلم اي للعلامة المعروفة **فصل** معنى الآية ان نزول عيسى من اشراط الساعة يعلم به قربها قال عليه السلام ليوشكن ان ينزل فيكم ابن مريم حكما عادلا يكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويهلك في زمانه الملل كلها الا الاسلام ويروى انه ينزل على ثنية بالارض المقدسة يقال لها افيق وبيده حربة وعليه ممصرتان وشعر رأسه دهين يقتل الدجال ويأتي بيت المقدس والناس في صلاة العصر وروي في صلاة الصبح فيتأخر الامام فيتقدمه عيسى عليه السلام ويصلي خلفه على شريعة محمد صلى الله عليه وسلم ثم يقتل الخنازير ويكسر الصليب ويخرب البيع والكنائس ويقتل النصارى الا من آمن به **قوله تعالى** فلا تمترن بها من المرية وهي الشك اي لا تشكن فيها قال ابن عباس لا تكذبوا بها واتبعون على التوحيد هذا الذي انا عليه صراط مستقيم ولا يصدنكم لا يصرفنكم الشيطان عن دين الله انه لكم عدو مبين قد بانت عداوته لكم لاجل انه اخرج ابويكم من الجنة ونزع عنهما لباس النور **قوله تعالى** ولما جاء عيسى بالبينات اي بالمعجزات وبالشرائع البينات الواضحات قال قد جئتكم بالحكمة وهي النبوة وقيل معرفة ذات الله وصفاته وافعاله ولابين لكم بعض الذي تختلفون فيه من احكام التوراة قال قتادة يعني اختلاف الفرق الذين تحزبوا في امر عيسى عليه السلام قال الزجاج الذي جاء به عيسى في الانجيل انما هو بعض الذي اختلفوا فيه فبين لهم في غير الانجيل ما احتاجوا اليه وقيل كانوا قد اختلفوا في اشياء من احكام التكاليف واتفقوا على اشياء فجاء عيسى ليبين لهم الحق في تلك المسائل الخلافية قال ابن الخطيب وبالجملة فالحكمة معناها اصول الدين وبعض الذي تختلفون فيه معناه فروع الدين **فان قيل** لم لم يبين لهم كل الذي يختلفون فيه **فالجواب** لان الناس قد اختلفوا في اشياء لا حاجة لهم الى معرفتها فلا يجب على الرسول بيانها ولما بين لهم الاصول والفروع قال فاتقوا الله من الكفر به والاعراض عن دينه واطيعون فيما ابلغكم من التكاليف ان الله هو ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم فاختلف الاحزاب اي الفرق المتحزبة بعد عيسى وهم الملكانية واليعقوبية والنسطورية وقيل اليهود والنصارى فويل للذين ظلموا من عذاب يوم اليم وهو وعيد يوم الاحزاب **فان قيل** الضمير في قوله بينهم الى من يرجع **فالجواب** الى الذين خاطبهم عيسى في قوله قد جئتكم بالحكمة وهم قومه **قوله تعالى** هل ينظرون الا الساعة ان تأتيهم اي انها تأتيهم لا محالة فكأنهم ينظرونها فقوله ان تأتيهم بدل من الساعة والمعنى هل ينظرون الا اتيان الساعة وقوله بغتة فجأة **فان قيل** قوله بغتة يفيد ما يفيده قوله وهم لا يشعرون فما فائدته **فالجواب** يجوز ان تأتيهم بغتة وهم يعرفونه بسبب انهم يشاهدونه **قوله تعالى** الاخلاء يومئذ مبتدأ وخبره عدو والتنوين في يومئذ عوض عن جملة تقديره تأتيهم الساعة والعامل في يومئذ لفظ عدو اي عداوتهم في ذلك

اليوم **فصل** معنى الآية الاخلاء على المعصية في الدنيا يومئذ اي يوم القيمة بعضهم لبعض عدو الا المتقين
يعني المتحابين في الله على طاعة الله وهم الموحدون الذين يخال بعضهم بعضا على الايمان والتقوى فان خلتهم لا
تصير عداوة روى ابو ثور عن معمر عن قتادة عن ابي اسحق ان عليا قال في الآية خليلان مؤمنان وخليلان كافران فمات
احد المؤمنين فقال يا رب ان فلانا كان يأمرني بطاعتك وطاعة رسولك ويأمرني بالخير وينهاني عن الشر ويخبرني
اني ملاقيك يا رب فلا تضله بعدي واهده كما هديتني واكرمه كما اكرمتني فاذا مات خليله المؤمن جمع بينهما فيقول
ليثن احدكما على صاحبه فيقول نعم الاخ ونعم الخليل ونعم الصاحب قال ويموت احد الكافرين فيقول يا رب ان فلانا
كان ينهاني عن طاعتك وطاعة رسولك ويأمرني بالشر وينهاني عن الخير ويخبرني اني غير ملاقيك فيقول بئس الخليل
وبئس الاخ وبئس الصاحب **قوله تعالى** يا عبادي قرا ابو بكر عن عاصم يا عبادي لا خوف عليكم بفتح الياء والاخوان
وابن كثير وحفص بحذفها وصلا ووقفا والباقون باثباتها ساكنة وقرا العامة لا خوف بالرفع والتنوين اما مبتدا
واما اسم لها وهو قليل وابن محيصن دون تنوين على حذف مضاف وانتظاره اي لا خوف شيء والحسن وابن ابي اسحق
بالفتح على لا التبرئة وهي عندهم ابلغ **فصل** قد تقدم ان عادة القران جارية بتخصيص لفظ العباد بالمؤمنين
المطيعين المتقين وفيه انواع كثيرة توجب الفرح اولها ان الحق سبحانه وتعالى خاطبهم بنفسه من غير واسطة وثانيها
انه تعالى وصفهم بالعبودية من غير واسطة وهذا تشريف عظيم بدليل انه تعالى لما اراد تشريف محمد عليه السلام ليلة
المعراج قال سبحان الذي اسرى بعبده ليلا وثالثها قوله لا خوف عليكم اليوم ولا انتم تحزنون فنفى عنهم الحزن بسبب فوت الدنيا
الماضية **قوله تعالى** الذين آمنوا يجوز ان يكون نعتا لعبادي او بدلا منه او عطف بيان له او مقطوعا منصوبا بفعل
اي اعني الذين آمنوا او مرفوعا بالابتداء وخبره مضمر تقديره يقال لهم ادخلوا الجنة **فصل** قال مقاتل اذا وقع الخوف
يوم القيمة نادى مناد يا عبادي لا خوف عليكم اليوم فاذا سمعوا النداء رفع الخلائق رؤسهم فيقال الذين آمنوا بآياتنا
وكانوا مسلمين فينكس اهل الاديان الباطلة رؤسهم فيحاسبهم على احسن الوجوه ثم يقال لهم ادخلوا الجنة انتم وازواجكم
تحبرون تسرون وتنعمون والحبرة المبالغة في الاكرام على احسن الوجوه وتقدم تفسيره في سورة الروم **قوله تعالى**
يطاف عليهم قبله محذوف اي يدخلون يطاف والصحاف جمع صحفة كجفنة وجفان قال الجوهري الصحفة كالقصعة
وقال الكسائي اعظم القصاع الجفنة ثم القصعة تشبع العشرة ثم الصحفة تشبع الخمسة ثم المكيلة تشبع الرجلين والثلاثة
والصحيفة الكتاب والجمع صحف وصحائف واما الكسائي في رواية بصحاف من ذهب واكواب جمع كوب وهو اناء
مستدير مدور الرأس لا عرى له وقيل هو كالابريق الا انه لا عروة له وقيل انه لا خرطوم له وقيل انه لا عروة له ولا خرطوم
معا قال الجواليقي ليتمكن الشارب من اين شاء فان العروة تمنع الشارب من الشرب **فصل** احتج من قال بتفضيل
الملائكة على البشر بهذه القراءات اما قراءة عند بالنون فهذه العندية لا شك انها عندية الفضل والقرب من الله تعالى بسبب الطاعة
ولفظة هم توجب الحصر والمعنى انهم هم الموصوفون بهذه العندية لا غيرهم فوجب كونهم افضل من غيرهم رعاية اللفظ الدال
على العبودية بذا لا على حصر الفضل والقرب والشرف فيهم وجب كونهم افضل والله اعلم **قوله تعالى** وقالوا لو شاء الرحمن
ما عبدناهم الآية يعني الملائكة قاله قتادة ومقاتل والكلبي وقال مجاهد يعني الاوثان وانما لم يعجل عقوبتنا على عبادتنا
اياهم لرضاه منا بعبادتها وهذا نوع آخر من كفرهم وشبهاتهم **فصل** قالت المعتزلة هذه الآية تدل على فساد
القول بالجبر في ان كفر الكافر يقع بارادة الله من وجهين الاول انه تعالى حكى عنهم انهم قالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم
وهذا تصريح بقول المجبرة ثم انه تعالى ابطله بقوله ما لهم بذلك من علم ان هم الا يخرصون فثبت بطلان هذا المذهب ونظيره
قوله تعالى في سورة الانعام سيقول الذين اشركوا لو شاء الله ما اشركنا الى قوله هل عندكم من علم فتخرجوه لنا ان تتبعون
الا الظن وان انتم الا تخرصون الثاني انه تعالى حكى عنهم قبل هذه الآية انواع كفرهم فاولها قوله تعالى وجعلوا له من عباده
جزءا وثانيها قوله وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا وثالثها قوله تعالى وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم فلما
حكى هذه الاقاويل بعضها على بعض وثبت ان القولين الاولين كفر محض فكذلك هذا القول الثالث يجب ان يكون كفرا
والجواب الواحدي في البسيط بوجهين الاول ما ذكره الزجاج وهو ان قوله تعالى ما لهم بذلك من علم عائد الى قولهم الملائكة بنات الله
والثاني انهم ارادوا بقولهم لو شاء الرحمن ما عبدناهم انه امرنا بذلك ورضي بذلك فقررنا عليه فانكر عليهم ذلك قال ابن
الخطيب وهذان الوجهان ضعيفان عندي اما الاول فلانه تعالى حكى عن القوم قولين باطلين وبين وجه بطلانهما
ثم حكى بعده وجها ثالثا في مسئلة اجنبية عن المسئلتين الاولتين ثم حكم بالبطلان وبالوعيد فصرف هذا الابطال الى
ذكره على الكلام متقدم اجنبي عنه في غاية البعد واما الوجه الثاني فهو ايضا ضعيف لان قوله لو شاء الرحمن ما عبدناهم ليس
بيان متعلق تلك المشية والاجمال خلاف الدليل فوجب ان يكون التقدير لو شاء الله ان لا نعبدهم ما عبدناهم ام آتيناهم

كتابا من قبله فهم به مستمسكون والمعنى انهم وجدوا ذلك الباطل في كتاب الله منزل قبل القران حتى جاز لهم ان يتمسكوا
به فذكر هذا في معرض الانكار **قوله تعالى** بل قالوا انا وجدنا آباءنا على امة وانا على آثارهم مهتدون والمقصود انه
تعالى لما بين انه لا دليل على صحة قولهم البتة لا من العقل ولا من النقل بين انه ليس لهم حامل يحملهم عليه الا التقليد المحض
ثم بين ان تمسك الجهال بالتقليد امر كان حاصلا من قديم الزمان فقال وكذلك ما ارسلنا من قبلك في قرية من نذير الا
قال مترفوها انا وجدنا آباءنا على امة وانا على آثارهم مقتدون **قوله تعالى** امة العامة على ضم الهمزة بمعنى الطريقة والدين
قال قيس بن الحطيم • كنا على امة آبائنا • ويقتدي بالاول الآخر • اي على طريقتهم وقال آخر • وهل يستوي ذو امة وكفور •
اي ذو دين وقرا مجاهد وقتادة وعمر بن عبد العزيز بالكسر قال الجوهري هي الطريقة الحسنة لغة في امة بالضم قال الزمخشري
كلتاهما من الام وهو القصد فالامة الطريقة التي تؤم كالرحلة للمرحول اليه والامة الحالة التي يكون عليها الآم وهو القاصد
وقرا ابن عباس بالفتح وهي المرة من الأم والمراد بها القصد والحال **فصل** المراد بالمترفين الاغنياء والرؤساء
فالمترف هو الذي اترفته النعمة فلا يحب الا الشهوات والملاهي ويبغض المشاق في طلب الحق واذا عرف ذلك علمنا ان راس
جميع الآفات حب الدنيا واللذات الجسمانية وراس جميع الخيرات هو حب الله تعالى والدار الآخرة ولهذا قال عليه السلام
حب الدنيا راس كل خطيئة **قوله تعالى** قل اولو جئتكم الآية قرا ابن عامر وحفص قال ماضيا فكان قل امرا اي قال للنذير
او الرسول وهو النبي صلى الله عليه وسلم والامر في قل يجوز ان يكون للنذير او للرسول وهو الظاهر وقرا ابو جعفر وشيبة
جئناكم بنون المتكلمين باهدى اي بدين اصوب مما وجدتم عليه آباءكم وان جئتكم باهدى منه فعند هذا حكى الله عنهم
انهم قالوا انا لا ننفك عن دين آبائنا وان جئتنا بما هو اهدى فانا بما ارسلتم به كافرون وان كان اهدى مما كنا عليه فعند
هذا لم يبق لهم عذر فلهذا قال تعالى فانتقمنا منهم فانظر كيف كان عاقبة المكذبين وهذا تهديد للكفار **قوله تعالى**
واذ قال ابرهيم لابيه وقومه انني براء مما تعبدون لما بين في الآية المتقدمة انه ليس لاولئك الكفار حجة الا تقليد الآباء
ثم بين انه طريق باطل وان الرجوع الى الدليل اولى من التقليد اردفه بهذه الآية وهو وجه آخر يدل على فساد التقليد من وجهين
الاول انه تعالى حكى عن ابرهيم عليه السلام انه تبرأ من دين آبائه بناء على الدليل وذلك ان تقليد الآباء في الاديان اما ان يكون
محرما او جائزا فان كان محرما فقد بطل القول بالتقليد وان كان جائزا فمعلوم ان اشرف آباء العرب هو ابرهيم عليه السلام
لانهم ليس لهم فخر ولا يفتخرون الا بكونهم من اولاده واذا كان كذلك فتقليد هذا الاب الذي هو اشرف الآباء اولى من
تقليد سائر الآباء واذا ثبت ان تقليده اولى من تقليد غيره فنقول انه ترك دين الآباء وحكم بان اتباع الدليل اولى من متابعة
الآباء فوجب تقليده في ترجيح الدليل على التقليد الوجه الثاني انه تعالى بين ان ابرهيم عليه السلام لما عدل عن طريقة ابيه
الى متابعة الدليل لا جرم جعل الله دينه ومذهبه باقيا في عقبه الى يوم القيمة واما اديان آبائه فقد اندرست وبطلت
فثبت ان الرجوع الى متابعة الدليل يبقى محمودا الى قيام الساعة وان التقليد ينقطع اثره **قوله تعالى** براء العامة على فتح
الباء والف وهمزة بعد الراء وهو مصدر في الاصل وقع موقع الصفة وهي بريء وبها قرا الاعمش ولا يثنى ولا يجمع
ولا يؤنث كالمصادر في الغالب قال الزمخشري والفراء والمبرد لا يقولون البراءان ولا البراءون لان المعنى
ذو البراءة وذوو البراءة فان قلت منك ثنيت وجمعت وقرا الزعفراني وابن المبارك عن نافع بضم الباء بزنة طوال وكرام يقال
طويل وطوال وبريء وبراء وقرا الاعمش اني بنون واحدة **قوله تعالى** الا الذي فطرني فيه اربعة اوجه احدها انه
استثناء منقطع لانهم كانوا عبدة اصنام فقط الثاني انه متصل لانه روي انهم كانوا يشركون مع الباري غيره الثالث ان يكون
مجرورا بدلا من ما الموصولة في قوله مما تعبدون قاله الزمخشري ورده ابو حيان بانه لا يجوز الا في نفي او شبهه
قال وغيره كونه في معنى النفي ولا ينفعه ذلك لانه موجب قال الشهاب الدين قد تأول النحاة ذلك في مواضع من القران
كقوله ويأبى الله الا ان يتم نوره وانها لكبيرة الا على الخاشعين والاستثناء المفرغ لا يكون في ايجاب ولكن لما كان
يأبى بمعنى لا يفعل وانها لكبيرة بمعنى لا تسهل ولا تخف ساغ ذلك فهذا مثله الرابع ان تكون الا صفة بمعنى غير على ان تكون
ما نكرة موصوفة قاله الزمخشري قال ابو حيان وانما اخرجها في هذا الوجه عن كونها موصولة لانه يرى ان الا بمعنى غير
لا يوصف بها الا النكرة وفيها خلاف فعلى هذا يجوز ان تكون ما موصولة والا بمعنى غير صفة لها **فصل** الا الذي
فطرني اي خلقني فانه سيهدين يرشدني لدينه ويوفقني لطاعته **قوله تعالى** وجعلها الضمير المرفوع لابرهيم وهو الظاهر
او الله والضمير المنصوب لكلمة التوحيد المفهومة من قوله انني براء الى آخره او لانها بمنزلة الكلمة فعاد الضمير على ذلك اللفظ
لاجل المعنى بها وقرا حميد بن قيس كلمة بكسر الكاف وسكون اللام وقرئ في عقبه بسكون القاف وفي عاقبه اي وارثه
والمعنى ان هذه الكلمة كلمة باقية في عقبه اي في ذريته من يعبد الله ويوحده قال القرطبي يعني وجعل وصية ابرهيم التي وصى
بها بنيه باقية في ذريته وهو قوله عز وجل ووصى بها ابرهيم بنيه وقال ابن زيد يعني قوله اسلمت لرب العالمين وقرئ

هو سماكم المسلمين لعلكم يرجعون لعل اهل مكة يتبعون هذا الدين ويرجعون عما هم عليه الى دين ابرهيم وقال السدي
لعلهم يتوبون ويرجعون الى طاعة الله عز وجل قوله تعالى بل متعت قرا الجمهور متعت بتاء المتكلم وقتادة والاعمش بفتحها
للمخاطب خاطب ابرهيم او محمد ربه بذلك وبها قرا نافع في رواية يعقوب والاعمش ايضا بل متعنا بنون العظمة هؤلاء
واباءهم يعني اهل مكة وهم عقب ابرهيم يريد مشركي مكة ولم اعاجلهم بالعقوبة على الكفر حتى جاءهم الحق وهو القران
وقال الضحاك يعني الاسلام ورسول مبين برسالة واضحة يبين لهم الاحكام وهو محمد صلى الله عليه وسلم فلم يطيعوه وعصوا
وكذبوا به وسموه ساحرا وجه النظم بهم لما عولوا على تقليد الاباء ولم يتفكروا في الحجة اغتروا بطول الامهال واتباع الله
اياهم بنعيم الدنيا فاعرضوا عن الحق وقال الزمخشري ان قيل ما وجه من قرا متعت بفتح التاء قلنا كان الله سبحانه وتعالى
اعترض على ذاته في قوله وجعلها كلمة باقية في عقبه لعلهم يرجعون فقال بل متعتهم بما متعتهم به من طول العمر والسعة في الرزق
حتى شغلهم ذلك عن كلمة التوحيد واراد بذلك المبالغة في تعييرهم لانه اذا متعهم بزيادة النعم وجب عليهم ان يجعلوا ذلك
سببا في زيادة الشكر والثبات على التوحيد لا ان يشركوا به ويجعلوا له اندادا ومثاله ان يشكو الرجل اساءة من احسن اليه
ثم يقبل على نفسه فيقول انت السبب في ذلك بمعروفك واحسانك اليه ويريد بهذا الكلام توبيخ المسيء لا تقبيح فعل نفسه
قوله تعالى ولما جاءهم الحق وهو القران قالوا هذا سحر وانا به كافرون وقالوا لولا نزل هذا القران على رجل من القريتين عظيم
هذا نوع اخر من كفرانهم وهواهم قالوا منصب الرسالة منصب شريف فلا يليق الا برجل شريف وصدقوا في ذلك الا انهم
ضموا اليه مقدمة فاسدة وهي ان الرجل الشريف عندهم هو الذي يكون كثير المال والجاه ومحمد ليس كذلك فلا يليق رسالة
الله به وانما يليق هذا المنصب برجل عظيم الجاه كثير المال يعنون الوليد بن المغيرة بمكة وعروة بن مسعود الثقفي بالطائف قال قتادة
وقال مجاهد عتبة بن ربيعة من مكة وعبد يا ليل الثقفي من الطائف وعن ابن عباس هو الوليد بن المغيرة من مكة ومن الطائف
حبيب بن عمرو بن عمير الثقفي ومن القريتين فيه حذف مضاف فتقديره بعظيم من رجلي القريتين وقيل من احدى القريتين وقيل
المراد عروة بن مسعود الثقفي كان بالطائف وكان يتردد بين القريتين فنسب الى كليهما وقرئ رجل بسكون الجيم وهي تميمية
قوله تعالى اهم يقسمون رحمة ربك يعني النبوة والهمزة للانكار وهذا ابطال لشبهتهم وتقريره من وجوه الاول انا اذا
اوقعنا التفاوت في مناصب الدنيا ولم يقدر احد من الخلق على تغييره فالتفاوت الذي اوقعناه في مناصب الدين والنبوة
بان لا يقدروا على التصرف فيه اولى الثاني ان اختصاص ذلك الرجل بذلك المعنى انما كان لاجل حكمنا وفضلنا واحساننا
فكيف يليق بالعقل ان يجعل احساننا اليه بكثرة المال حجة علينا في ان نحسن اليه ايضا بالنبوة الثالث انا انما اوقعنا التفاوت
في الاحسان بمنافع الدنيا لا لسبب سابق فلم لا يجوز ايضا ان نوقع التفاوت في الاحسان بمناصب الدين والنبوة لا لسبب
سابق ثم قال نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا فجعلنا هذا غنيا وهذا فقيرا وهذا مالكا وهذا مملوكا كما فضلنا
بعضهم على بعض في الرزق كما شئنا كذلك اصطفينا بالرسالة من شئنا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات في القوة والضعف
والعلم والجهل والغنى والفقر لانا لو سويناهم في كل هذه الاحوال لم يخدم احد احدا ولم يصر احد منهم مسخرا لغيره وحينئذ
يخرب العالم ويفسد نظام الدنيا وقوله ليتخذ بعضهم بعضا سخريا اي ليستخدم بعضهم بعضا فيسخر الاغنياء باموالهم الاجراء
الفقراء بالعمل فيكون بعضهم لبعض سبب المعاش هذا بماله وهذا باعماله فيلتئم قوام العالم وقد مضى الكلام في سخريا
في المؤمنين وقرا بالكسر هنا عمرو بن ميمون وابن محيصن وابو رجاء وابن ابي ليلى والوليد بن مسلم وخلائق يعني المشهورة وهو
الاستخدام ويبعد قول بعضهم انه استهزاء الغني بالفقير ثم قال ورحمة ربك يعني الجنة خير للمؤمنين مما يجمع الكفار من الاموال
قوله تعالى ولولا ان يكون الناس امة واحدة الاية اعلم انه تعالى اجاب ههنا بوجه ثالث عن شبهتهم بتفضيل الغني على الفقير وهو
انه تعالى بين ان منافع الدنيا وطيباتها حقيرة خسيسة عند الله وبين حقارتها بقوله ولولا ان يكون الناس امة واحدة
الاية اعلم انه تعالى والمعنى لولا ان يرغب الناس في الكفر اذا راوا الكفار في سعة من الخير والرزق لاعطيتهم اكثر الاسباب المفيدة
للتنعم فاحدها ان يكون سقفهم من فضة وثانيها معارج عليها يظهرون اي يعلون ويرتقون يقال ظهرت على السطح
اذا علوته وثالثها ان يجعل لبيوتهم ابوابا وسررا ايضا من فضة عليها يتكئون قوله تعالى لبيوتهم بدل اشتمال باعادة
العامل واللامان للاختصاص وقال ابن عطية الاولى للملك والثانية للتخصيص ورده ابو حيان بان الثاني بدل اشتمال
فيشترط ان يكون الحرف متحد المعنى لا مختلفه وقال الزمخشري ويجوز ان يكونا بمنزلة اللامين في قولك وهبت له
ثوبا لقميصه قال ابو حيان ولا ادري ما اراد بقوله قال شهاب الدين اراد بذلك ان اللامين للعلة اي كانت الهبة
لاجلك لاجل قميصك فلقميصك بدل اشتمال باعادة العامل بعينه وقد نقل ان قوله وهبت له اعني انهما للعلة قوله تعالى
سقفا قرا ابن كثير وابو عمرو بفتح السين وسكون القاف بالافراد على ارادة الجنس والباقون بضمتين على الجمع كرهن في جمع رهن
في رهن نادر لا يمكن هنا وهو ان يكون جمع رهان جمع رهن لانه لم يسمع سقاف جمع سقف وعن الفراء انه جمع سقيفة

فيكون

فيكون كصحيفة وصحف وقرئ سقفا بفتحتين لغة في سقف وسقوفا بزنة فلس وفلوس وابو رجاء بفتحة وسكون ومن
فضة يجوز ان يتعلق بالجعل وان يتعلق بمحذوف صفة لسقف قوله تعالى ومعارج قرا العامة معارج جمع معرج وهو السلم
وطلحة معاريج جمع معراج وهذا كمفاتح لمفتح ومفاتيح لمفتاح قوله تعالى وسررا جمع سرير والعامة على ضم الراء
وقرئ بفتحها وهي لغة بعض تميم وكلب وقد تقدم ان فعيلا المضعف يفتح عينه اذا كان اسما او صفة نحو ثوب جديد وثياب
جدد وفيه كلام للنحاة وهل قوله من فضة شامل للمعارج والابواب والسرر فقال الزمخشري نعم كانه يرى تشريك
المعطوف مع المعطوف عليه في قيوده وعليها يتكئون وعليها يظهرون صفتان لما قبلهما قوله تعالى وزخرفا يجوز ان
يكون منصوبا بجعل اي وجعلنا لهم زخرفا وجوز الزمخشري ان ينتصب عطفا على محل من فضة كانه قيل سقفا من فضة
وذهب فلما حذف الخافض انتصب اي بعضها كذا وبعضها كذا والزخرف قيل هو الذهب لقوله او يكون لك بيت من زخرف
فيكون المعنى ونجعل لهم مع ذلك ذهبا كثيرا وقيل الزخرف الزينة لقوله حتى اذا اخذت الارض زخرفها وازينت فيكون
المعنى نعطيهم زينة عظيمة في كل باب قوله تعالى وان كل ذلك لما متاع الحيوة الدنيا قرا حمزة وعاصم بالتشديد على معنى
وما كل ذلك الا متاع الحيوة الدنيا فكان لما بمعنى الا حكى سيبويه انشدتك بالله لما فعلت بمعنى الا ويؤيد هذه القراءة
قراءة من قرا وما ذلك الا متاع الحيوة الدنيا وخففه الاخرون على معنى وكل ذلك متاع الحيوة الدنيا فتكون اللام للابتداء
وما صلة يريد ان هذا كله متاع الحيوة الدنيا وسماه متاعا لان الانسان يستمتع به قليلا ثم يزول ويذهب وتقدم
الخلاف في لما تخفيفا وتشديدا في سورة هود قال ابو الحسن الوجه التخفيف لان لما بمعنى الا لا يعرف وحكي عن الكسائي انه
قال لا اعرف وجه التثقيل وقرا ابو رجاء وابو حيوة لما بكسر اللام على انها لام العلة دخلت على ما الموصولة وحذف عائدها
وان لم تطل الصلة والاصل للذي هو متاع كقوله تماما على الذي احسن برفع النون وان هي المخففة من الثقيلة وكل مبتدا
والجار بعده خبره اي وان كل ما تقدم ذكره كائن للذي هو متاع الحيوة الدنيا وكان لو وجب ان يدخل اللام الفارقة لعدم
اعمالها الا انها لما دل الدليل على الاثبات جاز حذفها كما حذفها الاخر في قوله • انا ابن اباة الضيم من ال مالك
وان مالك كانت كرام المعادن • قوله تعالى والاخرة عند ربك للمتقين خاصة يعني الجنة للمتقين عن حب الدنيا قال عليه
السلام لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى منها كافرا قطرة ماء وروى المستورد بن شداد قال كنت في الركب
الذين وقفوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على السخلة الميتة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اترى هذه هانت على
اهلها حين القوها قالوا من هوانها القوها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فالدنيا اهون على الله من هذه على اهلها فان قيل
لما بين تعالى انه لو فتح على الكافر ابواب النعم لصار ذلك سببا لاجتماع الناس على الكفر فلم لم يفعل ذلك بالمسلمين
حتى يصير ذلك سببا لاجتماع الناس على الاسلام فالجواب لان الناس على هذا التقدير كانوا يجتمعون على الاسلام
لطلب الدنيا وهذا الايمان ايمان المنافقين فكان الاصوب ان يضيق الامر على المسلمين حتى ان كل من دخل في الاسلام
فانما يدخل لمتابعة الدليل ولطلب رضوان الله تعالى فحينئذ يعظم ثوابه لهذا السبب قوله تعالى ومن يعش العامة
على ضم الشين من عشا يعشو اي يتعامى ويتجاهل وعن ابن عباس وقتادة ويحيى بن سلام بفتح الشين بمعنى يعم
يقال عشي يعشى عشا اذا عمي فهو اعشى وامراة عشواء وزيد بن علي يعشو باثبات الواو وقال الزمخشري على ان من
موصولة وحق هذا ان يقرا نقيض بالرفع قال ابو حيان ولا يتعين موصوليتها بل تخرج على وجهين اما تقدير حذف
حركة حرف العلة وقد حكاها الاخفش لغة وتقدم منه في سورة يوسف شواهد واما على انه جزم بمن الموصولة تشبيها لها
بمن الشرطية قال واذا كانوا قد جزموا بالذي وليس بشرط قط فاولى بما استعمل شرطا وغير شرط وانشد •

• لا تحفرن بئرا تريد اخا بها • فانك فيها انت من دونه تقع •
• كذاك الذي يبغي على الناس ظالما • تصبه على رغم عواقب ما صنع •

قال وهو مذهب الكوفيين وله وجه من القياس وهو ان الذي اشبهت اسم الشرط في دخول الفاء في خبرها فتشبه اسم
الشرط في الجزم ايضا الا ان دخول الفاء منقاس بشرطه وهذا لا ينقاس ويقال عشا يعشو وعشي يعشى فبعضهم جعلهما
بمعنى وبعضهم فرق بان عشي يعشى اذا حصلت الافة في بصره واصله الواو وانما قلبت بالانكسار ما قبلها كرضي يرضى وعشا
يعشو اي تفاعل ذلك ونظر نظر العشي ولا افة ببصره كما قالوا عرج لمن به افة العرج وعرج لمن تعارج ومشى مشية
العرجان قال الشاعر • اعشو اذا ما جارتي برزت • حتى يواري جارتي الخدر • اي انظر نظر العشي وقال اخر
متى تاته تعشو الى ضوء ناره • تجد خير نار عندها خير موقد • اي تنظر نظر العشي لضعف بصره من كثرة الوقود وفرق
بعضهم بان عشوت الى النار اذا استدللت عليها بنظر ضعيف وقال الفراء عشي يعشى يعرض وعشي يعشى عمي الا ان ابن قتيبة
قال لم ار احدا حكى عشوت عن الشيء اعرضت عنه وانما يقال تعاشيت عن كذا اذا تغافلت عنه وتعاميت قوله تعالى نقيض

قرأ العامة نقيض بنون العظمة وعلي بن أبي طالب والأعمش ويعقوب والسلمي وأبو عمرو وعاصم في رواية عنهما يقيض بالياء من تحت أي يقيض الرحمن والشيطان نصب في القراءتين وابن عباس يُقَيَّض مبنياً للمفعول شيطان بالرفع قائم مقام الفاعل **فصل** ومن يعش عن ذكر الرحمن أي يعرض عن القرآن وقيل يعرض عن الله فلم يخف عقابه ولم يرج ثوابه يقال عشوت إلى النار أعشو عشواً إذا قصدتها مهتدياً بها وعشوت عنها إذا أعرضت عنها كما يقال عدلت إلى فلان وعدلت عنه أي ملت إليه وملت عنه قال القرطبي يولّيه ظهره كقوله صم بكم عمي قال الخليل أصل العشو النظر ببصر ضعيف وأما القراءة بالضم فمعناه يتعامى عن ذكره أي يعرف أنه الحق ويتجاهل ويتعامى كقوله تعالى وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلواً نقيض له شيطاناً أي نضمه إليه ونسلطه عليه فهو له قرين لا يفارقه يزين له العمى ويخيل إليه أنه الهدى وإنهم يعني الشياطين ليصدونهم عن السبيل أي يمنعونهم عن الهدى وذكر الإنسان والشيطان بلفظ الجمع لأن قوله ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطاناً يفيد الجمع وإن كان اللفظ على الواحد قال أبو حيان الظاهر أن ضميري النصب في وإنهم ليصدونهم عائدان على من من حيث معناها الجمع في قوله وإنهم ليصدونهم والضمير المرفوع على الشيطان لأن المراد به الجنس ولأن لكل كافر معه قرين قال ابن عطية أن الضمير الأول للشيطان والثاني للكفار والتقدير وإن الشياطين ليصدون الكفار العاشين ويحسبون أنهم مهتدون أي ويحسب كفار بني آدم أنهم على الهدى **قوله تعالى** حتى إذا جاءنا قرأ أبو عمرو والأخوان وحفص جاءنا بإسناد الفعل إلى ضمير مفرد يعود على لفظ من وهو العاشي وحينئذ يكون هذا مما حمل فيه على اللفظ ثم على المعنى ثم على اللفظ فإنه حمل أولاً على لفظها في قوله نقيض له فهو له ثم جمع على معناها في قوله وإنهم ليصدونهم ويحسبون أنهم ثم رجع إلى لفظها في قوله جاءنا والباقون جاءانا مسنداً إلى ضمير تثنية وهما العاشي وقرينه جعلا في سلسلة واحدة فحينئذ يقول الكافر لقرينه يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين أي بعد ما بين المشرق والمغرب فغلب أحدهما على الآخر كالعمرين والقمرين قال الفرزدق • لنا قمراها والنجوم الطوالع • يريد الشمس والقمر ويقولون للكوفة والبصرة البصرتان وللغداة والعصر العصران ولأبي بكر وعمر العمران وللماء والتمر الأسودان وقيل أراد بالمشرقين مشرق الصيف ومشرق الشتاء والأول أصح وقيل بعد المشرقين من المغربين وقال ابن الخطيب أن أهل النجوم يقولون أن الحركة التي تكون من المشرق إلى المغرب هي حركة الفلك الأعظم والحركة التي من المغرب إلى المشرق هي حركة الكواكب الثابتة والأفلاك الممثلة للسيارات سوى القمر وإذا كان كذلك فالمشرق والمغرب كل واحد منهما مشرق بالنسبة إلى شيء ومغرب بالنسبة إلى شيء آخر فثبت أن إطلاق لفظ المشرق على كل واحد من الجهتين حقيقة ثم ذكر وجهاً آخر وهو أن الحس يدل على أن الحركة اليومية إنما تحصل بطلوع الشمس من المشرق إلى المغرب وأما القمر فإنه يظهر في أول الشهر في جانب المغرب ثم لا يزال يتقدم إلى جانب المشرق وذلك يدل على أن حركة القمر من المغرب وإذا ثبت هذا فالجانب المسمى بالمشرق فإنه مشرق الشمس ولكنه مغرب القمر وأما الجانب المسمى بالمغرب فإنه مشرق القمر ولكنه مغرب الشمس وبهذا التقدير يصح تسمية المشرق والمغرب بالمشرقين قال ولعل هذا الوجه أقرب إلى مطابقة اللفظ من سائر الوجوه وهذا الذي قيل فيه شيء فإن ظهور القمر من المغرب ما كان لكونه أشرق من المغرب إنما كان ظهوره لغيبوبة شعاع الشمس عنه وإنما كان إشراقه وظهوره من المشرق الحقيقي ولكنه كان مختفياً بشعاع الشمس **قوله تعالى** فبئس القرين والمخصوص بالذم محذوف أي أنت قال أبو سعيد الخدري إذا بعث الكافر زوج بقرينه من الشياطين فلا يفارقه حتى يصير إلى النار **قوله تعالى** ولن ينفعكم في فاعله قولان أحدهما أنه ملفوظ به وهو أنكم وما في خبرها التقدير ولن ينفعكم اشتراككم في العذاب بالتأسي كما ينفعكم الاشتراك في مصائب الدنيا فيتأسى المصاب بمثله ومنه قول الخنساء • ولولا كثرة الباكين حولي • على موتاهم لقتلت نفسي • وما يبكون مثل أخي ولكن • أعزي النفس عنهم بالتأسي • والثاني أنه مضمر فقدره بعضهم ضمير التمني المدلول عليه بقوله يا ليت بيني وبينك أي لن ينفعكم تمنيكم البعد وبعضهم لن ينفعكم اجتماعكم وبعضهم ظلمكم وجحدكم وعبارة من عبر بأن الفاعل محذوف مقصوده الإضمار المذكور ولا الحذف إذ الفاعل لا يحذف إلا في مواضع ليس هذا منها وعلى هذا الوجه يكون قوله أنكم تعليل أي لأنكم فحذف الخافض فجرى في محلها الخلاف أهو نصب أم جر ويؤيد إضمار الفاعل لا أنه هو أنكم قراءة إنكم بالكسر فإنه استئناف مفيد للتعليل **قوله تعالى** إذ ظلمتم قد استشكل المعربون هذه الآية ووجهه هو أن قوله اليوم ظرف حالي وإذ ظرف ماض وينفعكم مستقبل لاقترانه بلن التي لنفي المستقبل والظاهر أنه عامل في الظرفين وكيف يعمل الحدث المستقبل الذي لم يقع بعد في ظرف حاضر وماض هذا ما لا يجوز وأجيب عن إعماله في الظرف الحالي على سبيل قربه منه لأن الحال قريب من الاستقبال فيجوز في ذلك قال تعالى فمن يستمع الآن وقال الشاعر • سأسعى الآن إذ بلغت أناها • وهو إقناعي وإلا فالمستقبل يستحيل وقوعه في الحال عقلاً وأما قوله إذ ففيها للناس أوجه كثيرة قال ابن جني راجعت أبا علي فيها مراراً فآخر ما حصلت منه أن الدنيا والآخرة متصلتان وهما سواء في حكم الله تعالى وعلمه فإذ بدل من اليوم حتى كأنه مستقبل أو كأن اليوم ماض وإلى هذا نحا الزمخشري قال وإذ بدل من اليوم وحمل الزمخشري على معنى إذ تبين وصح ظلمكم ولم يبق

لأحد ولا لكم شبهة في أنكم كنتم ظالمين ونظيره • إذا ما انتسبنا لم تلدني لئيمة • أي تبين أني ولد كريمة قال أبو حيان ولا يجوز البدل لما دامت إذ على موضوعها من المضي فإن جعلت لمطلق الزمان جاز قال وأما الذي لم نعهد في إذ أنها تكون لمطلق الزمان بل هي موضوعة لزمان خاص بالماضي كأمس الثاني أن في الكلام حذف مضاف تقديره بعد إذ ظلمتم الثالث أنها للتعليل وحينئذ يكون حرفاً للتعليل كاللام الرابع أن العامل في إذ هو ذلك الفاعل المقدر لا ضميره والتقدير ولن ينفعكم ظلمكم أو جحدكم إذ ظلمتم الخامس أن العامل في إذ ما دل عليه المعنى كأنه قال ولكن لن ينفعكم اجتماعكم إذ ظلمتم قاله الحوفي ثم قال وفاعل ينفعكم الاشتراك انتهى فظاهر هذا متناقض لأنه جعل الفاعل أولاً اجتماعكم ثم جعله آخراً الاشتراك ومنع أن يكون إذ بدلاً من اليوم لتغايرهما في الدلالة وفي كتاب أبي البقاء وقيل إذ بمعنى أن أي أن ظلمتم ولم يقيدها بكونها أن بالفتح والكسر ولكن قال أبو حيان وقيل إذ للتعليل حرفاً بمعنى أن يعني بالفتح وكأنه أراد ما ذكره أبو البقاء إلا أن تسميته أن للتعليل مجاز فإنها على حذف حرف العلة لأن فلمصاحبتها لها واستغنائها عنها سماها باسمها ولا ينبغي أن يعتقد أنها في كتاب أبي البقاء بالكسر على الشرطية لأن معناه بعيد وفي كتاب مجاهد أن ابن عامر قرأ إنكم بالكسر على الاستئناف المفيد للعلة وحينئذ يكون الفاعل مضمراً على أحد التقادير المذكورة **فصل** المعنى ولن ينفعكم اليوم في الآخرة إذ ظلمتم أشركتم في الدنيا أنكم في العذاب مشتركون أي لا ينفعكم الاشتراك في العذاب ولا يخفف الاشتراك عنكم لأن لكل واحد من الكفار والشياطين له الحظ الأوفر من العذاب وقال مقاتل لن ينفعكم الاعتذار والندم اليوم فأنتم وقرناؤكم اليوم مشتركون في العذاب كما كنتم مشتركين في الدنيا واعلم أنه تعالى بين أن الشركة في العذاب لا تفيد التخفيف كما كان يفيده في الدنيا والسبب فيه وجوه الأول أن ذلك العذاب الشديد عظيم فاشتغال كل واحد بنفسه يذهله عن حال الآخر فلا جرم لم تفد الشركة خفة الثاني إذا اشترك الأقوام في العذاب أعان كل واحد منهم صاحبه بما قدر عليه فيحصل بسببه بعض التخفيف وهذا المعنى متعذر في القيامة الثالث أن جلوس الإنسان مع قرينه يفيده أنواعاً كثيرة من السلوة فبين تعالى أن الشيطان وإن كان قريناً له إلا أن مجالسته في القيامة لا توجب السلوة وخفة العقوبة **قوله تعالى** أفأنت تسمع الصم أو تهدي العمي الآية لما وصفهم في الآية المتقدمة بالعشى وصفهم في هذه الآية بالصمم والعمى وما أحسن هذا الترتيب وذلك أن الإنسان في أول اشتغاله بطلب الدنيا يكون كمن حصل بعينه رمد ضعيف ثم كلما كان اشتغاله بتلك الأعمال أكثر كان ميله إلى الجسمانيات أشد وإعراضه عن الروحانيات أكمل لأن كثرة المواظبة على الشيء توجب حصول الملكة الراسخة فينتقل الإنسان من الرمد إلى أن يصير أعشى فإذا واظب على تلك الحالة انتقل من كونه أعشى إلى كونه أعمى روي أنه عليه السلام كان يجتهد في دعاء قومه وهم لا يزيدون إلا تصميماً على الكفر وعناداً في الغي فقال الله تعالى أفأنت تسمع الصم أو تهدي العمي يعني أنهم في النهاية عنك وعن دينك بحيث إذا أسمعتهم القرآن كانوا كالصم وإذا أريتهم المعجزات كانوا كالعمي **قوله تعالى** فإما نذهبن بك قد تقدم الكلام عليه قريباً والمعنى فإما نذهبن بك بأن نميتك قبل أن نعذبهم فإنا منهم منتقمون بالقتل بعدك أو نرينك في حياتك الذي وعدناهم من العذاب فإنا عليهم مقتدرون قادرون متى شئنا عذبناهم وأراد مشركي مكة انتقم منهم يوم بدر هذا قول أكثر المفسرين وقال الحسن وقتادة عنى به أهل الإسلام من أمة محمد صلى الله عليه وسلم وقد كان بعد النبي صلى الله عليه وسلم نقمة شديدة في أمته فأكرم الله نبيه وذهب به ولم يره في أمته إلا الذي تقر عينه وأبقى النقمة بعده وروي أن النبي صلى الله عليه وسلم أري ما يصيب أمته بعده فما رئي ضاحكاً منبسطاً حتى قبضه الله وقرئ نرينك بالنون الخفيفة **قوله تعالى** فاستمسك بالذي أوحي إليك العامة على أوحي مبنياً للمفعول مفتوح الياء وبعض قراء الشام سكنها تخفيفاً والضحاك أوحى مبنياً للفاعل وهو الله تعالى **فصل** لما بين له ما يوجب التسلية أمره أن يتمسك بما أمره الله به فقال فاستمسك بالذي أوحي إليك بأن تعتقد أنه حق وبأن تعمل بموجبه فإنه الصراط المستقيم الذي لا يميل عنه إلا ضال في الدين ولما بين تأثير التمسك بهذا الدين في منافع الدين بين أيضاً تأثيره في منافع الدنيا فقال وإنه لذكر لك ولقومك أي إنه يعني القرآن لذكر لشرف لك ولقومك من قريش نظيره لقد أنزلنا إليكم كتاباً فيه ذكركم وشرفكم وأنه يوجب الشرف العظيم لك ولقومك حيث يقال إن هذا الكتاب العظيم أنزله الله عز وجل على قوم من هؤلاء وهذه الآية تدل على أن الإنسان لا بد وأن يكون عظيم الرغبة في الثناء الحسن والذكر الجميل ولو لم يكن الذكر الجميل أمراً مرغوباً فيه لما من الله تعالى به على محمد صلى الله عليه وسلم فقال وإنه لذكر لك ولقومك ولما طلبه إبراهيم عليه السلام حيث قال واجعل لي لسان صدق في الآخرين ولأن الذكر الجميل قائم مقام الحياة الشريفة بل الذكر أفضل من الحياة لأن أثر الحياة لا يحصل إلا في مسكن ذلك الحي وأما أثر الذكر الجميل فإنه يحصل في كل زمان وكل مكان ثم قال تعالى وسوف تسألون قال الكلبي تسألون هل أديتم شكر إنعامنا عليكم بهذا الذكر الجميل وقال مقاتل يقال لمن كذب به لم كذبت فيسأل سؤال توبيخ وقيل يسألون هل علمتم بما دل عليه القرآن من التكاليف وروى الضحاك عن ابن عباس أن النبي صلى الله

عليه وسلم كان اذا سيل لمن هذا الامر بعدك لم يجب بشي حتى نزلت هذه الاية فكان بعد ذلك اذا سيل لمن هذا الامر
بعدك قال لقريش وروي ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يزال هذا الامر في قريش ما بقي اثنان وروي معاوية
قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان هذا الامر في قريش لا يعاديهم احد الا كبه الله على وجهه ما اقاموا الدين
وقال مجاهد القوم هم العرب فالقران لهم شرف اذ نزل بلغتهم ثم يختص بذلك الشرف الاخص فالاخص من العرب حتى يكون الاكثر
لقريش ولبني هاشم وقيل ذكر ذلك بما اعطاك من الحكمة ولقومك من المومنين بما هداهم الله به وسوف تسالون عن القران
وعما يلزمكم من القيام بحقه قوله تعا واسيل من ارسلنا فيه اوجه اظهرها ان من موصولة وهي مفعولة للسوال كانه
قيل واسال الذي ارسلناه من قبلك عما ارسلوا به فانهم لم يرسلوا الا بالتوحيد الثاني على انه على حذف حرف الجر على انه المسيول
عنه والمسيول الذي هو المفعول الاول محذوف تقديره واسيلنا عمن ارسلنا الثالث ان من استفهامية مرفوعة بالابتدا
وارسلنا خبره والجملة معلقة للسوال فيكون في محل نصب على اسقاط الخافض وهذا ليس بظاهر بل الظاهر ان المعلق للسوال
انما هو الجملة الاستفهامية من قوله اجعلنا فصل اختلفوا في هولاء المسيولين فروي عطا عن ابن عباس قال لما
اسري بالنبي صلى الله عليه وسلم الى المسجد الاقصى بعث له ادم وولده من المرسلين فاذن جبريل ثم اقام وقال يا محمد
تقدم فصل بهم فلما فرغ من الصلوة قال له جبريل يا محمد سل من ارسلنا من قبلك من رسلنا الاية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا اسيل قد اكتفيت ولست شاكا فيه وهذا قول الزهري وسعيد بن جبير وابن زيد قالوا جمع له الرسل ليلة اسري به وامر
ان يسالهم فلم يسال ولم يشك وقال اكثر المفسرين سيل مومني اهل الكتاب الذين ارسلنا اليهم الانبيا هل جاءتهم الرسل
الا بالتوحيد وهو قول ابن عباس في سائر الروايات ومجاهد وقتادة والضحاك والسدي والحسن ويدل عليه قراءة عبد الله
وابي واسال الذين ارسلنا اليهم قبلك من رسلنا ومعنى الامر بالسوال التقرير لمشركي قريش انه لم يات بعبادة غير الله
عز وجل وقال عطا سوال الانبيا الذين كانوا قبله ممتنع فكان المراد منه انظر في هذه المسيلة بعقلك وتدبرها بفهمك
قوله تعا ولقد ارسلنا موسى باياتنا الاية لما طعن كفار قريش في نبوة محمد صلى الله عليه وسلم بكونه فقيرا عديم المال
والجاه بين الله تعالى ان موسى عليه السلام بعد ان اورد المعجزات القاهرة لا يشك في صحتها عاقل اورد عليه فرعون
هذه الشبهة التي ذكرها كفار قريش فقال اني غني كثير المال والجاه الا ترون انه حصل لي ملك مصر وهذه الانهار تجري
من تحتي واما موسى فانه فقير مهين وليس له بيان ولا لسان والرجل الفقير كيف يكون رسولا من عند الله الملك الكبير
فثبت ان هذه الشبهة التي ذكرها كفار قريش بمكة وهي قولهم لولا نزل هذا القران على رجل من القريتين عظيم قد اوردها
بعينها فرعون على موسى ثم انتقمنا منهم فاغرقناهم فيكون الامر في حق اعدايك هكذا فثبت انه ليس المقصود من اعادة
هذه القصة عينها بل المقصود تقرير الجواب عن الشبهة المذكورة قوله تعا ولقد ارسلنا اذا هم منها يضحكون قال الزمخشري
فان قلت كيف جاز ان يجاب لما باذا المفاجاة قلت لان فعل المفاجاة معها مقدر وهو عامل النصب في محلها كانه قيل
فلما جاءهم باياتنا فاجاوا وقت ضحكهم قال ابو حيان ولا نعلم نحويا ذهب الى ما ذهب اليه من ان اذا الفجائية تكون
منصوبة بفعل مقدر تقديره فاجا بل المذاهب ثلاثة انها حرف فلا يحتاج الى عامل او ظرف مكان او ظرف زمان فان ذكر
بعد الاسم الواقع بعدها خبر كانت منصوبة على الظرف والعامل فيها ذلك الخبر نحو خرجت فاذا زيد قايم تقديره خرجت
ففي المكان الذي خرجت فيه زيد قايم او ففي الوقت الذي خرجت فيه زيد قايم وان لم يذكر بعد الاسم خبر او ذكر اسم
منصوب على الحال فان كان الاسم جثة وقلنا انها ظرف مكان كان الامر واضحا نحو خرجت فاذا الاسد اي فبالحضرة
الاسد او فاذا الاسد رابضا وان قلنا انها ظرف زمان كان على حذف مضاف لئلا يخبر الزمان عن الجثة نحو خرجت فاذا
الاسد اي ففي الزمان حضور الاسد وان كان الاسم حدثا جاز ان يكون مكانا او زمانا ولا حاجة الى تقدير مضاف
نحو خرجت فاذا القتال ان شيت قدرت فبالحضرة القتال او ففي الزمان القتال قوله تعا الا هي اكبر جملة واقعة صفة
لقوله اية فيحكم على موضعها بالجر اعتبارا باللفظ وبالنصب اعتبارا بالمحل وفي معنى قوله اكبر من اختها وجوه احدها قال ابن
عطية هو انهم يستعظمون الاية التي تاخذ الجدة امرها وحدوثها لانهم انسوا بتلك الاية السابقة فيعظم امر الثانية ويكبر
وهذا كقول الشاعر • على انها تعفوا الكلوم وانما • توكل بالادنى وان جل ما يمضي • الثاني قيل ان المعنى الا هي اكبر من
اختها السابقة فحذف الصفة للعلم بها الثالث قال الزمخشري فان قلت هو كلام متناقض لان معناه ما من اية من التسع
الا وهي اكبر من كل واحدة منها فتكون كل واحدة منها فاضلة ومفضولة في حالة واحدة قلت الغرض بهذا الكلام وصفهن
بالكبر لا يكدن يتفاوتن فيه وكذلك العادة في الاشيا التي تتقارب في الفضل التقارب اليسير تختلف اراء الناس في
تفضيلها فبعضهم يفضل هذا وبعضهم يفضل هذا وربما اختلف اراء الواحد فيها كقول الحماسي • من تلق منهم تقل لاقيت سيدهم
مثل النجوم التي يهدي بها الساري • وقالت الانمارية في الجملة من ابنائها • ثكلتهم ان كنت اعلم ايهم افضل هم • • •

كالحلقة المفرغة لا يدري اين طرفاها • انتهى كلامه واوله فظيع جدا كان العبارة ضاقت عليه حتى قال ما قال
وان كان جوابه حسنا فسواله فظيع فصل ذكر انه تعالى ارسل موسى باياته وهي المعجزات التي كانت مع موسى الى
فرعون وملايه اي قومه فقال موسى اني رسول رب العالمين فلما جاءهم بتلك الايات اذا هم منها يضحكون استهزاء
قيل انه لما القى عصاه صار ثعبانا ثم اخذه صار عصى كما كان فضحكوا ولما عرض عليهم اليد البيضا ثم عادت كما كانت ضحكوا
ثم قال وما نريهم من اية الا هي اكبر من اختها اي قرينتها وصاحبتها التي كانت قبلها واخذناهم بالعذاب اي بالسنين
والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والطمس فكانت هذه دلالات لموسى وعذابا وكانت كل واحدة اكبر
من التي قبلها لعلهم يرجعون من الكفر الى الايمان قالت المعتزلة هذا يدل على انه تعالى يريد الايمان قوله تعا وقالوا
يا ايها الساحر تقدم الكلام فيه في النور والمعنى انهم لما عاينوا العذاب قالوا لموسى يا ايه الساحر اي يا ايها العالم الكامل
الحاذق وانما قالوا هذا توقيرا وتعظيما لان السحر عندهم كان علما عظيما وصفة محمودة وقيل معناه يا ايها الذي
غلبنا بسحره وقال الزجاج خاطبوه به لما تقدم له عندهم من التسمية بالساحر فان قيل كيف سموه بالساحر مع قولهم
اننا لمهتدون فالجواب من وجوه الاول انهم كانوا يسمون العالم الماهر ساحرا لانهم يستعظمون السحر وكما يقال في
زماننا في العمل العجيب الكامل انه اتى بالسحر الثاني ايه الساحر في زعم الناس ومتعارف قوم فرعون كقوله وقالوا يا ايها
الذي نزل عليه الذكر في اعتقاده وزعمه الثالث ان قولهم اننا لمهتدون وعد كانوا عازمين على خلافه الا ترى
الى قوله فلما كشفنا عنهم العذاب اذا هم ينكثون فتسميتهم اياه بالساحر لا تنافي قولهم اننا لمهتدون قوله تعا
ادع لنا ربك بما عهد عندك اي بما اخبرتنا من عهده اليك ان امنا كشف عنا العذاب فاساله ان يكشف عنا اننا
لمهتدون مومنون فدعا موسى فكشف عنهم فلم يومنوا فذلك قوله عز وجل فلما كشفنا عنهم العذاب اذا هم ينكثون
اي نكثوا ذلك العهد يعني ينقضون عهدهم ويصرون على كفرهم قوله تعالى ونادى فرعون في قومه اي اظهر
هذا القول وقال يا قوم اليس لي ملك مصر وهذه الانهار تجري من تحتي اي انهار النيل ومعظمها اربعة نهر الملك
ونهر طولون ونهر دمياط ونهر تنيس قيل كانت تجري تحت قصره وحاصل الامر انه احتج بكثرة امواله وقوة جاهه
على فضيلة نفسه ثم قال افلا تبصرون وقال قتادة تجري من بين يدي في جناني وبساتيني وقال الحسن بامري
افلا تبصرون عظمتي وشدة ملكي قيل من ملك القبط يسمى فرعون ومن ملك اليهود يسمى قيطون والمعروف
مالخ ومن ملك الصابية يسمى نمروذ ومن ملك البربر يسمى جالوت ومن ملك الهند يسمى بهمن وقيل يعفور
ومن ملك فرغانة يسمى الاخشيد ومن ملك العرب من قبل العجم يسمى النعمان قوله تعا وهذه الانهار تجري
في وهذه وجهان احدهما ان يكون مبتداة والواو للحال والانهار صفة لاسم الاشارة او عطف بيان وتجري
الخبر والجملة حال من ياء لي والثاني ان هذه معطوفة على ملك مصر وتجري على هذا حال اي اليس ملك مصر
وهذه الانهار تجري جارية اي الشيان قوله تعالى تبصرون العامة على الخطاب لمن ناداهم وقرا عيسى بكسر
النون اي تبصروني بياء الغيبة اما على الالتفات من الخطاب الى الغيبة واما ردا على قوم موسى قوله تعالى
ام انا خير في ام هذه اقوال احدها انها منقطعة فتتقدر ببل التي للاضراب لا انتقال وبالهمزة التي للانكار والثاني
انها بمعنى بل فقط كقوله • بدت مثل قرن الشمس في رونق الضحى • وصورتها ام انت في العين املح • اي بل انت
الثالث انها منقطعة لفظا متصلة معنى قال ابو البقا ام هنا منقطعة في اللفظ لوقوع الجملة بعدها في اللفظ
وهي في المعنى متصلة معنى وذلك انهما معنيان مختلفان فان الانقطاع يقتضي اضرابا اما ابطالا واما انتقالا
الرابع انها متصلة والمعادل محذوف تقديره ام تبصرون وهذا لا يجوز الا اذا كانت لا بعدها نحو اتقوم ام لا
اي ام لا تقوم وان زيد عندك ام لا اي ام لا هو عندك اما حذفه دون لا فلا يجوز وقد جا حذف ام مع المعادل وهو
قليل جدا قال الشاعر • دعاني اليها القلب اني لامرها • سميع فما ادري ارشد طلابها • اي ام غي ونقل ابو حيان عن
سيبويه ان هذه هي ام المعادلة اي ام تبصرون الامر الذي هو حقيق ان يبصر عنده وهو انه خير من موسى قال وهذا القول
بدا به الزمخشري فقال ام هذه متصلة لان المعنى افلا تبصرون ام تبصرون الا انه وضع قوله انا خير موضع تبصرون
لانهم اذا قالوا انت خير فهم عنده بصرا وهذا من انزال السبب منزلة المسبب قال ابو حيان وهذا متكلف جدا اذ المعادل
انما يكون مقابلا للسابق فان كان المعادل جملة فعلية كان السابق جملة فعلية او جملة اسمية يتقدر منها فعلية كقوله
ادعوتموهم ام انتم صامتون لان معناه ام صمتم وهنا لا يتقدر منها جملة فعلية لان قوله ام انا خير ليس مقابلا لقوله افلا
تبصرون وان كان السابق اسما كان المعادل اسما او جملة فعلية يتقدر منها اسم نحو قوله ايذهب ام انت قائم متعادل
للاسم والتقدير ام متما قال شهاب الدين وهذا الذي رده الزمخشري رد على سيبويه لانه هو السابق به وكذا قوله ايضا

انه لا يحذف المعادل لغير ام الا وبعدها لا فيه نظر من حيث تجويز سيبويه حذف المعادل دون لا فهو رد على سيبويه ايضا
قوله تعالى ولا يكاد يبين هذه الجملة يجوز ان تكون معطوفة على الصلة وان تكون مستانفة وان تكون حالا والعامة
على يبين من ابان والباقون يبين بفتح الياء من بان اي ظهر **فصل** قال اكثر المفسرين ام هنا بمعنى بل وليس بحرف
عطف قال الفراء الوقف على قوله ام وفيه اضمار مجازه افلا تبصرون ام تبصرون لكنه اكتفى بلفظ ام كما تقول لغيرك اتاكل
ام اي اتاكل ام لا تاكل لكنك تقتصر على كلمة ام اقتصارا قال ابو عبيدة معناها بل انا خير وعلى هذا فقد تم الكلام عند قوله
افلا تبصرون ثم ابتدا فقال ام انا خير يعني بل انا خير موضع تبصرون لانهم اذا قالوا له انت خير فهم عنده بصراء
قوله تعالى من هذا الذي هو مهين اي ضعيف حقير يعني موسى ولا يكاد يبين اي يفصح لسانه لرتة كانت في لسانه
فان قيل اليس ان موسى عليه السلام سال الله ان يزيل الرتة عن لسانه بقوله واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي فاعطاه
الله ذلك بقوله تعالى قد اوتيت سؤلك يا موسى فكيف عابه فرعون بتلك الرتة **فالجواب** من وجهين الاول ان
فرعون اراد بقوله ولا يكاد يبين حجته التي تدل على صدقه ولم يرد انه لا قدرة له على الكلام والثاني انه عابه بما
كان عليه اولا وذلك ان موسى عليه السلام مكث عند فرعون زمانا طويلا وكان في لسانه حبسة فنسبه فرعون الى ما
عهده عليه من الرتة لانه لم يعلم ان الله تعالى ازال ذلك العيب عنه **قوله تعالى** فلولا القي عليه اساورة قرا حفص
كاحمرة والباقون اساورة فاسورة جمع سوار كحمار واحمرة وهو جمع قلة واساورة جمع اسوار بمعنى سوار يقال سوار المراة
واسوارها والاصل اساوير بالياء فعوض من حرف المد تاء التانيث كزنادقة وبطارقة وبطاريق وزنديق وزنادقة
وقيل بل هي جمع اسورة فهي جمع الجمع وقرا ابي والاعمش ويروى عن ابي عمرو اساور دون تاء وروي عن ابي ايضا وعبد الله
اساوير وقرا الضحاك القي مبنيا للفاعل اي الله واساورة نصبا على المفعولية ومن ذهب صفة لاساورة ويجوز ان تكون
من الداخلة على التمييز **فصل** ومعنى الكلام ان عادتهم جرت بانهم اذا جعلوا واحدا منهم رئيسا لهم سوروه بسوار
من ذهب وطوقوه بطوق من ذهب فطلب فرعون من موسى عليه السلام مثل عادتهم وحاصل الكلام ان فرعون كان
يقول انا اكثر منه مالا وجاها فوجب ان اكون افضل منه فيمتنع كونه رسولا من عند الله لان منصب النبوة يقتضي
المخدومية والاخس لا يكون مخدوما للاشرف ثم قال او جاء معه الملائكة مقترنين متتابعين يقارن بعضهم
بعضا يشهدون له بصدقه ويعينونه على امره ويجوز ان يكون المراد مقترنين به من قولك قرنته به **قوله تعالى**
فاستخف قومه فاطاعوه اي وجدهم جهالا لاحملهم على الخفة والجهل يقال استخفه عن رايه اذا حمله على الجهل وازاله
عن الصواب فاطاعوه على تكذيب موسى انهم كانوا قوما فاسقين حيث اطاعوا ذلك الفاسق الجاهل **قوله تعالى** فلما
اسفونا اغضبونا حكى ابن جريج غضب في شيء فقيل له اتغضب يا ابا خالد فقال قد غضب الذي خلق الاحلام ان
الله تعالى يقول فلما اسفونا اي اغضبونا انتقمنا منهم فاغرقناهم اجمعين واعلم ان ذكر لفظ الاسف في حق الله تعالى
وذكر لفظ انتقمنا منهم كل واحد منهما من المتشابهات التي يجب تاويلها فمعنى الغضب في حق الله تعالى ارادة العقاب
ومعنى الانتقام ارادة العقاب بجرم سابق واسفونا منقول بهمزة التعدية من اسف بمعنى غضب والمعنى اغضبونا بخالفتهم امرنا
وقال بعض المفسرين معناه احزنوا اولياءنا **قوله تعالى** فجعلناهم سلفا قرا الاخوان سلفا بضمتين والباقون بفتحتين
فاما الاولى فتحتمل ثلاثة اوجه احدها انه جمع سليف كرغيف ورغف وسمع القاسم بن معن من العرب مضى سليف
من الناس والسليف الماضي كالفريق منهم والثاني انها جمع سالف كصابر وصبر والثالث انها جمع سلف كاسد واسد والثانية
تحتمل وجهين احدهما ان يكون جمعا لسالف كحارس وحرس وخادم وخدم وهذا في الحقيقة اسم جمع لا جمع تكسير اذ ليس
في ابنية التكسير صيغة فعل والثاني انه مصدر يطلق على الجماعة تقول سلف الرجل يسلف سلفا اي تقدم والسلف كل شيء
قدمته من عمل صالح او قرض فهو سلف وسلف الرجل اباؤه المتقدمون والجمع اسلاف وسلاف وقال طفيل
مضوا سلفا قصد السبيل عليهم • صروف المنايا بالرجال تقلب • وقرا علي رضي الله عنه ومجاهد سلفا بضم السين وفتح اللام
وفيها وجهان اشهرهما انه جمع سلفة كغرفة وغرف والسلفة الامة وقيل الاصل سلفا بضمتين وانما ابدل من الضمة
فتحة وقوله مثلا اما مفعول ثان ان كانت بمعنى صير والا فحال قال الفراء والزجاج المعنى جعلناهم متقدمين ليتعظ بهم
الاخرون وهذا كفار امة محمد صلى الله عليه وسلم والمعنى ومثلا للاخرين اي عظة لمن بقي بعدهم وعبرة قال ابو علي الفارسي
المثل واحد يراد به الجمع ومن ثم عطف على سلف والدليل على وقوعه على اكثر من واحد قوله تعالى ضرب الله مثلا عبدا مملوكا
لا يقدر على شيء ومن رزقناه فادخل تحت المثل شيئين وقيل المعنى سلفا للكفار من هذه الامة الى النار ومثلا لمن يجيء بعدهم
قوله تعالى ولما ضرب ابن مريم مثلا الاية اعلم انه تعالى لما ذكر انواعا كثيرة من كفر اباءهم فاوقعها قوله تعالى وجعلوا له من عباده
جزءا وثانيها قوله وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا وثالثها قوله وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم ورابعها

قوله وقالوا لولا نزل هذا القران على رجل من القريتين عظيم وخامسها هذه الاية وليس في لفظها ما يدل على ان ذلك المثل
اي شيء كان والمفسرون ذكروا فيه وجوها اشهرها قال ابن عباس واكثر المفسرين نزلت الاية في مجادلة عبد الله بن
الزبعرى مع النبي صلى الله عليه وسلم في شان عيسى عليه السلام لما نزل قوله عز وجل انكم وما تعبدون من دون الله حصب
جهنم كما تقدم في سورة الانبياء والمعنى ولما ضرب عبد الله بن الزبعرى عيسى بن مريم مثلا وجادل رسول الله صلى الله
عليه وسلم بعبادة النصارى اياه اذا قومك من قريش اي من هذا المثل يصدون اي يرتفع لهم ضجيج وجلبة فرحا بما راوا
من سكوت النبي صلى الله عليه وسلم فانه قد جرت العادة بان احد الخصمين اذا انقطع اظهر الخصم الثاني الفرح والضجيج
وقيل ان النبي صلى الله عليه وسلم لما حكى ان النصارى عبدوا المسيح وجعلوه الها لانفسهم قال كفار قريش ان محمدا
يريد ان يجعل نفسه لنا الها كما جعل النصارى المسيح الها لانفسهم فعند هذا قالوا االهتنا خير ام هو فعند ذلك قالوا ان
محمدا يدعونا الى العبادة نفسه وان اباؤنا زعموا انه يجب عبادة هذه الاصنام واذا كان لا بد من عبادة احد هذين فعبادة
الاصنام اولى لان اباءنا واسلافنا اجمعوا على ذلك واما محمد فانه متهم في امرنا بعبادته ثم انه تعالى لم يقل ان عبادة
المسيح طريق حسن بل هو كلام باطل وان عيسى ليس الا عبدا انعمنا عليه فزالت شبهتهم في قولهم ان محمدا يريد ان يامرنا
بعبادة نفسه وقيل ان الكفار لما ارادوا ان النصارى يعبدون عيسى قالوا اذا عبد النصارى عيسى فالهتنا خير من عيسى فعبدوا الملائكة
قوله تعالى يصدون قرا نافع وابن عامر والكسائي يصدون بضم الصاد والباقون بكسرها فقيل هما بمعنى واحد وهو
الضجيج واللغتان يقال صد يصد ويصد كعكف يعكف ويعكف وعرش يعرش ويعرش قال ابن عباس يضجون وقال سعيد بن المسيب
يصيحون وقال الضحاك يعجون وقال قتادة يجزعون وقال القرظي يضجرون وقيل الضم من الصدود وهو الاعراض
وقد انكر ابن عباس الضم وقد روي له عن علي رضي الله عنه وهذا والله اعلم قبل بلوغه تواتره **قوله تعالى** وقالوا االهتنا خير
قرا اهل الكوفة بتحقيق الهمزة الثانية والباقون بتسهيلها بين بين ولم يدخل احد من القراء الذين من قاعدتهم الفصل
بين الهمزتين بالف الفا كراهة لتوالي اربع متشابهات وابدل الجميع الهمزة الثانية الفا لا بد من زيادة بيان وذلك ان الهة
جمع اله كعماد واعمدة فالاصل االهة بهمزتين الاولى زائدة والثانية فاء الكلمة ووقعت الثانية ساكنة بعد مفتوحة فوجب
قلبها الفا كامن وبابه ثم دخلت همزة الاستفهام على الكلمة فالتقى همزتان في اللفظ الاولى للاستفهام والثانية همزة
افعلة فالكوفيون لم يعتدوا باجتماعهما فابقوهما على حالهما وغيرهم استثقل فخفف الثانية بالتسهيل بين بين
والثالثة الف محضة لم تتغير البتة واكثر اهل العصر يقرؤن هذا الحرف بهمزة واحدة بعدها الف على لفظ الخبر ولم يقرا
به احد من السبعة فيما علمنا الا انه قد روي ان ورشا قرا كذلك في رواية ابي الازهر وهي تحتمل الاستفهام كالعامة وانما
حذف اداة الاستفهام لدلالة ام عليها وهو كثير ويحتمل انه قراه خبرا محضا وحينئذ تكون ام منقطعة فتقدر ببل والهمزة
واما الجماعة فهي عندهم متصلة فقوله ام هو على قراءة العامة عطف على الهتنا وهو من عطف المفردات والتقدير
االهتنا ام هو خير اي ايهما خير وعلى قراءة ورش يكون هو مبتدا وخبر محذوف تقديره بل اهو خير وليست ام حينئذ
عاطفة **فصل** قال قتادة معنى قوله ام هو يعني محمدا قالوا يريد محمد ان كل ما عبد من دون الله في النار فنحن
نرضى ان تكون الهتنا مع عيسى وعزير والملائكة في النار قال الله تعالى ما ضربوه يعني هذا المثل لك الا جدلا بل هم قوم خصمون
اي خصومة بالباطل وقد علموا ان المراد من قوله وما تعبدون من دون الله حصب جهنم هؤلاء الاصنام بل هم قوم خصمون
مبالغون في الخصومة روي انه عليه السلام قال ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه الا اوتوا الجدل ثم قرا ما ضربوه لك
الا جدلا بل هم قوم خصمون **قوله تعالى** جدلا مفعول من اجله اي لاجل الجدل والمراء لا لاظهار الحق وقيل هو مصدر في موضع
الحال اي الا مجادلين وقرا ابن مقسم جدالا والوجهان جاريان فيه والظاهر ان الضمير في هو لعيسى وقيل غيره من الضمائر وقيل
هو للنبي عليه السلام وبكل قال المفسرون كما تقدم **فصل** تمسك القائلون بذم الجدل بهذه الاية والايات
الكثيرة دالة على مدح الجدل فالتوفيق بينهما ان يصرف الايات الدالة على مدح الجدل الى الجدل الذي يفيد تقرير الحق
ويصرف هذه الاية الى الجدل الذي يوجب تقرير الباطل **قوله تعالى** ان هو الا عبد اي ما هو يعني عيسى الا عبد كسائر
العبيد انعمنا عليه حيث جعلناه اية بان خلقناه من غير ذكر كما خلقنا ادم وشرفناه بالنبوة وجعلناه مثلا اي اية وعبرة
لبني اسرائيل يعرفون به قدرة الله على ما يشاء حيث خلقه من غير اب ولو نشاء لجعلنا منكم ملائكة في الارض يخلفون اي يكونون
خلفاء منكم يعمرون الارض ويعبدونني ويطيعوني وقيل يخلف بعضهم بعضا **قوله تعالى** لجعلنا منكم ملائكة في من هذه اقوال
احدها انها بمعنى بدل اي لجعلنا بدلكم كما تقدم في التفسير ومنه ايضا ارضيتم بالحياة الدنيا من الاخرة اي بدلها وانشد

[illegible]	• اخذوا المخاض من الفصيل غلبة • ظلما ويكتب للامير افالا •	• وقال الاخر •
[illegible]	• جارية لم تاكل المرققا • ولم تذق من البقول الفستقا •	• والثاني وهو المشهور •

انها تبعيضية وتاويل الاية لولدنا منكم يا رجال ملائكة في الارض يخلفونكم كما تخلفكم اولادكم كما ولدنا عيسى بن مريم
من انثى دون ذكر ذكره الزمخشري والثالث انها تبعيضية وتاويل الاية قال ابو البقا وقيل المعنى لحولنا بعضكم ملائكة
قوله تعالى وانه لعلم للساعة المشهور ان الضمير لعيسى يعني نزوله اخر الزمان وقيل الضمير للقران اي فيه علم الساعة واهوالها وهو
علامة على قربها ومنه اقترب للناس حسابهم اقتربت الساعة ومنه بعثت انا والساعة كهاتين والعامة على علم مصدرا
جعل علما مبالغة لما كان به يحصل العلم او لما كان شرطا يعلم به ذلك اطلق عليه علم وابن عباس وابو هريرة وابو مالك
الغفاري وزيد بن علي لعلم بفتح العين واللام اي لشرط وعلامة وقرا ابو نضرة وعكرمة كذلك الا انهما عرفاه بالالف واللام
فقرا للعلم اي للعلامة المعروفة **فصل** معنى الاية ان نزول عيسى من اشراط الساعة يعلم به قربها قال عليه
السلام ليوشكن ان ينزل فيكم ابن مريم حكما عادلا يكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويهلك في زمانه الملل كلها
الا الاسلام ويروى انه ينزل على ثنية بالارض المقدسة يقال لها افيق وبيده حربة وعليه ممصرتان وشعر راسه
دهين يقتل الدجال وياتي بيت المقدس والناس في صلوة العصر وروي في صلوة الصبح فيتاخر الامام فيتقدم عيسى
عليه السلام ويصلي خلفه على شريعة محمد صلى الله عليه وسلم ثم يقتل الخنازير ويكسر الصليب ويخرب البيع والكنايس
ويقتل النصارى الا من امن به **قوله تعالى** فلا تمترن بها من المرية وهي الشك اي لا تشكن فيها قال ابن عباس لا تكذبوا بها
واتبعوني على التوحيد هذا الذي انا عليه صراط مستقيم ولا يصدنكم ولا يصرفنكم الشيطان عن دين الله انه لكم عدو مبين
قد بانت عداوته لكم لاجل انه اخرج ابويكم من الجنة ونزع عنهما لباس النور **قوله تعالى** ولما جاء عيسى بالبينات اي بالمعجزات
وبالشرايع البينات الواضحات قال قد جئتكم بالحكمة وهي النبوة وقيل معرفة ذات الله وصفاته وافعاله ولابين لكم
بعض الذي تختلفون فيه من احكام التورية قال قتادة يعني اختلاف الفرق الذين تحزبوا في امر عيسى قال الزجاج الذي
جاء به عيسى في الانجيل انما هو بعض الذي اختلفوا فيه فبين لهم في غير الانجيل ما احتاجوا اليه وقيل كانوا اختلفوا في
اشياء من احكام التكاليف واتفقوا على اشياء فجاء عيسى ليبين لهم الحق في تلك المسايل الخلافية قال ابن الخطيب وبالجملة
فالحكمة معناها اصول الدين وبعض الذي تختلفون فيه معناه فروع الدين فان قيل لم لم يبين لهم كل الذي يختلفون
فيه فالجواب لان الناس قد اختلفوا في اشياء لا حاجة لهم الى معرفتها فلا يجب على الرسول بيانها ولما بين لهم الاصول
والفروع قال فاتقوا الله من الكفر به والاعراض عن دينه واطيعون فيما ابلغه اليكم من التكاليف ان الله هو ربي وربكم
فاعبدوه هذا صراط مستقيم فاختلف الاحزاب اي الفرق المتحزبة بعد عيسى وهم الملكانية واليعقوبية والنسطورية
وقيل اليهود والنصارى فويل للذين ظلموا من عذاب يوم اليم وهو وعيد لهم للاحزاب فان قيل الضمير في قوله من بينهم الى من
يرجع فالجواب الى الذين خاطبهم عيسى في قوله قد جئتكم بالحكمة وهم قومه **قوله تعالى** هل ينظرون الا الساعة ان
تاتيهم اي انها تاتيهم لا محالة فكانهم ينتظرونها فقوله ان تاتيهم بدل من الساعة والمعنى هل ينظرون الا اتيان الساعة
وقوله بغتة فجاة فان قيل قوله بغتة يفيد ما يفيده قوله وهم لا يشعرون فما فايدته فالجواب يجوز ان تاتيهم بغتة
وهم يعرفونه بسبب انهم يشاهدونه **قوله تعالى** الاخلاء يومئذ مبتدا وخبره عدو والتنوين في يومئذ عوض عن جملة
تقديره تاتيهم الساعة والعامل في يومئذ لفظ عدو اي عداوتهم في ذلك اليوم **فصل** معنى الاية الاخلاء
على المعصية في الدنيا يومئذ اي يوم القيمة بعضهم لبعض عدو الا المتقين يعني المتحابين في الله على طاعة الله وهم
الموحدون الذين يخال بعضهم بعضا على الايمان والتقوى فان خلتهم لا تصير عداوة روى ابو ثور عن معمر عن قتادة
عن ابي اسحق ان عليا قال في الاية خليلان مومنان وخليلان كافران فمات احد المومنين فقال يا رب ان فلانا كان
يامرني بطاعتك وطاعة رسولك ويامرني بالخير وينهاني عن الشر ويخبرني اني ملاقيك يا رب فلا تضله بعدي واهده
كما هديتني واكرمه كما اكرمتني فاذا مات خليله المومن جمع بينهما فيقول ليثن احدكما على صاحبه فيقول نعم الاخ ونعم
الخليل ونعم الصاحب قال ويموت احد الكافرين فيقول يا رب ان فلانا كان ينهاني عن طاعتك وطاعة رسولك
ويامرني بالشر وينهاني عن الخير ويخبرني اني غير ملاقيك فيقول بئس الاخ وبئس الخليل وبئس الصاحب **قوله تعالى**
يا عبادي قرا ابو بكر عن عاصم يا عبادي لا خوف عليكم بفتح اليا والاخوان وابن كثير وحفص بحذفها وصلا ووقفا والباقون
باثباتها ساكنة وقرا العامة لا خوف بالرفع والتنوين اما مبتدا واما اسم لا وهو قليل وابن محيصن دون تنوين على حذف
مضاف وانتظاره اي لا خوف شي والحسن وابن ابي اسحق بالفتح على لا التبرية وهي عندهم ابلغ **فصل**
قد تقدم ان عادة القران جارية بتخصيص لفظ العباد بالمومنين المطيعين المتقين وفي انواع كثيرة توجب الفرح اولها
ان الحق سبحانه وتعالى خاطبهم بنفسه من غير واسطة وثانيها انه تعالى وصفهم بالعبودية من غير واسطة وثالثها انه تعالى
وهذا تشريف عظيم بدليل انه تعالى لما اراد تشريف محمد عليه السلام ليلة المعراج قال سبحان الذي اسرى بعبده ليلا من

المسجد الحرام

من المسجد الحرام وثالثه قوله تعالى لا خوف عليكم اليوم ولا انتم تحزنون فنفى عنهم الحزن بسبب فوت الدنيا الماضية
قوله تعالى الذين امنوا يجوز ان يكون نعتا لعبادي او بدلا منه او عطف بيان له او مقطوعا منصوبا بفعل اي اعني الذين
امنوا او مرفوعا بالابتدا وخبره مضمر تقديره يقال لهم ادخلوا الجنة **فصل** قال مقاتل اذا وقع الخوف يوم القيمة
نادى مناد يا عبادي لا خوف عليكم اليوم فاذا سمعوا النداء رفع الخلايق رؤسهم فيقال الذين امنوا باياتنا وكانوا
مسلمين فينكس اهل الاديان الباطلة رؤسهم فيرحسابهم على احسن الوجوه ثم يقال لهم ادخلوا الجنة انتم وازواجكم
تحبرون تسرون وتنعمون والحبرة المبالغة في الاكرام على احسن الوجوه وتقدم تفسيره في سورة الروم **قوله تعالى**
يطاف عليهم قبله محذوف اي يدخلون يطاف والصحاف جمع صحفة كجفنة وجفان قال الجوهري الصحفة كالقصعة
وقال الكسائي اعظم القصاع الجفنة ثم القصعة تسع العشرة ثم الصحفة تسع الخمسة ثم المكيلة تسع الرجلين والثلاثة
والصحيفة الكتاب والجمع صحف وصحايف واما الكسائي في رواية بصحاف من ذهب واكواب جمع كوب وهو اناء مستدير
مدور الراس لا عرا له وقيل هو كالابريق الا انه لا عروة له وقيل انه لا خرطوم له وقيل انه لا عروة له ولا خرطوم معا
قال الجواليقي ليتمكن الشارب من ابن شار فان العروة تمنع من ذلك وقال عدي * متكيا تصفق ابوابه * يطوف عليه العبد بالكوب
والنقد يروا كواب من ذهب فقوله يطاف عليهم بصحاف من ذهب اشارة الى المطعوم وقوله واكواب اشارة الى المشروب
ثم انه تعالى لما ذكر التفصيل ذكر بيانا كليا فقال وفيها ما تشتهي الانفس وتلذ الاعين اي في الجنة **قوله تعالى** ما تشتهيه
الانفس قرا نافع وابن عامر وحفص تشتهيه باثبات العايد على الموصول كقوله الذي يتخبطه الشيطان والباقون بحذفه
كقوله اهذا الذي بعث الله رسولا وهذه القراءة شبيهة بقوله وما عملته ايديهم وقد تقدم في يس وهذه الهاء في هذه السورة
رسمت في مصاحف المدينة والشام وحذفت من غيرها وقد وقع لابي عبد الله الفاسي شارح القصيدة وهم فسبق قلمه
فكتب والهاء منه محذوفة في مصاحف المدينة والشام ثابتة في غيرهما اراد ان يكتب ثابتة في مصاحف المدينة
والشام محذوفة من غيرهما فعكس وفي مصحف عبد الله تشتهيه الانفس وتلذه الاعين بالهاء فيهما **فصل**
روي ان رجلا قال يا رسول الله في الجنة خيل فاني احب الخيل فقال ان يدخلك الله الجنة فلا تشاء ان تركب فرسا
من ياقوتة حمراء فتطير بك في اي الجنة شئت الا فعلت فقال اعرابي يا رسول الله في الجنة ابل فاني احب الابل فقال للاعرابي
ان ادخلك الله الجنة اصبت فيها ما اشتهت نفسك ولذت عينك **قوله تعالى** وتلك الجنة التي اورثتموها بما كنتم تعملون
تقدم الكلام في معنى وراثة الجنة عند قوله اولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس ولما ذكر الطعام والشراب
ذكر الفاكهة فقال لكم فيها فاكهة كثيرة منها تاكلون جاء في الحديث لا ينزع رجل من الجنة من ثمرة الا نبت مكانها مثلاها
واعلم انه تعالى لما بعث محمدا صلى الله عليه وسلم اولا الى العرب ثم الى العالمين وكانت العرب في ضيق شديد بسبب الماكول والمشروب
والفاكهة فلهذا ذكر الله هذه المعاني مرة بعد اخرى تكميلا لرغباتهم وتقوية لدواعيهم ومن في قوله منها تاكلون تبعيضية
او ابتدائية وقدم الجار لاجل الفاصلة **قوله تعالى** ان المجرمين اي المشركين في عذاب جهنم خالدون لما ذكر الوعد ردفه
بالوعيد على الترتيب المستمر في القران واحتج القاضي على القطع بوعيد الفساق بهذه الاية فقال لفظ المجرم يتناول الكافر
والفاسق فوجب كون الكل في عذاب جهنم وقوله لا يفتر عنهم وهم فيه مبلسون وخالدون يدل على الخلود والجواب ان
ما قبل الاية وبعدها يدل على ان لفظ المجرم ههنا الكافر فاما قبل الاية فقوله يا عبادي لا خوف عليكم اليوم ولا انتم
تحزنون الذين امنوا باياتنا وكانوا مسلمين وهذا يدل على ان كل من امن بايات الله وكان مسلما فانه يدخل تحت قوله
يا عبادي لا خوف عليكم اليوم والفاسق من اهل الصلوة امن بالله وباياته واسلم فوجب ان يدخل تحت ذلك الوعد
وان يخرج من هذا الوعيد واما بعد الاية فقوله لقد جئناكم بالحق ولكن اكثركم للحق كارهون والمراد بالحق ههنا
اما الاسلام واما القران والرجل المسلم لا يكره الاسلام ولا القران فثبت ان ما قبل الاية وما بعدها يدل على ان
المراد بالمجرمين الكفار والله اعلم **قوله تعالى** لا يفتر عنهم جملة حالية وكذلك وهم فيه مبلسون وقرا عبد الله وهم
فيها اي في النار لدلالة العذاب عليها واعلم انه قد تقدم ان الخلود عبارة عن طول المكث ولا يفيد الدوام وقوله
لا يفتر عنهم اي لا يخفف ولا ينقص من قولهم فترت عنه الحمى اذا سكنت ونقص حرها وقوله وهم فيه مبلسون والمبلس
هو اليايس الساكت سكوت يايس من فرج عن الضحاك يجعل المجرم في تابوت من نار ثم يقفل عليه فيبقى خالدا لا يرى
ولا يرى **قوله تعالى** وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين العامة على الياء خبر كان وهم اما فصل واما توكيد وقرا
عبد الله وابو زيد النحوي الظالمون على ان هم مبتدا والظالمون خبر والجملة خبر كان وهي لغة تميم قال ابو زيد
سمعتهم يقرؤن تجدوه عند الله هو خير واعظم اجرا بالرفع وقال قيس بن ذريح * تحن الى ليلى وانت تركتها *
وكنت عليها بالملا انت اقدر * برفع اقدر وانت فصل او توكيد قال سيبويه بلغنا ان روبة كان يقول اظن زيدا هو خير منك

يعني بالرفع **فصل** احتج القاضي بقوله وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين وما الذي نسبه اليهم مما نفاه عن نفسه اوليس اثبتناه لهم كان لا مزيد عما يقوله القوم فان قالوا ذلك الفعل لم يقع بقدرة الله عز وجل بل انما وقع بقدرة الله مع قدرة العبد معا فلم يكن ذلك ظلما من الله تعالى قلنا عندكم القدرة على الظلم موجبة للظلم وخالق تلك القدرة هو الله تعالى فكان تعالى لما فعل مع خلق الكفر قدرة على الكفر خرج من ان يكون ظالما لهم وذلك محال لان من يكون ظالما في فعله اذا فعل معه ما يوجب ذلك الفعل يكون ذلك احق فيكون فقال للقاضي قدرة العبد هل هي صالحة للطرفين او هي متعينة لاحد الطرفين فان كانت صالحة لكل الطرفين فالترجيح ان وقع لا لمرجح لزم نفي الصانع وان افتقر الى مرجح عاد التقسيم الاول فيه ولابد وان ينتهي الى داعية ضرورية يخلقها الله تعالى في العبد وحينئذ يلزمك ما الزمته علينا وان كانت تلك القدرة متعينة لاحد الطرفين فحينئذ يلزمك ما اوردته علينا قال ابن الخطيب وليس الرجل من يرى وجه استدلال فيذكره انما الرجل من ينظر فيما قبل الكلام وفيما بعده فان راه وارد على مذهبه بعينه لم يذكره والله اعلم **قوله تعالى** ونادوا يا مالك العامة على غير ترخيم وعلي بن ابي طالب وعبد الله وابن وثاب والاعمش يا مال ترخيما على لغة من ينتظر المحذوف قيل لابن عباس ان ابن مسعود قرأ ونادوا يا مال فقال ما اشغل اهل النار بالترخيم واجيب عنه بانه انما حسن الترخيم لانهم بلغوا من الضعف والنحافة الى حيث لا يمكن ان يذكروا من الكلمة الا بعضها وقرأ ابو السرار الغنوي يا مال مبنيا على الضم على لغة من لا ينوي **فصل** روى ابن عباس ان اهل النار يدعون مالكا خازن النار يقولون ليقض علينا ربك ليميتنا ربك فنستريح فيجيبهم مالك بعد الف سنة انكم ماكثون مقيمون في العذاب وعن عبد الله بن عمرو بن العاص يجيبهم بعد اربعين سنة وعن غيره مائة سنة **فصل** اختلفوا في ان قولهم يا مالك ليقض علينا ربك على اي وجه طلبوه فقال بعضهم على التمني وقال اخرون على وجه الاستغاثة والا فهم عالمون بانه لا خلاص لهم في ذلك العقاب وقيل لا يبعد ان يقال انهم لشدة ما هم فيه نسوا تلك المسألة فذكروه على وجه الطلب ثم انه تعالى بين ان مالكا يقول لهم انكم ماكثون وليس في القران متى اجابهم في الحال او بعد ذلك بمدة ثم انه تعالى ذكر بعد ذلك ما هو كالعلة لذلك الجواب فقال لقد جئناكم بالحق ولكن اكثركم للحق كارهون والمراد نفرتهم عن محمد صلى الله عليه وسلم وعن القران وشدة بغضهم لقبول الدين الحق فان قيل كيف قال ونادوا يا مالك بعد ما وصفهم بالابلاس فالجواب انها ازمنة متطاولة واحقاب ممتدة فتختلف بهم الاحوال فيسكتون اوقاتا لغلبة الياس عليهم ويستغيثون اوقاتا لشدة ما بهم روي انه يلقى على اهل النار الجوع حتى يعدل ما هم فيه من العذاب فيقولون ادعوا مالكا فيدعون يا مالك ليقض علينا ربك ولما ذكر الله تعالى كيفية عذابهم في الاخرة ذكر بعده كيفية مكرهم وفساد باطنهم في الدنيا فقال ام ابرموا امرا اي احكموا امرا في المكر برسول الله صلى الله عليه وسلم يعني من كيدة فانا مبرمون محكمون امرا في مجازاتهم اي مبرمون كيدنا كما ابرموا كيدهم كقوله تعالى ام يريدون كيدا فالذين كفروا هم المكيدون قال مقاتل نزلت في تدبيرهم في المكر في دار الندوة وقد تقدم في قوله واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك الاية **قوله تعالى** ام ابرموا ام منقطعة والابرام الاتقان واصله في الفتل يقال ابرم الحبل اي اتقن فتله وهو الفتل الثاني والاول يقال له سحيل قال زهير • لعمري لنعم السيدان وجدتما • على كل حال من سحيل ومبرم **قوله تعالى** ام يحسبون انا لا نسمع سرهم ونجواهم السر ما حدث الرجل به نفسه او غيره في مكان والنجوى ما تكلموا به فيما بينهم بل نسمع ذلك ونعلم ورسلنا اي الحفظة لديهم يكتبون اي يكتبون عليهم جميع احوالهم **قوله تعالى** ان كان للرحمن ولد قيل هي شرطية على بابها واختلف في تاويله فقيل ان صح ذلك فانا اول من يعبده لكنه لم يصح البتة بالدليل القاطع وذلك انه علق العبادة بكينونة الولد وهي محال في نفسها فكان المعلق بها محالا مثلها فهو في صورة اثبات الكينونة والعبادة وفي معنى نفيهما على ابلغ الوجوه وانواها ذكره الزمخشري وقيل ان كان له ولد في زعمكم فانا اول العابدين اي الموحدين لله المكذبين بهذا القول واعلم ان هذا التاويل فيه نظر لانهم سواء اثبتوا لله ولدا او لم يثبتوه له فالرسول منكر لذلك الولد فلم يكن لزعمهم تاثير في كون الرسول منكرا لذلك الولد فلم يصلح جعل زعمهم بان الولد موثرا في كون الرسول منكرا للولد وهذا التاويل فاسد لا وجه وقيل العابدين بمعنى الانفين من عبد يعبد اذا اشتد انفه فهو عبد وعابد ويؤيده قراءة السلمي واليماني العبدين دون الف وحكى الخليل قراءة غريبة وهي العبدين بسكون الباء وهي تخفيف قراءة السلمي فاصلها الكسر قال ابن عرفة يقال عبد بالكسر يعبد بالفتح فهو عبد وقل ما يقال عابد والقران لا يجيء على القليل ولا الشاذ يعني فيتخرج من قال ان العابدين بمعنى الانفين لا يصح ثم قال كقول المجاهد وقال الفرزدق • اولئك اباي فجئني بمثلهم • واعبد ان اهجو كليبا بدارم • اي انف وقال الاخر • متى ما يشا ذو الود يصرم خليله • ويعبد عليه لا محالة ظالما • قال ابن الخطيب وهذا التعليق ايضا فاسد لان هذه الانفة حاصلة سواء حصل ذلك الزعم او الاعتقاد او لم يحصل

وقال

وقال ابو عبيدة معناه الجاحدين يقال عبدني حقي اي جحدنيه وقال ابو حاتم العبد بكسر الباء الشديد الغضب وهو بمعنى حسن اي ان كان له ولد على زعمكم فانا اول من يغضب لذلك وقيل ان نافية اي ما كان ثم اخبر بقوله فانا اول العابدين اي الموحدين من اهل مكة ان لا ولد له وتكون الفاء سببية ومنع مكي ان تكون نافية قال لانه يوهم انك انما نفيت عن الله الولد فيما مضى دون ما هو ات وهذا محال ورد عليه بان كان قد تدل على الدوام كقوله وكان الله غفورا رحيما الى ما لا يحصى والصحيح من مذاهب النحاة انها لا تدل على الانقطاع والقائل بذلك يقول ما لم يكن قرينة كالايات المذكورة وروي عن ابن عباس ان المعنى ما كان للرحمن ولد فانا اول العابدين الشاهدين له بذلك جعل ان بمعنى الجحد وقال السدي معناه ولو كان للرحمن ولد فانا اول من عبده بذلك ولكن لا ولد له وتقدم الخلاف في قراءتي ولد وولد في مريم ثم انه تعالى نزه نفسه فقال سبحان رب السموات والارض رب العرش عما يصفون اي عما يقولون من الكذب وذلك انه اله العالم يجب ان يكون واجب الوجود لذاته وكل ما كان كذلك فهو لا يقبل التجزي بوجه من الوجوه والولد عبارة عن ان ينفصل عن الشيء جزء فيتولد عن ذلك الجزء شخص مثله وهذا انما يعقل فيما تكون ذاته قابلة للتجزي والتبعيض واذا كان ذلك محالا في حق اله العالم امتنع اثبات الولد ولما ذكر هذا البرهان القاطع قال فذرهم يخوضوا ويلعبوا اي يخوضوا في باطلهم ويلعبوا في دنياهم حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون يعني يوم القيامة والمقصود منه التهديد يعني قد ذكرت الحجة القاطعة على فساد ما ذكروا فلم يلتفتوا اليها لاجل استغراقهم في طلب المال والجاه والرياسة فاتركهم في ذلك الباطل واللعب حتى يصلوا الى ذلك اليوم الموعود به **قوله تعالى** يلاقوا قراءة العامة من الملاقاة وابن محيصن ويروى عن ابي عمرو يلقوا من لقي **قوله تعالى** وهو الذي في السماء اله في السماء متعلق باله لانه بمعنى معبود اي معبود في السماء ومعبود في الارض وحينئذ فيقال الصلة لا تكون الا جملة او ما في تقديرها وهو الظرف وعديله ولا شيء منهما هاهنا والجواب ان المبتدا حذف لدلالة المعنى عليه وذلك المحذوف هو العائد تقديره وهو الذي هو في السماء اله وهو في الارض اله وانما حذف لطول الصلة بالمعمول فان الجار متعلق باله ومثله ما انا بالذي قائل لك سوءا وقال ابو حيان وحسنه طوله بالعطف عليه كما حسن في قولهم قائل سا طوله بالمعمول قال شهاب الدين حصوله في الاية وفيما حكاه سواء فان الصلة طالت بالمعمول في كليهما والعطف امر زائد على ذلك فهو زيادة في تحسين الحذف ولا يجوز ان يكون الجار خبرا مقدما والله مبتدا موخرا لئلا تعرى الجملة من رابط اذ يصير نظير جاء الذي في الدار زيد فان جعلت الجار صلة وفيه ضمير عائد على الموصول وجعلت اله بدلا منه فقال ابو البقاء جاز على ضعف لان الغرض الكلي اثبات الالهية لا كونه في السموات والارض فكان يفسد ايضا من وجه اخر وهو قوله وفي الارض اله لانه معطوف على ما قبله واذا لم تقدر بما ذكرنا صار منقطعا عنه وكان المعنى ان في الارض الها انتهى وقال ابو علي ويجوز ان يكون الصلة الجار والمجرور والمعنى انه فيهما بالالهية والربوبية اذ يستحيل حمله على الاستقرار وقرا عمر وعلي وعبد الله في جماعة وهو الذي في السماء الله ضمن العلم ايضا معنى المشتق فيتعلق به الجار ومثله هو حاتم في طي اي الجواد فيهم ومثله فرعون العذاب

فصل قال ابن الخطيب وهذه الاية من ادل الدلايل على انه تعالى غير مستقر في السماء لانه تعالى بين في هذه الاية انه نسبته بالالهية الى السماء كنسبته الى الارض فلما كان الها للارض مع انه غير مستقر فيها فكذلك وجب ان يكون الها للسماء مع انه لا يكون مستقرا فيها فان قيل اي تعلق لهذا الكلام بنفي الولد عن الله عز وجل فالجواب تعلقه به انه تعالى خلق عيسى بمحض كن فيكون من غير واسطة النطفة والاب فكانه قيل ان كان هذا القدر لا يوجب كون عيسى ولدا لله عز وجل لان هذا المعنى حاصل في تخليق السموات والارض مع انتفاء حصول الولد بها ثم قال وهو الحكيم العليم الحكيم في تدبير خلقه العليم بمصالحهم وقد تقدم في سورة الانعام ان كونه تعالى حكيما عليما ينافي حصول الولد له **قوله تعالى** وتبارك الذي له ملك السموات والارض وما بينهما فقوله تبارك اما ان يكون مشتقا من وجوب البقاء واما من كثرة الخير وعلى التقديرين فكل واحد من الوجهين ينافي كون عيسى عليه السلام واجب البقاء والدوام لانه حدث بعد ان لم يكن ثم عند النصارى انه قتل ومات ومن كان كذلك لم يكن بينه وبين الباقي الازلي الدائم مجانسة ومشابهة فامتنع كونه ولدا له وان كان المراد بالبركة كثرة الخيرات مثل كونه خالقا للسموات والارض وما بينهما فعيسى لم يكن خالقا لهما مع ان اليهود عندهم اخذوه وقتلوه وصلبوه والذي هذا صفته كيف يكون ولدا لمن كان خالقا للسموات والارض وما بينهما ثم قال وعنده علم الساعة والمقصود منه التنبيه على ان كل من كان كاملا في الذات والعلم والقدرة على الوصف المشروح فانه يمتنع ان يكون ولده في العجز وعدم القدرة عن احوال العالم بالحد الذي وصفته النصارى به **قوله تعالى** واليه يرجعون قرا الاخوان وابن كثير بالياء من تحت والباقون بالتاء من فوق وهو في كليهما مبني للمفعول وقرئ بالخطاب مبنيا للفاعل **قوله تعالى** ولا يملك الذين يدعون قرا العامة يدعون بياء الغيبة والضمير للموصول والسلمي وابن وثاب بتاء الخطاب والاسود بن يزيد بتشديد الدال ونقل عنه القراءة مع ذلك بالياء والتاء **قوله تعالى** الا من شهد بالحق

فيه قولان احدهما انه متصل والمعنى الا من شهد بالحق كعزير والملائكة فانهم يملكون الشفاعة بتمليك الله اياهم
لها وقيل هو منقطع بمعنى ان هولاء لا يشفعون الا فيمن شهد بالحق اي لكن من شهد بالحق يشفع فيه هولاء كذا قدره وهذا
التقدير يجوز فيه ان يكون الاستثناء متصلا على حذف المفعول تقديره ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة
في احد الا فيمن شهد **فصل** ذكر المفسرون قولين في الاية احدهما ان الذين يدعون من دونه الملائكة
وعيسى وعزير لا يشفعون الا لمن شهد بالحق الثاني روي ان النضر بن الحرث ونفرا معه قالوا ان كان ما يقوله محمد
حقا فنحن نتولى الملائكة فهم احق بالشفاعة من محمد فانزل الله تعالى هذه الاية والمعنى لا يقدر هولاء ان يشفعوا لاحد
ثم استثنى فقال الا من شهد بالحق اي الملائكة وعيسى وعزير فانهم يشفعون فعلى الاول تكون من في محل جر وعلى الثاني تكون
من في محل رفع والمراد بشهادة الحق قول لا اله الا الله كلمة التوحيد وهم يعلمون بقلوبهم ما شهدوا به بالسنتهم **قوله تعالى**
ولئن سالتهم من خلقهم ليقولن الله الاية ظن قوم ان هذه الاية وامثالها في القرآن تدل على ان القوم مضطرون
الى الاعتراف بوجود الاله قال الجبائي وهذا لا يصح لان قوم فرعون قالوا لا اله لهم غيره وقوم ابرهيم قالوا انا
لفي شك مما تدعونا اليه واجيب بانا لا نسلم ان قوم فرعون كانوا منكرين لوجود الاله بدليل قوله تعالى وجحدوا بها
واستيقنتها انفسهم ظلما وعلوا وقال موسى عليه السلام لفرعون لقد علمت ما انزل هولاء الا رب السموات والارض
بصائر على قراءة من فتح التاء من علمت وهذا يدل على ان فرعون كان عارفا بالله واما قول قوم ابرهيم وانا لفي شك مما تدعونا
اليه فهو مصروف الى اثبات القيمة واثبات التكليف واثبات النبوة **قوله تعالى** فانى يوفكون اي لم تكذبون على الله
فتقولون ان الله امرنا بعبادة الاصنام **قوله تعالى** وقيله قرا حمزة وعاصم بالجر والباقون بالنصب فاما الجر فعلى
وجهين احدهما انه عطف على الساعة اي عنده علم قيله اي قول محمد وعيسى والقول والقال والقيل بمعنى واحد جاءت
المصادر على هذه الاوزان والثاني ان الواو للقسم والجواب اما محذوف تقديره لننصرن او لافعلن بهم ما اريد
واما مذكور وهو قوله ان هولاء قوم لا يومنون ذكره الزمخشري واما قراءة النصب ففيها ثمانية اوجه احدها
انه منصوب على محل الساعة كانه قيل انه يعلم الساعة ويعلم قيله كذا الثاني انه معطوف على سرهم ونجواهم اي لا نعلم
سرهم ونجواهم ولا نعلم قيله الثالث معطوف على مفعول يكتبون المحذوف اي يكتبون ذلك ويكتبون قيله كذا ايضا
الرابع انه معطوف على مفعول يعلمون المحذوف اي يعلمون ذلك ويعلمون قيله الخامس انه مصدر اي قال قيله السادس
ان ينتصب باضمار فعل اي الله يعلم قيل رسوله وهو محمد صلى الله عليه وسلم السابع ان ينتصب على محل بالحق اي شهد
بالحق وبقيله الثامن ان ينتصب على حذف حرف القسم كقوله • فذاك امانة الله الثريد • وقرا الاعرج وابو قلابة
ومجاهد والحسن بالرفع وفيه اوجه الرفع عطفا على علم الساعة بتقدير مضاف اي وعنده علم قيله ثم حذف
واقيم هذا مقامه الثاني انه مرفوع بالابتداء والجملة من قوله يا رب الى اخره هو الخبر الثالث انه مبتدا وخبره محذوف تقديره
وقيله كيت وكيت مسموع او متقبل الرابع انه مبتدا واصله القسم كقولهم ايمن الله ولعمر الله فيكون خبره محذوفا
والجواب كما تقدم ذكره الزمخشري ايضا واختار القراءة بالنصب جماعة قال النحاس القراءة البينة بالنصب من
جهتين احديهما ان التفرقة بين المنصوب وما عطف عليه مغتفرة بخلافها بين المخفوض وما عطف عليه والثانية
تفسير اهل التاويل بمعنى النصب كانه يريد ما قال ابو عبيدة قال انما هي في التفسير ام يحسبون انا لا نسمع سرهم
ونجواهم ولا نسمع قيله يا رب ولم يرتض الزمخشري من الاوجه المتقدمة شيئا وانما اختار ان يكون قسما في القراآت
الثلاث وتقدم تحقيقها وقرا ابو قلابة يا رب بفتح الباء على قلب الياء الفا ثم حذفها مجتزيا عنها بالفتحة
كقوله • بلهف ولا بليت • والاخفش يطردها قال ابن الخطيب نقلا عن الزمخشري والقول الذي ذكره الزمخشري
متكلف ايضا وههنا اضمار امتلا القرآن منه وهو اضمار اذكر والتقدير في قراءة النصب واذكر قيله يا رب وفي
قراءة الجر واذكر وقت قيله يا رب واذا وجب التزام اضمار ما جرت العادة في القرآن بالتزام اضماره فالتزام اضماره
اولى من غيره وعن ابن عباس انه قال في تفسير قوله وقيله يا رب المراد وقيل يا رب والهاء زائدة **فصل**
القيل مصدر كالقول ومنه الحديث انه نهى عن قيل وقال وحكى الليث عن العرب تقول كثر فيه القيل والقال وروي
عن ابن زيد يقال لها احسن قيلك وقولك ومقالتك ومقالك والضمير في وقيله لرسول الله صلى الله عليه وسلم
والمعنى يعلم قول محمد صلى الله عليه وسلم شاكيا الى ربه يا رب ان هولاء قوم لا يومنون لما عرف اصرارهم وهذا
قريب مما حكى الله عن نوح عليه السلام انه قال يا رب انهم عصوني واتبعوا من لم يزده ماله وولده الا خسارا ثم قال
فاصفح عنهم وقل سلام قال سيبويه معناه المتاركة كقوله تعالى سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين ثم قال فسوف تعلمون
والمراد به التهديد **قوله تعالى** فسوف تعلمون قرا نافع وابن عامر بتاء الخطاب التفاتا والباقون بياء الغيبة نظرا لما تقدم

فصل قال ابن عباس في قوله فاصفح عنهم وقل سلام منسوخ بالسيف قال ابن الخطيب وعندي التزام النسخ
في مثل هذه المواضع مشكل لان الامر لا يفيد الفعل الا مرة واحدة فسقطت دلالة اللفظ فاي حاجة الى التزام النسخ وايضا
فاللفظ المطلق قد يتقيد بحسب العرف واذا كان كذلك فلا حاجة فيه الى التزام النسخ والله اعلم روى ابو امامة عن ابي
بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الزخرف كان ممن يقال له يوم القيمة يا عبادي لا خوف عليكم
اليوم ولا انتم تحزنون ادخلوا الجنة بغير حساب

سورة الدخان مكية

وهي تسع وخمسون آية وثلثمائة وست واربعون كلمة والف واربعمائة واحد وثلاثون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم
قوله تعالى حم والكتاب المبين فيه احتمالان الاول ان يكون التقدير هذه حم والكتاب المبين كقولك هذا زيد والله
الثاني ان يكون التقدير وحم والكتاب المبين انا انزلناه فيكون في ذلك تقدير قسمين على شيء واحد **قوله تعالى**
انا انزلناه يجوز ان يكون جواب القسم وان يكون اعتراضا والجواب قوله انا كنا منذرين واختاره ابن عطية وقيل انا
كنا منذرين جواب ثان من غير عاطف **قوله تعالى** فيها يفرق يجوز ان يكون مستانفة وان تكون صفة لليلة وما
بينهما اعتراض قال الزمخشري فان قلت انا كنا منذرين فيها يفرق ما موقع هاتين الجملتين قلت هما جملتان مستانفتان
ملفوفتان فسر بهما جواب القسم الذي هو انا انزلناه كانه قيل انزلناه لان من شاننا الانذار والتحذير وكان انزالنا
اياه في هذه الليلة خصوصا لان انزال القرآن من الامور الحكيمة وهذه الليلة يفرق فيها كل امر حكيم وقرا الحسن والاعرج
والاعمش يفرق بفتح الياء وضم الراء كل بالنصب اي يفرق الله كل امر وزيد بن علي نفرق بنون العظمة كل بالنصب كذا
نقله الزمخشري ونقل عنه الاهوازي يفرق بفتح الياء وكسر الراء كل بالنصب حكيم بالرفع على انه فاعل يفرق وعن
الحسن والاعمش ايضا يفرق كالعامة الا انه بالتشديد **فصل** استدلوا بهذه الاية على حدوث القرآن
من وجوه الاول ان قوله حم تقديره هذه حم يعني هذا شيء مولف من هذه الحروف والمولف من الحروف المتعاقبة
محدث الثاني انه ثبت ان الحلف لا يصح بهذه الاشياء بل باله هذه الاشياء فيكون التقدير ورب حم ورب الكتاب
المبين وكل ما كان مربوبا فهو محدث الثالث انه وصفه بكونه كتابا والكتاب مشتق من الكتب وهو الجمع فمعناه
انه مجموع والمجموع محل تصرف الغير وما كان كذلك فهو محدث الرابع قوله انا انزلناه والمنزل محل تصرف الغير وما
كان كذلك فهو محدث قال ابن الخطيب وقد ذكرنا ان جميع هذه الدلائل تدل على ان الشيء المركب من الحروف المتعاقبة
والاصوات المتوالية محدث والعلم بذلك ضروري بديهي لا نزاع فيه انما القديم شيء اخر سوى ما تركب من الحروف
والاصوات **فصل** يجوز ان يكون المراد بالكتاب ههنا الكتب المتقدمة المنزلة على الانبياء كما قال لقد ارسلنا
رسلنا بالبينات وانزلنا معهم الكتاب والميزان ويجوز ان يكون المراد به اللوح المحفوظ قال تعالى يمحو الله ما
يشاء ويثبت وعنده ام الكتاب وقال وانه في ام الكتاب لدينا لعلي حكيم ويجوز ان يكون المراد به القرآن وبهذا التقدير
فقد اقسم بالقرآن على انه انزل القرآن في ليلة مباركة وهذا النوع من الكلام يدل على غاية تعظيم القرآن فقد يقول الرجل
اذا اراد تعظيم الرجل له اليه حاجة استشفع بك اليك واقسم بحقك عليك وجاء في الحديث اعوذ برضاك من سخطك وبعفوك من
عقوبتك وبك منك لا احصي ثناء عليك **قوله تعالى** المبين هو المشتمل على بيان ما بالناس حاجة اليه في دينهم ودنياهم
فوصفه بكونه مبينا واذا كانت حقيقة الابانة لله تعالى لان الابانة حصلت به كقوله تعالى ان هذا القرآن يقص على
بني اسرائيل وقوله نحن نقص عليك احسن القصص وقوله ام انزلنا عليهم سلطانا فهو يتكلم بما كانوا به يشركون
فوصفه بالتكلم اذ كان غاية في الابانة فكانه ذو لسان ينطق مبالغة في وصفه **فصل** قال قتادة وابن
زيد واكثر المفسرين المراد بقوله انا انزلناه في ليلة مباركة هي ليلة القدر وقال عكرمة وطائفة انها ليلة البراءة وهي
ليلة النصف من شعبان واحتج الاولون بوجوه الاول قوله تعالى انا انزلناه في ليلة القدر وقوله ههنا انا انزلناه في
ليلة مباركة يجب ان تكون هي تلك الليلة المسماة بليلة القدر لئلا يلزم التناقض الثاني قوله تعالى شهر رمضان الذي
انزل فيه القرآن وقوله ههنا انا انزلناه في ليلة مباركة فيجب ان تكون هذه الليلة المباركة في رمضان فثبت انها
ليلة القدر الثالث قوله تعالى في صفة ليلة القدر تنزل الملائكة والروح فيها باذن ربهم من كل امر وقال ههنا فيها
يفرق كل امر حكيم وقال ههنا رحمة من ربك وقال في ليلة القدر سلام هي واذا تقاربت الاوصاف وجب القول

بان احدى الليلتين هي الاخرى الرابع نقل محمد بن جرير الطبري في تفسيره عن قتادة انه قال نزلت صحف ابرهيم
في اول ليلة من رمضان والتوراة لست ليال منه والزبور لثنتي عشرة ليلة مضت منه والانجيل لثماني عشرة ليلة
مضت منه والقران لاربع وعشرين مضت من رمضان والليلة المباركة هي ليلة القدر الخامس ان ليلة القدر انما سميت
بهذا الاسم لان قدرها وشرفها عند الله عظيم ومعلوم انه ليس قدرها وشرفها لسبب نفس الزمان لان الزمان شي واحد
في الذات والصفات فيمتنع كون بعضه اشرف من بعض لذاته فثبت ان شرفه وقدره بسبب انه حصل فيه امور شريفة لها
قدر عظيم ومن المعلوم ان منصب الدين اعظم من مناصب الدنيا واعظم الاشياء واشرفها منصبا في الدين هو القران لانه
ثبت به نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وبه ظهر الفرق بين الحق والباطل كما قال تعالى في صفته ومهيمنا عليه وبه ظهرت
درجات ارباب السعادات ودركات ارباب الشقاوات فعلى هذا الاشي لاول القران اعظم قدرا واعلا ذكرا واعظم
منصبا وحيث اطبقوا على ان ليلة القدر هي لو وقعت في رمضان علمنا ان القران انما انزل في تلك الليلة واحتج
الاخرون على انها ليلة النصف من شعبان بان لها اربعة اسماء الليلة المباركة وليلة البراة وليلة الصك وليلة الرحمة
ولانها مختصة بخمس خصال الاولى قال تعالى فيها يفرق كل امر حكيم والثانية فضيلة العبادة فيها قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم من صلى في هذه الليلة ارسل الله تعالى اليه مائة ملك ثلاثون يبشرونه بالجنة وثلاثون يؤمنونه
من عذاب النار وثلاثون يدفعون عنه افات الدنيا وعشرة يدفعون عنه مكايد الشيطان الثالثة نزول
الرحمة قال عليه السلام ان الله يرحم امتي في هذه الليلة بعدد شعر اغنام بني كلب الرابعة حصول المغفرة قال عليه
السلام ان الله يغفر لجميع المسلمين في تلك الليلة الا الكاهن والساحر ومدمن الخمر وعاق والديه والمصر على الزنا
الخامسة ان الله تعالى اعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذه الليلة تمام الشفاعة وذلك انه سال في الليلة الثالث
عشر الشفاعة في امته فاعطي الثلث منها ثم سال الليلة الرابعة عشر الشفاعة في امته فاعطي الثلثين ثم سال الليلة الخامس عشر
فاعطي جميع الشفاعة الا من شرد عن الله شراد البعير نقله الزمخشري **فصل** روي ان عطية الحروري سال
ابن عباس عن قوله انا انزلناه في ليلة مباركة وقوله انا انزلناه في ليلة القدر كيف يصح ذلك مع ان الله انزل القران
في جميع الشهور فقال ابن عباس يا ابن الاسود لو هلكت انا ووقع في نفسك هذا ولم تجد جوابه لهلكت نزل القران جملة
واحدة من اللوح المحفوظ الى البيت المعمور في السماء الدنيا ثم نزل بعد ذلك في انواع الوقائع حالا فحالا قال قتادة وابن زيد
انزل الله القران في ليلة القدر من ام الكتاب الى السماء الدنيا ثم نزل به جبريل على النبي صلى الله عليه وسلم نجوما في عشرين سنة
قوله تعالى انا كنا منذرين يعني ان الحكمة في انزال القران ان انذار الخلق لا يتم الا به **قوله تعالى** فيها اي في الليلة المباركة
يفرق يفصل كل امر حكيم محكم ومعناه ذو الحكمة وذلك لان تخصيص الله كل واحد بحالة معينة من الاجل والرزق والسعادة
والشقاوة يدل على حكمة بالغة لله عز وجل فلما دلت تلك الاقضية على حكمة فاعلها وصفت بكونها حكمة وهذا اسناد
مجازي لان الحكيم صفة صاحب الامر حقيقة ووصف الامر به مجاز قال ابن عباس يكتب في ام الكتاب في ليلة القدر ما هو
كائن في السنة من الخير والشر والارزاق والاجال حتى الحجاج يقال يحج فلان ويحج فلان وقال الحسن ومجاهد وقتادة
يبرم في ليلة القدر في شهر رمضان كل اجل وعمل وخلق ورزق وما يكون في تلك السنة وقال عكرمة هي ليلة النصف
من شعبان يبرم فيها امر السنة وينسخ الاحياء من الاموات فلا يزاد فيهم ولا ينقص منهم احد قال عليه السلام تقطع الا
جال من شعبان الى شعبان حتى ان الرجل لينكح ويولد له ولقد اخرج اسمه في الموتى وعن ابن عباس ان الله تعالى يقضي الاقضية
في ليلة النصف من شعبان ويسلمها الى اربابها في ليلة القدر وروي ان الله تعالى انزل كل القران من اللوح المحفوظ
في ليلة البراة ووقع الفراغ في ليلة القدر فدفع نسخة الارزاق الى ميكائيل ونسخة الحروب الى جبريل وكذلك الزلازل
والصواعق والخسف ونسخة الاعمال الى اسرافيل وهو صاحب سماء الدنيا وهو ملك عظيم ونسخة المصائب الى ملك
الموت **قوله تعالى** امرا فيه اثنا عشر وجها احدها ان ينتصب حالا من فاعل انزلناه الثاني انه حال من مفعوله اي
انزلناه امرين او مامورا به الثالث ان يكون مفعولا له وناصبه انا انزلناه واما منذرين واما يفرق الرابع
انه مصدر من معنى يفرق اي فرقا الخامس انه مصدر لامرنا محذوفا السادس ان يكون يفرق بمعنى يامر والفرق بين
هذا وما تقدم انك رددت في هذا العامل الى المصدر وفيما تقدم بالعكس السابع انه حال من كل حكى ابو علي الفارسي
عن الحسن انه حمل قوله امرا على الحال وذو الحال كل امر حكيم الثامن انه حال من امر وجاز ذلك لانه وصف الا ان فيه
شيان مجي الحال من المضاف اليه في غير المواضع المذكورة والثاني انها مؤكدة التاسع انه مصدر لانزل اي انا انزلناه
انزالا قاله الاخفش العاشر انه مصدر لكن بتاويل العامل فيه الى معناه اي امرنا امرا بسبب الانزال كما قالوا ذلك
في وجهي فيها يفرق فرقا او ينزل انزالا الحادي عشر انه منصوب على الاختصاص قال الزمخشري ولا يعني بذلك

الاختصاص قال الزمخشري ولا يعني بذلك الاختصاص الاصطلاحي فانه لا يكون نكرة الثاني عشر ان يكون حالا
من الضمير في حكيم الثالث عشر ان ينتصب مفعولا به بمنذرين كقوله لينذر باسا شديدا ويكون المفعول الاول محذوفا اي
منذرين الناس امرا والحاصل ان انتصابه يرجع الى اربعة اشيا المفعول به والمفعول له والمصدرية والحالية وانما التكثير
بحسب المحال وقرا زيد بن علي امر بالرفع قال الزمخشري وهي تقوي النصب على الاختصاص **قوله تعالى** من عندنا يجوز
ان يتعلق بيفرق اي من جهتنا وهي لابتداء الغاية مجازا ويجوز ان يكون صفة لامرا **قوله تعالى** انا كنا مرسلين جواب ثالث
او مستانفا وبدل من قوله انا كنا منذرين قال ابن الخطيب اي انا فعلنا ذلك الانذار لاجل انا كنا مرسلين يعني الانبيا
قوله تعالى رحمة فيه خمسة اوجه المفعول له والعامل فيه اما انزلناه واما امرا واما يفرق واما منذرين الثاني مصدر
بفعل مقدر اي رحمنا رحمة الثالث مفعول بمرسلين الرابع حال من ضمير مرسلين اي ذوي رحمة الخامس انها بدل من
امرا فيجي فيها ما تقدم فيه وتكون الاوجه فيها حينئذ ومن ربك يتعلق برحمة او بمحذوف على انها صفة وفي من
ربك التفات من التكلم الى الغيبة ولو جرى على منوال ما تقدم لقال رحمة منا **فصل** قال ابن عباس معنى
رحمة من ربك اي رافة مني بخلقي ونعمة عليهم بما بعثنا اليهم من الرسل وقال الزجاج انزلناه في ليلة مباركة انه هو
السميع العليم اي ان تلك الرحمة كانت رحمة في الحقيقة لان المحتاجين اما ان يذكروا حاجاتهم بالسنتهم او لم يذكروها
فان ذكروها فهو سميع وان لم يذكروها فهو تعالى عالم بها **قوله تعالى** رب السموات والارض قرا الكوفيون بخفض رب
والباقون برفعه فالجر على البدل او البيان او النعت والرفع على اضمار مبتدا او على مبتدا خبره لا اله الا هو **فصل**
المقصود من هذه الاية ان المنزل اذا كان موصوفا بهذه الجلالة والكبرياء كان المنزل الذي هو القران في غاية الشرف
والرفعة ثم قال ان كنتم موقنين قال ابو مسلم معناه ان كنتم تطلبون اليقين وتريدونه فاعرفوا ان الامر كما قلنا كقولهم فلان
منجد متهم اي يريد نجدا وتهامة وقال الزمخشري كانوا يقرون بان رب السموات والارض ربا خالقا فقيل لهم
ان ارسال الرسل وانزال الكتب رحمة من الرب ثم قال ان هذا الرب هو السميع العليم الذي انتم مقرون به ومعترفون
بانه رب السموات والارض وما بينهما ان كان اقراركم عن علم ويقين كما تقول هذا انعام زيد الذي تسامع الناس بكرمه
اي بلغك حديثه وسمعت بصيته والمعنى ان كنتم موقنين بقوله بل هم في شك يلعبون وان اقرارهم غير صادر عن علم
ويقين ولا عن جد وحقيقة بل قول مخلوط بهزو ولعب **قوله تعالى** ربكم ورب ابائكم العامة على الرفع بدلا او بيانا
او نعتا لرب السموات فيمن رفعه او على انه مبتدا والخبر لا اله الا هو او خبر بعد خبر كقوله انه هو السميع العليم او خبر مبتدا
مضمر عند الجميع اعني قرا الجر والرفع او فاعل لقوله يميت وفي يحيي ضمير يرجع الى ما قبله اي يحيي هو اي رب السموات ويميت
هو فاوقع الظاهر موقع المضمر ويجوز ان يكون يحيي ويميت من التنازع ويجوز ان ينسب الرفع الى الاول والثاني نحو يقوم
ويقعد زيد وهذا هو ابو البقا بقوله او على شريطة التفسير وقرا ابن محيصن وابن ابي اسحق وابو حيوة والحسن بالجر
على البدل او البيان او النعت لرب السموات وهذا يوجب ان يكونوا يقرون رب السموات بالجر والانطاكي بالنصب على
المدح **قوله تعالى** فارتقب يوم تاتي السماء الاية يوم منصوب بارتقب على الظرف ومفعول الارتقاب محذوف اي ارتقب
ما بعده عليه وهو قوله هذا عذاب اليم اي ارتقب وعد الله في ذلك اليوم ويجوز ان يكون يوم هو المفعول المرتقب
فصل اختلفوا في هذا الدخان فروى ابو الضحاك عن مسروق قال بينما رجل يحدث في كندة فقال يجي
دخان يوم القيمة فياخذ باسماع المنافقين وابصارهم وياخذ المومن كهيئة الزكام ففزعنا فاتينا ابن مسعود
وكان متكيا فغضب فجلس فقال من علم فليقل ومن لم يعلم فليقل الله اعلم فان من العلم ان يقول لما لا يعلم لا اعلم
فان الله تعالى قال لنبيه قل لا اسئلكم عليه اجرا وما انا من المتكلفين وان قريشا ابطوا عن الاسلام فدعا عليهم
النبي صلى الله عليه وسلم فقال اللهم اعني عليهم بسبع كسبع يوسف فاخذتهم سنة حتى هلكوا فيها فاكلوا الميتة
والعظام ويرى الرجل ما بين السماء والارض كهيئة الدخان فجاءه ابو سفيان فقال يا محمد جئت تامر بصلة الرحم
وان قومك قد هلكوا فادع الله فقرا فارتقب يوم تاتي السماء بدخان مبين الى قوله عائدون وهذا قول ابن عباس
ومقاتل ومجاهد واختيار الفرا والزجاج وهو قول ابن مسعود وكان ينكر ان يكون الدخان الا هذا الذي اصابهم
من شدة الجوع كالظلمة في ابصارهم حتى كانوا كانهم يرون دخانا وذكر ابن قتيبة في تفسير الدخان في هذه الحالة وجهين
الاول ان في سنة القحط لعظم يبس الارض بسبب انقطاع المطر يرتفع الغبار الكثير ويظلم الهوا وذلك يشبه الدخان
ويقولون كان بيننا امر ارتفع له دخان ولهذا يقال للسنة المجدبة الغبرا الثاني ان العرب يسمون الشي الغالب بالشي
الغالب بالدخان والسبب فيه ان الانسان اذا اشتد خوفه او ضعفه اظلمت عيناه ويرى الدنيا كالمملوة من الدخان
وقيل انه دخان يظهر في العالم وهو احدى علامات القيمة وهذا منقول عن علي بن ابي طالب وعن ابن عباس في المشهور

عنه لما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اول الايات الدخان ونزول عيسى ابن مريم ونار تخرج من قعر
عدن تسوق الناس الى المحشر قال حذيفة يا رسول الله وما الدخان فتلا رسول الله صلى الله عليه وسلم الاية وقال يملا
ما بين المشرق والمغرب يمكث اربعين يوما وليلة اما المومن فتصيبه كالزكمة واما الكافر فهو كالسكران يخرج من
منخريه واذنيه ودبره ويكون الارض كلها كبيت اوقد فيه النار قال عليه السلام بادروا بالاعمال ستا وذكر منها
طلوع الشمس من مغربها والدخان والدابة رواه الحسن واحتج الاولون بانه تعالى حكى عنهم انهم يقولون ربنا اكشف عنا
العذاب انا مومنون فاذا حملناه على القحط الذي وقع بمكة استقام فانه نقل ان الامر لما اشتد على اهل مكة مشى اليه
ابو سفين فناشده الله والرحم وواعده ان دعا لهم وازال الله عنهم تلك البلية ان يومنوا به فلما ازاله الله عنهم
رجعوا الى شركهم اما اذا حملناه على ان المراد منه ظهور تلك البلية ان يومنوا به فلما ازال الله عنهم رجعوا الى شركهم
واما اذا حملناه على ان المراد منه ظهور علامة من علامات القيمة لم يصح ذلك لان عند ظهور علامات القيمة لا يمكنهم
ان يقولوا ربنا اكشف عنا العذاب انا مومنون ولم يصح ايضا ان يقال لهم انا كاشفوا العذاب قليلا انكم
عايدون **فصل** ظاهر الحال انه دخان يغشى الناس اي يشملهم في محل جر صفة ثانية اي بدخان مبين غاش
وقوله هذا عذاب اليم في محل نصب بالقول وذلك القول حال اي قايلين ذلك ويجوز ان لا يكون معمولا لقول البتة
بل هو مجرد اخبار قال الجرجاني صاحب النظم هذا اشارة اليه واخبار عن دنوه واقترابه كما يقال هذا العدو فاستقبله
والغرض منه التنبيه على القرب **قوله تعالى** ربنا اكشف عنا العذاب ان اضمرنا القول هناك فالتقدير يقولون هذا عذاب
اليم ربنا اكشف عنا العذاب وان لم نضمر القول هناك اضمرناه ههنا والعذاب على القول الثاني الدخان المهلك انا مومنون
اي بمحمد وبالقران والمراد منه الوعد بالايمان ان كشف عنهم العذاب **قوله تعالى** انى لهم الذكرى يجوز ان يكون انى
خبر الذكرى ولهم تبيين ويجوز ان يكون انى منصوبا على الظرف بالاستقرار في لهم فان لهم وقع خبرا للذكرى
قوله تعالى وقد جاءهم حال من لهم والمعنى كيف يتعظون اي من اين لهم التذكر والاتعاظ وقد جاءهم ما هو اعظم
وادخل في وجوب الطاعة وهو رسول مبين ظاهر الصدق يعني محمدا صلى الله عليه وسلم وما ظهر عليه من المعجزات
ثم تولوا عنه اعرضوا عنه ولم يلتفتوا اليه وقالوا معلم مجنون وذلك ان كفار مكة منهم من كان يقول ان محمدا يتعلم
هذه الكلمات من بعض الناس لقولهم انما يعلمه بشر وقوله واعانه عليه قوم اخرون ومنهم من كان يقول انه مجنون والجن
يلقون عليه هذه الكلمات حال ما يعرض له الغشي وقرا زيد بن علي معلم بكسر اللام **قوله تعالى** انا كاشفوا العذاب قليلا
اي عذاب الجوع قليلا نعت لزمان او لمصدر محذوف اي كشفا قليلا او زمانا قليلا والمعنى بين انكم عايدون اي كما
كشف العذاب عنكم تعودون في الحال الى ما كنتم عليه من الشرك **قوله تعالى** يوم نبطش قيل هو بدل من يوم تاتي وقيل
منصوب باضمار اذكر وقيل بمنتقمون وقيل بما دل عليه منتقمون وهو ينتقم ورد هذا بان ما بعد ان لا يعمل فيما
قبلها وبانه لا يفسر الا ما يصح ان يعمل وقرا العامة بفتح نون نبطش وكسر الطاء اي نبطش بهم وقرا الحسن وابو جعفر بضم
الطاء وهي لغة في مضارع بطش والحسن ايضا وابو رجا وطلحة بضم النون وكسر الطاء وهو منقول من بطش اي نبطش
بهم الملايكة والبطشة على هذا لا يجوز ان تكون منصوبة بنبطش على حذف الزايد نحو انبتكم من الارض نباتا وان ينتصب
بفعل مقدر اي تبطش الملايكة بهم فيبطشون البطشة والبطش الاخذ بالشدة واكثر ما يكون بوقع الضرب المتتابع ثم
صار بحيث يستعمل في اتصال الالام المتتابعة **فصل** في المراد بهذا اليوم قولان الاول انه يوم بدر وهو قول
ابن مسعود وابن عباس ومجاهد ومقاتل وابو العالية ان كفار مكة لما ازال الله تعالى عنهم القحط والجوع عادوا الى
التكذيب فانتقم الله منهم يوم بدر الثاني انه يوم القيمة روي عكرمة عن ابن عباس انه قال قال ابن مسعود البطشة الكبرى
يوم القيمة قال ابن الخطيب وهذا القول اصح لان يوم بدر لا يبلغ هذا المبلغ الذي يوصف بهذا الوصف العظيم ولان الانتقام
التام انما يحصل يوم القيمة لقوله تعالى اليوم تجزى كل نفس بما كسبت **قوله تعالى** ولقد فتنا قبلهم قوم فرعون الاية
لما بين ان كفار مكة يصرون على كفرهم بين ان كثيرا من المتقدمين ايضا كانوا كذلك وبين حصول هذه الصفة في اكثر
قوم فرعون **قوله تعالى** ولقد فتنا قرئ فتنا بالتشديد على المبالغة او التكثير لكثرة متعلقه وجاءهم رسول يحتمل الاستيناف
والحال **فصل** قال ابن عباس ابتلينا وقال الزجاج بلونا والمعنى عاملناهم معاملة المختبر ببعث الرسل اليهم
وجاءهم رسول كريم اي موسى بن عمران قال الكلبي كريم على ربه بمعنى انه استحق على ربه انواعا كثيرة من الاكرام وقال
مقاتل حسن الخلق وقال الفرا يقال فلان كريم قومه قيل ما بعث رسول الا من اشراف قومه واكرمهم **قوله تعالى** ان ادوا
الي عباد الله يجوز ان تكون المفسرة لتقدم ما هو بمعنى القول وان تكون المخففة ومعناه وجاءهم بان الشان والحديث
ادوا الي عباد الله وان تكون الناصبة للمضارع وهي توصل بالامر وفي جعلها المخففة اشكال لتقدم وهو ان الخبر في هذا الباب

لا يقع طلبا وعلى جعلها مصدرية يكون على حذف حرف الجر اي جاءهم بان ادوا وعباد الله يحتمل ان يكون مفعولا به
وذلك انه طلب منهم ان يودوا اليه بني اسرايل بدليل قوله فارسل معي بني اسرايل وان يكون منادى والمفعول محذوف
اي اعطوني الطاعة يا عباد الله وعلل بانه رسول امين قد ايتمنه الله على وحيه ورسالته **قوله تعالى** وان لا تعلوا
عطف على ان الاولى والمعنى لا تتكبروا على الله باهانة وحيه ورسوله فاني اتيكم بسلطان مبين بحجة بينة يعترف
بصحتها كل عاقل والعامة على كسر الهمزة من قوله اني اتيكم على الاستيناف وقري بالفتح على تقدير اللام اي وان لا تعلوا
لاني اتيكم **قوله تعالى** واني عذت بربي وربكم ان ترجمون اي من ان ترجمون وقوله اني عذت مستانف وادغم الذال في التا
ابو عمرو والاخوان وقد مضى توجيهه في طه عند قوله فنبذتها **فصل** قيل انه لما قال وان لا تعلوا على الله
الاية توعدوه بالقتل فقال واني عذت بربي وربكم ان ترجمون ان تقتلوني وقال ابن عباس ان ترجموني بالقول وهو
الشتم ويقولوا هو ساحر وقال قتادة ترجموني بالحجارة وان لم تومنوا لي اي تصدقوني ولم تومنوا بالله لاجل ما اتيتكم
به من الحجة فاللام في لي لام الاجل فاعتزلون اي اتركوني لا معي ولا علي وقال ابن عباس فاعتزلوا اذاي باليد واللسان
قوله تعالى فدعا ربه ان الفا في فدعا تدل على انه متصل بمحذوف قبله وتاويله انهم كفروا ولم يومنوا فدعا موسى ربه
بان هولاء قوم مجرمون **فان قيل** الكفر اعظم حالا من الجرم فما السبب في ان جعل الكفار مجرمين حال ما اراد المبالغة
في ذمهم **فالجواب** ان الكافر قد يكون عدلا في دينه وقد يكون فاسقا في دينه والفاسق في دينه اخس الناس **قوله تعالى**
ان هولاء العامة على الفتح باضمار حرف الجر اي دعاه بان هولاء وابن ابي اسحق وعيسى والحسن بالكسر على اضمار
القول عند البصريين وعلى اجراء دعا مجرى القول عند الكوفيين **قوله تعالى** فاسر بعبادي قد تقدم قراتا الوصل
والقطع وقال الزمخشري وفيه وجهان اضمار القول بعد الفا اي فقال اسر بعبادي وجواب شرط مقدر كانه
قال ان كان الامر كما تقول فاسر بعبادي قال ابو حيان وكثيرا ما يدعي حذف الشرط ولا يجوز الا لدليل واضح كان يتقدمه
الامر وما اشبهه **فصل** يقال سرى واسرى لغتان لما قال موسى ان هولاء قوم مجرمون اجاب الله دعاه
وامره ان يسري فقال فاسر بعبادي اي بني اسرايل ليلا انكم متبعون يتبعكم فرعون وقومه وذلك سبب هلاكهم
قوله تعالى واترك البحر رهوا يجوز ان يكون رهوا مفعولا ثانيا على ان ترك بمعنى صير وان يكون حالا على انها
ليست بمعناها والرهو قيل السكون فالمعنى اتركه ساكنا يقال رها يرهو رهوا ومنه جاءت الخيل رهوا قال النابغة
والخيل تمزع رهوا في اعنتها • كالطير تنجو من الشوبوب ذي البرد • ورها يرهو في سيره اي رفق قال القطامي قوله
يمشين رهوا فلا الاعجاز خاذلة • ولا الصدور على الاعجاز تتكل • وعن ابي عبيدة رهوا اي تركه منفتحا فرجا على ما
تركه روي انه لما انفلق البحر لموسى وطلع منه خاف ان يتبعه فرعون فاراد ان يضربه ليعود حتى لا يلحقوه فامر ان
يتركه فرجا واصله من قولهم رها الرجل يرهو رهوا فتح ما بين رجليه قال مقاتل اترك البحر رهوا اي راهيا يعني ساكنا
واصل الرهو السكون فسمي بالمصدر اي ذا رهو وقال كعب اتركه طريقا يابسا والرهو والرهوة المكان المرتفع او المنخفض
يجتمع فيه الما فهو من الاضداد والرهوة المراة الواسعة الهن والرهو طاير يقال له الكركي وقد تقدم الكلام في القراءة
على نظير كم تركوا من جنات **قوله تعالى** ومقام العامة على فتح الميم وهو اسم مكان القيام وابن هرمز وقتادة وابن
السميقع ونافع في رواية خارجة بضمها اسم مكان الاقامة والنعمة بالفتح نضارة العيش ولذاذته قال الجوهري
النعمة بالفتح من التنعيم والنعمة بالكسر الانعام وقيل النعمة بالفتح هي المال والزينة بهذه الاية ومثله وذرني
والمكذبين اولي النعمة وقوله ولين اذقناه نعماء بعد ضراء مسته اي ما لا يعد فقر والجمهور على جرها ونصبها
ابو رجا عطفا على كم اي تركوا كثيرا من كذا وتركوا نعمة **قوله تعالى** فاكهين العامة على الالف اي طيبين الانفس او اصحاب
فاكهة كلابن وتامر وقيل فاكهين لاهين وقرا الحسن وابو رجا فكهين اي مستخفين مستهزئين بنعمة الله قال
الجوهري يقال فكه الرجل بالكسر فهو فكه اذا كان مزاحا والفكه ايضا الاشر البطر **قوله تعالى** كذلك يجوز ان
تكون الكاف مرفوعة المحل خبرا لمبتدا مضمر اي الامر كذلك واليه نحا الزجاج ويجوز ان تكون منصوبة المحل فقدرها
الحوفي اهلكنا اهلاكا وانتقمنا انتقاما كذلك وقال الكلبي كذلك افعل بمن عصاني وقيل تقديره نفعل فعلا كذلك
وقال ابو البقا تركا كذلك فجعله نعتا للترك المحذوف وعلى هذه الاوجه كلها يوقف على كذلك ويبتدا واورثناها
وقال الزمخشري الكاف منصوبة على معنى مثل ذلك الاخراج اخرجناهم منها واورثناها قوما اخرين ليسوا منهم يعني
بني اسرايل فعلى هذا يكون واورثناها معطوفا على تلك الجملة الناصبة للكاف فلا يجوز الوقف على كذلك حينيذ
قوله تعالى فما بكت عليهم السما يجوز ان يكون استعارة كقول الفرزدق • الشمس طالعة ليست بكاسفة • تبكي عليك نجوم
الليل والقمرا • وقال جرير • لما اتى خبر الزبير تواضعت • سور المدينة والجبال الخشع • وقال النابغة • بكى حارث الجولان من

نقدر به * ويجوز ان منه خاشع متضايل **فصل** روى انس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم قال
ما من عبد الا وله في السماء بابان باب يخرج منه رزقه وباب يدخل منه عمله فاذا مات وفقداه بكيا عليه وتلا هذه
الاية وذلك لانهم لم يكونوا يعملون على الارض عملا صالحا يبكي عليه ولم يكن يصعد لهم الى السماء كلام طيب ولا عمل صالح
فيبكي عليهم وقيل التقدير فما بكت عليهم اهل السماء والارض بحذف المضاف والمعنى ما بكت عليهم الملائكة ولا المؤمنون
بل كانوا بهلاكهم مسرورين وقيل ان العادة جرت بان يقولوا في هلاك الرجل العظيم الشان انه اظلمت له الدنيا
وكسفت الشمس والقمر لاجله وبكت الريح والسماء والارض يريدون المبالغة في تعظيم تلك المصيبة لا نفس الكذب
وقال الزمخشري ذكر هذا على سبيل التهكم بهم يعني انهم كانوا يستعظمون انفسهم ويعتقدون انهم لو ماتوا لبكت
عليهم السماء والارض ولم يكونوا بهذا الحد بل كانوا دون ذلك فذكر هذا تهكما بهم وقال عطاء بكاء السماء احمرار اطرافها
وقال السدي لما قتل الحسين بن علي بكت عليه السماء وبكاؤها حمرتها وما كانوا منظرين اي لما جاء وقت هلاكهم
لم ينظروا الى وقت اخر لتوبة وتدارك تقصير **قوله تعالى** ولقد نجينا بني اسرائيل من العذاب المهين وهو قتل الابناء
واستحياء النساء والتعب في العمل واعلم ان دفع الضرر مقدم على ايصال النفع فبدا تعالى ببيان دفع الضرر عنهم فقال ولقد
نجينا بني اسرائيل من العذاب المهين **قوله تعالى** من فرعون فيه وجهان احدهما انه بدل من العذاب اما على حذف مضاف
اي من عذاب فرعون واما على المبالغة جعله نفس العذاب فابدله منه والثاني انه حال من العذاب تقديره صادرا من فرعون
وقرا عبد الله من عذاب المهين وهي من اضافة الموصوف لصفته اذ الاصل العذاب المهين كالقراءة المشهورة وقرا ابن عباس
من فرعون بفتح ميم من ورفع فرعون على الابتداء والخبر وهو استفهام تحقير كقولك من انت وزيدا ثم بين حاله بالجملة
بعد في قوله انه كان عاليا من المسرفين اي كان عالي الدرجة في طبقة المسرفين والتقدير هل تعرفون من هو في عتوه وشيطنته
ثم قيل انه كان عاليا من المسرفين ويجوز ان يكون المراد انه كان عاليا لقوله ان فرعون علا في الارض وكان ايضا مسرفا
ومن اسرافه انه كان على حقارته وخسته ادعى الالهية ولما بين الله تعالى انه كيف دفع عن بني اسرائيل الضرر بين
انه كيف اوصل اليهم الخيرات فقال ولقد اخترناهم على علم على العالمين والمراد اخترنا مؤمني بني اسرائيل على عالمي زمانهم
قوله تعالى على علم متعلقه محذوف لانها حال من الفاعل في اخترناهم وعلى العالمين متعلقة باخترناهم وفي عبارة
ابي حيان انه لما اختلف مدلولهما جاز تعلقهما باخترنا وانشد على ذلك ويوما على ظهر الكثيب تعذرت علي وآلت
حلفة لم تحلل ثم قال فعلى علم حال اما من الفاعل او من المفعول وعلى ظهر حال من الفاعل في تعذرت والعامل في الحال
هو العامل في صاحبها وفي هذا نظر لان قوله اولا ولذلك تعلقا بفعل واحد لما اختلف المدلول ينافي جعل الاولى
حالا لانها لم تتعلق به وقوله والعامل في الحال هو العامل في صاحبها لا ينفع في ذلك **فصل** قيل هذه الاية
تدل على كونهم افضل من كل العالمين واجيب بان المراد على عالمي زمانهم وقيل هذا عام دخله التخصيص كقوله كنتم خير امة
اخرجت للناس **قوله تعالى** واتيناهم من الايات مثل فلق البحر وتظليل الغمام وانزال المن والسلوى والنعم التي
انعمنا عليهم وقال ابن زيد ابتلاهم بالرخاء والشدة وقرا ونبلوكم بالشر والخير فتنة لانه تعالى كما يبلو بالمحنة فقد
يبلو ايضا بالنعمة ليتميز الصديق عن الزنديق وههنا اخر الكلام على قصة موسى عليه السلام **قوله تعالى** ان هؤلاء
ليقولون ان هي الا موتتنا الاولى وما نحن بمنشرين مبعوثين بعد موتتنا واعلم انه رجع الى ذكر كفار مكة لان الكلام
كان فيهم حيث قال بل هم في شك يلعبون اي بل هم في شك من البعث والقيامة ثم بين كيفية اصرارهم على كفرهم
ثم بين ان قوم فرعون كانوا في الاصرار على الكفر مثلهم وبين كيف اهلكهم وكيف انعم على بني اسرائيل ثم رجع الى كفار
مكة وانكارهم للبعث فقال ان هؤلاء ليقولون ان هي الا موتتنا الاولى **فان قيل** القوم كانوا ينكرون الحياة
الثانية فكان من حقهم ان يقولوا ان هي الا حياتنا الدنيا وما نحن بمنشرين **فالجواب** قال الزمخشري انه قيل لهم
انكم تموتون موتة تعقبها حياة كما انكم حال كونكم نطفا كنتم امواتا وقد تعقبها حياة كقوله كنتم امواتا فاحياكم
ثم يميتكم ثم يحييكم فقالوا ان هي الا موتتنا الاولى يريدون ما الموتة التي من شانها ان يعقبها حياة الا الموتة
الاولى خاصة ولا فرق اذن بين هذا الكلام وبين قوله ان هي الا حياتنا الاولى قال ابن الخطيب ويمكن وجه اخر
وهو ان قوله ان هي الا موتتنا الاولى وهذا الكلام لا يدل على انهم لا تأتيهم الحياة الثانية البتة ثم صرحوا بهذا المرموز
فقالوا وما نحن بمنشرين ولا حاجة الى التكلف الذي ذكره الزمخشري ثم ان الكفار احتجوا على نفي الحشر والنشر
بان قالوا ان كان البعث والنشر ممكنا معقولا فعجلوا لنا احياء من مات من ابائنا ان كنتم صادقين في دعوى النبوة
والبعث في القيمة قيل طلبوا من الرسول صلى الله عليه وسلم ان يدعو الله حتى ينشر قصي بن كلاب ليشاوروه في صحة نبوة
محمد وفي صحة البعث ولما حكى الله عنهم ذلك قال اهم خير ام قوم تبع والذين من قبلهم اهلكناهم انهم كانوا قوما مجرمين

وهذا استفهام على سبيل الانكار قال ابو عبيدة ملوك اليمن كل واحد منهم يسمى تبعا لان اهل الدنيا كانوا يتبعونه
وموضع تبع في الجاهلية موضع الخليفة في الاسلام وهم الاعاظم من ملوك العرب قالت عائشة رضي الله عنها كان تبع
رجلا صالحا وقال كعب ذم الله قومه ولم يذمه وقال الكلبي هو ابو كرب ابو سعد وعن النبي صلى الله عليه وسلم لا تسبوا تبعا
فانه كان قد اسلم وعنه صلى الله عليه وسلم ما ادري اكان تبع نبيا ام غير نبي وقال قتادة هو تبع الحميري وكان سار
بالجيوش حتى حير الحيرة وبنى سمرقند وكان من ملوك اليمن سمي تبعا لكثرة اتباعه كل واحد منهم يسمى تبعا لانه يتبع صاحبه
وكان هذا يعبد النار فاسلم ودعا قومه الى الاسلام وهم حمير فكذبوه قال ابن اسحق وكان اسمه تبان اسعد ابو كرب وقصته
مشهورة وانه كان يعبد الاوثان وانه اسلم على يد حبرين عالمين وانه اتى البيت الحرام فطاف به ونحر عنده وحلق راسه واقام
بمكة ستة ايام ينحر بها للناس ويطعم اهلها ويسقيهم العسل وارى في المنام ان يكسو البيت فكساه الخصف وارى ان يكسوه احسن
من ذلك فكساه المعافري ثم ارى ان يكسوه احسن من ذلك فكساه الملاء والوصايل فكان تبع اول من كسا البيت واوصى به ولاته
من خزاعة وامرهم بتطهيره وان لا يقربوه دما ولا ميتة ولا ميلاثا وهي الحائض وجعل له بابا ومفتاحا وقصته مع الحبرين
مشهورة ايضا وانه رجع الى اليمن وتبع الحبرين على دينهما فلذلك اصل دين اليهودية باليمن **فان قيل** ما معنى قوله
اهم خير ام قوم تبع مع انه لا خير في الفريقين **فالجواب** ان معناه اهم خير في القوة والشوكة كقوله تعالى اكفاركم خير من اولئكم
بعد ذكر ال فرعون **قوله تعالى** والذين من قبلهم يجوز فيه ثلاثة اوجه احدها ان يكون معطوفا على قوم تبع الثاني ان
يكون مبتدا وخبره ما بعده من اهلكناهم واما على الاول فاهلكناهم اما مستانف واما حال من الضمير المستكن في الصلة
الثالث ان يكون منصوبا بفعل مقدر يفسره اهلكناهم ولا محل لاهلكناهم حينئذ **قوله تعالى** وما خلقنا السموات
والارض وما بينهما لاعبين لما انكر على كفار مكة قولهم ووبخهم بانهم اضعف ممن كان قبلهم ذكر الدليل القاطع على صحة
القول بالبعث والقيمة فقال وما خلقنا السموات والارض وما بينهما لاعبين اي لو لم يحصل البعث لكان هذا الخلق
لعبا وعبثا وقد تقدم تقرير هذا الدليل في اول سورة يونس وفي اخر المؤمنين عند قوله افحسبتم انما خلقناكم عبثا وفي ص
عند قوله وما خلقنا السماء والارض وما بينهما باطلا وتقدم ايضا استدلال المعتزلة بنظير هذه الاية على انه تعالى لا
يخلق الكفر والفسوق ولا يريدهما وتقدم جوابه **قوله تعالى** لاعبين حال وقرا عمرو بن عبيد وما بينهن لان السموات
والارض جمع والعامة بينهما باعتبار النوعين **قوله تعالى** الا بالحق حال اما من الفاعل وهو الظاهر واما من المفعول اي الا
محقين او ملتبسين بالحق قال ولكن اكثرهم لا يعلمون يعني اهل مكة **قوله تعالى** ان يوم الفصل ميقاتهم العامة على رفع
ميقاتهم خبرا لان وقرئ بنصبه على انه اسم ان ويوم الفصل خبره واجمعين تاكيد للضمير المجرور **فصل** لما ذكر الدليل
على اثبات البعث والقيمة ذكر عقيبه يوم الفصل قال الحسن سمي بذلك لان الله تعالى يفصل فيه بين اهل الجنة واهل النار
وقيل ان الله يفصل فيه بين العباد في الحكم والقضا وقيل يفصل بين المؤمن وبين ما يكرهه ويفصل بين الكافر وبين ما يريده
وقيل يظهر حال كل احد كما هو ولا يبقى الا الحقائق والبينات ثم وصف ذلك اليوم فقال يوم لا يغني يجوز ان يكون بدلا
من يوم الفصل او بيانا عند من لا يشترط المطابقة تعريفا وتنكيرا او ان يكون منصوبا باضمار اعني وان يكون صفة لميقاتهم
ولكنه بني قاله ابو البقا وهذا لا ياتي عند البصريين لاضافته الى معرب وقد تقدم اخر المائدة وان ينتصب بفعل يدل عليه
يوم الفصل اي يفصل بينهم يوم لا يغني ولا يجوز ان ينتصب بالفصل نفسه لما يلزم من الفصل بينهما باجنبي وهو ميقاتهم
والفصل مصدر لا يجوز فيه ذلك وقال ابو البقا لانه قد اخبر عنه وفيه نظر فان الاخبار عما اضيف الى الفصل لا عن الفصل
قوله تعالى مولى عن مولى شيئا لا ينفع قريب قريبه ولا يدفع عنه ولا هم ينصرون اي ليس لهم ناصر يمنعهم من عذاب
الله واعلم ان القريب اما في الدين او في النسب او في المعتق وكل هؤلاء يسمون بالمولى فلما لم يحصل النصر منهم فبان
لا يحصل ممن سواهم اولى ونظير هذه الاية قوله تعالى واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا الى قوله ولا هم ينصرون
قال الواحدي المراد بقوله مولى عن مولى الكفار لانه ذكر بعده المؤمن فقال الا من رحم الله قال ابن عباس يريد المؤمن فانه
تشفع له الانبياء والملائكة **قوله تعالى** ولا هم جمع الضمير عائدا على مولى وان كان مفردا لانه قصد معناه فجمع
وهو نكرة في سياق النفي فعم **قوله تعالى** الا من رحم الله يجوز فيه اربعة اوجه احدها وهو قول الكسائي انه منقطع الثاني
انه متصل تقديره لا يغني قريب عن قريب الا المؤمنين فانهم يؤذن لهم في الشفاعة فيشفعون في بعضهم كما تقدم عن ابن
عباس الثالث ان يكون مرفوعا على البدلية من مولى الاول ويكون يغني بمعنى ينفع قاله الحوفي الرابع انه مرفوع المحل ايضا على
البدل من واو ينصرون اي لا يمنع من العذاب الا من رحمه الله **قوله تعالى** ان شجرت الزقوم طعام الاثيم لما وصف اليوم
ذكر بعده وعيد الكفار قال الزمخشري في شجرت ثلاث لغات كسر الشين وضمها وفتحها وتقدم اشتقاق لفظ الزقوم
في سورة الصافات والاثيم صفة مبالغة ويقال الاثوم كالصبور والشكور والاثيم اي ذي الاثم قال المفسرون هو ابو جهل

قالت المعتزلة هذه الآية تدل على حصول هذا الوعيد للأثيم وهو الذي صدر عنه الإثم فيكون حاصلاً للفساق والجواب
أن اللفظ المفرد الذي دخل عليه حرف التعريف الأصل فيه أن ينصرف إلى المذكور السابق فلا يفيد العموم والمذكور السابق
هو الكفار فينصرف إليه **فصل** مذهب أبي حنيفة أن قراءة القرآن بالمعنى جائز واحتج عليه بأنه نقل عن ابن مسعود
أنه كان يقرئ رجلاً هذه الآية فكان يقول طعام اللثيم فقال طعام الفاجر وهذا الدليل في غاية الضعف على ما بين في
الفقه **قوله تعالى** كالمهل يجوز أن يكون خبراً ثانياً وأن يكون خبر مبتدأ مضمر أي هو كالمهل ولا يجوز أن يكون حالاً
من طعام الأثيم قال أبو البقاء لأنه لا عامل إذن وفيه نظر لأنه يجوز أن يكون حالاً والعامل فيه معنى التشبيه كقولك زيد
أخوك شجاعاً والمهل قيل دردي الزيت وقيل عكر القطران وقيل ما أذيب من ذهب أو فضة وقيل ما أذيب منهما ومن كل ما
في معناهما من المنطبعات كالحديد والنحاس والرصاص والمهل بالفتح التؤدة والرفق ومنه فمهل الكافرين وقرأ الحسن كالمهل
بفتح الميم فقط وهي لغة في المهل بالضم وتقدم تفسيره في الكهف **قوله تعالى** يغلي قرأ ابن كثير وحفص بالياء من تحت والفاعل
ضمير يعود على طعام وجوز أبو البقاء أن يعود على الزقوم وقيل يعود على المهل نفسه ويغلي حال من الضمير المستتر في الجار أي
مشبهاً المهل غالياً ويجوز أن يكون حالاً من المهل نفسه وجوز أبو البقاء أن يكون خبر مبتدأ محذوف أي هو يغلي أي الزقوم
أو الطعام والباقون تغلي بالتاء من فوق على أن الفاعل ضمير الشجرة والجملة خبر ثان أو حال على رأي أو خبر مبتدأ مضمر
أي هي تغلي واختار أبو عبيد الياء لأن الاسم المذكور الذي هو المهل هو الذي يلي الفعل فصار التذكير به أولى **قوله تعالى** كغلي
الحميم نعت لمصدر محذوف أو حال من ضميره أي تغلي غلياً مثل غلي الحميم أو تغليه مشبهاً غلي الحميم قال ابن الخطيب
واعلم أنه لا يجوز أن يحمل الغلي على المهل لأن المهل مشبه به وإنما يغلي ما يشبه بالمهل كغلي الحميم وهو الماء إذا اشتدت
حرارته **قوله تعالى** خذوه فاعتلوه قرأ نافع وابن كثير وابن عامر بضم عين اعتلوه والباقون بكسرها وهما لغتان في مضارع
عتله أي ساقه بجفاء وغلظة كعرش يعرش ويعرش والعتل الجذب الغليظ قال الليث العتل أن تأخذ بتلبيب الرجل
فتعتله أي تجره إليك وتذهب به إلى حبس ومحنة وأخذ فلان بزمام الناقة فعتلها وذلك إذا قبض على أصل الزمام عند
الرأس وقادها قوداً عنيفاً وقال ابن السكيت عتلته إلى السجن وعتنته إذا دفعته دفعاً عنيفاً **قوله تعالى** إلى سواء الجحيم
أي إلى وسط الجحيم ومعنى الآية أنه يقال للزبانية خذوه أي الأثيم فاعتلوه أي سوقوه بعنف إلى وسط جهنم ثم صبوا فوق
رأسه من عذاب الحميم كقوله تعالى يصب من فوق رؤوسهم الحميم إلا أن هذه الاستعارة أكمل في المبالغة كأنه يقول صبوا عليه
عذاب ذلك الحميم ونظيره قوله تعالى ربنا أفرغ علينا صبراً **قوله تعالى** ذق إنك أنت قرأ الكسائي بفتح همزة أنك على معنى
العلة أي لأنك وقيل تقديره ذق عذاب الجحيم أنك أنت العزيز والباقون بالكسر على الاستئناف المفيد للعلة فيتحد القراءتان
معنى وهذا الكلام على سبيل التهكم وهو أغيظ للمستهزأ به ومثله قول جرير لشاعر سمى نفسه زهرة اليمن قوله •

• ألم يكن في وسوم قد وسمت بها • من كان موعظة يا زهرة اليمن •

وكان هذا الشاعر قد قال • أبلغ كليباً وأبلغ عنك شاعرها • أني الأعز وأني زهرة اليمن • ومعنى الآية أنك بالضد
منه روي أن أبا جهل قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما بين جبليها أعز ولا أكرم مني فوالله ما تستطيع أنت ولا ربك
أن تفعلا بي شيئاً روي أن خزنة جهنم تقول للكافر هذا الكلام استخفافاً بهم وتوبيخاً إن هذا ما كنتم به تمترون أي تشكون
فيه ولا تؤمنون به **قوله تعالى** إن المتقين في مقام أمين لما ذكر وعيد الكفار أردفه بآيات الوعد فقال إن المتقين
قال أهل السنة كل من اتقى الشرك صدق عليه أنه متقي فوجب أن يدخل الفساق في هذا الوعد فقال في مقام أمين قرأ أهل
المدينة والشام بضم ميم مقام على المصدر أي في إقامة وقرأ الباقون بفتح الميم أي في مجلس أمين آمنوا فيه من الغير قال الزمخشري
المقام بفتح الميم هو موضع القيام والمراد المكان وهو من الخاص الذي جعل مستعملاً في المعنى العام وبالضم هو موضع الإقامة
والأمين من قولك أمن الرجل أمانة فهو أمين وهو ضد الخائن فوصف به المكان استعارة لأن المكان المخيف كأنه يخون صاحبه
قوله تعالى في جنات يجوز أن يكون بدلاً من قوله في مقام بتكرير العامل ويجوز أن يكون خبراً ثانياً وقوله يلبسون يجوز أن
يكون حالاً من الضمير المستكن في الجار وأن يكون خبراً لأن فيتعلق الجار به وأن يكون مستأنفاً **قوله تعالى** متقابلين حال
من فاعل يلبسون وتقدم تفسير السندس والإستبرق والمقابل **قوله تعالى** كذلك في هذه الكاف وجهان أحدهما
النصب نعتاً للمصدر أي نفعل بالمتقين فعلاً كذلك وقدره أبو البقاء بجملة فقال تقديره فعلنا ذلك والأمر كذلك ولا
حاجة إليه والوقف على كذلك والابتداء بقوله وزوجناهم **قوله تعالى** بحور عين العامة على تنوين حور موصوفاً بعين
وعكرمة لم ينون أضافهن لأنهن ينقسمن إلى عين وغير عين وتقدم تفسير الحور العين فإن قيل المراد بجلوسهم متقابلين استئناساً
بعضهم ببعض والجلوس على هذه الصفة موحش لأنه يكون كل واحد منهم مطلعاً على ما يفعل الآخر وأيضاً فالقليل الثواب
إذا اطلع على حال من كثر ثوابه يتنغص عليه فالجواب أن أحوال الآخرة بخلاف أحوال الدنيا **فصل** قال أبو عبيدة معنى

وزوجناهم

وزوجناهم أي جعلناهم أزواجاً كما يزوج النعل بالنعل أي جعلناهم اثنين اثنين واختلفوا في هذا اللفظ هل يدل
على حصول عقد التزويج أم لا فقال يونس قوله تعالى وزوجناهم بحور عين أي قرناهم بهن وليس من عقد التزويج والعرب
لا تقول تزوجت بها وإنما تقول تزوجتها قال الواحدي رحمه الله والتنزيل يدل على ما قال يونس وذلك قوله تعالى فلما قضى
زيد منها وطراً زوجناكها ولو كان المراد تزوجت بها لقال زوجناك بها **فصل** قال الواحدي وأصل الحور البياض
والتحوير التبييض وقد تقدم في تفسير الحواريين وعين حوراء إذا اشتد بياض بياضها واشتد سواد سوادها ولا تسمى المرأة
حوراء حتى يكون حور عينيها بياضاً في لون الجسد وأما العين فجمع عيناء وهي التي تكون عظيمة العينين من النساء واسعتهما
قوله تعالى يدعون فيها حال من مفعول زوجناهم ومفعوله محذوف أي يدعون الخدم بكل فاكهة وقوله آمنين يجوز
أن يكون حالاً ثانية وأن يكون حالاً من فاعل يدعون فيكون حالاً متداخلة ومعنى آمنين من نفادها ومضرتها وقال
قتادة آمنين من الموت والأوصاب والشيطان **قوله تعالى** لا يذوقون يجوز أن يكون حالاً من الضمير في آمنين وأن يكون
حالاً ثالثة أو ثانية من مفعول زوجناهم وآمنين حال من فاعل يدعون كما تقدم أو صفة لآمنين أو مستأنف وقرأ
عمرو بن عبيد لا يذاقون مبنياً للمفعول **قوله تعالى** إلا الموتة الأولى فيه أوجه أحدها أنه استثناء منقطع أي لكن الموتة
الأولى قد ذاقوها الثاني أنه متصل وتأولوه بأن المؤمن عند موته في الدنيا بمنزلته في الجنة لمعاينته ما يعطاه منها أو لما
يتيقنه من نعيمها الثالث أن إلا بمعنى سوى نقله الطبري وضعفه قال ابن عطية وليس تضعيفه بصحيح بل هو كونه بمعنى سوى
مستقيم متسق الرابع أن إلا بمعنى بعد واختاره الطبري وأباه الجمهور لأن إلا بمعنى بعد لم يثبت وقال الزمخشري فإن قلت
كيف استثنيت الموتة الأولى المذوقة قبل دخول الجنة من الموت المنفي ذوقه فيها قلت أريد أن يقال لا يذوقون فيها الموت البتة
فوضع قوله إلا الموتة الأولى موضع ذلك لأن الموتة الماضية محال ذوقها في المستقبل فهو من باب التعليق بالمحال كأنه
قيل إن كانت الموتة الأولى يستقيم ذوقها في المستقبل فإنهم يذوقونها في الجنة قال شهاب الدين وهذا عند علماء البيان
يسمى نفي الشيء بدليله ومثله قول النابغة ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم • بهن فلول من قراع الكتائب • يعني إن كان أحد
يعد فلول السيوف من قراع الكتائب عيباً فهذا عيبهم لكن عده من العيوب محال فانتفى عنهم العيب بدليل تعليق الأمر على المحال
وقال ابن عطية بعدما حكاه عن الطبري فتبين أنه نفى عنهم ذوق الموت وأنه لا ينالهم من ذلك غير ما تقدم في الدنيا يعني أنه
كلام محمول على معناه وقال ابن الخطيب إن من جرب شيئاً ووقف عليه صح أن يقال إنه ذاقه وإذا صح أن يسمى ذلك العلم
بالذوق صح أن يسمى تذكره أيضاً بالذوق فقوله لا يذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولى يعني إلا الذوق الحاصل بسبب
تذكر الموتة الأولى فإن قيل أليس أن أهل النار لا يذوقون الموت فلم بشر أهل الجنة بهذا مع أن أهل النار يشاركونهم
فيه فالجواب أن البشارة ما وقعت بدوام الحياة مع سابقة حصول تلك الخيرات والسعادات فافترقا **قوله تعالى**
ووقاهم الجمهور على التخفيف وقرأ أبو حيوة ووقاهم بالتشديد على المبالغة ولا يكون للتعدية فإنه متعد إلى اثنين
قبل ذلك **قوله تعالى** فضلاً مفعول من أجله وهو مراد مكي بقوله مصدر عمل فيه يدعون وقيل العامل فيه ووقاهم وقيل
آمنين فهذا إنما يظهر على كونه مفعولاً من أجله على أنه يجوز أن يكون مصدراً لأن يدعون وما بعده من باب التفضيل
فهو مصدر ملاق لعامله في المعنى وجعله أبو البقاء منصوباً بمقدر أي تفضلنا بذلك فضلاً أي تفضلاً **فصل**
احتج أهل السنة بهذه الآية على أن الثواب يحصل من الله تعالى فضلاً وإحساناً وأن كل ما وصل إليه العبد من الخلاص
عن النار والفوز بالجنة فإنما يحصل بفضل الله تعالى ثم قال ذلك هو الفوز العظيم وهذا يدل على الفضل أعلى من درجات
الثواب المستحق لأنه وصفه بكونه فوزاً عظيماً وأيضاً فإن الملك العظيم إذا أعطى الأجير أجرته ثم خلع على إنسان آخر فإن تلك
الخلعة أعلى حالاً من إعطاء تلك الأجرة ولما بين الله تعالى الدلائل وشرح الوعد والوعيد قال فإنما يسرناه بلسانك أي
سهلنا القرآن كناية عن غير مذكور بلسانك أي بلغتك والباء للمصاحبة لعلهم يتذكرون يتعظون قال القاضي وهذا يدل
على أنه أراد من الكل الإيمان ولم يرد من أحد الكفر وأجيب بأن الضمير في قوله لعلهم يتذكرون عائد إلى أقوام مخصوصين
فيحصل ذلك على المؤمنين **قوله تعالى** فارتقب أي فانتظر ما يحل بهم إنهم مرتقبون ما يحل بك فمفعولا الارتقاب محذوفان
أي فارتقب النصر من ربك إنهم مرتقبون بك ما يتمنونه من الدوائر والغوائل ولن يضرك ذلك روى أبو هريرة قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ حم الدخان في ليلة أصبح يستغفر له سبعون ألف ملك رواه البغوي في تفسيره
وروى الثعلبي عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ حم التي يذكر فيها الدخان في ليلة جمعة

• أصبح مغفوراً له وقال أبو أمامة سمعت رسول الله •
• صلى الله عليه وسلم يقول من قرأ حم الدخان ليلة الجمعة •
• أو يوم الجمعة بنى الله له بيتاً في الجنة صدق رسول الله •

سورة الجاثية

وهي سبع وثلاثون آية واربع ماية وثمان وثمانون كلمة والفان وماية واحدى وتسعون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى حم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم قد تقدم مثله اول غافر وقال ابو عبد الله الرازي العزيز الحكيم ان كانا صفة لله كان حقيقة وان كان صفة للكتاب كان مجازا ورد عليه ابو حيان جعله اياهما صفة للكتاب اذ لو كان كذلك لوليا الصفة موصوفها فكان يقال تنزيل الكتاب العزيز الحكيم من الله قال لان من الله ان تعلق بتنزيل وتنزيل خبر لحم او لمبتدا محذوف لزم الفصل به بين الصفة والموصوف ولا يجوز كما لا يجوز اعجبني ضرب زيد بسوط الفاضل او في موضع الخبر وتنزيل مبتدا فلا يجوز الفصل به ايضا لا يجوز ضرب زيد شديد الفاضل قوله تعالى ان في السموات والارض لايات للمومنين ان كان قوله حم قسما فتنزيل الكتاب نعت له وجواب القسم ان في السموات والارض واعلم ان حصول الايات في السموات والارض ظاهر دال على وجود الله تعالى وقدرته مثل مقاديرها وكيفياتها وحركاتها وايضا الشمس والقمر والنجوم والجبال والبحار وقد تقدم الكلام في كيفية دلالتها على وجود الاله القادر الفاعل المختار وقوله لايات للمومنين يقتضي كون هذه مختصة بالمومنين وقالت المعتزلة انها ايات للمومن والكافر الا انه لما انتفع بها المومن دون الكافر اضيف كونها ايات للمومنين ونظيره قوله تعالى هدى للمتقين فانه هدى لكل الناس كما قال تعالى هدى للناس الا انه لما انتفع به المومن خاصة قيل هدى للمتقين قوله تعالى وفي خلقكم وما يبث من دابة فيه وجهان اظهرهما ان قوله وما يبث معطوف على خلقكم المجرور بفي والتقدير وفيما يبث الثاني انه معطوف على الضمير المجرور بالخلق وذلك على مذهب من يرى العطف على الضمير المجرور دون اعادة الجار واستقبحه الزمخشري وان اكد نحو مررت بك انت وزيد يشير بذلك الى مذهب الجرمي فانه يقول ان اكد جاز والا فلا فقوله مذهب ثالث قوله تعالى ايات لقوم يوقنون وايات لقوم يعقلون قرا بالكسر في الموضعين الاخوان والباقون برفعهما ولا خلاف في كسر الاولى لانها اسم ان فاما ايات لقوم يوقنون بالكسر فيجوز فيها وجهان احدهما انها معطوفة على اسم ان والخبر قوله وفي خلقكم وما يبث من دابة ايات والثاني ان تكون كررت تاكيدا لايات الاولى ويكون في خلقكم معطوفا على في السموات كرر معه حرف الجر توكيدا ونظيره ان تقول ان في بيتك زيدا وفي السوق زيدا فزيد الثاني تاكيد للاول كانك قلت ان زيدا زيدا في بيتك وفي السوق وليس في هذه عطف على معمولي عاملين البتة وقد وهم ابو البقا فجعلها من ذلك فقال ايات لقوم يوقنون تقرا بكسر التاء وفيه وجهان احدهما ان ان مضمرة حذفت لدلالة ان الاولى عليها وليست ايات معطوفة على ايات الاولى لما فيه من العطف على معمولي عاملين والثاني ان تكون كررت للتاكيد لانها من لفظ ايات الاولى واعرابها كاعرابها كقولك ان بثوبك دما وبثوب زيد دما فدم الثاني مكرر لانك مستغن عن ذكره انتهى فقوله وليست معطوفة على ايات الاولى لما فيه من العطف على معمولي عاملين وهم اي معمول العامل الاخر وكانه توهم ان في ساقطة من قوله وفي خلقكم او اختلطت عليه ايات لقوم يعقلون بهذه لان تلك فيها ما يوهم العطف على عاملين وقد ذكرتم ايضا واما الرفع فمن وجهين ايضا احدهما ان يكون في خلقكم خبرا مقدما وايات مبتدا موخرا وهي جملة معطوفة على جملة موكدة بان والثاني ان تكون معطوفة على ايات الاولى باعتبار المحل عند من يجيز ذلك لا سيما عند من يقول انه يجوز ذلك بعد الخبر بالاجماع واما قوله واختلاف الليل والنهار الاية فقد تقدم ان الاخوين يقرآن ايات بالكسر وهي تحتاج الى ايضاح فان الناس تكلموا فيها كثيرا وخرجوها على اوجه مختلفة وبها استدل على جواز العطف على عاملين قال شهاب الدين والعطف على عاملين لا يختص بقراءة الاخوين بل يجوز ان يستدل عليه ايضا بقراءة الباقين كما ستقف عليه ان شاء الله تعالى فاما قراءة الاخوين ففيها اوجه احدها ان يكون اختلاف الليل مجرورا بفي مضمرة وانما حذفت لتقدم ذكرها مرتين وحرف الجر اذا دل عليه دليل جاز حذفه وابقاء عمله وانشد سيبويه ● ● ●

● الان قربت تهجونا وتشتمنا ● فاذهب فما بك والايام من عجب ●

تقديره وبالايام لتقدم الباء في بك ولا يجوز عطفه على الكاف لانه ليس من مذهبه العطف على الضمير المجرور دون اعادة الجار فالتقدير في هذه الاية وفي اختلاف ايات فايات على ما تقدم من الوجهين في ايات قبلها العطف او التاكيد قالوا ويدل على ذلك قراءة عبد الله وفي اختلاف تصريحا بفي فهذان وجهان الثالث ان يعطف اختلاف على المجرور بفي وايات على

المنصوب بان وهذا هو العطف على عاملين وتحقيقه على معمول عاملين وذلك انك عطفت اختلاف على خلق وخلق مجرور بفي فهو معمول عامل وعطفنا ايات على اسم ان وهو معمول عامل آخر فقد عطفت بحرف واحد وهو الواو معمولين وهما اختلاف وايات على معمولين قبلهما وهما خلق وايات وبظاهرها استدل من جوز ذلك كالاخفش وفي المسئلة اربع مذاهب المنع مطلقا وهو مذهب سيبويه وجمهور البصريين قالوا لانه يودي الى اقامة حرف العطف مقام عاملين وهو لا يجوز لانه لو جاز في عاملين لجاز في ثلاثة ولا قايل به ولان حرف العطف ضعيف فلا يقوى ان ينوب عن عاملين ولان القايل بجواز ذلك يستضعفه والاحسن عنده ان لا يجوز فلا ينبغي ان يحمل عليه كتاب الله ولانه بمنزلة التعديتين بمعدى واحد وهو غير جايز قال ابن السراج العطف على عاملين خطا في القياس غير مسموع من العرب ثم حمل ما في هذه الاية على التكرار للتاكيد قال الرماني هو كقولك ان في الدار زيدا والبيت زيد فهذا جايز باجماع وهذا الوجه الذي ذكره ابن السراج حسن جدا لا يجوز ان يحمل كتاب الله الا عليه وقد ثبتت القراءة بالكسر ولا عيب فيها في القران على وجه والعطف على عاملين عيب عند من اجازه ومن لم يجزه فقد تناهى في العيب فلا يجوز حمل هذه الاية الا على ما ذكره ابن السراج دون ما ذهب اليه غيره قال شهاب الدين وهذا الحصر منه غير مسلم فان في الاية تخريجات اخر غير ما ذكره ابن السراج يجوز الحمل عليها وقال الزجاج ومثله في الشعر ● اكل امري تحسبين امرا ● ونار توقد بالليل نارا ● وانشد الفارسي للفرزدق ● وباشر راعيها الصلا بلبانه ● وجنبيه حر النار ما يتحرق ● وقول الاخر ● اوصيت من برة قلبا حرا ● بالكلب خيرا والحماة شرا ● فاما البيت الاول فظاهره انه عطف ونار على امري المخفوض بكل ونارا الثانية على امري الثاني والتقدير وتحسبين كل نار نارا فقد عطف على معمولي عاملين والبيت الثاني عطف فيه جنبيه على لبانه وعطف حر النار على الصلا والتقدير وباشر جنبيه حر النار والبيت الثالث عطف فيه الحماة على الكلب وشرا على خيرا تقديره واوصيت بالحماة شرا وسيبويه في جميع ذلك يرى الجر بخافض مقدر لكنه عورض بان اعمال حرف الجر مضمرا ضعيف جدا الا ترى انه لا يجوز مررت زيد بخفض زيد الا في ضرورة كقوله ● اذا قيل اي الناس شر قبيلة ● اشارت كليب بالاكف الاصابع ● يريد الى كليب وقول الاخر ● حتى تبذخ فارتقى الاعلام ● اي الى الاعلام فقد فر من شي فوقع في اضعف منه واجيب عن ذلك بانه لما تقدم ذكر الحرف في اللفظ قويت الدلالة عليه فكانه ملفوظ به بخلاف ما اوردتموه في المثال والشعر والمذهب الثاني التفصيل وهو مذهب الاخفش وذلك انه يجوز بشرطين احدهما ان يكون احد العاملين جارا والثاني ان يتصل المعطوف بالعاطف او ينفصل بلا مثال الاول الاية الكريمة والابيات المتقدمة ولذلك استصوب المبرد استشهاده بالاية ومثال الفصل بلا قولك ما في الدار زيد ولا الحجرة عمرو فلو فقد الشرطان نحو ان زيدا شتم بشرا ووالله خالد هندا او فقد احدهما نحو ان زيدا ضرب بكرا وخالد بشرا فقد نقل ابن مالك الامتناع عند الجميع وفيه نظر لما سياتي من الخلاف الثالث انه يجوز بشرط ان يكون احد العاملين جارا وان يكون متقدما نحو الاية الكريمة فلو لم يتقدم نحو ان زيدا في الدار وعمرو السوق لم يجز وكذا لو لم يكن حرف جر كما تقدم تمثيله الرابع الجواز مطلقا ويعزى للفرا فهذه اربع من اوجه تخريج القراءة المذكورة ان ينتصب ايات على الاختصاص قاله الزمخشري كما سياتي واما قراءة الرفع ففيها اوجه احدها ان يكون الاول والثاني ما تقدم في ايات لقوم يوقنون الثالث ان يكون تاكيدا لايات التي قبلها كما كانت كذلك في قراءة النصب الرابع ان تكون المسئلة من باب العطف على عاملين وذلك ان اختلاف عطف على خلقكم وهو معمول لفي وايات معطوفة على ايات قبلها وهي معمولة للابتدا فقد عطف على معمولي عاملين في هذه القراءة ايضا قال الزمخشري قري ايات لقوم يوقنون بالرفع والنصب على قولك ان زيدا في الدار وعمرو في السوق او وعمرا في السوق قال واما قوله ايات لقوم يعقلون فمن العطف على عاملين سواء نصبت ام رفعت فالعاملان في النصب ان وفي اقيموا او ومنعا مهما تعملت الجر في اختلاف الليل والنهار والنصب في ايات واذا رفعت فالعاملان الابتدا وفي عملت الرفع في ايات والجر في اختلاف ثم قال في توجيه النصب والثاني ان ينتصب على الاختصاص بعد انقضاء المجرور الوجه الخامس ان ترتفع ايات على خبر ابتدا مضمر اي هي ايات وناقشه ابو حيان فقال ونسبة الجر والرفع والجر والنصب للواو ليس بصحيح لان الصحيح من المذاهب ان حرف العطف لا يعمل وايضا ناقشه ابو شامة فقال فمنهم من يقول هو على هذه القراءة ايضا يعني قراءة الرفع عطف على عاملين وهما حرف في والابتدا المقتضي للرفع ومنهم من لا يطلق هذه العبارة في هذه القراءة لان الابتدا ليس بعامل لفظي وقري واختلاف بالرفع ايه بالرفع والتوحيد على الابتدا والجر وكذلك قري وما يبث من دابة اية بالتوحيد وقرا زيد بن علي وطلحة وعيسى وتصريف الريح كذا قال ابو حيان قال شهاب الدين وقد قرا بهذه القراءة حمزة والكسائي ايضا وقد تقدم ذلك في سورة البقرة فصل اختلاف الليل والنهار فيه وجوه الاول تبديل النهار بالليل وبالعكس الثاني زيادة طول النهار على طول الليل وبالعكس الثالث اختلاف مطالع الشمس في ايام السنة قوله تعالى وما انزل الله من السماء من رزق يعني الغيث الذي هو سبب ارزاق العباد فاحيى به الارض بعد موتها وهذا يدل على وجوب القول بوجود الفاعل المختار

من وجوه أحدها انشاء السحاب وانزال المطر منه وثانيها تولد النبات من تلك الحبة الواقعة في الارض وثالثها
تولد الانواع المختلفة وهي ساق الشجرة وأغصانها واوراقها وثمارها ثم تلك الثمرة منها ما يكون القشر محيطا باللب
كالجوز واللوز ومنها ما يكون اللب محيطا بالقشر كالمشمش والخوخ ومنها ما يكون خاليا عن القشر كالتين فتولد اقسام النبات
على كثرة اقسامه وتباينها يدل على وجوب القول بوجود الفاعل المختار الحليم الرحيم قوله تعالى وتصريف الرياح وهي اقسام
كثيرة منها الشرقية والغربية والشمالية والجنوبية ومنها الحارة والباردة آيات لقوم يعقلون واعلم انه تعالى جمع هذه
الدلائل في سورة البقرة فقال ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر الى قوله لآيات
لقوم يعقلون فذكر الله تعالى هذه الاقسام الثمانية من الدلائل والتفاوت بين الموضعين من وجوه الاول انه تعالى قال
سورة البقرة ان في خلق السموات والارض وقال ههنا ان في السموات والصحيح عند اهل السنة ان الخلق غير المخلوق فذكر
لفظ الخلق في سورة البقرة ولم يذكره ههنا تنبيها على انه لا تفاوت بين ان يقال السموات او خلق السموات فيكون هذا
دليلا على ان الخلق عين المخلوق الثاني انه ذكر هناك ثمانية انواع من الدلائل وذكر ههنا سبعة انواع من الدلائل واهمل
منها الفلك والسحاب والسبب فيه ان مدار حركة الفلك والسحاب على الرياح المختلفة فذكر الرياح التي هي كالسبب يغني عن
ذكرهما الثالث انه جمع الكل وذكرها مقطعا واحدا وههنا رتبها على ثلاثة انواع والغرض منه التنبيه على انه لا بد من افراد
كل واحد منها بنظر تام سابق الرابع انه تعالى ذكر في هذا الموضع ثلاثة مقاطع احدها للمؤمنين وثانيها يوقنون وثالثها يعقلون
قال ابن الخطيب واظن ان سبب هذا الترتيب ان قوله ان كنتم من المؤمنين فافهموا هذه الدلائل وان كنتم لستم من المؤمنين
بل انتم من طلاب الحزم واليقين فافهموا هذه الدلائل وان كنتم لستم من المؤمنين ولا من الموقنين فلا اقل ان تكونوا من زمرة
العقلاء فاجتهدوا في معرفة هذه الدلائل قوله تعالى تلك آيات الله نتلوها يجوز ان يكون نتلوها خبرا لتلك وآيات الله
بدل او عطف بيان ويجوز ان يكون تلك آيات مبتدأ وخبرا ونتلوها حال قال الزمخشري والعامل ما دل عليه تلك من معنى
الاشارة ونحوه وهذا بعلي شيخا قال ابو حيان وليس نحوه لان في وهذا بعلي حرف تنبيه فقيل العامل في الحال ما دل عليه حرف
التنبيه اي تنبه واما تلك فليس فيها حرف تنبيه فاذا كان حرف التنبيه عاملا بما فيه من معنى التنبيه لان الحرف قد يعمل في
الحال فالمعنى تنبه لزيد في حال شيخه او في حال قيامه وقيل العامل في مثل هذا التركيب فعل محذوف يدل عليه المعنى اي انظر
اليه في حال شيخه فلا يكون اسم الاشارة عاملا ولا حرف التنبيه ان كان هناك قال شهاب الدين بل الاية نحو وهذا بعلي شيخا
من حيثية نسبة العمل لاسم الاشارة غاية ما ثم ان في الاية الاخرى ما يصلح ان يكون عاملا وهذا لا يقدح في التنظير
اذا قصدت جهة مشتركة واما اضمار الفعل فهو مشترك في الموضعين عند من يرى ذلك قال ابن عطية وفي نتلوها حذف
مضاف اي نتلو شأنها وشرح العبرة فيها ويحتمل ان يريد بآيات الله القرآن المنزل في هذا المعنى فلا يكون فيها حذف مضاف
وقرأ بعضهم يتلوها بياء الغيبة عائدا على الباري تعالى قوله تعالى بالحق حال من الفاعل اي ملتبسين بالحق او من المفعول اي ملتبسة
بالحق ويجوز ان تكون للسببية فيتعلق بنفس نتلوها قوله تعالى فبأي حديث بعد الله وآياته قال الزمخشري اي بعد
آيات الله فهو كقولك اعجبني زيد وكرمه يريدون كرم زيد ورد عليه ابو حيان بانه ليس مرادا بل المراد اعجابان وبان فيه
اقحام الاسماء من غير ضرورة قال وهذا قلب لحقائق النحو وقرأ الحرميان وابو عمرو وعاصم في رواية يؤمنون بياء الغيبة
والباقون بتاء الخطاب وفبأي متعلق به قدم لان له صدر الكلام واختار ابو عبيد الياء لان قبله غيبة وهو قوله لقوم يوقنون
ولقوم يعقلون فان قيل في أول الكلام خطاب وهو قوله وفي خلقكم قلنا الغيبة اقرب الى الحرف المختلف فيه فكان اولى

فصل ومعنى الاية ان من لم ينتفع بهذه الآيات فلا شيء بعده يجوز ان ينتفع به وهذه الاية تبطل القول بالتقليد
وتوجب على المكلف التأمل في دلائل دين الله قوله تعالى ويل لكل أفاك أثيم لما بين الآيات للكفار وبين انهم اذا لم يؤمنوا
بها مع ظهورها فبأي حديث بعدها يؤمنون اتبعه بوعيد عظيم لهم فقال ويل لكل افاك اثيم والافاك الكذاب والاثيم
المبالغ في اقتراف الاثم وهو ان يبقى مصرا على الانكار والاستكبار قال المفسرون يعني النضر بن الحارث والاية عامة في من
كان موصوفا بهذه الصفة قوله تعالى يسمع يجوز ان يكون مستأنفا اي هو يسمع او دون اضمار هو وان يكون حالا من
الضمير في اثيم وان يكون صفة قوله تعالى تتلى عليه حال من آيات الله ولا يجيء فيه الخلاف وهو انه يجوز ان يكون في محل
نصب مفعولا ثانيا لان شرط ذلك ان يقع بعدها ما لا يسمع نحو سمعت زيدا يقرأ اما اذا وقع بعدها ما يسمع نحو سمعت
قراءة زيد يترنم بها فهي متعدية لواحد فقط والآيات مما تسمع قوله تعالى ثم يصر قال الزمخشري فان قلت ما معنى
ثم في قوله ثم يصر مستكبرا قلت فمعناه في قول القائل * يرى غمرات الموت ثم يزورها * وذلك ان غمرات الموت حقيقة
بان ينجو رائيها بنفسه ويطلب الفرار منها واما زورانها والاقدام على مزاولتها فامر مستبعد فمعنى ثم الايذان بان
فعل المقدم عليها بعدما رآها وعاينها شيء يستبعد في العادات والطباع وكذلك آيات الله الواضحة الناطقة بالحق من

تليت وسمعها كان مستبعدا في العقول اصراره على الضلالة عندها واستكباره عن الايمان بها قوله تعالى كأن لم
يسمعها هذه الجملة يجوز ان تكون مستأنفة وان تكون حالا اي الاصل كأنه لم يسمعها والضمير ضمير الشأن ومحل الجملة
النصب على الحال اي يصير مثل غير السامع ثم قال فبشره بعذاب أليم قوله تعالى واذا علم من آياتنا شيئا العامة على فتح العين
وكسر اللام خفيفة مبنيا للفاعل وقتادة ومطر الوراق علم مبنيا للمفعول مشددا قوله تعالى اتخذها الضمير المؤنث
فيه وجهان احدهما انه عائد على آياتنا يعني القرآن والثاني انه يعود على شيء وان كان مذكرا لانه بمعنى الآية كقول
ابي العتاهية * نفسي بشيء من الدنيا معلقة * الله والقائم المهدي يكفيها * لانه اراد بشيء جارية يقال لها عتبة فصل
المعنى اتخذ ذلك الشيء هزوا الا انه تعالى قال اتخذها للاشعار بان هذا الرجل اذا احس بشيء من الكلام انه من جملة الآيات
المنزلة على محمد صلى الله عليه وسلم خاض في الاستهزاء بجميع الآيات ولم يقتصر على الاستهزاء بذلك الواحد قوله تعالى
اولئك اشارة الى معنى كل أفاك أثيم ليدخل فيه جميع الافاكين فحمل اولا على لفظها فافرد ثم على معناها فجمع كقوله تعالى
كل حزب بما لديهم فرحون قوله تعالى من ورائهم جهنم لما قال اولئك لهم عذاب مهين وصف كيفية ذلك العذاب فقال
من ورائهم جهنم اي امامهم جهنم لانهم في الدنيا قال الزمخشري هي اسم للجهة التي يواجه بها الشخص من خلفه او من قدامه
ثم بين ان ما ملكوه في الدنيا لا ينفعهم فقال ولا يغني عنهم ما كسبوا شيئا اي من الاموال قوله تعالى ولا ما اتخذوا عطف
على ما كسبوا وما فيهما اما مصدرية واما بمعنى الذي اي لا يغني كسبهم ولا اتخاذهم او الذي كسبوه ولا الذي اتخذوه فان
قيل انه قال قبل هذه الاية ولهم عذاب مهين ثم قال ههنا ولهم عذاب عظيم فما الفرق بينهما فالجواب كون العذاب
مهينا يدل على حصول الاهانة مع العذاب وكونه عظيما يدل على كونه بالغا الى اقصى الغايات في الضرر قوله تعالى هذا
هدى يعني هذا القرآن هدى اي كامل في كونه هدى بيانا من الضلالة والذين كفروا بآيات ربهم لهم عذاب من رجز
أليم وقد تقدم الكلام على الرجز الأليم في سبأ والرجز اشد العذاب لقوله تعالى رجزا من السماء وقوله لئن كشفت عنا الرجز
وقرئ أليم بالجر والرفع اما الرفع فتقديره لهم عذاب أليم ويكون من الرجز الرجس الذي هو النجاسة ومعنى النجاسة فيه
قوله ويسقى من ماء صديد وكان المعنى لهم عذاب من تجرع رجس وشرب رجس فيكون تنبيها للعذاب واما الجر فتقديره
لهم عذاب من عذاب أليم واذا كان عذابهم من عذاب أليم كان عذابهم أليما قوله تعالى الله الذي سخر لكم البحر لتجري الفلك
فيه بامره الاية لما ذكر تعالى الاستدلال بكيفية جريان الفلك على وجه البحر وذلك لا يحصل الا بتسخير ثلاثة اشياء
احدها الرياح التي توافق المراد وثانيها خلق على وجه الماء على الملاسة التي تجري عليها الفلك وثالثها خلق الخشبة
على وجه الماء تبقى طافية على وجه الماء ولا تغرق فيه وهذه الاحوال لا يقدر عليها احد من البشر فلا بد من موجود قادر
عليها وهو الله سبحانه وتعالى وقوله ولتبتغوا من فضله اما بالتجارة او بالغوص على اللؤلؤ والمرجان او لاستخراج
اللحم الطري قوله تعالى وسخر لكم ما في السموات وما في الارض او توكيد اي خلقها مسخرة لنا اي لينفعنا قوله تعالى
جميعا منه جميعا حال من ما في السموات وما في الارض او توكيد وقد عدها ابن مالك في الفاظه ومنه يجوز ان
يتعلق بمحذوف صفة لجميعا وان يتعلق بسخر اي هو صادر من جهته ومن عنده وجوز الزمخشري في منه ان يكون خبر ابتداء
مضمر اي هي جميعا منه وان يكون وما في الارض مبتدأ ومنه خبره قال ابو حيان وهذان لا يجوزان الا على رأي الاخفش من
حيث ان الحال تقدمت يعني جميعا فقدمت على عاملها المعنوي يعني الجار فهي نظير زيد قائما في الدار والعامة على منه
جارا ومجرورا وابن عباس بكسر الميم وتشديد النون ونصب التاء جعله مصدرا من من يمن منة فانتصابه عنده
على المصدر المؤكد اما بعامل مضمر واما بسخر لانه بمعناه قال ابو حاتم سند هذه القراءة الى ابن عباس مظلم قال شهاب الدين قد
رويت ايضا عن جماعة جلة غير ابن عباس فنقلها ابن خالويه عنه وعن عبيد بن عمير ونقلها صاحب اللوامح وابن جني عن ابن
عباس وعبيد الله بن عمر والجحدري وعبد الله بن عبيد بن عمير وقرأ مسلمة بن محارب كذلك الا انه رفع التاء جعلها خبر ابتداء
مضمر اي هي منة وقرأ ايضا في رواية اخرى بفتح الميم وتشديد النون وهاء الكناية مضمومة جعله مصدرا مضافا لضمير
الله تعالى ورفعه من وجهين احدهما بالفاعلية بسخر اي سخر لكم هذه الاشياء منه عليكم والثاني ان يكون خبر مبتدأ
مضمر اي هو او ذلك منه عليكم اي في ذلك لآيات لقوم يتفكرون قوله تعالى قل للذين آمنوا يغفروا تقدم نظيره
في سورة ابراهيم قال ابن عباس المراد بالذين آمنوا ههنا عمر بن الخطاب يغفروا للذين لا يرجون ايام الله يعني عبد الله بن ابي
وذلك انهم نزلوا في غزاة بني المصطلق على بئر يقال له المريسيع فارسل عبد الله غلامه ليستقي الماء فابطأ عليه فلما اتاه
قال له ما حبسك قال غلام عمر قعد على طرف البئر فما ترك احدا يستقي حتى ملأ قرب النبي صلى الله عليه وسلم وقرب ابي بكر
فقال عبد الله بن ابي ما مثلنا ومثل هؤلاء الا كما قيل سمن كلبك يأكلك فبلغ ذلك عمر فاشتمل سيفه يريد التوجه اليه
فانزل الله تعالى هذه الاية وقال مقاتل ان رجلا من بني غفار شتم عمر بن الخطاب بمكة فهم عمر ان يبطش به فانزل الله تعالى

بتواري

هذه الاية وقال مقاتل وامره بالعفو والتجاوز وروي ميمون بن مهران ان فنحاص اليهودي قال لما نزل قوله تعالى من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا قال احتاج رب محمد فسمع ذلك عمر فاشتمل على سيفه وخرج في طلبه فبعث النبي صلى الله عليه وسلم اليه فرده وقال القرطبي والسدي نزلت في ناس من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من اهل مكة كانوا في اذى كثير من المشركين قبل ان يؤمروا بالقتال فشكوا ذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله هذه الاية ثم نسختها اية القتال قال ابن الخطيب وانما قالوا بالنسخ لانه يدخل تحت الغفران ان لا يقتلوا ولا يقاتلوا فلما امر الله بالمقاتلة كان نسخا والاقرب ان يقال انه محمول على ترك المنازعة وعلى التجاوز عما يصدر عنهم من الكلمات الموذية وقوله لا يرجون ايام الله قال ابن عباس لا يرجون ثواب الله ولا يخافون عقابه ولا يخشون مثل عذاب الامم الخالية وتقدم تفسير ايام الله عند قوله وذكرهم بايام الله **قوله تعالى** ليجزي قوما قرا ابن عامر والاخوان لنجزي بنون وباقي السبعة ليجزي بالياء من تحت مبنيا للفاعل اي ليجزي الله وابو جعفر بخلاف عنه وشيبة وعاصم في رواية كذلك الا انه مبني للمفعول هذا مع نصب قوما وفي القائم مقام الفاعل ثلاثة اوجه احدها ضمير المفعول الثاني عاد الضمير عليه لدلالة السياق تقديره ليجزي هو اي الخير قوما والمفعول الثاني من باب اعطى يقوم مقام الفاعل بالاتفاق ونظيره الدرهم اعطي زيدا الثاني ان القائم مقامه ضمير المصدر المدلول عليه بالفعل اي ليجزي الجزاء وفيه نظر لانه لا يترك المفعول به ويقام المصدر لا سيما مع عدم التصريح به الثالث ان القائم مقامه الجار والمجرور وفيه حجة للاخفش والكوفيين حيث يجيزون نيابة غير المفعول به مع وجوده وانشدوا

لم يعن بالعلياء الا سيدا • ولا شفى ذا الغي الا ذو هدى

والبصريون لا يجيزونه **فصل** المعنى لكي يجازي بالمغفرة قوما يعملون الخير فان قيل ما الفائدة في تنكير قوما مع ان المراد بهم المومنون المذكورون في قوله قل للذين امنوا فالجواب ان التنكير يدل على تعظيم شانهم كانه قيل ليجزي قوما واي قوم قوما من شانهم الصفح عن السيئات والتجاوز عن الموذيات وتجرع المكروه وكانه قيل لا تكافئوهم انتم حتى نكافئهم نحن ثم ذكر الحكم العام فقال من عمل صالحا فلنفسه وهو مثل ضربه الله للذين يغفرون ومن اساء فعليها مثل ضربه الله للكفار الذين كانوا يوذون الرسول والمومنين ثم الى ربكم ترجعون **قوله تعالى** ولقد اتينا بني اسرائيل الكتاب يعني التورية والحكم والنبوة والمراد بهذه الاية انه تعالى بين انه انعم بنعم كثيرة على بني اسرائيل مع انه حصل بينهم الاختلاف على سبيل البغي والحسد والمقصود منه ان يبين ان طريقة قومه كطريقة من تقدم واعلم ان المراد بالكتاب التورية واما الحكم فقيل المراد به العلم والحكم وقيل المراد العلم بفصل الحكومات وقيل معرفة احكام الله وهو علم الفقه واما النبوة فمعلومة ورزقناهم من الطيبات الحلال لان يعني المن والسلوى وفضلناهم على العالمين قال المفسرون على عالمي زمانهم قال ابن عباس لم يكن احد من العالمين اكرم على الله ولا احب اليه منهم ثم قال واتيناهم بينات من الامر قال ابن عباس يعني العلم بمبعث محمد صلى الله عليه وسلم وما بين لهم من امره وانه يهاجر من تهامة الى يثرب ويكون انصاره اهل يثرب وقيل المراد بالبينات المعجزات القاهرة على صحة نبوتهم فالمراد معجزات موسى عليه السلام ثم قال تعالى فما اختلفوا الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم وتقدم تفسير هذا في سورة حم عسق والمراد من ذكر هذا الكلام التعجب من هذه الحالة لان حصول العلم يوجب ارتفاع الخلاف وههنا صار مجيء العلم سببا لحصول الاختلاف وذلك لانهم لم يكن مقصودهم من العلم نفس العلم وانما مقصودهم طلب الرياسة والتقدم فيحتمل انهم علموا ثم عاندوا ويجوز ان يريد بالعلم الادلة التي توصل الى العلم والمعنى انه تعالى وضع الدلايل والبينات التي لو تاملوا فيها لعرفوا الحق لكنهم اختلفوا واظهروا النزاع على وجه الحسد ثم قال ان ربك يقضي بينهم يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون والمعنى انه لا ينبغي ان يغتر المبطل بنعم الدنيا فانها وان ساوت نعم المحق او زادت عليها فانه سيرى في الاخرة ما يسوءه وذلك كالزجر لهم ولما بين تعالى انهم اعرضوا عن الحق بغيا وحسدا امر رسوله بان يعدل عن تلك الطريقة وان يتمسك بالحق وان لا يكون له غرض سوى اظهار الحق فقال ثم جعلناك على شريعة من الامر من الدين فاتبعها ولا تتبع اهواء الذين لا يعلمون يعني مراد الكافرين واديانهم الخبيثة قال الكلبي ان روساء قريش قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم وهو بمكة ارجع الى دين ابائك فهم كانوا افضل منك واسن فانزل الله تعالى هذه الاية **قوله تعالى** على شريعة هو المفعول الثاني لجعلناك والشريعة في الاصل ما يرده الناس من المياه في الانهار ويقال لذلك الموضع شريعة والجمع شرايع قال الشاعر • وفي الشرايع من جلان مقتنص • رث الثياب خفي الشخص منسرب • فاستعير ذلك للدين لان العباد يردون ما يحيي به نفوسهم **قوله تعالى** انهم لن يغنوا عنك من الله شيئا اي ان اتبعت اهواءهم وان الظالمين بعضهم اولياء بعض والمعنى انك لو ملت الى اديانهم الباطلة لصرت مستحقا للعذاب وهم لا يقدرون على دفع عذاب الله عنك وان الظالمين يتولى بعضهم بعضا في الدنيا واما في الاخرة فلا ولي لهم ينفعهم في ايصال الثواب وازالة العقاب واما المتقون المهتدون فالله وليهم وناصرهم **قوله تعالى** هذا بصائر اي هذا القران جمع خبره باعتبار ما فيه وقرئ هذه رجوعا الى الايات ولان القران بمعناها

كقوله

كقوله • سايل بني اسد ما هذه الصوت • لانه بمعنى الصيحة والمعنى بصاير للناس اي معالم للناس في الحدود والاحكام يبصرون بها وتقدم تفسيره في سورة الاعراف وهدى ورحمة لقوم يوقنون هدى من الضلالة ورحمة من العذاب لمن امن **قوله تعالى** ام حسب ام منقطعة فتقدر ببل والهمزة او ببل وحدها او بالهمزة وحدها وتقدم تحقيق هذا **قوله تعالى** كالذين امنوا هو المفعول الثاني للجعل اي ان نجعلهم كائنين كالذين امنوا اي لا يحسبون ذلك وقد تقدم في سورة الحج ان الاخوين وحفصا قرءوا هنا سواء بالنصب والباقون بالرفع وتقدم الوعد عليه بالكلام هنا فنقول اما قراءة النصب ففيها ثلاثة اوجه احدها ان ينتصب على الحال من الضمير المستتر في الجار والمجرور وهو كالذين امنوا ويكون المفعول الثاني للجعل كالذين امنوا اي احسبوا ان نجعلهم مثلهم في حال استواء محياهم ومماتهم ليس الامر كذلك الثاني ان يكون سواء هو المفعول الثاني للجعل وكالذين في محل نصب على الحال اي ان نجعلهم حال كونهم مثلهم سواء وليس معناه بذلك الثالث ان يكون سواء مفعولا ثانيا لحسب وهذا الوجه نحا اليه ابو البقاء قال شهاب الدين واظنه غلطا لما سيظهر لك فانه قال ويقرا بالنصب وفيه وجهان احدهما هو حال من الضمير في الكاف اي نجعلهم مثل المومنين في هذه الحال الثاني ان يكون مفعولا ثانيا لحسب والكاف حال وقد دخل استوى محياهم ومماتهم في الحسبان وعلى هذا الوجه محياهم ومماتهم مرفوعان بسواء لانه قد قوي باعتماده انتهى فقد صرح بانه مفعول ثاني للحسبان وهذا لا يصح البتة لان حسب واخواتها اذا وقع بعدها ان المشددة او ان المخففة او الناصبة سدت مسد المفعولين فمن اين يكون سواء مفعولا ثانيا لحسب فان قلت هذا الذي قلته راي الجمهور سيبويه وغيره واما غيرهم كالاخفش فيدعي انها تسد مسد واحد واذا تقرر هذا فقد يجوز ان ابا البقاء ذهب هذا المذهب فاعرب ان نجعلهم مفعولا اول وسواء مفعولا ثانيا فالجواب ان الاخفش صرح بان المفعول الثاني حينئذ يكون محذوفا ولئن سلمنا انه لا يحذف امتنع من وجه اخر وهو انه قد رفع به محياهم ومماتهم لانه بمعنى مستو كما تقدم ولا ضمير يرجع من مرفوعه الى المفعول الاول بل رفع اجنبيا من المفعول الاول وهو نظير حسبت قيامك مستويا ذهابك وعدمه ومن قرا بالرفع فيحتمل قراءته وجهين احدهما ان يكون سواء خبرا مقدما ومحياهم مبتدا مؤخرا ويكون سواء مبتدا ومحياهم خبره كذا اعربوه وفيه نظر تقدم في سورة الحج وهو انه نكرة لا مسوغ فيها وانه متى اجتمع معرفة ونكرة جعلت النكرة خبرا لا مبتدا ثم في هذه الجملة ثلاثة اوجه احدها انها استينافية والثاني انها بدل من الكاف الواقعة مفعولا ثانيا قال الزمخشري لان الجملة تقع مفعولا ثانيا فكانت في حكم المفرد الا تراك لو قلت ان نجعلهم سواء محياهم ومماتهم كان سديدا كما تقول ظننت زيدا ابوه منطلق قال ابو حيان وهذا اعني ابدال الجملة من المفرد اجازه ابن جني وابن مالك ومنعه ابن العلج ثم ذكر عنه كلاما كثيرا في تقرير ذلك ثم قال والذي يظهر انه لا يجوز يعني ما جوزه الزمخشري قال لانها بمعنى التصيير ولا يجوز صيرت زيدا ابوه قائما لان التصيير انتقال من ذات الى ذات او من وصف في الذات الى وصف فيها وتلك الجملة الواقعة بعد مفعول صيرت المقدرة مفعولا ثانيا ليس فيها انتقال مما ذكرنا فلا يجوز قال شهاب الدين وللقايل ان يقول بل فيها انتقال من وصف في الذات الى وصف فيها لان النحاة نصوا على جواز وقوع الجملة صفة وحالا نحو مررت برجل ابوه قايم وجاء زيد ابوه قايم فالذي حكموا عليه بالوصفية والحالية يجوز ان يقع في خبر التصيير اذ لا فرق بين صفة وصفة من هذه الحيثية الثالث ان تكون الجملة حالا والتقدير ام حسب الكفار ان نصيرهم مثل المومنين في حال استواء محياهم ومماتهم ليسوا كذلك بل هم مفترقون وهذا هو الظاهر عند ابي حيان وعلى الوجهين الاخيرين تكون الجملة داخلة في حيز الحسبان والى ذلك نحا ابن عطية فانه قال مقتضى هذا الكلام ان لفظ الاية خبر ويظهر ان قوله سواء محياهم ومماتهم داخل في المحسبة المنكرة السيئة وهذا احتمال حسن والاول جيد انتهى ولم يبين كيفية دخوله في الحسبان وكيفيته احد الوجهين الاخيرين اما البدل او الحالية كما عرفته وقرا الاعمش سواء نصبا محياهم ومماتهم بالنصب ايضا فاما سواء فمفعول ثان او حال كما تقدم واما نصب محياهم ومماتهم ففيه وجهان احدهما ان يكونا ظرفي زمان وانتصبا على البدل من مفعول يجعلهم بدل اشتمال ويكون سواء على هذا هو المفعول الثاني والتقدير ان نجعل محياهم ومماتهم سواء والثاني ان ينتصبا على الظرف الزماني والعامل اما الجعل او سواء والتقدير ان نجعلهم في هذين الوقتين سواء او نجعلهم مستوين في هذين الوقتين قال الزمخشري مقررا لهذا الوجه الثاني الوجه ومن قرا بالنصب جعل محياهم ومماتهم ظرفين كمقدم الحاج وخفوق النجم قال ابو حيان وتمثيله بخفوق النجم ليس بجيد لان خفوق مصدر ليس على مفعل فهو في الحقيقة على حذف مضاف اي وقت خفوق بخلاف محيا وممات ومقدم فانها موضوعة على الاشتراك بين ثلاثة معان المصدرية والزمانية والمكانية فاذا استعملت مصدرا كان ذلك بطريق الوضع لا على حذف مضاف لخفوق فانه لا بد من حذف مضاف لكونه موضوعا للمصدرية وهذا امر قريب لانه انما اراد انما وقع هذا اللفظ مرادا به الزمان اما كونه بطريق الاصالة او الفرعية فلا يضر ذلك والضمير في محياهم ومماتهم يجوز ان يعود على الفريقين بمعنى ان محيا المومنين

ومماتهم سواء عند الله في الكرامة ومحيا المجترحين ومماتهم سواء في الإهانة عنده فلف الكلام اتكالاً على ذهن السامع
وفهمه ويجوز أن يعود إلى المجترحين فقط أخبر أن حالهم في الزمانين سواء، وقال أبو البقاء ويقرأ مماتهم بالنصب أي محياهم
ومماتهم والعامل يجعل أو سواء، وقيل هو ظرف قال النهايات الذي هو القول الأول بعينه **فصــل** لما بين الله تعالى
الفرق بين الظالمين وبين المتقين من الوجه المتقدم بين الفرق بينهما من وجه آخر فقال أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن
نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات أم كلمة وضعت للاستفهام عن شيء حال كونه معطوفاً على شيء آخر سواء كان ذلك المعطوف
مذكوراً أو مضمراً والتقدير ههنا أفيعلم المشركون هذا أم يحسبون أنا نتولاهم كما نتولى المتقين والاجتراح الاكتساب أي كسبوا
المعاصي والكفر ومنه الجوارح وفلان جارحة أهله أي كاسبهم قال تعالى ويعلم ما جرحتم بالنهار قال الكلبي نزلت هذه
الآية في علي وحمزة وأبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنهم وفي ثلاثة من المشركين عتبة وشيبة والوليد بن عتبة قالوا للمؤمنين
والله ما أنتم على شيء ولو كان ما تقولون حقاً لكان حالنا أفضل من حالكم في الآخرة كما أنا أفضل حالاً منكم في الدنيا فأنكر الله
عليهم هذا الكلام وبين أنه لا يمكن أن يكون حال المؤمن المطيع مساوياً لحال الكافر العاصي في درجات الثواب ومنازل السعادات
ثم قال سواء محياهم ومماتهم قال مجاهد عن ابن عباس معناه أحسبوا أن حياتهم ومماتهم كحياة المؤمنين كلا فإنهم
يعيشون كافرين ويموتون كافرين والمؤمنون يعيشون مؤمنين ويموتون مؤمنين فالمؤمن ما دام حياً في الدنيا فإن
وليه هو الله وأنصاره المؤمنين وحجة الله معه والكافر بالضد منه كما ذكره الله تعالى في قوله وإن الظالمين بعضهم أولياء
بعض والله ولي المتقين والمؤمنون تتوفيهم الملائكة طيبين يقولون سلام عليكم ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون وأما الكفار
فتتوفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم وأما في القيمة فقال تعالى وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة ووجوه يومئذ
عليها غبرة ترهقها قترة أولئك هم الكفرة الفجرة وقيل معنى الآية أنهم لا يستوون في الممات كما استووا في الحياة لأن المؤمن
والكافر قد يستويان في الصحة في الحياة والرزق والكفاية بل قد يكون الكافر أرجح حالاً من المؤمن وإنما يظهر الفرق بينهما
في الممات وقيل أن قوله سواء محياهم ومماتهم مستأنف والمعنى أن محيا المؤمنين ومماتهم سواء وكذلك محيا الكفار
ومماتهم سواء أي كل يموت على حسب ما عاش عليه ثم إنه تعالى صرح بإنكار التسوية فقال ساء ما يحكمون أي بئس ما يقضون
قال مسروق قال لي رجل من أهل مكة هذا مقام أخيك تميم الداري لقد رأيته ذات ليلة حتى أصبح أو قرب أن يصبح يقرأ آية من
كتاب الله يركع بها ويسجد ويبكي أم حسب الذين اجترحوا السيئات الآية **قوله تعالى** وخلق الله السموات والأرض بالحق
لما بين أن المؤمن لا يساوي الكافر في درجات السعادة أتبعه بالدلائل الظاهرة على صحة هذا الفتوى فقال وخلق الله السموات
والأرض بالحق أي لو لم يوجد البعث لما كان ذلك بالحق بل كان بالباطل لأنه تعالى لما خلق الظالم وسلطه على المظلوم الضعيف
ولا ينتقم للمظلوم من الظالم كان ظالماً ولو كان ظالماً لبطل أنه ما خلق السموات والأرض إلا بالحق وتقدم تقريره في سورة يونس
قوله تعالى بالحق فيه ثلاثة أوجه أحدها حال من الفاعل أو من المفعول أو الباء للسببية **قوله تعالى** ولتجزى فيه ثلاثة أوجه أحدها
أن يكون عطفاً على بالحق في المعنى لأن كلا منهما سبب فعطف العلة على مثلها الثاني أنها معطوفة على معلل محذوف والتقدير
خلق الله السموات والأرض ليدل بهما على قدرته ولتجزى كل نفس والمعنى أن المقصود من خلق هذا العالم إظهار العدل
والرحمة وذلك لا يتم إلا إذا حصل البعث والقيامة وحصل التفاوت بين الدركات والدرجات بين المحقين والمبطلين
الثالث أن تكون لام الصيرورة أي وصار الأمر منها من حيث اهتدى بها قوم وضل عنها آخرون **قوله تعالى** أفرأيت بمعنى
أخبرني وتقدم حكمها مستوفى والمفعول الأول من اتخذ والثاني محذوف تقديره بعد غشاوة لأجل صلة الموصول واعلم
أنه تعالى عاد إلى شرح أحوال الكفار وقبائح طرائقهم فقال أفرأيت من اتخذ إلهه هواه قال ابن عباس والحسن وقتادة وذلك
الكافر اتخذ دينه ما يهواه فلا يهوى شيئاً إلا ركبه لأنه لا يؤمن بالله ولا يخافه وقرئ آلهة هواه لأنه كلما مال طبعه إلى شيء
اتبعه والمعنى اتخذ معبوده هواه فيعبد ما تهواه نفسه قال سعيد بن جبير كانت العرب يعبدون الحجارة والذهب
والفضة فإذا وجدوا شيئاً أحسن من الأول رموه وكسروه وعبدوا الآخر قال الشعبي إنما سمي الهوى لأنه يهوي بصاحبه
في النار **قوله تعالى** على علم حال من الجلالة أي كائناً على علم منه بعاقبة أمره أنه أهل لذلك وقيل حال من المفعول أي أضله
وهو عالم وهذا أشنع له وقرأ الأعرج آلهة على الجمع وعنه كذلك مضافة لضمير المتخذ هواه **قوله تعالى** وختم على
سمعه وقلبه فلم يسمع الهدى وقلبه لم يعقل الهدى وهو المراد من قوله ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة
وقد تقدم **قوله تعالى** غشاوة قرأ الأخوان غشوة بفتح الغين وسكون الشين والأعمش وابن مصرف كذلك إلا أنهما كسرا
الغين وباقي السبعة غشاوة بكسر الغين وابن مسعود والأعمش أيضاً بفتحها وهي لغة ربيعة والحسن وعكرمة وعبد الله
أيضاً بضمها وهي لغة عكلية وتقدم الكلام في ذلك أول البقرة وأنه قرئ هناك بالعين المهملة **قوله تعالى** فمن يهديه
من بعد الله أي من بعد إضلال الله إياه قال الواحدي ليس يبقى للقدرية مع هذه الآية عذر ولا حيلة لأن الله تعالى صرح

إياهم عن الهدى بعد أن أخبر أنه ختم على سمع هذا الكافر وقلبه وبصره ثم قال أفلا تذكرون قرأ العامة
بالتشديد والجحدري بتخفيفها والأعمش تتذكرون بتاءين **قوله تعالى** وقالوا ما هي إلا حياتنا الدنيا تقدم نظيره
وقرأ زيد بن علي نحيا بضم النون فإن قيل الحياة مقدمة على الموت في الدنيا فمنكرو القيمة كان يجب أن يقولوا نحيا ونموت
فما السبب في تقديم ذكر الموت على الحياة فالجواب من وجوه الأول المراد بقوله نموت حال كونهم نطفاً في أصلاب الآباء
وأرحام الأمهات وبقوله نحيا ما حصل بعد ذلك في الدنيا الثاني نموت نحن ونحيا بسبب بقاء أولادنا الثالث
قال الزجاج الواو للاجتماع والمعنى يموت بعض ويحيا بعض الرابع قال ابن الخطيب إنه تعالى قدم ذكر الحياة فقال
إن هي إلا حياتنا الدنيا ثم قال بعده نموت ونحيا يعني أن تلك الحياة منها ما يطرأ عليها الموت وذلك في حق الذين
ماتوا ومنها ما لم يطرأ عليه الموت بعد ذلك وهو في حق الأحياء الذين لم يموتوا بعد **قوله تعالى** وما يهلكنا إلا الدهر
أي وما يفنينا إلا مر الزمان وطول العمر واختلاف الليل والنهار وما لهم بذلك الذي قالوه من علم أي لم يقولوه عن
علم علموه إن هم إلا يظنون روى أبو هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى لا يقل ابن آدم
يا خيبة الدهر فإني أنا الدهر أرسل الليل والنهار فإذا شئت قبضتهما وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا يسب أحدكم الدهر فإن الله هو الدهر ولا تقولن للعنب الكرم فإن الكرم هو الرجل المسلم ومعنى الحديث أن العرب كان
من شأنها ذم الدهر وسبه عند النوازل لأنهم كانوا ينسبون إليه ما يصيبهم من المصائب والمكاره فيقولون أصابتهم
قوارع الدهر وأبادهم الدهر كما أخبر الله عنهم وما يهلكنا إلا الدهر فإذا أضافوا إلى الدهر ما نالهم من الشدائد سبوا
فاعلها فكان يرجع سبهم إلى الله عز وجل إذ هو الفاعل في الحقيقة للأمور التي يضيفونها إلى الدهر فنهوا عن سب الدهر
قوله تعالى وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات ما كان حجتهم إلا أن قالوا ائتوا بآبائنا إن كنتم صادقين قرأ العامة بنصب
حجتهم وزيد بن علي وعمرو بن عبيد وعبيد بن عمرو بالرفع وتقدم تأويل ذلك وما كان جواب إذا الشرطية وجعله
أبو حيان دليلاً على عدم إعمال جواب إذا فيها لأن ما لا يعمل ما بعدها فيما قبلها قال وخالف غيرها من أدوات
الشرط حيث لم تقترن الفاء بجوابها إذا نفي بما **فصــل** سمي قولهم حجة لوجوه الأول لحسبانهم أنه حجة الثاني
أن من كانت حجته هذا فليس له البتة حجة كقوله • تحية بينهم ضرب وجيع • الثالث أنهم ذكروها في معرض الاحتجاج
بها واعلم أنهم احتجوا على إنكار البعث بهذه الشبهة وهي شبهة ضعيفة جداً لأنه ليس كل ما لا يحصل في الحال يجب أن يمتنع
حصوله فإن حصول كل واحد منا كان معدوماً من الأزل إلى الوقت الذي خلقنا فيه ولو كان عدم الحصول في
وقت معين يدل على امتناع الحصول لكان عدم حصولنا في الأزل إلى وقت خلقنا يدل على امتناع حصولنا وذلك
باطل **قوله تعالى** قل الله يحييكم ثم يميتكم ثم يجمعكم إلى يوم القيمة فإن قيل هذا الكلام مذكور لأجل جواب من يقول
إن هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر وهذا القائل منكر وجود الإله ووجود القيمة فكيف
يجوز إبطال كلامه بقوله قل الله يحييكم وهل هذا إلا إثبات الشيء بنفسه وهو باطل فالجواب أنه تعالى ذكر الاستدلال
بحدوث الحيوان والإنسان على وجود الإله الفاعل الحكيم مراراً فقوله ههنا قل الله يحييكم إشارة إلى تلك الدلائل
التي بينها وأوضحها مراراً وليس المقصود من ذكر هذا الكلام إثبات الإله بل المقصود منه التنبيه على ما هو الدليل
الحق القاطع في نفس الأمر ولما ثبت أن الإحياء من الله وثبت أن الإعادة مثل الإحياء الأول وثبت أن القادر على الشيء
قادر على مثله ثبت أن الله تعالى قادر على الإعادة وثبت أن الإعادة ممكنة في نفسها وثبت أن القادر الحكيم أخبر عن وقت
وقوعها وجب القطع بكونها حقاً وقوله تعالى ثم يجمعكم إلى يوم القيمة لا ريب فيه إشارة إلى ما تقدم في الآية
المتقدمة وهو أن كونه تعالى عادلاً منزهاً عن الجور والظلم يقتضي صحة البعث والقيمة ثم قال ولكن
أكثر الناس لا يعلمون دلالة حدوث الإنسان والحيوان والنبات على وجود الإله القادر الحكيم ولا يعلمون أيضاً أنه تعالى
لما كان قادراً على الإيجاد ابتداء وجب أن يكون قادراً على الإعادة ثانياً **قوله تعالى** ولله ملك السموات والأرض
الآية لما احتج بكونه قادراً على الإحياء في المرة الثانية في الآيات المتقدمة ختم الدليل فقال ولله ملك السموات والأرض
أي لله القدرة على جميع الكائنات سواء كانت في السموات أو في الأرض وإذا ثبت كونه تعالى قادراً على كل الممكنات
وثبت أن حصول الحيوة في هذه الذات ممكن إذ لو لم يكن ممكناً لما حصل في المرة الأولى فيلزم من هاتين المقدمتين كونه تعالى
قادراً على الإحياء في المرة الثانية ولما بين تعالى إمكان القول بالحشر والنشر بهذين الطريقين ذكر تفاصيل أحوال القيمة
فأولها قوله ويوم تقوم الساعة في عامله وجهان أحدهما أنه يخسر ويومئذ بدل من يوم تقوم والتنوين على هذا تنوين
عوض عن جملة مقدرة ولم يتقدم من الجمل إلا تقوم الساعة فيصير ويوم تقوم الساعة يومئذ تقوم الساعة وهذا الذي
قدروه ليس فيه مزيد فائدة فيكون بدلاً توكيدياً والثاني أن العامل فيه مقدر قالوا لأن يوم القيمة حالة ثالثة ليست

بالسماء ولا بالارض لانهما يتبدلان فكانه قيل ولله ملك السموات والارض والملك يوم تقوم ويكون قوله
يومئذ معمولا ليخسر والجملة مستانفة من حيث اللفظ وان كان لها تعلق بما قبلها من حيث المعنى **فصل** اعلم
ان الحياة والعقل والصحة كلها راس مال والتصرف فيها بطلب السعادة الاخروية يجري مجرى تصرف التاجر في ماله لطلب
الربح والكفار قد اتعبوا انفسهم في تصرفاتهم بالكفر والاباطيل فلم يجدوا في ذلك اليوم الا الحرمان والخذلان ودخول
النار وذلك في الحقيقة نهاية الخسران وغايتها **قوله تعالى** وترى كل امة جاثية الظاهر ان الرؤية بصرية فتكون جاثية
حال قال الليث الجثو الجلوس على الركب كالجثي بين يدي الحاكم وذلك لانها خائفة والمذنب مستوفز وقيل مجتمعة ومنه
الجثوة للقبر لاجتماع الاحجار عليه قال الشاعر • ترى جثوتين من تراب عليهما • صفائح صم من صفيح منضد •
قال ابن عباس مجتمعة مترتبة لما يعمل بها قال الزمخشري وقرئ جاذية بالذال المعجمة قال والجذو اشد استيفازا من الجثو
لان الجاذي هو الذي يجلس على اطراف اصابعه وهو اشد استيفازا من الجاثي **قوله تعالى** كل امة العامة على الرفع بالابتداء
وتدعى خبرها ويعقوب بالنصب على البدل من كل امة الاولى بدل نكرة موصوفة من مثلها **قوله تعالى** الى كتابها اي الى صحائف
اعمالها فاكتفى باسم الجنس كقوله تعالى ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه والظاهر انه يدخل فيه المومنون
والكافرون لقوله تعالى بعد ذلك فاما الذين امنوا قال سلمان الفارسي ان في القيامة ساعة هي عشر سنين تخر الناس
فيها جثاة على ركبهم حتى ابرهيم ينادي ربه لا اسئلك الا نفسي **قوله تعالى** اليوم تجزون هذه الجملة معمولة لقول مضمر
التقدير يقال لهم اليوم تجزون واليوم معمول لما بعده وما كنتم هو المفعول الثاني فان قيل الجثو على الركب انما يليق
بالخائف والمومنون لا خوف عليهم يوم القيمة فالجواب ان الجاثي الامن قد يشارك المبطل في مثل هذه الحالة الى ان
يظهر كونه محقا فان قيل كيف اضيف الكتاب اليهم والى الله تعالى فالجواب لا منافاة بين الامرين لانه كتابهم بمعنى انه الكتاب
المشتمل على اعمالهم وكتاب الله بمعنى انه هو الذي امر الملائكة بكتبه **قوله تعالى** ينطق عليكم بالحق اي يشهد عليكم باعمالكم من غير
زيادة ولا نقصان وقيل المراد بالكتاب اللوح المحفوظ وينطق يجوز ان يكون حالا وان يكون خبرا ثانيا وان يكون كتابنا
بدلا وينطق خبره وحده وبالحق حال **قوله تعالى** انا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون اي نامر الملائكة بنسخ اعمالكم اي بكتبها واثباتها
عليكم وقيل نستنسخ اي ناخذ نسخة وذلك ان الملكين يرفعان عمل الانسان فيثبت الله منه ما كان له ثواب او عقاب ويطرح
منه اللغو نحو قولهم هلم واذهب والاستنساخ من اللوح المحفوظ تنسخ الملائكة كل عام ما يكون من اعمال بني ادم والاستنساخ
لا يكون الا من اصل كما ينسخ كتاب من كتاب وقال الضحاك نستنسخ اي نثبت وقال السدي نكتب وقال الحسن نحفظ ثم بين احوال
المطيعين فقال فاما الذين امنوا وعملوا الصالحات فيدخلهم ربهم في رحمته ذلك هو الفوز المبين فوصفهم بالعمل الصالح
بعد وصفهم بالايمان يدل على ان العمل الصالح مغاير للايمان زائد عليه **فصل** قالت المعتزلة علق الدخول
في رحمة الله على كونه اتيا بالايمان والعمل الصالح والمعلق على مجموع امرين يكون عدما عند عدم احدهما فعند عدم الاعمال
الصالحة يجب ان لا يحصل الفوز بالجنة واجيب بان تعليق الحكم على الوصف لا يدل على عدم الحكم عند عدم الوصف
فصل سمي الثواب رحمة والرحمة انما تصح تسميتها بهذا الحكم اذا لم تكن واجبة فوجب ان لا يكون الثواب واجبا على الله
تعالى **قوله تعالى** واما الذين كفروا افلم تكن هذا على اضمار القول ايضا وقدر الزمخشري على عادته جملة بين الهمزة والفاء
اي الم تاتكم رسلي فلم تكن اياتي **فصل** ذكر الله المومنين والكافرين ولم يذكر قسما ثالثا وهذا يدل على ان مذهب
المعتزلة في اثبات منزلة بين المنزلتين باطل وفي الاية دليل على ان استحقاق العقوبة لا يحصل الا بعد مجيء الشرع وعلى ان
الواجبات لا تجب الا بالشرع خلافا للمعتزلة في قولهم ان بعض الواجبات قد تجب بالعقل **قوله تعالى** واذا قيل ان وعد الله
حق العامة على كسر الهمزة لانها محكية بالقول والاعرج وعمرو بن فائد بفتحها وذلك مخرج على لغة سليم يجرون القول
مجرى الظن مطلقا ومنه قوله اذا قلت اني ائب اهل بلدة **قوله تعالى** والساعة قرا حمزة بنصبها عطفا على وعد الله والبا
قون برفعها وفيه ثلاثة اوجه الابتداء وما بعدها من الجملة المنفية خبرها الثاني العطف على محل اسم ان لانه قبل دخولها
مرفوع بالابتداء الثالث انه عطف على محل ان واسمها معا لان بعضهم كالفارسي والزمخشري يرون ان لان واسمها
موضعا وهو الرفع بالابتداء **قوله تعالى** الا ظنا هذه الاية لا بد فيها من تاويل وذلك انه يجوز تفريغ العامل لما بعده من
جميع معمولاته مرفوعا كان او منصوبا الا المفعول المطلق فانه لا يفرغ له لا يجوز ما ضربت الا ضربا لانه لا فائدة فيه
وذلك انه بمنزلة تكرير الفعل فكانه في قوة ما ضربت الا ضربت قاله مكي وابو البقاء وقال الزمخشري فان قلت ما معنى
ان نظن الا ظنا قلت اصله نظن ظنا ومعناه اثبات الظن حسب فادخل حرف النفي والاستثناء ليفاد اثبات الظن مع نفي ما
سواه وزيد نفي ما سوى الظن توكيدا بقوله وما نحن بمستيقنين فظاهر كلامه انه لا يتاول الاية بل حملها على ظاهرها
قال ابو حيان وهذا كلام من لا شعور له بالقاعدة النحوية من ان التفريغ يكون في جميع المعمولات من فاعل ومفعول

وغيرهما الا المصدر المؤكد فانه لا يكون فيه وقد اختلف الناس في تاويلها على اوجه احدها ما قاله المبرد وهو
ان الاصل ان نحن الا نظن ظنا قال ونظيره ما حكاه ابو عمرو ليس الطيب الا المسك تقديره ليس الا الطيب المسك قال
شهاب الدين يعني ان اسم ليس ضمير الشان مستتر فيها ولا الطيب المسك في محل نصب خبرها وكانه خفي عليه ان لغة تميم ابطال
عمل ليس اذا انتقض نفيها بالا قياسا على ما الحجازية والمسئلة طويلة مذكورة في كتب النحو وعليها حكاية جرت بين ابي
عمرو وعيسى بن عمر الثاني ان ظنا له صفة محذوفة تقديره الا ظنا بينا فهو مختص لا مؤكد الثالث ان يضمن نظن معنى
نعتقد فينتصب ظنا مفعولا به لا مصدرا الرابع ان الاصل ان نظن الا انكم تظنون ظنا فحذف هذا كله وهو معزو
للمبرد ايضا وقدره عليه من حيث انه حذف ان واسمها وخبرها وابقى المصدر وهذا لا يجوز الخامس ان الظن
يكون بمعنى العلم والشك فاستثنى الشك كانه قيل ما لنا اعتقاد الا الشك ومثل الاية قول الاعشى • وحل به الشيب اثقاله •
وما اغتره الشيب الا اغترارا • يريد اغترارا بينا **فصل** قال ابن الخطيب القوم كانوا في هذه المسئلة على قولين
منهم من كان قاطعا بنفي البعث والقيمة وهم المذكورون في قوله تعالى وقالوا ما هي الا حياتنا الدنيا ومنهم من كان
شاكا متحيرا فيه لانهم لكثرة ما سمعوه من الرسول عليه السلام ولكثرة ما سمعوه من دلائل القول بصحته صاروا شاكين فيه
وهم المذكورون في هذه الاية ويدل على ذلك انه تعالى حكى مذهب اولئك القاطعين ثم اتبعه بحكاية قول هولاء فوجب
كون هولاء مغايرين للفريق الاول ثم قال وبدا لهم من الله اي في الاخرة سيئات ما عملوا اي جزاؤها وحاق بهم ما
كانوا به يستهزءون وهذا كالدليل على ان هذه الفرقة لما قالوا ان نظن الا ظنا انما ذكروه استهزاء وسخرية وعلى هذا الوجه
فصار ذلك ادل على خسرانهم فهذا الفريق اشر من الفريق الاول لان الاولين كانوا منكرين وما كانوا مستهزئين
وهولاء ضموا الى الاصرار على الانكار الاستهزاء **قوله تعالى** وقيل اليوم ننساكم اي نترككم في العذاب كما تركتم الايمان
والعمل للقاء هذا اليوم وقيل نجعلكم بمنزلة الشيء المنسي غير المبالى به كما لم تبالوا انتم بلقاء يومكم هذا ولم
تلتفتوا اليه **قوله تعالى** لقاء يومكم هذا من التوسع في الظرف حيث اضاف اليه ما هو واقع فيه كقوله بل مكر الليل
والنهار **قوله تعالى** وماواكم النار وما لكم من ناصرين فجمع الله عليهم من وجوه العذاب ثلاثة انواع قطع الرحمة
عنهم وصيرورة ماواهم النار وعدم الانصار ثم بين تعالى ان يقال لهم انما صرتم مستحقين لهذه الوجوه الثلاثة
من العذاب لانكم اتيتم بثلاثة انواع من الاعمال القبيحة وهي الاصرار على انكار الدين الحق والاستهزاء به والسخرية
والاستغراق في حب الدنيا وهو المراد بقوله تعالى ذلكم بانكم اتخذتم ايات الله هزوا وغرتكم الحياة الدنيا **قوله تعالى**
فاليوم لا يخرجون منها ولا هم يستعتبون تقدم الخلاف في قوله لا يخرجون منها في اول الاعراف وان حمزة والكسائي
قرا بفتح الياء وضم الراء والباقون بضم الياء وفتح الراء ولا هم يستعتبون لا يطلب منهم ان يرجعوا الى طاعة الله
لانه لا يقبل ذلك اليوم عذر ولا توبة **قوله تعالى** فلله الحمد رب السموات ورب الارض رب العالمين قرا العامة
رب في الثلاثة بالجر تبعا للجلالة بيانا او بدلا او نعتا وابن محيصن برفع الثلاثة على المدح باضمار هو **قوله تعالى**
وله الكبرياء في السموات يجوز ان يكون في السموات متعلقا بمحذوف حالا من الكبرياء وان يتعلق بما تعلق به الظرف
الاول لوقوعه خبرا ويجوز ان يتعلق بنفس الكبرياء لانها مصدر وقال ابو البقاء وان يكون يعني في السموات ظرفا
والعامل فيه الظرف الاول والكبرياء لانها بمعنى العظمة قال شهاب الدين ولا حاجة الى تاويل الكبرياء بمعنى العظمة فانها
ثابتة المصدرية **فصل** لما تم الكلام في المباحث الروحانية ختم السورة بتحميد الله تعالى فقال فلله الحمد
رب السموات ورب الارض رب العالمين اي فاحمدوا الله الذي هو خالق السموات والارضين بل خالق كل العالمين
من الاجسام والارواح والذوات والصفات فان هذه الربوبية توجب الحمد والثناء على كل من المخلوقين والمربوبين
ثم قال وله الكبرياء في السموات والارض وهو العزيز الحكيم يعني بكمال القدرة يقدر على خلق اي شيء اراد وبكمال الحكمة يخص
كل نوع من مخلوقاته باثار الحكمة والرحمة وقوله وهو العزيز الحكيم يفيد الحصر ويفيد ان الكامل في القدرة وفي الحكمة
وفي الرحمة ليس الا هو روى ابو هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل الكبرياء ردائي والعظمة
ازاري فمن نازعني واحدا منهما ادخلته النار وروى ابي بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة حم الجاثية
ستر الله عورته وسكن روعته عند الحساب يوم القيمة صدق رسول الله صلى الله عليه وعلى اله وصحبه وسلم

سورة الاحقاف مكية

وهي خمس وثلاثون اية وستماية واربعة واربعون كلمة والفان وخمسماية وخمسة وتسعون حرفا بسم الله
الرحمن الرحيم قوله تعالى حم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم ما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق واجل مسمى
تقدم الكلام على نظيره ذلك والمراد ههنا بالاجل المسمى يوم القيمة وهو الاجل الذي ينتهي اليه السموات والارض وهو
اشارة الى قيامها قوله تعالى والذين كفروا عما انذروا ويجوز ان تكون ما مصدرية اي عن انذارهم او بمعنى الذي اي عن الذي
انذروه وعن متعلقة بالاعراض ومعرضون خبر الموصول قوله تعالى قل ارايتم تقدم حكم ارايتم ووقع بعد هذه اروني
فاحتملت وجهين احدهما ان يكون تاكيدا لها لانهما بمعنى اخبروني وعلى هذا يكون المفعول الثاني لارايتم قوله ماذا خلقوا
لانه استفهام والمفعول الاول هو قوله ما تدعون والوجه الثاني ان لا تكون مؤكدة لها وعلى هذا تكون المسئلة من باب التنازع
لان ارايتم يطلب ثانيا واروني كذلك وقوله ماذا خلقوا هو المتنازع فيه وتكون المسئلة من اعمال الثاني والحذف من الاول
وجوز ابن عطية في ارايتم ان لا يتعدي وجعل ما تدعون استفهاما معناه التوبيخ قال وتدعون معناه تعبدون وهذا
راي الاخفش وقد قال بذلك في قوله قال ارايت اذ اوينا الى الصخرة وقد تقدم قوله تعالى من الارض هذا بيان للابهام الذي
في قوله ماذا خلقوا من الارض قوله تعالى ام لهم هذه ام المنقطعة والشرك المشاركة وقوله من قبل هذا صفة لكتاب اي بكتاب
منزل من قبل هذا كذا قدره ابو البقا والاحسن ان يقدر كونا مطلقا اي كائن من قبل هذا قوله تعالى او اثارة العامة على اثارة
وهي مصدر على فعالة كالسماحة والغواية والضلالة ومعناها البقية من قولهم سمنت الناقة على اثارة من لحم اذا كانت
سمينة ثم هزلت وبقي بقية من شحمها ثم سمنت والاثارة غلب استعمالها في بقية الشرف يقال لفلان اثارة اي بقية اشراف
وتستعمل في غير ذلك قال الراعي • وذات اثارة اكلت عليها • نباتا في اكمته فقارا • وقيل اشتقاقها من اثر كذا اي اسنده
ومنه قول عمر ما حلفت به ذاكرا ولا اثرا اي مسندا له عن غيري وقال الاعشى •• ان الذي فيه تماريتما • بين للسامع والاثر
وقيل فيها غير ذلك وقرا علي وابن عباس وزيد بن علي وعكرمة في اخرين اثرة دون الف وهي الواحدة ويجمع على اثر
كقترة وقتر وقرا الكسائي اثرة واثرة بضم الهمزة وكسرها مع سكون الثا وقتادة والسلمي بالفتح والسكون والمعنى
بما يوثر ويروي اي ايتوني بخبر واحد يشهد بصحة قولكم وهذا على سبيل التنزل للعلم بكذب المدعي ومن علم صفة لاثارة
فصل قال ابو عبيدة والفرا والزجاج اثارة من علم اي بقية قال المبرد اثارة ما يوثر من علم قولك هذا الحديث
يوثر عن فلان ومن هذا المعنى سميت الاخبار والاثار يقال جاء في الاثر كذا وكذا قال الواحدي وكلام اهل اللغة في هذا
الحرف يدور على ثلاثة اقوال الاول الاثارة واشتقاقها من اثرت الشي اثيره اثارة كانها بقية تستخرج فتثار والثاني
من الاثر الذي هو الرواية الثالث من الاثر بمعنى العلامة قال الكلبي في تفسير الاثارة اي بقية من علم يوثر عن الاولين
اي يسند اليهم وقال مجاهد وعكرمة ومقاتل رواية عن الانبيا وقال قتادة خاصة من علم قال ابن الخطيب وههنا
قول اخر في تفسير قوله تعالى او اثارة من علم هو علم الخط الذي يخط في الرمل والعرب كانوا يخطونه وهو علم مشهور
وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال كان نبي من الانبيا يخط فمن وافق خطه خطه علم علمه فعلى هذا الوجه معنى الاية
ايتوني بعلم من قبل هذا الخط الذي تخطونه في الرمل يدل على صحة مذهبكم في عبادة الاصنام فان صح تفسير الاية
بهذا الوجه كان ذلك من باب التهكم بهم وباقوالهم ودلايلهم قوله تعالى ومن اضل مبتدا وخبره قوله من لا يستجيب
من نكرة موصوفة او موصولة وهي مفعول بقوله يدعوا قوله تعالى وهم عن دعائهم يجوز ان يكون الضمير عائدا
على من في قوله من لا يستجيب له وهم الاصنام ويوقع عليهم من لمعاملتهم اياها معاملة العقلا او لانه اراد جميع
من عبد من دون الله وغلب العقلا ويكون قد راعي معنى من فلذلك جمع في قوله وهم عن دعائهم غافلون فصل
ومن اضل استفهام على سبيل الانكار والمعنى لا احد ابعد عن الحق واقرب الى الجهل ممن يدعو من دون الله الاصنام
فيتخذها الهة ويعبدها وهي اذا دعيت لا تسمع ولا تجيب لا في الحال ولا في المال الى يوم القيمة وانما جعل ذلك غاية
لان يوم القيمة قد قيل ان الله تعالى يحييها وتخاطب من يعبدها فلذلك جعله الله تعالى حدا واذا قامت القيمة وحشر الناس
فهذه الاصنام تعادي هؤلاء العابدين واختلفوا فيه فالاكثرون على ان الله تعالى يحيي هذه الاصنام يوم القيمة فتتبرا
من عبادتهم وقيل المراد عبدة الملايكة وعيسى فانهم في يوم القيمة يظهرون عداوة هؤلاء العابدين وهو المراد بقوله
واذا حشر الناس كانوا لهم اعداء وكانوا بعبادتهم كافرين اي جاحدين لقولهم تبرانا اليك ما كانوا ايانا يعبدون
قوله تعالى واذا تتلى عليهم اياتنا بينات قال الذين كفروا للحق هنا اقام ظاهرين مقام مضمرين اذ الاصل قالوا لها اي للايات
لكنه ابرزهما ظاهرين لاجل الوصفين المذكورين واللام في للحق للعلة فصل لما تكلم في تقرير التوحيد ونفي
الاضداد والانداد والاشباه تكلم في النبوة وبين ان محمدا صلى الله عليه وسلم كلما عرض عليهم نوعا من انواع المعجزات
قالوا هذا سحر اي يسمون القران سحرا قوله تعالى ام يقولون افتراه ام للانكار والتعجب كانه قيل دع هذا واسمع

القول

القول المنكر العجيب ثم بين بطلان شبهتهم فقال قل يا محمد ان افتريته على سبيل الفرض فان الله يعاملني بعقوبة
بطلان ذلك الافترا وانتم لا تقدرون على دفعه فكيف اقدم على هذه الفرية تعني لعقابه وهو المراد بقوله فلا تملكون
لي من الله شيئا اي لا تقدرون ان تردوا عني عذابه ان عذبني الله على افترائي فكيف افتري على الله من اجلكم ونظيره فمن
يملك من الله شيئا ان اراد ان يهلك المسيح بن مريم وامه ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئا ثم قال هو اعلم
بما تفيضون فيه اي الله اعلم بما تخوضون فيه من التكذيب بالقران والقول فيه بانه سحر كفى به شهيدا بيني وبينكم
ان القران جاء من عنده فيشهد لي بالصدق ويشهد لكم بالكذب وهو الغفور الرحيم لمن رجع عن الكفر وتاب قال الزجاج
هذا دعا الى التوبة ومعناه غفور لمن تاب منكم رحيم به قوله تعالى قل ما كنت بدعا من الرسل الاية لما حكى طعنهم
في كون القران معجزا بقولهم انه يختلقه من عند نفسه ثم ينسبه الى انه كلام الله على سبيل الفرية حكى عنهم شبهة اخرى
وهو انهم كانوا يقترحون عليه معجزات عجيبة ويطالبونه بان يخبرهم عن المغيبات فاجاب الله تعالى عن ذلك بقوله قل ما
كنت بدعا من الرسل قوله تعالى بدعا فيه وجهان احدهما انه على حذف مضاف تقديره ذا بدع قاله ابو البقا وهذا
على ان يكون البدع مصدرا والثاني ان البدع بنفسه صفة على فعل بمعنى بديع كالخف والخفيف والبدع والبديع
ما لم ير له مثل وهو من الابتداع وهو الاختراع انشد قطرب • فما انا بدع من حوادث تعتري • رجالا عرت من بعد بوسى
واسعد • قال البغوي البدع مثل نصف ونصيف وجمع البدع ابداع وقرا عكرمة وابو حيوة وابن ابي عبلة بدعا
بفتح الدال جمع بدعة اي ما كنت ذا بدع وجوز الزمخشري ان تكون صفة على فعل كدين وقيم ولحم زيم قال ابو حيان
ولم يثبت سيبويه صفة على فعل الا قوما عدي وقد استدرك عليه لحم زيم اي متفرق وهو صحيح واما قيم فمقصور
من قيام ولولا ذلك لصحت عينه كما صحت في حول وعوض واما قول العرب مكان سوي وماء روي ورجل رضي وماء صري
وسبي طيب فمتاولة عند التصريفيين قال شهاب الدين تاويلها اما بالمصدر بيرا والقصر كقيم في قيام وقرا ابو حيوة ايضا
ومجاهد بدعا بفتح البا وكسر الدال وهو وصف كحذر فصل البدع والبديع من كل شي المبدا والبدعة
ما اخترع مما لم يكن موجودا قبله قال المفسرون معناه اني لست باول رسول قد بعث قبلي كثير من الانبيا فكيف تنكرون
نبوتي وكيف تنكرون اخباري باني رسول الله وقيل انهم طلبوا منه معجزة عظيمة واخبارا عن الغيوب فقال قل ما كنت بدعا
من الرسل والمعنى ان الاتيان بهذه المعجزات القاهرة والاخبار عن الغيوب ليس في وسع البشر واما جنس الرسل فانا واحد
منهم فاذا لم يقدروا على ما تريدونه فكيف اقدر عليه وقيل انهم كانوا يعيبونه بانه ياكل الطعام ويمشي في الاسواق
وبانه فقير وان اتباعه فقراء فقال قل ما كنت بدعا من الرسل وكلهم كانوا على هذه الصفة فهذه الاشيا لا تقدح
في نبوتي كما لا تقدح في نبوتهم قوله تعالى وما ادري ما يفعل بي العامة على بنايه للمفعول وابن ابي عبلة وزيد بن
علي مبنيا للفاعل اي الله تعالى والظاهر ان ما في قوله ما يفعل استفهامية مرفوعة بالابتدا وما بعدها الخبر وهي معلقة
لادري عن العمل فتكون سادة مسد مفعولها وجوز الزمخشري ان تكون موصولة منصوبة يعني بها متعدية لواحد
اي لا اعرف الذي يفعله الله فصل في تفسير الاية وجهان احدهما ان يحمل ذلك على احوال الدنيا والثاني
ان يحمل ذلك على احوال الاخرة اما الاول ففيه وجوه الاول معناه لا ادري ما يصير اليه امري وامركم ومن الغالب
منا ومن المغلوب الثاني قال ابن عباس في رواية الكلبي لما اشتد البلا باصحاب النبي صلى الله عليه وسلم بمكة راى في
المنام انه يهاجر الى ارض ذات نخل وشجر وماء فقصها على اصحابه فاستبشروا بذلك وراوا ان ذلك فرج مما هم فيه
من اذى المشركين ثم انهم مكثوا برهة من الدهر لا يرون اثر ذلك فقالوا يا رسول الله ما رايتنا الذي قلت متى نهاجر
الى الارض التي رايتها في المنام فسكت النبي صلى الله عليه وسلم فانزل الله تعالى قل ما كنت بدعا من الرسل وما ادري
ما يفعل بي ولا بكم وهو شي رايته في المنام وانا لا اتبع الا ما يوحيه الله الي الثالث قال الضحاك لا ادري ما
تومرون به ولا ما اومر به من التكاليف والشرايع ولا من الابتلا والامتحان وانما انذركم بما اعلمني الله به من احوال
الاخرة من الثواب والعقاب ثم اخبر تعالى انه يظهر دينه على الاديان فقال هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق
ليظهره على الدين كله وقال في امته وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون
فاخبر الله ما يصنع به وبامته قاله السدي الرابع كانه يقول ما ادري ما يفعل بي في الدنيا اموت او اقتل كما
قتل الانبيا قبلي ولا ادري ما يفعل بكم ايها المكذبون اترمون بالحجارة من السما او يخسف بكم او يفعل بكم ما يفعل
بسائر الامم واما من حمل الاية على احوال الاخرة فروي عن ابن عباس انه قال لما نزلت هذه الاية فرح المشركون والمنافقون
واليهود وقالوا كيف نتبع نبيا ما يدري ما يفعل به ولا بنا فانزل الله تعالى انا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله
ما تقدم من ذنبك وما تاخر الى قوله وكان عند الله فوزا عظيما فقالت الصحابة هنيئا لك يا نبي الله قد علمنا ما يفعل بك

فما يفعل بنا فانزل الله عز وجل ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الانهار الاية وانزل وبشر
المؤمنين بان لهم من الله فضلا كبيرا فبين الله ما يفعل به وبهم وهذا قول انس وقتادة والحسن وعكرمة وقالوا انما
قال هذا قبل ان يخبر بغفران ذنبه وانما اخبر بغفران ذنبه عام الحديبية فنسخ ذلك قال ابن الخطيب واكثر المحققين
استبعدوا هذا القول لوجهين الاول ان النبي لا بد وان يعلم من نفسه كونه نبيا ومتى علم كونه نبيا علم انه لا تصدر منه
الكبائر وانه مغفور له واذا كان كذلك امتنع كونه شاكا في انه هل هو مغفور له ام لا الثاني ان الانبياء ارفع حالا من
الاولياء وقد قال في حق هؤلاء ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون فكيف يعقل
ان يبقى الرسول الذي هو رئيس الانبياء وقدوة الاولياء شاكا في انه هل هو من المغفور لهم فثبت ضعف هذا القول
قوله تعالى ان اتبع الا ما يوحى الي العامة على بناء يوحى للمفعول وقرا ابن عمير بكسر الحاء على البناء للفاعل وهو الله تعالى
والمعنى اني لا اقول قولا ولا اعمل عملا الا بمقتضى الوحي واحتج نفاة القياس بهذه الاية فقالوا النبي صلى الله عليه وسلم
ما قال قولا ولا عمل عملا الا بالنص الذي اوحاه الله اليه فوجب ان يكون حالنا كذلك ثم قال تعالى وما انا الا نذير
مبين لانهم كانوا يطالبونه بالمعجزات العجيبة وبالاخبار عن الغيوب فقال قل ما انا الا نذير مبين والقادر على تلك
الاعمال الخارجة عن قدرة البشر والعالم بتلك الغيوب ليس الا الله تعالى قوله تعالى قل ارايتم ان كان من عند الله مفعولا
ارايتم محذوف فان تقديره ارايتم حالكم ان كان كذا الستم ظالمين وجواب الشرط ايضا محذوف تقديره فقد ظلمتم ولهذا
اتى بفعل الشرط ماضيا وقدره الزمخشري الستم ظالمين ورد عليه ابو حيان بانه لو كان كذلك لوجبت الفاء لان
الجملة الاستفهامية متى وقعت جوابا للشرط لزمت الفاء ثم ان كانت اداة الاستفهام همزة تقدمت على الفاء نحو ان
تزرنا افما نكرمك وان كانت غيرها تقدمت الفاء عليها نحو ان تزرنا فهل ترى الا خيرا قال شهاب الدين والزمخشري
ذكر ما تقديرا فسر به المعنى لا الاعراب وقال ابن عطية وارايتم يحتمل ان تكون منبهة فهي لفظ موضوع للسؤال
لا يقتضي مفعولا ويحتمل ان تكون الجملة كان وما عملت سادة مسد مفعوليها قال ابو حيان وهذا خلاف ما قرره
النحاة وقد تقدم تقرير تحقيق ما قرروه وقيل جواب الشرط هو قوله فامن واستكبرتم وقيل هو محذوف تقديره
فمن المحق منا والمبطل وقيل فمن اضل قال ابن الخطيب جواب الشرط محذوف والتقدير ان يقال ان كان هذا الكتاب من عند الله
ثم كفرتم به وشهد شاهد من بني اسرائيل على صحته ثم استكبرتم لكنتم من الخاسرين ثم حذف هذا الجواب ونظيره قوله
ان احسنت اليك واسات الي واقبلت اليك واعرضت عني فقد ظلمتني وكذا هنا التقدير اخبروني ان ثبت ان القران من
عند الله بسبب عجز الخلق عن معارضته ثم كفرتم به وحصل ايضا شاهد اعلم بني اسرائيل بكونه معجزا من عند الله فلو استكبرتم
وكفرتم الستم اضل الناس واظلمهم واعلم ان جواب الشرط قد يحذف في بعض الايات كما في هذه الاية وكما في قوله ولو ان قرانا
سيرت به الجبال او قطعت به الارض او كلم به الموتى وقد يذكر كما في قوله تعالى قل ارايتم ان كان من عند الله ثم كفرتم به من
اضل وقوله قل ارايتم ان جعل الله عليكم الليل سرمدا الى يوم القيمة من اله غير الله فصل معنى الاية اخبروني
ماذا تقولون ان كان يعني القران من عند الله وكفرتم به ايها المشركون وشهد شاهد من بني اسرائيل على مثله المثل صلة
يعني عليه اي على انه من عند الله فامن يعني الشاهد واستكبرتم عن الايمان به واختلفوا في هذا الشاهد فقال قتادة والضحاك
واكثر المفسرين هو عبد الله بن سلام شهد بنبوة المصطفى صلى الله عليه وسلم وامن به واستكبر اليهود فلم يؤمنوا به
كما روى انس قال سمع عبد الله بن سلام بمقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتاه وهو يخترف في ارض فنظر الى وجهه
فعلم انه ليس بوجه كذاب وتامله فتحقق انه النبي المنتظر فقال اني سائلك عن ثلاث لا يعلمهن الا نبي ما اول اشراط
الساعة وما اول طعام اهل الجنة وما ينزع الولد الى ابيه والى امه فقال صلى الله عليه وسلم اخبرني بهن جبريل انفا
قال جبريل قال نعم قال ذلك عدو اليهود من الملائكة فقرا هذه الاية من كان عدوا لجبريل فانه نزله على قلبك باذن الله
اما اشراط الساعة فنار تحشر الناس من المشرق الى المغرب واما اول طعام ياكله اهل الجنة فزيادة كبد حوت واما
الولد فاذا سبق ماء الرجل نزعه وان سبق ماء المراة نزعته فقال اشهد انك لرسول الله حقا ثم قال يا رسول الله
ان اليهود قوم بهت وان علموا باسلامي قبل ان تسالهم عني بهتوني عندك فجاءت اليهود فقال لهم النبي صلى الله عليه
وسلم اي رجل عبد الله فيكم قالوا اخيرنا وابن خيرنا وسيدنا وابن سيدنا واعلمنا وابن اعلمنا قال افرايتم ان اسلم عبد الله
بن سلام فقالوا اعاذه الله من ذلك فخرج اليهم عبد الله فقال اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله فقالوا
شرنا وابن شرنا وانتقصوه فقال هذا ما كنت اخاف منه يا رسول الله فقال سعد بن ابي وقاص ما كنا نقول وفي رواية
ما سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول لاحد يمشي على وجه الارض انه من اهل الجنة الا لعبد الله بن سلام وفيه نزلت هذه
الاية وشهد شاهد من بني اسرائيل وقيل الشاهد هو موسى بن عمران عليه السلام قال الشعبي قال مسروق في هذه الاية والله ما

نزلت

نزلت في عبد الله بن سلام لان آل حم نزلت بمكة وانما اسلم عبد الله بن سلام بالمدينة قبل وفاة رسول الله صلى الله عليه
وسلم بعامين فكيف يمكن حمل هذه الاية على واقعة حدثت في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة
وانما نزلت الاية في محاجة كانت من رسول الله صلى الله عليه وسلم لقومه واجاب الكلبي بان السورة مكية الا هذه الاية
فانها مدنية وكانت الاية نزلت فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يضعها في سورة كذا وكذا وهذه الاية نزلت
بالمدينة وان الله تعالى امر رسوله بان يضعها في هذه السورة المكية في هذا الموضع المعين قال ابن الخطيب ولقائل ان
يقول ان الحديث الذي رويتم عن عبد الله بن سلام مشكل لان ظاهر الحديث يشعر بانه لما سال النبي صلى الله عليه وسلم عن المسائل
الثلاث فلما اجاب النبي صلى الله عليه وسلم بذلك الجواب آمن عبد الله بن سلام لاجل ان النبي صلى الله عليه وسلم ذكر
تلك الجوابات وهذا بعيد من وجهين الاول ان الاخبار عن اول اشراط الساعة وعن اول طعام ياكله اهل الجنة اخبار
عن وقوع شيء من الممكنات وما هذا سبيله فانه لا يعرف كون ذلك الخبر صدقا الا اذا عرف اولا كون المخبر صادقا فلو عرفنا
صدق المخبر بكون ذلك الخبر صادقا لزم الدور وهو محال الثاني انا نعلم بالضرورة ان الجوابات المذكورة عن هذه المسائل لا
يبلغ العلم بها الى حد الاعجاز البتة بل نقول الجوابات الباهرة عن المسائل الصعبة لما لم تبلغ الى حد الاعجاز فالجواب
يحتمل انه جاء في بعض كتب الانبياء المتقدمين ان رسول آخر الزمان يسال عن هذه المسائل وهو يجيب عنها بهذه الجوابات
وكان عبد الله بن سلام عالما بهذا المعنى فلما سال النبي صلى الله عليه وسلم واجاب بتلك الاجوبة فلا جرم آمن
لا لان العلم بهذه الجوابات معجز والله اعلم وقيل المراد بالشاهد التوراة ومثل القران هو التوراة فشهد موسى على التوراة ومحمد
على الفرقان فكل واحد يصدق الاخر لان التوراة مشتملة على البشارة بمحمد صلى الله عليه وسلم والقران مصدق للتوراة
ثم قال فامن واستكبرتم فلم تؤمنوا ان الله لا يهدي القوم الظالمين وهذا تهديد وهو قائم مقام الجواب المحذوف
والتقدير قل ارايتم ان كان من عند الله ثم كفرتم به فانكم لا تكونوا مهتدين بل تكونوا ضالين قوله تعالى وقال الذين
كفروا للذين امنوا لو كان خيرا ما سبقونا اليه الاية في سبب النزول وجوه الاول ان كفار مكة قالوا ان عامة من يتبع محمدا
الفقراء والاراذل مثل عمار وصهيب وابن مسعود ولو كان هذا الدين خيرا ما سبقونا اليه الثاني قيل لما اسلمت
جهينة ومزينة واسلم وغفار قالت بنو عامر وغطفان واسد واشجع لو كان هذا خيرا ما سبقنا اليه رعاء البهم الثالث
قيل ان امة لعمر اسلمت وكان عمر يضربها ويقول لولا اني فترت لزدتك ضربا فكان كفار قريش يقولون لو كان ما يدعونا
اليه محمد خيرا ما سبقتنا اليه الرابع قيل كان اليهود يقولون هذا الكلام حين اسلم عبد الله بن سلام واصحابه
قوله تعالى للذين امنوا يجوز ان تكون لام العلة اي لاجلهم يعني ان الكفار قالوا لاجل ايمان الذين امنوا وان تكون
للتبليغ ولو جروا على مقتضى الخطاب لقالوا ما سبقتمونا ولكنهم التفتوا فقالوا ما سبقونا والضمير في كان واليه
عائدان على القران وما جاء به الرسول والرسول قوله تعالى واذ لم يهتدوا به العامل في اذ مقدر اي ظهر عنادهم
وتسبب عنه قوله فسيقولون ولا يعمل في اذ فسيقولون لتضاد الزمانين اعني المضي والاستقبال ولاجل الفاء
ايضا فصل المعنى واذ لم يهتدوا بالقران كما اهتدى به اهل الايمان فسيقولون هذا افك قديم كما قالوا
اساطير الاولين قوله تعالى ومن قبله كتاب موسى العامة على كسر ميم من ومن حرف جر وهي مع مجرورها خبر مقدم والجملة
حالية او خبر مستانف وقرا الكلبي بنصب الكتاب تقديره وانزل من قبله كتاب موسى وقرئ ومن بفتح الميم كتاب موسى
بالنصب على ان من موصولة وهي مفعول اول لاتينا مقدرا وكتاب موسى مفعوله الثاني اي واتينا الذي قبله كتاب
موسى قوله تعالى اماما ورحمة حالان من كتاب موسى وقيل منصوبان بمقدر اي انزلناه اماما ولا حاجة اليه وعلى
كونهما حالين هما منصوبان بما نصب به من قبله من الاستقرار وقال ابو عبيدة فيه اضمار اي جعلناه اماما ورحمة
من الله لمن امن به ومعنى الاية ومن قبل القران كتاب موسى يعني التوراة اماما يقتدى به ورحمة من الله لمن امن به وفي الكلام
محذوف تقديره وتقدمه كتاب موسى اماما ورحمة ولم يهتدوا به كما قال في الاية الاولى واذ لم يهتدوا به قوله تعالى
وهذا كتاب مصدق اي القران يصدق الكتب التي قبله في ان محمدا رسول من عند الله قوله تعالى لسانا حال من الضمير
في مصدق ويجوز ان يكون حالا من كتاب والعامل التنبيه او معنى الاشارة وعربيا صفة للسانا وهو المسوغ لوقوع
هذا الجامد حالا وجوز ابو البقاء ان يكون مفعولا به ناصبه مصدق وعلى هذا تكون الاشارة الى غير القران لان المراد باللسان
العربي القران وهو خلاف الظاهر وقيل هو على حذف مضاف اي مصدق ذا لسان عربي وهو النبي صلى الله عليه وسلم
وقيل هو على اسقاط حرف الجر اي بلسان وهو ضعيف قوله تعالى لتنذر متعلق بمصدق وبشرى عطف على محله
تقديره للانذار وللبشرى ولما اختلف العلة والمعلول وصل العامل اليه باللام وهذا فيمن قرا بتاء الخطاب
فاما من قرا بياء الغيبة وقد تقدم ذلك في يس فانهما متحدان وقيل وبشرى عطف على لفظ لتنذر اي فيكون مجرورا

فقط وقيل هي مرفوعة على خبر ابتداء مضمر تقديره هي بشرى وقيل بل هي عطف على مصدق وقيل هي منصوبة بفعل مقدر اي وتبشر بشرى ونقل ابو حيان وجه النصب عطفا على محل لتنذر عن الزمخشري وابي البقا ثم قال ولا يتم هذا على الصحيح من مذاهب النحويين لانهم يشترطون في الحمل على المحل ان يكون بحق الاصالة وان تكون الموضع محرز هنا المحل ليس بحق الاصالة اذ الاصل في المفعول له الجر والنصب ناشئ عنه لكن لما كثر بالشروط المذكورة وصل اليه الفعل فنصبه انتهى قوله الاصل في المفعول له الجر بالحرف ممنوع بدليل قول النحويين انه ينصب بشروط ذكروها ثم يقولون ويجوز جره باللام فقولهم ويجوز ظاهر في انه فرع لا اصل قال الزجاج الاجود ان يكون وبشرى في موضع رفع اي وهو بشرى قال ولا يجوز ان يكون في موضع نصب على معنى لتنذر الذين ظلموا وبشرى للمحسنين وقوله للمحسنين متعلق ببشرى او بمحذوف على انه صفة لها **فصل** المراد بالذين ظلموا مشركي مكة والحاصل ان المقصود من انزال هذا الكتاب انذار المعرضين وبشارة المطيعين **قوله تعالى** ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا الاية لما قرر دلايل التوحيد والنبوة وذكر شبهات المنكرين واجاب عنها ذكر بعد ذلك طريقة المحققين فقال ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا وقد تقدم تفسيره في سورة السجدة والفرق بين الموضعين ان في سورة السجدة ذكر ان الملائكة ينزلون ويقولون لا تخافوا ولا تحزنوا وهنا رفع الواسطة وذكر انه لا خوف عليهم ولا هم يحزنون فاذا جمعنا بين الايتين حصل من مجموعهما ان الملائكة يلقونهم بالبشارة من غير واسطة **قوله تعالى** فلا خوف عليهم الفا زايدة في خبر الموصول لما فيه من معنى الشرط ولم يمنع ان من ذلك لبقاء معنى الابتداء بخلاف ليت ولعل وكان **قوله تعالى** اولئك اصحاب الجنة الاية قالت المعتزلة هذه الاية تدل على مسايل اولها قوله اولئك اصحاب الجنة خالدين فيها يفيد الحصر وان اصحاب الجنة ليسوا الا الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا وهذا يدل على ان صاحب الكبيرة قبل التوبة لا يدخل الجنة وثانيها قوله جزاء بما كانوا يعملون يدل على اثبات العمل للعبد ورابعها يدل على ان العبد يستحق على الله تعالى جزاء عمله وتقدم جواب ذلك **قوله تعالى** خالدين منصوب على الحالية وجزاء منصوب على المصدر اما بعامل مضمر اي يجزون جزاء او بما تقدم لان معنى اولئك اصحاب الجنة معنى جازيناهم بذلك **قوله تعالى** ووصينا الانسان بوالديه حسنا تقدم نظيره وقرا الكوفيون احسانا وباقي السبعة حسنا بضم الحاء وسكون السين فالقراءة الاولى يكون احسانا فيها منصوبا بفعل مقدر اي وصيناه ان يحسن اليهما احسانا وقيل بل هو مفعول به على تضمين وصينا معنى الزمنا فيكون مفعولا ثانيا وقيل بل هو منصوب على المفعول له اي وصيناه بهما احسانا منا اليهما وقيل هو منصوب على المصدر لان معنى وصينا احسانا فهو مصدر صريح والمفعول الثاني هو المجرور بالباء وقال ابن عطية انها تتعلق اما بوصينا واما باحسانا ورد ابو حيان هذا الثاني بانه مصدر موول فلا يتقدم معموله عليه ولان احسن لا يتعدى بالبا وانما يتعدى باللام لا تقول احسنت بزيد على معنى وصول الاحسان اليه ورد بعضهم هذا بقوله وقد احسن بي اذ اخرجني وقيل هو بغير هذا المعنى وقد يضمن ووصينا الانسان بوالديه ذا احسان يعني فيكون حالا واما حسنا فقيل فيه ما تقدم في احسان وقرا عيسى والسلمي حسنا بفتحهما وقد تقدم معنى القراءتين في البقرة وفي لقمان قال ابن الخطيب حجة من قرا احسانا قوله تعالى في سورة بني اسرائيل وبالوالدين احسانا ومعناه امرناه بان يوصل اليهما احسانا وحجة القراءة الاخرى قوله تعالى في سورة العنكبوت ووصينا الانسان بوالديه حسنا ولم يختلفوا فيه والمراد انا امرناه بان يوصل اليهما فعلا حسنا كما يقال لهذا الرجل علم وكرم **قوله تعالى** حملته امه كرها ووضعته كرها قرا اهل الحجاز وابو عمرو بفتح الكاف والباقون بضمها قيل هما لغتان بمعنى واحد مثل الضعف والضعف والفقر والفقر ومن غير المصادر الدف والدف والشهد والشهد وقال الواحدي الكره مصدر من كرهت الشي اكرهه والكره اسم كانه الشي المكروه قال تعالى كتب عليكم القتال وهو كره لكم فهذا بالضم وقال ان ترثوا النساء كرها فهذا في موضع الحال وما كان مصدرا في موضع الحال فالفتح فيه احسن وقال ابو حاتم الكره بالفتح لا يحسن لانه بالفتح الغصب والغلبة ولا يلتفت لما قاله لتواتر هذه القراءة وانتصابهما اما على الحال من الفاعل اي ذات كره واما على النعت لمصدر مقدر اي حملا كرها **فصل** قال المفسرون حملته امه على مشقة ووضعته بمشقة وليس المراد ابتداء الحمل فان ذلك لا يكون مشقة لقوله تعالى فلما تغشاها حملت حملا خفيفا فمرت به فلما اثقلت فحينئذ حملته كرها ووضعته كرها يريد شدة الطلق **فصل** دلت الاية على ان حق الام اعظم لانه تعالى قال ووصينا الانسان بوالديه حسنا فذكرهما معا ثم خص الام بالذكر فقال حملته امه كرها ووضعته كرها وذلك يدل على ان حقها اعظم وان وصول المشاق اليها بسبب الولد كثيرة والاخبار كثيرة في هذا الباب **قوله تعالى** وحمله وفصاله اي مدة حمله وقرا العامة وفصاله مصدر فاصل كان الام فاصلته وهو فاصلها والجحدري والحسن وقتادة فصله قيل والفصل والفصال بمعنى كالفطم والفطام والقطف والقطاف والفصال الفطام ولو نصب ثلاثين

على الظرف الواقع موقع الخبر جاز وهو الاصل هذا اذا لم يقدر مضافا فان قدرنا اي مدة حمله لم يخبر بذلك وتعين الرفع لتصادق الخبر والمخبر عنه **فصل** دلت الاية على ان اقل مدة الحمل ستة اشهر لانه لما كان مجموع مدة الحمل والرضاع ثلاثون شهرا وقال تعالى والوالدات يرضعن اولادهن حولين كاملين فاذا اسقطنا الحولين الكاملين وهي اربعة وعشرون شهرا من ثلاثين بقي مدة الحمل ستة اشهر روي عكرمة عن ابن عباس قال اذا حملت المراة تسعة اشهر ارضعت احدا وعشرين شهرا واذا حملت ستة اشهر ارضعت اربعة وعشرين شهرا وروي عن ابي بكر رضي الله عنه ان امراة رفعت اليه وقد ولدت لستة اشهر فامر برجمها فقال عمر لا رجم عليها وذكر الطريق المتقدمة وعن عثمان نحوه وانه هم بذلك فقرا ابن عباس عليه الاية واما مدة اكثر الحمل فليس في القران ما يدل عليه **قوله تعالى** حتى اذا بلغ اشده قال ابن عباس في رواية عطا الاشد ثماني عشرة سنة وقيل نهاية قوته وغاية شبابه واستوائه وهو ما بين ثماني عشرة سنة الى اربعين سنة فذلك قوله وبلغ اربعين سنة فذلك قوله وبلغ اربعين سنة وقال السدي والضحاك نزلت في سعد بن ابي وقاص وقد مضت القصة وقيل نزلت في ابي بكر الصديق وابيه ابي قحافة عثمان بن عمرو وامه ام الخير بنت صخر بن عمرو وقال علي بن ابي طالب رضي الله عنه الاية في ابي بكر الصديق رضي الله عنه اسلم ابواه جميعا ولم يجتمع لاحد من المهاجرين ابواه غيره اوصاه الله بهما ولزم ذلك من بعده وكان ابو بكر صحب النبي صلى الله عليه وسلم وهو ابن ثماني عشرة سنة والنبي صلى الله عليه وسلم ابن عشرين سنة في تجارته الى الشام فلما بلغ اربعين سنة ونبي النبي صلى الله عليه وسلم امن به ودعا ربه فقال رب اوزعني الهمني ان اشكر نعمتك التي انعمت علي وعلى والدي بالهداية والايمان واكثر المفسرين على ان الاشد ثلاث وثلاثون سنة **فصل** قال ابن الخطيب مراتب سن الحيوان ثلاثة لان بدن الحيوان لا يتكون الا برطوبة غريزية وحرارة غريزية والرطوبة الغريزية زايدة في اول العمر وناقصة في اخر العمر والانتقال من الزيادة الى النقصان لا يعقل حصوله الا اذا حصل الاستواء في وسطها بين المدتين فثبت ان مدة العمر منقسمة الى ثلاثة اقسام فاولها ان تكون الرطوبة الغريزية زايدة على الحرارة الغريزية وحينيذ تكون الاعضاء قابلة للتمدد في ذواتها وزيادتها في الطول والعرض والعمق وهذا سن النشو والنماء والمرتبة الثانية وهي المرتبة المتوسطة ان تكون الرطوبة الغريزية وافية بحفظ الحرارة الغريزية من غير زيادة ولا نقصان وهذا هو سن الوقوف وهو سن الشباب والمرتبة الثالثة ان تكون الرطوبة الغريزية ناقصة عن الوفاء بحفظ الحرارة الغريزية ثم هذا النقصان على قسمين فالاول هو النقصان الحقيقي وهو سن الكهولة والثاني هو النقصان الظاهر وهو سن الشيخوخة **قوله تعالى** اربعين سنة اي تمامها فاربعين مفعول به قال المفسرون لم يبعث نبي قط الا بعد اربعين سنة قال ابن الخطيب وهذا يشكل بعيسى عليه السلام فانه تعالى جعله نبيا من اول عمره الا انه يجب ان يقال الاغلب انه ما جاء الوحي الا بعد الاربعين وهكذا كان الامر في حق نبينا صلى الله عليه وسلم **قوله تعالى** اوزعني قال ابن عباس معناه الهمني قال الجوهري اوزعته بكذا اي اغريته به فاذا اوزع به فهو موزع به اي مغرى به واستوزعت الله فاوزعني اي استلهمته فالهمني **قوله تعالى** وان اعمل صالحا ترضاه قال ابن عباس اجاب الله عز وجل دعاء ابي بكر فاعتق تسعة من المومنين يعذبون في الله منهم بلال وعامر بن فهيرة ولم يرد شيا من الخير الا اعانه الله عليه ودعا ايضا فقال واصلح لي في ذريتي فاجابه الله تعالى فلم يكن له ولد الا امنوا جميعا فاجتمع له اسلام ابويه واولاده جميعا فادرك ابو قحافة النبي صلى الله عليه وسلم وابنه ابو بكر وابنه عبد الرحمن بن ابي بكر وابن عبد الرحمن ابو عتيق كلهم ادركوا النبي صلى الله عليه وسلم ولم يكن ذلك لاحد من الصحابة **قوله تعالى** واصلح لي في ذريتي اصلح يتعدى بنفسه لقوله واصلحنا له زوجه وانما تعدى بفي لتضمنه معنى الطف بي في ذريتي ولانه جعل الذرية ظرفا للاصلاح كقوله يجرح في عراقيبها نصلي والمعنى هب لي الصلاح في ذريتي واوقعه فيهم **قوله تعالى** اني تبت اليك واني من المسلمين والمراد ان الدعا لا يصح الا مع التوبة ومع كونه من المسلمين **قوله تعالى** اولئك الذين يتقبل عنهم قرا الاخوان وحفص نتقبل بفتح النون مبنيا للفاعل ونصب احسن على المفعول به وكذلك نتجاوز والباقون ببنايهما للمفعول ورفع احسن لقيامه مقام الفاعل ومكان النون يا مضمومة في الفعلين والحسن والاعمش وعيسى بالياء من تحت والفاعل الله تعالى **فصل** ومعنى اولئك اي اهل هذا القول الذي تقدم ذكره فمن يدعو بهذا الدعا يتقبل عنهم والتقبل من الله هو ايجاب الثواب له على عمله وقوله احسن ما عملوا يعني اعمالهم الصالحة التي عملوها في الدنيا وكلها حسن فان قيل كيف قال احسن ما عملوا والله يتقبل الاحسن وما دونه فالجواب من وجهين الاول ان المراد بالاحسن الحسن كقوله تعالى واتبعوا احسن ما انزل اليكم من ربكم وكقولهم الناقص والاشج اعدلا بني مروان اي عادلا بني مروان الثاني ان الحسن من الاعمال هو المباح الذي لا يتعلق به ثواب ولا عقاب والاحسن ما يغاير ذلك وهو المندوب او الواجب وقوله ونتجاوز عن سيئاتهم فلا نعاقبهم عليها **قوله تعالى** في اصحاب الجنة فيه اوجه اظهرها انه في محل الحال اي كاينين في جملة اصحاب الجنة كقولك اكرمني الامير في اصحابه اي في جملتهم والثاني انه في

بمعنى مع والثالث انها خبر مبتدا مضمر اي هم في اصحاب الجنة **قوله تعالى** وعد الصدق مصدر موكد لمضمون الجملة السابقة
لان قوله اولئك الذين يتقبل عنهم في معنى الوعد فيكون قوله يتقبل ويتجاوز وعدا لهم من الله بالتقبل والتجاوز والمعنى
يعامل من صفته ما قدمناه بهذا الجزاء وذلك وعد من الله فبين انه صدق لا شك فيه **قوله تعالى** والذي قال لوالديه
اف لكما الاية لما وصف الولد البار بوالديه وصف الولد العاق لوالديه هاهنا واعلم انه قد تقدم الكلام على اف وكما
بيان التافيف لكما عوهيت لك وهي كلمة كراهية اتعدانني ان اخرج من قبري حيا وقد خلت القرون من قبلي ولم يبعث منهم
احد قال ابن عباس والسدي ومجاهد نزلت في عبد الرحمن بن ابي بكر قبل اسلامه كان ابواه يدعوانه الى الاسلام وهو يابى
وهو قوله اف لكما احيوا لي عبد الله بن جدعان وعامر بن كعب ومشايخ قريش حتى اسالهم عما تقولون واحتجوا لهذا القول
بانه لما كاتب معوية الى مروان بان يبايع الناس ليزيد قال عبد الرحمن بن ابي بكر لقد جئتم شيئا نكرا اتبايعون ابناءكم
فقال مروان يا ايها الناس هو الذي قال الله فيه والذي قال لوالديه اف لكما والصحيح انها نزلت في كل كافر عاق لوالديه
قاله الحسن وقتادة قال الزجاج قول من قال انها نزلت في عبد الرحمن بن ابي بكر قبل اسلامه يبطله قوله اولئك الذين
حق عليهم القول في امم فاعلم الله تعالى ان هؤلاء قد حقت عليهم كلمة العذاب وعبد الرحمن مؤمن من افاضل المؤمنين
فلا يكون ممن حقت عليه كلمة العذاب قال ابن الخطيب وهذا القول هو الصحيح فان قالوا روي انه لما دعاه ابواه الى
الاسلام واخبراه بالبعث بعد الموت قال اتعدانني ان اخرج من القبر يعني ابعث بعد الموت وقد خلت القرون من قبلي يعني
الامم الخالية فلم يرجعوا منهم عبد الله بن جدعان وفلان وفلان فنقول قوله اولئك الذين حق عليهم القول المراد هؤلاء
الذين ذكرهم عبد الرحمن من المشركين الذين ماتوا قبله هم الذين حق عليهم القول فالضمير عائد الى المشار اليهم بقوله وقد خلت
القرون من قبلي لا الى المشار اليه بقوله والذي قال لوالديه اف لكما هذا جواب الكلبي في دفع ذلك الدليل وهو حسن
وايضا روي ان مروان لما خاطب عبد الرحمن ابن ابي بكر بذلك الكلام سمعت عائشة رضي الله عنها ذلك فغضبت وقالت
والله ما هو به ولكن الله كفر اباك وانت في صلبه واذا ثبت ذلك كان المراد كل ولد اتصف بالصفات المذكورة ولا حاجة
الى تخصيص اللفظ المطلق بشخص معين **قوله تعالى** اتعدانني العامة بنونين مكسورتين الاولى للرفع والثانية للوقاية
وهشام بالادغام ونافع في رواية بنون واحدة وهذه شبيهة بقوله تامروني اعبد وقرا الحسن وشيبة وابو جعفر
وعبد الوارث عن ابي عمرو بفتح النون الاولى كانهم فروا من توالي مثلين مكسورين بعدهما ياء وقال ابو البقاء وهي لغة
شاذة في فتح نون الاثنين قال شهاب الدين ان عنى نون الاثنين في الاسماء نحو قوله على احوذيين استقلت فليس هذا منه
وان عنى في الفعل فلم يثبت ذلك لغة وانما الفتح هنا لما ذكرت **قوله تعالى** ان اخرج هو الموعود به فيجوز ان يقدر الباء
قبل ان وان لا يقدرها **قوله تعالى** وقد خلت جملة حالية وكذلك وهما يستغيثان الله اي يسالان الله واستغاث
يتعدى بنفسه تارة وبالباء اخرى وابن مالك زعم انه متعد بنفسه فقط وعاب قول النحاة مستغاث به قال شهاب الدين
لكنه لم يرد في القران الا متعديا بنفسه اذ تستغيثون ربكم فاستغاثه الذي وان يستغيثوا يغاثوا قال ابن الخطيب
معناه يستغيثان بالله من كفره وانكاره فلما حذف الجار وصل الفعل ويجوز ان يقال حذف الباء لانه اريد بالاستغاثة
الدعاء فحذف الجار لان الدعاء لا يقتضيه **قوله تعالى** ويلك منصوب على المصدر بفعل ملاق له في المعنى دون
الاشتقاق ومثله ويحه وويسه وويبه واما على المفعول به بتقدير الزمك الله ويلك وعلى كلا التقديرين الجملة
معمولة لقول مقدر اي يقولان ويلك امن والقول في محل نصب على الحال اي يستغيثان الله قائلين ذلك والمعنى
يقولان له ويلك امن وصدق بالبعث وهو دعاء عليه بالثبور والمراد الحث والتحريض على الايمان لا حقيقة الهلاك
قوله تعالى ان وعد الله حق العامة بكسر ان استئنافا او تعليلا وقرا عمرو بن فايد والاعرج بفتحها على انها معمولة
لامن على حذف الباء اي امن بان وعد الله بالبعث حق فيقول لهما ما هذا الا اساطير الاولين **قوله تعالى** اولئك
الذين حق عليهم القول اي وجب عليهم العذاب في امم اي مع امم وقد تقدم قد خلت من قبلهم من الجن والانس انهم كانوا
خاسرين **قوله تعالى** ولكل درجات مما عملوا قال ابن عباس يريد من سبق الى الاسلام فهو افضل ممن تخلف عنه ولو ساعة
وقال مقاتل ولكل واحد من الفريقين يعني البار بوالديه والعاق لهما درجات في الايمان والكفر والطاعة والمعصية
فان قيل كيف يجوز اطلاق لفظ الدرجات في اهل النار وقد روي الجنة درجات والنار دركات فالجواب من وجوه
احدها ان ذلك على جهة التغليب وثانيها قال ابن زيد درج اهل الجنة تذهب علوا ودرج اهل النار تذهب هبوطا
الثالث المراد بالدرجات المراتب المتزايدة فدرجات اهل الجنة في الخيرات والطاعات ودرجات اهل النار في المعاصي والسيئات
قوله تعالى وليوفيهم معلله محذوف تقديره جازاهم بذلك وقرا ابن كثير وابو عمرو وعاصم وهشام بالياء من تحت
والباقي في السبعة بالنون والسلمي بالتاء من فوق اسند التوفية للدرجات مجازا **قوله تعالى** وهم لا يظلمون اما استئناف

واما حال موكدة **قوله تعالى** ويوم يعرض اليوم منصوب بقول مقدر اي يقال لهم اذهبتم في يوم عرضهم وجعل
الزمخشري هذا مثل قولهم عرضت الناقة على الحوض فيكون قلبا ورده ابو حيان بانه ضرورة وايضا العرض امر نسبي فيصح
نسبته الى الناقة والى الحوض وقد تقدم الكلام في القلب وان فيه ثلاثة مذاهب **قوله تعالى** اذهبتم قرا ابن كثير اذهبتم
بهمزتين الاولى محققة والثانية مسهلة بين بين ولم يدخل بينهما الفا وهذا على قاعدته في ءانذرتهم ونحوه وابن عامر
قرا ايضا بهمزتين لكن اختلف راوياه عنه فهشام سهل الثانية وحققها وادخل الفا في الوجهين وليس على اصله فانه من اهل
التحقيق وابن ذكوان بالتحقيق فقط دون ادخال الف والباقون بهمزة واحدة فتكون اما خبرا واما استفهاما سقطت
اداته لدلالة عليها والاستفهام معناه التقريع وكلا القراءتين فصيحتان لان العرب تستفهم وتترك الاستفهام فتقول
اذهبت ففعلت كذا واذهبت ففعلت كذا **قوله تعالى** في حياتكم يجوز تعلقه باذهبتم ويجوز تعلقه بمحذوف على انه حال
من طيباتكم **فصل** قيل المعنى يعرض الذين كفروا على ان يدخلون النار وقيل يعرض عليهم النار ليروا اهوالها
ويقال لهم اذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها والمعنى ان ما قدر لكم من الطيبات والدرجات فقد استوفيتموه
في الدنيا فلم يبق لكم بعد استيفاء حظكم شيء منها وعن عمر رضي الله عنه لو شئت كنت اطيبكم طعاما واحسنكم لباسا ولكني استبقي
طيباتي قال الواحدي ان الصالحين يوثرون التقشف والزهد في الدنيا رجاء ان يكون ثوابهم في الاخرة اكمل لان هذه الاية
لا تدل على المنع من التمتع لان هذه الاية وردت في حق الكافر وانما وبخ الله الكافر لانه تمتع بالدنيا ولم يؤد شكر المنعم بطاعته
والايمان به واما المؤمن فانه يؤدي بايمانه شكر المنعم فلا يوبخ بتمتعه ويدل على ذلك قوله تعالى قل من حرم زينة الله التي
اخرج لعباده والطيبات من الرزق نعم لا ننكر ان الاحتراز عن التنعم اولى لان النفس اذا اعتادت التنعم صعب عليها
الاحتراز والانقياد وحينئذ ربما حمل الميل الى تلك الطيبات على فعل ما لا ينبغي روي عن عمر قال دخلت على رسول الله صلى الله
عليه وسلم فاذا هو على رمال حصير قد اثر الرمال بجنبه فقلت يا رسول الله ادع الله ان يوسع على امتك فان فارسا والروم
قد وسع عليهم وهم لا يعبدون الله فقال اولئك قوم عجلت لهم طيباتهم في الحيوة الدنيا وروت عائشة قالت ما شبع
ال محمد صلى الله عليه وسلم من خبز الشعير يومين متتابعين حتى قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنها قالت لقد كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم ياتي علينا الشهر ما يوقد في بيته نار انما هو الا الماء والتمر وعن ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله عليه
وسلم يبيت الليالي المتتابعة طاويا واهله لا يجدون عشاء وكان اكثر خبزهم خبز الشعير والاحاديث فيه كثيرة **قوله**
فاليوم تجزون عذاب الهون اي العذاب الذي فيه ذل وخزي وقرئ عذاب الهوان بما كنتم تستكبرون في الارض بغير الحق
وبما كنتم تفسقون فعلل تعالى ذلك العذاب بامرين احدهما الاستكبار والترفع وهو ذنب القلب والثاني الفسق وهو
ذنب الجوارح وقدم الاول على الثاني لان احوال القلب اعظم وقعا من اعمال الجوارح ويمكن ان يكون المراد من الاستكبار
انهم يتكبرون عن قبول الدين الحق ويستكبرون عن الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم والمراد بالفسق المعاصي
فصل دلت الاية على ان الكفار مخاطبون بفروع الاسلام لان الله تعالى علل عذابهم بامرين اولهما الكفر
وثانيهما الفسق وهذا الفسق لا بد وان يكون مغايرا لذلك الكفر لان العطف يوجب المغايرة فثبت ان فسق الكافر يوجب
العقاب في حقهم ولا معنى للفسق الا ترك المامورات وفعل المنهيات **قوله تعالى** واذكر اخا عاد اذ انذر قومه بالاحقاف
الاية لما ذكر دلائل النبوة والتوحيد وكان اهل مكة بسبب استغراقهم في لذات الدنيا اعرضوا عنها ولم يلتفتوا اليها
فلهذا السبب قال تعالى في حقهم ويوم يعرض الذين كفروا على النار اذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا فلما كان الامر كذلك
بين ان قوم عاد كانوا اكثر اموالا وقوة وجاها منهم ثم ان الله تعالى سلط عليهم العذاب بكفرهم فذكر قصتهم ليعتبر بها اهل
مكة فيتركوا الاغترار بما وجدوه في الدنيا ويقبلوا على الدين الحق فقال واذكر يا محمد لقومك اخا عاد اي هودا عليه السلام
قوله تعالى اذ انذر قومه بدل منه بدل اشتمال وتقدم تحقيقه وقوله بالاحقاف هي جمع حقف وهو الرمل المستطيل
المعوج ومنه احقوقف الهلال قال امرؤ القيس فلما اجزنا ساحة الحي وانتحى بنا بطن حقف ذي قفاف عقنقل
قال ابن عباس واد بين عمان ومهرة وقال مقاتل كانت منازل عاد باليمن في حضرموت بموضع يقال له مهرة اليها تنسب
الابل المهرية وكانوا اهل عمد سيارة في الربيع فاذا هاج العود رجعوا الى منازلهم وكانوا من قبيلة ارم قال قتادة ذكر لنا
ان عادا كانوا حيا من اليمن كانوا اهل رمل مشرفين على البحر بارض يقال لها الشحر **قوله تعالى** وقد خلت يجوز ان يكون
حالا من الفاعل او من المفعول والرابط الواو والنذر جمع نذير ويجوز ان تكون معترضة بين انذر وبين ان لا تعبدوا
اي انذرهم بان لا وقوله من بين يديه ومن خلفه اي مضت الرسل من قبل هود ومن خلفه اي بعده والمعنى اعلمهم ان الرسل
الذين بعثوا قبله والذين سيبعثون بعده كلهم منذرون نحو انذاره **فصل** قال المفسرون ان هودا عليه السلام
كان قد انذرهم وقال لا تعبدوا الا الله اني اخاف عليكم العذاب قالوا اجئتنا لتافكنا اي لتصرفنا عن الهتنا فاتنا بما

نعدنا من معاجلة العذاب على الكفر ان كنت من الصادقين في وعدك ان العذاب نازل بنا قال هو انما العلم عند الله هو
يعلم متى يأتيكم العذاب وابلغكم ما ارسلت به من الوحي والتحذير من العذاب فاما العلم بوقته فما اوحاه الي ولكني اراكم
قوما تجهلون وهذا يحتمل ان المراد انكم لا تعلمون ان الرسل لم يبعثوا مقترحين ولا سائلين عن غير ما اذن لهم فيه وانما
بعثوا مبلغين ويحتمل ان يكون المراد قوما تجهلون من حيث انكم بقيتم مصرين على كفركم وجهلكم فيغلب على ظني انه قرب الوقت
الذي ينزل عليكم بسبب هذا الجهل المفرط والوقاحة التامة ويحتمل ان يكون المراد قوما تجهلون حيث تصرون على طلب
العذاب وهب انه لم يظهر لكم كوني صادقا ولكن لم يظهر لكم ايضا كوني كاذبا فالاقدام على الطلب لنزول العذاب
جهل عظيم قوله تعالى فلما راوه عارضا مستقبل اوديتهم في هاء راوه قولان احدهما انه عائد على ما في قوله ما تعدنا والثاني
انه ضمير مبهم يفسره عارضا اما تمييزا او حالا قالهما الزمخشري ورده ابو حيان بان التمييز المفسر للضمير محصور
في باب رب وفي نعم وبئس وبان الحال لم يعهد فيها ان توضح الضمير قبلها وان النحويين لا يعرفون ذلك وذكر المبرد
في الضمير هنا قولين الاول ما تقدم والثاني انه يعود الى غير مذكور وبينه قوله عارضا كقوله تعالى ما ترك على ظهرها
من دابة ولم يذكر الارض لكونها معلومة فكذا هاهنا الضمير عائد الى السحاب كانه قيل فلما راوا السحاب عارضا وهذا اختيار
الزجاج ويكون من باب الاضمار لا على شريطة التفسير والعارض السحابة التي ترى في ناحية السماء ثم تطبق السماء قال
اهل اللغة العارض المعترض من السحاب في الجو قال الشاعر • يا من راى عارضا ارقت له • بين ذراعي وجبهة الاسد •
قوله تعالى مستقبل اوديتهم صفة لعارضا واضافته غير محضة فمن ثم ساغ ان يكون نعتا لنكرة وكذلك ممطرنا
وقع نعتا لعارض ومثله • يا رب هارطنا لو كان يطلبكم • لاقى مباعدة منكم وحرمانا • وقد تقدم ان اودية جمع واد
وان افعلة وردت جمعا لفاعل في الفاظ كواد واودية وناد واندية وجائز واجوزة فصل قال المفسرون
كانت حبست عنهم المطر اياما فساق الله اليهم سحابة سوداء فخرجت عليهم من واد لهم يقال له المغيث فلما راوها استبشروا
وقالوا هذا عارض ممطرنا فقال الله تعالى بل هو ما استعجلتم به من العذاب ثم بين ماهيته فقال ريح فيها عذاب اليم ثم وصف
تلك الريح فقال تدمر كل شيء بامر ربها اي تهلك كل شيء من الحيوان والناس بامر ربها ومعناه ان هذا ليس من باب
تاثيرات الكواكب والقرانات بل هو امر حدث ابتداء بقدرة الله تعالى لاجل تعذيبكم قوله تعالى بل هو ما استعجلتم به
قرئ ما استعجلتم مبنيا للمفعول وقوله ريح يجوز ان يكون خبر مبتدا مضمر اي هو ريح ويجوز ان يكون بدلا من هو
وفيها عذاب صفة لريح وكذلك تدمر وقرئ يدمر كل شيء بالياء من تحت مفتوحة وسكون الدال وضم الميم كل بالرفع
على الفاعلية اي تهلك كل شيء وزيد بن علي كذلك الا انه بالتاء من فوق ونصب كل والفاعل ضمير الريح وعلى هذا فيكون
دمر الثلاثي لازما ومتعديا قوله تعالى فاصبحوا لا يرى الا مساكنهم قرا حمزة وعاصم لا يرى بضم الياء من تحت مبنيا
للمفعول مساكنهم بالرفع لقيامه مقام الفاعل والباقون من السبعة بفتح تاء الخطاب مساكنهم بالنصب مفعولا به
والجحدري والاعمش وابن ابي اسحق والسلمي وابو رجاء بضم التاء من فوق مبنيا للمفعول مساكنهم بالرفع لقيامه مقام الفاعل
الا ان هذا عند الجمهور لا يجوز اعني اذا كان الفاصل الا فانه يمتنع لحاق علامة التانيث في الفعل الا في ضرورة كقوله •
وما بقيت الا الضلوع الجراشع • وقوله • كانه جمل هم وما بقيت • الا النحيزة والالواح والعصب • وعيسى الهمداني
لا يرى بالياء من تحت مبنيا للمفعول ومسكنهم بالتوحيد ونصر بن عاصم بتاء الخطاب مسكنهم بالتوحيد ايضا منصوبا
واجتزئ بالواحد عن الجمع فصل روي ان الريح كانت تحمل الفسطاط فترفعها في الجو وتحمل الظعينة حتى ترى
كانها جرادة وقيل ان اول من ابصر العذاب امراة منهم قالت رايت ريحا فيها كشهب النار وروي ان اول ما عرفوا به انه عذاب
اليم انهم راوا ما كان في الصحراء من رجالهم ومواشيهم تطير بهم الريح بين السماء والارض فدخلوا بيوتهم وغلقوا ابوابهم
فقلعت الريح الابواب وصرعتهم وامال الله تعالى عليهم الاحقاف فكانوا تحتها سبع ليال وثمانية ايام لهم انين ثم امر الله
الريح فكشفت عنهم الرمال واحتملتهم فرمت بهم في البحر وروي ان هودا لما احس بالريح خط على نفسه وعلى المؤمنين خطا
الى جنب عين تنبع وكانت الريح التي تصيبهم ريحا طيبة هادية والريح التي تصيب قوم عاد ترفعهم من الارض وتطير بهم
الى السماء وتضربهم على الارض واثر المعجزة انما ظهرت في تلك الريح من هذا الوجه قال عليه السلام ما امر الله خازن الرياح
ان يرسل على عاد الا مثل مقدار الخاتم وذلك القدر اهلكهم بكليتهم وذلك اظهار قدرة الله تعالى وعن النبي صلى الله
عليه وسلم انه كان اذا راى الريح فزع وقال اللهم اني اسالك خيرها وخير ما ارسلت به واعوذ بك من شرها وشر ما ارسلت
به ثم قال تعالى كذلك نجزي القوم المجرمين والمقصود منه تخويف كفار مكة فان قيل لما قال تعالى وما كان الله ليعذبهم
وانت فيهم فكيف يحصل التخويف فالجواب ان ذلك كان قبل نزول الاية قوله تعالى ولقد مكناهم فيما ان مكناكم
فيه ما موصولة او موصوفة وفي ان ثلاثة اوجه احدها شرطية وجوابها محذوف والجملة الشرطية صلة ما والتقدير

الخاتم

في الذي

في الذي ان مكناكم فيه طغيتم والثاني انها مزيدة تشبيها للموصولة بما النافية والتوقيتية وهو كقوله •
يرجي المرء ما ان لا يراه • ويعرض دون ادناه الخطوب • والثالث وهو الصحيح انها نافية بمعنى مكناهم في الذي ما مكناكم
فيه من القوة والبسطة وسعة الارزاق ويدل له قوله في مواضع كانوا اشد منهم قوة وامثاله وانما عدل عن لفظ ما النافية
الى ان كراهية لاجتماع متماثلين لفظا قال الزمخشري وقد اغث ابو الطيب في قوله • لعمرك ما ما بان منك بضارب •
وما ضره لو اقتدى بعذوبة لفظ التنزيل فقال ما ان بان منك فصل معنى الاية مكناهم فيما لم نمكنكم فيه
من قوة الابدان وطول العمر وكثرة المال ثم انهم مع زيادة القوة ما نجوا من عقاب الله تعالى فكيف يكون حالكم ثم قال
وجعلنا لهم سمعا وابصارا وافئدة اي فتحنا عليهم ابواب النعم واعطيناهم سمعا فما استعملوه في سماع الدلائل
واعطيناهم افئدة فما استعملوها في طلب معرفة الله تعالى بل صرفوا كل هذه القوى الى طلب الدنيا ولذاتها فلا جرم ما
اغنى عنهم سمعهم ولا ابصارهم ولا افئدتهم من عذاب الله تعالى قوله تعالى فما اغنى يجوز ان تكون ما نافية وهو الظاهر
واستفهامية للتقرير واستبعده ابو حيان لاجل قوله من شيء قال اذ يصير التقدير اي شيء اغنى عنهم من شيء فزاد من في
الموجب وهو لا يجوز على الصحيح قال شهاب الدين قالوا يجوز زيادتها في غير الموجب وفسروا غير الموجب بالنفي والنهي
والاستفهام وهذا استفهام قوله تعالى اذ كانوا معمول لاغنى وهي مشربة معنى التعليل اي لانهم كانوا يجحدون وهو كقوله
ضربته اذ اساء اي ضربته لانه اساء وفي هذه الاية تخويف لاهل مكة ثم قال وحاق بهم ما كانوا به يستهزءون يعني انهم كانوا
يطلبون نزول العذاب على سبيل الاستهزاء قوله تعالى ولقد اهلكنا ما حولكم من القرى يا كفار مكة كحجر ثمود وعاد
باليمن وارض سدوم ونحوها بالشام وصرفنا الايات الحجج بيناها لهم لعل اهل القرى يرجعون قال الجبائي قوله لعلهم
معناه لكي يرجعوا عن كفرهم وذلك يدل على انه تعالى اراد رجوعهم ولم يرد اصرارهم واجيب بانه فعل ما لو فعله غيره
لكان ذلك لاجل الارادة المذكورة وانما ذهبنا الى هذا التاويل للدلائل الدالة على انه تعالى مريد لجميع الكائنات قوله تعالى
فلولا نصرهم الذين اتخذوا من دون الله قربانا الهة القربان ما يتقرب به الى الله اي اتخذوها شفعاء وقالوا هؤلاء شفعاؤنا
عند الله وقالوا ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى قوله تعالى الهة فيه اربعة اوجه اظهرها ان المفعول الاول لاتخذوا
محذوف هو عائد الموصول وقربانا نصب على الحال والهة هو المفعول الثاني للاتخاذ والتقدير فهلا نصرهم الذين
اتخذوهم متقربا بهم الهة الثاني ان المفعول الاول محذوف كما تقدم وقربانا مفعولا ثانيا والهة بدل منه واليه نحا ابن عطية
والحوفي وابو البقاء الا ان الزمخشري منع هذا الوجه قال لفساد المعنى ولم يبين جهة الفساد قال ابو حيان ويظهر
ان المعنى صحيح على ذلك الاعراب قال شهاب الدين ووجه الفساد والله اعلم ان القربان اسم لما يتقرب به الى الله فلو جعلناه
مفعولا ثانيا والهة بدلا لزم ان يكون الشيء المتقرب به الهة والغرض انه غير الالهة بل هو شيء يتقرب به اليها فهو غيرها
فكيف تكون الالهة بدلا منه هذا ما لا يجوز الثالث ان قربانا مفعول من اجله وعزاه ابو حيان للحوفي واليه ذهب ابو البقاء
ايضا وعلى هذا فالهة مفعول ثان والاول محذوف كما تقدم الرابع ان يكون مصدرا نقله مكي ولولا انه ذكر وجها ثانيا
وهو المفعول من اجله لكان كلامه مؤولا بانه اراد بالمصدر المفعول من اجله لبعد معنى المصدر قوله تعالى بل ضلوا عنهم قال
مقاتل بل ضلت الالهة عنهم فلم تنفعهم عند نزول العذاب بهم قوله تعالى وذلك افكهم العامة على كسر الهمزة
وسكون الفاء مصدر افك يافك افكا اي كذبهم وابن عباس بالفتح وهو مصدر له ايضا وابن عباس ايضا وعكرمة
والصباح بن العلاء افكهم بثلاث فتحات فعلا ماضيا اي صرفهم وابو عياض وعكرمة ايضا كذلك الا انه بتشديد
الفاء للتكثير وابن الزبير وابن عباس ايضا آفكهم بالمد فعلا ماضيا ايضا وهو يحتمل ان يكون بزنة فاعل فالهمزة اصلية
وان يكون بزنة افعل فالهمزة زائدة والثانية بدل من همزة واذا قلنا انه افعل فهمزته تحتمل ان تكون للتعدية وان تكون
افعل بمعنى المجرد وابن عباس ايضا آفكهم بالمد وكسر الفاء ورفع الكاف جعله اسم فاعل بمعنى صارفهم وقرئ افكهم بفتحتين
ورفع الكاف على انه مصدر لافك ايضا فيكون له ثلاثة مصادر الافك والافك بفتح الهمزة وكسرها مع سكون الفاء
وفتح الهمزة والفاء وزاد ابو البقاء انه قرئ آفكهم بالمد وفتح الفاء ورفع الكاف قال بمعنى كذبهم فجعله افعل تفضيل
قوله تعالى وما كانوا يفترون يجوز ان تكون ما مصدرية وهو الاحسن ليعطف على مثله وان تكون بمعنى الذي والعائد
محذوف اي يفترونه والمصدر من قوله افكهم يجوز ان يكون مضافا الى الفاعل بمعنى كذبهم والى المفعول بمعنى صرفهم
والمعنى ذلك افكهم اي كذبهم الذي كانوا يقولون انها تقربهم الى الله وتشفع لهم وما كانوا يفترون يكذبون انها الهة
قوله تعالى واذ صرفنا اليك نفرا من الجن الاية لما بين ان في الانس من امن ومنهم من كفر بين ايضا ان في الجن من امن
ومنهم من كفر وان مؤمنهم معرض للثواب وان كافرهم معرض للعقاب قوله تعالى واذ صرفنا منصوب باذكر مقدرا
وقرئ صرفنا بالتشديد للتكثير من الجن صفة لنفرا ويجوز ان يتعلق بصرفنا ومن لابتداء الغاية قوله تعالى يستمعون

صفة أيضاً لنفراً أو حال لتخصصه بالصفة إن قلنا إن من الجن صفة له وراعى معنى النفر فأعاد عليه الضمير
جمعاً ولو راعى لفظه فقال يستمع لجاز **قوله تعالى** فلما حضروه يجوز أن تكون الهاء للقرآن وهو الظاهر وأن تكون
للرسول عليه السلام وحينئذ يكون في الكلام التفات من قوله إليك إلى الغيبة في قوله حضروه **قوله تعالى** فلما قضي
العامة على بنائه للمفعول أي فرغ من قراءة القرآن وهو يؤيد عود هاء حضروه على القرآن وأبو مجلز وحبيب بن عبد الله
قضى مبنياً للفاعل أي أتم الرسول قراءته وهي تؤيد عودها على الرسول عليه السلام **فصل** ذكروا في كيفية
هذه الواقعة قولين الأول قال سعيد بن جبير كانت الجن تستمع فلما رجموا قالوا هذا الذي حدث في السماء إنما حدث
لشيء في الأرض فذهبوا يطلبون السبب وكان قد اتفق أن النبي صلى الله عليه وسلم لما آيس من أهل مكة أن يجيبوه
خرج إلى الطائف ليدعوهم إلى الإسلام فلما انصرف إلى مكة وكان ببطن نخلة قام يقرأ القرآن فمر به نفر من أشراف
جن نصيبين كان إبليس بعثهم ليعرفوا السبب الذي أوجب حراسة السماء بالرجم فسمعوا القرآن فعرفوا أن ذلك هو السبب
والقول الثاني أن الله أمر رسوله أن ينذر الجن ويدعوهم إلى الله تعالى ويقرأ عليهم القرآن فصرف الله إليه نفراً من الجن
يستمعوا منه القرآن وينذروا قومهم **فصل** قال الزمخشري نقل القاضي في تفسيره أن الجن كانوا يهوداً لأن في
الجن مثل ما في الإنس من اليهود والنصارى والمجوس وعبدة الأوثان واتفق المحققون على أن الجن مكلفون سئل ابن عباس
هل للجن ثواب قال نعم لهم ثواب وعليهم عقاب يلتقون في أبواب الجنة ويزدحمون عليها أي على أبوابها **فصل**
قال الزمخشري النفر دون العشرة ويجمع على أنفار روى الطبري عن ابن عباس أن أولئك الجن كانوا سبعة نفر من أهل نصيبين
فجعلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم رسلاً إلى قومهم وعن زر بن حبيش كانوا تسعة أحدهم زوبعة وعن قتادة ذكر لنا أنهم
صرفوا إليه من نينوى واختلفت الروايات في أنه هل كان عبد الله بن مسعود مع النبي صلى الله عليه وسلم ليلة الجن أم لا
فصل روى القاضي في تفسيره عن أنس قال كنت عند النبي صلى الله عليه وسلم وهو بظاهر المدينة إذ أقبل شيخ يتوكأ
على عكازه فقال النبي صلى الله عليه وسلم إنها لمشية جني ونغمته فأتى فسلم على النبي صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم
إنها لنغمة جني فقال الشيخ أجل يا رسول الله فقال له النبي صلى الله عليه وسلم من أي الجن أنت قال يا رسول الله أنا هام بن هيم
بن لاقيس بن إبليس فقال له النبي صلى الله عليه وسلم لا أرى بينك وبين إبليس إلا أبوين قال أجل يا رسول الله قال كم أتى عليك
من العمر قال أكلت عمر الدنيا إلا القليل كنت حين قتل قابيل هابيل غلاماً ابن أعوام فكنت أتشوف على الآكام وأصطاد الهام
وأورش بين الأنام فقال النبي صلى الله عليه وسلم بئس العمل فقال يا رسول الله دعني من العتب فإني ممن آمن مع نوح عليه السلام
وعاتبته في دعوته فبكى وأبكاني وقال إني والله من النادمين وأعوذ بالله أن أكون من الجاهلين ولقيت إبراهيم وآمنت به
وكنت بينه وبين الأرض إذ رمي به في المنجنيق وكنت معه في النار إذ ألقي فيها وكنت مع يوسف إذ ألقي في الجب فسبقته إلى قعره
ولقيت موسى بن عمران بالمكان الأثير وكنت مع عيسى ابن مريم فقال لي إن لقيت محمداً فاقرأ عليه السلام قال أنس فقال النبي صلى الله
عليه وسلم وعليه السلام وعليك يا هام ما حاجتك قال إن موسى عليه السلام علمني التوراة وإن عيسى علمني الإنجيل فعلمني القرآن
قال أنس فعلمه النبي صلى الله عليه وسلم عشر سور وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم ينعه إلينا قال عمر بن الخطاب ولا
أراه إلا حياً وروي أنه علمه سورة الواقعة وعم يتساءلون وإذا الشمس كورت وقل يا أيها الكافرون وسورة الإخلاص والمعوذتين
فصل اختلفوا في عدد النفر فقال ابن عباس كانوا سبعة وقد تقدم وقيل كانوا تسعة وروى عاصم عن زر بن حبيش
كان زوبعة من التسعة الذين استمعوا القرآن فلما حضروه قالوا أنصتوا أي قال بعضهم لبعض أنصتوا أي اسكتوا مستمعين
يقال أنصت لكذا واستنصت له روي في الحديث أن الجن ثلاثة أصناف صنف لهم أجنحة يطيرون في الهواء وصنف حيات
وكلاب وصنف يحلون ويظعنون ثم إنهم لما استمعوا القرآن حتى فرغ من تلاوته ولوا إلى قومهم أي انصرفوا إليهم منذرين
مخوفين داعين بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك لا يكون إلا بعد إيمانهم لأنهم لا يدعون غيرهم إلى سماع القرآن
والتصديق به إلا وقد آمنوا وعند ذلك قالوا يا قومنا إنا سمعنا كتاباً أنزل من بعد موسى مصدقاً لما بين يديه أي الكتب الأنبياء
وذلك أن كتب سائر الأنبياء كانت مشتملة على الدعوة إلى التوحيد والدعوة إلى النبوة والمعاد وتطهير الأخلاق وكذلك
هذا الكتاب مشتمل على هذه المعاني وهو معنى قوله يهدي إلى الحق وإلى طريق مستقيم فإن قيل كيف قالوا من بعد موسى ولم يقولوا
من بعد عيسى فالجواب أنه روي عن عطاء والحسن أنه كان دينهم اليهودية فلذلك قالوا إنا سمعنا كتاباً أنزل من بعد موسى وعن
ابن عباس أن الجن ما سمعت أمر عيسى فلذلك قالوا من بعد موسى ثم إن الجن لما وصفوا القرآن بهذه الصفات الفاضلة قالوا يا قومنا
أجيبوا داعي الله يعني محمداً صلى الله عليه وسلم **فصل** دلت هذه الآية على أنه صلى الله عليه وسلم كان مبعوثاً إلى الجن
كما كان مبعوثاً إلى الإنس قال مقاتل لم يبعث الله نبياً إلى الإنس والجن قبله فإن قيل قوله أجيبوا داعي الله أمر بإجابته في كل ما أمر
فيدخل فيه الأمر بالإيمان فكيف قال وآمنوا به فالجواب أعاد ذكر الإيمان على التعيين لأنه أهم الأقسام وأشرفها وقد جرت

عادة القرآن بأنه يذكر اللفظ العام ثم يعطف عليه أشرف أنواعه كقوله وملائكته ورسله وجبريل وميكال وقوله وإذ
أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح ولما أمر بالإيمان به ذكر فائدة ذلك الإيمان فقال يغفر لكم من ذنوبكم قال بعضهم
كلمة من هنا زائدة والتقدير يغفر لكم ذنوبكم وقيل بل فائدته أن كلمة من هنا لابتداء الغاية والمعنى أنه يقع ابتداء الغفران
بالذنوب ثم ينتهي إلى غفران ما صدر عنكم من ترك الأولى والأكمل ويجوز أن تكون تبعيضية **قوله تعالى** ويجركم من عذاب
أليم قال ابن عباس فاستجاب لهم من قومهم نحو سبعين رجلاً من الجن فرجعوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فوافقوه في البطحاء
فقرأ عليهم القرآن وأمرهم ونهاهم **فصل** اختلفوا في الجن هل لهم ثواب أم لا فقيل لا ثواب لهم إلا النجاة من النار
ثم يقال لهم كونوا تراباً مثل البهائم واحتجوا على ذلك بقوله ويجركم من عذاب أليم وهو قول أبي حنيفة والصحيح أن حكمهم حكم
بني آدم يستحقون الثواب على الطاعة والعقاب على المعصية وهو قول ابن أبي ليلى ومالك وتقدم عن ابن عباس نصاً نحو ذلك
قال الضحاك يدخلون الجنة ويأكلون ويشربون لأن كل دليل دل على أن البشر يستحقون الثواب على الطاعة فهو بعينه
قائم في حق الجن والفرق بينهما بعيد جداً وذكر النقاش في تفسيره حديثاً أنهم يدخلون الجنة فقيل هل يصيبون من نعيمها قال
يلهمهم الله تسبيحه وذكره فيصيبهم من لذته ما يصيب بني آدم من نعيم الجنة وقال أرطاة بن المنذر سألت ضمرة بن حبيب هل للجن
ثواب قال نعم وقرأ لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان وقال عمر بن عبد العزيز إن مؤمني الجن حول الجنة في ربض ورحاب وليس فيها
قوله تعالى ومن لا يجب داعي الله فليس بمعجز في الأرض أي لا يعجز الله فيفوته وليس له من دونه أولياء أنصار يمنعونه من الله
أولئك في ضلال مبين **قوله تعالى** أولم يروا أن الله الذي خلق السموات والأرض الآية اعلم أنه تعالى قرر في أول السورة إلى ههنا
أمر التوحيد والنبوة ثم ذكر ههنا تقرير المعاد ومن تأمل في ذلك علم أن المقصود من القرآن كله تقرير هذه الأصول الثلاثة
واعلم أن المقصود من هذه الآية الدلالة على كونه تعالى قادراً على البعث لأنه تعالى أقام الدليل على خلق السموات والأرض
وخلقها أعظم من إعادة هذا الشخص حياً بعد أن كان ميتاً والقادر على الأكمل لا بد وأن يكون قادراً على ما دونه **قوله تعالى**
ولم يعي بخلقهن العامة على سكون العين وفتح الياء مضارع عيي بالكسر يعيى بالفتح فلما دخل الجازم حذف الألف وقرأ
الحسن يعي بكسر العين وسكون الياء قالوا وأصلها عيي بالكسر فجعل الكسرة فتحة على لغة طي فصار يعيى مثل يرمى فلما
دخل الجازم حذف الياء الثانية فصار لم يعي بعين ساكنة وياء مكسورة ثم نقل حركة الياء إلى العين فصار اللفظ
كما ترى وقد تقدم أن عيي وحيي فيهما لغتان الفك والإدغام فأما حيي فتقدم في الأنفال وعيي فكقوله
عيوا بأمرهم كما عيت ببيضها الحمامة • والعي عدم الاهتداء إلى جهة ومنه العي في الكلام وعيي بالأمر إذا لم يهتد لوجهه
قوله تعالى بقادر الباء زائدة وحسن زيادتها كون الكلام في قوة أليس الله بقادر قال أبو عبيدة والأخفش الباء زائدة
للتوكيد كقوله تعالى تنبت بالدهن وقال الزجاج ما ظننت أن أحداً يقدم عليها والصحيح التوقف وقال الكسائي
والفراء العرب تدخل الباء في الاستفهام مع الجحد فتقول ما أظنك بقائم وقرأ عيسى وزيد بن علي والجحدري يقدر بالياء
مضارع قدر والرسم يحتمله واختار أبو عبيدة قراءة العامة لأنها في قراءة عبد الله قادر بغير باء **قوله تعالى** بلى
إيجاب لما تضمنه الكلام من النفي في قوله أولم يروا **قوله تعالى** ويوم يعرض الذين كفروا على النار فيقال لهم أليس هذا بالحق
قالوا بلى وربنا فقوله أليس هذا معمول القول المضمر هو حال كما تقدم في نظيره والمقصود من هذا الاستفهام التهكم والتوبيخ
على استهزائهم بوعد الله تعالى ووعيده فيقال لهم فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون **قوله تعالى** فاصبر كما صبر أولو العزم
من الرسل الفاء في قوله فاصبر عاطفة هذه الجملة على ما تقدم والسببية فيها ظاهرة واعلم أنه تعالى لما قرر المطالب الثلاثة
وهي التوحيد والنبوة والمعاد وأجاب عن الشبهات أردفه بما يجري مجرى الوعظ والنصيحة للرسول صلى الله عليه وسلم
وذلك لأن الكفار كانوا يؤذونه ويوحشون صدره فقال تعالى فاصبر كما صبر أولو العزم أي أولو الجد والصبر والثبات
وقال ابن عباس أولو الحزم **قوله تعالى** من الرسل يجوز أن تكون من تبعيضية وعلى هذا فالرسل أولو عزم وغير أولي عزم ويجوز
أن تكون للبيان فكلهم على هذا أولو عزم قال ابن زيد كل الرسل كانوا أولي عزم لم يبعث الله نبياً إلا كان ذا عزم وحزم
ورأي وكمال عقل وإنما دخلت من للتجنيس لا للتبعيض كما يقال اشتريت أكسية من الخز وأردية من البز وقيل الأنبياء كلهم أولو العزم
إلا يونس لعجلة كانت منه ألا ترى أنه قيل للنبي صلى الله عليه وسلم ولا تكن كصاحب الحوت وقيل هم نجباء الرسل وهم المذكورون
في سورة الأنعام وهم ثمانية عشر لقوله بعد ذكرهم أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده وقال الكلبي هم الذين أمروا
بالجهاد وأظهروا المكاشفة مع أعداء الدين وقيل هم ستة نوح وهود وصالح ولوط وشعيب وموسى وهم المذكورون
على النسق في سورة الأعراف والشعراء وقال مقاتل هم ستة نوح صبر على أذى قومه كانوا يضربونه حتى يغشى عليه وإبراهيم
صبر على النار وذبح الولد وإسحق صبر على الذبح ويعقوب صبر على فقد ولده وذهاب بصره ويوسف صبر في الجب والسجن
وأيوب صبر على الضر وقال ابن عباس وقتادة هم نوح وإبراهيم وموسى وعيسى أصحاب الشرائع فهم مع محمد خمسة قال البغوي

ذكرهم الله على التخصيص في قوله واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وابرهيم وموسى وعيسى ابن مريم وفي قوله
شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا الاية روي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لعايشة يا عايشة ان الله لم يرض لاولي العزم
الا بالصبر على مكروهها والصبر على محبوبها لم يرض الا ان كلفني ما كلفهم قال فاصبر كما صبر اولو العزم من الرسل واني والله لا
بد لي من طاعته والله لاصبرن كما صبروا ولاجهدن ولا قوة الا بالله قوله تعالى ولا تستعجل لهم العذاب فانه نازل بهم قيل
ان النبي صلى الله عليه وسلم ضجر من قومه بعض الضجر واحب ان ينزل الله العذاب بمن ابى من قومه فامر بالصبر وترك الاستعجال
ثم اخبر ان ذلك العذاب اذا نزل بهم يستقصرون مدة لبثهم في الدنيا حتى يحسبونها ساعة من نهار فقال كانهم يوم يرون
ما يوعدون من العذاب لم يلبثوا الا ساعة من نهار اذا عاينوا العذاب صار طول لبثهم في الدنيا والبرزخ كانه ساعة من النهار
وكان لم يكن لهول ما عاينوا لان ما مضى وان كان طويلا صار كانه لم يكن قال الشاعر • كان شيا لم يكن اذا اتى •
واعلم انه تم الكلام ههنا قوله تعالى بلاغ العامة على رفعه وفيه وجهان احدهما انه خبر مبتدا محذوف فقدره بعضهم
تلك الساعة بلاغ لدلالة قوله الا ساعة من نهار وقيل تقديره هذا اي القران والشرع بلاغ من الله اليكم والثاني انه مبتدا
والخبر قوله لهم الواقع بعد قوله ولا تستعجل اي لهم بلاغ فيوقف على فلا تستعجل وهو ضعيف جدا للفصل بالجملة التشبيهية
ولان الظاهر تعلق لهم بالاستعجال فهو يشبه التهيئة والقطع وقرا زيد بن علي والحسن وعيسى بلاغا نصبا على المصدر اي
بلغ بلاغا ويؤيد قراءة ابي مجلز بلغ امرا وقرا ايضا بلغ فعلا ماضيا ويوخذ من كلام مكي انه يجوز نصبه نعتا لساعة فانه قال
ولو قرئ بلاغا بالنصب على المصدر او على النعت لساعة جاز وكانه لم يطلع على ذلك قراءة وقرا الحسن ايضا بلاغ بالجر نعتا
على الوصف لنهار على حذف مضاف اي من نهار ذي بلاغ او وصف الزمان بالبلاغ مبالغة والبلاغ بمعنى التبليغ قوله تعالى
فهل يهلك العامة على بنائه للمفعول وابن محيصن يهلك بفتح اليا وكسر اللام مبنيا للفاعل وعنه ايضا فتح اللام وهي لغة
والماضي هلك بالكسر قال ابن جني كلاهما مرغوب عنها وزيد بن ثابت بضم اليا وكسر اللام والفاعل هو الله تعالى القوم الفاسقين
نصبا على المفعول به وقرئ نهلك بالنون وكسر اللام ونصب القوم فصل المعنى فهل يهلك بالعذاب اذا نزل
الا القوم الفاسقون الخارجون عن امر الله قال الزجاج تاويله لا يهلك مع رحمة الله وفضله الا القوم الفاسقون ولهذا
قال قوم ما في الرجاء لرحمة الله اقوى من هذه الاية روي ابي بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الاحقاف اعطي
من الاجر بعدد كل رمل في الدنيا عشر حسنات ومحي عنه عشر سيئات ورفع له عشر درجات صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم

سورة القتال مكية

وهي ثمان وثلاثون اية وخمسماية وتسع وثلاثون كلمة والفان وثلاثماية وتسعة واربعون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم
قوله تعالى الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله الاية اول هذه السورة مناسب لاخر السورة المتقدمة والمراد بالذين
كفروا قيل هم الذين كانوا يطعمون الجيش يوم بدر منهم ابو جهل والحرث ابنا هشام وعتبة وشيبة ابنا ربيعة وغيرهم وقيل
كفار قريش وقيل اهل الكتاب وقيل كل كافر ومعنى صدهم عن سبيل الله قيل صدوا انفسهم عن السبيل ومنعوا عقولهم من
اتباع الدليل وقيل صدوا غيرهم ومنعوهم قوله تعالى الذين كفروا يجوز فيه الرفع على الابتداء والخبر الجملة من قوله اضل اعمالهم
ويجوز نصبه على الاشتغال بفعل مقدر يفسره اضل من حيث المعنى اي خيب الذين كفروا قوله تعالى اضل اعمالهم اي ابطلها
فلم يقبلها واراد بالاعمال ما فعلوا من اطعام الطعام وصلة الارحام قال الضحاك ابطل كيدهم ومكرهم بالنبي صلى الله عليه وسلم
وجعل الدائرة عليهم قوله تعالى والذين امنوا يجوز فيه الوجهان المتقدمان وتقدير الفعل رحم الذين امنوا قوله تعالى
وامنوا بما نزل على محمد العامة على بناء نزل للمفعول مشددا وزيد بن علي وابن مقسم نزل مبنيا للفاعل وهو الله والاعمش
انزل بهمزة التعدية مبنيا للمفعول وقرئ نزل ثلاثيا مبنيا للفاعل قال سفين الثوري لم يخالفوه في شيء قال ابن عباس
الذين كفروا وصدوا مشركوا مكة والذين امنوا وعملوا الصالحات الانصار قوله تعالى وهو الحق جملة معترضة بين المبتدا
والخبر وبين المفسر والمفسر قوله تعالى كفر عنهم سيئاتهم واصلح بالهم حالهم وتقدم تفسير البال في طه قال ابن عباس
معنى اصلح اي عصمهم ايام حياتهم يعني ان هذا الاصلاح يعود الى صلاح اعمالهم حتى لا يعصوا فصل قالت
المعتزلة تكفير السيئات مرتب على الايمان والعمل الصالح فمن امن ولم يعمل صالحا يبقى في العذاب خالدا والجواب لو كان كما
ذكرتم لكان الاضلال مرتبا على الكفر والصد فمن يكفر لا ينبغي ان تضل اعماله او نقول ان الله تعالى رتب امرين على امرين
فمن امن كفر سيئاته ومن عمل صالحا اصلح باله او نقول اي مومن يتصور غير ات بالصالحات بحيث لا يصدر عنه صلاة ولا

صيام ولا صدقة ولا اطعام وعلى هذا فقوله وعملوا عطف المسبب على السبب كقول القايل اكلت كثيرا وشبعت فان قيل
ما الحكمة في قوله وامنوا بما نزل على محمد مع ان قوله امنوا وعملوا الصالحات افاد هذا المعنى فالجواب من وجوه الاول قوله الذين
امنوا بالله ورسوله واليوم الاخر وقوله امنوا بما نزل اي بجميع الانبياء الواردة في كلام الله ورسوله ثم ذكر ما نعد امور خاصة
كقولنا خلق الله السموات والارض وكل شيء اما على معنى وكل شيء غير ما ذكرنا واما على العموم بعد ذكر المخصوص الثاني ان
يكون المعنى امنوا وامنوا من قبل بما نزل على محمد وهو الحق المعجز الفارق بين الكاذب والصادق يعني امنوا اولا بالمعجز
وايقنوا ان القران لا ياتي به غير الله فامنوا وعملوا الصالحات والواو للجمع المطلق يجوز ان يكون المتاخر ذكرا متقدما وقوعا
وهذا كقول القايل امن به وكان الايمان به واجبا ويكون بيانا لايمانهم كانه قال امنوا وامنوا بما نزل على محمد اي امنوا وامنوا
بالحق كقول القايل خرجت وخرجت مصيبا اي وكان خروجي جيدا حيث نجوت من كذا او ربحت كذا فكذلك لما قال امنوا بين
ان ايمانهم كان بما امر الله وانزل الله لا بما كان باطلا من عند غير الله قوله تعالى ذلك فيه وجهان اظهرهما انه مبتدا
والخبر الجار بعده والثاني قاله الزمخشري انه خبر مبتدا مضمر اي الامر ذلك بسببه كذا فالجار في محل نصب قال ابو حيان
ولا حاجة اليه قوله تعالى بان الذين كفروا اتبعوا الباطل اي الشيطان وقيل قول كبرائهم ودين ابائهم وان الذين امنوا
اتبعوا الحق من ربهم يعني القران وقيل الحق هو الله تعالى وعلى هذا فلا يكون قوله من ربهم متعلقا بالحق وانما يتعلق بقوله
تعالى اتبعوا اي اتبعوا من ربهم اي من فضل الله او هداية ربهم اتبعوا الحق وهو الله تعالى ويحتمل ان يقال قوله من ربهم عايد
الى الفريقين جميعا اي من ربهم اتبع هولاء الباطل وهولاء الحق اي من حكم ربهم ومن عند ربهم قوله تعالى كذلك يضرب قال
الزمخشري على مثل ذلك الضرب يضرب الله للناس امثالهم والضمير راجع الى الفريقين او الى الناس على معنى انه يضرب امثالهم
لاجل الناس ليعتبروا فصل قال الزجاج معناه كذلك يبين الله امثال حسنات المومنين واضلال اعمال الكافرين
والمراد بالامثال الاشكال وقيل يبين كون الكافر متبعا للباطل وكون المومن متبعا للحق والضمير في قوله امثالهم فيه
وجهان احدهما انه يعود الى الناس كانه تعالى قال يضرب الله للناس امثال انفسهم الثاني يعود الى الفريقين السابقين ومعنى
يضرب الله للناس امثال الفريقين السابقين قوله تعالى فاذا لقيتم العامل في هذا الظرف فعل مقدر وهو العامل في ضرب
الرقاب تقديره فاضربوا الرقاب وقت ملاقاتكم العدو ومنع ابو البقا ان يكون المصدر نفسه عاملا فيه قال لانه موكد وهذا
احد القولين في المصدر النايب عن الفعل نحو ضربا زيدا اهل العمل منسوب اليه او الى عامله ومنه قوله •••
على حين الهي الناس جل امورهم • فندلا زريق المال ندل الثعالب • فالمال منصوب بندلا او بندل والمصدر ههنا اضيف الى معموله
وبه استدل على ان العمل للمصدر لاضافته الى ما بعده ولو لم يكن عاملا لما اضيف الى ما بعده فصل قال ابن الخطيب
القائل في قوله فاذا لقيتم يستدعي متعلقا يتعلق به وترتب عليه وفيه وجوه الاول لما بين ان الذين كفروا اضل اعمالهم وان
اعتبار الانسان بالعمل ومن لا عمل له فهو همج اعدامه خير من وجوده فاذا لقيتم الذين كفروا فعظموا ان لا حرمة لهم بعد
ابطال عملهم فاضربوا اعناقهم قال البغوي فضرب الرقاب نصب على الاغراء الثاني اذا تبين تباين الفريقين وتباعد الطريقين
بان احدهما يتبع الباطل وهو حزب الشيطان والاخر يتبع الحق وهو حزب الرحمن حق القتال فاذا لقيتموهم فاقتلوهم الثالث
ان من الناس من يقول لضعف قلبه وقصور نظره ايلام الحيوان من الظلم والطغيان ولا سيما القتل الذي هو تخريب بنيان
فيقال ردا عليهم لما كان اعتبار الاعمال باتباع الحق والباطل فمن يقتل في سبيل الله لتعظيم الله وبامره له مثل الاجر للمصلي
والصايم فاذا لقيتم الذين كفروا فاقتلوهم ولا تاخذكم بهم رافة فان ذلك اتباع للحق والاعتبار به لا بصورة الفعل
فصل والحكمة في اختيار ضرب الرقاب دون غيرها من الاعضاء لان المومن هنا ليس بدافع انما هو رافع وذلك لان
من يدفع الصايل لا ينبغي ان يقصده ولا مقتله بل يتدرج ويضرب غير المقتل فان اندفع فذاك ولا يرقى الى درجة الاهلاك
فاخبر تعالى انه ليس المقصود دفعهم عنكم بل المقصود رفعهم عن وجه الارض بالكلية وتطهير الارض منهم وكيف لا والارض
لكم مسجد والمشركون نجس والمسجد يطهر من النجاسة فاذن ينبغي ان يكون قصدكم اولا الى قتلهم بخلاف دفع الصايل والرقبة
اظهر المقاتل لان قطع الحلقوم والاوداج مستلزم للموت لكن في الحرب لا يتهيا ذلك والرقبة ظاهرة في الحرب ففي ضربها
حز العنق وهو مستلزم للموت بخلاف ساير المواضع ولا سيما في الحرب وفي قوله لقيتم ما ينبئ عن مخالفة القصد للصايل لان
قوله لقيتم يدل على ان القصد من جانبهم بخلاف قولنا لقيتم ولذلك قال في غير هذا الموضع فاقتلوهم حيث ثقفتموهم فان قيل
ما الفايدة في قوله ههنا فضرب الرقاب باضمار الفعل واظهار المصدر وقال في الانفال فاضربوا فوق الاعناق باظهار الفعل
وترك المصدر فالجواب مبني على تقديم مقدمة وهي ان المقصود في بعض الصور قد يكون صدور الفعل من فاعل ويتبعه المصدر
ضمنا اذ لا يمكن ان يفعل فاعل الا ويقع منه المصدر ويدخل في الوجود وقد يكون المصدر والا المصدر ولكنه لا يوجد الا
من فاعل فيطلب منه ان يفعل مثاله من قال اني حلفت ان اخرج من المدينة فيقال له فاخرج صار المقصود صدور الفعل منه

والخروج في نفسه غير مقصود للابتغا ولو امكن ان يخرج من غير تحقق الخروج منه لما كان عليه ان لا يخرج لكن
من ضرورة الخروج ان يخرج واذا قال قايل صادق ضاق بي المكان بسبب الاعدا فيقال له الخروج يعني الخروج فاخرج
فان الخروج هو المطلوب حتى لو امكن الخروج من غير فعل منه لحصل الغرض لكنه محال فيتبعه الفعل واذا عرف هذا فيقال في
الانفال الحكاية عن الحرب الكاينة وهم كانوا فيها والملايكة انزلوا للنصرة ومن حضر في وصف القتال فصدور الفعل منه
مطلوب وهاهنا الامر وارد وليس في وقت القتال بدليل قوله تعالى فاذا لقيتم والمقصود بيان كون المصدر مطلوبا
لتقدم المامور على الفعل قال فضرب الرقاب وفي ذلك بيان فايدة اخرى وهي ان الله تعالى قال هناك واضربوا منهم
كل بنان وذلك لان الوقت وقت القتال فارشدهم الى المقتل وغيره ان لم يصيبوا المقتل وههنا ليس وقت القتال فبين
ان المقصود القتل وغرض المسلم ذلك **قوله تعالى** حتى اذا اثخنتموهم هذه غاية للامر بضرب الرقاب لا لبيان غاية
القتل وقوله فشدوا الوثاق قرا السلمي فشدوا الوثاق بكسر الشين وهي ضعيفة جدا والوثاق بالفتح وفيه الكسر اسم ما
يوثق به والمعنى حتى اذا اثخنتموهم هذه غاية للامر بضرب الرقاب لا لبيان غاية القتل وقوله فشدوا الوثاق قرا السلمي
اي بالغتم في القتل وقهرتموهم فشدوا الوثاق يعني في الاسر حتى لا يفلتوا والاسر يكون بعد المبالغة في القتل
كقوله تعالى ما كان لنبي ان تكون له اسرى حتى يثخن في القتل **قوله تعالى** فاما منا بعد واما فدا فيهما وجهان اشهرهما
انهما منصوبان على المصدر بفعل لا يجوز اظهاره والتقدير لان المصدر متى سيق تفصيلا لعاقبة جملة وجب نصبه
باضمار فعل لا يجوز اظهاره والتقدير فاما ان تمنوا منا واما ان تفادوا فداء ومثله • لاجهدن فاما درء واقعة
تخشى واما بلوغ السول والامل • والثاني قاله ابو البقا انهما مفعولان بهما لعامل مقدر تقديره اولوهم منا
واقبلوا منهم فداء قال ابو حيان وليس باعراب نحوي وقرا ابن كثير فدي بالقصر قال ابو حاتم لا يجوز لانه مصدر فاديته
ولا يلتفت اليه لان الفراء حكى فيه اربع لغات المشهورة المد والاعراب فدى لك وفداء بالمد ايضا والبناء على الكسر والتنوين
وهو غريب جدا وهذا يشبه قول بعضهم هولاء بالتنوين وفدي بالكسر مع القصر وفدى بالفتح مع القصر ايضا
والاوزار هنا الاثقال وهو مجاز وقيل هو من مجاز الحذف اي اهل الحرب والاوزار عبارة عن الات الحرب قال واعددت
للحرب اوزارها رماحا طوالا وخيلا ذكورا وحتى الاولى غاية لضرب الرقاب والثانية لشدوا ويجوز ان يكونا غايتين
لضرب الرقاب على ان الثانية توكيد او بدل قال ابن الخطيب وفي تعلق حتى وجهان احدهما تعلقها بالقتل اي اقتلوهم
حتى تضع وما بينهما بالمن والفدا ويحتمل ان يقال متعلقة بقوله فشدوا الوثاق وتعلقها بالقتل اظهر **فصل**
قدم المن على الفدا لان حرمة النفس راجحة على طلب المال والفدا يجوز ان يكون مالا ويجوز ان يكون غيره من الاسرا
ويشرط عليهما وعليه وحده **فصل** قال ابن الخطيب اوزار الاثم او السلاح والاثم انما هو على المحارب وكذلك
السلاح ومعناه يضع الحرب الاوزار التي على المحاربين او السلاح التي عليهم كقوله تعالى واسال القرية فكانه قال حتى
تضع امة الحرب او فرقة الحرب اوزارها والمراد انقضاء الحرب بالكلية بحيث لا يبقى في الدنيا حرب من احزاب الكفر ولا حرب
من احزاب الاسلام هذا اذا امعنت النظر في المعنى ولو قلنا حتى تضع امة الحرب جاز ان يضعوا الاسلحة ويتركوا الحرب وهي
باقية كقول القايل خصومتي ما انفصلت ولكني تركتها في هذه الايام واذا اسندنا الوضع الى الحرب يكون معناه ان الحرب
لم يبق واختلفوا في وقت وضع الاوزار على اقوال يرجع حاصلها الى الوقت الذي لا يبقى فيه حرب من احزاب الاسلام ولا حرب من احزاب
الكفر وقيل ذلك عند قتال الدجال ونزول عيسى عليه السلام **فصل** اختلف العلماء في حكم هذه الاية فقال قوم
هي منسوخة بقوله فاما تثقفنهم في الحرب فشرد بهم من خلفهم وبقوله فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم واليه ذهب
قتادة والضحاك والسدي وابن جريج وهو قول الاوزاعي واصحاب الراي وقالوا لا يجوز المن على من وقع في الاسر من الكفار
ولا الفدا وذهب اخرون الى ان الاية محكمة والامام بالخيار في الرجال العاقلين من الكفار اذا وقعوا في الاسر بين ان يقتلهم
او يسترقهم او يمن عليهم فيطلقهم بلا عوض او يفاديهم بالمال او باسارى المسلمين واليه ذهب ابن عمر وبه قال الحسن
وعطا واكثر الصحابة والعلما وهو قول الثوري والشافعي واحمد واسحق قال ابن عباس لما كثر المسلمون واشتد سلطانهم
انزل الله في الاسارى فاما منا بعد واما فداء وهذا هو الاصح والاختيار لانه عمل به رسول الله صلى الله عليه وسلم والخلفا
بعده روى البخاري عن ابي هريرة قال بعث النبي صلى الله عليه وسلم خيلا قبل نجد فجاءت برجل من بني حنيفة يقال له ثمامة
ابن اثال فربطوه في سارية من سواري المسجد فخرج اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما عندك يا ثمامة فقال عندي
خير يا محمد ان تقتلني تقتل ذا دم وان تنعم تنعم على شاكر وان كنت تريد المال فسل ما شيت حتى كان الغد فقال له ما عندك
يا ثمامة فقال له عندي ما قلت لك ان تنعم تنعم على شاكر فتركه حتى اذا كان بعد الغد قال ما عندك يا ثمامة قال عندي
ما قلت لك فاطلقوا ثمامة فانطلق الى نخل قريب من المسجد فاغتسل ثم دخل المسجد فقال اشهد ان لا اله الا الله واشهد

ان محمدا رسول الله والله ما كان على الارض وجه ابغض الي من وجهك فقد اصبح وجهك احب الوجوه الي والله ما كان من
دين ابغض الي من دينك فاصبح دينك احب الدين الي والله ما كان من بلد ابغض الي من بلدك فقد اصبح بلدك احب البلاد
الي وان خيلك اخذتني وانا اريد العمرة فماذا ترى فبشره رسول الله صلى الله عليه وسلم وامره ان يعتمر فلما قدم مكة قال له
قايل صبوت قال لا ولكن اسلمت مع محمد صلى الله عليه وسلم ولا والله لا ياتيكم من اليمامة حبة حنطة حتى ياذن فيها النبي
صلى الله عليه وسلم وعن عمران بن حصين قال اسر اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا من عقيل فاوثقوه وكانت
ثقيف قد اسرت رجلين من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ففداه رسول الله صلى الله عليه وسلم بالرجلين اللذين اسرتهما
ثقيف **فصل** يجوز ان يكون خبر مبتدا مضمر اي الامر ذلك وان ينتصب باضمار افعلوا قال ابن الخطيب ويحتمل ان
يقال ذلك واجب او مقدم كما يقول القايل ان فعلت فذاك اي فذاك مقصود ومطلوب **فصل** قال المفسرون
معناه ذلك الذي ذكرت وبينت من حكم الكفار ولو يشاء الله لانتصر منهم فاهلكهم وكفاكم امرهم بغير قتال ولكن امركم
بالقتال ليبلو بعضكم ببعض فيصير من قتل من المومنين الى الثواب ومن قتل من الكافرين الى العذاب فان قيل ما التحقيق
في قولنا التكليف ابتلاء وامتحان والله يعلم السر واخفى فالجواب من وجوه الاول ان المراد منه يفعل ذلك فعل المبتلين
اي كما يفعل المبتلي المختبر الثاني ان الله تعالى يبلو ليظهر الامر لغيره اما للملايكة او للناس والتحقيق هو ان الابتلاء والامتحان
والاختبار فعل يظهر بسببه امر ظاهر فان قيل فايدة الابتلاء حصول العلم عند المبتلي فاذا كان الله عالما فاي
فايدة فيه فالجواب ان هذا السوال كقول القايل لم عاقب الكافر وهو مستغن ولم خلق النار محرقة وهو قادر على ان يخلقها
بحيث تنفع ولا تضر وجوابه لا يسال عما يفعل **قوله تعالى** والذين قتلوا في سبيل الله قرا العامة قاتلوا وابو عمرو وحفص
قتلوا مبنيا للمفعول على معنى انهم قتلوا وماتوا اصاب القتل بعضهم كقوله قتل معه ربيون وقرا الجحدري قتلوا بفتح القاف
والتاء خفيفة ومفعوله محذوف وزيد بن ثابت والحسن وعيسى قتلوا بتشديد التاء مبنيا للمفعول **قوله تعالى** فلن يضل
اعمالهم قرا علي رضي الله عنه يضل اعمالهم مبنيا للمفعول اعمالهم بالرفع لقيامه مقام الفاعل وقرئ تضل بفتح التاء
اعمالهم بالرفع فاعلا والفا في قوله فلن يضل جزائية لان قوله تعالى والذين قتلوا فيه معنى الشرط قال قتادة ذكر لنا
ان هذه الاية نزلت يوم احد وقد فشت في المسلمين الجراحات والقتل **قوله تعالى** سيهديهم ايام حياتهم في الدنيا الى ارشد
الامور وفي الاخرة الى الدرجات ويصلح بالهم يرضي خصماءهم ويقبل اعمالهم وقد تقدم تفسيره في قوله تعالى اصلح بالهم
والماضي والمستقبل يرجع الى ان هناك وعدهم ما وعدهم بسبب الايمان والعمل الصالح وقد كان وقع منهم فاخبر
عن الجزا ايضا بصيغة الوقوع وههنا وعدهم بسبب القتل والقتال وكان في اللفظ ما يدل على الاستقبال لان قوله
تعالى فاذا لقيتم يدل على الاستقبال فقال يصلح بالهم ويدخلهم الجنة **قوله تعالى** عرفها لهم يجوز فيها وجهان احدهما
ان تكون مستانفة والثاني ان يكون حالا فيجوز ان يضمر قد وان لا تضمر وعرفها من التعريف الذي هو ضد التجهيل والمعنى
ان كل احد يعرف منزله في الجنة وقيل الملك الموكل باعماله يهديه وعن ابن عباس انه من العرف وهو الطيب اي طيبها لهم وقال
الزمخشري يحتمل ان يقال عرفها لهم حددها من عرف الدار وارفها اي حددها وتحديدها في قوله تعالى وجنة عرضها
السموات والارض ويحتمل ان يقال المراد هو قوله تعالى وتلك الجنة التي اورثتموها فيشير اليها معرفا لهم بانها هي تلك
وقيل عرفها لهم وقت القتل فان الشهيد وقت وفاته يعرض عليه منزله في الجنة فيشتاق اليه وقرا ابو عمرو في رواية
ويدخلهم بسكون اللام وكذا ميم يطعمهم وعين يجمعكم كانه يستثقل الحركات وقد تقدم له قراءة في ذلك في ينصركم ويشعركم
وبابه **قوله تعالى** يا ايها الذين امنوا ان تنصروا الله ينصركم اي تنصروا دينه ورسوله ينصركم على عدوكم وقيل ان
تنصروا حزب الله وفريقه **قوله تعالى** ويثبت اقدامكم قرا العامة ويثبت مشددا وروي عن عاصم تخفيفه من اثبت
والمعنى ويثبت اقدامكم عند القتال **قوله تعالى** والذين كفروا يجوز ان يكون مبتدا والخبر محذوف تقديره فتعسوا او
اتعسوا بدليل قوله فتعسا لهم وقوله فتعسا منصوب بالخبر ودخلت الفا تشبيها للمبتدا بالشرط وقدر الزمخشري الفعل
الناصب لتعسا فقال لان المعنى يقال تعسا لهم قال ابو حيان واضمار ما هو من لفظ المصدر اولى والثاني انه منصوب
بفعل مقدر يفسره فتعسا لهم كما تقول زيدا جدعا له كذا قال ابو حيان تابعا للزمخشري وهذا لا يجوز لان لهم
لا يتعلق بتعسا انما هو متعلق بمحذوف لانه بيان اي اعني لهم وتقدم تحقيق هذا فان عنينا اضمارا من حيث مطلق
الدلالة لا من جهة الاشتغال فمسلم ولكن ياباه عبارتهما وهي قولهما منصوب بفعل مضمر يفسره فتعسا لهم واضل
عطف على ذلك الفعل المقدر اي اتعسهم واضل اعمالهم والتعس ضد السعد يقال تعس الرجل بالفتح تعسا واتعسه الله
قال المجمع • تقول وقد افردتها من خليلها • تعست كما اتعستني يا مجمع • وقيل تعس بالكسر عن ابي الهيثم وشمر وغيرهما
وعن ابي عبيدة تعسه واتعسه متعديان فهما مما اتفق فيه فعل وافعل وقيل التعس ضد الانتعاش قال الزمخشري

وتعسا له نقيض لعا له يعني ان كلمة لعا بمعنى انتعش قال الاعشى بذات لوث عفرناة اذا عثرت فالتعس ادنى لها من ان
اقول لعا وقيل التعس الهلاك وقيل التعس الجر على الوجه والنكس الجر على الراس **فصل** قال ابن عباس فتعسا لهم
اي بعدا لهم وقال ابو العالية سقوطا لهم وقال ابن زيد شقاء لهم وقال الفراء هو نصب على المصدر على سبيل الدعاء
وقيل في الدنيا العثرة وفي الآخرة التردي في النار ويقال للعاثر تعسا اذا لم يريدوا قيامه وضده لعا اذا ارادوا قيامه
واضل اعمالهم لانها كانت في طاعة الشيطان وهذا زيادة في تقوية قلوبهم لانه تعالى قال لكم الثبات ولهم الزوال
والتغير **قوله تعالى** ذلك بانهم يجوز ان يكون ذلك مبتدا والجار خبره او خبر مبتدا مضمر اي الامر ذلك بسبب انهم كرهوا
فالجار في الوجهين الاخيرين منصوب المحل والمعنى ذلك التعس والاضلال بانهم كرهوا ما انزل الله فاحبط اعمالهم
والمراد انهم كرهوا القران او كرهوا ما انزل الله من بيان التوحيد فلم يعرفوا العمل الصالح بل اشركوا والشرك يحبط العمل
قال تعالى لئن اشركت ليحبطن عملك وقيل كرهوا ما انزل الله من بيان امر الآخرة فلم يعملوا لها والدنيا وما فيها وما لها باطل
فاحبط الله اعمالهم ثم خوف الكفار فقال افلم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم دمر الله عليهم
اي اهلكهم **قوله تعالى** دمر الله عليهم يجوز ان يكون حذف مفعوله اي اهلك الله بيوتهم وخربها عليهم او يضمن
دمر معنى سخط الله عليهم بالتدمير وقوله افلم يسيروا في الارض مناسب للوجه الاخير يعني فينظروا الى حالهم ويعلموا
ان الدنيا فانية **قوله تعالى** وللكافرين امثالها اي امثال العاقبة المتقدمة وقيل امثال العقوبة وقيل التدميرة
وقيل الهلكة والاول اولى لتقدم ما يعود عليه الضمير صريحا مع صحة معناه فان قيل اذا عاد الضمير الى العاقبة
فكيف يكون لها امثال فالجواب ان المراد هو العذاب الذي هو مدلول العاقبة والالم الذي كانت العاقبة عليه
فصل في المراد بقوله وللكافرين امثالها وجهان احدهما ان المراد الكافرون بمحمد صلى الله عليه وسلم
والثاني ان المراد لهم امثالها في الآخرة فيكون المراد من الكافرين من تقدم كانه يقول دمر الله عليهم في الدنيا ولهم
في الآخرة امثالها فان قيل اذا كان المراد الكافرين بمحمد عليه السلام فلهم امثال ما كان لمن تقدمهم من العاقبة
فالاولون اهلكوا بامور شديدة كالزلازل والنيران والرياح والطوفان ولا كذلك قوم محمد عليه السلام
فالجواب يجوز ان يكون عذابهم اشد من عذاب الاولين لكون دين محمد اظهر بسبب تقدم الانبياء عليهم السلام عليه
واخبارهم عنه وانذارهم على انهم قتلوا واسروا بايدي من كانوا يستخفونهم ويستضعفونهم والقتل بيد المثل
الم من الهلاك بسبب عام **قوله تعالى** ذلك بان الله مولى الذين امنوا تقدم الكلام على نظيره وان الكافرين لا مولى
لهم والمراد بالمولى هنا الناصر ثم ذكر ما للفريقين فقال ان الله يدخل الذين امنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها
الانهار لما بين حال المومنين والكافرين في الدنيا بين حالهم في الآخرة وقال انه يدخل المومن الجنة والكافر النار وقد تقدم
ان من في قوله من تحتها تحتمل ان تكون صلة معناه تجري تحتها ويحتمل ان يكون المراد ان ماءها منها لا يجري اليها من
موضع اخر يقال لهذا النهر منبعه من اين يقال من عين كذا من تحت جبل كذا **قوله تعالى** والذين كفروا يتمتعون وياكلون
كما تاكل الانعام اي ليس لهم همة الا بطونهم وفروجهم وهم لاهون عما في غد قيل المومن في الدنيا يتزود والمنافق يتزين
والكافر يتمتع **قوله تعالى** كما تاكل الانعام اما حال من ضمير المصدر اي ياكلونه الاكل مشبها اكل الانعام واما نعت لمصدر
اي اكلا مثل اكل الانعام **قوله تعالى** والنار مثوى لهم يجوز ان تكون هذه الجملة استئنافا ويجوز ان يكون حالا لكنها
مقدرة اي ياكلون مقدرا ثواؤهم في النار وقال في حق المومن ان الله يدخل بصيغة الوعد وقال في حق الكافر النار مثوى
لهم بصيغة تنبئ عن الاستحقاق لان الاحسان لا يستدعي استحقاقا فالمحسن الى من لم يوجد منه ما يوجب الاحسان
كريم والمعذب من غير استحقاق ظالم **قوله تعالى** وكاين من قرية يريد اهل ولذلك راعى هذا المقدر في قوله اهلكناهم
فلا ناصر لهم بعدما راعى المضاف في قوله هي اشد والجملة من هي اشد صفة لقرية وقال ابن عطية نسب الاخراج
للقرية حملا على اللفظ وقال اهلكناهم حملا على المعنى قال ابو حيان وظاهر هذا الكلام لا يصح لان الضمير في اهلكناهم
ليس عائدا على المضاف الى القرية التي اسند اليها الاخراج بل على اهل القرية في قوله وكاين من قرية فان كان اراد بقوله
حملا على المعنى اي معنى القرية في قوله وكاين من قرية فهو صحيح لكن ظاهر قوله حملا على اللفظ وحملا على المعنى ان يكون
في مدلول واحد وكان على هذا ينبغي كاين مقلتا ضمير محذوف عنه بشيء الا ان يتخيل ان هي اشد خبر عنه والظاهر انه
صفة لقرية قال شهاب الدين وابن عطية انما اراد لفظ القرية من حيث الجملة لا من حيث التعيين **قوله تعالى** لما ضرب الله
لهم مثلا بقوله افلم يسيروا في الارض ولم ينفعهم مع ما تقدم من الدلائل ضرب للنبي عليه السلام مثلا تسلية له
فقال وكاين من قرية هي اشد قوة من قريتك التي اخرجتك اي اخرجك اهلها قال ابن عباس كم رجال هم اشد من اهل مكة
يدل عليه قوله اهلكناهم ولم يقل اهلكناها فلا ناصر لهم كذلك نفعل بهم فاصبر كما صبر رسلهم وقوله فلا ناصر لهم

قال الزمخشري

قال الزمخشري قوله فلا ناصر لهم ان الاهلاك ماض وقوله فلا ناصر لهم الحال والاستقبال محمول على الحكاية
والحكاية كالحال الحاضر ويحتمل ان يقال قوله فلا ناصر عائدا الى اهل قرية محمد عليه السلام كانه قال اهلكنا من تقدم اهل
قريتك ولا ناصر لاهل قريتك ينصرهم ويخلصهم من مثل ما جرى على الاولين **فصل** قال ابن عباس لما
خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة الى الغار التفت الى مكة وقال انت احب بلاد الله الى الله واحب بلاد الله الي ولو ان
المشركين لم يخرجوني لم اخرج منك فانزل الله هذه الاية **قوله تعالى** افمن كان على بينة من ربه افمن كان مبتدا والخبر كمن زين
وحمل على لفظ من فافرد في قوله له سوء عمله وعلى المعنى فجمع في قوله واتبعوا اهواءهم والجملة من اتبعوا عطف على زين
فهو صلة **فصل** معنى قوله افمن كان على بينة من ربه اي يقين من دينه يريد محمدا والمومنين كمن زين له سوء عمله
واتبعوا اهواءهم يعني عبدة الاوثان يريد ابا جهل والمشركين **قوله تعالى** مثل الجنة التي وعد المتقون لما بين الفرق
بين الفريقين في الاهتداء والاضلال بين الفرق بينهما في مرجعهما وما لهما قوله مثل الجنة فيه اوجه احدها انه مبتدا وخبره
مقدر فقدره النضر بن شميل مثل الجنة ما تسمعون فما تسمعون خبره وفيها انهار مفسر له وقدره سيبويه فيما يتلى
عليكم مثل الجنة والجملة بعدها ايضا مفسرة للمثل قال سيبويه المثل هو الوصف ومعناه وصف الجنة وذلك لا يقتضي
مشابهة الثاني ان مثل زائدة تقديره الجنة التي وعد المتقون فيها انهار ونظير زيادة مثل هنا زيادة اسم في قوله
الى الحول ثم اسم السلام عليكما * الثالث ان مثل الجنة مبتدا والخبر قوله فيها انهار وهذا ينبغي ان يمتنع اذ لا عائد من الجملة
الى المبتدا الرابع ان مثل الجنة مبتدا خبره كمن هو خالد في النار فقدره ابن عطية امثل اهل الجنة كمن هو خالد فقدر
حرف الانكار ومضافا ليصح وقدره الزمخشري امثل الجنة كمثل جزاء من هو خالد والجملة من قوله فيها انهار على هذا
فيها ثلاثة اوجه احدها هي حال من الجنة اي مستقرة فيها انهار الثاني انها خبر لمبتدا مضمر اي هي فيها انهار كان قائلا
قال ما مثلها فقيل فيها انهار الثالث ان تكون تكريرا للصلة لانها في حكمها الا ترى الى انه لا يصح قولك التي فيها انهار
وانما عرى قوله مثل الجنة تصوير المكابرة من يسوي بين المتمسك بالبينة وبين التابع هواه كمن يسوي بين الجنة
التي صفتها كيت وكيت وبين النار التي صفتها ان يسقى اهلها الحميم ونظيره قول القائل * افرح ان ارزا الكرام وان
اورث ذودا شصايصا نبلا * هو كلام منكر للفرح برزية الكرام ووراثة الذود مع تعريه من حرف الانكار ذكر ذلك
كله الزمخشري وقرا علي بن ابي طالب مثال الجنة وعنه ايضا وعن ابن عباس وابن مسعود امثال بالجمع **قوله تعالى** غير اسن
قرا ابن كثير اسن بزنة حذر وهو اسم فاعل من اسن بالكسر ياسن فهو اسن كحذر يحذر فهو حذر والباقون اسن بزنة
ضارب من اسن بالفتح ياسن يقال اسن الماء بالفتح ياسن وياسن بالكسر والضم اسونا كذا ذكره ثعلب في فصيحه
فهما لغتان يقال اسن الماء ياسن اسنا ولجن يلجن واسن ياسن ولجن يلجن اسونا ولجونا اذا تغير وقال اليزيدي
يقال اسن بالكسر ياسن بالفتح اسنا اي تغير طعمه واما اسن الرجل اذا دخل بيرا فاصابه من ريحها ما جعله في راسه
دوار فاسن بالكسر فقط قال الشاعر * قد اترك القرن مصفرا انامله * يميد في الرمح ميد المائح الاسن *
وقرئ يسن بالياء بدل الهمزة قال ابو علي هو تخفيف اسن وهو تخفيف غريب **قوله تعالى** لم يتغير طعمه صفة للبن
قوله تعالى لذة يجوز ان يكون تانيث لذ ولذ بمعنى لذيذ ولا تاويل على هذا ويجوز ان يكون مصدرا وصف به ففيه
التاويلات المشهورة قال ابن الخطيب يحتمل ان يقال ما ثبت لذته يقال طعام لذ ولذيذ واطعمة لذة ولذيذة ويحتمل
ان يكون ذلك وصفا بنفس المعنى لا بالمشتق منه كما يقال للحكيم هو حكيم كله وللعاقل عقل كله والعامة على جر لذة
صفة لخمر وقرئ بالنصب على المفعول له وهي توكد المصدرية في قراءة العامة وبالرفع صفة لانهار ولم تجمع لانها
مصدر ان قيل به وان لا فلانها صفة لجمع غير عاقل وهو يعامل معاملة المونثة الواحدة **قوله تعالى** من عسل نقلوا
في عسل التذكير والتانيث وجاء القران على التذكير في قوله مصفى والعسلان العدو واكثر استعماله في الذئب
يقال عسل الذئب والثعلب واصله من عسلان الرمح وهو اهتزازه فكان العادي يهز اعضاءه ويحركها قال الشاعر
* لدن بهز الكف يعسل متنه * فيه كما عسل الطريق الثعلب * وكني بالعسيلة عن الجماع لما بينهما قال عليه السلام لا حتى تذوقي
عسيلته ويذوق عسيلتك **فصل** روى ابو هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سيحان وجيحان والفرات
والنيل كل من انهار الجنة قال كعب الاحبار نهر دجلة نهر ماء اهل الجنة ونهر الفرات نهر لبنهم ونهر مصر نهر خمرهم
ونهر سيحان وجيحان نهر عسلهم وهذه الانهار الاربعة تخرج من نهر الكوثر **فصل** قال ابن الخطيب اختار هذه
الانهار من الاجناس الاربعة لان المشروب اما ان يشرب لطعمه او لغير طعمه فان كان للطعم فالمطعوم تسعة المر
والمالح والحريف والحامض والعفص والقابض والتفه والحلو والدسم والذها الحلو والدسم لكن احلى الاشياء
العسل فذكره واما ادسم الاشياء فالدهن لكن الدسومة اذا تمحضت لا تطيب للاكل ولا للشرب فان الدهن لا يوكل

ولا يشرب في الغالب وأما اللبن ففيه الدسم الكامن في غيره وهو طيب للكل وبه تغذية الحيوان أولاً فذكره الله تعالى وأما ما يشرب لغير الطعم فالماء والخمر فإن الخمر كريهة الطعم لحصول التواتر بذلك وإنما تشرب لأمر آخر غير الطعم وأما الماء فلأن به بقاء الحيوان فذكره فإن قيل ما الحكمة في قوله في الخمر لذة للشاربين ولم يقل في اللبن لم يتغير طعمه للطاعمين ولا قال في العسل مصفى للناظرين فالجواب قال ابن الخطيب لأن اللذة تختلف باختلاف الأشخاص فرب طعام يلتذ به شخص ويعافه الآخر فقال لذة للشاربين بأسرهم ولأن الخمر كريهة الطعم في الدنيا فقال لذة أي لا يكون في خمر الآخرة كراهة طعم وأما الطعم واللون فلا يختلف باختلاف الناس فإن الحلو والحامض وغيرهما يدركه كل أحد لكنه قد يعافه بعض الناس ويلتذ به البعض مع اتفاقهم على أن له طعماً واحداً وكذلك اللون فلم يكن للتصريح بالتعميم حاجة قوله تعالى من كل الثمرات فيه وجهان أحدهما أن هذا الجار صفة لمقدر ذلك المقدر مبتدأ وخبره الجار قبله وهو لهم وفيها متعلق بما تعلق به والتقدير ولهم فيها زوجان من كل الثمرات كأنه انتزعه من قوله تعالى فيهما من كل فاكهة زوجان وقدره بعضهم صنف والأول أليق والثاني أن من مزيدة في المبتدأ قوله تعالى ومغفرة فيه وجهان أحدهما أنه عطف على ذلك المقدر لا بقيد كونه في الجنة أي ولهم مغفرة لأن المغفرة تكون قبل دخول الجنة أو بقيد ذلك ولا بد من حذف مضاف حينئذ أي وتنعيم مغفرة لأنه ناشئ عن المغفرة وهو في الجنة والثاني أن يجعل خبرها مقدراً أي ولهم مغفرة والجملة مستأنفة والفرق بين الوجهين أن الوجه الذي قبل هذا فيه الإخبار بلهم الملفوظ به عن شيئين ذلك المحذوف ومغفرة وفي الوجه الآخر الخبر جار آخر حذف لدلالة ما عليه قوله تعالى كمن هو قد تقدم أنه يجوز أن يكون خبراً عن مثل الجنة بالتأويلين المذكورين عن ابن عطية والزمخشري وأما إذا لم يجعله خبراً عن مثل ففيه أربعة أوجه أحدها أنه خبر مبتدأ محذوف تقديره أحال هؤلاء المتقين كحال من هو خالد وهذا تأويل صحيح وذكر فيه أبو البقاء لأوجه الباقية فقال وهو في موضع رفع أي حالهم كحال من هو خالد في النار وقيل هو استهزاء بهم وقيل هو على معنى الاستفهام أي أكمن هو خالد وقيل في موضع نصب أي يشبهون حال من هو خالد في النار انتهى معنى قوله وقيل هو استهزاء أي أن الإخبار بقولك حالهم كحال من على سبيل الاستهزاء والتهكم قال البغوي معناه من كان في هذا النعيم كمن هو خالد في النار قوله تعالى وسقوا عطف على الصلة عطف فعلية على اسمية لكنه راعى في الأول لفظ من فأفرد وفي الثانية معناها فجمع والأمعاء جمع معى بالقصر وهي المصران التي في البطن وقد وصف بالجمع في قوله ومعى جياع على إرادة الجنس والقدعن يدليل توالهم معيان فصل الماء الحميم هو الشديد الحر تسعر عليه النار منذ خلقت إذا أدني منهم شوى وجوههم ووقعت فروة رؤوسهم فإذا شربوه قطع أمعاءهم فخرجت من أدبارهم والأمعاء جميع ما في البطن من الحوايا واحدها معى قوله تعالى ومنهم من يستمع إليك يعني الكفار منهم من يستمع إليك وهم المنافقون يستمعون قولك فلا يعونه ولا يفهمونه تهاوناً والضمير في قوله ومنهم يحتمل أن يعود إلى الناس كما قال تعالى في سورة البقرة ومن الناس من يقول آمنا بالله بعد ذكر الكفار ويحتمل أن يعود إلى أهل مكة لأن ذكرهم سبق في قوله تعالى هي أشد قوة من قريتك التي أخرجتك ويحتمل أن يرجع إلى معنى قوله هو خالد في النار وسقوا ماء حميماً يعني ومن الخالدين في النار قوم يستمعون إليك قوله تعالى حتى إذا خرجوا من عندك قال المفسرون حتى للعطف فالواو العطف يجيء لاجنس إلا إذا كان المعطوف جزءاً من المعطوف عليه إما أعلاه وإما دونه كقولك أكرمني الناس حتى الملك وجاء الحجاج حتى المشاة وفي الجملة ينبغي أن يكون المعطوف متعلقاً بالمعطوف عليه من حيث المعنى ولا يشترط في العطف بالواو وذلك فوجه التعلق ههنا هو أن قوله حتى إذا خرجوا من عندك يفيد معنى زائداً في الاستماع كأنه يقول يستمعون استماعاً بالغاً جيداً لأنهم يستمعون وإذا خرجوا يستعيدون من العلماء كما يفعله المجتهد في التعلم الطالب للتفهم يفعلون ذلك استهزاء كما قال تعالى عنهم وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزئون ويحتمل أن يكون فعلهم ذلك لعدم فهمهم يؤيده قوله تعالى كذلك يطبع الله على قلوب المجرمين وقوله بعد ذلك أولئك الذين طبع الله على قلوبهم واتبعوا أهواءهم أي تركوا اتباع الحق إما لعدم الفهم أو لعدم الاستفادة قوله تعالى آنفاً فيه وجهان أحدهما أنه منصوب على الحال فقدره أبو البقاء ماذا قال مؤتنفاً وقدره غيره مبتدئاً أي ما القول الذي ائتنفه الآن قبل انفصاله عنه والثاني أنه منصوب على الظرف أي ماذا قال الساعة قاله الزمخشري وأنكره أبو حيان قال لأنا لم نعلم أحداً عده من الظروف واختلفت عباراتهم في معناه فظاهر عبارة الزمخشري أنه ظرف حالي كالآن ولذلك فسره بالساعة وقال ابن عطية والمفسرون يقولون آنفاً معناه الساعة الماضية القريبة منا وهذا تفسير بالمعنى وقرأ البزي بخلاف عنه أنفاً بالقصر والباقون بالمد وهما لغتان بمعنى واحد وهما اسما فاعل كحاذر وحذر وآسن إلا أنه لم يستعمل لهما فعل مجرد بل استعمل ائتنف يأتنف واستأنف يستأنف والائتناف والاستئناف الابتداء قال الزجاج هو من استأنفت الشيء إذا ابتدأته

اي ماذا قال في أول وقت يقرب منا فصل روى مقاتل أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يخطب ويعيب المنافقين فإذا خرجوا من المسجد سألوا عبد الله بن مسعود استهزاء ماذا قال محمد صلى الله عليه وسلم آنفاً ثم قال تعالى أولئك الذين طبع الله على قلوبهم فلم يؤمنوا واتبعوا أهواءهم في الكفر والنفاق قوله تعالى والذين اهتدوا يجوز فيه الرفع بالابتداء والنصب على الاشتغال وتقواهم مصدر مضاف لفاعله والضمير في وآتاهم يعود على الله أو على قول المنافقين لأن قولهم ذلك مما يزيد المؤمنين تقوى أو على الرسول والمعنى زادهم قول الرسول هدى وآتاهم تقواهم أي وفقهم للعمل بما أمروا به وزادهم الله هدى وآتاهم تقواهم أو زادهم استهزاء المنافقين هدى وآتاهم قول المنافقين تقواهم أي ثواب تقواهم يوم القيامة قوله تعالى فهل ينظرون إلا الساعة أن تأتيهم بغتة يعني الكافرين والمنافقين قال عليه السلام ما ينتظر أحدكم إلا غنى مطغياً أو فقراً منسياً أو مرضاً مفسداً أو هرماً مفنداً أو موتاً مجهزاً أو الدجال شر غائب ينتظر أو الساعة والساعة أدهى وأمر وسميت القيامة بالساعة لسرعة الأمور الواقعة فيها من البعث والحشر والحساب قوله تعالى أن تأتيهم بدل من الساعة بدل اشتمال وقرأ أبو جعفر الرواسي إن تأتهم بأن الشرطية وجزم ما بعدها وفي جوابها وجهان أحدهما أنه قوله فأنى لهم قاله الزمخشري ثم قال فإن قلت بم يتصل قوله فقد جاء أشراطها على القراءتين قلت بإتيان الساعة اتصال العلة بالمعلول كقولك إن أكرمني زيد فأنا حقيق بالإكرام أكرمه والثاني أن الجواب قوله فقد جاء أشراطها وإتيان الساعة وإن كان متحققاً إلا أنهم عوملوا معاملة الشاك وحالهم كانت كذا قوله تعالى فقد جاء أشراطها الأشراط جمع شرط بسكون الراء وفتحها قال أبو الأسود

فإن كنت قد أزمعت بالصرم بيننا ... فقد جعلت أشراط أوله تبدو

والأشراط العلامات ومنه أشراط الساعة وأشرط الرجل نفسه أي ألزمها أموراً قال أوس شعراً

فأشرط فيها نفسه وهو معصم ... فألقى بأسباب له وتوكلا

والشرط القطع أيضاً مصدر شرط الجلد يشرطه شرطاً فصل قال سهل بن سعد رأيت النبي صلى الله عليه وسلم قال بإصبعه هكذا بالوسطى والتي تلي الإبهام بعثت والساعة كهاتين وقال عليه السلام إن من أشراط الساعة أن يرفع العلم ويكثر الجهل ويكثر الزنا ويكثر شرب الخمر ويقل الرجال ويكثر النساء حتى يكون لخمسين امرأة القيم الواحد وقال عليه السلام إذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة قيل كيف إضاعتها قال إذا وسد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة واعلم أن قوله تعالى فقد جاء أشراطها يحتمل وجهين أحدهما أن يكون بياناً لغاية عنادهم ويحتمل أن يكون تسلية لقلب المؤمن كأنه تعالى لما قال فهل ينتظرون إلا الساعة فهم فيه تعذيبهم قال المفسرون أشراط الساعة مثل انشقاق القمر ورسالة محمد عليه السلام قوله تعالى فأنى لهم أنى خبر مقدم وذكراهم مبتدأ مؤخر أي أنى لهم التذكر وإذا وما بعدها معترض وجوابها محذوف أي كيف لهم التذكر إذا جاءتهم الساعة فكيف يتذكرون ويجوز أن يكون المبتدأ محذوفاً أي أنى لهم الخلاص ويكون ذكراهم فاعلاً بجاءتهم وقرأ أبو عمرو في رواية بغتة بفتح الغين وتشديد التاء وهي صفة فنصبها على الحال ولا نظير لها في الصفات ولا في المصادر وإنما هي في الأسماء نحو الجربة للجماعة والشربة للمكان قال الزمخشري ما أخوفني أن تكون غلطة من الراوي عن أبي عمرو وأن يكون الصواب بغتة بالفتح دون تشديد فصل معنى الآية من أين لهم التذكر والاتعاظ والتوبة إذا جاءتهم ذكراهم أي الساعة نظيره يومئذ يتذكر الإنسان وأنى له الذكرى قوله تعالى فاعلم أنه لا إله إلا الله وجه مناسبته لما قبله هو أنه تعالى قال فاعلم أنه لا إله إلا الله أي يأتي بالساعة كما قال أزفت الآزفة ليس لها من دون الله كاشفة وقيل فاعلم أنه لا إله إلا الله تنفعك قيل الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد غيره وقيل معناه فاثبت عليه وقال الحسين بن الفضل فازدد علماً إلى علمك وقال أبو العالية وابن عيينة معناه إذا جاءتهم الساعة فاعلم أنه لا ملجأ ولا مفزع عند قيامها إلا الله ثم قال واستغفر لذنبك أمر بالاستغفار مع أنه مغفور له لتستن به أمته وقيل معنى قوله لذنبك أي لذنب أهل بيتك وللمؤمنين والمؤمنات الذين ليسوا منك بأهل بيت وقيل المراد النبي والذنب هو ترك الأفضل الذي هو بالنسبة إليه ذنب وحسنات دون ذلك قال عليه السلام إنه ليغان على قلبي وإني لأستغفر الله في كل يوم مائة مرة قوله تعالى وللمؤمنين والمؤمنات هذا إكرام من الله تعالى لهذه الأمة حيث أمر نبيهم صلى الله عليه وسلم أن يستغفر لذنوبهم والله يعلم متقلبكم ومثواكم قال ابن عباس والضحاك متقلبكم منصرفكم ومنتشركم في الدنيا في أعمالكم ومثواكم مصيركم في الآخرة إلى الجنة أو إلى النار قال مقاتل وابن جرير متقلبكم منصرفكم لأشغالكم بالنهار ومثواكم مأواكم إلى مضاجعكم بالليل وقال عكرمة متقلبكم في أصلاب الآباء إلى أرحام الأمهات ومثواكم مقامكم في الأرض وقال ابن كيسان متقلبكم من ظهر إلى بطن ومثواكم مقامكم في القبور وقيل معناه أنه عالم بجميع أحوالكم فلا يخفى

عليه شيء منها **قوله تعالى** ويقول الذين آمنوا لولا نزلت سورة اي هلا وقد التفات الى قول بعضهم ان لا زايدة
والاصل لو نزلت والعامة على رفع سورة محكمة لقيامها مقام الفاعل وزيد بن علي بالنصب فيهما على الحال والقايم
مقام الفاعل ضمير السورة المتقدمة وسوغ وقوع الحال كذا وصفها كقولك الرجل جاءني رجل صالحا وقرئ فاذا انزلت
سورة وقرا زيد بن علي وابن عمير وذكر مبنيا للفاعل اي الله تعالى القتال نصبا **فصل** المعنى ويقول الذين امنوا
حرصا منهم على الجهاد هلا انزلت سورة بامرنا بالجهاد واعلم ان المومن كان ينتظر نزول الاحكام والتكاليف
ويطلب تنزيلها واذا تاخر عنه التكليف كان يقول هلا امرت بشيء من العبادة خوفا من ان لا يوهل لها واما المنافق
فاذا انزلت السورة او الاية وفيها تكاليف فيشق عليه ذلك لتحصل التباين بين الفريقين في العلم والعمل والمراد
بالسورة التي فيها تكليف وقوله محكمة اي لم تنسخ وقال قتادة كل سورة ذكر فيها الجهاد فهي محكمة وهي اشد القران على المنافقين
قوله تعالى رايت الذين في قلوبهم مرض يعني المنافقين ينظرون اليك شزرا بتحديق شديد كراهية منهم للجهاد وجبنا
عن لقاء العدو **قوله تعالى** نظر المغشي الاصل نظرا مثل نظر المغشي عليه من الموت كما ينظر الشاخص بصره عند الموت **قوله تعالى**
فاولى لهم طاعة اختلف اللغويون والمعربون في هذه اللفظة فقال الاصمعي انها فعل ماض بمعنى قاربه ما يهلكه وانشد
فعادى بين هادتين منها • واولى ان يزيد على الثلاث • اي قارب ان يزيد قال ثعلب لم يقل احد في اولى احسن من الاصمعي
وقال البغوي معناه وليك وقارب ما تكره ولكن الاكثرون على انه اسم ثم اختلف هؤلاء فقيل هو مشتق من الولي وهو القرب
كقوله • تكلفني ليلى وقد شط وليها • وعادت عواد بيننا وخطوب • وقيل هو مشتق من الويل والاصل فيه اويل
فقلبت العين الى ما بعد اللام فصار وزنه افلع والى هذا نحا الجرجاني والاصل عدم القلب واما معناها فقيل هي تهديد
ووعيد كقوله • فاولى ثم اولى ثم اولى • وهل للدر يحلب من مرد • وقال المبرد يقال لمن هم بالغضب اولى لك كقول الاعرابي
كان يوالي رمي الصيد فيفلت منه فيقول اولى لك ثم رمى صيدا فقاربه فافلت منه فقال • فلو كان اولى يطعم القوم صدتهم
ولكن اولى يترك القوم جوعا • هذا ما يتعلق باشتقاقه ومعناه واما الاعراب فان قلنا بقول الجمهور ففيه اوجه احدها
ان اولى مبتدا ولهم خبره تقديره فالهلاك لهم وسوغ الابتدا بالنكرة كونه دعا نحو ويل لكل همزة الثاني انه خبر مبتدا مضمر
تقديره العقاب او الهلاك اولى لهم اي اقرب وادنى وقال ابن الخطيب التقدير فالموت اولى لهم لان الموت سبق ذكره في
قوله نظر المغشي عليه من الموت وذلك ان الحيوة لا في طاعة الله ورسوله الموت خير منها ويجوز ان يكون اللام بمعنى الباء اي اولى
واحق بهم الثالث انه مبتدا ولهم متعلق به واللام بمعنى الباء اي اولى واحق وطاعة خبره والتقدير اولى بهم طاعة دون غيرها
وان قلنا بقول الاصمعي فيكون فعلا ماضيا وفاعله مضمر يدل عليه السياق كانه قيل فاولى هو اي الهلاك وهذا ظاهر عبارة
الزمخشري حيث قال ومعناه الدعاء عليهم بان يليهم المكروه وقال ابن عطية المشهور من استعمال العرب انك تقول هذا اولى بك
من هذا اي احق وقد تستعمل العرب اولى لك فقط على جهة الحذف والاختصار لما معها من القول فتقول اولى لك يا فلان
على جهة الزجر والوعيد انتهى وقال ابو البقا اولى مونثه اولاة وفيه نظر لان ذلك انما يكون في التذكير والتانيث الحقيقيين
اما التانيث اللفظي فلا يقال فيه ذلك وسياتي له مزيد بيان في القيمة ان شاء الله تعالى **قوله تعالى** طاعة فيه
اوجه احدها انه خبر اولى على ما تقدم الثاني انها صفة لسورة اي فاذا انزلت سورة محكمة طاعة اي ذات طاعة ومطاعة
ذكره مكي وابو البقا وفيه بعد لكثرة الفواصل الثالث انها مبتدا وقول عطف عليها والخبر محذوف تقديره امثل بكم من غيرهما
وقدره مكي منا طاعة فقدره مقدما الرابع ان يكون خبر مبتدا محذوف اي امرنا طاعة الخامس ان لهم خبر مقدم وطاعة
مبتدا موخر والوقف والابتدا يعرفان مما تقدم **فصل** قال المفسرون قوله طاعة وقول معروف ابتدا محذوف
الخبر تقديره طاعة وقول معروف امثل اي لو اطاعوا وقالوا قولا معروفا كان امثل واحسن وساغ الابتدا بالنكرة لانها
وصفت بدليل قوله وقول معروف فانه موصوف فكانه تعالى قال الطاعة مخلصة وقول معروف خير وقيل يقول المنافقون
قبل نزول السورة المحكمة طاعة رفع على الحكاية اي امرنا طاعة ومنا طاعة وقول معروف وحسن وقيل متصل بما قبله
واللام في قوله لهم بمعنى الباء اي فاولى بهم طاعة الله ورسوله وقول معروف بالاجابة اي لو اطاعوا الله كانت الطاعة
والاجابة اولى بهم وهذا معنى قول ابن عباس في رواية عطاء **قوله تعالى** فاذا عزم الامر في جوابها ثلاثة اوجه احدها
قوله فلو صدقوا نحو اذا جاءني طعام فلو جئتني اطعمتك الثاني انه محذوف تقديره فاصدق كذا قدره ابو البقا الثالث
ان تقديره ناقضوا وقيل تقديره كرهوا ذلك وعزم الامر على سبيل الاسناد المجازي كقوله • قد جدت الحرب بكم فجدوا •
او يكون على حذف مضاف اي عزم اهل الامر قال المفسرون معناه اذا جد الامر ولزم فرض القتال خالفوا وتخلفوا فلو
صدقوا الله في اظهار الايمان والطاعة لكان خيرا لهم وقيل جواب اذا محذوف تقديره فاذا عزم الامر نكلوا وكذبوا
فيما وعدوا ولو صدقوا لكان خيرا لهم **قوله تعالى** فهل عسيتم اي فلعلكم ان توليتم اعرضتم عن القران وفارقتم احكامه

ان تفسدوا

ان تفسدوا في الارض تعودوا الى ما كنتم عليه في الجاهلية فتفسدوا في الارض بالمعصية والبغي وسفك الدماء وترجعوا
الى الفرقة بعد ما جمعكم الله بالاسلام **قوله تعالى** ان تفسدوا خبر عسى والشرط معترض بينهما وجوابه محذوف لدلالة
فهل عسيتم عليه وهو فقد عسيتم فهل عسيتم عندمن يري تقديمه وقرا علي رضي الله عنه ان توليتم بضم التاء والواو وكسر اللام
مبنيا للمفعول من الولاية اي ان ولينكم امور الناس وقال ابن الخطيب معناه لو تولى لاكم ولاة ظلمة جفاة غشمة ومشيتم معهم
افسدتم وقطعتم الارحام والنبي عليه السلام لا يامركم الا بصلة الارحام فلم تتقاعدون عن القتال والاول اظهر ومعنا
ان كنتم تتركون القتال وتقولون فيه الافساد وقطع الارحام وكون الكفار اقاربنا فلا يقع منكم الا ذلك حيث تقاتلون
على ادنى شيء كما كان عادة العرب الاول وقرئ وليتم من الولاية ايضا **فصل** قال ابن الخطيب في استعمال عسى ثلاثة مذاهب
احدها الاتيان بها على صورة فعل ماض معه فاعل تقول عسى زيد وعسينا وعسوا وعسيتما وعسيت وعسيتن وعسينا
وعسيتن والثاني ان يوتي بها على صورة فعل ومفعول تقول عساه وعساهما وعساك وعساكما وعساي وعسانا والثالث
الاتيان بها من غير ان يقرن بها شيء تقول عسى زيد يخرج وعسى انت تخرج وعسى انا اخرج والكل متوجه وما عليه كلام الله
اوجه لان عسى من الافعال الجامدة واقتران الفاعل بالفعل اولى من اقتران المفعول لان الفاعل كالجزء من الفعل ولهذا لم
يجوزوا فيه اربع متحركات في مثل قول القايل نصرت وجوزوا في مثل قولنا نصرك وقد تقدم الكلام في عسى مشبعا وفي
قوله عسيتم التفات من غيبة في قوله الذين في قلوبهم مرض الى الخطاب بهم بذلك زيادة في توبيخهم والاستفهام للتقرير
المؤكد فانه لو قال على سبيل الاخبار عسيتم ان توليتم لكان للمخاطب ان ينكره فاذا قال بصيغة الاستفهام فانه يقول لنا اشكل
عن هذا وانت لا تقدر تجيب الا بلا ونعم فهو مقر عندك وعندي واعلم ان عسى للتوقع والله عالم بكل شيء والكلام فيه
كالكلام في لعل وفي قوله لنبلوهم فقال بعضهم نفعل بكم فعل المترجي والمبتلي والمتوقع وقيل كل من ينظر اليهم يتوقع منهم
ذلك وقال ابن الخطيب هو محمول على الحقيقة لان الفعل اذا كان في نفسه متوقعا فالنظر اليه غير مستلزم لامر وانما
الامر يجوز ان يحصل منه تارة ولا يحصل منه اخرى يكون الفعل لذلك الامر المطلوب على سبيل الترجي سواء كان الفاعل
يعلم حصول الامر منه او لم يعلم مثاله من نصب شبكة لاصطياد الصيد يقال هو متوقع لذلك فان حصل له العلم بوقوعه
فيه باخبار صادق انه سيقع فيه او ببطريق اخرى لا يخرج عن التوقع غاية ما في الباب ان في الشاهد لم يحصل لنا العلم فيما
نتوقعه فظن ان عدم العلم لازم المتوقع فليس كذلك بل المتوقع هو المنتظر بامر ليس بواجب الوقوع نظرا الى ذلك الامر
حيث سواء كان له به علم او لم يكن **قوله تعالى** وتقطعوا قرا العامة بالتشديد على التكثير وابو عمرو في رواية وسلام
ويعقوب بالتخفيف مضارع قطع والحسن بفتح التاء والطاء اصلها تتقطعوا بتاءين حذف احدهما وانتصاب ارحامكم
على هذا على اسقاط الخافض اي في ارحامكم **قوله تعالى** اولئك مبتدا والموصول خبره والتقدير اولئك المفسدون
يدل عليه ما تقدم وقوله فاصمهم ولم يقل فاصم اذانهم واعمى ابصارهم ولم يقل اعماهم قيل لانه لا يلزم من ذهاب
الاذن ذهاب السمع فلم يتعرض لها والابصار وهي الاعين يلزم من ذهابها ذهاب الابصار ولا يرد عليك قوله
وفي اذانهم وقر ونحوه لانه دون الصمم والصمم اعظم منه فقال اصمهم من غير ذكر الاذن وقال اعمى ابصارهم مع ذكر العين
لان البصر هنا بمعنى العين ولهذا جمعه بالابصار ولو كان مصدرا لما جمع فلم يذكر الاذن اذ لا مدخل لها في الاصمام
وذكر العين لان لها مدخلا في الروية بل هي الكل بدليل ان الافة في غير هذا الموضع لما اضافها الى الاذن سماها وقرا
فقال تعالى حاكيا عنهم وفي اذاننا وقر ولو فرد ون الصمم **قوله تعالى** اولئك الذين لعنهم الله اشارة الى من سبق ذكرهم
من المنافقين ابعدهم الله عنه او عن الخير فاصمهم لا يسمعون الكلام المبين واعمى ابصارهم عن الحق **قوله تعالى**
افلا يتدبرون القران فيه سوال وهو انه تعالى قال فاصمهم واعمى ابصارهم فكيف يكلفهم التدبر في القران وهو كقول
القايل للاعمى ابصر وللاصم اسمع والجواب من ثلاثة اوجه مترتبة بعضها احسن من البعض الاول تكليف ما لا يطاق
جايز والله امر من علم منه انه لا يومن بان يومن فلذلك جاز ان يصمهم ويعميهم ويذمهم على ترك التدبر الثاني ان قوله
افلا يتدبرون القران المراد منه الناس الثالث ان يقال هذه الاية وردت محققة لمعنى الاية المتقدمة كانه تعالى قال
اولئك الذين لعنهم الله اي ابعدهم عنه او عن الصدق او الخير وغير ذلك من الامور الحسنة فاصمهم لا يسمعون
حقيقة الكلام واعماهم لا يتبعون طريقة الاسلام فاذن هم بين امرين اما لا يتدبرون القران فيبعدون منه
لان الله لعنهم وابعدهم عن الخير والصدق والقران منهما هو الصنف الاعلى بل النوع الاشرف واما يتدبرون لكن لا
تدخل معانيه في قلوبهم لكونها مقفلة تقديره افلا يتدبرون القران لكونهم ملعونين مبعدين ام على قلوب اقفالها
فيتدبرون ولا يفهمون وعلى هذا لا يحتاج الى ان يقول ام بمعنى بل بل هي على حقيقتها للاستفهام واقعة في وسط الكلام
والهمزة اخذت مكانها وهو الصدر وقيل ام بمعنى بل والمعنى ام على قلوب اقفالها فلا يفهم مواعظ القران واحكامه روي

هشام بن عروة عن أبيه قال تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها فقال شاب من أهل اليمن بل على قلوب أقفالها حتى يكون الله يفتحها أو يفرجها فما زال الشاب في نفس عمر حتى ولي فاستعان به **قوله تعالى** أم على قلوب أم منقطعة وتقدم الكلام على أم المنقطعة وقرأ العامة أقفالها بالجمع على أفعال وقرئ أقفلها على أفعل وقرئ إقفالها بكسر الهمزة مصدرا كالإقبال وهذا الكلام استعارة بليغة قيل ذلك من عدم وصول الحق إليها فإن قيل ما الفائدة في تنكير القلوب فقال الزمخشري يحتمل وجهين أحدهما أن يكون للتنبيه على كونه موصوفا لأن النكرة بالوصف أولى من المعرفة فكأنه قال أم على قلوب قاسية أو مظلمة الثاني أن يكون للتبعيض كأنه قال أم على بعض القلوب لأن النكرة لا تعم تقول جاءني رجال فيفهم البعض وجاءني الرجال فيفهم الكل والتنكير في القلوب للتنبيه على الإنكار الذي في القلوب وذلك لأن القلب إذا كان عارفا كان معروفا لأن القلب خلق للمعرفة فإذا لم يكن فيه المعرفة فكأنه لا يعرف قلبا فلا يكون قلبا يعرف كما يقال للإنسان المؤذي هذا ليس بإنسان وكذلك يقال هذا ليس بقلب هذا حجر وإذا علم هذا فالتعريف إما بالألف واللام وإما بالإضافة بأن يقال على قلوبهم أقفالها وهي لعدم عود فائدة إليهم كأنها ليست لهم فإن قيل قد قال الله تعالى ختم الله على قلوبهم وقال فويل للقاسية قلوبهم فالجواب لأن الأقفال أبلغ من الختم فترك الإضافة لعدم انتفاعهم رأسا فإن قيل ما الحكمة في قوله أقفالها بالإضافة ولم يقل أقفال كما قال قلوب فالجواب لأن الأقفال كأنها ليست إلا لها ولم يضف القلوب إلا لعدم نفعها إياهم وأضاف الأقفال إليها لكونها مناسبة لها أو يقال أراد بها أقفالا مخصوصة هي أقفال الكفر والعناد **قوله تعالى** إن الذين ارتدوا على أدبارهم رجعوا كفارا من بعد ما تبين لهم الهدى قال قتادة هم كفار أهل الكتاب كفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم بعد ما عرفوا ووجدوا نعته في كتابهم وقال ابن عباس والضحاك والسدي هم المنافقون **قوله تعالى** الشيطان سول لهم أي زين لهم القبيح وهذه الجملة خبر إن الذين كفروا وتقدم الكلام على سول معنى واشتقاقا وقال الزمخشري هنا وقد اشتقه من السول من لا علم له بالتصريف والاشتقاق جميعا قال شهاب الدين كأنه يشير إلى ما قاله ابن بحر من أن المعنى أعطاهم سؤلهم ووجه الغلط فيه أن مادة السول بالهمزة ومادة هذا بالواو فافترقا ولو كان على ما قيل لقيل سأل بتشديد الهمزة لا بالواو وفيما قاله الزمخشري نظر لأن السؤال له مادتان سأل بالهمزة وسال بالألف المنقلبة عن واو وعليه قراءة سال سائل وقوله ● سالت هذيل رسول الله فاحشة ● ضلت هذيل بما سالت ولم تصب ● وقد تقدم هذا في البقرة مستوفى **قوله تعالى** وأملى لهم العامة على أملى مبنيا للفاعل وهو ضمير الشيطان وقيل هو للباري تعالى قال أبو البقاء على الأول يكون معطوفا على الخبر وعلى الثاني يكون مستأنفا ولا يلزم ما قاله بل هو معطوف على الخبر في كلا التقديرين أخبر عنهم بهذا وبهذا وقرأ أبو عمرو في آخرين أملي مبنيا للمفعول والقائم مقام الفاعل الجار وقيل القائم مقامه ضمير الشيطان ذكره أبو البقاء وقرأ يعقوب وسلام ومجاهد وأملي بضم الهمزة وكسر اللام وسكون الياء فاحتملت وجهين أحدهما أن يكون مضارعا مسندا لضمير المتكلم أي وأملي أنا لهم وأن يكون ماضيا كقراءة أبي عمرو سكنت ياؤه تخفيفا وقد مضى منه جملة **فصل** قال المفسرون سول لهم سهل لهم وأملى لهم أي مد لهم في الأمل يعني قالوا نعيش أياما ثم نؤمن به وهو يعني قراءة وأملي لهم فإن قيل الإملاء والإمهال وحد الآجال لا يكون إلا من الله فكيف يصح قراءة من قرأ وأملى لهم فإن المملي حينئذ هو الشيطان قال ابن الخطيب والجواب من وجهين أحدهما يجوز أن يكون المراد وأملى لهم الله فيقف على سول لهم وثانيهما هو أن المسول أيضا ليس هو الشيطان وإنما أسند إليه من حيث إن الله قدر على يديه ولسانه ذلك فلذلك الشيطان يمنيهم ويقول لهم في آجالكم فسحة فتمتعوا برياستكم ثم في آخر العمر تؤمنون **قوله تعالى** ذلك بأنهم قالوا يعني المنافقين أو اليهود قالوا للذين كرهوا ما نزل الله وهم المشركون أي ذلك الإملاء بسبب قولهم للذين كرهوا قاله الواحدي وقيل ذلك إشارة إلى التسويل ويحتمل أن يقال ذلك إشارة للارتداد بسبب قولهم سنطيعكم قاله ابن الخطيب قال لأنا نبين أن قوله قالوا سنطيعكم في بعض الأمر هو أنهم قالوا نوافقكم على أن محمدا ليس بمرسل وإنما هو كاذب ولكن لا نوافقكم في إنكار الرسالة والحشر والإشراك بالله من الأصنام ومن لم يؤمن بمحمد عليه السلام فهو كافر وإن آمن بغيره لا بل من لم يؤمن بمحمد عليه السلام لا يؤمن بالله ولا برسله ولا بالحشر لأن الله كما أخبر عن الحشر وهو جائز أخبر عن نبوة محمد عليه السلام وهي جائزة وقال المفسرون إن اليهود والمنافقين قالوا للذين كرهوا ما نزل الله وهم المشركون سنطيعكم في بعض الأمر في التعاون على عداوة محمد صلى الله عليه وسلم والقعود عن الجهاد وكانوا يقولونه سرا فقال الله تعالى والله يعلم أسرارهم **قوله تعالى** أسرارهم قرأ الأخوان وحفص بكسر الهمزة مصدرا والباقون بفتحها جمع سر **قوله تعالى** فكيف إما خبر مقدم أي فكيف حالهم بأسرارهم إذا توفتهم وإما منصوب بفعل محذوف أي فكيف تصنعون وإما خبر لكان مقدرة أي فكيف تكونون والظرف معمول لذلك المقدر وقرأ الأعمش توفاهم دون تاء فاحتملت وجهين أن يكون ماضيا كالعامة وأن يكون مضارعا حذفت

إحدى تائيه **قوله تعالى** يضربون حال إما من الفاعل وهو الأظهر أو من المفعول **فصل** قال ابن الخطيب الأظهر أن قوله والله يعلم أسرارهم أي ما في قلوبهم من العلم بصدق محمد صلى الله عليه وسلم فإنهم كانوا مكابرين معاندين وكانوا يعرفون رسول الله كما يعرفون أبناءهم ويؤيده القراءة بكسر الهمزة فإنهم كانوا يسرون نبوة محمد عليه السلام وإن قلنا المراد من الذين ارتدوا هم المنافقون فكانوا يقولون للمجاهدين من الكفار سنطيعكم في بعض الأمر وكانوا يسرون أنهم إن غلبوا انقلبوا كما قال الله ولئن جاء نصر من ربك ليقولن إنا كنا معكم وقال تعالى فإذا جاء الخوف سلقوكم بألسنة حداد وقوله فكيف إذا توفتهم الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم كأنه تعالى قال هب أنهم يسرون والله لا يظهره اليوم فكيف يبقى مخفيا وقت وفاتهم أو يقول لما قال تعالى والله يعلم أسرارهم أنهم يختارون القتال لما فيه من الضراب والطعن مع أنه مفيد على الوجهين جميعا إن غلبوا فالمال والثواب في المآل وإن غلبوا فالشهادة والسعادة فكيف حالهم إذا ضرب وجوههم وأدبارهم وعلى هذا فيه لطيفة وهي أن في القتال في الحال إن أقدم المبارز فقد يهزم الخصم ويسلم وجهه وقفاه وإن لم يهزمه فالضرب على وجهه إن ثبت وصبر وإن لم يثبت وانهزم فإن فاته بالهرب فقد سلم وجهه وقفاه وإن لم يفته فالضرب على قفاه لا غير ويوم الوفاة لا نصرة له ولا مفر فوجهه وظهره مطعون ومضروب فكيف يحترز عن الأذى ويختار العذاب الأكبر **قوله تعالى** ذلك بأنهم اتبعوا ما أسخط الله أي ذلك الضرب بأنهم اتبعوا ما أسخط الله قال ابن عباس بما كتموا التوراة وكفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم وكرهوا ما فيه رضوان الله وهو الطاعة والإيمان وقيل المراد بما أسخط الله الكفر لأن الإيمان يرضيه لقوله تعالى إن تكفروا فإن الله غني عنكم ولا يرضى لعباده الكفر وإن تشكروا يرضه لكم وقيل ما أسخط الله هو تسويل الشيطان فإن قيل هم ما كانوا يكرهون رضوان الله بل كانوا يقولون إن الذي هم عليه رضوان الله ولا نطلب به إلا رضى الله وكيف لا والمشركون بإشراكهم كانوا يقولون إنا نطلب رضى الله كما قالوا ليقربونا إلى الله زلفى وقالوا هؤلاء شفعاؤنا فالجواب معناه كرهوا ما فيه رضى الله وفي قوله ما أسخط الله ولم يقل ما أرضى الله لطيفة وهي أن رحمة الله سابقة فله رحمة ثابتة وهي منشأ الرضوان وغضب الله متأخر فهو يكون على ذنب فقال رضوانه لأنه من وصف ثابت لله سابق ولم يقل سخط الله بل ما أسخط إشارة إلى أن السخط ليس ثابتا كثبوت الرضوان ولهذا المعنى قال في اللعان في حق المرأة والخامسة أن غضب الله عليها إن كان من الصادقين فقال غضب الله مضافا لأن لعانه قد سبق فظهر الزنا بقوله وأيمانه وقبله لم يكن غضب فرضوان الله أمر يكون منه الفعل وغضب الله أمر يكون من فعله **قوله تعالى** فأحبط أعمالهم حيث لم يطلبوا رضى الله وإنما طلبوا رضى الشيطان والأصنام **قوله تعالى** أم حسب الذين في قلوبهم مرض يعني المنافقين ولم يتقدم جملة أخرى استفهامية سابقة إذا كانت للاستفهام لأن كلمة أم إذا كانت تستدعي سبق جملة أخرى استفهامية يقال أزيد في الدار أم عمرو وإذا كانت منقطعة لا تستدعي ذلك يقال إن هذا لزيد أم عمرو كما يقال بل عمرو والمفسرون على أنها منقطعة ويحتمل أن يقال إنها استفهامية والسابق مفهوم من قوله تعالى والله يعلم أسرارهم فكأنه تعالى قال أم حسب الذين كفروا أن لن يعلم الله أسرارهم أم حسب المنافقون أن لن يظهرها والكل فاسد فإنما يعلمها ويظهرها ويؤيد ذلك أن المنقطعة لا تكاد تقع في صدر الكلام فلا يقال ابتداء بل جاء زيد ولا أم جاء زيد **قوله تعالى** أن لن يخرج الله أضغانهم الإخراج بمعنى الإظهار أي لن يظهر أحقادهم وأن وما بعدها خبرها واسمها ضمير الشأن والأضغان جمع ضغن وهي الأحقاد والضغينة كذلك قال الشاعر ● وذي ضغن كففت النفس عنه ● وكنت على إساءته مقيتا ● قال عمرو بن كلثوم ● فإن الضغن بعد الضغن يفشو ● عليك ويخرج الداء الدفينا ● وقيل الضغن العداوة والحقد قل لابن هند ما أردت بمنطق ● ساء الصديق وشيد الأضغانا ● يقال ضغن بالكسر يضغن بالفتح وقد ضغن على وأضغن القوم وتضاغنوا وأصل المادة من الالتواء في قوائم الدابة والقناة قال ● إن قناتي من صليبات القنا ● ما زادها التثقيف إلا ضغنا ● وقال الآخر ● كذات الضغن تمشي في الرفاق ● والاضطغان الاحتواء على الشيء أيضا ومنه قولهم اضطغنت الصبي إذا احتضنته وأنشد ● كأنه مضطغن صبيا ● وقال الشاعر ● وما اضطغنت سلاحي عند مغركها ● ومن ضاض لا يجري إلا بالضرب **فصل** قال المفسرون أضغانهم أحقادهم على المؤمنين فيبدوها حتى يعرفوا نفاقهم وقال ابن عباس أضغانهم حسدهم **قوله تعالى** ولو نشاء لأريناكهم من رؤية البصر وجاء على الأفصح من اتصال الضميرين ولو جاء على أريناك إياهم جاز وقال ابن الخطيب الإراءة هنا بمعنى التعريف **قوله تعالى** فلعرفتهم عطف على جواب لو وقوله ولتعرفنهم جواب قسم محذوف وقال المفسرون معنى الكلام لأريناكهم أي لأعلمناكهم وعرفناكهم فلعرفتهم بسيماهم بعلامتهم قال الزجاج المعنى لو نشاء لجعلنا على المنافقين علامة تعرفهم بها قال أنس ما خفي على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد نزول هذه الآية

شيء من اللحن فقيل كان يعرفهم بسيماهم **قوله تعالى** ولتعرفنهم في لحن القول اي في معناه ومقصده واللحن يقال باعتبارين
احدهما الكناية بالكلام حتى لا يفهمه غير مخاطبك ومنه قول القتال الكلابي في حكاية له ٭ ولقد وحيت لكم لكيما تفهموا ٭
ولحنت لحنا ليس بالمرتاب ٭ وقال آخر ٭ منطق صايب ويلحن احيانا ٭ وخير الحديث ما كان لحنا ٭ واللحن صرف الكلام
من الاعراب الى الخطا وقيل جمعه هو والاول صرف الكلام عن وجهه يقال من الاول لحنت بفتح الحا الحن له فانا لاحن
والحنته الكلام افهمته اياه فلحنه بالكسر اي فهمه فهو لاحن ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم ولعل بعضكم ان يكون الحن
بحجته من بعض ويقال من الثاني لحن بالكسر اذا لم يعرب فهو لحن **فصل** معنى الاية انك تعرفهم فيما يعرضون
به من تهجين امرك وامر المسلمين والاستهزاء بهم فكان بعد هذا لا يتكلم منافق عند النبي صلى الله عليه وسلم الا عرفه بقوله
ويستدل بفحوى كلامه على فساد دخلته قال ابن الخطيب معنى الاية ان لن يخرج الله اضغانهم اي يظهر ضمايرهم ويبرز
سرايرهم وكان قايلا قال فلم لم يظهر فقال اخرناهم لمحض المشية لا لخوف منهم ولو نشاء لاريناكهم اي لا مانع لنا
والاراءة بمعنى التعريف وقوله فلعرفتهم لزيادة فايدة وهي ان التعريف قد يطلق ولا يلزم منه المعرفة يقال عرفته
ولم يعرف وفهمته ولم يفهم فقال هاهنا فلعرفتهم يعني عرفناهم تعريفا تعرفهم به اشارة الى قوة التعريف واللام في قوله
فلعرفتهم هي التي تقع في جزاء لو كما في قوله لاريناكهم ادخلت على المعرفة اشارة الى المرتبة على المشية كانه قال ولو نشاء لعرفتهم
لتفهم ان المعرفة غير متاخرة عن التعريف فيفيد تاكيد التعريف اي لو نشاء لعرفناك تعريفا معه المعرفة لا بعده وقوله في
لحن القول اي في معنى القول حيث يقولون ما معناه النفاق كقولهم حين مجيء النصر انا كنا معكم وقولهم لئن رجعنا الى
المدينة وقولهم ان بيوتنا عورة ويحتمل ان يكون المراد قولهم ما لم يعتقدوا فاما لو كان منهم كما قالوا نشهد انك لرسول
الله والله يعلم انك لرسوله والله يشهد ان المنافقين لكاذبون ويحتمل ان يكون المراد من لحن القول هو الوجه الخفي من القول
الذي يفهمه النبي عليه السلام ولا يفهمه غيره فالنبي عليه السلام كان يعرف المنافق ولم يكن يظهر امره الى ان اذن الله له
في اظهار امرهم ومنع من الصلاة على جنايزهم والقيام على قبورهم وقوله بسيماهم الظاهر ان المراد انه تعالى لو شاء
لجعل على وجوههم علامة او يمسخهم كما قال ولو نشاء لمسخناهم وروي ان جماعة منهم اصبحوا وعلى جباههم مكتوب هذا منافق
ثم قال تعالى والله يعلم اعمالكم وهذا وعد للمومنين وبيان لكون حالهم بخلاف حال المنافق **قوله تعالى** ولنبلونكم حتى
نعلم ونبلو اخباركم قرا ابو بكر الثلاثة بالياء من اسفل يعني الله تعالى والاعمش كذلك وتسكين الواو والباقون بنون العظمة
ورويس كذلك وتسكين الواو والظاهر قطعه عن الاول في قراءة تسكين الواو ويجوز ان يكون سكن الواو تخفيفا
كقراءة الحسن او يعفو الذي بسكون الواو **فصل** المعنى لنعاملنكم معاملة المختبر بان نامركم بالجهاد والقتال
حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين اي علم الوجود والمشاهدة فانه تعالى قد علم علم الغيب يريد تبيين المجاهد
الصابر على دينه من غيره وقوله ونبلو اخباركم اي نظهرها ونكشفها بابا من يابى القتال ولا يصبر على الجهاد **قوله تعالى**
ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله وشاقوا الرسول من بعد ما تبين لهم الهدى قيل هم اهل الكتاب قريظة والنضير
لان اهل الكتاب تبين لهم صدق محمد عليه السلام وقيل هم كفار قريش لن يضروا الله شيئا انما يضرون انفسهم وهذا
تهديد وسيحبط اعمالهم فلا يرون لها ثوابا في الاخرة قال ابن عباس هم المطعمون يوم بدر نظيرها قوله تعالى ان الذين
كفروا ينفقون اموالهم ليصدوا عن سبيل الله الاية وقيل المراد بالاعمال اعمالهم التي مكايدهم في القتال **قوله تعالى** يا ايها
الذين امنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول ولا تبطلوا اعمالكم قال عطا بالشك والنفاق وقال الكلبي بالرياء والسمعة
وقال الحسن بالمعاصي والكباير وقال ابو العالية كان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يرون انه لا يضر مع الاخلاص
ذنب كما لا ينفع مع الشرك عمل فنزلت هذه الاية فخافوا الكباير ان تحبط الاعمال وقال مقاتل لا تمنوا على رسول الله
صلى الله عليه وسلم فتبطلوا اعمالكم نزلت في بني اسد قال تعالى لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى كانه يقول هذا فعلته
لاجل قلبك ولولا رضاك به لما فعلت وهذا مناف للاخلاص والله لا يقبل الا العمل الخالص **قوله تعالى** ان الذين كفروا
وصدوا عن سبيل الله ثم ماتوا وهم كفار فلن يغفر الله لهم قيل هم اصحاب القليب وقيل للعموم **قوله تعالى** فلا تهنوا
وتدعوا الى السلم يجوز جزم تدعوا عطفا على فعل النهي ونصبه باضمار ان في جواب النهي وقرا ابو عبد الرحمن بتشديد
الدال قال الزمخشري من ادعى القوم وتداعوا مثل ارتموا الصيد وتراموا وقال الضبي بمعنى تعتروا وتنتسبوا وتقدم الخلاف
في السلم **فصل** لما بين ان عمل الكافر الذي له صورة الحسنات يحبط وذنبه الذي هو اقبح السيئات غير مغفور
وامر بطاعة الله وطاعة الرسول امر بالقتال فقال فلا تهنوا اي لا تضعفوا بعدما وجد السبب وهو الامر بالجد
والاجتهاد في القتال فقال ولا تهنوا وتدعوا الى السلم اي الى الصلح ابتداء فمنع الله المسلمين ان يدعوا الكفار الى الصلح
وامرهم بحربهم حتى يسلموا **قوله تعالى** وانتم الاعلون حالية وكذلك والله معكم واصل الاعلون الاعليون فاعل قال

ابن الخطيب اصله في الجمع الموافق اعليون ومصطفيون فسكنت الياء لكونها حرف علة تحرك ما قبلها والواو كانت
ساكنة فالتقى ساكنان فلم يكن بد من حذف احدهما وتحريك الاخر والتحريك كان وقع في المحذوف الذي اجتنب منه فوجب
الحذف والواو فيه كانت لمعنى لا يستفاد الا منها وهو الجمع فاسقطت الياء وبقي اعلون وبهذا الدليل صار في الجر
اعلين ومصطفين ومعنى الاعلون الغالبون قال الكلبي اخر الامر لكم وان غلبوكم في بعض الاوقات والله معكم
بالعون والنصر **قوله تعالى** ولن يتركم اعمالكم اي ينقصكم ويفردكم عنها فهو من وترت الرجل اذا قتلت له قتيلا
او نهبت ماله او من الوتر وهو الانفراد وقيل كلا المعنيين يرجع الى الافراد لان من قتل له قتيل او نهب له مال فقد
افرد عنه يعني لن يتركم اعمالكم لن ينقصكم شيئا من ثواب اعمالكم يقال وتره يتره وترا وترة اذا انقص حقه قال ابن
عباس وقتادة والضحاك لن يظلمكم اعمالكم الصالحة ان يوتيكم اجورها ثم حض على طلب الاخرة فقال انما الحيوة الدنيا
لعب ولهو باطل وغرور وان تومنوا وتتقوا الفواحش يوتكم اجوركم جزاء اعمالكم في الاخرة ولا يسالكم ربكم اموالكم
لايتاء الاجر بل يامركم بالايمان والطاعة ليثيبكم عليها الجنة نظيره قوله ما اريد منهم من رزق وقيل لا يسالكم محمد
اموالكم نظيره قل ما اسئلكم عليه من اجر وقيل معنى الاية لا يسالكم الله ورسوله اموالكم كلها في الصدقات انما
يسالكم غيضا من فيض ربع العشر فطيبوا بها نفسا قاله ابن عيينة يدل عليه سياق الاية **قوله تعالى** فيحفكم عطف
على الشرط وتبخلوا جواب الشرط قال ابن الخطيب الفا في قوله فيحفكم للاشارة الى ان الاحفا يتبع السؤال بيانا لشح الانفس
وذلك لان العطف بالواو قد يكون للمتباينين وبالفا لا يكون الا للمتعاقبين او متعلقين احدهما بالاخر فكانه
تعالى بين ان الاحفا يقع عقيب السؤال لان الانسان بمجرد السؤال لا يعطي شيئا قال المفسرون فيحفكم يجهدكم ويلحف
عليكم بمسئلة جميعها يقال احفى فلان فلانا اذا اجهده والحف عليه في المسئلة **قوله تعالى** تبخلوا ويخرج اضغانكم
العامة على اسناد يخرج الى ضمير فاعل اما الله تعالى او الرسول او السؤال وقرا ايضا نخرج بالنون وضم الرا ورفع اضغانكم
فاعلا وعن حيان في اخرى ويخرج بالتاء من فوق وضم الرا اضغانكم فاعل به ويعقوب ونخرج بنون العظمة وكسر الرا
اضغانكم نصبا وقرئ ويخرج بالياء على البناء للمفعول اضغانكم رفعا به وعيسى كذلك الا انه نصبه باضمار ان عطفا
على مصدر متوهم اي يكن بخلكم واخراج اضغانكم بغضكم وعداوتكم **فصل** قال قتادة علم الله ان في مسئلة
الاموال خروج الاضغان يعني ما طلبها ولو طلبها والح عليكم في الطلب لبخلتم كيف وانتم تبخلون باليسير فكيف لا تبخلون
بالكثير فيخرج اضغانكم بسببه وان النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه اذا طلبوا منكم وانتم لمحبة المال وشح الانفس
تمتنعون فيفضي الى القتال وتظهر به الضغاين ثم بين ذلك بقوله ها انتم هؤلاء قد طلبت منكم اليسير فبخلتم فكيف لو
طلبت منكم الكل **قوله تعالى** ها انتم هؤلاء قال الزمخشري هؤلاء موصول صلته تدعون اي انتم الذين تدعون او انتم
يا مخاطبون هؤلاء الموصوفون ثم استانف وصفهم كانهم قالوا وما وصفنا فقيل تدعون وقال ابن الخطيب هؤلاء
يحتمل وجهين احدهما ان تكون موصولة كانه قال انتم الذين تدعون لتنفقوا في سبيل الله وثانيهما هؤلاء وحدها
خبر انتم كما يقال انت انت وانت هذا للشهرة والظهور اي ظهر امركم بحيث لا حاجة الى الاخبار عنكم بامر مغاير وقد
تقدم الكلام على قوله ها انتم هؤلاء مشبعا في سورة ال عمران وقوله تدعون اي الى الانفاق اما في سبيل الله بالجهاد
واما صرفا الى المستحقين من اخوانكم **قوله تعالى** فمنكم من يبخل بما فرض عليه من الزكوة ومن يبخل فانما يبخل عن نفسه اي ان
ضرر ذلك البخل عايد اليه فلا تظنوا انهم ينفقونه على غيرهم بل لا ينفقونه الا على انفسهم فان من يبخل باجر الطبيب
وثمن الدوا وهو مريض فلا يبخل الا على نفسه ثم حقق ذلك بقوله والله الغني اي غير محتاج الى مالكم وانتم
الفقراء اليه والى ما عنده من الخير حتى لا يقولوا بانا اغنيا عن القتال ودفع حاجة الفقراء **قوله تعالى** يبخل عن نفسه
بخل وضن يتعديان بعلى تارة وبعن اخرى والاجود ان يكون حال تعديهما بعن مضمنين معنى الامساك **قوله تعالى**
وان تتولوا هذه الجملة الشرطية عطف على الشرطية قبلها وثم لا يكونوا عطف على يستبدل **فصل** ذكر بيان الا
ستغناء كما قال تعالى ان يشا يذهبكم ويات بخلق جديد قال المفسرون ان تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا
امثالكم بل يكونوا امثل منكم واطوع لله منكم قال الكلبي هم كندة والنخع وقال الحسن هم العجم وقال عكرمة فارس
والروم لما روى ابو هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم تلا قوله وان تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا امثالكم
قالوا يا رسول الله من هؤلاء الذين ان تولينا استبدلوا بنا ثم لا يكونوا امثالنا فضرب على فخذ سلمان الفارسي ثم
قال هذا وقومه ولو كان الدين عند الثريا لتناوله رجال من الفرس وقيل هم قوم من الانصار **فصل**
قال ابن الخطيب هاهنا مسيلة وهي ان النحاة قالوا يجوز في المعطوف على جواب الشرط بالواو والفا وثم الجزم والرفع
تقول ان تاتني اتك فاخبرك بالجزم والرفع جميعا قال الله تعالى هاهنا ان تتولوا يستبدل قوما غيركم وقال ثم لا يكونوا

امثالكم بالجزم والرفع جميعا قال الله تعالى ههنا ان تتولوا يستبدل قوما غيركم وقال ثم لا يكونوا امثالكم بالجزم
وقال في موضع آخر وان يقاتلوكم يولوكم الادبار ثم لا ينصرون بالرفع لاثبات النون وفيه تدقيق وهو ان قوله لا
يكونوا متعلق بالتولي لانهم ان لم يتولوا يكونوا ممن يأتي بهم الله على الطاعة وان يتولوا لا يكونون مثلهم لكونهم
عاصين وكون من يأتي بهم مطيعين واما هناك سواء قاتلوا او لم يقاتلوا لا ينصرون فلم يكن التعلق هناك ثم ما
وقع بالابتداء وههنا جزم للتعلق وقوله لا يكونوا امثالكم في الوصف لا في الجنس روى ابي بن كعب قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة محمد صلى الله عليه وسلم كان حقا على الله ان يسقيه من انهار الجنة

سورة الفتح مكية

وهي تسع وعشرون آية وخمسمائة وستون كلمة والفان واربعمائة وثمانية وثلاثون حرفا روى زيد بن اسلم
عن ابيه ان عمر بن الخطاب كان يسير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض اسفاره فسأله عمر عن شيء فلم يجبه ثم سأله
فلم يجبه قال عمر فحركت بعيري حتى تقدمت امام الناس وخشيت ان يكون نزل في قرآن فما نشبت ان سمعت صارخا
يصرخ بي فجئت رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلمت عليه فقال لقد انزلت علي الليلة سورة لهي احب الي مما طلعت
عليه الشمس ثم قرأ انا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر وروى انس قال نزلت على النبي صلى الله
عليه وسلم انا فتحنا لك الى آخر الآية مرجعه من الحديبية واصحابه مخالطوا الحزن والكآبة فقال نزلت علي آية هي احب
الي من الدنيا جميعها فلما تلاها نبي الله صلى الله عليه وسلم قال رجل من القوم هنيئا مريئا قد بين الله لك ما يفعل بك فما
ذا يفعل بنا فانزل الله ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الانهار حتى ختم الآية بسم الله الرحمن الرحيم
قوله تعالى انا فتحنا لك فتحا مبينا اختلفوا في هذا الفتح فروى عن انس انه فتح مكة وقال مجاهد فتح خيبر والاكثرون
على انه صلح الحديبية وقيل فتح الروم وقيل فتح الاسلام بالحجة والبرهان والسيف والسنان وقيل الفتح الحكم لقوله تعالى
افتح بيننا وبين قومنا بالحق وقوله ثم يفتح بيننا بالحق والمختار من ذلك قول من قال هو فتح مكة قال لانه مناسب لآخر السورة التي قبلها
من وجوه احدها انه تعالى لما قال ها انتم هؤلاء تدعون لتنفقوا في سبيل الله الى ان قال ومن يبخل فانما يبخل عن نفسه
وبين تعالى انه فتح لهم مكة وغنموا ديارهم وحصل لهم اضعاف ما انفقوا ولو بخلوا لضاع عليهم ذلك فلا يكون
بخلهم الا على انفسهم وثانيها لما قال والله معكم وقال وانتم الاعلون بين برهانه بفتح مكة فانهم كانوا هم الاعلون
وثالثها لما قال تعالى فلا تهنوا وتدعوا الى السلم وكان معناه لا تسألوا الصلح بل اصبروا فانكم تسألون الصلح كما كان يوم
الحديبية فكان المراد فتح مكة حيث اتوا صاغرين داخرين مستأمنين ومؤمنين ومسلمين ومستسلمين فان قيل ان كان
المراد فتح مكة فمكة لم تكن فتحت فكيف قال فتحنا بلفظ الماضي فالجواب من وجهين احدهما فتحنا في حكمنا وتقديرنا
والثاني ما قدره الله تعالى فهو كائن فاخبر بصيغة الماضي اشارة الى انه امر واقع لا دافع له واما حجة قول الاكثرين على انه
صلح الحديبية فلما روي عن البراء قال انتم تعدون الفتح فتح مكة وقد كان فتح مكة فتحا ونحن نعد الفتح بيعة الرضوان
يوم الحديبية كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم اربع عشرة مائة والحديبية بئر فنزحناها فلم نترك فيها قطرة فبلغ ذلك
النبي صلى الله عليه وسلم فاتاها فجلس على شفيرها ثم دعا باناء من ماء فتوضأ ثم تمضمض ودعا وصبه فيها فتركناها غير بعيد
ثم انها اصدرتنا ما شئنا نحن وركابنا قال الشعبي في قوله انا فتحنا لك فتحا مبينا قال فتح الحديبية غفر له ما تقدم من ذنبه
وما تأخر واطعموا نخل خيبر وبلغ الهدي محله وظهرت الروم على فارس ففرح المؤمنون بظهور اهل الكتاب على المجوس قال
الزهري ولم يكن فتح اعظم من صلح الحديبية وذلك ان المشركين اختلطوا بالمسلمين فسمعوا كلامهم فتمكن الاسلام
في قلوبهم واسلم في ثلاث سنين خلق كثير وكثر بهم سواد الاسلام قال المفسرون انا فتحنا لك فتحا مبينا اي قضينا
لك قضاء بينا قوله تعالى ليغفر لك الله متعلق بفتحنا وهي لام العلة وقال الزمخشري فان قلت كيف جعل فتح مكة
علة للمغفرة قلت لم يجعل علة للمغفرة ولكن لما عدد من الامور الاربعة وهي المغفرة واتمام النعمة وهداية الصراط المستقيم
والنصر العزيز كانه قال يسرنا لك فتح مكة ونصرناك على عدوك لنجمع لك بين عز الدارين واغراض العاجل والآجل
ويجوز ان يكون فتح مكة من حيث انه جهاد للعدو سببا للغفران والثواب وهذا الذي قاله مخالف لظاهر الآية
فان اللام داخلة على المغفرة فتكون المغفرة علة للفتح والفتح معللا بها فكان ينبغي ان يقول كيف جعل فتح مكة معللا
بالمغفرة ثم تقول لم يجعل معللا وقال ابن الخطيب في جواب هذا السؤال وجهين آخرين فقال بعدما حكى الاول وقال

ان اجتماع الاربعة لم يثبت الا بالفتح فان النعمة به تمت والنصرة بعده عمت الثاني ان فتح مكة كان سببا لتطهير
بيت الله من رجس الاوثان وتطهير بيته صار سببا لتطهير عبده الثالث ان الفتح سبب للحج وبالحج تحصل المغفرة
كما قال عليه السلام في الحج اللهم اجعله حجا مبرورا وسعيا مشكورا وذنبا مغفورا الرابع المراد منه التعريف تقديره انا
فتحنا لك لتعرف انك مغفور لك معصوم وقال ابن عطية المراد هنا ان الله فتح لك لكي يجعل الفتح علامة لغفرانه لك
فكانها لام صيرورة وهذا كلام متين على الظاهر وقال بعضهم ان هذه اللام لام القسم والاصل ليغفرن فكسرت اللام
تشبيها بلام كي وحذفت النون ورد هذا بان اللام لا تكسر وبانها لا تنصب المضارع وقد يقال ان هذا ليس بنصب وانما
هو بقاء الفتح الذي كان قبل نون التوكيد بقي ليدل عليها ولكنه قول مردود **فصل** لم يكن للنبي عليه السلام
ذنب فماذا يغفر له فقيل المراد ذنب المؤمنين وقيل المراد ترك الافضل وقيل الصغائر فانها جائزة على الانبياء
بالسهو والعمد قاله ابن الخطيب وهي تصونهم عن العجب وقيل المراد بالمغفرة العصمة ومعنى قوله وما تأخر قيل انه وعد
للنبي صلى الله عليه وسلم بانه لا يذنب بعد النبوة وقيل ما تقدم على الفتح وما تأخر عن الفتح وقيل هو العموم يقال اضرب
من لقيت ومن لا تلقاه مع ان من لا يلقاه لا يمكن ضربه اشارة الى العموم وقيل من قبل النبوة وبعدها ومعناه ما قبل
النبوة بالعفو وما بعدها بالعصمة وفيه وجوه اخر ساقطة قال ابن الخطيب منها قول بعضهم ما تقدم من امر مارية وما تأخر
من امر زينب وهو ابعد الوجوه واسقطها لعدم التئام الكلام **قوله تعالى** ويتم نعمته عليك وقيل ان التكاليف عند الفتح تمت
حيث وجب الحج وهو آخر التكاليف والتكليف نعمة وقيل يتم نعمته عليك باخلاء الارض لك عن معانديك فان من يوم
الفتح لم يبق للنبي عليه السلام عدو فان بعضهم قتل يوم بدر والباقون آمنوا واستأمنوا يوم الفتح وقيل ويتم
نعمته عليك في الدنيا والآخرة اما في الدنيا باستجابة دعائك في طلب الفتح وفي الآخرة بقبول شفاعتك **فصل**
قال الضحاك انا فتحنا لك فتحا مبينا بغير قتال وكان الصلح من الفتح فاذا كانت اللام في قوله ليغفر لام كي فمعناه انا فتحنا لك
فتحا مبينا لكي يجمع لك مع المغفرة تمام النعمة في الفتح وقال الحسين بن الفضل هو مردود الى قوله واستغفر لذنبك وللمؤمنين
والمؤمنات ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر وليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الانهار
وقال محمد بن جرير هو راجع الى قوله اذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون في دين الله افواجا فسبح بحمد ربك
واستغفره ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك في الجاهلية قبل الرسالة وما تأخر الى وقت نزول هذه السورة وقيل ما تأخر
مما يكون وهذا على طريقة من يجوز الصغائر على الانبياء وقال سفيان الثوري ما تقدم مما عملت في الجاهلية وما تأخر
كل شيء لم تعمله كما تقدم مما عملت في الجاهلية وقال عطاء الخراساني ما تقدم من ذنبك يعني ذنب ابويك آدم وحواء
ببركتك وما تأخر من ذنوب امتك بدعوتك ويتم نعمته عليك بالنبوة والحكمة **قوله تعالى** ويهديك صراطا مستقيما
قيل يهدي بك وقيل يديمك على الصراط المستقيم وقيل جعل الفتح سبب الهداية الى الصراط المستقيم لانه سهل على المؤمنين
الجهاد لعلمهم بفوائده العاجلة والآجلة وقيل المراد التعريف اي لتعرف انك على صراط مستقيم ثم قال وينصرك الله نصرا
عزيزا غالبا وقيل معزا لان بالفتح ظهر النصر فان قيل ان الله تعالى وصف النصر بكونه عزيزا والعزيز من له النصر
فالجواب من وجهين احدهما قال الزمخشري انه يحتمل وجوها ثلاثة الاول معناه نصرا ذا عز كقوله في عيشة راضية
اي ذات رضى الثاني وصف النصر بما يوصف به المنصور اسنادا مجازيا يقال له كلام صادق كما يقال له متكلم صادق
الثالث المراد نصرا عزيزا صاحبه الوجه الثاني ان يقال انما يلزم ما ذكره الزمخشري اذا قلنا العزة هي الغلبة والعزيز
الغالب واما اذا قلنا العزيز هو النفيس القليل النظير او المحتاج اليه القليل الوجود يقال عز الشيء في سوق كذا اي قل وجوده
مع انه محتاج اليه فالنصر كان محتاجا اليه ومثله لم يوجد وهو اخذ بيت الله من الكفار المتمكنين فيه من غير عدد ولا عدد
فصل في البحث المعنوي وهو ان الله تعالى لما قال ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك ابرز الفاعل وهو الله تعالى
ثم عطف عليه بقوله ويتم وبقوله ويهديك ولم يذكر لفظ الله على الوجه الحسن في الكلام وهو ان الافعال الكثيرة
اذا صدرت من فاعل يظهر اسمه في الفعل ولا يظهر فيما بعده تقول جاء زيد وتكلم وقام وراح ولا تقول
جاء زيد وقعد زيد بل جاء زيد وقعد اختصارا للكلام بالاقتصار على الاول وههنا لم يقل وينصرك نصرا بل اعاد
لفظ الله وجوابه هذا ارشاد الى طريق النصر ولهذا قلما ذكر الله النصر من غير اضافة فقال تعالى ولينصرن الله من
ينصره ورسله ولم يقل بالنصر ينصر وقال هو الذي ايدك بنصره ولم يقل ايدك بالنصر وقال اذا جاء نصر الله والفتح
وقال نصر من الله وفتح قريب وقال وما النصر الا من عند الله وهذا ادل الآيات على مطلوبنا وتحقيقه هو ان النصر
بالصبر والصبر بالله قال تعالى وما صبرك الا بالله وذلك لان الصبر سكون القلب واطمئنانه وذلك بذكر الله تعالى
كما قال تعالى الا بذكر الله تطمئن القلوب فلما قال ههنا وينصرك الله اظهر لفظ الله ليعلم ان بذكر الله يحصل اطمئنان

القلب وبه يحصل الصبر وبه يتحقق النصر **فصل** قال انا فتحنا لك فتحا ثم قال ليغفر لك الله ولم يقل انا فتحنا
ليغفر لك تعظيما لامر الفتح وذلك لان المغفرة وان كانت عظيمة لكنها عامة لقوله تعالى ان الله يغفر الذنوب جميعا وقال
ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء وان قلنا بان المراد من المغفرة في حق النبي صلى الله عليه وسلم العصمة فلذلك لم يختص به
نبينا بل غيره من الرسل كان معصوما واتمام النعمة كذلك قال الله تعالى اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام
دينا وقال يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم وكذلك الهداية قال الله تعالى يهدي الله وكذلك النصر قال الله تعالى
ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون واما الفتح فلم يبق لاحد غير النبي صلى الله عليه وسلم فعظمه
بقوله انا فتحنا لك فتحا مبينا وفيه التعظيم من وجهين احدهما قوله انا والثاني قوله لك اي لاجلك على وجه المنة **قوله تعالى**
هو الذي انزل السكينة في قلوب المؤمنين لما قال الله تعالى وينصرك الله نصرا عزيزا بين وجه النصر وذلك ان الله تعالى
قد ينصر رسله بصيحة يهلك بها اعداءهم او رجفة يحكم فيها عليهم بالفناء او ينصر رسله من السماء او بصبر وقوة
وثبات قلب يرزق المؤمنين ليكون لهم بذلك الثواب الجزيل فقال هو الذي انزل السكينة اي تحقيقا للنصر والمراد بالسكينة
قيل السكون وقيل الوقار لله وقيل اليقين قال اكثر المفسرين هذه السكينة غير السكينة المذكورة في قوله تعالى ان ياتيكم التابوت
فيه سكينة من ربكم ويحتمل ان تكون هي تلك لان المقصود منها على جميع الوجوه اليقين وثبات القلب **فصل**
قال الله تعالى في حق الكفار وقذف في قلوبهم الرعب بلفظ القذف المزعج وقال في حق المؤمنين انزل السكينة بلفظ الانزال
المثبت وفيه معنى حكمي وهو ان من علم شيئا من قبل وتذكره واستدام تذكره فاذا وقع لا يتغير ومن كان غافلا عن شيء
فيقع دفعة فانه يرجف فؤاده الا ترى ان من اخبر بوقوع صيحة وقيل له لا تنزعج منها فوقعت الصيحة لا يرتجف ومن لم
يخبر بها واخبر وغفل عنه يرتجف اذا وقعت فكذلك الكافر اتاه الله من حيث لم يحتسب وقذف في قلبه الرعب فارتجف
والمؤمن اتي من حيث كان يذكره فسكن فلا تنزعج نفوسهم لما يرد عليهم قال ابن عباس كل سكينة في القران فهي طمانينة الا التي
في سورة البقرة **قوله تعالى** ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم قال ابن عباس بعث الله رسوله صلى الله عليه وسلم بشهادة ان لا اله
الا الله فلما صدقوا زادهم الصلوة ثم الزكوة ثم الصيام ثم الحج ثم الجهاد حتى اكمل لهم دينهم فكلما امروا بشيء فصدقوه
ازدادوا تصديقا الى تصديقهم وقال الضحاك يقينا الى يقينهم وقيل انزل السكينة عليهم فصبروا وراوا عين اليقين
ما علموا من النصر علم اليقين ايمانا بالغيب وازدادوا ايمانا مستفادا من الغيب مع ايمانهم المستفاد من الشهادة وقيل
ازدادوا ايمانا بالفروع مع ايمانهم بالاصول فانهم امنوا بان محمدا رسول الله وان الله واحد والحشر كائن فامنوا بان كل ما يقول
النبي عليه السلام فهو صدق وكل ما يامر الله تعالى به واجب وقيل ازدادوا ايمانا استدلاليا مع ايمانهم الفطري فان قيل
ما الحكمة في قوله في حق الكفار انما نملي لهم ليزدادوا اثما ولم يقل مع كفرهم وقال في حق المؤمنين ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم
فالجواب ان كفر الكافر عنادي وليس في الوجود كفر فطري ولا في الوجود كفر عنادي لينضم الى الكفر الفطري بل الكفر
ليس الا عنادا وكذلك الكفر بالفروع لا يقال انضم الى الكفر بالاصول لانه من ضرورة الكفر بالاصول الكفر بالفروع
وليس من ضرورة الايمان بالاصول الايمان بالفروع بمعنى الطاعة والانقياد ولهذا قال ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم
قوله تعالى ولله جنود السموات والارض فهو قادر على اهلاك العدو بجنوده بل بصيحة ولم يفعل بل انزل السكينة
على المؤمنين ليكون اهلاك اعدائه بايديهم فيكون لهم الثواب والمراد بجنود السموات والارض الملائكة وقيل جنود
السموات الملائكة وجنود الارض الجن والحيوانات وقيل الاسباب السماوية والارضية وكان الله عليما قال ولله
جنود السموات والارض وعددهم غير محصور فقال عليما اشارة الى انه لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في
الارض وقيل لما ذكر القلوب بقوله انزل السكينة في قلوب المؤمنين والايمان الذي من عمل القلوب ذكر العلم اشارة الى انه
يعلم السر واخفى وقوله حكيما بعد قوله عليما اشارة الى انه يفعل على وفق العلم فان الحكيم من يعمل شيئا متقنا ويحكمه
قوله تعالى ليدخل المؤمنين والمؤمنات في متعلق هذه اللام اربعة اوجه احدها محذوف تقديره يبتلي بتلك الجنود
من شاء فيقبل الخير من اهله والشر ممن قضي له به ليدخل ويعذب الثاني انها متعلقة بقوله انا فتحنا لانه روي
ان المؤمنين قالوا للنبي عليه السلام هنيئا لك ان الله غفر لك فما لنا فنزلت الاية فكانه تعالى قال انا فتحنا لك
ليغفر لك وفتحنا للمؤمنين ليدخلهم جنات الثالث انها متعلقة بينصرك كانه تعالى قال وينصرك الله بالمؤمنين
ليدخل المؤمنين جنات الرابع انها متعلقة بيزدادوا واستشكل هذا بان قوله ويعذب عطف عليه وازديادهم الايمان
ليس سببا من تعذيب الله الكفار واجيب بان اعتقادهم ان الله يعذب الكفار يزيد في ايمانهم لا محالة وقال
ابو حيان والازدياد لا يكون سببا لتعذيب الكفار واجيب بانه ذكر لكونه مقصودا للمؤمن كانه قيل بسبب ازديادكم
في الايمان يدخلكم الجنة ويعذب الكفار بايديكم في الدنيا وفيه نظر لانه كان ينبغي ان يقول لا يكون مسببا عن تعذيب

الكفار وهذا ينبه ما تقدم في قوله ليغفر لك الله واجاب ابن الخطيب بوجهين اخرين احدهما تقديره ويعذب
نقيض ما لكم من الازدياد يقال فعلت لاخبر به العدو والصديق اي لاعرف بوجوده الصديق وبعدمه العدو فكذا
ههنا ليزداد المؤمن ايمانا يدخله الجنة ويزداد الكافر كفرا فيعذبه وثانيهما ان بسبب زيادة ايمان المؤمن يكثر صبرهم
وثباتهم ويتعب المنافق والكافر معه ويعذب ثم ذكر وجوها اخر في تعلق الجار منها ان الجار يتعلق بقوله حكيما كانه
تعالى قال ويتم نعمته عليك لان الله حكيم فعل ما فعل ليدخل المؤمنين ومنها ان يتعلق بقوله ويتم نعمته عليك يستجيب
دعاءك في الدنيا ويقبل شفاعتك في العقبى ليدخل المؤمنين جنات ومنها انه يتعلق بامر مفهوم من قرينة الحال وهو
الامر بالقتال لانه لما ذكر الفتح والنصر علم ان الحال حال القتال فكانه تعالى قال ان الله تعالى امر بالقتال ليدخل المؤمنين
او عرف من قرينة الحال ان الله اختار المؤمنين فكانه تعالى قال اختار المؤمنين ليدخلهم جنات فان قيل ما الحكمة في انه
تعالى ذكر في بعض المواضع المؤمنين والمؤمنات وفي بعضها اكتفى بذكر المؤمنين ودخلت المؤمنات فيهم كقوله تعالى
قد افلح المؤمنون وقوله وبشر المؤمنين بان لهم فالجواب انه في المواضع التي فيها ما يوهم اختصاص المؤمنين بالجزاء
الموعود به مع مشاركة المؤمنات لهم ذكرهن الله صريحا وفي المواضع التي ليس فيها ما يوهم ذلك اكتفى بدخولهن في المؤمنين
كقوله وبشر المؤمنين مع انه علم من قوله تعالى وما ارسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا العموم فلا يوهم خروج
المؤمنات عن البشارة واما ههنا فلما كان قوله تعالى ليدخل المؤمنين متعلق بفعل سابق وهو اما الامر بالقتال او الصبر
فيه او النصرة بالمؤمنين او الفتح بايديهم على ما تقدم فادخال المؤمنين كان للقتال والمراة لا تقاتل فلا تدخل الجنة
الموعود بها فصرح الله بذكرهن وكذا في قوله تعالى ان المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات لان الموضع موضع
ذكر النساء واحوالهن كقوله ولا تبرجن تبرج الجاهلية الاولى واقمن واتين واطعن واذكرن ما يتلى في بيوتكن فكان ذكر
النساء هناك اصلا لكن الرجال لما كان لهم ما للنساء من الامر العظيم ذكرهم وذكرهن بلفظ مفرد من غير تبعية لما بينا
قوله تعالى ويكفر عنهم سيئاتهم فيه سؤال وهو ان تكفير السيئات قبل الادخال فكيف ذكره بعد ذكر الادخال والجواب
من وجهين احدهما ان الواو لا تقتضي الترتيب والثاني ان تكفير السيئات والمغفرة من توابع كون المكلف من اهل الجنة
فقدم الادخال في الذكر بمعنى انه من اهل الجنة **قوله تعالى** وكان ذلك عند الله فوزا عظيما عند الله متعلق بمحذوف
على انه حال من فوزا لانه صفته في الاصل وجوز ابو البقاء ان يكون ظرفا لكان وفيه خلاف وان يكون ظرفا للمحذوف دل
عليه الفوز اي يفوز عند الله ولا يتعلق بفوزا لانه مصدر فلا يتقدم معموله عليه ومن اغتفر ذلك في الظرف
جوزه قال ابن الخطيب معناه ان ذلك الادخال والتكفير في علم الله فوز عظيم يقال عندي هذا الامر على هذا الوجه
اي في اعتقادي **قوله تعالى** ويعذب المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات الاية اعلم انه قدم المنافقين على المشركين
في كثير من المواضع لامور احدها انهم كانوا اشد على المؤمنين من الكافر المجاهر لان المؤمن كان يتوقى المشرك المجاهر ويخالط
المنافق لظنه بايمانه وكان يفشي اسراره والى هذا اشار النبي عليه السلام بقوله اعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك وقال
قال الشاعر • احذر عدوك مرة واحذر صديقك الف مرة • فلربما انقلب الصديق فكان اعرف بالمضرة • وثانيها ان
المنافق كان يظن ان يتخلص بالمخادعة والكافر لا يقطع بان المؤمن اذا غلبه يعذبه فلهذا اول ما اخبر الله عن المنافق **قوله تعالى**
الظانين بالله ظن السوء صفة للفريقين وتقدم الخلاف في السوء في التوبة وقرا الحسن بالضم فيهما **فصل** قال المفسرون
ظن السوء هو ان لن ينصر محمدا والمؤمنين وقال ابن الخطيب هذا الظن يحتمل وجوها احدها هو الظن الذي ذكره الله بقوله
بل ظننتم ان لن ينقلب الرسول وثانيها ظن المشركين بالله في الاشراك كقوله تعالى ان هي الا اسماء سميتموها الى ان قال ان
يتبعون الا الظن وما تهوى الانفس وان الظن لا يغني من الحق شيئا وثالثها ظنهم ان الله لا يرى ولا يعلم كما قال تعالى ولكن
ظننتم ان الله لا يعلم كثيرا مما تعملون قال والاول اصح ويقال المراد جميع ظنونهم كما قال ذلك ظن الذين كفروا ويؤيد
هذا دخول الالف واللام في السوء وفي السوء وجوه احدها وهو اختيار المحققين من الادباء ان السوء عبارة عن الفساد
والصدق عبارة عن الصلاح يقال مررت برجل سوء اي فاسد وسكنت عنده رجل صدق اي صالح وهذا قول الخليل والزجاج
واختاره الزمخشري وتحقيق هذا ان السوء في المعاني كالفساد في الاجساد يقال ساء مزاجه ساء خلقه ساء ظنه كما يقال فسد
اللحم وفسد الهواء بل كلما ساء فقد فسد وكلما فسد فقد ساء غير ان احدهما كثير الاستعمال في المعاني والاخر في الاجرام
قال تعالى ظهر الفساد في البر والبحر وقال ساء ما كانوا يعملون **قوله تعالى** عليهم دائرة السوء اي دائرة الفساد يعني حاق
بهم العذاب بحيث لا يخرجون منه وغضب الله عليهم زيادة على التعذيب ولعنهم اي الغضب يكون شديدا واعد لهم جهنم
في العقبى وساءت مصيرا اي جهنم **قوله تعالى** ولله جنود السموات والارض تقدم تفسيره وفائدة الاعادة ان لله جنود
الرحمة وجنود العذاب او جنود الله انزلهم قد يكون للرحمة وقد يكون للعذاب فذكرهم اولا لبيان الرحمة بالمؤمنين

كما قال وكان بالمؤمنين رحيما وثانيها لبيان انزال العذاب بالمنافقين والمشركين ففي الاول ذكر الجنود قبل ادخال الجنة وذكرهم هنا بعد تعذيب الكفار واعداد جهنم لان الله تعالى ينزل جنود الرحمة ليدخل المؤمن معظما مكرما الجنة ثم يلبسهم خلع الكرامة بقوله ويكفر عنهم سيئاتهم ثم يقربهم زلفى بقوله وكان ذلك عند الله فوزا عظيما واما في حق الكفار فيغضب عليهم اولا فيبعدهم ويطردهم الى البلاد النائية عن الرحمة وهي جهنم ثم يسلط عليهم ملائكة العذاب وهم جنود الله كما قال تعالى عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله فلذلك ذكر جنود الرحمة اولا هناك وقال هاهنا وغضب الله عليهم ولعنهم وهو الابعاد الى جهنم ثم ذكر الجنود وهم ملائكة العذاب اخرا **قوله تعالى** انا ارسلناك شاهدا على امتك بما يفعلون كما قال تعالى ويكون الرسول عليكم شهيدا انه لا اله الا الله كما قال تعالى شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة واولوا العلم قائما بالقسط وهم الانبياء ومبشرا من قبل شهادته ويحكم بها ونذيرا لمن رد شهادته ولا يحكم بها ثم بين فائدة الارسال فقال ليؤمنوا بالله ورسوله ويعزروه اي يعينوه وينصروه ويوقروه اي يعظموه ويفخموه هذه الكنايات راجعة الى النبي صلى الله عليه وسلم وههنا وقف ثم قال ويسبحوه اي يسبحوا الله اي يصلوا له بكرة واصيلا بالغداة والعشي وقيل الكنايات راجعة الى الله اي ليؤمنوا بالله ورسوله ويعزروا الله بتقوية دينه ويوقروا الله اي يعظموه **قوله تعالى** ليؤمنوا قرا ابن كثير وابو عمرو ليؤمنوا وما بعده بالياء من تحت رجوعا الى قوله المؤمنين والمؤمنات والباقون بتاء الخطاب وقرا الجحدري تعزروه بفتح التاء وضم الزاي وهو ايضا وجعفر بن محمد كذلك الا انهما كسرا الزاي وابن عباس واليماني ويعززوه كالعامة الا انه بزاءين من العز فان قيل ما الحكمة في قوله انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا وههنا اقتصر على الثلاثة الاول فالجواب من وجهين احدهما ان ذلك المقام كان مقام ذكر لان اكثر السورة ذكر الرسول واحواله وما تقدمه من المبايعة والوعد بالدخول فتفصل هناك ولم يفصل هنا وثانيهما ان قوله شاهدا لما لم يقتض ان يكون داعيا لجواز ان يقول مع نفسه اشهد ان لا اله الا الله ولا يدعو الناس قال هنا وداعيا كذلك ههنا لما لم يكن كونه شاهدا ينبئ عن كونه داعيا قال ليؤمنوا بالله ويعزروه ويوقروه وقوله بكرة واصيلا يحتمل ان يكون اشارة الى المداومة ويحتمل ان يكون لمخالفة عمل المشركين كانوا يعبدون الاصنام في الكعبة بكرة وعشية فامر الله بالتسبيح في اوقات ذكرهم الفحشاء والمنكر **قوله تعالى** ان الذين يبايعونك بالحديبية على ان لا يفروا انما يبايعون الله لانهم باعوا انفسهم من الله تعالى بالجنة روي يزيد بن ابي عبيد قال قلت لسلمة بن الاكوع على اي شيء بايعتم رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية قال على الموت **قوله تعالى** ان الذين يبايعون الله خبر ان الذين ويد الله فوق ايديهم جملة حالية او خبر ثان وهو ترشيح للمجاز في مبايعة الله وقرا تمام بن العباس يبايعون الله والمفعول محذوف اي انما يبايعونك لاجل الله **قوله تعالى** يد الله فوق ايديهم يحتمل وجوها وذلك ان اليد في الموضعين اما ان يكون بمعنى واحد واما ان يكون بمعنيين فان كانا بمعنى واحد ففيه وجهان احدهما قال الكلبي نعمة الله عليهم في الهداية فوق ما صنعوا من البيعة كما قال تعالى بل الله يمن عليكم ان هداكم للايمان وثانيها قال ابن عباس ومجاهد يد الله بالوفاء بما وعدهم من النصر والجزاء فوق واعلى من نصرتهم اياه يقال اليد لفلان اي الغلبة والقوة وان كان بمعنيين ففي حق الله بمعنى الحفظ وفي حق المبايعين بمعنى الجارحة قال السدي كانوا ياخذون بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم ويبايعونه ويد الله فوق ايديهم في المبايعة وذلك ان المتبايعين اذا مد احدهما يده الى الاخر في البيع وبينهما ثالث فيضع يده على يديهما ويحفظ ايديهما الى ان يتم العقد ولا يترك احدهما يترك يد الاخر لكي يلزم العقد ولا يتفاسخان فصار وضع اليد فوق الايدي سببا لحفظ البيعة فقال تعالى يد الله فوق ايديهم يحفظهم على البيعة كما يحفظ المتوسط ايدي المتبايعين **قوله تعالى** فمن نكث اي نقض البيعة فانما ينكث على نفسه اي عليه وباله ومن اوفى بما عاهد عليه الله اي ثبت على البيعة فسيؤتيه اجرا عظيما قرا اهل العراق فسيؤتيه بالياء من تحت وقرا الاخرون بالنون والمراد بالاجر العظيم الجنة وقد تقدم في معنى الاجر العظيم **قوله تعالى** سيقول لك المخلفون من الاعراب قال ابن عباس ومجاهد يعني اعراب غفار ومزينة وجهينة واشجع واسلم وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين اراد المسير الى مكة عام الحديبية معتمرا استنفر من حول المدينة من الاعراب والبوادي ليخرجوا معه حذرا من قريش ان يعرضوا له بحرب او يصدوه عن البيت فاحرم بالعمرة وساق معه الهدي ليعلم الناس انه لا يريد حربا فتثاقل كثير من الاعراب وتخلفوا واعتلوا بالشغل لظنهم انه يهزم فانزل الله هذه الاية **قوله تعالى** شغلتنا حكى الكسائي عن ابن نوح انه قرا شغلتنا اموالنا بالتشديد اموالنا واهلونا يعني النساء والذراري اي لم يكن لنا من يخلفنا فيهم فاستغفر لنا تخلفنا عنك فكذبهم الله في اعتذارهم فقال يقولون بالسنتهم ما ليس في قلوبهم من الاستغفار فانهم لا يبالون استغفر لهم النبي او لا قل فمن يملك لكم من الله شيئا ان اراد بكم ضرا او اراد بكم نفعا قرا الاخوان ضرا بضم الضاد

والباقون

والباقون بفتحها فقيل هما لغتان بمعنى كالفقر والفقر والضعف والضعف وقيل بالفتح ضد النفع وبالضم سوء الحال فمن فتح قال لانه قابله بالنفع والنفع ضد الضر وذلك لانهم ظنوا ان تخلفهم عن النبي صلى الله عليه وسلم يدفع عنهم الضر ويعجل لهم النفع بالسلامة في انفسهم واموالهم فاخبرهم انه ان اراد بهم شيئا من ذلك لم يقدر احد على دفعه بل كان الله بما تعملون خبيرا اي بما تعملون من اظهار امر واضمار غيره **قوله تعالى** بل ظننتم ان لن ينقلب الرسول والمؤمنون الى اهليهم ابدا اي ظننتم ان العدو يستاصلهم ولا يرجعون فزعم عبد الله الى اهليهم دون بل اضاف الاهل الى مالوا بل اضاف الاهل الى المؤمنين وزين ذلك في قلوبكم قرئ زين مبنيا للفاعل اي الشيطان او فعلكم زين ذلك الظن في قلوبكم **قوله تعالى** وظننتم ظن السوء وذلك انهم قالوا ان محمدا واصحابه اكلة راس فلا يرجعون فاين تذهبون معه انتظروا ما يكون من امرهم وكنتم قوما بورا اي صرتم هلكى لا تصلحون لخير وقيل كنتم على بابها من الاخبار بكونهم في الماضي كذا والبور الهلاك وهو يحتمل ان يكون هنا مصدرا اخبر به عن الجمع كقوله • يا رسول الاله ان لساني • راتق ما فتقت اذ انا بور • ولذلك يستوي فيه المذكر والمؤنث والمفرد وضدهما ويجوز ان يكون جمع بائر كحائل وحول في المعتل وبازل وبزل في الصحيح **قوله تعالى** ومن لم يؤمن يجوز من ان تكون شرطية او موصولة والظاهر قائم مقام العائد على كلي التقديرين اي فانا اعتدنا لهم وفيه فائدة وهي التعميم كانه قال ومن لم يؤمن بالله ورسوله فهو من الكافرين وانا اعتدنا للكافرين سعيرا **قوله تعالى** ولله ملك السموات والارض يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء وكان الله غفورا رحيما ذكر هذا بعد ذكر من له اجر عظيم من المبايعين ومن له في السعير عذاب اليم من الظانين الضالين وذلك يفيد عظمة الامرين جميعا لان من عظم ملكه يكون اجره وهيبته في غاية العظمة وعذابه وعقوبته في غاية الالم **قوله تعالى** سيقول المخلفون اذا انطلقتم الى مغانم لتاخذوها يعني هؤلاء الذين تخلفوا عن الحديبية اذا انطلقتم سرتم وذهبتم ايها المؤمنون الى مغانم لتاخذوها يعني مغانم خيبر ذرونا نتبعكم الى خيبر لنشهد معكم قتال اهلها وذلك انهم لما انصرفوا من الحديبية وعدهم الله فتح خيبر وجعل غنائمها لمن شهد الحديبية خاصة عوضا من غنائم مكة اذا انصرفوا من الحديبية منهم على صلح ولم يصيبوا منهم شيئا لان قوله سيقول المخلفون وعد للمبايعين بالغنيمة وللمتخلفين المخالفين بالحرمان **قوله تعالى** يريدون يجوز ان يكون مستانفا وان يكون حالا من المخلفون وان يكون حالا من مفعول ذرونا **قوله تعالى** كلام الله قرا الاخوان كلم جمع كلمة والباقون كلام قيل معناه يريدون ان يغيروا مواعيد الله تعالى لاهل الحديبية بغنيمة خيبر خاصة وقال مقاتل يعني امر الله نبيه صلى الله عليه وسلم ان لا يسير معه منهم احد وقال ابن زيد هو ان النبي صلى الله عليه وسلم لما تخلف القوم اطلعه الله على ظنهم واظهر له نفاقهم وقال النبي عليه السلام فان استاذنوك للخروج فقل لن تخرجوا معي ابدا ولن تقاتلوا معي عدوا والاول اصوب وعليه اكثر المفسرين **قوله تعالى** قل لن تتبعونا الى خيبر كذلكم قال الله من قبل اي من قبل مرجعنا اليكم ان غنيمة خيبر لمن شهد الحديبية ليس لغيرهم فيها نصيب **قوله تعالى** بل تحسدوننا قرا ابو حيوة تحسدوننا بكسر السين بل للاضراب والمضروب عنه محذوف في الموضعين اما ههنا فتقديره ما قال الله كذلك من قبل بل تحسدوننا اي يمنعكم الحسد من ان نصيب معكم الغنائم بل كانوا لا يفقهون لا يعلمون عن الله ما لهم وعليهم من الدين الا قليلا منهم وهم من صدق الله ورسوله فان قيل بماذا كان الحسد في اعتقادهم قيل كانهم قالوا نحن مصيبين في عدم الخروج حيث رجعوا من الحديبية من غير حصول مقصود ونحن استرحنا فان خرجنا معهم ويكون فيه غنيمة يقولون هم ضموا معنا ولم يتعبوا انهم قال الله تعالى ردا عليهم كما ردوا عليه بل كانوا لا يفقهون الا قليلا اي لم يفقهوا من قولك لا تخرجوا الا ظاهر النهي ولم يفهموا حكمة الا قليلا فحملوه على ما ارادوه وعللوه بالحسد **قوله تعالى** قل للمخلفين من الاعراب ستدعون الى قوم اولي باس شديد لما قال النبي عليه السلام لهم لن تتبعونا ولن تخرجوا معي ابدا وكان المخلفون جمعا كثيرا من قبائل متشعبة دعت الحاجة الى بيان قبول توبتهم فانهم لم يبقوا على ذلك ولم يكونوا من الذين مردوا على النفاق بل منهم من حسن حاله فجعل القبول لتوبتهم علامة وهو انهم يدعون الى قوم اولي باس شديد ويطيعون بخلاف حال ثعلبة حيث امتنع من اداء الزكوة ثم اتى بها ولم يقبل منه النبي صلى الله عليه وسلم واستمر عليه الحال ولم يقبل منه احد من الصحابة كذلك كان سيتمر حال هؤلاء لولا ان الله تعالى بين انهم يدعون فان اطاعوا اعطوا الاجر الحسن والفرق بين حال هؤلاء وبين حال ثعلبة من وجهين احدهما ان ثعلبة يجوز ان يقال حاله لم يكن يتغير في علم الله فلم يبين لتوبته علامة وحال الاعراب تغيرت فان بعد النبي عليه السلام لم يبق من المنافقين على النفاق احد الثاني ان الحاجة الى بيان حال الجمع الكثير والجم الغفير امس لانه لولا البيان لافضى الامر الى قيام الفتنة بين فرق المسلمين

فصل قال ابن عباس ومجاهد المراد بقوله قوم اولي باس هم اهل فارس وقال كعب الروم وقال الحسن فارس والروم وقال سعيد بن جبير هوازن وثقيف وقال قتادة هوازن وغطفان يوم حنين وقال الزهري ومقاتل وجماعة

هم بنو حنيفة اهل اليمامة اصحاب مسيلمة الكذاب وقال رافع بن خديج كنا نقرأ هذه الاية ولا نعلم من هم حتى دعا
ابو بكر الى قتال بني حنيفة فعلمنا انهم هم وقال ابو هريرة لم يات هذه الاية بعد **قوله تعالى** او يسلمون العامة على
رفعه باثبات النون عطفا على تقاتلونهم او على الاستيناف اي او هم يسلمون وقرا ابي وزيد بن علي بحذف النون نصبا
بحذفها والنصب باضمار ان عند جمهور البصريين وباو نفسها عند الجرمي والكسائي ويكون قد عطف مصدرا مؤولا
على مصدر متوهم كانه قيل يكون قتال او اسلام ومثله في النصب قول امرئ القيس • فقلت له لا تبك عينك انما •
نحاول ملكا او نموت فنعذرا • وقال ابو البقا او بمعنى الا ان او حتى **فصل** معنى قوله تقاتلونهم او يسلمون
اشارة الى ان احدهما يقع لان او تبين المتغايرين وتنبئ عن الحصر يقال العدد زوج او فرد ولهذا لا يصح قول القايل
هذا زيد او ابن عمرو اذا كان زيد بن عمرو اذا علم هذا فقول القايل الازمك او تقضيني حقي معناه ان الزمان انحصر في
قسمين قسم يكون فيه الملازمة وقسم يكون فيه قضا الحق فلا يكون بين الملازمة وقضا الحق قسم ثالث والا لما انحصر
واذا كان كذلك يكون زمان الملازمة ممتدا الى قضاء الحق فيكون قوله الازمك او تقضيني حقي كقوله الازمك الى ان
تقضيني لامتداد زمان الملازمة الى القضا **قوله تعالى** فان تطيعوا يوتكم الله اجرا حسنا يعني الجنة وان تتولوا
تعرضوا كما توليتم من قبل عام الحديبية يعذبكم عذابا اليما وهو النار فلما نزلت هذه الاية قال اهل الزمانة كيف بنا يا رسول
الله فانزل الله عز وجل ليس على الاعمى حرج اي في التخلف عن الجهاد ولا على الاعرج حرج ولا على المريض حرج وذلك لان
الجهاد عبارة عن المقاتلة والكر والفر وهولا لا يقدرون لانه لا يمكنهم الاقدام على العدو والطلب ولا يمكنهم الاحتراز والهرب
وفي معنى الاعرج الاقطع والمقعد بل اولى ان يعذر ومن به عرج لا يمنعه من الكر والفر لا يعذر وكذلك المرض الذي
لا يمنع من الكر والفر كالطحال والسعال وبعض اوجاع المفاصل اذا لم تضعفه عن الكر والفر فهذه اعذار في نفس المجاهد
وتبقى اعذار خارجة كالفقر الذي لا يمكن صاحبه من استصحاب ما يحتاج له وكذا الاشتغال بمن لولاه لضاع كطفل
او مريض والاعذار المبيحة مذكورة في كتب الفقه وقدم الاعمى على الاعرج لان عذر الاعمى يستمر ولو حضر القتال والاعرج
ان حضر راكبا او بطريق يقدر على القتال بالرمي وغيره **قوله تعالى** ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها
الانهار ومن يتول يعذبه عذابا اليما قرا اهل المدينة والشام ندخله ونعذبه بالنون فيهما وقرا الاخرون باليا لقوله
تعالى ومن يطع الله **قوله تعالى** لقد رضي الله عن المؤمنين الاية لما بين حال المخلفين بعد قوله ان الذين يبايعونك
انما يبايعون الله عاد الى بيان حال المبايعين **قوله تعالى** اذ يبايعونك منصوب برضي وتحت الشجرة يجوز ان يكون
متعلقا بيبايعونك وان يتعلق بمحذوف على انه حال من المفعول **فصل** المعنى يبايعونك بالحديبية على ان
يناجزوا قريشا ولا يفروا وقوله تحت الشجرة وكانت سمرة قال سعيد بن المسيب حدثني ابي انه كان فيمن بايع رسول الله
صلى الله عليه وسلم تحت الشجرة قال فلما خرجنا من العام المقبل نسيناها فلم نقدر عليها وروي ان عمر بن الخطاب مر بذلك
المكان بعد ان ذهبت الشجرة فقال اين كانت فجعل بعضهم يقول ههنا وبعضهم ههنا فلما كثر اختلافهم قال سيروا
قد ذهبت الشجرة وروي جابر بن عبد الله قال قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية انتم خير اهل الارض
وكنا الفا واربعماية ولو كنت ابصر اليوم لاريتكم مكان الشجرة وروي سالم عن جابر قال كنا خمس عشرة ماية وقال عبد الله
بن ابي اوفى كان اصحاب الشجرة الفا وثلثماية وروي جابر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يدخل النار احد
ممن بايع تحت الشجرة **قوله تعالى** فعلم ما في قلوبهم من الصدق والوفا فانزل السكينة الطمانينة والرضا عليهم فان
قيل الفا للتعقيب وعلم الله قبل الرضى لانه علم ما في قلوبهم من الصدق فرضي عنهم فكيف يفهم التعقيب في العلم فالجواب
قال ابن الخطيب ان قوله تعالى فعلم ما في قلوبهم متعلق بقوله اذ يبايعونك كما تقول فرحت امس اذ كلمت زيدا فقام لي
او اذ دخلت عليه فاكرمني فيكون الفرح بعد الاكرام مرتبا فكذلك ههنا قال تعالى لقد رضي الله عن المؤمنين
اذ يبايعونك فعلم ما في قلوبهم من الصدق اشارة الى ان الرضى لا يكون عند المبايعة حسب بل عند المبايعة التي كان معها
علم الله بصدقهم والفا في قوله فانزل السكينة للتعقيب المذكور فانه تعالى رضي الله عنهم وفي قوله فعلم لبيان وصف
المبايعة تكون معاقبة بالعلم بالصدق الذي في قلوبهم **قوله تعالى** واثابهم فتحا قريبا يعني فتح خيبر وقوله
ومغانم كثيرة اي واتاكم مغانم او اتاهم مغانم او اثابكم مغانم وانما قرئ بالخطاب والغيبة
لانه يقرا ياخذونها بالغيبة وهي قراءة العامة وتاخذونها بالخطاب وهي قراءة الاعمش وطلحة ونافع في رواية
سقلاب **فصل** قيل المراد بالمغانم الكثيرة مغانم خيبر وكانت خيبر ذات عقار واموال فقسمها رسول الله
صلى الله عليه وسلم بينهم وقيل مغانم هجر وكان الله عزيزا حكيما عزيزا في انتقامه حكيما حيث جعل هلاك
اعدائه على ايديكم ليثيبكم عليه ولان في ذلك اعزاز قوم واذلال اخرين فقال تكن لهما العزة ويعرف منها الحكمة

قوله تعالى وعدكم الله مغانم كثيرة تاخذونها وهي الفتوح التي تفتح لهم الى يوم القيمة وليس المغانم كل الثواب
بل الجنة قدامهم وانما هي كعاجلة عجل بها لهم ولهذا قال فعجل لكم هذه يعني خيبر وكف ايدي الناس عنكم وذلك ان النبي صلى
الله عليه وسلم لما قصد خيبر وحاصر اهلها همت قبايل من اسد وغطفان ان يغيروا على عيال المسلمين وذراريهم بالمدينة
فكف الله ايديهم بالقاء الرعب في قلوبهم وقيل كف ايدي الناس عنكم يعني اهل مكة بالصلح ولتكون كفهم وسلامتكم اية للمؤمنين
على صدقك ويعلموا ان الله هو المتولي حياطتهم وحراستهم في مشهدهم ومغيبهم **قوله تعالى** ولتكون اية يجوز فيه ثلاثة اوجه
احدها ان يتعلق بفعل مقدر بعده تقديره وليكون فعل ذلك الثاني انه معطوف على علة محذوفة تقديره وعد فعجل وكف
لتنتفعوا وليكون او لتشكروا وليكون الثالث ان الواو مزيدة والتعليل لما قبله اي وكف لتكون **قوله تعالى** ويهديكم صراطا
مستقيما يثبتكم على الاسلام ويزيدكم بصيرة ويقينا بصلح الحديبية وفتح خيبر وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
لما رجع من الحديبية اقام بالمدينة بقية ذي الحجة وبعض المحرم ثم خرج في سنة سبع الى خيبر روي انس بن مالك ان النبي صلى
الله عليه وسلم كان اذا غزا بنا قوما لم يكن يغير بنا حتى يصبح وينظر فان سمع اذانا كف عنهم وان لم يسمع اذانا اغار عليهم
قال فخرجنا الى خيبر فانتهينا اليهم ليلا فلما اصبح لم يسمع اذانا ركب وركبت خلف ابي طلحة وان قدمي لتمس قدم النبي صلى الله
عليه وسلم قال فخرجوا الينا بمكاتلهم ومساحيهم فلما راوا رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا محمد والله محمد والخميس
اي محمد والجيش فلما راهم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله اكبر الله اكبر خربت خيبر انا اذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح
المنذرين وروي اياس بن سلمة قال حدثني ابي قال خرجنا الى خيبر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فجعل عمي يرتجز
بالقوم • تالله لولا الله ما اهتدينا • ولا تصدقنا ولا صلينا • ونحن من فضلك ما استغنينا • فثبت الاقدام ان لاقينا
وانزلن سكينة علينا • فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من هذا فقال انا عامر قال غفر لك ربك وما استغفر رسول الله
صلى الله عليه وسلم لانسان يخصه الا استشهد قال فنادى عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو على جمل له يا نبي الله لولا امتعتنا
بعامر قال فلما قدمنا خيبر خرج ملكهم مرحب يخطر بسيفه يقول • قد علمت خيبر اني مرحب • شاكي السلاح بطل مجرب
اذا الحروب اقبلت تلهب • فقال علي رضي الله عنه • انا الذي سمتني امي حيدره • كليث غابات كريه المنظره • اكيلكم
بالصاع كيل السندره • قال فضرب راس مرحب فقتله ثم كان الفتح على يديه وروي اكيلكم بالسيف كيل السندره اي
اقتلكم قتلا واسعا ذريعا والسندرة مكيال واسع قيل يحتمل ان يكون اتخذ من السندرة وهي شجرة يعمل منها النبل والقسي
والسندرة ايضا العجلة والنون زايدة قال ابن الاثير وذكرها الجوهري في هذا الباب ولم ينبه على زيادتها وروي فتح
خيبر من طرق اخر في بعضها زيادات وفي بعضها نقصان عن بعض **قوله تعالى** واخرى يجوز فيها اوجه احدها ان تكون
مرفوعة بالابتدا ولم تقدروا عليها صفتها وقد احاط الله بها خبرها الثاني ان الخبر محذوف مقدر قبلها اي وثم اخرى
لم تقدروا عليها الثالث ان تكون منصوبة بفعل مضمر على شريطة التفسير فيقدر الفعل من معنى المتاخر وهو قد احاط الله
بها اي وقضى الله اخرى الرابع ان تكون منصوبة بفعل مضمر لا على شريطة التفسير بل لدلالة السياق اي ووعد اخرى او
واتاكم اخرى الخامس ان تكون مجرورة برب مقدرة وتكون الواو واو رب ذكره الزمخشري وفي الجر برب بعد الواو المذكورة
خلاف مشهور هو برب مضمرة ام بنفس الواو الا ان ابا حيان قال ولم تات رب جارة في القران على كثرة دورها يعني جارة
لفظا والا فقد قيل انها جارة تقديرا ههنا وفي قوله ربما على قولنا ان ما نكرة موصوفة **قوله تعالى** قد احاط الله بها
يجوز ان يكون خبرا لاخرى كما تقدم او صفة ثانية اذا قيل بان اخرى مبتدا وخبرها مضمر او حالا ايضا **فصل**
قال المفسرون معناه اي ووعدكم فتح بلدة اخرى لم تقدروا عليها قد احاط الله بها حتى يفتحها لكم كانه حفظها لكم
ومنعها من غيركم حتى تاخذوها قال ابن عباس علم الله انه يفتحها لكم قال ابن الخطيب تقديره وعدكم مغانم تاخذونها
ومغانم لا تاخذونها انتم ولا تقدرون عليها وانما ياخذها من يجي بعدكم من المؤمنين وهذا تفسير الفرا قال ومعنى
قوله قد احاط الله بها اي حفظها للمؤمنين لا يجري عليها هلاك وفنا الى ان ياخذها المسلمون كاحاطة الحراس بالخزاين
واختلفوا فيها فقال ابن عباس والحسن ومقاتل هي فارس والروم وما كانت العرب تقدر على قتال فارس والروم
بل كانوا خولا لهم حتى قدروا عليها بالاسلام وقال الضحاك وابن زيد هي خيبر وعدها الله نبيه صلى الله عليه وسلم
قبل ان يصيبها ولم يكونوا يرجونها وقال قتادة هي مكة وقال عكرمة حنين وقال مجاهد ما فتحوا حتى اليوم وكان الله
على كل شيء قديرا **قوله تعالى** ولو قاتلكم الذين كفروا يعني اسدا وغطفان واهل خيبر لولوا الادبار وقال ابن الخطيب
وهذا يصلح جوابا لمن يقول كف الايدي عنهم كان امرا اتفاقيا ولو اجتمع عليهم العرب كما زعموا لمنعوهم من فتح خيبر واغتنام
غنايمها فقال ليس كذلك بل سواء قاتلوا او لم يقاتلوا لا ينصرون والغلبة واقعة للمسلمين فليس امرهم امرا اتفاقيا
بل هو امر الهي محكوم به محتوم ثم قال ثم لا يجدون وليا ولا نصيرا **قوله تعالى** سنة الله مصدر مؤكد لمضمون الجملة

المتقدمين اي سن الله ذلك سنة قال ابن الخطيب وهذا جواب عن سؤال مقدر وهو ان يقول قوم من الجهال وهو ان الطوالع والاتصالات لها تاثيرات وتغييرات فقال ليس كذلك بل سنة الله نصرة رسله واهلاك حدوه والمعنى هذه سنة الله في نصر اوليائه وقهر اعدائه ولن تجد لسنة الله تبديلا قوله تعالى وهو الذي كف ايديهم عنكم وايديكم عنهم ببطن مكة من بعد ان اظفركم عليهم وهذا تبيين لما تقدم من قوله ولو قاتلكم الذين كفروا لولوا الادبار بتقدير الله كما انه كف ايديهم عنكم بالفرار وايديكم بالرجوع عنهم وتركهم روي ثابت عن انس بن مالك ان ثمانين رجلا من اهل مكة هبطوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم من جبل التنعيم متسلحين يريدون غرة النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه فاخذهم سلما فاستحياهم فانزل الله وهو الذي كف ايديهم عنكم وايديكم عنهم ببطن مكة من بعد ان اظفركم عليهم قال عبد الله بن معقل المزني كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم بالحديبية في اصل الشجرة التي قال الله تعالى في القران وعلى ظهره غصن من اغصان الشجرة فرفعته عن ظهره وعلي بن ابي طالب بين يديه يكتب كتاب الصلح فخرج علينا ثلاثون شابا عليهم السلاح فثاروا في وجوهنا فدعا عليهم النبي صلى الله عليه وسلم فاخذ الله بابصارهم فقمنا اليهم فاخذناهم فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم جئتم في عهد او هل جعل لكم احد امانا قالوا اللهم لا فخلى سبيلهم فانزل الله هذه الاية قوله تعالى وكان الله بما تعملون قرا ابو عمرو بالياء وقرا الاخرون بالتاء من فوق فمن قرا بالغيبة فهو رجوع الى قوله ايديهم وعنهم ومن قرا بالخطاب فهو رجوع الى قوله ايديكم وعنكم والمعنى ان الله يرى فيه من المصلحة وان كنتم لا ترون ذلك ثم بين ذلك بقوله تعالى هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام وهذا اشارة الى ان الكف لم يكن لامر في الكفار لانهم كفروا وصدوكم واحصروا وكل ذلك يقتضي قتالهم فلا يقع لاحد الفريقين اتفقوا واصطلحوا ولم يبق بينهما خلاف ولا نزاع بل الاختلاف والنزاع باق مستمر لانهم هم الذين كفروا وصدوكم ومنعوكم فازدادوا كفرا وعداوة وانما ذلك للرجال المؤمنين والنساء المؤمنات قوله تعالى والهدي العامة على نصبه والمشهور انه نسق على الضمير المنصوب في صدوكم وقيل نصب على المعية وفيه ضعف لامكان العطف وقرا ابو عمرو في رواية بجره عطفا على المسجد الحرام ولا بد من حذف مضاف اي وعن نحر الهدي وقرئ برفعه على انه مرفوع بفعل مقدر لم يسم فاعله اي وصد الهدي والعامة على فتح الهاء وسكون الدال وروي عن ابي عمرو وعاصم وغيرهما كسر الدال وتشديد الياء وحكى ابن خالويه ثلاث لغات الهدي وهي المشهورة لغة قريش والهدي والهدا قوله تعالى معكوفا حال من الهدي اي محبوسا يقال عكفت الرجل عن حاجته وانكر الفارسي تعدية عكف بنفسه واثبتها ابن سيده والازهري وغيرهما وهو ظاهر القران لبناء اسم المفعول منه قوله تعالى ان يبلغ فيه اوجه احدها انه على اسقاط الخافض اي عن ان او من ان وحينئذ يجوز في هذا الجار المقدر ان يتعلق بصدوكم وان يتعلق بمعكوفا اي محبوسا عن بلوغ محله الثاني انه مفعول من اجله وحينئذ يجوز ان يكون علة للصد والتقدير صدوا الهدي كراهة ان يبلغ محله وان يكون علة لمعكوفا اي لاجل ان يبلغ محله ويكون الحبس من المسلمين الثالث انه بدل من الهدي بدل اشتمال اي صدوا بلوغ الهدي محله فصل معنى الاية هم الذين كفروا يعني كفار مكة وصدوكم منعوكم عن المسجد الحرام ان تطوفوا به والهدي اي وصدوا الهدي وهي البدن التي ساقها رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت سبعين بدنة معكوفا محبوسا يقال عكفته عكفا اذا حبسته وعكوفا اللازم كما يقال رجع رجعا ورجوعا ان يبلغ محله منحره وحيث يحل نحره يعني الحرم ثم قال ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات يعني المستضعفين بمكة قوله تعالى لم تعلموهم صفة للصنفين وغلب الذكور وقوله ان تطؤوهم يجوز ان يكون بدلا من رجال ونساء وغلب الذكور كما تقدم وان يكون بدلا من مفعول تعلموهم فالتقدير على الاول ولولا وطء رجال ونساء غير معلومين وتقدير الثاني لم تعلموا وطأهم والخبر محذوف تقديره ولولا رجال ونساء موجودون او بالحضرة واما جواب لولا ففيه ثلاثة اوجه احدها انه محذوف لدلالة جواب لو عليه والثاني انه مذكور وهو لعذبنا وجواب لو هو المحذوف فحذف من الاول لدلالة الثاني ومن الثاني لدلالة الاول والثالث ان لعذبنا جوابهما معا وهو بعيد ان اراد حقيقة ذلك وقال الزمخشري قريبا من هذا فانه قال ويجوز ان يكون لو تزيلوا كالتكرير للولا رجال مؤمنون لمرجعهما الى معنى واحد ويكون لعذبنا هو الجواب ومنع ابو حيان مرجعهما لمعنى واحد قال لان ما تعلق بالاول غير ما تعلق به الثاني فصل المعنى لم تعلموهم لم تعرفوهم ان تطؤوهم بالقتل وتوقعوا بهم فتصيبكم منهم معرة قال ابن زيد اثم وذلك لانكم ربما تقتلونهم فيلزمكم الكفارة وهي دليل الاثم لان الله تعالى اوجب على قاتل المؤمن في دار الحرب اذا لم يعلم ايمانه الكفارة دون الدية قال تعالى وان كان من قوم عدو لكم وهو مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة وقال ابن اسحق غرم الدية وقيل ان المشركين يعيبونكم ويقولون قتلوا اهل دينهم وفعلوا باخوانهم ما فعلوا باعدائهم والمعرة المشقة يقول لولا ان تطؤوا رجالا مؤمنين ونساء مؤمنات لا تعلموهم فيلزمكم به كفارة ويلحقكم به سبة لاذن لكم في دخولها ولكنه حال بينكم وبين ذلك

قوله تعالى فتصيبكم

قوله تعالى فتصيبكم نسق على ان تطؤوهم وقوله بغير علم يجوز ان يتعلق بمحذوف على انه صفة لمعرة او ان يكون حالا من مفعول تصيبكم وقال ابو البقاء من الضمير المجرور يعني في منهم ولا يظهر معناه او ان يتعلق بتصيبكم وان يتعلق بتطؤوهم اي تطؤوهم بغير علم فان قيل هذا تكرار لانه ان قلنا هو بدل عن الضمير يكون التقدير لم تعلموا ان تطؤوهم بغير علم فيلزم تكرار بغير علم لحصوله بقوله لم تعلموهم فالجواب ان يقال قوله بغير علم هو في موضعه اي فيصيبكم منهم معرة بغير علم من الذي يعرّكم ويعيب عليكم يعني ان وطئتموهم غير عالمين يعرّكم الكفار بغير علم اي بجهل لانهم لا يعلمون انكم معذورون فيه او يقال تقديره لو تعلموا ان تطؤوهم فتصيبكم منهم معرة بغير علم اي فتقتلوهم بغير علم فيكون الوطء الذي يحصل بغير علم معذورين فيه او نقول المعرة قسمان احدهما ما يحصل من القتل العمد العدوان ممن هو غير عالم بحال المحل والثاني ما حصل من القتل خطا وهو عند عدم العلم فقال فتصيبكم منهم معرة بغير علم لا التي تكون عند العلم والوطء هنا عبارة عن القتل والدوس قال عليه السلام اللهم اشدد وطأتك على مضر وانشدوا ووطئتنا وطئا على حنق وطء المقيد نابت الهرم قوله تعالى ليدخل الله متعلق بمقدر اي كان انتفاء التسليط على اهل مكة وانتفاء العذاب ليدخل الله وقال البغوي اللام في ليدخل يتعلق بمحذوف دل عليه معنى الكلام يعني ليدخل الله في رحمته اي في دين الاسلام من يشاء من اهل مكة بعد الصلح قبل ان يدخلوها قوله تعالى لو تزيلوا قرا ابن ابي عبلة وابو حيوة وابن عون لو تزايلوا على تفاعلوا والضمير في تزيلوا يجوز ان يعود على المؤمنين فقط او على الكافرين او على الفريقين والمعنى لو تميز هؤلاء من هؤلاء لعذبنا الذين كفروا منهم عذابا اليما بالسبي والقتل بايديكم قوله تعالى اذ جعل الذين كفروا العامل في اذ اما لعذبنا او صدوكم او اذكر فيكون مفعولا به قال ابن الخطيب في اذ يحتمل ان تكون ظرفا فلا بد من فعل يقع فيه ويكون عاملا له ويحتمل ان يكون مفعولا به فان قلنا انه ظرف فالفعل الواقع فيه يحتمل ان يكون مذكورا ويحتمل ان يكون غير مذكور فان كان مذكورا ففيه وجهان احدهما هو قوله تعالى وصدوكم اي وصدوكم حين جعلوا في قلوبهم الحمية فلا يرجعون الى الاسلام وثانيهما المؤمنون لما انزل الله تعالى عليهم سكينته لا يتركون الاجتهاد في الجهاد والله مع المؤمنين فصل وان قلنا انه غير مذكور ففيه وجهان احدهما حفظ الله المؤمنين على ان يطؤوهم اذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية وعلى هذا فقوله تعالى فانزل الله سكينته وثانيهما احسن الله اليكم اذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية وعلى هذا فقوله تعالى فانزل الله سكينته تفسير لذلك الاحسان وان قلنا انه مفعول به فتقديره اذكر ذلك الوقت كقولك اذكر اذ قام زيد اي اذكر وقت قيامه وعلى هذا يكون اذ ظرفا للفعل المضاف اليه قوله تعالى في قلوبهم يجوز ان يتعلق بجعل على انها بمعنى القى فيتعدى لواحد اي اذ القى الكافرون في قلوبهم الحمية وان يتعلق بمحذوف على انه مفعول ثان قدم على انها بمعنى صير قوله تعالى حمية الجاهلية بدل من الحمية قبلها والحمية الانفة من الشيء وانشد المتلمس قوله
الا انني منهم وعرضي عرضهم ... كذا الراس يحمي انفه ان يهشما
وهي المنع ووزنها فعيلة وهي مصدر يقال حميت عن كذا حمية فصل المعنى اذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية حين صدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه عن البيت وانكروا ان محمدا رسول الله قال مقاتل قال اهل مكة قد قتلوا ابناءنا واخواننا ثم يدخلون علينا فتتحدث العرب انهم دخلوا علينا على رغم انفنا واللات والعزى لا يدخلونها علينا فهذه حمية الجاهلية التي دخلت قلوبهم قوله تعالى فانزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين حين لم يدخلهم ما دخلهم من الحمية فيعصوا الله في قتالهم قال ابن الخطيب دخول الفاء في قوله فانزل الله يدل على تعلق الانزال او ترتيبه على ما ذكرنا من ان اذ ظرف لفعل مقدر كانه قال احسن اذ جعل الذين كفروا فانزل تفسيرا لذلك الاحسان كما يقال اكرمني فاعطاني لتفسير الاكرام ويحتمل ان تكون الفاء للدلالة على تعلق انزال السكينة بجعلهم الحمية في قلوبهم على معنى المقابلة تقول اكرمني فاثنيت عليه قوله تعالى والزمهم كلمة التقوى قال ابن عباس ومجاهد وقتادة والضحاك وعكرمة والسدي وابن زيد واكثر المفسرين كلمة التقوى لا اله الا الله وروي عن ابي بن كعب مرفوعا وقال علي وابن عمر كلمة التقوى لا اله الا الله والله اكبر وقال عطاء بن ابي رباح هي لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير وقال عطاء الخراساني هي لا اله الا الله محمد رسول الله وقال الزهري هي بسم الله الرحمن الرحيم وقيل هي الوفاء بالعهد قوله تعالى وكانوا احق بها الضمير في كانوا يجوز ان يعود على المؤمنين وهو الظاهر اي احق بكلمة التقوى من الكفار وقيل يعود على الكفار اي كانت قريش احق بها لولا حرمانهم فصل قال البغوي وكان المؤمنون احق بها من كفار مكة واهلها اي وكانوا اهلها في علم الله لان الله تعالى اختار لدينه وصحبة نبيه اهل الخير قال ابن الخطيب قوله احق بها واهلها يحتمل وجهين احدهما انهم من معنى الاحق انه يثبت رجحانا ما على الكافرين وان لم يثبت الاهلية كما لو اختار الملك اثنين لشغل

وكل واحد منهما غير صالح له ولكن احدهما ابعد عن الاستحقاق يقال الله فرّ الي الاستحقاق ان كان ولا بد فهذا احوكما يقال الحبس اهون من القتل مع انه لا هين هناك فعال واهيا دفعا لذلك الثاني ان تكون لا للتفضيل كما في قوله خير مستقر واحسن مقيلا اذ لا خيرية في غيره وكان الله بكل شيء عليما قوله تعالى لقد صدق الله رسوله الرويا صدق يتعدى لاثنين ثانيهما بحرف الجر يقال صدقتك في كذا او قد يحذف كهذه الاية وقوله بالحق فيه اوجه احدها ان يتعلق بصدق الثاني ان تكون صفة لمصدر محذوف اي صدقا ملتبسا بالحق الثالث ان يتعلق بمحذوف على انه حال من الرويا اي ملتبسة بالحق الرابع انه قسم وجوابه لتدخلن فعلى هذا يوقف على الرويا ويبتدا بما بعدها قال الزمخشري وعلى تقدير قسما اما ان يكون قسما بالله فان الحق من اسمائه واما ان يكون قسما بالحق الذي هو نقيض الباطل وقال ابن الخطيب ويحتمل وجهين اخرين احدهما فيه تقديم وتاخير تقديره صدق الله ورسوله بالحق الرويا اي الرسول الذي هو رسول بالحق الثاني ان يقال تقديره صدق الله رسوله الرويا بالحق والله لتدخلن فتكون تفسيرا للرويا بالحق يعني ان الرويا هي والله لتدخلن **فصل** ذكر المفسرون ان النبي صلى الله عليه وسلم اري في المنام في المدينة قبل ان يخرج الى الحديبية انه يدخل هو واصحابه المسجد الحرام ويحلقون روسهم ويقصرون فاخبر اصحابه ففرحوا وحسبوا انهم داخلوا مكة عامهم ذلك فلما انصرفوا ولم يدخلوا شق عليهم ذلك فانزل الله هذه الاية وروي مجمع بن حارثة الانصاري قال شهدنا الحديبية مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما انصرفنا عنها اذا الناس يهزون الاباعر فقال بعضهم ما بال الناس قالوا اوحي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فخرجنا نرجف فوجدنا النبي صلى الله عليه وسلم واقفا على راحلته على كراع الغميم فلما اجتمع اليه الناس قرا انا فتحنا لك فتحا مبينا فقال عمر او فتح هو يا رسول الله قال نعم والذي نفسي بيده ففيه دليل على ان المراد من الفتح صلح الحديبية وتحقيق الرويا كان في العام المقبل فقال تعالى لقد صدق الله رسوله الرويا اراها اياه في مخرجه الى الحديبية انه يدخل هو واصحابه المسجد الحرام صدق وحق قوله تعالى لتدخلن جواب قسم مضمر او لقوله بالحق على ذلك القول وقال ابو البقا ولتدخلن تفسير للرويا او مستانفا اي والله لتدخلن فيحتمل كونه جواب قسم وقسما تفسير للرويا وهذا لا يصح البتة وهو ان يكون تفسير الرويا عن جواب القسم الا ان يريد انه جواب قسم لكنه يجوز ان يكون هو مع القسم تفسيرا وان يكون مستانفا غير تفسير وهو بعيد من عبارته قوله تعالى ان شاء الله فيه وجوه احدها انه ذكره تعليما للعباد الادب كقوله تعالى ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله الثاني ان الدخول لما وقع عام الحديبية وكان المومنون يريدون الدخول ويابون الصلح قال لتدخلن ولكن لا بجلادتكم ولا بارادتكم وانما تدخلون بمشيئة الله الثالث ان الله تعالى لما قال في الوحي المنزل على النبي عليه السلام لتدخلن ذكر انه بمشيئة الله لان ذلك من الله وعد ليس عليه دين ولا حق واجب لان من وعد بشيء لا يحققه الا بمشيئة الله والا فلا يلزم به احد **فصل** قال البغوي معناه وقال لتدخلن وقال ابن كيسان لتدخلن من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصحابه حكاية عن روياه فاخبر الله عن رسوله انه قال ذلك وانما استثنى مع علمه بدخولها باخبار الله تعالى تادبا بادب الله تعالى حيث قال ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله وقال ابو عبيدة ان بمعنى اذ مجازه اذ شاء الله كقوله تعالى ان كنتم تعلمون وقال الحسين بن الفضل يجوز ان يكون الاستثناء من الدخول لان بين الرويا وتصديقها سنة ومات في السنة ناس فمجاز الاية لتدخلن المسجد الحرام كلكم ان شاء الله وقيل الاستثناء واقع على الامن لا على الدخول لان الدخول لم يكن فيه شك كقول النبي صلى الله عليه وسلم عند دخول المقبرة وانا ان شاء الله بكم لاحقون فالاستثناء راجع الى اللحوق لا الى الموت قوله تعالى امنين حال من فاعل لتدخلن وكذا محلقين ومقصرين ويجوز ان يكون محلقين حالا من امنين فتكون متداخلة قوله تعالى قوله محلقين روسكم ومقصرين اشارة الى انكم تتمون الحج من اوله الى اخره فقوله لتدخلن اشارة الى الاول وقوله محلقين اشارة الى الاخر فان قيل محلقين حال الداخلين والداخل لا يكون الا محرما فالجواب ان قوله امنين معناه متمكنين من ان تتموا الحج محلقين قوله تعالى لا تخافون يجوز ان يكون مستانفا وان يكون حالا ثالثة وان يكون حالا اما من فاعل لتدخلن فهي حال للتوكيد او امنين فحال متقاربة وما بعدها حال مقدرة الا قوله لا تخافون اذ جعل حالا فانها مقارنة ايضا فان قيل قوله لا تخافون معناه غير خائفين وذلك يحصل بقوله تعالى امنين فما الفائدة في اعادته فالجواب ان فيه كمال الامن لان بعد الحلق يخرج الانسان من الاحرام فلا يحرم عليه القتال وكان عند اهل مكة يحرم قتال من احرم ومن دخل الحرم فقال تدخلون امنين وتحلقون ويبقى امنكم بعد خروجكم عن الاحرام قوله تعالى فعلم ما لم تعلموا من المصلحة وان الصلاح كان في الصلح وان دخولكم في سنتكم سبب لوطئ المومنين والمومنات وهو قوله تعالى ولولا رجال مومنون الاية فان قيل الفا في قوله فعلم للتعقيب فقوله فعلم وقع عقيب ماذا فالجواب ان قلنا ان المراد من فعلم وقت الدخول فهو عقيب صدق وان قلنا المراد فعلم المصلحة فالمعنى علم الوقوع والشهادة لا علم الغيب والتقدير

لما حصلت المصلحة في العام القابل فعلم ما لم تعلموا من المصلحة المتجددة فجعل من دون ذلك اي من قبل دخولهم المسجد الحرام فتحا قريبا وهو فتح الحديبية عند الاكثرين وقيل فتح خيبر ثم قال وكان الله بكل شيء عليما وهذا يدفع وهم حدوث علمه في قوله فعلم لان قوله وكان الله بكل شيء عليما يفيد سبق علمه قوله تعالى هو الذي ارسل رسوله بالهدى هذا تاكيد لبيان صدق الله في الرويا لانه لما كان مرسلا لرسوله ليهدي لا يريه ما لا يكون فيحدث الناس فيظهر خلافه فيكون ذلك سببا للضلال ويحتمل ان الرويا الموافقة للواقع قد يقع لغير المرسل لكن ذلك قليل لا يقع لكل احد فقال تعالى هو الذي ارسل رسوله بالهدى وحكى له ما سيكون في اليقظة فلا يبعد ان يريه في المنام ما سيقع ولا استبعاد في صدق روياه وفيها بيان وقوع الفتح ودخول مكة بقوله تعالى ليظهره على الدين كله اي من يقويه على الاديان لا يستبعد منه فتح مكة له والهدى يحتمل ان يكون هو القران كقوله تعالى انزل فيه القران هدى للناس وعلى هذا دين الحق هو ما فيه من الاصول والفروع ويحتمل ان يكون الهدى هو المعجزة اي ارسله بالمعجزة فيكون قوله ودين الحق اشارة الى ما شرع ويحتمل ان يكون الهدى هو الاصول ودين الحق هو الاحكام والالف واللام في الهدى يحتمل ان تكون للعهد وهو قوله ذلك هدى الله يهدي به من يشاء وان تكون للتعريف اي كل ما هو هدى قوله تعالى ودين الحق يحتمل ان يكون المراد دين الله لان الحق من اسماء الله ويحتمل ان يكون الحق نقيض الباطل فكانه قال ودين الامر الحق ويحتمل ان يكون المراد الانقياد للحق اي ارسله بالهدى وهو المعجزة على احد الوجوه ليظهره على الدين كله اي جنس الدين وكفى بالله شهيدا على انك صادق فيما تخبر وفي انه رسول الله وهذا فيه تسلية قلب المومنين فانهم تاذوا من رد الكفار عليهم العهد المكتوب وقالوا لا نعلم انه رسول الله فلا تكتبوا محمد رسول الله بل اكتبوا محمد بن عبد الله فقال تعالى وكفى بالله شهيدا اي في انه رسول الله قوله تعالى محمد رسول الله يجوز ان يكون خبر مبتدا مضمر لانه لما تقدم هو الذي ارسل رسوله دل على ذلك المقدر اي هو اي الرسول بالهدى محمد ورسول الله بدل او بيان او نعت وان يكون مبتدا وخبرا وان يكون مبتدا ورسول الله على ما تقدم من البدل والبيان والنعت والذين معه عطف على محمد والخبر عنهم قوله اشداء على الكفار رحماء بينهم لانه وصف الشدة والرحمة وجد في جميعهم اما في المومنين فقوله تعالى واغلظ عليهم وقال في حقه بالمومنين رؤوف رحيم وعلى هذا فقوله تراهم لا يكون خطابا مع النبي عليه السلام بل يكون عاما اخرج مخرج الخطاب تقديره تراهم ايها السامع كائنا من كان وقرا ابن عامر في رواية رسول الله بالنصب على الاختصاص وهي تويد كونه تابعا لا خبرا حالة الرفع ويجوز ان يكون على هذا الوجه مجرورا عطفا على الجلالة اي ورسول الذين امنوا معه لانه لما ارسل اليهم اضيف اليهم فهو رسول الله بمعنى ان الله ارسله ورسول امته بمعنى انه مرسل اليهم ويكون اشداء حينئذ خبر مبتدا مضمر اي هم اشداء ويجوز ان يكون تم الكلام على رسول الله والذين معه مبتدا واشداء خبره وقرا الحسن اشداء رحماء بالنصب اما على المدح واما على الحال من الضمير المستكن في معه لوقوعه صلة والخبر حينئذ عن المبتدا قوله تراهم ركعا وركعا سجدا حالان لان الروية بصرية وكذلك يبتغون ويجوز ان يكون مستانفا واذا كانت حالا فيجوز ان يكون حالا ثالثة من مفعول تراهم وان يكون من الضمير المستتر في ركعا سجدا وجوز ابو البقا ان يكون سجدا حالا من الضمير في ركعا حالا مقدرة فعلى هذا يكون يبتغون حالا من الضمير في سجدا فيكون حالا من حال وتلك الحال الاولى حال من حال اخرى وقرا ابن يعمر اشدا بالقصر والقصد من ضرايرا الاشعار كقوله • لا بد من صنعا وان طال السفر • فلذلك كانت شاذة قال ابو حيان وقرا عمرو بن عبيد ورضوانا بضم الراء قال شهاب الدين وهذه قراءة متواترة قراها عاصم في رواية ابي بكر عنه وتقدمت في سورة ال عمران واستثنيت له حرفا واحدا وهو ثاني المائدة **فصل** معنى الاية اشداء على الكفار اي غلاظ عليهم كالاسد على فريسته لا تاخذهم فيهم رافة رحماء بينهم متعاطفون متوادون بعضهم لبعض كالولد مع الوالد كقوله تعالى اذلة على المومنين اعزة على الكافرين تراهم ركعا سجدا اخبر عن كثرة صلاتهم ومداومتهم عليها يبتغون فضلا من الله ان يدخلهم الجنة ورضوانا اي يرضى عنهم وهذا تمييز لركوعهم وسجودهم عن ركوع الكافر وسجوده وركوع المرائي وسجوده فانه لا يبتغي به ذلك قوله تعالى سيماهم قرئ سيمياؤهم بياء بعد الميم والمد وهي لغة فصيحة وانشد غلام رماه الله بالحسن يافعا • له سيمياء لا تشق على البصر • وتقدم الكلام عليها وعلى اشتقاقها في اخر البقرة وفي وجوههم خبر سيماهم ومن اثر السجود حال من الضمير المستتر في الجار وهو في وجوههم وقرا العامة من اثر بفتحتين وابن هرمز بكسر وسكون وقتادة من اثار جمعا **فصل** المعنى علامتهم في وجوههم من اثر السجود وقيل المراد سيماهم نور وبياض في وجوههم يوم القيمة كما قال تعالى يوم تبيض وجوه وتسود وجوه رواه عطية العوفي عن ابن عباس وقال عطاء ابن ابي رباح والربيع بن انس استنارة وجوههم من كثرة صلاتهم وقال شهر بن حوشب يكون مواضع السجود من وجوههم كالقمر ليلة البدر وروى الوالبي عن ابن عباس وهو السمت الحسن والخشوع والتواضع وهو قول مجاهد والمعنى ان السجود اورثهم الخشوع والسمت الحسن الذي يعرفون به وقال الضحاك صفرة الوجه وقال

الحسن اذا رايتهم حسبتهم مرضى وما هم بمرضى قال سعيد بن جبير وعكرمة هو اثر التراب على الجباه وقيل المراد ما يظهر
على الجباه بكثرة السجود قوله تعالى ذلك مثلهم ذلك اشارة الى ما تقدم من وصفهم بكونهم اشداء رحماء لهم سيماء في وجوههم
وهو مبتدا خبره مثلهم وفي التورية حال من مثلهم والعامل معنى الاشارة قوله تعالى ومثلهم في الانجيل يجوز فيه وجهان
احدهما انه مبتدا وخبره كزرع فيوقف على قوله في التورية فهما مثلان واليه ذهب ابن عباس والثاني انه معطوف على مثلهم
الاول فيكون مثلا واحدا في الكتابين ويوقف حينئذ على في الانجيل واليه نحا مجاهد والفراء وعلى هذا يكون قوله كزرع
فيه اوجه احدها انه خبر مبتدا مضمر اي مثلهم كزرع فسر بها المثل المذكور الثاني انه حال من الضمير في مثلهم اي مماثلين زرعا
هذه صفته الثالث انها نعت مصدر محذوف اي تمثيلا كزرع ذكره ابو البقا وقال الزمخشري ويجوز ان يكون ذلك اشارة
مبهمة اوضحت بقوله كزرع كقوله وقضينا اليه ذلك الامر ان دابر قوله تعالى اخرج شطأه صفة لزرع وقرا ابن كثير وابن
ذكوان بفتح الطا والباقون باسكانها وهما لغتان كالنهر والنهر وقرا ابو حيوة شطاه بالمد وزيد بن علي شطاه بالف
صريحة بعد الطا فيحتمل ان يكون بدلا من الهمزة بعد نقل حركتها الى الساكن قبلها على لغة من يقول المراة والكماة بعد النقل
وهو مقيس عند الكوفيين ويحتمل ان يكون مقصورا من الممدود وابو جعفر ونافع في رواية شطه بالنقل والحذف وهو
القياس والجحدري شطوه ابدال الهمزة واوا وتكون لغة مستقلة وهذه كلها لغات في فراخ الزرع يقال اشطا الزرع واشطا
اي اخرج فراخه وهل يختص ذلك بالحنطة فقط او بها وبالشعير فقط او لا يختص خلاف مشهور قال الشاعر •
اخرج الشطا على وجه الثرى • ومن الاشجار افنان الثمر • قوله تعالى فآزره العامة على المد وهو على افعل وغلط من
قال انه فاعل لمجاهد وصرح بانه لم يسمع في مضارعه يوازر بل يؤزر وقرا ابن ذكوان فأزره مقصورا جعله ثلاثيا وقرا
فازره بالتشديد والمعنى في الكل قواه وقيل ساواه وانشد • بمحمد فداز الطال نبتها • [illegible]
قوله تعالى على سوقه متعلق باستوى ويجوز ان يكون حالا اي كائنا على سوقه اي قائما عليها وقد تقدم في النمل ان
قنبلا يقرا سؤقه بالهمزة الساكنة كقوله • احب الموقدين الي موسى • وبهمزة مضمومة بعدها واو كفروح وتوجيه
ذلك والسوق جمع ساق فصل قال المفسرون يقال اشطا الزرع فهو مشطئ اذا افرخ قال مقاتل هو نبت
واحد فاذا خرج بعده فهو شطاه وقال السدي هو ان يخرج معه الطاقة الاخرى فآزره قواه واعانه وشد ازره فاستغلظ
غلظ ذلك الزرع فاستوى تم وتلاحق نباته على سوقه اصوله يعجب الزراع اي يعجب ذلك زراعه هذا مثل ضربه الله
لاصحاب محمد صلى الله عليه وسلم في الانجيل انهم يكونون قليلا ثم يزدادون ويكثرون قال قتادة مثل اصحاب محمد
صلى الله عليه وسلم في الانجيل مكتوب انه سيخرج قوم ينبتون نبات الزرع يامرون بالمعروف وينهون عن المنكر
وقيل الزرع محمد صلى الله عليه وسلم والشطا اصحابه والمؤمنون روى مبارك بن فضالة عن الحسن قال محمد رسول الله
والذين معه ابو بكر الصديق اشداء على الكفار عمر بن الخطاب رحماء بينهم عثمان بن عفان تراهم ركعا سجدا علي بن ابي طالب
يبتغون فضلا من ربهم العشرة المبشرون كمثل زرع محمد اخرج شطاه ابو بكر فآزره عمر فاستغلظ عثمان يعني استغلظ
عثمان بالاسلام فاستوى على سوقه علي بن ابي طالب استقام الاسلام بسيفه يعجب الزراع قال المؤمنون ليغيظ بهم الكفار
قول عمر لاهل مكة بعد ما اسلم لا يعبد الله سرا بعد اليوم روى انس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ارحم امتي
ابو بكر واشدهم في امر الله عمر واصدقهم حياء عثمان وافرضهم زيد واقراهم ابي واعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل
ولكل امة امين وامين هذه الامة ابو عبيدة بن الجراح وفي رواية اخرى واقضاهم علي وروى بريدة عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال من مات من اصحابي بارض كان نورهم وقائدهم يوم القيمة قوله تعالى يعجب الزراع حال اي معجبا وههنا تم المثل
قوله تعالى ليغيظ بهم الكفار احدها انه متعلق بوعد لان الكفار اذا سمعوا بعز المؤمنين في الدنيا وما اعد لهم في الاخرة
غاظهم ذلك الثاني ان يتعلق بمحذوف دل عليه تشبيههم بالزرع في نمائهم وتقويتهم قاله الزمخشري اي شبههم الله
بذلك ليغيظ الثالث انه متعلق بما دل عليه قوله اشداء على الكفار الى اخره اي جعلهم بهذه الصفات ليغيظ قال مالك بن
انس من اصبح وفي قلبه غيظ على اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد اصابته هذه الاية وقال عليه السلام الله الله
في اصحابي لا تتخذوهم غرضا بعدي فمن احبهم فبحبي احبهم ومن ابغضهم فببغضي ابغضهم ومن اذاهم فقد اذاني
ومن اذاني فقد اذى الله فيوشك ان ياخذه وقال عليه السلام لا تسبوا اصحابي فوالذي نفسي بيده لو ان احدكم انفق
مثل احد ذهبا ما ادرك مد احدهم ولا نصيفه قوله تعالى وعد الله الذين امنوا وعملوا الصالحات منهم من هنا
للبيان لا للتبعيض لان كلهم كذلك فهي كقوله فاجتنبوا الرجس من الاوثان وقال الطبري منهم يعني من الشطا الذي اخرجه
الزرع وهم الداخلون في الاسلام الى يوم القيمة فاعاد الضمير على معنى الشطا لا على لفظه فقال منهم ولم يقل منه وهو
معنى حسن فصل قد تقدم الكلام على الاجر العظيم والمغفرة مرارا وقال ههنا في حق الساجدين الراكعين

انهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وقال لهم اجر ولم يقل لهم ما يطلبوه من الفضل لان المؤمن عند العمل لم يلتفت
الى عمله ولم يجعل له اجرا يعتد به فقال لا ابتغي الا فضلك فان عمله لا يكون له اجر والله تعالى اتاه ما طلب من
الفضل وسماه اجرا اشارة الى قبوله عمله ووقوعه الموقع روي انه من قرا في اول ليلة من رمضان انا فتحنا لك فتحا
مبينا في التطوع حفظ في ذلك العام والله تعالى اعلم بالصواب واليه المرجع والماب

سورة الحجرات مكية

وهي ثمان عشرة اية وثلثماية واربعون كلمة والف واربعماية وستة وسبعون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم
قوله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله قرا العامة بضم التا وفتح القاف وتشديد الدال مكسورة
وفيها وجهان احدهما انه متعد وحذف مفعوله اما اقتصارا كقوله تعالى هو يحيي ويميت وكقولهم هو يعطي ويمنع
وكلوا واشربوا واما اختصارا للدلالة عليه اي لا تقدموا ما لا يصلح والثاني انه لازم نحو وجه وتوجه ويعضده
قراءة ابن عباس والضحاك لا تقدموا كذلك الا انه بتشديد التا كان البزي والموصل اليه بحرف الجر في هاتين القراءتين
ايضا محذوف اي لا تتقدموا الى امر من الامور وعلى هذا فهو مجاز ليس المراد نفس التقديم بل المراد لا تجعلوا لانفسكم تقدما
عند النبي عليه السلام يقال فلان تقدم من بين الناس اذا ارتفع امره وعلا شانه وقرئ لا تقدموا بضم التاء وكسر الدال
من اقدم اي لا تقدموا على شيء فصل في بيان حسن الترتيب وجوه احدها انه في السورة المتقدمة لما جرى
منهم ميل الى الامتناع مما اجاز النبي عليه السلام من الصلح والزمهم الله كلمة التقوى قال لهم على سبيل العموم لا تقدموا
بين يدي الله ورسوله اي لا تتجاوزوا ما اتى من الله تعالى ورسوله الثاني انه تعالى لما بين علو درجة النبي صلى الله عليه وسلم
بكونه رسوله الذي يظهر دينه وانه بالمؤمنين رحيما قال لا تتركوا من احترامه شيئا لا بالفعل ولا بالقول وانظروا الى رفعة
درجته الثالث انه تعالى وصف المؤمنين بانهم اشداء ورحماء فيما بينهم وبكونهم راكعين ساجدين وذكر ان لهم من الحرمة
عند الله ما اوجب حسن الثنا في الكتب المتقدمة بقوله ذلك مثلهم في التورية ومثلهم في الانجيل فان الملك العظيم
لا يذكر احدا في غيبته الا اذا كان عنده محترما ووعدهم بالاجر العظيم فقال في هذه السورة لا تفعلوا ما يوجب انحطاط
درجاتكم واحباط حسناتكم ولا تقدموا فصل في سبب النزول روى الشعبي عن جابر انه في الذبح يوم الاضحى
قبل الصلوة وهو قول الحسن اي لا تذبحوا قبل ان يذبح النبي صلى الله عليه وسلم وذلك ان ناسا ذبحوا قبل النبي صلى الله عليه
وسلم فامرهم ان يعيدوا الذبح وقال من ذبح قبل الصلاة فانما هو لحم عجله لاهله ليس من النسك في شيء وروى مسروق
عن عايشة انه في النهي عن صوم يوم الشك اي لا تصوموا قبل ان يصوم نبيكم وروى ابن الزبير انه قدم ركب من بني تميم على
النبي صلى الله عليه وسلم فقال ابو بكر امر القعقاع بن معبد بن زرارة وقال عمر بل امر الاقرع بن حابس قال ابو بكر ما اردت
الا خلافي قال عمر ما اردت خلافك فتماريا حتى ارتفعت اصواتهما فنزلت يا ايها الذين امنوا لا تقدموا بين يدي الله
ورسوله قال ابن الزبير فكان عمر لا يسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد هذه الاية حتى يستفهمه وقيل نزلت في جماعة
اكثروا من السؤال وقال مجاهد لا تفتاتوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يقضيه الله على لسانه وقال الضحاك
يعني في القتال وشرايع الدين اي لا تقضوا امرا دون الله ورسوله قال ابن الخطيب والاصح انه ارشاد عام يشمل الكل
ومنع مطلق يدخل فيه كل افتيات وتقدم واستبداد بالامر واقدام على فعل غير ضروري من غير مشاورة فصل
ومعنى بين يدي الله ورسوله اي بحضرتهما لان ما يحضره الانسان فهو بين يديه ناظر اليه وفي قوله بين يدي الله
ورسوله فوايد احدها ان قول الانسان فلان بين يدي فلان اشارة الى ان كل واحد منهما حاضر عند الاخر
مع ان لاحدهما علو الشان وللاخر درجة العبيد والغلمان لان من يجلس بجنب الانسان يكلفه تقليب الحدقة
اليه وتحريك الراس اليه عند الكلام ومن يجلس بين يديه لا يكلفه ذلك ولان اليدين تنبي عن القدرة لان
قول الانسان فلان بين يدي فلان اي يقلبه كيف يشاء في اشغاله كما يفعل الانسان بما يكون موضوعا
بين يديه وذلك يفيد وجوب الاجتناب من التقدم وثانيها ذكر الله اشارة الى وجوب احترام الرسول والانقياد
لاوامره لان احترام الرسول احترام للمرسل لكن احترام الرسول قد يترك لاجل بعد المرسل وعدم اطلاعه على ما يفعل
برسوله فقوله بين يدي الله اي انتم بحضرة من الله وهو ناظر اليكم وفي مثل هذه الحال يجب احترام رسوله وثالثها ان العادة

كما تقرر النهي المتقدم بتقرير الامر المتاخر وهو قوله واتقوا الله لان من يكون بين يدي الغير كالمتاع الموضوع بين يديه يقلبه كيف يشا يحذر ان يتقيه وقوله واتقوا الله اي في تضييع حقه ومخالفة امره ان الله سميع لاقوالكم عليم بافعالكم

قوله تعالى يا ايها الذين امنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي في اعادة الندا فوايد منها ان في ذلك بيان زيادة الشفقة على المسترشد كقول لقمان لابنه لا تشرك بالله يا بني انها ان تك يا بني اقم الصلوة لان الندا تنبيه للمنادى ليقبل على استماع الكلام ويجعل باله منه فاعادته يفيد تجدد ذلك ومنها ان لا يتوهم متوهم ان المخاطب ثانيا غير المخاطب اولا فان من الجايز ان يقول القايل يا زيد افعل كذا وكذا يا عمرو فاذا اعاده مرة اخرى وقال يا زيد قل كذا وقل كذا يعلم ان المخاطب اولا هو المخاطب ثانيا ومنها ان يعلم ان كل واحد من الكلامين مقصود ليس الثاني تاكيدا للاول كقولك يا زيد لا تنطق ولا تتكلم الا بالحق فانه لا يحسن ان يقول يا زيد لا تنطق يا زيد لا تتكلم كما يحسن عند اختلاف المطلوبين

فصل قوله لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي يحتمل ان يكون المراد حقيقة رفع الصوت لان ذلك يدل على قلة الاحتشام وترك الاحترام وهو ان رفع الصوت يدل على عدم الخشية لان من خشي قلبه ارتجف وضعفت حركة الدافعة فلا يخرج منه الصوت بقوة ومن لم يخف ثبت قلبه وقوي حركة الدافعة وذلك دليل على عدم الخشية ويحتمل ان يكون المراد المنع من كثرة الكلام لان من كثر كلامه يكون متكلما عند سكوت الغير فيبقى لصوته ارتفاع وان كان خايفا فلا ينبغي ان يكون لاحد عند النبي عليه السلام كلام كثير بالنسبة الى كلام النبي عليه السلام لان النبي عليه السلام مبلغ فالمتكلم عنده ان اراد الاخبار فلا يجوز له وان سال فان النبي عليه السلام لما وجب عليه البيان فهو لا يسكت عما سيل وان لم يسال فربما يكون في الجواب تكليف لا يسهل على المكلف الاتيان به فيبقى في ورطة العقاب كما قال تعالى يا ايها الذين امنوا لا تسالوا عن اشيا ان تبد لكم تسؤكم ويحتمل ان يكون المراد رفع الكلام بالتعظيم اي لا تجعلوا لكلامكم ارتفاعا على كلام النبي عليه السلام في الخطاب والاول اصح والكل يدخل في المراد قال المفسرون معناه بجلوه وفخموه ولا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي جلس ثابت بن قيس في بيته وقال انا من اهل النار واحتبس عن النبي صلى الله عليه وسلم فسال النبي صلى الله عليه وسلم سعد بن معاذ فقال يا ابا عمرو ما شان ثابت اشتكى فقال سعد انه لجاري وما علمت له شكوى قال فاتاه سعد فذكر له قول النبي صلى الله عليه وسلم فقال ثابت انزلت هذه الاية ولقد علمتم اني من ارفعكم صوتا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فانا من اهل النار فذكر ذلك سعد للنبي صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل هو من اهل الجنة وروي لما نزلت هذه الاية قعد ثابت في الطريق يبكي فمر به عاصم بن عدي فقال وما يبكيك يا ثابت قال هذه الاية اتخوف ان تكون نزلت في وانا رفيع الصوت اخاف ان يحبط عملي وان اكون من اهل النار فمضى عاصم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وغلب ثابت البكا فاتى امراته جميلة بنت عبد الله بن ابي سلول فقال لها اذا دخلت بيت فرسي فشدي علي الضبة بمسمار فضربت عليه بمسمار وقال لا اخرج حتى يتوفاني الله او يرضى عني رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتى عاصم رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره خبره فقال اذهب فادعه لي فجاء عاصم الى المكان الذي راه فلم يجده فجا الى اهله فوجده في بيت الفرس فقال له ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعوك فقال اكسر الضبة فاتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يبكيك يا ثابت فقال انا صيت واخاف ان تكون هذه الاية نزلت في فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اما ترضى ان تعيش حميدا وتقتل شهيدا وتدخل الجنة فقال رضيت ببشرى الله ورسوله لا ارفع صوتي ابدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله ان الذين يغضون اصواتهم عند رسول الله الاية قال انس فكنا ننظر الى رجل من اهل الجنة يمشي بين ايدينا فلما كان يوم اليمامة في حرب مسيلمة راى ثابت من المسلمين بعض الانكسار فانهزمت طايفة منهم فقال اف لهولاء ثم قال ثابت لسالم مولى ابي حذيفة ما كنا نقاتل اعداء الله مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل هذا ثم ثبتا وقاتلا حتى قتلا واستشهد ثابت وعليه درع فراه رجل من الصحابة بعد موته في المنام فقال له اعلم ان فلانا رجل من المسلمين نزع درعي فذهب بها وهي في ناحية من العسكر عند فرس يستن في طوله وقد وضع على درعي برمة فات خالد بن الوليد واخبره حتى يسترد درعي وات ابا بكر خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقل له ان علي دينا حتى يقضي وفلان من رقيقي عتيق فاخبر الرجل خالدا فوجد درعه والفرس على ما وصفه فاسترد الدرع واخبر خالد ابا بكر بتلك الرويا واجاز ابو بكر وصيته قال مالك بن انس لا اعلم وصية اجيزت بعد موت صاحبها الا هذه

قوله تعالى ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض قال ابن الخطيب ان قلنا ان المراد من قوله لا ترفعوا اصواتكم اي لا تكثروا الكلام فقوله ولا تجهروا يكون مجازا عن الاتيان بالكلام عند النبي عليه السلام بقدر ما يوتى به عند غيره اي لا تكثروا وقللوا غاية التقليل وان قلنا المراد بالرفع الخطاب فقوله لا تجهروا يكون مجازا اي لا تخاطبوه كما تخاطبوا غيره واعلم ان قوله تعالى لا ترفعوا اصواتكم لما كان من جنس لا تجهروا لم يستانف

الندا ولما كان مخالفا للمتقدم لكون احدهما فعلا والاخر قولا استانف كقول لقمان لابنه يا بني لا تشرك بالله وقوله يا بني اقم الصلوة لكن الاول من عمل القلب والثاني من عمل الجوارح فقوله يا بني اقم الصلوة وامر بالمعروف وانه عن المنكر من غير استيناف الندا لكون الكل من عمل الجوارح فان قيل ما الفايدة في قوله ولا تجهروا له بالقول مع ان الجهر مستفاد من قوله لا ترفعوا اصواتكم فالجواب ان المنع من رفع الصوت هو ان لا يجعل كلامه وصوته اعلا من كلام النبي عليه السلام وصوته والنهي عن الجهر منع من المساواة اي لا تجهروا له بالقول كما تجهرون لنظرايكم بل اجعلوا كلمته عليا

قوله تعالى ان تحبط مفعول من اجله والمسالة من التنازع لان كلا من قوله لا ترفعوا ولا تجهروا له يطلبه من حيث المعنى فيكون معمولا للثاني عند البصريين في اختيارهم وللاول عند الكوفيين والاول اصح للحذف من الاول اي لان تحبط وقال ابو البقا انها لام الصيرورة وانتم لا تشعرون حال

فصل معنى الكلام انكم ان رفعتم اصواتكم وتقدمتم فذلك يودي الى الاستحقار وهو يفضي الى الارتداد والارتداد محبط وقوله وانتم لا تشعرون اشارة الى ان الردة تتمكن من النفس بحيث لا يشعر الانسان فان من ارتكب ذنبا لم يرتكبه في عمره تراه نادما غاية الندامة خايفا غاية الخوف فاذا ارتكبه مرارا قل خوفه وندامته ويصير عادة من حيث لا يعلم متى تمكن هذا كان في المرة الاولى او الثانية او الثالثة او غيرها وهذا كما اذا بلغه خبر فانه لا يقطع بالمخبر فاذا تكرر عليه ذلك وبلغ الحد التواتر حصل له اليقين وتمكن الاعتقاد ولا يدري متى كان ذلك وفي اي لحظة حصل هذا اليقين فقوله وانتم لا تشعرون تاكيدا للمنع اي لا تقولوا بان المرة الواحدة تغتفر ولا توجب ردة لان الامر غير معلوم بل احسموا الباب

قوله تعالى ان الذين يغضون اصواتهم عند رسول الله اي اجلالا له اولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى اختبرها واخلصها كما يمتحن الذهب بالنار فيخرج خالصه

قوله تعالى اولئك يجوز ان يكون اولئك مبتدا والذين خبره والجملة خبر ان ويكون لهم مغفرة جملة اخرى اما مستانفة وهو الظاهر واما حالية ويجوز ان يكون الذين امتحن صفة لاولئك او بدلا منه او بيانا ولهم مغفرة جملة خبرية ويجوز ان يكون لهم هو الخبر وحده ومغفرة فاعل به واللام في قوله للتقوى يحتمل ان يتعلق بمحذوف تقديره عرف الله قلوبهم صالحة اي كاينة للتقوى كقولك انت لكذا اي صالح او كاين ويحتمل ان يكون للتعليل وهو يحتمل وجهين احدهما ان يكون تعليلا يجري مجرى بيان السبب المتقدم كقولك جيتك لاكرامك ابي اي صار ذلك السبب السابق سبب المجي والثاني ان يكون ذلك تعليلا يجري مجرى بيان الغاية المقصود المتوقع الذي يكون لاحقا لا سابقا كقولك جيتك لاداء الواجب اي ليصير مجيي سببا لاداء الواجب فعلى الاول فمعناه ان الله علم في قلوبهم تقواه فامتحن قلوبهم للتقوى التي كانت فيها ولولا ان قلوبهم كانت مملوة من التقوى لما امرهم بتعظيم رسوله وتقديم نبيه على انفسهم وعلى الثاني فمعناه ان الله امتحن قلوبهم بمعرفته ومعرفة رسوله بالتقوى اي ليرزقهم الله التقوى ثم قال لهم مغفرة واجر عظيم وقد تقدم الكلام على ذلك

قوله تعالى ان الذين ينادونك من وراء الحجرات هذا بيان لحال من كان في مقابلة من تقدم فان الاول غض صوته والاخر رفعه وفيه اشارة الى ترك الادب من وجوه احدها الندا فان ندا الرجل الكبير قبيح بل الادب الحضور بين يديه وعرض الحاجة عليه الثاني الندا من وراء الحجرات فان من ينادي غيره ولا حايل بينهما لا يكلفه المشي والمجي بل يجيبه من مكانه ويكلمه ومن ينادي غيره مع الحايل يريد منه حضوره الثالث قوله الحجرات يدل على كون النبي عليه السلام في خلوته التي لا يحسن اتيان المحتاج اليه في حاجته ذلك الوقت بل الاحسن التاخير وان كان في ورطة الحاجة

قوله تعالى من وراء من لابتدا الغاية وفي كلام الزمخشري ما يمنع ان من تكون لابتدا الغاية وانما تنبها قال لان الشي الواحد لا يكون مبدا للفعل ومنتهى له وهذا اثبته بعض الناس وزعم انها تدل على ابتدا الفعل وانتهايه في جهة واحدة نحو اخذت الدرهم من الكيس والعامة على الحجرات بضمتين وابو جعفر وشيبة بفتحها وابن ابي عبلة باسكانها وهي ثلاث لغات تقدم تحقيقها في البقرة في قوله في ظلمات والحجرة فعلة بمعنى مفعولة كغرفة بمعنى معروفة قال البغوي والحجرات جمع الحجر والحجر جمع الحجرة فهي جمع الجمع

فصل ذكروا في سبب النزول وجوها احدها قال ابن عباس بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سرية الى بني العنبر وامر عليهم عيينة بن حصن الفزاري فلما علموا هربوا وتركوا عيالهم فسباهم عيينة وقدم بهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء بعد ذلك رجالهم يفدون الذراري فقدموا وقت الظهيرة ووافقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم قايلا في اهله فلما راتهم الذراري اجهشوا الى ابايهم يبكون وكان لكل امراة من نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم حجرة فعجلوا ان يخرج اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعلوا ينادون يا محمد اخرج الينا حتى ايقظوه من نومه فخرج اليهم فقالوا يا محمد فادنا عيالنا فنزل جبريل فقال ان الله يامرك ان تجعل بينك وبينهم رجلا فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم اترضون ان يكون بيني وبينكم سبرة بن عمرو وهو على دينكم فقالوا نعم فقال سبرة انا لا احكم وعمي شاهد وهو الاعور بن بشامة فرضوا به فقال

الاعور ادي تفادي بعضهم وتعتق بعضهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد رضيت ففادى بعضهم واعتق
بعضهم فانزل الله ان الذين ينادونك من وراء الحجرات اكثرهم لا يعقلون وصفهم بالجهل وقلة العقل ولو انهم
صبروا حتى تخرج اليهم لكان خيرا لهم لانك كنت تعتقهم جميعا وتطلقهم بلا فداء والله غفور رحيم وقال قتادة نزلت
في ناس من اعراب بني تميم جاؤا الى النبي صلى الله عليه وسلم فنادوا على الباب اخرج الينا يا محمد فان مدحنا زين وذمنا شين
فقالوا نحن ناس من بني تميم جئنا بشاعرنا وخطيبنا نشاعرك ونفاخرك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بالشعر بعثت
ولا بالفخار امرت ولكن هاتوا فقام شاب منهم فذكر فضله وفضل قومه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لثابت بن قيس
بن شماس وكان خطيب النبي صلى الله عليه وسلم قم فاجبه فاجابه وقام شاعرهم فذكر ابياتا فقال رسول الله صلى الله عليه
لحسان بن ثابت اجبه فاجابه فقام الاقرع بن حابس فقال ان محمدا لمؤتى له تكلم خطيبنا فكان خطيبهم احسن قولا وتكلم
شاعرنا فكان شاعرهم اشعر واحسن قولا ثم دنا من النبي صلى الله عليه وسلم فقال اشهد ان لا اله الا الله وانك رسول
الله فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يضرك ما كان من قبل هذا ثم اعطاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
وكساهم وكان قد تخلف في ركابهم عمرو بن الاهتم لحداثة سنه فاعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اعطاهم فازرى
به بعضهم وارتفعت الاصوات وكثر اللغط عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل فيهم يا ايها الذين امنوا لا ترفعوا
اصواتكم فوق صوت النبي الايات الاربع الى قوله غفور رحيم وقال زيد بن ارقم جاء ناس من العرب الى النبي صلى الله عليه وسلم
فقال بعضهم لبعض انطلقوا بنا الى هذا الرجل فان يكن نبيا فنحن اسعد الناس به وان يكن ملكا نعش في جناحه فجاؤا فجعلوا
ينادون من وراء الحجرات يا محمد يا محمد فانزل الله ان الذين ينادونك الاية **فصل** في قوله اكثرهم وجوه احدها
ان العرب تذكر الاكثر وتريد الكل احترازا عن الكذب واحتياطا في الكلام لان الكل مما لا يحيط به علم الانسان في بعض الاشياء
فيقول الاكثر وفي اعتقاده الكل ثم ان الله تعالى مع احاطة علمه بالامور اتى بما يناسب كلامهم وفيه اشارة لطيفة وهي
ان الله تعالى يقول انا مع احاطة علمي بكل شيء جريت على عادتكم استحسانا لتلك العادة وهي الاحتراز عن الكذب فلا
تتركوها واجعلوا اختياري ذلك في كلامي دليلا قاطعا على رضاي بذلك منكم الثاني ان يكون المراد انهم في اكثر
احوالهم لا يعقلون وذلك ان الانسان اذا اعتبر مع وصف ثم اعتبر مع وصف اخر يكون المجموع الاول غير المجموع
الثاني مثاله اذا كان الانسان جاهلا او فقيرا فيصير عالما او غنيا فيقال في العرف زيد ليس هو الذي رايت من قبل بل
الان على احسن حال فيجعله كانه ليس ذلك اشارة الى ما ذكرنا اذا علم هذا فهم في بعض الاحوال اذا اعتبرتهم مع تلك
الحالة مغايرون لانفسهم اذا اعتبرتهم مع غيرها فقوله تعالى اكثرهم لا يعقلون اشارة الى ما ذكرنا الثالث لعل فيهم من
رجع عن ذلك الامر ومنهم من استمر على تلك العادة الردية فقال اكثرهم اخراجا لمن تقدم منهم عنهم **قوله تعالى** ولو انهم
صبروا تقدم مثله وجعله الزمخشري فاعلا لفعل مقدر اي ولو ثبت صبرهم وجعل اسم كان ضميرا عائدا على هذا
الفاعل وقد تقدم ان مذهب سيبويه انها في محل رفع بالابتداء وحينئذ يكون اسم كان ضميرا عائدا على صبرهم المفهوم
من الفعل **قوله تعالى** والله غفور رحيم يحتمل امرين احدهما غفور لسوء صنيعهم في التعجيل وثانيهما لحسن الصبر يعني
بسبب اتيانهم بما هو خير يغفر الله لهم سيئاتهم ويحتمل ان يكون ذلك حثا للنبي عليه السلام على الصفح وقوله اكثرهم
لا يعقلون كالعذر لهم **قوله تعالى** يا ايها الذين امنوا ان جاءكم فاسق بنبإ فتبينوا الاية قال المفسرون نزلت
في الوليد بن عقبة بن ابي معيط وهو اخو عثمان لامه بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بني المصطلق بعد الوقعة
وليا ومصدقا وكان بينهم وبينه عداوة في الجاهلية فلما سمع بالقوم تلقوه تعظيما لامر رسول الله صلى الله عليه
وسلم فحدثه الشيطان انهم يريدون قتله فهابهم فرجع من الطريق الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال انهم
منعوا صدقاتهم وارادوا قتلي فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم ان يغزوهم فبلغ القوم رجوعه فاتوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله سمعنا برسولك فخرجنا نتلقاه ونكرمه ونؤدي اليه ما قبلنا
من حق الله فبدا له في الرجوع فخشينا انه انما رده من الطريق كتاب جاءه منك لغضب غضبته علينا وانا نعوذ بالله
من غضبه وغضب رسوله فاتهمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعث خالد بن الوليد خفية في عسكر وقال
انظر فان رايت منهم ما يدل على ايمانهم فخذ منهم زكوة اموالهم وان لم تر ذلك فاستعمل فيهم ما يستعمل في الكفار
ففعل ذلك خالد ووافاهم فسمع منهم اذان صلاتي المغرب والعشاء فاخذ منهم صدقاتهم ولم ير منهم الا الطاعة
والخير وانصرف الى رسول الله صلى الله عليه وسلم واخبره الخبر فنزل يا ايها الذين امنوا ان جاءكم فاسق بنبإ يعني
الوليد بن عقبة بنبإ بخبر فتبينوا ان تصيبوا قوما كيلا تصيبوا بالقتل والقتال قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم
من اصابتكم بالخطإ نادمين قال ابن الخطيب وهذا ضعيف لان الله تعالى لم يقل اني انزلتها لكذا والنبي عليه السلام لم ينقل

عنه انه قال وردت الاية لبيان ذلك فحسب غاية ما في الباب انها نزلت في ذلك الوقت وهو مثل التاريخ لنزول
الاية ومما يصدق ذلك ويؤكده ان اطلاق لفظ الفاسق على الوليد بعيد لانه توهم وظن فاخطا والمخطئ لا يسمى
فاسقا فكيف والفاسق في اكثر المواضع المراد به من خرج عن ربقة الايمان كقوله تعالى ان الله لا يهدي القوم الفاسقين
وقوله تعالى ففسق عن امر ربه وقوله واما الذين فسقوا فماويهم النار كلما ارادوا ان يخرجوا منها اعيدوا فيها الى
غير ذلك **فصل** دلت الاية على ان خبر الواحد حجة وشهادة الفاسق لا تقبل اما في المسئلة الاولى فلانه علل
الامر بالتوقف بكونه فاسقا ولو كان خبر الواحد العدل لا يقبل لما كان للترتيب على الفسق فائدة واما في المسئلة الثانية
فلوجهين احدهما انه امر بالتبين وقيل قوله كان الحاكم مامورا بالتبين فلم يفد قول الفاسق شيئا ثم ان الله تعالى
امر بالتبين في الخبر والنبإ وباب الشهادة اضيق من باب الخبر الثاني انه تعالى قال ان تصيبوا قوما بجهالة والجهل فوق
الخطإ لان المجتهد اذا اخطأ لا يسمى جاهلا فالذي يبني الحكم على قول الفاسق ان لم يصب جاهلا فلا يجوز البناء على
قوله **قوله تعالى** ان تصيبوا مفعول له كقوله ان تحبط قال ابن الخطيب معناه على مذهب الكوفيين لئلا تصيبوا وعلى مذهب
البصريين كراهة ان تصيبوا قال ويحتمل ان يكون المراد فتبينوا واتقوا ان تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين
فقوله بجهالة في تقدير حال اي تصيبوهم جاهلين ثم حقق ذلك بقوله فتصبحوا على ما فعلتم نادمين وهذا بيان لان
الجاهل لابد وان يندم على فعله وقوله فتصبحوا معناه فتصيروا وقال النحاة اصبح يستعمل على ثلاثة اوجه احدها بمعنى دخول
الانسان في الصباح والثاني بمعنى كان الامر وقت الصباح كما يقال اصبح المريض اليوم خيرا مما كان يريد كونه في وقت الصبح
على حالة خير الثالث بمعنى صار كقولك اصبح زيد غنيا اي صار من غير ارادة وقت دون وقت وهذا هو المراد من هذه
الاية وكذلك امسى واضحى قال ابن الخطيب والصيرورة قد تكون من ابتداء امر ودوام وقد تكون في اخر الامر بمعنى ال الامر اليه
وقد تكون متوسطة فمثال الاول قولك صار الطفل فاهما اي اخذ فيه وهو في الزيادة ومثال الثاني قولك صار الحق
بينا واجبا اي انتهى حده ومثال الثالث قولك صار زيد عالما اذا لم يرد اخذه فيه ولا بلوغه نهايته بل كونه متلبسا به واذا
علم هذا فنقول اصل استعمال اصبح فيما يصير الشيء اخذا في وصف ومبتديا في امر واصل امسى فيما يصير الشيء بالغا
في الوصف نهايته واصل اضحى التوسط لا يقال اهل الاستعمال لا يفرقون بين الامور ويستعملون الالفاظ الثلاثة
بمعنى واحد لانا نقول اذا تقاربت المعاني جاز الاستعمال وجواز الاستعمال لا ينافي الاصل وكثير من الالفاظ اصله معنى
واستعمل استعمالا شائعا فيما يشاركه واذا علم هذا فقوله تعالى فتصبحوا اي فتصيروا اخذين في الندم ثم تستديمونه
وكذلك في قوله فاصبحتم بنعمته اخوانا اي اخذتم في الاخوة وانتم فيها زائدون مستمرون **قوله تعالى** نادمين الندم
هم دائم والنون والدال والميم في تقلبها لا ينفك عن معنى الدوام كقول القائل ادمن في الشرب ومدمن اي اقام ومنه المدينة
قوله تعالى واعلموا ان فيكم رسول الله فاتقوا الله ان تقولوا باطلا او تكذبوه فان الله يخبره ويعرفه احوالكم فتفتضحوا
قوله تعالى لو يطيعكم يجوز ان يكون حالا اما من الضمير المجرور في قوله فيكم واما من المرفوع المستتر في فيكم لوقوعه خبرا
ويجوز ان يكون مستانفا الا ان الزمخشري منع هذا لادائه الى تنافر النظم ولا يظهر ما قاله بل الاستيناف واضح
ايضا واتى بالمضارع بعد لو دلالة على انه كان في ارادتهم استمرار عمله على ما يستصوبون **فصل** نقل ابن الخطيب
ان الزمخشري قال وجه التعليق هو ان قوله لو يطيعكم في تقدير حال الضمير المرفوع في قوله فيكم والتقدير كائن فيكم او موجود
فيكم على حال تريدون ان يطيعكم او يفعل باستصوابكم فلا ينبغي ان يكون على تلك الحال لو فعل ذلك لعنتم اي وقعتم
في شدة او اثم وهلكتم والعنت الاثم والهلاك ثم قال ولكن الله حبب اليكم الايمان وهذا خطاب مع بعض المؤمنين
غير المخاطبين بقوله لو يطيعكم قال الزمخشري اكتفى بالتغاير في الصفة واختصر ولم يقل حبب الى بعضكم الايمان
وقال ايضا بان قوله تعالى لو يطيعكم بدل اطاعكم اشارة الى انهم كانوا يريدون استمرار تلك الحالة ودوام النبي
عليه السلام على العمل باستصوابهم لكن يكون ما بعدها على خلاف ما قبلها وههنا كذلك وان لم تحصل المخالفة بصريح
اللفظ لان اختلاف المخاطبين في الوصف يدلنا على ذلك لان المخاطبين اولا بقوله لو يطيعكم هم الذين ارادوا ان يكون
عملهم لمراد النبي عليه السلام هذا ما قاله الزمخشري واختاره وهو حسن قال والذي يجوز ان يقال وكانه هو الاقوى
ان الله تعالى قال ان جاءكم فاسق بنبإ فتبينوا واكشفوا ثم قال بعده واعلموا ان فيكم رسول الله اي الكشف سهل عليكم
بالرجوع الى النبي عليه السلام فانه فيكم مبين مرشد وهذا كما يقول القائل عند اختلاف تلاميذ الشيخ في مسئلة هذا الشيخ
قاعد لا يريد به بيان قعوده وانما يريد امرهم بمراجعته لان المراد انه لا يطيعكم في كثير من الامر وذلك لان الشيخ اذا كان
يعتمد على قول التلاميذ لا يطمئن قلوبهم بالرجوع اليه واذا كان لا يذكر الا النقل الصحيح ويقرره بالدليل القوي يراجعه
كل احد فكذلك ههنا فاسترشدوه فانه يعلم ولا يطيع احدا فلا يوجد فيه حيف ولا يروج عليه زيف والذي يدل على ان المراد

من قوله لو يطيعكم في كثير من الامر لعنتم لبيان امتناع الشرط لامتناع الجزاء كما في قوله تعالى لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا وقوله ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا وذلك يدل على انه ليس فيهما الهة وانه ليس من عند غير الله **قوله** ولكن الله حبب اليكم الايمان هذا استدراك من حيث المعنى لا من حيث اللفظ لان من حبب اليه الايمان غايرت صفته صفة من تقدم ذكره **فصل** حبب اليكم الايمان فجعله احب الاديان اليكم وزينه وحسنه في قلوبكم حتى اخترتموه وتطيعون رسول الله صلى الله عليه وسلم وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان قال ابن عباس يريد الكذب والعصيان جميع معاصي الله ثم عاد من الخطاب الى الخبر فقال اولئك هم الراشدون **فصل** قال ابن الخطيب بعد ذكره الكلام المتقدم وهذا معنى الاية جملة فلنذكره تفصيلا في مسائل المسئلة الاولى لو قال قائل اذا كان المراد بقوله واعلموا ان فيكم رسول الله الرجوع اليه فلم لم يصرح بقوله فتبينوا وراجعوا النبي عليه السلام وما الفائدة في العدول الى هذا المجاز نقول فائدته زيادة التاكيد لان قول القائل في المثال المتقدم هذا الشيخ قاعد اكد في وجوب المراجعة من قوله راجعوا شيخكم لان القائل يجعل وجوب مراجعته متفقا عليه ويجعل سبب عدم الرجوع عدم علمهم بقعوده فكانه يقول انكم لا تشكون في ان الكاشف هو الشيخ وان الواجب مراجعته لكنكم لا تعلمون قعوده فهو قاعد فيجعل المراجعة اظهر من القعود لانه يقول اخفي عليكم قعوده فتركتم مراجعته ولا يخفى عليكم حسن مراجعته فيجعل حسن المراجعة اظهر من الامر الخفي بخلاف ما لو قال راجعوه لانه حينئذ يكون قائلا بانكم ما علمتم ان مراجعته هو الطريق ويبقى الكلام في بون بعيد فلذلك قوله تعالى واعلموا ان فيكم يجعل حسن مراجعته اظهر من كونه فيهم حيث ترك بيانه واخذ في بيان كونه فيهم وهذا من المعاني العزيزة التي توجد في المجازات ولا توجد في الصرايح فان قيل اذا كان المراد من قوله لو يطيعكم بيان كونه غير مطيع لاحد بل هو متبع للوحي فلم لم يصرح به نقول بيان نفي الشيء مع بيان دليله اتم من بيانه من غير دليل والجملة الشرطية بيان للنفي مع بيان دليله فان قوله ليس فيهما الهة الا الله لفسدتا فكذلك ههنا ومنكر لو قال لا يطيعكم لقال القائل لم لا يطيع وهو احب من ان يقال لو اطاعكم لاطاعكم لاجل قلبكم ومصلحة انصاركم لكن لا مصلحة لكم فيه لانكم تعنتون وتاثمون وهو يشق عليكم عنتكم كما قال تعالى عزيز عليه ما عنتم فاذا اطاعكم لا يفيده شيئا فلا يطيعكم فهذا نفي الطاعة بالدليل وبين نفي الشيء بدليل ونفيه من غير دليل فرق عظيم واعلم ان في قوله في كثير من الامر ليعلم انه قد يوافقهم ويفعل بمقتضى مصلحتهم تحقيقا لفائدة قوله وشاورهم في الامر فان قيل اذا كان المراد بقوله تعالى ولكن الله حبب اليكم الايمان فلا تتوقفوا فلم لم يصرح به قلنا لما بيناه من الاشارة الى ظهور الامر يعني انتم تعلمون ان اليقيني لا توقف فيه اذ ليس بعده مرتبة حتى يتوقف الى بلوغ الامر الى تلك المرتبة بخلاف الشك فانه يتوقف الى بلوغ الامر الى درجة الظن ثم الظن يتوقف الى بلوغ درجة اليقين فلما كان عدم التوقف في النفس معلوما متفقا عليه لم يقل فلا تتوقفوا بل قال حبب اليكم الايمان اي بينه وزينه بالبرهان اليقيني **فصل** قال ابن الخطيب معنى حبب اليكم اي قربه اليكم وادخله في قلوبكم ثم زينه فيها بحيث لا تفارقونه ولا يخرج من قلوبكم وذلك لان من يحب شيئا فقد يسأم منه لطول ملازمته والايمان كل يوم يزداد حسنا فكل من كانت عبادته اكثر وتحمله مشاق التكليف اتم يكون العبادة والتكاليف عنده الذ واكمل ولهذا قال اولا حبب اليكم الايمان وقال ثانيا وزينه في قلوبكم كانه قربه اليهم ثم اقامه في قلوبهم **قوله تعالى** وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان قال ابن الخطيب هذه الامور الثلاثة في مقابلة الايمان الكامل لان الايمان الكامل المزين هو التصديق بالجنان والاقرار باللسان والعمل بالاركان فقوله كره اليكم الكفر وهو التكذيب وهو في مقابلة التصديق بالجنان واما الفسوق فقيل هو الكذب كما تقدم عن ابن عباس وقال تعالى ان جاءكم فاسق بنبأ فسمى الكاذب فاسقا وقال تعالى ان جاءكم فاسق وقال تعالى بئس الاسم الفسوق بعد الايمان فدل على ان الاسم امر قولي لاقترانه بالاسم وقيل الفسوق الخروج عن الطاعة لقولهم فسقت الرطبة اذا خرجت واما العصيان فهو ترك المامور به وقال بعضهم الكفر ظاهر والفسوق هو الكبيرة والعصيان هو الصغيرة **قوله تعالى** فضلا يجوز ان ينتصب على المفعول من اجله وفي ناصبه وجهان احدهما قوله ولكن الله حبب اليكم وعلى هذا فما بينهما اعتراض من قوله اولئك هم الراشدون والثاني انه الفعل الذي في قوله الراشدون وعلى هذا يقال فكيف جاز ان يكون فضل الله الذي هو فعل الله مفعولا له بالنسبة الى الرشد الذي هو فعل العبد فاختلف الفاعل لان فاعل الرشد غير فاعل الفضل واجاب الزمخشري بان الرشد لما كان توفيقا من الله كان فعل الله فكانه تعالى ارشدهم فضلا اي يكون متفضلا عليهم منعما في حقهم لان الرشد عبارة عن التحبيب والتزيين والتكريه ويجوز ايضا ان ينتصب بفعل مقدر اي جرى ذلك وكان ذلك فضلا من الله قال ابو حيان وليس من مواضع اضمار كان وجعل كلامه الاول اعتزاليا وليس كذلك لان اسناد الفعل المسند الى فاعله لفظا والافعال حقيق ان الافعال كلها مخلوقة لله تعالى وان كان الزمخشري غير موافق عليه ويجوز ان ينتصب على المصدر المؤكد لمضمون الجملة السابقة

لانها

لانها فضل ايضا الا ان ابن عطية جعله من المصدر المؤكد لنفسه وجوز الحوفي ان ينتصب على الحال وليس بظاهر ويكون التقدير متفضلا منعما او ذا فضل ونعمة قال ابن الخطيب ويجوز ان يكون فضلا مفعولا به والفعل مضمر دل عليه قوله تعالى اولئك هم الراشدون اي هم يبتغون فضلا من الله ونعمة قال لان قوله فضلا من الله اشارة الى ما هو من جانب الله الغني والنعمة اشارة الى ما هو من جانب العبد من اندفاع الحاجة وهذا يؤكد قولنا ان ينتصب فضلا بفعل مضمر وهو الابتغاء والطلب ثم قال والله عليم حكيم وفيه مناسبات منها انه تعالى لما ذكر نبأ الفاسق قال فلا تعتمدوا على ترويجه عليكم الزور فان الله عليم ولا تقل كقول المنافق لولا يعذبنا الله بما نقول فان الله حكيم لا يفعل الا على وفق حكمته وثانيها لما قال تعالى واعلموا ان فيكم رسول الله لو يطيعكم يعني لا يطيعكم بل يتبع الوحي فان الله عليم يعلم من يكذبه حكيم يامره بما تقتضيه الحكمة **قوله تعالى** وان طائفتان من المومنين اقتتلوا الاية لما حذر المومنين من النبأ الصادر من الفاسق اشار الى ما يلزم منه استدراكا لما يفوت فقال فان اتفق انكم تبنون على قول من يوقع بينكم وبين الامر المفضي الى اقتتال طائفتين من المومنين فاصلحوا بينهما فان بغت احديهما على الاخرى فقاتلوا التي تبغي اي الظالم يجب عليكم دفعه ثم ان الظالم ان كان هو الرعية فالواجب على الامير دفعهم وان كان هو الامير فالواجب على المسلمين دفعه بالنصيحة فما فوقها وشرطها ان لا تثير فتنة مثل التي في اقتتال الطائفتين او اشد منها **فصل** الضمير في قوله اقتتلوا عائد على افراد الطائفتين كقوله هذان خصمان اختصموا والضمير في قوله بينهما عائد على اللفظ وقرا ابن ابي عبلة اقتتلتا مراعيا للفظ وزيد بن علي وعبيد بن عمير اقتتلا ايضا الا انه ذكر الفعل باعتبار الفريقين او لانه تانيث مجازي **فصل** روي انس قيل للنبي لو اتيت عبد الله بن ابي فانطلق اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وركب حمارا فانطلق المسلمون يمشون معه وهو بارض سبخة فلما اتاه النبي صلى الله عليه وسلم فقال اليك عني فوالله لقد اذاني نتن حمارك فقال رجل من الانصار منهم والله لحمار رسول الله صلى الله عليه وسلم اطيب ريحا منك فغضب لعبد الله رجل من قومه فتشاتما فغضب لكل واحد منهما اصحابه فكان بينهما ضرب بالجريد والايدي والنعال فنزلت وان طائفتان من المومنين اقتتلوا الاية فقراها رسول الله صلى الله عليه وسلم فاصطلحوا وكف بعضهم عن بعض وقال قتادة نزلت في رجلين من الانصار كان بينهما مداراة في حق فقال احدهما للاخر لاخذن حقي منك عنوة لكثرة عشيرته وان الاخر دعاه ليحاكمه الى النبي صلى الله عليه وسلم فابى ان يتبعه فلم يزل الامر بينهما حتى تدافعوا وتناول بعضهم بعضا بالايدي والنعال وان لم يكن قتال بالسيوف وقال سفين عن السدي كانت امراة من الانصار يقال لها ام زيد تحت رجل وكان بينها وبين زوجها شيء فرقي بها الى علية وحبسها فبلغ ذلك قومها فجاؤا وجاء قومه فاقتتلوا بالايدي والنعال فانزل الله عز وجل وان طائفتان من المومنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما اي بالدعاء الى حكم كتاب الله والرضا بما فيه لهما وعليهما **فصل** قوله ان طائفتان اشارة الى ندرة وقوع الاقتتال بين طوائف المسلمين فان قيل فنحن نرى كثرة الاقتتال في طوائفهم فالجواب ان قوله تعالى ان اشارة الى انه ينبغي ان لا يقع الا نادرا فغاية ما في الباب ان الامر على خلاف ما ينبغي وكذلك ان جاءكم فاسق اشارة الى ان مجيء الفاسق بالنبأ ينبغي ان لا يقع الا قليلا مع ان مجيء الفاسق بالنبأ كثير وذلك لان قول الفاسق صار عند اولي الامر اشد قبولا من قول الصادق الصالح وقال وان طائفتان ولم يقل فرقتان تحقيقا للمعنى الذي ذكرناه وهو التقليل لان الطائفة دون الفرقة قال تعالى فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة **فصل** قال من المومنين ولم يقل منكم مع ان الخطاب مع المومنين سبق في قوله تعالى يا ايها الذين امنوا ان جاءكم فاسق بنبأ تنبيها على قبح ذلك وتبعيدا لهم عنه كقول السيد لعبده ان رايت احدا من غلماني يفعل كذا فامنعه فيصير بذلك مانعا للمخاطب عن ذلك الفعل بالطريق الحسن كانه يقول انت حاشاك ان تفعل فان فعل غيرك فامنعه كذلك ههنا **فصل** قال وان طائفتان من المومنين مع ان كلمة ان اتصالها بالفعل اولى وذلك لتكون الابتداء بما يمنع من القبيح فيتاكد معنى النكرة المدلول عليها بكلمة ان وذلك لان كونهما طائفتين يقتضي ان لا يقع القتال بينهما فان قيل فلم لم يقل يا ايها الذين امنوا ان فاسق جاءكم او ان احد من الفساق جاءكم ليكون الابتداء بما يمنعهم من الاصغاء الى كلامه وهو كونه فاسقا او يزداد بسببه فسقه بالمجيء به بسبب الفسق فالجواب ان الاقتتال لا يقع سببا للايمان ولا للزيادة فقال ان جاءكم فاسق اي سواء كان فاسقا اولا وجاءكم بالنبأ فصار فاسقا به ولو قال ان احد من الفساق جاءكم لم يفد ان الاشهر الفسق قبل المجيء اذا جاءهم بالنبأ **فصل** قال تعالى اقتتلوا ولم يقل يقتتلوا لان صيغة الاستقبال ينبئ عن الدوام والاستمرار فيفهم منه ان طائفتين من المومنين ان تمادى الاقتتال بينهما فاصلحوا وهذا لان صيغة المستقبل ينبئ عن ذلك يقال فلان يتهجد ويصوم **فصل** قال اقتتلوا ولم يقل اقتتلا وقال فاصلحوا بينهما ولم يقل بينهم لان الفتنة قائمة عند الاقتتال وكل احد برايه يكون فاعلا فعلا فقال اقتتلوا وعند الصلح تتفق كلمة كل طائفة والا لم يتحقق الصلح فقال بينهما لكون الطائفتين حينئذ كنفسين **قوله تعالى**

فان بغت احديهما على الاخرى وابت الاجابة الى حكم كتاب الله وقيل الطاعة الرسول واولي الامر وقيل الى الصلح لقوله تعالى
واصلحوا ذات بينكم وقيل الى التقوى لان من خاف الله حق الخوف لا يبقى عدوا الا الشيطان لقوله ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه
عدوا فان قيل كيف يصح في هذا الموضع كلمة ان مع انها تستعمل في الشرط الذي لا يتوقع وقوعه وبغي احديهما عند الاقتتال
متحقق الوقوع فيكون مثل قول القائل ان طلعت الشمس فالجواب ان فيه معنى لطيف وهو ان الله تعالى يقول الاقتتال بين طائفتين
لا يكون الا نادر الوقوع لان كل طائفة تظن ان الاخرى فيه الكفر والفساد كما يتفق في المباني المظلمة او يقع لكل طائفة ان القتال
جائز باجتهاد خطا فقال تعالى الاقتتال لا يقع الا كذا فان بان لهما او لاحدهما الخطا واستمر عليه فهو نادر وعند ذلك يكون
قد بغي فقال فان بغت يعني بعد انكشاف الامر وهذا يفيد الندرة وقلة الوقوع فان قيل لم قال فان بغت ولم يقل فان تبغ
فالجواب ما تقدم في قوله تعالى اقتتلوا ولم يقل تقتتلوا **قوله تعالى** حتى تفيء العامة على همزة تفيء من فاء يفيء اي رجع
كجاء يجيء والزهري بياء مفتوحة كمضارع وفا وهذا على لغة من يقصر فتقول جا يجي دون همزة وحينئذ فتح الياء
لانها صارت حرف الاعراب **فصل** المعنى حتى تفيء الى امر الله في كتابه وهذا اشارة الى ان القتال جزاء للباغي كحد الشرب
الذي يقام وان ترك الشرب بل القتال الى حد الفيئة فان فاءت الفئة الباغية حرم قتالهم وهذا يدل على جواز قتال الصائل
لان القتال لما كان للفيئة فاذا حصلت لم يوجد المعنى الذي لاجله حل القتال وفيه دليل ايضا على ان المومن لا يخرج من الايمان
بفعل الكبيرة لان الباغي من احد الطائفتين وقد سماهما مومنين **قوله تعالى** فان فاءت اي رجعت الى الحق فان قيل قد تقدم
ان ان تدل على كون الشرط غير متوقع الوقوع وقلتم بان البغي من المومن نادر فاذا تكون الفيئة متوقعة فكيف قال فان فاءت
فالجواب هذا كقول القائل لعبده ان مت فانت حر مع ان الموت لا بد من وقوعه لكن لما كان وقوعه بحيث يكون العبد محلا
للعتق بان يكون باقيا في ملكه حيا يعيش بعده وقت غير معلوم فكذلك ههنا لما كان المتوقع تنبههم من تلقاء انفسهم
لما لم يقع دل على تاكيد الامر بينهم فقال تعالى فان فاءت اي بعد اشتداد الامر والتحام القتال فاصلحوا وفيه اشارة الى ان من لم
يخف الله وبغي يكون رجوعه بعيدا **قوله تعالى** فاصلحوا بينهما بالعدل احملوهما على الانصاف والرضى بحكم الله واقسطوا اعدلوا
ان الله يحب المقسطين فان قيل لم قال ههنا فاصلحوا بينهما بالعدل ولم يذكر العدل في قوله وان طائفتان من المومنين اقتتلوا
فاصلحوا بينهما فالجواب ان الاصلاح هناك بازالة الاقتتال نفسه وذلك يكون بالنصيحة وبالتهديد والزجر
والتعذيب والاصلاح ههنا بازالة اثار الاقتتال بعد ارتفاعه من ضمان المتلفات وهو حكم فقال بالعدل فكانه قال
فاحكموا بينهما بعد تركهما القتال بالحق واصلحوا بالعدل فيما يكون بينهما لئلا يؤدي الى ثوران الفتنة بينهما مرة اخرى
فان قيل لما قال فاصلحوا بينهما بالعدل فاية فايدة في قوله واقسطوا فالجواب ان قوله فاصلحوا بينهما كان فيه تخصيصا
بحال الاقتتال فعمم الامر بالعدل وقال فاقسطوا اي في كل امر فانه مفض الى اشرف درجة وارفع منزلة وهي محبة الله تعالى
والاقساط ازالة القسط وهو الجور والقاسط هو الجائر **قوله تعالى** انما المومنون اخوة اي في الدين والولاية قال بعض
اهل اللغة الاخوة جمع الاخ من النسب والاخوان جمع الاخ من الصداقة والله تعالى قال انما المومنون اخوة تاكيدا للامر
واشارة الى ان ما بينهم الاخوة من الاسلام والنسب لهم كالاب قال قائلهم ابي الاسلام لا اب لي سواه اذا افتخروا بقيس او تميم
قوله تعالى بين اخويكم العامة على التثنية وزيد بن ثابت وعبد الله والحسن وحماد بن سلمة وابن سيرين اخوانكم جمعا
على فعلان وقد تقدم ان الاخوان تغلب في الصداقة والاخوة في النسب وقد تنعكس كهذه الاية وروي عن ابي عمرو
وحماد اخوتكم بالتاء من فوق وقد روي عن ابي عمرو ايضا القراآت الثلاث **فصل** المعنى واتقوا الله
فلا تعصوه ولا تخالفوا امره لعلكم ترحمون قال عليه السلام المسلم اخو المسلم لا يظلمه ولا يشتمه من كان في حاجة اخيه
كان الله في حاجته ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه بها كربة من كرب يوم القيمة ومن ستر مسلما ستره الله يوم القيمة
فان قيل عند اصلاح الفريقين والطائفتين لم يقل اتقوا وقال ههنا اتقوا مع ان ذلك اهم فالجواب ان
الاقتتال بين طائفتين يفضي الى ان تعم المفسدة ويلحق كل مومن منها شيء وكل يسعى في الاصلاح لامر نفسه فلم يؤكد
بالامر بالتقوى واما عند تخاصم رجلين لا يخاف الناس ذلك وربما يريد بعضهم تاكد الخصام بين الخصوم لغرض
فاسد فقال فاصلحوا بين اخويكم واتقوا الله ويقال قوله اصلحوا اشارة الى الاصلاح وقوله واتقوا الله اشارة الى ما يصونهم
عن المشاجرة واذا قيل لاخ لانه ان اتقى الله شغله تقواه عن الاشتغال بغيره قال عليه السلام من سلم الناس من لسانه ويده
فالمسلم يكون مقبلا على عبادة الله مشتغلا بعيبه عن عيوب الناس **فصل** في هاتين الايتين دليل على ان البغي
لا يزيل اسم الايمان لان الله تعالى سماهم اخوة مومنين مع كونهم باغين ويدل عليه ما روي الحرث الاعور ان علي بن ابي طالب
رضي الله عنه سيل وهو القدوة في قتال اهل البغي عن اهل الجمل وصفين امشركون هم فقال لا من الشرك فروا فقيل امنافقون
فقال لا ان المنافقين لا يذكرون الله الا قليلا فقيل فما حالهم قال اخواننا بغوا علينا والباغي في الشرع هو الخارج على امام

العدل فاذا اجتمعت طائفة لهم قوة ومنعة فامتنعوا عن طاعة امام العدل بتاويل محتمل ونصبوا اماما فالحكم فيهم
ان يبعث الامام اليهم ويدعوهم الى طاعته فان اظهروا مظلمة ازالها عنهم وان لم يذكروا مظلمة واصروا على بغيهم قاتلهم
الامام حتى يفيئوا الى طاعته وحكم قتالهم مذكور في كتب الفقه **فصل** انما للحصر اي لا اخوة الا بين المومنين
بل لا اخوة بين المومن والكافر ولهذا اذا مات المسلم وله اخ كافر يكون ماله للمسلمين ولا يكون لاخيه الكافر وكذلك الكافر
لان في النسب المعتبر الاب الشرعي حتى ان ولدي الزنا من رجل واحد لا يتوارثان فكذلك الكفر لان الجامع الفاسد لا يفيد
الاخوة ولهذا من مات من الكفار وله اخ مسلم ولا وارث له من النسب لا يجعل ماله للكفار ولو كان الدين يجمعهم لورثه
ومال المسلم للمسلمين عند عدم الوارث فان قيل اذا ثبت اخوة الاسلام اقوى من اخوة النسب بدليل ان المسلم يرثه المسلمون
اذا لم يكن له اخوة نسبية ولا يرثه الاخ الكافر من النسب فلم لا تقدمون الاخوة الاسلامية على الاخوة النسبية مطلقا حتى
يكون مال المسلم للمسلمين لا لاخوته من النسب فالجواب ان الاخ المسلم اذا كان اخا من النسب فقد اجتمع فيه اخوتان فصار اقوى
والعصوبة لمن له القوة الا ترى ان الاخ من الابوين يقدم على الاخ من الاب لانه اجتمع فيه اخوتان نصا واقوى **فصل**
قال النحاة ههنا ما كافة تكف ان عن العمل ولولا ذلك لقيل انما المومنين اخوة وفي قوله تعالى فبما رحمة من الله لنت لهم
وقوله عما قليل ليست كافة قال ابن الخطيب والسؤال الاقوى ان رب من حروف الجر والباء وعن كذلك وما في ربما كافة
وفي عما وبما ليست كافة والتحقيق فيه هو ان الكلام بعد ربما وانما يكون تاما ويمكن جعله مستقلا ولو حذفت ربما
وقلت زيد في الدار وقام الامير لصح وكذلك في انما ولكنما واما عما وبما فليس كذلك لانه في قوله تعالى فبما رحمة
من الله لنت لهم لو حذفت بما وقلت رحمة من الله لنت لهم لما كان كلاما فالباء
متعلقة بما يحتاج اليها فهي باقية حقيقة وكذلك عما واما ربما لما استغني عنها فكانها لم تبق حكما ولا عمل للمعدوم فان قيل
ان اذا لم تكف بما فما بعده كلام تام فوجب ان لا يكون لها عمل تقول ان زيدا قائم ولو قلت زيد قائم لكفى وتم تقول ليس
كذلك لان ما بعد ان يجوز ان يكون نكرة تقول ان رجلا جاءني واخبرني بكذا وتقول جاءني رجل واخبرني ولا يحسن ان تقول
رجل جاءني كما لو لم يكن هناك ان وكذلك القول في ليتما لو حذفتهما واقتصرت على ما بعدها لا يكون تاما فلم تكف وتقدم
الكلام في لعل مرارا **قوله تعالى** يا ايها الذين امنوا لا يسخر قوم من قوم الاية تقدم الخلاف في قوم وجعله الزمخشري
ههنا جمعا لقائم قال كصوم وزور جمع صائم وزائر وفعل ليس من ابنية التكسير الا عند الاخفش نحو ركب وصحب والسخرية هي
ان لا ينظر الانسان الى اخيه بعين الاجلال ولا يلتفت اليه ويسقطه عن درجته وحينئذ لا يذكر ما فيه من المعايب ومعنى
الاية لا تحقروا اخوانكم ولا تستصغروهم **فصل** قال ابن عباس نزلت في ثابت بن قيس بن شماس كان في اذنه
وقر فكان اذا اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد سبقوه بالمجلس وسعوا له حتى يجلس الى جنبه فيسمع ما يقول فاقبل
ذات يوم وقد فاتته ركعة من صلوة الفجر فلما انصرف النبي صلى الله عليه وسلم وقد سبقوه من الصلوة اخذ اصحابه
مجالسهم فضن كل رجل بمجلسه فلا يكاد يوسع لاحد فكان اذا جاء فلم يجد مجلسا قام قائما فلما فرغ ثابت من الصلوة اقبل
نحو رسول الله صلى الله عليه وسلم يتخطى رقاب الناس تفسحوا تفسحوا فجعلوا يتفسحون حتى انتهى الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم وبينه وبينه رجل فقال له تفسح فقال له الرجل قد اصبت مجلسا فاجلس فجلس ثابت خلفه مغضبا فلما
انجلت الظلمة غمز ثابت الرجل فقال من هذا فقال انا فلان فقال له ثابت ابن فلانة ذكر اما له كان يعير بها في الجاهلية
فنكس الرجل راسه فاستحيا فانزل الله هذه الاية وقال الضحاك نزلت في وفد تميم كانوا يستهزؤن بفقراء اصحاب النبي صلى
الله عليه وسلم مثل عمار وخباب وبلال وصهيب وسلمان وسالم مولى حذيفة لما راوا من رثاثة حالهم **قوله تعالى** عسى
ان يكونوا خيرا منهم قرا ابي وعبد الله عسوا وعسين جعلاها ناقصة وهي لغة تميم وقراءة العامة لغة الحجاز **قوله تعالى**
ولا نساء من نساء عسى ان يكن خيرا منهن روي انها نزلت في نساء النبي صلى الله عليه وسلم عيرن ام سلمة بالقصر وروي
عكرمة عن ابن عباس انها نزلت في صفية بنت حيي بن اخطب قال لها النساء يهودية بنت يهوديين **قوله تعالى** ولا تلمزوا
انفسكم اي لا يعب بعضكم على بعض قرا الحسن والاعرج ولا تلمزوا بالضم واللمز بالقول وغيره والهمز باللسان
فقط **قوله تعالى** ولا تنابزوا بالالقاب التنابز تفاعل من النبز وهو التداعي بالنبز والنزب وهو مقلوب منه لقلة
هذا وكثرة ذاك ويقال تنابزوا وتنازبوا اذا دعى بعضهم بعضا بلقب سوء واصله من الرفع كان النبز يرفع صاحبه
فيشاهدوا للعيب ما اشعر بضعة المسمى كقفة وبطة او رفعته كالصديق وعتيق والفاروق واسد الله واسد رسوله
ولمع الاسم والكنية اذا اجتمعن احكام مذكورة في كتب النحو واصل تنابزوا تتنابزوا واسقطت احدى التائين كما
سقط في الاستفهام احدى الهمزتين فقال سواء عليهم ءانذرتهم والحذف ههنا اولى لان تاء الخطاب وتاء التفاعل
حرفان من جنس واحد في كلمة وهمزة الاستفهام كلمة براسها وانذرتهم اخرى واحتمال حرفين في كلمتين اسهل من احتماله

في كل واحد فصل ذكروا في الآية أمورا ثلاثة مرتبة بعضها دون بعض وهي السخرية واللمز والنبز
فالسخرية الاحتقار والاستصغار واللمز ذكر الرجل في غيبته بعيب وهذا دون الأول لأن من لم يلتفت إليه وإنما جعله
مثل المسخرة الذي لا يغضب له ولا عليه وهذا جعل فيه شيئا مما يعابه به والنبز دون الثاني لأنه يصفه بوصف ثابت فيه
ينقصه به ويحط منزلته والنبز مجرد التسمية وإن لم يكن فيه لأن اللقب الحسن والاسم المستحسن إذا وضع لواحد وعلق
عليه لا يكون معناه موجودا فإن من سمي سعدا أو سعيدا قد لا يكون كذلك وكذلك من لقب إمام الدين وحسام الدين
لا يفهم منه أنه كذلك وإنما هو علامة وكذلك النبز فإن من سمي مروان الحمار لم يكن كذلك وإنما ذلك سمة وعلامة
ولا يكون اللفظ مرادا إذا لم يرد وصفه به كما أن الأعلام كذلك فكأنه تعالى قال لا تتكبروا فتستحقروا إخوانكم بحيث
لا تلتفتوا إليهم أصلا وإذا نزلتم عن هذا فلا تعيبوهم طالبين حط درجتهم وإذا لم تعيبوهم ولم تصفوهم بما
يسوءهم فلا تسموهم بما يكرهونه فصل قال ابن الخطيب القوم اسم يقع على جمع من الرجال ولا يقع
على النساء ولا على الأطفال لأنه جمع قائم والقائم بالأمور هو الرجال وعلى هذا ففي إفراد الرجال والنساء فائدة وهي
أن عدم الالتفات والاستحقار إنما يصدر في أكثر الأمر من الرجال بالنسبة إلى الرجال لأن المرأة في نفسها ضعيفة قال
عليه السلام النساء لحم على وضم فالمرأة لا يوجد منها استحقار الرجل لأنها مضطرة إليه في دفع حوائجها وأما الرجال
بالنسبة إلى الرجال والنساء بالنسبة إلى النساء فإنه يوجد فيهم ذلك فصل في قوله عسى أن يكونوا خيرا منهم
حكمة وهي أنهم إذا وجد منهم التكبر المفضي إلى إحباط الأعمال وجعل نفسه خيرا منهم كما فعل إبليس حيث لم يلتفت إلى
آدم وقال أنا خير منه فصار هو خيرا منه ويحتمل أن يكون المراد بقوله يكونوا أي يصيروا فإن من استحقر إنسانا
لفقره أو ضعفه لا يأمن أن يفتقر هو ويستغني الفقير ويضعف هو ويقوى الضعيف فصل في قوله ولا
تلمزوا أنفسكم وجهان أحدهما أن عيب الأخ عائد إلى الأخ فإذا أعابه فكأنه أعاب نفسه والثاني أنه إذا أعابه وهو
لا يخلو من عيب فيعيبه به المعاب فيكون هو بعيبه حاملا للغير على عيبه فكأنه هو المعايب نفسه ونظيره قوله تعالى
ولا تقتلوا أنفسكم ويحتمل أن يقال لا تعيبوا أنفسكم أي كل واحد منكم لعيب فإنكم إن فعلتم فقد عبتم أنفسكم أي كل واحد
عاب كل واحد فصرتم عائبين من وجه معيبين من وجه وهذا الوجه ههنا ظاهر ولا كذلك في قوله ولا تقتلوا أنفسكم
فصل قال ولا تنابزوا ولم يقل ولا تنبزوا لأن اللماز إذا لمز فالملموز قد لا يجد فيه في الحال عيبا يلمزه به وإنما
يبحث ويتبعه ليطلع منه على عيب فيوجد اللمز من جانب وأما النبز فلا يعجز كل أحد عن الإتيان بنبز فالظاهر أن النبز
يفضي في الحال إلى التنابز ولا كذلك اللمز فصل قال المفسرون اللقب هو أن يدعى الإنسان بغير ما سمي به وقال
عكرمة هو قول الرجل للرجل يا فاسق يا منافق يا كافر وقال الحسن كان اليهودي والنصراني يسلم فيقال له بعد إسلامه
يا يهودي يا نصراني فنهوا عن ذلك وقال عطاء هو أن يقول الرجل لأخيه يا حمار يا خنزير وعن ابن عباس التنابز بالألقاب
أن يكون الرجل عمل السيئات ثم تاب عنها فنهي أن يعير بما سلف من عمله قوله تعالى بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان أي بئس
الاسم أن تقول له يا يهودي يا فاسق بعدما آمن وقيل معناه من فعل ما نهي عنه من السخرية واللمز والنبز فهو فاسق
وبئس الاسم الفسوق بعد الإيمان فلا تفعلوا ذلك فتستحقوا اسم الفسوق ثم قال ومن لم يتب أي من ذلك فأولئك
هم الظالمون قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن الآية قيل نزلت في رجلين اغتابا رفيقهما
وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا غزا أو سافر ضم الرجل المحتاج إلى رجلين موسرين يخدمهما ويتقدم
لهما إلى المنزل فيهيئ لهما طعامهما وشرابهما فضم سلمان الفارسي إلى رجلين في بعض أسفاره فتقدم سلمان الفارسي
إلى المنزل فغلبته عيناه فلم يهيئ لهما طعاما فلما قدما قالا له ما صنعت شيئا قال لا غلبتني عيناي قالا له انطلق إلى
رسول الله صلى الله عليه وسلم فاطلب لنا منه طعاما فجاء سلمان إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وسأله طعاما فقال
له رسول الله صلى الله عليه وسلم انطلق إلى أسامة بن زيد وقل له إن كان عنده فضل من طعام فليعطك وكان أسامة
خازن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى رحله فأتاه فقال له ما عندي شيء فرجع سلمان إليهما فأخبرهما فقالا كان
عند أسامة ولكن بخل فبعثا سلمان إلى طائفة من الصحابة فلم يجد عندهم شيئا فلما رجع قالوا لو بعثناه إلى بئر سميحة
لغار ماؤها ثم انطلقا يتجسسان هل عند أسامة ما أمر لهما به رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما جاءا إلى رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال لهما ما لي أرى خضرة اللحم في أفواهكما قالا والله يا رسول الله ما تناولنا يومنا هذا لحما قال ظللتم
تأكلون لحم أسامة وسلمان فأنزل الله عز وجل يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن فصل قال سفيان
الثوري الظن ظنان أحدهما إثم وهو أن يظن ويتكلم به والآخر ليس بإثم وهو أن يظن ولا يتكلم به قال عليه السلام
إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث قوله تعالى إثم جعل الزمخشري همزته بدلا من واو وقال لأنه يثم الأعمال أي يكسرها

وهذا غير مسلم بل تلك مادة أخرى قوله تعالى ولا تجسسوا التجسس التتبع ومنه الجاسوس والجساسة وجواس
الإنسان وحواسه ومشاعره وقد قرئ هنا بالحاء الحسن وأبو رجاء وابن سيرين فصل التجسس هو البحث عن عيوب
الناس فنهى الله تعالى عن البحث عن المستور من أمور الناس وتتبع عوراتهم قال عليه السلام لا تجسسوا ولا تنافسوا
ولا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخوانا وقال عليه السلام يا معشر من آمن بلسانه ولم
يفض الإيمان إلى قلبه لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم فإنه من يتبع عورات المسلمين يتبع الله عورته ومن
يتبع الله عورته يفضحه ولو في جوف رحله ونظر ابن عمر يوما إلى الكعبة فقال ما أعظمك وما أعظم حرمتك والمؤمن
أعظم حرمة منك عند الله وقيل لابن مسعود هل لك في الوليد بن عقبة تقطر لحيته خمرا فقال إنا نهينا عن التجسس
فإن يظهر لنا شيء نأخذ به فصل واعلم أن الظن ينبني عليه القبائح فالعاقل إذا وقف أموره على اليقين فقل
ما يتيقن في أحد عيبا يلمزه به لأن الفعل في الصورة قد يكون قبيحا وفي نفس الأمر لا يكون كذلك لأن الفاعل قد يكون
فاعله ساهيا أو يكون الرائي مخطئا وقوله تعالى كثيرا إخراج للظنون التي تبنى عليها الخيرات قال عليه السلام ظنوا بالمؤمن
خيرا وقوله إن بعض الظن إثم إشارة إلى الأخذ بالأحوط وقوله ولا تجسسوا إتماما لذلك لأنه تعالى لما قال اجتنبوا كثيرا
من الظن فهم منه أن المعتبر اليقين وقوله ولا يغتب بعضكم بعضا أي لا يتناول بعضكم بعضا في غيبته بما يسوءه
مما هو فيه قال عليه السلام أتدرون ما الغيبة قالوا الله ورسوله أعلم قال ذكرك أخاك بما يكره قيل أرأيت إن كان في
أخي ما أقول قال إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بهته وفي هذا إلى وجوب حفظ عرض
المؤمن قوله تعالى أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فنصب ميتا على الحال من لحم وأخيه وتقدم الخلاف في ميتا
فإن قيل اللحم لا يكون ميتا فالجواب بلى قال عليه السلام ما أبين من حي فهو ميت فسمى القطعة ميتا فإن قيل إذا جعلناه
حالا فهو كقول القائل مررت بأخي زيد وتريد كون زيد قائما وذلك لا يجوز قلنا من أكل لحمه فقد أكل فصار الأخ
مأكولا مفعولا لا بخلاف المرور بأخي زيد فصل في هذا التشبيه إشارة إلى أن عرض الإنسان كدمه ولحمه لأن
الإنسان يتألم قلبه من قرض العرض كما يتألم جسمه من قطع اللحم وهذا من باب القياس الظاهر لأن عرض المرء أشرف من لحمه
ودمه فإذا لم يحسن من العاقل أكل لحوم الناس لم يحسن منه قرض عرضهم بالطريق الأولى لأن ذلك آلم وقوله لحم
أخيه آكد في المنع لأن العدو يحمله الغضب على مضغ لحم العدو وفي قوله ميتا إشارة إلى دفع وهم وهو أن يقال
الشتم في الوجه يؤلم فيحرم وأما الاغتياب فلا اطلاع عليه للمعاب فلا يؤلم فقال أكل لحم الأخ وهو ميت أيضا
لا يؤلمه ومع هذا هو في غاية القبح لما أنه لو اطلع عليه لتألم فإن الميت لو أحس بأكل لحمه لآلمه وفيه معنى لطيف وهو
أن الاغتياب بأكل لحم الآدمي ميتا ولا يحل أكله إلا للمضطر بقدر الحاجة والمضطر إذا وجد لحم الشاة الميتة
ولحم الآدمي فلا يأكل لحم الآدمي فكذلك المغتاب إن وجد لحاجته مدفعا غير الغيبة فلا يباح له الاغتياب قوله
تعالى فكرهتموه قال الفراء تقديره فقد كرهتموه فلا تفعلوه قال ابن الخطيب لفا في تقدير جواب كلام كأنه تعالى
لما قال أيحب للإنكار فكأنه قال لا يحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه فكرهتموه إذن وقال أبو البقاء المعطوف عليه محذوف
تقديره عرض عليكم فكرهتموه وقيل إن صح ذلك عندكم فأنتم تكرهونه قال ابن الخطيب هو كتعلق المسبب
بالسبب وترتيبه عليه كقولك جاء فلان ماشيا فتعب فقيل هو خبر بمعنى الأمر كقولهم اتقى الله امرؤ فعل خيرا
يثب عليه وقرأ أبو حيوة والجحدري فكرهتموه بضم الكاف وتشديد الراء عدي بالتضعيف إلى ثان بخلاف قوله
أو لا كره إليكم الكفر فإنه وإن كان مضعفا لم يتعد إلا لواحد لتضمنه معنى بغض فصل قال ابن الخطيب
الضمير في قوله فكرهتموه فيه وجوه أظهرها أن يعود إلى الأكل لأن قوله تعالى أيحب أحدكم معناه أيحب أحدكم
أكلا لأن أن مع الفعل المصدر أي كرهتم الأكل وثانيها أن يعود إلى اللحم أي فكرهتم اللحم وثالثها أن يعود إلى الميت
في قوله ميتا تقديره أيحب أحدكم أن يأكل أخيه ميتا متغيرا فكرهتموه فكأنه صفة لقوله ميتا ويكون فيه زيادة مبالغة
في التحذير يعني الميتة إن أكلت في الندرة وتستطاب نادرا ولكن إذا أنتن وأروح وتغير لا يؤكل أصلا فكذلك
ينبغي أن يكون الغيبة وذلك يحقق الكراهة ويوجب النفرة العظيمة إلى حد لا يشتهي الإنسان أن يبيت في بيت
فيه ميت فكيف يقرب منه بحيث يأكله ففيه إذن كراهة شديدة فكذلك حال الغيبة فصل قال مجاهد
لما قيل لهم أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا قالوا لا قيل فكرهتموه أي كما كرهتم هذا فاجتنبوا ذكره بالسوء
غائبا قال الزجاج تأويله أن ذكرك من لم يحضرك بسوء بمنزلة أكل لحمه وهو ميت لا يحس بذلك قال عليه السلام
لما عرج بي مررت بقوم لهم أظفار من نحاس يخمشون وجوههم ولحومهم فقلت من هؤلاء يا جبريل قال هؤلاء
الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون في أعراضهم قوله تعالى واتقوا الله عطفا على ما تقدم من الأوامر والنواهي

اي اجتنبوا واتقوا ومن لم يتب فاولئك هم الظالمون وقال ههنا ان الله تواب رحيم ولكن لما كان الابتدا في الاية
الاولي بالنهي في قوله لا يسخر قوم من قوم ذكر النفي الذي هو قريب من النهي وفي الثانية كان الابتدا بالامر في قوله
اجتنبوا كثيرا فذكر الاثبات الذي هو قريب من الامر **قوله تعالى** يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى الاية هذه
الاية مبينة ومقررة لما تقدم لان السخرية من الغير وغيبته اذا كان بسبب الدين والايمان فهو جائز وكذلك لمزه وغيبته
وان لم يكن بسبب الدين والايمان فهو غير جائز لان الناس بعمومهم كافرهم ومومنهم يشتركون فيما يفتخر به المفتخر لان
التكبر والافتخار ان كان بسبب الغنى فالكافر قد يكون غنيا والمومن فقيرا او بالعكس وان كان بسببا لنسب فالكافر قد
يكون نسيبا والمومن مولي وعبدا اسود وبالعكس فالناس فيما ليس من الدين والتقوى متساوون او متقاربون ولا يوثر
شي من ذلك مع عدم التقوى كما قال تعالى ان اكرمكم عند الله اتقاكم فقوله تعالى يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى
يعني ادم اي انكم متساوون في النسب فلا يفاخر بعضكم على بعض لكونهم ابناء رجل واحد وامراة واحدة **فصل**
قال ابن عباس نزلت في ثابت بن قيس وقوله للرجل الذي لم يفسح له ابن فلانة فقال النبي صلى الله عليه وسلم من الذاكر فلانة
قال ثابت انا يا رسول الله فقال انظر في وجوه القوم فنظر فقال ما رايت يا ثابت قال رايت ابيض واحمر واسود قال فانك
لا تفضلهم الا في الدين والتقوى فنزلت هذه الاية ونزل في الذي لم يفسح يا ايها الذين امنوا اذا قيل لكم تفسحوا في
المجلس فافسحوا وقال مقاتل لما كان فتح مكة امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بلالا حتى علا ظهر الكعبة فاذن فقال عتاب
بن اسيد بن ابي العيص الحمد لله الذي قبض ابي حتى لم ير هذا اليوم وقال الحرث بن هشام اما وجد محمد غير هذا الغراب الاسود
موذنا وقال سهيل بن عمرو ان يرد الله شيئا يغيره وقال ابو سفيان اني لا اقول شيئا اخاف ان يخبر به رب السموات فاتى
جبريل رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره بما قالوا فدعاهم وسالهم عما قالوا فاقروا فانزل الله عز وجل هذه
الاية وزجرهم عن التفاخر بالانساب والتكاثر بالاموال والازراء بالفقراء فان قيل هذه الاية تدل على عدم اعتبار
النسب وليس كذلك فان للنسب اعتبارا عرفا وشرعا حتى لا يجوز تزويج الشريفة بالنبطي فالجواب اذا جاء الامر العظيم
لا يبقى الامر الحقير معتبرا وذلك في الحس والشرع والعرف اما الحس فلان الكواكب لا ترى عند طلوع الشمس ولجناح
الذباب دوي ولا يسمع عندما يكون رعد قوي واما العرف فلان من جاءه غلام ملك اقبل عليه واكرمه فاذا جاءه مع
الملك لا يبقى له اعتبار ولا يلتفت اليه واذا علم هذا ففي الشرع كذلك اذا جاءه الشرف الديني الالهي لا يبقى لامر هناك
اعتبار لا للنسب ولا لسبب الا ترى ان الكافر وان كان من اعلا الناس نسبا والمومن وان كان من دونهم نسبا لا يقاس احدهما
بالاخر وكذلك ما هو الدين مع غيره ولهذا تصلح المناصب الدينية كالقضا والشهادة لكل شريف ووضيع اذا كان دينا
عالما ولا يصلح لشي منها فاسق وان كان قرشي النسب وقاروني النشب ولكن اذا اجتمع في اثنين الدين المتبائن واحدهما
نسيب يرجح بالنسب عند الناس لا عند الله لقوله تعالى وان ليس للانسان الا ما سعى وشرف النسب ليس مكتسبا ولا يحصل
بسعي **فصل** الحكمة في اختيار النسب من جملة اسباب التفاخر ولم يذكر المال لان الامور التي يفتخر بها في الدنيا
وان كانت كثيرة لكن النسب اعلاها لان المال قد يحصل للفقير فيبطل افتخار المفتخر به عليه والسن والحسن وغير ذلك
لا يدوم والنسب ثابت مستمر غير مقدور التحصيل لمن ليس له ذلك فاختاره الله للذكر وابطل اعتباره بالنسبة الى التقوى
ليعلم منه بطلان غيره بطريق الاولي فان قيل اذا كان ورود الاية لبيان عدم جواز الافتخار بغير التقوى فما فايدة
قوله تعالى انا خلقناكم فالجواب فايدته ان كل شي يترجح على غيره فاما ان يترجح بامر فيه يلحقه ويترتب عليه بعد وجوده
واما ان يترجح عليه بامر قبله فالذي بعده كالحسن والقوة وغيرهما من الاوصاف المطلوبة من ذلك الشي واما الذي
قبله فاما راجع الى الاصل الذي وجد منه او الى الفاعل الذي اوجده فالاول كقولك هذا من نحاس وهذا من فضة
والثاني كقولك هذا عمل فلان وهذا عمل فلان فقال تعالى لا ترجيح بما خلقتم منه لانكم كلكم من ذكر وانثى ولا
ترجيح بالنسبة الى فاعلكم لانكم كلكم خلق الله فان كان عندكم تفاوت فهو بامور تحصل لكم بعد وجودكم واشرفها
التقوى **قوله تعالى** وجعلناكم شعوبا وقبايل الشعوب جمع شعب بفتح الشين وهو اعلى طبقات الانساب مثل ربيعة
ومضر والاوس والخزرج وذلك ان طبقات النسب التي عليها العرب ست الشعب والقبيلة والعمارة والبطن والفخذ
والفصيلة وكل واحد يدخل فيما قبله فالفصيلة تدخل في الفخذ والفخذ في البطن وزاد بعض الناس بعد الفخذ العشيرة
فجعلها داخلة فيها فتكون الفصايل داخلة في العشيرة وتدخل العشيرة في الافخاذ وتدخل الافخاذ في البطون والبطون
في العماير والعماير في القبيلة والقبيلة في الشعب وذكر الاعم لانه اذهب بالافتخار وسمي الشعب شعبا لتشعب القبايل
منه واجتماعهم فيه كشعب اغصان الشجرة والشعب من الاضداد يقال شعب اي جمع ومنه تشعيب القدح
وشعب اي فرق والقبايل وهي دون الشعوب واحدتها قبيلة وهي كبكر من ربيعة وتميم من مضر سميت بذلك

لتقابلها

لتقابلها شبهت بقبايل الراس وهي قطع متقابلة وقيل الشعوب في العجم والقبايل في العرب والاسباط
في بني اسرائيل وقيل الشعب النسب الابعد والقبيلة الاقرب وانشد قبايل من شعوب ليس فيهم كريم قد يعد ولا نجيب
والنسبة الى الشعب شعوبية بفتح الشين وهم جيل يبغضون العرب ودون القبايل العماير واحدتها عمارة بفتح
العين وهم كشيبان من بكر ودارم من تميم ودون العماير البطون واحدتها بطن وهم كبني هاشم وامية من بني لوي
ثم الفصايل والعشاير واحدتها فصيلة وعشيرة وقال ابو روق الشعوب الذين لا يعتزون الى احد بل ينتسبون الى
المداين والقرى والقبايل العرب الذين ينتسبون الى ابايهم **قوله تعالى** لتعارفوا العامة على تخفيف التاء والاصل
لتتعارفوا فحذف احدي التاءين والبزي بتشديدها وقد تقدم ذلك في البقرة واللام متعلقة بجعلناكم وقرا الاعمش
بتاءين وهو الاصل الذي ادغم البزي وحذفه الجمهور وابن عباس لتعرفوا مضارع عرف **فصل** المعنى ليعرف بعضكم
بعضا في قرب النسب وبعده لا لتفاخروا وقال في اول الاية خلقناكم وقال ههنا وجعلناكم شعوبا لان الخلق اصل
تفرع عليه الجعل شعوبا لان الخلق والايجاد لاجل العبادة كما قال وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون والجعل
شعوبا للتعارف والاصل متقدم على الفرع فتعتبر العبادة قبل اعتبار النسب لان اعتبار الجعل شعوبا انما يتحقق
بعد تحقق الخلق وفي هذا اشارة الى انه ان كان فيكم عبادة تعتبر والا فلا اعتبار لانسابكم فان قيل الهداية والضلال
كذلك لقوله تعالى انا هديناه السبيل يهدي من يشاء ويضل من يشاء فالجواب ان الله تعالى اثبت لنا فيه كسبا
مبنيا على فعل لقوله تعالى فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا ثم قال وما تشاوون الا ان يشاء الله واما في النسب فلا
قوله تعالى ان اكرمكم عند الله اتقاكم اخبر الله تعالى ان ارفعهم منزلة عند الله اتقاهم قال قتادة في هذه الاية
اكرم الكرم التقوى والام اللوم الفجور وقال عليه السلام الحسب المال والكرم التقوى قال ابن عباس كرم الدنيا الغنى
وكرم الاخرة التقوى وعن ابي هريرة قال سيل رسول الله صلى الله عليه وسلم اي الناس اكرم قال اكرمهم عند الله اتقاهم
قالوا ليس عن هذا نسالك قال فاكرم الناس يوسف نبي الله بن نبي الله بن خليل الله قالوا ليس عن هذا نسالك قال فعن
معادن العرب تسالوني قالوا نعم قال فخياركم في الجاهلية خياركم في الاسلام اذا فقهوا وقال عليه السلام ان الله
لا ينظر الى صوركم ولكن ينظر الى قلوبكم **فصل** قرا العامة ان اكرمكم بكسر ان وابن عباس بفتحها فان جعلت
اللام لام الامر وفيه بعد اتضح ان يكون قوله ان اكرمكم بالفتح مفعول العرفان امرهم ان يعرفوا ذلك وان جعلتها للعلة
لم يظهر ان يكون مفعولا لانه لم يجعلهم شعوبا وقبايل ليعرفوا ذلك فينبغي ان يجعل المفعول محذوفا واللام للعلة اي
لتعرفوا الحق لان اكرمكم **فصل** قال ابن الخطيب في المراد بالاية وجهان الاول ان التقوى تفيد الاكرام والثاني
ان الاكرام يورث التقوى كما يقال المخلصون على خطر والاول اشهر والثاني اظهر فان قيل التقوى من الاعمال والعلم
اشرف لقوله عليه السلام لفقيه اشد على الشيطان من الف عابد فالجواب ان التقوى ثمرة العلم لقوله تعالى انما يخشى
الله من عباده العلماء فلا تقوى الا للعالم فالمتقي العالم اتم علما والعالم الذي لا يتقي كشجرة لا ثمر لها لكن الشجرة المثمرة
اشرف من الشجرة التي لا تثمر بل هي حطب وكذلك العالم حصب جهنم واما العابد الذي يفضل عليه الفقيه فهو الذي لا علم
له وحينئذ لا يكون عنده من خشية الله نصاب كامل ولعله يعبده تعالى مخافة الالقا في النار فهو كالمكره او للدخول الجنة
فهو يعمل كالفاعل له اجرة ويرجع الى بيته والمتقي هو العالم بالله المواظب لبابه فان قيل خطاب الناس بقوله اكرمكم
يقتضي اشتراك الكل في الاكرام ولا كرامة للكافر فانه اضل من الانعام فالجواب ذلك غير لازم مع انه حاصل بدليل قوله
تعالى ولقد كرمنا بني ادم لان كل من خلق فقد اعترف بربه ثم من استمر عليه وزاد زيد في كرامته ومن رجع عنه ازيل
عنه اثر الكرامة ثم قال تعالى ان الله عليم خبير اي عليم بظواهركم يعلم انسابكم خبير ببواطنكم لا يخفى عليه اسراركم
فاجعلوا التقوى زادكم **قوله تعالى** قالت الاعراب امنا الاية لما قال تعالى ان اكرمكم عند الله اتقاكم والاتقا لا
يكون الا بعد حصول التقوى واصله الايمان والاتقاء من الشرك قالت الاعراب لنا النسب الشريف يكون لنا الشرف
قال الله تعالى ليس الايمان بالقول انما هو بالقلب فما امنتم فان الله خبير يعلم ما في الصدور ولكن قولوا اسلمنا
اي انقدنا واسلمنا قيل نزلت في نفر من بني اسد بن خزيمة قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم في سنة مجدبة
فاظهروا الاسلام ولم يكونوا مومنين في السر طالبين الصدقة فافسدوا طرق المدينة بالعذرات وكانوا يغدون
ويروحون الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقولون اتتك العرب بانفسها على ظهور رواحلها وجيناك بالاثقال
والعيال والذراري ولم نقاتلك كما قاتلك بنو فلان وبنو فلان يمنون على رسول الله صلى الله عليه وسلم ويريدون
الصدقة ويقولون اعطنا فانزل الله فيهم هذه الاية وقال السدي نزلت في الاعراب الذين ذكرهم الله تعالى
في سورة الفتح وهم جهينة ومزينة واسلم واشجع وغفار وكانوا يقولون امنا ليامنوا على انفسهم واموالهم

فلما استنفروا الى الحديبية تخلفوا فانزل الله قالت الاعراب آمنا صدقنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا اسلمنا انقدنا
واستسلمنا مخافة القتل والسبي قال ابن الخطيب وقد بينا ان ذلك كالتاريخ للنزول لا للاختصاص بهم بكل من اظهر
فعل التقوى واراد ان يصير له ما للتقي بالاكرام لا يحصل له ذلك لان التقوى من عمل القلب **قوله تعالى** ولما يدخل الايمان
هذه الجملة مستانفة اخبر تعالى بذلك وجعلها الزمخشري حالا من الضمير في قولوا وقد تقدم الكلام في لما وما يدل عليه
والفرق بينها وبين لم في البقرة عند قوله تعالى ولما ياتكم وقال الزمخشري فان قلت هو بعد قوله لم تؤمنوا يشبه التكرير
من غير استقلال بفائدة متجددة قلت ليس كذلك فان فائدة قوله لم تؤمنوا هو تكذيب دعواهم وقوله ولما يدخل توقيت
لما امروا به ان يقولوه ثم قال وما في لما من معنى التوقع دليل على ان هؤلاء قد امنوا فيما بعد قال ابو حيان ولا ادري من
اي وجه يكون النفي بلما يقع بعد قال شهاب الدين لانها لنفي قد فعل وقد للتوقع **فصل** قال ابن الخطيب لم ولما حرفا
نفي وما وان ولا كذلك من حروف النفي ولم ولما يجزمان وغيرهما من حروف النفي لا يجزم فما الفرق بينهما فالجواب ان لم
ولما يفعلان بالفعل ما لا يفعل به غيرهما فانهما يصرفان معناه من الاستقبال الى المضي تقول لم يؤمن امس وامن اليوم
ولا تقول لا يؤمن امس فلما فعلا بالفعل ما لم يفعل به غيرهما جزم بهما فان قيل مع هذا لم جزم بهما غايته ما في الباب
ان الفرق حصل ولكن ما الدليل على وجوب الجزم بهما تقول لان الجزم والقطع يحصل في الافعال الماضية لان من قام
فقد حصل القطع بقيامه ولا يجوز ان يكون ما قام والافعال المستقبلة اما متوقعة الحصول واما ممكنة من غير
توقع فلا يمكن الجزم والقطع فيه فاذا كان لما ولم يقلبان اللفظ من الاستقبال الى المضي افاد الجزم والقطع في المعنى
فجعل له مناسبا لمعناه وهو الجزم لفظا وعلى هذا نقول اذ كان السبب في الجزم ما ذكرنا فلهذا قيل الامر يجزم لان
الامر كانه جزم على المامور ان يفعله ولا يتركه فاتي بلفظ مجزوم تنبيها على ان الفعل لا بد من ايقاعه وان في الشرط
كلمة لان ان تغير معنى الفعل من المضي الى الاستقبال كما ان لم تغير من الاستقبال الى المضي تقول ان اكرمتني اكرمك فلما
كان ان مثل لم في كونه حرفا وفي لزوم الدخول على الافعال وتغييرها صار جازما للشبه اللفظي واما الجزاء فجزم لما
ذكرنا من المعنى فان الجزاء يجزم لو قوعه عند وجود الشرط فجزم اذن اما للمعنى او للشبه اللفظي **فصل** اخبر الله
تعالى ان حقيقة الايمان هو التصديق بالقلب وان الاقرار باللسان واظهار شرائعه بالابدان لا يكون ايمانا
دون التصديق بالقلب والاخلاص فالاسلام هو الدخول في السلم وهو الانقياد والطاعة يقال اسلم الرجل
اذا دخل في السلم كما يقال اشتى اذا دخل في الشتاء واصاف اذا دخل في الصيف واربع اذا دخل في الربيع فمن الاسلام
ما هو طاعة على الحقيقة باللسان والابدان والجنان كقوله عز وجل لابراهيم اسلم قال اسلمت لرب العالمين ومنه
ما هو انقياد باللسان دون القلب وذلك قوله ولكن قولوا اسلمنا ولما يدخل الايمان في قلوبكم قال ابن الخطيب
المؤمن والمسلم واحد عند اهل السنة فنقول الفرق بين العام والخاص ان الايمان لا يحصل الا بالقلب والانقياد
قد يحصل بالقلب وقد يحصل باللسان والاسلام اعم لكن العام في صورة الخاص متحد مع الخاص ولا يكون امرا آخر
غيره مثاله الحيوان اعم من الانسان لكن الحيوان في صورة الانسان امر ينفك عن الانسان ولا يجوز ان يكون ذلك
الحيوان حيوانا ولا يكون انسانا فالعام والخاص مختلفان في العموم متحدان في الوجود وكذلك المؤمن والمسلم وسياتي
بقية الكلام على ذلك في الذاريات عند قوله فاخرجنا من كان فيها من المؤمنين فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين ان
شاء الله تعالى قال ابن الخطيب وفي الاية اشارة الى بيان حال المؤلفة اذا اسلموا ويكون ايمانهم ضعيفا فقال لهم لم تؤمنوا
الآن لان الايمان ايقان وذلك بعد لم يدخل في قلوبكم وسيدخل باطلاعكم على محاسن الاسلام **قوله تعالى** وان
تطيعوا الله ورسوله اي ظاهرا وباطنا سرا وعلانية قال ابن عباس تخلصوا الايمان **قوله تعالى** لا يالتكم قرا
ابو عمرو لا يالتكم بالهمز من الته يالته بالفتح في الماضي والكسر والضم في المضارع لقوله وما التناهم والسوسي
يبدل الهمزة الفا على اصله والباقون يلتكم من لاته يليته كباعه يبيعه وهما لغتان معناهما لا ينقصكم
فالاولى لغة غطفان واسد والثانية لغة الحجاز يقال الت يالت التا ولات يليت ليتا وقيل هي من ولته يلته
كوعده يعده فالمحذوف على القول الاول عين الكلمة ووزنها يفلكم وعلى الثاني فاؤها ووزنها يعلكم ويقال
ايضا الاته يليته كاباعه يبيعه والته يولته كآمن يؤمن وكلها لغات في معنى نقصه حقه قال الحطيئة

ابلغ سراة بني سعد مغلغلة	جهد الرسالة لا التا ولا كذبا

وقال رؤبة

وليلة ذات ندى سريت	ولم يلتني عن سراها ليت

اي لم يمنعني ويحبسني **فصل** قال ابن الخطيب معنى قوله لا يلتكم المراد منه انكم اذا اتيتم بما يليق بضعفكم من الحسنة
فهو يؤتيكم ما يليق به من الجزاء لان من حمل الى ملك فاكهة طيبة يكون ثمنها في السوق درهما فاعطاه الملك

درهما انتسب الملك الى البخل وانما معناه انه يعطي مثل ذلك من غير نقص اي يعطي ما تتوقعون باعمالكم من غير
نقص ثم قال ان الله غفور رحيم اي يغفر لكم ما قد سلف ويرحمكم بما اتيتم به **قوله تعالى** انما المؤمنون الذين
آمنوا بالله ورسوله هذا ارشاد للذين قالوا آمنا بين لهم حقيقة الايمان فقال ان كنتم تريدون الايمان فالمؤمن
من آمن بالله ورسوله ثم لم يرتابوا اي لم يشكوا في دينهم وايقنوا بان الايمان ايقان وثم للتراخي في الفعل اي آمنوا
بالله ورسوله ثم لم يرتابوا فيما قال النبي عليه السلام من الحشر والنشر وجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله اي
ايقنوا ان بعد هذه الدار دارا اخرى فجاهدوا طالبين العقبى اولئك هم الصادقون في ايمانهم فان قيل كيف يجوز ان
يكذبوا في الاسلام والاسلام هو الانقياد وقد وجد منهم قولا وفعلا وان لم يوجد اعتقادا وعلما وذلك
القدر كاف في صدقهم في قولهم انا اسلمنا فالجواب ان التكذيب يقع على وجهين احدهما ان لا يوجد نفس المخبر عنه
والثاني ان لا يوجد كما اخبر في نفسك فقد يقول له ما جئتنا بل جئت للحاجة فالله تعالى كذبهم في قولهم آمنا
على الوجه الاول اي ما آمنتم اصلا ولم يصدقهم في الاسلام على الوجه الثاني فانهم انقادوا للحاجة واخذ الصدقة
فصل لما نزلت هاتان الآيتان اتت الاعراب رسول الله صلى الله عليه وسلم يحلفون بالله انهم مؤمنون
صادقون وعرف الله غير ذلك منهم فانزل الله قل اتعلمون الله بدينكم والتعليم ههنا بمعنى الاعلام فلذلك قال بدينكم
ادخل الباء فيه لانه منقول بالتضعيف من علمت به بمعنى شعرت به فلذلك تعدت لواحد بنفسها ولآخر بالباء والمعنى اتخبرون
الله بدينكم فانه عالم به لا يخفى عليه شيء لانه يعلم ما في السموات وما في الارض والله بكل شيء عليم لا يحتاج الى
اخباركم **قوله تعالى** يمنون عليك ان اسلموا يجوز في قوله ان اسلموا وجهان احدهما انه مفعول به لانه ضمن يمنون
معنى يعتدون كانه قيل يعتدون عليك اسلامهم كما يمتن به عليك ولهذا صرح بالمفعول به في قوله قل لا تمنوا علي اسلامكم
اي لا تعتدوا علي اسلامكم كذا استدل ابو حيان وفيه نظر اذ لقائل ان يقول لا نسلم انتصاب اسلامكم على المفعول به
بل يجوز فيه المفعول من اجله كما يجوز في محل ان اسلموا وهو الوجه الثاني فيه اي يمنون عليك لاجل ان اسلموا فكذلك
في قوله لا تمنوا علي اسلامكم وشروط النصب موجودة والمفعول له متى كان مضافا استوى جره بالحرف ونصبه
قوله تعالى بل الله يمن عليكم يعني لا منة لكم علينا اصلا بل المنة عليكم حيث بينت لكم الطريق المستقيم
ان هداكم للايمان اعرابه كقوله ان اسلموا وقرا زيد بن علي اذ هداكم باذ مكان ان وهي في مصحف عبد الله كذلك وهي
تفيد التعليل وجواب الشرط مقدر اي فهو المان عليكم لا انتم عليه وعلي فان قيل كيف من عليهم بالهداية الى الايمان مع
انه بين انهم لم يؤمنوا فالجواب من ثلاثة اوجه احدها انه تعالى لم يقل بل الله يمن عليكم ان رزقكم الايمان بل قال ان
هداكم للايمان وثانيها ان ارسال الرسول بالآيات البينات هداية ثالثها انه تعالى يمن عليهم بما زعموا فكانه قال انتم
قلتم آمنا فذلك نعمة في حقكم حيث تخلصتم من النار فقال هداكم في زعمكم ولهذا قال تعالى ان كنتم صادقين ثم
قال تعالى ان الله يعلم الآية وهذا تقرير لاول السورة حيث قال ان الله سميع عليم فاخبرها هنا عن علم وبصر **قوله تعالى**
ان الله يعلم غيب السموات والارض والله بصير بما تعملون قرا ابن كثير بالغيبة نظرا لقوله يمنون وما بعده والباقون
بالخطاب نظرا الى قوله لا تمنوا علي اسلامكم الى آخره وفي هذه الآية اشارة الى انه يبصر اعمال جوارحكم الظاهرة والباطنة
لا يخفى عليه شيء قال عليه السلام من قرا سورة الحجرات اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد من اطاع الله وعصاه

سورة ق مكية

وهي خمس واربعون آية وثلاثمائة وسبع وخمسون كلمة والف واربعمائة واربعة وتسعون حرفا بسم الله
الرحمن الرحيم **قوله تعالى** ق قال ابن عباس هو قسم اقسم الله به وقيل اسم السورة وقيل اسم من اسماء القرآن
وقال القرطبي هو مفتاح اسمه قدير وقادر وقاهر وقريب وقابض وقال عكرمة والضحاك هو جبل محيط بالارض
من زمردة خضراء ومنه خضرة السماء والسماء مقببة عليه وعليه كنفاها ويقال هو وراء الحجاب الذي تغيب الشمس
من ورائه بمسيرة سنة وقيل معناه قضي الامر وقضي ما هو كائن كما قالوا في حم وفي ص صدق الله وقيل هو
اسم فاعل من قفا يقفو **فصل** قال ابن الخطيب لما حكي القول بان ق اسم جبل محيط بالارض عليه
اطراف السماء قال وهذا ضعيف لوجوه احدها ان اكثر القراء يقف عليها ولو كان اسم جبل لما جاز الوقف في الادراج
لان من قال ذلك قال بان الله تعالى اقسم به وثانيها لو كان كذلك لذكر بحرف القسم كقوله تعالى والطور

ويجوز لان حروف القسم محل فحيث يكون المقسم به مستحقا لان يقسم به كقولنا الله لافعلن كذا فاستحقاقه
له يغني عن الدلالة عليه باللفظ ولا يحسن ان يقال زيد لافعلن كذا ثالثها انه لو كان كما ذكر لكان يكتب قاف
مع الالف والفا كما يكتب عين جارية ويكتب النيل الله بكا وعبده وفي جميع المصاحف يكتب حرف ق رابعها ان
الظاهر كون الامر فيه كالامر في ص ون وحم وهي حروف لا كلمات فكذلك في ق فان قيل هو منقول عن ابن عباس
نقول المنقول عنه ان قاف اسم جبل واما ان المراد منه ههنا ذلك فلا **فصل** قال ابن الخطيب هذه
السورة وسورة ص يشتركان في افتتاح اولهما بالحرف المعجم والقسم بالقران بعده وقوله بعد القسم بل والعجب
ويشتركان ايضا في ان اول السورتين واخرهما متناسبان لانه تعالى قال في اول ص والقران ذي الذكر وقال في اخرها
ان هو الا ذكر للعالمين وقال في اول ق والقران المجيد وقال في اخرها فذكر بالقران من يخاف وعيد فافتتح بما اختتم به
وايضا في اول ص صرف العناية الى تقرير الاصل الاول وهو التوحيد لقوله تعالى اجعل الالهة الها واحدا وفي هذه
السورة صرف العناية الى تقرير الاصل الاخر وهو الحشر فقال تعالى اذا متنا وكنا ترابا ذلك رجع بعيد ولما كان
افتتاح سورة ص في تقرير المبدا قال في اخرها اذ قال ربك للملائكة اني خالق بشرا من طين وختمه بحكاية بدء ادم
لانه دليل الوحدانية ولما كان افتتاح ق لبيان الحشر قال في اخرها ذلك حشر علينا يسير **فصل** قال ابن
الخطيب قد ذكرنا ان الحروف تنبيهات قدمت على القران ليكون السامع بسببها يقبل على سماع ما يرد على الاسماع
فلا يفوته شيء من الكلام الرايق والمعنى الفايق وذكرنا ايضا ان العبادة منها قلبية ومنها لسانية ومنها خارجية
ظاهرة ووجد في الخارجية ما عقل معناه ووجد فيها ما لم يعقل معناه كاعمال الحج من الرمي والسعي وغيرهما ووجد
في القلبية ما عقل بالدليل وعلم كالتوحيد وامكان الحشر وصفات الله تعالى وصدق الرسل ووجد فيها ما لم يعقل ولا
يمكن التصديق لولا السمع كالصراط الممدود الاحد من السيف الارق من الشعر والميزان الذي توزن به الاعمال فكذلك
ينبغي ان يكون الاذكار التي هي العبادة اللسانية فيها ما يعقل معناه كجميع القران الا قليل منه وفيها ما لا يعقل ولا
يفهم كحروف التهجي ليكون التلفظ به لمحض الانقياد للامر لا لما يكون في الكلام من طيب الحكاية والقصد الى غرض كقولنا
ربنا اغفر لنا وارحمنا بل يكون النطق تعبدا محضا ويؤيد هذا وجه اخر وهو ان هذه الحروف مقسم بها لان الله تعالى
لما اقسم بالتين والزيتون تشريفا لهما فاذا اقسم بالحروف التي هي اصل الكلام الشريف الذي هو دليل المعرفة
والة التعريف كان اولى واذا عرف هذا فنقول القسم من الله تعالى وقع بامر واحد كما في قوله تعالى والعصر وقوله
والنجم وبحرف واحد كما في قوله ص وق ووقع بامرين كما في قوله تعالى والضحى والليل وقوله والسماء والطارق
وبحرفين كما في قوله طه وطس وحم ووقع بثلاثة امور كما في قوله تعالى والصافات فالزاجرات فالتاليات وقوله
والسماء ذات البروج واليوم الموعود وشاهد ومشهود وبثلاثة احرف كما في قوله الم وطسم والر ووقع باربعة
امور كما في قوله تعالى والذاريات فالحاملات فالجاريات فالمقسمات وفي قوله والتين والزيتون وطور سينين وهذا
البلد الامين وباربعة احرف كما في المص والمر ووقع بخمسة امور كما في قوله تعالى والطور وكتاب مسطور والبيت المعمور
والسقف المرفوع والبحر المسجور وفي قوله والمرسلات فالعاصفات والناشرات فالفارقات فالملقيات وفي النازعات
وفي والفجر بخمسة احرف كما في كهيعص وحمعسق ولم يقسم باكثر من خمسة اشياء الا في سورة واحدة وهي والشمس وضحاها
ولما اقسم بالاشياء المعهودة ذكر حرف القسم وهو الواو فقال والطور والنجم والشمس وعند القسم بالحروف
لم يذكر حرف القسم فلم يقل وق وحم لان القسم لما كان بنفس الحروف كان الحرف مقسما فلم يورده في موضع كونه
الة القسم تسوية بين الحروف ولم يدخل القسم بالحروف في اثناء السورة لانه يخل بالنظم **فصل**
اقسم الله بالاشياء المركبة من العناصر كالتين والطور ولم يقسم باصولها وهي الجواهر الفردة كالماء والتراب واقسم
بالحروف من غير تركيب لان الاشياء عند تركيبها تكون على احسن حالها واما الحروف فان ركبت بمعنى يقع الحلف بمعناه لا
باللفظ كقولنا والسماء والارض وان ركبت لا لمعنى فكان المفرد اشرف فاقسم بمفردات الحروف **فصل**
هذه السورة تقرا في صلاة العيد لقوله تعالى فيها ذلك يوم الخروج وقوله كذلك الخروج وقوله ذلك حشر علينا
يسير فان العيد يوم الزينة فينبغي ان لا ينسى الانسان خروجه الى عرصات الحساب ولا يكون في ذلك اليوم فرحا
فخورا ولا يرتكب فسقا وفجورا **فصل** والعامة على سكون القاف وقد تقدم وفتحها عيسى وكسرها
الحسن وابن ابي اسحق وضمها هرون وابن السميفع وقد مضى توجيه ذلك وهو ان الفتح يحتمل البناء على الفتح
للتخفيف او يكون منصوبا بفعل مقدر ومنع الصرف ومجرور بحرف قسم مقدر وانما منع الصرف
مقدرا وانما منع من الصرف ايضا والضم على انه مبتدا او خبر ومنع من الصرف ايضا قال ابن الخطيب واما القراءة فيها ثلث

قلنا

قلنا هي تنبيه على ما بينا فحقها الوقف اذ لا عامل فيها ويجوز الكسر حذرا من التقاء الساكنين ويجوز الفتح اختيارا
للاخف فان قيل كيف جاز اختيار الفتح ههنا ولم يجز عند التقاء الساكنين اذا كان احدهما اخر كلمة والاخر اول كلمة اخرى
كقوله لم يكن الذين كفروا ولا تطرد الذين نقول لان هنالك انما وجب التحريك لان الكسر في الفعل تشبه حركة الاعراب
لان الفعل لما كان محلا للرفع والنصب ولا يوجد فيه الجر اختير الكسرة التي لا يخفى على احد انها ليست بجر لان الفعل لا يجوز
فيه الجر ولو فتح لاشتبه بالنصب والغلي في اواخر الاسماء فالاشتباه لازم لان الاسم محل يرد عليه الحركات الثلاث
فلم يمكن الاحتراز فاختاروا الاخف وان قلنا انها حرف مقسم به فحقها الجر ويجوز النصب على انه مفعول باقسم
على وجه الاتصال وتقدير الباء كان لم يوجد وان قلنا هي اسم للسورة فان قلنا مقسم بها مع ذلك فحقها الفتح لانها
لا تنصرف حينئذ فتفتح في موضع الجر كما تقول وابرهيم واحمد اذا اقسمت بهما وان قلنا ليس مقسما بها فان قلنا
هي اسم السورة فحقها الرفع اذ جعلناها خبرا تقديره هذه ق وان قلنا هو من قفا يقفو فحقها التنوين كقولنا
هذا داع وراع وان قلنا اسم جبل فالجر والتنوين ان كان قسما **قوله تعالى** والقران المجيد قسم وفي جوابه
اوجه احدها انه قوله قد علمنا ما تنقص الارض الثاني ما يبدل القول الثالث ما يلفظ من قول الرابع ان في ذلك لذكرى
الخامس بل عجبوا وهو قول كوفي قالوا لانه بمعنى قد عجبوا السادس انه محذوف فقدره الزجاج والاخفش والمبرد
لتبعثن وغيرهم لقد جئتهم منذرا واعلم ان جوابات القسم سبعة ان المشددة كقوله والعصر ان الانسان وما النافية
كقوله والضحى ما ودعك ربك واللام المفتوحة كقوله فوربك لنسألنهم وان الخفيفة كقوله تالله ان كنا لفي ضلال ولا
النافية كقوله واقسموا بالله جهد ايمانهم لا يبعث الله وقد كقوله والشمس وضحاها قد افلح وبل كقوله والقران المجيد
بل عجبوا والمجيد العظيم وقيل المجيد العظيم الكرم فان قلنا المجيد العظيم فلان القران عظيم الفايدة ولانه ذكر الله العظيم
وذكر العظيم عظيم ولانه لم يقدر عليه احد من الخلق وقال تعالى ولقد اتيناك سبعا من المثاني والقران العظيم ولا يبدل
ولا يغير ولا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وان قلنا المجيد هو الكثير الكرم فالقران كريم كل من طلب منه
مقصودا وجده ويغني كل من لاذ به واغنى المحتاج غاية الكرم فان قيل القران مقسم به فما المقسم عليه فالجواب
ان المقسم عليه اما ان يفهم بقرينة حالية او قرينة مقالية متقدمة فالمتقدمة هنا لفظا الاق فيكون التقدير
هذا ق والقران او ق انزلها الله تعالى والقران كقولك هذا حاتم والله اي هو المشهور بالسخا وتقول الهلال والله
اي رايته والله وان فهم من قرينة مقالية متاخرة فذلك امران احدهما ان التقدير والقران المجيد انك لمنذر او
والقران المجيد ان الرجع لكاين لان كل الامرين ورد ظاهرا اما الاول فقوله تعالى يس والقران الحكيم الى ان قال
لتنذر قوما واما الثاني فقوله تعالى والطور وكتاب مسطور الى ان قال ان عذاب ربك لواقع قال ابن الخطيب
وهذا الوجه يظهر غاية الظهور على قول من قال ق اسم جبل فان القسم يكون بالجبل والقران وهناك اقسم بالطور
والكتاب المسطور وهو الجبل والقران وان فهم بقرينة حالية فهو كون محمد عليه السلام على الحق فان الكفار كانوا
ينكرون ذلك **قوله تعالى** بل عجبوا يقتضي ان يكون هنالك امر مضروب عنه فما ذلك واجاب الواحدي ووافقه
الزمخشري انه تقريره كانه قال ما الامر كما تقولون قال ابن الخطيب والتقدير والقران المجيد انك لمنذر فكانه قال
بعده انهم شكوا فيه ثم اضرب عنه وقال بل عجبوا اي فلم يكتفوا بالشك ولا بالرد حتى عجبوا قوله بل جزموا بالخلاف حتى
جعلوا ذلك من الامور العجيبة فان قيل فما الحكمة في هذا الاختصار العظيم في موضع واحد حذف المقسم عليه والمضرب
عنه واتي بامر لا يفهم الا بعد الفكر العظيم ولا يفهم مع الفكر الا بالتوفيق العزيز قال ابن الخطيب اما حذف المقسم عليه
فلان الترك في بعض المواضع يفهم منه ظهور لا يفهم من الذكر لان من ذكر الملك العظيم في مجلس واثنى عليه يكون قد
عظمه فاذا قال له غيره هو لا يذكر في هذا المجلس يكون بالارشاد الى ترك الذكر دالا على عظمة فوق ما استفيد بذكره
فالله تعالى ترك المقسم عليه لبيان هو اظهر من ان يذكر واما حذف المضروب عنه فلان المضروب عنه اذا ذكر واضرب
عنه بامر اخر وكان بين المذكورين تفاوت ما فاذا عظم التفاوت لا يحسن ذكرهما مع الاضراب مثاله يحسن ان
يقال الوزير يعظم فلانا بل الملك يعظمه ولا يحسن ان يقال البواب يعظم فلانا بل الملك يعظمه لكون البون بينهما
بعيدا اذ الاضراب للتدريج فاذا ترك المتكلم المضروب عنه صريحا واتي بحرف الاضراب استفيد منه امران احدهما
الاشارة الى امر اخر قبله مضروب عنه والثاني عظم التفاوت بينهما وههنا كذلك لان الشك بعد قيام البرهان
بعيد لكن القطع بخلافه في غاية ما يكون من البعد فالعجب منه ابعد **قوله تعالى** ان جاءهم فيه سوال وهو ان
مع الفعل بتقدير المصدر تقول امرت بان اقوم وامرت بالقيام واذا كان كذلك فلم ترك الاتيان بما هو في معنى
المصدر وما يجب ذكره عند الاتيان بالمصدر حيث جاز ان يقال امرت ان اقوم من غير باء ولا يجوز ان تقول امرت

القيام بل لابد من الباء ولذلك قال عجبوا ان جاءهم ولا يجوز ان يقال عجبوا مجيئه بل لابد من قولك عجبوا
من مجيئه والجواب ان قوله ان جاءهم وان كان في المعنى قائما مقامه لكنه في الصورة تقدير وحروف التقدير كلها
حروف جارة والجار لا يدخل على الفعل فكان الواجب ان لا يدخل فلا اقل من ان يجوز الدخول فجاز ان يقال عجبوا ان
جاءهم ولا يجوز عجبوا مجيئهم لعدم جواز ادخال الحرف عليه **قوله تعالى** منهم اي يعرفون نسبه وصدقه وامانته
وهذا يصلح ان يكون مذكورا لتقرير تعجبهم ويصلح ان يكون مذكورا لابطال تعجبهم اما وجه تقرير تعجبهم فلانهم
كانوا يقولون ابشرا منا واحدا نتبعه وقالوا ما انتم الا بشر مثلنا وذلك اشارة الى انه كيف يجوز اختصاصكم بهذه المنزلة
الرفيعة مع اشتراكنا في الحقيقة وفي اللوازم واما تقرير الابطال فلانه اذا كان واحدا منهم ويرى بين اظهرهم وظهر منه
ما عجز واعتقد كلهم ومن بعدهم فكان يجب عليهم ان يقولوا هذا ليس من عنده ولا من عند احد من جنسنا فهو من عند الله بخلاف
ما لو جاءهم واحد من خلاف جنسهم واتى بما يعجزون عنه فانهم كانوا يقولون نحن لا نقدر على ذلك لان لكل نوع خاصية
كان النعامة تبلع النار والطيران وابن ادم لا يقدر على ذلك **قوله تعالى** فقال الكافرون هذا شيء عجيب قال الزمخشري
هذا تعجب اخر من امر اخر وهو الحشر الذي اشار اليه بقوله اذا متنا وكنا ترابا ذلك رجع بعيد فتعجبوا من كونه منذرا ومن
وقوع الحشر ويدل عليه قوله في اول ص وعجبوا ان جاءهم منذر منهم وقال اجعل الالهة الها واحدا ان هذا لشيء عجاب
فذكر تعجبهم مرتين قال ابن الخطيب والظاهر ان قولهم هذا اشارة الى مجيء المنذر لا الى الحشر لان هناك ذكر ان هذا
لشيء عجاب بعد الاستفهام الانكاري فقال اجعل الالهة الها واحدا ان هذا لشيء عجاب وقال هاهنا هذا شيء عجيب
ولم يكن هناك ما تقع الاشارة اليه الا مجيء المنذر ثم قالوا اذا متنا وايضا انه هاهنا وجد بعد الاستبعاد بالاستفهام
امر يؤدي معنى التعجب وهو قولهم ذلك رجع بعيد فانه استبعاد وهو كالتعجب فلو كان التعجب ايضا عائدا اليه لكان
كالتكرار فان قيل التكرار الصريح يلزم من قولك هذا شيء عجيب انه يعود الى مجيء المنذر فان تعجبهم منه علم من قوله
وعجبوا ان جاءهم فقوله هذا شيء عجيب يكون تكرارا فنقول ذلك ليس بتكرار بل هو تقرير لانه لما قال بل عجبوا بصيغة
الفعل وجاز ان يتعجب الانسان مما لا يكون عجبا كقوله تعالى اتعجبين من امر الله ويقال في العرف لا وجه
لتعجبك مما ليس بعجب فكانهم لما عجبوا قيل لهم لا معنى لتعجبكم فقالوا هذا شيء عجيب فكيف لا نعجب منه ويدل
على ذلك قوله تعالى هاهنا فقال الكافرون هذا شيء عجيب بحرف الفاء وقال في ص وقال الكافرون هذا ساحر بحرف
الواو فكان تعنتا غير مرتب على ما تقدم وهذا شيء عجيب امر مرتب على ما تقدم اي لما عجبوا وانكر عليهم ذلك
قالوا هذا شيء عجيب كيف لا نعجب منه ويدل عليه ايضا قوله تعالى ذلك رجع بعيد بلفظ الاشارة الى البعيد
وقوله هذا ساحر اشارة الى الحاضر القريب فينبغي ان يكون المشار اليه بذلك غير المشار اليه بهذا وذلك لا يصح الا على
قولنا **قوله تعالى** ائذا متنا قرا العامة بالاستفهام وابن عامر في رواية وابو جعفر والاعمش والاعرج بهمزة واحدة
فيحتمل الاستفهام كالجمهور وانما حذف الاداة للدلالة ويحتمل الاخبار بذلك والناصب للظرف في قراءة الجمهور
مقدر اي انبعث او نرجع اذا متنا وجواب اذا على قراءة الخبر محذوف اي رجعنا وقيل قوله ذلك رجع على حذف الفاء
وهذا راي بعضهم والجمهور لا يجوز ذلك الا في شعر وقال الزمخشري ويجوز ان يكون الرجع بمعنى المرجوع وهو
الجواب ويكون من كلام الله استبعادا لانكارهم ما انذروا به من البعث والوقف على ما قبله على هذا التفسير حسن
فان قيل فما ناصب الظرف اذا كان الرجع بمعنى المرجوع فالجواب ما دل عليه المنذر من المنذر به وهو البعث

فصل قال ابن الخطيب ذلك اشارة الى ما قاله وهو الانذار وقوله هذا شيء عجيب اشارة الى المجيء على ما
بينا فلما اختلفت الصيغتان تقول المجيء والجائي كل واحد حاضر واما الانذار وان كان حاضرا لكن المنذر به كان
جازما على الحاضر فقالوا فيه ذلك والرجوع مصدر رجع يرجع اذا كان متعديا والرجوع مصدره اذا كان لازما
وكذلك الرجعى مصدر عند لزومه والرجوع ايضا يصح مصدرا للازم فيحتمل ان يكون المراد بقوله ذلك رجع
بعيد اي رجوع بعيد ويحتمل ان يكون المراد الرجع المتعدي ويدل على الاول قوله تعالى الى ربك الرجعى وعلى
الثاني قوله تعالى ائنا لمردودون في الحافرة اي مرجوعون فانه من الرجوع المتعدي فان قلنا هو من المتعدي فقد
انكروا كونه مقدورا في نفسه

فصل قال المفسرون تقديره ائذا متنا وكنا ترابا نبعث ترك ذكر البعث
لدلالة الكلام عليه ذلك رجع اي رد الى الحياة بعيد غير كائن اي يبعد ان نبعث بعد الموت **قوله تعالى** قد علمنا
ما تنقص الارض منهم اي تاكل من لحومهم ودمائهم وعظامهم لا يعزب عن علمه شيء وقال السدي هو الموت يقول
قد علمنا من يموت منهم ومن يبقى وهذه الاية تدل على جواز البعث وقدرته تعالى عليه لان الله تعالى عالم باجزاء
كل واحد من الموتى لا يشتبه عليه جزء واحد بجزء الاخر وقادر على الجمع والتاليف فليس الرجع منه ببعيد وهذا

كقوله تعالى وهو الخلاق العليم حيث جعل للعلم مدخلا في الاعادة وهذا جواب لما كانوا يقولون ائذا ضللنا
في الارض اي انه تعالى كما يعلم اجزاءهم يعلم اعمالهم فيرجعهم ويعذبهم بما كانوا يقولون وبما كانوا يعملون
قوله تعالى وعندنا كتاب حفيظ اي محفوظ من الشياطين ومن ان يدرس او يتغير وهو اللوح المحفوظ وقيل
معناه حافظ لعدتهم واسمائهم واعمالهم قال ابن الخطيب وهذا هو الاصح لان الحفيظ بمعنى الحافظ وارد في القران
قال تعالى وما انت عليهم بحفيظ وقال الله حفيظ عليهم ولان الكتاب للتمثيل ومعناه العلم عندي كما يكون في الكتاب
فهو يحفظ الاشياء وهو مستغن عن ان يحفظ **قوله تعالى** بل كذبوا هذا اضراب ثان قال الزمخشري اضراب
اتبع الاضراب الاول للدلالة على انهم جاءوا بما هو افظع من تعجبهم وهو التكذيب بالحق وقال ابو حيان وكان هذا
الاضراب الثاني بدل بداء من الاول قال شهاب الدين واطلاق مثل هذا في كتاب الله لا يجوز البتة وقيل قبل هذه الاية
جملة مضروب عنها تقديرها ما اجادوا النظر بل كذبوا وما قاله الزمخشري احسن

فصل في المضروب عنه وجهان
احدهما انه الشك تقديره والقران المجيد انك لمنذر وانهم شكوا فيك بل عجبوا بل كذبوا الثاني تقديره لم يكذب المنذر
بل كذبوهم وفي المراد بالحق وجوه الاول البرهان القائم على صدق الرسول الثاني الفرقان المنزل وهو قريب من الاول
لانه برهان الثالث السورة الثابتة المعجزة القاهرة فانها حق الرابع الحشر الذي لابد من وقوعه فهو حق فان قيل
ما معنى الباء في قوله تعالى بالحق وايه حاجة اليها يقولون التكذيب متعد بنفسه فهل هي للتعدية الى مفعول ثان او هي زايدة
كما هي في قوله تعالى فستبصر ويبصرون بايكم المفتون فالجواب انها في هذا الموضع لاظهار التعدية لان التكذيب
هو النسبة الى الكذب لكن النسبة توجد تارة في القائل واخرى في القول تقول كذبني فلان وكنت صادقا وتقول
كذب فلان قولي والتكذيب في القائل واخرى في القول يستعمل بالباء وبدونها قال تعالى كذبت ثمود المرسلين
وقال كذبت ثمود بالنذر وفي القول كذلك غير ان الاستعمال في القائل بدون الباء اكثر قال تعالى فكذبوه وقال
وان يكذبوك فقد كذبت رسل وفي القول الاستعمال بالباء اكثر قال تعالى كذبوا باياتنا وقال كذبوا بالحق وقال
وكذب بالصدق والتحقيق فيه ان الفعل المطلق هو المصدر لانه هو الذي يصدر من الفاعل فان من ضرب لم يصدر
منه غير الضرب غير ان له محلا يقع فيه يسمى مضروبا ثم اذا كان ظاهرا لكونه محلا للفعل يستغنى بظهوره عن الحرف
فيتعدى من غير حرف يقال ضربت عمرا وشربت ماء للعلم بان الضرب لابد من محل يقوم به وكذلك الشرب لا يستغني
عن مشروب يتحقق فيه فاذا قلت مررت يحتاج الى الحرف ليظهر معنى التعدية لعدم ظهوره في نفسه لان قولك مررت
لا يفهم منه ممرور ولا يفهم من مر به ثم ان الفعل قد يكون في الظهور دون الضرب والشرب وفي الخفاء فوق المرور
فيجوز الاتيان فيه بدون الحرف للظهور الذي فوق ظهور المرور ومع الحرف لكونه الظهور دون ظهور الضرب ولهذا
لا يجوز ان تقول ضربت بعمرو الا اذا جعلته الة الضرب اما اذا ضربته بسوط او غيره لا يجوز فيه زيادة الباء ولا يجوز
مررت الا مع الاشتراك وتقول مسحته ومسحت به وشكرته وشكرت له لان المسح امرار اليد بالشيء فصار كالمرور والشكر
فعل جميل غير انه يقع لمحسن فالاصل في الشكر الفعل الجميل وكونه واقعا لغيره كالتبع بخلاف الضرب فانه امساس جسم
بجسم بعنف فالمضروب داخل في مفهوم الضرب اولا والمشكور داخل في مفهوم الشكر ثانيا واذا عرف هذا فالتكذيب
في القائل ظاهر لانه هو الذي يصدق او يكذب وفي القول غير ظاهر فكان الاستعمال فيه بالباء اكثر والباء فيه لظهور معنى
التعدية وقوله لما جاءهم هو المكذب تقديره كذبوا بالحق لما جاءهم الحق اي لم يؤخروه الى التفكر والتدبر **قوله تعالى**
لما جاءهم العامة على تشديد لما وهي اما حرف وجوب لوجوب او ظرف بمعنى حين كما تقدم وقرا الجحدري بكسر اللام وتخفيف
الميم على انها لام الجر دخلت على ما المصدرية وهي نظير قولهم كتبته لخمس خلون اي عندها **قوله تعالى** فهم في امر مريج
اي مختلط قال ابو واقد • ومرج الدين فاعددت له • مشرف الاقطار محبوك الكتد • وقال اخر •
فجالت والتمست به حشاها • فخر كانه خوط مريج • واصله من الحركة والاضطراب ومنه مرج الخاتم في اصبعه
وقال سعيد بن جبير ومجاهد ملتبس

فصل قال ابن قتادة معناه من ترك الحق مرج عليه امره والتبس
عليه دينه وقال الحسن ما ترك قوم الحق الا مرج امرهم وقال الزجاج معنى اختلاط امرهم هو انهم يقولون
للنبي صلى الله عليه وسلم مرة شاعر ومرة ساحر ومرة معلم ومرة كاهن ومرة مفتر ومرة ينسبونه الى الجنون
فكان امرهم مختلطا ملتبسا عليهم ثم ذكر الدليل الذي يرفع قولهم ذلك رجع بعيد فقال افلم ينظروا الى السماء
فوقهم كيف بنيناها بغير عمد وزيناها بالكواكب وهو نظير قوله تعالى اوليس الذي خلق السموات والارض
بقادر على ان يخلق مثلهم وقوله تعالى اولم يروا ان الله الذي خلق السموات والارض ولم يعي بخلقهن بقادر على ان
يحيي الموتى **قوله تعالى** افلم الهمزة للاستفهام واعلم ان همزة الاستفهام تارة تدخل على الكلام بغير واو وتارة

تدخل ومعها واو والفرق بينهما ان قولك ازيد في الدار بعد وقد طلعت الشمس تذكرة للانكار فاذا قلت اوزيد
في الدار بعد وقد طلعت الشمس تشير بالواو الى ان قبح فعله صار بمنزلة فعلين قبيحين لان الواو تنبئ عن سوابق
مغاير لما بعدها وان لم يكن هناك سابق لكنه تاتي بالواو زيادة في الانكار فان قيل كيف اتى هنا بالفاء
فقال افلم وفي موضع آخر بالواو فالجواب هنا سبق منهم انكار الرجع فقال بحرف التعقيب لمخالفة ما قبل فان قيل
ففي يس سبق ذلك بقوله قال من يحيي العظام فالجواب ان هناك الاستدلال بالسموات لم يعقب الانكار بل استدل
بدليل آخر وهو قوله قل يحييها الذي انشاها اول مرة ثم ذكر الدليل الآخر وها هنا الدليل كان عقيب انكارهم
فذكره بالفاء فان قيل كيف قال ههنا بلفظ النظر وفي الاحقاف بلفظ الرؤية فالجواب انهم ها هنا لما
استبعدوا امر الرجع بقولهم ذلك رجع بعيد استبعد استبعادهم وقال افلم ينظروا لان النظر دون الرؤية
فقال النظر كاف في حصول العلم بامكان الرجع ولا حاجة الى الرؤية ليقع الاستبعاد في مقابلة الاستبعاد وهنا لم
يوجد منهم انكار فارشدهم اليه بالرؤية التي هي اتم من النظر **قوله تعالى** الى السماء فوقهم فقوله فوقهم
حال من السماء وهي مؤكدة وكيف منصوبة بما بعدها وهي معلقة للنظر قبلها فان قيل كيف قال الى السماء ولم يقل
في السماء فالجواب لان النظر في الشيء ينبئ عن التامل والمبالغة والنظر الى الشيء لا ينبئ عنه لان الى للغاية ينتهي
النظر عنده وفي للدخول في معنى الظرف فاذا انتهى النظر اليه ينبغي ان ينفذ فيه حتى يصح معنى النظر فيه **قوله تعالى**
وما لها من فروج اي شقوق وفتوق وصدوع واحدها فرج والارض مددناها بسطناها على وجه الماء والقينا
فيها رواسي جبالا ثوابت وانبتنا فيها من كل زوج بهيج حسن كريم يبهج به اي يسر **قوله تعالى** تبصرة العامة
على نصبهما على المفعول من اجله اي تبصيرا امثالهم وتذكيرا امثالهم وقيل منصوبان بفعل من لفظهما مقدرا اي بصرهم
تبصرة وذكرهم تذكرة وقيل حالان اي مبصرين مذكرين وقيل حال من المفعول اي ذات تبصرة وتذكير وقرأها
زيد بن علي بالرفع وقرأ وذكرى اي هي تبصرة وذكرى ولكل اما صفة واما متعلق بنفس المصدر وقال البغوي تبصرا
وتذكيرا **فصل** قال ابن الخطيب يحتمل ان يكون الامران عائدين للسماء والارض اي خلق السماء تبصرة
وخلق الارض ذكرى ويدل على ذلك ان السماء وزينتها مستمرة غير متجددة في كل عام فهي كالشيء المرئي على مرور
الزمان واما الارض فهي كل سنة تاخذ زخرفها فتذكر فالسماء تبصرة والارض تذكرة ويحتمل ان يكون كل
واحد من الامرين موجودا في كل واحد من الامرين فالسماء تبصرة وتذكرة والارض كذلك والفرق بين
التبصرة والتذكرة هو ان فيهما آيات مستمرة منصوبة في مقابلة البصائر وآيات متجددة مذكرة عند التناسي
قوله تعالى لكل عبد منيب اي ليتبصر ويتذكر كل عبد منيب اي راجع الى التفكر والتذكر والنظر في الدلائل **قوله تعالى**
ونزلنا من السماء ماء مباركا كثير الخير وفيه حياة كل شيء وهو المطر فانبتنا به جنات وحب الحصيد يعني البر
والشعير وسائر الحبوب التي تحصد فقوله وحب الحصيد يجوز ان يكون من باب حذف الموصوف للعلم به تقديره
وحب الزرع الحصيد نحو مسجد الجامع وبابه وهذا مذهب البصريين لئلا يلزم اضافة الشيء الى نفسه ويجوز
ان يكون من باب اضافة الموصوف الى صفته لان الاصل والحب الحصيد اي المحصود **فصل** هذا دليل آخر
وهو ما بين السماء والارض فيكون الاستدلال بالسماء والارض وما بينهما وهو انزال الماء من فوق واخراج
النبات من تحت فان قيل هذا الاستدلال قد تقدم في قوله تعالى وانبتنا فيها من كل زوج بهيج فما الفائدة في اعادة
قوله فانبتنا به جنات وحب الحصيد فالجواب ان قوله وانبتنا اشارة الى جعلها محلا للنبات الكرم والشجر وغيرهما
وقوله وانبتنا استدلال بنفس النبات اي الاشجار تنمو وتزيد فكذلك بدن الانسان بعد الموت ينمو ويربو بان يرجع
الله اليه قوة النشو والنماء كما يعيدها الى الاشجار بواسطة ماء السماء **قوله تعالى** والنخل باسقات والنخل منصوب
عطفا على مفعول انبتنا اي وانبتنا النخل وباسقات حال وهي حال مقدرة لانها وقت الانبات لم تكن طوالا والبسوق
الطول يقال بسق فلان على اصحابه اي طال عليهم في الفضل ومنه قول ابن نوفل في ابن هبيرة **شعر**
يا ابن الذين بمجدهم بسقت قيس فزارة * وهو استعارة والاصل استعماله في بسقت النخلة تبسق بسوقا اي طالت
قال الشاعر * لنا خمر وليست خمر كرم * ولكن من نتاج الباسقات * كرام في السماء ذهبن طولا * وفات ثمارها
ايدي الجناة * وبسقت الشاة ولدت وابسقت الناقة وقع في ضرعها اللبأ قبل النتاج ونوق مباسيق من ذلك
وقال مجاهد وقتادة وعكرمة معنى باسقات اي طوالا وقال سعيد بن جبير مستويات والعامة على السين في باسقات
وقرأ قطبة بن مالك ويرويها عن النبي صلى الله عليه وسلم باصقات بالصاد وهي لغة لبني العنبر يبدلون السين صادا
قبل القاف والعين والخاء والطاء اذا وليتها او فصلت منها بحرف او حرفين **قوله تعالى** لها طلع يجوز ان تكون الجملة

حالا من النخل او من الضمير في باسقات ويجوز ان يكون الحال وحده لها وطلع فاعل به ونضيد بمعنى منضود
بعضها فوق بعض في كمامها كما في سنبلة الزرع وهو عجيب فان الاشجار الطوال ثمارها بارزة بعضها على بعض
لكل واحدة منها اصل يخرج منه كالجوز واللوز وغيرهما والطلع كالسنبلة الواحدة تكون على اصل واحد **قوله تعالى**
رزقا يجوز ان يكون حالا اي مرزوقا للعباد اي ذا رزق وان يكون مصدرا من معنى انبتنا لان انبات هذه رزق
فكانه قال انبتناها انباتا للعباد ويجوز ان يكون مفعولا له وللعباد اما صفة واما متعلق بالمصدر واما
مفعول للمصدر واللام زائدة اي رزقا العباد **فصل** قال ابن الخطيب ما الحكمة في قوله عند ذكر خلق
السماء والارض تبصرة وذكرى وفي الثمار قال رزقا والثمار ايضا فيها تبصرة وفي السماء والارض ايضا منفعة
غير التبصرة والتذكرة فنقول فيه وجوه احدها ان الاستدلال واقع لوجود امرين احدهما الاعادة والثاني
البقاء بعد الاعادة فان النبي عليه السلام كان يخبرهم بحشر وجمع يكون بعده الثواب الدائم والعقاب الدائم وانكروا
ذلك فقال اما الاول فانه القادر على خلق السموات والارض قادر على خلق الخلق بعد الفناء واما الثاني فلان
البقاء في الدنيا بالرزق والقادر على اخراج الارزاق من النخل والشجر قادر على ان يرزق بعد الحشر فكان الاول تبصرة
وتذكرة بالخلق والثاني تذكرة بالبقاء بالرزق ويدل على هذا الفصل بينهما بقوله تعالى تبصرة وذكرى حيث
ذكر ذلك بين الآيتين ثم بدأ بذكر الماء وانزاله وانبات النبات ثانيها ان منفعة الثمار الظاهرة هي الرزق فذكرها
ومنفعة السماء الظاهرة ليست امرا عائدا الى انتفاع العباد لبعدها عن ذهنهم حتى انهم لو توهموا عدم الزرع والثمر
لظنوا ان يهلكوا ولو توهموا عدم السماء فوقهم لقالوا لا يضرنا ذلك مع ان الامر بالعكس اولى لان السماء سبب
الارزاق بقدرة الله تعالى وفيها منافع غير ذلك والثمار وان لم تكن كان العيش كما انزل الله على قوم المن والسلوى
وعلى قوم المائدة من السماء فذكر الاظهر للناس في هذا الموضع ثالثها قوله رزقا اشارة الى كونه منعما لكون
تكذيبهم في غاية القبح فانه يكون اشارة بالنعم وهو اقبح ما يكون **قوله** قال تبصرة وذكرى لكل عبد منيب
نفيد العبد بكونه منيبا لان العبودية حصلت لكل احد غير ان المنيب ياكل ذاكرا شاكرا للانعام وغيره ياكل كما تاكل
الانعام فلم يخصص بقيد **قوله تعالى** فاحيينا به اي بالماء وميتا صفة لبلدة ولم يؤنث حملا على معنى المكان
والعامة على التخفيف وابو جعفر وخالد بالتثقيل فان قيل ما الفرق بين هذا الموضع وبين قوله وآية لهم الارض
الميتة احييناها حيث اثبت لها هناك فالجواب ان الاصل في الارض الوصف فقال الميتة لان معنى الفاعلية ظاهر هناك
والبلدة الاصل فيها الحياة لان الارض اذا صارت حية صارت آهلة واقام بها القوم وعمروها فصارت
بلدة فاسقط التاء لان معنى الفاعلية ظاهر فتثبت فيها واذا كان بمعنى الفاعل لم يظهر لا تثبت فيها التاء وتحقيق
هذا قوله بلدة طيبة حيث اثبت لها حيث ظهر معنى الفاعل ولم يثبت حيث لم يظهر **قوله تعالى** كذلك الخروج
اي من القبور اي كالاحياء الخروج فان قيل الاحياء يشبه به الاخراج لا الخروج فالجواب تقديره كما احيينا به بلدة
ميتا فتشققت وخرج منها النبات كذلك تتشقق ويخرج منها الاموات قال ابن الخطيب وهذا يؤكد قولنا ان
الرجع بمعنى الرجوع في قوله ذلك رجع بعيد لانه تعالى بين لهم ما استبعدوه فلو استبعدوا الرجع الذي هو من
المتعدي لناسبه ان يقول كذلك الاخراج فلما قال كذلك الخروج فهم انهم انكروا الرجوع فقال كذلك الرجوع
والخروج **قوله تعالى** كذبت قبلهم قوم نوح الآية ذكر المكذبين تذكيرا لهم بحالهم وانذارا لهم باهلاكهم وفيه
تسلية للرسول وتنبيه بان حاله كحال من تقدم من الرسل كذبوا وصبروا فاهلك الله مكذبيهم ونصرهم والمراد
باصحاب الرس قيل هم قوم شعيب وقيل هم الذين جاءهم من اقصى المدينة رجل يسعى وهم من قوم عيسى عليه السلام
وقيل هم اصحاب الاخدود والرس اما موضع نسبوا اليه او فعل وهو حفر البئر يقال رس اذا حفر بئرا وقد تقدم في
الفرقان وقال ههنا قوم نوح وقال اخوان لوط لان لوطا كان مرسلا الى طائفة من قوم ابرهيم هم معارف لوط
ونوح كان مرسلا الى خلق عظيم وقال فرعون ولم يقل قوم فرعون وقال قوم تبع لان فرعون كان هو المعتبر
المستبد بامره وتبع كان معتضدا بقومه فجعل الاعتبار لفرعون وخصه بالذكر وتبع هو تبع الحميري واسمه
سعد ابو كرب قال قتادة ذم الله قوم تبع ولم يذمه وتقدم ذكره في سورة الدخان **فصل** الايكة تقدم الكلام
عليها في الشعراء وقرأ ههنا ليكة بزنة ليلة ابو جعفر وشيبة وقال ابو حيان وقرأ ابو جعفر وشيبة ونافع وطلحة
الايكة بلام التعريف والجمهور ليكه وهذا الذي نقله غفلة منه بل الخلاف المشهور انما هو في سورة الشعراء وص
كما تقدم تحقيقه واما هنا فالجمهور على لام التعريف **قوله تعالى** كل التنوين عوض من المضاف اليه وكان بعض النحاة
يجيز حذف تنوينها وبناءها على الضم كالغاية نحو قبل وبعد واللام في الرسل قبل للتعريف العهدي اي كل واحد

كذب رسول منهم كذبوا الرسل والصحيح انها لتعريف الجنس وهو ان كل واحد كذب جميع الرسل وذلك على
وجهين احدهما ان المكذب للرسول مكذب لكل الرسل وثانيهما ان المذكورين كانوا منكرين للرسالة والحشر
بالكلية **قوله تعالى** فحق وعيد اي وجب لهم عذابي اي ما اوعد الله من نصرة الرسل عليهم واهلاكهم **قوله تعالى**
افعيينا القراءة على ياء مكسورة بعدها ياء ساكنة وقرا ابن ابي عبلة افعينا بتشديد الياء من غير اشباع فهذه
القراءة على شكل لها قراها الوليد بن مسلم وابو جعفر وشيبة ونافع في رواية وروي ابن خالويه عن ابن ابي
عبلة افعينا كذلك لكنه اني بعد الياء المشددة باخرى ساكنة وخرجها ابو حيان على لغة من يقول في عيي عي
وفي حيي حي بالادغام ثم لما اسند هذا الفعل وهو مدغم اعتبر لغة بكر بن وائل وهو انهم لا يفكون الادغام
في مثل هذا اذا اسندوا ذلك الفعل المدغم لتاء المتكلم ولا اخرى لاخواتها التي تسكن لها لام الفعل فيقولون
[illegible] وعلى هذه اللغة تكون التاء مفتوحة ولم يذكر توجيه القراءة الاخرى وتوجيهها انها
[illegible] **فصل** ومعنى افعيينا بالخلق الاول اي اعجزنا حين خلقناهم اولا فنعيا بالاعادة
وهذا تقريع لهم لانهم اعترفوا بالخلق الاول وانكروا البعث ويقال لكل من عجز عن شيء عيي به بل هم في لبس
اي شك من خلق جديد وهو البعث والمراد بالخلق الاول قبل خلقهم ابتداء لقوله تعالى ولئن سالتهم من خلقهم
ليقولن الله وقيل هو خلق السموات لانه هو الخلق الاول فكانه تعالى قال افلم ينظروا الى السماء ثم قال افعيينا
بهذا ويؤيده قوله تعالى اولم يروا ان الله الذي خلق السموات والارض ولم يعي بخلقهن وقال بعد هذه الاية
ولقد خلقنا الانسان وعطفه بحرف الواو على ما تقدم من الخلق وهو بناء السموات ومد الارض وتنزيل الماء وانبات
[illegible]

[illegible]

شيطانا فهو له قرين وقال تعالى فبئس القرين فالإشارة إلى هذا إلى المسوق المرتكب للفجور والفسوق والعتيد
معناه المعتد للنار ومعناه أن الشيطان يقول هذا العاصي شيء هو عندي معتد لجهنم أعتدته لها بالإغواء
والإضلال **قوله تعالى** ما لدي عتيد يجوز أن تكون ما نكرة موصوفة وعتيد صفتها ولدي متعلق بعتيد أي هذا
شيء عتيد لدي أي حاضر عندي ويجوز على هذا أن يكون لدي وصفا لما وعتيد صفة ثانية أو خبر مبتدأ محذوف
أي هو عتيد ويجوز أن تكون موصولة بمعنى الذي ولدي صلتها وعتيد خبر الموصول والموصول وصلته خبر الإشارة
ويجوز أن يكون ما بدلا من هذا موصولة كانت أو موصوفة بلدي وعتيد خبر هذا وجوز الزمخشري في عتيد أن يكون
بدلا أو خبرا بعد خبر أو خبر مبتدأ محذوف والعامة على رفعه وعبد الله نصبه حالا قال لا أجود حينئذ أن تكون ما
موصولة لأنها معرفة والمعرفة بكثرة مجيء الحال منها قال أبو البقاء ولو جاء ذلك في غير القرآن لجاز نصبه على الحال كأنه
لم يطلع عليها قراءة **قوله تعالى** ألقيا في جهنم اختلفوا في المأمور واحد واثنان فقيل واحد وإنما ثني بضمير الاثنين
دلالة على تكرر الفعل كأنه قيل ألق ألق وقيل أراد ألقين بالنون الخفيفة فأبدلها ألفا إجراء للوصل مجرى الوقف ويؤيده
قراءة الحسن ألقين بالنون وقيل العرب تخاطب الواحد مخاطبة الاثنين تأكيدا كقوله فإن تزجراني يا ابن عفان
أزدجر • وإن تدعاني أحم عرضا ممنعا • وقال الآخر • فقلت لصاحبي لا تحبسانا • بنزع أصوله واجتز شيحا •
وتقول العرب ويحك ارحلاها وازجراها وخذاها للواحد قال الفراء وأصل ذلك أن أدنى أعوان الرجل في إبله وغنمه
وسفره اثنان فجرى كلام الواحد على صاحبه ومنه قولهم في الشعر خليلي وقيل المأمور مثنى وهذا هو الحق لأن المراد
ملكان يفعلان ذلك قال الزجاج هذا أمر للسائق والشهيد وقيل للمتلقيين **قوله تعالى** كل كفار عنيد الكفار يحتمل
أن يكون من الكفر فيكون شديد الكفر لأن التشديد في اللفظ يدل على شدة في المعنى ويحتمل أن يكون من الكفران فهو
المنكر نعم الله مع كثرتها والعنيد فعيل بمعنى فاعل من عند عنودا ومنه العناد والمعنى عاص معرض عن الحق قال
عكرمة ومجاهد مجانب للحق معاند لله **قوله تعالى** مناع للخير أي كثير المنع للمال الواجب من الزكاة وكل حق واجب
في ماله هذا إذا قلنا إن الكفار هو المنكر نعم الله وإن قلنا هو من الكفر فهو الذي أنكر دلائل وحدانية الله تعالى
مع قوتها وظهورها فكان شديد الكفر عنيدا حيث أنكر الحق الواضح فهو مناع شديد المنع من الإيمان فهو مناع
الخير وهو الإيمان الذي هو خير محض كأنه يقول كفر بالله ولم يقنع بكفره حتى منع الخير من الغير **قوله تعالى** معتد
فإن فسرنا المناع مناع الزكاة فمعناه لم يؤد الواجب وتعدى ذلك حتى أخذ الحرام أيضا بالربا كما كان عادة المشركين
وإن كان المناع بمعنى منع الإيمان فكأنه يقول منع الإيمان ولم يقنع به حتى تعداه وأهان من آمن وآذاه وأعان من
كفر فآواه قال المفسرون هو الظالم الذي لا يقر بتوحيد الله وقوله مريب أي شاك في التوحيد ومعناه داخل
في الريب وقيل موقع للغير في الريب بإلقاء الشبه وإن قيل بأن المناع مناع الزكاة فمعناه لا يعطي الزكاة لأنه في ريب
من الآخرة والثواب قال ابن الخطيب وفيه ترتيب آخر وهو أن يقال هذا بيان أحوال الكافر بالنسبة إلى الله وإلى الرسول
وإلى اليوم الآخر فقوله كفار عنيد إشارة إلى حاله مع الله يكفر به ويعاند آياته وقوله مناع للخير معتد إشارة إلى حاله
مع الرسول يمنع الناس من اتباعه ومن الإنفاق على من عنده ويتعدى بالإيذاء وقوله مريب إشارة إلى حاله بالنسبة إلى
اليوم الآخر أي يرتاب فيه ولا يظن أن الساعة قائمة فإن قيل قوله تعالى ألقيا في جهنم كل كفار عنيد مناع للخير
إلى غير ذلك يوجب أن يكون الإلقاء خاصا بمن اجتمع فيه هذه الصفات بأسرها والكفر وحده كاف في إثبات الإلقاء
في جهنم فالجواب أن قوله كل كفار عنيد ليس المراد منه الوصف المميز كما يقال أعط العالم الزاهد بل المراد الوصف
المبين لكون الموصوف موصوفا به إما على سبيل المدح أو على سبيل الذم كقولك هذا حاتم السخي فقوله كل كفار عنيد
معناه أن الكافر عنيد ومناع للخير لأن آيات الوحدانية ظاهرة ونعم الله على عباده وافرة وهو مع ذلك عنيد ومناع
للخير لأنه يرتاب في الحشر وكل كافر فهو موصوف بهذه الصفات **قوله تعالى** الذي جعل يجوز أن يكون منصوبا على
الذم وعلى البدل من كل وأن يكون مجرورا بدلا من كفار أو مرفوعا بالابتداء والخبر فألقياه قيل ودخلت الفاء
لشبهه بالشرط ويجوز أن يكون خبر مبتدأ مضمر أي هو الذي جعل ويكون فألقياه تأكيدا وجوز ابن عطية أن يكون
صفة للكفار قال من حيث يختص كفار بالأوصاف المذكورة فجاز وصفه بهذه المعرفة وهذا مردود وقرئ بفتح
التنوين في مريب فرارا من توالي أربع متجانسات **قوله تعالى** قال قرينه جاءت هذه بلا واو لأنها قصد بها
الاستئناف كأن الكافر قال رب هو أطغاني فقال قرينه ما أطغيته بخلاف التي قبلها فإنها عطفت على ما
قبلها للدلالة على الجمع بين معناها ومعنى ما قبلها في الحصول أعني مجيء كل نفس مع الملكين وقول قرينه ما قال
قال ابن الخطيب جاءت هذه بلا واو وفي الأولى بالواو العاطفة لأن في الأولى إشارة وقعت إلى معنيين مجتمعين

فإن كل نفس في ذلك الوقت تجيء ومعها سائق وشهيد فيقول الشهيد ذلك القول وفي الثاني لم يوجد
هنالك معنيان مجتمعان حتى يذكر بالواو فإن ألقيا في قوله فألقياه في العذاب لا يناسب قوله قال قرينه ربنا ما
أطغيته فليس هناك مناسبة مقتضية للعطف بالواو **فصل** هذا جواب لكلام مقدر كأن الكافر
حين ما يلقى في النار يقول ربنا أطغاني شيطاني فيقول الشيطان ربنا ما أطغيته بدليل قوله تعالى لا تختصموا
لدي لأن المخاصمة تستدعي كلاما من الجانبين ونظيره قوله تعالى في سورة ص قالوا بل أنتم لا مرحبا بكم إلى قوله
إن ذلك لحق تخاصم أهل النار قال الزمخشري وهذا يدل على أن المراد بالقرين في الآية المتقدمة هو الشيطان لا
الملك الذي هو شهيد وعتيد وعلى هذا فيكون قوله ربنا ما أطغيته مناقضا لقوله أعتدته بمعنى زينت له النار
أن تكون الإشارة إلى حالتين ففي الحالة الأولى أنا فعلت به ذلك إظهارا للانتقام من بني آدم وتصحيحا لقوله
فبعزتك لأغوينهم أجمعين ثم إذا رأى العذاب وهو معه مشترك يقول ربنا ما أطغيته ويرجع عن مقاله عند
ظهور العذاب وقال ابن عباس وسعيد بن جبير ومقاتل المراد بالقرين هنا الملك أي يقول الكافر رب إن الملك
زاد علي في الكتابة فيقول الملك ربنا ما أطغيته يعني ما زدت عليه وما كتبت إلا ما قال وعمل ولكن كان في
ضلال بعيد أي طويل لا يرجع عنه إلى الحق فإن قيل القائل هنا واحد وقال ربنا ولم يقل رب وفي كثير من المواضع
القائل واحد وقال رب كقوله قال رب أرني وقال نوح رب اغفر لي رب لا تذر على الأرض رب السجن أحب إلي رب
ابن لي عندك بيتا رب انظرني فالجواب أن في جميع تلك المواضع القائل طالب ولا يحسن أن يقول الطالب يا رب
أعطني وإنما يحسن أن يقول أعطنا لأن كونه ربا لا يناسب تخصيص الطالب وأما ههنا فالموضع موضع هيبة وعظمة
وعرض حال فقال ربنا ما أطغيته فإن قيل ما الوجه في اتصاف الضلال بالبعد فالجواب أن الضال يكون أكثر ضلالا
عن الطريق فإذا تمادى في الضلال وبقي فيه مدة يبعد عن المقصد كثيرا فإذا علم الضلال قصر الطريق عن قريب
فلا يبعد عن المقصد كثيرا فقوله ضلال بعيد وصف للمصدر بما يوصف به الفاعل كما يقال كلام صادق وعيشة
راضية أي وضلال ذو بعد وقال الضلال إذا بعد مداه وامتد الضال فيه فيصير بينا ويظهر الضلال لأن من
حاد عن الطريق وبعد عنه يبعد عليه الصواب ولا يرى للمقصد أثرا فيتبين له أنه ضل عن الطريق وربما يقع في
أودية ومفاوز تظهر له أمارات الضلال بخلاف من حاد قليلا فالضلال وصفه الله بالوصفين في كثير من المواضع
تارة قال في ضلال مبين وأخرى في ضلال بعيد فإن قيل كيف قال ما أطغيته مع أنه قال لأغوينهم أجمعين فالجواب
من ثلاثة أوجه تقدم منها وجهان في الاعتذار عما قاله الزمخشري والثالث أن المراد من قوله لأغوينهم أي لأ
ديمنهم على الغواية كما أن الضال إذا قال له شخص أنت على الجادة فلا تتركها يقال إنه يضله كذا ههنا فقوله ما أطغيته
أي ما كان ابتداء الإطغاء مني **قوله تعالى** لا تختصموا استئناف أيضا كأن قائلا قال فماذا قال الله فأجيب
بقال لا تختصموا وقوله لدي يفيد مفهومه أن الاختصام كان ينبغي أن يكون قبل الحضور والوقوف بين يدي
قوله تعالى وقد قدمت جملة حالية ولا بد من تأويلها وذلك أن النهي في الآخرة والتقدمة بالوعيد في الدنيا
فاختلف الزمانان فكيف يصح جعلها حالية وتأويلها هو أن المعنى وقد صح أني قدمت وزمان الصحة وزمان النهي
واحد وقدمت يجوز أن تكون بمعنى تقدمت فتكون الباء للحال ولا بد من حذف مضاف أي وقد تقدم قولي لكم
ملتبسا بالوعيد ويجوز أن تكون قدمت على حالها متعديا والباء مزيدة في المفعول أي قدمت إليكم الوعيد كقوله تعالى
تنبت بالدهن على قول من قال بزيادتها هناك وقيل الباء ههنا للمصاحبة كقولك اشتريت الفرس بلجامه وسرجه
أي معه فكأنه تعالى قال قدمت إليكم ما يجب مع الوعيد على ترك الإنذار **قوله تعالى** ما يبدل القول لدي أي
لا تبديل لقولي وهو قوله لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين وقيل المعنى ما يبدل القول لدي أي ما يكذب عندي
ولا يغير القول عن وجهه لأني أعلم الغيب وهذا قول الكلبي ومقاتل واختيار الفراء لأنه قال ما يبدل القول لدي
ولم يقل ما يبدل قولي وقيل معناه لا يبدل القول السابق هذا شقي وهذا سعيد خلقت العباد فذلك القول عندي
لا تبديل له سعى ساع وهذا رد على المرجئة حيث قالوا إما ورد في القرآن من الوعيد فهو تخويف لا يحقق الله منه شيئا
وقالوا الكريم إذا وعد بخير وفى وإذا أوعد أخلف وعفى وقيل المعنى ما يبدل الكفر بالإيمان لدي فإن الإيمان عند
القيام بين يدي الله في القيامة غير مقبول فقوله ما يبدل القول لدي إشارة إلى نفي الحال كأنه قال ما يبدل اليوم لدي
القول لأن ما إذا دخلت على الفعل المضارع ينفى بها الحال تقول ماذا يفعل زيد في بيته فيقال ما يفعل شيئا
أي في الحال فإذا قلت ماذا يفعل غدا قيل لا يفعل شيئا أو لن يفعل شيئا إذا أريد زيادة بيان النفي **قوله تعالى**
وما أنا بظلام للعبيد أي فأعاقبهم بغير جرم واعلم أن الظلام مبالغة في الظالم ويلزم من إثباته إثبات أصل الظلم

فاذا قال القائل هذا كذاب يلزم ان يكون كثير الكذب لكنه يكذب احيانا فقوله ما انا بظلام يفهم منه نفي اصل
الظلم وان الله ليس بظالم والجواب في ذلك من وجوه الاول ان الظلام بمعنى الظالم كالتمار بمعنى التامر فيكون اللام
في قوله للعبيد لتحقيق النسبة لان الفعال حينئذ بمعنى ذي ظلم الثاني قال الزمخشري ان ذلك امر تقديري كانه تعالى
يقول لو ظلمت عبدي الضعيف الذي هو محل الرحمة لكان ذلك غاية الظلم وما انا بظلام للعبيد اي في ذلك اليوم
الذي املاء فيه جهنم مع سعتها حتى تصيح وتقول لم يبق لي طاقة بهم ولم يبق في موضع لهم فهل من مزيد استفهام
استنكار الثالث انه لمقابلة الجمع بالجمع والمعنى ان ذلك اليوم مع اني القي في جهنم عددا لا احصر له لا اكون بسبب
كثرة التعذيب كثير الظلم لانه قال وما انا بظلام للعبيد ثم نقول ولم يقل ما انا بظلام في جميع الازمان وخصص
بالعبيد حيث قال ما انا بظلام للعبيد ولم يطلق فكذلك خصص النفي بنوع من انواع الظلم ولم يطلق ولم يلزم
منه ان يكون ظالما في غير ذلك الوقت وبقية الاجوبة مذكورة في آل عمران عند قوله بظلام للعبيد كداب آل فرعون
فصل هذه الاية تدل على ان التخصيص بالذكر لا يدل على نفي ما عداه لانه نفى كونه ظلاما ولم يلزم منه
كونه ظالما ونفى كونه ظالما للعبيد ولم يلزم منه كونه ظالما لغيرهم **فصل** يحتمل ان يكون المراد بالعبيد
الكفار كقوله تعالى يا حسرة على العباد ما ياتيهم من رسول الاية والمعنى اعذبهم وما انا بظلام لهم ويحتمل ان يكون
المراد منه المومنين والمعنى ان الله تعالى يقول لو بدلت قولي ورحمت الكافر لكنت في تكليف العباد ظالما لعبادي المومنين
لاني منعتهم من الشهوات لاجل هذا اليوم فلو كان ينال من لم يات بما اتى به المومن ما يناله المومن لكان اتيان المومن
بما اتى به من الايمان والعبادة غير مفيد وهذا معنى قوله تعالى لا يستوي اصحاب النار واصحاب الجنة وقوله قل هل
يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون ويحتمل ان يكون المراد التعميم **قوله تعالى** يوم نقول يوم منصوب
اما بظلام ولا مفهوم لهذا لانه اذا لم يظلم في هذا اليوم فنفي الظلم عنه في غيره احرى او بقوله ونفخ في الصور والا
شارة بذلك الى يوم نقول قاله الزمخشري واستبعده ابو حيان لكثرة الفواصل او باذكر مقدرا او بانذر وهو على هذين
الاخيرين مفعول به لا ظرف وقرا نافع وابو بكر يقول لجهنم بياء الغيبة والفاعل الله تعالى لتقدم ذكره في قوله
مع الله وقوله لا تختصموا والباقون بنون المتكلم المعظم نفسه لتقدم ذكره في قوله لدي وقد قدمت والاعمش يقال
مبنيا للمفعول وقوله هل امتلات وذلك لما سبق من وعده اياها انه يملاها من الجنة والناس وهذا السؤال من الله عز وجل
لتصديق خبره وتحقيق وعده **قوله تعالى** هل من مزيد سؤال تقرير وتوقيف وقيل معناه النفي وقيل السؤال
لخزنتها والجواب منهم فلا بد من حذف مضاف اي نقول لخزنة جهنم ويقولون ثم حذف والمزيد يجوز ان يكون
مصدرا اي هل من زيادة وان يكون اسم مفعول اي من شيء تزيدونيه احرقه **فصل** قال المفسرون
معنى قوله هل من مزيد اي قد امتلات ولم يبق في موضع لم يمتلئ فهو استفهام انكاري بمعنى الاستزادة رواه ابو
صالح عن ابن عباس وعلى هذا يكون السؤال وهو قوله هل امتلات قبل دخول جميع اهلها فيها وروي عن ابن عباس
ان الله تعالى سبقت كلمته لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين فلما سيق اعداء الله اليها لا يلقى فيها فوج الا ذهب
فيها ولا يملاها فتقول الست قد اقسمت لتملاني فيضع قدمه عليها ثم يقول هل امتلات فتقول قط قط قد امتلات
وليس في من مزيد **قوله تعالى** وازلفت الجنة قربت وادنيت وقوله غير بعيد يجوز ان يكون حالا من الجنة ولم يونث لانها
بمعنى البستان او لان فعيلا لا يونث لانه بزنة المصادر قاله الزمخشري ومنعه ابو حيان وقد تقدم في قوله ان
رحمة الله قريب ويجوز ان يكون منصوبا على الظرف المكاني اي مكانا غير بعيد ويجوز ان يكون نعتا لمصدر محذوف
اي ازلافا غير بعيد فان قيل ما وجه التقريب مع ان الجنة مكان والامكنة يقرب منها وهي لا تقرب فالجواب
من وجوه الاول ان الجنة لا تزال ولا يوم المومن في ذلك اليوم بالانتقال اليها مع بعدها لكن الله تعالى يطوي
المسافة التي بين المومن والجنة فهو التقريب فان قيل فعلى هذا ليس ازلاف الجنة من المومن باولى من ازلاف
المومن من الجنة فما فائدة قوله ازلفت الجنة فالجواب ان ذلك اكرام للمومن وبيان لشرفه وانه ممن يمشى اليه
الثاني قربت من الحصول في الدخول لا بمعنى القرب المكاني الثالث ان الله تعالى قادر على نقل الجنة من السماء الى الارض
فيقربها للمومن ويحتمل انها ازلفت بمعنى جمعت محاسنها لانها مخلوقة وانما بمعنى قرب الحصول لها لانها تنال بكلمة
حسنة ويحصل للمتقين بذلك لانهم حق بها **قوله تعالى** هذا ما توعدون هذه الجملة يجوز فيها وجهان احدهما
ان تكون معترضة بين البدل والمبدل منه وذلك ان لكل اواب بدل من للمتقين باعادة العامل والثاني ان تكون
منصوبة بقول مضمر ذلك القول منصوب على الحال اي مقولا لهم وقد تقدم في ص ان قوله يوعدون بالياء
والتاء ونسب ابو حيان قراءة الياء من تحت هنا لابن كثير وابي عمرو وانما هي عن ابن كثير وحده **فصل** والاواب

الرجاع

والاواب الرجاع قيل هو الذي يرجع عن الذنوب الى الاستغفار والطاعة قال سعيد بن المسيب هو الذي يذنب
ثم يتوب ثم يذنب ثم يتوب وقال الشعبي ومجاهد هو الذي يذكر ذنوبه في الخلاء فيستغفر منها وقال ابن عباس
وعطا هو المسبح من قوله يا جبال اوبي معه وقال قتادة هو المصلي منها وعن ابن عباس ايضا الحفيظ لامر الله وقال
قتادة الحفيظ لما استودعه الله من حقه والاواب والحفيظ كلاهما من باب المبالغة اي يكون كثير الاوب شديد الحفظ
قوله تعالى من خشي يجوز ان يكون مجرور المحل بدلا او بيانا لكل وقال الزمخشري يجوز ان يكون بدلا بعد بدل تابعا لكل
انتهى يعني انه بدل من كل بعد ان ابدلت لكلا من المتقين ولم يجعله بدلا اخر من نفس المتقين لانه لا يتكرر البدل
والمبدل منه واحد ويجوز ان يكون بدلا من موصوف اواب وحفيظ قال الزمخشري يعني ان الاصل لكل شخص اواب
فيكون من خشي بدلا من شخص المقدر قال ولا يجوز ان يكون في حكم اواب وحفيظ لان من لا يوصف بها لا يقال الرجل
من جاني جالس كما يقال الرجل الذي جاء في جالس والفرق بينهما باني في الفصل بعده ولا يوصف من بين الموصولات
الا بالذي يعني بقوله في حكم اواب ان يجعل من صفة وهذا كما قال لا يجوز الا ان ابا حيان استدرك عليه الحصر
وقال بل يوصف بغير الذي من الموصولات كوصفهم بما فيه الموصولة نحو الضارب والمضروب وكوصفهم بذو وذات
الطائيين نحو قولهم بالفضل ذو فضلكم الله به والكرامة ذات اكرمكم الله به وقد جوز ابن عطية في من خشي
ان يكون نعتا لما تقدم وهو مردود بما تقدم ويجوز ان يرتفع من خشي على خبر ابتداء مضمر وينتصب بفعل مضمر
وكلاهما على القطع المشعر بالمدح وان يكون مبتدا خبره قول مضمر ناصب لقوله ادخلوها اي من خشي الرحمن يقال لهم
ادخلوها وجمع اولا على اللفظ وفي الثاني على المعنى وقيل من خشي منادى حذف منه حرف النداء اي يا من خشي ادخلوها
باعتبار الجملتين المتقدمتين وحذف حرف النداء سائغ وان تكون شرطية وجوابها محذوف وهو ذلك القول
ولكن زعمه فادا اي فيقال لهم وبالغيب حال اي غائبا عنه فيحتمل ان يكون حالا من الفاعل او المفعول او منهما
وقيل الباء للسببية اي خشيه بسبب الغيب الذي اوعده من عذابه ويجوز ان تكون صفة لمصدر خشي اي خشية ملتبسة
بالغيب **فصل** قال ابن الخطيب اذا كان من والذي يشتركان في كونهما من الموصولات فلماذا لا يشتركان
في جواز الوصف بهما فنقول ما اسم مبهم يقع على كل شيء فمفهومه هو شيء لكن الشيء هو اعم الاشياء فان الجوهر
شيء والعرض شيء والواجب شيء والممكن شيء والاعم قبل الاخص في الفهم لانك اذا رايت شبحا من البعد تقول اولا
انه شيء ثم اذا ظهر لك منه ما يختص بالناس تقول انسان فاذا بان لك انه ذكر قلت انه رجل فاذا وجدته ذا قوة
تقول شجاع الى غير ذلك فالاعم اعرف وهو قبل الاخص في الفهم فلا يجوز ان تكون صفة لان الصفة بعد الموصوف
هذا من حيث المعقول واما من حيث النحو فلان الحقائق لا يوصف بها فلا يقال جسم رجل جاءني كما يقال جسم ناطق
جاءني لان الوصف يقوم بالموصوف والحقيقة تقوم بنفسها لا بغيرها فقولنا عالم اي شيء له علم **فصل**
والخشية والخوف معناهما واحد عند اهل اللغة لكن بينهما فرق وهو ان الخشية خوف من عظمة المخشي لان تركيب
حروف خ ش ي في تقاليبها تلزمه معنى الهيبة يقال شيخ للسيد وللرجل الكبير السن وهما جميعا مهيبان والخوف
خشية من ضعف الخائف لان تركيب خ و ف في تقاليبها يدل على الضعف ويدل على ذلك انه حيث كان الخوف من عظمة
المخشي قال تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء وقال لو انزلنا هذا القران على جبل لرايته خاشعا متصدعا من خشية
الله وقال وهم من خشية ربهم مشفقون مع ان الملائكة والجبل اقوياء وحيث كان الخوف من ضعف الخائف سماه
خوفا قال تعالى لا تخافوا ولا تحزنوا اي بسبب مكروه يلحقكم في الاخرة وقال تعالى خائفا يترقب وقال اني اخاف
ان يقتلون لوحدته وضعفه هذا في اكثر الاستعمال وربما يتخلف **فصل** معنى الاية من خاف الرحمن فاطاعه
بالغيب ولم يره وقال الضحاك والسدي يعني في الخلوة حيث لا يراه احد قال الحسن اذا ارخى الستر واغلق الباب
وجاء بقلب منيب هذه صفة مدح لان شان الخائف ان يهرب فاما المتقي فجاء ربه لعلمه انه لا ينجي الفرار منه وقوله منيب
اي مخلص مقبل على طاعة الله تعالى والباء في بقلب اما للتعدية واما للمصاحبة واما للسببية والقلب المنيب كالقلب
السليم في قوله تعالى اذ جاء ربه بقلب سليم اي سليم من الشرك **قوله تعالى** ادخلوها بسلام الجار والمجرور حال من فاعل
ادخلوها اي سالمين من الافات فهي حال مقارنة او مسلما عليكم فهي حال مقدرة كقوله فادخلوها خالدين كذا قيل
وفيه نظر اذ لا مانع من مقارنة تسليم الملائكة عليهم حال الدخول بخلاف فادخلوها خالدين فانه لا يعقل الخلود
الا بعد الدخول والضمير في ادخلوها عائد الى الجنة اي ادخلوا الجنة بسلامة من العذاب والهموم وقيل بسلام
من الله وملائكته عليهم **قوله تعالى** ذلك يوم الخلود كانه جعل ذلك اشارة الى ما تقدم من انعام الله عليهم بما ذكر
وقيل ذلك مشار به لما بعده من الزمان كقولك هذا زيد قال الزمخشري في قوله يوم الخلود اضمار تقديره ذلك يوم

تعريف الخلود ويحتمل ان يقال اليوم يذكر ويراد به الزمان المطلق سواء كان يوما او ليلا تقول يوم يولد
لفلان يكون السرور العظيم ولو ولد له بالليل لكان السرور حاصلا فالمراد به الزمان فكانه تعالى قال ذلك زمان
الاقامة الدائمة فان قيل المؤمن قد علم انه اذا دخل الجنة خلد فيها فما فائدة القول فالجواب من وجهين الاول ان قوله
ذلك يوم الخلود قول قاله الله في الدنيا اعلاما واخبارا وليس ذلك قولا يقوله عند قوله ادخلوها فكانه تعالى اخبر في
يومنا ان ذلك يوم الخلود الثاني ان اطمينان القلب بالقول اكثر قوله تعالى لهم ما يشاؤن فيها يجوز ان يتعلق فيها بيشاؤن
ويجوز ان يكون حالا من الموصول او من عائده والاول اولى فان قيل ما الحكمة في انه تعالى قال ادخلوها بسلام
آمنين على المخاطبة ثم قال لهم ولم يقل لكم فالجواب من وجوه الاول ان قوله تعالى ادخلوها فيه مقدر اي فيقال لهم
ادخلوها فلا يكون التفاتا الثاني انه التفات والحكمة الجمع بين الطرفين كانه تعالى يقول غير مخل بهم في غيبتهم
وحضورهم ففي حضورهم الحبور وفي غيبتهم الحور والقصور الثالث انه يجوز ان يكون قوله تعالى لهم كلاما مع
الملائكة تقول للملائكة توكلوا بخدمتهم واعلموا ان لهم ما يشاؤن فيها فاحضروا بين ايديهم ما يشاؤن واما انا فعندي
ما لا يخطر ببالهم ولا تقدرون انتم عليه والمزيد يحتمل ان يكون معناه الزيادة كقوله تعالى للذين احسنوا الحسنى
وزيادة ويحتمل ان يكون بمعنى المفعول اي عندنا ما نزيده على ما يرجون ويأملون فقال انس وجابر هو النظر
الى وجه الله الكريم **قوله تعالى** وكم اهلكنا كم نصب بما بعده وقدم اما لانه استفهام واما لان كم الخبرية تجري
مجرى الاستفهامية في التصدير ومن قرن تمييز وهم اشد صفة اما لكم واما لقرن **قوله تعالى** فنقبوا الفا
عاطفة على المعنى كانه قيل اشتد بطشهم فنقبوا والضمير في نقبوا اما للقرون المتقدمة وهو الظاهر واما
لقريش ويؤيده قراءة ابن عباس وابن يعمر وابو العالية ونصر بن سيار وابي حيوة والاصمعي عن ابي عمرو فنقبوا بكسر
القاف امرا لهم بذلك والتنقيب التنقير والتفتيش ومعناه التطواف في البلاد قال الحرث بن حلزة •

نقبوا في البلاد من حذر الموت • وجالوا في الارض كل مجال •

وقال امرؤ القيس • وقد نقبت في الآفاق حتى • رضيت من الغنيمة بالاياب • وقرا ابن عباس
وابو عمرو ايضا في رواية نقبوا بفتح القاف خفيفة ومعناها ما تقدم وقرئ نقبوا بكسرها خفيفة اي نقبت اقدامهم
واقدام ابلهم ودميت فحذف المضاف وذلك لكثرة تطوافهم **قوله تعالى** هل من محيص مبتدا وخبره مضمر تقديره هل
لمن سلك طريقهم او هل لهم من محيص وهذه الجملة تحتمل ان يكون على اضمار قول وان لا تكون **فصل** المعنى
فنقبوا اي فضربوا وساروا وتقلبوا وطافوا واصله من النقب وهو الطريق كانهم سلكوا كل طريق فلم يجدوا محيصا
من امر الله وعلى هذا فالمراد بهم اهل مكة اي ساروا في الاسفار ورأوا ما فيها من الآثار ولم يجدوا ملجأ ومهربا وقيل
المعنى صاروا نقباء في الارض اراد ما افادهم بطشهم وقوتهم لان الفاء تدل على ترتيب الامر على مقتضاه تقول
كان زيد اقوى من عمرو فغلبه والمعنى كانوا اشد منهم قوة وبطشا فصاروا نقباء في الارض وهم قوم ثمود الذين
جابوا الصخر بالواد من قوتهم خرقوا الطرق ونقبوها وقطعوا الصخور وقيل هل من محيص مفر من الموت فلم يجدوا
وهذا جمع بين الانذار بالعذاب العاجل والعقاب الآجل فلم توسطهما قوله تعالى لانه انذرهم بما يعجل لهم من
العذاب المهلك والاهلاك المدرك وهذا انذار لاهل مكة لانهم على مثل سبيلهم فان قيل اذا كان ذلك للجمع
بين الانذار بالعذاب العاجل والعقاب الآجل فلم توسطهما قوله تعالى وازلفت الجنة للمتقين فالجواب ليكون ذلك
ردعا بالخوف والطمع فذكر حال الكفور وحال الشكور ترهيبا وترغيبا فان قيل فلم لم يجمع بين الترهيب
والترغيب في العاجلة كما جمع بينهما في الآجلة ولم يذكر حال من اسلم من قبل وانعم عليه كما ذكر حال من اشرك به
فاهلكه فالجواب ان النعمة كانت قد وصلت اليهم وكانوا متقلبين في النعم فلم يذكرهم به وانما كانوا غافلين
عن الهلاك فانذرهم به واما في الآخرة فكانوا غافلين عن الامرين جميعا فاخبرهم بهما وقوله هل من محيص
استفهام بمعنى الانكار اي لم يكن لهم محيص وقيل هو كلام مستأنف كانه تعالى يقول لقوم محمد عليه السلام
هم اهلكوا مع قوة بطشهم فهل من محيص لكم تعتمدون عليه ومن قراها بالتشديد فهو مفعول اي بحثوا عن المحيص
هل من محيص والمحيص كالمحيد غير ان المحيص معدل ومهرب عن الشدة بدليل قولهم وقعوا في حيص بيص اي في شدة
وضيق والمحيد معدل وان كان بالاختيار يقال حاد عن الطريق بطرا ولا يقال حاص عن الامر بطرا **قوله تعالى**
ان في ذلك لذكرى ذلك اشارة الى الاهلاك او الى الازلاف في الجنة والذكرى مصدر اي تذكرة وعظة لمن كان له
قلب ولا قلب معك قال ابن عباس اي عقل قال الفراء هذا جائز في العربية تقول ما لك قلب ولا قلبك معك اي
ما عقلك وقيل له قلب حاضر مع الله وقلب واعي وذلك ان من لا يتذكر كانه لا قلب له ومنه قوله تعالى اولئك كالانعام

بل هم اضل اي هم كالجماد وقوله تعالى كانهم خشب مسندة اي لهم صور وليس لهم قلب ولا لسان للشكر
قوله تعالى او القى السمع العامة على القى مبنيا للفاعل والسلمي وطلحة والسدي وابو البرهسم القي مبنيا للمفعول
السمع رفع به وذكرت هذه القراءة لعاصم عن السدي فمقته وقال اليس يقول يلقون السمع والقاء السمع عن
الاستماع لان الذي لا يسمع كانه حفظ سمعه وامسكه والمعنى استمع القرآن واستمع ما يقال له لا يحدث نفسه بغيره
تقول العرب الق الي سمعك اي اسمع او يكون معناه لمن كان له قلب تقصد الاستماع او القى السمع بان ارسله وان لم يقصد
السماع وهو شهيد حاضر الذهن ويحتمل ان يقال الاشارة بذلك الى القرآن في اول السورة اي في القرآن الذي سبق
ذكره ذكرى لمن له قلب او لمن استمع ويكون معنى قوله شهيد اي المنذر الذي تعجبتم منه هو شهيد عليكم كقوله انا ارسلناك
شاهدا **قوله تعالى** ولقد خلقنا السموات والارض وما بينهما في ستة ايام اعاد الدليل مرة اخرى وقد مر تفسيره
في الم السجدة قيل ان هذا رد على اليهود في قولهم ان الله سبحانه وتعالى استراح يوم السبت والظاهر انها رد على المشركين
اي لم يعي عن الخلق الاول فكيف يعجز عن الاعادة قال ابن الخطيب واشار بقوله في ستة ايام الى ستة اطوار لان المراد
من الايام لا يمكن ان يكون هو المفهوم من وضع اللغة لان اليوم في اللغة عبارة عن زمان مكث الشمس فوق الارض
من الطلوع الى الغروب وقبل خلق السموات لم يكن شمس ولا قمر لكن اليوم يطلق ويراد به الوقت يقال يوم يولد للملك ابن
يكون سرور عظيم ويوم يموت فلان يكون حزن شديد وان اتفقت الولادة او الموت ليلا لا يتعين ذلك ويدخل في مراد
القائل لانه اراد باليوم مجرد الوقت **قوله تعالى** وما مسنا من لغوب يجوز ان يكون حالا وان يكون مستانفا
والعامة على ضم لام اللغوب وعلي وطلحة والسلمي ويعقوب بفتحها وهما مصدران بمعنى وينبغي ان يضم هذا الى
ما حكاه سيبويه من المصادر الجائية على هذا الوزن وهي خمسة والى ما زاده الكسائي وهو الوزوع فتصير سبعة
وقد تقدم هذا في البقرة عند قوله وقودها واللغوب العناء والتعب **قوله تعالى** فاصبر على ما يقولون من كذبهم وقولهم
بالاستراحة وعلى قولهم ان هذا لشيء عجيب وهذا قبل الامر بقتالهم وسبح بحمد ربك قيل هذا امر للنبي عليه السلام
بالصلوة كقوله تعالى اقم الصلوة طرفي النهار وزلفا من الليل وقوله قبل طلوع الشمس وقبل الغروب اشارة الى طرفي النهار
وقوله ومن الليل فسبحه اشارة الى زلفا من الليل وتقريره انه عليه السلام كان مشتغلا بامرين احدهما عبادة الله والثاني
هداية الخلق فاذا لم يهتدوا قيل له اقبل على شغلك الآخر وهو العبادة وقيل معنى سبح بحمد ربك اي نزهه عما يقولون
ولا تسأم من تذكيرهم بعظمة الله بل نزهه عن الشرك والعجز عن الممكن وهو الحشر قبل الطلوع وقبل الغروب فانهما
وقتا اجتماعهم ويكون المراد بقوله ومن الليل اوله لانه ايضا وقت اجتماعهم وقيل المعنى قل سبحان الله لان الفاظا
جاءت بمعنى التلفظ بكلامهم كقولهم كبر لمن قال الله اكبر وسلم لمن قال السلام عليكم وحمد لمن قال الحمد لله وهلل
لمن قال لا اله الا الله وسبح لمن قال سبحان الله وذلك ان هذه امور تتكرر من الانسان في الكلام والحاجة تدعو
الى الاخبار عنها فلو قال القائل فلان قال لا اله الا الله لطال الكلام فدعت الحاجة الى استعمال لفظة واحدة مفيدة
للكلام نقلوا هكذا لا في قولهم زيد في السوق فان من قال زيد في السوق فاذا قال زيد واراد ان يخبر عنه بذلك
لا يجد لفظا واحدا مفيدا لذلك لعدم تكرره ومناسبة هذا الوجه هي ان تكذيبهم وانكارهم يقتضي مقابلتهم باللعن
فقيل له اصبر عليهم واجعل بدل الدعاء عليهم التسبيح لله والحمد له ولا تكن كصاحب الحوت او كنوح عليهما السلام حيث
قال رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا **فصل** وقد استعمل التسبيح بمعنى الثنا ومع اللام وبدونها
فان قلنا ان المراد بالتسبيح الصلوة فيحتمل ان يكون المراد بحمد ربك الامر بقراءة الفاتحة كقولك صلى فلان
بسورة كذا هذا بعيد وان قلنا المراد قل سبحان الله فالبا للمصاحبة وكذلك ان قلنا معناه التنزيه اي نزهه
والحمد حيث وفقك لتسبيحه فيكون المفعول محذوفا للعلم به اي نزه الله بحمد ربك اي ملتبسا او مقترنا
بحمد ربك واما اللام فاما ان تكون من باب شكرته ونصحت له واما ان يكون معناها اخلص لله واما تعديه
بنفسه فهو الاصل واعاد الامر بالتسبيح اما تاكيدا واما ان يكون الاول بمعنى الصلوة والثاني بمعنى التنزيه والذكر
ودخلت الفا لان المعنى واما من الليل فسبحه ولما ذكر اوقات الصلوات ذكر ادبار السجود ليعم الاوقات فيكون
كقوله فاذا فرغت فانصب ومن اما لابتداء الغاية اي من اول الليل واما للتبعيض **فصل** قال المفسرون
قبل طلوع الشمس يعني صلوة الصبح وقبل الغروب يعني العصر وروي عن ابن عباس قبل الغروب الظهر والعصر ومن الليل
فسبحه يعني صلوة المغرب والعشاء وقال مجاهد ومن الليل يعني صلوة الليل اي وقت صلي **قوله تعالى** وادبار السجود قرا
نافع وابن كثير وحمزة ادبار بكسر الهمزة على انه مصدر قام مقام ظرف الزمان كقولهم آتيك خفوق النجم وخلافة الحجاج
ومعنى وقت ادبار الصلوة اي انقضائها وتمامها والباقون بالفتح جمع دبر وهو اواخر الصلوة وعقبها ومنه قول اوس

على دعوا لشهر الحرام فارضنا • وملحوظها جذب سنون تلمع • ولم يختلفوا في وادبار النجوم وقوله وادبار
مخطوف اما على قبل الغروب واما على ومن الليل **فصل** قال عمر بن الخطاب وعلي بن ابي طالب والحسن والشعبي
والنخعي والاوزاعي ادبار السجود الركعتان قبل صلوة الفجر وهي رواية العوفي عن ابن عباس وروي عنه مرفوعا وهذا
قول اكثر المفسرين وقال مجاهد وادبار السجود هو التسبيح باللسان في ادبار الصلوات المكتوبات قال عليه السلام
من سبح في دبر كل صلوة ثلاثا وثلاثين وحمد ثلاثا وثلاثين وكبر ثلاثا وثلاثين فذلك تسعة وتسعون ثم قال
تمام المائة لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير غفرت خطاياه وان كانت مثل
زبد البحر **قوله تعالى** واستمع يوم هو استماع على بابه وقيل بمعنى الانتظار وهو بعيد فعلى الاول يجوز ان يكون
المفعول محذوفا اي استمع نداء المنادي او نداء الكافر بالويل والثبور فعلى هذا يكون يوم ينادي ظرفا لاستمع
اي استمع ذلك في يوم وقيل استمع ما اقول لك فعلى هذا يكون يوم ينادي منصوبا بيخرجون مقدرا مدلولا عليه
بقوله ذلك يوم الخروج وعلى الثاني يكون يوم ينادي مفعولا به اي انتظر ذلك اليوم ووقف ابن كثير على ينادي
بالياء والباقون دونها ووجه اثباتها انه لا مقتضي لحذفها ووجه حذفها وقفا اتباع الرسم وكان الوقف محل
تخفيف واما المنادي فاثبت ابن كثير ايضا ياءه وصلا ووقفا ونافع وابو عمرو باثباتها وصلا وحذفها وقفا
وباقي السبعة بحذفها وصلا ووقفا ومن اثبت فلانه الاصل ومن حذف فلاتباع الرسم ومن خص الوقف
بالحذف فلانه محل راحة ومحل تغيير **فصل** فيما يسمعه وجوه الاول ان يكون مفعوله محذوفا راسا
والمقصود كن مستمعا ولا تكن مثل هولاء المعرضين الغافلين يقال هو رجل سميع مطيع ولا يراد مسموع بعينه
والثاني استمع ما يوحى اليك من ربك والثالث استمع نداء المنادي فان **قيل** استمع عطف على فاصبر وسبح وهو
في الدنيا فالاستماع يكون في الدنيا وما يوحى يوم ينادي المنادي لا يسمع في الدنيا فالجواب انه لا يلزم ذلك لجواز
ان يقال صل وادخل الجنة اي صل في الدنيا وادخل الجنة في العقبى فكذا ههنا ويحتمل ان يكون استمع بمعنى انتظر ويحتمل
ان يكون المراد تاهب لهذه الصيحة لئلا تفجاك فتزعجك والمراد بالمنادي هو الله تعالى بقوله احشروا الذين ظلموا او بقوله
القيا في جهنم او بقوله اين شركائي ويحتمل ان يكون المراد بالمنادي اسرافيل قال مقاتل ينادي اسرافيل بالحشر ايتها العظام
البالية والاوصال المتقطعة واللحوم المتمزقة والشعور المتفرقة ان الله يامركم ان تجتمعوا لفصل القضاء ويكون
النداء للنفس يقال يا ايتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك او ينادي المنادي هؤلاء للجنة وهؤلاء للنار ويحتمل ان
يكون المنادي هو المكلف لقوله ونادوا يا مالك والظاهر الاول لان الالف واللام للعهد والتعريف والمعهود السابق
قوله القيا في جهنم وقوله من مكان قريب اي لا يخفى على احد وقيل من صخرة بيت المقدس وهي وسط الارض قال الكلبي
هي اقرب الارض الى السماء بثمانية عشر ميلا **قوله تعالى** يوم يسمعون بدل من يوم ينادي والحق حال من الصيحة اي
ملتبسة بالحق ومن الفاعل اي يسمعون ملتبسين بسماع حق **قوله تعالى** ذلك يوم الخروج يجوز ان يكون التقدير
ذلك الوقت اي وقت النداء والسماع يوم الخروج ويجوز ان يكون ذلك اشارة الى النداء ويكون قد اتسع في الظرف
فاخبر به عن المصدر او يقدر مضاف اي ذلك النداء والاسماع نداء يوم الخروج واسماعه واللام في الصيحة للتعريف
كقوله ان كانت الا صيحة واحدة والمراد بالحق الحشر او اليقين يقال صاح فلان بيقين لا بظن وتخمين اي وجد منه
الصياح يقينا لا كالصدى وغيره او يكون المراد المقترن بالحق يقال اذهب بالسلامة وارجع بالسعادة اي مقرونا
ومصحوبا وقيل بالحق قسم اي يسمعون الصيحة بالله والحق وهو ضعيف وقوله ذلك يوم الخروج اي من القبور
قوله تعالى انا نحن نحيي ونميت تقدم الكلام على قوله انا نحن في سورة يس واما قوله نحيي ونميت فالمراد من الاحيا
الاحيا اولا وقوله ونميت اشارة الى الموتة الاولى والينا المصير بيان الحشر وهذا اشارة الى قدرته على الحشر
قوله تعالى يوم تشقق يوم يجوز ان يكون بدلا من يوم قبله وقال ابو البقا انه بدل من يوم الاول وفيه نظر من حيث
تعدد البدل والمبدل منه واحد وقد تقدم ان الزمخشري منعه ويجوز ان يكون اليوم ظرفا للمصير اي يصيرون
الينا يوم تشقق الارض وقيل ظرف الخروج وقيل منصوب بيخرجون مقدرا وتقدم الخلاف في تشقق في الفرقان
وقرا زيد بن علي تنشقق بفك الادغام **قوله تعالى** سراعا حال من الضمير في عنهم والعامل فيها تشقق وقيل عاملها
هو العامل في يوم تشقق المقدر اي يخرجون سراعا يوم تشقق لان قوله تعالى عنهم يفيد كونهم مفعولين بالتشقق
وكان التشقق عدي بحرف الجر كما يقال كشفت عنه فهو مكشوف عنه فيصير سراعا هيئة المفعول كانه قال امرعين
والسراع جمع سريع كالكرام جمع كريم وقوله ذلك يحتمل ان يكون اشارة الى التشقق عنهم او اشارة الى الاخراج المدلول
عليه بقوله سراعا ويحتمل ان يكون معناه ذلك الحشر حشر يسير والحشر الجمع **قوله تعالى** علينا متعلق بيسير ففصل

بمعمول الصفة بينها وبين موصوفها ولا يضر ذلك ويجوز ان يتعلق بمحذوف على انه حال منه لانه في الا
صل يجوز ان يكون نعتا وقال الزمخشري التقديم للاختصاص اي لا يتيسر ذلك الا على الله وحده اي هو علينا
هين لا على غيرنا وهو اعادة جواب قولهم ذلك رجع بعيد **قوله تعالى** نحن اعلم بما يقولون يعني كفار مكة في
تكذيبك وهذا تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم ويحتمل ان يكون تهديدا وتخويفا لان قوله والينا المصير
ظاهر في التهديد وبالعلم يكمل ونظيره قوله تعالى ثم الينا مرجعكم فننبئكم بما كنتم تعملون انه عليم بذات
الصدور ويحتمل ان يكون تهديدا وتخويفا لان قوله والينا المصير ظاهر في التهديد تقريرا لامر الحشر لانه لما
بين ان الحشر عليه يسير لكمال قدرته ونفوذ ارادته ولكن تمام ذلك بالعلم الشامل حتى يميز بين جزء زيد وجزء
بدن عمرو فقال ذلك الحشر علينا يسير لكمال قدرتنا ولا يخفى علينا الاجزاء لكمال علمنا وقوله اعلم اما ليست للمشاركة
في اصل الفعل كقوله وهو اهون عليه او معناه نحن اعلم به من كل عالم بما نعلمه **قوله تعالى** وما انت عليهم بجبار
اي بمسلط تجبر على الاسلام وهذا تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم اي انك لست حفيظا عليهم ومكلف بان يؤمنوا
انما انت منذر وقد فعلت ما امرت به قال المفسرون هي منسوخة باية القتال **قوله تعالى** فذكر بالقران من يخاف
وعيد تقدم الخلاف في ياء وعيد اثباتا وحذفا والمعنى دم على الانذار ولا تترك الهداية بالكلية بل ذكر المؤمنين
فان الذكرى تنفع المؤمنين وقوله بالقران اي اتل عليهم القران يحصل لهم المنفعة بسبب ما فيه او فذكر بالقران
يمين به اتاك لرسول الله لكونه معجزا او يكون المراد فذكر بمقتضى ما في القران من الاوامر الواردة بالتبليغ والتذكير
في قوله فذكر اشارة الى انه مرسل مامور بالتذكير بالقران المنزل عليه وقوله وعيد اشارة الى اليوم الاخر وفي قوله وعيد
اشارة الى الوحدانية اذ لو قال وعيد الله لذهب الوهم الى كل صوب وضمير المتكلم اعرف المعارف وابعد عن الاشتراك
وقد تقدم ان اول السورة واخرها مشتركان في المعنى حيث قال في الاول ق والقران المجيد وقال في اخرها فذكر
بالقران من يخاف وعيد روي عن ابي بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة ق هون الله عليه سكرات الموت

سورة والذاريات مكية

وهي ستون اية وثلثمائة وستون كلمة والف ومائتان وتسعة وثمانون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم
قوله تعالى والذاريات ذروا الايات اول هذه السورة مناسب لاخر ما قبلها لانه تعالى لما بين الحشر بدلائله وقال
ذلك حشر علينا يسير وقال وما انت عليهم بجبار يجبرهم على الايمان اشارة الى اصرارهم على الكفر بعد اقامة البرهان
وتلاوة القران عليهم لم يبق الا اليمين فقال والذاريات انما توعدون لصادق وقال في اخرها فويل للذين كفروا من يومهم
الذي يوعدون **فصل** في الحكمة في القسم ههنا وجوه احدها ان الكفار كانوا ينسبون النبي عليه السلام للجدال
ومعرفته طرقه وانه عالم بفساد قولهم وانه يغلبهم لمعرفته بالجدال وحينئذ لا يمكن ان يقابلهم بالادلة كان من اقام خصمه
عليه الدليل ولم يبق له حجة يقول انه غلبني لعلمه بالجدل وعجزي عن ذلك وهو يعلم في نفسه ان الحق معي فلا يبقى للمتكلم
المبرهن غير اليمين فيقول والله ان الامر كما اقول ولا اجادلك بالباطل لانه لو استدل بطريق اخر يقول خصمه فيه كقول
الاول فلا يبقى الا السكوت او التمسك بالايمان وترك اقامة البرهان الثاني ان العرب كانت تحترز عن الايمان الكاذبة
وتعتقد انها تخرب المنازل فان النبي عليه السلام بكثرة الاقسام دل على انه صادق ولذلك كان امره يتزايد ويعلمو
انه لا يحلف بها كاذبا الثالث ان الايمان التي اقسم بها كلها دلائل اخرجت في صورة الايمان لينبه بها على كمال القدرة
كقول القائل للمنعم وحق نعمك الكثيرة اني لا ازال اشكرك فذكر النعم التي هي سبب مفيد لدوام الشكر وانما اخرجها
مخرج الايمان ايذانا بانه يريد ان يتكلم بكلام عظيم فينبغي للسامع اكثر ما ينبغي اليه حيث يعلم ان الكلام ليس
بمعتبر فبدا بالحلف **فصل** ادرج القسم على امور منها الوحدانية ولظهور امرها واعترافهم بها حيث يقولون
انما نعبدهم ليقربونا الى الله زلفى وقولهم ولئن سالتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله لم يقسم عليها الا
في سورة والصافات ومنها الرسالة وهي في سورتين والنجم والضحى وبالحروف في يس ومنها الحشر والجزاء وما
يتعلق به فلكثرة انكارهم له كثر القسم عليه فان **قيل** اقسم الله بجمع السلامة المؤنث في سور جمة ولم يقسم بجمع
السلامة المذكر في سورة اصلا فلم يقل والصالحين من عبادي ولا المقربين الى غير ذلك مع ان المذكر اشرف لان
جموع السلامة بالواو والنون في الغالب لمن يعقل فالجواب روي عن علي رضي الله عنه في قوله تعالى والذاريات قال هي

الرياح التي تذرو التراب ذروا يقال ذرت الريح التراب واذرت فالحاملات وقرا يعني السحاب تحمل ثقلا
من الماء فالجاريات يسرا هي السفن تجري في الماء جريا سهلا فالمقسمات امرا هي الملائكة يقسمون الامور بين الخلق على
ما امروا به اقسم بهذه الاشياء لما فيها من الدلالة على صنعته وقدرته قال ابن الخطيب والاقرب ان هذه صفات
للرياح فالذاريات هي التي تنشئ السحاب اولا والحاملات هي التي تحمل السحب التي هي بخار المياه التي اذا سحت جرت
السيول العظيمة وهي اوقار اثقل من جبال والجاريات هي التي تجري السحب بعد حملها والمقسمات هي الرياح التي تقسم
الامطار وتفرقها على الاقطار ويحتمل ان يقال هذه امور اربعة ذكرت لامور اربعة بها تتم الاعادة لان الاجزاء
المتفرقة بعضها في تخوم الارض وبعضها في قعور البحار وبعضها في جو الهواء وهي الاجزاء البخارية اللطيفة
المنفصلة من الابدان فالذاريات هي التي تجمع الذرات من الارض وتذرو التراب من وجه الارض والحاملات
هي التي تجمع الاجزاء من الجو وتحمله حملا فان التراب لا ترفعه الرياح حملا مستقلا بل تنقله من موضع الى موضع
بخلاف السحاب فانه يحمله في الجو حملا لا يقع منه شيء والجاريات هي الجامعة من الماء فان من يجري السفن المثقلة
في تيار البحار قادر على نقل الاجزاء من البحار الى البر فاذن تبين ان الجمع من الارض وجو الهواء ووسط البحار ممكن واذا
اجتمع ذلك كله بقي نفخ الروح وهو من امر الله فقال والمقسمات امرا يعني الملائكة التي تنفخ الروح في الجسد بامر الله تعالى
قوله تعالى ذروا منصوب على المصدر المؤكد العامل فيه فرعه وهو اسم الفاعل والمفعول محذوف اقتصارا اذ لا نظر
لما تذروه هنا وادغم ابو عمرو وحمزة تاء الذاريات في ذال ذروا واما وقرا فهو مفعول به بالحاملات كما يقال حمل فلان
عدلا ثقيلا قال ابن الخطيب ويحتمل ان يكون اسما اقيم مقام المصدر كقوله ضربه سوطا ويؤيده من قرا بفتح الواو والوقر
بالكسر اسم ما يوقر اي يحمل وقرئ بالفتح وذلك على تسمية المفعول بالمصدر ويجوز ان يكون مصدرا على حاله
والعامل فيه معنى الفعل قبله لان الحمل والوقر بمعنى واحد وان كان بينهما عموم وخصوص قوله تعالى يسرا يجوز
ان يكون مصدرا من معنى ما قبله اي جريا يسرا وان يكون حالا اي مأمورة وعلى هذا فيحتاج الى حذف مفعول
المقسمات وقد يقال لا حاجة لتقديره كما في الذاريات وهل هذه اشياء مختلفة فتكون الفاء على بابها من باب
عطف المتغايرات والفاء للترتيب في القسم لا في المقسم به قال الزمخشري ويجوز ان يراد الرياح وحدها لانها تنشئ
السحاب وتقليه وتصرفه وتجري في الجو جريا سهلا وعلى هذا يكون من عطف الصفات والمراد واحد كقوله
بالهف زيابة للحارث ۞ الصابح فالغانم فالآيب ۞ وقوله ۞ الى الملك القرم وابن الهمام ۞ وليث الكتيبة في المزدحم
فتكون الفاء على هذا لترتيب الامور في الوجود فان قيل ان كان وقرا مفعولا فلم لم يجمع وما قيل اوقار لان الجواب
لان جماعة من الرياح قد تحمل وقرا واحدا وكذا القول في المقسمات امرا اذا قيل انه مفعول به لانه قد تجمع جماعة من الملائكة
على امر واحد قوله تعالى انما توعدون هذا جواب القسم وما يجوز ان تكون اسمية وعائدها محذوف اي توعدونه
وان تكون مصدرية قال عائد على المشهور وحينئذ يحتمل ان يكون توعدون مبنيا من الوعد وان يكون مبنيا من الوعيد
لانه يصلح ان يقال اوعدته فهو يوعد ووعدته فهو موعد لا يختلف فالتقدير ان وعدكم وان وعيدكم ولا
حاجة الى قول من قال ان قوله لصادق وقع فيه اسم الفاعل موقع المصدر اي لصدق لان لفظ اسم الفاعل
ابلغ اذ جعل الوعد او الوعيد صادقا مبالغة وان كان الوصف انما يقوم بمن يعد او يوعد قال ابن الخطيب
وبناء من اوعد هو الحق لان اليمين مع المنكر موعد لا يوعد والصادق معناه ذو صدق كعيشة راضية
ووصف المصدر بما يوصف به الفاعل كوصف الفاعل بالمصدر في افادة المبالغة قوله تعالى وان الدين لواقع
اي الحشر والجزاء كائن ثم ابتدا قسما اخر وهو قوله والسماء ذات الحبك العامة على الحبك بضمتين قال ابن عباس وقتادة
وعكرمة ذات الخلق الحسن المستوي يقال للنساج اذا نسج الثوب فاجاد ما احسن حبكه وقال سعيد بن جبير
ذات الزينة اي المزينة بزينة الكواكب قال الحسن حبكت بالنجوم وقال مجاهد هي المتقنة البنيان وقال مقاتل
والكلبي والضحاك ذات الطرائق كحبك الماء اذا ضربته الريح وحبك الرمل والشعر الجعد وهو اثار تثنيه وتكسره
قال زهير ۞ مكلل باصول النجم تنسجه ۞ ريح خريق لضاحي مائه حبك ۞ والحبك جمع يحتمل ان تكون مفردة حبيكة
كطريقة وطرق او حباك نحو حمار وحمر قال ۞ كانما جللها الحواك ۞ طنفسة في وشيها حباك ۞ واصل الحبك
احكام الشيء واتقانه ومنه يقال للدرع محبوكة وقيل الحبك الشد والتوثق قال امرؤ القيس قد غدا يحملني في انفه
لاحق الاطلين محبوك ممر ۞ وفي هذه اللفظة قراآت كثيرة نقل الحسن ست قراآت الحبك بالضم كالعامة وبضم
الحاء وسكون الباء وتروى عن ابن عباس وابي عمرو وبكسر الحاء والباء وبكسر الحاء وسكون الباء وهو تخفيف المكسور وكسر الحاء
وفتح الباء وكسر الحاء وضم الباء وهذه اقلها لان هذه الزنة مهملة في ابنية العرب قال ابن عطية وغيره هو من التداخل

يعني ان فيها لغتين الكسر في الحاء والباء والضم فيهما فاخذ هذا القارئ الكسر من لغة والضم من اخرى
واستبعدها الناس لان التداخل انما يكون في كلمتين وخرجها ابو حيان على ان الحاء اتبعت لحركة التاء في ذات
قال ولم يعتد باللام فاصلة لانها ساكنة فهي حاجز غير حصين وقد وافق الحسن على هذه القراءة ابو مالك
الغفاري وقرا عكرمة بالضم والفتح جمع حبكة نحو غرفة وغرف وابن عباس وابو مالك الحبك بفتحتين جمع
حبكة كعقبة وعقب وقوله انكم لفي قول مختلف جواب القسم فصل المعنى انكم يا اهل مكة لفي قول مختلف
في حق محمد عليه السلام تارة يقولون انه امين ولجزي انه كاذب وتارة ينسبونه الى الجنون وتارة كاهن وشاعر
وساحر وهذا القول ضعيف اذ لا حاجة الى اليمين على هذا لانهم كانوا يقولون ذلك من غير انكار حتى يؤكد
باليمين وقيل يقولون انه مجنون ثم يقولون غلبنا بقوة جداله وقيل انكم في قول مختلف في القران يقولون فيه انه
سحر وكهانة واساطير الاولين وقيل قول مختلف اي مصدق ومكذب وقيل غير ثابتين على امر وقيل منتاقض تارة
يقولون لا حشر ولا حياة بعد الموت ثم يقولون انا وجدنا اباءنا على امة قوله تعالى يؤفك عنه صفة لقول
والضمير في عنه للقران او للرسول او للدين او لما توعدون اي يصرف عنه وقيل عن السبب والمأفوك عنه
محذوف والضمير في عنه على هذا القول مختلف اي يؤفك بسبب القول من اراد الاسلام بان يقول هو سحر هو
كهانة والعامة على بناء الفعلين للمفعول وقتادة وابن جبير يؤفك عنه من افك الاول للمفعول والثاني
للفاعل اي يصرف عنه من صرف الناس عنه وزيد بن علي يافك مبنيا للفاعل من افك مبنيا للمفعول عكس ما قبله
اي يصرف الناس عنه من هو مأفوك في نفسه وعنه ايضا يافك عنه من افك بالتشديد اي من هو افاك في
نفسه وقرئ يؤفن عنه من افن بالنون فيهما اي يحرمه من حرمه من افن الضرع اذا انهكه حلبا فصل
قيل في تفسير قوله يؤفك عنه من افك وجوه احدها انه مدح المؤمنين ومعناه يصرف عن القول المختلف من صرف
عن ذلك القول ويرشد الى القول المستوي وقيل انه ذم ومعناه يؤفك عن الايمان به من صرف وحق بكذبه
يعني من حرمه الله الايمان بمحمد وبالقران وقيل عن بمعنى من اجل اي يصرف من اجل هذا القول المختلف او بسببه
عن الايمان من صرف وذلك انهم كانوا يتلقون الرجل اذا اراد الايمان فيقولون انه ساحر وكاهن ومجنون
فيصرفونه عن الايمان قاله مجاهد قوله تعالى قتل الخراصون لعن الكذابون وقرئ قتل مبنيا للفاعل وهو الله
تعالى الخراصين مفعوله والمعنى لعن الخراصون وهم الذين لا يجزمون بامر ولا يثبتون عليه بل هم شاكون
متحيرون وهذا دعاء عليهم ثم وصفهم بانهم في غمرة ساهون فقوله ساهون يحتمل ان يكون خبرا بعد خبر
والمبتدا قوله هم والتقدير هم كائنون في غمرة ساهون كقولك زيد جاهل جائر لا تقصد به وصف الجاهل
بالجائر ويحتمل ان يقال ساهون خبر وفي غمرة ظرف له كقولك زيد في بيته قاعد فالخبر هو قاعد لا غير
وفي بيته بيان لظرف القعود فكذا قوله في غمرة ظرف للسهو واعلم ان وصف الخراص بالسهو دليل على ان الخراص
صفة ذم يقال تخرص على فلان الباطل قال المفسرون هم الذين اقتسموا عقاب مكة فاقتسموا القول في
النبي صلى الله عليه وسلم ليصرفوا الناس عن دين الاسلام وقال مجاهد هم الكهنة الذين هم في غمرة اي غفلة
وعمى وجهالة ساهون غافلون عن امر الاخرة والسهو الغفلة عن الشيء وهو ذهاب القلب عنه قوله تعالى
يسألون ايان يوم الدين فقوله ايان يوم الدين مبتدا وخبر قيل وهما ظرفان فكيف يقع احد الظرفين في الاخر
واجيب بانه على حذف حدث اي ايان وقوع يوم فايان ظرف للوقوع كما تقول متى يكون يوم الجمعة وتقدم
قراءة ايان بالكسر في الاعراف قيل وايان من المركبات ركب من اي التي للاستفهام وان التي بمعنى متى او من اي
واوان فكانه قال اي اوان فلما ركب بني وهذا جواب قوله وان الدين لواقع فكانه قال ايان يقع استهزاء
وترك المسؤول دلالة على ان الغرض ليس الجواب وانما يسألون استهزاء والمعنى يسألون ايان يوم الدين يقولون
يا محمد متى يكون يوم الجزاء يعني يوم القيامة تكذيبا واستهزاء قال الله عز وجل يوم هم اي يكون هذا يوم
هم على النار يفتنون اي يعذبون ويحرقون بها كما يفتن الذهب بالنار وعلى هذا فالاولى ان يكون معنى
يفتنون يعرضون عرض المجرب للذهب على النار لان كلمة على تناسب ذلك ولو كان المراد يحرقون لقيل بالنار
او في النار قوله تعالى يوم هم يجوز ان يكون منصوبا بمضمر اي الجزاء كائن يوم هم ويجوز ان يكون بدلا من
يوم الدين والفتحة للبناء على راي من يجيز بناء الظرف وان اضيف الى جملة اسمية وعلى هذا فتكون حكاية
لمعنى كلامهم قالوه على الاستهزاء ولو جاء على حكاية لفظهم المتقدم لقيل يوم نحن على النار نفتن ويوم منصوب
بالدين وقيل بمضمر اي يجازون وقيل هو مفعول باعني مقدرا وعدي يفتنون بعلى لانه بمعنى يختبرون

وقيل على معنى في وقيل على معنى الباء وقيل يومهم خبر مبتدا مضمر اي هو يومهم والفتح لما تقدم ويؤيد
ذلك ان ابن ابي عبلة والزعفراني يومهم بالرفع وكذلك يؤيد القول بالبدل وتقدم الكلام في مثل هذا في غافر
فصل قوله يوم هم على النار يفتنون قال ابن الخطيب يحتمل وجهين احدهما ان يكون جوابا عن قولهم
ايان يقع فكما انهم لم يسألوا سؤال مستفهم طالب للعلم كذلك لم يجبهم جواب معلم مبين بل قال يوم هم على النار
يفتنون لجهلهم بالثاني اقوى من جهلهم بالاول ولا يجوز ان يكون الجواب بالاخفى فلو قال قايل متى يقدم زيد
فلو اجيب بقوله يوم يقدم رفيقه ولا يعلم يوم قدوم الرفيق لم يصح هذا الجواب الا اذا كان الكلام في صورة
جواب ولا يكون جوابا كقول القايل لمن يعد عداتا ويخلفها الى متى هذا الاخلاف فيغضب ويقول الى اشام يوم
عليك فالكلامان في صورة سؤال وجواب ولا يريد بالاول السؤال ولا الثاني يريد به الجواب فكذلك ههنا
قال يوم هم على النار يفتنون مقابلة لاستهزائهم بالايعاد لا على وجه الاتيان بالبيان الثاني ان يكون
ذلك ابتداء كلام تمامه في قوله ذوقوا فتنتكم فان قيل هذا يفضي الى الاضمار فالجواب ان الاضمار لا بد منه
لان قوله ذوقوا فتنتكم غير متصل بما قبله الا باضمار يقال قوله تعالى ذوقوا اي يقال لهم ذوقوا وهذا الذي
كنتم مبتدا وخبر هذا هو الظاهر وجوز الزمخشري ان يكون هذا بدلا من فتنتكم لانها بمعنى العذاب ومعنى
فتنتكم عذابكم هذا الذي كنتم به تستعجلون في الدنيا تكذيبا به وهو قولهم ربنا عجل لنا قطنا وقولهم
فاتنا بما تعدنا ونظايره وقوله يسألون ايان يوم الدين فانه نوع استعجال بالقول ويحتمل ان يكون المراد الا
ستعجال بالفعل وهو اصرارهم على العناد واظهار الفساد فانه يعجل العقوبة قوله تعالى ان المتقين في جنات
وعيون لما بين حال المجرمين بين بعده حال المتقين والمتقي له مقامات ادناها ان يتقي الشرك واعلاها
ان يتقي ما سوى الله وادنى درجات المتقي الجنة فما من مكلف اجتنب الكفر الا ويدخل الجنة قوله تعالى آخذين
حال من الضمير في قوله جنات وما آتاهم يعني مما في الجنة فيكون حالا حقيقة وقيل ما آتاهم من اوامره
ونواهيه فيكون في الدنيا فتكون حالا محكية لاختلاف الزمانين وجعل الجار هنا خبرا والصفة فضلة
وعكس هذا في قوله ان المجرمين في عذاب جهنم خالدون قيل لان الخبر مقصود الجملة والغرض هناك الاخبار
عن تخليدهم لان المؤمن قد يدخل النار ولكن لا بد من خروجه واما آية المتقين فجعل الظرف فيها خبرا
لامنهم الخروج منها فجعل لذلك محط الفايدة ليحصل لهم الطمانينة فانتصبت الصفة حالا فصل
اعلم انه تعالى وحد الجنة تارة قال تعالى مثل الجنة واخرى جمعها كقوله ههنا ان المتقين في جنات وتارة
ثناها قال تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان والحكمة فيه ان الجنة في توحيدها لاتصال المنازل والا
شجار والانهار كجنة واحدة واما جمعها فلانها بالنسبة الى الدنيا والاضافة اليها جنان لا يحصيها عدد
واما تثنيتها فسياتي في سورة الرحمن قال ابن الخطيب ههنا نقول ههنا ان الله تعالى عند الوعد وحد الجنة
وكذلك عند الشرا فقال ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة وعند الاعطا جمعها
اشارة الى ان الزيادة في الوعد موجود بخلاف ما لو وعد بجنات ثم يقول انه في جنة لانه دون الموعود وقوله
وعيون يقتضي ان يكون المتقي فيها ولا لذة في كون الانسان في ماء فالمعنى في خلال العيون اي بين الانهار
كقوله في جنات معناه بين الجنات وفي خلالها لان الجنة هي الاشجار ونكرها مع كونها معرفة للتعظيم كقولك
فلان رجل اي عظيم في الرجولة ومعنى آخذين اي قابضين ما آتاهم شيا فشيا ولا يستوفونه بكماله لامتناع
استيفاء ما لا نهاية له وقيل معنى آخذين اي قابلين قبول راض كقوله تعالى ويأخذ الصدقات اي يقبلها
قاله الزمخشري وقال ابن الخطيب وفيه وجه ثالث وهو ان قوله في جنات يدل على السكنى حسب فاذا قال آخذين
بلد كذا او قلعة كذا اي دخلها متملكا لها وكذا يقال لمن اشترى دارا او بستانا اخذه بثمن قليل اي تملكه وان
لم يكن هناك قبض حسا ولا قبول برضى وحينيذ فايدته بيان دخولهم فيها ليس دخول مستعير او من يسترد
منه ذلك بل هو ملكه الذي اشتراه بماله ونفسه من الله وقوله آتاهم لبيان ان اخذهم ذلك لم يكن عنوة
وانما ذلك باعطاء الله وعلى هذا الوجه ما راجعة الى الجنات والعيون وقوله انهم كانوا قبل ذلك محسنين
اشارة الى انهم اخذوها بثمنها وملكوها بالاحسان في الدنيا والاشارة بذلك اما لدخول الجنة واما لايتاء الله
واما ليوم الدين والاحسان قيل هو قول لا اله الا الله ولهذا قيل في معنى كلمة التقوى انها لا اله الا الله وفي
قوله تعالى ومن احسن قولا ممن دعا الى الله وقوله هل جزاء الاحسان الا الاحسان هو الاتيان بكلمة لا اله الا
الله قوله تعالى كانوا قليلا من الليل ما يهجعون وهذا كالتفسير لكونهم محسنين وفيه وجوه احدها ان الكلام

ثم على قليلا

ثم على قليلا ولهذا وقف بعضهم على قليلا ليواخي بها قوله تعالى وقليل ما هم وقليل من عبادي الشكور
ويبتدي من الليل ما يهجعون اي ما يهجعون من الليل والمعنى كانوا من الناس قليلا ثم ابتدا فقال ما يهجعون
وجعله جحدا اي لا ينامون بالليل البتة بل يقومون للصلوة والعبادة وهو قول الضحاك ومقاتل وهذا لا
يظهر من حيث المعنى ولا من حيث الصناعة اما الاول فلا بد ان يهجعوا ولا يتصور نفي هجوعهم واما الصناعة
فلان ما في حيز النفي لا يتقدم عليه عند البصريين هذا ان جعلتها نافية وان جعلتها مصدرية صار التقدير
من الليل هجوعهم ولا فايدة فيه لان غيرهم من ساير الناس بهذه المثابة الثاني ان يجعل ما مصدرية في محل
رفع بقليلا والتقدير كانوا قليلا هجوعهم الثالث ان يجعل ما المصدرية بدلا من اسم كان بدل اشتمال اي
كان هجوعهم قليلا ومن الليل على هذين لا يتعلق بيهجعون لان ما في حيز المصدر لا يتقدم عليه على المشهور
وبعض المانعين اغتفره في الظرف فيجوز هذا عنده والمانع يقدر فعلا يدل عليه يهجعون اي يهجعون من الليل
الرابع ان ما مزيدة ويهجعون خبر كان والتقدير كانوا يهجعون من الليل هجوعا قليلا او زمنا قليلا فقليلا
نعت لمصدر او ظرف الخامس انها بمعنى الذي وعايدها محذوف تقديره كانوا قليلا من الليل الوقت الذي يهجعونه
وهذا فيه تكلف فصل قال ابن الخطيب قليلا منصوب على الظرف تقديره يهجعون قليلا يقال
قام بعض الليل فنصب بعض على الظرف وخبر كانوا هو قوله يهجعون وما زايدة هذا هو المشهور وفيه وجه
آخر وهو ان يقال كانوا قليلا معناه كانوا من الناس قليلا فيكون قليلا خبر كان وما يهجعون معناه
نفي النوم عنهم وهذا منقول عن الضحاك ومقاتل وانكر الزمخشري كون ما نافية وقال لا يجوز ان تكون نافية
لان ما بعدها لا يعمل فيما قبلها لا تقول زيدا ما ضربت ويجوز ان يعمل ما بعد لم فيما قبلها تقول زيدا لم اضرب
وذلك ان الفعل المتعدي انما يعمل في النفي حملا له على الاثبات لانك اذا قلت ضربت زيدا عمرو اثبت تعلق
فعله بعمرو فاذا قلت ما ضربته لم يوجد منه فعل حتى يتعلق به ويتعدى اليه لكن النفي محمول على الاثبات
فاذا ثبت هذا فالنفي بالنسبة الى الاثبات كاسم الفاعل بالنسبة الى الفعل فانه يعمل عمل الفعل لكن اسم الفاعل
اذا كان بمعنى الماضي لا يعمل فلا تقول زيد ضارب عمرا امس وتقول زيد ضارب عمرا غدا او اليوم او الان
لان الماضي لم يبق موجودا ولا متوقع الوجود فلا يتعلق بالمفعول حقيقة لكن الفعل القوي يعمل واسم الفاعل
لضعفه لم يعمل اذا عرف هذا فقوله ما ضربت للنفي في الماضي فاجتمع فيه النفي والمضي فضعف واما لم اضرب
فان كان تقلب المستقبل فوجد فيه ما وجد في قول القايل زيد ضارب عمرا غدا فاعمل قال ابن الخطيب
غير ان القايل بذلك القول يقول قليلا ليس منصوبا بقوله يهجعون وانما ذلك خبر كانوا قليلا فصل
تقديم قليلا في الذكر ليس لمجرد السجع حتى يقع يهجعون ويستغفرون في اواخر الايات بل لان الهجوع راحة
لهم والمقصود بيان اجتهادهم وتحملهم السهر لله تعالى فلا يناسبه تقديم راحتهم وقد يغفل السامع عما بعد
الكلام فيعتقد كونهم محسنين بسبب هجوعهم فقدم قوله قليلا ليسبق الى الفهم اولا قلة الهجوع وقوله من الليل
اشارة الى انه الزمن الذي يهجع الناس فيه ولا يسهرون في الطاعة الا متعبد مقبل فان قيل الهجوع لا يكون الا
بالليل والنوم نهارا لا يقال له هجوع فالجواب ان ذكر العام وارادة الخاص حسن تقول رايت حيوانا
ناطقا فصيحا واما ذكر الخاص وارادة العام فلا يحسن الا في بعض المواضع فلا تقول رايت ناطقا فصيحا
حيوانا واذا عرف هذا فقوله تعالى كانوا قليلا من الليل ذكر امرا هو العام يحتمل ان يكون بعده كانوا من الليل
يهجعون او يستغفرون او يسهرون او غير ذلك فلما قال يهجعون فكانه خصص ذلك الامر العام المحتمل له ولغيره
فازال الاحتمال قوله تعالى وبالاسحار متعلق بيستغفرون والباء بمعنى في وقدم متعلق الخبر على المبتدا لجواز
تقديم العامل فصل معنى قوله قليلا من الليل ما يهجعون اي يصلون اكثر الليل وروى سعيد بن
جبير عن ابن عباس يعني كانوا قل ليلة تمر بهم الا صلوا فيها شيا اما من اولها واما من وسطها وقال انس بن
مالك كانوا يصلون ما بين المغرب والعشا وقال محمد بن علي كانوا لا ينامون حتى يصلوا العتمة وقال مطرف
بن عبد الله بن الشخير قل ليلة اتت عليهم هجعوها كلها وقال مجاهد كانوا لا ينامون كل الليل وبالاسحار هم
يستغفرون قال الحسن لا ينامون من الليل الا اقله وربما نشطوا فمدوا الى السحر ثم اخذوا بالاسحار في الاستغفار
وقال الكلبي ومجاهد ومقاتل وبالاسحار يصلون وذلك ان صلاتهم بالاسحار لطلب المغفرة روى ابو هريرة
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ينزل الله الى السماء كل ليلة حين يبقى ثلث الليل فيقول انا الملك انا الملك
من الذي يدعوني فاستجيب له من الذي يسالني فاعطيه من الذي يستغفرني فاغفر له فصل قوله

وبالاسحار هم يستغفرون اشارة الى انهم كانوا يتهجدون ويجتهدون ثم يريدون ان يكون عملهم
اكثر من ذلك واخلص منه فهم يستغفرون من التقصير وهذه سيرة الكريم يأتي بابلغ وجوه الكرم ويستقله
ويعتذر من التقصير واللئيم يأتي بالقليل ويستكثره ويمن به وفي الاية لطائف الاولى انه تعالى لما ذكر قلة هجوعهم
والهجوع مقتضى الطبع قال يستغفرون اي من ذلك القدر من النوم القليل الثانية انه تعالى مدحهم بقلة الهجوع
ولم يمدحهم بكثرة السهر ولم يقل كانوا كثيرا من الليل ما يسهرون مع ان السهر هو الكلفة والاجتهاد لا الهجوع
وهذا اشارة الى ان نومهم عبادة حيث مدحهم الله بكونهم هاجعين قليلا وذلك الهجوع اورثهم الاشتغال
بعبادة اخرى وهو الاستغفار بالاسحار ومنعهم من الاعجاب بانفسهم **فصل** الباء في قوله بالاسحار
استعملت للظرف هنا وهي ليست للظرف قال بعض النحاة ان حروف الجر ينوب بعضها عن بعض يقال في ظرف الزمان
خرجت لعشر بقين وبالليل وفي شهر رمضان فتستعمل اللام والباء وفي وكذلك في ظرف المكان تقول اقمت
بمدينة كذا وفيها ورايته ببلدة كذا وفيها قال ابن الخطيب والتحقيق فيه ان تقول الحروف لها معان مختلفة كما ان
الاسماء والافعال كذلك غير ان الحروف غير مستقلة بافادة المعنى والاسم والفعل مستقلان لكن بين بعض الحروف
وبعضها تنافر وتباعد كما في الاسماء والافعال فان البيت والمسكن متخالفان متقاربان وكذلك مكث وسكن
وكذلك كل اسمين او كل فعلين يوجد فان بينهما تقارب وتباعد لان الباء للالصاق واللام للاختصاص
وفي للظرف والظرف مع المظروف ملتصق ومختص به اذا عرف هذا فنقول بين الباء واللام وفي مشاركة
اما الباء فلانها للالصاق والمتمكن في مكان ملتصق به متصل وكذلك الفعل بالنسبة الى الزمان فاذا قال
سار بالنهار معناه ذهب ذهابا متصلا بالنهار فقوله وبالاسحار هم يستغفرون اي متصلا بالاسحار
اخبر عن الاقتران وذلك ادل على وجود الفعل مع اول جزء من اجزاء الوقت من قوله في الليل لانه يستدعي
احتواء الزمان بالفعل وكذلك قول القائل اقمت ببلدة كذا لا يفيد انه كان مخالطا بالبلد وقوله اقمت فيها يدل
على احاطتها به فاذن قول القائل قمت بالبلد ودعوت بالاسحار اعم من قوله قمت فيه لان القائم فيه قائم به
والقائم به ليس قائما فيه واذا علم هذا فقوله وبالاسحار هم يستغفرون اشارة الى انهم لا يخلون وقتا عن
العبادة وانهم بالليل لا يهجعون ومع اول جزء من السحر يستغفرون فيكون فيه بيان كونهم مستغفرين
من غير ان يسبق منهم ذنب لانهم وقت الانتباه لم يخلوا الوقت للذنب ولا يطرد استعمال الباء بمعنى في فلا تقول
خرجت بيوم الجمعة لان يوم الجمعة مع انه زمان فيه خصوصيات وتقييدات زائدة على الزمان لانك اذا قلت
خرجت بنهارنا وبليلة الجمعة لم يحسن ولو قلت خرجت بيوم سعد وخرج بيوم نحس حسن فالنهار والليل لما لم يكن
فيهما خصوص وتقييد جاز استعمال الباء فيهما فاذا قيدتهما وخصصتهما زال الجواز ويوم الجمعة لما كان فيه
خصوص لم يجز استعمال الباء فيه والفعل حدث مقترن بزمان لا ناشئا عن الزمان فاذا زال الخصوص وقلت خرجت
بيوم سعد جاز واما في فيصح مطلقا لان ما حصل في العام حصل في الخاص لان العام جزء داخل في الخاص فتقول
في يوم الجمعة وفي هذه الساعة واما اللام فتقدم الكلام عليها عند قوله والشمس تجري لمستقر لها **فصل**
وفائدة قوله هم قال الزمخشري فائدتها اختصاص المستغفرين اي هم الكاملون في الاستغفار لا غيرهم كقولك
زيد هو العالم الكامل في العلم كانه تفرد به وايضا فلو عطف بدون هم لاوهم انهم يستغفرون قليلا والاستغفار
اما طلب المغفرة كقولهم ربنا اغفر لنا واما اتيانهم بعبادات يتقربون بها طلبا للمغفرة واما ان يكون من
باب قولهم استحصد الزرع اي ذلك اوان المغفرة **قوله تعالى** وفي اموالهم حق للسائل والمحروم لما تقدم التعظيم
لامر الله ثنى بالشفقة على خلق الله واضاف الاموال اليهم لانه مدح لهم وقال في موضع وانفقوا مما جعلكم مستخلفين
فيه لان ذلك تحريض وحث على النفقة وذلك يناسبه فان قيل كون الحق في المال لا يوجب مدحا لان كون المسلم
في ماله حق وهو الزكوة ليس صفة مدح لان كل مسلم كذلك بل الكافر اذا قلنا انه مخاطب بفروع الاسلام في ماله
حق معلوم غير انه اذا اسلم سقط عنه وان مات عوقب على ترك الاداء وان ادى من غير اسلام لا يقع الموقع فكيف
يفهم كونه مدحا فالجواب انا نفسر السائل بمن طلب جزءا من المال وهو الزكوة والمحروم من لا يطلب جزءا
معينا وهو طالب صفة التطوع فكانه قال في ماله زكوة وصدقة او يقال بان في للظرفية والمعنى انهم لا يجمعون
المال ولا يجعلونه ظرفا للحقوق والمطلوب من الظرف والمظروف انما هو المظروف وهذا مدح عظيم فان قيل
لو قيل ما الحكم للسائل كان ابلغ فالجواب لا نسلم فان صرف جميع المال حتى يبقى فقيرا محتاجا منهيا عنه وكذلك
الصلوة والصوم والاقتصاد فيهما ابلغ لقوله عليه السلام ان هذا الدين متين فادخلوا فيه برفق فان المنبت لا ارضا

قطع

قطع ولا ظهرا ابقى **فصل** في السائل والمحروم وجوه احدها ان السائل هو الادمي والمحروم كل ذي
روح غيره من الحيوانات المحترمة قال عليه السلام في كل كبد حرى اجر وهذا ترتيب حسن لان الادمي مقدم على البهائم
الثاني ان السائل هو الذي يسأل والمحروم هو المتعفف يظن انه غني فيحرم وقدم السائل لان حاله يعرف بسؤاله
او يكون اشارة الى كثرة العطاء فيعطي السؤال فاذا لم يجدهم يسأل عن المحتاجين فيكون سائلا ومسؤولا الثالث
قدم السائل لتجانس رؤوس الاي **فصل** قال ابن عباس وسعيد بن المسيب السائل الذي يسأل الناس والمحروم
الذي ليس له في الغنائم سهم ولا يجري عليه من الفيء شيء وقال قتادة والزهري المحروم المتعفف الذي لا يسأل
وقال زيد بن اسلم المحروم هو المصاب ثمره او زرعه او نسل ماشيته وهو قول محمد بن كعب القرظي قال المحروم صاحب
الجائحة ثم قرأ انا لمغرمون بل نحن محرومون **قوله تعالى** وفي الارض آيات للموقنين اذا ساروا فيها من الجبال والبحار
والثمار وانواع النبات تدلهم على ان الحشر كائن كقوله تعالى ومن آياته انك ترى الارض خاشعة الى ان قال ان
الذي احياها لمحيي الموتى ويحتمل ان يكون المعنى وفي الارض آيات تدل على مدبر قادر قاهر يجب ان يعبد ويحذر
فان قيل كيف خصص الآيات بالموقنين ولم يخصص في قوله وآية لهم الارض الميتة احييناها فالجواب ان القسم
انما يكون مع المعاند في البرهان فهو لا ينتفع بالآيات وانما ينتفع بها الموقنون فلذلك اقسم ههنا فقال فورب
السموات والارض انه لحق وفي سورة يس لم يؤكد ذلك بالقسم الدال على المعاندة او يقال اطلقت هناك باعتبار
حصولها او خصصت هنا باعتبار المنفعة بها وجمعت الآيات هنا لان الموقن يتنبه لامور كثيرة وكذلك قوله
وفي انفسكم آيات دالة على ذلك اذ كانت نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم عظاما الى ان نفخ فيها الروح وقال عطا
عن ابن عباس يريد اختلاف الالسنة والصور والالوان والطبائع وقال ابن الزبير يريد سبيل الغائط والبول
يأكل ويشرب من مدخل واحد ويخرج من سبيلين وقوله افلا تبصرون قال مقاتل افلا تبصرون كيف خلقكم
فتعرفوا قدرته على البعث **قوله تعالى** وفي انفسكم نسق على في الارض فهو خبر عن آيات ايضا والتقدير وفي الارض وفي
انفسكم آيات وقال ابو البقاء ومن رفع بالظرف جعل ضمير الآيات وجوز بعضهم ان يتعلق بتبصرون وهو فاسد
لان الاستفهام والفاء يمنعان جوازه وقرأ قتادة آية بالافراد وقوله في انفسكم يحتمل ان يكون المراد وفيكم يقال
الحجارة في نفسها صلبة ولا يراد بها النفس التي هي منبع الحيوة والحس والحركات ويحتمل ان يكون المراد وفي نفوسكم
التي بها حياتكم آيات وقوله افلا تبصرون بالاستفهام اشارة الى ظهورها **قوله تعالى** وفي السماء رزقكم
اي سبب رزقكم وقرأ حميد وابن محيصن رازقكم اسم فاعل والله تعالى متعال عن الجهة قال ابن عباس ومجاهد ومقا[تل]
يعني بالرزق المطر لانه سبب الارزاق وقيل في السماء رزقكم مكتوب وقيل تقدير الارزاق كلها من السماء
ولولاه لما حصل في الارض حبة قوت **قوله تعالى** وما توعدون قال عطاء من الثواب والعقاب وقال مجاهد
من الخير والشر وقال الضحاك وما توعدون من الجنة والنار فيكون المعنى على هذا وما توعدون لحق كقوله
انما توعدون لصادق فان قلنا ان المراد بقوله وما توعدون الجنة فهو من الوعد وان قيل المراد العذاب
يكون الخطاب مع الكفار **قوله تعالى** فورب السماء والارض انه لحق الضمير اما للقرآن واما للدين واما لليوم
في قوله وان الدين لواقع ويومهم ويوم الدين واما للنبي صلى الله عليه وسلم ودخلت الفاء بمعنى ان ما توعدون
لحق بالبرهان المبين ثم باليمين والقسم او للعطف على قوله والذاريات مع اعادة المقسم عليه لوقوع الفصل
واقسم اولا بالمخلوقات وههنا بربها ترقيا من الادنى الى الاعلى **قوله تعالى** مثل ما قرأ الاخوان وابو بكر مثل
بالرفع وفيه ثلاثة اوجه احدها انه خبر ثان مستقل كالاول والثاني انه مع ما قبله خبر واحد كقولك هذا
حلو حامض نقلهما ابو البقاء والثالث انه نعت لحق وما مزيدة على الاوجه الثلاثة وانكم مضاف اليه اي لحق مثل نطقكم
ولا يضر تقدير اضافتها الى المعرفة لانها لا تتعرف بذلك لابهامها والباقون بالنصب وفيه اوجه اشهرها انه
نعت لحق ايضا كما في القراءة الاولى وانما بني لاضافته الى غير متمكن كما بناه الآخر في قوله • فتداعى منخراه بدم •
مثل ما اثمر حماض الجبل • بفتح مثل مع انها نعت لدم وكما بنيت غير في قوله • لم يمنع الشرب منها غير ان نطقت
حمامة في غصون ذات اوقال • غير فاعل يمنع فبناها على الفتح لاضافتها الى ان نطقت وقد تقدم في قراءة
لقد تقطع بينكم بالفتح ما يغني عن تقرير مثل هذا الثاني ان مثل ركب مع ما حتى صار شيئا واحدا قال المازني
ومثله ويحما وهيما وايما وانشد لحميد بن ثور • الا هيما مما لقيت وهيما • وويحا لمن لم يدر ما هن ويحما •
قال فلولا البناء لكان منونا وانشد ايضا • فاكرم بنا اما واكرم بنا ابنما • وهذا الذي ذكره ذهب اليه بعض النحويين
وانشد • [illegible] ما صيدكم ام ثور • ام هذه الحماية ذات القرنين • واما ما انشده من قوله واكرم بنا ابنما

فليس من هذا الباب لان هذا ابن زيدت عليه الميم واذا زيدت عليه الميم جعلت النون تابعة للميم في الحركات على الفصيح فتقول هذا ابنم ورايت ابنما ومررت بابنم فتجري حركات الاعراب على الميم وتتبعها النون وابنما في البيت منصوب على التمييز فالفتح لاجل النصب لا للبنا وليس هذه ما الزايدة بل الميم وحدها زايدة والالف بدل من التنوين الثالث انه منصوب على الظرف وهو قول الكوفيين ويجيزون زيد مثلك بالفتح ونقله ابو البقا عن ابي الحسن ولكن بعبارة مشكلة فقال ويقرا بالفتح وفيه وجهان احدهما هو معرب ثم في نصبه اوجه ثم قال او على انه مرفوع الموضع ولكنه فتح كما فتح الظرف في قوله لقد تقطع بينكم على قول الاخفش ثم قال والوجه الثاني هو مبني وقال ابو عبيد بعض العرب يجعل مثل نصبا ابدا فيقولون هذا رجل مثلك الرابع انه منصوب على اسقاط الجار وهو كاف التشبيه وقال الفرا العرب تنصبها اذا رفع بها الاسم يعني المبتدا فيقولون مثل من عبد الله وعبد الله مثلك وانت مثله لان الكاف قد تكون داخلة عليها فتنصب اذا القيت الكاف قال شهاب الدين وفي هذا نظر اي حاجة الى تقدير دخول الكاف ومثل تفيد فايدتها وكانه لما راى ان الكاف قد دخلت عليها في قوله ليس كمثله شيء قال ذلك الخامس انه نعت لمصدر محذوف اي لحق حقا مثل نطقكم السادس انه حال من الضمير في لحق لانه قد كثر الوصف بهذا المصدر حتى جرى مجرى الاوصاف المشتقة والعامل فيها حق السابع انه حال من نفس حق وان كان نكرة وقد نص سيبويه في مواضع من كتابه على جوازه وتابعه ابو عمرو على ذلك وما هذه في مثل هذا التركيب نحو قولهم هذا حق كما انك ههنا لا يجوز لك حذفها فلا يقال هذا حق كانك ههنا نص على ذلك الخليل رحمه الله فاذا جعلت مثل معربة كانت ما مزيدة وانكم في محل الخفض بالاضافة كما تقدم واذا جعلتها مبنية اما للتركيب واما لاضافتها الى غير متمكن جاز في ما هذه وجهان الزيادة وان تكون نكرة موصوفة كذا قال ابو البقا وفيه نظر لعدم الوصف هنا فان قال هو محذوف فالاصل عدمه وايضا فنصوا على ان هذه الصفة لا تحذف لابهام موصوفها واما انكم تنطقون فيجوز ان يكون مجرورا بالاضافة ان كانت ما مزيدة وان كانت نكرة كان في موضع نصب باضمار اعني او رفع باضمار مبتدا **فصل** المعنى فورب السماء والارض انه لحق اي ما ذكرت من امر الرزق لحق كمثل ما انتم تنطقون فتقولون لا اله الا الله وقيل شبه تحقيق ما اخبر عنه بتحقيق نطق الادمي كقولك انه لحق كما انت ههنا وانه لحق كما انك تتكلم والمعنى انه في صدقه ووجوده كالذي تعرفه ضرورة قال بعض الحكما كما ان كل انسان ينطق بلسان نفسه لا يمكنه ان ينطق بلسان غيره فكذلك كل انسان ياكل رزق نفسه الذي قسم له ولا يقدر ان ياكل رزق غيره وقيل معناه ان القران لحق تكلم به الملك النازل من السماء مثل ما تتكلمون **قوله تعالى** هل اتاك حديث ضيف ابرهيم المكرمين هذه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم وتبشير له بالفرج وسماهم ضيفا لانه حسبهم كذلك ويقع على الواحد والجمع لانه مصدر وسماهم مكرمين اي عند الله او لان ابرهيم عليه السلام اكرمهم بان عجل قراهم واجلسهم في اكرم المواضع واختار ابرهيم لكونه شيخ المرسلين وكون النبي عليه السلام مامورا بان يتبع ملته كما قال تعالى ثم اوحينا اليك ان اتبع ملة ابرهيم وقيل سماهم مكرمين لانهم كانوا ضيف ابرهيم عليه السلام وكان ابرهيم اكرم الخليقة وضيف الكرام مكرمون وقال ابن ابي نجيح عن مجاهد لان ابرهيم عليه السلام خدمهم بنفسه وعن ابن عباس سماهم مكرمون لانهم جاءوا غير مدعوين وقال عليه السلام من كان يؤمن بالله واليوم الاخر فليكرم ضيفه فان قيل اذا كان المراد من الاية تسلية فاي فايدة في حكاية الضيافة فالجواب ليكون ذلك اشارة الى ان الفرج في حق الانبيا والبلا على الجهلة ياتي من حيث لم يحتسبوا كقوله تعالى فاتاهم العذاب من حيث لا يشعرون فلم يكن عند ابرهيم عليه السلام خبر من نزول العذاب مع ارتفاع منزلته وقد تقدم عددهم في سورة هود **قوله تعالى** اذ دخلوا في العامل في اذ اربعة اوجه احدها انه حديث اي هل اتاك حديثهم الواقع في وقت دخولهم عليه الثاني انه منصوب بما في ضيف من معنى الفعل لانه في الاصل مصدر ولذلك استوى فيه الواحد المذكر وغيره كانه قيل الذين اضافهم في وقت دخولهم عليه الثالث انه منصوب بالمكرمين ان اريد باكرامهم ان ابرهيم اكرمهم بخدمته لهم كانه تعالى يقول اكرموا اذ دخلوا الرابع انه منصوب باضمار اذكر ولا يجوز نصبه باتاك لاختلاف الزمانين وقرا العامة المكرمين بتخفيف الراء من اكرم وعكرمة بالتشديد فان قيل ارسلوا للعذاب بدليل قولهم انا ارسلنا الى قوم مجرمين وهم لم يكونوا من قوم ابرهيم عليه السلام بل كانوا من قوم لوط فما الحكمة في مجيئهم الى ابرهيم عليه السلام فالجواب من وجهين الاول ان ابرهيم عليه السلام شيخ المرسلين ولوط من قومه ومن عادة الملك اذا ارسل رسولا الى ملك وفي طريقه من هو اكرم منه يقول له اعرض على فلان الملك واخبره برسالتك وخذ فيها رايه الثاني ان ابرهيم

عليه السلام كان شديد الشفقة حليما فكان يشق عليه اهلاك امة عظيمة وكان ذلك مما يحزن ابرهيم عليه السلام شفقة منه على العباد فقال لهم بشروه بغلام يخرج من صلبه اضعاف من يهلك ويكون من صلبه خروج الانبيا عليهم السلام **قوله تعالى** فقالوا سلاما قال سلام العامة على نصب سلاما الاول ورفع الثاني فاما نصب الاول فالمشهور ان السلام التحية اي نسلم سلاما ويحتمل ان سلاما معناه حسنا اي قالوا كلاما حسنا لانه كلام سلم به المتكلم من ان يلغوا ويأثم فكانهم قالوا قولا حسنا سلموا به من الاثم فيكون مفعولا به لانه في معنى القول كما قيل في قوله واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما وهو مفعول بفعل محذوف اي نبلغك سلاما ولم يقولوا من الله شفقة على قلب ابرهيم فاتوا به مجملا ثم فسروه بعد ذلك واما رفع الثاني فالمشهور انه التحية فهو مبتدا وخبره محذوف اي عليكم ويحتمل انه السلامة اي امري سلام لاني لا اعرفكم وقولكم سلام اي بيني عن السلامة وانتم قوم منكرون فما خطبكم واما الفرق بين النصب والرفع فان حملنا السلام على التحية فانه مبتدا مع انه نكرة تنبيها على اصله لانه النصب لان المعنى اسلم سلاما وعليكم لبيان المسلم عليه لاحظ له في الاعراب واصل الكلام اسلم سلاما فالنصب اصل فقدم على الرفع الذي هو فرع وايضا فرد ابرهيم ابلغ لانه اتى بالجملة الاسمية الدالة على الثبات بخلاف الفعلية فانها تدل على التجدد والحدوث ولهذا يستقيم قولنا الله موجود الان ولا يستقيم قولنا الله وجد الان واما ان قلنا معناه حسنا او ذا سلامة فمعناه قلتم حسنا وانتم منكرون فالتبس الامر علي واما ان قلنا معناه المتاركة فمعناه سلمتم علي وانا امري متاركة لاني لا اعلم حالكم ومنه واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما وقال فاصفح عنهم وقل سلام لان سلامهم على الجاهلين لا يمنع التعرض لهم بخلاف النبي صلى الله عليه وسلم فمعناه سلم امري متاركة الى ان ياتي امر الله وتقدم تحرير نظير هذه الاية في سورة هود وتقدم ايضا خلاف القرا في سلام بالنسبة الى فتح سينه وكسرها والى سكون لامه وفتحها وقريا مرفوعين وقرئ سلاما قالوا سلما بكسر سين الثاني ونصبه ولا يخفى توجيه ذلك مما تقدم في هود ودخلت الفا ههنا اشارة الى انهم لم يخلوا بادب الدخول بل جعلوا السلام عقيب الدخول **قوله تعالى** قوم منكرون خبر مبتدا مضمر فقدروه انتم قوم ولم يستحسنه بعضهم لان فيه عدم انس فمثله لا يقع من ابرهيم عليه السلام فالاولى ان يقدر هؤلاء قوم او هم قوم ويكون مقالته هذه مع اهل بيته وخاصته لا لنفس الضيف لان ذلك يوحشهم وقال المفسرون قوم منكرون اي غربا لا نعرفكم قال ابن عباس قال في نفسه هؤلاء قوم لا نعرفهم وقيل انما انكر امرهم لانهم دخلوا عليه من غير استيذان وقال ابو العالية انكر سلامهم في ذلك الزمان وفي تلك الارض فان قيل قال في سورة هود فلما راى ايديهم لا تصل اليه نكرهم فدل على ان انكاره حصل بعد تقريب العجل اليهم وههنا قال فقالوا سلاما قال سلام قوم منكرون ثم قال فراغ الى اهله بفا التعقيب وذلك يدل على ان تقريب الطعام منهم بعد حصول انكاره فما وجهه فالجواب ان يقال لعلهم كانوا مخالفين لصفة الناس في الشكل والهيئة ولذلك قال قوم منكرون اي عند كل احد واشترك ابرهيم عليه السلام وغيره فيه ولهذا لم يقل انكرتكم بل قال انتم منكرون في انفسكم عند كل احد منا ثم لما امتنعوا من الطعام تاكد الانكار لان ابرهيم عليه السلام تفرد بمشاهدة امساكهم فنكرهم فوق الانكار الاول وحكاية الحال في سورة هود ابسط مما ذكره ههنا فان ههنا لم يبين المبشر به وهناك ذكره باسمه وهو اسحق وههنا لم يقل انا لفوم قوم من وهناك قال قوم لوط **فصل** ذكرهنا من اداب الضيافة تسليم المضيف على الضيف ولقاءه بالوجه الحسن والمبالغة في الاكرام بقوله سلام وهو اكد وسلامهم بالمصدر وفي قوله سلام بالرفع زيادة على ذلك ولم يقل سلام عليكم لان الامتناع من الطعام يدل على العداوة والعذر لا يليق بالانبيا فقال سلام عليكم اي امري مسالمة ثم فيها من اداب المضيف تعجيل الضيافة فان الفا في قوله فراغ يدل على التعقيب واخفاؤها لان الروغان يقتضي الاخفا وغيبة المضيف عن الضيف ليستريح وياتي بما يمنعه الحيا منه ويخدم الضيف بنفسه ويختار الاجود لقوله سمين وتقديم الطعام الى الضيف في مكانه لا ينقل الضيف للطعام لقوله فقربه اليهم ويعرض الاكل عليه لا يامره لقوله الا تاكلون ولم يقل كلوا وسروره باكله لا كما يوجد في بعض البخلا الذين يحضرون طعاما كثيرا ويجعل نظره ونظر اهل بيته الى الطعام حتى يمسك الضيف يده عنه لقوله فاوجس منهم خيفة بعد عدم اكلهم ومن اداب الضيف اذا احضره الطعام ولم يكن يصلح له لكونه مضرا به او يكون ضعيف القوة عن هضم ذلك الطعام فلا تقول هذا طعام غليظ لا يصلح لي بل ياتي بعبارة حسنة ويقول بي مانع من اكل الطعام لانهم اجابوه بقولهم لا تخف ولم يذكروا في الطعام شيئا ولا انه يضرهم بل بشروه بالولد اشعارا بانهم ملايكة وبشروه بالاشرف وهو الذكر حيث فهموا انهم ليسوا ممن ياكلون

ثم وصفوه بالعلم دون المال والجمال لان العلم اشرف الصفات ثم ادب اخر في البشارة وهو ان لا يخبر الانسان
بما يسره دفعة واحدة لانه يورث مرضا لانهم جلسوا واستانسوا بابرهيم ثم قالوا نبشرك وتقدم الكلام
على فائدة تقديم البشارة قوله تعالى فراغ اي عدل ومال الى اهله وقوله فجاء عطف على فراغ وتنبيه عنه وما جاء
بعجل سمين اي مشوي لقوله في مكان اخر بعجل حنيذ فقربه اليهم لياكلوا فلم ياكلوا قال الا تاكلون والهمزة
في الا تاكلون للانكار عليهم في عدم اكلهم او للعرض او للتحضيض فاوجس منهم خيفة قالوا لا تخف وبشروه بغلام
عليم قوله تعالى فاقبلت امراته في صرة قيل لم يكن ذلك اقبالا من مكان الى مكان وانما هو كقول القائل اقبل
يشتمني بمعنى اخذ في شتمي اي اخذت تولول لقوله قالت يا ويلتا وذلك انها كانت مع زوجها في خدمتهم فلما تكلموا
مع زوجها بولادتها استحيت واعرضت عنهم فذكر الله تعالى ذلك بلفظ الاقبال على الاهل ولم يقل بلفظ الادبار
عن الملائكة قوله تعالى في صرة يجوز ان يكون حالا من الفاعل اي كائنة في صرة والصرة قيل الصيحة قال امرؤ
القيس • فالحقنا بالهاديات ودونه • جواحرها في صرة لم تزيل • قال الزمخشري من صر الجندب والباب
والقلم اي فصاحت كما جرت عادة النساء اذا سمعن شيئا من احوالهن يصحن صيحة معتادة لهن عند الاستحيا
او التعجب ويحتمل ان يقال تلك الصيحة كانت تقولها يا ويلتا ومحلها النصب على الحال اي فجاءت صارة ويجوز
ان يتعلق باقبلت اي اقبلت في جماعة نسوة كن معها والصرة الجماعة من النسا قوله تعالى فصكت وجهها
قال ابن عباس لطمت وجهها واختلف في صفته فقيل هو الضرب باليد مبسوطة وقيل بل ضرب الوجه
باطراف الاصابع فعل المتعجب وهي عادة النسا اذا انكرن شيئا واصل الصك ضرب الشيء بالشيء العريض قوله تعالى
عجوز خبر مبتدا مضمر اي انا عجوز عقيم فكيف الد يفسرها الاية الاخرى واستبعدت ذلك لكبر سنها
ولعقمها فانها كانت لا تلد في صغرها وعنفوان شبابها ثم عجزت وايست فاستبعدت ذلك فظننا منها ان ذلك
منهم على سبيل الدعا فكانها قالت يا ليتكم دعوتم دعاء قريبا من الاجابة فاجابوها بان ذلك من الله تعالى
وان هذا ليس بدعاء وانما هو قول الله كذلك قال ربك ثم دفعوا استبعادها بقولهم انه هو الحكيم العليم
قوله تعالى كذلك منصوب على المصدر بقال الثانية اي مثل ذلك القول الذي اخبرناك به قال ربك اي
انه من جهة الله تعالى فلا تتعجبي منه قال ابن الخطيب وقال ههنا الحكيم العليم وفي سورة هود انه حميد مجيد
لان الحكاية في هود ابسط فذكروا ما يدفع استبعادها بقولهم اتعجبين من امر الله ثم ارشدوها الى القيام
بشكر نعم الله بقولهم حميد فان الحميد هو الذي يفعل الافعال الحسنة والمجيد اشارة الى انه الذي لا يحمد لفعله
وانما يحمد لذاته وههنا لما لم يقولوا اتعجبين اشاروا الى ما يدفع تعجبها بقولهم حكيم عليم فالحكيم يتعلق
بالفعل والمجيد يتعلق بالذات وكذلك الحكيم هو الذي فعله قاصدا اليه فان من ينقلب في نومه على حية
فماتت لا يعد حكيما واما اذا قصد قتلها بحيث يسلم من نهشها يقال له حكيم والعليم صفة راجعة الى الذات فقدم
وصف الفعل وارتقى درجة الى وصف الذات اشارة الى انه يستحق الحمد وان لم يفعل فعلا قوله تعالى فما
خطبكم ايها المرسلون هذا ايضا من ادب المضيف اذا بادر الضيف للخروج قال له ما هذه العجلة وما شانك
لان في سكوته ما يوهم باستثقالهم ثم انهم اتوا بما هو من ادب الصديق الذي لا يستر عن الصديق شيئا
وكان ذلك باذن الله لهم في اطلاع ابرهيم عليه السلام على اهلاكهم وجبر قلبه بتقديم البشارة بابي الانبيا
اسحق عليه السلام فان قيل فما الذي اقتضى ذكره بالفا ولم لا قال ما هذا الاستعجال وما خطبكم المعجل لكم
فالجواب انه لما اوجس منهم خيفة لو خرجوا من غير بشارة وايناس ما كان يقول شيئا فلما انسوه قال ما خطبكم
اي بعد هذا الانس العظيم ما هذا الايحاش الاليم فصل والخطب يستعمل في الامر العظيم ولذلك
قال فما خطبكم اي لعظمتكم لا ترسلون الا في امر عظيم ولو قال بلفظ مركب بان يقول ما شغلكم الخطير وامركم
العظيم للزم التطويل فالخطب افاد التعظيم مع الايجاز وعرف انهم مرسلون بقولهم انا ارسلنا او بقولهم
لامرانه كذلك قال ربك لحكايتهم قول الله تعالى وقال في سورة هود انا ارسلنا الى قوم لوط وقال هنا الى قوم
مجرمين لان الحكاية هو معنى قولهم ويحتمل انهم قالوا الامرين والمحكي لفظهم في السلام اتى في الموضعين
بصفة واحدة والمجرم قال ابن عباس هو المشرك لان الشرك اشرف الذنوب واعظمها وقال ابن الخطيب المجرم هو
الاتي بالذنب العظيم لان الجرم فيه دلالة على العظم ومنه جرم البنى لعظمته ومقداره قوله تعالى لنرسل
عليهم حجارة من طين فيه دليل على رجم اللائط والفايدة في ارسال جماعة من الملائكة لهذا الامر وان كان يكفي فيه
الواحد منهم ان الملك العظيم قد يهلك بالامر الحقير كما اهلكنا نمرود بالبعوض وكما اهلكنا القمل والجراد بل بالريح

التي بها

التي بها الحيوة اظهارا للقدرة وقد تكثر الاسباب كما في يوم بدر امر خمسة الاف من الملائكة باهلاك اهل بدر مع
قلتهم اظهارا لعظمة قدرته وقوله من طين اي ليست من البرد والفاعل لذلك هو الله تعالى لا كما تقول الحكما فانهم يقولون
ان البرد يسمى حجارة فقوله من طين يدفع ذلك التوهم قال ابن الخطيب ان بعض من يدعي العقل يقول لا ينزل من السماء
الا حجارة من طين مدورات على هيئة البرد وهيئة البنادق التي تتخذها الرماة قالوا وسبب ذلك ان الاعصار
تصعد الغبار من الفلوات العظيمة التي لا عمارة فيها والرياح تسوقها الى بعض البلاد وتتفق ذلك الى هواء ندي
فيصير طينا رطبا والرطب التي لا عمارة فيها والرياح تسوقها الى بعض البلاد فيصير طينا رطبا والرطب اذا نزل
ونفرق واستدار بدليل انك اذا رميت الما الى فوق ثم نظرت اليه رايته ينزل كرات مدورات كاللالي الكبار ثم في النزول
ان اتفق ان تضربه النيران التي في الجو جعلته حجارة كالاجر المطبوخ فينزل فيصيب من قدر الله هلاكه وقد ينزل كثيرا
في المواضع التي لا عمارة بها فلا يرى ولا يدرى به فلهذا قال من طين لانها لا تكون من طين كالحجار الذي في الصواعق لا
يكون كثيرا بحيث يمطر وهذا تعسف لان ذلك الاعصار لما وقع فان وقع لحادث اخر لزم التسلسل ولا بد من الانتهاء الى
محدث ليس بحادث فذلك المحدث لا بد وان يكون فاعلا مختارا والمختار له ان يفعل ذلك وله ان يخلق الحجارة من طين على
وجه اخر من غير نار ولا غبار لكن العقل لا طريق له الى الجزم بطريق احداثه وما لا يصل العقل اليه فلا يؤخذ الا با
النقل والنص ومن المعلوم ان نزول حجارة الطين من السماء اغرب والعجب من غيرها قوله تعالى مسومة فيه ثلاثة
اوجه احدها انه منصوب على النعت لحجارة والثاني انه حال من الضمير المستكن في الجار قبله الثالث انه حال من حجارة
وحسن ذلك كون النكرة وصفت بالجار بعدها ومعنى مسومة قيل على كل حجر منها اسم صاحبه وقيل خلقت
واعدت لتعذيبهم وقيل مرسلة للمجرمين لان الارسال يقال في التسويم يقال ارسلها لترعى كما قيل في الخيل المسومة
اي مستغنى عنها قوله تعالى عند ربك ظرف لمسومة اي معلمة عنده والمسرف المتمادي ولو في الصغاير فهم مجرمون
مسرفون وهنا لطيفة وهي ان الحجارة سومت للمسرف المصر الذي لا يترك الذنب في المستقبل وذلك انما
يعلمه الله تعالى فلذلك قال عند ربك للمسرفين ولما كان الاجرام ظاهرا قالوا انا ارسلنا الى قوم مجرمين واللام
في المسرفين لتعريف العهد اي لهؤلاء المسرفين اذ ليس لكل مسرف حجارة مسومة واسرافهم بانهم اتوا بما لم يسبقهم به احد
من العالمين قوله تعالى فاخرجنا من كان فيها من المومنين هذه الاية تدل على بيان القدرة والاختيار لانه تعالى
لما ميز المجرم عن المحسن دل على الاختيار وايضا فيها بيان ان بركة المحسن ينجو المسيء فان القرية ما دام فيها المومنون
لم تهلك والضمير في فيها عائد الى القرية وهي معلومة وان لم تكن مذكورة والمعنى فاخرجنا من كان في قرى قوم لوط
من المومنين وذلك قوله فاسر باهلك بقطع من الليل وقوله فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين يعني لوطا وابنتيه
وصفهم الله تعالى بالايمان والاسلام جميعا لانه ما من مومن الا وهو مسلم وفيه اشارة الى ان الكفر اذا غلب والفسق
اذا غلبا لا تنفع معه عبادة المومنين بخلاف ما لو كان اكثر الخلق على الطريقة المستقيمة وفيهم شرذمة يسيرة يسرقون
ويزنون ومثال ذلك ان العالم كالبدن ووجود الصالحين كالاغذية الباردة والحارة والسموم الواردة عليه الضارة ثم
ان البدن ان خلا عن النافع وفيه الضار هلك وان خلا عن الضار وفيه النافع طاب ونما وان وجدا فيه فالحكم للغالب واعلم
ان اطلاق العام على الخاص لا مانع منه لان المسلم اعم من المومن فاذا سمي المومن مسلما لا يدل على اتحاد مفهوميهما فكانه
تعالى قال اخرجنا من المومنين فما وجدنا الا عاما منهم لانهم من المسلمين ويلزم من هذا ان لا يكون هناك غيرهم من المومنين
قوله تعالى وتركنا فيها اية يجوز ان يعود الضمير على القرية اي تركنا في القرية علامة اي عبرة كالحجارة او الماء المنتن
ويجوز ان يعود على الاهلاك المفهوم من السياق وقوله للذين يخافون اي مما ينتفع بها الا الخائف كقوله تعالى
في سورة العنكبوت لقوم يعقلون ومعنى الاية ان الاية تدلهم على ان الله اهلكهم فيخافون مثل عذابهم قوله تعالى
وفي موسى فيه اوجه اظهرها انه عطف على قوله فيها باعادة الجار لان المعطوف عليه ضمير مجرور فيتعلق بتركنا
من حيث المعنى ويكون التقدير وتركنا في قصة موسى اية وهذا واضح والثاني انه معطوف على قوله في الارض ايات
اي وفي الارض وفي موسى ايات للموقنين قاله الزمخشري وابن عطية قال ابو حيان وهذا بعيد جدا ينزه القران عن
مثله قال شهاب الدين وجه استبعاده له بعد ما بينهما وقد فعل اهل العلم هذا في اكثر من ذلك والثالث انه متعلق بجعلنا
مقدرة لدلالة وتركنا قال الزمخشري او على قوله تعالى وتعطف على قوله وتركنا فيها اية على معنى وجعلنا في موسى اية
كقوله • علفتها تبنا وماء باردا • قال ابو حيان ولا حاجة الى اضمار وجعلنا لانه قد امكن ان يكون العامل
في المجرور وتركنا قال شهاب الدين والزمخشري انما اراد الوجه الاول بدليل قوله وفي موسى معطوف على وفي الارض
او على قوله وتركنا فيها وانما قال على معنى من جهة تفسير المعنى لا الاعراب وانما اظهر الفعل تنبيها على مغايرة الفعلين

يعني ان هذا الترك ولذلك ابرزه بمادة الجعل دون مادة الترك لتظهر المخالفة الرابع ان يعطف على هل اتاك
حديث ضيف ابرهيم تقديره وفي حديث موسى اذ ارسلناه وهو مناسب لان الله جمع كثيرا بين ذكر ابرهيم
وموسى عليهما السلام كقوله تعالى ام لم ينبأ بما في صحف موسى وابرهيم الذي وفى وقال في صحف ابرهيم وموسى
قال ابن الخطيب **فصل** والمعنى لك في ابرهيم تسلية وفي موسى ولقومك في لوط وقومه عبرة وفي موسى وفرعون
او تفكروا في ابرهيم ولوط وقومهما وفي موسى وفرعون هذا ان عطفناه على معلوم وان عطفناه على مذكور فقد
تم انفا والسلطان المبين الحجة الظاهرة **قوله تعالى** اذ ارسلناه يجوز في هذا الظرف ثلثة اوجه احدها ان يكون
منصوبا بآية على الوجه الاول اي تركنا في قصة موسى علامة في وقت ارسالنا اياه الثاني انه يتعلق بمحذوف لانه
نعت لآية اي آية كائنة في وقت ارسالنا الثالث انه منصوب بتركنا **قوله تعالى** بسلطان يجوز ان يتعلق بنفس الارسال
وان يتعلق بمحذوف على انه حال اما من موسى واما من ضميره اي ملتبسا بسلطان وهو الحجة والمبين الفارق بين سحر
الساحر وامر المرسلين ويحتمل ان يكون المراد بالمبين اي البراهين القاطعة التي حاج بها فرعون **قوله تعالى** فتولى بركنه
الجار والمجرور حال من فاعل تولى ومعنى تولى ادبر عن الايمان والبا للمصاحبة والمراد بالركن اي بجمعه وجنوده
الذين كان يتقوى بهم كالركن الذي يتقوى به البنيان كقوله تعالى او آوي الى ركن شديد وقيل البا للتعدية
فتكون بمعنى تقوى بجنده ويحتمل ان يكون المراد بركنه هامان فانه كان وزيره **قوله تعالى** ساحر او مجنون او
هنا على بابها من الابهام على السامع او للشك نزل نفسه مع انه يعرفه نبيا حقا منزلة الشاك في امره تمويها على قومه
وقال ابو عبيدة او بمعنى الواو وقال لانه قد قالهما قال تعالى ان هذا الساحر عليم وقال في موضع اخر ان رسولكم
الذي ارسل اليكم لمجنون ويجي او بمعنى الواو كقوله ٭ وبعليه الفوارس او رياحا ٭ عدلت بهم طهية والخشابا ٭
ورد الناس عليه هذا وقالوا لا ضرورة تدعوا الى ذلك واما الايتان فلا يدلان على انه قالهما معا وانما
يفيدان انه قالهما اعم من ان يكونا معا او هذه في وقت وهذه في اخر **قوله تعالى** وجنوده يجوز ان يكون
معطوفا على مفعول اخذناه وهو الظاهر وان يكون مفعولا معه فنبذناهم في اليم اغرقناهم في البحر
قوله تعالى وهو مليم جملة حالية فان كانت حالا من مفعول نبذناهم فالواو لازمة اذ ليس فيها ذكر يعود
على صاحب الحال وان كانت حالا من مفعول اخذناه فالواو ليست واجبة اذ في الجملة ذكر يعود عليه وقد يقال
ان الضمير في نبذناهم يعود على فرعون وعلى جنوده فصار في الحال ذكر يعود على بعض ما شمله الضمير الاول
وفيه نظر اذ يصير نظير قولك جاء السلطان وجنوده فاكرمتهم راكبا فرسه فتجعل راكبا حالا من بعض ما
اشتمل عليه ضمير اكرمتهم **فصل** ومعنى مليم اي اتى بما يلام عليه من دعوى الربوبية وتكذيب الرسول
قوله تعالى وفي عاد اذ ارسلنا الكلام عليه قد تقدم على نظيره واعلم ان المراد بهذه الحكايات تسلية قلب النبي
عليه السلام وتذكره بحال الانبيا فان قيل لم لم يذكر في عاد وثمود انبياءهم كما ذكر ابرهيم وموسى ولوطا عليهم
السلام فالجواب انه ذكرت حكايات حكاية ابرهيم وبشارته وحكاية قوم لوط ونجاة من كان فيها من المومنين
وحكاية موسى ففي هذه الحكايات الثلاث ذكر الرسل والمومنين لان الناجين فيهم كانوا كثيرين فاما في حق ابرهيم
وموسى فظاهر واما في حق لوط فلان الناجين وان كانوا اهل بيت واحد لكن المهلكين كانوا ايضا اهل بقعة
واحدة واما عاد وثمود وقوم نوح فكان عدد المهلكين بالنسبة الى الناجين اضعاف المهلكين من قوم لوط عليه السلام
فذكر الحكايات الثلاث الاول للتسلية بالنجاة وذكر الثلاث المتاخرة للتسلية باهلاك العدو والكل مذكور للتسلية
بدليل قوله تعالى في اخر هذه الايات كذلك ما اتى الذين من قبلهم من رسول الا قالوا ساحر او مجنون الى ان قال فتول
عنهم فما انت بملوم وذكر فان الذكرى تنفع المومنين وقال في سورة هود بعد الحكايات ذلك من انباء القرى
نقصه عليك الى ان قال وكذلك اخذ ربك اذا اخذ القرى وهي ظالمة ان اخذه اليم شديد **قوله تعالى** اذ ارسلنا
عليهم الريح العقيم وهي التي لا خير فيها ولا بركة ولا تلقح شجرا ولا تحمل مطرا لانها كانت تكسر وتقلع فكيف تلقح
واعلم ان الفعل لا يلحق به تاء التانيث اذا كان بمعنى فاعل في بعض الصور وقد تقدم ذكر سببه وهو ان فعيلا جاء
للمفعول وللفاعل جميعا ولم يتميز المفعول عن الفاعل فالاولى ان لا يتميز المونث عن المذكر فيه لانه لم يتميز الفاعل عن
المفعول قبل تمييز المذكر والمونث لان الفاعل جزء من الكلام محتاج اليه والمفعول فيه فايدة اكيدة وان لم يكن جزءا
من الكلام محتاجا اليه فاول ما يحصل في الفعل الفاعل ثم التذكير والتانيث يصير كالصفة للفاعل تقول فاعل
وفاعلة ومفعول ومفعولة ويدل على ذلك ايضا ان التمييز بين الفاعل والمفعول حصل بحرف ممازج للكلمة فقيل
فاعل بفاصل بين الفاء والعين التي هي من اصل الكلمة وقيل مفعول بواو فاصلة بين العين واللام والتانيث كان بحرف

في اخر الكلمة فالمميز فيهما غير نظر الكلمة لشدة الحاجة لم يوثر ولان التمييز في الفاعل والمفعول كان بامرين
يختص كل واحد منهما باحدهما فالالف بعد الفاء تختص بالفاعل والميم والواو تختص بالمفعول والتمييز
في التذكير والتانيث بحرف واحد وجوده يميز المونث وعدمه يبقي اللفظ على اصل التذكير فاذا لم يكن فعل
يمتاز فيه الفاعل على المفعول الا بامر منفصل كذلك المونث والمذكر لا يمتاز احدهما عن الاخر بحرف متصل به
قوله تعالى ما تذر من شيء فيه وجهان احدهما انه نصب على انه صفة للريح بعد صفة العقيم قاله الواحدي
فان قيل كيف يكون وصفا والمعرف لا يوصف بالجمل وما تذر جملة فلا يوصف بها الا النكرات فالجواب
من وجهين الاول ان يكون باعادة الريح تقديرا كانه يقول وارسلنا عليهم الريح العقيم ريحا ما تذر الثاني
انها لما لم تكن معهودة صارت منكرة كانه يقول لم تكن من الرياح التي تنفع ولا وقع مثلها فهي لشدتها منكرة
ولهذا اكثر ما ذكرت في القران منكرة ووصفت بالجملة كقوله تعالى بل هو ما استعجلتم به ريح فيها عذاب اليم
وقوله ريح صرصر عاتية سخرها عليهم الى غير ذلك الوجه الثاني انه نصب على الحال تقول جاءني ما يفهم شيئا
فعلمته وفهمته اي حالة كذا فان قيل لم يكن حال الارسال ما تذر والحال ينبغي ان يكون موجودا مع ذي الحال
وقت الفعل فلا يجوز ان يقال جاءني زيد امس راكبا غدا والريح بعد ما ارسلت بزمان صارت ما تذر شيئا
فالجواب ان المراد به بيان الصلاحية اي التي ارسلناها على قوة وصلاحية ان لا تذر وتقول لمن جاء واقام عندك
ايام ما تم سالك نشاجيتني سايلا اي وقت السوال بالصلاحية والامكان هذا ان قيل بانه نصب على المشهور
ويحتمل انه رفع على خبر مبتدا محذوف تقديره وهي ما تذر فان قيل ما تذر للنفي حال التكلم بها لما خرج زيد الى
الان واذا اردت المستقبل تقول لا يخرج او لن يخرج وتقول للماضي ما خرج ولم يخرج والريح حالة الكلام مع
النبي عليه السلام كانت ما تركت من شيء الا جعلته كالرميم فكيف قال بلفظ الحال ما تذر فالجواب ان الحكايات
مقدرة على انها محكية حال الوقوع كقوله تعالى وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد مع ان اسم الفاعل بمعنى الماضي لا يعمل
وانما يعمل ما كان منه بمعنى الحال والاستقبال فان قيل هل في قوله تعالى ما تذر من شيء اتت عليه تخصيص كما
في قوله تعالى تدمر كل شيء بامر ربها فالجواب ان المراد به المبالغة لان قوله اتت عليه وصف لقوله شيء كانه قال كل
شيء اتت عليه او كل شيء تاتي عليه ولا يدخل فيه السموات لانها ما اتت عليه وانما تدخل فيه الاجسام التي تهب عليها
الرياح فان قيل فالجبال والصخور اتت عليه وما جعلته كالرميم فالجواب ان المراد اتت عليه قاصدة له وهو عاد
وابنيتهم وعروشهم لانها كانت مامورة بامر من عند الله فكانها كانت قاصدة لهم فما تركت شيا من تلك
الاشيا الا جعلته كالرميم **قوله تعالى** الا جعلته كالرميم هذه الجملة في موضع المفعول الثاني لتذر كانه قيل
ما تترك من شيء الا مجعولا نحو ما تركت زيدا الا عالما واعربها ابو حيان حالا وليس بظاهر **فصل**
المعنى ما تذر ما تترك من شيء اتت عليه من انفسهم واموالهم وانعامهم الا جعلته كالرميم اي كالشيء الهالك
البالي وهو نبات الارض اذا يبس وديس وقال مجاهد كالتبن اليابس وقال ابو العالية كالتراب المدقوق
وقيل اصله من العظم البالي **قوله تعالى** وفي ثمود الكلام عليه كما تقدم في قوله وفي موسى وقوله اذ قيل لهم
تمتعوا حتى حين قال بعض المفسرين المراد منه ما هو امهلهم الله بعد عقرهم الناقة وهو ثلثة ايام في قوله
تعالى تمتعوا في داركم ثلثة ايام وكان في تلك الايام تغيرا لوانهم فتصفر وتحمر وتسود قال ابن الخطيب وهذا
ضعيف لان قوله تعالى فعتوا عن امر ربهم بحرف الفاء دليل على ان العتو كان بعد قوله تمتعوا فاذن الظاهر ان المراد
هو ما قدر الله للناس من الاجال فما من احد الا وهو ممهل مدة الاجل **قوله تعالى** فعتوا عن امر ربهم عتى يتعدى
تارة بعلى كقوله تعالى ايهم اشد على الرحمن عتيا وههنا استعمل بعن لان فيه معنى الاستكبار فهو كقوله تعالى
لا يستكبرون عن عبادته وحيث استعمل بعلى فهو كقولك فلان يتكبر علينا **قوله تعالى** فاخذتهم الصاعقة
هذه قراءة العامة وقرا الكسائي الصعقة والحسن الصاعقة وتقدم ذلك في البقرة وقوله وهم ينظرون
جملة حالية من المفعول وينظرون قيل من النظر وقيل من الانتظار اي ينتظرون ما وعدوه من العذاب **قوله تعالى**
فما استطاعوا من قيام اي فما قاموا بعد نزول العذاب ولا قدروا على نهوض قال قتادة لم ينهضوا من تلك
الصرعة وقوله من قيام يدل قوله من هرب لان العاجز عن القيام اولى ان يعجز عن الهرب ويحتمل ان يكون
المراد منه من القيام بالامر اي ما استطاعوا من قيام به وما كانوا منتصرين اي ممتنعين منا قال قتادة
ما كان عندهم قوة يمتنعون بها من الله **قوله تعالى** وقوم نوح قرا الاخوان وابو عمرو بجر الميم والباقون بنصبها
وابو السمال وابن مقسم وابو عمرو في رواية الاصمعي وقوم بالرفع فاما الخفض ففيه اربعة اوجه احدها

معطوف على وفي الارض الثاني انه معطوف على وفي موسى الثالث انه معطوف على وفي عاد الرابع انه معطوف
على وفي ثمود وهو الظاهر لقربه وبعد غيره ولم يذكر الزمخشري غيره فانه قال قرئ بالجر على معنى وفي قوم
نوح ويقويه قراءة عبد الله وفي قوم نوح اي لكم عبرة ولم يذكر ابو البقاء الوجه الاخير لظهوره واما النصب
ففيه ستة اوجه احدها انه منصوب بفعل مضمر اي واهلكنا قوم نوح لان ما قبله يدل عليه الثاني انه منصوب
باذكر مقدرا ولم يذكر الزمخشري غيرهما الثالث انه منصوب عطفا على مفعول فاخذناه الرابع انه معطوف على
مفعول فنبذناهم في اليم اي اغرقناهم وناسب ذلك ان قوم نوح مغرقون من قبل لكن يشكل انهم لم يغرقوا في اليم
واصل العطف ان يقتضي التشريك في المتعلقات الخامس انه معطوف على مفعول فاخذتهم الصاعقة وفيه اشكال
لانهم لم تاخذهم الصاعقة وانما اهلكوا بالغرق الا ان يراد بالصاعقة الداهية والنازلة العظيمة من اي نوع
كانت فيقرب ذلك السادس انه معطوف على محل وفي موسى نقله ابو البقاء وهو ضعيف واما الرفع فعلى الابتداء والخبر
مقدر اي اهلكناهم وقال ابو البقاء والخبر ما بعده يعني من قوله انهم كانوا قوما فاسقين ولا يجوز ان يكون مراده
قوله من قبل لان الظرف ناقص فلا يخبر به **قوله تعالى** والسماء بنيناها العامة على النصب على الاشتغال وكذلك
قوله والارض فرشناها والتقدير وبنينا السماء بنيناها وقال ابو البقاء اي ورفعنا السماء فقدر الناصب من غير
لفظ الظاهر وهذا انما يصار اليه عند تعذر التقدير الموافق لفظا نحو زيدا مررت به وزيدا ضربت غلامه واما في نحو زيدا
ضربته فلا نقدر الا ضربت زيدا وقرا ابو السمال وابن مقسم برفعهما على الابتداء والخبر ما بعدهما والنصب ارجح لعطف
جملة الاشتغال على جملة فعلية قبلها **قوله تعالى** بايد يجوز ان يتعلق بمحذوف على انه حال وفيها وجهان احدهما
انها حال من فاعل بنيناها اي ملتبسين بايد اي بقوة عندنا داود ذا الايد الثاني انها حال من مفعوله اي ملتبسة بقوة
ويجوز ان يكون الباء للسببية اي بسبب قدرتنا ويجوز ان تكون الباء معدية مجازا على ان يجعل الايد كالالة المبني بها
كقولك بنيت بيتك بالاجر **قوله تعالى** وانا لموسعون يجوز ان تكون الجملة معترضة مجازا على ان يجعل كالايد الجملة حالا من
فاعل بنيناها ويجوز ان يكون حالا من مفعوله ومفعول موسعون محذوف اي موسعون بناها ويجوز ان لا تقدير له
مفعول لان معناه لقادرون كقولك ما في وسعي كذا اي ما في طاقتي وقوتي كقوله تعالى لا يكلف الله نفسا الا وسعها
قال ابن عباس وعنه ايضا لموسعون الرزق على خلقنا وقيل ذو وسعة قال الضحاك اغنياء دليله قوله تعالى على الموسع قدره
قال ابن الخطيب ويجوز ان يكون من السعة اي اوسعناها بحيث صار الارض وما يحيط بها من الماء والهواء بالنسبة
الى سعتها داخل فيها والبناء الواسع الفضاء عجيبة فان القبة الواسعة لا يقدر عليها البناؤون لانهم يحتاجون الى اقامة
آلة يصح استدارتها ويثبت بها تماسك اجزائها الى ان يتصل بعضها ببعض فقوله وانا لموسعون بيان للاعراب في الفعل
فصل والحكمة في كثرة ذكر البناء في السموات كقوله تعالى والسماء وما بناها وقوله ام السماء بناها وقوله والسماء بناء
ان السماء باقية الى قيام الساعة لم يسقط منها شيء ولم يعدم منها جزء واما الارض فهي في التبدل والتغير كالفرش الذي
يبسط ويطوى وينقل والسماء كالبناء المبني الثابت كما اشار اليه بقوله سبعا شدادا واما الاراضي فكم صارت بحرا
وعادت ارضا من وقت حدوثها وايضا فالسماء ترى كالقبة المبنية فوق الرؤس والارض مبسوطة مدحوة وذكر البناء
بالمرفوع المبني كقوله تعالى رفع سمكها وقال بعض الحكماء السماء مسكن الارواح والارض موضع الاعمال والمسكن المبني
يكون بناء والله اعلم فان قيل ما الحكمة في تقديم المفعول على الفعل ولو قال وبنينا السماء بايد كان اوجز فالجواب
قال ابن الخطيب لان الصنع قبل الصانع عند الناظر في المعرفة فلما كان المقصود اثبات العلم بالصانع قدم الدليل
وقال والسماء المبنية التي لا تشكون في بنائها فاعرفوا بانيها ان كنتم لا تعرفونه فان قيل اذا كان اثبات التوحيد
فكيف قال بنيناها ولم يقل بنيتها ولا بناها الله فالجواب ان قوله بنيناها ادل على عدم الشريك لان الشركة
ضعيفة فان الشريك يمنع شريكه عن التصرف والاستبداد وقوله بنيناها يدل على العظمة وبين العظمة
والضعف تنافر فبين قوله بنينا وبين ان يكون شريك منافاة وتقريره ان قوله تعالى بنينا لا يورث ايهاما بان
الالهة التي كانوا يعبدونها هي التي يرجع اليها الضمير لان تلك اما اصنام منحوتة واما كواكب جعلوا الاصنام
على صورها وطبايعها فاما الاصنام المنحوتة فلا يتكون انها ما بنت من السماء شيئا واما الكواكب فهي
في السماء محتاجة اليها فلا تكون هي بانيها وانما يقال بنيت لها وجعلت اماكنها فلما لم توهم ما قالوا
قال بنينا نحن ونحن غير ما تقولون وتدعونه فلا يصلحون لنا شركاء ثم لما بين ان قولهم لا يوهم شريكا
اصلا لان كل ما هو غير السماء فهو محتاج الى السماء ودون السماء في المرتبة فلا يكون خالقا للسماء ولا بانيا لها
فعلم ان المراد جمع التعظيم فافاد النص عظمة والعظمة انفى للشريك فعلم ان قوله بنيناها ادل على نفي الشريك

من بنيتها وبناها الله فان قيل لم لم يقل بنيناها بايدينا كما قال مما عملت ايدينا فالجواب ان ذلك لفائدة
جليلة وهي ان السماء لا تخطر ببال احد انها مخلوقة لغير الله والانعام ليست كذلك فقال هناك عملت ايدينا
تصريحا بان الحيوان مخلوق لله تعالى من غير واسطة وكذلك خلقت بيدي وفي السماء قال بايد من غير اضافة
للاستغناء عنها وفيه لطيفة اخرى وهي ان هناك لما اثبت الاضافة لم يعد الضمير العائد الى المفعول فلم
يقل خلقته ولا عملته واما السماء فبعض الجهال يزعم انها غير مجعولة فقال بنيناها بعود الضمير تصريحا بانها
مخلوقة **قوله تعالى** والارض فرشناها اي بسطناها ومهدناها وفيه دليل على ان خلق الارض بعد خلق السماء
لان بناء البيت يكون في العادة قبل الفرش **قوله تعالى** فنعم الماهدون المخصوص بالمدح محذوف لفهم المعنى اي نحن
كقوله نعم العبد قال ابن عباس معناه الباسطون اي نعم ما وطات لعبادي **قوله تعالى** ومن كل شيء يجوز ان
يتعلق بخلقنا اي خلقنا من كل شيء زوجين وان يتعلق بمحذوف على انه حال من زوجين لانه في الاصل صفة له
اذ التقدير خلقنا زوجين كائنين من كل شيء والاول اقوى في المعنى **فصل** المعنى خلقنا زوجين صنفين
ونوعين مختلفين كالسماء والارض والشمس والقمر والليل والنهار والبر والبحر والسهل والجبل والشتاء والصيف
والجن والانس والذكر والانثى والنور والظلمة والايمان والكفر والسعادة والشقاوة والحق والباطل والحلو
والمر لعلكم تذكرون فتعلمون ان خالق الازواج واحد لا شريك له لا يعجز عن حشر الاجساد وجمع الارواح
قوله تعالى ففروا الى الله اي فاهربوا من عذاب الله الى ثوابه بالايمان والطاعة قال ابن عباس فروا منه اليه
واعملوا بطاعته وقال سهل بن عبد الله فروا مما سوى الله اني لكم منه نذير مبين وهذا اشارة الى الرسالة **قوله تعالى**
ولا تجعلوا مع الله الها اخر اتماما للتوحيد بين التعطيل والتشريك لان المعطل يقول لا اله اصلا والمشرك
يقول بوجود الالهة والموحد يقول قول الاثنين باطل لان نفي الواحد باطل والقول بالاثنين باطل فلما قال تعالى
ففروا الى الله اثبت وجود الله فلما قال ولا تجعلوا مع الله الها اخر نفى الاكثر من واحد فصح القول بالتوحيد بالاثنين
ولهذا قال مرتين اني لكم منه نذير مبين اي في المقامين والموضعين **قوله تعالى** كذلك فيه وجهان اظهرهما انه
خبر مبتدا محذوف اي الامر مثل ذلك قال الزمخشري والاشارة بذلك الى تكذيبهم الرسول وتسميته ساحرا ومجنونا
ثم فسر ما اجمل بقوله ما اتى والثاني ان الكاف في محل نصب نعتا لمصدر محذوف قاله مكي ولم يبين تقديره ولا يبطل
بنصب بما بعده لاجل ما النافية واما المعنى فلا يمنع ولذلك قال الزمخشري ولا يصح ان تكون الكاف منصوبة
لان ما النافية لا يعمل ما بعدها فيما قبلها ولو قيل لم ياتي لكان صحيحا يعني لو اتي في موضع ما بلم لجاز ان ينتصب
الكاف باتي لان المسوغ يسوغ عليه والتقدير كذبت قريش تكذيب الامم السالفة رسلهم ويدل عليه قوله ما اتى
الذين من قبلهم الاية **قوله تعالى** الا قالوا الجملة القولية في محل نصب على الحال من الذين من قبلهم ومن رسول فاعل اتى
كانه قيل ما اتى الاولين رسول الا في حال قولهم هو ساحر فان قيل ان من الانبياء من قرر دين النبي الذي كان قبله
وبقي القوم على ما كانوا عليه كانبياء بني اسرائيل وكيف وادم لما ارسل لم يكذب فالجواب انا لا نسلم ان المقرر رسول
بل هو نبي على دين رسول ومن كذب رسوله فهو يكذبه ايضا ضرورة فان قيل قوله ما اتى الذين من قبلهم من رسول
الا قالوا يدل على انهم كلهم قالوا ساحر والامر ليس كذلك لانه ما من رسول الا وامن به قوم وهم ما قالوا ذلك فالجواب
ان ذلك ليس بعام فانه لم يقل الا قال كلهم وانما قال الا قالوا ولما كان كثير منهم قائلين ذلك قال الله تعالى الا قالوا
فان قيل فلم لم يذكر المصدقين كما ذكر المكذبين وقال الا قال بعضهم صدقت وبعضهم كذبت فالجواب لان المقصود
التسلية وهي على التكذيب فكانه تعالى قال لا تاس على تكذيب قومك فان اقواما قبلك كذبوا ورسلا كذبوا **قوله تعالى**
اتواصوا به الاستفهام للتعجب في التوبيخ والضمير في به يعود على القول المدلول عليه بقالوا اي اتواصى الاولون والاخرون
بهذا القول المتضمن لساحر او مجنون والمعنى كيف اتفقوا على قول واحد كانهم تواطؤا عليه وقال بعضهم لبعض
لا تقولوا الا هذا واوصى اولهم اخرهم بالتكذيب ثم قال لم يكن ذلك لتواطئ قول وانما كان لمعنى جامع وهو ان
الكل اترفوا فاستغنوا فنسوا الله فطغوا فكذبوا رسله قال ابن عباس حملهم الطغيان فيما اعطيتهم ووسعت عليهم
على تكذيبك **قوله تعالى** فتول عنهم فاعرض عنهم فما انت بملوم لا لوم عليك فقد اديت الرسالة وما قصرت فيما
امرت به وهذه تسلية اخرى قال المفسرون لما نزلت هذه الاية حزن رسول الله صلى الله عليه وسلم فاشتد
ذلك على اصحابه وظنوا ان الوحي قد انقطع وان العذاب قد حضر اذ امر النبي صلى الله عليه وسلم ان يتولى عنهم
فانزل الله وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين فطابت انفسهم والمعنى ليس التولي مطلقا بل تول واقبل واعرض
وادع فلا التولي يضرك اذا كان عليهم ولا التذكير يضيع اذا كان مع المؤمنين قال مقاتل معناه عظ بالقران

كفار مكة فان الذكرى تنفع من علم الله انه يؤمن منهم وقال الكلبي عظ بالقران من امن من قومك فان الذكرى
تنفعهم **قوله تعالى** وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون هذا الجار متعلق بخلقت واختلف في الجن والانس قيل
المراد بهم العموم والمعنى الا لآمرهم بالعبادة ليقروا بها وهذا منقول عن علي بن ابي طالب ويؤيده وما امروا الا ليعبدوا
الها واحدا او يكون المعنى ليطيعون وينقادوا لقضائي فالمؤمن يفعل ذلك طوعا والكافر كرها فكل مخلوق من الجن
والانس خاضع لقضاء الله متذلل لمشيئته لا يملك احد لنفسه خروجا عما خلق عليه او يكون المعنى الا معدين للعبادة
ثم منهم من يتاتى منه ذلك ومنهم من لا كقولك هذا القلم بريته للكتابة ثم قد يكتب به وقد لا يكتب وقيل المراد به
الخصوص اي ما خلقت السعداء من الجن والانس الا لعبادتي والاشقياء منهم الا لمعصيتي قاله زيد بن اسلم قال هو ما
جبلوا عليه من السعادة والشقاوة ويؤيده قوله ولقد ذرانا لجهنم كثيرا من الجن والانس وقال مجاهد معناه الا
ليعرفون قال البغوي وهذا احسن لانه لم يخلقهم لم يعرف وجوده وتوحيده بدليل قوله ولئن سالتهم من خلقهم
ليقولن الله وقيل الا ليعبدون اي الا ليوحدون فاما المؤمن فيوحده في الشدة والرخاء واما الكافر فيوحده في الشدة
والبلاء دون النعمة والرخاء قال تعالى فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين وقيل المراد وما خلقت الجن
والانس الا ليعبدون المؤمنين وقيل الطائعين قال شهاب الدين والاول احسن **فصل** في تعلق الاية
بما قبلها ان بعثة الانبياء منحصرة في امرين عبادة الله وهداية الخلق فلما قال تعالى فتول عنهم فما انت بملوم بين ان
الهداية قد سقطت عند الياس واما العبادة فهي لازمة للخلق المطلق وليس للخلق المطلق الهداية وقيل انه لما بين حال
من قبله في التكذيب ذكر هذه الاية لتبيين سوء صنيعهم حيث تركوا عبادة الله الذي خلقهم للعبادة فان قيل ما الحكمة
في انه لم يذكر الملائكة مع انهم من اصناف المكلفين وعبادتهم اكثر من عبادة غيرهم من المكلفين قال تعالى بل عباد
مكرمون وقال لا يستكبرون عن عبادته فالجواب من وجوه احدها انه تقدم ان الاية سيقت لبيان قبح ما يفعله
الكفرة من ترك ما خلقوا له وهذا مختص بالجن والانس لان الكفر موجود في الجن والانس بخلاف الملائكة الثاني ان
النبي صلى الله عليه وسلم كان مبعوثا الى الجن والانس فلما قال وذكر بين ما يذكر به وهو كون الخلق للعبادة وخصص
امته بالذكر اي ذكر الانس والجن الثالث ان عبادة الاصنام كانوا يقولون بان الله تعالى عظيم الشان خلق الملائكة
وجعلهم مقربين فهم يعبدون الله كما قالوا انما نعبدهم ليقربونا الى الله فقال تعالى ما خلقت الجن والانس الا
ليعبدون ولم يذكر الملائكة لان الامر فيهم كان مسلما من القوم فذكر المتنازع فيه الرابع قيل الجن يتناول الملائكة
لان اصل الجن من الاستتار وهم مستترون عن الخلق فذكر الجن لدخول الملائكة فيهم **قوله تعالى** ما اريد منهم
من رزق اي يرزقوا احدا من خلقي ولا ان يرزقوا انفسهم وما اريد ان يطعمون اي يطعموا احدا من خلقي وانما
اسند الاطعام الى نفسه لان الخلق عيال الله ومن اطعم عيال احد فقد اطعمه قال عليه السلام يقول الله تعالى
استطعمتك فلم تطعمني اي لم تطعم عبدي **فصل** استدل المعتزلة بقوله تعالى وما خلقت الجن والانس
الا ليعبدون على ان افعال الله تعالى معللة بالاغراض واجيبوا بوجوه تقدمت ومنها ان اللام قد تثبت لغير الغرض
كقوله تعالى اقم الصلوة لدلوك الشمس وقوله فطلقوهن لعدتهن ومعناه المقارنة فيكون معناه قرنت الخلق
بالعبادة اي خلقتهم وفرضت عليهم العبادة ومنها قوله تعالى الله خالق كل شيء ومنها ما يدل على ان الاضلال
بفعل الله كقوله تعالى يضل من يشاء وامثاله ومنها قوله تعالى لا يسال عما يفعل وقوله يفعل الله ما يشاء ويحكم
ما يريد وقوله تعالى ما اريد منهم من رزق وما اريد ان يطعمون معناه ان النفع يعود اليهم لا الي فان قيل ما الفائدة
في تكرير الارادتين مع ان من لا يريد من احد رزقا لا يريد منه ان يطعمه فالجواب ان السيد قد يطلب من العبد
التكسب له فيطلب منه الرزق وقد يكون للسيد مال وافر يستغني عن التكسب لكنه يطلب من العبد قضاء حوائجه
واحضار الطعام بين يديه فقال لا اريد هذا ولا هذا وقدم طلب الرزق على طلب الاطعام من باب الارتقاء من
الادنى الى الاعلى فان قيل ما فائدة تخصيص الاطعام بالذكر مع ان المراد عدم طلب فعل منهم غير التعظيم فالجواب
انه لما عمم النفي في الطلب الاول بقوله من رزق وذلك اشارة الى التعميم بذكر الاطعام ونفي الادنى يستتبعه
نفي الاعلى بطريق الاولى فكانه قال ما اريد منهم من غنى ولا عمل فان قيل المطالب لا تنحصر فيما ذكر فان
السيد قد يشتري العبد لا ليطلب عملا منه ولا لطلب رزق ولا للتعظيم بل يشتريه للتجارة فالجواب ان عموم قوله
ما اريد منهم من رزق يتناول ذلك **قوله تعالى** ان يطعمون قيل فيه حذف مضاف اي يطعموا خلقي كما تقدم في
التفسير وقيل المعنى ان ينفعون فعبر ببعض وجوه الانتفاعات لان عادة السادة ان ينتفعوا بعبيدهم والله مستغن
من ذلك **قوله تعالى** ان الله هو الرزاق يعني لجميع خلقه وهذا تقرير لعدم طلب الرزق وقوله ذو القوة تقرير

لعدم طلب العمل لان من يطلب رزقا يكون فقيرا محتاجا ومن يطلب عملا يكون عاجزا لا قوة له فكانه يقول
ما اريد منهم من رزق فاني انا الرزاق ولا العمل فاني قوي وروي ان النبي عليه السلام قرا اني انا الرزاق وقرا
ابن محيصن الرازق كما تقدم في قراءته وفي السماء رازقكم **قوله تعالى** المتين العامة على رفعه وفيه وجه اما النعت
للرزاق واما النعت لذو واما النعت لاسم ان على الموضع وهو مذهب الجرمي والفراء وغيرهما واما خبر بعد خبر
مبتدا مضمر وعلى كل تقدير فهو تاكيد لان ذو القوة يفيد فائدة وقرا يحيى بن وثاب والاعمش المتين بالجر نعتا
صفة للقوة وانما ذكر وصفها لكون تانيثها غير حقيقي وقيل لانها في معنى الايد وقال ابن جني هو خفض على الجوار
كقولهم هذا جحر ضب خرب يعني انه صفة للمرفوع وانما جر لمجاورة مجرورا وهذا مرجوح لا مكان غيره والجوار
لا يصار اليه الا عند الحاجة **فصل** قال تعالى ما اريد ولم يقل اني رازق بل قال على الحكاية عن الغائب
ان الله هو الرزاق فما الحكمة فيه قال ابن الخطيب نقول قد روي ان النبي عليه السلام قرا اني انا الرزاق واما على
القراءة المشهورة فالمعنى قل يا محمد ان الله هو الرزاق ويكون من باب الالتفات من التكلم الى الغيبة او يكون قل مضمرة
عند قوله ما اريد منهم اي قل يا محمد ما اريد منهم من رزق فيكون بمعنى قوله قل ما اسالكم عليه من اجر ويكون على هذا
قوله تعالى ان الله هو الرزاق ولم يقل القوي بل قال ذو القوة لان المقصود تقرير ما تقدم من عدم ارادة الرزق
وعدم الاستعانة بالغير لكن في عدم طلب الرزق لا يكفي كون المستغني بحيث يرزق واحدا فان كثيرا من الناس
يرزق ولده وعبده ويسترزق والملك يرزق الجند ويسترزق فاذا كثر منه الرزق قل منه الطلب لان المسترزق
منه يكثر والرازق لا يسترزق مرزوقه فلم يكن ذلك المقصود يحصل الا بالمبالغة في وصفه بالرازق فقال الرزاق
واما ما نفي عن الاستعانة بالغير فهو دون ذلك لان القوي اذا كان في غاية القوة يعين الغير فاذا كان دون
ذلك لا يعين غيره ولا يستعين به استعانة قوية بل استعانة ما ويتفاوت بعد ذلك ولما قال وما اريد ان يطعمون
كفاه بيان نفس القوة لان قولنا ذو القوة في افادة معنى القوة دون افادة القوي لان ذلك لا يقال في الوصف
اللازم يقال في الادمي ذو مال ومتمول وذو جمال وجميل وذو خلق حسن الى غير ذلك مما لا يلزم لزوما بينا ولا
يقال في الثلاثة ذات فردية ولا في الاربعة ذات زوجية ولهذا لم يرد في الاوصاف الحقيقية فلم يسمع ذو الوجود
ولا ذو الحيوة ولا ذو العلم ويقال في الانسان ذو علم وذو صباحة لانها فيه عرض عارض لا لازم بين وفي صفات الفعل
قال الله تعالى ذو الفضل كثيرا لان ذا كما بمعنى صاحب والصحبة لا يفهم منها اللزوم فضلا عن اللزوم البين ويؤيد
هذا قوله تعالى وفوق كل ذي علم عليم فجعل غيره ذا علم ووصف نفسه بالفعل فبين ذا العلم والعليم فرق كذلك
بين ذي القوة والقوي ويؤيده ايضا قوله تعالى فاخذهم الله انه قوي وقوله الله لطيف بعباده يرزق من يشاء
وهو القوي العزيز وقال لاغلبن انا ورسلي ان الله قوي عزيز لان هذه الصور كان المراد بها بيان القيام بالافعال
العظيمة وههنا المراد عدم الاحتياج ومن لا يحتاج الى الغير يكفيه من القوة ادنى قدر ومن يستبد بالفعل لا بد له من قوة
عظيمة لان عدم الحاجة قد تكون بترك الفعل والاستغناء عنه **فصل** وقوله المتين لان ذا القوة
كما تقدم لا يدل الا على ان له قوة ما فزاد في الوصف المتانة وهو الذي له ثبات لا يتزلزل وهو مع المتين من باب
واحد انتظار معنى فان معنى متن الشيء هو اصله الذي عليه ثباته والمتن هو الظهر الذي عليه اساس البدن فالمتانة
مع القوة كالعزة مع القوي حيث قرن العزة مع القوة في قوله قوي عزيز وقوله القوي العزيز والله اعلم **قوله تعالى**
فان للذين ظلموا ذنوبا قد تقدم الكلام على الفاء في وجه التعلق والمراد بالذين ظلموا كفار مكة ومعنى ذنوبا اي
نصيبا من العذاب مثل ذنوب اصحابهم اي مثل نصيب اصحابهم الذين هلكوا من قوم نوح وعاد وثمود والذنوب
في الاصل الدلو العظيمة المملوءة من ماء وفي الحديث فاتي بذنوب من ماء فان لم يكن ملأى فهو دلو ثم عبر به عن
النصيب قال علقمة • وفي كل حي قد خبطت بنعمة • فحق لشاس من نداك ذنوب • ويجمع في القلة على اذنبة
وفي الكثرة على ذنائب وقال الملك لما انشد هذا البيت نعم واذنبة وقال الزمخشري الذنوب الدلو العظيمة وهذا تمثيل
اصله في السقاة يقتسمون الماء فيكون لهذا ذنوب ولهذا ذنوب قال الشاعر • لنا ذنوب ولكم ذنوب •
فان ابيتم فلنا القليب • وقال الراغب الذنوب الدلو العظيم الذي له ذنب انتهى وراعي الاشتقاق والذنوب ايضا
الفرس الطويل الذنب وهو صفة على فعول والذنوب لحم اسفل المتن ويقال يوم ذنوب اي طويل الشر استعارة
من ذلك **قوله تعالى** فلا يستعجلون اي بالعذاب ووجه مناسبة الذنوب ان العذاب مصبوب عليهم كما يصب
الذنوب قال تعالى يصب من فوق رؤوسهم الحميم وقال صبوا فوق راسه من عذاب الحميم والذنوب كذلك كانه قال
يصب فوق رؤوسهم ذنوبا من العذاب كذنوب صب فوق رؤوس اولئك ونظائره وهو ان العرب يستقون من الابار

على النوبة ذنوبًا فذنوبًا وذلك وقت حينهم لطيف فكانه تعالى قال ان للذين ظلموا من الدنيا وطيبا بها ذنوبا
اذا ملاؤه لا يكون لهم في الاخرة من نصيب كما كان عليه حال اصحابهم استقوا ذنوبا وتركوها وعلى هذا فالذنوب
ليس بعذاب ولا هلاك وانما هو من هذا العيش قال ابن الخطيب وهو اليق بالعربية **قوله تعالى** فويل للذين كفروا من يومهم
الذي يوعدون يعني يوم القيمة وقيل يوم بدر وحذف العائد لاستكمال شروطه اي يوعدونه روى الثعلبي عن
ابي بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الذاريات اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد كل ريح
هبت وجرت في الدنيا صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم

سورة والطور مكية

وهي تسع واربعون اية وثلاث مائة واثنتا عشرة كلمة والف وخمسمائة حرف بسم الله الرحمن الرحيم
قوله تعالى والطور وما بعده اقسام جوابها ان عذاب ربك لواقع والواوات التي بعد الاولى عواطف لا حروف
قسم كما تقدم في اول هذا الكتاب عن الخليل ونكر الكتاب تفخيما وتعظيما **فصل** مناسبة هذه السورة لما قبلها
من حيث الافتتاح بالقسم وبيان الحشر فيهما واول هذه السورة فويل للذين مناسب لاخر ما قبلها لان في اخرها قوله تعالى
فويل للذين كفروا وفي اول هذه السورة فويل يومئذ للمكذبين وفي اخر تلك السورة قوله فان للذين ظلموا ذنوبا وذلك
اشارة الى العذاب وقال هنا ان عذاب ربك لواقع **فصل** قيل المراد بالطور الجبل الذي كلم الله عليه موسى عليه
السلام بالارض المقدسة اقسم الله به وقيل هو الجبل الذي قال الله تعالى وطور سينين وقيل هو اسم جبل والمراد
بالكتاب المسطور كتاب موسى عليه السلام وهو التورية وقيل الكتاب الذي في السماء وقيل صحائف اعمال الخلق قال
تعالى ونخرج له يوم القيمة كتابا يلقاه منشورا وقيل القران والمراد بالمسطور المكتوب **قوله تعالى** في رق يجوز ان يتعلق
بمسطور اي مكتوب في رق وجوز ابو البقا ان يكون نعتا اخر لكتاب وفيه نظر لانه يشبه تهيئة العامل للعمل وقطعه
عنه والرق بالفتح الجلد الرقيق يكتب فيه وقال الراغب الرق ما يكتب فيه شبه كاغد انتهى فهو اعم من كونه جلدا
وغيره ويقال فيه رق بالكسر فاما ملك العبد فلا يقال الا رق بالكسر وقال الزمخشري والرق الصحيفة وقيل الجلد
الذي يكتب فيه انتهى وقد غلط بعضهم من يقول كتبت في الرق بالكسر وليس بغلط لثبوته بلغة وقد قرا ابو السمال
في رق بالكسر فان قيل ما الفائدة في قوله تعالى في رق منشور وعظمة الكتاب بلفظه ومعناه لا بخطه ورقه
فالجواب ان هذا اشارة الى الوضع لان الكتاب المطوي لا يعلم ما فيه فقال في رق منشور اي ليس كالكتب المطوية
اي منشور لكم لا يمنعكم احد من مطالعته **قوله تعالى** والبيت المعمور قيل هو بيت في السماء العليا تحت العرش بحيال الكعبة
يقال له الضراح حرمته في السماء كحرمة الكعبة في الارض يدخله كل يوم سبعون الفا من الملائكة يطوفون به ويصلون
فيه ثم لا يعودون اليه ابدا ووصفه بالعمارة لكثرة الطائفين به من الملائكة وقيل هو بيت الله الحرام وهو
معمور بالحاج الطائفين به وقيل اللام في البيت المعمور لتعريف الجنس كانه اقسم بالبيوت المعمورة والعماير المشهورة
قوله تعالى والسقف المرفوع يعني السما ونظيره وجعلنا السماء سقفا محفوظا **قوله تعالى** والبحر المسجور قيل هو
من الاضداد يقال بحر مسجور اي مملوء وبحر مسجور اي فارغ وروي ذي الرمة الشاعر عن ابن عباس انه قال خرجت امة
لتستقي فقالت ان الحوض مسجور اي فارغ ويؤيد هذا ان البحار يذهب ماؤها يوم القيمة وقيل المسجور الممسوك ومنه
ساجور الكلب لانه يمسكه ويحبسه وقال محمد بن كعب القرظي والضحاك يعني الموقد المحمي بمنزلة التنور المسجور وهو قول
ابن عباس لما روي ان الله تعالى يجعل البحار كلها يوم القيمة نارا فيزاد بها في نار جهنم كما قال تعالى واذا البحار سجرت
وروى عبد الله بن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يركبن رجل بحرا الا غازيا او معتمرا او حاجا فان تحت
البحر نارا وتحت النار بحرا وقال الربيع بن انس المختلط العذب بالملح وروى الضحاك عن النزال بن سبرة عن علي انه قال
البحر المسجور هو بحر تحت العرش كما بين سبع سموات الى سبع ارضين فيه ماء غليظ يقال له بحر الحيوان يمطر العباد منه
بعد النفخة الاولى اربعين صباحا فينبتون في قبورهم وهذا قول مقاتل **فصل** قيل الحكمة في القسم
بهذه الثلاثة اشياء ان هذه الاماكن الثلاثة وهي الطور والبيت المعمور والبحر المسجور كانت لثلاثة انبياء للخلوة
والخلاص من الخلق وخطابهم مع الله اما الطور فانتقل اليه موسى عليه السلام وقال رب سلام عليها وعلى عباد الله
الصالحين لا احصي ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك واما البحر المسجور فانتقل اليه يونس عليه السلام ونادى في الظلمات

لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين فصارت هذه الاماكن شريفة بهذه الاسباب فاقسم الله تعالى
بها واما ذكر الكتاب فلان الانبياء كان لهم في هذه الاماكن مع الله كلام والكلام في الكتاب **فصل**
اقسم في بعض السور بجموع كقوله والذاريات والمرسلات والنازعات وفي بعضها بافراد كقوله والطور ولم يقل
والاطوار والبحار قال ابن الخطيب والحكمة فيه ان في اكثر الجموع اقسم عليها بالمتحركات والريح الواحدة ليست بثابتة
بل هي متبدلة بافرادها مستمرة بانواعها والمقصود منها لا يحصل الا بالتبدل والتغير فقال والذاريات اشارة الى
النوع المستمر لا الى الفرد المعين المستقر واما الجبل فهو ثابت غير متغير عادة فالواحد من الجبال دائم زمانا ودهرا فاقسم
في ذلك بالواحد وكذلك في قوله والنجم ولو قال والريح لما علم المقسم به وفي الطور علم **قوله تعالى** ان عذاب ربك
لواقع نازل كائن وقوله ما له من دافع يجوز ان تكون الجملة خبرا ثانيا وان تكون صفة لواقع اي واقع غير مدفوع قاله
ابو البقا ومن دافع يجوز ان يكون فاعلا وان يكون مبتدا ومن مزيدة على الوجهين **فصل** قال جبير بن مطعم
قدمت المدينة لاكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم في اسارى بدر فدفعت اليه وهو يصلي باصحابه المغرب وصوته يخرج من
المسجد فسمعته يقرا والطور الى قوله ان عذاب ربك لواقع ما له من دافع فكانما صدع قلبي حين سمعت ولم اكن اسلم يومئذ
قال فاسلمت خوفا من نزول العذاب وما كنت اظن اني اقوم من مكاني حتى يقع بي العذاب **قوله تعالى** يوم تمور السماء يجوز ان
يكون العامل فيه واقع اي يقع في ذلك اليوم وعلى هذا فتكون الجملة المنفية معترضة بين العامل ومعموله ويجوز ان
يكون العامل فيه دافع قاله الحوفي وابو البقا ومنعه مكي قال ابو حيان ولم يذكر دليل المنع قال شهاب الدين وقد ذكر
دليل المنع في الكشف الا انه ربما يكون غلطا عليه فانه وهم وعبارته قال العامل فيه واقع اي ان عذاب ربك لواقع في
يوم تمور السماء مورا ولا يعمل فيه دافع لان المنفي لا يعمل فيما قبل النافي لا تقول طعامك ما زيد آكلا رفعت آكلا
او نصبته او ادخلت عليه الباء فان رفعت الطعام بالابتداء واوقعت آكلا على هاء جاز وما بعد الطعام خبرا
انتهى وهذا كلام صحيح في نفسه الا انه ليس في الاية شيء من ذلك لان العامل وهو دافع والمعمول وهو يوم كلاهما
بعد النافي وفي حيزه وقوله واوقعت آكلا على هاء اي على ضمير يعود على الطعام فتقول طعامك ما زيد آكله وقد يقال
ان وجه المنع من ذلك خوف التوهم انه يفهم ان احدا يدفع العذاب في غير ذلك اليوم والغرض ان عذاب الله لا يدفع
في كل وقت وهذا امر مناسب فقد ذكر مثله كثير ولذلك منع بعضهم ان ينتصب يوم تجد كل نفس بقوله والله على كل
شيء قدير لئلا يفهم منه ما لا يليق وهو ابعد من هذا في الوهم بكثير وقال ابو البقا وقيل يجوز ان يكون ظرفا لما دل
عليه فويل انتهى وقال ابن الخطيب والذي اظنه ان العامل هو الفعل المدلول عليه بقوله ما له من دافع لان العذاب
الواقع على هذا ينبغي ان يقع في ذلك اليوم لان العذاب الذي به التخويف هو الذي بعد الحشر ومور السماء لانه في يعني
قوله فلم يك ينفعهم ايمانهم لما راوا باسنا **فصل** والمور الاضطراب والحركة يقال مار الشيء اي ذهب وجاء
وقال الاخفش وابو عبيدة تكفا وانشد للاعشى • كان مشيتها من بيت جارتها • مور السحابة لا ريث ولا عجل •
وقال الزمخشري وقيل هو تحرك في تموج وهو الشيء يتردد في عرض كالداعصة وهي الجلدة التي فوق فصل الركبة
وقال الراغب المور الجريان السريع ومار الدم على وجهه والمور بالضم التراب المتردد به الريح واكد بالمصدر
رفعا للمجاز اي هذان الجرمان العظيمان مع كثافتهما يقع ذلك منهما حقيقة وقال ابن الخطيب فيه فائدة جليلة وهي
ان قوله تعالى وتسير الجبال يحتمل ان يكون بيانا لكيفية مور السماء لان الجبال اذا سارت وسيرت معها سكانها
تظهر السماء كالسائرة الى خلاف تلك الجهة كما يشاهده راكب السفينة فانه يرى الجبل الساكن متحركا فكان لقائل ان
يقول السماء تمور في راي العين بسبب سير الجبال كما يرى القمر سائرا راكب السفينة والسماء اذا صارت كذلك فلا يبقى
مهرب ولا مفزع لا في الارض ولا في السماء **فصل** لما ذكر ان العذاب واقع بين انه متى يقع العذاب
فقال يوم تمور السماء مورا قال المفسرون اي تدور كما يدور الرحا وتتكفا باهلها تكفو السفينة قال عطاء الخراساني
تختلف اجزاؤها بعضها في بعض وقيل تضطرب وتسير الجبال سيرا فتزول عن اماكنها وتصير هباء منثورا وهذا
ايذان واعلام بان لا عود الى الدنيا لان الارض والجبال والسماء والنجوم كلها لعمارة الدنيا والانتفاع لبني آدم فاذا لم
يبق لهم عود لم يبق فيها نفع فلذلك اعدمها الله تعالى **قوله تعالى** فويل يومئذ للمكذبين يومئذ منصوب بويل
والخبر للمكذبين والفاء في ويل قال مكي جواب الجملة المتقدمة وحسن ذلك لان في الكلام معنى الشرط لان المعنى
اذا كان ما ذكر فويل قال ابن الخطيب اي اذا علم ان عذاب الله واقع وانه ليس له دافع فويل اذن للمكذبين فالفا لاتصال
المعنى وهو الايذان بامان اهل الايمان لانه لما قال ان عذاب ربك لواقع وانه ليس له دافع لم يبين من موقعه
بمن فلما قال فويل يومئذ للمكذبين علم المخصوص به وهو المكذب فان قيل اذا قلت بان قوله فويل يومئذ للمكذبين

فويل

بيان لمن يقع به العذاب فمن لا يكذب لا يعذب فأهل الكبائر لا يعذبون لانهم لا يكذبون فالجواب ان ذلك العذاب
لا يقع على اهل الكبائر وانما هذا كقوله كلما القي فيها فوج سألهم خزنتها الم يأتكم نذير قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا
فالمؤمن لا يلقى فيها القاء بهوان وانما يدخل فيها للتطهير ادخالا مع نوع اكرام والويل انما هو للمكذبين والويل ينبئ عن
الشدة لان تركيب حروف الواو والياء واللام لا ينفك عن نوع شدة ومنه لوى اذا دفع ولوى بلويه اذا فتل قويا والولي
فيه القوة على المولى عليه وقد تقدم وجه جواز التنكير في قوله مع كونه مبتدأ لانه في تقدير المنصوب لانه دعاء في تفسير
قوله تعالى قال سلام **قوله تعالى** الذين هم في خوض يلعبون الخوض هو الاندفاع في الاباطيل قال تعالى وخضتم كالذي
خاضوا وقال تعالى وكنا نخوض مع الخائضين وتنكير الخوض يحتمل وجهين الاول ان يكون للتكثير اي في خوض عظيم
الثاني ان يكون التنوين عوضا عن المضاف اليه كقوله تعالى وان كلا والاصل في خوضهم المعروف منهم وقوله يلعبون
اي غافلون لاهون واعلم ان قوله تعالى الذين هم في خوض ليس وصفا للمكذبين بما يميزهم وانما هو للذم كقولك
الشيطان الرجيم ولا تريد فصله عن الشيطان الذي ليس برجيم بخلاف قولك اكرم الرجل العالم فالوصف بالرجيم
للذم له لا للتعريف وتقول في المدح الله الذي خلق والله العظيم للمدح لا للتمييز ولا للتعريف عن اله لم يخلق واله
ليس بعظيم فان الله واحد لا غير **قوله تعالى** يوم يدعون يجوز ان يكون ظرفا ليقال المقدرة مع قوله هذه النار اي يقال
لهم هذه النار يوم يدعون ويجوز ان يكون بدلا من قوله يوم تمور ومن يومئذ قبله على تقدير فويل يومئذ يوم
يدعون المكذبين لان معناه يوم يقع العذاب ذلك اليوم هو يوم يدعون فيه الى النار والعامة على فتح الدال
وتشديد العين من دعه يدعه اي دفعه في صدره بعنف وشدة قال الراغب واصله ان يقال للعاثر دع كما يقال
له لعا وهذا بعيد من معنى هذه اللفظة وقرأ علي رضي الله عنه والسلمي وابو رجا وزيد بن علي بسكون الدال وتخفيف
العين مفتوحة من الدعاء اي يدعون اليها فيقال لهم هلموا فادخلوها **قوله تعالى** دعا مصدر معناه تدفعهم
الملائكة دفعا على وجوههم بعنف اي يدفعون الى النار فاذا دنوا منها قال لهم خزنتها هذه النار التي كنتم بها تكذبون
في الدنيا فان قيل قوله تعالى يدعون الى نار جهنم يدل على ان خزنتها يقذفونهم في النار وهم بعيد عنها وقوله تعالى
يسحبون في النار على وجوههم يدل على انهم فيها فالجواب من وجوه الاول ان الملائكة يسحبونهم في النار ثم اذا
قربوا من نار مخصوصة وهي نار جهنم يقذفونهم فيها من بعيد فيكون السحب في نار والدفع في نار اشد واقوى بدليل
قوله يسحبون في الحميم ثم في النار يسجرون اي يسحبون في حموة النار ثم بعد ذلك يكون لهم ادخال الثاني يجوز ان يكون
في كل زمان يتولى امرهم ملئكة فالى النار يدفعهم ملك وفي النار يسحبهم آخر الثالث يجوز ان يكون السحب بسلاسل
اي يسحبون في النار والساحب خارج النار الرابع يحتمل ان تكون الملائكة يدفعونهم الى النار اهانة لهم واستخفافا
بهم ويدخلون معهم النار ويسحبونهم فيها **قوله تعالى** افسحر خبر مقدم وهذا مبتدأ مؤخر ودخلت الفاء قال الزمخشري
بمعنى كنتم تقولون للوحي هذا سحر افسحر هذا يريد هذا المصداق ايضا سحر ودخلت الفاء لهذا المعنى وهذا تحقيق للامر
لان من يرى شيئا ولا يكون الامر على ما يراه فذلك الخطأ يكون لاجل احد امرين اما لامر عائد الى المرئي واما لامر عائد
الى الرائي فقوله افسحر هذا اي هل في الموت شك ام هل في بصركم خلل فهو استفهام انكار اي لا واحد منهما ثابت فالذي
ترونه حق وقد كنتم تقولون انه ليس بحق وذلك انهم كانوا ينسبون محمدا صلى الله عليه وسلم الى السحر وانه يغطي الابصار
بالسحر وان انشقاق القمر وامثاله سحر فوبخوا به وقيل لهم افسحر هذا ام انتم لا تبصرون **قوله تعالى** اصلوها
اذا لم يمكنكم انكارها وتحققتم انه ليس بسحر ولا خلل في ابصاركم فاصلوها اي قاسوا شدتها فاصبروا او لا تصبروا
اي الصبر وعدمه سواء وهذا بيان لعدم الخلاص **قوله تعالى** سواء فيه وجهان احدهما انه خبر مبتدأ محذوف اي صبركم
وتركه سواء قاله ابو البقا والثاني انه مبتدأ والخبر محذوف اي سواء الصبر والجزع قاله ابو حيان قال الشهاب الدين والاول
احسن لان جعل النكرة خبرا اولى من جعلها مبتدأ وجعل المعرفة خبرا ونحا الزمخشري منحى الوجه الثاني فقال سواء خبره
محذوف اي سواء عليكم الامران الصبر وعدمه **قوله تعالى** انما تجزون ما كنتم تعملون فيه لطيفة وهي ان المؤمن بايمانه
استفاد ان الخير الذي ينويه يثاب عليه والشر الذي ينويه ولا يحققه لا يعاقب عليه والكافر بكفره صار على الضد
فالخير الذي ينويه ولا يعمله لا يثاب عليه والشر الذي يقصده ولا يقع منه يعاقب عليه ولا ظلم فان الله تعالى
اخبره به وهو اختار ذلك ودخل فيه باختياره فان الله تعالى قال بان من كفر ومات كافرا اعذبه ابدا ومن آمن
اثيبه دائما فمن ارتكب الكفر ودام عليه بعد ما سمع ذلك فاذا عوقب دائما فهو تحقيق لما اوعد به فلا يكون ظلما
قوله تعالى ان المتقين في جنات ونعيم يجوز ان يكون مستأنفا اخبر الله تعالى بذلك بشارة ويجوز ان يكون من
جملة المقول للكفار زيادة في غمهم وتحسرهم والجنة هي موضع السرور لكن الناطور قد يكون في البستان الذي هو في غاية

الطيبة فلما قال ونعيم افاد انهم فيها متنعمون كما يكون المتفرج لا كما يكون الناطور والعمال وقوله فاكهين زيد
في ذلك لان المتنعم قد يكون آثار التنعم عليه ظاهرة وقلبه مشغول فلما قال فاكهين دل على غاية الطيبة **قوله تعالى**
فاكهين هذه قراءة العامة نصب على الحال والخبر الظرف وصاحب الحال الضمير المستتر في الظرف وقرأ خالد فاكهون بالرفع فيجوز ان
يكون الظرف لغوا متعلقا بالخبر ويجوز ان يكون خبرا آخر عند من يجيز تعداد الخبر وقرئ فكهين مقصورا وسيأتي انه قرأ
به في المطففين في المتواتر حفص عن عاصم **قوله تعالى** بما آتاهم يجوز ان تكون الباء على اصلها ويكون ما حينئذ واقعة
على الفواكه التي في الجنة اي متلذذين بفاكهة الجنة ويجوز ان تكون بمعنى في اي فيما آتاهم من الثمار وغير ذلك ويجوز ان
تكون ما مصدرية ايضا **قوله تعالى** ووقاهم يجوز فيه اوجه اظهرها انه معطوف على الصلة اي فكهين باتيانهم ربهم
وبوقايته لهم عذاب الجحيم والثاني ان الجملة حال فتكون قد مقدرة عند من يشترط اقترانها بالماضي الواقع حالا الثالث
ان يكون معطوفا على في جنات قاله الزمخشري يعني فيكون مخبرا به عن المتقين ايضا فيكون المراد انهم فاكهون بامرين احدهما
بما آتاهم والثاني بانه وقاهم والعامة على تخفيف القاف من الوقاية وابو حيوة بتشديدها **قوله تعالى** كلوا واشربوا
اي ويقال لهم كلوا واشربوا هنيئا وقد تقدم الكلام في هنيئا في النساء وقال الزمخشري ههنا يقال لهم كلوا واشربوا
اكلا وشربا هنيئا او طعاما وشرابا هنيئا وهو الذي لا تنغيص فيه ويجوز ان يكون مثله في قول الشاعر

هنيئا مريئا غير داء مخامر ... لعزة من اعراضنا ما استحلت

اعني صفة استعملت استعمال المصدر القائم مقام الفعل مرتفعا به ما استحلت كما يرتفع بالفعل كانه قيل هنأ عزة
المستحل من اعراضنا وكذلك معنى هنيئا هنأكم الاكل والشرب او هنأكم ما كنتم تعملون والباء مزيدة كهي في كفى بالله
والباء متعلقة بكلوا واشربوا اذا جعلت الفاعل الاكل والشرب وهذا من محاسن كلامه قال ابو حيان اما تجويزه زيادة الباء
فليست بمقيسة في الفاعل الا في فاعل كفى على خلاف فيها فتجويزها هنا لا يسوغ واما قوله انها تتعلق بكلوا واشربوا فلا يصح
الا على الاعمال فهي تتعلق باحدهما انتهى وهذا اقرب **قوله تعالى** متكئين فيه اوجه احدها انه حال من فاعل كلوا الثاني
انه حال من مفعول آتاهم الثالث انه حال من مفعول وقاهم الرابع انه حال من الضمير المستكن في الظرف الخامس انه حال من الضمير
في فاكهين واحسنها ان يكون حالا من ضمير الظرف لكونه عمدة وقوله على سرر متعلق بمتكئين وقراءة العامة بضم الراء الاولى
وابو السمال بفتحها وقد تقدم انها لغة لكلب في المضعف يفرون من توالي ضمتين في المضعف **قوله تعالى** وزوجناهم
بحور عين قرأ عكرمة بحور عين باضافة الموصوف الى صفته على التأويل المشهور **فصل** اعلم انه تعالى بين
اسباب التنعيم على الترتيب فاول ما يكون المسكن وهو الجنات ثم الاكل والشرب ثم الفرش والبسط ثم الازواج فهذه
امور اربعة ذكرها الله تعالى على الترتيب وذكر في كل واحد منها ما يدل على كماله فقوله جنات اشارة الى المسكن وقال فاكهين
اشارة الى عدم التنغص وعلو المرتبة بكونه مما آتاهم الله وقال كلوا واشربوا هنيئا اي مأمون العاقبة من التخم والسقم
وترك ذكر المأكول والمشروب دلالة على تنوعهما وكثرتهما وقوله بما كنتم تعملون اشارة الى انه تعالى يقول اني مع كوني ربكم
وخالقكم وادخلتكم الجنة بفضلي فلا منة لي عليكم اليوم وانما منتي عليكم كان في الدنيا هديتكم ووفقتكم
للاعمال الصالحة كما قال بل الله يمن عليكم ان هداكم للايمان واما اليوم فلا منة عليكم لان هذا انجاز الوعد فان
قيل قال في حق الكفار انما تجزون ما كنتم تعملون وقال في حق المؤمن بما كنتم تعملون فما الفرق بينهما فالجواب من وجوه
الاول ان كلمة انما للحصر اي لا تجزون الا ذلك ولم يذكر هذا في حق المؤمن لانه يجزيه اضعاف ما عمل ويزيده من فضله
الثاني قال هنا بما كنتم وقال هناك ما كنتم اي تجزون عين اعمالكم وهذا اشارة الى المبالغة في المماثلة كانه يقول هذا
عين ما عملت وقوله في حق المؤمن بما كنتم كان ذلك الدر باب مستمر يفيدكم هذا الثالث انه ذكر الجزاء هناك وقال هنا بما
كنتم تعملون لان الجزاء ينبئ عن الانقطاع فان من احسن الى احد فاتى بجزائه لا يتوقع المحسن منه شيئا آخر فان قيل فالله
تعالى قال في موضع آخر بما كنتم تعملون في الثواب فالجواب انه في تلك المواضع لما لم يخاطب المجزي ولم يقل بما كنت تفعل
اتى بما يفيد العلم بالدوام وعدم الانقطاع واما في السرر فذكر امورا احدها الاتكاء فانه هيئة تختص بالمنعم
والفارغ الذي لا كلفة عليه وجمع السرر لامرين اظهرهما ان يكون لكل واحد سرر لان قوله مصفوفة يدل على انها
لواحد لان سرر الكل لا يكون في موضع واحد مصطفة ولفظ السرر فيه حروف السرور بخلاف التخت وغيره وقوله
مصفوفة اي منتظمة بعضها الى جنب بعض فانها لو كانت متفرقة لقيل في كل موضع واحد يتكئ عليه صاحبه
اذا حضر هذا الموضع وقوله تعالى وزوجناهم اشارة الى النعمة الرابعة وفيها ما يدل على كمال الحال من وجوه الاول
انه هو المزوج وهو الولي الذي يلي الطرفين يزوج عباده باماءه ومن يكون كذلك لا يفعل الا ما فيه راحة العباد
والاماء الثاني قال وزوجناهم بحور ولم يقل وزوجناهم حورا مع ان لفظ التزويج يتعدى فعله الى مفعولين

بغير حرف يقال زوجتكها قال الله تعالى فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها وذلك اشارة الى ان المنفعة في التزويج
لهم وانما زوجوا للذتهم بالحور لا للذة الحور بهم الثالث عدم الاقتصار على الزوجات بل وصفهن بالحسن واختار الاحسن
من الاحسن فان احسن ما في صورة الادمي وجهه واحسن ما في الوجه العين **قوله تعالى** والذين امنوا فيه ثلاثة اوجه
احدها انه مبتدا والخبر الجملة من قوله الحقنا بهم ذرياتهم والذريات هنا يصدق على الاباء وعلى الابناء اي ان المومن اذا كان
عمله اكثر الحق به من دونه في العمل ابنا كان او ابا وهو منقول عن ابن عباس وغيره الثاني انه منصوب بفعل مقدر قال ابو البقا
على تقدير واكرمنا الذين امنوا قال شهاب الدين فيجوز ان يريد انه من باب الاشتغال وان قوله الحقنا بهم ذرياتهم مفسر
لذلك الفعل من حيث المعنى وان يريد انه مضمر لدلالة السياق وعليه فلا يكون المسئلة من الاشتغال في شي الثالث قال ابن الخطيب
انه معطوف على قوله ان المتقين ثم قال فاذا كان كذلك فلم اعاد لفظ الذين امنوا وكان المقصود يحصل بقوله تعالى
والحقنا بهم ذرياتهم بعد قوله وزوجناهم وكان يصير التقدير وزوجناهم والحقنا بهم نقول فيه فايدة وهي ان
المتقين هم الذين اتقوا الشرك والمعصية وهم الذين امنوا وعملوا الصالحات فقال ههنا الذين امنوا بمجرد الايمان
يصير ولده من اهل الجنة ثم ان ارتكب الاب كبيرة او صغيرة على صغيرة لا يعاقب به ولده بل الوالد وربما يدخل الجنة الابن
قبل الاب وقد ورد في الخبر ان الولد الصغير يشفع لابيه وذلك اشارة الى الجزاء وذكر الزمخشري انه مجرور عطفا على حور عين
قال الزمخشري والذين امنوا معطوف على حور عين اي قرناهم بالحور وبالذين امنوا اي بالرفقاء والجلساء منهم كقوله
تعالى اخوانا على سرر متقابلين فيتمتعون تارة بملاعبة الحور وتارة بموانسة الاخوان ثم قال الزمخشري ثم قال بايمان
الحقنا بهم ذرياتهم اي بسبب ايمان عظيم رفيع المحل وهو ايمان الاباء الحقنا بدرجتهم ذريتهم وان كانوا لا يستاهلونها تفضلا
عليهم قال ابو حيان ولا يتخيل احد ان والذين امنوا معطوف على بحور عين غير هذا الرجل وهو تخيل اعجمي مخالف لفهم العربي
القح ابن عباس وغيره قال شهاب الدين اما ما ذكره ابو القاسم من المعنى فلا شك في حسنه ونضارته وليس في كلام العربي القح
ما يدفعه بل لو عرض على ابن عباس وغيره لاعجبهم واي مانع معنوي او صناعي يمنعه **قوله تعالى** واتبعناهم يجوز ان يكون
عطفا على الصلة ويكون والذين مبتدا ويتعلق بايمان بالاتباع بمعنى ان الله تعالى الحق الاولاد الصغار وان لم يبلغوا
الايمان باحكام الاباء المومنين وهذا المعنى منقول عن ابن عباس والضحاك ويجوز ان يكون معترضا بين المبتدا والخبر
قاله الزمخشري ويجوز ان يتعلق بايمان بالحقنا كما تقدم فان قيل قوله اتبعناهم ذرياتهم يفيد فايدة قوله الحقنا بهم
ذرياتهم فالجواب ان قوله الحقنا بهم اي في الدرجات والاتباع انما هو في حكم الايمان وان لم يبلغوه كما تقدم وقرا
ابو عمرو واتبعناهم باسناد الفعل الى المتكلم المعظم نفسه والباقون واتبعتهم باسناد الفعل الى الذرية والحاق تاء
التانيث وقد تقدم الخلاف في افراد ذرياتهم وجمعه في سورة الاعراف **فصل** اختلفوا في معنى الاية فقيل
معناها والذين امنوا واتبعتهم ذريتهم بايمان يعني اولادهم الصغار والكبار فالكبار بايمانهم بانفسهم والصغار بايمان
ابائهم فان الولد الصغير يحكم باسلامه تبعا لاحد الابوين وقوله الحقنا بهم ذرياتهم اي المومنين في الجنة بدرجاتهم وان لم يبلغوا
باعمالهم درجاتهم تكرمة لابائهم لتقر بذلك اعينهم وفي رواية سعيد بن جبير عن ابن عباس وقيل معناه والذين
امنوا واتبعتهم ذريتهم البالغون بايمان الحقنا بهم ذريتهم الصغار الذين لم يبلغوا الايمان بايمان ابائهم وهو قول الضحاك
ورواية العوفي عن ابن عباس اخبر الله عز وجل انه يجمع لعبده ذريته في الجنة كما كان يحب في الدنيا ان يجتمعوا اليه يدخلهم الجنة
بفضله ويلحقهم بدرجته بعمل ابيهم من غير ان ينقص الاباء من اعمالهم شيا فذلك قوله وما التناهم من عملهم من شي وروي
عن علي رضي الله عنه قال سالت خديجة النبي صلى الله عليه وسلم عن ولدين لها ماتا في الجاهلية فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم هما في النار فلما راى الكراهية في وجهها قال لو رايت مكانهما لابغضتهما قالت يا رسول الله فولدي منك قال
في الجنة ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان المومنين واولادهم في الجنة وان المشركين واولادهم في النار ثم قرا
رسول الله صلى الله عليه وسلم والذين امنوا واتبعناهم ذرياتهم بايمان الحقنا بهم ذرياتهم **قوله تعالى**
وما التناهم قرا ابن كثير التناهم بكسر اللام والباقون بفتحها فاما الاولى فمن الت يالت بكسر العين في الماضي وفتحها
في المضارع كعلم يعلم واما الثانية فيحتمل ان يكون من الت يالت كضرب يضرب وان يكون من لات يليت كامات
يميت فالتناهم كامتناهم وقرا ابن هرمز التناهم بالف بعد الهمزة على وزن افعلناهم يقال الت يولت كامن يومن
وعبد الله وابي والاعمش وطلحة ويروى عن ابن كثير لتناهم بكسر اللام كبعناهم يقال لاته يليته كباعه يبيعه
وقرا طلحة والاعمش ايضا لتناهم بفتح اللام قال سهل لا يجوز فتح اللام من غير الفعال ولذلك التناهم بالمد وقال لا يدل
عليها اللغة ولا التفسير وليس كما زعم بل نقل اهل اللغة الت يولت وقرى ولتناهم بالواو كوعدناهم نقلها هرون قال
ابن خالويه فيكون هذا الحرف من لات يليت وولت يليت والت يالت والات يليت وكلها بمعنى نقص ويقال الت بمعنى غلظ

وقام رجل الى عمر يعظه فقال له رجل لا تالت امير المومنين اي لا تغلظ عليه قال شهاب الدين ويجوز ان يكون هذا الاثر
على حاله والمعنى لا تنقص امير المومنين حقه لانه اذا اغلظ القول نقصه حقه وفي الضمير في التناهم وجهان اظهرهما انه
عايد على المومنين الثاني انه عايد على ابنايهم قيل وهو قوله كل امري بما كسب رهين **قوله تعالى** من عملهم من شي
مفعول ثان لالتناهم ومن مزيدة فيه والاولى في محل نصب على الحال من شي لانها في الاصل صفة له فلما قدمت نصبت
على الحال وجوز ابو البقا ان يتعلق بالتناهم **فصل** في قوله وما التناهم تطييب لقلبهم وازالة وهم المتوهم
ان ثواب عمل الاب يوزع على الوالد والولد بل للوالد اجر عمله ولاولاده مثل ذلك فضلا من الله ورحمة وقال من علم
ولم يقل من اجرهم لان قوله وما التناهم من عملهم دليل على بقاء عملهم كما كان والاجر على العمل مع الزيادة فيكون
فيه اشارة الى بقاء العمل الذي له الاجر الكبير الزايد عليه العظيم العايد اليه ولو قال ما التناهم من اجرهم لكان ذلك
حاصلا بادنى شي لان كل ما يعطي الله عبده على عمله فهو اجر كامل ولانه لو قال ما التناهم من اجرهم كان معه ذلك يحتمل
ان يقال ان الله تعالى تفضل عليه بالاجر الكامل على العمل الناقص واعطاه الاجر الجزيل مع ان عمله كان له ولولده جميعا
فان قيل ما الفايدة في تنكير الايمان في قوله واتبعناهم ذرياتهم بايمان الحقنا فالجواب هو اما للتحقير او للتكثير
كانه يقول اتبعناهم ذرياتهم بايمان مخلص كامل او نقول اتبعناهم بايمان ما اي شي منه فان الايمان كاملا لا يوجد
في الولد بدليل ان من امن له ولد صغير حكم بايمانه فاذا بلغ وصرح بالكفر وانكر التبعية قيل بانه لا يكون مرتدا ويبين بقوله
انه لم يتبع وقيل بانه يكون مرتدا لانه كفر بعد ما حكم بايمانه كولد المسلم الاصلي فاذن تبين بهذا الخلاف ان ايمانه
ليس بقوي ذكر هذين الوجهين الزمخشري ويحتمل ان يكون المراد ان يكون التنوين للعوض عن المضاف اليه كقوله تعالى
بعضهم لبعض وقوله وكلا وعد الله الحسنى لان التقدير اتبعناهم ذرياتهم بايمان اي بسبب ايمانهم لان الاتباع ليس
بايمان كيف كان وممن كان وانما هو ايمان الاباء لكن الاضافة تنبي عن تقييد وعدم كون الايمان ايمانا على الاطلاق
فان قول القايل ما السحر وما الزمان بصح واطلاق اسم الماء من غير اضافة لا يصح فقوله بايمانهم يوهم انه ايمان مضاف
اليهم كقوله تعالى فلم يك ينفعهم ايمانهم لما راوا باسنا حيث اثبت الايمان المضاف ولم يكن ايمانا فقطع الاضافة
مع ارادتها ليعلم انه ايمان صحيح وعوض التنوين ليعلم انه مضاف لا يوجب الايمان في الدنيا الا ايمان الاباء قال ابن
الخطيب وهذا وجه حسن **قوله تعالى** كل امري بما كسب رهين قال مقاتل كل امري كافر بما عمل من الشرك مرتهن في
النار والمومن لا يكون مرتهنا لقوله تعالى كل نفس بما كسبت رهينة الا اصحاب اليمين قال الواحدي هذا يعود الى ذكر
اهل النار وهو قول مجاهد ايضا وقال الزمخشري هذا عام في كل احد انه يكون مرهونا عند الله بالكسب فان كسب
خيرا فك رقبته والا اوثق الرهن قال ابن الخطيب وفيه وجه اخر وهو ان يكون الرهين فعيلا بمعنى الفاعل فيكون
المعنى كل امري بما كسب راهن اي دايم ان احسن ففي الجنة موبدا وان اساء ففي النار مخلدا لان في الدنيا دوام الا
عمال بدوام الاعيان فان العرض لا يبقى الا في جوهر ولا يوجد الا فيه وفي الاخرة دوام الاعيان بدوام الاعمال
فان الله يبقي اعمالهم لكونها عند الله تعالى من الباقيات الصالحات وما عند الله باق والباقي يبقى مع عمله
قوله تعالى وامددناهم بفاكهة زيادة على ما كان لهم ولحم مما يشتهون من انواع اللحمان والمعنى زدناهم
ماكولا ومشروبا فالماكول الفاكهة واللحم والمشروب الكاس وفي هذا لطيفة وهي انه لما قال وما التناهم من عملهم
ونفي النقصان يصدق بحصول المساوي فقال ليس عدم النقصان بالاقتصار على المساوي بل بالزيادة والامداد
قوله تعالى يتنازعون في موضع نصب على الحال من مفعول امددناهم ويجوز ان يكون مستانفا وتقدم الخلاف
في قوله لا لغو فيها في البقرة والجملة في موضع نصب صفة لكاس وقوله فيها اي في شربها وقيل في الجنة ومعنى يتنازعون
اي يتعاطون ويحتمل ان يقال التنازع التجاذب ويكون تجاذبهم ملاعبة لا تجاذب منازعة وفيه نوع لذة قال الشاعر
نازعته طيب الراح الشمول وقد صاح الدجاج وحانت وقعة الساري وقوله لا لغو فيها ولا تاثيم قال قتادة
اللغو الباطل وقال مقاتل بن حيان لا فضول فيها وقال سعيد بن المسيب لا رفث فيها وقال ابن زيد لا سباب
ولا تخاصم فيها وقال القتيبي لا تذهب عقولهم فيلغوا ويرفثوا ولا تاثيم اي لا يكون منهم ما يوثمهم قال ابن الخطيب
ويحتمل ان يكون المراد من التاثيم السكر وقال الزجاج لا يجري بينهم ما يلغي ولا ما فيه اثم كما يجري في الدنيا لشربة الخمر
وقيل لا ياثمون **قوله تعالى** ويطوف عليهم غلمان اي يطوف عليهم بالخدمة غلمان لهم كانهم في الحسن والبياض
والصفا **قوله تعالى** كانهم لولو مكنون صفة ثانية لغلمان والمعنى يطوف عليهم بالكوس غلمان لهم وهم
الولدان المخلدون كانهم لولو مكنون اي مخزون مصون لم تمسه الايدي قال سعيد بن جبير يعني في الصدف
قال عبد الله بن عمر ما من احد من اهل الجنة الا يسعى عليه الف غلام وكل غلام على عمل ما عليه صاحبه وروي

عن الحسن انه لما نزلت هذه الآية قالوا يا رسول الله الخادم كاللؤلؤ المكنون فكيف المخدوم قال فضل المخدوم
على الخادم كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب **قوله تعالى** واقبل بعضهم على بعض يتساءلون يسأل بعضهم
بعضا في الجنة قال ابن عباس يتذاكرون ما كانوا فيه من التعب والخوف في الدنيا فقوله يتساءلون جملة حالية
من بعضهم **قوله تعالى** قالوا انا كنا قبل في اهلنا مشفقين اي خائفين من العذاب والمعنى انهم يسألون عن سبب
ما وصلوا اليه فيقولون خشية الله اي كنا نخاف الله فمن الله علينا ووقانا عذاب السموم اي فمن الله علينا بالمغفرة
ووقانا عذاب السموم وقال الكلبي عذاب النار وقال الحسن السموم اسم من اسماء جهنم والسموم في الاصل الريح
الحارة التي تدخل المسام والجمع سمائم وسم يومنا اي اشتد حره وقال ثعلب السموم شدة الحر وشدة البرد في النهار
وقال ابو عبيدة السموم بالنهار وقد يكون بالليل والحرور بالليل وقد يكون بالنهار وقد يستعمل السموم في لفح
البرد وهو في لفح الحر والشمس اكثر وقد تقدم شيء من ذلك في سورة فاطر وقرأ العامة ووقانا بالتخفيف وابو حيوة بالتشديد
وقد تقدم **قوله تعالى** انا كنا قبل اي في الدنيا ندعوه نخلص له العبادة وقوله انه هو البر قرأ نافع والكسائي بفتح الهمزة
على التعليل اي لانه والباقون بالكسر على الاستئناف الذي فيه معنى العلة فيتحد معنى القراءتين وقوله هو البر قال ابن
عباس اللطيف وقال الضحاك الصادق فيما وعد الرحيم بعباده **قوله تعالى** فذكر فما انت بنعمة ربك لما بين تعالى
ان في الوجود قوما يخافون الله ويشفقون في اهلهم والنبي عليه السلام مامور بتذكيرهم بخلاف الله تعالى لقوله تعالى
فذكر بالقرآن من يخاف وعيد فوجب التذكير فلذلك ذكره بالفاء **قوله تعالى** بنعمة ربك فيه ثلاثة اوجه احدها
انه مقسم به متوسط بين اسم ما وخبرها ويكون الجواب حينئذ محذوفا لدلالة هذا المذكور عليه والتقدير ونعمة
ربك ما انت بكاهن ولا مجنون الثاني ان الباء في موضع نصب على الحال والعامل فيها بكاهن او مجنون والتقدير
ما انت كاهنا ولا مجنونا متلبسا بنعمة ربك قاله ابو البقاء وعلى هذا فهي حال لازمة لانه عليه السلام لم يفارق هذه
الحال الثالث ان الباء متعلقة بما دل عليه الكلام وهو اعتراض بين اسم ما وخبرها والتقدير ما انت في حال اذكارك
بنعمة ربك بكاهن ولا مجنون قاله الحوفي قال شهاب الدين ويظهر وجه رابع وهو ان تكون الباء سببية
وتتعلق حينئذ بمضمون الجملة المنفية وهذا هو مقصود الآية الكريمة والمعنى انتفى عنك الكهانة والجنون
بسبب نعمة الله عليك كما تقول ما انا بمعسر بحمد الله وعنايته **فصل** المعنى فذكر يا محمد اهل مكة بالقرآن فما
انت بنعمة ربك اي برحمته وعصمته بكاهن مبتدع القول ومخبر بما في غد من غير وحي ولا مجنون نزلت في الذين اقتسموا
عقاب مكة يرمون رسول الله صلى الله عليه وسلم بالكهانة والسحر والجنون والشعر **قوله تعالى** ام يقولون قال
الثعلبي قال الخليل كل ما في سورة الطور من ام فاستفهام وليس بعطف وقال ابو البقاء ام في هذه الآيات منقطعة
وتقدم الخلاف في المنقطعة هل تقدر ببل وحدها او ببل والهمزة او بالهمزة وحدها والصحيح الثاني وقال مجاهد
في قوله ام تأمرهم تقديره بل تأمرهم وقرأ بل هم قوم طاغون بدل ام هم قوم **قوله تعالى** نتربص في موضع
رفع صفة لشاعر وقرأ العامة نتربص باسناد الفعل لجماعة المتكلمين ريب بالنصب وزيد بن علي يتربص بالياء من تحت
على البناء للمفعول ريب بالرفع وريب المنون حوادث الدهر وتقلبات الزمان لانها لا تدوم على حال كالريب وهو
الشك فانه لا يبقى بل هو متزلزل قال الشاعر • تربص بها ريب المنون لعلها • تطلق يوما او يموت حليلها •
وقال ابو ذؤيب • امن المنون وريبه تتوجع • والدهر ليس بمعتب من يجزع • والمنون في الاصل الدهر وقال الراغب
المنون المنية لانها تنقص العدد وتقطع المدد وجعل من ذلك قوله اجر غير ممنون اي غير مقطوع وقال الزمخشري
وهو في الاصل فعول من منه اذا قطعه لان الموت قطوع ولذلك سميت شعوب وريب مفعول به اي ننتظر
حوادث الدهر او المنية **فصل** المعنى بل يقولون يعني هؤلاء المقتسمين الخراصين شاعر نتربص به ريب المنون
حوادث الدهر وصروفه وذلك ان العرب كانت تحترز عن ايذاء الشعراء فان الشعر كان عندهم يحفظ ويدون فقالوا
لا نعارضه في الحال مخافة ان يغلبنا بقوة شعره وانما نصبر ونتربص موته ويهلك كما هلك من قبله من الشعراء
ويتفرق اصحابه وان اباه مات شابا ونحن نرجو ان يكون موته كموت ابيه والمنون يكون بمعنى الدهر ويكون بمعنى
الموت سميا بذلك لانهما يقطعان الاجل او يقال انه عليه السلام كان يقول ان الحق دين الله وان الشرع الذي اتيت
به يبقى ابد الدهر وكتابي يتلى الى قيام الساعة فقالوا ليس كذلك انما هو شاعر والذي يذكره شعر ولا ناصر له وسيصيبه
من بعض الهتنا الهلاك فيتربص به ذلك وريب المنون هو اسم للموت فعول من المن وهو القطع ويحتمل وجها آخر
وهو ان يكون المراد انه اذا كان شاعرا فصروف الزمان ربما تضعف ذهنه وتورث وهنه فيتبين لكل احد فساد
امره وكساد شعره **قوله تعالى** قل تربصوا اي انتظروا بي الموت فان قيل هذا امر للنبي عليه السلام واللفظ المامور

يوجب

يوجب المامور به او يبيحه ويجوزه وتربصهم كان حراما فالجواب ليس ذلك بامر وانما هو تهديد اي تربصوا ذلك
فاني متربص الهلاك بكم كقول الغضبان لعبده افعل ما شئت فاني لست عنك بغافل فان قيل لو كان كذلك لقال
تربصوا او لا تتربصوا كما قال فاصبروا او لا تصبروا فالجواب ليس كذلك لان ذلك مفيد عدم الخوف اكثر **قوله تعالى**
فاني معكم من المتربصين اي اتربص هلاككم وقد هلكوا يوم بدر وغيره من الايام قال ابن الخطيب ويحتمل ان يكون معناه اذا قلتم
ان ريب المنون صروف الدهر فمعناه انكم تتركون صروف الدهر مؤثرة فكانه يقول انا من المتربصين حتى ابصر ماذا ياتي به
دهركم الذي تجعلونه مهلكا وماذا يصيبني منه **قوله تعالى** ام تأمرهم احلامهم اي عقولهم بهذا ام هم قوم طاغون
والاشارة بقوله بهذا الى ما ظهر منهم عقلا ونقلا وهو عبادة الاوثان وقولهم الهذيان وقيل اشارة الى قولهم
كاهن وشاعر ومجنون وقيل اشارة الى التربص وذلك ان عظماء قريش كانوا يوصفون بالاحلام والعقول فازرى الله
بعقولهم حين لم يتميز لهم معرفة الحق من الباطل وذلك ان الاشياء اما ان تثبت بعقل او بنقل فقال هل ورد امر سمعي
ام عقولهم تأمرهم بما كانوا يقولون ام هم قوم طاغون يفترون ويقولون ما لا دليل عليه سمعا ولا مقتضى
له عقلا والطغيان مجاوزة الحد في العصيان وكذلك كل شيء منكر وظاهر قال تعالى لما طغى الماء واعلم ان قوله ام تأمرهم
متصل بقوله انزل عليهم ذكرا ام تأمرهم احلامهم بهذا وفي هذه الآية اشارة الى ان كل ما يكون على وفق العقل لا ينبغي ان
يقال وانما ينبغي ان يقال ما يجب قوله عقلا والاحلام جمع حلم وهو العقل فهما من باب واحد من حيث المعنى لان
العقل يضبط المرء فيكون كالبعير المعقول لا يتحرك عن مكانه والحلم من الاحتلام وهو ايضا سبب وقار المرء وثباته
لان في اصل اللغة هو ما يراه النائم فينزل ويلزمه الغسل الذي هو سبب البلوغ وعنده يصير الانسان مكلفا فالله
تعالى من لطيف حكمته قرن الشهوة بالعقل وعند ظهور الشهوة يكمل العقل ويكلف صاحبه فاشار تعالى الى العقل بالاشارة
الى ما يقارنه وهو الحلم ليعلم انه يريد به كمال العقل **قوله تعالى** ام يقولون تقوله اي تخلق القرآن من تلقاء نفسه والتقول
تكلف القول ولا يستعمل الا في الكذب وهذا ايضا متصل بقوله تعالى ام يقولون شاعر تقديره كاهن ام يقولون شاعر
ام يقولون تقوله والمعنى ليس الامر كما زعموا بل لا يؤمنون بالقرآن استكبارا ثم الزمهم الحجة وابطل جميع الاقسام
فقال بل يأتوا بحديث مثله اي مثل القرآن ونظمه ان كانوا صادقين ان محمدا تقوله من قبل نفسه ولما امتنع ذلك كذبوا
في الكل **قوله تعالى** فليأتوا الفاء للتعقيب اي اذا كان كذلك فيجب عليهم ان يأتوا بمثل ما اتى به ليصح كلامهم ويبطل كلامه
قال بعض العلماء وهذا امر تعجيز قال ابن الخطيب والظاهر ان الامر ههنا على حقيقته لانه لم يقل ائتوا مطلقا بل
قال ائتوا ان كنتم صادقين فهو امر معلق على شرط اذا وجد ذلك الشرط يجب الاتيان به وامر التعجيز كقوله تعالى فان الله
ياتي بالشمس من المشرق فات بها من المغرب فبهت الذي كفر وليس هذا بحثا يورث خللا في كلامهم **قوله تعالى** بحديث مثله
العامة على تنوين حديث ووصفه بمثله والجحدري وابو السمال بحديث مثله باضافة حديث الى مثله على حذف موصوف
اي بحديث رجل مثله من جنسه **فصل** قالت المعتزلة الحديث محدث والقرآن سماه حديثا فيكون محدثا
واجيبوا بان الحديث اسم مشترك يقال للمحدث والمنقول ويقال هذا حديث قديم اي متقادم العهد
لا بمعنى سبب الازلية وذلك لا نزاع فيه فان قيل الصفة تتبع الموصوف في التعريف والتنكير والموصوف هنا حديث
وهو منكر ومثله مضاف الى القرآن والمضاف الى القرآن معرف فكيف هذا فالجواب ان مثل وغير لا يتعرفان بالاضافة
وكذلك كل ما هو مثله كشبه وذلك ان غيرا ومثلا وامثالهما في غاية التنكير لانك اذا قلت مثل زيد يتناول كل شيء
فان كل شيء مثل زيد في شيء فالجماد مثله في الجسم والحجر والامكان والنبات مثله في النشو والنماء والذبول والفناء
والحيوان مثله في الحركة والادراك وغيرهما من الاوصاف واما غير فهو عند الاضافة يتنكر وعند قطع الاضافة ربما
يتعرف فانك اذا قلت غير زيد صار في غاية الابهام فانه يتناول امورا لا حصر لها واما اذا قطعت غيرا عن الاضافة
فربما يكون الغير والمغاير من باب واحد وكذلك التغير فتجعل الغير كاسماء الاجناس وتجعله مبتدأ او تريد به معنى
معينا **قوله تعالى** ام خلقوا الاخلاف ان ام هنا ليست بمعنى بل لكن اكثر المفسرين على ان المراد ما يقع في صدر الكلام
من الاستفهام بالهمزة كانه يقول اخلقوا من غير شيء قال ابن الخطيب ويحتمل ان يقال هو على اصل الوضع للاستفهام
الذي يقع في اثناء الكلام وتقديره اما خلقوا من غير شيء ام هم الخالقون **قوله تعالى** من غير شيء يجوز ان يكون
من لابتداء الغاية على معنى ام خلقوا من غير شيء حي كالجماد فهم لا يؤمرون ولا ينهون كما الجمادات وقيل هي للسببية
على معنى من غير علة ولا لغاية ثواب ولا عقاب **فصل** وجه تعلق الآية بما قبلها انهم لما كذبوا النبي
عليه السلام ونسبوه الى الكهانة والشعر والجنون وبرأه الله من ذلك ذكر الدليل على صدقه ابطالا لتكذيبهم وبدأ
بانفسهم فكانه يقول كيف تكذبونه وفي انفسهم دليل صدقه لان قوله كان في ثلاثة اشياء في التوحيد والحشر والرسالة

فهي انفسهم ما يعلم به صدقه وهو انهم خلقوا وذلك دليل التوحيد لما تقدم ان في كل شيء له آية تدل على انه واحد
واما الحشر فلان الخلق الاول دليل على جواز الخلق الثاني **فصل** قال المفسرون معنى الآية ام خلقوا من غير
شيء خلقهم فوجدوا بلا خالق وذلك مما لا يجوز ان يكون لان تعلق الخلق بالخالق من ضرورة الاسم فان انكروا
الخالق لم يجز ان يوجدوا بلا خالق ام هم الخالقون لانفسهم وذلك في البطلان اشد لان ما لا وجود له كيف يخلق فاذا
بطل الوجهان قامت الحجة عليهم بان لهم خالقا فليؤمنوا به قال هذا المعنى ابو سليمان الخطابي وقال الزجاج معناه
اخلقوا باطلا لا يحاسبون ولا يؤمرون وقال ابن كيسان اخلقوا عبثا وتركوا سدى لا يؤمرون ولا ينهون كقول القائل
فعلت كذا وكذا من غير شيء اي لغير شيء ام هم الخالقون لانفسهم فلا يجب عليهم لله امر وقيل معناه اخلقوا من غير اب
وام قال ابن الخطيب ويحتمل ان يقال هو على اصل الوضع للاستفهام الذي يقع في اثناء الكلام وتقديره اما خلقوا
من غير شيء ام هم الخالقون **قوله تعالى** من غير شيء يجوز ان يكون من لابتداء الغاية اي ام خلقوا من غير شيء اي لم يخلقوا
من تراب او من ماء لقوله الم نخلقكم من ماء مهين ويحتمل ان يقال الاستفهام الثاني ليس بنفي بل هو بمعنى الاثبات كقوله
تعالى انتم تخلقونه ام نحن الخالقون انتم تزرعونه ام نحن الزارعون ا انتم انشأتم شجرتها ام نحن المنشئون كل ذلك
في الاول منفي وفي الثاني مثبت كذلك ههنا قال تعالى ام خلقوا من غير شيء اي ان الصادق هو الثاني وهذا حينئذ
كقوله تعالى هل اتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا فان قيل كيف يكون ذلك الاثبات والآدمي خلق
من تراب نقول والتراب خلق من غير شيء فالانسان اذا نظرت الى خلقه ونظرت الى ابتداء امره وجدته مخلوقا من غير
شيء او نقول المراد ام خلقوا من غير شيء مذكور او متغير وهو الماء المهين **قوله تعالى** ام خلقوا السموات والارض
بل لا يوقنون قال الزمخشري لا يوقنون بانهم خلقوا وهو في معنى قوله ولئن سألتهم من خلق السموات
والارض ليقولن الله اي معترفون بانه خلق الله وليس خلق انفسهم وقيل بل لا يوقنون بان الله خالق واحد اي ليس الامر
كذلك وما خلقوا وانما لا يوقنون بوحدة الله وقيل المعنى لا يوقنون اصلا من غير ذكر مفعول كقولك فلان ليس بمؤمن
وفلان كافر لبيان مذهبه وان لم ينو مفعولا والمعنى انهم ما خلقوا السموات والارض ولا يوقنون بهذه الدلائل
بل لا يوقنون اصلا وان جئتهم بكل آية بدليل قوله بعد ذلك وان يروا كسفا من السماء ساقطا يقولوا سحاب مركوم
وهذه الآية دليل الآفاق وقوله من قبل دليل الانفس **قوله تعالى** ام عندهم خزائن ربك قال عكرمة يعني النبوة وقال
مقاتل ابايديهم مفاتيح ربك بالرسالة فيضعونها حيث شاؤوا وقال الكلبي خزائن المطر والرزق وقيل خزائن رحمة
قوله تعالى ام هم المسيطرون وهذه تتمة الرد عليهم لانه لما قال ام عندهم خزائن ربك اشار الى انهم ليسوا خزنة
الله فعلموا خزائن الله لكن بمجرد انتفاء كونهم خزنة لا ينتفي العلم لجواز ان يكون مشرفا على الخزنة فان العلم بالخزائن
عند الخازن والكاتب بالخزانة فقال لستم بخزنة ولا بكتبة الخزانة المسلطين عليها قال ابن الخطيب ولا يبعد تفسير
المسيطرين بكتبة الخزائن لان التركيب يدل على السطر وهو يستعمل في الكتابة قال اهل اللغة المسيطر القاهر الغالب من سيطر
عليه اذا راقبه وحفظه او قهره قال المفسرون المسيطرون المسلطون الجبارون وقال عطاء ارباب قاهرون فلا يكونوا
تحت امر ونهي يفعلون ما شاؤوا ويجوز بالسين والصاد جميعا وقرأ العامة المصيطرون بصاد خالصة من غير اشمامها زايا
لاجل الطاء كما تقدم في صراط وقرأ هشام وقنبل من غير خلاف عنهما بالسين الخالصة التي هي الاصل وحفص بخلاف عنه
وقرأ خلاد بصاد مشممة زايا من غير خلاف عنه وقرأ خلاد بالوجهين اعني خلف والعامة وتوجيه هذا القرآن واضح
مما تقدم في اول الفاتحة ولم يأت على مفيعل الا خمسة الفاظ اربعة صفة اسم فاعل نحو مهيمن ومنتقر ومسيطر
ومبيطر وواحد اسم جبل وقيل ارض لبني فزارة وهو المجيمر قال امرؤ القيس • كان ذرى راس المجيمر غدوة •
من السيل والغثاء فلكة مغزل • **قوله تعالى** ام لهم سلم اي مرقى ومصعد الى السماء يستمعون فيه وهذا ايضا
تتميم للدليل فان من لا يكون خازنا ولا كاتبا قد يطلع على الامر بالسماع من الخازن او الكاتب فقال انتم لستم
بخزنة ولا كتبة ولا اجتماع بينكم لانهم ملائكة ولا صعود لكم **قوله تعالى** يستمعون فيه صفة لسلم وفيه على بابه
من الظرفية وقيل هي بمعنى على قاله الواحدي كقوله تعالى ولاصلبنكم في جذوع النخل ولا حاجة اليه وقدره الزمخشري
متعلقا بحال محذوفة تقديره صاعدين فيه ومفعول يستمعون محذوف وقدره الزمخشري يستمعون ما يوحى الى الملائكة
من علم الغيب وقدره غيره يستمعون الخبر بصحة ما يدعون من انه شاعر وان لله شركاء والظاهر انه لا تقدير لمفعول
بل المعنى يوقعون الاستماع اي هل لهم قوة الاستماع من السماء حتى يعلموا انه ليس برسول **قوله تعالى** فليأت مستمعهم
ان ادعوا ذلك بسلطان مبين اي حجة وبينة فان قيل كيف قال فليأت مستمعهم ولم يقل فليأتوا كما قال تعالى فليأتوا
بحديث مثله فالجواب انه طلب منهم الاهون على تقدير صدقهم ليكون امتناعه عليهم ادل دليل على بطلان قولهم وقال

هنالك فليأتوا اي اجتمعوا عليه وتعاونوا واتوا بمثله فان ذلك عند الاجتماع اهون واما الارتقاء في السلم بالاجتماع
فمتعذر لانه يرتقي واحد بعد واحد فلا يحصل في الدرجة العليا الا واحد فقال فليأت ذلك الواحد بما سمعه وفيه لطيفة
وهي انه لو طلب منهم ما سمعوه لكان لواحد ان يفتري ويقول سمعت كذا فقال لا بل الواجب ان يأتي بدليل يدل عليه قوله
ام له البنات ولكم البنون وهذا انكار عليهم حين جعلوا لله ما يكرهون كقوله فاستفتهم الربك البنات ولهم البنون ام
تسألهم اجرا جعلا على ما جئتهم به ودعوتهم اليه فهم من مغرم مثقلون اثقلهم ذلك المغرم الذي تسألهم فيمنعهم ذلك
عن الاسلام فان قيل ما الفائدة في سورة الطور (؟) النبي عليه السلام حيث قال ام تسألهم ولم يقل ام تسألون اجرا كما قال
تعالى ام يقولون ام يريدون كيدا الى غير ذلك فالجواب ان فيه فائدتين احدهما تسلية قلب النبي صلى الله عليه وسلم
لانهم لما امتنعوا من الاستماع صعب على النبي صلى الله عليه وسلم فقال له ربه انت اتيت بما عليك فلا يضيق
صدرك حيث لم يؤمنوا فانت غير ملوم وانما كنت تلام ان كنت طلبت منهم اجرا فهل طلبت ذلك فاثقلتهم فلا حرج
عليك اذن الثانية لو قال ام تسألون نفي طلب الاجر مطلقا وليس كذلك لانهم كانوا مشتركين مطالبين بالاجر
من رؤسائهم واما النبي عليه السلام فقال انت لا تسألهم اجرا فلم لا يتبعونك وغيرك يسألهم وهم يسألون ويتبعون
السائلين هذا غاية الضلال **قوله تعالى** ام عندهم الغيب اي علم ما غاب عنهم حتى علموا ان ما يخبرهم الرسول من امر القيامة
والبعث باطل قال قتادة هذا جواب لقوله نتربص به ريب المنون يقول اعندهم الغيب حتى علموا ان محمدا يموت
قبلهم فهم يكتبون قال ابن الخطيب وهذا ضعيف لبعد ذكره ولان قوله تعالى قل تربصوا متصل به فلا يمنع اتصال
هذا بذاك قال القتيبي اي يحكمون والكتاب الحكم قال النبي صلى الله عليه وسلم للرجلين اللذين تخاصما اليه اقضي بينكما
بكتاب الله اي بحكم الله وقال ابن عباس معناه ام عندهم اللوح المحفوظ فهم يكتبون ما فيه ويخبرون الناس به والالف
واللام في الغيب لا للتعريف للجنس ولا للعهد بل المراد نوع الغيب كما تقول اشتر اللحم تريد بيان الحقيقة لا كل لحم ولا لحما
معينا **قوله تعالى** ام يريدون كيدا اي مكرا بك ليهلكوك فالذين كفروا هم المكيدون اي هم المجزيون بكيدهم اي ان
ضرر ذلك يعود عليهم وتحقيق مكرهم بهم لانهم مكروا به في دار الندوة فقتلوا يوم بدر **فصل** وجه التعلق
اذا قيل بان قوله ام عندهم الغيب متصل بقوله تعالى نتربص به ريب المنون قيل لهم اتعلمون الغيب فتعلمون انه يموت
قبلكم ام يريدون كيدا فتقولون نقتله فيموت فقيل لهم ان كنتم تدعون الغيب فانتم كاذبون وان كنتم تظنون
انكم تقدرون عليه فانتم فاطلون (؟) فان الله يصونه وينصره عليكم وان قيل بان المراد عليه السلام لا يسألكم عن الهداية
مالا وانتم لا تعلمون ما جاء به لكونه من الغيوب ففي المراد بقوله ام يريدون كيدا وجهان الاول ان المعنى ام يريدون
كيدا اي من الشيطان فكانه تعالى قال انت لا تسألهم اجرا وهم لا يعلمون الغيب فهم محتاجون اليك كقوله تعالى
من كان يريد حرث الآخرة وقوله ائفكا آلهة دون الله تريدون وقوله الى اريد ان تبوء باثمي واثمك الثاني ان المراد
ام يريدون كيدا فهو واصل اليهم وهو عن قريب مكيدون والمعنى انه لما لم يبق لهم حجة في الاعراض فهم يريدون
نزول العذاب والله ارسل اليهم رسولا لا يسألهم اجرا ويهديهم الى ما لا علم لهم به ولا كتاب عندهم وهم معرضون
فهم يريدون اذن ان يهلكهم ويكيدهم لان الاستدراج كيد والاملاء لازدياد الاثم كذلك ولا يقال هذا
فاسد لان الكيد والاساءة لا تطلق على فعل الله الا بطريق المقابلة وكذا المكر فلا يقال اساء الله الى الكافر ولا
اعتدى الله الا اذا ذكر اولا منهم شيء من ذلك ثم يقال بعده مثله لفظا في حق الله تعالى كقوله وجزاء سيئة
سيئة مثلها فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه ومكروا ومكر الله يكيدون كيدا واكيد كيدا لانا نقول الكيد ما
تسوء من نزل به وان حسن ممن وجد منه كقول ابرهيم عليه السلام لاكيدن اصنامكم من غير مقابلة ونكر الكيد
اشارة الى وقوع العذاب من حيث لا يشعرون فكانه قال يأتيهم بغتة ولا يكون لهم علم بعظمة **قوله تعالى** فالذين
كفروا هم اي من وقوع الظاهر موقع المضمر تنبيها على اتصافهم بهذه الصفة القبيحة والاصل ام يريدون كيدا
فهم المكيدون او حكم على جنس هم نوع منه فيندرجون اندراجا اوليا لتوغلهم في هذه الصفة **قوله تعالى**
ام لهم اله غير الله يرزقهم وينصرهم سبحان الله عما يشركون قال الخليل ما في هذه السورة من ذكر ام كلمة استفهام
وليس بعطف **فصل** قال اهل اللغة سبحان الله اسم علم للتسبيح وما في قوله عما يشركون يحتمل ان
تكون مصدرية اي عن اشراكهم ويحتمل ان تكون خبرية اي عن الذي يشركون وعلى هذا يحتمل ان يكون عن الولد
لانهم كانوا يقولون له البنات فقال سبحان الله عن البنات والبنين ويحتمل ان يكون عن مثل الآلهة اي سبحان
الله عن مثل ما يعبدونه **قوله تعالى** وان يروا كسفا من السماء ساقطا ان هذه شرطية على بابها وقيل هي بمعنى
لو وليس بشيء وقوله سحاب خبر مبتدأ مضمر اي هذا سحاب والجملة نصب بالقول **فصل** لما بين فساد اقوالهم

وسقوطها اشارة الى انه لم يبق لهم عذر فان الآيات والحجج قد ظهرت ولم يؤمنوا فبعد ذلك ان يروا كسفا اي قطعة من السماء ساقطا يقولوا سحاب اي يكون كونا به ومعنى الاية لو عذبناهم بسقوط بعض من السماء عليهم لم ينتهوا عن كفرهم ويقولوا لمعاندتهم هذا سحاب مركوم اي بعضه على بعض يسقينا **قوله تعالى** ساقطا يحتمل ان يكون مفعولا ثانيا كقولك رأيت زيدا عالما وان يكون حالا كقولك ضربته قائما والثاني اولى لان الرؤية عند التعدي الى مفعولين في اكثر الامر يكون بمعنى العلم تقول رأيت هذا المذهب صحيحا وهذا الوجه ظاهرا وعند التعدي الى واحد يكون بمعنى رأى العين في الاكثر تقول رأيت زيدا قال تعالى لما رأوا بأسنا وقال فاما ترين من البشر احدا والمراد من رؤية العين **فصل** قولهم سحاب مركوم اشارة الى انهم حين يعجزون عن التكذيب ولا يمكنهم ان يعقلوا وقوع شيء على الارض يرجعون الى التأويل والتخييل وقالوا سحاب ولم يقولوا هذا سحاب اشارة الى وضوح الامر وظهور العناد فاتوا بما لا شك فيه وقالوا سحاب مركوم وحذفوا المبتدأ ليبقى للقائل فيه مجال فيقولون عند تكذيب الخلق اياهم قلنا سحاب مركوم شبهه او مثله وان مشى الامر مع عوامهم استمروا وهذه طريق من يخاف من كلام ولا يعلم هل يقبل منه ام لا فيجعل كلامه ذو وجهين فان رأى القبول صرح بمراده وان انكر عليه احدهما فسره بالآخر **قوله تعالى** فذرهم حتى يلاقوا يومهم مفعول به لا ظرف وقرأ ابو حيوة يلقوا مضارع لقي ويضعف ان يكون المفعول محذوفا ويومهم ظرف اي يلاقوا او يلقوا جزاء اعمالهم في يومهم **فصل** قوله فذرهم كقوله فاعرض عنهم وتول عنهم الى غير ذلك فقيل كلها منسوخة بآية القتال وهو ضعيف وانما المراد التهديد كقول السيد لعبده الجاني لمن ينصحه دعه فانه سينال جنايته **قوله تعالى** الذي فيه يصعقون قرأ ابن عامر وعاصم بضم ياء يصعقون مبنيا للمفعول وباقي السبعة بفتحها مبنيا للفاعل وقرأ ابو عبد الرحمن بضم الياء وكسر العين فاما الاولى فيحتمل ان يكون من صعق فهو مصعوق مبنيا للمفعول وهو ثلاثي حكاه الاخفش فيكون مثل سعد وان يكون من اصعق رباعيا يقال اصعق فهو مصعق قاله الفارسي المعنى ان غيرهم اصعقهم وقراءة السلمي تؤذن بان افعل بمعنى فعل ومعنى يصعقون اي يموتون اي حتى يعاينوا الموت وقوله يوم لا يغني عنهم كيدهم بدل من يومهم وقيل ظرف لا يلاقوا فان قيل يلزم منه ان يكون اليوم في يوم فيكون اليوم ظرف اليوم فالجواب هو على حد قولك يأتي يوم قتل فلان يوم تبين جرائمه قاله ابن الخطيب وقوله وهم لا ينصرون اي لا ينفعهم كيدهم يوم الموت ولا يمنعهم من العذاب مانع **قوله تعالى** وان للذين ظلموا يجوز ان يكون من ايقاع الظاهر موقع المضمر وان لا يكون كما تقدم والمعنى وان للذين ظلموا اي كفروا عذابا دون ذلك اي عذابا في الدنيا قبل عذاب الآخرة قال ابن عباس يعني القتل يوم بدر وقال الضحاك هو الجوع والقحط سبع سنين وقال البراء بن عازب عذاب القبر ولكن اكثرهم لا يعلمون ان العذاب نازل بهم والمراد بالظلم هنا هو كيدهم نبيهم عليه السلام وهم اهل مكة وقيل ظلموا بعبادة غير الله فيكون عاما في كل ظالم والاشارة بقوله ذلك الى اليوم الذي فيه يصعقون ومفعول يعلمون يجوز ان يكون ما تقدم ويجوز ان يكون لا مفعول له اي اكثرهم غافلون جاهلون **قوله تعالى** فاصبر لحكم ربك اي الى ان يقع بهم العذاب الذي حكمنا عليهم فانك بأعيننا قراءة العامة بالفك وابو السماك بادغام النون فيما بعدها وناسب جمع الضمير هنا جمع العين الا تراه افردها حيث افرد الضمير في قوله ولتصنع على عيني قاله الزمخشري والمعنى فانك بمرأى منا قال ابن عباس نرى ما يعمل بك وقال الزجاج انك بحيث نراك ونحفظك فلا يصلون الى مكروهك قال ابن الخطيب اللام في قوله لحكم ربك يحتمل وجوها احدها هي بمعنى الى اي اصبر الى ان يحكم الله الثاني ان الصبر فيه معنى الثبات اي اثبت لحكم ربك والثالث هي اللام التي للسبب يقال لم خرجت فتقول لحكم فلان علي بالخروج فقال فاصبر واجعل سبب الصبر امتثال الامر اي فاصبر لهذا الحكم عليك لا لشيء آخر **قوله تعالى** وسبح بحمد ربك تقدم الكلام على نظيره وقوله حين تقوم قال سعيد بن جبير وعطاء اي قل حين تقوم من مجلسك سبحانك اللهم وبحمدك فان كان المجلس خيرا ازددت احسانا وان كان غير ذلك كان كفارة له لما روى ابو هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من جلس مجلسا وكثر فيه لغطه فقال قبل ان يقوم سبحانك اللهم وبحمدك اشهد ان لا اله الا انت استغفرك واتوب اليك الا كان كفارة لما بينهما وقال الضحاك والربيع اذا قمت الى الصلاة فقل سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا اله غيرك لما روت عائشة قالت كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا افتتح الصلاة قال سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا اله غيرك وقال الكلبي هو ذكر الله باللسان حين تقوم من الفراش الى ان تدخل في الصلاة لما روى عاصم بن حميد قال سألت عائشة بأي شيء كان يفتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم قيام الليل فقالت كان اذا قام كبر عشرا وحمد الله عشرا وهلل عشرا واستغفر عشرا وقال اللهم اغفر لي واهدني

وارزقني

وارزقني وعافني ويتعوذ من ضيق المقام يوم القيمة وقيل حين تقوم لأمر ما ولا سيما اذا كنت تنتصب لمجاهدة قومك ومعاداتهم والدعاء عليهم فسبح بحمد ربك وبدل قيامك بالمعاداة وانتصابك للانتقام بقيامك بذكر الله وتسبيحه **قوله تعالى** ومن الليل فسبحه اي صل له قال مقاتل يعني صلاة المغرب والعشاء وادبار النجوم يعني الركعتين قبل صلاة الفجر وذلك حين تدبر النجوم اي تغيب بضوء الصبح هذا قول اكثر المفسرين وقال الضحاك هي فريضة صلاة الصبح **قوله تعالى** وادبار النجوم العامة على كسر الهمزة مصدرا بخلاف التي في آخر ق كما تقدم فان الفتح هناك لائق لانه يراد به الجمع لدبر السجود اي اعقابه على انه قد قرأ سالم الجعدي ويعقوب والمنهال بن عمرو بفتحها هنا اي اعقاب النجوم وادبارها اذا غربت **فصل** هذه الاية نظير قوله فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وقد تقدم الكلام عليها قال ابن الخطيب قال ههنا وادبار النجوم وقال في ق وادبار السجود فيحتمل ان يكون المعنى واحدا والمراد من السجود جمع ساجد والنجوم سجود قال تعالى والنجم والشجر يسجدان وقيل المراد من النجوم نجوم السماء وقيل النجم ما لا ساق له من النبات قال تعالى ولله يسجد من في السموات ومن في الارض الاية والمراد من النجوم الوظائف وكل وظيفة نجم في اللغة اذا فرغت من وظائف الصلوة فقل سبحان الله كما تقدم روى ابي بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة والطور كان حقا على الله عز وجل ان يؤمنه من عذابه وان ينعمه في جنته والله اعلم بالصواب واليه المرجع والمآب

سورة والنجم

وهي مكية في قول الحسن وعكرمة وعطاء وجابر وقال ابن عباس وقتادة الا اية وهي قوله تعالى الذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش الاية وهي احدى وستون اية وقيل ان السورة مدنية والصحيح انها مكية لقول ابن مسعود هي اول سورة اعلنها رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل هي اثنتان وستون اية وثلثمائة وستون كلمة والف واربع مائة وخمسة احرف بسم الله الرحمن الرحيم **قوله تعالى** والنجم اذا هوى قال ابن عباس في رواية الوالبي والعوفي يعني الثريا اذا سقطت وغابت وهويه مغيبه والعرب تسمي الثريا نجما قال قائلهم اذا طلع النجم عشاء ابتغى الراعي كساء وجاء في الحديث عن ابي هريرة مرفوعا ما طلع النجم قط وفي الارض من العاهة شيء الا رفع واراد بالنجم الثريا قال ابن ابي الذيب وهذا هو الصحيح لان هذا صار علما بالغلبة ومنه قول العرب طلع النجم غدية فابتغى الراعي كسية وقال عمرو بن ابي ربيعة احسن النجم في السماء الثريا والثريا في الارض زين النساء يقال انها سبعة انجم ستة منها ظاهرة وواحد خفي يمتحن الناس به ابصارهم وروى القاضي عياض في الشفا ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يرى الثريا احد عشر نجما وقال مجاهد هي نجوم السماء كلها حين تغرب لفظه واحد ومعناه الجمع سمي الكوكب نجما لطلوعه وكل طالع نجم يقال نجم السن والقرن والنبت اذا طلع وروى عكرمة عن ابن عباس انها ما يرمى به الشياطين عند استراقهم السمع وقال ابو حمزة الثمالي هي النجوم اذا انتثرت يوم القيمة وقيل المراد بالنجم هنا الجنس قال الشاعر فباتت تعد النجم في مستحيرة سريع بايدي الآكلين جمودها اي تعد النجوم وهذا هو معنى قول مجاهد المتقدم وقيل المراد بالنجم الشعرى لقوله تعالى وانه هو رب الشعرى وقيل الزهرة لانها كانت تعبد وقيل اراد بالنجم القرآن لانه نزل نجوما متفرقة في عشرين سنة وسمي التفريق تنجيما والمفرق منجما قاله الكلبي ورواه عطاء عن ابن عباس والهوي النزول من اعلى الى اسفل وقال الاخفش النجم هو النبت الذي لا ساق له ومنه قوله عز وجل والنجم والشجر يسجدان وهويه سقوطه على الارض وقال جعفر الصادق يعني محمدا صلى الله عليه وسلم اذ نزل من السماء ليلة المعراج والهوي النزول يقال هوى يهوي هويا والكلام في قوله والنجم كالكلام في قوله والطور حيث لم يقل والنجوم ولا الاطوار وقال والذاريات والمرسلات كما تقدم **فصل** السور التي تقدمت وافتتاحها بالقسم بالاشياء دون الحروف هي الصافات والذاريات والطور وهذه السورة بعدها فالاولى اقسم بها لاثبات الوحدانية كما قال ان الهكم لواحد وفي الثانية اقسم لوقوع الحشر والجزاء كما قال تعالى انما توعدون لصادق وان الدين لواقع وفي الثالثة لدوام العذاب بعد وقوعه كما قال تعالى ان عذاب ربك لواقع ما له من دافع وفي هذه اقسم لاثبات النبوة لتكمل الاصول الثلاثة الوحدانية والحشر والنبوة واعلم انه تعالى لم يقسم على الوحدانية ولا على النبوة كثيرا لانه اقسم على الوحدانية في سورة واحدة وهو والصافات واما النبوة فاقسم عليها بامر واحد

في هذه السورة وبأمرين في سورة والضحى وأكثر من القسم على الحشر وما يتعلق به فقال والليل إذا يغشى والشمس
وضحاها والسماء ذات البروج إلى غير ذلك وكلها في الحشر أو ما يتعلق به وذلك لأن دلائل الوحدانية كثيرة عقلية
كما قيل • وفي كل شيء له آية تدل على أنه واحد • ودلائل النبوة أيضا كثيرة وهي المعجزات المشهورة وأما الحشر ووقوعه فلا
يمكن إثباته إلا بالسمع فأكثر فيه القسم ليقطع به المكلف ويعتقده اعتقادا جازما **فصل** قال ابن
الخطيب والفائدة في تقييد القسم به بوقت هويه أنه إذا كان في وسط السماء بعيدا عن الأرض لا يهتدي به
لأنه لا يعلم به المشرق من المغرب ولا الجنوب من الشمال فإذا زال عن وسط السماء تبين بزواله جانب المغرب عن المشرق
والجنوب عن الشمال وخص الهوي دون الطلوع لعموم الاهتداء به في الدين والدنيا كما قال الخليل عليه السلام
لا أحب الآفلين وفيه لطيفة وهي أن القسم بالنجم يقتضي تعظيمه وقد كان منهم من يعبده فنبه بهويه على عدم
صلاحيته للإلهية بأفوله **فصل** أول هذه السورة مناسب لآخر ما قبلها لفظا ومعنى أما لفظا فقوله
وإدبار النجوم وافتتح هذه بالنجم مع واو القسم وأما معنى فلأنه تعالى لما قال لنبيه ومن الليل فسبحه وإدبار
النجوم بين له أنه **فصل** فقال ما ضل صاحبكم وما غوى **قوله تعالى** إذا هوى في العامل
في هذا الظرف أوجه وعلى كل منها إشكال أحدها أنه منصوب بفعل القسم المحذوف تقديره أقسم بالنجم وقت
هويه قاله أبو البقاء وغيره وهو مشكل فإن فعل القسم إنشاء والإنشاء حال وإذا لما يستقبل من الزمان فكيف
يلتقيان الثاني أن العامل فيه مقدر على أنه حال من النجم أي أقسم به حال كونه مستقرا في زمان هويه وهو مشكل
من وجهين أحدهما أن النجم جثة والزمان لا يكون حالا عنها كما لا يكون خبرا والثاني أن إذا للمستقبل
فكيف يكون حالا وأجيب عن الأول بأن المراد بالنجم القطعة من القرآن والقرآن قد نزل منجما في عشرين سنة
وهذا تفسير ابن عباس وغيره وعن الثاني بأنها حال مقدرة الثالث أن العامل فيه نفس النجم إذا أريد به القرآن
قاله أبو البقاء وفيه نظر لأن القرآن لا يعمل في الظرف إذا أريد به أنه اسم لهذا الكتاب المخصوص وقد يقال إن
النجم بمعنى المنجم كأنه قيل والقرآن المنجم في هذا الوقت وهذا البحث وارد في مواضع منها والشمس وضحاها
وما بعده وقوله والليل إذا يغشى والضحى والليل إذا سجى وسيأتي في الشمس بحث أخص من هذا إن شاء الله تعالى
والهوي قال الراغب الهوي سقوط من علو ثم قال والهوي ذهاب في انحدار والهوي ذهاب في ارتفاع وأنشد •
يهوي مخارمها هوي الأجدل • وقيل الهوي في اللغة خرق الهواء ومقصده السفل أو مصيره إليه وإن لم يقصد
قال الشاعر • هوى الدلو أسلمها الرشاء • وقال أهل اللغة هوى يهوي هويا أي سقط من علو وهوي يهوى
هوى أي صبا وقد تقدم الكلام في هذا مشبعا **قوله تعالى** وما ضل صاحبكم هذا جواب القسم والمعنى
ما ضل صاحبكم يعني محمدا صلى الله عليه وسلم ما ضل عن طريق الهدى وما غوى ذهب أكثر المفسرين إلى أن الضلال
والغي بمعنى واحد وفرق بعضهم بينهما فقال الضلال في مقابلة الهدى والغي في مقابلة الرشد قال تعالى وإن
يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا وإن يروا سبيل الغي يتخذوه سبيلا وقال تعالى قد تبين الرشد من الغي قال ابن
الخطيب وتحقيق القول فيه أن الضلال أعم استعمالا في الوضع تقول ضل بعيري ورحلي ولا تقول غوي فالمراد من
الضلال أن لا يجد السالك إلى مقصده طريقا أصلا والغواية أن لا يكون له طريق إلى المقصد مستقيم ومما يدل على
هذا قولك للمؤمن الذي ليس على طريق السداد إنه سفيه غير رشيد ولا تقول إنه ضال فالضال كالكافر والغاوي
كالفاسق فكأنه تعالى قال ما ضل ما كفر ولا أقل من ذلك فما فسق ويقال الضلال كالعدم والغواية كالوجود
الفاسد في الدرجة والمرتبة قال ويحتمل أن يكون المراد بقوله ما ضل أي ما جن فإن المجنون ضال وعلى هذا
فهو كقوله تعالى ن والقلم وما يسطرون ما أنت بنعمة ربك بمجنون ومعنى صاحبكم إما سيدكم أو مصاحبكم ما
غوى أي ما تكلم بالباطل وقيل ما خاب والغي الخيبة **قوله تعالى** وما ينطق عن الهوى أي ما يصدر عن الهوى
نطقه فعن على بابها وقيل هي بمعنى الباء أي ما ينطق بالهوى يريد لا يتكلم بالباطل وذلك أنهم قالوا إن محمدا
يقول القرآن من تلقاء نفسه وفي فاعل ينطق وجهان أحدهما هو ضمير النبي عليه السلام وهو الظاهر والثاني
أنه ضمير القرآن كقوله تعالى هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق واعلم أن في قوله تعالى ما ضل وما غوى بصيغة الماضي
وفي قوله وما ينطق بصيغة المستقبل ترتيبا في غاية الحسن أي ما ضل حين اعتزلكم وما تعبدون في صغره وما
غوى حين اختلى بنفسه ورأى في منامه ما رأى وما ينطق عن الهوى الآن حيث أرسل إليكم وجعل رسولا شاهدا
عليكم فلم يكن أولا ضالا ولا غاويا وصار الآن منقذا من الضلال مرشدا وهاديا **قوله تعالى** إن هو إلا وحي يوحى
إن هو أي إن الذي ينطق به وقيل إن القرآن إلا وحي من الله وقوله يوحى صفة لوحي وفائدة المجيء بهذا الوصف أنه ينبغي

المجاز أي هو وحي حقيقة لا بمجرد تسميته كقولك هذا قول يقال وقيل تقديره يوحى إليه ففيه مزيد فائدة
نقل القرطبي عن السجستاني أنه قال إن شئت أبدلت إن هو إلا وحي يوحى من ما ضل صاحبكم قال ابن الأنباري وهذا
غلط لأن الحقيقة لا تكون مبدلة من ما بدليل أنك لا تقول والله ما قمت إن أنا لقاعد **فصل** والوحي
قد يكون اسما ومعناه الكتاب وقد يكون مصدرا وله معان منها الإرسال والإلهام والكتابة والكلام والإشارة
والإفهام وهذه الآية تدل على أنه عليه السلام لم يجتهد وهو خلاف الظاهر فإنه اجتهد في الحروب وأيضا في
قوله تعالى لم تحرم وأذن قال تعالى عفا الله عنك لم أذنت لهم **قوله تعالى** علمه يجوز أن تكون هذه الهاء للرسول وهو
الظاهر فيكون المفعول الثاني محذوفا أي علم الرسول الوحي أي الموحى ويجوز أن تكون للقرآن والوحي فيكون
المفعول الأول محذوفا أي علمه الرسول والوحي إن كان هو الكتاب فظاهر وإن كان الإلهام فهو كقوله تعالى نزل به
الروح الأمين على قلبك وقوله شديد القوى قيل هو جبريل وهو الظاهر وقيل الباري تعالى لقوله الرحمن علم
القرآن وشديد القوى من إضافة الصفة المشبهة لمرفوعها فهي غير حقيقية والقوى جمع القوة **قوله تعالى** ذو مرة
المرة القوة والشدة ومنه أمررت الحبل إذا أحكمت فتله والمرير الحبل وكذلك الممر كأنه مر فتله مرة بعد أخرى وقال
قطرب العرب تقول لكل جزل الرأي حصيف العقل ذو مرة وأنشد • وإني لذو مرة مرة • إذا ركبت حالة حالها •
وقال • قد كنت قبل لقائكم ذا مرة • عندي لكل مخاصم ميزانه • وقال الجوهري والمرة أحد الطبائع الأربع
والمرة القوة وشدة العقل أيضا ورجل مرير أي قوي ذو مرة قال الشاعر • ترى الرجل النحيف فتزدريه •
وحشو ثيابه أسد مرير • وقال لقيط • حتى استمرت على شزر مريرته • مر العزيمة لا رتا ولا ضرعا • **فصل**
ذو مرة قوة وشدة في خلقه يعني جبريل قال ابن عباس ذو مرة أي ذو منظر حسن وقال مقاتل ذو خلق طويل حسن
وقيل ذو كمال في الدين والعقل جميعا وقيل ذو منظر وهيبة عظيمة فإن قيل قد تبين كونه ذا قوة بقوله شديد
القوى فكيف قال بعده ذو مرة إذا فسرنا المرة بالقوة قال ابن الخطيب قوله هنا ذو قوة بدل من شديد القوى
وليس وصفا له وتقديره ذو قوة عظيمة ووجه آخر وهو أن إفراد قوى بالذكر ربما يكون لبيان أن قواه المشهورة
شديدة وله قوة أخرى خصه الله بها يقال فلان كثير المال وله مال لا يعرفه أحد أي أمواله الظاهرة كثيرة وله مال
باطن ثم قال على أنا نقول المراد ذو شدة وهي غير القوة وتقديره علمه من قواه شديدة وفي ذاته أيضا شدة فإن
الإنسان ربما يكون قواه شديدة وفي جسمه حقارة ويحتمل أن يكون المراد بقوله شديد القوى قوته في العلم ثم بقوله
ذو مرة أي شدة في جسمه فقدم العلمية على الجسمية كقوله تعالى وزاده بسطة في العلم والجسم وقوله فاستوى يعني
جبريل أي فاستوى جبريل في خلقه قال مكي استوى يقع للواحد وأكثر ما يقع من اثنين ولذلك جعل الفراء الضمير
لاثنين **قوله تعالى** وهو بالأفق الأعلى في الضمير وجهان أظهرهما أنه مبتدأ وبالأفق خبره والضمير لجبريل أو للنبي
صلى الله عليه وسلم ثم في هذه الجملة وجهان أحدهما أن هذه الجملة حال من فاعل استوى قاله مكي والثاني أنها
مستأنفة أخبر الله تعالى بذلك والثالث أن وهو معطوف على الضمير المستتر في استوى وضمير استوى وهو إما
أن يكونا لله تعالى وهو قول الحسن وقيل ضمير استوى لجبريل وهو لمحمد صلى الله عليه وسلم قال البغوي
في توجيه هذا بأن أكثر كلام العرب إذا أرادوا العطف في مثل هذا أن يظهروا كناية المعطوف فيه فيقولون استوى
هو وفلان ونظير هذا قوله عز وجل أئذا كنا ترابا وآباؤنا عطفا للآباء على المكني في كنا من غير إظهار نحن ومعنى
الآية استوى جبريل ومحمد ليلة المعراج بالأفق الأعلى وهو أقصى الدنيا عند مطلع الشمس وقيل ضمير استوى لمحمد
وهو لجبريل وهذا الوجه الثاني إنما يتمشى على قول الكوفيين لأن فيه العطف على الضمير المرفوع المتصل من غير تأكيد
ولا فاصل وهذا الوجه منقول عن الفراء والطبري وإذا قيل بأن الضميرين أعني استوى وهو لجبريل فمعناه قام
في صورته التي خلقه الله فيها وهو بالأفق الأعلى وذلك أن جبريل كان يأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم في
صورة الآدميين كما كان يأتي النبيين فسأله رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يريه نفسه في صورته التي جبل عليها
فأراه نفسه مرتين مرة في الأرض ومرة في السماء فأما في الأرض ففي الأفق الأعلى وهو جانب المشرق فسد الأرض
وذلك أن محمدا صلى الله عليه وسلم كان بحراء فطلع له جبريل من المشرق فسد الأرض من المغرب فخر رسول الله صلى الله
عليه وسلم مغشيا عليه فنزل جبريل في صورة الآدميين فضمه إلى نفسه وجعل يمسح الغبار عن وجهه وهو قوله
ثم دنى فتدلى وأما في السماء فعند سدرة المنتهى ولم يره أحد من الأنبياء على تلك الصورة إلا محمد صلى الله عليه وسلم
وقيل معنى فاستوى أي استوى القرآن في صدره وعلى هذا ففيه وجهان أحدهما في صدر جبريل عليه السلام حين نزل
به والثاني في صدر محمد صلى الله عليه وسلم وفيه على هذا وجهان أحدهما فاستوى أي فاعتدل في قوته الثاني في رسالته

نقله القرطبي عن الماوردي قال وعلى هذا يكون تمام الكلام ذو مرة وعلى الثاني شديد القوى وقيل استوى
اي ارتفع وفيه على هذا وجهان احدهما انه جبريل عليه السلام اي ارتفع الى مكانه الثاني انه النبي عليه السلام اي ارتفع
بالمعراج وقيل معنى استوى اي الله عز وجل استوى على العرش قال الحسن **قوله تعالى** ثم دنى فتدلى التدلي الامتداد
من علو الى سفل فيستعمل في القرب من العلو قاله الفرا وابن الاعرابي وقال الهذلي • تدلى عليها وهو زرق حمامه •
له طحلب في منتهى القيظ هامد • وقال الشاعر • تدلى عليها بين سب وخيطه • ويقال هو كالفرلي ان راى حرا
تدلى وان لم يره تولى **فصل** في قوله دنا فتدلى وجوه اشهرها ان جبريل دنا من النبي صلى الله عليه
وسلم اي بعد ما مد جناحه وهو بالافق عاد الى الصورة التي كان يعتاد النزول عليها وقرب من النبي صلى الله
عليه وسلم وعلى هذا ففي تدلى وجوه الاول فيه تقديم وتاخير اي تدلى من الافق الاعلى فدنا من النبي عليه
السلام الثاني ان الدنو والتدلي بمعنى واحد فكانه قال دنا فقرب ذهب الفرا الى ان الفا في تدلى بمعنى الواو والتقدير
ثم تدلى جبريل عليه السلام ودنى ولكنه جائز اذا كان معنى الفعلين واحدا فقدمت ايهما شئت فقلت فدنا فقرب
وقرب فدنا وشتمني فاسا واسا فشتمني لان الاساءة والشتم شيء واحد وكذلك قوله اقتربت الساعة وانشق القمر
اي انشق القمر واقتربت الساعة الثالث دنا اي فقصد القرب من محمد عليه السلام وتحول عن المكان الذي كان فيه
فتدلى فنزل الى النبي صلى الله عليه وسلم الوجه الثاني ان محمدا دنى من الخلق والامة ولان لهم وصار كواحد منهم
فتدلى اي تدلى اليهم بالقول اللين والدعا بالرفق فقال انا بشر مثلكم يوحى الي الثالث دنا منه ربه تعالى فقرب
منزلته كقوله عليه السلام حكاية عن ربه تعالى من تقرب الي شبرا تقربت اليه ذراعا ومن تقرب الي ذراعا تقربت
اليه باعا ومن مشى الي اتيته هرولة وهذا اشارة الى المعنى المجازي **قوله تعالى** فكان قاب قوسين هاهنا مضافان
محذوفان يضطر لتقديرهما اي فكان مقدار مسافة قربه منه مثل مقدار مسافة قاب وقد فعل ابو علي هذا في
قول الشاعر وقد جعلتني من خزيمة اصبعا اي ذا مقدار مسافة اصبع والقاب القدر تقول هذا قاب هذا اي قدره
ومثله القيب والقاد والقيد والقيس قال الزمخشري وقد جاء التقدير بالقوس والرمح والسوط والذراع والباع
والخطوة والشبر والفتر والاصبع ومنه لا صلوة الى ان ترتفع الشمس مقدار رمحين وفي الحديث لقاب قوس احدكم
من الجنة وموضع قده خير من الدنيا وما فيها والقد السوط والف قاب عن واو نص عليه ابو البقا واما قيب فلا دلالة
فيه على كونها ياء لان الواو اذا انكسر ما قبلها قلبت ياء كديمة وقيمة وذكره الراغب ايضا في مادة قوب الا انه قال
في تفسيره هو ما بين المقبض والسية هي العرضة التي يحط فيها الوتر وفيما قاله نظر لا يخفى ويروى عن مجاهد
انه من الوتر الى مقبض القوس في وسطه وقيل ان القوس ذراع يقاس به نقل ذلك عن ابن عباس وانه لغة للحجازيين
والقوس معروفة وهي مؤنثة وشذ ولي تصغيرها فقالوا قويس من غير تاء تانيث كعريب وحريب ويجمع على قسي وهو
مقلوب من قووس والقوس برج في السما فاما القوس بالضم فصومعة الراهب قال الشاعر • •
• لا استقي وذا المسحان في القوس • **قوله تعالى** او ادنى هي كقوله او يزيدون لان المعنى فكان باحد هذين
المقدارين في راي الرائي اي لتقارب ما بينهما يشك الرائي في ذلك وادنى افعل تفضيل والمفضل عليه محذوف
اي او ادنى من قاب قوسين **فصل** روى الشيباني قال سالت زرا من قوله فكان قاب قوسين او ادنى
قال اخبرنا عبد الله يعني ابن مسعود ان محمدا راى جبريل له ستمائة جناح فمعنى الاية ثم دنا جبريل بعد استوائه
بالافق الاعلى من الارض فتدلى فنزل الى محمد صلى الله عليه وسلم فكان قاب قوسين او ادنى بل ادنى وبهذا
قال ابن عباس والحسن وقال اخرون دنا الرب من محمد صلى الله عليه وسلم فتدلى فقرب منه حتى كان قاب
قوسين او ادنى قال البغوي وروينا في قصة المعراج من شريك بن عبد الله عن انس ودنا الجبار رب العزة فتدلى
حتى كان منه قاب قوسين او ادنى وهذا رواية ابن سلمة عن ابن عباس وقال مجاهد دنا جبريل من ربه وقال الضحاك
دنا محمد من ربه فتدلى فاهوى للسجود فكان منه قاب قوسين او ادنى وتقدم الكلام على القاب والقوس
ما يرمى به في قول مجاهد وعكرمة وعطا عن ابن عباس فاخبر انه كان بين جبريل وبين محمد عليه السلام مقدار قوسين
وقال مجاهد معناه حيث الوتر من القوس وهذا اشارة الى تاكيد القرب والاصل فيه ان الحليفين من العرب
كانا اذا ارادا الصفا والعهد خرجا بقوسيهما فالصقا بينهما يريدان بذلك انهما متظاهران يحامي كل واحد
منهما عن صاحبه وقال عبد الله بن مسعود قاب قوسين قدر ذراعين وهو قول سعيد بن جبير وشقيق بن سلمة
والقوس الذراع يقاس بها كل شيء او ادنى بل اقرب وانما ضرب المثل بالقوس لانها لا تختلف بالقاب والان لم يجر له
ذكر لعدم اللبس **قوله تعالى** فاوحى اي اوحى الله الى عبده محمد وقوله ما اوحى ابهم تعظيما له ورفعا من شانه

وبهذه الاية استدل ابن مالك على انه لا يشترط في الصلة ان تكون معهودة عند المخاطب ومثله فغشيهم من اليم
ما غشيهم الا ان هذا الشرط هو المشهور عند النحويين والوحي القاء الشيء بسرعة ومنه الوحا الوحا **فصل**
في فاعل اوحى الاول وجهان احدهما ان الله تعالى اوحى وعلى هذا ففي عبده وجهان احدهما انه جبريل اي اوحى الله
الى جبريل وعلى هذا ففي فاعل اوحى الاخير وجهان احدهما انه الله تعالى ايضا والمعنى حينئذ فاوحى الله تعالى الى جبريل
الذي اوحاه الله ابهمه تفخيما وتعظيما للموحى ثانيهما فاعل اوحى الثاني جبريل اي اوحى الى جبريل ما اوحى جبريل
وعلى هذا فالمراد من الذي اوحى جبريل عليه السلام يحتمل وجهين احدهما ان يكون مبينا وهو الذي اوحى الى محمد
وثانيهما ان يكون عاما اي اوحى الله الى جبريل ما اوحى الى كل رسول الوجه الثاني في عبده على قولنا الموحي هو الله انه محمد
عليه السلام اي اوحى الله الى محمد ما اوحى اليه للتفخيم والتعظيم الوجه الثاني فاعل اوحى الاول هو ان جبريل اوحى الى
عبده اي الى عبد الله يعني محمد ما اوحى اليه ربه عز وجل قاله ابن عباس في رواية عطا والكلبي والحسن والربيع وابن
زيد وعلى هذا ففي فاعل اوحى الثاني وجهان احدهما انه جبريل اي اوحى جبريل الى عبد الله ما اوحى جبريل للتفخيم
وثانيهما ان يكون هو الله تعالى اي اوحى جبريل الى محمد ما اوحى الله اليه **فصل** وفي الذي اوحى وجوه
الاول قال سعيد بن جبير اوحى الله اليه الم يجدك يتيما فاوى الى قوله ورفعنا لك ذكرك الثاني اوحى اليه الصلاة
الثالث ان احدا من الانبياء لا يدخل الجنة قبلك وان امة من الامم لا تدخلها قبل امتك الرابع انه منهم لا يطلع عليه
احد ونتعبد نابه على الجملة الخامس ان ما للعموم والمراد كل ما جاء به جبريل **قوله تعالى** ما كذب قرا هشام وابو جعفر
بتشديد الذال والباقون بتخفيفها فاما الاولى فان معناها ان ما رآه محمد بعينه صدقه قلبه ولم ينكره اي لم يقل
له لم اعرفك وما مفعول به موصولة والعائد محذوف ففاعل راى ضمير يعود على النبي صلى الله عليه وسلم واما
قراءة التخفيف فقيل فيها كذلك وكذب يتعدى بنفسه وقيل هو على اسقاط الخافض اي فيما راه قال مكي
وغيره فاسقط حرف الصفة قال حسان • لو كنت صادقة الذي حدثتني • لنجوت منجى الحارث بن هشام • اي في الذي
حدثتني وجوز في ما وجهين احدهما ان يكون بمعنى الذي والثاني ان تكون مصدرية ويجوز ان يكون فاعل راى
ضميرا يعود على الفؤاد اي لم يشك قلبه فيما رآه بعينه **فصل** قال الزمخشري معناه ان قلبه لم يكذب
وما قال انه من رآه بصرك ليس بصحيح ولو قال فؤاده ذلك لكان كاذبا فيما قاله فما كذب الفؤاد هذا على قراءة التخفيف
يقال كذبه اذا قال له الكذب واما قراءة التشديد فمعناه ما قال ان المرئي خيال لا حقيقة واما الرائي فقيل هو الفؤاد
كانه تعالى قال ما كذب الفؤاد ما رآه الفؤاد اي لم يقل انه جن شيطان بل تيقن ان ما رآه بفؤاده صدق صحيح
وقيل الرائي هو البصر اي ما كذب الفؤاد ما رآه البصر خيال وقيل ما كذب الفؤاد ما راى محمد عليه السلام وعلى
هذا فالمراد بالفؤاد الجنس اي القلوب تشهد بصحة ما رآه محمد صلى الله عليه وسلم واما المرئي فقيل هو الرب
تعالى وقيل جبريل عليه السلام وقيل الايات العجيبة الالهية فالقائل بان المرئي جبريل عليه السلام هو ابن
مسعود وعائشة رضي الله عنهما ومن قال بان المرئي هو الله تعالى اختلفوا في معنى الرؤية فقال بعضهم جعل
بصره في فؤاده فرآه في فؤاده وهو قول ابن عباس قال رآه بفؤاده مرتين ما كذب الفؤاد ما راى ولقد رآه نزلة
اخرى وقال انس والحسن وعكرمة راى محمد ربه بعينه وروى عكرمة عن ابن عباس قال ان الله اصطفى ابرهيم بالخلة
واصطفى موسى بالكلام واصطفى محمدا بالرؤية صلى الله عليه وسلم وكانت عائشة رضي الله عنها تقول لم ير
رسول الله صلى الله عليه وسلم ربه وتحمل الرؤية على رؤية جبريل قال مسروق قلت لعائشة يا امتاه هل راى
محمد ربه فقالت لقد قف شعري مما قلت اين انت من ثلاث من حدثك فقد كذب من حدثك ان محمدا راى
ربه فقد كذب ثم قرات لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار وهو اللطيف الخبير وما كان لبشر ان يكلمه
الله الا وحيا او من وراء حجاب ومن حدثك انه يعلم ما في غد فقد كذب ثم قرات وما تدري نفس ماذا تكسب
غدا ومن حدثك انه كتم شيئا مما انزل الله فقد كذب ثم قرات يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك الاية
ولكنه راى جبريل في صورته مرتين وروى ابو ذر قال سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم هل رايت ربك
قال نور اني اراه **قوله تعالى** افتمارونه قرا الاخوان افتمرونه بفتح التا وسكون الميم والباقون تمارونه
وعبد الله بن مسعود والشعبي افتمرونه بضم التاء وسكون الميم فاما الاولى ففيها وجهان احدهما انها
من مريته حقه اذا علمته وجحدته اياه وعدي بعلى لتضمنه معنى الغلبة وانشد لئن هجرت اخا صدق ومكرمة
لقد مريت اخا ما كان يمريكا لانه اذا جحد حقه فقد غلبه عليه قال المبرد يقال مراه عن حقه وعلى حقه اذا
منعه منه ودفعه قال ومثل على بمعنى عن قول بني كعب بن ربيعة رضي الله عليك اي عنك والثاني انها من مراه

على كذا اي غلبه عليه فهو من المراء وهو الجدال واما الثانية فهي من ماراه يماريه مراء اي جادله
واشتقاقه من مري الناقة لان كل واحد من المتجادلين يمري ما عند صاحبه وكان من حقه ان يتعدى بفي
كقولك جادلته في كذا وانما ضمن معنى الغلبة فعدي تعديتها واما قراءة عبد الله فمن امراه رباعيا
فصل المعنى افتجادلونه اي كيف تجادلونه على ما يرى وذلك انهم جادلوه حين اسري به فقالوا
صف لنا بيت المقدس واخبرنا عن عيرنا في الطريق وغير ذلك مما جادلوه به والمعنى افتجادلونه جدلا
ترومون به دفعه عما رآه وعلمه وتيقنه فان قيل هلا قيل افتماروه على ما راى بصيغة المضارع
فالجواب ان التقدير افتمارونه على ما يرى فكيف وهو قد رآه في السماء فماذا تقولون فيه **قوله تعالى**
ولقد رآه نزلة اخرى في نصب نزلة ثلاثة اوجه احدها انها منصوبة على الظرف قاله الزمخشري
نصب الظرف الذي هو مرة لان الفعلة اسم للمرة من الفعل فكانت في حكمها قال شهاب الدين وهذا ليس مذهب
البصريين وانما هو مذهب الفراء نقله عنه مكي الثاني انها منصوبة نصب المصدر الواقع موقع الحال قال
مكي اي رآه نازلا نزلة اخرى واليه ذهب الحوفي وابن عطية الثالث انه منصوب على المصدر المؤكد فقدره ابو البقاء
مرة اخرى او رؤية اخرى قال شهاب الدين وفي تاويل نزلة برؤية نظر واخرى تدل على سبق رؤية قبلها وعند
سدرة ظرف لرآه وعندها جنة جملة ابتدائية في موضع الحال والاحسن ان يكون الحال الظرف وجنة المأوى
فاعل به والعامة على جنة اسم مرفوع وقرا امير المؤمنين وابو الدرداء وابو هريرة وابن الزبير وانس وزر بن حبيش
ومحمد بن كعب جنه فعلا ماضيا والهاء ضمير المفعول يعود للنبي صلى الله عليه وسلم والمأوى فاعل بمعنى ستره ايواء الله
تعالى وقيل المعنى ضمه المبيت والليل وقيل جنه بظلاله ودخل فيه قال ابن الخطيب والضمير في قوله عندها
على هذه القراءة عائد الى النزلة اي عند النزلة جن محمد المأوى والصحيح انه عائد الى السدرة وقد ردت
عائشة هذه القراءة وتبعها جماعة وقالوا اجن الله من قراها واذا ثبتت قراءة عن مثل هولاء فلا سبيل الى
ردها ولكن المستعمل انما هو اجنه رباعيا فان استعمل ثلاثيا تعدى بعلى كقوله تعالى فلما جن عليه الليل
وقال ابو البقاء وهو شاذ والمستعمل اجنه وقد تقدم الكلام على هذه المادة في الانعام **فصل** والواو
في ولقد يحتمل ان تكون عاطفة ويحتمل ان تكون للحال اي كيف تجادلونه فيما رآه وهو قد رآه على وجه لا شك فيه واعلم
ان قوله نزلة هي فعلة من النزول كالجلسة من الجلوس فلا بد من نزول واختلفوا في ذلك النزول وفيه وجوه الاول
ان الضمير في رآه عائد الى الله تعالى اي راى الله نزلة اخرى وهذا قول من قال في قوله ما كذب الفواد ما راى هو الله
وقد قيل بان النبي عليه السلام راى ربه بقلبه مرتين وعلى هذا ففي النزول وجهان احدهما قول من يجوز على الله
الحركة وثانيهما ان النزول بمعنى القرب بالرحمة والفضل الثاني ان محمدا راى الله نزلة اخرى والمراد من النزلة ضدها
وهي العرجة كانه قال راى عرجة اخرى قال ابن عباس نزلة اخرى هو انه كانت للنبي صلى الله عليه وسلم عرجات
في تلك الليلة لمسئلة التخفيف من الصلوات فيكون لكل عرجة نزلة فراى ربه في بعضها وروي عن ابن عباس ان
النبي عليه السلام راى ربه بفواده مرتين وعنه انه راى ربه بعينه القول الثاني ان الضمير في رآه عائد
الى جبريل اي راى جبريل نزلة اخرى اي راى جبريل في صورته التي خلق عليها نازلا من السماء مرة اخرى وذلك
انه رآه في صورته مرتين مرة في الارض ومرة في السماء عند سدرة المنتهى قال ابن الخطيب ويحتمل ان تكون النزلة
لمحمد عليه السلام كما تقدم في العرجات **فصل** وقوله عند سدرة المنتهى قال ابن الخطيب المشهور ان
السدرة شجرة في السماء السابعة وقيل في السماء السادسة كما ورد عنه عليه السلام انه قال نبقها كقلال
هجر وورقها كآذان الفيلة وقيل سدرة المنتهى هي الحيرة القصوى من السدرة والسدرة كالركبة من الراكب يعني
عندها يحار العقل حيرة لا حيرة فوقها ما حار النبي عليه السلام وما غاب وراى ما راى وهل قوله عند سدرة
المنتهى ظرف مكان او ظرف زمان في هذا الموضع قال ابن الخطيب المشهور انه ظرف مكان اي راى جبريل او غيره
بقرب سدرة المنتهى وقيل ظرف زمان كما يقال صليته عند طلوع الفجر والتقدير رآه عند الحيرة القصوى اي
في الزمان الذي يحار فيه عقل العقلاء فهو عليه السلام ما حار وقتا من شانه ان يحار العاقل فيه فان قيل هذا التاويل
يبطل بقوله اذ يغشى السدرة ما يغشى فالجواب ان المراد من الغشيان غشيان حالة على حالة اذا ورد على حالة الحيرة
حال الرؤية واليقين وان محمدا عندما يحار العقل ما راه وقت ما طرا على تلك الحالة ما طرا من فضل الله ورحمته والصحيح
الاول **فصل** اذا قيل بان محمدا عليه السلام راى الله فمعناه انه رآه عند سدرة المنتهى والظرف قد يكون
ظرفا للذي كما اذا قال القائل رايت الهلال فيقال له اين رايته فيقول على السطح وقد تقول عند الشجرة الفلانية

واما قول من قال بان الله في مكان فذلك باطل وان قيل بان المرئي جبريل عليه السلام فظاهر **فصل**
اضافة السدرة الى المنتهى يحتمل وجوها احدها اضافة الشيء الى مكانه كقولك اشجار بلدة كذا فالمنتهى حينئذ موضع
لا يتعداه ملك قال هلال بن يساف سال ابن عباس كعبا عن سدرة المنتهى وانا حاضر فقال كعب انها سدرة في اصل العرش
على روس حملة العرش واليها ينتهي علم الخلائق وما خلفها غيب لا يعلمه الا الله وقيل ينتهي اليها ما يهبط من فوقها ويصعد
من تحتها وقال كعب ينتهي اليها الملائكة والانبياء وقال الربيع ينتهي اليها ارواح الشهداء وقال قتادة ينتهي اليها ارواح
المومنين وثانيها اضافة المحل الى الحال فيه كقولك كتاب الفقه وعلى هذا فالتقدير سدرة عندها منتهى العلوم وثالثها
اضافة الملك الى مالكه كقولك دار زيد وشجرة زيد وحينئذ المنتهى فيه محذوف تقديره سدرة المنتهى اليه قال الله تعالى
الى ربك المنتهى فالمنتهى اليه هو الله واضافة السدرة اليه حينئذ كاضافة البيت اليه للتشريف والتعظيم كما يقال في
التسبيح يا غاية رغبتاه يا منتهى املاه **فصل** وجنة المأوى قيل هي الجنة التي وعدها المتقون كقوله دار المقامة
وقيل هي جنة اخرى عندها يكون ارواح الشهداء وقيل هي جنة الملائكة **قوله تعالى** اذ يغشى منصوب برآه وقوله ما يغشى
كقوله ما اوحى وقال ابن الخطيب العامل في اذ ما قبلها او ما بعدها فيه وجهان فان قلنا ما قبلها ففيه احتمالان اظهرهما
رآه اي رآه وقت ما يغشى السدرة التي يغشى والثاني العامل فيه الفعل الذي في النزلة اي رآه نزلة اخرى تلك النزلة
وقت ما يغشى السدرة ما يغشى اي نزوله لم يكن الا بعد ما ظهرت العجائب عند السدرة وغشيها ما غشي وان قلنا العامل
فيها ما بعدها فالعامل فيه ما زاغ البصر اي ما زاغ بصره وقت غشيان السدرة ما غشيها **فصل** اختلفوا
فيما يغشى السدرة فقيل فراش او جراد من ذهب وهو قول ابن عباس وابن مسعود والضحاك قال القرطبي ورواه ابن مسعود
وابن عباس مرفوعا الى النبي صلى الله عليه وسلم قال القرطبي وعن النبي صلى الله عليه وسلم قال رايت السدرة يغشاها فراش
من ذهب ورايت على كل ورقة ملكا قائما يسبح وذلك قوله اذ يغشى السدرة ما يغشى قال ابن الخطيب وهذا ضعيف
لان ذلك لا يثبت الا بدليل سمعي فان صح فيه خبر فلا اشكال في وجوب القول به وقيل ملائكة يغشونها كانهم طيور يرتقون اليها متشوقين
متبركين بها زائرين كما يزور الناس الكعبة وقيل يغشاها انوار الله لان النبي عليه السلام لما وصل اليها تجلى ربه لها كما تجلى
للجبل فظهرت الانوار لكن السدرة كانت اقوى من الجبل واثبت فجعل الجبل دكا ولم تتحرك الشجرة وخر موسى صعقا ولم يتزلزل
محمد وقيل ابهمه تعظيما له والغشيان بمعنى التغطية والستر ومنه الغواشي ويكون بمعنى الاتيان يقال فلان يغشاني
كل وقت اي ياتيني **فصل** قال الماوردي في معاني القران قيل لم اختيرت السدرة لهذا الامر دون غيرها
من الشجر قيل لان السدرة تختص بثلاثة اوصاف ظل مديد وطعم لذيذ ورائحة ذكية فشابهت الايمان الذي يجمع
قولا وعملا ونية فظلها من الايمان بمنزلة العمل لتجاوزه وطعمها بمنزلة النية لكمونه وريحها بمنزلة القول لظهوره
وروى ابو داود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من قطع سدرة صوب الله راسه في النار وسئل ابو داود عن معنى هذا
الحديث فقال هو مختصر يعني من قطع سدرة في فلاة يستظل بها ابن السبيل والبهائم عبثا وظلما بغير حق يكون له فيها
صوب الله راسه في النار **قوله تعالى** ما زاغ البصر وما طغى اللام في البصر يحتمل وجهين احدهما المعروف اي ما
زاغ بصر محمد عليه السلام وعلى هذا فعدم الزيغ لوجوه ان قيل بان الغاشي للسدرة هو الجراد والفراش فمعناه
لم يلتفت اليه ولم يشتغل به ولم يقطع نظره عن مقصوده فيكون غشيان الجراد والفراش ابتلاء وامتحانا لمحمد
عليه السلام وان قيل ان الغاشي انوار الله تعالى ففيه وجهان احدهما معناه لم يلتفت يمنة ويسرة بل اشتغل
بمطالعتها والثاني ما زاغ البصر بصعقة بخلاف موسى عليه السلام فانه قطع النظر وغشي عليه ففي الاول بيان
ادب محمد عليه السلام وفي الثاني بيان قوته الوجه الثاني ان اللام لتعريف الجنس اي ما زاغ بصره اصلا في ذلك الموضع
لعظم هيبته فان قيل لو كان كذلك لقال ما زاغ بصره فانه ادل على العموم لان النكرة في معرض النفي تعم
فالجواب هو كقوله لا تدركه الابصار ولم يقل ولم يدركه بصر **قوله تعالى** وما طغى فيه وجهان الاول
انه عطف جملة مستقلة على جملة اخرى والثاني انه عطف جملة مقدرة على جملة فمثال المستقلة خرج زيد ودخل
عمرو ومثال المقدرة خرج زيد ودخل والوجهان جائزان هنا اما الاول فكانه تعالى قال عند ظهور النور ما
زاغ بصر محمد عليه السلام وما طغى محمد بسبب الالتفات ولو التفت لكان طاغيا واما الثاني فظاهر فان قيل
بان الغاشي للسدرة جراد فالمعنى لم يلتفت اليه وما طغى اي ما التفت الى غير الله ولم يلتفت الى الجراد ولا الى غير
الجراد بل الى الله وان قيل غشيها نور فقوله ما زاغ اي ما مال عن الانوار وما طغى اي ما طلب شيئا وراءه وفيه لطيفة
وهي ان تكون ذلك بيانا لوصول محمد عليه السلام الى سدرة اليقين الذي لا يقين فوقه وذلك ان بصر محمد عليه
السلام ما زاغ اي ما مال عن الطريق فلم ير الشيء على خلاف ما هو عليه بخلاف من ينظر الى عين الشمس مثلا ثم

ينظر الى شي ابيض فانه يراه اصفر واخضر يزيغ بصره على جادة الابصار وقوله وما طغى اي ما تخيل المعدوم موجودا وقيل وما طغى اي ما علا وما جاوز ما امر به **قوله تعالى** لقد رأى من آيات ربه الكبرى في الكبرى وجهان اظهرهما انها مفعول رأى ومن آيات ربه حال مقدمة والتقدير لقد رأى الآيات الكبرى من آيات ربه والثاني ان من آيات ربه هو مفعول الرؤية والكبرى صفة لآيات ربه وهذا الجمع يجوز وصفه بوصف المؤنثة الواحدة وحسنه هنا كونها فاصلة وقد تقدم مثله في طه عند قوله لنريك من آياتنا الكبرى قال ابن الخطيب في الكبرى وجهان احدهما انها صفة لمحذوف تقديره لقد رأى من آيات ربه الآية الكبرى ثانيهما صفة لآيات ربه فيكون مفعول رأى محذوفا تقديره رأى من آيات ربه الكبرى آية او شيئا **فصل** قال بعض المفسرين آيات ربه الكبرى هي انه رأى جبريل عليه السلام في صورته قال ابن الخطيب والظاهر ان هذه الآيات غير تلك لان جبريل عليه السلام وان كان عظيما لكن ورد في الاخبار ان لله ملائكة اعظم منه والكبرى تانيث الاكبر فكانه تعالى قال رأى من آيات ربه آيات هي اكبر الآيات **فصل** قال المفسرون رأى رفرفا اخضر سد افق السماء قال البيهقي الرفرف جبريل عليه السلام في صورته على رفرف والرفرف البساط وقيل ثوب كان يلبسه قال القرطبي وروى ابن عباس في قوله تعالى دنا فتدلى انه على التقديم والتاخير اي تدلى الرفرف لمحمد عليه السلام ليلة المعراج فجلس عليه ثم رفع فدنا من ربه قال فارقني جبريل وانقطعت عني الاصوات وسمعت كلام ربي فعلى هذا الرفرف ما يجلس عليه كالبساط ونحوه **فصل** قال ابن الخطيب هذه الآية تدل على ان محمدا عليه السلام لم ير الله ليلة المعراج وانما رأى آيات الله وفيه خلاف ووجه الدلالة ان ختم قصة المعراج هاهنا برؤية الآيات وقال تعالى سبحان الذي اسرى بعبده ليلا الى ان قال لنريه من آياتنا ولو كان رأى ربه لكان ذلك اعظم ما يمكن فكان اكبر شيء هو الرؤية فكان الامر للرؤية **قوله تعالى** افرأيتم اللات والعزى لما قرر الرسالة ذكر ما ينبغي ان يبتدي به الرسول وهو التوحيد ومنع الخلق عن الاشراك فقوله افرأيتم اشارة الى ابطال قولهم بنفس القول كما اذا ادعى ضعيف الملك ثم رآه العقلاء في غاية البعد عما يدعيه يقول انظروا الى هذا الذي يدعي الملك منكرين عليه غير مستدلين بدليل لظهور امره فلذلك قال افرأيتم اللات والعزى اي كما هما فكيف تشركونهما بالله **فصل** والالف واللام في اللات زائدة لازمة فاما قوله الى لاتها فحذفت للاضافة وهل هي والعزى علمان بالوضع او صفتان غالبتان خلاف ويترتب على ذلك جواز صدق ال وعدمه فان قلنا انهما ليسا وصفان في الاصل فلا تحذف منهما ال وان قلنا انهما صفتان وان ال للمح الصفة جاز وبالتقديرين فال زائدة وقال ابو البقاء وقيل هما صفتان غالبتان مثل الحارث والعباس فلا تكون ال زائدة انتهى قال شهاب الدين وهو غلط لان التي للمح الصفة منصوص على زيادتها بمعنى انها لم تؤثر تعريفا واختلف في تاء اللات فقيل اصل واصله من لات يليت فالفها عن ياء فان مادة ليت موجودة وقيل زائدة وهي من لوى يلوي لانهم كانوا يلوون اعناقهم اليها او يلتوون اي يعتكفون عليها واصلها لوية تحذف لامها فالفها على هذا من واو قال الزمخشري هي فعلة من لوى يلوي وعلى هذا فاصلها لوية فسكنت الياء وحذفت لالتقاء الساكنين بقيت لوة فقلبت الواو الفا لفتح ما قبلها فصارت لات واختلف القراء في الوقف على تائها فوقف الكسائي عليها بالهاء والباقون بالتاء وهو مبني على القولين المتقدمين فمن اعتقد تاءها اصلية اقرها في الوقف كتاء بيت ومن اعتقد زيادتها وقف عليها هاء قال ابن الخطيب والتاء في اللات تاء تانيث كما في المناة لكنها تكتب ممطوطة لئلا يوقف عليها فتصير هاء فتشبه باسم الله فان الهاء في الله اصلية ليست تاء تانيث ووقف عليها فانقلبت ها واللات اسم صنم قيل كان لثقيف بالطائف قاله قتادة وقيل بعكاظ وقال ابن زيد بيت بنخلة وقيل صنم ورجح ابن عطية الاول بقول الشاعر • وفرت ثقيف الى لاتها • بمنقلب الخائب الخاسر • والعامة على تخفيف تائها وقرا ابن عباس ومجاهد ومنصور بن المعتمر وابو الجوزاء وابو صالح وابن كثير في رواية بتشديد التاء فقيل هو رجل كان يلت السويق ويطعمه الحاج فلما مات عكفوا على قبره يعبدونه فهو اسم فاعل في الاصل غلب على هذا الرجل وكان يجلس عند حجر فلما مات سمي الحجر باسمه وعبد من دون الله وقال مجاهد كان في راس جبل له غنيمة يسلا منها السمن وياخذ منها الاقط ويجمع رسلها ويتخذ منه حيسا فيطعم الحاج وكان ببطن نخلة فلما مات عبدوه وهو اللات وقال الكلبي كان رجلا من ثقيف يقال له صرمة بن غنم وكان يسلأ السمن فيضعه على صخرة ثم تاتيه العرب فتلت به اسوقتهم فلما مات الرجل حولتها ثقيف الى منازلها فعبدتها قال القرطبي كانت صخرة مربعة وكان سدنتها من ثقيف وكانوا قد بنوا عليها بناء فكانت قريش وجميع العرب تعظمها وبها كانت العرب تسمي زيد اللات وتيم اللات وكانت في موضع مسجد الطائف اليسرى فلم تزل كذلك الى ان اسلمت ثقيف فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم فهدمها وحرقها بالنار

ثم اتخذوا آلهة العزى وهي احدث من اللات اتخذها ظالم بن سعد والعزى فعلى من العز وهي تانيث الاعز كالفضلى والافضل وهي اسم صنم وقيل شجرة كانت تعبد قال مجاهد هي شجرة كانت بغطفان كانوا يعبدونها فبعث النبي صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد فقطعها فجعل خالد يضربها بالفاس ويقول يا عز كفرانك لا سبحانك اني رايت الله قد اهانك فخرجت منها شيطانة مكشوفة الراس ناشرة شعرها تضرب راسها وتدعو بالويل والثبور فقتلها خالد وروي ان خالدا لما قطع الشجرة رجع الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال قد قطعتها فقال ما رايت قال ما رايت شيئا فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما بلغت فعاودها ومعه المعول فقلعها واجتث اصلها فخرجت منها امراة عريانة فقتلها ثم رجع الى النبي صلى الله عليه وسلم واخبره بذلك فقال تلك العزى ولن تعبد ابدا وقال الضحاك هو صنم لغطفان وضعها لهم سعد بن ظالم الغطفاني وذلك انه قدم مكة فراى الصفا والمروة وراى اهل مكة يطوفون بينهما فعاد الى بطن نخلة وقال لقومه ان لاهل مكة الصفا والمروة وليستا لكم ولهم اله يعبدونه وليس لكم قالوا فما تامرنا قال انا اصنع لكم كذلك فاخذ حجرا من الصفا وحجرا من المروة ونقلهما الى نخلة فوضع الذي اخذ من الصفا فقال هذا الصفا ثم وضع الذي اخذ من المروة فقال هذا المروة ثم اخذ ثلاثة احجار فاسندها الى شجرة وقال هذا ربكم فجعلوا يطوفون بين الحجرين ويعبدون الحجارة حتى افتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة فامر برفع الحجارة وبعث خالد بن الوليد الى العزى فقطعها وقال قتادة وابن زيد هي بيت بالطائف كانت تعبده ثقيف وقال ابن جبير العزى حجر ابيض كانوا يعبدونه **قوله تعالى** ومناة قرا ابن كثير مناءة بهمزة مفتوحة بعد الالف والباقون بالف وحدها وهي صخرة كانت تعبد من دون الله فاما قراءة ابن كثير فاشتقاقها من النوء وهو المطر لانهم كانوا يستمطرون عندها الانواء ووزنها حينئذ مفعلة فالفها عن واو وهمزتها اصلية وميمها زائدة وانشد واعلى ذلك • الا هل اتى تيم بن عبد مناءة • على الناي فيما بيننا ابن تميم • وقد انكر ابو عبيد قراءة ابن كثير وقال لم اسمع الهمز قال شهاب الدين قد سمعه غيره والبيت حجة عليه واما قراءة العامة فاشتقاقها من منى يمني اي صب لان دماء النسائك كانت تصب عندها وانشد والجرير • اذ يبد مناة نوعدنا ابن تيم • تامل اين تاه بك الوعيد • وقال ابو البقاء الفه عن ياء كقولك منى يمني اذا قدر ويجوز ان يكون من الواو ومنه منوان فوزنها على قراءة القصر فعله **فصل** قال قتادة مناة صخرة كانت لخزاعة بقديد وقالت عائشة في الانصار كانوا يصلون لمناة فكانت حذو قديد وقال ابن زيد بيت كان بالمشلل تعبده بنو كعب قال الضحاك مناة صنم لهذيل وخزاعة تعبده اهل مكة وقيل اللات والعزى ومناة اصنام من حجارة وكانت في جوف الكعبة يعبدونها **قوله تعالى** الاخرى صفة لمناة قال ابو البقاء والاخرى توكيد لان الثالثة لا تكون الا اخرى وقال الزمخشري والاخرى ذم وهي المتاخرة الوضيعة المقدار كقوله وقالت اخراهم لاولاهم اي وضعاؤهم لاشرافهم ويجوز ان تكون الاولية والتقدم عندهم للات والعزى انتهى وفيه نظر لان الاخرى انما تدل على الغيرية وليس فيها تعرض لمدح ولا ذم فان جاء شيء فلقرينة خارجية وقيل الاخرى صفة للعزى لان الثانية اخرى بالنسبة الى الاولى وقال الحسين بن الفضل فيه تقديم وتاخير اي العزى الاخرى ومناة الثالثة ولا حاجة الى ذلك لان الاصل عدمه **فصل** قال ابن الخطيب فان قيل انما يقال آخر واخرى اذا تعدد الاول لمشارك الثاني فلا يقال جاءني رجل وامراة اخرى فيلزم ان تكون العزى ثالثة فالجواب قد يستعمل الآخر والاخرى للذم فالمراد بالاخرى المتاخرة الذليلة واللات على صورة آدمي والعزى شجرة وهي نبات ومناة صخرة جماد هي متاخرة عنهما او في الكلام حذف اي اللات والعزى المعبود بالباطل ومناة الثالثة الاخرى او المعنى ومناة الاخرى الثالثة على التقديم والتاخير ومعنى الآية هل رايتم هذه الاصنام حق الرؤية فان رايتموها علمتم انها لا تصلح للالهية والمقصود ابطال الشركاء واثبات التوحيد **فصل** ارايت بمعنى اخبرني فيتعدى لاثنين اولهما اللات وما عطف عليها والثاني الجملة الاستفهامية من قوله الكم الذكر فان قيل لم يعد من هذه الجملة ضمير على المفعول الاول فالجواب ان قوله وله الانثى في قوة وله هذه الاصنام وان كان اصل التركيب الكم الذكر وله هن اي تلك الاصنام وانما اوثر هذا الاسم الظاهر لوقوعه راس فاصلة وقد جعل الزجاج المفعول الثاني محذوفا فانه قال وجه تلفيق هذه الآية مع ما قبلها فيقول اخبروني عن آلهتكم هل لها شيء من القدرة والعظمة التي وصف بها رب العزة في الآي السالفة انتهى فعلى هذا يكون قوله الكم الذكر متعلقا بما قبله من حيث المعنى لا من حيث الاعراب وجعل ابن عطية الرؤية هنا بصرية فقال وهي من رؤية العين لانه احال على اجرام مرئية ولو كانت ارايت التي هي استفتاء لم تتعد وقد تقدم الكلام على ذلك في الانعام وغيرها فان قيل ما فائدة الفاء في قوله افرايتم وقد وردت في مواضع بغير فاء كقوله تعالى ارايتم ما تعبدون من دون الله ارايتم شركاءكم فالجواب لما تقدم عظمة الله في ملكوته وان رسوله الى الرسل يسد الآفاق ببعض

اجنحته ديملك المداين بشدته وقوته ولا يمكنه مع هذا ان يتعدي السدرة في مقام جلال الله وعزته قال افرايتم
هذه الاصنام مع ذلها وحقارتها شركاء الله مع ما تقدم فقال بالفاء اي عقب ما سمعتم من عظمة ايات الله الكبري
ونفاذ امره في الملا الاعلي وما تحت الثري انظروا الى اللات والعزي تعلموا فساد ما ذهبتم اليه قوله تعالى الكم الذكر
وله الانثى قال الكلبي كان المشركون بمكة يقولون للاصنام والملائكة بنات الله قال وكان الرجل منهم اذا بشر بالانثى كره
فقال الله منكرا عليهم الكم الذكر وله الانثى قال ابن الخطيب معناه كيف جعلتم لله البنات وقد اعترفتم في انفسكم ان البنات
ناقصات والبنون كاملون والله كامل العظمة فكيف نسبتم اليه الناقص وانتم في غاية المذلة والحقارة حيث عبدتم
الجماد من الحجارة والشجر ثم نسبتم الكامل لانفسكم فهذه قسمة جايرة على زعمكم وعادتكم لانه كان ينبغي ان تجعلوا
الاعظم للعظيم والانقص للحقير فخالفتم النقل والعقل والعادة قوله تعالى تلك اذن قسمة ضيزي تلك اشارة
الي محذوف تقديره تلك القسمة قسمة غير عادلة ويحتمل ان يقال تلك النسبة التي نسبوها الى الله بان له البنات وقوله
اذن جواب لنسبتهم البنات الى الله وقوله ضيزي قرا ابن كثير ضئزي بهمزة ساكنة والباقون بياء ساكنة مكانها
وزيد بن علي ضَيزي بفتح الضاد والياء الساكنة فاما قراءة العامة فيحتمل ان تكون من ضازه يضيزه اذا ضامه
وجار عليه فمعنى ضيزي اي جايرة وقاله مجاهد وقتادة ومقاتل قسمة عوجا وقال الحسن غير معتدلة قال الشاعر
ضازت بنو اسد بحكمهم • اذ يجعلون الراس كالذنب • وعلى هذا فيحتمل وجهين احدهما ان تكون صفة على فعلى
بضم الفاء وانما كسرت الفاء لتصح الياء كبيض فان قيل اي ضرورة الي ان يقدر اصلها ضم الفاء ولم لا قيل بانها
فعلى بالكسر فالجواب ان سيبويه حكى انه لم يرد في الصفات فعلى بكسر الفاء انما ورد بضمها نحو حبلى وانثى وربى وما
اشبهه الا انه قد حكى غيره في الصفات ذلك حكى ثعلب مشية حيكى ورجل كيصى وحكى غيره امراة عزهى وامراة سعلى
وهذا لا ينقض لان سيبويه يقول في حيكى وكيصى كقوله في ضيزي لتصح الياء واما عزهى وسعلى فالمشهور فيهما سعلاة
وعزهاة وقال البغوي ليس في كلام العرب فعلى بكسر الفاء في النعوت انما تكون في الاسماء مثل ذكرى وشعرى والوجه
الثاني ان يكون مصدرا كذكرى قال الكسائي يقال ضاز يضيز ضيزى كذكر يذكر ذكرى ويحتمل ان يكون من ضازه بالهمز
كقراءة ابن كثير الا انه خفف همزها وان لم يكن من اصول القراء كلهم ابدال مثل هذه الهمزة ياء لكنها لغة التزمت فقراوا بها
ومعنى ضازه يضازه بالهمز نقصه ظلما وجورا وهو قريب من الاول وممن جوز ان يكون الياء بدلا من همز ابو عبيد
وان يكون اصلها ضوزى بالواو لانه سمع ضازه يضوزه ضوزى وضازه يضيزه ضيزى وضازه يضازه ضازا وحكى
ذلك كله الكسائي وحكى ابو عبيد ضزته وضزته بكسر الفاء وضمها فكسرت الضاد من ضوزى لان الضمة ثقيلة مع الواو
وفعلوا ذلك ليتوصلوا به الى قلب الواو ياء وانشد الاخفش على لغة الهمز • فان تنا عنا ننتقصك وان تغب •
فسهمك مضئوز وانفك راغم • وضيزي في قراءة ابن كثير مصدر وصف به ولا يكون وصفا اصليا لما تقدم عن سيبويه
فان قيل لم لا قيل في ضيزي بالكسر والهمز ان اصله ضيزي بالضم فكسرت الفاء كما قيل فيها مع اليا فالجواب
انه لا موجب هنا للتغيير اذ الضم مع الهمز لا يستثقل استثقاله مع الياء الساكنة وسمع منهم ضوزي بضم الضاد مع الواو
والهمز واما قراءة زيد فيحتمل ان يكون مصدرا وصف به كدعوى وان تكون صفة كسكرى وعطشى وغضبى قوله تعالى
ان هي في هي وجهان احدهما انه ضمير الاصنام اي وما هي الا اسماء تحتها في الحقيقة مسميات لانكم تدعون الالهية
لما هو ابعد شيء منها واشد منافاة لها وهذا على سبيل المبالغة والتجوز كما يقال للتحقير انسان ما زيد الا اسم اذا لم يكن
مشتملا على صفة معتبرة كقوله ما تعبدون من دونه الا اسماء سميتموها الثاني ان يكون ضميرا الاسماء وهي اللات
والعزى ومناة وهم يقصدون بها اسماء الالهة يعني وما هذه الاسماء الا اسماء سميتموها بهواكم وشهوتكم ليس لكم
على صحة تسميتها برهان يتعلقون بها قال الزمخشري وقال ابو البقاء اسماء يجب ان يكون المعنى ذوات اسماء لقوله
سميتموها لان الاسم لا يسمى فان قيل كيف قال سميتموها انتم مع ان هذه الاسماء موضوعة قبلنا فالجواب
ان كل من نطق بهذه الالفاظ فهو كالمبتدي الواضع لان الواضع الاول لهذه الاسماء لما لم يكن واضعا بدليل نقلي
ولا عقلي لم يجب اتباعه ولا يجوز فصار هو كالمبتدي اذ لا مقتدي له فان قيل الاسماء لا تسمى وانما يسمى بها
فكيف قال اسماء سميتموها فالجواب من وجهين الاول ان التسمية وضع الاسم فكانه قال اسماء وضعتموها فاستعمل
سميتموها استعمال وضعتموها الثاني انه لو قال اسماء سميتم بها لكان هناك غير الاسم شيء يتعلق به الباء في قوله
بها لان قول القائل سميت به يستدعي مفعولا اخر تقول سميت بزيد ابني او عبدي او غير ذلك فيكون قد جعل للاصنام
اعتبارا فان قيل هذا باطل بقوله تعالى واني سميتها مريم حيث لم يقل واني سميتها بمريم ولم يكن ما ذكرت مقصودا
والا لكانت مريم غير ملتفت اليها كما قلت في الاصنام فالجواب بينهما بون عظيم لان هناك قال سميتها مريم

تذكر

تذكر المفعولين فاعتبر حقيقة مريم بقوله سميتها واسمها بقوله مريم واما هنا فقال ان هي الا اسماء اي ما هي الا
اسماء موضوعة فلم تعتبر الحقيقة هاهنا واعتبرها في مريم قوله تعالى ما انزل الله بها من سلطان اي حجة
بما يقولون انها الهة واستعملت الباء في قوله بها كقولك ارتحل فلان باهله ومتاعه اي ارتحل ومعه الاهل والمتاع كذلك
هنا قوله تعالى ان يتبعون الا الظن هذا رجوع الي الخبر بعد المخاطبة فقال ان يتبعون الا الظن في قولهم انها الهة
قراها العامة على الغيبة التفاتا من خطابهم الي الغيبة عنهم تحقيرا لهم كانه قطع الكلام معهم وقال لنبيه انهم لا
يتبعون الا الظن فلا يلتفت الى قولهم ويحتمل ان يكون المراد غيرهم وفيه وجهان الاول ان يكون المراد اباءهم كانه
تعالى لما قال سميتموها انتم واباؤكم فكانهم قالوا هذه الاسماء لم نضعها نحن وانما تلقيناها من ابائنا فقال وسماها
اباؤكم وما يتبعون الا الظن فان قيل كان ينبغي ان يكون بصيغة الماضي فالجواب وبصيغة المستقبل ايضا كانه
يفرض الزمان زمان الكلام كقوله تعالى وكلبهم باسط ذراعيه الثاني ان يكون المراد عامة الكفار وقرا عبد الله وابن
عباس وطلحة وعيسى بن عمر وابن وثاب بالخطاب وهو حسن موافق فان قيل كيف ذمهم على اتباع الظن ونحن
مامورون باتباعه في الفقه وقال عليه السلام حكاية عن الله تعالى انه قال انا عند ظن عبدي بي فالجواب ان الظن
خلاف العلم وقد استعمل مجازا مكان العلم والعلم مكانه واصل العلم الظهور ومنه العالم وحروف العلم في تقاليبها
فيها معنى الظهور منها لمع البرق اذا ظهر ولمع الغزال اذا عدا وكذلك علمت والظن اذا كان في مقابلة العلم ففيه
الخفا ومنه بئر ظنون لا يدرى افيه ماء ام لا لخفاء الامر فيه ودين ظنون يخفى الامر فيه فنقول يجوز بناء الامر على الظن
عند العجز عن درك اليقين واما الاعتقاد فليس كذلك لان اليقين لم يتعذر علينا والى هذا اشار بقوله ولقد
جاءهم من ربهم الهدى اي اتبعوا الظن وقد امكنهم الاخذ باليقين وفي العمل يمنع ذلك ايضا والله اعلم
قوله تعالى وما تهوى الانفس نسق على الظن وما مصدرية او بمعنى الذي والمراد بما تهوى الانفس هو ما زين
لهم الشيطان قوله تعالى ولقد جاءهم من ربهم الهدى يجوز ان يكون حالا من فاعل يتبعون اي يتبعون الظن
وهوى النفس في حال تنافي ذلك وهي مجي الهدى من عند ربهم ويجوز ان يكون اعتراضا فان قوله ام للانسان متصل بقوله
وما تهوى الانفس وهي ام المنقطعة فتقدر ببل والهمزة على الصحيح قال الزمخشري ومعنى الهمزة فيها الانكار اي ليس للانسان
ما تمنى فصل المعنى ولقد جاءهم من ربهم البيان بالكتاب والرسول انها ليست بالهة وان العبادة لا تصلح الا لله
الواحد القهار ام للانسان ما تمنى اي يظن الكافر ان له ما يتمنى ويشتهي من شفاعة الاصنام ويحتمل ان يكون معناه هل
للانسان ان يتعبد بالتمني والاشتهاء وما تهوى نفسه قوله تعالى فلله الاخرة والاولى اي ليس كما ظن وتمنى بل لله الاخرة
والاولى لا يملك فيها احد شيئا الا باذنه قوله تعالى وكم من ملك كم هنا خبرية تفيد التكثير ومحلها الرفع على الابتداء
ولا تغني شفاعتهم هو الخبر والعامة على افراد الشفاعة وجمع الضمير اعتبارا بمعنى ملك وبمعنى كم وزيد بن علي شفاعته
بافرادها اعتبارا بلفظ كم وملك وابن مقسم شفاعاتهم بجمعهما وشيئا مصدر اي شيئا من الاغناء فصل المعنى
وكم من ملك في السموات ممن يعبدهم هؤلاء الكفار ويرجون شفاعتهم عند الله لا تغني شفاعتهم شيئا الا من بعد
ان ياذن الله في الشفاعة لمن يشاء ويرضى اي من اهل التوحيد قال ابن عباس يريد لا تشفع الملائكة الا لمن رضي الله عنه
وجمع الكناية في قوله شفاعتهم والملك واحد لان المراد من قوله وكم من ملك الكثرة فهو كقوله فما منكم من احد
عنه حاجزين قوله تعالى ان الذين لا يؤمنون بالاخرة ليسمون الملائكة تسمية الانثى اعلم ان المراد بالذين لا يؤمنون
بالاخرة هم الذين لا يؤمنون بالرسل لان كل من امن بالرسل اعترف بالحشر وذلك انهم كانوا يقولون الملائكة
وجدوا من الله فهم اولاده بمعنى الايجاد ثم انهم راوا في الملائكة تاء التانيث وصح عندهم ان يقال انهم لا يؤمنون
بالاخرة مع انهم كانوا يقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله وكان من عادتهم ان يربطوا مركوبا على قبر من يموت
ويعتقدون انه يحشر عليه فالجواب من وجهين احدهما انهم ما كانوا يجزمون به بل كانوا يقولون لا حشر فان
كان فلنا شفعاء بدليل ما حكى الله عنهم وما اظن الساعة قائمة ولئن رجعت الى ربي ان لي عنده للحسنى الثاني انهم
ما كانوا يعترفون بالاخرة على الوجه الذي ورد به الرسل فصل واما مناسبة هذه الاية لما قبلها هي
انهم لما قيل لهم ان الصنم جماد لا يشفع وبين لهم ان اعظم اجناس الخلق لا شفاعة لهم الا بالاذن قالوا نحن
لا نعبد الاصنام لانها جمادات وانما نعبد الملائكة بعبادتها فانها على صورها ونضعها بين ايدينا لنذكر بالشاهد
الغايب فنعظم الملك المقرب فرد الله عليهم بهذه الاية اي كيف تعظمونهم وانتم تسمونهم تسمية الاناث فان قيل
كيف قال تسمية الانثى ولم يقل تسمية الاناث فالجواب ان المراد بيان الجنس وهذا اللفظ اليق بهذا الموضع لمواخاة
رؤس الاي او يقال انه قال الاناث لاوهم انهم اعلام الاناث كعايشة وفاطمة والمراد انما هو البنات وقد نقل من شبههم

قوله تعالى وما لهم به من علم قال الزمخشري الضمير في به يعود على ما كانوا يقولون وقيل يعود على ما تقدم من عدم
قبول الشفاعة وقيل يعود الى الله اي ما لهم بالله من علم فيشركون وقال مكي انها تعود على الاسم لان التسمية والاسم
بمعنى وقرا ابي بها اي بالاخرة اي ما لهم بالاخرة من علم وقيل بالملائكة وقيل بالتسمية وهذا يقوي قول مكي فان
قلنا ما لهم بالاخرة فهو جواب كما قلنا انهم وان كانوا يقولون ان الاصنام شفعاؤنا عند الله وكانوا يربطون الابل
على قبور الموتى ليركبوها لكن ما كانوا يقولون به عن علم وان قلنا بالتسمية ففيه اشكال وهو ان العلم بالتسمية حاصل
لهم فانهم يعلمون انهم سموا والجواب ان التسمية قد يكون واضعها الاول عالما بانه وضع وقد يكون استعمالا معنويا
يتطرق اليه الصدق والكذب والعلم فمثال الصدق من وضع اولا اسم السماء لموضوعها وقال لهذا سماء ومثال
الكذب اذا قلنا بعد ذلك للماء والحجر هذا سماء فانه كذب ومن اعتقده فهو جاهل وكذلك قولهم في الملائكة انهم
بنات الله لم يكن تسمية وضعية وانما ارادوا به انهم موصوفون باسم يجب به استعمال لفظ البنات فيهم وذلك كذب
ومعتقده جاهل فالمراد التسمية التي هي من وصف حقيقي لا التسمية الوضعية لانهم عالمون بها فهذا هو المراد
قاله ابن الخطيب قوله تعالى ان يتبعون الا الظن تقدم الكلام عليه وقوله ان الظن لا يغني من الحق شيئا قيل الحق بمعنى العلم
اي لا يقوم الظن مقام العلم وقيل الحق بمعنى العذاب اي ان ظنهم لا ينقذهم من العذاب قال ابن الخطيب المراد منه ان
الظن لا يغني في الاعتقادات شيئا واما في الافعال العرفية او الشرعية فانه يتبع عند عدم الوصول الى اليقين ويحتمل
ان يقال المراد من الحق هو الله والمعنى ان الظن لا يفيد شيئا من الله اي ان الاوصاف الالهية لا تستخرج بالظنون بدليل
قوله تعالى ذلك بان الله هو الحق فان قيل اليس الظن قد يصيب فكيف يحكم عليه بانه لا يغني اصلا فالجواب ان المكلف
يحتاج الى تمييز الحق من الباطل ليعتقد الحق وتمييز الخير من الشر ليفعل الخير لكن في الحق ينبغي ان يكون جازما لاعتقاد
مطابقته والظان لا يكون جازما وفي الخير يجيء اعتبار الظن في مواضع فصل اعلم ان الله تعالى منع من الظن
في ثلاثة مواضع احدها قوله تعالى ان هي الا اسماء سميتموها انتم واباؤكم ما انزل الله بها من سلطان ان يتبعون الا
الظن وثانيها هذه الاية وثالثها في الحجرات وهي قوله تعالى ولا تنابزوا بالالقاب بئس الاسم الفسوق بعد الايمان
ومن لم يتب فاولئك هم الظالمون الى قوله اجتنبوا كثيرا من الظن فالاول لكان المنع عقيب التسمية والثاني عقيب الدعا
بالالقاب وكل ذلك دليل على ان حفظ اللسان اولى من حفظ غيره من الاركان وان الكذب اقبح من السيئات الظاهرة
من الايدي والارجل فهذه المواضع الثلاثة دلت على ان الظن فيها مذموم احدها مدح من لا يستحق المدح كاللات
والعزى من العز وثانيها ذم من لا يستحق الذم وهم الملائكة الذين هم عباد الرحمن يسمونهم تسمية الانثى وثالثها
ذم من لم يعلم حاله واما مدح من يعلم حاله فلم يقل فيه لا يتبعون الظن بل الظن معتبر فيه والاخذ بظاهر
حال العاقل واجب قوله تعالى فاعرض عمن تولى عن ذكرنا يعني القران وقيل الايمان اي اترك مجادلتهم فقد
بلغت واتيت ما عليك قال ابن الخطيب واكثر المفسرين يقولون بان كل ما في القران من قوله تعالى فاعرض منسوخ
باية القتال وهو باطل لان الامر بالاعراض موافق لاية القتال فكيف ينسخ به وذلك لان النبي عليه السلام في الاول
كان مامورا بالدعاء بالحكمة والموعظة الحسنة فلما عارضوه باباطيلهم امر بازالة شبههم والجواب عن اباطيلهم
وقيل له وجادلهم بالتي هي احسن ثم لما لم ينفع قال له ربه اعرض عنهم ولا تقابلهم بالدليل والبرهان فانهم لا
ينتفعون به ولا يتبعون الحق وقاتلهم فالاعراض عن المناظرة شرط لجواز المقاتلة فكيف يكون منسوخا بها
قوله تعالى ولم يرد الا الحيوة الدنيا اشارة الى انكارهم الحشر كقوله تعالى عنهم ان هي الا حياتنا الدنيا وقوله
ارضيتم بالحيوة الدنيا وذلك انه اذا ترك النظر في الاء الله لا يعرفه فلا يتبع رسوله فلا ينفعه كلامه واذا لم يقل
بالحشر والحساب لا يخاف فلا يرجع عما هو عليه فلا يبقى في الدعاء فائدة واعلم ان النبي عليه السلام كان كالطبيب
للقلوب فاتى على ترتيب الاطباء في ان المرض اذا امكن اصلاحه بالغذاء لا يستعملون الدواء وما امكن اصلاحه
بالدواء الضعيف لا يستعملون الدواء القوي ثم اذا عجز عن المداواة بالمشروبات وغيرها عدلوا الى الحديد والكي
كما قيل اخر الدواء الكي فالنبي عليه السلام اولا امر القلوب بذكر الله فحسب فان بذكر الله تطمئن القلوب فالذكر غذاء
القلب ولهذا قال عليه السلام اولا قولوا لا اله الا الله امر بالذكر فانتفع مثل ابي بكر رضي الله عنه وغيره ومن لم ينتفع
ذكر لهم الدليل وقال اولم يتفكروا قل انظروا افلا ينظرون الى غير ذلك فلما لم ينتفعوا اتى بالوعيد والتهديد
فلما لم ينفعهم قال اعرض عن المعالجة واقطع الفاسد لئلا يفسد الصالح قوله تعالى ذلك مبلغهم من العلم قال الزمخشري
هو اعتراض اي فاعرض عنه ولا تقابله ان ربك هو اعلم قال ابو حيان كانه يقول هو اعتراض بين فاعرض وبين
ان ربك هو اعلم قال ابو حيان كانه يقول هو اعتراض ولا يظهر هذا الذي يقوله من الاعتراض قال شهاب الدين

كيف تقول

كيف تقول كانه يقول هو اعتراض وما معنى التشبيه وهو قد نص عليه وصرح به فقال اي فاعرض عنه ولا تقابله
ان ربك وقوله ولا يظهر ما ادري عدم الظهور مع ظهور ان هذا علة لذلك اي قوله ان ربك علة لقوله فاعرض
والاعتراض بين العلة والمعلول ظاهر واذا كانوا يقولون هذا معترض فما يجيء في اثناء قصة فكيف بما بين علة ومعلول
فصل ذلك اشارة الى نهاية علمهم وقد عفو لهم ان اثروا الدنيا على الاخرة وقيل اشارة الى الظن اي لم يبلغوا
من العلم الا ظنهم ان الملائكة بنات الله وانها تشفع لهم واعتمدوا على ذلك واعرضوا عن القران وقيل اشارة الى الاعراض
اي فاعرض عمن تولى وذلك الاعراض غاية ما بلغوه من العلم وعلى هذا يكون المراد من العلم المعلوم ويكون الالف واللام
للتعريف والعلم المعلوم هو ما في القران فان قيل ان الله تعالى بين ان غايتهم ذلك في العلم ولا يكلف الله نفسا الا
وسعها والمجنون الذي لا علم له والصبي لا يؤمر بما فوق احتماله فكيف يعاقبهم الله فالجواب انه ذكر قبل ذلك انهم
تولوا عن ذكر الله فكان عدم علمهم لعدم قبولهم العلم وانما قدر الله توليهم ليضاف الجهل الى ذلك فيتحقق العقاب
قوله تعالى ان ربك هو اعلم بمن ضل جوز مكي ان يكون على بابه من التفضيل اي هو اعلم من كل احد بهذين الوصفين
وبغيرهما وان يكون بمعنى عالم وتقدم ذلك مرارا فصل المعنى ان الله عالم بالفريقين فيجازيهم وجه المناسبة
ان الله تعالى لما قال للنبي صلى الله عليه وسلم اعرض وكان النبي عليه السلام شديد الميل الى ايمان قومه كانه يحبس في
خاطره ان في ذكراهم منفعة وربما يؤمن من الكفار قوم اخرون من غير قتال فقال له ربك اعلم بمن ضل عن سبيله انه لا يؤمن
بمجرد الدعاء احد من المتخلفين وانما ينفع فيهم وقع السيف والقتال فاعرض عن الجدال واقبل على القتال وعلى هذا
فقوله بمن اهتدى اي علم في الازل من ضل ومن اهتدى فلا يشتبه عليه الامر ولا باس في الاعراض فان قيل قال في
الضلال عن سبيله ولم يقل في الاهتداء الى سبيله فالجواب ان الضلال عن السبيل هو الضلال وهو كاف في الضلال
لان الضلال لا يكون الا في السبيل واما بعد الوصول فلا ضلال او لان من ضل عن سبيله لا يصل الى المقصود سواء
سلك سبيلا او لم يسلكه واما من اهتدى الى سبيل فلا وصول له ان لم يسلكه فقال من اهتدى اي الى السبيل وسلوكه
قوله تعالى ولله ما في السموات وما في الارض وهذا معترض بين الاية الاولى وبين قوله ليجزي الذين اساؤا بما
عملوا واللام في قوله ليجزي الذين اساؤا بما عملوا فيها اوجه احدها ان يتعلق بقوله لا تغني شفاعتهم ذكره مكي وهو
بعيد من حيث اللفظ ومن حيث المعنى الثاني ان يتعلق بقوله لا تغني شفاعتهم بما دل عليه قوله ولله ما في السموات
اي له ملكهما يضل من يشاء ويهدي من يشاء ليجزي المحسن والمسيء الثالث ان يتعلق بقوله بمن ضل وبمن اهتدى
واللام للصيرورة اي عاقبة امرهم جميعا للجزاء بما عملوا قال معناه الزمخشري الرابع ان يتعلق بما دل عليه قوله تعالى
اعلم بمن ضل اي حفظ ذلك ليجزي قاله ابو البقا وقرا زيد بن علي لنجزي بنون العظمة والباقون بياء الغيبة وقوله
الذين اساؤا اي اشركوا بما عملوا من الشرك ويجزي الذين احسنوا وحدوا ربهم بالحسنى بالجنة وانما يقدر على مجازاة
المحسن والمسيء اذا كان مالكا فلذلك قال تعالى ولله ما في السموات وما في الارض قوله تعالى الذين يجتنبون
يجوز ان يكون منصوبا بدلا او بيانا او نعتا للذين احسنوا فان قيل اذا كان بدلا من الذين احسنوا فلم خالف ما
بعده بالمضي والاستقبال حيث قال الذين احسنوا وقال الذين يجتنبون ولم يقل اجتنبوا فالجواب هو كقول القا
الذين سالوني اعطيتهم الذين يترددون الي سائلين اي الذين عادتهم التردد للسؤال سالوني واعطيتهم
فكذلك ههنا اي الذين عادتهم ودابهم الاجتناب لا الذين اجتنبوا مرة واحدة ويجوز ان يكون الموصول منصوبا
باضمار اعني وان يكون خبر مبتدا مضمر اي هم الذين وهذا نعت للمحسنين وقد تقدم الخلاف في كبائر وكبير
الاثم قوله تعالى الا اللمم فيه اوجه احدها انه استثناء منقطع لان اللمم الصغائر فلم تندرج فيما قبلها
وهذا هو المشهور الثاني انه صفة والا بمنزلة غير كقوله لو كان فيهما الهة الا الله اي كبائر الاثم والفواحش غير
اللمم الثالث انه متصل وهذا عند من يفسر اللمم بغير الصغائر قالوا ان اللمم من الكبائر والفواحش قالوا
معنى الاية الا ان يلم بالفاحشة مرة ثم يتوب وتقع الوقعة ثم ينتهي وهو قول ابي هريرة ومجاهد والحسن ورواية
عطاء عن ابن عباس قال عبد الله بن عمرو بن العاص اللمم ما دون الشرك قال السدي قال ابو صالح سئلت عن قول
الله عز وجل الا اللمم فقلت هو الرجل يلم بالذنب ثم لا يعاوده فذكرت ذلك لابن عباس فقال لقد اعانك
عليها ملك كريم وروي عن ابن عباس في قوله الا اللمم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان تغفر اللهم تغفر جما
واي عبد لك لا الما واصل اللمم ما قل وصغر ومنه اللمم وهو المس من الجنون والم بالمكان قل لبثه فيه
والم بالطعام اي قل اكله منه وقال ابو العباس اصل اللمم ان يلم بالشيء من غير ان يركبه فقال الم بكذا اذا
قاربه ولا يخالطه وقال الازهري العرب تستعمل الالمام في معنى الدنو والقرب وقال جرير

يشفي من بجنبه حزيز • على ومن زيارته لمام • وقال آخر • متى تاتنا تلمم بنا في ديارنا • تجد حطبا جزلا ونارا تاججا • وقال آخر • لقاء اخلاء الصفا لمام • ومنه ايضا لمة الشعر لما دون الوفرة **فصل** قال ابن الخطيب الكباير اشارة لما فيهما من مقدار السيئة والفواحش في اللغة مختصة بالقبح الخارج فيجد من حد الخفا وتركيب الحروف في التاليف يدل عليه فانك اذا قلبتها وقلت حشف كان فيه معنى الزيادة الخارجة عن الحد فان الحشف اردا التمر وكذلك فشح يدل على حاله رديئة يقال افشحت الناقة اذا وقفت على هيئة مخصوصة للبول فالفحش الاثم القبيح ولهذا لم يقل الفواحش من الاثم وقال في الكباير من الاثم لان الكباير ان لم تميزها بالاضافة في قوله كباير الاثم لما حصل المقصود بخلاف الفواحش واختلفوا في الكباير والفواحش فقيل الكباير ما وعد الله عليه بالنار صريحا وظاهرا والفواحش ما اوجب عليه حدا في الدنيا وقيل الكباير ما يكفر مستحله وقيل الكباير ما لا يغفر الله لفاعله الا بعد التوبة وهو مذهب المعتزلة قال ابن الخطيب وكل هذه التعريفات تعريف للشي بما هو مثله في الخفا او فوقه وقد ذكرنا ان الكباير هي التي مقدارها عظيم والفواحش هي التي قبحها واضح فالكبيرة صفة عايدة الى المقدار والفاحشة صفة عايدة الى الكيفية **فصل** اختلفوا في معنى الاية فقال بعضهم ما سلف في الجاهلية فلا يواخذهم الله به وذلك ان المشركين قالوا للمسلمين انهم كانوا بالامس يعملون معنا فانزل الله هذه الاية وهذا قول زيد بن ثابت وزيد بن اسلم وقيل هو صغار الذنوب كالنظرة والغمزة والقبلة وما كان دون الزنا وهذا قول ابن مسعود وابي هريرة ومسروق والشعبي ورواية طاوس عن ابن عباس قال ما رايت اشبه باللمم مما قال ابو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله كتب على ابن ادم حظه من الزنا ادرك ذلك لا محالة فزنا العين النظر وزنا اللسان النطق والنفس تمني وتشتهي والفرج يصدق ذلك ويكذبه وفي رواية والاذنان زناهما الاستماع واليد زناها البطش والرجل زناها الخطا وقال الكلبي اللمم على وجهين كل ذنب لم يذكر الله عليه حدا في الدنيا ولا عذابا في الاخرة فذلك الذي تكفره الصلوات الخمس ما لم تبلغ الكباير والفواحش والوجه الاخر هو الذنب العظيم يلم به المسلم المرة بعد المرة فيتوب منه وقال سعيد بن المسيب هو ما لم على القلب اي خطر وقال الحسين بن الفضل اللمم النظرة من غير تعمد وهو مغفور فان اعاد النظرة فليس بلمم وهو ذنب **قوله تعالى** ان ربك واسع المغفرة قال ابن عباس لمن فعل ذلك وتاب وههنا تم الكلام **قوله تعالى** هو اعلم بكم اذ انشاكم من الارض في تعلق الاية وجوه احدها هو تقرير لما قال من قبل فانه لو قال هو اعلم بمن ضل كان القايل من الكفار يقول نحن نعمل امورا في جوف الليل المظلم وفي البيت الخالي فكيف يعلمه الله قال ليس علمكم اخفى من احوالكم وانتم اجنة في بطون امهاتكم فالله عالم بتلك الاحوال الثاني انه اشارة الى ان الضال والمهتدي حصلا على ما هما عليه بتقدير الله فانه علم الحق وانتم في بطون الامهات فكتب على البعض انه ضال وكتب على البعض انه مهتدي الثالث انه تاكيد لبيان الجزا لانه لما قال ليجزي الذين اساوا بما عملوا قال الكافرون هذا الجزاء لا يتحقق الا بالحشر وجمع الاجزا بعد تفرقها واعادة ما كان لزيد من الاجزا في بدنه من غير اختلاط وذلك غير ممكن فقال تعالى هو عالم بما اذ انشاكم فيجمعها بقدرته على وفق علمه كما انشاكم **فصل** العامل في اذ يحتمل ان يكون اذكروا فيكون هذا تقريرا لكونه عالما ويكون تقديره هو اعلم بكم وقد تم الكلام ثم يقول ان كنتم في شك من علمه بكم فاذكروا حال انشايكم من التراب وقد تقدم الكلام على قوله خلقكم من تراب بان كل احد اصله من التراب فانه يصير غذاء ثم يصير دما ثم يصير نطفة فان قيل لا بد من صرف قوله اذ انشاكم من الارض الى ادم لان قوله واذ انتم اجنة في بطون امهاتكم عايد الى غيره فانه لم يكن جنينا وان قلت بان قوله تعالى اذ انشاكم عايد الى جميع الناس فينبغي ان يكون جميع الناس اجنة في بطون الامهات وهو قول الفلاسفة فالجواب ليس كذلك لانا نقول الخطاب مع الموجودين حالة الخطاب فقوله هو اعلم بكم خطاب مع من حضر الانزال وهم كانوا اجنة وخلقوا من الارض على ما قررناه **قوله تعالى** اجنة جمع جنين وهو الحمل في البطن لاستتاره وجنين واجنة كسرير واسرة فان قيل الاجنة هم الذين في بطون الامهات وبعد الخروج لا يسمى الا ولدا او سقطا فما فايدة قوله تعالى في بطون امهاتكم فالجواب ان ذلك تنبيه على كمال القدرة والعلم فان بطون الامهات في غاية الظلمة ومن علم حال الجنين فيها لا يخفى عليه ما يظهر من حال العباد **قوله تعالى** فلا تزكوا انفسكم قال ابن عباس لا تمدحوها وقال الحسن علم الله من كل نفس ما هي صانعة والى ما هي صايرة فلا تزكوا انفسكم تبروها من الاثام ولا تمدحوها بحسن اعمالها وقال الكلبي ومقاتل كان الناس يعملون اعمالا حسنة ثم يقولون صلاتنا وصيامنا وحجنا فانزل الله هذه الاية ثم قال هو اعلم بمن اتقى اي بر واطاع واخلص العمل **فصل** يحتمل ان يكون هذا خطابا مع الكفار فانهم قالوا كيف يعلمنا الله فرد عليهم قولهم ويحتمل ان يكون خطابا مع كل من كان في زمن الخطاب وبعده من المومنين والكفار ويحتمل ان يكون خطابا مع المومنين وتقديره ان الله تعالى لما قال فاعرض عن من تولى عن

ذكرنا قال لنبيه عليه السلام قد علم كونك ومن تبعك على الحق وكون الكفار على الباطل فاعرض عنهم ولا تقولوا نحن على الحق وانتم على الضلال لانهم يقابلونكم بمثل ذلك وفوض الامر الى الله فهو اعلم بمن اتقى ومن طغى وعلى هذا قول من قال منسوخ اظهر وهو كقوله تعالى وانا او اياكم لعلى هدى او في ضلال مبين يعني الله اعلم بجملة الامر **قوله تعالى** افرايت الذي تولى قال بعض المفسرين لما بين جهل المشركين في عبادة الاصنام ذكر واحدا منهم معينا بسوء فعله قال مجاهد وابن زيد ومقاتل نزلت في الوليد بن المغيرة كان قد اتبع النبي صلى الله عليه وسلم على دينه فعيره بعض المشركين وقال له تركت دين الاشياخ وضللتهم فقال اني خشيت عذاب الله فضمن الذي عاتبه ان هو اعطاه كذا من ماله ورجع الى شركه ان يتحمل عنه عذاب الله فرجع الوليد الى الشرك واعطى الذي عيره بعض ذلك الذي ضمن ومنعه تمامه فانزل الله افرايت الذي تولى اي ادبر عن الايمان واعطى صاحبه قليلا واكدى بخل بالباقي وقال السدي نزلت في العاص بن وايل السهمي وذلك انه ربما يوافق النبي صلى الله عليه وسلم في بعض الامور وقال محمد بن كعب القرظي نزلت في ابي جهل وذلك انه قال والله ما يامرنا محمد الا بمكارم الاخلاق فذلك قوله واعطى قليلا واكدى اي لم يومن به ومعنى اكدى اي قطع **قوله تعالى** واكدى اصله من اكدى الحافر اذا حفر شيا فصادف كدية منعته من الحفر ومثل اجبل اي صادف جبلا منعه من الحفر وكديت اصابعه كلت من الحفر ثم استعمل في كل من طلب شيا فلم يصل اليه او لم يتممه ولمن طلب شيا ولم يبلغ اخره قال الخطيئة • فاعطى قليلا ثم اكدى عطاءه • ومن يبذل المعروف في الناس يحمد • ويقال كدت النبت اذا قل ريعه وكدت الارض تكد واكدوا فهي كادية اذا ابطا نباتها عن ابي زيد واكديت الرجل عن الشي رددته واكدى الرجل اذا قل خيره فقوله واعطى قليلا واكدى اي قطع القليل وارايت بمعنى اخبرني وقوله الذي يعود الى الوليد قال ابن الخطيب والظاهر انه يعود الى المتولي في قوله فاعرض عمن تولى فان قيل كان ينبغي ان يقول الذي تولوا لان من للعموم فالجواب ان العود الى اللفظ كثير كقوله من جاء بالحسنة فله ولم يقل فلهم **قوله تعالى** اعنده علم الغيب هو المفعول الثاني لارايت والمفعول الاول محذوف اقتصارا لا اعطى **قوله تعالى** فهو يرى هذه الجملة مترتبة على ما قبلها ترتيبا ظاهرا وقال ابو البقا فهو يرى جملة اسمية واقعة موقع الفعلية والاصل اعنده علم الغيب فيرى ولو جاء على ذلك لكان نصبا على جواب الاستفهام انتهى وهذا لا حاجة اليه مع ظهور الترتب بالجملة الاسمية وقد تقدم له نظير هذا الكلام والرد عليه ومعنى الاية اعند هذا المكدي علم الغيب اي علم ما غاب عنه من العذاب فهو يرى اي يعلم ما غاب عنه من امر الاخرة وما يكون من امره حتى يضمن حمل العذاب عن غيره وكفى بهذا جهلا وحمقا بانه يرى ما غاب عنه ويعلم ان صاحبه يتحمل عنه عذابه **قوله تعالى** ام لم ينبا اي لم يخبر بما في صحف موسى يعني اسفار التورية ام منقطعة اي بل الم ينبا وما في قوله بما يحتمل ان يكون المراد جنس ما فيها اي لم ينبا بالتوحيد والحشر وغيره ويحتمل ان يكون عين ما في التورية لاجله وعلى هذا فالكلام مع اهل الكتاب **قوله تعالى** وابرهيم عطف على موسى اي وصحف ابرهيم كقوله في سورة الاعلى صحف ابرهيم وموسى وانما خص هذين النبيين بالذكر لانه كان بين ابرهيم وموسى يوخذ الرجل بجريرة غيره فاول من خالفهم ابرهيم قاله الهذيل بن شرحبيل والعامة على وفى بالتشديد وقرا ابو امامة الباهلي وسعيد بن جبير وابن السميفع وفى مخففا وقد تقدم ان فيه ثلاث لغات واطلق التوفية والوفا ليتناول كل ما وفى به والمعنى تمم واكمل ما امر به قال الحسن وسعيد بن جبير وقتادة عمل بما امر به وبلغ رسالات ربه الى خلقه وقال مجاهد وفى بما فرض عليه وقال الربيع وفى رويياه وقام بذبح ابنه وقال عطا الخرساني استكمل الطاعة وقال ابو العالية هو الاتمام في قوله تعالى واذ ابتلى ابرهيم ربه بكلمات فاتمهن والتوفية الاتمام وقال الضحاك وفى المناسك وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ابرهيم الذي وفى اربع ركعات من اول النهار **قوله تعالى** ان لا تزر وازرة وزر اخرى ان مخففة من الثقيلة واسمها محذوف وهو ضمير الشان ولا تزر هو الخبر وجي بالنفي لكون الخبر جملة فعلية متصرفة غير مقرونة بقد كما تقدم تحريره في المايدة وان وما في حيزها فيها قولان اظهرهما الجر بدلا من ما في قوله بما في صحف والثاني الرفع خبر مبتدا مضمر اي ذلك ان لا تزر او هو ان لا تزر وهو جواب لسوال مقدر كان قايلا قال وما في صحفهما فاجيب بذلك قاله مكي ويجوز ان يكون نصبا باضمار اعني جوابا لذلك السايل وكل موضع اضمر فيه هذا المبتدا لهذا المعنى اضمر فيه هذا الفعل **فصل** معنى الاية انه لا تحمل نفس حمل اخرى اي لا تواخذ نفس باثم غيرها وفي هذا ابطال قول من ضمن للوليد بن المغيرة انه يحمل عنه الاثم وروي عكرمة عن ابن عباس قال كانوا قبل ابرهيم عليه السلام ياخذون الرجل بذنب غيره وكان الرجل يقتل بقتل ابيه وابنه واخيه وامراته حتى جاءهم ابرهيم عليه السلام فنهاهم عن ذلك وبلغهم عن الله عز وجل ان لا تزر وازرة وزر اخرى فان قيل الاية مذكورة لبيان ان وزر الرجل لا يحمل عنه وبهذا الكلام لا

تحصل هذه الفائدة لان الوازرة تكون مثقلة بوزرها فكل احد يعلم انها لا تحمل شيئا فلو قال لا تحمل فارغة
وزر اخرى كان ابلغ فالجواب ان المراد من الوازرة هي التي يتوقع منها الوزر والحمل لا التي وزرت وحملت نقل القرطبي عن
ابي مالك الغفاري قال قوله تعالى ان لا تزر وازرة وزر اخرى الى قوله تعالى فباي الاء ربك تتمارى في صحف ابرهيم
وموسى **قوله تعالى** وان ليس للانسان الا ما سعى ان هي المخففة ايضا ولم يفصل هنا بينها وبين الفعل لانه لا يتصرف
ومحلها الجر او الرفع او النصب لعطفها على ان قبلها وكذلك محل وان سعيه وترى مبني للمفعول فيجوز ان تكون من
البصرية اي يبصر وان تكون من العلمية فيكون الثاني محذوفا اي يرى حاضرا والاول اوضح وقال مكي واجاز الزجاج
يرى بفتح الياء على اضمار الهاء اي سوف يراه ولم يجزه الكوفيون لان سعيه يصير قد عمل فيه ان ويرى وهو جائز
عند المبرد وغيره لان دخول ان على سعيه وعملها فيه يدل على الهاء المحذوفة من يرى وعلى هذا تجوز البصريون
ان زيدا ضربت بغير هاء قال شهاب الدين وهو خلاف ضعيف توهموا ان الاسم توجه عليه عاملان مختلفان
في الجنسية وانما قلت في الجنسية لان راي بعضهم انه يعمل فعلان في معمول واحد ومنه باب التنازع في بعض صوره
نحو قام وقعد زيد وضربت واكرمت عمرا وان يعمل عامل واحد في اسم وفي ضميره معا نحو زيدا ضربته في باب
الاشتغال وهذا توهم باطل لانا نقول سعيه منصوب بان ويرى متسلط على ضميره المقدر فظاهر هذا انه لم يقرا به
وقد حكى ابو البقا انه قرئ به شاذا ولكنه ضعفه من جهة اخرى فقال وقرئ بفتح اليا وهو ضعيف لانه ليس فيه
ضمير يعود على اسم ان وهو السعي والضمير الذي فيه للهاء فيبقى الاسم بغير خبر وهو كقولك ان غلام زيد قام
وانت تعني قام زيد فلا خبر لغلام وقد وجه بان التقدير سوف يراه فتعود الهاء على السعي وفيه بعد انتهى قال شهاب
الدين وليت شعري كيف توهم المانع المذكور وكيف نظم تمام ذكرنا اي بعد في تقدير سوف يرى سعيه نفسه وكانه
اطلع على مذهب الكوفيين في المنع الا ان المدرك غير المدرك **فصل** قوله تعالى وان ليس للانسان الا ما سعى
اي عمل كقوله ان سعيكم لشتى وهذا ايضا في صحف ابرهيم وموسى قال ابن عباس هذا منسوخ الحكم في هذه الشريعة
بقوله الحقنا بهم ذرياتهم فادخل الابناء الجنة بصلاح الاباء وقال عكرمة كان ذلك لقوم ابرهيم وموسى واما هذه
الامة فلهم ما سعوا وما سعى لهم غيرهم لما روي ان امراة رفعت صبيا لها فقالت يا رسول الله الهذا حج قال نعم ولك
اجر وقال رجل للنبي صلى الله عليه وسلم ان امي افتلتت نفسها فهل لها اجر ان تصدقت عنها قال نعم قال الشيخ
تقي الدين ابو العباس احمد بن تيمية من اعتقد ان الانسان لا ينتفع الا بعمله فقد خرق الاجماع وذلك باطل من
وجوه كثيرة احدها ان الانسان ينتفع بدعاء غيره وهو انتفاع بعمل الغير الثاني ان النبي عليه السلام يشفع لاهل
الموقف في الحساب ثم لاهل الجنة في دخولها ثم لاهل الكبائر في الاخراج من النار وهذا انتفاع بسعي الغير الثالث
ان كل نبي وصالح له شفاعة وذلك انتفاع بعمل الغير الرابع ان الملائكة يدعون ويستغفرون لمن في الارض وذلك
منفعة بعمل الغير الخامس ان الله يخرج من النار من لم يعمل خيرا قط بمحض رحمته وهذا انتفاع بغير عملهم السادس
ان اولاد المؤمنين يدخلون الجنة بعمل ابائهم وذلك انتفاع بمحض عمل الغير السابع قال تعالى في قصة الغلامين
اليتيمين وكان ابوهما صالحا فانتفعا بصلاح ابيهما وليس هو من سعيهما الثامن ان الميت ينتفع بالصدقة عنه
وبالعتق بنص السنة والاجماع وهو من عمل غيره التاسع ان الحج المفروض يسقط عن الميت بحج وليه بنص السنة
وهو انتفاع بعمل الغير العاشر ان الصوم المنذور والحج المنذور يسقط عن الميت بعمل غيره بنص السنة
وهو انتفاع بعمل الغير يا المدين الذي امتنع عليه السلام من الصلوة عليه حتى قضى دينه ابو قتادة وقضى دين
الاخر علي بن ابي طالب وانتفع بصلوة النبي عليه السلام وبردت جلدته بقضاء دينه وهو من عمل الغير
يب ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لمن صلى وحده الا رجل يتصدق على هذا فيصلي معه فقد حصل له فضل الجماعة
بفعل الغير يج ان الانسان تبرا ذمته من ديون الخلق اذا قضاها قاض عنه وذلك انتفاع بعمل غيره يد ان من
عليه تبعات ومظالم اذا حلل منها سقطت عنه وهذا انتفاع بعمل غيره يه ان الجار الصالح ينتفع به في المحيا
والممات كما جاء في الاثر وهذا انتفاع بعمل الغير يو ان جليس اهل الذكر يرحم بهم وهو لم يكن منهم ولم يجلس لذلك
بل لحاجة عرضت له والاعمال بالنيات فقد انتفع بعمل غيره يز الصلوة على الميت والدعاء له في الصلوة انتفاع
للميت بصلوة الحي عليه وهو عمل غيره يح ان الجمعة تحصل باجتماع العدد وكذلك الجماعة بكثرة العدد وهو
انتفاع للبعض بالبعض يط ان الله قال لنبيه عليه السلام وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم وقال ولولا رجال
مؤمنون ونساء مؤمنات وقال ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض فقد دفع الله العذاب عن بعض الناس بسبب
بعض وذلك انتفاع بعمل الغير ك ان صدقة الفطر تجب عن الصغير وغيره ممن يمونه الرجل ينتفع بذلك من يخرج عنه

ولا سعي له كما ان الزكوة تجب في مال الصبي والمجنون ويثاب على ذلك ولا سعي له ومن تامل العلم وجد من
انتفاع الانسان بما لم يعمله ما لا يكاد يحصى فكيف يجوز ان يتاول الاية على خلاف صريح الكتاب والسنة واجماع الامة
والمراد بالانسان العموم وقال الربيع بن انس ليس للانسان يعني الكافر واما المؤمن فله ما سعى وما سعي له وقيل ليس للكافر
من الخير الا ما عمله يثاب عليه في الدنيا حتى لا يبقى له في الاخرة خير ويروى ان عبد الله بن ابي كان اعطى العباس قميصا البسه
اياه فلما مات ارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم قميصه ليكفن فيه فلم يبق له حسنة في الاخرة يثاب عليها وقوله
وان سعيه سوف يرى في ميزانه يوم القيمة من اريته الشيء اي يعرض عليه ويكشف له فان قيل العمل كيف يرى بعد
وجوده ومضيه فالجواب من وجهين احدهما يرى على صورة جميلة ان كان العمل صالحا الثاني قال ابن الخطيب وذلك
على مذهبنا غير بعيد فان كل موجود يرى والله قادر على اعادة كل ما عدم فبعيد الفعل يرى وهو ظاهر وهو ان ذلك
مجاز عن الثواب كقولك سترى احسانك اي جزاءه وفيه نظر لقوله بعد ذلك ثم يجزاه الجزاء الاوفى **قوله تعالى**
ثم يجزاه يجوز في الضمير وجهان اظهرهما ان الضمير المرفوع يعود على الانسان والمنصوب يعود على سعيه
والجزاء مصدر مبين للنوع والثاني قال الزمخشري ويجوز ان يكون الضمير للجزاء ثم فسره بقوله الجزاء او ابدله منه كقوله
واسروا النجوى الذين ظلموا قال ابو حيان واذا كان تفسيرا للضمير المنصوب في يجزاه فعلى ماذا ينتصب واما اذا كان
بدلا فهو من بدل الظاهر من المضمر وهي مسالة خلاف والصحيح المنع قال شهاب الدين العجب كيف يقول فعلى ماذا
ينتصب وانتصابه من وجهين اظهرهما ان يكون عطف بيان وعطف البيان يصدق عليه انه مفسر وهي عبارة سائغة
والثاني ان ينتصب باضمار اعني وهي عبارة سائغة ايضا يسمون مثل ذلك تفسيرا وقد منع ابو البقا ان ينتصب
الجزاء الاوفى على المصدر فقال الجزاء الاوفى هو مفعول يجزاه وليس بمصدر لانه وصفه بالاوفى وذلك من صفة المجزي
لا من صفة الفعل قال شهاب الدين وهذا لا يبعد عن الغلط لانه يلزم ان يتعدى يجزي الى ثلاثة مفاعيل لان الاول
قام مقام الفاعل والثاني الها التي هي ضمير السعي والثالث الجزاء الاوفى وايضا فكيف ينتظم المعنى وقد يجاب عنه بانه اراد
انه بدل من الهاء كما تقدم عن الزمخشري ويصدق ان يقال هو مفعول يجزاه فلا يتعدى لثلاثة حينئذ الا انه بعيد من غرضه
ومثل هذا الغلط واما قوله والاوفى ليس من صفات الفعل ممنوع بل هو من صفاته مجازا كما يوصف به المجزي به مجازا فان
الحقيقة في كليهما منتفية وانما المتصف به حقيقة المجازي وقال ابن الخطيب والجزاء يتعدى الى مفعولين قال تعالى
وجزاهم بما صبروا جنة وحريرا ويقال جزاك الله خيرا ويتعدى الى ثلاثة مفاعيل بحرف الجر فيقال جزاه الجزاء على عمله
الجنة وقد يحذف الجار ويوصل الفعل فيقال جزاه الخير عمله الجنة **فصل** والمراد بالجزاء الاوفى الاكمل
والاتم اي يجزي الانسان سعيه يقال جزيت فلانا سعيه وبسعيه قال الشاعر • ان اجز علقمة بن سعد سعيه
لم اجزه ببلاء يوم واحد • فجمع بين اللغتين قال ابن الخطيب والجزاء الاوفى يليق بالمؤمنين الصالحين لان جزاء
الطالح وافر قال تعالى فان جهنم جزاؤكم جزاء موفورا وذلك ان جهنم ضررها اكثر من نفع الاثام فهي في نفسها اوفى فان
قيل ثم لتراخي الجزاء او لتراخي الكلام ثم تقول يجزاه فان كان لتراخي الجزاء فكيف يؤخر الجزاء عن العمل الصالح وقد قلت ان
الظاهر ان المراد منه الصالحون نقول الوجهان محتملان وجواب السؤال ان الوصف بالاوفى يدفع ما ذكرت
لان الله تعالى من اول زمان يموت الصالح يجزيه خيرا ويؤخر له الجزاء الاوفى وهي الجنة او نقول الاوفى اشارة الى الزيادة
فصار كقوله تعالى للذين احسنوا الحسنى وهي الجنة وزيادة وهي الرؤية فكانه تعالى قال وان سعيه سوف يرى
ثم يرزق الرؤية وهذا الوجه يليق بتفسير اللفظ فان الاوفى مطلق غير مبين فلم يقل اوفى من كذا فينبغي ان يكون اوفى
من كل واف ولا يتصف به غير رؤية الله تعالى **فصل** قال في حق المسيء لا تزر وازرة وزر اخرى وهو لا يدل
الا على عدم الحمل عن الوازرة ولا يلزم من ذلك بقاء الوزر عليها من ضرورة اللفظ لجواز ان يسقط عنها ويمحو الله ذلك
الوزر فلا يبقى عليها ولا يحمل غيرها ولو قال لا تزر وازرة الا وزر نفسها كان من ضرورة الاستثناء انها تزر وقال
في حق المحسن ليس للانسان الا ما سعى ولم يقل ليس له ما لم يسع لان العبارة الثانية ليس فيها ان له ما سعى وفي العبارة
الاولى ان له ما سعى نظرا الى الاستثناء فقال في حق المسيء بعبارة لا يقطع رجاؤه وفي حق المحسن بعبارة يقطع
خوفه وكل ذلك اشارة الى سبق الرحمة للغضب **قوله تعالى** وان الى ربك المنتهى العامة على فتح همزة ان وما عطف
عليها بمعنى ان الجميع في صحف موسى وابرهيم وقرا ابو السمال بالكسر في الجميع على الابتداء ومعنى الاية ان منتهى الخلق
ومصيرهم اليه فيجازيهم باعمالهم وقيل منه ابتداء المنة واليه انتهاء الامال وروى ابو هريرة مرفوعا تفكروا في الخلق
ولا تفكروا في الخالق فان الله لا تحيط به الفكر قال القرطبي ومن هذا المعنى قوله عليه السلام ياتي الشيطان احدكم
فيقول من خلق كذا من خلق كذا حتى يقول له من خلق ربك فاذا بلغ ذلك فليستعذ بالله ولينته ولقد احسن من قال

ولا تفكروا في ذات العلي عز وجهه فانك تردى ان فعلت وتخل ودونك مصنوعاته فاعتبر بها وقل مثل ما قال
الخليل المبجل وقيل المراد من الآية التوحيد وفي المخاطب وجهان احدهما انه عام تقديره الى ربك ايها السامع او العاقل
والثاني انه خطاب مع النبي عليه السلام فعلى الاول يكون تهديدا وعلى الثاني يكون تسلية لقلب النبي عليه السلام فعلى
الاول يكون اللام في المنتهى للعهد الموعود في القرآن وعلى الثاني يكون للعموم اي الى ربك كل منتهى فان قيل فعلى هذا
الوجه يكون منتهى وعلى الاول يكون مبدأ فالجواب منتهى الادراكات والمدركات فان الانسان اولا يدرك الاشياء الظاهرة
ثم يمعن النظر فينتهي الى الله فيقف عنده قوله تعالى وانه هو اضحك وابكى وما بعده هذا يسميه البيانيون الطباق
والتضاد وهو نوع من البديع وهو ان يذكر ضدان او نقيضان او متنافيان بوجه من الوجوه واضحك وابكى لا مفعول
لهما في هذا الموضع لانها مسوقة لقدرة الله تعالى لا لبيان المقدور فلا حاجة الى المفعول كقول القائل فلان
بيده الاخذ والعطا يعطي ويمنع ولا يريد ممنوعا ومعطى فصل اختار هذين الوصفين المذكورين لانهما
امران لا يعللان فلا يقدر احد من الاطبا يعين بسبب لاختصاص الانسان بالضحك والبكا وجها وسببا واذا
لم يعلل بامر فلا بد له من موجد فهو الله بخلاف الصحة والسقم فانهم يقولون سببهما اعتدال المزاج وخروجه
عن الاعتدال ومما يدل على ما ذكرنا انهم اذا عللوا الضحك قالوا القوة التعجب وهو باطل لان الانسان قد يبكي لقوة
الفرح كما قال بعضهم • هجم السرور علي حتى انني • من عظم ما قد سرني ابكاني • وايضا فالذي يحزن غاية الحزن
قد يضحك وقد يخرج الدمع من العين عند امور مخصوصة لا يقدرون على تعليلها بتعليل صحيح وايضا عند الخواص
كالتي في المغناطيس وغيره ينقطع الطبيعي كما ينقطع هو والمهندس الذي لا يفوض امره الى قدرة الله تعالى وارادته عند
اوضاع الكواكب فصل اذا قيل بان المراد بقوله تعالى الى ربك المنتهى اثبات الوحدانية فهذه الآيات
مبينات لمسائل يتوقف عليها الاسلام من جملتها قدرة الله تعالى فان من الفلاسفة من يقول بان الله المنتهى وانه
واحد لكن يقول بانه موجب لا قادر فقال تعالى هو اوجد ضدين الضحك والبكا في محل واحد على التعاقب
والتراخي والموت والحيوة والذكورة والانوثة في مادة واحدة وذلك لا يكون الا من قادر يعترف به كل عاقل
وان قيل بان المراد بالمنتهى بيان المعاد فهو اشارة الى ان الانسان كما كان في الدنيا في بعض الامور ضاحكا
وفي بعضها باكيا محزونا كذلك في الآخرة فصل هذه الآية تدل على ان كل ما يعمله الانسان فبقضاء
الله وخلقه حتى الضحك والبكاء قال مجاهد والكلبي اضحك اهل الجنة في الجنة وابكى اهل النار في النار وقال
الضحاك اضحك الارض بالنبات وابكى السماء بالمطر وقال عطاء بن ابي مسلم يعني افرح واحزن لان الفرح يجلب
الضحك والحزن يجلب البكاء فصل روى مسلم عن عائشة قالت لا والله ما قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم قط ان الميت ليعذب ببكاء احد ولكنه قال ان الكافر يزيده الله ببكاء اهله عذابا وان الله لهو اضحك
وابكى وما تزر وازرة وزر اخرى وعنها قالت مر النبي عليه السلام على قوم من اصحابه وهم يضحكون فقال لو تعلمون
ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا فنزل عليه جبريل عليه السلام فقال يا محمد ان الله يقول لك وانه هو
اضحك وابكى فرجع اليهم فقال ما خطوت اربعين خطوة حتى اتاني جبريل فقال ائت هؤلاء فقل لهم ان الله يقول
هو اضحك وابكى اي قضى اسباب الضحك والبكا وقال بسام بن عبد الله اضحك اسنانهم وابكى قلوبهم وانشد •
السن تضحك والاحشا تحترق • وانما ضحكها زور ومختلق • يا رب باك بعين لا دموع لها • ورب ضاحك
سن ما به رمق • قيل ان الله تعالى خص الانسان بالضحك والبكا من بين ساير الحيوان وقيل ان القرد وحده
يضحك ولا يبكي وان الابل وحدها تبكي ولا تضحك وقال يوسف بن الحسين سئل طاهر المقدسي اتضحك الملائكة
فقال ما ضحكوا ولا كل من دون العرش منذ خلقت جهنم قوله تعالى وانه هو امات واحيى اي امات في الدنيا
واحيا للبعث وقال القرطبي قضى اسباب الموت والحيوة وقيل خلق الموت والحيوة قاله ابن بحر وقيل امات
النطفة واحيى النسمة وقيل امات الآباء واحيى الابناء وقيل امات الكافر بالكفر واحيا المؤمن بالايمان قال
ابن الخطيب فان قيل متى امات واحيى حتى نعلم ذلك بل المشاهد الاحيا والاماتة بناء على الحيوة والموت
نقول فيه وجوه احدها انه على التقديم والتأخير كانه قال احيا وامات ثانيها هو بمعنى المستقبل فان الامر
قريب المستقبل يقال كان فلان وصل والليل دخل اذا قرب مكانه وزمانه فكذلك الاحيا والاماتة ثالثها
انه خلق الموت والجمود في العناصر ثم ركبها واحيا اي خلق الحس والحركة فيها قوله تعالى وانه خلق الزوجين الذكر
والانثى اي من كل حيوان او لم يرد آدم وحوى لانهما ما خلقا من نطفة وهذا ايضا من جملة المتضادات الواردة
على النطفة فبعضها يخلق انثى ولا يصل اليه فهم الطبيعي والذي يقولونه من البرد والرطوبة في الانثى فرب امرأة

احر وايبس مزاجا من الرجل فان قيل ما الحكمة في قوله تعالى وانه خلق ولم يقل وانه هو خلق كما قال وانه هو اضحك
وابكى فالجواب ان الضحك والبكا ربما يتوهم انه بفعل الانسان والاماتة والاحيا وان كان ذلك لا يتوهم بعد
لكن ربما يقول به جاهل كما قال من حاج ابرهيم عليه السلام انا احيي واميت فاكد ذلك بالفصل واما خلق الذكر
والانثى من النطفة فلا يتوهم احد انه بفعل احد من الناس فلم يؤكد بالفصل الا ترى الى قوله وانه هو اغنى واقنى
حيث كان الاغنا عندهم غير مستند الى الله وكان في معتقدهم ان ذلك بفعلهم كما قال قارون انما اوتيته على علم
عندي وكذلك قال هو رب الشعرى فاكد في مواضع استبعادهم الى الاسناد ولم يؤكد في غيره واختلفوا في الذكر والانثى
هل هما اسمان هما صفة او اسمان ليسا بصفة فالمشهور عند اهل اللغة انهما اسمان ليسا بصفة قال ابن الخطيب
والظاهر انهما من الاسماء التي هي صفات فالذكر كالحسن والانثى كالحبلى قوله تعالى من نطفة اذا تمنى اي تصب
في الرحم يقال منى الرجل وامنى قاله الضحاك وعطاء بن ابي رباح وقيل تقدر يقال منيت الشيء اذا قدرته وهذا
ايضا تنبيه على كمال القدرة لان النطفة جسم متناسب الاجزاء ويخلق الله منها اعضاء مختلفة وطباعا متباينة
وخلق الذكر والانثى منها اعجب ما يكون ولهذا لم يقدر احد على ان يدعيه كما لم يقدر على ان يدعي خلق السموات ولهذا
قال تعالى ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله كما قال تعالى ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله
قوله تعالى وان عليه النشأة الاخرى اي الخلق الثاني للبعث يوم القيمة قال ابن الخطيب ويحتمل ان يكون المراد
من قوله وان عليه النشأة الاخرى هو نفخ الروح الانسانية فيه كما قال تعالى ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ثم
خلقنا النطفة علقة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم انشأناه خلقا آخر اي غير خلق النطفة علقة
والعلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما وبهذا الخلق الآخر وهو نفخ الروح يميز الانسان عن انواع الحيوان فكما
قال هناك انشأناه خلقا آخر بعد خلق النطفة قال ههنا وان عليه النشأة الاخرى فجعل خلق الروح نشأة اخرى
كما جعل هناك انشاء آخر فان قيل الاعادة لا تجب على الله فما معنى قوله تعالى وان عليه فالجواب على مذهب المعتزلة
عليه عقلا فان الجزاء واجب وذلك لا يتم الا بالحشر فتجب الاعادة عليه عقلا واما على مذهب اهل السنة ففيه
وجهان الاول عليه بحكم الوعد لا بالعقل فانه قال انا نحيي الموتى فعليه بحكم الوعد لا بالعقل ولا بالشرع الثاني
عليه بحكم التعيين فان من حضر بين جمع وحاولوا امرا وعجزوا عنه يقال له وجب عليك اذن ان تفعله اي
تعين له فصل قرئ النشأة على انه مصدر كالضربة على وزن فعلة وهي للمرة يقال ضربة وضربتان
يعني النشأة مرة اخرى وقرئ النشاءة بالمد على انه مصدر على وزن فعالة كالكفالة وكيف ما قرئ فهي من انشأه
وهو لازم قوله تعالى وانه هو اغنى واقنى قال ابو صالح اغنى الناس بالاموال واقنى اعطى القنية واصول
الاموال وما يدخرونه بعد الكفاية وقال الضحاك اغنى بالذهب والفضة وصنوف الاموال واقنى بالابل
والبقر والغنم وقال الحسن وقتادة اخدم وقال ابن عباس اغنى واقنى اعطى فارضى وقال مجاهد ومقاتل اقنى ارضى بما
اعطى وقنع قال الراغب وتحقيقه انه جعل له قنية من الرضى وقال سليمان التيمي اغنى نفسه وافقر خلقه اليه وقال
ابن زيد اغنى اكثر واقنى اقل وقرأ ويبسط الرزق لمن يشاء ويقدر وقال الاخفش اقنى افقر وقال ابن كيسان اولد قال
الزمخشري اقنى اعطى القنية وهي المال الذي تأثلته وعزمت ان لا يخرج من يدك قال الجوهري قنى الرجل يقنى
قنى مثل غني يغنى غنى ثم يتعدى بتغيير الحركة فيقال قنيت مالا اي كسبته وهو نظير شترت عينه بالكسر وشترها
الله بالفتح فاذا ادخلت عليه الهمزة او التضعيف اكتسب مفعولا ثانيا فيقال اقناه الله مالا وقناه اياه اي اكسبه اياه
قال الشاعر • كم غني اصاب الدهر ثروته • ومن فقير تقنى بعد اقلال • اي تقنى مالا فحذف الثاني وحذف
مفعولا اغنى واقنى لان المراد نسبة هذين الفعلين اليه وحده وكذلك في باقيها والف اقنى من ياء لانه من القنية
قال • الا ان بعد العدم للمرء قنية • ويقال قنيت كذا واقتنيته قال • قنيت حياي عفة وتكرما • قوله تعالى
وانه هو رب الشعرى والشعرى في لسان العرب كوكبان يسمى احدهما الشعرى العبور وهو المراد في الآية الكريمة
فان خزاعة كانت تعبدها وسن عبادتها ابو كبشة رجل من ساداتهم فعبدها وقال لان النجوم تقطع السماء
عرضا والشعرى تقطعها طولا فهي مخالفة لها فعبدتها خزاعة وحمير وابو كبشة احد اجداد النبي عليه السلام من
قبل امهاته وبذلك كان مشركو قريش يسمون النبي عليه السلام ابن ابي كبشة حين دعا الى الله وخالف اديانهم
فكانت قريش تقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم ابن ابي كبشة تشبيها بذلك الرجل في انه احدث دينا غير دينهم
والشعرى العبور تطلع بعد الجوزاء في شدة الحر ويقال لها مرزم الجوزاء وتسمى كلب الجبار وتسمى الشعرى اليمانية
والثاني الشعرى الغميصا وهي التي في الذراع والمجرة بينهما وتسمى الشامية وسبب تسميتها بالغميصا على ما زعمته

العرب في بعض خرافاتها انهما كانا اختين او رحبين لسهيل فانحدر سهيل الى اليمن فاتبعته الشعرى العبور
فعبرت المجرة فسميت العبور واقامت الغميصاء تبكي لفقده حتى غمصت عينها ولذلك كانت اخفى من العبور وقد كان
من لا يعبد الشعرى من العرب يعظمها ويعتقد تاثيرها في العالم قال معنى لطول وارتفع الحرور واجهة نارها الشعرى العبور

فصل وفي هذه الاية اشارة الى فساد قول قوم اخرين لان بعض الناس يذهب الى ان الفقر والغنى بكسب الانسان
واجتهاده فمن كسب استغنى ومن كسل افتقر وبعضهم يذهب الى ان ذلك بسبب المطالع وذلك بها النجوم فقال هو
اغنى واقنى وان قال قائل ان الغنى بالنجوم فيقال هو رب النجوم ومحركها كقوله تعالى هو رب الشعرى لانكارهم
ذلك اكد بالفصل **قوله تعالى** وانه اهلك عادا الاولى اعلم ان هذه الاية الكريمة من اشكل الايات نقلا وتوجيها
قال شيخنا بل الدين وقد يسر الله تعالى ذلك بحوله وقوته فاقول ان القراء اختلفوا في ذلك على اربع رتب احدها قرا ابن
كثير وابن عامر والكوفيون عادا الاولى بالتنوين مكسورا وسكون اللام وتحقيق الهمزة بعدها هذا كله في الوصل
فاذا وقفوا على عاد وابتدءوا بالاولى فقياسهم ان يقولوا الاولى بهمزة الوصل وسكون اللام وتحقيق الهمزة الثانية
قرا قالون عادا لولى بادغام التنوين في اللام ونقل حركة الهمزة الى لام التعريف وهمز الواو وهذا في الوصل واما
في الابتداء بالاولى فله ثلاثة اوجه الاول الولى بهمزة وصل ثم بلام مضمومة ثم بهمزة ساكنة الثاني لؤلى بلام مضمومة
ثم بهمزة ساكنة الثالث كابتداء ابن كثير ومن معه الثالثة قرا ورش عادا لولى بادغام التنوين في اللام ونقل حركة الهمزة
اليها كقالون الا انه ابقى الواو على حالها غير مبدلة همزة هذا في الوصل واما في الابتداء بها فله وجهان الولى بالهمز
والنقل ولولى بالنقل دون همزة وصل والواو ساكنة على حالها في هذين الوجهين الرابعة قرا ابو عمرو كورش
وصلا وابتداء سواء الا انه يزيد عليه في الابتداء بوجه ثالث وهو وجه ابن كثير ومن معه فقد تحصل ان لكل
من قالون وابي عمرو في الابتداء ثلاثة اوجه وان لورش وجهين فتامل ذلك فان تحريره صعب المأخذ من كتب
القراءات واما توجيهها فيتوقف على معرفة ثلاثة اصول الاول حكم التنوين اذا وقع بعده ساكن الثاني حكم حركة
النقل الثالث اصل اولى ما هو اما الاول فحكم التنوين الملاقي ان يكسر لالتقاء الساكنين نحو قل هو الله احد الله
او يحذف تشبيها بحرف لعلة كقراءة احد الله الصمد وكقوله ولا ذاكر الله الا قليلا وهو قليل جدا وقد مضى تحقيقه
واما الثاني فان للعرب في الحركة المنقولة مذهبين الاعتداد بالحركة وعدم الاعتداد بها وهي اللغة الغالبة واما
الثالث فاولى تانيث اول وقد تقدم الخلاف في اصله في اول الكتاب فليلتفت اليه اذا تقررت هذه الاصول الثلاثة
فاقول اما قراءة ابن كثير ومن معه فانهم صرفوا عادا اما لانه اسم للحي او الاب فليس فيه ما يمنعه واما لانه وان
كان مؤنثا اسما للقبيلة او الام الا انه مثل هند ودعد فيجوز فيه الصرف وعدمه فيكون كقوله اي الشاعر
لم تتلفع بفضل مئزرها دعد ● ولم تسق دعد في العلب ● فصرفها اولا ومنعها ثانيا ولم ينقلوا حركة الهمزة
الى لام التعريف فالتقى ساكنان فكسروا التنوين لالتقائهما على ما هو المعروف من اللغتين وحذفوا همزة الوصل
من الاولى للاستغناء عنها بحركة التنوين وصلا فاذا ابتدءوا بها احتاجوا الى همزة الوصل فاتوا بها فقالوا الاولى
كنظيرها من همزات الوصل وهذه قراءة واضحة لا اشكال فيها ومن ثم اختارها الجم الغفير واما قراءة
من ادغم التنوين في لام التعريف وهما نافع وابو عمرو مع اختلافهما في اشياء كما تقدم فوجهه الاعتداد
بحركة النقل وذلك ان من العرب من اذا نقل حركة الهمزة الى ساكن قبلها كلام التعريف عاملها معاملتها ساكنة
ولا يعتد بحركة النقل فيكسر الساكن الواقع قبلها ولا يدغم فيها التنوين ويأتي قبلها بهمزة الوصل فيقول
لم يذهب لحمر ورايت زيدا لعجم من غير ادغام التنوين والحمر والعجم بهمزة الوصل لان اللام في حكم السكون وهذه
هي اللغة المشهورة ومنهم من يعتد بها فلا يكسر الساكن الاول ولا ياتي بهمزة الوصل ويدغم التنوين في لام
التعريف فيقول لم يذهب لحمر بسكون الباء ولحمر ولعجم من غير همز وزيدا لعجم بتشديد اللام وعلى هذه اللغة جاءت
هذه القراءة من حيث الاجمال واما من حيث التفصيل فاقول اما قالون فانه نقل حركة الهمزة الى لام التعريف
وان لم يكن من اصله النقل لاجل قصده التخفيف بالادغام ولما نقل الحركة اعتد بها اذ لا يمكن الادغام في ساكن
ولا فيما هو في حكمه واما همزة الواو ففيه وجهان منقولان احدهما ان تكون اولى اصلها عنده وولى من
وأل اي نجا كما هو قول الكوفيين ثم ابدل الواو الاولى همزة لانها واو مضمومة وقد تقدم انها لغة مطردة
فاجتمع همزتان ثانيتهما ساكنة فوجب قلبها واوا نحو اومن فلما حذفت الهمزة الاولى بسبب نقل حركتها رجعت
الثانية الى اصلها من الهمز لانها انما قلبت واوا من اجل الاولى وقد زالت وهذا تكلف لا دليل عليه والثاني انه لما
نقل الحركة الى اللام صارت الضمة قبل الواو كانها عليها لان حركة الحرف بين يديه فابدل الواو همزة كقوله احب

الموفدين الى موسى وكقراءة يوقنون وهمز السوق وسوقه كما تقدم تحريره وهذا بناء منه على الاعتداد بالحركة
ايضا وليس في هذا الوجه دليل على اصل اولى عنده ما هو فيحتمل الخلاف المذكور جميعه واما ابتداؤه الكلمة من غير
نقل فانه الاصل ولانه انما نقل في الوصل لقصده التخفيف بالادغام ولا ادغام في الابتداء فلا حاجة الى النقل
واما الابتداء له بالنقل فلانه يحمول على الوصل ليجري اللفظ فيهما على سنن واحد وعلة اثبات الف الوصل مع النقل
في احد الوجهين ترك الاعتداد بحركة اللام على ما عليه القراءة في نظائره مما وجد فيه النقل اذ الغرض انما هو جري
اللفظ في الابتداء والوصل على سنن واحد وذلك يحصل بمجرد النقل وان اختلفا في تقدير الاعتداد بالحركة
وتركه وعلة ترك الاتيان بالالف في الوجه الثاني حمل الابتداء على الوصل في النقل والاعتداد بالحركة جميعا ويقوي
هذا الوجه رسم الاولى في هذا الموضع بغير الف والكلام في همز الواو مع النقل في الابتداء كالكلام عليه في الوصل
كما تقدم واما ورش فان اصله ان ينقل حركة الهمزة على اللام في الوصل فنقل على اصله الا انه اعتد بالحركة
ليصح ما قصده من التخفيف بالادغام وليس من اصله الاعتداد بالحركة في نحو ذلك الا ترى انه يحذف الالف في
سيرتها الاولى ونحوها الاشقى ولو اعتد بالحركة لم يحذفها واما ما جاء عنه في بعض الروايات فالولان
جئت فانه وجه نادر معلل باتباع الاثر والجمع بين اللغتين والابتداء له بالنقل على اصله في ذلك ايضا
والابتداء له بالف الوصل على ترك الاعتداد بالحركة اذ لا حاجة الى قصده لك في الابتداء وترك الاتيان له
بالالف على الاعتداد له بالحركة حملا للابتداء على الوصل وموافقة الرسم ايضا ولا يبتدأ له بالاصل اذ ليس
من اصله ذلك والاولى في قراءته يحتمل الخلاف المذكور في اصلها واما ابو عمرو فالعلة له في قراءته الوصل والابتداء
كالعلة المتقدمة لقالون الا انه يخالفه في همز الواو لانه لم يعطها حكم ما جاورها وليست عنده من وال بل من غير
هذا الوجه كما تقدم الخلاف في اول هذا الكتاب ويجوز ان يكون اصلها عنده من وال ايضا الا انه ابدل في حال
النقل مبالغة في التخفيف وموافقة لحال ترك النقل وقد عاب هذه القراءة اعني قراءة الادغام ابو عثمان وابو العباس
ذهابا منهما الى ان اللغة الفصيحة عدم الاعتداد بالعارض ولكن لا التفات الى ردهما لثبوت ذلك لغة وقراءة
وان كان غيرها افصح منها وقد نقل عن العرب انهم يقولون لحمر والحمر بهمزة الوصل وعدمها مع النقل والله اعلم وقرا
ابي وهي في حرفه عادا الاولى غير مصروف ذهابا به الى القبيلة او الام كما تقدم ففيه العلمية والتانيث ويدل
على التانيث قوله الاولى فوصفها بوصف المؤنث **فصل** عادا الاولى هم قوم هود اهلكوا بريح صرصر
وكان لهم عقب فكانوا عادا الاخرى قال القرطبي سماها الاولى لانهم كانوا قبل ثمود وقيل ان ثمود من قبل عاد
وقال ابن زيد قيل لها عاد الاولى لانها اول امة اهلكت بعد نوح وقال ابن اسحق هما عادان فالاولى اهلكت
بالريح الصرصر ثم كانت الاخرى فاهلكت بصيحة وقيل عاد الاولى هي عاد بن ارم بن عوص بن سام بن نوح وعاد
الثانية من ولد عاد الاولى والمعنى متقارب وقيل ان عادا الاخرى هم الجبارون وهم قوم هود **قوله تعالى**
وثمود فما ابقى قد تقدم الخلاف في ثمود بالنسبة للصرف وعدمه في سورة هود وفي انتصابه هنا وجهان
احدهما انه معطوف على عادا والثاني انه منصوب بالفعل المقدر اي واهلك قاله ابو البقاء وبه بدا ولا يجوز
ان ينتصب بابقى لان ما بعد ما النافية لا يعمل فيما قبلها والظاهر ان متعلق ابقى عائد على من تقدم من عاد
وثمود اي فما ابقى عليهم اي على عاد وثمود ويكون التقدير فما ابقى منهم احدا ولا عينا تطرف ويؤيد هذا قوله
تعالى فهل ترى لهم من باقية **قوله تعالى** وقوم نوح من قبل كالذي قبله ومن قبل اي من قبل عاد وثمود وقوله انهم يحتمل
ان يكون الضمير لقوم نوح خاصة وان يكون لجميع من تقدم من الامم الثلاثة وقوله كانوا هم يجوز في هم
ان يكون تاكيدا وان يكون فصلا ويضعف ان يكون بدلا والمفضل عليه محذوف تقديره من عاد وثمود على
قولنا ان الضمير لقوم نوح خاصة وعلى القول بان الضمير للكل يكون التقدير من غيرهم من مشركي العرب وان قلنا
ان الضمير لقوم نوح خاصة فالمعنى اهلك قوم نوح من قبل عاد وثمود انهم كانوا هم اظلم واطغى لطول دعوة
نوح اياهم وعتوهم على الله بالمعصية والتكذيب وهم البادئون بالظلم والمتقدمون فيه ومن سن سنة
سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها والبادي اظلم واما اطغى فلانهم سمعوا المواعظ وطال عليهم الامد ولم
يرتدعوا حتى دعا عليهم نبيهم ولا يدعو نبي على قومه الا بعد الاصرار العظيم والظالم واضع الشيء في غير موضعه
والطاغي المجاوز للحد فان قيل المراد من الاية تخويف الظالم بالهلاك فاذا قيل انهم كانوا في غاية الظلم والطغيان
فاهلكوا يقول الظالم هم كانوا اظلم فاهلكوا لمبالغتهم في الظلم ونحن ما بالغنا فلا نهلك فلو قال اهلكوا لظلمهم
لخاف كل ظالم فما الفائدة في قوله اظلم فالجواب ان المقصود بيان شدتهم وقوة اجسامهم بانهم لم يفيدوا مواعظ

الظلم والطغيان اشد بيانا لانما دهيم وطول اعمارهم ومع ذلك ما نجا منهم احد فما حال من هو دونهم
في العمر روي ان الرجل منهم كان ياخذ بيد ابنه فينطلق به الى نوح عليه السلام فيقول احذر هذا فانه كذاب وان ابي
قد مشى بي الى هذا وقال لي ما قلت لك فيموت الكبير على الكفر وينشا الصغير على وصية ابيه قوله تعالى والمؤتفكة
منصوب باهوى وقدم لاجل الفواصل والمراد بالمؤتفكة قرى قوم لوط اهوى اسقط اي اهواها جبريل بعد ما
رفعها الى السماء قوله تعالى فغشاها اي البسها الله ما غشى يعني الحجارة المصورة المسومة وقوله ما غشى كقوله
ما اوحى في الابهام وهو المفعول الثاني ان قلنا ان التضعيف للتعدية وان قلنا انه للمبالغة والتكثير فتكون
ما فاعلة كقوله فغشيهم من اليم ما غشيهم والمؤتفكة المنقلبة وقرئ والمؤتفكات فان قيل اذا كان معنى
المؤتفكة المنقلبة ومعنى اهوى قلبها فيكون المعنى والمنقلبة قلبها وقلب المنقلبة تحصيل الحاصل فالجواب
ان معناه المنقلبة ما انقلبت بنفسها بل الله قلبها فانقلبت قوله تعالى فباي متعلق بتتمارى والبا فيه
ظرفية بمعنى في والالاء النعم واحدها الى والي والى والمعنى فباي نعم ربك تشك وقرا ابن محيصن
ويعقوب تمارى بالحذف كقوله تذكرون فصل قيل هذا ايضا مما في الصحف وقيل هو ابتداء
كلام والخطاب عام والمعنى فباي الاء اي نعم ربك ايها الانسان تتمارى تشك او تجادل وقال ابن عباس
تكذب وقيل هذا خطاب مع الكافر قال ابن الخطيب ويحتمل ان يقال خطاب مع النبي عليه السلام ولا يقال كيف
يجوز ان يقول للنبي عليه السلام تتمارى لانا نقول هو من باب لئن اشركت ليحبطن عملك يعني لم يبق فيه امكان
الشك حتى ان فارضا لو فرض النبي عليه السلام ممن يشك او يجادل في بعض الامور الخفية لما كان يمكنه المرا
في نعم الله والصحيح العموم كقوله تعالى يا ايها الانسان ما غرك بربك الكريم وقوله وكان الانسان اكثر شي
جدلا قوله تعالى هذا نذير اشارة الى ما تقدم من الاي واخبار المهلكين وقيل الى القران قال ابن الخطيب وهذا
بعيد لفظا ومعنى اما معنى فلان القران ليس من جنس الصحف الاولى لانه معجز وتلك لم تكن معجزة واما لفظا
فلان النذير ان كان كاملا فما ذكر من حكاية المهلكين اولى لانه اقرب ويكون هذا مبنيا على حقيقة التبعيض اي
هذا الذي ذكرناه بعض ما جرى او يكون لابتداء الغاية اي هذا انذار من المنذرين المتقدمين يقال هذا الكتاب
وهذا الكلام من فلان وقيل اشارة الى الرسول عليه السلام اي هذا النذير من جنس النذر الاولى اي رسول من
الرسل اليكم كما ارسلوا الى اقوامهم وقوله نذير يجوز ان يكون مصدرا وان يكون اسم فاعل وكلاهما لا ينقاس
بل القياس في مصدره انذار وفي اسم فاعله منذر والنذر يجوز ان يكون مصدرا وان يكون جمعا للنذير
وكلاهما لا ينقاس • بمعنييه المذكورين والاولى صفة حملا على معنى الجماعة كقوله ما رب اخرى قوله تعالى
ازفت الازفة دنت القيمة واقتربت والتقدير الساعة الازفة كقوله اقتربت الساعة ويجوز ان تكون الازفة
علما للقيمة بالغلبة قال ابن الخطيب قوله ازفت الازفة كقوله تعالى وقعت الواقعة ويقال كانت الكائنة وهذا
الاستعمال يقع على وجهين الاول اذا كان الفاعل صار فاعلا لمثل ذلك الفعل من قبل ثم فعله مرة اخرى
يقال فعل الفاعل كقولهم حاك الحائك اي من شغله ذلك من قبل فعله الثاني ان يصير الفاعل فاعلا بذلك
الفعل يقال اذا مات الميت انقطع عمله واذا غصب المال غاصب ضمنها فقوله ازفت الازفة يحتمل ان يكون
من الاول اي قربت الساعة التي كل يوم تزداد قربا فهي كائنة قريبة وزادت في القرب ويحتمل ان يكون من
الثاني كقوله وقعت الواقعة اي قرب وقوعها وفاعل ازفت في الحقيقة القيمة او الساعة فكانه قال ازفت
القيمة الازفة او الساعة الازفة قال ابو زيد قلت لاعرابي ما المحبنطي قال المتكاكي قلت ما المتكاكي قال
المتآزف قلت ما المتآزف قال انت احمق وتركني ومر قوله تعالى ليس لها من دون الله كاشفة يجوز ان يكون
كاشفة وصفا وان تكون مصدرا فان كانت وصفا احتمل ان يكون التانيث لاجل انه صفة لمؤنث محذوف فقيل
تقديره نفس كاشفة او حال كاشفة فان قيل اذا قدرتها نفس كاشفة وقوله من دون الله استثناء على المشهور
فيكون الله نفسا كاشفة فالجواب من وجوه الاول لا فساد في ذلك لقوله تعالى حكاية عن عيسى عليه السلام ولا
اعلم ما في نفسك الثاني ليس صريحا في الاستثناء فيجوز ان لا يكون نفسا الثالث الاستثناء الكاشف المبالغ
ويحتمل ان تكون التاء للمبالغة كرواية وعلامة ونسابة اي ليس لها انسان كاشفة اي كثير الكشف وان كانت
مصدرا فهو كالخائنة والعافية والعاقبة والمعنى ليس لها من دون الله كشف اي لا يكشف عنها ولا يظهرها غيره
فيكون من كشف الشي اي عرف حقيقته كقوله لا يجليها لوقتها الا هو واما من كشف الضر اي ازاله والمعنى ليس لها
من يزيلها ويردها اذا غشيت الخلق اهوالها وشدائدها لم يكشفها احد عنهم غيره وهذا قول عطا وقتادة والضحاك

وتقدم الكلام على مادة ازف في غافر ومن زائدة تقديره ليس لها غير الله كاشفة وهي تدخل على النفي
فتؤكد معناه تقول ما جاءني احد وما جاءني من احد وعلى هذا يحتمل ان يكون فيه تقديم وتاخير اي ليس من
كاشفة دون الله فيكون نفيا عاما بالنسبة الى الكواشف ويحتمل ان تكون غير زائدة والمعنى ليس في الوجود نفس
تكشفها اي تخبر عنها كما هي من غير الله يعني من يكشفها فانما يكشفها من الله لا من غير الله كقولك كشفت الامر من زيد
ودون تكون بمعنى غير كقوله تعالى ائفكا آلهة دون الله تريدون اي غير الله قوله تعالى افمن هذا الحديث متعلق
بتعجبون ولا يجي فيه الاعمال لان من شرط الاعمال تاخر المعمول عن العوامل وهنا هو متقدم وفيه خلاف بعيد
وعليه تتخرج الاية الكريمة فان كلا من قوله تعجبون وتضحكون ولا تبكون يطلب هذا الجار من حيث المعنى والعا
على فتح التاء والجيم والحاء من تعجبون تضحكون والحسن بضم التاء وكسر الجيم والحاء من غير واو عاطفة بين
الفعلين وهي ابلغ من حيث انهم اذا اضحكوا غيرهم كان تجرؤهم اكثر وقرا ابي وعبد الله كالجماعة الا انهما بلا واو
عاطفة كالحسن فيحتمل ان تكون تضحكون حالا وان يكون استينافا كالتي قبلها فصل قال المفسرون
المراد بالحديث القران قال ابن الخطيب ويحتمل ان يكون اشارة الى حديث ازفت الازفة فانهم كانوا يتعجبون من حشر
الاجساد والعظام البالية وقوله وتضحكون اي استهزاء من هذا الحديث كقوله تعالى في حق موسى عليه السلام فلما
جاءهم باياتنا اذا هم منها يضحكون ويحتمل ان يكون انكارا على مطلق الضحك مع سماع حديث القيمة اي اتضحكون
وقد سمعتم ان القيمة قريبة فكان حقا ان لا تضحكوا حينئذ وقوله ولا تبكون مما تسمعون من الوعيد روي ان النبي
عليه السلام ما روي بعد هذه الاية ضاحكا الا تبسما وقال ابو هريرة لما نزل قوله افمن هذا الحديث تعجبون
الاية قال اهل الصفة انا لله وانا اليه راجعون ثم بكوا حتى جرت دموعهم على خدودهم فلما سمع رسول الله صلى
الله عليه وسلم بكاءهم بكى معهم فبكينا لبكائه فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا يلج النار من بكى من خشية الله
ولا يدخل الجنة مصر على معصية الله ولو لم تذنبوا لذهب الله بكم واتى بقوم يذنبون فيغفر لهم ويرحمهم
انه هو الغفور الرحيم قوله تعالى وانتم سامدون اي غافلون لاهون وهذه الجملة يحتمل ان تكون مستانفة
اخبر الله عنهم بذلك ويحتمل ان يكون حالا اي انتفى عنكم البكاء في حال كونكم سامدين والسمود قيل الاعراض والغفلة
عن الشي وقيل اللهو يقال دع عنا سمودك اي لهوك رواه الوالبي والعوفي عن ابن عباس وقال الشاعر •
الا ايها الانسان انك سامد • كانك لا تفنى ولا انت هالك • فهذا بمعنى لاه ولاعب وقيل الجمود وقيل الاستكبار
قال الشاعر • رمى الحدثان نسوة آل سعد • بمقدار سمدن له سمودا • فرد شعورهن السود بيضا • ورد
وجوههن البيض سودا • فهذا بمعنى الجمود والخشوع وقال عكرمة وابو عبيدة السمود الغنا بلغة حمير
يقولون يا جارية اسمدي لنا اي غني فكانوا اذا سمعوا القران تغنوا ولعبوا وقال الضحاك اشرون وقال
مجاهد غضاب يتبرطمون وقال الراغب السامد اللاهي الرافع راسه من قولهم بعير سامد في سيره وقيل سمد
راسه وسبده اي استاصل شعره وذكر باسم الفاعل لان الغفلة دائمة واما الضحك والعجب فهما امران يتجددان
ويتعدمان وقال الحسن سامدون اي واقفون للصلوة قبل وقوف الامام لما روي عن النبي صلى الله عليه
وسلم انه خرج والناس ينتظرونه قياما فقال ما لي اراكم سامدين حكاه الماوردي وروى المهدوي عن علي
انه خرج الى الصلوة فراى الناس قياما فقال ما لكم سامدون وروي عن علي ان معنى سامدون ان يجلسوا
غير مصلين ولا منتظرين الصلوة وتسميد الارض ان يجعل فيها السماد وهو سرجين ورماد واسماد الابل
بالهمز اسميدادا اي ورم غضبا قوله تعالى فاسجدوا لله واعبدوا هذا الامر يحتمل ان يكون عاما ويحتمل ان
يكون التفاتا اي اشتغلوا بالعبادة ولم يقل واعبدوا الله اما لكونه معلوما من قوله فاسجدوا لله واما
لان العبادة في الحقيقة لا تكون الا لله روى عكرمة عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم سجد بالنجم
وسجد معه المسلمون والمشركون والجن والانس وروي عن عبد الله قال اول سورة انزلت فيها السجدة
النجم فسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وسجد من خلفه الا رجلا رايته اخذ كفا من تراب فسجد عليه فرايته
بعد ذلك قتل كافرا وهو امية بن خلف وروى زيد بن ثابت قال قرات على النبي صلى الله عليه وسلم فلم يسجد فيها وهذا يدل
على ان سجود التلاوة غير واجب قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه ان الله تعالى لم يكتبها علينا الا ان نشاء
وهو قول الشافعي واحمد وذهب قوم الى انه واجب على القاري والمستمع جميعا وهو قول سفيان الثوري
واصحاب الراي وروى الثعلبي في تفسيره عن ابي بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من قرا سورة النجم اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد من صدق بمحمد وكذب به

سورة القمر

وهي مكية في قول الجمهور وقال مقاتل مكية الا ثلاث ايات ام يقولون نحن جميع منتصر الى قوله والساعة ادهى وامر والصحيح الاول وهي خمس وخمسون اية وثلثمائة واثنتان واربعون كلمة والف واربعمائة وثلاثة وعشرون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى اقتربت الساعة وانشق القمر اول هذه السورة مناسب لاخر ما قبلها وهو قوله تعالى ازفت الازفة فكانه اعاد ذلك مستدلا عليه بقوله ازفت الازفة وهو حوادث القرآن فقوله وانشق القمر ماض على حقيقته وهو قول عامة المسلمين الا من لا يلتفت الى قوله وقد صح في الاخبار ان القمر انشق على عهد محمد عليه السلام مرتين روى انس بن مالك ان اهل مكة سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يريهم اية فاراهم القمر شقتين حتى راوا حراء بينهما وقال سنان عن قتادة فاراهم انشقاق القمر مرتين وعن ابن مسعود قال انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فرقتين فرقة فوق الجبل وفرقة دونه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اشهدوا وقال ابو الضحى عن مسروق عن عبد الله لم ينشق بمكة وقال مقاتل انشق القمر ثم التام بعد ذلك وروى ابو الضحى عن مسروق عن عبد الله قال انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت قريش سحركم ابن ابي كبشة فقدموا السفار فسالوهم فقالوا نعم قد رايناه فانزل الله عز وجل اقتربت الساعة وانشق القمر وقيل انشق بمعنى سينشق يوم القيمة فاوقع الماضي موقع المستقبل لتحققه وهو خلاف الاجماع وقيل انشق بمعنى انشق عنه الظلام عند طلوعه كما يسمى الصبح فلقا وانشد للنابغة • فلما ادبروا ولهم دوي • دعانا عند شق الصبح داعي • وانما ذكرنا ذلك تنبيها على ضعفه قوله تعالى وان يروا اية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر اي ذاهب سوف يذهب ويبطل من قولهم مر الشيء واستمر اذا ذهب مثل قولهم قر واستقر قاله مجاهد وقتادة منوا انفسهم بذلك وقيل مستمر اي دائم فان محمدا عليه السلام كان ياتي كل زمان بمعجزة فقالوا هذا سحر مستمر دائم لا يختلف بالنسبة الى شيء بخلاف سحر السحرة فان بعضهم يقدر على امر وامرين وثلاثة ويعجز عن غيرها وهو قادر على الكل قاله الزمخشري ومنه قول الشاعر • الا انما الدنيا ليال واعصر • وليس على شيء قويم بمستمر • اي بدائم باق وقيل معناه شديد المرارة قال الزمخشري اي مستبشع عندنا مر على لهواتنا لا نقدر ان نسيغه كما لا نسيغ المر انتهى فقال مر الشيء بنفسه ومره غيره فيكون متعديا ولازما ويقال امره ايضا وقال ابو العالية والضحاك مستمر اي قوي شديد من قولهم مر الحبل اذا صلب واشتد وامررته اذا احكمت فتله واستمر الشيء اذا قوي واستحكم قال لقيط • حتى استمرت على شزر مريرته • صدق العزيمة لا رتا ولا ضرعا • والمراد بقوله اية هي اقتراب الساعة فان انشقاق القمر من اياته وقد راوه وكذبوا فان يروا غيرها ايضا يعرضون او اية النبوة فانه معجزة اما كونه معجزة ففي غاية الظهور واما كونه اية فلان منكر خراب العالم ينكر انشقاق السماء وانفطارها وكل كوكب فاذا انشق بعضها كان مخالفا لقوله بجواز خراب العالم والمراد بهؤلاء القائلين الكفر هم الكفار والتنكير في قوله اية للتعظيم اي اية قوية او عظيمة يعرضوا قال ابو حيان ومعنى مستمر اي يشبه بعضه بعضا اي استمرت افعاله على هذه الحال وهذا راجع الى الدوام المتقدم واتى بهذه الجملة الشرطية تنبيها على ان حالهم في المستقبل كحالهم في الماضي وقرئ يروا مبنيا للمفعول من اري قوله تعالى وكذبوا واتبعوا اهواءهم اي كذبوا النبي صلى الله عليه وسلم وما عاينوا من قدرة الله عز وجل واتبعوا ما زين لهم الشيطان من الباطل او كذبوا بالاية وهي انشقاق القمر واتبعوا اهواءهم في انه سحر القمر وانه خسوف في القمر وظهور شيء في جانب اخر من الجو يشبه نصف القمر وانه سحر اعيننا والقمر لم يصبه شيء فهذه اهواؤهم قوله تعالى وكل امر مستقر العامة على كسر القاف ورفع الراء اسم فاعل ورفعه خبر الكل الواقع مبتدا وقرا شيبة بفتح القاف ويروى عن نافع قال ابو حيان لا وجه لها وقد وجهها غيره على حذف مضاف اي وكل امر ذو استقرار او زمان استقرار او مكان استقرار فجاز ان يكون مصدرا وان يكون ظرفا زمانيا او مكانيا قال معناه الزمخشري وقرا ابو جعفر وزيد بن علي بكسر القاف وجر الراء وفيها اوجه لحدها ولم يذكر الزمخشري غيره ان يكون صفة لامر ويرتفع كل حينئذ بالعطف على الساعة فيكون فاعلا اي قربت الساعة وكل امر مستقر قال ابو حيان وهذا بعيد لوجود الفصل بجمل ثلث وبعيد ان يوجد مثل هذا التركيب في كلام العرب نحو اكلت خبزا وضربت خالدا وان يجيء زيدا كرمه

ورجل الى بني فلان ولحما فيكون ولحما معطوفا على خبزا بل لا يوجد مثله في كلام العرب انتهى قال شهاب الدين واذا دل دليل على المعنى فلا يبالي بالفواصل واين فصاحة القرآن من هذا التركيب الذي ركبه هو حتى يقيسه عليه في المنع الثاني ان يكون مستقر خبرا لكل امر وهو مرفوع الا انه خفض على الجوار قاله ابو الفضل الرازي وهذا لا يجوز لان الجوار انما جاء في النعت او العطف على خلاف في اثباته كما تقدم في سورة المائدة فكيف يقال به في خبر المبتدا هذا ما لا يجوز الثالث ان خبر المبتدا قوله حكمة بالغة اخبر عن كل امر مستقر بانه حكمة بالغة ويكون قوله ولقد جاءهم من الانباء ما فيه مزدجر جملة اعتراض بين المبتدا وخبره الرابع ان الخبر مقدر فقدره ابو البقاء معمول به او اتي وقدره غيره بالغوه لان قبله وكذبوا واتبعوا اهواءهم اي وكل امر مستقر لهم في القدر من خير او شر بالغوه فصل قال الكلبي وكل امر مستقر اي لكل امر حقيقة ما كان منه في الدنيا فسيظهر وما كان منه في الاخرة فسيعرف وقال قتادة وكل امر مستقر فالخير مستقر باهل الخير والشر باهل الشر وقيل كل امر من خير او شر مستقر قراره فالخير مستقر باهله في الجنة والشر مستقر باهله في النار وقيل مستقر قول المصدقين والمكذبين حتى يعرفوا حقيقته بالثواب والعقاب وقال مقاتل لكل حديث منتهى وقيل ما قدر كائن لا محالة وقيل كل امر مستقر على سنن الحق يثبت والباطل يزهق فيكون ذلك تهديدا لهم وتسلية للنبي صلى الله عليه وسلم وهو كقوله تعالى ثم الى ربكم مرجعكم فينبئكم وقيل كل امر مستقر في علم الله تعالى لا يخفى عليه شيء فهم كذبوا واتبعوا اهواءهم والانبياء صدقوا وبلغوا كقوله تعالى لا يخفى على الله منهم شيء وكقوله وكل شيء فعلوه في الزبر وكل صغير وكبير مستطر وقيل هو جواب لقولهم سحر مستمر اي بل كل امر مستقر قوله تعالى ولقد جاءهم من الانباء يعني اهل مكة من اخبار الامم المكذبة والقرآن ما فيه مزدجر اي متناهى قوله تعالى مزدجر يجوز ان يكون فاعلا بفيه لان فيه وقع صلة وان يكون مبتدا وفيه الخبر والدال بدل من تاء الافتعال واصله مزتجر قلبت التاء دالا وقد تقدم ان تاء الافتعال تقلب دالا بعد الزاي والدال والذال لان الزاي حرف مجهور والتاء حرف مهموس فابدلوها الى حرف مجهور قريب من التاء وهو الدال ومزدجر هنا اسم مصدر اي ازدجار او اسم مكان اي موضع ازدجار ومعناه فيه نهي وعظة يقال زجرته وازدجرته اذا نهيته عن السوء وقرئ مزجر بقلب تاء الافتعال زايا ثم ادغم وزيد بن علي مزجر اسم فاعل من ازجر اي صار ذا زجر كاعشب اي صار ذا عشب والانباء هي الاخبار العظام التي لها وقع كقول الهدهد وجئتك من سبا بنبا يقين لانه كان خبرا عظيما له وقع وخطر وقال تعالى ان جاءكم فاسق بنبا اي بامر غريب وانما يجب التثبت فيما يتعلق بحكم ويترتب عليه امر ذو بال وقال تعالى تلك من انباء الغيب نوحيها اليك والمراد بالانباء هنا اخبار المهلكين المكذبين وقيل المراد القرآن قال ابن الخطيب وفي ما وجهان احدهما انها موصولة اي جاءكم الذي فيه مزدجر الثاني ان تكون نكرة موصوفة اي جاءكم من الانباء شيء موصوف بان فيه مزدجر قوله تعالى حكمة فيه وجهان احدهما انه بدل من ما فيه مزدجر كانه قيل ولقد جاءهم حكمة بالغة من الانباء وحينئذ يكون بدل كل من كل او بدل اشتمال الثاني ان يكون خبر مبتدا مضمر اي هو حكمة اي تلك الذي جاءهم من ارسال الرسل وايضاح الدلايل والانذار لمن مضى او اشارة لما فيه الانباء انه حكمة او اشارة الى الساعة المقتربة وقد تقدم انه يجوز على قراءة ابي جعفر وزيد ان يكون خبرا لكل امر مستقر وقرئ حكمة بالنصب حالا من ما قال الزمخشري فان قلت ان كانت ما موصولة ساغ لك ان تنصب حكمة حالا فكيف تعمل ان كانت موصوفة وهو الظاهر قلت تخصصها بالصفة فيحسن نصب الحال عنها انتهى وهو حول واضح لانه يصير التقدير جاءهم من الانباء شيء فيه ازدجار فيكون منكرا وتنكير ذي الحال قبيح قوله تعالى فما تغني النذر يجوز في ما ان تكون استفهامية وتكون في محل نصب مفعولا مقدما اي اي شيء تغني النذر وان تكون نافية اي لم تغن النذر شيئا والنذر جمع نذير والمراد به المصدر او اسم الفاعل كما تقدم في اخر النجم وكتب تغني تباعا للفظ الوصل فانها ساقطة لالتقاء الساكنين قال بعض النحويين وانما حذفت الياء من تغني حملا لما على لم فجزمت كما تجزم لم قال مكي وهذا خطا لان لم تنفي الماضي وترد المستقبل ماضيا وما تنفي الحال فلا يجوز ان يقع احدهما موقع الاخرى لاختلاف معنييهما فصل المعنى ان القرآن حكمة بالغة تامة قد بلغت الغاية وقوله فما تغن النذر ان كانت ما نافية فالمعنى ان النذر لم يبعثوا ليغنوا ويلجئوا قومهم الى الايمان وانما ارسلوا مبلغين لقوله تعالى فان اعرضوا فما ارسلناك عليهم حفيظا وما على الرسول الا البلاغ ويؤيد هذا قوله فتول عنهم وان كانت استفهامية فالمعنى واي شيء تغني النذر اذا خالفوهم وكذبوهم كقوله وما تغني الايات والنذر عن قوم لا يؤمنون اي انك اتيت بما عليك من الدعوى فكذبوا بها وانذرتهم بما جرى على

المكذبين فلم يفدهم فهذه حكمة بالغة ومَا الذي تغني النذر هذا فلم يبق عليك شيء آخر فتول عنهم **قوله تعالى**
فتولَّ عنهم أي أعرض عنهم قال أكثر المفسرين نسخها آية السيف قال ابن الخطيب ان قول المفسرين في قوله فتول عنهم
منسوخ ليس كذلك بل المراد منه لا تناظرهم بالكلام **قوله تعالى** يوم يدع الداع يوم منصوب إما باذكر مضمرًا فهو
أقربها وإليه ذهب الرماني والزمخشري وإما بيخرجون بعده وإليه ذهب الزمخشري أيضًا وإما بقوله فما تغن ويكون
قوله فتول عنهم اعتراضًا وإما منصوبًا بقوله يقول الكافرون وفيه بُعدٌ لبُعده منه وقيل تم الكلام عند قوله فما تغن
النذر ويبتدأ بقوله فتول عنهم يوم يدع الداع فيكون منصوبًا بقوله فتول وهو ضعيف جدًا لأن المعنى ليس
أمره بالتولية عنهم في يوم النفخ في الصور وإما منصوب بحذف الخافض أي فتول عنهم إلى يوم قاله الحسن وضعف
من حيث اللفظ ومن حيث المعنى أما اللفظ فلأن إسقاط الخافض غير منقاس وأما المعنى فليس توليه عنهم مغيا بذلك
الزمان وإما بانتظر مضمرًا فهذه سبعة أوجه في ناصب يوم قال القرطبي أو منصوب بخشعًا أو على حذف حرف الفاء وما
عملت فيه من جواب الأمر تقديره فتول عنهم فإن لهم يوم يدع الداع وقيل أي تول عنهم يا محمد فقد أقمت الحجة وأبصرهم
يوم يدع الداع وقيل أعرض عنهم يوم القيمة ولا تسأل عنهم وعن أحوالهم فإنهم يدعون إلى شيء نكر وينالهم عذاب شديد
كقولك لا تسأل عما جرى على فلان إذا أخبرته بأمر عظيم وقيل أي وكل أمر مستقر يوم يدع الداعي وحذفت الواو من يدع
خطًا اتباعًا للفظ كما تقدم في تغن ويمح الله الباطل وسندع والياء من الداع مبالغة في التخفيف إجراء لال مجرى ما عاقبها وهو
التنوين فكما تحذف الياء مع التنوين كذلك مع ما عاقبها **فصل** والداعي معرف كالمنادي في قوله يوم
ينادي المنادي لأنه معلوم وقد أخبر عنه فقيل إن مناديًا ينادي وداعيًا يدعو فقيل الداعي إسرافيل ينفخ قائمًا على صخرة
بيت المقدس قاله مقاتل وقيل جبريل وقيل ملك موكل بذلك والتعريف حينئذ لا يقطع حد العلمية ويكون
كقولنا جاء رجل فقال الرجل قال ابن الخطيب **قوله تعالى** إلى شيء نكر العامة على ضم الكاف وهو صفة على فُعُل وفُعُل
في الصفات عزيز منه أمر منكر ورجل شُلُل وناقة أُجُد وروضة أُنُف ومشية سُجُح وقرأ ابن كثير بسكون الكاف
فيحتمل أن يكون أصلًا وأن يكون مخففًا من قراءة الجماعة وقد تقدم هذا مجرور في اليسر والعسر في سورة المائدة
وسمي الشيء الشديد نكرًا لأن النفس تنكره قال مالك بن عوف • به أقدم مجاح إذ يوم نكر • مثلي على مثلك
يحمي ويكر • وقرأ زيد بن علي والجحدري وأبو قلابة نُكِرَ فعلًا ماضيًا مبنيًا للمفعول لأن نكر يتعدى قال تعالى
نكرهم وأوجس **فصل** المعنى إلى شيء منكر فظيع لم ير مثله فينكرونه استعظامًا قال ابن الخطيب
وهو يحتمل وجهين أحدهما أن المعنى إلى شيء نكر في يومنا هذا لأنهم أنكروه أي يوم يدع الداعي إلى الشيء الذي أنكروه
يخرجون الثاني أن المعنى منكر أي يقول القائل كان ينبغي أن لا يقع لأنه يرديهم في الهاوية فإن قيل ما ذلك الشيء
النكر فأجيب بأنه الحساب أو الجمع له أو النشر للجمع فإن قيل النشر لا يكون منكرًا فإنه إحياء ولأن الكافر من أين
يعرف وقت النشر ما يجري عليه لينكره فالجواب أنه يعلم ذلك لقوله تعالى عنهم يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا
قوله تعالى خاشعًا أبصارهم قرأ أبو عمرو والأخوان خاشعًا والباقي من السبعة خشعًا فالقراءة الأولى جارية على
اللغة الفصحى من حيث إن الفعل وما جرى مجراه إذا قدم على الفاعل وحد تقول يخشع أبصارهم ولا تقول يخشعن
أبصارهم وأنشد • وشباب حسن وجوههم • من إياد بن نزار بن معد • وقال آخر •
بري المحاج بها الركبان معترضًا • أعناق بزلها مرخي لها الجدل • وأما الثانية فجاءت على لغة طي يقولون
أكلوني البراغيث وقد تقدم القول على هذا في المائدة والأنبياء ومثله قوله • بمطرد لدن صحاح كعوبه • وذي
رونق عضب يقد القوانسا • قيل وجمع التكسير في اللغة مثل هذا أكثر من الإفراد وقرأ أبي وعبد الله خاشعة
على تخشع هي وقال الزمخشري وخشعًا على يخشعن أبصارهم وهي لغة من يقول أكلوني البراغيث وهم طي قال
أبو حيان ولا يجري جمع التكسير مجرى جمع السلامة فيكون على تلك اللغة النادرة القليلة وكذا قال الفراء
حين ذكر الإفراد مذكرًا ومؤنثًا وجمع التكسير قال لأن الصفة متى تقدمت على الجماعة جاز فيها جميع ذلك
والجمع موافق للفظها فكان أشبه قال أبو حيان وإنما يخرج على تلك اللغة إذا كان الجمع جمع سلامة نحو مررت
بقوم كريمين آباؤهم والزمخشري قاس جمع التكسير على جمع السلامة وهو قياس فاسد يرده النقل عن العرب
أن جمع التكسير أجود من الإفراد كما ذكره سيبويه ودل عليه كلام الفراء قال شهاب الدين وقد خرج الناس قول امرئ
القيس • وقوفًا بها صحبي على مطيهم • يقولون لا تهلك أسى وتجمل • على أن صحبي فاعل بوقوفًا وهو جمع
واقف في أحد القولين في وقوفًا وفي انتصاب خاشعًا وخشعًا وخاشعة أوجه أحدها أنه مفعول به وناصبه
يدع الداع وهو في الحقيقة لموصوف محذوف تقديره فريقًا خاشعًا أو فوجًا خاشعًا والثاني أنه حال من فاعل

يخرجون

يخرجون المتأخر عنه ولما كان العامل متصرفًا جاز تقدم الحال عليه وهو رد على الجرمي حيث زعم أنه لا يجوز
ورد عليه أيضًا بقول العرب • شتى يؤوب الحلبة • فشتى حال من الحلبة وقال الشاعر •
سريعًا يهون الصعب عند أولي النهى • إذا برجاء صادق قابلوا • الثالث أنه حال من الضمير في عنهم ولم يذكر
مكي غيره الرابع أنه حال من مفعول يدعو المحذوف تقديره يوم يدعوهم الداعي خشعًا فالعامل فيها يدعو قاله
أبو البقاء وارتفع أبصارهم على وجهين أظهرهما الفاعلية بالصفة قبله الثاني على البدل من الضمير
المستتر في خشعًا لأن التقدير خشعًا هم وهذا إنما يأتي على قراءة خشعًا فقط وقرئ خشع أبصارهم
على أن خشعًا خبر مقدم وأبصارهم مبتدأ والجملة في محل نصب على الحال وفيه الخلاف المذكور من قبل كقوله
وجد تمر حاضر إياه الجود والكرم **فصل** قال ابن الخطيب لما حكى نصب خشعًا قال إنه منصوب على أنه
مفعول بقوله يدعو أي يوم يدعو الداعي خشعًا فإن قيل هذا فاسد من وجوه أحدها أن التخصيص لا فائدة
فيه لأن الداعي يدعو كل أحد ثانيها قوله يخرجون من الأجداث بعد الدعا فيكون خشعًا قبل الخروج وهو
باطل ثالثها قراءة خاشعة يبطل هذا نقول أما الجواب عن الأول فإن قوله إلى شيء نكر يدفع ذلك لأن كل أحد
لا يدعى إلى شيء نكر وعن الثاني المراد من الشيء النكر الحساب العسير يعني يوم يدع الداعي إلى الحساب العسير خشعًا
ولا يكون العامل في يوم يدعو يخرجون بل اذكروا فما تغن النذر كقوله تعالى فما تنفعهم شفاعة الشافعين
ويكون يخرجون ابتداء كلام وعن الثالث أنه لا منافاة بين القراءتين وخاشعًا نصب على الحال أو على أنه مفعول يدعو
كأنه يقول يدعو الداعي قومًا خاشعًا أبصارهم والخشوع السكون كما قال تعالى وخشعت الأصوات وخشوع
الأبصار سكونها على حال لا ينقلب يمنة ويسرة كقوله تعالى لا يرتد إليهم طرفهم وقيل خاشعة أي ذليلة
خاضعة عند رؤية العذاب **قوله تعالى** يخرجون يجوز أن يكون حالًا من الضمير في أبصارهم وأن يكون مستأنفًا
والأجداث القبور وقد تقدم في يس وقوله كأنهم جراد هذه الجملة يجوز أن يكون حالًا من فاعل يخرجون
أو مستأنفة ومثلهم بالجراد المنتشر في الكثرة والتموج وقيل معنى منتشر أي منبث حيارى ونظيره قوله تعالى
كالفراش المبثوث والمعنى أنهم يخرجون فزعين لا جهة لأحد منهم يقصدها كالجراد لا جهة لها تكون مختلطة
بعضها في بعض وذكر المنتشر على لفظ الجراد قال ابن الخطيب ويحتمل أن يقال المنتشر مطاوع نشره إذا أحياه
قال تعالى ثم إذا أنتم بشر تنتشرون فكأنهم جراد متحرك من الأرض يدب إشارة إلى كيفية خروجهم من الأ
جداث وضعفهم وقال القرطبي قوله تعالى كأنهم جراد منتشر مهطعين إلى الداعي وقال في موضع آخر يوم يكون
الناس كالفراش المبثوث فهما صفتان في وقتين مختلفين أحدهما عند الخروج من القبور يخرجون فزعين
لا يهتدون إلى أين يتوجهون فيدخل بعضهم في بعض فهم حينئذ كالفراش المبثوث بعضهم في بعض لا جهة له
يقصدها فإذا سمعوا المنادي قصدوه فصاروا كالجراد المنتشر لأن الجراد لها جهة تقصدها **قوله تعالى**
مهطعين حال أيضًا من اسم كان أو من فاعل يخرجون عند من يرى تعدد الحال قال أبو البقاء ومهطعين حال
من الضمير في منتشر عند قوم وهو بعيد لأن الضمير في منتشر للجراد وإنما هو حال من فاعل يخرجون أو من الضمير
المحذوف انتهى وهو اعتراض حسن على هذا القول والإهطاع الإسراع وأنشد • بدجلة دارهم ولقد أراهم •
بدجلة مهطعين إلى السماع • وقيل الإسراع مع مد العنق وقيل النظر قاله ابن عباس وأنشدوا •
تعبدني نمر بن سعد وقد أرى • ونمر بن سعد لي مطيع ومهطع • وقد تقدم الكلام على هذه المادة في سورة
إبراهيم وقال الضحاك مقبلين وقال قتادة عامدين وقال عكرمة فاتحين آذانهم إلى الصوت **قوله تعالى**
يقول الكافرون قال أبو البقاء حال من الضمير في مهطعين وفيه نظر من حيث خلو الجملة من رابط يربطها
بذي الحال وقد يجاب بأن الكافرون هم الضمير في المعنى فيكون من باب الربط بالاسم الظاهر عند من يرى
ذلك كأنه قيل يقولون هذا وإنما أبرزهم تشنيعًا عليهم بهذه الصفة القبيحة وقولهم هذا يوم عسر
أي صعب شديد **قوله تعالى** كذبت قبلهم مفعوله محذوف أي كذبت الرسل لأنهم لما كذبوا نوحًا فقد
كذبوا جميع الرسل ولا يجوز أن تكون المسألة من باب التنازع إذ لو كان منه لكان التقدير كذبت قبلهم
قوم نوح عبدنا فكذبوه ولو لفظ بهذا لكان تأكيدًا إذ لم يفد غير الأول وشرط التنازع أن لا يكون الثاني
تأكيدًا ولذلك منعوا أن يكون قوله • أتاك أتاك اللاحقون احبس احبس • من ذلك وفي كلام الزمخشري
ما يجوزه فإنه أخرجه عن التأكيد فقال فإن قلت ما معنى قوله فكذبوا بعد قوله كذبت قلت معناه كذبت فكذبوا
عبدنا أي كذبوه تكذيبًا عقب تكذيب كلما مضى منهم قرن مكذب تبعه قرن مكذب فهذا معنى حسن يسوغ

معه التنازع فصل لما فرغ من حكاية كلام الكافر ومن ذكر كلام الساعة اعاد ذكر بعض الانبيا
فقال كذبت قبلهم قوم نوح اي قبل اهل مكة واعلم ان الحاق الضمير المونث بالفعل قبل ذكر الفاعل جايز وحسن بالاتفاق
والحاق ضمير الجمع بالفعل قبيح عند اكثرهم فلا يجوزون كذبوا قوم نوح ويجوزون كذبت فما الفرق قال ابن الخطيب
لان التانيث قبل الجمع لان الانوثة والذكورة للفاعل امر لا يتبدل ولم يحصل الانوثة للفاعل بسبب فعله بخلاف
الجمع لان الجمع للفاعلين بسبب فعلهم فان قيل ما الفايدة في قوله تعالى فكذبوا عبدنا بعد قوله كذبت قال
ابن الخطيب الجواب عنه من وجوه الاول ان قوله كذبت قوم نوح اي باياتنا فكذب هولاء عبدنا باية الانشقاق
فكذبوك الثاني كذبت قوم نوح المرسلين وقالوا لم يبعث الله رسولا وكذبوهم في التوحيد فكذبوا عبدنا
كما كذبوا غيره وذلك لان قوم نوح كانوا مشركين يعبدون الاصنام ومن يعبد الاصنام يكذب كل رسول وينكر
الرسالة لانه يقول لا تعلق لله بالعالم السفلي وانما امره الى الكواكب فكان مذهبهم التكذيب فكذبوك الثالث
ان قوله تعالى فكذبوا عبدنا للتصديق والرد عليهم تقديره كذبت قوم نوح فكان تكذيبهم تكذيب عبدنا
اي لم يكن تكذيبا بحق فان قيل لو قال فكذبوا رسولنا كان ادل على قبح فعلهم فما الفايدة في اختيار لفظ العبد
فالجواب ان قوله عبدنا ادل على صدقه وقبح تكذيبهم من قوله رسولنا لان العبد احق واقل تحريفا لكلام السيد
من الرسول فيكون كقوله ولو تقول علينا بعض الاقاويل لاخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين قوله تعالى
وقالوا مجنون مجنون خبر ابتدا مضمر اي هو مجنون وهذا اشارة الى انه اتى بالايات الدالة على صدقه حيث راوا ما
عجزوا عنه وقالوا مصاب الجن او زيادة بيان لقبح صنيعهم حيث لم يقنعوا بتكذيبهم بل قالوا مجنون اي يقول ما
لا يقبله عاقل والكاذب العاقل يقول ما يظن به صدقه فيكون قولهم مجنون مبالغة في التكذيب قوله تعالى
وازدجر الدال في ازدجر بدل من تاء لما تقدم وهل هو من مقولهم اي قالوا انه ازدجر اي زجرته الجن وذهبت بلبه
قاله مجاهد او هو من كلام الله تعالى اخبر عنه بانه انتهر وزجر بالسب وانواع الاذى وقالوا لين لم تنته لتكونن
من المرجومين قال ابن الخطيب وهذا اصح لان المقصود تقوية قلب النبي صلى الله عليه وسلم بذكر من تقدمه وايضا
رتب عليه قوله تعالى فدعا ربه وهذا الترتيب في غاية الحسن لانهم لما زجروه وانزجر هو عن دعاهم دعا ربه
اني مغلوب قوله تعالى اني مغلوب العامة على فتح الهمزة اي دعاه باني مغلوب وجا هذا على حكاية المعنى ولو جاء
على حكاية اللفظ لقال انه مغلوب وهما جايزان وقرا ابن ابي اسحق والاعمش ورويت عن عاصم بالكسر اما على اضمار
القول اي فقال فسر به الدعا وهو مذهب البصريين واما اجراء للدعا مجرى القول وهو مذهب الكوفيين
فصل في معنى مغلوب وجوه احدها غلبني الكفار فانتصر لي منهم ثانيها غلبتني نفسي وحملتني على الدعا
عليهم فانتصر لي من نفسي قاله ابن عطية وهو ضعيف ثالثها ان يقال ان النبي لا يدعو على قومه ما دام في نفسه
احتمال وحلم واحتمال نفسه عند ما دام الايمان منهم محتملا ثم ان ياسه يحصل والاحتمال والحلم يفر الناس منه
بدليل قوله لمحمد عليه السلام لعلك باخع نفسك فلا تذهب نفسك عليهم حسرات وقال لنوح عليه السلام ولا تخا
طبني في الذين ظلموا انهم مغرقون فقال نوح يا الهي ان نفسي غلبتني وقد امرتني بالدعا عليهم فاهلكهم فيكون
معناه مغلوب بحكم البشرية اي غلبت وعيل صبري فانتصر لي منهم لا من نفسي قال ابن الخطيب وهذا الوجه
مركب من الوجهين وهو احسنها وقوله فانتصر اي انتصر لي ولنفسك فانهم كفروا بك او انتصر للحق قوله تعالى
ففتحنا تقدم الخلاف في فتحنا في الانعام والمراد من الفتح والابواب والسما حقيقتها وان للسما ابوابا تفتح
وتغلق قال علي رضي الله عنه هي المجرة وهي شرج السما ومنها فتحت بماء منهمر وقيل هذا على سبيل الاستعارة فان الظاهر
ان الما كان من السحاب فهو كقول القايل في المطر الوابل جرت ميازيب السما وفي قوله ففتحنا بيان بان الله انتصر
منهم وانتقم بماء لا بجند انزله ومن العجب انهم كانوا يطلبون المطر سنين فاهلكهم الله بمطلوبهم قوله تعالى
بماء منهمر في البا وجهان اظهرهما انها للتعدية ويكون ذلك على المبالغة في انه جعل الما كالالة المفتح بها
كما تقول فتحت بالمفتاح والثاني انها للحال اي فتحناها ملتبسة بهذا الما والمنهمر الغزير النازل بقوة وانشد
امرئ القيس • راح تمريه الصبا ثم انتحى • فيه شوبوب جنوب منهمر • واستعير ذلك في قولهم همر
الرجل في كلامه اذا اكثر الكلام واسرع وفلان يهامر الشي اي يجرفه وهمر له من ماله اعطاه بكثرة والمنهمر الكثير
قال السدي قال الشاعر • اعيني جودا بالدموع الهوامر • على خير باد من معد وحاضر •
قال المفسرون معنى منهمر اي منصب انصبابا شديدا قال ابن عباس بماء منهمر من غير سحاب لم ينقطع اربعين
يوما وقيل ثمان قوله تعالى وفجرنا الارض عيونا قرا عبد الله وابو حيوة وعاصم في رواية وفجرنا مخففا والباقون

منقلا وقوله عيونا فيه اوجه اشهرها انه تمييز اي فجرنا عيون الارض فنقله من المفعولية الى التمييز كما
نقل من الفاعلية ومنعه بعضهم وتاول هذه الاية على ما سياتي وقوله وفجرنا الارض عيونا ابلغ من فجرنا عيون الارض
لما ذكر في نظيره مرارا الثاني انه منصوب على البدل من الارض ويضعف هذا خلوه من الضمير فانه بدل بعض من كل
ويجاب عنه بانه محذوف اي عيونا منها كقوله الاخدود النار فالنار بدل اشتمال ولا ضمير فهو مقدر الثالث انه مفعول
ثان لانه ضمن فجرنا معنى صيرناها بالتفجير عيونا الرابع انها حال وفيه تجوز ان حذف مضاف اي ذات عيون وكونها
حالا مقدرة لا مقارنة قال ابن الخطيب قوله وفجرنا الارض عيونا فيه من البلاغة ما ليس في قول القايل وفجرنا
من الارض عيونا وقوله وفجرنا الارض عيونا ولم يقل ففتحنا السماء ابوابا لان السماء اعظم من المطر وهي للمبالغة
وقال ابواب السماء ولم يقل انابيب السما ولا منافذ ولا مجاري اما قوله تعالى فجرنا الارض عيونا فلا غنى عنه
لان قول القايل فجرها من الارض عيونا تكون حقيقة لا مبالغة فيه ويكفي في صحة ذلك القول ان يحصل في الارض
عيون ثلاث ولا يصلح مع هذا في السما ومياهها فصل قال ابن الخطيب العيون جمع عين وهي حقيقة
في العين التي هي الة الابصار ومجاز في غيرها اما في عيون الما فلانها تشبه العين الناظرة التي يخرج منها الدمع
لان الماء الذي في العين كالدمع الذي في العين وهو مجاز مشهور صار غالبا حتى لا يفتقر الى قرينة عند الاستعمال
فكما لا يحمل اللفظ على العين الا بقرينة كذلك لا يحمل على الفوارة الا بقرينة مثل شربت من العين واغتسلت منها
ونحوه فان قيل من اين علمت ان العين حقيقة في الناظرة قلنا لان الافعال تؤخذ منه ولم تؤخذ من الينبوع فيقال
عانه يعينه اذا اصابه بالعين وعاينه معاينة وعيانا قال عبيد بن عمير اوحى الله الى الارض ان تخرج ماءها
فتفجرت بالعيون واي عين تاخرت غضب عليها فجعل ماءها مرا اجاجا الى يوم القيمة قوله تعالى فالتقى الماء
لما كان المراد بالما الجنس صح ان يقال فالتقى الماء كانه قال فالتقى ماء السماء وماء الارض وهذه قراءة العامة
وقرا الحسن والجحدري ومحمد بن كعب ويروى عن امير المومنين ايضا الماآن تثنية والهمزة سالمة اي النوعان منه
ماء السماء وماء الارض لان الالتقا انما يكون بين اثنين وقرا الحسن ايضا الماوان بقلبها واوا وهي لغة طي قال
الزمخشري كقولهم علباوان يعني انه شبه الهمزة المنقلبة عنها بهمزة الالحاق وروي عنه ايضا المايان بقلبها
يا وهي اشد مما قبلها قوله تعالى قد قدر العامة على التخفيف وقرا ابو مقسم وابو حيوة بالتشديد وهما لغتان
قري بهما في قوله قدر فهدى فقدر عليه رزقه كما سياتي فصل قيل معنى امر قد قدر اي حال
قدرها الله كما شا وقيل قضي عليهم في ام الكتاب وقال مقاتل قدر الله ان يكون الماآن سوا فكانا على ما قدر وقيل
على مقادير وذلك لان الناس اختلفوا فمنهم من قال كان ماء السماء اكثر ومنهم من قال ماء الارض ومنهم من قال
كانا متساويين فقال على مقدار كان وقال قتادة قدر لهم اذا كفروا ان يغرقوا قال ابن الخطيب ويحتمل ان يقال
التقى الما اي اجتمع على امر هلاكهم وهو كان مقدورا مقدرا وفيه رد على المنجمين الذين يقولون ان الطوفان
كان بسبب اجتماع الكواكب السبعة في برج مائي والغرق لم يكن مقصودا بالذات وانما ذلك امر لزم الطوفان الواجب
وقوعه فرد الله عليهم بانه لم يكن ذلك الا بامر قد قدر ويدل عليه ان الله تعالى اوحى الى نوح بانهم مغرقون
قوله تعالى وحملناه على ذات الواح ودسر اي سفينة ذات قال الزمخشري وهي من الصفات التي تقوم مقام
الموصوفات فتنوب منابها وتودي مودها بحيث لا يفصل بينها وبينها ونحوه • ولكن قميصي مسرودة من حديد •
اراد ولكن قميصي درع وكذلك • ولو في عيون النازيات بالوكع • اراد ولو في عيون الجراد الا ترى انك لو
جمعت بين السفينة وبين هذه الصفة او بين الجراد والدرع وبين هاتين الصفتين لم يصح وهذا من فصيح
الكلام وبديعه والدسر قيل المسامير جمع دسار نحو كتب في جمع كتاب وقال الزمخشري جمع دسار وهو
المسمار فعال من دسره اذا دفعه لانه يدسر به منفذه وقال الراغب الواحد دسر يعني فيكون مثل سقف
وسقف وقال البغوي واحدها دسار ودسير واصل الدسر الدفع الشديد مقهورا دسره بالرمح ومدسر مثل
مطعن وروي ليس في العنبر زكوة انما هو شي دسره البحر اي دفعه وقيل انها الخيوط التي تشد بها السفن
وقيل هي صوارض السفينة وقيل اضلاعها وقال الحسن الدسر صدر السفينة سميت بذلك لانها تدسر
الما بجوجوها اي تدفع وقال الضحاك الدسر الواح جانبيها قوله تعالى تجري باعيننا اي بمراي منا وقال
مقاتل باعيننا اي بحفظنا كقولك افعل هذا نصب عينك وقيل المراد بالاعين النابعة من الارض وقيل
باعين اوليائنا من الملائكة فقوله باعيننا اي ملتبسة بحفظنا وهو في المعنى كقوله تعالى ولتصنع على عيني
وقرا زيد بن علي وابو السماك باعينا بالادغام وقال سفين معناه بامرنا قوله تعالى جزاء منصوب على المفعول

به ناصبه ففتحنا وما بعده وقيل منصوب على المصدر اما بفعل مقدر اي جازيناهم جزاء واما على التجوز
بان معنى الافعال المتقدمة جازيناهم بها جزاء قوله تعالى لمن كان كفر العامة على كفر مبنيا للمفعول والمراد من كفر
نوح عليه السلام او البارى تعالى وقرا مسلمة بن محارب كفر باسكان الفا كقوله لو عصر منه المسك والبان انعصر
وقرا يزيد بن رومان وعيسى وقتادة كفر مبنيا للفاعل والمراد حينئذ قوم نوح وكفر خبر كان وفيه دليل
على وقوع خبر كان ماضيا من غير قد وبعضهم يقول لابد من قد ظاهرة او مضمرة ويجوز ان تكون كان مزيدة واما
كفرهم ففيه وجهان احدهما ان يكون كفر مثل شكر يعدى بحرف وبغير حرف يقال شكرته وشكرت له وقال
واشكروا لي ولا تكفرون وقال فمن يكفر بالطاغوت الثاني ان يكون من الكفر لا من الكفران اي جزاء لمن ستر امره
وانكر امانته وجزاء لمن كفر به فصل المعنى فعلنا به وبهم من انجاء نوح واغراق قومه ثوابا لمن
كفر به وجحد امره وهو نوح عليه السلام وقيل من بمعنى ما اي جزاء لما كان كفر من ايادي الله ونعمه عند الذين
غرقهم وجزاء لما صنع بنوح واصحابه واللام في لمن لام المفعول له والجزاء هنا بمعنى العقاب اي عقابا لكفرهم
قوله تعالى ولقد تركناها اية ضمير تركناها اما للقصة او الفعلة التي فعلناها اية يعتبر بها او السفينة
وهو الظاهر والمعنى تركناها اي ابقاها الله بباقردي من ارض الجزيرة اية اي عبرة حتى نظرت اليها اوائل هذه
الامة وكانت على الجودي وقيل بارض الهند ومعنى تركناها اي جعلناها لانها بعد الفراغ منها صارت متروكة
ومجعولة قوله تعالى فهل من مدكر اصله مذتكر فابدلت التاء دالا مهملة ثم ابدلت المعجمة مهملة لمقاربتها
وقد تقدم هذا في قوله وادكر بعد امة وقد قرئ مذتكر بهذا الاصل وقرا قتادة فيما نقل عنه ابو الفضل
مذكر بفتح الذال المخففة وتشديد الكاف من ذكر بالتشديد اي ذكر نفسه او غيره بما مضى من قصص الاولين ونقل
عن ابن عطية كالجماعة الا انه بالذال المعجمة وهو شاذ لان الاول يقلب للثاني لا الثاني للاول روى زهير
عن ابي اسحق انه سمع رجلا يسال الاسود فهل من مذكر او من مدكر قال سمعت عبد الله يقرؤها فهل من مدكر
قال وسمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقرؤها فهل من مدكر دالا فصل وهذه الاية اشارة الى ان
الامر من جانب الرسل قد تم ولم يبق الا جانب المرسل اليهم بان يتفكروا ويهتدوا وهذا الكلام يصلح ان يكون
حثا وان يكون تخويفا وزجرا وقال ابن الخطيب مدكر مفتعل من ذكر يذكر واصله مذتكر وقرا بعضهم بهذا
الاصل ومنهم من يقلب التاء دالا وفي قوله مدكر اشارة اما الى قوله الست بربكم قالوا بلى اي هل من يتذكر تلك الحالة
واما الى وضوح الامر كانه حصل للكل ايات الله فنسوها فهل من متذكر يتذكر شيئا منها قوله تعالى فكيف كان
عذابي ونذر كان الظاهر فيها انها ناقصة فكيف خبر مقدم وقيل يجوز ان تكون تامة فتكون كيف في محل نصب
اما على الظرف واما على الحال كما تقدم تحقيقه في البقرة فصل وحذفت بالاضافة من نذر كما حذفت
بالسرى في قوله تعالى والليل اذا يسر وذلك عند الوقف ومثله كثير كقوله فاياي فاعبدون ولا تنقذون
يا عباد فاتقون ولا تكفرون وقرئ باثبات اليا في عذابي ونذري قوله تعالى ولقد يسرنا القران هياناه
للذكر من قولهم يسر فرسه اي هياه للركوب بالجامه قال • فقمت اليه باللجام ميسرا • هنالك يجزيني الذي كنت اصنع
وقيل سهلناه اي القران ليتذكر ويعتبر به وقال سعيد بن جبير يسرناه للحفظ والقراءة وليس شيء من كتب الله
يقرا كله ظاهرا الا القران وقوله فهل من مدكر متعظ بمواعظه قوله تعالى كذبت عاد فكيف كان عذابي ونذر
ذكرهما فكيف كان عذابي ونذر مرتين فالاول سوال كقول المعلم للمتعلم كيف المسئلة الفلانية ثم يبين
فقال انا ارسلنا والثاني بمعنى التعظيم والتهويل فان قيل قال في قوم نوح كذبت قوم نوح ولم يقل في عاد
كذبت قوم هود لان التعريف كلما امكن ان يوتى به على وجه ابلغ فالاولى ان يوتى به والتعريف بالاسم
العلم اقوى من التعريف بالاضافة لانك اذا قلت بيت الله لا يفيد ما يفيد قولك الكعبة وكذلك اذا قلت
رسول الله وقلت محمد فعاد اسم علم للقوم ولا يقال قوم هود اعرف لوجهين احدهما ان الله تعالى و
صف عادا بقوم هود في قوله بعدا لعاد قوم هود ولا يوصف الاظهر بالاخفى والاخص بالاعم ثانيهما ان
قوم هود فالجواب ان اللفظ يقع على اقوام ولهذا قال تعالى عادا الاولى لانا نقول اما قوله تعالى لعاد
قوم هود فليس ذلك صفة وانما هو بدل ويجوز في البدل ان يكون دون المبدل في المعرفة ويجوز ان يبدل
عن المعرفة بالنكرة واما عاد الاولى فهو لبيان تقدمهم اي عاد الذين تقدموا وليس ذلك للتمييز والتعريف
كما تقول محمد النبي شفيعي والله الكريم ربي ورب الكعبة المشرفة لبيان الشرف لا لبيانها وتعريفها بالشرف
كقولك دخلت الدار المعمورة من الدارين وجدت الرجل الزاهد من الرجلين فتبين المفعول بالوصف فان قيل

لم يقل فكذبوا هودا كما قال فكذبوا عبدنا فالجواب اما الان تكذيب قوم نوح ابلغ لطول مقامه فيهم وكثرة
عنادهم واما الان قصة عاد ذكرت مختصرة قوله تعالى انا ارسلنا عليهم ريحا صرصرا الصرصر الشديدة الصوت
من صر الباب او القلم اذا صوت وقيل الشديدة البرد من الصر وهو البرد وهو كله اصول عند الجمهور وقال مكي اصله
من صرر من صر الشيء اذا صوت لكن ابدلوا من الراء المشددة صادا وهذا قول الكوفيين ومثله كبكب وكفكف وتقدم
هذا في فصلت وغيرها وقال ابن الخطيب الصرصر الدائمة الهبوب من اصر على الشيء اذا دام وثبت فصل يوم نحس
مستمر شديد دائم الشوم استمر عليهم بنحوسه ولم يبق منهم احدا الا اهلكه قيل كان ذلك يوم الاربعاء في اخر الشهر فان قيل
اذا كان يوم الاربعاء يوم نحس مستمر فكيف يستجاب فيه الدعاء وقد جاء ان النبي صلى الله عليه وسلم استجيب له فيه ما بين الظهر
والعصر فالجواب ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اتاني جبريل فقال ان الله يامرك ان تقضي باليمين مع الشاهد
وقال يوم الاربعاء يوم نحس مستمر ومعلوم انه لم يرد انه نحس على المصلحين بل على المفسدين كما كانت الايام النحسات على الكفار
لا على نبيهم والمومنين واعلم انه تعالى قال هاهنا انا ارسلنا عليهم ريحا صرصرا وقال في الذاريات اذ ارسلنا عليهم الريح
العقيم فعرف الريح هناك ونكرها هاهنا لان العقيم في الريح اظهر من البرد الذي يضر بالنبات والشدة التي تعصف
الاشجار لان الريح العقيم هي التي لا تنشئ سحابا ولا تلقح شجرا وهي كثيرة الوقوع واما الريح المهلكة الباردة فقل ما
توجد فقال الريح العقيم اي هذا الجنس المعروف ثم زاده بيانا بقوله ما تذر من شيء اتت عليه الا جعلته كالرميم فتميزت
من الريح العقيم واما الصرصر فقليلة الوقوع فلا تكون مشهورة فنكرها قوله تعالى في يوم نحس العامة على اضافة
يوم الى نحس بسكون الحاء وفيه وجهان احدهما انه من اضافة الموصوف الى صفته والثاني وهو قول البصريين انه صفة
لموصوف محذوف اي عذاب نحس وقرا الحسن بتنوينه ووصفه بنحس ولم يقيده الزمخشري بكسر الحاء وقيده ابو حيان
وقد قرئ قوله تعالى في ايام نحسات بسكون الحاء وكسرها وتنوين ايام عند الجميع كما تقدم تقريره ومستمر صفة ليوم او نحس
ومعناه كما تقدم اي عليهم حتى اهلكهم او من المرارة قال الضحاك كان مرا عليهم وكذا حكى الكسائي ان قوما قالوا هو من
المرارة يقال مر الشيء وامر اي كان كالشيء المر تكرهه النفوس وقد قال فذوقوا والذي يذاق قد يكون مرا قوله تعالى
تنزع الناس في موضع نصب اما نعتا لريحا واما حالا لانها تخصصت بالصفة ويجوز ان تكون مستانفة وقال الناس
ليعم ذكرهم وانثاهم فاوقع الظاهر موقع المضمر لذلك والا فالاصل تنزعهم فصل قال تعالى هنا
في يوم نحس مستمر وقال في السجدة في ايام نحسات وقال في الحاقة سبع ليال وثمانية ايام حسوما والمراد من اليوم هنا
الوقت والزمان كما في قوله يوم ولدت ويوم اموت ويوم ابعث وقوله مستمر يفيد ما تفيده الايام لان الاستمرار ينبئ
عن امتداد الزمان كما ينبئ عن الايام والحكاية هنا مذكورة على سبيل الاختصار فذكر الزمان ولم يذكر مقداره
على سبيل الايجاز قوله تعالى كانهم اعجاز نخل حال من الناس مقدرة ومنقعر صفة لنخل باعتبار الجنس ولو اعتبر معنى الجماعة
لقال نخل خاوية وقد تقدم تحقيق اللغتين فيه وانما ذكر هنا وانث في الحاقة مراعاة للفواصل في الموضعين وقرا ابو نهيك
اعجز على وزن افعل نحو ضبع واضبع وقيل الكاف في موضع نصب بفعل مقدر تقديره تتركهم كانهم اعجاز قاله مكي
ولو جعل مفعولا ثانيا على التضمين اي يصيرهم بالنزع كانهم لكان اقرب والاعجاز جمع عجز وهو موخر الشيء ومنه
العجز لانه يودي الى تاخر الامور والمنقعر المنقلع من اصله قعرت النخلة قلعتها من اصلها فانقعرت واقعرت البئر اي
وصلت الى قعرها وقعرت الاناء شربت ما فيه حتى وصلت الى قعره واقعرت البئر اي جعلت لها قعرا فصل
تنزع الناس تقلعهم ترمي بهم على رؤوسهم فتدق رقابهم وروي انها كانت تنزع الناس من قبورهم كانهم اعجاز
نخل قال ابن عباس اصولها وقال الضحاك اوراك نخل منقعر منقلع من اصله من مكانه ساقط على الارض وقال
اعجاز نخل اصولها التي قلعت فروعها لان الريح كانت تبين رؤوسهم من اجسادهم فتبقى اجسادهم بلا رؤس قال ابن
الخطيب تنزعهم نزعا بعنف كانهم اعجاز نخل تقعرهم فينقعروا وهذا اشارة الى قوتهم وثباتهم على الارض ويكون
ذلك اشارة الى عظم اجسادهم او الى ثباتهم في الارض فكانهم كانوا يجعلون ارجلهم في الارض ويقصدون المنع به
على الريح قال ابن اسحق لما هاجت الريح قام سبعة نفر من عاد من اقواهم واجسمهم منهم عمرو بن الحلي والحرث بن شداد
والهلقام وابنا تقن وخلجان بن سعد فالجوا العيال في شعب بين جبلين ثم اصطفوا على باب الشعب ليردوا الريح عمن
في الشعب من العيال فجعلت الريح تجعفهم رجلا بعد رجل فقالت امراة من عاد • ذهب الدهر بعمرو بن حلي والهنيات •
ثم بالحارث والهلقام طلاع الثنيات • والذي سد مهب الريح ايام البليات • او تكون اشارة الى يبسهم وجفافهم
بالريح فهي كانت تقتلهم وتحرقهم ببردها المفرط فيقعون كانهم خشب يابسة فصل قال المفسرون
ذكر النخل هنا وقال منقعر وانث في الحاقة وقال اعجاز نخل خاوية لاجل الفواصل كقوله مستمر ومنهمر ومنتشر

وقيل إن النخل لفظه لفظ الواحد ومعناه الجمع فيقال نخل منقعر ومنقعرة ومنقعرات ونخل خاو وخاوية وخاويات
ونخل باسق وباسقة وباسقات فإذا قيل منقعر أو خاو أو باسق فبالنظر إلى اللفظ وإذا قيل منقعرات أو خاويات أو باسقات
فإلى المعنى قال أبو بكر بن الأنباري سئل المبرد بحضرة القاضي إسماعيل عن ألف مسئلة هذه من جملتها فإن قيل ما الفرق بين
قوله تعالى ولسليمان الريح عاصفة وقال وجاءتها ريح عاصف وقوله كأنهم أعجاز نخل خاوية وأعجاز نخل منقعر فقال
كلما ورد عليك من هذا الباب فإن شئت رددته إلى اللفظ تذكيرا وإلى المعنى تأنيثا قال ابن الخطيب ذكر الله لفظ النخل في
مواضع ثلاثة ووصفها على الأوجه الثلاثة فقال والنخل باسقات وذلك حال عنها وهي كالوصف وقال نخل خاوية
ونخل منقعر فحيث قال منقعر كان المختار ذلك لأن المنقعر في حقيقة الأمر كالمفعول لأنه ورد عليه القعر
فهو مقعور والخاوي والباسق فاعل والإخلاء المفعول عن علامة التأنيث أولى تقول امرأة قتيل وأما الباسقات
فهي فاعلات حقيقة لأن البسوق أمر قائم بها وأما الخاوية فهي من باب حسن الوجه لأن الخاوي موضعها فكأنه
قال نخل خاوية المواضع وهذا غاية الإعجاز حيث أتى بلفظ مناسب للألفاظ السابقة واللاحقة من حيث اللفظ قوله تعالى
فكيف كان عذابي ونذر قال أكثر المفسرين إن النذر هاهنا جمع نذير الذي هو مصدر بمعنى الإنذار فما الحكمة في
توحيد العذاب حيث لم يقل فكيف كان أنواع عذابي وقال إنذاري قال ابن الخطيب هذا إشارة إلى غلبة الرحمة لأن الإنذار
إشفاق ورحمة فقال الإنذارات التي هي نعم ورحمة تواترت فلما لم تنفع وقع العذاب دفعة واحدة فكانت النعم
كثيرة والنقمة واحدة قوله تعالى كذبت ثمود بالنذر اعلم أنه تعالى لم يقل في قوم نوح كذبت قوم نوح بالنذر وكذلك
في قصة عاد لأن المراد بقوله كذبت قبلهم قوم نوح أن عادتهم إنكار الرسل وتكذيبهم فكذبوا نوحا بناء على مذهبهم
وعادتهم وإنما صرح هاهنا لأن كل قوم يأتون بعد قوم فالمكذب المتأخر يكذب المرسلين جميعا حقيقة والأولون
يكذبون رسولا واحدا حقيقة ويلزم منه تكذيب من بعده تبعا ولهذا المعنى قال في قوم نوح كذبت قوم نوح المرسلين
وقال في عاد وتلك عاد جحدوا بآيات ربهم وعصوا رسله فذلك بلفظ الجمع المستغرق ثم إنه تعالى قال عن نوح
رب إن قومي كذبون ولم يقل كذبوا رسلك إشارة إلى ما صدر منهم حقيقة لا إلى ما لزم منه وقوله تعالى كذبت
ثمود بالنذر إن قلنا إن النذر هم الرسل فهو كما تقدم وإن قلنا إن النذر هم الإنذارات فنقول قوم نوح
وعاد لم تستمر المعجزات التي ظهرت في زمانهم وأما ثمود فأنذروا وأخرج لهم ناقة من صخرة وكانت تدور بينهم
وكذبوا فكان تكذيبهم بإنذارات وآيات ظاهرة فصرح بها قوله تعالى أبشرا منصوب على الاشتغال وهو الراجح
لتقدم أداة هي بالفعل أولى ومنا نعت له وواحدا فيه وجهان أظهرهما أنه نعت لبشرا إلا أنه يشكل عليه تقديم
الصفة المؤولة على الصريحة ويجاب بأن منا حينئذ ليس وصفا بل حال من واحدا قدم عليه والثاني أنه نصب
على الحال من هاء نتبعه وهو يخلص من الإعراب المتقدم إلا أن المرجح لكونه صفة قراءتهما مرفوعين أبشر منا
واحد نتبعه على ما سيأتي فهذا يرجح كون واحدا نعتا لبشرا لا حالا وقرأ أبو السمال فيما نقل الهذلي والداني
برفعهما على الابتداء وواحد صفته ونتبعه خبره وقرأ أبو السمال أيضا فيما نقل ابن خالويه وأبو الفضل وابن
عطية برفع بشر ونصب واحدا وفيه أوجه أحدها أن يكون أبشر مبتدأ وخبره مضمر تقديره أبشر منا يبعث
إلينا أو يرسل وأما انتصاب واحدا ففيه وجهان أحدهما أنه حال من الضمير المستتر في منا لأنه وقع نعتا والثاني
أنه حال من هاء نتبعه وهذا كله تخريج أبي الفضل الرازي الثاني أنه مرفوع بالابتداء أيضا والخبر نتبعه وواحدا
حال على الوجهين المذكورين آنفا الثالث أنه مرفوع بفعل مضمر مبني للمفعول تقديره أينبأ بشر ومنا نعت وواحدا
حال أيضا على الوجهين المذكورين أيضا وإليه ذهب ابن عطية فصل قال ابن الخطيب والحكمة
في تأخير الفعل في الظاهر أن البليغ يقدم في الكلام ما يكون تعلق ضرورته به أكثر والقوم كانوا يريدون بيان
كونهم محقين في ترك الاتباع فلو قالوا أنتبع بشرا أمكن أن يقال نعم اتبعوه وماذا يمنعكم من اتباعه فإذا قدموا
حاله وقالوا أهو من نوعنا بشر من صنفنا رجل ليس غريبا نعتقد فيه أنه يعلم ما لا نعلم أو يقدر ما لا نقدر وهو
واحد وليس له جند ولا حشم ولا خدم ولا خيل وهو وحيد ونحن جماعة فكيف نتبعه فيكونون قدموا الموجب
لجواز الامتناع عن اتباعه وفي الآية إشارة إلى ذلك شبهات تمسكوا بها حيث قالوا أبشرا ولم يقولوا أرجلا ومنها
قولهم منا ويحتمل أمرين أحدهما من صنفنا ليس غريبا والثاني منا أي تبعنا لأن من للتبعيض والبعض يتبع الكل
لا الكل يتبع البعض ومنها قولهم واحدا وهو يحتمل أمرين أيضا أحدهما وحيدا إشارة إلى ضعفه والثاني فيهما واحدا
أي هو من آحاد الناس أي هو من ليس مشهورا بحسب ولا نسب إذا حدث لا يعرف ولا يمكن أن يقال عنه قال فلان بل
يقال قال واحد وذلك غاية الخمول أو لأن الأرذل لا ينضم إليه أحد قوله تعالى إنا إذا لفي ضلال وسعر أي خطاء

وذهاب عن الصواب وسعر يجوز أن يكون مفردا أي جنون يقال ناقة مسعورة أي كالمجنونة في سيرها
قال * كأن بها سعرا إذا السعر هزها * ذميل وإرخاء من السير متعب * وأن يكون جمع سعير وهو النار قاله
سفيان بن عيينة والاحتمالان منقولان قال ابن عباس معنى سعر عذاب وقال الحسن شدة عذاب وقال قتادة عناء
والمعنى إنا إذا لفي عناء وعذاب مما يلزمنا من طاعته وقال وهب معناه بعد عن الحق قوله تعالى أألقي الذكر
عليه من بيننا معناه أأنزل عليه الذكر وهو الوحي من بيننا حال من هاء عليه أي ألقي عليه منفردا من بيننا أي
خصص بالرسالة من بين آل ثمود وفيهم من هو أكثر مالا وأحسن حالا وهو استفهام بمعنى الإنكار قوله تعالى
بل هو كذاب أشر الأشر البطر يقال أشر يأشر أشرا فهو أشر كفرح وأشر كضارب وأشران كسكران وأشارى
كسكارى وقرأ أبو قلابة بل هو الكذاب الأشر من الكذاب الأشر بفتح الشين وتشديد الراء جعلهما أفعل تفضيل
وهو شاذ لأنه يحذف الهمزة من لفظ الخير والشر في أفعل التفضيل تقول زيد خير من عمرو وشر من بكر ولا تقول
أخير ولا أشر إلا في نذور كهذه القراءة وكقول رؤبة * بلال خير الناس وابن الأخير * ويثبت فيهما في التعجب نحو
ما أخيره وما أشره ولا يحذف إلا في نذور حكي أفعل التفضيل قالوا ما خير اللبن للصحيح وما شره للبطون وهذا
من محاسن الصناعة وقرأ أبو قيس الأزدي ومجاهد الحرف الثاني الأشر بثلاث ضمات وتخريجها على أن فيه لغة أشر
بضم الشين كحذر وحذر ثم ضمت الهمزة إتباعا لضم الشين ونقل الكسائي عن مجاهد ضم الشين وفتح الهمزة على أصل تلك
اللغة كحذر فصل الأشر التجبر والنشاط يقال فرس أشر إذا كان مرحا نشطا قال امرؤ القيس يصف كلبا
فأدركنا فغم داجن * سميع بصير طلوب نكر * ألص الضروس حني الضلوع * تبوع أريب نشيط أشر * وقيل إنه المتعدي
إلى منزلة لا يستحقها وقال ابن زيد وعبد الرحمن بن حماد الأشر الذي لا يبالي ما قال وعلى قراءة أبي قلابة بفتح الشين
وتشديد الراء فالمعنى أشرنا وأخبثنا فإن قيل قولهم بل هو كذاب يستدعي أمرا مضروبا عنه فما هو فالجواب قولهم ألقي
للإنكار فكأنهم قالوا ما ألقي ثم إن قولهم ألقي عليه أكد لا تقتضي إلا أنه ليس بنبي وقول القائل فلان ليس بنبي
لا يلزم منه أنه كاذب فكأنهم قالوا ليس بنبي ثم قالوا بل هو ليس بصادق قوله تعالى سيعلمون قرأ ابن عامر وحمزة
بالخطاب وفيه وجهان أحدهما أنه حكاية قول صالح لقومه والثاني أنه خطاب الله على جهة الالتفات والباقون
بياء الغيبة جريا على الغيب قبله في قولهم أبشرا واختارها مكي قال لأن عليها الأكثر وغدا ليس المراد به الذي
يلي يومك بل الزمان المستقبل كقول الطرماح * ألا عللاني قبل نوح النوائح * وقبل اضطراب النفس بين الجوانح
وقبل غد يا لهف نفسي على غد * إذا راح أصحابي ولست برائح * والمعنى سيعلمون غدا حين ينزل بهم العذاب
قال الكلبي يعني يوم القيامة ذكر الغد للتقريب على عادة الناس يقولون إن مع اليوم غدا قوله تعالى الكذاب
فعال صيغة مبالغة لأن المنسوب إلى الشيء لا بد من أن يكثر من مزاولة الشيء فإن من خاط يوما لا يقال له الخياط
فالمبالغة هاهنا إما في الكثرة بأن يكون كثير الكذب وإما في الشدة أي شديد الكذب يقول ما لا يقبله العقل ويحتمل
أن يكونوا وصفوه بذلك لاعتقادهم الأمرين جميعا وقوله أشر إشارة إلى أنه كذب لا لضرورة وحاجة وإنما هو استغنى
فبطر وطلب الرياسة قوله تعالى إنا مرسلو الناقة أي مخرجوها من الهضبة التي سألوا أي باسم الفاعل والإضافة مبالغة
في حقيقته كأنه بلغ قوله تعالى فتنة مفعول له أو مصدر من معنى الأول أو في موضع الحال روي أنهم تعنتوا على صالح
فسألوه أن يخرج لهم من صخرة ناقة حمراء عشراء فقال الله إنا مرسلو الناقة فتنة لهم محنة واختبارا فقوله فتنة مفعول له
أو مصدر من معنى الأول لأن المعجزة فتنة لأن بها يتميز المثاب من المعذب فالمعجزة تصديق وحينئذ يفترق المصدق
من المكذب أو يقال إخراج الناقة من الصخرة معجزة ودورانها بينهم وقسمة الماء فتنة ولهذا قال إنا مرسلوا ولم يقل
مخرجوا قوله تعالى فارتقبهم أي انتظر ما يصنعون واصطبر أي اصبر على أذاهم وأصل الطاء في اصطبر تاء فحولت
طاء لتكون موافقة للصاد في الإطباق قوله تعالى ونبئهم أي أخبرهم أن الماء قسمة بينهم أي بين آل ثمود وبين
الناقة لها يوم ولهم يوم كقوله تعالى لها شرب ولكم شرب يوم معلوم فالضمير في بينهم لقوم صالح والناقة فغلب
العاقل وقرأ العامة قسمة بكسر القاف وروي عن أبي عمرو فتحها وهو قياس المرة والمعنى أن الماء مقسوم بينهم
فوصف بالمصدر مبالغة كقولك فلان عين الكرم قوله تعالى كل شرب محتضر أي يحضره من هو له فالناقة
تحضر الماء يوم ورودها وتغيب عنهم يوم ورودهم قاله مقاتل وقال مجاهد إن ثمود يحضرون الماء يوم غبها
فيشربون ويحضرون اللبن يوم ورودها فيحتلبون والشرب بالكسر الحظ من الماء وفي المثل آخرها أقلها شربا
وأصله من سقي الإبل لأن آخرها يرد وقد نزف الحوض واعلم أن قسمة الماء إما لأن الناقة عظيمة الخلق ينفر منها
حيواناتهم فكان يوم للناقة ويوم لهم وإما لقلة الماء فلا يحملهم وإما لأن الماء كان مقسوما بينهم لكل فريق يوم

فيوم ورود الناقة على هؤلاء يرجعون على الآخرين وكذلك الآخرون فيكون النقصان على الكل ولا يختص بالناقة
بجميع الماء وروي أنهم كانوا يكتفون في يوم وردها بلبنها وليس في الآية إلا القسمة دون كيفيتها وظاهر قوله كل شرب
محتضر يعضد الوجه الثالث وحضر واحتضر بمعنى واحد **قوله تعالى** فنادوا صاحبهم قبله محذوف أي فتمادوا
على ذلك ثم ملوه وعزموا على عقرها فنادوا صاحبهم وتعاطى مطاوع عاطى كأنهم كانوا يتدافعون ذلك حتى تولاه
أشقاها والمعنى فنادوا صاحبهم نداء المستغيث وهو قدار بن سالف وكان أنجعهم وقيل كان رئيسهم فتعاطى أي آلة
العقر أو الناقة أو هو عبارة عن الإقدام على الفعل العظيم وتحقيقه أن الفعل العظيم يتبرأ كل أحد منه ويعطيه صاحبه
أو جعلوا له جعلا فتعاطاه قال محمد بن إسحق كمن لها في أصل شجرة على طريقها فرماها فانتظم به عضلة ساقها ثم شد
عليها بالسيف فكسف عرقوبها فخرت ورغت رغاة واحدة ثم نحرها قال ابن عباس كان الذي عقرها أحمر أزرق أشقر أكشف أفحج
يقال له قدار بن سالف والعرب تسمي الجزار قدارا تشبيها بقدار بن سالف مشؤوم ثمود قال مهلهل • إنا لنضرب
بالسيوف رؤوسهم • ضرب القدار نقيعة القدام **قوله تعالى** إنا أرسلنا عليهم صيحة واحدة يريد صيحة جبريل
كما تقدم فكانوا كهشيم المحتظر العامة على كسر الظاء اسم فاعل وهو الذي يتخذ حظيرة من حطب وغيره وقرأ أبو السمال
وأبو حيوة وأبو رجاء وعمرو بن عبيد بفتحها فقيل هو مصدر أي كهشيم الاحتظار وقيل هو اسم مكان وقيل هو اسم
مفعول وهو الهشيم نفسه ويكون من باب إضافة الموصوف لصفته كمسجد الجامع والحظر المنع وقد تقدم تحريره
في سبحان **فصل** كان في قوله فكانوا قيل بمعنى صاروا كقوله • فكان فراخا بيوضها • أي صارت والهشيم
المهشوم المكسور ومنه سمي هاشم لهشمه الثريد في الجفان غير أن الهشيم يستعمل كثيرا في الحطب المتكسر اليابس قال
المفسرون كانوا كالخشب المتكسر الذي يخرج من الحظائر بدليل قوله هشيما تذروه الرياح وهو من باب
إقامة الصفة مقام الموصوف وتشبيههم بالهشيم إما لكونهم يابسين كالموتى الذين ماتوا من زمان أو لانضمام
بعضهم إلى بعض كما ينضم الرفقاء عند الخوف يدخل بعضهم في بعض فاجتمعوا بعضهم فوق بعض كما يجمع الحاطب
الحطب يصفه شيئا فوق شيء منتظرا حضور من يشتري منه ويحتمل أن يكون ذلك لبيان كونهم في الجحيم أي كانوا
كالحطب اليابس الذي للوقيد كقوله تعالى إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم وقوله فكانوا لجهنم حطبا
فصل بقي في الآية مباحث منها قوله تعالى فكيف كان عذابي ونذر اعلم أن هذه الآية ذكرت في ثلاثة
مواضع ذكرها في حكاية نوح بعد بيان العذاب وذكرها هنا قبل بيان العذاب وذكرها في حكاية عاد قبل
بيانه وبعد بيانه بحيث ذكر قبل بيان العذاب فللبيان كقول العارف بحكايته لغير العارف هل تعلم كيف كان
أمر فلان وغرضه أن يقول الخبر عنه وحيث ذكرها بعد بيان العذاب ذكرها للتعظيم كقول القائل
ضرب فلان أي ضرب وأيما ضرب ويقول ضربته وكيف ضربته أي قويا وفي حكاية عاد ذكرها مرتين للبيان
والاستفهام ومنها أن في حكاية نوح ذكر الذي للتعظيم وفي حكاية ثمود ذكر الذي للبيان لأن عذاب قوم
نوح كان بأمر عظيم عام وهو الطوفان الذي عم العالم ولا كذلك عذاب قوم هود فإنه كان مختصا بهم
فصل اعلم أن الله تعالى ذكر في هذه السورة خمس قصص وجعل القصة المتوسطة مذكورة على
أتم وجه لأن حال صالح كان أكثر مشابهة بحال محمد عليه السلام لأنه أتى بأمر عجيب أرضي وكان أعجب مما جاء به الأنبياء
لأن عيسى عليه السلام أحيى الموتى لكن الميت كان محلا للحياة فقامت به الحيوة بإذن الله في محل كان قابلا
لها وموسى عليه السلام انقلبت عصاه ثعبانا فأثبت الله له في الخشب الحيوة بإذن الله تعالى لكن الخشبة نبات
كان له قوة في النمو فأشبه الحيوان في النمو وصالح عليه السلام كان الظاهر في يده خروج الناقة من الحجر
والحجر جماد ليس محلا للحياة ولا محلا للنمو والنبي عليه السلام أتى بأعجب من الكل وهو التصرف في الجرم السماوي
الذي يقول المشرك لا وصول لأحد إلى السما وأما الأرضيات فقالوا إنها أجسام مشتركة المواد يقبل كل واحد
منها صورة الأخرى والسماويات لا تقبل ذلك فلما أتى بما اعترفوا بأنه لا يقدر على مثله آدمي كان أتم وأبلغ
من معجزة صالح عليه السلام التي هي أتم من معجزة سائر الأنبياء غير محمد عليه السلام **فصل** من قرأ
المحتظر بفتح الظاء أراد الحظيرة ومن قرأ بالكسر أراد صاحب الحظيرة ونقل القرطبي عن صاحب الصحاح قال من كسر
جعله الفاعل ومن فتح جعله المفعول ويقال للرجل القليل الخير إنه لنكد الحظيرة قال أبو عبيدة أراه سمى أمواله
حظيرة لأنه حظرها عنده ومنعها وهي فعيلة بمعنى مفعولة وقال المهدوي من فتح الظاء من المحتظر فهو مصدر
والمعنى كهشيم الاحتظار ويجوز أن يكون المحتظر هو الشجر المتخذ منه الحظيرة قال ابن عباس المحتظر هو الرجل
يجعل لغنمه حظيرة بالشجر والشوك فما سقط من ذلك وداسته الغنم فهو الهشيم قال الشاعر •

اثرن

أثرن عجاجة كدخان نار • تشب بغرقد بال هشيم • وعنه الحشيش تأكله الغنم وعنه أيضا كالعظام النخرة
المحترقة وهو قول قتادة وقال سعيد بن جبير هو التراب المتناثر من الحيطان في يوم ريح وقال سفيان الثوري
هو ما يتناثر من الحظيرة إذا ضربتها بالعصا وهو فعيل بمعنى مفعول وقال ابن زيد العرب تسمي كل شيء كان رطبا
فيبس هشيما والحظر المنع والمحتظر المفتعل يقال منه احتظر على إبله وحظر أي جمع الشجر بعضه على بعض ليمنع
برد الريح والسباع عن إبله قال الشاعر • ترى جيف المطي بجانبيه • كأن عظامها خشب الهشيم •
وعن ابن عباس أيضا أنهم كانوا مثل القمح الذي ديس وهشيم فتات السنبلة والتبن روى أبو الزبير عن جابر
قال لما نزلنا الحجر في مغزى رسول الله صلى الله عليه وسلم تبوك قال أيها الناس لا تسألوا في الآيات هؤلاء قوم
صالح سألوا نبيهم أن يبعث لهم ناقة فبعث الله عز وجل الناقة إليهم وكانت ترد من ذلك الفج فتشرب ماءهم
يوم ورودها ويحلبون منها مثل الذي كانوا يشربون منها يوم غبها **قوله تعالى** كذبت قوم لوط بالنذر
أخبر عن قوم لوط أيضا لما كذبوا لوطا ثم قال إنا أرسلنا عليهم حاصبا والحاصب فاعل من حصب إذا رمى
بالحصباء وهي الحجارة قال النضر الحاصب الحصباء في الريح وقال أبو عبيدة الحاصب الحجارة وفي الصحاح الحاصب
الريح الشديدة التي تثير الحصباء وكذلك الحصبة قال لبيد • جرت عليها أن خوت من أهلها • أذيالها كل عصوف
حصبة • عصفت الريح أي اشتدت فهي ريح عاصف وعصوف وقال الفرزدق • مستقبلين شمال الشام تضربنا
بحاصب كنديف القطن منثور • **قوله تعالى** إلا آل لوط فيه وجهان أحدهما أنه متصل ويكون المعنى أنه أرسل
الحاصب على الجميع إلا أهله فإنه لم يرسل عليهم والثاني أنه منقطع قال شهاب الدين ولا أدري ما وجهه
فإن الانقطاع وعدمه عبارة عن عدم دخول المستثنى في المستثنى منه وهذا داخل ليس إلا وقال أبو البقاء
هو استثناء منقطع وقيل متصل لأن الجميع أرسل عليهم الحاصب فأهلكوا إلا آل لوط وعلى الوجه الأول
يكون الحاصب لم يرسل على آل لوط انتهى وهو كلام مشكل **فصل** قال ابن الخطيب الحاصب رامي الحصباء
وهي الحجارة كقوله وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل وقول الملائكة لنرسل عليهم حجارة من طين مع أن المرسل عليهم
ليس بحاصب فيحتمل أن يكون المعنى أرسل عليهم ريحا حاصبا بالحجارة ويجوز تذكير الريح لأن تأنيثها غير حقيقي
ويحتمل أن يكون المراد عذابا حاصبا ولأن أرسلنا يدل على مرسل وهو مرسل الحجارة وحاصبها وأفرد للجنس
وقوله إنا أرسلنا كأنه جواب من قال كيف كان أمرهم والاستثناء في قوله إلا آل لوط من الضمير في عليهم وهو يعود
على قوم لوط فيقتضي أن آله كذبوا لكن قد يكون أهله قليلا فعمهم ظاهر اللفظ فبين بالاستثناء خروجهم
لأن المقصود بيان من هلك ومن نجا أو يكون الاستثناء من كلام مدلول عليه أي فما نجا من الحاصب إلا آل
لوط ويكون الإرسال عليهم والإهلاك عاما فكان الحاصب أهلك من كان الإرسال عليه مقصودا وغيرهم
كالأطفال والدواب والمراد بآل لوط من تبعه على دينه الأنبياء **قوله تعالى** نجيناهم تفسير وجواب لقائل
يقول فما كان من شأن آل لوط كقوله تعالى أبى بعد قوله إلا إبليس وقد تقدم في البقرة **قوله تعالى** بسحر إما
حالية أو ظرفية وانصرف سحر لأنه نكرة ولو قصد به وقت بعينه لمنع الصرف للتعريف والعدل عن أل هذا
هو المشهور وزعم صدر الأفاضل أنه مبني على الفتح كأمس مبنيا على الكسر ونعمة إما مفعول له وإما مصدر
بفعل من لفظها أو من معنى نجيناهم لأن تنجيتهم إنعام فالتأويل إما في العامل وإما في المصدر ومن عندنا إما
متعلق بنعمة وإما بمحذوف صفة لها والكاف في كذلك نعت مصدر محذوف أي مثل ذلك الجزاء نجزي **فصل**
قال الأخفش إنما أجرى سحر لأنه نكرة ولو أراد سحر يوم بعينه لما أجري وكذا قال الزجاج سحر إذا كان نكرة يراد به
سحر من الأسحار ينصرف تقول أتيته سحرا هذا وأتيته بسحر والسحر هو ما بين آخر الليل وطلوع الفجر وهو في
كلام العرب اختلاط سواد الليل ببياض النهار لأن في هذا الوقت يكون مخايل الليل ومخايل النهار نعمة من
عندنا إنعاما منا على لوط وابنتيه كذلك نجزي من شكر أي كما جزينا لوطا وأهله بالإنجاء فكذلك نجزي من شكر
أي آمن بالله وأطاعه قال المفسرون هو وعد لأمة محمد عليه السلام بأنه يصونهم عن الهلاك العام قال ابن
الخطيب ويمكن أن يقال هو وعد هؤلاء بالثواب يوم القيمة كما أنجاهم في الدنيا من العذاب لقوله تعالى ومن يرد
ثواب الآخرة نؤته منها وسنجزي الشاكرين **قوله تعالى** ولقد أنذرهم بطشتنا البطشة هي العذاب الذي
أصابهم أو هي عذاب الآخرة لقوله يوم نبطش البطشة الكبرى وقوله فتماروا بالنذر أي فشكوا فيما أنذرهم
به الرسول ولم يصدقوه وهو تفاعل من المرية وهذه الآية تدل على أن المراد بالنذر الإنذارات **قوله تعالى**
ولقد راودوه عن ضيفه المراودة من الرود يقال راودته على كذا مراودة ورواداً أي أردته وراد الكلام يروده

رودا ورياداً وارتاده ارتياداً اي طلبه وفي الحديث اذا بال احدكم فليرتد لبوله اي يطلب مكاناً ليناً
او منحدراً قال ابن الخطيب ومنه الارادة وهي المطالبة غير ان المطالبة حيث ان المطالبة تستعمل في المعاني يقال
طالب زيد عمراً بالدراهم والمراودة لا تستعمل الا في العمل فيقال راوده عن المساعدة ولهذا تعدى المراودة
الى مفعول ثان والمطالبة بالباء وذلك لان الشغل منوط باختيار الفاعل والعين قد توجد من غير اختيار منه
ولهذا تغير والحال بان قولك اخبرني عن امر زيد واخبرني بامر زيد وكذا قوله اخبرني زيد عن مجي فلان وقوله
اخبرني بمجيئه فان من قال عن مجيئه ربما يكون الاخبار عن كيفية المجي لا عن نفسه واخبرني بمجيئه لا يكون الا عن
نفس المجي والضيف يقع على الواحد وعلى الجماعة والمعنى ارادوا منه تمكينهم ممن اتاه من الملائكة **قوله تعالى**
فطمسنا اعينهم قرا العامة فطمسنا اعينهم مخففا وابن مقسم مشددا على التكثير لاجل المتعلق او
لشدة الفعل في نفسه والضمير في راودوه عائد على قوم لوط واسند اليهم لان جميعهم راض بذلك والمراد
الذين دخلوا عليه روي ان جبريل عليه السلام ضربهم بجناحه فعموا وقيل صارت اعينهم كسائر الوجه لا يرى
لها شق كما تطمس الريح الاثر والاعلام بما تسفي عليها من التراب وقال الضحاك بل اعماهم الله تعالى فلم يروا الرسل
وقالوا لقد رايناهم حين دخلوا البيت فاين ذهبوا فرجعوا ولم يروهم وهذا قول ابن عباس فان قيل قال
ههنا فطمسنا اعينهم وقال في يس ولو نشاء لطمسنا على اعينهم فما الفرق فالجواب هذا يؤيد قول ابن عباس
بان المراد من الطمس الحجب عن الادراك ولم يجعل على بصرهم شي وفي يس اراد انه لو شا لجعل على بصرهم
غشاوة والزق احد الجفنين بالاخر فيكون للعين جلد وروي انهم صارت اعينهم مع وجوههم كالصفحة
الواحدة **قوله تعالى** فذوقوا عذابي ونذر الخطاب لهم اي قلنا على لسان الملائكة فذوقوا وهو خطاب
مع كل مكذب اي ان كنتم تكذبون فذوقوا قال القرطبي والمراد من هذا الامر الجزاي فاذقتهم عذابي الذي
انذرهم به لوط فان قيل النذر كيف يذاق فالجواب معناه ذوقوا مجازاة فعلكم وموجبه فان قيل اذا كان
المراد بقوله عذابي هو العذاب العاجل وبقوله ونذر هو العذاب الاجل فهما لم يكونا في زمان واحد فكيف قال
ذوقوا فالجواب ان العذاب الاجل اوله متصل باخر العذاب العاجل فهما كالواقع في زمان واحد وهو كقوله
تعالى اغرقوا فادخلوا نارا **قوله تعالى** ولقد صبحهم بكرة انصرف بكرة لانه نكرة ولو قصد به وقت بعينه
امتنع الصرف للتانيث والتعريف وهذا كما تقدم في غدوة ومنعها زيد بن علي الصرف ذهب بها الى وقت
بعينه قال صاحب المختصر انتصب بكرة على الظرف اي بكرة من البكر كقوله اسرى بعبده ليلاً قال الزمخشري
والتنكير يدل على انه كان في بعض الليل وتمسك بقراءة من قرا من الليل قال ابن الخطيب وهو ظاهر والاظهر
ان يقال بان الوقت المبهم يذكر لبيان ان تعيين الوقت ليس بمقصود للمتكلم كقوله خرجنا في بعض الاوقات
مع ان الخروج لا بد ان يكون في بعض الاوقات وكذلك قولهم صبحهم بكرة اي بكرة من البكر واسرى بعبده
ليلا من الليالي ولا ابينه ومعنى صبحهم قال لهم عموا صباحا كقوله فبشرهم بعذاب اليم او المراد بقوله
بكرة اول ازمنة الصبح او انتصب بكرة على المصدر كقولك ضربته سوطا لان الضرب يكون بالسوط وغيره
وكذلك الصبح يكون بكرة وبعدها ومعنى مستقر اي ثابت عليهم لا بد فقد احدهم او دايم لانهم انتقلوا
منه الى عذاب الجحيم وهو دايم او بمعنى قدره الله عليهم وقضاه ولم يصبهم بطريق الاتفاق وذلك
العذاب قلب قريتهم عليهم وجعل اعاليها اسفلها وقوله فذوقوا عذابي ونذر اي العذاب الذي نزل
بهم من طمس الاعين غير العذاب الذي اهلكوا به فلذلك حسن التكرير **قوله تعالى** ولقد جاء آل فرعون
النذر المراد بآله خواصه والنذر موسى وهرون وقد يطلق لفظ الجمع على الاثنين وقيل المراد
بآل فرعون القبط فان قيل ما الفائدة في قوله آل فرعون بدل قوم فرعون فالجواب ان القوم اعم
من الآل فالقوم كل من يقوم الرئيس بامرهم او يقومون هم بامره وقوم فرعون كانوا تحت قهره
بحيث لا يخالفونه في قليل ولا كثير فارسل اليه الرسول وحده غير انه كان عنده جماعة من المقربين مثل
قارون مقدم عنده لماله العظيم وهامان لدهايه فاعتبرهم الله في الارسال حيث قال في مواضع
ولقد ارسلنا موسى باياتنا الى فرعون وملايه وقال الى فرعون وهامان وقارون وقال في العنكبوت
وقارون وفرعون وهامان ولقد جاءهم موسى لانهم ان امنوا امن الكل بخلاف الاقوام الذين كانوا
قبلهم وبعدهم فقال ولقد جاء آل فرعون النذر وقال ادخلوا آل فرعون اشد العذاب فان قيل كيف قال
ولقد جاء ولم يقل في غيرهم جاء فالجواب لان موسى عليه السلام لما جاءهم كان غايبا عن القوم فقدم

عليهم

عليهم كما قال فلما جاء آل لوط المرسلون وقال تعالى لقد جاءكم رسول من انفسكم حقيقة ايضا لانه جاءهم
من الله من السموات بعد المعراج كما جاء موسى قومه من الطور حقيقة والنذر الرسل وقد جاءهم يوسف وبنوه
الى ان جاءهم موسى وقيل النذر الانذارات **قوله تعالى** كذبوا باياتنا فيه وجهان احدهما ان الكلام تم عند
قوله ولقد جاء آل فرعون النذر وقوله كذبوا كلام مستانف والضمير عايد الى كل من تقدم ذكرهم من قوم نوح الى
آل فرعون الثاني ان الحكاية مسوقة على سياق ما تقدم فكانه قال فكيف كان فقال كذبوا باياتنا كلها فاخذناهم
فعلى الوجه الاول اياتنا كلها ظاهر وعلى الثاني المراد الايات التي كانت مع موسى عليه السلام كالعصى واليد والسنين
والطمس والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم **قوله تعالى** فاخذناهم اخذ عزيز هذا مصدر مضاف لفاعله
والمعنى اخذناهم بالعذاب اخذ عزيز غالب في انتقامه مقتدر على اهلاكهم لا يعجزه ما اراد ثم خوف اهل مكة فقال
اكفاركم خير من اوليكم اي اشد واقوى من الذين احللت بهم نقمتي من قوم نوح وعاد وثمود وقوم لوط وهذا استفهام
بمعنى الانكار اي ليسوا باقوى منهم فمعناه نفي اي ليس كفاركم خيرا من كفار من تقدم من الامم الذين اهلكوا بكفرهم
وقوله خير مع انه لا خير فيهم اما ان يكون كقول حسان • فخيركما لشركما الفداء • او هو بحسب زعمهم واعتقادهم او المراد
بالخير هذه القوة او لان كل ممكن فلا بد وان يكون فيه صفات محمودة فالمراد تلك الصفات ام لكم براءة في الزبر اي في
الكتب المنزلة على الانبياء عليهم السلام بالسلامة من العقوبة وقال ابن عباس ام لكم في اللوح المحفوظ براءة من العذاب
قوله تعالى ام يقولون العامة على الغيبة التفاتا وابو حيوة وابو البرهسم وموسى الاسواري بالخطاب جريا
على ما تقدم من قوله اكفاركم الى اخره والمعنى نحن جماعة لا نطاق لكثرة عددهم وقوتهم ولم يقل منتصرين اتباعا لرؤس
الاي وقال ابن الخطيب قولهم جميع يحتمل الكثرة والاتفاق ويحتمل ان يكون معناه نحن جميع الناس اشارة الى ان
من آمن لا عبرة به عندهم كقول قوم نوح انؤمن لك واتبعك الارذلون فيكون التنوين فيه عوضا من الاضافة
وافرد منتصر مراعاة للفظ جميع او يكون مرادهم كل واحد منا منتصر كقولك كلهم عالم اي كل واحد فيكون المعنى
ان كل واحد منا غالب فرد الله تعالى عليهم بانهم يهزمون جميعهم **قوله تعالى** سيهزم الجمع العامة سيهزم مبنيا
للمفعول والجمع مرفوع به وقرئ ستهزم بفتح التاء خطابا للرسول عليه السلام الجمع مفعول به وابو حيوة ايضا
في رواية يعقوب سنهزم بنون العظمة والجمع منصوب ايضا وروي عن ابي حيوة ايضا وابن ابي عبلة سيهزم بياء
الغيبة مبنيا للفاعل الجمع منصوب اي سيهزم الله ويولون العامة على الغيبة وابو حيوة وابو عمرو في رواية وتولون
بتاء الخطاب وهي واضحة والدبر هنا اسم جنس وحسن هنا لوقوعه فاصلة بخلاف ليولن الادبار وقال الزمخشري
اي الادبار كما قال • كلوا في بعض بطنكم تعفوا • وقرئ الادبار قال ابو حيان وليس مثل بعض بطنكم لان الافراد
له هنا محسن ولا يحسن لافراد بطنكم قال ابن الخطيب وافراد الدبر هنا وجمع في غيره لان الجمع هو الاصل
لان الضمير ينوب مناب تكرار العاطف فكانه قيل يولي هذا وهذا وافرد لمناسبة المقاطع وفيه اشارة الى ان جميعهم
يكونون في الانهزام كشخص واحد واما قوله فلا تولوهم الادبار فجمع لان كل واحد براسه منهي عن ذلك واما قوله
ولئن نصروهم ليولن الادبار فجمع لافتراق قلوبهم كقوله تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى واما قوله ولقد كانوا عاهدوا
الله من قبل لا يولون الادبار اي كل واحد قال انا اثبت ولا اولي دبري **فصل** قال مقاتل ضرب
ابو جهل فرسه يوم بدر فتقدم من الصف وقال نحن ننتصر اليوم من محمد واصحابه فانزل الله ام يقولون نحن
جميع منتصر وقال سعيد بن المسيب سمعت عمر بن الخطاب يقول لما نزلت سيهزم الجمع ويولون الدبر كنت
لا ادري اي جمع يهزم فلما كان يوم بدر رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم يثب في درعه ويقول سيهزم
الجمع ويولون الدبر بل الساعة موعدهم جميعا والساعة ادهى وامر اعظم نايبة واشد مرارة من الاسر
والقتل يوم بدر وفي رواية ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يثب في درعه ويقول اللهم ان قريشا حادتك وتحاد
رسولك بفخرها وخيلها فاحنهم الغداة ثم قال سيهزم الجمع ويولون الدبر قال عمر فعرفت تاويلها وهذا من
معجزات رسول الله صلى الله عليه وسلم لانه اخبر عن غيب فكان كما اخبر قال ابن عباس كان بين نزول هذه الاية
وبين بدر سبع سنين فالاية على هذا مكية وفي البخاري عن عايشة ام المومنين قالت لقد انزل على محمد صلى الله
عليه وسلم بمكة واني لجارية العب بل الساعة موعدهم والساعة ادهى وامر وعن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه
وسلم قال وهو في قبة له يوم بدر انشدك عهدك ووعدك اللهم ان شئت لم تعبد بعد اليوم ابدا فاخذ
ابو بكر بيده وقال حسبك يا رسول الله فقد الححت على ربك وهو في الدرع فخرج وهو يقول سيهزم الجمع ويولون
الدبر بل الساعة موعدهم والساعة ادهى وامر بل الساعة موعدهم يريد يوم القيمة والساعة ادهى وامر مما

لخفهم يوم بدر **فصل** ادهي من الداهية وهي الامر العظيم يقال دهاه امر كذا اي اصابه دهوا ودهيا وقال ابن السكيت دهته داهية دهو ودهاء وهي توكيد لها **قوله تعالى** ان المجرمين في ضلال وسعر قيل في ضلال بعد عن الحق قال الضحاك وسعر اي نار تسعر عليهم وفي ضلال ذهاب عن طريق الجنة في الاخرة وسعر جمع سعير نار مسعرة وقال الحسين بن الفضل ان المجرمين في ضلال في الدنيا ونار في الاخرة وقال قتادة في عناء وعذاب ثم بين عذابهم فقال يوم يسحبون في النار على وجوههم ويقال لهم ذوقوا مس سقر **فصل** اكثر المفسرين على ان هذه الاية في القدرية وفي الحديث انها نزلت في القدرية وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال مجوس هذه الامة القدرية وهم المجرمون الذين سماهم الله تعالى في قوله ان المجرمين في ضلال وسعر واعلم ان الجبري يقول القدري من يقول الطاعة والمعصية بفعلي وهم ينكرون القدر والمعتزلي يقول الجبري قدري لانه يقول الخير والشر قدره الله علي وهو يثبت القدر والفريقان متفقان على ان الشي القايل بان الافعال بخلق الله وبسبب من العبد ليس بقدري قال ابن الخطيب والحق ان القدري هو الذي ينكر القدر وينسب الحوادث لاتصالات الكواكب لما روي ان قريشا خاصموا في القدر ومذهبهم ان الله مكن العبد من الطاعة والمعصية وهو قادر على خلق ذلك في العبد وقادر على ان يطعم الفقير ولهذا قالوا انطعم من لو يشاء الله اطعمه منكرين لقدرته تعالى على الاطعام واما قوله عليه السلام القدرية مجوس هذه الامة فان اريد بالامة المرسل اليهم مطلقا كالقوم فالقدرية في زمانه هم المشركون المنكرون قدرته على الحوادث فلا تدخل فيهم المعتزلة وان كان المراد بالامة من امن به عليه السلام فمعناه ان نسبة القدرية اليهم كنسبة المجوس الى الامة المتقدمة فان المجوس اضعف الكفرة المتقدمين شبهة واشد مخالفة للعقل وكذا القدرية في هذه الامة وكونهم كذلك لا يقتضي الجزم بكونهم في النار فالحق ان القدري هو الذي ينكر قدرة الله تعالى **فصل** روى مسلم عن ابي هريرة قال جاء مشركو قريش يخاصمون رسول الله صلى الله عليه وسلم في القدر فنزلت هذه الاية ان المجرمين في ضلال وسعر الى قوله انا كل شيء خلقناه بقدر وروى عبد الله بن عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كتب الله مقادير الخلائق كلها من قبل ان يخلق السموات والارض بخمسين الف سنة قال وعرشه على الماء وعن طاوس اليماني قال ادركت ناسا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولون كل شيء بقدر الله وسمعت من عبد الله بن عمر يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل شيء بقدر حتى العجز والكيس او الكيس والعجز وعن علي بن ابي طالب رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يؤمن بالله عبد حتى يؤمن باربع يشهد ان لا اله الا الله واني رسول الله بعثني بالحق ويؤمن بالبعث بعد الموت ويؤمن بالقدر وزاد عبيد الله خيره وشره وهذه الادلة تبطل مذاهب القدرية **قوله تعالى** ذوقوا فيه اضمار القول وقرا ابو عمرو في رواية محبوب عنه مسقر وخطاه مجاهد وهو معذور لان السين الاخيرة من مس مدغم فيها فلا تدغم في غيرها لانها متى ادغم فيها لزم تحريكها ومتى ادغمت هي لزم سكونها فتنافى الجمع بينهما قال ابو حيان والظن بابي عمرو انه لم يدغم حتى حذف احد الحرفين لاجتماع الامثال ثم ادغم قال شهاب الدين كلام ابن مجاهد انما هو فيما قالوا انه ادغم اما اذا حذف وادغم فلا اشكال وسقر علم لجهنم اعاذنا الله منها مشتقة من سقرته الشمس والنار اي لوحته ويقال صقرته بالصاد وهي مبدلة من السين لاجل القاف قال ذو الرمة الشاعر

اذا ذابت الشمس اتقى صقراتها ● بافنان مربوع الصريمة معبل ●

وسقر ممنوع من الصرف لان حركة الوسط نزلت منزلة الحرف الرابع كعقرب وزينب قال القرطبي وسقر اسم من اسماء جهنم مونث لا ينصرف لانه اسم مونث معرفة وكذلك لظى وجهنم وقال عطا سقر الطبق السادس من النار قال قطرب ويوم مسمقر ومصمقر شديد الحر ومنها ما يوجد من الالم عند الوقوع فيها **فصل** العامل في يوم يسحبون يحتمل ان يكون منصوبا بعامل مفهوم غير مذكور وهذا العامل يحتمل ان يكون سابقا وهو قوله ان المجرمين في ضلال وسعر والعامل في الحقيقة على هذا الوجه ايضا مفهوم من في كانه قيل يعني كاين ذلك صار منصوبا ويحتمل ان يكون متاخرا وهو قوله ذوقوا تقديره ذوقوا مس سقر يوم يسحب المجرمون والخطاب حينئذ مع من خوطب بقوله اكفاركم خير من اوليكم ويحتمل ان يكون منصوبا بالقول المقدر اي يقال لهم يوم يسحبون ذوقوا وهو المشهور والذوق استعارة للمبالغة لقوة الادراك في الذوق فان الانسان يشارك غيره في اللمس ويختص بادراك الطعوم فيحصل الالم العظيم والمعنى ذوقوا ايها المكذبون بمحمد صلى الله عليه وسلم يوم يسحب المجرمون المتقدمون في النار **قوله تعالى** انا كل شيء خلقناه العامة على نصب كل على الاشتغال وابو السمال بالرفع وقد رجح الناس بل بعضهم اوجب النصب قال لان الرفع يوهم ما لا يجوز على قواعد اهل السنة وذلك انه اذا

رفع كل شيء كان مبتدا وخلقناه صفة لكل او لشيء وبقدر خبره وحينئذ يكون له مفهوم لا يخفى على متامله فيلزم ان يكون الشيء الذي ليس مخلوقا لله تعالى لا بقدر كذا قدره بعضهم وقال ابو البقا وانما كان النصب اولى لدلالته على عموم الخلق والرفع لا يدل على عمومه بل يفيد ان كل شيء مخلوق فهو بقدر وقال مكي بن ابي طالب كان الاختيار على اصول البصريين رفع كل كما ان الاختيار عندهم في قولك زيد ضربته الرفع والاختيار عند الكوفيين النصب فيه بخلاف قولنا زيد اكرمته لانه قد تقدم في الاية شيء عمل فيما بعده وهو ان والاختيار عندهم النصب فيه وقد اجمع القراء على النصب في كل على الاختيار فيه عند الكوفيين ليدل ذلك على عموم الاشياء المخلوقات انها لله تعالى بخلاف ما قاله اهل الزيغ من ان ثم مخلوقات لغير الله تعالى وانما دل النصب في كل على العموم لان التقدير انا خلقنا كل شيء خلقناه بقدر فخلقناه تاكيد وتفسير لخلقنا المضمر الناصب لكل شيء فهذا لفظ عام يعم جميع المخلوقات ولا يجوز ان يكون خلقناه صفة لشيء لان الصفة والصلة لا يعملان فيما قبل الموصوف ولا الموصول ولا يكونان تفسيرا لما يعمل فيما قبلهما فاذا لم يبق خلقناه صفة لم يبق الا انه تاكيد وتفسير للمضمر الناصب وذلك يدل على العموم وايضا فان النصب هو الاختيار لان انا عندهم يطلب الفعل فهو اولى به فالنصب عندهم في كل هو الاختيار فاذا انضاف اليه معنى العموم والخروج عن الشبه كان النصب اولى من الرفع وقال ابن عطية وقوم من اهل السنة بالرفع قال ابو الفتح هو الوجه في العربية وقراتنا بالنصب مع الجماعة وقال الزمخشري كل شيء منصوب بفعل مضمر يفسره الظاهر وقرئ كل شيء بالرفع والقدر التقدير وقرئ بهما اي خلقنا كل شيء مقدرا محكما مرتبا على حسب ما اقتضته الحكمة او مقدرا مكتوبا في اللوح معلوما قبل كونه قد علمنا حاله وزمانه انتهى وهو هنا لم يتعصب للمعتزلة لضعف وجه الرفع وقال قوم اذا كان الفعل يتوهم فيه الوصف وان ما بعده يصلح للخبر وكان المعنى على ان يكون الفعل هو الخبر اختير النصب في الاسم الاول حتى يتضح ان الفعل ليس بوصف ومنه هذا الموضع لان قراءة الرفع تخيل ان الفعل وصف وان الخبر بقدر وقد تنازع اهل السنة والقدرية في الاستدلال بهذه الاية فاهل السنة يقولون كل شيء فهو مخلوق لله تعالى بقدر ودليلهم قراءة النصب لانه لا يفسر في هذا التركيب الا ما يصح ان يكون خبرا لو رفع الاول على الابتداء وقال القدرية القراءة برفع كل وخلقناه في موضع الصفة لكل اي ان امرنا وشاننا كل شيء خلقناه فهو بقدر او بمقدار وعلى حد ما في هيئته وزمنه وقال بعض العلماء في القدر هنا وجوه احدها انه المقدار في ذاته وصفاته الثاني التقدير لقوله فقدرنا فنعم القادرون وقال الشاعر ● وقدر الرحمن ما هو قادر ● اي ما هو مقدر الثالث القدر الذي يقال مع القضاء كقولك كان بقضاء الله وقدره فقوله بقدر على قراءة النصب متعلق بالفعل الناصب وفي قراءة الرفع في محل رفع لانه خبر لكل وكل وخبرها في محل رفع خبرا لان وسياتي قريبا انه عكس هذا اعني في اختيار الرفع وهي قوله تعالى وكل شيء فعلوه في الزبر فانه لم يختلف في رفعه قالوا لان نصبه يؤدي الى فساد المعنى لان الواقع خلافه وذلك انك لو نصبته لكان التقدير فعلوا كل شيء في الزبر وهو خلاف الواقع اذ في الزبر اشياء كثيرة جدا لم يفعلوها واما قراءة الرفع فتودي الى ان كل شيء فعلوه هو ثابت في الزبر وهو المقصود فلذلك اتفق على رفعه وهذان الموضعان من نكت المسايل العربية التي اتفق مجيئهما في سورة واحدة في مكانين متقاربين ومما يدل على جلالة علم الاعراب وافهامه المعاني الغامضة **فصل** قال اهل السنة ان الله تعالى قدر الاشياء اي علم مقاديرها واحوالها وازمانها قبل ايجادها ثم اوجد منها ما سبق في علمه فلا يحدث في العالم العلوي والسفلي الا وهو صادر عن علمه تعالى وقدرته وارادته دون خلقه وان الخلق ليس لهم فيها الا نوع اكتساب ومحاولة ونسبة واضافة وان ذلك كله انما حصل لهم بتيسير الله وبقدرة الله والهامه سبحانه لا اله الا هو ولا خالق غيره كما نص عليه القران والسنة لا كما قال القدرية وغيرهم من ان الاعمال الينا والاجال بيد غيرنا قال ابو ذر قدم وفد نجران على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا الاعمال الينا والاجال بيد غيرنا فنزلت هذه الايات الى قوله انا كل شيء خلقناه بقدر فقالوا يا محمد يكتب علينا الذنب ويعذبنا فقال انتم خصماء الله يوم القيامة **فصل** روى ابو الزبير عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان مجوس هذه الامة المكذبين بقدر الله ان مرضوا فلا تعودوهم وان ماتوا فلا تشهدوهم وان لقيتموهم فلا تسلموا عليهم خرجه ابن ماجة في سننه وخرج ايضا عن ابن عباس وجابر قالا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم صنفان من امتي ليس لهم في الاسلام نصيب اهل الارجاء والقدر **قوله تعالى** وما امرنا الا واحدة وهو قولنا كن كلمح بالبصر اي قضائي في خلقي اسرع من لمح البصر واللمح النظر بالعجلة يقال لمح البرق ببصره وفي الصحاح لمحه ولمحه اذا ابصره بنظر خفيف والاسم اللمحة ولمح البرق والنجم لمحا اي لمع قال البغوي قوله واحدة يرجع

الى المعنى دون اللفظ اي وما امرنا الا مرة واحدة وقيل معناه وما امرنا للشيء اذا اردنا تكوينه الا كلمة
واحدة كما تقدم وهي رواية عطا عن ابن عباس وروى الكلبي عنه وما امرنا بمجيء الساعة في السرعة الا كطرف البصر
فصل قال ابن الخطيب ان الله تعالى اذا اراد شيئا ان قال له كن فهناك شيئان الارادة والقول فالارادة
قدر والقول قضا وقوله واحدة يحتمل امرين احدهما بيان انه لا حاجة الى تكرير القول اشارة الى نفاذ الامر والثاني
بيان عدم اختلاف الحال فامره عند خلق العرش العظيم كامره عند خلق النملة الصغيرة فامره عند الكل واحد وقوله كلمح بالبصر
تشبيه للكون لا تشبيه للامر فكانه قال امرنا واحدة فاذا المامور كائن كلمح بالبصر لانه لو كان راجعا الى الامر لا يكون ذلك
صفة مدح يليق به فان كلمة كن شيئا ايضا يوجد كلمح بالبصر ومعنى كلمح بالبصر اي كنظر العين والبا للاستعانة
مثل كتبت بالقلم دخلت على الالة ومثل بها لانها اسرع حركة في الانسان لان العين وجد فيها قرب المحرك لها فان
المحرك العصب ومنبتها الدماغ وهو في غاية القرب من العين وصغر حجمها فانه لا يثقل على المحرك ولا ينفصل عليه بخلاف
العظام واستدارة شكلها فان دحرجة الكرة اسرع من دحرجة المثلث والمربع ولانها في رطوبة مخلوقة في العضو الذي
هو موضعها وهو الحكمة في كثرة المرئيات بخلاف الماكولات والمسموعات والمفاصل التي تفصل بالارجل والمذوقات
فلولا سرعة حركة الالة التي بها ادراك المبصرات لما وصل الى الكل الا بعد طول زمان وقيل معنى كلمح بالبصر البرق يربه
سريعا فالبا يكون للالصاق نحو مررت به وفي قوله كلمح بالبصر ولم يقل كلمح البرق فائدة وهي ان لمح البرق لا مثل
ونهايته فالذي يمر بالبصر منه يكون اقل من جملته مبالغة في القلة ونهاية السرعة قوله تعالى ولقد اهلكنا
اشياعكم اي اشباهكم ونظراكم في الكفر من الامم السالفة وقيل اتباعكم واعوانكم فهل من مدكر اي يتذكر ويعلم
ان ذلك حق فيخاف ويعتبر وكل شيء فعلوه في الزبر اي جميع ما فعلته الامم قبلهم من خير او شر فانه مكتوب عليهم
اي في كتب الحفظة وقيل في اللوح المحفوظ وقيل في ام الكتاب قال القرطبي وهذا بيان انا كل شيء خلقناه بقدر
اي في الزبور اي في اللوح المحفوظ قوله تعالى وكل صغير وكبير مستطر اي كل ذنب صغير وكبير مكتوب على عامليه
قبل ان يفعلوه وقرا العامة مستطر بتخفيف الراء من السطر وهو الكتب اي مكتتب يقال سطرت واستطرت وكتبت
واكتتبت وقرا الاعمش وعمران بن حدير ويروى عن عاصم بتشديدها وفيه وجهان احدهما انه مشتق من طر
الشارب والنبات اي ظهر ونبت بمعنى ان كل شيء قل او كثر ظاهر في اللوح غير خفي فوزنه مستفعل كمستخرج والثاني
انه من الاستطار كقراءة العامة وانما شددت الراء من اجل الوقف كقولهم هذا جعفر وفرخ ثم اجري الوصل
مجرى الوقف فوزنه مفتعل كقراءة الجمهور قوله تعالى ان المتقين في جنات ونهر العامة بالافراد وهو اسم
جنس بدليل مقارنته للجمع والها مفتوحة كما هو الفصيح وسكنها مجاهد والاعرج وابو السمال والفياض
وهي لغية تقدم الكلام عليها اول البقرة قال ابن جريج يعني انهار الماء والخمر والعسل ووحد لانه راس اية
ثم الواحد قد ينبي عن الجمع وقال الضحاك ليس المراد هنا نهر الماء وانما المراد به سعة الارزاق لان المادة تدل
على ذلك كقول قيس بن الخطيم • ملكت بها كفي فانهرت فتقها • ترى قائم من دونها ما وراءها • اي وسعت
ومنه انهرت الجرح ومنه النهار لضيائه وقرا ابو نهيك وابو مجلز والاعمش وزهير الفرقبي ونقله القرطبي
ايضا عن طلحة بن مصرف والاعرج وقتادة ونهر بضم النون والهاء وهي تحتمل وجهين احدهما ان يكون
جمع نهر بالتحريك وهو لا او كنحو اسد في اسد والثاني ان يكون جمع الساكن نحو سقف في سقف ورهن في رهن
والجمع مناسب للجمع قبله في جنات وقرا العامة بافراده ابلغ وقد تقدم كلام ابن عباس في قوله تعالى اخر البقرة
وملائكته وكتابه بالافراد انه اكثر من الكتب وتقدم ايضا تقرير الزمخشري لذلك قال القرطبي كانه جمع نهار
لا ليل لهم كسحاب وسحب قال الفرا انشدني بعض العرب • ان تك ليليا فاني نهر • متى ارى الصبح فلا انتظر •
اي صاحب النهار وقال اخر • لولا الثريدان هلكنا بالضمر • ثريد ليل وثريد بالنهر • فصل
لما وصف الكفار وصف المومنين ايضا فقال ان المتقين في جنات الجنات اسم للاشجار اي هم في خلالها وكذلك
الانهار والمعنى جنات وعيون كقوله • علفتها تبنا وماء باردا • وجمع الجنات اشارة الى سعتها وتنوعها
وافرد النهر لان المعنى في خلاله فاستغنى عن جمعه وجمع في قوله تجري من تحتها الانهار لئلا يتوهم انه ليس
في الجنة الا نهر واحد والتنكير فيه للتعظيم قوله تعالى في مقعد يجوز ان يكون خبرا ثانيا وهو الظاهر وان
يكون حالا من الضمير في الجار لوقوعه خبرا وجوز ابو البقا ان يكون بدلا من قوله في جنات وحينئذ يجوز ان يكون
بدل بعض لان المقعد بعضها وان يكون اشتمالا لانها مشتملة والاول اظهر والعامة على افراد مقعد مرادا
به الجنس كما تقدم في نهر وقرا عثمان البتي مقاعد وهو مناسب للجمع قبله ومقعد صدق من باب رجل صدق

في انه يجوز ان يكون من اضافة الموصوف لصفته والصدق يجوز ان يراد به ضد الكذب اي صدقوا في الاخبار
به وان يراد به الجودة والخيرية ومليك مثال مبالغة وهو مناسب هنا ولا يتوهم ان اصله ملك لانه هو الوارد
في غير موضع وان الكسرة اشبعت فتولد منها يا لان الاشباع لم يرد الا ضرورة او قليلا وان كان قد وقع في قراءة
هشام افئدة في اخر ابرهيم فليلتفت اليه فصل قال في مقعد صدق ولم يقل في مجلس صدق لان
القعود جلوس فيه مكث ومنه قواعد البيت والقواعد من النسا ولا يقال جوالس فاشار الى دوامه وثباته ولان حروف
ق ع د كيف دارت تدل على ذلك والاستعمال في القعود يدل على ذلك ومنه لا يستوي القاعدون من المومنين
وقوله مقاعد للقتال اشارة الى الثبات وكذا قوله عن اليمين وعن الشمال قعيد فذكر المقعد لدوامه ولطوله وقال
في المجلس تفسحوا في المجالس اشارة الى الحركة وقال انشزوا اشارة الى ترك الجلوس اي هو مجلس فلا تجب ملازمته بخلاف
المقعد فصل قال المفسرون في مقعد صدق اي حق لا لغو فيه ولا تاثيم عند مليك مقتدر اي مالك
قادر لا يعجزه شيء وعنده هاهنا عندية القربة والزلفة والمكانة والرتبة والكرامة والمنزلة قال الصادق مدح
الله المكان بالصدق فلا يقعد فيه الا اهل الصدق روى الثعلبي في تفسيره عن ابي بن كعب قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم من قرا سورة اقتربت الساعة في كل غب بعث يوم القيمة ووجهه على صورة القمر ليلة البدر ومن قراها
كل ليلة كان افضل وجاء يوم القيمة ووجهه مسفر على وجوه الخلائق صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم

سورة الرحمن عز وجل

وهي مكية كلها في قول الحسن وعروة بن الزبير وعكرمة وعطا وجابر وقال ابن عباس الا اية منها وهي قوله تعالى
يساله من في السموات والارض الاية وقال ابن عباس ومقاتل هي مدنية كلها والاول اصح لما روى عروة بن الزبير قال
اول من جهر بالقران بمكة بعد النبي صلى الله عليه وسلم ابن مسعود وذلك ان الصحابة قالوا ما سمعت قريش هذا
القران يجهر به قط فمن رجل يسمعهموه فقال ابن مسعود انا فقالوا نخشى عليك وانما نريد رجلا له عشيرة يمنعونه
فابى ثم قام عند المقام فقال بسم الله الرحمن الرحيم الرحمن علم القران ثم تمادى بها رافعا صوته وقريش
في انديتها فتاملوا وقالوا ما يقول ابن ام عبد قالوا هو يقول الذي يزعم محمد انه انزل عليه ثم ضربوه حتى
اثروا في وجهه وصح ان النبي صلى الله عليه وسلم قام يصلي الصبح بنخلة فقرا سورة الرحمن ومر النفر من الجن فامنوا به
وهي ثمان وسبعون اية وثلاثمائة واحدى وخمسون كلمة والف وستمائة وستة وثلاثون حرفا بسم الله الرحمن
الرحيم قوله تعالى الرحمن فيه ثلاثة اوجه احدها انه خبر مبتدا مضمر اي الله الرحمن الثاني انه مبتدا وخبره مضمر
اي الرحمن ربنا وهذان الوجهان عند من يرى ان الرحمن اية مع هذا المضمر معه فانهم عدوا الرحمن اية ولا يتصور
ذلك الا بانضمام خبر او مخبر عنه اليه اذ الاية لا بد ان تكون مفيدة وسياتي ذلك في قوله مدهامتان الثالث
انه ليس باية وانه مع ما بعده كلام واحد وهو مبتدا خبره علم القران فصل افتتح السورة التي قبلها
بذكر معجزة تدل على القهر والجبروت وهو انشقاق القمر فمن قدر عليه قدر على قطع الجبال واهلاك الامم
وافتتح هذه السورة بذكر معجزة تدل على الرحمة وهي القران وايضا فلها مناسبة لاخر التي قبلها لان اخر تلك
انه مليك مقتدر واول هذه انه رحمن قال بعضهم الرحمن اسم علم واحتج بقوله قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن
ايا ما تدعوا فله الاسماء الحسنى ولجاز ان يقال يا الرحمن باللام كما يقال يا الله وهذا ضعيف وهو مختص بالله
تعالى فلا يقال لغيره قال سعيد بن جبير وعامر الشعبي الر وحم ون فاتحة ثلاث سور اذا جمعن كن اسما من اسماء الله تعالى
الرحمن وبون فيكون مجموع هذه الرحمن ولله تعالى رحمتان رحمة سابقة بها خلق الخلق ورحمة لاحقة بها
اعطاهم الرزق والمنافع فهو رحمان باعتبار السابقة رحيم باعتبار اللاحقة ولما اختص بالايجاد
لم يقل لغيره رحمان ولما تخلق بعض خلقه الصالحين ببعض اخلاقه بحسب الطاقة البشرية فاطعم ونفع جاز
ان يقال له رحيم قوله تعالى علم القران فيه وجهان اظهرهما انها علم المتعدية الى اثنين اي عرف من التعليم
فعلى هذا المفعول الاول محذوف فقيل تقديره علم جبريل القران وقيل علم محمدا وقيل علم الانسان وهذا
اولى لعمومه ولان قوله خلق الانسان دال عليه والثاني انها من العلامة والمعنى جعله علامة واية يعتبر بها اي هو
علامة النبوة ومعجزة وهذا مناسب لقوله تعالى وانشق القمر على ما تقدم من انه ذكر في اول تلك السورة معجزة

من باب الهيبة وذكر في هذه السورة معجزة من باب الرحمة وهو انه يسر من العلوم ما لا يسر غيره وهو ما في القرآن
او يكون بمعنى انه جعله بحيث يعلم كقوله تعالى ولقد يسرنا القرآن للذكر فالتعليم على هذا الوجه مجاز كما يقال لمن انفق
على متعلم واعطى اجرة معلمه علمه فان قيل لم ترك المفعول الثاني فالجواب ان ذلك اشارة الى ان النعمة في التعليم
لا في تعليم شخص دون شخص فان قيل كيف يجمع بين هذه الاية وبين قوله وما يعلم تاويله الا الله فالجواب
ان قلنا يعطف الراسخين على الله فظاهر وان قلنا بالوقف على الجلالة ويبتدا بقوله والراسخون فلان من علم كتابا
عظيما فيه مواضع مشكلة قليلة وتاملها بقدر الامكان فانه يقال فلان يعلم الكتاب الفلاني وان كان لم يعلم مراد صاحب
الكتاب بيقين في تلك المواضع القليلة وكذا القول في تعليم القرآن او يقال المراد لا يعلمه من تلقاء نفسه بخلاف في
الكتب التي تستخرج بقوة الذكا **فصل** قال المفسرون نزلت هذه الاية حين قالوا وما الرحمن وقيل
نزلت جوابا لاهل مكة حين قالوا انما يعلمه بشر وهو رحمان اليمامة يعنون مسيلمة فانزل الله تعالى الرحمن علم القرآن
اي سهله لان يذكر ويقرى كما قال ولقد يسرنا القرآن للذكر **قوله تعالى** خلق الانسان قال ابن عباس وقتادة والحسن
يعني آدم عليه السلام علمه البيان علمه اسماء كل شيء وقيل علمه اللغات كلها وكان آدم يتكلم بسبع مائة الف لغة افضلها
العربية وعن ابن عباس ايضا وابن كيسان المراد بالانسان ههنا محمد عليه السلام والمراد من البيان بيان الحلال والحرام
والهدى من الضلال وقيل ما كان وما يكون لانه بين عن الاولين والآخرين ويوم الدين وقال الضحاك البيان الخير
والشر وقال الربيع بن انس هو ما ينفعه مما يضره وقيل المراد بالانسان جميع الناس فهو اسم للجنس والبيان على هذا الكلام
والفهم وهو مما فضل به الانسان على سائر الحيوان وقال السدي علم كل قوم لسانهم الذي يتكلمون به وقال يمان الكتابة والخط
بالقلم نظيره علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم **فصل** في كيفية النظم انه علم الملائكة اولا ثم خلق الانسان
وعلمه البيان فيكون ابتدا بالعلوي وقابله بالسفلي وقدم العلويات على السفليات فقال علم القرآن اشارة الى تعليم
العلويين ثم خلق الانسان علمه البيان اشارة الى تعليم السفليين وقال الشمس والقمر بحسبان في العلويات وقابلهما
بالسفليات فقال والنجم والشجر يسجدان ثم قال والسماء رفعها ووضع الميزان وفي مقابلتها والارض وضعها
فصل هذه الجمل من قوله علم القرآن خلق الانسان علمه البيان جي بها من غير عاطف لانها سيقت لتعديد
نعمه كقولك فلان احسن الى فلان اكرمه اشاد ذكره رفع من قدره فلشدة الوصل ترك العاطف والظاهر انها
اخبار وقال ابو البقا وخلق الانسان مستانف وكذلك علمه ويجوز ان يكون حالا من الانسان مقدرة وقد معها
مرادة انتهى وهذا ليس بظاهر بل الظاهر ما تقدم ولم يذكر الزمخشري غيره فان قيل لم قدم تعليم القرآن للانسان
على خلقه وهو متاخر عنه في الوجود فالجواب لان التعليم هو السبب في ايجاده وخلقه فان قيل كيف صرح بذكر المفعولين
في علمه البيان ولم يصرح بهما في علم القرآن فالجواب ان المراد من قوله علمه البيان تعديد النعم على الانسان واستدعاه
للشكر منه ولم يذكر الملائكة لان المقصود ذكر ما يرجع الى الانسان وان قيل علم على الانسان القرآن فيقال بانه
ذكر نعمة التعليم وعظمها على سبيل الاجمال ثم بين كيفية تعليمه القرآن فقال خلق الانسان علمه البيان واستدل
بعضهم بهذه الاية على ان الالفاظ توقيفية **قوله تعالى** الشمس والقمر بحسبان فيه ثلاثة اوجه احدها ان الشمس
مبتدا وبحسبان خبرها على حذف مضاف تقديره جري الشمس والقمر بحسبان اي كائن او مستقر او استقر
بحسبان الثاني ان الخبر محذوف يتعلق به هذا الجار تقديره يجريان بحسبان وعلى هذين القولين يجوز في الحسبان
وجهان احدهما انه مصدر مفرد بمعنى الحسبان فيكون كالشكران والكفران والثاني انه جمع حساب كشهاب
وشهبان والثالث ان بحسبان خبره والباء ظرفية بمعنى في اي كائنان في حسبان وحسبان على هذا اسم مفرد
اسم للفلك المستدير شبهه بحسبان الرحا الذي باستدارته تدور الرحا **فصل** لما ذكر خلق الانسان
وانعامه عليه بتعليم البيان ذكر نعمتين عظيمتين وهما الشمس والقمر وانهما على قانون واحد وحساب لا
يتغيران وبذلك يتم منفعتهما للزراعات وغيرهما ولولا الشمس لما زالت الظلمة ولولا القمر لفات كثير من المنافع
الظاهرة بخلاف غيرهما من الكواكب فان نفعها لا يظهر لكل احد مثل ظهور نفعهما وانهما بحساب لا يتغير ابدا ولو كان
سيرهما غير معلوم الخلق لما انتفعوا بالزراعات في اوقاتها ومعرفة فصول السنة ثم لما ذكر النعم السماوية ذكر في
مقابلتها ايضا نعمتين من الارض ظاهرتين وهما النبات الذي لا ساق له وما له ساق لان النبات اصل الرزق
من الحبوب والثمار والحشيش للحيوان وقيل انما ذكرهما تنبيها بادلة القرآن بعد تعليمه القرآن فذكر له ايات الافاق
الى من الناس من لا تكون نفسه زكية فيكتفي بادلة القرآن فذكر له ايات الافاق وخص الشمس والقمر لان حركتهما
بحسبان تدل على الفاعل المختار ولو اجتمع العالم ليبينوا سبب حركتهما على هذا التقدير المعين لعجزوا وقالوا ان الله

حركها بالارادة كما اراد وقيل لما ذكر معجزة القرآن بانزاله انكروا نزول الجرم من السماء وصعوده اليها
فاشار تعالى الى تحركهما الى انها ليست بالطبيعة وهم يقولون بان الحركة الدورية من انواع الحركات لا يكون الا
اختيارية فقال تعالى من حركهما على الاستدارة فانزل الملائكة على الاستقامة والتنقل على مذهبكم لا يبعد وصعود
النجم والشجر انما هو بقدرة الله تعالى كحركة الملك كحركة الفلك جائزة **فصل** قال المفسرون المعنى
يجريان بحساب في منازل لا يعدوها ولا يحيدان عنها وقال ابن زيد وابن كيسان بهما تحسب الاوقات والاعمار
ولولا الليل والنهار والشمس والقمر لم يدر احد كيف يحسب شيئا اذا كان الدهر كله ليلا او نهارا وقال السدي بحسبان
تقدير آجالهما اي يجريان بآجال كآجال الناس فاذا جاء اجلهما هلكا نظيره كل يجري لاجل مسمى وقال الضحاك
بقدر وقال مجاهد بحسبان كحسبان الرحا يعني قطبها يدوران في مثل القطب والحسبان قد يكون مصدر حسبته
احسبه بالضم حسبا وحسابا وحسبانا مثل الغفران والكفران والرجحان وحسابة ايضا اي عددته وقال الاخفش
ويكون جماعة الحساب مثل شهاب وشهبان والحسبان ايضا بالضم العذاب والسهام القصار الواحد حسبانة والحسبانة
ايضا الوسادة الصغيرة يقول منه حسبته اذا وسدته قال لثوي غير محسب اي غير موسد يعني غير مكرم ولا مكفن
قوله تعالى والنجم والشجر يسجدان قال ابن عباس وغيره النجم ما لا ساق له والشجر ما له ساق وانشد ابن عباس قول
صفوان التيمي • لقد انجم القاع الكبير عضاهه • وتم به حيا تميم ووائل • وقال زهير بن ابي سلمى • مكلل باصول
النجم تنسجه • ريح الجنوب لضاحي مائه حبك • واشتقاق النجم من نجم الشيء ينجم بالضم نجوما ظهر وطلع ومنه
نجم ناب البعير اي طلع وسجودهما سجود ظلالهما قاله الضحاك وقال الفراء سجودهما انهما يستقبلان اذا طلعت
ثم يميلان معهما حتى ينكسر الفيء وقال الزجاج سجودهما دوران الظل معهما كما قال يتفيؤا ظلاله وقال الحسن
ومجاهد النجم نجم السما وسجوده في قول مجاهد دوران ظله وهو اختيار الطبري حكاه المهدوي وقيل سجود النجم
افوله وسجود الشجر امكان الاجتناء لثمارها حكاه الماوردي والاول اظهر لان من فسره بنجم السماء قال سجوده افوله
وعلى هذا فالشمس والقمر ايضا كذلك يغربان فلا يبقى للاختصاص فائدة وقيل ان جميع ذلك مسخر لله فلا تعبد
النجم كما عبد قوم من الصابئين النجوم وعبد كثير من العجم الشجر والسجود الخضوع والمعنى به آثار الحدوث حكاه القشيري
وقال النحاس اصل السجود في اللغة الاستسلام والانقياد لله عز وجل فهو من الموات كلها استسلامها لامر الله عز وجل
وانقيادها له ومن الحيوان كذا ويكون من سجود الصلوة وانشد محمد بن يزيد في النجم بمعنى النجوم قوله
فباتت تعد النجم في مستحيرة • سريع بايدي الآكلين جمودها • **قوله تعالى** والسماء رفعها العامة على النصب
على الاشتغال مراعاة لعطف الجملة التي تسميها النحاة ذات وجهين وفيها دليل لسيبويه حيث يجوز النصب وان لم يكن
في جملة الاشتغال ضمير عائد على المبتدا الذي تضمنته الجملة ذات الوجهين والاخفش يقول لا بد من ضمير مثاله هند
قامت وعمرو اكرمته لاجلها قال لانك راعيت الخبر وعطفت عليه والمعطوف على الخبر خبر فيشترط فيه ما يشترط فيه
ولم يشترط الجمهور ذلك وهذا دليل فان القراء كلهم نصبوا مع عدم الرابط الا من شذ منهم وقد تقدم تحرير هذا في
سورة يس عند قوله والقمر قدرناه وقرا ابو السمال برفع السما على الابتدا والعطف على الجملة الابتدائية التي هي قوله
الشمس والقمر قال القرطبي فجعل المعطوف مركبا من مبتدا وخبر كالمعطوف عليه **قوله تعالى** ووضع الميزان العامة
على وضع فعلا ماضيا والميزان نصب على المفعول به وقرا ابرهيم ووضع الميزان بسكون الضاد وخفض الميزان
وتخريجها على انه معطوف على مفعول رفعها اي ورفع وضع الميزان اي جعل له مكانة ورفعة لاخذ الحقوق به
وهو من بديع اللفظ حيث يصير التقدير ورفع وضع الميزان وقال الزمخشري فان قلت كيف اخل بالعاطف في الجمل
الاولى وجي به بعدها قلت بكت بالجمل الاولى واورده على سنن التعديد للذين انكروا الرحمن والاءه كما تبكت
منكر ايادي المنعم من الناس بتعديدها عليه في المثال الذي قدمته ثم رد الكلام الى منهاجه بعد التبكيت في وصل
ما يجب وصله للتناسب والتقارب بالعاطف فان قلت اي تناسب بين هاتين الجملتين حتى وسط بينهما العاطف
قلت ان الشمس والقمر سماويان والنجم والشجر ارضيان فبينهما تناسب من حيث التقابل وان السماء والارض
لا يزالان يذكران قرينين وان جري الشمس والقمر بحسبان من جنس الانقياد لامر الله فهو مناسب لسجود النجم
والشجر **فصل** قال مجاهد وقتادة وضع الميزان عبارة عن العدل قال السدي وضع في الارض العدل
الذي امر به يقال وضع الله الشريعة ووضع فلان كذا اي القاه وقيل على هذا الميزان القرآن لان فيه بيان ما
يحتاج اليه وهو قول الحسين بن الفضل وقال الحسن وقتادة ايضا والضحاك هو الميزان الذي يوزن به لينتصف
به الناس بعضهم من بعض وهو خبر بمعنى الامر بالعدل يدل عليه قوله واقيموا الوزن بالقسط والقسط هو العدل

وقيل هو الحكم وقيل المراد وضع الميزان في الاخرة لوزن الاعمال واصل ميزان موزان وقد مضى القول
فيه في الاعراف قال ابن الخطيب قوله ووضع الميزان اشارة الى العدل كقوله وانزلنا معهم الكتاب والميزان اي لتعملوا
بالكتاب وتعملوا الميزان فكذا هنا علم القران ووضع الميزان فالمراد بالميزان العدل ولوضعه شرعه كانه قيل شرع
العدل لئلا تطغوا في الميزان الذي هو آلة العدل هذا هو المنقول قال والاولى العكس فالاول الاله والثاني بمعنى الوزن
او بمعنى العدل **قوله تعالى** ان لا تطغوا في ان هذه وجهان احدهما انها الناصبة ولا بعدها نافية وتطغوا منصوب
بان وان قبلها لام العلة مقدرة تتعلق بقوله ووضع الميزان التقدير لئلا تطغوا كقوله تعالى يبين الله لكم ان تضلوا
واجاز الزمخشري وابن عطية ان تكون المفسرة وعلى هذا تكون لا ناهية والفعل مجزوم بها قال القرطبي فلا تكون لا موضع
من الاعراب فيكون بمعنى اي وتطغوا مجزوم بها كقوله وانطلق الملأ منهم ان امشوا الا ان ابا حيان رد هذا القول بان شرط
التفسير تقدم جملة متضمنة لمعنى القول وليست موجودة قال شهاب الدين والى كونها مفسرة ذهب مكي وابو البقا
الا ان ابا البقا كانه تنبه للاعتراض فقال وان بمعنى اي والقول مقدر ليس بجيد لانها لا تفسر القول الصريح
فكيف تفسر ما لا يصح تفسيره فاصل لحما ان يقول وما هو بمعنى القول مقدر **فصل** والطغيان مجاوزة
الحد فمن قال الميزان العدل قال طغيانه الجور ومن قال انه الميزان الذي يوزن به قال طغيانه البخس قال ابن عباس
لا تخونوا من وزنتم له وعنه انه قال يا معشر الموالي وليتم امرين بهما هلك الناس المكيال والميزان ومن قال انه الحكم
قال طغيانه التحريف وقيل فيه اضمار اي وضع الميزان وامركم ان لا تطغوا فيه فان قيل العلم لا شك في كونه نعمة واما
الميزان فاي نعمة عظيمة فيه حتى تعد بسببها في الالاء فالجواب ان النفوس تابى الغبن ولا يرضى احد بان يغلبه
غيره ولو في الشيء اليسير ويرى ان ذلك استهانة فلا يترك خصمه يغلبه ثم ان عند عدم المعيار الذي به توخذ
الحقوق كل احد يذهب الى ان خصمه يغلبه فوضع الله تعالى معيارا يتبين به التساوي ولا يقع به البغضاء بين الناس
وهو الميزان فهو نعمة كاملة ولا ينظر الى عدم ظهور نعمته وكثرته وسهولة الوصول اليه كالهوا والما الذي لا يتبين
فضلهما الا عند فقدهما **قوله تعالى** واقيموا الوزن بالقسط اي افعلوه مستقيما بالعدل وقال ابو الدرداء
اقيموا لسان الميزان بالقسط اي افعلوه والعدل وقال ابن عيينة الاقامة باليد والقسط بالقلب وقال مجاهد
القسط العدل بالرومية وقيل هو كقولك اقام الصلوة اي اتى بها في وقتها واقام الناس اسواقهم اي اتوها لوقتها
اي لا تدعوا التعامل بالوزن بالعدل **قوله تعالى** ولا تخسروا العامة على ضم التاء وكسر السين من اخسر اي نقص
كقوله واذا كالوهم او وزنوهم يخسرون وقرا زيد بن علي وبلال بن ابي بردة بفتح التاء وكسر السين فيكون فعل وافعل
بمعنى يقال خسر الميزان واخسره بمعنى واحد نحو جبره واجبره ونقل ابو الفتح وابو الفضل عن بلال بفتح التاء
والسين ونقلها ايضا القرطبي عن ابان بن عثمان قال وهما لغتان يقال اخسرت الميزان وخسرته كاجبرته وجبرته
قال شهاب الدين وفيها وجهان احدهما انه على حذف حرف الجر تقديره ولا تخسروا في الميزان ذكره الزمخشري
وابو البقا الا ان ابا حيان قال لا حاجة الى ذلك لان خسر جاء متعديا قال تعالى خسروا انفسهم خسر الدنيا
والاخرة قال شهاب الدين وهذا ليس من ذلك الا ترى ان خسروا انفسهم خسر الدنيا والاخرة معناه ان الخسران
واقع بهما وانهما معدومان وهذا المعنى ليس مرادا في الاية قطعا وانما المراد لا تخسروا الميزان اي الموزون
في الميزان وقرئ تخسروا بفتح التاء وضم السين قال الزمخشري وقرئ ولا تخسروا بفتح التاء وضم
السين وكسرها وفتحها يقال خسر الميزان يخسره ويخسره واما الفتح فعلى ان الاصل في الميزان فحذف
الجار واوصل الفعل اليه وكرر لفظ الميزان ولم يضمره في الجملتين بعده تقوية لشانه وهذا كقول الاخر قوله
لا ارى الموت يسبق الموت شيء • نغص الموت ذا الغنى والفقيرا **فصل** المعنى ولا تنقصوا ولا تبخسوا
الوزن والكيل كقوله ولا تنقصوا المكيال والميزان وقيل لا تخسروا ميزان حسناتكم يوم القيامة فيكون
ذلك حسرة عليكم وكرر الميزان لحال رؤوس الاي وقيل التكرير للامر بايفاء الوزن ورعاية العدل فيه قال ابن
الخطيب ولا تخسروا الميزان اي لا تنقصوا الموزون وذكر الميزان ثلاث مرات فالاول بمعنى الاله وهو قوله
ووضع الميزان والثاني بمعنى المصدر اي لا تطغوا في الوزن والثالث المفعول اي لا تخسروا الموزون وبين القران
والميزان مناسبة فان القران فيه العلم الذي لا يوجد في غيره من الكتب والميزان به يقام العدل الذي لا يقام بغيره
من الالات **قوله تعالى** والارض وضعها للانام كقوله والسماء رفعها وقرا ابو السمال بالرفع مبتدا والانام
علة الوضع والانام قيل الحيوان وقيل بنو ادم خاصة وهو مروي عن ابن عباس ونقل النووي في التهذيب عن
الزبيدي الانام الخلق قال ويجوز الانيم وقال الواحدي قال الليث الانام ما على ظهر الارض من جميع الخلق وقيل

هم الانس والجن قال الحسن والاول قال الضحاك ووزنه فعال كقذال فيجمع في القلة على آنمة بزنة امرة
آنمة وفي الكثرة على انم كقذال واقذلة وقذل **قوله تعالى** فيها فاكهة يجوز ان تكون هذه الجملة حالا من الارض
الا انها حال مقدرة والاحسن ان يكون الجار والمجرور هو الحال وفاكهة رفع بالفاعلية ونكرت لان الانتفاع
بها دون الانتفاع بما ذكر بعدها وهو من باب الترقي من الادنى الى الاعلى قال ابن الخطيب الارض موضوعة لكل ما
عليها وانما خص الانسان بالذكر لان انتفاعه بها اكثر فانه ينتفع بها وبما فيها وعليها فقال للانام لكثرة انتفاع
الانام بها وقوله فيها فاكهة اي ما يتفكه به الانسان من الوان الثمار **قوله تعالى** والنخل ذات الاكمام اشارة الى الاشجار
والاكمام جمع كم بالكسر وهو وعاء الثمرة قال الجوهري والكم بالكسر والكمامة وعاء الطلع وغطاء النور
والجمع كمام واكمة واكمام والاكاميم ايضا وكم الفسيل اذا اشفق عليه فستر حتى يقوى قال العجاج • قوله
بل لو شهدت الناس اذ تكموا • بغمة لو لم تفرج عموا وتكموا • اي اغمي عليهم وغطوا واكمت وكممت اي اخرجت كمامها
والكمام بالكسر الكمامة ايضا ما يكم به فم البعير لئلا يعض تقول منه بعير مكموم اي محجوم وكممت الشيء غطيته
ومنه كم القميص بالضم والجمع اكمام وكممة مثل حب وحببة والكمة القلنسوة المدورة لانها تغطي الراس
قال • فقلت لهم كيلوا بكمة بعضكم • دراهمكم اني لذلك اكيل • قال الحسن ذات الاكمام اي ذات الليف فان
النخلة قد تكم بالليف وكمامها ليفها الذي في اعناقها وقال ابن زيد ذات الطلع قبل ان يتفتق وقال عكرمة ذات
الاحمال وقال الضحاك ذات الاكمام ذات الغلف والاكمام الاوعية التي يكون فيها الثمر لان ثمر النخل يكون في غلاف
ما لم ينشق والمراد بالفاكهة الفواكه قال ابن كيسان ما يتفكهون به من النعم التي لا تحصى ونكر الفاكهة للتكثير
والتعظيم **قوله تعالى** والحب ذو العصف والريحان قرا ابن عامر بنصب الثلاثة وفيه ثلاثة اوجه النصب على
الاختصاص اي واخص الحب قاله الزمخشري وفيه نظر لانه لم يدخل في مسمى الفاكهة والنخل حتى يخصها من بينهما
وانما اراد اضمار فعل وهو اخص فليس هو الاختصاص الصناعي الثاني انه معطوف على الارض قاله مكي لان قوله
والارض وضعها اي خلقها فعطف الحب على ذلك الثالث انه منصوب بخلق مضمرا اي وخلق الحب قاله مكي او وخلق
الحب وقراءته موافقة لرسم مصاحف بلده فان مصاحف الشام ذا بالالف ويجوز في الريحان ان يكون على
حذف مضاف اي وذا الريحان فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه كواسئل القرية وقرا الاخوان برفع الاولين
وجر الريحان عطفا على العصف وهي تؤيد قول من حذف المضاف في قراءة ابن عامر والباقون برفع الثلاثة عطفا
على فاكهة اي وفيها ايضا هذه الاشيا ذكر اولا ما يتلذذون به من الفواكه وثانيا الشيء الجامع بين التلذذ
والتغذي وهو ثمر النخل وثالثا ما يتغذى به فقط وهو اعظمها لانه قوت غالب الناس ويجوز في الريحان على هذه
القراءة ان يكون معطوفا على ما قبله اي وفيها الريحان ايضا وان يكون مجرورا بالاضافة في الاصل اي وذو الريحان
ففعل به ما تقدم والعصف قال مجاهد ورق الشجر والزرع وقال ابن عباس تبن الزرع وورقه الذي تعصفه
الرياح قال الراغب اصله من العصف والعصيفة وهو ما يعصف اي يقطع من الزرع وقال سعيد بن جبير بقل الزرع
الذي اول ما ينبت منه وهو قول الفراء والعرب تقول خرجنا نعصف الزرع اذا قطعوا منه قبل ان يدرك
وكذا في الصحاح نقله القرطبي وعصفت الزرع اي جززته قبل ان يدرك وكذا في الصحاح نقله القرطبي وعن
ابن عباس ايضا العصف ورق الزرع الاخضر اذا قطع رؤسه ويبس نظيره كعصف ماكول قال الجوهري وقد
اعصف الزرع ومكان معصف اي كثير الزرع قال ابو قيس بن الاسلت الانصاري • اذا جمادى منعت قطرها •
ازان جنابي عطن معصف • وقيل العصف حطام النبات والعصف ايضا الكسب قال الراجز •
بغير ما عصف ولا اكتساب • وكذلك الاعتصاف والعصيفة الورق المجتمع الذي يكون فيه السنبل وحكى الثعلبي
وقال ابن السكيت تقول العرب لورق الزرع العصف والعصيفة والجل بكسر الجيم قال علقمة بن عبدة • •
تسقي مذانب قد مالت عصيفتها • احدودها من اتي الماء مطموم • وفي الصحاح والجل بالكسر قصب الزرع
اذا حصد والريحان في الاصل مصدر ثم اطلق على الرزق قال ابن عباس ومجاهد والضحاك هو الرزق بلغة
حمير كقولهم سبحان الله وريحانه اي استرزاقه وعن ابن عباس ايضا والضحاك وقتادة انه الريحان الذي يشم
وهو قول ابن زيد وعن ابن عباس ايضا انه خضرة الزرع وقال سعيد بن جبير هو ما قام على ساق وقال الفراء العصف
الماكول من الزرع والريحان ما لا يوكل وقال الكلبي ان العصف الورق الذي يوكل والريحان هو الحب الماكول وقيل
كل بقلة طيبة الريح سميت ريحانا لان الانسان يراح لها رائحة طيبة اي يشم وفي الريحان قولان احدهما انه
على فعلان وهو من ذوات الواو والاصل روحان من الرائحة قال ابو علي فابدلت الواو ياء كما ابدلت الياء واوا

ي اساوي وانما قلبت الواو ياء للفرق بينه وبين الروحان وهو كل شيء له روح قاله القرطبي والثاني ان يكون اصله ريوحان على وزن فيعلان فابدلت الواو ياء وادغمت فيها اليا ثم خفف بحذف عين الكلمة كما قالوا كينونة وبينونة والاصل تشديد اليا فخفف كما خفف هين وميت قال مكي ولزم تخفيفه لطوله بلحاق الزيادتين وهما الالف والنون ثم رد قول الفارسي بانه لا موجب لقلبها يا ثم قال وقال بعض الناس وذكر ما تقدم من ابي علي قال القرطبي والاصل فيما يتركب من الرا والواو والحاء الاهتزاز والحركة وفي الصحاح والريحان نبت معروف والريحان الرزق تقول خرجت ابتغي ريحان الله وفي الحديث الولد من ريحان الله وقولهم سبحان الله وريحانه نصبوهما على المصدر يريدون تنزيها له واسترزاقا فقوله والحب ذو العصف والريحان فالعصف ساق الزرع والريحان ورقه قاله الفرا **قوله تعالى** فباي الاء ربكما تكذبان فباي متعلق بتكذبان والعامة على اضافة اي الى الالاء وقرئ في جميع السورة بتنوين اي وتخريجها على انه قطع ايا عن الاضافة الى شيء مقدر ثم ابدل عنه الاء ربكما بدل معرفة من نكرة وتقدم الكلام في الالاء وما مفرده في الاعراف والخطاب في ربكما قيل للثقلين من الانس والجن لان الانام يعمهما وهو قول الجمهور ويدل عليه حديث جابر بن عبد الله وفيه للجن احسن منكم ردا وقيل لما قال خلق الانسان وخلق الجان دل ذلك على ما تقدم وما تاخر لهما وكذا قوله سنفرغ لكم ايه الثقلان خطاب للانس والجن وقال ايضا يا معشر الجن والانس وقال الجرجاني خاطب الجن مع الانس وان لم يتقدم للجن ذكر كقوله حتى توارت بالحجاب وقد سبق ذكر الجن فيما سبق نزوله من القران والقران كالسورة الواحدة فاذا ثبت انهم مكلفون كالانس خوطب الجنسان بهذه الايات وقيل الخطاب للذكر والانثى وقيل هو مثنى مراد به الواحد كقوله تعالى القيا في جهنم وكقول الحجاج بن يوسف • يا حرسي اضربا عنقه • وقول امرئ القيس • قفا نبك • وخليلي مرا بي • وقيل التثنية للتاكيد وقيل التكذيب يكون بالقلب وباللسان او بهما فالمراد هما

فصل قال ابن زيد المراد بالالاء القدرة والمعنى فباي قدرة ربكما تكذبان وهو قول الكلبي واختاره محمد بن علي الترمذي وقال هذه السورة من بين السور علم القران والعلم امام الجند والجند تتبعه وانما صارت علما لانها سورة صفة الملك والقدرة فقال الرحمن علم القران فافتتح السورة باسم الرحمن من بين الاسما ليعلم العباد ان جميع ما يصفه بعد هذا من افعاله ومن ملكه وقدرته خرج اليهم من الرحمة فقال الرحمن علم القران ثم ذكر الانسان ثم ذكر ما صنع به وما من به عليه ثم ذكر حسبان الشمس والقمر وسجود الاشيا مما نجم وشجر وذكر رفع السماء ووضع الميزان وهو العدل ووضع الارض للانام فخاطب هذين الثقلين الجن والانس حين راوا ما خرج من القدرة والملك برحمانيته التي رحمهم بها من غير منفعة ولا حاجة الى ذلك فاشركوا به الاوثان وكل معبود اتخذوه من دونه وجحدوا الرحمة التي خرجت هذه الاشيا بها اليهم فقال سائلا لهم فباي الاء ربكما تكذبان فانما كان تكذيبهم انهم جعلوا له في هذه الاشيا التي خرجت من قدرته وملكه شريكا يملك معه ويقدر معه فذلك تكذيبهم ثم ذكر خلق الانسان من صلصال وذكر خلق الجان من مارج من نار ثم سائلهم فقال فباي الاء ربكما تكذبان اي باي قدرة ربكما تكذبان فان له في كل خلق بعد خلق قدرة بعد قدرة فالتكرير في هذه الايات للتاكيد والمبالغة في التقرير واتخاذ الحجة عليهم عما وقفهم على خلق خلق وقال القتيبي ان الله تعالى عدد في هذه السورة نعماه وذكر خلقه والاءه ثم اتبع كل خلة وصفها ونعمة وضعها بهذه الاية وجعلها فاصلة بين كل نعمتين لينبههم على النعم ويقررهم بها كما تقول لمن تتابع فيه احسانك وهو يكفرك وينكره الم تكن فقيرا فاغنيتك افتنكر هذا الم تكن خاملا فعززتك افتنكر هذا الم تكن راجلا فحملتك افتنكر هذا والتكرير حسن في مثل هذا قال • كم نعمة كانت لكم كم وكم • وقال • لا تقتلي مسلما ان كنت مسلمة • اياك من دمه اياك اياك • وقال اخر • لا تقطعن الصديق ما طرفت • عيناك من قول كاشح اشر • ولا تملن من زيارته زره وزره وزر وزر • وقال الحسين بن الفضل التكرير طرد للغفلة وتاكيد للحجة قال شهاب الدين والتكرير ههنا كما تقدم في قوله ولقد يسرنا القران ولقوله فيما سياتي ويل يومئذ وذهب جماعة منهم ابن قتيبة الى ان التكرير لاختلاف النعم فلذلك كرر التوقيف مع كل واحدة واخذه قال ابن الخطيب وذكره بلفظ الخطاب على سبيل الالتفات والمراد به التقرير والزجر وذكر لفظ الرب لانه يشعر بالرحمة قال وكررت هذه اللفظة في هذه السورة نيفا وثلاثين مرة اما للتاكيد ولا يعقل خصوص العدد معنى وقيل الخطاب مع الانس والجن والنعمة منحصرة في دفع المكروه وتحصيل المقصود واعظم المكروهات عذاب جهنم ولها سبعة ابواب واعظم المقاصد نعيم الجنة ولها ثمانية ابواب فالمجموع خمسة عشر وذلك بالنسبة الى الجن والانس ثلاثون والزايد لبيان التاكيد وروى جابر بن عبد الله قال قرا

علينا

علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم سورة الرحمن حتى ختمها ثم قال ما لي اراكم سكوتا للجن كانوا احسن منكم ردا ما قرات عليهم هذه الاية من مرة فباي الاء ربكما تكذبان الا قالوا ولا بشيء من نعمك ربنا نكذب فلك الحمد **قوله تعالى** خلق الانسان من صلصال كالفخار لما ذكر الله تعالى خلق العالم الكبير من السماء والارض وما فيهما من الدلالات على وحدانيته وقدرته ذكر خلق العالم الصغير فقال خلق الانسان قال المفسرون يعني ادم من صلصال وهو الطين اليابس الذي يسمع له صلصلة وشبهه بالفخار الذي طبخ وقيل هو طين خلط برمل وقيل هو الطين المنتن من صل اللحم واصل اذا انتن وقال ههنا من صلصال كالفخار وقال في الحجر من صلصال من حما مسنون وقال انا خلقناهم من طين لازب وقال كمثل ادم خلقه من تراب وكله متفق المعنى وذلك انه اخذ من تراب الارض فعجنه فصار طينا ثم انتقل فصار كالحما المسنون ثم يبس فصار صلصالا كالفخار وقوله كالفخار نعت لصلصال وتقدم تفسيره **قوله تعالى** والجان قيل هو اسم جنس كالانسان وقيل هو ابو الجن ابليس وقيل هو ابوهم وليس بابليس **قوله تعالى** من مارج من نار من الاولى لابتداء الغاية وفي الثانية وجهان احدهما انها للبيان والثاني انها للتبعيض والمارج قيل ما اختلط من احمر واصفر واخضر وهذا مشاهد في النار ترى الالوان الثلاثة مختلطا بعضها ببعض وقيل الخالص وقيل الاحمر وقيل الحمرة في طرف النار وقيل المختلط بسواد وقيل اللهب المضطرب وقال الليث المارج الشعلة الساطعة ذات اللهب الشديد وعن ابن عباس انه اللهب الذي يعلو النار فيختلط بعضه ببعض احمر واصفر واخضر ونحوه عن مجاهد وقيل المارج المرسل غير ممنوع قال المبرد المارج النار المرسلة التي لا تمنع وقال ابو عبيدة والحسن المارج المختلط النار واصله من مرج اذا اضطرب واختلط قال القرطبي يروى ان الله تعالى خلق نارين فمرج احداهما الاخرى فاكلت احداهما الاخرى وهي نار السموم فخلق منها ابليس قال القشيري والمارج في اللغة المرسل او المختلط وهو فاعل بمعنى مفعول كقوله ماء دافق وعيشة راضية والمعنى ذو مرج ومن نار نعت لمارج وتقدم الكلام على قوله فباي الى اخرها **قوله تعالى** رب المشرقين العامة على رفعه وفيه اوجه احدها انه مبتدا خبره مرج البحرين وما بينهما اعتراض الثاني انه خبر مبتدا مضمر اي هو رب اي ذلك الذي فعل هذه الاشيا الثالث انه بدل من الضمير في خلق وابن ابي عبلة رب بالجر بدلا او بيانا لربكما قال مكي ويجوز في الكلام الخفض على البدل من ربكما كانه لم يطلع على انها قراءة منقولة والمشرقان قيل مشرقا الشتا والصيف ومغرباهما وقيل مشرقا الشمس والقمر ومغرباهما وذكر غاية ارتفاعهما وغاية انحطاطهما اشارة الى ان الطرفين يتناول ما بينهما كقولك في وصف ملك عظيم له المشرق والمغرب فيفهم منه ان له ما بينهما ويؤيده قوله تعالى رب المشارق والمغارب **قوله تعالى** مرج البحرين اي خلى وارسل واهمل يقال مرج السلطان الناس اي اهملهم واصل المرج الاهمال كما تمرج الدابة في المرعى ويقال مرج خلط وقال الاخفش ويقول قوم امرج البحرين مثل مرج فيكون فعل وافعل بمعنى والبحرين قال ابن عباس بحر السماء وبحر الارض قال سعيد بن جبير يلتقيان في كل عام وقيل يلتقي طرفاهما وقال الحسن وقتادة بحر فارس والروم وقال ابن جريج البحر المالح والانهار العذبة وقيل بحر المشرق وبحر المغرب يلتقي طرفاهما وقيل بحر اللؤلؤ والمرجان بينهما برزخ حاجز **قوله تعالى** يلتقيان حال من البحرين وهي قريبة من الحال المقدرة ويجوز ان تكون مقاربة وبينهما برزخ يجوز ان تكون جملة مستانفة وان تكون حالا وان يكون الظرف وحده هو الحال والبرزخ فاعل به وهو احسن لقربه من المفرد وفي صاحب الحال وجهان احدهما هو البحرين والثاني هو فاعل يلتقيان ولا يبغيان حال اخرى كالتي قبلها اي مرجعهما غير باغيين او بينهما برزخ في حال عدم بغيهما وهذه الحال في قوة التعليل اذ المعنى لئلا يبغيا وقد تحمل بعضهم وقال اصل ذلك لئلا يبغيا ثم حذف حرف العلة وهو مطرد مع ان وان ثم حذفت ان ايضا وهو حذف مطرد كقوله ومن اياته يريكم فلما حذفت ان ارتفع الفعل وهذا غير ممنوع الا انه يستكره فيه الحذف ولان تقول قد جاء الحذف اكثر من ذلك فيما هو اخفى من هذا كما تقدم في قاب قوسين وكما سياتي في قوله وتجعلون رزقكم

فصل في تعلق الاية بما قبلها لما ذكر الشمس والقمر وهما يجريان في الفلك كما يجري الفلك في البحر لقوله كل في فلك يسبحون ذكر البحرين عقيب المشرقين والمغربين او لان المشرقين والمغربين يكونان في البر والبحر فذكر البحر بعد ذكر البر لانحصار البر والبحر بين المشرق والمغرب **قوله تعالى** بينهما برزخ اي حاجز لا يبغيان فعلى القول بانهما بحر السماء وبحر الارض فالحاجز الذي بينهما هو ما بين السماء والارض قاله الضحاك وعلى الاقوال الباقية الحاجز هو الارض التي بينهما قاله الحسن وقتادة وقال بعضهم الحاجز هو القدرة الالهية وقوله لا يبغيان على الناس فيغرقانهم جعل بينهما وبين الناس اليبس وقال مجاهد وقتادة انهما لا يبغي احدهما على صاحبه فيغلبه وقال ابن زيد لا يبغيان ان يلتقيا تقديره مرج البحرين يلتقيان لولا البرزخ الذي بينهما

لا يبغيان ان يلتقيا وقيل البرزخ ما بين الدنيا والآخرة اي بينهما مدة قدرها الله تعالى وهي مدة الدنيا فهما لا يبغيان فاذا اذن الله في انقضاء الدنيا صار البحران شيئا واحدا وهو كقوله تعالى واذا البحار فجرت وقال سهل بن عبد الله البحران طريق الخير والشر والبرزخ الذي بينهما التوفيق والعصمة

فصل قال ابن الخطيب ان الله تعالى خلق في الارض بحارا يحيط بها الارض وخلق بحرا محيطا بالارض واحاط بها الهوا كما قال به اهل الهيئة وهذه البحار التي في الارض لها اتصال بالبحر المحيط ثم انهما لا يبغيان على الارض ولا يغطيانه بفضل الله لتكون الارض بارزة يتخذها الانسان مكانا وعند النظر الى امر الارض يحار الطبيعي ويتلجلج في الكلام فان عندهم ان طبع الارض ان تكون في المركز مغمورا بالماء ويكون الماء محيطا بجميع جوانبه فاذا سئلوا عن ظهور الارض من الماء قالوا ذلك جذب في الارض فاذا قيل لهم لماذا انجذب وما سبب الجذب فالذي عنده قليل من الحق يستدل بذلك الى ارادة الله تعالى ومشيئته والاخر يقول ذلك بسبب اتصالات الكواكب واوضاعها فاذا قيل لهم فلماذا اختلف اوضاع الكواكب على الوجه الذي اوجب البروز في بعض الارض دون بعض بهت كما بهت الذي كفر ويرجع الى الحق ان هداه الله تعالى قال ابن الخطيب ومعنى لا يبغيان ان الله تعالى ارسل بعض البحرين الى بعض ومن شانهما الاختلاط فحجزهما ببرزخ من قدرته فهما لا يبغيان اي لا يجاوز كل واحد منهما ما حد له والبغي مجاوزة الحد او من الابتغاء وهو الطلب الذي لا يطلبان غير ما قدر لهما **قوله تعالى** يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان قرا نافع وابو عمرو يخرج مبنيا للمفعول والباقون مبنيا للفاعل على المجاز فالواو ثم مضاف محذوف اي من احدهما لان ذلك لم يوجد من البحر العذب حتى عابوا قول الشاعر • فجاء بها ما شئت من لطمية • على وجهها ماء الفرات يموج • قال مكي كما قال على رجل من القريتين اي من احدى القريتين وحذف المضاف كثير شايع وقيل هو كقوله نسيا حوتهما وانما الناسي فتاه ويعزى هذا لابي عبيدة قال البغوي وهذا جايز في كلام العرب ان لم يذكر شيئين ثم يخص احدهما بفعل كقوله يا معشر الجن والانس الم ياتكم رسل منكم وكانت الرسل من الانس وقيل يخرج من احدهما اللؤلؤ ومن الاخر المرجان وقيل بل يخرجان منهما جميعا ثم ذكروا تاويلا منها انهما يخرجان من الملح في الموضع الذي يقع فيه العذب وهذا مشاهد عند الغواصين وهو قول الجمهور فناسب ذلك اسناده اليهما ومنها قول ابن عباس تكون هذه الاشيا في البحر بنزول المطر والصدف تفتح افواهها للمطر وقد شاهده الناس فيكون قوله من بحر السماء وبحر الارض وهذا قول الطبري ومنها ان العذب في الملح كاللقاح كما يقال الولد يخرج من الذكر والانثى ومنها انه قيل منهما من حيث هما نوع واحد فخرج هذه الاشيا انما هي منهما كما قال تعالى وجعل القمر فيهن نورا وانما هو في واحدة منهن وقال الزمخشري فان قلت لم قال منهما وانما يخرجان من الملح قلت لما التقيا وصار كالشي الواحد جاز ان يقال يخرجان منهما كما يقال يخرجان من البحر ولا يخرجان من جميع البحر وانما يخرجان من بعضه وتقول خرجت من البحر ولا يخرجان من جميع البحر وانما يخرجان من بعضه وتقول خرجت من البلد وانما خرجت من محلة من محاله من دار واحدة من دوره وقيل لا يخرجان الا من ملتقى الملح والعذب انتهى وقال بعضهم كلام الله اولى بالاعتبار من كلام بعض الناس فمن الجائز انه يسوقها من البحر العذب الى الملح واتفقوا انهم لم يخرجوها الا من الملح واذا كان في البر اشيا تخفى على التجار المترددين القاطعين للمفاوز فكيف بما في قعر البحر والجواب عن هذا ان الله لا يخاطب الناس ولا يمتن عليهم الا بما يالفون ويشاهدون واللؤلؤ قيل كبار الجوهر والمرجان صغاره قاله علي وابن عباس وقيل بالعكس وانشدوا قول الاعشى • من كل مرجانة في البحر احرزها • تيارها ووقاها طينها الصدف • اراد اللؤلؤة الكبيرة قال علي وابن عباس وقيل المرجان حجر احمر وقيل حجر شديد البياض والمرجان اعجمي قال ابن دريد لم اسمع فيه فعلا منصرفا واللؤلؤ بناء غريب لم يرد على هذه الصيغة الا خمسة الفاظ اللؤلؤ والجؤجؤ وهو الصدر والدؤدؤ واليؤيؤ لطاير والبؤبؤ بالموحدتين وهو الاصل واللؤلؤ بضمتين والهمز هو المشهور وابدال الهمزة واوا سايغ فصيح وقد تقدم ذلك وقرا طلحة اللؤلؤ بكسر اللام الثالثة وهي لغة محفوظة ونقل عنه ابو الفضل اللولي بقلب الهمزة الاخيرة ياء ساكنة كانه لما كسر ما قبل الهمزة قلبها ياء استثقالا وقرا ابو عمرو في رواية نخرج اي الله تعالى وروي عنه ايضا وعن ابن مقسم نخرج بنون العظمة واللؤلؤ والمرجان في هاتين القرائتين منصوبان

فصل قال ابن الخطيب فان قيل اي نعمة عظيمة في اللؤلؤ والمرجان حتى ذكرهما مع نعمة تعليم القران وخلق الانسان وذلك بان النعم منها خلق الضروريات كالارض الذي له مكانا وكذا الرزق الذي به بقاؤه ومنها ما يحتاج اليه وان لم يكن ضروريا كالحيوان واجرا الشمس والقمر ومنها المنافع وان لم يكن محتاجا اليها كالفاكهة وخلق البحار كقوله تعالى والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس ومنها الزينة وان لم يكن نافعا كاللؤلؤ والمرجان كقوله تعالى وتستخرجون منه حلية تلبسونها فالله تعالى ذكر انواع النعم الاربعة وصدرها بالنعمة العظيمة التي هي الروح وهو العلم بقوله علم القران او يقال بان المقصود منه بيان عجايب الله لا بيان النعم لان النعم سبق ذكرها بذكر خلق الانسا

من صلصال وخلق الجان من نار وهذا من العجايب الدالة على القدرة لا من النعم واعلم ان الاركان اربعة التراب والماء والهوى والنار فالله تعالى بين بقوله خلق الانسان من صلصال ان التراب اصل لمخلوق عجيب وبين بقوله وخلق الجان من مارج من نار ان النار ايضا اصل لمخلوق عجيب وبين بقوله يخرج منهما اللؤلؤ ان الماء اصل لمخلوق اخر كالحيوان عجيب بقي الهوا لكنه غير محسوس فلم يذكر انه اصل لمخلوق لكن بين كونه منشئ الجواري التي في البحر كالاعلام فقال وله الجواري الاية **قوله تعالى** وله الجواري العامة على كسر الرا لانه منقوص على مفاعل والياء محذوفة لفظا لالتقاء الساكنين وقرا عبد الله والحسن ويروى عن ابي عمرو والجوار برفع الراء تناسيا للمحذوف ومنه قوله • لها ثنايا اربع حسان • واربع فثغرها ثمان • وهذا كما قالوا هذا شاك وقد تقدم تقرير هذا في الاعراف عند قوله ومن فوقهم غواش **قوله تعالى** المنشئات قرا حمزة وابو بكر بخلاف عنه بكسر الشين بمعنى انها تنشئ الموج بجريها او تنشئ السير اقبالا وادبارا او التي رفعت شراعها اي قلوعها والشراع القلع وعن مجاهد كلما رفعت قلعها فهي من المنشئات والا فليست منها ونسبة الرفع اليها مجاز كما يقال انشات السحابة المطر والباقون بالفتح وهو اسم مفعول اي انشاها الله او الناس او رفعوا شراعها وقرا ابن ابي عبلة المنشآت والاصل فيه تشديد الشين مبالغة والحسن المنشات بالافراد وابدال الهمزة الفا وتاء مجذوبة خطأ فافرد الصفة ثقة بافهام الموصوف الجمعية كقوله ازواج مطهرة واما ابدال الهمزة الفا وان كان قياسها بين بين فهما لغة في التخفيف كقوله • ان السباع لتهدى في مرابضها • اي تهدأ واما كتابتها بالتاء المجذوبة فاتباعا للفظها في الوصل وفي البحر متعلق بالمنشيات او المنشات ورسمه بالتاء بعد الشين في مصاحف العراق يقوي قراءة الكسر ورسمه بدونها يقوي قراءة الفتح وحذفوا الالف كما يحذف في سائر جمع المؤنث السالم وكالاعلام حال اما من الضمير المستكن في المنشات واما من الجوار وكلاهما بمعنى واحد **قوله تعالى** الجوار جمع جارية وهي اسم او صفة للسفينة وخصها بالذكر لان جريها في البحر لا صنع للبشر فيه وهم معترفون بذلك فيقولون لك الفلك ولك الملك واذا خافوا الغرق دعوا الله خاصة وسميت السفينة جارية لان شانها ذلك وان كانت واقفة في الساحل كما سماها في موضع اخر بالجارية فقال انا لما طغى الماء حملناكم في الجارية وسماها بالفلك قبل ان تكون كذلك فقال لنوح عليه السلام واصنع الفلك باعيننا ثم بعد ما عملها سماها سفينة فقال فانجيناه واصحاب السفينة واعلم ان المراة المملوكة تسمى ايضا جارية لان شانها الجري والسعي في حوايج سيدها بخلاف الزوجة فهو من الصفات الغالبة والسفينة فعيلة بمعنى فاعلة عند ابن دريد اي تسفن الماء وفعيلة بمعنى مفعولة عند غيره بمعنى منحوتة قال ابن الخطيب فالفلك اول السفينة ثم الجارية والاعلام الجبال والعلم الجبل الطويل قال الشاعر • اذا قطعنا علما بدا علم • ربما اوفيت في علم ترفعن ثوبي شمالات • وقالت الخنساء في صخر • وان صخرا لتاتم الهداة به • كانه علم في راسه نار • اي جبل فالسفن في البحر كالجبال في البر وجمع الجواري ووحد البحر وجمع الاعلام اشارة الى عظمة البحر **قوله تعالى** كل من عليها فان علب من يعقل على غيره وجميعهم مراد والضمير في عليها للارض قال بعضهم وان لم يجر لها ذكر كقوله حتى توارت بالحجاب ورد هذا بانه قد تقدم ذكرها في قوله والارض وضعها وقيل الضمير عايد الى الجارية قال ابن عباس لما نزلت هذه الاية قالت الملائكة هلك اهل الارض فنزلت كل شيء هالك الا وجهه فايقنت الملائكة بالهلاك وهو قول مقاتل ووجه النعمة في فناء الخلق التسوية بينهم في الموت وقيل وجه النعمة ان الموت سبب النقل الى دار الجزاء والثواب **قوله تعالى** ويبقى وجه ربك اي ويبقى الله فالوجه عبارة عن وجود ذاته سبحانه قال ابن عباس الوجه عبارة عنه كما قال ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام اي هو اهل لان يكرم وهذا خطاب مع كل سامع وقيل خطاب للنبي عليه السلام فان قيل كيف خاطب الاثنين بقوله فباي الاء ربكما وخاطب ههنا الواحد فقال ويبقى وجه ربك ولم يقل وجه ربكما فالجواب ان الاشارة ههنا وقعت الى كل احد فقال ويبقى وجه ربك ايها السامع ليعلم كل احد ان غيره فان فلو قال ويبقى وجه الرب من غير خطاب كان ادل على فنا الكل فالجواب ان كاف الخطاب في الرب اشارة الى اللطف والابقا اشارة الى القهر والموضع موضع بيان اللطف وتعديد النعم فلهذا قال بلفظ الرب وكاف الخطاب **قوله تعالى** ذو الجلال والاكرام العامة على ذو بالواو صفة للوجه وابي وعبد الله ذي بالياء صفة لربك وسياتي خلاف القرا في اخر السورة ان شاء الله تعالى والجلال العظمة والكبريا والاكرام يكرم انبياءه واولياءه بلطفه مع جلاله وعظمته **قوله تعالى** يساله من في السموات فيه وجهان احدهما هو مستانف والثاني انه حال من وجه والعامل فيه يبقى اي يبقى مسئولا لاهل السموات والارض وفيه اشكال لانه لما قال ويبقى وجه ربك كان اشارة الى بقائه بعد فناء من على الارض فكيف يكون في ذلك الوقت مسئولا لمن في الارض قال ابن الخطيب والجواب من وجوه الاول انهم يعنون بالنظر اليه لكنهم يبقون

بابقاء الله فيصح ان يكون الله مسئولا الثالث ان قوله ويبقى للاستمرار فهو يبقى ويبعد من كان في الارض ويكون مسئولا
الرابع ان السائلين هم الملائكة الذين هم في الارض فالهم فيها وليسوا عليها ولا يضرهم زلزلتها فعند ما يفنى
من عليها يبقى الله تعالى ولا يفنى في تلك الحال الملائكة فيسألونه ماذا يفعل فيامرهم بما يريد وهذا السؤال اما
استعطاف واما استعطا فيسأله كل احد ما يحتاج اليه قال ابن عباس وابو صالح اهل السموات يسألونه المغفرة ولا يسألونه
الرزق واهل الارض يسألونهما جميعا وقال ابن جريج يسأل الملائكة الرزق لاهل الارض فكانت المسئلتان جميعا من اهل
السماء واهل الارض لاهل الارض قال القرطبي وفي الحديث ان من الملائكة ملكا له اربعة اوجه وجه كوجه الانسان يسأل
الله الرزق لبني آدم ووجه كوجه الاسد وهو يسأل الله الرزق للطير وقال ابن عطا انهم يسألونه القوة على العبادة
قوله تعالى كل يوم منصوب بالاستقرار الذي تضمنه الخبر وهو قوله في شان والشان الامر فصل روى
ابو الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم قال كل يوم هو في شان قال من شانه ان يغفر ذنبا ويفرج كربا ويرفع اقواما
ويضع آخرين وعن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم في قول الله عز وجل كل يوم هو في شان قال يغفر ذنبا ويكشف
كربا ويجيب داعيا وقيل من شانه ان يحيي ويميت ويعز ويذل ويرزق ويمنع وقال ابن بحر الدهر كله يومان احدهما
مدة ايام الدنيا والآخر يوم القيمة فشانه سبحانه في ايام الدنيا الابتلاء والاختبار بالامر والنهي والاحياء والاماتة
والاعطاء والمنع وشانه يوم القيمة الجزاء والحساب والثواب والعقاب والظاهر ان المراد بذلك الاخبار عن شانه في كل يوم
من ايام الدنيا وقال عمرو بن ميمون في قوله تعالى كل يوم هو في شان من شانه ان يميت حيا ويحيي ميتا ويربي في الارحام ويعز
ذليلا ويذل عزيزا وقيل شانه ان يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل ويخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي
ويشفي سقيما ويسقم سليما ويبتلي معافا ويعافي مبتلى ويعز ذليلا ويذل عزيزا ويفقر غنيا ويغني فقيرا وقال الكلبي هو
سوق المقادير الى المواقيت وعن عبد الله بن طاهر انه دعا الحسين بن الفضل وقال له اشكلت علي ثلاث آيات دعوتك
لتكشفها لي قوله تعالى فاصبح من النادمين فقد صح ان الندم توبة وقوله كل يوم هو في شان وصح ان القلم جف بما
هو كائن الى يوم القيمة وقوله وان ليس للانسان الا ما سعى فما بال الاضعاف فقال الحسين يجوز ان لا يكون الندم
توبة في تلك الامة ويكون في هذه الامة لان الله تعالى خص هذه الامة بخصائص لم يشاركهم فيها الامم قيل ان ندم
قابيل لم يكن على قتل هابيل ولكن على حمله واما قوله وان ليس للانسان الا ما سعى فمعناه ليس له الا ما سعى عدلا ولي
ان اجزيه بواحدة الفا واما قوله الا ما سعى فمعناه ليس له الا ما سعى واما قوله كل يوم هو في شان فانها شئون
يبديها لا شئون يبتديها فقام عبد الله وقبل راسه وسوغ خراجه قوله تعالى سنفرغ قرئ سيفرغ بالياء والاخوان
اي سيفرغ الله تعالى والباقون من السبعة بنون العظمة والراء مضمومة في القراءتين وهي اللغة الفصحى لغة الحجاز وقراها
مفتوحة الراء مع النون الاعرج ويحتمل وجهين احدهما ان تكون من فرغ بفتح الراء في الماضي وفتحت في المضارع
لاجل حرف الحلق والثاني انه سمع فيه فرغ بكسر العين فيكون هذا مضارعه وهذه لغة تميم وقرا عيسى بن عمر وابو السمال
سيفرغ بكسر حرف المضارعة وفتح الراء وتوجيهها واضح مما تقدم في الفاتحة قال ابو حاتم هي لغة سفلى مضر
والاعمش وابو حيوة وابرهيم سيفرغ بضم الياء والراء ويروى عن ابي عمرو فصل قال القرطبي يقال فرغت
من الشغل افرغ فروغا وفراغا وتفرغت لكذا واستفرغت مجهودي في كذا اي بذلته وليس بالله تعالى شغل يفرغ به
وانما المعنى سنقصد لمجازاتكم ومحاسبتكم فهو وعيد لهم وتهديد قاله ابن عباس والضحاك كقول القائل لمن يريد
تهديده اذن افرغ لك اي اقصد قصدك وانشد ابن الانباري لجرير • الان وقد فرغت الى نمير • فهذا حين كنت لهم عذابا
يريد وقد قصدت وانشد الزجاج والنحاس • فرغت الى العبد المقيد في الحجل • ويدل عليه قراءة ابي سنفرغ اليكم اي
سنقصد اليكم وفي حديث النبي صلى الله عليه وسلم انه لما بايع الانصار ليلة العقبة صاح الشيطان يا اهل الجباجب
هذا مذمم يبايع بني قيلة على حربكم فقال النبي صلى الله عليه وسلم هذا ازب العقبة اما والله يا عدو الله لاتفرغن لك
اي اقصد الى ابطال امرك وهذا اختيار القتيبي والكسائي وغيرهما قال ابن الاثير الازب في اللغة الكثير الشعر وهو هاهنا
شيطان اسمه ازب العقبة وهو الحية وقيل ان الله تعالى وعد على التقوى واوعد على الفجور ثم قال سنفرغ لكم اي مما
وعدناكم وتوصل كلا الى ما وعدناه اقسم ذلك واتفرغ منه قاله الحسن ومقاتل وابن زيد قوله تعالى ايها الثقلان
تقدم الكلام في قراءة ايها في النور وهو منادى والحكمة في نداء المبهم ان ينتبه كل سامع ثم يخصص المقصود بعد ذلك
فيكون فيه اهتمام بالمنادى وايضا يجعل المبهم وصلة لنداء المعرف باللام وزيد معه هاء التي للتنبيه عوضا عن
الاضافة لان المبهم يضاف والثقلان الجن والانس سميا بذلك لانهما ثقلا الارض احياء وامواتا قال الله تعالى
واخرجت الارض اثقالها ومنه قولهم اعطه ثقله اي وزنه وقال بعض اهل المعاني كل شيء له قدر ووزن ينافس فيه فهو ثقل

ومنه قيل لبيض النعام ثقل لان واجده وصائده يفرح به اذا ظفر به وقال جعفر الصادق سميا ثقلين لانهما مثقلان
بالذنوب وقيل الثقل الانس لشرفهم وسمي الجن بذلك مجازا للمجاورة والتغليب كالعمرين والقمرين والثقل العظيم
الشريف قال عليه السلام اني تارك فيكم ثقلين كتاب الله وعترتي فان قيل جمع في قوله سنفرغ لكم ثم قال ايها الثقلان
لانهما فريقان وكل فريق جمع وكذا قوله تعالى يا معشر الجن والانس ان استطعتم ولم يقل ان استطعتما لانهما فريقان
في حال الجمع كقوله تعالى فاذا هم فريقان يختصمون وهذان خصمان اختصموا في ربهم ولو قال سنفرغ لكما او قال ان
استطعتما لجاز وقرا زيد بن علي ان استطعتما خطابا للثقلين وحقه ان يمشي على سنن واحد فيقرا ان تنفذا الا تنفذان
والعامة جعلوه كقوله وان طائفتان من المومنين اقتتلوا اذ تحت كل واحد افراد وقيل اتى بصيغة الجمع في قوله ان
استطعتم لاجل قوله يا معشر فان المعشر جمع وقرا اهل الشام ايه الثقلان بضم الهاء والباقون بفتحها فالجواب هذه
الايات والتي في الاحقاف وفي قل اوحي دليل على ان الجن مخاطبون مكلفون مامورون منهيون مثابون معاقبون
كالانس سواء مؤمنهم كمؤمنهم وكافرهم ككافرهم قوله تعالى يا معشر الجن والانس ان استطعتم ان تنفذوا الاية لما بين
ان الله تعالى لا يشغله شان عن شان كان قائلا قال فلم اخر عذابهم فاجيب بان الجميع في قبضته وان الذي يستعجل انما يخاف
الفوت والجميع في قبضة الله تعالى فلا يفوتونه والمعشر الجماعة العظيمة لان العشر هو العدد الكامل الكبير الذي لا عدد بعده
الا بابتداء فيها من الآحاد تقول احد عشر واثنا عشر وعشرون وثلاثون اي ثلاث عشرات فالمعشر كانه في محل العشر الذي
هو الكثرة الكاملة فان قيل ما الحكمة في تقديم الجن على الانس هاهنا وتقديم الانس على الجن في قوله قل لئن اجتمعت الانس والجن
على ان ياتوا بمثل هذا القران فالجواب ان النفوذ من اقطار السموات والارض فالجن به اليق ان امكن والاتيان بمثل القران
بالانس اليق ان امكن فقدم في كل موضع ما يليق به فصل معنى الاية ان استطعتم ان تنفذوا وتجوزوا
وتخرجوا بسرعة والنفوذ الخروج وقد تقدم في اول البقرة ان ما فاؤه نون وعينه فاء يدل على الخروج كنفق ونفر قال
من اقطار السموات والارض فاهربوا واخرجوا منها وهذا امر تعجيز والمعنى حيثما كنتم ادرككم الموت كما قال تعالى اينما تكونوا
يدرككم الموت وهو قول الضحاك وروى جويبر عن الضحاك ايضا قال يقال لهم هذا يوم القيمة يعني ان استطعتم ان تجوزوا
اطراف السموات والارض فتعجزوا ربكم حتى لا يقدر عليكم فجوزوا والمعنى لا مهرب لكم ولا خروج لكم من ملك الله وانما تولوا فثم
ملك الله وقال ابن عباس ان استطعتم ان تعلموا ما في السموات وما في الارض فاعلموه ولن تعلموه الا بسلطان اي بينة من الله
تعالى وعنه ايضا لا تنفذون الا بسلطان لا تخرجون من سلطاني وقدرتي عليكم وقال قتادة لا تنفذون الا بملك وليس لكم
ملك وقيل الباء بمعنى الى اي الا الى سلطان كقوله تعالى وقد احسن بي اي الي وقيل معناه لا تنفذون الا ومعكم سلطان الله
وقيل معناه لا تتخلصون من عذاب الله الا بسلطان الله يجيركم والا فلا مجير لكم قوله تعالى الا بسلطان حال او متعلق
بالفعل قبله والسلطان القوة التي يتسلط بها على الامر والملك والقدرة والحجة كلها سلطان يريد حيث ما توجهتم كنتم في
ملكي قوله تعالى يرسل عليكما شواظ قرا ابن كثير بكسر الشين والباقون بضمها وهما لغتان بمعنى واحد مثل صوار من البقر
وصوار وهو القطيع من البقر والشواظ قيل اللهب معه دخان وقال ابن عباس وغيره هو اللهب الخالص الذي لا دخان له وقيل
اللهب الاحمر وقيل هو الدخان الخارج من اللهب وقال رؤبة • ونار حرب تسعر الشواظا • وقال حسان • هجوتك فاختضعت
لها بذل • بقافية تاجج كالشواظ • وقال مجاهد الشواظ اللهب الاخضر المنقطع من النار وقال الضحاك هو الدخان الذي
يخرج من اللهب ليس بدخان الحطب وقال سعيد بن جبير وقيل الشواظ النار والدخان جميعا قاله ابو عمرو وحكاه الاخفش
عن بعض العرب ويرسل مبني للمفعول وهو قراءة العامة وزيد بن علي نرسل بالنون شواظا ونحاسا بالنصب ومن نار صفة
لشواظ او متعلق بيرسل قوله تعالى ونحاس قرا ابن كثير وابو عمرو بجره عطفا على نار والباقون برفعه عطفا على شواظ
والنحاس قيل هو الصفر المعروف يذيبه الله تعالى ويعذبهم به وقيل الدخان الذي لا لهب معه قال الخليل وهو معروف
في كلام العرب وانشد الاعشى • يضيء كضوء سراج السليط • لم يجعل الله فيه نحاسا • قال المهدوي من قال ان الشواظ النار
والدخان جميعا فالجر في نحاس على هذا بين فاما الجر على قول من جعل الشواظ اللهب الذي لا دخان فيه فبعيد لا يسوغ الا على
تقدير حذف موصوف كانه قال يرسل عليكما شواظ من نار وشيء من نحاس فشيء معطوف على شواظ ومن نحاس جملة هي صفة
لشيء وحذف شيء وحذفت من لتقدم ذكرها في من نار كما حذفت على من قولهم على من تنزل انزل عليه فيكون نحاس على هذا
مجرورا بمن المحذوفة وبضمة نونه وبكسر وبالكسر قرا مجاهد وطلحة والكلبي ونقله القرطبي عن حميد ايضا وعكرمة وابو العالية
وقرا ابن جندب ونحس كقوله في يوم نحس وابن ابي بكرة وابن ابي اسحق ونحس بضم الحاء والسين مشددة وفتحها وكسرها من قولهم
اذ تحسونهم اي وتقتل بالعذاب وقرا ابن ابي اسحق ايضا ونحس بضم الحاء وفتحها وكسرها وجر السين والحسن والقاضي ونحس
بضمتين وجر السين وتقدمت قراءة زيد ونحاسا بالنصب لعطفه على شواظا في قراءته والنحاس ايضا بالكسر الطبيعة

فالاصل يقال فلان كريم النحاس والنحاس ايضا بالضم اي كريم النجاد قال ابن مسعود النحاس المهل وقال الضحاك هو دردي
الزيت المغلي وقال الكسائي هو النار التي لها ريح شديدة وقوله فلا تنتصران اي لا ينصر بعضكم بعضا يعني الجن والانس
وثنى الضمير في عليكما لان المراد النوعان وجمع في قوله ان استطعتم لانه خطاب للمعشر وكذا قوله فلا تنتصران اي خطاب
للحاضرين وهم نوعان قوله تعالى فاذا انشقت السماء جوابه مقدر اي رايت هولا عظيما او كان ما كان وقوله فكانت
وردة اي مثل وردة فقيل هي الزهرة المعروفة التي تشم شبهها بها في الحمرة وانشد • فلو كنت وردا لونه لعشقتني •
ولكن ربي شانني بسواديا • وقيل هي من لون الفرس الورد يكون في الربيع الى الصفرة وفي الشتاء الى الحمرة وفي اشتداد البرد
الى الغبرة فشبه تلون السماء بتلون الوردة من الخيل وقرا عمرو بن عبيد وردة بالرفع قال الزمخشري بمعنى فحصلت سماء وردة
وهو من الكلام الذي يسمى التجريد كقوله • فلئن بقيت لارحلن بغزوة • نحو الغنائم او يموت كريم • قوله تعالى كالدهان يجوز
ان يكون خبرا ثانيا وان يكون نعتا لوردة وان يكون حالا من اسم كانت وفي الدهان قولان احدهما انه جمع دهن نحو قرط
وقراط ورمح ورماح وهو في معنى قوله تعالى تكون السماء كالمهل وهو دردي الزيت والثاني انه اسم مفرد فقال الزمخشري
اسم ما يدهن به كالحزام والادام وانشد • كانهما مزادتا متعجل فريان • لما بدهنا بدهان • وقال غيره هو الاديم الاحمر
وانشد للاعشى • واجرد من كرام الخيل طرف • كان على شواكله دهانا • اي اديما احمر وهذا يحتمل ان يكون جمعا ويؤيده ما
انشده منذر بن سعيد • تبعن الدهان الحمر كل عشية • بموسم بدر او بسوق عكاظ • فقوله الحمر يؤيد كونه جمعا وقد
يقال هو كقولهم اهلك الناس الدينار الحمر والدرهم البيض الا انه خلاف الاصل وقيل شبهت بالدهان وهو الزيت لذوبها
ودورانها وقيل لبريقها **فصل** قال المفسرون انشقت السماء انصدعت يوم القيمة فكانت وردة كالدهان قال
مجاهد والضحاك وغيرهما الدهان الدهن والمعنى صارت في صفاء الدهن والدهان على هذا جمع دهن وقال سعيد بن جبير
وقتادة المعنى تصير في حمرة الورد وجريان الدهن اي تذوب مع جريان الدهن حتى تصير حمراء من حرارة نار جهنم وتصير مثل الدهن
لرقتها وذوبانها وقيل الدهان الجلد الاحمر الصرف ذكره ابو عبيدة والفراء اي تصير السماء كالاديم لشدة حر نار جهنم وعن ابن عباس
المعنى فكانت كالفرس الورد في الربيع كميتا اصفر وفي اول الشتاء كميتا احمر فاذا اشتد الشتاء كان كميتا اغبر وقال الفراء اراد الفرس الوردة
تكون في الربيع وردة الى الصفرة فاذا اشتد البرد كانت وردة حمراء فاذا كان بعد ذلك كانت وردة الى الغبرة فشبه تلون السماء
بتلون الورد من الخيل وقال الحسن كالدهان اي كصب الدهن فانك اذا صببته ترى فيه الوانا وقال زيد بن اسلم المعنى تصير
كعكر الزيت وقيل المعنى انها تمر وتجي قال الزجاج اصل الواو والراء والدال للمجي والاتيان وهذا قريب مما تقدم من ان الفرس
الوردة تتغير الوانها والورد ايضا يطلق على الاسد وقال قتادة انها اليوم خضرا وسيكون لها لون احمر حكاه الثعلبي وقال
الماوردي وزعم المتقدمون ان اصل لون السماء الحمرة وانها لكثرة الحوايل وبعد المسافة يرى لونها ازرق وشبهوا ذلك بعروق
البدن هي حمر كحمرة الدم وترى بالحايل زرقا فان كان هذا صحيحا فان السماء لقربها من النواظر يوم القيمة وارتفاع الحواجز
ترى حمرا لانه اصل لونها والله اعلم قوله تعالى فيومئذ التنوين عوض من الجملة اي فيوم اذا انشقت السماء والفاء في فيومئذ
جواب الشرط وقيل هو محذوف اي فاذا انشقت السماء رايت امرا مهولا ونحو ذلك والها في ذنبه تعود على احد المذكورين وضمير
الاخر مقدر اي ولا يسال عن ذنبه جان ايضا وناصب الظرف لا يسال ولا عبرة بمانعه وقد تقدم الخلاف فيها في الفاتحة
وتقدم قراءة جان بالهمز فيها ايضا **فصل** قال المفسرون هذه الاية مثل قوله تعالى ولا يسال عن ذنوبهم
المجرمون وان القيامة مواطن لطول ذلك اليوم فيسال في بعض ولا يسال في بعض وهذا قول عكرمة وقيل المعنى لا يسالون
اذا استقروا في النار وقال الحسن وقتادة لا يسالون عن ذنوبهم لان الله حفظها عليهم وكتبتها الملائكة رواه العوفي
عن ابن عباس وعن الحسن ومجاهد ايضا لا تسال الملائكة عنهم لانهم يعرفونهم بسيماهم دليله قوله يعرف المجرمون
بسيماهم ورواه مجاهد عنه ايضا في قوله تعالى فوربك لنسألنهم اجمعين وقوله تعالى فيومئذ لا يسال عن ذنبه
انس ولا جان قال لا يسالهم ليعرف ذلك منهم ولكن يسالهم لم عملتموها سؤال توبيخ وقال ابو العالية لا يسال غير المجرم
عن ذنب المجرم وقال قتادة يسالون قبل الختم على افواههم ثم يختم على افواههم وتتكلم جوارحهم شاهدة عليهم قوله تعالى
يعرف المجرمون بسيماهم قرا حماد بن ابي سليمان بسيمائهم بالمد وتقدم الكلام على ذلك في اخر البقرة قوله تعالى فيوخذ
بالنواصي الاية يوخذ متعد ومع ذلك تعدى بالباء لانه ضمن معنى يسحب قال ابو حيان ويسحب انما تعدى بعلى قال تعالى
يسحبون في النار على وجوههم فكان ينبغي ان يقول ضمن معنى يدعون اي يدفعون وقال مكي انما يقال اخذت الناصية واخذت
بالناصية ولو قلت اخذت الدابة بالناصية لم يجز وحكي عن العرب اخذت الخطام واخذت بالخطام بمعنى وقد قيل ان تقديره
فيوخذ كل واحد بالنواصي وليس بصواب لانه لا يتعدى الى مفعولين احدهما بالباء لما ذكرنا وقد يجوز ان يتعدى الى
مفعولين احدهما بحرف جر بالباء نحو اخذت ثوبا من زيد فهذا المعنى غير الاول فلا يحسن مع الباء مفعول اخر الا ان يجعلها

بمعنى

بمعنى من اجل فيجوز ان تقول اخذت زيدا بعمرو اي من اجله وبذنبه انتهى وفيما قاله نظر لانك تقول اخذت الثوب
بدرهم فقد تعدى لمفعولين ايضا بغير المعنى الذي ذكره وقال ابن الخطيب فان قيل كيف عدى الاخذ بالباء وهو متعد بنفسه
قال تعالى لا يوخذ منكم فدية وقال خذوها ولا تخف فالجواب ان الاخذ تعدى بنفسه كما تقدم وبالباء كقوله تعالى لا تاخذ
بلحيتي ولا براسي لكن التدقيق فيه ان الماخوذ ان كان مقصودا بالاخذ توجه اليه الفعل بنفسه وان كان المقصود بالاخذ
غير الشيء الماخوذ فكان الفعل لم يتعد اليه بنفسه فيذكر الحرف ويدل على هذا استعمال القران قال تعالى خذها ولا تخف
وقال وليأخذوا اسلحتهم واخذ الالواح الى غير ذلك مما هو المقصود بالاخذ فتعدى اليه الفعل بغير حرف وقال تعالى لا تاخذ
بلحيتي ولا براسي وقال فيوخذ بالنواصي ويقال اخذ بيدي اخذ الله بيدك الى غير ذلك مما يكون المقصود بالاخذ غيره واسند
الاخذ الى النواصي دون ضمير المجرمين اشارة الى استيلاء الاخذين على الماخوذين وكثرتهم وكيفية الاخذ وال في النواصي
والاقدام ليست عوضا من ضمير عند البصريين فالتقدير بالنواصي منهم وهي عند الكوفيين عوض والناصية مقدم الراس
وقد تقدم هذا مستوفي في هود وفي حديث عائشة ما لكم لا تنصون ميتكم اي لا تمدون ناصيته والنصي مرعى طيب
تقولهم فلان ناصية القوم يحتمل ان يكون من هذا يعنون انه طيب منتفع به او مثل قولهم هو راس القوم **فصل**
قال الحسن يعرف المجرمون بسيماهم اي بسواد الوجه وزرقة الاعين قال تعالى ونحشر المجرمين يومئذ زرقا وقال
يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فيوخذ بالنواصي والاقدام اي تاخذ الملائكة بنواصيهم اي بشعورهم مقدم رؤوسهم
واقدامهم فيقذفونهم في النار والنواصي جمع ناصية وقال الضحاك يجمع بين ناصيته وقدميه في سلسلة من وراء
ظهره وعنه يوخذ برجلي الرجل فيجمع بينهما وبين ناصيته حتى يندق ظهره ثم يلقى في النار وقيل يفعل ذلك به ليكون
اشد لعذابه واكثر لتشويهه وقيل تسحبهم الملائكة الى النار تارة تاخذه بناصيته وتجره على وجهه وتارة تاخذ بقدميه
وتسحبه على وجهه فان قيل ما وجه افراد يوخذ مع ان المجرمين جمع وهم الماخوذون فالجواب من وجهين احدهما ان
قوله يوخذ متعلق بالنواصي قوله تعالى هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون اي يقال لهم هذه جهنم قال ابن الخطيب
ويحتمل ان يقال معناه هذه صفة جهنم فاقيم المضاف اليه مقام المضاف وقد يكون المشار اليه هو ما تقدم قال والاقوى
ان يقال الكلام تم عند قوله النواصي والاقدام وقوله هذه جهنم لقربها كما يقال هذا زيد وقد وصل اذا قرب فكانه
قال جهنم التي يكذب بها المجرمون هذه قريبة غير بعيدة عنهم ويؤيده قوله يكذب لان الكلام لو كان باضمار يقال لقال تعالى
لهم هذه جهنم الذي بها المجرمون لان في ذلك اليوم لا يبقى تكذيب قوله تعالى يطوفون قرا العامة يطوفون من طاف
وعلي بن ابي طالب رضي الله عنه وابو عبد الرحمن يطافون مبنيا للمفعول من اطافهم غيرهم والاعمش وطلحة وابن مقسم
يطوفون بضم الياء وفتح الطاء وكسر الواو مشددة اي يطوفون انفسهم وقرات فرقة يطوفون بتشديد الطاء والواو والاصل
يتطوفون قوله تعالى حميم آن اي حار متناه في الحرارة وهو منقوص كقاض يقال انى يانى فهو آن كقضى يقضي فهو قاض
وقد تقدم في الاحزاب قال قتادة يطوفون مرة بين الحميم ومرة بين الجحيم والجحيم النار والحميم الشراب وفي قوله تعالى آن
ثلاثة اوجه احدها انه الذي قد انتهى حره وحميمه قال ابن عباس وسعيد بن جبير والسدي ومنه قول النابغة الذبياني قوله •
وتخضب لحية غدرت وخانت • باحمر من نجيع الجوف آن • قال قتادة انه طبخ منذ خلق الله السموات والارض يقول اذا استغاثوا
من النار جعل غياثهم ذلك وعن كعب انه الحاضر وعنه ايضا آن اسم واد من اودية جهنم وقال مجاهد انه الذي آن شربه
وبلغ غايته ثم قال فباي الاء فالجواب من وجهين احدهما ان ما وصف من هول القيمة وعقاب المجرمين فيه زجر عن المعاصي
وترغيب في الطاعات وهذا من اعظم النعم روي ان النبي صلى الله عليه وسلم اتى على شاب في الليل يقرا فاذا انشقت السماء فكانت
وردة كالدهان فوقف الشاب وخنقته العبرة وجعل يقول ويحي من يوم تنشق فيه السماء ويحي فقال النبي صلى الله عليه
وسلم ويحك يا فتى مثلها فوالذي نفسي بيده لقد بكت ملائكة السماء من بكائك الثاني ان المعنى ان كذبتم بالنعم المتقدمة
استحققتم هذه العقوبات وهي دالة على الايمان بالغيب وهو من اعظم النعم قوله تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان
يجوز ان يكون مقام مصدرا وان يكون مكانا فان كان مصدرا فيحتمل ان يكون مضافا لفاعله اي قيام ربه عليه
وحفظه لاعماله من قوله افمن هو قايم على كل نفس بما كسبت وروي عن مجاهد قال مجاهد وابرهيم النخعي هو الرجل يهم بالمعصية
فيذكر الله فيدعها من خوفه وان يكون مضافا للمفعول والمعنى القيام بحقوق الله فلا يضيعها وان كان مكانا فالاضافة
بادنى ملابسة لما كان الناس يقومون بين يدي الله للحساب في عرصات القيمة وقيل فيه مقام الله والمعنى خاف مقامه بين
يدي ربه للحساب فترك المعصية فمقام مصدر بمعنى القيام **فصل** قال القرطبي هذه الاية دليل على ان من
قال لزوجته ان لم اكن من اهل الجنة فانت طالق انه لا يحنث ان كان هم بالمعصية وتركها خوفا من الله وحياء منه وقاله سفيان
الثوري وافتى به **فصل** الظاهر ان الجنتين لخائف واحد قال محمد بن علي الترمذي جنة لخوفه من ربه

وجنة لتركه شهوته قال ابن عباس من خاف مقام ربه بعد اداء الفرايض قال القرطبي ويجوز ان يكون المقام للعبد
ثم يضاف الى الله وهو كالاجل في قوله تعالى فاذا جاء اجلهم وقوله في موضع اخر ان اجل الله اذا جاء لا يوخر وقوله ولمن خاف
اي لكل خايف له جنتان على حدة وقيل جنتان لجميع الخايفين والاول اظهر وقيل جنة لخايف الانس واخرى لخايف الجن
فيكون من باب التوزيع وقيل مقام هنا مقحم والتقدير ولمن خاف ربه وانشد * ونفيت عنه مقام الذيب
كالرجل اللعين * اي نفيت الذيب وليس بجيد لان زيادة الاسم ليست بالسهلة وقيل المراد بالجنتين جنة للجزاء
واخرى على الجزاء وقيل ان الجنتين جنته التي خلقت له وجنة ورثها وقيل احدى الجنتين منزله والاخرى منزل
ازواجه كما يفعل رؤساء الدنيا وقيل احدى الجنتين مسكنه والاخرى بستانه وقيل احدى الجنتين اسافل القصور
والاخرى اعاليها وقال مقاتل هما جنة عدن وجنة النعيم قال الفرا انها جنة واحدة وانما ثنى تكثيرا مراعاة لروس
الاي وقيل جنة واحدة وانما ثنى تاكيدا كقوله تعالى القيا في جهنم وانكر القتيبي هذا وقال لا يجوز ان يقال خزنة النار
عشرون وانما قال تسعة عشر مراعاة لروس الاي وايضا قال ذواتا وقال عطا وابن شوذب نزلت هذه الاية في ابي بكر
رضي الله عنه حين ذكر ذات يوم الجنة حين ازلفت والنار حين برزت وقال الضحاك بل شرب ذات يوم لبنا على ظما فاعجبه
فسال عنه فاخبر انه من غير حل فاستقاه ورسول الله صلى الله عليه وسلم ينظر اليه فقال رحمك الله لقد انزلت فيك اية وتلا عليه
الاية قوله تعالى ذواتا صفة لجنتان او خبر مبتدا محذوف اي هما ذواتا وفي تثنية ذات …
اصلها ذوية فالعين واو واللام يا لانها مونثة ذو ولثانيه التثنية على اللفظ …
احدهما انه جمع فنن كطلل وهو الغصن قال النابغة الذبياني * بكا حمامة تدعو اهدلا …
وقال الاخر * رب ورقا هتوف بالضحى * ذات شجو صدحت في فنن * وقال الاخر …
والفنن جمعها افنان ثم الافانين قال الشاعر * لها زمام من افانين …
افنان وفنون ايضا عن ابن عباس وفي الحديث اهل الجنة مرد مكحلون اولو افانين يريد الوفنن …
فنن من الشعر شبه بالغصن ذكره الهروي وقيل ذواتا افنان اي ذواتا سعة وفضل على سواهما …
وعكرمة ان الافنان ظل الاغصان على الحيطان وقال مجاهد الفنن هو الغصن المستقيم …
كدت والية اشار ابن عباس والمعنى ذواتا انواع واشكال وانشدوا * ومن كل افنان اللذاذة …
اخضر ناضر * قال سعيد بن جبير والضحاك الوان من الفاكهة واحدها فن من قولهم افنن …
منه وضروب الا ان الكثير في فن ان يجمع على فنون وجمع عطاء بين القولين فقال في …
قوله تعالى فيهما عينان تجريان اي في كل واحدة منهما عين جارية قال ابن عباس تجريان ماء …
تعالى على اهل الجنة وعن ابن عباس ايضا والحسن تجريان بالماء الزلال احدى العينين التسنيم …
احديهما من ماء غير اسن والاخرى من خمر لذة للشاربين وقيل تجريان من جبل من مسك قال ابو …
لو كانت عينا في الدنيا تجريان لمن خاف الله قوله تعالى فيهما من كل فاكهة زوجان اي …

كما تقدم تقريره وقيل معناه قاصرات طرف غيرهن عليهن اي اذا رآهن احدكم لم يتجاوز طرفه الى غيرهن ووحد الطرف مع الاضافة
الى الجمع لانه في معنى المصدر من طرفت عينه تطرف طرفا ثم يقال ما فيها عين تطرف ثم سميت العين بذلك فادى عن الواحد والجمع
كقولهم قوم عدل وصوم قال القرطبي واعلم ان هذا الترتيب في غاية الحسن لانه بين اولا المسكن وهو الجنة ثم بين ما يتنزه به وهو
البستان والاعين الجارية ثم ذكر الماكول فقال فيهما من كل فاكهة ثم ذكر موضع الراحة بعد الاكل وهو الفرش ثم ذكر ما يكون في الفراش
معه قال ابن الخطيب وقوله قاصرات الطرف اي نساء او ازواج فحذف الموصوف لنكتة وهي انه تعالى لم يذكرهن باسم الجنس وهو النساء
بل بالصفات فقال حور عين كواعب اتراب قاصرات الطرف حور مقصورات ولم يقل نساء عربا ولا نساء قاصرات لوجهين اما على
عادة العظماء كبنات الملوك انما يذكرون باوصافهن واما لانهن لما كملن كانهن خرجن من جنسهن وقوله قاصرات الطرف
يدل على عفتهن وعلى حسن المؤمنين في اعينهن فيحببن ازواجهن حبا يشغلهن عن النظر الى غيرهم ويدل ايضا على الحياء لان الطرف
حركة الجفن والحيية لا تحرك جفنها ولا ترفع راسها قوله تعالى لم يطمثهن هذه الجملة يجوز ان تكون نعتا لقاصرات لان اضافتها
لفظية كقوله هذا عارض ممطرنا * ويا رب غابطنا لو كان يطلبكم * وان يكون حالا لتخصص النكرة بالاضافة واختلف في هذا
الحرف والذي يعزى عن الكسائي فنقل عنه انه كان يجيز في ضم ايهما شاء القاري ونقل عنه الدوري ضم الاول فقط ونقل
عنه ابو الحارث ضم الثاني فقط وهما لغتان يقال طمثها يطمثها ويطمثها اذا جامعها لما روى ابو اسحق السبيعي قال كنت
اصلي خلف اصحاب عبد الله بن مسعود فاسمعهم يقولون بكسر الميم وكان الكسائي يضم احديهما ويكسر الاخرى لئلا يخرج
عن هذين الاثرين واصل الطمث الجماع المودي الى خروج دم البكر ثم اطلق على كل جماع طمث وان لم يكن معه دم وقيل
الطمث دم الحيض او دم الجماع فيكون اصله من الدم ومنه قيل للحائض طامث كانه قيل لم يدمهن بالجماع انس قبلهم ولا جان
وقيل الطمث المس الخاص وقرا الجحدري وطلحة بن مصرف يطمثهن بفتح الميم في الحرفين وهو شاذ اذ ليست عينه ولا لامه
حرف حلق والضمير في قبلهم عائد على الازواج الدال عليهم قوله قاصرات الطرف او الدال عليه متكئين **فصل** قال
القرطبي لم يطمثهن اي لم يصبهن بالجماع قبل ازواجهن احد قال الفراء والطمث الافتضاض والنكاح تاكيد منه طمثها
يطمثها ويطمثها طمثا اذا افتضها ومنه قيل امراة طامث اي حائض وغير الفراء يخالفه في هذا ويقول طمثها بمعنى وطئها
على اي الوجوه كان الا ان قول الفراء اعرف واشهر قال الفرزدق * دفعن الي لم يطمثن قبلي * وهن اصح من بيض النعام *
وقال ابو عمرو والطمث المس وذلك في كل شيء يمس ويقال للمرتع ما طمث ذا المرتع قبله احد وما طمث هذه الناقة حبل
اي ما مسها عقال وقال المبرد لم يذللهن انس ولا جان والطمث التذليل وقرا الحسن جأن بالهمز **فصل** دلت
هذه الاية على ان الجن تغشى كالانس وتدخل الجنة ويكون لهم فيها جنيات قال ضمرة للمؤمنين منهم ازواج من الحور فالانسيات
للانس والجنيات للجن وقيل معناه لم يطمث ما وهب الله للمؤمنين من الجن في الجنة من الحور العين في الجنيات جن
ولم يطمث ما وهب الله للمؤمنين من الانس في الجنة من الحور العين من الانسيات انس وذلك لان الجن لا تطا بنات
آدم في الدنيا ذكره القشيري قال القرطبي قد مضى القول في هذا في سورة النمل وفي سبحان ايضا وانه جائز ان تطا بنات آدم
وقد قال مجاهد انه اذا جامع الرجل ولم يسم انطوى الجان على احليله فجامع معه فذلك قوله تعالى لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان
يعلمك ان نساء الآدميين لم يطمثهن الجان والحور العين قد برئن من هذا العيب ونزهن **فصل** قال مقاتل في قوله
لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان لانهن خلقن في الجنة فعلى قوله يكونون من حور الجنة وقال الشعبي من نساء الدنيا لم يمسهن منذ
انشئن فيه انس ولا جان **قوله تعالى** كانهن الياقوت هذه الجملة يجوز ان تكون نعتا لقاصرات وان تكون حالا منها ولم يذكر مكي
غيره وتقدم الكلام في المرجان والياقوت جوهر نفيس يقال ان النار لم تؤثر فيه ولذلك قال الحريري * وطالما اصلي الياقوت
جمر غضا * ثم انطفى الجمر والياقوت ياقوت * اي يبقى على حاله لم يتاثر بها ووجه التشبيه كما قال الحسن في صفاء الياقوت وبياض
المرجان وهذا على القول بانه ابيض كما تقدم وقيل الوجه في الصفة بهما النفاسة لا اللون ولذلك سموا بمرجانة ودرة وشبه
ذلك **قوله تعالى** هل جزاء الاحسان الا الاحسان وقرا ابن ابي اسحق الا الحسان يعني الا الحور الحسان قال القرطبي هل في الكلام
على اربعة اوجه تكون بمعنى قد كقوله تعالى هل اتى وهل اتاك وبمعنى الاستفهام كقوله تعالى فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا
وبمعنى الامر كقوله تعالى فهل انتم منتهون وبمعنى ما في الجحد كقوله تعالى فهل على الرسل الا البلاغ المبين وهل جزاء الاحسان الا
الاحسان قال ابن الخطيب في هذه الاية وجوه كثيرة حتى قيل ان في القرآن ثلاث آيات في كل واحدة منها مائة قول احدها قوله
تعالى فاذكروني اذكركم وثانيها وان عدتم عدنا وثالثها هل جزاء الاحسان الا الاحسان والمشهور منها اقوال احدها قال
عكرمة اي هل جزاء من قال لا اله الا الله الا الجنة وقيل هل جزاء من احسن في الدنيا الا ان يحسن اليه في الآخرة قال ابن زيد وروى
انس ان النبي صلى الله عليه وسلم قرا هذه الاية فقال يقول الله هل جزاء من انعمت عليه بمعرفتي وتوحيدي الا اسكنه جنتي وحضيرة
قدسي برحمتي وقال الصادق هل جزاء من احسنت اليه في الازل الا حفظ الاحسان اليه في الابد قال ابن الخطيب والاقرب انه عام

في الكل من احسن الى غيره ان يحسن هو ايضا **قوله تعالى** ومن دونهما جنتان اي من دون تينك الجنتين المتقدمتين جنتان
في المنزلة وحسن المنظر وهذا على الظاهر من ان الاوليين افضل من الاخريين وقيل بالعكس ورجحه الزمخشري وقال قوله فيهما
مدهامتان مع قوله في الاوليين ذواتا افنان تدل على ان مرتبة هاتين دونهما وكذلك قوله في الاوليين عينان تجريان
مع قوله في هاتين فيهما عينان نضاختان لان النضخ دون الجري وقوله في الاوليين من كل فاكهة مع قوله في هاتين فاكهة وقوله
في الاوليين فرش بطائنها حيث ترك ذكر الظهائر لعلوها ورفعتها وعدم ادراك العقول اياها مع قوله في هاتين رفرف خضر
دليل عليه وقال القرطبي لما وصف الله الجنتين اشار الى الفرق بينهما فقال في الاوليين فيهما من كل فاكهة زوجان فعمم ولم يخص
وفي الاخريين فيهما فاكهة ونخل ورمان ولم يقل من كل فاكهة وقال في الاوليين متكئين على فرش بطائنها من استبرق وهو الديباج
وفي الاخريين متكئين على رفرف خضر وعبقري حسان والعبقري الوشي والديباج اعلى من الوشي والرفرف كسر الخباء والفرش
المعدة للاتكاء عليها افضل من كسر الخباء قال في الاوليين في صفة الحور العين كانهن الياقوت والمرجان وفي الاخريين فيهن خيرات
حسان وليس كل حسن كحسن الياقوت والمرجان وقال في الاوليين ذواتا افنان وفي الاخريين مدهامتان اي خضراوان
كانهما من شدة خضرتهما سوداوان وهذا كله بيان لتفاوت ما بينهما قال ابن الخطيب ويمكن ان يجاب بان عطاء الله تعالى في الآخرة
متناسب اما ان يكون مثل الاول او خيرا منه ويمكن ان يجيب الزمخشري بان الجنتين اللتين من دونهما لذريتهم التي الحقهم الله بهم
ولاتباعهم لا لهم وانما جعلهما لهم انعاما عليهم اي هاتان الاخريان لكم اسكنوا فيهما من تريدون وقيل ان المراد بقوله ومن دونهما
اي دونهما في المكان كانهم في جنتين ويطلعون من فوق على جنتين اخريين دونهما بدليل قوله تعالى لهم غرف من فوقها غرف مبنية
تجري من تحتها الانهار وقال ابن عباس رضي الله عنه ومن دونهما في الدرج وقال ابن زيد ومن دونهما في الفضل وقال ابن عباس
والجنتان لمن خاف مقام ربه فيكون في الاوليين النخل والشجر وفي الاخريين الزرع والنبات وقيل المراد من قوله ومن دونهما
جنتان لاتباعه لقصور منزلتهم عن منزلته احداهما للحور العين والاخرى للولدان المخلدين ليتميز بها الذكور من الاناث وقال
ابن جريج هي اربع جنتان منهما للسابقين المقربين فيهما من كل فاكهة زوجان وعينان تجريان وجنتان لاصحاب اليمين فيهما
فاكهة ونخل ورمان وقال ابو موسى الاشعري جنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما وما بين القوم وبين ان ينظروا الى ربهم
الا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن وقال الكسائي ومن دونهما اي امامهما وقبلهما قال البغوي يدل عليه قول الضحاك
الجنتان الاوليان من ذهب وفضة والاخريان من ياقوت وزمرد وهما افضل من الاوليين والى هذا القول ذهب ابو عبد الله
الترمذي الحكيم في نوادر الاصول وقال ومعنى ومن دونهما جنتان اي دون هذا الى العرش اي اقرب وادنى الى العرش وقال مقاتل
الجنتان الاوليان جنة عدن وجنة النعيم والاخريان جنة الفردوس وجنة المأوى **قوله تعالى** مدهامتان
اي خضراوان قاله ابن عباس وغيره وقال مجاهد مسودتان والادهمام في اللغة السواد وشدة الخضرة جعلا مدهامتين
لشدة ريهما وهذا مشاهد بالنظر ولذلك قالوا سواد العراق لكثرة شجره وزروعه ويقال فرس ادهم وبعير ادهم وناقة دهماء
اي اشتدت زرقته حتى ذهب البياض الذي فيه فان زاد على ذلك اشتد السواد فهو جون وادهم الفرس ادهماما اي
صار ادهم وادهام الشيء ادهيماما اي اسود والارض اذا اخضرت غاية الخضرة تضرب الى السواد ويقال للارض المعمورة
سواد يقال سواد البلد وقال عليه السلام عليكم بالسواد الاعظم ومن كثر سواد قوم فهو منهم قال ابن الخطيب والتحقيق
فيه ان ابتداء الالوان هو البياض وانتهاءها هو السواد فان الابيض يقبل كل لون والاسود لا يقبل شيئا من الالوان
قوله تعالى فيهما عينان نضاختان قال ابن عباس اي فوارتان بالماء والنضخ بالخاء المعجمة اكثر من النضح بالحاء المهملة
لان النضح بالمهملة الرش والنضخ بالمعجمة فوران الماء وقال ابن عباس والحسن ومجاهد المعنى نضاختان بالخير والبركة
وعن ابن مسعود وابن عباس ايضا وانس تنضخ على اولياء الله بالمسك والعنبر والكافور في دور اهل الجنة كما ينضخ رش
المطر وقال سعيد بن جبير بانواع الفواكه والماء **قوله تعالى** فيهما فاكهة ونخل ورمان قال بعض العلماء ليس الرمان
والنخل من الفاكهة لان الشيء لا يعطف على نفسه انما يعطف على غيره لان العطف يقتضي المغايرة وهذا ظاهر الكلام فلو حلف
لا ياكل فاكهة لم يحنث باكلهما وقال الجمهور هما من الفاكهة وانما اعاد ذكر النخل والرمان لفضلهما على الفاكهة فهو من باب
ذكر الخاص بعد العام تفضيلا له كقوله تعالى وملائكته وجبريل وميكال وقوله حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى
قال شهاب الدين وهذا يجوز لان فاكهة ليس عاما لانه نكرة في سياق الاثبات وانما هو مطلق ولكن لما كان صادقا على النخل والرمان
قيل فيه ذلك قال القرطبي وقيل انما كررهما لان النخل والرمان كانا عندهم في ذلك الوقت بمنزلة البر عندنا لان النخل
عامة قوتهم والرمان كالثمرات فكان يكثر غرسها عندهم لحاجتهم اليه وكانت الفواكه عندهم من الوان الثمار التي يعجبون
بها فانما ذكر الفاكهة ثم ذكر النخل والرمان لعمومهما وكثرتهما عندهم من المدينة الى مكة الى ما والاها من ارض اليمن فاخرجهما
من الذكر من الفواكه وافرد الفواكه على حدتها وقيل افردا بالذكر لان النخل ثمره فاكهة وطعام والرمان فاكهة ودواء فلم يخلصا

للتفكه ومنه قال ابو حنيفة رحمه الله اذا حلف لا ياكل فاكهة فاكل رمانا او رطبا لم يحنث **فصل** قال ابن الخطيب
لو قيل فيهما فاكهة ونخل ورمان كقوله تعالى فيهما من كل فاكهة زوجان لان الفاكهة ارضية وشجرية فالارضية كالبطيخ وغيره
ومن الارضيات المزروعة والشجرية كالنخل وغيرها من الشجريات فقال مدهامتان بانواع الخضر التي منها الفواكه الارضية
والفواكه الشجرية وذكر منها نوعين وهما الرمان والرطب لانهما متقابلان لان احدهما حلو والاخر حامض واحدهما حار والاخر
بارد واحدهما فاكهة وغذاء والاخر فاكهة ودواء واحدهما من فواكه البلاد الحارة والاخر من فواكه البلاد الباردة واحدهما
اشجاره في غاية الطول والكبر والاخر اشجاره بالضد واحدهما ما يوكل منه بارز وما لا يوكل كامن والاخر ما لا يوكل منه
بارز وما يوكل كامن فهما كالضدين والاشارة الى الطرفين تتناول الاشارة الى ما بينهما كقوله تعالى رب المشرق ورب المغرب
فصل قال ابن عباس الرمانة في الجنة مثل جلد البعير المقتب وعن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال نخل الجنة جذوعها
زمرد اخضر وكربها ذهب احمر وسعفها كسوة لاهل الجنة فيها مقطعاتهم وحللهم وثمرها امثال القلال والدلاء اشد بياضا
من اللبن واحلى من العسل والين من الزبد ليس له عجم وفي رواية كلما نزعت ثمرة عادت مكانها اخرى وان ماءها يجري من غير
اخدود والعنقود اثنا عشر ذراعا **قوله تعالى** فيهن خيرات حسان في خيرات وجهان احدهما انه جمع خيرة بزنة فعلة
بسكون العين يقال امراة خيرة واخرى شرة والثاني انه جمع خيرة المخففة من خيرة ويدل على ذلك قراءة بن مقسم والنهدي وبكر بن
حبيب خيرات بتشديد اليا قال القرطبي وهي قراءة قتادة وابن السميقع وابو رجا العطاردي وقرا ابو عمرو خيرات بفتح اليا جمع
خيرة وهي شاذة لان العين معتلة الا ان بني هذيل تعامله معاملة الصحيح فيقولون جوزات وبيضات وانشد حيث قال
اخو بيضات رائح متاوب • رفيق بمسح المنكبين سبوح **فصل** قال المفسرون الخيرات الحسان يعني النساء الواحدة
خيرة على معنى ذوات خير وقيل خيرات بمعنى خيرات فخفف كهين ولين روي الحسن عن امه عن ام سلمة قالت قلت لرسول
الله صلى الله عليه وسلم اخبرني عن قوله خيرات حسان قال الخيرات الاخلاق حسان الوجوه وقال ابو صالح لانهن عذاري ابكار
قال الحكيم الترمذي فالخيرة ما اختارهن الله فابدع خلقهن باختياره فاختيار الله لا يشبه اختيار الادميين ثم قال
حسان فوصفهن بالحسن فاذا وصف الله خالق الحسن شيئا بالحسن فانظر ما هناك قال ابن الخطيب في باطنهن الخير وفي
ظاهرهن الحسن **قوله تعالى** حور مقصورات في الخيام معنى مقصورات اي محبوسات ومنه القصر لانه يحبس من فيه ومنه قول
النجاة المقصور لانه حبس عن الكد او حبس عن الاعراب او حبس الاعراب فيه والنسا تمدح بملازمتهن البيوت كما قال قيس بن الاسلت
وتكسل عن جيرانها فيزرنها • وتعتل عن اتيانهن فتعذر • ويقال امراة مقصورة وقصيرة وقصورة بمعنى واحد قال كثير عزة
وانت التي حببت كل قصيرة • الي ولم تعلم بذاك القصائر • عنيت قصارات الحجال ولم ارد • قصار الخطا شر النسا البحاتر •
والخيام جمع خيمة وهي تكون من ثمام وساير الحشيش فان كانت من شعر فلا يقال لها خيمة بل بيت قال جرير • • •
متى كان الخيام بذي طلوح • سقيت الغيث ايتها الخيام • **فصل** اختلفوا ايهما اكثر حسنا واتم جمالا الحور
ام الادميات فقيل الحور لما ذكر من وصفهن في القران والسنة ولقوله صلى الله عليه وسلم في دعائه في صلوة الجنازة وابدله
زوجا خيرا من زوجه وقيل الادميات افضل من الحور بسبعين الف ضعف روي ذلك مرفوعا وقيل ان الحور العين المذكورة
في القران هن المومنات من ازواج النبيين والمومنين يخلقن في الاخرة على احسن صورة قاله الحسن البصري والمشهور ان
الحور العين لسن من نساء اهل الدنيا انما هن مخلوقات في الجنة لان الله تعالى قال لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان واكثر
نساء اهل الدنيا مطموثات **فصل** الحور جمع حوراء وهي الشديدة بياض العين الشديدة سوادها والمقصورات
المحبوسات المستورات في الخيام وهي المخدرات ليس بالطوافات في الطرق قاله ابن عباس وقال عمر رضي الله عنه الخيمة درة مجوفة
وقاله ابن عباس وهو فرسخ في فرسخ لها اربعة الاف مصراع من ذهب قال ابو عبد الله الحكيم الترمذي في قوله تعالى حور
مقصورات في الخيام بلغنا في الرواية ان سحابة مطرت من العرش فخلقن من قطرات الرحمة ثم ضرب على كل واحدة خيمة
على شاطئ الانهار سعتها اربعون ميلا وليس لها باب حتى اذا دخل ولي الله بالخيمة انصدعت الخيمة عن باب ليعلم ولي الله
ان ابصار المخلوقين وقال مجاهد معناه قصرن اطرافهن وانفسهن على ازواجهن فلا يبغين بدلا وقال عليه السلام
لو ان امراة من نساء اهل الجنة اطلعت على اهل الارض لاضاءت ما بينهما ولملات ما بينهما ريحا وتقدم الكلام على قوله
تعالى لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان **قوله تعالى** متكئين على رفرف الرفرف جمع رفرفة فهو اسم جنس وقيل هو اسم
نقلها مكي وهي ما تدلى من الاسرة من عالي الثياب وقال الجوهري ثياب خضر تتخذ منها المحابس الواحدة رفرفة واشتقاقه
من رف الطائر اي ارتفع في الهوا ورفرف بجناحيه اذا نشرهما للطيران ورفرف السحاب هبوبه ويدل على كونه جمعا
وصفه بالجمع وقال الراغب رفيف الشجر انتشار اغصانه ورف الطائر نشر جناحه يرف بالكسر ورف فرخه يرفه بالضم
تفقده ثم استعير للتفقد ومنه ما له حاف ولا راف اي ما له من يحفه ويتفقده والرفوف المنتشر من الاوراق وقوله

على رفرف

على رفرف خضر ضرب من الثياب مشبه بالرياض وقيل الرفرف طرف الفسطاط والخبا الواقع على الارض دون الاطناب
والاوتاد وذكر الحسن انه المخاد وقال ابن جبير وابن عباس رياض الجنة من رف النبت اذا تنعم وحسن وقال ابن عيينة
هي الزرابي وقال ابن كيسان هي المرافق وقال ابو عبيدة هي حاشية الثوب وقيل الفرش المرتفعة وقيل كل ثوب عريض عند
العرب فهو رفرف قال القرطبي وفي الخبر في وفاة النبي صلى الله عليه وسلم فرفع الرفرف فراينا وجهه كانه ورقة اي رفع
طرف الفسطاط وقيل اصل الرفرف من رف النبت يرف اذا صار غضا نضيرا قاله القتيبي يقال للشي اذا كثر ماؤه من
النعمة والغضاضة حتى يكاد يهتز رف يرف رفيفا حكاه الهروي وقد قيل ان الرفرف شي اذا استوى عليه صاحبه
رفرف به واهوى به كالمرجاح يمينا وشمالا ورفعا وخفضا يتلذذ به مع انيسه قاله الحكيم الترمذي في نوادر الاصول
قال فالرفرف اعظم خطرا من الفرش فذكر في الاوليين متكئين على فرش بطائنها من استبرق وقال هنا متكئين على رفرف
خضر فالرفرف هو مستقر الولي على شي اذا استوى عليه الولي رفرف به اي طار به حيث ما يريد كالمرجاح وروي في حديث المعراج
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بلغ سدرة المنتهى جاءه الرفرف فتناوله من جبريل وطار به الى سند العرش فذكر انه طار به يخفضني
ويرفعني حتى وقف بي على ربي ثم لما حان الانصراف تناوله فطار به خفضا ورفعا يهوي به حتى اداه الى جبريل صلوات الله وسلامه
عليه فالرفرف خادم من الخدم بين يدي الله تعالى له خواص الامور في محل الدنو والقرب كما ان البراق دابة تركبها الانبيا
مخصوصة بذلك في ارضه فهذا الرفرف الذي سخره لاهل الجنتين الدانيتين هو متكاهما وفرشهما يرفرف بالولي على حافات
تلك الانهار رحيث شاء الى خيام ازواجه **فصل** نعت هنا بخضر لان اسم الجنس نعت بالجمع كقوله والنخل باسقات
وبالمفرد وحسن جمعه هنا جمع حسان وقرا العامة رفرف وقرا عثمان بن عفان ونصر بن عاصم والجحدري والمرقي وغيرهم
رفارف خضر بالجمع وسكون الضاد وعنهم ايضا خضر بضم الضاد وهو اتباع للخا وقيل هي لغة في جمع افعل الصفة قاله
القرطبي وروى ابو بكرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قرا متكئين على رفارف خضر وعباقري حسان ذكره الثعلبي وضم الضاد
من خضر قليل وانشد لطرفة • ايها الفتيان في مجلسنا • جردوا منها وراد وشقر • وقال الحر • وما انتميت الى خور ولا
كشف • ولا لئام غداة الروع اوزاع • وقرا وعباقري بكسر القاف وفتحها وتشديد اليا مفتوحة على منع الصرف وهي
مشكلة اذ لا مانع من تنوين ياء النسب وكان هذا القاري توهم كونها في مفاعل تمنع من الصرف وقد روي عن النبي صلى الله
عليه وسلم وجماعة وعباقري منونا ابن خالويه وروي عن عاصم رفارف بالصرف وقد يقال في من منع عباقري انه لما
جاور رفارف الممتنع امتنع مشاكلة وفي من صرف رفارف انه لما جاور عباقري المنصرف صرفه للتناسب كسلاسلا واغلالا
كما سياتي بيانه ان شاء الله تعالى وقرا ابو محمد المروزي وكان نحويا خضارا كضراب بالتشديد وافعل وقال لا يعرف
قوله تعالى وعبقري حسان الجمهور قراوا وعبقري منسوب الى عبقر تزعم العرب انها بلد الجن قال ابن الانباري الاصل
فيه ان عبقر قرية تسكنها الجن ينسب اليها كل فائق جليل وقال الخليل كل ناقص فاضل فاخر من الرجال والنساء وغيرهم عند العرب
عبقري ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم في عمر رضي الله عنه فلم ار عبقريا من الناس يفري فريه وقال ابو عمرو بن العلا
وقد سئل عن قوله عليه السلام فلم ار عبقريا يفري فريه فقال رئيس قوم وجليلهم وقال زهير بخيل عليها جنة عبقرية •
جديرون يوما ان ينالوا فيستعلوا • وقال الجوهري العبقري موضع تزعم العرب انه من ارض الجن قال لبيد
كهول وشبان كجنة عبقر • ثم نسبوا اليها كل شي يتعجبوا من حذقه وجودة صنعته وقوته فقالوا عبقري وهو واحد
وجمع وفي الحديث انه كان يسجد على عبقري وهو البسط التي فيها الاصباغ والنقوش والمراد به في الاية قيل البسط التي
فيها صور وتماثيل وقيل هي الزرابي وقيل الطنافس وقيل الديباج الثخين وعبقري جمع عبقرية فيكون اسم جنس
كما تقدم في رفرف وقيل هو واحد دال على الجمع ولذلك وصف بحسان قال القرطبي وقرا بعضهم عباقري حسان وهو
خطا لان المنسوب لا يجمع على نسبته وقال قطرب ليس بمنسوب وهو مثل كرسي وكراسي وبختي وبخاتي **قوله تعالى** تبارك
اسم ربك ذو الجلال والاكرام قرا ابن عامر ذو الجلال بالواو وجعله تابعا للاسم وكذا هي مرسومة في مصحف الشاميين قال
القرطبي وذلك يقوي كون الاسم هو المسمى والباقون بالياء صفة للرب فانه هو الموصوف بذلك واجمعوا على الواو في الاول
الاول الا من استثني فيما تقدم **فصل** تبارك تفاعل من البركة قال ابن الخطيب واصل التبارك من التبرك
وهو الدوام والثبات ومنه برك البعير وبركة الماء فان الماء يكون فيها دائما والمعنى دام اسمه وثبت او دام الخير عنده
لان البركة وان كانت من الثبات لكنها تستعمل في الخير ويكون معناه علا وارتفع شانه **فصل** قال القرطبي
كانه يريد به الاسم الذي افتتح به السورة فقال الرحمن فافتتح بهذا الاسم فوصف خلق الانسان والجن وخلق السموات
والارض وصنعه وانه كل يوم هو في شان ووصف تدبيره فيهم ثم وصف يوم القيمة واهوالها وصفة النار ثم ختمها
بصفة الجنان ثم قال في اخر السورة تبارك اسم ربك ذي الجلال والاكرام اي هذا الاسم الذي افتتح به هذه السورة

كانه يعلمهم ان هذا كله خرج لكم من رحمتي فمن رحمتي خلقتكم وخلقت لكم السماء والارض والخليقة والجنة والنار فهذا كله لكم من اسم الرحمن فمدح اسمه ثم قال تبارك اسم ربك ثم قال ذي الجلال والاكرام اي جليل في ذاته كريم في افعاله روى الثعلبي عن علي رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لكل شي عروس وعروس القران سورة الرحمن جل ذكره وعن قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الرحمن رحم الله ضعفه وادى شكر ما انعم الله عز وجل عليه صدق رسول الله

سورة الواقعة

وهي مكية في قول الحسن وعكرمة وجابر وعطا وقال ابن عباس وقتادة الاية منها نزلت بالمدينة وهي قوله تعالى وتجعلون رزقكم انكم تكذبون وقال الكلبي مكية الا اربع ايات منها افبهذا الحديث انتم مدهنون وتجعلون رزقكم انكم تكذبون نزلتا في سفر وقوله تعالى ثلة من الاولين وثلة من الاخرين نزلتا في سفره الى المدينة وهي ستة وتسعون اية وثلاثماية وثمان وتسعون كلمة والف وسبعماية وثلاثة احرف بسم الله الرحمن الرحيم **قوله تعالى** اذا وقعت الواقعة ليس لوقعتها كاذبة في اذا اوجه احدها انها ظرف محض ليس فيه معنى الشرط والعامل فيها ليس الثاني انها العامل فيها اذكر مقدرا قال الزمخشري فان قلت بما انتصب اذا قلت بليس كقولك يوم الجمعة ليس لي شغل ثم قال او باضمار اذكر قال ابو حيان ولا يقول هذا نحوي قال لان ليس مثل ما النافية فلا حدث فيها فكيف تعمل في الظرف من غير حدث وتسميتها فعلا مجاز فان حد الفعل غير منطبق عليها ثم قال واما المثال الذي نظر به فالظرف ليس معمولا لليس بل للخبر وتقدم معمول خبرها عليها وهي مسيلة خلاف انتهى قال شهاب الدين الظروف يعمل فيها روايح الافعال ومعنى كلام الزمخشري ان النفي المفهوم من ليس هو العامل في اذا كانه قيل ينتفي كذب وقوعها اذا وقعت ويدل على هذا قول ابي البقا والثاني ظرف لما دل عليه ليس لوقعتها كاذبة اي اذا وقعت لم تكذب فان قيل فليجز ذلك في ما النافية ايضا فالجواب ان الفعل اقرب الى الدلالة على الحدث من الحروف الثالث انها شرطية وجوابها مقدر اي اذا وقعت كان كيت وكيت وهو العامل فيها الرابع انها شرطية والعامل فيها الفعل الذي بعدها ويليها وهو اختيار ابي حيان وتبع في ذلك مكيا قال مكي والعامل فيها وقعت لانها قد يجازى بها فعمل فيها الفعل الذي بعدها كما يعمل في ما ومن اللتين للشرط في قولك ما تفعل افعل ومن تكرم اكرم ثم ذكر كلاما كثيرا الخامس انها مبتدا واذا رجت خبرها وهذا على قولنا انها تتصرف وقد مضى تحريره الا ان هذا الوجه انما جوزه ابن مالك وابن جني وابو الفضل الرازي على قراءة من نصب خافضة رافعة على الحال وحكاه بعضهم عن الاخفش قال شهاب الدين ولا ادري اختصاص ذلك بوجه النصب لانه ظرف لخافضة او رافعة قاله ابو البقاء اي اذا وقعت خفضت ورفعت السابع ان يكون ظرفا لرجت واذا الثانية على هذا اما بدل من الاولى او تكرير لها الثامن ان العامل فيها ما دل عليه قوله فاصحاب الميمنة اي اذا وقعت بانت احوال الناس فيها التاسع ان جواب الشرط قوله فاصحاب الميمنة الى اخره وليس لوقعتها خبر مقدم وكاذبة اسم مؤخر وكاذبة يجوز ان يكون اسم فاعل وهو الظاهر وهو صفة لمحذوف فقدره الزمخشري نفس كاذبة اي انه في ذلك اليوم لا يكذب على الله احد ولا يكذب بيوم القيمة احد ثم قال واللام مثلها في قوله قدمت لحياتي اذ ليس لها نفس تكذبها وتقول لها لم تكوني كما لها اليوم نفوس كثيرة يكذبنها اليوم يقلن لها لم تكوني او هو من قولهم كذبت فلانا نفسه في الخطب العظيم اذا شجعته على مباشرته وقالت له انك تطيقه وما فوقه فتعرض له ولا تبال به على معنى انها وقعة لا تطاق شدة وفظاعة وان لا نفس حينئذ تحدث صاحبها بما تحدثه به عند عظايم الامور وتزين له احتمالها واطاقتها لانهم يومئذ اضعف من ذلك واذل الا ترى الى قوله كالفراش المبثوث والفراش مثل في الضعف وقدره ابن عطية حال كاذبة قال ويحتمل الكلام على هذا معنيين احدهما كاذبة اي مكذوبة فيما اخبر به عنها فسماها كاذبة لهذا كما تقول هذه قصة كاذبة اي مكذوب فيها والثاني اي لا يمضي وقوعها كقولك فلان اذا حمل لم يكذب والثاني ان كاذبة مصدر بمعنى التكذيب نحو خائنة الاعين قال الزمخشري من قولك حمل فلان على قرنه فما كذب اي فما جبن ولا تثبط وحقيقته فما كذب نفسه فيما حدثته به من اطاقته له واقدامه عليه وانشد لزهير • اذا ما الليث كذب عن اقرانه صدقا • اي اذا وقعت لم يكن لها رجعة ولا ارتداد انتهى وهو كلام حسن جدا ثم لك في هذه الجملة وجهان احدهما انها لا محل لها من الاعراب اما لانها ابتدائية ولا سيما على راي الزمخشري حين جعل الظرف متعلقا بها واما لانها اعتراضية بين الشرط وجوابه المحذوف والثاني ان محلها النصب على الحال قال ابن عطية ولم يبين صاحب الحال ما اذا وهو واضح اذا لم يكن هنا الا الواقعة وقد صرح ابو الفضل بذلك وقرا العامة برفع خافضة رافعة على خبر ابتداء مضمر اي هي خافضة قوما الى النار ورافعة اخرين الى الجنة فالمفعول محذوف للعلم به او يكون المعنى انها ذات

خفض ورفع كقوله يحيي ويميت وكلوا واشربوا وقرا زيد بن علي وعيسى والحسن وابو حيوة وابن مقسم واليزيدي بنصبهما على الحال ويروى عن الكسائي انه قال لولا ان اليزيدي سبقني اليه لقرات به انتهى قال شهاب الدين ولا اظن مثل هذا يصح عن مثل هذا والخلف في ذي الحال فقال ابو البقا من الضمير في كاذبة او في وقعت واصطلاحه ان يقول او فاعل وقعت الا ضمير في وقعت وقال ابن عطية وابو الفضل من الواقعة ثم قرر مجي الحال متعددة من ذي حال واحدة كما يجي الاخبار متعددة وقد تقدم بيانه قال ابو الفضل واذا جعلت هذه كلها احوالا كان العامل في اذا وقعت محذوفا يدل عليه الفحوى اي اذا وقعت يحاسبون **فصل** قال المفسرون اذا وقعت الواقعة اي قامت القيمة والمراد النفخة الاخيرة وسميت الواقعة لانها تقع عن قرب وقيل لكثرة ما يقع فيها من الشدايد قال الجرجاني اذا صلة اي وقعت الواقعة كقوله اقتربت الساعة واتى امر الله وهو كما يقال جاء الصوم اي دنا وقرب وقال القرطبي فيه اضمار اي اذكر اذا وقعت وعلى هذا اذا للتوقيت والجواب قوله فاصحاب الميمنة وقال ابن الخطيب او يكون التقدير اذا وقعت الزلزلة الواقعة يعترف بها كل احد ولا يتمكن احد من انكارها ليس لوقعتها كاذبة الكاذبة مصدر بمعنى الكذب والعرب قد تضع الفاعل والمفعول موضع المصدر كقوله تعالى لا تسمع فيها لاغية اي لغو والمعنى ليس لها كذب قاله الكسائي ومنه قول العامة عايذا بالله اي معاذ الله وقم قايما اي قم قياما وقيل الكاذبة صفة والموصوف محذوف اي ليس لوقعتها حال كاذبة اي لا يردها شي ونحوه قول الحسن وقتادة وقال الثوري ليس لوقعتها احد يكذب بها وقيل ان قيامها جد لا هزل وقوله خافضة رافعة قال عكرمة ومقاتل والسدي خفضت الصوت فاسمعت من دنا ورفعت الصوت فاسمعت من نأى يعني اسمعت القريب والبعيد وعن السدي خفضت المتكبرين ورفعت المستضعفين وقال قتادة خفضت اقواما في عذاب الله ورفعت اقواما الى طاعة الله وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه خفضت اعداء الله في النار ورفعت اولياء الله في الجنة وقال ابن عطا خفضت قوما بالعدل ورفعت اخرين بالفضل والرفع والخفض يستعملان عند العرب في المكان والمكانة والعز والاهانة ونسب سبحانه الرفع والخفض الى القيمة توسعا ومجازا على عادة العرب في اضافتها الفعل الى المحل والزمان وغيرهما مما لا يمكن منه الفعل يقولون ليل قايم ونهار صايم وفي التنزيل بل مكر الليل والنهار والخافض والرافع في الحقيقة هو الله تعالى واللام في لوقعتها اما للتعليل اي لا تكذب نفس في ذلك اليوم لشدة وقعتها واما للتعدية كقولك ليس لزيد ضارب فيكون التقدير اذا وقعت الواقعة ليس لوقعتها امر يوجد لها كاذب يكذب اذا اخبر عنه قال ابن الخطيب وعلى هذا لا يكون ليس عاملا في اذا وهو بمعنى ليس لها كاذب **قوله تعالى** اذا رجت يجوز ان يكون بدلا من اذا الاولى او تاكيدا لها او خبرا لها على انها مبتداة كما تقدم تحريره وان يكون شرطا والعامل فيها اما مقدر واما فعلها الذي يليها كما تقدم في نظيرتها وقال الزمخشري ويجوز ان ينتصب بخافضة رافعة اي تخفض وترفع وقت رج الارض وبس الجبال لانه عند ذلك ينخفض ما هو مرتفع ويرتفع ما هو منخفض قال ابو حيان ولا يجوز ان ينتصب بهما معا بل باحدهما لانه لا يجتمع موثران على اثر واحد قال شهاب الدين معنى كلامه ان كلا منهما متسلط عليه من جهة المعنى وتكون المسئلة من التنازع وحينئذ تكون العبارة صحيحة اذ يصدق ان كلا منهما عامل فيه وان كان على التعاقب والرج التحريك الشديد بمعنى زلزلت قال مجاهد وغيره يقال رجه يرجه رجا اي حركه وزلزله وناقة رجا اي عظيمة السنام والرجرجة الاضطراب وارتج البحر وغيره اضطرب وفي الحديث من ركب البحر حين يرتج فلا ذمة يعني اذا اضطربت امواجه قال الكلبي وذلك ان الله تعالى اذا اوحى اليها اضطربت فرقا من الله تعالى قال المفسرون ترتج كما يرتج الصبي في المهد حتى ينهدم ما عليها وينكسر كل شي عليها من الجبال وغيرها وعن ابن عباس الرجة الحركة الشديدة يسمع لها صوت **قوله تعالى** وبست الجبال اي سيرت من قولهم بس الغنم اي ساقها وقوله ابسست الابل ابسها بسا وبسست وابسست لغتان اذا زجرتها وقلت بس بس قاله ابو زيد او بمعنى فتتت كقوله تعالى ينسفها ربي نسفا ويدل عليه فكانت هباء منبثا قال ابن عباس ومجاهد كما يبس الدقيق اي يلت والبسيسة السويق او الدقيق يلت بالسمن او بالزيت ثم يوكل ولا يطبخ وقد يتخذ زادا قال الراجز • لا تخبزا خبزا وبسا بسا • ولا تطيلا بمناخ حبسا • وقال الحسن بست قلعت من اصلها فذهبت ونظيرها ينسفها ربي نسفا وقال عطية بسطت كالرمل والتراب وقال مجاهد سالت سيلا وقال عكرمة هدت وقرا زيد بن علي رجت وبست مبنيين للفاعل على ان رج وبس يكونان لازمين ومتعديين اي ارتجت وذهبت **قوله تعالى** فكانت هباء منبثا قرا النخعي ومسروق وابو حيوة منبتا بنقطتين من فوق اي منقطعا من البت ومعنى الاية يتبواعنه قال علي رضي الله عنه الهبا المنبث الرهج الذي يسطع من حوافر الخيل ثم يذهب فجعل الله تعالى اعمالهم كذلك وقال مجاهد الهبا الشعاع الذي يكون في الكوة كهيئة الغبار وروي نحوه عن ابن عباس وعنه ايضا هو ما تطاير من النار اذا اضطرمت يطير منه شرر فاذا وقع لم يكن شيا وقاله عطية والمنبث المتفرق قال تعالى وبث فيها من كل دابة اي فرق ونشر **قوله تعالى** وكنتم ازواجا ثلثة اي اصنافا ثلثة كل صنف يشاكل ما هو منه كما يشاكل الزوج الزوجة ثم بين من هم فقال اصحاب الميمنة واصحاب المشامة والسابقون **قوله تعالى** فاصحاب الميمنة ما اصحاب الميمنة اصحاب

الاول مبتدا وما استفهام فيه تعظيم مبتدا ثان واصحاب الثاني خبره والجملة خبر الاول وتكرار المبتدا هنا بلفظه معنى عن
الضمير ومثله الحاقة ما الحاقة القارعة ما القارعة ولا يكون ذلك الا في مواضع التعظيم فان قيل ان ما نكرة وما بعده معرفة
فكان ينبغي ان يقال ما خبر مقدم واصحاب الثاني مبتدا لان المعرفة احق بالابتداء من النكرة وهذا السؤال وارد على سيبويه
في مثل هذا وفي قولك كم مالك ومررت برجل خير منه ابوه فانه يعرب ما الاستفهامية وكم وافعل مبتدا وما بعده خبرها والجواب
انه كثر وقوع النكرة خبرا عن هذه الاشيا كثرة متزايدة فاطرد الباب ليجري على سنن واحد هكذا اجابوا وهذا لانه نص مانع من
جواز ان يكون ما وكم وافعل خبرا مقدما ولو قيل به لم يكن خطا بل اقرب الى الصواب والميمنة مفعلة من لفظ اليمين وكذلك المشامة
من اليد الشومي وهي الشمال التي تتشام العرب بها او من الشوم **فصل** قال السدي اصحاب الميمنة هم الذين يوخذ بهم
ذات اليمين الى الجنة واصحاب المشامة هم الذين يوخذ بهم ذات الشمال الى النار والمشامة الميسرة وكذلك الشامة يقال
قعد فلان شامة ويقال شايم باصحابك اي خذ بهم شامة اي ذات الشمال والعرب تقول لليد الشمال الشومي وللجانب الشمال
الاشام وكذلك يقال لما جاء عن اليمين اليمن ولما جاء عن الشمال الشوم قال البغوي ومنه سمي الشام واليمن لان اليمن عن يمين الكعبة
والشام عن شمالها قال ابن عباس والسدي اصحاب الميمنة هم الذين كانوا عن يمين ادم حين اخرجت الذرية من صلبه فقال الله لهم
هولاء في الجنة ولا ابالي وقال زيد بن اسلم هم الذين اخذوا من شق ادم الايمن يومئذ واصحاب المشامة الذين اخذوا من شق ادم
الايسر وقال عطا ومحمد بن كعب اصحاب الميمنة من اوتي كتابه بيمينه واصحاب المشامة من اوتي كتابه بشماله وقال ابن جريج
اصحاب الميمنة هم اصحاب الحسنات واصحاب المشامة هم اهل السيئات وقال الحسن والربيع اصحاب الميمنة الميامين على
انفسهم بالاعمال الصالحة واصحاب المشامة المشايم على انفسهم بالاعمال السيئة وفي صحيح مسلم من حديث الاسرا عن ابي ذر
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال فلما علونا سما الدنيا فاذا رجل عن يمينه اسودة وعن يساره اسودة قال فاذا نظر قبل يمينه ضحك
واذا نظر قبل شماله بكى قال فقال مرحبا بالنبي الصالح والابن الصالح قال قلت يا جبريل من هذا قال هذا ادم عليه السلام
وهذه الاسودة عن يمينه وعن شماله بنيه فاهل اليمين اهل الجنة والاسودة التي عن شماله اهل النار وذكر الحديث وقال المبرد
اصحاب الميمنة اصحاب التقدم واصحاب المشامة اصحاب التاخر والعرب تقول اجعلني في يمينك ولا تجعلني في شمالك اي
اجعلني من المتقدمين ولا تجعلني من المتاخرين ثم عجب نبيه صلى الله عليه وسلم فقال ما اصحاب الميمنة وهذا كما يقال زيد
ما زيد يريد زيد شديد فالتكرير في ما اصحاب الميمنة واصحاب المشامة للتفخيم والتعجب كقوله الحاقة ما الحاقة والقارعة
ما القارعة كما يقال زيد ما زيد وفي حديث ام زرع مالك وما مالك والمقصود تكثير ما لاصحاب الميمنة من الثواب ولاصحاب
المشامة من العقاب والفا في قوله فاصحاب تدل على التقسيم وبيان ما ورد عليه التقسيم كانه قال ازواجا ثلاثة اصحاب الميمنة
واصحاب المشامة والسابقون ثم بين حال كل قسم فقال فاما اصحاب الميمنة وترك التقسيم اولا واكتفى بما يدل عليه بان
ذكر الاقسام الثلاثة مع احوالها فان قيل ما الحكمة في اختيار لفظ المشامة في مقابلة الميمنة مع انه قال في بيان احوالهم واصحاب
الشمال ما اصحاب الشمال فالجواب ان اليمين وضع للجانب المعروف واستعملوا منه الفاظا في مواضع فقالوا هذا ميمون تيمنا به ووضعوا
مقابلة اليمين اليسار من الشي اشارة الى ضعفه وانهم استعملوا منه الفاظا تشاما به فذكر المشامة في مقابلة الميمنة وذكر
الشمال في مقابلة اليمين فاستعمل كل لفظ مع مقابله **قوله تعالى** والسابقون السابقون فيه اوجه احدها انهما
مبتدا وخبر وفي ذلك تاويلان احدهما انه بمعنى السابقون هم الذين اشتهرت حالهم بذلك كقولهم انت انت والناس
الناس وقوله • انا ابو النجم وشعري شعري • وهذا يقال في تعظيم الامر وتفخيمه وهو مذهب سيبويه التاويل الثاني ان متعلق
السبقين مختلف اذ التقدير والسابقون الى الايمان السابقون الى الجنة او السابقون الى الطاعة السابقون الى رحمته
او السابقون الى الخير السابقون الى الجنة الوجه الثاني ان يكون السابقون الثاني تاكيدا للاول تاكيدا لفظيا واولئك
المقربون جملة ابتدائية في موضع خبر الاول والرابط اسم الاشارة كقوله تعالى ولباس التقوى ذلك خير في قراءة من رفع لباس
في احد الاوجه الثالث ان يكون السابقون الثاني نعتا للاول والخبر الجملة المذكورة وهذا ينبغي ان لا يعرج عليه كيف يوصف
الشي بلفظه واي فائدة في ذلك قال شهاب الدين والاقرب عندي ان وردت هذه العبارة ممن يعتبر ان يكون سمى التاكيد
صفة وقد فعل سيبويه قريبا من هذا الرابع ان يكون الوقف على قوله والسابقون ويكون قوله السابقون اولئك المقربون
ابتدا وخبرا وهذا يقتضي ان يعطف والسابقون على ما قبله لا يليق عطفه على ما قبله وبعده وانما يليق عطفه على اصحاب
الميمنة كانه قيل واصحاب الميمنة ما اصحاب الميمنة والسابقون اي وما السابقون تعظيما لهم فيكونون شركا اصحاب
الميمنة في التعظيم ويكون قوله على هذا واصحاب المشامة ما اصحاب المشامة اعتراضا بين المتعاطفين وفي هذا الوجه تكلف
كثير جدا **فصل** قال عليه السلام السابقون الذين اذا اعطوا الحق قبلوه واذا سيلوا بذلوه وحكموا للناس
كحكمهم لانفسهم ذكره المهدوي وقال محمد بن كعب القرظي هم الانبيا وقال الحسن وقتادة هم السابقون الى الايمان من كل امة

وقال محمد بن سيرين هم الذين صلوا الى القبلتين قال تعالى والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار وقال مجاهد
والضحاك هم السابقون الى الجهاد واول الناس رواحا الى الصلوة وقال علي رضي الله عنه هم السابقون الى الصلوات الخمس
وقال سعيد بن جبير الى التوبة واعمال البر قال الله تعالى وسارعوا الى مغفرة من ربكم ثم اثنى عليهم فقال اولئك يسارعون في الخيرات
وهم لها سابقون وقيل انهم اربعة منهم سابق امة موسى وهو حزقيل مومن ال فرعون وسابق امة عيسى وهو حبيب النجار صاحب
انطاكية وسابقان في امة محمد وهما ابو بكر وعمر رضي الله عنهما قاله ابن عباس حكاه الماوردي وقال سميط بن عجلان الناس ثلاثة
فرجل ابتكر الخير في حداثة سنه ثم داوم عليه حتى خرج من الدنيا فهذا هو السابق المقرب ورجل ابتكر عمره بالذنوب ثم طول الغفلة
ثم رجع بتوبته حتى ختم له بها فهذا من اصحاب اليمين ورجل ابتكر عمره بالذنوب ثم لم يزل عليها حتى ختم له بها فهذا من اصحاب الشمال وروي عن كعب قال هم اهل القران المتوجون يوم القيمة وقيل هم اول
الناس رواحا الى المسجد واولهم خروجا في سبيل الله اولئك المقربون من الله في جنات النعيم **قوله تعالى** في جنات النعيم يجوز ان يكون
خبرا ثانيا وان يكون حالا من الضمير في المقربون وان يكون متعلقا به اي قربوا الى رحمة الله في جنات وان يكون في عيني الى دقما
طلحة في جنة بالافراد واضافة الجنة الى النعيم من اضافة المكان الى ما يكون فيه كما يقال دار الضيافة ودار الدعوة ودار العدل
وذكر النعيم هنا معرفا وفي اخر السورة منكرا لان السابقين معلومون نعرفهم باللام المستغرقة لجنسهم واما هنالك فهم غير
معروفين لقوله ان كان من المقربين فجعل موضعه غير معرف او يقال ان المذكور هنا جميع السابقين ومنزلتهم اعلى المنازل فهي معروفة
لانها الاحد فوقها واما ثاني المقربين فلكل واحد مرتبة ودرجة فمنا زلهم متفاوتة فهم في جنات متباينة في المنزلة لا يجمعها
صفة فلم يعرفها **قوله تعالى** ثلة من الاولين ثلة خبر مبتدا مضمر اي هم ويجوز ان يكون مبتدا خبره مضمر اي منهم ثلة اي من السابقين
يعني ان التقسيم وقع في السابقين وان يكون مبتدا خبره في جنات النعيم او قوله على سرر فهذه اربعة اوجه والثلة الجماعة
من الناس وقيدها الزمخشري بالكثيرة وانشد • وجات اليهم ثلة خندفية • بجيش كتيار من البحر مزبد • ولم يقيدها
غيره بل صرح بانها الجماعة قلت او كثرت وقال الراغب الثلة قطعة مجتمعة من الصوف ولذلك قيل للغنم ثلة ثم يعني بعض الناس
وقوله • امرعت الارض لوان مالا • لو ان نوقا لك او جمالا • او ثلة من غنم اما لا • انتهى ثم قال ولاعتبار الاجتماع قيل ثلة من الاولين
وثلة من الاخرين اي جماعة وثللت كذا تناولت ثلة منه وثل عرشه اسقط ثلة منه والثلل قصر الاسنان لسقوط ثلة منها
واثل فمه سقطت اسنانه وثللت الركية هدمتها انتهى فقد اطلقها على الجماعة من غير قيد بقلة ولا كثرة والكثرة التي فهمها
الزمخشري قد تكون من السياق وقال الزجاج الثلة الفرقة ومن الاولين صفة لثلة وكذلك من الاخرين صفة لقليل
فصل ثلة من الاولين اي جماعة من الامم الماضية وقليل من الاخرين اي ممن امن بمحمد صلى الله عليه وسلم
قال الحسن ثلة ممن قد مضى قبل هذه الامة وقليل من اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم اللهم اجعلنا منهم بكرمك وسموا قليلا
بالاضافة الى من كان قبلهم لان الانبياء المتقدمين كثروا فكثر السابقون الى الايمان بهم فزادوا على عدد من سبق الى التصديق
من امتنا قيل لما نزلت هذه الاية شق على اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فنزلت ثلة من الاولين وثلة من الاخرين فقال النبي
صلى الله عليه وسلم اني لارجو ان يكونوا ربع اهل الجنة بل نصف اهل الجنة ويقاسمونهم في النصف الثاني رواه ابو هريرة ذكره
الماوردي وغيره ومعناه ثابت في صحيح مسلم من حديث عبد الله بن مسعود وكانه اراد انها منسوخة قال ابن الخطيب وهذا في غاية
الضعف من وجوه احدها ان عدد امة محمد كان في ذلك الزمان بل الى اخر الزمان بالنسبة الى من مضى في غاية القلة فالمراد بالاولين
الانبيا وكبار اصحابهم وهم اذا اجمعوا اكثر من السابقين من هذه الامة الثاني ان هذا خبر والخبر لا ينسخ الثالث ان هذه الاية
في السابقين والتي بعدها في اصحاب اليمين الرابع انه اذا جعل قليل منهم مع الانبيا والرسل المتقدمين كانوا في درجة واحدة
وذلك يوجب الفرح لانه انعام عظيم ولعل الاشارة اليه بقوله عليه السلام علماء امتي كانبيا بني اسرائيل قال القرطبي والاشبه
انها محكمة لانها خبر والخبر لا ينسخ ولان ذلك في جماعتين مختلفتين قال الحسن سابقوا من مضى اكثر من سابقينا فلذلك قال
وقليل من الاخرين وهم سوى السابقين ثلة من الاولين وثلة من الاخرين ولذلك قال عليه السلام اني لارجو ان تكون امتي
شطر اهل الجنة ثم تلا ثلة من الاولين وثلة من الاخرين وقال ابو بكر رضي الله عنه كلا الثلتين من امة محمد صلى الله عليه وسلم
فمنهم من هو في اول امته ومنهم من هو في اخرها وهو مثل قوله تعالى فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات
وقيل المراد ثلة من الاولين هم السابقون الاولون من المهاجرين والانصار فان اكثرهم لهم الدرجة العليا كما قال تعالى
لا يستوي منكم من انفق من قبل الفتح وقاتل اولئك اعظم درجة وقليل من الاخرين لحقوهم ولهذا قال عليه السلام خيركم قرني
ثم سوى في اصحاب اليمين بين الاولين والاخرين قال ابن الخطيب وعلى هذا القول وكثير ازواجا ثلثة يكون خطابا مع الموجودين
وقت التنزيل ولا يكون فيه بيان الاولين الذين كانوا قبل نبينا عليه السلام وهذا ظاهر لان الخطاب لا يتعلق الا بالموجودين
من حيث اللفظ ويدخل فيه غيرهم بالدليل ووجه اخر ان المراد بالاولين الذين امنوا وعملوا الصالحات وبالاخرين اي ذرياتهم
الملحقون بهم في قوله تعالى واتبعتهم ذرياتهم بايمان الحقنا بهم ذرياتهم وقال الزجاج الذين عاينوا جميع النبيين من لدن

ادم وصدقوهم اكثر ممن عاين النبي صلى الله عليه وسلم **قوله تعالى** على سرر موضونة اي السابقون في الجنة على سرر
اي مجالسهم على سرر جمع سرير وقرا زيد بن علي وابو السماك سرر بفتح الراء الاولى وقد تقدم ان تلك لغة لبعض كلب
وتميم والموضونة قال ابن عباس منسوجة بالذهب وقال عكرمة مشبكة بالدر والياقوت وعن ابن عباس ايضا موضونة اي مصفوفة
لقوله تعالى في موضع اخر على سرر مصفوفة وعنه وعن مجاهد ايضا مرمولة بالذهب وقيل موضونة منسوجة بقضبان الذهب
مشبكة بالدر والياقوت والموضونة المنسوجة واصله من وضن الشيء اي ركب بعضه على بعض ومنه قيل للدرع موضونة
لتراكب حلقها قال الاعشى • ومن نسج داود موضونة • يسير مع الحي عيرا فعيرا • ومنه ايضا وضين الناقة وهو حزامها
لتراكب طاقاته قال • اليك تعدو قلقا وضينها • معترضا في بطنها جنينها • مخالفا دين النصارى دينها • وقال الراغب
الوضين نسج الدرع ويستعار لكل نسج محكم فجعله اصلا في نسج الدروع وقال الاخر • اقول وقد درات لها وضيني •
اهذا دينه ابدا وديني • اي حزامي والوضين هو الحبل العريض الذي منه يكون الحزم لقوة سداه ولحمته والسرير الموضون الذي
سطحه بمنزلة المنسوج قال القرطبي ومنه الوضين بطان من سيور تنسج فيدخل بعضه في بعض **قوله تعالى** متكئين متقابلين
حالان من الضمير في على سرر ويجوز ان يكون حالا متداخلة فيكون متقابلين حالا من ضمير متكئين **قوله تعالى** متكئين على السرر
متقابلين اي لا يرى بعضهم قفا بعض بل تدور بهم الاسرة والمعنى انهم كائنون على سرر ومتكئين على غيرها لحال من
يكون على كرسي فيوضع تحته شيء آخر للاتكاء عليه قال الكلبي طول كل سرير ثلاث مائة ذراع فاذا اراد العبد ان يجلس عليها
تواضعت فاذا جلس عليها ارتفعت **قوله تعالى** يطوف يجوز ان يكون حالا وان يكون استئنافا ولدان مخلدون اي غلمان
لا يموتون قاله مجاهد والمعنى لا موت لهم ولا فناء او بمعنى لا يتغير حالهم ويبقون صغارا دائما وقال الحسن والكلبي
لا يهرمون ولا يتغيرون ومنه قول امرئ القيس • وهل ينعمن الا سعيد مخلد • قليل الهموم ما يبيت باوجال • وقال
سعيد بن جبير مخلدون مقرطون يقال للقرط الخلد وجماعة الحلي الخلدة وقيل مستورون ونحوه عن الفراء قال الشاعر •
ومخلدات باللجين كانما • اعجازهن اقاوز الكثبان • وقيل مقرطون يعني منطقون من المناطق وقال عكرمة
مخلدون منعمون وقيل على سن واحد انشاهم الله لاهل الجنة يطوفون عليهم كما شاء من غير ولادة لان الجنة لا ولادة
فيها وقال علي بن ابي طالب رضي الله عنه والحسن البصري الولدان هاهنا ولدان المسلمين الذين يموتون صغارا ولا حسنة
لهم ولا سيئة وقال سلمان الفارسي اطفال المشركين هم خدم اهل الجنة قال الحسن لم يكن لهم حسنات يجازون بها
ولا سيئات يعاقبون عليها فوضعوا هذا الموضع والمقصود ان اهل الجنة على اتم السرور والنعمة **قوله تعالى** باكواب
متعلق بيطوف والاكواب جمع كوب وهي الانية التي لا عرى لها ولا خراطيم وقد مضى في الزخرف والاباريق جمع ابريق وهي
التي لها عرى وخراطيم واحدها ابريق وهو من انية الخمر سمي بذلك لبريق لونه من صفائه قال الشاعر •
افني تلادي وما جمعت من نشب • قرع القوارير افواه الاباريق • وقال عدي بن زيد • وتداعوا الى الصبوح فقامت •
قينة في يمينها ابريق • وقال الاخر • كان ابريقهم ظبي على شرف • مقدم بسبا الكتان ملثوم • ووزنه افعيل
لاشتقاقه من البريق **قوله تعالى** وكاس من معين تقدم في الصافات والمعين الجاري من ماء او خمر غير ان المراد هاهنا
الخمر الجارية من العيون وقيل الظاهرة فيكون معين مفعولا من المعاينة وقيل هو فعيل من المعن وهو الكثرة قال ابن الخطيب
هو ماخوذ من معن الماء اذا جرى وقيل بمعنى مفعول فيكون من عانه اذا شخصه بعينه وميزه قال والاول اظهر لان المعيون
يوهم بانه معيوب يقال ضربه بعينه اي اصابني بعينه ولان الوصف بالمرئي لا فائدة فيه واما الجريان في المشروب فان
كان في الماء فهو صفة وان كان في غيره فهو امر عجيب لا يوجد في الدنيا فيكون كقوله تعالى وانهار من خمر وبين انها ليست كخمر
الدنيا تستخرج بتكلف ومعالجة فان قيل كيف جمع الاكواب والاباريق وافرد الكاس فالجواب ان ذلك على عادة اهل
الشرب فانهم يعدون الخمر في اوان كثيرة ويشربون بكاس واحدة وفيها مباينتهم لاهل الدنيا من حيث انهم يطوفون
بالاكواب والاباريق ولا يثقل عليهم بخلاف الدنيا ويقال انما افرد الكاس لانها انما تسمى كاسا اذا كانت مملوءة
فالمراد اتحاد المشروب الذي فيها واخر الكاس مناسبة لاتصاله بالشرب **قوله تعالى** لا يصدعون يجوز ان يكون
مستانفا اخبر عنهم بذلك وان يكون حالا من الضمير في عليهم ومعنى لا يصدعون عنها اي بسببها قال الزمخشري وحقيقته
لا يصدر صداعهم عنها والصداع هو الداء المعروف الذي يلحق الانسان في راسه والخمر يورث فيه قال علقمة بن عبدة
في وصف الخمر • تشفي الصداع ولا يؤذيك صالبها • ولا يخالطها في الراس تدويم • وقال ابو حيان هذه صفة خمر الجنة
كذا قال لي الشيخ ابو جعفر بن الزبير لما قرات هذا الديوان عليه والمعنى لا تتصدع رؤوسهم من شربها اي انها لذة بلا اذى
بخلاف شراب الدنيا وقيل لا يصدعون لا يتفرقون كما تتفرق الشرب من الشراب للعوارض الدنيوية ومن مجيء تصدع
بمعنى تفرق قوله فتصدع السحاب عن المدينة اي تفرق ويرجحه قراءة مجاهد لا يصدعون بفتح الياء وتشديد الصاد

والاصل يتصدعون اي يتفرقون كقوله تعالى يومئذ يصدعون وحكى الزمخشري قراءة وهي لا يصدعون بضم الياء وتخفيف
الصاد وكسر الدال المشددة قال اي لا يصدع بعضهم بعضا لا يفرقونهم **قوله تعالى** ولا ينزفون تقدم الخلاف بين السبعة
في ينزفون وتفسيره في الصافات وقرا ابن ابي اسحق بفتح الياء وكسر الزاي من نزف البئر اذا استقى ما فيها والمعنى لا ينفد خمرهم
ومنه قول الشاعر • لعمري لئن انزفتم او صحوتم • لبئس الندامى كنتم آل ابجرا • وقال ابو حيان وابن ابي اسحق ايضا
وعبد الله والجحدري والاعمش وطلحة وعيسى بضم الياء وكسر الزاي اي لا يفنى لهم شراب قال شهاب الدين وهذا عجب منه
فانه قد تقدم في الصافات ان الكوفيين يقرؤون في الواقعة بكسر الزاي وقد نقل هو هذه القراءة في قصيدته وروى الضحاك
عن ابن عباس قال في الخمر اربع خصال السكر والصداع والقيء والبول وقد نزه الله تعالى خمر الجنة عن هذه الخصال **قوله تعالى** وفاكهة
العامة على جر فاكهة ولحم نسقا على اكواب اي يطوفون عليهم بهذه الاشياء الماكول والمشروب والمتفكه به وهذا كقوله العيشة
الراضية فان قيل الفاكهة لا يطوف بها الولدان والعطف يقتضي ذلك فالجواب ان الفاكهة واللحم في الدنيا يطلبان في حالة
الشرب فجاز ان يطوف بهما الولدان فينا ولونهم الفواكه الغريبة واللحوم العجيبة لا للاكل بل للاكرام مما يصنع المكرم للضيف
انواع الفواكه بيده او يكون معطوفا على المعنى في قوله جنات النعيم اي مقربون في جنات وفاكهة ولحم وحور اي في هذه النعم
يتقلبون وقرا زيد بن علي وابو عبد الرحمن برفعهما على الابتداء والخبر مقدر اي ولهم كذا والمعنى يتخيرون ما شاؤا من الفواكه لكثرتها
وقيل المعنى وفاكهة متخيرة مرضية والتخير الاختيار وقوله ولحم طير مما يشتهون قال ابن عباس يخطر على قلبه لحم الطير فيصير
ممثلا بين يديه على ما اشتهى ثم يطير فيذهب **قوله تعالى** وحور عين قرا الاخوان بجر حور عين والباقون برفعهما والنخعي وحير
عين بقلب الواو ياء وابي وعبد الله قال القرطبي والاشهب العقيلي وعيسى بن عمر الثقفي وهو كذلك في مصحف ابي
والنخعي ايضا وحورا عينا بنصبهما فاما الجر فمن اوجه احدها انه عطف على جنات النعيم كانه قيل هم في جنات وفاكهة ولحم
وحور قاله الزمخشري قال ابو حيان وهذا فيه بعد وتفكيك كلام مرتبط بعضه ببعض وهو فهم اعجمي قال شهاب الدين
والذي ذهب اليه الزمخشري معنى حسن جدا وهو على حذف مضاف اي وفي مقارنة حور وهذا هو الذي عناه الزمخشري
وقد صرح غيره بتقدير هذا المضاف وقال القراء الجر على الاتباع في اللفظ وان اختلفا في المعنى لان الحور لا يطاف بهن قال
الشاعر • اذا ما الغانيات برزن يوما • وزججن الحواجب والعيونا • والعين لا تزجج وانما تكحل وقال الاخر •
ورايت زوجك في الوغى • متقلدا سيفا ورمحا • والثاني انه معطوف على باكواب وبكذا او بحور قاله الزمخشري الثالث انه
معطوف على باكواب في اللفظ دون المعنى لان الحور لا يطاف بها واما الرفع فمن اوجه احدها عطفا على ولدان اي ان الحور يطفن
عليهم بذلك كالولائد في الدنيا وقال ابو البقاء اي يطفن عليهم للتنعم لا للخدمة قال شهاب الدين وهو للخدمة ابلغ لانهم اذا
خدمهم مثل اولئك فما الظن بالموطوءات الثاني ان يعطف على الضمير المستكن في متكئين وسوغ ذلك الفصل بما بينهما الثالث
ان يعطف على مبتدا وخبر حذفا معا تقديره لهم هذا كله وحور عين قاله ابو حيان وفيه نظر لانه انما عطف على المبتدا وخبره
ذلك الخبر له ولما عطف هو عليه الرابع ان يكون مبتدا خبره مضمر تقديره ولهم او فيها او ثم حور وقال الزمخشري على
وفيها حور كبيت الكتاب يريد كتاب سيبويه والمراد بالبيت قوله • بادت وغير آيهن مع البلا • الا رواكد جمرهن هباء •
ومشجج اما سواء قذاله فبدا • وغير ساره المعزاء • فعطف مشجج وهو مرفوع على رواكد وهو منصوب الخامس ان يكون
خبرا لمبتدا مضمر اي نساؤهم حور قاله ابو البقاء وقال الكسائي ومن قال وحور عين بالرفع وعلل بانه لا يطاف بهن يلزمه
ذلك في فاكهة ولحم لان ذلك لا يطاف به وليس يطاف بالخمر وحدها واما النصب ففيه وجهان احدهما انه منصوب
باضمار فعل اي يعطون او يؤتون حورا والثاني ان يكون محمولا على معنى يطوف عليهم لان معناه يعطون كذا وكذا
فعطف هذا عليه وقال مكي ويجوز النصب على ان يحمل ايضا على المعنى لان معنى يطوف ولدان بكذا وكذا اي يعطون كذا وكذا
ثم عطف حورا على معناه فكانه لم يطلع عليها قراءة واما قراءة وحير فلمجاورتها عين ولان الياء اخف من الواو ونظيره
في التغيير للمجاورة قولهم اخذه ما قدم وما حدث بضم دال حدث لاجل قدم واذا افرد منه فتحت داله فقط وقوله
عليه السلام ورب السموات ومن اظللن ورب الشياطين ومن اضللن وقوله • ابنكن صاحبة الجمل الاديب بنبحها •
كلاب الحوب فلك الاديب لاجل الحوب • وقرا قتادة وحور عين بالرفع والاضافة لعين وابن مقسم بالنصب
والاضافة وقد تقدم توجيه الرفع والنصب واما الاضافة فمن اضافة الموصوف لصفته مؤولا وقرا عكرمة وحوراء
عيناء بافرادهما على ارادة الجنس وهذه القراءة تحتمل وجهين احدهما ان يكون نصبا كقراءة الاخوين لان هذين الاسمين
لا ينصرفان فيهما محتملان للوجهين وتقدم الكلام في اشتقاق العين وكامثال صفة او حال وجزاء مفعول من اجله او مصدر
اي يجزون **نصب** قال المفسرون حور بيض عين ضخام الاعين كامثال اللؤلؤ المكنون اي المخزون
في الصدف لم تمسه الايدي ولم يقع عليه الغبار فهو اشد ما يكون صفاء وقوله جزاء بما كانوا يعملون قالت المعتزلة

هذا يدل على ان ايصال الثواب واجب على الله تعالى لان الجزاء لا يجوز الاخلال به واجيبوا بانه لو صح ما ذكروا لما كان في الوعد
بهذه الاشياء فائدة لان العقل اذا حكم بان ترك الجزاء قبيح وعلم بالعقل ان القبيح من الله تعالى لا يوجد علم ان الله تعالى يعطي
هذه الاشياء لانها اجزية وايصال الجزاء واجب وايضا فكان لا يصح التمدح به **قوله تعالى** لا يسمعون فيها لغوا ولا تاثيما
قال ابن عباس باطلا وكذبا واللغو ما يلغى من الكلام والتاثيم مصدر اثمته اي قلت له اثمت قال محمد بن كعب ولا تاثيما اي لا يؤثم
بعضهم بعضا وقال مجاهد لا يسمعون فيها لغوا ولا تاثيما شتما ولا ماثما **قوله تعالى** الا قيلا فيه قولان احدهما انه استثناء
منقطع وهذا واضح لانه لم يندرج تحت اللغو والتاثيم والثاني انه متصل وفيه بعد وكان هذا رأى ان الاصل لا يسمعون فيها
كلاما فاندرج عنده فيه وقال مكي وقيل منصوب بيسمعون وكانه اراد هذا القول **قوله تعالى** سلاما سلاما فيه اوجه
احدها انه بدل من قيلا اي لا يسمعون فيها الا سلاما سلاما الثاني انه نعت لقيلا الثالث انه منصوب بنفس قيلا
اي الا ان يقولوا سلاما سلاما وهو قول الزجاج الرابع ان يكون منصوبا بفعل مقدر ذلك الفعل محكي بقيلا تقديره
الا قيلا اسلموا سلاما وقرئ سلام بالرفع قال الزمخشري على الحكاية قال مكي ويجوز في الكلام الرفع على معنى سلام عليكم
ابتدا وخبر وكانه لم يعرفها قراءة **فصل** معنى قيلا سلاما اي قولا سلاما قال عطا يحيي بعضهم بعضا بالسلام
قال القرطبي والسلام الثاني بدل من الاول والمعنى الا قيلا يسلم فيه من اللغو وقيل تحييهم الملائكة او يحييهم ربهم عز وجل
وكرر السلام اشارة الى كثرة السلام عليهم ولهذا لم يكرر في قوله سلام قولا من رب رحيم والقيل مصدر كالقول قال ابن الخطيب
فيكون فعلا مصدرا لكن لا نظير له في باب فعل يفعل من الاجوف وقيل انه اسم والقول مصدر **قوله تعالى** واصحاب اليمين ما
اصحاب اليمين رجع الى ذكر اصحاب الميمنة والتكرير لتعظيم شان النعيم فان قيل ما الحكمة في ذكرهم بلفظ اصحاب الميمنة
عند تقسيم الازواج الثلاثة وبلفظ اصحاب اليمين عند ذكر الانعام فالجواب ان الميمنة مفعلة اما بمعنى موضع اليمين
كالمنارة موضع النار والمجمرة موضع الجمر وكيف ما كان فالميمنة فيها دلالة على الموضع لكن الازواج الثلاثة في اول الامر
يتميزون بعضهم عن بعض ويتفرقون كقوله تعالى يومئذ يتفرقون وقال يومئذ يصدعون فيتفرقون بالمكان
فاشار في الاول اليهم بلفظ يدل على المكان ثم عند الثواب وقع تفرقهم بامر مبهم لا بامر هم فيه وهو المكان فقال واصحاب
اليمين اي الذين ياخذون كتبهم بايمانهم وقيل اصحاب القوة وقيل اصحاب النور **قوله تعالى** في سدر مخضود قال ابن عباس
وغيره في سدر مخضود اي في نبق قد خضد شوكه وذكر ابن المبارك قال اخبرنا صفوان عن سليم بن عامر قال كان اصحاب النبي
صلى الله عليه وسلم يقولون انه لينفعنا الاعراب ومسائلهم قال اعرابي يوما فقال يا رسول الله لقد ذكر الله في القران شجرة
موذية وما كنت ارى في الجنة شجرة توذي صاحبها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وما هي قال السدر فان له شوكا
موذيا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اوليس يقول سدر مخضود خضد الله شوكه فجعل مكان كل شوكة ثمرة فانها
تنبت ثمرا يفتق الثمر منها على اثنين وسبعين لونا من الطعام ما فيه لون يشبه الاخر وقال ابو العالية والضحاك نظر
المسلمون الى وج وهو واد بالطائف مخصب فاعجبهم سدره فقالوا يا ليت لنا مثل هذه فنزلت قال امية بن ابي الصلت
يصف الجنة • ان الحدائق في الجنان ظليلة • فيها الكواعب سدرها مخضود • وقال الضحاك ومجاهد ومقاتل
بن حيان في سدر مخضود هو الموقر حملا وقال سعيد بن جبير ثمرها اعظم من القلال **قوله تعالى** وطلح منضود الطلح
جمع الطلحة قال علي وابن عباس واكثر المفسرين الطلح شجر الموز واحده طلحة وقال الحسن ليس هو موز ولكنه شجر له ظل بارد
رطب وقال الفراء وابو عبيدة شجر عظام له شوك قال الجعدي • بشرها دليلها وقالا • غدا ترين الطلح والاحبالا • فالطلح
كل شجر عظيم كثير الشوك وقال الزجاج هو شجر ام غيلان قال مجاهد ولكن ثمرها احلى من العسل وقال الزجاج لها نور طيب
جدا فخوطبوا ووعدوا بما يحبون مثله الا ان فضله على ما في الدنيا كفضل سائر ما في الجنة على ما في الدنيا وقال السدي
طلح الجنة يشبه طلح الدنيا لكن له ثمر احلى من العسل وقال الزجاج وقوله منضود اي متراكب قال المفسرون موقور من
الحمل حتى لا يبين ساقه من كثرة ثمره وتثني اغصانه وقرا علي رضي الله عنه وعبد الله وجعفر بن محمد وطلع بالعين لقوله تعالى
طلعها هضيم ولما قراها علي رضي الله عنه قال وما شان الطلح واستدل بقوله لها طلع نضيد فقيل له انحولها فقال لا ينبغي
ان يهاج القران اليوم ولا يحول فقد اختار هذه القراءة وروي عن ابن عباس مثله قال القرطبي فلم ير اثباتها في المصحف
لمخالفة ما رسمه مجمع عليه قاله القشيري واسنده ابو بكر بن الانباري بسنده الى علي رضي الله عنه **فصل**
قال ابن الخطيب المخضود الماخوذ الشوك وقيل المنعطف الى اسفل فان رؤوس اغصان السدر في الدنيا تميل الى فوق لعدم
ما يثقله وعلى ان اشجار الجنة فان رؤوسها تتدلى والظاهر ان الطلح شجر الموز وذكر طرفين ليندرج ما بينهما فان ورق
السدر صغير وورق الطلح وهو الموز كبير وبينهما انواع من الاوراق متوسطة كما ذكر في النخل والرمان كقولهم فلان يرضى
الصغير والكبير فيدخل ما بينهما والمنضود المتراكب الذي قد نضد اوله واخره بالحمل ليست له سوق بارزة بل هو مرصوص والنضد

هو الرص

هو الرص والمنضد المرصوص قال مسروق واشجار الجنة من عروقها الى افنانها نضيد ثمر كله كلما اكلت ثمرة عاد مكانها
احسن منها **قوله تعالى** وظل ممدود اي دائم باق لا يزول ولا تنسخه الشمس كقوله تعالى الم تر الى ربك كيف مد الظل
وذلك بالغداة وهي ما بين الاسفار الى طلوع الشمس والجنة كلها ظل لا شمس معه قال ابن الخطيب ان الشمس اذا كانت تحت
الارض يقع ظلها في الجو فيتراكم الظل فيسود وجه الارض واذا كانت الشمس في احد جانبي الارض من الافق فينبسط الظل
على وجه الارض فيضيء الجو ولا يسود وجه الارض فيكون في غاية الطيبة فقوله وظل ممدود اي كالظل **فصل** وعلى
هذا فالظل ليس ظل الاشجار بل ظل يخلقه الله تعالى قال الربيع بن انس يعني ظل العرش وقال عمرو بن ميمون مسيرة سبعين
الف سنة وقال ابو عبيدة تقول العرب للدهر الطويل والشيء الذي لا ينقطع ممدود قال الشاعر ...
غلب العزاء وكان غير مغلب • دهر طويل دائم ممدود • وفي صحيح الترمذي وغيره عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال وفي الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها واقرؤوا ان شئتم وظل ممدود وهذا الحديث يرد قول ابن
الخطيب من انه ليس ظل الاشجار **قوله تعالى** وماء مسكوب اي مصبوب بكثرة وقيل جار لا ينقطع واصل السكب الصب
يقال سكبه سكبا والسكوب انصبابه يقال سكب سكوبا وانسكب انسكابا ومعنى الاية وماء مصبوب يجري في غير اخدود
لا ينقطع عنهم قال ابن الخطيب معناه مسكوب من فوق لان اكثر ماء العرب من الابار والبرك فلا ينسكب وقيل جار في
غير اخدود بل يجري في الهواء وكانت العرب اصحاب بادية وبلاد حارة وكانت الانهار في بلادهم عزيزة لا يصلون الى الماء
الا بالدلو والرشا فوعدوا في الجنة خلاف ذلك **قوله تعالى** وفاكهة كثيرة قرئ برفع فاكهة اي وهناك او ولهم
او وفيها او وثم فاكهة قال ابن الخطيب لما ذكر الاشجار التي تطلب لظلها ذكر بعدها الاشجار التي يقصد ثمرها وذكر
الفاكهة بعد ذكر الاشجار انتقالا من نعمة الى نعمة ووصفت بالكثرة دون الطيب واللذة لان الفاكهة تدل عليهما **قوله تعالى**
لا مقطوعة فيه وجهان اظهرهما انه نعت لفاكهة ولا للنفي كقولك مررت برجل لا طويل ولا قصير ولذلك لزم تكرارها
والثاني هو معطوف على فاكهة ولا عاطفة قاله ابو البقا وحينئذ لا بد من حذف موصوف اي لا فاكهة مقطوعة
لئلا يعطف الصفة على موصوفها والمعنى ليست كفواكه الدنيا تنقطع في اوقات كثيرة وفي كثير من الاماكن ولا ممنوعة
اي لا تمتنع من الناس لطلب الاثمان وقيل لا يحظر عليها كثمار الدنيا وقيل لا تمنع من ارادها بشوك ولا بعد ولا حائط بل
اذا اشتهاها العبد دنت منه حتى ياخذها قال تعالى وذللت قطوفها تذليلا **قوله تعالى** وفرش مرفوعة العامة على ضم
الراء جمع فراش وابو حيوة بسكونها وهي مخففة من المشهورة والفرش قيل هي الثياب المعهودة مرفوعة على الاسرة وقيل
هي كناية عن النساء كما كني عنهن باللباس اي نساء مرتفعات الاقدار في حسنهن وكمالهن والعرب تسمي المراة فراشا
ولباسا وازارا قاله ابو عبيدة وغيره قالوا ولذلك اعاد الضمير عليهن في قوله انا انشاناهن واجاب غيرهم بانه عائد على
النساء الدال عليهن الفرش وقيل يعود على حور المتقدمة وعن الاخفش هو ضمير لم يجر له ذكر بل يدل عليه السياق
وقيل مرفوعة القدر يقال ثوب رفيع اي عزيز مرتفع القدر والثمن بدليل قوله تعالى متكئين على فرش بطائنها من استبرق
فكيف ظهائرها وقيل مرفوعة بعضها فوق بعض وروى الترمذي عن ابي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى
وفرش مرفوعة قال ارتفاعها كما بين السماء والارض مسيرة خمسمائة سنة قال الحديث غريب **قوله تعالى** انا انشاناهن
قيل الضمير يعود على الحور العين اي خلقناهن من غير ولادة وقيل المراد نساء بني ادم خلقناهن خلقا جديدا وهو الاعادة
اي اعدناهن الى حال الشباب وكمال الجمال ويرجحه قوله فجعلناهن ابكارا لان المخلوقة ابتداء معلوم انها بكر والمعنى انشانا
العجوز والصبية انشاء واحدا واضمرن ولم يتقدم ذكرهن لانهن قد دخلن في اصحاب اليمين اولان الفرش كناية عن النساء
كما تقدم وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى انا انشاناهن انشاء قال منهن البكر والثيب وروى النحاس
باسناده ان ام سلمة سالت النبي صلى الله عليه وسلم عن قوله تعالى انا انشاناهن انشاء فجعلناهن ابكارا عربا اترابا
فقال يا ام سلمة هن اللواتي قبضن في الدنيا عجائز شمطا عمشا رمصا جعلهن الله بعد الكبر اترابا على ميلاد واحد في الاستواء
وروى انس بن مالك يرفعه في قوله انا انشاناهن انشاء قال هن العجائز التي في الدنيا انشاهن الله خلقا جديدا كلما اتاهن
ازواجهن وجدوهن ابكارا فلما سمعت عائشة ذلك قالت واوجعاه فقال النبي صلى الله عليه وسلم ليس هناك وجع
وعن الحسن قال اتت عجوز النبي صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله ادع الله ان يدخلني الجنة فقال يا ام فلان
الجنة لا يدخلها عجوز قال فولت تبكي فقال اخبروها انها لا تدخلها وهي عجوز ان الله تعالى يقول انا انشاناهن انشاء
فجعلناهن ابكارا **قوله تعالى** عربا جمع عروب كصبور وصبر والعروب المتحببة الى بعلها واشتقاقه من اعرب اذا بين
فالعروب يبين محبتها لزوجها بشكل وغنج وكلام قاله عكرمة وقتادة وقيل الحسنة وقيل المحسنة لكلامها وقرا حمزة
وابو بكر بسكون الراء وهذا كرسل ورسل وفرش وفرش وقال ابن عباس هن العواشق وانشد للبيد ....

وفي الخدور عروب غير فاحشة * ريا الروادف يعشى دونها البصر * ويروى * وفي الخباء عروب غير فاحشة *
ريا الروادف يعشي ضوءها البصرا * وعن ابن عباس ومجاهد وغيرهما العرب العواشق لازواجهن وعن عكرمة العروب
الغنجة قال ابن زيد بلغة اهل المدينة وانشد بيت لبيد وهي المشكلة بلغة اهل مكة وروى جعفر بن محمد عن ابيه عن جده قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى عربا اترابا قال كلامهن عربي وعن ابن عباس العروب الملقة **قوله تعالى** اترابا
جمع ترب وهي المساوي لك في سنك لانه يمس جلدها التراب في وقت واحد وهو آكد في الائتلاف وهو من الاسماء التي لا
تتعرف بالاضافة لانه في معنى الصفة اذ معناه مساويك ومثله خدنك لانه في معنى صاحبك قال القرطبي سن واحد وهو
ثلاثون سنة يقال في النساء اتراب وفي الرجال اقران وكانت العرب تميل الى من جاوزت حد الصبى من النساء وانحطت عن
الكبر وقال مجاهد الاتراب الامثال والاشكال وقال السدي اتراب في الاخلاق لا تباغض بينهن ولا تحاسد وروى ابو
هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يدخل اهل الجنة الجنة جردا مردا بيضا جعادا مكحلين ابناء ثلاث وثلاثين على خلق
آدم طوله ستون ذراعا في سبعة اذرع وعنه عليه السلام قال من مات من اهل الجنة من صغير وكبير يردون بني ثلاث وثلاثين
سنة في الجنة لا يزيدون عليها ابدا وكذلك اهل النار **قوله تعالى** لاصحاب اليمين في هذه اللام وجهان احدهما انها
متعلقة بانشاناهن اي لاجل اصحاب اليمين والثاني انها متعلقة باترابا كقولك هذا ترب لهذا اي مساو له وقيل الحور العين
للسابقين والاتراب العرب لاصحاب اليمين **قوله تعالى** ثلة من الاولين وثلة من الآخرين وقد مضى الكلام في معناه
وقال ابو العالية ومجاهد وعطاء بن ابي رباح والضحاك ثلة من الاولين يعني من سابقي هذه الامة وثلة من الآخرين من هذه
الامة من آخرها بدليل ما روي عن ابن عباس في هذه الآية ثلة من الاولين وثلة من الآخرين فقال النبي صلى الله عليه وسلم جميعا
من امتي وقال الواحدي اصحاب الجنة نصفان نصف من الامم الماضية ونصف من هذه الامة ويرد هذا ما روى ابن ماجه
في سننه والترمذي في جامعه عن بريدة بن الحصيب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اهل الجنة عشرون ومائة صف
ثمانون منها من هذه الامة واربعون من سائر الامم قال الترمذي هذا حديث حسن وثلة رفع على الابتداء وعلى حذف
حرف الصفة ومجازه لاصحاب اليمين ثلتان ثلة من هؤلاء وثلة من هؤلاء فالاولون الامم الماضية والآخرون هذه الامة
على قول الواحدي **قوله تعالى** واصحاب الشمال ما اصحاب الشمال لما ذكر منازل اهل الجنة وسماهم اصحاب اليمين ذكر منازل
اهل النار وسماهم اصحاب الشمال لانهم يأخذون كتبهم بشمائلهم ثم عظم ذكرهم بالبلاء والعذاب فقال ما اصحاب الشمال
في سموم وهي الريح الحارة التي تدخل في مسام البدن والمراد هنا حر النار ولهبها وقيل ريح حارة تهب فتمرض او تقتل واصله
من السم كسم الحية والعقرب وغيرهما وقال ابن الخطيب ويحتمل ان يكون هو السم والسم يقال في خرم الابرة قال تعالى
حتى يلج الجمل في سم الخياط لان سم الافعى ينفذ في مسام البدن وقيل السموم مختص بما يهب ليلا وعلى هذا فقوله سموم
اشارة الى ظلمة ما هم فيه والحميم هو الماء الحار الذي قد انتهى حره وهو فعيل بمعنى فاعل من حمي الماء او بمعنى مفعول من حم الماء
اذا سخنه وقوله وظل من يحموم وزنه يفعول قال ابو البقاء من الحم او الحميم قال القرطبي هو يفعول من الحم وهو الشحم
المسود باحتراق النار وقيل مأخوذ من الحم وهو الفحم واليحموم قيل هو الدخان الاسود البهيم وقيل واد في جهنم وقيل اسم
من اسمائها والاول اظهر وقيل انه الظلمة واصله من الحمم وهو الفحم فكأنه اسود يحموم فسمي باسم مشتق منه وزيادة الحرف فيه
لزيادة ذلك المعنى فيه وربما تكون الزيادة فيه جامعة بين الزيادة في سواده والزيادة في حره ثم قال ابن الخطيب وفي الامور
الثلاثة اشارة الى كونهم في العذاب دائما لانهم ان تعرضوا لمهب الهواء اصابهم السموم وان سكنوا كما يفعله الذي يدفع
عن نفسه السموم بالاستكنان بالكن يكون في ظل من يحموم وان اراد التبرد بالماء من حر السموم يكون الماء من حميم فلا انفكاك
له من العذاب ويقال ان السموم يضربه فيعطش وتلتهب نار السموم في احشائه فيشرب الماء فيقطع امعاءه فيريد الاستظلال
بظل فيكون ذلك الظل اليحموم وذكر السموم والحميم دون النار تنبيها بالادنى على الاعلى كانه قيل ابرد الاشياء في الدنيا
حارة عندهم فكيف احرها قال الضحاك النار سوداء واهلها سود وكل ما فيها اسود **قوله تعالى** لا بارد ولا كريم صفتان
للظل كقوله من يحموم وفيه فدم غير الصريحة على الصريحة فالاولى ان يجعل صفة ليحموم وان كان السياق يرشد الى الاول
وقرا ابن ابي عبلة لا بارد ولا كريم برفعهما اي هو لا بارد كقوله * فانت لا حرج ولا محروم * قال الضحاك لا بارد بل حار
لانه من دخان شفير جهنم ولا كريم عذب وقال سعيد بن المسيب ولا حسن منظره وكل ما لا خير فيه فليس بكريم وقيل وظل من يحموم
اي من النار يعذبون بها لقوله تعالى لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل قال الزمخشري كرم الظل نفعه الملهوف
ودفع اذى الحر عنه قال ابن الخطيب ولو كان كذلك لكان البارد والكريم بمعنى واحد والاقوى ان يقال فائدة الظل امران احدهما
دفع الحر والآخر كون الانسان فيه مكرما لان الانسان في البرد يقصد الشمس ليدفأ بحرها اذا كان قليل الثياب وفي الحر
يطلب الظل لبرده فاذا كان من المكرمين يكون ابدا في كن يمنع الحر والبرد عن نفسه فيحتمل ان يكون المراد هذا ويحتمل ان يقال

الظل يطلب لامر حسي وهو برده ولامر عقلي وهو التكرمة وهذا معنى ما نقله الواحدي عن الفراء ان العرب تنفي كل شيء مستحسن
بنفي الكرم فيقولون لا الدار واسعة ولا كريمة **قوله تعالى** انهم كانوا قبل ذلك مترفين اي انهم انما استحقوا هذه العقوبة لانهم كانوا
في الدنيا متنعمين بالحرام والمترف المنعم قاله ابن عباس وغيره وقال السدي مترفين اي مشركين **قوله تعالى**
وكانوا يصرون على الحنث العظيم الحنث في اصل كلامهم العدل والفصل وسمي به الذنب والاثم لثقلهما قاله الخطابي وفلان
حنث في يمينه لم يف بها لانه يأثم غالبا ويعبر بالحنث عن البلوغ ومنه قوله عليه الصلاة والسلام لم يبلغوا الحنث انما
قيل ذلك لان الانسان عند بلوغه اياه يؤاخذ بالحنث اي الذنب وتحنث فلان اي جانب الحنث وفي الحديث كان
يتحنث بغار حراء اي يتعبد لمجانبته الاثم نحو تحرج فتفعل في هذه كلها للسلب **فصل** قال الحسن والضحاك
وابن زيد يصرون على الحنث العظيم اي يقيمون على الشرك وقال قتادة ومجاهد الذنب العظيم الذي لا يتوبون منه
وقال الشعبي هو اليمين الغموس وهي من الكبائر يقال حنث في يمينه اي لم يبر بها ورجع وكانوا يقسمون ان لا بعث وان الاصنام
انداد الله وذلك حنثهم **فصل** قال ابن الخطيب والحكمة في ذكر سبب عذابهم ولم يذكر في اصحاب اليمين سبب ثوابهم
فلم يقل انهم كانوا قبل ذلك شاكرين مذعنين وذلك تنبيه على ان ذلك الثواب منه فضل والعقاب منه عدل
والفضل سواء ذكر سببه او لم يذكر لا يتوهم بالمتفضل نقص وظلم واما العدل ان لم يعلم سبب العقاب يظن ان هناك
ظلم ويدل على ذلك انه تعالى لم يقل في حق اصحاب اليمين جزاء بما كانوا يعملون كما قاله في السابقين لان اصحاب
اليمين نجوا بالفضل العظيم لا بالعمل بخلاف من كثرت حسناته اطلق الجزاء في حقه واعلم ان المترف هو المنعم وذلك لا يوجب
ذما وانما حصل لهم الذم بقوله وكانوا يصرون على الحنث العظيم فان صدور المعاصي ممن كثرت
النعم عليه اقبح القبائح فقال انهم كانوا قبل ذلك مترفين ولم يشكروا نعم الله بل اصروا على الذنب العظيم
وفي الآية مبالغات لان قوله كانوا يصرون يقتضي ان ذلك عادتهم والاصرار مداومة المعصية ولان الحنث
ابلغ من الذنب لان الذنب يطلق على الصغيرة ويدل على ذلك قولهم بلغ الحنث اي بلغ مبلغا يلحقه فيه الكبيرة
واما الصغيرة فتلحق الصغير فان وليه يعاقبه على اساءة الادب وترك الصلاة ولان وصفه بالعظيم مبالغة قاله ابن
الخطيب **قوله تعالى** وكانوا يقولون ائذا متنا الآية هذا استبعاد منهم للبعث وتكذيب له وتقدم الكلام
على ذلك في الصافات وتقدم الكلام على الاستفهامين في سورة الرعد فان قيل اتى باللام المؤكدة في قوله
لمبعوثون مع ان المراد هو النفي وفي النفي لا تدخل اللام في خبران تقول ان زيدا ليجيء وان زيدا لا يجيء فلا تذكر
اللام ومرادهم بالاستفهام الانكار بمعنى انا لا نبعث فالجواب من وجهين احدهما عند التصريح بالنفي وصيغته يجب
التصريح بالنفي وصيغته والثاني انهم ارادوا التكذيب من يخبر عن البعث فذكروا ان المخبر عنه يبالغ في الاخبار
ونحن ننكر مبالغته وتأكيده فجعلوا كلام المخبر على طريق الاستفهام والانكار ثم انهم اشاروا في الانكار الى امور
اعتقدوها مقررة لصحة انكارهم فقالوا ائذا متنا ثم لم يقتصروا عليه بل قالوا بعده وكنا ترابا وعظاما اي وطال العهد بنا
بعد كوننا احياء حتى صارت اللحوم ترابا والعظام رفاتا ثم زادوا وقالوا مع هذا يقال لنا انكم لمبعوثون بطريق التأكيد
ثلاثة اوجه احدها استعمال ان ثانيها اللام في خبرها ثالثها ترك صيغة الاستقبال والاتيان بالمفعول كأنه كائن ثم زادوا
وقالوا او آباؤنا الاولون فقال الله تعالى لهم قل يا محمد ان الاولين والآخرين منكم لمجموعون هو دليل القسم في المعنى اي انكم
لمجموعون قسما حقا بخلاف قسمكم الباطل **قوله تعالى** ثم انكم ايها الضالون عن الهدى المكذبون بالبعث لآكلون من
شجر من زقوم وهو شجر كريه المنظر كريه الطعم وهو المذكور في سورة والصافات وهذا الخطاب عام وقيل لاهل
مكة وهو من تمام كلام النبي صلى الله عليه وسلم وقدم هنا الضالين على المكذبين
وفي آخر السورة قال * واما ان كان من المكذبين الضالين * فقدم المكذبين
على الضالين لانهم هنا اصروا على الحنث العظيم فضلوا عن السبيل ثم كذبوا الرسول
وقالوا ائذا متنا وفي آخر السورة قدم المكذبين بالحشر على الضالين عن طريق الخلاص
او يقال ان الكلام هنا مع الكفار وهم ضلوا اولا وكذبوا ثانيا وفي آخر السورة الكلام مع النبي صلى الله عليه وسلم فقدم
التكذيب بما جاء به صلى الله عليه وسلم **قوله تعالى** من شجر من زقوم فيه اوجه احدها ان تكون من الاولى لابتداء الغاية
والثانية للبيان اي مبتدئون الاكل من شجر هو زقوم الثاني ان تكون من الثانية صفة لشجر فتتعلق بمحذوف اي مستقر الثالث
ان تكون من الاولى مزيدة اي لآكلون شجرا ومن الثانية على ما تقدم فيها من الوجهين الرابع عكس هذا وهو ان تكون الثانية
مزيدة اي لآكلون زقوما ومن الاولى للابتداء او في محل نصب على الحال من زقوما اي كائنا من شجر ولو تأخر لكان صفة الخامس
ان من شجر صفة لمفعول محذوف اي لآكلون شيئا من شجر ومن زقوم على هذا نعت لشجر او لشيء المحذوف السادس ان

ان الاولى للتبعيض والثانية تدل منها **قوله** فمالئون منها البطون الضمير في منها عائد على الشجر وفي عليه للشجر ايضا وقد تقدم انه يجوز
تذكير اسم الجنس وتانيثه وانهما لغتان وقيل الضمير في عليه عائد على الزقوم وقال ابو البقاء للماكول وقال ابن عطية للماكول او
للاكل اشى وفي قوله الاكل بعد وقال الزمخشري وانث ضمير الشجر على المعنى وذكره على اللفظ في منها وعليه ومن قرا من شجرة من
زقوم فقد جعل الضميرين للشجرة وانما ذكر الثاني على تاويل الثاني لانه تفسيرها **فصل** قال ابن الخطيب اختلف
اقوال الناس في الزقوم وحاصل الاقوال يرجع الى كون ذلك في الطعم مرا وفي اللمس حارا وفي الرائحة منتنا وفي المنظر اسود لا يكاد اكله يسيغه
والتحقيق اللغوي منه ان الزقوم لغة عربية ودلنا تركيبه على قبحه لان زقم لم يجتمع الا في مهمل او في مكروه ويقال منه مزق يمزق ومنه زمق شعره اذا نتفه
ومنه القزم للرذل واللوم واقوى من هذا ان القاف مع كل حرف من الحرفين الباقين يدل في الاكثر الا على مكروه والقاف مع الميم كالقمامة والقمقمة وبالعكس
لتغليظ الصوت والمقمقة هو الشق واما القاف مع الزاي فالزق ونزق الطير والزقزقة للخفة وبالعكس القز للوثوب
والنقز لنفور الطبع فتركيب الكلمة من حروف اجتماعها دليل الكراهة والقبح ثم قرن بالاكل فدل على انه طعام ذو غصة واما
ما يقال بان العرب تقول زقمتني بمعنى اطعمتني الزبد والعسل واللبن فذلك للمجانة كما يقال ارشقني بثوب حسن وارجمني بكيس من
ذهب وقد تقدم الكلام على الزقوم في والصافات وقوله فمالئون منها البطون بيان لزيادة العذاب اي لا يكتفى منكم بنفس
الاكل كما يكتفي من ياكل الشيء لتحلة القسم بل تلزمون بان تملؤوا منها البطون وقوله البطون اما مقابلة الجمع بالجمع اي تملا كل
واحد منكم بطنه واما ان يكون لكل واحد بطون ويكون المراد منه ما في باطن الانسان وهو سبعة امعاء فيملاون بطون الامعاء
والاول اظهر والثاني ادخل في التعذيب **قوله تعالى** فشاربون عليه اي على الاكل او على الزقوم لاجل مرارته وحرارته يحتاجون
الى شرب الماء فيشربون من الماء الحار **قوله تعالى** فشاربون شرب الهيم وهذا ايضا بيان لزيادة العذاب اي لا يكون شربكم كمن شرب
ماء حارا منتنا فيمسك عنه بل تلزمون ان تشربوا منه مثل ما يشرب الهيم وهو الجمال العطاش فيشرب ولا يروي وقرا
نافع وعاصم وحمزة بضم الشين من شرب والباقون في السبعة بفتحها ومجاهد وابو عثمان النهدي بكسرها فقيل الثلاث لغات في مصدر
شرب والمقيس منها انما هو المفتوح وقيل المصدر هو المفتوح والمضموم والمكسور اسمان لما يشرب كالرعي والطحن قال القرطبي تقول العرب
شربت شربا وشربا بضمتين قال ابو زيد سمعت العرب تقول بضم الشين وفتحها وكسرها والفتح هو المصدر الصحيح لان كل مصدر
من ذوات الثلاثة فاصله فعل الا ترى انك ترده الى المرة الواحدة فتقول فعلة نحو شربة وقال الكسائي يقال شربت شربا
وشربا وروي قول جعفر ايام منى ايام اكل وشرب ويقال بفتح الشين والشرب ايضا في غير هذا اسم للجماعة الشاربين قال الشاعر
كانه خارج من جنب صفحته • سفود شرب نسوه عند مفتاد • والمعنى مثل شرب الهيم والهيم فيه وجهان احدهما انه جمع اهيم وهيماء
وهو الجمل والناقة التي اصابها الهيام وهو داء معطش تشرب الابل منه الى ان تموت او تسقم سقما شديدا والاصل هيم بضم الهاء
كاحمر وحمر وحمراء وحمر فقلبت الضمة كسرة لتصح الياء وذلك نحو بيض في ابيض والشد لذي الرمة قوله ••
فاصبحت كالهيماء لا الماء مبرد • صداها ولا يقضي عليها هيامها • الثاني انه جمع هائم وهائمة من الهيام ايضا الا ان جمع فاعل
وفاعلة على فعل قليل نحو بازل وبزل وعائذ وعوذ ومنه العوذ المطافيل وقيل هو من الهيام وهو الذهاب لان الجمل اذا اصابه ذلك
هام على وجهه الثالث انه جمع هيام بفتح الهاء وهو الرمل غير المتماسك الذي لا يروى من الماء اصلا فيكون مثاله مثل سحاب وسحب
بضمتين ثم خفف باسكان عينه ثم كسرت فاؤه لتصح الياء كما فعل بالذي قبله الرابع انه جمع هيام بضم الهاء وهو الرمل
ايضا لغة في الهيام بالفتح حكاها ثعلب الا ان المشهور الفتح ثم جمع على فعل نحو قراد وقرد ثم خفف وكسرت فاؤه لتصح الياء وفي
الصحاح والهيام بالضم اشد العطش والهيام كالجنون من العشق والهيام ايضا المفازة لا ماء بها والهيام بالكسر العطاش والمعنى
انه يصيبهم من الجوع ما يلجئهم الى اكل الزقوم ومن العطش ما يضطرهم الى شرب الحميم مثل شرب الهيم وقال الزمخشري فان قلت
كيف صح عطف الشاربين على الشاربين وهما لذوات واحدة وصفتان متفقتان فكان عطفا للشيء على نفسه قلت ليستا بمتفقتين
من حيث ان كونهم شاربين على ما هو عليه من تناهي الحرارة وقطع الامعاء امر عجيب وشربهم له على ذلك كما يشرب الهيم الماء امر عجيب
ايضا فكانتا صفتين مختلفتين انتهى يعني قوله فشاربون عليه وهو سؤال حسن وجواب مثله واجاب بعضهم عنه بجواب اخر
وهو ان قوله فشاربون شرب الهيم تفسير للشرب قبله الا ترى ان ما قبله يصلح ان يكون مثل شرب الهيم ومثل شرب غيرها
ففسره بانه مثل شرب هولاء البهائم او الرمال وفي ذلك فائدتان احداهما التنبيه على كثرة شربهم منه والثانية عدم جدوى
الشرب وان المشروب لا ينجع فيهم كما لا ينجع في الهيم على التفسيرين وقال ابو حيان والفاء تقتضي التعقيب في الشربين وانهم اولا
لما عطشوا شربوا من الحميم ظنا منهم انه يسكن عطشهم فازداد العطش بحرارة الحميم فشربوا بعده شربا لا يقع بعده ري ابدا وهو
مثل شرب الهيم فهما شربان من الحميم لا شرب واحد اختلفت صفتاه فعطف والمشروب منه في فشاربون شرب الهيم محذوف
لفهم المعنى تقديره فشاربون منه انتهى قال شهاب الدين والظاهر انه شرب واحد بل الذي يعتقد هذا فقط وكيف يناسب ان
تكون زيادتهم العطش بشربه مقتضية لشربهم منه ثانيا **قوله تعالى** هذا نزلهم يوم الدين قرا العامة نزلهم بضمتين وروي

عن ابي عمرو من طرق وعن نافع وابن محيصن بضمة وسكون وهو تخفيف وقد تقدم ان النزل ما يعد للضيف وقيل هو اول
ما ياكله فسمي به هذا تهكما بهم اعدله وهو في المعنى كقول ابي السعر الضبي وكنا اذا الجبار انزل جيشه جعلنا القنا والمرهفات
له نزلا ومعنى الاية هذا اول ما يلقونه من العذاب يوم القيامة كالنزل الذي يعد للاضياف تكرمة لهم وفيه تهكم كقوله تعالى
فبشرهم بعذاب اليم **قوله تعالى** نحن خلقناكم فلولا تصدقون تحضيض اي فهلا تصدقون ان هذا طعامكم ان لم تؤمنوا الان الاعادة
اسهل من الابتداء وقيل المعنى نحن خلقنا رزقكم فهلا تصدقون ان هذا طعامكم ان لم تؤمنوا ومتعلق التصديق محذوف تقديره
فلولا تصدقون بخلقنا **قوله تعالى** افرايتم هي بمعنى اخبروني ومفعولها الاول ما تمنون والثاني الجملة الاستفهامية وقد تقدم
تقريره والمعنى ما تصبونه من المني في ارحام النساء وقرا العامة تمنون بضم التاء من امنى يمني وابن عباس وابو السمال بفتحها من منى
يمني وقال الزمخشري يقال امنى النطفة ومناها قال الله تعالى من نطفة اذا تمنى انتهى فظاهر هذا انه استشهاد للثلاثي وليس فيه
دليل اذ يحتمل ان يكون من الرباعي ايضا تقول امنيت الشيء فهو ممنى قال القرطبي ويحتمل ان يختلف معناهما عندي فيكون امنى اذا
انزل عن جماع ومنى اذا انزل عن احتلام وفي تسمية المني منيا وجهان احدهما الامناء وهو الاراقة الثاني لتقديره ومنه المنا
الذي يوزن به لانه مقدار لذلك كذلك المني مقدار صحيح لتصوير الخلقة **قوله تعالى** اانتم تخلقونه يجوز فيه وجهان احدهما
انه فاعل بفعل مقدر اي اتخلقونه فلما حذف الفعل لدلالة ما بعده عليه انفصل الضمير وهذا من باب الاشتغال والثاني ان انتم
مبتدا والجملة بعده خبره والاول ارجح لاجل اداة الاستفهام وقوله ام يجوز فيها وجهان احدهما انها منقطعة لان بعدها
جملة وهي انما تعطف المفردات والثاني انها متصلة واجابوا عن وقوع الجملة بعدها بان مجيء الخبر بعد نحن اتي به على سبيل التوكيد
اذ لو قال ام نحن لاكتفى به دون الخبر ونظير ذلك جواب من قال في الدار زيد في الدار او زيد فيها ولو اقتصر على زيد لكان
كافيا ويؤكد كونها متصلة ان الكلام يقتضي تاويله اي الامرين واقع واذا صح ذلك كانت متصلة اذ الجملة بتاويل المفرد و
مفعول الخالقون محذوف لفهم المعنى اي الخالقوه **فصل** والمعنى اانتم تصورون منه الانسان ام نحن الخالقون
المقدرون المصورون وهذا احتجاج عليهم وبيان للاية الاولى اي اذا اقررتم بانا الخالقون لا غير فاعترفوا بالبعث قال مقاتل
نحن خلقناكم ولم تكونوا شيئا وانتم تعلمون ذلك فهلا تصدقون بالبعث **قوله تعالى** نحن قدرنا قرا ابن كثير قدرنا بتخفيف
الدال والباقون بتشديدها وهما لغتان بمعنى واحد في التقدير الذي هو القضاء وهذا ايضا احتجاج الذي يقدر على الاماتة
يقدر على الخلق واذا قدر على الخلق قدر على البعث قال الضحاك معناه اي سوينا بين اهل السماء واهل الارض وقيل قضينا وقيل
كتبنا قال مقاتل فمنكم من يبلغ الهرم ومنكم من يموت صبيا وشابا وما نحن بمسبوقين اي مغلوبين عاجزين **قوله تعالى** على
ان نبدل يجوز ان يتعلق بمسبوقين وهو الظاهر اي لم يسبقنا احد على تبديلنا امثالكم اي يعجزنا يقال سبقه على كذا اي اعجزه
عنه وغلبه عليه والثاني انه متعلق بقوله قدرنا اي قدرنا بينكم على ان نبدل اي نموت طائفة ونخلفها طائفة اخرى قال
معناه الطبري فعلى هذا يكون قوله وما نحن بمسبوقين معترضا وهو اعتراض حسن ويجوز في امثالكم وجهان احدهما انه
جمع مثل بكسر الميم وسكون الثاء اي نحن قادرون على ان نعدمكم ونخلق قوما اخرين امثالكم ويؤيده ان يشا يذهبكم ايها
الناس ويات باخرين والثاني انه جمع مثل بفتحتين وهو الصفة اي نغير صفاتكم التي انتم عليها خلقا وخلقا وننشئكم
في صفات غيرها وتقدم قراءة النشاة في العنكبوت **فصل** قال الطبري معنى الاية نحن قدرنا بينكم الموت
على ان نبدل امثالكم بعد موتكم باخرين من جنسكم وما نحن بمسبوقين في اجالكم ان لا يتقدم متاخر ولا يتاخر متقدم وننشئكم
فيما لا تعلمون من الصور والهيئات قال الحسن اي نجعلكم قردة وخنازير كما فعلنا باقوام قبلكم وقيل المعنى ننشئكم في البعث
على غير صوركم في الدنيا فيجمل المومن ببياض وجهه ويقبح الكافر بسواد وجهه وقال سعيد بن المسيب قوله فيما لا تعلمون
يعني في حواصل طير سود تكون ببرهوت كانها الخطاطيف وبرهوت واد في اليمن وقال مجاهد فيما لا تعلمون اي في اي خلق
شئنا وقيل ننشئكم في عالم فيما لا تعلمون وفي مكان لا تعلمون قال ههنا قدرنا بينكم الموت وقال في سورة الملك خلق الموت
والحياة بلفظ الخلق لان المراد هنا لبيان كون الموت والحياة مخلوقين وههنا ذكرهما لبيان تقديرهما **قوله تعالى** ولقد
علمتم النشاة الاولى اي انكم خلقتم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة ولم تكونوا شيئا قاله مجاهد وغيره وهذا تقرير للنشاة الثانية
وقال الضحاك وقتادة يعني خلق ادم عليه السلام فلولا تذكرون اي فهلا تذكرون وقرا طلحة تذكرون بسكون الذال وضم
الكاف وفي الخبر عجبا كل العجب للمكذب بالنشاة الاخرة وهو يرى النشاة الاولى وعجبا للمصدق بالنشاة الاخرة وهو يسعى
لدار الغرور **قوله تعالى** افرايتم ما تحرثون وما بعده تقدم نظيره وهذه حجة اخرى اي اخبروني عما تحرثون من ارضكم فتطرحون
فيها البذر انتم تنبتونه وتجعلونه زرعا فيكون فيه السنبل والحب ام نحن الزارعون نفعل ذلك وانما منكم البذر وشق الارض
فاذا اقررتم بان اخراج السنبلة من الحبة ليس اليكم فكيف تنكرون اخراج الاموات من الارض واعادتهم واضاف الحرث اليهم
والزرع اليه تعالى لان الحرث فعلهم ويجري على اختيارهم والزرع من فعل الله تعالى وينبت على اختياره لا على اختيارهم وكذلك

ما روى أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لا يقولن أحدكم زرعت وليقل حرثت فإن الزارع هو الله قال أبو هريرة ألم تسمعوا قوله تعالى أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون قال القرطبي والمستحب لكل من زرع أن يقرأ بعد الاستعاذة أفرأيتم ما تحرثون الآية ثم تقول بل الله هو الزارع والمنبت والمبلغ اللهم صل على محمد وارزقنا ثمره وجنبنا ضرره واجعلنا لأنعمك من الشاكرين ويقال إن هذا القول أمان لذلك الزرع من جميع الآفات الدود والجراد وغير ذلك سمعناه من ثقة وجربناه فوجدناه كذلك فإن قيل إذا كان الزارع هو الله فكيف قال تعالى يعجب الزراع وقال عليه السلام الزرع للزارع فالجواب أن الحرث أوائل الزرع والزرع أواخر الحرث فيجوز إطلاق أحدهما على الآخر لاتصاله به ومعنى أأنتم تزرعونه تنبتونه وتجعلونه وقد يقال فلان زراع كما يقال حراث أي يفعل ما يؤول إلى أن يكون زرعا وقد يطلق لفظ الزرع على بذر الأرض وتكريبها تجوزا قال القرطبي وهو نهي إرشاد وأدب لا نهي حظر وإيجاب ومنه قوله عليه السلام لا يقولن أحدكم عبدي وأمتي وليقل غلامي وخادمي وفتاي وفتاتي **قوله تعالى** لو نشاء لجعلناه حطاما أتى هنا بجواب لو مقرونا باللام وهو الأكثر لأنه مثبت وحذف في قوله جعلناه أجاجا لأن المنة بالمأكول أعظم منها بالمشروب قاله الزمخشري وهذا منقوض بقوله ولو نشاء لطمسنا ولو نشاء لمسخناهم وذلك أن أمر الطمس أهون من أمر المسخ وأدخل فيهما اللام وأجاب الزمخشري بجواب آخر فقال قوله تعالى لو نشاء لجعلناه حطاما كان قريب الذكر فاستغنى باللام فيه عن ذكرها ثانيا قال ابن الخطيب وهذا ضعيف لأن قوله تعالى لو نشاء لطمسنا على أعينهم مع قوله ولو نشاء لمسخناهم أقرب من قوله لجعلناه حطاما وجعلناه أجاجا اللهم إلا أن يقول هناك أحدهما قريب من الآخر ذكرا لا معنى لأن الطمس لا يلزمه المسخ ولا بالعكس وأما المأكول يكون معه المشروب في الذهن فالأمران متقاربان لفظا ومعنى

فصل

قال الماوردي هذه الآية تتضمن أمرين أحدهما الامتنان عليهم بأن أنبت زرعهم حتى عاشوا به ليشكروا على نعمته عليهم الثاني البرهان الموجب للاعتبار لأنه لما أنبت زرعهم بعد تلاشي بذره وانتقاله إلى استحالة من العفن والتتريب حتى صار زرعا أخضر ثم قوي مشتدا أضعاف ما كان عليه التربيب فهو بإعادة من أمات أحق عليه وأقدر وفي هذا البرهان مقنع لذوي الفطر السليمة ثم قال لو نشاء لجعلناه حطاما أي متكسرا يعني الزرع والحطام الهشيم الهالك الذي لا ينتفع به في مطعم ولا غذاء فنبه على ذلك بأمرين أحدهما ما أولاهم به من النعم في زرعهم إذ لم يجعله حطاما ليشكروا الثاني ليعتبروا بذلك في أنفسهم كما أنه يجعل الزرع حطاما إذا شاء كذلك يهلكهم إذا شاء ليتعظوا فينزجروا **قوله تعالى** فظلتم تفكهون قرأ العامة بفتح الظاء مع لام واحدة وقد تقدم الكلام عليها مستوفى في طه وأبو حيوة وأبو بكر في رواية بكسر الظاء وعبد الله والجحدري فظللتم على الأصل بلامين أولاهما مكسورة وروي عن الجحدري فتحها وهي لغة أيضا وقرأ العامة تفكهون بالهاء ومعناه تندمون وحقيقته تلقون الفكاهة عن أنفسكم ولا تلقى الفكاهة إلا من الحزن فهو من باب تحرج وتأثم وتحوب وقيل تفكهون تتعجبون بذهابها عما نزل بكم في زرعكم قاله عطاء والكلبي ومقاتل وقيل تندمون مما حل بكم قاله الحسن وقتادة وغيرهما وقيل تلومون وقيل تتفجعون وهذا تفسير باللازم وقرأ أبو حرام العكلي تفكنون بالنون أي تندمون قال ابن خالويه تفكه تعجب وتفكن ندم وفي الحديث مثل العالم مثل الحمة يأتيها البعداء ويتركها القرباء فبينا هم إذ غار ماؤها فانتفع بها قوم وبقي قوم يتفكنون أي يتندمون قال الفراء والنون لغة عكل وفي الصحاح التفكن التندم على ما فات وقيل التفكه التكلم فيما لا يعنيك ومنه قيل المزاح فكاهة بالضم فأما الفكاهة بالفتح فمصدر فكه الرجل بالكسر فهو فكه إذا كان طيب النفس مزاحا **قوله تعالى** إنا لمغرمون قرأ أبو بكر أئنا بالاستفهام وهو على أصله في تحقيق الهمزتين وعدم إدخال ألف بينهما والباقون بهمزة واحدة على الخبر وقيل هذه الجملة قول مقدر على كلتا القراءتين وذلك في محل نصب على الحال تقديره فظلتم تفكهون قائلين أو تقولون إنا لمغرمون أي لملزمون غرامة ما أنفقنا أو مهلكون لهلاك رزقنا من الغرام وهو الهلاك قاله الزمخشري ومن مجيء الغرام بمعنى الهلاك قوله • إن يعذب يكن غراما • وإن يعط جزيلا فإنه لا يبالي • قال ابن عباس وقتادة الغرام العذاب ومنه قول ابن المحلم قال • وثقت بأن الحلم مني سجية • وأن فؤادي مبتلى بك مغرم • وقال مجاهد وعكرمة لمولع بنا يقال أغرم فلان أي أولع بها ومنه الغرام وهو الشر اللازم وقال مجاهد أيضا لملقون شرا وقال النحاس لمغرمون مأخوذون من الغرام وهو الهلاك وقال الضحاك وابن كيسان هو من الغرم والمغرم الذي ذهب ماله بغير عوض أي غرمنا الحب الذي بذرناه وقال مرة الهمداني محاسبون **قوله تعالى** بل نحن محرومون أي حرمنا ما طلبنا من الريع والمحروم المحدود الممنوع من الرزق والمحروم ضد المرزوق قال قتادة وعن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم مر بأرض الأنصار فقال ما يمنعكم الحرث قالوا الجدوبة فقال لا تفعلوا فإن الله يقول أنا الزارع إن شئت زرعت بالماء وإن شئت زرعت بالريح وإن شئت زرعت بالبذر ثم تلا أفرأيتم ما تحرثون أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون قال القرطبي وفي هذا الحديث والذي قبله ما يصحح قول من أدخل الزارع في أسماء الله تعالى وأباه جمهور العلماء **قوله تعالى** أفرأيتم الماء الذي تشربون لتحيوا به أنفسكم وتسكنوا به عطشكم أأنتم أنزلتموه من المزن أي السحاب الواحدة مزنة قال ابن عباس ومجاهد وغيرهما المزن السحاب وهو اسم جنس واحده مزنة قال • فلا مزنة ودقت ودقها

ولا أرض أبقل إبقالها • وعن ابن عباس أيضا والثوري المزن السماء والسحاب وقال أبو زيد المزنة السحابة البيضاء والجمع المزن والمزنة المطرة قال • ألم تر أن الله أنزل مزنة • وعفر الظباء في الكناس تقمع • وقوله أم نحن المنزلون أي إذا عرفتم بأني أنزلته فلم لا تشكروني بإخلاص العبادة لي ولم تنكروا قدرتي على الإعادة **قوله تعالى** لو نشاء جعلناه أجاجا تقدم عدم دخول اللام في جواب لو هذه وقال الزمخشري فإن قلت لم دخلت اللام في جواب لو هذه في قوله لجعلناه حطاما ونزعت منه هاهنا قلت إن لو لما كانت داخلة على جملتين معلقة ثانيتهما بالأولى تعلق الجزاء بالشرط ولم تكن مخلصة للشرط كإن ولا عاملة مثلها وإنما سرى فيها معنى الشرط اتفاقا من حيث إفادتها في مضمون جملتيها أن الثاني امتنع لامتناع الأول افتقرت في جوابها إلى ما ينصب علما على هذا التعليق فزيدت هذه اللام لتكون علما على ذلك فإذا حذفت بعد ما صارت علما مشهورا مكانه فلأن الشيء إذا علم وشهد موقعه وصار مألوفا ومأنوسا به لم يبال بإسقاطه عن اللفظ استغناء بمعرفة السامع ألا ترى إلى ما يحكى عن رؤبة أنه كان يقول خير لمن يقول له كيف أصبحت فيحذف الجار لعلم كل أحد بمكانه وتساوي حالي إثباته وحذفه لشهرة أمره وناهيك بقول أوس • حتى إذا الكلاب قال لها • كاليوم مطلوبا ولا طلبا • فحذف لم فإذن حذفها اختصار لفظي وهي ثابتة في المعنى فاستوى الموضعان لا فرق بينهما على أن تقدم ذكرها والمسافة قصيرة مغن عن ذكرها ثانيا ويجوز أن يقال إن هذه اللام مفيدة معنى التوكيد لا محالة فأدخلت في آية المطعوم دون آية المشروب للدلالة على أن أمر المطعوم مقدم على أمر المشروب وأن الوعيد بفقده أشد وأصعب من قبل أن المشروب إنما يحتاج إليه تبعا للمطعوم ألا ترى أنك إنما تسقي ضيفك بعد ما تطعمه ولو عكست قعدت تحت قول أبي العلاء • إذا سقيت ضيوف الناس محضا • سقوا أضيافهم شبما زلالا • وسقي بعض العرب فقال أنا لا أشرب إلا على ثميلة ولهذا قدمت آية المطعوم على آية المشروب انتهى وقد تقدم جواب ابن الخطيب له عن ذلك

فصل

قال ابن عباس الأجاج المالح الشديد الملوحة وقال الحسن مرا قعاعا لا ينتفعون به في شرب ولا زرع ولا غيرهما فلولا أي فهلا تشكرون الذي صنع ذلك بكم **قوله تعالى** أفرأيتم النار التي تورون أي تخرجون من النار التي تظهرونها بالقدح من الشجر الرطب وتورون من أوريت الزند أي قدحته فاستخرجت ناره وورى الزند يري أي خرجت ناره وأصل تورون توريون والشجرة التي يكون منها الزنود هي المرخ والعفار ومنه قولهم في كل شجر نار واستمجد المرخ والعفار أي استكثرا منها كأنهما أخذا من النار ما هو حسبهما وقيل لأنهما يسرعان الوري أم نحن المنشئون أي المخترعون الخالقون فإذا عرفتم قدرتي فاشكروني ولا تنكروا قدرتي على البعث **قوله تعالى** نحن جعلناها تذكرة يعني نار الدنيا موعظة للنار الكبرى قاله قتادة وقال مجاهد تبصرة للناس من الظلام قال عليه السلام إن ناركم هذه التي يوقد بنو آدم جزء من سبعين جزءا من نار جهنم فقالوا يا رسول الله إن كانت لكافية قال فإنها فضلت عليها بتسعة وستين جزءا كلهن مثل حرها **قوله تعالى** ومتاعا للمقوين يقال أقوى الرجل إذا حل في الأرض القواء وهي القفر كأصحر دخل في الصحراء وأقوت الدار خلت من ذلك لأنها نصبت قفرا قال النابغة • يا دار مية بالعلياء فالسند • أقوت وطال عليها سالف الأبد • قال الضحاك متاعا للمقوين أي منفعة للمسافرين سموا بذلك لنزولهم القوى وهي القفر التي لا شيء فيها وكذلك القوي والقواء بالمد والقصر ومنزل قواء لا أنيس به يقال أقوت الدار وقويت أيضا أي خلت من سكانها قال • حييت من طلل تقادم عهده • أقوى وأقفر بعد أم الهيثم • وقال مجاهد المقوين أي المنتفعين بها من الناس أجمعين في الطبخ والخبز والاصطلاء والاستضاءة ويتذكر بها نار جهنم فيستجار بالله منها وقال ابن زيد للجائعين في إصلاح طعامهم يقال أقويت منذ كذا وكذا أي ما أكلت شيئا وبات فلان القواء وبات القفر إذا بات جائعا على غير طعم قال الشاعر • وإني لأختار القوى طاوي الحشا • محافظة من أن يقال لئيم • وقال قطرب المقوي من الأضداد يكون بمعنى الفقير ويكون بمعنى الغني يقال أقوى الرجل إذا لم يكن معه زاد ويقال للفقير مقو إذا لم يكن معه مال وتقول العرب أقويت منذ كذا أي ما أكلت شيئا وأقوى إذا قويت دوابه وكثر ماله لتقويه على ما يريد قال المهدوي والآية تصلح للجميع لأن النار يحتاج إليها المسافر والمقيم والغني والفقير وقال القشيري وخص المسافر بالانتفاع بها لأن انتفاعه بها أكثر من انتفاع المقيم لأن أهل البادية لا بد لهم من النار يوقدونها ليلا لتهرب منهم السباع وفي كثير من حوائجهم **قوله تعالى** فسبح باسم ربك العظيم أي فنزه الله عما أضاف إليه المشركون من الأنداد والعجز عن البعث قال ابن الخطيب والمشهور أن الاسم مقحم والأحسن أنه من باب الأولى وأن تعظيم المسمى آكد وقد تقدم أن تعلق الفعل إن كان ظاهرا استغنى عن الحرف كضرب وإن كان خفيا قوي بالحرف كذهب وإن كان بينهما جاز الوجهان كشكر ونصح وسبح متعد بنفسه إلا أنه لما دخل على الاسم والمراد الذات خفي التعلق من هذا الوجه فأتى بالحرف وأما قوله سبح اسم ربك فيحتمل ذلك لأنهم كانوا يعترفون بالله ويقولون نحن لا نشرك في المعنى وإنما نسمي الأصنام آلهة باللفظ فقيل لهم نزهوا الاسم كما نزهتم الحقيقة وعلى هذا فالخطاب ليس للنبي صلى الله عليه وسلم بل هو كقول الواعظ حين يقول يا مسكين أفنيت عمرك وما أصلحت أمرك ويريد السامع والمعنى مع الباء فسبح مبتدئا باسم ربك فلا تكون الباء زائدة ومعنى العظيم القريب من الكل فإن الصغير إذا قرب من شيء تبعد عن غيره **قوله تعالى** فلا أقسم قرأ العامة فلا بلام ألف وفيها أوجه أحدها أنها حرف نفي وأن المنفي

بها محذوف وهو كلام الكافر الجاحد تقديره فلا حجة لما يقول الكفار ثم ابتدا قسما بما ذكروا اليه ذهب جماعة من المفسرين
والنحويين قال الفراء هي نفي والمعنى ليس الامر كما تقولون ثم استانف اقسم لا يقول لا والله ما كان كذا ولا يريد به نفي اليمين بل يريد به
نفي كلام تقدم اي ليس الامر كما ذكرتم بل هو كذا وضعف هذا بان فيه حذف اسم لا وخبرها قال ابو حيان ولا يجوز ولا ينبغي فان القايل
بذلك مثل سعيد بن جبير تلميذ حبر القران وبحر عبد الله بن عباس ويبعد ان يقوله سعيد الا بتوقيف الثاني انها زايدة للتوكيد والمعنى فاقسم
بدليل قوله وانه لقسم ومثلها في قوله تعالى لئلا يعلم والتقدير ليعلم وكقوله • فلا وابي اعدايها لا احوتها • الثالث انها
لام الابتداء والاصل فلاقسم فاشبعت الفتحة فتولد منها الف كقوله • اعوذ بالله من العقراب • قاله ابو حيان واستشهد
بقراءة هشام افيدة قال الشهاب الدين وهذا ضعيف جدا واستند ايضا لقراءة الحسن وعيسى فلاقسم بلام واحدة وفي هذه القراءة
تخريجان احدهما ان اللام لام الابتداء وبعدها مبتدا محذوف والفعل خبره فلما حذف المبتدا اتصلت اللام بخبره وتقديره فلانا
اقسم نحو لزيد منطلق قاله الزمخشري وابن جني والثاني انها لام القسم دخلت على الفعل الحالي ويجوز ان يكون القسم جوابا
للقسم كقوله وليحلفن ان اردنا فتفسر ليحلفن قسم جوابه ان اردنا وهو جواب القسم مقدر كذلك هذا وهو قول الكوفيين
يجيزون ان يقسم على فعل الحال والبصريون يابونه ويخرجون ما يوهم ذلك على اضمار مبتدا فيعود القسم على جملة اسمية
ومنع الزمخشري ان يكون لام القسم قال لامرين احدهما ان حقها ان تقرن بالنون المؤكدة والاخلال بها ضعيف قبيح والثاني
ان لافعلن في جواب القسم للاستقبال وفعل القسم يجب ان يكون للحال وهذا كما تقدم انه يرى مذهب البصريين ومعنى قوله
وفعل القسم يجب ان يكون للحال يعني ان فعل القسم انشا والانشا حال واما قوله ان حقها ان تقرن بها النون هذا مذهب
البصريين ايضا واما الكوفيون فيجيزون التعاقب بين اللام والنون نحو والله لاضرب زيدا كقوله • لين تك قد ضاقت
عليكم بيوتكم • ليعلم ربي ان بيتي واسع • ووالله اضربن زيدا كقوله • وقتيل مرة اثارن • وقد تقدم قريب من هذه الاية
في قوله تعالى فلا وربك لا يومنون حتى يحكموك ولكن هناك ما لا يمكن القول به هنا كما ان هنا ما لا يمكن القول به هناك وسياتي
ان شا الله تعالى قريب منه في القيامة في قراءة بن كثير لاقسم بيوم القيمة قال القرطبي وقيل لا بمعنى الا للتنبيه كقوله •
الا عم صباحا ايها الطلل البالي • ونبه بهذا على فضيلة القران ليتدبروه فانه ليس بشعر ولا سحر ولا كهانة كما زعموا
قوله تعالى بمواقع النجوم قرا العامة بمواقع جمعا والاخوان بموقع مفردا بمعنى الجمع لانه مصدر فوحد ومواقعها مساقطها
ومغاربها قاله قتادة وغيره وقال الحسن انكدارها وانتثارها يوم القيمة وقيل المراد نجوم القران قاله ابن عباس والسدي
ويؤيده وانه لقسم وانه لقران كريم وقال عطا بن ابي رباح منازلها وقال الضحاك هي الانوا التي كانت الجاهلية تقول
اذا مطروا مطرنا بنو كذا قاله الماوردي ويكون قوله تعالى فلا اقسم مستعملا على الحقيقة من نفي القسم وقال القشيري
هو قسم ولله ان يقسم بما يريد وليس لنا ان نقسم بغير الله تعالى وصفاته القديمة قال القرطبي ويدل على هذا قراءة الحسن
فلاقسم **قوله تعالى** وانه لقسم لو تعلمون عظيم الضمير عايد على القسم الذي يوذن به يتضمنه قوله فلا اقسم لان اقسم يتضمن
ذكر المصدر ولهذا توصف المصادر التي لم تظهر بعد الفعل فيقال ضربته قويا فان قيل جواب لو تعلمون ماذا قال ابن الخطيب
بما يقول بعض من لا يعلم بان جوابه ما تقدم وهو فاسد في جميع المواضع لان جواب الشرط لا يتقدم لان عمل الحروف في معمولاتها
لا يكون قبل وجودها فلا يقال زيدا ان قام فالجواب يحتمل وجهين احدهما ان يقال الجواب محذوف بالكلية بحيث لا يقصد
لذلك جواب وانما يراد نفي ما دخلت عليه لو فكانه قال فانه لقسم عظيم لو تعلمون وتحقيقه ان لو تذكر لامتناع الشي لامتناع غيره
فلا بد فيه من انتفا الاول فادخال لو على تعلمون افاد ان علمهم منتف سوا علمنا الجزا لم نعلم وهو كقولهم في الفعل المتعدي
فلان يعطي ويمنع حيث لا يقصد منه مفعولا وانما يراد اثبات القدرة الثاني ان جوابه مقدر تقديره لو تعلمون لعظمتموه
لكنكم ما عظمتموه فعلم انكم لا تعلمون او لو تعلمون لعلمتم في انفسكم ولم تعظم فلا تعلمون **قوله تعالى** انه لقران كريم هذا
هو المقسم عليه وعلى هذا فيكون في هذا الكلام اعتراضان احدهما الاعتراض بقوله وانه لقسم بين القسم والمقسم عليه
والثاني الاعتراض بقوله لو تعلمون بين الصفة والموصوف ومنع ابن عطية ان يجعل قوله وانه لقسم تاكيدا للامر وتنبيها
من المقسم به وليس هذا باعتراض بين الكلامين بل هذا معنى قصد التهمم به وانما الاعتراض قوله لو تعلمون قال شهاب الدين وكونه
تاكيدا ومنبها على تعظيم المقسم به لا ينافي الاعتراض بل هذا معنى الاعتراض وفايدته والها في انه لقران يعود على القران
اي ان القران لقسم عظيم قاله ابن عباس وغيره وقيل اي ما اقسم الله به عظيم انه لقران كريم ذكر المقسم عليه اي اقسم بمواقع
النجوم ان هذا القران قران ليس بسحر ولا كهانة ولا مفترى بل هو قران كريم محمود جعله الله معجزة نبيه وهو كريم على
المومنين لانه كلام ربهم وشفا صدورهم كريم على اهل السما لانه تنزيل ربهم ووحيه وقيل كريم اي غير مخلوق وقيل
كريم لما فيه كرم الاخلاق ومعالي الامور وقيل لانه يكرم حافظه ويعظم قارئه وقال ابن الخطيب كريم اي لا يهون بكثرة التلاوة
لان الكلام متى اعيد وكرر استهين به والقران يكون الى اخر الدهر ولا يزداد الا عزا والقران اما مصدر كالغفران والمراد به

المنقول وهو المقرو كقوله هذا خلق الله واما اسم لما يقرا كالقربان لما يتقرب به والحلوان لما يحلى به فم الكاهن وعلى
هذا يظهر فساد قول من رد على الفقها قولهم في باب الزكوة يعطي شيا اعلا مما وجب وياخذ الجبران او يعطي شيا دونه ويعطي
الجبران لان الجبران مصدر لا يوخذ ولا يعطى فيقال له هو كالقران بمعنى المقرو فهو كريم اي مقرو وقري ويقرا فان
معنى كريم لا يهون بكثرة التلاوة ويبقى ابد الدهر كالكلام الغض الحديث الطري ومن هنا يقع لي ان وصف القران والحديث
مع انه قديم يستدعي هذا احد دايما وهو قديم يسمعه السامعون كانه كلام الجماعة بل
بل عملوه قبل النبي صلى الله عليه وسلم السنين اذا سمعوه من احدنا يلتذوا به التذاذ السامع لكلام جديد **فصل**
قوله في كتاب مكنون مصون عند الله وقيل مكنون محفوظ من الباطل والكتاب هنا كتاب في السماء قال ابن عباس وقال جابر
بن عبد الله وابن عباس ايضا هو اللوح المحفوظ وقال عكرمة التوراة والانجيل فيهما ذكر القران وقال السدي الزبور وقال مجاهد
وقتادة هو المصحف الذي في ايدينا **فصل** قال ابن الخطيب قوله تعالى في كتاب يستدعي شيا مظروفا للكتاب وفيه
وجهان احدهما ان القران اي هو قران في كتاب كقولك فلان رجل كريم في نفسه لا يشك السامع بان المراد منه انه في الدار
قاعد وانه لا يريد به انه رجل اذا كان في الدار غير رجل اذا كان خارجا ولا يشك ايضا انه كريم وهو في البيت فكذلك ههنا معناه
انه كريم في كتاب فاذا قيل فلان رجل كريم في نفسه يعلم كل احد ان في لم يجعل رجلا مظروفا وان القايل لم يرد انه رجل في نفسه
قاعد دائما وانما اراد ان كرمه في نفسه وكذلك قوله قران كريم في لوح اي انه لم يكن كريما عند الكفار الثاني ان المظروف هو
مجموع قوله تعالى قران كريم اي هو هكذا في كتاب كقوله تعالى تما ادراك ما عليون كتاب اي في كتاب الله والمعنى ان في اللوح المحفوظ
مكتوبا انه قران كريم **فصل** قال ابن الخطيب فان قيل كيف سمي الكتاب فعال وهو اما مصدر كالحساب والقيام ونحوهما
او لما يكتب كاللباس ونحوه وكيف ما كان فالقران لا يكون في القرطاس لانه بمعنى المصدر فلا يكون في مكتوب وانما يكون مكتوبا
في لوح او ورق فالمكتوب لا يكون في الكتاب انما يكون في قرطاس واجاب بان اللوح لما لم يكن الا لان يكتب فيه صح تسميته كتابا
وقوله في كتاب تماحبر بعد خبر وما صفة لكريم ولا يصح ان الكتاب المكنون في اللوح المحفوظ لقوله تعالى بل هو قران مجيد
في لوح محفوظ **قوله تعالى** لا يمسه في لا هذه وجهان احدهما انها نافية فالضمة في لا يمسه ضمة اعراب وعلى هذا القول فيه
جملة وجهان احدهما ان محلها الجر صفة لكتاب والمراد به اما اللوح المحفوظ والمطهرون حينيذ الملايكة او المراد به المصاحف
والمراد بالمطهرين المكلفون كلهم والثاني ان محلها الرفع صفة للقران والمراد بالمطهرين المكلفون كلهم والثاني ان محلها الرفع صفة
للقران والمراد بالمطهرين الملايكة فقط اي لا يطلع عليه او لا يمس لوجه لا بد من احد هذين التجوزين لان نسبة المس الى المعاني
حقيقة متعذر ويويد كون هذه نفيا قراءة عبد الله ما يمسه بما النافية الوجه الثاني انها ناهية والفعل بعدها مجزوم
لانه لو فك من الادغام لظهر ذلك فيه كقوله تعالى لم يمسسهم سوء ولكنه ادغم وحرك اخره بالضم لاجل هاء ضمير المذكر الغايب
ولم يحفظ سيبويه في نحو هذا الا الضم وفي الحديث انا لم نرده عليك الا انا حرم وان كان القياس يقتضي جواز فتحه تخفيفا
وبهذا يظهر فساد رد من رد بان هذا لو كان نهيا لكان يقال لا يمسه بالفتح لانه خفي عليه جواز ضم ما قبل الها في هذا النحو
لا سيما على راي سيبويه فانه لا يجيز غيره وقد ضعف ابن عطية كونه نهيا بانه اذا كان خبرا فهو في موضع الصفة وقوله بعد ذلك
تنزيل صفة فاذا جعلناه نهيا كان اجنبيا معترضا بين الصفات وذلك لا يحسن في وصف الكلام فتدبره وفي حرف ابن مسعود
ما يمسه انتهى وليس فيما ذكره ما يقتضي تضعيف هذا القول لانا لا نسلم ان تنزيل صفته بل هو خبر مبتدا محذوف اي هو تنزيل فلا
يلزم ما ذكر من الاعتراض ولين سلمنا انه صفة فلا يمسه صفة ايضا فان اعترض عليها بانه طلب فيجاب بانه على اضمار القول
اي مقول فيه لا يمسه كما قالوا ذلك في قوله فتنة لا تصيبن على ان لا تصيبن نهي وهو كقوله • جاوا بمذق هل رايت الذيب قط •
وقد تقدم تحقيقه في الانفال وهذه الاية يتعلق بها خلاف العلما في مس المحدث المصحف وهو مبني على هذا وقرا العامة المطهرون
بتخفيف الطا وتشديد الها مفتوحة اسم مفعول وعن سلمان الفارسي كذلك الا انه بكسر الها اسم فاعل اي المطهرون انفسهم
فحذف مفعوله ونافع وابو عمرو في رواية عنهما وعيسى بسكون الطا وفتح الها خفيفة اسم مفعول من اطهر وزيد والحسن وعبد الله
ابن عوف وسلمان ايضا المطهرون بتشديد الطا والها مكسورة واصله المتطهرون فادغم وقد قرى بهذا الاصل ايضا
فصل اختلفوا في المس المذكور في الاية هل هو حقيقة في المس بالجارحة او معنى وكذلك اختلفوا في المطهرون من هم
فقال انس وسعيد بن جبير لا يمس ذلك الا المطهرون من الذنوب وهم الملايكة وقال ابو العالية وابن زيد هم الذين طهروا
من الذنوب كالرسل من الملايكة والرسل من بني ادم وقال الكلبي هم السفرة الكرام البررة وهذا كله قول واحد وهو اختيار مالك
قال الحسن هم الملايكة الموصوفون في سورة عبس في قوله تعالى صحف مكرمة مرفوعة مطهرة بايدي سفرة كرام بررة وقيل معنى لا يمسه
لا ينزل به الا المطهرون يعني الا الرسل من الملايكة على الرسل من الانبيا ولا يمس اللوح المحفوظ الذي هو الكتاب المكنون الا الملايكة
المطهرون ولو كان المراد طهر الحدث لقال المتطهرون او المطهرون بتشديد الطا والصحيح ان المراد بالكتاب المصحف الذي بايدينا

المروي عن مالك وغيره ان في كتاب عمرو بن حزم لا يمس القرآن الا طاهر وقال ابن عمر قال النبي صلى الله عليه وسلم لا تمس القرآن الا وانت طاهر وقالت اخت عمر لعمر عند اسلامه وقد دخل عليها ودعا بالصحيفة لا يمسه الا المطهرون فقام فاغتسل واسلم وعلى هذا قال قتادة وغيره معناه لا يمسه الا المطهرون من الاحداث والانجاس وقال الكلبي من الشرك وقال الربيع بن انس من الذنوب والخطايا وقال محمد بن الفضيل وعبدة معناه لا يقرؤه الا المطهرون اي الا الموحدون قال عكرمة وكان ابن عباس ينهى ان يمكن اليهود والنصارى من قراءته وقال الفراء لا يجد طعمه ونفعه وبركته الا المطهرون اي المؤمنون بالقرآن وقال الحسين بن الفضل معناه لا يعرف تفسيره وتاويله الا من طهره الله من الشرك والنفاق وقال ابو بكر الوراق لا يوفق للعمل به الا السعداء وروى معاذ عن النبي صلى الله عليه وسلم ان المنافق لا يمس ثوابه الا المؤمنون

فصل اختلف العلماء في مس المصحف على غير وضوء فالجمهور على المنع من مسه على غير طهارة لحديث عمرو بن حزم وهو مذهب علي وابن مسعود وسعد بن ابي وقاص وسعيد بن زيد وعطاء والزهري والنخعي والحكم وحماد وجماعة من الفقهاء منهم مالك والشافعي واختلفت الرواية عن ابي حنيفة فروي عنه انه يمسه المحدث وهذا مروي عن ابن عباس والشعبي وغيرهما وروي عنه انه يمس ظاهره وحواشيه وما ليس بمكتوب واما الكتاب فلا يمسه الا طاهر قال ابن العربي وهذا يقوي الحجة عليه لان حريم الممنوع ممنوع وكتاب عمرو بن حزم اقوى دليل عليه وقال مالك لا يحمله غير طاهر بعلاقة ولا على وسادة وقال ابو حنيفة لا باس بذلك وروي عن الحكم وحماد وداود بن علي انه لا باس بحمله ومسه للمسلم والكافر طاهرا او محدثا الا ان داود قال لا يجوز للمشرك حمله واحتجوا في اباحة ذلك بكتاب النبي صلى الله عليه وسلم الى قيصر ولا حجة فيه لانه موضع ضرورة والمراد بالقرآن المصحف سمي قرآنا لقرب الجوار على الاتساع ولان النبي صلى الله عليه وسلم نهى ان يسافر بالقرآن الى ارض العدو واراد به المصحف

قوله تعالى تنزيل قرا العامة بالرفع وقرا بعضهم تنزيلا بالنصب على انه حال من النكرة وجاز ذلك لتخصصها بالصفة او ان يكون مصدرا لعامل مقدر اي نزل تنزيلا وغلب التنزيل على القرآن وقوله من رب يجوز ان يتعلق به على الاول لا الثاني لان المؤكد لا يعمل فيتعلق بمحذوف لانه صفة له واما على قراءة تنزيل بالرفع فيجوز الوجهان قال القرطبي تنزيل اي منزل كقولهم ضرب الامير ونسج اليمن وقيل تنزيل صفة لقوله تعالى انه لقرآن كريم وقيل خبر مبتدا محذوف اي هو تنزيل قال ابن الخطيب قوله تنزيل مصدر والقرآن الذي في كتاب ليس بتنزيل انما هو منزل لقوله تعالى نزل به الروح الامين فيقول ذكر المصدر وارادة المفعول كثير كقوله تعالى هذا خلق الله فاوثر المصدر لان تعلق المصدر بالفاعل اكثر

قوله تعالى افبهذا الحديث متعلق بالخبر وجاز تقديمه على المبتدا لان عامله يجوز فيه ذلك والاصل افانتم مدهنون بهذا الحديث وهو القرآن ومعنى مدهنون اي متهاونون كمن يدهن في الامر اي يلين جانبه ولا يتصلب فيه تهاونا به يقال ادهن فلان اي لاين وهاود فيما لا يحمل عند المداهن قال ابو قيس بن الاسلت الحزم والقوة خير من الادهان والفهة والهاع وقال الراغب والادهان في الاصل مثل التدهين لكن جعل عبارة عن المداراة والملاينة وترك الجد كما جعل التقريد وهو نزع القراد عبارة عن ذلك قال القرطبي وادهن وداهن واحد وقال قوم داهنت بمعنى واريت وادهنت بمعنى غششت قال ابن عباس مدهنون اي مكذبون وهو قول عطاء وغيره والمدهن الذي ظاهره خلاف باطنه كانه شبه بالدهن في سهولة ظاهره وقال مقاتل بن سليمان وقتادة مدهنون كافرون نظيره ودوا لو تدهن فيدهنون وقال المؤرج المدهن المنافق الذي يلين جانبه ليخفي كفره والادهان والمداهنة التكذيب والكفر والنفاق وقال الضحاك مدهنون معرضون وقال مجاهد ممالئون الكفار على الكفر وقال ابن كيسان المدهن الذي لا يعقل ما حق الله عليه ويدفعه بالعلل وقال بعض اللغويين مدهنون تاركون للحزم في قبول القرآن

قوله تعالى وتجعلون رزقكم فيه اوجه احدها انه على التهكم بهم لانهم وضعوا الشيء في غير موضعه كقولك شتمني حيث احسنت اليه اي عكس قضية الاحسان ومنه

* كان شكر القوم عند المنن * كي الصحيحات وفقا الاعين *

اي شكر رزقكم تكذيبكم الثاني ان ثم مضافين محذوفين اي بدل شكر رزقكم ليصح المعنى قاله ابن مالك وقد تقدم في قوله تعالى فكان قاب قوسين اكثر من هذا الثالث ان الرزق هو الشكر في لغة ازد شنوءة يقولون ما رزق فلان فلانا اي ما شكره فعلى هذا لا حذف البتة ويؤيده قراءة علي بن ابي طالب رضي الله عنه وتلميذه عبد الله بن عباس وتجعلون شكركم مكان رزقكم قال القرطبي وانما صلح ان يوضع اسم الرزق مكان الشكر لان شكر الرزق يقتضي الزيادة فيه فيكون الشكر رزقا لهذا المعنى

قوله تعالى انكم تكذبون قرا العامة تكذبون من التكذيب وعلي رضي الله عنه وعاصم في رواية المفضل عنه تكذبون مخففا من الكذب ومعنى الاية انكم تكذبون بالرزق اي تضعون الكذب مكان الشكر كقوله تعالى وما كان صلاتهم عند البيت الا مكاء وتصدية اي لم يكونوا يصلون ولكنهم كانوا يصفرون ويصفقون مكان الصلاة قال القرطبي وفيه بيان ان ما اصاب العباد من خير فلا ينبغي ان يروه من قبل الوسائط التي جرت العادة بان تكون اسبابا بل ينبغي ان يروه من قبل الله تعالى ثم يقابلونه بشكر ان كان نعمة او صبر ان كان مكروها تعبدا له وتذللا وروي عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قرأ وتجعلون شكركم انكم تكذبون حقيقة وعن ابن عباس ايضا ان المراد به الاستسقاء بالانواء وهو قول العرب

مطرنا بنوء كذا ورواه علي بن ابي طالب عن النبي صلى الله عليه وسلم وفي صحيح مسلم عن ابن عباس قال مطر الناس على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم اصبح من الناس شاكر ومنهم كافر فقالوا هذه رحمة الله وقال بعضهم لقد صدق نوء كذا وكذا فنزلت هذه الاية فلا اقسم بمواقع النجوم حتى بلغ وتجعلون رزقكم انكم تكذبون وعنه ايضا ان النبي صلى الله عليه وسلم خرج في سفر فعطشوا فقال النبي صلى الله عليه وسلم ارايتم ان دعوت الله لكم فسقيتم لعلكم ان تقولوا هذا المطر بنوء كذا فقالوا يا رسول الله ما هذا بحين الانواء فصلى ركعتين ودعا ربه فهاجت ريح ثم هاجت سحابة فمطروا فمر النبي صلى الله عليه وسلم ومعه عصابة من اصحابه برجل يغترف بقدح له وهو يقول سقينا بنوء كذا ولم يقل هذا من رزق الله فنزلت وتجعلون رزقكم انكم تكذبون اي شكركم لله على رزقه اياكم انكم تكذبون بالنعمة وتقولون سقينا بنوء كذا كقول القائل

جعلت احساني اليك اساءة منك الي وجعلت انعامي لديك ان اتخذتني عدوا

قال الشافعي لا احب لاحد ان يقول مطرنا بنوء كذا وان كان النوء عندنا الوقت المخلوق لا يضر ولا ينفع ولا يمطر ولا يحبس شيئا من المطر والذي احب ان يقول مطرنا وقت كذا كما تقول مطرنا شهر كذا ومن قال مطرنا بنوء كذا وهو يريد ان النوء انزل الماء كما يقول بعض اهل الشرك فهو كافر حلال دمه ان لم يتب وقيل معنى قوله وتجعلون رزقكم اي معاشكم وكسبكم تكذيب محمد كما يقال فلان جعل قطع الطريق معاشه فعلى هذا التكذيب خاص والرزق في الاصل مصدر سمي به ما يرزق كما يقال للماكول رزق وللمقدور قدرة وللمخلوق خلق

قوله تعالى فلولا اذا بلغت الحلقوم ترتيب الاية الكريمة فلولا ترجعونها اي النفس اذا بلغت الحلقوم ان كنتم غير مدينين وفلولا الثانية مكررة للتوكيد قاله الزمخشري قال شهاب الدين فيكون التقدير فلولا فلولا ترجعونها من باب التوكيد اللفظي ويكون اذا بلغت ظرفا لترجعونها مقدما عليه اذ لا مانع منه اي فهلا ترجعون النفس في وقت بلوغها الحلقوم وقوله وانتم حينئذ تنظرون جملة حالية من فاعل بلغت والتنوين في حينئذ عوض عن الجملة المضاف اليها اذ اي اذ بلغت الحلقوم خلافا للاخفش حيث زعم ان التنوين للصرف والكسر للاعراب وقد مضى تحقيقه وقرا العامة بفتح نون حينئذ لانه منصوب على الظرف ناصبه تنظرون وعيسى بكسرها وهي مشكلة لا يبعد عن الغلط عليه وخرجت على الاتباع لحركة الهمزة ولا عزو في ذلك فليست بابعد من قراءة الحمد لله بكسر الدال اتباعا للام المنفصل بقي ولكنه دورها على الخصوص

فصل قال المفسرون معنى الاية فهلا اذا بلغت النفس والروح الحلقوم ولم يتقدم لها ذكر لان ذلك معروف قال حاتم

* اماوي ما يغني الثراء عن الفتى * اذا حشرجت يوما وضاق بها الصدر *

وفي الحديث ان ملك الموت له اعوان يقطعون العروق ويجمعون الروح شيئا فشيئا حتى ينتهي بها الى الحلقوم فيتوفاها ملك الموت والحلقوم مجرى الطعام وانتم حينئذ تنظرون امري وسلطاني وقيل تنظرون الى الميت لا تقدرون له على شيء قال ابن عباس يريد من حضر من اهل الميت ينتظرون متى تخرج نفسه ثم قيل هو رد عليهم في قولهم لاخوانهم لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا اي فهلا ردوا روح الواحد منهم اذا بلغت الحلقوم وقيل المعنى فهلا اذا بلغت نفس احدكم الحلقوم عند النزع وانتم حضور امسكتم روحه في جسده مع حرصكم على امتداد عمره وحبكم لبقائه وهذا رد لقولهم نموت ونحيا وما يهلكنا الا الدهر

قوله تعالى ونحن اقرب يجوز ان يكون حالا اي تنظرون في هذه الحال التي تخفى عنكم وان تكون مستانفة فيكون اعتراضا والاقرب الظاهر والبصر يجوز ان يكون من البصيرة والمعنى ونحن اقرب اليه منكم بالقدرة والعلم والرؤية قال عامر بن عبد قيس ما نظرت الى شيء الا رايت الله تعالى اقرب الي منه وان يكون من البصر اي لا تنظرون اعوان ملك الموت والمعنى ان رسلنا الذين يتولون قبض روحه اقرب اليه منكم ولكن لا ترونهم

قوله تعالى فلولا ان كنتم غير مدينين ان كنتم شرط جوابه محذوف عند البصريين لدلالة فلولا عليه او متقدم عند من يرى ذلك كما تقدم تقريره والمعنى فهلا ان كنتم غير محاسبين ولا مجزيين باعمالكم ومنه قوله تعالى انا لمدينون اي مجزيون او محاسبون وقد تقدم وقيل غير مملوكين ولا مقهورين قال الفراء وغيره دنته ملكته قال الحطيئة

* لقد دينت امر بنيك حتى * تركتهم ادق من الطحين *

يعني ملكت ودانه اي اذله واستعبده يقال دنته فدان ومنه دانت له البلاد والعباد وقد تقدم في الفاتحة عند قوله يوم الدين

قوله تعالى ترجعونها قال ابو البقاء ترجعونها جواب لولا الاولى واغنى ذلك من جواب الثانية وقيل عكس ذلك وقال الزمخشري ان لولا الثانية تكرير انتهى قال شهاب الدين وتسمية مثل هذا جوابا ليس بصحيح البتة وقال ابن عطية لا تحتاج لولا الى جواب انما الجواب للامتناعية لوجود نحو ولولا فضل الله وقال ابن عطية وقوله ترجعونها سد مسد الاجوبة والبيانات التي تقتضيها التحضيضات واذا في قوله فلولا اذا وان المتكررة وحمل بعض هذا القول بعضا ايجازا واقتصارا انتهى فجعل اذا شرطية وقوله الاجوبة يعني لاذا ولان ولان في قوله ان كنتم غير مدينين ان كنتم صادقين والبيانات يعني الافعال التي تحضض عليها وهي عبارة قلقة قال ابو حيان واذا ليست شرطا بل ظرفا يعمل فيها ترجعونها المحذوف بعد لولا لدلالة ترجعونها في التحضيض الثاني عليه فجاء التحضيض الثاني معلقا على انتفاء مربوبيتهم وهم لا يقدرون على رجعها اذ مربوبيتهم موجودة فهم مقهورون لا قدرة لهم انتهى فجعل ترجعونها المذكورة للولا الثانية وهو دال على محذوف بعد الاولى وهو الاقوال التي نقلها ابو البقاء فيما تقدم وقوله ان كنتم صادقين شرط آخر وليس هذا من اعتراض الشرط على الشرط

نحو ان ركبت ان لبث فانت طالق حتى يجي فيه ما تقدم في هذه المسئلة لان المراد هنا ان وجد الشرطان كيف كانا فهلا
ترجعون نفس الميت وقال القرطبي ترجعونها ان كنتم صادقين يرجع الروح الى الجسد ان كنتم صادقين اي ولن ترجعونها فبطل
زعمكم انكم غير مملوكين ولا محاسبين وترجعونها جواب لقوله تعالى فلولا اذا بلغت الحلقوم ولقوله فلولا ان كنتم غير مدينين
اجيبا بجواب واحد قاله الفراء وربما اعادت العرب الحرفين ومعناهما واحد ومنه قوله تعالى فاما يأتينكم مني هدى فمن تبع
هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون اجيبا بجواب واحد وهما شرطان والمعنى ان كان الامر كما تقولون انه لا بعث ولا حساب
ولا اله يجازي فهلا تردون نفس من يعز عليكم اذا بلغت الحلقوم واذا لم يمكنكم ذلك فاعلموا ان الامر الى غيركم وهو الله عز وجل
فامنوا به قال البغوي وقيل حذف احدهما لدلالة الاخر عليه وقيل فيها تقديم وتأخير مجازها فلولا ان كنتم غير مدينين
ترجعونها تردون نفس هذا الميت الى جسده اذا بلغت الحلقوم ثم ذكر طبقات الخلق عند الموت وبين درجاتهم فقال فاما ان
كان قد تقدم الكلام في اما اول الكتاب وهنا امر زائد وهو وقوع جواب اخر بعدها واختلف النحاة في الجواب المذكور بعدها
هل هو لاما او لان وجواب الاخرى حذف لدلالة المنطوق عليه او الجواب لهما معا لانه اقوال الاول لسيبويه والجواب
للفارسي في احد قوليه وله قول اخر كسيبويه والثالث للاخفش وهذا كما تقدم في الجواب بعد الشرطين المتواردين وقال مكي
ومعنى اما عند ابي اسحق الخروج من شي الى شي اي دع ما كنا فيه وحذف في عزم وعلى هذا فيكون الجواب لان فقط لان اما
ليست شرطا ورجح بعضهم ان الجواب لاما لان ان كثر حذف جوابها منفردة فادعاؤه مع شرط اخر اولى **قوله تعالى**
فاما ان كان الضمير في كان وكان للمتوفى لدلالة قوله فلولا ترجعونها والمراد بالمقربين السابقين لقوله تعالى والسابقون
السابقون اولئك المقربون **قوله تعالى** فروح وريحان وقرأ العامة فروح بفتح الراء وقرأ ابن عباس وعايشة والحسن وقتادة
ونصر بن عاصم والجحدري ورويس وزيد عن يعقوب وجماعة بضم الراء وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم فمن قرأ بالفتح
فمعناه فله روح وهو الراحة وهو قول مجاهد وقال سعيد بن جبير فرج وقال الضحاك مغفرة ورحمة قوله وريحان استراحة
وقال مجاهد وسعيد بن جبير رزق قال مقاتل هو بلسان حمير يقال خرجنا نطلب ريحان الله اي رزقه وقيل هو الريحان الذي
يشم قال ابو العالية لا يفارق احد من المقربين الدنيا حتى يؤتى بغصن من ريحان الجنة فيشمه ثم يقبض روحه وقال ابو بكر الوراق
الروح النجاة من النار والريحان دخول دار القرار وقد تقدم الكلام على ريحان وكيفية تصريفه في السورة قبلها وقوله فروح مبتدأ
خبره مقدر قبله اي فله روح ويجوز ان يقدر بعده لاعتماده على فاء الجزاء **قوله تعالى** واما ان كان من اصحاب اليمين فسلام
لك من اصحاب اليمين فسلام لك مبتدأ وخبر ومن اصحاب قال الزمخشري فسلام لك يا صاحب اليمين من اخوانك اصحاب
اليمين اي يسلمون عليك وقال ابن جرير معناه فسلام لك انت من اصحاب وهذا يحتمل ان يكون كقول الزمخشري ويكون انت
تأكيدا للكاف في لك ويحتمل ان يكون ذلك انت مبتدأ ومن اصحاب خبره ويؤيد هذا ما حكاه قوم من ان المعنى فيقال لهم
سلام لك انك من اصحاب اليمين واولى هذه الاقوال هو الواضح البين ولذلك لم يعرج بالضم على غيره **فصل**
قال القرطبي فسلام لك من اصحاب اليمين اي لست ترى منهم الا ما تحب من السلامة فلا تهتم لهم فانهم يسلمون من عذاب الله وقيل
المعنى سلام لك منهم اي انت سالم من الاهتمام لهم والمعنى واحد وقيل ان اهل اليمين يدعون لك يا محمد ان يصلي الله عليك ويسلم
وقيل انهم يسلمون عليك يا محمد وقيل معناه سلمت ايها العبد مما تكره فانك من اصحاب اليمين فحذف انك وقيل انه يحيى بالسلام
اكراما فعلى هذا في محل السلام ثلاثة اقوال احدها عند قوله في الدنيا يسلم عليه ملك الموت قاله الضحاك وقال ابن مسعود
اذا جاء ملك الموت ليقبض روح المؤمن قال ربك يقرئك السلام الثاني عند مسائلته في القبر يسلم عليه منكر ونكير
الثالث عند بعثه في القيامة يسلم عليه الملائكة قبل وصوله اليها قال القرطبي ويحتمل ان يسلم عليه في المواطن الثلاث ويكون ذلك
اكراما بعد اكرام **قوله تعالى** واما ان كان من المكذبين بالبعث الضالين عن الهدى وطريق الحق فنزل من حميم كما قال
ثم انكم ايها الضالون المكذبون لاكلون الى ان قال ثم ان لهم عليها لشوبا من حميم **قوله تعالى** وتصلية قرأ ابو عمرو في رواية
اللؤلؤي عنه واحمد بن موسى عطفا على من حميم اي ونزل من تصلية جحيم والمعنى ادخاله في النار والقائه في الجحيم
ومقاساته لانواع عذابها يقال اصلاه النار وصلاه اي جعله يصلاها والمصدر ههنا اضيف الى المفعول كما يقال لفلان
اعطاء مال اي يعطى المال **قوله تعالى** ان هذا لهو حق اليقين اي هذا الذي قصصناه محض اليقين وخالصه وجاز اضافة
الحق الى اليقين وهما واحد لاختلاف لفظهما وذلك من باب اضافة المترادفين على سبيل المبالغة قال المبرد هو كقولك
عين اليقين ومحض اليقين فهو من باب اضافة الشي الى نفسه عند الكوفيين وان كانوا وافقوا ذلك في اللفظ الواحد فقالوا
صواب الصواب ونفس النفس مبالغة فان نقلوا من اختلاف اللفظ اولى وعند البصريين بمعنى حق الامر اليقين او الخبر
اليقين وقيل هو توكيد كقولك هذا حق الحق وصواب الصواب قال ابن عطية وقيل اصل اليقين ان يكون نعتا للحق فاضيف
المنعوت الى النعت على الاتساع والمجاز كقوله تعالى ولدار الاخرة خير قال ابن الخطيب هذه الاضافة كقولك ثوب كتان وباب ساج

بمعنى ثوب

بمعنى ثوب من كتان وباب من ساج اي فهو الحق من اليقين ويحتمل ان يكون المعنى انه الحق الذي يستحقه اليقين كقوله عليه
السلام امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله فاذا قالوها عصموا مني دماءهم الا بحقها فالضمير يرجع الى الكلمة اي الا
بحق الكلمة ومن حق الكلمة اداء الزكوة والصلوة فكذلك حق اليقين بالاعتراف اي بحق اليقين والمعنى انه يعترف بما قال الله في سورة
الواقعة وفي حق الازواج الثلاثة وعلى هذا المعنى ان اليقين لا يحق الا اذا صدق بما قاله فالتصديق حق اليقين الذي يستحقه
قوله تعالى فسبح باسم ربك العظيم اي نزه الله تعالى عن السوء والباء يجوز ان تكون للحال اي فسبح ملتبسا باسم ربك على سبيل
التبرك كقوله ونحن نسبح بحمدك وان تكون للتعدية على ان سبح يتعدى بنفسه تارة كقوله سبح اسم ربك وبحرف الجر تارة كهذه الآية
وقال القرطبي والباء زائدة اي سبح ربك وادعاء خلاف الاصل والعظيم يجوز ان يكون صفة للاسم وان يكون لربك لان كلا
منهما مجرور وقد وصف كل منهما في قوله تبارك اسم ربك ذو الجلال وذي الجلال ولتغاير المضافين وعلى هذا ظهر الفرق في الوصف
فصل قيل معنى فسبح اي فصل بذكر ربه وبامره وقيل فاذكر اسم ربك العظيم وسبحه وعن عقبة بن عامر قال لما
نزلت فسبح باسم ربك العظيم قال النبي صلى الله عليه وسلم اجعلوها في ركوعكم ولما نزلت سبح اسم ربك الاعلى قال النبي صلى
الله عليه وسلم اجعلوها في سجودكم خرجه ابو داود روى قتيبة عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من قرأ سورة الواقعة كل ليلة لم
تصبه فاقة ابدا وكان ابو [illegible] لا يدعها ابدا وعن مسروق رضي الله عنه قال من اراد
ان يعلم نبأ الاولين والآخرين ونبأ الدنيا ونبأ الآخرة فليقرأ الواقعة والله اعلم

سورة الحديد مكية

وهي تسع وعشرون آية عن العرباض بن سارية ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقرأ المسبحات قبل ان يرقد ويقول ان فيهن
آية افضل من الف آية يعني بالمسبحات الحديد والحشر والصف والجمعة والتغابن بسم الله الرحمن الرحيم **قوله تعالى**
سبح لله ما في السموات والارض اي مجد الله ونزهه عن السوء وقال ابن عباس رضي الله ما في السموات ممن خلق من الملائكة والارض من شي
فيه روح او لا روح فيه وقيل هو تسبيح الدلالة وذكر الزجاج هذا وقال لو كان هذا تسبيح الدلالة وظهور آثار الصنعة لكانت مفهومة
فلم قال ولكن لا تفقهون تسبيحهم وانما هو تسبيح مقال واستدل بقوله فسخرنا مع داود الجبال يسبحن ولو كان ذلك التسبيح تسبيح
الدلالة فاي تخصيص لداود قال القرطبي هذا هو الصحيح **فصل** هذا الفعل عدي باللام تارة كهذه السورة واخرى بنفسه كقوله تعالى وسبحوه
واصله التعدي بنفسه لان معنى سبحته بعدته من السوء فاللام اما ان تكون زائدة كهي في نصحت لزيد ونصحته وشكرته وشكرت له
اذ يقال سبح الله تعالى قال يسبحونه وله يسجدون واما ان تكون للتعليل اي احدث التسبيح لاجل الله تعالى وجاء في بعض الفواتح سبح بلفظ
الماضي وفي بعضها بلفظ المضارع وذلك اشارة الى ان هذه الاشياء مسبحة في كل الاوقات لا تختص بوقت دون وقت بل هي مسبحة ابدا
في الماضي وستكون مسبحة ابدا في المستقبل **قوله تعالى** وهو العزيز الحكيم الفعال الذي لا يمانعه شي في ذلك اشارة الى كمال القدرة
والحكيم اشارة الى انه الذي يفعل افعال الحكمة والصواب **قوله تعالى** له ملك السموات جملة مستانفة لا محل لها من الاعراب
والارض عن نفوذ الامر فهو سبحانه المالك القادر القاهر وقيل اراد خزائن المطر والنبات والرزق **قوله تعالى** يحيي ويميت يجوز في هذه
الجملة ثلاثة اوجه احدها انها لا محل لها من الاعراب والثاني انها خبر مبتدأ مضمر اي هو يحيي والثالث انها حال من الضمير المستكن في لها
الاستقرار ولم يذكر مفعول الاحياء والامانة اذ الغرض ذكر الفعلين فقط وعندي وجه ثالث وهو الاحياء في الدنيا ويحيي الاموات
للبعث وقيل يحيي النطف وهي موات ويميت الاحياء وعندي فيه وجه ثالث وهو انه ليس المراد منه تخصيص الاحياء والامانة بزمان
معين وباشخاص معينين بل معناه انه القادر على خلق الحياة والموت كقوله تعالى الذي خلق الموت والحياة والمقصود
منه كونه تعالى هو المتفرد بايجاد ما بين الناهيتين على الاطلاق لا يمنعه منهما مانع **قوله** وهو على كل شي لا يعجزه شي
قوله هو الاول والآخر الآية قال الزمخشري فان قلت انه الجامع على الظهور والبقاء واما الوسطى فعلى انه الجامع ه
والآخرة والثالثة على انه الجامع بين الظهور والخفاء واما الوسطى فعلى انه الجامع بين مجموع الصفتين الاوليين ومجموع الصفتين
الاخريين **فصل** قال القرطبي اختلف في معاني هذه الاسماء وقد شرحها رسول الله صلى الله عليه وسلم شرحا يغني عن
قول كل قائل فروى مسلم في صحيحه عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم انت الاول فليس قبلك شي وانت
الآخر فليس بعدك شي وانت الظاهر فليس فوقك شي وانت الباطن فليس دونك شي اقض عنا الدين واغننا

من الفقر وغنى بالظاهر الغالب وبالباطن العالم والله اعلم وهو بكل شيء عليم مما كان ويكون لا يخفى عليه شيء وهذا
معنى قول ابن عباس قال ابن الخطيب الظاهر بحسب الدلايل والباطن بحسب الحواس والقول من الباطن هو العالم ضعيف لانه
يلزم منه التكرار في قوله والله بكل شيء عليم **فصل** قال ابن الخطيب احتج كثير من العلماء في اثبات ان الاله واحد
بقوله هو الاول قالوا الاول هو الفرد السابق ولهذا قال اول مملوك اشتريه فهو حر ثم اشترى عبدين لم يعتقا لان شرط
كونه اولا حصول الفردية وهنا لم يحصل فلو اشترى بعد ذلك عبدا واحدا لا يعتق لان شرط الاولية كونه سابقا وههنا
لم يحصل فثبت ان الشرط في كونه اولا ان يكون فردا فكانت الاية دالة على صانع العالم فردا **قوله تعالى** هو الذي خلق
السموات والارض في ستة ايام ثم استوى على العرش تقدم في الاعراب والمقصود منه دلايل القدرة يعلم ما يلج في
الارض اي يدخل فيها من مطر وغيره ويخرج منها من نبات وغيره وما ينزل من السماء من رزق ومطر وملك وما يعرج
فيها يصعد فيها من الملايكة واعمال العباد وهو معكم يعني بقدرته وسلطانه وعلمه اينما كنتم والله بما تعملون بصير يبصر
اعمالكم ويراها ولا يخفى عليه شيء منها **فصل** قال القرطبي وقد جمع في هذه الاية بين استوى على العرش وبين
وهو معكم والاخذ بالظاهر تناقض فدل على انه لا بد من التاويل والاعراض عن التاويل اعتراف بالتناقض وقد قال
ابو المعالي ان محمدا صلى الله عليه وسلم ليلة الاسرا لم يكن باقرب الى الله عز وجل من يونس بن متى حين كان في بطن الحوت وقد تقدم
فصل ذكر ابن الخطيب عن المتكلمين انهم قالوا هذه المعية اما بالعلم واما بالحفظ والحراسة وعلى التقديرين فالاجماع
منعقد على انه سبحانه ليس معنا بالمكان والحيز والجهة فاذن قوله وهو معكم لا بد فيه من التاويل واذا جوزنا التاويل في موضع
وجب تجويزه في ساير المواضع **قوله تعالى** له ملك السموات والارض هذا التكرير للتاكيد اي هو المعبود على الحقيقة والى الله
ترجع الامور اي امور الخلايق في الاخرة وقد تقدم في البقرة ان الاخوين وابن عامر يقرءون ترجع بفتح التاء وكسر الجيم مبنيا
للفاعل والباقون مبنيا للمفعول في جميع القران وقال ابو حيان هنا وقرا الجمهور ترجع مبنيا للمفعول والحسن وابن ابي اسحق
والاعرج مبنيا للفاعل وهذا اعجب منه وقد وقع امثال ذلك فيما تقدم قوله يعلم ما يلج تقدم مثله في سبا **قوله تعالى**
يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل تقدم في ال عمران وهو عليم بذات الصدور اي لا يخفى عليه الضماير • كان بهذه الصفة
فلا يجوز ان يعبد سواه **قوله تعالى** امنوا بالله ورسوله اي صدقوا ان الله واحد وان محمدا رسوله وانفقوا تصدقوا وقيل انفقوا
في سبيل الله وقيل المراد الزكوة المفروضة وقيل غيرها للمن وجوه الطاعات وما يقرب منه وقوله مما جعلكم مستخلفين فيه دليل
على ان اصل الملك لله سبحانه وان العبد ليس له فيه الا التصرف الذي يرضي الله فيثيبه على ذلك با نى انفق منها في حقوق الله وان
عليه الانفاق منها كما يهون على الرجل النفقة من مال غيره اذا اذن له فيه كان له الثواب الجزيل وقال الحسن مستخلفين فيه بوراثتكم اياه
عمن كان قبلكم وهذا يدل على انها ليست باموالكم في الحقيقة وما انتم فيها الا بمنزلة النواب والوكلاء فاغتنموا الفرص فيها باقامة الحق
قبل ان تزال عنكم الى من بعدكم فالذين امنوا وعملوا الصالحات منكم وانفقوا في سبيل الله لهم اجر كبير وهو الجنة **فصل**
قال القاضي هذه الاية تدل على ان هذا الاجر لا يحصل وحده حتى يضاف اليه هذا الانفاق فمن اخل بالواجب من زكوة او غيرها فلا اجر له
قال ابن الخطيب وهذا الاستدلال ضعيف لانه لا يلزم من نفي الاجر الكبير نفي اصل الاجر فلم قلتم انها تدل على انه لا اجر لاصل الايمان قبل
قوله امنوا بالله خطاب مع من عرف الله او مع من لم يعرف الله فان كان الاول كان ذلك امرا بان يعرفه من عرفه وذلك امر بتحصيل
الحاصل وهو محال وان كان الثاني كان الخطاب متوجها على من لم يكن عارفا به ومن لم يكن عارفا به يستحيل ان يكون عارفا بامره
فيكون الامر متوجها على من يستحيل ان يعرف كونه مامورا بذلك الامر وهو تكليف ما لا يطاق قال ابن الخطيب والجواب من الناس من قال
معرفة وجود الصانع حاصلة للكل وانما المقصود من هذا الامر معرفة الصفات **قوله تعالى** وما لكم لا تؤمنون مبتدا وخبر
وحال اي اي شيء استقر لكم غير مؤمنين قال القرطبي هذا استفهام يراد به التوبيخ اي اي عذر لكم في ان لا تؤمنوا وقد ازيحت العلل
والرسول يدعوكم فقوله والرسول يدعوكم جملة حالية من يؤمنون قال الزمخشري فهما حالان متداخلان ولتؤمنوا متعلق بيدعوا
اي يدعوكم للايمان كقولك دعوته لكذا ويجوز ان يكون اللام للعلة اي يدعوكم الى الجنة وغفران الله لاجل الايمان وفيه بعد وهذه
الاية تدل على انه لا حكم قبل ورود الشرايع **قوله** وقد اخذ حال ايضا وقرا العامة اخذ مبنيا للفاعل وهو الله تعالى لتقدم ذكره
وقرا ابو عمرو اخذ مبنيا للمفعول حذف الفاعل للعلم به وميثاقكم منصوب في قراة العامة ومرفوع في قراة ابي عمرو وان كنتم جوابه
محذوف وتقديره فما يمنعكم من الايمان وقيل تقديره ان كنتم مؤمنين لموجب ما فهذا هو الموجب وقدره ابن عطية ان كنتم مؤمنين
فانتم في رتبة شريفة **فصل** قال مجاهد المراد بالميثاق هو الماخوذ عليهم حين اخرجهم من ظهر ادم وقال الست بربكم قالوا
بلى قال ابن الخطيب وهذا ضعيف لانه تعالى انما ذكر اخذ الميثاق ليكون ذلك سببا في انه لم يبق لهم عذر في ترك الايمان بعد ذلك
واخذ الميثاق وقت اخراجهم من ظهر ادم غير معلوم للقوم الا بقول الرسول فقبل معرفة صدق الرسول لا يكون ذلك سببا في وجوب

تصديق الرسول بل المراد باخذ الميثاق نصب الدلايل والبينات بان ركب فيهم العقول واقام عليهم الحجج والدلايل التي تدعو الى
متابعة الرسول وهذا معلوم لكل احد فيكون سببا لوجوب الايمان بالرسول **فصل** قال القاضي قوله وما لكم يدل على
قدرتهم على الايمان اذ لا يجوز ان يقال ذلك لمن لا يتمكن من الفعل كما لا يقال ما لك لا تطول ولا تبيض فيدل هذا على الاستطاعة
قبل الفعل وعلى ان القدرة صالحة للضدين وعلى ان الايمان حصل بالعبد لا بخلق الله **قوله تعالى** ان كنتم مؤمنين اي اذ كنتم
مؤمنين وقيل ان كنتم مؤمنين بالحجج والدليل وقيل ان كنتم مؤمنين بحق يوما من الايام فالان فقد صحت براهينه وقيل
ان كنتم مؤمنين بان الله خلقكم وكانوا يعترفون بهذا وقيل هذا خطاب لقوم امنوا واخذ النبي عليه السلام ميثاقهم فارتدوا
وقوله ان كنتم مؤمنين اي ان كنتم تقرون بشرايط الايمان **قوله تعالى** هو الذي ينزل على عبده تقدم من قراها ينزل تخفيفا
وتشديدا في البقرة وزيد بن علي انزل ماضيا وقوله ايات بينات يعني القران وقيل المعجزات اي لزمكم الايمان بمحمد لما معه من
المعجزات والقران اكبرها واعظمها ليخرجكم اي بالقران وقيل بالرسول وقيل بالدعوة من الظلمات وهو الشرك والكفر الى النور
وهو الايمان وان الله بكم لرءوف رحيم **فصل** قال القاضي هذه الاية تدل على ارادته للايمان واكد ذلك بقوله وان الله
بكم لرءوف رحيم فان قيل اليس يدل ظاهرها على انه يخرج من الظلمات الى النور فيجب ان يكون الايمان من فعله اذ كان
الايمان بخلقه لا يبقى لقوله انزل على عبده ليخرجكم معنى لان ما يخلقه لا يتغير بل المراد انه يلطف بهم قال ابن الخطيب وهذا
على حسنه معارض بالعلم لانه علم ان ايمانهم لا يوجد فقد كلفهم بما لا يوجد فكيف يعقل مع هذا انه اراد منهم الخير والاحسان
وحمل بعضهم قوله وان الله بكم لرءوف رحيم على بعثة محمد صلى الله عليه وسلم ولا وجه لهذا التخصيص **قوله تعالى** وما لكم الا
تنفقوا الكلام فيه كالكلام في قوله وما لنا ان لا نقاتل فالاصل في ان لا تنفقوا في ان فحذف والجر فيه الخلاف المشهور وابو الحسن
يرى زيادتها كما تقدم تقريره في البقرة **قوله تعالى** ولله ميراث جملة حالية من فاعل الاستقرار ومفعوله اي واي شيء يمنعكم
من الانفاق في سبيل الله والحال ان ميراث السموات والارض فهذه حالة منافية لبخلكم **فصل** لما امر اولا بالايمان
وبالانفاق ثم اكده في الاية المتقدمة بايجاب الايمان اتبعه في هذه الاية بتاكيد ايجاب الانفاق والمعنى انكم ستموتون
فتورثون فهلا قدمتموه في الانفاق في طاعة الله وتحقيقه ان المال لا بد وان يخرج من اليد اما بالموت واما بالانفاق في
سبيل الله فان خرج بالموت كان اثره اللعن والمقت والعقاب وان خرج بالانفاق في سبيل الله كان اثره المدح والثواب واذا
كان لا بد من خروجه من اليد فكل عاقل يعلم ان خروجه من اليد بما يستعقب المدح والثواب اولى منه بما يستعقب اللعن والعقاب
ثم لما بين تعالى ان الانفاق في سبيل الله فضيلة بين ان المسابقة في الانفاق تمام الفضيلة فقال لا يستوي منكم من انفق
من قبل الفتح وقاتل **قوله تعالى** لا يستوي منكم من انفق في فاعل يستوي وجهان اظهرهما انه من انفق وعلى هذا فلا بد من
حذف معطوف يتم به الكلام فقدره الزمخشري لا يستوي منكم من انفق قبل فتح مكة وقوة الاسلام ومن انفق من بعد الفتح
فحذف لوضوح الدلالة وقدره ابو البقا ومن لم ينفق قال ودل على المحذوف قوله من انفق من قبل الفتح والاول احسن لان السياق
انما جي بالاية ليفرق بين المنفقين في زمانين والثاني ان فاعله ضمير يعود على الانفاق اي لا يستوي جنس الانفاق اذ منه
ما وقع قبل الفتح ومنه ما وقع بعده فهذان النوعان متفاوتان وعلى هذا فيكون من مبتدا واولئك مبتدا ثان واعظم
خبره والجملة خبر من وهذا ينبغي ان لا يجوز البتة وكان هذا المعرب يغفل عن قوله منكم فلو اعرب هذا القايل منكم خبرا مقدما
ومن مبتدا موخرا والتقدير منكم من انفق من قبل الفتح ومنكم من لم ينفق قبله ولم يقاتل وحذف هذا لدلالة الكلام عليه لكان
سديدا ولكنه سها عن لفظة منكم **فصل** اكثر المفسرين على ان المراد بالفتح فتح مكة وقال الشعبي والزهري فتح
الحديبية قال قتادة كان قتالان احدهما افضل من الاخر ونفقتان احدهما افضل من الاخرى كان القتال والنفقة قبل
فتح مكة افضل من القتال والنفقة بعد ذلك وانما كانت النفقة قبل الفتح اعظم لان حاجة الناس كانت اكثر لضعف الاسلام
وفعل ذلك كان على المنفقين حينئذ اشق والاجر على قدر النصب قال مالك ينبغي ان يقدم اهل الفضل والعزم لقوله تعالى
لا يستوي منكم من انفق من قبل الفتح وقاتل قال الكلبي نزلت في ابي بكر وفيها دليل واضح على تفضيل ابي بكر وتقديمه لانه
اول من اسلم واول من انفق في سبيل الله وقال عبد الله بن مسعود اول من اظهر الاسلام بسيفه النبي صلى الله عليه وسلم
وابو بكر وعن ابن عمر قال كنت عند النبي صلى الله عليه وسلم وعنده ابو بكر وعليه عباءة قد خللها في صدره بخلال فنزل جبريل
فقال يا نبي الله ما لي ارى ابا بكر عليه عباءة قد خللها في صدره بخلال قال انفق ماله علي قبل الفتح قال فان الله تعالى
يقول لك اقرا على ابي بكر السلام ويقول انت راض في فقرك ام ساخط فقال ابو بكر اني عن ربي لراض اني عن ربي لراض قال فان
الله يقول لك قد رضيت عنك كما انت عني راض فبكى ابو بكر فقال جبريل والذي بعثك يا محمد بالحق نبيا لقد تخللت حملة العرش
بالعبي منذ تخلل صاحبك هذا بالعباءة ولهذا قدمته الصحابة على انفسهم واقروا له بالتقديم والسبق وقال علي بن ابي طالب
رضي الله عنه سبق النبي صلى الله عليه وسلم وصلى ابو بكر وثلث عمر فلا اوتى برجل فضلني على ابي بكر الا جلدته حد المفتري ثمانين

جلدة وطرح الشهادة **فصل** التقدم والتاخر قد يكون في احكام الدنيا فاما في احكام الدين فقال عايشة
رضي الله عنها امرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ننزل الناس منازلهم واعظم المنازل مرتبة الصلوة وقد قال صلى الله عليه
وسلم في مرضه مروا ابا بكر فليصل بالناس وقال يؤم القوم اقرؤهم لكتاب الله وقال وليؤمكما اكبركما وفهم منه العلماء انه اراد
كبر المنزلة كما قال عليه السلام ليلني منكم اولوا الاحلام والنهى ولم يعن كبر السن وقد قال مالك وغيره ان للسن حقا وراعاه الشافعي وابو حنيفة وهو
احق بالمراعاة واما احكام الدنيا فهي مرتبة على احكام الدين من قدم في الدين قدم في الدنيا وفي الحديث ليس منا من لم يوقر كبيرنا
ويرحم صغيرنا   عالملحقه وفي الحديث ايضا ما اكرم شاب شيخا لسنه الا قيض الله له عند سنه من يكرمه **قوله تعالى** وكلا
وعد الله الحسنى قراءة العامة بالنصب على انه مفعول مقدم وهي مرسومة في مصاحفهم وكلا بالف وابن عامر برفعه وفيه
وجهان اظهرهما انه ارتفع على الابتدا والجملة بعده خبره والعايد محذوف اي وعده الله ومثله • قد اصبحت ام الخيار تدعي •
على ذنبا كله لم اصنع • برفع كله اي لم اصنعه والبصريون لا يجيزون هذا الا في شعر كقوله • وخالد يحمد ساداتنا • بالحق لا يحمد بالباطل
ونقل ابن مالك الاجماع من البصريين والكوفيين على جواز ذلك ان كان المبتدا كلا او ما اشبهها في الافتقار والعموم قال
شهاب الدين وهذا لو اراده لعينه وقد تقدم نحو من ذلك في سورة المائدة عند قوله تعالى افحكم الجاهلية يبغون ولم ير في قوله كله
لم اصنع الا بالرفع مع امكان ان ينصبه فيقول كله لم اصنع مفعولا مقدما قال اهل البيان لانه قصد عموم السلب لا سلب العموم
فان الاول ابلغ وجعلوا من ذلك قوله عليه السلام كل ذلك لم يكن ولو قال لم يكن كل ذلك لكان سلبا للعموم والمقصود عموم
السلب قال الشيخ عبد القادر يتفاوت بالرفع والمبتدا يفيد انه لم   ومع النصب   يفعل الجموع ولا يدانه لم يفعل
البعض بل ان قلنا بدليل الخطاب دل على انه فعل البعض والثاني ان يكون كلا خبر مبتدا محذوف ووعده الله الحسنى صفة لما قبله
والعايد محذوف اي واوليك كل وعده الله الحسنى فان قيل الحذف موجود ايضا فقد علم لما فررتم منه فالجواب ان حذف
العايد من الصلة كثير بخلاف حذفه من الخبر ومن حذفه من الصفة قوله • وما ادري اغيرهم تناء • وطول العهد ام مال اصابوا •
اي اصابوه ومثله كثير وهي في مصاحف الشام مرسومة وكل دون الف فقد وافق كل مصحفه والحسنى مفعول ثان فالاول
محذوف على قراءة الرفع واما النصب فالاول مقدم على عامله ومعنى الاية ان المتقدمين السابقين والمتاخرين اللاحقين
وعدهم الله جميعا الجنة مع تفاوت الدرجات والله بما تعملون خبير اي انه لما وعد السابقين والمحسنين بالثواب فلا بد وان
يكون عالما بالخيرات وبجميع المعلومات حتى يمكنه ايصال الثواب الى المستحقين اذ لو لم يكن عالما بهم وبافعالهم على سبيل
التفصيل لما امكن الخروج من عهدة الوعد بالتمام والكمال فلهذا السبب اتبع هذا الوعد بقوله والله بما تعملون خبير **قوله تعالى**
من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا تقدم الكلام عليه في سورة البقرة وقال ابن عطية هنا الرفع على العطف او القطع والاستيناف
وقراءة عاصم فيضاعفه بالنصب بالفاء على جواب الاستفهام وفي ذلك قلق قال ابو علي لان السؤال لم يقع عن القرض وانما وقع عن فاعل
القرض وانما وقع عن فاعل القرض وانما تنصب الفاء فعلا مردودا على فعل مستفهم عنه لكن هذه الفرقة حملت ذلك على المعنى كان
قوله من ذا الذي يقرض بمنزلة قوله ايقرض الله احد انتهى وهذا الذي قال ابو علي ممنوع الا ترى انه ينصب بعد الفاء في جواب الاستفهام
بالاسماء وان لم يتقدم فعل نحو اين بيتك فازورك ومثل ذلك من يدعوني فاستجيب له ومتى مسيرك فارافقك وكيف تكون
فاصحبك فالاستفهام انما وقع عن ذات الداعي وعن ظرف الزمان وعن الحال لا عن الفعل وقد حكى ابن كيسان عن العرب اين ذهب
زيد فنتبعه ومن ابوك فنكرمه **فصل** ندب الله تعالى الى الانفاق في سبيل الله وقد مضى الكلام فيه في البقرة والعرب
تقول لكل من فعل فعلا حسنا قد اقرض كما قال • واذا جوزيت قرضا فاجزه • انما يجزي الفتى ليس الجمل • وسماه قرضا لان المقرض
احوج ما يكون الى البدل اي من ذا الذي ينفق في سبيل الله حتى يبدله الله بالاضعاف الكثيرة قال الكلبي قرضا اي صدقة حسنا
اي محتسبا من قلبه بلا من ولا اذى فيضاعفه له ما بين سبع الى سبع مائة الى ما شاء الله من الاضعاف وقيل القرض الحسن هو ان يقول
سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر وقال زيد بن اسلم هو النفقة على الاهل وقال الحسن التطوع بالعبادات وقيل
عمل الخير وقال القشيري لا يكون حسنا حتى يجمع اوصافا عشرة الاول ان يكون من الحلال لقوله عليه السلام لا يقبل الله صلوة
بغير طهور ولا صدقة من غلول الثاني ان يكون من اكرم ما يملكه ولا يخرج الردي لقوله تعالى ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون الثالث
ان يتصدق به وهو يحبه ويحتاج اليه لقوله تعالى لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون وقوله واتى المال على حبه وقال عليه السلام
افضل الصدقة ان تعطيه وانت صحيح شحيح تامل العيش ولا تمهل حتى اذا بلغت التراقي قلت لفلان كذا ولفلان كذا الرابع ان
تصرف صدقتك الى الاحوج فالاحوج ولذلك خص تعالى اقواما باخذها وهم اهل السهمان الخامس ان تخفي الصدقة لقوله
تعالى وان تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم السادس ان لا يتبعها منا ولا اذى لقوله تعالى لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى
السابع ان يقصد بها وجه الله تعالى ولا يرائي لقوله تعالى الا ابتغاء وجه ربه الاعلى الثامن ان يستحقر ما يعطي وان كثر لان الدنيا
كلها قليلة قال تعالى ولا تمنن تستكثر في احد التاويلات التاسع ان يكون من احب الاموال اليه وان يكون كثيرا لقوله عليه السلام

افضل الرقاب اغلاها ثمنا وانفسها عند اهلها العاشر ان لا يرى عز نفسه وذل الفقير بل يكون الامر بالعكس فيضاعفه
له تقدم في البقرة وله اجر كريم يعني الجنة **قوله تعالى** يوم ترى المؤمنين فيه اوجه احدها انه معمول للاستقرار العامل
في لهم اجر اي استقر لهم اجر في ذلك اليوم الثاني انه مضمر اي اذكر فيكون مفعولا به الثالث انهم يوجرون يوم ترى فهو
ظرف على اصله الخامس ان العامل فيه فيضاعفه قاله ابو البقا **قوله تعالى** يسعى حال لان الرؤية بصرية وهذا اذا لم نجعله
عاملا في يوم وبين ايديهم ظرف للسعي ويجوز ان يكون حالا من نورهم **قوله تعالى** وبايمانهم اي وفي وجهة ايمانهم وهذه
قراءة العامة اعني بفتح الهمزة جمع يمين وقيل الباء بمعنى عن اي عن جميع جهاتهم وانما خص الايمان لانها اشرف الجهات وقرا ابو حيوة
وسهل بن شعيب بكسرها وهذا المصدر معطوف على الظرف قبله والباء سببية اي يسعى كاينا وثابتا بسبب ايمانهم وقال ابو البقا
تقديره وبايمانهم استحقوه او وبايمانهم يقال لهم بشراكم **فصل** المراد من هذا اليوم يوم المحاسبة واختلفوا
في هذا النور فقال الحسن هو الضياء الذي يمرون فيه بين ايديهم الى اقدامهم وبايمانهم قال الفراء الباء بمعنى في اي في ايمانهم
او بمعنى عن ايمانهم وقال الضحاك النور هداهم وبايمانهم كتبهم واختاره الطبري اي يسعى ايمانهم وعملهم الصالح بين ايديهم
وفي ايمانهم كتب اعمالهم فالباء على هذا بمعنى في ويجوز على هذا ان تقف على بين ايديهم ولا يوقف اذا كانت بمعنى عن وعلى قراءة
سهل بن شعيب وابي حيوة وبايمانهم بكسر الالف اراد الايمان الذي هو ضد الكفر وعطف ما ليس بظرف على الظرف لان معنى
الظرف الحال وهو متعلق بمحذوف والمعنى يسعى كاينا بين ايديهم وكاينا بايمانهم وقيل اراد بالنور القران وعن ابن مسعود يؤتون
نورهم على قدر اعمالهم فمنهم من يؤتى نوره كالنخلة ومنهم من يؤتى نوره كالرجل القايم وادناهم نورا من نوره على ابهام رجله
فيطفى مرة ويوقد اخرى قال الحسن ليستضيئوا به على الصراط وقال مقاتل يكون لهم دليلا الى الجنة **قوله تعالى** بشراكم
اليوم جنات بشراكم مبتدا واليوم ظرف وجنات خبره على حذف مضاف اي دخول جنات وهذه الجملة في محل نصب بقول مقدر
وهو العامل في الظرف اي يقال لهم بشراكم اليوم دخول جنات قال القرطبي ولا بد من تقدير حذف المضاف لان البشرى حدث
والجنة عين فلا تكون هي هي وقال مكي واجاز الفراء نصب جنات على الحال ويكون اليوم خبر بشراكم قال وكون جنات حالا لا
معنى له اذ ليس فيها معنى فعل واجاز ان تكون بشراكم في موضع نصب على يبشرونهم بالبشرى وينصب جنات بالبشرى وكله
بعيد لانه يفصل بين الصلة والموصول باليوم انتهى وعجيب من الفراء كيف يصدر عنه ما لا يعقل ولا يجوز صناعة كيف يكون
جنات حالا وما ذا صاحب الحال وقوله خالدين فيها حال من الدخول المحذوف التقدير بشراكم اليوم دخول الجنة جنات تجري
من تحتها الانهار مقدرين الخلود فيها قال القرطبي ولا يكون الحال من بشراكم لان فيه فصلا بين الصلة والموصول ويجوز
ان يكون مما دل عليه البشرى كانه قال يبشرون خالدين فيها ويجوز ان يكون الظرف الذي هو اليوم خبرا عن بشراكم
وجنات بدلا من البشرى على تقدير حذف المضاف كما تقدم وخالدين حالا حسب ما تقدم **فصل** قال شهاب الدين
خالدين نصب على الحال والعامل فيها المضاف المحذوف اذ التقدير بشراكم دخولكم جنات خالدين فيها فحذف الفاعل وهو ضمير
المخاطب واضيف المصدر لمفعوله فصار دخول جنات ثم حذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه في الاعراب ولا يجوز ان يكون
بشراكم هو العامل فيها لانه مصدر قد اخبر عنه قبل ذكر متعلقاته فيلزم الفصل باجنبي وظاهر كلام مكي انه عامل في الحال
فانه قال خالدين نصب على الحال من الكاف والميم والعامل في الحال هو العامل في صاحبها فلزم ان يكون بشراكم هو العامل وفيه
ما تقدم من الفصل بين المصدر ومعموله **فصل** تقدم الكلام في البشارة عند قوله وبشر الذين امنوا قال ابن الخطيب
وهذه الاية تدل على ان المؤمنين لا ينالهم اهوال يوم القيمة لانه تعالى بين ان هذه صفتهم يوم القيمة من غير تخصيص قال الكعبي
هذه الاية تدل على ان الفاسق ليس بمؤمن لانه لو كان مؤمنا لدخل تحت هذه البشارة ولو كان كذلك لقطع بانه من اهل الجنة
فلما لم يكن كذلك ثبت انه ليس بمؤمن واجاب ابن الخطيب بانا نقطع بان الفاسق من اهل الجنة لانه اما ان لا يدخل النار او انه
ان دخلها لكنه سيخرج منها وسيدخل الجنة ويبقى فيها ابد الاباد فاذن نقطع بانه من اهل الجنة فسقط الاستدلال **قوله
تعالى** ذلك الفوز هذه الاشارة عايدة الى جميع ما تقدم من النور والبشرى بالجنان المخلدة **قوله تعالى** يوم يقول المنا
فقون والمنافقات العامل في يوم ذلك الفوز العظيم وقيل هو بدل من اليوم الاول وقال ابن الخطيب منصوب باذكر
مقدرا واعلم انه لما شرح حال المؤمنين في موقف القيمة اتبع ذلك بشرح حال المنافقين فقال يوم يقول **قوله تعالى** الذين
امنوا اللام للتبليغ وانظرونا قراءة العامة انظرونا امر من النظر وحمزة انظرونا بقطع الهمزة وكسر الظاء من الانظار
بمعنى الانتظار وبها قرا الاعمش ويحيى بن وثاب اي انتظرونا لنلحق بكم فنستضيء بنوركم والقراءة الاولى يجوز ان تكون بمعنى
هذه اذ يقال نظره بمعنى انتظره وذلك انه يسرع بالخاص الى الجنة على نجب فيقول المنافقون انتظرونا لانا مشاة لا نستطيع
لحوقكم ويجوز ان يكون من النظر وهو الابصار لانهم اذا نظروا اليهم استقبلوهم بوجوههم فيضيء لهم المكان وهذا
اليق بقوله نقتبس من نوركم قال معناه الزمخشري الا ان ابا حيان قال لان النظر بمعنى الابصار لا يتعدى بنفسه الا في الشعر

انما يتعدى بالى قوله تعالى نقتبس من نوركم اي نستضيء من نوركم والقبس الشعلة من النار والسراج قال ابن
عباس وابو امامة يغشى الناس يوم القيمة ظلمة قال الماوردي اظنها بعد فصل القضا ثم يعطون نورا يمشون فيه قال المفسرون
يعطي الله كل احد يوم القيمة نورا على قدر اعمالهم يمشون به على الصراط ويعطي المنافقين ايضا نورا خديعة بدليل قوله تعالى
وهو خادعهم وقيل انما يعطون النور لان جميعهم اهل دعوة دون الكافر ثم يسلب المنافق نوره لنفاقه قاله ابن عباس وقال ابو امامة
يعطي المومن النور ويترك الكافر والمنافق بلا نور وقال الكلبي بل يستضيء المنافق بنور المومنين ولا يعطون النور فبينما هم يمشون
اذ بعث الله ريحا وظلمة فاطفاء بذلك نور المنافقين فذلك قول المومنين ربنا اتمم لنا نورنا خشية ان لا يسلبوه كما سلبه
المنافقون فاذا بقي المنافقون في الظلمة لا يبصرون مواضع اقدامهم قالوا للمومنين انظرونا نقتبس من نوركم قيل ارجعوا
وراءكم اي الموضع الذي اخذنا منه النور فاطلبوا هنالك نورا لانفسكم فانكم لا تقتبسون من نورنا فلما رجعوا وانعزلوا
في طلب النور ضرب بينهم بسور وقيل معناه هلا طلبتم النور من الدنيا بان تومنوا قوله تعالى وراءكم فيه وجهان اظهرهما
انه منصوب بارجعوا على معنى ارجعوا الى الموقف الى حيث اعطينا هذا النور فالتمسوا هناك ممن يقتبس او ارجعوا الى الدنيا
فالتمسوا نورا بتحصيل سببه وهو الايمان ويكون معناه فارجعوا خايبين او تنحوا عنا فالتمسوا نورا اخر فلا سبيل لكم
الى هذا النور والثاني ان وراءكم اسم للفعل فيه ضمير فاعل اي ارجعوا ارجعوا قال ابو البقا ومنع ان يكون ظرفا لارجعوا قال
لقلة فايدته لان الرجوع لا يكون الا الى وراء قال الشهاب الدين وهذا فاسد لان الفايدة جليلة كما تقدم شرحها قوله تعالى
فضرب بينهم بسور العامة على بنايه للمفعول والقايم مقام الفاعل يجوز ان يكون بسور وهو الظاهر وان يكون الظرف وقال
مكي البا زايدة اي ضرب سور بينهم قال والبا متعلقة بالمصدر اي ضربا بسور وهذا متناقض الا ان يكون قد غلط عليه من
النساخ والاصل او البا متعلقة بالمصدر والقايم مقام الفاعل الظرف وعلى الجملة هو ضعيف والسور البنا المحيط وتقدم
اشتقاقه اول البقرة قوله تعالى له باب مبتدا وخبر في موضع جر صفة لباب وهو اولى لقربه والضمير انما يعود الى الاقرب
لا بغيره وقرا زيد بن علي وعمرو بن عبيد فضرب مبنيا للفاعل وهو الله او الملك فصل السور حاجز بين الجنة
والنار قال القرطبي وروي ان ذلك السور ببيت المقدس عند موضع يعرف بوادي جهنم فيه الرحمة يعني ما يلي منه المومنين وظاهره
من قبله العذاب يعني ما يلي المنافقين قال كعب الاحبار هو الباب الذي ببيت المقدس المعروف بباب الرحمة وقال عبد الله بن عمرو
انه سور بيت المقدس الشرقي باطنه فيه المسجد وظاهره من قبله العذاب يعني ما يلي المنافقين جهنم ونحوه عن ابن عباس وقال زياد
ابن ابي سوادة قام عبادة بن الصامت على سور بيت المقدس الشرقي باطنه فيه المسجد فبكا وقال من ههنا اخبرنا رسول الله
صلى الله عليه وسلم انه راى جهنم وقال قتادة هو حايط بين الجنة والنار باطنه فيه الرحمة يعني الجنة وظاهره من قبله العذاب
يعني جهنم وقال مجاهد انه حجاب كما في الاعراف وقد مضى القول فيه وقيل ان الرحمة التي في باطنه نور المومنين والظاهر الذي في ظاهره
ظلمة المنافقين وقيل السور عبارة عن منع المنافقين عن طلب المومنين قوله تعالى ينادونهم يجوز ان يكون حالا من الضمير في بينهم
قال ابو البقا وهو ضعيف لمجيء الحال من المضاف اليه في غير المواضع المستثناة وان تكون مستانفة وهو الظاهر وقوله الم نكن معكم
يجوز ان يكون تفسيرا للندا وان يكون منصوبا بقول مقدر فصل والمعنى ينادي المنافقون المومنين الم نكن
معكم في الدنيا يعني نصلي مثل ما تصلون في الدنيا ونغزوا مثل ما تغزون ونفعل مثل ما تفعلون قالوا بلى اي يقول المومنون
بلى قد كنتم معنا في الظاهر ولكنكم فتنتم انفسكم اي استعملتموها في الفتنة وقال مجاهد اهلكتموها بالنفاق وقيل بالمعاصي
قاله ابو سنان وقال ابو نمير الهمداني بالشهوات واللذات وقوله وتربصتم اي بالنبي صلى الله عليه وسلم الموت وبالمومنين الدوائر
وقيل وتربصتم بالتوبة وارتبتم اي شككتم في التوحيد والنبوة او البعث وغرتكم الاماني اي الاباطيل وقيل طول الامل وقيل ما
كانوا يتمنونه من ضعف المومنين ونزول الدوائر بهم وقال قتادة الاماني هنا خدع الشيطان وقيل الدنيا قاله عبد الله بن
عباس وقال ابو سنان هو قولهم سيغفر لنا وقال بلال بن سعد ذكرك حسناتك ونسيانك سيئاتك غرة حتى جاء امر الله
يعني الموت وقيل نصرة نبيه صلى الله عليه وسلم وقال قتادة القاوه في النار قوله تعالى وغركم بالله الغرور قرا العامة
الغرور بفتح الغين وهو صفة على فعول والمراد به الشيطان اي خدعكم بالله الشيطان وقرا ابو حيوة ومحمد بن السميقع وسماك بن حرب
الغرور بالضم وهو مصدر تقدم نظيره والمراد به الاباطيل عن ابن عباس ان نبي الله صلى الله عليه وسلم خط لنا خطوطا وخط
منها خطا ناحية فقال اتدرون ما هذا هذا مثل ابن ادم ومثل التمني وتلك الخطوط الامال بينما يتمنى اذ جاءه الموت وعن ابن مسعود
قال خط لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطا مربعا وخط في وسطه خطا وجعله خارجا منه وخط عن يمينه ويساره خطوطا
صغارا فقال هذا ابن ادم وهذا اجله محيط به وهذا امله قد جاوز اجله وهذه الخطوط الصغار الاعراض فان اخطاه هذا
نهشه هذا قوله تعالى فاليوم منصوب بيوخذ ولا يبالي بلا النافية وهو قول الجمهور وقد تقدم اخر الفاتحة ان فيها ثلاثة
اقوال وقرا ابن عامر يوخذ بالتاء من فوق لتانيث لفظ الفدية والباقون بالياء من تحت لان التانيث مجازي وللفصل فصل

فاليوم لا يوخذ منكم فدية ايها المنافقون ولا من الذين كفروا اياسهم من النجاة والمراد بالفدية قيل لا يقبل منكم ايمان ولا
توبة لان التكليف قد زال وحصل الالجاء وقيل لا يقبل منكم فدية تدفعون بها العذاب عن انفسكم كقوله تعالى لا يقبل منها
عدل ولا تنفعها شفاعة والفدية ما يفتدى به فهو يتناول الايمان والتوبة والمال قال ابن الخطيب وهذا يدل على ان قبول
التوبة غير واجب عقلا على ما يقوله المعتزلة لانه تعالى بين انه لا تقبل الفدية اصلا والتوبة فدية فتكون الاية دالة على ان التوبة
غير مقبولة اصلا واذا كان كذلك لم تكن التوبة واجبة القبول عقلا قوله تعالى ولا من الذين كفروا عطف الكافر على المنافق
والعطف يقتضي المغايرة بين المعطوف والمعطوف عليه فيقتضي ان لا يكون المنافق كافرا واجيب بان المراد منه الذين اظهروا الكفر
والا فالمنافق كافر قوله تعالى ماواكم النار اي مصيركم وقوله هي مولاكم يجوز ان تكون مصدرا اي ولايتكم اي ذات ولايتكم
قال القرطبي تملك امرهم بمعنى ان الله تعالى يركب فيها الحياة والعقل فهي تتميز غيظا على الكفار ولهذا خوطب في قوله تعالى
يوم نقول لجهنم ويجوز ان يكون مكانا اي مكان ولايتكم وان يكون بمعنى اولى بكم كقولك هو مولاه قال الكلبي وهو قول
الزجاج والفراء وابي عبيدة قال ابن الخطيب وهذا الذي قالوه معنى وليس بتفسير للفظ لانه لو كان مولى واولى بمعنى
واحد في اللغة لصح استعمال كل واحد منهما مكان الاخر وكان يجب ان يصح ان يقال هذا اولى فلان كما يقال مولى فلان
بطل ذلك علمنا ان الذي قالوه معنى وليس بتفسير وانما نبهنا على هذه الدقيقة لان الشريف المرتضى لما تمسك في امامة علي
رضي الله عنه بقوله صلى الله عليه وسلم من كنت مولاه فعلي مولاه قال احد معاني مولى انه اولى واحتج في ذلك باقوال الايمة
اللغة في تفسير هذه الاية بان مولى معناه اولى واذا ثبت ان اللفظ محتمل له وجب حمله عليه لان ما عداه اما بين الثبوت
ككونه ابن العم والناصر او بين الانتفا كالمعتق والمعتق فيكون على التقدير الاول عبثا وعلى الثاني كذبا قال ابن الخطيب واما
نحن فقد بينا بالدليل ان قول هولاء في هذا الموضع معنى لا تفسير وحينيذ يسقط الاستدلال به وفي الاية وجه اخر
وهو ان معنى قوله هي مولاكم اي لا مولى لكم لان من كانت النار مولاه فلا مولى له كما يقال ناصره الخذلان ومعينه البكا
اي لا ناصر له ولا معين وهذا متاكد بقوله تعالى وان الكافرين لا مولى لهم ومنه قوله تعالى يغاثوا بماء كالمهل وقوله
وبيس المصير اي هي ومعناه ساءت مرجعا ومصيرا قوله تعالى الم يان قرا العامة الم وقرا الحسن وابو السمال الما
وقد تقدم الفرق بين الحرفين واصلها لم زيدت عليها ما فهي نفي كقول القايل قد كان كذا وقوله ان تخشع فاعل يان اي الم
يقرب خشوع قلوبهم ويحان قال الشاعر • الم يان لي يا قلب ان اترك الجهلا • وان يحدث الشيب المنير لنا عقلا •
وماضيه اني بالقصر يانى ويقال الان لك بالمد ان تفعل كذا ايني اينا اي حان مثل انى لك وهو مقلوب منه وانشد
ابن السكيت الما يان لي ان تجلي عمايتي واقصر عن ليلى بلى قد انا ليا فجمع بين اللغتين وقرا العامة يان مضارع انى اي حان
وقرب مثل رمى يرمي والحسن يئن مضارع ان بمعنى حان ايضا مثل باع يبيع واللام للتبيين قاله ابو البقا وعلى هذا
يتعلق بمحذوف اي اعني للذين فصل في صحيح مسلم عن ابن مسعود قال ما كان بين اسلامنا وبين ان عاتبنا
الله بهذه الاية الم يان للذين امنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق وروي ان المزاح والضحك كثر في اصحاب النبي
صلى الله عليه وسلم لما ترفهوا بالمدينة فنزلت الاية ولما نزلت هذه الاية قال عليه السلام ان الله يستبطيكم بالخشوع فقالوا عند
ذلك تخشعنا وقال ابن عباس ان الله استبطا قلوب المومنين فعاتبهم على راس ثلاث عشرة سنة من نزول القران وقيل نزلت في المنافقين
بعد الهجرة وذلك لما سالوا سلمان ان يحدثهم بعجايب التورية فنزلت الر تلك ايات الكتاب المبين الى قوله نحن نقص عليك احسن القصص
فاخبرهم ان هذا القصص احسن من غيره وانفع لهم فكفوا عن سلمان ثم سالوه مثل الاول فنزلت الم يان للذين امنوا الاية فعلى
هذا التاويل يكون الذين امنوا في العلانية باللسان قال السدي وغيره الم يان للذين امنوا بالظاهر واسروا الكفر ان تخشع قلوبهم
لذكر الله وقيل نزلت في المومنين قال سعد قيل يا رسول الله لو قصصت علينا فنزل نحن نقص عليك فقالوا بعد زمان لو حدثتنا فنزل
قوله الله نزل احسن الحديث فقالوا بعد مدة لو ذكرتنا فانزل الله تعالى الم يان للذين امنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله الاية وقيل هذا خطاب
لمن امن بموسى وعيسى دون محمد عليه السلام لانه قال عقيبه والذين امنوا بالله ورسله اي الم يان للذين امنوا بالتوراة والانجيل ان
تلين قلوبهم للقران وان لا يكونوا كقوم موسى وقوم عيسى فطال عليهم الامد بينهم وبين نبيهم فقست قلوبهم قوله تعالى
وما نزل قرا نافع وحفص نزل مخففا مبنيا للفاعل وباقي السبعة كذلك الا انه مشدد والجحدري وابو جعفر والاعمش وابو عمرو في
رواية نزل مشددا مبنيا للمفعول وعبد الله انزل مبنيا للفاعل وهو الله تعالى وما في ما نزل على قراءة نزل مخففا يتعين ان تكون
اسمية ولا يجوز ان تكون مصدرية وان يكون بمعنى الذي فان قلت فقراءة الجحدري ومن معه ينبغي ان تكون فيها اسمية لئلا
يخلو الفعل من مرفوع فالجواب ان الجار وهو قوله من الحق يقوم مقام الفاعل فصل قال ابن الخطيب يحتمل ان يكون
المراد بذكر الله وبما نزل من الحق هو القران لانه جامع للوصفين الذكر والموعظة وانه حق نازل من السماء ويحتمل ان يكون المراد
هو ذكر الله مطلقا وما نزل من الحق هو القران وانما قدم الخشوع بالذكر على الخشوع بما نزل من القران لان الخشوع والخوف والخشية

لا تحصل الا عند ذكر الله فاذا حصول لها عند سماع القران فذلك لاجل اشتمال القران على ذكر الله قوله تعالى ولا تكونوا
قرا العامة بالغيبة جريا على ما تقدم وابو حيوة وابن ابي عبلة بالتاء من فوق على سبيل الالتفات قال القرطبي وهي رواية رويس
عن يعقوب وهي قراءة عيسى وابن اسحق ثم هذا يحتمل ان يكون منصوبا عطفا على تخشع كما في قراءة الغيبة وان يكون نهيا فتكون
لا ناهية والفعل مجزوم بها ويجوز ان يكون نهيا في قراءة الغيبة ايضا ويكون ذلك انتقالا الى نهي اولئك المؤمنين عن كونهم
مشبهين لمن تقدمهم نحو لا يقم زيد قوله تعالى فطال عليهم الامد قرا العامة بتخفيف الدال بمعنى الغاية كقولك امد فلان
اي غايته وقرا ابن كثير في رواية بتشديدها وهو الزمن الطويل فصل ومعنى الاية لا تسلكوا سبيل النصارى واليهود
اعطوا التوراة والانجيل فطالت الازمان لهم قال ابن مسعود ان بني اسرائيل لما طال عليهم الامد قست قلوبهم فاخترعوا كتابا من
عند انفسهم استحلته انفسهم وكان الحق يحول بينهم وبين كثير من شهواتهم حتى نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم كانهم لا يعلمون
ثم قالوا اعرضوا هذا الكتاب على بني اسرائيل فان تابعوكم فاتركوهم والا فاقتلوهم ثم اصطلحوا على ان يرسلوه الى عالم من علمائهم
وقالوا ان هو تابعنا لم يخالفنا احد وان ابى قتلناه ولا يختلف علينا بعده احد فارسلوا اليه فكتب كتاب الله في ورقة وجعلها
في عنقه ثم لبس عليه ثيابه واتاهم فعرضوا عليه كتابهم وقالوا اتؤمن بهذا فضرب بيده على صدره وقال آمنت بهذا يعني المعلق
على صدره فافترقت بنو اسرائيل على بضع وسبعين ملة وخير مللهم اصحاب ذي القرن قال عبد الله ومن يعش منكم فسيرى منكرا بحسب
على احدكم اذا راى المنكر لا يستطيع ان يغيره ان يعلم الله من قلبه انه له كاره وقال مقاتل يعني مؤمني اهل الكتاب طال عليهم الامد
واستبطؤا بعث النبي صلى الله عليه وسلم فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون يعني الذين ابتدعوا الرهبانية اصحاب الصوامع
وقيل من لا يعلم ما يدين به من الفقه ويخالف من يعلم وقيل هم من لا يؤمن في علم الله تعالى وقال ابن عباس مالوا الى الدنيا
واعرضوا عن مواعظ الله وقيل طالت اعمارهم في الغفلة فحصلت القسوة في قلوبهم بذلك السبب وقيل غير ذلك وقوله وكثير
منهم فاسقون اي خارجون عن دينهم رافضون لما في الكتابين وكانه اشار الى ان عدم الخشوع في اول الامر يفضي الى الفسوق في
اخر الامر قوله تعالى اعلموا ان الله يحيي الارض بعد موتها اي يحييها بالمطر وقال صالح المري يلين القلوب بعد قساوتها
وقال جعفر بن محمد يحييها بالعدل بعد الجور وقيل المعنى فكذلك يحيي الكافر بالهدى الى الايمان بعد الكفر والضلالة وقيل
كذلك يحيي الموتى من الامم ويميز بين الخاشع قلبه وبين القاسي قلبه قد بينا لكم الايات لعلكم تعقلون اي احياء الله الارض بعد
موتها دليل على قدرة الله وانه يحيي الموتى قوله تعالى ان المصدقين والمصدقات خفف الصاد منهما ابن كثير وثقلها باقي
السبعة فقراءة ابن كثير من التصديق اي صدقوا رسول الله فيما جاء به كقوله والذي جاء بالصدق وصدق به وقراءة الباقين
من الصدقة وهو مناسب لقوله واقرضوا والاصل المتصدقين والمتصدقات فادغم وبها قرا ابي وقد ترجح الاول بان الاقراض
مغن عن ذكر الصدقة قوله تعالى واقرضوا فيه ثلاثة اوجه احدها انه معطوف على اسم الفاعل في المصدقين لانه لما وقع صلة لال
حل محل الفعل فكانه قيل ان الذين صدقوا واقرضوا وعليه جمهور المعربين واليه ذهب الفارسي والزمخشري وابو البقا وهو فاسد
لانه يلزم الفصل بين ابعاض الصلة باجنبي الا ترى ان المصدقات عطف على المصدقين قبل تمام الصلة ولا يجوز ان يكون عطفا
على المصدقات لتغاير الضمائر تذكيرا وتانيثا الثاني انه معترض بين اسم ان وخبرها وهو يضاعف قال ابو البقا وانما قيل ذلك
لئلا يعطف الماضي على اسم الفاعل قال شهاب الدين ولا ادري ما هذا المانع لان اسم الفاعل متى وقع صلة لال صلح للازمنة الثلاثة
ولو منع بما ذكرته من الفصل بالاجنبي لاصاب ولكن خفي عليه كما خفي على الفارسي والزمخشري الثالث انه صلة لموصول محذوف
لدلالة الاول عليه كانه قيل والذين اقرضوا كقوله • امن يهجو رسول الله منكم ويمدحه وينصره سواء • اي ومن ينصره
واختاره ابو حيان وفيه ما تقدم اول الكتاب قال ابن الخطيب وفي الاية اشكال وهو ان عطف الفعل على الاسم قبيح فما
فائدة التزامه هنا واجاب بان الزمخشري قال واقرضوا معطوف على معنى الفعل في المصدقين لان اللام بمعنى الذين
واسم الفاعل بمعنى صدقوا واقرضوا قال وهذا لا يزيل الاشكال فانه ليس فيه بيان انه لم عدل عن ذلك اللفظ الى هذا اللفظ والذي
عندي فيه ان الالف واللام في المصدقين والمصدقات للعهد فكانه ذكر جماعة معينين بهذا الوصف ثم قبل ذكر الخبر اخبر عنهم
بانهم اتوا باحسن انواع الصدقة وهو القرض ثم ذكر الخبر بعد ذلك فقال يضاعف لهم فقوله واقرضوا كقوله ان الثمانين وبلغتها
قوله تعالى يضاعف لهم في القائم مقام الفاعل وجهان اظهرهما انه الجار بعده والثاني انه ضمير التصدق ولا بد من حذف
مضاف اي ثواب التصدق وقرا الاعمش يضاعفه بكسر العين وزيادة هاء وقرا ابن كثير وابن عامر ويعقوب يضعف
بتشديد العين وفتحها ولهم اجر كريم يعني الجنة قوله تعالى والذين امنوا مبتدا واولئك مبتدا ثان وهم يجوز ان يكون
مبتدا ثالثا والصديقون خبره وهو مع خبره خبر الاول والصديق هو الكثير الصدق وقال مجاهد كل من امن
بالله ورسله فهو صديق وتلا هذه الاية وقال الضحاك هم ثمانية نفر من هذه الامة سبقوا اهل الارض في زمانهم
الى الاسلام ابو بكر • وعلي • وزيد • وعثمان • وطلحة • والزبير • وسعد • وحمزة • وتاسعهم عمر بن الخطاب الحقه الله بهم

لما عرف

لما عرف من صدق نيته قوله تعالى والشهداء يجوز فيه وجهان احدهما انه معطوف على ما قبله ويكون الوقف على الشهداء
تاما اخبر عن الذين امنوا انهم صديقون شهداء فان قيل الشهداء مخصوصون باوصاف اخر زائدة على ذلك كالسبعة
المذكورين اجيب بان تخصيصهم بالذكر لشرفهم على غيرهم لا للحصر والثاني انه مبتدا وفي خبره وجهان احدهما انه الظرف
بعده والثاني انه قوله لهم اجرهم اما الجملة واما الجار وحده والمرفوع فاعل به والوقف لا يخفى على ما ذكرنا من الاعراب والصديق
مثال مبالغة ولا يجيء الا من ثلاثي غالبا قال بعضهم وقد جا مسيك من امسك وهو غلط لانه يقال مسك ثلاثيا فمسيك منه
فصل قال مجاهد وزيد بن اسلم ان الشهداء والصديقين هم المؤمنون وانه متصل وروي معناه عن النبي صلى
الله عليه وسلم وهذا قول ابن مسعود في تاويل الاية قال القشيري اولئك الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين
والشهداء والصالحين فالصديقون هم الذين يلون الانبياء والشهداء هم الذين يلون الصديقين والصالحون
يلون الشهداء فيجوز ان تكون هذه الاية في جملة من صدق الرسل والمعنى ان الذين امنوا بالله ورسله اولئك هم الصديقون
والشهداء ويكون المعنى بالشهداء من شهد لله بالوحدانية او انهم شهداء عند ربهم على العباد في اعمالهم والمراد انهم عدول الاخرة
الذين تقبل شهادتهم وقال الحسن كل مؤمن فانه شهيد كرامة وقال الفراء والزجاج هم الانبياء لقوله تعالى فكيف اذا جئنا من
كل امة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا وقال ابن جرير الشهداء هم الذين استشهدوا في سبيل الله وروي عن النبي صلى الله
عليه وسلم قال ما تعدون الشهداء فيكم قالوا المقتول فقال ان شهداء امتي اذن لقليل وعلى هذا يكون منقطعا عما قبله
ويكون الواو في والشهداء واو الاستيناف وهذا مروي عن ابن عباس ومسروق وقوله لهم اجرهم بما عملوا من العمل الصالح ونورهم
على الصراط ثم لما ذكر حال المؤمنين اتبعه بذكر حال الكافرين فقال والذين كفروا وكذبوا باياتنا اولئك اصحاب الجحيم ولما ذكر
احوال المؤمنين والكافرين ذكر بعده ما يدل على حقارة الدنيا وكمال حال الاخرة فقال اعلموا انما الحيوة الدنيا لعب ولهو ماصله
ان حياة هذه الدار لعب باطل لا حاصل له ولهو فرح ثم ينقضي وزينة منظر يتزينون به قوله تعالى وتفاخر بينكم العامة
على تنوين تفاخر موصوف بالظرف او عامل فيه والسلمي اضافه الى بينكم اي يفخر به بعضكم على بعض قال المفسرون اللعب الباطل
واللهو الفرح وقال قتادة لعب ولهو اكل وشرب وقال مجاهد كل لعب لهو وقيل اللعب ما رغب في الدنيا واللهو ما الهى عن الاخرة
قوله تعالى وتكاثر في الاموال والاولاد قال ابن عباس يجمع المال في سخط الله ويباهي به على اولياء الله ويصرفه في مساخط الله
فهو ظلمات بعضها فوق بعض وكان من عادة الجاهلية ان يتكاثروا بالاموال والاولاد قال بعض المتاخرين لعب كلعب الصبيان
ولهو كلهو الفتيان وزينة كزينة النسوان وتفاخر كتفاخر الاقران وتكاثر كتكاثر الدهقان وقال علي رضي الله عنه لعمار لا تحزن
على الدنيا فان الدنيا ستة اشيا ماكول ومشروب وملبوس ومشموم ومركوب ومنكوح فاحسن طعامها العسل وهو بزقة
ذبابة واكثر شرابها الماء ويستوي فيه جميع الحيوان وافضل ملبوسها الديباج وهو نسج دودة وافضل المشموم المسك وهو دم فارة
وافضل المركوب الفرس وعليها تقتل الرجال واما المنكوح فهو النساء وهو مبال في مبال والله ان المراة لتزين احسنها يراد به اقبحها
ثم ذكر تعالى لهذه الحيوة مثلا فقال كمثل غيث اي مطر اعجب الكفار نباته قال ابن مسعود المراد بالكفار هنا الزراع قال الازهري
والعرب تقول للزارع كافر لانه يكفر البذر بتراب الارض اي يغطيه والمعنى ان الحياة الدنيا كالزرع يعجب الناظرين اليه لخضرته بكثرة
الامطار ثم لا يلبث ان يصير هشيما كان لم يكن وقيل المراد بالكفار هنا هم الكفار بالله وهم اشد اعجابا بزينة الدنيا من المؤمنين
وقوله نباته اي ما نبت من ذلك الغيث قوله تعالى كمثل غيث يجوز ان يكون في موضع نصب حالا من الضمير في لعب لانه بمعنى الصفة
وان يكون خبر المبتدا المحذوف اي ذلك كمثل وجوز ابن عطية ان يكون في موضع رفع صفة لما تقدم ولم يبينه وقد بينه مكي
فقال نعت لتفاخر وفيه نظر لتخصيصه له من بين ما تقدم وجوز ان يكون خبرا بعد خبر للحيوة الدنيا وقوله ثم يهيج اي يجف
بعد خضرته فتراه مصفرا اي متغيرا عما كان عليه من النضارة وقرئ مصفارا من اصفار وهو ابلغ من اصفر قوله تعالى
وفي الاخرة خبر مقدم وما بعده مبتدا لغيران في الاخرة عذابا شديدا ومغفرة منه ورضوانا وهذا معنى حسن وهو انه قابل
العذاب بشيئين بالمغفرة والرضوان فهو من باب لن يغلب عسر يسرين قال القرطبي وفي الاخرة عذاب شديد اي للكافر والوقف
عليه حسن ويبتدا ومغفرة من الله ورضوان اي للمؤمنين وقال الفراء في الاخرة عذاب شديد ومغفرة تقديره اما عذاب
شديد واما مغفرة فلا يوقف على شديد قوله تعالى وما الحيوة الدنيا الا متاع الغرور وهذا تاكيد لما سبق اي تغر الكفار
فاما المؤمن فان الدنيا له متاع بلاغ الى الجنة وقيل العمل للحياة الدنيا متاع الغرور وتزهيدا في العمل للدنيا وترغيبا في العمل
للاخرة قال سعيد بن جبير الدنيا متاع الغرور اذا الهتك عن طلب الاخرة فاما اذا دعتك الى طلب رضوان الله وطلب الاخرة فنعم
المتاع ونعم الوسيلة قوله تعالى سابقوا الى مغفرة من ربكم اي سارعوا بالاعمال الصالحة التي توجب المغفرة لكم من ربكم
وقيل سارعوا بالتوبة لانها تودي الى المغفرة قاله الكلبي وقال مكحول هي التكبيرة الاولى مع الامام وقيل الصف الاول
فصل احتج القائلون بان الامر على الفور بهذه الاية لانها دلت على وجوب المسارعة فوجب ان يكون التراخي محظورا

قوله تعالى وجنة عرضها كعرض السماء والارض عرضها كعرض مبتدا وخبر والجملة صفة لجنة وكذلك اعدت ويجوز ان يكون
اعدت مستانفة فصل قال مقاتل ان السموات السبع والارضين السبع لو جعلت صفائح والزق بعضها الى بعض لكان
عرض جنة واحدة من الجنان والعرض اقل من الطول ومن عادة العرب انها تعبر عن الشيء بعرضه دون طوله قال الشاعر
كان بلاد الله وهي عريضة * على الخائف المطلوب كفة حابل * وقال عطاء عن ابن عباس يريد ان لكل واحد من المطيعين
جنة بهذه الصفة وقال السدي انه تعالى شبه عرض الجنة بعرض السموات السبع والارضين السبع ولا شك ان طوله ازيد من
عرضه وقيل هذا تمثيل للعباد بما يعقلونه واكبر ما في نفوسهم مقدار السموات والارض قاله الزجاج وهو اختيار ابن عباس
وقال طارق بن شهاب قال قوم من اهل الحيرة لعمر رضي الله عنه ارايت قول الله عز وجل وجنة عرضها كعرض السماء والارض
فاين النار فقال لهم عمر ارايتم الليل اذا ولج وجاء النهار اين يكون الليل فقالوا لقد نزعت بما في التورية مثله قوله تعالى
اعدت للذين امنوا بالله ورسله شرط الايمان لا غير والمعتزلة وان زعموا ان لفظ الايمان يفيد جملة الطاعات لكنهم اعترفوا
بان لفظ الايمان اذا عدي بالباء فانه باق على مفهومه الاصلي وهو التصديق فالاية حجة عليهم ومما يوكد ذلك قوله تعالى بعده
ذلك فضل الله يوتيه من يشاء فبين ان الجنة فضل الله يوتيها من يشاء سواء اطاع ام عصى فان قيل فيلزمكم ان تقطعوا بحصول
الجنة لجميع العصاة وان يقطعوا بانه لا عقاب لهم فالجواب انا نقطع بحصول الجنة ولا نقطع بنفي العقاب عنهم لانهم اذا عذبوا
مدة ثم نقلوا الى الجنة وبقوا فيها ابد الاباد فقد كانت الجنة معدة لهم فان قيل فالمرتد قد امن بالله ورسله فوجب ان تدخل تحت هذه
الاية قلنا خص من العموم فبقي العموم حجة فيما عداه فصل احتجوا بهذه الاية على ان الجنة مخلوقة قالت المعتزلة هذه
الاية لا يمكن اجراوها على ظاهرها لوجهين الاول ان قوله تعالى اكلها دايم وظلها يدل على ان من صفتها بعد وجودها ان لا تفنى
لكنها لو كانت الان موجودة لفنيت بدليل قوله تعالى كل شيء هالك الا وجهه الثاني ان المخلوقة الان هي في السماء السابعة
ولا يجوز اذا كانت في واحدة منها ان يكون عرضها كعرض كل السموات والارض فثبت بهذين الوجهين انه لا بد من التاويل وذلك
من وجهين احدهما انه تعالى لما كان قادرا لا يصح المنع عليه واذا كان حكيما لا يصح الخلف في وعده ثم انه تعالى وعد على الطاعة
بالجنة فكانت الجنة كالمعدة المهياة لهم تشبيها لما سيقع قطعا بالواقع كما يقول المرء لصاحبه اعددت لك المكافاة اذا عزم عليها
وان لم يوجدها والثاني ان المراد اذا كانت الاخرة اعدها الله لهم كقوله ونادى اصحاب النار اصحاب الجنة اي اذا كان يوم القيمة نادى
والجواب ان قوله كل شيء هالك عام وقوله اعدت للمتقين مع قوله اكلها دايم خاص والخاص مقدم على العام واما قولهم
ان الجنة مخلوقة في السماء السابعة كما قال عليه السلام في صفة الجنة سقفها عرش الرحمن فاي استبعاد في ان يكون المخلوق فوق
الشيء اعظم منه الا ترى ان العرش اعظم المخلوقات مع انه مخلوق فوق السماء السابعة قوله تعالى ذلك فضل الله يوتيه من يشاء اي ان
الجنة لا تنال الا بفضل الله ورحمته والله ذو الفضل العظيم قوله تعالى من مصيبة فاعل اصاب ومن مزيدة لوجود الشرطين
وذكر فعلها لان التانيث مجازي قوله تعالى في الارض يجوز ان يتعلق باصاب وان يتعلق بنفس مصيبة وان يتعلق بمحذوف على انه
صفة لمصيبة وعلى هذا فيصلح ان يحكم على موضعه بالجر نظرا الى لفظ موصوفه وبالرفع نظرا الى محله اذ هو فاعل والمصيبة غلبت
في الشر وقيل المراد بها جميع الحوادث من خير وشر وعلى الاول يقال لم ذكرت دون الخير واجيب بانه انما خصصها بالذكر لانها
اهم على البشر قوله تعالى الا في كتاب حال من مصيبة وجاز ذلك وان كانت نكرة لتخصصها اما بالعمل او بالصفة اي الا مكتوبة
قوله تعالى من قبل نعت لكتاب ويجوز ان يتعلق به قاله ابو البقا لانه هنا اسم للمكتوب وليس بمصدر والضمير في نبراها
الظاهر عوده على المصيبة وقيل على الانفس وقيل على الارض او على جميع ذلك قاله المهدوي وهو حسن فصل
قال الزجاج انه تعالى لما قال سابقوا الى مغفرة وبين ان المودي الى الجنة والنار لا يكون الا بقضاء وقدر فقال ما اصاب من مصيبة
والمعنى لا توجد مصيبة من هذه المصايب الا وهي مكتوبة عند الله والمصيبة في الارض قحط المطر وقلة النبات ونقص الثمار وغلاء الاسعار
وتتابع الجوايح واما المصيبة في الانفس فقيل هي الامراض والفقر وذهاب الاولاد واقامة الحدود عليها وقيل ضيق المعاش وقيل
الخير والشر اجمع لقوله بعد ذلك لكيلا تاسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما اتاكم وقوله الا في كتاب يعني مكتوب عند الله في اللوح المحفوظ
وقوله من قبل ان نبراها قال ابن عباس من قبل ان نخلق المصيبة وقال سعيد بن جبير من قبل ان نخلق الارض والنفس ان ذلك على الله
يسير اي خلق ذلك وحفظه على الله يسير اي هين قال الربيع بن صالح لما اخذ سعيد بن جبير رضي الله عنه بكيت فقال ما يبكيك قلت
ابكي لما ارى بك ولما تذهب اليه قال فلا تبك فانه كان في علم الله تعالى ان يكون الم تسمع قوله تعالى وما اصاب من مصيبة في الارض
ولا في انفسكم الاية وقال ابن عباس لما خلق الله القلم قال له اكتب فكتب ما هو كائن الى يوم القيمة ولقد ترك جماعة من السلف الدواء
في امراضهم فلم يستعملوه ثقة بربهم وتوكلا عليه وقالوا قد علم الله ايام المرض وايام الصحة فلو حرص الخلق على تقليل ذلك او زيادته ما
قدروا قال الله تعالى ما اصاب من مصيبة في الارض ولا في انفسكم الاية ويويد هذا قوله عليه السلام من عرف سر الله في القدر هانت عليه
المصايب فصل قيل ان هذه الاية متصلة بما قبلها وهو ان الله تعالى هون عليهم ما يصيبهم في الجهاد من قتل وجرح

وبين ان ما يلحقهم من الجهاد من المحافظة على الاموال وما يقع فيها من خسران فالكل مكتوب مقدر لا مدفع له وانما
على المرء امتثال الامر ثم ادبهم فقال هذا لكيلا تاسوا على ما فاتكم اي حتى لا تحزنوا على ما فاتكم من الرزق وذلك انهم اذا علموا
ان الرزق قد فرغ منه لم ياسوا على ما فاتهم منه وعن ابن مسعود ان نبي الله صلى الله عليه وسلم قال لا يجد احدكم طعم الايمان حتى يعلم
ان ما اصابه لم يكن ليخطيه وما اخطاه لم يكن ليصيبه ثم قرا لكي لا تاسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما اتاكم اي من الدنيا قاله ابن عباس
فصل قال ابن الخطيب هذه الاية تدل على ان جميع الحوادث الارضية قبل دخولها في الوجود مكتوبة في اللوح المحفوظ قال
المتكلمون وانما كتب ذلك لوجوه احدها لتستدل الملايكة بذلك المكتوب على كونه تعالى عالما بجميع الاشياء قبل وقوعها وثانيها
ليعرفوا حاله فانه تعالى مع علمه بانهم يقدمون على المعاصي خلقهم ورزقهم وثالثها ليحذروا من امثال تلك المعاصي ورابعها ليشكروا
الله تعالى على توفيقه اياهم للطاعات وعصمته اياهم عن المعاصي فصل قال ابن الخطيب الحكما قالوا ان الملايكة الذين
وصفهم الله بانهم هم المدبرات امرا والمقسمات امرا انما هي المبادي لحدوث الحوادث في العالم السفلي بواسطة الحركات الفلكية والاتصالات
الكوكبية وتعينها هي الاسباب لتلك المسببات وهذا هو المراد من قوله الا في كتاب مبين فصل قوله تعالى ولا في انفسكم
يتناول جميع مصايب الانفس فيدخل فيها كفرهم ومعاصيهم فالاية دالة على ان جميع اعمالهم بتفاصيلها مكتوبة في اللوح المحفوظ ثبته
في علم الله تعالى فكان الامتناع من تلك الاعمال محالا لان علم الله بوجودها مناف لعدمها والجمع بين المتنافيين محال وخصص مصايب
الارض والانفس لتعلقها باولها جميع الحوادث لشمولها كان اهل الجنة والنار لا نهاية لها فاثباتها في الكتاب محال قال ابن الخطيب
وفي الاية دليل على ان الله تعالى يعلم الاشياء قبل وقوعها خلافا لهشام بن الحكم قوله تعالى لكيلا هذه اللام متعلقة بقوله ما اصاب
اي اخبرناكم بذلك لكيلا يحصل لكم الحزن المقنط والفرح المطغي فاما ما دون ذلك فالانسان غير ماخوذ به وكي هنا ناصبة بنفسها
فهي مصدرية فقط لدخول لام الجر عليها وقرا ابو عمرو بما اتاكم مقصورا من الاتيان اي بما جاءكم قال ابو علي الفارسي لان اتاكم
معادل لقوله فاتكم فكما ان الفعل للغايب في قوله فاتكم فكذلك الفعل الاتي في قوله بما اتاكم وقرا الباقون من السبعة اتاكم ممدودا من الايتاء
اي بما اعطاكم الله اياه والعايد الى الموصول في الكلمتين الذكر المرفوع بانه فاعل والهاء محذوفة من الصلة اي بما اتاكموه وقرا عبد الله بما
اوتيتم فصل قال ابن عباس ليس من احد الا وهو يحزن ويفرح ولكن المومن يجعل مصيبته صبرا وغنيمته شكرا والحزن
والفرح المنهي عنهما هما اللذان يتعدى فيهما الى ما لا يجوز قال جعفر بن محمد يا ابن ادم ما لك تاسف على مفقود لا يرده عليك الفوت
وما لك تفرح بموجود لا يتركه في يديك الموت وقيل لبزرجمهر ايها الحكيم ما لك لا تحزن على ما فات ولا تفرح بما هو ات قال لان
الفايت لا يتلافى بالعبرة والاتي لا يستدام بالحبرة وقوله والله لا يحب كل مختال اي متكبر بما اوتي من الدنيا فخور به على الناس قيل
الفخور الذي ينظر الى الناس بعين الاحتقار فصل قال ابن الخطيب المعتزلة وان نازعوا في القدرة والارادة فهم
مسلمون في العلم والجبر فيلزمهم الجبر باعتبارهما والفلاسفة مذهبهم الجبر لان سبب الحوادث عندهم الاتصالات الفلكية
والذين قالوا بان الحوادث اتفاقية فجميع فرق العقلاء يلزمهم الجبر سواء اقروا به او انكروه فصل قالت المعتزلة
قوله لكيلا تاسوا يدل على انه انما اخبرهم بكونها ليحترزوا عن الحزن والفرح ولولا قدرتهم عليه لم يكن لذلك فايدة ويدل على انه لا يريد
ان يقع منهم الفرح والحزن وهو خلاف قول المجبرة ولانه قال والله لا يحب كل مختال فخور قوله تعالى الذين يبخلون تقدم نظيره
في سورة النسا قال القرطبي الذين في موضع خفض نعتا للمختال وقال ابن الخطيب بدل من قوله كل مختال وقيل رفع بالابتدا فهو كلام
مستانف لا تعلق له بما قبله والمعنى الذين يبخلون فالله غني عنهم قيل اراد روسا اليهود الذين بخلوا ببيان صفة محمد صلى الله عليه
وسلم في كتبهم لئلا يومن به الناس فتذهب ماكلتهم قاله السدي والكلبي فيكون الذين مبتدا وخبره محذوف يدل عليه قوله تعالى
ومن يتول فان الله هو الغني الحميد وقال سعيد بن جبير الذين يبخلون يعني بالعلم ويامرون الناس بالبخل بان لا يعلموا الناس
شيا وقال زيد بن اسلم انه البخل باداء حق الله تعالى وقال عامر بن عبد الله الاشعري هو البخل بالصدقة والحقوق وقال طاوس
هو البخل بما في يديه فصل قرا العامة بالبخل بضم البا وسكون الخا وقرا انس وعبيد بن عمير ويحيى بن يعمر ومجاهد
وابن محيصن وحمزة والكسائي بالبخل بفتحتين وهي لغة الانصار وقرا ابو العالية وابن السميفع بالبخل بفتح البا واسكان
الخاء وعن نصر بن عاصم البخل بضمتين وكلها لغات مشهورة قال قوم الفرق بين البخل والسخا من وجهين احدهما ان البخيل الذي
يلتذ بالامساك والسخي الذي يلتذ بالعطاء الثاني ان البخيل الذي يعطي عند السوال والسخي الذي يعطي بغير سوال وتقدم الفرق
بين البخل والشح في اخر ال عمران قوله تعالى ومن يتول اي عن الايمان فان الله هو الغني قرا نافع وابن عامر فان الله الغني الحميد
باسقاط هو وهو ساقط في مصاحف المدينة والشام والباقون باثباته وهو ثابت في مصاحفهم فقد وافق كل مصحفه قال
ابو علي الفارسي من اثبت هو يحسن ان يكون فصلا ولا يحسن ان يكون ابتداء لانه لو كان ابتداء لم يسوغ حذفه يعني انه يرجح فصليته
بحذفه في القراءة الاخرى اذ لو كان مبتدا لضعف حذفه لا سيما اذا صلح ما بعده ان يكون خبرا لما قبله الا ترى لو قلت ان زيدا
هو القايم لم يحسن حذف هو لصلاحية القايم خبرا لان وهذا كما قالوا في الصلة انه يحذف العايد المرفوع بالابتدا بشرط

منها ان لا يكون ما بعده صالحا للصلة نحو جاء الذي هو في الدار وهو قائم ابو علي لعدم الدلالة الا ان للمنازع ان ينازع
ابا علي ويقول لا نلتزم تركيب احدى القراءتين على الاخرى وكم من قراءتين تتغاير معناهما كقراءتي والله اعلم بما وضعت
ووضعتُ الا ان تتوافق القراءتان في معنى واحد اولى هذا مما لا نزاع فيه ومن اثبت هو فعلى ان يكون فصلا ويجوز ان يكون
مبتدا والغني خبره والجملة خبران قال ابن الخطيب وقوله الحميد جواب من يقول اذا كان الله عالما بانه يبخل فلم اعطاه المال فاجاب
بانه محمود حيث فتح ابواب الرزق مع تقصير العبد في الطاعة **قوله تعالى** لقد ارسلنا رسلنا بالبينات قيل هي المعجزات
البينة والشرايع الظاهرة وقيل الاخلاص لله تعالى في العبادة وانزلنا معهم الكتاب اي الكتب التي اوحينا اليهم فيها خبر
من كان قبلهم والميزان قال ابن زيد هو ما يوزن به ويتعامل روي ان جبريل عليه السلام نزل بالميزان فدفعه الى نوح عليه
السلام وقال مر قومك يزنوا به ليقوم الناس بالقسط اي بالعدل في معاملاتهم وقيل اراد به العدل قال القشيري واذا حملناه
على الميزان المعروف فالمعنى انزلنا الكتاب ووضعنا الميزان وهو من باب ❊ علفتها تبنا وماء باردا ❊ ويدل على هذا قوله تعالى
والسماء رفعها ووضع الميزان **قوله تعالى** معهم حال مقدرة اي صائرا معهم وانما احتجنا الى ذلك لان الرسل لم ينزلوا ومعنى
الكلام ان يصحبوا الكتاب في النزول واما الزمخشري فانه فسر الرسل بالملائكة الذين يجيئون بالوحي الى الانبياء فالمعية
متحققة **قوله تعالى** وانزلنا الحديد روى ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله تعالى نزل اربع بركات من السماء
الى الارض الحديد ❊ والنار ❊ والماء ❊ والملح ❊ وروى عكرمة عن ابن عباس قال نزل ثلاثة اشياء مع آدم عليه السلام الحجر الاسود
وكان اشد بياضا من الثلج وعصى موسى وكان من آس الجنة طولها عشرة اذرع مع طول موسى والحديد انزل معه ثلاثة اشياء
السندان والكلبتان والميقعة وهي المطرقة ذكره الماوردي وروى الثعلبي عن ابن عباس قال نزل آدم من الجنة ومعه من الحديد
خمسة اشياء من آلة الحدادين السندان والكلبتان والميقعة والمطرقة والابرة وحكاه القشيري قال والميقعة ما يحدد به يقال
وقعت الحديدة اقعها اي حددتها وفي الصحاح الميقعة الموضع الذي يألفه البازي فيقع عليه وخشبة القصار التي يدق عليها
والمطرقة والمسن الطويل وروي ان الحديد انزل في يوم الثلاثاء فيه باس شديد اي اهراق الدماء ولذلك نهي عن الفصد والحجامة
في يوم الثلاثاء لانه يوم جرى فيه الدم وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان في يوم الثلاثاء ساعة لا يرقى فيها الدم وقيل
انزلنا الحديد اي انشاناه وخلقناه كقوله تعالى وانزل لكم من الانعام وهذا قول الحسن فيكون من الارض غير منزل من السماء
وقال اهل المعاني اي اخرج الحديد من المعادن وعلمهم صنعته بوحيه وقوله فيه باس شديد جملة حالية من الحديد
والمراد بالحديد يعني السلاح والجنة وقيل ان فيه من خشية القتل خوف شديد ومنافع للناس قال مجاهد يعني جنة وقيل
انتفاع الناس بالماعون الحديد كالسكين والفاس ونحوه **قوله تعالى** وليعلم عطف على قوله ليقوم الناس اي لقد
ارسلنا رسلنا وفعلنا كيت وكيت ليقوم الناس وليعلم الله وقال ابو حيان علة لانزال الكتاب والميزان والحديد والاول
اظهر لان نصرة الله ورسله مناسبة للارسال **قوله تعالى** ورسله عطف على مفعول ينصره اي وينصر رسله قال ابو البقاء ولا
يجوز ان يكون معطوفا على من لئلا يفصل به بين الجار وبين ما يتعلق به وهو بنصره قال شهاب الدين وجعله العلة ما ذكره
من الفصل بين الجار وبين ما يتعلق به يوهم ان معناه صحيح لولا هذا المانع وليس كذلك اذ يصير التقدير وليعلم الله
من ينصره بالغيب وليعلم رسله وهذا المعنى لا يصح البتة فلا حاجة الى ذكر ذلك وبالغيب حال وقد تقدم مثله اول البقرة
فصل المعنى وليعلم الله من ينصره اي انزل الحديد ليعلم من ينصره او ليقوم الناس بالقسط اي ارسلنا رسلنا وانزلنا
معهم الكتب وهذه الاشياء ليتعامل الناس بالحق وليرى الله من ينصر دينه وينصر رسله بالغيب اي وهم لا يرونه ان الله قوي
من يتقوى في اخذه عزيز اي منيع غالب وقيل بالغيب اي بالاخلاص **فصل** احتج من قال بحدوث علم الله بقوله
وليعلم الله واجيب بانه تعالى اراد بالعلم المعلوم فكانه تعالى قال وليقع نصر الرسول صلى الله عليه وسلم ممن ينصره **فصل**
قال الجبائي قوله تعالى ليقوم الناس بالقسط يدل على انه تعالى انزل الميزان والحديد ومراده من العباد ان يقوموا بالقسط
وان ينصروا الرسول واذا اراد هذا من الكل بطل قول المجبرة انه اراد من بعضهم خلاف ذلك واجيب بانه كيف يمكن ان يريد من الكافر
ذلك مع علمه بان ضده موجود والجمع بين الضدين محال والمحال غير مراد **قوله تعالى** ولقد ارسلنا نوحا وابراهيم الاية
لما اجمل الرسل في قوله لقد ارسلنا رسلنا فصل هاهنا ما اجمل من ارسال الرسل بالكتب واخبر انه ارسل نوحا وابراهيم وجعل النبوة
في نسلهما بقوله وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتاب اي جعلنا بعض ذريتهما الانبياء وبعضهم امما يتلون الكتب المنزلة من السماء
كالتوراة والانجيل والزبور والفرقان وقال ابن عباس الكتاب الخط بالقلم **قوله تعالى** فمنهم مهتد الضمير يجوز عوده
على الذرية وهو اولى لتقدم ذكرها لفظا وقيل يعود على المرسل اليهم لدلالة ارسلنا والمرسلين عليهم والمعنى ان منهم مهتد ومنهم
فاسق والمراد بالفاسق هاهنا قيل الذي ارتكب الكبيرة سواء كان كافرا او لم يكن لاطلاق هذا الاسم وهو يشمل الكافر
وغيره وقيل المراد بالفاسق هاهنا الكافر لانه جعل الفساق ضد المهتدين **قوله تعالى** ثم قفينا على آثارهم اي اتبعنا على آثارهم

اي على آثار الذرية وقيل على آثار نوح وابراهيم برسلنا موسى والياس وداود ويونس وغيرهم وقفينا بعيسى ابن مريم
فهو من ذرية ابراهيم من جهة امه وآتيناه الانجيل وهو الكتاب المنزل عليه وقد تقدم اشتقاقه في اول آل عمران وقراءة الحسن
بفتح الهمزة قال الزمخشري امره اهون من امر البرطيل والسكين فيمن رواهما بفتح الفاء لان الكلمة اعجمية لا يلزم فيها حفظ
ابنية العرب وقال ابن جني قراءة الحسن بفتح الهمزة مثال لم يات لا نظير له لانه افعيل وهو عندهم من نجلنا الشي اذا استخرجته
لانه يستخرج الاحكام قال ابن الخطيب وغالب الظن انه ما قراه الا عن سماع وله وجهان احدهما انه شاذ كما حكى بعضهم في البرطيل
والثاني انه ظن الانجيل اعجميا فحرف مثاله تنبيها على كونه اعجميا **قوله تعالى** وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه على دينه يعني الحواريين
واتباعهم رافة ورحمة وقرا الحسن رآفة بزنة فعالة قال مقاتل المراد من الرافة والرحمة المودة فكان يواد بعضهم بعضا كما وصف
الله تعالى اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم بقوله رحماء بينهم وقيل هذا اشارة الى انهم امروا في الانجيل بالرافة وترك الايذا للناس
والان الله قلوبهم لذلك بخلاف اليهود الذين قست قلوبهم وحرفوا الكلم عن مواضعه والرافة اللين والرحمة الشفقة وقيل
الرافة تخفيف الكل والرحمة تحمل الثقل وقيل الرافة اشد الرحمة وتم الكلام **فصل** دلت هذه الاية على ان فعل العبد
خلق الله تعالى لانه حكم بان هذه مجعولة وحكم بانهم ابتدعوا تلك الرهبانية قال القاضي المراد بذلك انه تعالى لطف بهم حتى قويت
دواعيهم الى الرهبانية التي هي تحمل الكلفة الزائدة على ما يجب والجواب ان هذا ترك للظاهر من غير دليل وان سلمنا ذلك فهو تحصيل
مقصودنا لانه حال الاستواء يمتنع حصول الرجحان عند الاستواء ممتنع فعند المرجوحية اولى بان يصير ممتنعا واذا امتنع
المرجوح وجب الراجح ضرورة انه لا خروج عن طرفي النقيض **قوله تعالى** ورهبانية ابتدعوها في انتصابها وجهان
احدهما انها معطوفة على رافة ورحمة وجعل اما بمعنى خلق او بمعنى صير وابتدعوها على هذا صفة لرهبانية وانما خصت
بذكر الابتداع لان الرافة والرحمة في القلب امر غريزي لا تكسب للانسان فيها بخلاف الرهبانية فانها افعال البدن للانسان
فيها تكسب الا ان ابا البقاء منع هذا الوجه بان ما جعله الله لا يبتدعونه وجوابه ما تقدم من انه لما كانت مكتسبة صح ذلك فيها
وقال ايضا وقيل هو معطوف عليها وابتدعوها نعت له والمعنى فرض عليهم لزوم رهبانية ابتدعوها ولهذا قال ما كتبناها عليهم
الا ابتغاء رضوان الله والوجه الثاني انها منصوبة بفعل مقدر يفسره الظاهر قال ابو علي ابتدعوا رهبانية ابتدعوها وتكون
المسألة من الاشتغال واليه نحا الفارسي والزمخشري وابو البقاء وجماعة الا ان هذا يقال انه اعراب المعتزلة وذلك انهم
يقولون ما كان من فعل الانسان فهو مخلوق له فالرافة والرحمة لما كانت من فعل الله نسب خلقهما اليه والرهبانية لما لم تكن من فعل
الله تعالى بل من فعل العبد يستقل بفعلها نسب ابتداعها اليه ورد عليهم ابو حيان هذا الاعراب من حيث الصناعة وذلك ان
من حق الاسم المشتغل عنه ان يصلح للرفع بالابتداء ورهبانية نكرة لا مسوغ للابتداء بها فلا يصلح نصبها على الاشتغال قال شهاب
الدين وفيه نظر لانا لا نسلم اولا اشتراط ذلك ويدل عليه قراءة من قرا سورة انزلناها بالنصب على الاشتغال كما تقدم تحقيقه
ولئن سلمنا ذلك فثم مسوغ وهو العطف ومن ذلك قوله ❊ عندي اصطبار وشكوى عند فاتنتي ❊ فهل باعجب من هذا امرؤ سمعا
وقول الاخر ❊ تعشى ونجم قد اضاء فمذ بدا ❊ محياك اخفى ضوءه كل شارق ❊ ذكر ذلك ابن مالك والرهبانية منسوبة
الى الرهبان وهو فعلان من رهب كقولهم الخشيان من خشي وقد تقدم معنى هذه المادة في سورة المائدة وقرئ بضم الراء
قال الزمخشري كانها نسبة الى الرهبان وهو جمع راهب كراكب وركبان قال ابو حيان والاولى ان يكون منسوبا الى رهبان
يعني بالفتح وغير لان النسب باب تغيير ولو كان منسوبا الى رهبان الجمع لرد الى مفرده الا ان كان قد صار كالعلم فانه
ينسب اليه كالانصار **فصل** والمراد من الرهبانية ترهبهم في الجبال فارين من الفتنة في الدين محملين كلفا
زائدة على العبادات التي كانت واجبة عليهم من الخلوة واللباس الخشن والاعتزال عن النساء والتعبد في الغيران والكهوف
روى ابن عباس ان في ايام الفترة بين عيسى ومحمد عليهما السلام غير الملوك التوراة والانجيل فساح نفر وبقي نفر قليل فترهبوا
وتبتلوا قال الضحاك ان ملوكا بعد عيسى عليه السلام ارتكبوا المحارم ثلاث مائة سنة فانكرها عليهم من كان بقي على منهاج عيسى
فقتلوهم فقال قوم بقوا بعدهم نحن اذا نهيناهم قتلونا فليس يسعنا المقام بينهم فاعتزلوا الناس واتخذوا الصوامع وقال
قتادة الرهبانية التي ابتدعوها رفض النساء واتخاذ الصوامع وفي خبر مرفوع هي لحوقهم بالبراري والجبال **قوله تعالى** ما كتبناها
صفة لرهبانية ويجوز ان يكون استئنافا اخبارا بذلك قال ابن زيد معناه ما فرضناها عليهم ولا امرناهم بها وقوله الا ابتغاء
رضوان الله فيه وجوه احدها انه استثناء متصل مما هو مفعول من اجله والمعنى ما كتبناها عليهم لشيء من الاشياء الا ابتغاء
مرضات الله ويكون كتب بمعنى قضى فصار المعنى كتبناها عليهم ابتغاء مرضات الله وهذا قول مجاهد والثاني انه منقطع قال
الزمخشري ولم نذكر غيره اي ولكنهم ابتدعوها والى هذا ذهب قتادة وجماعة قالوا معناه لم نفرضها عليهم ولكنهم ابتدعوها
الثالث انه بدل من الضمير المنصوب في كتبناها قاله مكي وهو مشكل كيف يكون بدلا وليس هو الاول ولا بعضه ولا مشتملا
عليه وقد يقال انه بدل اشتمال لان الرهبانية الخالصة المرعية حق الرعاية قد يكون فيها ابتغاء رضوان الله ويصير نظير

قولك الجارية ما احببتها الا أدبها فالأدب بدل من الضمير في احببتها بدل الاشتمال وهذا نهاية الفصل لصحة هذا القول
والضمير المرفوع في رعوها عايد على من تقدم والمعنى انهم لم يدوموا كلهم على رعايتها وان كان وجد هذا في بعضهم وقيل
يعود على الملوك الذين حاربوهم وقيل على اخلافهم وحق نصب على المصدر قال القرطبي وقيل الا ابتغاء استثناء منقطع
والتقدير ما كتبناها عليهم لكن ابتدعوها ابتغاء رضوان الله فما رعوها حق رعايتها اي ما قاموا بها حق القيام بل ضموا اليها
التثليث والاتحاد واقام اناس منهم على دين عيسى عليه السلام حتى ادركوا نبينا محمدا عليه السلام فامنوا به فهو قوله تعالى فاتينا
الذين امنوا منهم اجرهم وكثير منهم فاسقون وقيل معناه انما كتبنا عليهم تلك الرهبانية الا ليتوسلوا بها الى مرضات الله تعالى
ثم انهم اتوا بتلك الافعال لغير هذا الوجه وهو طلب الدنيا والرياء والسمعة وقيل معناه انا كتبناها عليهم فتركوها فيكون ذلك
ذما لهم لتركهم الواجب وقيل ان الذين لم يرعوها حق رعايتها هم الذين ادركوا محمدا صلى الله عليه وسلم ولم يؤمنوا به **فصل**
دلت هذه الاية على ان كل محدث بدعة فينبغي لمن ابتدع خيرا ان يدوم عليه ولا يعدل عنه الى ضده فيدخل في الاية وعن ابي امامة
الباهلي واسمه صدي بن عجلان ان النبي صلى الله عليه وسلم قال احدثتم قيام رمضان ولم يكتب عليكم وانما كتب عليكم الصيام
فدوموا على القيام اذا فعلتموه ولا تتركوه فان ناسا من بني اسرائيل ابتدعوا بدعا لم يكتبها الله عليهم ابتغوا بها رضوان الله فما رعوها
حق رعايتها فعابهم الله تعالى بتركها فقال ورهبانية ابتدعوها الاية **فصل** ودلت الاية على العزلة عن الناس وذلك
مندوب اليه عند فساد الزمان وتغير الاحوال والاخوان **قوله تعالى** يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وامنوا برسوله اي امنوا بموسى
وعيسى اتقوا الله وامنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم يؤتكم كفلين من رحمته اي مثلين من الاجر على ايمانهم بعيسى ومحمد صلى الله عليهما وسلم
وهذا نظير قوله تعالى اولئك يؤتون اجرهم مرتين والكفل الحظ والنصيب وقد تقدم وهو في الاصل كساء يكتفل به الراكب يحفظه
من السقوط قاله ابن جرير وقال الازهري اشتقاقه من الكساء الذي يحويه راكب البعير على سنامه لئلا يسقط والمعنى يؤتكم نصيبين
يحفظانكم من هلكة المعاصي كما يحفظ الكفل الراكب وقال ابو موسى الاشعري كفلين ضعفين بلسان الحبشة وقال ابن زيد كفلين اجر
الدنيا والاخرة وقيل لما نزلت اولئك يؤتون اجرهم مرتين بما صبروا افتخر مؤمنوا اهل الكتاب على اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم
فنزلت هذه الاية فان قيل انه تعالى لما اتاهم كفلين واعطى المؤمن كفلا واحدا كان حالهم اعظم فالجواب انه لا يبعد ان يكون
النصيب الواحد ازيد قدرا من النصيبين روى ابو موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ثلاثة يؤتون اجرهم مرتين رجل
كانت له جارية فادبها واحسن ادبها ثم اعتقها وتزوجها ورجل من اهل الكتاب امن بكتابه وامن بمحمد صلى الله عليه وسلم وعبد
احسن عبادة الله ونصح سيده **قوله تعالى** ويجعل لكم نورا قال مجاهد اي بيانا وهدى وقال ابن عباس هو القران وقيل
ضياء تمشون به في الاخرة على الصراط وفي القيمة الى الجنة وهو النور المذكور في القران في قوله تعالى يسعى نورهم بين ايديهم
وقيل تمشون به في الناس تدعونهم الى الاسلام فتكونوا رؤسا في دين الاسلام لا تزول عنكم رياسة كنتم فيها وذلك انهم خافوا
ان تزول رياستهم لو امنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم وانما كان يفوتهم اخذ رشوة يسيرة من الضعفة بتحريف احكام الله
لا الرياسة الحقيقية في الدين ثم قال ويغفر لكم ذنوبكم اي ما اسلفتم من المعاصي والله غفور رحيم **قوله تعالى** لئلا يعلم
هذه اللام متعلقة بمعنى الجملة الطلبية المتضمنة لمعنى الشرط اذ التقدير ان تتقوا الله وامنتم برسوله يؤتكم كذا وكذا لئلا
يعلم وفي لا هذه وجهان اشهرهما عند النحاة والمفسرين انها مزيدة كهي في ما منعك ان لا تسجد وانهم اليهم لا يرجعون
على خلاف في هاتين الايتين والتقدير اعلمكم الله بذلك ليعلم اهل الكتاب عدم قدرتهم على شيء من فضل الله وثبوت
ان الفضل بيد الله وهذا واضح بين وليس فيه الا زيادة ما ثبتت زيادته شايعا ذايعا والثاني انها غير مزيدة والمعنى لئلا
يعلم اهل الكتاب عجز المؤمنين نقل ذلك ابو البقا وهذا لفظه وكان قال قبل ذلك لا زائدة والمعنى ليعلم اهل الكتاب
عجزهم وهذا غير مستقيم لان المؤمنين عاجزون ايضا عن شيء من فضل الله وكيف يعمل هذا القائل بقوله وان الفضل بيد الله
فانه معطوف على مفعول العلم المنفي فيصير التقدير لئلا يعلم اهل الكتاب ان الفضل بيد الله وهذا لا يستقيم نفي العلم به البتة
فلا جرم كان قولا مطرحا وقرا العامة لئلا بكسر لام كي وبعدها همزة مفتوحة مخففة وورش يبدلها ياء محضة وهو تخفيف
قياسي محض وقيه في مايه وفيه وتدل على زيادتها قراءة عبد الله وابن عباس وعكرمة والجحدري وعبد الله بن سلمة
ليعلم باسقاطها وقراءة حطان بن عبد الله لان يعلم باظهار ان والجحدري ايضا والحسن ليتعلم واصلها كالتي قبلها الا انه
ابدل الهمزة ياء لانفتاحها بعد كسرة وقد تقدم انه قياس كقراءة ورش ليلا ثم ادغم النون في الياء قال ابو حيان بغير غنة
كقراءة خلف ان يضرب بغير غنة انتهى فصار اللفظ ليتعلم وقوله بغير غنة ليس عدم الغنة شرطا في صحة هذه المسئلة بل جاء
على سبيل الاتفاق ولو ادغم بغنة لجاز ذلك فسقوطها في هذه القرآت لم يند زيادتها في المشهورة وقرا الحسن ايضا فيما
روى عنه ابو بكر بن مجاهد ليلا يعلم بلام مفتوحة وياء ساكنة كاسم المراة ورفع الفعل بعدها وتخريجها على ان اصلها
لان لا على ان اللام لام الجر ولكن فتحت على لغة مشهورة معروفة وانشدوا • اريد لانسى ذكرها • بفتح اللام

وحذفت الهمزة اعتباطا وادغمت النون في اللام فاجتمع ثلاثة امثال فثقل النطق به فابدل الوسط ياء تخفيفا فصار
اللفظ ليلا كما ترى ورفع الفعل لان ان هي المخففة لا الناصبة واسمها على ما تقرر ضمير الشان وفصل بينها وبين الفعل
الذي هو خبرها بحرف النفي وقرا الحسن ايضا فيما روى عنه قطرب ليلا بلام مكسورة وياء ساكنة ورفع الفعل وهي كالتي قبلها
في التخريج غاية ما في الباب انه جاء بلام الجر مكسورة كما هي اللغة الشهيرة وروي عن ابن عباس لكي يعلم وكي يعلم وعن عبد الله لكيلا
وهذه كلها مخالفة للسواد الاعظم ولسواد المصحف وقرا العامة ان لا يقدرون بثبوت النون على ان ان هي المخففة وعبد الله
بحذفها على ان ان هي الناصبة وهذا شاذ جدا لان ان العلم لا يقع بعده الناصبة وقوله يؤتيه من يشاء الظاهر انه مستانف وقيل
هو خبر ثان عن الفضل وقيل هو الخبر وحده والجار قبله حال وهي حال لازمة لان كونه بيد الله لا ينتقل البتة **فصل**
نقل ابن الخطيب عن الواحدي انه قال هذه الاية مشكلة وليس للمفسرين فيها قول واضح في كيفية اتصال هذه الاية بما قبلها
واعلم ان اكثر المفسرين على ان لا ههنا صلة زايدة والتقدير ليعلم اهل الكتاب وقال ابو مسلم وجماعة ان لا ليست زايدة ونحن
نفسر الاية على القولين بعون الله وحسن توفيقه اما على القول بزيادتها فاعلم انه لا بد ههنا من تقديم مقدمة وهي
ان اهل الكتاب كانوا يقولون ان الوحي والرسالة فينا والكتاب والشرع ليس الا لنا وان الله تعالى خصنا بهذه الفضيلة العظيمة
من بين جميع العالمين اذا عرف هذا فنقول انه تعالى لما امر اهل الكتاب بالايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم ووعدهم الاجر العظيم
في ذلك الايمان اتبعه بهذه الاية والغرض منها ان يزيل عن قلبهم اعتقادهم بان النبوة مختصة بهم فقال انما بالغنا في هذا
البيان ليعلم اهل الكتاب انهم لا يقدرون على شيء من فضل الله لقوم معينين ولا يمكنهم حصر الرسالة والنبوة في قوم مخصوصين
وان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء ولا اعتراض عليه في ذلك اصلا واما القول بان لا غير زايدة فاعلم ان الضمير في قوله لا يقدرون
عايد الى الرسول صلى الله عليه وسلم والى اصحابه رضي الله عنهم والتقدير لئلا يعلم اهل الكتاب ان النبي والمؤمنين لا يقدرون على
شيء من فضل الله فانهم اذا لم يعلموا انهم لا يقدرون عليه فقد علموا انهم يقدرون عليه ثم قال وان الفضل بيد الله فيصير التقدير
انا جعلنا كذا وكذا لئلا يعتقد اهل الكتاب انهم يقدرون على حصر فضل الله في اقوام معينين وليعتقدوا ان الفضل بيد الله
واعلم ان هذا القول ليس فيه الا انا اضمرنا فيه زيادة فقلنا في قوله وان الفضل بيد الله تقديره وليعتقدوا ان الفضل بيد الله
واما القول الاول فقد افتقرنا فيه الى حذف شيء موجود ومن المعلوم ان الاضمار اولى من الحذف كان ظاهره موهما للباطل
فعلمنا ان هذا القول اولى **فصل** قال قتادة حسد اهل الكتاب المسلمين فنزلت لئلا يعلم اهل الكتاب اي لان يعلم
اهل الكتاب انهم لا يقدرون على شيء من فضل الله وان الفضل بيد الله وقال مجاهد قالت اليهود يوشك ان يخرج منا نبي
يقطع الايدي والارجل فلما خرج من العرب كفروا فنزلت لئلا يعلم اي ليعلم اهل الكتاب الا يقدرون يعني انهم لا يقدرون
كقوله الا يرجع اليهم قولا والمراد من فضل الله قيل الاسلام وقيل الثواب وقال الكلبي من رزق الله وقيل نعم الله التي لا تحصى
وان الفضل بيد الله ليس بايديهم فيصرفوا النبوة عن محمد صلى الله عليه وسلم الى من يحبون وقيل ان الفضل بيد الله ليس بايديهم
فيصرفوا النبوة عن محمد صلى الله عليه وسلم الى من يحبون وقيل ان الفضل بيد الله اي هو له يؤتيه من يشاء روى البخاري عن ابن
عمر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قائم على المنبر يقول انما بقاؤكم فيما سلف قبلكم من الامم كما بين صلوة العصر
الى غروب الشمس اعطي اهل التورية التورية فعملوا بها حتى انتصف النهار ثم عجزوا فاعطوا قيراطا قيراطا ثم اعطيتم القران فعملتم به حتى
غربت الشمس فاعطيتم قيراطين قيراطين قال اهل التورية ربنا هؤلاء اقل عملا واكثر اجرا قال هل ظلمتكم من اجركم شيئا قالوا لا قال فذلك
فضلي اوتيه من اشاء وفي رواية فغضبت اليهود والنصارى وقالوا ربنا الحديث

سورة المجادلة

وهي مدنية في قول الجميع الا رواية عن عطا ان العشر الاول منها مدني وباقيها مكي وقال الكلبي نزل جميعها بالمدينة
غير قوله تعالى ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم نزلت بمكة وهي ثنتان وعشرون اية واربعماية وثلاث وسبعون
كلمة والف وسبعماية واثنان وسبعون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم **قوله تعالى** قد سمع الله قول التي تجادلك
في زوجها قد ههنا للتوقع قال الزمخشري لانه عليه السلام والمجادلة كانا يتوقعان ان يسمع الله مجادلتها وشكواها وينزل
في ذلك ما يفرج عنها واظهر الدال عند السين قراءة الجماعة الا ابا عمرو والاخوين ونقل عن الكسائي انه قال من بين الدال
عند السين • • • فلسانه اعجمي وليس بعربي وهذا غير معرج عليه وفي زوجها اي في شانه من ظهاره اياها **فصل**
التي اشتكت هي خولة بنت ثعلبة وقيل بنت حكيم وقيل بنت خويلد قال الماوردي وليس هذا بمختلف لان احدهما ابوها

والاخر جدها فنسبة كل واحد منهما قيل كانت ابنته وقيل هي ابنة صامت وقيل امة لعبد الله بن ابي وهي التي انزل الله
فيها ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء ان اردن تحصنا لانه يكرهها على الزنا وقيل هي ابنته قال النحاس وهذا ليس بممتنع
يجوز ان تنسب مرة الى ابيها ومرة الى امها ومرة الى جدها ويجوز ان تكون هي امة لعبد الله بن ابي انصارية بالولاء وكان
في عداد الانصار وكان من المنافقين نقله القرطبي وقيل اسمها جميلة وخولة اصح وزوجها اوس بن الصامت اخو عبادة بن
الصامت روي ان عمر بن الخطاب مر بها في خلافته وهو على حمار والناس معه فاستوقفته طويلا ووعظته وقالت يا عمر
قد كنت تدعى عميرا ثم قيل لك عمر ثم قيل لك امير المومنين فاتق الله يا عمر فانه من ايقن بالموت خاف الفوت ومن ايقن بالحساب
خاف العذاب وهو واقف يسمع كلامها فقيل له يا امير المومنين اتقف لهذه العجوز هذا الوقوف فقال والله لو حبستني من اول
النهار الى اخره لا زلت الا للصلوة المكتوبة اتدرون من هذه العجوز هي خولة بنت ثعلبة سمع الله قولها من فوق سبع سموات
ايسمع رب العالمين قولها ولا يسمعه عمر وقالت عايشة تبارك الذي وسع سمعه كل شي اني لاسمع كلام خولة بنت ثعلبة
ويخفى علي بعضه وهي تشتكي زوجها الى رسول الله صلى الله وهي تقول يا رسول الله اكل شبابي ونثرت له بطني حتى اذا كبرت
سني وانقطع ولدي ظاهر مني اللهم اني اشكوا اليك فما برحت حتى نزل جبريل بهذه الايات قد سمع الله قول التي تجادلك في
زوجها الاية روي انها كانت حسنة الجسم فرآها زوجها ساجدة فنظر عجيزتها فاعجبه امرها فلما انصرف ارادها فابت فغضب
عليها قال عروة وكان امرءا به لمم فاصابه بعض لممه فقال لها انت علي كظهر امي كان الايلاء والظهار من الطلاق في الجاهلية
فسالت النبي صلى الله عليه وسلم فقال لها حرمت عليه فقالت اشكوا الى الله فاقتي ووحدتي فقد طالت صحبتي ونفضت له بطني
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اراك الا قد حرمت عليه ولم اومر في شانك بشي فجعلت تراجع رسول الله صلى الله عليه وسلم
واذا قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم حرمت عليه هتفت وقالت اشكوا الى الله فاقتي وشدة حالي وان لي صبية صغارا
ان ضممتهم الي جاعوا وان ضممتهم اليه ضاعوا وجعلت ترفع راسها الى السماء وتقول اللهم اني اشكوا اليك فانزل على لسان نبيك
وكان هذا اول ظهار في الاسلام فانزل الله تعالى قد سمع الله قول التي تجادلك الاية فارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى زوجها
وقال ما حملك على ما صنعت فقال الشيطان فقال هل من رخصة فقال نعم وقرا عليه الاربع ايات فقال له هل تستطيع
الصوم فقال لا والله فقال هل تستطيع العتق فقال لا والله اني ان اخطاني ان آكل في اليوم مرة او مرتين لكل بصري وظننت
اني اموت قال فاطعم ستين مسكينا فقال ما اجد الا ان تعينني منك بعون وصلة فاعانه رسول الله صلى الله عليه وسلم
بخمسة عشر صاعا واخرج اوس من عنده مثله فتصدق به على ستين مسكينا **فصل** قال ابو سليمان الخطابي
ليس المراد من قوله في هذا الخبر وكان به لمم الخبل والجنون اذ لو كان به ثم ظاهر في تلك الحال لم يكن يلزمه شي بل معنى اللمم
هنا الالمام بالنسا وشدة الحرص والتوقان اليهن **فصل** اعلم ان الظهار كان من اشد طلاق الجاهلية لانه
في التحريم اوكد ما يمكن فان كان ذلك الحكم صار مقررا في الشرع كانت الاية ناسخة له والا لم يعد نسخا لان النسخ
انما يدخل في الشرايع لا في عادة الجاهلية لكن الذي يروى انه عليه السلام قال لها حرمت او ما اراك الا قد حرمت كالدلالة
على انه كان شرعا فاما ما روي من انه توقف في الحكم فلا يدل على ذلك وفي الاية دليل على ان من انقطع رجاؤه عن الخلق ولم
يبق له في مهمه احد سوى الخالق كفاه الله ذلك المهم **فصل** اعلم انه تعالى حكى عن هذه المراة امرين احدهما المجادلة
وهو قوله تعالى تجادلك في زوجها اي في شان زوجها وتلك المجادلة هي انه عليه السلام كلما قال لها حرمت عليه قالت
والله ما ذكر طلاقا والثاني شكواها الى الله فاقتها ووحدتها وقولها ان لي صبية صغارا **فصل** قال القرطبي
الاصل في السماع ادراك المسموعات وهو اختيار ابي الحسن وقال ابن فورك الصحيح انه ادراك المسموع وقال الحاكم ابو عبد الله
السميع هو المدرك للاصوات التي يدركها المخلوقون باذانهم من غير ان يكون له اذن وذلك راجع الى ان الاصوات التي يدركها
المخلوقون باذانهم من غير ان يكون له اذن وذلك راجع الى ان الاصوات لا تخفى عليه وان كان غير موصوف بالحس المركب
في الاذن كالاصم من الناس لما لم يكن له هذه الحاسة لم يكن اهلا لادراك الصوت والسمع والبصر صفتان كالعلم والقدرة
والحياة والارادة فهما من صفات الذات لم يزل الخالق سبحانه متصفا بهما وقري تحاورك اي تراجعك الكلام **قوله تعالى**
وتشتكي الى الله يجوز فيه وجهان اظهرهما انها عطف على تجادلك فهي صلة ايضا والثاني انها في موضع نصب على الحال اي تجادلك
شاكية حالها الى الله وكذا الجملة من قوله والله يسمع تحاوركما والحالية فيها ابعد وشكى واشتكى بمعنى واحد والمحاورة المراجعة
في الكلام حار الشي يحور حورا اي رجع يرجع رجوعا ومنه نعوذ بالله من الحور بعد الكور وكلمته فما احار بكلمة اي فما اجاب
والله سميع بصير اي يسمع كلام من يناديه ويبصر من يتضرع اليه **قوله تعالى** الذين يظهرون تقدم الخلاف في يظهرون
في سورة الاحزاب وكذا في اللاي وقرا ابي هنا يتظاهرون وعنه ايضا يتظهرون وفي الذين وجهان احدهما انه مبتدا
وخبره قوله ما هن امهاتهم والثاني انه منصوب ببصير على مذهب سيبويه في جواز اعمال فعيل قاله مكي يعني ان سيبويه

يعمل

يعمل فعيلا من امثلة المبالغة وهو مذهب مطعون فيه على سيبويه في جواز اعمال فعيل قاله مكي يعني ان سيبويه
لانه استدل على اعماله بقول الشاعر • حتى شآها كليل موهنا عمل • باتت طرابا وبات الليل لم ينم • ورد عليه بان موهنا
ظرف زمان والظروف يعمل فيها روايح الافعال والمعنى يابى ما قاله مكي وقرا العامة امهاتهم بالنصب على اللغة الحجازية
الفصحى كقوله ما هذا بشرا وعاصم في رواية بالرفع على اللغة التميمية وان كانت هي القياس لعدم اختصاص الحرف
وقرا عبد الله بامهاتهم بزيادة البا وهي تحتمل اللغتين وقال الزمخشري وزيادة البا في لغة من ينصب قال شهاب الدين
هذا هو مذهب ابي علي يرى ان البا لا تزاد الا اذا كانت ما عاملة فلا تزاد في التميمية ولا في الحجازية اذا منع من عملها
مانع نحو ما ان زيد بقايم وهذا مردود بقول الفرزدق وهو تميمي • لعمرك ما معن بتارك حقه • ولا منسئ معن ولا متيسر
وبقول الاخر • لعمرك ما ان ابو مالك بواه ولا بضعيف قواه • فزادها مع ما الواقع بعدها ان
ذكر الظهر كناية عن الركوب والادمية انما يركب بطنها ولكن كنى عنه بالظهر لان ما يركب من غير الادميات فانما يركب
ظهره فكني بالظهر عن الركوب ويقال نزل عن امراته اي طلقها كانه نزل عن مركوبه ومعنى انت علي كظهر امي اي انت علي محرمة
لا يحل لي ركوبك نقله القرطبي ونقل ابن الخطيب عن صاحب النظم انه ليس ماخوذا من الظهر الذي هو عضو من الجسد
لانه ليس الظهر باولى بالذكر في هذا الموضع من ساير الاعضاء التي هي مواضع المباضعة والتلذذ بل الظهر هنا ماخوذ
من العلو ومنه قوله تعالى فما استطاعوا ان يظهروه اي يعلوه وكذلك امراة الرجل ظهره لانه يعلوها بملك البضع وان لم
يكن من ناحية الظهر فكان امراة الرجل مركبا للرجل وظهرا له ويدل على صحة هذا المعنى ما نقل عن العرب انهم يقولون في
الطلاق نزلت عن امراتي اي طلقتها وفي قولهم انت علي كظهر امي حذف واضمار لان تاويله ظهرك علي اي ملكي اياك وعلوي
حقيقة الظهار تشبيه ظهر بظهر والموجب للحكم منه تشبيه
عليك حرام كما علوي على امي وملكها علي
ظهر محلل بظهر محرم فلهذا اجمع الفقها على ان من قال لزوجته انت علي كظهر امي انه مظاهر وقال اكثرهم اذا قال لها انت
علي كظهر ابني او اختي او من يحرم عليه على التابيد من ذوات المحارم انه مظاهر **فصل** والفاظ الظهار صريح وكناية
فالصريح انت علي كظهر امي وانت عندي وانت مني وانت معي كظهر امي وكذلك انت علي كبطن امي او كراسها او فرجها ونحوه
وكذلك فرجك او راسك او ظهرك او بطنك او رجلك علي كظهر امي فهو مظاهر مثل قوله يدك او رجلك او راسك او فرجك
طالق تطلق عليه ومتى شبهها بامه او باحدى جداته من قبل ابيه او امه فهو ظهار بلا خلاف وان شبهها بغيرهن من ذوات
المحارم التي لا تحل له بحال كالبنت والاخت والعمة والخالة كان مظاهرا عند اكثر الفقها والكناية ان يقول انت علي كامي
او مثل امي فانه يعتبر فيه النية فان اراد الظهار كان ظهارا وان لم ينو الظهار كان مظاهرا على خلاف في ذلك فان شبه امراته
باجنبية فان ذكر الظهر كان ظهارا وان لم يذكر الظهر فقيل يكون ظهارا وقيل طلاقا وقال ابو حنيفة والشافعي لا يكون شيا
قيل وهذا فاسد لانه شبه محللا من المراة بمحرم فاشبه الظهر نقله القرطبي فان قال انت علي حرام كظهر امي كان ظهارا ولم يكن
طلاقا لان قوله انت حرام يحتمل التحريم بالطلاق فيكون طلقة ويحتمل التحريم بالظهار فلما صرح به كان تفسيرا لاحد الاحتمالين
نقضي به فيه **فصل** والظهار لازم في كل زوجة مدخول بها او غير مدخول بها من كل زوج يجوز طلاقه وقال مالك
يجوز الظهار من كل من يجوز له وطؤها من امايه اذا ظاهر منهن لزمه الظهار فيهن وقال غيره لا يلزم قال ابن العربي وهي مسيلة عسرة
جدا لان مالكا يقول اذا قال لامته انت علي حرام لا يلزم فكيف يبطل فيها صريح التحريم وتصح كنايته **فصل** ويلزم
الظهار قبل النكاح اذا نكح التي ظاهر منها عند مالك ولا يلزم عند غيره لقوله تعالى من نسايهم واذا ظاهر الذمي صح ظهاره
كما يصح طلاقه وقال مالك لا يلزم ظهاره لانه لا يصح تكفيره بالصيام وهذا منقوض بظهار العبد وهو لا يكفر بالعتق
والاطعام **فصل** لا يصح ظهار المراة من زوجها وعليها كفارة يمين انما الظهار على الرجال لان الحل والعقد في النكاح
بيد الرجال ليس بيد المراة منه شي وقال الحسن بن زياد هي مظاهرة وقال الزهري ارى ان تكفر كفارة الظهار وقال محمد بن
الحسن لا شي عليها **فصل** واذا ظاهر حال غضبه لزمه حكم الظهار للحديث ويصح ظهار السكران وطلاقه واذا
ظاهر من نسايه بكلمة واحدة فكفارة واحدة وان ظاهر منهن بكلمات فعليه لكل واحدة كفارة واذا قال لاربع نسوة ان
تزوجتكن فانتن علي كظهر امي فتزوج احداهن لم يقربها حتى يكفر ثم قد سقط عنه اليمين في سايرهن وقيل لا يطا البواقي
منهن حتى يكفر فان قال لامراته انت علي كظهر امي وانت طالق البتة لزمه الطلاق والظهار معا ولم يكفر حتى ينكحها بعد زوج
ولا يطاها اذا نكحها حتى يكفر فان قال لها انت طالق البتة وانت علي كظهر امي لزمه الطلاق ولم يلزمه الظهار لان المبتوتة
لا يلحقها طلاق ولا ظهار ويصح الظهار المؤقت كما لو قال انت اليوم علي كظهر امي فانه يصح ويبطل بمضي اليوم وقال مالك يتابد
قوله تعالى منكم توبيخ للعرب وتهجين لعادتهم في الظهار لانه كان من ايمان الجاهلية خاصة دون ساير الامم وقوله ما هن
امهاتهم اي ما نساوهم بامهاتهم ان امهاتهم الا اللاي ولدنهم اي الا الوالدات **قوله تعالى** منكرا من القول وزورا

نعتان لمصدر محذوف اي قولا منكرا او زورا اي كذبا وبهتانا قاله المكي وفيه نظر اذ يصير التقدير ليقولون قولا منكرا من القول
فيصير قوله من القول لا فايدة فيه والاولى ان يقال نعتان لمفعول محذوف فافهم لمعنى اي ليقولون شيئا منكرا من القول لتفيد
الصفة غير ما افادة الموصوف والمنكر من القول ما لا يعرف في الشرع والزور هو الكذب وان الله لعفو غفور اذ جعل الكفارة عليهم
مخلصة لهم من هذا القول المنكر وقيل لعفو غفور اما من قبل التوبة لمن يشاء كما قال تعالى ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء او بعد التوبة
فان قيل المظاهر انما قال انت علي كظهر امي فشبهه بامه ولم يقل انها امه فما معنى انه جعله منكرا من القول وزورا والزور الكذب
وهذا ليس بكذب فالجواب ان قوله ان كان خبرا فهو كذب وان كان انشاء فكذلك لانه جعله سببا للتحريم والشرع لم يجعله سببا
لذلك وايضا فانما وصف بذلك لان الام مؤبدة التحريم والزوجة لا يتابد تحريمها بالظهار وهذا ضعيف لان المشبه لا يلزم
ان يساوي المشبه به من كل وجه فان قيل قوله الا اللائي ولدنهم يقتضي ان لا ام الا الوالدة وهذا مشكل لقوله تعالى وامهاتكم اللاتي
ارضعنكم وقوله تعالى وازواجه امهاتهم والحمل على حرمة النكاح لا يفيد اذ لا يلزم من عدم كون الزوجة اما عدم الحرمة وظاهر
الاية الاستدلال بعدم الامومة على عدم الحرمة فالجواب انا نقول هذه الزوجة ليست بام حتى تحصل الحرمة بسبب الامومة ولم يرد
الشرع بجعل هذه اللفظة سببا للحرمة فاذن لا تحصل الحرمة هناك البتة فكان وصفهم لها بالحرمة كذبا وزورا قوله تعالى
والذين يظاهرون مبتدأ وقوله فتحرير رقبة مبتدأ وخبره مقدر اي فعليهم او فاعل بفعل مقدر اي فيلزمهم تحرير او خبر مبتدأ مضمر
اي فالواجب عليهم تحرير وعلى التقادير الثلاثة فالجملة خبر المبتدأ ودخلت الفاء لما تضمنه المبتدأ من معنى الشرط قوله تعالى
ثم يعودون لما قالوا في هذه اللام اوجه احدها انها متعلقة بيعودون وفيه معان احدها والذين من عادتهم انهم كانوا
يقولون هذا القول في الجاهلية ثم يعودون لمثله في الاسلام الثاني ثم يتداركون ما قالوا لان المتدارك للامر عائد اليه
ومنه عاد غيث على ما افسد اي تداركه بالاصلاح والمعنى ان تدارك هذا القول وتلافيه بان يكفر حتى يرجع حالهما كما
كانت قبل الظهار الثالث ان يراد بما قالوا ما حرموه على انفسهم بلفظ الظهار تنزيلا للقول منزلة المقول فيه نحو ما ذكر في قوله
تعالى ونرثه ما يقول والمعنى ثم يريدون العود للتماس قال الزمخشري وهذا الثالث هو معنى ما روي عن مالك والحسن
والزهري ثم يعودون للوطء اي يعودون لما قالوا انهم لا يعودون اليه فاذا ظاهر ثم وطئ لزمته الكفارة عند هؤلاء
الرابع لما قالوا اي يقولونه ثانيا فلو قال انت علي كظهر امي مرة واحدة لم يلزمه كفارة لانه لم يعد لما قال وهذا منقول عن بكير
بن عبد الله الاشج وابي حنيفة وابي العالية والفراء في آخرين وهو مذهب اهل الظاهر قال ابن العربي وهذا القول باطل
قطعا لان قصص المتظاهرين قد رويت وليس في ذكر الكفارة عليهم ذكر لعود القول منهم والمعنى ايضا ينقضه لان الله تعالى
وصفه بانه منكر من القول وزور فكيف يقال اذا اعدت القول المحرم والسبب المحظور وجبت عليك الكفارة وهذا لا يعقل
الا ترى ان كل سبب يوجب الكفارة لا يشترط فيه الاعادة من قتل ووطء في صوم الخامس ان المعنى ان يعزم على امساكها
فلا يطلقها بعد الظهار حتى يمضي زمن يمكن ان يطلقها فيه فهذا هو العود لما قال وهو مذهب الشافعي ومالك
وابي حنيفة ايضا وقال العود هنا ليس بتكرير القول بل بمعنى العزم على الوطء قال القرطبي وهذا ينتقض بثلاثة امور
احدها انه قال ثم وهي للتراخي الثاني قوله ثم يعودون يقتضي وجود فعل من جهته ومرور الزمان ليس بفعل منه
الثالث ان الطلاق الرجعي لا ينافي البقاء على الملك فلم يسقط حكم الظهار كالايلاء وقال مكي واللام متعلقة بيعودون
اي يعودون لوطء المقول فيه الظهار وهن الازواج فما والفعل مصدر اي لقولهم والمصدر في موضع المفعول به نحو
هذا درهم ضرب الامير اي مضروبه فيصير المعنى لقولهم للمقول فيه الظهار اي لوطئه وهذا معنى قول الزمخشري الوجه الثالث
الذي تقدم نقله عن الحسن والزهري ومالك الا ان مكيا قيد ذلك بكون ما مصدرية حتى يقع المصدر المؤول موضع
اسم المفعول وفيه نظر اذ يجوز ذلك وان كانت ما غير مصدرية لكونها بمعنى الذي او نكرة موصوفة بل جعلها غير مصدرية
اولى لان المصدر المؤول فرع المصدر الصريح اذ الصريح اصل للمؤول به ووضع المصدر موضع اسم المفعول خلاف الاصل
فيلزم الخروج عن الاصل بشيئين بالمصدر المؤول ثم وقوعه موقع اسم المفعول والمحفوظ من لسانهم انما هو وضع المصدر
الصريح موضع المفعول لا المصدر المؤول فاعرفه لا يقال ان جعلها غير مصدرية يحوج الى تقدير حذف مضاف ليصح
المعنى به اي يعودون لوطء المظاهر منها او امرأة ظاهر منها او يعودون لامساكها والاصل عدم الحذف لان هذا
مشترك الالزام لنا ولكم فانكم تقولون ايضا لا بد من تقدير مضاف اي يعودون لوطء او لامساك المقول فيه
الظهار ويدل على جواز كون ما في هذا الوجه غير مصدرية ما اشار اليه ابو البقاء فانه قال تتعلق بيعودون بمعنى
يعودون للمقول فيه هذا ان جعلت ما مصدرية ويجوز ان تجعلها بمعنى الذي ونكرة موصوفة الثاني ان اللام تتعلق
بتحرير وفي الكلام تقديم وتأخير والتقدير والذين يظاهرون من نسائهم فعليهم تحرير رقبة لما نطقوا به من الظهار
ثم يعودون للوطء بعد ذلك وهذا ما نقله مكي وغيره عن الاخفش قال ابو حيان وليس بشيء لانه يفسد نظم الآية

وفيه نظر لانا لا نسلم فساد النظم مع دلالة المعنى على التقديم والتاخير ولكن نسلم ان ادعاء التقديم والتاخير
لا حاجة اليه لانه خلاف الاصل الثالث ان اللام بمعنى الى واللام والى يتعاقبان قال تعالى هدانا لهذا وقال واهدوهم
الى صراط الجحيم وقال بان ربك اوحى لها وقال واوحي الى نوح قاله الاخفش الرابع انها بمعنى في نقلها ابو البقاء ومع
ذلك فهي متعلقة بيعودون الخامس انها متعلقة بيقولون قال مكي وقال قتادة ثم يعودون لما قالوا من التحريم
فيحلونه فاللام على هذا تتعلق بيقولون قال شهاب الدين ولا ادري ما هذا الذي قاله مكي وكيف فهم تعلقها بيقولون
على تفسير قتادة بل تفسير قتادة نص في تعلقها بيعودون وليس لتعلقها بيقولون وجه ونقله القرطبي عن الفراء
قال اللام بمعنى عن والمعنى ثم يرجعون عما قالوا ويريدون الوطء وقال ابو مسلم العود هو ان يحلف اولا على ما قال
من لفظ الظهار فلو لم يحلف لم يلزمه كفارة كما لو قال في الماكول هو علي حرام كلحم الآدمي فلا كفارة عليه فاذا حلف عليه
لزمته كفارة يمين وهذا ضعيف لان الكفارة قد تجب بالجماع في الحج وفي رمضان وفي قتل الخطا ولا يمين هناك قوله
تعالى فتحرير رقبة اي فعليه اعتاق رقبة يقال حررته اي جعلته حرا ثم هذه الرقبة يجب ان تكون كاملة سالمة من كل عيب
ومن كمالها اسلامها كالرقبة في كفارة القتل فان اعتق نصفي عبدين لم يجزه وقال الشافعي يجزيه لان النصفين في معنى العبد
الواحد ولان الكفارة بالعتق طريقها المال فجاز ان يدخلها التبعيض كالاطعام ودليل الاول قوله فتحرير رقبة وهذا
الاسم عبارة عن شخص واحد وبعض الرقبة ليس رقبة ولانه لو اوصى وحلف ان يحج عنه حجة لم يجز ان يحج واحد منهما نصفها
ولو اوصى ان يشتري رقبة فيعتق عنه نصف عبدين كذا هاهنا وروي عن احمد رضي الله عنه ان كان باقيهما حرا صح واجزاه
والا فلا لان المقصود تكميل الحرية وقد كملت ولقوله عليه السلام ليس لله شريك فصل وان اعتق مكاتبا عن الكفارة
لم يجزه قال ابو حنيفة ان اعتقه قبل ان يؤدي شيئا اجزأ وان اعتقه بعد ان ادى شيئا لم يجزه قوله تعالى من قبل ان يتماسا
اي من قبل ان يجامعها فلا يجوز للمظاهر الوطء قبل التكفير فان جامعها قبل التكفير عصى ولا يسقط عنه التكفير وحكي
عن مجاهد انه اذا وطئ قبل ان يشرع في التكفير لزمه كفارة اخرى وعن غيره ان الكفارة الواجبة بالظهار تسقط عنه
ولا يلزمه شيء اصلا لان الله تعالى اوجب الكفارة وامر بها قبل المسيس فاذا اخرها حتى مس فقد فات وقتها والصحيح
ثبوت الكفارة لانه بوطئه ارتكب اثما وذلك ليس بمسقط الكفارة ويأتي بها قضاء كما لو اخر الصلاة عن وقتها وسواء كانت
الكفارة بالعتق او الصوم او الاطعام وقال ابو حنيفة رضي الله عنه ان كانت بالاطعام جاز ان يطأ ثم يطعم فاما غير
الوطء من القبلة والمباشرة والتلذذ فلا يحرم في قول اكثر العلماء فصل اذا ظاهر مرارا من امرأته ولم
يكفر فكفارة واحدة الا ان يكون قد كفر عن الاول فعليه للثاني كفارة قال وينبغي للمرأة ان لا تدعه يقربها حتى يكفر فان
تهاون بالتكفير حال الامام بينه وبينها ويجبره على التكفير وان كان بالضرب حتى يوفيها حقها من الجماع قال الفقهاء ولا
شيء من الكفارات يجبر عليه ويحبس الا كفارة الظهار وحدها لان ترك التكفير اضرار بالمرأة وامتناع من ايفاء حقها
قوله تعالى ذلكم توعظون به اي تؤمرون به والله بما تعملون خبير من التكفير وغيره قوله تعالى فمن لم يجد فصيام وقوله
تعالى فاطعام كقوله فتحرير في الاوجه الثلاثة المتقدمة ومن قبل متعلق بالفعل او الاستقرار المتقدر اي فيلزمه
تحرير او صيام او فعليه كذا من قبل تماسهما والضمير في تماسا للمظاهر والمظاهر منها لدلالة ما تقدم عليهما فصل
من لم يجد الرقبة ولا ثمنها وكان مالكا لها الا انه شديد الحاجة اليها لخدمته او كان مالكا لثمنها الا انه يحتاج اليه
لنفقته او كان له مسكن ليس له غيره ولا يجد شيئا سواه فله ان يصوم وقال ابو حنيفة رضي الله عنه لا يصوم وعليه العتق
ولو كان محتاجا الى ذلك والصيام الواجب في هذه الكفارة ان يصوم شهرين متتابعين فان افطر في اثنائهما بغير عذر
استانفهما وان افطر لعذر من سفر او مرض فقال ابن المسيب والحسن وعطاء بن ابي رباح وعمرو بن دينار والشعبي يبني على
ما مضى وهو الصحيح من مذهب الشافعي فان ابتدأ الصيام ثم وجد الرقبة لم يلزمه الانتقال عنه لانه امر به حين دخل فيه
وقال ابو حنيفة رضي الله عنه يعتق قياسا على الصغيرة المعتدة بالشهور اذا رأت الدم قبل انقضاء عدتها فانها تستأنف
الحيض اجماعا فان وطئ المظاهر في خلال الشهرين نهارا بطل التتابع وان وطئ ليلا لم يبطل لانه ليس محلا للصوم
وقال ابو حنيفة رضي الله عنه ومالك يبطل بكل حال ويجب عليه ابتداء الكفارة لقوله تعالى من قبل ان يتماسا وهذا شرط
عائد الى جملة الشهرين ومن طال مرضه طولا لا يرجى برؤه كان بمنزلة العاجز من كبر فيجوز له العدول عن الصيام الى الاطعام
فان كان يرجى برؤه واشتدت حاجته الى وطء امرأته فالاختيار له ان ينتظر البرء حتى يقدر على الصيام فلو كفر بالاطعام
ولم ينتظر القدرة على الصيام اجزأه فان ظاهر وهو موسر ثم اعسر قبل ان يكفر صام وانما ينظر الى حاله يوم يكفر
ولو جامعها في عدمه وعسره فلم يكفر حتى ايسر لزمه العتق ولو ابتدأ بالصوم ثم ايسر قال القرطبي رحمه الله فان كان
مضى من صومه صدر صالح كالجمعة وشبهها تمادى وان كان يوما او يومين ترك الصوم وعاد الى العتق وليس ذلك

بواجب عليه ولو ظاهر من امرأتين له فأعتق رقبة عن إحداهما لا بعينها لم يجز له وطء واحدة منهما حتى يكفر الكفارة الأخرى
ولو عين الكفارة عن إحداهما جاز له أن يطأها قبل أن يكفر الكفارة عن الأخرى قال القرطبي ولو ظاهر من أربع نسوة فأعتق
عنهن ثلاث رقاب وصام شهرين لم يجزه العتق ولا الصيام لأنه إنما صام عن كل واحدة خمسة عشر يوما فإن كفر عنهن بالإطعام
جاز أن يطعم عنهن مائتي مسكين وإن لم يقدر فرق بخلاف العتق والصيام لأن صيام الشهرين لا يفرق والإطعام يفرق
قوله تعالى فمن لم يستطع فإطعام ستين مسكينا فصيام وفإطعام كقوله تعالى فتحرير في الأوجه الثلاثة المتقدمة
ومن قبل متعلق بالفعل أو الاستقرار المتقدم أي فيلزمه تحرير أو صيام أو فعليه كذا من قبل تماسهما والضمير في يتماسا
للمظاهر والمظاهر منها لدلالة ما تقدم **فصل** اعلم أن الله تعالى أمر بكفارة الظهار مرتبة فلا سبيل إلى الصيام
إلا عند العجز عن العتاق وكذلك لا سبيل إلى الإطعام إلا عند عدم الاستطاعة على الصيام فمن لم يطق الصيام وجب
عليه إطعام ستين مسكينا لكل مسكين مد من طعام بمد النبي صلى الله عليه وسلم قال ابن عبد البر والأفضل مدان بمد النبي
صلى الله عليه وسلم ولا يجزي عند مالك والشافعي رضي الله عنهما أن يطعم أقل من ستين مسكينا وقال أبو حنيفة
رضي الله عنه لو أطعم مسكينا واحدا كل يوم نصف صاع حتى يكمل العدد أجزأه وعن أحمد رضي الله عنه إذا لم يجد إلا مسكينا
واحدا ردد عليه بعدد الأيام **فصل** حكم الظهار ناسخ لما كانوا عليه من كون الظهار طلاقا روي ذلك عن ابن
عباس وأبي قلابة وغيرهما **قوله تعالى** ذلك لتؤمنوا قال الزجاج وذلك فيه وجهان الأول أنه في محل رفع أي الغرض الذي
ذلك وصفنا من التغليظ في الكفارة لتؤمنوا أي لتصدقوا أن الله أمر به الثاني فعلنا ذلك للبيان والتعليم للأحكام
لتصدقوا بالله ورسوله صلى الله عليه وسلم والعمل بشرائعه ولا تستمروا على أحكام الجاهلية من جعل الظهار أقوى
أنواع الطلاق **فصل** استدل بعض العلماء على أن هذه الكفارة إيمان بالله تعالى لأنه لما ذكرها وأوجبها
قال ذلك لتؤمنوا بالله ورسوله أي ذلك لتكونوا مطيعين لله تعالى واقفين عند حدوده لا تتعدوها فسمي
التكفير إيمانا لأنه طاعة ومراعاة للحد فثبت أن كل ما أشبهه فهو إيمان **فصل** معنى قوله تعالى ذلك لتؤمنوا
بالله ورسوله أي لئلا تعودوا للظهار الذي هو منكر من القول وزور قيل له قد يجوز أن يكون كلاهما مقصودا فيكون
المعنى ذلك لئلا تعودوا فتقولوا المنكر والزور بل تدعونهما طاعة لله سبحانه وتعالى إذ كان قد حرمهما ولتجتنبوا
المظاهر منها إلى أن تكفروا إذ كان الله تعالى منع من مسيسها وتكفروا إذ كان الله عز وجل أمر بالكفارة وألزم إخراجها
منكم فتكونوا بهذا كله مؤمنين بالله ورسوله صلى الله عليه وسلم لأنها حدود تحفظونها وطاعات تؤدونها والطاعة لله
تعالى ولرسوله صلى الله عليه وسلم إيمان بالله ورسوله **فصل** قال ابن الخطيب استدل من أدخل العمل في مسمى
الإيمان بهذه الآية فقال إن الله تعالى أمرهم بهذه الأعمال وبين أنه إنما أمرهم بها ليصيروا بعملها مؤمنين فدل على أن
العمل من الإيمان ومن أنكر ذلك قال إنه تعالى لم يقل ذلك لتؤمنوا بالله بعمل هذه الأشياء ونحن نقول المعنى ذلك لتؤمنوا
بالله والإقرار بهذه الأحكام **فصل** استدل المعتزلة باللام في قوله تعالى ليؤمنوا على أن فعل الله معلل
بالغرض وعلى أن غرضه أن يؤمنوا ولا يستمروا على ما كانوا عليه من الكفر وهذا يدل على أنه تعالى أراد منهم الإيمان وعدم
الكفر **قوله تعالى** وتلك حدود الله أي بين معصيته وطاعته فمعصيته الظهار وطاعته الكفارة وللكافرين عذاب
أليم أي لمن جحد هذا وكذب به ولم يصدق بأحكام الله تعالى عذاب جهنم **قوله تعالى** إن الذين يحادون الله ورسوله
قال المبرد أصل المحادة الممانعة ومنه يقال للبواب حداد وللممنوع الرزق محدود وقال أبو مسلم الأصفهاني المحادة
مفاعلة من لفظ الحديد والمراد المقاتلة بالحديد سواء كان ذلك في الحقيقة أو كان ذلك منازعة شديدة شبيهة
بالخصومة بالحديد سواء كان ذلك في الحقيقة أو كان ذلك منازعة شديدة **فصل** لما ذكر المؤمنين الواقفين
عند حدوده ذكر المحادين المخالفين لها قال المفسرون المحادة المعاداة والمخالفة في الحدود وهو كقوله تعالى ذلك
بأنهم شاقوا الله ورسوله وقيل يحادون الله أي أولياء الله كما في الخبر من أهان لي وليا فقد بارزني بالمحاربة قال الزجاج
المحادة أن يكون في حد يخالف حد صاحبك والضمير في قوله يحادون يمكن أن يرجع إلى المنافقين فإنهم كانوا يوادون الكافرين
ويظاهرونهم على الرسول صلى الله عليه وسلم فأذلهم الله سبحانه ويحتمل أن يرجع لجميع الكفار فأعلم الله تعالى رسوله
صلى الله عليه وسلم أنهم كبتوا أي خذلوا قال المبرد رحمه الله يقال كبت الله فلانا أي أذله والمردود بالذل يقال له مكبوت
وقال أبو عبيدة والأخفش أهلكوا وقال قتادة أخزوا كما أخزي الذين من قبلهم وقال ابن زيد عذبوا وقال السدي لعنوا
وقال الفراء أغيظوا يوم الخندق وقيل يوم بدر وقيل معنى كبتوا أي سيكبتون وهو بشارة من الله تعالى للمؤمنين بالنصر
وأخرج الكلام بلفظ الماضي تقريبا للمخبر عنه وقيل هي لغة مذحج ويحتمل أن يكون كتحقق وقوعه والمراد بالذين من قبلهم
أعداء الرسل صلوات الله عليهم وقد أنزلنا آيات بينات فيمن حاد الله ورسوله من الذين من قبلهم فيما فعلنا بهم وللكافرين

بهذه الآيات عذاب مهين يذهب بعزهم وكبرهم فبين تعالى أن عذاب المحادين في الدنيا الذل والهوان وفي الآخرة
العذاب الشديد **قوله تعالى** يوم يبعثهم الله فيه أوجه أحدها أنه منصوب بعذاب مهين الثاني أنه منصوب بفعل مقدر
فقدره أبو البقاء يهانون أو يعذبون أو استقر ذلك يوم يبعثهم وقدره الزمخشري باذكر قال تعظيما لليوم الثالث
أنه منصوب بلهم قاله الزمخشري أي بالاستقرار الذي تضمنه لوقوعه خبرا الرابع أنه منصوب بأحصاه قاله أبو البقاء
وفيه قلق لأن الضمير في أحصاه يعود على ما عملوا **قوله تعالى** جميعا أي الرجال والنساء أي كلهم لا يترك منهم أحدا وقيل
مجتمعين في حال واحدة فينبئهم أي يخبرهم بما عملوا في الدنيا تخجيلا لهم وتوبيخا أحصاه الله عليهم في صحائف أعمالهم ونسوه
هم حتى ذكرهم به في صحائفهم ليكون أبلغ في الحجة عليهم والله على كل شيء شهيد أي شاهد مطلع وناظر لا يخفى عليه شيء
ثم إنه تعالى أكد بيان كونه عالما بكل المعلومات فقال جل ذكره ألم تر أن الله يعلم ما في السموات وما في الأرض فلا يخفى عليه
سر ولا علانية **قوله تعالى** ما يكون من نجوى يكون تامة ومن نجوى فاعلها ومن مزيدة فيه ونجوى في الأصل مصدر
فيجوز أن يكون باقيا على أصله ويكون مضافا لفاعله أي ما يوجد من تناجي ثلاثة ويجوز أن يكون على حذف أي من ذوي
نجوى ويجوز أن يكون أطلق على الأشخاص المتناجين مبالغة فعلى هذين الوجهين يخفض ثلاثة على أحد وجهين إما
البدل من ذوي المحذوفة وإما الوصف لها على التقدير الثاني وإما البدل أو الصفة لنجوى على التقدير الثالث
وقرأ ابن أبي عبلة ثلاثة وخمسة نصبا على الحال وفي صاحبها وجهان أحدهما أنه محذوف مع رافعه تقديره يتناجون
ثلاثة وحذف لدلالة نجوى والثاني أنه الضمير المستكن في نجوى إذا جعلناها بمعنى المتناجين قاله الزمخشري رحمه الله
قال مكي ويجوز في الكلام رفع ثلاثة على البدل في موضع نجوى لأن موضعها رفع ومن زائدة ولو نصبت ثلاثة على الحال
من الضمير المرفوع إذا جعلت نجوى بمعنى المتناجين جاز في الكلام قال شهاب الدين فلا يقرأ به فيما علمت وهو جائز في غير
القرآن كما قال وأما النصب فقد قرئ به وكأنه لم يطلع عليه **قوله تعالى** إلا هو رابعهم إلا هو خامسهم إلا هو معهم
كل هذه الجمل بعد إلا في موضع نصب على الحال أي ما يوجد شيء من هذه الأشياء إلا في حال من هذه الأحوال فالاستثناء
مفرغ من الأحوال العامة وقرأ أبو جعفر ما تكون بتاء التأنيث لتأنيث النجوى قال أبو الفضل إلا أن الأكثر في هذا الباب
التذكير على ما في العامة لأنه مسند إلى من نجوى وهو اسم جنس مذكر قال ابن جني التذكير الذي عليه العامة هو الوجه لوقوع
الفاصل بين الفعل والفاعل وهو كلمة من ولأن تأنيث النجوى غير حقيقي **قوله تعالى** ولا أكثر العامة على الجر عطفا
على لفظ نجوى وقرأ الحسن والأعمش وابن أبي إسحاق وأبو حيوة ويعقوب ولا أكثر بالرفع وفيه وجهان أحدهما أنه معطوف
على موضع نجوى لأنه مرفوع ومن مزيدة فيه فإن كان مصدرا كان على حذف مضاف كما تقدم أي من ذوي نجوى وإن
كان بمعنى المتناجين فلا حاجة إلى ذلك الثاني أن يكون أدنى مبتدأ وإلا هو معهم خبره فيكون ولا أكثر عطفا على المبتدأ
وحينئذ يكون ولا أدنى من باب عطف الجمل لا المفردات وقرأ الحسن ويعقوب أيضا ومجاهد والخليل ولا أكبر بالباء
الموحدة والرفع على ما تقدم وزيد بن علي ينبئهم بسكون النون من أنبأ إلا أنه حذف الهمزة وكسر الهاء وقرئ كذلك إلا أنه
بإثبات الهمزة وضم الهاء والعامة بالتشديد من نبأ والنجوى التناجي وهو السرار وهو مصدر يوصف به
يقال قوم نجوى أي ذوو نجوى قال تعالى وإذ هم نجوى قال الزجاج النجوى مشتقة من النجوة وهي ما ارتفع ونجا
بالكلام المذكور سمي لما حكي عن استماع الغير كالأرض المرتفعة فإنها لارتفاعها خلت عن اتصال الغير والسرار ما كان
بين اثنين **قوله تعالى** إلا هو رابعهم أي يعلم ويسمع نجواهم بدليل افتتاح الآية بالعلم فإن قيل ما الحكمة في ذكره
سبحانه وتعالى الثلاثة والخمسة وأهمل ذكر الأربعة فالجواب من وجوه الأول أن ذلك إشارة إلى كمال الرحمة لأن
الثلاثة إذا اجتمعوا فإذا تناجى اثنان منهم بقي الواحد ضائعا وحيدا فيضيق عليه ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم
إذا كنتم ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون الثالث إلا بإذنه فإن ذلك يحزنه فكأنه تعالى يقول أنا جليسك وأنيسك
وكذا الخمسة إذا اجتمعوا بقي الخامس وحيدا فريدا الثاني أن العدد الفرد أشرف من الزوج لأن الله تبارك وتعالى
وتر يحب الوتر فخص أعداد الفرد بالذكر تنبيها على أنه لا بد من رعاية الأمور الإلهية في جميع الأمور الثالث أن أقل
ما لا بد منه في المسارة التي يكون الغرض منها تمهيد مصلحة ثلاثة حتى يكون الاثنان كالمتنازعين في النفي والإثبات
والثالث كالحاكم بينهما فحينئذ تكمل المشورة ويتم ذلك الغرض فلهذا السبب لا بد وأن يكون أرباب المشورة عددهم
فردا فذكر الله تعالى الفردين الأولين واكتفى بذكرهما تنبيها على الباقي الرابع أن الآية نزلت في قوم من المنافقين
اجتمعوا على التناجي وكانوا على هذين العددين وقال ابن عباس رضي الله عنه نزلت هذه الآية في ربيعة وحبيب ابني
عمرو وصفوان بن أمية كانوا يتحدثون فقال أحدهم هل يعلم الله تعالى ما نقول وقال الثاني يعلم البعض الخامس
أنه في مصحف عبد الله بن عمر ما يكون من نجوى ثلاثة إلا الله رابعهم ولا أربعة إلا الله خامسهم ولا خمسة إلا الله سادسهم

ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا الله معهم إذا أخذوا في التناجي قوله تعالى ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة أي يخبرهم
على ذلك ويجازي عليه إن الله بكل شيء عليم وهذا تحذير من المعاصي وترغيب في الطاعات قوله تعالى ألم تر إلى الذين
نهوا عن النجوى الآية قيل هم اليهود وقيل هم المنافقون وقيل فريق من الكفار وقيل فريق من المسلمين لما روى أبو
سعيد الخدري رضي الله عنه قال كنا ذات ليلة نتحدث إذ خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما هذه النجوى
فقلنا تبنا إلى الله يا رسول الله صلى الله عليه وسلم إنا كنا في ذكر المسيح يعني الدجال فرقا منه فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ألا أخبركم بما هو أخوف عندي منه قلنا بلى يا رسول الله صلى الله عليك وسلم قال الشرك الخفي أن يقوم الرجل
يعمل لمكان رجل ذكره الماوردي وقال ابن عباس نزلت في اليهود والمنافقين كانوا يتناجون فيما بينهم وينظرون للمؤمنين
ويتغامزون بأعينهم فيقولون المؤمنون لعلهم بلغهم عن إخواننا وقرابتنا من المهاجرين والأنصار قتل أو مصيبة أو هزيمة
ويسوءهم ذلك وكثرت شكواهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنهاهم عن النجوى فلم ينتهوا فنزلت الآية وقال مقاتل
كان بين النبي صلى الله عليه وسلم فنهاهم عن النجوى فلم ينتهوا فنزلت الآية وقال مقاتل كان بين النبي صلى الله عليه وسلم
وبين اليهود موادعة فإذا مر بهم رجل من المؤمنين تناجوا بينهم حتى يظن المؤمن شرا فيعرج عن طريقه فنهاهم الله سبحانه
فلم ينتهوا فنزلت وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم كان الرجل يأتي النبي صلى الله عليه وسلم فيسأله الحاجة ويناجيه
والأرض يومئذ حرب فيتوهمون أنه يناجيه في حرب أو بلية أو أمر مهم فيفزعون لذلك فنزلت قال ابن الخطيب رحمه الله
والأولى أن تكون نزلت في اليهود لأنه عز وجل حكى عنهم فقال وإذا جاءوك حيوك بما لم يحيك به الله وهذا إنما وقع من اليهود
كانوا يسلموا على الرسول صلى الله عليه وسلم قالوا السام عليك يعنون الموت قوله تعالى ثم يعودون لما نهوا عنه أي يرجعون
إلى المناجاة التي نهوا عنها قوله تعالى ويتناجون قرأ حمزة وينتجون بغير ألف من الانتجاء النجوى على وزن يفتعلون
والباقون ويتناجون من التناجي من النجوى أيضا قال أبو علي والافتعال والتفاعل يجريان مجرى واحدا ومن ثم صححوا
ازدوجوا واعتوروا لما كانا في معنى تجاوروا وتعاوروا وجاحتى إذا اداركوا وادركوا قال شهاب الدين ويؤيد قراءة العامة
الإجماع على تناجيتم وفلا تتناجوا وتناجوا فهذه من التفاعل لا غير الأسارى عن عبد الله أنه قرأ إذا انتجيتم فلا تنتجوا
ونقل أبو حيان من الكوفيين والأعمش فلا تنتجوا كقراءة عبد الله وأصل ينتجون ينتجيون ويتناجون فاستثقلت الضمة
على الياء فحذفت فالتقى ساكنان فحذف أولهما وبقيت الفتحة دالة على الألف قوله تعالى بالإثم والعدوان الكذب
والظلم ومعصية الرسول صلى الله عليه وسلم مخالفته وقرأ الضحاك ومعصيات الرسول صلى الله عليه وسلم قوله تعالى
وإذا جاءوك حيوك بما لم يحيك به الله قال القرطبي لا خلاف بين أهل النقل أن المراد به اليهود وكانوا إذا سلموا على النبي
صلى الله عليه وسلم قالوا السام عليك يعنون الموت كما روت عائشة رضي الله عنها أن اليهود أتوا النبي صلى الله عليه
وسلم فقالوا السام عليك قال النبي صلى الله عليه وسلم عليكم فقالت عائشة رضي الله عنها السام عليكم ولعنة الله وغضبه
عليكم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مهلا يا عائشة عليك بالرفق وإياك والعنف والفحش قالت أولم تسمع ما قالوا يا
رسول الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أولم تسمعي ما قلت رددت عليهم فيستجاب لي فيهم ولا يستجاب لهم في وقال النبي صلى الله
عليه وسلم عند ذلك إذا سلم عليكم أهل الكتاب فقولوا عليك ما قلت فأنزل الله تعالى وإذا جاءوك حيوك بما لم يحيك
به الله وروى أنس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سلم عليكم أهل الكتاب فقولوا وعليكم بالواو
فقال بعض العلماء رضي الله عنهم إن الواو العاطفة تقتضي التشريك فيلزم منه أن يدخل معهم فيما دعوا به علينا من
الموت أو من سآمة ديننا وهو الملال يقال سئم يسأم سآمة وسآما وقال بعضهم الواو زائدة كما زيدت في قول الشاعر
فلما أجزنا ساحة الحي وانتحى أي لما أجزنا انتحى فزاد الواو وقال آخرون هي للاستئناف كأنه قال والسام عليكم وقال
آخرون هي على بابها من العطف ولا يضرنا ذلك لأنا نجاب عليهم ولا يجابون علينا كما تقدم في قوله صلى الله عليه وسلم
لعائشة رضي الله عنها **فصل** اختلفوا في رد السلام على أهل الذمة فقال ابن عباس والشعبي وقتادة هو واجب
لظاهر الأمر بذلك وقال مالك رضي الله عنه ليس بواجب فإن رددت فقل عليك وقال بعضهم يقول في الرد علاك
السلام أي ارتفع عنك وقال بعض المالكية يقول في الرد السلام عليك بكسر السين يعني الحجارة قوله تعالى ويقولون في
أنفسهم لولا يعذبنا الله هذه الجملة التحضيضية في موضع نصب بالقول ومعنى الآية أن اليهود لعنهم الله لما كانوا يقولون
السام عليك ويوهمون أنهم يسلمون وكان صلى الله عليه وسلم يرد عليهم بقوله عليكم فإذا خرجوا قالوا لولا يعذبنا الله
أي هلا يعذبنا الله بما نقول أي لو كان نبيا لعذبنا الله بما نقول وقيل قالوا إنه يرد علينا ويقول وعليكم السام فلو كان
نبيا لاستجيب له فينا ومتنا وهذا موضع تعجب منهم فإنهم كانوا أهل الكتاب وكانوا يعلمون أن الأنبياء صلوات الله عليهم
قد يغضبون فلا يعاجل من يغضبهم بالعذاب قوله تعالى حسبهم جهنم أي كافيهم جهنم عقابا غدا يصلونها فبئس

المصير قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا إذا تناجيتم فلا تتناجوا بالإثم والعدوان أي كفعل المنافقين واليهود
قال مقاتل أراد بقوله آمنوا المنافقين آمنوا بلسانهم وقال عطاء يريد الذين آمنوا بزعمهم قال لهم لا تتناجوا بالإثم
والعدوان ومعصية الرسول صلى الله عليه وسلم وقيل يا أيها الذين آمنوا بموسى صلوات الله عليه قوله تعالى
وتناجوا بالبر والتقوى المراد بالبر الطاعة وبالتقوى العفاف عما نهى الله عنه واتقوا الله الذي إليه تحشرون
المراد بالبر الطاعة إليه تحشرون أي تجمعون في الآخرة قوله تعالى إنما النجوى من الشيطان ليحزن الذين آمنوا
تقدم قراءة ليحزن بالضم والفتح في آل عمران وقرئ بفتح الياء والزاي على أنه مسند إلى الموصول بعده فيكون فاعلا
فصل قال ابن الخطيب الألف واللام في لفظ النجوى لا يمكن أن يكون للاستغراق لأن في النجوى ما يكون
من الله ولله بل المراد منه المعهود والسابق وهو النجوى بالإثم ليحزن المؤمنين إذا رأوهم متناجين قال المفسرون
معنى قوله تعالى إنما النجوى من الشيطان ليحزن الذين آمنوا إذ توهموا أن المسلمين أصيبوا في السرايا أو إذا رأوا اجتماعهم
على مكايد المسلمين وربما كانوا يناجون النبي صلى الله عليه وسلم فيظن المسلمون أنهم ينتقصونهم عند النبي صلى الله
عليه وسلم وليس بضارهم أي التناجي شيئا إلا بإذن الله أي بمشيئته وقيل بعلمه وعن ابن عباس رضي الله عنهما بأمره
وعلى الله فليتوكل المؤمنون أي يكلون أمرهم إليه ويفوضون جميع شؤونهم إلى عونه **فصل** روى ابن عمر أن رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال إذا كانوا ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون الآخر وعن عبد الله بن مسعود قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا كانوا ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون الآخر حتى يختلطوا بالناس من أجل أن يحزنه فبين
في هذا الحديث غاية المنع وهو أن يجد الثالث من يتحدث معه كما فعل ابن عمر وذلك أنه كان يتحدث مع رجل فجاء آخر
يريد أن يناجيه فلم يناجه حتى دعا رابعا فقال له وللأول تأخرا وناجى الرجل الطالب للمناجاة خرجه في الموطأ
ونبه فيه على العلة بقوله من أجل أن يحزنه أي يقع في نفسه ما يحزن لأجله وذلك بأن يقدر في نفسه أن الحديث
عنه بما يكره أو أنه لم يروه أهلا لأن يشركوه في حديثهم إلى غير ذلك من إلقاء الشيطان وأحاديث النفس ويحصل ذلك كله
من بقائه وحده فإذا كان معه غيره أمن ذلك وعلى هذا يستوي في ذلك كله من بقائه وحده فإذا كان معه غيره
أمن ذلك وعلى هذا يستوي في ذلك كل الأعداد فلا يتناجى أربعة دون واحد ولا عشرة ولا ألف مثلا لوجود ذلك
المعنى في حقه بل وجوده في العدد الكثير أمكن وأوقع فيكون بالمنع أولى وإنما خص الثلاثة بالذكر لأنه أول عدد يتأتى
ذلك فيه قال القرطبي وظاهر الحديث يعم جميع الأزمان والأحوال وذهب إليه ابن عمر ومالك والجمهور وسواء كان
التناجي في مندوب أو مباح أو واجب فإن الحزن به وقد ذهب بعض الناس إلى أن ذلك في أول الإسلام لأن ذلك كان
حال المنافقين فيتناجى المنافقون دون المؤمنين فلما فشا الإسلام سقط ذلك وقال بعضهم ذلك خاص بالسفر
وفي المواضع التي لا يأمن الرجل فيها صاحبه وأما في الحضر وبين العمارة فلا لأنه يجد من يغيثه بخلاف السفر فإنه مظنة
الاغتيال وعدم المغوث والله أعلم قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا إذا قيل لكم تفسحوا في المجلس الآية وجه التعلق
لما نهى المؤمنين عما يكون سببا للتباغض والتنافر أمرهم الآن بما يصير سببا لزيادة المحبة والمودة وقال القرطبي
لما بين أن اليهود يحيونه بما لم يحيه به الله وذمهم على ذلك وصل به الأمر بتحسين الأدب في مجالسة رسول الله صلى الله
عليه وسلم حتى لا يضيقوا عليه المجلس وأمر المسلمين بالتعاطف والتآلف حتى يفسح بعضهم لبعض حتى يتمكنوا من الاستماع
من رسول الله صلى الله عليه وسلم والنظر إليه **فصل** قال قتادة ومجاهد والضحاك رضي الله عنهم كانوا
يتنافسون في مجلس النبي صلى الله عليه وسلم فأمرهم أن يفسح بعضهم لبعض وقال ابن عباس المراد بذلك مجالس القتال
إذا اصطفوا للحرب قال الحسن ويزيد بن أبي حبيب كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا قاتل المشركين تشاح أصحابه رضي الله
عنهم على الصف الأول فلا يوسع بعضهم لبعض رغبة في القتال والشهادة فنزلت فيكون كقوله تعالى مقاعد للقتال
وقال مقاتل كان النبي صلى الله عليه وسلم في الصفة وكان في المكان ضيق وكان يكرم أهل بدر من المهاجرين والأنصار
فجاء أناس من أهل بدر وقد سبقوا إلى المجلس فقاموا حيال النبي صلى الله عليه وسلم على أرجلهم ينتظرون أن يوسع لهم
فعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لمن حوله من غير أهل بدر قم يا فلان بعدد القائمين من أهل بدر فشق ذلك
على من قام وعرف النبي صلى الله عليه وسلم الكراهية في وجوههم فقال المنافقون والله ما عدل على هؤلاء إن قوما أخذوا
مجالسهم وأحبوا القرب منه فأقامهم وأجلس من أبطأ فنزلت الآية يوم الجمعة وروي عن ابن عباس قال نزلت الآية في ثابت
بن قيس بن شماس وذلك أنه دخل المسجد وقد أخذ القوم مجالسهم وكان يريد القرب من رسول الله صلى الله عليه وسلم للوقر
الذي كان في أذنيه فوسعوا له حتى قرب من النبي صلى الله عليه وسلم ثم ضايقه بعضهم وجرى بينهم وبينه كلام ووصف
الرسول صلى الله عليه وسلم محبته للقرب منه ليسمع كلامه وأن فلانا لم يفسح له فنزلت هذه الآية قوله تعالى تفسحوا

في المجلس قرأ الحسن وداود بن أبي هند وعيسى وقتادة تفاسحوا والباقون تفسحوا أي توسعوا والفسحة السعة
وفسح له أي وسع له ومنه قولهم بلد فسيح ولك في كذا فسحة وفسح يفسح مثل منع يمنع أي وسع في المجلس وفسح يفسح فساحة
مثل كرم يكرم أي صار واسعا ومنه مكان فسيح وقرأ عاصم في المجالس جمعا اعتبارا بأن لكل واحد منهم مجلسا والباقون
بالإفراد إذ المراد مجلس الرسول صلى الله عليه وسلم وهو أحسن من كونه واحدا أريد به الجمع وقرئ في المجلس بفتح اللام وهو المصدر
أي تفسحوا في جلوسكم ولا تتضايقوا **فصل** قال القرطبي الصحيح في الآية أنها عامة في كل مجلس اجتمع المسلمون
فيه للخير والأجر سواء كان مجلس حرب أو ذكر أو مجلس يوم الجمعة وأن كل واحد أحق بمكانه الذي سبق إليه قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم من سبق إلى ما سبق إليه فهو أحق به ولكن يوسع لأخيه ما لم يتأذ بذلك فيخرجه الضيق من موضعه روى البخاري
ومسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يقيم الرجل الرجل من مجلسه ثم يجلس فيه وعنه عن النبي صلى الله
عليه وسلم أنه نهى أن يقام الرجل من مجلسه ويجلس فيه آخر ولكن تفسحوا وتوسعوا وكان ابن عمر يكره أن يقيم الرجل من مجلسه ثم يجلس
مكانه وروى أبو هريرة عن جابر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يقيمن أحدكم أخاه يوم الجمعة ثم يخالف إلى
مقعده فيقعد فيه ولكن يقول افسحوا **فصل** إذا قام من مكانه فقعد فيه غيره نظرنا فإن كان الموضع الذي قام إليه
مثل الأول في سماع كلام الإمام لم يكره له ذلك وإن كان أبعد من الإمام كره له ذلك لأن فيه تفويت حظه **فصل**
إذا أمر رجل إنسانا أن يبكر إلى الجامع فيأخذ له مكانا يقعد فيه لا يكره فإذا جاء الآمر يقوم من الموضع لأن ابن سيرين كان يرسل
غلامه إلى المجلس له في يوم الجمعة فيجلس فيه فإذا جاء قام له منه وعلى هذا من أرسل بساطا أو سجادة فيبسط له في موضع من المسجد
وروى مسلم عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إذا قام أحدكم وفي حديث أبي عوانة من قام من مجلسه ثم رجع
إليه فهو أحق به ذكره القرطبي في تفسيره **قوله تعالى** يفسح الله لكم قال ابن الخطيب هذا مطلق فيما يطلب الناس الفسحة
فيه من المكان والرزق والصدر والقبر والجنة قال ولا ينبغي للعاقل أن يقيد الآية بالتفسح في المجلس بل المراد منه إيصال الخير
إلى المسلم وإدخال السرور في قلبه **قوله تعالى** وإذا قيل انشزوا فانشزوا قرأ نافع وابن عامر وحفص وأبو بكر بخلاف عنه
بضم شين انشزوا في الحرفين والباقون بكسرهما وهما لغتان بمعنى واحد يقال نشز أي ارتفع ينشز وينشز كعرش
يعرش ويعرش وعكف يعكف ويعكف وتقدم الكلام على هذه في المائدة وفي البقرة **فصل** قال ابن عباس
معناه إذا قيل لكم ارتفعوا فارتفعوا قال مجاهد والضحاك إذا نودي للصلاة فقوموا إليها وذلك أن رجالا تثاقلوا
عن الصلاة فنزلت وقال الحسن ومجاهد أيضا أي انهضوا إلى الحرب وقال ابن زيد والزجاج هذا في بيت النبي صلى الله عليه وسلم
كان كل رجل منهم يحب أن يكون آخر عهده بالنبي صلى الله عليه وسلم فقال الله تعالى وإذا قيل انشزوا عن النبي صلى الله
عليه وسلم فانشزوا فإن له حوائج فلا تمكثوا وقال قتادة معناه أجيبوا إذا دعيتم إلى أمر بالمعروف قال القرطبي وهذا
هو الصحيح لأنه يعمه والنشز الارتفاع مأخوذ من نشز الأرض وهو ارتفاعها **قوله تعالى** يرفع الله الذين آمنوا منكم
بطاعتهم لرسول صلى الله عليه وسلم وقيامهم في مجالسهم وتوسعهم لإخوانهم وقوله تعالى والذين أوتوا العلم يجوز أن
يكون معطوفا على الذين آمنوا فهو من عطف الخاص على العام لأن الذين أوتوا العلم بعض المؤمنين منهم ويجوز أن يكون والذين
أوتوا من عطف الصفات أي تكون الصفتان لذات واحدة كأنه قيل يرفع الله المؤمنين العلماء ودرجات مفعول ثان وقد تقدم
الكلام على نحو ذلك في الأنعام وقال ابن عباس رضي الله عنه تم الكلام عند قوله تعالى منكم وينتصب الذين أوتوا بفعل مضمر
أي ويخص الذين أوتوا العلم بدرجات أو يرفع درجات **فصل** قال المفسرون في هذه الآية إن الله تعالى رفع
المؤمن على من ليس بمؤمن والعالم على من ليس بعالم قال ابن مسعود رضي الله عنه مدح الله العلماء في هذه الآية والمعنى أن الله
تعالى يرفع الذين أوتوا العلم على الذين آمنوا ولم يؤتوا العلم درجات في دينهم إذا فعلوا ما أمروا به وقيل كان أهل الغنى يكرهون
أن يزاحمهم من يلبس الصوف فيسبقون إلى مجلس النبي صلى الله عليه وسلم فالخطاب لهم ورأى رسول الله صلى الله عليه وسلم
رجلا من الأغنياء يقبض ثوبه نفورا من بعض الفقراء أراد أن يجلس إليه فقال يا فلان أخشيت أن يتعدى غناك إليه أو فقره
إليك وبين في هذه الآية أن الرفعة عند الله تعالى بالعلم والإيمان لا بالسبق إلى صدور المجالس وقيل المراد بالذين أوتوا العلم
الذين قرأوا القرآن وروى يحيى بن يحيى عن مالك رضي الله عنه يرفع الله الذين آمنوا منكم الصحابة والذين أوتوا العلم درجات
يرفع الله تعالى بها العالم والطالب قال القرطبي ثبت في الصحيح أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يقدم عبد الله بن عباس
على الصحابة فكلموه في ذلك فدعاهم ودعاه فسألهم عن تفسير إذا جاء نصر الله والفتح فسكتوا فقال ابن عباس هو أجل رسول
الله صلى الله عليه وسلم أعلمه الله إياه فقال عمر ما أعلم منها إلا ما تعلم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بين العالم والعابد مائة
درجة بين كل درجتين حضر الجواد المضمر سبعين سنة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فضل العالم على العابد كفضل
القمر ليلة البدر على سائر الكواكب وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يشفع يوم القيامة ثلاثة الأنبياء ثم العلماء ثم الشهداء فأعظم

بمنزلة هي واسطة بين النبوة والشهادة بشهادة رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن ابن عباس خير سليمان صلوات
الله عليه بين العلم والمال والملك فاختار العلم فأعطي المال والملك معه ومر النبي صلى الله عليه وسلم بمجلسين في مسجده
أحد المجلسين يدعون الله ويرغبون إليه والآخر يتعلمون الفقه ويعلمونه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلا المجلسين
على خير وأحدهما أفضل من صاحبه أما هؤلاء فيدعون الله عز وجل ويرغبون إليه وأما هؤلاء فيتعلمون الفقه
ويعلمون الجاهل فهؤلاء أفضل وإنما بعثت معلما ثم جلس فيهم **قوله تعالى** يا أيها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول فقدموا
بين يدي نجواكم صدقة الآية قال ابن عباس رضي الله عنهما في سبب النزول أن المسلمين كانوا يكثرون المسائل على رسول الله
صلى الله عليه وسلم حتى شقوا عليه فأنزل الله تعالى هذه الآية فكف كثير من الناس وقال الحسن إن قوما من المسلمين كانوا
يستخلون بالنبي صلى الله عليه وسلم يناجونه فظن بهم قوم من المسلمين أنهم ينتقصونهم في النجوى فشق عليهم ذلك فأمرهم
الله تعالى بالصدقة عند النجوى ليقطعهم عن استخلائه وقال زيد بن أسلم إن المنافقين واليهود كانوا يناجون النبي
صلى الله عليه وسلم ويقولون إنه أذن يسمع كل ما قيل له وكان لا يمنع أحدا مناجاته فكان ذلك يشق على المسلمين لأن الشيطان
كان يلقي في أنفسهم أنهم يناجونه بأن جموعا اجتمعت لقتاله فأنزل الله تعالى يا أيها الذين آمنوا إذا تناجيتم فلا تتناجوا
بالإثم والعدوان ومعصية الرسول الآية فانتهى أهل الباطل عن النجوى لأنهم لم يقدموا بين يدي نجواهم صدقة
وشق ذلك على أهل الإيمان وامتنعوا من النجوى لضعف مقدرة كثير منهم عن الصدقة فخفف الله تعالى عنهم بما بعد
الآية قال ابن العربي وهذا الخبر يدل على أن الأحكام لا تترتب بحسب المصالح فإن الله تعالى قال ذلكم خير لكم وأطهر ثم نسخه
مع كونه خيرا وأطهر وهذا يرد المصالح فإن الله تعالى قال ذلكم خير لكم وأطهر ثم نسخه مع كونه خيرا وأطهر وهذا يرد على المعتزلة
في التزام المصالح **فصل** ظاهر الآية يدل على أن تقديم الصدقة كان واجبا لأن الأمر للوجوب ويؤكد ذلك قوله
تعالى بعده فإن لم تجدوا فإن الله غفور رحيم وذلك لا يقال إلا فيما بعدمه يزيد وجوبه وقيل كان مندوبا لقوله تعالى
ذلك خير لكم وأطهر وهذا إنما يستعمل في التطوع لا في الواجب ولأنه لو كان واجبا لما أزيل وجوبه لكلام متصل به وهو قوله
تعالى أأشفقتم أن تقدموا إلى آخر الآية وأجيب عن الأول أن المندوب كما يوصف بأنه خير وأطهر فكذلك الواجب أيضا يوصف به
وعن الثاني أنه لا يلزم من اتصال الآيتين في التلاوة كونهما متصلتين في النزول كما قيل في الآية الدالة على وجوب الاعتداد أربعة
أشهر وعشرا إنها ناسخة للاعتداد بحول وإن كان الناسخ متقدما في التلاوة على المنسوخ **فصل** اختلفوا
في مقدار تأخر الناسخ عن المنسوخ في هذه الآية فقال الكلبي رحمه الله ما بقي ذلك التكليف إلا ساعة من النهار ثم نسخ
وقال مقاتل وابن حيان بقي ذلك التكليف عشرة أيام ثم نسخ لما روي عن علي رضي الله عنه أنه قال إن في كتاب الله لآية ما عمل بها
أحد قبلي ولا يعمل بها أحد بعدي كان لي دينار فاشتريت به عشرة دراهم وكلما ناجيت النبي صلى الله عليه وسلم قدمت
بين يدي نجواي درهما ثم نسخت فلم يعمل بها أحد وروي عن ابن جريج والكلبي وعطاء عن ابن عباس رضي الله عنهم أنهم نهوا
عن المناجاة حتى يتصدقوا فلم يناج أحد إلا علي تصدق بدينار ثم نزلت الرخصة وقال ابن عمر لقد كانت لعلي رضي الله عنه
ثلاثة لو كانت لي واحدة منهن كانت أحب إلي من حمر النعم تزويجه فاطمة رضي الله عنها وإعطاؤه الراية يوم خيبر وآية النجوى
ذلك خير لكم من إمساكها وأطهر لقلوبكم من المعاصي فإن لم تجدوا يعني الفقراء فإن الله غفور رحيم روى الترمذي عن علي بن
أبي طالب رضي الله عنه قال لما نزلت يا أيها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة سألني النبي
صلى الله عليه وسلم عنها فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما ترى دينار قلت لا يطيقونه قال فنصف دينار قلت لا يطيقونه
قال فكم قلت شعيرة قال إنك لزهيد فنزلت أأشفقتم أن تقدموا الآية ومعنى قوله شعيرة من ذهب ومعنى قوله صلى الله
عليه وسلم إنك لزهيد أي لقليل المال فقدرت على حسب حالك قال ابن العربي وهذا يدل على نسخ العبادة قبل فعلها
وعلى النظر في المقدرات بالقياس قال القرطبي والظاهر أن النسخ إنما وقع بعد فعل الصدقة كما تقدم **فصل**
أنكر أبو مسلم وقوع النسخ وقال إن المنافقين كانوا يمتنعون عن بذل الصدقات وإن قوما من المنافقين تركوا
النفاق وآمنوا ظاهرا وباطنا إيمانا حقيقيا فأراد الله تعالى أن يميزهم عن المنافقين فأمر بتقديم الصدقة على
النجوى ليتميز هؤلاء الذين آمنوا عمن بقي على نفاقه الأصلي فلما كان هذا التكليف لأجل هذه المصلحة المقدرة بذلك
الوقت لا جرم تقدر هذا التكليف بذلك الوقت قال ابن الخطيب وحاصل قول أبي مسلم أن ذلك التكليف مقدر بغاية
مخصوصة فوجب انتهاؤه عند الانتهاء إلى تلك الغاية المخصوصة ولا يكون هذا نسخا قال وهذا كلام حسن والمشهور
عند الجمهور أنه منسوخ بقوله أأشفقتم وقيل إنه منسوخ بوجوب الزكاة **قوله تعالى** أأشفقتم أن تقدموا بين يدي نجواكم
صدقات هذا استفهام معناه التقرير قال ابن عباس رضي الله عنه أأشفقتم أي أبخلتم بالصدقة وقيل خفتم والإشفاق
الخوف من المكروه أي خفتم وبخلتم بالصدقة وشق عليكم أن تقدموا بين يدي نجواكم صدقات **قوله تعالى** فإذ لم تفعلوا

فاذ هذه ثلاثة اقوال احدها انها على بابها من المضي والمعنى انكم تركتم ذلك فيما مضى فتداركوه باقامة الصلوة
قاله ابو البقا الثاني انها بمعنى اذا كقوله تعالى اذ الاغلال وتقدم الكلام فيه الثالث انها بمعنى ان الشرطية وهو قريب مما
قبله الا ان الفرق بين ان واذا معروف **فصل** المعنى فاذ لم تفعلوا ما امرتم به وتاب الله عليكم اي ونسخ الله
تعالى ذلك الحكم ورخص لكم في ان لا تفعلوا فلا تفرطوا في الصلوة والزكوة وساير الطاعات وهذا خطاب لمن وجد
ما تصدق به وهذا يدل على جواز النسخ قبل الفعل قال القرطبي وما روي عن علي رضي الله عنه ضعيف لان الله تعالى
قال فاذ لم تفعلوا الثالث قوله عز وجل وتاب الله عليكم فالجواب قال ابن الخطيب ليس الامر كما قلتم لان القوم لم يكلفوا
بان يقدموا على الصدقة ويشتغلوا بالمناجاة بل امروا بانهم لو ارادوا المناجاة فلا بد من تقديم الصدقة فمن ترك المناجاة
لا يكون مقصرا واما لو قيل بانهم تناجوا من غير تقديم الصدقة فهذا ايضا غير جايز لان المناجاة لا يمكن الا اذا امكن الرسول
صلى الله عليه وسلم من المناجاة فاذا لم يمكن من ذلك لم يقدروا على المناجاة فعلمنا ان الاية لا تدل على صدور التقصير
منهم فاما قوله تعالى ااشفقتم فلا يمنع من انه تعالى علم ضيق صدر كثير منهم عن اعطاء الصدقة في المستقبل لو دام الوجوب
فقال هذا القول واما قوله عز وجل وتاب الله عليكم فليس في الاية انه تاب عليهم من هذا التقصير بل يحتمل انكم ان كنتم تائبين
راجعين الى الله تعالى واقمتم الصلوة واتيتم الزكوة فقد كفاكم هذا التكليف **قوله تعالى** والله خبير بما تعملون روي عن
ابي عمرو خبير بما يعملون بالياء من تحت والمشهور عنه كالجماعة بالخطاب والمعنى محيط باعمالكم ونياتكم **قوله تعالى** الم تر الى
الذين تولوا قوما غضب الله عليهم قال قتادة هم المنافقون تولوا اليهود وقال السدي ومقاتل هم اليهود ما هم منكم
ولا منهم يعني المنافقين ليسوا من المؤمنين في الدين والولاء ولا من اليهود والكافرين كما قال جل ذكره مذبذبين بين
ذلك لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء ويحلفون على الكذب وهم يعلمون قال السدي ومقاتل رضي الله عنهما نزلت في عبد الله
بن ابي بن سلول وعبد الله بن نبتل المنافقين كان احدهما يجالس رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم يرفع حديثه الى اليهود
فبينما رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجرة من حجره اذ قال يدخل عليكم الان رجل قلبه قلب جبار وينظر بعيني شيطان فدخل
عبد الله بن نبتل وكان ازرق اسمر قصيرا خفيف اللحية فقال له النبي صلى الله عليه وسلم علام تشتمني انت واصحابك
فحلف بالله تعالى ما فعل وجاء باصحابه فحلفوا بالله ما شتموه فانزل الله تعالى هذه الاية فقال عز وجل ويحلفون على
الكذب وهم يعلمون انهم كذبة قال ابن الخطيب رحمه الله والمراد من هذا الكذب اما ادعاؤهم كونهم مسلمين واما انهم كانوا
يسبون الله سبحانه وتعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم ويكيدون المسلمين فاذا قيل لهم انكم تفعلون ذلك خافوا على انفسهم
من القتل فيحلفون انهم ما قالوا ذلك وما فعلوه فهذا هو الكذب الذي يحلفون عليه وهذه الاية تدل على فساد قول
الجاحظ ان الكذب هو الخبر المخالف لاعتقاد المخبر **قوله تعالى** ما هم منكم ولا منهم يجوز في هذه ثلاثة اوجه احدها
انها مستانفة لا موضع لها من الاعراب اخبر عنهم بانهم ليسوا من المؤمنين الخلص بل كقوله تعالى مذبذبين بين ذلك
لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء فالضمير في ما هم عايد على الذين تولوا وهم المنافقون وفي منهم عايد على اليهود اي الكافرين
الخلص والثاني انها حال من فاعل تولوا والمعنى على ما تقدم ايضا والثالث انها صفة ثانية لقوما فعلى هذا يكون الضمير
في ما هم عايد على قوما وهم اليهود والضمير في منهم عايد على الذين تولوا يعني اليهود ليسوا منكم ايها المؤمنون ولا من
المنافقين ومع ذلك تولاهم المنافقون قاله ابن عطية الا ان فيه تنافر الضماير فان الضمير في ويحلفون عايد على
الذين تولوا وعلى الثالث يختلف كما عرفت وقوله وهم يعلمون جملة حالية اي يعلمون انه كذب فيمينهم يمين غموس
لا عذر لهم فيها **قوله تعالى** اعد الله لهم عذابا شديدا اي لهؤلاء المنافقين عذابا شديدا في جهنم وهو الدرك الاسفل
من النار وقيل عذاب القبر قال ابن الخطيب لانا اذا حملناه على عذاب القبر وحملنا قوله جل ذكره فلهم عذاب مهين
على عذاب الاخرة لا يلزم منه تكرار انهم ساء ما كانوا يعملون اي بيس الاعمال اعمالهم **قوله تعالى** اتخذوا ايمانهم جنة
قرا العامة ايمانهم بفتح الهمزة جمع يمين والحسن وابو العالية بكسرها مصدرا هنا وفي المنافقين اي اقرارهم اتخذوه
جنة يستجنون بها من القتل قال ابن جني هذا على حذف مضاف اي اتخذوا اظهار ايمانهم جنة من ظهور نفاقهم وقوله
تعالى ايمانهم جنة مفعولان لاتخذوا **قوله تعالى** فلهم عذاب مهين في الدنيا بالقتل وفي الاخرة بالنار وقيل المراد
من الكل عذاب الاخرة كقوله عز وجل الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب والصد عن سبيل
الله هو المنع عن الاسلام وقيل القاء الاراجيف وتثبيط المسلمين عن الجهاد **قوله تعالى** لن تغني عنهم تقدم الكلام عليه
في ال عمران قال مقاتل رحمه الله قال المنافقون ان محمدا يزعم انه ينصر يوم القيمة لقد شقينا اذن فوالله لننصرن يوم القيمة
بانفسنا واموالنا واولادنا ان كانت قيامة فنزلت الاية **قوله تعالى** يوم يبعثهم الله جميعا اي لهم عذاب مهين يوم يبعثهم
الله فيحلفون له كما يحلفون لكم اليوم قال ابن عباس يحلفون لله تعالى يوم القيمة كذبا كما حلفوا لاوليائه في الدنيا وهو قولهم

والله ربنا ما كنا مشركين ويحسبون انهم على شيء بانكارهم وحلفهم قال ابن زيد ظنوا انهم ينفعهم في الاخرة
وقيل يحسبون في الدنيا انهم على شيء لانهم في الاخرة يعلمون الحق باضطرار والاول اظهر والمعنى انهم لشدة توغلهم في النفاق
ظنوا يوم القيمة انه يمكنهم ترويج كذبهم بالايمان الكاذبة على علام الغيوب واليه الاشارة بقوله تعالى ولو ردوا لعادوا
لما نهوا عنه قال القاضي والجبائي ان اهل الاخرة لا يكذبون فالمراد من الاية انهم يحلفون في الاخرة انا ما كنا كافرين عند
انفسنا وعلى هذا الوجه لا يكون هذا الحلف كذبا وقوله تعالى الا انهم هم الكاذبون اي في الدنيا قال ابن الخطيب وتفسير
هذه الاية على هذا الوجه يفضي الى ركاكة عظيمة في النظم وقد استقصينا هذه المسئلة في سورة الانعام عند قوله تعالى
والله ربنا ما كنا مشركين روي ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ينادي مناد يوم القيمة اين خصماء الله
تعالى فتقوم القدرية مسودة وجوههم مزرقة اعينهم مائل شدقهم يسيل لعابهم فيقولون والله ما عبدنا من دونك
شمسا ولا قمرا ولا صنما ولا اتخذنا من دونك الها قال ابن عباس صدقوا والله اتاهم الشرك من حيث لا يعلمون ثم تلا
ويحسبون انهم على شيء الا انهم هم الكاذبون هم والله القدرية ثلاثا **قوله تعالى** استحوذ جاء به على الاصل وهو
فصيح استعمالا وان شذ قياسا وقد اخرجه عمر رضي الله عنه على القياس فقرا استحاذ كاستقاء وتقدمت هذه المادة
في النساء في قوله تعالى الم نستحوذ قال الزجاج استحوذ في اللغة استولى يقال حاذ الابل اذا استوليت عليها وجمعها وقال
المبرد استحوذ على الشيء حواه واحاط به وقيل المعنى غلب عليهم الشيطان بوسوسته في الدنيا وقيل قوي عليهم فانساهم
ذكر الله اي اوامره في العمل بطاعته وقيل زواجره في النهي عن معصيته والنسيان قد يكون بمعنى الغفلة ويكون بمعنى الترك
والوجهان محتملان هنا اولئك حزب الشيطان طايفته ورهطه الا ان حزب الشيطان هم الخاسرون في بيعهم
لانهم باعوا الجنة بجهنم وباعوا الهدى بالضلالة **فصل** احتج القاضي بهذه الاية في خلق الاعمال في وجهين
الاول ان ذلك النسيان لو حصل بخلق الله تعالى لكانت اضافتها الى الشيطان كذبا الثاني لو حصل ذلك بخلق الله لكانوا
كالمؤمنين في كونهم حزب الله لا حزب الشيطان **قوله تعالى** ان الذين يحادون الله ورسوله تقدم اول السورة اولئك
في الاذلين اي من جملة الاذلاء لا اذل منهم لان ذلة احد الخصمين يدل على عز الخصم الثاني فلما كانت عزة الله تعالى
غير متناهية كانت ذلة من ينازعه غير متناهية ايضا **قوله تعالى** كتب الله لاغلبن يجوز ان يكون كتب جاريا مجرى
القسم فاجيب بما يجاب به وقال ابو البقا وقيل هي جواب كتب لانه بمعنى قال وهذا ليس بشيء لان قال لا يقتضي جوابا
نصوا به ما تقدم ويجوز ان يكون لاغلبن جواب قسم مقدر وليس بظاهر **فصل** قال المفسرون
كتب الله اي قضى الله ذلك وقيل كتب في اللوح المحفوظ قاله قتادة وقال الفرا كتب بمعنى قال وقوله انا توكيد ورسلي من بعث
منهم بالحرب فان الرسول صلى الله عليه وسلم بالحرب غالب ومن بعث منهم بالحجة غالب ايضا فاذا انضم الى الغلبة بالحجة
الغلبة بالحرب كان اغلب واقوى قال مقاتل قال المؤمنون لئن فتح الله لنا مكة والطايف وخيبر وما حولهن رجونا ان
يظهرنا الله تعالى على فارس والروم فقال عبد الله بن ابي سلول اتظنون الروم وفارس كبعض القرى التي غلبتم عليها والله
انهم لاكثر عددا واشد بطشا من ان تظنوا فيهم ذلك فنزلت لاغلبن انا ورسلي ونظيره ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين
انهم لهم المنصورون وان جندنا لهم الغالبون **قوله تعالى** ورسلي قرا نافع وابن عامر بفتح اليا والباقون لا يحركون
قال ابو علي التحريك والاسكان جميعا حسنان وقوله تعالى ان الله قوي عزيز قوي على نصرة انبيايه عزيز غالب لا يدفعه
احد عن مراده **قوله تعالى** لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الاخر يوادون من حاد الله ورسوله يوادون هو المفعول الثاني
لتجد ويجوز ان يكون للتعدية لواحد بمعنى صادف ولقي فيكون يوادون حالا او صفة لقوما ومعنى يوادون اي
يحبون ويوالون من حاد الله ورسوله وقد تقدم الكلام على المحادة والمعنى انه لا يجتمع الايمان مع وداد اعداء
الله فان قيل اجتمعت الامة على انه يجوز مخالطتهم ومعاملتهم ومعاشرتهم فما هذه المودة المحرمة فالجواب ان
المودة المحرمة هي ارادة منافعه دينا ودنيا مع كونه كافرا فاما ما سوى ذلك فلا حظر فيه **قوله تعالى** ولو كانوا
هذه واو الحال وقدم اولا الابا لانهم يجب طاعتهم على ابنائهم ثم ثنى بالابنا لانهم اعلق بالقلوب وهم حباتها قال الحماسي
وانما اولادنا بيننا • اكبادنا تمشي على الارض • ثم ثلث بالاخوان لانهم هم الناصرون بمنزلة العضد من الذراع
قال الشاعر • اخاك اخاك ان من لا اخا له • كساع الى الهيجا بغير سلاح • وان ابن عم المرء فاعلم جناحه •
وهل ينهض البازي بغير جناح • ثم ربع بالعشيرة لان بها يستغاث وعليها يعتمد قال الشاعر •
لا يسالون اخاهم حين يندبهم • في النايبات على ما قال برهانا •
وقرا ابو رجاء عشيراتهم بالجمع كما قراها ابو بكر في التوبة كذلك **فصل** لما بالغ في المنع من هذه المودة في
الاية الاولى من حيث المودة مع الايمان لا يجتمعان بالغ ههنا ايضا من وجوه وهي قوله تعالى ولو كانوا اباءهم او ابناءهم

اواخوانهم او عشيرتهم والمعنى ان الميل الى هؤلاء اعظم انواع المحبة ومع هذا فيجب ان يكون هذا الميل مطرحا بسبب الدين قال ابن عباس رضي الله عنه نزلت هذه الاية في ابي عبيدة بن الجراح قتل اباه عبد الله بن الجراح يوم احد وعمر بن الخطاب رضي الله عنه قتل خاله العاص بن هشام بن المغيرة يوم بدر وابي بكر رضي الله عنه قال ابن جريج حدثنا ان ابا قحافة سب النبي صلى الله عليه وسلم فصكه ابو بكر رضي الله عنه ابنه صكة سقط منها على وجهه ثم اتى النبي صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له فقال وفعلته لا تعد اليه فقال والذي بعثك بالحق نبيا لو كان السيف مني قريبا لقتلته ومصعب بن عمير قتل اخاه عبيد بن عمير وعلي بن ابي طالب وحمزة وعبيدة رضي الله عنهم قتلوا عتبة وشيبة والوليد بن عتبة يوم بدر اخبر ان هؤلاء لم يوادوا اقاربهم وعشايرهم غضبا لله تعالى ودينه **فصل** قال القرطبي استدل مالك رحمه الله بهذه الاية على معاداة القدرية وترك مجالستهم قال اشهب عن مالك لا تجالس القدرية وعادهم في الله لقول الله عز وجل لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الاخر يوادون من حاد الله ورسوله قال القرطبي وفي معنى اهل القدر جميع اهل الظلم والعدوان وعن الثوري رضي الله عنه انه قال كانوا يرون انها نزلت فيمن يصحب السلطان وعن عبد العزيز بن ابي داود انه لقي المنصور في الطواف فلما عرفه هرب منه وتلا الاية وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يقول اللهم لا تجعل لفاجر عندي نعمة فاني وجدت فيما اوحيت الي لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الاخر الاية **قوله تعالى** اولئك كتب قرا العامة كتب مبنيا للفاعل وهو الله سبحانه وتعالى الايمان نصبا وابو حيوة وعاصم في رواية المفضل كتب مبنيا للمفعول الايمان رفع به والضمير في منه لله تعالى وقيل يعود على الايمان لانه روح يحيى به المؤمنون في الدارين قال السدي اي ايدهم بروح من الايمان يدل عليه قوله تعالى وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا **فصل** معنى كتب الايمان اي خلق في قلوبهم التصديق يعني من لم يوال من حاد الله وقيل كتب اثبت قاله الربيع بن انس وقيل جعل كقوله تعالى فاكتبنا مع الشاهدين اي اجعلنا وقوله تعالى فساكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكوة وقيل كتب اي جمع ومنه الكتيبة اي لم يكونوا ممن يقولوا نؤمن ببعض ونكفر ببعض وقيل كتب في قلوبهم اي على قلوبهم كقوله تعالى في جذوع النخل وخص القلوب بالذكر لانها موضع الايمان **قوله تعالى** وايدهم اي قواهم ونصرهم بروح منه قال الحسن بنصر منه قال ابن عباس نصرهم على عدوهم وسمى تلك النصرة روحا لانه به يحيى امرهم وقال الربيع بن انس رضي الله عنه بالقرآن وحججه وقال ابن جريج بنور وبرهان وهدى وقيل برحمة الله وقيل ايدهم بجبريل صلوات الله عليه **قوله تعالى** ويدخلهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها رضي الله عنهم اي قبل اعمالهم ورضوا عنه فرحوا بما اعطاهم اولئك حزب الله الا ان حزب الله هم المفلحون وهذه في مقابلة قوله تعالى اولئك حزب الشيطان الا ان حزب الشيطان هم الخاسرون وهذه الاية زجر عن التودد الى الكفار والفساق والله سبحانه وتعالى اعلم بالصواب روى الثعلبي في تفسيره عن ابي بن كعب رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة المجادلة كتب من حزب الله يوم القيمة صدق رسول الله

سورة الحشر

مدنية في قول الجميع وهي اربع وعشرون اية واربع مائة وخمس واربعون كلمة والف وتسعمائة وثلاثة عشر حرفا بسم الله الرحمن الرحيم **قوله تعالى** سبح لله ما في السموات وما في الارض وهو العزيز الحكيم تقدم نظيره هو الذي اخرج الذين كفروا من اهل الكتاب من ديارهم قال سعيد بن جبير قلت لابن عباس سورة الحشر قال قل سورة النضير وهم رهط من اليهود من ذرية هرون صلوات الله عليه نزلوا المدينة في فتن بني اسرائيل انتظارا لمحمد صلى الله عليه وسلم فكان من امرهم ما نص الله عليه **قوله تعالى** من اهل الكتاب يجوز ان يكون من للبيان فيتعلق بمحذوف اي اعني من اهل الكتاب والثاني انها حال من الذين كفروا وقوله تعالى من ديارهم متعلق باخرج ومعناها ابتداء الغاية وصحت اضافة الديار اليهم لانهم انشؤها **قوله تعالى** لاول الحشر هذه اللام متعلقة باخرج وهي لام التوقيت كقوله تعالى لدلوك الشمس اي عند اول الحشر قال الزمخشري وهي اللام في قوله تعالى يا ليتني قدمت لحياتي وقولك جئت لوقت كذا وسيأتي الكلام على هذه اللام في الفجر ان شاء الله تعالى **فصل** قال القرطبي الحشر الجمع وهو على اربعة اضرب حشران في الدنيا وحشران في الاخرة اما الذي في الدنيا فقوله تعالى هو الذي اخرج الذين كفروا من اهل الكتاب من ديارهم لاول الحشر قال الزهري رضي الله عنه كانوا من سبط لم يصبهم جلاء وكان الله عز وجل قد كتب عليهم الجلاء فلولا ذلك لعذبهم في الدنيا وكان اول حشر حشروا في الدنيا الى الشام قال ابن عباس وعكرمة من شك

ان المحشر في الشام فليقرا هذه الاية وان النبي صلى الله عليه وسلم قال لهم اخرجوا قالوا الى اين قال الى ارض المحشر قال قتادة هذا اول الحشر قال ابن عباس هم اول من حشر من اهل الكتاب واخرج من داره وقيل انهم اخرجوا الى خيبر وان معنى لاول الحشر اخراجهم من حصونهم الى خيبر واخر اخراج عمر اياهم من خيبر الى نجد واذرعات وقيل تيما واريحا وذلك بكفرهم ونقض عهدهم واما الحشر الثاني فحشرهم قرب القيمة قال قتادة تاتي نار تحشر الناس من المشرق الى المغرب تبيت معهم حيث باتوا وتقيل معهم حيث قالوا وتاكل من تخلف منهم وهذا ثابت في الصحيح وذكروا ان تلك النار ترى بالليل ولا ترى بالنهار قال ابن العربي للحشر اول ووسط واخر فالاول اجلاء بني النضير والاوسط اجلاء خيبر والاخر حشر يوم القيمة وعن الحسن هم بنو قريظة وخالفه بقية المفسرين وقالوا بنو قريظة ما حشروا ولكنهم قتلوا حكاه الثعلبي **فصل** قال الكيا الطبري ومصالحة اهل الحرب على الجلاء من ديارهم من غير شيء لا يجوز الان وانما كان ذلك في اول الاسلام ثم نسخ والان فلا بد من قتالهم او سبيهم او ضرب الجزية عليهم **قوله تعالى** ما ظننتم ان يخرجوا اي لعظم امر اليهود لعنهم الله ومنعتهم وقوتهم في صدور المسلمين واجتماع كلمتهم وقوله تعالى وظنوا انهم مانعتهم حصونهم قال ابن عباس رضي الله عنه ان المسلمين ظنوا انهم لعزهم وقوتهم لا يحتاجون الى ان يخرجوا من ديارهم قيل المراد بالحصون الوطيح والنطاة والسلالم والكتيبة **قوله تعالى** مانعتهم حصونهم فيه وجهان احدهما ان يكون حصونهم مبتدا ومانعتهم خبر مقدم والجملة خبر انهم لا يقال لم لا يقال مانعتهم مبتدا لانه معرفة وحصونهم خبره ولا حاجة لتقديم ولا تاخير لان القصد الاخبار عن الحصون ولانا لا اضافة غير محضة فهي نكرة الثاني ان يكون مانعتهم خبر انهم وحصونهم فاعل به نحو ان زيدا قائم ابوه وان عمرا قائمة جاريته وجعله ابو حيان اولى لان في نحو قائم زيد على ان يكون خبرا مقدما ومبتدا مؤخرا خلافا والكوفيون يمنعونه فمحل الوفاق اولى وقال الزمخشري فان قلت اي فرق بين قولك وظنوا ان حصونهم تمنعهم او مانعتهم وبين النظم الذي جاء عليه قلت تقديم الخبر على المبتدا دليل على فرط وثوقهم ومنعها اياهم وفي تصيير ضميرهم اسما لان واسناد الجملة اليه دليل على اعتقادهم في انفسهم انهم في عزة ومنعة لا يبالي معها باحد يتعرض لهم وليس ذلك في قولك حصونهم تمنعهم انتهى وهذا الذي ذكره انما ياتي على الاعراب الاول وقد تقدم انه مرجوح وتسلط الظن هنا على ان المشددة والقاعدة انه لا يعمل فيها ولا في المخففة منها الا فعل علم وتعين اجراؤه مجرى اليقين لشدته وقوته وانه بمنزلة العلم وقوله من الله اي من امره **قوله تعالى** فاتاهم الله من حيث لم يحتسبوا قال الزمخشري رحمه الله قرئ فاتاهم الله اي اتاهم امره وعذابه من حيث لم يحتسبوا بقتل كعب بن الاشرف وكانوا اهل حلقة اي سلاح وقصور منيعة فلم يمنعهم شيء منها وقيل الضمير في فاتاهم الله يعود الى المؤمنين اي فاتاهم نصر الله وتقويته **قوله تعالى** وقذف في قلوبهم الرعب بقتل سيدهم كعب بن الاشرف وكان الذي قتله محمد بن مسلمة وابو نائلة سلكان بن سلامة بن وقش وكان اخا كعب بن الاشرف من الرضاعة وخبره مشهور في السيرة قال اهل اللغة الرعب الخوف الذي يرعب الصدر اي يملاه وقذفه اثباته فيه ومنه قالوا في صفة الاسد مقذف كانما قذف باللحم قذفا لاكتنازه وتداخل اجزائه وهذه الاية تدل على ان الامور كلها من الله تعالى لان الاية دلت على وقوع ذلك الرعب صار سببا في اقدامهم على بعض الافعال وبالجملة فالفعل لا يحصل الا عند حصول داعية متاكدة في القلب وحصول تلك الداعية لا يكون الا من الله تعالى فكانت الافعال باسرها مستندة الى الله تعالى بهذا الطريق **قوله تعالى** يخربون بيوتهم يجوز ان يكون مستانفا للاخبار به وان يكون حالا من ضمير قلوبهم وليس بذاك وقرا ابو عمرو بالتضعيف والباقون بالتخفيف وعن ابي عمرو انه فرق بمعنى اخر فقال الخرب بالتشديد هدمه وافسده والخرب بالهمز ترك الموضع خرابا وذهب عنه وهو قول الفراء قال المبرد ولا اعلم لهذا وجها ويخربون من خرب المنزل والخرب صاحبه كقولهم علم واعلم وقام واقام واذا قلت يخربون بيوتهم من التخريب فانما هو بتكثير لانه ذكر بيوتا تصلح للقليل والكثير وزعم سيبويه انهما يتعاقبان في بعض الكلام فيجري كل واحد مجرى الاخر نحو فرحته وافرحته قال الاعشى واخرب من ارض قومي ديارا واختار الهذلي قراءة ابي عمرو لاجل التكثير ويجوز ان يكون يخربون تفسيرا للرعب فلا محل له ايضا قال ابو عمرو وانما اخترت التشديد لان الاخراب ترك الشيء خرابا بغير ساكن وبنو النضير لم يتركوها خرابا وانما خربوها بالهدم ويؤيده قوله تعالى بايديهم وايدي المؤمنين **فصل** قال قتادة والضحاك رحمهما الله كان المؤمنون يخربون من خارج ليدخلوا واليهود من داخل ليبنوا ما خرب من حصنهم وقال الزهري ان المنافقين ارسلوا اليهم ان لا تخرجوا ودربوا عليهم الازقة وكان المسلمون سائر الجوانب وقيل ان المسلمين اذا ظهروا على درب من دروبهم خربوه وكان اليهود ينقبون بيوتهم ويتحصنون بما نقبوا من وراء دورهم وقيل ان المسلمين كانوا يخربون ظواهر البلد واليهود لما ايقنوا بالجلاء فكانوا ينظرون الى الخشبة في منازلهم مما يستحسنونه والباب فيهدمون بيوتهم وينزعونها ويحملونها على الابل فان قيل ما معنى تخريبهم لها بايدي

المؤمنين فالجواب لما امروهم لذلك وكانوا السبب فيه فكانهم امروهم به وكلفوهم اياه وقال الزهري يخربون بيوتهم بنقض المواعدة وايدي المؤمنين المقاتلة وقال ابو عمرو بن العلا بايديهم في تركهم لها وبايدي المؤمنين في اجلائهم عنها **قوله تعالى** فاعتبروا يا اولي الابصار الاعتبار ماخوذ من العبور والمجاوزة من شي الى شي ولهذا سميت العبرة عبرة لانها تنتقل من العين الى الخد وسمي علم التعبير لان صاحبه ينتقل من المتخيل الى المعقول وسميت الالفاظ عبارات لانها تنقل المعاني من لسان القايل الى عقل المستمع ويقال السعيد من اعتبر بغيره لانه ينتقل عقله من حال ذلك الغير الى حال نفسه ولهذا قال المفسرون الاعتبار هو النظر في حقايق الاشيا وجهات دلالاتها ليعرف بالنظر فيها شي اخر من جنسها وقوله عز وجل يا اولي الابصار قال ابن عباس يريد باهل اللب والعقل والبصاير وقال الفرا اي يا من عاين تلك الوقايع والابصار جمع البصر ومن جملة الاعتبار هنا انهم اعتصموا بالحصون من الله فانزلهم الله تعالى منها وسلط عليهم من كان ينصرهم وانهم هدموا اموالهم بايديهم ومن لم يعتبر بغيره اعتبر بنفسه واستدل الاصوليون بهذه الاية على وجوب العمل بالقياس **قوله تعالى** ولولا ان كتب الله عليهم الجلاء العامة على مده وهو الاخراج يقال اجليت القوم اجلاء وجلا هو جلاء وقال الماوردي الجلا اخص من الخروج لانه لا يقال الا للجماعة والاخراج يكون للجماعة والواحد وقال غيره الفرق بينهما ان الجلاء ما كان مع الاهل والولد بخلاف الاخراج فانه لا يستلزم ذلك وقرا الحسن وعلي ابنا صالح الجلا بالف فقط وطلحة مهموزا من غير الف كالنبا والمعنى انه لو قضى انه سيجليهم عن ديارهم وانهم يبقون مدة فيؤمن بعضهم ويولد لهم من يؤمن لعذبهم في الدنيا اي بالقتل كما فعل باخوانهم بني قريظة والجلا مفارقة الوطن يقال جلا بنفسه جلا واجلاه غيره اجلاء واما قوله تعالى ولهم في الاخرة عذاب النار فهو كلام مبتدا غير معطوف على ما قبله اذ لو كان معطوفا على ما قبله لزم ان لا يوجد لان لولا تقتضي انتفا الجزا لحصول الشرط **قوله تعالى** ذلك بانهم شاقوا الله ورسوله صلى الله عليه وسلم اي عادوه وخالفوا امره ومن يشاق الله قرا طلحة بن مصرف ومحمد بن السميقع بالفك كالمتفق عليه في الانفال وادغم الباقون والمقصود من الاية الزجر **قوله تعالى** ما قطعتم من لينة ما شرطية في موضع نصب بقطعتم ومن لينة بيان لها وفباذن الله جزاء الشرط لا بد من حذف اي فقطعها باذن الله فيكون باذن الله الخبر لذلك المبتدا واللينة فيها خلاف كثير قيل هي النخلة مطلقا وانشد • كان قتودي فوقها عش طاير • على لينة سوقا يهفو جنوبها • وقال ذو الرمة • طراق الخوافي واقع فوق لينة • بذي ليلة في ريشه يترقرق • وقيل هي النخلة ما لم تكن عجوة قاله الزهري ومالك وسعيد بن جبير وعكرمة والخليل وقيل ما لم تكن عجوة ولا برنية وهو قول ابي عبيدة وقال جعفر بن محمد هي العجوة خاصة وذكر ان العتيق والعجوة كانتا مع نوح في السفينة والعتيق الفحل وكانت العجوة اصل الاناث كلها فلذلك شق على اليهود قطعها حكاه الماوردي وقيل هي النخلة الكريمة اي القريبة من الارض وانشد الاخفش • قد شجاني الحمام حين تغنى • بفراق الاحباب من فوق لينة • وقال سفيان هي ضرب من النخل يقال لتمره اللون تمره اجود التمر وهو شديد الصفرة يرى نواه من خارجه ويغيب فيه الضرس النخلة منها احب اليهم من وصيف وقيل هي الفسيلة لانها الين من النخلة وانشد • فرسوا لينة يجري معين • ثم حفوا النخيل بالاكام • وقيل اللينة هي الاشجار كلها للينها بالحياة وانشد بيت ذو الرمة المتقدم وقال الاصمعي انها الدقل قال واهل المدينة يقولون لا تنتفخ الموايد حتى يوجد الالوان يعنون الدقل قال ابن العربي والصحيح ما قاله الزهري ومالك وفي عين لينة قولان احدهما انها واو لانه من اللون وانما قلبت ياء لسكونها وانكسار ما قبلها كديمة وقيمة الثاني انها يا لانها من اللين وجمع اللينة لين لانه من باب اسم الجنس كتمرة وتمر وقد كسر على ليان وهو شاذ لان تكسير ما يفرق بينه وبين واحده بالتا شاذ كرطبة ورطب وارطاب وانشد • وسالفة كسحوق الليان • اضرم فيه الغوي السعر • والضمير في تركتموها عايد على معنى ما **قوله تعالى** قايمة قرا عبد الله والاعمش وزيد بن علي قوما على وزن ضرب جمع قايم مراعاة لمعنى ما فانه جمع وقرا عبد الله ما قطعتم من لينة ولا تركتم قوما على اصولها اي لم تقطعوها وقرئ قايما مفردا مذكرا وقوله اصولها وقرئ اصلها بغير واو وفيه وجهان احدهما انه جمع اصل نحو رهن ورهن والثاني ان يكون حذف الواو استثقالا لها واكتفى بالضمة من الواو **فصل** روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزل على بني النضير وتحصنوا بحصونهم امر بقطع نخيلهم واحراقها فجزع اعدا الله عند ذلك وقالوا يا محمد زعمت انك تريد الصلاح افمن الصلاح عقر الشجر وقطع النخل وهل وجدت فيما زعمت انه انزل عليك الفساد في الارض فوجد المسلمون في انفسهم وخشوا ان يكون ذلك فسادا واختلفوا في ذلك فقال بعضهم لا تقطعوا فانه مما افا الله علينا وقال بعضهم بل نغيظهم بقطعها فانزل الله هذه الاية بتصديق من نهى عن قطعه وتحليل من قطعه من الاثم وروى ابن عمر رضي الله عنه قال حرق رسول الله صلى الله عليه وسلم نخل بني النضير وقطع وهي البويرة فنزل ما قطعتم من لينة او تركتموها قايمة على اصولها فباذن الله اخبر في هذه الاية ان ما قطعوه وما تركوه فباذن الله اي بامره وليخزي الفاسقين واللام في وليخزي متعلقة بمحذوف اي وليخزي اذن في قطعها او ليسلطهم

ويعزهم وليخزي **فصل** احتجوا بهذه الاية على ان حصون الكفرة وديارهم يجوز هدمها وتخريبها وتغريقها وان نرمي بالمناجيق وكذلك اشجارهم وعن ابن مسعود رضي الله عنه انهم قطعوا منها ما كان موضعا للقتال روي ان رجلين كانا يقطعان احدهما العجوة والاخر اللون فسالهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هذا تركتها لرسول الله وقال هذا قطعتها غيظا على الكفار واستدلوا به على جواز الاجتهاد بحضرة النبي صلى الله عليه وسلم قال الماوردي في هذه الاية دليل ان كل مجتهد مصيب وقال الكيا الطبري قال وان كان الاجتهاد يبعد في مسيلة مع وجود النبي صلى الله عليه وسلم بين اظهرهم ولا شك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم راى ذلك وسكت فتلقوا الحكم من تقريره فقط قال ابن العربي وهذا باطل لان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان معهم ولا اجتهاد مع حضور النبي صلى الله عليه وسلم وانما يدل على اجتهاد النبي صلى الله عليه وسلم فيما لم ينزل عليه اخذا بعموم الادلة للكفار ودخولا في الاذن للكل بما يقضي عليهم بالبوار وذلك قوله عز وجل وليخزي الفاسقين **قوله تعالى** ما افا الله على رسوله قال المبرد يقال فا يفي اذا رجع وافا الله اذا رده وقال الازهري الفي ما رده الله على اهل دينه من اموال من خالف اهل دينه بلا قتال اما بان يجلوا من اوطانهم ويخلوها للمسلمين او يصالحوا على جزية يودونها عن رووسهم او مال غير الجزية يفتدون به من سفك دمايهم كما فعله بنو النضير حين صالحوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على ان لكل ثلاثة منهم حمل بعير مما شاوا سوى السلاح وتركوا البلاد له فهذا هو الفي وهو ما افا الله على المسلمين وقوله منهم اي من يهود بني النضير **قوله تعالى** فما اوجفتم الفا جواب الشرط او زايدة على انها موصولة متضمنة معنى الشرط وما نافية والايجاف حمل البعير على السير السريع يقال وجف البعير والفرس اذا اسرع وجفا ووجيفا ووجفانا واوجفته انا ايجافا اي حركته واتعبته قال العجاج • ناج طواه الاين مما وجفا • وقال نصيب • الا رب ركب قد قطعت وجيفهم • اليك ولولا انت لم يوجف الركب • **قوله تعالى** من خيل من زايدة اي خيلا والركاب الابل واحدها راحلة ولا واحد لها من لفظها قال ابن الخطيب والعرب لا يطلقون لفظ الراكب الا على راكب البعير ويسمون راكب الفرس فارسا والمعنى لم تقطعوا اليها شقة ولا لقيتم بها حربا ولا مشقة وانما كانت من المدينة على ميلين قاله الفرا فمشوا اليها مشيا ولم يركبوا خيلا ولا ابلا الا النبي صلى الله عليه وسلم فانه ركب جملا وقيل حمارا مخطوما بليف فافتتحها صلحا قال ابن الخطيب ان الصحابة طلبوا من الرسول عليه السلام ان يقسم الفي بينهم فذكر الله الفرق بين الامرين وان الغنيمة هي التي اتعبتم انفسكم في تحصيلها واما الفي فلم يوجف عليه بخيل ولا ركاب فكان الامر فيه مفوضا الى النبي صلى الله عليه وسلم يضعه حيث يشا وههنا سوال وهو ان اموال بني النضير اخذت بعد القتال لانهم حوصروا اياما وقاتلوا وقتلوا ثم صالحوا على الجلاء فوجب ان تكون تلك الاموال من جملة الغنايم لا من جملة الفي فلهذا السوال ذكر المفسرون ههنا وجهين الاول ان هذه الاية ما نزلت في قرى بني النضير لانهم اوجفوا عليه بالخيل والركاب وحاصرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون بل هي في فدك لان اهله انجلوا عنه فصارت تلك القرى والاموال التي في يد رسول الله صلى الله عليه وسلم من غير حرب فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ياخذ من غلة فدك نفقته ونفقة من يعوله ويجعل الباقي في السلاح والكراع فلما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم ادعت فاطمة رضي الله عنها انه كان نحلها فدك فقال ابو بكر رضي الله عنه انت اعز الناس علي فقرا واحب الناس الي غنى لكني لا اعرف صحة قولك ولا يجوز لي ان احكم بذلك فشهدت لها ام ايمن ومولى الرسول صلى الله عليه وسلم فطلب منها ابو بكر الشاهد الذي يجوز شهادته في الشرع فلم يكن فاجرى ابو بكر ذلك على ما كان يجريه الرسول صلى الله عليه وسلم ينفق منه على من كان ينفق عليه الرسول ويجعل ما يبقى في السلاح والكراع وكذلك عمر رضي الله عنه جعله في يد علي رضي الله عنه يجريه على هذا المجرى ورد ذلك في اخر عهد عمر رضي الله عنه وقال ان بنا غنى وبالمسلمين اليه حاجة وكان عثمن رضي الله عنه يجريه كذلك ثم عاد الى علي رضي الله عنه فكان يجريه هذا المجرى والايمة الاربعة رضي الله عنهم اتفقوا على ذلك والقول الثاني ان هذه الاية نزلت في بني النضير وقراهم وليس للمسلمين يومئذ كثير خيل ولا ركاب ولم يقطعوا اليها مسافة كثيرة وانما كانوا على ميلين من المدينة فمشوا اليها مشاة ولم يركب الا رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما كانت المقاتلة قليلة والخيل والركاب غير حاصل اجراه الله تعالى مجرى ما لم يحصل فيه المقاتلة اصلا فخص رسول الله صلى الله عليه وسلم بتلك الاموال وروي انه صلى الله عليه وسلم قسمها بين المهاجرين ولم يعط الانصار شيا منها الا ثلاثة نفر كانت بهم حاجة ابو دجانة وسهل بن حنيف والحرث بن الصمة قال بعض العلماء لما ترك بنو النضير ديارهم واموالهم طلب المسلمون ان يكون لهم فيها حظ كالغنايم فبين الله تعالى انها في وكان قد جرى بعض القتال لانهم حوصروا اياما وقاتلوا وقتلوا ثم صالحوا على الجلاء ولم يكن قتال على التحقيق بل جرى مبادي القتال وجرى الحصار وخص الله تعالى تلك الاموال برسول الله صلى الله عليه وسلم وقال مجاهد رضي الله عنه اعلمهم الله تعالى وذكرهم انه انما نصر رسوله صلى الله عليه وسلم وقال مجاهد رضي الله عنه ونصرهم بغير كراع ولا عدة ولكن الله يسلط رسله على من يشا اي من اعدايه وفي هذا

بيان ان تلك الاموال كانت خاصة لرسول الله صلى الله عليه وسلم دون اصحابه رضي الله عنهم **قوله تعالى** ما افاء الله
قال الزمخشري لم يدخل العاطف على هذه الجملة لانها بيان للاولى فهي منها غير اجنبية عنها قال ابن عباس رضي الله عنه
هي قريظة والنضير وهما بالمدينة وفدك وهي على ثلاثة اميال من المدينة وخيبر وقرى عرينة وينبع جعلها الله تعالى
لرسوله صلى الله عليه وسلم وبين ان في ذلك المال الذي خصه الله تعالى بالرسول صلى الله عليه وسلم سهما نا لغير الرسول
صلى الله عليه وسلم نظرا منه لعباده **فصل** قال ابن الخطيب اجمعوا على ان المراد بذي القربى بنو هاشم وبنو
المطلب وقال القرطبي وقد تكلم العلماء في هذه الاية والتي قبلها على معناهما واحد او مختلف والاية التي في الانفال
فقال بعضهم ان قوله تعالى ما افاء الله على رسوله من اهل القرى منسوخ باية الانفال من كون الخمس لمن سمي له والاخماس
الاربعة لمن قاتل وكان في اول الاسلام يقسم الغنيمة على هذه الاصناف ولا يكون لمن قاتل عليها شيء وهذا قول يزيد بن
رومان وقتادة وغيرهما ونحوه عن مالك رضي الله عنه وقال قوم ما غنم بصلح من غير ايجاف خيل ولا ركاب فيكون
لمن سمى الله تعالى فيه فيأ الاول للنبي صلى الله عليه وسلم والثانية هي الجزية والخراج للاصناف المذكورة فيه والثالثة
الغنيمة في سورة الانفال للغانمين وقال الشافعي رضي الله عنه وبعض العلماء ان معنى الايتين واحد اي ما حصل من اموال
الكفار من غير قتال قسم على خمسة اسهم اربعة منها لرسول الله صلى الله عليه وسلم ويقسم الخمس الباقي على خمسة اسهم سهم لرسول
الله صلى الله عليه وسلم ايضا وسهم لذوي القربى وهم بنو هاشم وبنو المطلب لانهم منعوا الصدقة فجعل لهم حق في الفيء
وسهم لليتامى وسهم للمساكين وسهم لابناء السبيل واما بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فالذي كان من الفيء لرسول الله
صلى الله عليه وسلم يصرف عند الشافعي رضي الله عنه في قول الى المجاهدين المترصدين للقتال في الثغور لانهم القائمون
مقام الرسول صلى الله عليه وسلم وفي قول اخر يصرف الى مصالح المسلمين من سد الثغور وحفر الانهار وبناء القناطر يقدم
الاهم فالاهم وهذا في اربعة اخماس الفيء فاما السهم الذي كان له من خمس الفيء والغنيمة فهو لمصالح المسلمين بعد موته صلى الله
عليه وسلم بلا خلاف كما قال صلى الله عليه وسلم ليس لي من غنايمكم الا الخمس والخمس مردود فيكم وكذلك ما خلفه من المال غير
موروث بل هو صدقة عنه يصرف في مصالح المسلمين لقوله صلى الله عليه وسلم انا لا نورث ما تركنا صدقة وقيل كان
مال الفيء لنبيه صلى الله عليه وسلم لقوله تعالى ما افاء الله على رسوله فاضافه اليه غير انه كان لا يتاثل مالا انما كان ياخذ
بقدر حاجة عياله ويصرف الباقي في مصالح المسلمين قال ابن العربي لا اشكال انها ثلاث معان في ثلاث ايات فالاية الاولى
وهي قوله تعالى هو الذي اخرج الذين كفروا من اهل الكتاب من ديارهم لاول الحشر ثم قال تعالى وما افاء الله على
رسوله منهم يعني من اهل الكتاب معطوفا عليهم فما اوجفتم عليه من خيل ولا ركاب يريد كما بينا فلا حق لكم فيه ولذلك قال عمر
انها كانت خالصة لرسول الله صلى الله عليه وسلم يعني بني النضير وما كان مثلها فهذه اية واحدة ومعنى متحد الاية الثانية
قوله تعالى ما افاء الله على رسوله من اهل القرى فلله وللرسول وهذا كلام مبتدا غير الاول لمستحق غير الاول وسمى الاية الثالثة
اية الغنيمة ولا شك في انه معنى اخر باستحقاق اخر لمستحق اخر بيد ان الاية الاولى والثانية اشتركتا في ان كل واحدة منهما تضمنت
شيئا افاءه الله على رسوله واقتضت الاية الاولى انه حاصل بغير قتال واقتضت اية الانفال انه حاصل بقتال وعريت
الاية الثالثة وهي قوله تعالى ما افاء الله على رسوله من اهل القرى عن ذكر حصوله بقتال او بغير قتال فنشا الخلاف من هاهنا
فقالت طايفة هي ملحقة بالاولى وهو مال الصلح كله ونحوه وقالت طايفة هي ملحقة باية الانفال وهولاء اختلفوا هل هي
منسوخة كما تقدم او محكمة قال القرطبي والحاقها بالتي قبلها اولى لان فيه تجديد فايدة ومعنى وقد قيل ان سورة الحشر نزلت
بعد الانفال ومن المحال ان ينسخ المتقدم المتاخر **فصل** الاموال التي للايمة والولاة فيها مدخل ثلاثة اضرب
الاول ما اخذ من المسلمين على طريق التطهير لهم كالصدقات والزكوات والثاني الغنايم وهو ما يحصل في ايدي المسلمين
من اموال الكفار بالحرب والقهر والغلبة والثالث الفيء وهو ما رجع للمسلمين من اموال الكفار عفوا صفوا من غير قتال
ولا ايجاف كالصلح والجزية والخراج والعشور والماخوذ من تجار الكفار ومثل ان يهرب المشركون ويتركوا اموالهم او يموت
منهم احد في دار الاسلام لا وارث له فاما الصدقة فمصرفها الفقراء والمساكين والعاملين عليها حسب ما ذكره في سورة
براءة واما الغنايم فكانت في صدر الاسلام للنبي صلى الله عليه وسلم يصنع فيها ما يشاء كما قال في الانفال قل الانفال لله
والرسول ثم نسخ بقوله تعالى واعلموا انما غنمتم من شيء الاية وقد مضى واما الفيء وقسمته وقسمة الخمس سواء قال القرطبي
والامر فيهما عند مالك الى الامام فان راى حبسها لنوازل المسلمين وان راى قسمتها قسمها كلها او قسم احدهما بين الناس
ويسوي فيه عربيهم ومولاهم ويبدا بالفقراء من رجال ونساء حتى يغنوا ويعطي ذوي القربى من رسول الله صلى الله عليه وسلم
من الفيء سهمهم على ما يراه الامام وليس لهم حد معلوم وهل يعطى الغني منهم فاكثر الناس على اعطايه لانه حق لهم وقال مالك
رضي الله عنه لا يعطى منه غير فقرايهم لانه جعل لهم عوضا من الصدقة وقال الشافعي رضي الله عنه ان ما حصل من اموال الكفار

بغير قتال كان يقسم في عهد النبي صلى الله عليه وسلم على خمسة وعشرين سهما عشرون سهما للنبي صلى الله
عليه وسلم يفعل فيها ما شاء والخمس يقسم على ما يقسم عليه خمس الغنيمة قال ابو جعفر احمد بن نصر الداودي وهذا القول
ما سبقه به احد علمناه بل كان ذلك خالصا له كما ثبت في الصحيح عن عمر مبينا للاية ولو كان هذا لكان قوله خالصة يوم القيمة
يجوز ان يشركهم فيها غيرهم **فصل** ويقسم هذه الاموال المقدم ذكرها في البلد الذي جبي فيه ولا ينقل عن ذلك
البلد الذي جبي فيه فاقة شديدة فينقل الى اهل الفاقة حيث كانوا كما فعل عمر رضي الله عنه في اعوام الرمادة وكانت خمسة
اعوام او ستة وقيل عامين وقيل عام فيه اشتد الطاعون مع الجوع وان لم يكن ما وصفنا وراى الامام ايقاف الفيء
اوقفه لنوائب المسلمين ويبدا بمن ابوه فقير والفيء حلال للاغنياء ويساوي بين الناس فيه الا انه يوثر اهل الحاجة
والفاقة والتفضيل فيه انما يكون على قدر الحاجة ويعطى منه الغرما ما يودون به ديونهم ويعطى منه الجايزة والصلة ان كان
ذلك اهلا ويرزق القضاة والحكام ومن فيه منفعة للمسلمين واولاهم بتوفر الحظ منهم اعظمهم للمسلمين نفعا ومن اخذ
من الفيء شيئا في الديوان كان عليه ان يغزو اذا وقع الغزو **قوله تعالى** كي لا يكون دولة قرا هشام تكون بالتاء والباء دولة بالرفع
فقط والباقون بالياء من تحت ونصب دولة فاما الرفع فعلى ان كان التامة واما التذكير والتانيث فواضحان لانه تانيث
مجازي واما النصب فعلى انها الناقصة واسمها ضمير عايد على الفيء والتذكير واجب لتذكير المرفوع ودولة خبرها
وقيل دولة عايد على ما اعتبارا بلفظها وقرا العامة دولة بضم الدال وعلي بن ابي طالب رضي الله عنه والسلمي بفتحها
فقيل هما بمعنى وهو قول عيسى بن عمر ويونس والاصمعي وهما ما يدول للانسان اي يدور من الجد والغنا والغلبة
وقال الحذاق من البصريين والكساي الدولة بالفتح من الملك بضم الميم وبالضم من الملك بكسرها او بالضم في المال
وبالفتح في النصرة وهذا يرد القراءة المروية عن علي والسلمي فان النصرة غير مرادة قطعا وكي لا علة لقوله تعالى فلله
وللرسول صلى الله عليه وسلم اي استقراره لكذا لهذه العلة قال المبرد الدولة اسم الشيء الذي يتداوله القوم بينهم والدولة
بالفتح انتقال حال سارة الى قوم عن قوم فالدولة بالضم اسم لما يتداول وبالفتح مصدر من هذا ويستعمل في الحالة السارة
التي تحدث للانسان فيقال هذه دولة فلان اي قد اقبلت والمعنى كي لا يكون الفيء الذي حقه ان يعطى الفقراء ليكون لهم
بلغة يعيشون بها واقعا في يد الاغنياء ودولة لهم والمعنى فعلنا ذلك في هذا الفيء كي لا تقسمه الروسا والاغنياء
والاقويا بينهم دون الفقراء والضعفاء منهما ايضا بعد المرباع ما شاؤا وفيها قال شاعرهم لك المرباع فيها والصفايا
يقول لنا نعمل فيه كما كان يعمل في الجاهلية قال الكلبي نزلت في روسا المسلمين قالوا فيما ظهر عليه رسول الله صلى الله
عليه وسلم من اموال المشركين يا رسول الله خذ صفيك والربع ودعنا والباقي فهكذا كنا نفعل في الجاهلية وانشده
لك المرباع منها والصفايا وحكمك والنشيطة والفضول فانزل الله تعالى هذه الاية **قوله تعالى** وما اتاكم
الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا قال الحسن وغيره وقال السدي ما اعطاكم من مال الفيء فاقبلوه وما منعكم
منه فلا تطلبوه وقال ابن جريج ما اتاكم من طاعتي فافعلوه وما نهاكم عنه من معصيتي فاجتنبوه **فصل**
هذه الاية تدل على ان كل ما امر به النبي صلى الله عليه وسلم امر من الله تعالى لان الاية وان كانت في الغنايم فجميع اوامره
صلى الله عليه وسلم ونواهيه داخل فيها قال عبد الرحمن بن زيد لقي ابن مسعود رجلا محرما وعليه ثيابه فقال انزع
عنك هذا فقال الرجل اتقرا علي بهذا اية من كتاب الله تعالى قال نعم ما اتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا وقال
عبيد الله بن محمد بن هرون الفريابي سمعنا الشافعي رضي الله عنه يقول سلوني عما شئتم اخبركم من كتاب الله تعالى
وسنة نبيكم صلى الله عليه وسلم قال فقلت له اصلحك الله ما تقول في المحرم يقتل الزنبور قال فقال بسم الله الرحمن
الرحيم قال الله تعالى وما اتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا وحدثنا سفين بن عيينة عن عبد الملك بن عمير
عن ربعي بن خراش عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنهم وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقتدوا بالذين
من بعدي ابي بكر وعمر رضي الله عنهما حدثنا سفيان بن عيينة عن مسعر بن كدام عن قيس بن مسلم عن طارق بن شهاب عن عمر بن
الخطاب رضي الله عنه انه امر بقتل الزنبور وهذا الجواب في غاية الحسن افتى بجواز قتل الزنبور في الاحرام وبين انه يقتدي فيه
بعمر وان النبي صلى الله عليه وسلم امر بالاقتدا به وان الله تعالى امر بقبول ما يقوله الرسول صلى الله عليه وسلم فجواز
قتله مستنبط من الكتاب والسنة وسيل عن عكرمة عن امهات الاولاد فقال هن احرار فقال في سورة النساء في قوله
تعالى اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم وفي صحيح مسلم وغيره عن علقمة عن ابن مسعود رضي الله عنه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن الله الواشمات والمستوشمات والمتنمصات والمتفلجات للحسن المغيرات لخلق الله فبلغ ذلك
امراة من بني اسد يقال لها ام يعقوب فجاءت فقالت انه بلغني انك لعنت كيت وكيت فقال وما لي لا العن من لعن رسول الله
صلى الله عليه وسلم وهو في كتاب الله تعالى فقالت لقد قرات ما بين اللوحين فما وجدت فيه ما تقول فقال لين كنت

قرابته فقد وجدته اما قرأت وما اتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا قالت بلى قال فانه قد نهى عنه الحديث
فصل قوله تعالى وما اتاكم الرسول فخذوه وان جاء بلفظ الايتاء وهو المناولة فان معناه الامر بدليل
قوله تعالى وما نهاكم عنه فانتهوا فقابله بالنهي ولا يقابل النهي الا بالامر بدليل ما تقدم مع قوله صلى الله عليه وسلم
اذا امرتكم بامر فأتوا منه ما استطعتم واذا نهيتكم عن شيء **قوله تعالى** واتقوا الله اي عذاب الله انه شديد لمن عصاه وقيل
اتقوا الله في اوامره ونواهيه فلا تضيعوها ان الله شديد العقاب **قوله تعالى** للفقراء فيه ثلاثة اوجه احدها انه
بدل من لذي القربى قاله ابو البقاء والزمخشري قال ابو البقاء قيل هو بدل من لذي القربى وما بعده وقال الزمخشري
بدل من لذي القربى وما عطف عليه والذي منع الابدال من لله وللرسول والمعطوف عليهما وان كان المعنى لرسول الله صلى الله
عليه وسلم ان الله عز وجل اخرج رسوله صلى الله عليه وسلم من الفقراء في قوله تعالى وينصرون الله ورسوله وانه
تعالى يترفع برسوله صلى الله عليه وسلم عن تسميته بالفقير وان الابدال على ظاهر اللفظ من خلاف الواجب في تعظيم الله
عز وجل يعني لو قيل بانه بدل من الله ومن رسوله صلى الله عليه وسلم وهو قبيح لفظا وان كان المعنى على خلاف هذا الظاهر
كما قال ان معناه لرسول الله صلى الله عليه وسلم وانما ذكر الله عز وجل تفخيما والا فالله تعالى غني عن الفيء وغيره وانما
جعله بدلا من لذي القربى لانه حنفي والحنفية يشترطون الفقر في اعطاء ذوي القربى من الفيء الثاني انه بيان
لقوله تعالى والمساكين وابن السبيل وكررت لام الجر لما كانت الاولى مجرورة باللام ليبين ان البدل انما هو منها قاله
ابن عطية وهي عبارة قلقة جدا الثالث ان للفقراء خبر مبتدأ محذوف اي ولكن الفيء للفقراء وقيل تقديره ولكن يكون
للفقراء وقيل تقديره اعجبوا للفقراء **قوله تعالى** يبتغون يجوز ان يكون حالا وفي صاحبها وجهان احدهما للفقراء
والثاني واو اخرجوا قالهما مكي **فصل** ومعنى الاية ان الفيء والغنائم للفقراء والمهاجرين وقيل كي لا يكون
دولة بين الاغنياء ولكن يكون للفقراء وهو مبني على الاعراب المتقدم وعلى القول بانه بيان لذوي القربى واليتامى والمساكين
اي المال لهؤلاء لانهم فقراء وهم مهاجرون وقد اخرجوا من ديارهم فهم احق الناس وقيل ولكن الله يسلط رسله على من يشاء
للفقراء المهاجرين كي لا يكون المال دولة بين الاغنياء من بني الدنيا وقيل والله شديد العقاب للمهاجرين اي شديد العقاب
للكفار بسبب الفقراء المهاجرين ومن اجلهم ودخل في هؤلاء الفقراء المتقدم ذكرهم في قوله تعالى ولذي القربى واليتامى
قال القرطبي وقيل هو عطف على ما مضى ولم يأت بواو العطف كقولك هذا المال لزيد لبكر لفلان لفلان والمهاجرون
من هاجر الى النبي صلى الله عليه وسلم حبا فيه ونصرة له قال قتادة هؤلاء المهاجرون الذين تركوا الديار والاموال
والاهلين والاوطان حبا لله عز وجل ولرسوله صلى الله عليه وسلم حتى ان الرجل منهم كان يعصب الحجر على بطنه ليقيم به
صلبه من الجوع وكان الرجل يتخذ الحفيرة في الشتاء ما له دثار غيرها **قوله تعالى** الذين اخرجوا من ديارهم اي اخرجهم كفار
مكة اي احوجوهم الى الخروج وكانوا مائة رجل يبتغون فضلا من الله ورضوانا يبتغون يطلبون فضلا من اشياء غنيمة
في الدنيا ورضوانا في الاخرة اي مرضاة ربهم وينصرون الله ورسوله في الجهاد اولئك هم الصادقون في فعلهم ذلك
وروي ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه خطب بالجابية فقال من اراد ان يسأل عن القرآن فليأت ابي بن كعب ومن اراد ان
يسأل عن الفرائض فليأت زيد بن ثابت ومن اراد ان يسأل عن الفقه فليأت معاذ بن جبل ومن اراد ان يسأل عن المال
فليأتني فان الله تعالى جعلني له خازنا وقاسما الا واني بادئ بازواج النبي صلى الله عليه وسلم فمعطيهم ثم بالمهاجرين
الاولين انا واصحابي اخرجنا من مكة من ديارنا واموالنا **قوله تعالى** اولئك هم الصادقون يعني انهم لما هجروا لذات
الدنيا وتحملوا شدائدها لاجل الدين ظهر صدقهم في دينهم **قوله تعالى** والذين تبوؤا الدار والايمان من قبلهم يجوز
في قوله تعالى والذين تبوؤا وجهان احدهما انه عطف على الفقراء فيكون مجرورا ويكون من عطف المفردات ويكون يحبون
حالا والثاني ان يكون مبتدأ خبره يحبون ويكون حينئذ من عطف الجمل وفي قوله والايمان ستة اوجه احدها انه ضمن
تبوؤا معنى لزموا فيصح عطف الايمان عليه اذ الايمان لا يتبوأ الثاني انه منصوب بمقدر اي واعتقدوا او والفوا او
واحبوا واخلصوا كقوله علفتها تبنا وماء باردا ومتقلدا سيفا ورمحا الثالث انه يتجوز في الايمان فيجعل لاختلاطه
بهم وثباتهم عليه كالمكان المحيط بهم فكانهم نزلوه وعلى هذا فيكون جمعا بين الحقيقة والمجاز في كلمة واحدة وفيه خلاف
مشهور الرابع ان يكون الاصل دار الهجرة ودار الايمان فاقام لام التعريف في الدار مقام المضاف اليه وحذف المضاف
من دار الايمان ووضع المضاف اليه مقامه الخامس ان يكون سمى المدينة لانها دار الهجرة ومكان ظهور الايمان قال هذين
الوجهين الزمخشري وليس فيه الا قيام ال مقام المضاف اليه وهو محل نظر وانما يعرف الخلاف هل تقوم ال مقام الضمير
المضاف اليه فالكوفيون يجيزونه كقوله تعالى فان الجنة هي المأوى اي مأواه والبصريون يمنعونه ويقولون الضمير
محذوف اي المأوى له وقد تقدم تحرير هذا واما كونها عوضا من المضاف اليه فلا يعرف فيه خلافا السادس انه منصوب

على المفعول معه اي مع الايمان معا قال ابن عطية وقال وبهذا الاقتران يصح معنى قوله من قبلهم فتامله قال
شهاب الدين وقد شرطوا في المفعول معه ان يجوز عطفه على ما قبله حتى جعلوا قوله تعالى فاجمعوا امركم وشركاءكم
من باب اضمار الفعل لانه لا يقال اجمعت شركائي انما يقال جمعت وقد تقدم الكلام على ذلك **فصل**
التبوء التمكن والاستقرار وليس يريد ان الانصار امنوا قبل المهاجرين بل اراد امنوا قبل هجرة النبي صلى الله عليه
وسلم اليهم ولا خلاف ان الذين تبوؤا الدار هم الانصار الذين استوطنوا المدينة قبل المهاجرين اليها والمراد بالدار
المدينة والتقدير والذين تبوؤا الدار من قبلهم **فصل** في هذه الاية معطوفة على قوله للفقراء المهاجرين وان الايات
التي في الحشر كلها معطوف بعضها على بعض قال القرطبي ولو تاملوا ذلك وانصفوا لوجدوه على خلاف ما ذهبوا اليه
لان الله تعالى يقول هو الذي اخرج الذين كفروا من اهل الكتاب من ديارهم الى قوله الفاسقين فاخبر من بني النضير
وبني قينقاع ثم قال تعالى وما افاء الله على رسوله منهم فما اوجفتم عليه من خيل ولا ركاب ولكن الله يسلط رسله على من يشاء
فاخبر ان ذلك للرسول صلى الله عليه وسلم لانه لم يوجف عليه حين خلوه وقد تقدم فيهم من القتال وقطع شجرهم فقد كانوا
رجعوا عنه وانقطع ذلك الامر ثم قال تعالى ما افاء الله على رسوله من اهل القرى فلله وللرسول ولذي القربى واليتامى
والمساكين وابن السبيل وهذا كلام غير معطوف على الاول وكذا والذين تبوؤا الدار والايمان ابتداء كلام في مدح الانصار
والثناء عليهم فانهم سلموا ذلك الفيء للمهاجرين فكأنه قال الفيء للفقراء المهاجرين والانصار يحبون لهم لم يحسدوهم على ما صفا لهم
من الفيء وكذا والذين جاؤا من بعدهم ابتداء كلام والخبر يقولون ربنا اغفر لنا وقال اسمعيل بن اسحاق ان قوله تعالى تبوؤا الدار
والايمان والذين جاؤا معطوف على ما قبله وانهم شركاء في هذا الفيء اي هذا المال للمهاجرين والذين تبوؤا الدار والايمان
وقال مالك بن اوس قرأ عمر بن الخطاب رضي الله عنه هذه الاية انما الصدقات للفقراء ثم قال هذه لهؤلاء ثم قرأ واعلموا انما غنمتم
من شيء فان لله خمسه فقال هذه لهؤلاء ثم قرأ ما افاء الله على رسوله حتى بلغ للفقراء المهاجرين والذين تبوؤا الدار والايمان
والذين جاؤا من بعدهم ثم قال لئن عشت ليأتين الراعي وهو بسرو حمير نصيبه منها لم يعرق فيها جبينه وقيل انه دعا المهاجرين والانصار
واستشارهم فيما فتح الله عليه من ذلك وقال لهم تثبتوا الامر وتدبروه ثم اغدوا علي ففكر في ليلته فتبين له ان هذه الايات
في ذلك انزلت فلما غدوا عليه قال قد مررت البارحة بالايات التي في سورة الحشر وتلا ما افاء الله على رسوله من اهل القرى
الى قوله تعالى للفقراء المهاجرين فلما بلغ قوله اولئك هم الصادقون قال ما هي لهؤلاء فقط وتلا والذين جاؤا من بعدهم
الى قوله رؤف رحيم ثم قال ما بقي احد من اهل الاسلام الا وقد دخل في ذلك **فصل** روى مالك عن زيد بن اسلم
عن ابيه ان عمر رضي الله عنه قال لولا من يأتي من اخر الناس ما فتحت قرية الا قسمتها كما قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم
خيبر وصح عن عمر انه ابقى سواد العراق ومصر وما ظهر عليه من الغنائم ليكون في اعطيات المقاتلة وارزاق الحشوة والذراري
وان الزبير وبلالا وغير واحد من الصحابة ارادوه على قسم ما فتح عليهم فكره ذلك منهم واختلف فيما فعل من ذلك
فقيل انه استطاب انفس اهل الجيش فمن رضي له بترك حظه بغير ثمن ليبقيه للمسلمين فعله ومن ابى اعطاه ثمن حظه
فمن قال انما ابقى الارض بعد استطابة نفوس القوم جعل فعله كفعل النبي صلى الله عليه وسلم لانه قسم خيبر لانه اشتراه
اباها ونزل من نزل عن طيب نفسه بمنزلة قسمها وقيل انه ابقاها بغير شيء اعطاه اهل الجيوش وقيل انه تاول في ذلك
قول الله تعالى للفقراء المهاجرين الى قوله ربنا انك رؤف رحيم على ما تقدم **فصل** اختلفوا في قسمة العقار
فقال مالك رضي الله عنه للامام ان يوقفها لمصالح المسلمين وقال ابو حنيفة رضي الله عنه الامام مخير بين قسمتها
او وقفها لمصالح المسلمين وقال الشافعي رضي الله عنه ليس للامام حبسها عنهم بغير رضاهم بل يقسمها عليهم كسائر الاموال
فمن طاب نفسا عن حقه للامام ان يجعلها وقفا عليهم فله ومن لم يطب نفسه فهو احق بماله وعمر رضي الله عنه استطاب
نفوس الغانمين واشتراها منهم وعلى هذا يكون قوله تعالى والذين جاؤا من بعدهم مقطوعا مما قبله وانهم ندبوا بالدعاء
للاولين والثناء عليهم **فصل** قال القرطبي روى ابن وهب قال سمعت مالكا يذكر فضل المدينة على غيرها
من الافاق فقال ان المدينة تبوئت بالايمان والهجرة وان غيرها من القرى افتتحت بالسيف ثم قرأ والذين تبوؤا الدار
والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم الاية **قوله تعالى** ولا يجدون في صدورهم حاجة مما اوتوا فيه وجهان احدهما
ان الحاجة هنا على بابها من الاحتياج الا انها واقعة موقع المحتاج اليه والمعنى ولا يجدون طلب محتاج اليه مما اوتي
المهاجرون من الفيء وغيره والمحتاج اليه يسمى حاجة تقول خذ منه حاجتك واعطاه من ماله حاجته قال الزمخشري
فعلى هذا يكون الضمير الاول للجائين بعد المهاجرين وفي اوتوا للمهاجرين والثاني ان الحاجة هنا من الحسد قال الحسن
حزازة وغيظا مما اوتي المهاجرون دونهم واطلق لفظ الحاجة على الحسد والغيظ والحزازة لان هذه الاشياء لا تنفك
عن الحاجة فاطلق اسم اللازم على الملزوم على سبيل الكناية والضميران على ما تقدم قبل وقال ابو البقاء الحاجة

اي انه حذف المضاف للعلم به وعلى هذا فالضمير للذين تبوؤا الدار والايمان وقال القرطبي المعنى لا يحسدون المهاجرين
على ما خصوا به من مال الفيء وغيره لذلك قال الناس وفيه تقدير حذف مضافين والمعنى مس حاجة من فقد ما اوتوا وكلما
يجد الانسان في صدره مما يحتاج الى ازالته فهو حاجة **فصل** قال القرطبي كان المهاجرون في دور الانصار فلما
غنم صلى الله عليه وسلم اموال بني النضير دعا الانصار وشكرهم فيما صنعوا مع المهاجرين في انزالهم اياهم في منا
زلهم واشراكهم في الاموال ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان احببتم قسمت ما افاء الله علي من بني النضير بينكم
وبينهم وكان المهاجرون على ما هم عليه من السكنى في مساكنكم واموالكم وان احببتم اعطيتهم وخرجوا من دياركم
فقال سعد بن عبادة وسعد بن معاذ رضي الله عنهما بل تقسمه بين المهاجرين ويكونون في دورنا كما كانوا ونادت
الانصار رضينا وسلمنا يا رسول الله فقال صلى الله عليه وسلم اللهم ارحم الانصار وابناء الانصار واعطى رسول الله
المهاجرين ولم يعط الانصار الا الثلاثة الذين ذكرناهم ويحتمل ان يريد به ولا يجدون في صدورهم حاجة مما اوتوا
اذا كانوا قليلا يقنعون به ويرضون عنه وقد كانوا على هذه الحال حين حياة النبي صلى الله عليه وسلم في الدنيا ثم كانوا عليه
بعد موته صلى الله عليه وسلم بحكم الدنيا وقد انذرهم النبي صلى الله عليه وسلم وقال سترون بعدي اثرة فاصبروا حتى
تلقوني على الحوض **قوله تعالى** ويؤثرون على انفسهم قال ابن عباس رضي الله عنه قال النبي صلى الله عليه وسلم للانصار يوم
بني النضير ان شئتم قسمت للمهاجرين من اموالكم ودياركم وشاركتموهم في هذه الغنيمة وان شئتم كانت لكم دياركم واموالكم
ولم نقسم لكم من الغنيمة شيئا فقالت الانصار بل نقسم لاخواننا من ديارنا واموالنا ونؤثرهم بالغنيمة فنزل ويؤثرون
على انفسهم الاية قال ابن الخطيب وذكر المفسرون انواعا من ايثار الانصار للضيف بالطعام وتعللهم عنه حتى يشبع الضيف
ثم ذكروا ان الاية نزلت في ذلك الايثار والصحيح انها نزلت بسبب ايثارهم المهاجرين بالفيء ثم لا يمتنع ان يدخل فيها
سائر الايثارات فذكر القرطبي ان الترمذي روى عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رجلا بات به ضيف ولم يكن عنده الا
قوته وقوت صبيانه فقال لامراته نومي الصبية واطفي السراج وقربي للضيف ما عندك فنزلت هذه الاية وخرجه
مسلم ايضا عن ابي هريرة رضي الله عنه قال جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اني مجهود فارسل الى بعض
نسائه فقالت والذي بعثك بالحق ما عندي الا ماء فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من يضيف هذا الليلة رحمه الله
فقام رجل من الانصار فقال انا يا رسول الله فانطلق به الى رحله فقال لامراته هل عندك شيء قالت لا الا قوت صبياني
قال فعلليهم بشيء فاذا دخل ضيفنا فاطفي السراج وذكر نحو الحديث الاول وفي رواية فقام رجل من الانصار يقال
له ابو المتوكل ولم يكن عنده الا قوته وذكر القشيري قال اهدي لرجل من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
راس شاة فقال ان اخي فلانا وعياله احوج الى هذا منا فبعثه اليهم فلم يزل يبعث به واحد الى اخر حتى تداولها سبعة ابيات
حتى رجعت الى الاول فنزلت ويؤثرون على انفسهم الاية وذكر الثعلبي عن انس قال اهدي لرجل من الصحابة راس شاة
وكان مجهودا فوجه به الى جار له فتداوله سبعة انفس في سبعة ابيات ثم عاد الى الاول فنزلت الاية **فصل**
الايثار هو تقديم الغير على النفس وحظوظها الدنيوية رغبة في الحظوظ وذلك ينشا عن قوة اليقين وتوكيد المحبة
والصبر على المشقة يقال اثرته بكذا اي خصصته به وفضلته ومفعول الايثار محذوف اي يؤثرونهم على انفسهم باموالهم
ومنازلهم لا عن غنى بل مع احتياجهم اليها فان قيل قد صح في الخبر النهي عن التصدق بجميع ما يملكه المرء فالجواب انما
كره ذلك في حق من لا يوثق منه بالصبر على الفقر وخاف ان يتعرض للمسالة اذا فقد ما ينفقه فاما الانصار الذين اثنى
الله تعالى عليهم بالايثار على انفسهم فكانوا كما قال الله تعالى والصابرين في الباساء والضراء وحين الباس فكان
الايثار فيهم افضل من الامساك والامساك لمن لا يصبر ويتعرض للمسالة اولى من الايثار كما روي ان رجلا جاء الى النبي صلى الله
عليه وسلم بمثل البيضة من الذهب فقال هذه صدقة فرماه بها وقال ياتي احدكم بجميع ما يملكه فيتصدق به ثم يقعد
يتكفف الناس **فصل** الايثار بالنفس فوق الايثار بالمال وان عاد الى النفس ومن الامثال والجود بالنفس
اقصى غاية الجود وافضل من الجود بالنفس الجود على حماية رسول الله صلى الله عليه وسلم ففي الصحيح ان ابا طلحة ترس
على رسول الله يوم احد وكان النبي صلى الله عليه وسلم يتطلع ليرى القوم فيقول له ابو طلحة لا تشرف يا رسول الله لا
يصيبونك نحري دون نحرك ووقى بيده رسول الله صلى الله عليه وسلم فشلت وقال حذيفة العدوي انطلقت يوم اليرموك
اطلب ابن عم لي فاذا برجل يقول آه آه فاشار هشام الى ابن عمي ان انطلق اليه فاذا هو هشام بن العاص فقلت اسقيك
فاشار ان نعم فسمع اخر يقول آه آه فاشار هشام ان انطلق اليه فجئت اليه فاذا هو قد مات فرجعت الى هشام
فاذا هو قد مات فرجعت الى ابن عمي فاذا هو قد مات وقال ابو يزيد البسطامي رحمه الله ما غلبني احد ما غلبني شاب
من اهل بلخ قدم علينا حاجا فقال لي يا ابا يزيد ما حد الزهد عندكم فقلت اذا وجدنا اكلنا واذا فقدنا صبرنا فقال

هكذا كلاب بلخ فقلت وما حد الزهد عندكم قال اذا فقدنا شكرنا واذا وجدنا آثرنا وسئل ذو النون ما حد الزهد
قال ثلاث تفريق المجموع وترك طلب المفقود والايثار عند القوت وحكي عن ابي الحسن الانطاكي انه اجتمع عنده
نيف وثلاثون رجلا بقرية من قرى الري ومعهم ارغفة معدودة لا تشبع جميعهم فكسروا الرغفان واطفوا السراج
وجلسوا للطعام فلما فرغوا فاذا الطعام بحاله لم ياكل احد منهم شيئا ايثارا لصاحبه على نفسه **قوله تعالى** ولو كان
بهم خصاصة هذه واو الحال والخصاصة الحاجة واصلها من خصاص البيت وهي فروجه وحال الفقير يتخللها
النقص فاستعير لها ذلك وقال القرطبي اصلها من الاختصاص وهو الانفراد بالامر فالخصاصة انفراد بالحاجة
اي ولو كانت بهم فاقة وحاجة ومنه قول الشاعر اما الربيع اذا يكون خصاصة عاش السقيم به واثرى المقتر **قوله
تعالى** ومن يوق العامة على سكون الواو وتخفيف القاف من الوقاية وابن ابي عبلة وابو حيوة بفتح الواو وتشديد
القاف والعامة بضم الشين من شح وابن ابي عبلة وابن عمر رضي الله عنه بكسرها قال القرطبي الشح والبخل سواء يقال رجل
شحيح بين الشح والشح والشحاحة قال عمرو بن كلثوم • ترى اللحز الشحيح اذا امرت عليه لماله فيها مهينا • وجعل بعض اهل
اللغة الشح اشد من البخل وفي الصحاح الشح البخل مع حرص تقول شححت بالكسر تشح وشححت ايضا تشح وتشح ورجل شحيح
وقوم شحاح واشحة والمراد بالاية الشح بالزكوة وما ليس بفرض من صلة ذوي الارحام والضيافة وما شاكل ذلك فليس
بشحيح ولا بخيل من انفق في ذلك وان امسك عن نفسه ومن وسع على نفسه ولم ينفق فيما ذكرنا من الزكوات والطاعات
فلم يوق شح نفسه روى الاسود عن ابن مسعود ان رجلا اتاه فقال اني اخاف ان اكون قد هلكت قال وما ذاك قال سمعت الله
تعالى يقول ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون وانا رجل شحيح لا اكاد اخرج من يدي شيئا فقال ابن مسعود ليس
ذلك الذي ذكر الله تعالى انما الشح ان تاكل مال اخيك ظلما ولكن ذلك البخل وبئس الشيء البخل ففرق رضي الله عنه بين الشح
والبخل وقال طاوس البخل ان يبخل الانسان بما في يده والشح ان يشح بما في ايدي الناس يحب ان يكون له ما في ايديهم بالحل
والحرام فلا يقنع قال ابن   ليس الشح ان يمنع الرجل ماله انما الشح ان تطمح عين الرجل فيما ليس له وقال ابن جبير الشح
منع الزكوة وادخار الحرام وقال ابن عيينة الشح الظلم قال الليث ترك الفرائض وانتهاك المحارم وقال ابن عباس من اتبع
هواه ولم يقبل الايمان فذلك الشحيح وقال ابن زيد من لم ياخذ شيئا نهاه الله عنه ولم يمنع شيئا امره الله باعطائه فقد وقاه
الله شح نفسه وقال انس رضي الله عنه قال النبي صلى الله عليه وسلم برئ من الشح من ادى الزكوة وقرى الضيف واعطى في النائبة
وعنه ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يدعو اللهم اني اعوذ بك من شح نفسي واسرافها ووساوسها وقال ابن الهياج الاسدي
رايت رجلا في الطواف يدعو اللهم قني شح نفسي لا يزيد على ذلك فقلت له فقال اذا وقيت شح نفسي لم اسرق ولم ازن
ولم افعل فاذا الرجل عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه قال القرطبي ويدل على هذا قوله صلى الله عليه وسلم اتقوا الظلم فان
الظلم ظلمات يوم القيمة واتقوا الشح فان الشح اهلك من كان قبلكم حملهم على ان سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم روى
ابو هريرة رضي الله عنه انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يجتمع غبار في سبيل الله ودخان جهنم في جوف عبد ابدا
ولا يجتمع الشح والايمان في قلب عبد ابدا وقال كسرى لاصحابه اي شيء اضر بابن آدم قالوا الفقر فقال الشح اضر من الفقر لان
الفقير اذا وجد شبع والشحيح اذا وجد لم يشبع ابدا **قوله تعالى** والذين جاؤا ويحتمل الوجهين المتقدمين في الذين
قبله فان كان معطوفا على المهاجرين فيقولون حال كيحبون اي قائلين او مستانف وان كان مبتدا فيقولون
خبره **فصل** هذه الايات قد استوعبت جميع المؤمنين لانهم اما المهاجرون او الانصار والذين جاؤا من بعدهم
قال بعض المفسرين هذا عطف على المهاجرين وهم الذين هاجروا من بعد وقيل التابعون لهم باحسان ومن دخل
في الاسلام الى يوم القيمة قال ابن ابي ليلى الناس على ثلاثة منازل المهاجرين والذين تبوؤا الدار والايمان والذين جاؤا من
بعدهم فاجتهد ان لا تخرج من هذه المنازل وقال بعضهم كن مهاجرا فان قلت لا اجد فكن انصاريا فان لم تجد فاعمل
كاعمالهم فان لم تستطع احبهم واستغفر لهم كما امرك الله وقال مصعب بن سعد الناس على ثلاث منازل فمضت منزلتان
وبقيت منزلة فاحسن ما انتم عليه ان تكونوا بهذه المنزلة التي بقيت وعن جعفر بن محمد عن ابيه عن جده انه جاءه رجل
فقال يا ابن بنت رسول الله ما تقول في عثمن فقال له يا اخي انت من قوم قال الله فيهم للفقراء المهاجرين الاية قال لا
قال فانت من قوم قال الله فيهم والذين تبوؤا الدار والايمان الاية قال لا قال فوالله لئن لم تكن من اهل الاية الثالثة
لتخرجن من الاسلام وهي قوله تعالى والذين جاؤا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا
بالايمان وروي ان نفرا من اهل العراق جاؤا الى محمد بن علي بن الحسين فسبوا ابا بكر وعمر رضي الله عنهما ثم عثمان رضي
الله عنه فاكثروا فقال لهم امن المهاجرين الاولين انتم قالوا لا قال افمن الذين تبوؤا الدار والايمان من قبلهم قالوا لا
قال فقد تبراتم من هذين الفريقين انا اشهد انكم لستم من الذين قال الله والذين جاؤا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا

ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين امنوا فو موافعل الله بكم وفعل ذكره النحاس
فصل هذه الاية دليل على وجوب محبة الصحابة رضي الله عنهم لانه جعل لمن بعدهم حظا في الفي ما اقاموا
على محبتهم وموالاتهم والاستغفار لهم ومن ابغضهم او واحدا منهم او اعتقد فيه شرا انه لا حق له في الفي قال مالك
من كان يبغض احدا من اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم او كان في قلبه لهم غل فليس له حق في في المسلمين ثم قرا والذين جاوا
من بعدهم فصل قال القرطبي دلت هذه الاية على ان الصحيح من اقوال العلما قسمة المنقول وابقا العقار
والارض بين المسلمين اجمعين كما فعل عمر رضي الله عنه الا ان يجتهد الوالي فينفذ امرا فيمضي حمله فيه لاختلاف الناس فيه
وان هذه الاية قاضية بذلك لان الله تعالى اخبر عن الفي وجعله لثلاث طوايف المهاجرين والانصار وهم معلومون
والذين جاوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان فهي عامة في جميع التابعين الاتين
بعدهم الى يوم الدين روي ان النبي صلى الله عليه وسلم خرج الى المقبرة فقال السلام عليكم دار قوم مومنين وانا
ان شاء الله بكم لاحقون ووددت لو رايت اخواننا فقالوا يا رسول الله السنا اخوانك فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم بل انتم اصحابي واخواننا الذين لم ياتوا بعد وانا فرطهم على الحوض فبين النبي صلى الله عليه وسلم ان اخوانهم
كل من ياتي بعدهم لا كما قال السدي والكلبي انهم الذين هاجروا بعد ذلك وعن الحسن ايضا ان الذين جاوا من بعدهم من قصد
الى النبي صلى الله عليه وسلم الى المدينة بعد انقطاع الهجرة قوله تعالى يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا
بالايمان قيل امروا ان يستغفروا لمن سبق هذه الامة من مومني اهل الكتاب قالت عايشة رضي الله عنها فامروا ان
يستغفروا لهم فسبوهم وقيل امروا للسابقين الاولين من المهاجرين والانصار قال ابن عباس رضي الله عنه امر الله تعالى
بالاستغفار لاصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وهو يعلم انهم سيفتنون وقالت عايشة رضي الله عنها امرتم بالاستغفار
لاصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فسببتموهم سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا تذهب هذه الامة حتى يلعن
اخرها اولها وقال ابن عمر رضي الله عنهما سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول اذا رايتم الذين يسبون اصحابي فقولوا لعن الله
شركم وقال العوام بن حوشب ادركت هذه الامة يقولون اذكروا محاسن اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى تاتلف عليهم
القلوب ولا تذكروا ما شجر بينهم فتحرشوا الناس عليهم وقال الشعبي رضي الله عنه تفاضلت اليهود والنصارى على الرافضة
بخصلة سيلت اليهود من خير اهل ملتكم فقالوا اصحاب موسى صلوات الله عليه وسيلت النصارى من خير اهل ملتكم
فقالوا اصحاب عيسى صلوات الله عليه وسيلت الرافضة من شر اهل ملتكم فقالوا اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم امروا بالاستغفار
لهم فسبوهم فالسيف عليهم مسلول الى يوم القيمة لا تقوم لهم راية ولا يثبت لهم قدم ولا يجتمع لهم كلمة كلما اوقدوا نارا
للحرب اطفاها الله بسفك دمايهم وادحاض حجتهم اعاذنا الله واياكم من الاهوا المضلة ولا تجعل في قلوبنا غلا
للذين امنوا اي حسدا وبغضا ربنا انك روف رحيم قوله تعالى الم تر الى الذين نافقوا يقولون لاخوانهم للتبليغ فقط
بخلاف قوله عز وجل وقال الذين كفروا للذين امنوا فانها تحتمل ذلك وتحتمل العلة فصل قال القرطبي هذه الاية
سيقت للتعجب من اغترار اليهود لما وعدهم المنافقون من النصر معهم مع علمهم بانهم لا يعتقدون دينا ولا كتابا قال
المقاتلان يعني عبد الله بن ابي بن سلول وعبد الله بن نفيل ورفاعة بن زيد وقيل رفاعة بن تابوت واوس بن قيظي كانوا من
الانصار ولكنهم نافقوا قالوا لليهود قريظة والنضير والاخوان هم الاخوة وهي هنا تحتمل وجوها احدها الاخوة
في الكفر لان اليهود والمنافقين اشتركوا في عموم الكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم وثانيها الاخوة بسبب اشتراكهم في عداوة
محمد صلى الله عليه وسلم وثالثها الاخوة بسبب المصادقة والموالاة والمعاونة وثالثها الاخوة بسبب اشتراكهم في عداوة
محمد صلى الله عليه وسلم فقالوا لليهود لئن اخرجتم من المدينة لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم احدا ابدا وان قوتلتم لننصرنكم
وقيل هذا من قول بني النضير لقريظة وقولهم ولا نطيع فيكم احدا ابدا يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم قالوا لا نطيعه في قتالكم
وفيه دليل على صحة نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم من جهة علم الغيب لانهم اخرجوا فلم يخرجوا معهم وقوتلوا فلم ينصروهم
كما قال سبحانه وتعالى والله يشهد انهم لكاذبون اي في قولهم وفعلهم فقولهم لا نطيع فيكم احدا ابدا اي في قتالكم او في
خذلانكم قوله تعالى وان قوتلتم لننصرنكم اجيب القسم المقدر لان قبل ان اللام موطية حذفت للعلم بمكانها فان الاكثر الاتيان
بها ومثله قوله تعالى وان لم ينتهوا عما يقولون ليمسن وقد تقدم قوله تعالى لئن اخرجوا لا يخرجون معهم ولئن قوتلوا
لا ينصرونهم ولئن نصروهم ليولن الادبار ثم لا ينصرون اجيب القسم لسبقه ولذلك رفعت الافعال ولم تجزم
وحذف جواب الشرط لدلالة جواب القسم عليه ولذلك كان فعل الشرط ماضيا وقال ابو البقا رحمه الله قوله تعالى لا
ينصرونهم لما كان الشرط ماضيا ترك جزم الجواب انتهى وهو غلط لان لا ينصرونهم ليس جوابا للشرط بل هو جواب للقسم
وجواب الشرط محذوف كما تقدم وكانه توهم انه من باب قوله • وان اتاه خليل يوم مسيلة • يقول لا غايب مالي ولا حرم •

وقد سبق ابا البقا ابن عطية الى ما يوهم شيا من ذلك ولكنه صرح بانه جواب القسم فقال جاءت الافعال غير
مجزومة في لا يخرجون ولا ينصرون لانها راجعة على حكم القسم لا على حكم الشرط وفي هذا نظر وقوله وفي هذا
نظر يوهم انه جاء على خلاف ما يقتضيه القياس وليس كذلك بل جاء على ما يقتضيه القياس وفي هذه الضماير قولان
احدهما انها كلها للمنافقين والثاني انها مختلفة بعضها لهولاء وبعضها لهولاء فصل اعلم انه تعالى عالم
بجميع المعلومات التي لا نهاية لها وقد اخبر تعالى ان هولاء اليهود لئن اخرجوا فالمنافقين لا يخرجون معهم فالمنافقون
وكان الامر كذلك لان بني النضير لما اخرجوا لم يخرج معهم المنافقون وقوتلوا ايضا فما نصروهم وهذا كما يقول المعترض
الطاعن في كلام الغير لا نسلم ان الامر كما تقول ولئن سلمنا الامر كما تقول الا انه لا يفيد لك فايدة فكذا هاهنا ذكر
تعالى انهم لا يخرجون معهم ويتقدر ان يخرجوا لا ينصرونهم ويتقدر ان ينصروهم طايعين ولئن نصروهم مكرهين
ليولن الادبار وقيل معنى لا ينصرونهم لا يدومون على نصرهم هذا على ان الضميرين متفقان وعلى اختلاف الضماير
فالمعنى لئن اخرج اليهود لا تخرج معهم المنافقين ولئن قوتلوا لا ينصرونهم ولئن نصروهم اي ولئن نصر اليهود المنافقون ليولن
الادبار الا انهم لا بد وان يتركوا النصرة وينهزموا ويتركوا اولئك المنصورين في ايدي اعدايهم ونظير هذه الاية قوله
تعالى ولو علم الله فيهم خيرا لاسمعهم ولو اسمعهم لتولوا وهم معرضون قوله تعالى لانتم اشد رهبة رهبة مصدر
من رهب المبني للمفعول فالرهبة واقعة من المنافقين لا من المخاطبين كانه قيل لانتم اشد مرهوبية في صدورهم من الله
فالمخاطبون مرهوبون وهو كقول كعب بن زهير رضي الله عنه في مدح رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال

• فلهو اخوف عندي اذ اكلمه • وقيل انك محبوس ومقتول •

• من ضيغم بثراء الارض مخدره • ببطن عثر غيل دونه غيل •

ورهبة تمييز فصل المعنى لانتم يا معشر المسلمين اشد رهبة اي خوفا وخشية في صدورهم من الله يعني صدور
بني النضير وقيل صدور المنافقين ويحتمل ان يرجع الى الفريقين اي يخافون منكم اكثر مما يخافون من ربهم ذلك الشدة
الى الخوف اي ذلك الخوف بانهم قوم لا يفقهون قدر عظمة الله تعالى وقدرته حتى يخشوه حق خشيته قوله تعالى لا يقاتلونكم
جميعا يعني اليهود والمنافقين لا يقدرون على مقاتلتكم مجتمعين الا اذا كانوا في قرى محصنة بالخنادق والدروب
والحيطان انها تمنعهم منكم او من وراء جدار اي من خلف حيطان يستترون بها لجبنهم ورهبتهم قوله تعالى جميعا حال
والا في قرى متعلق بيقاتلونكم وقوله جدار قرا ابن كثير وابو عمرو جدار بالافراد وفيه اوجه احدها انه السور والسور
الواحد يعم الجميع من المقاتلة ويسترهم والثاني انه واحد في معنى الجمع لدلالة السياق عليه والثالث ان كل فرقة منهم
وراء جدار لا انهم كلهم وراء جدار والباقون وراء جدر بضمتين اعتبارا بان كل فرقة وراء جدار فجمع لذلك وقرا الحسن
وابو رجا وابن وثاب والاعمش ويروى عن ابن كثير وعاصم بضمة وسكون وهي تخفيف الاولى وقرا ابن كثير ايضا في رواية
هرون عنه وهي قراءة كثير من المكيين جدر بفتحة وسكون فقيل هي لغة في الجدار وقال ابن عطية معناه اصل بنيان
كالسور ونحوه قال ويحتمل ان يكون من جدر النخيل اي من وراء نخيلهم يعني الجدر النخل اذا اطلعت رووسه في اول الربيع
والجدر نبت واحده جدرة وقرئ جدر بفتحتين حكاها الزمخشري وهي لغة في الجدار ايضا وقرئ جدر بضم الجيم
واسكان الدال لجمع الجدار وقال القرطبي ويجوز ان يكون الالف في الواحد كالف كتاب وفي الجمع كالف ظراف ومثله ناقة
هجان ونوق هجان لانك تقول في التثنية هجانان فصار لفظ الواحد والجمع مشتبهين في اللفظ مختلفين في المعنى قاله
ابن جني قوله تعالى باسهم بينهم شديد بينهم متعلق بشديد وجميعا مفعول ثان اي مجتمعين وقلوبهم شتى جملة حالية
او مستانفة للاخبار بذلك والعامة على شتى بلا تنوين لانها الف تانيث ومن كلامهم شتى تووب الحلبة اي متفرقين
وقال اخر • الى الله اشكو فتية شقت العصا • هي اليوم شتى وهي امس جميع • وقرا مبشر بن عبيد شتى منونة
كانه جعلها الف الالحاق وفي قراءة ابن مسعود وقلوبهم اشت يعني اشد تشتيتا اي اشد اختلافا فصل معنى
باسهم بينهم شديد اي عداوة بعضهم لبعض قاله ابن عباس وقال مجاهد باسهم بينهم شديد بالكلام والوعيد لنفعلن
كذا وقال السدي المراد اختلاف قلوبهم حتى لا يتفقوا على امر واحد وقيل باسهم بينهم شديد اي اذا لم يلقوا عدوا نسبوا
انفسهم الى الشدة والباس واذا لقوا العدو انهزموا تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى يعني اليهود والمنافقين قاله مجاهد وعنه
ايضا يعني المنافقين وقال الثوري هم المشركون واهل الكتاب وقال قتادة تحسبهم جميعا اي مجتمعين على امر وراي
وقلوبهم شتى اي متفرقة فاهل الباطل مختلفة ارهم وهم مجتمعون في عداوة اهل الحق وعن مجاهد ايضا اراد ان دين
المنافقين يخالف دين اليهود وهذا يقوي انفس المومنين عليهم ذلك بانهم قوم لا يعقلون اي ذلك التشتيت والكفر بانهم
لا يعقلون امر الله وقيل لا يعقلون ما فيه الحظ لهم وقيل لا يعقلون ان تشتت القلوب مما يوهن قواهم قوله تعالى

كمثل الذين من قبلهم خبر مبتدا مضمر اي مثلهم مثل هولاء وقريبا فيه وجهان احدهما انه منصوب بالتشبيه
المتقدم اي يشبهونهم في زمن قريب سيقع لا يتاخر ثم بين ذلك بقوله ذاقوا وبال امرهم والثاني انه منصوب بذاقوا
اي ذاقوه في زمن قريب سيقع ولم يتاخر وانتصابه في وجهيه على ظرف الزمان **فصل** يعني مثل هولاء اليهود
كمثل الذين من قبلهم قال ابن عباس يعني به بني قينقاع امكن الله منهم قبل بني النضير وقال قتادة يعني بني النضير امكن الله
منهم قبل قريظة وكان بينهما سنتان وقال سعد يعني كفار قريش يوم بدر وكان ذلك قبل غزوة بني النضير قال مجاهد
وكانت وقعة بدر قبل غزوة بني النضير بستة اشهر فلذلك قال قريبا وقيل هو عام في كل من انتقم منه على كفره قبل
بني النضير من نوح الى محمد صلى الله عليه وسلم وبال اي جزاء كفرهم ومن قال هم بنو قريظة جعل وبال امرهم نزولهم على
حكم سعد بن معاذ فحكم فيهم بقتل المقاتلة وسبي الذرية وهو قول الضحاك ومن قال المراد بني النضير قال وبال امرهم
الجلاء والنفي ولهم عذاب اليم في الاخرة **قوله تعالى** كمثل الشيطان اذ قال للانسان اكفر وهذا مثل ضربه الله للمنافقين
واليهود في تخاذلهم وعدم الوفاء في نصرتهم وحذف حرف العطف ولم يقل وكمثل الشيطان لان حذف حرف العطف
كثير كقولك انت عاقل انت كريم انت عالم وقوله كمثل الشيطان كالبيان لقوله كمثل الذين من قبلهم **فصل**
روي عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الانسان الذي قال له الشيطان اكفر راهب نزلت عنده امراة اصابها لمم ليدعو لها
فزين له الشيطان فوطئها فحملت ثم قتلها خوفا ان يفتضح فدل الشيطان قومها على موضعها فجاوا فاستنزلوا الراهب
ليقتلوه فجاءه الشيطان فوعده ان سجد له انجاه منهم فسجد له فتبرا منه فاسلم ذكره القاضي اسمعيل وعلي بن المديني عن
سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن عروة بن عامر عن عبيد بن رفاعة الدوري عن النبي صلى الله عليه وسلم وذكر خبره
مطولا وذكر ابن عباس في قوله كمثل الشيطان كان راهبا في الفترة يقال له برصيصا قد تعبد في صومعته سبعين سنة
لم يعص الله فيها طرفة عين حتى اعيا ابليس وذكر خبر برصيصا بتمامه قال ابن عباس فضرب الله هذا مثلا للمنافقين
مع اليهود وذلك ان الله تعالى امر نبيه ان يجلي بني النضير من المدينة فدس اليهم المنافقون ان لا تخرجوا من دياركم فان قاتلوكم
كنا معكم وان اخرجوكم كنا معكم فحاربوا النبي صلى الله عليه وسلم فخذلهم المنافقون وتبرؤوا منهم كما تبرا الشيطان من برصيصا
العابد وقيل المعنى مثل المنافقين في غدرهم لبني النضير كمثل ابليس اذ قال لكفار قريش لا غالب لكم اليوم من الناس
واني جار لكم الاية وقال مجاهد المراد بالانسان هاهنا جميع الناس في غرور الشيطان اياهم ومعنى قوله تعالى قال له اكفر
اي اغواه حتى قال اني كافر وليس قول الشيطان اني اخاف الله رب العالمين حقيقة انما هو على وجه التبري من الانسان
فهو تاكيد لقوله تعالى اني بريء منك وفتح الياء من اني نافع وابن كثير وابو عمرو واسكن الباقون **قوله تعالى** فكان عاقبتهما
العامة على نصب عاقبتهما خبرا والاسم ان وما في حيزها لان الاسم اعرف من عاقبتهما وقد تقدم تحرير هذا في ال عمران
والانعام وقرا الحسن وعمرو بن عبيد وابن ارقم برفعها على جعلها اسما وان وما في حيزها خبرا كقراءة ثم لم تكن فتنتهم الا ان
قالوا **قوله تعالى** خالدين فيها العامة على نصبه حالا من الضمير المستكن في الجار لوقوعه خبرا والتثنية ظاهرة فيمن جعل الاية
مخصوصة في الراهب والشيطان ومن جعلها في الجنس فالمعنى فكان عاقبة الفريقين او الصنفين ونصب عاقبتهما
على انه خبر كان والاسم انهما في النار وقرا عبد الله وزيد بن علي والاعمش وابن ابي عبلة برفعه خبرا والظرف ملغى فيتعلق بالخبر
وعلى هذا فيكون تاكيدا لفظيا للحرف واعيد معه ضمير ما دخل عليه كقوله ففي الجنة خالدين فيها وهذا على مذهب سيبويه
فانه يجيز الغاء الظرف وان اكد والكوفيون يمنعونه وهذا حجة عليهم وقد يحتسبون بانا لا نسلم ان الظرف في هذه القراءة
ملغى بل نجعله خبرا لان وخالدان خبر ثان وهو محتمل لما قالوه الا ان الظاهر خلافه قال القرطبي وهذه القراءة خلاف
المرسوم وقوله وذلك جزاء الظالمين اي المشركين لقوله تعالى ان الشرك لظلم عظيم **قوله تعالى** يا ايها الذين امنوا اتقوا الله
في اوامره ونواهيه واداء فرائضه واجتناب معاصيه ولتنظر نفس ما قدمت لغد يعني يوم القيمة والعرب تكني عن المستقبل
بالغد وقيل ذكر الغد تنبيها على ان الساعة قريبة كقوله • وان غدا للناظرين قريب • وقال الحسن وقتادة قرب
الساعة حتى جعلها كالغد لان كل ات قريب والموت لا محالة ات ومعنى ما قدمت اي من خير او شر ونكر النفس لاستقلال الانفس
التي تنظر فيما قدمت للاخرة كانه قال فلتنظر نفس واحدة في ذلك ونكر الغد لتعظيمه وابهام امره كانه قيل الغد لا تعرف
كنهه لعظمته وقرا العامة بسكون لام الامر في قوله ولتنظر وابو حيوة ويحيى بن الحرث بكسرها على الاصل والحسن بكسرها
ونصب الفعل جعلها لام كي ويكون المعلل مقدرا اي ولتنظر نفس حذركم واعمالكم **قوله تعالى** واتقوا الله تاكيد وقيل
كرر لتغاير متعلق التقويين فمتعلق الاولى اداء الفرائض لاقترانه بالعمل والثانية ترك المعاصي لاقترانه بالتهديد والوعيد
قال معناه الزمخشري ثم قال ان الله خبير بما تعملون قال سعيد بن جبير بما يعملون اي بما يكون منكم **قوله تعالى** ولا تكونوا
العامة على الخطاب وابو حيوة بالغيبة على الالتفات نسوا الله اي تركوه فانساهم انفسهم ان يعملوا لها خيرا قاله المقاتلان

وقيل نسوا الله حقه فانساهم حق انفسهم قاله سفين وقيل نسوا الله بترك شكره وتعظيمه فانساهم انفسهم بالعذاب
ان يذكر بعضهم بعضا حكاه ابن عيسى وقال سهل بن عبد الله نسوا الله عند الذنوب فانساهم انفسهم عند التوبة وقيل
انساهم انفسهم اي اراهم يوم القيمة من الاهوال ما نسوا فيه انفسهم كقوله تعالى لا يرتد اليهم طرفهم وافئدتهم هواء وترى
الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد ونسب تعالى الفعل الى نفسه في انسائهم اذ كان ذلك بسبب امره
ونهيه كقولك احمدت الرجل اذا وجدته محمودا وقيل نسوا الله في الرخا فانساهم انفسهم في الشدائد اولئك هم الفاسقون
قال ابن جبير العاصون وقال ابن زيد الكاذبون واصل الفسق الخروج اي الذين خرجوا عن طاعة الله **قوله تعالى** لا يستوي
اصحاب النار واصحاب الجنة اي في الفضل والرتبة لما ارشد المومنين الى ما هو مصلحتهم يوم القيمة بقوله ولتنظر
نفس ما قدمت لغد وهدد الكافرين بقوله الذين نسوا الله فانساهم انفسهم بين بهذه الاية الفرق بين الفريقين واعلم
ان الفرق بينهما معلوم بالضرورة وانما ذكر الفرق في مثل هذا الموضع للتنبيه على عظم ذلك الفرق ثم قال اصحاب الجنة
هم الفايزون وهذا كالتفسير لنفي تساويهما وهم يجوز ان يكون فصلا وان يكون مبتدا وعلى الاول الاخبار بمفرد وعلى
الثاني بجملة ومعنى الفايزون اي المقربون المكرمون وقيل الناجون من النار ونظير هذه الاية قوله لا يستوي الخبيث والطيب
وقوله افمن كان مومنا كمن كان فاسقا لا يستوون وقوله ام نجعل الذين امنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الارض ام
نجعل المتقين كالفجار وقد مضى الكلام في ذلك **فصل** احتجت المعتزلة على ان صاحب الكبيرة لا يدخل الجنة بهذه الاية
قالوا لان الاية دلت على ان اصحاب النار واصحاب الجنة لا يستويان فلو دخل صاحب الكبيرة الجنة لكان اصحاب الجنة واصحاب
النار يستويان وهو غير جايز وجوابه معلوم **فصل** دلت هذه الاية على ان المسلم لا يقتل بالذمي كما هو مذكور
في كتب الفقه **قوله تعالى** لو انزلنا هذا القران على جبل لرايته خاشعا متصدعا من خشية الله وهذا حث على تامل
مواعظ القران وبين انه لا عذر في ترك التدبر فانه لو خوطب بهذا القران الجبال مع تركيب العقل فيها لانقادت لمواعظه
ولرايتها على صلابتها ورزانتها خاشعة متصدعة اي متشققة من خشية الله والخاشع الذليل والمتصدع المتشقق وقيل
خاشعا لله بما كلفه من طاعته متصدعا من خشية الله ان يعصيه فيعاقبه وقيل هو على وجه المثل للكفار لقوله تعالى
وتلك الامثال نضربها للناس اي انه لو انزل هذا القران على الجبل لخشع لوعده وتصدع لوعيده وانتم ايها المقهورون
باعجازه لا ترغبون في وعده ولا ترهبون من وعيده وقيل الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم اي لو انزلنا هذا القران
يا محمد على جبل لما ثبت ولتصدع من نزوله عليه وقد انزلناه عليك وثبتناك له فيكون ذلك امتنانا عليه ان ثبته لما لم
يثبت عليه الجبال وقيل انه خطاب للامة وان الله تعالى لو انذر بهذا القران الجبال لتصدعت من خشية الله والانسان
اقل قوة واكثر ثباتا فهو يقوم بحقه ان اطاع ويقدر على رده ان عصى لانه موعود بالثواب ومزجور بالعقاب **قوله تعالى**
خاشعا حال لان الروية بصرية وقرا طلحة مصدعا بادغام التاء في الصاد **قوله تعالى** هو الله الذي لا اله الا هو
لما وصف القران بالعظم ومعلوم ان عظم الصفة تابعة لعظم الموصوف اتبع ذلك بشرح عظمة الله تعالى فقال هو الله
الذي لا اله الا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم قال ابن عباس معناه عالم السر والعلانية وقيل ما كان
وما يكون وقال سهل عالم بالاخرة والدنيا وقيل الغيب ما لم يعلمه العباد ولا عاينوه والشهادة ما علموا وشاهدوا
وقوله الرحمن الرحيم تقدم مثله **قوله تعالى** هو الله الذي لا اله الا هو عالم الغيب والشهادة الملك القدوس
قرا ابو ذر وابو السمال القدوس بفتح القاف قال الحسن هو الذي كثرت بركاته والعامة بضمها وهو المنزه عن كل
نقص والطاهر عن كل عيب والقدوس بالتحريك السطل بلغة اهل الحجاز لانه يتطهر به ومنه القادوس لواحد الاواني
التي يستخرج بها الماء من البير بالسانية وكان سيبويه يقول قدوس وسبوح بفتح اولهما وحكى ابو حاتم عن يعقوب
انه سمع عند الكسائي اعرابيا فصيحا يكنى ابا الدنيا يقرا القدوس بفتح القاف قال ثعلب كل اسم على فعول فهو
مفتوح الاول مثل سفود وكلوب وتنور وسمور وشبوط الا السبوح والقدوس فان الضم فيهما اكثر وقد يفتحان
وكذلك الذروح بالضم **قوله تعالى** السلام اي ذو السلامة من النقايص قال ابن العربي اتفق العلماء على ان قوله
السلام بالنسبة تقديره ذو السلامة ثم اختلفوا في ترجمة النسبة فقيل معناه الذي سلم من كل عيب وبرئ من
كل نقص وقيل المسلم على عباده في الجنة كما قال سلام قولا من رب رحيم وقيل معناه الذي سلم الخلق من ظلمه
وهذا قول الخطابي قال القرطبي وعلى هذا والذي قبله يكون صفة فعل وعلى الاول يكون صفة ذات وقيل معناه
المسلم لعباده • **قوله تعالى** المومن اي الذي امن اولياءه عذابه يقال امنه يومنه فهو مومن قال تعالى وامنهم من خوف
وقيل المصدق لرسله باظهار معجزاته عليهم ومصدق المومنين ما وعدهم من الثواب ومصدق الكافرين ما اوعدهم
من العقاب وقال مجاهد المومن الذي وحد نفسه بقوله شهد الله انه لا اله الا هو وقرا العامة المومن بكسر الميم اسم فاعل

من آمن بمعنى أمّن وأبو جعفر محمد بن علي بن الحسين وقيل ابن القعقاع بفتحها فقال الزمخشري بمعنى المؤمن به
على حذف حرف الجر كقوله واختار موسى قومه المختارون وقال أبو حاتم لا يجوز ذلك أي هذه القراءة لأنه لو كان
كذلك لكان المؤمن به وكان جائزا لكن المؤمن المطلق بلا حرف جر يكون من كان خائفا فأمن فقدره ما قاله الزمخشري

فصل قال ابن عباس إذا كان يوم القيمة أخرج أهل التوحيد من النار وأول من يخرج من وافق اسمه اسم نبي حتى
إذا لم يبق فيها من يوافق اسمه اسم نبي قال الله تعالى لباقيهم أنتم المسلمون وأنا السلام وأنتم المؤمنون وأنا المؤمن فيخرجهم من
النار ببركة هذين الاسمين **قوله تعالى** المهيمن العزيز قيل معنى المهيمن الشاهد الذي لا يغيب عنه شيء وهو قول ابن عباس
ومجاهد وقتادة والسدي ومقاتل قال الخليل وأبو عبيدة هيمن يهيمن فهو مهيمن وقد تقدم الكلام عليه عند قوله
ومهيمنا عليه وقال ابن الأنباري المهيمن القائم على خلقه برزقه وأنشد • ألا إن خير الناس بعد نبيه • مهيمنه التاليه
في العرف والنكر • وقيل هو في الأصل مؤتمن فقلبت الهمزة هاء كقوله أرقت وهرقت ومعناه المؤمن نقله البغوي وتقدم الكلام
على العزيز **قوله تعالى** الجبار استدل به من يقول إن أمثلة المبالغة تأتي من المزيد على الثلاثة فإنه من أجبره على كذا أي قهره قال
الفراء ولم أسمع فعالا من أفعل إلا في جبار ودرّاك من أدرك انتهى فاستدرك عليه أسأر فهو سآر وقيل هو من الجبر وهو
الإصلاح وقيل هو من قولهم نخلة جبارة إذا لم تنلها الجناة قال امرؤ القيس • سوامق جبار أثيث فروعه • وعالين قنوانا
من البسر أحمرا • يعني النخل التي فاتت اليد قال ابن الخطيب فيه وجوه أحدها أنه فعال من جبر إذا أغنى الفقير وأصلح الكسير
قال الأزهري هو لعمري جابر كل كسير وفقير وهو جابر دينه الذي ارتضاه قال العجاج • قد جبر الدين الإله فجبر •
الثاني أن يكون من جبره إذا أكرهه على ما أراده قال السدي إنه الذي يقهر الناس ويجبرهم على ما أراده قال الأزهري
هي لغة تميم وكثير من الحجازيين يقولونها وكان الشافعي رحمه الله يقول جبره السلطان على كذا بغير ألف الثالث قال
ابن عباس الجبار هو الملك العظيم وقيل الجبار الذي لا تطاق سطوته قال الواحدي هذا الذي ذكرنا من معاني الجبار في صفة
الله تعالى وأما معاني الجبار في صفة الخلق فلها معان أحدها المسلط كقوله وما أنت عليهم بجبار الثاني العظيم الجسم
كقوله تعالى إن فيها قوما جبارين الثالث المتمرد عن عبادة الله تعالى كقوله ولم يجعلني جبارا الرابع القتال كقوله تعالى
بطشتم جبارين وقوله إن تريد إلا أن تكون جبارا في الأرض **قوله تعالى** المتكبر قال ابن عباس الذي تكبر بربوبيته فلا
شيء مثله وقيل المتكبر عن كل سوء المتعظم عما لا يليق به من صفات الحدث والذم وأصل الكبر والكبرياء الامتناع
وقلة الانقياد قال حميد بن ثور • عفت مثل ما يعفو الفصيل فأصبحت • بها كبرياء الصعب وهي ذلول • قال
الزجاج هو الذي يتعظم عن ظلم عباده وقال ابن الأنباري المتكبر ذو الكبرياء والكبرياء عند العرب الملك قال تعالى
وتكون لكما الكبرياء في الأرض واعلم أن المتكبر في صفات الله مدح وفي صفات المخلوقين ذم قال عليه السلام فيما
يرويه عن ربه تبارك وتعالى أنه قال الكبرياء ردائي والعظمة إزاري فمن نازعني واحدا منهما قصمته ثم قذفته في النار
وقيل المتكبر معناه العالي وقيل معناه الكبير لأنه أجل من أن يتكلف كبرا وقد يقال تظلم بمعنى ظلم وتشتم بمعنى شتم
واستقر بمعنى قر كذلك المتكبر بمعنى الكبير وليس كما يوصف به المخلوق إذا وصف بتفعل إذا نسب إليه ما لم يكن منه ثم نزه
نفسه فقال سبحان الله عما يشركون كأنه قال إن المخلوقين قد يتكبرون ويدعون مشاركة الله تعالى في هذا الوصف
لكنه سبحانه منزه عن التكبر الذي هو حاصل للخلق لأنهم ناقصون بحسب ذواتهم فادعاؤهم الكبر يكون ضم
نقصان الكذب إلى النقصان الذاتي وأما الله سبحانه فله العلو والعز فإذا أظهره كان ذلك ضم كمال إلى كمال فسبحان
الله عما يشركون في إثبات صفة التكبر للمخلوق **قوله تعالى** هو الله الخالق البارئ الخالق هنا المقدر والبارئ المنشئ
المخترع وقدم ذكر الخالق على البارئ لأن الإرادة مقدمة على تأثير القدرة **قوله تعالى** المصور العامة على كسر الواو
ورفع الراء إما صفة وإما خبر وقرأ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب والحسن وابن السميقع وحاطب بن أبي بلتعة بفتح الواو
ونصب الراء وتخريجها على أن يكون منصوبا بالبارئ والمصور هو الإنسان إما آدم وإما هو وبنوه وعلى هذه القراءة
يحرم الوقف على المصور بل يجب الوصل ليظهر النصب في الراء وإلا فقد يتوهم منه في الوقف ما لا يجوز وروي عن أمير المؤمنين
أيضا فتح الواو وجر الراء وهي كالأولى في المعنى إلا أنه أضاف اسم الفاعل لمعموله تخفيفا نحو الضارب الرجل والوقف
على المصور في هذه القراءة أيضا حرام وقد نبه عليه بعضهم وقال مكي يجوز نصبه في الكلام ولا بد من فتح الواو
فتنصبه بالبارئ أي هو الله الخالق البارئ المصور يعني آدم عليه السلام وبنيه انتهى وكأنه لم يطلع على هذه القراءة
وقال أيضا ولا يجوز نصبه مع كسر الواو ويروى عن علي رضي الله عنه يعني أنه إذا كسرت الواو كان من صفات الله
تعالى وحينئذ لا يستقيم نصبه عنده لأن نصبه باسم الفاعل قبله وقوله ويروى أي كسر الواو ونصب الراء وإذا صح
هذا عن أمير المؤمنين فيتخرج على أنه من القطع كأنه قيل أمدح المصور كقولهم الحمد لله أهل الحمد بنصب أهل وقراءة من قرأ الملك

رب العالمين بنصب رب قال مكي والمصور مفعل من صور يصور ولا يحسن أن يكون من صار يصير لأنه يلزم منه
أن يقال المصير بالياء ومثل هذا من الواضحات ولا يقبله المعنى أيضا وقدم البارئ على المصور لأن إيجاد الذوات
مقدم على إيجاد الصفات فالتصوير مرتب على الخلق والبراية وتابع لهما ومعنى التصوير التخطيط والتشكيل وخلق الله
الإنسان في بطن أمه ثلاث خلق جعله علقة ثم مضغة ثم جعله صورة وهو الشكل الذي يكون به ذا صورة يعرف بها
ويتميز عن غيره فتبارك الله أحسن الخالقين **قوله تعالى** له الأسماء الحسنى يسبح له ما في السموات والأرض وهو العزيز
الحكيم تقدم نظيره روى أبو هريرة قال سألت خليلي أبا القسم رسول الله صلى الله عليه وسلم عن اسم الله الأعظم فقال عليك
بآخر سورة الحشر فأكثر قراءتها فأعدت عليه فأعاد علي وقال جابر بن زيد بأن اسم الله الأعظم هو الله لمكان هذه
الآية وعن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قرأ سورة الحشر غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وعن أبي أمامة
قال قال النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ خواتيم سورة الحشر في ليل أو نهار فقبضه الله في تلك الليلة أو ذلك اليوم
فقد أوجب الله له الجنة

سورة الممتحنة مكية

وهي ثلاث عشرة آية وثلاثمائة وثمان وأربعون كلمة وألف وخمسمائة وعشرة أحرف وهي مدنية وتسمى الممتحنة بكسر الحاء
أي المختبرة أضيف الفعل إليها مجازا كما سميت سورة براءة المبعثرة والفاضحة لما كشفت من عيوب المنافقين ومن قال
بفتح الحاء فإنه أضافها إلى المرأة التي نزلت فيها وهي أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط قال الله تعالى فامتحنوهن الله
أعلم بإيمانهن بسم الله الرحمن الرحيم **قوله تعالى** يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم
أولياء الآية وجه تعلق هذه السورة بأولها بآخر ما قبلها هو أن آخر تلك السورة تشتمل على الصفات الجميلة اللائقة بحضرة
الله تعالى من الوحدانية وغيرها وأول هذه السورة مشتمل على حرمة الاختلاط مع من لم يعترف بتلك الصفات **قوله تعالى**
عدوي وعدوكم أولياء هذان مفعولا الاتخاذ والعدو لما كان بزنة المصادر وقع على الواحد فما فوقه وأضاف العدو
لنفسه تعالى تغليظا في جرمهم روى مسلم عن علي رضي الله عنه قال بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا والزبير والمقداد
فقال ائتوا روضة خاخ فإن بها ظعينة معها كتاب فخذوه منها فانطلقنا تعادى بنا خيلنا فإذا نحن بالمرأة وهي امرأة
عبد الرحمن بن عوف ولدت له سالم بن عبد الرحمن فقلنا أخرجي الكتاب فقالت ما معي كتاب فقلنا لتخرجن الكتاب أو لتلقين الثياب
فأخرجته من عقاصها فأتينا به رسول الله صلى الله عليه وسلم فإذا فيه من حاطب بن أبي بلتعة إلى ناس من المشركين من أهل مكة
يخبرهم ببعض أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا حاطب ما هذا قال لا تعجل علي يا
رسول الله إني كنت امرأ ملصقا في قريش قال سفيان يقول كنت حليفا ولم أكن من أنفسها وكان ممن معك من المهاجرين
من لهم قرابات يحمون أهليهم وأموالهم فأحببت إذ فاتني ذلك من النسب أن أتخذ عندهم يدا يحمون قرابتي ولم أفعله كفرا
ولا ارتدادا عن ديني فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أما إنه قد صدقكم فقال عمر يا رسول الله دعني أضرب عنق
هذا المنافق فقال إنه شهد بدرا وما يدريك لعل الله اطلع على من شهد بدرا فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم فأنزل الله
تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء إلى قوله سواء السبيل قيل اسم المرأة سارة من موالي قريش
وكان في الكتاب أما بعد فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد توجه إليكم بجيش كالليل يسير كالسيل وأقسم بالله
لو لم يسر إليكم إلا وحده لأظفره الله بكم وأنجز له موعده فيكم فإن الله وليه وناصره وقيل إن سارة مولاة أبي عمرو بن صيفي
بن هاشم بن عبد مناف أتت المدينة من مكة ورسول الله صلى الله عليه وسلم يتجهز لفتح مكة وقيل كان هذا زمن الحديبية
فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم أمهاجرة جئت يا سارة فقالت لا قال أمسلمة جئت قالت لا قال فما جاء بك
قالت كنتم الأهل والموالي والأصل والعشيرة وقد ذهبت الموالي يعني قتلوا يوم بدر وقد احتجت حاجة شديدة
فقدمت عليكم لتعطوني وتكسوني فقال عليه السلام فأين أنت عن شباب أهل مكة وكانت مغنية نائحة قالت ما طلب
مني شيء بعد وقعة بدر فحث رسول الله صلى الله عليه وسلم بني عبد المطلب وبني المطلب على إعطائها فكسوها وحملوها
وأعطوها فخرجت إلى مكة وأتاها حاطب بن أبي بلتعة حليف بني أسد بن عبد العزى وقال أعطيك عشرة دنانير وبردا على أن
تبلغي هذا الكتاب إلى أهل مكة وكتب في الكتاب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يريدكم فخذوا حذركم فخرجت سارة
ونزل جبريل عليه السلام فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فبعث عليا والزبير وأبا مرثد الغنوي وفي رواية عليا والزبير

والمقداد وفي رواية عليا وعمار بن ياسر وفي رواية عليا وعمارا وعمرا والزبير وطلحة والمقداد وابا مرثد وكانوا كلهم فرسانا وقال لهم انطلقوا حتى تاتوا روضة خاخ فان بها ظعينة ومعها كتاب من حاطب الى المشركين فخذوه منها وخلوا سبيلها فان لم تدفعه اليكم فاضربوا عنقها فادركوها في ذلك المكان فقالوا اين الكتاب فحلفت ما معها كتاب ففتشوا امتعتها فلم يجدوا معها كتابا فهموا بالرجوع فقال علي والله ما كذبنا ولا كذبنا وسل سيفه وقال اخرجي الكتاب والا والله لاجردنك ولاضربن عنقك فلما رات الجد اخرجته من ذوابتها قد خبأته في شعرها وفي رواية من حجزتها فخلوا سبيلها ورجعوا بالكتاب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فارسل الى حاطب فقال هل تعرف هذا الكتاب قال نعم وذكر الحديث **فصل** هذه السورة اصل في النهي عن موالاة الكفار وقد تقدم نظيره كقوله لا يتخذ المومنون الكافرين اولياء وقوله يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء روي ان حاطبا لما سمع يا ايها الذين امنوا غشي عليه من الفرح بخطاب الايمان **قوله تعالى** تلقون فيه اربعة اوجه احدها انه تفسير لموالاتهم اياهم الثاني انه استيناف اخبار بذلك فلا يكون للجملة على هذين الوجهين محل من الاعراب الثالث انها حال من فاعل تتخذوا اي لا تتخذوا ملقين المودة الرابع انها صفة لاولياء قال الزمخشري فان قلت اذا جعلته صفة لاولياء وقد جرى على غير من هو له فاين الضمير البارز وهو قولك تلقون اليهم انتم بالمودة قلت ذاك انما اشترطوه في الاسماء دون الافعال لو قيل اولياء ملقين اليهم بالمودة على الوصف لما كان بد من الضمير البارز وقد تقدمت هذه المسئلة مستوفاة وفيها كلام لمكي وغيره الا ان اباحيان اعترض على كونها صفة او حالا بانهم نهوا عن اتخاذهم اولياء مطلقا في قوله لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء والتقييد بالحال والوصف يوهم جواز اتخاذهم اولياء اذا انتفى الحال او الوصف قال شهاب الدين ولا يلزم مما قال لانه معلوم من القواعد الشرعية فلا مفهوم لهما البتة وقال الفراء تلقون من صلة اولياء وهذا على اصولهم من ان النكرة توصل لغيرها من الموصولات **قوله تعالى** بالمودة في الباء ثلثة اوجه احدها ان الباء مزيدة في المفعول به كقوله ولا تلقوا بايديكم وقوله ومن يرد فيه بالحاد الثاني انها غير مزيدة والمفعول محذوف ويكون معنى الباء السبب كانه يلقون اليهم اسرار رسول الله صلى الله عليه وسلم واخباره بسبب المودة التي بينكم وبينهم قال الزجاج الثالث انها متعلقة بالمصدر الدال عليه تلقون اي القاؤهم بالمودة نقله الحوفي عن البصريين وجعل القول بزيادة الباء قول الكوفيين الا ان هذا الذي نقله عن البصريين لا يوافق اصولهم اذ يلزم منه حذف المصدر وابقاء معموله وهو لا يجوز عندهم وايضا فان فيه حذف الجملة براسها فان القاؤهم مبتدا وبالمودة متعلق به والخبر ايضا محذوف وهذا اجحاف **فصل** قال ابن الخطيب في الاية مباحث الاول اتخاذ العدو وليا كيف يمكن والعداوة منافية للمحبة والجواب لا يبعد ان يكون العداوة بالنسبة الى امر اخر قوله تعالى انما اموالكم واولادكم عدو لكم وقال عليه السلام اولادنا اكبادنا الثاني لم قال عدوي وعدوكم ولم يقل بالعكس والجواب ان العداوة بين المومن والكافر بسبب محبة الله ومحبة رسوله عليه السلام فيكون محبة العبد من اصل الايمان بحضرة الله تعالى بعلم ومحبة حضرة الله تعالى للعبد لا لعلة والذي لا لعلة اقدم على الذي لعلة لان الشيء اذا كان له نسبة الى الطرفين فالطرف الاعلا مقدم على الادنى الثالث قال اولياء ولم يقل وليا والعدو والولي معرفا فالجواب ان المعرف بحرف التعريف يتناول كل فرد فكذلك المعرف بالاضافة **فصل** قال القرطبي قوله تلقون اليهم بالمودة يعني بالظاهر لان قلب حاطب كان سليما بدليل ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لهم اما صاحبكم فقد صدق وهذا نص في سلامة فواده وخلوص اعتقاده **فصل** قال القرطبي من كثر تطلعه على عورات المسلمين وينبه عليهم ويعرف عدوهم باخبارهم لم يكن بذلك كافرا اذا كان فعله ذلك لغرض دنياوي واعتقاده على ذلك سليم كما فعل حاطب حين قصد بذلك اتخاذ اليد ولم ينو الردة عن الدين واذا قيل بانه لا يكون كافرا بذلك فهل يقتل حدا ام لا فقال مالك وابن القاسم واشهب يجتهد الامام في ذلك وقال عبد الملك اذا كانت عادته تلك قتل لانه جاسوس وقد قال مالك يقتل الجاسوس لاضراره بالمسلمين وسعيه بالفساد في الارض ولعل ابن الماجشون انما اخذ التكرار في هذا لان حاطبا اخذ في اول فعله فان كان الجاسوس كافرا فقال الاوزاعي يكون نقضا لعهده وقال اصبغ الجاسوس الحربي يقتل والجاسوس المسلم والذمي يعاقبان الا ان تظاهرا على الاسلام فيقتلان وقد روي عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم اتي بعين للمشركين اسمه فرات بن حيان فامر به ان يقتل فصاح يا معشر الانصار اقتل وانا اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله فامر به النبي صلى الله عليه وسلم فخلي عنه سبيله ثم قال ان منكم من اكله الى ايمانه منهم فرات بن حيان **قوله تعالى** وقد كفروا فيه وجهان احدهما الاستيناف الثاني الحال من فاعل تتخذوا الثالث الحال من فاعل تلقون اي لا تتولوهم ولا توادوهم وهذه حالهم وقرا العامة بما بالباء والجحدري وعاصم في رواية لما باللام اي لاجل ما جاءكم من الحق فعلى هذا الشيء المكفور به غير مذكور تقديره كفروا بالله

ورسوله **قوله تعالى** يخرجون الرسول يجوز ان يكون مستانفا وان يكون تفسيرا لكفرهم فلا محل له على هذين وان يكون حالا من فاعل كفروا **قوله تعالى** واياكم عطف على الرسول وقدم عليهم تشريفا له وقد استدل به من يجوز انفصال الضمير مع القدرة على اتصاله اذ كان يجوز ان يقال يخرجونكم والرسول فيجوز يخرجون اياكم والرسول في غير القران وهو ضعيف لانه حال لتقديم الرسول دلالة على شرفه لا لانسلم انه يقدر على اتصاله وقد تقدم الكلام على هذه الاية عند قوله تعالى ولقد وصينا الذين اوتوا الكتاب من قبلكم واياكم في سورة النساء **قوله تعالى** ان تومنوا مفعول له وناصبه يخرجون اي يخرجونكم لايمانكم او كراهة ايمانكم **فصل** قال القرطبي ان تومنوا بالله ربكم تعليل ليخرجون والمعنى يخرجون الرسول ويخرجونكم من مكة لان تومنوا بالله اي لاجل ايمانكم بالله قال ابن عباس وكان حاطب ممن خرج مع النبي صلى الله عليه وسلم وقيل في الكلام تقديم وتاخير والتقدير لا تتخذوا عدوي وعدوكم اولياء ان كنتم خرجتم مجاهدين في سبيلي وقيل في الكلام حذف والمعنى ان كنتم خرجتم جهادا في سبيلي فلا تتخذوا عدوي وعدوكم اولياء قال ابو حيان ان كنتم خرجتم جوابه محذوف عند الجمهور لتقدم لا تتخذوا ومقدم وهو لا تتخذوا عند الكوفيين ومن تابعهم وقال الزمخشري وان كنتم خرجتم متعلق بلا تتخذوا ومعنى لا تتولوا اعداي ان كنتم اوليائي وقول النحويين في مثله هو شرط جوابه محذوف لدلالة ما قبله عليه انتهى يريد انه متعلق به من حيث المعنى واما من حيث الاعراب فكما قال الجمهور النحويين **قوله تعالى** جهادا وابتغا يجوز ان ينتصبا على المفعول له اي خرجتم لاجل هذين او على المصدر بفعل مقدر اي تجاهدون وتبتغون او على انهما في موضع الحال **قوله تعالى** تسرون يجوز ان يكون مستانفا ولم يذكر الزمخشري غيره ويجوز ان يكون حالا ثانية مما انتصب عنه تلقون حالا ويجوز ان يكون بدلا من تلقون قال ابن عطية ويشبه ان يكون بدل اشتمال لان القاء المودة يكون سرا وجهرا فابدل منه هذا البيان باي نوع وقع الالقا قال القرطبي تسرون بدل من تلقون ومبين عنه والافعال تبدل من الافعال كما قال تعالى ومن يفعل ذلك يلق اثاما يضاعف له العذاب وانشد سيبويه • متى تاتنا تلمم بنا في ديارنا • تجد حطبا جزلا ونارا تاججا • ويجوز ان يكون خبر مبتدا مضمر اي انتم تسرون قال ابن عطية ولا يخرج عن معنى الاستيناف وقال ابو البقا هو تاكيد لتلقون بتكرير معناه قال شهاب الدين وفيه نظر لان الالقا اعم من ان يكون سرا وجهرا وتقدم الكلام على الباء في قوله بالمودة **قوله تعالى** وانا اعلم هذه الجملة حال من فاعل تسرون اي واي طائل لكم في اسراركم وقد علمتم ان الاسرار والاعلان سيان في علمي واعلم يجوز ان يكون افعل تفضيل وهو الظاهر اي انا اعلم من كل احد بما يخفون وما يعلنون وان يكون فعلا مضارعا قال ابن عطية وعدي بالباء لانك تقول علمت بكذا وعلمت كذا فتكون زائدة وقوله وانا اعلم من كل احد كما يقال فلان اعلم وافضل من غيره فان قيل لم قدم العلم بالاخفا على العلم بالاعلان مع ان ذلك مستلزم لهذا من غير علة فالجواب ان هذا بالنسبة الى علمنا لا بالنسبة الى علمه تعالى اذ هما سيان في علمه تعالى لان المقصود بيان ما هو الاخفا وهو الكفر فيكون مقدما فان قيل لم لم يقل بما اسررتم وما اعلنتم مع انه اليق بما سبق في قوله تسرون فالجواب ان فيه من المبالغة ما ليس في ذلك فان الاخفا ابلغ من الاسرار بدليل قوله يعلم السر واخفى اي اخفى من السر **فصل** قال القرطبي وهذا كله معاتبة لحاطب وهو يدل على فضله وكرامته ونصيحته لرسوله وصدق ايمانه فان المعاتبة لا تكون الا من محب لحبيب كما قال اذا ذهب العتاب فليس ود • ويبقى الود ما بقي العتاب **فصل** والمراد بالمودة في الاية النصيحة قال ابن عباس وانا اعلم بما اخفيتم في صدوركم وما اظهرتم بالسنتكم من الاقرار والتوحيد ومن يفعله منكم اي من يسر اليهم ويكاتبهم منكم فقد ضل سواء السبيل اي اخطا قصد طريق الهدى **قوله تعالى** ومن يفعله في الضمير وجهان اظهرهما انه يعود على الاسرار لانه اقرب مذكور والثاني انه يعود على الاتخاذ قاله ابن عطية **قوله تعالى** سواء السبيل يجوز ان يكون منصوبا على الظرف ان قلنا ضل قاصر وان يكون مفعولا به وان قلنا هو متعد فان قيل ما الفائدة في قوله منكم ومن المعلوم ان من فعل هذا فقد ضل سواء السبيل فالجواب اذا كان المراد من قوله منكم هم المومنون فظاهر لان من يفعل ذلك لا يلزم ان يكون مومنا **قوله تعالى** ان يثقفوكم يلقوكم ويصادفوكم ومنه المثاقفة اي طلب مصادفة الغرة في المسابقة وشبهها وقيل يثقفوكم يظفروا بكم ويتمكنوا منكم يكونوا لكم اعداء ويبسطوا اليكم ايديهم والسنتهم بالسوء اي بالضرب والشتم **قوله تعالى** ودوا لو تكفرون في ودوا وجهان احدهما انه معطوف على جواب الشرط وهو قوله يكونوا ويبسطوا قال الزمخشري ثم قال ودوا بلفظ الماضي قلت الماضي وان كان يجري في باب الشرط مجرى المضارع في علم الاعراب فان فيه نكتة كانه قيل وودوا قبل كل شيء كفركم وارتدادكم يعني انهم يريدون ان يلحقوا مضار الدنيا والاخرة جميعا والثاني انه معطوف على جملة الشرط والجزا ويكون تعالى قد اخبر بخبرين بما تضمنته

الجملة الشرطية وتوادونهم كفر المؤمنين ورجح ابو حيان هذا واسقط به سؤال الزمخشري وجوابه وقال وكان الزمخشري فهم من قوله وودوا انه معطوف على جواب الشرط والذي يظهر انه ليس معطوفا عليه لان ودادتهم كفرهم ليست مترتبة على الظفر بهم والتسليط عليهم بل هم وادون كفرهم على كل حال سواء ظفروا بهم ام لم يظفروا انتهى قال شهاب الدين والظاهر انه عطف على الجواب وقولهم وادون ذلك مطلقا مسلم ولكن ودادتهم له عند الظفر والتسليط اقرب واطمع لهم فيهم وقوله لو تكفرون يجوز ان يكون لما سيقع لو وقع وان تكون المصدرية عند من يرى ذلك وتقدم تحريرهما في البقرة **فصل** والمعنى ودوا لو تكفرون بمحمد فلا تناصحوهم فانهم لا يناصحونكم **قوله تعالى** لن تنفعكم ارحامكم لما اعتذر حاطب بان له ارحاما واولادا فيما بينهم وبين الله تعالى ان الاهل والاولاد لا ينفعون شيئا يوم القيمة ان عصى من اجل ذلك يفصل بينكم فيدخل المؤمنين الجنة ويدخل الكافرين النار والله بما تعملون بصير **قوله تعالى** يوم القيمة يجوز فيه وجهان احدهما ان يتعلق بما قبله اي لن ينفعكم يوم القيمة فيوقف عليه ويبتدا يفصل بينكم والثاني ان يتعلق بما بعده اي يفصل بينكم يوم القيمة فيوقف على اولادكم ويبتدا يوم القيمة والقراء في يفصل بينكم على اربع مراتب الاولى لابن عامر بضم الياء وفتح الفاء والصاد مثقلة الثانية كذلك الا انه بكسر الصاد للاخوين الثالثة بفتح الياء وسكون الفاء وكسر الصاد مخففة لعاصم الرابعة بضم الياء وسكون الفاء وفتح الصاد مخففة للباقين وهم نافع وابن كثير وابو عمرو وهذا في السبعة وقرا ابن ابي عبلة وابو حيوة بضم الياء وسكون الفاء وكسر الصاد مخففة من افصل وابو حيوة ايضا نفصل بضم النون من افصل والنخعي وطلحة نفصل بضم النون وفتح الفاء وكسر الصاد مشددة وقرا ايضا وزيد بن علي نفصل بفتح النون وسكون الفاء وكسر الصاد مخففة فهذه اربع فصارت ثمان قراآت فمن بناه للمفعول فالقائم مقام الفاعل اما ضمير المصدر اي يفصل الفصل او الظرف وبني على الفتح لاضافته الى غير متمكن كقوله لقد تقطع بينكم في احد الاوجه او الظرف وهو باق على نصبه كقولك جلس عندك ثم قال تعالى والله بما تعملون بصير وفيه سؤال وهو انه لم يقل خبير مع انه ابلغ في العلم بالشيء وان الخبير ابلغ في العلم والبصير اظهر فيه فانه يجعله كالمحسوس بحس البصر **قوله تعالى** قد كانت لكم اسوة حسنة في ابراهيم لما نهى عن موالاة الكفار ذكر قصة ابرهيم وان من سيرته التبري من الكفار اي فاقتدوا به الا في استغفاره لابيه والاسوة والاسوة ما يتاسى به مثل القدوة والقدوة ويقال هو اسوتك اي مثلك وانت مثله وتقدم قراءتا اسوة في سورة الاحزاب والكلام على مادتها **قوله تعالى** في ابرهيم فيه اوجه احدها انه متعلق باسوة تقول لي اسوة في فلان ومنع ابو البقا ان يتعلق بها لانها قد وصفت وهذا لا يبالي به لانه يغتفر في الظرف ما لا يغتفر في غيره الثاني انه متعلق بحسنة تعلق الظرف بالعامل الثالث انه نعت ثان لاسوة الرابع انه حال من الضمير المستتر في حسنة الخامس ان يكون خبر كان ولكم تبيين **قوله تعالى** والذين معه يعني اصحاب ابرهيم من المؤمنين وقال ابن زيد هم الانبيا **قوله تعالى** اذ قالوا فيه وجهان احدهما انه خبر كان والثاني انه متعلق بخبرها قالهما ابو البقا ومن جوز في كان ان تعمل في الظرف علقه بها والمراد بقومهم الكفار **قوله تعالى** انا برآء هذه قراءة العامة بضم الباء وفتح الراء والف بين همزتين جمع بري نحو كرماء في جمع كريم وعيسى الهمداني بكسر الباء وهمزة واحدة بعد الف نحو كرام في جمع كريم وعيسى ايضا وابو جعفر بضم الباء وهمزة بعد الف وفيه اوجه احدها انه جمع بري ايضا والاصل كسر الباء وانما ابدل من الكسرة ضمة كرخال ورباب قاله الزمخشري الثاني انه جمع بري ايضا واصله برآء كالقراءة المشهورة الا انه حذف الهمزة الاولى تخفيفا قاله ابو البقا الثالث انه اسم جمع لبري نحو تؤام وظؤار اسمي جمع لتوام وظئر وقرا عيسى ايضا براء بفتح الباء وهمزة بعد الف كالتي في الزخرف وصح ذلك لانه مصدر والمصدر يقع على الجمع كوقوعه على الواحد قال الزمخشري والبراء والبراءة كالظماء والظماءة وقال مكي واجاز ابو عمرو وعيسى بن عمرو برا بكسر الباء جعله ككريم وكرام قال القرطبي هو على وزن فعال مثل قصار وقصير وطوال وطويل وظراف وظريف ويجوز ترك الهمزة حتى تقول برى وتنون واجاز الفراء بفتح الباء ثم قال وبرا في الاصل مصدر كانه لم يطلع على انها قراءة منقولة **فصل** قال القرطبي الاية نص في الامر بالاقتداء بابرهيم عليه السلام في فعله وذلك يدل على ان شرع من قبلنا شرع لنا فيما اخبر الله ورسوله **قوله تعالى** كفرنا بكم اي بما امنتم به من الاوثان وقيل اي بافعالكم وكذبنا وانكرنا ان تكونوا على حق وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء ابدا اي هذا دابنا معكم ما دمتم على كفركم حتى تؤمنوا بالله وحده فحينئذ تنقلب المعاداة موالاة فان قيل ما الفائدة في قوله تؤمنوا بالله وحده والايمان انما هو بالله وبغيره كقوله كل امن بالله وملائكته وكتبه ورسله فالجواب ان الايمان بالله وحده مستلزم للايمان بالملائكة والكتب والرسل
الا قول ابرهيم فيه اوجه احدها انه استثناء متصل من قوله في ابرهيم ولكن لا بد من حذف

مضاف

716

مضاف ليصح الكلام تقديره في مقالات ابرهيم الا قوله كيت وكيت الثاني انه مستثنى من اسوة حسنة وجاز ذلك لان القول ايضا من جملة الاسوة لان الاسوة الاقتداء بالشخص في اقواله وافعاله فكانه قيل لكم فيه اسوة في جميع احواله من قول وفعل الا قوله كذا وهذا واضح لانه غير محوج الى تقدير مضاف وغير مخرج للاستثناء من الاتصال الذي هو اصله الى الانقطاع ولذلك لم يذكر الزمخشري غيره قال فان قلت مم استثنى قوله الا قول ابراهيم قلت من قوله اسوة حسنة لانه اراد بالاسوة الحسنة قولهم الذي حق عليهم ان ياتسوا به ويتخذوه سنة يستنون بها فان قلت فان كان قوله لاستغفرن لك مستثنى من القول الذي هو اسوة حسنة فما بال قوله وما املك لك من الله من شيء وهو غير حقيق بالاستثناء الا ترى الى قوله قل فمن يملك لكم من الله شيئا قلت اراد استثناء جملة قوله لابيه والقصد الى موعد الاستغفار له وما بعده مبني عليه وتابع له كانه قال انا استغفر لك وما في طاقتي الا الاستغفار الثالث قال ابن عطية ويحتمل ان يكون الاستثناء من التبري والقطيعة التي ذكرت اي لم يبق صلة الا كذا والله اعلم الرابع انه استثناء منقطع اي لكن قول ابرهيم وهذا بناء من قائليه على ان القول لم يندرج تحت قوله اسوة وهو ممنوع **فصل** قال القرطبي معنى قوله الا قول ابراهيم لابيه لاستغفرن لك اي فلا تتاسوا به في الاستغفار فتستغفرون للمشركين فانه كان عن موعدة منه له قاله قتادة ومجاهد وغيرهما وقيل معنى الاستثناء ان ابراهيم هجر قومه وباعدهم الا في الاستغفار لابيه ثم بين عذره في سورة التوبة وفي هذا دلالة على تفضيل نبينا صلى الله عليه وسلم على سائر الانبياء لانا حين امرنا بالاقتداء به امرنا امرا مطلقا في قوله وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا وحين امرنا بالاقتداء بابراهيم استثنى بعض افعاله وهذا انما جرى لانه ظن انه اسلم فلما بان انه لم يسلم تبرا منه وعلى هذا فيجوز الاستغفار لمن يظن انه اسلم وانتم لم تجدوا مثل هذا الظن فلم توالوهم **قوله تعالى** وما املك لك من الله من شيء هذا من قول ابرهيم لابيه اي ما ادفع عنك من عذاب الله شيئا ان اشركت به **قوله تعالى** ربنا عليك توكلنا يجوز ان يكون من مقول ابرهيم والذين معه فهو من جملة الاسوة الحسنة وفصل بينهما بالاستثناء ويجوز ان يكون منقطعا مما قبله على اضمار قول وهو تعليم من الله تعالى لعباده كانه قال لهم قولوا ربنا عليك توكلنا اي اعتمدنا واليك انبنا اي رجعنا واليك المصير اي الرجوع في الاخرة ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا اي لا تظهرهم عدونا علينا فيظنوا انهم على حق فيفتتنوا بذلك وقيل لا تسلطهم علينا فيفتنونا ويعذبونا وقال مجاهد لا تعذبنا بايديهم ولا بعذاب من عندك فيقولوا لو كان هؤلاء على الحق لما اصابهم ذلك وقيل لا تبسط عليهم الرزق دوننا فان ذلك فتنة لهم وقيل لا تجعلنا فتنة اي عذابا اي سببا تعذب به الكفرة وعلى هذه ليست الاية من قول ابرهيم عليه السلام واغفر لنا ربنا انك انت العزيز الحكيم **قوله تعالى** لقد كان لكم فيهم اي في ابراهيم ومن معه من الانبياء والاولياء اسوة حسنة اي في التبري من الكفار وقيل كرر للتاكيد وقيل نزل الثاني بعد الاول بمدة قال القرطبي وما اكثر المكررات في القران على هذا الوجه **قوله تعالى** لمن كان يرجو الله بدل من الضمير في لكم بدل بعض من كل وقد تقدم مثله في الاحزاب والضمير في فيهم عائد على ابرهيم ومن معه وكررت الاسوة تاكيدا وفيه بيان ان هذه الاسوة لمن يخاف الله ويخاف عذاب الاخرة ومن يتول اي يعرض عن الايمان ويتول الكفار فان الله هو الغني عن خلقه اي لم يتعبدهم لحاجته اليهم الحميد الى اوليائه واهل طاعته وقيل الحميد في نفسه وصفاته **قوله تعالى** عسى الله ان يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة قال المفسرون لما نزلت الاية الاولى عادى المسلمون اقرباءهم من المشركين فعلم الله شدة وجد المسلمين في ذلك فنزلت عسى الله ان يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة اي من كفار مكة مودة وقد فعل الله ذلك لان عسى من الله وعد ولا يخلف الله وعده وهذا بان يسلم الكافر وقد اسلم قوم منهم بعد فتح مكة وخالطهم المسلمون كابي سفيان بن حرب والحارث بن هشام وسهيل بن عمرو وحكيم بن حزام وقيل المودة تزويج رسول الله صلى الله عليه وسلم ام حبيبة بنت ابي سفيان فلانت عند ذلك عريكة ابي سفيان قال ابن عباس كانت المودة بعد الفتح تزويج النبي صلى الله عليه وسلم ام حبيبة بنت ابي سفيان وكانت تحت عبد الله بن جحش وكانت هي وزوجها من مهاجرة الحبشة فاما زوجها فتنصر وسالها ان تتابعه على دينه فابت وصبرت على دينها ومات زوجها على النصرانية فبعث النبي صلى الله عليه وسلم الى النجاشي فخطبها فقال النجاشي لاصحابه من اولاكم بها قالوا خالد بن سعيد بن العاص قال فزوجها من نبيكم ففعل وامهرها النجاشي من عنده اربعمائة دينار وقيل خطبها النبي صلى الله عليه وسلم الى عثمان بن عفان فلما زوجها اياه بعث الى النجاشي فيها فساق عنه المهر وبعث بها اليه فقال ابو سفيان وهو مشرك لما بلغه تزويج النبي صلى الله عليه وسلم ابنته ذلك الفحل لا يقدع انفه قال ابن الاثير يقال قدعت الفحل وهو ان يكون غير كريم فاذا اراد ركوب الناقة الكريمة ضرب انفه بالرمح وغيره حتى يرتدع وينكف ويروى بالراء **قوله تعالى** لا ينهاكم الله عن الذين

لم يقاتلوكم في الدين هذه الاية رخصة من الله تعالى في صلة الذين لم يعادوا المؤمنين ولم يقاتلوهم
وقال ابن زيد كان هذا في اول الاسلام عند الموادعة وترك الامر بالقتال ثم نسخ قال قتادة نسخها فاقتلوا
المشركين حيث وجدتموهم وقيل هذا الحكم لعلة وهي الصلح فلما زال الصلح بفتح مكة نسخ الحكم وبقي الرسم يتلى
وقيل هي مخصوصة في حلفاء النبي صلى الله عليه وسلم ومن بينه وبينه عهد لم ينقضه قاله الحسن قال الكلبي هم
خزاعة وبنو الحارث بن عبد مناف وهو قول ابي صالح وقال مجاهد هي مخصوصة في الذين آمنوا ولم يهاجروا وقيل
يعني به النساء والصبيان لانهم ممن لا يقاتل فاذن الله في برهم وقال اكثر اهل التاويل هي محكمة واحتجوا بان اسما بنت ابي
بكر سالت النبي صلى الله عليه وسلم هل تصل امها حين قدمت عليها مشركة فقال نعم خرجه البخاري ومسلم وقيل ان الاية
نزلت فيها روى عامر بن عبد الله بن الزبير عن ابيه ان ابا بكر الصديق طلق امراته قتيلة في الجاهلية وهي ام اسما بنت ابي بكر
فقدمت عليهم في المدة التي كانت فيها المهادنة بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين كفار قريش فاهدت الى
اسما بنت ابي بكر قرطا واشيا فكرهت ان تقبل منها حتى اتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له فانزل الله تعالى
لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ذكر هذا الخبر الماوردي وغيره وخرجه ابو داود الطيالسي في مسنده
قوله تعالى ان تبروهم وقوله ان تولوهم بدل لان من الذين فيهما بدل اشتمال فيكون في موضع جر والمعنى لا ينهاكم الله
تعالى عن ان تبروا هولاء الذين لم يقاتلوكم انما ينهاكم الله عن تولي هولاء وهم خزاعة صالحوا النبي صلى الله عليه وسلم
على ان لا يقاتلوه ولا يعينوا عليه احدا فامر ببرهم والوفاء لهم الى اجلهم حكاه الفراء وقوله وتقسطوا اليهم اي تعطوهم
قسطا من اموالكم على وجه الصلة وليس يريد به من العدل فان العدل واجب فيمن قاتل وفيمن لم يقاتل قال ابن العربي
فصل نقل القرطبي عن القاضي ابي بكر في كتاب الاحكام له ان بعض العلماء استدل بهذه الاية على وجوب نفقة
الابن المسلم على ابيه الكافر قال وهذه وهلة عظيمة اذ الاذن في الشيء او ترك النهي عنه لا يدل على وجوب وانما يعطي
الاباحة خاصة وقد بينا ان القاضي اسمعيل بن اسحق دخل على ذمي فاكرمه فاخذ عليه الحاضرون في ذلك فتلى هذه
الاية عليهم **قوله تعالى** انما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين اي جاهدوكم على الدين واخرجوكم من دياركم وهم
عتاة اهل مكة وظاهروا اي عاونوا على اخراجكم وهم مشركو مكة ان تولوهم ومن يتولهم اي يتخذهم اولياء
وانصارا واحبابا فاولئك هم الظالمون **قوله تعالى** يا ايها الذين آمنوا اذا جاءكم المؤمنات مهاجرات الاية
لما امر المسلمين بترك موالاة المشركين اقتضى ذلك مهاجرة المسلمين من بلاد الشرك الى بلاد الاسلام وكان التناكح
من اوكد اسباب الموالاة فبين احكام مهاجرة النساء قال ابن عباس جرى الصلح مع مشركي قريش عام الحديبية على ان من
اتاه من اهل مكة رده اليهم فجاءت سبيعة بنت الحارث الاسلمية بعد الفراغ من الكتاب والنبي صلى الله عليه وسلم
بالحديبية بعد فاقبل زوجها وكان كافرا وهو صيفي بن الراهب وقيل مسافر المخزومي فقال يا محمد اردد علي امراتي
فانك شرطت ذلك وهذه طينة الكتاب لم تجف بعد فانزل الله تعالى هذه الاية وقيل جاءت ام كلثوم بنت عقبة
بن ابي معيط فجاء اهلها يسالون رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يردها وقيل هربت من زوجها عمرو بن العاص
ومعها اخوها عماره والوليد فرد رسول الله صلى الله عليه وسلم اخويها وحبسها فقالوا للنبي صلى الله عليه وسلم ردها
علينا للشرط فقال النبي صلى الله عليه وسلم كان الشرط في الرجال لا في النساء فانزل الله تعالى هذه الاية وعن عروة
قال كان مما اشترط سهيل بن عمرو على النبي صلى الله عليه وسلم في الحديبية ان لا ياتيك منا احد وان كان على دينك
الا رددته الينا وخليت بيننا وبينه فكره المومنون ذلك وابى سهيل الا ذلك فكاتبه النبي صلى الله عليه وسلم على ذلك
فرد يومئذ ابا جندل الى ابيه سهيل بن عمرو ولم ياته احد من الرجال الا رده في تلك المدة وان كان مسلما حتى انزل
الله في المومنات ما انزل يومي الى ان الشرط في رد النساء نسخ بذلك وقيل ان الذي جاءت اميمة بنت بشر كانت عند
ثابت بن الشمراخ ففرت منه وهو يومئذ كافر فتزوجها سهل بن حنيف فولدت له عبد الله قاله زيد بن حبيب نقله الماوردي
واكثر اهل العلم على انها ام كلثوم بنت عقبة **قوله تعالى** المومنات تسمية للشيء بما يقارب ويشارف وفي الظاهر
وقرئ مهاجرات بالرفع وخرجت على البدل **فصل** اختلفوا هل دخل النساء في عقد المهادنة لفظا او عموما
فقالت طائفة كان شرط ردهن في عقد الهدنة لفظا صريحا فنسخ الله ردهن من العقد ومنع منه وبقاه في الرجال
على ما كان وهذا يدل على ان للنبي صلى الله عليه وسلم ان يجتهد رايه في الاحكام ولكن لا يقره الله على خطاه وقالت
طائفة لم يشترط ردهن في العقد لفظا وانما اطلق العقد في رد من اسلم فكان ظاهر العموم اشتماله عليهن مع الرجال
فبين الله تعالى خروجهن عن عمومه وفرق بينهن وبين الرجال لامرين احدهما انهن ذوات فروج تحرم عليهم الثاني
انهن ارق قلوبا واسرع تقلبا منهم فاما المقيمة منهن على شركها فمردودة عليهم **قوله تعالى** فامتحنوهن قيل انه كا

من ارادت منهن اضرار زوجها فقالت ساهاجر الى محمد صلى الله عليه وسلم فلذلك امر النبي صلى الله عليه وسلم
بامتحانهن واختلفوا فيما كان يمتحنهن به فقال ابن عباس كان يمتحنهن بان يستحلفهن بالله انها ما خرجت من بغض زوجها
ولا رغبة من ارض الى ارض ولا التماس دنيا ولا عشقا لرجل من المسلمين ولا لحدث احدثته وما خرجت الا رغبة في الاسلام
وحب الله ورسوله فاذا حلفت بالله الذي لا اله الا هو على ذلك اعطى النبي صلى الله عليه وسلم زوجها مهرها وما انفق
عليها ولم يردها فذلك قوله فان علمتموهن مومنات فلا ترجعوهن الى الكفار لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن وروي عن ابن
عباس ايضا ان المحنة كانت ان تشهدان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله وروى معمر عن الزهري عن عائشة قالت ما كان رسول الله صلى
الله عليه وسلم يمتحنهن الا بالاية التي قال الله تعالى اذا جاءك المومنات يبايعنك خرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح
فصل اكثر العلماء على ان هذا ناسخ لما كان عليه السلام عاهد عليه قريشا من انه يرد اليهم من جاءه منهم مسلما فنسخ من
ذلك النساء وهذا مذهب من يرى نسخ السنة بالقران وقال بعض العلماء كله منسوخ بالقران **فصل** قال القرطبي
ولا يجوز ان يهادن الامام العدو على ان يرد اليهم من جاءه مسلما لان اقامة المسلم بارض الشرك لا يجوز وهذا مذهب الكوفيين
واجاز مالك عقد الصلح على ذلك واحتج الكوفيون بان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث خالد بن الوليد الى قوم من خثعم
فاعتصموا بالسجود فقتلهم فوداهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بنصف الدية وقال انا بري من كل مسلم اقام مع مشرك بدار
الحرب لا تراءى ناراهما قالوا فهذا ناسخ لرد المسلمين الى المشركين اذ كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد بري ممن اقام معهم في
دار الحرب ومذهب مالك والشافعي ان هذا الحكم غير منسوخ قال الشافعي وليس لاحد هذا العقد الا الخليفة او رجل بامره فمن عقد
غير الخليفة هذا العقد فهو مردود **قوله تعالى** الله اعلم بايمانهن هذه الجملة فايدتها بيان انه لا سبيل لكم الى ما تطمئن به النفس ويثلج
الصدر من الاحاطة بحقيقة ايمانهن فان ذلك مما استاثر الله به قال الزمخشري اي هذا الامتحان لكم والله اعلم بايمانهن
لانه متولي السراير وسمى الظن الغالب في قوله علمتموهن علما ايذانا بانه جار مجرى العلم كما يقع الظن موقعه وتقدم ذلك في البقرة
قوله تعالى فان علمتموهن مومنات اي بما يظهر من الايمان وقيل ان علمتموهن مومنات قبل الامتحان فلا ترجعوهن
الى الكفار لا هن حل لهم وقوله ولا هم يحلون لهن تاكيد للاول لتلازمهما وقيل اراد استمرار الحكم بينهم فيما يستقبل كما هو
في الحال ما داموا مشركين وهن مومنات **فصل** معنى الاية لم يحل الله مومنة لكافر وهذا ادل دليل على ان الذي
اوجب فرقة المسلمة من زوجها الكافر اسلامها لا هجرتها وقال ابو حنيفة الذي فرق بينهما هو اختلاف الدارين والصحيح
الاول لان الله تعالى بين العلة وهو عدم الحل بالاسلام لا باختلاف الدار **قوله تعالى** وآتوهم ما انفقوا امر الله تعالى اذا
امسك المراة المسلمة ان ترد على زوجها ما انفق وذلك من الوفا بالعهد لانه لما منع من اهله بحرمة الاسلام امر برد المال حتى
لا يقع عليهم خسران من الوجهين الزوجة والمال **فصل** ولا غرم الا اذا طالب الزوج الكافر فاذا حضر وطالب
منعناها وغرمنا فان كانت ماتت قبل حضور الزوج لم تغرم المهر اذ لم يتحقق المنع وان كان المسمى خمرا وخنزيرا لم نغرم شيئا
لانه لا قيمة له وللشافعي في هذه الاية قولان احدهما ان هذا منسوخ قال الشافعي واذا جاءتنا المراة الحرة من اهل الهدنة
مسلمة مهاجرة من الحرب الى الامام في دار الاسلام او دار الحرب فمن طلبها من ولي سوى زوجها منع منها بلا عوض واذا طلبها
زوجها لنفسه او غيره بوكالته ففيه قولان احدهما يعطى العوض لهذه الاية والثاني لا يعطى الزوج المشرك الذي جاءته امراته
مسلمة العوض فان شرط الامام رد النساء كان الشرط باطلا مفسوخا وليس عليه عوض لانه لا عوض للباطل **فصل**
امر الله تعالى برد ما انفقوا الى الازواج وان المخاطب بهذا الامام ينفذ من بيت المال الذي لا يتعين له مصرف وقال مقاتل
يرد المهر الذي يتزوجها من المسلمين وليس لزوجها الكافر شيء وقال قتادة الحكم في رد الصداق انما هو في نساء اهل العهد
فاما من لا عهد بينه وبين المسلمين فلا يرد عليهم الصداق قال القرطبي والامر كما قال **قوله تعالى** ولا جناح عليكم ان تنكحوهن
اي في ان تنكحوهن وقوله اذا آتيتموهن يجوز ان يكون ظرفا محضا وان يكون شرطا جوابه مقدر اي فلا جناح عليكم **فصل**
ومعنى الاية ولا جناح عليكم ان تنكحوهن اذا آتيتموهن اجورهن اي مهورهن فاباح الله نكاحهن للمسلمين وان كان لهن ازواج في
دار الكفر لان الاسلام فرق بينهن وبين ازواجهن الكفار قال القرطبي اباح نكاحهن اذا اسلمن وانقضت عدتهن لما ثبت
في نكاح المشركة والمعتدة فان اسلمت قبل الدخول ثبت النكاح في الحال **قوله تعالى** ولا تمسكوا بعصم الكوافر قرا ابو عمرو في
اخرى بضم التا وفتح الميم وتشديد السين وباقي السبعة بتخفيفها من مسك وامسك بمعنى واحد يقال امسك الحبل
امساكا ومسكه تمسيكا وفي التشديد مبالغة والمخفف صالح لها ايضا وقرا الحسن وابن ابي ليلى وابو عمرو وابن عامر في
رواية عنهما تمسكوا بالفتح في الجميع وتشديد السين والاصل تتمسكوا بتائين فحذفت احديهما وعن الحسن ايضا تمسكوا
مضارع مسك ثلاثيا والعصم جمع عصمة والعصمة ههنا النكاح تقول من كانت له امراة كافرة بمكة فلا يعتد بها فقد
انقطعت عصمتها والكوافر جمع كافرة كضوارب في ضاربة ويحكى عن الكرخي الفقيه المعتزلي انه قال الكوافر يشمل الرجال والنسا

قال الفارسي فقلت له النحويون لا يرون هذا الا في النساء جمع كافرة فقال اليس يقال طائفة كافرة قال ابو علي
فبهت وقلت هذا تأييد الهي قال شهاب الدين وانما اعجب بقوله لكونه معتزليا والحق انه لا يجوز كوافر وصفا للرجال
الا ان يكون الموصوف مذكورا نحو هذه طائفة كافرة او في قوة المذكور اما انه يقال كافرة باعتبار الطائفة غير المذكورة
ولا في قوة المذكور بل لمجرد الاحتمال ويجمع جمع فاعلة فهذا لا يجوز وقول الفارسي لا يرون هذا الا في النساء صحيح وكذا
الغالب وقد يجمع فاعل وصفا لمذكر العاقل على فواعل وهو محفوظ نحو فوارس ونواكس **فصل** قال الثعلبي
المراد بالاية هي المراة المسلمة تلحق بدار الحرب فتكفر وكان الكفار يتزوجون المسلمات والمسلمون يتزوجون المشركات ثم نسخ
ذلك بهذه الاية فطلق عمر بن الخطاب حينئذ اثنتين له بمكة مشركتين قريبة بنت ابي امية فتزوجها معوية بن ابي سفين
وهما على شركهما بمكة والاخرى ام كلثوم بنت عمرو الخزاعية ام عبد الله بن المغيرة فتزوجها ابو جهم بن حذافة وهما على شركهما
بمكة فلما ولي عمر قال ابو سفين لمعوية طلق قريبة لئلا يرى عمر سلبه في بيتك فابى معوية وكانت عند طلحة ابن عبيد الله اروى
بنت ربيعة بن الحرث بن عبد المطلب ففرق الاسلام بينهما ثم تزوجها في الاسلام خالد بن سعيد بن العاص وكانت ممن فر
الى النبي صلى الله عليه وسلم من نساء الكفار فحبسها وتزوجها خالد بن سعيد بن العاص بن امية وقال الشعبي كانت زينب بنت
رسول الله صلى الله عليه وسلم امراة ابي العاص بن الربيع اسلمت ولحقت بالنبي صلى الله عليه وسلم واقام ابو العاص بمكة مشركا
ثم اتى المدينة فاسلم فردها عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم روى ابو داود عن عكرمة عن ابن عباس بالنكاح الاول ولم يحدث
شيئا قال محمد بن عمر في حديثه بعد ست سنين وقال الحسن بن علي بعد سنتين قال ابو عمر فان صح هذا فلا يخلو من وجهين اما
انها لم تحض حتى اسلم زوجها واما ان الامر فيها منسوخ بقوله تعالى وبعولتهن احق بردهن في ذلك يعني في عدتهن وهذا
ما لا خلاف فيه انه عني به العدة قال الزهري في قصة زينب هذه كانت قبل ان تنزل الفرائض وقال قتادة كان هذا قبل
ان تنزل سورة براءة بقطع العهود بينهم وبين المشركين **فصل** المراد بالكوافر هنا عبدة الاوثان ومن لا يجوز
ابتداء نكاحها وقيل هي عامة نسخ منها نساء اهل الكتاب فعلى الاول اذا اسلم وثني او مجوسي ولم تسلم امراته فرق بينهما
وهو قول بعض اهل العلم منهم مالك والحسن وطاوس ومجاهد وعطاء وعكرمة وقتادة والحكم لقوله تعالى ولا تمسكوا
بعصم الكوافر وقال بعضهم ينتظر بها تمام العدة وهو قول الزهري والشافعي واحمد واحتجوا بان ابا سفين بن حرب بعضهم
ينتظر بها تمام العدة وهو قول الزهري والشافعي واحمد واحتجوا بان ابا سفين بن حرب اسلم قبل هند بنت عتبة امراته وكان
اسلامه بمر الظهران ثم رجع الى مكة وهند بها كافرة مقيمة على كفرها فاخذت بلحيته وقالت اقتلوا الشيخ الضال ثم اسلمت
بعده بايام فاستقرا على نكاحهما لان عدتها لم تكن انقضت قالوا ومثله حكيم بن حزام اسلم قبل امراته ثم اسلمت بعده فكانا على نكاحهما
قال الشافعي ولا حجة لمن احتج بقوله تعالى بعصم الكوافر لان نساء المؤمنين محرمات على الكفار كما ان المسلمين لا تحل لهم الكوافر
الوثنيات ولا المجوسيات لقوله تعالى لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن ثم بينت السنة ان مراد الله من قوله هذا انه لا يحل
بعضهم لبعض الا ان يسلم الثاني منهما في العدة وقال ابو حنيفة واصحابه في الكافرين الذميين اذا اسلمت المراة عرض على الزوج
الاسلام فان اسلم والا فرق بينهما قالوا ولو كانا حربيين فهي امراته حتى تحيض ثلث حيض اذا كانا جميعا في دار الحرب او في
دار الاسلام وان كان احدهما في دار الحرب والاخر في دار الاسلام انقطعت العصمة بينهما وقد تقدم ان اعتبار الدار ليس
بشيء وهذا الخلاف انما هو في المدخول بها فاما غير المدخول بها فلا نعلم خلافا في انقطاع العصمة بينهما اذ لا عدة عليها
وكذا يقول مالك في المراة ترتد وزوجها المسلم تنقطع العصمة بينهما لقوله تعالى ولا تمسكوا بعصم الكوافر وهو قول الحسن البصري
والحسن بن صالح وقال الشافعي واحمد ينتظر بها تمام العدة فان كان الزوجان نصرانيين فاسلمت الزوجة ففي مذهب مالك
والشافعي واحمد يوقف الى تمام العدة وهو قول مجاهد وكذلك الوثني تسلم زوجته ان اسلم في عدتها فهو احق بها كما كان
صفوان بن امية وعكرمة بن ابي جهل احق بزوجتيهما لما اسلما في عدتيهما لما ذكر مالك في الموطا قال ابن شهاب كان بين اسلام
صفوان وبين اسلام امراته نحو من شهر قال ابن شهاب ولم يبلغنا ان امراة هاجرت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وزوجها
كافر مقيم بدار الحرب الا فرقت هجرتها بينها وبين زوجها الا ان يقدم زوجها مهاجرا قبل ان ينقضي عدتها وقال بعضهم
ينفسخ النكاح بينهما لما روى يزيد بن علقمة قال اسلم جدي ولم تسلم جدتي ففرق بينهما عمر رضي الله عنه وهو قول طاوس
وعطاء والحسن وعكرمة قالوا لا سبيل عليها الا بخطبة **قوله تعالى** واسئلوا ما انفقتم وليسئلوا ما انفقوا قال المفسرون
كان من ذهب من المسلمات مرتدات الى الكفار من اهل العهد يقال للكفار هاتوا مهرها ويقال للمسلمين اذا جاء احد من الكافرات
مسلمة مهاجرة ردوا الى الكفار مهرها وكان ذلك نصفا وعدلا بين الحالين قال ابن العربي كان هذا حكم الله مخصوصا بذلك
الزمان في تلك النازلة خاصة قال الزهري ولولا هذه الهدنة والعهد الذي كان بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين قريش
يوم الحديبية لامسك النساء ولم يرد الصداق وكذلك كان يصنع بمن جاءه من المسلمات قبل العهد فلما نزلت هذه الاية اقر المؤمنون

بحكم الله

بحكم الله فيما امر من اداء نفقات المسلمين فانزل الله عز وجل وان فاتكم شيء الاية المؤمنون وقوله ذلكم حكم الله اي ما
ذكر في هذه الاية والله عليم حكيم **قوله تعالى** يحكم بينكم فيه وجهان احدهما انه مستانف لا محل له والثاني انه حال من حكم
والراجع اما مستتر اي يحكم هو اي الحكم على المبالغة واما محذوف اي يحكمه وهو الظاهر **قوله تعالى** من ازواجكم يجوز ان يتعلق
بمحذوف على انه صفة بفاتكم اي من جهة ازواجكم والمراد بالشيء المهر الذي غرمه الزوج كما تقدم ويجوز ان يتعلق بمحذوف على انه
صفة لشيء ثم يجوز في شيء ان يراد به المهر ولكن على هذا لا بد من حذف مضاف اي من مهور ازواجكم ليتطابق الموصوف وصفته
ويجوز ان يراد بشيء النساء اي شيء من النساء اي نوع وصنف منهن وهو ظاهر وصفه بقوله من ازواجكم وقد صرح الزمخشري بذلك
فانه قال وان سبقكم وانفلت منكم شيء من ازواجكم احد منهن الى الكفار وفي قراءة ابن مسعود احد فهذا تصريح بان المراد
بشيء النساء الفارات ثم قال فان قلت هل لايقاع شيء في هذا الموضع فائدة قلت نعم الفائدة فيه ان لا يغادر شيء من هذا الجنس
وان قل وحقر غير معوض عنه تغليظا في هذا الحكم وتشديدا فيه ولولا نصه على ان المراد بشيء احد كما تقدم لكان قوله ان لا يغادر شيء
من هذا الجنس وان قل وحقر ظاهرا في ان المراد بشيء المهر لانه يوصف بالقلة والحقارة وصفا شايعا وقوله تغليظا وتشديدا فيه
نظر لان المسلمين ليس لهم تسبب في فرار النساء الى الكفار حتى يغلظ عليهم الحكم بذلك وعدي فات بالى لانه ضمن معنى الفرار والذهاب
والسبق ونحو ذلك **قوله تعالى** فعاقبتم عطف على فاتكم وقرا العامة عاقبتم وفيه وجهان احدهما انه من العقوبة قال الزجاج فعاقبتم
عطف على فاتكم وقرا العامة عاقبتم وفيه وجهان فعاقبتم فاصبتموهم في القتال بعقوبة حتى غنمتم والثاني انه من العقبة وهي النوبة
شبه ما حكم به على المسلمين والكافرين من اداء هؤلاء مهور نساء اولئك تارة واولئك مهور نساء هؤلاء اخرى بامر يتعاقبون
فيه كما يتعاقب في الركوب وغيره ومعناه فجاءت عقبتكم من اداء المهر انتهى وقرا مجاهد والاعرج والزهري وابو حيوة وعكرمة
وحميد بتشديد القاف دون الف ففسرها الزمخشري على اصله تعقبه اذا قفاه لان كل واحد من المتعاقبين يقفي صاحبه
وكذلك عقبتم بالتخفيف يقال عقبه يعقبه انتهى والذي قراه بالتخفيف وفتح القاف والنخعي وابن وثاب والزهري
والاعرج ايضا وبالتخفيف وكسر القاف مسروق والزهري والنخعي ايضا وقرا مجاهد اعقبتم قال الزمخشري معناه
دخلتم في العقبة قال البغوي معناه اي صنعتم بهم كما صنعوا بكم وفسر الزجاج القراءات الباقية فكانت العقبى لكم اي كانت
الغلبة لكم حتى غنمتم والظاهر انه كما قال الزمخشري بمعنى المعاقبة بمعنى المناوبة يقال عاقب الرجل صاحبه في كذا اي جاء
فعل كل واحد منهما يعقب فعل الاخر ويقال اعقب ايضا وانشد • وحاردت النكد الجلاد ولم يكن • لعقبة قدر المستعيرين معقب
وقال البغوي وكلها لغات بمعنى واحد يقال عاقب وعقب وعاقب واعقب وتعقب وتعاقب واعتقب اذا غنم وقيل التعقيب غزوة
بعد غزوة **فصل** روي ان المسلمين قالوا رضينا بما حكم الله وكتبوا الى المشركين فامتنعوا فنزل قوله تعالى وان
فاتكم شيء من ازواجكم الى الكفار فعاقبتم فاتوا الذين ذهبت ازواجهم مثل ما انفقوا وروى الزهري عن عروة عن عائشة
رضي الله عنها قالت حكم الله عز وجل بينهم فقال جل ثناؤه واسئلوا ما انفقتم وليسئلوا ما انفقوا فكتب اليهم المسلمون
قد حكم الله عز وجل بيننا بانه ان جاءتكم امراة منا ان توجهوا الينا بصداقها وان جاءتنا امراة منكم وجهنا اليكم بصداقها
فكتبوا اما نحن فلا نعلم لكم عندنا شيئا فان كان لنا عندكم شيء فوجهوا به فانزل الله تعالى وان فاتكم شيء من ازواجكم
الى الكفار الاية وقال ابن عباس في قوله تعالى ذلكم حكم الله اي بين المسلمين والكفار من اهل العهد من اهل مكة يرد بعضهم
على بعض قال الزهري ولولا العهد لامسك النساء ولم يرد اليهم صداقا وقال قتادة ومجاهد انما امروا ان يعطوا الذين
ذهبت ازواجهم مثل ما انفقوا من الفيء والغنيمة وقالا هي فيمن بيننا وبينه عهد وليس بيننا وبينه عهد وقالا
ومعنى فعاقبتم فاقتصصتم فاتوا الذين ذهبت ازواجهم مثل ما انفقوا يعني الصدقات فهي عامة في جميع الكفار
وقيل فعاقبتم المرتدة بالقتل وقال قتادة ايضا وان فاتكم شيء من ازواجكم الى الكفار الذين ليس بينكم وبينهم عهد
فاتوا الذين ذهبت ازواجهم مثل ما انفقوا ثم نسخ هذا في سورة براءة وقال الزهري انقطع هذا يوم الفتح وقال سفين
الثوري لا يعمل به اليوم وقال قوم هو ثابت الحكم الان ايضا حكاه القشيري **فصل** قال القرطبي الاية نزلت
في ام الحكم بنت ابي سفين ارتدت وتركت زوجها عياض بن غنم الفهري ولم ترتد امراة من قريش غيرها ثم عادت الى الاسلام
وقال البغوي روي عن ابن عباس قال لحق بالمشركين من نساء المؤمنين المهاجرين ست نسوة ام الحكم بنت ابي سفيان وكانت
تحت عياض بن شداد الفهري وفاطمة بنت ابي امية بن المغيرة اخت ام سلمة كانت تحت عمر بن الخطاب فلما اراد عمر ان يهاجر
ابت وارتدت وبروع بنت عقبة كانت تحت شماس بن عثمان وعزة بنت عبد العزيز بن نضلة وزوجها عمرو بن عبد ود
وهند بنت ابي جهل بن هشام كانت تحت هشام بن العاص بن وائل وام كلثوم بنت جرول كانت تحت عمر بن الخطاب رجعن
الى الاسلام اعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم ازواجهن مهور نسائهم من الغنيمة **فصل** اختلفوا في رد
مهر من اسلمت من النساء الى ازواجهن هل كان واجبا او مندوبا واصله ان الصلح هل كان وقع على رد النساء على قولين

أحدهما انه وقع على رد الرجال والنساء جميعا لما روي من قولهم لا يأتيك منا أحد الا رددته ثم صار الحكم في رد النساء منسوخا بقوله فلا ترجعوهن الى الكفار فعلى هذا كان رد المهر واجبا والثاني ان الصلح لم يقع على رد النساء لانه روي انه لا يأتيك منا رجل وان كان على دينك الا رددته وذلك لان الرجل لا يخشى عليه من الفتنة في الرد ما يخشى على المرأة من اصابة المشرك اياها وانه لا يؤمن عليها الردة اذا خوفت واكرهت عليها لضعف قلبها وعقلها وقلة هدايتها الى المخرج منه باظهار كلمة الكفر مع التورية واضمار الايمان ولا يخشى ذلك على الرجل لقوته وهدايته الى التقية فعلى هذا كان رد المهر مندوبا واختلفوا في انه هل يجب به العمل اليوم في رد المال اذا شرط في معاقدة الكفار فقال عطاء ومجاهد وقتادة لا يجب وزعموا ان الآية منسوخة وقيل هي غير منسوخة ويرد اليهم ما انفقوا **فصل** قال ابن عباس معنى الآية ان لحقت امرأة مؤمنة بكفار أهل مكة وليس بينكم وبينهم عهد ولها زوج مسلم قبلكم فغنمتم فاعطوا هذا الزوج المسلم مهره من الغنيمة قبل ان تخمس وقال الزهري يعطى من مال الفيء وعنه يعطى من صداق من لحق بنا وقيل ان امتنعوا من ان يغرموا مهر هذه المرأة التي ذهبت اليهم فانبذوا العهد اليهم حتى اذا ظفرتم فخذوا ذلك منهم واتقوا الله اي احذروا ان تعتدوا ما امرتم به **قوله تعالى** يا أيها النبي اذا جاءك المؤمنات الآية لما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة جاء نساء أهل مكة يبايعنه فامر ان يأخذ عليهن ان لا يشركن قالت عائشة والله ما اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم على النساء قط الا بما امره الله عز وجل وما مست كف رسول الله صلى الله عليه وسلم كف امرأة قط وكان يقول اذا اخذ عليهن قد بايعتكن كلاما وروي انه عليه السلام بايع النساء وبين يديه وايديهن ثوب وكان يشترط عليهن وقيل لما فرغ من بيعة الرجال جلس على الصفا ومعه عمر اسفل منه فجعل يشترط على النساء البيعة وعمر يصافحهن وروي انه كلف امرأة وقفت على الصفا فبايعتهن قال ابن العربي وذلك ضعيف وانما التعويل على ما في صحيح مسلم من حديث عائشة المتقدم قالت كان المؤمنات اذا هاجرن الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يمتحن بقول الله تعالى يا أيها النبي اذا جاءك المؤمنات يبايعنك على ان لا يشركن بالله شيئا ولا يسرقن ولا يزنين الى آخر الآية قالت عائشة فمن اقر بهذا من المؤمنات فقد اقر بالمحنة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اقررن بذلك من قولهن قال لهن رسول الله صلى الله عليه وسلم انطلقن فقد بايعتكن لا والله ما مست يد رسول الله صلى الله عليه وسلم امرأة قط غير انه بايعهن بالكلام وقالت ام عطية لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة جمع نساء الانصار في بيت ثم ارسل اليهن عمر بن الخطاب فقام على الباب فسلم فرددن عليه السلام فقال انا رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم اليكن ان لا تشركن بالله شيئا الآية فقلن نعم فمد يده من خارج البيت ومددنا ايدينا من داخل البيت ثم قال اللهم اشهد وروي عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا بايع النساء دعا بقدح من ماء فغمس يده فيه ثم امر النساء فغمسن ايديهن فيه **فصل** روي ان النبي صلى الله عليه وسلم لما فرغ من بيعة الرجال يوم فتح مكة وهو على الصفا وعمر بن الخطاب اسفل منه وهو يبايع النساء بامر رسول الله صلى الله عليه وسلم ويبلغهن عنه على ان لا يشركن بالله شيئا وهند بنت عتبة امرأة ابي سفيان متنقبة متنكرة مع النساء خوفا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يعرفها لما صنعته بحمزة يوم احد فقالت والله انك لتأخذ علينا امرا ما رأيتك اخذته على الرجال وكان بايع الرجال يومئذ على الاسلام والجهاد فقط فقال النبي صلى الله عليه وسلم ولا يسرقن فقالت هند ان ابا سفيان رجل شحيح واني اصبت من ماله هنات فلا ادري أيحل لي ام لا فقال ابو سفيان ما اصبت من شيء فيما مضى وفيما غبر فهو لك حلال فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم وعرفها فقال لها وانك لهند بنت عتبة قالت نعم فاعف عما سلف عفا الله عنك ثم قال ولا يزنين فقالت هند او تزني الحرة فقال ولا يقتلن اولادهن اي لا يئدن الموؤدات ولا يسقطن الاجنة فقالت هند ربيناهم صغارا وقتلتهم كبارا يوم بدر وانت وهم اعلم وكان ابنها حنظلة بن ابي سفيان وهو بكرها قتل يوم بدر فضحك عمر حتى استلقى وتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال ولا يأتين ببهتان يفترينه بين ايديهن وارجلهن قال اكثر المفسرين معناه لا يلحقن بازواجهن ولدا من غيرهن وكانت المرأة تلتقط ولدا فتلحقه بزوجها وتقول هذا ولدي منك فكان هذا من البهتان والافتراء لانا النهي عن الزنا قد تقدم قال بعض المفسرين المرأة اذا التقطت ولدا فانما التقطت بيدها ومشت برجلها الى اخذه فاذا اضافته الى زوجها فقد اتت ببهتان تفتريه بين يديها ورجليها وقيل تفتريه على انفسهن حيث يقلن هذا ولدنا وليس كذلك اذ الولد ولد الزنا وقيل ما بين يديها ورجليها كناية من الولد لان بطنها الذي يحمل فيه الولد بين يديها وفرجها الذي تلد منه بين رجليها وهذا عام في الاتيان بولد والحاقه بالزوج وان سبق النهي عن الزنا وقيل معنى بين ايديهن السنتهن بالنميمة ومعنى بين ارجلهن فروجهن وقيل ما بين ايديهن من قبلة او جسة وبين ارجلهن الجماع وروي ان هندا لما سمعت ذلك قالت والله ان البهتان لامر قبيح ما تأمر الا بالرشد ومكارم الاخلاق ثم قال ولا يعصينك في معروف اي في كل امر وافق طاعة الله قال بكر بن عبد الله المزني في كل امر فيه رشدهن وقال مجاهد لا تخلو المرأة بالرجال وقال سعيد بن المسيب والكلبي وعبد الرحمن بن زيد هو النهي عن النوح والدعاء بالويل وتمزيق

المؤب

الثوب وحلق الشعر ونتفه وخمش الوجه ولا تحدث المرأة الرجال الا اذا كان محرم ولا تخلو برجل غير ذي محرم ولا تسافر الا مع ذي محرم وروت ام عطية عن النبي صلى الله عليه وسلم ان ذلك في النوح وهو قول ابن عباس وروى شهر بن حوشب عن ام سلمة عن النبي صلى الله عليه وسلم ولا يعصينك في معروف وقال هو النوح وفي صحيح مسلم عن ام عطية لما نزل قوله يبايعنك الى قوله ولا يعصينك في معروف قال كان منه النياحة قالت فقلت يا رسول الله الا آل بني فلان فانهم كانوا اسعدوني في الجاهلية فلا بد لي من ان اسعدهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا آل فلان **قوله تعالى** يبايعنك حال وشيئا مصدر اي شيئا من الاشراك وقرأ علي والسلمي والحسن يقتلن بالتشديد ويفترينه صفة لبهتانا او حال من فاعل يأتين **فصل** ذكر الله عز وجل في هذه الآية لرسول الله صلى الله عليه وسلم في صفة البيعة خصالا الا شيئا صرح فيهن باركان النهي في الدين ولم يذكر اركان الامر وهي ستة ايضا الشهادة والصلوة والزكوة والصيام والحج والاغتسال من الجنابة وذلك لان النهي دائم في كل زمان وكل الاحوال فكان التنبيه على اشتراط الدائم آكد وقيل ان هذه المناهي كان في النساء كثير من يرتكبها ولا يحجزهن عنها شرف النسب فخصت بالذكر لهذا ونحو منه قوله عليه السلام لوفد عبد القيس وانهاكم عن الدباء والحنتم والنقير والمزفت فنبههم على ترك المعصية في شرب الخمر دون سائر المعاصي لانها كانت شهوتهم وعادتهم واذا ترك المرء شهوته من المعاصي هان عليه ترك سائرها مما لا شهوة له فيها **فصل** لما قال النبي صلى الله عليه وسلم في البيعة ولا يسرقن قالت هند يا رسول الله ان ابا سفيان رجل مسيك فهل علي حرج ان اخذ ما يكفيني وولدي فقال لا الا بالمعروف فخشيت هند ان يقتصر على ما يعطيها فتضيع او تأخذ اكثر من ذلك فتكون سارقة ناكثة للبيعة المذكورة فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم ذلك اي لا حرج عليك فيما اخذت بالمعروف يعني من غير استطالة الى اكثر من الحاجة قال ابن العربي وهذا انما هو فيما لا يخزن منها في حجاب ولا يضبط عليه بقفل فانه اذا هتكته الى وجه واخذت منه كانت سارقة تعصي بها وتقطع يدها **فصل** فان قيل هلا قيل اذا جاءك المؤمنات فامتحنوهن كما قال في المهاجرات فالجواب من وجهين احدهما ان الامتحان حاصل بقوله تعالى على ان لا يشركن الى آخره وثانيهما ان المهاجرات يأتين من دار الحرب ولا اطلاع للمبايع على ما في قلبها فلا بد من الامتحان مع ظاهر حالها فان قيل ما الفائدة في تقديم البعض في الآية على البعض وترتيبها فالجواب قدم الاقبح على ما هو ادنى منه في القبح ثم كذلك الى آخره وقدم في الاشياء المذكورة ما هو الاظهر فيما بينهم **فصل** قال عبادة بن الصامت اخذ علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم كما اخذ على النساء ان لا تشركوا بالله شيئا ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا اولادكم ولا يعضه بعضكم بعضا ولا تعصوني في معروف امركم به معنى يعضه يسحر والعضه السحر ولهذا قال ابن بحر وغيره في قوله تعالى ولا يأتين ببهتان انه السحر وقال الضحاك هذا نهي عن البهتان اي لا يعضهن رجلا ولا امرأة ببهتان اي بسحر والجمهور على ان معنى ببهتان قوله يفترينه بين ايديهن ما اخذنه لقيطا وارجلهن ما ولدنه من زنا كما تقدم **فصل** قال المهدوي اجمع المسلمون على انه ليس للامام ان يشترط عليهن هذا والامر بذلك ندب لا الزام وقال بعض العلماء اذا احتيج الى المحنة من اجل تباعد الدار كان على امام المسلمين اقامة المحنة **قوله تعالى** فبايعهن واستغفر لهن الله ان الله غفور رحيم قالت عائشة كان النبي صلى الله عليه وسلم يبايع النساء بالكلام بهذه الآية ان لا يشركن بالله شيئا قالت وما مست يد رسول الله صلى الله عليه وسلم يد امرأة الا امرأة يملكها وقالت اميمة بنت رقيقة بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم في نسوة فقال فيما استطعتن واطقتن فقلت يا رسول الله صافحنا فقال اني لا اصافح النساء انما قولي لامرأة كقولي لمائة امرأة **قوله تعالى** يا أيها الذين آمنوا لا تتولوا قوما غضب الله عليهم وهم اليهود فقوله غضب الله عليهم صفة لقوما وكذلك قد يئسوا وقوله من الآخرة من لابتداء الغاية اي انهم لا يوقنون بالآخرة البتة ومن اصحاب القبور فيه وجهان احدهما انه لابتداء الغاية ايضا كالاولى والمعنى انهم لا يوقنون ببعث الموتى البتة فيأسهم من الآخرة كيأسهم من موتاهم لاعتقادهم عدم بعثهم والثاني انها لبيان الجنس يعني ان الكفار هم اصحاب القبور والمعنى ان هؤلاء يئسوا من الآخرة كما يئس الكفار الذين هم اصحاب القبور من خير الآخرة فيكون متعلق يئس الثاني محذوفا وقرأ ابن ابي الزناد الكافر بالافراد **فصل** قال ابن زيد ان ناسا من فقراء المؤمنين كانوا يخبرون اليهود باخبار المؤمنين ويواصلونهم فيصيبون بذلك من ثمارهم فنهوا عن ذلك قد يئسوا من الآخرة يعني اليهود قد يئسوا من الآخرة بان يكون لهم فيها ثواب وخير كما يئس الكفار من اصحاب القبور اي كما يئس الكفار الذين ماتوا وصاروا الى القبور من ان يكون لهم ثواب وحظ في الآخرة وقال مجاهد الكفار حين دخلوا قبورهم ايسوا من رحمة الله وقيل هم المنافقون وقال الحسن وقتادة هم اليهود والنصارى قال ابن مسعود معناه انهم تركوا العمل للآخرة وآثروا الدنيا وقال الحسن وقتادة معناه ان الكفار الذين هم احياء يئسوا من الكفار من اصحاب القبور ان يرجعوا اليهم وقيل ان الله تعالى ختم السورة بما بدأها من ترك موالاة الكفار وهي خطاب لحاطب بن ابي بلتعة وغيره قال ابن عباس معنى قوله لا تتولوا اي لا توالوهم ولا تناصحوهم رجع تعالى بطوله وفضله على حاطب بن ابي بلتعة يريد ان كفار قريش قد يئسوا من خير الدنيا كما يئس الكفار المقبورون من حظ يكون لهم في الآخرة من رحمة الله تعالى روى الثعلبي في تفسيره

عن ابي بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الممتحنة كان المومنون والمومنات له شفعا يوم القيمة

سورة الصف

مدنية في قول الاكثرين وذكر النحاس عن ابن عباس انها مكية وهي اربع عشرة اية ومايتان واحدى وعشرون كلمة وتسع ماية حرف
بسم الله الرحمن الرحيم **قوله تعالى** سبح لله ما في السموات وما في الارض وهو العزيز الحكيم قال ابن الخطيب وجه
تعلق هذه السورة بما قبلها هو ان في السورة التي قبلها بين الخروج الى الجهاد في سبيل الله وابتغاء مرضاته بقوله ان كنتم خرجتم جهادا
في سبيلي وابتغاء مرضاتي وفي هذه السورة بين ما يحمل المومن ويحثه على الجهاد فقال ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كانهم
بنيان مرصوص فان قيل ما الحكمة في انه تعالى قال في بعض السور سبح لله بلفظ الماضي وفي بعضها يسبح بلفظ المضارع وفي بعضها
سبح بلفظ الامر فالجواب ان الحكمة في ذلك تعليم العباد ان تسبيح الله لا ينقطع كما ان الماضي يدل عليه في الماضي من الزمان والمستقبل يدل عليه
في المستقبل من الزمان والامر يدل عليه في الحال والعزيز هو الغالب على غيره والحكيم هو الذي يحكم على غيره اي شي كان ذلك الغير
ولا يلزم ان يحكم عليه غيره فان قيل هلا قيل سبح لله السموات والارض وما فيهما وهو اكثر مبالغة فالجواب انما يكون كذلك اذا
كان التسبيح المخصوص بوصف معين فلا يكون كذلك **قوله تعالى** يا ايها الذين امنوا لم تقولون ما لا تفعلون روى الدارمي
في مسنده قال انبا محمد بن كثير عن الاوزاعي عن يحيى بن ابي كثير عن ابي سلمة عن عبد الله بن سلام قال قعدنا نفر من اصحاب النبي صلى
الله عليه وسلم فتذاكرنا فقلنا لو نعلم اي الاعمال احب الى الله لعملنا فانزل الله تعالى سبح لله ما في السموات وما في الارض وهو
العزيز الحكيم يا ايها الذين امنوا لم تقولون ما لا تفعلون حتى ختمها قال عبد الله فقراها علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ختمها
قال ابو سلمة فقراها علينا عبد الله بن سلام حتى ختمها قال يحيى فقراها علينا ابو سلمة فقراها علينا يحيى فقراها علينا الاوزاعي فقراها
علينا الدارمي وقال علي بن عبد الله بن عباس قال عبد الله بن رواحة لو علمنا احب الاعمال الى الله لعملناه فلما نزل الجهاد كرهوه وقال الكلبي قال
المومنون يا رسول الله لو نعلم احب الاعمال الى الله لسارعنا اليها فنزلت فهل ادلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم فمكثوا زمانا يقولون
لو نعلمها لاشتريناها بالاموال والانفس والاهلين فدلهم الله عليها بقوله تومنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله باموالكم
وانفسكم الاية فابتلوا يوم احد ففروا فنزلت هذه الاية تعييرا لهم بترك الوفاء وقال محمد بن كعب لما اخبر الله نبيه صلى الله عليه وسلم
بثواب شهداء بدر قالت الصحابة اللهم اشهد لين لقينا قتالا لنفرغن فيه وسعنا ففروا يوم احد فعيرهم الله بذلك وقال قتادة
والضحاك نزلت في قوم كانوا يقولون نحن جاهدنا وابلينا ولم يفعلوا وقال صهيب كان رجل قد اذى المسلمين يوم بدر وانكاهم
فقتله فقال رجل يا نبي الله اني قتلت فلانا ففرح النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فقال عمر بن الخطاب وعبد الرحمن بن عوف
يا صهيب اما اخبرت رسول الله صلى الله عليه وسلم انك قتلت فلانا فان فلانا انتحل قتله فاخبره فقال اكذلك يا ابا يحيى
قال نعم والله يا رسول الله فنزلت الاية في المنتحل وقال ابن زيد نزلت في المنافقين كانوا يقولون للنبي صلى الله عليه وسلم
واصحابه ان خرجتم وقاتلتم خرجنا معكم وقاتلنا فلما خرجوا نكصوا عنهم وتخلفوا **فصل** قال القرطبي هذه الاية
توجب على كل من الزم نفسه عملا فيه طاعة ان يفي بها وفي صحيح مسلم عن ابي موسى انه بعث الى قرا اهل البصرة فدخل عليه
ثلاثماية رجل قد قروا القران فقال انتم خيار اهل البصرة وقراوهم فاتلوه ولا يطولن عليكم الامد فتقسو قلوبكم كما
قست قلوب من قبلكم وانا كنا نقرا سورة نشبهها في الطول والشدة ببراءة فانسيتها غير اني قد حفظت منها لو كان لابن ادم
واديان من مال لابتغى واديا ثالثا ولا يملا جوف ابن ادم الا التراب وكنا نقرا سورة نشبهها باحدى المسبحات فانسيتها
غير اني حفظت منها يا ايها الذين امنوا لم تقولون ما لا تفعلون فتكتب شهادة في اعناقكم فتسالون عنها يوم القيمة
قال ابن العربي وهذا كله ثابت في الدين اما قوله تعالى يا ايها الذين امنوا لم تقولون ما لا تفعلون فثابت في الدين لفظا
ومعنى في هذه السورة واما قوله شهادة في اعناقكم فتسالون عنها يوم القيمة فمعنى ثابت في الدين فان من التزم شيئا
لزمه شرعا والملتزم على قسمين احدهما النذر وهو على قسمين نذر تقرب مبتدا كقوله لله علي صلوة او صوم او صدقة
ونحوه من القرب فهذا يلزم الوفا به اجماعا ونذر مباح وهو ما علق بشرط رغبة كقوله ان قدم غايبي فعلي صدقة او علق
بشرط رهبة كقوله ان كفاني الله شر كذا فعلي صدقة ففيه خلاف فقال مالك وابو حنيفة يلزم الوفا به وقال الشافعي في
قول لا يلزم الوفا به وعموم الاية حجة لنا لانها بمطلقها تتضمن ذم من قال ما لا يفعله على اي وجه كان من مطلق او
مقيد بشرط وقد قال اصحابه ان النذر انما يكون بما القصد منه القربة مما هو من جنس القربة وهذا وان كان من جنس القربة
وهذا وان كان من جنس القربة لكنه لم يقصد منه القربة وانما قصد منع نفسه من فعل او الاقدام على فعل قلنا القربة الشرعية

مشقات وكلف وان كانت قربات وهذا تكلف التزام هذه القربة مشقة لجلب نفع او دفع ضر فلم يخرج عن سنن
التكليف ولا زال عن قصد التقرب قال ابن العربي فان كان المقول منه وعدا فلا يخلو ان يكون منوطا بسبب كقوله
ان تزوجت اعنتك بدينار او ابتعت حاجة كذا اعطيتك فهذا لازم اجماعا من الفقهاء وان كان وعدا مجردا فقيل يلزم
بتعلقه واستدلوا بسبب الاية فانه روي انهم كانوا يقولون لو نعلم اي الاعمال افضل او احب الى الله لعملناه فانزل الله هذه
الاية وهو حديث لا باس به وروي عن مجاهد ان عبد الله بن رواحة لما سمعها قال لا ازال حبيسا في سبيل الله حتى اقتل
والصحيح عندي ان الوعد يجب الوفا به على كل حال قال القرطبي قال مالك اما العدة مثل ان يسال الرجل الرجل ان يهب له
الهبة فيقول نعم ثم يبدو له ان لا يفعل فلا ارى ذلك يلزمه **فصل** قال القرطبي ثلاث ايات منعتني ان اقص
على الناس اتامرون الناس بالبر وتنسون انفسكم وما اريد ان اخالفكم الى ما انهاكم عنه يا ايها الذين امنوا لم تقولون ما لا تفعلون
وخرج ابو نعيم الحافظ من حديث مالك بن دينار عن ثمامة عن انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتيت ليلة اسري
بي على قوم تقرض شفاههم بمقاريض من نار كلما قرضت عادت قلت من هولاء يا جبريل قال هولاء خطباء امتك الذين يقولون
ولا يفعلون ويقرون كتاب الله ولا يعملون به **فصل** قوله لم تقولون ما لا تفعلون استفهام على جهة الانكار والتوبيخ
على ان يقول الانسان عن نفسه من الخير ما لا يفعله اما في الماضي فيكون كذبا وفي المستقبل يكون خلفا وكلاهما مذموم قاله
قال الزمخشري هي لام الاضافة دخلت على ما الاستفهامية كما دخلت عليها غيرها من حروف الجر في قولك بم وفيم وعم ومم
وانما حذفت الالف لان ما والحرف كشي واحد وقد وقع استعمالهما في كلام المستفهم ولو كان كذلك لكان معنى الاستفهام واقعا
في قوله تعالى لم تقولون والاستفهام من الله تعالى محال لانه عالم بجميع الاشياء والجواب هذا اذا كان المراد حقيقة الاستفهام
اما اذا كان المراد الزام من اعرض عن الوفاء بما وعد وانكر الحق واصر على الباطل فلا وقال سفين بن عيينة قوله لم تقولون ما لا تفعلون
اي لم تقولون ما ليس الامر فيه اليكم فلا تدرون هل تفعلون او لا تفعلون فعلى هذا يكون الكلام محمولا على ظاهره في انكار القول
قوله تعالى كبر مقتا فيه اوجه احدها ان تكون من باب نعم وبئس فيكون في كبر ضمير مبهم مفسر بالنكرة بعده وان تقولوا هو
المخصوص بالذم فيجي فيه الخلاف المشهور هل رفعه بالابتدا وخبره الجملة مقدمة عليه او خبره محذوف او هو خبر مبتدا محذوف
كما تقدم تحريره وهذه قاعدة مطردة كل فعل يجوز التعجب منه يجوز ان يبنى على فعل بضم العين ويجري مجرى نعم وبئس في جميع
الاحكام والثاني انه من امثلة التعجب وقد عده ابن عصفور في التعجب المبوب له في النحو فقال الصيغة لما افعله وافعل به ولفعل نحو لزم
الرجل واليه نحا الزمخشري فقال هذا من افصح كلام وابلغه في معناه قصد في كبر التعجب من غير لفظه كقوله غلت ناب كليب بواوها
ثم قال واسند الى ان تقولوا ونصب مقتا على تفسيره دلالة على ان قولهم ما لا يفعلون مقت خالص لا شوب فيه الثالث ان
كبر ليس للتعجب ولا للذم بل هو مسند الى ان تقولوا ومقتا تمييز محول من الفاعلية والاصل كبر مقت ان تقولوا اي مقت قولكم
ويجوز ان يكون الفاعل مضمرا عايدا على المصدر المفهوم من قوله لم تقولون اي كبر هو اي القول مقتا وان تقولوا على هذا ابدال
من ذلك الضمير او خبر مبتدا محذوف اي هو ان تقولوا قال القرطبي ومقتا نصب بالتمييز المعنى كبر قولهم ما لا تفعلون
مقتا وقيل هو حال والمقت والمقاتة مصدران يقال رجل مقيت وممقوت اذا لم يحبه الناس **فصل** قال القرطبي
قد يحتج بهذه الاية في وجوب الوفا في اللجاج والغضب على احد قولي الشافعي **قوله تعالى** ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله
صفا قرا زيد بن علي يقاتلون بفتح التاء على ما لم يسم فاعله وقري يقتلون بالتشديد وصفا نصب على الحال اي صافين
او مصفوفين قال القرطبي والمفعول مضمر اي يصفون انفسهم صفا وقوله كانهم يجوز ان يكون حالا ثانية من فاعل يقاتلون
وان تكون حالا من الضمير في صفا فتكون حالا متداخلة قاله الزمخشري وان يكون نعتا لصفا قاله الحوفي وعاد الضمير على صفا
جمعا لانه جمع في المعنى كقوله وان طايفتان من المومنين اقتتلوا **فصل** وجه تعلق الاية بما قبلها ان قوله تعالى
كبر مقتا عند الله في ذم المخالفين في القتال وهم الذين وعدوا بالقتال ولم يقاتلوا وهذه الاية مدح المومنين في القتال واعلم
ان المحبة على وجهين احدهما الرضا عن الخلق وثانيهما الثنا عليهم **فصل** والمرصوص قيل الملتيم الاجزاء المستويها
وقيل المعقود بالرصاص قاله الفرا وقيل هو من التضام من تراص الاسنان وقال الراعي • ما لقي البيض من الحرقوص
يفتح بابا المغلق المرصوص • الحرقوص دويبة تولع بالنساء الابكار وقال القرطبي والتراص التلاصق ومنه وتراصوا في الصف
ومعنى الاية ان الله يحب من يثبت في الجهاد في سبيله ويلزم مكانه كثبوت البناء وقال ابن عباس يوضع الحجر على الحجر ثم يرص باحجار
صغار ثم يوضع اللبن عليه فيسميه اهل مكة المرصوص قال ابن الخطيب ويجوز ان يكون المعنى على ان يستوي نياتهم في حرب عدوهم
حتى يكونوا في اجتماع الكلمة وموالاة بعضهم بعضا كالبنيان المرصوص وقال سعيد بن جبير هذا تعليم من الله للمومنين كيف يكونون
عند قتال عدوهم **فصل** قال القرطبي استدل بهذه الاية بعضهم على ان قتال الراجل افضل من قتال الفارس لان
الفرسان لا يصطفون على هذه الصفة قال المهدوي وذلك غير مستقيم لما جاء في فضل الفارس من الاجر والغنيمة ولا يخرج

الفرسان من معنى الآية لأن معناها الثبات **فصل** لا يجوز الخروج من الصف إلا لحاجة تعرض للإنسان
أو في رسالة يرسلها الإمام أو منفعة تظهر في المقام كفرصة تنتهز ولا خلاف فيها وفي الخروج عن المبارزة خلاف فقيل
إنه لا بأس بذلك إرهابا للعدو وطلبا للشهادة وتحريضا على القتال وقيل لا يبرز أحد طلبا لذلك لأن فيه رياء وخروجا
إلى ما نهى الله عنه من لقاء العدو وإنما تكون المبارزة إذا طلبها الكافر كما كانت في حروب النبي صلى الله عليه وسلم يوم بدر وفي غزوة
خيبر وعليه درج السلف وقد تقدم الكلام في ذلك في البقرة عند قوله ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة **قوله تعالى** وإذ قال موسى
لقومه الآية لما ذكر الجهاد بين أن موسى وعيسى أمرا بالتوحيد وجاهدا في سبيل الله وحل العقاب بمن خالفهما أي واذكر
لقومك يا محمد هذه القصة **قوله تعالى** لم تؤذونني وذلك حين رموه بالأدرة كما تقدم في سورة الأحزاب ومن الأذى
ما ذكر في قصة قارون أنه دس إلى امرأة تدعي على موسى الفجور ومن الأذى قولهم اجعل لنا إلها كما لهم آلهة وقولهم فاذهب
أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون وقولهم أنت قتلت هارون وقد تقدم **قوله تعالى** وقد تعلمون جملة حالية
قال ابن الخطيب وقد معناه التوكيد كأنه قال وتعلمون علما يقينا لا شبهة لكم فيه وقوله إني رسول الله إليكم والمعنى أن الرسول
يحترم يقينا لا شبهة لكم فيه **قوله تعالى** فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم أي مالوا عن الحق أزاغ الله قلوبهم أي أمالهم عن الهدى
وقيل فلما زاغوا عن الطاعة أزاغ الله قلوبهم عن الهداية وقيل فلما زاغوا عن الإيمان أزاغ الله قلوبهم عن الثواب وقيل لما
تركوا ما أمروا به من احترام الرسول عليه السلام وطاعة الرب خلق الله في قلوبهم الضلالة عقوبة لهم على فعلهم والله لا يهدي
القوم الفاسقين قال الزجاج يعني من سبق في علمه أنه فاسق قال ابن الخطيب وهذه الآية تدل على عظم إيذاء الرسول حتى إنه يؤدي
إلى الكفر وزيغ القلوب عن الهدى **قوله تعالى** وإذ قال عيسى ابن مريم أي واذكر لهم هذه القصة أيضا وقال يا بني إسرائيل
ولم يقل يا قوم كما قال موسى لأنه لا نسب له فيهم فيكونوا قومه وقوله إني رسول الله إليكم أي بالإنجيل **قوله تعالى** مصدقا حال
وكذلك مبشرا والعامل فيه رسول لأنه بمعنى المرسل قال الزمخشري فإن قلت بم انتصب مصدقا ومبشرا أبما في الرسول
من معنى الإرسال أم بإليكم قلت بمعنى الإرسال لأن إليكم صلة للرسول فلا يجوز أن يعمل شيئا لأن حروف الجر لا تعمل بأنفسها ولكن بما
فيها من معنى الفعل فإذا وقعت صلات لم تتضمن معنى فعل فمن أين تعمل انتهى يعني بقوله صلات أنها متعلقة برسول صلة له
أي متصل بمعناها به لا الصلة الصناعية **قوله تعالى** يأتي من بعدي وقوله اسمه أحمد جملتان في موضع جر نعتا لرسول أو اسمه
أحمد في موضع نصب على الحال من فاعل يأتي أو تكون الأولى نعتا والثانية حالا وكونهما حالين ضعيف لإتيانهما من النكرة
وإن كان سيبويه يجوزه وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو من بعدي بفتح الياء وهي قراءة السلمي وزر بن حبيش وأبو بكر عن عاصم
واختاره أبو حاتم لأنه اسم مثل الكاف من بعدك والتاء من قمت والباقون بالإسكان وقرئ من بعد اسمه أحمد بحذف الياء
من اللفظ وأحمد اسم نبينا صلى الله عليه وسلم وهو اسم علم يحتمل أن يكون منقولا من الفعل المضارع ويحتمل أن يكون
منقولا من صفة وهي أفعل التفضيل وهو الظاهر فمعنى أحمد أي أحمد الحامدين لربه والأنبياء صلوات الله عليهم كلهم حامدون
لله ونبينا أحمد أكثرهم حمدا قال البغوي والألف في أحمد للمبالغة في الحمد وله وجهان أحدهما أنه مبالغة من الفاعل
أي الأنبياء كلهم حمادون لله عز وجل وهو أكثر حمدا لله من غيره والثاني أنه مبالغة في المفعول أي الأنبياء كلهم محمودون لما فيهم
من الخصال الحميدة وهو أكثر مبالغة وأجمع للفضائل والمحاسن التي يحمد بها انتهى وعلى كلا الوجهين فمنعه للصرف للعلمية
والوزن الغالب إلا أنه على الاحتمال الأول يمتنع معرفة وينصرف نكرة وعلى الثاني يمتنع تعريفا وتنكيرا لأنه يخلف العلمية الصفة
وإذا نكر بعد كونه علما جرى فيه خلاف سيبويه والأخفش وهي مسألة مشهورة بين النحاة وأنشد حسان رضي الله عنه يمدحه
عليه السلام ويصفه بقوله • صلى الإله ومن يحف بعرشه • والطيبون على المبارك أحمد • أحمد بدلا أو بيانا للمبارك وأما محمد
فمنقول من صفة أيضا وهو في معنى محمود ولكن فيه معنى المبالغة والتكرار فأحمد هو الذي حمد مرة بعد مرة قال القرطبي كما أن المكرم
من أكرم مرة بعد مرة وكذلك الممدح ونحو ذلك فاسم محمد مطابق لمعناه فالله سبحانه سماه قبل أن يسمي به نفسه فهذا
علم من أعلام نبوته إذ كان اسمه صادقا عليه فهو محمود في الدنيا لما هدى إليه ونفع به من العلم والحكمة وهو محمود في الآخرة
بالشفاعة فقد تكرر معنى الحمد كما يقتضي اللفظ ثم إنه لم يكن محمدا حتى كان أحمد حمد ربه فنبأه وشرفه فلذلك تقدم
اسم أحمد على الاسم الذي هو محمد فذكره عيسى فقال اسمه أحمد فذكره موسى عليه الصلاة والسلام حين قال له ربه
تلك أمة أحمد فقال اللهم اجعلني من أمة محمد فبأحمد ذكره قبل أن يذكره بمحمد لأن حمده لربه كان قبل حمد الناس له فلما وجد
وبعث كان محمدا بالفعل وكذلك في الشفاعة يحمد ربه بالمحامد التي يفتحها عليه فيكون أحمد الناس لربه ثم يشفع فيحمد
على شفاعته وروي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال اسمي في التوراة أحيد لأني أحيد أمتي عن النار واسمي في الزبور الماحي
محا الله بي عبدة الأوثان واسمي في الإنجيل أحمد وفي القرآن محمد لأني محمود في أهل السماء والأرض وفي الصحيح لي خمسة
أسماء أنا محمد وأحمد وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي وأنا العاقب وقد تقدم

قوله تعالى فلما جاءهم بالبينات قيل عيسى وقيل محمد صلى الله عليه وسلم قالوا هذا سحر مبين قرأ الكسائي وحمزة
ساحر نعتا للرجل وروي أنها قراءة ابن مسعود والباقون سحر نعتا لما جاء به الرسول قال أبو حيان هنا وقرأ الجمهور سحر
وعبد الله وطلحة والأعمش وابن وثاب ساحر وترك ذكر الأخوين **قوله تعالى** ومن أظلم ممن افترى أي لا أحد أظلم ممن
افترى على الله الكذب **قوله تعالى** وهو يدعى جملة حالية من فاعل افترى وهذه قراءة العامة وقرأ طلحة يدعي بفتح الياء
والدال مشددة مبنيا للفاعل وفيها تأويلان أحدهما قال الزمخشري وهو أن يكون يفتعل بمعنى يفعل نحو لمسه
والتمسه والضمير إذا عنى هو والمستتر في يدعي لله تعالى وحينئذ تكون القراءتان بمعنى واحد كأنه قيل والله يدعو إلى
الإسلام وفي القراءة الأولى يكون الضميران عائدين على من والثاني أنه من ادعى كذا دعوى ولكنه لما ضمن يدعي معنى
ينتمي وينتسب عدي بإلى وإلا فهو متعد بنفسه وعلى هذا الوجه فالضميران لمن أيضا كما هو في القراءة المشهورة وعن
طلحة أيضا يدعى مشدد الدال مبنيا للمفعول وخرجها الزمخشري على ما تقدم من ادعاه ودعاه بمعنى لمسه والتمسه
والضميران عائدان على من عكس ما تقدم عنه في تخريج القراءة الأولى فإن الضمير لله تعالى كما تقدم تحريره وهذا
تعجيب ممن كفر بعيسى ومحمد بعد المعجزات التي ظهرت لهما ثم قال والله لا يهدي القوم الظالمين أي من كان في حكمه أنه يختم له بالضلالة
قوله تعالى يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم الإطفاء هو الإخماد يستعملان في النار وفيما يجري مجراهما من الضياء والظهور
ويفترق الإطفاء والإخماد من حيث إن الإطفاء يستعمل في القليل فيقال أطفأت السراج ولا يقال أخمدت السراج وفي هذه اللام
أوجه أحدها أنها مزيدة في مفعول الإرادة قال الزمخشري أصله يريدون أن يطفئوا كما في سورة التوبة وكأن هذه اللام
زيدت مع فعل الإرادة توكيدا له لما فيها من معنى الإرادة في قولك جئتك لأكرمك كما زيدت اللام في لا أبا لك توكيدا لمعنى
الإضافة في لا أبا لك وقال ابن عطية واللام في ليطفئوا لام مؤكدة دخلت على المفعول لأن التقدير يريدون أن يطفئوا
وأكثر ما يلزم هذه اللام إذا تقدم المفعول تقول لزيد ضربت ولرؤيتك قصدت انتهى وهذا ليس مذهب سيبويه وجمهور النحاة
ثم قول أبي محمد وأكثر ما يلزم ليس بظاهر لأنه لا يقول يلزم ومنها البتة بل هي جائزة الزيادة وليس الأكثر أيضا زيادتها جوازا
بل الأكثر عدمها الثاني أنها لام العلة والمفعول محذوف أي يريدون إبطال القرآن أو دفع الإسلام أو هلاك الرسول
ليطفئوا الثالث أنها بمعنى أن الناصبة وأنها ناصبة للفعل بنفسها قال الفراء العرب تجعل لام كي في موضع أن في أراد وأمر
وإليه ذهب الكسائي أيضا وقد تقدم نحو هذا في قوله يريد الله ليبين لكم في سورة النساء **فصل** قال ابن عباس وابن
زيد المراد بنور الله هاهنا القرآن يريدون إبطاله وتكذيبه بالقول وقال السدي الإسلام أي يريدون دفعه بالكلام
وقال الضحاك إنه محمد صلى الله عليه وسلم أي يريدون هلاكه بالأراجيف وقال ابن جريج حجج الله ودلائله يريدون إبطالها
بإنكارهم وتكذيبهم وقيل إنه مثل مضروب أي من أراد إطفاء نور الشمس بفيه وجده مستحيلا ممتنعا كذلك من أراد إبطال
الحق حكاه ابن عيسى **فصل** قال الماوردي سبب نزول هذه الآية ما حكاه عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما
أن النبي صلى الله عليه وسلم أبطأ عليه الوحي أربعين يوما فقال كعب بن الأشرف يا معشر اليهود أبشروا فقد أطفأ الله نور محمد
فيما كان ينزل عليه وما كان ليتم أمره فحزن رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله تعالى هذه الآية واتصل الوحي بعدها
قوله تعالى والله متم نوره قرأ الأخوان وحفص وابن كثير بإضافة متم لنوره والباقون بتنوينه ونصب نوره فالإضافة
تخفيف والتنوين هو الأصل وأبو حيان ينازع في كونه الأصل وقد تقدم وقوله والله متم جملة حالية من فاعل يريدون
أن يطفئوا والمعنى والله متم نوره أي بإظهاره في الآفاق فإن قيل الإتمام لا يكون إلا عند النقصان فما معنى نقصان
هذا النور فالجواب إتمامه بحسب نقصان الأثر وهو الظهور في سائر البلاد من المشارق إلى المغارب إذ الظهور لا يظهر
إلا بالإظهار وهو الإتمام يؤيده قوله اليوم أكملت لكم دينكم وعن أبي هريرة أن ذلك عند نزول عيسى عليه السلام قاله مجاهد
قوله تعالى ولو كره حال من هذه الحال فهما متداخلان وجواب لو محذوف أي أتمه وأظهره وكذلك ولو كره المشركون والمعنى
ولو كره الكافرون من سائر الأصناف فإن قيل قال أولا ولو كره الكافرون وقال ثانيا ولو كره المشركون فما الفائدة فالجواب
إذا أنكروا الرسول وما أوحي إليه من الكتب وذلك من نعم الله تعالى والكافرون كلهم في كفران النعم فلهذا قال ولو كره الكافرون
ولأن لفظ الكافر أعم من لفظ المشرك فالمراد من الكافرين هنا اليهود والنصارى والمشركون فلفظ الكفار أليق به
وأما قوله ولو كره المشركون فذلك عند إنكارهم التوحيد وإصرارهم عليه فالنبي صلى الله عليه وسلم دعاهم في ابتداء الدعوة
إلى التوحيد بلا إله إلا الله فلم يقولوا لا إله إلا الله فلهذا قال ولو كره المشركون **قوله تعالى** هو الذي أرسل رسوله يعني
محمدا بالهدى أي بالحق والرشاد ليظهره على الدين كله بالحجج ومن الظهور الغلبة باليد في القتال وليس المراد بالظهور
أن لا يبقى دين آخر من الأديان بل المراد أن يكون أهل الإسلام عالين غالبين ومن الإظهار أن لا يبقى دين آخر سوى الإسلام
في آخر الزمان قال مجاهد ذلك إذا أنزل الله عيسى لم يكن في الأرض دين إلا دين الإسلام وقال أبو هريرة ليظهره على الدين كله

بخروج عيسى وحينئذ لا يبقى كافر الا اسلم وفي صحيح مسلم عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لينزلن ابن مريم حكما عادلا فليكسرن الصليب وليقتلن الخنزير وليضعن الجزية وليتركن القلاص فلا يسعى اليها
وليذهبن الشحناء والتباغض والتحاسد وليدعون الى المال فلا يقبله احد وقيل ليظهره اي ليطلع محمدا على سائر الاديان
حتى يكون عالما بها عارفا بوجوه بطلانها وبما حرفوا وغيروا منها على الدين اي على الاديان لان الدين مصدر يعبر به عن الجمع
قوله تعالى يا ايها الذين امنوا هل ادلكم على تجارة تنجيكم الاية قال مقاتل نزلت في عثمان بن مظعون قال يا رسول الله
لو اذنت لي فطلقت خولة وترهبت واختصيت وحرمت اللحم ولا انام بليل ابدا ولا افطر بنهار ابدا فقال النبي صلى الله
عليه وسلم ان من سنتي النكاح فلا رهبانية في الاسلام انما رهبانية امتي الجهاد في سبيل الله وخصاء امتي الصوم فلا تحرموا
طيبات ما احل الله لكم ومن سنتي انام واقوم وافطر واصوم فمن رغب عن سنتي فليس مني فقال عثمان والله لوددت يا نبي الله
اي التجارات احب الى الله فاتجر فيها فنزلت وقيل ادلكم اي سادلكم والتجارة الجهاد قال الله تعالى ان الله اشترى من المؤمنين
انفسهم واموالهم الاية وهذا خطاب لجميع المؤمنين وقيل لاهل الكتاب وقيل نزل هذا حين قالوا لو نعلم اي الاعمال
احب الى الله لعملناه قال البغوي وجعل ذلك بمنزلة التجارة لانهم يربحون بها رضى الله عز وجل ونيل جنته والنجاة من النار
والتجارة عبارة عن معاوضة الشيء بالشيء كما ان التجارة تنجي التاجر من الفقر فكذا هذه التجارة وكما ان في التجارة الربح
والخسران فكذلك هذه التجارة فمن امن وعمل صالحا فله الاجر الوافر ومن اعرض عن الايمان والعمل الصالح فله
الخسران المبين **قوله تعالى** تنجيكم هذه الجملة صفة لتجارة وقرا ابن عامر تنجيكم بالتشديد والباقون بالتخفيف
من انجى وهما بمعنى واحد لان التضعيف والهمزة متعديان والمعنى تخلصكم من عذاب اليم اي مؤلم **فصل**
تؤمنون لا محل له لانه تفسير للتجارة ويجوز ان يكون محلها الرفع خبر المبتدا مضمر اي تلك التجارة تؤمنون والخبر نفس المبتدا
فلا حاجة الى رابط وان تكون منصوبة المحل باضمار فعل اي اعني تؤمنون وجاز ذلك على تقدير ان وفيه تعسف والعامة
على تؤمنون خبرا لفظيا ثابت النون وعبد الله امنوا وجاهدوا امرين وزيد بن علي تؤمنوا وتجاهدوا بحذف نون الرفع
فاما قراءة العامة فالخبر بمعنى الامر يدل عليه القراءتان الشاذتان فان قراءة زيد على حذف لام الامر اي لتؤمنوا ولتجاهدوا
كقوله محمد تفد نفسك كل نفس وقوله قل لعبادي الذين امنوا يقيموا في وجه اي لتفد وليقيموا ولذلك جزم الفعل في جوابه
في قوله يغفر وكذلك قولهم اتقى الله امرؤ فعل خيرا يثب عليه تقديره ليتق الله وقال الاخفش ان تؤمنون عطف بيان للتجارة
وهذا لا يتخيل الا بتاويل ان يكون الاصل ان تؤمنوا فلما حذف ان ارتفع الفعل كقوله • الا ايهذا الزاجري احضر الوغى • الاصل
ان احضر وكانه قيل هل ادلكم على تجارة منجية ايمان وجهاد وهو معنى حسن لولا ما فيه من التاويل وعلى هذا فيجوز ان
يكون بدلا من تجارة وقال الفراء هو مجزوم على جواب الاستفهام وهو قوله هل ادلكم واختلف الناس في تصحيح هذا القول
فبعضهم غلطه قال الزجاج ليس اذا دلهم على ما ينفعهم يغفر لهم انما يغفر لهم اذا امنوا وجاهدوا يعني انه ليس مرتبا على مجرد
الاستفهام ولا على مجرد الدلالة قال القرطبي وتؤمنون عند المبرد والزجاج في معنى امنوا ولذلك جاء يغفر لكم مجزوما
على انه جواب الامر قال ابن الخطيب هل ادلكم في معنى الامر عند الفراء فقال هل انت ساكت اي اسكت وبيانه ان هل بمعنى
الاستفهام ثم يتدرج الى ان يصير عرضا وحثا والحث كالاغراء والاغراء امر وقال المهدوي انما يصح حملا على المعنى
وهو ان يكون تؤمنون وتجاهدون عطف بيان على قوله هل ادلكم كان التجارة لم يدر ما هي فبينت بالايمان والجهاد فهي
هما في المعنى فكانه قيل هل تؤمنون وتجاهدون قال فان لم يقدر هذا التقدير لم يصح لانه يصير ان دللتم يغفر لكم
والغفران انما يجب بالقبول والايمان لا بالدلالة وقال الزمخشري قريبا منه ايضا وقال ايضا ان تؤمنون استئناف
كانهم قالوا كيف نعمل فقال تؤمنون وقال ابن عطية تؤمنون فعل مرفوع تقديره ذلك انه تؤمنون فجعله خبر ان وهي
وما في حيزها خبر لمبتدا محذوف وهذا محمول على تفسير المعنى لا تفسير الاعراب فانه لا حاجة اليه **فصل**
قال ابن الخطيب فان قيل كيف امرهم بالايمان بعد قوله يا ايها الذين امنوا فالجواب يمكن ان يكون المراد من هذه الاية
المنافقين وهم الذين امنوا في الظاهر ويمكن ان يكون اهل الكتاب وهم اليهود والنصارى فانهم امنوا بالكتب المتقدمة
فكانه قال يا ايها الذين امنوا بالكتب المتقدمة امنوا بالله وبمحمد ويمكن ان يكون اهل الايمان كقوله تعالى فزادتهم
ايمانا او يكون المراد الامر بالثبات على الايمان كقوله تعالى يثبت الله الذين امنوا فان قيل كيف ترجى النجاة اذا امن بالله
ورسوله ولم يجاهد في سبيل الله وقد علق بالمجموع فالجواب ان هذا المجموع هو الايمان بالله ورسوله والجهاد بالنفس
والمال في سبيل الله خير في نفس الامر **قوله تعالى** باموالكم وانفسكم قال القرطبي ذكر الاموال اولا لانها التي يبدا بها
في الانفاق ذلكم اي هذا الفعل خير لكم من اموالكم وانفسكم ان كنتم تعلمون انه خير لكم **قوله تعالى** يغفر لكم فيه اوجه
احدها انه مجزوم على جواب الخبر بمعنى الامر كما تقدم والثاني انه مجزوم على جواب الاستفهام كما قاله الفراء الثالث انه مجزوم

بشرط

بشرط مقدر اي ان تؤمنوا يغفر لكم قال القرطبي وادغم بعضهم فقرا يغفر لكم والاحسن ترك الادغام لان الراء حرف
متكرر قوي فلا يحسن الادغام في اللام لان الاقوى لا يدغم في الاضعف **قوله تعالى** ومساكن طيبة روي الحسن قال
سالت عمران بن حصين وابا هريرة عن قوله ومساكن طيبة فقالا على الخبير سالنا رسول الله صلى الله عليه وسلم
عنها فقال قصر من لؤلؤة في الجنة في ذلك القصر سبعون دارا من ياقوتة حمراء في كل دار سبعون بيتا من زبرجدة خضراء
في كل بيت سبعون سريرا على كل سرير سبعون فراشا من كل لون على كل فراش سبعون امراة من الحور العين في كل بيت سبعون
مائدة على كل مائدة سبعون لونا من الطعام في كل بيت سبعون وصيفا ووصيفة فيعطي الله تعالى المؤمن القوة في غداة
واحدة ما ياتي على ذلك كله **قوله تعالى** في جنات عدن اي اقامة ذلك الفوز العظيم اي السعادة الدائمة الكبيرة واصل
الفوز الظفر بالمطلوب **قوله تعالى** واخرى تحبونها فيها اوجه احدها انها في موضع رفع على الابتداء وخبرها مقدر اي ولكم او ثم
او عندي خصلة اخرى او مثوبة اخرى وتحبونها نعت لها الثاني ان الخبر جملة حذف مبتداها تقديره هي نصر والجملة خبر
اخرى قاله ابو البقاء الثالث انها منصوبة بفعل محذوف للدلالة عليه بالسياق اي ويعطكم او ويمنحكم مثوبة اخرى وتحبونها
نعت لها ايضا الرابع انها منصوبة بفعل مضمر يفسره تحبونها فيكون من الاشتغال وحينئذ لا يكون تحبونها نعتا لانه
مفسر للعامل قبله الخامس انها مجرورة عطفا على تجارة وضعف هذا بانها ليست مما دل عليه انما هي ثواب من عند الله قال
القرطبي وهذا الوجه منقول عن الاخفش والفراء **قوله تعالى** نصر من الله خبر مبتدا مضمر اي تلك النعمة او الخلة الاخرى نصر
ومن الله نعت له او متعلق به اي ابتداؤه منه ورفع نصر وفتح قراءة العامة ونصب ابن ابي عبلة الثلاثة وفيه اوجه ذكرها
الزمخشري احدها انها منصوبة على الاختصاص الثاني ان ينتصبن على المصدرية اي ينصرون نصرا ويفتح لهم فتحا
قريبا الثالث ان ينتصبن على البدل من اخرى واخرى منصوب بمقدر كما تقدم اي يغفر لكم ويدخلكم جنات ويؤتكم اخرى
ثم ابدل منها نصرا وفتحا قريبا **فصل** ومعنى الاية اي ولكم نصر من الله وفتح قريب اي غنيمة في عاجل الدنيا
قيل فتح مكة وقال ابن عباس رضي الله عنهما يريد فتح فارس والروم وبشر المؤمنين رضي الله عنهم وقال البغوي وبشر المؤمنين
يا محمد بالنصر في الدنيا والجنة في الاخرة ثم حضهم على نصر المؤمنين وجهاد المخالفين فقال يا ايها الذين امنوا كونوا
انصار الله اي كونوا حواري نبيكم ليظهركم الله على من خالفكم كما اظهر حواري عيسى على من خالفهم **قوله تعالى** انصار الله
قرا نافع وابن كثير وابو عمرو انصارا منونا لله جارا ومجرورا والباقون انصار غير منون بل مضافا للجلالة الكريمة والرسم
يحتمل القراءتين معا واللام يحتمل ان تكون مزيدة في المفعول للتقوية لكون العامل فرعا اذ الاصل انصارا الله
وان تكون غير مزيدة ويكون الجار والمجرور نعتا لانصارا والاول اظهر واما قراءة الاضافة ففرع الاصل المذكور ويؤيد
قراءة الاضافة الاجماع عليها في قوله نحن انصار الله ولم يتصور جريان الخلاف هنا لانه مرسوم بالالف قاله القرطبي وقيل
في الكلام اضمار اي قل لهم يا محمد كونوا انصار الله وقيل هو ابتداء خطاب من الله اي كونوا انصارا كما فعل انصار عيسى فكانوا
بحمد الله انصارا وكانوا حواريين **فصل** قال القرطبي الحواريون خواص الرسل قال معمر كان ذلك بحمد الله
اي نصروه وهم سبعون رجلا وهم الذين بايعوه ليلة العقبة وقيل هم من قريش وسماهم قتادة ابو بكر وعمر
وعلي وطلحة والزبير وسعد بن ابي وقاص وابو عبيدة واسمه عامر وعثمان بن مظعون وحمزة بن عبد المطلب وعثمان
بن عفان وعبد الرحمن بن عوف ولم يذكر سعدا فيهم وذكر جعفر بن ابي طالب رضي الله عنهم **قوله تعالى** كما قال عيسى بن
مريم للحواريين وهم اصفياؤه اثنا عشر رجلا وقد مضت اسماؤهم في ال عمران وهم اول من امن به من بني اسرائيل قاله
ابن عباس وقال مقاتل قال الله لعيسى اذا دخلت القرية فات النهر الذي عليه القصارون فاسالهم النصر فاتاهم عيسى
وقال من انصاري الى الله فقالوا نحن ننصرك فصدقوه ونصروه **قوله تعالى** كما فيه اوجه احدها ان الكاف في موضع نصب
على اضمار القول اي قلنا لهم ذلك كما قال عيسى الثاني انها نعت لمصدر محذوف تقديره كونوا كونا قاله مكي وفيه نظر اذ لا يؤمروا
بان يكونوا كونا الثالث انه كلام محمول على معناه دون لفظه واليه نحا الزمخشري قال فان قلت ما وجه صحة التشبيه
وظاهره تشبيه كونهم انصارا بقول عيسى صلى الله عليه وسلم من انصاري قلت التشبيه محمول على المعنى وعليه يصح المراد
كونوا انصار الله كما كان الحواريون انصار عيسى حين قال لهم من انصاري الى الله وتقدم في ال عمران تعدي انصاري بالى
واختلاف الناس في ذلك وقال الزمخشري هنا فان قلت ما معنى قوله من انصاري الى الله قلت يجب ان يكون معناه
مطابقا لجواب الحواريين نحن انصار الله والذي يطابقه ان يكون المعنى من جندي متوجها الى نصرة الله واضافة انصاري
خلاف اضافة انصار الله فان معنى نحن انصار الله نحن الذين ينصرون الله ولا يصح ان يكون معناه من ينصرني مع الله
لانه لا يطابق الجواب والدليل عليه قراءة من قرا من انصار الله انتهى يعني ان بعضهم يدعي ان الى بمعنى مع اي من انصاري
مع الله وقوله قراءة من قرا انصار الله اي لو كانت بمعنى مع لما صح سقوطها في هذه القراءة قال شهاب الدين وهذا غير لازم

لان كل قراءة لها معنى يخصها الا ان الاولى توافق القراءتين **قوله تعالى** فآمنت طائفة من بني اسرائيل وكفرت طائفة
قال ابن عباس رضي الله عنهما يعني في زمن عيسى عليه الصلاة والسلام وذلك انه لما رفع تفرق قومه ثلاث فرق فرقة قالوا
كان الله فارتفع وفرقة قالوا كان ابن الله فرفعه الله اليه وفرقة قالوا كان عبد الله ورسوله فرفعه الله اليه وهم المؤمنون
واتبع كل فرقة طائفة من الناس فاقتتلوا فظهرت الفرقتان الكافرتان على المؤمنين حتى بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم
فظهرت الفرقة المؤمنة على الكافرة فذلك قوله فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم فاصبحوا ظاهرين غالبين وقال مجاهد
ايدوا في زمانهم على من كفر بعيسى والاول اظهر لان عيسى لم يقاتل احدا ولم يكن في دين اصحابه بعده قتال وقال زيد بن علي وقتادة
فاصبحوا ظاهرين غالبين بالحجة والبرهان لانهم قالوا فيما روي الستم تعلمون ان عيسى كان ينام والله لا ينام وان عيسى كان
يأكل والله تعالى لا يأكل وقيل نزلت هذه الآية في رسل عيسى عليه السلام قال ابن اسحق وكان الذي بعثهم عيسى من الحواريين
والاتباع فطرس وبولس الى رومية واندراوس ومتى الى الارض التي يأكل اهلها الناس وتوماس الى ارض بابل من ارض
المشرق وفيلبس الى ارض قرطاجنة وهي افريقية ويحنس الى افسوس قرية اصحاب الكهف ويعقوبس الى اوري سلم وهي بيت
المقدس وابن ثلماء الى الاعرابية وهي ارض الحجاز وسيمن الى ارض البربر ويهودا وبودس الى الاسكندرية وما حولها فايدهم
الله بالحجة فاصبحوا ظاهرين اي غالبين من قولك ظهرت على الحائط اي علوت عليه **قوله تعالى** فأيدنا الذين آمنوا
على عدوهم من ايقاع الظاهر موقع المضمر تنبيها على عداوة الكافر للمؤمن اذ الاصل فأيدناهم عليهم اي ايدنا المؤمنين
على الكافرين من الطائفتين المذكورتين روى الطيبي في تفسيره عن ابي بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من قرأ سورة عيسى كان عيسى مستغفرا له ما دام في الدنيا وهو يوم القيامة رفيقه صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم

سورة الجمعة

مدنية وهي احدى عشرة آية ومائة وثمانون كلمة وسبعمائة وعشرون حرفا روى مسلم عن ابي هريرة ان النبي صلى
الله عليه وسلم قال خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة فيه خلق آدم وفيه ادخل الجنة وفيه اخرج منها ولا تقوم الساعة
الا في يوم الجمعة وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نحن الآخرون يوم القيامة ونحن اول من يدخل الجنة بيد انهم اوتوا
الكتاب من قبلنا واوتيناه من بعدهم فاختلفوا فهدانا الله لما اختلفوا فيه من الحق باذنه فهذا يومهم الذي اختلفوا فيه
هدانا الله له قال يوم الجمعة فاليوم لنا وغدا لليهود وبعد غد للنصارى بسم الله الرحمن الرحيم **قوله تعالى**
يسبح لله ما في السموات وما في الارض تقدم الكلام فيه **قوله تعالى** الملك القدوس العزيز الحكيم وجه تعلق هذه
السورة بما قبلها هو انه تعالى قال في اول تلك السورة سبح لله بلفظ الماضي وذلك لا يدل على التسبيح في المستقبل فقال في اول
هذه السورة بلفظ المستقبل ليدل على التسبيح في الزمن الحاضر والمستقبل واما تعلق الاول بالآخر فلانه تعالى ذكر في آخر
تلك السورة انه كان يؤيد اهل الايمان حتى صاروا غالبين على الكفار وذلك على وفق الحكمة للحاجة اليه اذ هو غني على الاطلاق
ومنزه عما يختص بالحاجة وفي اول هذه السورة ذكر ما يدل على كونه مقدسا ومنزها عما لا يليق بحضرته العالية ثم ان
كان خلق السموات والارض باجمعهم في تسبيح حضرة الله تعالى فله الملك ولا ملك اعظم من هذا ولما كان الملك كله له فهو الملك
على الاطلاق ولما كان الكل خلقه فهو المالك **قوله تعالى** الملك القدوس قرأ العامة بجر الملك وما بعده نعتا لله والبدل
ضعيف لاشتقاقها وقرأ ابو وائل وسلمة بن محارب ورؤبة بالرفع على اضمار مبتدأ مقتضي للمدح قال الزمخشري ولو قرئ بالنصب
على قولهم الحمد لله اهل الحمد لكان وجها وقرأ زيد بن علي القدوس بفتح القاف وتقدم ذلك ويسبح من جملة ما جرى فيه اللفظان
كشكره وشكر له ونصحه ونصح له وسبحه وسبح له فان قيل الحكيم يطلق ايضا على الغير كما يقال في لقمان انه حكيم
فالجواب ان الحكيم عند اهل التحقيق هو الذي يضع الاشياء في مواضعها والله تعالى حكيم بهذا المعنى **قوله تعالى** هو الذي
بعث في الاميين رسولا تقدم الكلام في الامي والاميين جمعه ويتلو وما بعده صفات لرسول قال ابن عباس رضي الله عنهما
الاميون العرب كلهم من كتب منهم ومن لم يكتب لانهم لم يكونوا اهل كتاب وقيل الاميون الذين لا يكتبون وكذلك كانت
قريش وروى منصور عن ابراهيم قال الامي الذي يقرأ ولا يكتب وعن ابن عباس رضي الله عنهما الاميون الذين ليس لهم
كتاب ولا نبي بعث فيهم وقيل الاميون هم الذين هم على ما خلقوا عليه وقرئ الامين بحذف ياء النسب قوله رسولا
منهم يعني محمدا صلى الله عليه وسلم وما من حي من العرب الا ولرسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم قرابة وقد ولدوه قال ابن اسحق
الا بني تغلب فان الله تعالى طهر نبيه صلى الله عليه وسلم منهم لنصرانيتهم فلم يجعل لهم عليه ولادة وكان اميا لم يقرأ من كتاب ولم يتعلم
صلى الله عليه وسلم قال الماوردي فان قيل ما وجه الامتنان بان بعث نبيا اميا فالجواب من ثلاثة اوجه احدها الموافقة

ما تقدمت بشارة الانبياء الثاني لمشاكلة حاله لاحوالهم فيكون اقرب الى موافقتهم الثالث ينتفي عنه سوء الظن
في تعليمه ما دعا اليه من الكتب التي قرأها والحكم التي تلاها قاله القرطبي وهذا كله دليل معجزته وصدق نبوته **قوله تعالى**
يتلو عليهم آياته يعني القرآن ويزكيهم اي يجعلهم ازكياء القلوب بالايمان قال ابن عباس وقيل يطهرهم من دنس الكفر
والذنوب قاله ابن جريج ومقاتل وقال السدي يأخذ زكاة اموالهم ويعلمهم الكتاب يعني القرآن والحكمة السنة قاله
الحسن وقال ابن عباس الكتاب الخط بالقلم لان الخط انما نشأ في العرب بالشرع لما امروا بالتقييد بالخط وقال مالك
بن انس الحكمة الفقه في الدين وقد تقدم في البقرة وان كانوا من قبل اي من قبله وقبل ان يرسل اليهم لفي ضلال مبين اي
ذهاب عن الحق **فصل** قال ابن الخطيب احتج اهل الكتاب بهذه الآية فقالوا قوله بعث في الاميين رسولا منهم
يدل على انه عليه السلام كان رسولا الى الاميين وهم العرب خاصة قال وهذا ضعيف فانه لا يلزم من تخصيص الشيء
بالذكر نفي ما عداه الا ترى قوله ولا تخطه بيمينك اذا لارتاب لانه لا يفهم منه انه يخطه بشماله ولانه لو كان رسولا الى العرب
خاصة كان قوله كافة للناس بشيرا ونذيرا لا يناسب ذلك وقد اتفقوا على صدق الرسالة المخصوصة فيكون قوله كافة للناس
دليلا على انه عليه السلام كان رسولا الى الكل **قوله تعالى** وآخرين منهم فيه وجهان احدهما انه مجرور عطفا على الاميين اي
وبعث في آخرين من الاميين ولما يلحقوا بهم صفة لآخرين وقيل والثاني انه منصوب عطفا على الضمير المنصوب في يعلمهم
اي ويعلم آخرين لما يلحقوا بهم وسيلحقون فكل من تعلم شريعة محمد صلى الله عليه وسلم الى آخر الزمان فرسول الله صلى الله عليه
وسلم معلمه بالقوة لانه اصل ذلك الخير العظيم والفضل الجسيم **قوله تعالى** لما يلحقوا بهم اي لم يكونوا في زمانهم وسيجيئون
بعدهم قال ابن عمر وسعيد بن جبير هم العجم وفي صحيح البخاري ومسلم عن ابي هريرة قال كنا جلوسا عند النبي صلى الله عليه
وسلم اذ نزلت عليه سورة الجمعة فلما قرأ وآخرين منهم لما يلحقوا بهم قال من هؤلاء يا رسول الله فلم يراجعه النبي صلى الله عليه
وسلم حتى سأله مرة او مرتين او ثلاثا قال وفينا سلمان الفارسي قال فوضع النبي صلى الله عليه وسلم يده على سلمان ثم قال
لو كان الايمان عند الثريا لناله رجال من هؤلاء وفي رواية لو كان الدين عند الثريا لذهب به رجل من فارس او قال من ابناء
فارس حتى يتناوله لفظ مسلم وقال عكرمة هم التابعون وقال مجاهد رضي الله عنه هم الناس كلهم يعني من بعد العرب الذين
بعث فيهم محمد وقال ابن زيد ومقاتل بن حيان هم من دخل في الاسلام بعد النبي صلى الله عليه وسلم الى يوم القيامة قال
سهل بن سعد الساعدي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان في اصلاب امتي رجالا ونساء يدخلون الجنة بغير حساب ثم تلا وآخرين
منهم لما يلحقوا بهم والقول الاول اثبت وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال رأيتني اسقي غنما سودا ثم اتبعتها غنما عفرا اولها
يا ابا بكر قال يا نبي الله اما السود فالعرب واما العفر فالعجم تتبعك بعد العرب فقال النبي صلى الله عليه وسلم كذلك اولها
الملك يعني جبريل عليه السلام رواه ابن ابي ليلى عن رجل من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وهو علي بن ابي طالب رضي الله عنه
قوله تعالى ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء قال ابن عباس حيث الحق العجم بقريش وقيل يعني الاسلام فضل الله يؤتيه
من يشاء قاله الكلبي وقال مقاتل يعني الوحي والنبوة وقيل انه المال ينفق في الطاعة لما روى ابو صالح عن ابي هريرة ان فقراء
المهاجرين اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا ذهب اهل الدثور بالدرجات العلى والنعيم المقيم فقال وما ذاك فقالوا
يصلون كما نصلي ويصومون كما نصوم ويتصدقون ولا نتصدق ويعتقون ولا نعتق فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
افلا اعلمكم شيئا تدركون به من سبقكم وتسبقون به من بعدكم ولا يكون احد افضل منكم الا من صنع مثل ما صنعتم قالوا بلى يا
رسول الله قال تسبحون وتكبرون وتحمدون دبر كل صلوة ثلاثا وثلاثين مرة قال ابو صالح فرجع فقراء المهاجرين الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقالوا سمع اخواننا من اهل الاموال بما فعلنا ففعلوا مثله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك
فضل الله يؤتيه من يشاء وقيل انه انقياد الناس الى تصديق النبي صلى الله عليه وسلم ودخولهم في دينه ونصرته **قوله تعالى**
مثل الذين حملوا التورية هذه قراءة العامة وقرأ زيد بن علي ويحيى بن يعمر حملوا بالتخفيف مبنيا للفاعل **قوله تعالى** كمثل الحمار
هذه قراءة العامة وقرأ عبد الله حمار منكرا وهو في قوة قراءة الباقين لان المراد بالحمار الجنس ولهذا وصف بالجملة بعده كما سيأتي
وقرأ المأمون بن هرون الرشيد يحمل مشددا مبنيا للمفعول والجملة من يحمل او يحمل فيها وجهان اشهرهما انها في موضع الحال
من الحمار والثاني انها في موضع الصفة للحمار لجريانه مجرى النكرة اذ المراد به الجنس قال الزمخشري والجر على الوصف لان الحمار
كاللئيم في قوله • ولقد امر على اللئيم يسبني • وتقدم تحرير هذا وان منعه بعضهم وآية لهم الليل نسلخ وان نسلخ نعت لليل
والجمهور يجعلونه حالا للتعريف اللفظي واما على قراءة عبد الله فالجملة وصف فقط ولا يمتنع ان يكون حالا عند سيبويه والاسفار
جمع سفر وهو الكتاب المجتمع الاوراق **فصل** هذا مثل ضربه الله لليهود لما تركوا العمل بالتورية ولم يؤمنوا
بمحمد صلى الله عليه وسلم حملوا التورية اي كلفوا العمل بها قاله ابن عباس وقال الجرجاني هو من الحمالة بمعنى الكفالة اي ضمنوا احكام
التورية وقوله ثم لم يحملوها لم يعملوا بما فيها ولم يؤدوا حقها كمثل الحمار يحمل اسفارا اي كتب العلم واحدها سفر قال الفراء هي الكتب

العظام لانها تسفر عما فيها من المعاني اذا قريت ونظيره شبر واشبار يعني كما ان الحمار يحملها ولا يدري ما فيها ولا ينتفع بها كذلك اليهود يقرون التورية ولا ينتفعون بها لانهم خالفوا ما فيها قال ميمون بن مهران الحمار لا يدري السفر على ظهره ام زبل فكذلك اليهود وفي هذا تنبيه من الله تعالى لمن حمل الكتاب ان يتعلم معانيه ويعلم ما فيه ويعمل به لئلا يلحقه من الذم ما لحق هؤلاء قال الشاعر • لعمرك ما يدري البعير اذا غدا • باوساقه او راح ما في الغراير •

قوله تعالى بئس مثل القوم فيه اوجه احدها وهو المشهور ان مثل القوم فاعل بئس والمخصوص بالذم الموصول بعده وهذا مشكل لانه لا بد من تصادق فاعل نعم وبئس والمخصوص وهنا المثل ليس القوم الذين المكذبين والجواب انه على حذف مضاف اي بئس مثل القوم مثل الذين كذبوا الثاني ان الذين صفة للقوم فيكون مجرور المحل والمخصوص بالذم محذوف لفهم المعنى تقديره بئس مثل القوم المكذبين مثل هؤلاء وهو قريب من الاول الثالث ان الفاعل محذوف وان مثل القوم هو المخصوص بالذم تقديره بئس المثل مثل القوم ويكون الموصول نعتا للقوم ايضا واليه نحا كلام ابن عطية فانه قال والتقدير بئس المثل مثل القوم وهذا فاسد لانه لا يحذف الفاعل عند البصريين الا في مواضع ثلاثة ليس هذا منها اللهم الا ان يقولوا بقول الكوفيين الرابع ان يكون التمييز محذوفا والفاعل المفسر به مستتر تقديره بئس مثلا مثل القوم واليه نحا كلام الزمخشري فانه قال بئس مثلا مثل القوم فيكون الفاعل مستترا مفسرا بمثلا ومثل القوم هو المخصوص بالذم والموصول صفة له وحذف التمييز وهذا لا يجيزه سيبويه واصحابه البتة نصوا على امتناع حذف التمييز وكيف يحذف وهو مبين **فصل** قال ابن الخطيب فان قيل ما الحكمة في تعيين الحمار من دون ساير الحيوانات فالجواب من وجوه الاول انه تعالى خلق الخيل والبغال والحمير للركوب والزينة كما قال والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة وزينة الخيل اكثر واظهر بالنسبة الى غيره فالبغال فالبلتغ المعاني الثلاثة وحينئذ يكون الحمار في معنى الحمل اظهر واغلب بالنسبة الى الخيل والبغال وغيرهما من الحيوانات وثانيها ان هذا التمثيل لاظهار الجهل والبلادة لاولئك القوم والحمار يمثل به في الجهل والبلادة وان في الحمار من الحقارة ما ليس في غيره من الحيوانات والغرض من الكلام ههنا تحقير القوم وتعييرهم فيكون تعيين الحمار اكد ورابعها ان حمل الاسفار على الحمار اسهل واعم واسهل لسرعة انقياده فانه ينقاد للصبي الصغير من غير كلفة وخامسها ان رعاية الالفاظ والمناسبة من لوازم الكلام وان لفظ الاسفار والحمار مناسبة لفظية لا تكون في غيره من الحيوانات فيكون ذكره اولى **فصل** قال القرطبي معنى الكلام بئس مثل القوم المثل الذي ضربناه لهم فحذف المضاف والله لا يهدي القوم الظالمين الذين ظلموا انفسهم بتكذيب الانبيا يعني من سبق في علمه ان يكون كافرا **قوله تعالى** قل يا ايها الذين هادوا ان زعمتم انكم اوليا لله من دون الناس اي من دون محمد واصحابه لما ادعت اليهود الفضيلة وقالوا نحن ابنا الله واحباؤه قال الله تعالى ان كنتم اولياء الله من دون الناس فالاولياء عند الله الكرامة فتمنوا الموت لتصيروا الى ما تصيرون اليه اوليا لله **قوله تعالى** انكم اوليا سد مسد المفعولين والمفعول على الخلاف ولله متعلق باوليا او بمحذوف نعتا لاوليا ومن دون الناس كذلك **قوله تعالى** فتمنوا الموت جواب الشرط والعامة بضم الواو وهو الاصل في واو الضمير وابن السميفع وابن يعمر وابن ابي اسحق بكسرها وهو اصل التقا الساكنين وابن السميفع ايضا بفتحها وهذا طلب للتخفيف وتقدم نحو في اشتروا الضلالة وحكي الكساي بكسرها ابدال الواو همزة **قوله تعالى** ولا يتمنونه وقال في البقرة ولن يتمنوه قال الزمخشري لا فرق بين لا ولن في ان كل واحد منهما نفي للمستقبل الا ان في لن تاكيدا وتشديدا ليس في لا فاتي مرة بلفظ التاكيد ولن يتمنوه ومرة بغير لفظه ولا يتمنونه قال ابو حيان وهذا رجوع منه عن مذهبه وهو ان لن تقتضي النفي على التابيد الى مذهب الجماعة وهو انها لا تقتضيه قال شهاب الدين وليس فيه رجوع غاية ما فيه انه سكت عنه وتشريكه بين لا ولن في نفي المستقبل لا ينفي اختصاص لن بمعنى آخر وتقدم الكلام على هذا مشبعا في البقرة **فصل** المعنى ولا يتمنونه ابدا بما قدمت ايديهم اي اسلفوه من تكذيب محمد صلى الله عليه وسلم فلو تمنوه لماتوا فكان في ذلك بطلان قولهم وما ادعوه من الولاية قال عليه السلام لما نزلت هذه الاية والذي نفسي بيده لو تمنوا الموت ما بقي على ظهرها يهودي الا مات وفي هذا اخبار عن الغيب ومعجزة للنبي صلى الله عليه وسلم وقد مضى الكلام على هذه الاية في البقرة عند قوله فتمنوا الموت **قوله تعالى** قل ان الموت الذي تفرون منه فانه ملاقيكم في هذه الفاء وجهان احدهما انها داخلة لما تضمنه الاسم من معنى الشرط وحكم الموصوف بالموصول حكم الموصول في ذلك قال الزجاج لا يقال ان زيدا فمنطلق وههنا قال فانه ملاقيكم لما في معنى الذي من الشرط والجزا اي ان فررتم منه فانه ملاقيكم ويكون مبالغة في الدلالة على انه لا ينفع الفرار منه الثاني انها مزيدة محضة لا للتضمن المذكور وافسد هؤلاء القول الاول بوجهين احدهما ان ذلك انما يجوز اذا كان المبتدا او اسم ان موصولا واسم ان هنا ليس بموصول بل موصوفا بالموصول والثاني ان الفرار من الموت لا ينجي منه فلم يشبه الشرط يعني انه متحقق فلم يشبه الشرط الذي هو من شانه الاحتمال واجيب عن الاول بان الموصوف مع صفته كالشيء الواحد ولان الذي لا يكون الا صفة فاذا لم يذكر الموصوف دخلت الفاء والموصوف مراد فكذلك اذا صرح به وعن الثاني بان خلقا كثيرا يظنون ان الفرار من اسباب الموت ينجيهم الى وقت اخر وجوز مكي ان يكون الخبر قوله الذي

تفرون منه ويكون الفا جواب الجملة قال كما يقول زيد منطلق فقم اليه وفيه نظر لانه لا ترتب بين قوله ان الموت الذي تفرون وبين قوله فانه ملاقيكم وليس نظير المامثله قال القرطبي ويجوز ان يتم الكلام عند قوله الذي تفرون منه ثم يبتدي فانه ملاقيكم وقرا زيد بن علي انه بغير فاء وفيها اوجه احدها انه مستانف وحينئذ يكون الخبر نفس الموصول كانه قيل ان الموت هو الشيء الذي تفرون منه قاله الزمخشري الثاني ان الخبر الجملة من قوله انه ملاقيكم وحينئذ يكون الموصول نعتا للموت الثالث ان يكون انه تاكيدا لان الموت لما طال الكلام اكد الحرف تاكيدا لفظيا وقد عرف انه لا يؤكد كذلك الا باعادة ما دخل عليه او باعادة ضميره فاكد باعادة ضمير ما دخلت عليه ان وحينئذ يكون الموصول نعتا للموت وملاقيكم خبره كانه قيل ان الموت انه ملاقيكم وقرا ابن مسعود ملاقيكم من غير فاء فان قيل الموت ملاقيهم على كل حال فروا او لم يفروا فما معنى الشرط والجزا فالجواب ان هذا على جهة الرد عليهم اذ ظنوا ان الفرار ينجيهم ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون وهذا وعيد بليغ وتهديد شديد **قوله تعالى** يا ايها الذين امنوا اذا نودي للصلوة من يوم الجمعة الاية قرا العامة الجمعة بضمتين وقرا عبد الله بن الزبير وزيد بن علي والاعمش وابو حيوة وابو عمرو في رواية بسكون الميم فقيل هي لغة في الاولى وسكنت تخفيفا وهي لغة تميم وقيل هو مصدر بمعنى الاجتماع وقيل لما كان بمعنى المفعول صار كرجل هزاة اي يهزا به فلما كان في الجمعة معنى التجمع اسكن لانه مفعول به في المعنى او يشبهه فصار كهزاة الذي يهزا به قاله مكي وكذا قال ابو البقا هي بمعنى المجتمع فيه مثل رجل ضحكة اي يضحك منه وقال مكي يجوز اسكان الميم استخفافا وقيل هي لغة وقد تقدم انها قراءة وقال ويقرا بفتح الميم على نسبة الفعل اليها كانها تجمع الناس كما يقال رجل لحنة اذا كان يلحن الناس وقراة اذا كان يقري الناس ونقلها قراءة ايضا الزمخشري الا ان الزمخشري جعل الجمعة بالسكون هو الاصل وبالمضموم مخففا منه فقال يوم الجمعة يوم الفوج المجموع كقولهم ضحكة للمضحوك منه ويوم الجمعة بفتح الميم يوم الوقت الجامع كقولهم ضحكة ولعنة ويوم الجمعة تثقيل الجمعة كما قيل عسرة في عسرة وقرئ بهن جميعا وتقديره يوم الوقت الجامع احسن من تقديره الى البقا يوم المكان الجامع لان نسبة الجمع الى الظرفين مجاز فالاولى بقاؤه زمانا على حاله قال القرطبي وجمعها جمع وجمعات وقال ابن عباس نزل القران بالتثقيل والتفخيم فاقرؤها جمعة يعني بضم الميم وقال الفرا وابو عبيدة والتخفيف احسن واقيس نحو غرفة وغرف وطرفة وطرف وحجرة وحجر وفتح الميم لغة بني عقيل وقيل انها لغة النبي صلى الله عليه وسلم **فصل** قال ابن الخطيب قوله للصلوة اي لوقت الصلوة بدليل قوله من يوم الجمعة ولا تكون الصلوة من اليوم وانما يكون وقتها من اليوم **فصل** روي سلمان ان النبي صلى الله عليه وسلم قال انما سميت جمعة لان الله جمع فيها خلق ادم وقيل لان الله تعالى فرغ فيها من خلق كل شيء فاجتمع فيها جميع المخلوقات وقيل لتجمع الجماعات فيها وقيل لاجتماع الناس فيها للصلوة **قوله تعالى** من يوم من هذه بيان لاذا وتفسير لها قاله الزمخشري وقال ابو البقا انها بمعنى في اي في يوم كقوله تعالى اروني ماذا خلقوا من الارض اي في الارض **فصل** قال القرطبي قال ابو سلمة اول من قال اما بعد كعب بن لوي وكان اول من سمى الجمعة جمعة لاجتماع قريش فيه اليه وكان يقال ليوم الجمعة العروبة وقيل اول من سماها جمعة الانصار قال ابن سيرين جمع اهل المدينة من قبل ان يقدمها النبي صلى الله عليه وسلم اعني المدينة وقبل ان تنزل الجمعة وهم الذين سموها الجمعة وذلك انهم قالوا ان لليهود يوما يجمعون فيه في كل سبعة ايام يوم وهو السبت وللنصارى يوم مثل ذلك فتعالوا فلنجمع حتى نجعل يوما لنا نذكر الله فيه ونصلي فيه ونستذكر فقالوا يوم السبت لليهود ويوم الاحد للنصارى فاجعلوه يوم العروبة فاجتمعوا الى اسعد بن زرارة فصلى بهم يومئذ ركعتين وذكرهم فسموه يوم الجمعة حين اجتمعوا فذبح لهم اسعد شاة فتعشوا وتغدوا منها لقلتهم فهذه اول جمعة في الاسلام وروي انهم كانوا اثني عشر رجلا وقال البيهقي وروينا عن موسى بن عقبة عن الزهري ان مصعب بن عمير كان اول من جمع الجمعة بالمدينة للمسلمين قبل ان يقدمها النبي صلى الله عليه وسلم قال البيهقي يحتمل ان يكون مصعب جمع بهم بمعونة اسعد بن زرارة فاضافه كعب اليه وروي عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك عن ابيه كعب انه كان اذا سمع النداء يوم الجمعة ترحم لاسعد بن زرارة فقلت له اما سمعت النداء يوم الجمعة ترحمت لاسعد بن زرارة قال لانه اول من جمع بنا في هزم النبيت من حرة بني بياضة في نقيع يقال له نقيع الخضمات قلت لهم كم يومئذ قال اربعين ذكره البغوي واما اول جمعة جمعها النبي صلى الله عليه وسلم باصحابه فقال اهل السير قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم مهاجرا حتى نزل بقبا على بني عمرو بن عوف يوم الاثنين لاثني عشر ليلة خلت من شهر ربيع الاول حين اشتد الضحى ومن تلك السنة يعد التاريخ فاقام بها الى يوم الخميس واسس مسجدهم ثم خرج يوم الجمعة الى المدينة فادركته الجمعة في بني سالم بن عوف في بطن واد لهم قد اتخذ القوم في ذلك الموضع مسجدا فجمع بهم وخطب وهي اول خطبة بالمدينة وقال الحمد لله واستعينه واستغفره واستهديه واومن به ولا اكفره واعادي من يكفر به واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له واشهد ان محمدا عبده ورسوله ارسله بالهدى ودين الحق والنور والموعظة والحكمة على فترة من الرسل وقلة من العلم وضلالة من الناس وانقطاع

من الزمان ودنو من الساعة وقرب من الاجل من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعص الله ورسوله فقد غوى وفرط
وضل ضلالا بعيدا اوصيكم بتقوى الله فانه خير ما اوصى به المسلم المسلم ان يحضه على الاخرة وان يامره بتقوى الله واحذروا
ما حذركم الله من نفسه فان تقوى الله من عمل به على وجل ومخافة من ربه عون صدق على ما تبغون من الاخرة ومن يصلح الذي
بينه وبين الله من امره في السر والعلانية لا ينوي به الا وجه الله يكن له ذكرا في عاجل امره وذخرا فيما بعد الموت حين يفتقر المرء
الى ما قدم وما كان مما سوى ذلك يود لو ان بينه وبينه امدا بعيدا ويحذركم الله نفسه والله رؤوف بالعباد هو الذي
صدق قوله وانجز وعده لا خلف لذلك فانه يقول ما يبدل القول لدي وما انا بظلام للعبيد فاتقوا الله في عاجل امركم وآجله
في السر والعلانية فانه من يتق الله يكفر عنه سيئاته ويعظم له اجرا ومن يتق الله فقد فاز فوزا عظيما وان تقوى الله يوقي مقته
ويوقي عقوبته ويوقي سخطه وان تقوى الله يبيض الوجوه ويرضي الرب ويرفع الدرجة خذوا بحظكم ولا تفرطوا في جنب الله
فقد علمكم في كتابه ونهج لكم سبيله ليعلم الذين صدقوا ويعلم الكاذبين فاحسنوا كما احسن الله اليكم وعادوا اعداءه وجا
هدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم وسماكم المسلمين ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة ولا حول ولا قوة الا بالله
فاكثروا ذكر الله تعالى واعملوا لما بعد الموت فانه من يصلح ما بينه وبين الله يكفه الله ما بينه وبين الناس ذلك بان الله يقضي
على الناس ولا يقضون عليه ويملك من الناس ولا يملكون منه الله اكبر ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم **فصل**
خاطب الله المؤمنين بالجمعة دون الكافرين تشريفا لهم وتكريما فقال يا ايها الذين آمنوا ثم خصه بالنداء وان كان قد دخل
في عموم قوله تعالى واذا ناديتم الى الصلاة ليدل على وجوبه وتاكيد فرضه وقال بعض العلماء كون الصلاة الجمعة ههنا معلوم
بالاجماع لا من نفس اللفظ وقال ابن العربي وعندي انه معلوم من نفس اللفظ بنكتة وهي قوله من يوم الجمعة وذلك يفيده لان
النداء الذي يختص بذلك اليوم هو نداء تلك الصلاة فاما غيرها فهو عام في سائر الايام ولو لم يكن المراد به نداء الجمعة لما كان
لتخصيصه بها واضافته اليها معنى ولا فائدة **فصل** كان الاذان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم كما في سائر
الصلوات مؤذن واحد اذا جلس النبي صلى الله عليه وسلم على المنبر وكذلك فعل ابو بكر وعمر وعلي بالكوفة ثم زاد عثمان على المنبر اذانا
ثانيا على داره التي تسمى الزوراء حين كثر الناس بالمدينة فاذا سمعوا اقبلوا حتى اذا جلس عثمان على المنبر اذن مؤذن رسول الله
صلى الله عليه وسلم ثم يخطب عثمان اخرجه ابن ماجه في سننه وقال الماوردي فاما الاذان الاول فمحدث فعله عثمان
ابن عفان ليتاهب الناس لحضور الخطبة عند اتساع المدينة وكثرة اهلها وقد كان عمر رضي الله عنه امر ان يؤذن في السوق قبل
المسجد ليقوم الناس عن بيوعهم فاذا اجتمعوا اذن في المسجد فجعله عثمان رضي الله عنه اذانين في المسجد قال ابن العربي وفي الحديث
الصحيح ان الاذان كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم واحدا فلما كان زمن عثمان زاد النداء الثالث على الزوراء وسماه في الحديث
ثالثا لانه اضافه الى الاقامة لقوله عليه السلام بين كل اذانين صلاة لمن شاء يعني الاذان والاقامة وتوهم بعض الناس انه اذان اصلي
فجعلوا المؤذنين ثلاثة فكان وهما ثم جمعوهم في وقت واحد فكان وهما على وهم **قوله تعالى** فاسعوا الى ذكر الله قيل
المراد بالسعي هنا القصد قال الحسن والله ما هو سعي على الاقدام ولكنه سعي بالقلوب والنية وقال الجمهور السعي العمل لقوله تعالى ومن
اراد الاخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن وقوله ان سعيكم لشتى وقوله وان ليس للانسان الا ما سعى والمعنى فاعملوا على المضي الى ذكر الله
واشتغلوا باسبابه من الغسل والتطهر والتوجه اليه وقيل المراد به السعي على الاقدام وذلك فضل وليس بشرط لقوله عليه السلام
من اغبرت قدماه في سبيل الله حرمه الله على النار قال القرطبي ويحتمل ظاهره وجها رابعا وهو الجري والاشتداد قال ابن العربي
وهو الذي انكره الصحابة والفقهاء الاقدمون فقراها عمر فامضوا الى ذكر الله فرارا عن طريق الجري والاشتداد الذي يدل
عليه الظاهر وقرا ابن مسعود كذلك وقال لو قرات فاسعوا لسعيت حتى سقط ردائي وقال ابن شهاب فامضوا الى ذكر الله
سالكا تلك السبيل وهو كله تفسير منهم لا قراءة قرآن منزل وجائز قراءة القرآن بالتفسير في معرض التفسير قال ابو بكر الانباري
وقد احتج من خالف المصحف بقراءة عمر وابن مسعود وان خرشة بن الحر قال راني عمر رضي الله عنه ومعي قطعة فيها فاسعوا الى
ذكر الله فقال لي عمر من اقراك هذا قلت ابي فقال ان ابيا اقرانا للمنسوخ ثم قرا عمر فامضوا الى ذكر الله وقال الفراء وابو عبيدة معنى
السعي في الاية المضي واحتج الفراء بقولهم هو يسعى في البلاد يطلب فضل الله واحتج ابو عبيدة بقول الشاعر
اسعى على حي بني مالك كل امرئ في شانه ساع • فهل يحتمل السعي في هذا البيت الا مذهب المضي بالانكماش ومحال ان يخفى هذا المعنى على ابن مسعود
وعلى فصاحته واتقان عربيته قال القرطبي ومما يدل على ان المراد هنا العدو قوله عليه السلام اذا اقيمت الصلاة فلا تاتوها
وانتم تسعون ولكن ائتوها وعليكم السكينة قال الحسن اما والله ما هو بالسعي على الاقدام ولقد نهوا ان ياتوا الصلاة الا وعليهم
السكينة والوقار ولكن بالقلوب والنية والخشوع وقال قتادة السعي ان تسعى بقلبك وعملك **فصل** هذه الاية
خطاب للمكلفين بالاجماع ويخرج منه المرضى والزمنى والمسافرون والعبيد والنساء بالدليل والعميان والشيخ الذي لا يمشي الا بقائد
عند ابي حنيفة لما روى الدارقطني عن ابي الزبير عن جابر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من كان يؤمن بالله واليوم الاخر فعليه

الجمعة يوم الجمعة الا مريض او مسافر او امراة او صبي او مملوك فمن استغنى بلهو او تجارة استغنى الله عز وجل عنه والله
غني حميد قال العلماء لا يتخلف احد عن الجمعة ممن عليه اتيانها الا بعذر لا يمكنه معه الاتيان اليها كالمرض الحابس او خوف
الزيادة في المرض او خوف جور السلطان عليه في مال او بدن دون القضاء عليه بحق والمطر الوابل مع الوحل عذر ان وروي ذلك
عن مالك انه ليس بعذر ومن له ولي حميم قد حضرته الوفاة ولم يكن عنده من يقوم بامره فهو معذور وقد فعل ذلك ابن عمر
ومن تخلف عنها لغير عذر فصلى قبل الامام اعاد ولا يجزيه ان يصلي قبله وهو عاص في تخلفه مع امكانه **فصل**
وجوب السعي يختص بالقريب الذي يسمع النداء فانه يجب عليه السعي واختلف الناس في القريب والبعيد فقال ابن عمر وابو هريرة
وانس تجب الجمعة على من كان في المصر على ستة اميال وقال ربيعة اربعة اميال وقال مالك والليث ثلاثة اميال وقال الشافعي
اعتبار سماع الاذان ان يكون المؤذن صيتا والاصوات هادئة والريح ساكنة وموقف المؤذن عند سور البلد وروت عائشة
ان الناس كانوا ينتابون الجمعة من منازلهم ومن العوالي فياتون في العباء ويصيبهم الغبار فيخرج منهم الريح فقال النبي صلى الله
عليه وسلم لو اغتسلتم ليومكم هذا قال العلماء والصوت اذا كان رفيعا والناس في هدو وسكون فاقصى سماع الصوت ثلاثة اميال
والعوالي من المدينة اقربها على ثلاثة اميال وقال احمد بن حنبل واسحق تجب الجمعة على من سمع النداء لقوله عليه السلام انما الجمعة على
من سمع النداء وقال ابو حنيفة واصحابه تجب الجمعة على من في المصر سمع النداء او لم يسمعه ولا تجب على من هو خارج المصر وان سمع
النداء حتى سئل هل تجب على اهل زبارة وهي بينها وبين الكوفة مجرى نهر فقال لا وروي عن ربيعة ايضا انها تجب على من اذا سمع
النداء وخرج من بيته ماشيا ادرك الصلاة **فصل** دلت هذه الاية على ان الجمعة لا تجب الا بالنداء والنداء لا يكون
الا بدخول الوقت لقوله عليه السلام اذا حضرت الصلاة فليؤذن احدكما وليؤمكما اكبركما وروى انس بن مالك ان النبي صلى الله عليه
وسلم كان يصلي الجمعة حين تميل الشمس وروي عن ابي بكر الصديق واحمد بن حنبل انها تصلى قبل الزوال واستدل احمد بحديث
سلمة بن الاكوع كنا نصلي مع النبي صلى الله عليه وسلم ثم ننصرف وليس للحيطان ظل وبحديث ابن عمر ما كنا نقيل ولا نتغدى الا
بعد الجمعة واخرج مسلم مثله عن سهل قال القرطبي وحديث سلمة محمول على التبكير لقول سلمة كنا نجمع مع النبي صلى الله عليه
وسلم اذا زالت الشمس ثم نرجع فنتتبع الفيء **فصل** نقل عن بعض الشافعية ان الجمعة فرض على الكفاية وجمهور الامة
على انها فرض عين لقوله تعالى اذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله وذروا البيع وقال عليه السلام لينتهين اقوام
عن ودعهم الجمعات او ليختمن الله على قلوبهم ثم ليكونن من الغافلين وروى ابن ماجه في سننه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ترك
الجمعة ثلاث مرات طبع الله على قلبه اسناده صحيح وقال ابن العربي ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الرواح الى الجمعة واجب
على كل مسلم **فصل** اختلفوا في العدد الذي تنعقد به الجمعة فذهب قوم الى ان كل قرية اجتمع فيها اربعون رجلا احرارا
عاقلين مقيمين لا يظعنون عنها شتاء ولا صيفا الا ظعن حاجة يجب عليهم اقامة الجمعة فيها وهو قول عبيد الله بن عبد الله وعمر بن
عبد العزيز وبه قال الشافعي واحمد واسحق قالوا لا تنعقد الجمعة باقل من اربعين رجلا على هذه الصفة وشرط عمر بن عبد العزيز
مع الاربعين ان يكون فيهم وال وعند ابي حنيفة تنعقد باربعة والوالي شرط وقال الاوزاعي وابو يوسف تنعقد بثلاثة اذا
كان فيهم وال وقال الحسن وابو ثور تنعقد باثنين كسائر الصلوات وقال ربيعة تنعقد باثني عشر رجلا **فصل**
اذا اجتمع العيد والجمعة سقط فرض الجمعة عند احمد لتقدم العيد عليها واشتغال الناس به عنها ولما روي ان عثمان اذن
في عيد لاهل العوالي ان يتخلفوا عن الجمعة وقال غيره لا تسقط فرض الجمعة لان الامر بالسعي متوجه يوم العيد لتوجهه
في سائر الايام وقول الصحابي ليس بحجة اذا خولف فيه ولم يجمع معه عليه وفي صحيح مسلم عن النعمان بن بشير قال كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرا في العيدين وفي الجمعة سبح اسم ربك الاعلى وهل اتاك حديث الغاشية قال واذا
اجتمع العيد والجمعة في يوم واحد يقرا بهما ايضا في الصلاتين اخرجه ابو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه
قوله تعالى الى ذكر الله اي الصلاة وقيل الخطبة والمواعظ قاله سعيد بن جبير قال ابن العربي والصحيح انه واجب
في الجميع لانه يحرم البيع ولولا وجوبها ما حرمته لان المستحب لا يحرم المباح قال القرطبي واذا قلنا ان المراد بالذكر الصلاة
فالخطبة من الصلاة والعبد يكون ذاكرا لله بفعله كما يكون مسبحا لله بفعله قال الزمخشري فان قلت كيف يفسر ذكر الله بالخطبة
وفيها غير ذلك قلت ما كان من ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم والثناء عليه وعلى خلفائه الراشدين واتقياء المؤمنين
والموعظة والتذكير فهو في حكم ذكر الله فاما ما عدا ذلك من ذكر الظلمة والقابهم والثناء عليهم والدعاء لهم وهم احقاء بعكس ذلك
فصل ذهب بعضهم الى انه اذا اصبح يوم الجمعة مقيما فلا يسافر حتى يصلي الجمعة وذهب بعضهم الى الجواز لما روي
ابن عباس قال بعث النبي صلى الله عليه وسلم عبد الله بن رواحة في سرية فوافق ذلك يوم الجمعة فغدا اصحابه وقال اتخلف فاصلي
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم الحقهم فلما صلى مع النبي صلى الله عليه وسلم راه فقال ما منعك ان تغدو مع اصحابك
قال اردت ان اصلي معك ثم الحقهم فقال لو انفقت ما في الارض جميعا ما ادركت فضل غدوتهم وسمع عمر بن الخطاب رجلا عليه اهبة

السفر يقول لولا ان اليوم يوم الجمعة لخرجت فقال له عمر اخرج فان الجمعة لا تحبس عن سفر **قوله تعالى** وذروا البيع
يدل على تحريم البيع في وقت الجمعة على من كان مخاطبا بفرضها والبيع لا يخلو عن شراء فاكتفى بذكر احدهما كقوله تعالى
سرابيل تقيكم الحر وسرابيل تقيكم بأسكم وخص البيع لانه اكثر ما يشتغل به اصحاب الاسواق ومن لا يجب عليه حضور الجمعة فلا ينهى
عن البيع والشراء وفي وقت التحريم قولان احدهما انه من بعد الزوال الى الفراغ منها قاله الضحاك والحسن وعطا والثاني
انه من وقت اذان الخطبة الى وقت الصلوة قاله الشافعي قال القرطبي ومذهب مالك ان البيع يفسخ اذا نودي للصلوة
ولا يفسخ العتق والنكاح والطلاق وغيره اذ ليس من عادة الناس اشتغالهم به كاشتغالهم بالبيع قالوا وكذلك الشركة
والهبة والصدقة نادر لا يفسخ وقال ابن العربي والصحيح فسخ الجميع لان البيع انما منع منه للاشتغال به فكل امر يشغل عن الجمعة
من العقود كلها فهو حرام شرعا مفسوخ وحمل بعضهم النهي على الندب لقوله تعالى ذلكم خير لكم وهو مذهب الشافعي فان البيع عنده
ينعقد ولا يفسخ وقال الزمخشري ان عامة العلماء على ان ذلك النهي لا يؤدي الى فساد البيع قالوا لان البيع لم يحرم لعينه ولكن
لما فيه من الذهول عن الواجب فهو كالصلوة في الدار المغصوبة والثوب المغصوب والوضوء بماء مغصوب قال القرطبي والصحيح
فساده وفسخه لقوله عليه السلام كل عمل ليس عليه امرنا فهو رد اي مردود ثم قال ذلكم اي ذلك الذي ذكرت من حضور
الجمعة وترك البيع خير لكم من المبايعة ان كنتم تعلمون مصالح انفسكم **قوله تعالى** فاذا قضيت الصلوة فانتشروا في الارض
هذا امر اباحة كقوله تعالى فاذا حللتم فاصطادوا والمعنى اذا فرغتم من الصلوة فانتشروا في الارض للتجارة والتصرف
في حوائجكم وابتغوا من فضل الله اي من رزقه وكان عراك بن مالك اذا صلى الجمعة انصرف فوقف على باب المسجد فقال اللهم اني
اجبت دعوتك وصليت فريضتك وانتشرت كما امرتني فارزقني من فضلك وانت خير الرازقين وقال جعفر بن محمد في قوله تعالى
وابتغوا من فضل الله انه العمل في يوم السبت وقال سعيد بن المسيب طلب العلم وقيل صلوة التطوع وعن ابن عباس لم يؤمروا بطلب شيء
من الدنيا انما هي عيادة المرضى وحضور الجنائز وزيارة الاخ في الله تعالى **فصل** في فضل يوم الجمعة احاديث كثيرة منها
ما روي عن ابي هريرة قال خرجت الى الطور فلقيت كعب الاحبار فجلست معه فحدثني عن التورية وحدثته عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم فكان فيما حدثته ان قلت له قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة فيه خلق آدم
وفيه هبط وفيه مات وفيه تيب عليه وفيه تقوم الساعة وما من دابة الا وهي مسيخة يوم الجمعة من حين تصبح حتى تطلع الشمس
شفقا من الساعة الا الجن والانس وفيه ساعة لا يصادفها عبد مسلم وهو يصلي يسأل الله شيئا الا اعطاه اياه قال كعب ذلك في كل
سنة يوم فقلت بل في كل جمعة قال فقرأ كعب التورية فقال صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابو هريرة ثم لقيت عبد الله
بن سلام فحدثته بمجلسي مع كعب الاحبار وما حدثته في يوم الجمعة قال عبد الله بن سلام قد علمت اية ساعة هي هي في آخر
ساعة في يوم الجمعة قال ابو هريرة وكيف يكون آخر ساعة في يوم الجمعة وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يصادفها عبد مسلم
وهو يصلي وتلك الساعة لا يصلى فيها فقال عبد الله بن سلام الم يقل رسول الله صلى الله عليه وسلم من جلس مجلسا ينتظر الصلوة
فهو في صلوة حتى يصليها قال ابو هريرة بلى قال فهو ذاك وقال عليه السلام من اغتسل يوم الجمعة واستن ومس طيبا ان كان عنده
ولبس من احسن ثيابه ثم خرج حتى يأتي المسجد فلم يتخط رقاب الناس ثم ركع ما شاء الله ان يركع وانصت اذا خرج الامام كانت
كفارة ما بينها وبين الجمعة الاخرى التي كانت قبلها وقال ابو هريرة وزيادة ثلاثة ايام لان الله تعالى يقول من جاء بالحسنة
فله عشر امثالها وروى ابو هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كان يوم الجمعة كان على كل باب من ابواب المسجد
ملائكة يكتبون الناس على منازلهم الاول فالاول فاذا خرج الامام طويت الصحف واستمعوا الخطبة وقال من اغتسل يوم الجمعة
ثم راح في الساعة الاولى فكانما قرب بدنة ومن راح في الساعة الثانية فكانما قرب بقرة ومن راح في الساعة الثالثة فكانما
قرب كبشا اقرن ومن راح في الساعة الرابعة فكانما قرب دجاجة ومن راح في الساعة الخامسة فكانما قرب بيضة فاذا خرج
الامام حضرت الملائكة يستمعون الذكر **قوله تعالى** واذكروا الله كثيرا اي بالطاعة واللسان وبالشكر على ما انعم به عليكم
من التوفيق لاداء فرائضه لعلكم تفلحون كي تفلحوا قال سعيد بن جبير الذكر طاعة الله فمن اطاع الله فقد ذكره ومن لم يطعه
فليس بذاكر وان كان كثير التسبيح قال ابن الخطيب فان قيل ما الفرق بين ذكر الله اولا وذكر الله ثانيا فالجواب ان الاول
ما لا يجتمع مع التجارة اصلا اذ المراد منه الخطبة والصلوة والثاني من جملة ما يجتمع مع التجارة كما في قوله تعالى رجال لا تلهيهم
تجارة ولا بيع عن ذكر الله **قوله تعالى** واذا رأوا تجارة او لهوا انفضوا اليها روى مسلم عن جابر بن عبد الله ان النبي صلى الله
عليه وسلم كان يخطب قائما يوم الجمعة فجاءت عير من الشام فانفتل الناس اليها حتى لم يبق الا اثنا عشر رجلا وفي رواية انا فيهم
فنزلت هذه الآية واذا رأوا تجارة او لهوا انفضوا اليها وتركوك قائما وذكر الكلبي وغيره ان الذي قدم بها دحية بن خليفة الكلبي
من الشام من مجاعة وغلاء سعر وكان معه جميع ما يحتاج اليه الناس من بر ودقيق وغيره فنزل عند احجار الزيت وضرب بالطبل
ليؤذن الناس بقدومه فخرج الناس الا اثنا عشر رجلا وقيل احد عشر رجلا وحكى البغوي قال [illegible]

قال الكلبي

قال الكلبي وكانوا في خطبة الجمعة فانفضوا اليه وبقي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثمانية رجال وحكاه الثعلبي
عن ابن عباس وذكر الدارقطني من حديث جابر قال بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب يوم الجمعة اذ اقبلت عير تحمل الطعام
حتى نزلت بالبقيع فالتفتوا اليها وانفضوا اليها وتركوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس معه الا اربعين رجلا وانا فيهم
قال وانزل الله تعالى على النبي صلى الله عليه وسلم واذا رأوا تجارة او لهوا انفضوا اليها وتركوك قائما قال الدارقطني لم يقل في هذا
الاسناد الا اربعين رجلا غير علي بن عاصم عن حصين وخالفه اصحاب حصين فقالوا لم يبق مع النبي صلى الله عليه وسلم الا اثنا عشر
رجلا واحتج بهذا الحديث من يرى ان الجمعة تنعقد باثني عشر رجلا وليس فيه بيان انه اقام بهم الجمعة وذكر الزمخشري ان النبي عليه السلام
قال والذي نفسي بيده لو خرجوا جميعا لاضرم الله الوادي عليهم نارا وروي في حديث مرسل عن اسد بن عمرو والد اسد بن موسى بن اسد
وفيه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يبق معه الا ابو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير وسعد بن ابي وقاص وعبد الرحمن بن عوف
وابو عبيدة بن الجراح وسعيد بن زيد وبلال وعبد الله بن مسعود في احدى الروايتين وفي الرواية الاخرى عمار بن ياسر
قال القرطبي ولم يذكر جابرا وذكر مسلم انه كان فيهم والدارقطني ايضا فيكونون ثلاثة عشر وان كان عبد الله بن مسعود فيهم
فهم اربعة عشر وروى البغوي قال وكان ذلك قبل ان يسلم دحية قال فخرج الناس اليه ولم يبق في المسجد الا اثنا عشر رجلا وامرأة
فقال النبي صلى الله عليه وسلم كم بقي في المسجد فقالوا اثنا عشر رجلا وامرأة فقال النبي صلى الله عليه وسلم لولا هؤلاء لقد
سومت لهم الحجارة من السماء فانزل الله هذه الآية **فصل** وذكر ابو داود في مراسيله السبب الذي ترخصوا لاجله في
ترك سماع الخطبة وقد كانوا خليقا لفضلهم ان لا يفعلوا فقال حدثنا محمود بن خالد قال حدثنا الوليد قال اخبرني ابو معاذ
بكير بن معروف انه سمع مقاتل بن حيان قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي الجمعة قبل الخطبة مثل العيدين حتى كان
يوم جمعة والنبي صلى الله عليه وسلم يخطب وقد صلى الجمعة فدخل رجل يقال له دحية بن خليفة قدم بتجارته وكان دحية
اذا قدم تلقاه اهله بالدفوف فخرج الناس فلم يظنوا الا انه ليس في ترك الخطبة شيء فانزل الله عز وجل واذا رأوا تجارة
او لهوا انفضوا اليها فقدم النبي صلى الله عليه وسلم الخطبة يوم الجمعة واخر الصلوة فكان لا يخرج احد لرعاف او احداث
بعد النهي حتى يستأذن النبي صلى الله عليه وسلم يشير اليه باصبعه التي تلي الابهام فيأذن له النبي صلى الله عليه وسلم ثم يشير اليه
بيده فكان في المنافقين من يثقل عليه الخطبة والجلوس في المسجد فكان اذا استأذن رجل من المسلمين قام المنافق الى جنبه مستترا
به حتى يخرج فانزل الله تعالى قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لواذا الآية قال السهيلي وهذا الخبر وان لم ينقل من وجه ثابت
فالظن الجميل باصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يوجب ان يكون صحيحا والله اعلم وقال قتادة وبلغنا انهم فعلوا ذلك ثلاث مرات كل مرة عير
تقدم من الشام وكل ذلك يوافق يوم الجمعة وقيل ان خروجهم لقدوم دحية الكلبي بتجارته ونظرهم الى العير تمر لهوا لا فائدة فيه
الا انه كان مما لا اثم فيه لو وقع على ذلك الوجه ولكنه لما اتصل به الاعراض عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والانفضاض عن حضرته
غلظ وكبر ونزل فيه من القرآن وتهجينه باسم اللهو ما نزل **قوله تعالى** انفضوا اليها اعاد الضمير على التجارة دون اللهو لانها
الاهم في السبب قال ابن عطية وقال اليها ولم يقل اليهما تهمما بالاهم اذ كانت هي سبب اللهو ولم يكن اللهو سببها وتامل ان قدمت
التجارة على اللهو في الرؤية لانها اهم واخرت مع التفضيل لتقع النفس على الاعلى الاهم انتهى وفي قوله ولم يقل اليهما ثم اجاب بما ذكر
نظر لان العطف باو ولا يثنى معه الضمير ولا الخبر ولا الحال ولا الوصف لانها لاحد الشيئين ولذلك تأول الناس ان يكن غنيا
او فقيرا فالله اولى بهما كما تقدم في موضعه وانما الجواب عنه انه وحد الضمير لان العطف باو وانما جيء بضمير التجارة دون ضمير اللهو
وان كان جائزا للاهتمام كما قاله ابن عطية وغيره وقال الزمخشري قريبا من ذلك فانه قال فان قلت كيف قال اليها
وقد ذكر شيئين قلت تقديره اذا رأوا تجارة انفضوا اليها او لهوا انفضوا اليه فحذف احدهما لدلالة المذكور عليه وكذلك
قراءة من قرأ انفضوا اليه انتهى فقوله قلت تقديره الى آخره يشعر بانه كان من حق الكلام ان يثنى الضمير ولكنه حذف وفيه ما تقدم من ان
المانع من ذلك امر صناعي وهو العطف باو وقرأ ابن ابي عبلة اليه اعاد الضمير الى اللهو وقد نص على جواز ذلك الاخفش سماعا عن
العرب نحو اذا جاءك زيد وهند فاكرمه وان شئت فاكرمها وقرأ بعضهم اليهما بالتثنية وتخريجها كتخريج ان يكن غنيا
او فقيرا كما تقدم تحريره والمراد باللهو الطبل وقيل كانت العير اذا اقبلت وقدمت المدينة استقبلوها بالتصفيق والتصفير
قوله تعالى وتركوك قائما جملة حالية من فاعل انفضوا وقد مقدرة عند بعضهم **فصل** الخطبة فريضة في صلوة
الجمعة ويجب ان يخطب قائما فان هذه الآية تدل على ان القيام شرط في الخطبة ويخطب متوكئا على قوس او عصا لما
روى ابن ماجة في سننه ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا خطب في الحرب خطب على قوس واذا خطب في الجمعة خطب على
عصا وان يخطب على منبر لانه ابلغ في اعلام الحاضرين ويسلم اذا صعد المنبر على الناس لما روى ابن ماجة عن جابر بن عبد الله
ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا صعد المنبر سلم ولم ير ذلك مالك وهل يشترط الطهارة للخطبة فيه قولان مبنيان على
ان الجمعة ظهر مقصورة او فريضة مستقلة فان قيل انها ظهر مقصورة فقيل الخطبتان عوض من الركعتين الاخيرتين

وعلى هذا فيشترط لهما الطهارة وان قيل بانها فريضة مستقلة فالخطبة فيها وعظ وتذكير وذلك لا يشترط
له طهارة واقل ما يجزي في الخطبة ان يحمد الله تعالى ويصلي على النبي صلى الله عليه وسلم ويوصي بتقوى الله ويقرا آية
من القران وكذلك في الخطبة الثانية الا ان الواجب بدلا من قراءة الآية الدعا في اكثر الفقها وقال ابو حنيفة لو اقتصر
على التحميد او التسبيح اجزاه وقال ابو يوسف ومحمد الواجب ما يقع وله اسم خطبة قال ابن عبد البر وهذا اصح ما قيل في ذلك
قال القرطبي والسكوت للخطبة واجب على من سمعها وجوب سنة **قوله تعالى** ما عند الله خير ما موصولة مبتدا وخير
خبرها والمعنى ما عند الله من ثواب صلاتكم خير من لذة لهوكم وفائدة تجارتكم وقيل ما عند الله من رزقكم الذي قسمه لكم خير مما
اصبتموه من لهوكم وتجارتكم وقرا ابو رجا العطاردي قل ما عند الله خير من اللهو ومن التجارة للذين امنوا والله خير الرازقين
اي خير من رزق واعطى فمنه فاطلبوا واستعينوا بطاعته على نيل ما عنده من خير الدنيا والاخرة قال ابن الخطيب قوله والله خير
الرازقين من قبيل احكم الحاكمين واحسن الخالقين والمعنى ان امكن وجود الرازقين فهو خير الرازقين وقيل لفظ الرازق لا
يطلق على غيره الا بطريق المجاز فان قيل التجارة واللهو من قبيل ما لا يرى فكيف يصح قوله واذا راوا تجارة او لهوا والجواب
ليس المراد الا ما يقرب منه للهو والتجارة كقوله حتى يسمع كلام الله والكلام غير مسموع روى الثعلبي عن ابي بن كعب قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الجمعة كتب له عشر حسنات بعدد من ذهب الى الجمعة من مصر من امصار المسلمين ومن لم يذهب

سورة المنافقون

مدنية وهي احدى عشرة آية ومائة وثمانون كلمة وسبع مائة وستة وسبعون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم
قوله تعالى اذا جاءك المنافقون اذا شرط قيل جوابه قالوا وقيل محذوف وقالوا حال اي اذا جاءك قائلين كيت وكيت
فلا تقبل منهم وقيل الجواب اتخذوا ايمانهم جنة وهو بعيد وقالوا ايضا حال **فصل** قال ابن الخطيب وجه تعلق
هذه السورة بما قبلها هو ان تلك السورة مشتملة على ذكر بعثة الرسول وذكر من كان يكذبه قلبا ولسانا فضرب لهم المثل
بقوله مثل الذين حملوا التوراة وهذه السورة مشتملة على ذكر من كان يكذبه قلبا دون اللسان ويصدقه لسانا دون القلب واما
الاول بالآخر فبين في آخر تلك السورة تنبيه للمؤمنين على تعظيم الرسول عليه السلام ورعاية حقه بعد النداء لصلوة الجمعة وتقديم
متابعته على غيره فان ترك التعظيم والمتابعة من سيم المنافقين والمنافقون هم الكاذبون **فصل** روى البخاري
عن زيد بن ارقم قال كنت مع عمي فسمعت عبد الله بن ابي بن سلول يقول لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا وقال لئن رجعنا
الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل فذكرت ذلك لعمي فذكر عمي لرسول الله صلى الله عليه وسلم فارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم
الى عبد الله بن ابي واصحابه فحلفوا ما قالوا فصدقهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذبني فاصابني هم لم يصبني مثله فجلست في بيتي
فانزل الله عز وجل اذا جاءك المنافقون الى قوله هم الذين يقولون لا تنفقوا على من عند رسول الله وقوله ليخرجن الاعز منها الاذل
فارسل الي رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال ان الله قد صدقك وروى الترمذي عن زيد بن ارقم قال غزونا مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم وكان معنا اناس من الاعراب فكنا نبتدر الماء وكان الاعراب يسبقونا فيسبق الاعرابي اصحابه فيملا الحوض ويجعل
حوله حجارة ويجعل النطع عليه حتى يجي اصحابه قال فاتى رجل من الانصار اعرابيا فارخى زمام ناقته لتشرب فابى ان يدعه فانتزع
حجرا ففاض الماء فرفع الاعرابي خشبة فضرب بها راس الانصاري فشجه فاتى عبد الله بن ابي راس المنافقين فاخبره وكان من اصحابه
فغضب عبد الله بن ابي ثم قال لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا من حوله يعني الاعراب وكانوا يحضرون رسول الله صلى الله
عليه وسلم عند الطعام فقال عبد الله اذا انفضوا من عند محمد فاتوا محمدا بالطعام فلياكل هو ومن عنده ثم قال لاصحابه
لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل قال زيد وانا ردف عمي فسمعت عبد الله بن ابي فاخبرت عمي فانطلق واخبر رسول
الله صلى الله عليه وسلم فارسل اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فحلف وجحد قال فصدقه رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذبني
قال فجاء عمي الي فقال ما اردت الى ان مقتك رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذبك والمنافقون قال فوقع علي من جراتهم
ما لم يقع على احد قال فبينما انا اسير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر قد خفقت براسي من الهم اذ اتاني رسول الله صلى الله
عليه وسلم فعرك اذني وضحك في وجهي فما كان يسرني ان لي بها الخلد في الدنيا ثم ان ابا بكر لحقني فقال ما قال لك رسول
الله صلى الله عليه وسلم قلت ما قال لي شيئا الا انه عرك اذني وضحك في وجهي فقال ابشر ثم لحقني عمر فقلت له مثل قولي لابي بكر
فلما اصبحنا قرا رسول الله صلى الله عليه وسلم سورة المنافقين قال الترمذي هذا حديث حسن صحيح **فصل**
سئل حذيفة بن اليمان عن المنافق فقال الذي يصف الاسلام ولا يعمل به وروى ابو هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال آية

المنافق ثلاث اذا حدث كذب واذا وعد اخلف واذا ائتمن خان وروى عبد الله بن عمرو ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اربع من
كن فيه كان منافقا خالصا ومن كانت فيه خصلة واحدة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها اذا ائتمن خان واذا حدث
كذب واذا عاهد غدر واذا خاصم فجر وروي عن الحسن انه ذكر له هذا الحديث فقال ان بني يعقوب حدثوا فكذبوا ووعدوا فاخلفوا
وائتمنوا فخانوا انما هذا القول من النبي صلى الله عليه وسلم على سبيل الانذار للمسلمين والتحذير لهم ان يعتادوا هذه الخصال شفقا
ان تفضي بهم الى النفاق وليس المعنى ان من ندرت منه هذه الخصال من غير اختيار واعتياد انه منافق وقال عليه السلام المومن اذا حدث
صدق واذا وعد انجز واذا ائتمن وفى والمعنى المومن الكامل اذا حدث صدق **قوله تعالى** نشهد يجري مجرى القسم كفعل العلم
واليقين ولذلك تلقيت بما يتلقى به القسم في قوله انك لرسول الله وفي قوله ولقد علمت لتاتين منيتي ان المنايا لا تطيش سهامها
وقد تقدم الخلاف في الصدق والكذب واستدلالهم بهذه الاية والجواب عنها في اول البقرة وقال القرطبي ههنا قيل معنى نشهد
نحلف فعبر عن الحلف بالشهادة لان كل واحد من الحلف والشهادة اثبات لامر مغيب ومنه قول قيس بن ذريح • واشهد عند الله اني احبها
فهذا لها عندي فما عندها ليا • ونظيره قول الملاعن اشهد بالله قال الزمخشري والشهادة تجري مجرى الحلف في التوكيد يقول
الرجل اشهد واشهد بالله واعزم واعزم بالله في موضع اقسم واولي وبه استشهد ابو حنيفة على ان اشهد يمين ويحتمل ان يكون ذلك
محمولا على ظاهره انهم يشهدون ان محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم اعترافا بالايمان ونفيا للنفاق عن انفسهم وهو الاشبه **قوله تعا**
والله يعلم جملة معترضة بين قوله نشهد انك لرسول وبين قوله والله يشهد لفايدة وقال الزمخشري لو قال قالوا نشهد انك لرسول الله
والله يشهد انهم لكاذبون لكان يوهم ان قولهم هذا كذب فوسط بينهما قوله والله يعلم انك لرسوله ليميط هذا الايهام قال القرطبي والله
يعلم انك لرسوله كما قالوا بالسنتهم والله يشهد ان المنافقين لكاذبون بضمائرهم فالتكذيب راجع الى الضماير وهذا يدل على ان
الايمان تصديق القلب وعلى ان الكلام الحقيقي كلام القلب ومن قال شيئا واعتقد خلافه فهو كاذب وقيل اكذبهم الله في ايمانهم وهو
قوله يحلفون بالله انهم لمنكم قال ابن الخطيب فان قيل لو قالوا نعلم انك لرسول الله هل يفيد ما افاد قولهم نشهد فالجواب لا لان قولهم
نشهد انك لرسول الله صريح في اثبات الشهادة على الرسالة وقولهم نعلم ليس بصريح في ذلك **قوله تعالى** اتخذوا ايمانهم جنة قد تقدم
انه يجوز ان يكون جوابا للشرط ويجوز ان يكون مستانفا جيء به لبيان كذبهم وحلفهم عليه اي ان الحامل لهم على الايمان اتقاؤهم بها عن
انفسهم والعامة على فتح الهمزة جمع يمين والحسن بكسرها مصدرا وتقدم مثله في المجادلة والجنة الترس ونحوه وكل ما يقيك سوءا
ومن كلام الفصحاء • جبة البرد جنة البرد • وقال اعشى همدان • اذا انت لم تجعل لعرضك جنة • من المال سار الذم كل مسير •
فصل قال القرطبي ومعنى اتخذوا ايمانهم جنة اي سترة وليس يرجع الى قوله نشهد انك لرسول الله وانما يرجع الى سبب
الاية التي نزلت عليه حسب ما ذكره البخاري والترمذي عن ابن ابي انه حلف ما قال وقد قال وقال الضحاك يعني حلفهم بالله انهم
لمنكم وقيل يعني بايمانهم ما اخبر الرب عنهم في سورة براءة في قوله يحلفون بالله ما قالوا **فصل** قال القرطبي من قال اقسم
بالله او اشهد بالله او اعزم بالله او احلف بالله او اقسمت او شهدت او عزمت او حلفت وقال في كل ذلك كله بالله فلا خلاف انها يمين
وكذلك عند مالك واصحابه ان قال اقسم او اشهد او اعزم او احلف ولم يقل بالله اذا اراد بالله وان لم يرد بالله فليس بيمين وقال
ابو حنيفة واصحابه لو قال اشهد بالله لقد كان كذا كان يمينا ولو قال اشهد لقد كان كذا دون النية كان يمينا لهذه الاية لان الله
تعالى ذكر منهم الشهادة ثم قال اتخذوا ايمانهم جنة وعند الشافعي لا يكون ذلك يمينا وان نوى اليمين لان قوله تعالى اتخذوا
ايمانهم ليس يرجع الى قوله قالوا نشهد وانما يرجع الى ما في براءة من قوله تعالى يحلفون بالله ما قالوا **قوله تعالى** فصدوا عن سبيل الله
اي اعرضوا وهو من الصدود او صرفوا المومنين عن اقامة حدود الله عليهم من القتل والسبي واخذ الاموال فهو من الصد او منعوا الناس
عن الجهاد بان يتخلفوا ويقتدي بهم غيرهم وقيل فصدوا اليهود والمشركين عن الدخول في الاسلام بان يقولوا ها نحن كافرون بهم
ولو كان محمد حقا لعرف هذا منا ولجعلنا نكالا فبين الله ان حالهم لا يخفى عليه ولكن حكمه ان من اظهر الايمان اجري عليه في الظاهر
حكم الايمان **قوله تعالى** انهم ساء ما كانوا يعملون اي بئست اعمالهم الخبيثة من نفاقهم وايمانهم الكاذبة وصدهم عن سبيل الله
وساء يجوز ان تكون الجارية مجرى بئس وان تكون على بابها والاول اظهر وقد تقدم حكم كل منهما فان قيل انه تعالى ذكر افعال
الكفرة من قبل ولم يقل انهم ساء ما كانوا يعملون قال ابن الخطيب والجواب ان افعالهم مقرونة بالايمان الكاذبة التي جعلوها
جنة اي سترة لاموالهم ودمائهم عن ان يستبيحها المسلمون **قوله تعالى** ذلك بانهم امنوا ثم كفروا هذا اعلام من الله بان المنافقين
كفار اي اقروا باللسان ثم كفروا بالقلب وقيل نزلت الاية في قوم امنوا ثم ارتدوا فطبع على قلوبهم اي ختم عليها بالكفر فهم لا يفقهون
الايمان ولا الخير وقرا العامة فطبع مبنيا للمفعول والقايم مقام الفاعل الجار بعده وزيد بن علي فطبع مبنيا للفاعل وفي الفاعل
وجهان احدهما انه ضمير عايد على الله تعالى ويدل عليه قراءة الاعمش وقرا به في رواية عنه فطبع الله مصرحا بالجلالة وكذلك نقلها
القرطبي عن زيد بن علي فان قيل اذا كان الطبع بفعل الله تعالى كان ذلك حجة لهم على الله تعالى فيقولون اعراضنا عن الحق
لغفلتنا وغفلتنا بسبب انه تعالى طبع على قلوبنا فاجاب ابن الخطيب بان هذا الطبع من الله تعالى لسوء افعالهم وقصدهم الاعراض عن الحق فكانه تعالى

تركهم في انفسهم الجاهلة وعاداتهم الباطلة والثاني ان الفاعل ضمير يعود على المصدر المفهوم مما قبله اي فطبع هو اي تلعابهم بالدين **قوله تعالى** واذا رايتهم تعجبك اجسامهم اي هيئاتهم ومناظرهم وان يقولوا تسمع لقولهم يعني عبد الله بن ابي قال ابن عباس كان عبد الله بن ابي وسيما جسيما صحيحا صبيحا ذلق اللسان فاذا قال سمع النبي صلى الله عليه وسلم مقالته وصفه الله بتمام الصورة وحسن الابانة وقال الكلبي المراد ابن ابي وجد بن قيس ومعتب بن قشير كانت لهم اجسام ومنظر وفصاحة وفي مجمع مسلم وقوله كانهم خشب مسندة قال كانوا رجالا اكمل شيء كانهم خشب مسندة شبههم بخشب مسندة الى الحائط لا يسمعون ولا يعقلون اشباح بلا ارواح واجسام بلا احلام وقيل شبههم بالخشب التي قد تاكلت فهي مسندة بغيرها لا يعلم ما في بطنها قال الزمخشري شبهوا في استنادهم فما هم الا اجرام خالية عن الايمان والخير بالخشب المسندة الى الحائط ولان الخشب اذا انتفع به كان في سقف او جدار او غيرهما من مظان الانتفاع وما دام متروكا فارغا غير منتفع به فاسند الى الحائط فشبهوا به في عدم الانتفاع ويجوز ان يراد بها الاصنام المنحوتة من الخشب المسندة الى الحائط **فصل** قرا قنبل وابو عمرو والكسائي خشب باسكان الشين وهي قراءة البراء بن عازب واختيار ابي عبيد لان واحدتها خشبة كما تقول بدنة وبدن قال الزمخشري وقال ابو البقا وخشب بالضم والاسكان جمع خشب مثل اسد واسد قال القرطبي وليس في اللغة فعلة يجمع على فعل ويلزم من ثقلها ان تقول البدن فيقرا والبدن وذكر اليزيدي انه جمع الخشبا كقوله تعالى وحدائق غلبا واحدتها حديقة غلبا وقرا الباقون من السبعة بضمتين وقرا سعيد بن جبير وابن المسيب بفتحتين ونسبها الزمخشري لابن عباس ولم يذكر غيره فاما القراءة بضمتين فقيل يجوز ان يكون جمع خشبة نحو ثمرة وثمر قاله الزمخشري وفيه نظر لان هذه الصيغة محفوظة في فعلة لا ينقاس نحو ثمرة وثمر ونقل الفارسي عن الزبيدي انه جمع خشبا وحسبه غلط عليه لانه قد يكون قال الخشب بالسكون جمع خشبا نحو حمرا وحمر لان فعلا الصفة لا تجمع على فعل بضمتين بل بضمة وسكون وقول الزبيدي تصحيف اما منه واما من الناسخ انما هو اليزيدي تلميذ ابي عمرو بن العلا لا نقل ذلك الزمخشري واما القراءة بضمة وسكون فقيل هي تخفيف الاولى وقيل هي جمع خشبا كما تقدم وهي الخشبة التي نخر جوفها اي فرغ شبهوا بها لفراغ بواطنهم مما ينتفع به واما القراءة بفتحتين فهو اسم جنس وانث صفته كقوله نخل خاوية وهو احد الجائزين وقوله مسندة تنبيه على انها لا ينتفع بها كما ينتفع بالخشب في سقف وغيره او شبهوا بالاصنام لانهم كانوا يسندونها الى الحيطان شبهوا بها في حسن صورهم وقلة جدواهم وقيل شبهوا بالخشب المسندة الى الحائط لان الخشبة المسندة الى الحائط احد طرفيها الى جهة والاخرى الى جهة اخرى والمنافق كذلك لان احد طرفيه وهو الباطن الى جهة اهل الكفر والطرف الاخر وهو الظاهر الى جهة اهل الاسلام ونقل القرطبي عن سيبويه انه يقال خشبة وخشبات وخشب مثل ثمرة وثمار وثمر والاسناد الامالة تقول اسندت الشيء اي املته ومسندة للتكثير اي استندوا الى الايمان لحقن دمائهم **قوله تعالى** يحسبون كل صيحة عليهم فيها وجهان اظهرهما ان عليهم هو المفعول الثاني للحسبان اي واقعة وكائنة عليهم ويكون قوله هم العدو جملة مستانفة اخبر الله عنهم بذلك والثاني ان يكون عليهم متعلقا بصيحة وهم العدو الجملة في موضع المفعول الثاني للحسبان قال الزمخشري ويجوز ان يكون هم العدو هو المفعول الثاني كما لو طرحت الضمير فان قلت فحقه ان يقال هي العدو قلت منظور فيه الى الخبر كما ذكر في قوله هذا ربي وان يقدر مضاف محذوف على يحسبون كل اهل صيحة انتهى وفي الثاني بعد بعيد **فصل** وصفهم الله تعالى بالجبن والخور قال مقاتل والسدي اي اذا نادى مناد في العسكر ان انفلتت دابة او انشدت ضالة ظنوا انهم هم المرادون لما في قلوبهم من الرعب كما قال الاخطل

• مازلت تحسب كل شيء بعدهم • خيلا تكر عليهم ورجالا •

وقيل يحسبون كل صيحة عليهم انهم قد فطن بهم وعلم بنفاقهم لان للريبة خوفا ثم استانف الله خطاب نبيه عليه السلام فقال هم العدو وهذا معنى قول الضحاك وقيل يحسبون كل صيحة يسمعونها في المسجد انها عليهم وان النبي صلى الله عليه وسلم قد امر فيها بقتلهم فهم ابدا وجلون من ان ينزل الله فيهم امرا يبيح به دماءهم ويهتك به استارهم وصفهم الله تعالى بقوله هم العدو فاحذرهم حكاه عبد الرحمن بن ابي حاتم **قوله تعالى** فاحذرهم فيه وجهان احدهما فاحذر ان تثق بقولهم وتميل الى كلامهم الثاني فاحذر مما يلتهم لاعدائك وتخذيلهم اصحابك قاتلهم الله قال ابن عباس اي لعنهم الله قال ابو مالك هي كلمة ذم وتوبيخ وقد تقول العرب قاتله الله ما اشعره يضعونه موضع التعجب وقيل معنى قاتلهم الله اي احلهم محل من قاتله عدو قاهر لان الله تعالى قاهر لكل معاند حكاه ابن عيسى قوله انى يؤفكون انى بمعنى كيف وقال ابن عطية ويحتمل ان يكون انى ظرفا لقاتلهم كانه قال قاتلهم الله كيفما انصرفوا او صرفوا فلا يكون في القول استفهام على هذا انتهى قال الشهاب الدين وهذا لا يجوز لان انى انما تستعمل بمعنى كيف وبمعنى اين الشرطية او الاستفهامية وعلى التقادير الثلاثة فلا يعمل فيها ما قبلها البتة كما لا يعمل في اسماء الشرط والاستفهام **فصل** قال ابن عباس انى يؤفكون اي يكذبون وقال قتادة اي يعدلون عن الحق وقال الحسن يصرفون عن الرشد وقيل معناه كيف تضل عقولهم عن هذا مع وضوح الدلائل وهو من الافك قوله انى بمعنى كيف وقد تقدم وقال ابن عطية ويحتمل ان يكون انى ظرفا لقاتلهم كانه قال قاتلهم الله كيفما انصرفوا او صرفوا فلا يكون في القول استفهام على هذا انتهى وهذا لا يجوز لانها انما تكون بمعنى كيف او بمعنى اين الشرطية او الاستفهامية وعلى التقادير الثلاثة لا تتمحض للظرف فلا يعمل فيها ما قبلها البتة كما لا يعمل في اسماء الشرط والاستفهام **قوله تعالى** واذا قيل

لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله هذه المسئلة عدها النحاة من الاعمال وذلك ان تعالوا يطلب رسول الله مجرورا بالى اي تعالوا الى رسول الله ويستغفر يطلبه فاعلا فاعمل الثاني ولذلك رفعه وحذف من الاول اذ التقدير تعالوا اليه ولو اعمل الاول لقيل تعالوا الى رسول الله يستغفر فيضمر في يستغفر فاعل ويمكن ان يقال ليست هذه من الاعمال في شيء لان قوله تعالوا امر بالاقبال من حيث هو لا بالنظر الى مقبل عليه **قوله تعالى** لووا هذا جواب اذا وقرا نافع لووا بالتخفيف والباقون مشددا على التكثير ويصدون حال لان الرؤية بصرية وكذا قوله وهم مستكبرون حال ايضا اما من صاحب الحال الاولى واما من فاعل يصدون فتكون متداخلة واتى بيصدون مضارعا دلالة على التجدد والاستمرار وقرئ يصدون بالكسر وقد تقدم ما في الزخرف **فصل** لما نزل القران بصفتهم مشى اليهم عشائرهم وقالوا افتضحتم بالنفاق فتوبوا الى رسول الله من النفاق واطلبوا ان يستغفر لكم فلووا رؤسهم اي حركوها استهزاء واباء قال ابن عباس رضي الله عنه انه كان لعبد الله بن ابي موقف في كل سبت يحض على طاعة الله وطاعة رسوله فقيل له وما ينفعك ذلك ورسول الله صلى الله عليه وسلم عليك غضبان فاته يستغفر لك فابى وقال لا اذهب اليه قال المفسرون وسبب نزول هذه الايات ان النبي صلى الله عليه وسلم غزا بني المصطلق على ماء يقال له المريسيع من ناحية قديد الى الساحل فازدحم اجير لعمر يقال له جهجاه واعان جهجاه رجل من المهاجرين يقال له جعال وكان نفر الجبر بن سعيد الغفاري يقود له فرسه حليف لعبد الله بن ابي يقال له سنان على ماء بالمشلل فصرخ جهجاه بالمهاجرين وصرخ سنان بالانصار فلطم جهجاه سنانا فقال عبد الله بن ابي اوقد فعلوها والله ما مثلنا ومثلهم الا كما قال الاول سمن كلبك ياكلك اما والله لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل يعني محمدا صلى الله عليه وسلم ثم قال لقومه كفوا طعامكم عن هذا الرجل ولا تنفقوا على من عنده حتى ينفضوا ويتركوه فقال زيد بن ارقم وهو من رهط عبد الله انت والله الذليل المنتقص في قومك ومحمد صلى الله عليه وسلم في عز من الرحمن ومودة من المسلمين والله لا احبك بعد كلامك هذا ابدا فقال عبد الله اسكت فانما كنت العب فاخبر زيد النبي صلى الله عليه وسلم بقوله فاقسم بالله ما فعل ولا قال فعذره النبي صلى الله عليه وسلم قال زيد فوجدت في نفسي ولامني الناس فنزلت سورة المنافقين في تصديق زيد وتكذيب عبد الله فقيل لعبد الله قد نزلت فيك ايات شديدة فاذهب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليستغفر لك فالوى براسه فنزلت الايات خرجه البخاري والترمذي بمعناه وقيل معنى قوله يستغفر لكم اي يستتيبكم من النفاق لان التوبة استغفار ورايتهم يصدون اي يعرضون عن الرسول وهم مستكبرون اي متكبرون عن الايمان قيل قال ابن ابي لما لوى راسه امرتموني ان او من فقد امنت وان اعطي زكوة مالي فقد اعطيت فما بقي الا ان اسجد لمحمد **قوله تعالى** سواء عليهم استغفرت لهم قرا العامة استغفرت بهمزة مفتوحة من غير مد وهي همزة التسوية التي اصلها الاستفهام وقرا يزيد بن القعقاع استغفرت بهمزة ثم الف فاختلف الناس في تاويلها فقال الزمخشري اشباعا لهمزة الاستفهام للاظهار والبيان لا قلبا لهمزة الوصل كما في آلسحر وآلله يعني انها اشبع فتحة همزة التسوية فتولد منها الف وقصده بذلك اظهارها والهمزة وبيانها لا انه قلب همزة الوصل الفا كما قلبها في قوله آلسحر آلله اذن لكم لان هذه الهمزة للوصل فهي تسقط في الدرج وايضا فهي مكسورة فلا يلتبس معها الاستفهام بالخبر بخلاف آلسحر آلله وقال آخرون هي عوض عن همزة الوصل كما في آلذكرين وهذا ليس بشيء لان هذه مكسورة فكيف تبدل الفا وايضا فانما قلبناها هناك الفا ولم نحذفها وان كان حذفها مستحقا لئلا يلتبس الاستفهام بالخبر وهنا لا لبس وقال ابن عطية وقرا ابو جعفر يعني يزيد بن القعقاع استغفرت بمدة على الهمزة وهي الف التسوية وقرا ايضا بوصل الالف دون همزة على الخبر وفي هذا كله ضعف لانه في الاولى اثبت همزة الوصل وقد اغنت عنها همزة الاستفهام وفي الثانية حذف همزة الاستفهام وهو يريدها وهذا مما لا يستعمل الا في الشعر قال الشهاب الدين اما قراءته استغفرت بوصل الهمزة فرويت ايضا عن ابي عمرو الا انه هو يضم ميم عليهم عند وصله الهمزة لان اصلها الضم وابو عمرو يكسرها على اصل التقاء الساكنين واما قوله وهذا مما لا يستعمل الا في الشعر فان اراد بهذا مده في هذه الهمزة في هذا المكان فصحيح بل لا يجده ايضا وان اراد حذف همزة الاستفهام فليس بصحيح لانه يجوز حذفها اجماعا قبل ام نثرا ونظما فاما دون ام ففيه خلاف والاخفش يجوزه ويجعل منه وتلك نعمة وقول الآخر

• طربت وما شوقا الى البيض اطرب • ولا لعبا مني وذو الشيب يلعب •

وقول الآخر

• ازح ان ارزام الكرام وان اورد • ذودا شصائص نبلا •

واما قبل ام فكثير كقوله

• لعمرك ما ادري وان كنت داريا • بسبع رمين الجمر ام بثمان •

وقد تقدمت هذه المسئلة مستوفاة **فصل** معنى قوله سواء عليهم استغفرت لهم ام لم تستغفر لهم اي كل ذلك سواء لا ينفع استغفارك شيئا لان الله لا يغفر لهم نظيره سواء عليهم اانذرتهم ام لم تنذرهم لا يؤمنون سواء علينا اوعظت ام لم تكن من الواعظين ان الله لا يهدي القوم الفاسقين قال ابن الخطيب قال قوم فيه بيان ان الله تعالى يملك هداية وراء هداية البيان وهي خلق فعل الاهتداء فيمن علم منه ذلك وقيل معناه لا يهدي لفسقهم وقالت المعتزلة لا يسميهم المهتدين اذ فسقوا وضلوا فان قيل ذكر الفاسقين ولم يقل الكافرين والمنافقين والمستكبرين مع ان كلا منهم تقدم ذكره فالجواب ان كل واحد منهم داخل تحت الفاسقين قال قتادة هذه الاية نزلت بعد قوله استغفر لهم او لا تستغفر لهم وذلك انها لما نزلت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خيرني ربي فلازيدنهم على السبعين فانزل الله تعالى لن يغفر الله لهم الاية قال ابن عباس المراد بالفاسقين المنافقون **قوله تعالى** هم الذين يقولون لا تنفقوا على من عند رسول الله قد تقدم سبب

النزول وان ابن ابي قال لا تنفقوا على من عند محمد حتى ينفضوا اي يتفرقوا عنه فاعلمهم الله سبحانه ان خزائن السموات والارض له ينفق
كيف يشاء قال رجل لحاتم الاصم من اين تاكل فقال ولله خزائن السموات والارض وقال الحسن خزائن السموات الغيوب وخزائن الارض
القلوب فهو علام الغيوب ومقلب القلوب **قوله تعالى** ينفضوا قرا العامة ينفضوا من الانفضاض وهو التفرق وقرا الفضل
بن عيسى الرقاشي ينفضوا من انفض القوم اي فني زادهم ويقال نفض الرجل وعاءه من الزاد فانفض فيتعدى دون الهمزة ولا يتعدى
معها فهو من باب كببته فاكب قال الزمخشري وحقيقته جاز لهم ان ينفضوا مزاودهم ثم قال تعالى ولكن المنافقين لا
يفقهون انه اذا اراد امرا يسره **قوله تعالى** يقولون لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل القائل ابن ابي كما تقدم
وقيل انه لما قال ليخرجن الاعز منها الاذل ورجع الى المدينة لم يلبث الا اياما يسيرة حتى مات فاستغفر له رسول الله صلى الله
عليه وسلم والبسه قميصه فنزل قوله لن يغفر الله لهم وروي ان عبد الله بن ابي بن سلول قال لابيه والذي لا اله الا هو لا تدخل
المدينة حتى تقول ان رسول الله هو الاعز وانا الاذل فقاله توهموا ان العزة بكثرة الاموال والاتباع فبين الله ان العزة والمنعة
والقوة لله **قوله تعالى** ليخرجن الاعز قراءة العامة بضم الياء وكسر الراء مسندا الى الاعز والاذل مفعول به والاعز بعض المنافقين
على زعمه وقرا الحسن وابن ابي عبلة والمسيبي لنخرجن بنون العظمة ونصب الاعز على المفعول به ونصب الاذل على الحال وبه استشهد
من جوز تعريفها والجمهور جعلوا ال مزيدة على حد ارسلها العراك وادخلوا الاول فالاول وجوز ابو البقاء ان يكون منصوبا على
المفعول به وناصبه حال محذوفة اي مشبها الاذل وقد خرجه الزمخشري على حذف مضاف اي خروج الاذل او اخراج الاذل يعني
بحسب القراءتين من خرج واخرج فعلى هذا ينتصب على المصدر لا على الحال ونقل الداني عن الحسن ايضا لنخرجن بفتح نون العظمة
وضم الراء ونصب الاعز على الاختصاص كقولهم نحن العرب اقرى الناس للضيف والاذل نصب على الحال ايضا قال ابو حيان وفيه نظر
كيف يخبرون عن انفسهم انهم يخرجون في حال الذل مع قولهم الاعز اي اخص الاعز ويعنون بالاعز انفسهم وقد حكى هذه القراءة ايضا ابو حاتم
وحكى الكسائي والفراء ان قوما قرؤوا ليخرجن بفتح الياء وضم الراء ورفع الاعز فاعلا ونصب الاذل حالا وهي واضحة وقرئ ليخرجن
بضم الياء مبنيا للمفعول الاعز قائم مقام الفاعل الاذل حالا ايضا **فصل** قال ابن الخطيب فان قيل ما الحكمة في قوله تعالى
ختم الاية الاولى بقوله لا يفقهون وختم الثانية بقوله لا يعلمون فالجواب ليعلم بالاولى قلة كياستهم وفهمهم وبالثانية حماقتهم
وجهلهم ويفقهون من فقه يفقه كعلم يعلم او من فقه يفقه كعظم يعظم فالاول لحصول الفقه بالتكلف والثاني لا بالتكلف
فالاول علاجي والثاني مزاجي **قوله تعالى** يا ايها الذين امنوا لا تلهكم اموالكم ولا اولادكم عن ذكر الله حذر المومنين اخلاق
المنافقين اي لا تشتغلوا باموالكم كما فعل المنافقون اذ قالوا لاجل الشح باموالهم لا تنفقوا على من عند رسول الله وقوله عن ذكر الله
اي عن الحج والزكوة وقيل عن قراءة القران وقيل عن ادامة الذكر وقال الضحاك عن الصلوات الخمس وقال الحسن عن جميع الفرائض كانه
قال عن طاعة الله وقيل هذا خطاب للمنافقين اي امنتم بالقول فامنوا بالقلب ومن يفعل ذلك اي من يشتغل بالمال والولد
عن طاعة ربه فاولئك هم الخاسرون **قوله تعالى** وانفقوا مما رزقناكم قال ابن عباس يريد زكوة الاموال من قبل ان ياتي
احدكم الموت قال القرطبي هذا يدل على وجوب تعجيل اخراج الزكوة ولا يجوز تاخيرها اصلا وكذلك سائر العبادات اذا دخل
وقتها قال ابن الخطيب وبالجملة فقوله لا تلهكم اموالكم ولا اولادكم عن ذكر الله تنبيه على المحافظة على الذكر قبل الموت
وقوله وانفقوا مما رزقناكم تنبيه على الشكر كذلك **قوله تعالى** فيقول رب لولا اخرتني اي هلا اخرتني وقيل لا صلة فيكون
الكلام بمعنى التمني اي لو اخرتني الى اجل قريب فيسال الرجعة الى الدنيا ليعمل صالحا روى الترمذي عن الضحاك بن مزاحم
عن ابن عباس قال من كان له مال يبلغه حج بيت ربه او يجب عليه فيه زكوة فلم يفعل سال الرجعة عند الموت فقال رجل يا ابن عباس
اتق الله انما سال الرجعة الكفار فقال ساتلو عليك بذلك قرانا يا ايها الذين امنوا لا تلهكم اموالكم ولا اولادكم عن ذكر الله الى
قوله والله خبير بما تعملون قال فما يوجب الزكوة قال اذا بلغ المال مائتين فصاعدا قال فما يوجب الحج قال الزاد والراحلة قال
القرطبي ذكره الحليمي في كتاب منهاج الدين مرفوعا فقال وقال ابن عباس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان عنده مال
يبلغه الحج الحديث قال ابن العربي اخذ ابن عباس بعموم الاية في انفاق الواجب خاصة دون النفل فاما تفسيره بالزكوة فصحيح
كله عموما وتقديرا بالمائتين واما القول بالحج ففيه اشكال لانا ان قلنا ان الحج على التراخي ففي المعصية بالموت قبل الحج خلاف
بين العلماء فلا تخرج الاية عليه وان قلنا الحج على الفور فالعموم في الاية صحيح لان من وجب عليه الحج فلم يؤده لقي من الله ما يود انه
رجع ليأتي بما ترك من العبادات واما تقدير الامر بالزاد والراحلة ففي ذلك خلاف مشهور بين العلماء وليس لكلام ابن عباس
فيه مدخل لاجل ان الرجعة والوعيد لا يدخل في المسائل المجتهد فيها ولا المختلف عليها وانما يدخل في المتفق عليه والصحيح
تناوله للواجب من الانفاق بالاجماع او بنص القران لان ما عدا ذلك لا يتحقق فيه الوعيد **قوله تعالى** فاصدق نصب على جواب
التمني في قوله لولا اخرتني وقرا ابي وعبد الله وابن جبير فاتصدق وهي اصل قراءة العامة ولكن ادغمت التاء في الصاد **قوله تعالى**
واكن قرا ابو عمرو واكون بنصب الفعل عطفا على فاصدق والباقون واكن مجزوما وحذفت الواو لالتقاء الساكنين واختلفت

مبادرات الناس في ذلك فقال الزمخشري عطفا على محل فاصدق كانه قيل ان اخرتني اصدق واكن وقال ابن عطية عطفا
على محل الفاء الموضع لان التقدير ان اخرتني اصدق واكن هذا مذهب ابي علي الفارسي وقال القرطبي عطفا على موضع الفاء لان قوله
فاصدق لو لم تكن الفاء لكان مجزوما اي اصدق ومثله من يضلل الله فلا هادي له ويذرهم فيمن جزم فاما ما حكاه سيبويه
عن الخليل فهو غير هذا وهو انه جزم على توهم الشرط الذي يدل عليه التمني ولا موضع هنا لان الشرط ليس بظاهر وانما يعطف على
الموضع حيث يظهر الشرط كقوله من يضلل الله فلا هادي له ويذرهم فمن جزم عطفه على موضع فلا هادي له لانه لو وقع موقعه
فعل لانجزم انتهى وهذا الذي نقله سيبويه هو المشهور عند النحويين ونظر سيبويه ذلك بقول زهير بدا لي اني لست مدرك
ما مضى ولا سابق شيئا اذا كان جائيا فخفض ولا سابق عطفا على مدرك الذي هو خبر ليس على توهم زيادة الباء فيه لانه قد كثر
جر خبرها بالباء المزيدة وهو عكس الاية الكريمة لانه في الاية جزم على توهم سقوط الفاء وهنا خفض على توهم وجود الباء ولكن الجامع
توهم ما يقتضي جواز ذلك قال شهاب الدين ولكني لا احب هذا اللفظ مستعملا في القران فلا يقال الجزم على التوهم لقبحه لفظا وقال
ابو عبيدة رايته في مصحف عثمان واكن بغير واو وقد فرق ابو حيان بين العطف على الموضع والعطف على التوهم فقال الفرق بينهما
ان العامل في العطف على الموضع موجود واثره مفقود والعامل في العطف على التوهم مفقود واثره موجود انتهى قال شهاب الدين
مثال الاول هذا ضارب زيد وعمرو فهذا من العطف على الموضع فالعامل وهو ضارب موجود واثره وهو النصب مفقود ومثال
الثاني ما نحن فيه فان العامل للجزم مفقود واثره موجود واصرح منه بيت زهير فان الباء مفقودة واثرها موجود ولكن اثرها
انما ظهر في المعطوف لا في المعطوف عليه وكذلك في الاية الكريمة ومن ذلك ايضا بيت امرئ القيس فظل طهاة اللحم من بين منضج
صفيف شواء او قدير معجل فانهم جعلوا من العطف على التوهم وذلك انه توهم انه اضاف منضج الى صفيف وهو لو اضافه اليه
لجره فعطف قدير على صفيف بالجر توهما لجره بالاضافة وقرا عبيد بن عمير واكون برفع الفعل على الاستئناف اي وانا
اكون وهذا عدة منه بالصلاح **فصل** قال ابن عباس هذه الاية تدل على ان القوم لم يكونوا من اهل التوحيد
لانه لا يتمنى الرجوع الى الدنيا او التاخير فيها احد له عند الله خير في الاخرة قال القرطبي الا الشهيد فانه يتمنى الرجوع حتى يقتل
لما يرى من الكرامة وقال الضحاك لا ينزل باحد لم يحج ولم يؤد الزكوة الموت الا وسال الرجعة ثم قال تعالى ولن يؤخر الله نفسا
اذا جاء اجلها والله خبير بما تعملون من خير وشر وقرا ابو بكر عن عاصم والسلمي بالياء من تحت على الخبر عمن مات وقال هذه المقالة
والباقون بالخطاب وهما واضحتان روى الثعلبي في تفسيره عن ابي بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا
سورة المنافقين برئ من النفاق والله اعلم بالصواب واليه المرجع والماب

سورة التغابن

مدنية في قول الاكثرين وقال الضحاك مكية وقال الكلبي هي مدنية ومكية وعن ابن عباس ان سورة التغابن نزلت بمكة الا ايات
من اخرها نزلن بالمدينة في عوف بن مالك الاشجعي شكى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم جفاء اهله وولده فانزل الله عز وجل
يا ايها الذين امنوا ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم الى اخرها وهي ثمان عشرة اية ومائتان واحدى واربعون كلمة والف وسبعون
حرفا عن عبد الله بن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من مولود يولد الا وفي تشابيك راسه مكتوب خمس ايات من فاتحة
سورة التغابن بسم الله الرحمن الرحيم **قوله تعالى** يسبح لله ما في السموات وما في الارض تقدم نظيره قال ابن الخطيب
وجه تعلق هذه السورة بالتي قبلها هو ان تلك السورة للمنافقين الكاذبين وهذه السورة للموافقين الصادقين وايضا
فان تلك السورة مشتملة على التهديد البالغ لهم عن ذلك وهو قوله تعالى يعلم ما تسرون وما تعلنون وهو عليم بذات الصدور
واما تعلق اول هذه السورة باخر التي قبلها فلانه في اخر تلك السورة التنبيه على الذكر والشكر كما تقدم وفي اول هذه السورة اشار
الى ان الناس اقوام يواظبون على الذكر والشكر دائما وهم الذين يسبحون كما قال تعالى يسبح لله ما في السموات وما في الارض **قوله تعالى**
له الملك مبتدا وخبر وقدم الخبر ليفيد اختصاص الملك والحمد بالله تعالى اذ الملك والحمد له حقيقة وهو على كل شيء قدير **قوله تعالى**
هو الذي خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن قال ابن عباس ان الله خلق بني ادم مؤمنا وكافرا ويعيدهم في القيامة مؤمنا وكافرا وروى
ابو سعيد الخدري قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم عشية فذكر شيئا مما يكون فقال يولد الناس على طبقات شتى يولد الرجل
مؤمنا ويموت مؤمنا ويولد الرجل كافرا ويعيش كافرا ويموت كافرا ويولد الرجل كافرا ويعيش كافرا ويموت مؤمنا وقال ابن مسعود
قال النبي صلى الله عليه وسلم خلق الله فرعون في بطن امه كافرا وخلق يحيى بن زكريا في بطن امه مؤمنا وفي الصحيح من حديث ابن مسعود
وان احدكم ليعمل بعمل اهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها الا ذراع او باع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل اهل النار فيدخلها وان احدكم

ليعمل بعمل اهل النار حتى ما يكون بينه وبينها الا ذراع او باع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل اهل الجنة فيدخلها وفي صحيح مسلم
عن سهل بن سعد الساعدي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الرجل ليعمل عمل اهل الجنة فيما يبدو للناس وهو من اهل النار
وان الرجل ليعمل عمل اهل النار فيما يبدو للناس وهو من اهل الجنة قال القرطبي قال علماؤنا والمعنى تعلق العلم الازلي بكل معلوم
فيجري ما علم واراد وحكم فقد يريد ايمان شخص على عموم الاحوال وقد يريده الى وقت معلوم وكذلك الكفر وقيل في الكلام محذوف
تقديره فمنكم مؤمن ومنكم كافر ومنكم فاسق فحذف لما في الكلام من الدلالة عليه قاله الحسن وقال غيره لا حذف فيه لان المقصود
ذكر الطرفين وقيل انه خلق الخلق ثم كفروا وامنوا والتقدير هو الذي خلقكم ثم وصفهم فقال فمنكم كافر ومنكم مؤمن كقوله تعالى
والله خلق كل دابة من ماء ثم قال فمنهم من يمشي على بطنه الاية قالوا فالله خلقهم والمشي فعلهم وهذا اختيار الحسين بن الفضل قال
لو خلقهم مؤمنين وكافرين لما وصفهم بفعلهم في قوله فمنكم كافر ومنكم مؤمن واحتجوا بقوله عليه السلام كل مولود يولد على الفطرة
فابواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه قال البغوي وروينا عن ابن عباس عن ابي بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان الغلام الذي قتله الخضر طبع كافرا وقال تعالى ولا يلدوا الا فاجرا كفارا وروي عن انس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله وكل بالرحم
ملكا فيقول اي رب نطفة اي رب علقة اي رب مضغة فاذا اراد الله ان يقضي خلقها قال يا رب اذكر ام انثى شقي ام سعيد
فما الرزق فما الاجل فيكتب ذلك في بطن امه وقال الضحاك فمنكم كافر في السر مؤمن في العلانية كالمنافق ومنكم مؤمن في السر
كافر في العلانية كعمار ونحوه وقال عطاء بن ابي رباح فمنكم كافر بالله مؤمن بالكوكب ومنكم مؤمن بالله كافر بالكوكب يعني في شان
الانواء كما جاء في الحديث قال القرطبي وقال الزجاج وهو احسن الاقوال والذي عليه الائمة ان الله خلق الكافر وكفره فعل له
وكسب مع ان الله خالق الكفر وخلق المؤمن وايمانه فعل له وكسب مع ان الله خالق الايمان والكافر يكفر ويختار الكفر بعد خلق الله
اياه لان الله تعالى قدر ذلك عليه وعلمه منه ولا يجوز ان يوجد من كل واحد منهما غير الذي قدر عليه وعلمه منه لان وجود خلاف المقدور
عجز ووجود خلاف المعلوم جهل ولا يليقان بالله تعالى وفي هذا سلامة من الجبر والقدر وروي عن ابي سعيد الخدري
انه قال فمنكم كافر حياته مؤمن في العاقبة ومنكم مؤمن حياته كافر في العاقبة وقيل فمنكم كافر بان الله خلقه وهو مذهب
الدهرية ومنكم مؤمن بان الله خلقه قال ابن الخطيب فان قيل انه تعالى حكيم وقد سبق في علمه انه اذا خلقهم لم يفعلوا الا الكفر
فاي حكمة دعت الى خلقهم فالجواب اذا علمنا انه تعالى حكيم علمنا ان افعاله كلها على وفق الحكمة فيكون خلقه تعالى هؤلاء لطايفة
على وفق الحكمة ولا يلزم من عدم علمنا بذلك ان لا يكون كذلك بل اللازم ان يكون خلقهم على وفق الحكمة قوله تعالى هو الذي خلق
السموات والارض بالحق اي خلقها حقا يقينا لا ريب فيه وقيل الباء بمعنى اللام اي خلقها للحق وهو ان يجزي الذين اساؤا بما عملوا
ويجزي الذين احسنوا بالحسنى قوله تعالى وصوركم فاحسن صوركم قرا العامة بضم صاد صوركم وهو القياس في فعله
وقرا زيد بن علي والاعمش وابو زيد بكسرها وليس بقياس وهو عكس لحى بالضم واللحى بالكسر

فصل

معنى وصوركم يعني آدم عليه السلام خلقه بيده كرامة له قاله مقاتل وقيل جميع الخلائق وقد مضى معنى التصوير وانه التخطيط
والتشكيل فان قيل كيف احسن صورهم قيل بان جعلهم احسن الحيوان كله وابهاه صورة بدليل ان الانسان لا يتمنى ان يكون صورته
على خلاف ما يرى من سائر الصور ومن حسن صورته انه خلق منتصبا غير منكب كما قال عز وجل لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم
كما ياتي ان شاء الله تعالى قال ابن الخطيب فان قيل قد كان من افراد هذا النوع من كان مشوه الخلقة سمج الصورة فالجواب لا سماجة لان
الحسن في المعاني وهو على طبقات ومراتب فانحطاط بعض الصور عن مراتب ما فوقه لا يمنع حسنه فهو داخل في حيز الحسن غير خارج
عن حده قوله تعالى واليه المصير اي المرجع فيجازي كلا بعمله قال ابن الخطيب فان قيل قوله تعالى واليه المصير يوهم الانتقال من جانب
الى جانب وذلك على الله محال فالجواب ان ذلك الوهم بالنسبة الينا والى زماننا لا بالنسبة الى ما يكون في نفسه بمعزل عن حقيقة الانتقال
اذا كان المنتقل منزها عن الجانب والجهة قوله تعالى يعلم ما في السموات والارض ويعلم ما تسرون وما تعلنون تقدم نظيره
قال ابن الخطيب انه تعالى نبه بعلمه ما في السموات وما في الارض ثم بعلمه ما يسره العباد ويعلنونه ثم بعلمه ما في الصدور من
الكليات والجزئيات على انه لا يخفى عليه شيء البتة ونظيره قوله لا يعزب عنه مثقال ذرة في الارض ولا في السماء وقرا
العامة بتاء الخطاب في الحرفين وروي عن ابي عمرو وعاصم بياء الغيبة فيحتمل الالتفات ويحتمل الاخبار عن الغائبين والله عليم
بذات الصدور فهو عالم الغيب والشهادة لا يخفى عليه شيء قوله تعالى الم ياتكم نبا الذين كفروا من قبل الخطاب لقريش اي لم ياتكم
خبر كفار الامم السالفة فذاقوا وبال امرهم اي عوقبوا ولهم في الاخرة عذاب اليم اي مولم قوله تعالى ذلك بانه الهاء للشان
والحديث وكانت تاتيهم رسلهم خبرها ومعنى الاشارة اي هذا العذاب لهم بكفرهم بالرسل تاتيهم بالبينات اي بالدلائل الواضحة
قوله تعالى ابشر يهدوننا يجوز ان يرتفع بشر على الفاعلية ويكون من الاشتغال وهو الارجح لان الاداة تطلب الفعل وان
تكون مبتدا وخبرا وجمع الضمير في يهدوننا اذ البشر اسم جنس نكرة وان تكون الرسول من البشر وقد ياتي الواحد بمعنى الجمع فيكون
اسما للجنس وقد ياتي الجمع بمعنى الواحد كقوله تعالى ما هذا بشرا قوله تعالى فكفروا اي بهذا القول اذ قالوه استصغارا ولم

يعلموا ان الله يبعث من يشاء الى عباده فان قيل قوله فكفروا يفهم منه التولي فما الحاجة الى ذكره فالجواب قال ابن الخطيب
انهم كفروا وقالوا ابشر يهدوننا وهذا في معنى الانكار والاعراض بالكلية وهذا هو التولي فكانهم كفروا وقالوا قولا يدل على التولي
فلهذا قال فكفروا وتولوا وقيل كفروا بالرسل وتولوا عن البرهان واعرضوا عن الايمان والموعظة قوله تعالى واستغنى الله
استغنى بمعنى المجرد وقال الزمخشري معناه ظهر غناه فالسين ليست للطلب قال مقاتل استغنى الله اي بسلطانه عن طاعة عباده وقيل
استغنى الله بما اظهره لهم من البرهان واوضحه لهم من البيان عن زيادة تدعوا الى الرشد وتقود الى الهداية والله غني حميد غني عن خلقه
حميد في افعاله فان قيل قوله وتولوا واستغنى الله يوهم وجود التولي والاستغناء معا والله تعالى لم يزل غنيا فاجاب الزمخشري بان
معناه انه ظهر استغناء الله حيث لم يلجئهم الى الايمان ولم يضطرهم اليه مع قدرته على ذلك ثم اخبر عن انكارهم للبعث فقال عز
وجل زعم الذين كفروا ان لن يبعثوا اي ظنوا والزعم هو القول بالظن وقال الزمخشري الزعم ادعاء العلم ومنه قوله عليه السلام
زعموا مطية الكذب وقال شريح لكل شيء كنية وكنية الكذب زعموا قيل نزلت في العاص بن وائل السهمي مع خباب كما تقدم في آخر
سورة مريم ثم عمت كل كافر قوله تعالى ان لن يبعثوا ان مخففة لا ناصبة لئلا يدخل ناصب على مثله وان وما في حيزها سادة
مسد المفعولين للزعم او المفعول

فصل

بلى ايجاب للنفي ولتبعثن جواب قسم مقدر اي لتخرجن من قبوركم احياء ثم
لتنبؤن لتخبرن بما عملتم اي باعمالكم وذلك على الله يسير اذ الاعادة اسهل من الابتداء فان قيل كيف يفيد القسم في اخباره
عن البعث وهم قد انكروا الرسالة قال ابن الخطيب والجواب انهم انكروا الرسالة لكنهم يعتقدون انه يعتقد ربه اعتقادا جازما
لا ريب عليه فيعلمون انه لا يقدم على القسم بربه الا وان يكون صدق هذا الاخبار عنده اظهر من الشمس في اعتقاده ثم انه اكد الخبر
باللام والنون فكانه قسم بعد قسم ثم انه تعالى لما اخبر عن البعث والاعتراف بالبعث من لوازم الايمان قال فامنوا بالله
ورسوله وهذا يجوز ان يكون صلة لما تقدم لانه تعالى ذكر ما نزل من العقوبة بالامم الماضية وذلك لكفرهم بالله وتكذيبهم الرسل
فقال فامنوا انتم بالله ورسوله لئلا ينزل بكم ما نزل بهم من العقوبة وقال القرطبي قوله فامنوا بالله ورسوله امرهم بالايمان بعد
ان عرفهم قيام الساعة والنور الذي انزلنا وهو القران لانه نور يهتدى به من ظلمة الضلال كما يهتدى بالنور في الظلمات
فان قيل هلا قيل ونوره بالاضافة كما قال ورسوله فالجواب ان الالف واللام في النور بمعنى الاضافة فكانه قال ورسوله
ونوره ثم قال والله بما تعملون خبير اي بما تسرون وما تعلنون فراقبوه في السر والعلانية قوله تعالى يوم يجمعكم
منصوب بقوله لتنبؤن عند النحاس وبخبير عند الحوفي لما فيه من معنى الوعيد كانه قال والله يعاقبكم يوم يجمعكم وباذكر
مضمرا عند الزمخشري فيكون مفعولا به او بما دل عليه الكلام اي يتفاوتون يوم يجمعكم قاله ابو البقاء وقرا العامة يجمعكم بفتح الياء
وضم العين وروي سكونها واشمامها عن ابي عمرو وهذا منقول عنه في الراء نحو ينصركم وبابه كما تقدم في البقرة وقرا يعقوب وسلام
وزيد بن علي والشعبي ونصر وابن ابي اسحق والجحدري نجمعكم بنون العظمة اعتبارا بقوله والنور الذي انزلنا والمراد بيوم الجمع
اي يوم القيمة يوم يجمع الله الاولين والاخرين والانس والجن واهل السماء واهل الارض وقيل يوم يجمع الله بين كل عبد وعمله
وقيل يجمع فيه بين الظالم والمظلوم وقيل يجمع فيه بين كل نبي وامته وقيل يجمع فيه ثواب اهل الطاعات وعقاب
اهل المعاصي قوله تعالى ذلك يوم التغابن تفاعل من الغبن في البيع والشرا على الاستعارة وهو اخذ الشيء بدون
قيمته وقيل الغبن الاخفاء ومنه غبن البيع لاستخفائه والتفاعل هنا من واحد لا من اثنين ويقال غبنت الثوب وخبنته
اي اخذت ما طال عنه من مقدارك فهو نقص واخفاء وفي التفسير هو ان يكتسب الرجل مالا من غير وجهه فيرثه غيره فيعمل فيه
بطاعة الله فيدخل الاول النار والثاني الجنة بذلك المال فذلك هو الغبن البين والمغابن ما انثنى من البدن نحو الابطين
والفخذين والمغبون من غبن في اهله ومنازله في الجنة ويظهر يومئذ غبن كل كافر بترك الايمان وغبن كل مؤمن بتقصيره
في الاحسان وتضييعه الايام قال الزجاج ويغبن من ارتفعت منزلته في الجنة بالنسبة الى من هو اعلى منزلة منه فان قيل
فاي معاملة وقعت بينهما حتى يقع الغبن فيها فالجواب هو تمثيل الغبن في الشرا والبيع كقوله اولئك الذين اشتروا الضلالة
بالهدى فما ربحت تجارتهم فلما ذكر ان الكفار اشتروا الضلالة بالهدى وما ربحوا في تجارتهم بل خسروا ذكر ايضا انهم
غبنوا وذلك ان اهل الجنة اشتروا الاخرة بترك الدنيا واشترى اهل النار الدنيا بترك الاخرة وهذا نوع مبادلة اتساعا
ومجازا وقد فرق الله تعالى الخلق فريقين فريقا للجنة وفريقا للنار وقال الحسن وقتادة بلغنا ان التغابن على ثلاثة اصناف
رجل علم علما فضيعه ولم يعمل به فشقي به ورجل علم علما وعمل به فنجا به ورجل اكتسب مالا من وجوه يسال عنها وشح عليه
وفرط في طاعة ربه بسببه ولم يعمل فيه خيرا وتركه لوارث لا حساب عليه فعمل ذلك الوارث فيه بطاعة ربه ورجل كان له عبد
فعمل العبد بطاعة ربه فسعد وعمل السيد بمعصية ربه فشقي وروى القرطبي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله تعالى
يقيم الرجل والمراة يوم القيمة بين يديه فيقول الله تعالى لهما قولا ما انتما بقائلين فيقول الرجل يا رب اوجبت نفقتها
علي فتعسفتها من حلال ومن حرام وهؤلاء الخصوم يطلبون ذلك ولم يبق لي ما اوفي فتقول المراة يا رب وما عسى ان

اقول اكتسبه حراما واكلته حلالا وعصاك في مرضاتي ولم ارض له بذلك فيعذب له ويتحفا فيقول الله تعالى قد صدقت
فيؤمر به الى النار ويؤمر بها الى الجنة فتطلع عليه من طبقات الجنة فيقول لها غبناك غبناك سعدنا بما شقيت انت به فذلك
يوم التغابن **فصل** استدل بعض العلماء بقوله تعالى ذلك يوم التغابن على انه لا يجوز الغبن في المعاملات الدنيوية
لان الله تعالى خصص التغابن بيوم القيمة فقال ذلك يوم التغابن وهذا الاختصاص يفيد انه لا غبن في الدنيا فكل من اطلع على
غبن في بيع فانه مردود اذا زاد على الثلث واختاره البغداديون واحتجوا عليه بقوله عليه السلام لحبان بن منقذ اذا بعت فقل لا خلابة
ولك الخيار ثلاثا ولان الغبن في الدنيا ممنوع منه بالاجماع في حكم الدين اذ هو من باب الخداع المحرم شرعا في كل ملة لكن اليسير منه لا يمكن
الاحتراز عنه فمضى في البيوع اذ لو حكمنا برده ما نفذ بيع ابدا لانه لا يخلو منه فاذا كان كثيرا امكن الاحتراز منه فوجب الرد به والفرق بين
القليل والكثير في الشريعة معلوم فقدرناه بالثلث وهذا الحد اعتبره الشارع في الوصية وغيرها ويكون معنى الاية على هذا يوم التغابن الجائز
مطلقا من غير تفصيل وذلك يوم التغابن الذي لا يستدرك ابدا قال بعض العلماء الصوفية ان الله تعالى كتب الغبن على الخلق اجمعين فلا يلقى
احد ربه الا مغبونا لانه لا يمكنه الاستيفا للعمل حتى يحصل له استيفاء الثواب قال عليه السلام لا يلقى الله احد الا نادما ان كان مسيئا
ان لم يحسن وان كان محسنا ان لم يزدد **قوله تعالى** ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا نكفر عنه سيئاته ويدخله قرأ نافع وابن عامر بالنون
فيهما والباقون بالياء **قوله تعالى** والذين كفروا وكذبوا باياتنا يعني القران اولئك اصحاب النار خالدين فيها وبئس المصير
قال ابن الخطيب فان قيل قال تعالى في حق المؤمنين ومن يؤمن بالله بلفظ المستقبل وفي الكفار قال والذين كفروا بلفظ الماضي فالجواب
ان تقدير الكلام ومن يؤمن بالله من الذين كفروا وكذبوا باياتنا ندخله جنات ومن لم يؤمن منهم اولئك اصحاب النار فان قيل قال
تعالى من يؤمن بلفظ الوحدان وخالدين بلفظ الجمع فالجواب ذلك بحسب اللفظ وهذا بحسب المعنى فان قيل ما الحكمة في قوله
وبئس المصير بعد قوله خالدين فيها وذلك بئس المصير فالجواب ان ذلك وان كان في معناه فلا بد من التصريح بما يؤكده **فصل**
لما ذكر ما للمؤمنين ذكر ما للكفار فقال ما اصاب من مصيبة الا باذن الله اي بارادته وقضائه وقال الفراء يريد الا بامر الله وقيل الا بعلم الله
وقيل سبب نزول هذه الاية ان الكفار قالوا لو كان ما عليه المسلمون حقا لصانهم الله عن المصائب في الدنيا فبين الرب تعالى ان ما
اصاب من مصيبة في نفس ومال او قول او فعل يقتضي هما او يوجب عقابا اجلا او عاجلا فبعلم الله وقضائه فان قيل بم يتصل
قوله ما اصاب من مصيبة الا باذن الله فالجواب يتعلق بقوله فامنوا بالله ورسوله كما ان من يؤمن بالله يصدق بانه لا تصيبه مصيبة
الا باذن الله **قوله تعالى** ومن يؤمن بالله اي يصدق ويعلم انه لا تصيبه مصيبة الا باذن الله يهد قلبه للصبر والرضا وقيل يثبته
على الايمان وقال ابو عثمان الحيري من صح ايمانه يهد الله قلبه لاتباع السنة وقيل ومن يؤمن بالله يهد قلبه عند المصيبة فيقول
انا لله وانا اليه راجعون قاله ابن جبير وقال ابن عباس هو ان يجعل الله في قلبه اليقين ليعلم ان ما اصابه لم يكن ليخطئه وان ما
اخطأه لم يكن ليصيبه وقال الكلبي هو اذا ابتلي صبر واذا انعم عليه شكر واذا ظلم غفر وقيل يهد قلبه الى نيل الثواب في الجنة
قوله تعالى يهد قلبه قرا العامة بالياء مجزوما جوابا للشرط لتقدم ذكر الله وابن جبير وابن هرمز وطلحة والازرق بالنون على
التعظيم والضحاك وابو حفص وابو عبد الرحمن وقتادة يهد مبنيا للمفعول قلبه قائم مقام الفاعل ومالك بن دينار وعمرو
بن دينار وعكرمة يهدأ بهمزة ساكنة قلبه فاعل به بمعنى يطمئن ويسكن وعمرو بن فايد يهدا بالف مبدلة من الهمزة كالتي قبلها
ولم يحذفها نظرا الى الاصل وهي افصح اللغتين وعكرمة ومالك بن دينار ايضا يهد بحذف هذه الالف اجراء لها مجرى الالف الاصلية
كقول زهير • جري متى يظلم يعاقب بظلمه • سريعا والا يبد بالظلم يظلم • وقد تقدم اعراب ما قبل هذه الاية وما بعدها
والله بكل شيء عليم لا يخفى عليه تسليم من انقاد لامره ولا كراهة من كرهه **قوله تعالى** واطيعوا الله واطيعوا الرسول اي هونوا
على انفسكم المصائب واشتغلوا بطاعة الله واعملوا بكتابه واطيعوا الرسول في العمل بسنته فان توليتم عن الطاعة فليس على الرسول الا البلاغ
المبين **قوله تعالى** الله لا اله الا هو اي لا معبود سواه ولا خالق غيره قال ابن الخطيب قوله لا اله الا هو يحتمل ان يكون من جملة ما تقدم
من الاوصاف الحميدة بحضرة الله تعالى من قوله له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير فان من كان موصوفا بهذه الاوصاف
فهو الذي لا اله الا هو **قوله تعالى** وعلى الله فليتوكل المؤمنون قال الزمخشري هذا بعث لرسول الله صلى الله عليه وسلم على التوكل
عليه حتى ينصره على من كذبه وتولى عنه **قوله تعالى** يا ايها الذين امنوا ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم فاحذروهم قال
ابن عباس نزلت هذه الاية بالمدينة في عوف بن مالك الاشجعي شكا الى النبي صلى الله عليه وسلم جفا اهله وولده فنزلت ذكره النحاس
وحكاه الطبري عن عطا بن يسار قال نزلت سورة التغابن كلها بمكة الا هؤلاء الايات يا ايها الذين امنوا ان من ازواجكم
واولادكم عدوا لكم فاحذروهم نزلت في عوف بن مالك الاشجعي كان ذا اهل وولد وكان اذا اراد الغزو بكوه ورققوه
وقالوا الى من تدعنا فيرق فيقيم فنزلت هذه الاية الى اخر السورة بالمدينة وروى الترمذي عن ابن عباس وسئل عن هذه الاية
قال هؤلاء رجال اسلموا من اهل مكة وارادوا ان ياتوا النبي صلى الله عليه وسلم فابى ازواجهم واولادهم ان يدعوهم ان ياتوا النبي صلى الله
عليه وسلم فلما اتوا النبي صلى الله عليه وسلم راوا الناس قد فقهوا في الدين فهموا ان يعاقبوهم فانزل الله تعالى هذه الاية [illegible]

حسن صحيح **فصل** قال ابن العربي هذا يبين وجه العداوة فان العدو لم يكن عدوا بذاته انما كان عدوا بفعله
فاذا فعل الزوج والولد فعل العدو كان عدوا ولا فعل اقبح من الحيلولة بين العبد وبين الطاعة وفي صحيح البخاري عن ابي
هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الشيطان قعد لابن ادم في طريق الايمان فقال له اتؤمن وتذر دينك ودين ابائك فخالفه
فامن ثم قعد على طريق الهجرة فقال له اتهاجر وتترك اهلك ومالك فخالفه فهاجر ثم قعد على طريق الجهاد فقال له اتجاهد فتقتل
نفسك فتنكح نساؤك ويقسم مالك فخالفه فجاهد فقتل فحق على الله ان يدخله الجنة وقعود الشيطان يكون بوجهين احدهما
يكون بالوسوسة والثاني ان يحمل على ما يريد من ذلك الزوج والولد والصاحب قال تعالى وقيضنا لهم قرناء فزينوا لهم ما بين
ايديهم وما خلفهم وفي حكمة عيسى عليه السلام من اتخذ اهلا ومالا وولدا كان في الدنيا عبدا وقال عليه السلام تعس عبد الدينار تعس
عبد الدرهم تعس عبد الخميصة تعس عبد القطيفة ولا دناءة اعظم من عبادة الدينار والدرهم ولا همة اخس من همة ترتفع بثوب
جديد واعلم ان قوله ان من ازواجكم يدخل فيه الذكر والانثى فكما ان الرجل تكون زوجته وولده عدوا له كذلك المرأة يكون زوجها
عدوا لها بهذا المعنى **قوله تعالى** فاحذروهم اي فاحذروهم على انفسكم والحذر على النفس يكون بوجهين اما بضرر في البدن او بضرر
في الدين وضرر البدن يتعلق بالدنيا وضرر الدين يتعلق بالاخرة فحذر الله تعالى العبد من ذلك قال ابن الخطيب وقيل اعلم الله تعالى
ان الاموال والاولاد من جملة ما تقع به الفتنة وهذا عام يعم جميع الاولاد فان الانسان مفتون بولده فانه ربما عصى الله تعالى
بسببه وباشر الفعل الحرام لاجله كغصب مال الغير ونحوه **قوله تعالى** وان تعفوا وتصفحوا وتغفروا فان الله غفور رحيم
روى الطبري عن عكرمة في قوله تعالى يا ايها الذين امنوا ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم فاحذروهم قال كان الرجل يريد
ان ياتي النبي صلى الله عليه وسلم فيقول اهله اين تذهب وتدعنا قال فاذا اسلم وفقه قال لارجعن الى الذين كانوا ينهون عن هذا
الامر فلافعلن ولافعلن قال فانزل الله عز وجل وان تعفوا وتصفحوا وتغفروا فان الله غفور رحيم وقال مجاهد في هذه الاية
ما عادوهم في الدنيا ولكن حملتهم مودتهم على ان اتخذوا لهم الحرام فاعطوهم اياه والاية عامة في كل معصية يرتكبها الانسان بسبب
الاهل والولد وخصوص السبب لا يمنع عموم الحكم **قوله تعالى** انما اموالكم واولادكم فتنة اي بلاء واختبار يحملكم على كسب الحرام
ومنع حق الله تعالى فلا تطيعوهم في معصية الله وفي الحديث يؤتى برجل يوم القيمة فيقال اكل عياله حسناته وقال بعض السلف
العيال سوس الطاعات وقال ابن مسعود لا يقولن احدكم اللهم اعصمني من الفتنة فانه ليس احد منكم يرجع الى مال وولد الا وهو
مشتمل على فتنة ولكن ليقل اللهم اني اعوذ بك من مضلات الفتن وقال الحسن في قوله تعالى ان من ازواجكم ادخل من للتبعيض لان
كلهم ليسوا باعداء ولم يذكر في قوله تعالى انما اموالكم واولادكم فتنة لانهما لا يخلوان من الفتنة واشتغال القلب بهما روى الترمذي وغيره عن عبد الله
بن بريدة عن ابيه قال رايت النبي صلى الله عليه وسلم يخطب فجاء الحسن والحسين عليهما السلام وعليهما قميصان احمران يمشيان ويعثران
فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم فحملهما ووضعهما بين يديه ثم قال صدق الله عز وجل انما اموالكم واولادكم فتنة نظرت الى هذين
الصبيين يمشيان ويعثران فلم اصبر حتى قطعت حديثي ورفعتهما ثم اخذ في خطبته والله عنده اجر عظيم يعني الجنة فلا اعظم
اجرا منها **قوله تعالى** فاتقوا الله ما استطعتم قال قتادة والربيع بن انس والسدي وابن زيد هذه الاية ناسخة لقوله تعالى
اتقوا الله حق تقاته ذكر الطبري عن ابن زيد في قوله تعالى يا ايها الذين امنوا اتقوا الله حق تقاته قال جاء امر شديد قالوا ومن يعرف
قدر هذا ويبلغه فلما عرف الله انه قد اشتد ذلك عليهم نسخها عنهم وجاء بهذه الاية الاخرى فقال اتقوا الله ما استطعتم وقال ابن
عباس هي محكمة لا نسخ فيها ولكن حق تقاته ان يجاهد لله حق جهاده ولا يأخذهم في الله لومة لائم ويقوموا لله بالقسط ولو على
انفسهم واباءهم وابنائهم فان قيل اذا كانت الاية غير منسوخة فكيف الجمع بين الايتين وما وجه الامر بالتقوى حق تقاته
مطلقا من غير تخصيص ولا شرط والامر بالتقوى بشرط الاستطاعة فالجواب ان قوله تعالى فاتقوا الله ما استطعتم
معناه فاتقوا الله ايها الناس وراقبوه فيما جعله فتنة لكم من اموالكم واولادكم ان تغلبكم فتنتهم وتصدكم عن الواجب لله عليكم
من الهجرة من ارض الكفر الى ارض الاسلام فتتركوا الهجرة وانتم مستطيعون وذلك ان الله تعالى قد كان عذر من لم يقدر على الهجرة
بتركها بقوله تعالى ان الذين توفاهم الملائكة ظالمي انفسهم الى قوله فاولئك عسى الله ان يعفو عنهم فاخبر انه قد عفا عمن لا
يستطيع حيلة ولا يهتدي سبيلا بالاقامة في دار الشرك فكذلك معنى قوله ما استطعتم في الهجرة من دار الشرك الى دار الاسلام
ان تتركوها بفتنة اموالكم واولادكم ويدل على صحة هذا ان قوله تعالى فاتقوا الله ما استطعتم عقيب قوله يا ايها الذين امنوا
ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم فاحذروهم ولا خلاف بين علماء التاويل ان هذه الايات نزلت بسبب قوم كفار تاخروا
عن الهجرة من دار الشرك الى دار الاسلام بتثبيط اولادهم اياهم عن ذلك كما تقدم وهذا اختيار الطبري وقال ابن جبير قوله فاتقوا الله
ما استطعتم فيما تطوع به من نافلة او صدقة فانه لما نزل قوله تعالى اتقوا الله حق تقاته اشتد على القوم فقاموا حتى ورمت
عراقيبهم وتقرحت جباههم فانزل الله تعالى تخفيفا عنهم فاتقوا الله ما استطعتم فنسخت الاولى قال الماوردي ويحتمل ان
يثبت هذا النقل لان المكره على المعصية غير مؤاخذ بها لانه لا يستطيع اتقاءها **قوله تعالى** واسمعوا واطيعوا اي اسمعوا

ما توعظون به واطيعوا ما تومرون به وتنتهون عنه وقال مقاتل اسمعوا اي اصغوا الي ما ينزل عليكم من كتاب الله وهو الاصل في السماع واطيعوا الرسول فيما يامركم او ينهاكم وقيل معنى واسمعوا اي اقبلوا ما تسمعون وعبر عنه بالسماع لانه فايدته

قوله تعالى وانفقوا قال ابن عباس هي الزكوة وقيل هي النفقة في النفل وقال الضحاك هي النفقة في الجهاد وقال الحسن هي نفقة الرجل لنفسه قال ابن العربي وانما اوقع قايل هذا قوله لانفسكم وخفي عليه ان نفقة الفرض والنفل في الصدقة على نفسه قال الله تعالى ان احسنتم احسنتم لانفسكم وان اسأتم فلها فكلما يفعله الرجل من خير فانما هو لنفسه والصحيح انها عامة قوله تعالى خيرا لانفسكم في نصبه اوجه احدها قال سيبويه انه مفعول بفعل مقدر دل عليه وانفقوا تقديره ايتوا في الانفاق خيرا لانفسكم او قدموا خيرا لانفسكم كقوله انتهوا خيرا لكم الثاني تقديره يكن الانفاق خيرا فهو خبر كان المضمرة وهو قول ابي عبيد الثالث انه نعت مصدر محذوف وهو قول الكسايي والفراء اي انفاقا خيرا الرابع انه حال وهو قول الكوفيين الخامس انه مفعول بقوله انفقوا اي انفقوا مالا خيرا قوله تعالى ومن يوق شح نفسه فاوليك هم المفلحون تقدم نظيره وكذا ان تقرضوا الله قرضا حسنا يضاعفه لكم تقدم في سورة البقرة والحديد ويغفر لكم والله شكور حليم تقدم معنى الشكور في البقرة والحليم الذي لا يعجل قال بعضهم في القرض الحسن هو التصدق من الحلال وقيل التصدق بطيب النفس والقرض هو الذي يرجى بدله قوله تعالى عالم الغيب والشهادة اي ما غاب وحضر وهو العزيز اي الغالب القاهر فهو من صفات الافعال ومنه قوله عز وجل تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم اي من الله القاهر المحكم خالق الاشيا وقال الخطابي وقد يكون بمعنى نفاسة القدر يقال منه عز يعز بكسر العين فيكون معنى العزيز على هذا انه لا يعادله شي وانه لا مثل له الحكيم في تدبير خلقه وقال ابن الانباري الحكيم هو المحكم لخلق الاشيا صرف عن مفعل الى فعيل ومنه قوله عز وجل الر تلك ايات الكتاب الحكيم معناه المحكم فصرف عن مفعل الى فعيل والله اعلم روي الثعلبي عن عبد الله بن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من مولود يولد الا في تشابيك راسه مكتوب خمس ايات من فاتحة سورة التغابن وعن زر بن حبيش قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة التغابن دفع عنه موت الفجاة والله تعالى اعلم بالصواب

سورة الطلاق مكية

وهي مدنية احدى عشرة اية وقيل اثنتي عشرة اية ومايتان وتسع واربعون كلمة والف وستون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى يا ايها النبي اذا طلقتم النساء قال ابن الخطيب وجه تعلق اول هذه السورة باخر التي قبلها هو انه تعالى اشار في اخر التي قبلها الى كمال علمه بقوله عالم الغيب والشهادة وفي اول هذه السورة اشار الى كمال علمه بمصالح النساء والاحكام المخصوصة بطلاقهن فكانه بين ذلك الكلي بهذه الجزئيات فصل وهذا الخطاب فيه اوجه احدها انه خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم خوطب بلفظ الجمع تعظيما له كقوله • فان شيت حرمت النساء سواكم • وان شيت لم اطعم نقاخا ولا بردا • الثاني انه خطاب له ولامته والتقدير يا ايها النبي وامته اذا طلقتم النساء فحذف المعطوف لدلالة ما بعده عليه لقوله • اذا نكحت فيه رجلها • اي ويداها كقوله سرابيل تقيكم الحر اي والبرد الثالث انه خطاب لامته فقط بعد ندايه عليه السلام وهو من تلوين الخطاب خاطب امته بعد ان خاطبه الرابع انه على اضمار قول اي يا ايها النبي قل لامتك اذا طلقتم قال القرطبي قيل انه خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد امته وغاير بين اللفظين من حاضر وغايب وذلك لغة فصيحة كقوله اذا كنتم في الفلك وجرين بهم والتقدير يا ايها النبي قل لهم اذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن وهذا هو قولهم ان الخطاب له وحده والمعنى له وللمومنين واذا اراد الله بالخطاب المومنين لاطفه بقوله يا ايها النبي واذا كان الخطاب باللفظ والمعنى جميعا له قال يا ايها الرسول قال القرطبي ويدل على صحة هذا القول نزول العدة في اسما بنت يزيد بن السكن الانصارية روى ابو داود انها طلقت على عهد النبي صلى الله عليه وسلم ولم يكن للمطلقة عدة فانزل الله تعالى العدة للطلاق حين طلقت اسما فكانت اول من نزل فيها العدة للطلاق الخامس قال الزمخشري خص النبي صلى الله عليه وسلم بالندا وعم بالخطاب لان النبي امام امته وقدوتهم كما يقال لرييس القوم وكبيرهم يا فلان افعلوا كيت وكيت اعتبارا لتقدمه واظهارا لترويسه في كلام حسن وهذا هو معنى القول الثالث المتقدم قال القرطبي وقيل المراد به نداء النبي صلى الله عليه وسلم تعظيما ثم ابتدا اذا طلقتم النساء كقوله تعالى يا ايها الذين امنوا انما الخمر والميسر الاية فذكر المومنين تكريما ثم افتتح فقال انما الخمر والميسر والانصاب والازلام الاية ومعنى اذا طلقتم اي اذا اردتم كقوله اذا قمتم الى الصلوة فاذا قرات القران وتقدم تحقيقه فصل روى ابن ماجة عن ابن عباس عن عمر بن الخطاب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم طلق حفصة ثم راجعها وعن انس قال طلق رسول الله صلى الله عليه وسلم حفصة رضي الله عنها فاتت اهلها فانزل الله تعالى يا ايها النبي اذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن وقيل له راجعها فانها

صوامة قوامة وهي من ازواجك في الجنة ذكره الماوردي والقشيري والثعلبي وزاد القشيري ونزل في خروجها الى اهلها قوله تعالى لا تخرجوهن من بيوتهن وقال الكلبي سبب نزول هذه الاية غضب رسول الله صلى الله عليه وسلم على حفصة لما اسر اليها حديثا فاظهرته لعايشة فطلقها تطليقة فنزلت الاية وقال السدي نزلت في عبد الله بن عمر طلق امراته حايضا تطليقة واحدة فامره النبي صلى الله عليه وسلم بان يراجعها ثم يمسكها حتى تطهر ثم تحيض ثم تطهر فان اراد ان يطلقها فليطلقها حين تطهر من قبل ان يجامعها فتلك العدة التي امر الله ان يطلق لها النسا وقد قيل ان رجالا فعلوا مثل ما فعل عبد الله بن عمر منهم عبد الله بن عمرو بن العاص وعمرو بن سعيد بن العاص وعتبة بن غزوان فنزلت الاية فيهم قال ابن العربي وهذا كله وان لم يكن صحيحا فالقول الاول امثل والاصح فيه انه بيان لشرع مبتدا فصل روى الثعلبي من حديث ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من ابغض الحلال الى الله الطلاق وعن علي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال تزوجوا ولا تطلقوا فان الطلاق يهتز منه العرش وعن ابي موسى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تطلقوا النسا الا من ريبة فان الله عز وجل لا يحب الذواقين ولا الذواقات وعن ابي موسى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما حلف بالطلاق ولا استحلف به الا منافق اسندهم الثعلبي وروى الدارقطني عن معاذ بن جبل قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يا معاذ ما خلق الله تعالى شيا على وجه الارض احب اليه من العتاق ولا خلق الله تعالى شيا ابغض اليه من الطلاق فاذا قال الرجل لمملوكه انت حر ان شا الله فهو حر ولا استثنا له واذا قال الرجل لامراته انت طالق ان شا الله فله استثناوه ولا طلاق عليه وعن معاذ بن جبل قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما احل الله شيا ابغض اليه من الطلاق فمن طلق واستثنى فله ثنياه قال ابن المنذر اختلفوا في الاستثناء في الطلاق والعتق فقالت طايفة بجوازه وهو مروي عن طاوس وبه قال حماد الكوفي والشافعي وابو ثور واصحاب الراي وقال مالك والاوزاعي لا يجوز الاستثناء في الطلاق والعتق وقال قتادة لا يجوز الاستثناء في الطلاق خاصة قال ابن المنذر وبالقول الاول اقول فصل روى الدارقطني عن ابن عباس انه قال الطلاق على اربعة وجوه وجهان حلالان ووجهان حرامان فاما الحلال فان يطلقها طاهرا من غير جماع وان يطلقها حاملا مستبينا حملها واما الحرام فان يطلقها حايضا او ان يطلقها حين يجامعها لا يدري اشتمل الرحم على ولد ام لا واعلم ان الطلاق في حال الحيض والنفاس بدعة وكذلك في الطهر الذي جامعها فيه لقول النبي صلى الله عليه وسلم وان شا طلق قبل ان يمس وطلاق السنة ان يطلقها في طهر لم يجامعها فيه وهذا في حق امراة تلزمها العدة بالاقرا فاما طلاق غير المدخول بها في حيضها او الصغيرة التي لم تحض والايسة بعد ما جامعها او طلق الحامل بعد ما جامعها او في حال روية الدم لا يكون بدعيا ولا سنة لقوله عليه السلام ثم ليطلقها طاهرا او حاملا والخلع في حال الحيض او في طهر جامعها فيه لا يكون بدعيا لان النبي صلى الله عليه وسلم اذن لثابت بن قيس في مخالعة زوجته من غير ان يعرف حالها ولولا جوازه في جميع الاحوال لاستفسره قوله تعالى لعدتهن قال الزمخشري مستقبلات لعدتهن اي عند اول ما تعتد لهن كقولك اتيته لليلة بقيت من المحرم اي مستقبلا لها وفي قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم في قبل عدتهن انتهى وناقشه ابو حيان في تقدير الحال التي تعلق بها الجار كونا خاصا وقال الجار اذا وقع حالا انما يتعلق بكون مطلق وفي مناقشته نظر لان الزمخشري لم يجعل الجار حالا بل جعله متعلقا بمحذوف دل عليه معنى الكلام وقال ابو البقا لعدتهن اي عند اول ما يعتد لهن وهن في قبل الطهر وهذا تفسير معنى لا تفسير اعراب وقال ابو حيان هو على حذف مضاف اي لاستقبال عدتهن واللام للتوقيت نحو لقيته لليلة بقيت من شهر كذا انتهى فعلى هذا يتعلق اللام بطلقوهن وقال الجرجاني فطلقوهن لعدتهن صفة للطلاق كيف يكون وهذه اللام تجي لمعان مختلفة للاضافة وهي اصلها ولبيان السبب والعلة لقوله تعالى انما نطعمكم لوجه الله وبمعنى عند كقوله تعالى اقم الصلوة لدلوك الشمس اي عنده وبمنزلة في كقوله تعالى اخرج الذين كفروا من ديارهم لاول الحشر اي في اول الحشر وهي في هذه الاية بهذا المعنى لان المعنى فطلقوهن في عدتهن اي في الزمان الذي يصلح لعدتهن فصل قال القرطبي قوله لعدتهن يقتضي انهن اللاتي دخل بهن الازواج لان غير المدخول بهن خرجن بقوله تعالى يا ايها الذين امنوا اذا نكحتم المومنات ثم طلقتموهن من قبل ان تمسوهن فما لكم عليهن من عدة تعتدونها وحصل الاجماع على ان الطلاق في الحيض ممنوع منه وفي الطهر ماذون فيه وهذا يدل على ان القرء هو الطهر فان قيل معنى قوله فطلقوهن لعدتهن اي في قبل عدتهن او لقبل عدتهن وهي قراءة النبي صلى الله عليه وسلم كما قال ابن عمر فقبل العدة اخر الطهر حتى يكون القرء الحيض قيل هذا هو الدليل الواضح لمن قال بان الاقرا هي الاطهار ولو كان كما قال الحنفي ومن تابعه لوجب ان يقال ان من طلق في اول الطهر لا يكون مطلقا لقبل الحيض لان الحيض لم يقبل بعد وايضا اقبال الحيض يكون بدخول الحيض وبانقضا الطهر لا يتحقق اقبال الحيض ولو كان اقبال الشي ادبار ضده لكان الصايم مفطرا قبل انقضا النهار ثم اذا طلق في اخر الطهر فبقية الطهر قرء لان بعض القرء يسمى قرءا لقوله تعالى الحج اشهر معلومات يعني شوال وذو القعدة وبعض ذي الحجة وكقوله فمن تعجل في يومين وهو ينفر في بعض اليوم الثاني وقال البغوي معنى قوله لعدتهن اي لطهرهن الذي يحصنه من عدتهن وكان ابن عباس وابن عمر يقرا ان

فطلقوهن في قبل عدتهن والآية نزلت في عبد الله بن عمر **فصل** من طلق في طهر جامع فيه او حائضا نفذ طلاقه واخطأ
السنة وقال سعيد بن المسيب في اخرى لا يقع الطلاق في الحيض لانه خلاف السنة واليه ذهبت الشيعة **فصل** قال
عبد الله بن مسعود طلاق السنة ان يطلقها في كل طهر تطليقة فاذا كان آخر ذلك فتلك العدة التي امر الله بها قال القرطبي قال
علماؤنا طلاق السنة ما جمع شروطا سبعة وهي ان يطلقها واحدة وهي ممن تحيض طاهرا لم يمسها في ذلك الطهر ولا تقدمه طلاق
في حيض ولا تبعه طلاق في طهر يتلوه وخلا عن العوض وهذه الشروط السبعة من حديث ابن عمر وقال الشافعي طلاق السنة ان يطلقها
في كل طهر خاصة ولو طلقها ثلاثا في كل طهر لم يكن بدعة قال ابن العربي وهذه غفلة عن الحديث الصحيح فانه قال مره فليراجعها
وهذا يدفع الثلاث وفي الحديث انه قال ارايت لو طلقها ثلاثا قال حرمت عليك وبانت منك بمعصية وقال ابو حنيفة ظاهر الآية
يدل على ان الطلاق الثلاث والواحدة سواء وهو مذهب الشافعي لولا قوله بعد ذلك لا تدري لعل الله يحدث بعد ذلك امرا
وهذا يبطل دخول الثلاث تحت الآية وبذلك قال اكثر العلماء قال القرطبي واما مالك فلم يخف عليه اطلاق الآية ولكن الحديث
فسرها واما قول الشعبي فمردود بحديث ابن عمر واحتج الشافعي بان عبد الرحمن بن عوف طلق امراته تماضر بنت الاصبغ الكلبية وهي ام ابي سلمة
ثلاث تطليقات في كلمة واحدة ولم يبلغنا ان احدا من الصحابة عاب ذلك وان حفص بن المغيرة طلق امراته فاطمة بنت قيس على عهد
رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث تطليقات في كلمة واحدة فابانها منه رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يبلغنا ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم عاب ذلك عليه وبحديث عويمر العجلاني لما لاعن قال يا رسول الله هي طالق ثلاثا فلم ينكر عليه النبي صلى الله
عليه وسلم **فصل** روى ابو داود عن اسماء بنت يزيد بن السكن الانصارية انها طلقت على عهد رسول الله صلى الله
عليه وسلم ولم يكن للمطلقة عدة فانزل الله تعالى حين طلقت اسماء بالعدة للطلاق فكانت اول من انزل فيها العدة للطلاق
قوله تعالى واحصوا العدة يعني في المدخول بها اي احفظوا الوقت الذي وقع فيه الطلاق قيل امر باحصاء العدة لتفريق
الطلاق على الاقراء اذا اراد ان يطلق ثلاثا وقيل للعلم ببقاء زمان الرجعة ومراعاة امر النفقة والسكنى وفي المخاطب
بالاحصاء اقوال احدها انهم الازواج والثاني هم الزوجات والثالث هم المسلمون قال ابن العربي والصحيح انهم الازواج
لان الضمائر كلها من طلقتم واحصوا ولا تخرجوهن على نظام واحد فرجع الى الازواج ولكن الزوجات داخلة فيه بالالحاق
لان الزوج يحصي ليراجع وينفق او يقطع وليسكن او يخرج وليلحق نسبه او يقطع وهذه كلها امور مشتركة بينه وبين المراة
وتنفرد المراة دونه بغير ذلك وكذلك الحاكم يفتقر الى احصاء العدة للفتوى عليها وفصل الخصومة عند المنازعة فيها وهذه
فوائد الامر باحصاء العدة **قوله تعالى** واتقوا الله ربكم اي لا تعصوه ولا تخرجوهن من بيوتهن اي ليس للزوج ان يخرجها من مسكن
النكاح ما دامت في العدة ولا يجوز لها الخروج ايضا لحق الزوج الا لضرورة ظاهرة فان خرجت اثمت ولا تنقطع العدة فان قيل
ما الحكمة في قوله تعالى واتقوا الله ربكم ولم يقتصر على قوله واتقوا الله فالجواب ان في هذا من المبالغة ما ليس في ذلك فان لفظ
الرب ينبههم على نعمة التربية وينبه على كثرة الانعام بوجوه كثيرة فيبالغون في التقوى حينئذ خوفا من فوت تلك التربية **فصل**
والرجعية والمبتوتة في هذا سواء وذلك لصيانة ماء الرجل وهذا معنى اضافة البيوت اليهن كقوله تعالى واذكرن ما يتلى في
بيوتكن وقوله تعالى وقرن في بيوتكن فهو اضافة اسكان لا اضافة تمليك وقوله لا تخرجوهن يقتضي ان يكون حقا على الازواج
وقوله ولا يخرجن يقتضي انه حق على الزوجات فلا يجوز لها ان تخرج ما لم تنقض عدتها فان خرجت لغير ضرورة او حاجة اثمت
فان وقعت ضرورة او خافت هدما او غرقا فلها ان تخرج الى منزل آخر وكذلك ان كانت لها حاجة من بيع غزل او شراء قطن فيجوز
لها الخروج نهارا ولا يجوز ليلا فان رجالا استشهدوا باحد فقالت نساؤهم نستوحش في بيوتنا فاذن لهن النبي صلى الله عليه
وسلم ان يتحدثن عند احداهن فاذا كان وقت الليل تاوي كل امراة الى بيتها واذن النبي صلى الله عليه وسلم لخالة جابر لما طلقها
زوجها ان تخرج لجذاذ نخلها واذا لزمتها العدة في السفر تعتد ذاهبة وجائية والبدوية تتبوى حيث يتبوى اهلها في العدة
لان الانتقال في حقهم كالاقامة في حق المقيم وقال ابو حنيفة ذلك في المتوفى عنها زوجها واما المطلقة فلا تخرج ليلا
ولا نهارا وهذا مردود بحديث فاطمة بنت قيس لما ارسل اليها زوجها ابو حفص بن عمرو بتطليقة كانت بقيت من طلاقها وارسل
اليها وكيله بشعير فسخطته فقال لها الحارث بن هشام وعياش بن ابي ربيعة والله ما لك من نفقة الا ان تكوني حاملا فاتت
النبي صلى الله عليه وسلم فذكرت له قولهما فقال لا نفقة لك وفي رواية ولا سكنى فاستاذنت في الانتقال فاذن لها ان
تعتد في بيت ابن ام مكتوم فلما انقضت عدتها انكحها النبي صلى الله عليه وسلم اسامة بن زيد فارسل اليها مروان قبيصة بن ذؤيب
يسالها عن الحديث فحدثته فقال مروان لم نسمع هذا الحديث الا من امراة سناخذ بالعصمة التي وجدنا الناس عليها فقالت
فاطمة حين بلغها قول مروان فبيني وبينكم القرآن قال الله عز وجل لا تخرجوهن من بيوتهن قال هذا لمن كانت له رجعة لقوله
لعل الله يحدث بعد ذلك امرا فاي امر يحدث بعد الثلاث فكيف تقولون لا نفقة لها اذا لم تكن حاملا فعلام تحبسونها لفظ مسلم
فبين ان الآية في تحريم الاخراج والخروج انما هو في الرجعية فاستدلت فاطمة بان الآية انما تضمنت النهي عن خروج المطلقة

الرجعية

الرجعية لانها بصدد ان يحدث لمطلقها راي في ارتجاعها ما دامت في عدتها فكانها تحت تصرف الزوج في كل وقت واما
البائن فليس له شيء من ذلك فيجوز ان تخرج اذا دعتها الى ذلك حاجة **قوله تعالى** الا ان ياتين بفاحشة قال ابن عباس وابن عمر
والحسن والشعبي ومجاهد هو الزنا فتخرج ويقام عليها الحد وعن ابن عباس ايضا انه البذاء على احمائها فيحل لهم اخراجها وعن سعيد
بن المسيب انه قال في فاطمة تلك امراة فتنت الناس انها كانت لسنة فوضعت على يدي ابن ام مكتوم الاعمى قال عكرمة في مصحف ابي الا
ان يفحشن عليكم ويقوي هذا ان محمد بن ابراهيم بن الحارث روى ان عائشة قالت لفاطمة بنت قيس اتقي الله فانك تعلمين لم اخرجت
وعن ابن عباس ايضا ان الفاحشة كل معصية كالزنا والسرقة والبذاء على الاهل وهو اختيار الطبري وعن ابن عمر ايضا والسدي
الفاحشة خروجها من بيتها في العدة وتقدير الآية الا ان ياتين بفاحشة مبينة بخروجهن من بيوتهن بغير حق اي لو خرجت كانت
عاصية وقال قتادة الفاحشة النشوز وذلك ان يطلقها على النشوز فتتحول عن بيته قال ابن العربي اما من قال انه الخروج
للزنا فلا وجه له لان ذلك الخروج هو خروج القتل والاعدام وليس ذلك بمستثنى في حلال ولا حرام واما من قال انه البذاء
فهو مفسر في حديث فاطمة بنت قيس واما من قال انه كل معصية فوهم لان الغيبة ونحوها من المعاصي لا تبيح الاخراج ولا الخروج
واما من قال انه الخروج بغير حق فهو صحيح وتقدير الكلام لا تخرجوهن من بيوتهن ولا يخرجن شرعا الا ان يخرجن تعديا **قوله تعالى**
مبينة قرئ بكسر الياء ومعناه ان الفاحشة اذا تفكرت فيها تبين انها فاحشة وقرئ بفتح الياء المشددة والمعنى انها مبينة
بالبراهين مبينة بالحجج **قوله تعالى** وتلك حدود الله اي هذه الاحكام المبينة احكام الله على العباد وقد منع التجاوز عنها الى غيرها
ومن يتجاوزها فقد ظلم نفسه واوردها مورد الهلاك **قوله تعالى** لا تدري لعل الله يحدث بعد ذلك امرا الامر الذي يحدثه هو
ان يقلب قلبه من بغضها الى محبتها ومن الرغبة عنها الى الرغبة فيها ومن عزيمة الطلاق الى الندم عليه فيراجعها وقال جميع
المفسرين اراد بالامر هنا الرغبة في الرجعة ومعنى الكلام التحريض على طلاق الواحدة والنهي عن الثلاث فانه اذا طلق ثلاثا
اضر بنفسه عند الندم على الفراق والرغبة في الارتجاع فلا يجد للمراجعة سبيلا وقال مقاتل معنى قوله بعد ذلك اي بعد طلقة
او طلقتين امرا اي المراجعة من غير خلاف **قوله تعالى** لعل الله هذه الجملة مستانفة لا تعلق لها بما قبلها لان النحاة لم يعدوها
في المعلقات وقد جعلها ابو حيان مما ينبغي ان يعدوها وقرر ذلك في قوله وان ادري لعله فتنة لكم فهناك يطلب تحريره
قوله تعالى فاذا بلغن اجلهن قرا العامة اجلهن لان الاجل من حيث هو واحد وان اختلفت انواعه بالنسبة الى المعتدات وقرا الضحاك
وابن سيرين آجالهن جمع تكسير اعتبارا بان اجل هذه غير اجل تلك **فصل** معنى قوله فاذا بلغن اجلهن اي قاربن انقضاء
العدة كقوله تعالى اذا طلقتم النساء فبلغن اجلهن فامسكوهن اي قربن من انقضاء الاجل فامسكوهن بمعروف يعني المراجعة
بالمعروف اي بالرغبة من غير قصد المضارة في الرجعة تطويلا لعدتها كما تقدم في البقرة او فارقوهن بمعروف اي اتركوهن حتى
تنقضي عدتهن فيملكن انفسهن وفي قوله فاذا بلغن اجلهن ما يوجب ان يكون القول قول المراة في انقضاء عدتها اذا ادعت
ذلك على ما تقدم في البقرة عند قوله تعالى ولا يحل لهن ان يكتمن ما خلق الله في ارحامهن الآية **فصل** قال بعض العلماء
في قوله تعالى فامسكوهن بمعروف او فارقوهن بمعروف وقوله فامساك بمعروف او تسريح باحسان ان الزوج له حق في
بدن المراة ولها حق في بدنه وذمته فكل من له دين في ذمة غيره سواء كان مالا او منفعة من ثمن او مثمن او اجرة او منفعة
او صداق او نفقة او بدل سلف او ضمان مغصوب فعليه ان يؤدي ذلك الحق الواجب باحسان وعلى صاحب الحق ان يتبع
باحسان كما قال تعالى في آية القصاص فمن عفي له من اخيه شيء فاتباع بالمعروف واداء اليه باحسان وكذلك الحق الثابت
في بدنه مثل حق الاستمتاع والاجارة على عينه ونحو ذلك الطالب يطلب بمعروف والمطلوب يؤدي باحسان **قوله تعالى** واشهدوا
ذوي عدل منكم امر بالاشهاد على الطلاق وقيل على الرجعة قال القرطبي والظاهر رجوعه الى الرجعة لا الى الطلاق فان راجع
من غير اشهاد ففي صحة الرجعة قولان وقيل المعنى واشهدوا عند الرجعة والفرقة جميعا وهذا الاشهاد مندوب اليه عند
ابي حنيفة كقوله تعالى واشهدوا اذا تبايعتم وعند الشافعي واجب في الرجعة مندوب في الفرقة وفائدة الاشهاد ان لا يقع
بينهما التجاحد وان لا يتهم في امساكها ولئلا يموت احدهما فيدعي الباقي ثبوت الزوجية ليرث **فصل**
الاشهاد على الرجعة ندب عند الجمهور واذا جامع او قبل او باشر يريد بذلك الرجعة فليس براجع وقال ابو حنيفة واصحابه
اذا قبل او باشر او لمس بشهوة فهو رجعة وكذلك النظر الى الفرج رجعة وقال الشافعي وابو ثور اذا تكلم بالرجعة فهي رجعة
وقيل وطؤه مراجعة على كل حال نواها او لم ينوها وهو مذهب احمد واليه ذهب الليث وبعض المالكية قال القرطبي
وكان مالك يقول اذا وطئ ولم ينو الرجعة فهو وطء فاسد ولا يعود الى وطئها حتى يستبرئها من مائه الفاسد وله الرجعة
في بقية العدة الاولى وليس له رجعة في هذا الاستبراء **فصل** اوجب الاشهاد في الرجعة الامام احمد في احدى
الروايتين عنه والشافعي كذلك لظاهر الامر وقال مالك وابو حنيفة واحمد والشافعي في القول الآخر ان الرجعة لا تفتقر
الى القبول فلم تفتقر الى الاشهاد كسائر الحقوق وخصوصا حل الظهار بالكفارة **فصل** اذا ادعى بعد

انقضاء العدة انه راجع امرأته في العدة فان صدقته جاز وان انكرت حلفت فان اقام بينة انه ارتجعها في العدة ولم تعلم
بذلك لم يضر جهلها بها وكانت زوجته وان كانت قد تزوجت ولم يدخل بها ثم اقام الاول البينة على رجعتها فعن مالك في ذلك
روايتان احدهما ان الاول احق بها والاخرى ان الثاني احق بها فان كان الثاني قد دخل بها فلا سبيل للاول اليها **قوله تعالى**
ذوي عدل منكم قال الحسن من المسلمين وعن قتادة من احراركم وذلك يوجب اختصاص الشهادة على الرجعة بالذكور دون الاناث
لان ذوي للمذكر قال القرطبي ولذلك قال علماؤنا لا مدخل للنساء فيما عدا الاموال وتقدم ذلك في البقرة **قوله تعالى** واقيموا
الشهادة لله اي تقربا الى الله في اقامة الشهادة على وجهها اذا مست الحاجة اليها من غير تبديل ولا تغيير ذلكم يوعظ به اي يرضى به
من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فاما غير المؤمن فلا ينتفع بهذه المواعظ **قوله تعالى** ومن يتق الله يجعل له مخرجا قال الزمخشري قوله ومن
يتق الله جملة اعتراضية مؤكدة لما سبق من اجراء الطلاق على السنة كما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم سئل عمن طلق ثلاثا او الفا هل له
من مخرج فتلاها وقال ابن عباس والشعبي والضحاك هذا في الطلاق خاصة اي من طلق كما امره الله يكن له مخرج في الرجعة في العدة
وان يكون كاحد الخطاب بعد العدة وعن ابن عباس ايضا يجعل له مخرجا ينجيه من كل كرب في الدنيا والآخرة وقيل المخرج هو ان
يقنعه الله بما رزقه قاله علي بن صالح وقال الكلبي ومن يتق الله بالصبر عند المصيبة يجعل له مخرجا من النار الى الجنة وقال الحسن
مخرجا مما نهى الله عنه وقال ابو العالية مخرجا من كل شدة وقال الربيع بن خثيم مخرجا من كل شيء ضاق على الناس وقال الحسين
بن الفضل ومن يتق الله في اداء الفرائض يجعل له مخرجا من العقوبة ويرزقه الثواب من حيث لا يحتسب اي يبارك له فيما آتاه وقال
سهل بن عبد الله ومن يتق الله في اتباع السنة يجعل له مخرجا من عقوبة اهل البدع ويرزقه الجنة من حيث لا يحتسب وقال ابو
سعيد الخدري ومن تبرأ من حوله وقوته بالرجوع الى الله يجعل له مخرجا مما كلفه الله بالمعونة له وتأول ابن مسعود ومسروق
الآية على العموم وقال ابو ذر قال النبي صلى الله عليه وسلم اني لاعلم آية لو اخذ الناس بها لكفتهم وتلا ومن يتق الله يجعل له مخرجا
ويرزقه من حيث لا يحتسب فما زال يكررها ويعيدها وقال ابن عباس قرأ النبي صلى الله عليه وسلم ومن يتق الله يجعل له مخرجا
ويرزقه من حيث لا يحتسب قال مخرجا من شبهات الدنيا ومن غمرات الموت ومن شدائد يوم القيامة وقال اكثر المفسرين نزلت في عوف
بن مالك الاشجعي اسر المشركون ابنا له يسمى سالما فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم يشكو اليه الفاقة وقال ان العدو اسر ابني
وجزعت الام فما تأمرني فقال عليه السلام اتق الله واصبر وآمرك واياها ان تستكثرا من قول لا حول ولا قوة الا بالله فعاد الى
بيته وقال لامرأته ان رسول الله صلى الله عليه وسلم امرني واياك ان نستكثر من قول لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم فقالت
نعم ما امرنا به فجعلا يقولان فغفل العدو عن ابنه فساق غنمهم وجاء بها الى ابيه وهي اربعة آلاف شاة فنزلت الآية وجعل
النبي صلى الله عليه وسلم تلك الاغنام له وروي انه جاء وقد اصاب بالامن العدو وكان فقيرا فقال الكلبي انه اصاب خمسين
بعيرا وفي رواية فافلت ابنه من الاسر وركب ناقة للقوم ومر في طريقه بسرح لهم فاستاقه وقال مقاتل اصاب غنما ومتاعا
فسأل ابوه النبي صلى الله عليه وسلم ايحل لي ان آكل مما اتى به ابني قال نعم ونزلت ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب
وروى الحسن عن عمران بن الحصين قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من انقطع الى الله كفاه الله كل مؤنة ورزقه من حيث لا يحتسب
ومن انقطع الى الدنيا وكله الله اليها وقال الزجاج اي اذا اتقى وآثر الحلال والتصبر على اهله فتح الله عليه ان كان ذا ضيقة ورزقه
من حيث لا يحتسب وعن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من اكثر الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجا ومن كل ضيق مخرجا
ورزقه من حيث لا يحتسب **قوله تعالى** ومن يتوكل على الله فهو حسبه اي من فوض اليه امره كفاه ما اهمه وقيل اي من اتقى الله
وجانب المعاصي وتوكل عليه فله فيما يعطيه في الآخرة من ثوابه كفاية ولم يرد الدنيا لان المتوكل قد يصاب في الدنيا
وقد يقتل وقال عليه السلام لو انكم تتوكلون على الله حق التوكل لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا **قوله تعالى**
ان الله بالغ امره قرأ حفص بالغ من غير تنوين امره مضافا اليه على التخفيف والباقون بالتنوين والنصب وهو الاصل خلافا لابي
حيان وقرأ ابن ابي عبلة وداود بن ابي هند وابو عمرو في رواية بالغ امره بتنوين بالغ ورفع امره وفيه وجهان احدهما ان يكون
بالغ خبرا مقدما وامره مبتدأ مؤخرا والجملة خبر ان والثاني ان يكون بالغ خبر ان وامره فاعل به قال الفراء اي امره بالغ وقيل
امره مرتفع ببالغ والمفعول محذوف والتقدير بالغ امره ما اراد وقرأ المفضل بالغا بالنصب امره بالرفع وفيه وجهان اظهرهما وهو
تخريج الزمخشري ان يكون بالغا نصبا على الحال وقد جعل الله هو خبر ان تقديره ان الله قد جعل لكل شيء قدرا بالغا امره والثاني
انه يكون على لغة من ينصب الاسم والخبر بها كقوله • ان حراسنا اسدا • ويكون قد جعل مستأنفا كما في القراءة المشهورة ومن رفع
امره فمفعول بالغ محذوف تقديره ما شاء كما تقدم عن القرطبي **فصل** قال مسروق يعني قاض امره فيمن توكل عليه
وفيمن لم يتوكل عليه الا ان من توكل عليه يكفر عنه سيئاته ويعظم له اجرا **قوله تعالى** قد جعل الله لكل شيء قدرا قيل لما نزل
قوله تعالى فاذا بلغن اجلهن الى قوله مخرجا آية ومنها الى قوله تعالى قدرا آية اخرى وهذا للكوفي والمدني المجموع آية واحدة وقرأ
جناح بن حبيش قدرا بفتح الدال والمعنى لكل شيء من الشدة والرخاء اجلا ينتهي اليه وقيل تقديرا وقال السدي هو قدر الحيض

في الاجل والعدة وقال عبد الله بن رافع لما نزل قوله تعالى ومن يتوكل على الله فهو حسبه قال اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم
فنحن اذا توكلنا عليه نرسل ما كان لنا ولا نحفظه فنزلت ان الله بالغ امره فيكم وعليكم وقال الربيع بن خثيم ان الله قضى على نفسه
ان من توكل عليه كفاه ومن آمن به هداه ومن اقرضه جازاه ومن وثق به نجاه ومن دعاه اجاب له وتصديق ذلك في كتاب
الله ومن يؤمن بالله يهد قلبه ومن يتوكل على الله فهو حسبه ان تقرضوا الله قرضا حسنا يضاعفه لكم ومن يعتصم بالله فقد
هدي الى صراط مستقيم واذا سألك عبادي عني فاني قريب اجيب دعوة الداع اذا دعان **قوله تعالى** واللائي يئسن
تقدم الخلاف فيه وابو عمرو يقرأ هنا واللاي يئسن بالاظهار وقاعدته في مثله الادغام الا ان الياء لما كانت عنده
عارضة لكونها بدلا من همزة فكانه لم يجتمع مثلان وايضا فان سكونها عارض فكان ياء اللائي متحركة والحرف ما دام
متحركا لا يدغم في غيره وقرئ ييئسن فعلا ماضيا وقرئ ييئسن مضارعا ومن المحيض من نسائكم من الاولى لابتداء الغاية وهي
متعلقة بالفعل قبلها والثانية للبيان متعلقة بمحذوف واللائي مبتدأ وفعدتهن مبتدأ ثان وثلاثة اشهر خبره والجملة
خبر الاول والشرط معترض وجوابه محذوف ويجوز ان يكون ان ارتبتم جوابه فعدتهن ثلاثة اشهر والجملة الشرطية خبر المبتدأ
ومتعلق الارتياب محذوف فقيل تقديره ان ارتبتم في انها يئست ام لا لامكان ظهور حمل وان كان انقطع دمها وقيل
ان ارتبتم في دم البالغات مبلغ اليأس اهو دم حيض او استحاضة واذا كان هذا عدة المرتاب فيها فغير المرتاب فيها اولى وقيل
ما قيل ان ارتبتم بمعنى تيقنتم فهو من الاضداد **قوله تعالى** واللائي لم يحضن مبتدأ خبره محذوف فقدره جملة كالاولى
اي فعدتهن ثلاثة اشهر ايضا والاولى ان يقدر مفردا اي فكذلك او مثلهن ولو قيل بانه معطوف على اللائي يئسن عطف
المفردات واخبر عن الجميع بقوله فعدتهن لكان وجها حسنا واكثر ما فيه توسط الخبر بين المبتدأ وما عطف عليه وهذا
ظاهر قول ابي حيان واللائي لم يحضن معطوف على قوله واللائي يئسن فاعرابه مبتدأ كاعراب واللائي **قوله تعالى** واولات
الاحمال مبتدأ واجلهن مبتدأ ثان وان يضعن خبر المبتدأ الثاني وهو وخبره خبر الاول والعامة على افراد حملهن والضحاك
احمالهن **فصل** لما بين امر الطلاق والرجعة في التي تحيض وكانوا قد عرفوا عدة ذوات الاقراء عرفهم في هذه السورة
عدة التي لا ترى الدم قال ابو عثمان عمر بن سليمان لما نزلت عدة النساء في سورة البقرة في المطلقة والمتوفى عنها زوجها قال ابي
بن كعب يا رسول الله ان ناسا يقولون قد بقي من النساء من لم يذكر فيهن شيء الصغار والكبار وذوات الحمل فنزلت واللائي
يئسن الآية وقال مقاتل لما ذكر قوله تعالى والمطلقات يتربصن بانفسهن ثلاثة قروء قال خلاد بن النعمان يا رسول الله
فما عدة التي لم تحض وعدة التي انقطع حيضها وعدة الحبلى فنزلت واللائي يئسن من المحيض من نسائكم يعني قعدن عن الحيض
وقيل ان معاذ بن جبل سأل عن عدة الكبيرة التي يئست فنزلت الآية وقال مجاهد الآية واردة في المستحاضة لا تدري دم حيض
هو او دم علة **فصل** قال المفسرون واللائي يئسن من المحيض من نسائكم فلا يرجون ان يحضن ان ارتبتم اي
شككتم وقيل تيقنتم وهو من الاضداد يكون شكا ويقينا كالظن واختيار الطبري ان يكون المعنى ان شككتم فلم تدروا
ما الحكم فيهن وقال الزجاج ان ارتبتم في حيضها وقد انقطع عنها الحيض وكانت ممن يحيض مثلها قال القشيري وفي هذا
نظر لانا اذا شككنا هل بلغت سن الاياس لم نقل عدتها ثلاثة اشهر والمعتبر في سن الاياس اقصى عادة امرأة في العالم وقيل
غالب نساء عشيرة المرأة وقال مجاهد قوله ان ارتبتم للمخاطبين يعني لم تعلموا عدة الآيسة والتي لم تحض فالعدة هذه وقيل
المعنى ان ارتبتم ان الدم الذي يظهر منها من اجل كبر او من الحيض المعهود او من الاستحاضة فالعدة ثلاثة اشهر وقال عكرمة
وقتادة من الريبة المرأة المستحاضة التي لا يستقيم لها الحيض تحيض في اول الشهر مرارا وفي الاشهر مرة وقيل انه متصل
باول السورة والمعنى لا تخرجوهن من بيوتهن ان ارتبتم في انقضاء العدة قال القرطبي وهو اصح ما قيل فيه **فصل**
المرتابة في عدتها لم تنكح حتى تستبرئ نفسها من ريبتها ولا تخرج من العدة الا بارتفاع الريبة وقد قيل في المرتابة التي
ارتفع حيضها لا تدري ما رفعه انها تنتظر سنة من يوم طلقها زوجها منها تسعة اشهر استبراء وثلاثة عدة فان طلقها
فحاضت حيضة او حيضتين ثم ارتفع حيضها بغير يأس منها انتظرت تسعة اشهر ثم ثلاثة من يوم طهرت من حيضها ثم حلت
للازواج وهذا قول الشافعي بالعراق فعلى قياس هذا القول تقيم الحرة المتوفى عنها زوجها المستبرأة بعد التسعة اشهر اربعة اشهر
وعشرا والامة شهرين وخمس ليال بعد التسعة الاشهر وعن الشافعي ايضا ان اقراءها على ما كانت حتى تبلغ سن الآيسات
وهو قول النخعي والثوري وغيرهما وحكاه ابو عبيد عن اهل العراق **فصل** اذا ارتابت المرأة الشابة هل
هي حامل ام لا فان استبان حملها فاجلها وضعه وان لم يستبن فقال مالك عدة التي ارتفع حيضها وهي شابة سنة وبه
قال احمد واسحق ورووه عن عمر بن الخطاب وغيره واهل العراق يرون ان عدتها ثلاث حيض بعد ما كانت حاضت مرة واحدة
في عمرها وان مكثت عشرين سنة الى ان تبلغ من الكبر سنا تيأس من الحيض فيكون عدتها بعد الاياس ثلاثة اشهر قال الثعلبي
وهذا الاصح من مذهب الشافعي وعليه جمهور العلماء وروي ذلك عن ابن مسعود واصحابه قال الكيا وهو الحق لان الله تعالى

جعل عدة الآيسة ثلاثة اشهر والمرتابة ليست آيسة **فصل** فاما من تاخر حيضها لمرض فقال مالك
وبعض اصحابه تعتد تسعة اشهر ثم ثلاثة وقال اشهب هي كالمرضع بعد الفطام بالحيض او بالسنة وقد طلق حبان بن
منقذ امرأته وهي ترضع فمكثت سنة لا تحيض لاجل الرضاع ثم مرض حبان فخاف ان ترثه فخاصمها الى عثمان وعنده علي وزيد
فقالا نرى ان ترثه لانها ليست من القواعد ولا من الصغار فمات حبان فورثته واعتدت عدة الوفاة **فصل**
لو تاخر الحيض لغير مرض ولا رضاع فانها تنتظر سنة لا حيض فيها تسعة اشهر ثم ثلاثة كما تقدم فتحل ما لم ترتب بحمل فان
ارتابت بحمل اقامت اربعة اعوام او خمسة او سبعة على الاختلاف قال القرطبي واشهر الاقوال خمسة اعوام فان تجاوزتها حلت
وقال اشهب لا تحل ابدا حتى تنقطع عنها الريبة قال ابن العربي وهو الصحيح لانه اذا جاز ان يبقى الولد في بطنها خمسة اعوام
جاز ان يبقى عشرة واكثر من ذلك وروي مثله عن مالك **فصل** واما التي جهلت حيضها بالاستحاضة ففيها اقوال
قال ابن المسيب تعتد سنة وهو قول الليث قال الليث عدة المطلقة والمتوفى عنها زوجها اذا كانت مستحاضة سنة قال القرطبي وهو
مشهور قول علمائنا سواء علمت دم حيضها من دم استحاضتها وميزت ذلك او لم تميز عدتها في مذهب مالك سنة منها تسعة
اشهر استبراء وثلاثة عدة وقال الشافعي في احد قوليه عدتها ثلاثة اشهر وهو قول جماعة من التابعين والمتاخرين قال ابن العربي
وهو الصحيح عندي وقال ابو عمر المستحاضة اذا علمت اقبال حيضتها وادبارها اعتدت بثلاثة قروء قال القرطبي وهذا
اصح في النظر واثبت في القياس والاثر **قوله تعالى** واللائي لم يحضن يعني الصغيرة فعدتهن ثلاثة اشهر فاضمر الخبر
وانما كانت عدتها بالاشهر فان رأت الدم في زمن احتماله عند النساء انتقلت الى الدم لوجود الاصل واذا وجد الاصل لم يبق
للبدل حكم كما ان المسنة اذا اعتدت بالدم ثم ارتفع عادت الى الاشهر وهذا اجماع **قوله تعالى** واولات الاحمال اجلهن
وضع الحمل وان كان ظاهرا في المطلقة لانه عليها عطف واليها رجع عقب الكلام فانه في المتوفى عنها زوجها كذلك لعموم
الآية وحديث سبيعة كما مضى في سورة البقرة فاذا وضعت المرأة ما في بطنها من علقة او مضغة حلت عند مالك وقال الشافعي
واحمد وابو حنيفة لا تحل الا بوضع ما يتبين فيه شيء من خلق الانسان فان كانت حاملا بتوأمين لم تنقض عدتها حتى تضع
الثاني منهما **قوله تعالى** ومن يتق الله يجعل له من امره يسرا اي من يتقه في طلاق السنة يجعل له من امره يسرا في الرجعة وقال مقاتل
ومن يتق الله في اجتناب معاصيه يجعل له من امره يسرا في توفيقه للطاعة ذلك امر الله اي الذي ذكر من الاحكام امر الله انزله
اليكم وبينه لكم ومن يتق الله اي يعمل بطاعته يكفر عنه سيئاته ويعظم له اجرا اي في الآخرة **قوله تعالى** ويعظم له هذه قراءة
العامة مضارع اعظم وابن مقسم يعظّم بالتشديد مضارع عظّم مشددا والاعمش نعظم بالنون مضارع اعظم وهو التفات
من غيبة الى تكلم **قوله تعالى** اسكنوهن قال ابن الخطيب اسكنوهن وما بعده بيان لما شرط من التقوى في قوله ومن يتق الله كانه
قيل كيف نعمل بالتقوى في شأن المعتدات فقيل اسكنوهن **قوله تعالى** من حيث سكنتم فيه وجهان احدهما ان من للتبعيض
قال الزمخشري مبعضها محذوف معناه اسكنوهن مكانا من حيث سكنتم اي بعض مكان سكناكم كقوله تعالى يغضوا من ابصارهم
اي بعض ابصارهم قال قتادة ان لم يكن الا بيت واحد اسكنها في بعض جوانبه قال ابن الخطيب وقال الكسائي من صلة والمعنى
اسكنوهن حيث سكنتم والثاني انها لابتداء الغاية قاله الحوفي وابو البقاء قال ابو البقاء والمعنى تسببوا الى اسكانهن من الوجه
الذي تسكنون انفسكم ودل عليه قوله من وجدكم والوجد الغنى **قوله تعالى** من وجدكم فيه وجهان اظهرهما انه بدل
من قوله من حيث بتكرار العامل واليه ذهب ابو البقاء كانه قيل اسكنوهن من سعتكم والثاني انه عطف بيان لقوله من حيث سكنتم
واليه ذهب الزمخشري فانه قال بعد ان اعرب من حيث تبعيضية قال فان قلت فقوله من وجدكم قلت هو عطف بيان
لقوله من حيث سكنتم ومفسر له كانه قيل اسكنوهن مكانا من مسكنكم مما تطيقونه والوجد الوسع والطاقة وناقشه
ابو حيان بانه لم يعهد في عطف البيان اعادة العامل انما عهد هذا في البدل ولذلك اعربه ابو البقاء بدلا وقرأ العامة
وجدكم بضم الواو والحسن والاعرج وابو حيوة بفتحها والفياض بن غزوان وعمرو بن ميمون ويعقوب بكسرها وهي لغات
بمعنى واحد يقال وجدت في المال اجد وجدا وجدة والوجد الغنى والقدرة والوجد بفتح الواو الحزن ايضا والحب والغضب
فصل قال القرطبي روى اشهب عن مالك يخرج عنها اذا طلقها ويتركها في المنزل لقوله تعالى اسكنوهن فلو كان معها
ما قال اسكنوهن وقال ابن نافع قال مالك في قوله تعالى اسكنوهن من حيث سكنتم يعني المطلقات اللائي بن من ازواجهن
فلا رجعة لهم عليهن وليست حاملا فلها السكنى ولا نفقة لها ولا كسوة لانها بائن منه ولا يتوارثان ولا رجعة له عليها
وان كانت حاملا فلها الكسوة والنفقة والسكنى حتى تنقضي عدتها قال البغوي ونعني بالكسوة مؤنة السكنى فان كانت الدار التي
طلقها فيها ملكا للزوج وجب على الزوج ان يخرج ويترك الدار لها مدة عدتها وان كانت باجارة فعلى الزوج الاجرة وان كانت
عارية فرجع المعير فيها فعليه ان يكري لها دارا تسكنها فاما من لم تبن امته فانها امرأته يتوارثان ولا تخرج الا باذن زوجها
ما دامت في العدة ولم يؤمر بالسكنى لها لان ذلك لازم للزوج مع النفقة والكسوة حاملا كانت او غير حامل وانما امر بالسكنى

للبائن قال تعالى وان كن اولات حمل فانفقوا عليهن حتى يضعن حملهن فجعل عز وجل للحوامل البائنات من ازواجهن السكنى
والنفقة قال ابن العربي ان الله تعالى لما ذكر السكنى اطلقه لكل مطلقة فلما ذكر النفقة قيدها بالحمل فدل على ان المطلقة
البائن لا نفقة لها قال القرطبي اختلف العلماء في المطلقة ثلاثا على ثلاثة اقوال فمذهب مالك والشافعي ان لها السكنى ولا نفقة
لها ومذهب ابي حنيفة واصحابه ان لها السكنى والنفقة ومذهب احمد واسحق وابي ثور لا نفقة لها ولا سكنى لحديث فاطمة
بنت قيس قالت دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعي اخو زوجي فقلت ان زوجي طلقني وان هذا يزعم ان ليس لي سكنى
ولا نفقة قال بل لك السكنى والنفقة قال ان زوجها طلقها ثلاثا فقال النبي صلى الله عليه وسلم انما السكنى والنفقة على
من له عليها رجعة فلما قدمت الكوفة طلبني الاسود بن يزيد ليسألني عن ذلك وان اصحاب عبد الله يقولون ان لها السكنى
والنفقة وعن الشعبي قال لقيني الاسود بن يزيد فقال يا شعبي اتق الله وارجع عن حديث فاطمة بنت قيس فان عمر
كان يجعل لها السكنى والنفقة قلت لا ارجع عن شيء حدثتني فاطمة بنت قيس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
ولانه لو كان لها سكنى لما امر النبي صلى الله عليه وسلم ان تعتد في بيت ابن ام مكتوم واجيب عن ذلك بما روت عائشة
انها قالت كانت فاطمة في مكان وحش فخيف على ناحيتها وقال سعيد بن المسيب انما نقلت فاطمة لطول لسانها على احمائها
وقال قتادة وابن ابي ليلى لا سكنى الا للرجعية لقوله تعالى لا تدري لعل الله يحدث بعد ذلك امرا وقوله تعالى
اسكنوهن راجع الى ما قبله وهي المطلقة الرجعية **فصل** قال البغوي واما المعتدة من وطء الشبهة والمفسوخ
نكاحها بعيب او خيار عتق فلا سكنى لها ولا نفقة وان كانت حاملا والمعتدة من وفاة زوج لا نفقة لها حاملا
كانت او حائلا عند اكثر العلماء وروي عن علي ان لها النفقة ان كانت حاملا من التركة حتى تضع وهو قول شريح والشعبي
والنخعي والثوري واختلفوا في سكناها فللشافعي قولان احدهما لا سكنى لها بل تعتد حيث شاءت وهو قول علي
وابن عباس وعائشة وبه قال عطاء والحسن وهو مذهب ابي حنيفة والثاني لها السكنى وهو قول عمر وعثمان وعبد الله
بن مسعود وعبد الله بن عمر وبه قال مالك وسفيان الثوري واحمد واسحق لما روي كعب بن عجرة عن عمته زينب بنت كعب
ان الفريعة بنت مالك بن سنان وهي اخت ابي سعيد الخدري اخبرتها انها جاءت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
تسأله ان ترجع الى اهلها في بني خدرة فان زوجها خرج في طلب اعبد له ابقوا حتى اذا كان بطرف القدوم لحقهم فقتلوه
فسألت رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ارجع الى اهلي فان زوجي لم يتركني في منزل يملكه ولا نفقة فقالت فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم فانصرفت حتى اذا كنت في الحجرة او في المسجد دعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم
او امر بي فدعيت له فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف قلت قالت فرددت عليه القصة التي ذكرت من شأن
زوجي فقال امكثي حتى يبلغ الكتاب اجله قالت فاعتددت فيه اربعة اشهر وعشرا قالت فلما كان عثمان ارسل الي فسألني
عن ذلك فاخبرته فاتبعه وقضى به فمن قال بهذا القول قال اذنه للفريعة اولا بالرجوع الى اهلها صار منسوخا بقوله
امكثي في بيتك حتى يبلغ الكتاب اجله ومن لم يوجب السكنى قال امرها بالمكث آخرا استحبابا لا وجوبا **قوله تعالى** ولا
تضاروهن لتضيقوا عليهن قال مجاهد في المسكن وقال مقاتل في النفقة وهو قول ابي حنيفة وعن ابي الضحى هو ان
يطلقها فاذا بقي يومان من عدتها راجعها ثم طلقها **قوله تعالى** وان كن اولات حمل فانفقوا عليهن حتى يضعن حملهن
هذا في وجوب النفقة والسكنى للحامل المطلقة ثلاثا او اقل حتى تضع حملها فاما الحامل المتوفى عنها زوجها فقال علي
وابن عمر وابن مسعود وشريح والنخعي والشعبي وحماد وابن ابي ليلى وسفيان واصحابه ينفق عليها من جميع المال حتى تضع
وقال ابن عباس وابن الزبير وجابر بن عبد الله ومالك والشافعي وابو حنيفة واصحابهم لا ينفق عليها الا من نصيبها
وقد مضى في البقرة **قوله تعالى** فان ارضعن لكم يعني المطلقات اولادكم منهن فعلى الآباء ان يعطوهن اجرة رضاعهن
وللرجل ان يستاجر امرأته للرضاع كما يستاجر اجنبية ولا يجوز عند ابي حنيفة واصحابه الاستئجار اذا كان الولد منهن
ما لم يبن ويجوز عند الشافعي وتقدم القول في الرضاع في البقرة **قوله تعالى** وأتمروا وافتعلوا من الامر يقال ائتمر
القوم وتآمروا اي امر بعضهم بعضا وقال الكسائي ائتمروا تشاوروا وتلا قوله تعالى ان الملأ يأتمرون بك وانشد قول امرئ
القيس • ويعدو على المرء ما يأتمر **فصل** الخطاب في قوله وأتمروا للازواج والزوجات اي وليقبل بعضكم
من بعض ما امره به من المعروف الجميل والجميل منه توفير الاجرة عليها للارضاع وقيل ائتمروا في رضاع الولد فيما بينكم
بمعروف حتى لا يلحق الولد اضرار وقيل هو الكسوة والدثار وقيل معناه لا تضار والدة بولدها ولا مولود له بولده
قوله تعالى فسترضع قيل هو خبر في معنى الامر والضمير في له للاب لقوله فان ارضعن لكم والمفعول محذوف للعلم به
اي فسترضع الولد لوالده امرأة اخرى والظاهر انه خبر على بابه **قوله تعالى** وان تعاسرتم اي في اجرة الرضاع فابى
الزوج ان يعطي الام اجرة رضاعها وابت الام ان ترضعه فليس له اكراهها وليستأجر غيرها وقيل معناه وان تضايقتم

وان تعاسرتم فسترضع له اخرى فليسترضع لولده غيرها وقال الضحاك ان ابت الام ان ترضع استاجر لولده اخرى فان لم يقبل اجبرت امه
على الرضاع بالاجرة واختلفوا فيمن يجب عليه رضاع الولد فقال مالك رضاع الولد على الزوجة ما دامت الزوجية الا
لشرفها وموضعها فعلى الاب رضاعه يومئذ في ماله وقال ابو حنيفة لا يجب على الام بحال وقيل يجب عليها بكل حال
قوله تعالى فان طلقها فلا يجب عليها رضاعه الا ان لا يقبل ثدي غيرها فيلزمها حينئذ الارضاع فان اختلفا
في الاجرة فان دعت الى اجرة المثل وامتنع الاب الا تبرعا فالام اولى باجر المثل اذا لم يجد الاب متبرعا وان دعى الاب الى اجر المثل
وامتنعت الام لتطلب شططا فالاب اولى به فان اعسر الاب باجرتها اجبرت على رضاع ولدها قوله تعالى لينفق هذه
قراءة العامة اعني كسر اللام وجزم المضارع بها وحكى ابو معاذ القارئ لينفق بنصب الفعل على انها لام كي ونصب الفعل بعدها
باضمار ان ويتعلق الحرف حينئذ بمحذوف اي شرعنا ذلك لينفق وقرا العامة قدر مخففا وابن ابي عبلة قدر مشددا فصل
قال القرطبي هذه الاية اصل في وجوب النفقة للولد على الوالد دون الام خلافا لمحمد بن المواز يقول انها على الابوين على
قدر الميراث قال ابن العربي ولعل محمدا اراد انها على الام عند عدم الاب وفي البخاري عن النبي صلى الله عليه وسلم تقول لك المراة
انفق علي والا طلقني ويقول لك العبد انفق علي واستعملني ويقول لك ابنك انفق علي الى من تكلني فقد تعارض القرآن
والسنة وتوارد في مشرع واحد قوله تعالى لا يكلف الله نفسا الا ما اتاها اي من المال والمعنى لا يكلف الله الفقير مثل ما
يكلف الغني سيجعل الله بعد عسر يسرا اي بعد الضيق غنى وبعد الشدة سعة فصل قال ابن تيمية اذا اختلف الزوجان
في قبض النفقة والكسوة فقال القاضي ابو يعلى واتباعه ان القول قول الزوجة وهو مذهب ابي حنيفة والشافعي كما لو
اختلف اثنان في قبض سائر الحقوق مثل الصداق وثمن المبيع ونحو ذلك ومذهب مالك بخلاف ذلك وقال الغزالي فيها
وجهان وحسنوا قول الزوج قال ابن تيمية وكذلك يجيء لاصحاب احمد وجهان كما لو كان الصداق منفعة حصلت لها فقالت
حصلت من غيرك وقال بل حصلت مني مثل ان يصدقها تعليم قصيدة او غيرها مما يجوز جعله صداقا فانها اذا تعلمته من غيره
كان عليه الاجرة فان قال انا علمتها وقالت بل غيره ففيها وجهان وهكذا في النفقة فانها لا بد ان يكون قد ارتزقت في الزمن
الماضي وهو يقول انا رزقتها وهي تقول بل غيره والصواب المقطوع به انه لا يقبل قولها في ذلك مطلقا فان هذا فيه فساد
عظيم على هذا القول في مذهب الشافعي وقول احمد الموافق له ولا يجيء ذلك على مذهب مالك ولا على مذهب ابي حنيفة وقول احمد
الموافق له فانا اذا قلنا نفقة الزوجة تسقط بمضي الزمان كما هو المشهور من مذهب احمد وهو قول الشافعي والعمدة في ذلك الاثر
المعروف عن عمر بن الخطاب قال ابن المنذر ثبت ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه كتب الى امراء الاجناد في رجال غابوا عن نسائهم
فامرهم ان ينفقوا او يطلقوا فان طلقوا بعثوا بنفقة ما مضى وليس بقول قول الزوجة في ذلك ما يوزع احدا ولا ماله عما
لاصول فانه في تداعي الزوجين وغيرهما يرجح من تشهد له اليد الحكمية العرفية دون اليد الحسية ومعلوم ان المدعي عليه يترجح
تارة باليد في الاعيان وببراءة الذمة في الحقوق فكما ان في اليد لم يلتفت الى مجرد الحس بل يرجع الى اليد الحكمية التي يستدل عليها
بالافعال والتصرفات فكذلك في الاصل لا يلتفت الى مجرد العدم الحسي بل يرجع الاصل الذي يدل عليه الافعال والتصرفات
فكذلك في الاصل اذ الاصل الشرعي في الدعاوي ترجيح من الظاهر معه والظهور يستدل عليه بالافعال والتصرفات
والامور العادية كما يستدل عليه بمجرد اليد الحسية فاذا كانت العادة الغالبة والعرف المعروف يقتضي وجود فعل لم يكن
الظاهر عدمه حتى يرجح قول من يدعي عدمه وهذا ينبني على اصول احدها انه قد وجد نفقة وكسوة وانما تنازعا في المنفق فقال
هو مني وقالت هي من غيرك فهنا الاصل عدم غيره ثم انها تطالب بتعيين ذلك الغير فان ادعت ممتنعا لم يقبل بحال وان
ادعت ممكنا فهنا محل التردد فان انفاقه واجب والامر الحادث يضاف الى السبب القوي دون الضعيف والاصل الثاني
ان العادة والعرف اذا قضى بوجود امر فهل القول قول نافيه او قول مثبته والاصل الثالث ان ما يتعذر اقامة البينة عليه
لا يكلف اقامة البينة عليه كالوطء ومن المعلوم ان المعاشرة بالمعروف التي امر الله بها ورسوله ليس فيها شهادة على المراة بذلك
لان ذلك ليس من المعروف ولهذا لم يفعله احد على عهد سلف الامة ولا يفعله جماهير بني ادم وفعله اما متعذر واما متعسر
فانه ان اطعمها مما ياكل فليس عنده من يشهد على اطعامها وان ناولها طعاما كل يوم ففي التعسر المشهود في كل وقت وقد
يكونان ساكنين حيث لا شهود وهذا الظاهر بين الاصل الرابع ان المراة مفرطة بترك اخذ نفقتها منه بالمعروف ومطالبته
بها اذا كان لا ينفق بخلاف ما اذا كان غائبا وهي الصورة التي روي عن عمر انه امر فيها بنفقة الماضي بل قد يقال ان ذلك
رضى منها بترك النفقة وليس هذا قولا بسقوط النفقة في الماضي بل بان هذا دليل من جهة العرف على انها اما ان يكون قد
انفق عليها او تكون راضية بترك النفقة وهنا اصل خامس وهو ان العادة المعروفة تدل على ان المراة اذا سكتت مدة طويلة
عن المطالبة بالنفقة مع القدرة على الطلب كانت راضية بسقوطها فصل واما النفقة والكسوة
بالمعروف وهي الواجبة بنص القرآن فهو ما كان في عرف الناس في حالهما نوعا وقدرا وصفة وان كان ذلك يتنوع بتنوع حالهما

من اليسار والاعسار والزمان كالشتاء والصيف والليل والنهار والمكان فيطعمها في كل بلد مما هو عادة اهل
البلد والعرف عندهم وقال بعضهم هي مقدرة بالشرع نوعا وقدرا مدا من حنطة او مدا ونصفا او مدين قياسا على
الاطعام الواجب في الكفارة والصواب المقطوع به ما عليه الامة علما وعملا قديما وحديثا لقول الله تعالى رزقهن وكسوتهن
بالمعروف وقوله عليه السلام لهند خذي ما يكفيك وولدك بالمعروف ولم يقدر لها نوعا ولا قدرا ولو كان ذلك مقدرا
بشرع لبينه لها قدرا ونوعا كما بين فرائض الزكوات والديات وقال عليه السلام في خطبته بعرفات ولهن عليكم رزقهن
وكسوتهن بالمعروف ومن المعلوم ان الكفاية بالمعروف تتنوع بحال الزوجة في حاجتها وبتنوع الزمان والمكان وبتنوع
حال الزوج في يساره واعساره فليست كسوة القصيرة الضئيلة ككسوة الطويلة الجسيمة ولا كسوة الشتاء ككسوة الصيف
ولا كفاية طعام الشتاء مثل طعام الصيف ولا طعام البلاد الحارة كالباردة ولا المعروف في بلاد التمر والشعير كالمعروف
في بلاد الفاكهة والخبز وقال عليه السلام للذي ساله ما حق زوجة احدنا عليه قال تطعمها اذا اكلت وتكسوها اذا اكتسيت
ولا تضرب الوجه ولا تقبح ولا تهجر الا في البيت وهكذا قال في نفقة المماليك هم اخوانكم وخولكم جعلهم الله تحت ايديكم فمن كان
اخوه تحت يده فليطعمه مما ياكل وليلبسه مما يلبس ولا تكلفوهم ما يغلبهم فان كلفتموهم فاعينوهم ففي الزوجة والمملوك
امر واحد فالواجب على هذا هو الرزق والكسوة بالمعروف في النوع والقدر وصفة الانفاق فاما النوع فلا يتعين ان
يعطيها مكيلا كالبر ولا موزونا كالخبز ولا ثمن ذلك كالدراهم بل يرجع في ذلك الى العرف فاذا اعطاها كفايتها بالمعروف
مثل ان يكون عادتهم اكل التمر والشعير فيعطيها ذلك او يكون عادتهم اكل الخبز والادم فيعطيها ذلك او الطبيخ فيعطيها
ذلك وان كان عادتهم ان يعطيها حبا فتطحنه في البيت فعل ذلك وان كان يطحن في الطاحون ويخبز في البيت فعل ذلك
وان كان يخبز في غير البيت فعل ذلك وان كان يشتري مخبوزا من السوق فعل ذلك وكذلك الطبيخ ونحو ذلك هو
المعروف فلا يتعين عليه دراهم ولا حبا اصلا فان تعيين ذلك من المنكر ليس من المعروف وهو مضر بها تارة وبه تارة
وبهما اخرى وكذلك القدر لا يتعين مقدار مطردا بل تتنوع المقادير بتنوع الاوقات واما الانفاق فقد قيل ان الواجب
تمليكها النفقة والكسوة وقيل لا يجب التمليك وهو الصواب فان ذلك ليس من المعروف بل عرف النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمين
الى يومنا هذا ان الرجل ياتي بالطعام الى منزله فياكل هو وزوجته ومملوكه جميعا تارة وتارة افرادا ويفضل منه فضل تارة فيدخر
ولا يعرف المسلمون انه يملكها كل يوم دراهم تتصرف فيها تصرف الملاك بل من عاشر امراته بمثل هذا كانا عند المسلمين قد تعاشرا
بغير المعروف وتضارا في العشرة وانما يفعل احدهما ذلك بصاحبه عند الضرار لا عند العشرة بالمعروف وايضا فالنبي صلى الله
عليه وسلم اوجب للزوجة مثل ما اوجب للمملوك كما تقدم وقد اتفق المسلمون على انه لا يجب تمليك المملوك نفقته فدل
على عدم وجوب التمليك في حق الزوجة واذا تنازع الزوجان فمتى اعترفت الزوجة انه يطعمها اذا اكل ويكسوها اذا اكتسى وكان
ذلك هو المعروف لمثلهما في بلدهما فلا حق لها سوى ذلك وان انكرت ذلك امره الحاكم ان ينفق بالمعروف ليس على الحاكم
بل ولا له ان يامره بدراهم مقدرة مطلقا او حب مقدر مطلقا لكن يذكر المعروف الذي يليق بهما فصل
قال القرطبي في قوله تعالى لينفق ذو سعة اي لينفق الزوج على زوجته وعلى ولده الصغير على قدر وسعه فيوسع اذا كان
موسعا عليه ومن كان فقيرا فعلى قدر ذلك فتقدر النفقة بحسب حال المنفق والحاجة من المنفق عليه بالاجتهاد على مجرى العادة
وقال الشافعي النفقة مقدرة محدودة ولا اجتهاد للحاكم ولا المفتي فيها وتقديرها هو بحال الزوج وحده من يسره وعسره
ولا اعتبار بحالها فيجب لابنة الخليفة ما يجب لابنة الحارس فيلزم الزوج الموسر مدان والمتوسط مد ونصف والمعسر مد
لظاهر قوله تعالى لينفق ذو سعة من سعته فجعل الاعتبار بالزوج في اليسر والعسر ولان الاعتبار بحالها يؤدي الى الخصومة
لان الزوج يدعي انها تطلب فوق كفايتها وهي تزعم انها تطلب قدر كفايتها فقدرت قطعا للخصومة لهذه الاية ولقوله
تعالى على الموسع قدره وعلى المقتر قدره واجاب القرطبي بان هذه الاية لا تعطي اكثر من الفرق بين الغني والفقير وانها تختلف
بعسر الزوج ويسره فاما انه لا اعتبار بحال الزوجة فليس فيها وقد قال تعالى وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف
وذلك يقتضي تعلق المعروف في حقهما لانه لم يخص في ذلك واحدا منهما وليس من المعروف ان يكون كفاية الغنية مثل
نفقة الفقيرة وقد قال عليه السلام لهند خذي ما يكفيك وولدك بالمعروف فاحالها على الكفاية حين علم السعة من
حال ابي سفيان قوله تعالى وكاين من قرية عتت لما ذكر الاحكام ذكر وجوب مخالفة الامر وذكر عتو قوم وحلول
العذاب بهم وتقدم الكلام في كاين في ال عمران قوله تعالى عتت عن امر ربها ضمن عتت معنى اعرض كانه قيل اعرضت بسبب
عتوها اي عصت يعني القرية والمراد اهلها وقوله فحاسبناها الى اخره يعني في الاخرة واتى به بلفظ الماضي لتحققه وقيل
في الكلام تقديم وتاخير اي عذبناها عذابا نكرا في الدنيا بالجوع والقحط والسيف والخسف والمسخ وسائر المصائب
العذاب في الدنيا فيكون على حقيقته اي جازيناها بالعذاب في الدنيا وعذبناها عذابا نكرا في الاخرة وقيل

وحاسبناها في الآخرة حسابا شديدا والنكر المنكر وقرئ مخففا ومثقلا وقد مضى في سورة الكهف قوله تعالى
فذاقت وبال أمرها أي عاقبة كفرها وكان عاقبة أمرها خسرا أي هلاكا في الدنيا بما ذكرنا وفي الآخرة بجهنم قوله تعالى
أعد الله لهم تكرير للوعيد توكيدا وجوز الزمخشري أن يكون عتت وما عطف عليه صفة لقرية ويكون الخبر أي الجملة
من قوله أعد الله وعلى الأول يكون الخبر عتت وما عطف قوله تعالى الذين آمنوا منصوب بأعني بيانا للمنادى في قوله
يا أولي الألباب أي العقول أو يكون عطف بيان للمنادى أو نعتا له ويضعف كونه بدلا لعدم حلوله محل المبدل منه قوله تعالى
قد أنزل الله إليكم ذكرا رسولا في نصب رسولا أوجه أحدها قال الزجاج والفارسي إنه منصوب بالمصدر المنون قبله لأنه
ينحل لحرف مصدري وفعل كأنه قيل أن ذكر رسولا أو يكون ذكره الرسول قوله محمد رسول الله والمصدر المنون عامل كقوله
تعالى أو إطعام في يوم ذي مسغبة يتيما وقول الآخر ٭ بضرب بالسيوف رؤوس قوم ٭ أزلنا هامهن عن المقيل ٭
الثاني أنه جعل نفس الذكر مبالغة فأبدل منه ويكون محمولا على المعنى كأنه قال قد أظهر لكم ذكرا رسولا فيكون من باب
بدل الشيء من الشيء وهو هو الثالث أنه بدل منه على حذف مضاف من الأول تقديره أنزل ذا ذكر رسولا الرابع كذلك إلا أن
رسولا نعت لذلك المحذوف الخامس أنه بدل منه على حذف مضاف من الثاني أي ذكرا ذكر رسول السادس أن يكون رسولا بمعنى رسالة
فيكون رسولا بدلا صريحا من غير تأويل أو بيانا عند من يرى جريانه في النكرات كالفارسي إلا أن هذا يبعده قوله يتلو عليكم
لأن الرسالة لا تتلو إلا بمجاز الثامن أن يكون رسولا منصوبا بفعل مقدر أي أرسل رسولا لدلالة ما تقدم عليه قال البغوي
كأنه قيل أنزل إليكم قرآنا وأرسل رسولا وقيل مع رسول التاسع أن يكون منصوبا على الإغراء أي اتبعوا والزموا رسولا
هذه صفته **فصل** اختلف الناس في رسولا هل هو النبي صلى الله عليه وسلم أو القرآن نفسه أو جبريل قال الزمخشري
هو جبريل أبدل من ذكرا لأنه وصف بتلاوة آيات الله فكان إنزاله في معنى إنزال الذكر فصح إبداله منه قال أبو حيان ولا يصح لتباين
المدلولين بالحقيقة ولكونه لا يكون بدل بعض ولا بدل اشتمال انتهى قال شهاب الدين وهذا الذي قاله الزمخشري سبقه إليه
الكلبي وأما اعتراضه عليه فغير لازم لأنه إذن بولغ فيه حتى جعل نفس الذكر كما تقدم بيانه وقرئ رسول على إضمار مبتدأ أي هو
رسول وقيل الذكر هنا الشرف كقوله تعالى لقد أنزلنا إليكم كتابا فيه ذكركم وقوله تعالى وإنه لذكر لك ولقومك ثم بين الشرف
فقال رسولا والأكثر على أن المراد بالرسول محمد صلى الله عليه وسلم وقال الكلبي هو جبريل فيكونان جميعا منزلين قوله تعالى
يتلو عليكم آيات الله نعت للرسول وآيات الله القرآن مبينات قرأ العامة بفتح الياء أي بينها الله وبها قرأ ابن عباس وهي اختيار أبي
عبيد وأبي حاتم لقوله تعالى قد بينا لكم الآيات وقرأ ابن عامر وحفص وحمزة والكسائي بكسرها أي تبين لكم ما تحتاجون
إليه من الأحكام قوله تعالى ليخرج الذين آمنوا الجار متعلق إما بأنزل وإما بيتلو وفاعل يخرج إما ضمير الباري تعالى المنزل أو
ضمير الرسول أو الذكر والمراد بالذين آمنوا من سبق له ذلك في علم الله وقوله من الظلمات إلى النور أي من الكفر إلى الهدى والإيمان
قال ابن عباس نزلت في مؤمني أهل الكتاب وأضاف الإخراج إلى الرسول لأن الإيمان إنما حصل بطاعته قوله تعالى ومن يؤمن
هذا أحد المواضع التي روعي فيها اللفظ أولا ثم المعنى ثانيا ثم اللفظ آخرا وقد تقدم ذلك في المائدة قوله تعالى ندخله
جنات قرأ نافع وابن عامر بالنون والباقون بالياء وقوله خالدين قال بعضهم ليس قوله خالدين فيه ضمير عائد على من
إنما يعود على مفعول يدخله وخالدين حال منه والعامل فيها يدخله لا فعل الشرط هذه عبارة أبي حيان وفيها نظر
لأن خالدين حال من مفعول يدخله وخالدين عند القائلين بالقول الأول وكان أصلح العبارة أن يقال حال من
فاعل يدخله الثاني وهو جنات والخلود في الحقيقة لأصحابها وكان ينبغي على رأي البصريين أن يقال خالدين هم فيها
لجريان الوصف على غير من هو له **قوله تعالى** قد أحسن الله حال ثانية أو حال من الضمير في خالدين فتكون متداخلة ومعنى
قوله قد أحسن الله له رزقا أي وسع الله له في الجنات **قوله تعالى** الله الذي خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن يدل على كمال
قدرته وأنه يقدر على البعث والمحاسبة ولا خلاف في أن السموات سبع بعضها فوق بعض بدليل حديث الإسراء وغيره وقوله
ومن الأرض مثلهن يعني سبعا واختلف فيهن فقال الجمهور إنها سبع أرضين طباقا بعضها فوق بعض بين كل أرض
وأرض مسافة كما بين السماء والأرض وفي كل أرض سكان من خلق الله وقال الضحاك ومن الأرض مثلهن أي سبعا من
الأرضين ولكنها مطبقة بعضها على بعض من غير فتوق بخلاف السموات قال القرطبي والأول أصح لأن الأخبار دالة
عليه كما روى البخاري وغيره روى أبو مروان عن أبيه أن كعبا حلف له بالذي فلق البحر لموسى أن صهيبا حدثه أن محمدا
صلى الله عليه وسلم لم ير قرية يريد دخولها إلا قال حين يراها اللهم رب السموات السبع وما أظللن ورب الأرضين السبع
وما أقللن ورب الشياطين وما أضللن ورب الرياح وما أذرين إنا نسألك خير هذه القرية وخير أهلها ونعوذ بك
من شرها وشر أهلها وشر ما فيها وروى مسلم عن سعيد بن زيد قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من ظلم
قيد شبر من الأرض طوقه يوم القيامة من سبع أرضين قال الماوردي وعلى أنها سبع أرضين تختص دعوة أهل الإسلام بأهل

الأرض

الأرض العليا ولا يلزم من في غيرها من الأرضين وإن كان فيها من يعقل من خلق مميز وفي مشاهدتهم السماء واستمدادهم
الضوء منها قولان أحدهما أنهم يشاهدون السماء من كل جانب من أرضهم ويستمدون الضياء منها وهذا قول من جعل الأرض
كرة وحكى الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس أنها سبع أرضين منبسطة ليس بعضها فوق بعض يفرق بينها البحار وتظل جميعهم السماء
فعلى هذا إن لم يكن لأحد من أهل الأرض وصول إلى أرض أخرى اختصت دعوة الإسلام بأهل هذه الأرض وإن كان لقوم منهم
وصول إلى أرض أخرى احتمل أن يلزمهم دعوة الإسلام لإمكان الوصول إليهم لأن فصل البحار إذا أمكن سلوكها لا يمنع من
لزوم ما عم حكمه واحتمل أن لا يلزمهم دعوة الإسلام لأنها لو لزمتهم لكان النص بها واردا ولكان النبي صلى الله عليه وسلم
مأمورا وقال بعض العلماء السماء في اللغة عبارة عما علاك ففلك القمر بالنسبة إلى السماء الثانية أرض وكذلك السماء
الثانية بالنسبة إلى الثالثة أرض وكذلك البقية بالنسبة إلى ما تحته سماء وبالنسبة إلى ما فوقه أرض فعلى هذا تكون السموات
السبع وهذه الأرض الواحدة سبع سموات وسبع أرضين **قوله تعالى** مثلهن قرأ العامة بالنصب وفيه وجهان أحدهما
أنه عطف على سبع سموات قاله الزمخشري واعترض عليه أبو حيان بلزوم الفصل بين حرف العطف وهو على حرف واحد
وبين المعطوف بالجار والمجرور وهو مختص بالضرورة عند أبي علي قال شهاب الدين وهذا نظير قوله آتنا في الدنيا حسنة
وفي الآخرة حسنة عند ابن مالك وتقدم تحريره في سورة البقرة والنساء وهو نحو قوله وإذا حكمتم بين الناس ومن وراء إسحق
يعقوب والثاني أنه منصوب بمقدر بعد الواو أي وخلق مثلهن من الأرض واختلف الناس في المثلية فقيل مثلها في العدد
وقيل في بعض الأوصاف فإن المثلية تصدق بذلك والأول هو المشهور وقرأ عاصم في رواية مثلهن بالرفع على الابتداء
والجار قبله خبره **قوله تعالى** يتنزل الأمر يجوز أن يكون مستأنفا وأن يكون نعتا لما قبله قال أبو البقاء وقرأ أبو عمرو في
رواية وعيسى ينزل بالتشديد أي الله الأمر مفعول به والضمير في بينهن عائد على السموات والأرضين عند الجمهور أو على
السموات والأرض عند من يقول إنها أرض واحدة وقوله لتعلموا متعلق بخلق أو بيتنزل وقرأ العامة لتعلموا خطابا وبعضهم بياء الغيبة
فصل قال مجاهد يتنزل الأمر من السموات السبع إلى الأرضين السبع وقال الحسن بين كل سماءين أرض وأمر والأمر
هنا الوحي في قول مقاتل وغيره وعلى هذا يكون بينهن إشارة إلى بين هذه الأرض العليا التي هي أدناها وبين السماء السابعة
التي هي أعلاها وقيل الأمر هنا القضاء والقدر وهو قول الأكثرين فعلى هذا يكون المراد بقوله تعالى بينهن إشارة إلى ما بين
الأرض السفلى التي هي أقصاها وبين السماء السابعة التي هي أعلاها وقيل يتنزل الأمر بينهن بحياة بعض وموت بعض
وغنى قوم وفقر قوم وقيل ما يدبر فيهن من عجيب تدبيره فينزل المطر ويخرج النبات ويأتي بالليل والنهار والصيف
والشتاء ويخلق الحيوانات على اختلاف أنواعها وهيآتها فينقلهم من حال إلى حال قال ابن كيسان وهذا على اتساع اللغة كما يقال
للموت أمر الله وللريح والسحاب ونحوها قال قتادة في كل أرض من أرضه وسماء من سمائه خلق من خلقه وأمر من أمره وقضاء
من قضائه لتعلموا أن الله على كل شيء قدير أي من قدر على هذا الملك العظيم فهو على ما بينهما من خلقه أقدر ومن العفو والانتقام
أمكن وإن استوى كل ذلك في مقدوره ومكنته وأن الله قد أحاط بكل شيء علما فلا يخرج شيء عن علمه وقدرته ونصب علما
على المصدر المؤكد لأن أحاط بمعنى علم وقيل بمعنى وأن الله أحاط إحاطة علما روى الثعلبي عن أبي بن كعب قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة يا أيها النبي إذا طلقتم النساء مات على سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم

سورة التحريم

مدنية وهي ثنتا عشرة آية ومائتان وسبع وأربعون كلمة وألف وستون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم
قوله تعالى يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك قال ابن الخطيب وجه تعلق هذه السورة بما قبلها وذلك لاشتراكهما
في الأحكام المخصوصة بالنساء واشتراك الخطاب بالطلاق في أول تلك السورة يشترك مع الخطاب بالتحريم في أول هذه
السورة لأن الطلاق في أكثر الصور يشتمل على تحريم ما أحل الله وأما تعلق أول هذه السورة بآخر تلك السورة فلأن المذكور
في آخر تلك السورة يدل على عظمة حضرة الله تعالى وعلى كمال قدرته وعلمه ولما كان خلق السموات والأرض وما بينهما من العجائب
والغرائب مما يدل على القدرة على تحريم ما أحل الله فلهذا قال تعالى لم تحرم ما أحل الله **فصل** ثبت في صحيح مسلم عن عائشة
رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يمكث عند زينب بنت جحش فيشرب عندها عسلا قالت فتواطأت أنا وحفصة
أن أيتنا دخل النبي صلى الله عليه وسلم عليها فلتقل إني أجد منك ريح مغافير فدخل على إحداهما فقالت له ذلك فقال بل شربت
عسلا عند زينب بنت جحش ولن أعود له فنزل لم تحرم ما أحل الله لك إلى قوله إن تتوبا لعائشة وحفصة رضي الله عنهما أيضا

تحريم العسل

قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب الحلوى والعسل فكان اذا صلى العصر دار على نسائه فدخل على حفصة فاحتبس
عندها اكثر مما كان يحتبس فسألت عن ذلك فقيل لي اهدت لها امرأة من قومها عكة عسل فسقت رسول الله صلى الله عليه وسلم
منه شربة فقلت اما والله لنحتالن له فذكرت ذلك لسودة وقلت اذا دخل عليك فانه سيدنو منك فقولي له يا رسول الله اكلت
مغافير فانه سيقول لك لا فقولي له ما هذه الريح وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يشتد عليه ان يوجد منه الريح فانه سيقول
لك سقتني حفصة شربة عسل فقولي له جرست نحله العرفط وساقول ذلك وقوليه انت يا صفية فلما دخل على سودة قالت
سودة والذي لا اله الا هو لقد كدت ان اباديه بالذي قلت لي وانه لعلى الباب فرقا منك فلما دنا رسول الله صلى الله عليه وسلم
قلت يا رسول الله اكلت مغافير قال لا قلت فما هذه الريح قال سقتني حفصة شربة عسل قالت جرست نحله العرفط وساقول
ذلك له فلما دخل علي قلت له مثل ذلك ثم دخل على صفية فقالت مثل ذلك فلما دخل على حفصة قالت يا رسول الله الا اسقيك
منه قال لا حاجة لي به قالت تقول سودة سبحان الله لقد حرمناه قالت قلت لها اسكتي ففي هذه الرواية ان التي شرب عندها
النبي صلى الله عليه وسلم العسل حفصة وفي الاول زينب وروى ابن ابي مليكة عن ابن عباس انه شربه عند سودة وقد قيل
انما هي ام سلمة رواه اسباط عن السدي وقاله عطاء بن ابي مسلم قال ابن العربي وهذا كله جهل او تصور بغير علم فقال باقي نسائه
حسدا وغيرة لمن شرب ذلك عندها انا لنجد منك ريح المغافير والمغافير بقلة او صمغة متغيرة الرائحة فيها حلاوة واحدها
مغفور وجرست اكلت والعرفط نبت له ريح كريح الخمر وكان عليه السلام يعجبه ان يوجد منه الريح الطيبة ويكره الريح الخبيثة
لمناجاة الملك وقال ابن عباس اراد بذلك المرأة التي وهبت نفسها للنبي صلى الله عليه وسلم فلم يقبلها والمرأة ام شريك قاله عكرمة
وقيل ان التي حرم مارية القبطية وكان قد اهداها له المقوقس ملك الاسكندرية قال ابن اسحق هي من كورة انصنا من بلد
يقال له حفن فواقعها في بيت حفصة روى الدارقطني عن ابن عباس عن عمر قال دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم بام ولده
مارية في بيت حفصة فوجدته حفصة معها فقالت لم تدخلها بيتي ما صنعت بي هذا من بين نسائك الا من هواني عليك
فقال لها لا تذكري هذا لعائشة فهي علي حرام ان قربتها قالت حفصة فكيف تحرم عليك وهي جاريتك فحلف لها ان لا يقربها
فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم لا تذكريه لاحد فذكرته لعائشة فآلى لا يدخل على نسائه شهرا فاعتزلهن تسعا وعشرين ليلة
فانزل الله تعالى يا ايها النبي لم تحرم ما احل الله لك الاية قال القرطبي اصح هذه الاقوال اولها واضعفها اوسطها قال ابن العربي
اما ضعفه في السند فلعدم عدالة رواته واما ضعفه في معناه فلان رد النبي صلى الله عليه وسلم الموهوبة ليس تحريما لها
لان من رد ما وهب له لم يحرم عليه انما حقيقة التحريم بعد التحليل واما من روى انه حرم مارية القبطية فهو امثل في السند
واقرب الى المعنى ولكنه لم يدون في الصحيح بل روي مرسلا وانما الصحيح انه كان في العسل وانه شربه عند زينب وتظاهرت
عليه عائشة وحفصة فحلف ان لا يشربه واسر ذلك ونزلت الاية في الجميع فصل قوله تعالى لم تحرم ان كان
النبي صلى الله عليه وسلم لم يحلف فليس ذلك بيمين ولا يحرم قول الرجل هذا علي حرام شيئا حاشى الزوجة وقال ابو حنيفة
اذا اطلق حمل على المأكول والمشروب دون الملبوس وكانت يمينا توجب الكفارة وقال زفر هو يمين في الكل حتى في الحركة والسكون
واستدل المخالف بان النبي صلى الله عليه وسلم حرم العسل فلزمته الكفارة وقد قال تعالى قد فرض الله لكم تحلة ايمانكم
فسماه يمينا قال القرطبي ودليلنا قول الله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تحرموا طيبات ما احل الله لكم ولا تعتدوا وقوله تعالى
قل ارايتم ما انزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا قل الله اذن لكم ام على الله تفترون فذم الله المحرم الحلال ولم يوجب عليه كفارة
قال الزجاج ليس لاحد ان يحرم ما احل الله ولم يجعل لنبيه صلى الله عليه وسلم ان يحرم الا ما حرم الله عليه فمن قال لزوجته
او امته انت علي حرام فان لم ينو طلاقا ولا ظهارا فهذا اللفظ يوجب عليه كفارة اليمين ولو خاطب بهذا اللفظ جمعا من الزوجات
والاماء فعليه كفارة واحدة ولو حرم على نفسه طعاما او شيئا آخر لم يلزمه بذلك كفارة عند الشافعي ومالك ويجب بذلك
كفارة عند ابن مسعود والثوري وابي حنيفة فصل اذا قال الرجل لزوجته انت علي حرام قال القرطبي فيه
ثمانية عشر قولا احدها لا شيء عليه وبه قال الشعبي ومسروق وربيعة وابو سلمة واصبغ وهو عندهم كتحريم الماء والطعام
لقوله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تحرموا طيبات ما احل الله لكم والزوجة من الطيبات ومما احل الله وقوله تعالى ولا تقولوا
لما تصف السنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام فما لم يحرمه الله فليس لاحد ان يحرمه ولا ان يصير بتحريمه حراما ولم يثبت
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لما احله الله هو حرام علي وانما امتنع من مارية ليمين تقدمت منه وهو قوله
والله لا اقربها بعد اليوم وقال البغوي روي في تفسير ان حفصة لما اخبرت عائشة غضبت عائشة ولم تزل بنبي الله حتى
حلف ان لا يقربها فقيل له لم تحرم ما احل الله لك اي لم تمتنع منه بسبب اليمين يعني اقدم عليه وكفر وثانيها انها يمين تكفر
قاله ابو بكر الصديق وعمر بن الخطاب وعبد الله بن مسعود وابن عباس وعائشة رضي الله عنهم والاوزاعي وهو مقتضى الاية
قال سعيد بن جبير عن ابن عباس اذا حرم الرجل عليه امرأته فانما هي يمين يكفرها وقال ابن عباس لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة
يعني ان النبي صلى الله عليه وسلم كان حرم جاريته فقال تعالى لم تحرم ما احل الله لك الى قوله قد فرض الله لكم تحلة ايمانكم

تكفر يمينه وصير الحرام يمينا اخرجه الدارقطني وثالثها انه تجب فيها كفارة وليست بيمين قاله ابن مسعود ولان معنى
اليمين عنده التحريم فوقعت الكفارة على المعنى والاية ترده ورابعها هي ظهار ففيها كفارة الظهار قاله عثمان واحمد بن حنبل واسحق
ولانه انما حرم وطيها والظهار اقل درجات التحريم وخامسها انه ان نوى الظهار كان ظهارا وان نوى تحريم عينها عليه بغير طلاق
تحريما مطلقا وجبت كفارة يمين وان لم ينو فعليه كفارة يمين قاله الشافعي وسادسها انها طلقة رجعية قاله عمر بن الخطاب
والزهري وعبد العزيز بن ابي سلمة والماجشون وسابعها انها طلقة بائنة قاله حماد بن ابي سليمان وزيد بن ثابت ورواه
ابن خويز منداد عن مالك ولان الطلاق الرجعي لا يحرم المطلقة وثامنها انها ثلاث تطليقات قاله علي بن ابي طالب
وزيد بن ثابت ايضا وابو هريرة لانه التحريم المتيقن وتاسعها في المدخول بها ثلاث وينوي في غير المدخول بها قاله علي بن زيد
والحسن والحكم وهو مشهور مذهب مالك لان غير المدخول بها تبينها الطلقة وتحرمها وعاشرها هي ثلاث ولا ينوي بحال ولا في محل
وان لم يدخل بها قاله عبد الملك في المبسوطة وبه قال ابن ابي ليلى لانه اخذ بالحكم الاعظم فانه لو صرح بالثلاث لغير المدخول بها
لنفذ وحادي عشرها هي في التي لم يدخل بها واحدة وفي المدخول بها ثلاث قاله ابو مصعب ومحمد بن الحكم وثاني عشرها انه ان
نوى الطلاق والظهار كان ما نوى وان نوى الطلاق فواحدة بائنة الا ان ينوي ثلاثا فان نوى اثنتين فواحدة وان لم ينو شيئا
كانت يمينا وكان الرجل موليا من امرأته قاله ابو حنيفة واصحابه وبمثله قال زفر الا انه قال اذا نوى اثنتين الزمناه وثالث عشرها
انه لا تنعقد نية الظهار وانما يكون طلاقا قاله ابن القسم ورابع عشرها قال يحيى بن عمر يكون طلاقا فان ارتجعها لم يجز له وطؤها
حتى يكفر كفارة الظهار وخامس عشرها ان نوى الطلاق فما اراد من اعداده وان نوى واحدة فهي رجعية وهو قول الشافعي
رضي الله عنه وروي مثله عن ابي بكر وعمر وغيرهم من الصحابة والتابعين وسادس عشرها ان نوى ثلاثا فثلاثا وان نوى واحدة
فواحدة وان نوى يمينا فهي يمين وان لم ينو شيئا فلا شيء عليه وهو قول سفيان وبه قال الاوزاعي وابو ثور الا انهما قالا ان لم
ينو شيئا فهي واحدة وسابع عشرها له نيته ولا يكون اقل من واحدة قاله ابن شهاب وان لم ينو شيئا لم يكن شيئا قال ابن العربي
ورأيت لسعيد بن جبير وهو الثامن عشر ان عليه عتق رقبة وان لم يجعلها ظهارا ولست اعلم لها وجها ولا يبعد في المقالات
عندي قال القرطبي وقد روى الدارقطني عن سعيد بن جبير عن ابن عباس انه اتاه رجل فقال اني جعلت امرأتي علي حراما فقال
كذبت ليست عليك بحرام ثم تلا يا ايها النبي لم تحرم ما احل الله لك عليك اغلظ الكفارات عتق رقبة وقد قال جماعة من المفسرين
انه لما نزلت هذه الاية كفر عن يمينه بعتق رقبة وعاد الى مارية صلى الله عليه وسلم قاله زيد بن اسلم وغيره هذا كله في الزوجة
واما الامة فلا يلزم فيها شيء من ذلك الا ان ينوي به العتق عند مالك وذهب عامة العلماء الى ان عليه كفارة يمين قال ابن
العربي والصحيح انها طلقة واحدة لانه لو ذكر الطلاق لكان اقله وهو الواحدة الا ان يعدده فكذلك اذا ذكر التحريم يكون
اقله الا ان يقيده بالاكثر مثل ان يقول انت علي حرام الا بعد زوج فهذا نص في المراد فصل قال ابن الخطيب
قال صاحب النظم قوله لم تحرم استفهام بمعنى الانكار وذلك من الله تعالى نهي وتحريم الحلال مكروه لان الحلال لا يحرم الا بتحريم الله
تعالى فان قيل قوله تعالى لم تحرم ما احل الله لك يوهم ان هذا الخطاب بطريق العتاب وخطاب النبي عليه السلام ينافي ذلك لما فيه
من التشريف والتعظيم فالجواب ان هذا الخطاب ليس بطريق العتاب بل بطريق التنبيه على ان ما صدر منه لم يكن على ما ينبغي فان قيل
تحريم ما احل الله غير ممكن فكيف قال لم تحرم ما احل الله فالجواب ان المراد بهذا التحريم هو الامتناع من الانتفاع بالازواج لا اعتقاد
كونه حراما بعد ما احله الله تعالى فالنبي صلى الله عليه وسلم امتنع عن الانتفاع بها مع اعتقاد كونها حلالا فان من اعتقد ان هذا
التحريم هو تحريم ما احله الله تعالى فقد كفر فكيف يضاف الى الرسول عليه السلام مثل قوله قوله تعالى تبتغي يجوز ان يكون حالا من فاعل
تحرم اي لم تحرم مبتغيا به مرضات ازواجك ويجوز ان يكون تفسيرا لتحرم ويجوز ان يكون مستانفا فهو جواب للسؤال ومرضات
اسم مصدر وهو الرضا واصله مرضوة وقد تقدم ذلك والمصدر هنا يضاف اما للمفعول او الفاعل اي ان ترضي انت ازواجك
او يرضين والمعنى تفعل ذلك طلبا لرضاهن والله غفور اي لما اوجب المعاتبة رحيم برفع المؤاخذة قال القرطبي وقد قيل ان ذلك
كان ذنبا من الصغائر والصحيح انه معاتبة على ترك الاولى وانه لم يكن له صغيرة ولا كبيرة قوله تعالى قد فرض الله لكم فرض
اي بين لكم كقوله تعالى سورة انزلناها وفرضناها وقيل قد اوجب الله وقال صاحب النظم اذا وصل فرض بعلى لم يحتمل غير
الايجاب كقوله قد علمنا ما فرضنا عليهم واذا وصل باللام احتمل الوجهين قوله تعالى تحلة ايمانكم تحليل اليمين كفارتها اي
اذا احنثتم استباحة المحلوف عليه وهو قوله تعالى في سورة المائدة فكفارته اطعام عشرة مساكين قال القرطبي وتحصل
من هذا ان من حرم شيئا من المأكول والمشروب لم يحرم عليه لان الكفارة لليمين لا للتحريم وابو حنيفة يراه يمينا في كل شيء
ويعتبر الانتفاع المقصود فيما يحرم فاذا حرم طعاما فقد حلف على كله او امة فعلى وطئها او زوجة فعلى الايلاء منها اذا لم
يكن له نية وان نوى الظهار فظهار وان نوى الطلاق فطلاق بائن وكذلك ان نوى ثنتين او ثلاثا وان قال نويت الكذب دين
فيما بينه وبين الله تعالى ولا يدين في القضاء بابطال الايلاء وان قال كل حلال علي حرام فعلى الطعام والشراب اذا لم ينو والا

نعلي ما نوى ولا يراه الشافعي يمينا ولكن في الكفارة وجهان **قوله تعالى** تحلة مصدر حلل مضعفا نحو تكرمة وهذان ليسا
مقيسين فان قياس مصدر فعل التفعيل اذا كان صحيحا غير مهموز فاما المعتل اللام نحو زكى والمهموز نحو نبأ فمصدرهما
تفعلة نحو تزكية وتنبئة على انه قد جاء التفعيل كاملا في المعتل نحو قوله • باتت تنزي دلوها تنزيا • واصلها تحللة كتكرمة
فادغمت وانتصابها على المفعول به **فصل** قيل ان النبي صلى الله عليه وسلم كفر عن يمينه وقال الحسن لم يكفر لان النبي
صلى الله عليه وسلم قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وكفارة اليمين في هذه السورة انما امر بها الامة والاول اصح وان المراد
بذلك النبي صلى الله عليه وسلم ثم ان الامة تقتدي به في ذلك وقد نقل عن زيد بن اسلم انه عليه السلام كفر بعتق رقبة
وعن مقاتل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اعتق رقبة في تحريم مارية والله اعلم **فصل** قيل قد فرض الله لكم
تحليل ملك اليمين فبين في قوله تعالى ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له اي فيما قدر له في النساء الحلال اي حل لكم
ملك اليمين فلم تحرم مارية على نفسك مع تحليل الله اياها لك وقيل تحلة اليمين الاستثناء اي فرض الله لكم الاستثناء المخرج عن اليمين
ثم عند قوم يجوز الاستثناء من الايمان متى شاء وان تخلل مدة وعند الجمهور لا يجوز الا متصلا فكانه قال استثن بعد هذا فيما تحلف
عليه وتحلة اليمين تحليلها بالكفارة قال القرطبي والاصل تحللة فادغمت وتفعلة من مصادر فعل كالتوصية والتسمية فالتحلة
تحليل اليمين فكان اليمين عقد والكفارة حل وقيل التحلة الكفارة اي انها تحل للحالف ما حرم على نفسه اي اذا كفر صار كمن لم يحلف
فصل قال ابن الخطيب وتحلة القسم على وجهين احدهما تحليله بالكفارة كما في هذه الآية وثانيهما ان يستعمل
بمعنى الشيء القليل وهذا هو الاكثر كما روي من قوله عليه السلام لن يلج النار الا تحلة القسم يعني زمانا يسيرا وقرئ كفارة ايمانكم
قوله تعالى والله مولاكم اي وليكم وناصركم بازالة الحظر فيما تحرمونه على انفسكم وبالترخيص لكم في تحليل ايمانكم بالكفارة وبالثواب
على ما تخرجونه في الكفارة وهو العليم الحكيم **قوله تعالى** واذ اسر العامل فيه اذكر فهو مفعول به لا ظرف والمعنى اذكر اذ اسر النبي الى
بعض ازواجه يعني حفصة حديثا يعني تحريم مارية على نفسه واستكتامها اياها ذلك وقال الكلبي اسر اليها ان اباك وابا عائشة
يكونان خليفتي على امتي من بعدي وقال ابن عباس اسر امر الخلافة بعده الى حفصة فذكرته حفصة رواه الدارقطني في سننه
عن الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس في قوله تعالى واذ اسر النبي الى بعض ازواجه حديثا قال اطلعت حفصة على النبي صلى الله عليه وسلم
مع ام ابراهيم فقال لا تخبري عائشة فانطلقت حفصة فاخبرت عائشة فاظهره الله عليه فعرف بعضه واعرض عن بعض
قال اعرض عن قولها ان اباك واباها يكونان خليفتي من بعدي كره رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ينشر ذلك في الناس فلما نبأت
اخبرت عائشة لمصافاة كانت بينهما وكانتا متظاهرتين على ازواج النبي صلى الله عليه وسلم واظهره الله عليه اي اطلعه الله على
انها قد نبأت به **قوله تعالى** فلما نبأت به اصل نبأ وانبأ واخبر وخبر وحدث ان يتعدى لاثنين الى الاول بنفسها والى الثاني بحرف الجر
وقد يحذف الجار تخفيفا وقد يحذف الاول للدلالة عليه وقد جاءت الاستعمالات الثلاثة في هذه الآيات فقوله فلما نبأت به تعدى
لاثنين حذف اولهما والثاني مجرور بالباء اي نبأت به غيرها وقوله فلما نبأها به ذكرهما وقوله من انبأك هذا ذكرهما وحذف الجار وقرأ
طلحة بن مصرف فلما انبأت وهما لغتان انبأ ونبأ **قوله تعالى** عرف بعضه قرأ الكسائي بتخفيفها الراء قال القرطبي وبها قرأ علي وطلحة
بن مصرف وابو عبد الرحمن السلمي والحسن وقتادة والكلبي والاعمش عن ابي بكر وقال عطاء كان ابو عبد الرحمن السلمي اذا قرأ عليه الرجل عرف
مشددة حصبه بالحجارة وقرأ الباقون بتشديد الراء فالتثقيل يكون المفعول الاول معه محذوفا اي عرفها بعضه اي وقفها
عليه على سبيل العتب واعرض عن بعض تكرما منه وحلما واختاره ابو عبيد وابو حاتم لقوله تعالى واعرض عن بعض اي لم يعرفها
اياه ولو كانت مخففة لقال في ضده وانكر بعضا واما التخفيف فمعناه جازى على بعضه واعرض عن بعض قال الفراء وتاويل قوله
عرف مخففا اي غضب فيه وجازى عليه كقولك لمن اساء اليك لاعرفن لك ما فعلت اي لاجازينك عليه **فصل**
قال المفسرون انه اسر الى حفصة شيئا فحدثت به غيرها فطلقها مجازاة على بعضه ولم يؤاخذها بالباقي وهو من قبيل قوله وما
تفعلوا من خير يعلمه الله اي يجازيكم عليه وقوله اولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم وانما اضطررنا الى هذا التاويل لان الله تعالى
اطلعه على جميع ما انبأت به غيرها لقوله تعالى واظهره الله عليه وقرأ عكرمة عراف بالف بعد الراء وخرجت على الاشباع كقوله •
اعوذ بالله من العقراب • وقيل هي لغة يمانية يقولون عراف زيد عمرا واذا ضمنت هذه الافعال الخمسة معنى اعلم تعدت
لثلاثة وقال الفارسي تعدت بالهمزة او التضعيف وهو غلط اذ يقتضي ذلك انها قبل التضعيف والهمزة كانت متعدية
لاثنين فاكتسبت بالهمزة او التضعيف ثالثا والامر ليس كذلك اتفاقا **فصل** قال السدي عرف بعضه واعرض عن بعض
تكرما وقال الحسن ما استقصى كريم قط قال الله تعالى عرف بعضه واعرض عن بعض وقال مقاتل يعني اخبرها ببعض ما قالت
لعائشة وهو حديث ام ولده ولم يخبرها ببعض ما قالت لعائشة وهو قول حفصة لعائشة ان ابا بكر وعمر سيملكان بعده قال
المفسرون ان النبي صلى الله عليه وسلم جازى حفصة بان طلقها طلقة واحدة فلما بلغ ذلك عمر فقال عمر لو كان في آل الخطاب خير لما
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم طلقك فامره جبريل براجعتها وشفع فيها واعتزل النبي صلى الله عليه وسلم نساءه شهرا وقعد في م

كان

مارية ام ابراهيم حتى نزلت آية التخيير كما تقدم وقيل هم بطلاقها حتى قال له جبريل لا تطلقها فانها صوامة قوامة
وانها من نسائك في الجنة فلم يطلقها **قوله تعالى** فلما نبأها به اي اخبر حفصة بما اظهره الله عليه قالت من انبأك هذا يا
رسول الله حتى ظنت ان عائشة اخبرته فقال عليه السلام نبأني العليم الخبير اي الذي لا يخفى عليه شيء وقيل ان النبي صلى الله
عليه وسلم لما راى الكراهية في وجه حفصة حين رأته مع مارية اراد ان يتراضاها فاسر اليها شيئين تحريم الامة على نفسه
وتبشيرها بان الخلافة بعده في ابي بكر وفي ابيها عمر فاخبرت حفصة بذلك عائشة واطلع الله نبيه عليه فعرف حفصة واخبر
ببعض ما اخبرت به عائشة وهو تحريم الامة واعرض عن بعض يعني ذكر الخلافة كره رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ينتشر ذلك في الناس
فلما نبأها به اي اخبر حفصة بما اظهره الله عليه قالت حفصة من انبأك هذا اي من اخبرك اني افشيت السر قال نبأني العليم الخبير
قال ابن الخطيب وصفه بكونه خبيرا بعدما وصفه بكونه عليما لما ان في الخبير من المبالغة ما ليس في العليم **قوله تعالى** ان تتوبا
الى الله شرط وفي جوابه وجهان احدهما قوله فقد صغت والمعنى ان تتوبا فقد وجد منكما ما يوجب التوبة وهو ميل قلوبكما
من الواجب في مخالصة رسول الله صلى الله عليه وسلم في حب ما يحبه وكراهة ما يكرهه وصغت مالت وزاغت عن الحق ويدل له
قراءة ابن مسعود فقد زاغت قال القرطبي وليس قوله فقد صغت قلوبكما جزاء للشرط لان هذا الصغو كان سابقا فجواب الشرط
محذوف للعلم به اي ان تتوبا كان خيرا لكما اذ قد صغت قلوبكما والثاني ان الجواب محذوف تقديره فذلك واجب عليكما او فتاب الله عليكما
قاله ابو البقاء قال ودل على المحذوف فقد صغت لان اصغاء القلب الى ذلك ذنب قال شهاب الدين وكانه زعم ان ميل القلب ذنب وكيف
يحسن ان يكون جوابا وقد غفل عن المعنى المصحح لكونه جوابا وقوله قلوبكما من افصح الكلام حيث اوقع الجمع موقع المثنى استثقالا
لمجيء تثنيتين لو قيل قلباكما ومن شان العرب اذا ذكروا الشيئين من اثنين جمعوهما لانه لا يشكل وقد تقدم تحرير هذا في آية
السرقة في المائدة ومن مجيء التثنية قوله • فتخالسا نفسيهما بنوافذ • كنوافذ العبط التي لم ترقع • والاحسن في هذا الباب
الجمع ثم الافراد ثم التثنية وقال ابن عصفور لا يجوز الافراد الا في ضرورة كقوله • حمامة بطن الواديين ترنمي •
سقاك من الغر الغوادي مطيرها • وتبعه ابو حيان وغلط ابن مالك في كونه جعله احسن من التثنية وليس بغلط لكراهة
توالي تثنيتين مع امن اللبس وقوله ان تتوبا فيه التفات من الغيبة الى الخطاب **فصل** المراد بهذا الخطاب امّا
المؤمنين بنتا الشيخين الكريمين عائشة وحفصة رضي الله عنهما حثهما على التوبة على ما كان منهما من الميل الى خلاف محبة
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله فقد صغت قلوبكما اي زاغت ومالت عن الحق وهو انهما احبتا ما كره رسول الله صلى الله
عليه وسلم من اجتناب جاريته واجتناب العسل وكان عليه السلام يحب العسل والنساء قال ابن زيد مالت قلوبكما بان سرهما
ان يحتبس عن ام ولده فسرهما ما كرهه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل فقد مالت قلوبكما الى التوبة **قوله تعالى**
وان تظاهرا اصله تتظاهرا فادغم وهذه قراءة العامة وقرأ عكرمة تتظاهرا على الاصل والحسن وابو رجاء ونافع وعاصم
في رواية عنهما بتشديد الظاء والهاء دون الف وكلها بمعنى المعاونة من الظهر لانه اقوى الاعضاء واجلها **فصل**
معنى تظاهرا اي تتعاونا على النبي صلى الله عليه وسلم بالمعصية والايذاء روى مسلم عن ابن عباس قال مكثت سنة وانا اريد
ان اسأل عمر بن الخطاب عن آية فما استطيع ان اسأله هيبة له حتى خرج حاجا فخرجت معه فلما رجع وكنا ببعض الطريق عدل
الى الاراك لحاجة له فوقفت حتى فرغ ثم سرت معه باداوة ثم جاء فسكبت على يديه منها فتوضأ فلما رجع قلت يا امير المؤمنين
من اللتان تظاهرتا على النبي صلى الله عليه وسلم فقال تلك حفصة وعائشة قال فقلت له والله ان كنت لاريد ان اسألك
عن هذا منذ سنة فما استطيع هيبة لك قال فلا تفعل ما ظننت ان عندي من علم فسلني عنه فان كنت اعلمه اخبرتك وذكر الحديث
قوله تعالى فان الله هو مولاه يجوز ان يكون هو فصلا ومولاه هو الخبر وان يكون مبتدا ومولاه خبره والجملة خبر ان
والمعنى فان الله وليه وناصره فلا يضره ذلك التظاهر منهما **قوله تعالى** وجبريل يجوز ان يكون عطفا على اسم الله تعالى والمعنى
الله وليه وجبريل وليه فلا يوقف على مولاه ويوقف على جبريل ويكون وصالح المؤمنين مبتدا والملائكة معطوفا عليه
وظهير خبر ورفع نظرا الى محل اسم ان وذلك بعد استكمالها خبرها وقد تقدم مذاهب الناس في ذلك ويكون جبريل وما بعده
داخلين في الولاية لرسول الله صلى الله عليه وسلم ويكون جبريل ظهيرا له بدخوله في عموم الملائكة ويكون والملائكة مبتدا وظهير
خبره وافرد لانه بزنة فعيل قال القرطبي هو بمعنى الجمع قال ابو علي قد جاء فعيل للكثرة قال تعالى ولا يسأل حميم حميما ومعنى ظهير
اي اعوان وهو في معنى ظهراء لقوله تعالى وحسن اولئك رفيقا ويجوز ان يكون الكلام تم عند قوله مولاه ويكون جبريل مبتدا
وما بعده عطف عليه وظهير خبر الجميع فتختص الولاية بالله ويكون جبريل قد ذكر في المعاونة مرتين مرة بالتنصيص عليه
ومرة بدخوله في الملائكة وهذا عكس ما في البقرة في قوله تعالى من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل فانه ذكر الخاص بعد العام
تشريفا له وهنا ذكر العام بعد الخاص ولم يذكر الناس الا القسم الاول وفي جبريل لغات تقدم ذكرها في البقرة **قوله تعالى**
وصالح المؤمنين قال المسيب ابن شهاب صالح المؤمنين ابو بكر وقال سعيد بن جبير هو عمر وقال عكرمة ابو بكر وعمر وروى شقيق

عن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم قال صالح المؤمنين ابو بكر وعمر وعن اسماء بنت عميس قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول وصالح المؤمنين علي بن ابي طالب وقيل خيار المؤمنين وصالح اسم جنس كقوله تعالى والعصر ان الانسان لفي خسر قاله
الطبري وقال العلاء بن زياد وقتادة وسفيان هم الانبياء وقال ابن زيد هم الملائكة وقال السدي هم اصحاب محمد صلى الله عليه
وسلم وقيل صالح المؤمنين ليس لفظ الواحد وانما هو صالحوا المؤمنين فاضاف الصالحين الى المؤمنين وسياتي لهم مزيد بيان
فيها ان شاء الله تعالى **فصل** قيل كان التظاهر منهما في التحكم على النبي صلى الله عليه وسلم في النفقة ولهذا آلى منهن
شهرا واعتزلهن وروى مسلم عن جابر بن عبد الله قال دخل ابو بكر يستاذن على النبي صلى الله عليه وسلم فوجد الناس جلوسا ببابه
لم يؤذن لاحد منهم قال فاذن لابي بكر فدخل ثم اقبل عمر فاستاذن فاذن له فوجد النبي صلى الله عليه وسلم جالسا حوله نساؤه واجما
ساكتا قال فقال لاقولن شيئا اضحك النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله لو رايت بنت خارجة سالتني النفقة فقمت اليها فوجأت
عنقها فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال هن حولي كما ترى يسالنني النفقة فقام ابو بكر الى عائشة يجأ عنقها وقام عمر
الى حفصة يجأ عنقها كلاهما يقول تسالن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ليس عنده فقلن والله لا نسال رسول الله صلى الله
عليه وسلم شيئا ابدا ليس عنده ثم اعتزلهن رسول الله صلى الله عليه وسلم شهرا او تسعا وعشرين ثم نزلت عليه يا ايها النبي قل لازواجك
حتى بلغ للمحسنات منكن اجرا عظيما الحديث **قوله تعالى** وصالح المؤمنين الظاهر انه مفرد ولذلك كتب بالحاء دون واو
الجمع وجوزوا ان يكون جمعا بالواو والنون حذفت النون للاضافة وكتب دون واو اعتبارا بلفظه لان الواو ساقطة لالتقاء
الساكنين نحو ويمح الله الباطل ويدع الداع وسندع الزبانية الى غير ذلك ومثل هذا ما جاء في الحديث اهل القران اهل الله وخاصته
قالوا يجوز ان يكون مفردا وان يكون جمعا كقوله شغلتنا اموالنا واهلونا وحذفت الواو لالتقاء الساكنين لفظا فاذا كتب هذا
فالاحسن ان يكتب بالواو لهذا الغرض وليس ثم ضرورة لحذفها كما في مرسوم الخط وجوز ابو البقاء في جبريل ان يكون معطوفا على الضمير
في مولاه يعني المستتر وحينئذ يكون الفصل بالضمير المجرور كافيا في تجويز العطف عليه وجوز ايضا ان يكون جبريل مبتدأ
وصالح عطف عليه والخبر محذوف اي مواليه **فصل** قال ابن عباس اراد بقوله وصالح المؤمنين يعني ابا بكر وعمر مواليا
للنبي صلى الله عليه وسلم على من عاداه وناصرين له وهو قول المقاتلين وقول الضحاك خيار المؤمنين وقيل كل من آمن وعمل
صالحا وقيل من برئ من النفاق وقيل الانبياء وقيل الخلفاء وقيل الصحابة **قوله تعالى** عسى ربه ان طلقكن قيل كل عسى
في القران واجب الا هذا وقيل هو واجب ولكن الله عز وجل علقه بشرط وهو التطليق ولم يطلقهن قال النحويون ان طلقكن
شرط معترض بين اسم عسى وخبرها وجوابه محذوف او متقدم اي ان طلقكن فعسى وادغم ابو عمرو القاف في الكاف على راي بعضهم
قال وهو اولى من يرزقكم ونحوه لثقل التانيث **قوله تعالى** ان يبدله قرئ مخففا ومشددا كما تقدم في الكهف والتبديل
والابدال بمعنى كالتنزيل والانزال وقوله ازواجا خيرا منكن لانكن لو كنتن خيرا منهن ما طلقكن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال معناه السدي وقيل هذا وعد من الله تعالى لرسوله لو طلقهن في الدنيا ان يزوجه في الاخرة نساء خيرا منهن تخويفا وكان الله
عالما بانه لا يطلقهن ولكن اخبر عن قدرته على انه ان طلقهن ابدله خيرا منهن تخويفا لهن كقوله تعالى وان تتولوا يستبدل قوما غيركم
وهو اخبار عن القدرة وتخويف لهم لا ان في الوجود من هو خير من اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم **قوله تعالى** مسلمات الى آخره
اما نعت وحال او منصوب على الاختصاص قال سعيد بن جبير مسلمات يعني مخلصات وقيل مسلمات لامر الله تعالى وامر رسوله
خاضعات لله بالطاعة مؤمنات اي مصدقات بتوحيد الله وقيل مصدقات بما امرن به ونهين عنه قانتات مطيعات
والقنوت الطاعة وقيل داعيات وقيل مصليات تائبات اي من ذنوبهن قاله السدي وقيل راجعات الى امر رسول الله صلى الله
عليه وسلم تاركات لمحاب انفسهن عابدات اي كثيرات العبادة لله تعالى وقال ابن عباس كل عبادة في القران فهي التوحيد
سائحات اي صائمات قاله ابن عباس والحسن وابن جبير وقال زيد بن اسلم وابنه عبد الرحمن ويمان مهاجرات قال ابن زيد وليس في امة
محمد صلى الله عليه وسلم سياحة الا الهجرة والسياحة الجولان في الارض وقال الفراء والقتيبي وغيرهما سمي الصائم سائحا لان السائح
لا زاد معه وانما ياكل من حيث يجد الطعام وقيل يسحن معه حيث ما ساح وقيل ذاهبات في طاعة الله تعالى من ساح الماء اذا
ذهب وقد مضى في سورة براءة وقرا عمرو بن فايد سيحات **فصل** قال ابن الخطيب فان قيل كيف يكون المبدلات
خيرا منهن ولم يكن على وجه الارض نساء خير من امهات المؤمنين فالجواب اذا طلقهن الرسول عليه السلام لعصيانهن وايذائهن كان
غيرهن من الموصوف بهذه الصفات مع الطاعة للرسول عليه السلام خيرا منهن فان قيل قوله مسلمات مؤمنات يوهم التكرار لان المسلمات
والمؤمنات سواء فالجواب الاسلام هو التصديق باللسان والايمان هو التصديق بالقلب وقد لا يجتمعان فقوله مسلمات مؤمنات
تحقيقا لاجتماعهما **قوله تعالى** ثيبات وابكارا انما وسط الواو بين ثيبات وابكارا لتنافي الوصفين دون سائر الصفات
وثيبات ونحوه لا ينصرف لانه اسم جنس مؤنث فلا يقال ثيبة حسناء ولا عيهان والثيب وزنها فيعل من ثاب يثوب اي رجع
كانها ثابت بعد زوال عذرتها واصلها ثيوب كسيد وميت اصلهما سيود وميوت فاعل الاعلال المشهور والمعنى منهن ثيب ومنهن

بكر قيل انما سميت ثيبا لانها راجعة الى زوجها ان اقام معها او الى غيره ان فارقها وقيل لانها ثابت الى بيت ابويها قال القرطبي والاول
اصح لان كل ثيب تعود الى زوج واما البكر فهي العذراء سميت بكرا لانها على اول حالتها التي خلقت بها وقال الكلبي اراد بالثيب
مثل آسية امراة فرعون وبالبكر مثل مريم ابنة عمران قال ابن الخطيب فان قيل ذكر الثيبات في مقام المدح وهي من جملة ما يقلل رغبة
الرجل فيهن فالجواب يمكن ان يكون بعض الثيب خيرا بالنسبة الى بعض الابكار عند الرسول عليه السلام لاختصاصها بالمال والجمال او النسب او المجموع
واذا كان كذلك فتقدم ذكر الثيب اولى قال القرطبي وهذا انما يمشي على قول من قال ان التبديل وعد من الله لنبيه لو طلقهن في الدنيا
زوجه في الاخرة خيرا منهن والله اعلم **قوله تعالى** يا ايها الذين آمنوا قوا انفسكم واهليكم نارا قوا امر من الوقاية فوزنه عوا لان
الفاء حذفت لوقوعها في المضارع بين ياء وكسرة وهذا محمول عليه واللام حذفت حملا له على المجزوم لان اصله اوقيوا كاضربوا
فحذفت الواو التي هي فاء لما تقدم واستثقلت الضمة على الياء فحذفت فالتقى ساكنان فحذفت الياء وضم ما قبل الواو ليصح وهذا
تعليل البصريين ونقل مكي عن الكوفيين ان الحذف عندهم فرقا بين المتعدي والقاصر فحذفت الواو التي هي فاء في يقي ويعد
لتعديهما ولم تحذف من يوجل لقصوره قال ويرد عليهم نحو يرم فانه قاصر ومع ذلك فقد حذفوا فاءه قال شهاب الدين وفي هذا
نظر لان يوجل لم يقع فيه الواو بين ياء وكسرة لا ظاهرة ولا مضمرة وقلت ولا مضمرة تحترز من يضع ويسع ويهب وقرا بعضهم
واهلوكم وخرجت على العطف على الضمير المرفوع بقوا وجوز ذلك الفصل بالمفعول قال الزمخشري بعد ذكره القراءة وتخريجها
فان قلت أليس التقدير قوا انفسكم وليق اهلوكم انفسكم قلت لا ولكن المعطوف في التقدير مقارن للواو وانفسكم واقع بعده
كانه قيل قوا انتم واهلوكم انفسكم لما جمعت مع المخاطب الغائب غلبته فجعلت ضميرهما معا على لفظ المخاطب **قوله تعالى** نارا
وقودها الناس صفة لنارا وكذلك عليها ملائكة ويجوز ان يكون الوصف وحده عليها وملائكة فاعل به
ويجوز ان يكون حالا لتخصصها بالصفة الاولى وكذلك لا يعصون الله وتقدم الخلاف في واو وقودها ضما وفتحا في البقرة
فصل قال الصحابة المعنى قوا انفسكم واهلوكم فليقوا انفسهم نارا وروى علي بن ابي طلحة عن ابن عباس قوا انفسكم
وامروا اهليكم بالذكر والدعاء حتى يقيهم الله بكم وقال علي رضي الله عنه وقتادة ومجاهد قوا انفسكم بافعالكم وقوا اهليكم
بوصيتكم قال ابن العربي وهو الصحيح والفقه الذي يعطيه العطف الذي يقتضي التشريك بين المعطوف والمعطوف عليه في
معنى الفعل كقوله • علفتها تبنا وماء باردا • وكقوله • ورايت زوجك في الوغى • متقلدا سيفا ورمحا • فعلى الرجل ان يصلح
نفسه بالطاعة ويصلح اهله صلاح الراعي للرعية قال عليه السلام كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته فالامام الذي على الناس
راع وهو مسئول عنهم والرجل راع على اهل بيته وهو مسئول عنهم قال الحسن في هذه الاية يامرهم وينهاهم وقال بعض العلماء
لما قال قوا انفسكم دخل فيه الاولاد لان الولد بعض منه كما دخلوا في قوله تعالى ليس عليكم جناح ان تاكلوا من بيوتكم وقوله عليه السلام
ان احل ما اكل الرجل من كسبه وان ولده من كسبه فلم يفرد بالذكر افراد سائر القرابات فيعلمه الحلال والحرام ويجنبه المعاصي والاثام
الى غير ذلك من الاحكام وقال عليه السلام حق الولد على الوالدين ان يحسن اسمه ويعلمه الكتابة ويزوجه اذا بلغ وقال عليه السلام ما
نحل والد ولدا افضل من ادب حسن وقال عليه السلام مروا ابناءكم بالصلاة لسبع واضربوهم على تركها لعشر وفرقوا بينهم في المضاجع
قال بعض العلماء ويخبر اهله بوقت الصلاة ووجوب الصيام وقال عليه السلام رحم الله امرا قام من الليل فصلى فايقظ اهله فان
لم تقم رش وجهها بالماء ورحم الله امراة قامت من الليل تصلي وايقظت زوجها فان لم يقم رشت على وجهه من الماء وذكر القشيري
قال لما نزلت هذه الاية قال رجل يا رسول الله نقي انفسنا فكيف لنا باهلينا فقال تنهونهم عما نهاكم الله وتامرونهم بما امر الله
وقال مقاتل ذلك حق عليه في نفسه وولده واهله وعبيده وامائه قال الكيا فعلينا تعليم اولادنا واهلينا الدين والخير وما لا
يستغنى عنه من الادب وهو قوله تعالى وامر اهلك بالصلاة واصطبر عليها وقوله للنبي صلى الله عليه وسلم وانذر عشيرتك الاقربين
وتقدم الكلام على قوله وقودها الناس والحجارة في البقرة **فصل** قال ابن الخطيب فان قيل انه تعالى خاطب المشركين
في قوله تعالى فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة ثم قال اعدت للكافرين فما معنى مخاطبته
للمؤمنين بذلك فالجواب ان الفساق وان كانت دركاتهم فوق دركات الكفار فانهم مع الكفار في دار واحدة فقيل يا ايها
الذين آمنوا قوا انفسكم باجتناب الفسوق مجاورة الذين اعدت لهم هذه النار ولا يبعد ان يامرهم بالتوقي عن الارتداد **قوله
تعالى** عليها ملائكة غلاظ شداد يعني الزبانية غلاظ القلوب لا يرحمون اذا استرحموا خلقوا من الغضب وحبب اليهم
عذاب الخلق كما حبب لبني آدم اكل الطعام والشراب شداد اي شداد الابدان وقيل غلاظ الاقوال شداد الافعال وقيل
غلاظ في اخذهم اهل النار شداد عليهم يقال فلان شديد على فلان اي قوي عليه يعذبه بانواع العذاب وقيل غلاظ
اجسامهم ضخمة شداد اي اقوياء قال ابن عباس ما بين منكبي الواحد منهم مسيرة سنة وقال عليه السلام في خزنة جهنم ما بين
منكبي احدهم كما بين المشرق والمغرب **قوله تعالى** لا يعصون الله ما امرهم يجوز ان تكون ما بمعنى الذي والعائد محذوف
اي ما امرهموه والاصل به لا يقال كيف حذف العائد المجرور ولم يجر الموصول بمثله لانه يطرد حذف هذا الحرف فلم يحذف الا منصوبا

وان تكون مصدرية وتكون بمحلها بدلا من اسم الله بدل اشتمال كانه قيل لا يعصون امره وقوله ويفعلون قال الزمخشري
فان قلت اليست الجملتان في معنى واحد قلت لا لان الاولى معناها انهم يقبلون اوامره ويلتزمونها والثانية معناها
انهم يؤدون ما يؤمرون به لا يتثاقلون عنه ولا يتوانون عنه وقال القرطبي لا يعصون الله ما امرهم اي لا يتجاوزونه
في امر من زيادة او نقصان ويفعلون ما يؤمرون اي في وقته لا يؤخرونه ولا يقدمونه وقيل اي لذتهم في امتثال امر الله
كما ان سرور اهل الجنة في الكون في الجنة ذكره بعض المعتزلة وعندهم انه يستحيل التكليف غدا في حق الملائكة ولله ان يفعل
ما يشاء قوله تعالى يا ايها الذين كفروا لا تعتذروا اليوم اي فان عذركم لا ينفع وهذا النهي لتحقيق الياس انما تجزون ما كنتم
تعملون في الدنيا ونظيره فاليوم لا ينفع الذين ظلموا معذرتهم قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا توبوا الى الله توبة نصوحا
قرأ الجمهور بفتح نون نصوحا وهي صيغة مبالغة اسند النصح اليها مجازا وهي من نصح الثوب اي خاطه فكان التائب يرقع
ما خرقه بالمعصية وقيل من قولهم عسل ناصح اي خالص وقرأ ابو بكر بضم النون وهو مصدر نصح يقال نصح نصحا بفتح
النون ونصوحا نحو كفر كفرا وكفورا وشكر شكرا وشكورا وفي انتصابه اوجه احدها انه مفعول له اي لاجل النصح الحاصل
نفعه عليكم والثاني انه مصدر مؤكد لفعل محذوف اي ينصحهم نصحا الثالث انه صفة لها اما على المبالغة على انها نفس
المصدر او على حذف مضاف اي ذات نصوح وقرأ زيد بن علي توبا دون تاء **فصل** قال ابن الخطيب وجه
تعلق هذه الآية بقوله يا ايها الذين كفروا انه تعالى نبههم على دفع العذاب في ذلك اليوم بالتوبة في الدنيا اذ في ذلك اليوم
لا تقبل التوبة **فصل** امر بالتوبة وهي فرض على الاعيان في كل الاحوال وكل الازمان واختلفوا في التوبة النصوح
فقيل هي التي لا عودة بعدها كما لا يعود اللبن الى الضرع وروي عن عمر وابن مسعود وابي بن كعب ومعاذ بن جبل ورفعه معاذ
الى النبي صلى الله عليه وسلم وقال قتادة النصوح ان يبغض الذنب الذي احبه ويستغفر منه اذا ذكره وقيل هي التي لا يثق بقبولها
ويكون على وجل منها وقال الكلبي التوبة النصوح الندم بالقلب والاستغفار باللسان والاقلاع عن الذنب والعزم على ان لا يعود
وقيل غير ذلك **فصل** في الاشياء التي يتاب منها قال بعض العلماء الذنب الذي يكون منه التوبة لا يخلو اما ان يكون حقا لله او
لآدمي فان كان حقا لله كترك صلاة او صوم او تفريط في زكاة فان التوبة لا تصح منه حتى ينضم الى الندم قضاء ما فات منها وان
كان قتل نفس بغير حق فان يمكن من القصاص منه ان طلب به فان عفي عنه كفاه الندم والعزم على ترك العود بالاخلاص وكذلك
ان عفي عنه في القتل بمال فعليه ان يؤديه ان كان واجدا له قال تعالى فمن عفي له من اخيه شيء فاتباع بالمعروف واداء اليه باحسان
وان كان ذلك من حدود الله ما كان فانه اذا تاب الى الله تعالى بالندم الصحيح سقط عنه وقد نص الله تعالى على سقوط
حد المحاربين اذا تابوا قبل القدرة عليهم كما تقدم وكذلك الشراب والسراق والزناة اذا اصلحوا وتابوا وعرف
ذلك منهم ثم رفعوا الى الامام فلا ينبغي ان يحدهم وان رفعوا اليه فقالوا تبنا لم يتركهم في هذه الحال كالمحاربين اذا غلبوا هذا
مذهب الشافعي فان كان الذنب من مظالم العباد فلا تصح التوبة منه الا برده الى صاحبه والخروج عنه عينا كان او غيره
ان كان قادرا عليه فان لم يكن قادرا فالعزم على ان يؤديه اذا قدر في اعجل وقت واسرعه وان كان لواحد من المسلمين وذلك الواحد
لا يشعر به او لا يدري من اين اتى فانه يزيل ذلك الضرر عنه ثم يسأله ان يعفو عنه ويستغفر له فاذا عفى فقد سقط الذنب
عنه وان ارسل من يسأل ذلك فعفى ذلك المظلوم عن ظالمه عرفه بعينه او لم يعرفه فذلك صحيح وان اساء رجل الى رجل بان فزعه بغير حق
او غمه او لطمه او صفعه بغير حق او ضربه بسوطه فآلمه ثم جاءه مستعفيا نادما على ما كان منه عازما على ان لا يعود فلم
يزل يتذلل له حتى طابت نفسه فعفى عنه سقط الذنب عنه وهكذا ان شتمه بشتم لا حد فيه قوله تعالى عسى ربكم ان يكفر عنكم
سيئاتكم عسى من الله واجبة وهو معنى قوله عليه السلام التائب من الذنب كمن لا ذنب له وان في موضع نصب قوله تعالى
ويدخلكم معطوف على يكفر قرأ العامة بالنصب وابن ابي عبلة بسكون الراء فاحتمل ان يكون من اجراء المنفصل مجرى المتصل
فسكنت الكسرة لانه يحل من مجموع يكفر عنكم مثل نطع وقمع فيقال فيهما نطع وقمع ويحتمل ان يكون عطفا على محل عسى ان يكفر
كانه قيل توبوا يوجب تكفير سيئاتكم ويدخلكم قال الزمخشري يعني ان عسى في محل جزم جوابا للامر لانه لو وقع موقعها مضارع
لانجزم كما مثل به الزمخشري وفيه نظر لانا لا نسلم ان عسى جوابا ولا يقع جوابا لانها للانشاء قوله تعالى يوم لا يخزي الله
النبي يوم منصوب بيدخلكم او باضمار اذكر ومعنى يخزي هنا يعذب اي لا يعذبه ولا يعذب الذين آمنوا معه قالت المعتزلة
قوله تعالى يوم لا يخزي الله النبي والذين آمنوا معه يدل على انه لا يعذب الذين آمنوا لان الاخزاء يقع بالعذاب ولو كان اصحاب
الكبائر من اهل الايمان لم يجب عليهم العذاب قال ابن الخطيب واجاب اهل السنة بانه تعالى وعد اهل الايمان بان لا يخزيهم
ومن اهل السنة من يقف على قوله يوم لا يخزي الله النبي ومعناه لا يخزيه في رد الشفاعة والاخزاء الفضاحة اي لا يفضحهم
بين يدي الكفار ويجوز ان يعذبهم على وجه لا يقف الكفرة عليه قوله تعالى والذين آمنوا يجوز فيه وجهان احدهما
ان يكون منسوقا على النبي اي ولا يخزي الذين آمنوا فعلى هذا يكون نورهم يسعى مستانفا او حالا والثاني ان يكون مبتدأ

وخبره نورهم يسعى ويقولون خبر ثان او حال وتقدم اعراب مثل هذه الجملة في الحديد واعراب ما بعدها في براءة وقرأ
ابو حيوة وابو نهيك الفهمي وبايمانهم بكسر الهمزة ومعنى قوله نورهم يسعى بين ايديهم اي الكتاب وبايمانهم عند الحساب لانهم يؤتون
الكتاب بايمانهم وفيها نور وخير وقيل يسعى النور بين ايديهم في موضع وضع اقدامهم وبايمانهم لان خلفهم وشمائلهم طريق الكفرة وقولهم
ربنا اتمم لنا نورنا قال ابن عباس يقولون ذلك عند اطفاء نور المنافقين اشفاقا وقال الحسن انه تعالى يتمم لهم نورهم يدعون
تقربا الى حضرة الله تعالى كقوله واستغفر لذنبك وهو مغفور له وقيل ان الله يسر له من نوره بقدر ما يبصر موضع قدمه
فيسألون الزيادة قوله تعالى يا ايها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم امره ان يجاهد الكفار بالسيف
والمواعظ الحسنة والدعاء الى الله والمنافقين بالغلظة واقامة الحجة وان يعرفهم احوالهم في الآخرة وانهم لا نور لهم
يجوزون به على الصراط مع المؤمنين وقال الحسن اي جاهدهم باقامة الحدود عليهم فانهم كانوا يرتكبون موجبات الحدود
وكانت الحدود تقام عليهم ومأواهم جهنم يرجع الى الصنفين وبئس المصير اي المرجع قال ابن الخطيب وفي مخاطبة النبي صلى الله
عليه وسلم بقوله يا ايها النبي من اول السورة وفي هذه الآية ووصفه بالنبي لا باسمه كقوله لآدم يا آدم ولموسى يا موسى ولعيسى
يا عيسى دليل على فضيلته عليهم ثم ضرب الله مثلا للصالحات والطالحات من النساء فقال ضرب الله مثلا الى آخره تقدم الكلام
على ضرب مع المثل وهل هو بمعنى صير ام لا وكيف ينتصب ما بعدها في سورة النحل **فصل** ضرب الله هذا المثل
تنبيها على انه لا يغني احد عن قريب ولا نسيب في الآخرة اذا فرق بينهما الدين وكان اسم امرأة نوح والهة واسم امرأة لوط والعة
قاله مقاتل وقال الضحاك عن عائشة رضي الله عنها ان جبريل نزل على النبي صلى الله عليه وسلم فاخبره ان اسم امرأة نوح واغلة
واسم امرأة لوط والهة كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين يعني نوحا ولوطا ويجوز ان يكون امرأة نوح بدلا من قوله مثلا
على تقدير حذف المضاف اي ضرب الله مثلا مثل امرأة نوح ويجوز ان يكونا مفعولين قوله تعالى كانتا تحت عبدين جملة مستأنفة
كانها مفسرة لضرب المثل ولم يأت بضميرهما فيقال تحتهما اي تحت نوح ولوط لما قصد من تشريفهما بهذه الاضافة الشريفة لا تدعني
الا بيا عبدها فانه اشرف اسمائي وليصفهما باجل الصفات وهو الصلاح قوله تعالى فخانتاهما قال عكرمة والضحاك
بالكفر وقال سليمان بن رقية عن ابن عباس كانت امرأة نوح تقول للناس انه مجنون وكانت امرأة لوط تخبر باضيافه وعن ابن عباس
ما بغت امرأة نبي قط وانما كانت خيانتهما انهما كانتا على غير دينهما قال القشيري وهذا اجماع من المفسرين انما كانت خيانتهما
في الدين وكانتا مشركتين وقيل كانتا منافقتين وقيل خيانتهما النميمة اذا اوحي اليهما شيئا افشتاه الى المشركين قاله الضحاك
وقيل كانت امرأة لوط اذا نزل به ضيف دخنت لتعلم قومها انه قد نزل به ضيف لما كانوا عليه من اتيان الرجال قوله تعالى فلم يغنيا
العامة بالياء من تحت اي لم يغن نوح ولوط عن امرأتيهما شيئا من الاغناء من عذاب الله وقرأ مبشر بن عبيد تغنيا بالتاء من فوق اي فلم
تغن المرأتان عن انفسهما وفيها اشكال اذ يلزم من ذلك تعدي فعل المضمر المتصل الى ضميره المتصل في غير المواضع المستثناة
وجوابه ان عن هنا اسم كهي في قوله دع عنك نهبا صيح في حجراته وقد تقدم هذا والاعتراض عليه بقوله وهزي اليك واضمم
اليك جناحك والجواب هناك **فصل** معنى الآية لم يدفع نوح ولوط مع كرامتهما على الله تعالى عن زوجتيهما
لما عصتا شيئا من عذاب الله تنبيها بذلك على ان العذاب يدفع بالطاعة لا بالوسيلة وقيل ان كفار مكة استهزؤوا وقالوا ان محمدا
يشفع لنا فبين الله تعالى ان الشفاعة لا تنفع كفار مكة وان كانوا اقرباء كما لا تنفع نوح امرأته وشفاعة لوط لامرأته مع قربهما لهما
لكفرهما وقيل ادخلا النار مع الداخلين في الآخرة اي كما يقال لكفار مكة وغيرهم قطع الله طمع من يركب المعصية ان ينفعه
صلاح غيره ثم اخبر ان معصية غيره لا تضره اذا كان مطيعا قوله تعالى وضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأة فرعون واسمها
آسية بنت مزاحم قال يحيى بن سلام قوله ضرب الله مثلا للذين كفروا مثال ضربه الله يحذر به عائشة وحفصة في المخالفة حين
تظاهرتا عليه صلى الله عليه وسلم ثم ضرب لهما مثلا بامرأة فرعون ومريم ابنة عمران ترغيبا في التمسك بالطاعة والثبات
على الدين وقيل هذا حث للمؤمنين على الصبر في الشدة اي لا تكونوا في الصبر عند الشدة اضعف من امرأة فرعون حين صبرت على
اذى فرعون قال المفسرون لما غلب موسى السحرة آمنت امرأة فرعون وقيل هي عمة موسى آمنت به فلما تبين لفرعون اسلامها او
تد يديها ورجليها باربعة اوتاد والقاها في الشمس والقى عليها صخرة عظيمة فقالت رب نجني من فرعون فرقي بروحها الى الجنة
ووقعت الصخرة على جسد لا روح فيه وقال الحسن رفعها فاكل في الجنة وتشرب قال سلمان الفارسي كانت امرأة فرعون تعذب
في الشمس فاذا انصرفوا عنها اظلتها الملائكة قوله تعالى اذ قالت منصوب بضرب وان تأخر ظهور الضرب ويجوز ان ينتصب
بالمثل قوله تعالى عندك يجوز ان يتعلق بابن وان يتعلق بمحذوف على انه حال من بيتا كان نعته فلما قدم نصب حالا وفي
الجنة اما متعلق بابن واما بمحذوف على انه نعت لبيتا **فصل** قال المفسرون لما كانت تعذب في الشمس
واذا اشتد الشمس قالت رب ابن لي عندك بيتا في الجنة فوافق ذلك حضور فرعون فضحكت حين رأت بيتها في الجنة فقال فرعون
لا تعجبوا من جنون بها انا اعذبها وهي تضحك فقبض روحها وروي انه وضع على ظهرها رحى فاطلعها الله حتى رأت مكانها

في الجنة وقيل لما قالت رب ابن لي عندك بيتا في الجنة ارئت بيتها في الجنة من درة وانتزعت روحها فالقيت عليها
صخرة بعد خروج روحها فلم تجد الماء وقال الحسن وابن كيسان رفع الله امراة فرعون الى الجنة فهي فيها تاكل وتشرب
وتنعم قوله تعالى ونجني من فرعون وعمله يعني بالعمل الكفر وقيل من عمله اي من عذابه وظلمه وقال ابن عباس الجماع ونجني
من القوم الظالمين اي الكافرين قال الكلبي اهل مصر وقال مقاتل القبط قوله تعالى ومريم ابنت عمران التي عطف على
امراة فرعون ضرب الله المثل للكافرين بامراتين وللمؤمنين بامراتين وقال ابو البقاء ومريم اي واذكر مريم وقيل ومثل
مريم وقرا العامة ابنت بنصب التا وايوب السختياني بسكون الها وصلا اجرى الوصل مجرى الوقف والعامة ايضا فنفخنا
فيه اي في الفرج وعبد الله فيها اي في الجملة وتقدم في الانبيا مثله والعامة ايضا فنفخنا فيه اي في الفرج وصدقت بتشديد
الدال ويعقوب وقتادة وابو مجلز وعاصم في رواية بتخفيفها اي صدقت فيما اخبرت به من امر عيسى والعامة على بكلمات
جمعا والحسن والجحدري بكلمة بالافراد فقيل المراد بها عيسى لانه كلمة الله قوله تعالى ضرب الله مثلا لمريم ابنت عمران
وصبرها على اذى اليهود وقوله التي احصنت فرجها اي عن الفواحش وقال المفسرون اراد بالفرج هنا الجيب لقوله فنفخنا
فيه من روحنا وجبريل عليه السلام انما نفخ في فرجها وهي في قراة ابي فنفخنا في جيبها من روحنا اي روحا من ارواحنا وهو
روح عيسى وقوله وصدقت بكلمات ربها اي بقول جبريل لها انما انا رسول ربك الاية وقال مقاتل يعني بالكلمات عيسى وانه نبي
وعيسى كلمة الله كما تقدم وقيل بكلمات ربها كما تقدم يعني الشرايع التي شرعها الله للعباد بكلماته المنزلة قوله تعالى وكتبه
قرا اهل البصرة وحفص كتبه على الجمع وقرا الاخرون وكتابه على التوحيد والمراد منه الكثرة فالمراد بالجنس فيكون في
معنى كل كتاب انزله الله تعالى وتقدم الكلام في كتابه وكتبه في اخر البقرة وقرا ابو رجا وكتبه بسكون التا وهو تخفيف حسن
وروي عنه وكتبه بفتح الكاف قال ابو الفضل مصدر وضع موضع الاسم يعني ومكتوبه فصل اراد الكتب
التي انزلت على ابرهيم وموسى وداود وعيسى وقوله وكانت من القانتين يجوز في من وجهان احدهما انها لابتدا الغاية
والثاني انها للتبعيض وقد ذكرهما الزمخشري فقال ومن للتبعيض ويجوز ان تكون لابتدا الغاية على انها ولدت من
القانتين لانها من اعقاب هارون اخي موسى صلوات الله على نبينا وعليهما وعلى ساير الانبياء وآلهم قال الزمخشري فان قلت
لم قيل من القانتين على التذكير قلت لان القنوت صفة تشمل من قنت من القبيلين فغلب ذكورة على اناثه وقيل اراد من القوم
القانتين ويجوز ان يرجع هذا الى اهل بيتها فانهم كانوا مطيعين لله والقنوت الطاعة وقال عطا من المصلين بين المغرب
والعشا وعن معاذ بن جبل ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لخديجة وهي تجود بنفسها انكرهين ما قد نزل بك وقد جعل الله
خيرا فاذا قدمت على ضراتك فاقريهن مني السلام مريم بنت عمران واسية بنت مزاحم وكليمة او قال حليمة بنت عمران اخت موسى
بن عمران فقالت بالرفا والبنين يا رسول الله وروي قتادة عن انس عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال حسبك من نسا العالمين
اربع مريم ابنة عمران وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد واسية بنت مزاحم امراة فرعون روى الثعلبي عن ابي بن كعب قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة يا ايها النبي لم تحرم ما احل الله لك اعطاه الله توبة نصوحا

سورة الملك

وهي مكية وتسمى الواقية والمنجية وتدعى في التوراة المانعة لانها تقي وتنجي وتمنع من عذاب القبر وعن ابن شهاب انه كان يسميها
المجادلة لانها تجادل عن صاحبها في القبر وهي ثلثون اية وثلثمائة وثلثون كلمة والف وثلثمائة حرف بسم الله الرحمن الرحيم
قوله تعالى تبارك الذي بيده الملك تبارك تفاعل من البركة وقد تقدم وقال الحسن تقدس وقيل دام فهو الدايم الذي
لا اول لوجوده ولا اخر لدوامه الذي بيده الملك اي ملك السموات والارض في الدنيا والاخرة وقال ابن عباس بيده الملك يعز
من يشاء ويذل من يشاء ويحيي ويميت ويغني ويفقر ويعطي ويمنع قال ابن الخطيب هذه اللفظة تستعمل لتاكيد كونه تعالى ملكا
ومالكا كما يقال بيد فلان الامر والنهي والحل والعقد ولا مدخل للجارحة قال الزمخشري بيده الملك كل موجود وهو على كل
ما لم يوجد من الممكنات قدير قوله تعالى وهو على كل شيء قدير يدل على ان المعدوم شيء لان قدرة الله تعالى لا تتعلق بالموجود
لان القدرة مؤثرة والعدم نفي محض فلا يكون اثرها فوجب ان يكون المعدوم شيئا فصل احتج اهل السنة
بهذه الاية على انه لا مؤثر الا قدرة الله وابطلوا القول بالطبايع كقول الفلاسفة وابطلوا القول بالمتولدات كقول المعتزلة
وابطلوا القول بكون العبد موجدا لافعال نفسه لقوله وهو على كل شيء قدير فصل دلت هذه الاية على الوحدانية
لانا لو قدرنا الها ثانيا فاما ان يقدر على ايجاد شيء او لا فان لم يقدر على ايجاد شيء لم يكن الها وان كان قدر كان مقدور ذلك

الاله الثاني شيئا فيلزم كون ذلك الشيء للاله الاول لقوله وهو على كل شيء قدير فيلزم وقوع مخلوق من خالقين
وهو محال لانه اذا كان كل واحد منهما مستقلا بالايجاد يلزم ان يستغني كل واحد منهما عن كل واحد منهما فيكون
محتاجا اليهما وغنيا عنهما وذلك محال فصل احتج جهم بهذه الاية على انه تعالى ليس بشيء فقال لو كان شيئا
لكان قادرا على نفسه لقوله تعالى وهو على كل شيء قدير لكن كونه قادرا على نفسه محال فيمتنع كونه شيئا والجواب لما دل
قوله تعالى قل اي شيء اكبر شهادة قل الله على انه تعالى شيء وجب تخصيص هذا العموم فاذن دلت هذه الاية على ان العام
المخصوص وارد في كتاب الله تعالى ودل على ان تخصيص العام بدليل العقل جائز بل واقع قوله تعالى الذي خلق الموت
والحيوة قيل خلق الموت في الدنيا والحيوة في الاخرة وقدم الموت على الحيوة لان الموت الى القهر اقرب كما قدم البنات على البنين
فقال يهب لمن يشاء اناثا وقيل قدمه لانه اقدم لان الاشياء في الابتدا كانت في حكم الموت كالنطفة والتراب ونحوه
وقال قتادة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله تعالى اذل بني ادم بالموت وجعل الدنيا دار حياة ثم دار
موت وجعل الاخرة دار جزاء ثم دار بقاء وعن ابي الدردا ان نبي الله صلى الله عليه وسلم قال لولا ثلث ما طاطا ابن
ادم راسه الفقر والمرض والموت وقيل انما قدم الموت على الحيوة لان من نصب الموت بين عينيه كان اقوى الدواعي الى العمل
فصل قال ابن الخطيب قالوا الحيوة هي الصفة التي يكون الموصوف بها بحيث يصح ان يعلم ويقدر واختلفوا في الموت
فقيل انه عبارة عن عدم هذه الصفة وقال اصحابنا انه صفة وجودية مضادة للحيوة واحتجوا بقوله تعالى الذي خلق
الموت والعدم لا يكون مخلوقا وهذا هو التحقيق وروى الكلبي عن ابن عباس ان الله تعالى خلق الموت في صورة كبش املح
لا يمر بشيء ولا يجد ريحه الا مات وخلق الحيوة في صورة فرس بلقا فوق الحمار ودون البغل لا تمر بشيء ولا يجد ريحها شيء
الا حيي على ما سياتي قال ابن الخطيب وهذا لا بد وان يكون منقولا على سبيل التمثيل والتصوير والا فالتحقيق ما ذكرنا
فصل حكي عن ابن عباس والكلبي ومقاتل ان الموت والحيوة جسمان فالموت في هيئة كبش لا يمر بشيء ولا يجد
ريحها الا مات وخلق الحيوة على صورة فرس انثى بلقا وهي التي كان جبريل والانبياء عليهم السلام يركبونها خطوها مد البصر
فوق الحمار ودون البغل لا تمر بشيء يجد ريحها الا حيي وهي التي اخذ السامري من اثرها فالقاه على العجل فحيي حكاه الثعلبي
والقشيري عن ابن عباس والماوردي معناه عن مقاتل والكلبي وعن مقاتل خلق الموت يعني النطفة والعلقة والمضغة
وخلق الحيوة يعني خلق انسانا ونفخ فيه الروح فصار انسانا قال القرطبي وهذا حسن يدل عليه قوله تعالى ليبلوكم ايكم احسن عملا
قوله تعالى ليبلوكم متعلق بخلق وقوله ايكم احسن تقدم مثله في اول هود وقال الزمخشري هنا فان قلت من اين تعلق قوله
ايكم احسن عملا بفعل البلوى قلت من حيث انه تضمن معنى العلم فكانه قيل ليعلمكم ايكم احسن عملا واذا قلت علمته ازيد احسن عملا
ام هو كانت هذه الجملة واقعة موقع الثاني من مفعوليه كما تقول علمته هو احسن عملا فان قلت اتسمي هذا تعليقا قلت لا انما
التعليق ان يقع بعده ما يسد مسد المفعولين جميعا كقولك علمت ايهما عمرو وعلمت ازيد منطلق الا ترى انه لا فرق بعد سبق احد
المفعولين بين ان يقع ما بعده مصدرا بحرف الاستفهام وغير مصدر به ولو كان تعليقا لافترقت الحالتان كما افترقتا
في قولك علمت ازيد منطلق وعلمت زيدا منطلقا قال شهاب الدين وهذا الذي منع تسميته تعليقا سماه غيره تعليقا ويجعلون
تلك الجملة في محل ذلك الاسم الذي يتعدى اليه ذلك الفعل فيقولون في عرفت ايهم منطلق ان الجملة في محل نصب لسدها مسد
مفعول عرفت وفي نظرت ايهم منطلق ان الجملة في محل نصب على اسقاط الخافض لان نظر يتعدى به فصل
قال الزجاج اللام في ليبلوكم متعلق بخلق الحياة لا بخلق الموت وقال الفرا والزجاج ايضا لم يقع البلوى على اي لان فيما بين
البلوى واي اضمار فعل كما تقول بلوتكم لانظر ايكم اطوع ومثله قوله تعالى سلهم ايهم بذلك زعيم اي سلهم ثم انظر ايهم
فايهم رفع بالابتدا واحسن خبره والمعنى ليبلوكم فيعلم او فينظر ايكم احسن عملا قال ابن الخطيب ايكم مبتدا لان الاستفهام
لا يعمل فيه ما قبله فصل الابتلاء هو التجربة والامتحان حتى يعلم انه هل يطيع او يعصي وذلك في حق العالم
بجميع المعلومات محال وقد تقدم تحقيق هذه المسالة في قوله تعالى واذ ابتلى ابرهيم ربه بكلمات والحاصل ان الابتلاء من الله
تعالى هو ان يعامل عبده معاملة تشبه المختبر فصل قال السدي في قوله تعالى ليبلوكم ايكم احسن عملا
اي اكثركم للموت ذكرا واحسن استعدادا واشد خوفا وحذرا وقال ابن عمر تلا النبي صلى الله عليه وسلم تبارك الذي
بيده الملك حتى بلغ ايكم احسن عملا فقال اورع عن محارم الله واسرع في طاعة الله وقيل يعاملكم معاملة المختبر فيبلو
العبد بموت من يعز عليه ليبين صبره وبالحيوة ليبين شكره وقيل خلق الله الموت للبعث والجزاء وخلق الحياة للابتلاء
وهو العزيز في انتقامه ممن عصاه الغفور لمن تاب فصل احتج القائلون بانه تعالى يفعل الفعل للغرض
بقوله ليبلوكم قالوا وهذه اللام للغرض كقوله تعالى الا ليعبدون والجواب ان الفعل في نفسه ليس الا ابتلاء الا انه
لما اشبه الابتلاء سمي به مجازا فكذا ههنا انه يشبه الغرض وان لم يكن في نفسه غرضا فقدم حرف الغرض قوله تعالى الذي

خلق سبع سموات طباقا يحتمل ان يكون الموصول تابعا للعزيز الغفور نعتا او بيانا او بدلا وان يكون منقطعا
عنه خبر مبتدا او مفعول فعل مقدر وقوله طباقا صفة لسبع وفيه ثلاثة اوجه احدها انه جمع طبق نحو جبل وجبال
والثاني انه جمع طبقة نحو رحبة ورحاب والثالث انه مصدر طابق يقال طابق مطابقة وطباقا ثم اما ان يجعل نفس المصدر
مبالغة واما على حذف مضاف اي ذات طباق واما ان ينتصب على المصدر بفعل مقدر اي طوبقت طباقا من قولهم طابق
النعل اي جعل طبقة فوق اخرى روي عن ابن عباس طباقا اي بعضها فوق بعض والملتصق منها اطرافها قاله القرطبي وقيل
مصدر بمعنى المطابقة اي خلق سبع سموات وطبقها تطبيقا او مطابقة او على طوبقت طباقا او انه مفعول ثان فيكون
خلق بمعنى جعل وصير وقال ابان بن تغلب سمعت بعض الاعراب يذم رجلا يقال شره طباق وخيره غير باق ويجوز في
غير القران سبع سموات طباق بالخفض على النعت لسموات نظيره سبع سنبلات خضر **فصل** قال ابن الخطيب دلت
هذه الاية على القدرة من وجوه احدها من حيث بقاؤها في جو الاستواء معلقة بلا عماد ولا سلسلة وثانيها من حيث ان
كل واحد منها اختص بمقدار معين مع جواز ما هو ازيد منه وانقص وثالثها انه اختص كل واحد منها بحركة خاصة
مقدرة بقدر معين من السرعة والبطء الى جهة معينة ورابعها كونها في ذواتها محدثة وكل ذلك يدل على اسنادها
الى قادر تام القدرة **قوله تعالى** ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت تفاوت هو مفعول ترى ومن مزيدة فيه وقرا الاخوان
تفوت بتشديد الواو دون الف قال القرطبي وهي قراءة ابن مسعود واصحابه والباقون بتخفيفها بعد الف وهما لغتان
بمعنى واحد كالتعهد والتعاهد والتظهر والتظاهر والتصعر والتصاعر والتحمل والتحامل والتضعف والتضاعف
والتباعد والتبعد قاله الفراء وقال الاخفش تفاوت اجود لانهم يقولون تفاوت الامر ولا يكادون يقولون تفوت
واختار ابو عبيدة تفوت قال يقال تفوت الشيء اذا فات واحتج بما روي في الحديث ان رجلا تفوت واختيار ابي عبيدة
تفوت قال تعالى تفوت الشيء على ابيه في ماله وقال عبد الرحمن بن ابي بكر امثلي يتفوت عليه في ماله قال النحاس وهذا مردود
على ابي عبيدة لان يتفوت اي يفتات في الحديث وتفاوت في الاية اشبه كما يقال تباين تفاوت الامر اذا تباين او تباعد
اي فات بعضها بعضا نقله القرطبي وحكى ابو زيد تفاوتا الشيء تفاوتا بضم الواو وفتحها وكسرها والقياس الضم
كالتقابل والفتح والكسر شاذان والتفاوت عدم التناسب لان بعض الاجزاء يفوت الاخر وهذه الجملة المنفية صفة لقوله
طباقا واصلها ما ترى فيهن فوضع مكان الضمير قوله خلق الرحمن تعظيما لخلقهن وتنبيها على سبب سلامتهن وهو انه خلق الرحمن
قاله الزمخشري وظاهر هذا انها صفة لطباقا وقام الظاهر فيها مقام المضمر وهذا انما يعرف في خبر المبتدا وفي الصلة على خلاف
فيها وتفصيل وقال ابو حيان الظاهر انه مستانف وليس بظاهر لانفلات الكلام بعضه من بعض وخلق مصدر مضاف
لفاعله والمفعول محذوف اي في خلق الرحمن السموات او كل مخلوق وهو اولى ليعم وان كان السياق مرشدا للاول **فصل**
والمعنى ما ترى في خلق الرحمن من اعوجاج ولا تناقض ولا تباين بل هي مستقيمة مستوية دالة على خالقها وان اختلفت صوره وقيل
المراد بذلك السموات خاصة اي ما ترى في خلق السموات من عيب واصله من الفوت وهو ان يفوت شيء شيئا فيقع الخلل لعدم استوائها
يدل عليه قول ابن عباس من تفوت وقال السدي من تفاوت اي من اختلاف وعيب يقول الناظر لو كان كذا كان احسن وقيل
من التفاوت الفطور لقوله بعد ذلك فارجع البصر هل ترى من فطور ونظيره قوله تعالى وما لها من فروج قال القفال رحمه الله
ويحتمل ان يكون المعنى ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت في الدلالة على حكمة الصانع وانه لم يخلقها عبثا **فصل** الخطاب
في قوله ما ترى في خلق الرحمن اما للرسول صلى الله عليه وسلم او لكل مخاطب وكذا القول في قوله فارجع البصر ثم ارجع البصر ينقلب
اليك البصر **فصل** دلت هذه الاية على كمال علم الله وذلك ان الحس دل على ان هذه السموات اجسام مخلوقة على وجه الاحكام
والاتقان وكل فاعل كان فعله محكما متقنا فلا بد وان يكون عالما فدلت الاية على كونه تعالى عالما بالمعلومات فقوله ما ترى
في خلق الرحمن من تفاوت اشارة الى كونها محكمة متقنة **فصل** احتج الكعبي بهذه الاية على ان المعاصي ليست من خلق الله
تعالى قال لانه تعالى نفى التفاوت عن خلقه وليس المراد نفي التفاوت في الصغر والكبر والنقص والعيب فوجب حمله على نفي
التفاوت في خلقه من حيث الحكمة فدل من هذا الوجه على ان افعال العباد ليست من خلقه لما فيها من التفاوت الذي بعضه جهل
وبعضه سفه والجواب انا نحمله على انه لا تفاوت فيها بالنسبة اليه من حيث ان الكل يصح منه بحسب القدرة والارادة والداعية
وانه لا يقبح منه شيء اصلا **فصل** روى البغوي عن كعب انه قال السماء الدنيا موج مكفوف والثانية مرمرة
بيضاء والثالثة حديد والرابعة صفر وقال نحاس والخامسة فضة والسادسة ذهب والسابعة ياقوتة حمراء وبين
السماء السابعة الى الحجب السبعة صحاري من نور **قوله تعالى** فارجع البصر متسبب عن قوله ما ترى وكرتين نصب على المصدر
كرتين وهو مثنى لا يراد به حقيقته بل التكثير بدليل قوله ينقلب اليك البصر خاسئا وهو حسير اي مزدجرا وهو كليل وهذان
الوصفان لا يأتيان بنظرتين ولا ثلاث وانما المعنى كرات وهذا كقولهم لبيك وسعديك وحنانيك ودواليك وهذاذيك

لا يريدون

لا يريدون بهذه التثنية تشفيع الواحد انما يريدون التكثير اي اجابة لك بعد اخرى والا تناقض الغرض والتثنية
تفيد التكثير لقرينة كما يفيده اصلها وهو العطف لقرينة كقوله ٭ لو عد قبر وقبر كنت اكرمهم ٭ اي قبور كثيرة لتتم المدح
وقال ابن عطية كرتين معناه مرتين ونصبهما على المصدر وقيل الاولى ليرى حسنها واستواءها والثانية ليبصر كواكبها
في سيرها وانتهائها وهذا بظاهره يفهم التثنية فقط **قوله تعالى** هل ترى من فطور هذه الجملة يجوز ان يكون معلقة لفعل
محذوف يدل عليه فارجع البصر اي فارجع البصر فانظر هل ترى وان يكون فارجع البصر مضمنا معنى انظر لانه بمعناه
فيكون هو المعلق وادغم ابو عمرو لام هل في التاء هنا وفي الحاقة واظهرها الباقون وهو المشهور في اللغة والفطور
جمع فطر وهو الشق يقال فطره فانفطر ومنه فطر ناب البعير كما يقال شق ومعناه شق اللحم وطلع قال المفسرون
الفطور الصدوع والشقوق قال الشاعر ٭ شققت القلب ثم ذررت فيه ٭ هواك فليط فالتام الفطور ٭
قوله تعالى ينقلب العامة بجزمه على جواب الامر والكسائي في رواية برفعه وفيه وجهان احدهما ان يكون حالا
مقدرة والثاني انه على حذف الفاء اي فينقلب وخاسئا حال وقوله وهو حسير حال اما من صاحب الاولى واما من الضمير
المستتر في الحال قبلها فيكون متداخلة وقد تقدم مادة خاسئا وحسير في المؤمنين والانبياء **فصل**
لما قال ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت كانه قال بعده ولعلك لا تحكم بمقتضى ذلك البصر الواحد ولا تعتمد عليه لاحتمال
وقوع الغلط في النظرة الواحدة ولكن ارجع البصر واردد النظر مرة اخرى حتى يتيقن انه ليس في خلق الرحمن من تفاوت البتة
قال القرطبي امر بان ينظروا في خلقه ليعتبروا به ويتفكروا في قدرته فقال فارجع البصر هل ترى من فطور اي اردد
طرفك الى السماء ويقال قلب البصر في السماء ويقال اجهد بالنظر الى السماء والمعنى متقارب وانما قال فارجع بالفاء
وليس قبله فعل مذكور لانه قال ما ترى والمعنى انظر ثم ارجع البصر هل ترى من فطور قاله قتادة قال مجاهد والضحاك
الفطور الشقوق وقال قتادة من خلل وقال السدي من خروق وقال ابن عباس من وهن وقوله ثم ارجع البصر كرتين في
موضع المصدر لان معناه رجعتين لان الانسان اذا نظر في الشيء مرتين ترى عيبه ما لم يره اول مرة فاخبر تعالى
انه وان نظر في السماء مرتين لا يرى فيها عيبا بل يتحير بالنظر اليها وقال ابن الخطيب معناه انك اذا كررت نظرك لم يرجع
اليك بصرك بما طلبته من وجدان الخلل والعيب بل يرجع اليك خاسئا اي مبعدا صاغرا عن ان يرى شيئا من ذلك من قولك
خسأت الكلب اي ابعدته وطردته وخسأ الكلب بنفسه يتعدى ولا يتعدى وانخسأ الكلب ايضا وخسأ بصره ايضا خسئا وخسوءا
اي سدر قال ابن عباس الخاسئ الذي لم ير ما يهوى وقال المبرد هنا الخاسئ المبعد المصغر وقوله وهو حسير اي قد بلغ الغاية
في الاعياء فهو بمعنى فاعل من الحسور الذي هو الاعياء ويجوز ان يكون مفعولا من حسره بعد الشيء وهو معنى قول ابن عباس
ومنه قول الشاعر ٭ من مد طرفا الى ما فوق غايته ٭ ارتد خسآن منه الطرف قد حسرا ٭ يقال حسر بصره يحسر حسورا
اي كل وانقطع نظره من طول مدى وما اشبه ذلك فهو حسير ومحسور ايضا قال الشاعر ٭ نظرت اليها بالمحصب من منى ٭
فعاد الي الطرف وهو حسير ٭ وقيل هو النادم قال الشاعر ٭ ما انا اليوم على شيء خلا ٭ يا ابنة القين تولى بحسر ٭
قوله تعالى ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح السماء الدنيا اي السماء القربى لانها اقرب السموات الى الناس والمعنى السماء
الدنيا من الناس اي الدنيا منكم لانها فعلى تانيث افعل التفضيل بمصابيح جمع مصباح وهو السراج وسمي الكواكب مصابيح
لاضاءتها وسماها زينة لان الناس يزينون مساجدهم ودورهم بالمصابيح فكانه قال ولقد زينا سقف الدار التي اجتمعتم
فيها بمصابيح الانوار **قوله تعالى** وجعلناها رجوما للشياطين الضمير في جعلناها يجوز فيه وجهان اظهرهما انه
يعود على مصابيح قيل وكيفية الرجم ان يوخذ نار من ضوء الكوكب يرمى بها الشيطان والكوكب في مكانه لا يرجم به قاله ابو علي
جوابا لمن قال كيف تكون زينة وهي رجوم لا تبقى قال المهدوي وهذا على ان يكون الاستراق من موضع الكوكب والثاني
ان الضمير يعود على السماء والمعنى وجعلنا منها لان ذات السماء ليست للرجوم قاله ابو حيان وفيه نظر لعدم ظهور عود الضمير
على السماء قال القرطبي والمعنى جعلنا شهبها فحذف المضاف بدليل قوله الا من خطف الخطفة فاتبعه شهاب ثاقب قال
وعلى هذا فالمصابيح لا تزول ولا يرجم بها قال المهدوي وعلى هذا ان يكون الاستراق دون موضع الكوكب قال القشيري
وامثل من قول ابي علي ان نقول هي زينة قبل ان يرجم بها الشياطين والرجوم جمع رجم وهو مصدر في الاصل اطلق على المرجوم
به كضرب الامير ويجوز ان يكون باقيا على مصدريته ويقدر مضاف اي ذات رجوم وجمع المصدر باعتبار انواعه وعلى الاول
يتعلق قوله للشياطين بمحذوف على انه صفة لرجوما وعلى الثاني لا تعلق له لان اللام مزيدة في المفعول به وفيه دلالة
حينئذ على اعمال المصدر منونا مجموعا ويجوز ان يكون صفة له ايضا كالاول فيتعلق بمحذوف وقيل الرجوم هنا الظنون
والشياطين شياطين الانس كما قال الشاعر ٭ وما هو عنها بالحديث المرجم ٭ فيكون المعنى جعلناها ظنونا ورجوما
بالغيب لشياطين الانس وهم الاحكاميون من المنجمين **فصل** قال قتادة خلق الله تعالى النجوم لثلاث

زينة السماء ورجوما للشياطين وعلامات تهتدي بها في البر والبحر والاوقات فمن تاول فيها غير ذلك فقد
تكلف ما لا علم له به وتعدي وظلم وقال محمد بن كعب والله ما لاحد من اهل الارض في السماء نجم ولكنهم يتخذون الكهانة
ويتخذون النجوم علة **فصل** قال ابن الخطيب ظاهر الاية لا يدل على ان هذه الكواكب مركوزة في السماء الدنيا لان السموات
اذا كانت شفافة فالكواكب سواء كانت في السماء الدنيا او في سموات اخرى فوقها فهي لا بد ان تظهر في السماء الدنيا وتلوح
منها فعلى التقديرين تكون السماء الدنيا مزينة بهذه المصابيح واعلم ان اصحاب الهيئة اتفقوا على ان هذه الكواكب مركوزة
في الفلك الثامن الذي هو فوق اكر السموات واحتجوا بان بعض هذه الثوابت في الفلك الثامن فيجب ان تكون كلها هنالك
وانما قلنا ان بعضها في الفلك الثامن لان الكواكب القريبة من المنطقة تنكسف بهذه السيارات فوجب ان تكون الثوابت
المنكسفة فوق السيارات الكاسفة وانما قلنا ان هذه الثوابت لما كانت في الفلك الثامن وجب ان تكون كلها هنالك
لانها باسرها متحركة حركة واحدة بطيئة في كل مائة سنة درجة واحدة فلا بد وان تكون مركوزة في كرة واحدة قال
ابن الخطيب وهذه استدلالات ضعيفة فانه لا يلزم من كون بعض الثوابت فوق السيارات كون كلها هنالك لانه لا يبعد
وجود كرة تحت كرة القمر وتكون في النظر مساوية لكرة الثوابت وتكون الكواكب المركوزة فيها مقارنة للقطبين مركوزة
في هذه الكرة السفلية اذ لا يبعد وجود كرتين مختلفتين بالصغر والكبر مع كونهما متشابهتين في الحركة وعلى هذا التقدير
لا يمتنع ان تكون هذه المصابيح مركوزة في السماء الدنيا فثبت بهذا ضعف مذهب الفلاسفة **فصل** قال ابن
الخطيب يروى ان السبب في الرجوم ان الجن كانت تسمع خبر السماء فلما بعث محمد صلى الله عليه وسلم حرست السماء ورصدت
الشياطين فمن جاء منهم مسترقا للسمع رمي بشهاب فاحرقه لئلا ينزل به الى الارض فيلقيه الى الناس فيختلط على النبي امره
ويرتاب الناس بخبره ومن الناس من طعن في هذا من وجوه احدها ان انقضاض الكواكب مذكور في كتب قدماء الفلاسفة
قالوا ان الارض اذا سخنت بالشمس ارتفع منها بخار يابس فاذا بلغ الى النار التي دون الفلك احترق بها فتلك الشعلة
هي الشهاب وثانيها ان الجن اذا شاهدوا جماعة منهم يسترقون فيحرقون امتنع ان يعودوا لذلك وثالثها ان ثخن السماء
مسيرة خمسمائة سنة فالجن لا يقدرون على خرقها لانه تعالى نفى ان يكون فيها فطور وثخنها يمنعهم من السمع لاسرار الملائكة
من ذلك البعد العظيم واذا سمعوه من ذلك البعد فلم لا يسمعون كلام الملائكة حال كونهم في الارض ورابعها ان الملائكة
انما اطلعوا على الاحوال المستقبلة اما لانهم طالعوها من اللوح المحفوظ او لانهم تلقوها من وحي الله اليهم وعلى التقديرين فلم لا
يسكتوا عن ذكرها حتى لا يتمكن الجن من معرفتها وخامسها ان الشياطين مخلوقون من النار والنار لا تحرق النار بل تقويها
وسادسها ان كان هذا القذف لاجل النبوة فلم بقي بعدها وسابعها ان هذه الرجوم انما تحدث بالقرب من الارض لانا نشاهدها
بالعين ومع البعد لا نشاهدها كما لا نشاهد حركات الكواكب وثامنها ان كانت الشياطين ينقلون اخبار الملائكة عن المغيبات
الى الكهنة فلم لا ينقلون اسرار المؤمنين الى الكفار حتى يتوسل الكفار بذلك الى الحاق الضرر بالمؤمنين وتاسعها لم يمنعهم
الله ابتداء من الصعود الى السماء والجواب عن الاول انا لا ننكر ان هذه الشهب كانت موجودة قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم
وعن الثاني انه اذا جاء القدر عمي البصر فاذا قضى الله على طائفة منها بالضرر لطغيانها قيض لها من الدواعي ما يقدمها على العمل المفضي
الى هلاكها وعن الثالث انما يمنع كون ثخن الفلك ما ذكروه بل البعد بين السماء والارض مسيرة خمسمائة عام وعن الرابع
ما روى الزهري عن علي بن الحسين عن علي بن ابي طالب قال بينما النبي صلى الله عليه وسلم جالس في نفر من اصحابه اذ رمي
بنجم فاستنار فقال ما كنتم تقولون في الجاهلية اذا حدث مثل هذا قالوا كنا نقول يولد عظيم او يموت عظيم فقال صلى الله
عليه وسلم فانها لا ترمى لموت احد ولا لحياته ولكن الله تعالى اذا قضى الامر في السماء سبحت حملة العرش ثم سبح اهل السماء وسبح
كل سماء حتى ينتهي التسبيح الى هذه السماء ويستخبر اهل السماء حملة العرش ماذا قال ربكم فيخبرونهم ولا يزال ينتهي ذلك الخبر من سماء
الى سماء الى ان ينتهي الخبر الى هذه السماء فتتخطفه الجن فيرمون فما جاؤوا به فهو حق ولكنهم يزيدون فيه وعن الخامس ان
نار النجوم قد تكون اقوى من نار الجن وعن السادس انه عليه السلام اخبر ببطلان الكهانة فلو لم ينقطعوا لعادت الكهانة وذلك
يقدح في خبر الرسول عليه السلام وعن السابع ان البعد عندنا يمنع من السماع وعن الثامن لعل الله تعالى اقدرهم على استماع الغيوب عن الملائكة
واعجزهم عن ايصال اسرار المؤمنين الى الكافرين وعن التاسع ان الله تعالى يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد **قوله تعالى** واعتدنا
لهم عذاب السعير لما ذكر منافع الكواكب وذكر من جملة تلك المنافع انها رجوم للشياطين قال بعد ذلك واعتدنا لهم
عذاب السعير اي واعتدنا للشياطين بعد الاحراق بالشهب في الدنيا عذاب السعير في الاخرة وهو اشد الحريق قال المبرد
سعرت النار فهي مسعورة وسعير مثل مقتولة وقتيل وهذه الاية تدل على ان النار مخلوقة الان لان قوله واعتدنا لهم خبر
عن الماضي **قوله تعالى** وللذين كفروا خبر مقدم في قراءة العامة وعذاب جهنم مبتداء وفي قراءة الحسن والضحاك والاعرج
بنصب عذاب فيتعلق باعتدنا عطفا على لهم وعذاب جهنم عطف على عذاب السعير نعطف منصوبا على منصوب ومجرورا

على مجرور واعاد الخافض لان المعطوف عليه ضمير والمخصوص بالذم محذوف اي وبئس المصير مصيرهم او عذاب
جهنم او عذاب السعير **فصل** والمعنى لكل من كفر بالله من الشياطين وغيرهم عذاب جهنم ليس يختص الشياطين
المرجومين مخصوصون بذلك ثم انه تعالى وصف ذلك العذاب بصفات اولها **قوله تعالى** اذا القوا فيها يعني الكفار
اذا القوا طرحوا كما يطرح الحطب في النار العظيمة سمعوا لها شهيقا اي صوتا قال ابن عباس الشهيق لجهنم عند القاء الكفار
كشهيق البغلة للشعير وقال عطاء الشهيق من الكفار عند القائهم في النار وقال مقاتل سمعوا لجهنم شهيقا قال ابن الخطيب ولعل
المراد تشبيه صوت لهب النار بالشهيق وهو كصوت الحمار وقال المبرد هو والله اعلم تنفس كتنفس المتغيظ وقال الزجاج سمع
الكفار للنار شهيقا وهو اقبح الاصوات وقيل سمعوا من انفسهم شهيقا كقوله تعالى لهم فيها زفير وشهيق **قوله تعالى**
لها متعلق بمحذوف على انه حال من شهيقا لانه في الاصل صفته ويجوز ان يكون على حذف مضاف اي سمعوا لاهلها وهي تفور
جملة حالية **فصل** قال القرطبي والشهيق في الصدر والزفير في الحلق وقد مضى في سورة هود وقوله وهي تفور اي تغلي
ومنه قول حسان • تركتم قدركم لا شيء فيها • وقدر القوم حامية تفور • قال مجاهد تفور كما يفور الحب القليل في الماء
الكثير وقال ابن عباس تغلي بهم على المرجل وهذا من شدة لهب النار من شدة الغضب كما تقول فلان يفور غيظا **قوله تعالى** تكاد تميز من الغيظ
قرا العامة تميز بتاء واحدة مخففة والاصل تتميز بتاءين وهي قراءة طلحة والبزي عن ابن كثير بتشديدها ادغم احدى التاءين
في الاخرى وهي قراءة حسنة لعدم التقاء الساكنين بخلاف قراءته اذ تلقونه ونارا تلظى وبابه وابو عمرو يدغم الدال في التاء على
اصله في المتقاربين وقرا الضحاك تمايز والاصل تتمايز بتاءين فحذف احداهما وزيد بن علي تميز من ماز وهذا كله استعارة
من قولهم تميز فلان من الغيظ اي انفصل بعضه من بعض من الغيظ فهو سببية اي بسبب الغيظ ومثله في وصف كلب اشتد غدوه
يكاد يخرج من اهابه قال ابن الخطيب ولعل سبب هذا المجاز ان دم القلب يغلي عند الغضب فيعظم مقداره فيزداد امتلاء العروق
حتى تكاد تمزق فان قيل النار ليست من الاحياء فكيف توصف بالغيظ قال ابن الخطيب والجواب ان البنية عندنا ليست شرطا للحياة
فلعل الله تعالى يخلق فيها وهي نار حياة او يكون هذا استعارة شبه صوت لهبها وسرعة مبادرتها بالغضبان وحركته
او يكون المراد الزبانية **فصل** قال سعيد بن جبير تكاد تميز من الغيظ يعني تنقطع وتنفصل بعضها من بعض
وقال ابن عباس والضحاك وابن زيد تتفرق من الغيظ من شدة الغيظ على اعداء الله **قوله تعالى** كلما القي فيها فوج تقدم الكلام
على كلما وهذه الجملة يجوز ان يكون حالا من ضمير جهنم والفوج الجماعة من الناس والافواج الجماعات في تفرقة ومنه قوله تعالى
فتاتون افواجا والمراد هنا بالفوج جماعة من الكفار سالهم خزنتها وهم مالك واعوانه سؤال توبيخ وتقريع الم ياتكم
نذير اي رسول في الدنيا ينذركم هذا اليوم حتى تحذروا قال الزجاج وهذا التوبيخ زيادة لهم في العذاب **قوله تعالى** بلى قد جاءنا
نذير فيه دليل على جواز الجمع بين حرف الجواب ونفس الجملة المجاب بها اذ لو قالوا بلى لفهم المعنى ولكنهم اظهروه تحسرا او زيادة
في تغممهم على تفريطهم في قبول قول النذير وليعطفوا عليه قولهم فكذبنا الى اخره **قوله تعالى** ان انتم الا في ضلال الظاهر
انه من مقول الكفار للنذير اي وقلنا ما نزل الله من شيء اي على السنتكم ان انتم يا معشر الرسل الا في ضلال كبير اعترفوا بتكذيب
الرسل ثم اعترفوا بجهلهم فقالوا وهم في النار ولو كنا نسمع من النذر يعني الرسل ما جاؤوا به او نعقل عنهم وجوز الزمخشري ان
يكون من كلام الرسل للكفرة وحكاه الكفرة للخزنة اي قالوا لنا هذا فلم نقبله قال ابن الخطيب يجوز ان يكون من كلام الخزنة للكفار
اي لما قالوا ذلك الكلام قالت الخزنة لهم ان انتم الا في ضلال كبير **قوله تعالى** بذنبهم وقالوا لو كنا نسمع او نعقل ما كنا
في اصحاب السعير قال ابن الخطيب احتج بهذه الاية من قال ان الدين لا يتم الا بالتعليم لانه قدم السمع على العقل فدل على انه
لا بد اولا من ارشاد المرشد لهم حتى ينتفع السامع فيما يلقيه عليه واجيب بانه انما ذكر السمع لان الرسول لما ادعى فاول المراتب يسمع
كلامه ثم يتفكر فيه فلما كان السمع مقدما على العقل لا جرم قدم عليه في الذكر **قوله تعالى** فاعترفوا بذنبهم وحده لانه
مصدر في الاصل ولم يقصد التنويع بخلاف بذنوبهم في مواضع لانه في معنى الجمع **فصل** قال ابن الخطيب
يحتمل ان يكون المراد من الضلال الكبير ما كانوا عليه في الدنيا من ضلالهم ويحتمل ان يكون المراد بالضلال الهلاك ويحتمل
ان يكون قد سمى عقاب الضلال باسمه **فصل** احتج المرجئة بهذه الاية على انه لا يدخل النار الا الكفار قالوا لانه
تعالى حكى عن كل من القي في النار انهم قالوا فكذبنا النذير وهذا يدل على ان من لم يكذب بالله ورسوله لا يلقى في النار وظاهر
هذه الاية يقتضي القطع بان الفاسق المصر لا يدخل النار واجاب القاضي عنه بان النذير قد يطلق على ما في العقول من الادلة
المخوفة وكل من دخل النار فقد خالف الدليل **فصل** واحتج بهذه الاية من قال ان معرفة الله وشكره لا تجب الا بعد
ورود السمع قالوا لانه تعالى انما عذبهم لانهم اتاهم النذير فدل على انه لو لم ياتهم النذير لم يعذبوا **قوله تعالى** فسحقا
فيه وجهان احدهما انه منصوب على المفعول به اي الزمهم الله سحقا والثاني انه منصوب على المصدر تقديره سحقهم الله سحقا
فناب المصدر عن عامله في الدعاء نحو جدعا له وعقرا فلا يجوز اظهار عامله واختلف النحاة هل هو مصدر لفعل ثلاثي ام لفعل

ربا عني بجاء على حذف الزوائد فذهب الفارسي والزجاج الى انه مصدر اسحقه الله اي ابعده قال الفارسي فكان
القياس اسحاقا فجاء المصدر على الحذف كقوله • فان اهلك فذلك كان قدري • اي تقديري والظاهر انه لا يحتاج الى
ذلك لانه سمع سحقه الله ثلاثيا ومنه قول الشاعر • يجول باطراف البلاد مغربا • وتسحقه ريح الصبا كل مسحق •
والذي يظهر ان الزجاج والفارسي انما قالا ذلك فيمن يقول من العرب اسحقه الله سحقا وقرا العامة بضمة وسكون والكسائي
في اخرين بضمتين وهما لغتان والاحسن ان يكون المثقل اصلا للمخفف ولاصحاب البيان كبتا لك وسحقا لك وقال
مكي والرفع يجوز في الكلام على الابتداء اي لو قيل فسحق جاز لا على انه تلاوة بل من جهة الصناعة الا ان ابن عطية قال فيما
يضعفه فانه قال فسحقا نصبا على جهة الدعاء عليهم وجاز ذلك فيه وهو من قبل الله تعالى من حيث هذا القول فيهم مستقر ولا وجود
لم يقع الا في الاخرة فكانه لذلك في حيز المتوقع الذي يدعى فيه كما تقول سحقا لزيد وبعدا له والنصب في هذا كله باضمار فعل
واما ما وقع وثبت فالوجه فيه الرفع كما قال تعالى ويل للمطففين وسلام عليكم وغير هذا من الامثلة انتهى فضعف الرفع
كما ترى لانه لم يقع بل هو متوقع في الاخرة **فصل** قال المفسرون فسحقا لاصحاب السعير اي فبعدا لهم
من رحمة الله وقال سعيد بن جبير وابو صالح هو واد في جهنم يقال له السحق **قوله تعالى** الذين يخشون ربهم بالغيب وهو عذاب
يوم القيمة اي يخشونه في دار التكليف اي يتقون جميع المعاصي قال ابن الخطيب وفي الاية دليل على انقطاع وعيد الفساق لان
من جاء يوم القيمة مع هذه الخشية نفسق فلا الاحزان وانقطاع الثواب بالعقاب باطل بالاجماع فتعين العكس لهم مغفرة
لذنوبهم واجر كبير وهو الجنة **قوله تعالى** لهم مغفرة الاحسن ان يكون الخبر لهم ومغفرة فاعل به لان الخبر الجر اصل والجار من قبيل
المفردات او قريب منها **قوله تعالى** واسروا قولكم او اجهروا به اللفظ لفظ الامر والمراد به الخبر يعني ان خفيتم كلامكم
في امر محمد صلى الله عليه وسلم او جهرتم به فان الله عليم بذات الصدور يعني بما في القلوب من الخير والشر قال ابن عباس نزلت في
المشركين كانوا ينالون من النبي صلى الله عليه وسلم فيخبره جبريل فقال بعضهم لبعض اسروا قولكم كي لا يسمع رب محمد فنزلت
واسروا قولكم او اجهروا به يعني واسروا قولكم في محمد وقيل انه خطاب عام لجميع الخلق في جميع الاعمال والمراد ان قولكم وعملكم على
اي سبيل وجد فالحال واحدة في علمه تعالى بها فاحذروا من المعاصي سرا كما تحترزون عنها جهرا فان ذلك لا يتفاوت بالنسبة الى
علم الله تعالى انه عليم بذات الصدور بذات الصدور وما فيها كما يسمى ولد المراة وهو جنين ذا بطنها **قوله تعالى** الا يعلم من خلق وهو
فيمن خلق وجهان احدهما انه فاعل بيعلم والمفعول محذوف تقديره الا يعلم الخالق خلقه وهذا هو الذي عليه جمهور الناس وبه بدا
الزمخشري والثاني ان الفاعل مضمر يعود على الباري تعالى ومن مفعول به اي الا يعلم الله من خلقه قال ابو حيان والظاهر
ان من مفعول والمعنى اينتفي علمه بمن خلقه وهو الذي لطف علمه ودق فيه قال واجاز بعض النحويين ان يكون من فاعلا والمفعول
محذوف كانه قال الا يعلم الخالق سركم وجهركم وهو استفهام معناه الانكار قال شهاب الدين وهذا الوجه الذي جعله هو
الظاهر يعزيه الناس لاهل الزيغ والبدع الدافعين لعموم الخلق لله تعالى وقد اطنب مكي في ذلك وانكر على القايل به ونسبه
الى ما ذكرته قال وقد قال بعض اهل الزيغ ان من في موضع نصب اسم للمسرين والجاهرين ليخرج الكلام عن عمومه ويدفع عموم
الخلق عن الله تعالى ولو كان كما زعم لقال الا يعلم ما خلق لانه انما تقدم ذكر ما تكن الصدور فهو في موضع ما ولو اتت ما في موضع
من لكان فيه ايضا بيان العموم ان الله خالق كل شيء من اقوال الخلق اسروها او اظهروها خيرا كانت او شرا ويقوي ذلك انه عليم بذات
الصدور ولم يقل عليم بالمسرين والجاهرين ويكون ما في موضع نصب وانما تخرج الاية من هذا العموم اذا جعلت ما في موضع نصب
اسما للاناس المخاطبين قبل هذه الاية وقوله بذات الصدور يمنع من ذلك انتهى قال شهاب الدين ولا ادري كيف يلزم ما قاله مكي
بالاعراب الذي ذكره والمعنى الذي ابداه وقد قال بهذا القول اعني الاعراب الثاني جماعة من المحققين ولم يبالوا بما ذكره لعدم ايهام
الاية اياه وقال الزمخشري بعد كلام ذكره ثم انكر ان لا يحيط علما بالمضمر والمسر والمجهر من خلق الاشياء وحاله انه اللطيف الخبير
المتوصل علمه الى ما ظهر من خلقه وما بطن ويجوز ان يكون من خلق منصوبا بمعنى الا يعلم مخلوقه وهذه حاله ثم قال فان قلت
قدرت في الا يعلم مفعولا على معنى الا يعلم ذلك المذكور مما اضمر في القلب واظهر باللسان من خلق فهلا جعلته مثل قولهم هو يعطي
ويمنع وهلا كان المعنى الا يكون عالما من هو خالق لان الخلق لا يصح الا مع العلم قلت ابت ذلك الحال التي هي قوله وهو اللطيف الخبير لانك
لو قلت الا يكون عالما من هو خالق وهو اللطيف الخبير لم يكن معنى صحيحا لان الا يعلم معتمد على الحال والشيء لا يوقت بنفسه فلا يقال
الا يعلم وهو عالم ولكن الا يعلم كذا وهو عالم بكل شيء **فصل** معنى الاية الا يعلم السر يقول انا خلقت السر في القلب افلا
اكون عالما بما في قلوب العباد قال اهل المعاني ان شئت جعلته من اسماء الخالق عز وجل ويكون المعنى الا يعلم الخالق خلقه وان شئت
جعلته من اسماء المخلوق والمعنى الا يعلم الله من خلق ولا بد ان يكون الخالق عالما بما خلقه وبما يخلقه قال ابن المسيب بينما رجل واقف
بالليل في شجر كثير وقد عصفت الريح فوقع في نفس الرجل اترى الله يعلم ما يسقط من هذا الورق فنودي من جانب الغيضة بصوت عظيم
الا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير وقال ابو اسحق الاسفرايني من اسماء صفات الذات ما هو للعلم منها العليم ومعناه تعميم جميع المعلومات

ومنها

ومنها الخبير ويختص بان يعلم ما يكون قبل ان تكون ومنها الحكيم ويختص بان يعلم دقايق الاوصاف ومنها الشهيد
ويختص بان يعلم الغايب والحاضر ومعناه ان لا يغيب عنه شيء ومنها الحافظ ويختص بانه لا ينسى شيئا ومنها المحصي ويختص
بانه لا يشغله الكثرة عن العلم مثل ضوء النور واشتداد الريح وتساقط الاوراق فيعلم عند ذلك اجزاء الحركات في كل ورقة وكيف
لا يعلم وهو الذي يخلق وقد قال الا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير **فصل** لما قال تعالى انه عليم بذات الصدور
ذكر الدليل على انه عالم فقال الا يعلم من خلق الاية والمعنى ان من خلق لا بد وان يكون عالما بما يخلقه لان الخلق هو الايجاد والتكوين
على سبيل القصد والقاصد الى الشيء لا بد وان يكون عالما بحقيقة ذلك المخلوق كيفية وكمية قال ابن الخطيب فنقول لو كان
العبد موجدا لافعال نفسه لكان عالما بتفاصيلها وهو غير عالم لان التفاوت بين الحركة السريعة والبطية انما هو لتخلل السكنات
فالفاعل للحركة البطية قد يفعل حركة وسكونا ولم يخطر بباله ذلك فضلا عن كميته ولان المتحرك لا يعرف عدد اجزاء الحركات
الا اذا عرف عدد الاحياز التي هي بين مبدا المسافة ومنتهاها وذلك يتوقف على علمه بالجواهر المفردة التي تنتقل في تلك المسافة
وعددها وذلك غير معلوم ولان النايم يتحرك مع عدم علمه ولان قوله الا يعلم من خلق انما يتصل بما قبله لو كان خالقا لكل
ما يفعلونه سرا وجهرا وبما في الصدور فان قيل لم لا يجوز ان يكون المراد الا يعلم من خلق الاجساد فالجواب انه لا يجوز ان يكون
المراد الا يعلم من خلق الاجساد اذ لا يلزم ان من فعل شيئا يكون عالما بشيء اخر **قوله تعالى** وهو اللطيف الخبير قيل اللطيف
العالم وقيل هو فاعل الاشياء اللطيفة التي يخفى علمها على اكثر الفاعلين ولهذا يقال ان لطف الله تعالى بعباده عجيب والمراد به
دقايق تدبيره لهم وهذا اقرب والا كان ذكر الخبير بعده تكرارا **قوله تعالى** هو الذي جعل لكم الارض ذلولا لما بين بالدليل
كونه عالما بما يسرون وما يعلنون ذكر بعده هذه الاية على سبيل التهديد كقول السيد لعبده الذي اساء اليه سرا يا فلان انا
اعرف سرك وعلانيتك فاجلس في هذه الدار التي وهبتها منك وكل هذا الخبز الذي هياته لك ولا تامن تاديبي فكانه تعالى يقول
يا ايها الكفار انا عالم بسركم وجهركم وضمايركم فخافوني فان الارض التي هي قراركم انا ذللتها لكم ولو شئت خسفتها بكم
والذلول المنقاد الذي يذل لك والمصدر الذل وهو اللين والانقياد اي لم يجعل الارض بحيث يمتنع المشي فيها بالحزونة
والغلظة وقيل انه لم يجعلها بالجبال لئلا تزول باهلها ولو كانت متمايلة لما كانت منقادة لنا وقيل اشار الى التمكن من الزرع والغرس
وشق العيون والانهار وحفر الابار وبناء الابنية ولو كانت صلبة لتعذر ذلك وقيل لو كانت مثل الذهب والحديد لكانت تسخن جدا
في الصيف وكانت تبرد جدا في الشتاء **قوله تعالى** فامشوا في مناكبها هذه استعارة حسنة جدا وقال الزمخشري مثل لفرط التذليل
ومجاوزته الغاية لان المنكبين وملتقاهما من الغارب ارق شيء من البعير وانباه عن ان يطاه الراكب بقدمه ويعتمد عليه فاذا جعلها
في الذل بحيث يمشي في مناكبها لم يترك **فصل** هذا امر اباحة وفيه اظهار الامتنان وقيل هو خبر بلفظ الامر
اي لكي تمشوا في اطرافها ونواحيها واكامها وجبالها وقال ابن عباس وقتادة وبشير بن كعب في مناكبها في جبالها وروي ان بشير بن
كعب كانت له سرية فقال لها ان اخبرتيني ما مناكب الارض فانت حرة فقالت مناكبها جبالها فصارت حرة فاراد ان يتزوجها
فسال ابا الدرداء فقال دع ما يريبك الى ما لا يريبك وقال مجاهد في اطرافها وعنه ايضا في طرقها وفجاجها وهو قول السدي والحسن
وقال الكلبي في جوانبها ومنكبا الرجل جانباه واصل الكلمة الجانب ومنه منكب الرجل والريح النكباء وتنكب فلان عن فلان يقول
امشوا حيث اردتم فقد جعلتها لكم ذلولا لا تمتنع وحكى قتادة عن ابي الجلد ان الارض اربعة وعشرون الف فرسخ فللسودان
اثنا عشر الف وللروم ثمانية الاف وللفرس ثلاثة الاف وللعرب الف **قوله تعالى** وكلوا من رزقه قال الحسن مما احله لكم وقيل
مما انبته لكم وقيل مما خلقه الله لكم رزقا في الارض واليه النشور المرجع وقيل معناه ان الذي خلق السموات لا تفاوت فيها
والارض ذلولا قادر على ان ينشركم واليه تبعثون من قبوركم **قوله تعالى** ءامنتم من في السماء تقدم اختلاف القراء في الهمزتين
المفتوحتين نحو ءانذرتهم تحقيقا وتخفيفا وادخال الف بينهما وعدمه في سورة البقرة وان قنبلا يقرا هنا بابدال الهمزة الاولى
واوا في الوصل واليه النشور وامنتم وهو على اصله من تسهيل الثانية بين بين على ما تقدم ولم يبدل الاولى واوا لزوال موجبه
وهو انضمام ما قبلها وهي مفتوحة نحو مؤجل ويؤاخذكم وقد مضى في سورة الاعراف عند قوله قال فرعون ءامنتم وانما اعدناه
تذكرا وبيانا **قوله تعالى** من في السماء مفعول امنتم وفي الكلام حذف مضاف اي امنتم خالق من في السموات وقيل في بمعنى على اي على
السماء كقوله ولاصلبنكم في جذوع النخل اي على جذوع النخل وانما احتاج القايل بهذا الى ذلك لانه اعتقد ان من واقعة على الباري
وهو الظاهر وثبت بالدليل القطعي انه ليس بمتحيز لئلا يلزم التجسيم ولا حاجة الى ذلك فان من هنا المراد بها الملايكة سكان
السماء وهم الذين يتولون الرحمة والنقمة وقيل خوطبوا بذلك على اعتقادهم فان القوم كانوا مجسمة مشبهة والذي تقدم
احسن قال ابن الخطيب هذه الاية لا يمكن اجراوها على ظاهرها باتفاق المسلمين لان ذلك يقتضي احاطة السماء به من جميع الجوانب
فيكون اصغر منها والعرش اكبر من السماء بكثير فتكون حقيرا بالنسبة الى العرش وهو باطل بالاتفاق ولانه قال تعالى قل لمن ما في السموات
والارض قل لله فلو كان فيهما لكان مالكا لنفسه فالمعنى اما من في السماء عذابه واما ان ذلك بحسب ما كانت العرب تعتقده واما من في السماء

سلطانه وملكه وقدرته كما قال تعالى وهو الله في السموات وفي الارض فان الشيء الواحد لا يكون دفعة واحدة في مكانين والغرض
من ذكر السماء تفخيم سلطان الله وتعظيم قدرته او المراد الملك الموكل بالعذاب وهو جبريل يخسفها باذن الله **قوله تعالى** ان يخسف
بكم الارض وان يرسل فيه وجهان احدهما انهما بدلا من من في السماء بدل اشتمال اي امنتم خسفه وارساله قاله ابو البقاء
الثاني ان يكون على حذف من اي امنتم من الخسف والارسال والاول اظهر **فصل** قال القرطبي ويحتمل ان يكون المعنى امنتم
خالق من في السماء ان يخسف بكم الارض كما خسفها بقارون فاذا هي تمور اي تذهب وتجيء والمور الاضطراب بالذهاب والمجيء
قال الشاعر • رمين فاقصدن القلوب ولن ترى • دما مائرا الا جرى في الحيازم • جمع حيزوم وهو وسط الصدر
واذا خسف بانسان دارت به الارض فهو المور قال ابن الخطيب ان الله تعالى يحرك الارض عند الخسف بهم حتى تضطرب وتتحرك فتعلو
عليهم وهم يخسفون فيها فيذهبون والارض فوقهم تمور فتقلبهم الى اسفل السافلين قال القرطبي قال المحققون امنتم من فوق
السماء كقوله فسيحوا في الارض اي فوقها لا بالمماسة والتحيز لكن بالقهر والتدبير وقيل معناه امنتم من على السماء كقوله ولاصلبنكم
في جذوع النخل اي عليها ومعناه انه مدبرها ومالكها كما يقال فلان على العراق اي واليها واميرها والاخبار في هذا صحيحة كثيرة
منتشرة مشيرة الى العلو لا يدفعها الا ملحد او جاهل او معاند والمراد بها توقيره وتنزيهه عن السفل والتحت ووصفه بالعلو والعظمة
لا بالاماكن والجهات والحدود لانها صفات الاجسام وانما ترفع الايدي بالدعاء الى السماء لان السماء مهبط الوحي ومنزل القطر ومحل
القدس ومعدن المطهرين من الملائكة واليها ترفع اعمال العباد وفوقها عرشه وجنته كما جعل الله تعالى الكعبة قبلة للصلوة
ولانه خلق الامكنة وهو غير محتاج اليها وكان في ازله قبل خلق المكان والزمان ولا مكان له ولا زمان له وهو الان على ما عليه
كان **قوله تعالى** ام امنتم من في السماء ان يرسل عليكم حاصبا قال ابن عباس اي حجارة من السماء كما ارسلها على قوم لوط واصحاب الفيل
وقيل ريح فيها حجارة وحصباء كانها تقلع الحصباء لشدتها وقوتها وقيل هي سحاب فيها حجارة **قوله تعالى** فستعلمون كيف نذير
قيل النذير هاهنا المنذر يعني محمدا صلى الله عليه وسلم وهو قول عطاء عن ابن عباس والضحاك والمعنى فستعلمون رسولي وصدقه لكن حين
لا ينفعكم ذلك وقيل انه بمعنى الانذار والمعنى فستعلمون عاقبة انذاري اياكم بالكتاب والرسول وكيف في قوله كيف نذير ينبي عما ذكرنا
من صدق الرسول او عقوبة الانذار وقد تقدم ان نذير ونكير مصدران بمعنى الانذار والانكار واثبت ورش ياء نذيري وقفا وحذفها
وصلا وحذفها الباقون في الحالين **قوله تعالى** ولقد كذب الذين من قبلهم يعني كفار الامم كقوم نوح وعاد وثمود وغيرهم فكيف كان
نكير اي انكاري وتغييري قال الواحدي وقال ابو مسلم النكير عقاب المنكر ثم قال سقطت الياء من نذيري ومن نكيري حتى تشابه رؤوس الاي
المتقدمة عليها والمتاخرة عنها **قوله تعالى** اولم يروا الى الطير فوقهم صافات لما ذكر ما تقدم من الوعيد ذكر البرهان على كمال قدرته
على ايصال جميع انواع العذاب اليهم ومعناه كما ذلل الارض للادمي ذلل الهواء للطيور وصافات اي باسطات اجنحتهن في الجو عند
طيرانها قال شهاب الدين صافات يجوز ان يكون حالا من الطير وان يكون حالا من فوقهم اذا جعلناه حالا فتكون متداخلة وفوقهم
ظرف لصافات على الاول او ليروا **قوله تعالى** ويقبضن عطف الفعل على الاسم لانه بمعناه اي وقابضات فالفعل هنا مؤول
بالاسم عكس قوله ان المصدقين والمصدقات واقرضوا فان الاسم هناك مؤول بالفعل وقد تقدم الاعتراض على ذلك وقوله اي قول
ابي البقاء معطوف على اسم الفاعل حملا على المعنى اي يصففن ويقبضن اي صافات وقابضات لا حاجة الى تقديره يصففن
ويقبضن لان الموضع للاسم فالاولى به الفعل وقال ابو حيان وعطف الفعل على الاسم لما كان في معناه ومثله قوله تعالى فالمغيرات
صبحا فاثرن عطف الفعل على الاسم لما كان المعنى فاللاتي اغرن فاثرن ومثل هذا العطف فصيح وكذا عكسه الا عند السهيلي فانه قبيح
نحو قوله • بات يغشيها بعضب باتر • يقصد في اسوقها وجائر • اي قاصد في اسوقها وجائر وكذا قال القرطبي هو معطوف
على صافات عطف المضارع على اسم الفاعل كما عطف اسم الفاعل على المضارع في قول الشاعر • بات يغشيها البيت • قال شهاب الدين
هو مثله في عطف الفعل على اسم الفاعل الا ان الاسم فيه مؤول بالفعل عكس هذه الاية ومفعول يقبضن محذوف اي ويقبضن
اجنحتهن قال ابو البقاء ولم نقدر لصافات مفعولا لانه زعم ان الاصطفاف في انفسها اي مصطفة والظاهر ان المعنى صافات
اجنحتها وقابضتها بالصف والقبض منها لاجنحتها ولذلك قال الزمخشري صافات باسطات اجنحتهن ثم قال فان قلت
لم قال ويقبضن ولم يقل وقابضات قلت لان الطيران هو صف الاجنحة لان الطيران في الهواء كالسباحة في الماء والاصل
في السباحة مد الاطراف وبسطها واما القبض فطارئ على البسط للاستظهار به على التحرك فجيء بما هو طارئ غير اصلي
بلفظ الفعل على معنى انهن صافات ويكون منهن القبض تارة بعد تارة كما يكون من السابح **فصل** ما يمسكهن يجوز
ان تكون الجملة مستانفة وان يكون حالا من الضمير في يقبضن قاله ابو البقاء والاول اظهر وقرا الزهري بتشديد السين
فصل ويقبضن اي يضربن بها جنوبهن قال ابو جعفر النحاس يقال للطائر اذا بسط جناحيه صاف
واذا ضمهما فاصابا جنبه قابض لانه يقبضهما قال ابو خراش يبادر جنح الليل فهو موائل يحث الجناح بالتبسط والقبض
وقيل ويقبضن اجنحتهن بعد بسطها اذا وقفن من الطيران وقوله ما يمسكهن اي ما يمسك الطير في الجو وهي تطير الا الله

عز وجل انه بكل شيء بصير قال ابن الخطيب وفيه وجهان الاول المراد من البصير كونه عالما بالاشياء الدقيقة كما يقال
فلان له بصر في هذا الامر اي حذق والثاني ان يجري اللفظ على ظاهره فنقول قوله انه بكل شيء بصير فيكون رائيا
لنفسه ولجميع الموجودات وهذا هو الذي يقوله اصحابنا انه تعالى شيء يصح ان يكون مرئيا وان كل الموجودات كذلك
فان قيل البصير اذا عدي بالباء يكون بمعنى العالم يقال فلان بصير بكذا اذا كان عالما قلنا لا نسلم فانه يقال ان الله
سميع بالمسموعات بصير بالمبصرات **فصل** في قوله ما يمسكهن الا الرحمن دليل على ان الافعال الاختيارية للعبد
مخلوقة لله تعالى لان استمساك الطير في الهواء فعل اختياري له وقد نسبه للرحمن **قوله تعالى** امن هذا الذي قرا
العامة بتشديد الميم على ادغام ميم ام في ميم من وام بمعنى بل لان بعدها اسم استفهام وهو مبتدا والخبر اسم الاشارة
وقرا طلحة بتخفيف الاول وتثقيل الثاني قال ابو الفضل معناه اهذا الذي هو جند لكم ام الذي يرزقكم وينصركم صفة
لجند **فصل** قال ابن عباس جند لكم اي حزب ومنعة لكم ينصركم من دون الرحمن فيدفع عنكم ما اراد بكم ان عصيتموه
ولفظ الجند يوحد ولذلك قال هذا الذي هو جند لكم وهو استفهام انكاري اي لا جند لكم يدفع عنكم عذاب الله من دون
الرحمن اي من سوى الرحمن ان الكافرون الا في غرور من الشيطان يغرهم بان لا عذاب ولا حساب قال بعض المفسرين كان الكفار
يمتنعون من الايمان ويعاندون الرسول عليه السلام معتمدين على شيئين احدهما قوتهم بما لهم وعددهم والثاني اعتقادهم
ان الاوثان توصل اليهم جميع الخيرات وتدفع عنهم جميع الافات فابطل الله عليهم الاول بقوله امن هذا الذي هو جند لكم
ينصركم الاية ورد عليهم الثاني بقوله امن هذا الذي يرزقكم الاية **قوله تعالى** ان امسك رزقه شرط جوابه محذوف للدلالة
عليه اي فمن يرزقكم غيره وقدر الزمخشري شرطا بعد قوله امن هذا الذي هو جند لكم تقديره ان ارسل عليكم عذابه
ولا حاجة له صناعة **فصل** المعنى امن هذا الذي يرزقكم اي يعطيكم منافع الدنيا وقيل المطر من الهتكم ان امسكه
يعني الله تعالى رزقه وهذا مما لا ينكره ذو عقل وهو انه تعالى ان امسك اسباب الرزق كالمطر والنبات وغيرهما لما وجد
رازق سواه فعند وضوح هذا الامر قال تعالى بل لجوا اي تمادوا واصروا في عتو وطغيان ونفور عن الحق وتباعد
واعراض عن الحق **قوله تعالى** افمن يمشي مكبا على وجهه مكبا حال من فاعل يمشي قال الواحدي اكب مطاوع كبه يقال كببته
فاكب قال الزمخشري هو من الغرائب والشواذ ونحوه • قشعت الريح السحاب فاقشع • ولا شيء من بناء افعل مطاوع
بل قولك اكب من باب انفض والام ومعناه دخل في الكب وصار ذا كب وكذلك اقشع السحاب دخل في القشع و
مطاوع كب وقشع انكب وانقشع قال ابو حيان ومكبا حال من اكب وهو لا يتعدى وكب متعد قال تعالى فكبت
وجوههم في النار والهمزة فيه للدخول في الشيء او للصيرورة ومطاوع كب انكب تقول كببته فانكب قال الزمخشري
ولا شيء من بناء افعل الى جملة كتاب سيبويه انتهى وهذا الرجل كثير العبث بكتاب سيبويه وكم من نص في كتاب سيبويه
عمي بصره وبصيرته عنه حتى ان الامام ابا الحجاج يوسف بن معزوز صنف كتابا يذكر فيه ما غلط الزمخشري فيه وما جهله
من كتاب سيبويه انتهى قال شهاب الدين انظر الى هذا الرجل كيف اخذ كلام الزمخشري الذي اسلفته عنه طرز به
عبارته حرفا بحرف ثم اخذ يشنع عليه باساءة الادب جزاء ما لقنه تلك الكلمات الرائقة وجعله يقول ان مطاوع
كب انكب لا اكب وان الهمزة في اكب للصيرورة او للدخول في الشيء وبالله لو بقي بغير ملقن اياها لما قالها ابدا
ثم اخذ يذكر عن الشان مع ابي القسم كانه ما مع غيره امر غلطه في نصوص من كتاب سيبويه الله اعلم بصحتها وكم من عائب
قولا صحيحا وافته من الفهم السقيم وعلى تقدير التسليم فالفاضل من عدت سقطاته قال القرطبي يقال اكب الرجل
على وجهه فيما لا يتعدى بالالف فاذا تعدى قيل كبه الله لوجهه بغير الف وقوله افمن يمشي هو المعادل لامن يمشي مكبا
وقال ابو البقاء واهدى خبر من يمشي وخبر من الثانية محذوف يعني ان الاصل امن يمشي سويا اهدى ولا حاجة الى ذلك
لان قولك ازيد قائم ام عمرو لا يحتاج فيه من حيث الصناعة الى حذف الخبر بل تقول هو معطوف على زيد عطف المفردات
ووحد الخبر لان ام لاحد الشيئين **فصل** قال المفسرون افمن يمشي مكبا اي منكسا راسه لا ينظر امامه
ولا يمينه ولا شماله فهو لا يامن من العثور والانكباب على وجهه كمن يمشي سويا معتدلا ناظرا ما بين يديه وعن يمينه
وعن شماله قال ابن عباس هذا في الدنيا ويجوز ان يريد به الاعمى الذي لا يهتدي الى الطريق فلا يزال ينكب على وجهه
وانه ليس كالرجل السوي الصحيح البصير الماشي في الطريق المهتدي له وقال قتادة هو الكافر اكب على معاصي الله في الدنيا
يحشره الله يوم القيمة على وجهه وقال ابن عباس والكلبي يعني بالذي يمشي مكبا على وجهه ابا جهل وبالذي يمشي سويا
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل ابو بكر وقيل حمزة وقيل عمار بن ياسر قال عكرمة وقيل هو عام في الكافر والمؤمن
اي ان الكافر لا يدري اعلى حق هو ام على باطل اي اهذا الكافر اهدى ام المسلم الذي يمشي سويا معتدلا يبصر الطريق وهو
على صراط مستقيم وهو الاسلام **قوله تعالى** قل هو الذي انشاكم امر نبيه ان يعرفهم قبح شركهم مع اعترافهم ان الله خلقهم

وجعل لكم السمع والابصار والافئدة يعني القلوب قوله تعالى قليلا نعت مصدر محذوف او حال من ضمير
المصدر كما هو راي سيبويه وما مزيدة اي تشكرون قليلا والجملة من تشكرون اما مستانفة وهو الظاهر واما حال
مقدرة لانهم حال الجعل غير شاكرين والمراد بالقلة العدم او حقيقتها اي لا تشكرون هذه النعم ولا توحدون
الله تعالى تقول قل ما افعل كذا اي لا افعله قال ابن الخطيب وذكر السمع والبصر والفؤاد ههنا تنبيها على دقيقة
لطيفة كانه تعالى قال اعطيتم هذه الاعضاء الثلاثة مع ما فيها من القوى الشريفة فضيعتموها ولم تقبلوا ما
سمعتموه ولا اعتبرتم ما ابصرتموه ولا تاملتم في عاقبة ما عقلتموه فكانكم ضيعتم هذه النعم وافسدتم هذه المواهب
فلهذا قال قليلا ما تشكرون قوله تعالى قل هو الذي ذراكم في الارض قال ابن الخطيب اعلم انه تعالى استدل باحوال
الحيوان اولا ثم بصفات الانسان ثانيا وهي السمع والبصر والعقل ثم بحدوث ذاته ثالثا وهو قوله قل هو الذي ذراكم
واعلم ان الشروع في هذه الدلائل انما كان لبيان صحة الحشر لتثبت ما ادعاه من الابتلاء في قوله ليبلوكم ايكم احسن عملا
ولهذا ختم الاية بقوله واليه تحشرون قال ابن عباس خلقكم في الارض وقال ابن بحر نشركم فيها وفرقكم فيها على ظهرها
واليه تحشرون فيجازي كلا بعمله ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين اي متى يوم القيمة ومتى هذا العذاب الذي
تعدوننا به قال ابو مسلم انه تعالى قال ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين بلفظ المستقبل وهذا يحتمل ما
يوجد من الكفار من هذا القول في المستقبل ويحتمل الماضي والتقدير وكانوا يقولون متى هذا الوعد ولعلهم كانوا
يقولون ذلك سخرية واستهزاء او كانوا يقولونه ايهاما للضعفة ثم انه تعالى اجاب عن هذا السؤال فقال قل انما
العلم عند الله اي قل لهم يا محمد علم وقت قيام الساعة عند الله فلا يعلمه غيره نظيره قل انما علمها عند ربي الاية وانما انا
نذير مبين اي مخوف ومعلم لكم ثم انه تعالى بين حالهم عند نزول ذلك الوعد وهو قوله تعالى فلما راوه زلفة اي راوه
اي الموعود او العذاب زلفة اي قريبا فهو حال وقال القرطبي مصدر بمعنى مزدلفا اي قريبا قال مجاهد ولا بد من حذف مضاف
اي ذا زلفة او جعل نفس الزلفة مبالغة وقيل زلفة تقديره مكانا ذا زلفة فتنتصب انتصاب المصدر فصل
قال الحسن عيانا واكثر المفسرين على ان المراد عذاب الاخرة وقال مجاهد عذاب يوم بدر وقيل راوا ما وعدوا من
الحشر قريبا منهم لقوله واليه تحشرون وقال ابن عباس يعني علمهم السيئ قريبا قوله تعالى سيئت الاصل ساء
اي احزن وجوههم العذاب ورؤيته ثم بني للمفعول وساء هنا ليست المرادفة لبئس كما تقدم مرارا واشم كسرة السين
الضم نافع وابن عامر والكسائي كما فعلوا ذلك في سيء بهم في هود كما تقدم والباقون باخلاص الكسر وتقدم تحقيق
هذا وتصريفه في اول البقرة وان فيه لغات عند قوله واذا قيل لهم فصل قال ابن عباس سيئت اي اسودت
وعليها الكآبة والغبرة يقال ساء الشيء يسوء فهو مسيء اذا قبح وسيء يساء اذا قبح وهو فعل لازم ومتعدي فمعنى
سيئت وجوههم اي قبحت بان علتها الكآبة وغشيها الكسوف والقترة وكلحوا قال الزجاج تبين فيها السوء اي ساءهم
ذلك العذاب وظهر على وجوههم سيمة تدل على كفرهم كقوله تعالى يوم تبيض وجوه وتسود وجوه قوله تعالى
وقيل هذا الذي كنتم به تدعون اي قال لهم الخزنة قال الفراء تفتعلون من الدعا وهو قول اكثر العلماء اي تتمنون وتسالون
وقال ابن عباس تكذبون وتاويله هذا الذي كنتم من اجله تدعون الاباطيل والاحاديث قاله الزجاج وقرا العامة
بتشديد الدال مفتوحة فقيل من الدعوى اي تدعون انه لا جنة ولا نار قاله الحسن وقيل من الدعا اي تطلبونه وتستعجلونه
وقرا الحسن وقتادة وابو رجا والضحاك ويعقوب وابو زيد وابو بكر وابن ابي عبلة ونافع في رواية الاصمعي بسكون
الدال وهي مؤيدة للقول بانها من الدعا في قراءة العامة قال قتادة هو قولهم ربنا عجل لنا قطنا وقال الضحاك
هو قولهم ان كان هذا هو الحق من عندك الاية وقال النحاس تدعون وتدعون بمعنى واحد كما يقال قدر واقتدر وعدي
واعتدي الا ان في افتعل معنى شيء بعد شيء وفعل يقع للقليل والكثير قوله تعالى قل ارايتم ان اهلكني الله اي
قل لهم يا محمد يعني مشركي مكة وكانوا يتمنون موت محمد صلى الله عليه وسلم كما قال ام يقولون شاعر نتربص به ريب
المنون ارايتم ان متنا او رحمنا فاخرت اجالنا فمن ايجاركم من عذاب الله فلا حاجة لكم الي
التربص بنا ولا الى استعجال قيام الساعة واسكن اليا في اهلكني ابن محيصن والمسيبي وشيبة والاعمش وحمزة
وفتحها الباقون وكلهم فتح اليا في ومن معي الا اهل الكوفة فانهم سكنوها وفتحها حفص كالجماعة قوله تعالى قل هو
الرحمن امنا به وعليه توكلنا وقد تقدم لم اخر متعلق الايمان وقدم متعلق التوكل وان التقديم يفيد الاختصاص قال
القرطبي انما قدم لوقوع امنا تعريضا بالكافرين حين ورد عقيب ذكرهم كانه قيل امنا ولم نكفر كما كفرتم ثم قال وعليه
توكلنا خصوصا لم نتكل على ما انتم متكلون عليه من رجالكم واموالكم قاله الزمخشري وقرا الكسائي فسيعلمون بياء
الغيبة نظرا الى قوله الكافرين والباقون بالخطاب التفاتا الى الوعيد وما على الالتفات من الغيبة المرادة في قراءة الكسائي

وهو الذي

وهو تهديد لهم اي فستعلمون عند معاينة العذاب من الضال نحن ام انتم قوله تعالى قل ارايتم يا معشر قريش ان اصبح
ماؤكم غورا اي غائرا ذاهبا في الارض لا تناله الدلاء وغورا خبر اصبح وجوز ابو البقا ان يكون حالا على تمام اصبح
لكنه استبعده وحكي انه قرئ غؤورا بضم الغين وهمزة مضمومة ثم واو ساكنة على فعول وتنقل الهمزة منقلبة عن
واو مضمومة فصل كان ماؤهم من بئرين بئر زمزم وبئر ميمون فمن ياتيكم بماء معين اي جاري
قاله قتادة والضحاك فلا بد لهم من ان يقولوا لا ياتينا به الا الله تعالى فقل لهم لم تشركون به من لا يقدر على ان ياتيكم
به يقال غار الماء يغور غورا اي نضب والغور الغائر وصف بالمصدر للمبالغة كما تقول رجل عدل ورضي وقد مضى
في سورة الكهف قال ابن عباس بماء معين اي ظاهر تراه العيون فهو مفعول وقيل هو من معن الماء اي كثر فهو على هذا
فعيل وعن ابن عباس ايضا ان المعنى فمن ياتيكم بماء عذب روى ابو هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان
سورة من كتاب الله ما هي الا ثلاثون اية شفعت لرجل فاخرجته يوم القيمة من النار وادخلته الجنة وهي سورة تبارك
وعن عبد الله بن مسعود قال اذا وضع الميت في قبره يؤتى من قبل رجليه فيقال ليس لكم عليه سبيل لانه كان يقوم بسورة
الملك ثم يؤتى من قبل راسه فيقول لسانه ليس لكم عليه سبيل كان يقرا بي سورة الملك ثم قال هي المانعة من عذاب الله
وهي في التورية سورة الملك من قراها في ليلة فقد اكثر واطنب وعن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
وددت ان تبارك الذي بيده الملك في قلب كل مؤمن صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم

سورة ن

وهي مكية في قول الحسن وعكرمة وعطا وجابر وقال ابن عباس وقتادة من اولها الى قوله تعالى سنسمه على الخرطوم
مكي ومن بعد ذلك الى قوله تعالى فهم يكتبون مكي ومن بعد ذلك الى قوله تعالى من الصالحين مدني وباقيها مكي
قاله الماوردي وهي اثنتان وخمسون اية وثلاثمائة كلمة والف ومائتان وستة وخمسون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم
قوله تعالى ن كقوله ص والقران وجواب القسم الجملة المنفية بعدها قال ابن عباس هو الحوت الذي على ظهره الارض
وهو قول مجاهد ومقاتل والسدي والكلبي وروى ابو ظبيان عن ابن عباس قال اول ما خلق الله القلم فجرى بما هو كائن
الى يوم القيمة ثم خلق النون فبسط الارض على ظهره فتحرك النون فمادت الارض فاثبتت بالجبال فان الجبال لتفخر على
الارض ثم قرا ابن عباس ن والقلم وما يسطرون قال الواقدي اسم النون ليوثا وقال كعب الاحبار لوثيا وعن علي
اسمه بلهوث وقيل انه قسم بالحوت الذي ابتلع يونس عليه السلام وقيل الحوت الذي لطخ سهم نمرود بدمه وقال الكلبي
ومقاتل اسم الحوت الذي على ظهره الارض البهموت قال الراجز • ما لي اراكم كلكم سكوتا • والله ربي خالق البهموتا •
وروى عكرمة عن ابن عباس ان نون اخر حروف الرحمن وقيل انه اسم للدواة وهو ايضا مروي عن ابن عباس قال القرطبي
وروى ابو هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اول ما خلق الله القلم ثم خلق النون وهي الدواة وذلك قوله
تعالى ن والقلم ومنه قول الشاعر • اذا ما الشوق برح بي اليهم • القت النون بالدمع السجام • ويكون على هذا
قسما بالدواة والقلم فان المنفعة بهما عظيمة بسبب الكتابة فان التفاهم يحصل تارة بالنطق وتارة بالكتابة وقيل
النون لوح من نور تكتب فيه الملائكة ما يؤمرون به رواه معوية بن قرة مرفوعا وقيل النون هو المداد الذي تكتب به
الملائكة وقال عطا وابو العالية هو افتتاح اسمه نصير ونور وناصر وقال محمد بن كعب اقسم الله تعالى بنصره المؤمنين وقال
جعفر الصادق هو نهر من انهار الجنة يقال له نون وقيل هو الحرف المعروف من حروف المعجم قال القشيري قال لان نون
حرف لم يعرب فلو كان كلمة تامة اعرب كما اعرب القلم فهو اذن حرف هجا كما في اوائل السور قال الزمخشري واما قولهم هو
الدواة فما ادري اهو وضع لغوي او شرعي ولا يخلو اذا كان اسما للدواة من ان يكون جنسا او علما فان كان جنسا فاين
الاعراب والتنوين وان كان علما فاين الاعراب وايهما كان فلا بد له من موقع في تاليف الكلام لانك اذا جعلته مقسما
به وجب ان كان جنسا ان تجره وتنونه ويكون القسم بدواة منكرة مجهولة كانه قيل ودواة والقلم وان كان علما
ان تصرفه وتجره او لا تصرفه وتفتحه للعلمية والتانيث وكذلك التفسير بالحوت اما ان يراد نون من النينان او
يجعل علما للبهموت الذي يزعمون والتفسير باللوح من نور او ذهب والنهر في الجنة نحو ذلك قال شهاب الدين
وهذا الذي اورده ابو القسم من محاسن علم الاعراب وقل من يتقنه وقال ابن الخطيب بعد ذكره القول بانه نون
اخر اسم الرحمن وهذا ضعيف لانا لو جوزنا يفتح باب ترهات الباطنية بل الحق هنا انه اسم للسورة او يكون العرض

منه التحدي او سائر الوجوه المذكورة في سورة البقرة **فصل** قرأ العامة ن ساكن النون كنظايره وادغم
ابن عامر والكسائي وابو بكر عن عاصم بالخلاف وورش بخلاف عنهما النون في الواو واظهرها الباقون قال الفراء
واظهارها اعجب الي لانها هجا والهجا كالموقوف عليه وان اتصل ونقل عن من ادغم الغنة وعدمها وقرأ ابن عباس والحسن
وابو السمال وابن ابي اسحق بكسر النون وسعيد بن جبير وعيسى بخلاف عنه بفتحها فالاولى على التقاء الساكنين ولا يجوز
ان يكون مجرورا على القسم حذف حرف الجر وبقي عمله كقولهم الله لافعلن لوجهين احدهما انه مختص بالجلالة المعظمة نادر فيما
عداها والثاني انه كان ينبغي ان ينون ولا يحسن ان يقال هو ممنوع الصرف اعتبارا بتانيث السورة لانه كان ينبغي ان لا يظهر
فيه الجر بالكسرة البتة واما الفتح فيحتمل ثلاثة اوجه احدها ان يكون بناء واوثر على الاصل للخفة كاين وكيف الثاني ان
يكون مجرورا بحرف القسم المقدر على لغة ضعيفة وقد تقدم ذلك في قراءة فالحق والحق بجر الحق ومنعت الصرف اعتبارا
بالسورة والثالث ان يكون منصوبا بفعل محذوف اي اقرأوا نون ثم ابتدأ قسما بقوله والقلم او يكون منصوبا بعد حذف
حرف القسم كقوله • فذاك امانة الله الثريد • ومنع الصرف لما تقدم وهذا احسن لعطف والقلم على محله **قوله تعالى**
وما يسطرون ما موصولة اسمية او حرفية اي والذي يسطرونه من الكتب والحفظة من الملائكة وسطرهم والضمير عائد
على من يسطر لدلالة السياق عليه ولذكر الالة المكتتب بها وقال الزمخشري يجوز ان يراد بالقلم اصحابه فيكون الضمير
في يسطرون لهم يعني فيصير كقوله او كظلمات في بحر لجي يغشاه تقديره او كذي ظلمات فالضمير في يغشاه يعود على ذي المحذوف
فصل في القلم المقسم به قولان احدهما ان المراد به الجنس وهو واقع على كل قلم يكتب به في السماء والارض
قال تعالى وربك الاكرم الذي علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم ولانه ينتفع به كما ينتفع بالنطق كما قال تعالى خلق الانسان
علمه البيان فالقلم يبين كما يبين اللسان في المخاطبة بالكتابة للغايب والحاضر والثاني انه القلم الذي جاء في الخبر عن ابن عباس
قال اول ما خلق الله القلم ثم قال له اكتب قال ما اكتب قال اكتب ما كان وما هو كاين الى يوم القيمة من عمل او اجل او رزق
او اثر فجرى القلم بما هو كاين الى يوم القيمة قال ثم ختم فم القلم فلم ينطق ولا ينطق الى يوم القيمة قال وهو قلم من نور
طوله كما بين السماء والارض وروى مجاهد قال اول ما خلق الله القلم فقال اكتب القدر فكتب ما هو كاين الى يوم القيمة
وانما يجري الناس على امر قد فرغ منه قال القاضي هذا الخبر يجب حمله على المجاز لان القلم الة مخصوصة للكتابة لا يجوز
ان يكون حيا عاقلا فيؤمر وينهى فان الجمع بين كونه حيوانا مكلفا وبين كونه الة للكتابة محال بل المراد منه انه تعالى اجراه
بكل ما يكون وهو قوله تعالى اذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون فانه ليس هناك امر ولا تكليف بل هو مجرد نفاذ القدرة
في المقدور من غير منازعة ولا مدافعة وقيل القلم المذكور ههنا هو العقل وانه شيء كالاصل لجميع المخلوقات قالوا والدليل
عليه انه روي في الاخبار ان اول ما خلق الله تعالى القلم وفي خبر اخر اول ما خلق الله تعالى العقل فقال الجبار ما خلقت خلقا
اعجب الي منك وعزتي وجلالي لاكملنك فيمن احببت ولانقصنك فيمن ابغضت قال ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اكمل الناس عقلا اطوعهم لله واعلمهم بطاعته وفي خبر اخر اول ما خلق الله جوهرة فنظر اليها بعين الهيبة فذابت
وسخنت فارتفع منها دخان وزبد فخلق من الدخان السموات ومن الزبد الارض قالوا فهذه الاخبار بمجموعها تدل على ان
القلم والعقل وتلك الجوهرة التي هي اصل المخلوقات شيء واحد والا لحصل التناقض **فصل** وقوله وما يسطرون
اي وما يكتبون الناس يريد الملائكة يكتبون اعمال بني ادم قال ابن عباس وقيل وما يكتبون الناس ويتفاهمون به وقال
ابن عباس معنى وما يسطرون وما يعلمون قال ابن الخطيب وما يسطرون ما مع ما بعدها في تقدير المصدر فيحتمل ان يكون
المراد وسطرهم فيكون القسم واقعا بنفس الكتابة ويحتمل ان يكون المراد به المسطور والمكتوب فان حمل القلم على كل قلم في
مخلوقات الله فكانه تعالى اقسم بكل قلم وبكل ما يكتب بكل قلم وقيل المراد يسطرون الحفظة والكرام ويجوز ان يراد
بالقلم اصحابه فيكون الضمير في يسطرون لهم كانه قيل واصحاب القلم وسطرهم او ومسطوراتهم وان حمل على القلم المعين فيحتمل
ان يكون المراد بقوله وما يسطرون اي وما يسطرون فيه وهو اللوح المحفوظ ولفظ الجمع في قوله يسطرون ليس المراد منه
الجمع بل التعظيم ويكون المراد تلك الاشياء التي سطرت فيه من جميع الامور الكاينة الى يوم القيمة **قوله تعالى** ما انت بنعمة
ربك بمجنون منفيا كما يتعلق بعامل مثبتا كقولك انت بنعمة الله عاقل مستويا في ذلك الاثبات والنفي استواؤهما في قولك
ضرب زيد عمروا وما ضرب زيد عمروا فعمل الفعل منفيا ومثبتا اعمالا واحدا ومحله النصب على الحال كانه قال ما انت
مجنون منعما عليك بذلك ولم يمنع الباء ان تعمل مجنون فيما قبله لانها زايدة لتاكيد النفي قال ابو حيان وما ذهب اليه
الزمخشري من ان الباء تتعلق بمجنون وانه في موضع الحال يحتاج الى تامل وذلك انه اذا تسلط النفي على محكوم به وذلك
له معمول ففي ذلك طريقان احدهما ان النفي يتسلط على ذلك المعمول فقط والاخر ان يتسلط النفي على المحكوم به فينتفي معموله
لانتفائه بيان ذلك تقول ما زيد قايم مسرعا فالمتبادر الى الذهن انه منتف اسراعه دون قيامه فيكون قد قام غير

مسرع والوجه الاخر انه انتفى قيامه فانتفى اسراعه اي لا قيام فلا اسراع وهذا الذي قررناه لا يتاتى معه قول الزمخشري
بوجه بل يؤدي الى ما لا يجوز النطق به في حق المعصوم انتهى واختار ابو حيان ان يكون بنعمة قسما معترضا به بين المحكوم عليه
والحكم على سبيل التاكيد والتشديد والمبالغة في انتفاء الوصف الذميم وقال ابن عطية بنعمة ربك اعتراض كما تقول للانسان
انت بحمد الله فاضل قال ولم يبين ما يتعلق به الباء في بنعمة قال شهاب الدين والذي يتعلق به الباء في هذا النحو معنى مضمون الجملة
نفيا واثباتا كانه قيل انتفى عنك ذلك بحمد الله والباء سببية وثبت لك الفضل بحمد الله تعالى واما المثال الذي ذكره فالباء
تتعلق فيه بلفظ فاضل وقد نحا صاحب المنتخب الى هذا فقال المعنى انتفى عنك الجنون بنعمة ربك وقيل معناه ما انت مجنون
والنعمة لربك كقولهم سبحانك اللهم وبحمدك اي والحمد لله وقول لبيد • وافردت في الدنيا بفقد عشيرتي • وفارقني جار باربد نافع
اي وهو اربد وهذا ليس بتفسير اعراب بل تفسير معنى **فصل** ما انت بنعمة ربك بمجنون هذا جواب
القسم وهو نفي قال الزجاج انت هو اسم ما وبمجنون الخبر وقوله بنعمة ربك كلام وقع في الوسط اي انتفى عنك الجنون
بنعمة ربك كما يقال انت بحمد الله عاقل روي ابن عباس انه صلى الله عليه وسلم غاب عن خديجة الى حرا وطلبته فلم تجده فاذا به
ووجهه متغير بلا غبار فقالت له ما لك فذكر جبريل عليه السلام وانه قال له اقرأ باسم ربك فهو اول ما نزل من القران
قال ثم نزل بي الى قرار الارض فتوضا وتوضات ثم صلى وصليت معه ركعتين وقال هكذا الصلوة يا محمد فذكر النبي صلى الله
عليه وسلم ذلك لخديجة فذهبت خديجة الى ورقة بن نوفل وهو ابن عمها وكان قد خالف دين قومه ودخل في النصرانية
فسالته فقال ارسلي الي محمدا فارسلته فقال هل امرك جبريل عليه السلام ان تدعو احدا فقال لا فقال والله لئن بعثت الى دعوتك
لانصرنك نصرا عزيزا ثم مات قبل دعاء الرسول صلى الله عليه وسلم ووقعت تلك الواقعة في السنة كفار قريش فقالوا انه
مجنون فاقسم الله تعالى على انه ليس بمجنون وهو خمس ايات من اول هذه السورة قال ابن عباس اول ما نزل قوله تعالى سبح اسم
ربك وهذه الاية هي الثانية نقله ابن الخطيب وذكر القرطبي ان المشركين كانوا يقولون للنبي صلى الله عليه وسلم مجنون به
شيطان وهو قولهم يا ايها الذي نزل عليه الذكر انك لمجنون فانزل الله تعالى ردا عليهم وتكذيبا لقولهم ما انت بنعمة ربك
بكاهن ولا مجنون اي برحمة ربك والنعمة هنا الرحمة وقال عطا وابن عباس يريد بنعمة ربك عليك بالايمان والنبوة قال
القرطبي ويحتمل ان النعمة ههنا قسم تقديره ما انت ونعمة ربك بمجنون لان الواو والباء من حروف القسم وقد تقدم
فصل قال ابن الخطيب اعلم انه تعالى وصفه ههنا بصفات ثلاثة الاولى نفي الجنون عنه ثم قرن بهذه الدعوى
ما يكون كالدلالة القاطعة على صحتها لان قوله بنعمة ربك يدل على ان نعم الله تعالى ظاهرة في حقه من الفصاحة التامة
والعقل الكامل والسيرة المرضية والبراءة من كل عيب والاتصاف بكل مكرمة واذا كانت هذه النعم محسوسة ظاهرة و
وجودها ينافي حصول الجنون فالله تعالى نبه على ان هذه الدقيقة جارية مجرى الدلالة اليقينية على كذبهم في قولهم مجنون
الصفة الثانية **قوله تعالى** وان لك لاجرا غير ممنون اي ثوابا على ما تحملت غير منقوص ولا مقطوع منه يقال مننت الشيء اذا
ضعف ويقال مننت الحبل اذا قطعته وحبل منين اذا كان غير متين قال لبيد • غبسا كواسب ما يمن طعامها • اي لا ينقطع
يصف كلابا ضارية ونظيره قوله تعالى غير مجذوذ وقال مجاهد ومقاتل والكلبي غير ممنون اي غير محسوب عليك قالت
المعتزلة لانك تستوجبه على عملك وجوابهم ان حمله على هذا يقتضي التكرار لان قوله اجرا يفيده وقال الحسن غير مكدر بالمن
وقال الضحاك اجرا بغير عمل واختلفوا في هذا الاجر على اي شيء حصل فقيل معناه ان لك على احتمالك هذا الطعن والقول
القبيح اجرا عظيما دائما وقيل ان لك في اظهار النبوة والمعجزات وفي دعاء الخلق الى الله تعالى وفي بيان الشرع لهم هذا
الاجر الخالص الدائم فلا يمنعك نسبتهم اياك الى الجنون عن الاشتغال بهذا المهم العظيم فان لك بسببه المنزلة العالية
الصفة الثالثة **قوله تعالى** وانك لعلى خلق عظيم قال ابن عباس ومجاهد على خلق على دين عظيم من الاديان ليس دين احب الى
الله ولا ارضى عنده منه وروى مسلم عن عائشة ان خلقه كان القران وقال علي رضي الله عنه هو ادب القران وقيل رفقه
بامته واكرامه اياهم وقال قتادة هو ما كان ياتمر به من امر الله وينتهي عنه مما نهى الله عنه وقيل انك على طبع كريم وقال
الماوردي حقيقة الخلق في اللغة ما ياخذ به الانسان في نفسه من الادب يسمى خلقا لانه يصير كالخلقة فيه فاما ما
طبع عليه من الادب فهو الخيم فيكون الخلق الطبع المتكلف والخيم الطبع الغريزي قال القرطبي ما ذكره مسلم في صحيحه عن
عائشة اصح الاقوال وسئلت ايضا عن خلقه عليه السلام فقرات قد افلح المؤمنون الى عشر ايات قال ابن الخطيب وهذا اشارة
الى ان نفسه القدسية كانت بالطبع منجذبة الى عالم الغيب والى كل ما يتعلق بها وكانت شديدة النفرة عن اللذات البدنية
والسعادة الدنيوية بالطبع ومقتضى الفطرة وقالت ما كان احد احسن خلقا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ما دعاه
احد من الصحابة ولا من اهل بيته الا قال لبيك ولذلك قال الله تعالى وانك لعلى خلق عظيم ولم يذكر خلق محمود الا وكان
للنبي صلى الله عليه وسلم منه الحظ الاوفر وقال الجنيد سمي خلقه عظيما لاجتماع مكارم الاخلاق فيه بدليل قوله عليه السلام

ان الله بعثني لاتمم مكارم الاخلاق **فصل** قال ابن الخطيب قوله تعالى وانك لعلى خلق عظيم كالتفسير لما تقدم من قوله تعالى بنعمة ربك وتعريف لمن رماه بالجنون بان ذلك كذب وخطا لان الاخلاق الحميدة والافعال المرضية كانت ظاهرة منه واذا كان موصوفا بتلك الاخلاق والافعال لم يجز اضافة الجنون اليه لان اخلاق المجانين سيئة ولما كانت اخلاقه الحميدة صلى الله عليه وسلم كاملة لا جرم وصفها الله بانها عظيمة ولهذا قال قل لا اسئلكم عليه اجرا وما انا من المتكلفين اي لست متكلفا فيما يظهر لكم من اخلاقي لان المتكلف لا يدوم امره طويلا بل يرجع الى الطبع وقيل انما وصف خلقه بانه عظيم لانه تعالى قال اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده فهذا الهدى الذي امر الله محمدا صلى الله عليه وسلم بالاقتداء به ليس هو معرفة الله تعالى لان ذلك تقليد وهو غير لائق بالرسول صلى الله عليه وسلم وليس هو الشرايع لان شريعته مخالفة لشرايعهم فتعين ان يكون المراد منه امره صلى الله عليه وسلم بان يقتدي بكل واحد من الانبيا فيما اختص به من الخلق الكريم وكان كل واحد منهم مختصا بنوع واحد فلما امر محمد صلى الله عليه وسلم بان يقتدي بالكل فكانه امر بمجموع ما كان متفرقا فيهم ولما كان ذلك درجة عالية لم يتيسر لاحد من الانبياء قبله لا جرم وصف الله خلقه بانه عظيم وكلمة على للاستعلاء فدل اللفظ على انه مستعل على هذه الاخلاق ومستول عليها وانه بالنسبة الى هذه الاخلاق الحميدة كالمولى بالنسبة الى العبيد وكالامير بالنسبة الى المامور وقد وردت احاديث كثيرة صحيحة في مدح الخلق الحسن وذم الخلق السيء **قوله تعالى** فستبصر ويبصرون قال ابن عباس معناه فستعلم ويعلمون يوم القيمة وقيل فسترى ويرون يوم القيمة حين يتبين الحق والباطل وقيل فستبصر ويبصرون في الدنيا كيف يكون عاقبة امرك وعاقبة امرهم فانك ستصير معظما في القلوب ويصيرون ذليلين ملعونين وتستولي عليهم بالقتل والنهب قال مقاتل بن حيان هذا وعيد العذاب ببدر **قوله تعالى** بايكم المفتون فيه اربعة اوجه احدها ان البا مزيدة في المبتدا والتقدير ايكم المفتون فزيدت كزيادتها في نحو بحسبك زيد والى هذا ذهب قتادة وابو عبيدة معمر بن المثنى الا انه ضعيف من حيث ان البا لا تزاد في المبتدا الا في حسبك فقط الثاني ان البا بمعنى في فهي ظرفية كقولك زيد بالبصرة اي فيها والمعنى في اي فرقة وطايفة منكم المفتون اي المجنون افي فرقة الاسلام ام في فرقة الكفار واليه ذهب مجاهد والفرا ويؤيده قراءة ابن ابي عبلة في ايكم والثالث انه على حذف مضاف اي بايكم فتن المفتون فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه واليه ذهب الاخفش وتكون البا سببية والرابع ان المفتون مصدر جاء على مفعول كالمعقول والميسور والتقدير بايكم المفتون فعلى القول الاول يكون الكلام تاما عند قوله ويبصرون ويبتدا بقوله بايكم المفتون وعلى الاوجه بعده تكون البا متعلقة بما قبلها ولا يوقف على يبصرون وعلى الاوجه الاول الثلاثة يكون المفتون اسم مفعول على اصله وعلى الوجه الرابع يكون مصدرا وينبغي ان يقال ان الكلام انما يتم على قوله المفتون سواء قيل بان البا مزيدة ام لا لان قوله فستبصر ويبصرون معلق بالاستفهام بعده لانه فعل بمعنى الرؤية والرؤية البصرية تعلق على الصحيح بدليل قولهم اما ترى اي برق ههنا فكذلك الابصار لانه هو الرؤية بالعين فعلى القول بزيادة البا تكون الجملة الاستفهامية في محل نصب لانها واقعة موقع مفعول الابصار **فصل** قال القرطبي فستبصر ويبصرون بايكم المفتون اي الذي فتن بالجنون كقوله تعالى تنبت بالدهن ويشرب بها عباد الله وهو قول قتادة وابي عبيدة كما تقدم وقيل البا ليست بزايدة والمعنى بايكم المفتون اي الفتنة وهو مصدر على وزن المفعول ويكون المعنى المفتون كقولهم ما لفلان مجلود ولا معقول اي عقل وجلادة قاله الحسن والضحاك وابن عباس قال الراعي

حتى اذا لم يتركوا لعظامه لحما ولا لفواده معقولا اي عقلا والمفتون المجنون الذي فتنه الشيطان وقيل المفتون المعذب من قول العرب فتنت الذهب بالنار اذا حميته قال تعالى يوم هم على النار يفتنون اي يعذبون وقيل المفتون الشيطان لانه مفتون في دينه وكانوا يقولون ان به شيطانا وعنوا بالمجنون هذا فقال الله تعالى سيعلمون غدا بايهم الشيطان الذي يحصل من مسه الجنون واختلاط العقل **قوله تعالى** ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله اي ان الله هو العالم بمن حاد عن دينه وهو اعلم بالمهتدين اي الذين هم على الهدى فيجازي كلا غدا **قوله تعالى** فلا تطع المكذبين نهاه عن ممايلة المشركين وكانوا يدعونه الى ان يكف عنهم ليكفوا عنه فبين الله تعالى ان ممايلتهم كفر وقال تعالى ولولا ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيا قليلا وقيل فلا تطع المكذبين اي فيما دعوك اليه من دينهم الخبيث نزلت في مشركي قريش حين دعوه الى دين ابايه **قوله تعالى** ودوا لو تدهن فيدهنون المشهور في قراءة الناس ومصاحفهم فيدهنون بثبوت نون الرفع وفيه وجهان احدهما انه عطف على تدهن فيكون داخلا في حيز لو والثاني انه خبر مبتدا مضمر اي فهم يدهنون وقال الزمخشري فان قلت لم رفع فيدهنون ولم ينصب باضمار ان وهو جواب التمني قلت قد عدل به الى طريق اخر وهو ان جعل خبر مبتدا محذوف اي فهم يدهنون كقوله فمن يومن بربه فلا يخاف بخسا على معنى ودوا لو تدهن فهم يدهنون حينيذ او ودوا ادهانك فهم الان يدهنون لطمعهم في ادهانك قال سيبويه وزعم هارون انها في بعض المصاحف ودوا لو تدهن فيدهنوا انتهى وفي نصبه على ما وجد في بعض المصاحف وجهان احدهما انه عطف على التوهم كانه توهم ان نطق بان فنصب الفعل على هذا التوهم

وهذا انما يجيء على القول بمصدرية لو وفيه خلاف تقدم تحقيقه في البقرة والثاني انه نصب على جواب التمني المفهوم من ودوا والظاهر ان لو هنا حرف لما كان سيقع لوقوع غيره وان جوابها محذوف ومفعول الودادة ايضا محذوف تقديره ودوا ادهانك لحذف ادهانك لدلالة لو وما بعدها عليه وتقدير الجواب لسروا بذلك **فصل** قال ابن عباس ودوا لو ترخص لهم فيرخصون لك وقال الفرا والكلبي لو تلين فيلينون لك والادهان التليين لمن لا ينبغي له التليين قاله الفرا قال الليث وقال مجاهد ودوا لو ركنت اليهم وتركت الحق فيمايلونك وقال الربيع بن انس ودوا لو تكذب فيكذبون وقال قتادة ودوا لو تذهب عن هذا الامر فيذهبون معك وقال الحسن ودوا لو تصانعهم في دينك فيصانعونك في دينهم وعنه ايضا ودوا لو ترفض بعض امرك فيرفضون بعض امرهم وقال زيد بن اسلم لو تنافق وترايي فينافقون ويراءون وقيل ودوا لو تضعف فيضعفون قاله ابو جعفر وقال القتبي ودوا لو تداهن في دينك فيداهنون في اديانهم وعنه طلبوا منه ان يعبد الهتهم مدة ويعبدوا الهه مدة وهذان القولان الاخيران هما القولان المتقدمان في معنى لو تكفر ومعنى لو تصانعهم وقال ابن العربي ذكر المفسرون فيها نحو عشرة اقوال كلها دعاوى على اللغة والمعنى وامثلها ودوا لو تكذب فيكذبون ودوا لو تكفر فيكفرون وقال القرطبي كلها ان شاء الله صحيحة على مقتضى اللغة والمعنى فان الادهان اللين والمصانعة وقيل مجاملة العدو وممايلته وقيل المقاربة في الكلام والتليين في القول وقال المفضل النفاق وترك المناصحة فهي على هذا الوجه مذمومة وعلى الوجه الاول غير مذمومة وكل شيء منها لم يكن قال المبرد يقال ادهن في دينه وداهن في امره اي خان فيه واظهر خلاف ما يضمر وقال قوم داهنت بمعنى واريت وادهنت بمعنى غششت قاله الجوهري وقوله فيدهنون ساق على العطف ولو جاء به جوابا للنهي لقال فيدهنوا وانما اراد انهم تمنوا لو فعلت فيفعلون مثل فعلك عطفا لا جزاء عليه ولا مكافاة وانما هو تمثيل وتنظير **قوله تعالى** ولا تطع كل حلاف مهين قال السدي والشعبي وابن اسحق يعني الاخنس بن شريق وقال مجاهد يعني الاسود بن عبد يغوث او عبد الرحمن بن الاسود وقال مقاتل يعني الوليد بن المغيرة عرض على النبي صلى الله عليه وسلم مالا وحلف له انه يعطيه ان رجع عن دينه وقال ابن عباس هو ابو جهل بن هشام والحلاف الكثير الحلف والمهين تقدم في الزخرف قال مجاهد هو الضعيف القلب وقال ابن عباس هو الكذاب والكذاب مهين وقال ابن بحر هو الذليل وقال الحسن وقتادة هو المكثار في الشر وقال الكلبي المهين الفاجر وقال عبد الله هو الحقير وقال الرماني هو الوضيع لاكثاره من القبيح وهو فعيل من المهانة بمعنى القلة وهي ههنا القلة في الراي والتمييز او هو فعيل بمعنى مفعل والمعنى مهان والهماز مثال مبالغة من الهمز وهو في اللغة الضرب طعنا باليد والعصا ونحوها واستعماله للعياب الذي يعيب على الناس كانه يضربهم باذاه قال ابن زيد الهماز الذي يهمز الناس بيده ويضربهم واللماز باللسان وقيل الهماز الذي يذكر الناس في وجوههم واللماز الذي يذكرهم في مغيبهم وقال مقاتل بالعكس وقال غيرهم هما سواء ونحوه عن ابن عباس وقتادة قال الشاعر

تدلي بودي اذا لاقيتني كذبا • وان اغيب فانت الهامز اللمزه •

والنميم قيل مصدر كالنميمة وقيل هو جمع نميمة اي اسم جنس كتمرة وتمر وهو نقل الكلام الذي يسوء سامعه ويحرش بين الناس وقال الزمخشري والنميم والنميمة السعاية وانشدني بعض العرب

• تشبي تشبت النميمه • تمشي بها زهرا الى تميمه •

والمشاء مثال مبالغة من المشي اي يكثر السعاية بين الناس ليفسد بينهم يقال نم ينم نما ونميما ونميمة اي يمشي ويسعى بالفساد وقال عليه السلام لا يدخل الجنة نمام والعتل الذي يعتل الناس اي يحملهم ويجرهم الى ما يكرهونه من حبس وضرب ومنه خذوه فاعتلوه وقيل العتل الشديد الخصومة وقال ابو عبيدة هو الفاحش اللئيم وانشد

• بعتل من الرجال زنيم • غير ذي نجدة وغير كريم •

وقيل الغليظ الجافي ويقال عتله وعتنه باللام والنون نقله يعقوب وقيل العتل الجافي الشديد في كفره وقال الكلبي والفرا هو الشديد الخصومة بالباطل قال الجوهري ويقال عتلت الرجل اعتله واعتله اذا جذبته جذبا عنيفا ورجل معتل بالكسر والعتل ايضا الرمح الغليظ ورجل عتل بالكسر بين العتل اي سريع الى الشر ويقال لا انعتل معك اي لا ابرح مكاني وقال عبيد بن عمير العتل الاكول الشروب القوي الشديد يوضع في الميزان فلا يزن شعيرة يدفع الملك من اوليك في جهنم بالدفعة الواحدة سبعين الفا والزنيم الدعي ينتسب الى قوم ليس منهم قال حسان رضي الله عنه

• زنيم تداعاه الرجال زيادة • كما زيد في عرض الاديم الاكارع •

وقال ايضا

• وانت زنيم نيط في ال هاشم • كما نيط خلف الراكب القدح الفرد •

واصله من الزنمة وهي ما بقي من جلد الماعز معلقا في حلقها يترك عند القطع فاستعير للدعي لانه كالمعلق بما ليس منه **فصل** تقدم القول في الحلاف المهين عن الشعبي والسدي وابن اسحق انه الاخنس بن شريق وعلى قول غيرهم انه الاسود بن عبد يغوث

او عبد الرحمن بن الاسود او الوليد بن المغيرة او ابو جهل بن هشام وتقدم تفسير الهماز والمشاء بنميم واما قوله مناع
للخير اي للمال ان ينفق في وجوهه وقال ابن عباس يمنع عن الاسلام ولده وعشيرته قيل كان للوليد بن المغيرة عشرة من الولد
وكان يقول لهم ولاقاربه من تبع منكم محمدا منعته رفدي وقال الحسن يقول لهم من دخل منكم في دين محمد لا انفعه بشيء
ابدا وقوله معتد اي على الناس في الظلم متجاوز للحد صاحب باطل وقوله اثيم اي ذا اثم ومعناه اثوم فهو فعيل بمعنى فعول
قال البغوي اثيم فاجر واما العتل فتقدم الكلام عليه في اللغة وقال عليه السلام الا اخبركم باهل الجنة قالوا بلى قال
كل ضعيف متضعف لو اقسم على الله لابره الا اخبركم باهل النار قالوا بلى قال كل عتل جواظ مستكبر وفي رواية كل جواظ
زنيم متكبر الجواظ الجموع المنوع وقيل الكثير اللحم المختال في مشيته وقيل القصير البطين وذكر الماوردي عن ابن مسعود
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يدخل الجنة جواظ ولا جعظري ولا العتل الزنيم وقال صلى الله عليه وسلم الجواظ الذي جمع
ومنع والجعظري الفظ الغليظ المتكبر قال ابن الاثير وقيل هو الذي ينتفخ بما ليس عنده وفيه قصر قال القرطبي وقال عليه السلام
الشديد الخلق الرحيب الجوف المصحح الاكول الشروب الواجد للطعام الظلوم للناس وعن زيد بن اسلم في قوله تعالى عتل بعد
ذلك زنيم قال قال النبي صلى الله عليه وسلم تبكي السماء من رجل اصح الله جسمه ورحب جوفه واعطاه من الدنيا بعضا فكان
للناس ظلوما فذلك العتل الزنيم وقوله بعد ذلك اي مع ذلك يريد مع ما وصفناه به زنيم وتقدم معنى الزنيم وعن ابن
عباس انه رجل من قريش كانت له زنمة كزنمة الشاة وروي عن ابن جبير انه الذي يعرف بالشر كما تعرف الشاة بزنمتها وقيل انه
الذي يعرف بالابنة وهو مروي عن ابن عباس وعنه انه الظلوم وقال مجاهد زنيم كانت له ستة اصابع في يده في كل ابهام له
اصبع زائدة وعنه ايضا وسعيد بن المسيب وعكرمة هو ولد الزنا الملحق في النسب بالقوم وكان الوليد دعيا في قريش ليس من
سنخهم ادعاه ابوه بعد ثماني عشرة سنة من مولده قال الشاعر • زنيم ليس يعرف من ابوه • بغي الام ذو حسب لئيم •
قيل بغت امه ولم يعرف حتى نزلت الاية وهذا لان الغالب ان النطفة اذا خبثت خبث الولد كما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال لا يدخل الجنة ولد زنا ولا ولده ولا ولد ولده وقال عبد الله بن عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان اولاد الزنا يحشرون
يوم القيمة في صور القردة والخنازير وقالت ميمونة سمعنا النبي صلى الله عليه وسلم يقول لا تزال امتي بخير ما لم يفش
فيهم ولد الزنا فاذا فشا فيهم ولد الزنا اوشك ان يعمهم الله بعذاب وقال عكرمة اذا كثر ولد الزنا قحط المطر قال القرطبي ومعظم
المفسرين على ان هذه الاية نزلت في الوليد بن المغيرة وكان يطعم اهل منى حيسا ثلاثة ايام وينادي الا لا يوقدن احد
تحت برمة الا لا يرحمن احد بكراع الا من اراد الحيس فليات الوليد بن المغيرة وكان ينفق في الحجة الواحدة عشرين الفا واكثر
ولا يعطي المسكين درهما واحدا فقيل مناع للخير وفيه نزل وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكوة وقال محمد بن اسحق نزلت
في الاخنس بن شريق لانه حليف ملحق في بني زهرة فلذلك سمي زنيما وروى عكرمة عن ابن عباس انه قال في هذه الاية نعت
فلم يعرف حتى قيل زنيم فعرف وكانت له زنمة في عنقه يعرف بها قال ابن قتيبة لا نعلم ان الله وصف احدا ولا ذكر من عيوبه
ما ذكر من عيوب الوليد بن المغيرة والحق به عارا لا يفارقه في الدنيا والاخرة **فصل** قرا الحسن عتل بالرفع اي هو
عتل وحقه ان يقرا ما بعده بالرفع ايضا لانهم قالوا في القطع انه يبدا بالاتباع ثم بالقطع من غير عكس وقوله بعد ذلك
اي بعد ما وصفناه به قال ابن عطية فهذا الترتيب انما هو في قول الواصف لا في حصول تلك الصفات في الموصوف والا
فكونه عتلا هو قبل كونه صاحب خير يمنعه وقال الزمخشري بعد ذلك اي بعد ما عد له من المثالب والنقايص ثم قال جعل
جفاءه ودعوته اشد معايبه لانه اذا غلظ وجفا طبعه قسا قلبه واجترا على كل معصية ونظيره قوله بعد ذلك ثم كان من
الذين **قوله تعالى** ان كان ذا مال العامة على فتح همزة ان ثم اختلفوا بعد فقرا ابن عامر وحمزة وابو بكر واضاف القرطبي معهم
ابو جعفر وابو حيوة والمغيرة والاعرج بالاستفهام وباقي السبعة بالخبر والقارئون بالاستفهام على اصولهم من تحقيق
وتسهيل وادخال الف بين الهمزتين وعدمه ولابد من بيان ذلك فنقول قرا حمزة وابو بكر وذكر القرطبي معهم المفضل بتحقيق
الهمزتين وعدم ادخال الف بينهما وهذا هو اصلهما وقرا ابن ذكوان بتسهيل الثانية وعدم ادخال الف وهشام بالتسهيل
المذكور الا انه ادخل الفا بينهما فقد خالف كل منهما اصله اما ابن ذكوان فانه يحقق الهمزتين فقد سهل الثانية هنا
واما هشام فان اصله ان يجري في الثانية من هذا النحو وجهين التحقيق كرفيقه والتسهيل وقد التزم التسهيل هنا
واما ادخال الالف فانه فيه على اصله كما تقدم اول البقرة وقرا نافع في رواية الزهري عنه ان كان بكسر الهمزة على الشرط
فاما قراءة ان كان بالفتح على الخبر ففيها اربعة اوجه احدها انها المصدرية في موضع المفعول له مجرورة بلام مقدرة
واللام متعلقة بفعل النهي اي ولا تطع من هذه صفته لان كان متمولا وصاحب بنين الثاني انها متعلقة بعتل وان كان
قد وصف قاله الفارسي وهذا لا يجوز عند البصريين وكان الفارسي اغتفره في الجار الثالث ان يتعلق بزنيم ولا سيما
عند من يفسره بقبيح الافعال الرابع ان يتعلق بمحذوف يدل عليه ما بعده من الجملة الشرطية تقديره لكونه متمولا

مستهزءا ابا لبنين كذب باياتنا قاله الزمخشري قال ولا يعمل فيه قال الذي هو جواب اذا لان ما بعد الشرط
لا يعمل فيما قبله ولكن ما دلت عليه الجملة من معنى التكذيب وقال مكي وتبعه ابو البقا لا يجوز ان يكون العامل تتلى
لان ما بعد اذا لا يعمل فيما قبلها لان اذا تضاف الى الجمل ولا يعمل المضاف اليه فيما قبل المضاف انتهى وهذا يوهم
ان المانع من ذلك ما ذكره فقط والمانع امر معنوي حتى لو فسرنا ذا المال بالمانع الذي ذكره لا امتنع من جهة المعنى وهو
انه لا يصلح ان يعلل تلاوة ايات الله عليه كونه ذا مال وبنين فاما قراءة ان كان على الاستفهام ففيها وجهان احدهما
ان يتعلق بمحذوف دل عليه ما قبله اي اتطيعه لان كان او ايكون طواعية لان تتلى والثاني ان يتعلق بمقدر يدل
عليه ما بعده اي لان كان كذا كذب وجحد واما قراءة ان كان بالكسر فعلى الشرط وجوابه مقدر تقديره ان كان كذا
يكفر ويجحد دل عليه ما بعده وقال الزمخشري والشرط للمخاطب اي لا تطع كل حلاف شارطا يساره لانه اذا اطاع
الكافر لغناه فكانه اشترط في الطاعة الغنى ونحو صرف الشرط للمخاطب صرف الترجي اليه في قوله لعله يتذكر وجعله
ابو حيان من دخول شرط على شرط يعني ان واذا الا انه قال ليسا من الشروط المترتبة الوقوع وجعله نظير قول ابن
دريد فان عثرت بعدها ان والت نفسي من هاتا فقولا لا لعا قال لان الحامل على تدبر ايات الله كونه ذا مال وبنين
وهو مشغول القلب بذلك غافل عن النظر قد استولت عليه الدنيا وابطرته وقرا الحسن بن ابي بالاستفهام وهو
تقريع وتوبيخ على قوله حين تتلى عليه ايات الله اساطير الاولين **فصل** قال القرطبي فمن قرا بهمزة مطولة
او بهمزتين محققتين فهو استفهام والمراد به التوبيخ ويحسن له ان يقف على زنيم ويبتدي ان كان على معنى الان كان ذا
مال وبنين تطيعه ويجوز ان يكون التقدير الان كان ذا مال وبنين يقول اذا تتلى عليه اياتنا قال اساطير الاولين
ويجوز ان يكون التقدير الان كان ذا مال وبنين يكفر ويستكبر ودل عليه ما تقدم من الكلام فصار كالمذكور بعد
الاستفهام ومن قرا ان كان بغير استفهام فهو مفعول من اجله والعامل فيه فعل مضمر والتقدير يكفر لان كان ذا مال
وبنين ودل على هذا الفعل اذا تتلى عليه اياتنا قال اساطير الاولين ولا يعمل في ان تتلى ولا قال لان ما بعد اذا لا يعمل
فيما قبلها لان اذا تضاف الى الجمل التي بعدها ولا يعمل المضاف اليه فيما قبل المضاف وقال جواب الجزا ولا يعمل فيما قبل
الجزا اذ حكم العامل ان يكون قبل المعمول فيه وحكم الجواب ان يكون بعد الشرط فيصير مقدما مؤخرا في حال واحدة
ويجوز ان يكون المعنى لا تطعه لان كان ذا يسار وعدد قال ابن الانباري ومن قرا بالاستفهام لم يحسن ان يقف على زنيم
لان المعنى لان كان ذا مال كان فان متعلقة بما قبلها وقال غيره يجوز ان يتعلق بقوله مشاء بنميم والتقدير يمشي بنميم
لان كان ذا مال وبنين واجاز ابو علي ان يتعلق بعتل ومعنى اساطير الاولين اباطيلهم وترهاتهم **قوله تعالى** سنسمه
اي نجعل له سمة اي علامة يعرف بها قال جرير • لما وضعت على الفرزدق ميسمي • وعلى البعيث جدعت انف الاخطل •
والخرطوم الانف وهو هنا عبارة عن الوجه كله من التعبير عن الكل بالجزء لانه اظهر ما فيه واعلاه والخرطوم ايضا الخمر
وكانه استعارة لها لان الشنتمري قال هي الخمر اول ما تخرج من الدن فجعلت كالانف لانه اول ما يبدو لمن الوجه فليست
الخرطوم خمرا مطلقا ومن مجيء الخرطوم بمعنى الخمر قول علقمة • قد اشهد الشرب فيهم مزهر رنم • والقوم تصرعهم صهباء خرطوم •
وانشد النضر بن شميل • تظل يومك في لهو وفي طرب • وانت بالليل شراب الخراطيم • **فصل** قال ابن عباس
سنسمه سنخطمه بالسيف قال وقد خطم الذي نزلت فيه يوم بدر بالسيف فلم يزل مخطوما الى ان مات وقال قتادة
سنسمه يوم القيمة على انفه سمة يعرف بها يقال وسمه وسما وسمة اذا اثرت فيه بسمة وكي قال الضحاك والكسائي
سنكويه على وجهه وقد قال الله تعالى يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فهي علامة ظاهرة وقال تعالى ونحشر المجرمين
يومئذ زرقا وهذه علامة ظاهرة اخرى وافادت هذه الاية علامة ثالثة وهي الوسم على الانف بالنار وهذا كقوله
يعرف المجرمون بسيماهم قاله الكلبي وغيره وقال ابو العالية ومجاهد سنسمه على الخرطوم اي على انفه ونسود وجهه
في الاخرة فيعرف بسواد وجهه قال القرطبي والخرطوم الانف من الانسان ومن السباع موضع الشفة وخراطيم القوم
سادتهم قال القرا وان كان الخرطوم قد خص بالسمة فانه في معنى الوجه لانه بعض الشيء يعبر به عن الكل وقال الطبري
نبين امره تبيانا واضحا فلا يخفى عليهم كما لا تخفى السمة على الخرطوم وقيل المعنى سنلحق به عارا وسبة حتى يكون كمن
وسم على انفه قال القتيبي تقول العرب للرجل يسب سبة سوء قبيحة باقية قد وسم ميسم سوء اي الصق به عارا
لا يفارقه كما ان السمة لا يعفى اثرها وهذا كله نزل في الوليد بن المغيرة ولا شك ان المبالغة العظمى في ذمه بقيت على وجه
الدهر ولا نعلم ان الله تعالى بلغ من ذكر عيوب احد ما بلغ منه فالحق به عارا لا يفارقه في الدنيا والاخرة كالوسم على الخرطوم
وقيل ما ابتلاه الله به في الدنيا في نفسه واهله وماله من سوء وذل وصغار قاله ابن بحر وقال النضر بن شميل المعنى
سنحده على شرب الخمر والخرطوم الخمر وجمعه خراطيم وانشد البيت المتقدم قال ابن الخطيب وهذا تعسف **قوله تعالى**

إنا بلوناهم كما بلونا أصحاب الجنة يريد أهل مكة والابتلاء الاختبار والمعنى أعطيناهم الأموال ليشكروا لا ليبطروا
فلما بطروا وعادوا محمدا صلى الله عليه وسلم ابتليناهم بالجوع والقحط كما بلونا أصحاب الجنة المعروف خبرها عندهم
وذلك أنها كانت بأرض اليمن بالقرب منهم على فراسخ من صنعاء ويقال بفرسخين كانت لرجل يؤدي حق الله منها فلما مات
صارت إلى ولده فمنعوا الناس خيرها وبخلوا بحق الله فيها فأهلكها الله من حيث لم يمكنهم دفع ما حل بها قال الكلبي كان بينهم وبين
صنعاء فرسخان ابتلاهم الله بأن أحرق جنتهم وقيل هي جنة بضوران وضوران على فراسخ من صنعاء وكان أصحاب هذه الجنة
بعد رفع عيسى عليه السلام بيسير وقيل كانوا من بني إسرائيل وقيل كانوا من ثقيف وكانوا بخلاء وكانوا يجذون النخل ليلا من أجل
المساكين فأرادوا حصاد زرعها وقالوا لا يدخلنها اليوم عليكم مسكين فغدوا عليها فإذا هي قد اقتلعت من أصلها
فأصبحت كالصريم أي كالليل ويقال أيضا للنهار صريم فإن كان أراد الليل فلاسوداد موضعها وكأنهم وجدوا موضعها
حمأة وإن كان أراد بالصريم النهار فلذهاب الشجر والزرع وخلو الأرض منه وكان الطائف الذي طاف عليها جبريل
عليه السلام فاقتلعها فقيل إنه طاف بها حول البيت ثم وضعها حيث مدينة الطائف اليوم ولذلك سميت الطائف وليس
في أرض الحجاز بلدة فيها الماء والشجر والأعناب غيرها وقال البكري في المعجم سميت الطائف لأن رجلا من العرب يقال له الدمون
بنى حائطا وقال قد بنيت لكم طائفا حول بلدكم فسميت الطائف والله أعلم قوله تعالى إذ أقسموا أي حلفوا فيما بينهم
ليصرمنها أي ليجذنها مصبحين أي وقت الصبح قبل أن تخرج المساكين ولا يستثنون يعني لم يقولوا إن شاء الله قوله تعالى
مصبحين حال من فاعل ليصرمنها وهو من أصبح التامة أي داخلين في الصباح كقوله تعالى وإنكم لتمرون عليهم مصبحين
وقولهم إذا سمعت بسرى القين فاعلم بأنه مصبح والكاف في كما في موضع نصب نعتا لمصدر محذوف أي بلوناهم ابتلاء
كما بلونا وما مصدرية أو بمعنى الذي وإذ منصوب ببلونا وليصرمنها جواب للقسم وجاء على خلاف منطوقهم ولو جاء
عليه لقيل لنصرمنها بنون التكلم قوله تعالى ولا يستثنون هذه مستأنفة ويضعف كونها حالا من حيث أن المضارع
المنفي بلا كالمثبت في عدم دخول الواو عليه وإضمار مبتدأ قبله كقولهم قمت وأصك عينه مستغنى عنه ومعنى لا يستثنون
لا يثنون عزمهم على الحرمان وقيل لا يستثنون للمساكين من جملة ذلك القدر الذي كان يدفعه أبوهم للمساكين
ويقال حلف يمينا ليس فيها ثنيا ولا مثنوية ولا استثناء كله واحد وأصله من الثني وهو الكف والرد لأن الحالف إذا قال
والله لا أفعل كذا إلا أن يشاء الله غيره فقد رد انعقاد تلك اليمين وقيل المعنى لا يقولون إن شاء الله قال الزمخشري
وسمي استثناء وهو شرط لأن معنى لأخرجن إن شاء الله ولا أخرج إلا أن يشاء الله واحد قوله تعالى فطاف عليها طائف
أي هلاك وبلاء طائف والطائف غلب في الشر قاله الفراء وهو الأمر الذي يأتي ليلا ورد عليه بقوله إذا مسهم طائف من
الشيطان وذلك لا يختص بليل ولا نهار وقرأ النخعي طيف وقد تقدم في الأعراف الكلام على هذين الوصفين قوله تعالى
من ربك يجوز أن يتعلق بطاف وأن يتعلق بمحذوف صفة لطائف قوله تعالى فأصبحت كالصريم والصرام جذاذ
النخل وأصل المادة الدلالة على القطع ومنه الصرم والصرم بالضم والفتح وهو القطيعة قال امرؤ القيس

أفاطم مهلا بعض هذا التدلل ... وإن كنت قد أزمعت صرمي فأجملي

ومنه الصريمة وهي قطعة منصرمة عن الرمل لا تنبت شيئا قال الشاعر ... وبالصريمة منهم منزل خلق
عاف إلا النؤي والوتد ... والصارم القاطع الماضي وناقة مصرومة أي انقطع لبنها وانصرم الشهر والسنة أي قرب
انقضاؤهما وأصرم ساءت حاله كأنه انقطع سعده فقوله كالصريم قيل هي الأشجار المنصرم حملها وقال ابن عباس والفراء
كالليل لأنه يقال له الصريم لسواده والصريم أيضا النهار وقيل الصبح لأنه انصرم من الليلة قاله الأخفش فهو من
الأضداد وقال آخر الصريم الليل والصريم النهار لانصرام هذا عن ذاك وذاك عن هذا وقيل هو الرماد الأسود
بلغة خزيمة قاله ابن عباس أيضا قال ابن عباس وقيل الصريم رملة معروفة باليمن لا تنبت شيئا وقال الثوري كالزرع
المحصود فالصريم بمعنى المصروم أي المقطوع ما فيه وقال الحسن صرم منها الخير أي قطع فالصريم مفعول أيضا
وقال المؤرج أي كالرملة انصرمت من معظم الرمل يقال صريمة وصرائم فالرملة لا تنبت شيئا ينتفع به وقيل سمي الليل
صريما لأنه يقطع بظلمته عن التصرف ولهذا يكون فعيل بمعنى فاعل قال القشيري وفي هذا نظر لأن النهار يسمى صريما
ولا يقطع عن التصرف وقيل سمي الليل صريما لأنه يصرم نور البصر ويقطعه فصل قال القرطبي في الآية
دليل على أن العزم مما يؤاخذ به الإنسان لأنهم عزموا على أن يفعلوا فعوقبوا قبل فعلهم ونظيره قوله تعالى ومن يرد فيه
بإلحاد بظلم نذقه من عذاب أليم وفي الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم قال إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل
والمقتول في النار قيل يا رسول الله هذا القاتل فما بال المقتول قال إنه كان حريصا على قتل صاحبه وقد مضى في آل عمران
عند قوله ولم يصروا على ما فعلوا قوله تعالى فتنادوا مصبحين قال مقاتل لما أصبحوا قال بعضهم لبعض اغدوا

على حرثكم يعني بالحرث الثمار والزروع والأعناب ولذلك قال صارمين لأنهم أرادوا قطع الثمار من الأشجار
قوله تعالى أن اغدوا يجوز أن تكون المصدرية أي تنادوا بهذا الكلام وأن تكون المفسرة لأنه تقدمها ما هو بمعنى القول
قال الزمخشري فإن قلت هلا قيل اغدوا إلى حرثكم وما معنى على قلت لما كان الغدو إليه ليصرموه ويقطعوه كان غدوا
عليه كما تقول غدا عليهم العدو ويجوز أن يضمن الغدو معنى الإقبال كقولهم يغدى عليهم بالجفنة ويراح انتهى فجعله متعديا
في الأصل بإلى فاحتاج إلى تأويل تعديته بعلى وفيه نظر لورود تعديته بعلى في غير موضع كقوله وقد أغدو على ثبة كرام
نشاوى واجدين لما نشاء ... وإذا كانوا قد عدوا مرادفه بعلى فليعدوه بها ومرادفه بكر تقول بكرت عليه وغدوت
عليه بمعنى واحد قال بكرت عليه غدوة فرأيته قعودا لديه بالصريم عواذله قوله تعالى إن كنتم صارمين جوابه
محذوف أي فاغدوا صارمين قاطعين جادين وقيل ماضين في العزم من قولك سيف صارم قوله تعالى فانطلقوا
وهم يتخافتون أي يتشاورون فيما بينهم والمعنى يخفون كلامهم ويسرونه لئلا يعلم بهم أحد قاله عطاء وقتادة
وهو من خفت يخفت إذا سكن ولم يبين قال ابن الخطيب وخفي وخفت كلاهما في معنى الكتم ومنه الخمود والخفاء وقيل
يخفون أنفسهم من الناس حتى لا يروهم وكان أبوهم يخبر الفقراء والمساكين فيحضروا وقت الحصاد والصرام
وقوله وهم يتخافتون جملة حالية من فاعل انطلقوا قوله تعالى أن لا يدخلنها اليوم عليكم مسكين أن مفسرة
ويجوز أن تكون المصدرية أي يتخافتون بهذا الكلام أي يقول بعضهم لبعض لا يدخلنها اليوم عليكم مسكين قال ابن
الخطيب والنهي للمسكين عن الدخول نهي لهم عن تمكينهم منه أي لا تمكنوه من الدخول وقرأ عبد الله وابن أبي عبلة لا يدخلها
بإسقاط أن إما على إضمار القول كمذهب البصريين وإما على إجراء يتخافتون مجراه كقول الكوفيين قوله تعالى وغدوا
على حرد قادرين يجوز أن يكون قادرين حالا من فاعل غدوا وعلى حرد متعلق به وأن يكون على حرد هو الحال وقادرين
إما حال ثانية وإما حال من ضمير الحال الأولى والحرد قيل الغضب والحنق قاله السدي وسفيان وأنشد للأشهب
بن رميلة ... أسود شرى لاقت أسود خفية ... تساقوا على حرد دماء الأساود
وقيل ومثله قوله ... إذا جياد الخيل جاءت تردي ... مملوءة من غضب وحرد
عطف لما تغاير اللفظان كقوله ... وألفى قولها كذبا ومينا ... وقال أبو عبيدة والقتيبي على حرد على منع
من حاردت الإبل حرادا أي قل لبنها والحرود من النوق القليلة الدر وحاردت السنة قل مطرها وخيرها ويقال حرد
بالكسر يحرد حردا وقد يفتح ويقال حرد فهو حردان وحارد ويقال أسد حارد وليوث حوارد وقيل الحرد والحرد
الانفراد يقال حرد بالفتح يحرد بالضم حرودا وحردا أي انعزل ومنه كوكب حارد أي منفرد قال الأصمعي هي لغة
هذيل وقال القرطبي يقال حرد يحرد حرودا إذا تنحى عن قومه ولم يخالطهم وقال أبو زيد رجل حريد من قوم حرداء وقد
حرد يحرد حرودا إذا ترك قومه وتحول عنهم قال الأصمعي رجل حريد أي فريد وحيد قال والمنفرد المنحرد كأنه كوكب في الجو
منحرد رواه أبو عمرو بالجيم وقيل الحرد القصد يقال حرد يحرد بالكسر حردا قصد تقول حردت حردك أي قصدت
قصدك قال الراجز ... أقبل سيل جاء من عند الله ... يحرد حرد الجنة المغله ... وقال قتادة ومجاهد على حرد أي على جد
وجهد وقال القرظي ومجاهد وعكرمة أي على أمر مجتمع قد أسسوه بينهم قاله البغوي وهذا معنى القصد وقال الحسن
على حاجة وفاقة وقيل الحرد اسم جنتهم بعينها قاله السدي وقال الأزهري اسم قريتهم وفيهما بعد وقادرين إما من القدرة
وهو الظاهر وإما من التقدير وهو التضييق أي مضيقين على المساكين وقرأ العامة بالإسكان وقرأ أبو العالية وابن السميفع
بالفتح وهما لغتان فصل قال الفراء ومعنى قادرين قد قدروا أمرهم وبنوا عليه وقال قتادة قادرين
على جنتهم عند أنفسهم وقال الشعبي قادرين على المساكين وقيل معناه من الوجود أي منعوا وهم واجدون ومعنى الآية
وغدوا وكانوا عند أنفسهم وفي ظنهم أنهم قادرين على منع المساكين قوله تعالى فلما رأوها يعني الجنة محترقة لا شيء
فيها قد صارت كالليل الأسود ينظرون إليها كالرماد أنكروها وشكوا فيها وقال بعضهم لبعض إنا لضالون أي ضللنا
الطريق إلى جنتنا ثم لما تأملوا وعرفوا أنها هي قالوا بل نحن محرومون حرمنا خيرها لشؤم عزمنا على البخل ومنع الفقراء
قاله قتادة وقيل إنا لضالون عن الصواب في غدونا على نية منع المساكين فلذلك عوقبنا بل نحن محرومون أي حرمنا
جنتنا بما صنعنا روى ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إياكم والمعاصي إن العبد ليذنب الذنب فيحرم به
رزقا كان هيئ له ثم تلا فطاف عليها طائف من ربك وهم نائمون الآيتين قوله تعالى قال أوسطهم يعني أعدلهم وأفضلهم
وأعقلهم ألم أقل لكم لولا تسبحون أي هلا تستثنون وكان استثناؤهم تسبيحا قاله مجاهد وغيره وهذا يدل على أن هذا الأوسط
كان يأمرهم بالاستثناء فلم يطيعوه قال أبو صالح كان استثناؤهم سبحان الله فقال لهم هلا تسبحون الله أي تقولون
سبحان الله وتشكرونه على ما أعطاكم وقال النحاس أصل التسبيح التنزيه لله عز وجل فجعل مجاهد التسبيح في موضع إن شاء الله

لان المعنى تنزيه الله ان يكون شيء الا بمشيئته وقال ابن الخطيب التسبيح عبارة عن تنزيهه عن كل سوء فلو دخل شيء
في الوجود على خلاف ارادة الله تعالى لوجب عود النقص الى قدرة الله تعالى فقولك ان شاء الله يزيل هذا النقص فكان
ذلك تسبيحا وقيل المعنى هلا تستغفرونه من فعلكم وتتوبون اليه من خبث نيتكم قيل ان القوم لما عزموا على منع الزكوة
واغتروا بالمال والقوة قال لهم اوسطهم توبوا عن هذه المعصية قبل نزول العذاب فلما راوا العذاب ذكرهم اوسطهم
كلمته الاولى وقال الم اقل لكم لولا تسبحون فحينئذ اشتغلوا بالتوبة وقالوا سبحان ربنا انا كنا ظالمين وقال ابن عباس
في قولهم سبحان ربنا اي نستغفر الله من ذنوبنا انا كنا ظالمين لانفسنا في منعنا المساكين وقال الحسن هذا التسبيح هو
الصلوة كانهم كانوا يتكاسلون في الصلوة والا لكانت ناهية لهم الى ان يواظبوا على ذكر الله وعلى قول ان شاء الله **قوله تعالى**
فاقبل بعضهم على بعض يتلاومون اي يلوم بعضهم بعضا يقول هذا لهذا انت اشرت علينا بهذا الراي ويقول ذلك لهذا
انت خوفتنا بالفقر ويقول الثالث لغيره انت رغبتني في جمع المال ثم نادوا على انفسهم بالويل فقالوا يا ويلنا انا كنا
طاغين اي عاصين بمنع حق الفقراء وترك الاستثناء وقال ابن كيسان طغينا نعم الله فلم نشكرها كما شكرها اباؤنا من قبل
عسى ربنا ان يبدلنا خيرا منها تعاقدوا وقالوا ان ابدلنا الله خيرا منها لنصنعن كما صنع اباؤنا فدعوا الله وتضرعوا
فابدلهم الله من ليلتهم ما هو خير منها قرئ يبدلنا بالتخفيف والتشديد وهما لغتان وقيل التبديل تغيير الشيء او تغيير
حاله وعين الشيء قائم والابدال رفع الشيء ووضع اخر مكانه ثم قال انا الى ربنا راغبون طالبون منه الخير راجون لعفوه قال
المفسرون ان الله تعالى امر جبريل ان يقتلع تلك الجنة المحترقة فيجعلها بزغر من ارض الشام وياخذ من الشام جنة فيجعلها
مكانها وقال ابن مسعود ان القوم لما اخلصوا وعرف الله منهم صدقهم ابدلهم الله جنة يقال لها الحيوان فيها عنب يحمل
البغل عنقودا واحدا وقال ابو خالد اليماني دخلت تلك الجنة فرايت كل عنقود منها كالرجل الاسود القائم وقال الحسن
قول اهل الجنة انا الى ربنا راغبون لا ادري ايمانا كان ذلك منهم او على حد ما يكون من المشركين اذا اصابتهم الشدة فتوقف
في كونهم مومنين وسئل قتادة عن اصحاب الجنة اهم من اهل الجنة ام من اهل النار قال لقد كلفتني تعبا والاكثرون يقولون
انهم تابوا واخلصوا حكاه القشيري **قوله تعالى** كذلك العذاب مبتدا وخبره مقدم اي مثل ذلك العذاب عذاب الدنيا واما
عذاب الاخرة فاكبر منهما لو كانوا يعلمون قال ابن زيد كذلك العذاب اي عذاب الدنيا وهلاك الاموال وقيل هذا وعظ لاهل
مكة بالرجوع الى الله لما ابتلاهم بالجدب لدعاء النبي صلى الله عليه وسلم اي كفعلنا بهم نفعل بمن تعدى حدودنا في الدنيا ولعذاب
الاخرة اكبر لو كانوا يعلمون وقال ابن عباس هذا مثل لاهل مكة حين خرجوا الى بدر وحلفوا ليقتلن محمدا واصحابه وليرجعوا
الى مكة حتى يطوفوا بالبيت ويشربوا الخمر وتضرب القينات على رؤسهم فاخلف الله ظنهم وقتلوا واسروا وانهزموا كاهل هذه
الجنة لما خرجوا عازمين على الصرام فخابوا وقال ابن الخطيب قوله تعالى ان كان ذا مال وبنين اذا تتلى عليه اياتنا قال اساطير
الاولين والمعنى لاجل ان اعطاه الله المال والبنين كفر بالله كلا بل الله تعالى انما اعطاه ذلك للابتلاء فاذا صرف الى الكفر
دمر الله عليه بدليل ان اصحاب الجنة لما اتوا بهذه المعصية اليسيرة دمر الله جنتهم فكيف حال من عاند الرسول صلى الله عليه وسلم
واصر على الكفر والمعصية **فصل** قيل ان الحق الذي منعه اهل الجنة المساكين كان واجبا عليهم ويحتمل انه كان
تطوعا والاول اظهر وقيل السورة مكية فبعد حمل الاية على ما اصاب اهل مكة من القحط وعلى قتال بدر **قوله تعالى** ان
للمتقين عند ربهم جنات النعيم اي جنات ليس فيها الا النعيم الخالص لا يشوبه ما ينغصه كما يشوب جنات الدنيا قال مقاتل
لما نزلت هذه الاية قال كفار مكة للمسلمين ان الله تعالى فضلنا عليكم في الدنيا فلا بد وان يفضلنا عليكم في الاخرة فان لم يحصل
التفضيل فلا اقل من المساواة فاجاب الله عن هذا الكلام بقوله افنجعل المسلمين كالمجرمين اي ان التسوية بين المطيع والعاصي
غير جائزة ثم وبخهم فقال ما لكم كيف تحكمون هذا الحكم الاعوج كان امر الجزاء مفوض اليكم حتى تحكموا فيه بما شئتم **قوله تعالى** عند
ربهم يجوز ان يكون منصوبا بالاستقرار وان يكون حالا من جنات **فصل** قال القاضي في الاية دليل واضح
على ان وصف الانسان بانه مسلم ومجرم كالمتنافي فالفاسق لما كان مجرما وجب ان لا يكون مسلما واجيب بانه تعالى انكر
جعل المسلم مثل المجرم ولا شك انه ليس المراد انكار المماثلة في جميع الامور فانهما متماثلان في الجوهرية والجسمية والحدوث
والحيوانية وغيرها من الامور الكثيرة بل المراد انكار استوائهما في الاسلام والجرم او في اثار هذين الامرين فالمراد ان يكون اثار
اسلام المسلم مساويا لاثر جرم المجرم عند الله وهذا لا نزاع فيه فلم قلتم ان يدل على ان الشخص الواحد ممتنع ان يجمع فيه كونه مسلما
ومجرما **فصل** قال الجبائي دلت الاية على ان المجرم لا يكون البتة في الجنة لانه تعالى انكر حصول التسوية بينهم
في الثواب بل لعل يكون ثواب المجرم ازيد من ثواب المسلم اذا كان المجرم اطول عمرا من المسلم وكانت طاعاته غير محبطة والجواب
هذا ضعيف لانا بينا ان التسوية في درجة الثواب ولعلهما لا يستويان فيه بل يكون ثواب المسلم الذي لم يعص اكثر من ثواب
من عصى على انا نقول لم لا يجوز ان يكون المراد من المجرمين هم الكفار الذين حكى الله تعالى فيهم هذه الواقعة لان حمل

الجمع المحلى بالالف واللام على المعهود السابق مشهور في اللغة والعرف **قوله تعالى** ام لكم كتاب اي لكم كتاب
تجدون فيه المطيع كالعاصي وهذا كقوله ام لكم سلطان مبين فاتوا بكتابكم **قوله تعالى** ان لكم فيه لما تخيرون قرأ العامة على كسر الهمزة
وفيها ثلاثة اوجه احدها انها معمولة لتدرسون اي تدرسون في الكتاب ان لكم ما تختارون فلما دخلت اللام كسرت الهمزة
كقولك علمت انك عاقل بالفتح وعلمت انك لعاقل بالكسر والثاني ان يكون على الحكاية للمدروس كما هو كقوله وتركنا عليه
في الاخرين سلام على نوح في العالمين قال الزمخشري وفي الفرق بين الوجهين عسر قال والتخير الشيء واختياره
اخذ خيره كالتنخل والتنخل اخذ منخوله الثالث انها على سبيل الاستيناف على معنى ان كان لكم كتاب فلكم فيه متخير قال القرطبي
تم الكلام عند قوله تدرسون ثم ابتدا فقال ان لكم فيه لما تخيرون اي ان لكم في هذا الكتاب اذن ما تخيرون اي ليس لكم
ذلك والكناية في فيه الاولى والثانية راجعة الى الكتاب وقرا طلحة والضحاك ان لكم بفتح الهمزة وهو منصوب بتدرسون
الا ان فيه زيادة لام التاكيد وهي نظير قوله الا انهم لياكلون بالفتح وقرا الاعرج وابن هرمز اين لكم في الموضعين يعني
اين لكم فيه لما تخيرون اين لكم لما تحكمون بالاستفهام فيهما جميعا ثم انه تعالى زاد في التوبيخ فقال ام لكم ايمان اي عهود
ومواثيق علينا بالغة مؤكدة والبالغة المؤكدة بالله تعالى اي ام عهود على الله استوثقتم بها في ان يدخلكم الجنة قال ابن الخطيب
والمعنى ام ضمنا لكم واقسمنا لكم بايمان مغلظة متناهية في التوكيد **قوله تعالى** بالغة العامة على رفعها نعتا للايمان والى يوم
متعلق بما تعلق به لكم من الاستقرار اي ثابتة لكم الى يوم او ببالغة اي تبلغ الى ذلك اليوم وتنتهي اليه وقرا زيد بن علي والحسن
بنصبها فقيل على الحال من ايمان لانها تخصصت بالعمل او بالوظيفة وقال القرطبي على الحال اما من الضمير في لكم لانه خبر عن
ايمان ففيه ضمير منه واما من الضمير في علينا ان قدرت علينا وصفا للايمان لا متعلقا بنفس الايمان لان فيه ضميرا منه
كما يكون اذا كان خبرا عنه وقيل من الضمير في علينا ان جعلناه صفة لايمان وقوله ان لكم لما تحكمون اي لانفسكم من الخير
والكرامة **قوله تعالى** ان لكم لما تحكمون جواب القسم في قوله ايمان لانها بمعنى اقسام **قوله تعالى** سلهم ايهم بذلك
زعيم اي سل يا محمد هؤلاء المتقولين علي ايهم كفيل بما تقدم ذكره والزعيم الكفيل والضمين قال ابن عباس وقتادة لقوله
تعالى وانا به زعيم وقال ابن كيسان الزعيم هنا القائم بالحجة والدعوى وقال الحسن الزعيم الرسول **قوله تعالى** ايهم معلق
لسلهم وبذلك متعلق بزعيم اي ضمين وكفيل وقد تقدم ان سال يعلق لكونه سببا في العلم واصله ان يتعدى بعن والباء كقوله
والجملة في موضع نصب بعد اسقاط الخافض كما تقدم تقريره **قوله تعالى** ام لهم شركاء اي الهم
والميم صلة ومعنى شركاء اي شهداء فلياتوا بشركائهم يشهدون على ما زعموا ان كانوا صادقين في دعواهم وقيل فلياتوا
بشركائهم ان امكنهم فهو امر تعجيز وقال ابن الخطيب في تفسيره وجهان الاول ان المعنى ام لهم اشياء يعتقدون انها شركاء
ويعتقدون ان اولئك الشركاء يجعلونهم في الاخرة مثل المؤمنين في الثواب والخلاص من العقاب وانما اضاف الشركاء اليهم لانهم
جعلوها شركاء لله كقوله هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء الثاني ام لهم ناس يشاركونهم في هذا المذهب وهو التسوية
بين المجرمين والمسلمين فلياتوا بهم ان كانوا صادقين في دعواهم فدل ذلك
على بطلانه ثم انه تعالى لما ابطل قولهم شرح بعده عظمة يوم القيمة وهو **قوله تعالى** يوم يكشف عن ساق يوم منصوب
بقوله فلياتوا اي فلياتوا بشركائهم يوم يكشف عن ساق ليشفع الشركاء لهم وحينئذ لا يوقف على صادقين او باضمار اذكر
فيكون مفعولا به او بمحذوف وهو ظرف اي يوم يكشف يكون كيت وكيت او بخاشعة قاله ابو البقاء وعن ساق قائم مقام الفاعل
وقرا ابن مسعود وابن ابي عبلة تكشف بالتاء من فوق مبنيا للفاعل اي الشدة او الساعة وعنه ايضا كذلك مبنيا للمفعول وهي
مشكلة لان التانيث لا معنى له ههنا الا ان يقال ان المفعول مستتر اي تكشف هي اي الشدة ويتعلق قوله عن ساق بمحذوف اي
تكشف عن ساقها ولذلك قال الزمخشري وتكشف بالتاء مبنيا للفاعل والمفعول جميعا والفعل للساعة او للحال اي يشتد الحال
او الساعة وقرئ نكشف بضم النون او التاء وكسر الشين من اكشف اذا دخل في الكشف واكشف الرجل اذا انقلبت شفته العليا
لانكشاف ما تحتها ويقال له ايضا اجلع وكشف الساق كناية عن الشدة قال الراجز • عجبت من نفسي ومن اشفاقها •
ومن طرادي الطير عن ارزاقها • في سنة قد كشفت عن ساقها • حمراء تبري اللحم عن عراقها • وقال حاتم الطائي ولله
اخو الحرب ان عضت به الحرب عضها • وان شمرت عن ساقها الحرب شمرا • وقال الاخر • كشفت لهم عن ساقها • وبدا من الشر
البوارح • وقال الراجز • قد شمرت عن ساقها فشدوا • وجدت الحرب بكم فجدوا • وقال اخر •
صبرا امام انه شر باق • وقامت الحرب بنا على ساق • قال الزمخشري الكشف عن الساق والابداء عن الخدام مثل
في شدة الامر وصعوبة الخطب واصله في الروع والهزيمة وتشمير المخدرات عن سوقهن في الهرب وابداء خدامهن
عند ذلك قال حاتم اخو الحرب البيت وقال ابن قيس الرقيات • يذهل الشيخ عن بنيه ويبدي • عن خدام العقيلة العذراء •
انتهى **فصل** قال ابن عباس في قوله تعالى يوم يكشف عن ساق قال كرب وشدة وعن مجاهد شدة الامر وجده

وروي مجاهد عن ابن عباس قال هي اشد ساعة في القيمة وقال ابو عبيدة اذا اشتد الامر والحرب قيل كشف الامر عن ساقه
والاصل فيه ان من وقع في شيء يحتاج فيه الى الجد شمر عن ساقه فاستعير الساق والكشف عنها في موضع الشدة وقيل ساق
الشيء اصله الذي به قوامه كساق الشجر وساق الانسان اي يوم يكشف عن اصل الامر فتظهر حقائق الامور واصلها
وقيل يكشف عن ساق جهنم وقيل عن ساق العرش وقيل يريد وقت اقتراب الاجل وضعف البدن اي يكشف المريض
عن ساقه ليبصر ضعفه ويدعوه المؤذنون الى الصلوة فلا يمكنه ان يقوم ويخرج **فصل** قال القرطبي
فاما ما روي ان الله تعالى يكشف عن ساقه فانه عز وجل يتعالى عن الاعضاء والابعاض وان ينكشف ويتغطى ومعناه
ان يكشف عن العظيم من امره وقيل يكشف عن نوره عز وجل وروي ابو موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى عن ساق
قال يكشف عن نور عظيم يخرون له سجدا وروي ابو بردة عن ابي موسى قال حدثني ابي قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول اذا كان يوم القيمة مثل لكل قوم ما كانوا يعبدون في الدنيا فيذهب كل قوم الى ما كانوا يعبدون ويبقى اهل
التوحيد فيقال لهم ما تنتظرون وقد ذهب الناس فيقولون لنا ربا كنا نعبده في الدنيا ولم نره قال وتعرفونه اذا رأيتموه
فيقولون نعم فيقال فكيف تعرفونه ولم تروه قالوا انه لا شبه له فيكشف لهم الحجاب فينظرون الى الله تعالى فيخرون له سجدا
ويبقى اقوام ظهورهم كصياصي البقر فينظرون الى الله تعالى فيريدون السجود فلا يستطيعون فذلك قوله تعالى يوم يكشف
عن ساق ويدعون الى السجود فلا يستطيعون فيقول الله تعالى عبادي ارفعوا رؤسكم فقد جعلت بدل كل رجل منكم
رجلا من اليهود والنصارى في النار قال ابو بردة فحدثت بهذا الحديث عمر بن عبد العزيز فقال الله الذي لا اله الا هو لقد
حدثك ابوك بهذا الحديث فحلف له ثلاثة ايمان فقال عمر ما سمعت في اهل التوحيد حديثا هو احب الي من هذا **قوله تعالى**
خاشعة حال من مرفوع يدعون وابصارهم فاعله ونسب الخشوع للابصار وان كانت الاعضاء كلها كذلك لظهور
اثره فيها وقوله وهم سالمون حال من مرفوع يدعون الثانية ومعنى خاشعة ابصارهم اي ذليلة متواضعة ترهقهم ذلة
وذلك ان المؤمنين يرفعون رؤسهم ووجوههم اشد بياضا من الثلج وتسود وجوه الكافرين والمنافقين حتى ترجع اشد
سوادا من القار **فصل** قال ابن الخطيب بعد ان حكى اقوال اهل اللغة في تفسير الكشف عن الساق واعلم ان هذا
اعتراف من اهل اللغة بان استعماله في الشدة مجاز واجمع العلماء على انه لا يجوز صرف الكلام الى المجاز الا بعد تعذر حمله على الحقيقة
فاذا اقمنا الدلائل القاطعة على انه تعالى يستحيل ان يكون جسما فيجب حينئذ صرف هذا اللفظ الى المجاز واعلم ان
صاحب الكشاف اورد هذا التاويل في معرض اخر فقال الكشف عن الساق مثل في شدة الامر فمعنى يوم يكشف عن ساق يوم
يشتد ويتعاظم ولا كشف ثم ولا ساق كما يقول للشحيح يده مغلولة ولا يد ثم ولا غل وانما هو مثل في البخل ثم اخذ
يعظم علم البيان ويقول لولاه لما وقفنا على هذه الاسرار واقول اما ان يدعي انه يجوز صرف اللفظ عن ظاهره بغير دليل
او يقول لا يجوز ذلك الا بعد امتناع حمله على الحقيقة والاول باطل بالاجماع ولانا ان جوزنا ذلك انفتحت ابواب
تاويلات الفلاسفة في امر المعاد فانهم يقولون في قوله جنات تجري من تحتها الانهار ليس هناك انهار ولا اشجار وانما هو
مثل اللذة والسعادة ويقولون في قوله تعالى اركعوا واسجدوا ليس هناك ركوع ولا سجود وانما هو مثل التعظيم ومعلوم ان
ذلك يفضي الى رفع الشرائع وفساد الدين واما من قال انه لا يصار الى التاويل الا عند قيام الدليل على انه لا يجوز حمله على ظاهره
فهذا قول كل احد من المتكلمين فاين الدقائق التي استبد هو بمعرفتها والاطلاع عليها بواسطة علم البيان ثم قال بعد ان حكى القول
بان المراد بالساق ساق جهنم او ساق العرش او ساق ملك عظيم ان اللفظ لا يدل الا على ساق واما اي شيء هو فليس في اللفظ
ما يدل عليه ثم ذكر حديث ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم انه تعالى يتمثل للخلق يوم القيمة حين يمر المسلمون فيقول من
تعبدون فيقولون نعبد الله فيشهدهم مرتين او ثلاثا ثم يقول هل تعرفون ربكم فيقولون اذا عرفنا نفسه عرفناه فعند
ذلك يكشف عن ساق فلا يبقى مؤمن الا خر ساجدا لله تعالى ويبقى المنافقون ظهورهم كالطبق الواحد كانما فيها السفافيد فقال
واعلم ان هذا القول باطل لوجوه احدها ان الدلائل دلت على ان كل جسم محدث لان كل جسم متناه وكل متناه محدث
ولان كل جسم ممكن وكل ممكن محدث وثانيها انه لو كان المراد ذلك لكان من حق الساق ان يعرف انها ساق مخصوصة معهودة
عنده وهي ساق الرحمن اما لما اجملت فقد بان ان المراد الدلالة على التعظيم كانه قال يوم يكشف عن شدة واي شدة لا يمكن وصفها
وثالثها ان التعريف لا يحصل بالكشف عن الساق وانما يحصل بكشف الوجه ثم حكى قول ابي مسلم بانه لا يمكن حمله على يوم القيمة لانه
تعالى قال في وصفه فيدعون الى السجود ويوم القيمة ليس فيه تعبد ولا تكليف بل المراد منه اما اخر ايام الرجل في دنياه كقوله تعالى
يوم يرون الملائكة لا بشرى يومئذ للمجرمين وقوله يوم ياتي بعض ايات ربك الاية لانه الوقت الذي لا ينفع نفسا ايمانها
واما حال المرض والهرم والعجز ثم انه يرى الناس يدعون الى الصلوة اذا حضرت اوقاتها وهو لا يستطيع الصلوة وقد كانوا
يدعون الى السجود وهم سالمون مما بهم الان من الشدة النازلة بهم من هول ما عاينوا عند الموت او من العجز والهرم ونظير هذه

الاية

الاية فلولا اذا بلغت الحلقوم ثم قال واعلم انه لا نزاع في انه يمكن حمل اللفظ على ما قاله ابو مسلم ثم قال فاما قوله
انه لا يمكن حمله على يوم القيمة بسبب ان الامر بالسجود حاصل في الدنيا والتكاليف زايلة يوم القيمة فجوابه ان ذلك
لا يكون على سبيل التكليف بل على سبيل التقريع والتخجيل فلم قلت ان ذلك غير جائز **قوله تعالى** وقد كانوا يدعون الى
السجود في الدنيا وهم سالمون معافون اصحاء قال ابرهيم التيمي اي يدعون بالاذان والاقامة فيابون وقال سعيد
بن جبير كانوا يسمعون حي على الفلاح فلا يجيبون وهم سالمون اصحاء وقال كعب الاحبار والله ما نزلت هذه الاية الا
في الذين يتخلفون عن الجماعات وقيل اي بالتكليف الموجه عليهم في الشرع **قوله تعالى** فذرني ومن يكذب بهذا الحديث
اي دعني والمكذبين بالقران وخل بيني وبينهم وقال الزجاج لا تشغل قلبك به كله الي فاني اكفيكه ومن منصوب
اما نسقا على ضمير المتكلم او مفعول معه وهو مرجوح لامكان النسق من غير ضعف وتقدم اعراب ما بعده **فصل**
لما خوف الكفار بعظمة يوم القيمة زاد في التخويف بما عنده وفي قدرته من القهر يقال ذرني واياه يريد ان كله الي فاني
اكفيكه قال السدي والمراد بالحديث القران وقيل يوم القيمة وهذا تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم **قوله تعالى** سنستدرجهم
من حيث لا يعلمون اي سناخذهم على غفلة من حيث لا يعلمون وهم لا يعرفون فعذبوا يوم بدر وقال سفيان الثوري نسبغ
عليهم النعم وننسيهم الشكر وقال الحسن كم مستدرج بالاحسان اليه وكم مفتون بالثناء عليه وكم مغرور بالستر عليه وقال
ابو روق كلما احدثوا خطيئة جددنا لهم نعمة وانسيناهم الاستغفار وقال ابن عباس سنمكر بهم وروي ان رجلا من بني
اسرائيل قال يا رب كم اعصيك وانت لا تعاقبني فاوحى الله الى نبي زمانهم ان قل له كم من عقوبة لي عليك وانت لا تشعر
ان جمود عينك وقساوة قلبك استدراج مني وعقوبة لو عقلت والاستدراج ترك المعاجلة واصله النقل من حال الى
حال كالتدرج ومنه قيل درجات وهي منزلة بعد منزلة واستدرج فلان فلانا اي استخرج ما عنده قليلا قليلا
ويقال درج الى كذا واستدرج بمعنى ادناه منه على التدريج فتدرج ومعنى الاية انا لما انعمنا عليهم اعتقدوا ان
ذلك الانعام تفضيل لهم على المؤمنين وهو في الحقيقة سبب لهلاكهم **قوله تعالى** واملي لهم اي امهلهم واطيل
لهم المدة كقوله انما نملي لهم ليزدادوا اثما والملاوة المدة من الدهر واملى الله له اي اطال له والملوان الليل والنهار وقيل
واملي لهم اي لا اعاجلهم بالموت والمعنى واحد والملا مقصورا الارض الواسعة سميت به لامتدادها ان كيدي متين
اي ان عذابي لقوي شديد فلا يفوتني احد وسمي احسانه كيدا كما سماه استدراجا في صورة الكيد ووصفه بالمتانة لقوة اثر
احسانه في التسبب للهلاك **فصل** قال ابن الخطيب تمسك الاصحاب بهذه الاية في مسئلة ارادة الكائنات
لان هذا الاستدراج والكيد ان لم يكن لهما اثر في الطغيان فليسا بكيد ولا استدراج وان كان لهما اثر فيه لزم ان
يكون الحق سبحانه مريدا له لان من فعل شيئا لحصول شيء واكده وقواه لا بد وان يكون مريدا لحصول ذلك الشيء اجاب الكعبي
بان المراد سنستدرجهم الى الموت اي يخفى عنهم زمن الموت من حيث لا يعلمون وهو مقتضى الحكمة والا لكان فيه اغراء بالمعاصي
فانهم لو عرفوا الوقت الذي يموتون فيه اقدموا على المعاصي ثم صاروا منيبين واجاب الجبائي بان معنى قوله سنستدرجهم
اي الى العذاب من حيث لا يعلمون في الاخرة واملي لهم في الدنيا توكيدا للحجة عليهم وان كيدي متين فامهله وازيح الاعذار
ليهلك من هلك عن بينة ويحيي من حي عن بينة ويدل على هذا قوله قبل ذلك فذرني ومن يكذب بهذا الحديث ولا شك ان
هذا التهديد انما هو بعذاب الاخرة فوجب ان يكون الاستدراج والكيد المذكور عقيبه هو عذاب الاخرة واجاب الاصحاب
ان هذا الامهال اذا كان مؤديا الى الطغيان كان الراضي بالامهال العالم بتاديه الى الطغيان لا بد وان يكون راضيا بذلك
الطغيان **قوله تعالى** ام تسالهم اجرا عاد الكلام الى ما تقدم من قوله تعالى ام لهم شركاء اي ام تلتمس منهم ثوابا على ما
تدعوهم اليه من الايمان بالله والمغرم الغرامة فهم من غرامة ذلك مثقلون اي يثقل حمل الغرامات عليهم في بذل المال فيثبطهم
ذلك عن الايمان والمعنى ليس عليهم كلفة في متابعتك بل يستولون بالايمان على خزائن الارض ويصلون الى جنات النعيم
قوله تعالى ام عندهم الغيب اي علم ما غاب عنهم فهم يكتبون وقيل اينزل عليهم الوحي بهذا الذي يقولون وعن ابن عباس
الغيب هنا اللوح المحفوظ فهم يكتبون فيه ثواب ما هم عليه من الكفر ويخاصمونك به ويكتبون انهم افضل منكم وانهم لا
يعاقبون وقيل يكتبون يحكمون لانفسهم ما يريدون وهذا استفهام على سبيل الانكار **قوله تعالى** فاصبر لحكم ربك
اي لقضاء ربك والحكم هنا القضاء وقيل اصبر على ما حكم به عليك ربك من تبليغ الرسالة وقال ابن بحر فاصبر لنصر
ربك وقيل انه منسوخ باية السيف ولا تكن كصاحب الحوت يعني يونس عليه السلام اي لا تكن مثله في الغضب والضجر
والعجلة وقال قتادة ان الله تعالى يعزي نبيه صلى الله عليه وسلم ويامره بالصبر ولا يعجل كما عجل يونس عليه السلام
وقد مضى الفرق بين ذي وصاحب في سورة يونس **قوله تعالى** اذ نادى اذ منصوب بمضاف محذوف اي ولا يكن
حالك كحاله او قصتك كقصته في وقت ندائه ويدل على المحذوف ان الظروف لا ينتصب عليها النهي انما ينتصب على احوالها

وَصفاتها وقوله تعالى وهو مكظوم جملة حالية من الضمير في نادي والمكظوم الممتلئ حزناً وغيظاً ومنه كظم السقا
اذا ملأه قال ذو الرمة • وانت من حب مي مضمر حزنا • عاني الفؤاد قريح القلب مكظوم • فصل
ولما نادي اي حين دعا في بطن الحوت فقال لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين قال القرطبي ومعنى وهو
مكظوم اي مملوء غماً وقيل كرباً فالاول قول ابن عباس ومجاهد والثاني قول عطاء وابي مالك قال الماوردي والفرق
بينهما ان الغم في القلب والكرب في الانفاس وقيل مكظوم محبوس والكظم الحبس ومنه قولهم كظم غيظه اي حبس
غضبه قاله ابن بحر وقيل انه الماخوذ بكظمه وهو مجرى النفس قاله المبرد وقد مضى في سورة يوسف وفي سورة آل
عمران والمعنى لا يوجد منك ما وجد منه من الضجر والمغاضبة فتبتلى ببلائه قوله تعالى لولا ان تداركه قال ابن الخطيب
لم يقل تداركته نعمة واجاب بانه انما حسن تذكير الفعل لفصل الضمير في تداركه ولان التانيث غير حقيقي في النعمة
وقرا ابي وعبد الله وابن عباس تداركته بتاء التانيث لاجل اللفظ والحسن وابن هرمز والاعمش تداركه بتشديد الدال
وخرجت على ان الاصل تتداركه بتائين مضارعاً فادغم وهو شاذ لان الساكن الاول غير حرف لين وهي كقراءة البزي
اذ تلقونه ونارا تلظى وهذا على حكاية الحال لان القصة ماضية فاتصل المضارع هنا للحكاية كانه قال لولا ان
كان يقال فيه تتداركه نعمة قوله تعالى نعمة من ربه قال الضحاك النعمة هنا النبوة وقال ابن جبير عبادته التي سلفت
وقال ابن زيد نداؤه بقوله لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين وقال ابن بحر اخراجه من بطن الحوت وقيل رحمة
من ربه فرحمه وتاب عليه قوله تعالى لنبذ بالعراء وهو هذا جواب لولا اي لنبذ مذموماً ولكنه نبذ سقيماً غير مذموم
وقيل جواب لولا مقدر اي لولا هذه النعمة لبقي في بطن الحوت ومعنى مذموم قال ابن عباس مليم وقال بكر بن عبد الله
مذنب وقيل مبعد من كل خير والعرا الارض الواسعة الفضا التي ليس فيها جبل ولا شجر يستره وقيل لولا فضل الله عليه لبقي في
بطن الحوت الى يوم القيمة ثم نبذ بعرا القيمة مذموما يدل عليه قوله تعالى فلولا انه كان من المسبحين للبث في بطنه الى
يوم يبعثون فصل قال ابن الخطيب هل يدل قوله وهو مذموم على كونه فاعلا للذنب قال والجواب
من ثلاثة اوجه الاول ان كلمة لولا دلت على ان هذه المذمومية لم تحصل الثاني لعل المراد من المذمومية ترك الافضل
فان حسنات الابرار سيئات المقربين الثالث لعل هذه الواقعة كانت قبل النبوة لقوله تعالى فاجتباه ربه والفا للتعقيب
قيل ان هذه الاية نزلت باحد حين حل برسول الله صلى الله عليه وسلم ما حل فاراد ان يدعو على الذين انهزموا وقيل
حين اراد ان يدعو على ثقيف قوله تعالى فاجتباه ربه اي فاصطفاه واختاره فجعله من الصالحين قال ابن عباس رد الله
اليه الوحي وشفعه في نفسه وفي قومه فقبل توبته وجعله من الصالحين بان ارسله الى مائة الف او يزيدون فصل
قال ابن الخطيب قال قوم لعل صاحب الحوت ما كان رسولا قبل هذه الواقعة ثم بعد هذه الواقعة جعله الله رسولا وهو المراد
من قوله فاجتباه ربه والذين انكروا الكرامات والارهاص لا بد وان يختاروا هذا القول لان الاحتباس في بطن الحوت
وعدم موته هناك لما لم يكن ارهاصا ولا كرامة فلا بد وان يكون معجزة وذلك يقتضي انه كان رسولا في تلك الحال
فصل قال ابن الخطيب احتج الاصحاب على ان فعل العبد خلق الله تعالى بقوله فجعله من الصالحين وهذا يدل على
ان الصلاح انما حصل بجعل الله وخلقه قال الجبائي يحتمل ان يكون معنى جعله انه اخبر بذلك ويحتمل ان يكون لطف به حتى
صلح اذ الجعل يستعمل في اللغة في هذه المعاني والجواب ان ذلك مجاز والاصل في الكلام الحقيقة قوله تعالى وان يكاد
الذين كفروا ان مخففة من الثقيلة ليزلقونك اي يعينونك بابصارهم قراها نافع بفتح الياء والباقون بضمها فاما قراءة
الجماعة فمن ازلقه اي ازل رجله فالتعدية بالهمزة من زلق يزلق واما قراءة نافع فالتعدية بالحركة يقال زلق بالكسر
وزلقته بالفتح ونظيره شترت عينه بالكسر وشترها الله بالفتح وقد تقدم لذلك اخوات وقيل زلقه وازلقه بمعنى
واحد ان لاقاه اذا نحاه وابعده وزلق راسه يزلقه زلقاً اذا حلقه قاله العرضي وكذلك ازلقه وزلقه تزليقاً ورجل زلق
وزملق قاله هذيل وزمالق وزملق بتشديد الميم وهو الذي ينزل قبل ان يجامع حكاه الجوهري وغيره والباء في بابصارهم
اما للتعدية كالداخلة على الآلة اي جعلوا ابصارهم كالآلة المزلقة لك كعملت بالقدوم واما للسببية اي بسبب عيونهم وري
ليرهقونك من زهقت نفسه وازهقها ثم فيه وجوه احدها انهم من شدة تحريفهم ونظرهم اليك شزرا بعيون العداوة والبغضا
يكادون يزلقون قدمك من قولهم نظر الي نظرا يكاد يصرعني ويكاد ياكلني انشد ابن عباس لما مر باقوام حددوا النظر اليه
نظروا الي باعين محمرة • نظر التيوس الى شفار الجازر • فصل اخبر الله تعالى بشدة عداوتهم للنبي صلى الله عليه
وسلم وارادوا ان يصيبوه بالعين فنظر اليه قوم من قريش وقالوا ما راينا مثله ولا مثل حججه وقيل كانت العين في بني اسد
حتى ان البقرة السمينة او الناقة السمينة تمر باحدهم فيعاينها ثم يقولون يا جارية خذي المكتل والدرهم فاتينا بلحم هذه
الناقة فما تبرح حتى تقع الناقة للموت فتنحر وقال الكلبي كان رجل من العرب يمكث لا ياكل شيئا يومين او ثلاثة ثم يرفع

جانب

جانب الخبا فتمر به الابل والغنم فيقول لم ار كاليوم ابلا ولا غنما احسن من هذه فلا يذهب الا قليلا حتى يسقط منها
طائفة هالكة فسال الكفار هذا الرجل ان يصيب لهم النبي صلى الله عليه وسلم بالعين فاجابهم فلما مر النبي صلى الله عليه وسلم
انشد • قد كان قومك يحسبونك سيدا • واخال انك سيد معيون • فعصم الله نبيه صلى الله عليه وسلم ونزلت هذه الاية
وذكر الماوردي ان العرب كانوا اذا ارادوا احدهم ان يصيب احدا يعني في نفسه وماله يجوع ثلاثة ايام ثم يتعرض لنفسه
وماله فيقول بالله ما رايت اقوى منه ولا اشجع ولا اكثر منه ولا احسن فيصيبه بعينه فيهلك هو وماله فانزل الله تعالى
هذه الاية قال القشيري وفي هذا نظر لان الاصابة بالعين انما تكون مع الاستحسان والاعجاب لا مع الكراهية والبغض
ولهذا قال ويقولون انه لمجنون اي ينسبونك الى الجنون اذا راوك تقرا القران قال القرطبي اقوال المفسرين واللغويين تدل على ما
ذكرنا وان مرادهم بالنظر اليه قتله ولا يمنع كراهة الشي من ان يصاب بالعين عداوة حتى يهلك ومعنى الكلمة اذن التنحية
والازالة وذلك لا يكون في حق النبي صلى الله عليه وسلم الا بهلاكه وموته قال الهروي اراد ليعتانونك بعيونهم فيزيلونك
عن مقامك الذي اقامك الله فيه عداوة لك وقال ابن عباس ينفذونك بابصارهم يقال زلق السهم وزهق اذا نفذ
وهو قول مجاهد اي ينفذونك من شدة نظرهم وقال الكلبي يصرعونك وعنه ايضا والسدي وسعيد بن جبير يصرفونك
عما انت عليه من تبليغ الرسالة وقال العوفي يرمونك وقال المورج يزيلونك وقال النضر بن شميل والاخفش يفتنونك
وقال الحسن وابن كيسان ليقتلونك كما يقال صرعني بطرفه وقتلني بعينه قوله تعالى لما سمعوا الذكر من جعلها
ظرفية جعلها منصوبة بيزلقونك ومن جعلها حرفا جعل جوابها محذوفا للدلالة اي لما سمعوا الذكر كادوا يزلقونك
ومن جوز تقديم الجواب قال هو هنا متقدم والمراد بالذكر القران ثم قال ويقولون انه لمجنون وهو على ما افتتح به السورة
ثم قال وما هو يعني القران الا ذكر للعالمين اي ان الذين يزعمون انه لا يجنونه الا ذكر للعالمين تذكيرهم وبيان وتنبيه
لهم على ما في عقولهم من ادلة التوحيد وقال الحسن دوا اصابة العين ان يقرا الانسان هذه الاية وقيل اي وما محمد
الا ذكر للعالمين يتذكرون به وقيل معناه شرف اي القران كقوله وانه لذكر لك ولقومك والنبي صلى الله عليه وسلم شرف
للعالمين ايضا شرفوا باتباعه والايمان به صلى الله عليه وسلم عن ابي بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا
سورة القلم اعطاه الله عز وجل ثواب الذين حسن الله اخلاقهم والله تعالى اعلم بالصواب

سورة الحاقة وهي مكية

وهي اثنان وخمسون اية وثمانمائة وستة وخمسون كلمة والف واربعة وستون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى
الحاقة ما الحاقة مبتدا وما مبتدا ثان والحاقة خبره والجملة خبر الاول لان معناها ما هي واللفظ استفهام ومعناه
التفخيم والتعظيم قال ابن الخطيب وضع الظاهر موضع المضمر لانه اهول لها ومثله القارعة ما القارعة وتقدم تحرير هذا في الواقعة
والحاقة فيها وجهان احدهما انه وصف اسم فاعل بمعنى انها تبدي حقائق الاشيا وقيل لان الامر يحق فيها فهي من باب ليل قائم
ونهار صائم قاله الطبري وقيل سميت حاقة لانها تكون من غير شك لانها حقيقة لا كاذبة لها وقيل سميت القيمة بذلك
لانها احقت لاقوام الجنة واحقت لاقوام النار وقيل من حق الشي ثبت فهي ثابتة كائنة وقيل لانها تحق كل محاق في دين الله
اي تغلبه من حاققته فحققته احقه اي غلبته وفي الصحاح وحاقه اي خاصمه وادعى كل واحد منهما الحق فاذا غلبه
قيل حقه ويقال لما له فيه حق ولا حقاق اي خصومة والتحاق الاختصام والحاقة والحقة والحق ثلاث لغات بمعنى وقال
الكسائي والمورج الحاقة يوم الحق الثاني انها مصدر كالعاقبة والعافية قوله تعالى ما الحاقة في موضع نصب على اسقاط
الخافض لان ادرى بالهمزة تتعدى لاثنين للاول بنفسه والثاني بالبا قال تعالى ولا ادراكم به فلما وقعت جملة الاستفهام
معلقة لها كانت في موضع المفعول الثاني ودون الهمزة تتعدى لواحد بالبا نحو دريت بكذا ويكون بمعنى علم فتتعدى
لاثنين فصل معنى ما ادراك اي اي شي اعلمك ما ذلك اليوم والنبي صلى الله عليه وسلم كان عالما بالقيمة
ولكن لا علم له بكنهها وصفتها فقيل ذلك تفخيما لشانها كانك لست تعلمها اذ لم تعاينها وقال يحيى بن سلام بلغني ان كل شي
في القران وما ادراك فقد ادراه وعلمه وكل شي قال فيه وما يدريك فهو مما لم يعلمه وقال سفيان بن عيينة كل شي قال فيه
وما ادراك فانه اخبر به وكل شي قال فيه وما يدريك فانه لم يخبر به قوله تعالى كذبت ثمود وعاد بالقارعة القارعة
القيمة سميت بذلك لانها تقرع قلوب العباد بالمخافة وقيل لانها تقرع الناس باهوالها يقال اصابتهم قوارع الدهر
اي اهواله وشدائده وقوارض لسانه جمع قارضة وهي الكلمة الموذية وقوارع القران الايات التي يقرؤها الانسان اذا فزع

من الجن والانس بحوايز الكرسي كانه يفزع الشيطان وقال المبرد القارعة ماخوذة من القرع من دفع قوم وحط اخرين
وقوارع القيمة انفطار السما وانشقاقها والارض والجبال بالدك والنسف والنجوم بالطمس والانكدار وانما قال كذبت
ثمود وعاد بالقارعة ولم يقل بها ليدل على ان معنى القرع حاصل في الحاقة فيكون ذلك زيادة على وصف شدتها
ولما ذكرها وفخمها اتبع ذلك بذكر من كذب بها وما حل بهم بسبب التكذيب تذكيرا لاهل مكة وتخويفا لهم من عاقبة تكذيبهم
وقيل عني بالقارعة العذاب الذي نزل بهم في الدنيا وكان نبيهم يخوفهم بذلك فيكذبونه وثمود قوم صالح وكانت منازلهم
بالحجر فيما بين الشام والحجاز قال ابن اسحق هو وادي القرى وكانوا عربا واما عاد فقوم هود وكانت منازلهم بالاحقاف
والاحقاف الرمل بين عمان الى حضرموت واليمن كله وكانوا عربا ذوي بسطة في الخلق وقد تقدم ذلك قوله تعالى
فاما ثمود فاهلكوا بالطاغية هذه قراءة العامة وقرا زيد بن علي فهلكوا مبنيا للفاعل وقوله بالطاغية فيه اضمار اي بالفعلة
الطاغية وقال قتادة بالصيحة الطاغية المتجاوزة للحد اي لحد الصيحات من الهول كما قال انا ارسلنا عليهم صيحة واحدة
فكانوا كهشيم المحتظر والطغيان مجاوزة الحد ومنه انا لما طغى الماء اي جاوز الحد وقال ابن زيد بالرجل الطاغية وهو عاقر
الناقة والهاء للمبالغة على هذه الاوجه صفة والمعنى اهلكوا بما اقدم عليه طاغيهم من عقر الناقة وكان واحدا وانما
هلك الجميع لانهم رضوا بفعله وما لوه وقيل له طاغية كما يقال فلان راوية وداهية وعلامة ونسابة ويحتمل ان
يقال بسبب الفرقة الطاغية وهم التسعة رهط الذين كانوا يفسدون في الارض ولا يصلحون واحدهم عاقر الناقة
وقال الكلبي المراد بالطاغية الصاعقة وقال مجاهد بالذنوب وقال الحسن بالطغيان فهي مصدر كالكاذبة والعاقبة
اي اهلكوا بطغيانهم وكفرهم ويوضحه كذبت ثمود بطغواها قال ابن الخطيب وهذا القول منقول عن ابن عباس قال وقد
طعنوا فيه من وجهين الاول قال الزجاج انه لما ذكر في الجملة الثانية نوع الشي الذي وقع به العذاب وهو قوله تعالى بريح
صرصر عاتية وجب ان يكون الحال في الجملة الاولى كذلك حتى يحصل المناسبة والثاني قال القاضي لو كان المراد ما قالوه
لكان من حق الكلام ان يقال اهلكوا لها ولاجلها والبا للسببية على الاقوال كلها الا على قول قتادة فانها فيه للاستعانة
كعملت بالقدوم قوله تعالى واما عاد فاهلكوا بريح صرصر اي باردة تحرق ببردها كاحراق النار ماخوذ من الصر
وهو البرد قاله الضحاك وقيل انها الشديدة الصوت وقال مجاهد الشديدة السموم عاتية عتت على خزانها فلم تطعهم ولم
يطيقوها من شدة هبوبها غضبت لغضب الله وقال عطا عن ابن عباس عتت على عاد فقهرتهم فما قدروا على ردها بحيلة
من استناد الى جبل بل كانت تنزعهم من مكانهم وتهلكهم وروى سفين الثوري عن موسى بن المسيب عن شهر بن حوشب عن
ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ارسل الله من سفينة من ريح الا بمكيال ولا قطرة من ماء الا بمكيال
الا يوم عاد ويوم نوح فان الماء يوم قوم نوح طغى على الخزان فلم يكن لهم عليه سبيل ثم قرا انا لما طغى الماء الاية
والريح لما كان يوم عاد عتت على الخزان فلم يكن لهم عليها سبيل ثم قرا بريح صرصر عاتية وقيل ان هذا ليس من العتو الذي
هو عصيان انما هو بلوغ الشي وانتهاؤه ومنه قولهم عتا النبت اي بلغ منتهاه وجف قال تعالى وقد بلغت من الكبر عتيا
اي بالغة منتهاها في القوة والشدة قوله تعالى سخرها عليهم سبع ليال وثمانية ايام اي ارسلها وسلطها عليهم والتسخير
استعمال الشي بالاقتدار وقال الزجاج اقامها عليهم والجملة من قوله سخرها عليهم يجوز ان تكون صفة لريح وان تكون حالا
منها لتخصصها بالصفة او من الضمير في عاتية وان تكون مستانفة قال ابن الخطيب وعندي ان فيه لطيفة وذلك ان
من الناس من قال ان تلك الرياح انما اشتدت لاتصال فلكي نجومي اقتضى ذلك فقوله تعالى سخرها فيه اشارة الى نفي ذلك المذهب
وان ذلك انما حصل بتقدير الله وقدرته فانه لولا هذه الدقيقة لما حصل منه التخويف والتحذير من العقاب وقوله سبع
ليال وثمانية ايام الفايدة فيه انه تعالى لو لم يذكر ذلك لما كان مقدار زمان ذلك العذاب معلوما فلما قال سبع ليال وثمانية
ايام احتمل ان يكون متفرقا في هذه المدة فازال هذا الظن بقوله حسوما اي متتابعة متوالية فصل
قال وهب هي الايام التي تسميها العرب ايام العجوز ذات برد ورياح شديدة وقيل سميت عجوزا لانها في عجز الشتا وقيل لان
عجوزا من قوم عاد دخلت سربا فتبعتها الريح فقتلتها اليوم الثامن من نزول العذاب وانقطع العذاب قوله تعالى
حسوما فيه اوجه احدها ان ينتصب نعتا لما قبلها الثاني ان ينتصب على الحال اي ذات حسوم وقرا السدي حسوما بالفتح
حالا من الريح اي سخرها عليهم مستاصلة الثالث ان ينتصب على المصدر بفعل من لفظها اي تحسمهم حسوما الرابع ان
يكون مفعولا له ويتضح ذلك بقول الزمخشري الحسوم لا يخلو من ان تكون جمع حاسم كشاهد وشهود او مصدرا كالشكور
والكفور فان كانت جمعا فمعنى قوله حسوما اي نحسات حسمت كل خير واستاصلت كل بركة او متتابعة هبوب الريح ما
خففت ساعة تمثيلا لتتابعها بتتابع فعل الحاسم في اعادة الكي على الداء كرة بعد اخرى حتى ينحسم وان كان مصدرا
فاما ان ينتصب بفعله مضمرا اي تحسمهم حسوما بمعنى تستاصل استيصالا او يكون صفة كقولك ذات حسوم او يكون

مفعولا

مفعولا له اي سخرها عليهم للاستيصال قال عبد العزيز بن زرارة الكلابي • ففرق بين بينهم زمان تتابع فيه اعوام حسوم
انتهى وقال المبرد الحسوم الفصل حسمت الشي من الشي فصلته منه ومنه الحسام قال الشاعر •

• فارسلت ريحا دبورا عقيما • فدارت عليهم فكانت حسوما •

وقال الليث هي الشوم يقال هذه ليالي الحسوم اي تحسم الخير عن اهلها لقوله تعالى في ايام نحسات وهذان القولان
يرجعان الى القول الاول لان الفصل قطع وكذلك الشوم لانه يقطع الخير قال ابن زيد حسمتهم فلم تبق منهم احدا وعنه
ايضا انها حسمت الليالي والايام حتى استوفتها لانها بدات طلوع الشمس من اول يوم وانقطعت غروب الشمس من اخر يوم واختلف
في اولها فقال السدي غداة يوم الاحد وقال الربيع بن انس غداة يوم الجمعة وقال يحيى بن سلام ووهب بن منبه غداة يوم
الاربعاء وهو اليوم النحس المستمر قيل كانت اخر اربعاء في السنة واخرها يوم الاربعاء وهي في اذار من اشهر السريانيين ولها اسما
مشهورة قال فيها ابن احمر •

• كسع الشتاء بسبعة غبر • ايام شهلتنا من الشهر •
• فاذا انقضت ايامها ومضت • صن وصنبر مع الوبر •
• وبآمر واخيه مؤتمر • ومعلل ومطفي الجمر •

وقال اخر •

• ذهب الشتاء موليا عجلا • واتتك واقدة من النجر •
• كسي الشتاء بسبعة غبر • بالصن والصنبر والوبر •
• وبآمر واخيه مؤتمر • ومحلل ومطفي الجمر •

قوله تعالى فترى القوم فيها اي في تلك الليالي والايام صرعى جمع صريع وهي حال نحو قتيل وقتلى وجريح وجرحى
والضمير في فيها للايام والليالي كما تقدم او للبيوت او للريح والاول اظهر لقربه ولانه مذكور قوله تعالى كانهم
اعجاز نخل اي اصول نخل واعجاز حال من القوم او مستانفة وقرا ابو نهيك اعجز على افعل نحو ضبع واضبع وقرى نخيل
حكاه الاخفش وقد تقدم ان اسم الجنس يذكر ويؤنث واختير هنا تانيثه للفواصل كما اختير تذكيره لها في سورة القمر
وقال ابو الطفيل اصول نخل خاوية اي بالية وقيل خالية الاجواف لا شي فيها قال القرطبي وقد قال تعالى في سورة القمر
اعجاز نخل منقعر فيحتمل انهم شبهوا بالنخل التي صرعت من اصلها وهو اخبار عن عظم اجسامهم ويحتمل ان يكون المراد به الاصول
دون الجذوع اي ان الريح قد قطعتهم حتى صاروا كاصول النخل خاوية اي ان الريح كانت تدخل اجوافهم فتصرعهم كالنخلة الخاوية
الجوف وقال ابن جريج كانت الريح تدخل في افواههم فيخرج ما في اجوافهم من الحشو من ادبارهم فصاروا كالنخل الخاوية وقال
يحيى بن سلام انما قال خاوية لان ابدانهم خوت من ارواحهم مثل النخل الخاوية قوله تعالى فهل ترى لهم من باقية ادغم
اللام في التاء ابو عمرو وحده وتقدم في الملك ومن باقية مفعول ومن مزيدة والثاني باقية قيل للمبالغة فيكون المراد
بالباقية البقا كالطاغية بمعنى الطغيان اي من بقاء والاحسن ان يكون صفة لفرقة او طايفة او نفس او بقية ونحو ذلك
وقيل فاعلة بمعنى المصدر كالعافية والعاقبة قال المفسرون والمعنى هل ترى لهم احدا باقيا قال ابن جريج كانوا سبع
ليال وثمانية ايام احيا في عذاب الله من الريح فلما امسوا في اليوم الثامن ماتوا فاحتملتهم الريح فالقتهم في البحر فذلك قوله
تعالى فهل ترى لهم من باقية وقوله فاصبحوا لا يرى الا مساكنهم قوله تعالى وجاء فرعون ومن قبله قرا ابو عمرو والكسائي
بكسر القاف وفتح البا اي ومن هو في جهته ويؤيده قراءة ابي موسى ومن تلقاه وقرا ابي وعبد الله ومن معه والباقون
بالفتح والسكون على انه ظرف اي ومن تقدمه والقراءة الاولى اختارها ابو عبيدة وابو حاتم اعتبارا بقراءة ابي وعبد الله
قوله تعالى والمؤتفكات بالخاطية المؤتفكات اهل قرى لوط وقراءة العامة بالالف وقرا الحسن والجحدري
والمؤتفكة على التوحيد قال قتادة انما سميت قرى قوم لوط مؤتفكات لانها ائتفكت بهم اي انقلبت وذكر الطبري
عن محمد بن كعب القرظي قال خمس قريات • صنعة • وصعدة • وعمرة • ودوما • وسدوم • وهي القرية العظمى وقوله
بالخاطية اما ان يكون صفة اي بالفعلة او الفعلات الخاطية وهي المعصية والكفر وقال مجاهد بالخطايا التي
كانوا يفعلونها وقال الجرجاني بالخطاء العظيم فيكون مصدرا كالعاقبة والكاذبة قوله تعالى فعصوا رسول
ربهم ان اعاد الضمير الى فرعون ومن قبله فرسول ربهم موسى عليه السلام وان كان عايدا الى اهل المؤتفكات فرسولهم
لوط عليه السلام قال الواحدي والوجه ان يقال المراد بالرسول كلاهما للخبر عن الامتين بعد ذكرهما بقوله فعصوا
فيكون كقوله انا رسول رب العالمين قاله القرطبي وقيل رسول بمعنى رسالة وقد يعبر عن الرسالة بالرسول كقوله •
لقد كذب الواشون ما بحت عندهم • بسر ولا ارسلتهم برسول • قوله تعالى فاخذهم اخذة رابية اي عالية زايدة
على الاخذات وعلى عذاب الامم يقال ربا الشي يربو اذا زاد ومنه الربا اذا اخذ في الذهب والفضة اكثر مما اعطي
والمعنى انها كانت زايدة في الشدة على عقوبات ساير الكفار كما ان افعالهم كانت زايدة في القبح على افعال ساير الكفار

وقيل لان عقوبة آل فرعون في الدنيا متعلقة بعذاب الآخرة لقوله اغرقوا فادخلوا نارا وعقوبة الآخرة اشد من عقوبة
الدنيا فتلك العقوبة كانها كانت تنموا وتربوا ثم ذكر قصة قوم نوح وهي قوله تعالى انا لما طغى الماء حملناكم في الجارية
طغى الماء اي ارتفع وعلا وقال علي رضي الله عنه طغى على خزانه من الملائكة غضبا لربه فلم يقدروا على حبسه قال المفسرون
زاد على كل شيء خمس عشرة ذراعا وقال ابن عباس رضي الله عنه طغى الماء زمن نوح على خزانه فكثر عليهم فلم يدروا كم خرج
وليس من الماء قطرة تنزل قبله ولا بعده الا بكيل معلوم غير ذلك اليوم وقد تقدم مرفوعا اول السورة والمقصود
من قصص هذه الامم وذكر ما حل بهم من العذاب زجر هذه الامة عن الاقتداء بهم في معصية الرسول ثم من عليهم
بان جعلهم ذرية من نجا من الغرق بقوله حملناكم اي حملنا اباكم وانتم في اصلابهم في الجارية اي في السفن الجارية والمحمول
في الجارية انما هو نوح واولاده وكل من على وجه الارض من نسل اولئك والجارية من اسم السفينة ومنه قوله تعالى وله
الجوار المنشآت في البحر كالاعلام وغلب استعمال الجارية في السفينة كقوله في بعض الالغاز رأيت جارية في بطن جارية
في بطنها رجل في بطنه جمل قوله تعالى لنجعلها لكم تذكرة اي سفينة نوح عليه السلام جعلها الله تذكرة وعظة
لهذه الامة حتى ادركها اوائلهم في قول قتادة وقال ابن جريج كانت الواحها على الجودي والمعنى ابقيت لكم تلك الخشبات
حتى تذكروا ما حل بقوم نوح وانجى الله اباكم وكم سفينة هلكت وصارت ترابا ولم يبق منها شيء وهذا قول الفرا
قال ابن الخطيب وهذا ضعيف بل الصواب ما قاله الزجاج ان الضمير في قوله لنجعلها يعود الى الواقعة التي هي معلومة
وان كانت هنا غير مذكورة والتقدير لنجعل نجاة المؤمنين واغراق الكافرين عظة وعبرة ويدل على صحته قوله
وتعيها اذن واعية فالضمير في قوله تعالى وتعيها لا يمكن عوده الى السفينة فكذا الضمير الاول قوله تعالى وتعيها
العامة على كسر العين وتخفيف الياء وهو مضارع وعى منصوب عطفا على لنجعلها وابن مصرف وابو عمرو في رواية
هرون عنه وقنبل قال القرطبي وحميد الاعرج باسكانها تشبيها له برحم وشهد وان لم يكن منه ولكن صار في اللفظ
بمنزلة نعل الحلقي العين قال ابن الخطيب وروي عن ابن كثير اسكان العين جعل حرف المضارعة مع ما بعده بمنزلة واحدة
فحذف واسكن كما اسكن الحرف المتوسط من فخذ وكبد وكتف وانما فعل ذلك لان حرف المضارعة لا ينفصل من الفعل
فاشبه ما هو من نفس الكلمة وصار كقول من قال وهو وهي ومثل ذلك ويتقه في قراءة من سكن القاف وروي عن حمزة
اخفاء الكسرة وروي عن عاصم وحمزة ايضا بتشديد الياء وهو غلط عليهما وانما سمعهما الراوي يبينان حركة الياء فظنها
شدة وقيل اجريا الوصل مجرى الوقف فضعفا الحرف وهذا لا ينبغي ان يلتفت اليه وروي عن حمزة ايضا وموسى بن عبد الله
العبسي وتعيها بسكون الياء وفيها وجهان الاستيناف والعطف على المنصوب وانما سكنا الياء استثقالا للحركة على حرف العلة
كقراءة تطعمون اهاليكم كما مر فصل قال الزجاج يقال وعيت كذا اي حفظته في نفسي اعيه وعيا ووعيت
العلم ووعيت ما قلته كله بمعنى واوعيت المتاع في الوعاء قال الزجاج ويقال لكل ما حفظته في نفسك وعيته بغير الف
قال ابن الخطيب واعلم ان وجه التذكير في هذا ان نجاة قوم من الغرق في السفينة وتغريق من سواهم يدل على قدرة مدبر
العالم ونفاذ مشيئته ونهاية حكمته ورحمته وشدة قهره روي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال عند نزول هذه الآية
سالت الله ان يجعلها اذنك يا علي قال علي رضي الله عنه فما نسيت شيئا بعد ذلك فان قيل لم قال اذن واعية على التوحيد
والتنكير فالجواب للايذان بان الوعاة فيهم قلة ولتوبيخ الناس بقلة من يعي منهم وللدلالة على ان الاذن الواحدة اذا وعت
وعقلت عن الله فهي السواد الاعظم عند الله وان ما سواها لا يلتفت اليهم وان امتلاء العالم منهم ونظير هذه الآية قوله
تعالى ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب قال قتادة الاذن الواعية اذن عقلت عن الله تعالى وانتفعت بما سمعت من
من كتاب الله عز وجل قوله تعالى فاذا نفخ في الصور نفخة واحدة لما حكى هذه القصص الثلاثة ونبه بها على ثبوت القدرة
والحكمة للصانع فحينئذ يثبت بثبوت القدرة امكان القيمة ويثبت بثبوت القدرة امكان وقوع الحشر ولما ثبت ذلك
شرع سبحانه في تفاصيل احوال القيمة فذكر اولا مقدماتها فقال فاذا نفخ في الصور نفخة واحدة قوله واحدة
تاكيد ونفخة مصدر قام مقام الفاعل وقال ابن عطية لما نعت صح رفعه انتهى ولو لم ينعت لصح رفعه لانه مصدر
مختص لدلالته على الوحدة والممنوع عند البصريين انما هو اقامة المبهم نحو ضرب ضرب والعامة على الرفع فيهما وقرأ ابو السمال
بنصبهما كانه اقام الجار مقام الفاعل فترك المصدر على اصله ولم يونث الفعل وهو نفخ لان التانيث مجازي وحسنه
الفصل فصل قال ابن عباس هي النفخة الاولى لقيام الساعة فلا يبقى احد الا مات قال ابن الخطيب لان عندها
يحصل خراب العالم فان قيل فلم قال بعد ذلك يومئذ تعرضون والعرض انما يكون عند النفخة الثانية قلنا جعل اليوم
اسما للحين الواسع الذي يقع فيه النفختان والصعقة والنشور والوقوف والحساب فكذلك يوم تعرضون كقولك جئته
عام كذا وانما كان مجيئك في وقت واحد من اوقاته وقيل ان هذه النفخة هي الاخيرة وقال نفخة واحدة اي لا تثنى

قال الاخفش ووقع الفعل على النفخة اذ لم يكن قبلها اسم مرفوع فقيل نفخة قوله تعالى وحملت الارض قرأ العامة
بتخفيف الميم اي وحملتهما الريح او الملائكة او القدرة اي رفعت من اماكنها فدكتا اي فتتا وكسرتا دكة واحدة اي الارض
والجبال لان المراد الشيئان المتقدمان كقوله وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا ولا يجوز في دكة الا النصب لارتفاع
الضمير في دكتا وقال الفرا لم يقل فدككن لانه جعل الجبال كلها كالجملة الواحدة والارض كالجملة الواحدة ومثله ان السموات
والارض كانتا رتقا ولم يقل كن وهذا الدك كالزلزلة لقوله تعالى اذا زلزلت الارض زلزالها واما بريح بلغت من قوة عصفها
انها تحمل الارض والجبال او على الملائكة او بقدرة الله فدكتا اي جملة الارض وجملة الجبال تضرب بعضها في بعض حتى تندق
وتصير كثيبا مهيلا وهباء منبثا والدك ابلغ من الدق وقيل دكتا اي بسطتا بسطة واحدة ومنه اندك سنام البعير
اذا انفرش في ظهره وقرأ ابن عامر في رواية والاعمش وابن ابي عبلة وابن مقسم وحملت بتشديد الميم فجاز ان يكون
التشديد للتكثير فلم يكسب الفعل مفعولا آخر وجاز ان يكون للتعدية فيكسبه مفعولا آخر فيحتمل ان يكون الثاني محذوفا
والاول هو القائم مقام الفاعل تقديره وحملت الارض والجبال ريحا تفتتها كقوله فقل ينسفها ربي نسفا وقيل التقدير
حملتا ملائكة ويحتمل ان يكون الاول هو المحذوف والثاني هو القائم مقام الفاعل قوله تعالى فيومئذ منصوب
بوقعت ووقعت الواقعة لا بد فيه من تاويل وهو ان يكون الواقعة صارت علما بالغلبة على القيمة او الواقعة العظيمة
والا فقيام القائم لا يجوز اذ لا فائدة فيه وتقدم هذا في قوله اذا وقعت الواقعة والتنوين في يومئذ للعوض من الجملة
تقديره يوم اذ نفخ في الصور فصل المعنى قامت القيمة الكبرى وانشقت السماء اي انصدعت وتفطرت
وقيل انشقت لنزول الملائكة بدليل قوله تعالى ويوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملائكة تنزيلا فهي يومئذ واهية
اي ضعيفة مسترخية ساقطة كالعهن المنفوش بعدما كانت محكمة يقال وهى البناء يهي وهيا فهو واه اذا ضعف جدا ويقال
كلام واه اي ضعيف فقيل انها تصير بعد صلابتها بمنزلة الصوف في الوهي ويكون ذلك لنزول الملائكة وقيل لهول يوم القيمة
وقال ابن شجرة واهية اي متخرقة ماخوذ من قولهم وهى السقاء اذا انخرق ومن امثالهم خل سبيل من وهى سقاؤه
ومن هريق بالفلاة ماؤه اي من كان ضعيف العقل لا يحفظ نفسه والملك على ارجائها الملك اسم جنس يراد به ملكا واحدا بل المراد
الجنس والجمع على ارجائها الارجاء في اللغة النواحي والاقطار بلغة هذيل واحدها رجا مقصور وتثنيته رجوان مثل عصى
وعصوان قال الشاعر • فلا يرى بي الرجوان اني • اقل القوم من يغني مكاني • وقال آخر
كان لم ير قبلي اسيرا مقيدا • ولا رجلا يرمى به الرجوان • ورجا هذا يكتب بالالف عكس رجى لانه من ذوات الواو
يقال رجا ورجوان والجمع الارجاء ويقال ذلك لحرف البير وحرف القبر وما اشبهه فصل قال ابن عباس
على اطرافها حين تنشق قال الماوردي ولعله قول مجاهد وقتادة وحكاه الثعلبي عن الضحاك قال على اطرافها مما لم
ينشق منها وقال سعيد بن جبير المعنى والملك على حافات الدنيا اي ينزلون الى الارض ويحرسون اطرافها وقيل اذا
صارت السماء قطعا تقف الملائكة على تلك القطع التي ليست متشققة في انفسها فان قيل الملائكة يموتون في الصعقة
الاولى لقوله تعالى فصعق من في السموات ومن في الارض فكيف يقال انهم يقفون على ارجاء السماء فالجواب من وجهين
الاول انهم يقفون لحظة على ارجاء السماء ثم يموتون والثاني المراد الذين استثنى في قوله الا من شاء الله وقيل
ان الناس اذا راوا جهنم هالتهم فيندوا كما تند الابل فلا ياتون قطرا من اقطار الارض الا راوا ملائكة فيرجعون من حيث
جاوا وقيل على ارجائها ينتظرون ما يومرون به في اهل النار من السوق اليها وفي اهل الجنة من التحية والكرامة
وهذا كله راجع الى قول ابن جبير ويدل عليه قوله تعالى ونزل الملائكة تنزيلا قوله تعالى على ارجائها خبر المبتدا
والضمير للسماء وقيل للارض على ما تقدم قال الزمخشري فان قلت ما الفرق بين قوله والملك وبين ان يقال والملائكة
قلت الملك اعم من الملائكة الا ترى ان قولك ما من ملك الا وهو شاهد اعم من قولك ما من ملائكة انتهى قال ابو حيان
ولا يظهر ان الملك اعم من الملائكة لان المفرد المحلى بالالف واللام قصاراه ان يكون مرادا به الجمع المحلى ولذلك صح الاستثناء
منه فقصاراه ان يكون كالجمع المحلى بهما واما دعواه انه اعم منه بقوله الا ترى الى آخره فليس دليلا على دعواه لان
من ملك نكرة مفردة في سياق النفي قد دخلت عليها من المخلصة للاستغراق فشملت كل ملك فاندرج تحتها الجمع
لوجود الفرد فيه فانتفى كل فرد فرد بخلاف من ملائكة فان من دخلت على جمع منكر فعم في كل جمع جمع من الملائكة
ولا يلزم من ذلك انتفاء كل فرد فرد من الملائكة لو قلت ما في الدار من رجال لجاز ان يكون فيها واحد لان النفي انما انصب
على جمع ولا يلزم من انتفاء الجمع ان ينتفي المفرد والملك في الآية ليس في سياق نفي دخلت عليه من وانما جيء به مفردا
لانه اخف ولان قوله على ارجائها يدل على الجمع لان الواحد بما هو واحد لا يمكن ان يكون على ارجائها في وقت واحد
بل في اوقات والمراد والله اعلم ان الملائكة على ارجائها لا انه ملك واحد ينتقل على ارجائها في اوقات قال شهاب الدين

ان الزمخشري منزع في هذا مما تقدم عنه في واخر سورة البقرة عند قوله في كتابه ورسله فليراجع ثمه واما
قول ابي حيان ما من رجال ان النفي منسحب على رتب الجمع ففيه خلاف والتحقيق ما ذكره **قوله تعالى** ويحمل عرش ربك
فوقهم يومئذ ثمانية الضمير في فوقهم يجوز ان يعود على الملك لانه بمعنى الجمع كما تقدم وان يعود على الحاملين الثمانية
وقيل الى حملة العرش فوق الملائكة الذين في السماء على ارجائها وقيل يعود على جميع العالم اي ان الملائكة تحمل عرش الله فوق
العالم كله **فصل** قال ابن عباس ثمانية صفوف من الملائكة لا يعلم عددهم الا الله تعالى وقال ابن زيد هم ثمانية
املاك وعن الحسن الله اعلم كم هم ثمانية ام ثمانية الاف او ثمانية صفوف وعن النبي صلى الله عليه وسلم ان حملة العرش اليوم اربعة
اوعال فاذا كان يوم القيمة ايدهم الله باربعة اخرى فكانوا ثمانية خرجه الماوردي مرفوعا عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه
وسلم ورواه العباس بن عبد الملك عن النبي صلى الله عليه وسلم قال هم ثمانية املاك على صورة الاوعال لكل ملك منهم اربعة اوجه
وجه رجل ووجه اسد ووجه ثور ووجه نسر وكل وجه منها يسال الله الرزق لذلك الجنس فان قيل اذا لم يكن فيهم صورة وعل
فكيف سموا اوعالا فالجواب ان وجه الثور اذا كانت له قرون كالوعل اشبه الوعل وفي الخبر ان فوق السماء السابعة ثمانية اوعال
بين اظلافهن وركبهن مثل ما بين سماء الى سماء وفوق ظهورهن العرش ذكره القشيري وخرجه الترمذي من حديث العباس بن عبد
المطلب وفي حديث مرفوع ان حملة العرش ثمانية املاك على صورة الاوعال ما بين اظلافها الى ركبها مسيرة سبعين عاما للطائر
المسرع وروي ان ارجلهم في الارض السابعة **فصل** اضافة العرش الى الله تعالى كاضافة البيت اليه وليس البيت
للسكنى فكذلك العرش ومعنى فوقهم اي فوق رؤسهم قال ابن الخطيب قالت المشبهة لو لم يكن الله في العرش لكان حمل العرش عبثا
لا فائدة فيه لا سيما وقد اكد ذلك بقوله يومئذ تعرضون والعرض انما يكون لو كان الاله حاضرا في العرش واجاب بانه لا
يمكن ان يكون المراد ان الله تعالى جالس على العرش لان كل من كان حاملا للعرش فلو كان الاله على العرش لزم ان يكون الملائكة
حاملين لله تعالى وذلك محال لانه يقتضي احتياج الله اليهم وان يكونوا اعظم قدرا من الله وذلك كله كفر فعلمنا انه لا بد
فيه من التاويل فنقول السبب في هذا الكلام هو انه تعالى خاطبهم بما يتعارفونه فخلق لنفسه بيتا يزورونه ليس انه يسكنه تعالى
الله عن ذلك وجعل في ركن البيت حجرا هو يمينه في الارض اذ كان من شانهم ان يعظموا رؤساهم بتقبيل ايمانهم وجعل
على العباد حفظة لا ان النسيان يجوز عليه سبحانه وكذلك ان الملك اذا اراد محاسبة عماله جلس على سريره ووقفت
الاعوان حوله فسمى الله يوم القيمة عرشا وحفت به الملائكة لا انه يقعد عليه او يحتاج اليه بل كما قلنا في البيت والطواف
قوله تعالى يومئذ تعرضون هو جواب اذا من قوله فاذا نفخ قال ابو حيان وفيه نظر بل جوابها ما تقدم من
قوله وقعت الواقعة وتعرضون على هذا مستانف **قوله تعالى** لا تخفى قرا الاخوان بالياء من تحت لان التانيث مجازي
كقوله واخذ الذين ظلموا الصيحة واختاره ابو عبيد لانه قد حال بين الفعل والاسم المؤنث الجار والمجرور والاخوان على
اصلهما في امالة الالف وقرا الباقون لا تخفى بالياء من فوق للتانيث اللفظي والفتح وهو الاصل واختاره ابو حاتم
فصل قال القرطبي هذا هو العرض على الله ودليله وعرضوا على ربك صفا وليس ذلك عرضا ليعلم ما لم
يكن عالما به بل ذلك العرض عبارة عن المحاسبة والمسائلة وتقدير الاعمال عليهم للمجازاة قال صلى الله عليه وسلم يعرض الناس
يوم القيمة ثلاث عرضات فاما عرضتان فجدال ومعاذير واما الثالثة فعند ذلك تطير الصحف في الايدي فاخذ بيمينه
واخذ بشماله وقوله لا تخفى منكم خافية قال ابن جريج اي هو عالم بكل شيء من اعمالكم فخافية على هذا بمعنى خفية كانوا يخفونها
من اعمالهم ونظيره قوله تعالى لا يخفى على الله منهم شيء قال ابن الخطيب فيكون العرض للمبالغة في التهديد يعني يعرضون على من
لا يخفى عليه شيء وقيل لا يخفى عليه انسان لا يحاسب وقال عبد الله بن عمرو بن العاص لا يخفى المؤمن من الكافر ولا البر من الفاجر
وقيل لا يستتر منكم عورة لقوله عليه السلام يحشر الناس حفاة عراة **قوله تعالى** فاما من اوتي كتابه بيمينه وهذا دليل
على النجاة قال ابن عباس اول من يعطى كتابه بيمينه من هذه الامة عمر بن الخطاب وله شعاع كشعاع الشمس قيل له فاين ابو بكر
فقال هيهات زفته الملائكة الى الجنة قال القرطبي وقد ذكرناه مرفوعا من حديث زيد بن ثابت بلفظه ومعناه في كتاب التذكرة
قوله تعالى هاؤم اي خذوا اقرءوا كتابيه يقول ذلك ثقة بالاسلام وسرورا بنجاته لان اليمين عند العرب من دلائل الفرح
قال الشاعر • اذا ما راية رفعت لمجد • تلقاها عرابة باليمين • وقال ايضا
ابيني افي يمنى يديك جعلتني • فافرح ام صيرتني بشمالك • وقال ابن زيد معنى هاؤم تعالوا فيتعدى بالى وقال مقاتل
هلم وقيل خذوا ومنه الحديث في الربا الا هاء وهاء اي يقول كل واحد لصاحبه خذ وهذا هو المشهور وقيل هي كلمة وضعت
لاجابة الداعي عند الفرح والنشاط وفي الحديث انه ناداه اعرابي بصوت عال فاجابه النبي صلى الله عليه وسلم هاؤم بصوله صوته
وقيل معناها اقصدوا وزعم هؤلاء انها مركبة من هاء التنبيه وامّوا امرا من الام وهو القصد فصيرة التخفيف والاستعمال
الى هاؤم وقيل الميم ضمير جماعة الذكور وزعم القتيبي ان الهمزة بدل من الكاف فان عنى انها تحل محلها فصحيح وان عنى البدل الصناعي

فليس بصحيح فقول هاؤم يطلب مفعولا يتعدى اليه بنفسه ان كان بمعنى خذوا واقصدوا وبالى ان كان بمعنى تعالوا واقرءوا
يطلبه ايضا فقد تنازعا في كتابيه واعمل الثاني والحذف من الاول وقد تقدم تحقيق هذا في سورة الكهف وفي غيرها
وفيها لغات وذلك انها تكون فعلا صريحا وتكون اسم فعل ومعناها في الحالين خذ فان كانت اسم فعل وهي المذكورة
في الاية الكريمة ففيها لغتان المد والقصر تقول هاء درهما يا زيد وها درهما ويكونان كذلك في الاحوال كلها من افراد
وتثنية وجمع وتذكير وتانيث ويتصل بهما كاف الخطاب اتصالها باسم الاشارة فيطابق مخاطبك بحسب الواقع
مطابقتها وهي ضمير نحو هاك هاءك هاك هاءك الى اخره ويخلف كاف الخطاب همزة هاء مصرفة تصرف كاف الخطاب
فتقول هاء يا زيد هاء يا هند هاؤما هاؤم هاؤن وهي لغة القران واذا كانت فعلا صريحا لاتصال الضمائر البارزة
المرفوعة بها كان فيها ثلاث لغات احدها انها تكون مثل عاطى يعاطي فيقال هاء يا زيد هاءي يا هند هائيا يا زيدان
او يا هندان هاؤا يا زيدون هائين يا هندات الثانية ان تكون مثل هب فيقال هأ هئي هاء هؤوا هأن مثل هب هبي
هبا هبوا هبن الثالثة ان يكون مثل خف امرا من الخوف فيقال هأ هائي هاءا هاؤا هأن مثل خف خافي خافا خافوا
خفن **قوله تعالى** كتابيه منصوب بهاؤم عند الكوفيين وعند البصريين باقرءوا لانه اقرب العاملين والاصل كتابي
فادخل الهاء لتبين فتحة الياء وادخل في كتابيه وحسابيه وسلطانيه وماليه للسكت وكان حقها ان تحذف وصلا وتثبت
وقفا وانما اجري الوصل مجرى الوقف او وصل بنية الوقف في كتابيه وحسابيه اتفاقا فاثبت الهاء وكذلك في ماليه
وسلطانيه وماهيه في القارعة عند القراء كلهم الا حمزة فانه حذف الهاء من هذه الكلم الثلاث وصلا واثبتها وقفا لانها
في الوقف يحتاج اليها لتحصين حركة الموقوف عليه وفي الوصل يستغنى عنها فان قيل فلم لم يفعل ذلك في كتابيه وحسابيه
فالجواب انه جمع بين اللغتين هذا في القراءات السبع وقرا ابن محيصن بحذفها في الكلم كلها وصلا ووقفا وابن محيصن يسكن
الياء في الكلم المذكورة بغير هاء والحق انها قراءة صحيحة اعني ثبوت هاء السكت وصلا لثبوتها في خط المصحف الكريم ولا يلتفت
الى قول الزهراوي ان اثباتها في الوصل لحن لا اعلم احدا يجيزه وقد تقدم الكلام على هاء السكت في البقرة والانعام **قوله تعالى**
اني ظننت قال ابن عباس اي ايقنت وعلمت وقيل ظننت ان يؤاخذني الله بسياتي عذبني فقد تفضل علي بعفوه ولم يؤاخذني عليها
قال الضحاك كل ظن من المؤمن في القران فهو يقين ومن الكافر فهو شك وقال مجاهد ظن الاخرة يقين وظن الدنيا شك
وقال الحسن في هذه الاية ان المؤمن احسن الظن بربه فاحسن العمل وان المنافق اساء الظن بربه فاساء العمل وقوله اني ملاق حسابيه
اي في الاخرة ولم انكر البعث يعني انه ما نجا الا بخوفه من يوم الحساب لانه تيقن ان الله يحاسبه فعمل للاخرة **قوله تعالى** راضية
فيها ثلاثة اوجه احدها انه على المجاز جعلت العيشة راضية لمحلها وحصولها في مستحقيها او انها لا حال لا كمل من حالها والمعنى في عيش
يرضاه لا مكروه فيه الثاني انه على النسب اي ذات رضى نحو لابن وتامر لصاحب اللبن والتمر والمعنى ذات رضى اي رضي بها صاحبها
الثالث قال ابو عبيدة والفراء انه مما جاء فيه فاعل بمعنى مفعول نحو ماء دافق اي مدفوق كما جاء مفعول بمعنى فاعل كقوله حجابا
مستورا اي ساترا **فصل** قال عليه السلام انهم يعيشون فلا يموتون ابدا ويصحون ولا يمرضون ابدا وينعمون فلا
يرون باسا ابدا ويشبون فلا يهرمون ابدا **قوله تعالى** في جنة عالية اي عظيمة في النفوس قطوفها دانية القطوف جمع
قطف وهو فعل بمعنى مفعول كالرعي والذبح وهو ما يجتنيه الجاني من الثمار دانية اي قريبة التناول يتناولها القائم والقاعد
والمضطجع والقطف بكسر القاف وهو ما يقطف من الثمار والقطف بالفتح المصدر والقطاف بالفتح والكسر وقت
القطف كلوا اي يقال لهم كلوا واشربوا وهذا امر امتنان لا امر تكليف وقوله هنيئا قد تقدم في اول النساء وجوز الزمخشري فيه هنا
ان ينتصب نعتا لمصدر محذوف اي كلا هنيئا وشربا هنيئا وان ينتصب على المصدر بعامل من لفظه مقدر اي هنئتم بذلك هنيئا
والباء في بما اسلفتم سببية وما مصدرية او اسمية ومعنى هنيئا لا تكدير فيه ولا تنغيص بما اسلفتم قدمتم من الاعمال الصالحة
في الايام الخالية اي في الدنيا قالت المعتزلة وهذا يدل على ان العمل يوجب الثواب وان الفعل للعبد وقال كلوا بعد قوله فهو في
عيشة راضية كقوله فاما من اوتي كتابه ومن تضمن معنى الجمع **فصل** ذكر الضحاك ان هذه الاية نزلت في ابي سلمة
عبد الله بن عبد الاسد المخزومي وقاله مقاتل والاية التي تليها في اخيه الاسود بن عبد الاسد في قول ابن عباس والضحاك
قاله الثعلبي ويكون هذا الرجل واخوه سبب نزول هذه الايات ويعم المعنى جميع اهل الشقاوة والسعادة بدليل قوله تعالى
كلوا واشربوا وقيل ان المراد بذلك كل من كان متبوعا في الخير والشر يدعو اليه ويامر به **قوله تعالى** واما من اوتي كتابه
بشماله فيقول يا ليتني لم اوت كتابيه ولم ادر ما حسابيه لما نظر في كتابه وتذكر قبائح افعاله خجل منها فيقول يا ليتني لم اوت
كتابيه ولم ادر اي شيء حسابيه ثم تمنى الموت ويقول يا ليتها كانت القاضية فالضمير في ليتها قيل يعود الى الموتة الاولى وان
لم تكن مذكورة الا انها لظهورها كانت كالمذكورة والقاضية القاطعة من الحياة قال تعالى فاذا قضيت الصلوة ويقال
قضى على فلان اذا مات والمعنى يا ليت الموتة التي كانت القاطعة لامري ولم ابعث بعدها ولم الق ما وصلت اليه قال قتادة

يتمنى الموت ولم يكن عنده في الدنيا شيء اكره من الموت وشر من الموت ما يطلب منه الموت قال الشاعر •

وشر من الموت الذي ان لقيته • تمنيت منه الموت والموت اعظم •

وقيل يعود الى الحالة التي شاهدها عند مطالعة الكتاب والمعنى يا ليت هذه الحالة كانت الموتة التي قضت علي **قوله تعالى** ما اغنى عني يجوز ان يكون نفيا وان يكون استفهاما توبيخ لنفسه اي اي شيء اغنى عني ما كان لي من اليسار هلك عني سلطانيه قال ابن عباس هلكت عني حجتي والسلطان الحجة التي كنت احتج بها وهو قول مجاهد وعكرمة والسدي والضحاك وقال مقاتل ضلت عني حجتي حين شهدت عليه الجوارح وقال ابن زيد يعني ملكي وتسلطي على الناس وبقيت ذليلا فقيرا وكان مطاعا في اصحابه **قوله تعالى** خذوه فغلوه كقوله كلوا في اضمار القول يقال ذلك لخزنة جهنم والغل جمع اليدين الى العنق اي شدوه بالاغلال ثم الجحيم صلوه اي اجعلوه يصلى الجحيم وهي النار العظمى لانه كان يتعاظم في الدنيا وتقديم المفعول يفيد الاختصاص عند بعضهم ولذلك قال الزمخشري ثم لا تصلوه الا الجحيم قال ابو حيان وليس ما قاله مذهبا لسيبويه ولا الحذاق النحاة وقد تقدمت هذه المسئلة متقنة وان كلام النحاة يابي ما قاله **قوله تعالى** ذرعها سبعون في محل جر صفة لسلسلة وفي سلسلة متعلق باسلكوه والفاء لا تمنع من ذلك والذراع مؤنث ولذلك يجمع على افعل وسقطت التاء من عدده قال الشاعر • ارى عليها وهي فرع اجمع • وهي ثلاث اذرع واصبع • وذكر السبعين دون غيرها من العدد قيل المراد به التكثير كقوله ان تستغفر لهم سبعين مرة وقيل المراد حقيقة العدد قال ابن عباس سبعون ذراعا بذراع الملك وقال نوف البكالي سبعون ذراعا كل ذراع سبعون باعا كل باع كما بينك وبين مكة وكان في رحبة الكوفة وقال الحسن الله اعلم اي ذراع وزعم بعضهم ان في قوله في سلسلة فاسلكوه قلبا قال لانه نقل في التفسير ان السلسلة تدخل من فيه وتخرج من دبره فهي المسلوكة فيه لا هو المسلوك فيها والظاهر انه لا يحتاج الى ذلك لانه روي انها لطولها تجعل في عنقه وتلتوي عليه حتى يحيط به من جميع جهاته فهو المسلوك فيها لاحاطتها به وقال الزمخشري والمعنى في تقديم السلسلة على السلك مثله في تقديم الجحيم على التصلية اي لا تسلكوه الا في هذه السلسلة وثم للدلالة على التفاوت لما بين الغل والتصلية بالجحيم وما قبلها وبين السلك في السلسلة لا على تراخي المدة ونازعه ابو حيان في افادة التقديم الاختصاص كعادته وجوابه ما تقدم ونازعه ايضا في ان ثم للدلالة على تراخي الرتبة وقال مكي التراخي الزماني بان يصلى بعد ان يسلك ويسلك بعد ان يؤخذ ويغل بمهلة بين هذه الاشيا انتهى وفيه نظر من حيث ان التوعد بتوالي العذاب اكد وافظع من التوعد بتفرقه **قوله تعالى** انه كان لا يؤمن بالله العظيم ولا يحض على طعام المسكين الحض الحث على الفعل والحرص على وقوعه ومنه حروف التحضيض المبوب لها في النحو لانه يطلب بها وقوع الفعل وايجاده فبين تعالى انه عذب على ترك الاطعام وعلى الامر بالبخل كما عذب بسبب الكفر قال ابن الخطيب وفي الاية دليل على ان الكفار يخاطبون بالفروع كان ابو الدرداء يحض امراته على الاطعام ويقول خلعنا نصف السلسلة بالايمان افلا نخلع نصفها الثاني بالاطعام وقيل المراد قول الكفار انطعم من لو يشاء الله اطعمه واصل طعام ان يكون منصوبا بالمصدر المقدر والطعام عبارة عن العين واضيف للمسكين للملابسة التي بينهما ومن اعمل الطعام كما يعمل الاطعام فموضع المسكين نصب والتقدير على طعام المطعم المسكين فحذف الفاعل واضيف المصدر الى المفعول **قوله تعا** فليس له اليوم هاهنا حميم في خبر ليس وجهان احدهما له والثاني ههنا وايهما كان خبرا تعلق به الاخر او كان حالا من حميم ولا يجوز ان يكون اليوم خبرا البتة لانه زمان والمخبر عنه جثة ومنع المهدوي ان يكون ههنا خبرا ولم يذكر المانع وقد ذكره القرطبي فقال لانه يصير المعنى ليس ههنا طعام الا من غسلين ولا يصح ذلك لان ثم طعاما غيره انتهى وفي هذا نظر لانا لا نسلم اولا ان ثم طعاما غيره فان اورد قوله ليس لهم طعام الا من ضريع فهذا طعام اخر غير الغسلين فالجواب ان بعضهم ذهب الى ان الغسلين هو الضريع بعينه فسماه في اية غسلينا وفي اخرى ضريعا ولئن سلمنا انهما طعامان فالحصر باعتبار الاكلين يعني ان هذا الاكل اخص طعامه في الغسلين فلا ينافي ان يكون في النار طعام اخر واذا قلنا ان له الخبر وان اليوم وههنا متعلقان بما تعلق هو به فلا اشكال وكذلك اذا جعلنا ههنا هو الخبر وعلقنا به الجار والظرف ولا يضر كون العامل معنويا للاتساع في الظروف وحروف الجر وقوله الا من غسلين صفة لطعام دخل الحصر على الصفة كقولك ليس عندي رجل الا من بني تميم والمراد بالحميم الصديق فعلى هذا الصفة مختصة بالطعام اي ليس له صديق ينفعه ولا طعام الا من كذا وقيل التقدير ليس له حميم الا من غسلين ولا طعام قال ابو البقا فجعل من غسلين صفة للحميم كانه اراد به الشيء الذي يحم به البدن من صديد النار ثم قال وقيل من الطعام والشراب لان الجميع يطعم بدليل قوله ومن لم يطعمه فعلى هذا يكون الا من غسلين صفة للحميم والطعام والمراد بالحميم ما يشرب والطعام ان خبر ليس هو قوله من غسلين اذا اريد بالحميم ما يشرب اي ليس له شراب ولا طعام الا غسلين اما اذا اريد بالحميم الصديق فلا يتاتى ذلك وعلى هذا الذي ذكرنا فيه سؤال وهو ان يقال باي شي تعلق الجار والظرفان والجواب انها تتعلق بما تعلق به الخبر او يجعل له او هاهنا حالا من حميم وتعلق اليوم بما تعلق به الحال ولا يجوز ان يكون اليوم حالا من حميم وله وههنا متعلقان بما تعلق به الحال لانه

ظرف زمان وصاحب الحال جثة وهذا موضع حسن مفيد والغسلين فعلين من الغسالة فنونه وياؤه زائدتان قال اهل اللغة هو ما يجري من الجراح اذا غسلت قال المفسرون هو صديد اهل النار وقيل شجر يأكلونه وعن ابن عباس لا ادري ما الغسلين وسمي طعاما لقيامه مقامه فسمي طعاما كقوله • تحية بينهم ضرب وجيع • **قوله تعالى** لا ياكله الا الخاطئون صفة لغسلين والعامة يهمزون الخاطئون وهو اسم فاعل من خطئ يخطأ اذا فعل غير الصواب متعمدا والمخطئ من يفعله غير متعمد وقرا الزهري والعتكي وطلحة والحسن الخاطيون بياء مضمومة بدل الهمزة وقد تقدم مثله في يستهزون اول الكتاب وقرا نافع في رواية وسحيم وشيبة بطاء مضمومة دون همز وفيها وجهان احدهما انه كقراءة الجماعة الا انه خفف بالحذف والثاني انه اسم فاعل من خطا يخطو اذا اتبع خطوات غيره فيكون من قوله لا تتبعوا خطوات الشيطان قال الزمخشري وقد تقدم اول الكتاب ان نافعا يقرا الصابون بدون همز وكلام الناس فيها وعن ابن عباس ما الخاطون كلنا نخطو وروي عنه ابو الاسود الدؤلي ما الخاطون انما هو الخاطئون وما الصابون انما هو الصابئون ويجوز ان يراد به الذين يتخطون الحق الى الباطل ويتعدون حدود الله **قوله تعالى** فلا اقسم بما تبصرون وما لا تبصرون قد تقدم مثله في اخر الواقعة الا انه نبه هاهنا ان لا نافية لفعل القسم وكانه قيل لا احتاج ان اقسم على هذا لانه حق ظاهر مستغن عن القسم ولو قيل به في الواقعة لكان حسنا واعلم انه تعالى لما اقام الدلالة على امكان القيامة ثم على وقوعها ثم ذكر احوال السعدا واحوال الاشقيا ختم الكلام بتعظيم القران فقال فلا اقسم بما تبصرون قيل المراد اقسم ولا صلة والمعنى اقسم بالاشياء كلها ما ترون منها وما لا ترون فعم جميع الاشيا على الشمول لانها لا تخرج عن قسمين مبصر وغير مبصر فقيل الخالق والخلق والدنيا والاخرة والاجسام والارواح والانس والجن والنعم الظاهرة والباطنة وان لم تكن لا زائدة فالتقدير لا اقسم على ان هذا القران قول رسول كريم لانه يستغني عن القسم لوضوحه قال مقاتل سبب نزول هذه الاية ان الوليد بن المغيرة قال ان محمدا ساحر وقال ابو جهل شاعر وقال عقبة كاهن فقال الله تعالى فلا اقسم اي اقسم وان قيل لا فيه للقسم فجوابه جواب القسم انه يعني القران لقول رسول كريم يعني جبريل قاله الحسن والكلبي ومقاتل لقوله رسول كريم ذي قوة وقال الكلبي ايضا والقتيبي الرسول هنا محمد صلى الله عليه وسلم لقوله وما هو بقول شاعر وليس القران من قول الرسول صلى الله عليه وسلم انما هو من قول الله عز وجل ونسب القول الى الرسول لانه تاليه ومبلغه والعامل به كقولنا هذا قول مالك فان قيل كيف يكون كلام الله تعالى وجبريل ومحمد عليهما السلام فالجواب ان الاضافة يكفي فيها ادنى ملابسة فالله سبحانه اظهره في اللوح المحفوظ وجبريل بلغه لمحمد عليهما السلام ومحمد صلى الله عليه وسلم بلغه للامة **قوله تعالى** انه لقول هو جواب القسم وقوله وما هو بقول معطوف على الجواب فهو جواب اقسم على شيئين احدهما مثبت والاخر منفي وهو من البلاغة الرائعة **قوله تعالى** قليلا ما تؤمنون قليلا ما تذكرون انتصب قليلا في الموضعين نعتا لمصدر او زمان محذوف اي ايمانا قليلا او زمانا قليلا والناصب تؤمنون وتذكرون وما مزيدة للتوكيد وقال ابن عطية ونصب قليلا بفعل مضمر يدل عليه تؤمنون وما يحتمل ان تكون نافية فينتفي ايمانهم البتة ويحتمل ان تكون مصدرية ويتصف بالقلة فهو الايمان اللغوي لانهم قد صدقوا باشيا يسيرة لا تغني عنهم شيئا اذ كانوا يصدقون ان الخير والصلة والعفاف الذي يامر به رسول الله صلى الله عليه وسلم هو حق وصواب قال ابو حيان اما قوله قليلا نصب بفعل الى اخره فلا يصح لان ذلك الفعل الدال عليه تؤمنون اما ان تكون ما نافية كما ذهب اليه او مصدرية فان كانت نافية فذلك الفعل المضمر الدال عليه تؤمنون المنفي بما يكون منفيا فيكون التقدير ما تؤمنون قليلا ما تؤمنون والفعل المنفي بما لا يجوز حذفه ولا حذف ما لا يجوز زيدا ما اضربه على تقدير ما اضرب زيدا ما اضربه وان كانت مصدرية كانت اما في موضع رفع فتعمل الا على الفاعلية اي قليلا ايمانكم ويبقى قليلا لا تقدمه ما يعتمد عليه حتى يعمل ولا ناصب له واما في موضع رفع على الابتدا فيكون مبتدا لا خبر له لان ما قبله منصوب قال شهاب الدين لا يريد ابن عطية بدلالة تؤمنون على الفعل المحذوف الدلالة المذكورة في باب الاشتغال حتى يكون العامل الظاهر مفسرا للعامل المضمر بل يريد مجرد الدلالة اللفظية فليس ما رده ابو حيان عليه من تمثيله بقوله زيدا ما اضربه اي ما اضرب زيدا ما اضربه واما الرد الثاني فظاهر وقد تقدم لابن عطية هذا القول في اول سورة الاعراف فليلتفت اليه وقال الزمخشري والقلة في معنى العدم اي لا يؤمنون ولا يذكرون البتة قال ابو حيان ولا يراد بقليلا هنا النفي المحض كما زعم وذلك لا يكون الا في اقل نحو اقل رجل يقول ذلك الا زيد وفي قل نحو قل رجل يقول ذلك الا زيد وقد يستعمل في قليل وقليلة اذا كانا مرفوعين نحو ما جوز في قول الشاعر • قليل بها الاصوات الا بغامها • اما اذا كان منصوبا نحو قليلا ضربت او قليلا ما ضربت على ان تكون ما مصدرية فان ذلك لا يجوز لانه في قليلا ضربت منصوب بضربت ولم تستعمل العرب قليلا اذا انتصب بالفعل نفيا بل مقابلا لكثير واما في قليلا ما ضربت على ان تكون ما مصدرية فيحتاج الى رفع قليل لان ما المصدرية في موضع رفع على الابتدا انتهى ما رد به عليه قال شهاب الدين وهو مجرد دعوى وقرا ابن كثير وابن عامر بخلاف عن ابن ذكوان يؤمنون ويذكرون بالغيبة حملا على قوله الخاطئون والباقون بالخطاب حملا على بما تبصرون وما لا تبصرون

وما تذكرون بآيات **فصل** قوله وما هو بقول شاعر لانه مباين لصنوف الشعر كلها ولا بقول كاهن
لانه ورد بسب الشياطين وشتمهم فلا ينزلون شيئا على من يشتمهم وقوله قليلا ما يؤمنون المراد بالقليل من ايمانهم وهو انهم
اذا سئلوا من خلقهم قالوا الله وقيل انهم قد يؤمنون في قلوبهم الا انهم يرجعون عنه سريعا ولا يتمون الاستدلال
الا ترى الى قوله تعالى انه فكر وقدر الى ان قال في اخر الامر قال ان هذا الا سحر يؤثر وقال مقاتل يعني بالقليل انهم لا يصدقون بان
القران من الله تعالى والمعنى لا يؤمنون اصلا والعرب يقولون قلما تأتينا يريدون لا تأتينا **قوله تعالى** تنزيل من رب
العالمين هذه قراءة العامة اعني الرفع على اضمار مبتدا اي هو تنزيل وتقدم مثله وابو السمال تنزيلا بالنصب على اضمار فعل
اي نزل تنزيلا قال القرطبي وهو عطف على قوله انه لقول رسول كريم اي انه لقول رسول كريم وهو تنزيل من رب العالمين **قوله تعالى**
ولو تقول هذه قراءة العامة تفعل من القول مبنيا للفاعل قال الزمخشري التقول افتعال القول لان فيه تكلفا من المفتعل
وقرا بعضهم تقول مبنيا للمفعول فان كان هذا القارى رفع بعض الاقاويل فذاك والا فالقائم مقام الفاعل الجار وهذا
عند من يرى قيام غير المفعول به مع وجوده وقرا ذكوان وابنه محمد يقول مضارع قال والاقاويل جمع اقوال واقوال جمع قول فهو نظير
اناعيب جمع انياب جمع نيب وقال الزمخشري وسمى الاقوال المنقولة اقاويل تصغيرا لها وتحقيرا كقولك الاعاجيب والاضاحيك
كانها جمع افعولة من القول والمعنى لو نسب الينا قولا لم نقله لاخذنا منه باليمين اي لاخذناه بالقوة والباء يجوز ان تكون على اصلها
غير مزيدة والمعنى لاخذناه بقوة منا فالباء حالية والحال من الفاعل وتكون من في حكم الزائدة واليمين هنا مجاز عن القوة والغلبة
لان قوة كل شيء في ميامنه قال القتيبي وهو معنى قول ابن عباس ومجاهد ومنه قول الشماخ • اذا ما راية رفعت لمجد •
تلقاها عرابة باليمين • قال ابو جعفر الطبري هذا الكلام خرج مخرج الاذلال على عادة الناس في الاخذ بيد من يعاقب
ويجوز ان تكون الباء مزيدة والمعنى لاخذنا منه يمينه والمراد باليمين الجارحة كما يفعل بالمقتول صبرا يؤخذ بيمينه ويضرب
بالسيف في جيده مواجهة وهو اشد عليه قال الحسن لقطعنا يده اليمين وقال نفطويه المعنى لقبضنا بيمينه عن التصرف وقال
السدي ومقاتل المعنى لانتقمنا منه بالحق واليمين على هذا بمعنى الحق كقوله تعالى انكم كنتم تأتوننا عن اليمين اي من قبل
الحق **قوله تعالى** ثم لقطعنا منه الوتين وهو العرق المتصل من القلب بالراس الذي اذا قطع مات الحيوان قال ابو زيد وجمعه
الوتن وثلاثة اوتنة والموتون الذي قطع وتينه وقال الكلبي هو عرق بين العلباء والحلقوم وهما علباوان بينهما العرق
والعلباء عصب العنق وقيل عرق غليظ تصادفه شفرة الناحر قال الشماخ • اذا بلغتني وحملت رحلي • عرابة فاشرقي بدم
الوتين • وقال مجاهد هو حبل القلب الذي في الظهر وهو النخاع فاذا انقطع بطلت القوى ومات صاحبه وقال
محمد بن كعب انه القلب ومراقه وما يليه وقال عكرمة ان الوتين اذا قطع لا ان جاع عرف ولا ان شبع عرف قال ابن قتيبة
ولم يرد انا نقطعه بعينه بل المراد انه لو كذب لاميتناه فكان كمن قطع وتينه ونظيره قوله صلى الله عليه وسلم
ما زالت اكلة خيبر تعاودني فهذا اوان انقطاع ابهري والابهر عرق متصل بالقلب فاذا انقطع مات صاحبه
فكانه قال هذا اوان يقتلني السم وحينئذ صرت كمن انقطع ابهره **قوله تعالى** فما منكم من احد عنه حاجزين
في حاجزين وجهان احدهما انه نعت لاحد على اللفظ وانما جمع على المعنى لان احدا يعم في سياق النفي كسائر النكرات
الواقعة في سياق النفي قاله الزمخشري والحوفي وعلى هذا فيكون منكم خبرا للمبتدا والمبتدا من احد زيدت فيه من لوجود
شرطها وضعفه ابو حيان بان النفي يتسلط على كينونته منكم والمعنى انما هو على نفي الحجز عما يراد به والثاني ان يكون خبرا
لما الحجازية ومن احد اسمها وانما جمع على المعنى لان احدا يعم في سياق النفي كما تقدم ومنكم على هذا حال لانه في الاصل صفة
لاحد او يتعلق بحاجزين ولا يضر ذلك لكون معمول الخبر جارا ولو كان مفعولا صريحا لامتنع لا يجوز ما طعامك زيد اكلا
او يتعلق بمحذوف على سبيل البيان وعنه يتعلق بحاجزين على القولين والضمير للمقول او للقتل المدلول عليه بقوله لاخذنا
لقطعنا قال القرطبي المعنى فما منكم قوم يحجزون عنه كقوله تعالى لا نفرق بين احد من رسله هذا جمع لانه لا يقع الا على اثنين
فزاد قال عليه السلام لم تحل الغنائم لاحد سود الرؤوس قبلكم لفظه واحد ومعناه الجمع ومن زائدة والحجز المنع وحاجزين
يجوز ان يكون صفة لاحد على المعنى كما تقدم فيكون في موضع جر والخبر منكم ويجوز ان يكون منصوبا على الخبر ومنكم
ملغى ويكون متعلقا بحاجزين ولا يمنع الفصل به من انتصاب الخبر في هذا كما لم يمنع الفصل به في ان فيك زيدا راغب
قوله تعالى وانه يعني القران لتذكرة للمتقين اي الخائفين الذين يخشون الله ونظيره فيه هدى للمتقين وقيل المراد محمد
صلى الله عليه وسلم اي هو تذكرة ورحمة ونجاة وانا لنعلم ان منكم مكذبين قال الربيع بالقران وانه لحسرة يعني القران على
الكافرين اما يوم القيمة اذا راوا ثواب المصدقين به او في الدنيا اذا راوا دولة المؤمنين به او حين لم يقدروا على معارضته
عند تحديهم ان يأتوا بسورة مثله والحسرة الندامة وقيل انه لحسرة يعني التكذيب به لدلالة مكذبين على المصدر دلالة
السفيه عليه في قوله • اذا نهي السفيه جرى اليه • وخالف والسفيه الى خلاف • اي الى السفيه **فصل** قال ابن الخطيب

والمعترض له ان يتمسكوا بهذه الاية على ان الكفر ليس من الله لانه وصف القران بانه تذكرة للمتقين ولم يقل وانه ضلال للمكذبين
بل نسب الضلال اليهم بقوله وانا لنعلم ان منكم مكذبين والجواب ما تقدم **قوله تعالى** وانه لحق اليقين يعني القران العظيم
تنزيل من الله عز وجل فهو لحق اليقين وقيل حقا يقينا حقا لا بطلان فيه ويقينا لا ريب فيه ثم اضيف احد الوصفين الى
الاخر للتاكيد قاله ابن الخطيب وقال القرطبي قال ابن عباس انما هو كقولك عين اليقين ومحض اليقين ولو كان اليقين
نعتا لم يجز ان يضاف اليه كما لا تقول هذا رجل الظريف وقيل اضافه الى نفسه لاختلاف اللفظين وقوله فسبح باسم ربك
العظيم قال ابن عباس اي فصل لربك وقيل نزه الله عن السوء والنقائص اما شكرا على ما جعلك اهلا لايحائه اليك واما
تنزيها له عن الرضا بان ينسب اليه الكذب من الوحي روى الثعلبي عن ابي بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا
سورة الحاقة حاسبه الله عز وجل حسابا يسيرا وعن فضالة بن شريك عن ابي الزاهرية قال سمعته يقول من قرا احدى عشرة اية
من سورة الحاقة اجير من فتنة الدجال ومن قراها كان له نورا من فوق راسه الى قدمه والله اعلم بالصواب

سورة سأل سائل مكية

وهي اربع واربعون اية ومائتان وست عشرة كلمة والف واحدى وستون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم
قوله تعالى سال سائل بعذاب واقع قرا نافع وابن عامر سال سايل بغير همز والباقون بالهمز فمن همز فهو من السؤال وهي
اللغة الفاشية ثم لك في سال وجهان احدهما ان يكون قد ضمن معنى دعا فلذلك تعدى بالباء كما تقول دعوت بكذا
والمعنى دعا داع بعذاب والثاني ان يكون على اصله والباء بمعنى عن كقوله فاسال به خبيرا فان تسالوني بالنساء وقد
تقدم تحقيقه والاول اولى لان التجوز في الفعل اولى منه في الحرف لقوته واما القراءة بالالف ففيها ثلاثة اوجه
احدها انها بمعنى قراءة الهمزة وانما خففت بقلبها الفا وليس بقياس تخفيف مثلها بل قياس تخفيفها جعلها بين بين والباء
على هذا الوجه كما في الوجه الذي تقدم الثاني انها من سال يسال مثل خاف يخاف وعين الكلمة واو قال الزمخشري وهي لغة قريش
يقولون سلت تسال وهما يتسايلان قال ابو حيان وينبغي ان يتثبت في قوله انها لغة قريش لان ما جاء في القران من باب
السؤال هو مهموز واصله الهمز كقراءة من قرا وسلوا الله اذ لا يجوز ان يكون من سال التي عينها واو اذ كان يكون ذلك وسالوا
الله مثل خافوا فيبعد ان يجيء ذلك كله على لغة غير قريش وهم الذين نزل القران بلغتهم الا يسيرا فيه لغة غيرهم ثم في كلام الزمخشري
وهما يتسايلان بالياء وهو وهم من النساخ انما الصواب يتساولان بالواو لانه صرح اولا انه من السؤال يعني بالواو الصريحة
وقد حكى ابو زيد عن العرب هما يتساولان الثالث انها من السيلان والمعنى سال واد في جهنم يقال له سائل وهو قول زيد بن
ثابت بعذاب فالعين ياء ويؤيده قراءة ابن عباس سال سيل قال الزمخشري والسيل مصدر في معنى السائل كالغور بمعنى الغائر
والمعنى اندفع عليهم وادي عذاب انتهى والظاهر الوجه الاول لثبوت ذلك لغة مشهورة قال سالت هذيل رسول الله فاحشة
ضلت هذيل بما سالت ولم تصب وقرا ابي وعبد الله سال سال مثل مال وتخريجها ان الاصل سايل بحذف عين الكلمة وهي الهمزة
واللام محل الاعراب وهذا كما قيل هذا شاك السلاح في شايك السلاح وقد تقدم الكلام على مادة السؤال في اول البقرة فليلتفت اليه
والباء تتعلق بسال من السيلان تعلقها بسال الماء بزيد وجعل بعضهم الباء متعلقة بمصدر دل عليه فعل السؤال كانه قيل ما سؤالهم
فقيل سؤالهم بعذاب كذا حكاه ابو حيان عن ابن الخطيب ولم يعترضه وهذا عجب فان قوله اولا انه متعلق بمصدر دل عليه
فعل السؤال ينافي تقديره بقوله سؤالهم بعذاب لان الباء في هذا التركيب المقدر تتعلق بمحذوف لانها خبر المبتدا الا بالسؤال
وقال الزمخشري وعن قتادة سال سائل عن عذاب الله بمن ينزل وعلى من يقع فنزلت وسال على هذا الوجه مضمن معنى عني واهتم
كانه قيل اهتم مهتم بعذاب واقع **فصل** قال القرطبي الباء يجوز ان تكون بمعنى عن والسؤال بمعنى الدعاء اي دعا داع
بالعذاب عن ابن عباس وغيره يقال دعا على فلان بالويل ودعا عليه بالعذاب ويقال دعوت زيدا اي التمست احضاره والمعنى
التمس ملتمس عذابا للكافرين وهو واقع بهم لا محالة يوم القيمة وعلى هذا فالباء زائدة كقوله تعالى تنبت بالدهن وقوله تعالى
وهزي اليك بجذع النخلة فهي تاكيد اي سال سائل عذابا واقعا للكافرين اي على الكافرين قيل هو النضر بن الحرث حيث قال
اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب اليم فنزل سؤاله وقتل يوم بدر صبرا هو
وعقبة بن ابي معيط لم يقتل صبرا غيرهما قاله ابن عباس ومجاهد وقيل ان السائل هنا هو الحرث بن النعمان الفهري وذلك
انه لما بلغه قول النبي صلى الله عليه وسلم في علي رضي الله عنه من كنت مولاه فعلي مولاه ركب ناقته فجاء حتى اناخ راحلته
بالابطح ثم قال يا محمد امرتنا عن الله ان نشهد ان لا اله الا الله وانك رسول الله فقبلناه منك وان نصلي خمسا ونزكي اموالنا

فقبلناه منك وان نصوم شهر رمضان في عام فقبلناه منك وان نحج فقبلناه منك ثم لم ترض بهذا حتى فضلت
ابن عمك علينا افهذا شيء منك ام من الله تعالى فقال النبي صلى الله عليه وسلم والذي لا اله الا هو ما هو الا من الله فولى
الحارث وهو يقول اللهم ان كان ما يقول محمد حقا فامطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب اليم فوالله ما وصل الى ناقته
حتى رماه الله بحجر فوقع على دماغه فخرج من دبره فقتله فنزلت سال سايل بعذاب واقع وقال الربيع السايل هنا ابو جهل وهو
القايل ذلك وقيل انه قول جماعة من كفار قريش وقيل هو نوح عليه السلام سال العذاب على الكافرين وقيل هو رسول الله صلى الله
عليه وسلم اي دعا عليهم بالعقاب وطلب ان يوقعه بالكفار وهو واقع بهم لا محالة وامتد الكلام الى قوله تعالى فاصبر صبرا
جميلا اي لا تستعجل فانه قريب وهذا يدل على ان ذلك السايل هو الذي امره الله بالصبر الجميل وقال قتادة الباء بمعنى عن فكان
سايلا سال عن العذاب بمن وقع او متى يقع قال تعالى فاسئل به خبيرا اي سل عنه وقال علقمة فان تسالوني بالنساء اي عن
النساء فالمعنى سالوا بمن وقع العذاب ولمن يكون فقال الله تعالى للكافرين قال ابو علي وغيره واذا كان من السوال فاصله
ان يتعدى الى مفعولين ويجوز الاقتصار على احدهما واذا اقتصر على احدهما جاز ان يتعدى اليه بحرف جر فيكون التقدير
سال السايل النبي صلى الله عليه وسلم او المسلمين بعذاب او عن عذاب **قوله تعالى** للكافرين فيه اوجه احدها ان يتعلق بسال
مضمنا معنى دعا كما تقدم اي دعا لهم بعذاب واقع الثاني ان يتعلق بواقع واللام للعلة اي نازل لاجلهم الثالث ان يتعلق
بمحذوف صفة ثانية لعذاب اي كاين للكافرين الرابع ان يكون جوابا للسايل فيكون خبر مبتدا مضمر اي هو للكافرين
الخامس ان يكون اللام بمعنى على اي واقع على الكافرين ويؤيده قراءة ابي على الكافرين وعلى هذا فهي متعلقة بواقع لا على الوجه
الذي تقدم قبله وقال الزمخشري فان قلت بم يتصل قوله للكافرين قلت هو على القول الاول متصل بعذاب صفة له
اي بعذاب واقع كاين للكافرين او بالفعل اي دعا للكافرين بعذاب واقع او بواقع اي بعذاب نازل لاجلهم وعلى الثاني هو
كلام مبتدا جوابا للسايل اي هو للكافرين انتهى قال ابو حيان وقال الزمخشري او بالفعل اي دعا للكافرين ثم قال وعلى
الثاني وهو ثاني ما ذكر في توجيهه للكافرين قال هو كلام مبتدا جوابا للسايل اي هو للكافرين وكان قد قرر ان سال
ضمن معنى دعا فعدي تعديته كانه قال دعا داع بعذاب من قولك دعا بكذا اذا استدعاه وطلبه ومنه قوله تعالى يدعون
فيها بكل فاكهة انتهى فعلى ما قرره انه متعلق بدعا يعني بسال فكيف يكون كلاما مبتدا جوابا للسايل اي هو للكافرين
هذا لا يصح قال شهاب الدين وقد غلط ابو حيان في فهمه عنه اي القسم قوله وعلى الثاني الى اخره في مرجاء التخبيط الذي ذكره
الزمخشري اما معنى بالثاني قوله وعن قتادة سال سايل عن عذاب الله على من ينزل وبمن يقع فنزلت وسال على هذا الوجه
فضمن معنى عني واهتم فهذا هو الوجه الثاني المقابل للوجه الاول وهو ان سال مضمن معنى دعا ولا ادري كيف يخفى
على الشيخ حتى وقع فيما وقع ونسب الزمخشري الى الغلط وانه اخذ قول قتادة والحسن وافسده والترتيب الذي رتبه
الزمخشري في تعلق اللام من احسن ما يكون صناعة ومعنى قال القرطبي وقال الحسن انزل الله تعالى سال سايل بعذاب
واقع وقال لمن هو فقال للكافرين فاللام في للكافرين متعلقة بواقع وقال الفرا التقدير بعذاب للكافرين واقع
فالواقع من نعت العذاب فاللام دخلت للعذاب لا للواقع اي هذا العذاب للكافرين في الاخرة لا يدفعه عنهم احد وقيل
ان اللام بمعنى على اي واقع على الكافرين كما في قراءة ابي المتقدمة وقيل بمعنى عن اي ليس له دافع عن الكافرين **قوله تعالى**
ليس له دافع يجوز ان يكون نعتا اخر لعذاب وان يكون مستانفا والاول اظهر وان يكون حالا من عذاب لتخصصه اما بالعمل
واما بالصفة وان يكون حالا من الضمير في للكافرين اذا جعلناه نعتا للعذاب **قوله تعالى** من الله يجوز ان يتعلق بدافع
بمعنى ليس له دافع من جهته اذا جاء وقته وان يتعلق بواقع وبه بدا الزمخشري اي واقع من عنده وقال ابو البقا ولم يمنع النفي
من ذلك لان ليس فعل كانه استشعر ان ما قبل النفي لا يعمل فيما بعده فاجاب بان النفي لما كان فعلا ساغ ذلك قال ابو حيان
والاجود ان يكون من الله متعلقا بواقع وليس له دافع جملة اعتراض بين العامل ومعموله انتهى وهذا انما ياتي على البدل
بان الجملة مستانفة لا صفة لعذاب وهو خلاف الظاهر كما تقدم لاحتراز الكلام بعضه بحجزة بعض **قوله تعالى** ذي صفة لله
ومعنى ذي المعارج اي ذي العلو والدرجات الفواضل والنعم لانها تصل الى الناس على مراتب مختلفة قال ابن عباس وقتادة
فالمعارج مراتب انعامه على الخلق وقيل ذي العظمة والعلا وقال مجاهد هي معارج السما وقيل هي السموات قال ابن عباس
اي ذي السموات سماها معارج الملايكة لان الملايكة تعرج الى السما فوصف نفسه بذلك وقيل المعارج الغرف اي انه
ذو الغرف اي جعل لاوليايه الجنة غرفا وقرا عبد الله ذي المعاريج بالياء يقال معرج ومعراج ومعارج ومعاريج مثل مفتاح
ومفاتيح والمعارج الدرجات ومنه ومعارج عليها يظهرون وتقدم الكلام على المعارج في الزخرف **قوله تعالى** تعرج
العامة بالتاء من فوق وقرا ابن مسعود واصحابه والسلمي والكسائي بالياء من تحت وهما كقراءتي فناداه الملايكة وناديه وتوفاه
وتوفته وادغم ابو عمرو الجيم في التاء واستضعفها بعضهم من حيث ان مخرج الجيم بعيد من مخرج التاء واجيب عن ذلك بانها قريبة

من الشين لان التفشي الذي في الشين يقربها من مخرج التاء والجيم تدغم في الشين لما بينهما من التقارب في المخرج
والصفة كما تقدم في اخرج شطاه فحمل الادغام في التاء على الادغام في الشين لما بين الشين والتاء من التقارب واجيب
ايضا بان الادغام يكون لمجرد الصفات وان لم يتقاربا في المخرج والجيم تشارك التاء في الاستفال والانفتاح والشدة
والجملة من تعرج مستانفة **قوله تعالى** والروح من باب عطف الخاص على العام ان اريد بالروح جبريل او ملك اخر
من جنسهم واخر هنا وقدم في قوله يوم يقوم الروح والملايكة صفا لان المقام هنا يقتضي تقدم الجمع على الواحد من حيث
انه مقام تخويف وتهويل **قوله تعالى** تعرج الملايكة والروح اليه اي تصعد في المعارج التي جعلها الله لهم قال ابن عباس
الروح جبريل عليه السلام لقوله تعالى نزل به الروح الامين وقيل هو ملك اخر عظيم الخلقة وقال ابو صالح انه خلق من خلق الله
كهيئة الناس وليس بالناس وقال قبيصة بن ذويب انه روح الميت حين يقبض **قوله تعالى** اليه اي الى المكان الذي هو محلهم
وهو في السماء لانها محل بره وكرامته وقيل هو كقول ابرهيم اني ذاهب الى ربي اي الى الموضع الذي امرني به وقيل اليه
الى عرشه قال شهاب الدين الضمير في اليه الظاهر عوده على الله تعالى وقيل يعود على المكان لدلالة الحال والسياق عليه
قوله تعالى في يوم فيه وجهان اظهرهما تعلقه بتعرج والثاني انه يتعلق بدافع وعلى هذا فالجملة من قوله تعرج الملايكة
معترضة وكان مقداره صفة ليوم قال ابن الخطيب الاكثرون على ان قوله في يوم صلة قوله تعرج اي يحصل العروج في مثل
هذا اليوم وقال مقاتل بل هذا من صلة قوله بعذاب واقع وعلى هذا القول يكون في الاية تقديم وتاخير والتقدير سال
سايل بعذاب واقع في يوم كان مقداره خمسين الف سنة وعلى التقدير الاول فذلك اليوم اما ان يكون في الاخرة او في الدنيا
وعلى تقدير ان يكون في الاخرة فذلك الطول اما ان يكون واقعا واما ان يكون مقدرا فان كان معنى الاية ان ذلك العروج
يقع في يوم من ايام الاخرة طوله خمسون الف سنة وهو يوم القيمة وهذا قول الحسن قال وليس يعني ان مقدار طوله هذا فقط
اذ لو كان كذلك لحصلت له غاية ولفنيت الجنة والنار عند تلك الغاية وهذا غير جايز بل المراد ان موقفهم للحساب حين يفصل
بين الناس خمسون الف سنة وعلى التقدير الاول فذلك اليوم اما ان يكون في الاخرة او في الدنيا وعلى تقدير ان يكون في الاخرة
فهو خمسون الف سنة من سني الدنيا ثم بعد ذلك يستقر اهل النار في النار نعوذ بالله منها واهل الجنة في الجنة **فصل**
قال القرطبي واستدل النحاس على صحة هذا القول بما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما من رجل لم يود زكاة ماله
الا جعل شجاعا من نار يكوى به جبهته وظهره وجبيناه في يوم القيمة في يوم كان مقداره خمسين الف سنة حتى يقضي الله بين
الناس وهذا يدل على انه يوم القيمة وقال ابرهيم التيمي ما قدر ذلك اليوم على المومن الا قدر الظهر والعصر وروي هذا المعنى
مرفوعا عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال يحاسبكم الله تعالى بمقدار ما بين الصلاتين ولذلك سمى نفسه سريع الحساب
واسرع الحاسبين وانما خاطبهم على قدر فهم الخلايق والا فلا يشغله شان عن شان وكما يرزقهم في ساعة كذا يحاسبهم في لحظة
كما قال تعالى ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة والمعنى لو ولي محاسبة العباد في ذلك اليوم غير الله لم يفرغ منه في خمسين
الف سنة قال البغوي وهذا قول عطا عن ابن عباس ومقاتل قال عطا ويفرغ الله منه في مقدار نصف يوم من ايام الدنيا
واعلم ان هذا الطول انما يكون في حق الكافر واما في حق المومن فلا لما روى ابو سعيد الخدري انه قال قيل لرسول الله صلى الله عليه
وسلم ما اطول هذا اليوم فقال والذي نفسي بيده انه ليخف على المومن حتى انه يكون عليه اخف من صلوة مكتوبة يصليها
في الدنيا وقال بعضهم ان ذلك الموقف وان طال فيكون سببا لمزيد السرور والراحة لاهل الجنة ويكون سببا لمزيد الحزن
والغم لاهل النار واجيب بان الاخرة دار جزاء فلا بد وان يحصل للمثابين ثوابهم ودار الثواب هي الجنة لا الموقف فاذن
لا بد من تخصيص طول الموقف بالكفار وقيل هذه المدة على سبيل التقدير لا على التحقيق اي تعرج الملايكة في ساعة فلو
اراد اهل الدنيا العروج اليها كان مقدار مدتهم خمسين الف سنة وعن مجاهد والحكم وعكرمة هو مدة عمر الدنيا من اول ما
خلقت الى اخرها بقي خمسون الف سنة وهو قول في مسلم فان قيل كيف الجمع بين هذا وبين قوله في سورة السجدة في يوم كان
مقداره الف سنة وقد قال ابن عباس هي ايام سماها الله تعالى هو اعلم بها وانا اكره ان اقول فيها ما لا اعلم فالجواب يحتمل
ان من اسفل العالم الى اعلى العرش خمسين الف سنة ومن اعلا سما الدنيا الى الارض الف سنة لان عرض كل سما خمسماية سنة
وما بين اسفل السما الى قرار الارض خمسماية فقوله في يوم يريد في يوم من ايام الدنيا وهو مقدار الف سنة لو صعدوا فيه الى
سماء الدنيا ومقدار خمسين الف سنة لو صعدوا الى اعلا العرش **قوله تعالى** فاصبر صبرا جميلا قال ابن الخطيب هذا متعلق بسال
سايل لان استعجالهم بالعذاب كان على وجه الاستهزاء برسول الله صلى الله عليه وسلم والتعنت فامر بالصبر ومن قرا سال
سايل او سيل فالمعنى جاء العذاب لقرب وقوعه فاصبر على اذى قومك والصبر الجميل هو الذي لا جزع فيه ولا شكوى لغير الله
وقيل ان يكون صاحب المصيبة في القوم لا يدرى من هو قال ابن زيد والكلبي هذه الاية منسوخة بالامر بالقتال **قوله تعالى**
انهم يرونه بعيدا ونراه قريبا الضمير في انهم لاهل مكة وفي يرونه ونراه لليوم ان اريد به يوم القيمة قال القرطبي اي نعلمه

لان الرؤية انما تتعلق بالموجود كقولك الشافعي يرى في هذه المسئلة كذا وقال الاعمش يرون البعث بعيدا لانهم لا يؤمنون
به كانهم يستبعدونه على جهة الاحالة كما تقول لمن يناظره هذا بعيد لا يكون وقيل الضمير يعود الى العذاب بالنار اي غير
كاين ونراه قريبا لان ما هو آت فهو قريب **قوله تعالى** يوم تكون فيه اوجه احدها انه متعلق بقريبا وهذا اذا كان الضمير
في نراه للعذاب ظاهر الثاني انه يتعلق بمحذوف يدل عليه واقع اي يقع يوم تكون الثالث يتعلق بمحذوف مقدر بعده اي يوم
يكون كان كيت وكيت الرابع انه بدل من الضمير في نراه اذا كان عائدا على يوم القيمة الخامس انه بدل من في يوم فيمن علقه بواقع
قاله الزمخشري وانما قال فيمن علقه بواقع لانه اذا علقه بتعرج كما تقدم في احد الوجهين استحال ان يبدل منه هذا لان عروج
الملايكة ليس هو في هذا اليوم الذي تكون السما فيه كالمهل والجبال كالعهن ويشتغل كل حميم عن حميم قال ابو حيان ولا يجوز
هذا يعني ابداله من في يوم قال لان في يوم وان كان في موضع نصب لا يبدل منه منصوب لان مثل هذا ليس بزايد ولا
محكوم له بحكم الزايد كرب وانما يجوز مراعاة الموضع في حرف الجر الزايد كقوله * يا بني لبينى لستما بيد * الا يدا ليست لها عضد
ولذلك لا يجوز مررت بزيد الخياط على موضع بزيد ولا مررت بزيد وعمروا ولا غضبت على زيد وجعفرا ولا مررت بعمرو
اخاك على مراعاة الموضع قال شهاب الدين وقد تقدم ان قراءة فامسحوا برؤسكم وارجلكم من هذا الباب في نصب الارجل
فليكن هذا مثله ثم قال ابو حيان فان قلت الحركة في يوم تكون حركة بناء لا حركة اعراب فهو مجرور مثل في يوم قلت لا يجوز
بناؤه على مذهب البصريين لانه اضيف الى معرب لكنه يجوز على مذهب الكوفيين فيتمشى كلام الزمخشري على مذهبهم ان كان
استحضره وقصده انتهى قال شهاب الدين قوله ان كان استحضره فيه تحامل على الرجل واي كبير امر في هذا حتى لا يستحضر
مثل هذا وتقدم الكلام في المهل في الدخان **قوله تعالى** وتكون الجبال كالعهن فقيل العهن هو الصوف مطلقا وقيل
بقيد كونه احمر وهو اضعف الصوف ومنه قول زهير * كان فتات العهن في كل منزل * نزلن به حب الفنا لم يحطم *
الفتات القطع والعهن الصوف الاحمر واحده عهنة وقيل بقيد كونه مصبوغا وهذا اليق بالتشبيه لان الجبال ملونة كما قال
تعالى جدد بيض وحمر والمعنى انها تلين بعد الشدة وتتفرق بعد الاجتماع وقيل اول ما تتغير الجبال تصير رملا ثم عهنا
منفوشا ثم هبا منبثا **قوله تعالى** ولا يسال حميم حميما قرا العامة يسال مبنيا للفاعل والمفعول الثاني محذوف فقيل تقديره
لا يساله نصره ولا شفاعته لعلمه ان ذلك مفقود وقيل لا يساله شيا من حمل اوزاره وقيل حميما منصوب على اسقاط الخافض
اي عن حميم لشغله عنه قاله قتادة لقوله تعالى لكل امري منهم يومئذ شان يغنيه وقرا ابو جعفر وابو حيوة وشيبة وابن كثير
في رواية قال القرطبي والبزي عن عاصم يسال مبنيا للمفعول فقيل حميما مفعول ثان لا على اسقاط حرف والمعنى لا يسال احضاره
وقيل بل هو على اسقاطه اي عن حميم ولا ذو قرابة عن قرابته بل كل انسان يسال عن عمله نظيره كل نفس بما كسبت رهينة **قوله تعالى**
يبصرونهم عدي بالتضعيف الى ثان وقام الاول مقام الفاعل وفي محل هذه الجملة وجهان احدهما انها في موضع الصفة
لحميم والثاني انها مستانفة قال الزمخشري فان قلت ما موضع يبصرونهم قلت هو كلام مستانف كانه لما قال لا يسال حميم حميما
قيل لعله لا يبصره فقيل يبصرونهم ثم قال ويجوز ان يكون يبصرونهم صفة اي حميما مبصرين معرفين اياهم انتهى وانما
جمع الضميران في يبصرونهم وهما للحميمين حملا على معنى العموم لانهما نكرتان في سياق نفي وقرا قتادة يبصرونهم مبنيا
للفاعل من ابصر اي يبصر المومن الكافر في النار **قوله تعالى** يبصرونهم اي يرونهم يقال بصرت به وابصر قال تعالى بصرت
بما لم يبصروا به وتقول بصرني زيد بكذا فاذا حذفت الجار قلت بصرني زيد فاذا بنيت الفعل للمفعول وقد حذفت الجار قلت
بصرت زيدا فهذا هو معنى يبصرونهم اي يعرفهم الحميم حميمه حين يعرفه وهو مع ذلك لا يساله عن شانه لشغله بنفسه فيبصر الرجل
اباه واخاه وقرابته وعشيرته فلا يساله ولا يكلمه لاشتغالهم بانفسهم وقال ابن عباس يتعارفون ساعة ثم لا يتعارفون
بعد ذلك وقال ابن عباس ايضا يبصر بعضهم بعضا فيتعارفون ثم يفر بعضهم من بعض فالضمير في يبصرونهم للمومنين
والهاء والميم للكفار وقال ابن زيد المعنى يبصر الله الكفار في النار الذين اضلوهم في الدنيا فالضمير في يبصرونهم للتابعين
والهاء والميم للمتبوعين وقيل انه يبصر المظلوم ظالمه والمقتول قاتله وقيل ان الضمير في يبصرونهم يرجع الى الملايكة
اي يعرفون احوال الناس فيسوقون كل فريق الى ما يليق بهم وتم الكلام عند قوله يبصرونهم **قوله تعالى** يود المجرم اي يتمنى
الكافر لو يفتدي من عذاب يومئذ اي من عذاب جهنم وقيل المراد بالمجرم كل مذنب وتقدم الكلام على قراتي يومئذ فتحا
وجرا في هود والعامة على اضافة عذاب ليومئذ وابو حيوة بتنوين العذاب ونصب يومئذ على الظرف قال ابن الخطيب وانتصابه
بعذاب لانه في معنى تعذيب وقال ابو حيان هنا والجمهور بكسرها اي ميم يومئذ والاعرج وابو حيوة بفتحها انتهى وقد تقدم
ان الفتح قراءة نافع والكسائي **قوله تعالى** وفصيلته التي تؤويه قال ثعلب الفصيلة الاباء الادنون وقال ابو عبيدة الفخذ
وقال مجاهد وابن زيد عشيرته الاقربون وقد تقدم ذكر ذلك عند قوله شعوبا وقبايل وقال المبرد الفصيلة القطعة من اعضاء
الجسد وهي دون القبيلة وسميت عترة الرجل فصيلته تشبيها بالبعض منه قال ابن الخطيب فصيلة الرجل اقاربه الاقربون الذين

فصل عنهم وينتمي اليهم فان المراد من الفصيلة المفصولة لان الولد يكون مفصولا من الابوين قال عليه السلام فاطمة
بضعة مني فلما كان مفصولا منهما كانا ايضا مفصولين منه فسميا فصيلة لهذا المعنى كما كان يقال للعباس رضي الله عنه
فصيلة النبي صلى الله عليه وسلم لان العم قايم مقام الاب وقوله التي تؤويه اي تضمه وقال مالك امه التي تربيه حكاه الماوردي
ورواه عنه اشهب قال شهاب الدين ولم يبدله السوسي عن ابي عمرو قالوا لانه يؤدي الى لفظ هو اثقل منه والابدال للتخفيف
وقرا الزهري تؤويه وتنجيه بضم هاء الكناية وهو الاصل و ثم ينجيه عطف على يفتدي فهو داخل في حيز لو وتقدم الكلام
فيها هل هي مصدرية ام شرطية في الماضي ومفعول يود محذوف اي يود النجاة وقيل انها هاهنا بمعنى ان وليس بشي وفاعل
ينجيه اما ضمير الافتدا الدال عليه يفتدي او ضمير من تقدم ذكرهم وهو قوله ومن في الارض ومن في الارض مجرور
عطفا على بنيه وما بعده اي يود الافتدا بمن في الارض ايضا وجميعا اما حال واما تاكيد ووحد باعتبار اللفظ **فصل**
اذا وقف على فصيلته او وصى لها فمن ادعى العموم حمله على العشيرة ومن ادعى الخصوص حمله على الاباء الادنين فالادنى
والاول اكثر في النطق قال القرطبي وتؤويه تضمه وتؤمنه من خوف ان كان به ومن في الارض جميعا اي ويود لو فدي بهم
لافتدى ثم ينجيه اي ويخلصه ذلك الفدا فلا بد من هذا الاضمار كقوله وانه لفسق اي وان اكله لفسق وقيل يود المجرم
يقتضي جوابا بالفاء كقوله تعالى ودوا لو تدهن فيدهنون والجواب في هذه الاية ثم ينجيه لانها من حروف العطف
اي يود المجرم لو يفتدي فينجيه الافتدا **قوله تعالى** كلا ردع وزجر قال القرطبي وانها تكون بمعنى حقا وبمعنى لا وهي
ههنا تحتمل الامرين فاذا كانت بمعنى حقا تمام الكلام ينجيه واذا كانت بمعنى لا كان تمام الكلام عليها اذ ليس ينجيه من عذاب
الله الا الافتدا **قوله تعالى** انها لظى في الضمير ثلاثة اوجه احدها انه ضمير النار وان لم يجر لها ذكر لدلالة لفظ عذاب عليها
والثاني انه ضمير القصة الثالث انه ضمير مبهم يترجم عنه الخبر قاله الزمخشري وقد تقدم تحقيق ذلك في قوله تعالى ان هي
الا حياتنا الدنيا فعلى الاول يجوز في لظى نزاعة اوجه احدها ان يكون لظى خبرا اي ان النار لظى ونزاعة خبر ثان
او خبر مبتدا مضمر اي هي نزاعة او يكون لظى بدلا من الضمير المنصوب ونزاعة خبر ان وعلى الثاني يكون لظى نزاعة جملة
من مبتدا وخبر في محل الرفع خبرا لان مفسرة لضمير القصة وكذا على الوجه الثالث ويجوز ان يكون نزاعة صفة للظى اذا
لم يجعلها علما بل بمعنى اللهب وانما انث النعت فقيل نزاعة لان اللهب بمعنى النار قاله الزمخشري وفيه نظر لان لظى ممنوعة
من الصرف اتفاقا قال ابو حيان بعد حكاية الثالث عن الزمخشري ولا ادري ما هذا المضمر الذي ترجم عنه الخبر وليس هذا
من المواضع التي يفسر فيها المفرد الضمير ولولا انه ذكر بعد هذا او ضمير القصة لحملت كلامه عليه قال شهاب الدين متى جعله
ضميرا مبهما لزم ان يكون مفسرا بمفرد وهو اما لظى على ان يكون نزاعة خبر مبتدا مضمر واما نزاعة على ان يكون لظى بدلا
من الضمير وهذا اقرب ولا يجوز ان يكون لظى نزاعة مبتدا وخبرا والجملة خبرا لان على ان يكون الضمير مبهما اليلا يتحد القولان
اعني هذا القول وقوله انها ضمير القصة ولم يعهد ضمير مفسر بجملة الا ضمير الشان والقصة وقرا العامة نزاعة بالرفع وقرا حفص
وابو حيوة والزعفراني واليزيدي وابن مقسم نزاعة بالنصب وفيها وجهان احدهما انه منتصب على الحال واعترض عليه ابو علي
الفارسي وقال حمله على الحال بعيد لانه ليس في الكلام ما يعمل في الحال قال القرطبي ويجوز ان يكون حالا على انه حال للمكذبين بخبرها
وفي صاحبها اوجه احدها انه الضمير المستكن في لظى لانها وان كانت علما فهي جارية مجرى المشتقات كالحارث والعباس وذلك لانها
بمعنى التلظي واذا عمل العلم الصريح والكنية في الظروف فلان يعمل العلم الجاري مجرى المشتقات في الاحوال اولى ومن مجي ذلك
قوله * انا ابو المنهال بعض الاحيان * ضمنه بمعنى انا المشهور في بعض الاحيان الثاني انه فاعل تدعو وقدمت حال عليه اي
اي تدعو حال كونها نزاعة وقد يجوز ان تكون هذه الحال موكدة لان لظى هذا شانها وهو معروف من امرها وان تكون مبينة
لانه امر توقيفي الثالث انه محذوف هو والعامل تقديره تتلظى نزاعة ودل عليه لظى الثاني من الوجهين الاولين انها منصوبة
على الاختصاص وعبر عنه الزمخشري بالتهويل كما عبر عن وجه رفعها على خبر ابتدا مضمر والتقدير اعني نزاعة واخصها وقد منع
المبرد نصب نزاعة قال لان الحال انما يكون فيما يجوز ان يكون وان لا يكون ولظى لا تكون الا نزاعة قاله عنه مكي ورد عليه بقوله
تعالى وهو الحق مصدقا وهذا صراط ربك مستقيما قال فالحق لا يكون الا مصدقا وصراط ربك لا يكون الا مستقيما قال شهاب الدين
المبرد بنى الامر على الحال المبينة وليس ذلك بلازم اذ قد وردت الحال موكدة كما اورده مكي وان كان خلاف الاصل واللظى في الاصل
اللهب ونقل علما لجهنم ولذلك منع من الصرف وقيل هذا اسم للدركة الثانية من النار والشوى الاطراف جمع شواة كنوى ونواة
قال الشاعر * اذا نظرت عرفت النحر منها * وعينيها ولم تعرف شواها * يعني اطرافها وقيل الشوى الاعضاء التي ليست بمقتل
ومنه رماه فاشواه اي لم يصب مقتله وشوى الفرس قوايمه لانه يقال عبل الشوى وقيل الشوى جمع شواة وهي جلدة
الراس وانشد للاعشى * قالت قتيلة ماله * قد جللت شيبا شواته * وقيل هو جلد الانسان والشوى ايضا رذال المال والشوى
اليسير **فصل** قال ثابت البناني والحسن نزاعة للشوى اي لمكارم وجهه وعن الحسن ايضا انه الهامة وقال ابو العالية

للمحاسن وخمه وقال قتادة لمكارم خلقته واطرافه وقال الضحاك يبري اللحم والجلد عن العظم حتى لا يترك منه شيئا
وقال الكسائي هي المفاصل وقيل هي القوائم والجلود قال امرؤ القيس • سليم الشظا عبل الشوى شنج النسا • له حجبات مشرفات على الفال •
قوله تعالى تدعو يجوز ان يكون خبرا لان وخبر المبتدأ المحذوف او حالا من لظى او من نزاعة على القراءتين فيها لانها تتحمل ضميرا
فصل المعنى تدعو لظى من ادبر في الدنيا عن طاعة الله وتولى عن الايمان ودعاؤها ان تقول يا مشرك الي يا كافر
الي وقال ابن عباس تدعو الكافرين والمنافقين باسمائهم بلسان فصيح الي يا كافر الي يا منافق ثم تلتقطهم كما يلتقط الطير
الحب وقال ثعلب تدعو اي تهلك تقول العرب دعاك الله اي اهلكك وقال الخليل انه ليس كالدعاء تعالوا ولكن دعوتها
اياهم تمكنها منهم ومن تعذيبهم وقيل الداعي خزنة جهنم اضيف دعاؤهم اليها وقيل هو ضرب مثل اي انها تدعوهم اليها مثل
بلسان الحال اي ان مصير من ادبر وتولى اليها فكانها الداعية لهم ومثله قول الشاعر • ولقد هبطنا الواديين فواديا
يدعو الانيس به العضيض الابكم • العضيض الابكم الذباب وهو لا يدعو وانما طنينه نبه عليه فدعا اليه قال القرطبي والقول
الاول هو الحقيقة لظاهر القرآن والاخبار الصحيحة قال القشيري ودعا لظى بخلق الحياة فيها حتى تدعو وخوارق العادة
غدا كثيرة قوله تعالى وجمع فاوعى اي جمع المال فجعله في وعاء ومنع منه حق الله تعالى فكان جموعا منوعا قال ابن الخطيب
جمع اشارة الى حب الدنيا والحرص عليها واوعى اشارة الى الامل ولا شك ان مجامع افات الدين ليست الا هذه وقيل جمع المعاصي
فاوعى اي اكثر منها حتى اثقلته واصر عليها ولم يتب منها قوله تعالى ان الانسان خلق هلوعا قال الضحاك المراد بالانسان
هنا الكافر وقيل عام لانه استثنى منه المصلين فدل على ان المراد به الجنس فهو كقوله تعالى ان الانسان لفي خسر الا الذين آمنوا
وهلوعا حال مقدرة والهلع مفسر بما بعده وهو قوله اذا واذا قال ثعلب سالني محمد بن عبد الله بن طاهر ما الهلع فقلت
قد فسره الله ولا يكون ابين من تفسيره وهو الذي اذا ناله شر اظهر شدة الجزع واذا ناله خير بخل به ومنعه انتهى واصله
في اللغة على ما قال ابو عبيدة اشد الحرص واسوأ الجزع وهو قول مجاهد وقتادة وغيرهما وقد هلع بالكسر اي هلع هلعا
وهلاعا فهو هلع وهالع وهلوع على التكثير وقيل هو الفزع والاضطراب السريع عند مس المكروه والمنع السريع عند مس الخير
من قولهم ناقة هلواع اي سريعة السير قال المفسرون ومعناه انه لا يصبر في خير ولا شر حتى يفعل فيهما ما لا ينبغي روى الحماني
عن ابي صالح عن ابن عباس قال الهلوع الحريص على ما لا يحل له وقال عكرمة هو الضجور وقال الضحاك هو الذي لا يشبع والمنوع
هو الذي اذا اصاب المال منع منه حق الله تعالى وقال ابن كيسان خلق الله الانسان يحب ما يسره ويرضيه ويهرب مما يكرهه ثم
يعبده الله بانفاق ما يحب والصبر على ما يكره وقال ابو عبيدة الهلوع الذي اذا مسه الخير لم يشكر واذا مسه الضر لم يصبر
وقال عليه السلام شر ما اعطي العبد شح هالع وجبن خالع والعرب تقول ناقة هلواعة وهلواع اذا كانت سريعة
السير خفيفة قال الشاعر • شكاء ذعلبة اذا استدبرتها • حرج اذا استقبلتها هلواع • الذعلب والذعلبة الناقة السريعة
قوله جزوعا ومنوعا فيهما ثلاثة اوجه احدها انهما منصوبان على الحال من الضمير في هلوعا وهو العامل فيهما
والتقدير هلوعا حال كونه جزوعا وقت مس الشر ومنوعا وقت مس الخير والظرفان معمولان لهاتين الحالين وعبر ابو البقاء
عن هذا الوجه بعبارة اخرى فقال جزوعا حال اخرى والعامل فيها هلوعا فقوله اخرى يوهم انها حال ثانية وليست
متداخلة لولا قوله والعامل فيها هلوعا الثاني ان يكونا خبرين لكان او صار مضمرة اي اذا مسه الشر كان او صار جزوعا
واذا مسه الخير كان او صار منوعا قاله مكي وعلى هذا فاذا شرطية وعلى الاول ظرف محض العامل فيه ما بعده كما تقدم الثالث
انهما نعت لهلوعا قاله مكي الا انه قال وفيه بعد لانك تنوي به التقديم بعد اذا انتهى وهذا الاستبعاد ليس بشيء فانه غايته
ما فيه تقديم الظرف على عامله وانما المحذور تقديم معمول النعت على المنعوت فصل قال القاضي قوله تعالى ان
الانسان خلق هلوعا نظير قوله خلق الانسان من عجل وليس المراد انه مخلوق على هذه الصفة لان الله تعالى ذمه عليها
والله تعالى لا يذم فعله ولانه تعالى استثنى المؤمنين الذين جاهدوا انفسهم في ترك الخصلة المذمومة ولو كانت هذه الخصلة
ضرورية حاصلة بخلق الله تعالى لما قدروا على تركها قال ابن الخطيب واعلم ان الهلع لفظ واقع على امرين احدهما الحالة النفسانية
التي لاجلها يقدم الانسان على اظهار الجزع والفزع والثاني تلك الافعال الظاهرة من القول والفعل الدالة على تلك الحالة النفسانية
اما تلك الحالة النفسانية فلا شك انها تحدث بخلق الله تعالى لان من خلقت نفسه على تلك الحالة لا يمكنه ازالة تلك الحالة
عن نفسه بل الافعال الظاهرة من القول والفعل يمكنه تركها والاقدام عليها فهي امور اختيارية واما الحالة النفسانية
التي هي الهلع في الحقيقة فهي مخلوقة على سبيل الاضطرار قوله تعالى اذا مسه الشر جزوعا واذا مسه الخير منوعا قيل المراد
بالخير والشر الغنى والفقر او الصحة والمرض والمعنى انه اذا صار فقيرا او مريضا اخذ في الجزع والشكاية واذا صار غنيا او صحيحا
اخذ في منع المعروف وشح بماله فان قيل حاصل هذا الكلام انه نفور عن المضار طالب للراحة وهذا هو اللائق بالعقل فلم ذمه
الله عليه فالجواب انما ذمه عليه لقصور نظره على الامور العاجلة والواجب عليه ان يكون شاكرا راضيا في كل حال قوله تعالى

الا المصلين

الا المصلين قال النخعي المراد بالمصلين الذين يؤدون الصلاة المكتوبة وقال ابن مسعود هم الذين يصلونها لوقتها
فاما تركها فكفر وقيل هم الصحابة وقيل هم المؤمنون عامة قوله تعالى الذين هم على صلاتهم دائمون اي على مواقيتها
وقال عقبة بن عامر هم الذين اذا صلوا لم يلتفتوا يمينا ولا شمالا والدائم الساكن ومنه نهي عن البول في الماء الدائم اي الساكن
وقال ابن جريج والحسن هم الذين يكثرون فعل التطوع منها فان قيل كيف قال على صلاتهم دائمون وقال في موضع
آخر على صلواتهم يحافظون قال ابن الخطيب دوامهم عليها ان لا يتركوها في شيء من الاوقات ومحافظتهم عليها ترجع الى
الاهتمام بحالها حتى ياتي بها على اكمل الوجوه من المحافظة على شرائطها والاتيان بها في الجماعة والمساجد الشريفة والاهتمام
في تفريغ القلب عن الوسواس والرياء والسمعة وان لا يلتفت يمينا ولا شمالا وان يكون حاضر القلب فاهما للاذكار مطلعا
على حكم الصلاة متعلق القلب بدخول اوقات الصلاة قوله تعالى والذين في اموالهم حق معلوم قال قتادة وابن سيرين يريد
الزكاة المفروضة وقال مجاهد سوى الزكاة وقال علي بن ابي طلحة عن ابن عباس صلة الرحم وحمل الكل والاول اصح لانه وصف
الحق بانه معلوم والمعلوم هو المقدر وسوى الزكاة ليس بمعلوم انما هو على قدر الحاجة وذلك يقل ويكثر وقال ابن عباس من ادى
زكاة ماله فلا جناح عليه ان لا يتصدق وايضا فان الله تعالى استثناه ممن ذمه فدل على ان الذي لا يعطي هذا الحق يكون
مذموما ولا حق على هذه الصفة الا الزكاة وقوله للسائل والمحروم تقدم في الذاريات قوله تعالى والذين يصدقون بيوم
الدين اي بيوم الجزاء وهو يوم القيامة اي يؤمنون بالبعث والنشور والذين هم من عذاب ربهم مشفقون اي خائفون
والاشفاق الخوف اما من ترك واجب واما من فعل محظور ثم اكد ذلك الخوف بقوله ان عذاب ربهم غير مامون قال ابن عباس
من اشرك او كذب انبياءه وقيل لا يامنه احد بل الواجب على كل احد ان يخافه ويشفق منه والذين هم لفروجهم حافظون
الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم فانهم غير ملومين فمن ابتغى وراء ذلك فاولئك هم العادون تقدم تفسيره في سورة
المؤمنين والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون تقدم ايضا وقرئ لامانتهم على التوحيد وهي قراءة ابن كثير وابن محيصن
فالامانة اسم جنس فيدخل فيها امانات الدين فان الشرائع امانات ائتمن الله عليها عباده ويدخل فيها امانات الناس
من الودائع وقد مضى ذلك قوله تعالى والذين هم بشهاداتهم قائمون قرا حفص بشهاداتهم جمعا اعتبارا بتعدد الانواع
والباقون بالافراد اذ المراد الجنس قال الواحدي والافراد اولى لانه مصدر فيفرد كما تفرد المصادر واذا اضيف الى الجمع
كصوت الحمير ومن جمع ذهب الى اختلاف الشهادات قال اكثر المفسرين يقومون بالشهادة على من كانت عليه من قريب وبعيد
يقومون بها عند الحكام ولا يكتمونها وقال ابن عباس بشهادتهم ان الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله قوله تعالى
والذين هم على صلاتهم يحافظون قال قتادة على وضوئها وركوعها وسجودها وقد تقدم فالدوام خلاف المحافظة
فدوامهم عليها محافظتهم على ادائها لا يخلون بها ولا يشتغلون عنها بشيء من الشواغل ومحافظتهم عليها ان يرعوا اسباغ
الوضوء لها ومواقيتها ويقيموا اركانها ويكملوا سننها وادابها ويحفظوها من الاحباط باقتراف المآثم فالدوام يرجع
الى نفس الصلوات والمحافظة الى احوالها ذكره القرطبي ثم قال اولئك في جنات مكرمون اي اكرمهم الله فيها بانواع الكرامات
قوله تعالى فمال الذين كفروا قبلك مهطعين روي ان المشركين كانوا يجتمعون حول النبي صلى الله عليه وسلم يستمعون كلامه
ويستهزئون به ويكذبونه ويقولون ان دخل هؤلاء الجنة كما يقول محمد صلى الله عليه وسلم فلندخلها قبلهم فنزلت هذه
الاية الى قوله ايطمع كل امرئ منهم ان يدخل جنة نعيم وقال ابو مسلم ظاهر الاية يدل على انهم هم المنافقون فهم الذين كانوا
عنده واسراعهم المذكور هو الاسراع في الكفر لقوله تعالى ولا يحزنك الذين يسارعون في الكفر والاهطاع الاسراع
قال الاخفش مهطعين اي مسرعين قال • بمكة اهلها ولقد اراهم اليه مهطعين الى السماع • والمعنى ما بالهم يسرعون اليك
يجلسون حولك ولا يعملون بما تامرهم وقيل ما بالهم يسرعون في التكذيب لك وقيل ما بال الذين كفروا يسرعون
الى السماع منك ليعيبوك ويستهزئوا بك وقال عطية مهطعين معرضين وقال الكلبي ناظرين اليك تعجبا وقال قتادة
مادين اعناقهم مديمي النظر اليك وذلك من نظر العدو وهو منصوب على الحال قال القرطبي نزلت في جميع المنافقين
المستهزئين كانوا يحضرونه عليه السلام ولا يؤمنون به وقبلك اي نحوك قوله تعالى عن اليمين وعن الشمال
عزين اي عن يمين النبي صلى الله عليه وسلم وشماله حلقا حلقا وجماعات قوله عزين حال من الذين كفروا وقيل حال من الضمير
في مهطعين فيكون حالا متداخلة وعن اليمين يجوز ان يتعلق بعزين لانه بمعنى متفرقين قاله ابو البقاء وان يتعلق بمهطعين
اي يسرعون عن هاتين الجهتين وان يتعلق بمحذوف على انه حال اي كائنين عن اليمين قاله ابو البقاء وعزين جمع عزة
والعزة الجماعة قال مكي وانما جمع بالواو والنون لانه مؤنث لا يعقل ليكون ذلك عوضا مما حذف منه قيل ان اصله
عزهة كما ان اصل سنة سنهة ثم حذفت الهاء انتهى قال شهاب الدين قوله لا يعقل سهو لان الاعتبار بالمدلول ومدلوله
بالاناسي عقلاء واختلفوا في لام عزة على ثلاثة اقوال احدها انها واو من عزوته اعزوه اي نسبته وذلك ان المنسوب مضموم

الى المنسوب اليه كما ان كل جماعة مضموم بعضها الى بعض الثاني انها ياء اذ يقال عزيته بالياء اعزيه بمعنى عزوته فعلى هذا في لامها لغتان الثالث انها هاء ويجمع تكسيرا على عزي نحو كسرة وكسر واستغنى بهذا التكسير عن جمعها بالالف والتاء فلم يقولوا عزات كما لم يقولوا في شفة وامة شفات ولا امات استغناء بشفاه واماء وقد كثر وروده مجموعا بالواو والنون قال الراعي • اخليفة الرحمن ان عشيرتي • امسوا سراتهم عزين فلولا • وقال الكميت •
ونحن وجندل باغ تركنا • كتائب جندل شتى عزينا • وقال عنترة • وقرن قد تركت لدى ولي • عليه الطير كالعصب العزين •
وقال اخر • ترانا عنده والليل داج • على ابوابه حلقا عزينا • وقال اخر • فلما ان اتين على اضاخ •
تركن حصاه اشتاتا عزينا • والعزة لغة الجماعة في تفرقة قال ابو عبيدة ومنه حديث النبي صلى الله عليه وسلم انه
اخرج الى اصحابه فراهم حلقا فقال ما لي اراكم عزين الا تصفون كما تصف الملائكة عند ربها قالوا وكيف تصف الملائكة
قال يتمون الصف الاول ويتراصون في الصف الثاني وقال الاصمعي العزون الاصناف يقال في الدار عزون اي اصناف
وفي الصحاح العزة الفرقة من الناس وقيل العزة الجماعة اليسيرة كالثلاثة والاربعة وقال الراغب وقيل هو من قولهم
عزي عزا فهو عز اذا صبر وتعزى تصبر فكانها اسم للجماعة التي يتاسى بعضهم ببعض قال القرطبي يقال عزون وعزون
ايضا بالضم ولم يقولوا عزات كما قالوا ثبات قيل كان المستهزءون خمسة ارهط قال الازهري واصلها من قولهم عزا فلان
نفسه الى بني فلان يعزو عزوا اذا انتمى اليهم والاسم العزوة والعزة كل جماعة اعتزاؤها الى امر واحد قوله تعالى ان
يدخل العامة على بنائه للمفعول وزيد بن علي والحسن وابن يعمر وابو رجاء وعاصم في رواية قال القرطبي وطلحة بن مصرف والاعرج
على بنائه للفاعل فصل لما قال المستهزءون ان دخل هؤلاء الجنة كما يقول محمد فلندخلنها قبلهم اجابهم الله تعالى بقوله
كلا لا يدخلونها ثم ابتدا فقال انا خلقناهم مما يعلمون اي انهم يعلمون انهم مخلوقون من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة
كما خلق سائر جنسهم فليس لهم فضل يستوجبون به الجنة وانما تستوجب بالايمان والعمل الصالح ورحمة الله تعالى وقيل
كانوا يستهزءون بفقراء المسلمين ويتكبرون عليهم فقال انا خلقناهم مما يعلمون اي من القذر فلا يليق بهم هذا التكبر
وقال قتادة في هذه الاية انما خلقت يا ابن آدم من قذر فاتق الله وروي ان مطرف بن عبد الله بن الشخير راى المهلب بن ابي
صفرة يتبختر في مطرف خز وجبة خز فقال له يا عبد الله ما هذه المشية التي يبغضها الله فقال له اتعرفني قال نعم اولك
نطفة مذرة واخرك جيفة قذرة وانت تحمل العذرة فمضى المهلب وترك مشيته قال ابن الخطيب ذكروا في تعلق هذه
الاية وجوها احدها لما احتج على صحة البعث دل على انهم كانوا منكرين للبعث فكانه قيل لهم كلا انكم منكرون للبعث فمن
اين تطمعون بدخول الجنة وثانيها ان المستهزئين كانوا يستحقرون المؤمنين كما تقدم فقال تعالى ان هؤلاء المستهزئين
مخلوقون مما خلقوا فكيف يليق بهم هذا الاحتقار وثالثها انهم مخلوقون من هذه الاشياء المستقذرة ولم يتصفوا بالايمان
والمعرفة فكيف يليق بالحكمة ادخالهم الجنة وقيل معنى قوله خلقناهم مما يعلمون اي من اجل ما يعلمون وهو الامر والنهي
والثواب والعقاب كقول الاعشى • ازمعت من آل ليلى ابتكارا • وشطت على ذي هوى ان تزارا • اي من اجل ليلى قوله تعالى
فلا اقسم معناه تقدم وقرا جماعة فلا اقسم دون الف برب المشارق وقرا الجماعة العامة بجمع المشارق والمغارب والجحدري
وابن محيصن بافرادهما وايضا ابو حيوة وحميد وهي مشارق الشمس ومغاربها وتقدم الكلام فيهما وقوله انا لقادرون
جواب القسم على ان نبدل خيرا منهم اي نقدر على اهلاكهم واذهابهم والاتيان بخير منهم وما نحن بمسبوقين اي لا يفوتنا
شيء ولا يعجزنا امر نريده قوله تعالى فذرهم يخوضوا ويلعبوا اي اتركهم يخوضوا في باطلهم ويلعبوا في دنياهم على جهة
الوعيد واشتغل انت بما امرت به وتقدم تفسيره في سورة الطور واختلفوا فيما وصف الله به نفسه بالقدرة عليه هل
خرج الى الفعل ام لا فقيل بدل بهم الانصار والمهاجرين وقيل بل بدل الله كفر بعضهم بالايمان وقيل لم يقع هذا
التبديل وانما ذكر الله ذلك تهديدا لهم لكي يؤمنوا قوله تعالى حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون قرا ابن محيصن ومجاهد
وحميد وابو جعفر يلقوا مضارع لقي والمعنى ان لهم يوما يلقون فيه ما وعدوا وهذه الاية منسوخة باية السيف ثم ذكر
ذلك اليوم فقال يوم يخرجون من الاجداث يجوز ان يكون بدلا من يومهم او منصوبا باضمار اعني ويجوز على راي الكوفيين
ان يكون خبر ابتداء مضمر وبني على الفتح وان اضيف الى معرب اي هو يوم يخرجون كقوله هذا يوم ينفع وقد مر الكلام فيه
مشبعا والعامة على بناء يخرجون للفاعل وقرا السلمي والمغيرة وروي عن عاصم بناؤه للمفعول قوله تعالى سراعا حال
من فاعل يخرجون جمع سريع كظراف في ظريف وكانهم حال ثانية منه او حال من ضمير الحال فيكون متداخلة والاجداث
القبور ونظيره فاذا هم من الاجداث الى ربهم ينسلون اي سراعا الى اجابة الداعي قوله تعالى الى نصب يوفضون متعلق بالخبر
والعامة على نصب بالفتح واسكان الصاد وابن عامر وحفص بضمتين وابو عمران الجوني ومجاهد بفتحتين والحسن وقتادة
وعمرو بن ميمون وابو رجاء وغيرهم بضم النون واسكان الصاد فالاولى هو اسم مفرد بمعنى العلم المنصوب الذي يسرع الشخص

نحوه وقال ابو عمرو وهو شبكة الصائد يسرع اليها عند وقوع الصيد فيها مخافة انفلاته واما الثانية فتحتمل
ثلاثة اوجه احدها انه اسم مفرد بمعنى الصنم المنصوب للعبادة وانشد للاعشى • وذا النصب المنصوب لا تعبدنه •
لعاقبة والله ربك فاعبدا • يعني اياك وذا النصب الثاني انه جمع نصاب ككتب في كتاب الثالث انه جمع نصب نحو
رهن ورهن وسقف في سقف وهذا قول ابي الحسن وجمع الجمع انصاب وقال النحاس وقيل نصب ونصب بمعنى واحد
كما قيل عمر وعمر واسد واسد جمع اسد واما الثالثة ففعل بمعنى مفعول اي منصوب كالقبض والنقض والرابعة تخفيف
من الثانية والنصب ايضا الشر والبلاء ومنه قوله تعالى اني مسني الشيطان بنصب وعذاب فصل قال ابن عباس
الى نصب اي الى غاية وهي التي ينتصب اليها بصرك وقال الكلبي هو شيء منصوب علم او راية وقال الحسن كانوا يبتدرون
اذا طلعت الشمس الى نصبهم التي كانوا يعبدونها من دون الله لا يلوي اولهم على اخرهم ويوفضون يسرعون وقيل يستبقون وقيل
ينطلقون وهي متقاربة والايفاض الاسراع قال الشاعر • فوارس ذبيان تحت الحديد • كالجن يوفض من عبقر •
وعبقر موضع تزعم العرب انه من ارض الجن قال لبيد • كهول وشبان كجنة عبقر • وقال الاخر •
لانعت نعامة مستفاضا • وقال الليث وفضت الابل تفض وفضا واوفضها صاحبها فالايفاض متعد والذي في الاية لازم
يقال وفض واوفض واستوفض بمعنى اسرع قوله تعالى خاشعة حال اما من فاعل يوفضون وهو اقرب او من فاعل
يخرجون وفيه بعد منه وفيه تعدد الحال لذي حال واحدة وفيه الخلاف المشهور وابصارهم فاعل والمعنى ذليلة خاضعة
لا يرفعونها لما يتوقعونه من عذاب الله قوله تعالى ترهقهم ذلة قرا العامة بتنوين ذلة والابتداء بذلك اليوم وخبره الذي
كانوا وقرا يعقوب والتمار باضافة ذلة الى ذلك وجر اليوم لانه صفة لذلك والذي نعت لليوم وترهقهم يجوز ان
يكون استئنافا وان يكون حالا من فاعل يوفضون او يخرجون ولم يذكر مكي غيره ومعنى ترهقهم اي يغشاهم الهوان قال
قتادة هو سواد الوجه والرهق الغشيان ومنه غلام مراهق اذا غشي الاحتلام يقال رهقه بالكسر يرهقه رهقا اي غشيه
ومنه قوله تعالى ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة ذلك اليوم الذي كانوا يوعدون اي يوعدونه في الدنيا ان لهم فيه العذاب
واخرج الخبر بلفظ الماضي لان ما وعد الله به فهو حق كائن لا محالة روى الثعلبي عن ابي بن كعب قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم من قرا سورة سال سائل اعطاه الله ثواب الذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون والذين هم على صلاتهم يحافظون

سورة نوح مكية

وهي سبع وعشرون اية وثمانيان واربع وعشرون كلمة وتسع مائة وتسعة وعشرون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم
قوله تعالى انا ارسلنا نوحا الى قومه روى قتادة عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اول نبي ارسل نوح وارسل
الى جميع اهل الارض ولذلك لما كفروا اغرق الله اهل الارض جميعا وهو نوح بن لامك بن متوشلخ بن خنوخ وهو ادريس
ابن يرد بن مهلائيل بن انوش بن قينان بن شيث بن آدم عليه السلام قال وهب وكلهم مؤمنون ارسل الى قومه وهو ابن خمسين
سنة وقال ابن عباس ابن اربعين سنة وقال عبد الله بن شداد بعث وهو ابن ثلاث مائة وخمسين سنة قوله تعالى ان انذر
يجوز ان تكون المفسرة فلا يكون لها موضع من الاعراب لان في الارسال معنى الامر فلا حاجة الى اضمار الباء ويجوز ان تكون
المصدرية اي ارسلناه بالانذار قال الزمخشري والمعنى ارسلناه بان قلنا له انذر اي ارسلناه بالامر بالانذار انتهى وهذا
الذي قدره حسن جدا وهو جواب عن سؤال متقدم في هذا الكتاب وهو ان قولهم ان ان المصدرية يجوز ان توصل بالامر
مشكل لانه ينسبك منها ومما بعدها مصدر وحينئذ فتفوت الدلالة على الامر الا ترى انك اذا قدرت كتبت اليه بان
قم كتبت اليه القيام تفوت الدلالة على الامر حال التصريح بالمصدر فينبغي ان يقدر كما قال الزمخشري اي كتبت اليه بان قلت
له قم اي كتبت اليه بالامر بالقيام وقال القرطبي اي بان انذر قومك فموضع ان نصب باسقاط الخافض وقرا عبد الله انذر
قومك بغير ان بمعنى قلنا له انذر قومك وقد تقدم معنى الانذار في اول البقرة وقوله من قبل ان ياتيهم عذاب اليم قال ابن
عباس يعني عذاب النار في الاخرة وقال الكلبي هو الطوفان وقيل انذرهم العذاب على الجملة ان لم يؤمنوا فكان يدعو قومه
وينذرهم فلا يجيبونه كما تقدم قال يا قوم اني لكم نذير مبين اي مخوف مظهر لكم بلسانكم الذي تعرفونه قوله تعالى
ان اعبدوا الله اما ان تكون تفسيرية لنذير او مصدرية والكلام فيها كما تقدم في اختها والمعنى وحدوا الله واتقوه اي
خافوه واطيعون فيما امركم به فاني رسول الله اليكم يغفر لكم جزم يغفر جوابا للامر قوله تعالى من ذنوبكم في من هذه
اوجه احدها انها تبعيضية الثاني انها لابتداء الغاية الثالث انها لبيان الجنس وهو مردود لعدم تقدم ما تبينه الرابع

انها مزيدة قال ابن عطية وهو مذهب كوفي قال شهاب الدين ليس مذهبهم ذلك لانهم يشترطون تنكير مجرورها
ولا يشترطون غيره والاخفش لا يشترط شيئا فزيادتها هنا ماشٍ على قوله لا على قولهم قال القرطبي وقيل لا يصح كونها
زائدة لان من لا تزاد في الواجب وانما هي هنا للتبعيض وهو بعض الذنوب وهو ما لا يتعلق بحقوق المخلوقين وقال زيد بن
اسلم المعنى يخرجكم من ذنوبكم وقال ابن شجرة المعنى يغفر لكم من ذنوبكم ما استغفرتموه منها قوله تعالى ويؤخركم الى
اجل قال الزمخشري فان قلت كيف قال يؤخركم مع اخباره بامتناع تأخيره قلت قضى الله ان قوم نوح ان آمنوا عمّرهم
الف سنة وان بقوا على كفرهم اهلكهم على رأس تسعمائة فقيل لهم آمنوا أُخّرتم الى الاجل الاطول ثم اخبرهم انه اذا جاء
ذلك الاجل الامدّ لا يؤخر انتهى وقد تعلق بهذه الآية من يقول بالاجلين وتقدم جوابه وقال ابن عباس اي ينسئ في
اعماركم ومعناه ان الله تعالى كان قضى قبل خلقهم انهم ان آمنوا بارك في اعمارهم وان لم يؤمنوا عوجلوا بالعذاب
وقال مقاتل يؤخركم الى منتهى آجالكم في عافية فلا يعاقبكم بالقحط وغيره فالمعنى على هذا يؤخركم من العقوبات
والشدائد الى آجالكم وقال الزجاج اي يؤخركم عن العذاب فتموتوا غير موتة المستأصلين بالعذاب وعلى هذا قيل اجل
مسمى عندكم تعرفونه لا يميتكم غرقا ولا حرقا ولا قتلا ذكره الفراء وعلى القول الاول اجل مسمى عند الله قوله تعالى ان
اجل الله اذا جاء لا يؤخر اي اذا جاء الموت لا يؤخر بعذاب كان او بغير عذاب واضاف الاجل اليه سبحانه لانه الذي اثبته وقد
يضاف الى القوم كقوله تعالى اذا جاء اجلهم لانه مضروب لهم ولو بمعنى ان اي ان كنتم تعلمون وقال الحسن معناه لو كنتم
تعلمون لعلمتم ان اجل الله اذا جاء لا يؤخر وعلى هذا جواب لو محذوف وتقديره لبادرتم الى ما امركم به او لعلمتم كما قال الحسن قوله تعالى
قال رب اني دعوت قومي ليلا ونهارا ظرفان للدعوة والمراد الاخبار باتصال الدعاء وانه لا يفتر عن ذلك وقيل معناه سرا
وجهرا فلم يزدهم دعائي الا فرارا اي تباعدا من الايمان وهذا استثناء مفرغ وهو مفعول ثان وقراءة العامة بفتح اليا
من دعائي واسكنها الكوفيون ويعقوب والدوري عن ابي عمرو قوله تعالى واني كلما دعوتهم لتغفر لهم اي الى سبب
المغفرة وهي الايمان بك والطاعة لك قوله تعالى لتغفر يجوز ان تكون للتعليل والمدعو اليه محذوف اي دعوتهم للايمان
لاجل مغفرتك لهم وان تكون لام التعدية ويكون قد عبّر عن السبب بالمسبب الذي هو حظهم والاصل دعوتهم للتوبة التي
هي سبب في الغفران وجعلوا هو العامل في كلما وهو خبر اني قوله تعالى جهارا يجوز ان يكون مصدرا من المعنى لان الدعا
يكون جهارا وغيره فهو من باب قعد القرفصا وان يكون المراد بدعوتهم جاهرتهم وان يكون المراد هو نعت مصدر محذوف
اي دعاء جهارا وان يكون مصدرا في موضع الحال اي مجاهرا او ذا جهار وجعل نفس المصدر مبالغة قال الزمخشري فان قلت
ذكر انهم دعاهم ليلا ونهارا ثم دعاهم جهارا ثم دعاهم في السر والعلن فيجب ان يكون ثلاث دعوات مختلفات حتى
يصح العطف قلت قد فعل عليه السلام كما يفعل الذي يامر بالمعروف وينهى عن المنكر في الابتداء بالاهون والترقي في الاشد
فالاشد فافتتح في المناصحة بالسر فلما لم يقبلوا ثنى بالمجاهرة فلما لم يقبلوا ثلث بالجمع بين الاسرار والاعلان ومعنى
ثم الدلالة على تباعد الاحوال لان الجهار اغلظ من الاسرار والجمع بين الامرين اغلظ من افراد احدهما قال ابو حيان وتكررا
له ان ثم للاستبعاد دون لا نعلمه لغيره وقوله استكبارا قال القرطبي تفخيم فصل معنى جهارا اي مظهرا لهم الدعوة
وهو منصوب بدعوتهم نصب المصدر ثم اني اعلنت لهم واسررت لهم اسرارا بالدعاء عن بعضهم من بعض وقيل اسررت
لهم اتيتهم في منازلهم وكل هذا من نوح عليه السلام مبالغة في الدعا وتلطف في الاستدعا وفتح اليا من اني اعلنت الحرميون
وابو عمرو واسكنها الباقون قوله تعالى فقلت استغفروا ربكم اي سلوه المغفرة لذنوبكم باخلاص الايمان انه كان غفارا
وهذا منه تعالى ترغيب في التوبة كقوله عليه السلام الاستغفار ممحاة للذنوب قوله تعالى يرسل السماء عليكم مدرارا
اي يرسل ماء السماء ففيه اضمار وقيل السماء المطر اي يرسل المطر قال الشاعر • اذا نزل السماء بارض قوم • رعيناه
وان كانوا غضابا • ومدرارا يجوز ان يكون حالا من السماء ولم يؤنث لان مفعالا لا يؤنث تقول امرأة مسقام ومذكار
ولا يؤنث بالتاء الا نادرا وحينئذ يستوي فيه المذكر والمؤنث فتقول رجل محدامة ومطرابة وامرأة محدامة ومطرابة
وان يكون نعتا لمصدر محذوف اي ارسالا مدرارا وتقدم الكلام عليه في الانعام وجزم يرسل جوابا للامر ومدرارا ذا غيث
كثير فصل قال مقاتل لما كذبوا نوحا عليه السلام زمانا طويلا حبس الله عنهم المطر واعقم ارحام نسائهم اربعين سنة
فهلكت مواشيهم وزروعهم فصاروا الى نوح عليه السلام واستغاثوا به فقال استغفروا ربكم انه كان غفارا اي لمن اناب اليه
ثم رغبهم في الايمان فقال يرسل السماء عليكم مدرارا ويمددكم باموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم انهارا قال قتادة
علم نبي الله صلى الله عليه وسلم انهم اهل حرص على الدنيا فقال هلموا الى طاعة الله فان في طاعة الله درك الدنيا والآخرة فصل
في هذه الآية والتي في هود دليل على ان الاستغفار يستنزل به الرزق والامطار قال الشعبي خرج عمر يستسقي فلم يزد على
الاستغفار حتى رجع فامطروا فقالوا ما رايناك استسقيت فقال لقد استسقيت بمجاديح السماء التي يستنزل بها المطر

ثم قرأ استغفروا ربكم انه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا قال ابن الاثير المجاديح واحدها مجدح والياء زائدة
للاشباع والقياس ان يكون واحدها مجداح فاما مجدح فجمعه مجادح والمجدح نجم من النجوم قيل هو الدبران وقيل هو ثلاثة
كواكب كالاثافي تشبيها لها بالمجدح الذي له ثلاث شعب وهو عند العرب من الانواء الدالة على المطر فجعل الاستغفار مشبها بالانواء
مخاطبة لهم بما يعرفونه لا قولا بالانواء وجاء بلفظ الجمع لانه اراد الانواء جميعها التي يزعمون ان من شانها المطر وشكى رجل
الى الحسن الجدوبة فقال له استغفر الله وشكا آخر اليه الفقر فقال له استغفر الله وقال له آخر ادع الله ان يرزقني ولدا فقال له استغفر
الله وشكا اليه آخر جفاف بساتينه فقال له استغفر الله فقلنا له في ذلك فقال ما قلت من عندي شيئا ان الله تعالى يقول في
سورة نوح استغفروا ربكم انه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا ويمددكم باموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم
انهارا فان قيل ان نوحا عليه السلام امر الكفار اولا بالعبادة والطاعة فاي فائدة في ان امرهم بعد ذلك بالاستغفار
فالجواب انه لما امرهم بالعبادة قالوا له ان كان الدين الذي كنا عليه حقا فلم تامرنا بتركه وان كان باطلا فكيف يقبلنا
بعد ان عصيناه فقال نوح عليه السلام انكم وان كنتم قد عصيتموه ولكن استغفروا من تلك الذنوب فانه سبحانه كان غفارا
فان قيل لم قال انه كان ولم يقل انه كان غفارا فالجواب كانه يقول لا تظنوا ان غفرانه انما حدث الآن بل هو ابدا هكذا
عادته انه غفار في حق من استغفر قوله تعالى ما لكم لا ترجون لله وقارا قيل الرجا هنا بمعنى الخوف اي ما لكم لا تخافون
لله عظمة وقدرة على احدكم بالعقوبة اي عذر لكم في ترك الخوف من الله قال الهذلي • اذا لسعته النحل لم يرج لسعها •
وقال سعيد بن جبير عن ابن عباس ما لكم لا ترجون لا تخشون لله عقابا وترجون منه ثوابا وقال الوالبي والعوفي عنه ما لكم
لا تعلمون لله عظمة وقيل ما لكم لا تعتقدون وقال ابن عباس ايضا ومجاهد ما لكم لا ترون لله عظمة وعن مجاهد والضحاك ما لكم
لا تبالون لله عظمة قال قطرب هذه لغة حجازية وهذيل وخزاعة ومضر يقولون لم ارج اي لم ابال قوله تعالى وقارا يجوز ان
يكون مفعولا به على معانيها ما لكم لا تاملون له توقيرا اي تعظيما قال الزمخشري والمعنى ما لكم لا تكونون على حال تاملون فيها
تعظيم الله اياكم في دار الثواب ولله بيان للموقر ولو تاخر لكان صلة انتهى اي لو تاخر لله عن وقارا لكان متعلقا به فيكون التوقير
منهم لله تعالى وهو عكس المعنى الذي قصده ومنها لا تخافون لله حلما وترك معاجلة بالعقاب فتؤمنوا ومنها لا تخافون لله عظمة
وعلى الاول يكون الرجا على بابه وقد تقدم ان استعماله بمعنى الخوف مجاز او مشترك وان يكون حالا من فاعل ترجون اي موقرين
الله تعالى اي معظمين فلله متعلق بمحذوف على انه حال من وقارا او يكون اللام زائدة في المفعول به وحسنه هنا امران كون
العامل فرعا وكون المعمول مقدما ولا ترجون حال وتقدم نظيره في المائدة والوقار العظمة والتوقير التعظيم ومنه قوله تعالى
وتوقروه وقال قتادة ما لكم لا ترجون لله عاقبة كان المعنى ما لكم لا ترجون لله عاقبة الايمان وقال ابن كيسان ما لكم لا ترجون
في عبادة الله وطاعته ان يثيبكم على توقيركم خيرا وقال ابن زيد ما لكم لا تؤدون لله طاعة وقال الحسن ما لكم لا تعرفون لله
حقا ولا تشكرون له نعمة وقيل ما لكم لا توحدون الله لان من عظمه فقد وحده وقيل ان الوقار الثبات لله عز وجل ومنه
قوله تعالى وقرن في بيوتكن اي اثبتن والمعنى ما لكم لا تثبتون وحدانية الله تعالى وانه الهكم لا اله لكم سواه قاله ابن بحر ثم دلهم
على ذلك فقال وقد خلقكم اطوارا يعني نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم عظاما ولحما ثم انشاه خلقا آخر وقيل اطوارا صبيانا
ثم شبانا ثم شيوخا وضعفا ثم اقويا وقيل اطوارا اي انواعا صحيحا وسقيما وبصيرا وضريرا وغنيا وفقيرا وقيل الاطوار
اختلافهم في الاخلاق والافعال قوله تعالى وقد خلقكم جملة حالية من فاعل ترجون والاطوار اختلافهم في الاخلاق والافعال
والاحوال المختلفة قال الشاعر • فان افاق فقد طارت عمايته • والمرء يخلق طورا بعد اطوار • وانتصابه على الحال اي
منتقلين من حال الى حال او مختلفين من بين محسن ومسيء وصالح وطالح قوله تعالى الم تروا كيف خلق الله سبع سموات
اي الم تعلموا ان الذي قدر على هذا فهو الذي يجب ان يعبد ومعنى طباقا قال ابن عباس والسدي اي بعضها فوق بعض كل سماء
مطبقة على الاخرى كالقباب فان قيل هذا يقتضي ان لا يكون بينهما فرج واذا كان كذلك فكيف تسلكها الملائكة
فالجواب ان الملائكة ارواح وايضا قال المبرد معنى كونها طباقا اي متوازية لا انها متماسة وقال الحسن خلق الله سبع
سموات طباقا على سبع ارضين بين كل ارض وارض وسماء وسماء خلق وامر وقوله الم تروا على جهة الاخبار لا المعاينة كما
تقول الم ترني كيف صنعت بفلان كذا وطباقا نصب على انه مصدر مطابقة طباقا او حال بمعنى ذات طباق فحذف ذات
واقام طباقا مقامه وتقدم الكلام عليه في سورة الملك وقال مكي واجاز الفراء في غير القرآن جر طباق على النعت لسموات
بمعنى انه يجوز ان يكون صفة للعدد تارة وللمعدود اخرى قوله تعالى وجعل القمر فيهن نورا اي في السموات والقمر انما هو
في سماء واحدة منهن قيل هو في السماء الدنيا وانما جاز ذلك لان بين السموات ملابسة فصح ذلك وتقول زيد في المدينة
وانما هو في زاوية من زواياها وقال ابن كيسان اذا كان في احداهن فهو فيهن وقال قطرب فيهن بمعنى معهن وقال الكلبي
اي خلق الشمس والقمر مع خلق السموات والارض وقال جل اهل اللغة في قول امرئ القيس • وهل ينعمن من كان آخر عهده •

ثلاثين شهرا في ثلاثة احوال في معنى مع وقال النحاس سالت ابا الحسن بن كيسان عن هذه الاية فقال جواب النحويين
انه اذا جعله في احدهن فقد جعله فيهن كما تقول اعطني الثياب المعلمة وان كنت انما علمت احدها وجواب اخر انه يروى ان
وجه القمر الى داخل السما واذا كان الى داخلها فهو متصل بالسموات ومعنى نورا اي لاهل الارض قاله السدي وقال عطا نورا لاهل
السموات والارض وقال ابن عباس وابن عمر وجهه يضي لاهل الارض وظهره يضي لاهل السما **قوله تعالى** وجعل الشمس سراجا
يحتمل ان يكون التقدير وجعل الشمس فيهن كما تقدم والشمس قيل في الرابعة وقيل في الخامسة وقيل في الشتا في الرابعة
وفي الصيف في السابعة والله اعلم وقوله سراجا يعني مصباحا لاهل الارض ليتوصلوا الى التصرف لمعايشهم وفي اضاءتها لاهل
السما القولان الاولان حكاه الماوردي وحكى القشيري عن ابن عباس ان الشمس وجهه في السموات وقفاه في الارض وقيل على
العكس وقيل لعبد الله بن عمر ما بال الشمس تقلينا احيانا وتبرد علينا احيانا فقال انها في الصيف عند عرش الرحمن ولو كانت في
السما الدنيا لما قام لها شي ولما كانت الشمس سببا لزوال الليل وهو ظل الارض اشبهت السراج وايضا فالسراج له ضوء والقمر له
نور والضوء اقوى من النور فجعل الشمس لقوله تعالى الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا **قوله تعالى** والله انبتكم من الارض نباتا
يعني ادم عليه السلام خلقه من اديم الارض كلها قاله ابن جريج وقد تقدم بيانه ونباتا اما مصدر لانبت على حذف الزوايد
ويسمى اسم مصدر لان مصدر انبت انباتا فجعل الاسم الذي هو النبات في موضع المصدر واما نبتم مقدرا اي فنبتم نباتا
فيكون منصوبا بالمطاوع المقدر قال الزمخشري او نصب بانبتكم لتضمنه معنى نبتم قال ابو حيان ولا اعقل معنى هذا
الوجه الثاني قال الشهاب الدين هذا هو الوجه المتقدم وهو انه منصوب بانبتكم على حذف الزوايد ومعنى قوله لتضمنه معنى
نبتم اي انه مشتمل عليه غاية ما فيه انه حذفت زوايده قال القرطبي وقال الخليل والزجاج انه محمول على المعنى لان معنى انبتكم
جعلكم تنبتون نباتا وقيل معناه انبت لكم من الارض النبات فنباتا على هذا نصب على المفعول الصريح والاول اظهر قال ابن بحر
انبتهم في الارض بالكبر بعد الصغر وبالطول بعد القصر ثم يعيدكم فيها اي عند موتكم بالدفن ويخرجكم اخراجا بالنشور
والبعث يوم القيمة والانبات هنا استعارة بليغة قيل المراد انبت اباكم وقيل المراد انبت الكل لانهم من النطفة وهي من الاغذية
التي اصلها الارض وهذا كالتفسير لقوله خلقكم اطوارا ثم قال يعيدكم فيها ويخرجكم اخراجا وهذا اشارة الى الطريقة المعهودة في
القران من انه تعالى لما كان قادرا على الابتدا فهو ايضا قادر على الاعادة وقوله ويخرجكم اخراجا اكد بالمصدر بانه قال يخرجكم
ايضا لا محالة **قوله تعالى** والله جعل لكم الارض بساطا اي مبسوطة لتسلكوا منها سبلا فجاجا اي طرقا واسعة والسبل الطرق
والفجاج جمع فج وهو الطريق الواسعة قاله الفرا وقيل الفج المسلك بين الجبلين وفي الانبيا قدم الفجاج لتناسب الفواصل
وقد تقدم الكلام على ذلك **قوله تعالى** قال نوح رب انهم عصوني واتبعوا من لم يزده ماله وولده الا خسارا ذكروا لانهم
عصوه ثم ذكر انهم ضموا الى عصيانه طاعة روسايهم الذين يدعونهم الى الكفر وانما زادتهم اولادهم واموالهم خسارا
لانهم سبب لخسارة الاخرة والدنيا في جنب الاخرة كالعدم فاذا خسرت الاخرة بسببها كانت كاللقمة من الحلوى مسمومة
فلذلك قال جماعة ليس لله على الكافر نعمة وانما هي استدراج للعذاب قال المفسرون لبث فيهم نوح عليه السلام كما اخبر الله
تعالى الف سنة الا خمسين عاما داعيا لهم وهم على كفرهم وعصيانهم قال ابن عباس دعا نوح الابنا بعد الابا فكان
الابا ياتوا باولادهم على كفرهم وعصيانهم الى نوح عليه السلام ويقولون لابنائهم اياكم وان تطيعوا هذا الشيخ فيما
يامركم به حتى بلغوا سبع قرون ثم دعا عليهم بعد الاياس منهم وعاش بعد الطوفان ستين عاما كثر الناس وفشوا قال الحسن
كان قوم نوح يزرعون في الشهر مرتين حكاه الماوردي **قوله تعالى** وولده قرا اهل المدينة والشام وعاصم وولده
بفتح اللام والواو والباقون وولده بضم الواو وسكون اللام وقد تقدم انهما لغتان كبخل وبخل قال ابو حيان ثم
ويمكن ان يكون المضموم جمع المفتوح كخشب وخشب وانشد حسان • يا بكر امنة المبارك ولدها من ولد محصنة بسعد الاشعر
قوله تعالى ومكروا عطف على صلة من لان المتبوعين هم الذين مكروا وقالوا للاتباع لا تذرن وانما جمع الضمير حملا
على المعنى بعد حمله على لفظها في لم يزده ماله وولده ويجوز ان تكون مستانفا اخبارا عن الكفار **قوله تعالى** كبارا
العامة على ضم الكاف وتشديد البا وهو بنا مبالغة ابلغ من كبار بالضم والتخفيف قال عيسى هي لغة يمانية وانشد
والمرء يلحقه بمعسان الندى • خلق الكريم وليس بالوضاء • وقول الاخر • بيضاء تصطاد القلوب وتستبي •
بالحسن قلب المسلم القراء • ويقال رجل طوال وجمال وحسان وعظيم وعظام • وقرا عيسى وابو السمال
وابن محيصن وحميد ومجاهد بالضم والتخفيف وهو بنا مبالغة ايضا دون الاول وقرا زيد بن علي وابن محيصن
ايضا بكسر الكاف وتخفيف البا قال ابو بكر هو جمع كبير فانه جعل مكرا مكان ذنوب او افاعيل يعني فلذلك وصفه
بالجمع **فصل** قيل مكرهم هو تحريشهم سفلتهم على قتل نوح وقيل هو تغريرهم الناس بما اوتوا
من الدنيا والولد حتى قالت الضعفة لولا انهم على الحق لما اوتوا هذه النعم وقال الكلبي هو ما جعلوه لله من الصاحبة

والولد حتى قالت الضعفة لولا انهم على الحق لما اوتوا هذه النعم وقال الكلبي هو ما جعلوه لله من الصاحبة والولد وهذا
بعيد لان هذا انما قالته النصارى وهم بعد قوم نوح بازمان متطاولة وقال مقاتل هو قول كبرايهم لاتباعهم لا تذرن
الهتكم ولا تذرن ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا فمنعوا القوم عن التوحيد وامروهم بالشرك واعلم انه لما كان
التوحيد اعظم المراتب لا جرم كان المنع منه اعظم الكباير فلهذا وصفه الله تعالى بانه كبار وعلى عبادتها لانها معبود اباهم فلو قبلتم
قول نوح لاعترفتم على انفسكم بانكم كنتم جاهلين ضالين وعلى ابايكم بانهم كانوا كذلك ولما كان اعتراف الانسان على نفسه وعلى اسلافه
بالقصور والنقص والجهل بهذه الكلمة وهي لفظة الهتكم وصرفهم عن الدين فلهذه الحيلة الخفية سمى الله كلامهم مكرا الثاني انه تعالى
حكى عن المتبوعين انهم كان لهم مال وولد فلعلهم قالوا للاتباع ان الهتكم خير من اله نوح لان الهتكم خير من اله نوح لان الهتكم يعطونكم
المال والولد واله نوح لا يعطيه شيا لفقره فهذا المكر عظامة نوح وهو مثل مكر فرعون اذ قال اليس لي ملك مصر وقوله انا خير من هذا
الذي هو مهين ولا يكاد يبين فلولا القي عليه اساورة من ذهب **قوله تعالى** ولا تذرن ودا ولا سواعا يجوز ان يكون من عطف
الخاص على العام ان قيل ان هذه الاسما لاصنام وان لا يكون ان قيل انها اسما رجال صالحين على ما ذكره المفسرون وقرا نافع ودا
بضم الواو والباقون بفتحها وانشد بالوجهين قال الشاعر • حياك ود فانا لا يحل لنا لهو النسا وان الدين قد عزما •
وقول الاخر • فحياك ود من هداك لفتية • وخوص باعلا ذي فضالة منجد • قال القرطبي قال الليث ود بفتح الواو صنم كان لقوم
نوح وود بالضم صنم لقريش وبه سمي عمرو بن ود وفي الصحاح والود بالفتح الوتد في لغة اهل نجد كانهم سكنوا التا وادغموها
في الدال والود في قول امري القيس • تظهر الود اذا ما اشجذت • ويواريه اذا ما يعتكر • قال ابن دريد هو اسم جبل وود صنم كان
لقوم نوح عليه السلام ثم صار لكلب وكان بدومة الجندل ومنه سموا عبد ود **قوله تعالى** ولا يغوث ويعوق قراهما العامة بغير تنوين
فان كانا عربيين فالمنع من الصرف للعلمية والوزن وان كانا اعجميين فللعجمة والعلمية وقرا الاعمش ولا يغوثا ويعوقا مصروفين
قال ابن عطية وذلك وهم لان التعريف لازم ووزن الفعل انتهى قال شهاب الدين وليس بوهم لامرين احدهما انه صرفهما للتناسب
اذ قبله اسمان مصروفان وبعده اسم منصرف كما صرف سلاسل والثاني انه جا على لغة من يصرف غير المنصرف مطلقا وهي لغة
حكاها الكسايي ونقل ابو الفضل الصرف فيهما عن الاشهب العقيلي ثم قال جعلهما فعولا فلذلك صرفهما فاما في العامة فانهما
صفتان من الغوث والعوق قال شهاب الدين وهذا كلام مشكل اما قوله فعولا فليس بصحيح اذ مادة يغث ويعق مفقودة واما
قوله صفتان من الغوث والعوق فليس في الصفات ولا في الاسما يفعل والصحيح ما قدمته وقال الزمخشري وهذه قراءة
مشكلة لانهما ان كانا عربيين او عجميين ففيهما منع الصرف ولعله وجد الازدواج فصرفهما لمصادفته اخواتهما منصرفات
ودا وسواعا ونسرا كما قرى وضحاها بالامالة لوقوعه مع الممالات للازدواج قال ابو حيان كانه لم يطلع على ان صرف ما لم
ينصرف لغة **فصل** قال ابن عباس وغيره هي اصنام وصور كان قوم نوح يعبدونها ثم عبدتها العرب وهذا
قول الجمهور وقيل انها للعرب لم يعبدها غيرهم وكانت اكبر اصنامهم واعظمها عندهم فلذلك خصوا بالذكر بعد قوله لا تذرن
الهتكم ولا تذرن ودا ولا سواعا وقال عروة بن الزبير اشتكى ادم عليه السلام وعنده بنوه ود وسواع ويغوث ويعوق ونسر
وكان ود اكبرهم وابرهم به قال محمد بن كعب كان لادم خمس بنين ود وسواع ويغوث ويعوق ونسر وكانوا عبادا فمات رجل منهم
فحزنوا عليه فقال الشيطان انا اصور لكم مثله اذا نظرتم اليه ذكرتموه قالوا افعل فصوره في المسجد من صفر ورصاص ثم مات
اخر فصوره حتى ماتوا كلهم وصورهم وتناقصت الاشيا كما ينتقص اليوم الى ان تركوا عبادة الله تعالى بعد حين فقال لهم الشيطان
ما لكم لا تعبدون شيا قالوا وما نعبد قال الهتكم والهة ابايكم الا ترونها في مصلاكم فعبدوها من دون الله حتى بعث الله
نوحا فقالوا لا تذرن الهتكم ولا تذرن ودا ولا سواعا الاية وقال محمد بن كعب ايضا ومحمد بن قيس بل كانوا قوما صالحين بين ادم
ونوح وكان لهم اتباع يقتدون بهم فلما ماتوا زين لهم ابليس ان يصوروا صورهم ليتذكروا بها اجتهادهم وليتسلوا بالنظر اليها
فصوروهم فلما ماتوا هم وجا اخرون قالوا ليت شعري ما هذه الصور التي كان يعبدها اباونا فجاءهم الشيطان فقال
كان اباوكم يعبدونها فترحمهم وتسقيهم المطر فعبدوها فابتدي عبادة الاوثان من ذلك الوقت وهذا المعنى فسر ما
جا في الصحيحين من حديث عايشة ان ام حبيبة وام سلمة ذكرتا كنيسة راتاها بارض الحبشة تسمى مارية فيها تصاوير
لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اوليك كان اذا مات فيهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجدا
ثم صوروا فيه تلك الصور اوليك شرار الخلق عند الله يوم القيمة وذكر الثعلبي عن ابن عباس ان هذه الاصنام اسما رجال صالحين
من قوم نوح فلما هلكوا اوحى الشيطان الى قومهم ان ينصبوا في مجالسهم انصابا وسموها باسمايهم وهذا بعيد لان نوحا
عليه السلام هو الامر لهم بتركها وذلك يدل على انهم كانوا قبل نوح حتى ارسل نوح اليهم وروي عن ابن عباس ان نوحا عليه السلام
كان يحرس جسد ادم عليه السلام على جبل الهند فيمنع الكافرين ان يطوفوا على قبره فقال لهم الشيطان ان هولاء يفخرون
ويزعمون انهم بنو ادم دونكم وانما هو جسد وانا اصور لكم مثله تطوفون به فصور لهم هذه الاصنام الخمسة وحملهم على

عبادتها فلما كان ايام الطوفان دفنها الطين والتراب والماء فلم تزل مدفونة حتى اخرجها الشيطان لمشركي العرب وكانت للعرب
اصنام اخر فاللات كانت لقديد واساف ونايلة وهبل لاهل مكة قال الماوردي فاما ود فهو اول صنم معبود سمي ودا لودهم له
وكان بعد قوم نوح لكلب بدومة الجندل في قول ابن عباس وعطا ومقاتل وفيه يقول شاعرهم • حياك ود فانا لا يحل لنا
لهو النسا وان الدين قد عزما • واما سواع فكان لهذيل بساحل البحر في قولهم وقال ابن الخطيب وسواع لهمدان واما يغوث فكان
لغطيف من مراد بالجرف من سبا في قول قتادة وقال المهدوي لمراد ثم لغطفان وقال الثعلبي واتخذت اعلى وانعم وهما من طي واهل جرش
من مذحج يغوث فذهبوا به الى مراد فعبدوه زمانا ثم ان بني ناجية ارادوا نزعه من انعم ففروا به الى الحصين اخي بني الحارث بن كعب
من خزاعة وقال ابو عثمان النهدي رايت يغوث وكان من رصاص وكانوا يحملونه على جمل اجرد ويسيرون معه لا يهيجونه حتى يكون هو الذي يبرك
بنفسه فاذا برك نزلوا وقالوا قد رضي لكم المنزل فيضربون عليه بناء وينزلون حوله واما يعوق فكان لكهلان من سبا
ثم توارثه بنوه الاكبر حتى صار في همدان وفيه يقول مالك الهمداني • يريش الله في الدنيا ويبري • ولا يبري يعوق ولا يريش •
وقيل كان يعوق لمراد واما نسر فكان لذي الكلاع من حمير في قول قتادة ومقاتل وقال الواقدي كان ود على صورة رجل وسواع
على صورة امراة ويغوث على صورة اسد ويعوق على صورة فرس ونسر على صورة نسر من الطير والله اعلم **قوله تعالى** وقد
اضلوا اي الروسا فهو عطف على قوله ومكروا مكرا كبارا او الاصنام وجمعهم جمع العقلا معاملة لهم معاملة العقلا كقوله رب انهن
اضللن كثيرا من الناس **قوله تعالى** ولا تزد الظالمين عطف على قوله رب انهم عصوني على حكاية كلام نوح بعد قال وبعد الواو النائبة
عنه اي قال انهم عصوني وقال لا تزد اي قال هذين القولين فهما في محل النصب قاله الزمخشري قال كقولك قال زيد نودي
للصلوة وصلي في المسجد يحكي قوليه معطوفا احدهما على صاحبه وقال ابو حيان ولا تزد معطوف على قد اضلوا لانها محكية
بقال مضمرة ولا يشترط التناسب في الجمل المتعاطفة بل يعطف خبرا على طلب وبالعكس خلافا لمن اشترط **فصل**
معنى قوله الا ضلالا قال ابن بحر الا عذابا لقوله تعالى ان المجرمين في ضلال وسعر وقيل الا خسرانا وقيل الا فتنة بالمال
قوله تعالى مما خطاياهم ما مزيدة بين الجار والمجرور توكيدا ومن لم يرد زيادتها جعلها نكرة وجعل خطاياهم بدلا وفيه تعسف
وتقدم الخلاف في قراءة خطاياهم في الاعراف وقرا ابو رجا خطياتهم جمع سلامة الا انه ادغم اليا في اليا المنقلبة عن الهمزة وقال
ابو عمرو قوم كفروا الف سنة فلم يكن لهم الا خطيات يريد ان الخطايا اكثر من الخطيات وقال قوم خطايا وخطيات واحد جمعان
مستعملان في القلة والكثرة واستدلوا بقوله تعالى ما نفدت كلمات الله وقال الشاعر • لنا الجفنات الغر يلمعن بالضحى •
واسيافنا يقطرن من نجدة دما • وقرا الجحدري وروي عن ابي خطيتهم بالافراد والهمز وقرا عبد الله من خطياتهم ما اغرقوا
فجعل ما المزيدة بين الفعل وما يتعلق به ومن للسببية تتعلق باغرقوا وقال ابن عطية لابتدا الغاية وليس بواضح وقرا العامة
اغرقوا من اغرق وزيد بن علي بالتشديد وكلاهما للنقل تقول اغرقت زيدا في الماء وغرقته فيه **فصل** قال ابن
الخطيب دل قوله اغرقوا فادخلوا نارا على اثبات عذاب القبر لانه يدل على انه حصلت تلك الحالة عقيب الاغراق ولا يمكن حملها
على عذاب الاخرة والا بطلت دلالة هذه الفا وايضا فقوله فادخلوا يدل على الاخبار عن الماضي وهذا انما يصدق لو وقع ذلك
وقال مقاتل والكلبي معناه انهم سيدخلونها اي في الاخرة نارا ثم عبر عن المستقبل بلفظ الماضي لصدق وقوع وعده كقوله ونادى
اصحاب الجنة قال ابن الخطيب وهذا ترك للظاهر من غير دليل فان قيل انما تركنا الظاهر لدليل وهو ان من مات في الما فانا نشاهده
هناك فكيف يمكن ان يقال انهم في تلك الساعة دخلوا نارا فالجواب ان هذا الاشكال انما جا لاعتقاد ان الانسان هو مجموع
هذا الهيكل وهذا خطا لان هذا الانسان هو الذي كان موجودا من اول عمره مع انه كان صغير الجثة في اول عمره ثم ان اجزاءه دائما
في التحلل والذوبان ومعلوم ان الباقي غير ما يذهب فهذا الانسان عبارة عن ذلك الشي الذي هو باق من اول عمره الى الان
فلم لا يجوز ان يقال انه تعالى نقل الاجزاء الاصلية الباقية التي للانسان عبارة عنها الى النار والى العذاب ونقل القرطبي عن القشيري
انه قال هذه الاية تدل على عذاب القبر ومنكروه يقولون صاروا مستحقين دخول النار وعرضوا عليها اماكنهم من النار كقوله تعالى
النار يعرضون عليها غدوا وعشيا وقيل اشارة الى ما في الخبر من قوله البحر نار في نار وروى ابو روق عن الضحاك في قوله تعالى
اغرقوا فادخلوا نارا قال يعني عذبوا بالنار في الدنيا في حالة واحدة كانوا يغرقون في جانب ويحترقون في الماء من جانب ذكره
الثعلبي وانشد ابن الانباري • الخلق مجتمع طورا ومفترق • والحادثات فنون ذات اطوار • لا تعجبن لاضداد قد اجتمعت •
فالله يجمع بين الماء والنار • قال المهدوي فادخلوا يجوز ان يكون من التعبير عن المستقبل بالماضي لتحقق وقوعه كقوله اتى امر الله
وان يكون على بابه والمراد عرضهم على النار في قبورهم لقوله في ال فرعون النار يعرضون عليها غدوا وعشيا **قوله تعالى** فلم يجدوا
لهم من دون الله انصارا اي من يدفع عنهم العذاب وهذا يدل على انهم انما عبدوا تلك الاصنام ليدفع عنهم الافات ويجلب المنافع
اليهم فلما جاءهم العذاب لم ينفعوا بتلك الاصنام ولم يدفعوا عنهم العذاب وهو كقوله تعالى ام لهم الهة تمنعهم من دوننا **قوله تعالى**
وقال نوح رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا قال الزمخشري ديار من الاسماء المستعملة في النفي العام يقال ما بالدار ديار وديور

كقيام وقيوم وهو فيعال من الدور او من الدار اصله ديوار ففعل به ما فعل باصل سيد وميت ولو كان فعالا لكان دوارا انتهى يعني انه كان ينبغي ان تصح واوه ولا تقلب ياء وهذا نظير ما تقدم له من البحث في متحيز وان اصله متحيوز
ستفعل لا متفعل اذ كان يلزم ان يكون متحوزا لانه من الحوز ويقال فيه ايضا دوار نحو قيام وقوام وقال مكي واصله
ديوار ثم ادغموا الواو في اليا مثل ميت اصله ميوت ثم ادغموا الثاني في الاول ويجوز ان يكون ابدلوا من الواو يا ثم ادغموا
اليا الاولى في الثانية قال شهاب الدين قوله ادغموا الثاني في الاول هذا لا يجوز اذ القاعدة المستقرة في المتقاربين قلب الاول للثاني
ولا يجوز العكس الا شذوذا او لضرورة صناعية اما الشذوذ فكقراءة واذكر بالذال المعجمة وقد تقدم في مدكر بالمعجمة ايضا وقد
مضى تحقيقه واما الضرورة الصناعية فنحو امدح هلالا تقلب الهاء حاء لئلا يدغم الاقوى في الاضعف وهذا يعرفه
من عاني التصريف والديار نازل الدار يقال ما بالدار ديار وقيل الديار صاحب الدار وقال البغوي الديار يعني احدا
يدور في الارض فيذهب ويجي فيعال من الدوران **فصل** لما ايس نوح من اتباعهم اياه دعا عليهم قال قتادة دعا
عليهم بعد ان اوحى الله اليه انه لن يؤمن من قومك الا من قد امن فاجاب الله دعوته واغرق امته وهذا كقول النبي صلى الله عليه
وسلم اللهم منزل الكتاب وهازم الاحزاب اهزمهم وزلزلهم وقيل سبب دعائه ان رجلا من قومه حمل ولدا صغيرا على كتفه فمر
بنوح فقال احذر هذا فانه يضلك فقال يا ابت انزلني فانزله فرماه فشجه فحينئذ غضب ودعا عليهم وقال محمد بن كعب
ومقاتل والربيع وعطية وابن زيد انما قال هذا حين اخرج الله كل مؤمن من اصلابهم وارحام نسائهم واعقم ارحام امهاتهم
وايبس اصلاب رجالهم قبل العذاب باربعين سنة وقيل بسبعين سنة فاخبر الله نوحا انهم لا يؤمنون ولا يلدون مؤمنا
كما قال تعالى انه لن يؤمن من قومك الا من قد امن فحينئذ دعا عليهم نوح فاجاب الله دعاءه واهلكهم كلهم ولم يكن فيهم صبي
وقت العذاب لان الله تعالى قال وقوم نوح لما كذبوا الرسل اغرقناهم ولم يوجد التكذيب من الاطفال **فصل**
قال ابن العربي دعا نوح على الكافرين اجمعين ودعا النبي صلى الله عليه وسلم على من تحزب على المؤمنين والب عليهم وكان هذا
اصلا في الدعا على الكافرين في الجملة فاما كافر معين لم تعلم خاتمته فلا يدعى عليه لان مآله عندنا مجهول وربما كان عند الله
معلوم الخاتمة بالسعادة وانما خص النبي صلى الله عليه وسلم بالدعا عتبة وشيبة واصحابه لعلمه بمآلهم وما كشف له من الغطا
عن حالهم والله اعلم **قوله تعالى** رب اغفر لي ولوالدي العامة على فتح الدال على انه تثنية والد يريد ابويه واسم ابيه لمك بن متوشلخ
واسم امه سمحا بنت انوش وكانا مؤمنين وحكى الماوردي ان اسم امه منجل وقرا الحسين بن علي رضي الله عنهما ويحيى بن يعمر والنخعي ولولدي
تثنية ولد يعني ابنيه ساما وحاما وقرا ابن جبير والجحدري ولوالدي بكسر الدال يعني اباه فيجوز ان يكون اراد اباه الاقرب
الذي ولده وخصه بالذكر لانه اشرف من الام وان يريد جميع من ولده من لدن ادم الى من ولده قال الكلبي كان بينه وبين ادم
عشرة اباكلهم مؤمن وذكر القرطبي عن ابن عباس قال لم يكن لنوح والد فيما بينه وبين ادم عليهما السلام **قوله تعالى** ولمن دخل
بيتي مؤمنا قال ابن عباس اي مسجدي ومصلاي مؤمنا اي مصدقا بالله مؤمنا حال وكان انما يدخل بيوت الانبيا من امن بهم فجعل
المسجد سببا للدعا بالمغفرة وقيل المراد بقوله بيتي اي سفينتي وعن ابن عباس اي دخل في ديني فان قيل فعلى هذا يصير
قوله مؤمنا مكررا فالجواب ان من يدخل في دينه ظاهرا قد يكون مؤمنا وقد لا يكون فالمعنى ولمن دخل دخولا مع تصديق
القلب **قوله تعالى** وللمؤمنين والمؤمنات خص نفسه اولا بالدعاء ثم المتصلين به لانهم اولى واحق بدعائه ثم عم المؤمنين
والمؤمنات الى يوم القيمة قاله الضحاك وقال الكلبي من امة محمد صلى الله عليه وسلم وقيل من قومه والاول اظهر ثم ختم الكلام
مرة اخرى بالدعاء على الكافرين فقال ولا تزد الظالمين الا تبارا اي هلاكا ودمارا والمراد بالظالمين اي الكافرين فهي عامة
في كل كافر ومشرك وقيل اراد مشركي قومه وتبارا مفعول ثان والاستثنا مفرغ وتقدم الكلام في التبار وكل شي اهلك
فقد تبر ومنه قوله ان هؤلاء متبر ما هم فيه وقيل التبار الخسران قال المفسرون فاستجاب الله دعاءه فاهلكهم روى الثعلبي
عن ابي بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة نوح كان من المؤمنين الذين تدركهم دعوة نوح عليه السلام

سورة الجن مكية

وهي ثمان وعشرون اية ومايتان وخمس وثمانون كلمة وثمانماية وسبعون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم **قوله تعالى**
قل اوحي هذه قراءة العامة اعني كونها من اوحى رباعيا وقرا العتكي عن ابي عمرو وابن ابي عبلة وابو اياس وحي ثلاثيا وهما لغتان
يقال وحى اليه كذا واوحاه اليه بمعنى واحد فقلبت الواو همزة ومنه قوله تعالى واذا الرسل اقتت وانشد للعجاج قوله •
وحى لها القرار فاستقرت • وقرا زيد بن علي والكسائي في رواية وابن ابي عبلة ايضا احي بهمزة مضمومة لا واو بعدها

وخرجت على ان الهمزة بدل من الواو المضمومة نحو اعد في وعد فهذه فرع قراءة وحي الاينا قال الزمخشري وهو من
القلب المطلق جوازه في كل واو مضمومة وقد اطلقه المازني في المكسورة ايضا كاشاح واساد واعا احيه قال ابو حيان وليس
كما ذكر بل في ذلك تفصيل وذلك ان الواو المضمومة قد يكون اولا وحشوا واخرا ولكل منها احكام وفي بعض ذلك خلاف
وتفصيل مذكور في كتب النحو وتقدم الكلام في ذلك مشبعا في اول هذا الكتاب ثم قال ابو حيان بعد ما تقدم عن المازني
وهذا تكثير وتبجح **قوله تعالى** انه استمع نفر هذا هو القايم مقام الفاعل لانه هو المفعول الصريح وعند الكوفيين والاخفش
يجوز ان يكون القايم مقامه الجار والمجرور فيكون هذا باقيا على نصبه والتقدير اوحي الي استماع نفر ومن الجن صفة لنفر
فصل قال ابن عباس وغيره قل يا محمد لامتك اوحي الي على لسان جبريل انه استمع نفر من الجن والنفر الجماعة ما بين الثلاثة
الى العشرة واختلفوا هل راهم النبي صلى الله عليه وسلم ام لا فظاهر القران وفي صحيح مسلم والترمذي عن ابن عباس قال انطلق
رسول الله صلى الله عليه وسلم في طايفة من اصحابه عامدين الى سوق عكاظ وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء وارسل
عليهم الشهب فرجعت الشياطين الى قومهم فقالوا ما لكم قالوا حيل بيننا وبين خبر السما وارسلت علينا الشهب قالوا ما ذاك الا من شيء
حدث فاضربوا مشارق الارض ومغاربها فانظروا في هذا الذي حال بيننا وبين خبر السما فانطلقوا يضربون مشارق الارض
ومغاربها فمر النفر الذين اخذوا نحو تهامة وهو واصحابه بنخلة قاصدين الى سوق عكاظ وهو يصلي باصحابه صلاة الفجر فلما
سمعوا القران استمعوا له قالوا هذا الذي حال بيننا وبين خبر السما فرجعوا الى قومهم فقالوا يا قومنا انا سمعنا قرانا عجبا يهدي الى
الرشد فامنا به ولن نشرك بربنا احدا فانزل الله على نبيه المصطفى صلى الله عليه وسلم قل اوحي الي انه استمع نفر من الجن الاية
قال القرطبي وفي هذا الحديث دليل على انه صلى الله عليه وسلم لم ير الجن ولكن حضروه وسمعوا قراءته فان قيل الذين رموا بالشهب
هم الشياطين والذين سمعوا القران هم الجن فما وجه الجمع فالجواب من وجهين الاول ان الجن كانوا مع الشياطين فلما رمي الشياطين
اخذوا الجن الذين كانوا معهم في تجسس الخبر الثاني ان الذين رموا بالشهب كانوا من الجن الا انه قيل لهم شياطين كما قيل شياطين
الانس والجن فان الشيطان كل متمرد وبعيد من طاعة الله تعالى قال ابن الخطيب رحمه الله واختلفوا في اوليك الجن الذين سمعوا القران
من هم فروى عاصم عن ذر قال قدم رهط زوبعة واصحابه على النبي صلى الله عليه وسلم ثم انصرفوا فذلك قوله تعالى واذ
صرفنا اليك نفرا من الجن يستمعون القران وقيل كانوا من الشيصبان وهم اكثر الجن عددا وعامة جنود ابليس منهم وقيل كانوا سبعة
ثلاثة من اهل حران واربعة من اهل نصيبين قرية باليمن غير التي بالعراق رواه ايضا عنهم عاصم عن ذر وقيل ان الجن الذي
اتوه بمكة جن نصيبين والذين اتوه بنخلة جن نينوى وقال عكرمة كانوا اثني عشر الفا من جزيرة الموصل ومن مذهب ابن مسعود
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال امرت ان اتلو القران على الجن فمن يذهب معي فسكتوا ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم الثانية
فسكتوا ثم قال صلى الله عليه وسلم الثالثة فقلت انا اذهب معك يا رسول الله قال فانطلق حتى اذا جاء الحجون عند شعب ابي
دب خط علي خطا فقال لا تجاوزه ثم مضى الى الحجون فانحدروا عليه امثال الحجل كانهم رجال الزط قال ابن الاثير في النهاية
الزط قوم من السودان والهنود يقرعون في دفوفهم كما تقرع النسوة في دفوفها حتى غشوه فغاب عن بصري فقمت فاومى
بيده الي ان اجلس ثم تلا القران صلى الله عليه وسلم فلم يزل صوته يرتفع ولصقوا بالارض حتى صرت لا اراهم وفي رواية
اخرى قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم من انت قال صلى الله عليه وسلم انا نبي قالوا فمن يشهد لك على ذلك فقال الحبيب
المجتبى صلى الله عليه وسلم هذه الشجرة تعالي يا شجرة فجاءت تجر عروقها لها قعاقع حتى انتصبت بين يديه صلى الله عليه
وسلم فقال على ماذا تشهدين قالت اشهد انك رسول الله صلى الله عليك وسلم اذهبي فرجعت كما جاءت حتى صارت
كما كانت قال ابن مسعود رضي الله عنه فلما عاد الي قال اردت ان تاتيني قلت نعم يا رسول الله ما كان ذلك لك قال هولاء الجن
اتوا يستمعون القران ثم ولوا الى قومهم منذرين فسالوني الزاد فزودتهم العظم والبعر فلا يستنجين احدكم بعظم ولا بعر
وفي رواية انه صلى الله عليه وسلم لما فرغ وضع راسه صلى الله عليه وسلم على حجر ابن مسعود رضي الله عنه فرقد ثم استيقظ
صلى الله عليه وسلم فقال هل من وضوء قال لا الا ان معي اداوة نبيذ فقال صلى الله عليه وسلم هل هو الا تمر وماء فتوضا
منه قال ابن الخطيب طريق الجمع بين مذهب ابن عباس ومذهب ابن مسعود من وجوه احدها لعل ما ذكره ابن عباس وقع اولا
فاوحى الله تعالى بهذه السورة ثم امر بالخروج اليهم بعد ذلك كما روى ابن مسعود رضي الله عنهما وثانيها ان بتقدير ان تكون
واقعة الجن مرة واحدة الا انه صلى الله عليه وسلم ما راهم وما عرف انهم ماذا قالوا واي شيء فعلوا والله تعالى اوحى اليه انه كان
كذا وكذا وقالوا كذا وثالثها انا لو فرضنا كانت مرة واحدة وهو صلى الله عليه وسلم راهم وسمع كلامهم وهم امنوا به
ثم رجعوا الى قومهم قالوا لقومهم على سبيل الحكاية انا سمعنا قرانا عجبا وكان كذا وكذا فاوحى الله تعالى الى محمد صلى الله عليه وسلم
ما قالوا لاقوامهم قال ابن العربي وابن مسعود اعرف من ابن عباس لانه شاهده وابن عباس سمعه وليس الخبر كالمعاينة قال العز

وقيل ان الجن اتوا النبي صلى الله عليه وسلم دفعتين احداهما بمكة وهي التي ذكرها ابن عباس قال البيهقي الذي حكاه
عبد الله انما هو في اول ما سمعت الجن قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم بحاله وفي ذلك الوقت لم يقرا عليهم ولم يرهم
كما حكاه عبد الله ابن عباس ثم اتاه داعي الجن مرة اخرى فذهب معه وقرا عليهم القران كما حكاه عبد الله بن مسعود **فصل**
قال ابن الخطيب اعلم ان قوله تعالى امر لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان يظهر لاصحابه رضي الله عنهم ما اوحى الله تعالى
اليه في واقعة الجن وفيه فوايد احدها ان يعرفوا بذلك انه صلى الله عليه وسلم بعث الى الجن كما بعث الى الانس وثانيها ان تعلم
قريش ان الجن مع تمردهم لما سمعوا القران عرفوا اعجازه فامنوا بالرسول صلى الله عليه وسلم وثالثها ان تعلم القوم ان الجن
مكلفون كالانس ورابعها ان تعلم ان الجن يسمعون كلامنا ويفهمون لغتنا وخامسها ان يظهر المومن منهم بدعوة غيره
من الجن الى الايمان وفي هذه الوجوه مصالح كثيرة اذا عرفها الناس اختلف العلماء في اصل الجن فروى الحسن البصري ان الجن
ولد ابليس والانس ولد ادم صلوات الله عليه ومن هولاء وهولاء مومنون وكافرون وهم شركاء في الثواب والعقاب
فمن كان من هولاء وهولاء كافر فهو شيطان روى الضحاك عن ابن عباس ان الجن هم ولد الجان وليسوا شياطين ومنهم المومن
ومنهم الكافر والشياطين هم ولد ابليس لا يموتون الا مع ابليس وروي ان ذلك النفر كانوا يهودا وذكر الحسن ان منهم يهودا
ونصارى ومجوسا ومشركين **فصل** اختلفوا في دخول الجن الجنة على حسب الاختلاف في اصلهم فمن زعم انهم من الجان
لا من ذرية ابليس قال يدخلون الجنة بايمانهم ومن قال انهم من ذرية ابليس فلهم فيه قولان احدهما وهو قول الحسن يدخلونها
الثاني وهو قول مجاهد لا يدخلونها **فصل** قال القرطبي وقد انكر جماعة من كفرة الاطباء والفلاسفة الجن وقالوا
انهم بسايط ولا يصح طعامهم اجترا على الله والقران والسنة ترد عليهم وليس في المخلوقات بسايط مركب من زوج انما الواحد
الواحد سبحانه وغيره واحد مركب ليس بواحد فكيف ما تعو حاله وليس يمتنع ان يراهم النبي صلى الله عليه وسلم في صورهم
كما يرى الملايكة واكثر ما يتصورون لنا في صور الحيات ففي الحديث ان رجلا حديث عهد بعرس استاذن رسول الله صلى الله
عليه وسلم بانصاف النهار ان يرجع الى اهله الحديث وفيه اذا حية عظيمة مطوية على الفراش فاهوى اليها بالرمح فانتظمها
وذكر الحديث وفي الحديث انه صلى الله عليه وسلم قال ان لهذه البيوت عوامر فاذا رايتم منها شيا فاحرجوا عليها ثلاثا
فان ذهب والا فاقتلوه فانه كافر وقال اذهبوا فادفنوا صاحبكم وذهب قوم الى ان ذلك مخصوص بالمدينة كقوله
في الصحيح ان بالمدينة جنا قد اسلموا وهذا لفظ مختص بها فيختص بحكمها قال القرطبي قلنا هذا يدل على ان غيرها من البيوت
مثلها لانه لم يعلل بحرمة المدينة فيكون ذلك الحكم مخصوصا بها وانما علل بالاسلام وذلك عام في غيرها الا ترى
قوله في الحديث مخبرا عن الجن الذي لقي وكانوا من جن الجزيرة ويعضد هذا قوله ونهى عن عوامر البيوت وهذا عام وقد نص في سورة
البقرة **قوله تعالى** انا سمعنا قرانا عجبا اي قالوا لقومهم حين رجعوا اليهم كقوله تعالى فلما قضي ولوا الى قومهم منذرين
ووصف القران بعجب اما على المبالغة اي خارجا عن حد اشكاله اما في فصاحة كلامه واما في بلاغة مواعظه او عجيبا
في عظم بركته او من انه لا يوجد مثله واما على حذف مضاف اي ذا عجب واما بمعنى اسم الفاعل اي معجب وقوله يهدي صفة
اخرى اي هاديا الى الرشد قرا العامة الرشد بضم وسكون وابن عامر بضمهما وعنه ايضا فتحهما وتقدم هذا في الاعراف
والمعنى يهدي الى الصواب وقيل الى التوحيد **قوله تعالى** فامنا به اي بالقران اي فاهتدينا به وصدقنا انه من عند
الله ولن نشرك بربنا احدا اي لا نرجع الى ابليس ولا نطيعه ولا نعود الى ما كنا عليه من الاشراك وهذا يدل على ان اوليك
الجن كانوا مشركين **قوله تعالى** وانه تعالى قرا الاخوان وابن عامر وحفص بفتحها وما عطف عليها بالواو في اثني عشر
كلمة والباقون بالكسر وقرا ابن عامر وابو بكر وانه لما قام بالكسر والباقون بالفتح واتفقوا على الفتح في قوله وان المساجد لله
وتلخيص هذا ان المشددة في هذه السورة على ثلاثة اقسام ليس معه واو العطف فهذا لا خلاف بين القراء في فتحه
او كسره على حسب ما جاءت به التلاوة واقتضتها العربية كقوله قل اوحي الي انه استمع نفر لا خلاف في فتحه لوقوعه
موقع المصدر وكقوله انا سمعنا قرانا عجبا لا خلاف في كسره لانه محكي بالقول القسم الثاني ان يقترن بالواو وهو اربع
عشرة كلمة احداها لا خلاف في فتحها وهو قوله وان المساجد لله وهذا هو القسم الثالث والثانية وانه لما قام بكسرها ابن
عامر وابو بكر وفتحها الباقون كما تقدم تحرير ذلك كله والاثنا عشر وهي قوله وانه تعالى جد ربنا وانه كان يقول وانا
ظننا وانه كان رجال وانهم ظنوا وانا لمسنا وانا كنا وانا لا ندري وانا منا الصالحون وانا ظننا وانا لما سمعنا وانا
منا المسلمون فهذا ضبطها من حيث القران واما توجيه ذلك فاختلف الناس فيه فقال ابو حاتم في الفتح هو معطوف
على مرفوع اوحي فتكون كلها في موضع رفع لما لم يسم فاعله ورد ذلك من حيث ان اكثرها لا يصح دخوله تحت معمول
اوحي الا ترى انه لو قيل اوحي الي انا لمسنا السماء وانا كنا وانا لا ندري وانا منا الصالحون وانا لما سمعنا وانا منا
المسلمون لم يستقم معناه وقال مكي وعطفان على امنا به اتم في المعنى من حيث العطف على انه استمع لانك لو عطفت وانا

ظننا وانا لما سمعنا وانه كان رجال من الانس وانا لمسنا وشبه ذلك على انه استمع لم يجز لانه ليس مما اوحي اليه انما هو
امر او خبر وانه عن انفسهم والكسر في هذا ابين وعليه جماعة من القرا الثاني ان الفتح في ذلك عطف على محل به من امنا به
قال الزمخشري كانه قال صدقناه وصدقنا انه تعالى جد ربنا وانه كان يقول سفيهنا وكذلك البواقي الا ان مكيا
ضعف هذا الوجه فقال والفتح في ذلك على الحملة على معنى امنا به فيه بعد في المعنى لانهم لم يخبروا انهم امنوا به ولم يخبروا
انهم امنوا بانهم لما سمعوا الهدى امنوا به ولم يخبروا انهم امنوا انه كان رجال انما حكى الله منهم انهم قالوا ذلك مخبرين به عن انفسهم
لاصحابهم فالكسر اولى بذلك وهذا الذي قاله غير لازم فان المعنى على ذلك صحيح وقد سبق الزمخشري الى هذا التخريج
الفرا والزجاج الا ان الفرا استشعر اشكالا وانفصل عنه فانه قال فتحت ان لوقوع الايمان عليها وانت تجد الايمان
يحسن في بعض ما فتح دون بعض فلا يمنع من امضائهن على الفتح فانه يحسن فيه ما يوجب ان من صدقنا وشهدنا
كما قالت العرب وزججن الحواجب والعيونا فنصب العيون لاتباعها الحواجب وهي لا تزجج انما تكحل فاضمر لها الكحل انتهى
فاشار الى شي مما ذكره واجاب عنه وقال الزجاج لكن وجهه ان يكون محمولا على معنى امنا به صدقناه وعلمناه فيكون
المعنى صدقنا انه تعالى جد ربنا الثالث انه معطوف على الهاء في به اي امنا وبانه تعالى جد ربنا وبانه كان يقول الى اخره وهو
مذهب الكوفيين وهو وان كان قويا من حيث المعنى الا انه ممنوع من حيث الصناعة لانه لا يعطف على الضمير المجرور الا باعادة الجار
وتقدم تحرير القولين في سورة البقرة عند قوله وكفر به والمسجد الحرام على ان مكيا قد قوى هذا المدرك اخر وهو حسن جدا
فقال هو في العطف على الضمير المجرور دون اعادة الجار في ان اجود منه في غيرها لكثرة حذف حرف الجر مع ان ووجه
الكسر العطف على قوله انا سمعنا فيكون الجميع معمولا للقول فقالوا انا سمعنا وقالوا انه تعالى جد ربنا الى اخره وقال بعضهم
الجملتان من قوله تعالى وانه كان رجال وانهم ظنوا معترضتان بين قول الجن وهما من كلام الباري تعالى والظاهر انهما من كلامهم
قاله بعضهم لبعض ووجه الكسر والفتح في قوله وانه لما قام عبد الله ما تقدم ووجه اجماعهم على فتح وان المساجد لله وجهان
احدهما انه معطوف على انه استمع فيكون موحى ايضا والثاني انه على حذف حرف الجر وذلك الحرف متعلق بفعل النهي اي فلا تدعوا
مع الله احدا لان المساجد لله ذكرهما ابو البقا وقال الزمخشري انه استمع بالفتح لانه فاعل اوحي وانا سمعنا بالكسر
لانه مبتدا محكي بعد القول ثم تحمل عليهما البواقي فما كان من الوحي فتح وما كان من قول الجن كسر وكلهن من قولهم الا الثنتين
الاخريين وهما وان المساجد وانه لما قام عبد الله ومن فتح كلهن فعطفا على محل الجار والمجرور في امنا به اي صدقناه
وصدقنا انه والهاء في انه استمع نفر وانه تعالى وما بعد ذلك ضمير الامر والشان وما بعده خبران قوله تعالى جد ربنا
قرا العامة جد ربنا بالفتح مضافا لربنا والمراد به هنا العظمة وقيل قدرته وامره وقيل ذكره والجد ايضا الحظ ومنه
قوله صلى الله عليه وسلم ولا ينفع ذا الجد منك الجد والجد ايضا ابو الاب والجد ايضا بالكسر ضد التواني في الامر وقرا
عكرمة بضم باء ربنا وتنوين جد على ان يكون ربنا بدلا من جد والجد العظيم كانه قيل وانه تعالى عظيم ربنا فابدل المعرفة
من النكرة وهنا ايضا جدا منصوبا منونا ربنا مرفوع ووجهه ذلك ان ينتصب جدا على التمييز وربنا فاعل بتعالى
وهو المنقول من الفاعلية اذا التقدير تعالى جد ربنا ثم صار تعالى ربنا جدا اي عظمة نحو تصبب زيد عرقا اي عرق زيد
وعنه ايضا وعن قتادة كذلك الا انه بكسر الجيم وفيه وجهان احدهما انه نعت لمصدر محذوف وربنا فاعل بتعالى
والتقدير تعالى ربنا تعاليا جدا اي حقا لا باطلا والجد بكسر الجيم ضد الهزل والثاني انه منصوب على الحال اي تعالى
ربنا حقيقة ومتمكنا قاله ابن عطية وقرا حميد بن قيس جد ربنا بضم الجيم مضافا لربنا وهو بمعنى العظيم حكاه سيبويه
وهو في الاصل من اضافة الصفة لموصوفها والاصل ربنا العظيم نحو جرد قطيفة الاصل قطيفة جرد وهو مؤول عند
البصريين وقرا ابن السميفع جدا ربنا بالف بعد الدال مضافا لربنا والجدا والجدوى النفع والعطا اي تعالى عطا ربنا
ونفعه **فصل** قال القرطبي الجد في اللغة العظمة والجلال ومنه قول انس رضي الله عنه كان الرجل اذا حفظ البقرة
وآل عمران جد في عيوننا اي عظم وجل فمعنى جد ربنا اي عظمته وجلاله قاله عكرمة ومجاهد وقتادة وعن مجاهد
ايضا ذكره وقال انس بن مالك والحسن وعكرمة ايضا غناه ومنه قيل الحظ ورجل مجدود اي محظوظ وفي الحديث
ولا ينفع ذا الجد منك الجد قال ابو عبيدة والخليل اي ذا الغنى منك الغنى انما ينفعه الطاعة وقال ابن عباس رضي الله
عنه قدرته وقال الضحاك فعله وقال القرطبي والضحاك الاؤه ونعماؤه على خلقه وقال ابو عبيدة والاخفش
ملكه وسلطانه وقال السدي امره وقال سعيد بن جبير وانه تعالى جد ربنا اي تعالى ربنا وقيل انهم عنوا بذلك الجد
الذي هو ابو الاب ويكون هذا من قول الجن وقال محمد بن علي بن الحسين وابنه جعفر الصادق والربيع ليس لله تعالى جد وانما
قالت الجن للجهالة فلم يوجدوه قال القشيري ويجوز اطلاق لفظ الجد في حق الله تعالى اذ لو لم يجز لما ذكر في القران غير
انه لفظ موهم فتجنبه اولى قال القرطبي ومعنى الاية وانه تعالى جلال ربنا ان يتخذ ولدا او صاحبة للاستيناس بهما

والحاجة

والحاجة اليهما والرب يتعالى عن ذلك كما تعالى عن الانداد والنظراء قوله عز وجل ما اتخذ صاحبة مستانف فيه تقرير
لتعالى جده **قوله تعالى** وانه كان يقول سفيهنا على الله شططا الهاء في انه للامر والحديث وسفيهنا يجوز ان يكون اسم
كان ويقول الخبر ولو كان مثل هذه الجملة غير واقعة خبرا لكان لامتنع تقديم الخبر حينئذ يجوز سفيهنا على التقديم
والتاخير لم يجز والفرق انه في غير باب كان تلتبس بالفعل والفاعل وفي باب كان يؤمن ذلك ويجوز ان يكون سفيهنا
فاعل يقول والجملة خبر كان واسمها ضمير الامر مستتر فيها وقد تقدم هذا في قوله ما كان يصنع فرعون وقومه وقوله
تعالى شططا تقدم مثله في الكهف قال القرطبي ويجوز ان يكون كان زائدة السفيه هو ابليس في قول مجاهد وابن جريج
وقتادة ورواه ابو بردة عن ابي موسى عن امه عن النبي صلى الله عليه وسلم وقيل المشركون من الجن قال قتادة عصاه
سفيه الجن كما عصاه سفيه الانس والشطط والاشطاط الغلو في الكفر وقال ابو مالك هو الجور وقال الكلبي هو الكذب
واصله البعد فيعبر به عن الجور لبعده من العدل وعن الكذب لبعده من الصدق قال الشاعر • بايه خال حكموا فيك فاشططوا
وما ذاك الا حيث يممك الوخط **قوله تعالى** وانا ظننا اي حسبنا ان لن تقول الانس والجن على الله كذبا ان مخففة
واسمها مضمر والجملة المنفية خبرها والفاصل هنا حرف النفي وكذبا مفعول به او نعت مصدر محذوف اي قولا كذبا
وقرا الحسن والجحدري وابو عبد الرحمن ويعقوب تقول بفتح القاف والواو المشددة وهو مضارع تقول اي كذب
والاصل تتقول فحذف احدى التاين نحو تذكرون وانتصب كذبا في هذه القراءة على المصدر لان التقول كذب فهو نحو
قولهم قعدت جلوسا ومعنى الاية وانا حسبنا ان لن تقول الانس والجن على الله كذبا فكذلك صدقناهم في ان لله صاحبة
وولدا حتى سمعنا القران وتبينا به الحق قيل انقطاع الاخبار عن الجن هاهنا فقال الله تعالى جل ذكره لا اله الا هو وانه كان
رجال من الانس فمن فتح وجعله من قول الجن ردها الى قوله انه استمع ومن كسرها جعلها مبتدا من قول الله تعالى والمراد به
ما كانوا يفعلونه من قول الرجل اذا اوى بواد اعوذ بسيد هذا الوادي من شر سفهاء قومه فيبيت في جواره حتى يصبح قاله الحسن
وابن زيد وغيرهما وقيل كانوا في الجاهلية اذا قحطوا بعثوا رائدهم فاذا وجد مكانا فيه كلا وماء رجع الى اهله
فسار بهم اذا انتهوا الى تلك الارض نادوا نعوذ بك يا رب هذا الوادي ان تصيبنا افة يعنون من الجن فان لم يفزعهم
احد نزلوا وان افزعهم الجن رجعوا قال مقاتل اول من تعوذ بالجن قوم من اهل اليمن ثم من بني حنيفة ثم فشا ذلك في
العرب فلما جاء الاسلام عاذوا بالله وتركوهم وقال كردم بن ابي السايب خرجت مع ابي الى المدينة اول ما ذكر النبي صلى
الله عليه وسلم فاوانا المبيت الى راعي غنم فلما انتصف الليل جاء الذيب فحمل حملا من الغنم فقال الراعي يا عامر الوادي جارك
فنادى مناد يا سرحان ارسله فاتى الحمل يشتد حتى دخل الغنم ولم يصبه كدمة فانزل الله تعالى على رسوله السيد الكامل
المكمل سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بمكة وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا اي زاد الانس
الجن رهقا اي خطيئة واثما قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة رضي الله عنهم والرهق الاثم في كلام العرب وغشيان المحارم
ورجل رهق اذا كان كذلك ومنه قوله تعالى ترهقهم ذلة وقال الاعشى • لا شيء ينفعني من دون رويتها هل يشتفي عاشق
ما لم يصب رهقا • يعني اثما وقيل رجل مرهق لن يغشاه السايلون قال الواحدي الرهق غشيان الشيء ومنه قوله تعالى ترهقها
قترة واضيفت الزيادة الى الجن اذ كانوا سببا لها وقال مجاهد ايضا زادهم اي ان الانس زادوا الجن طغيانا بهذا التعوذ
حتى قالت الجن سدنا الانس والجن وقال قتادة ايضا وابو العالية والربيع وابن زيد ازداد الانس بهذا فرقا وخوفا
وقال سعيد بن جبير كفرا ولا خفاء ان الاستعاذة بالجن دون الاستعاذة بالله كفر وشرك وقيل لا يطلق لفظ الرجال
على الجن فالمعنى وانه كان رجال من الانس يعوذون من شر الجن برجال من الانس وكان الرجل من الانس يقول مثلا اعوذ
بحذيفة بن بدر من جن هذا الوادي قال القشيري رحمه الله عليه وفي هذا تحكم اذ لا يبعد اطلاق لفظ الرجال على الجن
وقوله من الانس صفة للرجال وكذلك قوله من الجن **قوله تعالى** وانهم ظنوا كما ظننتم ان لن يبعث الله احدا الكلام في ان
لن كالكلام في الاولى وان وما في حيزها سادة مسد مفعول الظن والمسئلة من باب الاعمال لان ظنوا يطلب مفعولين
وظننتم كذلك وهو من اعمال الثاني للحذف من الاول والضمير في انهم ظنوا للانس وفي ظننتم للجن ويجوز العكس **فصل**
هذا من قول الله تعالى للانس اي وان الجن ظنوا ان لن يبعث الله كما ظننتم وقال الكلبي رحمه الله المعنى ظنت الجن كما ظنت
الانس ان لن يبعث الله رسولا الى خلقه يقيم به الحجة عليهم وكل هذا توكيد للحجة على قريش اي اذا امن هؤلاء الجن بمحمد
صلى الله عليه وسلم فانتم احق بذلك **قوله تعالى** وانا لمسنا السماء هذا من قول الجن اي طلبنا خبرها كما جرت عادتنا
فوجدناها ملئت حرسا شديدا وشهبا اي حفظة يعني الملائكة فاللمس المس فاعير للطالب لان الماس طالب متعرف يقال
لمسه والتمسه ونحوه الجس يقال جسوه باعينهم وتجسسوه والمعنى طلبنا بلوغ السما واستماع كلام اهلها **قوله تعالى** وجدناها
فيه وجهان اظهرهما انها متعدية لان المعنى اصبنا فصادفنا وعلى هذا فالجملة من قوله ملئت نصبا على الحال والثاني انها متعدية

لاثنين فيكون الجملة في موضع المفعول الثاني وحرسا منصوب على التمييز نحو امتلاء الاناء ماء والحرس اسم جمع لحارس نحو خدم لخادم وغيبة لغائب ويجمع تكسيرا على احراس تقول كقول امرئ القيس • تجاوزت احراسا واهوال معشر • حراص على لو يسرون مقتلي • والحارس الحافظ الرقيب والمصدر الحراسة وشديدا صفة لحرس على اللفظ كقوله • اخشى رجيلا وركيبا عاديا • ولو جاء على المعنى لقيل شدادا بالجمع لان المعنى ملئت ملائكة شدادا كقولك السلف الصالح يعني الصالحين قال القرطبي ويجوز ان يكون حرسا مصدرا على معنى حرست حراسة شديدة وقوله وشهبا يعني جمع شهاب ككتاب وكتب وهل المراد النجوم او الحرس انفسهم او انقضاض الكواكب المحرقة لهم عن استراق السمع وقد تقدم في سورة الحجر والصافات وانما عطف بعض الصفات على بعض عند تغاير اللفظ لقوله • وهند اتى من دونها الناي والبعد • وقرأ الاعرج مليت بياء صريحة دون همزة **قوله تعالى** وانا كنا نقعد منها مقاعد للسمع المقاعد جمع مقعد اسم مكان والضمير في منها اي من السماء والمقاعد مواضع يقعد في مثلها لاستماع الاخبار من السماء وذلك ان مردة الجن كانوا يفعلون ذلك ليستمعوا من الملائكة اخبار السماء فيلقوها الى الكهنة فحرسها الله تعالى حين بعث رسوله بالشهب المحرقة فقال الجن حينئذ فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا يعني بالشهاب الكوكب المحرق **قوله تعالى** الآن هو ظرف حالي واستعير هنا للاستقبال كقوله • ساسعى الآن اذ بلغت اناها • فاقترن بحرف التنفيس وقد تقدم هذا في البقرة عند قوله فالآن باشروهن ورصدا اما مفعول له واما صفة لشهابا اي ذا رصد وجعل الزمخشري الرصد اسم جمع كحرس فقال والرصد اسم جمع للراصد كحرس على معنى ذو شهاب راصدين بالرجم وهم الملائكة ويجوز ان تكون صفة للشهاب بمعنى الراصد او كقوله ومعى جياعا **فصل** اختلفوا هل كانت الشياطين تقذف قبل البعث او ذلك امر حدث لبعث النبي صلى الله عليه وسلم فقال قوم لم تكن تحرس السماء في الفترة بين عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام خمسمائة عام انما كان من اجل بعثة النبي صلى الله عليه وسلم فلما بعث محمد صلى الله عليه وسلم منعوا من السموات كلها وحرست بالملائكة والشهب قال الكلبي ورواه عطية عن ابن عباس ذكره البيهقي وقال عبد الله بن عمر لما كان اليوم الذي تنبأ النبي صلى الله عليه وسلم منعت الشياطين ورموا بالشهب وقال عبد الملك بن سابور لم تكن السماء تحرس في الفترة بين عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام فلما بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم حرست السماء ورميت الشياطين بالشهب ومنعت من الدنو الى السماء قال نافع بن جبير كانت الشياطين في الفترة تسمع فلا ترمى فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم رميت بالشهب ونحوه عن ابي بن كعب قال لم يرم بنجم منذ رفع عيسى عليه السلام حتى تنبأ رسول الله صلى الله عليه وسلم فرمي بها وقيل كان ذلك قبل البعث وانما زادت ببعث رسول الله صلى الله عليه وسلم انذارا بحاله وهو معنى قوله تعالى فوجدناها ملئت اي في زيد في حرسها وقال اوس بن حجر وهو جاهلي • فانقض كالدري يتبعه • نقع يثور تخاله طنبا • قال الجاحظ هذا البيت مصنوع وان الرمي لم يكن قبل البعث والقول بالرمي اصح لهذه الآية لانها تخبر عن الجن انها اخبرت بالزيادة في الحرس وانها امتلأت من الحرس والشهب وقال بشر بن ابي خازم • والعير يرهقها الغبار وجحشها • ينقض خلفهما انقضاض الكوكب • وروى الزهري عن علي بن الحسين عن ابن عباس رضي الله عنهما قال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس في نفر من الانصار اذ رمي بنجم فاستنار فقال ما كنتم تقولون في مثل هذا في الجاهلية قالوا كنا نقول يموت عظيم او يولد وهذا يدل على ان هذه الشهب كانت موجودة قبل البعث وهذا قول الاكثر قال الجاحظ فلو قال قائل كيف يتعرض الجن لاحتراق نفسها بسماع خبر بعد ان صار ذلك معلوما لهم فالجواب ان الله تعالى ينسيهم ذلك حتى تعظم المحنة كما ينسى ابليس في كل وقت انه لا يسلم وان الله تعالى قال له وان عليك اللعنة الى يوم الدين ولولا هذا لما تحقق التكليف قال القرطبي والرصد قيل من الملائكة اي ورصدا من الملائكة والرصد الحافظ للشيء والجمع ارصاد وفي غير هذا الموضع يجوز ان يكون جمعا كالحرس والواحد راصد وقيل الرصد هو الشهاب اي شهاب قد رصد له ليرجم به فهو فعل بمعنى مفعول كالخبط والنفض **قوله تعالى** وانا لا ندري اشر اريد بمن في الارض في اشر اريد وجهان احسنهما الرفع بفعل مضمر على الاشتغال وانما كان احسن لتقدم طالب الفعل وهو اداة الاستفهام والثاني الرفع على الابتداء ولقائل ان يقول يتعين هنا الرفع باضمار فعل لدرك اخر وهو انه قد عطف بام فعل فاذا اضمرنا الفعل رافعا كنا قد عطفنا جملة فعلية على مثلها بخلاف رفعه بالابتداء فانه حينئذ يخرج ام عن كونها عاطفة الى كونها منقطعة الا بتاويل بعيد وهو ان الاصل اشر اريد بهم ام خير فوضع قوله ام اراد بهم موضع خير وقوله اشر سادّ مسد مفعول ندري بمعنى انه معلق به وراعى معنى من في قوله بهم زيهم فجمع **فصل** قال ابن زيد معنى الآية ان ابليس قال لا ندري هل اراد بهذا المنع ان ينزل على اهل الارض عذابا او يرسل اليهم رسولا وقيل هو من قول الجن فيما بينهم قبل ان يسمعوا قراءة النبي صلى الله عليه وسلم اي لا ندري اشر اريد بمن في الارض بارسال محمد صلى الله عليه وسلم

اليهم

اليهم فانهم كذبوا به ويهلكون بتكذيبه كما هلك من كذب من الامم ام اراد ان يؤمنوا فيهتدون والرشد على هذا الكفر والايمان وعلى هذا كان عندهم علم بمبعث النبي صلى الله عليه وسلم ولما سمعوا قراءته علموا انهم منعوا من السماء حراسة الوحي وقيل لا بل على هذا قوله قالوا لقومهم بعد ان انصرفوا اليهم منذرين اي لما آمنوا اشفقوا ان لا يؤمن كثير من اهل الارض فقالوا انا لا ندري اكفر اهل الارض بما امنا به ام يؤمنون **قوله تعالى** وانا منا الصالحون ومنا دون ذلك هذا من قول الجن اذ قال بعضهم لبعض لما دعوا اصحابهم الى الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وانا كنا قبل استماع القرآن منا الصالحون قولهم ومنا دون ذلك يحتمل وجهين احدهما ان دون بمعنى غير اي ومنا غير الصالحين اي كافرون وهو مبتدأ وانما فتح لاضافته الى غير متمكن لقوله لقد تقطع بينكم فيمن نصب على احد الاقوال والى هذا نحا الاخفش والثاني ان دون على بابها من الظرف وانها صفة لمحذوف تقديره ومنا فريق او فوج دون ذلك وحذف الموصوف مع التبعيضية يكثر كقولهم منا ظعن ومنا اقام اي منا فريق ومعنى الآية ومنا صالحون دون اولئك في الصلاح **قوله تعالى** كنا طرائق فيه اوجه احدها ان التقدير كنا ذوي طرائق اي ذوي مذاهب مختلفة الثاني ان التقدير كنا في اختلاف احوالنا مثل الطرائق المختلفة الثالث ان التقدير كنا في طرائق مختلفة كقوله كما عسل الطريق الثعلب الرابع ان التقدير كانت طرائقنا قددا على حذف المضاف الذي هو الطرائق واقامة الضمير المضاف مقامه قال الزمخشري فقد جعل في ثلاثة اوجه مضافا محذوفا وقال انه قدر في الاول ذوي وفي الثاني مثل وفي الثالث طرائقنا ورد ابو حيان عليه قوله كنا طرائق كقوله كما عسل الطريق بان هذا لا يجوز الا في ضرورة او ندور وقال لا يخرج القرآن عليه يعني تعدي الفعل بنفسه الى ظرف المكان المختص والقدد جمع قدة والمراد بها الطريقة واصلها السيرة يقال قدة فلان حسنة اي سيرته وهو من قد السير اي قطعه على استواء فاستعير للسيرة المعتدلة قال الشاعر • القابض الباسط الهادي بطاعته • في فتنة الناس اذ اهواؤهم قددا • وقال اخر • جمعت بالراي منهم كل رافضة • اذ هم طرائق في اهوائهم قددا • وقال لبيد في اخيه • لم تبلغ العين في كل منها • يوم تمشي الجياد بالقدد • والقد بالكسر سير يقد من جلد غير مدبوغ ويقال لما له قد ولا قحف فالقد اناء من جلد والقحف اناء من خشب **فصل** قال سعيد بن المسيب معنى الآية كنا مسلمين ويهود ونصارى ومجوس وقال السدي في الجن مثلكم قدرية ومرجئة وخوارج ورافضة وشيعة وسنية وقال قوم اما بعد استماع القرآن مختلفون منا المؤمنون ومنا الكافرون وقيل اي ومنا الصالحون ومنا مؤمنون لم يتناهوا في الصلاح قال القرطبي رحمه الله والاول احسن لانه كان في الجن من آمن بموسى وعيسى وقد اخبر الله عنهم انهم قالوا انا سمعنا كتابا انزل من بعد موسى مصدقا لما بين يديه وهذا يدل على ايمان قوم منهم بالتوراة وكان هذا مبالغة منهم في دعاء من دعاهم الى الايمان وايضا لا فائدة في قولهم نحن الآن منقسمون الى مؤمن وكافر والطرائق جمع طريقة وهي مذهب الرجل اي كنا فرقا ويقال القوم طرائق اي على مذاهب شتى والقدد نحو من الطرائق وهو تاكيد لها واحدها قدة يقال لكل طريقة **قوله تعالى** وانا ظننا ان لن نعجز الله في الارض الظن هنا بمعنى العلم واليقين وهو خلاف الظن في قوله تعالى وانا ظننا ان لن تقول الانس والجن على الله كذبا وانهم ظنوا اي وعلمنا بالاستدلال والتفكر في آيات الله تعالى انا في قبضته وسلطانه لن نفوته بهرب ولا غيره وقوله في الارض حال وكذلك هربا مصدر في موضع الحال تقديره لن نعجزه كائنين في الارض اينما كنا فيها ولن نعجزه هاربين منها الى السماء **قوله تعالى** وانا لما سمعنا الهدى يعني القرآن آمنا به وبالله وصدقنا محمدا صلى الله عليه وسلم على رسالته وكان صلى الله عليه وسلم مبعوثا الى الانس والجن قال الحسن رضي الله عنه بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم الى الانس والجن ولم يبعث الله قط رسولا من الجن ولا من اهل البادية ولا من النساء وذلك قوله تعالى وما ارسلنا قبلك الا رجالا نوحي اليهم من اهل القرى وفي الحديث بعثت الى الاحمر والاسود اي الانس والجن وقد تقدم الكلام على هذه المسئلة في سورة الانعام عند قوله تعالى يا معشر الجن والانس الم ياتكم رسل منكم **قوله تعالى** فمن يؤمن بربه فلا يخاف بخسا ولا رهقا قال ابن عباس لا يخاف ان ينقص من حسناته ولا ان يزاد في سيئاته لان البخس النقصان والرهق العدوان وغشيان المحارم وقد تقدم في بيت الاعشى قوله فلا يخاف اي فهو لا يخاف اي فهو غير خائف لان الكلام في تقدير مبتدأ وخبر فلذلك دخلت الفاء ولولا ذلك لقيل لا يخف قال الزمخشري ثم قال فان قلت اي فائدة في رفع الفعل وتقدير مبتدأ قبله حتى يقع خبرا له ووجوب ادخال الفاء وكان كل ذلك مستغنى عنه بان يقال لا يخف قلنا الفائدة انه اذا فعل ذلك كان نقيضه فهو لا يخاف فكان دالا على تحقيق ان المؤمن ناج لا محالة وانه هو المختص بذلك دون غيره قال شهاب الدين رحمه الله وسبب ذلك ان الجملة تكون اسمية حينئذ والاسمية ادل على التحقيق والثبوت من الفعلية وقرأ ابن وثاب والاعمش بالجزم وفيها وجهان احدهما ولم يذكر الزمخشري غيره ان لا ناهية والفاء حينئذ واجبة والثاني انها نافية والفاء حينئذ زائدة وهذا ضعيف وقوله بخسا فيه حذف مضاف اي جزاء بخس كذا قدره الزمخشري وهو مستغنى

عنه وقرأ ابن وثاب تحسبا بفتح الحاء قال القرطبي رحمه الله وقرأ الأعمش ويحيى وإبراهيم فإن لا يخفف جزما على جواب
الشرط والفاء **قوله تعالى** وأنا منا المسلمون ومنا القاسطون أي وأنا بعد استماع القرآن مختلفون فمنا من أسلم
ومنا من كفر والقاسط الجائر لأنه عادل عن الحق والمقسط العادل لأنه عادل إلى الحق قسط إذا جار وأقسط إذا عدل قال
قوم ● هموا قتلوا ابن هند عنوة ● عمروا وهم قسطوا على النعمان ● وقد تقدم في أول النساء أن قسط الثلاثي بمعنى جار
وأقسط الرباعي بمعنى عدل وأن الحجاج قال لسعيد بن جبير ما تقول في قال إنك قاسط عادل فقال الحاضرون ما أحسن
ما قال فقال يا جهلة جعلني جائرا كافرا وتلا قوله تعالى وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا ثم الذين كفروا بربهم يعدلون
قوله تعالى فمن أسلم فأولئك تحروا رشدا أي قصدوا طريق الحق وتوجهوا وطلبوه باجتهاد ومنه التحري في الشيء قال
الراغب حرى الشيء يحري أي قصد حراه أي جانبه وتحراه كذلك وحرى الشيء يحري نقص كأنه قال لزم حراه ولم يمتد
قال الشاعر ● والمرء بعد تمامه يحري ● ويقال رماه الله بأفعى حارية أي شديدة انتهى وكان أصله من قولهم
هو حري بكذا أي حقيق به فمن ورشدا مفعول به والعامة قرأوا رشدا بفتحتين والأعرج بضمة وسكون **قوله تعالى**
وأما القاسطون أي الجائرون عن طريق الحق والإيمان فكانوا لجهنم حطبا أي وقودا وقوله فكانوا أي في علم الله تبارك
وتعالى فإن قيل ذكر عقاب القاسطين ولم يذكر ثواب المسلمين فالجواب بل ذكر ثواب المؤمنين بقوله تحروا رشدا
أي تحروا رشدا عظيما لا يعلم كنهه إلا الله تعالى ومثل هذا لا يتحقق إلا في الثواب فإن قيل إن الجن مخلوقون من النار
فكيف يكونون حطبا للنار فالجواب أنهم وإن خلقوا من النار لكنهم تغيروا عن تلك الكيفية فصيروا لحما ودما هكذا
قيل وهذا آخر كلام الجن **قوله تعالى** وأن لو استقاموا على الطريقة أن هي المخففة وتقدم أنه يكتفى بالفاصلة بين
أن المخففة وخبرها إذا كان جملة فعلية في سورة سبأ وقال أبو البقاء هنا ولو عوض كالسين وسوف وقيل لو بمعنى إن
وإن بمعنى اللام وليست بلازمة لقوله لئن لم ينته وقال في موضع آخر وإن لم ينتهوا ذكره ابن فضال في البرهان قال شهاب
الدين وهذا شاذ لا يلتفت إليه البتة لأنه خلاف النحويين وقرأ العامة بكسر واو لو على الأصل وابن وثاب والأعمش
بضمها تشبيها بواو الضمير وقد تقدم تحقيقه في البقرة **فصل** هذا من كلام الله تبارك وتعالى أي لو آمن
هؤلاء الكفار لوسعنا عليهم في الدنيا وبسطنا لهم في الرزق وهذا محمول على الوحي أي أوحي إلي أن لو استقاموا قال ابن بحر
في جميع الكلمة كلما كان في هذه السورة من أن المثقلة فهي حكاية لقول الجن الذين سمعوا القرآن فرجعوا إلى قومهم منذرين
وكلما فيها من أن المفتوحة فهي وحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ابن الأنباري ومن كسر الحروف وفتح وأن لو
استقاموا على الطريقة كما يقال في الكلام والله أن قمت لقمت والله لو قمت لقمت قال الشاعر ●
أما والله أن لو كنت حرا ● وما بالحر أنت ولا العتيق ● ومن فتح ما قبل المخففة على تقدير أوحي إلي أنه وأن لو استقاموا وعلى
آمنا به وأن لو استقاموا ومن كسر الحروف فقد أن المخففة على أوحي إلي أو على آمنا به ويستغنى عن إضمار اليمين والضمير
في قوله استقاموا قيل يرجع إلى الجن الذين تقدم ذكرهم ووصفهم أي هؤلاء القاسطون لو أسلموا لفعلنا بهم كذا
وكذا وقيل بل المراد الإنس لأن الترغيب في الانتفاع بالماء الغدق إنما يليق بالإنس لا بالجن وأيضا أن هذه الآية إنما
نزلت بعد ما حبس الله المطر عن أهل مكة سنين أقصى ما في الباب أنه لم يتقدم ذكر الإنس ولكنه لما كان ذلك معلوما
جرى مجرى قوله إنا أنزلناه في ليلة القدر وقال القاضي الأقرب أن الكل يدخلون فيه قال ابن الخطيب ويدل على صحة
قول القاضي أنه تعالى أثبت حكما معللا بعلة وهي الاستقامة فوجب أن يعم الحكم لعموم العلة والغدق بفتح الدال
وكسرها لغتان في الماء الغزير ومنه الغيداق للماء الكثير وللرجل الكثير العدو والكثير النطق ويقال غدقت عينه
تغدق أي هطل دمعها غدقا وقرأ العامة غدقا بفتحتين وعاصم فيما روي عنه الأعمش بفتح الغين وكسر الدال وقد
تقدم أنهما لغتان **قوله تعالى** ولو استقاموا قال ابن الخطيب رحمه الله إن قلنا إن الضمير راجع إلى الجن ففيه قولان
أحدهما أن المعنى لو ثبت أبوهم على عبادته وسجد لآدم ولم يكفر وتبعه ولده على الإسلام لأنعمنا عليهم كقوله تعالى ولو أن
أهل الكتاب آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم الآية ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم
الآية وقوله ومن يتق الله يجعل له مخرجا الآية وقوله استغفروا ربكم إنه كان غفارا يرسل السماء إلى قوله ويمددكم بأموال وبنين
الآية وإنما ذكر الماء كناية عن طيب العيش وكثرة المنافع وهذا هو اللائق بالجن لا الماء المشروب الثاني أن المعنى لو استقاموا
الذين سمعوا القرآن على طريقتهم التي كانوا عليها ولم ينتقلوا إلى الإسلام لوسعنا عليهم الدنيا كقوله ولولا أن يكون الناس
أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن الآية والقول الأول اختيار الزجاج قال لأنه تعالى ذكر الطريقة المعروفة وهي طريقة
الهدى ومعنى لنفتنهم أي لنختبرهم هل يقومون بشكرها أم لا وإن قلنا إن الضمير يعود إلى الإنس فالاحتمالان
كما هنا **قوله تعالى** لنفتنهم فيه يدل على أنه تبارك وتعالى يفعل بعباده وأجاب المعتزلة بأن الفتنة هي الاختبار

كما يقال

كما يقال فتنت الذهب بالنار لا خلق الضلال واستدل المعتزلة بقوله تعالى لنفتنهم فيه على أنه تعالى إنما يفعل
لغرض وأجيبوا بأن الفتنة بالاتفاق ليست مقصودة فدلت هذه الآية أنها ليست للغرض في حق الله تعالى
فصل روى مسلم عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن أخوف ما أخاف ما يخرج
الله لكم من زهرة الدنيا قال بركات الأرض الحديث وقال عليه الصلاة والسلام فوالله ما الفقر أخشى عليكم وإنما
أخشى عليكم أن يبسط الله عليكم الدنيا فتتنافسوا فيها كما تنافس فيها من كان قبلكم فتهلككم كما أهلكتهم **قوله تعالى**
ومن يعرض عن ذكر ربه أي عن عبادته أو عن موعظته أو عن وحيه وقال ابن زيد يعني القرآن وفي إعراضه وجهان
الأول عن القبول إن قيل إنها في الكفار والثاني عن العمل إن قيل إنها في أهل الإيمان وقيل ومن يعرض عن ذكر ربه
أي لم يشكره **قوله تعالى** نسلكه عذابا صعدا قرأ الكوفيون يسلكه بياء الغيبة لإعادة الضمير على الله تعالى
والباقون من السبعة بنون على الالتفات وهذا كما تقدم في قوله تعالى سبحان الذي أسرى بعبده ليلا ثم قال باركنا حوله
لنريه من آياتنا وقرأ مسلم بن جندب نسلكه بنون مضمومة من أسلكه وبعضهم بالياء من تحت مضمومة وهما
لغتان يقال سلكه وأسلكه وأنشد ● حتى إذا أسلكوهم في قتائدة ● وسلك وأسلك يجوز فيهما أن يكونا ضمنا
معنى الإدخال فكذلك يتعديان لاثنين ويجوز أن يقال يتعديان إلى أحد المفعولين بإسقاط الخافض كقوله
تعالى واختار موسى قومه سبعين فالمعنى ندخله عذابا أو نسلكه في عذاب هذا إذا قلنا إن صعدا مصدر قال
الزمخشري يقال صعد صعدا وصعودا فوصف به العذاب لأنه يتصعد المعذب أي يعلوه ويغلبه فلا يطيقه
ومنه قول عمر رضي الله عنه ما تصعدني شيء ما تصعدتني خطبة النكاح يريد ما شق علي ولا غلبني وأما إذا جعلناه
اسما للصخرة في جهنم كما قال ابن عباس رضي الله عنهما وغيره فيجوز فيه وجهان أحدهما أن يكون صعدا مفعولا به
أي نسلكه في هذا الموضع ويكون عذابا مفعولا ثانيا كما تقدم وصعدا بدلا من عذاب ولكن على حذف مضاف
أي عذاب صعد وقرأ العامة بفتحتين وقرأ ابن عباس والحسن رضي الله عنهما بضم الصاد وفتح العين وهو صيغة
تقتضي المبالغة كحطم ولبد وقرئ بضمتين وهو وصف أيضا كجنب وشلل **فصل** ومعنى عذابا
صعدا أي شاقا شديدا قال ابن عباس رضي الله عنهما هو جبل في جهنم قال الخدري كلما جعلوا أيديهم عليه ذابت
وعن ابن عباس أن المعنى مشقة من العذاب لأن الصعد في اللغة هو المشقة تقول تصعدني الأمر إذا شق عليك ومنه
قول عمر المتقدم والمشي في الصعود يشق وصعودا لعقبة الكؤود وقال عكرمة هو صخرة ملساء في جهنم يكلف صعودها
فإذا انتهى إلى أعلاها حدر إلى جهنم وقال الوليد يكلف الوليد بن المغيرة أن يصعد جبلا في النار من صخرة ملساء يجذب
من أمامه بسلاسل ويضرب من خلفه بمقامع حتى يبلغ أعلاها ولا يبلغ في أربعين سنة فإذا بلغ أعلاها أحدر
إلى أسفلها ثم يكلف صعودها فذلك دأبه أبدا وهو قوله سأرهقه صعودا **قوله تعالى** وأن المساجد لله قد
تقدم أن السبعة أجمعت على الفتح أي أوحي إلي أن المساجد لله وقال الخليل أي ولأن المساجد فحذف الجار ويتعلق بقوله
فلا تدعوا وجعلوه كقوله تعالى لإيلاف قريش فإنه متعلق بقوله فليعبدوا وكقوله وإن هذه أمتكم أي ولأن وقرأ ابن هرمز
وطلحة وإن المساجد بالكسر وهو يحتمل الاستئناف والتعليل فيكون في المعنى كتقدير الخليل **قوله تعالى** والمساجد
قيل هي جمع مسجد بالكسر وهو مواضع السجود وقد تقدم أن قياسه الفتح وقيل هو مسجد بالفتح مرادا بها الأ
عضاء الواردة في الحديث الجبهة والأنف واليدان والركبتان والقدمان وهو قول سعيد بن المسيب رضي الله عنه وطلق
ابن حبيب والمعنى أن هذه الأعضاء أنعم الله بها عليك فلا تسجد لغيره فتجحد نعمة الله قال عطاء من أجل أعضاء كالتي
أمرك بالسجود عليها لا تذللها لغير خالقها قال عليه الصلاة والسلام إذا سجد العبد سجد معه سبعة آراب وقيل
جمع بل جمع مسجد وهو مصدر بمعنى السجود ويكون الجمع لاختلاف الأنواع وقال القرطبي المراد بها البيوت التي
تبنيها أهل الملل للعبادة قال سعيد بن جبير قالت الجن كيف لنا أن نأتي المساجد ونشهد معك الصلاة ونحن ناؤون عنك فنزلت وأن
المساجد لله أي بنيت لذكر الله ولطاعته وقال ابن عباس المساجد هنا مكة التي هي القبلة وسميت مكة مسجدا لأن
كل أحد يسجد إليها قال القرطبي والقول بأنها البيوت المبنية للعبادة وهذا أظهر الأقوال وهو مروي عن ابن عباس
قال ابن الخطيب رحمه الله قال الواحدي وواحد المساجد على الأقوال كلها مسجد بفتح الجيم إلا على قول من يقول إنها المواضع
التي بنيت للصلاة فإن واحدها مسجد بكسر الجيم لأن المواضع والمصادر كلها من هذا الباب بفتح العين إلا في أحرف معدودة
وهي المسجد والمطلع والمنسك والمسكن والمبيت والمفرق والمطلع والمسقط والمحضر والمنشر والمغرب وقد جاء في بعضها
الفتح وهي المنسك والمطلع والمسكن والمفرق وهو جائز في كلها وإن لم يسمع قوله لله إضافة تشريف وتكريم ثم خص بالذكر
منها البيت العتيق فقال تعالى وطهر بيتي للطائفين وقال عليه السلام لا تعمل المطي إلا إلى ثلاثة مساجد وقال عليه السلام

صلاة في مسجدي هذا خير من الف صلاة فيما سواه الا المسجد الحرام وقد روي من طرق اخر لا باس بها ان النبي
صلى الله عليه وسلم قال صلاة في مسجدي هذا خير من الف صلاة فيما سواه الا في المسجد الحرام فان صلاة فيه خير من
مائة صلاة في مسجدي هذا قال القرطبي وهذا حديث صحيح **فصل** المساجد وان كانت لله ملكا وتشريفا
فانها قد تنسب الى غيره تعريفا كما قيل في الحديث سابق بين الخيل التي لم تضمر من الثنية الى مسجد بني زريق ويقال مسجد فلان
لا انه حبسه ولا خلاف بين الامة في تحبيس المساجد والقناطر والمقابر وان اختلفوا في تحبيس غير ذلك **فصل**
مع ان المساجد لله لا يذكر فيها الا الله تعالى فانه يجوز قسمة الاموال فيها ويجوز وضع الصدقات فيها على رسم الاشتراك
بين المساكين والاكل فيها ويجوز حبس الغريم فيها وربط الاسير والنوم فيها وسكنى المريض فيه وفتح الباب للجار اليه
وانشاد الشعر فيها اذا عري عن الباطل **قوله تعالى** فلا تدعوا مع الله احدا وهذا توبيخ للمشركين في دعواهم مع الله غيره
في المسجد الحرام وقال مجاهد كانت اليهود والنصارى اذا دخلوا كنائسهم وبيعهم اشركوا بالله تعالى فامر الله نبيه صلى الله
عليه وسلم والمؤمنين ان يخلصوا لله الدعوة اذا دخلوا المساجد كلها فلا تشركوا فيها صنما وغيره مما يعبد وقيل المعنى افردوا
المساجد لذكر الله ولا تجعلوا لغير الله فيها نصيبا وفي الحديث من نشد ضالة فقولوا لا ردها الله عليك فان المساجد
لم تبن لهذا قال الحسن من السنة اذا دخل الرجل المسجد ان يقول لا اله الا الله لان قوله فلا تدعوا مع الله احدا في ضمنه امر
بذكر الله تعالى ودعائه وروى الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا دخل المسجد
قدم رجله اليمنى وقال وان المساجد لله فلا تدعوا مع الله احدا اللهم انا عبدك وزائرك وعلى كل مزور حق وانت خير مزور
فاسالك برحمتك ان تفك رقبتي من النار فاذا خرج قدم رجله اليسرى وقال اللهم صب علي الخير صبا ولا تنزع عني صالح ما
اعطيتني ابدا ولا تجعل معيشتي كدا واجعل لي في الارض جدا **قوله تعالى** وانه لما قام عبد الله يدعوه يجوز الفتح اي اوحي الله
اليه انه ويجوز الكسر على الاستيناف وعبد الله هنا محمد صلى الله عليه وسلم حين كان يصلي ببطن نخلة ويقرا القران حسبما
تقدم اول السورة يدعوه اي يعبده وقال ابن جريج يدعوه اي قام اليهم داعيا الى الله تعالى فهو في موضع الحال اي موحدا
الله كادوا يكونون عليه لبدا قال الزبير بن العوام هم الجن حين استمعوا القران من النبي صلى الله عليه وسلم اي كاد يركب بعضهم
بعضا ازدحاما عليه ويسقطون حرصا على سماع القران الكريم وقيل كادوا يركبونه حرصا قاله الضحاك وقال ابن عباس
رضي الله عنه رغبة في سماع القران يروى عن مكحول ان الجن بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذه الليلة وكانوا سبعين
الفا وفرغوا من بيعته عند الفجر وعن ابن عباس ايضا ان هذا من قول الجن لما رجعوا الى قومهم اخبروهم بما راوا من طاعة
اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وائتمامهم به في الركوع والسجود وقيل كاد المشركون يركب بعضهم بعضا حردا على النبي
صلى الله عليه وسلم وقال الحسن وقتادة وابن زيد لما قام عبد الله محمد بالدعوة تلبدت الانس والجن على هذا الامر ليطفئوه
فابى الله تعالى الا ان ينصره ويتم نوره واختار الطبري ان يكون كادت العرب يجتمعون على النبي صلى الله عليه وسلم
ويتظاهرون على اطفاء النور الذي جاء به وقال مجاهد اللبد الجماعات قوله لبدا قرا هشام بضم اللام والباقون بكسرها
فالاولى جمع لبدة بضم اللام نحو غرفة وغرف وقيل بل هو اسم مفرد من الصفات نحو حطم وعليه قوله تعالى مالا لبدا واما
الثانية فجمع لبدة بالكسر نحو قربة وقرب واللبدة الشيء المتلبد اي المتراكب بعضه على بعض ومنه قوله لبدة الاسد كقوله زهير
لدى اسد شاكي السلاح مقذف • له لبد اظفاره لم تقلم • ومنه اللبد لتلبد بعضه فوق بعض ولبد اسم نسر لقمان بن عاد
عاش مائتي سنة حتى قالوا طال الامد على لبد فالمعنى كادت الجن يكونون عليه جماعات متراكمة مزدحمين عليه كاللبد
وقرا الحسن والجحدري لبدا بضمتين ورواها جماعة عن ابي عمرو وهي تحتمل وجهين احدهما ان يكون جمع لبد نحو رهن جمع
رهن والثاني انه جمع لبود نحو صبور وصبر وهو بناء مبالغة ايضا وقرا ابن محيصن بضمة وسكون فيجوز ان تكون هذه
مخففة من القراة التي قبلها ويجوز ان يكون وصفا براسه وقرا الحسن والجحدري ايضا لبدا بضم اللام وتشديد الباء وهي غريبة
جدا وقيل اللبد بضم اللام هو جمع لابد كساجد وسجد وراكع وركع وقرا ابو رجاء بكسر اللام وتشديد الباء وهي غريبة جدا
وقيل اللبد بضم اللام وفتح الباء الشيء الدائم واللبد ايضا الذي لا يسافر ولا يبرح قال الشاعر •
من امري ذي سماحة لا تزال له • ولا يبارحها الهامة اللبد • ويروى اللبد قال ابو عبيد وهو اشبه ويقال اللبد
القربة حطتها في لبيد ولبيد اسم شاعر من بني عامر • **قوله تعالى** قال انما ادعوا قرا عاصم وحمزة قل بلفظ الامر التفاتا
اي قل يا محمد والباقون قال اخبارا من عبد الله وهو محمد صلى الله عليه وسلم قال الجحدري وهي في المصحف كذلك وقد تقدم
ان للمناظرين في قل سبحان ربي اخر الاسرا وكذا في اول الانبيا واخرهما واخر المؤمنون قال المفسرون سبب نزول هذه الاية
ان كفار قريش قالوا له انك جئت بامر عظيم وقد عاديت الناس كلهم فارجع عن هذا ونحن نجيرك فنزلت **قوله تعالى** اني لا املك
لكم ضرا ولا رشدا قرا الاعرج رشدا بضمتين وجعل الضر عبارة عن الغي لان الضر سبب عن الغي وثمرته فاقام المسبب

مقام سببه والاصل لا املك غيا ولا رشدا فذكر الاهم وقيل بل في الكلام حذف فان والاصل لا املك لكم ضرا ولا
نفعا ولا غيا ولا رشدا فحذف من كل واحد ما يدل مقابله عليه **فصل** فالمعنى لا اقدر ادفع عنكم ضرا ولا اسوق
لكم خيرا وقيل لا املك لكم ضرا اي كفرا ولا رشدا اي هدى اي انما علي التبليغ وقيل الضر العذاب والرشد النعيم وهو
الاول بعينه وقيل الضر العذاب والرشد النعيم وهو الاول بعينه وقيل الضر الموت والرشد الحياة **قوله تعالى** قل اني لن يجيرني
من الله احد اي لا يدفع عذابه عني احد ان استحفظته وذلك انهم قالوا اترك ما تدعو اليه ونحن نجيرك وروى ابن الجوزي عن
ابن مسعود رضي الله عنه قال انطلقت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة الجن حتى اتى الحجون فخط علينا خطا ثم تقدم
اليهم فازدحموا عليه فقال سيد لهم يقال له وردان انا ارحلهم عنك فقال اني لن يجيرني من الله احد ذكره الماوردي قال ويحتمل
معنيين احدهما ان يجيرني مع اجارة الله لي احد الثاني لن يجيرني مما قدره الله علي احد ولن اجد من دونه ملتحدا اي ملجا الجا
اليه قاله قتادة وعنه نصيرا ومولى وقال السدي حرزا وقال الكلبي مدخلا في الارض مثل السرب وقيل مذهبا ولا مسلكا
حكاه ابن شجرة قال الشاعر • يا لهف نفسي ولهفي غير مجزية • عني وما من قضاء الله ملتحدا • وملتحدا مفعول احد
لانها بمعنى اصيب **قوله تعالى** الا بلاغا فيه وجوه احدها انه استثنا منقطع اي لكن ان بلغت من الله رحمني لان البلاغ
من الله تبارك وتعالى لا يكون داخلا تحت قوله ولن اجد من دونه ملتحدا لانه لا يكون من دون الله بل يكون من الله عز وجل
وباعانته وتوفيقه الثاني انه متصل وتاويله ان الاجارة مستعارة للبلاغ اذ هو سببها او سبب رحمته تعالى والمعنى
لن اجد شيئا اميل اليه واعتصم به الا ان ابلغ واطيع فيجيرني واذا كان متصلا جاز نصبه من وجهين احدهما ان يكون
بدلا من ملتحدا لان الكلام غير موجب وهذا اختيار الزجاج والثاني انه منصوب على الاستثنا الثالث انه مستثنى من قوله لا
املك لكم ضرا قاله قتادة اي لا املك لكم الا بلاغا اليكم وقرره الزمخشري فقال اي لا املك الا بلاغا اليكم من الله وقل
اني لن يجيرني جملة معترضة اعترض بها لتاكيد نفي الاستطاعة وعلى هذا فالاستثنا منقطع الرابع ان الكلام ليس استثناء
بل شرطا والاصل ان لا فان شرطية وفعلها محذوف لدلالة مصدره والكلام الاول عليه ولا نافية والتقدير ان لا ابلغ
بلاغا من الله فلن يجيرني منه احد وجعلوا هذا كقول الاخر • فطلقها فلست لها بكفو • والا يعل مفرقك الحسام • اي وان لا
تطلقها يعل فحذف الشرط وبقي الجواب وفي هذا الوجه ضعف من وجهين احدهما ان حذف الشرط دون اداته قليل جدا
الثاني انه حذف الجزا ان منا ان الشرط والجزا فيكون كقوله • قالت بنات العم يا سلمى وان • كان فقيرا معدما قالت وان •
اي قالت وان كان فقيرا معدما فقد رضيته وقد يقال ان الجواب ما مذكور عند من يرى جواز تقديمه وانما في قوة
المنطوق به لدلالة ما قبله عليه وقال الحسن الا بلاغا من الله وبرسالاته فان فيه النجاة والامان **قوله تعالى** من الله
فيه وجهان احدهما ان من بمعنى عن لان بلغ يتعدى بها ومنه قوله عليه السلام الا بلغوا عني والثاني انه متعلق بمحذوف
على انه صفة لبلاغا قال الزمخشري من ليست للتبليغ انما هي بمنزلة من في قوله تعالى براءة من الله ورسوله بمعنى بلاغا
كائنا من الله قوله ورسالاته فيه وجهان احدهما انها منصوبة نسقا على بلاغا اي الا بلاغا عن الله وعن رسالته قدره
ابو حيان وجعله هو الظاهر ويجوز في جعله من بمعنى عن والتجوز في الحروف راي كوفي ومع ذلك فغير متعارف عندهم
قوله تعالى ومن يعص الله ورسوله في التوحيد والعبادة فان له نار جهنم العامة على كسر ان جعلوها جملة مستقلة
بعد فاء الجزا قال الواحدي ان مكسورة الهمزة لان ما بعد فاء الجزا موضع ابتدا ولذلك حمل سيبويه قوله ومن عاد فينتقم
الله منه ومن كفر فامتعه قليلا ومن يؤمن بربه فلا يخاف بخسا ولا رهقا على ان المبتدا فيها مضمر تقديره فجزاؤه ان له نار
جهنم او فحكمه ان له نار جهنم قال ابن خالويه سمعت مجاهدا لو يقرا به احد وهو لحن لانه بعد فاء الشرط قال سمعت ابن الانباري
يقول هو صواب ومعناه فجزاؤه ان له نار جهنم قال شهاب الدين ابن مجاهد وان كان اماما في القران الا انه خفي عليه وجهها
وهو عجيب جدا كيف غفل عن قراءتي في فانه غفور رحيم في الانعام لا جرم ان ابن الانباري استصوب القراءة لطول باعه في العربية
قوله تعالى خالدين حال من الهاء في له والعامل الاستقرار الذي تعلق به هذا الجار وحمل على معنى من فلذلك جمع لان المعنى
لكل من فعل ذلك وحد ولا للفظ ثم جمع للمعنى **فصل** استدل جمهور المعتزلة بهذه الاية الكريمة على ان فساق اهل
الصلاة يخلدون في النار لان هذا العموم اقوى في الدلالة على المطلوب من سائر العمومات وايضا فقوله ابدا ينفي قول
المخالف بان المراد بالخلود المكث الطويل والجواب ان السياق في التبليغ عن الله والرسالة ثم قال تعالى ومن يعص الله ورسوله
يعني فان له نار جهنم واذا كان هذا محتملا سقط الاستدلال ونقول هذه الصورة لا بد وان تندرج في العموم وترك التبليغ
عن الله تعالى اعظم فلا يجوز ان يساويه الذنوب التي ليست مثله في العقوبة فلا يتعدى هذا الحكم الى غيره من الذنوب
او نقول ان الله تعالى لم يقيد في سائر عمومات الوعيد في القران بالتابيد الا في هذه الاية الكريمة فلا بد وان يكون لهذا
التخصيص فائدة ومعنى وليس معنى الا ان يكون هذا الذنب اعظم الذنوب واذا ثم كان السبب في هذا التخصيص هذا المعنى

علما ان هذا الوعيد مختص بهذا الذنب قال يتعدى الى غيره من الذنوب فدلت هذه الاية على ان حال ساير المذنبين
مخالف لذلك او نقول قوله ومن يعص الله لا في الكفر ولا في الزنا ولا في شرب الخمر فمن مذهب القايلين بالوعيد
ان الاستثناء اخراج ما لولاه لكان داخلا تحت اللفظ واذا كان كذلك وجب ان يكون قوله تعالى ومن يعص الله متناولا لكل
انواع المعاصي فان قيل سيحتمل العموم ههنا لان من جملة المعاصي التجسيم والتعطيل والقايل بالتجسيم يمتنع ان يكون مع
ذلك قايلا بالتعطيل قلنا نخص هذا بدليل العقل فيتحمل على جميع ما لا يستحيل اجتماعه **فصل** دلت
هذه الاية على ان الامر مقيد بالوجوب لان تارك المامور به عاص لقوله افعصيت امري لا يعصون الله ما امرهم لا اعصي لك
امرا والعاصي مستحق للعقاب لقوله تعالى ومن يعص الله ورسوله فان له نار جهنم **قوله تعالى** حتى اذا راوا ما يوعدون
قال الزمخشري فان قلت بم تعلق وجعل ما بعده غاية له قلت بقوله يكونون عليه لبدا على انهم يتظاهرون عليه
بالعداوة ويستضعفون انصاره ويستقلون عدده حتى اذا راوا ما يوعدون من يوم بدر واظهار الله عليهم او من
يوم القيمة فسيعلمون من اضعف ناصرا قال ويجوز ان يتعلق بمحذوف دلت عليه الحال من استضعاف الكفار واستقلالهم
لعدده كانه لا يزالون على ما هم عليه حتى اذا راوا ما يوعدون قال المشركون متى هذا الموعود انكارا له فقال قل انه
كاين لا ريب فيه قال ابو حيان قوله بم تعلق ان عنى تعلق حرف الجر فليس بصحيح لانها حرف ابتداء فما بعدها ليس في موضع
جر خلافا للزجاج وابن درستويه فانهما زعما انها اذا كانت حرف ابتداء فالجملة الابتدائية بعدها في موضع جر وان عنى
بالتعلق اتصال ما بعدها بما قبلها وكون ما بعدها غاية لما قبلها فهو صحيح واما تقديره انها تتعلق بقوله يكونون
عليه لبدا فهو بعيد جدا لطول الفصل بينهما بالجمل الكثيرة وقد قدر بعضهم ذلك المحذوف المغيا فقال تقديره دعهم حتى
اذا راوا وقال التبريزي جاز ان يكون غاية لمحذوف ولم يبين ما هو وقال ابو حيان والذي يظهر انها غاية لما تضمنته
الجملة التي قبلها من الحكم بكينونة النار لهم والحكم بذلك هو وعيد حتى اذا راوا ما حكم بكينونته لهم فسيعلمون **قوله تعالى**
من اضعف يجوز في من ان تكون استفهامية فترفع بالابتداء واضعف خبره والجملة في موضع نصب سادة مسد المفعولين
لانها معلقة للعلم قبلها وان تكون موصولة واضعف خبر مبتدا مضمر اي هو اضعف والجملة صلة وعايد وحسن
الحذف طول الصلة بالتمييز والموصول مفعول العلم بمعنى العرفان قال القرطبي حتى هنا مبتدا اي حتى اذا راوا ما يوعدون
من عذاب الاخرة او من عذاب الدنيا وهو القتل يوم بدر فسيعلمون من اضعف ناصرا ومن يظهر انها غاية لما تضمنته
الجملة التي قبلها من الحكم بكينونة النار لهم كانه قيل ان العاصي اهم ام المؤمنون واقل عددا معطوف **قوله تعالى**
قل ان ادري اقريب ما توعدون يعني قيام الساعة الا الله فهو غيب لا اعلم منه الا ما يعلمنيه الله تعالى جلت قدرته
قوله تعالى اقريب خبر مقدم وما توعدون مبتدا ويجوز ان يكون قريب مبتدا لاعتماده على الاستفهام
وما توعدون فاعل به اي اقرب الذي توعدون نحو اقايم ابواك وما يجوز ان تكون موصولة فالعايد محذوف
وان تكون مصدرية فلا عايد واما الظاهر انها متصلة وقال الزمخشري فان قلت ما معنى ام يجعل له ربي امدا
والامد يكون قريبا وبعيدا الا ترى الى قوله تعالى تود لو ان بينها وبينه امدا بعيدا قلت كان النبي صلى الله عليه
وسلم يستقرب الموعد فكانه قال ما هو حال متوقع في كل ساعة ام مؤجل ضربت له غاية وقرا العامة باسكان
الياء من ربي وقرا الحرميان وابو عمرو بالفتح **فصل** قال مقاتل لما سمعوا قوله تعالى حتى اذا راوا ما يوعدون
فسيعلمون من اضعف ناصرا واقل عددا قال النضر بن الحارث متى يكون هذا الذي توعدنا به فقال الله تعالى قل
ان ادري اقريب ما توعدون الى اخره والمعنى ان وقوعه متيقن واما وقت وقوعه فغير معلوم وقوله تعالى ام يجعل له ربي
امدا اي غاية وبعدا وهذا كقوله تعالى وان ادري اقريب ام بعيد ما توعدون فان قيل اليس انه عليه السلام قال بعثت انا والساعة
كهاتين وكان عالما بقرب وقوع القيامة فكيف قال ههنا لا ادري اقريب ام بعيد فالجواب ان المراد بقرب وقوعه هو ان
ما بقي من الدنيا اقل مما انقضى فهذا القدر من القرب معلوم فاما معرفة القرب المرتب وعدم ذلك فغير معلوم **قوله تعالى**
عالم الغيب العامة على رفعه اما بدلا من ربي واما بيانا له واما خبر مبتدا مضمر اي هو عالم وقرئ بالنصب على المدح وقرا
السدي علم الغيب فعلا ماضيا ناصبا للغيب **قوله تعالى** فلا يظهر العامة على كونه من اظهر واحدا مفعول به وقرا الحسن
يظهر بفتح الياء والهاء من ظهر ثلاثيا احد فاعل به قوله الغيب ما غاب عن العباد وقد تقدم الكلام عليه اول البقرة **قوله
تعالى** الا من ارتضى من رسول يجوز ان يكون منقطعا اي لكن من ارتضاه فانه يظهره على ما يشاء من غيبه بالوحي ومن في قوله
من رسول لبيان المرتضين وقوله فانه يسلك بيان لذلك وقيل هو متصل ورصدا تقدم الكلام عليه ويجوز ان تكون
شرطية او موصولة مضمنة معنى الشرط وقوله فانه خبر المبتدا على القولين وهو من الاستثناء المنقطع ايضا اي لكن والمعنى
لكن من ارتضاه من الرسل فانه يجعل له ملايكة رصدا يحفظونه **فصل** قال الزمخشري في هذه الاية ابطال الكرامات

لان

لان الذين تضاف اليهم الكرامات وان كانوا اولياء مرتضين فليسوا برسل وقد خص الله تعالى الرسل من بين المرتضين بالاطلاع
على الغيب وفيها ايضا ابطال الكرامة الكهانة والتنجيم لان اصحابهما ابعد شيء من الارتضاء وادخله في السخط وقال الواحدي
وفيها دليل على ان من ادعى ان النجوم تدل على ما يكون من حياة وموت او غير ذلك فقد كفر بما في القران قال ابن الخطيب واعلم ان
الواحدي يجوز الكرامات وان يلهم الله اولياءه وقوع بعض الوقايع في المستقبل ونسبة الاية الى الصورتين واحدة فان جعل
الاية دالة على المنع من احكام النجوم فينبغي ان يجعلها دالة على المنع من الكرامات على ما قاله الزمخشري فان جوز الكرامات لزمه
تجويز علم النجوم وتفريقه بينهما تحكم محض قال ابن الخطيب وعندي لا دلالة في الاية على شيء مما قالوه اذ لا صيغة عموم في غيبه
لانه لفظ مفرد مضاف واقع بعد قوله اقريب ما توعدون الاية فان قيل فما معنى الاستثناء حينئذ قلنا لعله اذا قرب القيمة
يظهره وكيف لا وقد قال ويوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملايكة تنزيلا فتعلم الملايكة حينئذ قيام القيمة او هو استثناء
منقطع اي من ارتضاه من رسول يجعل من بين يديه ومن خلفه حفظة يحفظونه من شر مردة الجن والانس ويدل على انه ليس
المراد انه لا يطلع احدا على شيء من المغيبات انه ثبت بما يقارب المتواتر ان شقا وسطيحا كانا كاهنين وقد عرفا بحديث النبي صلى
الله عليه وسلم قبل ظهوره وكانا مشهورين بهذا العلم عند العرب حتى رجع اليهما كسرى وربيعة بن نصر فثبت ان الله تعالى
قد يطلع غير الرسل على شيء من المغيبات وايضا اطبق اهل الملل على ان معبر الرؤيا يخبر عن امور مستقبلة ويكون صادقا فيه
وايضا قد نقل السلطان سنجر بن ملك شاه كاهنة من بغداد الى خراسان وسالها عن امور مستقبلة فاخبرته بها فوقعت على وفق
كلامها قال ابن الخطيب واخبرني اناس محققون في علم الكلام والحكمة انها اخبرت عن امور غايبة بالتفصيل فكانت على وفق خبرها
وبالغ ابو البركات في كتاب التعبير في شرح حالها وقال فحصت عن حالها ثلاثين سنة فتحققت انها كانت تخبر عن المغيبات اخبارا
مطابقا وايضا فانا نشاهد ذلك في اصحاب الالهامات الصادقة وقد يوجد ذلك في السحرة ايضا وقد نرى الاحكام النجومية
مطابقة وان كانت قد تختلف فلو قلنا ان القران يدل على خلاف هذه الامور المحسوسة لتطرق الطعن الى القران فيكون التاويل
ما ذكرنا **فصل** قال القرطبي المعنى فلا يظهر على غيبه احدا الا من ارتضى من رسول فانه يظهره على ما يشاء من غيبه
لان الرسل مؤيدون بالمعجزات ومنها الاخبار عن بعض الغايبات كما ورد في التنزيل في قوله وانبيكم بما تاكلون وما تدخرون
في بيوتكم وقال ابن جبير الا من ارتضى من رسول هو جبريل عليه السلام وفيه بعد والاولى ان يكون المعنى لا يظهر على غيبه الا من ارتضى
اي اصطفاه للنبوة فانه يطلعه على ما يشاء من غيبه ليكون ذلك دالا على نبوته **فصل** ذكر القرطبي ان العلماء
قالوا لما تمدح سبحانه وتعالى بعلم الغيب واستاثر به دون خلقه كان فيه دليل على انه لا يعلم الغيب احد سواه ثم استثنى من ارتضاه
من الرسل فاعلمهم ما شاء من غيبه بطريق الوحي اليهم وجعله معجزة لهم ودلالة صادقة على نبوتهم وليس المنجم ومن ضاهاه
ممن يضرب بالحصى وينظر في الكواكب ويزجر بالطير ممن ارتضاه من رسول فيطلعه على ما يشاء من غيبه بل هو كافر بالله
مفتر عليه بحدسه وتخمينه وكذبه قال بعض العلماء وليت شعري ما يقول المنجم في سفينة ركب فيها الف انسان مختلفي
الاحوال والرتب فيهم الملك والسوقة والعالم والجاهل والغني والفقير والكبير والصغير مع اختلاف طوالعهم وتباين
مواليدهم ودرجات نجومهم فعمهم حكم الغرق في ساعة واحدة فان قال انما اغرقهم الطالع الذي ركبوا فيه فيكون على مقتضى
ذلك ان هذا الطالع ابطل احكام تلك الطوالع كلها على اختلافها عند ولادة كل واحد منهم وما يقتضيه طالعه المخصوص
به فلا فايدة اذن في عمل المواليد ولا دلالة فيها على شقي ولا سعيد ولم يبق الا معاندة القول الكريم ولقد احسن القايل
حكم المنجم ان طالع مولدي * يقضي علي بميتة الغرق * قل للمنجم صبحة الطوفان هل * ولد الجميع بكوكب الغرق * وقيل لعلي
رضي الله عنه لما اراد لقاء الخوارج اتلقاهم والقمر في العقرب فقال فاين قمرهم وكان ذلك في اخر الشهر فانظر الى هذه
الكلمة التي اجاب بها وما فيها من المبالغة في الرد على من يقول بالتنجيم وقال له مسافر بن عوف يا امير المؤمنين لا تسر في هذه
الساعة وسر بعد ثلاث ساعات يمضين من النهار فقال له علي رضي الله عنه ولم قال انك ان سرت في هذه الساعة اصابك واصاب
اصحابك بلاء وضر شديد وان سرت في الساعة التي امرتك بها ظفرت وظهرت واصبت ما طلبت فقال علي رضي الله عنه
ما كان لمحمد صلى الله عليه وسلم منجم ولا لنا من بعده ثم قال من صدقك في هذا القول لم امن عليه ان يكون كمن اتخذ من دون
الله اندادا واضدادا اللهم لا طير الا طيرك ولا خير الا خيرك ثم قال للمتكلم نكذبك ونخالفك ونسير في الساعة التي نهيتنا
عنها ثم اقبل على الناس فقال يا ايها الناس اياكم وتعلم النجوم الا ما تهتدون به في ظلمات البر والبحر انما المنجم كالكافر والكافر
في النار والمنجم كالساحر والساحر في النار والله لئن بلغني انك تنظر في النجوم او تعمل بها لاخلدنك في الحبس ما بقيت وبقيت
ولاحرمنك العطاء ما كان لي سلطان ثم سافر في الساعة التي نهاه عنها فلقي القوم فقتلهم وهي وقعة النهروان الثابتة في صحيح
مسلم ثم قال لو سرنا في الساعة التي امرنا بها وظفرنا وظهرنا لقال قايل انما كان ذلك بتنجيم وما كان لمحمد صلى الله عليه وسلم منجم ولا لنا
بعده وقد فتح الله علينا بلاد كسرى وقيصر وساير البلدان ثم قال يا ايها الناس توكلوا على الله وثقوا به فانه يكفي ممن سواه

قوله تعالى فانه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا يعني ملائكة يحفظونه عن ان يقرب منه شيطان فيحفظ الوحي من استراق الشياطين والالقاء الى الكهنة قال الضحاك ما بعث الله نبيا الا ومعه ملائكة يحرسونه من الشياطين ان يتشبهوا له بصورة الملك فاذا جاءه شيطان في صورة الملك قالوا هذا شيطان فاحذره وان جاءه الملك قالوا هذا رسول ربك وقال ابن عباس وابن زيد رصدا اي حفظة يحفظون النبي صلى الله عليه وسلم من امامه وورائه من الجن والشياطين وقال قتادة وسعيد بن المسيب هم اربعة من الملائكة حفظة وقال الفرا المراد جبريل كان اذا نزل بالرسالة نزل معه ملائكة يحفظونه من ان يستمع الجن الوحي فيلقونه الى كهنتهم فيسبقوا به الرسول وقال السدي رصدا اي حفظة يحفظون الوحي فما جاء من عند الله قالوا انه من عند الله وما القاه الشيطان قالوا انه من الشيطان ورصدا نصب على المفعول قال الجوهري والرصد القوم يرصدون كالحرس يستوي فيه الواحد والجمع والمذكر والمونث وربما قالوا ارصاد والراصد الشي المراقب له يقال رصده يرصده رصدا ورصدا والترصد الترقب والمرصد موضع الرصد

قوله تعالى ليعلم متعلق بيسلك والعامة على بنائه للفاعل وفيه خلاف اي ليعلم محمد صلى الله عليه وسلم ان الرسل قبله قد ابلغوا الرسالة قاله مقاتل وقتادة قال القرطبي وفيه حذف يتعلق به اللام اي اخبرناه بحفظنا الوحي ليعلم ان الرسل قبله كانوا على مثل حاله من التبليغ بالحق والصدق وقيل ليعلم محمد ان قد ابلغ جبريل ومن معه اليه رسالة ربه قاله ابن جبير قال ولم ينزل الوحي الا ومعه اربعة حفظة من الملائكة عليهم السلام وقيل ليعلم الرسل ان الملائكة بلغوا رسالات ربهم وقيل ليعلم الرسول اي رسول كان ان الرسل سواه بلغوا وقيل ليعلم الله اي ليظهر علمه للناس وقيل ليعلم ابليس ان الرسل قد ابلغوا رسالات ربهم سليمة من تخليطه واستراق اصحابه وقال ابن قتيبة اي ليعلم الجن ان الرسل قد بلغوا ما انزل عليهم ولم يكونوا هم المبلغين باستراق السمع عليهم وقال مجاهد ليعلم من كذب الرسل ان المرسلين قد بلغوا رسالات ربهم وقيل ليعلم الملائكة وهذان ضعيفان لافراد الضمير والضمير في ابلغوا عائد على من في قوله من ارتضى راعى لفظها اولا فافرد في قوله من بين يديه ومن خلفه ومعناها ثانيا فجمع في قوله ابلغوا الى اخره وقرا ابن عباس ومجاهد وزيد بن علي وحميد ويعقوب ليعلم مبنيا للمفعول اي ليعلم الناس ان الرسل قد ابلغوا رسالاته وقرا ابن ابي عبلة والزهري ليعلم بضم اليا وكسر اللام اي ليعلم الله رسوله بذلك وقرا ابو حيوة رسالة بالافراد والمراد الجمع وقرا ابن ابي عبلة واحيط واحصي مبنيين للمفعول كل رفع باحصي

قوله تعالى عددا يجوز ان يكون تمييزا منقولا من المفعول به والاصل احصى عدد كل شي كقوله تعالى وفجرنا الارض عيونا اي عيون الارض على خلاف سبق ويجوز ان يكون منصوبا على المصدر من المعنى لان احصى بمعنى عد فكانه قيل وعد كل شي عددا او يكون التقدير واحصى كل شي احصاء فرد المصدر الى الفعل او الفعل الى المصدر ومنع مكي كونه مصدرا للاظهار فقال عددا نصب على البيان ولو كان مصدرا لادغم يعني ان قياسه ان يكون على فعل بسكون العين لكنه غير لازم فجاء مصدره بفتح العين ولما كان ليعلم مضمنا معنى قد علم ذلك جاز عطف واحاط على ذلك المقدر قال القرطبي عددا نصب على الحال اي احصى كل شي

فصل المعنى احاط علمه بما عند الرسل وما عند الملائكة وقال ابن جبير المعنى ليعلم الرسل ان ربهم قد احاط علمه بما عند الرسل وما عند بما لديهم فيبلغوا رسالاته واحصى كل شي عددا اي علم كل شي وعرفه فلم يخف عليه منه شي وهذه الاية تدل على انه تعالى عالم بالجزئيات وبجميع الموجودات روى الثعلبي عن ابي بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الجن اعطي بعدد كل جني وشيطان صدق بمحمد وكذب به عتق رقبة

سورة المزمل مكية

في قول الحسن وعكرمة وعطا وجابر وقال ابن عباس وقتادة الا ايتين منها واصبر على ما يقولون والتي تليها ذكره الماوردي وقال الثعلبي ان ربك يعلم انك تقوم الى اخر السورة فانه نزل بالمدينة وهي تسع وعشرون اية ومائتان وخمس وثمانون كلمة وثمانمائة وثمانية وثلاثون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى يا ايها المزمل اصله المتزمل فادغمت التاء في الزاي يقال تزمل متزمل تزملا فاذا اريد الادغام اجتلبت همزة الوصل وبهذا الاصل قرا ابي بن كعب وقرا عكرمة المزمل بتخفيف الزاي وتشديد الميم اسم فاعل وعلى هذا فيكون فيه وجهان احدهما ان اصله المزتمل بوزن مفتعل فابدلت التاء ميما وادغمت قاله ابو البقا وهو ضعيف والثاني انه اسم فاعل من زمل مشددا وعلى هذا فيكون المفعول محذوفا اي المزمل جسمه وقرئ كذلك الا انه بفتح الميم اسم مفعول منه اي الملتف والتزمل التلفف يقال تزمل زيد بكسا اي التف به قال ذو الرمة وكان يحطب نافتي من مفاره ومن نايم عن ليلها متزمل وقال امرؤ القيس كان ثبيرا في افانين ودقه كبير اناس في بجاد مزمل وهو كقراءة بعضهم

فصل هذا خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وفيه ثلاثة اقوال الاول قال عكرمة يا ايها المزمل بالنبوة والملتزم المتقدمة للرسالة وعنه يا ايها الذي زمل هذا الامر اي حمله ثم فتر وكان يقرا يا ايها المزمل بتخفيف الزاي وفتح الميم وتشديدها على حذف

المفعول وكذلك المدثر والمعنى المزمل نفسه والمدثر نفسه او الذي زمله غيره الثاني قال ابن عباس يا ايها المزمل بالقران الثالث قال قتادة يا ايها المزمل بثيابه قال النخعي كان متزملا بقطيفة عائشة بمرط طوله اربعة عشر ذراعا نصفه علي وانا نائمة ونصفه على النبي صلى الله عليه وسلم وهو يصلي والله ما كان خزا ولا قزا ولا مرعزا ولا ابريسما ولا صوفا كان سداه شعرا ولحمته وبرا ذكره الثعلبي قال القرطبي وهذا القول من عائشة يدل على ان السورة مدنية فان النبي صلى الله عليه وسلم لم يبن بها الا بالمدينة والقول بانها مكية لا يصح وقال الضحاك تزمل لمنامه وقيل بلغه من المشركين قول سوء فيه فاشتد عليه فتزمل وتدثر فنزلت يا ايها المزمل ويا ايها المدثر وقيل كان هذا في ابتداء ما اوحي اليه فانه لما سمع صوت الملك ونظر اليه اخذته الرعدة فاتى اهله وقال زملوني دثروني روي معناه عن ابن عباس قال اول ما جاءه جبريل عليه السلام خافه وظن ان به مسا من الجن فنزل من الجبل مرتعدا وقال زملوني زملوني وقال الكلبي انما تزمل النبي صلى الله عليه وسلم بثيابه ليتهيا للصلاة وهو اختيار الفرا وقيل انه عليه السلام كان نائما بالليل متزملا في قطيفة فنودي بما يهجن تلك الحالة فقيل له يا ايها المزمل قم واشتغل بالعبودية وقيل معناه يا من تحمل امرا عظيما والزمل الحمل قال البغوي قال الحكما كان هذا الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم في اول الوحي قبل تبليغ الرسالة ثم خوطب بعد بالنبي والرسول

فصل قال السهيلي ليس المزمل باسم من اسماء النبي صلى الله عليه وسلم كما ذهب اليه بعض الناس وعدوه في اسمائه عليه السلام وانما المزمل اسم مشتق من حالته التي كان عليها حين الخطاب وكذلك المدثر وفي خطابه بهذا الاسم فائدتان احداهما الملاطفة فان العرب اذا قصدت ملاطفة المخاطب وترك المعاتبة سموه باسم مشتق من حالته التي هو عليها كقول النبي صلى الله عليه وسلم لعلي حين غاضب فاطمة رضي الله عنهما فاتاه وهو نائم وقد لصق بجنبه التراب فقال له قم يا ابا تراب اشعارا له بانه غير عاتب عليه وملاطفة له وكذلك قوله عليه السلام لحذيفة قم يا نومان وكان نائما ملاطفة له واشعارا بترك المعاتبة والتانيب فقول الله تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم يا ايها المزمل قم فيه تانيس له وملاطفة ليستشعر انه غير عاتب عليه الفائدة الثانية التنبيه لكل متزمل راقد ليله ليتنبه الى قيام الليل وذكر الله تعالى فيه لان الاسم المشتق من الفعل يشترك فيه مع المخاطب كل من عمل ذلك العمل واتصف بتلك الصفة

قوله تعالى قم الليل العامة على كسر الميم لالتقاء الساكنين وابو السمال بضمها اتباعا لحركة القاف وقرئ بفتحها طلبا للخفة قال ابو الفتح الغرض الهرب من التقاء الساكنين فباي حركة حركت الاول حصل الغرض قال شهاب الدين الا ان الاصل الكسر لدليل ذكره النحويون والليل ظرف للقيام وان استغرق الحدث الواقع فيه هذا قول البصريين واما الكوفيون فيجعلون هذا النوع مفعولا به قال القرطبي وهو من الافعال القاصرة الغير المتعدية الى المفعول فاما ظرف الزمان والمكان فسائغ فيه الا ان ظرف المكان لا يتعدى اليه الا بواسطة لا تقول قمت الدار حتى تقول قمت وسط الدار وخارج الدار وقد قيل ان قم هنا معناه صل عبر به عنه واستعير له حتى صار عرفا لكثرة الاستعمال

فصل الليل حده من غروب الشمس الى طلوع الفجر وقد تقدم بيانه في البقرة قال القرطبي واختلف هل كان قيامه فرضا او نفلا والدلائل تقوي ان قيامه كان فرضا لان الندب لا يقع على بعض الليل دون بعض لان قيامه ليس مخصوصا بوقت دون وقت واختلف هل كان فرضا على النبي صلى الله عليه وسلم وحده او عليه وعلى من كان قبله من الانبيا او عليه وعلى امته على ثلاثة اقوال الاول قول سعيد بن جبير لتوجه الخطاب اليه الثاني قول ابن عباس قال كان قيام الليل فريضة على النبي صلى الله عليه وسلم والانبيا قبله الثالث قول عائشة وابن عباس ايضا وهو الصحيح انه كان فرضا عليه وعلى امته لما روى مسلم ان هشام بن عامر قال لعائشة انبئيني عن قيام رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت الست تقرا يا ايها المزمل قلت بلى قالت فان الله عز وجل افترض قيام الليل في اول هذه السورة فقام نبي الله صلى الله عليه وسلم واصحابه حولا وامسك الله عز وجل خاتمتها اثني عشر شهرا في السما حتى انزل الله عز وجل في اخر السورة التخفيف فصار قيام الليل تطوعا بعد فريضة وروى وكيع ويعلى عن ابن عباس قال لما نزلت يا ايها المزمل كانوا يقومون نحوا من قيامهم في شهر رمضان حتى نزل اخرها وكان بين نزول اولها واخرها نحو من سنة وقال سعيد بن جبير مكث النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه عشر سنين يقومون الليل فنزلت بعد عشر سنين ان ربك يعلم انك تقوم ادنى من ثلثي الليل فخفف الله عنهم وقيل كان قيام الليل واجبا ثم نسخ بالصلوات الخمس وقيل فرض عليهم تمييزا للقدر الواجب فقاموا الليل كله فشق ذلك عليهم فنسخ بقوله اخرها فاقرؤوا ما تيسر من القران وكان بين الوجوب والنسخ سنة وقيل نسخ التقدير بمكة وبقي التهجد حتى نسخ بالمدينة وقيل لم يجب التهجد قط لقوله ومن الليل فتهجد به نافلة لك ولانه لو وجب عليه صلى الله عليه وسلم لوجب على امته لقوله فاتبعوه والنسخ على خلاف الاصل ولانه فوض تعيين المقدار الى المكلف وذلك ينافي الوجوب

قوله تعالى الا قليلا نصفه او انقص منه قليلا للناس في هذا كلام كثير واستدل على جواز استثناء الاكثر والنصف واعتراضات واجوبة قال شهاب الدين وها انا اذكر لك محرر ذلك بعون الله تعالى اعلم ان في هذه الاية الكريمة ثمانية اوجه احدها ان نصفه بدل من الليل بدل بعض من كل والا قليلا استثناء من النصف كانه قيل

قم اقل من نصف الليل والضمير في منه وعليه عايد على النصف والمعنى التخيير بين امرين بين ان يقوم اقل من نصف الليل
على البت وبين ان يختار احد الامرين وهما النقصان من النصف والزيادة عليه قاله الزمخشري وناقشه ابو حيان بانه
يلزم منه تكرار اللفظ اذ يصير التقدير قم نصف الليل الا قليلا من نصف الليل او انقص من نصف الليل قال وهذا تركيب ينزه
القران عنه قال شهاب الدين والوجه فيه اشكال لكن لا من هذه الحيثية فان الامر فيها سهل بل لمعنى اخر ساذكره ان شا الله وقد جعل
ابو البقا هذا الوجه مرجوحا فانه قال والثاني هو بدل من قليلا يعني النصف قال وهو اشبه بظاهر الاية لانه قال او انقص منه
او زد عليه والهاء فيهما للنصف فلو كان الاستثنا من النصف لصار التقدير قم نصف الليل الا قليلا او انقص منه قليلا والقليل
المستثنى غير مقدر فالنقصان منه لا يعقل قال شهاب الدين والجواب عنه ان بعضهم قد عين هذا القليل فعن الكلبي ومقاتل هو الثلث
فلم يكن القليل غير مقدر ثم ان في قوله تناقضا لانه قال والقليل المستثنى غير مقدر فالنقصان منه لا يعقل فاعاد الضمير على
القليل وفي الاول اعاده على النصف ولقايل ان يقول قد ينقدح هذا الوجه باشكال قوي وهو انه يلزم منه تكرار المعنى الواحد
وذلك ان قوله قم نصف الليل الا قليلا بمعنى انقص من نصف الليل لان ذلك القليل هو بمعنى النقصان وانت اذا قلت قم نصف الليل
الا القليل من النصف وقم نصف الليل او انقص من النصف وجدتهما بمعنى واحد وفيه دقة فتامله ولم يذكر الحوفي غير هذا
الوجه المتقدم وقد عرف ما فيه وممن ذهب اليه ايضا الزجاج فانه قال نصفه بدل من الليل والا قليلا استثنا من النصف
والضمير في منه وعليه عايد للنصف المعنى قم نصف الليل او انقص من النصف قليلا الى الثلث او زد عليه قليلا الى الثلثين
فكانه قال قم ثلثي الليل او نصفه او ثلثه قال شهاب الدين والتقديرات التي يبرزونها ظاهرة حسنة الا ان التركيب لا يساعد
عليها لما عرفت من الاشكال المذكور آنفا الثاني ان يكون نصفه بدلا من قليلا واليه ذهب الزمخشري وابو البقا وابن عطية
قال الزمخشري وان شئت جعلت نصفه بدلا من قليلا وكان تخييرا بين ثلاث بين قيام النصف بالقلة بالنسبة الى الكل
وهذا هو الذي بتمامه وبين قيام الناقص منه وبين قيام الزايد عليه وانما وصف النصف بالقلة بالنسبة الى الكل وهذا
هو الذي جعله ابو البقا اشبه من جعله بدلا من الليل كما تقدم الا ان ابا حيان اعترض هذا فقال واذا كان نصفه بدلا
من الا قليلا فالضمير في نصفه اما ان يعود على المبدل منه او على المستثنى منه وهو الليل لا جايز ان يعود على المبدل منه لانه يصير
استثنا مجهول من مجهول اذ التقدير الا قليلا نصف القليل وهذا لا يصح له معنى البتة وان عاد الضمير على الليل فلا فايدة في
الاستثنا من الليل اذ كان يكون اخصر واوضح وابعد من الالباس قم الليل نصفه الا قليلا منه اي من النصف وايضا ففي دعوى
ان نصفه بدل من الا قليلا والضمير في نصفه عايد على الليل اطلاق القليل على النصف ويلزم ايضا ان يصير التقدير الا نصفه
فلا تقمه او انقص من النصف الذي لا تقمه وهذا معنى لا يصح وليس المراد من الاية قطعا قال شهاب الدين نقول بجواز عوده
على كل منهما ولا يلزم محذور اما ما ذكره من انه يكون استثنا مجهول من مجهول ممنوع بل هو استثنا معلوم من معلوم لانا
بينا ان القليل قدر معين وهو الثلث والليل فليس بمجهول وايضا فاستثنا المبهم قد ورد قال تعالى ما فعلوه الا قليل منهم
وقال تعالى فشربوا منه الا قليلا منهم وكان حقه ان يقول لانه بدل مجهول من مجهول واما ما ذكره من انه اخصر واوضح
كيت وكيت اما الاخصر فمسلم واما انه ملبس فممنوع وانما عدل عن اللفظ الذي ذكره لانه ابلغ وبهذا الوجه استدل من
قال يجوز استثناء النصف والاكثر ووجه الدلالة على الاول انه جعل قليلا مستثنى من الليل ثم فسر ذلك القليل بالنصف
فكانه قيل قم الليل الا نصفه ووجه الدلالة على الثاني انه عطف او زد عليه على انقص منه فيكون قد استثنى الزايد على
النصف لان الضمير في منه وفي عليه عايد على النصف وهو استدلال ضعيف لان الكثرة انما جاءت بالعطف وهو
نظير ان يقول له عندي عشرة الا خمسة ودرهما فالزيادة على النصف بطريق العطف لا بطريق الاستثنا
اخرج الاكثر بنفسه الثالث ان نصفه بدل من الليل ايضا كما تقدم في الوجه الاول الا ان الضمير في منه وعليه عايد على الاقل من
النصف واليه ذهب الزمخشري فانه قال وان شئت قلت لما كان معنى قم الليل الا قليلا نصفه اذا ابدلت النصف من الليل
يكون المعنى قم اقل من نصف الليل فرجع الضمير في منه وعليه الى الاقل من النصف فكانه قيل قم اقل من نصف الليل او قم انقص
من ذلك الاقل او ازيد منه قليلا فيكون التخيير فيما وراء النصف بينه وبين الثلث الرابع ان يكون نصفه بدلا من قليلا
كما تقدم الا انك تجعل القليل الثاني ربع الليل وقد اوضح الزمخشري هذا ايضا فقال ويجوز اذا ابدلت نصفه من قليلا
وفسرته به ان تجعل قليلا الثاني بمعنى نصف النصف بمعنى الربع كانه قيل او انقص منه قليلا نصفه وتجعل المزيد على هذا
القليل اعني الربع نصف الربع كانه قيل او زد عليه قليلا نصفه ويجوز ان تجعل الزيادة لكونها مطلقة تتمة الثلث فيكون
تخييرا بين النصف والثلث والربع انتهى واختار ابن الخطيب هذا الوجه مع الوجه الثاني فقال وقد اكثر الناس في هذه
الاية وفيها وجهان ملخصان احدهما ان القليل في قوله الا قليلا هو الثلث لان قوله تعالى في اخر السورة ان ربك يعلم انك
تقوم ادنى من ثلثي الليل ونصفه يقتضي ان اكثر المقادير الواجبة هو الثلثان فيكون نوم الثلث جايزا وهو قوله الا قليلا فكانه

قيل قم ثلثي الليل ثم قال نصفه فمعناه او قم نصفه من باب قولهم جالس الحسن او ابن سيرين على الاباحة بحذف العاطف
فالتقدير قم الثلثين او قم النصف او انقص من النصف او زد عليه فالثلثان اقصى الزيادة والثلث اقصى النقصان
فيكون الواجب هو الثلث والزايد عليه مندوبا فان قيل فيلزم على قراءة الخفض في نصفه وثلثه ان يكون النبي صلى الله
عليه وسلم ترك من الواجب ادني لانه تعالى قال ان ربك يعلم انك تقوم ادنى من ثلثي الليل ونصفه وثلثه فيكون المعنى انك
تقوم اقل من الثلثين واقل من النصف واقل من الثلث فاذا كان الثلث واجبا كان صلى الله عليه وسلم تاركا للواجب قلنا المقدار
للنبي قد ينقص منه لعدم انضباطه لانه باجتهاد فربما اخطا فهو كقوله تعالى علم ان لن تحصوه الثاني ان نصفه تفسير لقليلا
لان النصف قليل بالنسبة الى الكل ولان المكلف بالنصف لا يخرج عن العهدة بيقين الا بزيادة شي قليل عليه فيصير في
الحقيقة نصفا وشيا فيكون الباقي بعد ذلك اقل من النصف فالمعنى قم نصف الليل او انقص منه نصفه وهو الربع او زد عليه
نصفه وهو الربع فيصير المجموع ثلاثة ارباع فيكون مخيرا بين ان يقوم تمام النصف او ربع الليل او ثلاثة ارباعه وحينيذ
يزول الاشكال بالكلية لان الربع اقل من الثلث وذلك ان قوله تعالى ان ربك يعلم انك تقوم ادنى من ثلثي الليل ونصفه وثلثه
يدل على انه صلى الله عليه وسلم لم يقم ثلثي الليل ولا نصفه ولا ثلثه لكن الواجب لما كان هو الربع فقط لم يلزم ترك قيام الثلث
الوجه الخامس ان يكون الا قليلا استثنا من القيام فيجعل الليل اسم جنس ثم قال الا قليلا اي الا الليالي التي تخل اي يترك قيامها
عند العذر البين ونحوه وهذا النظر يحسن مع القول بالندب قاله ابن عطية احتمالا من عنده وهذا خلاف الظاهر وتاويل
بعيد السادس قال الاخفش ان الاصل قم الليل الا قليلا او نصفه قال كقولك اعطه درهما درهمين ثلاثة اي او درهمين او ثلاثة
وهذا ضعيف جدا لان فيه حذف حرف العطف وهو ممنوع لم يرد منه الا شي شاذ يمكن تاويله كقولهم اكلت لحما سمكا تمرا
وقول الاخر * كيف اصبحت كيف امسيت مما * يغرس الود في فواد الكريم * اي لحما وسمكا وتمرا وكيف اصبحت
وكيف امسيت وقد خرج الناس هذا على بدل البدا السابع قال التبريزي الامر بالقيام والتخيير في الزيادة والنقصان
وقع على الثلثين من اخر الليل لان الثلث الاول وقت العتمة والاستثنا وارد على المامور به فكانه قال قم ثلثي الليل الا
قليلا اي ما دون نصفه او زد عليه اي على الثلثين فكان التخيير في الزيادة والنقصان واقعا على الثلثين وهو كلام غريب
لا يظهر من هذا التركيب الثامن ان نصفه منصوب على اضمار فعل اي قم نصفه حكاه مكي عن غيره فانه قال نصفه بدل من
الليل وقيل انتصب على اضمار قم نصفه قال شهاب الدين وهذا في التحقيق هو وجه البدل الذي ذكره اولا لان البدل على نية تكرار
العامل **فصل** اختلفوا في الناسخ للامر بقيام الليل فعن ابن عباس وعايشة ان الناسخ قوله تعالى ان ربك يعلم انك تقوم
ادنى من ثلثي الليل الى اخرها وقيل قوله تعالى علم ان لن تحصوه وعن ابن عباس ايضا انه منسوخ بقوله علم ان سيكون منكم مرضى وعن
عايشة ايضا والشافعي وابن كيسان هو منسوخ بالصلوات الخمس وقيل الناسخ قوله تعالى فاقروا ما تيسر منه قال ابو عبد
الرحمن السلمي لما نزلت يا ايها المزمل قاموا حولا حتى ورمت اقدامهم وسوقهم ثم نزل قوله تعالى فاقروا ما تيسر منه قال بعض العلما
وهو فرض نسخ به فرض كان على النبي صلى الله عليه وسلم خاصة لفضله كما قال تعالى ومن الليل فتهجد به نافلة لك قال القرطبي
والقول الاول يعم جميع هذه الاقوال وقد قال تعالى واقيموا الصلوة فدخل فيها قول من قال ان الناسخ الصلوات الخمس وذهب الحسن
وابن سيرين الى ان صلوة الليل كانت فريضة على كل مسلم ولو على قدر حلب شاة وعن الحسن ايضا انه قال في هذه الاية الحمد لله
تطوع بعد الفريضة وهو الصحيح ان شاء الله لما جاء في قيامه من الترغيب والفضل في القران والسنة قالت عايشة كنت اجعل
للنبي صلى الله عليه وسلم حصيرا يصلي عليه من الليل فتسامع الناس به فلما راى جماعتهم كره ذلك وخشي ان يكتب عليهم قيام الليل فدخل
البيت كالمغضب فجعلوا يتنحنحون ويتفلون فخرج اليهم فقال ايها الناس تكلفوا من الاعمال ما تطيقون فان الله لا يمل
من الثواب حتى تملوا من العمل وان خير العمل ادومه وان قل فنزلت يا ايها المزمل فكتب عليهم وانزل بمنزلة الفريضة حتى ان
كان احدهم ليربط الحبل فيتعلق به فمكثوا ثمانية اشهر فنزل قوله ان ربك يعلم انك تقوم ادنى من ثلثي الليل فردهم الله الى
الفريضة ووضع عنهم قيام الليل الا ما تطوعوا به قال القرطبي ومعنى حديث عايشة ثابت في الصحيح الى قوله وان قل
وما فيه يدل على ان قوله تعالى يا ايها المزمل نزل بالمدينة وانهم مكثوا ثمانية اشهر يقومون وقد تقدم عنها في صحيح مسلم
حولا وحكى الماوردي عنها قولا ثالثا وهو ستة عشر شهرا لم يذكره غيره عنها وذكر عن ابن عباس انه كان بين اول المزمل واخرها
سنة قال فاما رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد كان فرضا عليه وفي نسخه عنه قولان احدهما انه كان فرضا عليه
الى ان مات والثاني انه نسخ عنه كما نسخ عن امته وفي مدة فرضه الى ان نسخ قولان احدهما المدة المفروضة على امته في القولين
الماضيين قول ابن عباس حولا وقول عايشة ستة عشر شهرا الثاني انها عشر سنين الى ان خفف عنه بالنسخ **قوله تعالى** ورتل
القران ترتيلا اي لا تعجل في قراءة القران بل اقراه على مهل وبينه تبيينا مع تدبر المعاني قال المبرد اصله من قولهم ثغر رتل
ورتل بكسر العين وفتحها اذا كان حسن التنضيد ورتلت الكلام ترتيلا اذا تمهلت فيه ويقال ثغر رتل اذا كان بين الثنايا

اقرا في قليل فقوله تعالى ترتيلا تاكيد في ايجاب الامر به وانه مما لا بد منه للقارئ وروى الحسن ان النبي صلى الله عليه
وسلم مر برجل يقرأ آية ويبكي فقال الم تسمعوا الى قول الله عز وجل ورتل القرآن ترتيلا هذا الترتيل وروى ابو داود عن عبد
الرحمن بن عمرو قال قال النبي صلى الله عليه وسلم يؤتى بقارئ القرآن يوم القيمة فيوقف في اول درج الجنة ويقال له اقرا
وارق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا فان منزلتك عند آخر آية تقرؤها **قوله تعالى** انا سنلقي عليك قولا ثقيلا الجملة من قوله
انا سنلقي مستانفة وقال الزمخشري وهذه الآية اعتراض ثم قال واراد بهذا الاعتراض ان ما كلفه من قيام الليل من جملة التكاليف
الثقيلة الصعبة التي ورد بها القرآن لان الليل وقت السبات والراحة والهدو فلا بد لمن احياه من مضادة لطبعه ومجاهدة
لنفسه انتهى يعني بالاعتراض من حيث المعنى لا من حيث الصناعة وذلك ان قوله ان ناشئة الليل هي اشد مطابق لقوله قم الليل فكانه
شابه الاعتراض من حيث دخوله بين هذين المتناسبين **فصل** المعنى سنلقي عليك بافتراض صلوة الليل قولا ثقيلا
يثقل حمله لان الليل للمنام فمن امر بقيام اكثره لم يتهيأ له ذلك الا بحمل مشقة شديدة على النفس ومجاهدة للشيطان فهو
امر يثقل على العبد وقيل المعنى سنوحي اليك القرآن وهو قول ثقيل يثقل العمل بشرائعه قال قتادة ثقيل والله فرائضه وحدوده
وقال مجاهد حلاله وحرامه وقال الحسن العمل به وقال ابو العالية ثقيلا بالوعد والوعيد والحلال والحرام وقال محمد بن كعب ثقيلا
على المنافقين لانه يهتك اسرارهم ويبطل اديانهم وقيل على الكفار لما فيه من الاحتجاج عليهم والبيان لضلالتهم وسب آلهتهم
وقال السدي ثقيل بمعنى كريم مأخوذ من قولهم فلان ثقيل علي اي يكرم علي وقال الفراء ثقيلا اي رزينا وقال الحسين بن الفضل
ثقيل لا يحمله الا قلب مؤيد بالتوفيق ونفس مزينة بالتوحيد وقال ابن زيد هو والله ثقيل مبارك كما ثقل في الدنيا يثقل
في الميزان يوم القيمة وقيل ثقيل اي ثابت كثبوت الثقيل في محله ومعناه انه ثابت الاعجاز لا يزول اعجازه ابدا وقيل ثقيل
بمعنى ان العقل الواحد لا يفي بادراك فوائده ومعانيه بالكلية فالمتكلمون غاصوا في بحار معقولاته والفقهاء بحثوا في احكامه
وكذا اهل اللغة والنحو وارباب المعاني ثم لا يزال كل متاخر يفوز منه بفوائد ما وصل اليها المتقدمون فعلمنا ان الانسان
الواحد لا يقوى على الاستقلال بحمله فصار كالجبل الثقيل الذي يعجز الخلق عن حمله وقيل هو الوحي كما جاء في الخبر ان النبي
صلى الله عليه وسلم كان اذا اوحي اليه وهو على ناقته وضعت جرانها يعني صدرها على الارض فما تستطيع ان تتحرك حتى يسرى
عنه وقال القشيري القول الثقيل هنا هو قول لا اله الا الله لانه ورد في الخبر لا اله الا الله خفيفة على اللسان ثقيلة في الميزان
قوله تعالى ان ناشئة الليل في الناشئة اوجه احدها انها صفة لمحذوف اي النفس الناشئة بالليل التي تنشأ من مضجعها للعبادة
اي تنهض وترتفع من نشأت السحابة اذا ارتفعت ونشأ من مكانه ونشز اذا نهض قال الشاعر •

• نشأنا الى خوص برى نيها السرى • واشرف منها مشرفات القماحد •

الثاني انها مصدر بمعنى قيام الليل على انها مصدر من نشأ اذا قام ونهض فيكون كالعافية قالهما الزمخشري الثالث
انها بلغة الحبشة نشأ الرجل اي قام من الليل قال ابو حيان فعلى هذا هي جمع ناشئ اي قائم يعني انها صفة لشيء يفهم الجمع كطائفة
وفرقة ناشئة ولا فاعل لا يجمع على فاعلة قال القرطبي قال ابن مسعود الحبشة يقولون نشأ اي قام قال القرطبي فلعله اراد
ان الكلمة عربية ولكنها شائعة في كلام الحبشة غالبة عليهم والا فليس في القرآن ما ليس من لغة العرب الرابع ان ناشئة الليل
ساعاته واوقاته لانها تنشأ شيئا بعد شيء قال القرطبي لانها تنشأ اولا فاولا يقال نشأ الشيء ينشأ اذا ابتدأ واقبل شيئا
بعد شيء فهو ناشئ وانشأه الله فنشأ فالمعنى ساعات الليل الناشئة فاكتفي بالوصف عن الاسم فالتانيث للفظ ساعة لان كل
ساعة تحدث وقيدها ابن عباس والحسن بما كان بعد العشاء وما كان قبلها فليس بناشئة وخصصتها عائشة بان تكون بعد
النوم فلو لم يتقدمها نوم لم تكن ناشئة **قوله تعالى** هي اشد وطأ وقرأ ابو عمرو وابن عامر بكسر الواو وفتح الطاء بعدها
الف والباقون بفتح الواو وسكون الطاء وقرأ قتادة وشبل عن اهل مكة وطأ بكسر الواو وسكون الطاء وظاهر كلام ابي البقاء
يؤذن انه قرئ بفتح الواو ومع المد فانه قال وطاء بكسر الواو بمعنى مواطاة وبفتحها اسم للمصدر ووطأ على فعل وهو مصدر
وطئ فالوطاء مصدر والطا كقتال مصدر قاتل والمعنى انها اشد مواطاة اي يواطئ قلبها لسانها ان اردت النفس ويواطئ فيها
قلب القائم لسانه ان اردت القيام او العبادة او الساعات واشد موافقة لما يراد من الخشوع والاخلاص والوطء بالفتح والكسر
على معنى اشد ثبات قدم وابعد من الزلل او اثقل واغلظ من صلوة النهار على المصلي من قوله عليه الصلاة والسلام اللهم اشدد وطأتك
على مضر وعلى كل تقدير فانتصابها على التمييز **قوله تعالى** واقوم قيلا حكى الزمخشري ان انسا قرأ واصوب قيلا فقيل له يا ابا
حمزة انما هي واقوم فقال ان اقوم واصوب واهيأ واحد وان ابا سرار الغنوي قرأ فحاسوا خلال الديار بالحاء المهملة فقيل
له هي بالجيم فقال جاسوا وحاسوا واحد قال شهاب الدين وغرضه في هاتين الحكايتين جواز قراءة القرآن بالمعنى وليس في
هذا دليل لانه تفسير معنى وايضا فالذي بين ايدينا قرآن متواتر وهذه الحكاية احاد وقد تقدم ان ابا الدرداء كان يقرئ رجلا
ان شجرة الزقوم طعام الاثيم فجعل الرجل يقول اليتيم فلما تبرم منه قال طعام الفاجر يا هذا فاستدل به على ذلك من يرى جوازه

وليس فيه دليل لانه مقصود ابي الدرداء بيان المعنى فجاء بلفظ مبين قال ابن الانباري وقد ذهب بعض الزائغين الى ان
من قال ان من قرأ بحرف يوافق معنى حرف من القرآن فهو مصيب اذا لم يخالف ولم يأت بغير ما اراد الله واحتجوا بقول انس هذا وهذا قول
لا يعرج عليه ولا يلتفت الى من قال هذا لانه لو قرئ بالفاظ القرآن اذا قاربت معانيها واشتملت على عامتها لجاز ان يقرأ في موضع الحمد لله
رب العالمين الشكر للباري ملك المخلوقين ويتسع الامر في هذا حتى يبطل لفظ جميع القرآن ويكون التالي له مفتريا على الله تعالى كاذبا
على رسوله صلى الله عليه وسلم ولا حجة لهم في قول ابن مسعود نزل القرآن على سبعة احرف انما هو كقول احدكم هلم وتعال واقبل لان
هذا الحديث يوجب ان القراءات المنقولة بالاسانيد الصحاح عن النبي صلى الله عليه وسلم اذا اختلفت الفاظها واتفقت معانيها كان
ذلك فيها بمنزلة الخلاف في هلم وتعال واقبل لان هذا الحديث يوجب ان القراءات المنقولة فاما ما لم يقرأ به النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه
وتابعوهم فانه من اورد حرفا منه في القرآن بهت وبان وخرج عن مذهب الصواب وحلهم الذي جعلوه قاعدتهم في هذه الضلالة
لا تصححه اهل العلم **فصل** بين تعالى في هذه الآية فضل صلوة الليل على صلوة النهار وان الاستكثار من صلوة الليل بالقراءة
فيها ما امكن اعظم للاجر واجلب للثواب كان علي بن الحسين يصلي بين المغرب والعشاء ويقول هذا ناشئة الليل وقال عطاء وعكرمة
هو بدء الليل قال في الصحيح ناشئة الليل اول ساعاته وقال ابن عباس ومجاهد وغيرهما هي الليل كله لانه ينشأ بعد النهار وهو
اختيار مالك قال ابن العربي وهو الذي يعطيه اللفظ وتقتضيه اللغة وقالت عائشة وابن عباس ايضا ومجاهد انما الناشئة
القيام بالليل بعد النوم ومن قام قبل النوم فما قام ناشئة وقال يمان وابن كيسان هو القيام من آخر الليل واما قوله اشد وطأ
اي اثقل على المصلي من ساعات النهار لان الليل وقت منام وراحة فاذا قام الى صلوة الليل فقد تحمل المشقة العظيمة هذا على قراءة كسر
الواو وفتح الطاء واما على قراءة المد فهو مصدر واطأت وطاء ومواطاة اي وافقت على الامر من الوفاق تقول فلان يواطئ اسمه اسمي
اي يوافقه فالمعنى اشد موافقة بين القلب والبصر والسمع واللسان لانقطاع الاصوات والحركات قال مجاهد وابن مليكة وغيرهما
قال تعالى ليواطئوا عدة ما حرم الله اي ليوافقوا وقيل اشد مهادا للتصرف في التفكر والتدبر وقيل اشد ثباتا من النهار فان الليل
يخلو فيه الانسان بما يعمله فيكون ذلك اثبت للعمل والوطء الثبات تقول وطئت الارض بقدمي وقوله اقوم قيلا اي القراءة بالليل اقوم
منها بالنهار اي اشد استقامة واستمرارا على الصواب لان الاصوات هادئة والدنيا ساكنة فلا يضطرب على المصلي ما يقرأه وقال قتادة
ومجاهد اصوب للقراءة واثبت للقول لانه زمان التفهم وقيل اشد استقامة لفراغ البال بالليل وقيل اعجل اجابة للدعاء حكاه ابن شجرة
وقال عكرمة عبادة الليل اتم نشاطا واتم اخلاصا واكثر بركة **قوله تعالى** ان لك في النهار سبحا طويلا قرأ العامة بالحاء المهملة
وهو مصدر سبح وهو استعارة للتصرف في الحوائج من السباحة في الماء وهي البعد فيه وقال القرطبي السبح الجري والدوران ومنه
السابح في الماء لتقلبه بيديه ورجليه وفرس سابح شديد الجري قال امرؤ القيس • اذا ما السابحات على الونا اثرن غبارا بالكديد المركل •
وقيل السبح الفراغ اي ان لك فراغا للحاجات بالنهار وعن ابن عباس وعطاء سبحا طويلا يعني فراغا طويلا يعني لنومك وراحتك فاجعل ناشئة
الليل لعبادتك وقرأ يحيى بن يعمر وعكرمة وابن ابي عبلة سبخا بالخاء المعجمة واختلفوا في تفسيرها فقال الزمخشري استعارة
من سبخ الصوف وهو نفشه ونشر اجزائه لانتشار الهم وتفرق القلب بالشواغل وقيل التسبيخ التخفيف حكى الاصمعي سبخ الله عنك
الحمى اي خففها عنك قال الشاعر • فسبخ عليك الهم واعلم بانه اذا قدر الرحمن شيئا فكائن • اي خفف ومنه قول النبي صلى الله
عليه وسلم لعائشة وقد دعت على سارق رداءها لا تسبخي بدعائك اي لا تخففي وقيل التسبيخ المد يقال سبخي قطنك اي مديه
والسبيخة قطعة من القطن والجمع سبائخ قال الاخطل يصف صائدا وكلابا • فارسلوهن يذرين التراب كما يذري
سبائخ قطن ندف اوتار • وقال ابو الفضل الرازي قرأ ابن يعمر وعكرمة سبخا بالخاء معجمة وقال معناه نوما اي نام
بالنهار لتستعين به على قيام الليل وقد يحتمل هذه القراءة غير هذا المعنى لكنهما فسراها فلا يتجاوز عنه قال شهاب الدين في
هذا نظر لانهما غاية ما في الباب انهما نقلا هذه القراءة وظهر لهما تفسيرها بما ذكرا ولا يلزم من ذلك انه لا يجوز غير
ما ذكرا من تفسير اللفظة وقال ثعلب السبخ بالخاء التردد والاضطراب والسبخ السكون ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم
الحمى من فيح جهنم فسبخوها بالماء اي فسكنوها وقال ابو عمرو السبخ النوم والفراغ فعلى هذا يكون من الاضداد ويكون
بمعنى السبح بالحاء المهملة **قوله تعالى** واذكر اسم ربك اي ادعه باسمائه الحسنى ليحصل لك مع الصلوة محمود العاقبة وقيل
اقصد بعملك وجه ربك عما سواه وقيل واذكر اسم ربك في وعده ووعيده وقال سهل اقرأ بسم الله الرحمن الرحيم في ابتداء
صلاتك توصلك بركة قراءتها الى ربك وتقطعك عما سواه وقيل واذكر اسم ربك في وعده ووعيده لتوفر على طاعته
وتعدل عن معصيته وقال الكلبي صل لربك اي بالنهار قال القرطبي وهذا حسن لانه لما ذكر الليل ذكر النهار اذ هو قسيمه
وقد قال تعالى وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة لمن اراد ان يذكر **قوله تعالى** وتبتل اليه تبتيلا هذا مصدر على
غير الصدر وهو واقع موقع التبتل لان مصدر تفعل تفعل نحو تصرف تصرفا وتكرم تكرما واما التفعيل فمصدر فعل
نحو صرف تصريفا كقول الآخر • وقد تطويت انطواء الحضب • فاوقع الانفعال موقع التفعل قال الزمخشري

لان معنى تبتل بتل نفسه فجيء به على معناه مراعاة لحق الفواصل والتبتل الانقطاع ومنه امراة بتول اي انقطعت عن النكاح وبتلت الحبل قطعته قال الليث البتل تمييز الشيء من الشيء وقالوا طلقة بتلة وهبة بتلة يعنون انقطاعها عن صاحبها فالتبتل ترك النكاح والزهد فيه ومنه الحديث سمي الراهب متبتلا لانقطاعه عن النكاح قال امرؤ القيس • تضيء الظلام بالعشا كانها منارة ممسى راهب متبتل • ومنه الحديث انه نهى عن التبتل وقال يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج والمراد به في الاية الكريمة الانقطاع الى عبادة الله تعالى دون ترك النكاح والتبتل في الاصل الانقطاع عن الناس والجماعات وقيل ان اصله عند العرب التفرد قال ابن عرفة قال ابن العربي هذا فيما مضى واما اليوم وقد مرجت عهود الناس وخفت اماناتهم واستولى الحرام على الحطام فالعزلة خير من الخلطة والعزبة افضل من التاهل ولكن معنى الاية وانقطع عن الاوثان والاصنام وعن عبادة غير الله وكذلك قال مجاهد ومعناه اخلص له العبادة ولم يرد التبتل فصار التبتل مامورا به في القران منهيا عنه في السنة ومتعلق الامر غير متعلق النهي فلا يتناقضان وانما بعث ليبين للناس ما نزل اليهم والتبتل المامور به الانقطاع الى الله باخلاص العبادة كما قال تعالى وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين والتبتل المنهي عنه هو سلوك مسلك النصارى في ترك النكاح والترهب في الصوامع لكن عند فساد الزمان يكون خير مال المسلم غنما يتبع بها شعف الجبال ومواقع القطر يفر بدينه من الفتن قوله تعالى رب المشرق والمغرب قرا الاخوان وابو بكر وابن عامر بجر رب على النعت لربك او البدل منه او البيان له وقال الزمخشري وعن ابن عباس على القسم باضمار حرف القسم كقولك الله لافعلن وجوابه لا اله الا هو كما تقول والله لا احد في الدار الا زيد قال ابو حيان لعل هذا التخريج لا يصح عن ابن عباس لان فيه اضمار الجار ولا يجيزه البصريون الا مع لفظ الجلالة المعظمة خاصة ولان الجملة المنفية في جواب القسم اذا كانت اسمية فانما تنفى بما وحدها ولا تنفى بلا الا الجمل المصدرة بمضارع كثيرا او بماض في معناه قليلا نحو قول الشاعر • ردوا فوالله لا زرناكم ابدا • ما دام في مائنا ورد لوراد • والزمخشري اورد ذلك على سبيل التجويز والتسليم والذي ذكره النحويون هو نفيها بما كقوله • لعمرك ما سعد بخلة آثم • ولا نانا يوم الحفاظ ولا حصر • قال شهاب الدين قد اطلق ابن مالك ان الجملة المنفية سواء كانت اسمية ام فعلية تنفى بما او لا او ان بمعنى ما وهذا هو الظاهر والباقون بالرفع على الابتدا وخبره الجملة من قوله لا اله الا هو او على خبر ابتداء مضمر اي هو رب وهذا احسن لارتباط الكلام بعضه ببعض وقرا زيد بن علي رب بالنصب على المدح وقرا العامة المشرق والمغرب موحدين وعبد الله وابن عباس المشارق والمغارب ويجوز ان ينتصب رب في قراءة زيد من وجهين اخرين احدهما انه بدل من اسم ربك او بيان له او نعت له قاله ابو البقا وهذا يجيء على ان الاسم هو المسمى والثاني انه منصوب على الاشتغال بفعل مقدر اي فاتخذ رب المشرق فاتخذه وما بينهما اعتراض والمعنى ان من علم انه رب المشارق والمغارب انقطع بعمله اليه واتخذه وكيلا اي قايما باموره وقيل كفيلا بما وعدك قوله تعالى واصبر على ما يقولون اي من الاذى والسب والاستهزاء ولا تجزع من قولهم ولا تمتنع من دعائهم وفوض امورهم الي فاني اذا كنت وكيلا لك اقوم باصلاح امرك احسن من قيامك باموره نفسك واهجرهم هجرا جميلا الهجر ترك المخالطة اي لا تتعرض لهم ولا تشتغل بمكافاتهم فان ذلك ترك للدعاء الى الله وكان هذا قبل الامر بالقتال ثم امر بعد ذلك بقتالهم قال قتادة وغيره نسختها اية القتال وقال ابو الدرداء انا لنكشر في وجوه ونضحك في وجوه وان قلوبنا لتلعنهم قال ابن الخطيب وقيل وهو الاصح انها محكمة قوله تعالى وذرني والمكذبين يجوز نصب المكذبين على المعية وهو الظاهر ويجوز على النسق وهو اوفق للصناعة والمعنى ارض بي لعقابهم نزلت في صناديد قريش ورؤساء مكة من المستهزئين وقال مقاتل نزلت في المطعمين يوم بدر وهم عشرة تقدم ذكرهم في الانفال وقال يحيى بن سلام انهم بنو المغيرة وقال سعيد بن جبير اخبرت انهم اثنا عشر رجلا اولي النعمة اي اولي الغنى والترفه واللذة في الدنيا ومهلهم قليلا يعني الى مدة اجالهم قالت عائشة رضي الله عنها لما نزلت هذه الاية لم يكن الا يسيرا حتى وقعت وقعة بدر وقيل ومهلهم قليلا مدة الدنيا قوله تعالى اولي النعمة نعت للمكذبين والنعمة بالفتح التنعم وبالكسر الانعام وبالضم المسرة يقال نعمة ونعمة عين وقوله قليلا نعت لمصدر اي تمهيلا قليلا او لظرف زمان محذوف اي زمانا قليلا قوله تعالى ان لدينا انكالا جمع نكل وفيه قولان اشهرهما انه القيد وقيل الغل وقالت الخنسا • دعاك فقطعت انكاله • وقد كن من قبل لا تقطع • قال الحسن ومجاهد وغيرهما الانكال القيود واحدها نكل وهو ما منع الانسان من الحركة وقيل سمي نكلا لانه ينكل به قال الشعبي اترون ان الله تعالى جعل الانكال في ارجل اهل النار خشية ان يهربوا لا والله ولكنهم اذا ارادوا ان يرتفعوا استسفلت بهم وقال الكلبي الانكال الاغلال وقال مقاتل الانكال انواع العذاب الشديد وقال عليه السلام ان الله تعالى يحب النكل على النكل قال الجوهري بالتحريك قيل وما النكل قال الرجل القوي المجرب على الفرس القوي المجرب ذكره الماوردي قال ومن ذلك سمي القيد نكلا لقوته وكذلك الغل وكل عذاب قوي قال ابن الاعرابي النكل بالتحريك من التنكيل وهو المنع والتنحية عما يريد يقال رجل نكل ونكل كشبه وشبه اي ينكل باعدائه وقد نكل عن الامر ينكل اذا امتنع ومنه النكول في اليمين وهو الامتناع منها وترك الاقدام عليها والجحيم النار المؤججة وطعاما ذا غصة الغصة

الشجى

الشجى وهو ما ينشب في الحلق فلا يساغ ويقال غصصت بالكسر فانت غاص وغصان قال الشاعر • لو بغير الماء حلقي شرق • كنت كالغصان بالماء اعتصاري • والمعنى طعاما غير سايغ ياخذ بالحلق لا هو نازل ولا هو خارج وهو الغسلين والزقوم والضريع قاله ابن عباس وعنه ايضا انه شوك يدخل الحلق فلا ينزل ولا يخرج وقال الزجاج اي طعامهم الضريع وهو شوك كالعوسج وقال مجاهد كالزقوم والغصة الشجى وهو ما ينشب في الحلق من عظم او غيره وجمعها غصص والغصص بالفتح مصدر قولك غصصت يا رجل تغص فانت غاص بالطعام وغصان واغصصته انا والمنزل غاص بالقوم اي ممتلئ بهم ومعنى الاية ان لدينا في الاخرة ما يضاد تنعمهم في الدنيا وهي هذه الامور الاربعة الانكال والجحيم والطعام الذي يغص به والعذاب الاليم والمراد به ساير انواع العذاب قوله تعالى يوم ترجف الارض والجبال اي تتحرك وفي نصب يوم اوجه احدها انه منصوب بذرني وفيه بعد والثاني انه منصوب بنزع الخافض اي هذه العقوبة في يوم ترجف الثالث نصب بالاستقرار المتعلق به لدينا والرابع انه صفة لعذابا فيتعلق بمحذوف اي عذابا واقعا يوم ترجف الخامس انه منصوب باليم والعامة ترجف بفتح التاء وضم الجيم مبنيا للفاعل وزيد بن علي مبنيا للمفعول من ارجفها والراجفة الزلزلة والزعزعة الشديدة قوله تعالى وكانت الجبال اي وتكون الجبال كثيبا مهيلا الكثيب الرمل المجتمع قال حسان • عرفت ديار زينب بالكثيب • كخط الوحي في الورق القشيب • والجمع في القلة اكثبة وفي الكثرة كثبان وكثب كرغيف وارغفة ورغفان ورغف قال ذو الرمة • فقلت لها لا ان اهلي جيرة • لاكثبة الدهنا جميعا وماليا • قال الزمخشري من كثبت الشيء اذا جمعته ومنه الكثبة من اللبن قالت الضابية • احرجها لا واحلب كثبة عجلا • والمهيل اصله مهيول كمضروب فاستثقلت الضمة على الياء فنقلت الى الساكن قبلها وهو الهاء فالتقى ساكنان فاختلف النحاة في العمل ذلك فسيبويه واتباعه حذفوا الواو وكانت اولى بالحذف لانها زايدة وان كانت القاعدة انما تحذف لالتقاء الساكنين الاول ثم كسروا الهاء لتصح الياء ووزنه حينئذ مفعل والكسائي والفراء والاخفش حذفوا الياء لان القاعدة في التقاء الساكنين اذا احتيج الى حذف احدهما حذف الاول وكان ينبغي على قولهم ان يقال فيه مهول الا انهم كسروا الهاء لاجل الياء التي كانت فقلبت الواو ياء ووزنه حينئذ مفول على الاصل ومفيل بعد القلب قال مكي وقد اجازوا كلهم ان ياتي على اصله في الكلام فتقول مهيول ومبيوع وما اشبه ذلك من ذوات الياء فان كان من ذوات الواو لم يجز ان ياتي على اصله في الكلام عند البصريين واجاز الكوفيون نحو مقوول ومصووغ واجازوا كلهم مهول ومبوع على لغة من قال بوع المتاع وقول القول ويكون الاختلاف في المحذوف منه على ما تقدم قال شهاب الدين السمين في مبيوع ومهيول عيبا به لغة تميم والحذف لغة ساير العرب ويقال هلت التراب اهيله هيلا فهو مهيل وفيه لغة اهلته رباعيا اهالة فهو مهال نحو بعته اباعه فهو مباع والمهيل ما انهال تحت القدم اي نصب من هلت التراب اي طرحته وقال القرطبي والمهيل الذي يمر تحت الارض قال الضحاك والكلبي المهيل الذي اذا وطئته بالقدم زل من تحتها واذا اخذت اسفله انهال وقال ابن عباس مهيلا اي رملا سايلا متناثرا قال القرطبي واصله مهيول وهو مفعول من قولك هلت عليه التراب اهيله اهالة وهيلا اذا صببته يقال مهيل ومهيول ومكيل ومكيول ومدين ومديون ومعين ومعيون قال الشاعر • قد كان قومك يحسبونك سيدا • واخال انك سيد معيون • وقال عليه السلام حين شكوا اليه الجدوبة اتكيلون ام تهيلون قالوا نهيل قال كيلوا طعامكم يبارك لكم فيه واعلم انه تعالى لما خوف المكذبين اولي النعمة باهوال يوم القيمة خوفهم بعد ذلك باهوال الدنيا فقال انا ارسلنا اليكم رسولا يريد النبي صلى الله عليه وسلم ارسله الى قريش كما ارسلنا الى فرعون رسولا وهو موسى عليه السلام وهذا تهديد لاهل مكة بالاخذ الوبيل قال مقاتل وانما ذكر موسى وفرعون دون ساير الرسل لان اهل مكة ازدروا محمدا عليه السلام واستخفوا به لانه ولد فيهم كما ان فرعون ازدرى بموسى لانه رباه ونشا فيما بينهم كما قال تعالى الم نربك فينا وليدا وذكر ابن الخطيب هذا السوال والجواب وهو ليس بالقوي لان ابرهيم عليه السلام ولد ونشا فيما بين قوم نمرود وكان ازر وزير نمرود على ما ذكره المفسرون وكذلك القول في نوح وهود وصالح ولوط لقوله تعالى في قصة كل واحد منهم لفظة اخاهم لانه من القبيلة التي بعث اليها قوله تعالى فعصى فرعون الرسول انما عرفه لتقدم ذكره وهذه ال العهدية والعرب اذا قدمت اسما ثم حكت عنه ثانيا اتوا به معرفا بال او اتوا بضميره لئلا يلتبس بغيره نحو رايت رجلا فاكرمت الرجل او فاكرمته ولو قلت فاكرمت رجلا لتوهم انه غير الاول وسياتي تحقيق هذا عند قوله تعالى ان مع العسر يسرا وقوله عليه السلام لن يغلب عسر يسرين قال المهدوي هنا ودخلت الالف واللام في الرسول لتقدم ذكره وكذلك اختير في اول الكتب سلام عليكم وفي اخرها السلام عليكم قوله تعالى فاخذناه اخذا وبيلا اي شديدا وضرب وبيل وعذاب وبيل اي شديد قاله ابن عباس ومجاهد ومنه مطر وابل اي شديد قاله الاخفش وقال الزجاج اي ثقيلا غليظا ومنه قيل للمطر وابل وقيل مهلكا قال الشاعر • اكلت بنيك اكل الضب حتى • وجدت مرارة الكلا الوبيل • واستوبل فلان كذا اي لم يحمد عاقبته وماء وبيل اي وخيم غير مرئ وكلا مستوبل وطعام وبيل ومستوبل اذا لم يمرئ ولم يستمرأ قال زهير • فقضوا منايا بينهم ثم اصدروا • الى كلا مستوبل متوخم • وقالت الخنسا

أكلت بجيله يوم لاقت • تواريس مالك اكلا وبيلا • والوبيل ايضا العصا الضخمة • قال لو اصبح في يمني يديه زمامها
وفي كفي الاخرى وبيلا تحاذره • وكذلك الوبيل بكسر الباء والموبل ايضا الحزمة من الحطب وكذلك الوبيل قال طرفة •
عقيلة شيخ كالوبيل اليلندد • **فصل** قال ابن الخطيب هذه الاية تمسك الاستدلال بها على اثبات القياس لان الكلام
انما ينتظم لو قسنا احدى الصورتين على الاخرى فان قيل هب ان القياس في هذه الصورة حجة فلم قلتم انه في سائر الصور
حجة وحينئذ يحتاج الى قياس سائر القياسات بالقياس على هذه الصورة والا لزم المحذور الذي ذكرتم بل وجه التمسك ان نقول
لولا انه تمهد عندهم ان الشيئين اللذين يشتركان في مناط الحكم يجب اشتراكهما في الحكم والا لما اورد هذا الكلام في هذه الصورة
وذلك لان احتمال الفرق المرجوح قائم ههنا فان للقائل ان يقول لعلهم انما استوجبوا الاخذ الوبيل بخصوصية حال العصيان
في تلك الصورة وتلك الخصوصية غير موجودة ههنا ثم انه تعالى مع قيام هذا الاحتمال جزم بالتسوية في الحكم فهذا الجزم لا بد
وان يقال انه كان مسبوقا بتقرير انه متى وقع الاشتراك في المناط الظاهر وجب الجزم بالاشتراك في الحكم وان الفرق المرجوح
من ان ذلك الخصوص تلك الواقعة لا عبرة به لم يكن لهذا الكلام كثير فائدة ولا معنى لقولنا القياس حجة الا هذا **فصل**
قال ابن الخطيب ومعنى كون الرسول شاهدا عليهم من وجهين الاول انه شاهد عليهم يوم القيمة بكفرهم وتكذيبهم الثاني
ان المراد بكونه شاهدا كونه مبينا للحق في الدنيا ومبينا لبطلان ما هم عليه من الكفر لان الشاهد بشهادته يبين الحق ولذلك
وصفت بانها بينة ولا يمتنع ان يوصف صلى الله عليه وسلم بذلك من حيث انه بين الحق ولذلك قال ابن الخطيب وهذا بعيد لان
الله تعالى قال وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس لا يقصد ولا خيارا ويكون الرسول عليكم شهيدا فبين
انه شاهد عليهم في المستقبل لان حمله على الشهادة في الاخرة حقيقة وحمله على البيان مجاز والحقيقة اولى من المجاز
قوله تعالى فكيف تتقون ان كفرتم يوما يجعل الولدان شيبا يوما منصوب اما بتتقون على سبيل المفعول به تجوزا
وقال الزمخشري يوما مفعول به اي فكيف تتقون انفسكم يوم القيمة وهوله ان بقيتم على الكفر وناقشه ابو حيان فقال
وتتقون مضارع اتقى واتقى ليس بمعنى وقى حتى يفسره به واتقى يتعدى الى واحد ووقى يتعدى الى اثنين قال تعالى ووقاهم
عذاب الجحيم ولذلك قدره الزمخشري تقون انفسكم لكنه ليس تتقون بمعنى تقون فلا يعدى تعديته انتهى ويجوز ان
ينتصب على الظرف اي فكيف لكم بالتقوى يوم القيمة ان كفرتم في الدنيا قال الزمخشري ويجوز ان ينتصب مفعولا به بكفرتم اذا
جعل كفرتم بمعنى جحدتم اي فكيف تتقون الله وتخشونه ان جحدتم يوم القيمة ولا يجوز ان ينتصب ظرفا لانهم لا يكفرون
ذلك اليوم بل يؤمنون لا محالة ويجوز ان ينتصب على اسقاط الجار اي ان كفرتم بيوم القيمة **فصل** قال
القرطبي هذا تقريع وتوبيخ اي كيف تتقون العذاب ان كفرتم وفيه تقديم وتاخير اي كيف تتقون يوما يجعل الولدان
شيبا ان كفرتم وكذا قراءة عبد الله وعطية قال الحسن اي باي صلوة تتقون العذاب باي صوم تتقون العذاب وفيه
اضمار اي كيف تتقون عذاب يوم وقال قتادة والله ما يتقي من كفر بالله ذلك اليوم بشيء واليوم مفعول بتتقون على هذه
القراءة وليس بظرف وان قدر الكفر بمعنى الجحود كان اليوم مفعول كفرتم وقال بعض المفسرين وقف التمام على قوله كفرتم
والابتداء يوما يذهب الى ان اليوم مفعول يجعل والفعل لله عز وجل كانه قال يجعل الله الولدان شيبا في يوم قال ابن الانباري
وهذا لا يصح لان اليوم هو الذي يفعل هذا من شدة هوله وقال المهدوي والضمير في يجعل يجوز ان يكون لله عز وجل
ويجوز ان يكون لليوم واذا كان لليوم صلح ان يكون صفة له ولا يصلح ذلك اذا كان الضمير لله عز وجل الا مع تقدير حذف
كانه قال يوما يجعل الله الولدان فيه شيبا وقال ابن الانباري ومنهم من نصب اليوم بكفرتم وهذا قبيح لان اليوم اذا علق بكفرتم
احتاج الى صفة كفرتم اليوم فان احتج محتج بان الصفة قد تحذف وينصب ما بعدها احتججنا عليه بقراءة عبد الله فكيف تتقون
يوما قال القرطبي هذه القراءة ليست بمتواترة وانما جاءت على وجه التفسير واذا كان الكفر بمعنى الجحود فيوم مفعول صريح
من غير صفة ولا حذف فيها اي فكيف تتقون الله وتخشونه ان جحدتم يوم القيمة والجزاء والعامة على تنوين يوما وجعل الجملة
بعده نعتا له والعائد محذوف اي يجعل الولدان فيه قال ابو البقا ولم يتعرض للفاعل في يجعل وهو على هذا ضمير الباري تعالى
اي يوما يجعل الله فيه واحسن من هذا ان يجعل العائد مضمرا في يجعل هو فاعله ويكون نسبة الجعل الى اليوم من باب المبالغة
اي ان نفس اليوم يجعل الولدان شيبا وقرا زيد بن علي يوم يجعل باضافة الظرف للجملة والفاعل على هذا هو ضمير الباري تعالى
والجعل هنا بمعنى التصيير فشيبا مفعول ثان وقرا ابو السمال فكيف تتقون بكسر النون على الاضافة والولدان الصبيان
وقال السدي هم اولاد الزنا وقيل اولاد المشركين والعموم اصح اي يوم يشيب فيه الصغير من غير كبر وذلك حين يقال لادم
يا ادم قم فابعث بعث النار وقال القشيري ثم اهل الجنة يغير الله احوالهم واوصافهم على ما يريد وقيل هذا ضرب مثل
لشدة ذلك اليوم وهو مجاز لان يوم القيمة لا يكون فيه ولدان ولكن معناه ان هيبة ذلك اليوم بحال لو كان فيه هناك
صبي لشاب راسه من الهيبة ويقال هذا وقت الفزع قبل ان ينفخ في الصور نفخة الصعق والله اعلم وشيبا جمع اشيب واصل

السين

الشين الضم فكسرت لتصح الياء نحو احمر وحمر قال الشاعر • منا الذي هو ما ان طر شاربه • والعانسون ومنا المرد والشيب •
وقال اخر • لعبن بنا شيبا وشيبننا مردا • قال الزمخشري وفي بعض الكتب ان رجلا امسى فاحم الشعر كحنك الغراب
واصبح وهو ابيض الراس واللحية كالثغامة فقال اريت القيمة والجنة والنار في المنام ورايت الناس يقادون في السلاسل
الى النار فمن هول ذلك اصبحت كما ترون ويجوز ان يوصف اليوم بالطول وان الاطفال يبلغون فيه اوان الشيخوخة والشيب
قال ابن الخطيب ان الله تعالى ذكر من هول ذلك اليوم امرين الاول جعل الولدان شيبا وفيه وجهان الاول انه مثل في الشدة يقال
في اليوم الشديد يوم يشيب نواصي الاطفال والاصل فيه ان الهموم والاحزان اذا تفاقمت على الانسان اسرع فيه الشيب لان
كثرة الهموم توجب انعصار الروح الى داخل القلب وذلك الانعصار يوجب انطفاء الحرارة الغريزية وضعفها يوجب بقاء
الاجزاء الغذائية غير تامة النضج وذلك يوجب استيلاء البلغم على الاخلاط وذلك يوجب ابيضاض الشعر فلما راوا ان حصول
الشيب من لوازم كثرة الهموم جعلوا الشيب كناية عن الشدة والهموم وليس المراد ان هول ذلك اليوم يجعل الولدان شيبا
حقيقة لان ايصال الالم والخوف الى الصبيان غير جائز يوم القيمة الثاني ما تقدم من طول اليوم وان الاطفال يبلغون فيه
اوان الشيخوخة والشيب **قوله تعالى** السماء منفطر به صفة اخرى اي متشققة بسبب هوله وشدته فتكون الباء سببية
وجوز الزمخشري ان تكون للاستعانة فانه قال والباء في به مثلها في قولك فطرت العود بالقدوم فانفطر به وقال
القرطبي ومعنى به اي فيه اي في ذلك اليوم لهوله هذا احسن ما قيل فيه ويقال مثقلة به اثقالا يؤدي الى انفطارها
لعظمته عليها وخشيتها من وقوعها كقوله تعالى ثقلت في السموات والارض وقيل به اي لذلك اليوم يقال فعلت كذا بجرمك
ولجرمك والباء واللام وفي متقاربة في مثل هذا الموضع قال تعالى ونضع الموازين القسط ليوم القيمة اي في يوم القيمة
وقيل به اي بالامر اي السماء منفطر بما يجعل الولدان شيبا وقيل منفطر بالله اي بامره وانما لم يؤنث الصفة لوجوه منها قال
ابو عمرو بن العلا لانها بمعنى السقف تقول هذا سماء البيت قال تعالى وجعلنا السماء سقفا محفوظا ومنها انها على النسب
اي ذات انفطار نحو امراة مرضع وحائض اي ذات رضاع وذات حيض ومنها انها تذكر وتؤنث انشد الفراء
فلو رفع السماء اليه قوما • لحقنا بالسماء وبالسحاب •
ومنها انها اسم جنس يفرق بينه وبين واحده بالتاء فيقال سماءة وقد تقدم ان اسم الجنس يذكر ويؤنث ولهذا قال ابو علي
الفارسي هو كقوله جراد منتشر والشجر الاخضر واعجاز نخل منقعر يعني فجاء على احد الجائزين وقيل لان تانيثها ليس بحقيقي
وما كان كذلك جاز تذكيره قال الشاعر • والعين بالاثمد الحيري مكحول • **قوله تعالى** كان وعده مفعولا
يجوز ان يكون الضمير لله تعالى وان لم يجر له ذكر للعلم به فيكون المصدر مضافا لفاعله ويجوز ان يكون لليوم فيكون مضافا
لمفعوله والفاعل وهو الله مقدر **فصل** قال المفسرون كان وعده بالقيمة والحساب والجزاء مفعولا
كائنا لا شك فيه ولا خلف وقال مقاتل كان وعده بان يظهر دينه على الدين كله **قوله تعالى** ان هذه تذكرة اي هذه السورة
او الايات عظة وقيل ايات القران اذ هو كالسورة الواحدة فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا لان هذه الايات مشتملة على
انواع الهداية والارشاد فمن شاء ان يؤمن ويتخذ بذلك الى ربه سبيلا اي طريقا الى رضاه ورحمته فليرغب فقد امكن له
لانه اظهر له الحجج والدلائل وقيل نسخت باية السيف وكذلك قوله تعالى لمن شاء ذكره قال الثعلبي والاشبه انه غير منسوخ **قوله تعالى**
ان ربك يعلم انك تقوم ادنى من ثلثي الليل العامة على ضم اللام من ثلثي وهو الاصل كالربع والسدس وقرا هشام باسكانها
تخفيفا **قوله تعالى** ونصفه وثلثه قرا الكوفيون وابن كثير بنصبهما والباقون بجرهما وفي الجر اشكال ياتي ان شاء الله تعالى
فالنصب نسق على ادنى لانه بمعنى وقتا ادنى اي اقرب استعير الدنو لقرب المسافة في الزمان وهذا مطابق لما في اول السورة
من التقسيم وذلك انه اذا قام ادنى من ثلثي الليل فقد صدق عليه انه قام الليل الا قليلا لان الزمان الذي لم يقم فيه يكون الثلث
وشيئا من الثلثين فيصدق عليه قوله الا قليلا وعلى قراءة النصب واما قوله ونصفه فهو مطابق لقوله او لا نصفه واما قوله
وثلثه فان قوله او انقص منه قليلا قد ينتهي النقص في القليل الى ان يكون الوقت ثلثي الليل واما قوله او زد عليه فانه اذا زاد
على النصف قليلا كان الوقت اقل من الثلثين فيكون قد طابق ادنى من ثلثي الليل ويكون قوله تعالى نصفه او انقص منه قليلا
شرحا لمبهم ما دل عليه قوله قم الليل الا قليلا وعلى قراءة النصب فسر الحسن تحصوه بمعنى تطيقوه واما قراءة الجر فمعناها انه
قيام مختلف مرة ادنى من الثلثين ومرة ادنى من النصف ومرة ادنى من الثلث وذلك لتعذر معرفة البشر بمقدار الزمان مع عذر
النوم وقد اوضح هذا كله الزمخشري فقال وقرئ نصفه وثلثه بالنصب على انك تقوم اقل من الثلثين وتقوم النصف والثلث
وهو مطابق لما مر في اول السورة من التخيير بين قيام النصف بتمامه وبين قيام الناقص منه وهو الثلث وبين قيام الزائد عليه
وهو الادنى من الثلثين وقرئ بالجر اي تقوم اقل من الثلثين واقل من النصف والثلث وهو مطابق للتخيير بين النصف وهو ادنى
من الثلثين والثلث وهو ادنى من النصف والربع وهو ادنى من الثلث وهو الوجه الاخير انتهى يعني بالوجه الاخير ما قرر في اول السورة

من التاويلات وقال ابو عبد الله الفاسي وفي قراءة النصب اشكال لانه قدر نصفه تارة وثلثه تارة واقل من النصف والثلث
تارة فيصح المعنى **فصل** قال القرطبي هذه الاية تفسير لقوله تعالى قم الليل الا قليلا نصفه او انقص منه قليلا او زد
عليه كما تقدم وهي الناسخة لفريضة قيام الليل كما تقدم ومعنى قوله تقوم اي تصلي وادنى اي اقل وقرا ابن السميقع وابو حيوة
وهشام عن اهل الشام ثلثي باسكان اللام ونصفه وثلثه بالخفض قراءة العامة كما تقدم وهي اختيار ابي عبيد وابي حاتم عطفا
على ثلثي والمعنى وتقوم ادنى من ثلثي الليل ومن نصفه وثلثه لقوله تعالى علم ان لن تحصوه فكيف تقومون نصفه او ثلثه وهم
لا تحصونه واما قراءة النصب عطفا على ادنى والتقدير تقوم ادنى من ثلثي الليل وتقوم نصفه وثلثه قال الفراء وهو اشبه بالصواب
لانه قال اقل من الثلثين ثم ذكر نفس القلة لا اقل من القلة قال القشيري وعلى هذه القراءة يحتمل انهم كانوا يصيبون الثلث والنصف
لخفة القيام عليهم بذلك العدد وكانوا يزيدون وفي الزيادة اصابة المقصود فاما الثلثان فكان يثقل عليهم قيامه فما يصيبونه
وينقصون منه ويحتمل انهم امروا بالقيام نصف الليل ورخص لهم في الزيادة والنقصان وكانوا ينتهون في الزيادة الى قريب
من الثلثين وفي النصف الى الثلث ويحتمل انهم قدر لهم النصف وانقص الى الثلث والزيادة الى الثلثين وكان فيهم من يفي بذلك
وفيهم من يترك ذلك الى ان نسخ عنهم وقيل انما فرض عليهم الربع وكانوا ينقصون من الربع قاله القرطبي وهذا تحكم **قوله تعالى** وطائفة
من الذين معك رفع بالعطف على الضمير في تقوم وجوز ذلك الفصل بالظرف وما عطف عليه **قوله تعالى** والله يقدر الليل
قال الزمخشري وتقديم اسم الله عز وجل مبتدا مبنيا عليه يقدر هو الدال على معنى الاختصاص بالتقدير ونازعه ابو حيان في ذلك
وقال لو قيل زيد يحفظ القران لم يدل ذلك على اختصاصه وجعل الاختصاص في الاية مفهوما من السياق لا من السباق والمعنى
يعلم مقادير الليل والنهار على حقائقها وانتم تعلمون بالتحري والاجتهاد الذي يقع فيه الخطا **قوله تعالى** علم ان لن تحصوه ان
وان سيكون كلاهما مخففة من الثقيلة والفاصل النفي وحرف التنفيس والمعنى علم ان لن تطيقوا معرفة حقائق ذلك والقيام
اي ان الله هو الذي يعلم مقادير الليل والنهار على حقيقة وقيل المعنى ان لن تطيقوا قيام الليل والاول اصح لان قيام الليل ما فرض
كله قط قال مقاتل وغيره لما نزل قم الليل الا قليلا نصفه او انقص منه قليلا او زد عليه شق ذلك عليهم وكان الرجل لا يدري متى نصف
الليل من ثلثه فيقوم حتى يصبح مخافة ان يخطي فانتفخت اقدامهم وانتقعت الوانهم فخفف الله عنهم وقال علم ان لن تحصوه اي علم انكم ان
زدتم ثقل عليكم واحتجتم الى تكلف ما ليس فرضا وان نقصتم شق ذلك عليكم **قوله تعالى** فتاب عليكم اي فعاد عليكم بالعفو وهذا
يدل على انه كان فيهم من ترك بعض ما امر به وقيل فتاب عليكم من فرض القيام او عن عجزكم واصل التوبة الرجوع كما تقدم فالمعنى
رجع لكم من تثقيل الى تخفيف ومن عسر الى يسر وانما امروا بحفظ الاوقات بالتحري فخفف عنهم ذلك التحري وقيل معنى قوله والله
يقدر الليل والنهار اي يخلقهما مقدرين كقوله تعالى وخلق كل شيء فقدره تقديرا قال ابن العربي تقدير الخلقة لا يتعلق به حكم
وانما ربط الله به ما شاء من وظائف التكليف **قوله تعالى** فاقرءوا ما تيسر من القران قيل المراد نفس القراءة اي فاقرءوا
فيما تصلون به بالليل ما خف عليكم قال السدي مائة اية كتب من القانتين وقال سعيد خمسون اية قال القرطبي قول كعب اصح لقوله
عليه السلام من قام بعشر ايات من القران لم يكتب من الغافلين ومن قام بمائة اية كتب من القانتين ومن قام بالف اية كتب
من المقنطرين خرجه ابو داود الطيالسي وروى انس بن مالك قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من قرا خمسين اية
في يوم او في ليلة لم يكتب من الغافلين ومن قرا مائة اية كتب من القانتين ومن قرا مائتي اية لم يحاجه القران يوم القيمة ومن قرا خمسمائة
اية كتب له قنطار من الاجر وقوله من المقنطرين اي اعطي قنطارا من الاجر وجاء في الحديث ان القنطار الف ومائتا اوقية
والاوقية خير مما بين السماء والارض وقال ابو عبيدة القناطير واحدها قنطار ولا تجد العرب تعرف وزنه ولا واحد للقنطار
من لفظه وقال ثعلب المعمول عليه عند العرب انه اربعة الاف دينار فاذا قالوا قناطير مقنطرة فهي اثنا عشر الف دينار وقيل
ان القنطار ملء جلد ثور ذهبا وقيل ثمانون الفا وقيل هو جملة كثيرة مجهولة من المال نقله ابن الاثير وقيل المعنى فاقرءوا ما
تيسر من القران اي فصلوا ما تيسر عليكم والصلوة تسمى قرانا قال تعالى وقران الفجر اي صلوة الفجر قال ابن العربي والاول اصح
لانه اخبر عن الصلوة واليها رجع القول قال القرطبي الاول اصح حملا للخطاب على ظاهر اللفظ والقول الثاني مجاز لانه من تسمية
الشيء ببعض ما هو من اعماله **فصل** قال بعض العلماء قوله تعالى فاقرءوا ما تيسر من القران نسخ قيام الليل ونصفه
والنقصان من النصف والزيادة عليه ثم يحتمل قول الله عز وجل فاقرءوا ما تيسر منه معنيين احدهما ان يكون فرضا
ثابتا لانه ازيل به فرض غيره والاخر ان يكون فرضا منسوخا ازيل بغيره كما ازيل به غيره وذلك بقول الله تعالى ومن الليل
فتهجد به نافلة لك فاحتمل قوله تعالى ومن الليل فتهجد به نافلة لك اي تتهجد بغير الذي فرض عليه مما تيسر منه قال الشافعي
فكان الواجب طلب الاستدلال بالسنة على احد المعنيين فوجدنا سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم تدل على ان لا واجب
من الصلوة الا الخمس **فصل** قال القشيري والمشهور ان نسخ قيام الليل كان في حق الامة وبقيت الفريضة
في حق النبي صلى الله عليه وسلم وقيل انما نسخ التقدير بمقدار وبقي اصل الوجوب كقوله تعالى فما استيسر من الهدي

فالهدي لا بد منه كذلك لا بد من صلوة الليل ولكن فوض تقديره الى اختيار المصلي وعلى هذا فقال قوم فرض قيام الليل
بالقليل باق وهو مذهب الحسن وقال الشافعي بل نسخ بالكلية فلا تجب صلوة الليل اصلا ولعل الفريضة التي بقيت في حق النبي صلى
الله عليه وسلم هي هذا وهو قيامه ومقداره مفوض الى خيرته واذا ثبت ان القيام ليس فرضا فقوله تعالى فاقرءوا ما تيسر منه
معناه اقرءوا ان تيسر عليكم ذلك وصلوا ان شئتم وقال قوم ان النسخ بالكلية تقرر في حق الرسول صلى الله عليه وسلم ايضا فما
كانت صلوة الليل واجبة عليه وقوله نافلة لك محمول على حقيقة النفل ومن قال نسخ المقدار وبقي اصل وجوب قيام الليل ثم نسخ فهذا
النسخ الثاني وقع ببيان مواقيت الصلوة كقوله تعالى اقم الصلوة لدلوك الشمس الاية وقوله تعالى فسبحان الله حين تمسون الاية وما
في الخبر من ان الزيادة على الصلوات الخمس تطوع وقيل وقع النسخ بقوله تعالى ومن الليل فتهجد به نافلة لك والخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم
وللامة كان فرضية الصلوة وان خوطب بها النبي صلى الله عليه وسلم في قوله يا ايها المزمل قم الليل فهي عامة له ولغيره وقد قيل
ان فرضية قيام الليل امتدت الى ما بعد الهجرة ونسخت بالمدينة لقوله تعالى علم ان سيكون منكم مرضى واخرون يضربون في الارض يبتغون
من فضل الله واخرون يقاتلون في سبيل الله وانما فرض القتال بالمدينة فعلى هذا بيان المواقيت جرى بمكة فقيام الليل نسخ بقوله
تعالى ومن الليل فتهجد به نافلة لك وقال ابن عباس لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة نسخ قوله ان ربك يعلم انك تقوم
وجوب صلوة الليل **قوله تعالى** علم ان سيكون منكم مرضى الاية بين سبحانه علة تخفيف قيام الليل فان الخلق منهم المريض ويشق
عليه ان يقوم للصلوة والمسافر في التجارات قد لا يطيق قيام الليل والمجاهد كذلك فخفف الله عن الكل لاجل هؤلاء وقال ابن الخطيب
لما علم الله تعالى اعذار هؤلاء يعني المريض والمسافر والمجاهد فلو لم يناموا في الليل لتوالت عليهم اسباب المشقة وهذا السبب ما كان
موجودا في حق النبي صلى الله عليه وسلم كما قال تعالى ان لك في النهار سبحا طويلا فلا جرم لم ينسخ وجوب التهجد في حقه عليه السلام
وان في قوله ان سيكون مخففة من الثقيلة اي علم انه سيكون **قوله تعالى** واخرون عطف على مرضى اي علم ان سيوجد منكم قوم مرضى
وقوم اخرون مسافرون فيضربون نعت لاخرون وكذلك يبتغون ويجوز ان يكون يبتغون حالا من فاعل يضربون واخرون
عطف على اخرون ويقاتلون صفته **فصل** سوى الله تعالى في هذه الاية بين درجة المجاهدين والمكتسبين
للمال الحلال للنفقة على نفسه وعياله والاحسان فكان هذا دليلا على ان كسب المال بمنزلة الجهاد لانه جمعه مع الجهاد في سبيل الله قال
عليه السلام ما من جالب يجلب طعاما من بلد الى بلد فيبيعه بسعر يومه الا كانت منزلته عند الله تعالى منزلة الشهداء ثم قرا رسول
الله صلى الله عليه وسلم واخرون يضربون في الارض يبتغون من فضل الله واخرون يقاتلون في سبيل الله وقال ابن مسعود
ايما رجل جلب شيئا الى مدينة من مداين المسلمين صابرا محتسبا فباعه بسعر يومه كان له عند الله منزلة الشهداء وقرا واخرون يضربون
في الارض يبتغون من فضل الله واخرون يقاتلون في سبيل الله وقال ابن عمر ما خلق الله موتة اموتها بعد الموت في سبيل الله احب
الي من الموت بين شعبتي رحل ابتغي من فضل الله ضاربا في الارض وقال طاوس الساعي على الارملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله
قوله تعالى فاقرءوا ما تيسر منه اي صلوا ما امكن فاوجب الله من صلوة الليل ما تيسر ثم نسخ ذلك بايجاب الصلوات الخمس
على ما تقدم وقال عبد الله بن عمر قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عبد الله لا تكن مثل فلان كان يقوم الليل فترك قيام الليل
ولو كان فرضا ما اقره النبي صلى الله عليه وسلم ولا اخبر بمثل هذا الخبر عنه بل كان يذمه غاية الذم **فصل**
اذا ثبت ان قيام الليل ليس بفرض وان قوله فاقرءوا ما تيسر من القران فاقرءوا ما تيسر منه محمول على ظاهره من القراءة في الصلوة
فاختلف العلماء في قدر ما يلزمه ان يقرا به في الصلوة فقال مالك والشافعي فاتحة الكتاب لا يجزي العدول عنها ولا الاقتصار
على بعضها وقدره ابو حنيفة باية واحدة من اي القران كانت وعنه ثلاث ايات لانها اقل سورة وقيل المراد به قراءة القران في
غير الصلوة قال الماوردي فعلى هذا القول يكون مطلق الامر محمولا على الوجوب ليقف بقراءته على اعجازه وما فيه من دلائل
التوحيد وبعث الرسل ولا يلزمه اداء قراءته وعرف اعجازه ودلائل التوحيد منه ان يحفظه لان حفظ القران من القرب المستحبة
دون الواجبة والاكثرون على انه للاستحباب لانه لو وجب علينا قراءته لوجب حفظه وفي قدر الواجب اقوال الاول قال
الضحاك جميع القران لان الله تعالى يسره على عباده الثاني قال جويبر ثلث القران الثالث قال السدي مائتا اية الرابع قال ابن
عباس مائة اية الخامس قال ابو خالد الكناني ثلاث ايات كاقصر سورة **قوله تعالى** واقيموا الصلوة يعني المفروضة وهي الخمس
لوقتها واتوا الزكوة الواجبة في اموالكم قاله عكرمة وقتادة وقال الحارث العكلي صدقة الفطر لان زكوة الاموال وجبت بعد ذلك
وقيل صدقة التطوع وقيل كل فعل خير وقال ابن عباس طاعة الله والاخلاص **قوله تعالى** واقرضوا الله قرضا حسنا القرض الحسن
ما اريد به وجه الله تعالى خالصا من المال الطيب وقال زيد بن اسلم القرض الحسن النفقة على الاهل وقيل صلة الرحم وقرى الضيف
وقال عمر بن الخطاب هو النفقة في سبيل الله **قوله تعالى** وما تقدموا لانفسكم من خير تجدوه عند الله تقدم في سورة البقرة
قوله تعالى هو خيرا العامة على نصب خيرا مفعولا ثانيا وهو اما تاكيد للمفعول الاول او فصل وجوز ابو البقاء ان يكون بدلا
وهو غلط لانه كان يلزم ان يطابقه ما قبله في الاعراب فيقال اياه وقرا ابو السمال وابن السميفع خير على ان يكون هو مبتدا وخير خبره

والجملة مفعول ثان ليجدوه قال ابو زيد هي لغة بني تميم يرفعون ما بعد الفصل وانشد سيبويه قوله

• تحن الى ليلى وانت تركتها • وكنت عليها بالملا انت اقدر •

والقوافي مرفوعة ويروى اقدرا بالنصب قال الزمخشري وهو فصل وجاز وان لم يقع بين معرفتين لان افعل من اشبه في امتناعه من حرف التعريف المعرفة قال شهاب الدين هذا هو المشهور وبعضهم يجوزه في غير افعل من النكرات وقال القرطبي ونصب خيرا واعظم على المفعول الثاني ليجدوه وهو فصل عند البصريين وعماد في قول الكوفيين لا محل له من الاعراب واجرا تمييز

فصل المعنى وما تقدموا لانفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيرا من الذي يؤخره الى الوصية عند الموت قاله ابن عباس وقال الزجاج خير لكم من متاع الدنيا وقوله واعظم اجرا قال ابو هريرة يعني الجنة ويحتمل ان يكون اعظم اجرا لاعطائه بالحسنة عشرا واستغفروا الله اي سلوه المغفرة لذنوبكم ان الله غفور لما كان قبل التوبة رحيم لكم بعدها قاله سعيد بن جبير وقيل غفور رحيم لمن لم يصر على الذنوب وقال مقاتل غفور لجميع الذنوب لان قوله غفور يتناول التايب والمصر بدليل انه يصح استثناء كل واحد منهما وحكم الاستثناء اخراج ما لولاه لدخل وايضا غفران التايب واجب عند الخصم فلا يحصل المدح باداء الواجب والغرض من الاية تقرير المدح فوجب حمله على الكل تحقيقا للمدح روى الثعلبي عن ابي بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة يا ايها المزمل رفع عنه العسر في الدنيا والاخرة والله اعلم

سورة المدثر

مكية وهي ست وخمسون اية ومايتان وخمس وخمسون كلمة والف وعشرة احرف بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى يا ايها المدثر اي يا ايها الذي قد تدثر بثيابه اي تغشى بها ونام وقرا العامة بتشديد الدال وكسر الثاء اسم فاعل من تدثر واصله المتدثر فادغم كالمزمل وفي حرف ابي المتدثر على الاصل المشار اليه وقرا عكرمة بتخفيف الدال اسم فاعل من دثر بالتشديد ويكون المفعول محذوفا اي المدثر نفسه كما تقدم في المزمل وعنه ايضا فتح الثاء ومعنى تدثر لبس الدثار وهو الثوب الذي فوق الشعار والشعار ما يلي الجسد وفي الحديث الانصار شعار والناس دثار وسيف داثر بعيد العهد بالصقال ومنه قيل للمنزل الدارس داثر لذهاب اعلامه وفلان دثر المال اي حسن القيام به **قوله تعالى** قم اما ان يكون من القيام المعهود فيكون المعنى قم من مضجعك واما من قام بمعنى الاخذ في القيام كقوله

• فقام يذود الناس عنها بسيفه • وقوله • على ما قام يشتمني لئيم •

في احد القولين فيكون المعنى قيام عزم وتصميم والقول الاخر ان قام مزيد وفي جعلها بمعنى الاخذ في القيام نظر لانه حينئذ يصير من اخوات عسى فلا بد له من خبر يكون فعلا مضارعا مجردا من ان **قوله تعالى** فانذر مفعوله محذوف اي انذر قومك عذاب الله والاحسن ان لا يقدر له اي اوقع الانذار

فصل المعنى يا ايها الذي قد تدثر بثيابه اي تغشى بها ونام وقيل ليس المراد التدثر بالثوب فان قلت تدثر بالثوب ففيه وجوه احدها ان هذا من اوايل ما نزل من القران روى جابر عن عبد الله رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال كنت على جبل حرا فنوديت يا محمد انك لرسول فنظرت عن يميني ويساري فلم ار احدا فنظرت فوقي فرايت الملك الذي جاءني بحرا جالسا على كرسي بين السماء والارض فخفت فرجعت الى خديجة فقلت دثروني وصبوا علي ماء باردا فانزل الله تعالى يا ايها المدثر وثانيها ان ابا جهل وابا لهب وابا سفيان والوليد بن المغيرة والنضر بن الحرث وامية بن خلف والعاص بن وايل والمطعم بن عدي اجتمعوا وقالوا ان وفود العرب يجتمعون في ايام الحج وهم يسالون عن امر محمد صلى الله عليه وسلم وقد اختلفتم في الاخبار عنه فمن قايل هو مجنون وقايل هو كاهن وقايل ساحر وتعلم العرب ان هذا كله لا يجتمع في رجل واحد فيستدلون باختلاف الاجوبة على انها اجوبة باطلة فسموا محمدا باسم واحد يجتمعون عليه وتسمية العرب به فقام رجل منهم فقال انه شاعر فقال الوليد سمعت كلام عبيد بن الابرص الكاهن يصدق ويكذب وما كذب محمد صلى الله عليه وسلم قط فقال الاخر انه مجنون فقال الوليد المجنون يخنق الناس وما خنق محمد قط ثم قام الوليد فانصرف الى بيته فقال الناس صبا الوليد بن المغيرة فدخل عليه ابو جهل فقال ما لك يا ابا عبد شمس هذه قريش تجمع لك شيا يعطونه لك زعموا انك قد احتجت وصبات فقال الوليد ما لي اليه حاجة ولكني فكرت في محمد فقلت انه ساحر لان الساحر هو الذي يفرق بين الاب وابنه وبين الاخ واخيه وبين المراة وزوجها فشاع ذلك في الناس فصاحوا يقولون محمد ساحر والناس يجتمعون فوقعت الصيحة في الناس فلما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك اشتد عليه ورجع الى بيته محزونا فتدثر بقطيفة فانزل الله تعالى يا ايها المدثر وثالثها انه صلى الله عليه وسلم كان نايما متدثرا بثيابه فجاءه جبريل عليه السلام وايقظه وقال يا ايها المدثر قم فانذر كانه قال اترك التدثر بالثياب واشتغل بهذا المنصب الذي نصبك الله له

تعالى له وان قلنا انه ليس المراد منه التدثر بالثياب ففيه وجوه الاول قال عكرمة المعنى يا ايها المدثر بالنبوة والرسالة وانقالها من قولهم البسه الله لباس التقوى وزينه برداء العلم قال ابن العربي وهذا مجاز بعيد لانه لم يكن نبيا بعد لان قلنا انها اول ما نزل الثاني ان المدثر بالثوب يكون كالمختفي فيه صلى الله عليه وسلم كان في جبل حرا كالمختفي من الناس فكانه قيل يا ايها المتدثر بدثار الاختفاء قم بهذا الامر واخرج من زاوية الخمول واشتغل بانذار الخلق والدعوة الى معرفة الحق الثالث انه تعالى جعله رحمة للعالمين فكانه قيل يا ايها المدثر باثواب العلم العظيم والخلق الكريم والرحمة الكاملة قم فانذر عذاب ربك

فصل قوله تعالى يا ايها المدثر ملاطفة في الخطاب من الكريم الى الحبيب اذ ناداه بحاله وعبر عنه بصفته ولم يقل يا محمد كما تقدم في المزمل **فصل** ومعنى قوله تعالى فانذر اي خوف اهل مكة وحذرهم العذاب ان لم يسلموا وقيل الانذار هنا اعلامهم بنبوته على الصلاة والسلام لانها مقدمة الرسالة وقيل هو دعاؤهم الى التوحيد لانه المقصود وقال الفرا قم فصل امر بالصلاة **قوله تعالى** وربك فكبر قدم المفعول وكذا ما بعده ايذانا بالاختصاص عند من يرى ذلك او للاهتمام به قال الزمخشري واختص ربك بالتكبير ثم قال ودخلت الفا بمعنى الشرط كانه قيل وما يكن فلا تدع تكبيره وقد تقدم الكلام في مثل هذا الفا في البقرة عند قوله تعالى واياي فارهبون قال ابو حيان وهو قريب مما قدره النحاة في قولك زيدا فاضرب قالوا تقديره تنبه فاضرب زيدا فالفا هي جواب الامر وهذا الامر اما مضمن معنى الشرط واما الشرط محذوف على الخلاف الذي فيه عند النحاة قال ابو الفتح الموصلي يقال زيدا اضرب وعمرا اشكر وعندي ان الفا زايدة وقال الزجاج دخلت الفا لافادة معنى الجزائية والمعنى قم فكبر ربك وكذلك ما بعده

فصل معنى قوله وربك فكبر اي سيدك ومالكك ومصلح امرك فعظم وصفه بانه اكبر من ان يكون له صاحبة او ولد وفي الحديث انهم قالوا بم تفتتح الصلوة فنزل وربك فكبر اي صفه بانه اكبر قال ابن العربي وهذا القول وان كان يقتضي بعمومه تكبير الصلوة فانه مراد فيه تكبير التقديس والتنزيه بخلع الانداد والاصنام دونه ولا تتخذ وليا غيره ولا تعبد سواه وروي ان ابا سفين قال يوم احد اعل هبل فقال صلى الله عليه وسلم قولوا الله اعلى واجل وقد صار هذا اللفظ بعرف الشرع في تكبير العبادات كلها اذانا وصلاة بقوله الله اكبر وحمل عليه لفظ النبي صلى الله عليه وسلم الوارد على الاطلاق في موارده منها قوله تحريمها التكبير وتحليلها التسليم والشرع يقتضي بعرفه ما يقتضي بعمومه ومن موارده اوقات الاهلال بالذبايح تخليصا له من الشرك واعلانا باسمه بالنسك وافرادا لما شرع من امره بالسفك والمنقول من النبي صلى الله عليه وسلم في التكبير في الصلاة هو لفظ الله اكبر وقال المفسرون لما نزل قوله تعالى وربك فكبر قام النبي صلى الله عليه وسلم وقال الله اكبر فكبرت خديجة رضي الله عنها وعلمت انه وحي من الله تعالى ذكره القشيري وقال الكلبي وعظم ربك عما يقوله عبدة الاوثان قال مقاتل هو ان يقال الله اكبر وقيل المراد منه التكبير في الصلاة فان قيل هذه السورة نزلت في اول البعث ولم تكن الصلوة واجبة فالجواب لا يبعد انه كانت له عليه الصلاة والسلام صلوات تطوع فامر ان يكبر ربه فيها قال ابن الخطيب وعندي انه لما قيل له قم فانذر **قوله تعالى** وثيابك فطهر قيل المراد بالثياب الملبوسة فعلى الاول يكون المعنى وعملك فاصلح قاله مجاهد وابن زيد والسدي وروى منصور عن ابي رزين قال يقول وعملك فاصلح قال واذا كان الرجل خبيث العمل قالوا ان فلانا خبيث الثياب واذا كان الرجل حسن العمل قالوا ان فلانا طاهر الثياب ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم يحشر المرء في ثوبيه الذي مات فيهما يعني عمله الصالح والطالح ذكره الماوردي ومن قال المراد به القلب فالمعنى وقلبك فطهر قاله ابن عباس وسعيد بن جبير رضي الله عنهما ومنه قول امري القيس

• فسلي ثيابي من ثيابك تنسلي • اي قلبي من قلبك قال الماوردي ولهم في تاويل الاية وجهان احدهما المعنى وقلبك فطهر من الاثم والمعاصي قاله ابن عباس وقتادة الثاني وقلبك فطهر من الغدر اي لا تغدر فتكون دنس الثياب وهو مروي عن ابن عباس ايضا واستشهد بقول غيلان بن سلمة الثقفي

• فاني بحمد الله لا ثوب غادر لبست ولا من غدرة اتقنع • ومن قال المراد به النفس قال معناه ونفسك فطهر اي من الذنوب والعرب تكني عن النفس بالثياب قاله ابن عباس رضي الله عنه ومنه قول عنترة • فشككت بالرمح الطويل ثيابه • ليس الكريم على القنا بمحرم • وقول امري القيس المتقدم ومن قال بانه الجسم قال المعنى وجسمك فطهر من المعاصي الظاهرة ومنه قول ليلى تصف ابلا • رموها باثواب خفاف فلا ترى • لها شبها الا النعام المنفرا • اي ركبوها فرموها بانفسهم ومن قال المراد به الاهل قال معناه واهلك طهرهم من الخطايا بالموعظة والتاديب والعرب تسمي الاهل ثوبا ولباسا واذا قال تعالى هن لباس لكم وانتم لباس لهن قال الماوردي ولهم في تاويل الاية وجهان الاول معناه ونساءك فطهر باختيار المومنات العفايف الثاني الاستمتاع بهن في القبل دون الدبر في الطهر لا الحيض حكاه ابن بحر قال ابن الخطيب وحمل الاية على هذا التاويل بعيد لانه على هذا الوجه لا يحسن اتصال الاية بما قبلها ومن قال المراد به الخلق

قال معناه وخلقك فحسن قاله الحسن والقرطبي لان خلق الانسان يشتمل على احواله اشتمال ثيابه على نفسه قال
فلا اب وابنا مثل مروان وابنه • اذا هو بالمجد ارتدى وتازرا • والسبب في حسن هذه الكناية وجهان الاول ان الثوب
كالشيء الملازم للانسان فلهذا جعلوا الاثواب كناية عن الانسان فيقال المجد في ثوبه والعز في ازاره الثاني ان من طهر
باطنه فالباطن طاهر ومن قال المراد به الدين معناه ودينك فطهر جاء في الصحيح انه صلى الله عليه وسلم قال ورايت
الناس وعليهم ثياب منها ما يبلغ الثدي ومنها دون ذلك ورايت عمر بن الخطاب رضي الله عنه وعليه ازار يجره قالوا
يا رسول الله فما اولت ذلك قال الدين وروي عن مالك بن انس رضي الله عنه في قوله تعالى وثيابك فطهر قال معناه لا تلبس
ثيابك على غدر قال ابن ابي كبشة • ثياب بني عوف طهارى نقية • واوجههم عند المشاهد غرانا • يعني بطهارة ثيابهم
سلامتهم من الدناآت ويعني بغر وجوههم تنزيههم عن المحرمات او جمالهم في الخلقة او كليهما قاله ابن العربي وقال سفيان
بن عيينة لا تلبس ثيابك على كذب ولا جور ولا غدر ولا اثم قاله عكرمة ومن قال ان المراد به الثياب الملبوسة فلهم اربعة
اوجه الاول وثيابك فانق الثاني وثيابك فشمر اي قصر فان تقصير الثياب ابعد من النجاسة فاذا انجرت على الارض
لم يؤمن ان يصيبها نجاسة قاله الزجاج وطاووس الثالث وثيابك فطهر من النجاسة بالماء قاله محمد بن سيرين وابن زيد
والفقهاء الرابع لا تلبس ثيابك الا من كسب الحلال لتكون مطهرة من الحرام وعن ابن عباس رضي الله عنه لا يكون ثيابك التي
تلبس من مكسب غير طايل قال ابن العربي وليس يمتنع ان تحمل الاية على عمومها من ان المراد بها الحقيقة والمجاز واذا حملناها
على الثياب الظاهرة المعلومة فهي تتناول معنيين احدهما تقصير الاذيال فانها اذا ارسلت تدنست ولهذا قال عمر بن
الخطاب رضي الله عنه لغلام من الانصار وقد راى ذيله مسترخيا ارفع ازارك فانه اتقى وابقى وانقى وقال صلى الله
عليه وسلم ازرة المؤمن الى انصاف ساقيه لا جناح عليه فيما بينه وبين الكعبين ما كان من اسفل من ذلك ففي النار فقد
جعل النبي صلى الله عليه وسلم علم الغاية في لباس الازار الكعب وتوعد ما تحته بالنار فما بال رجال يرسلون اذيالهم
ويطيلون ثيابهم ثم يتكلفون رفعها بايديهم وهذه حالة الكبر وقال صلى الله عليه وسلم لا ينظر الله تعالى الى من جر
ثوبه خيلاء وفي رواية من جر ازاره خيلاء لم ينظر الله اليه يوم القيمة قال ابو بكر رضي الله عنه يا رسول الله ان احد
شقي ازاري يسترخي الا اني اتعاهد ذلك منه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لست ممن يصنعه خيلاء والمعنى الثاني
غسلها بالماء من النجاسة وهو الظاهر قال المهدوي واستدل به بعض العلماء على وجوب طهارة الثوب وليس ذلك بفرض
عند مالك واهل المدينة وكذلك طهارة البدن للاجماع على جواز الصلوة بالاستجمار من غير غسل قال ابن الخطيب اذا حملنا
لفظ التطهير على حقيقته فنقول المراد منه انه صلى الله عليه وسلم امر بتطهير ثيابه من الانجاس والاقذار وعلى هذا
التقدير ففي الاية ثلاثة احتمالات الاول قال الشافعي رضي الله عنه المقصود من الاية الاعلام بان الصلاة لا تجوز الا
في ثياب طاهرة من الانجاس وثانيها قال عبد الرحمن بن زيد بن اسلم كان المشركون لا يصونون ثيابهم عن النجاسات
فامره الله تعالى بان يصون ثيابه عن النجاسات وثالثها روي انهم القوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم سلا شاة
فشق عليه فرجع الى بيته حزينا وتدثر في ثيابه فقيل يا ايها المدثر قم فانذر ولا يمنعك تلك السفاهة من الانذار
وربك فكبر عن ان لا ينتقم منهم وثيابك فطهر عن تلك النجاسات والقاذورات **قوله تعالى** والرجز قرا حفص ومجاهد
وعكرمة المراد بالرجز الاوثان بضم الراء والباقون بكسرها فقيل لغتان بمعنى وعن ابي عبيدة الضم افصح اللغتين
واكثرهما وقال مجاهد هو بالضم اسم صنم ويعزى للحسن البصري ايضا وبالكسر اسم للعذاب وعلى تقدير
كونه العذاب فلا بد من حذف مضاف اي اهجر اسباب العذاب المودية اليه اقام السبب مقام المسبب وهو مجاز
شايع قال السدي الرجز بنصب الراء الوعيد وقال مجاهد وعكرمة المراد بالرجز الاوثان لقوله تعالى فاجتنبوا الرجس
من الاوثان وقاله ابن عباس ايضا والماثم فاهجر اي فاترك وكذلك روى مغيرة عن ابراهيم النخعي قال الرجز الاثم
وقال قتادة الرجز اساف ونايلة واصل الرجز العذاب قال تعالى لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك وقال تعالى فارسلنا
عليهم رجزا من السماء **قوله تعالى** ولا تمنن العامة على فك الادغام والحسن وابو السمال والاشهب العقيلي بالادغام
وقد تقدم ان المجزوم والموقوف من هذا النوع يجوز فيهما الوجهان وتقدم تحقيقه في المايدة عند قوله تعالى
ومن يرتدد منكم عن دينه والمشهور انه من المن وهو الاعتداد على المعطى بما اعطاه وقيل معناه ولا تضعف من قولهم
حبل منين اي ضعيف **قوله تعالى** تستكثر العامة على رفعه وفيه وجهان احدهما انه في موضع الحال اي لا تمنن مستكثرا
ما اعطيت وقيل معناه لتاخذ اكثر مما اعطيت الثاني على حذف ان معناه الاصل ولا تمنن ان تستكثر فلما حذفت
ان ارتفع الفعل كقوله • الا ايهذا الزاجري احضر الوغى • في احدى الروايتين قال الزمخشري ولم يبين محل ان
ونقل في حرها وفيه وجهان اظهرهما وهو الذي يريده هو انها انما في محل نصب وجر على الخلاف فيها بعد حذف الجر

وهو هنا لام العلة نفل به ولا تمنن لان تستكثر والثاني انه في محل نصب فقط مفعولا به اي لا تضعف ان تستكثر
من الخير قاله مكي وقد تقدم ان تمنن بمعنى تضعف وهو قول مجاهد الا ان ابا حيان قال بعد كلام الزمخشري وهذا لا يجوز
ان يحمل القران عليه لان ذلك لا يجوز الا في الشعر ولنا مندوحة عنه مع صحة معنى الكوفيين يجيزون ذلك وايضا
فقد قرا الحسن والاعمش تستكثر ايضا على اضمار ان كقولهم مره يحفرها وابلغ من ذلك التصريح بان في قراءة عبد الله ولا تمنن
ان تستكثر وقرا الحسن ايضا وابن ابي عبلة تستكثر جزما وفيه ثلاثة اوجه احدها ان يكون بدلا من الفعل قبله كقوله متى تاتنا
يضاعف فيضاعف بدل من يلق وكقوله • متى تاتنا تلمم بنا في ديارنا • تجد حطبا جزلا ونارا تاججا • ويكون من المن
الذي في قوله تعالى ولا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى الثاني ان يشبه ثرو بعضد فيسكن تخفيفا قاله الزمخشري يعني انه ياخذ
من مجموع تستكثر ومن الكلمة التي بعده وهو الواو ما يكون فيه شبيها بعضد الا ترى انه قال ان يشبه ثرو فاخذ بعض تستكثر
وهو الثاء والراء وحرف العطف من قوله ولربك فاصبر وهذا كما قالوا في امرئ القيس • فاليوم اشرب غير مستحقب
اثما من الله ولا واغل • بتسكين اشرب انهم اخذوا من الكلمتين ربع كعضد ثم سكن وقد تقدم في سورة يوسف في قراءة قنبل من يتقي
بثبوت الياء ان من موصولة فاعترض بجزم يصبر فاجيب بانه شبه برف اخذوا الياء والراء من يصبر والفاء من فانه وهذه نظير
تلك سوا الوجه الثالث ان تعتبر حال الوقف ويجري الوصل مجراه قاله الزمخشري ايضا يعني انه مرفوع وانما سكن تخفيفا
او اجري الوصل مجرى الوقف قال ابو حيان وهذان لا يجوز ان يحمل عليهما مع وجود راجح منهما وهو البدل معنى وصناعة

فصل في اتصال هذه الاية بما قبلها انه تعالى امره قبل هذه الاية باربعة اشياء انذار القوم وتكبير الرب وتطهير الثياب
وهجر الرجز ثم قال جل ذكره ولا تمنن تستكثر اي لا تمن على ربك بهذه الاعمال الشاقة كالمستكثر لما تفعله بل اصبر على ذلك كله
لوجه ربك متقربا بذلك اليه غير ممتن به عليه قال الحسن رحمه الله بحسناتك تستكثرها وقال ابن عباس وعكرمة وقتادة
لا تعط عطية تلتمس بها افضل منها وقيل لا تمنن على الناس بما تعلمهم من امر الدين والوحي مستكثرا بذلك الانعام فانك انما
فعلت ذلك بامر الله تبارك وتعالى فلا منة لك عليهم ولهذا قال تعالى ولربك فاصبر وقيل لا تمنن عليهم بنبوتك اي
لتستكثر اي لتاخذ منهم على ذلك اجرا تستكثر به مالك وقال مجاهد لا تضعف ان تستكثر من الخير من قولك حبل منين اذا كان
ضعيفا ودليله قراءة ابن مسعود ولا تمنن تستكثر من الخير وعن مجاهد ايضا والربيع لا تعظم عملك في عينك ان تستكثر من الخير
فانه مما انعم الله عليك وقال ابن كيسان لا تستكثر عملك فتراه من نفسك انما عملك منة من الله عليك اذ جعل الله لك سبيلا
الى عبادته وقال زيد بن اسلم اذا اعطيت عطية فاعطها لربك لا تقل دعوت فلم يستجب لي وقيل لا تفعل الخير لتراي به الناس
فان قيل هذا المعنى مختص بالرسول صلى الله عليه وسلم او يتناول الامة فالجواب ان ظاهر اللفظ وقرينة الحال لا تفيد
العموم لانه صلى الله عليه وسلم انما نهي عن ذلك تنزيها لمنصب النبوة وهذا المعنى غير موجود في الامة وقيل المعنى في حق الامة هو الربا
والله تعالى منع الكل من ذلك فان قيل هل هذا نهي تحريم او تنزيه فالجواب ان ظاهر النهي للتحريم **فصل** قال القفال
يحتمل ان يكون المقصود من الاية ان يحرم على النبي صلى الله عليه وسلم ان يعطي احدا شيئا لطلب عوض سواء كان العوض زايدا
او ناقصا او مساويا ويكون معنى قوله تعالى تستكثر اي طالبا للكثرة كارها ان ينقص المال بسبب العطا فيكون الاستكثار
ههنا عبارة عن طلب العوض فسمي طلب الثواب استكثارا وانما حسنت هذه العبارة لان الغالب ان الثواب لا يكون زايدا على العطا
فسمي طلب الثواب استكثارا حملا للشيء على اغلب احواله كما ان الاغلب ان المراة انما تتزوج ولها ولد للحاجة الى من يربي ولدها
فسمي الولد ربيبا ثم اتسع الامر وان كان حين تتزوج امر كبيرا ومن ذهب الى هذا القول قال السبب فيه ان يصير عطا النبي
صلى الله عليه وسلم خاليا من انتظار العوض والتفات النفس اليه فيكون ذلك خالصا مخلصا لوجه الله تعالى قال القرطبي
رحمه الله اظهر الاقوال قول ابن عباس لا تعط لتاخذ اكثر مما اعطيت من المال يقال مننت فلانا كذا اي اعطيته ويقال للعطية المنة
فكانه امر بان يكون عطاياه لله تعالى لا لارتقاب ثواب من الخلق عليها لانه صلى الله عليه وسلم ما كان يجمع الدنيا ولهذا قال
ما لي مما افا الله علي الا الخمس والخمس مردود عليكم وكان ما يفضل عن نفقة عياله مصروفا الى مصالح المسلمين
ولهذا لم يورث **قوله تعالى** ولربك فاصبر التقديم على ما تقدم وحسنه كونه راس فاصلة من خصا المابقدمه ولربك يجوز
فيه وجهان احدهما ان يكون لام العلة اي لوجه ربك فاصبر اي على اذى الكفار وعلى عبادة ربك وعن كل شيء مما لا يليق فترك
المصبور عليه والمصبور عنه للعلم بهما والاحسن ان لا يقدر شيء خاص بل شيء عام والثاني ان يضمن اصبر معنى اذعن اي اذعن لربك
وسلم له امرك صابرا كقوله تعالى فاصبر لحكم ربك **قوله تعالى** فاذا نقر في الناقور قال الزمخشري والفا في قوله فاذا نقر في
الناقور للتسبيب وفيه نظر من حيث ان الفا تمنع من ذلك ولو اراد تفسير المعنى لكان سهلا لكنه في معرض تفسير الاعراب لا
تفسير المعنى الثاني ان ينتصب بما دل عليه قوله تعالى فذلك يومئذ يوم عسير قال الزمخشري فان قلت بما انتصب
اذا وكيف صح ان يقع يومئذ ظرفا ليوم عسير قلت انتصب اذا بما دل عليه الجزا لان المعنى فاذا نقر في الناقور عسر الامر

على الكافرين والذي اجاز وقوع يومئذ ظرفا فاليوم عسير اذا المعنى فذلك يوم النقر وقوع يوم عسير لان يوم
القيمة يقع ويأتي حين ينقر في الناقور انتهى ولا يجوز ان يعمل فيه نفس عسير لان الصفة لا تعمل فيما قبل موصوفها
عند البصريين فلذلك رد على الزمخشري قوله ان في انفسهم متعلق ببليغا في سورة النسا في قوله تعالى وقل لهم في انفسهم
قولا بليغا والكوفيون يجوزون ذلك وتقدم تحريره الثالث ان ينتصب بما دل عليه فذلك لانه اشارة الى النقر قاله ابو البقا
ثم قال ويومئذ بدل من اذا وذلك مبتدأ والخبر يوم عسير اي نقر يوم الرابع ان يكون اذا مبتدأ وفذلك الخبر والفا
مزيدة فيه وهو راي الاخفش واما يومئذ ففيه اوجه احدها ان يكون بدلا من اذا وقد تقدم ذلك في الوجه الثاني ان
يكون ظرفا ليوم عسير كما تقدم في الوجه الثاني الثالث ان يكون ظرفا لذلك لانه مشار به الى النقر الرابع انه بدل من فذلك
ولكنه مبني لاضافته الى غير متمكن الخامس ان يكون مبتدأ ويوم عسير خبره والجملة خبر فذلك قوله تعالى نقر اي صوت
يقال نقرت الرجل اذا صوت له بلسانك وذلك بان تلصق لسانك بنقرة حنكك ونقرت الرجل اذا خصصته
بالدعوة كانك نقرت له بلسانك مشيرا اليه وتلك الدعوة يقال لها النقرى وهي ضد الدعوة الجفلى قال الشاعر •
نحن في المشتاة ندعو الجفلى • لا ترى الآدب فينا ينتقر • وقال امرؤ القيس • انا ابن ماوية اذ جد النقر • يريد النقر
اي الصوت والنقر في كلام العرب الصوت قال امرؤ القيس • اخفضه بالنقر لما علوته • ويرفع طرفا غير جاف غضيض
والناقور فاعول منه كالجاسوس من التجسس وهو الشي المصوت فيه قال مجاهد وغيره هو كهيئة البوق وهو الصور الذي
ينفخ فيه الملك والنقر ايضا قرع الشي الصلب والمنقار الحديدة التي ينقر بها ونقرت عينه بحثت على اخباره استعارة
من ذلك ونقرته اغتبته ومنه قول امرأة لزوجها • مر بي على بني نظر • ولا تمر بي على بنات نقر • ارادت ببني نظر الرجال
لانهم ينظرون اليها وببنات نقر النسا لانهن يغتبنها وينقرن عن احوالها قوله تعالى على الكافرين فيه خمسة اوجه
احدها ان يتعلق بعسير الثاني ان يتعلق بمحذوف على انه نعت لعسير الثالث انه في موضع نصب على الحال من الضمير
المستكن في عسير الرابع ان يتعلق بيسير اي غير يسير على الكافرين قاله ابو البقا الا ان فيه تقديم معمول المضاف اليه
وهو ممنوع وقد جوزه بعضهم اذا كان المضاف غير بمعنى النفي كقوله • ان امرأ خصني يوما مودته •
على التنائي لعندي غير مكفور • وتقدم تحرير هذا اخر الفاتحة الخامس ان يتعلق بما دل عليه غير يسير اي لا يسهل على الكافرين
قال الزمخشري فان قلت فما فائدة قوله غير يسير وعسير مغن عنه قلت لما قال سبحانه وتعالى على الكافرين فقصره
عليهم فقال عسير يسير ليؤذن بانه لا يكون عليهم كما يكون على المؤمنين يسيرا هينا ليجمع بين وعيد الكافرين وزيادة غيظهم
وتبشير المؤمنين وتسليتهم ويجوز ان يراد عسير لا يرجى ان يرجع يسيرا كما يرجى تيسير العسير من امور الدنيا فصل
لما ذكر ما يتعلق بارشاد النبي صلى الله عليه وسلم ذكر بعده وعيد الاشقيا فقيل المراد بهذه الآية هو النفخة الثانية وقيل
الاولى وقال الحليمي في كتاب المنهاج انه تعالى سمى الصور اسمين وان كان هو الذي ينفخ فيه النفختان معا فان نفخة
الاصعاق تخالف نفخة الاحيا وجاء في الاخبار ان في الصور ثقبا بعدد الارواح كلها وانها تجمع في ذلك الثقب
في النفخة الثانية فيخرج عند النفخ من كل ثقبة روح الى الجسد الذي نزع منه فيعود الجسد حيا باذن الله تعالى قال
ابن الخطيب وهذا مردود لان الناقور اسم لما ينقر فيه ويحتمل ان يكون الصور محتويا على ثقبين ينقر في احدهما وينفخ في
الاخرى فاذا نفخ فيه للاصعاق جمع بين النقر والنفخ لتكون الصيحة اهد واعظم فاذا نفخ فيه للاحيا لم ينقر فيه
بل يقتصر على النفخ لان المراد ارسال الارواح من ثقب الصور الى اجسادها لا تنفيرها من اجسادها فالنفخة الاولى
للتنفير وهو نظير صوت الرعد فانه اذا اشتد فربما مات سامعه والصيحة الشديدة التي يصيح بها رجل بصبي فيفزع منه
فيموت قال ابن الخطيب وفيه اشكال وهو ان هذا يقتضي ان يكون النقر انما يحصل عند صيحة الاصعاق وذلك اليوم
غير شديد على الكافرين لانهم يموتون في تلك الساعة انما اليوم الشديد على الكافرين صيحة الاحيا ولذلك يقول
يا ليتها كانت القاضية اي يا ليتنا بقينا على الموتة الاولى وقوله فذلك اي فذاك اليوم يوم شديد على الكافرين غير
يسير اي غير سهل ولا هين وذلك ان عقدهم لا تنحل الا العقد اشد منها فانهم يناقشون الحساب ويعطون كتبهم
بشمائلهم وتسود وجوههم ويحشرون زرقا وتتكلم جوارحهم ويفضحون على رؤوس الاشهاد بخلاف المؤمنين الموحدين
المذنبين فانها تنحل الى ما هو اخف حتى يدخلون الجنة برحمة الله تعالى فانهم لا يناقشون الحساب ويحشرون بيض الوجوه
ثقال الموازين قال ابن الخطيب ويحتمل ان يكون عسيرا على المؤمنين والكافرين على ما روي ان الانبيا عليهم السلام يفزعون
يومئذ وان الولدان يشيبون الا انه يكون على الكفار اشد فعلى الاول لا يحسن الوقف على قوله يوم عسير فان المعنى
انه على الكافرين عسير وغير يسير وعلى الثاني يحسن الوقف لان المعنى انه في نفسه عسير على الكل ثم الكافر فيه مخصوص
بزيادة تخصهم وهي انه عليهم عسير فصل قال ابن الخطيب استدل بهذه الآية القايلون بدليل الخطاب فقالوا

لولا ان دليل الخطاب حجة والا لما فهم ابن عباس من كونه عسيرا على الكافرين كونه يسيرا على المؤمنين قوله تعالى
ذرني ومن خلقت وحيدا الواو في قوله ومن خلقت كقوله والمكذبين في الوجهين المتقدمين في السورة قبلها وقوله وحيدا
فيه اوجه احدها انه حال من اليا في ذرني اي ذرني وحدي معه فانا اكفيك في الانتقام منه الثاني انه حال من التا في خلقت
اي خلقته وحدي لم يشركني في خلقه احد فانا اهلكه الثالث انه حال من عايد المحذوف اي خلقته وحيدا فوحيد على هذا
حال من ضمير المفعول المحذوف اي خلقته وحده لا مال له ولا ولد ثم اعطيته بعد ذلك ما اعطيته قال مجاهد الخامس ان ينتصب
على الذم لانه يقال ان وحيدا كان لقبا للوليد بن المغيرة ومعنى وحيدا ذليلا وقيل كان يزعم انه وحيد في فضله وماله وليس
في ذلك ما يقتضي صدق مقالته لان هذا لقب له شهر به وقد يلقب الانسان بما لا يتصف به واذا كان لقبا تعين نصبه
على الذم فصل معنى ذرني اي دعني وهي كلمة وعيد وتهديد ومن خلقت يعني وحيدا لان الله تعالى صدقه
بانه وحيد قال ابن الخطيب ورد هذا القول بعضهم بانه تعالى لا يصدقه في دعواه بانه وحيد لا نظير له ذكره الواحدي والزمخشري
وهو ضعيف من وجوه لانه قد يكون الوحيد علما فيزول السوال لان اسم العلم لا يفيد في المسمى صفة بل هو قايم مقام الاشارة
الثاني ان يكون ذلك بحسب ظنه واعتقاده لقوله تعالى ذق انك انت العزيز الكريم الثالث انه وحيد في كفره وعناده وخبثه لان
لفظ الوحيد ليس فيه انه وحيد في العلو والشرف الرابع انه اشارة الى وحدته عن نسبه قال ابو سعيد الضرير الوحيد الذي لا اب له
كما تقدم في زنيم قوله تعالى وجعلت له مالا ممدودا اي خولته واعطيته مالا ممدودا قال ابن عباس هو ما كان للوليد
بين مكة والطايف من الابل والنعم والخيول والجنان والعبيد والجواري وقال مجاهد وسعيد بن جبير وابن عباس ايضا
الف الف دينار وقال قتادة ستة الاف دينار وقال سفيان الثوري اربعة الاف دينار وقال الثوري ايضا الف الف دينار
وقال ابن الخطيب المال الممدود هو الذي يكون له مدد ياتي منه الجزء بعد الجزء دايما ولذلك فسره عمر رضي الله عنه بغلة شهر بشهر
وقال النعمان الممدود بالزيادة كالزرع والضرع وانواع التجارات قال مقاتل كان له بستان لا ينقطع شتاء ولا صيفا كما في
قوله تعالى وظل ممدود اي لا ينقطع والذي يظهر انه المال الكثير والتقديرات تحكم قوله تعالى وبنين شهودا
اي حضورا لا يفارقونه البتة طيبا لقلبه بحضورهم وقيل معنى كونهم شهودا اي يشهدون معه المجامع والمحافل وقيل
شهودا اي صاروا مثله في شهود ما كان يشهد والقيام بما كان يباشره قال مجاهد وقتادة كانوا عشرة وقال السدي
والضحاك كانوا اثني عشر رجلا وعن الضحاك سبعة ولدوا بمكة وخمسة بالطايف وقال مقاتل كانوا سبعة اسلم منهم ثلاثة
خالد وهشام والوليد بن الوليد قال فما زال الوليد بعد نزول هذه الآية في نقصان من ماله وولده حتى هلك قال ابن الخطيب
كانوا سبعة الوليد بن الوليد وخالد وعمارة وهشام والعاص والقيس وعبد شمس اسلم منهم ثلاثة خالد وعمارة وهشام قوله تعالى
ومهدت له تمهيدا اي بسطت له في العيش بسطا في الجاه العريض والرياسة في قومه والتمهيد عند العرب التوطية والتهيية
ومنه مهد الصبي وقال ابن عباس ومهدت له تمهيدا اي وسعت له ما بين اليمن الى الشام وهو قول مجاهد وعن مجاهد ايضا انه المال
بعضه فوق بعض كما يمهد الفراش قوله تعالى ثم يطمع ان ازيد كلا لفظة ثم ههنا معناها التعجب وهو كقولك لصاحبك
انزلتك داري واطعمتك واسقيتك ثم انت تشتمني ونظيره قوله تعالى ثم الذين كفروا بربهم يعدلون فمعنى ثم ههنا الانكار
والتعجب اي ثم الوليد يطمع بعد هذا كله ان ازيده في المال والولد وقد كفر بي قال الكلبي ومقاتل ثم قال كلا اي ليس يكون
ذلك مع كفره بالنعم وقال الحسن وغيره اي ثم يطمع ان ادخله الجنة وكان الوليد يقول ان كان محمد صادقا فما خلقت الجنة الا لي
فقال تعالى ردا عليه وتكذيبا له كلا اي لست ازيده فلم يزل في نقصان بعد قوله كلا حتى افتقر ومات فقيرا وقيل اي ثم
يطمع ان انصره على كفره وكلا قطع للرجا عما كان يطمع فيه من الزيادة فيكون متصلا بالكلام الاول وقيل كلا بمعنى حقا
ويبتدي بقوله انه يعني الوليد كان لآياتنا عنيدا اي معاندا للنبي صلى الله عليه وسلم وما جاء به قال الزمخشري انه كان
لآياتنا عنيدا استينافا جواب لسايل سال لم لا يزداد مالا وما باله ردع عن طمعه فاجيب بقوله انه كان لآياتنا عنيدا
انتهى فيكون قوله صلى الله عليه وسلم في الهرة انها ليست بنجس انها من الطوافين عليكم والعنيد المعاند يقال عاند فهو عنيد
وعاند والعاند البعير الذي يجور عن الطريق ويعدل عن القصد والجمع عند مثل راكع وركع قاله ابو عبيدة وانشد قول الحارثي
اذا ركبت فاجعلاني وسطا • اني كبير لا اطيق العندا • وقال ابو صالح عنيدا معناه مباعدا قال الشاعر
ارانا على حال يفرق بيننا • نوى غربة ان الفراق عنود • وقال قتادة جاحدا وقال مقاتل معرضا وقيل انه المجاهر
بعداوته وعن مجاهد انه المجانب للحق قال الجوهري ورجل عنود اذا كان لا يخالط الناس والعنيد من التجبر وعرق عاند
اذا لم يرق دمه وجمع العنيد عند مثل رغيف ورغف والعنود من الابل الذي لا يخالط الابل انما هو في ناحية والعنيد
في معنى المعاند كالجليس والاكيل والعشير فصل في الآية اشارة الى انه كان يعاند في امور كثيرة منها انه
كان يعاند في دلايل التوحيد والعدل والقدرة وصحة النبوة وصحة البعث ومنها ان كفره كان عنادا لانه كان يعرف

هذه الاشيا بقلبه وينكرها بلسانه وكفر المعاند أخس انواع الكفر ومنها ان قوله كان يدل على ان هذه حرفته من قديم
الزمان ومنها ان هذه المعاندة كانت مختصة منه بآيات الله تعالى **قوله تعالى** سأرهقه صعودا اي سأكلفه وكان ابن
عباس رضي الله عنه يقول سأحمله والارهاق في كلام العرب ان يحمل الانسان الشيء والصعود جبل من نار يتصعد فيه
سبعين خريفا ثم يهوى به كذلك فيه ابدا رواه الترمذي وفي رواية صخرة في جهنم اذا وضعوا ايديهم عليها ذابت فاذا رفعوها
عادت وقيل هذا مثل لشدة العذاب الشاق الذي لا يطاق كقوله عقبة صعود وكؤود اي شاقة المصعد ثم انه تعالى حكى
كيفية عناده وهو قوله انه فكر يجوز ان يكون استئنافا تعليلا لقوله تعالى سأرهقه ويجوز ان يكون بدلا من انه كان لآياتنا
عنيدا يقال فكر في الامر وتفكر اذا نظر فيه وتدبر ثم لما تفكر رتب في قلبه كلاما وهيأه وهو المراد من قوله وقدر
العرب تقول قدرت اذا هيأته **فصل** معنى الآية ان الوليد فكر في شان النبي صلى الله عليه وسلم والقرآن لما
نزل حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول لا اله الا هو اليه المصير سمعه
الوليد يقرأها فقال والله لقد سمعت منه كلاما ما هو من كلام الانس ولا من كلام الجن وان له لحلاوة وان عليه لطلاوة
وان اعلاه لمثمر وان اسفله لمغدق وانه ليعلو وما يعلى عليه وما يقول هذا بشر فقالت قريش صبا الوليد لتصبون
قريش كلها وكان يقال للوليد ريحانة قريش فقال ابو جهل انا اكفيكموه فانطلق اليه حزينا فقال له مالي اراك حزينا فقال
ومالي لا احزن وهذه قريش يجمعون لك نفقة يعينونك بها ويزعمون انك زينت كلام محمد وتدخل على ابن ابي
كبشة وابن ابي قحافة لتنال من فضل طعامهما فغضب الوليد وتكبر وقال انا احتاج الى كسر محمد صلى الله عليه وسلم وصاحبه
وانتم تعلمون قدر مالي واللات والعزى ما بي حاجة الى ذلك وانما انتم تزعمون ان محمدا صلى الله عليه وسلم مجنون فهل
رأيتموه قط يخنق قالوا لا والله قال وتزعمون انه كاهن فهل رأيتموه تكهن قط ولقد رأينا للكهنة اسجاعا وتخالجا
فهل رأيتموه كذلك قالوا لا والله قال وتزعمون انه شاعر فهل رأيتموه نطق بشعر قط قالوا لا والله وكان النبي صلى الله عليه
وسلم يسمى الصادق الامين من كثرة صدقه فقالت قريش للوليد فما هو ففكر في نفسه ثم نظر ثم عبس فقال ما هذا
الا سحر اما رأيتموه يفرق بين الرجل واهله وولده فذلك قوله تعالى انه فكر اي في امر محمد والقرآن وقدر في نفسه ماذا يمكنه
ان يقول فيهما **قوله تعالى** فقتل اي لعن وقيل قهر وغلب وقال الزهري عذب وهو من باب الدعاء قال ابن الخطيب
وهذا انما يذكر عند التعجب والاستعظام ومثله قولهم قتله الله ما اشجعه واخزاه الله ما افجره ومعناه انه قد بلغ
المبلغ الذي هو حقيق بان يحسد ويدعو عليه حاسده بذلك واذا عرف ذلك فنقول هذا يحتمل وجهين الاول انه
تعجب من قوة خاطره يعني انه لا يمكن القدح في امر محمد بشبهة اعظم ولا اقوى مما ذكره هذا القائل الثاني في الثناء عليه على طريقة
الاستهزاء يعني ان هذا الذي ذكره في غاية الركاكة والسقوط **قوله تعالى** كيف قدر اي كيف فعل هذا كقوله تعالى انظر
كيف ضربوا لك الامثال ثم قتل بضرب آخر من العقوبة كيف قدر على اي حال قدر ثم نظر باي شيء يرد الحق ويدفعه
قال ابن الخطيب المعنى انه اولا نظر وثانيا قدر وثالثا نظر في ذلك المقدر فالنظر السابق للاستخراج والنظر اللاحق
لتمام الاحتياط فهذه المراتب الثلاث متعلقة باحوال ثلاث **قوله تعالى** ثم عبس يقال عبس يعبس عبسا وعبوسا
اي قطب وجهه وقال الليث عبس يعبس فهو عابس اذا قطب ما بين عينيه فاذا ابدى عن اسنانه في عبوسه قيل كلح فان
اهتم لذلك وفكر فيه قيل بسر فان غضب مع ذلك قيل بسر واعلم انه ذكر صفات جسمه بعد صفات قلبه وهذا يدل
على عناده لان من فكر في امر حسن يظهر عليه الفرح لا العبوس والعبس ايضا ما يبس في اذناب الابل من البعر والبول
قال ابو النجم كأن في اذنابهن الشول من عبس الصيف قرون الايل **فصل** معنى الآية قطب وجهه
في وجوه المؤمنين وذلك انه لما قال لقريش بان محمدا ساحر مر على جماعة من المسلمين فدعوه الى الاسلام فعبس في
وجوههم وقيل عبس على النبي صلى الله عليه وسلم حين دعاه والعبس مصدر عبس مخففا كما تقدم **قوله تعالى** وبسر
يقال بسر يبسر بسرا وبسورا اذا قبض ما بين عينيه كراهة للشيء واسود وجهه منه يقال وجه باسر اي منقبض
اسود كالح متغير اللون قاله قتادة والسدي ومنه قول بشر بن الحارث • صبحنا تميما غداة الجفار بشهباء ملمومة
باسرة • واهل اليمن يقولون بسر المركب وابسر اي وقف لا يتقدم ولا يتاخر وقد ابسرنا اي صرنا الى البسور
وقال الراغب البسر استعجال الشيء قبل اوانه نحو بسر الرجل حاجته طلبها في غير اوانها وماء بسر متناول من غديره
قبل سكونه ومنه قيل للذي لم يدرك من التمر بسر وقوله تعالى عبس وبسر اي اظهر العبوس قبل اوانه وقبل وقته
قال فان قيل فقوله تعالى ووجوه يومئذ باسرة ليس يفعلون ذلك قبل الموت وقد قلت ان ذلك يكون فيما
يقع قبل وقته قيل اشير بذلك الى حالهم قبل الانتهاء بهم الى النار فخص لفظ البسر تنبيها على ان ذلك مع ما ينالهم
من بعد يجري مجرى التكليف ومجرى ما يفعل قبل وقته ويدل على ذلك تظن ان يفعل بها فاقرة وقد عطف هذه

للجمل بحروف مختلفة ولكل منها مناسبة اما ما عطف بثم فلان بين الافعال المهلة وثانيا لان بين النظر والعبوس
والادبار تراخيا قال الزمخشري وثم عطف على فكر وقدر والدعاء اعتراض بينهما يعني بالدعاء قوله فقتل ثم قال فان
قلت ما معنى ثم الداخلة على تكرير الدعاء قلت الدلالة على ان الكرة الثانية ابلغ من الاولى ونحوه ألا يا اسلمي ثم اسلمي
فان قلت فما معنى المتوسط بين الافعال التي بعدها قلت للدلالة على انه تأنى في التأمل وتمهل وكان بين الافعال
المتناسقة تراخ وبعد فان قلت فلم قال فقال بالفاء بعد عطف ما قبله بثم قلت لان الكلمة لما خطرت بباله بعد التطلب
لم يتمالك ان نطق بها من غير تلبث فان قلت فلم لم يتوسط حرف العطف بين الجملتين قلت لان الاخرى جرت من الاولى مجرى
التوكيد من المؤكد **قوله تعالى** ثم ادبر اي ولى واعرض ذاهبا عن سائر الناس الى اهله واستكبر حين دعي الى الايمان
اي تعظم وقال ان هذا الا سحر يؤثر اي ما هذا الذي اتى به محمد الا سحر يؤثر اي تأثره عن غيره والسحر الخديعة وقيل السحر
اظهار الباطل في صورة الحق والاثر مصدر قولك اثرت الحديث اثره اذا ذكرته عن غيرك ومنه قيل حديث مأثور اي ينقله
خلف عن سلف قال الاعشى • ان الذي فيه تماريتما • بين للسامع والآثر • وقال ابن الخطيب فيه وجهان الاول انه من قولهم
اثرت الحديث اثره اثرا اذا حدثت به عن قوم في آثارهم اي بعدما ماتوا هذا هو الاصل ثم صار بمعنى الرواية عمن كان والثاني
يؤثر من جميع السحر وعلى هذا يكون من الايثار وقال ابو سعيد الضرير يؤثر اي يورث **قوله تعالى** ان هذا الا قول البشر اي ما
هذا الا كلام المخلوقين يختدع به القلوب كما يختدع بالسحر قال ابن الخطيب ولو كان الامر كذلك لتمكنوا من معارضته اذ طريقهم
في اللغة متقاربة قال السدي يعني انه من يسار عبد لبني الحضرمي كان يجالس النبي صلى الله عليه وسلم فنسبوه الى انه تعلم منه
ذلك وقيل اراد انه يلقنه من ادعى النبوة قبله فنسج على منوالهم قال ابن الخطيب وهذا الكلام يدل على ان الوليد كان يقول هذا
الكلام عنادا لما روي في الحديث المتقدم انه لما سمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج من عند النبي صلى الله عليه وسلم
يقول لقد سمعت من محمد كلاما ليس من كلام الانس ولا من كلام الجن الحديث فلما اقر بذلك في اول الامر علمنا ان قوله ههنا ان هذا
الا قول البشر انما ذكره عنادا وتمردا لا اعتقادا **قوله تعالى** سأصليه سقر هذا بدل من قوله تعالى سأرهقه صعودا قال الزمخشري
فان كان المراد بالصعود المشقة فالبدل واضح وان كان المراد صخرة في جهنم كما جاء في التفسير فيعسر البدل ويكون فيه شبه
من بدل الاشتمال لان جهنم مشتملة على تلك الصخرة **فصل** المعنى سأدخله سقر لتصلى حرها وانما سميت سقر من سقرته
الشمس اذا اذابته ولوحته واحرقت جلدة وجهه ولا ينصرف للتعريف والتأنيث قال ابن عباس سقر اسم للطبقة السادسة
من جهنم وما ادراك ما سقر هذا مبالغة في وصفها اي وما اعلمك اي شيء هي وهي كلمة تعظيم وتهويل ثم فسر حالها فقال
لا تبقي ولا تذر اي لا تترك لهم لحما ولا عظما ولا دما الا احرقته قوله لا تبقي فيه وجهان احدهما انه في محل نصب على
الحال والعامل فيها معنى التعظيم قاله ابو البقاء يعني ان الاستفهام في قوله ما سقر للتعظيم فالمعنى استعظموا سقر في هذه الحال
ومفعول تبقي وتذر محذوف اي لا تبقي ما ألقي فيها ولا تذره بل تهلكه وقيل تقديره لا تبقي على من ألقي فيها ولا تذر غاية
العذاب الا وصلته اليه والثاني انها مستأنفة قال ابن الخطيب واختلفوا في قوله لا تبقي ولا تذر فقيل هما لفظان مترادفان
بمعنى واحد كرر للتأكيد والمبالغة كقولك صد عني واعرض عني بل بينهما فرق وفيه وجوه الاول لا تبقي من اللحم والعظم والدم
شيئا يعادون خلقا جديدا فلا تذر ان تعاود احراقهم باشد مما كانت وهكذا ابدا رواه عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما
وقال عطاء لا تبقي من فيها حيا ولا تذره ميتا تحرقهم كلما جددوا وقال السدي لا تبقي لهم لحما ولا تذر لهم عظما وقيل لا تبقي
من المعذبين ولا تذر من قوتها شيئا الا وتستعمل تلك القوة في تعذيبهم **قوله تعالى** لواحة للبشر قرأ العامة بالرفع خبر
مبتدأ مضمر اي لواحة وهذه مقوية للاستئناف في لا تبقي وقرأ الحسن وابن ابي عبلة وزيد بن علي وعطية العوفي ونصر بن عاصم
وعيسى بن عمر بنصبها على الحال وفيها ثلاثة اوجه احدها انها حال من سقر والعامل معنى التعظيم كما تقدم والثاني انها حال
من لا تبقي والثالث من لا تذر وجعل الزمخشري نصبها على الاختصاص للتهويل وجعلها ابو حيان حالا مؤكدة قال لان النار
التي لا تبقي ولا تذر لا يكون الا مغيرة للابشار ولواحة هنا مبالغة وفيها معنيان احدهما من لاح يلوح اي ظهر اي انها
تظهر للبشر من مسيرة خمسمائة عام وقال الحسن تلوح لهم جهنم حتى يروها عيانا ونظيره وبرزت الجحيم لمن يرى والثاني
واليه ذهب جمهور الناس انها من لوحه اي غيره وسوده قال الشاعر • تقول ما لاحك يا مسافر • يا ابنة
عمي لاحني الهواجر • وقال رؤبة بن العجاج • لوح منه بعد بدن وسنق • تلويحك الضامر يطوى للسبق • وقال آخر
• وتعجب هند ان رأتني شاحبا • تقول لشيء لوحته السمائم • ويقال لاحه يلوحه اذا غير حليته قال ابو رزين تلفح وجوههم
لفحة تدعها اشد سوادا من الليل قال تعالى تلفح وجوههم النار وهم فيها كالحون وطعن القائلون بالاول في هذا
القول فقالوا لا يجوز ان يصفها بتسويد الوجوه مع قوله انها لا تبقي ولا تذر وقيل اللوح شدة العطش يقال لاحه العطش
ولوحه اي غيره قال الاخفش والمعنى انها معطشة للبشر اي لاهلها وانشد • سقتني على لوح من الماء شربة •

سقاها به الله الرهام الغواديا • يعني باللوح شدة العطش والرهام جمع رهمة وهي المطرة الضعيفة وارهمت السحابة اتت بالرهام واللوح بالضم الهوا بين السما والارض والبشر اما جمع بشرة اي مغيرة للجلود قاله مجاهد وقتادة وجمع البشر ابشار واما المراد به الانس من اهل النار وهو قول الجمهور واللام في للبشر مقوية كهي في للرويا تعبرون وقراءة هذه الجملة النصب في لواحة مقوية لكون لا تبقي في محل الحال **قوله تعالى** عليها تسعة عشر هذه الجملة فيها الوجهان اعني الحالية والاستئناف وفي هذه الكلمة قراءات شاذة وتوجيهات تشاكلها فقرا ابو جعفر وطلحة تسعة عشر بسكون العين من عشر تخفيفا لتوالي خمس حركات من جنس واحد وهذه كقراءة احد عشر كوكبا وقد تقدمت وقرا انس وابن عباس رضي الله عنهما تسعة عشر بضم التاء من تسعة بالفتح وهذه حركة بناء ولا يجوز ان يتوهم كونها اعرابا اذ لو كانت للاعراب لجعلت في الاسم الاخير لتنزل الكلمتين منزلة الكلمة الواحدة وانما عدل اليها كراهة توالي خمس حركات وعن المهدوي من قرا تسعة عشر فكانه من التداخل كانه اراد العطف فترك التركيب ورفع هاء التانيث ثم راجع البنا واسكن انتهى فجعل الحركة للاعراب ويعني بقوله اسكن راء عشر فانه في هذه القراءة كذلك وعن انس رضي الله عنه تسعة اعشر بضم تسعة واعشر بهمزة مفتوحة ثم عين ساكنة ثم شين مضمومة وفيها وجهان قال ابو الفضل يجوز ان يكون جمع العشرة على اعشر ثم اجراه مجرى تسعة عشر وقال الزمخشري جمع عشير مثل يمين وايمن وعن انس ايضا تسعة وعشر بضم التا وسكون العين وضم الشين وواو مفتوحة بدل الهمزة وتخريجها كتخريج ما قبلها الا انه قلب الهمزة واوا مبالغة في التخفيف والضمة كما تقدم للبنا لا للاعراب ونقل المهدوي انه قرئ تسعة وعشر قال فجاء به على الاصل قبل التركيب وعطف عشر على تسعة وحذف التنوين لكثرة الاستعمال وسكن الراء من عشر على نية الوقف وقرا سليمان بن قتة بضم التا وهمزة مفتوحة وسكون العين وضم الشين وجر الراء من اعشر والضمة على هذا ضمة اعراب لانه اضاف الاسم الى ما بعده فاعربهما اعراب المتضايفين وهي لغة لبعض العرب يفكون تركيب الاعداد ويعربونها كالمتضايفين كقوله

كلف من عنائه وشقوته • بنت ثماني عشرة من حجته •

قال ابو الفضل ويجيء على هذه القراءة وهي قراءة من قرا اعشر مبنيا او معربا من حيث هو جمع ان الملائكة الذين هم على سقر تسعون ملكا

فصل معنى الاية انه يلي امر تلك النار تسعة عشر من الملائكة يلقون فيها اهلها قيل هم خزنة النار ومالك وثمانية عشر ملكا وقيل تسعة عشر نقيبا وقال اكثر المفسرين تسعة عشر ملكا باعيانهم قال القرطبي وذكر ابن المبارك عن رجل من بني تميم قال كنا عند ابي العوام فقرا هذه الاية فقال ما تسعة عشر تسعة عشر الف ملك او تسعة عشر ملكا قال قلت لا بل تسعة عشر ملكا قال وانى تعلم ذلك فقلت لقول الله تعالى وما جعلنا عدتهم الا فتنة للذين كفروا قال صدقت هم تسعة عشر ملكا قال ابن جريج نعت النبي صلى الله عليه وسلم خزنة جهنم فقال اعينهم كالبرق وانيابهم كالصياصي واشفارهم تمس قدامهم يخرج لهب النار من افواههم الحديث قال ابن الاثير الصياصي قرون البقر روى الترمذي عن عبد الله قال قال ناس من اليهود لاناس من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم هل يعلم نبيكم عدد خزنة جهنم قال فما ذا قالوا قال قالوا لا ندري حتى نسال نبينا لكنهم قد سالوا نبيهم فقالوا الله جهنم علي باعداء الله اني سائلهم عن تربة الجنة وهي الدرمك فلما جاوا قالوا يا ابا القاسم كم عدد خزنة جهنم قال صلى الله عليه وسلم هكذا وهكذا في مرة عشرة وفي مرة تسعة قالوا نعم فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم ما تربة الجنة قال فسكتوا ثم قالوا خبزة يا ابا القاسم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبزة من الدرمك قال ابن الاثير الدرمك هو الدقيق الحواري قال قال القرطبي الصحيح ان شاء الله ان هولاء التسعة عشر هم الروسا والنقبا واما جملتهم فكما قال تعالى وما يعلم جنود ربك الا هو وقد ثبت في الصحيح عن ابن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوتى بجهنم يومئذ لها سبعون الف زمام مع كل زمام سبعون الف ملك يجرونها وقال ابن عباس وقتادة والضحاك لما نزل قوله تعالى عليها تسعة عشر قال ابو جهل لقريش ثكلتكم امهاتكم اسمع ابن ابي كبشة يخبركم ان خزنة جهنم تسعة عشر وانتم الدهم اي العدد العظيم اي الشجعان فيعجز كل عشرة منكم ان يبطشوا بواحد منهم قال السدي فقال ابو الاسود بن كلدة الجمحي لا يهولنكم التسعة عشر انا ادفع بمنكبي الايمن عشرة من الملائكة وبمنكبي الايسر التسعة ثم تمرون الى الجنة يقولها مستهزئا وفي رواية ان الحرث بن كلدة قال انا اكفيكم سبعة عشر واكفوني انتم اثنين فلما قال ابو الاسود ذلك قال المسلمون ويحكم لا تقاس الملائكة بالحدادين فجرى هذا مثلا في كل شيئين لا تساوي بينهما ومعناه لا تقاس الملائكة بالسجانين والسجان الحداد

فصل ذكر ارباب المعاني في تقرير هذا العدد وجوها منها ما قال ارباب الحكم ان سبب فساد النفس الانسانية في قوتها النظرية والعملية هي القوى الحيوانية والطبيعية فالقوى الحيوانية فهي الخمسة الظاهرة والخمسة الباطنة والشهوة والغضب فهذه اثنى عشر واما القوى الطبيعية فهي الجاذبة والماسكة والهاضمة والدافعة والغاذية والنامية والمولدة فالمجموع تسعة عشر فلما كانت هذه منشا الافات لا جرم كان عدد الزبانية هكذا ومنها ان ابواب جهنم سبعة فستة منها للكفار وواحد للفساق ثم ان الكفار يدخلون النار لامور ثلاثة ترك الاعتقاد وترك الاقرار وترك العمل فيكون لكل باب من تلك الابواب الستة

فالمجموع ثمانية عشر واما باب الفساق فليس هناك الا ترك العمل فالمجموع تسعة عشر فلما كانت مشغولة بغير العبادة فلا جرم صار عدد الزبانية تسعة عشر **قوله تعالى** وما جعلنا اصحاب النار الا ملائكة روي ان ابا جهل لما نزل قوله تعالى عليها تسعة عشر قال ايعجز كل مائة ان يبطشوا بواحد منهم ثم يخرجون من النار فنزل قوله تعالى وما جعلنا اصحاب النار الا ملائكة اي لم نجعلهم رجالا فتتعاطون مغالبتهم وقيل جعلهم ملائكة لانهم خلاف جنس المعذبين من الجن والانس فلا ياخذهم ما ياخذ المجانس من الرقة والرافة ولا يستروحون اليهم ولانهم اشد الخلق باسا واقوام بطشا ولذلك جعل تعالى الرسول الى البشر من جنسهم ليكون له رافة ورحمة بهم وقيل لان قوتهم اعظم من قوة الجن والانس فان قيل ثبت في الاخبار ان الملائكة مخلوقون من النور والمخلوق من النور كيف يطيق المكث في النار فالجواب ان الله تعالى قادر على كل الممكنات فكما انه لا استبعاد في انه يبقي الحي في مثل ذلك العذاب الشديد ابد الاباد ولا يموت فكذا لا استبعاد في بقاء الملائكة هناك من غير الم قوله تعالى وما جعلنا عدتهم الا فتنة للذين كفروا اي بلية روي عن ابن عباس رضي الله عنه قال المعنى ضلالة للذين كفروا وقوله فتنة مفعول ثان على حذف مضاف اي الا سبب فتنة وللذين صفة لفتنة وليست فتنة مفعولا له

فصل قال ابن الخطيب هذا العدد انما صار سببا لفتنة الكفار من وجهين الاول ان الكفار يستهزءون ويقولون هذا العدد القليل لم لم يكونوا عشرين وما المقتضي لتخصيص هذا العدد والثاني ان الكفار يقولون هذا العدد القليل كيف يكونون وافين بتعذيب اكثر العالم من الجن والانس من اول ما خلق الله الى قيام القيامة والجواب عن الاول ان هذا السوال لازم على كل عدد يفرض وعن الثاني انه لا يبعد ان الله يرزق ذلك العدد القليل قوة تفي بذلك فقد اقتلع جبريل عليه السلام مداين قوم لوط على احد جناحيه ورفعها الى السماء حتى سمع اهل السماء صياح ديكهم ثم قلبها وجعل عاليها سافلها وايضا فاحوال القيامة لا تقاس باحوال الدنيا ولا للعقل فيها مجال

فصل دلت هذه الاية على ان الله تعالى يريد الفتنة واجاب الجبائي بان المراد من الفتنة تشديد التعبد ليستدلوا على انه تعالى قادر على تقوية هولاء التسعة عشر على ما لا يقوى عليه مائة الف ملك اقويا واجاب الكعبي بان المراد من الفتنة الامتحان حتى يفوض المومنون حكمة التخصيص بالعدد المعين الى علم الله تعالى وهذا من المتشابه الذي امروا بالايمان به او يكون المراد من الفتنة ما وقعوا فيه من الكفر بسبب تكذيبهم بعدد الخزنة وحاصله ترك الالطاف والجواب ان نقول هل لانزال هذه المتشابهات اثر في تقوية داعية الكفر فقد حصل المقصود لانه اذا ترجحت داعية الفعل • ام لا فان لم يكن له اثر في تقوية داعية الكفر لم يكن انزال هذه المتشابهات فتنة للذين كفروا البتة وان كان له اثر في تقوية داعية الكفر فقد حصل المقصود لانه اذا ترجحت داعية الفعل صارت داعية الترك مرجوحة والمرجوح يمتنع تاثيره فيكون الترك ممتنع الوقوع فيصير الفعل واجب الوقوع والله اعلم **قوله تعالى** ليستيقن الذين متعلق بجعلنا لا بفتنة وقيل بفعل مضمر اي فعلنا ذلك ليستيقن

فصل معنى الكلام ليوقن الذين اعطوا التوراة والانجيل ان عدة خزنة جهنم موافقة لما عندهم قاله ابن عباس وقتادة والضحاك ومجاهد وغيرهم ثم يحتمل ان يريد الذين امنوا منهم كعبد الله بن سلام ويحتمل ان يريد الكل ويزداد الذين امنوا ايمانا لتصديقهم بعدد خزنة النار قال ابن الخطيب فان قيل حقيقة الايمان عندكم لا تقبل الزيادة والنقصان فما قولكم في هذه الاية فالجواب نحمله على ثمرات الايمان وعلى اثاره ولوازمه **قوله تعالى** ولا يرتاب اي ولا يشك الذين اوتوا اي اعطوا الكتاب والمومنون اي المصدقون من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في ان خزنة جهنم تسعة عشر فان قيل لما اثبت الاستيقان لاهل الكتاب واثبت زيادة الايمان للمومنين فما الفائدة في قوله تعالى بعد ذلك ولا يرتاب الذين اوتوا الكتاب والمومنون فالجواب ان الانسان اذا اجتهد في امر غامض دقيق الحجة كثير الشبه فحصل له اليقين فربما غفل عن مقدمة من مقدمات ذلك الدليل الدقيق فيعود الشك فاثبات اليقين في بعض الاحوال لا ينافي طريان الارتياب بعد ذلك ففائدة هذه الاعادة نفي ذلك الشك وانه حصل لهم يقين جازم لا يحصل عقيبه شك البتة **قوله تعالى** وليقول الذين في قلوبهم مرض اي في صدورهم شك ونفاق من منافقي اهل المدينة الذين يحبون في مستقبل الزمان بعد الهجرة وهذا اخبار عما سيكون فهو معجزة والكافرون اي اليهود والنصارى ماذا اراد الله بهذا مثلا يعني بعدد خزنة جهنم وهذا قول اكثر المفسرين وقال الحسين بن الفضل السورة مكية ولم يكن بمكة نفاق فالمرض في هذه الاية الخلاف والمراد بالكافرين مشركو العرب ويجوز ان يراد بالمرض الشك والارتياب لان اهل مكة كان اكثرهم مشركين وبعضهم قاطعين بالكذب وقوله تعالى اخبارا عنهم ماذا اراد الله بهذا مثلا اي بهذا العدد الذي ذكره حديثا اي ما هذا من الحديث قال الليث رحمه الله المثل الحديث ومنه مثل الجنة التي وعد المتقون اي حديثها والخبر عنها وقال ابن الخطيب انما سموه مثلا لانه لما كان هذا العدد عددا عجيبا ظن القوم انه ربما لم يكن مراد الله منه ما اشعر به ظاهره بل جعله مثلا لشيء اخر وتنبيها على مقصود اخر لا جرم سموه مثلا لانهم لما استغربوه ظنوا انه ضرب مثلا للعالم ومثلا

تمييزا او حالا وتسمية هذا مثلا على سبيل الاستعارة لغرابته **فصل** اللام في قوله تعالى وليقول الذين
في قلوبهم مرض جار على اصول اهل السنة لان ذلك مراد وعند المعتزلة هي لام العاقبة ولنسبوه الى الله عز وجل مع انهم
ينكرون ذلك اما على سبيل التهكم واما على ما يقولونه **قوله تعالى** كذلك نعت لمصدر او حال منه على ما عرف وذلك
اشارة الى ما تقدم من الاضلال والهدى اي مثل ذلك الاضلال والهدى اي مثل ذلك الاضلال والهدى يضل الله
من يشاء اي كاضلال الله تعالى ابا جهل واصحابه المنكرين لخزنة جهنم يضل اي يعمي ويخزي من يشاء ويهدي من يشاء
ويرشد من يشاء كارشاد اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وهذه الاية تدل على مذهب اهل السنة لانه تعالى قال في اول
الاية وما جعلنا عدتهم الا فتنة للذين كفروا وقال تعالى في اخر الاية وليقول الذين في قلوبهم مرض والكافرون ماذا
اراد الله بهذا مثلا ثم قال تعالى كذلك يضل الله من يشاء واما المعتزلة فذكروا تاويلات المشهورة وتقدم اجوبتها
قوله تعالى وما يعلم جنود ربك الا هو جنود ربك مفعول واجب التقديم لحصر فاعله ولعود الضمير على ما اتصل
بالمفعول **فصل** اي وما يدري عدد ملائكة ربك الذين خلقهم لتعذيب اهل النار الا هو اي الله عز
وجل وهذا جواب لابي جهل حين قال اما لاله محمد من الجنود الا تسعة عشر الا ان لكل واحد منهم من الاعوان
والجنود ما لا يعلم عددهم الا هو ويحتمل ان يكون المعنى وما يعلم جنود ربك لفرط كثرتها الا هو فلا يعز عليه
تتميم الخزنة عشرين ولكن له في هذا العدد حكمة لا يعلمها الخلق وهو سبحانه يعلمها او يكون المعنى انه لا حاجة بالله
سبحانه في تعذيب الكفار والفساق الى هؤلاء الخزنة بل هو الذي يعذبهم في الحقيقة وهو الذي يخلق الالم فيهم
ولو انه تعالى قلب شعرة في عين ابن ادم او سلط الالم على عرق واحد من عروق بدنه لكفاه ذلك بلاء ومحنة فلا يلزم
من تقليل عدد الخزنة قلة العذاب فجنود الله تعالى غير متناهية لان مقدوراته غير متناهية قال صلى الله عليه وسلم
اطت السماء وحق لها ان تئط ما فيها موضع اربع اصابع الا وفيه ملك ساجد **قوله تعالى** وما هي يجوز ان يعود الضمير
على سقر اي وما سقر الا تذكرة اي عظة للبشر وان يعود على الايات المذكورة فيها او النار لتقدمها او الجنود لانه
اقرب مذكور او نار الدنيا وان لم يجر لها ذكر لانه تذكرة لنار الاخرة قاله الزجاج او ما هذه العدة الا ذكرى للبشر اي ليتذكروا
ويعلموا كمال قدرة الله تعالى وانه لا يحتاج الى اعوان وانصار وللبشر مفعول بذكرى واللام فيه مزيدة **قوله تعالى**
كلا والقمر قال الفراء كلا صلة للقسم التقدير اي والقمر وقيل المعنى حقا والقمر فلا يوقف على هذين التقديرين على
كلا واجاز الطبري الوقف عليها وجعلها ردا على الذين زعموا انهم يقاومون خزنة جهنم اي ليس الامر كما يقول من زعم
انه يقاوم خزنة النار ثم اقسم على ذلك بالقمر وبما بعده وقيل هذا انكار بعد ان جعلها ذكرى ان يكون لهم ذكرى
لانهم لا يتذكرون وقيل هو ردع لمن ينكر ان يكون احدى الكبر نذيرا وقيل ردع عن الاستهزاء بالعدة المخصوصة
قوله تعالى والليل اذ ادبر قرا نافع وحمزة وحفص اذ ظرفا لما مضى من الزمان ادبر بزنة اكرم والباقون اذا
ظرفا لما يستقبل دبر بزنة ضرب والرسم يحتمل لكلتاهما فالصورة الخطية لا تختلف واختار ابو عبيدة
قراءة اذا قال لان بعده اذا اسفر وقال وكذلك هي في حرف عبد الله يعني انه مكتوب بالفين بعد الدال احدهما
الف اذا والاخرى همزة ادبر قال وليس في القران قسم تعقبه اذ وانما تعقبه اذا واختار ابن عباس رضي الله عنه
اذ ويحكى عنه انه لما سمع دبر قال انما يدبر ظهر البعير واختلفوا هل دبر وادبر بمعنى ام لا فقيل هما بمعنى واحد يقال
دبر الليل والنهار وادبر وقبل واقبل ومنه قولهم امس الدابر وامس المدبر فهذا من دبر وامس المدبر قال صخر بن عمرو بن الشريد السلمي
ولقد قتلتكم ثناء وموحدا وتركت مرة مثل امس الدابر ويروى المدبر وهذا قول الفراء والاخفش والزجاج
واما ادبر الراكب واقبل فرباعي لا غير وقال يونس دبر انقضى وادبر تولى ففرق بينهما وقال الزمخشري دبر بمعنى
ادبر كقبل بمعنى اقبل وقيل ومنه صاروا كامس الدابر وقيل هو من دبر الليل النهار اذا خلفه وذكر القرطبي عن بعض اهل
اللغة ودبر الليل اذا مضى وادبر اخذ في الادبار وقرا محمد بن السميفع والليل اذا ادبر بالفين وكذلك هي في مصحف
عبد الله وابي وقال قطرب من قرا دبر فيعني اقبل من قول العرب دبر فلان اذا جاء من خلفي قال ابو عمرو وهي لغة قريش
قوله تعالى والصبح اذا اسفر اي اضاء وفي الحديث اسفروا بالفجر ومنه قوله تعالى وجوه يومئذ مسفرة اي مضيئة وقرا
العامة اسفر بالالف وعيسى بن الفضل وابن السميفع سفر ثلاثيا والمعنى طرح الظلمة عن وجهه على وجه الاستعارة
وهما لغتان يقال سفر وجه فلان اذا اضاء واسفر وجهه حسنا اي اشرق وسفرت المراة اي كشفت عن وجهها
فهي سافرة قال القرطبي ويجوز ان يكون سفر الظلام اي كنسه كما يسفر البيت اي يكنس ومنه السفير لما يسقط من ورق
الشجر ويتحات يقال انما سمي سفيرا لان الريح تسفره اي تكنسه والمسفرة المكنسة **قوله تعالى** انها اي ان النار وقيل
ان قيام الساعة كذا حكاه ابو حيان وفيه شيئان عوده على غير مذكور وكون المضاف كتب ثانيا وقيل ان النذارة

وقيل

وقيل هي ضمير القصة وهذا جواب القسم وتعليل لكلا والقسم معترض للتوكيد قاله الزمخشري قال شهاب الدين
وحينئذ يحتاج الى تقدير جواز وفيه تكلف وخروج عن الظاهر **قوله تعالى** لاحدى الكبر العامة لاحدى الكبر بهمزة
واصلها واو من الوحدة وقرا نصر بن عاصم وابن محيصن ويروى عن ابن كثير لحدى بحذف الهمزة وهذا من الشذوذ بحيث
لا يقاس عليه وتوجيهه ان يكون ابدلها الفا ثم حذف الالف لالتقاء الساكنين وقياس تخفيف مثل هذه بينها وبين
الالف قال الواحدي الف احدى مقطوع لا يذهب في الوصل والكبر جمع كبرى كالفضل جمع فضلى قال الزمخشري
الكبر جمع الكبرى مثل الف التانيث كما جمعت فعلة على فعل جمعت فعلى عليها ونظير ذلك السوافي في جمع
السافي وهو التراب اي التي تسفيها الريح والقواصع في جمع القاصعاء كانها جمع فاعلة قال ابن الخطيب **فصل**
معنى احدى الكبر احدى الدواهي قال الشاعر ● يا ابن المعلى نزلت احدى الكبر ● داهية الدهر وصماء الغير
ومثله هو احد الرجال واحدى النساء يستعظمونه والمراد من الكبر دركات جهنم وهي سبعة ● جهنم ● ولظى ● والحطمة ●
والسعير ● والجحيم ● والهاوية ● وسقر ● اعاذنا الله تعالى منها وفي تفسير مقاتل الكبر اسم من اسماء النار وعن ابن عباس
رضي الله عنه انها اي ان تكذيبهم بمحمد صلى الله عليه وسلم لاحدى الكبر اي الكبيرة من الكبائر **قوله تعالى** نذيرا فيه
اوجه احدها انه تمييز عن احدى لما ضمنت معنى التعظيم كانه قيل اعظم الكبر انذارا فنذير بمعنى الانذار كالنكير بمعنى الانكار
كانه قيل لاحدى الدواهي انذارا ومثله هي احدى النساء عفافا الثاني انه مصدر بمعنى الانذار ايضا ولكنه نصب بفعل مقدر
قاله الفراء الثالث انه فعيل بمعنى مفعل وهو حال من الضمير في انها قاله الزجاج وذكر لان معناه معنى العذاب او اراد ذات
انذار على معنى النسب كقولهم امراة طالق وطاهر قال الحسن والله ما انذر الخلائق بشيء ادهى منها الرابع انه حال من الضمير في
احدى لتاويلها بمعنى العظم الخامس انه حال من فاعل قم اول السورة والمراد بالنذير محمد صلى الله عليه وسلم اي قم نذيرا
للبشر اي خوفهم قاله ابو علي الفارسي وابن زيد وروي عن ابن عباس وانكره الفراء قال ابن الانباري قال بعض المفسرين
معناه يا ايها المدثر قم نذيرا للبشر وهذا قبيح لطول ما بينهما السادس انه مصدر منصوب بانذر اول السورة كانه
قال انذارا للبشر قال الفراء يجوز ان يكون النذير بمعنى الانذار اي انذر انذارا فهو كقوله تعالى فكيف كان نذير اي انذاري
فعلى هذا يكون راجعا الى اول السورة السابع هو حال من الكبر الثامن حال من ضمير الكبر التاسع انه منصوب باضمار اعني
العاشر انه حال من لاحدى قاله ابن عطية الحادي عشر انه منصوب باضمار اعني بادع مقدرا اذ المراد به الله تبارك وتعالى
روى ابو معاوية الضرير حدثنا اسمعيل بن سميع عن ابي رزين نذيرا للبشر قال يقول الله تعالى انا لكم منها نذير فاتقوها
ونذيرا على هذا نصب على الحال اي وما جعلنا اصحاب النار الا ملائكة منذرا بذلك البشر الثاني عشر انه منصوب بما دا
وبلغ اذ المراد به الرسول صلى الله عليه وسلم الثالث عشر انه منصوب بما دلت عليه الجملة تقديره عظمت نذيرا الرابع عشر
هو حال من الضمير في الكبر الخامس عشر انها حال من هو في قوله تعالى وما يعلم جنود ربك الا هو السادس عشر انه مفعول من
اجله الناصب لها ما في الكبر من معنى الفعل قال ابو البقاء وانها لاحدى الكبر لانذار البشر فظاهر هذا انه مفعول من اجله
واعلم ان النصب قراءة العامة وقرا ابي بن كعب وابن ابي عبلة بالرفع فان كان المراد النار جاز فيه وجهان ان يكون خبرا
بعد خبر وان يكون خبر مبتدا مضمر اي هي نذير والتذكير لما تقدم من معنى النسب وان كان المراد الباري تعالى او رسوله
عليه الصلاة والسلام كان على خبر مبتدا مضمر اي هو نذير وللبشر اما صفة واما مفعول النذير واللام مزيدة لتقوية العامل
قوله تعالى لمن شاء فيه وجهان احدهما انه بدل من للبشر باعادة العامل كقوله لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم والذين
استضعفوا لمن امن وان يتقدم مفعول شاء اي نذيرا لمن شاء التقدم او التاخر وفيه ذكر مفعول شاء وقد تقدم انه
لا يذكر الا اذا كان فيه غرابة الثاني وبه بدا الزمخشري ان يكون لمن شاء خبرا مقدما وان يتقدم مبتدا موخرا قال
كقولك لمن توضا ان يصلي ومعناه مطلق لمن شاء التقدم او التاخر ان يتقدم او يتاخر انتهى فقوله التقدم او التاخر هو مفعول
شاء المقدر قال ابو حيان قوله ان يتقدم هو المبتدا معنى لا يتبادر الذهن اليه وفيه حذف قال القرطبي اللام في لمن شاء متعلقة
بالنذير اي نذيرا لمن شاء منكم ان يتقدم الى الخير او يتاخر الى الشر والمعصية نظيره ولقد علمنا المستقدمين منكم
اي في الخير ولقد علمنا المستاخرين عنه قال الحسن هذا وعيد وتهديد وان خرج مخرج الخبر كقوله تعالى فمن شاء فليؤمن
ومن شاء فليكفر وقيل المعنى لمن شاء الله ان يتقدم او يتاخر فالمشيئة متصلة بالله عز وجل والتقديم الايمان
والتاخير الكفر وكان ابن عباس يقول هذا تهديد واعلام ان من تقدم الى الطاعة والايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم
جوزي بثواب لا ينقطع ومن تاخر عن الطاعة وكذب بمحمد صلى الله عليه وسلم عوقب عقابا لا ينقطع وقال السدي
لمن شاء منكم ان يتقدم الى النار المتقدم ذكرها او يتاخر عنها الى الجنة **فصل** احتج المعتزلة بهذه الاية على كون العبد
متمكنا من الفعل غير مجبور عليه وجوابه ان هذه الاية دلت على ان فعل العبد معلق على مشيئته لكن مشيئة العبد على مشيئة

الله تعالى كقوله تعالى وما تشاؤون الا ان يشاء الله وحينئذ تصير الاية حجة عليهم قال ابن الخطيب وذكر الاصحاب
جوابين آخرين معنى اضافة المشيئة الى المخاطبين التهديد كقوله فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر الثاني ان هذه المشيئة
لله تعالى على لمن شاء الله منكم ان يتقدم او يتأخر **قوله تعالى** كل نفس بما كسبت رهينة فيه اوجه احدها ان رهينة بمعنى رهن
كالشتيمة بمعنى الشتم قال الزمخشري ليست بتانيث رهين في قوله كل امرئ بما كسب رهين لتانيث النفس لانه لو قصدت الصفة
لقيل رهين لان فعيلا بمعنى مفعول يستوي فيه المذكر والمونث وانما هي اسم بمعنى الرهن كالشتيمة بمعنى الشتم كانه قيل
كل نفس بما كسبت رهن ومنه بيت الحماسة • ابعد الذي بالنعف نعف كويكب • رهينة رمس ذي تراب وجندل •
كانه قال رهن رمس الثاني ان الهاء للمبالغة الثالث ان التانيث لاجل اللفظ واختار ابو حيان انها بمعنى مفعول وانها
كالنطيحة قال ويدل على ذلك انه لما كان خبرا عن المذكر كان بغيرها قال تعالى كل امرئ بما كسب رهين فانث حيث
كان خبرا عن المذكر اتى بغير تاء وحيث كان خبرا عن مونث اتى بالتاء فاما التي في البيت فانث على معنى النفس

فصل ومعنى رهينة اي مرتهنة بكسبها ماخوذة بعملها اما يخلصها واما يوبقها **قوله تعالى** الا اصحاب
اليمين فيه وجهان احدهما انها استثناء متصل اذ المراد بهم المسلمون الخالصون الصالحون فانهم فكوا رقاب
انفسهم باعمالهم الحسنة كما يخلص الراهن رهنه بايفاء الحق والثاني انه منقطع اذ المراد بهم الاطفال والملائكة
قال ابن عباس المراد بهم الملائكة وقال علي بن ابي طالب رضي الله عنه هم اولاد المسلمين لم يكتسبوا فيرتهنوا وقال
الضحاك هم الذين سبقت لهم منا الحسنى ونحوه عن ابن جريج قال كل نفس بعملها محاسبة الا اصحاب اليمين
وهم اهل الجنة فانهم لا يحاسبون وكذا قال مقاتل والكلبي ايضا هم اصحاب الجنة الذين كانوا عن يمين آدم
عليه السلام يوم الميثاق حين قال الله تعالى لهم هؤلاء في الجنة ولا ابالي وقال الحسن وابن كيسان هم المسلمون
المخلصون ليسوا بمرتهنين لانهم ادوا ما كان عليهم وعن ابي ظبيان عن ابن عباس قال هم المسلمون وقيل الا اصحاب
الحق واهل الايمان وقيل هم الذين يعطون كتبهم بايمانهم وقال ابو جعفر الباقر نحن وشيعتنا اصحاب اليمين
وكل من ابغضنا اهل البيت فهم المرتهنون **قوله تعالى** في جنات يجوز ان يكون خبر مبتدا مضمر اي هم في جنات وان يكون
حالا من فاعل يتساءلون ذكرهما ابو البقاء ويجوز ان يكون ظرفا ليتساءلون وهو اظهر من الحالية من فاعله ويتساءلون
يجوز ان يكون على بابه اي يسال بعضهم بعضا وان يكون بمعنى يسالون اي يسالون غيرهم نحو دعوته وتداعيته **قوله تعالى**
عن المجرمين فيه وجهان الاول ان يكون كلمة عن صلة زائدة والتقدير يتساءلون المجرمين فيقولون لهم ما سلككم
في سقر فانه يقال سالته كذا وسالته عن كذا الثاني ان يكون المعنى ان اصحاب اليمين يسال بعضهم بعضا عن احوال المجرمين
فان قيل فعلى هذا يجب ان يقولوا ما سلكهم في سقر فاجاب الزمخشري عنه فقال المراد من هذا ان المشركين
يلقون ما جرى بينهم وبين المؤمنين فيقولون قلنا لهم ما سلككم في سقر وفيه وجه آخر وهو ان المراد ان اصحاب
اليمين كانوا يتساءلون عن المجرمين اين هم فلما راوهم قالوا لهم ما سلككم في سقر والاضمارات كثيرة في القرآن
قوله تعالى ما سلككم يجوز ان يكون على اضمار القول وذلك القول في موضع الحال اي يتساءلون عنهم قائلين
لهم ما سلككم قال الزمخشري فان قلت كيف طابق قوله ما سلككم وهو سؤال المجرمين قوله يتساءلون عن
المجرمين وهو سؤال عنهم وانما كان يطابق ذلك لو قيل يتساءلون المجرمين ما سلككم قلت قوله ما سلككم ليس ببيان
للتساؤل عنهم وانما هو حكاية قول المسؤولين عنهم لان المشركين يلقون الى السائلين ما جرى بينهم وبين
المجرمين فيقولون قلنا لهم ما سلككم في سقر اي ادخلكم في سقر كما تقول سلكت الخيط في كذا اذا ادخلته فيه والمقصود
من هذا السؤال زيادة التوبيخ والتخجيل والمعنى ما ادخلكم في هذه الدركة من النار فاجابوا ان العذاب لامور اربعة
ثم ذكروها وهي قولهم لم نك من المصلين قال الكلبي يسال الرجل من اهل الجنة الرجل من اهل النار باسمه فيقول له يا فلان وفي
قراءة عبد الله بن الزبير يا فلان ما سلكك في سقر قال الفراء في هذا ما يقوي وهي قراءة على التفسير لانها قرآن كما زعم من
طعن في القرآن قاله ابن الانباري وقيل ان المؤمنين يسالون الملائكة عن اقربائهم فتسال الملائكة المشركين فيقولون
لهم ما سلككم في سقر قال الفراء في هذا ما يقوي ان اصحاب اليمين هم الولدان لانهم لا يعرفون الذنوب **قوله تعالى** لم نك
من المصلين هذا هو الدال على فاعل سلكنا كذا الواقع جوابا لقول المؤمنين لهم ما سلككم التقدير سلكنا عدم صلاتنا وكذا
وكذا وقال ابو البقاء هذه الجملة سدت مسد الفاعل وهو جواب ما سلككم وهو نظير ما سلككم وقد تقدم في البقرة **فصل**
قال القرطبي معنى قوله لم نك من المصلين يعني اهل النار اي المؤمنين الذين يصلون ولم نك نطعم المسكين اي لم نك نتصدق قال ابن
الخطيب وهذان يجب ان يكونا محمولين على الصلوة الواجبة والزكوة لان ما ليس بواجب لا يجوز ان يعذبوا على تركه وكنا نخوض
مع الخائضين اي في الاباطيل وقال ابن زيد نخوض مع الخائضين اي في امر محمد عليه الصلاة والسلام وهو قولهم انه كاهن مجنون

شاعر ساحر كذبوا والله لم يكن فيه شيء من ذلك صلى الله عليه وسلم وقال قتادة كلما غوى غاو غوينا معه وقيل معناه
وكنا اتباعا ولم نكن متبوعين وقولهم وكنا نكذب بيوم الدين اي نكذب بيوم القيامة يوم الجزاء والحكم حتى اتانا اليقين اي جاء
الموت قال تعالى حتى ياتيك اليقين وهذه الاية تدل على ان الكفار مخاطبون بفروع الشريعة فان قيل لم اخر التكذيب وهو اخس
تلك الخصال الاربع فالجواب اريد انهم بعد اتصافهم بتلك الامور الثلاثة كانوا مكذبين بيوم الدين والغرض تعظيم هذا الذنب
لقوله تعالى ثم كان من الذين آمنوا **قوله تعالى** فما تنفعهم شفاعة الشافعين كقوله • على لاحب لا يهتدى بمناره • في احد وجهيه
اي لا شفاعة لهم فلا انتفاع بها وليس المراد ان ثم شفاعة غير نافعة كقوله تعالى ولا يشفعون الا لمن ارتضى الاية يدل على
صحة الشفاعة للمذنبين من هذه الامة بمفهومها لان تخصيص هؤلاء بانهم لا تنفعهم شفاعة الشافعين يدل على ان
غيرهم تنفعهم شفاعة الشافعين قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه يشفع نبيكم صلى الله عليه وسلم رابع اربعة جبريل ثم
ابراهيم ثم موسى او عيسى ثم نبيكم صلى الله عليه وسلم ثم الملائكة ثم النبيون ثم الصديقون ثم الشهداء ويبقى قوم في جهنم
فيقال لهم ما سلككم في سقر قالوا لم نك من المصلين الى قوله فما تنفعهم شفاعة الشافعين قال عبد الله بن مسعود فهؤلاء الذين
في جهنم **قوله تعالى** فما لهم عن التذكرة معرضين اي فما لاهل مكة قد اعرضوا وولوا قال مقاتل معرضين عن القرآن من وجهين
احدهما الجحود والانكار والثاني ترك العمل بما فيه وقيل المراد بالتذكرة العظة بالقرآن وغيره من المواعظ ومعرضين حال
من الضمير في الجار الواقع خبرا عن ما الاستفهامية وقد تقدم ان مثل هذه الحال تسمى حالا لازمة وتقدم بحث حسن وعن
التذكرة متعلق به قال القرطبي وفي اللام معنى الفعل فانتصاب الحال على معنى الفعل قال ابن الخطيب هو كقولك ما لك قائما
قوله تعالى كانهم حمر هذه الجملة يجوز ان يكون حالا من الضمير في معرضين فيكون حالا متداخلة وقرا العامة حمر بضم الميم والاعمش
باسكانها وقرا نافع وابن عامر مستنفرة بفتح الفاء على انه اسم مفعول اي نفرها الصياد والباقون بالكسر بمعنى نافرة يقال
استنفر ونفر بمعنى مثل عجب واستعجب وسخر واستسخر قال الشاعر • امسك حمارك انه مستنفر • في اثر احمرة عمدن لغرب •
وقال الزمخشري وكانها تطلب النفار من نفوسها في جمعها له وحملها عليه فابقى السين على بابها من الطلب وهو معنى حسن
قال ابو علي الفارسي الكسر في مستنفرة اولى لقوله فرت للتناسب لانه يدل على انها استنفرت ويدل على ذلك ما روى محمد بن سلام
قال سالت ابا سوار الغنوي وكان عربيا فصيحا فقلت كانهم حمر ماذا فقال مستنفرة طردها قسورة فقلت انما هو فرت
من قسورة فقال افرت قلت نعم قال فمستنفرة اذن انتهى يعني انها مع قوله طرد تناسب الفتح لانها اسم مفعول فلما اخبر بان
التلاوة فرت من قسورة رجع الى الكسر للتناسب الا ان مثل هذه الحكاية لا ترد القراءة المتواترة والقسورة قيل الصائد
اي نفرت وهربت من قسورة اي من الصائد وقيل الرماة اي رماة يرمونها قيل هو اسم جمع لا واحد له قال بعض
اهل اللغة ان القسورة الرامي وجمعه القسورة وكذا قال سعيد بن جبير وعكرمة ومجاهد وقتادة والضحاك وابن كيسان
القسورة هم الرماة والصيادون ورواه عطاء عن ابن عباس وابن وهبان عن ابي موسى الاشعري وانشد للبيد بن ربيعة
اذا ما هتفنا هتفة في ندينا • اتانا الرجال العايدون القساورة • وقيل القسورة الاسد قاله ابو هريرة وابن عباس
رضي الله عنهما قال ابن عرفة من القسر بمعنى القهر اي انه يقهر السباع والحمر الوحشية تهرب من السباع ومنه قول الشاعر
مضمر تحذره الابطال • كانه القسورة الرهال • اي الاسد الا ان ابن عباس انكره وقال لا اعرف القسورة الاسد في لغة
احد من العرب وانما القسورة عصب الرجال وانشد • يا بنت كوني خيرة لخيره • اخوالها الجن واهل القسورة •
وقيل القسورة ظلمة الليل قاله ابن الاعرابي وهو قول عكرمة وعن ابن عباس ركز الناس اي حسهم واصواتهم وعنه ايضا
فرت من قسورة اي من حبال الصيادين وعنه ايضا القسورة بلسان الحبشة الاسد وخالفه عكرمة فقال الاسد بلسان الحبشة
عنبسة وبلسان الحبشة الرماة وبلسان فارس شير وبلسان النبط اريا وقيل هو اول سواد الليل ولا يقال لآخر سواد الليل
قسورة **فصل** قال ابن عباس كان هؤلاء الكفار في فرارهم من محمد صلى الله عليه وسلم حمر مستنفرة
قال ابن عباس اراد الحمر الوحشية قال الزمخشري وفي تشبيههم بالحمر شهادة عليهم بالبله ولا ترى مثل نفار حمر الوحش
واطرادها في العدو اذا خافت من شيء **قوله تعالى** بل يريد كل امرئ منهم ان يؤتى صحفا منشرة اي يعطى كتبا مفتوحة
وذلك ان ابا جهل وجماعة من قريش قالوا يا محمد لا نؤمن بك حتى ياتي كل واحد منا بكتاب من السماء عنوانه من رب
العالمين الى فلان بن فلان ونؤمر فيه باتباعك ونظيره لن نؤمن لك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه وقال ابن عباس كانوا يقولون
ان كان محمد صادقا فليصبح عند راس كل واحد منا صحيفة فيها براءة من النار وقال مطر الوراق ارادوا ان يعطوا بغير عمل
وقال الكلبي قال المشركون بلغنا ان الرجل من بني اسرائيل كان يصبح عند راسه مكتوبا ذنبه وكفارته فاتنا بمثل ذلك قال ابن
الخطيب من الصحف المنشرة بمعزل وقيل المعنى ان يذكر بذكر جميل فجعلت الصحف موضع الذكر مجازا وقالوا اذا كانت ذنوب
الانسان تكتب عليه فما بالنا لا نرى ذلك **قوله تعالى** منشرة العامة على التشديد من نشره بالتضعيف وابن جبير

منشورة بالتخفيف ونشر وانشر مثل نزل وانزل والعامة ايضا على ضم الحا من صحف وابن جبير على تسكينها قال ابو حيان
والمحفوظ في الصحيفة والثوب نشر مخففا ثلاثيا وهذا مردود بالقران المتواتر وقال ابو البقا في قراءة ابن جبير من انشرت
اما بمعنى امر بنشرها مثل الحميل عرض فلان او بمعنى منشورة مثل احمدت الرجل وبمعنى انشر الله الميت اي احياه فكانه احيا
ما فيها بذكره **قوله تعالى** كلا اي ليس يكون ذلك وقيل حقا والاول اجود لانه رد لقولهم ثم قال بل لا يخافون الاخرة
اي لا اعطيهم ما يتمنون لانهم ما يخافون الاخرة فلذلك اعرضوا عن التامل اغترارا بالدنيا فانه لما حصلت المعجزات
الكثيرة كفت في الدلالة على صحة النبوة فطلب الزيادة يكون تعنتا **قوله تعالى** كلا انه تذكرة اي حقا ان القران عظة
وقيل هذا ردع لهم عن اعراضهم عن التذكرة انه تذكرة بليغة فمن شاء ذكره اي اتعظ به وجعله نصب عينيه والضمير
في انه وذكره للتذكرة في قوله تعالى فما لهم عن التذكرة معرضين وانما ذكر لانها في معنى الذكر والقران وقيل الضمير
في انه للقران او الوعيد **قوله تعالى** وما يذكرون قرا نافع بالخطاب وهو التفات من الغيبة الى الخطاب والباقون
بالغيبة حملا على ما تقدم من قوله كل امرئ ولم يوثروا الالتفات وقراءة الخطاب هي اختيار ابي حاتم لانه اعم
واما قراءة الغيبة فهي اختيار ابي عبيد لقوله تعالى كلا بل لا يخافون الاخرة واتفقوا على تخفيفها **قوله تعالى**
الا ان يشاء الله بمعنى الا وقت مشيئته وان ان سوب عن الزمان بل على حذف مضاف قال المعتزلة معناه الا
ان يقسرهم الله على الذكر ويلجئهم اليه واجيبوا بانه تعالى نفى الذكر مطلقا واستثنى منه حال المشيئة المطلقة
فيلزم انه متى حصلت المشيئة ان يحصل الذكر مطلقا فحيث لم يحصل الذكر علمنا انه لم تحصل المشيئة وتخصيص
المشيئة بالمشيئة القهرية ترك للظاهر **قوله تعالى** هو اهل التقوى واهل المغفرة اي حقيق بان يتقيه عباده
ويخافوا عقابه فيؤمنوا ويطيعوا وحقيق بان يغفر لهم ما سلف من كفرهم اذا امنوا واطاعوا روى الترمذي
وابن ماجة عن انس بن مالك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال في قوله تعالى هو اهل التقوى واهل
المغفرة قال قال الله تعالى انا اهل ان اتقى فمن اتقى فلم يجعل معي الها فانا اهل ان اغفر له وقال بعض المفسرين اهل المغفرة
لمن تاب اليه من الذنوب الكبار واهل المغفرة ايضا للذنوب الصغار روى الثعلبي عن ابي بن كعب رضي الله عنه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا يايها المدثر اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد من صدق بمحمد صلى الله عليه وسلم وكذب به

سورة القيمة مكية

وهي تسع وثلاثون اية ومائة وسبع وتسعون كلمة وستمائة واثنان وخمسون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم **قوله تعالى**
لا اقسم بيوم القيمة العامة على لا النافية واختلفوا حينئذ فيها على اوجه احدها انها نافية لكلام تقدم كان الكفار
ذكروا اشياء فقيل لهم لا ليس الامر كما ذكرتم ثم ابتدا الله قسما قال القرطبي ان القران جاء بالرد على الذين انكروا البعث والجنة والنار فجاء الاقسام
بالرد عليهم كقولك لا والله لا افعل فلا رد لكلام قد مضى كقولك لا والله ان القيامة لحق كانك كذبت قوما انكروه الثاني
انها مزيدة قال الزمخشري وقالوا انها مزيدة مثلها في لئلا يعلم اهل الكتاب وفي قوله تعالى ما منعك ان لا تسجد وقوله
في بئر لا حور سرى وما شعر • قال ابن الخطيب وهذا القول عندي ضعيف من وجوه احدها ان تجويز هذا يفضي الى الطعن
في القران لان على هذا التقدير يجوز جعل النفي اثباتا والاثبات نفيا وذلك ينفي الاعتماد على الكلام نفيا واثباتا
وثانيها ان الحرف انما يزاد في وسط الكلام فان امرا القيس زاد لا في مستهل قصيدته وهي قوله • لا وابيك ابنة العامري •
لا يدعي القوم اني افر • وايضا فان هذا الحرف لا يزاد في اول الكلام الا ان القران كله كالسورة الواحدة لاتصال
بعضه ببعض بدليل انه قد يذكر الشيء في سورة ثم يجي جوابه في سورة اخرى كقوله تعالى وقالوا يايها الذي نزل عليه
الذكر انك لمجنون ثم جاء جوابه في سورة اخرى وهو قوله تعالى ما انت بنعمة ربك بمجنون واذا كان كذلك كان اول هذه
السورة جاريا مجرى الوسط الكلام والجواب عن الاول ان قوله لا وابيك قسم عن النفي وقوله لا اقسم نفي للقسم لانه على وزان
قولنا لا اقبل لا اضرب لا ابصر وذلك يفيد النفي بدليل انه لو حلف لا يقسم كان البر بترك القسم والحنث بفعل القسم
فظهر ان البيت المذكور ليس من هذا الباب وعن الثاني ان القران الكريم كالسورة الواحدة في عدم التناقض فاما ان يقرن
بكل اية ما قرن بالاخرى فذلك غير جائز لانه يلزم جواز ان يقرن بكل اثبات حرف النفي الوارد في سائر الايات وذلك
يقتضي انقلاب كل اثبات نفيا وانقلاب كل نفي اثباتا وانه لا يجوز وثالثها ان المراد بقولنا لا صلة انه لغو باطل يجب طرحه
واسقاطه حتى ينتظم الكلام ووصف كلام الباري تعالى بذلك لا يجوز الوجه الثالث قال الزمخشري ادخال لا النافية على فعل

القسم مستفيض في كلامهم واشعارهم قال امرؤ القيس • لا وابيك ابنة العامري • البيت المتقدم وقال غوية بن سلمى •
الا نادت امامة باحتمال • ليحزنني فلا بك ما ابالي • وفائدتها توكيد القسم في الرد ثم قال بعد ان حكى وجه الزيادة
والاعتراض والجواب كما تقدم والوجه ان يقال هي للنفي والمعنى في ذلك انه لا يقسم بالشيء الا اعظاما له بذلك عليه
قوله تعالى فلا اقسم بمواقع النجوم وانه لقسم لو تعلمون عظيم فكانه بادخال حرف النفي يقول ان اعظامي له باقسامي به
كلا اعظام يعني انه يستاهل فوق ذلك وقيل ان لا نفي للكلام ورد قبل ذلك انتهى قال ابن الخطيب كانهم انكروا البعث قيل
لا ليس الامر على ما ذكرتم ثم قيل اقسم بيوم القيمة قال وهذا فيه اشكال لان اعادة حرف النفي تجري في قوله ولا اقسم
بالنفس اللوامة مع ان المراد ما ذكروه يقدح في فصاحة الكلام قال شهاب الدين يقول الزمخشري والوجه ان يقال الى قوله
يعني انه يستاهل فوق ذلك تقرير لقوله ادخال لا النافية على فعل القسم مستفيض الى اخره وحاصل كلامه يرجع الى انها
نافية وان النفي متسلط على فعل القسم بالمعنى الذي شرحه وليس فيه منع لفظا ولا معنى ثم قال فان قلت قوله تعالى فلا وربك
لا يؤمنون والابيات التي انشدتها المقسم عليه فيها منفي فهلا زعمت ان لا التي قبل القسم زيدت موطئة للنفي بعده ومؤكدة
له وقدرت المقسم عليه المحذوف ههنا منفيا كقولك لا اقسم بيوم القيمة لا يتركون سدى قلت لو قصروا الامر على النفي
دون الاثبات لكان لهذا القول مساغ ولكنه لم يقصر الا ترى كيف نفي لا اقسم بهذا البلد بقوله لقد خلقنا الانسان وكذلك
قوله فلا اقسم بمواقع النجوم بقوله انه لقران كريم وهذا من محاسن كلامه تعالى وقرا قنبل والبزي بخلاف عنه لاقسم بلام
بعدها همزة دون الف وفيها اوجه احدها انها جواب لقسم مقدر تقديره والله لاقسم والفعل للحال فلذلك لم يات
نون التوكيد وهذا مذهب الكوفيين واما البصريون فلا يجيزون ان يقع فعل الحال جوابا للقسم فان ورد
ما ظاهره ذلك جعل الفعل خبر المبتدا مضمر فيعود الجواب جملة اسمية قدر احد جزئيها وهذا عند بعضهم من ذلك
التقدير والله لانا اقسم الثاني انه فعل مستقبل وانما لم يات بنون التوكيد لان افعال الله تعالى حق وصدق فهي غنية عن
التاكيد بخلاف افعال غيره على ان سيبويه حكى حذف النون الا انه قليل والكوفيون يجيزون ذلك من غير قلة ومن مذهبهم
جواز تعاقب اللام والنون فمن حذف اللام قوله • وقتيل مرة اثارن فانه • فرع وان اخاكم لم يثار • اي لاثارن ومن حذف
النون وهو نظير الاية الكريمة قول الاخر • لئن تك قد ضاقت عليكم بيوتكم • ليعلم ربي ان بيتي واسع • الثالث
انها لام الابتداء وليست بلام القسم قال ابو البقا كقوله وان ربك ليحكم والمعروف ان لام الابتداء لا تدخل على المضارع
الا في خبر ان نحو وان ربك ليحكم وهذه الاية نظير الاية التي في سورة يونس ولا ادراكم به فانهما قراها بقصر الالف
والكلام فيها قد تقدم ولم يختلف في قوله ولا اقسم انه بالف بعد لا لانه لم يرسم الا كذلك بخلاف الاول فانه رسم بدون الف
بعد لا وكذلك في قوله تعالى لا اقسم بهذا البلد لم يختلف فيه انه بالف بعد لا وجواب القسم محذوف تقديره لتبعثن
دل عليه قوله ايحسب الانسان وقيل الجواب ايحسب وقيل هو بلى قادرين وروي عن الحسن البصري وقيل المعنى
على نفي القسم والمعنى اني لا اقسم على شيء ولكن اسالك ايحسب الانسان وهذه الاقوال شاذة منكرة لا تصح من قائلها
لخروجها عن لسان العرب وانما ذكرناها تنبيها على ضعفها **فصل** قال ابن عباس وابن جبير معنى الكلام
اقسم بيوم القيمة وهو قول ابي عبيدة ومثله قوله • تذكرت ليلى فاعترتني صبابة • فكاد صميم القلب لا يتقطع •
قوله تعالى بيوم القيمة اي بيوم يقوم الناس فيه لربهم ولله عز وجل ان يقسم بما شاء ولا اقسم بالنفس اللوامة ولا خلاف في هذا
بين القراء وانه سبحانه انما اقسم بيوم القيمة تعظيما لشانه وعلى قراءة ابن كثير اقسم بالاولى ولم يقسم بالثانية وقيل ولا اقسم
بالنفس اللوامة رد اخر ابتدا قسما بالنفس اللوامة قال الثعلبي والصحيح انه قسم بهما جميعا ومعنى بالنفس اللوامة اي بنفس المؤمن الذي
لا تراه يلوم الا نفسه يقول ما اردت بكلامي ما اردت باكلي ما اردت بحديثي والفاجر لا يحاسب نفسه وقال مجاهد هي التي
تلوم على ما فات وتندم فتلوم نفسها على الشر لم فعلته وعلى الخير لم لا تستكثر منه وقيل يلوم نفسها بما يلوم عليه غيرها
وقيل المراد ادم عليه السلام لم يزل لائما لنفسه على معصيته التي اخرج بها من الجنة وعن ابن عباس رضي الله عنهما الملومة
فيكون صفة ذم وهو قول من نفى ان يكون قسما وعلى الاول صفة مدح فيكون القسم بها سائغا وقال مقاتل هي نفس الكافر
يلوم نفسه ويتحسر في الاخرة على ما فرط في جنب الله تعالى **قوله تعالى** ايحسب الانسان ان لن نجمع ان المخففة وتقدم
حكمها في المائدة وغيرها ولن وما في حيزها في موضع الخبر والفاصل هنا حرف النفي وهي وما في حيزها سادة مسد مفعولي حسب
او مفعول على الخلاف والعامة على نجمع بنون العظمة وعظامه نصب مفعولا به وقتادة يجمع بياء من تحت مضمومة على ما لم
يسم فاعله عظامه رفع لقيامه مقام الفاعل **فصل** قال الزجاج اقسم بيوم القيمة وبالنفس اللوامة ليجمعن
العظام للبعث فهذا جواب القسم محذوف اي لتبعثن والمراد بالانسان الكافر المكذب بالبعث قيل نزلت في عدي بن ربيعة
قال للنبي صلى الله عليه وسلم حدثني عن يوم القيمة متى يكون وكيف امرها وحالها فاخبره النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فقال

لو عاينت ذلك اليوم لم اصدق فك يا محمد علم او من براو يجمع الله العظام ولهذا كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول اللهم
اكفني جاري السوء عدي بن ربيعة والاخنس بن شريق وقيل نزلت في عدو الله ابي جهل حين انكر البعث بعد الموت وذكر العظام
والمراد نفسه كلها لان العظام قالب الخلق وقيل المراد بالانسان كل من انكر البعث مطلقا **قوله تعالى** بلى ايجاب لما
بعد النفي المنسحب عليه الاستفهام وهو وقف حسن ثم يبتدي قادرين فقادرين حال من الفاعل المضمر في الفعل المحذوف
على ما ذكر من التقدير وقيل المعنى بل نجمعها نقدر قادرين قال الفرا قادرين نصب على الخروج من نجمع ان نقدر
ونقوي قادرين على اكثر من ذلك وقال ايضا يصلح على التكرير اي بلى فليحسبنا قادرين وقيل المضمر كنا اي كنا قادرين
في الابتدا وقد اعترف به المشركون وقرا ابن ابي عبلة وابن السميفع قادرون رفعا على خبر ابتدا مضمر اي بل نحن قادرون
على ان نسوي بنانه والبنان عند العرب الاصابع واحدها بنانة قال عنترة • وان الموت طوع يدي متى ما •
وصلت بنانها بالهندوان • فنبه بالبنان على بقية الاعضا وايضا فانها اصغر العظام فخصها بالذكر لذلك قال القتيبي
والزجاج وزعموا ان الله تعالى لا يبعث الموتى ولا يقدر على جمع العظام فقال الله تعالى بلى قادرين على ان يعيد السلاميات
على صغرها ونؤلف بينها حتى يستوي ومن قدر على هذا فهو على جمع الكبار اقدر وقال ابن عباس وعامة المفسرين على ان نسوي
بنانه ان نجعل اصابع يديه ورجليه شيئا واحدا كخف البعير او كحافر الحمار او كظلف الخنزير ولا يمكنه ان يعمل به شيئا ولكنا
فرقنا اصابعه حتى يفعل بها ما شاء وقيل نقدر ان نعيد الانسان في هيئة البهائم فكيف في صورته التي كان عليها
وهو كقوله سبحانه وما نحن بمسبوقين على ان نبدل امثالكم وننشئكم فيما لا تعلمون والقول الاول اشبه بمساق الاية

فصل قال ابن الخطيب وفي الاية اشكال لان احدهما ما المناسبة بين القيمة وبين النفس اللوامة حتى جمع الله
بينهما في القسم وثانيها على وقوع القيمة وثالثها قال اقسم بيوم القيمة ولم يقل والقيمة كما قال في سائر السور والطور
والذاريات والضحى والجواب عن الاول من وجوه احدها ان احوال القيمة عجيبة جدا ثم المقصود من اقامة القيامة اظهار احوال
النفوس على ما قال صلى الله عليه وسلم من عرف نفسه فقد عرف ربه ومن احواله العجيبة قوله تعالى وما خلقت الجن والانس الا
ليعبدون وقوله تعالى انا عرضنا الامانة الى قوله وحملها الانسان وقيل القسم وقع بالنفس اللوامة على معنى التعظيم من حيث انها
ابدا تستحقر فعلها وجدها واجتهادها وطاعة الله تعالى وقيل انه تعالى اقسم بالقيامة ولم يقسم بالنفس اللوامة تحقيرا لها
لان النفس اللوامة اما ان تكون كافرة بالقيامة مع عظم امرها واما ان تكون فاسقة مقصرة في العمل وعلى التقديرين فانها
مستحقرة والجواب عن الثاني ان المحققين قالوا القسم بهذه الاشياء قسم بربها وخالقها في الحقيقة فكانه قيل اقسم
برب القيامة على وقوع القيمة والجواب عن الثالث انه حيث اقسم قال جل ذكره والذاريات واما هنا فانه سبحانه نفى كونه مقسما
بهذه الاشياء فزال السؤال **قوله تعالى** بل يريد الانسان فيه وجهان احدهما ان يكون بل لمجرد الاضراب الانتقالي من غير عطف
اضرب عن الكلام الاول واخذ في اخر الثاني انها عاطفة قال الزمخشري بل يريد عطف على ايحسب فيجوز ان يكون مثله استفهاما
وان يكون ايجابا على ان يضرب عن مستفهم عنه الى اخر ويضرب عن مستفهم عنه الى موجب قال ابو حيان بعد ما حكى عن الزمخشري
ما تقدم وهذه التقادير الثلاثة متكلفة لا تظهر قال شهاب الدين وليس هنا الا تقديران ومفعول يريد محذوف يدل عليه
التعليل في قوله تعالى ليفجر امامه والتقدير يريد شهواته ومعاصيه ليمضي فيها ابدا دائما وامامه منصوب على الظرف واصله
مكان فاستعير هنا للزمان والضمير في امامه والظاهر عوده على الانسان وقال ابن عباس يعود على يوم القيمة
بمعنى انه يريد شهواته ليفجر في تكذيبه بالبعث بين يدي يوم القيمة **فصل** قال مجاهد والحسن وعكرمة والسدي
وسعيد بن جبير رضي الله عنهم يقول سوف اتوب سوف اتوب حتى ياتيه الموت على اسوء احواله وعن ابن عباس بل يريد الانسان
ليفجر امامه قال يعجل المعصية ويسوف بالتوبة وجاء في الحديث قال يقول سوف اتوب ولا اتوب فهو قد اخلف
فكذب وقال عبد الرحمن بن زيد بل يريد الانسان ليفجر امامه من البعث والحساب ودليله يسال ايان يوم القيمة اي يسال
متى يكون على وجه الانكار والتكذيب وقال الضحاك هو الامل يقول سوف اعيش واصيب من الدنيا ولا يذكر الموت وقيل يعزم
على المعصية ابدا وان كان لا يعيش الا مدة قليلة فالهاء على هذه الاقوال للانسان واذا قلنا بان الهاء ليوم القيمة فالمعنى
بل يريد الانسان ليكفر بالحق بين يدي القيمة والفجور اصل الميل عن الحق **قوله تعالى** يسال ايان هذه جملة مستانفة وقال
ابو البقا تفسير ليفجر فيحتمل ان يكون مستانفا مفسرا وان يكون بدلا من الجملة قبلها لان التفسير يكون بالاستيناف والبدل
الا ان الثاني منع منه رفع الفعل ولو كان بدلا لنصب وقد يقال انه ابدل الجملة من الجملة لا خصوصية الفعل من الفعل وحده
وفيه بحث وتقدم نظيرها في الذاريات وغيرها والمعنى يسال متى يوم القيمة **فصل** قال ابن الخطيب اعلم ان انكار
البعث يتولد تارة من الشبهة واخرى من الشهوة فاما ما تولد من الشبهة فهو ما حكاه الله تعالى بقوله ايحسب الانسان ان لن نجمع عظامه
وتقريره ان الانسان هو هذا البدن فاذا مات وتفرقت اجزاؤه واختلطت باجزاء التراب وتفرقت بالرياح في مشارق

الارض ومغاربها فيكون تمييزها بعد ذلك محالا وهذه الشبهة ساقطة من وجهين الاول لا نسلم ان الانسان هو
هذا البدن بل هو شيء مدبر لهذا البدن فلو افسد هذا البدن بقي هو حيا كما كان وحينئذ يعيده الله تعالى اي بدن
اراد فسقط السؤال وفي الاية اشارة الى هذا لانه سبحانه اقسم بالنفس اللوامة ثم قال تعالى ايحسب الانسان ان لن نجمع
عظامه وهو تصريح بالفرق بين النفس والبدن الثاني سلمنا ان الانسان هو هذا البدن لكنه سبحانه عالم بالجزئيات
فيكون عالما بالجزء الذي هو بدن زيد وبالجزء الذي هو بدن عمرو وهو تعالى قادر على الممكنات فيلزم ان يكون قادرا على تركيبها
فزال الاشكال واما انكار البعث بناء على الشهوة فهو قوله تعالى بل يريد الانسان ليفجر امامه ومعناه ان الانسان الذي يميل طبعه
الى الشهوات واللذات فالفكرة في البعث تنغصها عليه فلاجرم ينكره **قوله تعالى** فاذا برق البصر قرا نافع وابان عن عاصم
برق بفتح الراء والباقون بالكسر فقيل لغتان في التحير والدهشة ومعناه لمع بصره من شدة شخوصه فتراه لا يطرف وقيل
برق بالكسر تحيره فزعا قال الزمخشري واصله من برق الرجل اذا نظر الى البرق فدهش بصره قال غيره كما يقال اسد وبقر اذا راى
اسدا وبقرا كثيرة فتحير من ذلك قال ذو الرمة • ولكنني لم ار في وجه مية لمحة • فابرق مغشيا علي مكانيا • وانشد الفرا
ونفسك فانع ولا تنعني • وداو الكلوم ولا تبرق • اي لا تفزع من كثرة الكلوم التي بك وبرق بالفتح من البريق اي لمع
من شدة شخوصه وقال مجاهد وغيره وهذا عند الموت وقال الحسن يوم القيمة قال وفيه معنى الجواب عما سال عنه الانسان
كانه قال يوم القيمة اذا برق البصر وخسف القمر وقيل عند رؤية جهنم قال الفرا والخليل بالكسر فزع وبهت وتحير والعرب
تقول للانسان المتحير المبهوت قد برق فهو برق وقيل برق يبرق بالفتح شق عينيه وفتحها قاله ابو عبيدة وانشد
قول الكلابي • لما اتاني ابن عمير راعيا • اعطيته عيسا صهابا فبرق • اي فتح عينيه وقرا ابو السمال بلق باللام قال اهل
اللغة الا الفرا معناه فتح يقال بلقت الباب وابلقته اي فتحته وفرجته وقال الفرا هو بمعنى اغلقته قال ثعلب اخطا الفرا
في ذلك ثم يجوز ان يكون بلق غير مادة برق ويجوز ان يكون مادة واحدة بدل فيها حرف من اخر وقد جاء ابدال اللام من الرا في احرف
قالوا نثر كنانته ونثلها وقال وجل ووجر فيمكن ان يكون هذا منه ويؤيده ان برق قد اتى بمعنى شق عينه وفتحها قال ابو عبيدة
وانشد لما اتاني ابن عمير البيت المتقدم اي فتح عينيه فهذا مناسب لبلق **قوله تعالى** وخسف القمر العامة على بنائه
للفاعل وابو حيوة وابن ابي عبلة ويزيد بن قطيب قال القرطبي وابن ابي اسحق وعيسى والاعرج خسف مبنيا للمفعول وهذا
لان خسف يستعمل لازما ومتعديا يقال خسف القمر وخسفه الله وقد اشتهر ان الخسوف للقمر والكسوف للشمس وقال بعضهم يكونان
فيهما يقال خسفت الشمس وكسفت وخسف القمر وكسف وتايد بعضهم بقوله صلى الله عليه وسلم ان الشمس والقمر ايتان من ايات الله
تعالى لا ينخسفان لموت احد فاستعمل الخسوف فيهما وفي هذا نظر لاحتمال التغليب وهل هما بمعنى واحد ام لا فقال ابو عبيد
وجماعة هما بمعنى واحد وقال ابن اويس الخسوف في الدنيا الى انجلاء بخلاف الاخرة فانه لا يعود ضوءه ويحتمل ان يكون بمعنى
غاب ومنه قوله تعالى فخسفنا به وبداره الارض **قوله تعالى** وجمع الشمس والقمر لم يلحق علامة تانيث لان التانيث
مجازي وقيل لتغليب التذكير وفيه نظر لو قلت قام هند وزيد لم يجز عند جمهور العرب وقال الكسائي حمل على معنى جمع
النيران وقال الفرا لم يقل جمعت لان المعنى جمع بينهما في ذهاب ضوئهما فلا ضوء للشمس كما لا ضوء للقمر بعد خسوفه وقال
ابن عباس وابن مسعود جمع بينهما اي قرن بينهما في طلوعهما من المغرب اسودين مكورين مظلمين مقرنين كانهما ثوران
عقيران وقال عطا بن يسار يجمع بينهما يوم القيمة ثم يقذفان في البحر فيكونان نار الله الكبرى وقال علي وابن عباس رضي الله عنهما
يجعلان في الحجب وقد يجمعان في نار جهنم لانهما قد عبدا من دون الله ولا يكون النار عذابا لهما لانهما جماد وانما يفعل
ذلك بهما زيادة في تبكيت الكفار وحسرتهم وقيل هذا الجمع انهما يجتمعان ويقربان من الناس فيلحقهم العرق لشدة الحر فيكون
المعنى يجمع حرهما عليهم وقيل يجمع الشمس والقمر فلا يكون ثم تعاقب ليل ولا نهار قال ابن الخطيب وقيل جمع بينهما في حكم ذهاب
الضوء كما يقال يجمع بين كذا وكذا في حكم كذا اي كل منهما يذهب ضوءه **فصل** قال ابن الخطيب طعنت الملحدة
في الاية فقالوا خسوف القمر لا يحصل حال اجتماع الشمس والقمر والجواب ان الله تعالى قادر على ان يخسف القمر سواء كانت
الارض متوسطة بينه وبين الشمس او لم تكن لان الله تعالى قادر على كل الممكنات فيقدر على ازالة الضوء عن القمر في جميع الاحوال
قوله تعالى يقول الانسان جواب اذا من قوله فاذا برق واين المفر منصوب المحل بالقول والمفر مصدر بمعنى الفرار وهذه هي القراءة
المشهورة وقرا الحسنان ابنا علي وابن عباس والحسن ومجاهد وقتادة بفتح الميم وكسر الفا وهو اسم مكان الفرار اي اين مكان الفرار
وجوز الزمخشري ان يكون مصدرا قال كالمرجع وقرا الحسن عكس هذا اي بكسر الميم وفتح الفا وهو الرجل الكثير الفرار كقول امرئ القيس
يصف جواده • مكر مفر مقبل مدبر معا • كجلمود صخر حطه السيل من عل • واكثر استعمال هذا الوزن في الالات **قوله تعالى**
يقول الانسان يومئذ اين المفر اي يقول ابن ادم وقيل ابو جهل اين المفر اي المهرب قال الماوردي ويحتمل وجهين احدهما
اين المفر من الله استحياء منه والثاني اين المفر من جهنم حذرا منها ويحتمل هذا القول من الانسان وجهين احدهما ان يكون من الكافر

خاصة في عرصة القيامة دون المؤمن لثقة المؤمن ببشرى ربه والثاني ان يكون من قول المؤمن والكافر عند قيام الساعة
لهول ما شاهد ومنها قوله تعالى كلا لا وزر تقدير الكلام في كلا وخبر لا محذوف اي لا وزر له اي لا ملجأ من النار وقال ابن مسعود
رضي الله عنه لا حصن وقال ابن عباس لا منجا وقال الحسن لا جبل وقال ابن جبير لا محيص وهل هذه الجملة محكية بقول الانسان
فتكون منصوبة المحل او هي مستأنفة من الله تعالى بذلك والوزر الملجأ من حصن او جبل او سلاح قال الشاعر •
لعمرك ما للفتى من وزر • من الموت يدركه والكبر • قال السدي كانوا في الدنيا اذا فزعوا تحصنوا في الجبال فقال الله لهم
لا وزر يعصمكم يومئذ مني **قوله تعالى** الى ربك يومئذ المستقر المنتهى قاله قتادة نظيره وان الى ربك المنتهى وقال ابن
مسعود الى ربك المصير والمرجع اي المستقر في الآخرة حيث يقره الله والمستقر مبتدا خبره الجار قبله ويجوز ان يكون مصدرا
بمعنى الاستقرار وان يكون مكان الاستقرار ويومئذ منصوب بفعل مقدر ولا ينتصب بمستقر لانه ان كان مصدرا فلتقدمه
عليه وان كان مكانا فلا عمل له البتة **قوله تعالى** ينبأ الانسان اي يخبر ابن آدم برا كان او فاجرا يوم القيمة بما قدم اي بما
اسلف من عمل خير او شر او اخر من سنة سيئة او صالحة يعمل بها بعده قاله ابن عباس وابن مسعود وقال ابن عباس ايضا بما قدم
من المعصية واخر من الطاعة وهو قول قتادة وقال ابن زيد بما قدم من امواله لنفسه وما اخر خلف للورثة وقال الضحاك بما قدم
من فرض واخر من فرض وقال مجاهد لتخبر باول عمل وآخره قال القشيري وهذا الانباء يكون في القيمة عند وزن الاعمال
ويجوز ان يكون عند الموت **قوله تعالى** بل الانسان على نفسه بصيرة يجوز في بصيرة اوجه احدها انها خبر عن الانسان وعلى
نفسه متعلق ببصيرة والمعنى بل الانسان بصيرة على نفسه وعلى هذا فلاي شيء انث الخبر وقد اختلف النحويون في ذلك
فقال بعضهم الهاء فيه للمبالغة وقال الاخفش هو كقولك فلان عبرة وحجة وقيل المراد بالانسان الجوارح فكأنه قال بل جوارحه
بصيرة اي شاهدة والثاني انها مبتدا وعلى نفسه خبرها والجملة خبر عن الانسان وعلى هذا ففيها تاويلات احدها ان يكون
بصيرة صفة لمحذوف اي عين بصيرة قاله الفراء وانشد • كان على ذي العقل عينا بصيرة • بمقعده او منظر هو ناظره •
يحاذر حتى يحسب الناس كلهم • من الخوف لا يخفى عليه سرائره • الثاني ان المعنى جوارح بصيرة الثالث ان المعنى ملائكة بصيرة
وهم الكاتبون والتاء على هذا للتانيث وقال الزمخشري بصيرة حجة بينة وصفت بالبصارة على المجاز كما وصفت الآيات بالابصار
في قوله تعالى فلما جاءتهم آياتنا مبصرة قال شهاب الدين هذا اذا لم يجعل الحجة عبارة عن الانسان او يجعل دخول التاء للمبالغة
اما اذا كانت للمبالغة فنسبة الابصار اليها حقيقة الوجه الثالث يكون الخبر الجار والمجرور وبصيرة فاعل به وهو ارجح مما
قبله لان الاصل في الاخبار الافراد **فصل** قال ابن عباس رضي الله عنه بصيرة اي شاهد وهو شهود جوارحه
عليه يداه بما بطش بهما ورجلاه بما مشى عليهما وعيناه بما ابصر بهما والبصيرة الشاهد كما انشد الفراء ويدل عليه قوله تعالى
يوم تشهد عليهم السنتهم وايديهم وارجلهم بما كانوا يعملون قال الواحدي هذا يكون من صفات الكفار فانهم ينكرون ما عملوا
فيختم على افواههم وتنطق جوارحهم **قوله تعالى** ولو القى معاذيره وهذه الجملة حالية وقد تقدم نظيرها والمعاذير
جمع معذرة على غير قياس كملاقح ومذاكير جمع لقحة وذكر وللنحويين في مثل هذا قولان احدهما انه جمع لملفوظ به وهو لقحة
وذكر والثاني انه جمع لغير ملفوظ به بل لمقدر اي ملقحة ومذكار وقال الزمخشري فان قلت اليس قياس المعذرة ان
يجمع على معاذر لا معاذير قلت المعاذير ليست بجمع معذرة بل اسم جمع لها ونحوه المناكير في المنكر قال ابو حيان وليس
هذا البناء من ابنية اسماء الجموع وانما هو من ابنية جموع التكسير انتهى وقيل معاذير جمع معذار وهو الستر والمعنى
ولو ارخى ستوره والمعاذير الستور بلغة اليمن قاله الضحاك والسدي وانشد • ولكنها ضنت بمنزل ساعة • علينا واطت
يومها بالمعاذر • قال الزجاج المعاذير الستور والواحد معذار اي وان ارخى ستره يريد ان يخفي عمله فنفسه شاهدة عليه
وقد حذف الياء من المعاذر ضرورة وقال الزمخشري فان صح ان المعاذير الستور فلانه يمنع رؤية المحتجب كما يمنع المعذرة
عقوبة المذنب وهذا القول منه يحتمل ان يكون بيانا للمعنى الجامع بين كون المعاذير الستور او الاعتذارات وان يكون بيانا
للعلاقة المسوغة في التجوز **فصل** قال مجاهد وقتادة وسعيد بن جبير وعبد الرحمن بن زيد وابو العالية وعطا
والفراء والسدي المعنى ولو اعتذر وقال لم افعل شيئا لكان عليه من نفسه من يشهد عليه من جوارحه فهو وان اعتذر وجادل
عن نفسه فعليه شاهد يكذب عذره وقال مقاتل ولو ادلى بعذر وحجة لم ينفعه ذلك نظيره قوله تعالى ولا يؤذن لهم
فيعتذرون فالمعاذير على هذا ماخوذ من العذر وحكى الماوردي عن ابن عباس ولو القى معاذيره اي ولو تجرد من ثيابه
قوله تعالى لا تحرك به لسانك لتعجل به قال بعض الرافضة عدم مناسبتها لما قبلها يدل على تغيير القرآن قال ابن الخطيب وفي
المناسبة وجوه الاول لعل استعجال الرسول انما كان عند نزول هذه الآيات الثاني انه تقدم ان الانسان يستعجل بقوله بل يحب العاجلة الثالث انه
تعالى بين ان العجلة مذمومة في امر الدين فقال تعالى لا تحرك به لسانك وقال تعالى بعدها بل يحبون العاجلة الثالث انه
قدم بل الانسان على نفسه بصيرة وكان صلى الله عليه وسلم انما يستعجل خشية النسيان فقيل له صلى الله عليه وسلم ان الاول

لا يحصل الا بتوفيق الله تعالى واعانته فاعتمد على الله تعالى واترك التعجيل الرابع كانه قيل غرضك من هذا التعجيل ان تحفظه
وتبلغه اليهم ليظهر صدقك وقبح عنادهم لكنهم يعلمون بقلوبهم ذلك فلا فائدة في هذا التعجيل الخامس ان الكافر لما قال اين
المفر كانه يطلب الفرار من الله تعالى فكن انت يا محمد على مضادة الكافر وفر من غير الله الى الله السادس قال القفال الخطاب مع
الانسان المذكور في قوله ينبأ الانسان فاذا قيل له اقرأ كتابك تلجلج لسانه فيقال له لا تعجل فانه يجب علينا بحكم الوعد
او بحكم الحكمة ان نجمع اعمالك ونقرأها عليك فاذا قرأناه فاتبع قراءته بالاقرار ثم ان علينا بيانه بالجزاء وهذا فيه وعيد شديد
وهو بلي روى الترمذي عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنه قال كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا نزل عليه القرآن يحرك
لسانه يريد ان يحفظه فانزل الله تعالى لا تحرك به لسانك لتعجل به قال وكان يحرك شفتيه فقال لي ابن عباس انا احركهما
كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحركهما فحرك شفتيه فانزل الله تبارك وتعالى لا تحرك به لسانك لتعجل به قال وكان
ان علينا جمعه وقرآنه قال جمعه في صدرك ثم تقرأه فاذا قرأناه فاتبع قرآنه فاستمع وانصت ثم علينا ان نقرأه قال فكان رسول
الله صلى الله عليه وسلم اذا اتاه جبريل عليه السلام استمع واذا انطلق جبريل عليه السلام قرأه النبي صلى الله عليه وسلم
كما اقرأه خرجه البخاري ايضا ونظير هذه الآية ولا تعجل بالقرآن من قبل ان يقضى اليك وحيه وقد تقدم وقال عامر
الشعبي انما كان يعجل بذكره صلى الله عليه وسلم اذا نزل عليه من حبه له وحلاوته في لسانه مع الوحي فخاف ان ينساه صلى الله عليه
وسلم فنزلت ولا تعجل بالقرآن الآية ونزل سنقرئك فلا تنسى ونزل لا تحرك به لسانك قال ابن عباس ان علينا جمعه وقرآنه
اي قراءته عليك والقراءة والقرآن في قول الفراء مصدران وقال قتادة فاتبع قرآنه فاتبع شرائعه واحكامه **قوله تعالى** وقرآنه
اي قراءته فهو مصدر مضاف للمفعول والفاعل محذوف والاصل وقراءتك اياه والقرآن مصدر بمعنى القراءة قال حسان
رضي الله عنه • ضحوا باشمط عنوان السجود به • يقطع الليل تسبيحا وقرآنا • وقال ابن عطية قرأ ابو العالية ان علينا جمعه
وقرته فاذا قرأته فاتبع قرته بفتح القاف والراء والتاء من غير همز ولا الف ولم يذكر توجيهها فاما توجيه قوله جمعه وقرته
وقوله فاتبع قرته فواضح مما تقدم في قراءة ابن كثير في البقرة وانه هل هو نقل او من مادة قرأ وتحقيق القولين مذكور ثمة
فليلتفت اليه واما قوله بفتح القاف والراء والتاء فيعني في قوله فاذا قرأته يشير الى انه قرأ شاذا هكذا وتوجيهها ان الاصل
قرأته فعلا ماضيا مسندا لضمير المخاطب اي فاذا اردت قراءته ثم ابدل الهمزة الفا لسكونها بعد فتحة ثم حذف الالف تخفيفا
كقولهم ولو تر ما الصبيان وما مزيدة فصار اللفظ قرته **فصل** قوله ان علينا جمعه اي بمقتضى الوعد عند اهل
السنة وبمقتضى الحكمة عند المعتزلة جمعه في صدرك وقرآنه اي قراءته اي يعيده جبريل عليك حتى تحفظه او يقراه بحيث
لا تنساه فعلى الاول القارئ جبريل عليه السلام وعلى الثاني محمد صلى الله عليه وسلم والمراد بقرآنه جمعه كقوله لم تقرأ جنينا
فتحمل الجمع على جمعه في الخارج والقرآن على جمعه في ذهنه وحفظه لئلا يلزم التكرار واسند القراءة لله لانها بامره وقوله
فاتبع قرآنه قيل حلاله وحرامه او لا يقارنه بل اسكت حتى يسكت جبريل فاقرأ وهو الظاهر لان الآية تدل على انه صلى الله
عليه وسلم كان يقرأ مع جبريل وكان يسأله في اثناء قراءته عن المشكلات فنهي عن الاول بقوله فاتبع وعن الثاني بقوله ثم ان
علينا بيانه **قوله تعالى** ثم ان علينا بيانه اي تفسير ما فيه من الحدود والحلال والحرام قاله قتادة وقيل ثم ان علينا بيان ما
فيه من الوعد والوعيد وقيل ان علينا ان نبينه بلسانك والضمائر تعود على القرآن وان لم يجر له ذكر وقوله ثم ان علينا
بيانه يدل على ان بيان المجمل واجب على الله تعالى اما عند اهل السنة فبالوعد والتفضل واما عند المعتزلة فبالحكمة
والله اعلم **فصل** احتج من جوز تاخير البيان عن وقت الخطاب بهذه الآية واجاب ابو الحسين فيه بوجهين
الاول ان ظاهر الآية يقتضي وجوب تاخير البيان عن وقت الخطاب وانتم لا تقولون الثاني ان عندنا الواجب ان يقرن
باللفظ اشعارا بانه ليس المراد من اللفظ ما يقتضيه ظاهره فاما البيان التفصيلي فيجوز تاخيره فتحمل الآية على تاخير
البيان التفصيلي وذكر القفال وجها آخر وهو قوله تعالى ثم ان علينا بيانه فيحمل على الترتيب ونظيره قوله تعالى فك
رقبة الى قوله ثم كان من الذين آمنوا قال ابن الخطيب والجواب عن الاول ان اللفظ لا يقتضي وجوب تاخير البيان بل يقتضي
تاخير وجوب البيان فيكون الجواب بالمنع لان وجوب البيان لا يتحقق الا عند الحاجة وعن الثاني ان كلمة ثم دخلت على
مطلق البيان المجمل والمفصل فالتخصيص باحدهما تحكم بغير دليل وجواب القفال بانه ترك للظاهر بغير دليل **فصل**
ورد من جوز الذنوب على الانبياء بان هذا الاستعجال ان كان باذن فكيف نهي عنه وان كان بغير اذن فكيف نهي عنه وان كان
بغير اذن فهو ذنب قال ابن الخطيب والجواب لعله كان مأذونا فيه الى وقت النهي **قوله تعالى** كلا قال الزمخشري كلا
ردع للنبي صلى الله عليه وسلم عن عادة العجلة وحث على الاناة وقال جماعة من المفسرين كلا معناه حقا اي حقا تحبون العاجلة
وهو اختيار ابن ابي حاتم لان الانسان بمعنى الناس وقال ابن عباس رضي الله عنه كلا اي ان ابا جهل لا يؤمن بتفسير القرآن
وبيانه وقيل كلا لا يصلون ولا يزكون يريد كفار مكة بل يحبون قرأ ابن كثير وابو عمرو يحبون ويذرون بياء الغيبة

حملاً على لفظ الانسان المذكور اولا لان المراد به الجنس وهو اختيار ابي حاتم لان الانسان بمعنى الناس والباقون
بالخطاب فيهما اما خطابا لكفار قريش اي بل تحبون يا كفار قريش العاجلة اي الدار الدنيا والحياة فيها وتذرون الآخرة
اي تدعون الآخرة والعمل لها واما التفاتا عن الاخبار عن الجنس المتقدم والاقبال عليه بالخطاب واختار الخطاب ابو عبيد قال
ولولا الكراهة لخلاف هؤلاء القراء لقرأتها بالياء لذكر الانسان قبل ذلك **قوله تعالى** وجوه يومئذ ناضرة فيه اوجه احدها
ان يكون وجوه مبتدأ وناضرة نعت ويومئذ منصوب بناضرة وناظرة خبره والى ربها متعلق بالخبر والمعنى ان الوجوه الحسنة
يوم القيمة ناظرة الى الله تبارك وتعالى وهذا معنى صحيح والناضر من النضرة وهي التنعم ومنه غصن ناضر الثاني ان تكون وجوه
مبتدأ ايضا وناضرة خبره ويومئذ منصوب بالخبر كما تقدم وسوغ الابتداء هنا بالنكرة كون الموضع موضع تفصيل كقوله
فثوب لبست وثوب اجر ويكون ناظرة نعتا لوجوه او خبرا ثانيا او خبر المبتدأ محذوف والى ربها متعلق بناظرة كما تقدم وقال
ابن عطية وابتدأ بالنكرة لانها تخصصت بقوله يومئذ وقال ابو البقا وجاز الابتداء هنا بالنكرة لحصول الفائدة وفي كلي قوليهما
نظر اما قول ابن عطية فلان قوله تخصصت بقوله يومئذ هو التخصيص اما لكونها عاملة فيه وهو محال لانها جامدة واما لانها
موصوفة به وهو محال ايضا لان الجثث لا توصف بالزمان كما لا يخبر به عنها واما قول ابي البقا فان اراد بحصول الفائدة ما تقدم
من التفصيل فصحيح وان عنى ما عناه ابن عطية فليس بصحيح لما تقدم الثالث ان يكون وجوه مبتدأ ويومئذ خبره قاله ابو البقا
وهذا غلط من حيث المعنى ومن حيث الصناعة اما المعنى فلا فائدة في الاخبار عنها بذلك واما الصناعة فانه لا يخبر بالزمان عن
الجثث وان ورد ما ظاهره ذلك يؤول نحو الليلة الهلال الرابع ان يكون المبتدأ وجوه مبتدأ وناضرة خبره والى ربها ناظرة جملة
مستانفة في موضع خبر ثان قاله ابن عطية وفيه نظر لانه لا ينعقد منهما كلام اذ الظاهر تعلق الى بناظرة اللهم الا ان يعني ان ناظرة
خبر لمبتدأ مضمر اي هي ناظرة الى ربها وهذه الجملة خبر ثان وفيه تعسف الخامس ان يكون الخبر لوجوه مقدرا اي وجوه يومئذ ثم
وناضرة صفة وكذلك ناظرة قاله ابو البقا وهو بعيد لعدم الحاجة الى ذلك والوجه الاول لخلوصه من هذه التعسفات وكون الى حرف
جر وربها مجرور بها هو المتبادر الى الذهن وقد خرجه بعض المعتزلة على ان يكون الى اسما مفردا بمعنى النعمة مضافا الى الرب ويجمع
على آلاء نحو فباي آلاء ربكما تكذبان وقد تقدم ان فيه لغات اربعا وربها خفض بالاضافة والى معمول مقدم ناصبه ناظرة بمعنى
منتظرة والتقدير وجوه منتظرة نعمة ربها وهذا فرار من اثبات النظر لله تعالى على معتقدهم وتحمل الزمخشري لمذهب المعتزلة بطريق
اخرى من جهة الصناعة فقال بعد ان جعل التقديم في الدنيا مؤذنا بالاختصاص والذي يصح معه ان يكون من قول الناس انا الى فلان
ناظر ما يصنع بي يريد معنى التوقع والرجاء ومنه قول القائل • واذا نظرت اليك من ملك • والبحر دونك زدتني نعما • وسمعت سروية
مستجدية بمكة وقت الظهر حين يغلق الناس ابوابهم ويأوون الى مقايلهم عيني ناظرة الى الله واليكم • والمعنى انهم لا يتوقعون النعمة
والكرامة الا من ربهم قال شهاب الدين وهذا كالحوم على من يقول ان ناظرة بمعنى منتظرة الا ان مكيا قد رد هذا القول فقال ودخول
الى الا ترى انك لا تقول انتظرت الى زيد وتقول نظرت الى زيد والى تصحب نظر العين ولا تصحب نظر الانتظار فمن قال ان ناظرة
بمعنى منتظرة فقد اخطأ في المعنى وفي الاعراب ووضع الكلام في غير موضعه وقال القرطبي ان العرب اذا ارادت بالنظر الانتظار
قالوا نظرته كما قال تعالى هل ينظرون الا الساعة هل ينظرون الا تأويله ما ينظرون الا صيحة واحدة واذا ارادت به التفكر والتدبر
قالوا نظرت فيه فاما اذا كان النظر مقرونا بذكر الى وذكر الوجه فلا يكون الا بمعنى الرؤية والعيان وقال الازهري ان قول مجاهد
تنتظر ثواب ربها خطأ لانه لا يقال نظر الى كذا بمعنى الانتظار وان قول القائل نظرت الى فلان ليس الا رؤية عين كذلك تقوله
العرب لانهم يقولون نظرت اليه اذا ارادوا نظر العين فاذا ارادوا الانتظار قالوا نظرته قال الشاعر •
فانكما ان تنظراني ساعة • من الدهر ينفعني لدى ام جندب • لما ارادوا الانتظار قال تنظراني ولما ارادوا نظر العين قالوا
نظرت اليه • قال نظرت اليها والنجوم كانها • مصابيح رهبان تشب لقفال • وقال آخر • نظرت اليها بالمحصب من منى •
والنضرة طراوة البشرة وجمالها وذلك من اثر النعمة يقال نضر وجهه فهو ناضر وقال بعضهم نسلم انه من نظر العين الا ان ذلك
على حذف مضاف اي ثواب ربها ونحوه قال مكي لو جاز هذا لجاز نظرت الى زيد اي الى عطاء زيد وفي هذا نقض لكلام العرب
وتخليط في المعاني ونضره الله ونضره مخففا ومثقلا اي حسنه ونعمه قال صلى الله عليه وسلم نضر الله امرءا سمع مقالتي فوعاها
فاداها كما سمعها يروى بالوجهين ويقال للذهب نضار من ذلك ويقال له النضر ايضا ويقال اخضر ناضر كاسود حالك وقدح نضار
يروى بالاتباع والاضافة والعامة على ناضرة بالف وقرأ زيد بن علي نضرة بدونها كفرح فهو فرح **فصل** روى مسلم
في قوله تعالى للذين احسنوا الحسنى وزيادة كان ابن عمر يقول اكرم اهل الجنة على الله من ينظر الى وجهه غدوة وعشية ثم تلا وجوه
يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة وقال عكرمة تنظر الى ربها نظرا وحكى الماوردي عن ابن عمر وعكرمة ومجاهد تنتظر امر ربها ولم يعرف
الا عن مجاهد وحده وجمهور اهل السنة تمسكوا بهذه الآية في اثبات ان المؤمنين يرون الله سبحانه وتعالى يوم القيمة واما المعتزلة
فاحتجوا بقوله تعالى لا تدركه الابصار ويقولون النظر المقرون بالى ليس اسما للرؤية بل لمقدمة الرؤية وهي تقليب الحدقة

نحو المرئي التماسا لرؤيته ونظر العين بالنسبة الى الرؤية كنظر القلب بالنسبة الى المعرفة وكالاصغاء بالنسبة الى السمع ويدل
على ذلك قوله تعالى وتراهم ينظرون اليك وهم لا يبصرون فاثبت النظر حال عدم الرؤية ويقال انظر اليه شزرا ونظر غضبان
ونظر راضي ولا يقال ذلك في الرؤية ويقال دور متناظرة اي متقابلة ويقال انظر اليه حتى تراه فيكون الرؤية غاية للنظر وان
النظر يحصل والرؤية غير حاصلة وقال • وجوه ناظرات يوم بدر • الى الرحمن تنتظر الخلاصا • ولا رؤية مع النظر المقرون بالى
وقال تعالى ولا ينظر اليهم يوم القيمة ومن قال لا يراهم كفر قالوا ويمكن ان يكون معنى قوله تعالى ناظرة اي منتظرة كقولك انا
انظر اليك في حاجتي او يكون الى مفرد الآلاء وهي النعم كما تقدم او المراد الى ثواب ربها لان الادلة العقلية والسمعية لما منعت
الرؤية وجب التأويل او يكون المعنى انها لا تسأل ولا ترغب الا الى الله عز وجل كقوله اعبد الله كانك تراه قال ابن الخطيب والجواب
لنا مقامان احدهما ان نقول النظر هو الرؤية لقول موسى عليه السلام رب ارني انظر اليك فلو كان المراد تقليب الحدقة نحو المرئي
لاقتضت الآية اثبات الجهة والمكان ولانه اخر النظر عن الارادة فلا يكون تقليب المقام الثاني سلمنا ما ذكروه من ان النظر
تقليب الحدقة للرؤية لكن تعذر حمله على الحقيقة فيجب الحمل على الرؤية اطلاقا لاسم السبب على المسبب وهو اولى من حمله على الانتظار
لعدم الملازمة لان تقليب الحدقة كالسبب للرؤية ولا تعلق بينه وبين الانتظار واما قولهم يحمله على الانتظار قلنا الذي هو
بمعنى الانتظار وفي القرآن غير مقرون كقوله تعالى انظرونا نقتبس هل ينظرون الا ان والذي ندعيه ان النظر المقرون
بالى ليس الا بمعنى الرؤية لان وروده بمعنى الرؤية او بالمعنى الذي يستعقب الرؤية ظاهر فلا يكون بمعنى الانتظار دفعا للا
شتراك وقوله وجوه ناظرات يوم بدر شعر موضوع والرواية الصحيحة وجوه ناظرات يوم بكر الى الرحمن تنتظر الخلاصا
والمراد بهذا الرحمن مسيلمة الكذاب لانهم كانوا يسمونه رحمن اليمامة واصحابه كانوا ينظرون اليه ويتوقعون منه الخلاص من العدو
وقولهم هو مفرد الآلاء اي نعمة ربها قلنا فيصدق على اي نعمة كانت وان قلت لانه انما يكون للماهية التي يصدق عليها انها نعمة
فعلى هذا يكفي في تحقيق مسمى هذه اللفظة اي جزء فرض من اجزاء النعمة وان كانت في غاية القلة والحقارة واهل الثواب يومئذ
في النعم العظيمة فكيف ينتظرون نعمة قليلة وكيف يمكن ان يكون من حالهم كذلك ان يبشر بانه يتوقع الشيء الذي يطلق عليه
اسم النعمة ومثال هذا ان يبشر سلطان الارض بانه سيصير حاله في العظمة والقوة بعد سنة بحيث يكون متوقعا لحصول لقمة
واحدة فكان ذلك فاسدا فكذا هنا سلمنا ان النظر المتعدي بالى المقرون بالوجوه جاء في اللغة بمعنى الانتظار ولكن لا يمكن
حمل هذه الآية عليه لان لذة الانتظار مع تعين الوقوع كانت حاصلة في الدنيا فلا بد وان يحصل في الآخرة زيادة حتى يحصل
الترغيب في الآخرة ولا يجوز ان يكون ذلك هو قرب الحصول الا قال القشيري وهذا باطل لان واو الا تكتب بالالف لا بالياء
وقرب الحصول معلوم بالعقل فبطل التأويل واما قولهم المراد ثواب ربها فهو خلاف الظاهر هذا ما ذكره ابن الخطيب وذكر
القرطبي في تفسيره قال اخرج مسلم عن جرير بن عبد الله قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فنظر الى القمر ليلة البدر فقال
صلى الله عليه وسلم انكم سترون ربكم عيانا كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته فان استطعتم ان لا تغلبوا على صلاة قبل
طلوع الشمس وصلاة قبل غروبها فافعلوا ثم قرأ وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب متفق عليه وفي كتاب النسائي
عن صهيب رضي الله عنه قال فيكشف الحجاب فينظرون اليه فوالله ما اعطاهم شيئا احب اليهم من النظر ولا اقر لاعينهم وروى
ابو اسحق الثعلبي عن الزبير عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يتجلى ربنا سبحانه وتعالى حتى ينظروا الى وجهه فيخرون له
سجدا فيقول الله تعالى ارفعوا رؤوسكم فليس هذا يوم عبادة قال القرطبي وقيل اضاف النظر الى الوجه لان العين في الوجه فهو كقوله
تعالى تجري من تحتها الانهار والماء يجري في النهر لا النهر ثم قد يكون الوجه بمعنى العين قال تعالى فالقوه على وجه ابي يأت بصيرا
اي على عينيه ثم لا يبعد قلب العادة غدا حتى يخلق النظر في الوجه فقيل يا رسول الله كيف يمشون في النار على وجوههم قال
الذي امشاهم على اقدامهم قادر ان يمشيهم على وجوههم **قوله تعالى** ووجوه يومئذ باسرة اي وجوه الكفار يوم القيمة
كالحة والباسر الشديد العبوس والباسل اشد منه ولكنه غلب في الشجاع اذا اشتد كلوحه وفي الصحاح وبسر الفحل الناقة
وابتسرها اذا ضربها وبسر الرجل وجهه بسورا اي كلح يقال عبس وبسر وقال السدي باسرة متغيرة والمعنى انها كالحة
قد اظلمت الوانها **قوله تعالى** تظن ان يفعل بها فاقرة اي توقن وتعلم قال ابن الخطيب هكذا قال المفسرون وعندي
ان الظن هنا انما ذكر على سبيل التهكم كانه قيل لما شاهدوا تلك الاحوال حصل فيهم ظن ان القيامة والفاقرة هي الداهية
العظيمة قال ابو عبيدة سميت بذلك لانها تكسر فقار الظهر قال النابغة • ان لي قبرا لا يزال مقابلي • وضربة فاس
فوق راسي فاقرة • اي داهية مؤثرة يقال فقرته الفاقرة اي كسرت فقار ظهره قال معناه مجاهد وغيره ومنه
سمي الفقير لانكسار فقاره من القل وقد تقدم في البقرة وقال قتادة الفاقرة الشر وقال السدي الهلاك وقال ابن عباس
وابن زيد دخول النار واصلها الوسم على انف البعير بحديدة او نار حتى يخلص الى العظم قال الاصمعي يقال فقرت انف
البعير اذا حززته ثم جعلت على الحز الجرير وعليه وتر ملوي لتذلله وتروضه **قوله تعالى** كلا اذا بلغت التراقي

كلا ردع وزجر اي بعيد ان يؤمن الكافر بيوم القيمة ثم استانف فقال اذا بلغت التراقي اي بلغت النفس او الروح التراقي فاخبر عما لم يجر له ذكر لعلم المخاطب به لقوله تعالى حتى توارت بالحجاب وقوله فلولا اذا بلغت الحلقوم وقيل كلا معناه حقا ان المساق الى الله تعالى اذا بلغت التراقي اي اذا ارتفعت النفس الى التراقي وكان ابن عباس رضي الله عنه يقول اذا بلغت الحلقوم نفس الكافر والتراقي مفعول بلغت والفاعل مضمر اي النفس وان لم يجر لها ذكر كقول حاتم • اماوي ما يغني الثراء عن الفتى • اذا حشرجت يوما وضاق بها الصدر • اي حشرجت النفس وقيل في البيان الدال على النفس ذكر جملة ما يشتمل عليها وهو الفتى فكذلك هنا ذكر الانسان دال على النفس والعامل في اذا بلغت معنى قوله تعالى الى ربك يومئذ المساق اي اذا بلغت الحلقوم دفعت الى الله تعالى ويكون قوله وقيل من راق معطوف على بلغت والتراقي جمع ترقوة اصلها تراقو اقلبت الواو ياء لانكسار ما قبلها والترقوة احد عظام الصدر قال ابو حيان والمعروف غير ذلك وقال الزمخشري ولكل انسان ترقوتان فعلى هذا يكون من باب غليظ الحواجب وعريض المناكب وقال القرطبي هي العظام المكتنفة لنقرة النحر وهو مقدم الحلقوم من اعلى الصدر وهو موضع الحشرجة قال دريد بن الصمة • ورب عظيمة دافعت عنها • وقد بلغت نفوسهم التراقي • وقال الراغب الترقوة عظم وصل ما بين نقرة النحر والعاتق انتهى وقال الزمخشري العظام المكتنفة لنقرة النحر عن يمين وشمال ووزنها فعلوة فالتاء اصل والواو زائدة يدل عليه ادخال اهل اللغة اياها في مادة ترق وقال ابو البقاء والتراقي جمع ترقوة وهي فعلوة وليست بفعلوة اذ ليس في الكلام رتق وقرئ التراقي بسكون الياء وهي كقراءة زيد تطعمون اهاليكم وقد تقدم توجيهها وقد تكني ببلوغ النفس التراقي عن الاشفاء على الموت والمقصود تذكيرهم شدة الحال عند نزول الموت **فصل** قال ابن الخطيب قال بعض الطاعنين ان النفس انما تصل الى التراقي بعد مفارقتها القلب ومتى فارقت النفس القلب حصل الموت لا محالة والاية تدل على انه عند بلوغها التراقي يبقى الحياة حتى يقال فيه من راق وحتى تلتف الساق بالساق والجواب ان المراد من قوله اذا بلغت التراقي اذا حصلت بالقرب من تلك الحال **قوله تعالى** من راق مبتدا وخبر وهذه الجملة هي القائمة مقام الفاعل واصول البصريين تقتضي ان لا تكون لان الفاعل عندهم لا يكون جملة بل القائم مقامه ضمير المصدر وقد تقدم تحقيق هذا في البقرة وهذا الاستفهام يجوز ان يكون على بابه وان يكون استبعادا او انكارا فالاول روي عن ابن عباس وعكرمة وغيرهما قالوا هو من الرقية وروى سماك عن عكرمة قال من راق يرقي فيشفي والثاني رواه ميمون بن مهران عن ابن عباس ايضا اي هل من طبيب يشفيه وهو قول ابي قلابة وقتادة وقال الشاعر • هل للفتى من بنات الدهر من واق • ام هل له من حمام الموت من راق • وكان هذا على وجه الاستبعاد واليأس اي من يقدر ان يرقي من الموت وعن ابن عباس ايضا وابي الجوزاء انه من رقي يرقى اذا صعد والمعنى من يرقى بروحه الى السماء املائكة الرحمة ام ملائكة العذاب وقيل ان ملك الموت يقول من راق اي من يرقى بهذه النفس قال شهاب الدين وراق اسم فاعل اما من رقى يرقي من الرقية وهو كلام معد لان يستشفى به المريض ليشفى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وما ادراك انها رقية يعني الفاتحة وهو اسم من اسمائها واما من رقي يرقى من الرقي وهو الصعود اي الملائكة لكراهتها في روح تقول من يصعد بهذه الروح ويقال رقي بالفتح من الرقية وبالكسر من الرقي ووقف حفص على نون من سكتة لطيفة وتقدم تحقيق هذا في اول الكهف وذكر سيبويه ان النون تدغم في الراء وجوبا بغنة وبغيرها نحو من راشد قال الواحدي ان اظهار النون عند حروف الفم لحن فلا يجوز اظهارها ونحو في قوله من راق وروى حفص عن عاصم اظهار النون واللام في قوله من راق وبل ران قال ابو علي الفارسي ولا اعرف وجه ذلك قال الواحدي والوجه ان يقال قصد الوقف على من وبل فاظهرهما ثم ابتدا بما بعدهما وهذا غير مرضي من القراءة **قوله تعالى** وظن انه الفراق اي تيقن الانسان انه الفراق اي فراق الدنيا والاهل والمال والولد وذلك حين عاين الملائكة وسمي اليقين هنا بالظن لان الانسان ما دامت روحه متعلقة ببدنه فانه يطمع في الحياة لشدة حبه لهذه الحياة العاجلة ولا ينقطع رجاؤه عنها فلا يحصل له يقين الموت بل الظن الغالب مع رجاء الحياة ولعله سماه بالظن تهكما قال ابن الخطيب وهذه الاية تدل على ان الروح جوهر قائم بنفسه باق بعد موت البدن لان الله تعالى سمى الموت فراقا والفراق انما يكون اذا كانت الروح باقية فان الفراق والوصال صفة والصفة تستدعي وجود الموصوف **قوله تعالى** والتفت الساق بالساق الالتفاف هو الاجتماع قال تعالى جئنا بكم لفيفا ومعنى الكلام اتصلت الشدة بالشدة شدة اخر الدنيا بشدة الاخرة قاله ابن عباس والحسن وغيرهما وقال الشعبي وغيره التفت ساقا الانسان عند الموت من شدة الكرب قال قتادة اما رايته اذا اشرف على الموت يضرب برجله على الاخرى وقال سعيد بن المسيب والحسن ايضا هما ساقا الانسان اذا التفتا في الكفن وقال زيد بن اسلم التفت ساق الكفن بساق الميت قال النحاس القول الاول احسن لقول ابن عباس هو اخر يوم من الدنيا واول يوم من الاخرة فتلتقي الشدة بالشدة الا من رحمه الله والعرب لا تذكر الساق الا في الشدائد العظام ومنه قولهم قامت الحرب على ساق قال اهل المعاني لان الانسان اذا دهمته شدة شمر لها عن ساقيه فقيل للامر الشديد ساق قال الجعدي • اخو الحرب ان عضت به الحرب عضها • وان شمرت عن ساقها الحرب شمرا •

قوله تعالى الى ربك يومئذ المساق اي الى خالقك يومئذ اي يوم السوق والمساق اي المرجع والمساق مفعل من السوق وهو اسم مصدر وقال القرطبي المساق مصدر من ساق يسوق كالمقال من قال يقول **قوله تعالى** فلا صدق لا هنا دخلت على الماضي وهو مستفيض في كلامهم بمعنى لم يصدق ولم يصل قال الشاعر • ان تغفر اللهم تغفر جما • واي عبد لك لا الما • وقال اخر • واي جيش لا افاما بهاته • واسيافنا من كبشه تقطر الدما • وقال مكي لا الثانية نفي وليست بعاطفة ومعناه فلم يصدق ولم يصل قال شهاب الدين وكيف يتوهم العطف حتى ينفيه وجعل الزمخشري فلا صدق ولا صلى عطفا على الجملة من قوله يسأل ايان يوم القيمة قال وهو معطوف على قوله يسأل ايان اي لا يؤمن بالبعث فلا صدق بالرسول صلى الله عليه وسلم والقران الكريم واستبعده ابو حيان وقال الكسائي لا بمعنى لم ولكنه يقرن بغيره تقول العرب لا عبد الله خارج ولا فلان تقول مررت برجل لا يحسن حتى يقال ولا يجمل وقوله تعالى فلا اقتحم العقبة ليس من هذا القبيل لان معناه فهلا اقتحم بحذف حرف الاستفهام وقال الاخفش فلا صدق اي لم يصدق كقوله تعالى فلا اقتحم اي لم يقتحم ولم يشترط ان يعقبه بشيء اخر والعرب تقول لا ذهب اي لم يذهب فحرف النفي ينفي الماضي كما ينفي المستقبل ومنه قول زهير • فلا هو ابداها ولم يتقدم • **فصل** قال ابن عباس رضي الله عنه معناه لم يصدق بالرسالة ولا صلى اي دعا لربه عز وجل وصلى على رسوله عليه الصلاة والسلام وقال قتادة فلا صدق بكتاب الله ولا صلى لله تعالى وقيل لا صدق بمال ذخرا له عند الله ولا صلى الصلوات التي امر الله بها وقيل فلا امن بقلبه ولا عمل ببدنه قيل المراد ابو جهل وقيل الانسان المذكور في قوله ايحسب الانسان **قوله تعالى** ولكن كذب وتولى الاستدراك هنا واضح لانه لا يلزم من نفي التصديق والصلاة التكذيب والتولي لان كثيرا من المسلمين كذلك فاستدرك ذلك بان سببه التكذيب والتولي وهذا ما ضعف ان يحمل نفي التصديق على نفي تصديق الرسول عليه الصلاة والسلام لئلا يلزم التكرار فيقع لكن بين متوافقين وهو لا يجوز قال القرطبي ومعناه كذب بالقران وتولى عن الايمان **قوله تعالى** ثم ذهب الى اهله يتمطى اي يتبختر افتخارا بذلك قاله مجاهد وغيره ويتمطى جملة حالية من فاعل ذهب ويجوز ان يكون بمعنى شرع في التمطي كقوله • فقام يذود الناس عنها بسيفه • ويتمطى فيه قولان احدهما انه من المطا وهو الظهر ومعناه يتبختر اي يمد مطاه ويلويه تبخترا في مشيته الثاني ان اصله يتمطط من تمطط اي تمدد ومعناه انه يتمدد في مشيته تبخترا ومن لازم التبختر ذلك فهو يقرب من معنى الاول ويفارقه في مادته اذ مادة المطا مطو ومادة الثاني مطط وانما ابدلت الطاء الثانية ياء كراهة اجتماع الامثال نحو تظنيت وتقضى البازي وقوله • تقضي البازي اذا البازي كسر • والمطيطا التبختر ومد اليدين في المشي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مشت امتي المطيطا وخدمتهم فارس والروم كان باسهم بينهم والمطيط الماء الخاثر اسفل الحوض لانه يتمطط اي يتمدد فيه وقال القرطبي التمطط هو التمدد من التكاسل والتثاقل فهو متثاقل عن الداعي الى الحق والتمطي يدل على قلة الاكتراث **قوله تعالى** اولى لك فاولى تقدم الكلام عليه في اخر سورة القتال وانما كرر هنا مبالغة في التهديد والوعيد فهو تهديد بعد تهديد ووعيد بعد وعيد قالت الخنساء • هممت بنفسي كل الهموم • فاولى لنفسي اولى لها • وقال ابو البقاء هنا ووزن اولى فيه قولان احدهما فعلى والالف فيه للالحاق لا للتانيث والثاني هو افعل وهو على القولين هنا علم ولذلك لم ينون ويدل عليه ما حكى ابو زيد في اولاة بالتاء غير مصروف ولانه صار علما للوعيد فصار كرجل اسمه احمد فعلى هذا يكون اولى مبتدا ولك الخبر والثاني ان يكون اسما للفعل مبنيا ومعناه وليك شر بعد شر ولك تبيين **فصل** قال قتادة والكلبي ومقاتل خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من المسجد ذات ليلة فاستقبله ابو جهل على باب المسجد مما يلي باب بني مخزوم فاخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده فهزه مرة او مرتين ثم قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اولى لك فاولى ثم اولى لك فاولى فقال له ابو جهل اتهددني فوالله اني لاعز اهل هذا الوادي واكرمه ولا تستطيع انت ولا ربك ان تفعلا بي شيئا ثم انسل ذاهبا فانزل الله تعالى كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم ومعنى اولى لك ويل لك قال الشاعر • فاولى ثم اولى ثم اولى • وهل للدر يحلب من مرد • وقيل هو من المقلوب كانه قيل اويل ثم اخر الحرف المعتل والمعنى الويل لك يوم تدخل النار وهذا التكرير كقوله • لك الويلات انك مرجلي • اي لك الويل ثم الويل وقيل معناه الذم لك اولى من تركه وقيل المعنى انت اولى واجدر بهذا العذاب وقال ابو العباس احمد بن يحيى قال الاصمعي اولى في كلام العرب معناه مقاربة الهلاك كانه يقول قد وليت الهلاك اي دانيت الهلاك واصله من الولي وهو القرب قال تعالى قاتلوا الذين يلونكم من الكفار اي يقربون منكم قال القرطبي وقيل التكرير فيه على معنى الذم ذلك على هلك السيئ الاول ثم على الثاني والثالث والرابع **قوله تعالى** ايحسب الانسان اي يظن ابن ادم ان يترك سدى اي يخلى مهملا فلا يؤمر ولا ينهى قاله ابن زيد ومجاهد وقيل ان يترك في قبره كذلك ابدا لا يبعث وسدى حال من فاعل يترك ومعناه مهملا يقال ابل سدى اي مهملة قال • واقسم بالله جهد اليمين • ما خلق الله شيئا سدى • اي مهملا واسديت حاجتي اي ضيعتها ومعنى اسدى اليه معروفا اي جعله بمنزلة الضائع عند المسدى اليه لا يذكره ولا يمن به عليه **قوله تعالى** الم يك نطفة العامة على الياء من تحت في يك رجوعا للانسان والحسن بتاء الخطاب على الالتفات اليه توبيخا له وقوله من مني يمنى قرا حفص يمنى بالياء من تحت

وفيه وجهان احدهما ان الضمير عايد على المني اي يصب فتكون الجملة في محل جر والثاني انه يعود للنطفة لان تانيثها
مجازي ولانها في معنى الما قاله ابو البقا وهذا انما يتمشى على قول ابن كيسان واما النحاة فيجعلونه ضرورة كقوله *
ولا ارض ابقل ابقالها * وقرا الباقون تمنى بالتاء من فوق على ان الضمير للنطفة فعلى هذه القراءة وعلى الوجه المذكور قبلها
تكون الجملة في محل نصب لانها صفة لمنصوب **فصل** والمعنى من قطرة ماء تمنى في الرحم اي تراق فيه ولذلك
سمي مني لاراقة الدما والنطفة الماء القليل يقال نطف الما اي قطر اي الم يك ماء قليلا في صلب الرجل وترايب المراة فنبه
تعالى بهذا على خسة قدره ثم قال تعالى فخلق فسوى اي فسواه تسويه وعدله تعديلا بجعل الروح فيه وقيل فخلق اي فقدر
فسوى فعدل وقيل فخلق اي نفخ فيه فسوى فكمل اعضاده قاله ابن عباس ومقاتل فجعل منه اي من الانسان وقيل من المني
الزوجين الذكر والانثى اي الرجل والمراة فقوله تعالى الذكر والانثى يجوز ان يكونا بدلين من الزوجين على لغة من يجري المثنى
اجرا المقصور وقد تقدم تحقيقه في طه ومن نسبه لهذه اللغة والاستشهاد على ذلك **فصل** قال القرطبي
وقد احتج بهذه الاية من راى اسقاط الخنثى وقد مضى في سورة الشورى ان هذه الاية وقرينها انما خرجت مخرج الغالب
فان قيل ما فايدة قوله تمنى في قوله تعالى من مني يمنى فالجواب فيه اشارة الى حقارة حاله كانه قيل انه مخلوق من المني الذي
يجري على مجرى النجاسة فلا يليق بمثل هذا ان يتمرد عن طاعة الله تعالى الا انه عبر عن هذا المعنى على سبيل الرمز كما في قوله تعالى
في عيسى ومريم عليهما السلام كانا ياكلان الطعام والمراد منه قضاء الحاجة **قوله تعالى** اليس ذلك بقادر اي اليس الذي
قدر على خلق هذه النسمة من قطرة ماء قوله بقادر اسم فاعل مجرور ابا زايدة في خبر ليس هذه قراءة العامة وقرا زيد بن علي يقدر
فعلا مضارعا والعامة على نصب يحي بان لان الفتحة خفيفة على حرف العلة وقرا طلحة بن سليمان والفياض بن غزوان بسكونها
فاما ان يكون خفف حرف العلة بحذف حركة الاعراب واما ان يكون اجرا الوصل مجرى الوقف وجمهور الناس على وجوب فك
الادغام قال ابو البقا لئلا يجمع بين ساكنين لفظا او تقديرا يعني ان الحا ساكنة فلو ادغمنا لسكنا اليا الاولى ايضا للادغام
فيلتقي ساكنان لفظا وهو متعذر النطق فهذان ساكنان لفظا واما قوله تقديرا فان بعض الناس جوز الادغام في ذلك وقرا به
ابن محيصن وذلك انه لما اراد الادغام نقل حركة اليا الاولى الى الحا وادغمها فالتقى ساكنان الحا لانها ساكنة في الاصل قبل
النقل اليها واليا لان حركتها نقلت من عليها الى الحا واستشهد الفرا لهذه القراءة بقول الشاعر * تمشي بسدة بيتها فتعيي *
واما اهل البصرة فلا يجيزونه البتة قالوا لان حركة اليا عارضة اذ هي للاعراب وقال مكي وقد اجمعوا على عدم الادغام
في حال الرفع واما في حال النصب فقد اجازه الفرا لاجل تحرك اليا الثانية وهو لا يجوز عند البصريين لان الحركة عارضة
قال شهاب الدين ادعاوه الاجماع مردود بالبيت الذي تقدم انشاده عن الفرا وهو قوله فتعيي فهذا مرفوع وقد ادغم ولا
يبعد ذلك لانه لما ادغم ظهرت تلك الحركة لسكون ما قبل اليا بالادغام **فصل** المعنى الذي قدر على خلق هذه
النسمة من قطرة ماء بقادر على ان يحيي الموتى اي ان يعيد هذه الاجسام كهيئتها للبعث بعد البلى روي عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم انه كان اذا قراها قال سبحانك اللهم وبلى وقال ابن عباس من قرا سبح اسم ربك الاعلى اماما كان او غيره فليقل سبحان
ربي الاعلى ومن قرا لا اقسم بيوم القيمة الى اخرها فليقل سبحانك اللهم بلى اماما كان او غيره روى الثعلبي عن ابي بن كعب رضي الله
عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة القيمة شهدت انا وجبريل له يوم القيمة انه كان مومنا بيوم القيمة
وجا ووجهه مسفر على وجوه الخلايق يوم القيمة والله اعلم بالصواب واليه المرجع والماب ...

سورة الدهر مكية

وهي احدى وثلاثون اية ومايتان واربعون كلمة والف واربعة وخمسون حرفا قال ابن عباس ومقاتل والكلبي هي مكية
وقال الجمهور مدنية وقيل فيها مكي من قوله تعالى انا نحن نزلنا عليك القران تنزيلا الى اخر السورة وما تقدمه مدني وذكر ابن
وهب قال وحدثنا ابن زيد قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليقراها هل اتى على الانسان حين من الدهر وقد انزلت عليه وعنده
لا اسفل طول النبي صلى الله عليه وسلم قال الدحنه يا ابن الخطاب قال فنزلت عليه هذه السورة وهو عنده فلما قراها عليه وبلغ
صفة الجنان زفر زفرة فخرجت روحه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اخرجت نفس صاحبكم او اخيكم الشوق الى الجنة وقال القشيري
ان هذه السورة نزلت في علي بن ابي طالب كرم الله وجهه والمقصود من السورة عام وهكذا القول في كل ما يقال انه نزل بسبب
كذا وكذا بسم الله الرحمن الرحيم **قوله تعالى** هل اتى على الانسان في هل هذه وجهان احدهما انها على بابها من الاستفهام
المحض اي هو ممن يسال عنه لغرابته اتى عليه حين من الدهر لم يكن كذا فانه يكون الجواب اتى عليه ذلك وهو بالحال المذكور كذا قاله

ابو حيان وقال مكي في تقرير كونها على بابها من الاستفهام والاحسن ان تكون على بابها من الاستفهام الذي معناه التقرير
وانما هو تقرير من انكر البعث فلا بد ان يقول نعم قد مضى دهر طويل لا انسان فيه فيقال له من احدثه بعد ان لم يكن وكونه بعد
عدمه كيف يمتنع عليه بعثه واحياوه بعد موته وهو معنى قوله ولقد علمتم النشاة الاولى فلولا تذكرون اي فهلا تذكرون
فتعلمون ان من انشا شيا بعد ان لم يكن قادر على اعادته بعد موته وعدمه انتهى فقد جعلها لاستفهام التقرير لا للاستفهام المحض
وهذا هو الذي يجب ان يكون لان الاستفهام لا يرد من الباري تعالى الا على هذا النحو وما اشبهه والثاني قال الكسائي
والفرا وابو عبيدة وحكي ايضا عن سيبويه انها بمعنى قد قال الفرا هل تكون جحدا وتكون خبرا فهذا من الخبر لانك تقول هل اعطيتك
تقرره بانك اعطيته والجحد ان تقول هل يقدر احد على مثل هذا وقال الزمخشري هل بمعنى قد في الاستفهام خاصة والاصل
اهل بدليل قوله * سايل فوارس يربوع لشدتنا * اهل راونا بوادي القف ذي الاكم * والمعنى اقد اتى على التقرير والتقريب جميعا
اي اتى على الانسان قبل زمان قريب حين من الدهر لم يكن فيه شيا مذكورا اي شيا منسيا غير مذكور انتهى فقوله على التقرير يعني
المفهوم من الاستفهام وهو الذي فهمه مكي من نفس هل وقوله والتقريب يعني المفهوم من الاستفهام من قد التي وقع موقعها هل
ومعنى قوله في الاستفهام خاصة ان هل لا تكون بمعنى قد الا ومعها استفهام لفظا كالبيت المتقدم وتقديرا كالاية الكريمة
فلو قلت هل جاء زيد بمعنى قد قام من غير استفهام لم يجز وغيره جعلها بمعنى قد من غير هذا القيد وبعضهم لا يجيز ذلك البتة وتاول
البيت على انه مما جمع فيه بين حرفي معنى للتاكيد وحسن ذلك لاختلاف لفظهما كقوله * فاصبحن لا يسالنه عن بما به * فالبا بمعنى
عن وهي موكدة لها واذا كانوا قد اكدوا مع اتفاق اللفظ كقوله * فلا والله لا يلفى لما بي * ولا للما بهم ابدا دواء * فلان يوكد مع
اختلافه احرى ولم يذكر الزمخشري غير كونها بمعنى قد وبني على الزمخشري فيه امر وهو ان العول في الجمل الفعلية لانه متى دخلت
هل على جملة اسمية استحال كونها بمعنى قد لان قد مختصة بالافعال قال شهاب الدين وعندي ان هذا لا يرد لانه تقرر ان قد لا تباشر
الاسما **فصل** قال قتادة والثوري وعكرمة والشعبي ان المراد بالانسان هنا ادم عليه السلام وهو مروي عن
ابن عباس وقيل المراد بالانسان بنو ادم لقوله تعالى انا خلقنا الانسان من نطفة فالانسان في الموضعين واحد وعلى هذا
فيكون نظم الاية احسن وقوله تعالى حين من الدهر قال ابن عباس في رواية ابي صالح مرت به اربعون سنة قبل ان ينفخ فيه الروح
وهو ملقى بين مكة والطايف وعن ابن عباس في رواية الضحاك انه خلق من طين فاقام اربعين سنة ثم من حما مسنون اربعين سنة
ثم من صلصال اربعين سنة فتم خلقه بعد مايه وعشرين سنة ثم نفخ فيه الروح وحكى الماوردي عن ابن عباس رضي الله عنه ان الحين
المذكور ههنا هو الزمن الطويل الممتد الذي لا يعرف مقداره وقال الحسن خلق الله تبارك وتعالى كل الاشيا ما يرى وما لا يرى
من دواب البر والبحر في الايام الست التي خلق الله تعالى فيها السموات والارض واخر ما خلق ادم عليه السلام فهو قوله تعالى لم يكن
شيا مذكورا فان قيل ان الطين والصلصال والحما المسنون قبل نفخ الروح فيه ما كان انسانا والاية تقتضي انه مضى على الانسان
حال كونه انسانا حين من الدهر مع انه في ذلك الحين ما كان شيا مذكورا فالجواب ان الطين والصلصال اذا كان مصورا
بصورة الانسان ويكون محكوما عليه بانه سينفخ فيه الروح ويصير انسانا صح تسميته بانه انسان ومن قال ان الانسان هو النفس
الناطقة وانها موجودة قبل وجود الابدان فالاشكال عنهم زايل واعلم ان الغرض من هذا التنبيه على ان الانسان محدث واذا
كان كذلك فلا بد من محدث قادر **قوله تعالى** لم يكن في هذه الجملة وجهان احدهما انها في موضع نصب على الحال من الانسان اي هل اتى
عليه حين في هذه الحال والثاني انها في موضع رفع نعتا لحين بعد نعت وعلى هذا فالعايد محذوف تقديره حين لم يكن فيه شيا
مذكورا والاول اظهر لفظا ومعنى **فصل** روى الضحاك عن ابن عباس في قوله تعالى لم يكن شيا مذكورا لا في
السما ولا في الارض وقيل اي كان جسدا مصورا ترابا وطينا لا يعرف ولا يذكر ولا يدرى ما اسمه ولا ما يراد به ثم نفخ فيه الروح
فصار مذكورا قاله الفرا وقطرب وثعلب وقال يحيى بن سلام لم يكن شيا مذكورا لانه خلقه بعد خلق الحيوان كله ولم يخلق
بعده حيوانا ومن قال بان المراد من الانسان الجنس من ذرية ادم عليه السلام فالمراد بالحين تسعة اشهر مدة الحمل في بطن امه لم يكن شيا
مذكورا اذ كان مضغة وعلقة لانه في هذه الحالة جماد لا خطر له وقال ابو بكر الصديق رضي الله عنه لما قرا هذه الاية ليتها تمت فلا
نبتلى اي ليت المدة التي اتت على ادم لم يكن شيا مذكورا تمت على ذلك فلا يلد ولا يبتلى اولاده وسمع عمر بن الخطاب رضي الله عنه رجلا
يقرا هل اتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيا مذكورا فقال ليتها تمت **قوله تعالى** انا خلقنا الانسان يعني ابن ادم من غير
خلاف من نطفة اي من ماء يقطر وهو المني وكل ماء قليل في وعاء فهو نطفة كقول عبد الله بن رواحة يعاتب نفسه وهو يقول
* ما لي اراك تكرهين الجنة * هل انت الا نطفة في شنة * وجمعها نطف ونطاف **قوله تعالى** امشاج نعت لنطفة ووقع
الجمع نعتا لمفرد لانه في معنى الجمع كقوله تعالى رفرف خضر او جعل كل جزء من النطفة نطفة فاعتبر ذلك فوصفت بالجمع
وقال الزمخشري نطفة امشاج كبرمة اعشار وبرد اكياش وثوب اخلاق وارض سباسب وهي الفاظ مفردة غير جموع ولذلك
تقع صفات للافراد ويقال نطفة مشج قال الشماخ * طوت احشا مرتجة لوقت * على مشج سلالته مهين * ولا يصح امشاج

ان يكون تكسير الدبل هما مثلان في الافراد بوصف المفرد بهما فقد منع ان يكون امشاجا جمع مشج بالكسر قال ابو حيان وقوله مخالف لنص سيبويه والنحويين على ان افعالا لا يكون مفردا قال سيبويه وليس في الكلام افعال الا ان يكسر عليه اسما للجمع وما ورد من وصف المفرد بافعال تأولوه انتهى قال شهاب الدين هو لم يجعل افعالا مفردا انما قال يوصف به المفرد يعني بالتأويل ذكر ثم انهم جعلوا كل قطعة من البرد بردا ثم جمعوها جمعا وقال ابو حيان الامشاج الاخلاط واحدها مشج بفتحتين او مشج كعدل واعدال او مشيج كشريف واشراف قال ابن الاعرابي وقال رؤبة ● يطرحن كل معجل نشاج ● لم يكس جلدا من دم امشاج ● وقال الهذلي يصف السهم بانه قد نفذ في الرمية فالتطخ ريشه وفوقاه بدم يسيل ● كان الريش والفوقين منها ● خلاف النصل سيط به مشيج ● ويقال مشج يمشج مشجا اذا خلط ومشيج كخليط وممشوج كمخلوط انتهى فيجوز ان يكون جمع المشج كعدل وقد تقدم ان الزمخشري منع من ذلك وقال الزمخشري ومشجه ومزجه بمعنى والمعنى من نطفة امتزج فيها الماءان قال القرطبي ويقال مشجت هذا بهذا اي خلطته فهو ممشوج ومشيج مثل مخلوط وخليط وهو هنا اختلاط النطفة بالدم وهو دم الحيضة وذلك ان المراد اذا بلغت ماء الرجل وحبلت امسك حيضها فاختلطت النطفة بالدم وقال الفراء امشاج اختلاط ماء المرأة وماء الرجل والدم والعلقة روي عن ابن عباس رضي الله عنه قال الامشاج الحمرة والبياض في الحمرة وعنه ايضا قال يختلط ماء الرجل وهو ابيض غليظ بماء المرأة وهو اصفر رقيق فيخلق منهما الولد فما كان من عصب وعظم وقوة فهو من ماء الرجل وما كان من لحم ودم وشعر فهو من ماء المرأة قال القرطبي وقد روي هذا مرفوعا ذكره البزار وعن ابن مسعود امشاجها عروقها المصفرة وقال مجاهد نطفة الرجل بيضاء وحمراء ونطفة المرأة خضراء وصفراء وقال ابن عباس خلق من الوان خلق من تراب ثم من ماء الفرج والرحم وهي نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم عظم ثم لحم ونحوه قال قتادة هي اطوار الخلق طورا نطفة وطورا علقة وطورا مضغة وطورا عظاما ثم نكسو العظام لحما قال ابن الخطيب وقيل ان الله تبارك وتعالى جعل في النطفة اخلاطا من الطبايع التي تكون في الانسان من الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة والتقدير من نطفة ذات امشاج فحذف المضاف وتم الكلام **قوله تعالى** نبتليه يجوز في هذه الجملة وجهان احدهما انها حال من فاعل خلقنا اي خلقناه حال كوننا مبتلين له والثاني انها حال من الانسان وصح ذلك لان في الجملة ضميرين كل منهما يعود على ذي الحال ثم هذه الحال يجوز ان تكون مقارنة ان كان المعنى نبتليه نصرفه في بطن امه نطفة ثم علقة كما قال ابن عباس وان تكون مقدرة ان كان المعنى نبتليه نختبره بالتكليف لانه وقت خلقه غير مكلف وقال الزمخشري ويجوز ان يكون ناقلين له من حال الى حال فسمي ذلك ابتلاء على طريق الاستعارة قال شهاب الدين وهذا معنى قول ابن عباس المتقدم وقال بعضهم في الكلام تقديم وتأخير والاصل انا جعلناه سميعا بصيرا نبتليه اي جعلنا له ذلك للابتلاء وهذا لا حاجة اليه **فصل** قوله نبتليه معناه لنبتليه كقولك جئتك اقضي حقك اي لاقضي حقك واتيتك استمنحك كذا ونظيره قوله تعالى ولا تمنن تستكثر اي لتستكثر ومعنى نبتليه نختبره وقيل نقدر فيه الابتلاء وهو الاختبار وفيما نختبره وجهان احدهما قال الكلبي نختبره بالخير والشر والثاني قال الحسن نختبر شكره في السراء وصبره في الضراء وقيل نبتليه نكلفه بالعمل بعد الخلق قال مقاتل رحمه الله وقيل نكلفه ليكون مامورا بالطاعة ومنهيا عن المعاصي وقوله تعالى فجعلناه سميعا بصيرا والمعنى انا خلقناه في هذه الامشاج لا للعب بل للابتلاء والامتحان ثم ذكر انه اعطاه ما يصح معه الابتلاء وهو السمع والبصر وهما كنايتان عن الفهم والتمييز لان الابتلاء لا يقع الا بعد تمام الخلقة والمعنى جعلنا له سمعا يسمع به الهدى وبصرا يبصر به الهدى كما قال تعالى حاكيا عن ابرهيم عليه السلام لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر وقد يراد بالسميع المطيع كقوله سمعا وطاعة وبالبصير العالم يقال لفلان بصر في هذا الامر وقيل بل المراد السمع والبصر الحاستان المعروفتان والله تعالى خصهما بالذكر لانهما اعظم الحواس واشرفها **قوله تعالى** انا هديناه السبيل اي بينا له وعرفناه طريق الهدى والضلال والخير والشر ببعث الرسل فامن او كفر وقال مجاهد هديناه السبيل هنا خروجه من الرحم وقيل منافعه ومضاره التي تهتدي اليها بطبعه وكمال عقله **فصل** قال ابن الخطيب اخبر الله تعالى انه بعد ان ركبه واعطاه الحواس الظاهرة والباطنة بين له سبيل الهدى والضلال قال والاية تدل على ان العقل متاخر عن الحواس وهو كذلك ثم بيناه منها عقايد صادقة اولية كعلمنا بان النفي والاثبات لا يجتمعان ولا يرتفعان وان الكل اعظم من الجزء وهذه العلوم الاولية هي العقل قال الفراء هدى يتعدى بنفسه وباللام **قوله تعالى** اما شاكرا نصب على الحال وفيه وجهان احدهما انه حال من مفعول هديناه اي هديناه مبينا له كلتا حالتيه قال ابو البقا وقيل هي حال مقدرة قال شهاب الدين لانه حمل الهداية على اول البيان له وفي ذلك الوقت غير متصف باحدى الصفتين والثاني انه حال من السبيل على المجاز قال الزمخشري ويجوز ان يكونا حالين من السبيل اي عرفناه السبيل اما سبيلا شاكرا واما سبيلا كفورا كقوله تعالى وهديناه النجدين فوصف السبيل بالشكر والكفر مجاز او العامة على كسر همزة اما وهي المرادفة للا وتقدم خلاف النحويين فيها ونقل مكي عن الكوفيين ان ها هنا ان الشرطية زيدت بعدها ما ثم قال وهذا لا يجيزه البصريون لان ان الشرطية لا تدخل على الاسما الا ان يضمر فعل نحو وان احد ولا يصح اضمار

الفعل هنا لانه كان يلزم رفع شاكرا وايضا لا دليل على الفعل انتهى قال شهاب الدين لا نسلم انه يلزم رفع شاكر مع اضمار الفعل ويمكن ان يضمر فعل ينصب شاكرا تقديره ان خلقناه شاكرا فشكور وان خلقناه كافرا فكفور وقرا ابو السمال وابو العجاج بفتحها وفيها وجهان احدهما انها العاطفة وانها لغة بعضهم فتح همزتها وانشدوا على ذلك تلفحها اما شمال عريه واما صبا جنح العشي هبوب بفتح الهمزة ويجوز مع فتح الهمزة ابدال ميمها الاولى يا قال الشاعر ايما الى جنة ايما الى نار وحذف الواو بينهما والثاني انها اما التفصيلية وجوابها مقدر قال الزمخشري وهي قراءة حسنة والمعنى اما شاكرا فبتوفيقنا واما كفورا فبسوء اختياره انتهى ولم يذكر غيره **فصل** قال ابن الخطيب بعد حكايته ان شاكرا وكفورا حالا لان المعنى كلما يتعلق بهداية الله تعالى وارشاده فقد تم حالة الكفر والايمان قال وقيل انتصب شاكرا وكفورا باضمار كان والتقدير سواء كان شاكرا او كان كفورا وقيل معناه انا هديناه السبيل ليكون اما شاكرا واما كفورا اي ليتميز شكره من كفره وطاعته لقوله تعالى ليبلوكم ايكم احسن عملا قال القفال ومجاز هذه الكلمة على هذا التاويل كقولك قد نصحت لك ان شئت فاقبل وان شئت فاترك اي فان شئت فتحذف الفاء وقد يحتمل ان يكون ذلك على جهة الوعيد اي انا هديناه السبيل فان شاء فليشكر وان شاء فليكفر فانا قد اعتدنا للكافرين كذا قوله وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر وقيل حالان من السبيل اي عرفناه السبيل اما سبيلا شاكرا واما سبيلا كفورا ووصف السبيل بالشكر والكفر مجاز قال ابن الخطيب وهذه الاقوال لائقة بمذهب المعتزلة وقيل قول خامس مطابق لمذهب اهل السنة واختاره الفراء وهو ان يكون اما في هذه الاية كما في قوله تعالى اما يعذبهم واما يتوب عليهم والتقدير انا هديناه السبيل ثم جعلناه تارة شاكرا وتارة كفورا ويؤيد قراءة ابي السمال المتقدمة قالت المعتزلة هذا التاويل باطل لتهديده الكفار بعد هذه الاية بقوله تعالى انا اعتدنا للكافرين سلاسل واغلالا وسعيرا ولو كان كفر الكافر بخلقه وخلقه لما جاز منه ان يهدده عليه ولما بطل هذا التاويل ثبت ان الحق هو التاويل الاول وهو انه تعالى هدى جميع المكلفين سواء امن او كفر وبهذا بطل قول المجبرة واجيب بانه تعالى لما علم من الكافر انه لا يؤمن ثم كلفه بان يؤمن فقد كلفه الجمع بين العلم بعدم الايمان ووجود الايمان وهذا تكليف بالجمع بين المتنافيين فان لم يصر هذا عذرا في سقوط التهديد والوعيد جاز ايضا ان يخلق الكفر فيه ولا يصير ذلك عذرا في سقوط التهديد والوعيد واذا ثبت هذا ظهر ان هذا التاويل هو الحق وبطل تاويل المعتزلة **فصل** قال القرطبي جمع بين الشاكر والكفور ولم يجمع بين الشكور والكفور مع اجتماعهما في معنى المبالغة نفيا للمبالغة في الشكر واثباتا لها في الكفر لان شكر الله تعالى لا يؤدى فانتفت عنه المبالغة ولم تنتف عن الكفر المبالغة فقل شكره لكثرة النعم عليه وكثر كفره وان قل مع الاحسان اليه حكاه الماوردي **قوله تعالى** انا اعتدنا للكافرين سلاسل قرا نافع والكسائي وهشام وابو بكر بتنوين سلاسل والباقون بغير تنوين ووقف هو لا حمزة وقنبل عليه بالالف بلا خلاف وابن ذكوان والبزي وحفص بالالف وبدونها بلا وقف مع الخلاف والباقون وقفوا بدون الالف بلا خلاف فقد تحصل من هذا ان القراء على اربع مراتب منهم من نون وصلا ووقف بالالف وقفا بلا خلاف وهما حمزة وقنبل ومنهم من لم ينون ووقف بالالف بلا خلاف وهو ابو عمرو ومنهم من لم ينون ووقف بالالف تارة وبدونها اخرى وهم ابن ذكوان وحفص والبزي فهذا ضبط ذلك فاما التنوين في سلاسل فذكروا له اوجها منها انه قصد بذلك التناسب لان ما قبله وما بعده منون منصوب ومنها ان الكسائي وغيره من اهل الكوفة حكوا عن بعض العرب انهم يصرفون جميع ما لا ينصرف الا افعل منك قال الاعمش سمعناهم العرب من يصرف كل ما لا ينصرف لان الاصل في الاسماء الصرف وترك الصرف لعارض فيها وان هذا الجمع قد جمع وان كان قليلا قالوا صواحب وصواحبات وفي الحديث انكن لصواحبات يوسف وقال قد جرت الطير ايامنينا فجمع ايامن جمع تصحيح المذكر وانشدوا ● واذا الرجال راوا يزيد رايتهم ● خضع الرقاب نواكس الابصار ● بكسر السين من نواكس وبعدها يا تظهر خطا لا لفظا لالتقاء الساكنين وهذا على رواية كسر السين والاشهر فيها نصب السين فلما جمع شابه المفردات فانصرف ومنها انه مرسوم في امام الحجاز والكوفة بالالف رواه ابو عبيد ورواه قالون عن نافع وروى بعضهم ذلك عن مصاحف البصرة ايضا وقال الزمخشري وفيه وجهان احدهما ان يكون هذه النون بدلا من حرف الاطلاق ويجري الوصل مجرى الوقف والثاني ان يكون صاحب هذه القراءة ممن ضرى برواية الشعر ومرن لسانه على صرف ما لا ينصرف قال شهاب الدين وفي هذه العبارة فظاظة وغلظة لا سيما على مشيخة الاسلام وائمة العلماء الاعلام ووقف هؤلاء بالالف ظاهر واما من لم ينونه فظاهر لانه على صيغة منتهى الجموع وقولهم قد جمع نحو صواحبات وانا منين لا يقدح لان المحذور جمع التكسير وهذا جمع تصحيح وعدم وقفهم بالالف واضح ايضا واما من لم ينون ووقف بالالف فاتباعا للرسم الكريم كما تقدم وايضا فان الروم في المفتوح لا يجوزه القراء والقارى قد يبين الحركة في وقفه فاتوا بالالف ليتبين منها الفتحة وروي عن بعضهم انه يقول رايت عمرا بالالف يعني عمر بن الخطاب رضي الله عنه والسلاسل جمع سلسلة وهي القيود في

وجحيم وتقدم الكلام فيه في سورة الحاقة **فصل** اعلم انه بين ههنا حال الفريقين وانه بعد العقاب
وكلفهم ومكنهم مما الزم فمن كفر فله العقاب ومن وحد وشكر فله الثواب والاعتداد هو اعداد الشيء حتى يكون عتيدا حاضرا
متى احتيج اليه كقوله تعالى هذا ما لدي عتيد والاغلال جمع غل تغل بها ايديهم الى اعناقهم وتقدم الكلام في السعير ايضا **قوله تعالى**
ان الابرار يشربون من كاس الآية لما ذكر ما اعد للكافرين ذكر ما اعد للشاكرين والابرار اهل الصدق واحدهم بر وهو من امتثل امره
تعالى وقيل البر الموحد والابرار جمع بار مثل شاهد واشهاد وقيل هو جمع بر مثل نهر وانهار وفي الصحاح وجمع البار البررة وفلان
يبر خالقه ويتبرره اي يطيعه والام برة بولدها وروي ابن عمر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال انما سماهم الله تعالى
الابرار لانهم بروا الاباء والابناء كما ان لوالدك عليك حقا كذلك لولدك عليك حقا وقال الحسن البر الذي لا يؤذي الذر وقال قتادة
الابرار الذين يؤدون حق الله ويوفون بالنذر وفي الحديث الابرار الذين لا يؤذون احدا يشربون من كاس اي من اناء فيه الشراب
قال ابن عباس يريد الخمر والكاس في اللغة الاناء فيه الشراب واذا لم يكن فيه الشراب لم يسم كاسا **قوله تعالى** كان مزاجها كافورا المزاج
ما يمزج به اي يخلط يقال مزجه يمزجه مزجا اي خلطه يخلطه خلطا قال حسان: كان سبيئة من بيت راس * يكون مزاجها
عسل وماء * فالمزاج كالقوام اسم لما يقام به الشيء ومنه مزاج البدن وهو ما يمازجه من الصفراء والسوداء والحرارة والبرودة
والكافور طيب معروف وكان اشتقاقه من الكفر وهو الستر لانه يغطي الاشياء برائحته والكافور ايضا كمام الشجر الذي تغطي ثمرتها
قال بعضهم الكافور فاعول من الكفر وهو المغطية كالناقور من النقر والغاموس من الغمس تقول غمسته في الماء اي غمسته والكفر القرية
او الجبل العظيم قال: تطلع ربياه من الكفرات * والكافور البحر والكافر الليل والكافر الساتر لنعم الله تعالى والكافر الزارع لتوريته
الحب في الارض قال الشاعر: وكافرهان على كفره * وجنة الفردوس للكافر * والكفارة تغطية الاثم في اليمين الفاجرة
والنذر الكاذب بالمغفرة والكافور ماء جوف شجر مكنون فيضربونه بالحديد فيخرج الى ظاهر الشجر فيضربه الهوا فيجمد وينعقد
كالصمغ الجامد على الاشجار ويقال كفر الرجل تكفيرا اذا وضع يده على صدره **فصل** قال ابن الخطيب مزج الكافور
بالمشروب لا يكون لذيذا فما السبب في ذكره فالجواب من وجوه احدها قال ابن عباس اسم عين ماء في الجنة يقال له عين
الكافور اي يمازجه ماء هذه العين التي تسمى كافورا في بياض الكافور ورائحته وبرده ولكن لا يكون فيه طعمه ولا مضرته وثانيها
ان رائحة الكافور عرض والعرض لا يكون الا في جسم فخلق الله تلك الرائحة في جرم ذلك الشراب فسمي ذلك الجسم كافورا وان كان طعمه
طيبا فيكون الكافور ريحها لا طعمها وثالثها ان الله تبارك وتعالى يخلق الكافور في الجنة مع طعم لذيذ ويسلب عنه ما فيه من المضرة ثم
انه تعالى يمزجه بذلك الشراب كما انه تعالى يسلب من جميع المأكولات والمشروبات ما معها في الدنيا من المضار قال سعيد عن قتادة يمزج
لهم بالكافور ويختم بالمسك وقيل اراد بالكافور في بياضه وطيب رائحته وبرده لان الكافور لا يشرب كقوله تعالى حتى اذا جعله نارا اي
كنار وقيل كان في علم الله تعالى وكان زائدة اي من كاس مزاجها قال القرطبي ويقال كافور وقافور وهي قراءة عبد الله بالقاف
بدل الكاف وهذا من التعاقب بين الحرفين كقولهم عربي قح وكح ومفعول يشربون اما محذوف اي يشربون ماء او خمرا من كاس
واما مذكور وهو عينا واما من كاس ومن مزيدة فيه وهذا يمشي عند الكوفيين والاخفش وقال الزمخشري فان قلت لم وصل
فعل الشرب بحرف الابتداء اولا وبحرف الالصاق اخرا قلت لان الكاس مبدأ شربهم واول غايته واما العين فبها يمزجون شرابهم فكان
المعنى يشرب عباد الله بها الخمر كما تقول شربت الماء بالعسل **قوله تعالى** عينا في نصبها اوجه احدها بدل من كافورا لان ماءها
في بياض الكافور وفي رائحته وبرده الثاني انها بدل من محل من كاس قاله مكي ولم يقدر حذف مضاف وقدر الزمخشري على هذا الوجه
حذف مضاف قال كانه قيل يشربون خمرا خمر عين واما ابو البقاء فجعل المضاف مقدرا على وجه البدل من كافورا الثاني بدل من كافور
اي من ماء عين او خمر عين وهو معنى حسن الثالث انها مفعول يشربون اي يشربون منها من كاس الرابع ان تنتصب على الاختصاص
الخامس باضمار يشربون يفسره ما بعده قاله ابو البقاء وفيه نظر لان الظاهر انه صفة لعينا فلا يصح ان يفسر السادس باضمار يعطون
السابع على الحال من الضمير في مزاجها قاله مكي وقال القرطبي نصب باضمار اعني **قوله تعالى** يشرب بها في الباء اوجه احدها
انها مزيدة اي يشربها ويدل له قراءة ابن ابي عبلة يشربها معدى الى الضمير بنفسه الثاني انها بمعنى من الثالث انها حالية اي ممزوجة بها
الرابع انها متعلقة بيشرب والضمير يعود على الكاس اي يشربون العين بتلك الكاس والباء للالصاق كما تقدم في قول الزمخشري الخامس
انه على تضمين يشربون معنى يلتذون بها شاربين السادس على تضمينه معنى يروى اي يروى بها عباد الله وكهذه الآية الكريمة في المعنى
الا ان قول الهذلي: شربن بماء البحر ثم ترفعت * متى لجج خضر لهن نئيج * فمن يحتمل الزيادة ويحتمل ان يكون بمعنى من وقال الفراء
يشربها ويشرب بها سواء في المعنى وكان يشرب بها يروى بها وينتفع بها وانشد قول الهذلي قال ومثله يتكلم بكلام حسن ويتكلم
كلاما حسنا والجملة من قوله يشرب بها في محل نصب صفة لعينا ان جعلنا الضمير في بها عائدا على عينا ولم نجعله مفسرا للناصب كما قاله
ابو البقاء ويفجرونها في موضع الحال **فصل** قال ابن الخطيب قوله يشرب بها عباد الله يفيد ان كل عباد الله يشربون منها
والكفار بالاتفاق لا يشربون منها فدل على ان لفظ عباد الله مختص باهل الايمان واذا ثبت هذا فقوله تعالى ولا يرضى لعباده الكفر

لا يتناول الكفار بل يختص بالمؤمنين فيصير تقدير الاية ولا يرضى لعباده المؤمنين الكفر ولا تدل الآية على انه تعالى لا يريد
الكفر للكافر **قوله تعالى** يفجرونها تفجيرا اي يشققونها شقا كما يفجر الرجل النهر ههنا وههنا الى حيث شاء ويتبعهم حيث
مالوا مالت معهم روى القرطبي عن الحسن رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اربع عيون في الجنة عينان تجريان من تحت
العرش احداهما التي ذكر الله عز وجل يفجرونها تفجيرا والاخرى الزنجبيل وعينان تجريان من فوق العرش نضاختان احداهما التي ذكر الله
تعالى سلسبيلا والاخرى التسنيم ذكره الحكيم الترمذي في نوادر الاصول وقال التسنيم للمقربين خاصة شربا لهم والكافور للابرار
شربا لهم يمزج للابرار من ماء التسنيم شرابهم واما الزنجبيل والسلسبيل فللابرار منها مزاج هكذا ذكره في التنزيل وسكت
عن ذكر ذلك لمن هي شرب فما كان للابرار مزاج فهو للمقربين صرف وما كان للابرار صرف فهو لسائر اهل الجنة مزاج والابرار
الصادقون والمقربون الصديقون **قوله تعالى** يوفون بالنذر يجوز ان يكون مستانفا لا محل له البتة ويجوز ان يكون
خبرا لكان مضمرة قال الفراء التقدير كانوا يوفون بالنذر في الدنيا وكانوا يخافون انتهى وهذا لا حاجة اليه الثالث جواب
لمن قال ما لهم يرزقون ذلك قال الزمخشري يوفون جواب من عسى يقول ما لهم يرزقون ذلك قال ابو حيان واستعمل عسى صلة
لمن وهو لا يجوز واتى بالمضارع بعد عسى غير مقرون بان وهو قليل او في الشعر **فصل** معناه لا يخلفون اذا
نذروا وقال معمر عن قتادة يأتون بما فرض الله عليهم من الصلاة والزكاة والصوم والحج والعمرة وغيرها من الواجبات وقال
مجاهد وعكرمة يوفون اذا نذروا في حق الله تعالى وقال الفراء والجرجاني وفي الكلام اضمار اي كانوا يوفون بالنذر في الدنيا
والعرب قد تزيد مرة كان وقال الكلبي يوفون بالنذر اي يتممون العهود لقوله تعالى واوفوا بعهد الله واوفوا بالعقود امروا بالوفاء
بها لانهم عقدوها على انفسهم باعتقادهم الايمان قال القرطبي والنذر حقيقته ما اوجبه المكلف على نفسه من شيء يفعله
وان شئت قلت في حد النذر هو ايجاب المكلف على نفسه من الطاعات ما لو لم يوجبه لم يلزمه وقال ابن الخطيب الايفاء بالشيء
هو الاتيان به وافيا وقال ابو مسلم النذر كالوعد الا انه اذا كان من العباد فهو نذر وان كان من الله فهو وعد واختص هذا
اللفظ في عرف الشرع بان يقول فعلي كذا وكذا من الصدقة او يعلق ذلك بامر يلتمسه من الله تعالى مثل ان يقول ان شفى الله مريضي او رد
غائبي فعلي كذا وكذا واختلفوا فيما اذا علق ذلك بما ليس من وجوه البر كقوله ان اتى فلان الدار فعلي كذا فمنهم من جعله كاليمين
ومنهم من جعله من باب النذور **فصل** قال القشيري روى اشهب عن مالك رضي الله عنه انه قال يوفون بالنذر
هو نذر العتق والصيام والصلاة وروى عنه ابو بكر بن عبد العزيز قال قال مالك يوفون بالنذر قال النذر هو اليمين قال
ابن الخطيب هذه الآية تدل على وجوب الوفاء بالنذر لانه تعالى قال عقيبه ويخافون يوما وهذا يقتضي انهم انما وفوا بالنذر
خوفا من شر ذلك اليوم والخوف من شر ذلك اليوم لا يتحقق الا اذا كان الوفاء به واجبا ويؤكده قوله تعالى ولا تنقضوا الايمان
بعد توكيدها وقوله تعالى ثم ليقضوا تفثهم وليوفوا نذورهم وهذا يحتمل ليوفوا اعمال نسكهم التي الزموها انفسهم
فصل قال الفراء وجماعة من اهل المعاني كان في قوله تعالى كان مزاجها كافورا زائدة واما ههنا فكان
محذوفة والتقدير كانوا يوفون بالنذر قال ابن الخطيب وللقائل ان يقول انا بينا ان كان في قوله تعالى كان مزاجها
ليست بزائدة واما في هذه الآية فلا حاجة الى اضمارها لانه تعالى ذكر في الدنيا ان الابرار يشربون اي سيشربون فان لفظ
المضارع مشترك بين الحال والاستقبال ثم قال السبب في ذلك الثواب الذي سيجدونه انهم الآن يوفون بالنذر
قوله تعالى ويخافون يوما كان شره مستطيرا اي يخافون يوم القيامة وكان شره في موضع نصب صفة ليوم والمستطير
المنتشر يقال استطار يستطير استطارة فهو مستطير وهو استفعل من الطيران قال الاعشى: فبانت وقد اسارت في الفؤاد *
صدعا على نايها مستطيرا * والعرب تقول استطار الحريق الصدع في القارورة والزجاجة واستطال اذا امتد ويقال
استطار الحريق اذا انتشر وقال الفراء المستطير المستطيل كانه يريد انه مثله في المعنى لا انه ابدل من اللام راء والفجر فجران مستطيل
كذنب السرحان وهو الكاذب ومستطير وهو الصادق لانتشاره في الافق قال قتادة استطار والله شر ذلك اليوم حتى
ملأ السموات والارض وقال مقاتل كان شره فاشيا في السموات فانشقت وتناثرت الكواكب وفزعت الملائكة وفي الارض نسفت
الجبال وغارت المياه فان قيل احوال القيامة واهوالها كلها فعل الله تعالى وكلما كان فعلا لله فهو حكمة وصواب
وما كان كذلك لا يكون شرا فكيف وصفها الله بانها شر فالجواب انما سميت شرا لكونها مضرة بمن تنزل عليه وصعبة
كما تسمى الامراض وسائر الامور المكروهة شرورا قال ابن الخطيب وقيل المستطير هو الذي يكون سريع الوصول الى اهله
وكان هذا القائل ذهب الى الطيران الاسرع فان قيل لم قال كان شره ولم يقل سيكون شره مستطيرا فالجواب ان اللفظ
وان كان للماضي الا ان معناه كان شره في علم الله وحكمه **قوله تعالى** ويطعمون الطعام على حبه هذا الجار والمجرور حال
اما من الطعام اي كائنين على حبهم الطعام كقوله تعالى وآتى المال على حبه قال ابن عباس ومجاهد على قلته وحبهم اياه
وشهوتهم له واما من الفاعل والضمير في حبه لله تعالى اي على حب الله وعلى التقديرين فهو مصدر مضاف للمفعول قال

الفضيل بن عياض على حب طعام الطعام قوله تعالى مسكينا اي ذا مسكنة ويتيما اي من يتامى المسلمين واسيرا اي الذي يوسر
فيحبس وذلك ان المسكين عاجز عن الاكتساب بنفسه واليتيم هو الذي مات من يكتسب له وبقي عاجزا عن الكسب لصغره والاسير
هو الماخوذ من قومه المملوك رقبته الذي لا يملك لنفسه نصرا ولا حيلة قال ابن عباس والحسن وقتادة الاسير من اهل الشرك
يكون في ايديهم فان قيل لما وجب قتله فكيف يجب اطعامه فالجواب ان القتل في حال لا يمنع من الاطعام في حال اخرى
ولا يجب اذا عوقب بوجه ان يعاقب بوجه اخر وكذلك لا يحسن فيمن عليه قصاص ان يفعل به ما هو دون القتل ويجب
على الامام ان يطعمه فان لم يفعله الامام وجب على المسلمين وقال مجاهد وسعيد بن جبير الاسير المحبوس وقال السدي الاسير
المملوك وقيل الاسير الغريم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اسيرك غريمك وقال عطا الاسير من اهل القبلة وغيرهم قال القرطبي
وهذا يعم جميع الاقوال ويكون اطعام الاسير المشترك قربة غير انه من صدقة التطوع فاما المفروضة فلا وقيل الاسير الزوجة
قال صلى الله عليه وسلم اتقوا الله في النسا فانهن عوان عندكم قال القفال واللفظ يحتمل كل ذلك لان اصل الاسر هو الشد بالقيد
وكان الاسير يفعل به ذلك حبسا له **فصل** قال القرطبي قيل نسخ اطعام المسكين طعام الصدقات وطعام الاسير
السيف قاله سعيد بن جبير وقال غيره بل هو ثابت الحكم واطعام اليتيم والمسكين على التطوع واطعام الاسير لحفظ نفسه الى ان يتخير
فيه الامام قال الماوردي ويحتمل ان يريد بالاسير الناقص العقل لانه في اسر خبله وجنونه واسر المشرك انتقام يقف على راي الامام
وهذا بر واحسان **قوله تعالى** انما نطعمكم لوجه الله على اضمار القول اي يقولون بالسنتهم لليتيم والمسكين والاسير انما
نطعمكم في الله جل ثناؤه وفزعا من عذابه وطمعا في ثوابه لا نريد منكم جزاء ولا شكورا اي ولا ان تثنوا علينا بذلك قال ابن عباس
كذلك كانت نياتهم في الدنيا حين اطعموا وعن مجاهد اما انهم ما تكلموا به ولكن علم الله منهم فاثنى به عليهم ليرغب في ذلك راغب
قيل هذه الاية نزلت في مطعم بن ورقا الانصاري نذر نذرا فوفا به وقيل نزلت فيمن تكفل باسرى بدر وهم سبعة من المهاجرين
ابو بكر وعمر وعلي والزبير وعبد الرحمن بن عوف وسعيد وابو عبيدة رضي الله عنهم ذكره الماوردي وقال مقاتل نزلت في رجل
من الانصار اطعم في يوم واحد مسكينا ويتيما واسيرا وقيل نزلت في علي وفاطمة رضي الله عنهما وجارية لهما اسمها فضة قال القرطبي
انها نزلت في جميع الابرار ومن فعل فعلا حسنا فهو عام وما ذكره عن علي وفاطمة لا يصح وروى جابر الجعفي في قوله تعالى يوفون
بالنذر عن قنبر مولى علي رضي الله عنه قال مرض الحسن والحسين حتى عادهما اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ابو بكر رضي الله
عنه يا ابا الحسن لو نذرت عن ولدك نذرا فقال علي رضي الله عنه ان برا ولدي صمت لله ثلاثة ايام شكرا فقالت جارية لهما ان برا سيدي
صمت لله ثلاثة ايام شكرا وقالت فاطمة رضي الله عنها مثل ذلك وقال الحسن والحسين علينا مثل ذلك وذكر الحديث قال اهل الحديث
جابر الجعفي كذاب **فصل** قال ابن الخطيب اعلم ان الاحسان الى الغير تارة يكون لاجل الله وتارة يكون لغير الله اما
طلبا لمكافاة او طلبا لحمد وثناء وتارة يكون لهما وهذا هو الشرك والاول هو المقبول عند الله واما القسمان الباقيان فمردودان
قال الله تعالى لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى كالذي ينفق ماله رئاء الناس وقال تعالى وما اتيتم من ربا ليربو في اموال الناس
فلا يربو عند الله وما اتيتم من زكوة تريدون وجه الله فاولئك هم المضعفون ولا شك ان التماس الشكر من جنس المن والاذى
اذا عرفت ذلك فنقول القوم لما قالوا انما نطعمكم لوجه الله نفى فيه احتمال انه اطعمه لوجه الله ولسائر الاغراض على سبيل التشريك فلا جرم
نفى هذا الاحتمال بقوله تعالى لا نريد منكم جزاء ولا شكورا **فصل** الشكور والكفور مصدران كالشكر والكفر
وهو على وزن الدخول والخروج وهذا قول جمهور اهل اللغة وقال الاخفش ان شئت جعلت الشكور جماعة الشكر وجعلت الكفور
في قوله تعالى فابى الظالمون الا كفورا مثل برد وبرود وان شئت جعلته مصدرا واحدا في معنى جمع مثل قعد قعودا وخرج خروجا
قوله تعالى انا نخاف من ربنا يحتمل وجهين احدهما ان احساننا اليكم للخوف من شدة ذلك لا لارادة مكافاتكم والثاني لا نريد
منكم المكافاة لخوف عقاب الله على طلب المكافاة بالصدقة فان قيل انه تعالى لما حكى عنهم الايفا
بالنذر وعلل ذلك بخوف القيمة فقط ولما حكى عنهم الاطعام علل ذلك بامرين بطلب رضى الله تعالى وبالخوف فما الحكمة في ذلك
فالجواب ان النذر هو الذي اوجبه على نفسه لاجل الله فلما كان كذلك لا جرم علله بخوف القيامة فقط واما الاطعام فالله تعالى
هو الذي شرعه فلا جرم ضم اليه خوف القيمة **قوله تعالى** يوما عبوسا قمطريرا القمطرير الشديد واصله كما قال الزجاج مشتق
من اقمطرت الناقة اذا رفعت ذنبها وجمعت قطريها ورمت بانفها قال الزمخشري فاشتقه من القطر وجعل الميم مزيدة
قال اسد بن ناعصة * واصطليت بالحروب في كل يوم * باسل الشر قمطرير الصباح * قال ابو حيان واختلف النحاة في هذا الوزن
والاكثر على انه لا يثبت افعليل فيه وزنا للافعال ويقال اقمطر يقمطر فهو مقمطر قال الشاعر * [illegible]
يكسو منها الحنا ويقمطر * ويوم قمطرير وقماطر بمعنى شديد قال الشاعر * ففروا اذا ما الحرب ثار غبارها * ولج بها
اليوم الشديد القماطر * وقال الزجاج القمطرير الذي يعبس حتى يجتمع ما بين عينيه انتهى فعلى هذا استعماله في اليوم مجاز
وفي بعض كلام الزمخشري انه جعله من القسط فعلى هذا تكون الراء مزيدة وقال القرطبي القمطرير الطويل قال الشاعر

شديدا عبوسا قمطريرا * تقول العرب يوم قمطرير وقماطر وعصيب بمعنى وانشد الفرا * بني عمنا هل تذكرون بلاءنا
عليكم اذا ما كان يوم قماطر * بضم القاف واقمطر اذا اشتد وقال الاخفش القمطرير اشد ما يكون من الايام واطوله في البلا
وانشد * ففروا اذا ما الحرب البيت المتقدم وقال الكسائي يقال اقمطر اليوم وازمهر اقمطرارا وازمهرارا وهو القمطرير
والمزمهرير ويوم مقمطر اذا كان صعبا شديدا قال الهذلي * بنو الحرب ارضعنا لهم مقمطرة * ومن يلق منا ذلك اليوم يهرب
والعبوس ايضا صفة لليوم يوما يعبس فيه الوجوه من هوله وشدته والمعنى نخاف يوما ذا عبوس وقال ابن عباس يعبس الكافر
يومئذ حتى يسيل عرق كالقطران الصبر وقال مجاهد ان العبوس بالشفتين والقمطرير بالجبهة والحاجبين فجعلهما
من صفات الوجه المتغير من شدايد ذلك اليوم **قوله تعالى** فوقاهم الله شر ذلك اليوم اي دفع عنهم باس ذلك اليوم وشدته
وعقابه وقرا ابو جعفر فوقاهم الله بتشديد القاف على المبالغة واعلم انه تعالى لما حكى عنهم انهم اتوا بالطاعات لغرضين لاجل
رضوان الله والخوف من القيامة بين ههنا انه اعطاهم هذين الغرضين وهو انه حفظهم من اهوال القيامة وهو قوله جل ثناؤه
فوقاهم الله شر ذلك اليوم واما طلبهم رضى الله فاعطاهم بسببه نضرة في الوجه اي حسنا حين راوه وسرورا في القلب
قال الضحاك النضرة البياض والنقاء وقال ابن جبير الحسن والبها وقال ابن زيد اثر النعمة **قوله تعالى** وجزاهم بما صبروا
ما مصدرية وجنة مفعول ثان اي جزاهم جنة بصبرهم وقدر مكي مضافا فقال تقديره دخول جنة ولبس حرير والمعنى وجزاهم
بصبرهم على الفقر وقال القرطبي على الصوم وقال عطا على الجوع ثلاثة ايام وهي ايام نذر وقيل بصبرهم على طاعة الله وصبرهم
عن معصية الله ومحارمه وهذا يدل على ان الاية نزلت في جميع الابرار ومن فعل فعلا حسنا وروى ابن عمر رضي الله عنه ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم سئل عن الصبر فقال الصبر اربعة اولها الصبر عند الصدمة الاولى والصبر على اداء الفرايض والصبر
على اجتناب محارم الله تعالى والصبر على المصايب وقوله تعالى جنة وحريرا اي ادخلهم الجنة والبسهم الحرير **قوله تعالى** متكئين
حال من مفعول جزاهم والعامل فيها جزا ولا يعمل فيها صبروا لان الصبر انما كان في الدنيا والاتكا في الاخرة وقرا علي رضي الله عنه
وجازاهم وجوز ابو البقا ان يكون صفة لجنة وهذا لا يجوز عند البصريين لانه كان يلزم بروز الضمير فيقال متكئين فيها هم لجريان
الصفة على غير من هي له وقد منع مكي ان يكون متكئين صفة لجنة لما ذكرنا من عدم بروز الضمير وممن ذهب الى كون متكئين صفة
لجنة الزمخشري فانه قال ويجوز ان يكون متكئين ولا يرون ودانية كلها صفات لجنة وهو مردود بما تقدم ولا يجوز ان يكون
متكئين حالا من فاعل صبروا لان الصبر كان في الدنيا واتكاؤهم انما هو في الاخرة قال معناه مكي ولقائل ان يقول انه لم يكن
المانع الا هذا فاجعلها حالا مقدرة لان مآلهم بسبب صبرهم الى هذه الحال وله نظاير قال ابن الخطيب وقال الاخفش وقد ينتصب
على المدح والضمير في فيها اي في الجنة وقال الفرا وان شئت جعلت متكئين تابعا كانه قال جزاهم جنة متكئين فيها على الارايك
السرر في الحجال وجاءت عن العرب اسما تحتوي على صفات احدها الاريكة لا تكون الا في حجلة على سرير وثانيها السجل هو الدلو
المملوء ماء فاذا صفرت لم يسم سجلا وكذلك الذنوب لا يسمى ذنوبا حتى يملا قاله القرطبي وهذا فيه نظر لانه قد ورد في شعر العرب
يصف البازي قال * يعني المجمج كالذنوب المرسل * يعني الدلو اذا القي في البير وهو لا يلقى في البير الا اذا كان فارغا قال
والكاس لا يسمى كاسا حتى يترع من الخمر قال وكذلك الطبق الذي يهدي فيه الهدية اذا كانت فيه يسمى مهدى فان كان فارغا سمي طبقا
او خوانا قال ابن الاعرابي مهدي بكسر الميم ولا يسمى الطبق مهديا الا وفيه ما يهدى والمهدي بالمد الذي من عادته ان يهدي وقيل
الارايك الفرش على السرر قال ذو الرمة * خدود دحفت في المسير حتى كانها * يباشرن بالمعزاء مس الارايك * اي الفرش على السرر
قوله تعالى لا يرون فيها شمسا فيها اوجه احدها انها حال ثانية من مفعول جزاهم الثاني انها حال من الضمير المرفوع المستكن في
متكئين فتكون حالا متداخلة الثالث ان يكون صفة لجنة كمتكئين عند من يرى ذلك كما تقدم عن الزمخشري والزمهرير اشد البرد
وهذا هو المعروف وقيل هو القمر بلغة طي وانشد * في ليلة ظلامها قد اعتكر * قطعتها والزمهرير ما زهر * ويروى ما ظهر
اي لم يطلع القمر والمعنى لا يرون فيها شمسا كشمس الدنيا ولا قمرا كقمر الدنيا اي انهم في ضياء مستديم لا ليل فيه ولا نهار لان ضوء
النهار بالشمس وضوء الليل بالقمر والمعنى ان الجنة لا يحتاج فيها الى شمس ولا الى قمر وزينة فعليه وقيل المعنى لا يرون في الجنة
شدة حر كحر الشمس ولا زمهريرا اي ولا بردا مفرطا قال صلى الله عليه وسلم اشتكت النار الى ربها سبحانه وتعالى قالت يا رب
اكل بعضي بعضا فجعل لها نفسين نفسا في الشتا ونفسا في الصيف فشدة ما تجدون من البرد من زمهريرها وشدة ما تجدون
من الحر في الصيف من سمومها قال مرة الهمداني الزمهرير البرد وقال ابن مسعود رضي الله عنه هو لون من العذاب وهو البرد الشديد حتى ان
اهل النار اذا القوا فيه سالوا الله ان يعذبهم في النار الف سنة اهون عليهم من عذاب الزمهرير يوما واحدا وقال مقاتل وجبال الزمهرير
من ثلج مثل رؤوس الابر ينزل من السماء في غاية البرد **قوله تعالى** ودانية عليهم ظلالها فيه اوجه احدها انها عطف على
محل لا يرون الثاني انها معطوفة على متكئين فيكون فيها ما فيها قال الزمخشري فان قلت ودانية عليهم ظلالها على ماذا عطف قلت
على الجملة التي قبلها لانها في موضع الحال من المجزيين وهذه حال مثلها عنهم لرجوع الضمير منها اليهم في عليهم الا انها اسم مفرد وتلك جملة

في حكم مفرد تقديره غير رائين فيها شمسا ولا زمهريرا ودانية ودخلت الواو للدلالة على ان الامرين يجتمعان لهم
كانه قيل وجزاهم جنة جامعين فيها بين البعد عن الحر والقمر ودنو الظلال عليهم الثالث انها صفة لمحذوف اي وجنة دانية
قاله ابو البقا كانه قيل وجزاهم بما صبروا جنة وحريرا وجنة اخرى دانية عليهم ظلالها لانهم وعدوا جنتان لانهم خافوا
مقام ربهم بقولهم انا نخاف من ربنا يوما عبوسا قمطريرا الرابع انها صفة لجنة الملفوظ بها قاله الزجاج وقال الفرا
نصب على المدح اي دنت دانية كقوله تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان وقرا ابو حيوة ودانية بالرفع وفيها وجهان
اظهرهما ان يكون ظلالها مبتدا ودانية خبر مقدم والجملة في موضع الحال قال الزمخشري والمعنى لا يرون فيها
شمسا ولا زمهريرا والحال ان ظلالها دانية عليهم والثاني ان ترتفع دانية بالابتدا وظلالها فاعل بدونها استدل
الاخفش على جواز اعمال اسم الفاعل وان لم يعتمد نحو قايم الزيدون فان دانية لم يعتمد على شي مما ذكره النحويون ومع
ذلك فقد رفعت ظلالها وهذا لا حجة له لجواز ان يكون مبتدا وخبرا مقدما كما تقدم وقال ابو البقا وحكي بالجر اي في
جنة دانية وهو ضعيف لانه عطف على الضمير المجرور من غير اعادة الجار يعني انه قري شاذا ودانية بالجر على انها صفة لمحذوف
ويكون حينيذ نسقا على الضمير المجرور من قوله تعالى لا يرون فيها اي ولا في جنة دانية وهو راي الكوفيين حيث يجوزون
العطف على الضمير المجرور من غير اعادة الجار ولذلك ضعفه وتقدم الكلام على ذلك في البقرة واما رفع ظلالها فيجوز ان
يكون مبتدا وعليهم خبر مقدم ولا يرتفع بدانية لان دنى يتعدى بالى لا بعلى ويجوز ان يرتفع بدانية على ان تضمن معنى
لان دنا واشرف متقاربان قال معناه ابو البقا وهذان الوجهان جاريان في قراءة من نصب دانية وقرا الاعمش ودانيا
بالتذكير للفصل بين الوصف ومرفوعه ولان الجمع مذكور وقرا ابي ودان عليهم بالتذكير مرفوعا وهي شاهدة لمذهب
الاخفش حيث يرفع باسم الفاعل وان لم يعتمد ولا جايز ان يعربا مبتدا وخبرا لعدم المطابقة وقال مكي وقري ودانيا ثم قال
ويجوز ودانية بالرفع ويجوز ودان بالرفع والتذكير فلم يصرح بانهما قريا وقد تقدم انهما مقروء بهما فكانه لم يطلع
على ذلك **فصل** قال المفسرون معناه ان ظل الاشجار في الجنة قريبة من الابرار فهي مظلة عليهم زيادة
في نعيمهم قال ابن الخطيب فان قيل الظل انما يوجد حيث توجد الشمس وهناك لا شمس في الجنة فكيف يحصل الظل فالجواب
ان اشجار الجنة تكون بحيث لو كان هناك شمس لكانت الاشجار مظلة منها وان كان لا شمس ولا قمر كما ان امشاطهم الذهب والفضة
وان كان لا وسخ ولا شعث ثم قوله وذللت يجوز ان يكون في موضع نصب على الحال عطفا على دانية فيمن نصبها اي ومذللة ويجوز ان
يكون حالا من الضمير في عليهم سواء نصبت دانية او رفعتها ام جررتها ويجوز ان تكون مستانفة وانما على قراءة رفع ودانية
فتكون جملة فعلية عطفت على اسمية ويجوز ان يكون حالا كما تقدم **فصل** المعنى وسخرت لهم قطوفها اي ثمارها
تذليلا اي تسخيرا فيتناولها القايم والقاعد والمضطجع لا يرد ايديهم عنها قال ابن قتيبة ذللت ادنيت منهم من قولهم حايط
ذليل اذا كان قصير السمك وقيل ذللت اي جعلت منقادة لا تمتنع على قطافها كيف شاوا قال البرا بن عازب رضي الله عنه ذللت
لهم فهم يتناولون منها كيف شاوا فمن اكل قايما لم يوذه ومن اكل جالسا لم يوذه ومن اكل مضطجعا لم يوذه وقال ابن عباس
اذا هموا ان يتناولوا من ثمارها تدلت اليه حتى يتناول منها ما يريد وتذليل القطوف تسهيل التناول والقطوف الثمار الواحد
قطف بكسر القاف سمي به لانه يقطف كما سمي الجنى لانه يجنى **قوله تعالى** تذليلا تاكيد لما وصف به من الذل كقوله تعالى ونزلناه
تنزيلا وكلم الله موسى تكليما قال الماوردي ويحتمل ان يكون تذليل قطوفها ان تبرز لهم من اكمامها وتخلص لهم من نواها
وقال النحاس قيل المذلل الذي قد ذلله الما اي ارواه وقيل المذلل الذي يفيئه ادنى ريح لنعمته وقيل المسوى لان
اهل الحجاز يقولون ذلل نخلك اي سوه **قوله تعالى** ويطاف عليهم بانية من فضة واكواب لما وصف طعامهم ولباسهم
ومسكنهم وصف شرابهم وقدم وصف الاواني التي يشرب بها ومعنى يطاف اي يدور على هولاء الابرار الخدام اذا ارادوا الشراب
بانية من فضة قال ابن عباس ليس في الدنيا شي مما في الجنة الا الاسما والذي في الجنة اشرف واعلا ثم لم ينف الاكواب الذهبية
بل المعنى يسقون في الاواني الفضة وقد يسقون في اواني الذهب كما قال تعالى سرابيل تقيكم الحر اي والبرد فنبه بذكر
احدهما على الاخرى **قوله تعالى** بانية هذا هو القايم مقام الفاعل لانه هو المفعول به في المعنى ويجوز ان يكون عليهم
وانية جمع انا والاصل انية بهمزتين الاولى مزيدة للجمع والثانية فا الكلمة فقلبت الثانية الفا وجوبا وهذا نظير
كسا واكسية وغطا واغطية ونظيره في الصحيح اللام حمار واحمرة وقوله تعالى من فضة نعت لانية **قوله تعالى**
واكواب الاكواب هي الكيزان العظام التي لا اذان لها ولا عرى واحدها كوب قال عدي • متكي يقرع ابوابه •
يسعى عليه العبد بالكوب • وقد مضى في الزخرف **قوله تعالى** كانت قواريرا اختلف القرا في هذين الحرفين بالنسبة
الى التنوين وعدمه وفي الوقوف بالالف وعدمها كما تقدم خلافهم في سلاسلا واعلم ان القرا فيهما على خمس مراتب احدها
تنوينهما معا والوقف عليهما بالالف لحمزة وحده الثالثة عدم تنوينهما والوقف عليهما بالالف وعلى الثاني بدونها لهشام

وحده الرابعة تنوين الاول دون الثاني والوقف على الاول بالالف وعلى الثاني بدونها لابن كثير وحده الخامسة
عدم تنوينهما والوقف على الاول بالالف وعلى الثاني بدونها لابي عمرو وابن ذكوان وحفص فاما من نونهما فلانه
في تنوين سلاسل لانهما صيغة منتهى الجموع ذاك على مفاعل وذا على مفاعيل والوقف بالالف التي هي بدل من التنوين
وفيه موافقة للمصاحف المذكورة فانهما مرسومان فيها بالالف على ما نقل ابو عبيد واما عدم تنوينهما وعدم الوقف
بالالف فظاهر جدا واما من نون الاول دون الثاني فانه ناسب بين الاول وبين روس الاي ولم يناسب بين الثاني وبين
الاول والوجه في وقفه على الاول بالالف وعلى الثاني بغير الف ظاهر وقد روي ابو عبيد انه كذلك في مصاحف اهل البصرة
واما من لم ينونهما ووقف على الاول بالف وعلى الثاني بدونها فلان الاول راس اية فناسب بينه وبين روس الاي في
الوقف بالالف وفرق بينه وبين الثاني لانه ليس براس اية واما من لم ينونهما ووقف عليهما بالالف فلانه ناسب بين
الاول وبين روس الاي وناسب بين الثاني وبين الاول وحصل مما تقدم في سلاسل وفي هذين الحرفين ان القرا منهم
من وافق مصحفه ومنهم من خالفه لاتباع الاثر وتقدم الكلام على قوارير في سورة النمل ولله الحمد وقال الزمخشري وهذا
التنوين بدل من حرف الاطلاق لانه فاصلة وفي الثاني لاتباعه الاول يعني انهم ياتون بالتنوين بدلا من حرف الاطلاق الاول لانه
فاصلة وفي الثاني لاتباعه الاول يعني انهم ياتون بالتنوين بدلا من حرف الاطلاق الذي للترنم كقوله • يا صاح ما هاج
الدموع الذرف • وفي انتصاب قوارير وجهان اظهرهما انه خبر كان والثاني انه حال وكان تامة اي كونت فكانت قال
ابو البقا وحسن التكرير لما اتصل به من بيان اصلها ولولا التكرير لم يحسن ان يكون الاول راس اية لشدة اتصال الصفة
بالموصوف وقرا الاعمش قوارير بالرفع على اضمار مبتدا اي هي قوارير ومن فضة صفة لقوارير والمعنى في صفاء القوارير
وبياض الفضة فصفاوها صفاء الزجاج وهي من فضة **فصل** روي ان ارض الجنة من فضة والاواني تتخذ من
تربة الارض التي هي منها ذكره ابن عباس رضي الله عنه وقال ليس في الجنة شي الا وقد اعطيتم في الدنيا شبهه الا قوارير من فضة
قال ابن الخطيب ومعنى كانت هو من تكون في قوله فتكون اي فتكونت قوارير بتكوين الله تعالى تفخيما لتلك الخلقة العجيبة الشان
الجامعة بين صفتي الجوهرين المتباينين ثم قال فان قيل كيف تكون هذه الاكواب من فضة ومن قوارير فالجواب من وجوه
احدها ان اصل القوارير في الدنيا الرمل واصل قوارير الجنة هو فضة الجنة فكما ان الله تعالى قادر على ان يقلب الرمل الكثيف
زجاجة صافية فكذلك قادر على ان يقلب فضة الجنة قارورة لطيفة فالغرض من ذكر هذه الاية التنبيه على ان نسبة قارورة الجنة
الى قارورة الدنيا كنسبة الفضة الى الرمل فكما انه لا نسبة بين هذين الاصلين فكذا بين القارورتين وثانيها ما تقدم
من قول ابن عباس رضي الله عنه انه ليس في الدنيا شي مما في الجنة الا الاسما اي انها جامعة بين صفاء الزجاج وشفافه وبين نقاء
الفضة وبياضها وشرفها وثالثها انه ليس المراد بالقوارير الزجاج بل العرب تسمي ما استدار من الاواني التي تجعل فيها الاشربة
ورق وصفا قارورة فالمعنى واكواب من فضة مستديرة صافية **قوله تعالى** قدروها تقديرا صفة لقوارير والواو في قدروها
فيه وجهان احدهما انها عائد على اهل الجنة والمعنى قدروها في انفسهم ان تكون على مقادير واشكال على
حسب شهواتهم فجاءت كما قدروا والثاني ان الواو للطايفين للدلالة عليهم من قوله تعالى ويطاف والمعنى انهم قدروا شرابها
على قدر ري الشارب وهو الذ الشراب لكونه على مقدار حاجته لا يفضل عنها ولا يعجز قاله الزمخشري وجوز ابو البقا ان تكون
الجملة مستانفة قال ابن عباس ومجاهد وغيرهما اتوا بها على قدر ريهم بغير زيادة ولا نقصان قال الكلبي وذلك الذ واشهى
والمعنى قدرتها الملايكة التي تطوف عليهم وعن ابن عباس رضي الله عنه قدروها على ملء الكف لا يزيد ولا ينقص حتى لا يوذيهم
بثقل او بافراط صغر وقرا علي وابن عباس والسلمي والشعبي وزيد بن علي وعبيد بن عمير وابو عمرو في رواية الاصمعي قدروها
بضم القاف وكسر الدال مبنيا للمفعول اي جعلت لهم على قدر اراداتهم وجعله الفارسي من باب المقلوب قال كان اللفظ قدروا
عليها وفي المعنى قلب لان حقيقة المعنى ان يقال قدرت عليهم فهي مثل قوله تعالى لتنوء بالعصبة اولي القوة ومثل قول
العرب اذا طلعت الجوزا القى العود على الحربا قال الزمخشري ووجهه ان يكون من قدر منقولا تقول قدرت الشي وقدرنيه فلان
اذا جعلك قادرا له ومعناه جعلوا قادرين لها كما شاوا واطلق لهم ان يقدروا على حسب ما اشتهوا وقال ابو حاتم قدرت الاواني
على قدر ريهم ما لم يسم فاعله فحذف الري فصارت الواو مكان الهاء والميم لما حذف المضاف ومما قبلها وصارت الواو مفعول
ما لم يسم فاعله واتصل ضمير المفعول الثاني في تقدير النصب بالفعل بعد الواو التي تحولت من الها والميم حتى اقيمت مقام الفاعل
وفي هذا التخريج تكلف مع عجرفة اللفظة وقال ابو حيان والاقرب في تخريج هذه القراءة الشاذة قدر ريهم منها تقديرا فحذف
المضاف وهو الري واقيم الضمير مقامه فصار قدروها فلم يكن فيه الا حذف مضاف واتساع في الفعل قال شهاب الدين
وهذا منتزع من تفسير كلام ابي حاتم وقال القرطبي وقال المهدوي ومن قراها قدروها فهو راجع الى معنى القراءة الاخرى
وكان الاصل قدروا عليها فحذف حرف الجر والمعنى قدرت عليهم وانشد سيبويه البيت • حب العراق الدهر كله • والحب

بالله في القرية السوس وذهب الى ان المعنى على حب العراق وقيل هذا التقدير هو ان الاقداح تطير فتغرف بمقدار شهوة الشارب وذلك قوله تعالى قدروها تقديرا اي لا تفضل عن الري ولا تنقص منه فقد الهمت الاقداح معرفة مقدار ري المشتهي حتى تغترف مقدار ذلك ذكر ذلك الحكيم الترمذي في نوادر الاصول **قوله تعالى** ويسقون فيها كاسا وهي الخمر في الاناء كان مزاجها زنجبيلا كان صلة مزاجها زنجبيل او كان في حكم الله زنجبيلا وكانت العرب تستلذ والشراب ما يمزج من الزنجبيل لطيب رائحته لانه يحذو اللسان ويهضم الماكول ويحدث في المشروب حرافة من اللذع فرغبوا في نعيم الاخرة بما اعتقدوه نهاية النعمة والطيب والزنجبيل نبت معروف وسميت الكاس بذلك لوجود طعم الزنجبيل فيها وانشد الزمخشري للاعشى • كان القرنفل والزنجبيل • باتا بفيها واريا مشورا • وانشد المسيب بن علس يصف ثغر المراة • وكان طعم الزنجبيل به • اذ ذقته وسلافة الخمر • ويروى وسلافة الكرم • وقال مجاهد الزنجبيل اسم للعين التي منها مزاج شراب الابرار وكذا قال قتادة وقيل عين في الجنة يوجد منها طعم الزنجبيل والمعنى كان فيها ويكون قد عطفت رايت الثاني على الاول ويكون فعل الجواب محذوفا ويكون فعل الجواب المحذوف هو الناصب لقوله تعالى نعيما والتقدير واذا صدرت منك روية ثم صدرت منك رؤية اخرى رايت نعيما وملكا كبيرا اولئك هذا هو الجواب **فصل** هذا الخطاب قيل للنبي صلى الله عليه وسلم وقيل عام والنعيم ما يتنعم به والملك الكبير قال سفيان الثوري بلغنا ان الملك الكبير تسليم الملائكة عليهم وقيل كون التيجان على رؤسهم كما يكون على رؤس الملوك وقال السدي ومقاتل هو استيذان الملائكة عليهم وقال الحكيم الترمذي هو ملك التكوين اذا ارادوا شيئا قالوا له كن وفي الخبر ان الملك الكبير هو ان ادناهم منزلة ينظر في ملكه مسيرة الفي عام يرى اقصاه كما يرى ادناه وان افضلهم منزلة من ينظر في وجه ربه تبارك وتعالى كل يوم مرتين **قوله تعالى** عاليهم قرا نافع وحمزة بسكون الياء وكسر الهاء والباقون بفتح الياء وضم الهاء لما سكنت الياء كسر الهاء ولما تحركت ضمت على ما تقرر في اول الكتاب فاما قراءة نافع وحمزة ففيها اوجه اظهرها ان يكون خبرا مقدما وثياب مبتدا موخر والثاني ان عاليهم مبتدا وثياب مرفوع على جهة الفاعلية وان لم يعتمد الوصف وهذا قول الاخفش والثالث ان عاليهم منصوب وانما سكن تخفيفا قاله ابو البقا واذا كان منصوبا ففيه اوجه وهي واردة هنا الا ان تقدير الفتحة من المنقوص لا يجوز الا في ضرورة او شذوذ وهذه القراءة متواترة فلا ينبغي ان يقال به فيها واما قراءة من نصب ففيها اوجه احدها انه ظرف خبر مقدما وثياب مبتدا موخر كانه قيل فوقهم ثياب قال ابو البقا لان عاليهم بمعنى فوقهم وقال ابن عطية ويجوز في النصب ان يكون على الظرف لانه بمعنى فوقهم قال ابو حيان وعال وعالية اسم فاعل فيحتاج في كونهما ظرفين الى ان يكون منقولا من كلام العرب عاليك او عاليتك ثوب قال شهاب الدين قد وردت الفاظ من صيغة اسماء الفاعلين ظروفا نحو خارج الدار وداخلها وباطنها وظاهرها تقول جلست خارج الدار وكذلك البواقي فكذلك هذا الثاني انه حال من الضمير في عليهم الثالث انه حال من مفعول حسبتهم الرابع انه حال من مضاف مقدر اي رايت اهل نعيم وملك كبير عاليهم فعاليهم حال من اهل المقدر ذكر هذه الاوجه الثلاثة الزمخشري فانه قال وعاليهم بالنصب على انه حال من الضمير في يطوف عليهم ولدان عاليا للمطوف عليهم ثياب او حسبتهم لؤلؤا عاليا لهم ثياب ويجوز ان يراد اهل نعيم وملك كبير قال ابو حيان اما ان يكون حالا من الضمير في حسبتهم فانه لا يعني الا ضمير المفعول وهو لا يعود الا على ولدان وهذا لا يصلح لان الضماير الاتية بعد ذلك تدل على انها للمطوف عليهم من قوله وحلوا وسقاهم وان هذا كان لكم جزاء وفك الضماير وجعل هذا لذا وهذا لذا مع عدم الاحتياج الى ذلك لا يجوز واما جعله حالا من محذوف وتقديره اهل نعيم فلا حاجة الى ادعا الحذف مع صحة الكلام وبراعته دون تقدير ذلك المحذوف قال شهاب الدين جعل احد الضماير لشي والاخر لشي اخر لا يمنع صحة ذلك مع ما يميز عود كل واحد الى ما يليق به وكذلك تقدير المحذوف غير ممنوع ايضا وان كان الاحسن ان تتفق الضماير وان لا يقدر محذوف والزمخشري انما ذكر ذلك على سبيل التجويز لا على انه اولى او مساو وفيه علي ما ذكر الخامس انه حال من مفعول لقاهم السادس انه حال من مفعول جزاهم ذكرهما مكي وعلى هذه الاوجه التي انتصب فيها على الحال يرتفع به ثياب على الفاعلية ولا تضر اضافته الى معرفة في وقوعه حالا لان الاضافة لفظية كقوله تعالى عارض ممطرنا يارب غابطنا ولم يونث عاليا لان مرفوعه غير حقيقي التانيث السابع ان ينتصب عاليهم على الظرف ويرتفع ثياب به على جهة الفاعلية وهذا ماتي على قول الاخفش والكوفيين حيث يعملون الظرف وعديله وان لم يعتمد كما تقدم ذلك في الوصف واذا رفعت عاليهم بالابتدا وثياب على انه فاعل به كان مفردا على بابه لوقوعه موقع الفعل واذا جعل خبرا مقدما كان مفردا مرادا به الجمع فيكون كقوله تعالى فقطع دابر القوم اي ادبار قاله مكي وقرا ابن مسعود وزيد ابن علي عاليتهم مونثا بالتاء مرفوعا والاعمش وابان عن عاصم كذلك الا انه منصوب وقد عرف الرفع والنصب مما تقدم وقرات عائشة رضي الله عنها عليهم فعلا ماضيا متصلا بتاء التانيث الساكنة وثياب فاعل به وهو مقو للاوجه المذكورة في رفع ثياب بالصفة في قراءة الباقين كما تقدم تفصيله وقرا ابن سيرين ومجاهد وابو حيوة وابن ابي عبلة وخلائق جار ومجرور واعرابه

كاعراب عاليهم ظرفا في جواز كونه خبرا مقدما او حالا كما تقدم وارتفاع ثياب به على التفصيل المذكور **فصل** قال ابن الخطيب والضمير في عاليهم اما للولدان او للابرار فكانهم يلبسون عدة من الثياب فيكون الذي يعلوها افضلها ولهذا قال تعالى عاليهم اي فوق حجالهم المضروبة عليهم ثياب سندس والمعنى ان حجالهم من الحرير والديباج **قوله تعالى** ثياب سندس قرا العامة باضافة الثياب لما بعدها وابو حيوة وابن ابي عبلة ثياب بالتنوين سندس خضر واستبرق برفع الجميع فسندس نعت للثياب لان السندس نوع وخضر نعت لسندس لان السندس يكون اخضر وغير اخضر كما ان الثياب تكون سندسا وغيره واستبرق نسقا على ما قبله اي وثياب استبرق واعلم ان القراء السبعة في خضر واستبرق على اربع مراتب الاولى رفعهما لنافع وحفص فقط الثانية خفضهما للاخوين فقط الثالثة رفع الاول وخفض الثاني لابي عمرو وابن عامر فقط الرابعة عكسه لابن كثير وابي بكر فقط واما القراءة الاولى فان رفع خضر على النعت لثياب ورفع استبرق نسق على الثياب ولكن على حذف مضاف اي وثياب استبرق ومثله على زيد ثوب خز وكتان اي وثوب كتان واما القراءة الثانية فيكون جر خضر على النعت لسندس ثم استشكل على هذا وصف المفرد بالجمع فقال مكي هو اسم جمع وقيل هو جمع سندسة كتمرة وتمر ووصف اسم الجنس بالجمع يصح قال تعالى وينشئ السحاب الثقال وانجاز نخل منقعر ومن الشجر الاخضر واذا كانوا قد وصفوا الجمع الذي بينه وبين واحده التاء بالواحد في قوله نخل منقعر فان يوصف الجمع الذي بينه وبين واحده التاء بالجمع اولى ... وصفوا الحمل لكونه مرادا به الجنس بالجمع في قولهم اهلك الناس الدينار الحمر والدرهم البيض وفي التنزيل او الطفل الذين فلا يوجد ذلك في اسماء الجموع او اسماء الاجناس الفارق بينها وبين واحدها تاء التانيث سطر بن الاولى وجر استبرق نسقا على سندس لان المعنى ثياب من سندس وثياب من استبرق واما القراءة الثالثة فرفع خضر نعتا للثياب وجر استبرق نسقا على سندس اي ثياب خضر من سندس ومن استبرق فعلى هذا يكون الاستبرق ايضا اخضر واما القراءة الرابعة فجر خضر على انه نعت لسندس ورفع استبرق على النسق على ثياب بحذف مضاف اي وثياب استبرق وتقدم الكلام على مادة السندس والاستبرق في سورة الكهف وقرا ابن محيصن واستبرق بفتح القاف ثم اضطرب النقل عنه في الهمزة فبعضهم ينقل عنه انه قطعها وبعضهم ينقل انه وصلها فقال الزمخشري وقرى واستبرق نصبا في موضع الجر على منع الصرف لانه اعجمي وهو غلط لانه نكرة يدخله حرف التعريف تقول الاستبرق الا ان يزعم ابن محيصن انه يجعل علما لهذا الضرب من الثياب وقرى واستبرق بوصل الهمزة والفتح على انه سمي باستفعل من البريق وليس بصحيح ايضا لانه معرب مشهور تعريبه وان اصله استبره وقال ابو حيان ودل قوله الا ان يزعم ابن محيصن وقوله بعد وقرى واستبرق بوصل الالف والفتح ان قراءة ابن محيصن هي بقطع الهمزة مع فتح القاف والمنقول عنه في كتب القراءات انه قرا بوصل الالف وفتح القاف قال شهاب الدين وقد سبق الزمخشري الى هذا مكي فانه قال وقد قرا ابن محيصن بغير صرف وهو وهم ان جعله اسما لانه نكرة منصرف وقيل بل جعله فعلا ماضيا من برق فهو جائز في اللفظ بعيد في المعنى وقيل انه في الاصل فعل ماض على استفعل من برق فهو عربي من البريق فلما سمي به قطعت الفه لانه ليس من اصل الاسماء ان يدخلها الف الوصل وانما دخلت في اسماء معتلة مغيرة عن اصلها معدودة لا يقاس عليها انتهى فدل قوله قطعت الفه الى الهمزة انه قرا بقطع الهمزة وفتح القاف ودل قوله اولا وقيل بل جعله فعلا ماضيا من برق انه قرا بوصل الالف لانه لا يتصور ان يحكم عليه بالفعلية غير منقول الى الاسماء وبقطع الهمزة الا في قطع البتة هذا جهل باللغة فيكون قد روي عنه قراءتا قطع الالف ووصلها فظهر ان الزمخشري لم ينفرد بالنقل عن ابن محيصن بقطع الهمزة وقال ابو حاتم في قراءة ابن محيصن لا يجوز والصواب انه اسم جنس لا ينبغي ان يحمل ضميرا ويؤيد ذلك دخول المعرفة عليه والصواب قطع الالف واجراؤه على قراءة الجماعة قال ابو حيان ونقول ان ابن محيصن قارئ جليل مشهور بمعرفة العربية وقد اخذ عن اكابر العلماء فيتطلب لقراءته وجه وذلك انه يجعل استفعل من البريق تقول برق واستبرق كعجب واستعجب ولما كان قوله خضر يدل على الخضرة وهي لون ذلك السندس وكانت الخضرة مما يكون فيها لشدتها دهمة وغبش اخبر ان في ذلك بريقا وحسنا يزيل غبشيته فاستبرق فعل ماض والضمير فيه عائد على السندس او على الاخضر الدال عليه خضر وهذا التخريج اولى من تلحين من يعرف العربية وتوهيم ضابط ثقة وهذا هو الذي ذكره مكي وهذه القراءة قد تقدمت في سورة الكهف **قوله تعالى** وحلوا اساور من فضة عطف على ويطوف عطف ماضيا لفظا مستقبلا معنى وابرزه بلفظ الماضي لتحققه وقال الزمخشري بعد سوال وجواب من حيث المعنى وما احسن بالمعصم ان يكون فيه سواران سوار من ذهب وسوار من فضة فناقشه ابو حيان في قوله بالمعصم فقال قوله بالمعصم اما ان يكون مفعول احسن وان يكون بدلا منه واما ان يكون مفعول احسن وقد فصل بينهما بالجار والمجرور فان كان الاول فلا يجوز لانه لم يعهد زيادة الباء في مفعول افعل التعجب لا تقول ما احسن بزيد تريد ما احسن زيدا وان كان الثاني ففي هذا الفصل خلاف والمنقول عن بعضهم لا يجوز والمولد هنا ينبغي اذا تكلم ان يتحرز في كلامه مما فيه خلاف قال شهاب الدين واي غرض له في تتبع كلام هذا الرجل حتى في الشيء اليسير على ان الصحيح جوازه وهو المسموع من العرب نثرا قال عمرو بن معديكرب حيث قال • هذه بني غالب ما اشد في الهيجا لقاها • واثبت في المكرمات بقاها • واحسن في الكربات عطاها • والشاغل بغير هذا

اولي **فصل** قال هنا اساور من فضة وفي سورة فاطر يحلون فيها من اساور من ذهب وفي سورة الحج يحلون فيها من اساور من ذهب ولولؤ فقيل حلي الرجال الفضة وقيل يجمع في يدي احدهم سواران من ذهب وسواران من فضة وسواران من لولؤ ليجمع لهم محاسن الجنة قاله سعيد بن المسيب رضي الله عنه وقيل يعطى كل احد ما رغب فيه وتميل نفسه اليه وقيل اسورة الفضة انما تكون للولدان واسورة الذهب للنساء وقيل للنساء والصبيان وقيل هذا بحسب الاوقات **قوله تعالى** وسقاهم ربهم شرابا طهورا قال علي رضي الله عنه في قوله تعالى وسقاهم ربهم شرابا طهورا قال اذا توجه اهل الجنة الى الجنة مروا بشجرة تخرج من تحت ساقها عينان فيشربون من احديهما فيجري عليهم بنضرة النعيم فلا تتغير ابشارهم ولا تشعث شعورهم ابدا ثم يشربون من الاخرى فيخرج ما في بطونهم من الاذى ثم تستقبلهم خزنة الجنة فيقولون لهم سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين وقال النخعي وابو قلابة هو اذا شربوه بعد اكلهم طهرهم وصار ما اكلوه وشربوه رشح مسك وضمرت بطونهم وقال مقاتل هو من عين ماء على باب الجنة تنبع من ساق شجرة من شرب منها نزع الله ما كان في قلبه من غش وغل وحسد وما كان في جوفه من اذى وعلى هذا فيكون فعولا للمبالغة ولا تكون فيه حجة للحنفي انه بمعنى الطاهر قال القرطبي قال ابن الخطيب قوله تعالى طهورا فيه قولان الاول المبالغة في كونه طاهرا ثم على هذا التفسير احتمالان احدهما ان لا يكون نجسا كخمر الدنيا وثانيهما المبالغة في البعد عن الامور المستقذرة يعني ما مسته الايدي الوضرة والارجل الدنسة وثالثها انه لا يؤول الى النجاسة لانها ترشح عرقا من ابدانهم له ريح كريح المسك وعلى هذين الوجهين يكون الطهور مطهرا لانه يطهر باطنهم من الاخلاق الذميمة والاشياء المؤذية فان قيل قوله تعالى وسقاهم ربهم شرابا طهورا هو نوع مما ذكر قبل ذلك من انهم يشربون من عين الكافور والزنجبيل والسلسبيل او هذا نوع اخر قلنا بل هذا نوع اخر لوجوه احدها التكرار والثاني انه تعالى اضاف هذا الشراب الى نفسه تبارك وتعالى بقوله وسقاهم ربهم شرابا طهورا وذلك يدل على فضل هذا على غيره والثالث ما روي من انه يقدم اليهم الاطعمة والاشربة فاذا فرغوا منها اتوا بالشراب الطهور فيشربون فيطهر ذلك بطونهم ويفيض عرقا من جلودهم مثل ريح المسك وهذا يدل على ان الشراب مغاير لتلك الاشربة ولان هذا الشراب يهضم سائر الاشربة ثم له مع هذا الهضم تاثير عجيب وهو ان يجعل سائر الاطعمة والاشربة عرقا يفوح منه ريح كريح المسك وكل ذلك يدل على المغايرة **قوله تعالى** ان هذا كان لكم جزاء اي يقال لهم ان هذا جزاء وكم اي ثواب اعمالكم فيزداد بذلك القول فرحهم وسرورهم كما ان المعاقب يزداد غمه اذا قيل له هذا جزاء عملك الردي وكان سعيكم اي عملكم مشكورا اي من قبل الله وشكره للعبد قبول طاعته وثناؤه عليه واثابته وقال قتادة غفر لهم الذنب وشكر لهم الحسن وقيل هذا اخبار من الله تعالى لعباده في الدنيا كانه تعالى شرح لهم ثواب اهل الجنة اي ان هذا كان في علمي وحكمي جزاء لكم يا معاشر عبيدي لكم خلقتها ولاجلكم اعددتها

فصل قال ابن الخطيب وفي الاية سؤالان الاول اذا كان فعل العبد خلقا لله تعالى فكيف يعقل ان يكون فعل الله جزاء على فعل الله والجواب ان الجزاء هو الثواب وذلك لا ينافي كونه فعلا لله السؤال الثاني كون سعي العبد مشكورا يقتضي كون الله شاكرا له والجواب كون الله تعالى شاكرا للعبد محال الا على وجه المجاز وهو من ثلاثة اوجه الاول قال القاضي ان الثواب مقابل للعمل كما ان الشكر مقابل للنعم الثاني قال القفال انه مشهور في كلام الناس ان يقولوا للراضي بالقليل والمثني به انه شكور فيحتمل ان يكون شكر الله للعباد وهو رضاه عنهم بالقليل من الطاعات واعطاه اياهم عليها ثوابا كثيرا الثالث ان منتهى درجة العبد ان يكون راضيا من ربه مرضيا لربه كما قال تعالى يا ايتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية وكونها راضية من ربه اقل درجة من كونها مرضية لربه فقوله تعالى ان هذا كان لكم جزاء اشارة الى الامر الذي تصير به النفس راضية من ربه وقوله وكان سعيكم مشكورا اشارة الى كونها مرضية لربه ولما كانت هذه الحالة اعلى المقامات واخر الدرجات لا جرم وقع الختم عليها في ذكر مراتب احوال الابرار والصديقين **قوله تعالى** انا نحن نزلنا يجوز ان يكون نحن توكيدا لاسم ان وان يكون فصلا ونزلنا على هذين الوجهين هو خبر ان ويجوز ان يكون نحن مبتدأ ونزلنا خبره والجملة خبر ان وقال مكي نحن في موضع نصب على الصفة لاسم ان لان المضمر يوصف بالمضمر اذ هو بمعنى التاكيد لا بمعنى التحلية ولا يوصف المظهر لانه بمعنى التحلية والمضمر مستغن عن التحلية لانه لم يضمر الا بعد ان عرف بحليته وعينه وهو محتاج الى التاكيد لتاكد الخبر عنده قال شهاب الدين وهذه عبارة غريبة جدا كيف يجعل المضمر موصوفا بمثله ولا نعلم خلافا في عدم جواز وصف المضمر الا ما نقل عن الكسائي انه جوز وصف ضمير الغائب بضمير اخر ولا خلاف في عدم جوازه ثم كلامه يؤول الى التاكيد فلا حاجة الى العدول عنه **فصل** وجه اتصال هذه الاية بما قبلها انه تعالى لما ذكر اصناف الوعد والوعيد بين ان هذا الكتاب يتضمن ما بالناس حاجة اليه فليس بسحر ولا كهانة ولا شعر وانه حق قال ابن عباس رضي الله عنه انزل القرآن متفرقا اية بعد اية ولم ينزل جملة واحدة فلذلك قال نزلنا قال ابن الخطيب المقصود من هذه الاية تثبيت الرسول وشرح صدره

فيما نسبوه اليه من كهانة وسحر فذكر تعالى ان ذلك وحي من الله تعالى ولا جرم بالغ في تكرار الضمير بعد ايقاعه اسما لان تاكيدا على تاكيد فكانه تعالى يقول ان كان هؤلاء الكفار يقولون ان ذلك كهانة فانا الله الملك الحق اقول على سبيل التاكيد ان ذلك وحي حق وتنزيل صدق من عندي وفي ذلك فائدتان احديهما ازالة الوحشة الحاصلة بسبب طعن الكفار لان الله تعالى عظمه وصدقه والثانية تقويته على تحمل مشاق التكليف فكانه تعالى يقول له اني ما نزلت عليك القرآن متفرقا الا لحكمة بالغة تقتضي تخصيص كل شيء بوقت معين وقد اقتضت تلك الحكمة تاخير الاذن في القتال فاصبر لحكم ربك اي لقضاء ربك قال ابن عباس رضي الله عنه اصبر على اذى المشركين ثم نسخ باية القتال وقيل اصبر لما حكم به عليك من الطاعات او انتظر حكم الله اذ وعدك بالنصر عليهم ولا تستعجل فانه كائن لا محالة ولا تطع منهم اثما اي ذا اثم وكفورا اي لا تطع الكفار روى معمر عن قتادة قال قال ابو جهل ان رايت محمدا صلى الله عليه وسلم لاطان على عنقه فانزل الله تعالى ولا تطع منهم اثما او كفورا وقيل نزلت في عتبة بن ربيعة والوليد بن المغيرة وكانا اتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرضان عليه الاموال والتزويج على ان يترك ذكر النبوة ففيهما نزلت عرض عليه عتبة ابنته وكانت من اجمل النساء وعرض عليه الوليد ان يعطيه من الاموال حتى يرضى ويترك ما هو عليه فقرا عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر ايات من اول حم السجدة الى قوله فان اعرضوا فقل انذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود فانصرفا عنه وقال احدهما ظننت ان الكعبة ستقع علي **قوله تعالى** او كفورا في او هذه اوجه احدها انها على بابها وهو قول سيبويه قال ابو البقاء وتفيد في النهي عن الجميع لانك اذا قلت في الاباحة جالس الحسن او ابن سيرين كان التقدير جالس احدهما فاذا نهى فقال لا تكلم زيدا او عمرا فالتقدير لا تكلم احدهما فايهما كلمه كان احدهما فيكون ممنوعا منه فكذلك في الاية ويؤول المعنى الى تقدير ولا تطع منهما اثما او كفورا وقال الزمخشري رحمه الله فان قلت معنى او ولا تطع احدهما فهلا جيء بالواو ليكون نهيا عن طاعتهما جميعا قلت لو قال ولا تطعهما لجاز ان يطيع احدهما واذا قيل لا تطع احدهما علم ان الناهي عن طاعة احدهما هو عن طاعتهما جميعا انهى كما اذا نهى ان تقول لابويه اف علم انه منهي عن ضربهما على طريق الاولى الثاني انها بمعنى لا اي لا تطع من اثم ولا من كفر قاله مكي وهو قول الفراء وهو بمعنى الاباحة التي ذكرنا الثالث انها بمعنى الواو وقد تقدم ان ذلك قول الكوفيين والكفور وان كان يستلزم الاثم الا انه عطف لاحد امرين اما ان يكونا شخصين بعينهما كما تقدم فالاثم عتبة والكفور الوليد واما ما قال الزمخشري فان قلت كانوا كلهم كفرة فما معنى القسمة في قوله اثما او كفورا قلت معناه لا تطع منهم راكبا لما هو اثم داعيا لك اليه او فاعلا لما هو كفر داعيا لك اليه لانهم اما يدعوه الى مساعدتهم على فعل هو اثم او كفر او غير اثم ولا كفر فنهي ان يساعدهم على الاثنين دون الثالث

فصل قال ابن الخطيب قوله فاصبر لحكم ربك يدخل فيه ان لا تطع فيه اثما وكفورا فكان ذكره بعده تكرارا والجواب ان الاول امر بالمامورات والثاني نهي عن المنهيات ودلالة احدهما على الاخر بالالتزام لا بالتصريح فيكون التصريح منه مفيدا فان قيل انه صلى الله عليه وسلم ما كان يطيع احدا منهم فما فائدة هذا النهي فالجواب ان المقصود بيان ان الناس محتاجون الى مواصلة التنبيه والارشاد لاجل ما تركب فيهم من الشهوة الداعية الى الفساد وان احدا لو استغنى عن توفيق الله تعالى وارشاده لكان احق الناس به هو الرسول المعصوم عليه الصلاة والسلام ومتى ظهر ذلك عرف كل مسلم انه لا بد له من الرغبة الى الله تعالى والتضرع اليه ان يصونه عن الشهوات والشبهات فان قيل لما الفرق بين الاثم والكفور فالجواب ان الاثم هو الاتي بالمعاصي اي معصية كانت والكفور هو الجاحد للنعمة فكل كفور اثم وليس كل اثم كفورا لان الاثم عام في المعاصي كلها قال الله تعالى ومن يشرك بالله فقد افترى اثما عظيما فسمى الشرك اثما وقال تعالى ولا تكتموا الشهادة ومن يكتمها فانه اثم قلبه وقال تعالى وذروا ظاهر الاثم وباطنه وقال تعالى يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير فدلت هذه الايات على ان الاثم جميع المعاصي **قوله تعالى** واذكر اسم ربك بكرة واصيلا اي صل لربك اول النهار واخره ففي اوله صلاة الصبح وفي اخره صلاة الظهر والعصر وهو الاصيل ومن الليل فاسجد له يعني صلاة المغرب والعشاء الاخرة وسبحه ليلا طويلا يعني التطوع في الليل قاله ابن حبيب وقال ابن عباس وسفيان كل تسبيح في القران فهو صلاة وقيل هو الذكر المطلق سواء كان في الصلاة او في غيرها وقال ابن زيد وغيره ان قوله تعالى وسبحه ليلا طويلا منسوخ بالصلوات الخمس وقيل هو ندب وقيل هو مخصوص بالنبي عليه الصلاة والسلام وجمع الاصيل الاصائل والاصل كقولك سفائن وسفن والاصائل جمع الجمع ودخلت من على الظرف للتبعيض كما دخلت على المفعول في قوله تعالى يغفر لكم من ذنوبكم **قوله تعالى** وسبحه فيه دليل على عدم قول بعض اهل المعاني والبيان ان الجمع بين الحاء والهاء مما يخرج الكلمة عن فصاحتها وجعلوا من ذلك قوله • كريم متى امدحه امدحه والورى معي • واذا ما لمته لمته وحدي • البيت لابي تمام ويمكن ان يفرق بين ما انشدوه وبين الاية الكريمة بان التكرار في البيت هو المخرج له عن الفصاحة بخلاف الاية فانه لا تكرار فيها **قوله تعالى** ان هؤلاء يحبون العاجلة توبيخ وتقريع والمراد اهل مكة والعاجلة الدنيا واعلم انه تعالى لما خاطب رسوله صلى الله عليه وسلم بالتعظيم والامر والنهي عدل الى شرح احوال الكفار والمتمردين فقال تعالى ان هؤلاء يحبون العاجلة

ومعناه ان الذي حمل هؤلاء على الكفر والاعراض عما ينفعهم في الآخرة هو محبتهم للذات العاجلة والراحات الدنيوية البدنية
قوله تعالى ويذرون وراءهم اي بين ايديهم وقال وراءهم ولم يقل قدامهم لوجوه احدها انهم لما اعرضوا عنه ولم
يلتفتوا اليه فكانهم جعلوه وراء ظهورهم وثانيها المراد به ويذرون وراءهم مصالح يوم ثقيل اي عسير فاسقط المضاف وثالثها
ان وراء يستعمل بمعنى قدام كقوله تعالى من ورائه جهنم وكان وراءهم ملك وقال المحبي يسمى وراء النوم عنك فظاهر هذا
انه حقيقة والصحيح انه استعير للقدام قوله تعالى يوما مفعول ليذرون لا ظرف ووصفه بالثقل على المجاز لانه من
صفات الاعيان لا المعاني وقيل معناه يتركون الايمان بيوم القيمة وقيل نزلت في اليهود فيما كتموه من صفة الرسول صلى الله
عليه وسلم وصحة نبوته وحبهم العاجلة اخذهم الرشا على ما كتموه وقيل اراد المنافقين لاستبطانهم الكفر وطلب الدنيا
والاية تعم ومعنى ثقيل اي شديد واهول وقيل للقضاء فيه بين العباد قوله تعالى نحن خلقناهم اي من طين وشددنا
اسرهم اي خلقهم قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة ومقاتل وغيرهم والاسر الخلق قال ابو عبيدة يقال فرس شديد الاسر اي الخلق
ويقال اسره الله اي شدد خلقه قال لبيد • ساهم الوجه شديد اسره • مشرف الحارك محبوك الكتد • وقال الاخطل •
من كل مجتنب شديد اسره • سلس القياد تخاله مختالا • وقال ابو هريرة والحسن والربيع رضي الله عنهم شددنا مفاصلهم
قال اهل اللغة الاسر الربط ومنه اسر الرجل اذا اوثق بالقيد وفرس ماسور الخلق وقوس ماسورة بالعقب والاسار هو القد الذي
يشد به الاقتاب يقول اسرت القتب اسرا اي شددته وربطته **فصل** قال ابن زيد الاسر القوة والكلام خرج
مخرج الامتنان عليهم بالنعم حين قابلوها بالمعصية اي سويت خلقك واحكمته بالقوى ثم انت تكفرني قال ابن الخطيب وهذا
الكلام يوجب عليهم طاعة الله تعالى من حيث الترغيب والترهيب اما الترغيب فلانه هو الذي خلقهم واعطاهم الاعضاء السليمة
التي بها يمكن الانتفاع باللذات العاجلة وتلك اللذات لا تحصل الا بالمنتفع والمنتفع به وهما لا يحصلان الا بتكوين الله وايجاده
وهذا مما يوجب عليهم الانقياد لله تعالى وترك التمرد واما الترهيب فانه قادر على ان يميتهم وان يسلب النعم عنهم وان يلقيهم
في كل محنة وبلية فلاجل الخوف من فوت هذه اللذات العاجلة يجب عليهم الانقياد لله تعالى وترك التمرد فكانه قيل هب ان حبكم
هذه اللذات العاجلة طريقة حسنة الا ان ذلك يجب عليكم الايمان بالله تعالى والانقياد له فلم توسلتم به الى الكفر بالله تعالى
والاعراض عن حكمه قوله تعالى واذا شئنا بدلنا امثالهم تبديلا قال ابن عباس رضي الله عنه لو نشاء لاهلكناهم وجئنا باطوع
لله منهم وقال ابن الخطيب معناه اذا شئنا اهلكناهم واتينا باشباههم فجعلناهم بدلا منهم كقوله تعالى على ان نبدل امثالكم
والغرض منه بيان الاستغناء التام عنهم كانه قيل لا حاجة بنا الى احد من المخلوقين البتة وبتقدير ان تثبت الحاجة فلا حاجة بنا
الى هؤلاء الاقوام فانا قادرون على ابدالهم وايجاد امثالهم ونظيره قوله تعالى ان يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد ان يشأ
يذهبكم ايها الناس ويأت باخرين وروى الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنه معناه لغيرنا محاسنهم الى اسمج الصور واقبحها وقيل
امثالهم في الكفر **فصل** قال الزمخشري في قوله تعالى واذا شئنا وحقه ان يجيء بان لا باذا لقوله تعالى وان تتولوا
يستبدل قوما غيركم ان يشأ يذهبكم يعني ان اذا للمحقق وان للمحتمل وهو تعالى لم يشأ ذلك وجوابه ان اذا قد تقع موقع ان
كالعكس قال ابن الخطيب فكانه طعن في لفظ القران وهو ضعيف لان كل واحد من ان واذا حرف شرط الا ان حرف ان لا يستعمل
فيما هو معلوم الوقوع فلا يقال ان طلعت الشمس اكرمتك اما حرف اذا فانه يستعمل فيما يكون معلوم الوقوع تقول ابدا اذا طلعت
الشمس فههنا لما كان الله تعالى عالما انه سيجيء وقت يبدل الله تعالى فيه اولئك الكفرة بامثالهم في الخلقة واضدادهم في الطاعة
لا جرم حسن استعمال حرف اذا قوله تعالى ان هذه تذكرة اي هذه السورة موعظة فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا اي طريقا موصلا
الى طاعته وقيل سبيلا اي وسيلة وقيل وجهة وطريقة الى الخير والمعنى ان هذه السورة لما فيها من الترتيب العجيب والوعد والوعيد
والترغيب والترهيب تذكرة للمتاملين وتبصرة للمتبصرين **فصل** قال ابن الخطيب متى ضمت هذه الاية الى الاية
التي بعدها خرج منهم صريح مذهب الجبر لان قوله تعالى فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا يقتضي ان تكون مشيئة العبد متى كانت
خالصة فانها تكون مستلزمة للفعل وقوله تعالى بعد ذلك وما تشاؤون الا ان يشاء الله يقتضي كون مشيئة الله تعالى مستلزمة
لمشيئة العبد ومستلزم المستلزم مستلزم فاذن مشيئة الله تعالى مستلزمة لفعل العبد وذلك هو الجبر وكذا الاستدلال
على الجبر بقوله تعالى فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر لان هذه الاية ايضا تقتضي كون المشيئة مستلزمة للفعل ثم التقدير
ما تقدم قال القاضي المذكور هنا اتخاذ السبيل الى الله تعالى وهو امر قد شاءه لانه امر به فلا بد وان يكون قد شاءه وهذا
لا يقتضي ان يقال العبد لا يشاء الا ما قد شاء الله على الاطلاق اذ المراد بذلك الامر المخصوص الذي قد ثبت ان الله تعالى اراده
وشاءه وهذا الكلام لا تعلق له بالاستدلال الذي ذكرناه فحاصل ما ذكره القاضي تخصيص العام بالصورة المتقدمة
وذلك ضعيف لان خصوص ما قبل الاية لا يقتضي تخصيص هذا العام لاحتمال ان يكون الحكم في هذه الاية واردا بحيث
يعم تلك الصورة وغيرها قوله تعالى الا ان يشاء الله فيه وجهان احدهما انه حال اي الا في حال مشيئة الله تعالى قال ابو البقاء

وفيه نظر لان هذا مقدر بالمعرفة الا ان يريد تفسير المعنى والثاني انه ظرف قال الزمخشري فان قلت ما محل ان يشاء الله
قلت النصب على الظرف واصله الا وقت مشيئة الله تعالى وكذلك قرا ابن مسعود الا ما يشاء الله لان ما مع الفعل كان
ورده ابو حيان بانه لا يقوم مقام الظرف الا المصدر الصريح لو قلت اجيئك ان يصيح الديك او ما يصيح لم يجز قال
شهاب الدين وقد تقدم الكلام معه في ذلك مرارا وقرا نافع والكوفيون تشاؤون خطابا لسائر الخلق او على الالتفات
من الغيبة في قوله تعالى نحن خلقناهم والباقون بالغيبة جريا على قوله خلقناهم وما بعده قوله تعالى وما تشاؤون
اي الطاعة والاستقامة واتخاذ السبيل الى الله الا ان يشاء الله فاخبر ان الامر اليه سبحانه ليس اليهم وانه لا ينفذ مشيئة احد
ولا تقدم ان تتقدم مشيئة الله تعالى قيل ان الاية الاولى منسوخة بالثانية قال القرطبي والاشبه انه ليس بنسخ بل
هو تبيين ان ذلك لا يكون الا بمشيئته قال الفراء وما تشاؤون الا ان يشاء الله جواب لقوله تعالى فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا
ثم اخبرهم ان الامر ليس اليهم فقال وما تشاؤون ذلك السبيل الا ان يشاء الله لكم ان الله كان عليما باعمالكم حكيما في امره ونهيه
لكم قوله تعالى يدخل من يشاء في رحمته اي يدخله الجنة راحما له قال ابن الخطيب ان فسرنا الرحمة بالايمان فالاية صريحة
في ان الايمان من الله تعالى وان فسرناها بالجنة فان دخول الجنة بسبب مشيئة الله تعالى وفضله واحسانه لا بسبب الاستحقاق
لانه لو ثبت الاستحقاق لكان تركه يفضي الى الجهل او الحاجة وهما محالان على الله تعالى والمفضي الى المحال محال فتركه محال
فوجوده واجب عقلا او عدمه ممتنع عقلا وما كان كذلك لا يكون معلقا على المشيئة البتة قوله تعالى والظالمين
اي ويعذب الظالمين فهو منصوب على الاشتغال بفعل يفسره اعد لهم من حيث المعنى لا من حيث اللفظ تقديره ويعذب الظالمين
ونحوه زيدا مررت به اي جاوزت ولابست وكان النصب هنا مختارا لعطف جملة الاشتغال على جملة فعلية قبلها وهي قوله
يدخل قال الزجاج نصب الظالمين لان قبله منصوبا اي يدخل من يشاء في رحمته ويعذب الظالمين اي المشركين ويكون اعد لهم
تفسيرا لهذا المضمر كقوله • اصبحت لا احمل السلاح ولا • املك راس البعير ان نفرا • والذئب اخشاه ان مررت به • وحدي
واخشى الرياح والمطرا • اي اخشى الذئب اخشاه قال الزجاج والاختيار النصب وان جاز الرفع وقوله تعالى في حم عسق يدخل من يشاء
في رحمته والظالمون ارتفع لانه لم يذكر بعده فعل يقع عليه فينصب في المعنى فلم يجز العطف على المنصوب قبله فارتفع بالابتداء
وههنا قوله اعد لهم عذابا اليما يدل على ويعذب فجاز النصب وقرا الزبير وابان بن عثمان وابن ابي عبلة والظالمون رفعا على الابتداء
وما بعده الخبر وهو مرجوح لعدم المناسبة وقرا ابن مسعود وللظالمين بلام الجر وفيه وجهان اظهرهما ان يكون للظالمين
متعلقا باعد بعده ويكون لهم تاكيدا والثاني وهو ضعيف ان يكون من باب الاشتغال على ان يقدر فعلا مثل الظاهر ويجر
الاسم بحرف جر فتقول بزيد مررت به اي مررت بزيد مررت به والمعروف في لغة العرب مذهب الجمهور وهو اضمار فعل ناصب
موافق للفعل الظاهر في المعنى فان ورد نحو بزيد مررت به عد من التوكيد لا من الاشتغال [illegible] روى الثعلبي عن ابي
هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة هل اتى كان جزاؤه على الله تعالى جنة وحريرا

سورة المرسلات

مكية في قول الحسن وعكرمة وعطاء وجابر وقال ابن عباس وقتادة رضي الله عنهم الا اية منها وهي قوله تعالى واذا قيل لهم
اركعوا لا يركعون مدنية وقال ابن مسعود رضي الله عنه نزلت والمرسلات عرفا على النبي صلى الله عليه وسلم ليلة الجن ونحن
معه نسير حتى اوينا الى غار بمنى فنزلت فبينا نحن نتلقاها منه وان فاه رطب بها اذ وثبت حية فوثبنا عليها لنقتلها فذهبت
فقال النبي صلى الله عليه وسلم وقيتم شرها كما وقيت شركم وعن كريب مولى ابن عباس قال قرات سورة والمرسلات عرفا فسمعتني
ام الفضل امراة العباس فبكت وقالت والله يا بني لقد اذكرتني بقراءتك هذه السورة انها لاخر ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقرا بها في صلاة المغرب وهي خمسون اية وثمانمائة واحدى وثمانون كلمة وثمانمائة وستة عشر حرفا بسم الله الرحمن الرحيم
قوله تعالى والمرسلات عرفا في عرفا ثلاثة اوجه احدها انه مفعول من اجله اي لاجل العرف وهو ضد النكر فان الملائكة ان كانوا
بعثوا للرحمة فالمعنى فيهم ظاهر وان كانوا بعثوا للعذاب فذلك العذاب وان لم يكن معروفا للكفار فانه معروف للانبياء
والمؤمنين والمراد بالمرسلات اما الملائكة واما الانبياء واما الرياح اي والملائكة المرسلات او الانبياء المرسلات او الرياح
المرسلات والعرف المعروف والاحسان قال الشاعر • من يفعل الخير لا يعدم جوازيه • لا يذهب العرف بين الله والناس •
وقد قيل كيف جمع صفة المذكر العاقل بالالف والتاء وحقه ان يجمع بالواو والنون تقول الانبياء المرسلون ولا تقول
المرسلات والجواب ان المرسلات جمع مرسلة ومرسلة صفة لجماعة من الانبياء فالمرسلات جمع مرسلة الواقعة صفة لجماعة لا جمع

مُرسَل المعروف والثاني ان ينتصب على الحال بمعنى متتابعة من قولهم جاؤا كعرف الفرس وهم على فلان كعرف الضبع اذا
تألبوا عليه وقال ابن الخطيب يكون مصدرا كانه قيل والمرسلات ارسالا اي متتابعة الثالث ان ينتصب على سقط الخافض
اي المرسلات بالعرف وفيه ضعف وقد تقدم الكلام على العرف في الاعراف والعامة على تسكين رائه وعيسى بضمها وهو على
تثقيل المخفف نحو بكر في بكر ويحتمل ان يكون هو الاصل والمشهور مخففة منه ويحتمل ان يكونا وزنين مستقلين **فصل**
جمهور المفسرين على ان المرسلات هي الرياح وروى مسروق عن عبد الله قال هي الملائكة ارسلت بالعرف من امر الله تعالى ونهيه
والخبر والوحي وهو قول ابي هريرة ومقاتل وابي صالح والكلبي وقال ابن عباس رضي الله عنهما هم الانبياء ارسلت بلا اله الا الله وقال
ابو صالح والكلبي وقال ابن عباس رضي الله عنهما الرسل ترسل بما يعرفون به من المعجزات وعن ابن عباس وابن مسعود انها الرياح
كما قال تعالى وارسلنا الرياح وقال تعالى ويرسل الرياح ومعنى عرفا اي يتبع بعضها بعضا كعرف الفرس وقيل يحتمل ان يكون
المراد بالمرسلات السحاب لما فيها من نعمة ونقمة عارفة بما ارسلت اليه ومن ارسلت اليه وقيل انها الزواجر والمواعظ وعرفا على هذا
التاويل متتابعات كعرف الفرس قاله ابن عباس وقيل جاريات قاله الحسن يعني في القلوب وقيل معروفات في العقول **قوله تعالى**
فالعاصفات عصفا هذا المصدر مؤكد لاسم الفاعل والمراد بالعاصفات الرياح قال المهدوي وعن ابن عباس هي الرياح العواصف
تاتي بالعصف وهو ورق الزرع وحطامه وقيل العاصفات الملائكة شبهت بسرعة جريها في امر الله تعالى بالرياح وكذلك
نشرا وفرقا انتصابهما على المصدر وقيل الملائكة تعصف بروح الكافر يقال عصف بالشيء اذا اباده واهلكه وناقة عصوف
اي تعصف براكبها فتمضي كانها ريح في السرعة وعصفت الحرب بالقوم اي ذهبت بهم وقيل يحتمل انها الآيات المهلكة
كالزلازل والخسوف **قوله تعالى** والناشرات نشرا هي الملائكة الموكلون بالسحاب ينشرونها وقال ابن مسعود ومجاهد
هي الرياح يرسلها الله تعالى نشرا بين يدي رحمته اي تنشر السحاب للغيث وهو مروي عن ابي صالح وعنه ايضا هي الامطار
لانها تنشر النبات فالنشر بمعنى الاحياء يقال نشر الله الميت وانشره اي احياه قال تعالى اذا شاء انشره يبشركم من بعد
موتكم وروي عن السدي انها الملائكة تنشر كتب الله تعالى وروى الضحاك عن ابن عباس قال يريد ما ينشر من الكتب واعمال
بني آدم وروى الضحاك انها الصحف ينشرها على الله تعالى باعمال العباد وقال الربيع انه البعث للقيامة ينشر فيها الارواح
وقال تعالى والناشرات بالواو لانه استيناف قسم آخر **قوله تعالى** فالفارقات فرقا هي الملائكة تنزل بالفرق بين الحق
والباطل قاله ابن عباس ومجاهد والضحاك وابو صالح وروى الضحاك عن ابن عباس قال ما تفرق الملائكة من الاقوات والارزاق
والآجال وروى ابن ابي نجيح عن مجاهد قال الفارقات الرياح تفرق بين السحاب وتبدده وروى سعيد عن قتادة قال
الفارقات فرقا الفرقان فرق الله فيه بين الحق والباطل والحلال والحرام وهو قول الحسن وابن كيسان وقيل هم الرسل فرقوا بين
ما امر الله تعالى به ونهى عنه ان يتباينوا ذلك وقيل السحاب الماطرة تشبيها بالناقة الفارقة وهي الحامل التي تخرج وتند
في الارض حين تضع ونوق فوارق وفرق **قوله تعالى** فالملقيات ذكرا هي الملائكة اي تلقي كتب الله الى الانبياء صلوات الله
عليهم قاله المهدوي وقيل هو جبريل عليه السلام وسمي باسم الجمع تعظيما لانه كان ينزل بها وقيل المراد الرسل يلقون
الى امهم ما انزل عليهم قاله قطرب وقوله تعالى ذكرا مفعول به ناصبه الملقيات وقرأ العامة فالملقيات بسكون اللام وتخفيف
القاف اسم فاعل وقرأ ابن عباس بفتح اللام وتشديد القاف من التلقية وهي ايصال الكلام الى المخاطب وروي عنه المهدوي
ايضا فتح القاف اسم مفعول اي تلقيه من قبل الله تعالى كقوله تعالى وانك لتلقى القرآن **قوله تعالى** عذرا او نذرا فيهما اوجه
احدها انهما بدل لان من ذكرا الثاني انهما منصوبان به على المفعولية واعمال المصدر المنون جائز ومنه او اطعام في يوم ذي
مسغبة يتيما الثالث انهما مفعول لاجلهما والعامل فيهما اما الملقيات واما ذكرا لان كلا منهما يصلح ان يكون
معلولا باحدهما وحينئذ يجوز في عذرا ونذرا وجهان احدهما ان يكونا مصدرين بسكون العين كالشكر والكفر والثاني
ان يكونا جمع عذير ونذير المراد بهما المصدر بمعنى الاعذار والانذار كالنكير بمعنى الانكار الرابع انهما منصوبان على الحال
من الملقيات او من الضمير فيها وحينئذ يجوز ان يكونا مصدرين واقعين موقع الحال بالتاويل المعروف في امثاله وان يكونا جمع
عذير ونذير مرادا بهما المصدر او مرادا بهما اسم الفاعل بمعنى المعذر والمنذر اي معذرين او منذرين وقرأ العامة بسكون الذال
من عذرا او نذرا وقرأ زيد بن ثابت وابن خارجة وطلحة بضمهما والحرميان وابن عامر وابو بكر بسكونها في عذرا وضمها في نذرا
والسكون والضم كما تقدم في انه يجوز ان يكون كل منهما اصلا للآخر وان يكونا اصلين ويجوز في كل من المثقل والمخفف
ان يكون مصدرا وان يكون جمعا سكنت عينه تخفيفا وقرأ ابراهيم التيمي عذرا ونذرا بواو العطف موضع او وهي تدل على ان
او بمعنى الواو **فصل** والمعنى يلقون الوحي اعذارا من الله تعالى وانذارا الى خلقه من عذابه قاله الفراء وروي عن ابي
صالح قال يعني الرسل يعذرون وينذرون وروى سعيد عن قتادة عذرا قال عذرا لله تعالى الى خلقه ونذرا للمؤمنين
ينتفعون به ويأخذون به وروى الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنه عذرا اي ما يقبله الله تعالى من معاذير اوليائه

وهو

وهو التوبة ونذرا ينذر اعداءه **فصل** قال ابن الخطيب اعلم ان هذه الكلمات الخمس اما ان يكون المراد منها
جنسا واحدا او اجناسا مختلفة فالاول فيه وجوه احدها ان المراد بها الملائكة فالمرسلات هي الملائكة الذين ارسلهم الله
تعالى اما لايصال النعمة الى قوم او لايصال النقمة الى آخرين وقوله تعالى عرفا اما ان يكون العرف الذي هو ضد النكر فان
كانوا الملائكة المبعوثين للرحمة فالمعنى فيهم ظاهر وان بعثوا للعذاب فذلك العذاب وان لم يكن معروفا للكفار فانه
معروف للانبياء صلوات الله عليهم والمؤمنين او يكون العرف التتابع وقوله تعالى فالعاصفات عصفا فمعناه ان الملائكة
عصفوا في طيرانهم كعصف الرياح او يعصفون بروح الكافر يقال عصف بالشيء اذا اباده وقوله تعالى والناشرات
نشرا اي نشروا اجنحتهم عند انحطاطهم الى الارض او نشروا الشرائع في الارض او نشروا الرحمة والعذاب والمراد
الملائكة الذين ينشرون الكتب التي فيها اعمال بني آدم يوم القيامة قال تعالى ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا
وقوله تعالى فالفارقات فرقا اي انهم يفرقون بين الحق والباطل وقوله فالملقيات ذكرا اي انهم يلقون الذكر الى الانبياء
عليهم الصلاة والسلام والمراد بالذكر اما العلم والحكمة او القرآن لقوله القي الذكر عليه من بيننا وهذا الملقي وان كان جبريل
وحده الا انه سمي باسم الجمع تعظيما له واعلم ان الملائكة اقسام قسم لانزال الوحي على الانبياء وقسم يرسل لكتابة اعمال بني آدم
وقسم يرسل لقبض الارواح وقسم يرسل بالوحي من سماء الى سماء الوجه الثاني ان المراد بهذه الكلمات الخمس الرياح اقسم الله
تعالى بالرياح عند ارسالها عرفا اي متتابعة كشعر العرف ثم انها تشتد حتى تصير عواصف ورياح رحمة تنشر السحاب في الجو
قال تعالى ويرسل الرياح نشرا بين يدي رحمته وهو المراد بقوله فالناشرات نشرا اي انها تنشر السحاب وانها تلقح الاشجار
والنبات فيكون ناشرة وقوله تعالى فالفارقات فرقا اي انها تفرق بين اجزاء السحاب وانها تخرب بعض القرى وذلك يصير
سببا لظهور الفرق بين اولياء الله واعدائه او انها عند هبوبها تفترق الخلق في مقر خاشع ومن منكر جاحد وقوله تعالى
فالملقيات ذكرا اي ان العاقل اذا شاهد هبوب تلك الرياح التي تقلع القلاع وتهدم الصخور والجبال وترفع امواج البحار
تمسك بذكر الله والتجأ الى عناية الله تعالى فصارت تلك الرياح كانها القت الذكر والايمان والعبودية في القلب الوجه الثالث
قال ابن الخطيب من الناس من حمل بعض هذه الكلمات الخمس على القرآن وعندي انه يمكن حمل جميعها على القرآن فقوله تعالى والمرسلات
عرفا المراد منه الآيات المتتابعة المرسلة على لسان جبريل على محمد صلى الله عليه وسلم وقوله تعالى عرفا اي هذه الآيات نزلت
بكل عرف وخير وكيف لا وهي الهادية الى سبيل النجاة والموصلة الى مجامع الخيرات والمراد بالعاصفات عصفا ان دولة
الاسلام والقرآن كانت ضعيفة في اولها ثم عظمت وقهرت سائر الملل والاديان فكان دولة القرآن عصفت سائر الدول
والملل والاديان وقهرتها وجعلتها باطلة داثرة والمراد بالناشرات نشرا ان آيات القرآن نشرت الحكم والهداية في قلوب
العالمين شرقا وغربا والمراد بالفارقات فرقا ان آيات القرآن فرقت بين الحق والباطل ولذلك سمي القرآن فرقانا والمراد بالملقيات
ذكرا ان القرآن ذكر قال تعالى ص والقرآن ذي الذكر وانه لذكر لك ولقومك وهذا ذكر مبارك انزلناه وانه لتذكرة للمتقين
الوجه الرابع قال ابن الخطيب ويمكن حملها ايضا على بعثة الرسل فالمراد بالمرسلات عرفا هم المرسلون بالوحي المشتمل على كل خير معروف
فالعاصفات عصفا ان امر كل رسول يكون في اول امره حقيرا ضعيفا ثم يشتد ويعظم ويصير في القوة كعصف الرياح والناشرات
نشرا انتشار دينهم فالفارقات فرقا انهم يفرقون بين الحق والباطل فالملقيات ذكرا انهم يامرون الناس بالذكر ويحثونهم عليه
الاحتمال الثاني وهو ان لا يكون المراد من هذه الكلمات الخمس شيئا واحدا وفيه وجوه احدها قال الزجاج واختاره القاضي
ان الثلاثة الاول هي الرياح فقوله تعالى والمرسلات عرفا هي الرياح التي تتصل على العرف المعتاد والعاصفات ما اشتد
منها والناشرات ما ينشر السحاب وقوله تعالى فالفارقات فرقا هم الملائكة الذين يفرقون بين الحق والباطل والحلال والحرام
بما يحملونه من القرآن والوحي وكذا قوله تعالى فالملقيات ذكرا انها الملائكة الملقون الذكر الذي يلقونه الى الرسل فان قيل ما المجانسة
بين الرياح وبين الملائكة حتى جمع بينهما في القسم قلنا الملائكة روحانيون فهم بسبب لطافتهم وسرعة حركاتهم كالرياح
وثانيها ان الاثنين الاولين هما الرياح والثلاثة الباقية هم الملائكة لانها تنشر الوحي والدين ثم لذلك الوحي اثران
الاول حصول الفرق بين المحق والمبطل والثاني ظهور ذكر الله في القلوب والالسنة ويؤكد هذا انه قال والمرسلات عرفا
فالعاصفات عصفا ثم عطف الثاني على الاول بحرف الفاء ثم قال والناشرات وعطف الاثنين الباقيين عليه بحرف الفاء
وهذا يقتضي ان يكون الاولان ممتازين عن الثلاثة الاخيرة قال ابن الخطيب ويمكن ان يكون المراد بالاولين الملائكة لقوله
تعالى والمرسلات عرفا ملائكة الرحمة وقوله تعالى فالعاصفات عصفا ملائكة العذاب والثلاثة الباقية آيات القرآن
لانها تنشر الحق في القلوب والارواح وتفرق بين الحق والباطل وتلقي الذكر في القلوب والالسنة **فصل**
قال القفال الوجه في دخول الفاء في بعض ما وقع به القسم والواو في بعض مبني على اصل وهو ان عند اهل اللغة ان الفاء
تقتضي الوصل والتعلق فاذا قيل قام زيد فذهب فالمعنى انه قام ليذهب فكان قيامه سببا لذهابه ومتصلا به فاذا قيل

قام وذهب فهما خبران وكل واحد منهما قائم بنفسه لا يتعلق بالآخر ثم ان القفال رحمه الله لما مهد هذا الاصل
فرع عليه الكلام في هذه الآية بوجوه وقال ابن الخطيب في تلك الوجوه لا يميل قلبي اليها وانا افرع على هذا الاصل فاقول لما
من حمل الاولين صفة لشيء والثلاثة الاخيرة صفات لشيء واحد فنقول ان حملناها على الملائكة والملائكة اذا ارسلت
طارت سريعا وذلك الطيران هو العصف فالعصف مرتب على الارسال فان الملائكة اول ما يلقون الوحي الى
الرسل لا يصير في الحال ذلك الدين مشهورا منتشرا بل الخلق يردون الانبياء في اول الامر ويكذبونهم وينسبونهم
الى السحر والجنون فلا جرم لم يذكر الفاء الذي يفيد التعقيب بل ذكر الواو واذا حصل النشر ترتب عليه حصول الفرق
بين الحق والباطل وظهور ذلك الحق على الالسنة فلا جرم ذكر هذين الامرين بحرف الفاء ثم والله اعلم قال يا محمد اني ارسلت
الملك اليك بالوحي الذي هو عنوان كل سعادة وخير ولكن لا تطمع في ان ينتشر ذلك الامر في الحال ولكن لا بد من الصبر وتحمل
المشقة ثم اذا وقت النصرة لجعل دينك ظاهرا منتشرا في شرق العالم وغربه وعند ذلك الانتشار يظهر الفرق فتصير
الاديان باطلة ضعيفة ساقطة ودينك الحق ظاهرا عاليا وهنالك يظهر ذكر الله على الالسنة وفي المحاريب وعلى المنابر
ومن عرف هذا الوجه امكنه ذكر مناسبة سائر الوجوه **قوله تعالى** انما توعدون لواقع هذا جواب القسم في قوله والمرسلات وما
بعده معطوف عليه وليس قسما مستقلا لما تقدم في اول الكتاب ولوقوع الفاء هنا عاطفة لانها لا تكون للقسم وما موصولة
بمعنى الذي وهي اسم ان وتوعدون صلتها والعائد محذوف اي ان الذي توعدونه ولواقع خبرها وكان من حق ان منفصلة
من ما الموصولة ولكنهم كتبوها متصلة بها **فصل** المعنى انما توعدون من امر القيامة لواقع بكم ونازل عليكم
ثم لما ذكر علامات القيامة من بعده وقال الكلبي المراد ان كل ما توعدون به من الخير والشر لواقع بين وقت وقوعه فقال تعالى
فاذا النجوم طمست اي ذهب ضوءها ومحي نورها كطمس الكتاب يقال طمس الشيء اذا درس وطمس فهو مطموس والريح تطمس
الآثار فتكون الريح طامسة والاثر طامسا بمعنى مطموس قال ابن الخطيب ويحتمل ان يكون تمحق ذواتها وهو موافق لقوله تعالى
انتثرت والنجوم مرتفعة بفعل مضمر يفسره ما بعده عند البصريين غير الاخفش وبالابتداء عند الكوفيين والاخفش وفي
جواب اذا قولان احدهما محذوف تقديره فاذا طمست النجوم وقع ما توعدون لدلالة قوله انما توعدون لواقع وبان الامر
والثاني انه لاي يوم اجلت على اضمار القول اي يقال لاي يوم اجلت فالفعل في الحقيقة هو الجواب وقيل جوابه ويل يومئذ نقله مكي
وهو غلط لانه لو كان جوابا للزمته الفاء لكونها جملة اسمية **قوله تعالى** واذا السماء فرجت اي فتحت وشقت ومنه
قوله تعالى وفتحت السماء فكانت ابوابا والفرج الشق ونظيره اذا السماء انشقت ويوم تشقق السماء بالغمام وروى
الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنه قال فرجت للطي **قوله تعالى** واذا الجبال نسفت اي ذهب بها كلها بسرعة من انتسفت
الشيء اذا اختطفته وقيل ينسف كالحب المغلق اذا نسف بالمنسف ومنه قوله تعالى لنحرقنه ثم لننسفنه في اليم نسفا
ونظيره وبست الجبال بسا وكانت الجبال كثيبا مهيلا فقل ينسفها ربي نسفا وقرئ طمست وفرجت ونسفت مشددة
وكان ابن عباس والكلبي يقول سويت بالارض والعرب تقول فرس نسوف اذا كان يؤخر الحزام بمرفقيه قال بشر
نسوف للحزام بمرفقيها ونسفت الناقة الكلأ اذا رعته **قوله تعالى** واذا الرسل اقتت وقرأ ابو عمرو وقتت بالواو
والباقون بهمزة بدل الواو قال الواو هي الاصل لانه من الوقت والهمزة بدل منها لانها مضمومة ضمة لازمة وكل واو
انضمت وكان ضمها لازما فانها تبدل على الاطراد همزة اولا وثانية تقول صلى القوم احدانا تريد وحدانا وهذه اجوه
حسان لان ضمة الواو ثقيلة وبعدها واو فالجمع بينهما يجري مجرى جمع المثلين فيكون ثقيلا ولم يجز البدل في قوله تعالى
ولا تنسوا الفضل بينكم لان الضمة غير لازمة قاله الفراء وقد تقدم ذكر ذلك اول الكتاب **فصل** قال مجاهد
والزجاج المراد بهذا التاقيت تبيين الوقت الذي فيه يحضرون للشهادة على اممهم اي جمعت لوقتها يوم القيامة والوقت
الاجل الذي يكون عنده الشيء المؤخر اليه فالمعنى جعل لها وقت اجل للفصل والقضاء بينهم وبين الامم كقوله تعالى يوم
يجمع الله الرسل وقيل المراد بهذا التاقيت تحصيل الوقت وتكوينه ولم يبين في اللفظ بيان انه يحصل لوقت اي شيء
ولم يبينه ليذهب الوهم الى كل جانب فيكون التهويل فيه اشد فيحتمل ان يكون المراد تكوين وقت جمعهم للفوز بالثواب
وان يكون وقت سؤال الرسل عما اجيبوا به وسؤال الامم عما اجابوهم لقوله تعالى فلنسألن الذين ارسل اليهم
ولنسألن المرسلين وان يكون وقت مشاهدة الجنة والنار وسائر احوال القيامة وقيل اقتت اي ارسلت لاوقات
معلومة على ما علمه الله واراد **فصل** قرأ ابو جعفر وشيبة بالواو وتخفيف القاف وهو فعلت من الوقت
ومنه كتابا موقوتا وعن الحسن ايضا ووقتت بواوين وهو فوعلت من الوقت ايضا مثل عوهدت قال القرطبي ولو قلبت
الواو في هاتين القراءتين الفا لجاز وقرأ يحيى وايوب وخالد بن الياس وسلام اقتت بالهمز والتخفيف لانها مكتوبة
في المصحف بالالف **قوله تعالى** لاي يوم اجلت الجار متعلق باجلت وهذه الجملة معمولة لقول مضمر اي يقال وهذا

القول

القول المضمر يجوز ان يكون جوابا لاذا كما تقدم وان يكون حالا من مرفوع اقتت اي مقولا فيها لاي يوم اجلت
اي اخرت قوله لاي يوم اجلت اي اخرت وهذا تعظيم لذلك اليوم فهو استفهام على التعظيم اي ليوم الفصل اجلت
كانه تعالى قال تعجب العباد من تعظيم ذلك اليوم فقال لاي يوم اخرت الامور المتعلقة بهذه الرسل وهي تعذيب من كذبهم
وتعظيم من آمن بهم وظهور ما كانوا يدعون الخلق الى الايمان به من الاهوال والعرض والحساب ونشر الدواوين ووضع
الموازين **قوله تعالى** ليوم الفصل بدل من لاي يوم باعادة العامل وقيل بل يتعلق بفعل مقدر اي اجلت ليوم الفصل
وقيل اللام بمعنى الى ذكرهما مكي **فصل** اعلم انه تعالى بين ذلك اليوم فقال ليوم الفصل قال ابن عباس
يوم فصل الرحمن بين الخلائق لقوله تعالى ان يوم الفصل ميقاتهم اجمعين **قوله تعالى** وما ادراك ما يوم الفصل
اتبع التعظيم تعظيما اي وما علمك بيوم الفصل وشدته ومهابته ثم اتبعه بتهويل ثالث وهو قوله ويل مبتدأ سوغ
الابتداء به كونه دعاء قال الزمخشري فان قلت كيف وقعت النكرة مبتدأ في قوله تعالى ويل قلت هو في اصله مصدر
منصوب ساد مسد فعله ولكنه عدل به الى الرفع للدلالة على ثبات معنى الهلاك ودوامه للمدعو عليهم ونحوه سلام عليكم
ويجوز ويلا بالنصب ولكن لم يقرأ به قال شهاب الدين هذا الذي ذكره ليس من المسوغات التي عدها النحويون وانما
المسوغ كونه دعاء وفائدة العدول الى الرفع ما ذكره ويومئذ ظرف للويل وجوز ابو البقاء ان يكون صفة لويل وللمكذبين
خبره **فصل** قال القرطبي ويل يومئذ للمكذبين اي عذاب وخزي لمن كذب بالله تعالى وبرسله
وعلى تقدير تكذيبهم فان لكل مكذب بشيء عذاب تكذيبه بشيء آخر ورب شيء كذب به هو اعظم جرما من تكذيبه
بغيره لانه اقبح في تكذيبه واعظم في الرد على الله فانما يقسم له من الويل على قدر ذلك وعلى قدره وهو قوله جزاء وفاقا وقيل
كرره لمعنى تكرار التخويف والوعيد وروي عن النعمان بن بشير قال الويل واد في جهنم فيه الوان العذاب وقاله ابن عباس
وغيره وروي عن النبي صلى الله عليه انه قال عرضت علي جهنم فلم ار فيها واديا اعظم من الويل وروي ايضا انه مجمع ما يسيل
من قيح اهل النار وصديدهم وانما يسيل الشيء فيما سفل من الارض وقد علم العباد في الدنيا ان شر المواضع في الدنيا
ما استنقع فيها مياه الادناس والاقذار والغسالات والجيف وماء الحمامات فذكر ان الوادي مستنقع صديد اهل الكفر
والشرك ليعلم العاقل انه لا شيء اقذر منه قذارة ولا انتن منه نتنا **قوله تعالى** الم نهلك الاولين العامة على ضم حرف
المضارعة من اهلك رباعيا وقتادة بفتحه قال الزمخشري من هلكه بمعنى اهلكه قال العجاج ومهمه هالك من تعرجا
فمن معمول الهالك وهو من هلك الا ان بعض الناس جعل هذا دليلا على اعمال الصفة المشبهة في الموصول وجعلها من اللازم
لان شرط الصفة المشبهة ان تكون من فعل لازم فعلى هذا لا دليل فيه **قوله تعالى** ثم نتبعهم الآخرين العامة على رفع
العين استئنافا اي ثم نحن نتبعهم كذا قدره ابو البقاء وقال ليس بمعطوف لان العطف يوجب ان يكون المعنى اهلكنا الاولين
ثم اتبعناهم الآخرين في الهلاك وليس كذلك لان هلاك الآخرين لم يقع بعد قال شهاب الدين ولا حاجة في وجه الاستئناف
الى تقدير مبتدأ قبل الفعل بل يجعل الفعل معطوفا على مجموع الجملة من قوله الم نهلك ويدل على هذا الاستئناف قراءة عبد الله
ثم سنتبعهم بسين التنفيس وقرأ الاعرج والعباس عن ابي عمرو بتسكينها وفيها وجهان احدهما انه تسكين للمرفوع فهو مستانف
كالمرفوع لفظا والثاني انه معطوف على مجزوم والمعنى بالآخرين حينئذ قوم شعيب ولوط وموسى وبالاولين قوم نوح وعاد
وثمود قال ابن الخطيب وهذا القول ضعيف لان قوله تعالى نتبعهم مضارع وهو للحال والاستقبال ولا يتناول الماضي وانما
المراد بالاولين جميع الكفار الذين كانوا قبل محمد صلى الله عليه وسلم وقوله ثم نتبعهم الآخرين على الاستئناف اي سنفعل
ذلك ونتبع الاول الآخر ويدل على الاستئناف قراءة عبد الله فان قيل قراءة عبد الله ثم نتبعهم تدل على الاشتراك وحينئذ
يكون المراد به الماضي لا المستقبل قلنا لو كان المراد هو الماضي لوقع التنافي بين القراءتين وهو غير جائز فعلمنا ان تسكين العين
ليس للجزم بل للتخفيف **قوله تعالى** كذلك نفعل اي مثل ذلك الفعل الشنيع نفعل بكل من اجرم **فصل** المقصود
من هذه الآية تخويف الكفار وتحذيرهم من الكفر الم نر الى اهلاكنا الكفار من الامم الماضين من لدن آدم عليه السلام الى محمد
عليه افضل الصلاة والسلام ثم نتبعهم الآخرين اي نلحق الآخرين بالاولين كذلك نفعل بالمجرمين اي مثل ما فعلنا بمن تقدم
نفعل بمشركي قريش اما بالسيف واما بالهلاك ثم قال تعالى ويل يومئذ للمكذبين كانه تعالى يقول اما الدنيا فحاصلهم الهلاك
واما الآخرة فالعذاب الشديد واليه الاشارة بقوله تعالى خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين فان قيل المراد من قوله
الم نهلك الاولين هو مطلق الاماتة او الاماتة بالعذاب فان كان مطلق الاماتة لم يكن ذلك تخويفا للكفار لان ذلك
معلوم حاصل للمؤمن والكافر فلا يكون تخويفا للكفار وان كانت الاماتة بالعذاب فقوله تعالى ثم نتبعهم الآخرين
كذلك نفعل بالمجرمين يقتضي ان يكون فعل بكفار قريش مثل ذلك ومعلوم ان ذلك لم يوجد وايضا فقد قال تعالى
وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم فالجواب قال ابن الخطيب لم لا يجوز ان يكون المراد من الاهلاك معنى ثالث وهو الاماتة

المستعقبة للذم واللعن فكانه قيل اولئك المتقدمين لحرصهم على الدنيا والعقوبة عادوا الانبيا وخاصموهم ثم ماتوا
ففاتتهم الدنيا وبقي اللعن عليهم في الدنيا والعقوبة في الاخرة دايما سرمدا فهكذا يكون حال الكفار الموجودين وهذا من اعظم
وجوه الزجر **قوله تعالى** الم نخلقكم من ماء مهين اي ضعيف حقير وهو النطفة وهذا نوع اخر من تخويف الكفار وهو من وجهين
الاول انه تعالى ذكرهم عظيم انعامه عليهم وكلما كانت نعمه عليهم اكثر كانت جنايتهم في حقه اقبح واخس فيكون العقاب اعظم
فلهذا قال جل ذكره عقيب هذه الانعام ويل يومئذ للمكذبين الثاني انه تعالى ذكرهم كونه تعالى قادرا على الابتدا والظاهر
في العقل ان القادر على الابتدا قادر على الاعادة فلما انكروا هذه الدلالة الظاهرة لاجرم قال في حقهم ويل يومئذ
للمكذبين وهذه الاية نظير قوله تعالى ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين فجعلناه في قرار مكين اي مكان حريز وهو الرحم
الى قدر معلوم قال مجاهد الى ان يصور وقيل الى وقت الولادة كقوله تعالى ان الله عنده علم الساعة الى قوله ويعلم ما في الارحام
قوله تعالى فقدرنا فنعم القادرون قرا نافع والكسائي بالتشديد من التقدير وهو موافق لقوله تعالى من نطفة خلقه
فقدره والباقون بالتخفيف من القدرة ويدل عليه فنعم القادرون ويجوز ان يكون المعنى على القراءة الاولى فنعم
القادرون على تقديره وان جعلت القادرون بمعنى المقدرون كان جمعا بين اللفظين ومعناهما واحد ومنه قوله تعالى
فمهل الكافرين امهلهم رويدا وقول الاعشى • وانكرتني وما كان الذي نكرت • من الحوادث الا الشيب والصلعا • وقال
الكسائي والفراء هما لغتان بمعنى قال القتيبي قدرنا بمعنى قدرنا مشددة كما تقول قدرت كذا وقدرته ومنه قوله صلى الله
عليه وسلم في الهلال اذا غم عليكم فاقدروا له اي قدروا له المسير والمنازل وقال محمد بن الجهم عن الفراء ذكر تشديدها
عن علي رضي الله عنه وتخفيفها قال ولا يبعد ان يكون المعنى في التشديد والتخفيف واحدا لان العرب تقول قدر عليه الموت
وقدر قال تعالى نحن قدرنا بينكم الموت وقرئ بالتخفيف والتشديد وقدر عليه رزقه قال واحتج الذين خففوا فقالوا لو
كان كذلك لكانت فنعم المقدرون قال الفراء العرب تجمع بين اللغتين واستدل بقوله فمهل الكافرين الاية وذكر بيت
الاعشى المتقدم وقيل المعنى قدرنا قصيرا او طويلا ونحوه وعن ابن عباس قدرنا ملكنا قال المهدوي وهذا التفسير اشبه
بقراءة التخفيف **قوله تعالى** الم نجعل الارض كفاتا هذا هو النوع الرابع من تخويف الكفار لانه تعالى ذكرهم في الاية المتقدمة
بالنعم التي له عليهم في الافاق ثم قال في اخرها ويل يومئذ للمكذبين لان النعم كلما كانت اكثر كانت الجناية اقبح وكان استحقاق
الذم اشد وذكر في هذه الاية النعم التي في الانفس لانها كالاصل للنعم التي في الافاق ثم قال في اخرها فانه لولا الحياة والسمع والبصر
والاعضاء السليمة لما كان الانتفاع بشيء من المخلوقات ممكنا والله اعلم وانما قدم الارض لانها اقرب الاشيا الينا من الامور الخارجة
والكفات اسم للوعاء الذي يكفت فيه اي يجمع قال ابو عبيد يقال كفته يكفته اي جمعه وضمه وفي الحديث اكفتوا صبيانكم وقال
الصمامة بن الطرماح • ارايت اليوم فوق الارض حيا • وانت غدا تضمك في كفات • وقيل الكفات اسم لما يكفت كالضمام
والجماع يقال هذا الباب جماع الابواب والمعنى نجعل الارض ضامة تضم الاحيا على ظهرها والاموات في بطنها والكفت
الضم والجمع وانشد سيبويه كرام حين تنكفت الافاعي • الى اجحارهن من الصقيع • وروي عن ربيعة في النباش قال يقطع
يده فقيل له لم فقال ان الله تعالى يقول الم نجعل الارض كفاتا احياء وامواتا فالارض حرز وكانوا يسمون بقيع الغرقد
كفتة لانه مقبرة تضم الموتى فالارض تضم الاحيا الى منازلهم والاموات في قبورهم وايضا استقرار الناس على وجه الارض
ثم اضطجاعهم عليها انضمام منهم اليها وقال الاخفش وابو عبيد ومجاهد في احد قوليه الاحيا والاموات ترجع الى الارض
اي الارض منقسمة الى حي وهو الذي ينبت والى ميت وهو الذي لا ينبت وفي انتصاب كفاتا احياء وامواتا وجوه احدها
انه مفعول ثان لنجعل لانها للتصيير والثاني انه منصوب على الحال من الارض والمفعول الثاني احياء وامواتا بمعنى انا
نصيرها احياء وامواتا احياء بالنبات وامواتا بغير نبات اي بعضها كذا وبعضها كذا وقيل كفات جمع كافت كصيام وقيام
جمع صايم وقايم وقيل بل هو مصدر كالكتاب والحساب وقال الخليل تقليب الشيء ظهرا لبطن وبطنا لظهر ويقال انكفت القوم
الى منازلهم اي انقلبوا فمعنى الكفات انهم يتصرفون على ظهرها وينقلبون اليها فيدفنون فيها **قوله تعالى** احياء فيه اوجه
احدها انه منصوب بكفاتا قاله مكي والزمخشري وبدا به بعد ان جعل كفاتا اسم ما يكفت كقولهم الضمام والجماع وهذا
يمنع ان يكون كفاتا ناصبا للاحيا لانه ليس من الاسماء العاملة وكذلك اذا جعلناه بمعنى الوعاء على قول ابي عبيدة فانه لا يعمل
ايضا وقد نص النحاة على ان اسماء الامكنة والازمنة والالات وان كانت مشتقة جارية على الافعال لا تعمل نحو مرمى
ومحل وفي اسم المصدر خلاف مشهور ولكن انما يتمشى نصبهما بكفات على قول ابي البقا فانه لم يجوز فيه الا ان يكون جمعا
لاسم فاعل او مصدرا وكلاهما من الاسماء العاملة الوجه الثاني ان ينتصب بفعل مقدر يدل عليه كفاتا اي يكفتهم احيا
على ظهرها وامواتا في بطنها وبه بدا الزمخشري الثالث ان ينتصب على الحال من محذوف اي يكفتكم احيا وامواتا لانه
قد علم انها كفات للانس قاله الزمخشري واليه نحا مكي الا انه قدره ما سان يجمعهم الارض في هاتين الحالتين الخامس

ان ينتصب مفعولا ثانيا لنجعل وكفاتا حال كما تقدم تقريره وتنكير احياء وامواتا اما للتفخيم اي يجمع احيا
لا يعدون وامواتا لا يحصون واما للتبعيض لان احيا الانس وامواتهم ليسوا بجميع الاحيا ولا الاموات
وكذلك التنكير في ماء فراتا يحتمل المعنيين ايضا اما التفخيم فواضح لعظم المنة عليهم واما التبعيض فلقوله تعالى
وننزل من السماء من جبال فيها من برد فهذا اسهم للتبعيض والقران يفسر بعضه بعضا **قوله تعالى** وجعلنا
فيها رواسي شامخات اي جعلنا في الارض رواسي وهي الثوابت شامخات وهي الجبال الطوال جمع شامخ وهو المرتفع جدا
ومنه شمخ بانفه اذا تكبر جعل كناية عن ذلك كثني العطف وصعر الخد وان لم يحصل شيء من ذلك **قوله تعالى** واسقيناكم
ماء فراتا اي جعلنا لكم سقيا والفرات الماء العذب يشرب ويسقى به الزرع اي خلقنا الجبال وانزلنا الماء الفرات وهذه
الامور اعجب من البعث وروى ابو هريرة رضي الله عنه في الارض من الجنة الفرات والنيل ونهر الاردن وفي مسلم سيحان
وجيحان والنيل والفرات كل من انهار الجنة **قوله تعالى** انطلقوا اي يقال لهم ذلك والعامة على انطلقوا الثاني
كالاول بصيغة الامر على التاكيد ورويس عن يعقوب انطلقوا بفتح اللام فعلا ماضيا على الخبر اي لما امروا امتثلوا ذلك
وهذا موضع الفا فكان ينبغي ان يكون التركيب فانطلقوا نحو قولك قلت اذهب فذهب وعدم الفا هنا ليس بواضح

فصل هذا هو النوع الخامس من تخويف الكفار وهو بيان كيفية عذابهم في الاخرة والمعنى يقال لهم انطلقوا
الى ما كذبتم به من العذاب يعني النار فقد شاهدتموها عيانا انطلقوا الى ظل اي دخان ذي ثلاث شعب يعني الدخان
الذي يرتفع ثم يتشعب الى ثلاث شعب وكذلك شان الدخان العظيم اذا ارتفع تشعب قال ابو مسلم ويحتمل في ثلاث شعب
ما ذكره بعد ذلك وهو انه غير ظليل وانه لا يغني من اللهب اي لا يدفع من لهب جهنم شيئا اي ليس كالظل الذي يقي حر الشمس وهذا
تهكم بهم وتعريض بان ظلهم غير ظل المؤمنين وانه لا يمنع حر الشمس واللهب ما يعلو على النار اذا اضطرمت من احمر واصفر واخضر
وقيل ان الشعب الثلاث هي الضريع والزقوم والغسلين قاله الضحاك وقيل اللهب ثم الشرر ثم الدخان لانها ثلاثة احوال
هي غاية اوصاف النار اذا اضطرمت واشتدت وقيل عنق يخرج من النار فيتشعب ثلاث شعب فاما النور فيقف على رؤوس المؤمنين
واما الدخان فيقف على رؤوس المنافقين واما اللهب الصافي فيقف على رؤوس الكفار وقيل هو السرادق وهو لسان
من النار يحيط بهم يتشعب منه ثلاث شعب فيظلهم حتى يفرغ من حسابهم لقوله تعالى احاط بهم سرادقها وتسمية النار
بالظل مجاز من حيث انها محيطة بهم من كل جانب لقوله تعالى لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل وقال تعالى يوم يغشاهم
العذاب من فوقهم ومن تحت ارجلهم وقيل هو الظل من يحموم لقوله تعالى وظل من يحموم لا بارد ولا كريم وفي الحديث ان الشمس
تدنو من رؤوس الخلايق وليس عليهم ولا لهم اكفان فتلحقهم الشمس وتاخذ بانفاسهم ثم ينجي الله برحمته من يشاء الى ظل من ظله
فهناك يقولون فمن الله علينا ووقانا عذاب السموم ويقال للمكذبين انطلقوا الى ما كنتم به تكذبون من عذاب الله وعقابه
قوله تعالى لا ظليل صفة لظل ولا متوسطة بين الصفة والموصوف لافادة النفي وجي بالصفة الاولى اسما وبالثانية
فعلا دلالة على نفي ثبوت هذه الصفة واستقرارها للظل ونفي التجدد والحدوث للاغناء عن اللهب يقال اغن عني
وجهك اي ابعد لان الغناء عن الشيء يباعده كما ان الحاجة اليه تقاربه قال الزمخشري في محل الجر اي وغير مغن عنهم من حر
اللهب شيئا **قوله تعالى** انها اي ان جهنم لان السياق كله لاجلها وقرا العامة بشرر بفتح الشين وعدم الف بين الرائين
وورش يرقق الرا الاولى لكسر التي بعدها وقرا ابن عباس وابن مقسم بكسر الشين والف بين الرائين وعيسى كذلك الا انه بفتح
الشين فقراءة ابن عباس يجوز ان يكون جمعا لشررة وفعلة يجمع على فعال نحو رقاب ورقبة ورحبة ورحاب وان يكون
جمعا لشر لا يراد به افعل التفضيل يقال رجل شر ورجال شرار ورجل خير ورجال خيار ويؤنث فيقال امراة شرة وامراة
خيرة فان اريد بهما التفضيل امتنع ذلك فيهما واختصا باحكام مذكورة في كتب النحو اي ترمي بشرار من العذاب او بشرار
من الخلق واما قراءة عيسى فهو جمع شرارة بالالف وهي لغة تميم والشررة والشرارة ما تطاير من النار منتشرا قال القرطبي شرر
واحده شررة والشرار واحده شرارة وهو ما تطاير من النار في كل جهة واصله من شررت الثوب اي بسطته للشمس ليجف
والقصر البناء العالي **قوله تعالى** كالقصر العامة على فتح القاف وسكون الصاد وهو القصر المعروف شبهه في كبره
وعظمه وابن عباس وتلميذه ابن جبير وابن جبير والحسن بفتح القاف والصاد وهي جمع قصرة بالفتح والقصرة اعناق الابل
والنخل واصول الشجر وقرا ابن جبير والحسن ايضا بكسر القاف وفتح الصاد جمع قصرة بفتح القاف قال الزمخشري كحاجة
وحوج وقال ابو حيان كحلقة من الحديد وحلق وقرئ كالقصر بفتح القاف وكسر الصاد قال شهاب الدين ولم ار لها توجيها
ويظهر ان يكون ذلك من باب الاتباع والاصل كالقصر بسكون الصاد ثم اتبع الصاد حركة الراء فكسرها واذا كانوا قد فعلوا
ذلك في المشغول بحركة نحو كتف وكبد فلان يفعلوه من الخالي منها اولى ويجوز ان يكون ذلك للنقل بمعنى انه وقف على الكلمة
فنقل كسرة الراء الى الساكن قبلها ثم اجرى الوصل مجرى الوقف وهو باب سايغ عند القراء والنحاة وقرا عبد الله كالقصر وفيها وجهان

احدهما انه جمع قصر كرهن ورهن قاله الزمخشري والثاني انه مقصور من قصري كقوله • فيها عباسل اسود وغر •
يريد وعور فقصر وكقوله النجم يريد النجوم وتخريج الزمخشري اولى لان محل الثاني اما الضرورة واما الندور **قوله تعالى**
جمالات قرا الاخوان وحفص جمالة والباقون جمالات فالجمالة نحو ذكر وذكارة وحجر وحجارة والثاني انه جمع كالذكارة والحجارة
قال ابو البقا الاول قول النحاة واما جمالات فيجوز ان يكون جمعا لجمالة هذه وان يكون جمعا لجمال وان يكون جمعا لجمال فيكون
جمع الجمع ويجوز ان يكون جمعا لجمل المفرد وكقولهم رجالات قريش كذا قالوه وفيه نظر لانهم نصوا على ان الاسماء الجامدة
غير العاقلة لا يجمع بالالف والتا الا اذا لم يكسر فان كسرت لم يجمع قالوا ولذلك لحن المتنبي في قوله • اذا كان بعض الناس سيفا لدولة
ففي الناس بوقات لها وطبول • فجمع بوقا على بوقات مع قولهم ابواق فكذلك جمالات مع قولهم جمل وجمال على ان بعضهم لا يجيز
ذلك ويجعل نحو حمامات وسجلات شاذ وان لم يكسر وقرا ابن عباس والحسن وابن جبير وقتادة وابو رجا بخلاف عنهم كذلك
الا انهم ضموا الجيم وهي حبال السفن وقيل قلوس الجسور الواحدة جملة لاشتمالها على طاقات الجبال وفيها وجهان احدهما
ان يكون جمالات جمع جمال وجمال جمع جملة كذا قال ابو حيان ويحتاج في اثبات ان جمالات الضم جمع جملة بالضم الى نقل والثاني
ان جمالات جمع جمالة قاله الزمخشري وهو ظاهر وقرا ابن ابي عباس والسلمي وابو حيوة جمالة بضم الجيم ودال لما قاله الزمخشري
انفا وروي عن علي رضي الله عنه انها قطع النحاس **قوله تعالى** صفر صفة لجمالات او لجمالة لانه اما جمع او اسم جمع والعامة على سكون
الفا جمع والحسن بضمها كانه اتباع ووقع التشبيه هنا في غاية الفصاحة قال الزمخشري وقيل صفر سود تضرب الى الصفرة
وفي شعر عمران بن حطان الخارجي • دعتهم باعلى صوتها ورمتهم • بمثل الجمال الصفر نزاعة الشوى • وقال ابو العلا حيث قال •
حمراء ساطعة الذوايب في الدجى • ترمي بكل شرارة كطراف • فشبهها بالطراف وهو بيت الادم في العظم والحمرة وكانه قصد
بخبثه ان يزيد على تشبيه القران ولتبجحه بما سول له من توهم الزيادة جاء في صدر بيته بقوله حمراء توطئة لها ومناداة عليها
وتنبيها للسامعين على مكانها ولقد عمي جمع الله له عمى الدارين عن قوله تعالى كانه جمالات صفر فانه بمنزلة قوله كبيت احمر وعلى ان
في التشبيه بالقصر وهو الحصن تشبيهها من جهتين من جهة العظم ومن جهة الطول في الهوا والعظم والصفرة انتهى وكان قد قال قبل
ذلك تعليل شبهه بالقصور ثم بالجمال لبيان التشبيه الا ترى انهم يشبهون الابل بالافدان والافدان القصور كانه يشير الى
قول عنترة • فوقفت فيها ناقتي وكانها • فدن لاقضي حاجة المتلوم • **فصل** قال القرطبي القصر البناء العالي
وقيل القصر جمع قصرة ساكنة الصاد مثل جمر وجمرة وتمر وتمرة والقصر الواحد من جزل الحطب الغليظ وقال سعيد بن جبير
والضحاك هي اصول النخل والشجر العظام اذا وقع وقطع وقيل اعناقه وشبه الشرر بالجمال الصفر وهي الابل السود والعرب تسمي
السود من الابل صفرا قال الشاعر • تلك خيلي منه وتلك ركابي • هن صفر اولادها كالزبيب • اي هن سود وانما سميت السود
من الابل صفرا لانه يشوب سوادها شيء من صفرة قال الترمذي وهذا القول ضعيف ومحال في اللغة ان يكون من تشوبه
شيء قليل فينسب كله الى ذلك الشائب فالعجب ممن قد قال هذا وقد قال الله تعالى جمالات صفر فلا نعلم شيئا من هذا في اللغة
والجمالات الجمال وقال الفرا يجوز ان يكون الجمالات بالضم الشيء المجمل يقال اجملت الحساب وجاء القوم جملة اي مجتمعين والمعنى
ان هذا الشرر يرتفع كانه شيء مجموع غليظ اصفر وقيل شبهها بالجمالات لسرعة سيرها وقيل لمتابعة بعضها بعضا **قوله تعالى**
هذا يوم لا ينطقون العامة على رفع يوم خبرا لهذا اي تقول الملائكة هذا يوم لا ينطقون ويجوز ان يكون قوله انطلقوا
من قول الملائكة ثم يقول الله لاوليائه هذا يوم لا ينطق الكفار ومعنى اليوم الساعة والوقت وزيد بن علي والاعرج والاعمش
وابو حيوة وعاصم في بعض طرقه بالفتح وفيه وجهان احدهما ان الفتحة فتحة بناء وهو خبر لهذا كما تقدم والثاني انه منصوب
على الظرف واقعا لهذا على ان يشار به لما تقدم من الوعيد كانه قيل هذا العقاب المذكور كائن يوم لا ينطقون وقد تقدم اخر
المائدة ما يشبه هذا في قوله تعالى هذا يوم ينفع الا ان النصب هناك متواتر **قوله تعالى** ولا يؤذن العامة على عدم تسمية الفاعل
وحكى الاهوازي عن زيد بن علي ولا ياذن سمي الفاعل وهو الله تعالى وقوله فيعتذرون في رفعه وجهان احدهما
انه مستانف اي فهم يعتذرون قال ابو البقا ويكون المعنى انهم لا ينطقون نطقا ينفعهم وينطقون في بعض المواقف ولا ينطقون
في بعضها والثاني انه معطوف على يؤذن فيكون منفيا ولو نصب لكان متسببا عنه وقال ابن عطية ولم ينصب في جواب النفي
لتشابه رؤوس الاي والوجهان جايزان انهما بمعنى واحد وليس كذلك بل المرفوع له معنى غير معنى المنصوب والى مثل هذا ذهب
الاعلم فيرفع الفعل ويكون معناه النصب ورد عليه ابن عصفور قال الفرا في قوله ولا يؤذن لهم فيعتذرون الفا نسق اي
عطف على يؤذن واجيز ذلك لان اواخر الكلام بالنون ولو قال فيعتذروا لم يوافق الايات وقد قال لا يقضى عليهم فيموتوا بالنصب
وكله صواب ومثله من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه بالرفع والنصب **فصل** هذا نوع اخر من انواع
تخويف الكفار لان الله تعالى بين انه ليس لهم عذر ولا حجة فيما اتوا به من القبائح ولا لهم قدرة على دفع العذاب عن انفسهم واعلم ان يوم
القيامة له مواطن ومواقيت فهذا من المواقيت التي لا يتكلمون فيها ولا يؤذن لهم في الاعتذار روى عكرمة ان ابن عباس رضي الله عنه ساله

ابن الازرق عن قوله تعالى هذا يوم لا ينطقون ولا تسمع الا همسا وقد قالوا واقبل بعضهم على بعض يتساءلون فقال له
ان الله عز وجل يقول وان يوما عند ربك كالف سنة فان لكل مقدار من هذه الايام لونا من هذه الالوان وقال الحسن فيه
اضمار اي هذا يوم لا ينطقون فيه بحجة نافعة ومن نطق بما لا ينفع ولا يفيد فكانه ما نطق كما يقال لمن ذكر كلاما غير مفيد
ما قلت شيئا وقيل ان هذا وقت جوابهم اخسئوا فيها ولا تكلمون قال الفرا اراد بقوله لا ينطقون تلك الساعة وذلك القدر
من الوقت الذي لا ينطقون فيه كما تقول اتيتك يوم يقدم فلان والمعنى ساعة يقدم وليس اليوم كله لان القدوم انما
يكون في وقت يسير ولا يمتد في كل اليوم واجاب ابن الخطيب بان قوله تعالى لا ينطقون لفظ مطلق والمطلق لا يفيد العموم
لا في الانواع ولا في الاوقات بدليل انك تقول فلان لا ينطق بالشر ولكنه ينطق بالخير وتارة تقول فلان لا ينطق بشيء
البتة فهذا يدل على ان مفهوم لا ينطق مشترك بين الدائم والموقت واذا كان كذلك فمفهوم لا ينطق يكفي في صدقه عدم
النطق ببعض الاشيا وفي بعض الاوقات وذلك لا ينافي حصول النطق بشيء اخر في وقت اخر فيكتفي في صدق
قوله لا ينطقون انهم لا ينطقون بعذر وعلة في وقت واحد وهو وقت السؤال فان قيل لو حلف لا ينطق في هذا اليوم
حنث في نطقه في جزء منه قلنا ذلك اعرف الايمان وبحثنا في مفهوم اللفظ من حيث هو قال ابن الخطيب فان قيل قوله
ولا يؤذن لهم فيعتذرون يوهم ان لهم عذرا وقد منعوا من ذكره وهذا لا يليق بالحكمة فالجواب انه ليس لهم عذر
في الحقيقة ولكن ربما تخيلوا خيالا فاسدا ان لهم فيه عذرا فهم لا يؤذن لهم في ذكر ذلك الخيال الفاسد **قوله تعالى**
هذا يوم الفصل جمعناكم هذا نوع اخر من انواع تهديد الكفار وتخويفهم اي يقال لهم هذا اليوم الذي يفصل فيه
بين الخلائق فيتبين المحق من المبطل جمعناكم والاولين قال ابن عباس جمع الذين كذبوا محمدا والذين كذبوا النبيين من
قبله فان كان لكم كيد اي حيلة في الخلاص من العذاب فكيدون اي فاحتالوا لانفسكم وقاووني ولن تجدوا ذلك وقيل
فان كان لكم كيد اي قدرتم على حرب فكيدون اي حاربون رواه الضحاك عن ابن عباس ايضا قال يريد كنتم في الدنيا
تحاربون محمدا وتحاربوني فاليوم حاربوني وقيل انكم كنتم في الدنيا تعملون المعاصي وقد عجزتم الان عنها وعن الدفع
عن انفسكم وقيل انه من قول النبي صلى الله عليه وسلم فيكون كقول هود عليه السلام فكيدوني جميعا ثم لا تنظرون
قوله تعالى ان المتقين في ظلال وعيون قال مقاتل والكلبي المراد بالمتقين الذين يتقون الشرك بالله تعالى لان السورة
من اولها الى اخرها في تقريع الكفار على كفرهم وتخويفهم قال ابن الخطيب فيجب ان تكون هذه الاية مذكورة لهذا الغرض
والا لتفككت السورة في نظمها وترتيبها وانما يتم النظم بان يكون الوعد للمؤمنين بسبب ايمانهم فاما جعله بسبب الطاعة
فلا يليق بالنظم وايضا فان المتقي للشرك يصدق عليه انه متق لان غاية هذا انه عام مخصوص فيبقى حجة فيما عدا محل
التخصيص وايضا فان حمل اللفظ على المعنى الكامل اولى واكمل انواع التقوى تقوى الشرك فالحمل عليها اولى وقال بعضهم
هذه الاية ايضا من جملة التهديد فان الكفار في الدنيا يكون الموت عليهم اسهل من ان يكون للمؤمنين دولة فاذا راوا عاقبة
الفريقين في الاخرة تضاعفت حسرتهم وندمهم ولما اوعد الكفار بظل ذي ثلاث شعب وعد المؤمنين بظلال وعيون
وفواكه **قوله تعالى** في ظلال هذه قراءة العامة والاعمش والزهري وطلحة والاعرج ظلل جمع ظلة يعني في الجنة
وتقدم في يونس مثلها الا انهما متواتران **قوله تعالى** كلوا مقولا لقول ذلك المنصوب على الحال من الضمير المستكن في
الظرف اي كائنين في ظلال مقولا لهم وكذلك كلوا وتمتعوا قليلا فان كان ذلك مقولا لهم في الدنيا فواضح وان
كان مقولا في الاخرة فيكون تذكيرا بحالهم اي احقاء بان يقال لهم في دنياهم كذا ومثله قوله • اخوتي لا تبعدوا ابدا •
وبلى والله قد بعدوا • اي هم اهل ان يدعا لهم بذلك **قوله تعالى** انا كذلك نجزي المحسنين اي نثيب الذين احسنوا
في تصديقهم بمحمد صلى الله عليه وسلم واعمالهم في الدنيا **فصل** اختلفوا في قوله كلوا واشربوا هل هو امر او اذن
فقال ابو هاشم هو امر واراد الله تعالى منهم الاكل والشرب لان سرورهم يعظم بذلك اذا علموا ان الله تعالى اراده منهم
جزاء على عملهم فكما يريد اجلالهم واعظامهم بذلك فكذلك يريد نفس الاكل والشرب منهم وقال ابو علي ليس بامر وانما قوله
على وجه الاكرام والامر والنهي انما يحصلان في زمان التكليف لا في الاخرة **فصل** تمسك من قال العمل
يوجب الثواب بالبا في قوله بما كنتم تعملون قال ابن الخطيب وهذا ضعيف لان البا للالصاق فلما جعل ذلك العمل علامة
لهذا الثواب كان الاتيان بذلك كالالة والوصلة الى تحصيل ذلك الثواب وقوله تعالى انا كذلك نجزي المحسنين المقصود
منه تذكير الكفار بما فاتهم من النعيم العظيم ليعلموا انهم لو كانوا من المتقين المحسنين لفازوا بمثل تلك الخيرات فلما لم يفعلوا
وقعوا فيما وقعوا فيه **قوله تعالى** كلوا وتمتعوا قليلا انكم مجرمون هذا مردود الى ما تقدم قبل المتقين وهو وعيد
وتهديد وهو حال من المكذبين اي الويل ثابت لهم في حال ما يقال لهم كلوا وتمتعوا قليلا انكم مجرمون اي كافرون في قبل
مكتسبون فعالا يضركم في الاخرة من الشرك فكانه تعالى يقول للكافر كونه في الدنيا انك انما عرضت نفسك لهذه الاوقات التي وصفناها

لمحبتك الدنيا ورغبتك وطيباتها الا ان طيباتها قليلة بالنسبة الى تلك الاوقات العظيمة فالمشتغل بتعظيمها يجري مجرى لقمة واحدة من الحلوى وفيها السم المهلك فانه يقال لا كلها تذكر اكلوا وتمتعوا كلا هذا وويل لك منه بعدا فانك من الهالكين بسببه فهذا وان كان في الفظ الامر فهو في المعنى بليغ وزجر عظيم **قوله تعالى** واذا قيل لهم اركعوا لا يركعون وهذا نوع آخر من انواع تخويف الكفار اي اذا قيل لهؤلاء المشركين اركعوا اي صلوا لا يركعون لا يصلون قال مجاهد قال مقاتل نزلت في ثقيف امتنعوا من الصلاة فنزلت ذلك فيهم قال مقاتل قال لهم النبي صلى الله عليه وسلم اسلموا وامرهم بالصلوة فقالوا لا ننحني فانها مسبة علينا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا خير في دين ليس فيه ركوع ولا سجود وقال ابن عباس انما يقال لهم هذا في الآخرة حين يدعون الى السجود فلا يستطيعون وقال قتادة هذا في الدنيا **فصل** قال ابن العربي هذه الآية تدل على وجوب الركوع وكونه ركنا في الصلاة وقد انعقد الاجماع عليه وقال قوم ان هذا انما يكون في الآخرة وليست بدار تكليف فيتوجه فيها امر يكون عليه ويل وعقاب وانما يدعون الى السجود كشفا لحال الناس في الدنيا فمن يسجد له تمكن من السجود ومن كان يسجد ريا لغيره صار ظهره طبقا واحدا وقيل اذا قيل لهم اخضعوا للحق لا يخضعون فهو عام في الصلاة وغيرها وانما ذكر الصلاة لانها اصل الشرايع بعد التوحيد والامر بالصلاة امر بالايمان لانها لا تصح من غير ايمان **فصل** حكى ابن الخطيب عن ابن عباس رضي الله عنه ان المراد بقوله تعالى واذا قيل لهم اركعوا لا يركعون هو الصلوات قال وهذا ظاهر لان الركوع من اركانها فبين تعالى ان هؤلاء الكفار من صفتهم انهم اذا دعوا الى الصلوة لا يصلون وهذا يدل على ان الكفار مخاطبون بفروع الشرايع وانهم حال كفرهم يستحقون الذم والعقاب بترك الصلاة لان الله تعالى ذمهم حال كفرهم على ترك الصلاة **فصل** استدلوا بهذه الآية على ان الامر للوجوب لان الله تعالى ذمهم بمجرد ترك المامور به وهذا يدل على ان مجرد الامر للوجوب فان قيل انما ذمهم لكفرهم فالجواب انه تعالى ذمهم على كفرهم من وجوه الا انه تعالى انما ذمهم في هذه الآية لترك المامور به فدل على ان ترك المامور به غير جائز **قوله تعالى** فباي حديث بعده يؤمنون متعلق بقوله يؤمنون والعامة على الغيبة وقرا ابن عامر في رواية ويعقوب بالخطاب على الالتفات او على الانفصال **فصل** قال ابن الخطيب اعلم انه تعالى لما بالغ في زجر الكفار من اول هذه السورة الى آخرها في الوجوه العشرة المذكورة وحث على التمسك بالنظر والاستدلال والانقياد للدين الحق ختم السورة بالتعجب من الكفار وبين انهم اذا لم يؤمنوا بهذه الدلايل اللطيفة مع تجليها ووضوحها فباي حديث بعده يؤمنون قال القاضي هذه الآية تدل على ان القرآن محدث لان الله تعالى وصفه بانه حديث والحدوث ضد القدم والضدان لا يجتمعان فاذا كان محدثا وجب ان لا يكون قديما واجيب بان المراد منه هذه الالفاظ ولا نزاع في انها محدثة روى الثعلبي عن ابي بن كعب رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة والمرسلات كتب انه ليس من المشركين والله اعلم بالصواب واليه المرجع والمآب

سورة النبأ

مكية وهي اربعون او احدى واربعون آية ومائة وثلاث وسبعون كلمة وسبعمائة وسبعون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى عم يتساءلون قد تقدم ان البزي يلحقها هاء السكت عوضا عن الف ما الاستفهامية في الوقف ونقل عن ابن كثير انه يقراء بالهاء وصلا اجرى الوصل مجرى الوقف وقرا عبد الله وابي وعكرمة وعيسى عما باثبات الالف وقد تقدم انه يجوز ضرورة وفي قليل من الكلام ومنه • على ما قام يشتمني لئيم • كخنزير تمرغ في رماد • وتقدم ان الزمخشري جعل منه مما غفر لي ربي في يس وهم فيه فيه لان اظهرهما انه متعلق بيتساءلون قال ابو اسحق الكلام تام في قوله عم يتساءلون ثم كان مقتضى القول ان يجيب مجيب فيقول يتساءلون عن النبا العظيم فاقتضى ايجاز القرآن وبلاغته ان يبادر المحتج بالجواب الذي يقتضيه الحال والمجاورة اقتضاء بالحجة واسراعا الى موضع قطعهم والثاني انه متعلق بفعل مقدر ويتعلق عن النبا العظيم بهذا الفعل الظاهر قال الزمخشري وعن ابن كثير انه قرا عمه بهاء السكت ولا يخلو اما ان يجري الوصل مجرى الوقف واما ان يقف ويبتدي يتساءلون عن النبا العظيم على ان يضمر يتساءلون لان ما بعده يفسر كشي مبهم ثم يفسر **فصل** قال ابن الخطيب عم اصله عما لانه حرف جر دخل على ما الاستفهامية قال حسان بن ثابت • على ما قام يشتمني لئيم • والاستعمال الكثير على الحذف والاصل قليل وذكروا في سبب الحذف وجوها احدها قال الزجاج لان الميم تشرك الغنة في الالف فصارا كالحرفين المتماثلين وثانيها قال الجرجاني انهم اذا وضعوها في الاستفهام حذفوا الفها تفرقة بينها وبين ان تكون اسما كقولهم فيم وبم ولم وحتام وثالثها انهم قالوا حذفت الالف لاتصال ما بحرف الجر حتى صارت

كالجزء منه لينبي عن شدة الاتصال ورابعها حذف للتخفيف في الكلام فانه لفظ كثير الترداد على اللسان **فصل** قال ابن الخطيب قوله تعالى عم يتساءلون سؤال وقوله عن النبا العظيم جواب والسائل والمجيب هو الله تعالى وذلك يدل على علمه بالغيب بل بجميع المعلومات وفايدة ذكره في معرض السؤال والجواب لانه اقرب الى التفهيم والايضاح ونظيره قوله تعالى لمن الملك اليوم لله الواحد القهار **فصل** ما لفظة وضعت لطلب ماهيات الاشياء وحقايقها تقول ما الملك وما الروح وما الجن والمراد طلب ماهياتها وشرح حقايقها وذلك يقتضي كون ذلك المطلوب مجهولا ثم ان الشي العظيم الذي يكون لعظمه متميزا يعجز العقل عن ان يحيط بكنهه كانه مجهول فحصل بين الشي المطلوب بلفظ ما وبين الشي العظيم مشابهة من هذا الوجه فلذلك سئل عنها استعارة كانه مجهول ومنه الحاقة ما الحاقة وما ادراك ما سجين ما العقبة وشبهه **فصل** قال الفرا السؤال هو ان يسال بعضهم بعضا كالتقابل وقد يستعمل ايضا في ان يتجه نحو ابه وان لم يكن بينهم سؤال قال تعالى واقبل بعضهم على بعض يتساءلون قال قايل منهم اني كان لي قرين الآية وهذا يدل على التحدث **فصل** والضمير في يتساءلون لقريش روى ابو صالح عن ابن عباس رضي الله عنه قال كانت قريش تجلس لما نزل القرآن فيتحدث فيما بينهم فمنهم المصدق ومنهم المكذب به فنزلت عم يتساءلون وقيل عم فيم فيتشدد المشركون او يختصمون بدليل قوله كلا سيعلمون ثم كلا سيعلمون وهذا تهديد والتهديد لا يليق الا بالكفار فان قيل فما تصنع بقوله تعالى هم فيه مختلفون مع ان الكفار كانوا متفقين في انكار الحشر فالجواب لا نسلم اتفاقهم في انكار الحشر لان منهم من كان يثبت المعاد الروحاني وهم جمهور النصارى واما المعاد الجسماني فمنهم من كان شاكا فيه لقوله وما اظن الساعة قايمة ولين رجعت الى ربي ان لي عنده للحسنى ومنهم من ينكره ويقول ان هي الا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين ومنهم من يقر به لكنه ينكر نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فقد حصل اختلافهم وايضا هب انهم كانوا منكرين له لكن لعل اختلافهم في كيفية انكاره فمنهم من انكر لانكاره الصانع المختار ومنهم من ينكره لاعتقاده ان اعادة المعدوم ممتنعة لذاتها والقادر المختار انما يكون قادرا على الممكن في نفسه وقيل الضمير في يتساءلون هم الكفار والمؤمنون كانوا جميعا يسالون عنه فاما المسلم فيزداد يقينا وبصيرة في دينه واما الكافر فاستهزاء وسخرية وعلى سبيل ايراد الشكوك والشبهات قال ابن الخطيب ويحتمل انهم يسالون الرسول صلى الله عليه وسلم ويقول ما هذا الذي تعدنا به من امر الآخرة **قوله تعالى** عن النبا يجوز فيه ما جاز في قوله تعالى لاي يوم اجلت في البداية والتعلق بفعل مقدر ويزيد عليه هنا انه يتعلق بالفعل الظاهر ويتعلق ما قبله بمضمر كما تقدم عن الزمخشري وقال ابن عطية قال اكثر النحاة عن النبا العظيم متعلق بيتساءلون الظاهر كانه قال لم يتساءلون عن النبا وقوله عم هو استفهام بمعنى التفخيم والتعظيم وقال المهدوي عن ليس يتعلق بيتساءلون الذي في التلاوة لانه كان يلزم دخول حرف الاستفهام فيكون عن النبا العظيم كقولك كم مالك اثلاثون ام اربعون فوجب لما ذكرناه امتناع تعلقه بيتساءلون الذي في التلاوة وانما يتعلق بيتساءلون آخر مضمر وحسن ذلك تقدم يتساءلون قال القرطبي وذكر بعضهم ان الاستفهام في قوله عم مكرر الا انه مضمر كانه قال عم يتساءلون اعن النبا العظيم فعلى هذا يكون متصلا بالآية الاولى والنبا العظيم اي الخبر الكبير الذي هم فيه مختلفون اي يخالف فيه بعضهم بعضا فيصدق واحد ويكذب الآخر **قوله تعالى** مختلفون خبر هم وفيه متعلق به والموصول يحتمل الحركات الثلاث اتباعا وقطعا رفعا ونصبا **فصل** قال ابن عباس رضي الله عنه النبا هو القرآن قال تعالى قل هو نبا عظيم انتم عنه معرضون فالقرآن نبا وخبر وقصص وهو نبا عظيم وكانوا يختلفون فيه فجعله بعضهم سحرا وبعضهم شعرا وبعضهم قال اساطير الاولين وقال قتادة هو البعث بعد الموت اختلفوا فيه فمصدق ومكذب ويدل عليه قوله تعالى ان يوم الفصل كان ميقاتا وروي عن ابن عباس رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم لانه لما بعث سال اليهود عن اشياء كثيرة فاخبره الله باختلافهم وايضا لجعل الكفار يتساءلون فيما بينهم ما هذا الذي حدث فانزل الله تعالى عم يتساءلون وذلك انهم عجبوا من ارسال محمد صلى الله عليه وسلم قال تعالى بل عجبوا ان جاءهم منذر منهم فقال الكافرون هذا شيء عجيب وعجبوا ان جاءهم ايضا بالتوحيد كما قال تعالى اجعل الآلهة الها واحدا ان هذا لشيء عجاب فحكى الله تعالى عن مسالة بعضهم بعضا على سبيل التعجب بقوله عم يتساءلون **قوله تعالى** كلا سيعلمون ثم كلا سيعلمون التكرار للتوكيد وزعم ابن مالك انه من باب التوكيد اللفظي ولا يضر توسط حرف العطف والنحويون يابون هذا ولا يسمونه الا عطفا وان افاد التاكيد والعامة على الغيبة في الفعلين والحسن وابن دينار وابن عامر بخلاف عنه بالخطاب فيهما والضحاك قرا الاول كالحسن والثاني كالعامة والغيبة والخطاب واضحان **فصل** قال القفال كلا لفظة وضعت للرد والمعنى ليس الامر كما يقوله هؤلاء في النبا العظيم انه باطل وانه لا يكون وقيل معناه حقا ثم انه تعالى كرر ذلكا الردع والتهديد فقال سبحانه ثم كلا سيعلمون وهو وعيد بانهم سوف يعلمون ان ما يتساءلون عنه ويضحكون منه حق لا دافع له واما تكرير الردع فقيل للتاكيد ومعنى ثم الاشعار بان الوعيد الثاني ابلغ

من الوعيد الاول واشد وقيل ليس بتكرير قال الضحاك الاولى للكفار والثانية للمومنين اي سيعلم الكفار عاقبة
تكذيبهم وسيعلم المومنون عاقبة تصديقهم وقال القاضي يحتمل ان يريد بالاول سيعلمون نفس العذاب اذا شاهدوه
وبالثاني **قوله تعالى** وقيل كلا سيعلمون ما الله فاعل بهم يوم القيمة ثم كلا سيعلمون ان الامر ليس كما كانوا يتوهمون
من ان الله تعالى غير باعث لهم **قوله تعالى** الم نجعل الارض مهادا لما حكى الله تعالى عنهم انكار البعث والحشر واراد اقامة
الدلائل على صحة الحشر قدم لذلك مقدمة في بيان كونه تعالى قادرا على جميع الممكنات عالما بجميع المعلومات لانه اذا ثبت
هذان الاصلان ثبت القول بصحة البعث فاثبت هذين الاصلين بان عدد انواعا من مخلوقاته الحكمة المتقنة فان هذه
الاشيا من جهة حدوثها تدل على القدرة ومن جهة احكامها واتقانها تدل على العلم واذا ثبت هذان الاصلان وثبت ان
الاجسام متساوية في قبول الصفات والاعراض ثبت لا محالة كونه تعالى قادرا على تخريب الدنيا بسمواتها وكواكبها
وارضها وعلى ايجاد عالم الاخرة فهذا وجه النظم **قوله تعالى** مهادا مفعول ثان لان الجعل بمعنى التصيير ويجوز
ان يكون بمعنى الخلق فيكون مهادا حالا مقدرة وقرا العامة مهادا وقرا مجاهد وعيسى وبعض الكوفيين مهدا وقد تقدم هاتان
القراتان في سورة طه وان الكوفيين قراوا مهدا في طه والزخرف فقط وتقدم الفرق بينهما ثمة **قوله تعالى** والجبال
اوتادا والكلام عليهما كالكلام في مهادا من المفعولية والحالية ولا بد من تاويلهما بمشتق ايضا اي مثبتات والمهاد الوطا وهو
الفراش لقوله تعالى جعل لكم الارض فراشا ومعنى مهدا اي كمهد الصبي وهو ما يمهد له فينوم عليه والاوتاد اي لتسكن ولا
تميل باهلها **قوله تعالى** وخلقناكم ازواجا اي اصنافا ذكرا وانثى وقيل الوانا وقيل يدخل كل زوج بهيج وقبيح وحسن
وطويل وقصير لتختلف الاحوال فيقع الاعتبار **قوله تعالى** وجعلنا نومكم سباتا الظاهر انه مفعول ثان ومعناه
راحة لابدانكم ومنه السبت اي يوم الراحة اي قيل لبني اسرائيل استريحوا في هذا اليوم ولا تعملوا فيه شيئا وانكر ابن الانباري
هذا وقال لا يقال للراحة سباتا وقيل اصله التمدد يقال سبتت المراة شعرها اذا حلته وارسلته فالسبات كالممدود
ورجل مسبوت الخلق اي ممدود واذا اراد الرجل ان يستريح تمدد فسميت الراحة سبتا وقيل اصله القطع يقال سبت شعره
سبتا اي حلقه وكانه اذا نام انقطع عن الناس وعن الاشتغال والسبات يشبه الموت الا انه لم يفارقه الروح ويقال سير
سبت اي سهل لين **قوله تعالى** وجعلنا الليل لباسا فيه استعارة حسنة وعليه قول المتنبي • وكم لظلام الليل عندك من يد •
تخبر ان المانوية تكذب • والمعنى يلبسكم ظلمته وتغشاكم قاله الطبري قال القفال اصل اللباس هو الشي الذي يلبسه الانسان
ويتغطى به فيكون ذلك مغطيا فلما كان الليل يغشى الناس بظلمته فيغطيهم جعل لباسا لهم فلهذا سمي الليل لباسا على وجه
المجاز ووجه النعمة في ذلك هو ان ظلمة الليل تستر الانسان عن العيون اذا اراد هربا من عدو او اخفاء ما لا يحب
اطلاع غيره عليه وقال ابن جبير والسدي اي سكنا لكم **قوله تعالى** وجعلنا النهار معاشا فيه اضمار اي وقت معاش
فيكون مفعولا وظرفا للتبعيض اي متصرفا لطلب المعاش وهو كل ما يعاش به من المطعم والمشرب وغير ذلك فمعاشا
على هذا اسم زمان ليكون الثاني هو الاول ويجوز ان يكون مصدرا بمعنى العيش على تقدير حذف المضاف يقال عاش
يعيش عيشا ومعاشا ومعيشة ومعنى كون النهار معيشة ان الخلق انما يمكنهم التقلب في حوائجهم ومكاسبهم في النهار **قوله تعالى**
وبنينا فوقكم سبعا شدادا اي سبع سموات محكمات اي محكمة الخلق وثيقة البنيان وشداد جمع شديدة اي قوية لا يؤثر فيها
مرور الازمان لا فطور فيها ولا فروج ونظيره قوله تعالى وجعلنا السماء سقفا محفوظا **قوله تعالى** وجعلنا
سراجا وهاجا اي وقادا وهو الشمس وجعل هنا بمعنى خلق لانها تعدت لمفعول واحد والوهاج المضي المتلالي من
قولهم وهج الجوهر اي تلالا وقيل الوهاج الذي له وهج يقال وهج يوهج كوجل يوجل ووهج يهج كوعد يعد وهجا قال
ابن عباس رضي الله عنه وهاجا منيرا متلالئا **قوله تعالى** وانزلنا من المعصرات يجوز في من ان تكون على بابها من ابتداء
الغاية وان تكون للسببية ويدل قراءة عبد الله بن زيد وعكرمة وقتادة بالمعصرات بالباء بدل من وهذا على الخلاف في المعصرات
ما المراد بها فعن ابن عباس انها السحاب وهو قول سفيان والربيع وابي العالية والضحاك اي السحاب التي تنعصر بالماء ولم تمطر
بعد كالمراة المعصر التي قد دنا حيضها ولم تحض يقال اعصرت السحاب اي شارفت ان تعصرها الرياح فتمطر كقولك اجز الزرع
اذا حان له ان يجز وانشد ابن قتيبة لابي النجم • تمشي الهوينا مائلا خمارها • قد اعصرت او قد دنا اعصارها • ولولا
تاويل اعصرت بذلك لكان ينبغي ان يكون المعصرات بفتح الصاد اسم مفعول لان الرياح تعصرها وقال الزمخشري وقرا
عكرمة بالمعصرات وفيه وجهان احدهما ان يراد بالرياح التي حان لها ان تعصر السحاب وان يراد السحاب لانه اذا كان
الانزال منها فهو بها كما تقول اعطى من يده درهما واعطى بيده وعن ابن عباس ومجاهد المعصرات الرياح ذوات الاعاصير
كانها تعصر السحاب وعن الحسن وقتادة هي السموات وتاويله ان الما ينزل من السما الى السحاب فكان السموات يعصرون
اي يحملن على العصر وتمكن منه فان قلت فما وجه من قرا من المعصرات وفسرها بالرياح ذوات الاعاصير والمطر لا ينزل من

الرياح قلت الرياح هي التي تنشي السحاب وتدر اخلافه فيصح ان يجعل مبدا للانزال وقد جاء ان الله تبارك وتعالى يبعث
الرياح فتحمل الماء من السماء فان صح ذلك فالانزال منها ظاهر فان قلت ذكر ابن كيسان انه جعل المعصرات بمعنى المغيثات
والعاصر هو المغيث لا المعصر يقال عصره فاعتصر قلت وجهه ان يراد اللاتي اعصرن اي حان لها ان تعصر اي تغيث يعني ان
عصر بمعنى الاغاثة ثلاثي فكيف قال هنا معصرات بهذا المعنى وهو من الرباعي فاجاب عنه بما تقدم يعني ان الهمزة بمعنى الدخول
في الشي قال القرطبي ويجوز ان يكون الانزال واحدة ويكون المعنى وانزلنا من ذوات الرياح المعصرات ماء ثجاجا واصح الاقوال
ان المعصرات السحاب كذا المعروف ان الغيث منها ولو كان بالمعصرات لكان الريح اولى وفي الصحاح والمعصرات السحاب تعتصر
بالمطر واعصر القوم اي مطروا ومنه قراءة بعضهم وفيه يعصرون والمعصر الجارية التي قربت من البلوغ والمعصر السحابة التي حان
لها ان تمطر فقد اعصرت ومنه العصر بالتحريك للملجا الذي يلجا اليه والعصر بالضم ايضا الملجا وانشد ابو زبيد • صاديا يستغيث
غير مغاث • ولقد كان عصرة المنجود **قوله تعالى** ماء ثجاجا الثج الانصباب بكثرة وشدة وفي الحديث احب العمل الى
الله تعالى العج والثج فالعج رفع الصوت بالتلبية والثج اراقة دماء الهدي يقال ثج الما بنفسه اي انصب وثججته انا اي صببته
ثجا وثجوجا فيكون لازما ومتعديا وقال الشاعر • اذا رجفت فيها رحى مرجحنة • تبعج ثجاجا غزير الحوافل • وقرا
الاعمش ثجاحا بالحاء المهملة اخيرا قال الزمخشري ومثاجح الما مصابه والما ينثجح في الوادي وكان ابن عباس مثجا يعني يثج الكلام
ثجا في خطبته **قوله تعالى** لنخرج به اي بذلك الماء حبا كالحنطة والشعير وغير ذلك ونباتا من الاب وهو ما ياكله الدواب
من الحشيش وجنات اي بساتين الفافا اي ملتفة بعضها ببعض لتشعب اغصانها وفي الالفاف اوجه احدها انه لا واحد
له قال الزمخشري الفافا ملتفة لا واحد له كالاوزاع والاخياف والثاني انه جمع لف بكسر اللام فيكون نحو سر واسرار
وانشد ابو علي الطوسي • جنة لف وعيش مغدق • وندامى كلهم بيض زهر • وهذا قول اكثر اهل اللغة ذكره الكسائي
الثالث انه جمع لفيف قاله الكسائي وابو عبيدة كشريف واشراف وشهيد واشهاد قال الشاعر • احابيش الفاف تباين
زرعهم • وحرمهم من نسبة المتعرف • الرابع انه جمع الجمع وذلك ان الاصل الف في المذكر ولفا في المؤنث كاحمر وحمراء ثم جمع
لف على الفاف اذ صار لف زنته فعل فجمع جمعه قاله ابن قتيبة الا ان الزمخشري قال وما اظنه واجدا له نظيرا من نحو خضر
واخضار وحمر واحمار قال شهاب الدين كانه يستبعد هذا القول من حيث ان نظايره لا يجمع على افعال اذ لا يقال
خضر ولا حمر واحمار وان كان اجمعين لاحمر وحمرا واخضر وخضرا وهذا غير لازم لان جمع الجمع لا ينقاس ويكفي ان يكون
له نظير في المفردات كما ان مران لغا صار يضارع فعلا ولهذا امتنعوا من تكسير مفاعل ومفاعيل لعدم نظير
في المفردات يجمل ان عليه الخامس قال الزمخشري ولو قيل هو جمع ملتفة بتقدير حذف الزوايد لكان قولا وجيها
وهذا متكلف لا حاجة اليه وايضا فغالب عبارات النحاة في حذف الزوايد انما هو في التصغير يقولون تصغير الترخيم
بحذف الزوايد وفي المصادر يقولون هذا المصدر على حذف الزوايد قال القرطبي ويقال شجرة لفا وشجر لف وامراة
لفا اي غليظة الساق مجتمعة اللحم وقيل التقدير ونخرج به جنات الفافا ثم حذف لدلالة الكلام عليه **قوله تعالى**
ان يوم الفصل كان ميقاتا اي وقتا ومجمعا وميعادا للاولين والاخرين لما وعد الله من الجزاء والثواب وسمي يوم الفصل
لان الله تعالى يفصل فيه بين خلقه **قوله تعالى** يوم ينفخ في الصور يجوز ان يكون بدلا من يوم الفصل او عطف بيان
له او منصوبا باضمار اعني وافواجا حال من فاعل تاتون وقرا ابو عياض في الصور بفتح الواو وتقدم مثله
فصل هذا النفخ هو النفخة الاخيرة التي عندها يكون الحشر وهذا هو النفخ للارواح وقيل هو قرن ينفخ فيه
للبعث فتاتون اي الى موضع العرض افواجا اي امما كل امة مع امامهم روي معاذ بن جبل رضي الله عنه قلت يا رسول الله
ارايت قول الله تعالى يوم ينفخ في الصور فتاتون افواجا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا معاذ لقد سالت عن امر عظيم
ثم ارسل عينيه باكيا ثم قال عليه الصلاة والسلام يحشر عشرة اصناف من امتي اشتاتا قد ميزهم الله تعالى من جماعات المسلمين وبدل
صورهم فمنهم على صورة القردة وبعضهم على صور الخنازير وبعضهم منكسين ارجلهم اعلاهم ووجوههم يسحبون وبعضهم
عميا وبعضهم صما وبعضهم يمضغون السنتهم مدلاة على صدورهم يسيل القيح من افواههم تقذرهم اهل الجمع وبعضهم مقطعة
ايديهم وارجلهم مصلبين على جذوع من نار وبعضهم اشد نتنا من الجيف وبعضهم ملبسين جلابيب سابغة من القطران
لاصقة بجلودهم فاما الذين على صور القردة فالقتات من الناس يعني النمام واما الذين على صور الخنازير فاهل السحت
والحرام والمكس واما المنكسون على رووسهم ووجوههم فاكلة الربا واما العمي فالذين يجورون في الحكم واما الصم البكم فالمعجبون
باعمالهم واما الذين يمضغون السنتهم فالعلماء الذين يخالف عملهم قولهم واما الذين قطعت ايديهم وارجلهم فالذين
يوذون الجيران واما المصلبون على جذوع النار فالسعاة بالناس الى السلطان واما الذين اشد نتنا من الجيف فالذين
يتبعون الشهوات واللذات ويمنعون حق الله في اموالهم واما الذين يلبسون الجلابيب فاهل الكبر والفخر والخيلاء

وفتحت السماء فكانت ابوابا قرا ابو عامر وحمزة والكسائي فتحت خفيفة والباقون بالتثقيل والمعنى كثرت ابوابها المفتحة لنزول الملائكة كقوله تعالى ويوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملائكة تنزيلا وقيل تقطعت فكانت قطعا كالابواب فانتصاب الابواب على هذا بفتح الكاف وقيل التقدير كانت ذات ابواب لانها تصير كلها ابوابا وقيل ابوابها طرقها وقيل ان لكل عبد بابين في السماء لعمله وبابا لرزقه فاذا قامت القيامة انفتحت الابواب قال القاضي هذا الفتح والتشقق متقارب قال ابن الخطيب وهذا ليس بقوي لان المفهوم من فتح الباب غير المفهوم من التشقق والتفطر فربما يفتح تلك الابواب مع انه لا يحصل في جرم السماء تشقق ولا تفطر بل الدلائل الصحيحة دلت على ان حصول فتح هذه الابواب تحصيل التشقق والتفطر والفنا بالكلية فان قيل قوله تعالى وفتحت السماء فكانت ابوابا يفيد ان السماء بكليتها يصير ابوابا بفعل ذلك فالجواب من وجوه احدها ان تلك الابواب لما كثرت جدا صارت كانها ليست الا ابوابا كقوله تعالى وفجرنا الارض عيونا اي كان الارض كلها صارت عيونا تتفجر وثانيها قال الواحدي هذا على باب حذف المضاف اي فكانت ذات ابواب وثالثها ان الضمير في قوله تعالى فكانت ابوابا يعود الى الضمير والتقدير فكانت تلك المواضع المفتوحة ابوابا لنزول الملائكة **قوله تعالى** وسيرت الجبال فكانت سرابا اي لا شي كما ان السراب كذلك يظنه الرائي ماء وليس بماء وقيل نسفت من اصولها وقيل ازيلت عن مواضعها قال ابن الخطيب ان الله تعالى ذكر احوال الجبال بوجوه مختلفة ويمكن الجمع بينها بان نقول اول احوالها الاندكاك وهو قوله تعالى وحملت الارض والجبال فدكتا دكة واحدة والحالة الثانية ان تصير كالعهن المنفوش وهو قوله تعالى وتكون الجبال كالعهن المنفوش والحالة الثالثة ان تصير كالهبا وهو قوله تعالى وبست الجبال بسا فكانت هباء منبثا والحالة الرابعة ان تنسف لانها مع الاحوال المتقدمة تارة في مواضعها والارض غير بارزة فتنسف عن وجه الارض فيطيرها في الهوا كانها تارة فمن نظر اليها حسبها لتكاثفها اجسادا جامدة وهي في الحقيقة مارة الا ان مرورها بسبب مرور الرياح بها مندكة منسفة والحالة السادسة ان تصير سرابا اي لا شي كما يرى السراب من بعد **قوله تعالى** ان جهنم كانت مرصادا مفعال من الرصد والرصد كل شي كان امامك قرا ابن يعمر وابو عمرو والمنقري ان جهنم بفتح ان قال الزمخشري على تعليل قيام الساعة ان جهنم كانت مرصادا للطاغين كانه قيل كان ذلك لاقامة الجزا يعني انه علة لقوله تعالى يوم ينفخ في الصور الى اخره قال القفال في المرصاد قولان احدهما ان المرصاد اسم للمكان الذي يرصد فيه اي جهنم معدة لهم فالمرصاد بمعنى المحل وعلى هذا فيه احتمالان الاول ان خزنة جهنم يرصدون الكفار والثاني ان مجاز المومنين وممرهم عليها لقوله تعالى وان منكم الا واردها فخزنة الجنة يستقبلون المومنين عند جهنم ويرصدونهم عندها القول الثاني ان المرصاد مفعال من الرصد وهو الترقب بمعنى ان ذلك يكثر منه والمفعال من ابنية المبالغة كالمعطار والمعمار والمطعان قيل انها ترصد اعدا الله وتشد عليهم لقوله تعالى تكاد تميز من الغيظ وقيل ترصد كل منافق وكافر **فصل** دلت الاية على ان جهنم كانت مخلوقة لقوله تعالى ان جهنم كانت مرصادا واذا كان كذلك كانت الجنة كذلك لعدم الفارق **قوله تعالى** للطاغين يجوز ان يكون صفة لمرصادا وان يكون حالا لانه مابا كان صفته فلما تقدم نصب على الحال وعلى هذين الوجهين فيتعلق بمحذوف ويجوز ان يكون متعلقا بنفس مرصادا او بنفس مابا لانه بمعنى مرجع قال ابن الخطيب ان قيل بان مرصادا للكافرين فقط كان قوله للطاغين من تمام ما قبله والتقدير كانت مرصادا للطاغين ثم قوله تعالى مابا بدل من قوله مرصادا وان قيل انها مرصادا مطلقا للكفار والمومنين كان قوله تعالى ان جهنم كانت مرصادا كلاما تاما وقوله جل ذكره للطاغين مابا كلاما مبتدا كانه قيل ان جهنم كانت مرصادا للكل ومابا للطاغين خاصة فمن ذهب الى القول الاول لم يقف على قوله مرصادا ومن ذهب الى القول الثاني وقف عليه قال القرطبي للطاغين مابا بدل من قوله مرصادا والماب المرجع اي مرجعا يرجعون اليها يقال اب يووب اوبا اذا رجع وقال قتادة ماوي ومنزلا والمراد بالطاغين من طغى في دينه بالكفر ودنياه بالظلم **قوله تعالى** لابثين منصوب على الحال من الضمير المستتر في للطاغين وهي حال مقدرة وقرا حمزة لبثين بغير الف والباقون لابثين وضعف مكي قراءة حمزة قال ومن قرا لبثين شبهه بما هو خلقة في الانسان نحو حذر وفرق وهو بعيد لان اللبث ليس مما يكون خلقة في الانسان وباب فعل انما يكون لما هو خلقة في الانسان وليس اللبث بخلقة ورجح الزمخشري قراءة حمزة فقال قري لابثين ولبثين واللبث اقوى لان اللابث يقال لمن وجد منه اللبث ولا يقال لبث الا لمن شانه اللبث كالذي يجثم بالمكان لا يكاد ينفك منه وما قاله الزمخشري اصوب واما قول مكي اللبث ليس بخلقة فمسلم لكنه بولغ في ذلك فجعل بمنزلة الاشيا الخلقية ولابثين اسم فاعل من لبث ويقويه ان المصدر منه اللبث بالاسكان كالشرب **قوله تعالى** احقابا منصوب على الظرف وناصبه لابثين هذا هو المشهور وقيل منصوب بقوله لا يذوقون وهذا عند من يرى تقدم معمول ما بعد لا عليها وهو احد الاقوال وقد تقدم هذا مستوفى في اواخر الفاتحة وجوز الزمخشري ان ينتصب على الحال وفيه وجه اخر وهو ان يكون من حقب عامنا اذا قل مطره وخيره وحقب فلان

اذا اخطاه الرزق فهو حقب وجمعه احقاب فينتصب حالا عنهم بمعنى لابثين فيها حقبين جحدين وتقدم الكلام على الحقب في سورة الكهف قال القرطبي والحقبة بالكسر السنة والجمع حقب قال متمم بن نويرة • وكنا كندماني جذيمة حقبة من الدهر حتى قيل لن يتصدعا • والحقب بالضم والسكون ثمانون سنة وقيل اكثر من ذلك واقل والجمع احقاب قال الفراء اصل الحقب من الترادف والتتابع يقال احقب اذا اردف ومنه الحقيبة ومنه كل من حمل وزرا فقد احتقب فعلى هذا معناه لابثين فيها احقابا اي دهورا مترادفة يتبع بعضها بعضا **فصل** المعنى ماكثين في النار ما دامت الاحقاب وهي لا تنقطع فكلما مضى حقب جاء حقب والحقب بضمتين الدهر والاحقاب الدهور والمعنى لابثين فيها احقاب الاخرة التي لا نهاية لها فحذف الاخرة لدلالة الكلام عليها اذ في الكلام ذكر الاخرة كما يقال ايام الاخرة اي ايام بعد ايام الى غير نهاية اي لابثين فيها ازمانا ودهورا كلما مضى زمن يعقبه زمن ودهر يعقبه دهر هكذا ابدا من غير انقطاع فكانه قال ابدا وانما كان يدل على التوقيت لو قال خمسة احقاب وعشرة ونحوه وذكر الاحقاب لان الحقب كان ابعد شي عندهم فذكر ما يفهمونه وهو كناية عن التابيد اي يمكثون فيها احقابا ابدا وقيل ذكر الاحقاب دون الايام لان الاحقاب اهول في القلوب وادل على الخلود وهذا الخلود في حق المشركين ويمكن حمله على العصاة الذين يخرجون من النار بعد احقاب وقيل الاحقاب وقت لشربهم الحميم والغساق فاذا انقضت فيكون لهم نوع اخر من العذاب ولهذا قال تعالى لابثين فيها احقابا لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا الا حميما وغساقا وقيل المعنى لابثين فيها احقابا اي في الارض لتقدم ذكرها ويكون الضمير في لا يذوقون فيها بردا لجهنم **قوله تعالى** لا يذوقون فيه اوجه احدها انه مستانف اخبر عنهم بذلك الثاني انه حال من الضمير في لابثين فهي حال متداخلة الثالث انه صفة لاحقاب قال مكي واحتمل الضمير لانه فعل فلم يجب اظهاره وان كان قد جرى صفة على غير من هو له وانما جاز ان يكون نعتا لاحقاب لاجل الضمير العائد على الاحقاب في فيها فلو كان في موضع يذوقون اسم فاعل لكان لا بد من اظهار الضمير اذا جعلته وصفا لاحقاب الرابع انه تفسير لقوله تعالى احقابا اذا جعلته منصوبا على الحال بالتاويل المتقدم عن الزمخشري فانه قال وقوله تعالى لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا تفسير له والخامس انه حال اخرى من للطاغين كلابثين **فصل** قال ابو عبيدة وغيره البرد النوم قال الشاعر • فلو شئت حرمت النسا سواكم • وان شئت لم اطعم نقاخا ولا بردا • وهو قول مجاهد والسدي والكسائي والفضل بن خالد وابو معاذ النحوي والعرب تقول منع البرد البرد يعني اذهب النوم وقال ابن عباس رضي الله عنه البرد برد الشراب وعنه ايضا البرد النوم والشراب الماء قال الزجاج لا يذوقون فيها برد ريح ولا برد ظل ولا برد نوم فجعل البرد برد كل شي له راحة وقال الحسن وعطا وابن زيد بردا اي روحا وراحة **قوله تعالى** الا حميما يجوز ان يكون استثناء متصلا من قوله شرابا ويجوز ان يكون منقطعا قال الزمخشري يعني لا يذوقون فيها بردا ولا روحا ينفس عنهم حر النار ولا شرابا يسكن من عطشهم ولكن يذوقون فيها حميما وغساقا قال شهاب الدين ومكي لما جعله منقطعا جعل البرد عبارة عن النوم قال فان جعلته النوم كان حميما استثناء ليس من الاول وانما الذي حمل الزمخشري على الانقطاع مع صدق اسم الشراب على الحميم والغساق وصفه له بقوله ولا شرابا يسكن من عطشهم فبهذا القيد صار الحميم ليس من جنس هذا الشراب واطلاق البرد على النوم لغة هذيل وانشد البيت المتقدم وقول العرب منع البرد البرد قيل وسمي بذلك لانه يقطع سورة العطش والذوق على هذين القولين اعني كونه روحا ينفس عنهم الحر وكونه النوم مجاز واما على قول من جعله اسما للشراب البارد المستلذ كما تقدم عن ابن عباس رضي الله عنه وانشد قول حسان • يسقون من ورد البريص عليهم • بردى يصفق بالرحيق السلسل • قال ابن الاثير البريص الماء القليل والبرض الشي القليل وقال الاخر • اماني من سعدي حسان كانما • سقتك بها سعدي على ظماء بردا • فالذوق هو الشراب حقيقة الا انه يصير فيه تكرار بقوله بعد ذلك ولا شرابا الثالث انه بدل من قوله ولا شرابا وهو الاحسن لان الكلام غير موجب قال ابو عبيدة الحميم الماء الحار وقال ابن زيد دموع اعينهم تجمع في حياض ثم يسقونه وقال النحاس اصل الحميم الماء الحار ومنه اشتق الحمام ومنه الحمى ومنه ظل من يحموم انما يراد به النهاية في الحر والغساق صديد اهل النار وقيحهم وقيل الزمهرير وتقدم خلاف القراء في غساقا والكلام عليه وعلى حميم قال ابو معاذ كنت اسمع مشايخنا يقولون الغساق فارسية معربة يقولون للشي الذي يتقذرونه خاشاك **قوله تعالى** جزاء منصوب على المصدر وعامله اما قوله لا يذوقون الى اخره لانه في قوة جوزوا بذلك واما محذوف وفاقا نعت له على المبالغة وعلى حذف مضاف اي ذا موافقة قال ابن عباس ومجاهد وغيرهما معناه موافقا لاعمالهم فالوفاق بمعنى الموافقة كالقتال من المقاتلة قال الفرا والاخفش جازيناهم جزاء وافق اعمالهم وقال الفرا ايضا هو جمع الوفق والوفق والموافق واحد وقال مقاتل وافق العذاب الذنب فلا ذنب اعظم من الشرك ولا عذاب اعظم من النار وقال الحسن وعكرمة كانت اعمالهم سيئة فاتاهم الله بما يسوءهم

وقرا ابو حيوة وابن ابي عبلة بتشديد الفا من وفقه كذا قوله تعالى انهم كانوا لا يرجون حسابا اي لا يخافون
حسابا اي محاسبة على اعمالهم وقيل لا يرجون ثواب حساب وقال الزجاج انهم كانوا لا يؤمنون بالبعث فيرجون حسابهم
فهو اشارة الى انهم لم يكونوا مؤمنين قوله تعالى وكذبوا باياتنا كذابا قرا العامة كذابا بتشديد الذال وكان من حق مصدر
فعل ان ياتي على التفعيل نحو صرف تصريفا قال الزمخشري وفعال في باب فعل كله فاش في كلام فصحاء العرب لا يقولون
غيره وسمعني بعضهم افسر اية فقال لقد فسرتها فسارا ما سمع بمثله قال غيره وهي لغة بعض العرب يمانية وانشد
لقد طال ما ثبطتني عن صحابتي وعن حاجة قضاها من شفائيا يريد بقضيها والاصل على التفعيل وانما هو مثل
زكي تزكية وسمع بعضهم يستفتي في حجة فقال الحلق احب اليك ام القصار يريد التقصير قال الفراء هي لغة يمانية
فصيحة يقولون كذبت كذابا وخرقت القميص خراقا وكل فعل في وزن فعّل فمصدره فعال مشدد في لغتهم وقرا علي والاعمش
وابو رجا وعيسى البصري بالتخفيف وهو مصدر ايضا اما لهذا الفعل الظاهر على حذف الزوائد واما لفعل مقدر كانبتكم
من الارض نباتا قال الزمخشري هو مثل قوله تعالى انبتكم من الارض نباتا يعني وكذبوا باياتنا فكذبوا كذابا او تنصبه
بكذبوا لانه يتضمن معنى كذبوا لان كل مكذب بالحق كاذب وان جعلته بمعنى المكاذبة فمعناه وكذبوا باياتنا فكاذبوا
مكاذبة او كذبوا بها مكاذبين لانهم اذا كانوا عند المسلمين مكاذبين فكان المسلمون عندهم كاذبون فبينهم
مكاذبة لانهم يتكلمون بما هو افرط في الكذب فعل من يغالب فيبلغ فيه اقصى جهده وقال ابو الفضل وذلك لغة باليمن
وذلك بان يجعلوا مصدر كذب مخففا كذابا بالتخفيف مثل كتب كتابا فصار المصدر هنا من معنى الفعل دون لفظه
مثل اعطيته عطاء قال شهاب الدين اما كذب كذابا بالتخفيف فمشهور ومنه قول الاعشى • فصدقتها وكذبتها
والمرء ينفعه كذابه • وقرا عمر بن عبد العزيز والماجشون كذابا بضم الكاف وتشديد الذال وفيها وجهان احدهما انه
جمع كاذب نحو ضراب في ضارب وعلى هذا فانتصابه على الحال المؤكدة اي وكذبوا في حال كونهم كاذبين قاله ابو البقاء
والثاني ان الكذاب بمعنى الواحد البليغ في الكذب يقال رجل كذاب كقولك حسان فيجعل وصفا لمصدر كذبوا اي تكذيبا
كذابا مفرطا كذبه قالهما الزمخشري قال القرطبي وفي الصحاح وقوله تعالى وكذبوا باياتنا كذابا وهو احد مصادر المشدد
لان مصدره قد يجيء على تفعيل مثل التكليم وعلى فعال مثل كذاب وعلى تفعلة مثل توصية وعلى مفعل مثل ومزقناهم
كل ممزق قوله تعالى وكل شيء العامة على النصب على الاشتغال وهو الراجح لتقدم جملة فعلية وقرا ابو السمال برفع كل
على الابتداء وما بعده الخبر وهذه الجملة معترضة بين السبب والمسبب لان الاصل وكذبوا باياتنا كذابا فذوقوا سبب
عن تكذيبهم قوله تعالى احصيناه فيه اوجه احدها انه مصدر من معنى احصينا اي احصاء فالتجوز في نفس المصدر الثاني من معنى
احصينا اي احصا فالتجوز في نفس المصدر انه مصدر لاحصيناه لانه في معنى كتبنا فالتجوز في نفس الفعل قال الزمخشري
لالتقاء الاحصاء والكتب في معنى الضبط والتحصيل قال ابن الخطيب وانما عدل عن تلك اللفظة الى هذه اللفظة لان الكتابة
هي النهاية في قوة العلم ولهذا قال صلى الله عليه وسلم قيدوا العلم بالكتابة فكانه تعالى قال وكل شيء احصيناه كتابا
احصاء في القوة والثبات والتاكد كالمكتوب فالمراد من قوله كتابا تاكيد ذلك الاحصاء والعلم وهذا التاكيد انما ورد على حسب
ما يليق بافهام اهل الظاهر فان المكتوب يقبل الزوال وعلم الله تعالى بالاشياء لا يقبل الزوال لانه واجب لذاته الثالث
ان يكون منصوبا على الحال بمعنى مكتوبا في اللوح المحفوظ كقوله تعالى وكل شيء احصيناه في امام مبين وقيل اراد ما
ما كتبته الملائكة الموكلون بالعباد بامر الله تعالى اياهم بالكتابة لقوله تعالى وان عليكم لحافظين كراما كاتبين
فصل ومعنى وكل شيء احصيناه اي علمنا كل شيء علما كما هو لا يزول ولا يتبدل ونظيره قوله تعالى
احصاه الله ونسوه قال ابن الخطيب وهذه الاية لا تقبل التاويل لان الله تبارك وتعالى ذكر هذا تقريرا لما ادعاه
من قوله تعالى جزاء وفاقا كانه تعالى قال انا عالم بجميع ما فعلوه وعالم بجهات تلك الافعال واحوالها واعتبارها
التي لاجلها يحصل استحقاق الثواب والعقاب فلا جرم لا اوصل اليهم من العذاب الا قدر ما يكون وفاقا لاعمالهم
وهذا القدر انما يتم بثبوت كونه عالما بالجزئيات واذا ثبت هذا ظهر ان كل من انكره كافر قطعا قوله تعالى فذوقوا فلن
نزيدكم الا عذابا قال ابن الخطيب هذه الفاء للجزاء فنبه على ان الامر بالذوق معلل بما تقدم شرحه من قبائح افعالهم فهذه الفاء
افادت معنى فائدة قوله جزاء وفاقا فان قيل اليس انه تعالى قال في صفة الكفار ولا يكلمهم الله فههنا لما قال تعالى
لهم فذوقوا فقد كلمهم فالجواب قال اكثر المفسرين وبخهم فذوقوا ولقائل ان يقول قوله فلن نزيدكم الا بليغا لا
بالله والاقرب في الجواب ان يقال قوله ولا يكلمهم معناه ولا يكلمهم بالكلام الطيب النافع فان تخصيص العموم سائغ
عند حصول القرينة فان قوله ولا يكلمهم انما ذكره لبيان انه تعالى لا يقيم لهم وزنا وذلك لا يحصل الا من الكلام الطيب
فان قيل ان كانت هذه الزيادة غير مستحقة كانت ظلما وان كانت مستحقة كان تركها في اول الامر احسانا والكريم لا يليق به

الرجوع في احتسابه فالجواب انها مستحقة ودوامها زيادة لعمله بحسب ذلك الدوام وايضا فترك المستحق
في بعض الاوقات لا يوجب الابراء ولا الاسقاط فصل قال ابن الخطيب قوله تعالى فذوقوا يفيد معنى التعليل
وهو التفات من الغيبة للخطاب فهو دال على الغضب وفيه مبالغات منها ان لن للتاكيد ومنها الالتفات ومنها
اعادة قوله فذوقوا بعد ذكر العذاب قال ابو بردة رضي الله عنه سالت النبي صلى الله عليه وسلم عن اشد اية في القران
قال عليه الصلاة والسلام قوله تعالى فذوقوا فلن نزيدكم الا عذابا اي كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها
ليذوقوا العذاب وكلما خبت زدناهم سعيرا قوله تعالى ان للمتقين مفازا تقدم تفسير المتقي والمفاز يحتمل ان يكون
مصدرا بمعنى فوزا وظفرا بالنعمة ويحتمل ان يكون المراد منه فوزا بالمطلوب ويحتمل ان يكون المراد منه فوزا بالنجاة
من العذاب ولذلك قيل للفلاة اذا قل ماؤها مفازة تفاؤلا بالخلاص منها وان يكون المراد مجموع الامرين وقال
الضحاك متنزها قوله تعالى حدائق يجوز ان يكون بدلا من مفازا بدل اشتمال او بدل كل من كل مبالغة في ان جعل
نفس هذه الاشيا مفازا ويجوز ان يكون منصوبا باضمار اعني واذا كان مفازا بمعنى الفوز فيقدر مضاف اي فوز
حدائق وهي جمع حديقة وهي البستان المحوط عليه ويقال احدق به اي احاط والاعناب جمع عنب اي كروم اعناب
فحذف والتنكير في قوله تعالى واعنابا يدل على تعظيم تلك الاعناب قوله تعالى وكواعب اترابا الكواعب جمع كاعب وهي
من كعب ثديها وتفلك اي يكون الثدي في النتو كالكعب والفلكة اي استدار وهي الناهد يقال كعبت الجارية تكعب كعوبا
وكعبت تكعب تكعيبا ونهدت تنهد نهودا قال • وكان مجني دون من كنت اتقي • ثلاث شخوص كاعبان ومعصر •
وقال قيس بن عاصم المنقري • وكم من حصان قد حوينا كريمة • وكم كاعب لم تدر ما البؤس معصر • وقال الضحاك
الكواعب العذارى والاتراب الاقران في السن وقد تقدم ذكرهن في الواقعة قوله تعالى وكاسا دهاقا الدهاق
الملآن المترعة قيل هو ماخوذ من دهقه اي ضغطه وشده بيده كانه ملأ اليد فانضغط قال الشاعر •
لانت الى الفؤاد احب قربا • من الصادي الى الكاس الدهاق • وهذا قول ابن عباس والحسن وقتادة وابي عبيدة والزجاج
والكسائي قال عكرمة وربما سمعت ابن عباس يقول اسقنا وادهق لنا ودعا ابن عباس غلاما له فقال اسقنا دهاقا
فجاء الغلام بها ملأى فقال ابن عباس هذا الدهاق وقيل الدهاق المتتابعة قال • انا عامر يبغي قرانا فاترعنا له
كاسا دهاقا • وهذا قول ابي هريرة وسعيد بن جبير ومجاهد قال الواحدي واصل هذا القول من قول العرب ادهقت الحجارة
ادهاقا وهي شدة تلازمها ودخول بعضها في بعض ذكره الليث والتتابع كالتداخل وعن عكرمة وزيد بن اسلم انها
الصافية وهو جمع دهق وهو خشبتان يعصر بهما والمراد بالكاس الخمر قال الضحاك كل كاس في القران فهو خمر والتقدير
وخمرا ذات دهاق اي عصرت وصفيت بالدهاق قاله القشيري وفي الصحاح وادهقت الماء اي افرغته افراغا شديدا قال
ابو عمرو والدهق بالتحريك ضرب من العذاب وهو بالفارسية اشكنجه قال المبرد والمدهوق المعذب بجميع العذاب
الذي لا فرجة فيه وقال ابن الاعرابي دهقت الشيء اي كسرته وقطعته وكذلك دهدقته ودهمقته بزيادة الميم المثلثة
وقال الاصمعي الدهمقة لين الطعام وطيبه ورقته وكذلك كل شيء لين ومنه حديث عمر رضي الله عنه لو شئت ان تدهمق
لي لفعلت ولكن الله عاب قوما فقال تعالى اذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها قوله تعالى لا يسمعون
فيها اي في الجنة وقيل في الكاس لغوا ولا كذابا اللغو الباطل وهو ما يلغى من الكلام ويطرح ومنه الحديث اذا قلت لصاحبك
انصت فقد لغوت وذلك ان اهل الجنة اذا شربوا لم تتغير عقولهم ولم يتكلموا بلغو بخلاف الدنيا ولا كذابا اي لا يكذبون
في الجنة وقيل هما مصدران للتكذيب وانما خففها لانها ليست بمقيدة بفعل يصير مصدرا له وشدد قوله وكذبوا باياتنا
لان كذبوا يقيد المصدر بالكذاب قال شهاب الدين وانما وافق الكسائي الجماعة في الاول للتصريح بفعله المشدد المقتضي
لعدم التخفيف في كذابا وهذا كما تقدم في قوله يفجر الانهار حيث لم يختلف فيه للتصريح معه بفعله بخلاف الاول وقال
مكي من شدد جعله مصدر كذب وزيدت فيه الالف كما زيدت في اكراما وقولهم تكذابا جعلوا التاء عوضا من تشديد العين
والياء بدل من الالف غيروا اوله كما غيروا اخره واصل مصدر الرباعي ان ياتي على عدد حروف الماضي بزيادة الف مع تغيير
الحركات وقد قالوا تكلما فاتى المصدر على عدد حروف الماضي بغير زيادة الف وذلك لكثرة حروفه وضمت اللام ولم
تكسر لانه ليس اسم على تفعل ولم تفتح لئلا يشتبه بالماضي وقرا الكسائي بالتخفيف جعله مصدر كذب كذابا وقيل هو
مصدر كذب كقولك كتبت كتابا قوله تعالى جزاء مصدر مؤكد منصوب بمعنى ان للمتقين مفازا كانه قيل جازى المتقين
بمفاز قوله تعالى عطاء بدل من جزاء وهو اسم مصدر قال • وبعد عطائك المائة الرتاعا • وقال وجعله الزمخشري منصوبا
بجزاء نصب المفعول به ورده ابو حيان بانه جعل جزاء مصدرا مؤكدا لمضمون الجملة التي هي ان للمتقين قال والمصدر المؤكد لا
يعمل لانه لا ينحل لحرف مصدري والفعل ولا نعلم في ذلك خلافا قوله تعالى حسابا صفة لعطاء والمعنى كافيا فهو مصدر

اقيم مقام الوصف وبولغ فيه او على حذف مضاف من قولهم احسبني الشيء اي كفاني وقال قتادة عطاء حسابا اي كثيرا يقال احسبت فلانا اي كثرت له العطاء حتى قال حسبي وقال الكلبي حاسبهم فاعطاهم بالحسنة عشر امثالها وقرء عن قوم ما جزاء لا نهاية له ولا مقدار كما قال تعالى انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب وقرا ابو البرهسم وسريح بن يزيد الحمصي بتشديد السين مع فتح الحاء على كسرها وتخريجها انه مصدر مثل كذاب فيقوم مقام الوصف اي عطاء محسنا اي كافيا وابن قطب كذلك الا انه فتح الحاء قال ابو الفتح بني فعالا من افعل كدراك من ادرك يعني انه صفة مبالغة من حسب بمعنى كافي كذا وابن عباس حسنا بالنون من الحسن وشريح حسبا بفتح الحاء وسكون السين والباء الموحدة اي عطاء كافيا من قولك حسبك كذا اي كافيك

قوله تعالى رب السموات قرا نافع وابن كثير وابو عمرو برفع رب والرحمن وابن عامر وعاصم بخفضهما والاخوان بخفض الاول ورفع الثاني فاما رفعهما فيجوز من اوجه احدها ان يكون رب خبر مبتدا مضمر اي هو رب والرحمن كذلك او مبتدا خبره لا يملكون الثاني ان يجعل رب مبتدا والرحمن خبره ولا يملكون خبر ثان او مستانف الثالث ان يكون رب مبتدا والرحمن نعته ولا يملكون خبر رب الرابع ان يكون رب مبتدا والرحمن مبتدا ثان ولا يملكون خبره والجملة خبر الاول وحصل الربط بتكرير المبتدا بمعناه وهو راي الاخفش ويجوز ان يكون لا يملكون حالا ويكون لازمة واما جرهما فعلى البدل او البيان او النعت كلاهما الا ان تكرير البدل فيه نظر تقدم التنبيه عليه اخر الفاتحة او يجعل رب السموات تابعا للاول والرحمن تابعا للثاني على ما تقدم واما جر الاول فعلى التبعية للاول ورفع الثاني فعلى الابتدا والجر والجملة الفعلية او على انه خبر مبتدا مضمر ولا يملكون على ما تقدم من الاستيناف او الخبر الثاني او الحال اللازمة قوله تعالى لا يملكون نقل عطاء عن ابن عباس رضي الله عنه ان الضمير في لا يملكون راجع الى المشركين اي لا يخاطبهم الله واما المومنون فيشفعون ويقبل الله تعالى منهم بعد اذنه لهم وقال القاضي انه راجع للمومنين والمعنى ان المومنين لا يملكون ان يخاطبوا الله تعالى في امر من الامور لما ثبت انه تعالى عدل لا يجور وثبت ان العقاب الذي اوصله الى الكفار عدل وثبت ان الثواب الذي اوصله الى المومنين عدل وانه ما بخسهم حقهم فباي سبب يخاطبونه وقيل الضمير يعود لاهل السموات والارض وان احدا من الخلق لا يملك مخاطبة الله تعالى ومكالمته قال ابن الخطيب وهذا هو الصواب قوله تعالى يوم يقوم منصوب على الظرف اما بلا يتكلمون بعده واما بلا يملكون وصفا حالا اي مصطفين ولا يتكلمون اما حال او مستانف

فصل اختلفوا في الروح فقال ابن عباس هو ملك ما خلق الله تعالى بعد العرش اعظم منه فاذا كان يوم القيمة قام وحده صفا وقام الملائكة كلهم صفا ونحوه عن ابن مسعود رضي الله عنه قال الروح ملك اعظم من السموات السبع والارضين السبع والجبال وقيل جبريل عليه السلام قاله الشعبي والضحاك وسعيد بن جبير وروي ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الروح في هذه الاية جند من جنود الله ليسوا ملائكة لهم رؤس وايدي وارجل ياكلون الطعام ثم قرا يوم يقوم الروح والملائكة صفا وهذا قول ابي صالح ومجاهد وعلى رضي الله عنهم وعلى هذا هو خلق على صورة بني ادم كالناس وليسوا بناس وما ينزل من السماء ملك الا ومعه واحد منهم نقله البغوي وعن ابن عباس رضي الله عنه هم ارواح الناس وقال مقاتل وابن حبان هم اشراف الملائكة وقال ابن ابي نجيح هم حفظة على الملائكة وقال الحسن وقتادة هم بنو ادم والمعنى ذو الروح وقال العوفي والقرطبي هذا مما كتمه ابن عباس وقيل ارواح بني ادم يقوم صفا والملائكة صفا وذلك بين النفختين قبل ان ترد الى الاجساد قاله عطية وقال زيد بن اسلم هو القران وقرا وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا وصفا مصدر اي يقومون صفوفا والمصدر ينبي عن الواحد والجمع كالعدل والصوم ويقال ليوم العيد يوم الصف وقال في موضع اخر سبحانه وجاء ربك والملك صفا صفا وهذا يدل على الصفوف وهذا حين العرض والحساب قيل هما صفان وقيل يقوم الكل صفا واحدا لا يتكلمون اي لا يشفعون قوله تعالى الا من اذن يجوز ان يكون بدلا من واو يتكلمون وهو الارجح لكونه غير موجب وان يكون منصوبا على اصل الاستثناء والمعنى لا يشفعون الا من اذن له الرحمن في الشفاعة وقيل لا يتكلمون الا في حق من اذن له الرحمن وقال صوابا والمعنى لا يشفعون الا في حق شخص اذن له الرحمن في شفاعته وذلك الشخص كان ممن قال صوابا ومعنى قال صوابا يعني حقا قاله الضحاك ومجاهد روى الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنه قال لا يشفعون الا من قال لا اله الا الله محمد رسول الله واصل الصواب السداد من القول والفعل وهو من اصاب يصيب اصابة كالجواب من اجاب يجيب وقيل لا يتكلمون يعني الملائكة والروح الذين قاموا صفا لا يتكلمون هيبة واجلالا الا من اذن له الرب تعالى في الشفاعة وهم الذين قالوا صوابا وانهم يوحدون الله تعالى ويسبحونه قوله تعالى ذلك اليوم الحق ذلك اشارة الى ما تقدم ذكره في سناء انحذ الى ربه مابا اي مرجعا بالعمل الصالح وقال قتادة مابا سبيلا ثم انه تعالى زاد في تخويف الكفار فقال سبحانه وتعالى انا انذرناكم عذابا قريبا يعني العذاب في الاخرة وسماه قريبا لان كل ما هو ات قريب كقوله تعالى كانهم يوم يرونها لم يلبثوا الا عشية او ضحاها وقال قتادة عقوبة الدنيا لانه اقرب العذابين

وقال مقاتل هو قتل قريش ببدر وهذا خطاب لكفار قريش ومشركي العرب لانهم قالوا لا نبعث وانما سماه انذارا لانه تعالى قد خوف بهذا الوصف نهاية التخويف وهو معنى الانذار قوله تعالى يوم ينظر المرء يجوز ان يكون بدلا من يوم قبله وان يكون منصوبا بعذابا اي العذاب واقع في ذلك اليوم وجوز ابو البقاء ان يكون نعتا لقريبا ولو جعله نعتا لعذابا كان اولى والعامة بفتح ميم المرء وهي الفصيحة وابن ابي اسحق بضمها وهي لغة يتبعون الفاء اللام وخطا ابو حاتم هذه القراءة وليس بصواب لثبوتها لغة

فصل المراد بالمرء المومن في قول الحسن اي يجد لنفسه عملا فاما الكافر فلا يجد لنفسه عملا فيتمنى ان يكون ترابا قال ويقول الكافر فعلم انه اراد بالمرء المومن وقيل المراد هنا ابي بن خلف وعقبة بن ابي معيط ويقول الكافر ابو جهل وقيل هو عام في كل احد ويرى في ذلك اليوم جزاء ما كسب قوله تعالى ما قدمت يداه يجوز في ما ان تكون استفهامية معلقة لينظر على انه من النظر فتكون الجملة في موضع نصب على اسقاط الخافض وان تكون موصولة مفعولا لها والنظر بمعنى الانتظار اي ينتظر الذي قدمت يداه قوله تعالى ويقول الكافر يا ليتني كنت ترابا العامة لا يدغمون تاء كنت في تاء ترابا قالوا لان الفاعل لا يحذف والادغام يشبه الحذف وفي قوله تعالى ويقول الكافر وضع الظاهر موضع مضمر شهادة عليه بذلك

فصل قال مقاتل نزل قوله تعالى يوم ينظر المرء ما قدمت يداه في ابي سلمة بن عبد الاسد المخزومي ويقول الكافر يا ليتني كنت ترابا في اخيه الاسود بن عبد الاسد وقال الثعلبي سمعت ابا القاسم بن حبيب يقول الكافر هنا ابليس لعنه الله عليه وذلك بانه عاب ادم عليه السلام بانه خلق من تراب وافتخر بانه خلق من نار فاذا عاين يوم القيمة ما فيه ادم وبنوه من الثواب والراحة وراى ما هو فيه من الشدة والعذاب تمنى انه كان مكان ادم فيقول يا ليتني كنت ترابا قال ورايته في بعض التفاسير روي عن ابي هريرة رضي الله عنه قال يحشر الخلق كلهم من دابة وطاير وانسان ثم يقال للبهائم والطير كونوا ترابا فعند ذلك يقول الكافر يا ليتني كنت ترابا وقيل معنى يا ليتني كنت ترابا اي لم ابعث وقال ابو الزناد اذا قضي بين الناس وامر اهل الجنة الى الجنة واهل النار الى النار قيل لسائر الامم ولمؤمني الجن عودوا ترابا فيعودون ترابا فعند ذلك يقول الكافر حين يراهم يا ليتني كنت ترابا وقال ليث بن ابي سليم مؤمنو الجن يعودون ترابا وقال عمر بن عبد العزيز والزهري والكلبي ومجاهد مؤمنو الجن حول الجنة في ربض ورحاب وليسوا فيها وهذا اصح وانهم مكلفون مثابون ومعاقبون كبني ادم وروى الثعلبي عن ابي بن كعب رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة عم يتساءلون سقاه الله تعالى برد الشراب يوم القيمة

سورة والنازعات

مكية وهي ست واربعون اية ومائة وسبعون كلمة وسبع مائة وثلاثون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى والنازعات غرقا يجوز في غرقا ان يكون مصدرا على حذف الزوائد بمعنى اغراقا وانتصابه بما قبله لملاقاته في المعنى واما على الحال اي ذوات اغراق يقال اغرق في الشيء يغرق فيه اذا اوغل وبلغ اقصى غايته ومنه اغرق النازع في القوس اي بلغ غاية المد والاستغراق الاستيعاب

فصل اقسم الله تعالى بهذه الاشياء الخمسة على ان القيامة حق والنازعات قيل هي الملائكة التي تنزع ارواح الكفار قاله علي وابن مسعود وابن عباس ومسروق ومجاهد قال ابن مسعود يريد انفس الكفار ينزعها ملك الموت من اجسادهم من تحت كل شعرة ومن تحت الاظافير واصول القدمين نزعا كالسفود ينزع من الصوف الرطب ثم يغرقها اي يرجعها الى اجسادهم ثم ينزعها فهذا عمله في الكفار وقال سعيد بن جبير نزعت ارواحهم ثم غرقت ثم حرقت ثم قذف بها في النار وقيل يرى الكافر نفسه في وقت النزع كانها تغرق وقال السدي والنازعات هي النفوس حين تغرق في الصدر وقال مجاهد هي الموت ينزع النفوس وقال الحسن وقتادة هي النجوم تنزع من افق الى افق اي تذهب من قولهم نزع اليه اي ذهب او من قولهم نزعت الخيل اي جرت غرقا اي انها تغرق وتغيب وتطلع من افق اخر وهو قول ابي عبيدة وابن كيسان والاخفش وقال عطاء وعكرمة والنازعات القسي تنزع بالسهام وغرقا بمعنى اغراقا واغرق النازع في القوس اذا بلغ غاية المد حتى ينتهي الى النصل ويقال لقشرة البيضة الداخلة غرقي وقيل هم الغزاة الرماة وهو الذي قبله لانه اذا اقسم بالقسي فالمراد النازعون بها تعظيما لها كقوله تعالى والعاديات ضبحا وقال يحيى بن سلام هي الوحش تنزع من الكلاء وتنفر ومعنى غرقا اي ابعادا في النزع قوله تعالى والناشطات نشطا اعلم ان نشطا وسبحا وسبقا كلها مصادر والنشط الربط والانشاط الحل يقال نشط البعير ربطه وانشطه حله ومنه كانما انشط من عقال فالهمزة للسلب ونشط ذهب بسرعة ومنه قيل لبقر الوحش نواشط وقال هميان بن قحافة ◦ اري همومي تنشط المناشطا ◦ الشام بي طورا وطورا واسطا ◦ ونشط الحبل انشطه انشوطه عقدته وانشطته مددته ونشط كانشط قال الاصمعي

بئر انشاط اي قريبة القعر يخرج الدلو منها بجذبة واحدة وبئر نشوط قال وهي التي لا يخرج منها الدلو حتى تنشط
كثيرا **فصل** قال ابن عباس رضي الله عنه تعني الملائكة تنشط نفس الكافر فتقبضها كما تنشط العقال من يد
البعير اذا حل عنه وقيل يعني انفس الكفار والمنافقين تنشط كما ينشط العقب الذي يعقب به السرج والنشط الجذب
بسرعة ومنه الانشوطة عقدة يسهل انحلالها اذا جذبت مثل عقدة التكة قال الليث انشطته باشوطة واشوطتين
اي اوثقته وانشطت العقال اي مددت انشوطته فانحلت قال ويقال نشط بمعنى انشط لغتان بمعنى وعن ابن عباس
ايضا ان الناشطات الملائكة لنشاطها تذهب وتجيء بامر ربها حيث ما كان وقال مجاهد هو الموت ينشط نفس الانسان
وقال السدي هي النفوس حين تنشط من القدمين وقال قتادة والحسن والاخفش هي النجوم تنشط من افق الى افق اي
تذهب قال الجوهري يعني النجوم تنشط من برج الى برج كالثور الناشط من بلد الى بلد وقيل النازعات للكافرين والنا
شطات للمؤمنين فالملائكة يجذبون روح المؤمن برفق والنزع جذب بشدة وقيل هما جميعا للكفار والاثنان
بعدهما للمؤمنين **قوله تعالى** والسابحات سبحا قال علي رضي الله عنه هي الملائكة تسبح بارواح المؤمنين قال الكلبي
كالذي يسبح في الماء فاحيانا ينغمس واحيانا يرتفع يسلونها سلا رفيقا بسهولة ثم يدعونها حتى تستريح وقال مجاهد
وابو صالح هي الملائكة ينزلون من السماء مسرعين لامر الله تعالى كما يقال للفرس الجواد سابح اذا اسرع في جريه وعن مجاهد
السابحات الموت يسبح في نفوس بني آدم وقيل هي الخيل الغزاة قال عنترة • والخيل تعلم حين تسبح في حياض الموت سبحا •
وقال قتادة والحسن هي النجوم تسبح في افلاكها وكذا الشمس والقمر قال تعالى كل في فلك يسبحون وقال عطاء هي السفن
تسبح في الماء وقال ابن جابر ارواح المؤمنين تسبح شوقا الى لقاء الله تعالى ورحمته حين تخرج **قوله تعالى** فالسابقات
سبقا قال علي رضي الله عنه هي الملائكة تسبق الشياطين بالوحي الى الانبياء عليهم الصلاة والسلام وهو قول مجاهد ومسروق
وعن مجاهد ايضا وابي روق هي الملائكة سبقت بني آدم الى العمل الصالح فتكتبه وعن مجاهد ايضا الموت يسبق الانسان وقال
مقاتل هي الملائكة تسبق بارواح المؤمنين الى الجنة وقال ابن مسعود هي انفس المؤمنين تسبق الى الملائكة الذين يقبضونها
وقد عاينت السرور شوقا الى لقاء الله تبارك وتعالى وقال قتادة والحسن ومعمر هي النجوم تسبق بعضها بعضا وقال عطاء هي الخيل
التي تسبق الى الجهاد وقيل يحتمل ان يكون السابقات ما تسبق من الارواح قبل الاجساد الى جنة او نار حكاه الماوردي قال
الجرجاني وذكر السابقات بالفاء لانها مسببة من التي قبلها اي واللاتي يسبحن فيسبقن تقول قام فذهب فهذا يوجب
ان يكون القيام سببا للذهاب ولو قلت قام وذهب لم يكن القيام سببا للذهاب قال الواحدي وهذا غير مطرد في قوله تعالى
فالمدبرات امرا لانه يبعد ان يجعل السبق سببا للتدبير قال ابن الخطيب ويمكن الجواب عن اعتراض الواحدي بانها لما امرت سبحت فسبقت
فدبرت ما امرت بتدبيره فيكون هذه افعالا يتصل بعضها ببعض كقولك قام زيد فذهب او لما سبقوا في الطاعات
وسارعوا اليها ظهرت امانتهم ففوض اليهم التدبير **قوله تعالى** فالمدبرات امرا قيل امرا مفعول بالمدبرات وقيل حال
تدبيره مامورات وهو بعيد قال القشيري اجمعوا على ان المراد الملائكة وقال الماوردي فيه قولان احدهما الملائكة قاله
الجمهور والقول الثاني هي الكواكب السبع حكاه خالد بن معدان عن معاذ بن جبل وفي تدبيرها الامور وجهان احدهما
تدبير طلوعها وافولها والثاني في تدبيرها ما قضى الله تعالى فيها من تقليب الاحوال وحكى هذا القول ايضا في تفسيره وان
الله تعالى علق كثيرا من تدبير العالم بحركات النجوم فاضيف التدبير اليها وان كان من الله تعالى كما يسمى الشيء باسم ما يجاوره
قال شهاب الدين والمراد بهؤلاء اما طوائف الملائكة واما طوائف خيل الغزاة واما النجوم واما المنايا واما بقر الوحش
وما جرى مجراها لزمنها واما ارواح المؤمنين يعني المذكورين في جميع القسم **فصل** تدبير الملائكة
نزولها بالحلال والحرام وتفصيله قال ابن عباس وقتادة وغيرهما هو الى الله عز وجل ولكن لما نزلت الملائكة به سميت بذلك
كما قال تعالى نزل به الروح الامين على قلبك وقوله تعالى فانه نزله على قلبك يعني جبريل نزله على قلب محمد صلى الله عليه وسلم
والله سبحانه وتعالى هو الذي انزله وروى عطاء عن ابن عباس المدبرات امرا هي الملائكة وكلت بتدبير احوال اهل الارض
في الرياح والامطار وغير ذلك قال عبد الرحمن بن سابط تدبير امر الدنيا الى اربعة جبريل وميكائيل وملك الموت واسمه
عزرائيل واسرافيل فاما جبريل فموكل بالرياح والجنود واما ميكائيل فموكل بالقطر والنبات واما ملك الموت فموكل
بقبض الارواح في البر والبحر واما اسرافيل فهو ينزل بالامر عليهم وليس في الملائكة اقرب من اسرافيل بينه وبين العرش خمسمائة
عام وقيل وكلوا بامور عرفهم الله بها فان قيل لم قال امرا ولم يقل امورا فانهم يدبرون كثيرة فالجواب المراد به الجنس
فهو قائم مقام الجمع واعلم ان هذه الكلمات اقسم الله تعالى بها ولله تعالى ان يقسم بما شاء من خلقه وليس لنا ذلك
قوله تعالى يوم ترجف الراجفة منصوب بفعل مقدر وهو جواب القسم تقديره لتبعثن لدلالة ما بعده عليه
قال الفراء ويدل عليه قوله تعالى ائذا كنا عظاما نخرة نبعث فاكتفى بقوله ائذا كنا عظاما نخرة الست ترى انه كالجواب

لقولهم ائذا كنا عظاما نخرة نبعث فاكتفى بقوله ائذا كنا عظاما نخرة وقال الاخفش والزجاج ينفخ في الصور
نفختين بدليل ذكر الراجفة والرادفة وهما النفختان قال الزمخشري فان قلت كيف جعلت يوم ترجف
ظرفا للمضمر الذي هو لتبعثن ولا يبعثون عند النفخة الاولى قلت المعنى لتبعثن في الوقت الواسع الذي يقع
فيه النفختان وهم يبعثون في الوقت الواسع وهو وقت النفخة الاولى ودل على ذلك ان قوله تتبعها الرادفة
جعل حالا من الراجفة وقيل العامل مقدر من جواب اذكر يوم ترجف وفي الجواب على هذا التقدير وجوه احدها
انه قوله ان في ذلك لعبرة واستقبحه ابو بكر بن الانباري لطول الفصل الثاني انه قوله هل اتاك حديث موسى لان
هل بمعنى قد وهذا غلط لانه كما تقدم في هل اتى انها لا تكون بمعنى قد الا في الاستفهام على ما قاله الزمخشري الثالث ان
الجواب تتبعها وانما حذفت اللام والاصل ليوم ترجف الراجفة تتبعها فحذفت اللام ولم تدخل نون التوكيد على تتبعها
للفصل بين اللام المقدرة وبين الفعل المقسم عليه بالظرف ومثله لالى الله تحشرون وقيل في الكلام تقديم
وتاخير اي يوم ترجف الراجفة تتبعها الرادفة والنازعات وقال ابو حاتم هو على التقديم والتاخير كانه قال فاذا هم
بالساهرة والنازعات وقال ابو حاتم قال ابن الانباري وهذا خطأ لان الفاء لا يفتتح بها الكلام وقيل يوم منصوب
بما دل عليه واجفة اي يوم ترجف وجفت وقيل بما دل عليه خاشعة اي يوم ترجف خشعت وقوله تتبعها الرادفة يجوز ان
يكون حالا من الراجفة وان يكون مستانفا **فصل** قال عبد الرحمن بن زيد الراجفة اي المضطربة ومعناه
ان الارض تضطرب والرادفة الساعة وقال مجاهد الزلزلة تتبعها الرادفة اي الصيحة وعنه ايضا وابن عباس والحسن
وقتادة هما الصيحتان اي النفختان اما الاولى فتميت كل شيء باذن الله واما الثانية فتحيي كل شيء باذن الله قال
صلى الله عليه وسلم بين النفختين اربعون سنة وقال مجاهد الرادفة حين تنشق السماء وتحمل الارض والجبال فتدك دكة
واحدة وذلك بعد الزلزلة وقيل الراجفة تحرك الارض والرادفة زلزلة اخرى تفني الارضين واصل الرجفة الحركة قال تعالى
يوم ترجف الارض وليست الرجفة هنا الحركة فقط بل من قولهم رجف الرعد يرجف رجفا ورجيفا اي اظهر الصوت والحركة
ومنه سميت الاراجيف لاضطراب الاصوات بها وافاضة الناس فيها وقيل الراجفة هذه منكرة في السحاب ومنه قوله تعالى فاخذ
تهم الرجفة واما الرادفة فكل شيء جاء بعد شيء اخر يقال ردفه اي جاء بعده **قوله تعالى** قلوب يومئذ واجفة قلوب مبتدا
ويومئذ منصوب بواجفة وواجفة صفة القلوب وهو المسوغ للابتداء بالنكرة وابصارها مبتدا ثان خاشعة خبره وهو
وخبره خبر الاول وفي الكلام حذف مضاف تقديره ابصار اصحاب القلوب وقال ابن عطية وجاز ذلك اي الابتداء بقلوب
لانها تخصصت بقوله يومئذ ورد عليه ابو حيان بان ظرف الزمان لا يخصص الجثث يعني لا يوصف بالجثث والواجفة
الخائفة الوجلة قال ابن عباس يقال وجف يجف وجيفا واصله اضطراب القلب وقلقه قال قيس بن الخطيم • ان بني جحجبى وقومهم
اكبادنا من ورائهم تجف • وقال السدي زائلة عن اماكنها نظيره اذ القلوب لدى الحناجر وقال المؤرج قلقة مستوفزة
مرتكضة غير ساكنة وقال المبرد مضطربة والمعنى متقارب والمراد قلوب الكفار يقال وجف القلب يجف وجيفا
اذا خفق كما يقال وجب يجب وجيبا بالباء الموحدة بدل الفاء ومنه وجيف الفرس والناقة في العدو والايجاف
حمل الدابة على السير السريع **قوله تعالى** ابصارها خاشعة اي منكسرة ذليلة من هول ما ترى نظيره خاشعة ابصارهم
ترهقهم ذلة **قوله تعالى** يقولون اي يقول هؤلاء المكذبون المنكرون للبعث اذا قيل انكم تبعثون قالوا منكرين
متعجبين انرد بعد موتنا الى اول الامر فنعود احياء كما قبل الموت وهو كقولهم ائنا لمبعوثون خلقا جديدا **قوله تعالى**
في الحافرة الحافرة الطريقة التي يرجع الانسان فيها من حيث جاء يقال رجع في حافرته وعلى حافرته ثم يعبر بها عن الرجوع في الاحوال
من اخر الامر الى اوله قال • احافرة على صلع وشيب • معاذ الله من سفه وعار • يقول ارجع الى ما كنت عليه في شبابي
مع الغزل والصبي بعد ان شبت وصلعت واصله ان الانسان اذا رجع في طريقه اثرت قدماه فيها حفرا وقال الراغب
وقوله تعالى في الحافرة مثل لمن يرد من حيث جاء اي انحيا بعد ان نموت وقيل الحافرة الارض التي قبورهم فيها ومعناه
ائنا لمردودون ونحن في الحافرة اي في القبور وقوله في الحافرة على هذا في موضع الحال ويقال رجع الشيخ الى حافرته
اي هرم لقوله تعالى ومنكم من يرد الى ارذل العمر وقولهم النقد عند الحافرة لما يباع نقدا واصله في الفرس اذا بيع فيقال
لا يزول حافره او ينقد ثمنه والحفر تاكل الاسنان وقد حفر حفرا وقد احفر المهر للاثناء والارباع والحافرة قيل
فاعلة بمعنى مفعولة وهي الارض التي تحفر فيها قبورهم فهي بمعنى المحفورة كقوله تعالى ماء دافق وعيشة راضية والمعنى
ائنا لمردودون في قبورنا وقيل على النسب اي ذات حفر وقيل سميت الارض الحافرة لانها مستقر الحوافر كما سميت القدم
ارضا لانها على الارض كقولهم الحافرة جمع حافر بمعنى القدم اي نمشي احياء على اقدامنا ونطأ بها الارض وقيل هي اول الامر
وتقول التجار النقد في الحافرة اي اول السوم وقال الشاعر • آليت لا انساكم فاعلموا • حتى يرد الناس في الحافرة •

وقال ابن زيد الحافرة النار وقرا تلك اذا كرة خاسرة وقال مقاتل وزيد بن اسلم هي اسم من اسمايها النار وقال ابن عباس
الحافرة في كلام العرب الارض التي تحفر وانتنت بموتاها واجسادهم من قولهم حفرت اسنانه اي تاكلت وذكها الوجع
من باطنها وظاهرها ويجوز تعلقه بمردودون او بمحذوف على انه حال **فصل** قال ابن الخطيب هذه
الاحوال المتقدمة هي احوال القيامة عند جمهور المفسرين وقال ابو مسلم هذه الاحوال ليست احوال القيامة لانه فسر
النازعات بنزع القوس والناشطات بخروج السهم والسابحات بعدو الفرس والسابقات بسبقها والمدبرات بالامور
التي تحصل ادبار ذلك الرمي والعدو ثم بني على ذلك فقال الراجفة هي خيل المشركين وكذلك الرادفة وهما طايفتان
من المشركين غزوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فسبقت بعدهما الاخرى والقلوب الواجفة هي القلقة والابصار
الخاشعة هي ابصار المنافقين لقوله تعالى ينظرون اليك نظر المغشي عليه من الموت كانه قيل لما جاء خيل العدو ترجف
لانها اضطربت قلوب المنافقين خوفا وخشعت ابصارهم جبنا وضعفا ثم قالوا اينا لمردودون في الحافرة
اي نراجع الى الدنيا حتى نتحمل هذا الخوف لاجلها وقالوا ايضا تلك اذا كرة خاسرة فاول هذا الكلام حكاية لحال من غزا
رسول الله صلى الله عليه وسلم من المشركين واوسطه حكاية لحال المنافقين في انكار الحشر ثم انه تعالى اجاب عن كلامهم
بقوله تعالى فانما هي زجرة واحدة فاذا هم بالساهرة قال ابن الخطيب وكلام ابي مسلم محتمل وان كان على خلاف قول الجمهور
قوله تعالى ايذا كنا عظاما نخرة قرا الاخوان وابو بكر ناخرة بالف والباقون نخرة بدونها وهما كحاذر وحذر فاعل لمن
صدر منه الفعل وفعل لمن كان فيه غريزة او كالغريزة وقيل ناخرة ونخرة بمعنى بالية يقال نخر العظم بالكسر اي بلي وتفتت
وقيل ناخرة اي صارت الريح تنخر فيها اي تصوت ونخرة اي تنخر فيها دايما وقيل ناخرة بالية ونخرة متاكلة وعن ابي عمرو
الناخرة التي لم تنخر بعد والنخرة البالية وقيل الناخرة المصوتة فيها الريح والنخرة البالية التي تعفنت قال الزمخشري
نخر العظم فهو نخر وناخر كقولك طمع فهو طمع وطامع وفعل ابلغ من فاعل وقد قرى بهما وهو البالي الاجوف الذي
يمر فيه الريح فيسمع له نخير ومنه قول الشاعر • ولنخلهما من نخرها فكانها • قوارير في اجوافها الريح تنخر •
وقال الراجز لفرسه • اقدم نجاح انها الاساوره • ولا يهولنك رجل نادره • فانما قصرك ترب الساهره • ثم تعود بعدها
في الحافره • من بعد ما كنت عظاما ناخره • ونخرة الريح بضم النون شدة هبوبها والنخرة ايضا مقدم انف الفرس والحمار
والخنزير يقال هشم نخرته اي مقدم انفه واذا منصوب بمضمر اي اذا كنا كذا نرد ونبعث **قوله تعالى** قالوا تلك
اذا كرة خاسرة تلك مبتدا يشار بها الى الرجعة والردة في الحافرة وكرة خبرها وخاسرة صفة اي ذات خسران او اسند اليها
الخسار مجازا والمراد اصحابها والمعنى ان كان رجوعنا الى القيامة حقا فتلك الرجعة رجعة خاسرة خايبة وهذا افادة
اذن فانها حرف جواب وجزاء عند الجمهور وقيل قد لا يكون جوابا وعن الحسن ان خاسرة بمعنى كاذبة اي ليست كاينة وقال
الربيع بن انس خاسرة على من كذب بها وقيل كرة خسران والمعنى اهلها خاسرون كقولك تجارة رابحة اي يربح صاحبها
وقال قتادة ومحمد بن كعب اي لين رجعنا بعد الموت لنخسرن بالنار وانما قالوا هذا لانهم اوعدوا بالنار والكر الرجوع
يقال كر وكر بنفسه يتعدي ولا يتعدي والكرة المرة والجمع كرات **قوله تعالى** فانما هي هي ضمير الكرة اي لا تحسبوا تلك
الكرة صعبة على الله تعالى وقال الزمخشري فان قلت بم تعلق قوله فانما هي قلت بمحذوف معناه لا تستصعبوها فانما
هي زجرة يعني بالتعلق من حيث المعنى وهو العطف وقوله تعالى فاذا هم المفاجاة والسبب هنا واضحان والزجرة قال ابن عباس
رضي الله عنه هي النفخة الواحدة فاذا هم اي الخلايق اجمعون بالساهرة اي على وجه الارض من الفلاة وصفت بما يقع فيها
وهو السهر لاجل الخوف وقيل لان السراب يجري فيها من قولهم عين ساهرة قال الزمخشري والساهرة الارض البيضا
المستوية سميت بذلك لان السراب يجري فيها من قولهم عين ساهرة اي جارية الماء وفي ضدها نايمة قال الاشعث بن قيس
• وساهرة يضحي السراب مجللا • لاقطارها قد جبتها متلثما • او لان سالكها لا ينام خوف الهلكة انتهى وقال امية
• وفيها لحم ساهرة وبحر • وما فاهوا لهم فيها مقيم • يريد لحم حيوان ارض ساهرة وقال ابو كبير الهذلي • يرتدون
ساهرة كان حميمها • وعميمها اسدا وليل مظلم • وقال ابن الراعب هي وجه الارض وقيل ارض القيامة وحقيقتها التي يكثر
الوطي بها كانها سهرت من ذلك والاسهران عرقان في الانف والساهور غلاف القمر الذي يدخل فيه عند كسوفه
قال • او شقة خرجت من بطن ساهور • اي هذه المراة بمنزلة قطعة القمر وقال امية بن ابي الصلت حيث قال
• قمر وساهور يسل ويغمد • وروي الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنه قال الساهرة ارض من فضة لم يعص الله عليها
قط خلقها حينيذ وقيل ارض يجددها الله تعالى يوم القيامة وقيل الساهرة اسم الارض السابعة ياتي بها الله تعالى
فيحاسب عليها الخلايق وذلك حين تبدل الارض غير الارض وقال الثوري الساهرة ارض الشام وقال وهب بن منبه
جبل بيت المقدس وقال عثمان بن ابي العاتكة انه اسم مكان من الارض بعينه بالشام وهو الصقع الذي بين جبل اريحا

وجبل

وجبل حسان يمده الله كيف شاء وقال قتادة هي جهنم اي فاذا هؤلاء الكفار في جهنم وانما قيل لها ساهرة
لانهم لا ينامون عليها حينيذ وقيل الساهرة بمعنى الصحرا على شفير جهنم اي يوقفون بارض القيامة فيدوم
السهر حينيذ **قوله تعالى** هل اتيك حديث موسى اي قد جاءك وبلغك وهذا تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم
اي ان فرعون كان اقوى من كفار عصرك ثم اخذناه وكذلك هؤلاء وقيل هل بمعنى ما اي ما اتاك ولكن اخبرت
به فان فيه عبرة لمن يخشى وقال ابن الخطيب قوله هل اتاك يحتمل ان يكون معناه اليس قد اتاك حديث موسى هذا ان كان
قد اتاه ذلك قبل هذا الكلام اما ان لم يكن قد اتاه فقد يجوز ان يقال هل اتاك اي انا اخبرك وقد تقدم الكلام
على موسى وفرعون **قوله تعالى** اذ ناداه ربه منصوب بحديث لا باتاك لاختلاف وقتيهما وتقدم الخلاف بين القرا
في طوى في سورة طه والواد المقدس المبارك المطهر قال الفرا طوى واد بين المدينة ومصر قال وهو معدول من طاو
كما عدل عمر من عامر قال الفرا من صرفه قال هو ذكر ومن لم يصرفه جعله معدولا كعمر وزفر قال والصرف احب الي
اذ الراجح في المعدول ان لا يكون له نظير اي لم اجد له اسما من الواو والياء عدل عن فاعل الى فعل غير طوى وقيل طوى معناه يا رجل
بالعبرانية فكانه قيل يا رجل اذهب الى فرعون لانك تقول جئتك بعد طوى اي بعد ساعة من الليل وقيل معناه
بالواد المقدس طوى اي بورك فيه مرتين **قوله تعالى** اذهب يجوز ان يكون تفسيرا للندا اي ناداه اذهب ويجوز
ان يكون على اضمار القول وقيل هو على حذف ان اي ان اذهب ويدل له قراة عبد الله ان اذهب وان هذه الظاهرة
او المقدرة يحتمل ان تكون تفسيرية وان تكون مصدرية اي ناداه بكذا اذهب الى فرعون انه طغى اي جاوز الحد في العصيان
قال ابن الخطيب ولم يبين انه طغى في اي شي فقيل تكبر على الله تعالى وكفر به وقيل تكبر على الخلق واستعبدهم روي
عن الحسن قال كان فرعون علجا من همدان وقال مجاهد كان من اهل اصطخر وعن الحسن ايضا كان من اهل اصبهان
يقال له ذو الظفر طوله اربعة اشبار **قوله تعالى** هل لك الى خبر مبتدا مضمر والى ان متعلق بذلك المبتدا وهو
حذف سايغ والتقدير هل لك سبيل الى التزكية ومثله هل لك في الخير يريدون هل لك رغبة في الخير قال الشاعر
• فهل لكم فيها الي فانني • بصير بما اعيا النطاسي حذيما • وقال ابو البقا لما كان المعنى ادعوك جاء بالي وقال غيره يقال
هل لك في كذا وهل لك الى كذا كما تقول هل ترغب فيه وهل ترغب اليه قال الواحدي المبتدا محذوف في اللفظ مراد في
المعنى والتقدير هل لك الى ان تزكى حاجة وقرا نافع وابن كثير بتشديد الزاي من تزكى والاصل تتزكى وكذلك تصدى
في السورة تحتها فالحرميان ادغما والباقون حذفوا نحو تنزل وتقدم الخلاف في ايهما المحذوفة **فصل**
معنى هل لك الى ان تزكى اي تسلم فتطهر من الذنوب وعن ابن عباس رضي الله عنه هل لك الى ان تشهد ان لا اله الا الله
واهديك فتخشى اي تخافه وتتقيه قال ابن الخطيب سائر الايات تدل على انه تعالى لما نادى موسى عليه السلام ذكر له اشيا
كثيرة كقوله تعالى نودي يا موسى اني انا ربك الى قوله لنريك من اياتنا الكبرى اذهب الى فرعون انه طغى فدل قوله تعالى
ههنا اذهب الى فرعون انه طغى من جملة ما ناداه به لا كل ما ناداه به وايضا فليس الغرض انه صلى الله عليه وسلم كان مبعوثا
الى فرعون فقط بل الى كل من كان في الطور الا انه خصه بالذكر لان دعوته جارية مجرى كل القوم **فصل**
تمسك المعتزلة بهذه الاية في ابطال القول بان الله تبارك وتعالى يخلق فعل العبد فان هذا استفهام على سبيل التقرير
اي لك سبيل الى ان تزكى ولو كان ذلك بفعل الله تعالى لا انقلب الكلام حجة على موسى والجواب ما تقدم من نظايره
حكى القرطبي عن صخر بن جويرية قال لما بعث الله تعالى موسى عليه السلام الى فرعون قال له اذهب الى فرعون الى قوله
واهديك الى ربك فتخشى ولن يفعل فقال يا رب وكيف اذهب اليه وقد علمت انه لا يفعل فاوحى الله تعالى اليه
ان امض الى ما امرت به فان في السماء اثني عشر الف ملك يطلبون علم القدر فلن يبلغوه ولا يدركوه **قوله تعالى**
فاريه الاية الكبرى الفا في فاريه معطوفة على محذوف يعني فذهب فاراه كقوله تعالى فاضرب بعصاك الحجر
فانفجرت اي فضرب فانفجرت واختلفوا في الاية الكبرى اي العلامة العظمى وهي المعجزة فقيل هي العصا وقيل
اليد البيضا تبرق كالشمس قاله مقاتل والكلبي والاول قول عطا وابن عباس لانه ليس في اليد الا انقلاب لونها وهذا
كان حاصلا في العصا لانها لما انقلبت حية فلا بد وان يتغير اللون الاول فاذن كل ما في اليد فهو حاصل في العصا
وامور اخر وهي الحيوة في الجرم الجمادي وتزايد اجزايه وحصول القدرة الكبيرة والقوة الشديدة وابتلاعها اشيا
كثيرة وزوال الحياة والقدرة عنها وبقاء تلك الاجزا التي عظمت وزوال ذلك اللون والشكل اللذين صارت العصا
بهما حية وكل واحد من هذه الوجوه كان معجزا مستقلا في نفسه فعلمنا ان الاية الكبرى هي العصا بهما حية وكل واحد من
هذه الوجوه وقال مجاهد هي مجموع العصا واليد وقيل فلق البحر وقيل جميع اياته ومعجزاته فكذب اي كذب نبي الله موسى
وعصى ربه تبارك وتعالى فان قيل كل من كذب الله تعالى فقد عصى فما فايدة قوله فكذب وعصى فالجواب

كذب بالقول وعصى بالتمرد والتجبر ثم ادبر يسعى اي يعمل بالفساد في الارض وقيل يعمل في نكاية موسى
وقيل ادبر يسعى هاربا من الحية قال ابن الخطيب معنى ادبر يسعى اي اقبل يسعى كما يقال اقبل يفعل كذا يعني انشا يفعل
فوضع ادبر موضع اقبل لئلا يوصف بالاقبال قوله تعالى فحشر فنادى لم يذكر مفعولهما اذ المراد فعل ذلك ويكون
التقدير فحشر قومه فناداهم وقوله فقال تفسير للندا وقيل في الكلام تقديم وتاخير اي فنادى فحشر لان الندا قبل الحشر
ومعنى حشر اي جمع السحرة او جمع اصحابه ليمنعوه من الحية وقيل جمع جنوده للقتال والمحاربة والسحرة للمعارضة
وقيل حشر الناس للحضور فنادى اي قال لهم بصوت عال انا ربكم الاعلى اي لا رب فوقي وقيل امر مناديا فنادى
في الناس بذلك وقيل قام فيهم خطيبا فقال ذلك وعن ابن عباس ومجاهد والسدي وسعيد بن جبير ومقاتل كلمته
الاولى ما علمت لكم من اله غيري والاخرى انا ربكم الاعلى قال ابن عباس كان بين الكلمتين اربعون سنة والمعنى امهله
في الاولى ثم اخذه في الاخرة فعذبه بكلمتيه قال ابن الخطيب واعلم انا بينا في سورة طه انه لا يجوز ان يعتقد الانسان
في نفسه كونه خالقا للسموات والارض والجبال والنبات والحيوان فان العلم بذلك ضروري ومن شك في ذلك كان
مجنونا ولو كان مجنونا لما جاز من الله تعالى بعثة الرسل اليه بل الرجل كان دهريا منكرا للصانع والحشر والنشر وكان
يقول ليس لاحد امر ولا نهي الا لي فانا ربكم بمعنى مربيكم والمحسن اليكم وليس للعالم اله حتى يكون له عليكم امر ونهي او يبعث
اليكم رسولا قال القاضي وقد كان الاليق بظهور خزيه عند انقلاب العصا حية ان لا يقول هذا القول لان عند
ظهور الدلالة والمعجزة كيف يليق ان يقول انا ربكم فدلت هذه الاية على انه في ذلك الوقت صار كالمعتوه الذي لا يدري
ما يقول **قوله تعالى** فاخذه الله نكال الاخرة والاولى يجوز ان يكون مصدرا للاخذ والتجوز اما في الفعل اي نكل بالاخذ
نكال الاخرة واما في المصدر اي اخذه اخذ نكال ويجوز ان يكون مفعولا له اي لاجل نكاله وضعف جعله حالا لتعريفه
وتاويله كتاويل جهدك وطاقتك غير مقيس ويجوز ان يكون مصدرا مؤكدا لمضمون الجملة المتقدمة اي نكل الله به نكال
الاخرة قاله الزمخشري وجعله كوعد الله وصبغة الله وقال القرطبي وقيل نصب بنزع حرف الصفة اي فاخذه الله بنكال
الاخرة فلما نزع الخافض نصب والنكال اسم لما جعل نكالا للغير اي عقوبة له حتى يعتبر يقال نكل فلان بفلان اذا
اثخنه عقوبة والكلمة من الامتناع ومنه النكول عن اليمين والنكل القيد وقد مضى في سورة المزمل والنكال بمنزلة
التنكيل كالسلام بمعنى التسليم والاخرة والاولى اما الداران واما الكلمتان فالاخرة قوله انا ربكم الاعلى والاولى ما
علمت لكم من اله غيري كما تقدم وحذف الموصوف للعلم به **فصل** قيل الاخرة والاولى هما الكلمتان كما تقدم وقال
الحسن وقتادة نكال الاخرة والاولى هو ان اغرقه في الدنيا وعذبه في الاخرة وروي عن قتادة ايضا الاخرة قوله
انا ربكم الاعلى والاولى تكذيبه لموسى عليه السلام قال القفال وهذا كانه هو الاظهر لانه تعالى قال فاراه الاية الكبرى
فكذب وعصى ثم ادبر يسعى فحشر فنادى فقال انا ربكم الاعلى فذكر المعصيتين ثم قال فاخذه الله نكال الاخرة والاولى
فظهر ان المراد انه عاقبه على هذين الامرين ثم انه تعالى ختم هذه القصة بقوله ان في ذلك لعبرة لمن يخشى اي ان فيما اقتصصنا
عليك اعتبارا وعظة لمن يخاف **قوله تعالى** أانتم اشد خلقا يريد اهل مكة اي اخلقكم بعد الموت اشد في تقديركم
ام السما فمن قدر على خلق السما على عظمها وعظم احوالها قدر على الاعادة وهذا كقوله لخلق السموات والارض اكبر
من خلق الناس والمقصود من الاية الاستدلال على منكري البعث ونظيره قوله تعالى اوليس الذي خلق السموات
والارض بقادر على ان يخلق مثلهم ومعنى الكلام التقريع والتوبيخ ثم وصف تعالى السما فقال ام السما بناها
عطف على انتم وقوله بناها بيان لكيفية خلقه اياها فالوقف على السما والابتدا بما بعدها ونظيره قوله تعالى
في الزخرف االهتنا خير ام هو وقوله رفع سمكها جملة مفسرة لكيفية البنا والسمك الارتفاع قال الزمخشري جعل
مقدار ذهابها في سمت العلو مديدا رفيعا وسمكت الشي رفعته في الهوا وسمك هو اي ارتفع سموكا فهو قاصر ومتعد
وبنا مسموك وسنام سامك تامك اي عال مرتفع وسماك البيت ما سمكته به والمسموكات السموات ويقال اسمك
في الديم اي اصعد في الدرجة والسماك النجم معروف وهما اثنان رامح واعزل قال الشاعر
ان الذي سمك السما بنى لنا • بيتا دعائمه اعز واطول • وقال البغوي رفع سمكها اي سقفها **فصل**
قال الكسائي والفرا والزجاج هذا الكلام تم عند قوله تعالى أانتم اشد خلقا ام السما بناها قال لانه من صلة السما
والتقدير ام السما التي بناها فحذف التي ومثل هذا الحذف جائز قال القفال يقال الرجل جاءك عاقل اي الرجل الذي
جاءك عاقل واذا ثبت جواز ذلك في اللغة فنقول الدليل على ان قوله بناها صلة لما قبله انه لو لم يكن صلة لكان صفة
فقوله بناها صفة ثم قوله رفع سمكها صفة فقد توالت صفتان لا تعلق لاحدهما بالاخرى فكان يجب ادخال
العاطف بينهما كما في قوله واغطش ليلها فلما لم يكن كذلك علمنا ان قوله بناها صلة للسما فكان التقدير ام السما التي

بناها وهذا يقتضي وجود سما ما بناها وذلك باطل وقوله فسواها اي خلقها خلقا مستويا لا تفاوت فيه
ولا فطور ولا شقوق **فصل** قال ابن الخطيب واستدلوا بهذه الاية على كون السماء كرة قالوا لانه لو لم
تكن كرة لكان بعض جوانبها سطحا والبعض زاوية والبعض خطا ولكان بعض اجزائه اقرب الينا والبعض الاخر ابعد
فلا تحصل التسوية الحقيقية ثم قالوا لما ثبت انها محدثة مفتقرة الى فاعل مختار فاي ضرر في الدين ينافي كونها
كرة **قوله تعالى** واغطش ليلها اي اظلم بلغة انمار واشعر يقال اغطش الليل واغطشه انا واغطشته قال الشاعر •
عقرت لهم ناقتي موهنا • فليلهم مدلهم اغطش • وليل اغطش وليلة غطشا قال الراغب واصله من الاغطش
وهو الذي في عينه عمش ومنه فلاة غطشا لا يهتدى فيها والتغاطش التعامي انتهى ويقال اغطش الليل قاصرا
كاظلم فافعل فيه متعد ولازم فالغطش والغبش الظلمة ورجل اغطش اي اعمى او شبيه به وقد غطش والمراة غطشا
وفلاة غطشا لا يهتدى لها قال الاعشى • ويهما بالليل غطشى الفلاة • يؤنسني صوت فيادها • ومعنى قوله
واغطش ليلها اي جعله مظلما واضاف الليل الى السما لان الليل يكون بغروب الشمس والشمس تضاف الى السما ويقال نجوم
الليل لان ظهورها بالليل واخرج ضحاها فيه حذف اي ضحى شمسها واضاف الليل والضحى لها للملابسة التي بينها وبينهما
وانما عبر عن النهار بالضحى لان الضحى اكمل اجزا النهار بالنور والضوء **قوله تعالى** والارض بعد ذلك دحاها اي
بسطها وبعد على بابها من التاخير ولا معارضة بينها وبين اية فصلت لانه تعالى خلق الارض غير مدحوة ثم خلق السماء
ثم دحى الارض وقول ابي عبيدة انها بمعنى قبل منكر عند العلما والعرب تقول دحوت الشي ادحوه دحوا اذا بسطته ودحى
يدحي دحيا اي بسطه فهو من ذوات الواو واليا فيكتب بالالف والياء ومنه قيل لعش النعامة ادحي وادحي لانبساطه
في الارض وقال امية بن ابي الصلت • وبث الخلق فيها اذ دحاها • فهم قطانها حتى التناد • وقيل دحى بمعنى سوى
قال زيد بن ابي نفيل • واسلمت وجهي لمن اسلمت • له الارض تحمل صخرا ثقالا • دحاها فلما استوت شدها •
بايد وارسى عليها الجبالا • والعامة على نصب الارض والجبال على اضمار فعل مفسر بما بعده وهو المختار لتقدم جملة
فعلية ورفعهما الحسن وابن ابي عبلة وابو حيوة وابو السمال وعمرو بن عبيد على الابتدا وعيسى برفع الارض فقط
فصل روي عن ابن عباس رضي الله عنه قال خلق الله تعالى الكعبة ووضعها على الما على اربعة اركان
قبل ان يخلق الدنيا بالفي عام ثم دحيت الارض من تحت البيت وحكى القرطبي عن بعض اهل العلم ان بعد هنا في موضع
مع كانه قال والارض مع ذلك دحاها كقوله تعالى عتل بعد ذلك زنيم ومنه قولهم انت احمق وانت بعد هذا
سيئ الخلق قال الشاعر • فقلت لها اليك فانني حرام • واني بعد ذلك لبيب • اي مع ذلك وقيل بعد بمعنى
قبل كقوله تعالى ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر اي من قبل الفرقان قال ابو كبير • حمدت الهي بعد عروة اذ نجا
خراش وبعض الشر اهون من بعض • وزعموا ان خراشا نجا قبل عروة وقيل دحاها حرثها وشقها قاله ابن زيد
وقيل دحاها مهدها للاقوات والمعنى متقارب **قوله تعالى** اخرج فيه وجهان احدهما ان يكون تفسيرا والثاني
ان يكون حالا قال الزمخشري فان قلت هلا ادخل حرف العطف على اخرج قلت فيه وجهان احدهما ان يكون
دحاها بمعنى بسطها ومهدها للسكنى ثم فسر التمهيد بما لا بد منه في تاتي سكناها من تسوية امر الماكل والمشرب وامكان
القرار عليها والثاني ان يكون اخرج حالا باضمار قد كقوله تعالى او جاؤكم حصرت صدورهم واعلم ان اضمار قد
هو قول الجمهور وخالف الكوفيون والاخفش **قوله تعالى** منها ماءها اي من الارض عيونها المتفجرة بالما ومرعاها
اي النبات الذي يرعى والمراد بمرعاها ما ياكل الناس والانعام ونظيره قوله تعالى انا صببنا الماء صبا ثم شققنا
الارض شقا الى قوله متاعا لكم ولانعامكم واستعير الرعي للانسان كما استعير الرتع في قوله نرتع ونلعب وقد
قرئ نرتع من الرعي والمرعى في الاصل مكان او زمان او مصدر وهو هنا مصدر بمعنى المفعول وهو في حق
الادميين استعارة قال ابن قتيبة قال تعالى وجعلنا من الماء كل شي حي فانظر كيف دل بقوله ماءها ومرعاها
على جميع ما اخرجه من الارض قوتا ومتاعا للانام من العشب والشجر والثمر والحب والقضب واللباس والدواء حتى
النار والملح اما النار فلانها من العيدان قال جل وعلا افرايتم النار التي تورون انتم انشاتم شجرتها ام نحن المنشئون
واما الملح فلانه من الما **قوله تعالى** والجبال ارساها قراءة العامة بنصب الجبال اي وارسى الجبال وارسى اثبت فيها
الجبال اوتادا لها وقرا الحسن وعمرو بن عبيد وعمرو بن ميمون ونصر بن عاصم بالرفع على الابتدا **قوله تعالى**
متاعا لكم العامة على النصب مفعولا له او مصدرا لعامل مقدر اي متعكم او مصدر من غير اللفظ لان المعنى
اخرج منها ماءها ومرعاها امتع بذلك وقيل نصب باسقاط حرف الصفة تقديره لتتمتعوا به متاعا
والمعنى منفعة لكم ولانعامكم **قوله تعالى** فاذا جاءت الطامة الكبرى في جواب اذا اوجه احدها قوله

مرطعي بجواد لجادك بنو تميم فاما العاصي فلهنه واما الطايع فاكرمه وقيل محذوف فقدره الزمخشري فان الامر كذلك اي فان الجحيم ماواه وقدره بعضهم انقسم الراوون قسمين وقيل عاينوا او علموا وقيل جوابها ادخل اهل النار النار واهل الجنة الجنة وقال ابو البقا العامل فيها جوابها وهو معنى قوله يوم يتذكر الانسان والطامة الكبرى الداهية العظمى التي تطم على غيرها من الدواهي لعظمها والطم الدفن ومنه طم السيل الركية وفي المثل جرى الوادي فطم على القرى وقيل ماخوذ من قولهم طم الفرس طميما اذا استفرغ جهده في الجري والمراد بها في القران النفخة الثانية لان بها يحصل ذلك قال ابن عباس هي النفخة الثانية التي يكون معها البعث وعن ابن عباس ايضا والضحاك انها القيامة سميت بذلك لانها تطم على كل شيء فتعمه وقال القاسم بن الوليد الهمداني في الطامة الكبرى حين يساق اهل الجنة الى الجنة واهل النار الى النار **قوله تعالى** يوم يتذكر بدل من اذا او منصوبا باضمار فعل اي اعني يوم اي يوم يتذكر كيت وكيت **قوله تعالى** ما سعى اي ما عمل من خير او شر يراه مكتوبا في كتابه فيتذكره وكان قد نسيه لقوله تعالى احصاه الله ونسوه **قوله تعالى** وبرزت الجحيم العامة على بنائه للمفعول مشددا ولمن يرى بياء الغيبة وزيد بن علي وعائشة وعكرمة مبنيا للفاعل مخففا وترى بتاء من فوق فجوز ولي في تاء ترى اي تكون للتانيث وفي ترى ضمير الجحيم كقوله تعالى اذا رأتهم من مكان بعيد وان تكون للخطاب اي ترى انت يا محمد والمراد يرى الناس وقرا عبد الله لمن راى فعلا ماضيا قال ابن عباس رضي الله عنه برزت كشفت عنها تتلظى فيراها كل ذي بصر فالمومنون يمرون عليها وان منكم الا واردها واما الكفار فهي ماويهم وقيل الروية هنا استعارة كقولهم • قد تبين الصبح لذي عينين • وقيل المراد الكافر لانه الذي يرى النار بما فيها من اصناف العذاب وقيل يراها المومن ليعرف قدر النعمة **قوله تعالى** فاما من طغى اي تجاوز الحد في العصيان قيل نزلت في النضر وابنه الحرث وهي عامة في كل كافر اثر الحياة الدنيا على الاخرة فان الجحيم هي الماوى اما هي الماوى له او هي ماواه وقامت ال مقام الضمير وهو راي الكوفيين وقد تقدم تحقيق هذا والرد على قايله بقوله رحيب قطاب الجيب منها رفيعه • بجس الندامى بضه المتجرد • اذ لو كانت ال عوضا من الضمير لما جمع بينهما في هذا البيت ولا بد من احد هذين التاويلين في الاية الكريمة لاجل العايد من الجملة الواقعة خبرا الى المبتدا والذي حسن عدم ذكر العايد كون الكلمة وقعت راس فاصلة وقال الزمخشري فان الجحيم ماواه كما للرجل غض الطرف وليس الالف واللام بدلا من الاضافة ولكن لما علم ان الطاغي هو صاحب الماوى وانه لا يغض الرجل طرف غيره ترك الاضافة ودخول الالف واللام في الماوى والطرف للتعريف لانهما معروفان قال ابو حيان وهو كلام لا يتحصل منه الرابط العايد على المبتدا اذ قد نفى مذهب الكوفيين ولم يقدر ضميرا كما قدره البصريون فرام حصول الرابط بلا رابط قال الشهاب الدين ولكن لما علم الى اخره وهو عين قول البصريين فلا ادري كيف خفي عليه هذا **قوله تعالى** واما من خاف مقام ربه جنتان ونهى النفس عن الهوى اي زجرها عن المعاصي والمحارم وقال ابن الخطيب هذان الوصفان مضادان للوصفين المتقدمين قوله تعالى من خاف مقام ربه ضد قوله فاما من طغى ونهى النفس ضد قوله واثر الحيوة الدنيا فكما دخل في ذينك الوصفين جميع القبايح دخل في هذين الوصفين جميع الطاعات قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه انتم في زمان يقود الحق الهوى وسياتي زمان يقود الهوى الحق فنعوذ بالله من ذلك الزمان فان الجنة هي الماوى اي المنزل نزلت الايتان في مصعب بن عمير واخيه عامر بن عمير روى الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنه قال اما من طغى فهو اخو المصعب بن عمير اسر يوم بدر فاخذته الانصار فقالوا من انت قال انا اخو مصعب بن عمير فلم يشدوه في الوثاق واكرموه وبيتوه عندهم فلما اصبحوا حدثوا مصعب بن عمير حديثه فقال ما هو لي باخ شدوا اسيركم فان امه اكثر اهل البطحا حليا ومالا فاوثقوه حتى بعثت امه في فدايه واما من خاف مقام ربه فمصعب بن عمير وقى رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه يوم احد حين تفرق الناس عنه حتى نفذت المشاقص في جوفه وهي السهام فلما راه رسول الله صلى الله عليه وسلم متشحطا في دمه قال صلى الله عليه وسلم عند الله احتسبك وقال صلى الله عليه وسلم لاصحابه لقد رايته وعليه بردان ما يعرف قيمتهما وان شراك نعليه من ذهب وعن ابن عباس رضي الله عنه نزلت هذه الاية في رجلين ابو جهل بن هشام ومصعب بن عمير وقال السدي نزل قوله تعالى واما من خاف مقام ربه في ابي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه وقال الكلبي هما عامتان **قوله تعالى** يسالونك عن الساعة ايان مرساها لما سمع المشركون اخبار القيامة ووصفها بالاوصاف الهايلة مثل الطامة الكبرى والصاخة والقارعة سالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم استهزاء متى تكون الساعة وقيل يحتمل ان يكون ذلك ايهاما لاتباعهم انه لا اصل لذلك ويحتمل انهم كانوا يسالونه عن وقت القيامة استعجالا كقوله الذين لا يومنون بها وقوله ايان مرساها اي اقامتها والمعنى متى يقيمها الله ويوجدها ويكون المعنى ايان منتهاها ومستقرها كما ان مرسى السفينة مستقرها الذي تنتهي اليه فلجابهم الله تعالى بقوله فيم انت من ذكراها

قوله تعالى فيم خبر مقدم وانت مبتدا موخر ومن ذكراها متعلق بما تعلق به الخبر والمعنى انت في اي شيء من ذكراها اي ما انت من ذكراها لهم وتبيين وقتها في شيء وقال الزمخشري وعن عائشة رضي الله عنها لم يزل صلى الله عليه وسلم يسال عنها ويذكرها حتى نزلت قال فعلى هذا هو تعجب من كثرة ذكره لها كانه قيل في اي شغل واهتمام انت من ذكراها والسوال عنها وقيل الوقف على قوله فيم وهو خبر مبتدا مضمر اي فيم هذا السوال ثم يبتدي بقوله انت من ذكراها اي ارسالك وانت خاتم الانبيا واخر الرسل والمبعوث في نسمة الساعة ذكر من ذكراها وعلامة من علاماتها فكفاهم بذلك دليلا على دنوها ومشارفتها والاستعداد لها ولا معنى لسوالهم عنها قال الزمخشري وهو كلام حسن لولا انه يخالف الظاهر ومفكك لنظم الكلام ويعني الى ربك منتهى علمها لقوله تعالى قل انما علمها عند الله وقوله تعالى ان الله عنده علم الساعة قال القرطبي ويجوز ان يكون انكارا على المشركين في مسالتهم اي فيم انت من ذلك حتى يسالونك بيانه ولست ممن يعلمه روي معناه عن ابن عباس رضي الله عنه **قوله تعالى** انما انت منذر من يخشاها العامة على اضافة الصفة لمعمولها تخفيفا وقرا عمر بن عبد العزيز وابو جعفر وطلحة وابن محيصن بالتنوين ويكون في موضع نصب والمعنى انما ينتفع بانذارك من يخشى الساعة قال الزمخشري وهو الاصل والاضافة تخفيف وكلاهما يصلح للحال والاستقبال فاذا اريد الماضي فليس الا الاضافة كقولك هو منذر زيد امس قال ابو حيان هو الاصل يعني التنوين هو قول قاله غيره ثم اختار ابو حيان ان الاصل الاضافة قال لان العمل انما هو بالشبه والاضافة اصل في الاسما ثم قال وقوله ليس الا الاضافة فيه تفصيل وخلاف مذكور في كتب النحو قال شهاب الدين لا يلزمه ان يذكر الا محل الوفاق بل هذان اللذان ذكرهما مذهب جماهير الناس **فصل** المعنى انما انت مخوف وخص الانذار بمن يخشى لانهم المنتفعون به وان كان منذرا للكل تكليف كقوله انما تنذر من اتبع الذكر وخشي الرحمن بالغيب **قوله تعالى** كانهم يوم يرونها يعني الكفار يرون الساعة لم يلبثوا في دنياهم الا عشية اي قدر عشية او ضحاها اي او قدر الضحى الذي يلي تلك العشية والمراد تقليل مدة الدنيا كقوله تعالى لم يلبثوا الا ساعة من نهار واضاف الضحى الى العشية اضافة الظرف الى ضمير الظرف الاخر تجوزا واتساعا وذكرهما لانهما طرفا النهار وحسن هذه الاضافة وقوع الكلمة فاصلة فان قيل قوله تعالى او ضحاها معناه ضحى العشية وهذا غير معقول لانه ليس للعشية ضحى فالجواب قال ابن عباس الهاء والالف صلة للكلام يريد لم يلبثوا الا عشية او ضحى وقال الفرا والزجاج المراد باضافة الضحى الى العشية اضافتها الى يوم العشية على عادة العرب يقولون اتيتك الغداة او عشيتها واتيتك العشية او غداتها فتكون العشية في معنى اخر النهار والغداة في معنى اول النهار وانشد بعض بني عقيل • نحن صبحنا عامرا في دارها • جردا تعادى طرفي نهارها • عشية الهلال او سرارها • وصلى الله على سيدنا محمد واله وصحبه وسلم •

سورة الاعمى مكية

وهي اثنان واربعون اية ومايه وثلاثون كلمة وخمسماية وثلاثة وثلاثون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم **قوله تعالى** عبس وتولى اي كلح بوجهه يقال عبس وبسر وتولى اي اعرض بوجهه **قوله تعالى** ان جاءه فيه وجهان احدهما انه مفعول لاجله وناصبه اما تولى وهو قول البصريين واما عبس وهو قول الكوفيين والمختار مذهب البصريين لعدم الاضمار في الثاني وتقدم تحقيق هذا في مسايل التنازع والتقدير لان جاءه الاعمى فعل ذلك قال القرطبي من قرا بالمد على الاستفهام فان متعلقة بفعل محذوف دل عليه عبس وتولى والتقدير ان جاءه اعرض عنه وتولى فيوقف على هذه القراءة على تولى ولا يوقف عليه على قراءة العامة **فصل** قال المفسرون اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ابن ام مكتوم واسم ام مكتوم عاتكه بنت عامر بن مخزوم وكان عند النبي صلى الله عليه وسلم صناديد قريش عتبة وشيبة ابنا ربيعة وابو جهل بن هشام والعباس بن عبد المطلب وامية بن خلف والوليد بن المغيرة يدعوهم الى الاسلام رجاء ان يسلم باسلامهم غيرهم فقال للنبي صلى الله عليه وسلم علمني مما علمك الله وكرر ذلك فكره قطعه لكلامه وعبس واعرض عنه فنزلت هذه الاية قال ابن العربي اما قول المفسرين انه الوليد بن المغيرة او امية بن خلف والعباس فهذا كله باطل وجهل لان امية والوليد كانا بمكة وابن ام مكتوم كان بالمدينة ما حضر معهما ولا حضرا معه وماتا كافرين احدهما قبل الهجرة والاخر في بدر ولم يقصد امية المدينة قط ولا حضر معه مفردا ولا مع احد وانما اقبل ابن ام مكتوم والنبي صلى الله عليه وسلم مشتغل بمن حضره من وجوه قريش يدعوهم الى الاسلام وقد طمع

في اسلامهم وكان في اسلامهم اسلام من وراهم من قومهم فجا ابن ام مكتوم وهو اعمى فقال يا رسول الله علمني مما
علمك الله وجعل يناديه ويكثر النداء ولا يدري انه مشتغل بغيره حتى ظهرت الكراهة في وجه رسول الله صلى الله
عليه وسلم لقطعه كلامه وقال في نفسه يقول هولاء انما اتباعه العميان والسفلة والعبيد فعبس واعرض
فنزلت الاية قال الثوري فكان النبي صلى الله عليه وسلم بعد ذلك اذا راى ابن ام مكتوم بسط له رداءه ويقول له
مرحبا بمن عاتبني فيه ربي ويقول هل من حاجة واستخلفه على المدينة مرتين في غزوتين غزاهما قال انس رضي الله
عنه فرايته يوم القادسية راكبا وعليه درع ومعه راية سودا **فصل** قال ابن الخطيب ما فعله ابن
ام مكتوم كان يستحق التاديب والزجر فكيف عاتب الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم على تاديبه ابن ام مكتوم وانما
قلنا انه كان يستحق التاديب لانه وان كان اعمى لا يرى القوم لكنه سمع مخاطبة الرسول صلى الله عليه وسلم لاوليك
الكفار وكان بسماعه يعرف شدة اهتمام النبي صلى الله عليه وسلم بشانهم فكان اقدامه على قطع كلام النبي
صلى الله عليه وسلم لغرض نفسه قبل تمام غرض النبي صلى الله عليه وسلم معصية عظيمة وايضا فان الاهم
يقدم على المهم وكان قد اسلم وتعلم ما يحتاج اليه من امر الدين واما اوليك الكفار فلم يكونوا اسلموا بعد وكان اسلامهم
سببا لاسلام جمع عظيم فكان كلام ابن ام مكتوم كالسبب في قطع ذلك الخير العظيم لغرض قليل وذلك محرم وايضا
فان الله تعالى ذم الذين ينادونه من وراء الحجرات بمجرد ندائهم فهذا النداء الذي هو كالصارف للكفار عن الايمان
اولى ان يكون ذنبا فثبت ان الذي فعله ابن ام مكتوم كان ذنبا ومعصية وايضا فمع هذا الاعتنا بابن ام مكتوم
كيف لقب بالاعمى وايضا فالنبي صلى الله عليه وسلم يودب اصحابه بما يراه مصلحة والتعبيس من ذلك القبيل
ومع الاذن فيه كيف يعاتب عليه والجواب عن الاول ان ما فعله ابن ام مكتوم كان من سوء الادب لو كان عالما
بان النبي صلى الله عليه وسلم مشغول بغيره وانه يرجوا اسلامهم ولكن الله تعالى عاتبه حتى لا ينكسر قلوب اهل
الصفة اوليعلم ان المومن الفقير خير من الغني وكان النظر الى المومن اولى وان كان فقيرا اصلح واولى من الاقبال
على الاغنيا طمعا في ايمانهم وان كان ذلك ايضا نوع من المصلحة وعلى هذا التخريج قوله تعالى ما كان لنبي ان يكون
له اسرى الاية وقيل انما قصد النبي صلى الله عليه وسلم تاليف الرجل ثقة بما كان في قلب ابن ام مكتوم من الايمان
كما قال صلى الله عليه وسلم اني لاعطي الرجل وغيره احب الي منه مخافة ان يكبه الله على وجهه وقال ابن زيد
انما عبس النبي صلى الله عليه وسلم لابن ام مكتوم واعرض عنه لانه اشار الى الذي كان يقوده ان يكفه فدفعه ابن
ام مكتوم وابى الا ان يكلم النبي صلى الله عليه وسلم حتى يعلمه فكان في هذا نوع جفا منه ومع هذا انزل الله تعالى
في حقه عبس وتولى بلفظ الاخبار عن الغايب تعظيما له ولم يقل عبست وتوليت ثم اقبل عليه بمواجهة الخطاب تانيسا
له فقال وما يدريك اي يعلمك لعله اي ابن ام مكتوم يزكى بما استدعا منك تعليمه اياه من القران والدين واما ذكره
بلفظ الاعمى ليس للتحقير بل كانه قيل انه بسبب عماه يستحق مزيد الرفق والرافة فكيف يليق بك يا محمد ان تخصه بالغلظة
واما كونه ماذونا له في تاديب اصحابه لكن هنا لما اوهم تقديم الاغنيا على الفقرا وكان ذلك مما يوهم
ترجيح الدنيا على الدين فلهذا السبب عوتب **فصل** قال ابن الخطيب تمسك القايلون بصدور الذنب
عن الانبيا عليهم الصلاة والسلام بهذه الاية وقالوا لما عوتب النبي صلى الله عليه وسلم على ذلك الفعل دل على انه كان
معصية قال ابن الخطيب وهذا بعيد لما ذكرنا في الجواب عن الاول وايضا فان هذا من باب الاحتياط وترك الافضل
قوله تعالى وما يدريك لعله يزكى الظاهر انه اجرى الترجي مجرى الاستفهام لما بينهما من معنى الطلب في التعليق لان
المعنى منصب على تسليط الدراية على الترجي اذ التقدير لا يدري ما هو مترجى منه التزكية او التذكر وقيل الوقف على يدري
والابتدا بما بعده على معنى وما يطلعك على امره وعاقبة حاله ثم ابتدا فقال لعله يزكى **فصل** قيل الضمير
في لعله للكافر يعني لعل اذا اطمعت في ان يتزكى بالاسلام او يذكر فتقربه الذكرى الى قبول الحق وما يدريك ان ما طمعت فيه
كاين ونظير هذه الاية قوله تعالى ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي وقوله ولا تعد عيناك عنهم تريد
زينة الحيوة الدنيا **قوله تعالى** او يذكر فتنفعه الذكرى قرا عاصم فتنفعه بالنصب والباقون بالرفع فمن رفع فهو نسق
على قوله او يذكر ومن نصب فعلى جواب الترجي كقوله في المومن فاطلع وهو مذهب كوفي تقدم الكلام عليه وقال ابن
عطية في جواب التمني لان قوله تعالى او يذكر في حكم قوله لعله يزكى قال ابو حيان وهذا ليس تمنيا انما هو ترج قال شهاب
الدين انما يريد التمني المفهوم من الكلام ويدل له ما قال ابو البقا وبالنصب على جواب التمني في المعنى والا فالفرق بين
التمني والترجي لا يجهله ابن عطية وقال مكي من نصبه جعله جواب لعل بالفا لانه غير موجب فاشبه التمني والاستفهام
وهو غير معروف عند البصريين وقرا عاصم في رواية والاعرج او يذكر بسكون الذال وتخفيف الكاف مضمومة مضارع

ذكر والمعنى او يتعظ بما يقول فتنفعه الذكرى اي العظة **قوله تعالى** اما من استغنى المراد بها بل هي لغظة
مخصوصة بالملايكة هذا الاطلاق ولا يشاركهم فيها سواهم وروى الضحاك عن ابن عباس في كرام قال يكرمون ان يكون
مع ابن ادم اذا خلا بزوجته او تبرز لغايط وقيل يوثرون منافع غيرهم على منافع انفسهم وقوله تعالى بررة جمع بار مثل كافر
وكفرة وساحر وسحرة وفاجر وفجرة يقال بر وبار اذا كان اهلا للصدق ومنه بر فلان في يمينه اي صدق وفلان يبر خالقه
ويتبرره اي يطيعه فمعنى بررة مطيعين لله صادقين لله في اعمالهم **فصل** قال ابن الخطيب قوله تعالى
بايدي سفرة يقتضي ان طهارة تلك الصحف انما حصلت بايدي هولاء السفرة فقال القفال في تقريره لما كان لا يمسها
الا الملايكة المطهرون اضيف التطهير اليها لطهارة من يمسها وقال القرطبي ان المراد بقوله تعالى في سورة الواقعة لا يمسه
الا المطهرون انهم الكرام البررة في هذه السورة **قوله تعالى** قتل الانسان ما اكفره اي لعن وقيل عذب والانسان الكافر
روى الاعمش عن مجاهد قال ما كان في القران قتل الانسان فانما عني به الكافر قال النحويون وهذا اما تعجب واستفهام
تعجب **فصل** قال ابن الخطيب اعلم انه تعالى لما ذكر ترفع صناديد قريش على فقرا المسلمين عجب عباده المومنين من ذلك
فكانه قيل واي سبب في هذا الترفع مع ان اوله نطفة مذرة واخره جيفة قذرة وهو فيما بين الوقتين حمال العذرة فلا جرم
ذكر تعالى ما يصلح ان يكون علاجا لعجبهم وعلاجا لكفرهم فان خلقة الانسان يصلح ان يستدل بها على وجود الصانع لانه
يستدل بها على القول بالبعث والحشر قيل نزلت في عتبة بن ابي لهب والظاهر العموم وقوله تعالى قتل الانسان دعا عليه
باشد الاشيا لان القتل غاية شدايد الدنيا وما اكفره تعجب من افراطه في كفران نعمة الله تعالى فان قيل الدعا على الانسان
انما يليق بالعاجز والقادر على الكل كيف يليق ذلك به والتعجب ايضا انما يليق بالجاهل بسبب الشي فالعالم به كيف يليق ذلك به
فالجواب ان ذلك ورد على اسلوب كلام العرب لبيان استحقاقهم لاعظم العقاب حيث اتوا باعظم القبايح كقولهم اذا
تعجبوا من شي قاتله الله ما احسنه واخزاه الله ما اظلمه والمعنى اعجبوا من كفر الانسان بجميع ما ذكرنا بعد هذا وقيل
ما اكفره بالله ونعمه مع معرفته بكثرة احسانه اليه والاستفهام بقوله من اي شي خلقه قيل استفهام توبيخ اي اي شي
دعاه الى الكفر وقيل استفهام تحقير له فذكر اول مراتبه وهي قوله تعالى من نطفة خلقه ولا شك ان النطفة شي حقير
مهين ومن كان اصله ذلك كيف يتكبر وقوله فقدره اي اطوارا وقيل سواه كقوله تعالى ثم سواك رجلا او قدر كل عضو
في الكيفية والكمية بالقدر اللايق لمصلحته كقوله تعالى وخلق كل شي فقدره تقديرا ثم ذكر المرتبة الوسطى فقال تعالى
ثم السبيل يسره قيل المراد تيسير خروجه من بطن امه ولا شك ان خروجه حيا من اضيق المسالك من اعجب العجايب يقال
انه كان راسه في بطن امه من فوق ورجليه من تحت فاذا جا وقت الخروج انقلب فمن الذي اعطاه ذلك الالهام المراد منه
قوله تعالى وهديناه النجدين اي التمييز بين الخير والشر وقيل مخصوص بالدين **قوله تعالى** ثم السبيل يسره يجوز ان يكون
الضمير للانسان والسبيل ظرف اي يسر للانسان الطريق اي طريق الخير والشر كقوله تعالى وهديناه النجدين وقال ابو البقا
ويجوز ان ينتصب بانه مفعول ثان ليسره والها للانسان اي يسره السبيل اي هداه له قال شهاب الدين فلا بد من تضمينه
معنى اعطى حتى ينصب اثنين او يحذف حرف الجر اي يسره للسبيل ولذلك قدره بقوله تعالى هداه له ويجوز ان يكون السبيل
منصوبا على الاشتغال بفعل مقدر والضمير له تقديره ثم يسر السبيل يسره اي سهله للناس كقوله تعالى اعطى كل شي خلقه
ثم هدى وتقدم مثله في قوله تعالى انا هديناه السبيل **فصل** وعن ابن عباس رضي الله عنه ومجاهد
قال السبيل الشقا والسعادة وقال ابن زيد سبيل الاسلام وقال ابو بكر بن طاهر يسر على كل احد ما خلقه له وقدر عليه لقوله
عليه الصلوة والسلام اعملوا فكل ميسر لما خلق له **قوله تعالى** ثم اماته فاقبره هذه المرتبة الثالثة اي جعل له قبرا يواري فيه
يقال قبره اذا دفنه واقبره اي جعله بحيث يقبر وجعل له قبرا اكراما له ولم يجعله ممن يلقى على وجه الارض ياكله الطير
قاله الفرا وقال ابو عبيدة اقبره جعله قبرا وامر ان يقبر والقابر هو الدافن بيده قال الاعشى **قول** ...
لو اسندت ميتا الى نحرها • عاش ولم ينقل الى قابر •
يقال قبرت الميت اذا دفنته واقبره الله اي صيره بحيث يقبر وجعل له قبرا وتقول العرب بترت ذنب البعير وابتره الله وعضبت قرن الثور واعضبه الله وطردت فلانا والله اطرده اي صيره
طريدا **قوله تعالى** ثم اذا شاء انشره اي احياه بعد موته ومفعول شاء محذوف اي شاء انشاره وانشره جواب اذا وقرا
العامة انشره بالالف وروى ابو حيان عن نافع وشعيب بن ابي حمزة نشره ثلاثيا بغير الف ونقلها ابو الفضل ايضا
وقال هما لغتان بمعنى الاحيا قال ابن الخطيب وانما قال اذا شاء انشره اشعارا بان وقته غير معلوم فتقديمه وتاخيره
الى مشية الله تعالى **قوله تعالى** كلا لما يقض كلا ردع للانسان عن تكبره وترفعه او عن كفره واصراره على انكار التوحيد وعلى
انكار البعث والحشر والنشر وقوله تعالى لما يقض ما امره قال مجاهد وقتادة لا يقضي احد ما امر به وهو اشارة الى ان
الانسان لا ينفك من تقصير البتة قال ابن الخطيب وعندي في هذا التفسير نظر لان الضمير فيه عايدا الى المذكور السابق وهو

الانسان في قوله تعالى قتل الانسان ما اكفره وليس المراد من الانسان هنا جميع الانسان بل الانسان الكافر فقوله تعالى
لما يقض ما امره كيف يمكن حمله على جميع الناس وقال ابن فورك كلا لما يقض الله لهذا الكافر ما امره به من الايمان وترك التكبر بل امره
بما لم يقض له به وكان ابن عباس رضي الله عنه يقول لما يقض ما امره لم يف بالميثاق الذي اخذ عليه في صلب آدم عليه السلام وقيل
المعنى ان ذلك الانسان الكافر لم يقض ما امر به من التامل في دلايل الله والتدبر في عجايب خلقه قوله تعالى ما امره ما موصولة
قال ابو البقا بمعنى الذي والعايد محذوف اي ما امره به قال شهاب الدين وفيه نظر من حيث انه قدر العايد مجرورا بحرف
لم يجر الموصول ولا آمره به فان قلت امر يتعدى اليه بحذف الحرف فاقدره غير مجرور قلنا اذا قدرته غير مجرور فاما ان تقدره
متصلا او منفصلا وكلاهما مشكل لما تقدم في اول البقرة عند قوله تعالى ومما رزقناهم ينفقون وقال الحسن
كلا معناه حقا لم يقض اي لم يعمل بما امر به قال القرطبي وما في قوله لما عاد للكلام كقوله تعالى فبما رحمة من الله وقوله تعالى
عما قليل ليصبحن نادمين وقال ابن الانباري الوقف على كلا قبيح والوقف على امره والابتداء به جيد فكلا على هذا بمعنى حقا
قوله تعالى فلينظر الانسان الى طعامه قال ابن الخطيب اعلم ان عادة الله جارية في القران كلما ذكر دلايل الانفس يذكر
عقيبها دلايل الافاق فبداها هنا بما يحتاج الانسان اليه واعلم ان النبت انما يحصل من القطر النازل من السماء في الارض
فالسما كالذكر والارض كالانثى فبين نزول الما من السما الى الارض بقوله انا صببنا وقال القرطبي لما ذكر تعالى ابتدا خلق
الانسان ذكر ما يسر من رزقه اي فلينظر كيف خلق الله طعامه الذي هو قوام حياته وكيف هيا له اسباب المعاش
ليستعد بها للمعاد وهذا النظر نظر القلب بالفكر والتدبر قال الحسن ومجاهد فلينظر الانسان الى طعامه اي الى مدخله
ومخرجه روي الضحاك بن سفيان الكلابي رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ضحاك ما طعامك
قلت يا رسول الله اللحم واللبن قال ثم يصير الى ماذا قلت الى ما قد علمته قال فان الله تعالى ضرب ما يخرج من ابن آدم مثلا
للدنيا وقال ابو الوليد سالت ابن عمر رضي الله عنه عن الرجل يدخل الخلا فينظر ما يخرج منه قال يا تيه الملك فيقول انظر
الى ما بخلت به الى ما صار واعلم ان الطعام الذي يتناوله الانسان له حالتان احديهما متقدمة وهي التي لا بد من وجودها
حتى يدخل ذلك الطعام في الوجود والحالة الثانية متاخرة وهي الامور التي لا بد منها في بدن الانسان حتى يحصل
الانتفاع بذلك الطعام فلما كانت الحالة الاولى اظهر للحس لا جرم اكتفى الله تعالى بذكرها قوله تعالى انا صببنا الما
صبا قرا الكوفيون انا بفتح الهمزة غير ممالة الالف والباقون بالكسر والحسن بن علي بالفتح والامالة فاما القراة الاولى
ففيها ثلاثة اوجه احدها انها بدل من طعامه ليكون في محل جر واستشكل بعضهم هذا الوجه ورده بانه ليس بواضح
والثاني بانه بدل الاشتمال بمعنى ان صب الما سبب في اخراج الطعام فهو مشتمل عليه بهذا التقدير وقد نحى مكي الى هذا
فقال لان هذه الاشيا مشتملة على الطعام ومنها يتكون لان معنى الى طعامه الى حدوث طعامه كيف يتاتى فالاشتمال
على هذا انما هو من الثاني على الاول لان الاعتبار انما هو في الاشيا التي يتكون منها الطعام ولا في الطعام نفسه
والوجه الثاني انها على تقدير لام العلة اي فلينظر لانا ثم حذف الخافض فجرى الخلاف المشهور في محلها قال القرطبي
فان في موضع خفض كانه قال فلينظر الانسان الى طعامه انا صببنا فلا يحسن الوقف على طعامه من هذه القراة وكذلك
الثالث انها في محل رفع خبر المبتدا المحذوف اي هو انا صببنا وفيه ذلك النظر المتقدم لان الضمير ان عاد على الطعام فالطعام
ليس هو نفس الصب وان عاد على غيره فهو غير معلوم وجوابه ما تقدم واما القراة الثانية فعلى الاستيناف تعديدا للنعمة
عليه واما القراة الثالثة اني التي بمعنى كيف وفيها معنى التعجب فهي على هذه القراة كلمة واحدة وعلى غيرها كلمتان قال
القرطبي فمن اخذ بهذه القراة قال الوقف على طعامه تام ويقال معنى اني اين الا ان فيها كناية عن الوجوه وتاويلها
من اي وجه صببنا قال الكميت • انى ومن اين آبك الطرب • من حيث لا صبوة ولا ريب • قوله تعالى صببنا الما
صبا يعني الغيث والامطار ثم شققنا الارض شقا اي بالنبات فانبتنا فيها حبا اي قمحا وشعيرا وسلتا وساير ما يحصد
ويدخر وانما قدم ذلك لانها كالاصل في الاغذية وعنبا وانما ذكره بعد الحب لانه غذا من وجه وفاكهة من وجه قوله تعالى
وقضبا القضب هنا قال ابن عباس هو الرطب لانه يقضب من النخل اي يقطع ورجحه بعضهم بذكره بعد العنب وكثيرا ما يقترنان
وقيل القت قال القتيبي كذا اسميه اهل مكة وقيل كلما يقضب من البقول لبني آدم وقيل هو الرطبة والمقاضب الارض
التي تنبتها قال الراغب والقضب كالقضيب لكن القضب من فروع الشجر والقضب في البقل والقضبا اي بالفتح قطع القضب
والقضب ونهيه صلى الله عليه وسلم انه كان اذا راى في ثوب مصلبا قضبه وسيف قاضب وقضيب اي قاطع فقضيب
هنا بمعنى فاعل وفي الاول بمعنى مفعول وناقة قضيب لما تر حد من بين الابل ولم ترض وكلما لم يهذب فهو مقتضب ومنه
اقتضاب الحديث لما لم يتروفيه وقال الخليل القضب اغصان الشجر ليتخذ منها قسي او سهام وقال ابن عباس انه الفصفصة
وهو القت الرطب وقال الخليل القضيب الفصفصة الرطبة وقيل بالسين فاذا يبست فهو قت قوله تعالى وزيتونا

وهي شجرة الزيتون ونخلا يعني النخيل قوله تعالى وحدايق غلبا جمع اغلب وغلبا كحمر في احمر وحمرا الحديقة غلبا
اي غليظة الشجر ملتفة واغلولب العشب اي غلظ واصله في وصف الرقاب يقال رجل اغلب وامراة غلبا غليظا الرقبة
قال عمرو بن معدي كرب • يمشي بها غلب الرقاب كانهم • بزل كسين من الكحيل جلالا • ويقال للاسد الاغلب لانه مصمت
العنق لا يلتفت الا جميعا قال العجاج • ما زلت يوم البين الوي صلبي • والراس حتى صرت مثل الاغلب • والغلبة والقهر
ان نيل الرصب غلبه رقبته هذا اصله وحدايقه غلبا ملتفة وحدايق غلب قال ابن عباس الغلب جمع اغلب وغلبا
وهي الغلاظ وعنه ايضا الطوال وقال قتادة وابن زيد الغلب النخل الكرام وعن ابن زيد ايضا وعكرمة العظام الاوساط
والجذوع وقال مجاهد ملتفة وتقدم الكلام على الحدايق في سورة النمل قوله تعالى وفاكهة وابا الفاكهة ما ياكله الناس
من ثمار الاشجار كالتين والخوخ وغيرهما قال ابن الخطيب وقد استدل بعضهم ان الله تعالى لما ذكر الفاكهة بعد ذكر
العنب والزيتون والنخل وجب ان لا يدخل هذه الاشيا في الفاكهة وهذا قريب من جهة الظاهر لان المعطوف يغاير
المعطوف عليه واما الاب فقيل الاب للبهايم بمنزلة الفاكهة للناس وقيل هو مطلق المرعى قال الشاعر يمدح
النبي صلى الله عليه وسلم • له دعوة ميمونة ريحها الصبا • بها ينبت الله الحصيدة والابا • وسمي المرعى ابا لانه يوب اي يوم
وينتجع والاب والام بمعنى قال الشاعر • جذمنا قيس ونجد دارنا • ولنا الاب بها والمكرع • واب لكذا اي تهيا
يوب ابا وابابة واب الى وطنه اذا نزع اليه نزوعا تهيا لقصده وكذا اب بسيفه اي تهيا لسله وقولهم ابان ذلك هو
فعلان منه وهو الزمن المتهيئ لفعله ومجيه وقيل الاب يابس الفاكهة لانها تؤب للشتا اي تعد وقيل الاب هو
ما ياكله البهايم من العشب قال ابن عباس والحسن الاب كلما انبتت الارض مما لا ياكله الناس وما ياكله الادميون هو الحصيد
وعن ابن عباس وابن ابي طلحة الاب الثمار الرطبة وقال الضحاك هو التين خاصة وهو محكي عن ابن عباس ايضا وقيل
الاب الفاكهة رطب الثمار ويابسها وقال ابراهيم التيمي سيل ابو بكر الصديق رضي الله عنه عن تفسير الفاكهة والاب
فقال اي سما تظلني واي ارض تقلني اذا قلت في كتاب الله ما لا اعلم وقال انس سمعت عمر بن الخطاب قرا هذه الاية
ثم قال كل هذا عرفناه فما الاب ثم رفع عصا كانت بيده ثم قال هذا لعمر الله التكليف وما عليك يا ابن ام عمر ان لا تدري
ما الاب ثم قال اتبعوا ما تبين لكم في هذا الكتاب وما لا فدعوه وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال خلقتم من سبع
ورزقتم من سبع فاسجدوا لله على سبع وانما اراد بقوله عليه الصلاة والسلام خلقتم من سبع يعني من نطفة ثم من علقة
ثم من مضغة الاية والرزق من سبع هو قوله تعالى فانبتنا فيها حبا وعنبا وقضبا وزيتونا الى قوله وفاكهة ثم قال
وابا وهو يدل على انه ليس برزق لابن آدم وانما يختص به البهايم والله اعلم قوله تعالى متاعا لكم نصب على المصدر المؤكد
لان انبات هذه الاشيا امتاع لجميع الحيوانات واعلم انه تعالى لما ذكر ما يغتذي به الناس والحيوان قال جل من قايل
متاعا لكم ولانعامكم قال الفرا جعلناه منفعة لكم ومتعة لكم ولانعامكم وهذا مثل ضربه الله تعالى لبعث الموتى من قبورهم
كنبات الزرع بعد دثوره كما تقدم بيانه في غير موضع قوله تعالى فاذا جات الصاخة وهي الصيحة التي تصخ الاذان
اي تصمها لشدة وقعها وقيل هي ماخوذة من صخه بالحجر اي صكه به وقال الزمخشري صخ لحديثه مثل اصاخ
فوصفت النفخة بالصاخة مجازا لان الناس يصخون لها وقال ابن العربي الصاخة التي تورث الصمم وانها لمسمعة
وهذا من بديع الفصاحة كقوله • اصمني سرهم ايام فرقتهم • فهل سمعتم بسر يورث الصمما • وقال الاخر •
اصم بك الداعي وان كان اسمعا • وجواب اذا محذوف يدل عليه قوله لكل امري منهم يوميذ شان يغنيه اي التقدير
فاذا جات الصاخة اشتغل كل احد بنفسه فصل لما ذكر امر المعاش ذكر امر المعاد ليتزودوا له بالاعمال
الصالحة وبالانفاق مما امتن به عليهم وقال ابن الخطيب لما ذكر تعالى هذه الاشيا وكان المقصود منها امورا لانه
اولها الدلايل الدالة على التوحيد وثانيها الدلايل الدالة على القدرة والمعاد وثالثها ان هذا الاله الذي احسن الى
عبيده بهذه الانواع العظيمة من الاحسان لا يليق بالعاقل ان يتمرد عن طاعته وان يتكبر على عبيده اتبع ذلك بما يكون
كالمؤكد لهذه الاغراض وهو شرح احوال القيمة فان الانسان اذا سمعها خاف فيدعوه ذلك الخوف الى التامل في الدلايل
والايمان بها والاعراض عن الكفر ويدعوه ايضا الى ترك التكبر على الناس والى اظهار التواضع فقال تعالى فاذا جات
الصاخة يعني صيحة القيامة وهي النفخة الاخيرة تصخ الاسماع اي تصمها فلا تسمع الا ما يدعى به الاحيا قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ما من دابة الا وهي مصيخة يوم الجمعة شفقا من الساعة الا الجن والانس قوله تعالى يوم
يفر بدل من اذا ولا يجوز ان يكون بعينه عاملا في اذا ولا في يوم لانه صفة لشان ولا يتقدم معمول الصفة
على موصوفها والعامة على يغنيه من الاغنا وابن محيصن والزهري وابن ابي عبلة وحميد وابن السميقع يعنيه بفتح اليا
وبالعين المهملة من قولهم عناني الامر اي قصدني فقيل يفر اي يهرب في يوم مجي الصاخة من اخيه لكي لا يراه الخيه

ومكالمته لانه مشتغل بنفسه لقوله بعده لكل امرئ منهم يومئذ شان يغنيه اي يشغله عن غيره وقيل انما يفر حذرا من مطالبتهم اياه بالتبعات يقول الاخ ما واسيتني بمالك والابوان يقولان قصرت في برنا والصاحبة تقول اطعمتني الحرام والبنون يقولون ما علمتنا وقيل لعلمه انهم لا ينفعونه ولا يغنون عنه شيئا لقوله تعالى يوم لا يغني مولى عن مولى شيئا وقال عبد الله بن طاهر يفر منهم لما تبين له عجزهم وقلة حيلتهم وذكر الضحاك عن ابن عباس قال يفر قابيل من اخيه هابيل ويفر النبي من امه ويفر ابراهيم من ابيه ونوح من ابنه ولوط من امراته وادم من سوء بنيه قال ابن الخطيب المراد ان الذين كان المرء يفر اليهم في دار الدنيا ويستجير بهم فانه يفر منهم في دار الاخرة وذكروا في فايدة الترتيب كانه قيل يوم يفر المرء من اخيه بل من الابوين فانهما اقرب من الاخوان بل من الصاحبة والولد لان تعلق القلب بهما اشد من تعلقه بالابوين ثم لما ذكر الفرار اتبعه بذكر سببه فقال تعالى لكل امرئ منهم يومئذ شان يغنيه قال ابن قتيبة يغنيه اي يصرفه عن قرابته ومنه يقال اغن عني وجهك اي اصرفه وقال اهل المعاني يغنيه اي ذلك الهم الذي يحصل له قد ملا صدره فلم يبق فيه متسع لهم اخر فصار شبيها بالغني في انه ملك شيئا كثيرا قوله تعالى وجوه يومئذ مسفرة لما ذكر تعالى حال يوم القيمة في الهول بين المكلفين فيه على قسمين سعدا واشقيا فوصف سبحانه السعيد بقوله تعالى وجوه يومئذ مسفرة اي مضيئة مشرقة قد علمت ما لها من الفوز والنعيم من اسفر الصبح اذا اضاء وهي وجوه المومنين ضاحكة اي مسرورة فرحة قال الكلبي يعني بالفراغ من الحساب مستبشرة اي بما اتاها الله تعالى من الكرامة وقال عطا الخراساني مسفرة من طول ما اغبرت في سبيل الله وقال الضحاك من اثار الوضوء وقال ابن عباس من قيام الليل لقوله صلى الله عليه وسلم من كثرت صلوته بالليل حسن وجهه بالنهار قوله تعالى ووجوه يومئذ عليها غبرة قال المبرد الغبرة الغبار والقترة سواد كالدخان وقال ابو عبيدة القتر في كلام العرب الغبار جمع القترة قال الفرزدق

• متوج برداء الملك يتبعه • موج ترى فوقه الرايات والقترا •

وفي عطفه على الغبرة ما يرده هذا الا ان يقال لما اختلفا لفظا حسن العطف كقوله كذبا ومينا والناي والبعد وهو خلاف الاصل وفي الحديث ان البهايم اذا صارت ترابا يوم القيمة حول ذلك التراب في وجوه الكفار وقال زيد بن اسلم القترة ما ارتفعت الى السماء والغبرة ما انحطت الى الارض والغبار والغبرة واحد وقال ابن عباس ترهقها اي تغشاها قترة اي كسوف وسواد وعنه ايضا ذلة وشدة وقيل ترهقها اي تدركها عن قرب كقولك رهقت الخيل اذا ادركته مسرعا والرهق عجلة الهلاك والقترة سواد كالدخان ولا يرى اوحش من اجتماع الغبرة والسواد في الوجه كما ترى وجوه الزنوج اذا اغبرت فجمع الله تعالى في وجوههم بين السواد والغبرة كما جمعوا بين الكفر والفجور والله اعلم والعامة على فتح التاء في قترة واسكنها ابن ابي عبلة قوله تعالى اولئك هم الكفرة جمع كافر الفجرة جمع فاجر وهو الكاذب المفتري على الله تعالى وقيل الفاسق فجر فجورا اي فسق وفجر اي كذب واصله الميل والفاجر المايل روى الثعلبي عن ابي رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة عبس وتولى جاء يوم القيمة ووجهه ضاحك مستبشر والله اعلم

سورة التكوير مكية

وهي تسع وعشرون اية ومائة واربع كلمات واربع مائة واربعة وثلاثون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى اذا الشمس كورت في ارتفاع الشمس وجهان احدهما انها مرفوعة بفعل مقدر مبني للمفعول حذف وفسره ما بعده على الاشتغال والرفع على هذا الوجه على اضمار الفعل واجب عند البصريين لانهم لا يجيزون ان يليها غيره وتاولون ما وهم خلاف ذلك والثاني انها مرفوعة بالابتدا وهو قول الكوفيين والاخفش لظواهر جاءت في الشعر وانتصر له ابن مالك وقال الزمخشري ارتفاع الشمس على الابتدا او الفاعلية قلت بل على الفاعلية ثم ذكر نحو ما تقدم ويعني بالفاعلية ارتفاعها بفعل الجملة وقد مر انه يسمى مفعول ما لم يسم فاعله فاعلا وارتفاع النجوم وما بعدها كما تقدم في الشمس

فصل قد تقدم تفسير التكوير في اول التنزيل قيل التلفيف على جهة الاستدارة كتكوير العمامة وفي الحديث نعوذ بالله من الحور بعد الكور اي من التشتت بعد الالفة وقيل من فساد امورنا بعد صلاحها والحور بالحا المهملة والواو الطي واللف والكور والتكوير واحد ومنه كارة القصار لانه يجمع ثيابه في ثوب واحد ثم ان الشي الذي تلف يصير مختفيا عن الاعين فعبر عن ازالة النور عن جرم الشمس وتغيبها عن الاعين بالتكوير فلهذا قال ابن عباس رضي الله عنه تكويرها ادخالها في العرش وقال الحسن ذهاب ضوءها وهو قول مجاهد وقتادة وروي عن ابن عباس

ايضا وسعيد ابن جبير عورت وقال الربيع بن خثيم كورت رمي بها ومنه كورته فتكور اي سقط قال الاصمعي يقال طعنه فكوره اذا صرعه فمعنى كورت اي القيت ورميت من الفلك ومنا ابي صالح كورت نكست وقال ابن الخطيب روي عن ابن عمر رضي الله عنه ان لفظة كورت ماخوذة من الفارسية فانه يقال للاعمى كور قوله تعالى واذا النجوم انكدرت اي تناثرت وتساقطت قال تعالى واذا الكواكب انتثرت والاصل في الانكدار الانصباب قال الخليل انكدر عليهم القوم اذا جاءوا ارسالا فانصبوا عليهم قال ابو عبيدة انصبت كما ينصب العقاب اذا كسرت قال العجاج يصف صقرا

• ابصر خربان فضاء فانكدر • تقضي البازي اذا البازي كسر •

روى ابن عباس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يبقى في السماء يومئذ نجم الا سقط في الارض وروي عن ابن عباس رضي الله عنه ان النجوم قناديل معلقة بين الارض والسماء بسلاسل من نور بايدي الملائكة فاذا مات من في السموات ومن في الارض تساقطت تلك الكواكب من ايدي الملائكة لانه مات من كان يمسكها قال القرطبي ويحتمل ان يكون طموس انوارها وسميت النجوم نجوما لظهورها في السماء بضوءها وعن ابن عباس ايضا انكدرت تغيرت فلم يبق لها ضوء لزوالها عن اماكنها قوله تعالى واذا الجبال سيرت يعني قلعت عن وجه الارض وسيرت في الهوا لقوله تعالى ويوم نسير الجبال وترى الارض بارزة وقوله تعالى وسيرت الجبال فكانت سرابا في الهوى لقوله تعالى وهي تمر مر السحاب وقيل سيرها ان تحول عن صفة الحجارة فتكون كثيبا مهيلا اي رملا سايلا وتكون كالعهن وتكون هباء منبثا وتكون مثل السراب الذي ليس بشي وعادت الارض قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا امتا قوله تعالى واذا العشار عطلت العشار جمع عشراء وهي الناقة التي مر لحملها عشرة اشهر ثم هو اسمها الى ان تضع في تمام السنة وكذلك نفاس في جمع نفسا قال القرطبي وهو اسمها بعد ما تضع ايضا ومن عادة العرب ان يسموا الشي باسمه المتقدم وان كان قد جاوز ذلك يقول الرجل لفرسه وقد قرح قربوه مهري يسميه بمتقدم اسمه وخص العشار بالذكر لانها اعز ما يكون عند العرب وهذا على وجه المثل لان في القيمة لا يكون ناقة عشراء والمعنى ان يوم القيامة بحال لو كان للرجل ناقة عشراء لعطلها واشتغل بنفسه يقال ناقة عشراء وناقتان عشراوان ونوق عشار وعشراوات يبدلون من همزة التانيث واوا وقد عشرت الناقة تعشيرا اي صارت عشراء وقيل العشار السحاب وعطلت اي لا تمطر والعرب تشبه السحاب بالحامل قال تعالى فالحاملات وقرا وقيل الارض تعطل زرعها والتعطيل الاهمال ومنه قيل للمراة عاطل اذا لم يكن عليها حلي وتقدم في بير معطلة وقال امرؤ القيس

• وجيد كجيد الريم ليس بفاحش • اذا هي نصته ولا بمعطل •

وقرا ابن كثير في رواية عطلت بتخفيف الطا قال الرازي هو غلط انما هو بفتحتين بمعنى تعطلت لان التشديد فيه للتعدي يقال عطلت الشي واعطلته فعطل قوله تعالى واذا الوحوش حشرت الوحوش ما لم يتانس به من حيوان البر والوحش ايضا المكان الذي لا انس فيه ومنه لقيته بوحش اصمت اي ببلد قفر والوحش الذي يبيت جوفه خاليا من طعام وجمعه اوحاش وسمي به المنسوب الى المكان الوحش وحشي وعبر بالوحشي عن الجانب الذي يضاد الانسي والانسي ما يقبل من الانسان وعلى هذا وحشي الفرس والانسية وقوله تعالى حشرت اي جمعت والحشر الجمع قال الحسن وقتادة وغيرهما وقال ابن عباس رضي الله عنه حشرها موتها رواه عكرمة وحشر كل شي الموت غير الجن والانس فانهما يوافيان يوم القيمة وعن ابن عباس قال يحشر كل شي حتى الذباب قال ابن عباس تحشر الوحوش اي تجمع حتى يقتص لبعضها من بعض فيقتص للجما من القرنا ثم يقال لها كوني ترابا فتموت وقرا الحسن وابن ميمون حشرت بتشديد الشين ومعنى الاية ان الوحوش اذا كانت هذه حالها فكيف بني ادم وقيل اي انها مع نفرتها اليوم من الناس وتبددها في الصحاري تنضم غدا الى الناس من اهوال ذلك اليوم قال معناه ابي بن كعب قوله تعالى واذا البحار سجرت قرا ابن كثير وابو عمرو سجرت بتخفيف الجيم والباقون بتثقيلها على المبالغة والتكثير والمعنى ملئت من الما والعرب تقول سجرت الحوض اسجره سجرا اذا ملاته وهو مسجور والمسجور والساجر في اللغة الملآن وروى الربيع بن خثيم سجرت فاضت وملئت قال تعالى واذا البحار فجرت وقال الحسن اختلطت فصارت شيئا واحدا وقيل ارسل عذبها على مالحها ومالحها على عذبها حتى امتلات وقال القشيري يرفع الله الحاجز الذي ذكره تعالى بينهما برزخ لا يبغيان فاذا رفع ذلك البرزخ تفجرت مياه البحار فعمت الارض كلها وصارت بحرا واحدا وعن الحسن وقتادة وابن حبان ييبس ولا يبقى من مايها قطرة قال القشيري وهو من سجرت التنور اسجره سجرا اذا احميته وما سلط عليه الايقاد نشف ما فيه من الرطوبة وتقدم اشتقاق هذه المادة قال القفال وهذا التاويل يحتمل وجوها الاول ان يكون جهنم في قعر البحار فهي الان غير مسجرة لقوام الدنيا فاذا انتهت مدة الدنيا اوصل الله تعالى تاثير تلك النيران الى البحار فصارت مسجورة بالكلية وهذا قول ابن زيد وعطية وسفين ووهب وابي وعلي بن ابي طالب وابن عباس في رواية الضحاك رضي الله عنهم او وقدت فصارت نارا الثاني قال ابن عباس يكور الله تعالى الشمس والقمر والنجوم في البحار فتصير البحار مسجورة بسبب ذلك يبعث الله تعالى عليها ريحا دبورا فتنفخه حتى تصير نارا كذا جاء في الحديث الثالث ان يخلق الله تعالى تحت البحار نيرانا عظيمة حتى تسخن تلك المياه قال ابن الخطيب

وهذه متكلفة ولا حاجة الى شيء منها لان القادر على تخريب الدنيا يقدر على ان يفعل في البحار ما شاء من تسخين مياهها
ومن قلب مياهها نارا من غير حاجة الى ان يلقى فيها الشمس والقمر او يكون تحتها نار جهنم قال القرطبي وروي عن ابن عمر رضي الله
عنه ست ايات قبل يوم القيمة بينما الناس في اسواقهم اذ ذهب ضوء الشمس فتحيروا وبهتوا فبينما هم كذلك
ينظرون اذ تناثرت النجوم وتساقطت فبينما هم كذلك اذ وقعت الجبال على وجه الارض فتحولت واضطربت واحترقت
فصارت هباء منبثا ففزعت الجن الى الانس وفزعت الانس الى الجن واختلط الدواب والوحش والهوام والطير وماج
بعضها في بعض فذلك قوله تعالى واذا الوحوش حشرت ثم قال الجن للانس نحن ناتيكم بالخبر فانطلقوا الى البحار فاذا هي نار تاجج
فبينما هم كذلك اذ تصدعت الارض صدعة واحدة الى الارض السابعة السفلى والى السماء السابعة العليا فبينما هم كذلك اذ
جاءتهم ريح فاماتتهم وقال ابن الخطيب وهذه العلامات يمكن ان يكون عند خراب الدنيا وان يكون بعد القيامة وقيل
معنى سجرت جمع ماؤها حتى يصير كالدم من قولهم عين سجراء اي حمراء **قوله** واذا النفوس زوجت العامة على تشديد الواو من زوجت
من التزويج وروي عن عاصم زووجت على فوعلت قال ابو حيان والمفاعلة تكون بين اثنين قال شهاب الدين وهي قراءة مشكلة
لانه ينبغي ان تلفظ بواوين ساكنة ثم اخرى مكسورة وقد تقدم انه متى اجتمع مثلان وسكن اولهما وجب الادغام حتى في كلمتين
ففي كلمة واحدة اولى **قوله تعالى** قال النعمان بن بشير قال النبي صلى الله عليه وسلم وان النفوس زوجت قال يقرن كل رجل
مع كل قوم كانوا يعملون كعمله وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقرن الفاجر بالفاجر ويقرن الصالح مع الصالح قال ابن عباس
ذلك حين يكون الناس ازواجا ثلاثة السابقون زوج يعني صنفا واصحاب اليمين صنفا واصحاب الشمال زوج وعنه ايضا
قال زوجت نفوس المومنين بالحور العين وقرنت الكفار والمنافقون بالشياطين وقال الزجاج قرنت النفوس باعمالها
وقيل قرنت الارواح بالاجساد اي وقت ردت اليها قاله عكرمة وقيل غير ذلك **قوله تعالى** واذا الموءودة سئلت باي ذنب
قتلت الموءودة هي البنت تدفن حية من الواد وهو الثقل لانها تثقل بالتراب والجندل يقال واده يئده كوعده يعده وقال
الزمخشري واد يئد مقلوب من آد يؤود اذا اثقل قال الله تعالى ولا يؤوده حفظهما لانه اثقال بالتراب قال ابو حيان
ولا يدعى ذلك لان كلا منهما كامل التصرف في الماضي والامر والمضارع والمصدر واسم الفاعل واسم المفعول وليس فيه
شيء من مسوغات ادعاء القلب والذي يعلم به الاصالة من القلب ان يكون احد النظمين فيه حكم يشهد له بالاصالة والاخر
ليس كذلك او اكثر استعمالا من الاخر وهذا على ما قرر واحكم في علم التصريف فالاول كييس وايس والثاني كطامن واطمان
والثالث كشوايع وشواعي والرابع كلعمري ورعملي وقرا العامة الموءودة بهمزة بين واوين ساكنين كالموعودة وقرا البزي
في رواية بهمزة مضمومة ثم واو ساكنة فيها وجهان احدهما ان يكون كقراءة الجماعة ثم نقل حركة الهمزة الى الواو قبلها وحذفت
الهمزة فصار اللفظ الموودة واو مضمومة ثم اخرى ساكنة فقلبت الواو المضمومة همزة نحو اجوه في وجوه فصار اللفظ
كما ترى ووزنها الان المفولة لان المحذوف عين الكلمة والثاني ان يكون الجملة اسم مفعول من اده يؤده مثل قاده يقوده
والاصل ماووده مثل مقووده ثم حذف احدى الواوين على الخلاف المشهور في الحذف من نحو مقول ومصون فوزنها
الان اما مفعلة ان قلنا ان المحذوف الواو الزائدة واما مفولة ان قلنا ان المحذوف الواو التي هي عين الكلمة وهذا
يظهر فضل علم التصريف وقرئ الموودة بضم الواو الاولى على انه نقل حركة الهمزة بعد حذفها ولم يقلب الواو همزة وقرا
الاعمش الموودة بزنة الموزة وتوجيهه انه حذف الهمزة احتياطا فالتقى ساكنان فحذف ثانيهما ووزنها المفلة
لان الهمزة عين الكلمة وقد حذفت وقال مكي بل هو تخفيف قياسي وذلك انه لما نقل حركة الهمزة الى الواو لم يهمزها
فاستثقل الضمة عليها فسكنها فالتقى ساكنان فحذف الثاني وهذا كله خروج من الظاهر وانما يظهر في ذلك ما نقله
القراء وقف حمزة انه يقف عليها كالموزة قالوا لاجل الخط لانها رسمت كذلك والرسم سنة متبعة والعامة على سئلت
مبنيا للمفعول مضموم السين والحسن بكسرها من سال يسال كما تقدم وقرا ابو جعفر قتلت بتشديد التاء على التكثير
لان المراد اسم الجنس فناسبه التكثير وقرا علي وابن مسعود وابن عباس رضي الله عنهم سالت مبنيا للفاعل قتلت بضم
التاء الاخيرة والتي للمتكلم حكاية لكلامها وعن ابي وابن مسعود ايضا وابن يعمر سالت مبنيا للفاعل قتلت بتاء التانيث
الساكنة كقراءة العامة **فصل** قيل كانوا يدفنون بناتهم احياء لخصلتين احدهما كانوا يقولون الملائكة
بنات الله فالحقوا البنات به تبارك وتعالى عن ذلك والثانية مخافة الحاجة والاملاق واما خوف السبي والاسترقاق
قال ابن عباس كانت المراة في الجاهلية اذا حملت حفرت حفرة وتمخضت على راسها فان ولدت جارية رمت بها في الحفرة
وردت التراب عليها وان ولدت غلاما حبسته ومنه قول الراجز سميتها اذ ولدت تموت والقبر صهر ضامن زميت
وقيل كان الرجل اذا ولدت له بنت فاراد بقاء حياتها البسها جبة من صوف او شعر ترعى له الابل والغنم في البادية وان اراد
قتلها تركها حتى اذا بلغت قامتها ستة اشبار فيقول لامها طيبيها وزينيها حتى اذهب بها الى اقاربها وقد حفر لها بئرا في

الصحراء فيذهب بها الى البئر فيقول لها انظري فيها ثم يدفعها من خلفها ويهيل عليها التراب حتى تستوي البئر بالارض
وكان صعصعة بن ناجية ممن يمنع الوأد فافتخر الفرزدق به في قوله ومنا الذي منع الوائدات واحيا الوئيد فلم يوأد
فصل روي ان قيس بن عاصم جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فاعتق عن كل واحدة منهن رقبة قال يا رسول الله
اني صاحب ابل قال عليه الصلاة والسلام فاهد عن كل واحدة منهن بدنة ان شئت واعلم ان سؤال الموءودة سؤال توبيخ
لقاتلها كما يقال للطفل اذا ضرب لم ضربت وما ذنبك قال الحسن اراد الله توبيخ قاتلها لانها قتلت بغير ذنب وقال ابن اسلم
باي ذنب ضربت وكانوا يضربونها وقيل في قوله تعالى سئلت معناه طلبت بدمها كما يطلب بدم القتيل وهو كقوله تعالى
وكان عهد الله مسئولا اي مطلوبا فكانها طلبت منهم فقيل اين اولادكم وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان المراة التي
تقتل ولدها تاتي يوم القيمة متعلقا ولدها بيديها ملطخا بدمائه فيقول يا رب هذه امي وهذه قتلتني والاول قول الجمهور
لقوله تعالى لعيسى ابن مريم أانت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله على جهة التوبيخ والتبكيت لهم فكذلك سؤال
الموءودة توبيخ لوالديها وهو ابلغ من سؤالها عن قتلها لان هذا مما لا يصح الا بذنب اي فباي ذنب كان ذلك فاذا ظهر انه لا ذنب
لها كان اعظم في البلية وظهور الحجة على قاتلها وفي الاية دليل على ان اطفال المشركين لا يعذبون وعلى ان التعذيب لا يستحق الا بذنب
قوله تعالى واذا الصحف نشرت قرا الاخوان وابن كثير وابو عمرو بالتشديد على تكثير النشر للمبالغة في تقريع العاصي وتبشير
المطيع وقيل لتكرير ذلك من الانسان والباقون بالتخفيف ونافع وحفص وابن ذكوان نشرت بالتثقيل والتخفيف **قوله**
نشرت اي فتحت بعد ان كانت مطوية والمراد صحف الاعمال التي كتبت الملائكة فيها اعمال العباد من خير وشر تطوى بالموت
وتنشر في القيامة فيقف كل انسان على صحيفته فيعلم ما فيها فيقول ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها
قوله تعالى واذا السماء كشطت اي قشرت من قولهم كشط جلد الشاة اي سلخها وقرا عبد الله قشطت بالقاف وقد تقدم
انهما متعاقبان كثيرا وانه قرئ قافورا وكافورا في هل اتى على الانسان ويقال لبكت الثريد ولبقته قال القرطبي يقال
كشطت البعير كشطا نزعت جلده ولا يقال سلخته لان العرب لا تقول في البعير الا كشطته او جلدته والمعنى ازيلت عما فوقها
وقال الفراء طويت **قوله تعالى** واذا الجحيم سعرت اي اوقدت فاضرمت للكفار وزيد في احمائها يقال سعرت النار واسعرتها
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اوقد على النار الف سنة حتى اسودت فهي مظلمة واحتج بهذه الاية من قال النار مخلوقة
الان لانه يدل على ان سعيرها معلق بيوم القيمة **قوله تعالى** واذا الجنة ازلفت اي ادنيت وقربت من المتقين قال الحسن
انهم يقربون منها لا انها تزول عن موضعها وقال عبد الله بن زيد زينت والزلفى في كلام العرب القربة **قوله تعالى** علمت
نفس ما احضرت هذا جواب اذا اول السورة وما عطف عليها والمعنى يعني ما عملت من خير وشر وروي عن ابن عباس وعمر رضي الله
عنهما انهما قرا فلما بلغا علمت نفس ما احضرت قالا لهذا اجريت القصة قال ابن الخطيب ومعلوم ان العمل لا يمكن احضاره
فالمراد اذا ما احضرته في صحائفها او ما احضرته عند المحاسبة وعند الميزان من اثار تلك الاعمال والمراد احضرت
من استحقاق الجنة والنار فان كل نفس تعلم ما احضرت لقوله تعالى يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا والتنكير في قوله
نفس من عكس كلامهم الذي يقصدون به المبالغة وان كان اللفظ موضوعا للتقليل لقوله تعالى ربما يود الذين كفروا
او يكون المراد ان الكفار كانوا يتعبون انفسهم فيما يظنونه طاعة ثم يظهر لهم في القيامة خلاف ذلك **قوله تعالى**
فلا اقسم بالخنس اي اقسم ولا زائدة كما تقدم والخنس جمع خانس والخنوس الانقباض يقال خنس بين القوم وانخنس
وفي الحديث فانخنست اي استخفيت يقال خنس عنه يخنس بالضم خنوسا وانخنس والخنس تاخر الانف عن الشفة مع ارتفاع
الارنبة قليلا ويقال رجل اخنس وامراة خنساء ومنه الخنساء الشاعرة والخنس في القران الكواكب السبعة السيارة قاله
زحل والمشتري والمريخ والزهرة وعطارد لانها تخنس في المغيب ولانها تخفى نهارا وعن علي رضي الله عنه هي زحل
والمشتري والمريخ والزهرة وعطارد وفي تخصيصها بالذكر من بين سائر النجوم وجهان احدهما لانها تستقبل
الشمس قاله بكر بن عبد الله المزني الثاني لانها تقطع المجرة قاله ابن عباس وقيل خنوسها رجوعها وكنوسها اختفاؤها
تحت ضوء الشمس قال ابن الخطيب الاظهر ان ذلك اشارة الى رجوعها واستقامتها وقال الحسن وقتادة هي النجوم كلها
لانها تخنس بالنهار اذا غربت وتظهر بالليل وتكنس في وقت غروبها اي تتاخر عن البصر لخفائها وتكنس اي تستتر كما
تكنس الظباء في الغار وهي الكناس والكنس الداخلة في الكناس وهي بيت الوحش والجواري جمع جارية وعن ابن مسعود
هي بقر الوحش لان هذه صفتها وروي عن عكرمة قال الخنس البقر والكنس هي الظباء فهي خنس اذا رات الانسان
خنست وانقبضت وتاخرت ودخلت كناسها قال القرطبي والخنس على هذا من الخنس في الانف وهو تاخر الارنبة
وقصر القصبة وانوف البقر والظباء خنس والقول الاول اظهر لذكر الليل والصبح بعده وحكى الماوردي انها الملائكة
والكنس الغيب ماخوذ من الكناس وهي كناس الوحش الذي يختفي فيه والكنس جمع كانس وكانسة **قوله تعالى** والليل اذا عسعس

عسعس وسعسع اي اقبل قال العجاج * حتى اذا الصبح لها تنفسا * وانجاب منها ليلها وعسعسا * اي ادبر قال الفراء
اجمع المفسرون على ان معنى عسعس ادبر حكاه الجوهري وقيل دنا من اوله واظلم وكذلك السحاب اذا دنا من الارض
وقيل ادبر بلغة قريش خاصة وقيل اقبل ظلامه ويرجحه مقابلته بقوله تعالى والصبح اذا تنفس وهذا قريب من ادباره
وقيل هو لهما على طريق الاشتراك قال الخليل وغيره عسعس الليل اذا اقبل او ادبر قال المبرد هو من الاضداد والمعنيان
يرجعان الى شيء واحد وهو ابتداء الظلام في اوله وادباره في اخره قال الماوردي واصل العس الامتلاء ومنه قيل للقدح الكبير
عس لامتلائه بما فيه فاطلق على اقبال الليل لابتداء امتلائه واطلق على ادباره لانتهاء امتلائه فعلى هذا يكون القسم
باقبال الليل وبادباره وهو قوله تعالى والصبح اذا تنفس لا يكون فيه تكرار وعسعس اسم موضع بالبادية وايضا
هو اسم رجل ويقال للذئب العسعس والعسعاس لانه يعس في الليل ويطلب ويقال للقنافذ العساعس لكثرة ترددها
بالليل والتعسعس الشم والتعسعس ايضا طلب الصيد قوله تعالى والصبح اذا تنفس اي امتد حتى يصير نهارا او اضحى يقال
للنهار اذا زاد تنفس ومعنى التنفس خروج النسيم من الجوف وفي كيفية المجاز قولان الاول انه اذا اقبل الصبح اقبل باقباله
روح ونسيم فجعل ذلك نفسا له على المجاز فقيل تنفس الصبح الثاني انه شبه الليل المظلم بالمكروب والمحزون الذي جلس بحيث
لا يتحرك فاذا تنفس وجد راحة فهاهنا لما طلع الصبح فكانه تخلص من ذلك الحزن فعبر عنه بالتنفس وقيل اذا تنفس اي انشق
وانفلق ومنه تنفست القوس اي تصدعت وهذا اخر القسم قوله تعالى انه لقول رسول كريم قال الحسن وقتادة والضحاك
الرسول الكريم جبريل والمعنى انه لقول رسول كريم من الله كريم على الله واضاف الكلام الى جبريل ثم عداه عنه بقوله تنزيل من
رب العالمين ليعلم اهل التحقيق في التصديق ان الكلام لله تعالى وقيل هو محمد عليه الصلاة والسلام فمن جعله جبريل
فقوته ظاهرة لما روى الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنه قال من قوته قلعه مدائن قوم لوط بقوادم جناحه وقوله تعالى
عند ذي العرش اي عند الله سبحانه وتعالى مكين اي ذي منزلة ومكانة وروى ابو صالح قال يدخل سبعين سرادقا
بغير اذن وقيل المراد القوة في اداء طاعة الله تعالى وترك الاخلال بها من اول الخلق الى اخر زمان التكليف وقوله تعالى
عند ذي العرش هذه العندية ليست عندية الجهة بل عندية الاكرام والتشريف والتعظيم لقوله سبحانه وتعالى انا عند
المنكسرة قلوبهم وقوله سبحانه مكين قال الكسائي يقال قد مكن فلان عند فلان بضم الكاف مكنا ومكانة فعلى
هذا هو الجاه الذي يعطى ما سأل قوله تعالى مطاع ثم اي في السموات قال ابن عباس رضي الله عنه من طاعة الملائكة جبريل
عليه السلام انه لما اسري برسول الله صلى الله عليه وسلم قال جبريل لرضوان خازن الجنان افتح له ففتح فدخلها فرأى ما فيها
وقال لمالك خازن النار افتح له ففتح فدخلها ورأى ما فيها وقوله تعالى امين اي مؤتمن على الوحي الذي يجيء به ومن قال ان
المراد محمد صلى الله عليه وسلم فالمعنى ذو قوة على تبليغ الوحي مطاع اي يطيعه من اطاع الله عز وجل وما صاحبكم بمجنون
حتى يتهم في قوله وهو من جواب القسم والضمير في قوله انه يعود الى القران الذي نزل به جبريل عليه السلام على محمد صلى الله عليه
وسلم وقيل يعود الى الذي اخبركم به محمد صلى الله عليه وسلم من امر الساعة في هذه السورة ليس بكهانة ولا ظن ولا افتعال
انما هو قول جبريل اتاه به وحيا من الله تعالى فصل قال ابن الخطيب احتج بهذه الاية من فضل جبريل عليه السلام
على محمد صلى الله عليه وسلم اذا وازنت بين قوله سبحانه انه لقول رسول كريم ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم امين
وبين قوله تعالى وما صاحبكم بمجنون ظهر التفاوت العظيم قوله تعالى عند ذي يجوز ان يكون نعتا لرسول وان يكون
حالا من مكين واصله الوصف فلما قدم نصب حالا قوله تعالى ثم امين العامة على فتح الثاء لانه ظرف مكان للبعد والعامل
فيه مطاع وابو البرهسم وابو جعفر وابو حيوة بضمها جعلوها عاطفة والتراخي هنا في الرتبة لان الثانية اعظم من الاولى
قوله تعالى ولقد رآه بالافق المبين اي راى جبريل في صورته فيستمائة جناح بالافق المبين اي حيث تطلع الشمس من قبل المشرق
وقيل الافق المبين اقطار السماء ونواحيها قال الماوردي فعلى هذا ففيه ثلاثة اقوال الاول انه راه في الافق الشرقي قاله سفيان
الثاني في افق السماء الغربي حكاه ابن شجرة الثالث انه راه نحو اجياد وهو مشرق مكة قاله مجاهد وقيل ان محمدا صلى الله عليه وسلم
راى ربه عز وجل بالافق المبين وهو قول ابن مسعود وقد تقدم ذلك في سورة والنجم وفي المبين قولان احدهما انه صفة
للافق قاله الربيع الثاني انه صفة لمن راه قاله مجاهد قوله تعالى وما هو على الغيب بظنين قرا ابن كثير وابو عمرو والكسائي بالظاء
يعني متهم من ظن بمعنى اتهم فيتعدى لواحد وقيل معناه بضعيف القوة عن التبليغ من قولهم بئر ظنون اي قليلة الماء
والظنة التهمة واختاره ابو عبيد وفي مصحف عبيد الله كذلك والباقون بالضاد بمعنى بخيل بما ياتيه من قبل ربه
من ضننت بالشيء اضن ضنا بمعنى لا يكتمه كما يكتم الكاهن ذلك ويمتنع من اعلامه حتى ياخذ عليه حلوانا الا ان الطبري قال
الضاد خطوط المصاحف كلها وليس كذلك لما وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرا بهما وهذا دليل على تمييز بين الحرفين
خلافا لمن يقول انه لو وقع احدهما موقع الاخر لجاز لعسر معرفته وقد شنع الزمخشري على من يقول ذلك وذكر بعض المخارج

وبعض الصفات مما يطول ذكره وعلى الغيب متعلق ببظنين او بضنين والغيب القران وخبر السماء هذا صفة محمد صلى الله
عليه وسلم وقيل صفة جبريل عليه السلام قوله تعالى وما هو بقول شيطان رجيم اي مرجوم والضمير في هو للقران
قالت قريش ان هذا القران يجيء به شيطان فيلقيه على لسانه فنفى الله ذلك يريد ان بل الشيطان الابيض الذي كان
ياتي النبي في صورة جبريل يريد ان يفتنه فصل قال ابن الخطيب فان قيل انه حلف على ان القران قول جبريل
عليه السلام فوجب علينا ان نصدقه فان لم نقطع بوجوب حمل اللفظ على الظاهر فلا اقل من الاحتمال واذا كان
كذلك ثبت ان هذا القران يحتمل ان يكون كلام جبريل لا كلام الله تعالى وبتقدير ان يكون كلام جبريل لا يكون معجزا ولا
يمكن ان يقال بان جبريل معصوم لان عصمته متفرعة على صدق النبي صلى الله عليه وسلم متفرع على كون القران معجزا وكون
القران معجزا متفرع على عصمة جبريل فيلزم الدور فالجواب ان الاعجاز ليس في الفصاحة بل في سلب تلك الدواعي عن القلوب
وذلك مما لا يقدر عليه احد الا الله تعالى لان سلب القدرة عما هو مقدور لا يقدر عليه الا الله تعالى ثم قال في قوله تعالى وما
هو بقول شيطان رجيم فان قيل القول بصحة النبوة موقوف على نفي هذا الاحتمال فكيف يمكن نفيه بالدليل السمعي قلنا قد بينا
ان على القول بالضرورة لا يتوقف صحة النبوة على نفي هذا الاحتمال بالدليل السمعي قوله تعالى فاين تذهبون اين منصوب
بتذهبون لانه ظرف مبهم وقال ابو البقاء اي الى اين فحذف حرف الجر كقولك ذهبت الشام ويجوز ان يحمل على المعنى كانه قال
اين تؤمون يعني انه على الحذف او على التضمين واليه نحا مكي ايضا ولا حاجة الى ذلك البتة لانه ظرف مكان مبهم لا مختص
فصل قال قتادة فالى اين تعدلون عن هذا القول وعن طاعته وقال الزجاج فاي طريقة تسلكون ابين من هذه الطريقة
التي بينت لكم ويقال الى اين تذهب والى اين تذهب وحكى الفراء عن العرب ذهبت الشام وخرجت العراق وانطلقت السوق اي اليها
وانشد لبعض بني عقيل * تصيح بنا حنيفة اذ راتنا * واي الارض تذهب بالصياح * يريد الى اي الارض تذهب فحذف الى
قوله تعالى ان هو الا ذكر يعني القران ذكر للعالمين اي موعظة وزجر وان بمعنى ما وقيل ما محمد الا ذكر قوله تعالى لمن شاء
منكم بدل من العالمين باعادة العامل وعلى هذا فقوله ان يستقيم مفعول شاء اي لمن شاء الاستقامة ويجوز ان يكون لمن شاء
خبرا مقدما ومفعول شاء محذوف وان يستقيم مبتدا وتقدم نظيره والمعنى لمن شاء منكم ان يستقيم قال ابو جهل
الامر الينا ان شئنا استقمنا وان شئنا لم نستقم وهذا هو القدر وهو راس القدرية فنزلت وما تشاؤون الا ان يشاء الله
رب العالمين فبين بهذا انه لا يعمل العبد خيرا الا بتوفيق الله تعالى ولا شرا الا بخذلانه قوله تعالى الا ان يشاء الله اي الا وقت
مشيئة الله تعالى وقال مكي وان في موضع خفض باضمار الباء او في موضع نصب بحذف الخافض يعني ان الاصل الا بان وحينئذ
تكون للمصاحبة فصل قال الحسن والله ما شاءت العرب الاسلام حتى شاءه الله تعالى لها وقال وهب بن منبه
رضي الله عنه قرات في سبعة وثمانين كتابا مما انزل الله على الانبياء من جعل الى نفسه شيئا فقد كفر وفي التنزيل ولو اننا نزلنا
اليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلا ما كانوا ليؤمنوا الا ان يشاء الله وقال تعالى وما كان لنفس ان تؤمن
الا باذن الله وقال تعالى انك لا تهدي من احببت ولكن الله يهدي من يشاء والاي في هذا كثيرة وكذلك الاخبار وان الله
تعالى هدى بالاسلام واضل بالكفر قال ابن الخطيب وهذا عين مذهبنا لان الافعال موقوفة على مشيئتنا ومشيئتنا
موقوفة على مشيئة الله تعالى والموقوف على الشيء موقوف على ذلك الشيء فافعال العباد ثبوتا ونفيا موقوفة على
مشيئة الله تعالى وحمل المعتزلة ذلك على انها مخصوصة بمشيئة الالجاء والقهر وذلك ضعيف لان المشيئة الاختيارية
حادثة فلا بد من محدث فيعود الكلام والله تعالى اعلم روى الثعلبي عن ابي رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم من قرا اذا الشمس كورت اعاذه الله ان يفضحه حين تنشر صحيفته والله تعالى اعلم بالصواب

سورة الانفطار مكية

وهي تسع عشرة اية وثمانون كلمة وثلاثمائة وسبعة وعشرون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى
اذا السماء انفطرت معناه اذا وقعت هذه الاشياء التي هي اشراط الساعة يحصل الحشر والنشر ومعنى انفطرت اي انشقت
لنزول الملائكة كقوله تعالى ويوم تشقق السماء بالغمام فاذا انشقت السماء فكانت وردة كالدهان وفتحت السماء فكانت
ابوابا السماء منفطر به قال الخليل ولم يات هذا على الفعل بل هو كقولهم مرضع وحائض ولو كان على الفعل لكان منفطرة وقال
القرطبي تفطرت لهيبة الله تعالى والفطر الشق يقال فطرته فانفطر ومنه فطر ناب البعير اي طلع فهو فاطر وتفطر الشيء تشقق
وسيف فطار اي فيه شقوق وقد تقدم قوله تعالى واذا الكواكب انتثرت تساقطت لان عند انتقاض تركيب السماء

تنتثر النجوم على الارض يقال نثرت الشيء انثره نثرا فانتثر والنثار بالضم ما تناثر من الشيء **قوله تعالى** واذا البحار
فجرت العامة على بنائه للمفعول مثقلا وقرا مجاهد مبنيا للفاعل مخففا من الفجور نظرا الى قوله تعالى بينهما برزخ لا يبغيان
فلما زال البرزخ بغيا وقرا مجاهد مبنيا للفاعل مخففا من الفجور نظرا الى قوله تعالى بينهما برزخ لا يبغيان فلما زال البرزخ
بغيا وقرا مجاهد ايضا والربيع بن خثيم والزعفراني والثوري مبنيا مخففا ومعنى فجرت اي دخل بعضها في بعض واختلط
العذب بالملح فصار واحدا بارتفاع الحاجز الذي جعله الله تعالى برزخا بينهما وقيل ان مياه البحار الان راكدة مجتمعة
فاذا فجرت تفرقت وذهب ماؤها وقال الحسن فجرت يبست **قوله تعالى** واذا القبور بعثرت اي قلبت يقال بعثره وبحثره
بالعين والحاء قال الزمخشري وهما مركبان من البعث والبحث مضموم اليهما راء يعني انهما ما اتفق معناهما لان الراء مزيدة
فيهما اذ ليست من حروف الزيادة وهذا كدمث ودمثر وسبط وسبطر **فصل** والمعنى قلب اعلاها اسفلها
وقلب باطنها ظاهرها وخرج ما فيها من الموتى احيا وقيل البعثرة اخراج ما في بطنها من الذهب والفضة ثم يخرج الموتى بعد
ذلك وقوله تعالى علمت نفس ما قدمت واخرت جواب اذا والمعنى ما قدمت من عمل صالح او سيئ او اخرت من سيئة او حسنة
وقيل ما قدمت من الصدقات واخرت من التركات على ما تقدم في قوله تعالى ينبا الانسان يومئذ بما قدم واخر والمقصود
من الزجر عن المعصية والترغيب في الطاعة فان قيل اي وقت من القيمة يحصل هذا العلم قال ابن الخطيب اما العلم الاجمالي
فيحصل في اول زمان الحشر لان المطيع يرى اثار السعادة والعاصي يرى اثار الشقاوة في اول الامر واما العلم التفصيلي
فانما يحصل عند قراءة الكتب والمحاسبة **قوله تعالى** يا ايها الانسان ما غرك بربك الكريم اي المتجاوز العامة على غرك ثلاثيا
وما استفهامية في محل رفع على الابتداء وقرا ابن جبير والاعمش ما اغرك فاحتمل ان يكون استفهامية وان تكون تعجبية ومعنى
اغره ادخله في الغرة او جعله غارا **فصل** لما اخبر في الاية الاولى عن وقوع الحشر والنشر ذكر هنا ما يدل عقلا
على امكانه او على وقوعه وذلك من وجهين الاول ان الاله الكريم لا يجوز من كرمه ان يقطع مواد نعمه عن المذنبين كيف يجوز
في كرمه ان لا ينتقم من الظالم الثاني ان القادر على خلق هذه البنية الانسانية ثم سواها وعدلها اما ان يقال انه تعالى
خلقها لا لحكمة فذلك عبث وهو على الله تعالى محال لانه تعالى منزه عن العبث وخلقها لحكمة فتلك الحكمة اما ان تكون عائدة
الى الله تعالى وذلك باطل لانه منزه عن الاستكمال والانتفاع فتعين ان تكون الحكمة عائدة الى العبد وتلك الحكمة اما ان
تظهر في الدنيا وذلك باطل لان الدنيا دار بلاء وامتحان لا دار انتفاع وجزاء فثبت ان تلك الحكمة انما تظهر في دار الجزاء
فثبت ان الاعتراف بوجود الاله الكريم الذي يقدر على الخلق والتسوية والتعديل يوجب على العاقل ان يقطع بانه تعالى
يبعث الاموات ويحشرهم **فصل** هذا خطاب لمنكري البعث روى عطاء عن ابن عباس رضي الله عنه انها نزلت
في الوليد بن المغيرة وقال الكلبي ومقاتل نزلت في ابي الاشرم بن شريق وذلك انه ضرب النبي صلى الله عليه وسلم فلم يعاقبه
الله تعالى فانزل الله هذه الاية وقيل تتناول جميع العصاة لان الاعتبار بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ومعنى
ما غرك ما خدعك وسول لك الباطل حتى تركت الواجبات واتيت بالمحرمات والمعنى ما الذي امنك من عقابه هذا
اذا حملنا الانسان على جميع العصاة فان حملناه على الكافر فالمعنى ما الذي دعاك الى الكفر وانكار الحشر والنشر فان قيل
كونه كريما يقتضي ان يغتر الانسان بكرمه لانه جواد مطلق والجواد الكريم يستوي عنده طاعة المطيع وعصيان المذنب وهذا
يوجب الاغترار وروي عن علي رضي الله عنه انه دعا غلامه مرات فلم يجبه فنظر فاذا هو بالباب فقال له لم لا تجبني فقال
لثقتي بحلمك وامني من عقوبتك فاستحسن جوابه واعتقه وقالوا ايضا من كرم الرجل سوء ادب غلمانه واذا ثبت ان كرمه
يقتضي الاغترار به فكيف جعله هاهنا مانعا من الاغترار فالجواب من وجوه الاول ان المعنى لما كنت ترى حلم الله تعالى عن خلقه
ظننت ان ذلك لا حساب ولا دار الا هذه الدار فما الذي دعاك الى الاغترار وجراك على انكار الحشر والنشر فان ربك
كريم فهو من كرمه تعالى لا يعاجل بالعقوبة بسطا في مدة التوبة وتاخير الجزاء وذلك لا يقتضي الاغترار الثاني ان كرمه
تعالى لما بلغ الى حيث لا يمنع العاصي من ان يطيعه فبان ينتقم للمظلوم من الظالم كان اولى فاذا كان كونه كريما يقتضي الخوف
الشديد من هذا الاعتبار وترك الجراة والاغترار الثالث ان كثرة الكرم يوجب الجد والاجتهاد في الخدمة والاستحيا
من الاغترار الرابع قال بعضهم انما قال بربك الكريم ليكون ذلك جوابا عن ذلك السؤال حتى يقول غرني كرمك فلولا
كرمك لما فعلت لانك رايت فسترت وقدرت فامهلت وهذا الجواب انما يصح اذا كان المراد بقوله تعالى يا ايها الانسان
ليس هو الكافر **فصل** قال قتادة رضي الله عنه سبب غرور ابن ادم تسويل الشيطان وقال مقاتل غره عفو الله
حين لم يعاقبه اول مرة وقال السدي غره رفق الله وقال ابن مسعود ما منكم من احد الا سيخلو الله به يوم القيمة فيقول
ما غرك بي يا ابن ادم ماذا عملت فيما علمت يا ابن ادم ماذا اجبت المرسلين **قوله تعالى** الذي خلقك فسواك [illegible]
على الكمال [illegible] واعلم انه تعالى لما وصف نفسه بالكرم ذكر هذه الامور الثلاثة

كالدلالة على تحقق ذلك الكرم فقوله تعالى الذي خلقك لا شك انه كرم لانه وجود والوجود خير من العدم والحياة
خير من الموت كما قال تعالى كيف تكفرون بالله وكنتم امواتا فاحياكم وقوله تعالى فسواك اي جعلك سويا سالم الاعضاء
ونظيره قوله تعالى اكفرت بالذي خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلا اي معتدل الخلق والاعضاء قال ذو النون
اي سخر لك المكونات اجمع وما جعلك مسخرا لشيء منها ثم انطق لسانك بالذكر وقلبك بالعقل وروحك بالمعرفة ومدك
بالايمان وشرفك بالامر والنهي وفضلك على كثير ممن خلق تفضيلا **قوله تعالى** فعدلك قرا الكوفيون عدلك مخففا
والباقون مثقلا فالتثقيل بمعنى جعلك متناسب الاطراف فلم يجعل احدى يديك او رجليك اطول ولا احدى عينيك
اوسع فهو من التعديل وهو كقوله تعالى بلى قادرين على ان نسوي بنانه قال علماء التشريح انه تعالى ركب جانبي هذه الجثة
على التساوي حتى انه لا تفاوت بين نصفيه لا في العظام ولا في اشكالها ولا في الاوردة والشرايين والاعصاب النافذة
فيها والخارجة منها وقال عطاء عن ابن عباس رضي الله عنه جعلك قائما معتدلا حسن الصورة لا كالبهيمة المنحنية وقال
ابو علي الفارسي عدلك خلقك فاخرجك في احسن تقويم مستويا على جميع الحيوان والنبات وواصلا في الكمال الى ما لم
يصل اليه شيء من اجسام هذا العالم واما قراءة التخفيف فيحتمل هذا اي عدل بعض اعضائك ببعض ويحتمل ان يكون من
العدول اي صرفك الى ما شاء من الهيئات والاشكال والاشباه وهذا قول الفراء قال والتشديد احسن الوجهين لانك
تقول عدلتك الى كذا اي صرفتك الى كذا ولا يحسن عدلتك فيه ولا صرفتك فيه ففي القراءة الاولى جعل في من قوله في اي
صورة للتركيب وهو حسن وفي القراءة الثانية جعل في صلة لقوله فعدلك وهو ضعيف ونقل القفال عن بعضهم انهما لغتان
بمعنى واحد **قوله تعالى** في اي صورة يجوز فيه اوجه احدها ان يتعلق بركبك وما مزيدة على هذا وشاء صفة لصورة
ولم يعطف ركبك على ما قبله بالفاء كما عطف ما قبله بها لانه بيان لقوله فعدلك والتقدير فعدلك ركبك في اي صورة
من الصور العجيبة الحسنة التي يشاؤها سبحانه وتعالى والمعنى وضعك في صورة اقتضتها مشيئته من حسن وقبح وطول
وقصر وذكورة وانوثة الثاني ان يتعلق بمحذوف على انه حال اي ركبك حاصلا في بعض الصور الثالث انه يتعلق بعدلك
ذلك نقله ابو حيان عن بعض المتاولين ولم يعترض عليه وهو معترض بان في اي معنى الاستفهام فلها صدر الكلام
فكيف يعمل فيها ما تقدمها وكان الزمخشري استشعر هذا فقال ويكون في اي معنى التعجب اي فعدلك في اي صورة عجيبة
وهذا لا يحسن ان يكون مجوزا لتقدم العامل على اسم الاستفهام وان دخله معنى التعجب الا ترى ان كيف واي وان دخلهما
معنى التعجب لا يتقدم عاملهما عليهما وقد اختلف النحويون في اسم الاستفهام اذا قصد به الاستثبات هل يجوز تقديم
عامله ام لا والصحيح انه لا يجوز ولذلك لا يجوز ان يتقدم عامل كم الخبرية عليها لشبهها في اللفظ بالاستفهامية
فهذا اولى وعلى تعلقها بعدلك تكون ما منصوبة على المصدر وقال ابو البقا يجوز ان تكون ما زائدة وان تكون شرطية
وعلى الامرين الجملة نعت لصورة والعائد محذوف اي ركبك عليها وفي تتعلق بركبك وقيل لا موضع للجملة لان في تتعلق
باحد الفعلين والجميع كلام واحد وانما تقدم الاستفهام على ما هو حقه قوله باحد الفعلين يعني شاء وركبك
يحصل في ما ثلاثة اوجه الزيادة وكونها شرطية وحينئذ جوابها محذوف والنصب على المصدرية اي واقعة موقع
مصدر **قوله تعالى** كلا بل تكذبون بالدين العامة على تكذبون خطابا والحسن وابو جعفر وشيبة بياء الغيبة
قال ابن الخطيب لما بين بالدلائل العقلية صحة القول بالبعث والنشور على الجملة فرع عليها شرح تفاصيل الاحوال
المتعلقة بذلك وهي انواع الاول انه تعالى زجرهم عن ذلك الاغترار بقوله كلا وبل حرف وضع في اللغة لنفي شيء قد تقدم
وتحقيق غيره فلا جرم ذكروا في تفسير كلا وجوها الاول قال القاضي معناه انكم لا تستقيمون على توجيه نعمي عليكم
وارشادي لكم بل تكذبون بيوم الدين الثاني كلا حرف ردع اي ارتدعوا عن الاغترار بكرم الله تعالى كانه قال وانهم لا يرتدعون
عن ذلك بل يكذبون بالدين الثالث قال القفال كلا اي ليس الامر كما تقولون من انه لا بعث ولا نشور لان ذلك يوجب ان الله
تعالى خلق الخلق عبثا وحاشاه من ذلك ثم كانه قال انهم لا ينتفعون بهذا البيان بل يكذبون بالدين وقال [illegible]
والمراد بالدين الجزاء على الدين والاسلام وقيل المراد من الدين الحساب اي يكذبون بيوم الحساب النوع الثاني **قوله تعالى**
وان عليكم لحافظين يجوز ان تكون الجملة حالا من فاعل يكذبون اي يكذبون والحالة هذه ويجوز ان تكون مستانفة
اخبرهم بذلك لينزجروا والمراد بالحافظين الرقباء من الملائكة يحفظون عليكم اعمالكم كراما على الله كاتبين يكتبون
اقوالكم واعمالكم **قوله تعالى** يعلمون يجوز ان يكون نعتا وان يكون حالا من ضمير كاتبين وان يكون مستانفا قال ابن الخطيب
والمعنى التعجب من حالهم كانه تعالى قال انكم تكذبون بيوم الدين وهو يوم الحساب والجزاء وملائكة الله تعالى موكلون بكم
يكتبون اعمالكم حتى تحاسبوا بها يوم القيمة ونظيره قوله تعالى عن اليمين وعن الشمال قعيد ما يلفظ من قول الا لديه رقيب
عتيد وقوله تعالى وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظة **فصل** قال ابن الخطيب من الناس من طعن

في حضور الكرام الكاتبين من وجوه الاول لو كانت الحفظة وصحفهم واقلامهم معنا ونحن لا نراهم لجاز ان يكون
بحضرتنا جبال واشخاص لا نراهم وذلك دخول في الجهالات والثاني هذه الكتابة والضبط ان كان لا لفائدة فهو
عبث وهو غير جائز على الله تعالى وان كان لفائدة فلا بد وان يكون للعبد لان الله سبحانه وتعالى متعال عن النفع والضرر
وعن تطرق النسيان اليه وغاية ذلك انه حجة على الناس وتشديد عليهم لاقامة الحجة لكن هذا ضعيف لان من علم ان الله تعالى
لا يجور ولا يظلم لا يحتاج في حقه الى اثبات هذه الحجة والذي لا يعلم لا ينتفع بهذه الحجة لاحتمال انه تعالى امرهم بذلك ظلما
الثالث ان افعال القلوب غير مرئية فهي من باب المغيبات والله تعالى يختص بعلم الغيب فلا يكتبونها والاية تقتضي كتبها والجواب
عن الاول ان البنية عندنا ليست شرطا في قبول الحياة ولا عند سلامة الاعضاء وحضور المرئي وحصول جميع الشرائط لا يجب
الادراك فيجوز على الاول ان يكونوا اجراما لطيفة تتمزق وسمي حيا بها ذلك وعلى الثاني يجوز ان يكونوا اجراما كثيفة
ونحن لا نراهم وعن الثاني ان الله تبارك وتعالى اجرى اموره على عباده على ما يتعارفونه في الدنيا فيما بينهم لان ذلك
ابلغ في تقرير المعنى عندهم في اخراج كتاب وشهود في الزام الحجة كما تشهد العدول عند الحاكم والقضاة وعلى الثالث ان
ذلك مخصوص بافعال الجوارح فهو عام مخصوص وفي مدح الحفظة ووصفهم بهذه الصفات لعظم امر الجزاء وانه من جلائل
الامور **فصل** هذا الخطاب وان كان خطاب مشافهة الا ان الامة اجمعت على عموم هذا الحكم في حق المكلفين
وقوله تعالى لحافظين جمع يحتمل ان يكونوا حافظين لجميع بني آدم من غير ان يختص واحد من الملائكة بواحد من بني آدم ويحتمل
ان يكون الموكل بكل واحد منهم غير الموكل بالآخر ويحتمل ان يكون الموكل بكل واحد منهم جميعا من الملائكة كما قيل اثنان بالليل
واثنان بالنهار او كما قيل انهم خمسة **فصل** اختلفوا في الكفار هل عليهم حفظة فقيل لا لان امرهم ظاهر وعملهم
واحد قال تعالى يعرف المجرمون بسيماهم وقيل بل عليهم حفظة لقوله تعالى بل تكذبون بالدين وان عليكم لحافظين واما
من اوتي كتابه بشماله ومن اوتي كتابه وراء ظهره فاخبر ان لهم كتابا وعليهم حفظة فان قيل اي شيء يكتب الذي عن
يمينه ولا حسنة له قال الجواب الذي عن شماله يكتب باذن صاحبه ويكون صاحبه شاهدا على ذلك وان لم يكتب
فصل سئل سفيان كيف تعرف الملائكة ان العبد قد هم بمعصية او بحسنة قال اذا هم العبد بحسنة وجد
منه ريح المسك وان هم بسيئة وجد منه ريح منتن **فصل** دلت هذه الاية على ان الشاهد لا يشهد الا بعد العلم
لوصف الملائكة بكونهم حافظين كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون فدل على انهم يكونوا عالمين بها حتى انهم يكتبونها
فاذا كتبوها يكونوا عالمين عند اداء الشهادة قال الحسن لا يخفى عليهم شيء من اعمالكم وقيل يعلمون ما ظهر منكم دون
ما تحدثتم به انفسكم **قوله تعالى** ان الابرار لفي نعيم الابرار الذين بروا وصدقوا في ايمانهم باداء فرايض الله تعالى واجتناب
معاصيه لما وصف تعالى الكرام الكاتبين لاعمال العباد ذكر احوال العاملين وقسمهم قسمين فقال تعالى ان الابرار لفي
نعيم وهو نعيم الجنة وان الفجار لفي جحيم وهو النار وهذا تهديد عظيم للعصاة وهذا التقسيم كقوله تعالى فريق في الجنة
وفريق في السعير **قوله تعالى** يصلونها يجوز فيه ان يكون حالا من الضمير في الجار لوقوعه خبرا وان يكون مستانفا وقرا العامة
يصلونها مخففا مبنيا للفاعل وتقدم مثله ومعنى يصلونها يوم الدين اي يدخلونها يوم القيمة وما هم عنها بغائبين
اي ليسوا غائبين عن استحقاق الكون في الجحيم ثم عظم ذلك اليوم فقال وما ادراك ما يوم الدين ثم كرر تعجبا لشانه
فقال ثم ما ادراك ما يوم الدين قال ابن عباس كل ما في القرآن من قوله وما ادراك فقد ادراه وكل شيء من قوله وما يدريك
فقد طوي عنه **قوله تعالى** يوم لا تملك قرا ابن كثير وابو عمرو برفع يوم على انه خبر مبتدا مضمر اي هو يوم وجوز الزمخشري ان يكون
بدلا مما قبله يعني قوله يوم الدين وقرا ابو عمرو في رواية يوم مرفوعا منونا على قطعه عن الاضافة وجعل الجملة نعتا له والعائد
محذوف اي لا يملك فيه وقرا الباقون يوم بالفتح فقيل هي فتحة اعراب ونصبه باضمار اعني او يتجاوزون او باضمار اذكر
فيكون مفعولا به وعلى راي الكوفيين يكون خبر المبتدا مضمر وانما بني لاضافته للفعل وان كان معربا كقوله تعالى هذا يوم
ينفع قال الزجاج يجوز ان يكون في موضع رفع الا انه بني على الفتح لاضافته الى قوله تعالى لا تملك وما اضيف الى غير المتمكن
فقد يبنى على الفتح وان كان في موضع رفع او جر كما قال • لم يمنع الشرب منهم غير ان نطقت حمامة • قال الواحدي
والذي ذكره الزجاج من البناء على الفتح انما يجوز عند الخليل وسيبويه اذا كانت الاضافة الى الفعل الماضي نحو قوله
على حين عاتبت المشيب • اما مع الفعل المستقبل فلا يجوز البناء عندهم ويجوز البناء في قول الكوفيين قال ابن الخطيب
وذكر ابو علي انه منصوب على الظرفية لان اليوم لما جرى في اكثر الامر ظرفا ترك على حاله الا اكثر به والدليل عليه
اجماع القراء في قوله تعالى منهم الصالحون ومنهم دون ذلك ولا يدفع ذلك احد ومما يقوي النصب قوله وما ادراك
ما القارعة يوم يكون الناس وقوله تعالى يسألون ايان يوم الدين يوم هم على النار يفتنون فالنصب في يوم لا تملك
مثل هذا **فصل** تمسكوا بهذه الاية في نفي الشفاعة للعصاة وهو كقوله تعالى يوم لا تجزي نفس عن نفس وقد

تقدم الجواب عنه في سورة البقرة قال مقاتل يعني لنفس كافرة شيئا من المنفعة والامر يومئذ لله اي لم يملك الله تعالى
في ذلك اليوم احدا شيئا كما ملكهم في الدنيا روى الثعلبي عن ابي بن كعب رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا اذا
السماء انفطرت اعطاه الله تعالى من الاجر بعدد كل قبر حسنة وبعدد كل قطرة ماء حسنة واصلح الله تعالى له شانه

سورة المطففين

في قول الحسن وعكرمة ومقاتل قال مقاتل وهي اول سورة نزلت بالمدينة وقال ابن عباس وقتادة مدنية الا ثمان
آيات وهي قوله تعالى ان الذين اجرموا الى آخرها مكي وقال الكلبي وجابر بن زيد نزلت بين مكة والمدينة وقال ابن مسعود
والضحاك مكية وهي ست وثلاثون آية ومائة وتسعة وستون كلمة وسبعمائة وثمانون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم
قوله تعالى ويل للمطففين ويل مبتدا وسوغ الابتداء به كونه دعاء ولو نصب لجاز وقال مكي والمختار في ويل وشبهه اذا كان
غير مضاف الرفع ويجوز النصب فان كان مضافا او معرفا كان الاختيار فيه النصب نحو ويلكم لا تفتروا وللمطففين خبره
والمطفف المنقص وحقيقته الاخذ في كيل او وزن شيئا طفيفا اي نزرا حقيرا ومنه قولهم دون الطفيف اي الشيء التافه لقلته
قال الزجاج انما قيل للذي ينقص المكيال والميزان مطفف لانه لا يكاد يسرق في المكيال والميزان الا الشيء اليسير الطفيف
فصل قال ابن الخطيب اتصال اول هذه السورة بالمتقدمة انه تعالى بين في آخر تلك السورة ان من صفة يوم القيمة
انه لا تملك نفس لنفس شيئا والامر يومئذ لله وذلك يقتضي تهديدا عظيما للعصاة فلهذا اتبعه بقوله تعالى ويل للمطففين
والمراد منه الزجر عن التطفيف وهو البخس في المكيال والميزان على سبيل الخفية واعلم ان الويل كلمة تذكر عند وقوع البلاء يقال
ويل لك وويل عليك وفي اشتقاق لفظ التطفيف قولان الاول قول الزجاج المتقدم والثاني ان طف الشيء هو جانبه وحرفه
يقال طف الوادي والاناء اذا بلغ الشيء الذي فيه حرفه ولم يمتل فهو طفافه وطفافه يقال هذا طف المكيال وطفافه اذا قارب ملأه
لكنه بعد لم يمتل ولهذا قيل للذي يسيء الكيل ولا يوفيه مطفف لانه انما يبلغ الطفاف **فصل** روى ابن عباس
رضي الله عنه قال لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة كانوا من اخبث الناس كيلا فانزل الله ويل للمطففين فاحسنوا
الكيل فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فقراها عليهم وقال خمس بخمس ما نقض قوم العهد الا سلط الله عليهم عدوهم ولا حكموا بغير
ما انزل الله الا فشا فيهم الفقر ولا ظهر فيهم الفاحشة الا فشا فيهم الموت ولا طففوا المكيال الا منعوا النبات واخذوا بالسنين ولا
منعوا الزكوة الا حبس عنهم المطر وقال السدي قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وبها رجل يقال له ابو جهينة ومعه
صاعان يكيل باحدهما ويكتال بالآخر فانزل الله تعالى هذه الاية وروي عن ابن عمر رضي الله عنه قال المطفف الرجل يستاجر المكيال
وهو يعلم انه يحيف في كيله فوزره عليه **قوله تعالى** على الناس فيه وجهان احدهما انه متعلق باكتالوا وعلى ومن يعتقبان هنا قال الفراء
يقال اكتلت على الناس استوفيت منهم واكتلت منهم اخذت ما عليهم وقيل على بمعنى اكتلت على ومنه بمعنى والاول اوضح وقيل على يتعلق
بيستوفون قال الزمخشري لما كان اكتيالهم من الناس اكتيالا يضرهم ويتحامل فيه عليهم ابدل على مكان من للدلالة على ذلك ويجوز ان يتعلق
بيستوفون وقدم المفعول على الفعل لافادة الخصوصية اي يستوفون على الناس خاصة فاما انفسهم فيستوفون لها وهو حسن
قوله تعالى واذا كالوهم او وزنوهم رسمتا في المصحف بغير الف بعد الواو في الفعلين فمن ثم اختلف الناس في هم على وجهين
احدهما هو ضمير نصب فيكون مفعولا به ويعود على الناس اي واذا كالوا الناس او وزنوا الناس وعلى هذا فالاصل في هذين الفعلين
التعدي لاثنين لاحدهما بنفسه بلا خلاف وللآخر بحرف الجر ويجوز حذفه وهل كل منهما اصل بنفسه او احدهما اصل للآخر
فيه خلاف والتقدير واذا كالوا لهم طعاما او وزنوه لهم فحذف الحرف والمفعول المسرح وانشد • ولقد جنيتك اكمؤا وعساقلا •
ولقد نهيتك عن بنات الاوبر • اي جنيت لك والثاني انه ضمير رفع مؤكد للواو والضمير عائد على المطففين ويكون على هذا قد
حذف المكيل والمكيل له والموزون والموزون له الا ان الزمخشري رد هذا فقال ولا يصح ان يكون ضميرا مرفوعا للمطففين
لان الكلام يخرج به الى نظم فاسد وذلك ان المعنى اذا اخذوا من الناس استوفوا واذا اعطوهم اخسروا فان جعلت الضمير
للمطففين انقلب الى قولك اذا اخذوا من الناس استوفوا واذا تولوا الكيل او الوزن هم على الخصوص اخسروا وهو كلام متنافر لان
الحديث واقع في الفعل لا في المباشر قال ابو حيان ولا تنافر فيه بوجه ولا فرق بين ان يؤكد الضمير او لا يؤكد والحديث واقع
في الفعل غاية ما في هذا ان متعلق الاستيفاء وهو على الناس مذكور وهو في كالوهم او وزنوهم محذوف للعلم به لانه
من المعلوم انهم لا يخسرون ذلك لانفسهم قال شهاب الدين الزمخشري يريد ان يحافظ على ان المعنى مرتبط بشيئين اذا اخذوا
ربحهم واذا اعطوا غيرهم وهذا انما يتم على تقدير ان يكون الضمير منصوبا عائدا على الناس لا على كونه ضمير رفع عائد على المطففين

من الناس

استوفوا

ولاشك ان هذا المعنى الذي ذكره الزمخشري واراده انه والحسن من المعنى الثاني ورجح الاول سقوط الالف بعد الواو لانه
دال على اتصال الضمير الا ان الزمخشري استدركه فقال والتعلق في ابطال الخط المصحف وان الالف التي تكتب بعد واو الجمع غير ثابتة
على ان فيه ركيكا لان خط المصحف لم يراع في كثير منه حد المصطلح عليه في علم الخط على اني رايت في الكتب المخطوطة بايدي الائمة
المتقنين هذه الالف مرفوضة لكونها غير ثابتة في اللفظ والمعنى جميعا لان الواو وحدها معطية معنى الجمع وانما كتبت هذه
الالف تفرقة بين واو الجمع وغيرها في نحو قولك هم لم يدعوا وهو يدعو فمن لم يثبتها قال المعنى كاف في التفرقة بينهما وعن عيسى
بن عمر وحمزة انهما يرتكبان ذلك اي يجعلان الضميرين للمطففين ويقفان عند الواوين وقيفة يبينان بها ما ارادوا ولم
يذكر فعل الوزن اولا بل اقتصر على الكيل فقال اذا اكتالوا ولم يقل واتزنوا كما قال ثانيا او وزنوهم قال ابن الخطيب لان
الكيل والوزن بهما البيع والشرا فاحدهما يدل على الآخر وقال الزمخشري لان المطففين كانوا لا ياخذون ما يكال
ويوزن الا بالمكاييل دون الموازين لتمكنهم بالاكتيال من الاستيفا والسرقة لانهم يدعدعون ويحتالون في الملء واذا اعطوا
كالوا او وزنوا لتمكنهم من البخس في النوعين جميعا **قوله تعالى** يخسرون جواب اذا وهو يتعدى بالهمزة يقال خسر الرجل
واخسرته انا فمفعوله محذوف اي يخسرون الناس متاعهم قال المؤرج يخسرون اي ينقصون بلغة قريش **فصل**
قال الزجاج المعنى اذا اكتالوا من الناس استوفوا عليهم الكيل اي الذي اذا استوفوا لانفسهم استوفوا في الكيل والوزن واذا كالوهم
او وزنوهم اي كالوا لهم او وزنوا لهم اي للناس ولما كان اكتيالهم من الناس اكتيالا لا فيه اضرارهم وتحامل عليهم اقيم
على مقام من للدلالة على ذلك وقال الكسائي والفرا حذف الجار واوصل الفعل وهذا من كلام اهل الحجاز ومن جاورهم
يقال وزنتك حقك وكلتك طعامك اي وزنت لك وكلت لك كما يقال نصحتك ونصحت لك وكسبتك وكسبت لك
وقال الفرا المراد اكتالوا من الناس وعلى ومن يعتقبان لانه حق عليه فاذا قال اكتلت عليك فكانه قال اخذت ما عليك
واذا قال اكتلت منك فهو كقوله استوفيت منك وقيل على حذف مضاف اي اذا كالوا مكيلهم او وزنوا موزونهم
قوله تعالى الا يظن الظاهر انها الا التحضيضية حضهم على ذلك ويكون الظن بمعنى اليقين وقيل هي لا النافية دخلت
عليها همزة الاستفهام ومعنى الاية الا يستيقن اولئك الذين يفعلون ذلك بانهم مبعوثون ليوم عظيم وهو يوم القيمة
وفي الظن هنا قولان احدهما ان المراد به العلم وعلى هذا التقدير يحتمل ان يكون المخاطبون بهذا الخطاب من جملة المصدقين
بالبعث ويحتمل ان لا يكونوا كذلك لتمكنهم من الاستدلال عليه بالعقل الثاني ان المراد بالظن هنا هو الظن نفسه لا العلم ويكون
المعنى هولاء المطففين هب انهم لا يجزمون بالبعث ولكن لا اقل من الظن لوضوح ادلته فان اللائق بحكمة الله تعالى ورحمته
ورعايته مصالح خلقه ان لا يهمل امرهم بعد الموت وان يكون لهم نشر وحشر وان هذا الظن كاف في حصول الخوف
قوله تعالى يوم يجوز نصبه بمبعوثون او بيبعثون مقدرا او على البدل من محل ليوم او باضمار اعني او هو مرفوع المحل
خبرا لمبتدا مضمر او مجرور بدلا من ليوم عظيم وانما بني في هذين الوجهين على الفتح لاضافته على الفعل وان كان مضارعا
كما هو راي الكوفيين ويدل على صحة هذين الوجهين قراءة زيد بن علي يوم يقوم بالرفع وما حكاه ابو معاذ القاري
يوم بالجر على ما تقدم **فصل** قيام الناس لرب العالمين اما للحساب واما قيامهم من القبور وقال ابو مسلم
قيامهم له عبارة عن طاعتهم له وانقيادهم كقوله تعالى والامر يومئذ لله وفي الحديث ان الناس يقومون مقدار
ثلثمائة سنة لا يؤمر فيهم بامر وعن ابن عباس وفي حق المؤمنين كقدر انصرافهم من الصلاة وفي هذه الايات
مبالغات منها ان الويل انما يذكر عند شدة البلاء ومنها الانكار بقوله تعالى الا يظن اولئك ومنها استعظامه تعالى
لليوم ومنها تاكيده بما بعده وما يوهم ذلك ويقتضيه من خضوعهم وذلتهم وفي هذا نكتة وهي كان قائلا يقول
هذا التشديد العظيم والوعيد البليغ كيف يكون على التطفيف مع يسارته وزهادته وكرم المولى واحسانه فاشار بقوله
رب العالمين الى انه مربيهم ومتولي امورهم فلا يليق به ان يهمل من امورهم شيئا **فصل** قال القشيري
لفظ المطفف يتناول التطفيف في الوزن والكيل وفي اظهار العيب واخفائه وفي طلب الانصاف والانتصاف
ويقال من لم يرض لاخيه المسلم ما يرضاه لنفسه فليس بمنصف والمعاشرة والصحبة من هذه المادة والذي يرى
عيب الناس ولا يرى عيب نفسه من هذه الجملة ومن طلب حق نفسه من الناس ولا يعطيهم حقوقهم كما يطلبه **قوله تعالى**
كلا ان كتاب الفجار كلا ردع اي ليس الامر على ما هم عليه فليرتدعوا وههنا تم الكلام وقال الحسن كلا ابتدا يتصل
بما بعده على معنى حقا ان كتاب الفجار الذي كتب فيه اعمالهم **قوله تعالى** لفي سجين اختلفوا في نون سجين فقيل هي
اصلية واشتقاقه من السجن وهو الحبس وهو بناء مبالغة فعيل من السجن والتضييق كسكير من السكر وفسيق من الفسق
وهو قول ابي عبيدة والمبرد والزجاج قال الواحدي وهذا ضعيف لان العرب ما كانت تعرف سجينا وقيل النون بدل
من اللام والاصل سجيل مشتقا من السجل وهو الكتاب واختلفوا فيه ايضا هل هو اسم موضع او اسم كتاب مخصوص وهل

قال الواحدي

هو صفة

هو صفة او علم منقول من وصف كحاتم وهو مصروف اذ ليس فيه الا سبب واحد وهو العلمية واذا كان اسم مكان فقوله
تعالى كتاب مرقوم اما بدل منه او خبر لمبتدا محذوف وهو ضمير يعود عليه وعلى التقديرين فهو مشكل لان الكتاب ليس هو
المكان فقيل التقدير وهو محل كتاب ثم حذف المضاف وقيل التقدير وما ادراك ما كتاب سجين فالحذف اما من الاول او ما
من الثاني واما اذا قلنا انه اسم لكتاب فلا اشكال وقال ابن عطية من قال ان سجينا موضع فكتاب مرفوع على انه خبر ان والظرف
الذي هو لفي سجين ملغى ومن جعله عبارة عن الخسار فكتاب خبر مبتدا محذوف والتقدير هو كتاب ويكون هذا الكلام مفسرا
لسجين ما هو انتهى وهذا لا يصح البتة اذ دخول اللام يعين كونه خبرا فلا يكون ملغى لا يقال اللام تدخل على معمول الخبر فهذا منه
فيكون ملغى لانه لو فرض الخبر وهو كتاب عاملا وصفته عاملة وهو مرقوم لامتنع ذلك لانما منع عمل كتاب فلانه موصوف
والمصدر الموصوف لا يعمل واما امتناع عمل مرقوم فلانه صفة ومعمول الصفة لا يتقدم على موصوفها وايضا فاللام
انما تدخل على معمول الخبر بشرطه وهذا ليس معمولا للخبر فتعين ان يكون الجار هو الخبر وليس ملغى واما قوله ثانيا ويكون هذا
الكلام تفسير السجين ما هو فهو مشكل لان الكتاب ليس هو الخسار الذي جعل الضمير عايدا عليه مخبرا عنه بكتاب وقال الزمخشري
فان قلت قد اخبر الله تعالى عن كتاب الفجار بانه في سجين وفسر سجينا بكتاب مرقوم فكانه قيل ان كتابهم في كتاب مرقوم فما معناه قلت
سجين كتاب جامع هو ديوان الشر دون الله فيه اعمال الشياطين واعمال الكفرة والفسقة من الجن والانس وهو كتاب مسطور
من الكتابة او معلم يعلم من راه انه لا خير فيه فالمعنى ان ما كتب من اعمال الفجار مثبت في ذلك الديوان وسمي سجيلا فعيلا من
السجل وهو الحبس والتضييق لانه سبب الحبس والتضييق في جهنم انتهى **فصل** قال عبد الله بن عمر وقتادة ومجاهد
والضحاك سجين هي الارض السابعة السفلى فيها ارواح الكفار روى البراء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سجين اسفل سبع
ارضين وعليون في السماء السابعة تحت العرش وقال الكلبي هي صخرة تحت الارض السابعة وقال عكرمة لفي سجين لفي خسار وضلال
قال القشيري سجين موضع في السافلين يدفن فيه كتاب هولاء فلا يظهر بل يكون في ذلك الموضع كالمسجون **قوله تعالى**
وما ادراك ما سجين اي ليس ذلك مما كنت تعلمه انت ولا قومك قال القرطبي وليس في قوله تعالى وما ادراك ما سجين ما يدل
على ان لفظ سجين ليس عربيا كما لا يدل قوله وما ادراك ما القارعة على ذلك بل هو تعظيم لامر سجين وقد تقدم **قوله تعالى**
كتاب مرقوم قال المفسرون ليس هذا تفسيرا لسجين بل هو بيان الكتاب المذكور في قوله ان كتاب الفجار اي هو كتاب مرقوم اي مكتوب
فيه اعمالهم مثبتة عليهم كالرقم لا ينسى ولا يمحى حتى يجازى به والرقم الخط قال • سارقم في الما القراح اليكم • على بعدكم ان كان للما راقم
وقيل الرقم الختم بلغة حمير وتقدمت هذه المادة في سورة الكهف وقال قتادة ومقاتل رقم لهم بشر كانه اعلم بعلامة يعرف بها
انه كافر **قوله تعالى** ويل يومئذ للمكذبين قيل انه متصل بقوله تعالى يوم يقوم الناس لرب العالمين لمن كذب باخبار الله تعالى
وقيل ان قوله مرقوم معناه مرقوم برقم يدل على الشقاوة يوم القيمة ثم قال ويل يومئذ للمكذبين في ذلك اليوم من ذلك الكتاب
ثم انه تعالى اخبر عن صفة من يكذب بيوم الدين فقال تعالى وما يكذب به الا كل معتد اثيم اذا تتلى عليه اياتنا قال اساطير
الاولين فقوله تعالى الذين يكذبون يجوز فيه الاتباع نعتا وبدلا او بيانا والقطع رفعا ونصبا واعلم انه تعالى وصف المكذب
بيوم الدين بثلاث صفات اولها كونه معتديا والاعتداء هو التجاوز عن المنهج الحق وثانيها الاثيم وهو المبالغة في ارتكاب الاثم
والمعاصي وثالثها اذا تتلى عليه اياتنا قال اساطير الاولين والمراد الذين ينكرون النبوة والمراد بالاساطير قيل اكاذيب
الاولين وقيل اخبار الاولين **قوله تعالى** اذا تتلى العامة على الخبر والحسن ايذا على الاستفهام الانكاري والعامة
تتلى بتاءين من فوق وابو حيوة وابن مقسم بالياء من تحت لان التانيث مجازي **فصل** قال الكلبي المراد بالمكذب
هنا هو الوليد بن المغيرة لعنه الله لقوله تعالى ولا تطع كل حلاف مهين الى قوله معتد اثيم اذا تتلى عليه اياتنا قال اساطير
الاولين فقيل هو الوليد بن المغيرة وقيل هو النضر بن الحرث وقيل عام في كل موصوف بهذه الصفة **قوله تعالى**
كلا ردع وزجر اي ليس هو اساطير الاولين وقال الحسن معناها حقا ران على قلوبهم وقال مقاتل معناه لا يؤمنون
ثم استانف بل ران على قلوبهم قد تقدم وقف حفص على لام بل في سورة الكهف والران الغشاوة على القلب كالصدى
على الشيء الصقيل من سيف ومراة ونحوهما قال الشاعر • وكم ران من ذنب على قلب فاجر • فتاب من الذنب
الذي ران وانجلا • واصل الرين الغلبة ومنه رانت الخمر على عقل شاربها وقال الزمخشري يقال ران عليه الذنب وغان
رينا وغينا والغين الغيم والغين ايضا شجر ملتف الواحدة غينا اي خضرا كثيرة الورق ملتفة الاغصان ويقال ان رانا
ورينا مصدران مفتوح العين وساكنها وقرا حمزة والكسائي والاعمش وابو بكر والمفضل ران بالامالة لان فاء الفعل
راء وعينه الف منقلبة من ياء فحسنت الامالة ومن فتح فعلى الاصل مثل كال وباع **فصل** قال ابو معاذ
النحوي الرين ان يسود القلب من الذنوب والطبع ان يطبع على القلب وهو اشد من الرين والاقفال اشد من الطبع وهو
ان يقفل على القلب قال تعالى ام على قلوب اقفالها قال الزجاج ران على قلوبهم بمعنى غطى على قلوبهم قال الحسن ومجاهد

هو الذنب على الذنب حتى تحيط الذنوب بالقلب وتغشى فيموت القلب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اياكم والمحقرات
من الذنوب فان الذنب على الذنب يوقد على صاحبه جحيما ضخمة وقال صلى الله عليه وسلم ان المؤمن اذا اذنب كانت نكتة سوداء
في قلبه فان تاب ونزع واستغفر صقل قلبه منها فاذا زاد زادت حتى تعلو قلبه فذلكم الران الذي ذكر الله تعالى في كتابه كلا
بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون **قوله تعالى** ما كانوا هو الفاعل ويحتمل ان تكون مصدرية وان يكون بمعنى الذي
فالعائد محذوف واميلت الف ران وحفص فاما لها الاخوان وابو بكر وفتحها الباقون وادغم لام بل في الراء واظهرت
قوله تعالى كلا انهم قال الزمخشري كلا ردع عن كسب الران على قلوبهم وقال القفال ان الله تبارك وتعالى حكى في سائر السور
عن هذا المعتدي الاثيم انه كان يقول ان كانت الاخرة حقا فان الله تعالى يعطيه مالا وولدا ثم كذبه الله تعالى بقوله اطلع
الغيب ام اتخذ عند الرحمن عهدا وقال ايضا وما اظن الساعة قائمة ولئن رجعت الى ربي ان لي عنده للحسنى فلما تكرر ذكره في القرآن
ذكر الله ذكره هاهنا وقال تعالى كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون اي ليس الامر كما يقولون من ان لهم في الاخرة الحسنى بل هم
عن ربهم يومئذ لمحجوبون وقال ابن عباس ايضا كلا يريد لا يصدقون ثم استانف فقال انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون
وقيل قوله تعالى كلا تكرير ويكون كلا هذه هي المذكورة في قوله كلا بل ران على قلوبهم **قوله تعالى** عن ربهم متعلق بالخبر
وكذلك يومئذ والتنوين عوض عن جملة تقديرها يوم اذ يقوم الناس لانه لم يتناسب الا تقديرها **فصل**
قال اكثر المفسرين محجوبون عن رؤيته وهذا يدل على ان المؤمنين يرون ربهم سبحانه وتعالى ولولا ذلك لم يكن
للتخصيص فائدة وايضا فانه تعالى ذكر هذا الحجاب في معرض الوعيد والتهديد للكفار وما يكون وعيدا وتهديدا
للكفار لا يجوز حصوله للمؤمنين واجاب المعتزلة عن هذا بوجوه احدها قال الجبائي المراد انهم محجوبون عن رحمة ربهم
اي ممنوعون كما يحجب الام بالاخوة عن الثلث الى السدس ومن ذلك يقال لمن منع من الدخول حاجب وثانيها قال مسلم محجوبون
غير مقربين والحجاب الرد وهو ضد القبول فالمعنى انهم غير مقبولين عند الرؤية فانه قال يقال حجب عن الامير وان كان
قد رآه من بعد بل يجب ان يحمل على المنع من رحمته ورابعها قال الزمخشري كونهم محجوبين عنه تمثيل الاستخفاف بهم واهانتهم
لانه لا يرد على الملوك الا المكرمين لديهم ولا يحجب عنهم الا المهانون عندهم والجواب ان الحجب في استعماله لا يتعين في المنع
فيكون حقيقة فيه ومنع العبد بالنسبة الى الله تعالى اما عن العلم واما عن الرؤية والاول باطل لان الكفار يعلمون الله
تبارك وتعالى فوجب حمله على الرؤية واما الوجوه المذكورة فهو عدول عن الظاهر من غير دليل ويؤيد ما قلنا اقوال السلف
من المفسرين قال مقاتل لا يرون ربهم بعد الحساب والمؤمنون يرون ربهم وقال الكلبي محجوبون عن رؤية ربهم والمؤمن
لا يحجب وسئل مالك بن انس رضي الله عنه عن هذه الاية فقال كما حجب الله تعالى اعداءه فلم يروه لا بد وان يتجلى لاوليائه
حتى يروه وعن الشافعي رضي الله عنه كما حجب قوم بالسخط دل على انهم يرونه بالرضى **قوله تعالى** ثم انهم لصالوا الجحيم
اي ان الكفار مع كونهم محجوبين عن الله يدخلون النار ثم يقال اي تقول لهم الخزنة هذا اي هذا العذاب الذي كنتم به
تكذبون وقوله يقال يجوز ان يكون القائم مقام الفاعل ما دلت عليه جملة قوله هذا الذي كنتم ويجوز ان تكون الجملة نفسها
ويجوز ان يكون المصدرية وقد تقدم تحريره اول البقرة **قوله تعالى** كلا ان كتاب الابرار لما ذكر تعالى حال الكفار والمطففين
اتبعه بذكر الابرار الذين لا يطففون فقال كلا اي ليس الامر كما توهمه اولئك الفجار من انكار البعث ومن ان كتاب
الله اساطير الاولين بل كتابهم في سجين وكتاب الابرار في عليين وقيل معناه حقا والوقف وقال مقاتل كلا اي لا
يؤمن بالعذاب الذي يصلاه **قوله تعالى** لفي عليين هو جمع وقال ابن عطية هنا كما قال هناك ويرد عليه ما تقدم وعليون
جمع علي او هو اسم مكان في اعلى الجنة وجرى مجرى جمع العقلاء فرفع بالواو ونصب وجر بالياء مع فوات شرط العقل
وقال ابو البقاء احدها على وهو الملك وقيل هي صيغة الجمع مثل عشرين ثم ذكر نحوا مما ذكره في سجين من الحذف المتقدم وقال
الزمخشري عليون علم لديوان الخير الذي دون فيه كل ما عملته الملائكة وصلحاء الثقلين منقول من جمع على فعيل من العلو
كسجين من السجن سمي بذلك اما لانه سبب الارتفاع واما لانه مرفوع في السماء السابعة وتلك الاقوال الماضية في سجين
كلها هاهنا ضدها وروي عن ابن عباس رضي الله عنه انها السماء السابعة وقال قتادة ومقاتل هي سدرة المنتهى وقال الفراء يعني
ارتفاعها بعد ارتفاع لا غاية له وقال الزجاج اعلى الامكنة وقال اخرون هي مراتب عالية محفوفة بالجلالة وقال
اخرون هو الكتاب اعمال الملائكة لقوله تعالى وما ادراك ما عليون وذلك تنبيه على انه معلوم وانه سيعرف ثم قال تعالى
كتاب مرقوم يشهده المقربون فيعني ان كتابهم في هذا الكتاب المرقوم الذي يشهده المقربون من الملائكة فكانه تعالى كما وكل
اللوح المحفوظ فكذلك وكلهم بحفظ كتب الابرار في جملة ذلك الكتاب الذي هو ام الكتاب على وجه الاعظام له ولا يمتنع
ان يحفظه ان صحف كتب الابرار بانهم يسلمونها الى هؤلاء المقربين فيحفظونها كما يحفظون كتب انفسهم وينقلون
ما في تلك الصحائف الى ذلك الكتاب الذي وكلوا بحفظه ويصير علمهم شهادة لهؤلاء الابرار فلذلك يحاسبون حسابا يسيرا

وقيل المعنى ارتفاع بعد ارتفاع وقال ابو مسلم هذا كناية عن العلو والرفعة والاول كناية عن الذل والاهانة وقال ابن عباس
رضي الله عنه عليون لوح من زبرجدة خضراء معلق تحت العرش اعمالهم مكتوبة فيه وقال كعب وقتادة هو قائمة العرش اليمنى
وقال ابن عباس هو الجنة وقال الضحاك سدرة المنتهى وقوله تعالى كتاب مرقوم ليس تفسيرا لعليين اي مكتوب اعمالهم كما تقدم
في كتاب الفجار وقيل كتب هناك ما اعد الله لهم من الكرامة **قوله تعالى** يشهده جملة يجوز ان تكون صفة ثانية وان تكون
مستانفة والمعنى ان الملائكة الذين هم في عليين يشهدون ويحضرون ذلك المكتوب وذلك الكتاب اذا صعد به الى عليين
قوله تعالى ان الابرار لفي نعيم لما عظم كتابهم عظم منزلتهم بانهم في النعيم ثم بين ذلك النعيم بامور ثلاثة اولها قوله تعالى على
الارائك ينظرون وقال القفال الارائك الاسرة في الحجال ولا تسمى اريكة فيما زعموا الا اذا كان كذلك وعن الحسن رضي الله عنه
كنا لا ندري ما الاريكة حتى لقينا رجل من اهل اليمن اخبرنا ان عندهم ذلك وقوله ينظرون قيل الى انواع نعيمهم من الحور والولدان
وانواع الاطعمة والاشربة والملابس والمراكب وغيرها وقال مقاتل ينظرون الى اعدائهم حين يعذبون وقيل اذا اشتهوا شيئا
نظروا اليه فيحضر فورا ذلك الشيء في الحال وقيل يحمل على الكل قال ابن الخطيب انهم ينظرون الى ربهم بدليل قوله تعالى تعرف
في وجوههم نضرة النعيم **قوله تعالى** تعرف العامة على اسناد الفعل الى المخاطب اي تعرف انت يا محمد او كل من صح المعرفة وقرا ابو جعفر
وابن ابي اسحق وشيبة وطلحة ويعقوب والزعفراني تعرف مبنيا للمفعول نضرة بالرفع على قيامها مقام الفاعل وعلي بن زيد
كذلك الا انه بالياء اسفل لان التانيث مجازي والمعنى اذا رايتهم عرفت انهم من اهل النعيم مما ترى في وجوههم من النور والحسن
والبياض وقال الحسن النضرة في الوجه والسرور في القلب **قوله تعالى** يسقون من رحيق قال الليث الرحيق الخمر وقيل الخمر الصافية
الطيبة وقال مقاتل الخمر البيضاء وقال ابن الخطيب لعله الخمر الموصوف بقوله تعالى لا فيها غول **قوله تعالى** مختوم اي ختم ومنع من
ان تمسه يد الى ان يفك ختمه الابرار قال القفال يحتمل ان يكون ختم عليه تكريما له بالصيانة على ما جرت به العادة من ختم ما يكرم
ويصان وهناك خمر اخر يجري انهارا لقوله وانهار من خمر لذة للشاربين الا ان هذا المختوم اشرف من الجاري وقال ابو عبيدة والمبرد
والزجاج المختوم الذي خاتمه اي عاقبته وروي عن عبد الله بن مسعود المختوم الممزوج من الجاري بالممزوج خاتمه اي اخر طعمه وعاقبته
مسك وختم كل شيء الفراغ منه ومنه يقال ختمت القرآن والاعمال بخواتيمها ويؤيده قراءة علي بن ابي طالب كرم الله وجهه واختاره الكسائي
فانه يقرا خاتمه مسك اي اخره كما يقال خاتم النبيين ومعناهما واحد قال الفراء وهما متقاربان في المعنى الا ان الخاتم اسم والختم مصدر
كقولهم هو كريم الطباع والطابع والخاتم في الختام وقال قتادة يمزج لهم بالكافور ويختم لهم بالمسك وقال مجاهد مختوم مطين
قوله تعالى ختامه اي طينه مسك قال ابن زيد ختامه عند الله مسك وختام الدنيا طين وقرا الكسائي خاتمه بفتح التاء بعد الالف
والباقون بتقديمها على الالف فوجه قراءة الكسائي انه جعله اسما لما يختم به الكاس بدليل قوله مختوم ثم بين الخاتم ما هو وروي
عن الكسائي ايضا كسر التاء فيكون كقوله تعالى خاتم النبيين والمعنى خاتم رائحته مسك ووجه قراءة الجماعة ان الختام هو الطين الذي
يختم به الشيء فجعل بدله المسك قال الشاعر

كان مشعشعا من خمر بصرى • نمته البخت مسدود الختام •

وقيل خلطه ومزاجه وقيل خاتمه اي مقطع شربه يجد الانسان فيه ريح المسك قيل معنى المسك مسكا لان الغزال يمسكه في سرته والمساك البخل
وحبس المال يقال رجل مسيك لبخله ومسك ما له والمسك الجلد لامساكه ما فيه والماسكة التي اخطات خافضتها فاصابت من مسكها
غير موضع الختان والمسكة سوار من قرن او عاج لتماسكه والمسكة بضم الميم الشيء القليل يقال ما له مسكة عقل **قوله تعالى** وفي ذلك
فليتنافس المتنافسون التنافس المغالبة في الشيء النفيس يقال نفست به نفاسة اي بخلت به واصله من النفس لعزتها قال الواحدي
نفست الشيء انفسه نفاسة بخلت به والتنافس تفاعل منه كان كل واحد من الشخصين يريد ان يستاثر به قال البغوي واصله
من الشيء النفيس الذي تحرص عليه نفوس الناس ويريده كل واحد لنفسه وينفس به على غيره اي يضن والمعنى وفي ذلك فليرغب الراغبون
بالمبادرة الى طاعة الله تعالى وقال مجاهد فليعمل العاملون كقوله تعالى لمثل هذا فليعمل العاملون وقال عطاء فليستبق المستبقون
وقال مقاتل بن سليمان فليتنازع المتنازعون **قوله تعالى** ومزاجه من تسنيم التسنيم علم لعين في الجنة قال الزمخشري التسنيم
علم لعين بعينها سميت بالتسنيم الذي هو مصدر سنمه اذا رفعه قال شهاب الدين وفيه نظر لانه كان من حقه ان يمنع الصرف للعلمية
والتانيث وان كان مجازيا ولا يقدح في ذلك كونه مذكر الاصل لان العبرة بحال العلمية الا ترى انهم نصوا على انه لو سمي بزيد امراة
وجب المنع وان كان في هند وجهان اللهم الا ان تقول ذهب بها مذهب النهر ونحوه فيكون كواسط ودابق **فصل**
التسنيم شراب ينصب عليهم من علو في غرفهم ومنازلهم وقيل يجري في الهوى متسنما فينصب في اوانيهم فيملاها قال قتادة
واصل الكلمة من العلو يقال للشيء المرتفع سنام ومنه سنام البعير وتسنمت الحائط اذا علوته وقال الضحاك هو شراب اسمه تسنيم
وهو من اشرف الشراب قال ابن مسعود وابن عباس وهو خالص للمقربين يشربونها ويمزج لسائر اهل الجنة وهو قوله تعالى ومزاجه
من تسنيم عينا يشرب بها المقربون وعن ابن عباس انه سئل عن قوله تعالى من تسنيم قال هذا مما قال الله تعالى فلا تعلم نفس ما اخفي
لهم من قرة اعين **قوله تعالى** عينا فيها وجهان احدهما انه حال قاله الزجاج يعني من تسنيم لانه علم لشيء بعينه الا انه يشكل بكونه

جامدا الثاني انه منصوب على المدح قال الزمخشري الثالث انها منصوبة بيسقون مقدرا قاله الاخفش وقوله
يشرب بها اي منها او الباء زائدة او ضمن يشرب معنى يروى وتقدم هذا مشبعا في هل اتى قال البغوي التقدير يشرب بها المقربون
صرفا قوله تعالى ان الذين اجرموا اي اشركوا يعني كفار قريش اباجهل والوليد بن المغيرة والعاص بن وائل ومن ترفي مكة كانوا من
الذين آمنوا عمار وخباب وصهيب وبلال واصحابهم من فقراء المؤمنين يضحكون استهزاء بهم وقوله الذين امنوا متعلق بيضحكون
استهزاء بهم وقوله من الذين امنوا متعلق بيضحكون اي من اجلهم وقدم لاجل الفواصل قوله تعالى واذا مروا بهم يعني المؤمنين
بالكفار يتغامزون والغمز الاشارة بالجفن والحاجب اي يشيرون اليهم بالاعين استهزاء وقيل الغمز بمعنى العيب غمزه اي عابه
وما في فلان غميزة اي ما يعاب به قوله تعالى واذا انقلبوا يعني الكفار الى اهلهم انقلبوا فاكهين معجبين بما هم فيه
يتفكهون بذكرهم بالسوء وقرأ حفص فكهين دون الف والباقون بها فقيل هما بمعنى وقيل فكهين اشرين وفاكهين
من التفكه وقيل فكهين فرحين وفاكهين ناعمين وقيل فاكهين اصحاب فاكهة ومزاح قوله تعالى واذا راوهم يجوز
ان يكون المرفوع للكفار والمنصوب للمؤمنين اي ان الكفار اذا راوا اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قالوا ان هؤلاء لضالون
اي يأتون محمدا المختار يرون انهم على شيء اي هم على ضلال في تركهم التنعم الحاضر بسبب ثواب لا يدري هل له وجود ام لا
ويجوز العكس وكذلك الضميران في ارسلوا عليهم والمعنى وما ارسلوا يعني المشركين عليهم يعني المؤمنين حافظين اعمالهم لم
يوكلوا بحفظ اعمالهم قوله تعالى فاليوم الذين آمنوا فاليوم منصوب بيضحكون ولا يضر تقديمه على المبتدا لانه لو تقدم العامل
هنا جاز اذ لا لبس بخلاف زيد قام في الدار لا يجوز في الدار زيد قام ومعنى فاليوم اي في الآخرة يضحك المؤمنون
من الكافرين وفي سبب هذا الضحك وجوه منها ان الكفار كانوا يضحكون على المؤمنين في الدنيا بسبب ما هم فيه من الضرر
والبؤس وفي الآخرة يضحك المؤمنون على الكافرين بسبب ما هم فيه من انواع العذاب والبلاء ومنها انهم علموا انهم كانوا في
الدنيا على غير شيء وانهم باعوا الباقي بالفاني ومنها انهم يرون انفسهم قد فازوا بالنعيم المقيم ونالوا بالتعب اليسير راحة الابد
ومنها انهم دخلوا الجنة فاجلسوا على الارائك ينظرون الى الكفار كيف يعذبون في النار ويرفعون اصواتهم بالويل والثبور
ويلعن بعضهم بعضا ومنها قال ابو صالح يقال لاهل النار وهم فيها اخرجوا ويفتح لهم ابوابها فاذا راوها وقد فتحت ابوابها
اقبلوا اليها يريدون الخروج والمؤمنون ينظرون اليهم فاذا انتهوا الى ابوابها غلقت دونهم فذلك سبب الضحك قوله تعالى
على الارائك ينظرون الجار يتعلق بينظرون وينظرون حال من يضحكون اي يضحكون ناظرين اليهم والى ما هم فيه من الهوان
قوله تعالى هل ثوب يجوز ان تكون الجملة الاستفهامية معلقة للنظر قبلها فتكون في محل نصب بعد اسقاط الخافض بينظرون
وقيل استئناف لا محل له ويجوز ان يكون على اضمار القول اي يقولون هل ثوب ومعنى ثوب اي جوزي ويقال ثوبه واثابه قال الشاعر
سأجزيك او يجزيك عني مثوب • وحسبك ان يثنى عليك وتحمد • وادغم ابو عمرو والكسائي وحمزة لام هل في الثاء وقوله ما كانوا فيه
حذف اي ثواب ما كانوا وما موصول اسمي او حرفي قال المبرد ثوب فعل من الثواب وهو ما يثوب اي يرجع على فاعله جزاء ما
عمله من خير او شر والثواب يستعمل في المكافاة بالشر وانشد ابو عبيدة • الا ابلغ اباحسن رسولا • فالك لا تجيء الى الثواب
وثوب واثاب بمعنى واحد والاولى ان يحمل على سبيل التهكم كقوله ذق انك انت العزيز الكريم كانه تعالى يقول للمؤمنين هل جازينا
هؤلاء الكفار على استهزائهم بطريقتكم كما جازيناكم على اعمالكم الصالحة فيكون هذا القول زائدا في سرورهم والله اعلم
روى الثعلبي عن ابي بن كعب رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المطففين سقاه الله من الرحيق المختوم
يوم القيمة

سورة الانشقاق مكية

وهي ثلاث وعشرون آية ومائة وسبع كلمات واربعمائة وثلاثون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى اذا السماء
انشقت كقوله تعالى اذا الشمس كورت في اضمار الفعل وعدمه وفي اذا هذه احتمالان احدهما ان يكون شرطية والثاني ان تكون
غير شرطية فعلى الاول في جوابها خمسة اوجه احدها انها اذنت والواو مزيدة قال ابن الانباري وهذا غلط لان العرب لا تقحم الواو
الا مع حتى اذا كقوله تعالى حتى اذا جاؤها وفتحت ابوابها او مع لما كقوله تعالى فلما اسلما وتله للجبين وناديناه اي ناديناه والواو
لا تقحم مع غير هذين الثاني انه فملاقيه اي فانت ملاقيه واليه ذهب الاخفش والثالث انه يا ايها الانسان على حذف الفا
الرابع انه يا ايها الانسان ايضا ولكن على اضمار القول اي يقال يا ايها الانسان الخامس انه مقدر تقديره بعثتم وقيل تقديره
لاقى كل انسان كدحه وهو قوله فملاقيه ويكون قوله يا ايها الانسان معترض كقولك اذا كان كذا وكذا يا ايها الانسان ترى
عند ذلك ما عملت من خير او شر ونقل القرطبي عن المبرد انه قال فيه تقديم وتاخير اي يا ايها الانسان انك كادح الى ربك كدحا

فملاقيه

فملاقيه ويكون قوله يا ايها الانسان معترض كقولك اذا كان كذا وكذا يا ايها الانسان ترى عند ذلك ما عملت
من خير او شر ونقل القرطبي عن المبرد انه قال فيه تقديم وتاخير اي يا ايها الانسان انك كادح الى ربك كدحا فملاقيه
اذا السماء انشقت وقيل هو ما صرح في سورتي التكوير والانفطار وهو قوله تعالى علمت نفس قال الزمخشري وهو حسن
ونقل ابن الخطيب عن الكسائي انه قال ان الجواب في قوله فاما من اوتي كتابه واعترض في الكلام في قوله يا ايها الانسان انك
كادح الى ربك كدحا والمعنى اذا انشقت السماء وكان كذا وكذا فمن اوتي كتابه بيمينه فهو كذا ومن اوتي كتابه وراء ظهره
فهو كذا ونظيره قوله تعالى فاما ياتينكم مني هدى فمن تبع هداي فلا خوف قال النحاس وهذا اصح ما قيل فيه وأحسنه
وعلى الاحتمال الثاني فيها وجهان احدهما انها منصوبة مفعولا بها باضمار اذكر والثاني انها مبتدا وخبرها اذا الثانية
والواو مزيدة تقديره وقت انشقاق السماء وقت مد الارض اي يقع الامران في وقت قاله الاخفش ايضا والعامل فيها اذا كان
ظرفا عند الجمهور جوابها اما الملفوظ به واما المقدر وقال مكي وقيل العامل انشقت وقال ابن عطية قال بعض النحاة العامل
انشقت وأباه كثير من ائمتهم لان اذا مضافة الى انشقت ومن يجيز ذلك يضعف عنده الاضافة ويقوى معنى الجزاء وقرأ
العامة انشقت بتاء التانيث ساكنة وكذلك ما بعده وقرأ ابو عمرو في رواية عبيد بن عقيل باشمام الكسر في الوقف خاصة
وفي الوصل بالسكون المحض قال ابو الفضل وهذا من التغييرات التي تلحق الروي في القوافي وفي هذا الاشمام بيان ان هذه
التاء من علامة تانيث الفعل للاناث وليست مما تنقلب في الاسماء فصار ذلك فارقا بين الاسم والفعل فيمن وقف على ما في
الاسماء بالتاء وذلك لغة طي وقد حمل في المصاحف بعض التاآت على ذلك وقال ابن عطية وقرأ ابو عمرو انشقت يقف على التاء
كانه يشمها شيئا من الجر وكذلك في اخواتها قال ابو حاتم سمعت اعرابيا فصيحا في بلاد قيس يكسر هذه التاآت وقال ابن خالويه
انشقت بكسر التاء عبيد عن ابي عمرو وقال الشهاب الدين كانه يريد اشمام الكسر وانه في الوقف دون الوصل لانه مطلق وغيره مقيد
والمقيد يقضي على المطلق وقال ابو حيان وذلك ان الفواصل تجري مجرى القوافي فكما ان هذه التاء تكسر في القوافي تكسر
في الفواصل ومثال كسرها في القوافي قول كثير عزة • وما انا بالداعي لعزة بالردى • ولا شامت ان نعل عزة زلت • وكذلك
في القصيدة واجري الفواصل في الوقف مجرى القوافي مهيع معروف كقوله تعالى الظنونا والرسولا في سورة الاحزاب وحمل
الوصل على الوقف موجود ايضا فصل انشقاق السماء من علامات القيامة وقد تقدم شرحه وعن علي رضي الله عنه
انها تنشق من المجرة وقال المجرة باب السماء قوله تعالى واذنت عطف على انشقت وقد تقدم انه جواب على زيادة الواو ومعنى
اذنت اي سمعت ومنه يقال اذنت لك اي استمعت كلامك وفي الحديث ما اذن الله لشيء كاذنه لنبي يتغنى بالقرآن وانشد ابو عبيدة
والمبرد والزجاج قول قعنب • صم اذا سمعوا خيرا ذكرت به • وان ذكرت بسوء عندهم اذنوا • وقال آخر
ان ياذنوا ريبة طاروا بها فرحا • وما هم اذنوا من صالح دفنوا • وقال الجحاف بن حكيم • اذنت لكم لما سمعت هريركم • ومعنى
الاستعارة ههنا انه لم يوجد في جرم السماء ما يمنع من تاثير قدرة الله تعالى في شقها وتفريق اجزائها فكانها في قبول ذلك التاثير
كالعبد الطائع الذي اذا ورد عليه الامر من جهة المالك انصت واذعن ولم يمتنع كقوله تعالى اتينا طائعين وذلك يدل على نفوذ
القدرة في الايجاد والابداع من غير ممانعة اصلا قال ابن الخطيب قوله تعالى وحقت الفاعل في الاصل هو الله تعالى اي حق الله تعالى
عليها ذلك اي سمعه وطاعته يقال هو حقيق بكذا ومحقوق والمعنى وحق لها ان تفعل قال الضحاك حقت اطاعت وحق لها
ان تطيع وقال ابن الخطيب هو من قولك محقوق بكذا او حقيق به يعني وهي حقيقة بان تنقاد ولا تمتنع قوله تعالى واذا
الارض مدت مد الاديم العكاظي وقيل مدت بمعنى امتدت وزيد في سعتها وقال مقاتل رضي الله عنه سويت كمد الاديم
فلا يبقى فيها بناء ولا جبل كقوله تعالى ويسألونك عن الجبال الآية قوله تعالى والقت ما فيها اي اخرجت ما فيها من الموتى
والكنوز لقوله تعالى واخرجت الارض اثقالها وتخلت اي خلت منها لم يبق في بطنها شيء وذلك يؤذن بعظم الامر كما تلقي الحامل
ما في بطنها عند الشدة ووصفت الارض بذلك توسعا والا فالتحقيق ان الله تبارك وتعالى هو المخرج لتلك الاشياء من بطن
الارض قوله تعالى واذنت لربها وحقت تقدم تفسيره وهذا ليس بتكرار لان الاول في السماء وهذا في الارض قوله تعالى يا ايها
الانسان انك كادح قيل المراد جنس الناس كقولك يا ايها الرجل فكانه خطاب خص به كل واحد من الناس قال القفال وهو ابلغ
من العموم لانه قائم مقام التنصيص على مخاطبة كل واحد منهم على التعيين بخلاف اللفظ العام وقيل المراد منه رجل بعينه فقيل
هو محمد عليه الصلاة والسلام والمعنى انك تكدح في ابلاغ رسالات الله تعالى وارشاد عباده وتحمل الضرر من الكفار فابشر
فانك تلقى الله تعالى بهذا العمل وقال ابن عباس هو ابي بن خلف وكدحه هو جده واجتهاده في طلب الدنيا وايذاء الرسول صلى الله
عليه وسلم والاصرار على الكفر فصل الكدح قال الزمخشري جهد النفس والكد فيه حتى يؤثر فيها ومنه كدح جلده
اذا خدشه ومعنى كادح اي جاهد الى لقاء ربك وهو الموت انتهى وقال ابن مقبل • وما الدهر الا تارتان فمنهما •
اموت واخرى ابتغي العيش اكدح • وقال آخر • وقد مضت بشاشة كل عيش صالح • وبقيت اكدح للحياة وانصب •

وقال الراغب وقد يستعمل الكدح استعمال الكدم بالاسنان قال الخليل الكدح دون الكدم **فصل** معنى كادح الى
ربك اي ساع اليه في عملك والكدح عمل الانسان وجهده في الخير والشر قال قتادة والكلبي والضحاك عامل لربك عملا وقوله
تعالى الى ربك اي الى لقاء ربك وهو الموت اي هذا الكدح يستمر الى هذا الزمن وقال القفال تقديره انك كادح في دنياك كدحا
تصير به الى ربك **قوله تعالى** فملاقيه يجوز ان يكون عطفا على كادح والتسبب فيه ظاهر ويجوز ان يكون خبر مبتدا مضمر اي فانت
ملاقيه وقد تقدم انه يجوز وان يكون جوابا للشرط وقال ابن عطية فالفاء على هذا عاطفة جملة الكلام على التي قبلها والتقدير
فانت ملاقيه يعني تقوله على هذا اي على عود الضمير على كدحك قال ابو حيان ولا يتعين ما قاله بل يجوز ان يكون من عطف المفردات
والضمير في فملاقيه اما للرب اي ملاق حكمه لا مفر لك منه قال الزجاج واما الكدح الا ان الكدح عمل وهو عرض لا يبقى
فملاقاته ممتنعة فالمراد جزاء كدحك وقال ابن الخطيب المراد ملاقاة الكتاب الذي فيه بيان تلك الاعمال ويتاكد هذا بقوله
بعده فاما من اوتي كتابه بيمينه **قوله تعالى** فاما من اوتي كتابه بيمينه اي ديوان اعماله بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا
سوف من الله واجب كقول القائل اتبعني فسوف تجد خيرا فانه لا يريد الشك وانما يريد تحقيق الكلام والحساب اليسير هو عرض
اعماله فيثاب على الطاعة ويتجاوز عن المعصية ولا يقال له لم فعلت هذا ولا يطالب بالحجة عليه قال صلى الله عليه وسلم من حوسب
عذب قالت عائشة رضي الله عنها وليس يقول سبحانه وتعالى فسوف يحاسب حسابا يسيرا فقال انما ذلك العرض ولكن من
نوقش الحساب عذب **قوله تعالى** وينقلب الى اهله في الجنة من الحور العين والادميات والذريات اذا كانوا مؤمنين قال ابن
الخطيب فان قيل المحاسبة انما تكون بين شيئين وليس في القيمة لاحد مطالبة قبل ربه فيحاسبه فالجواب ان العبد يقول
الهي فعلت الطاعة الفلانية والرب سبحانه وتعالى يقول فعلت المعصية الفلانية فكان ذلك من الرب سبحانه وتعالى
ومن العبد محاسبة والدليل عليه انه تعالى خص الكفار بانه لا يكلمهم فدل ذلك على انه يكلم المطيعين فتلك المكالمة محاسبة
قوله تعالى مسرورا من فاعل ينقلب وقرا زيد بن علي ويقلب مبنيا للمفعول من قلبه ثلاثيا **قوله تعالى** واما من اوتي كتابه
وراء ظهره قيل نزلت في الاسود بن عبد الاسود قاله ابن عباس وقيل عامة قال الكلبي لان يمينه مغلولة الى عنقه ويجعل
يده اليسرى ممدودة وراء ظهره وقيل يحول وجهه الى قفاه فيقرا كتابه كذلك وقيل يؤتى كتابه بشماله فكيف قال هنا
واما من اوتي كتابه وراء ظهره فالجواب انه يؤتى كتابه بشماله من وراء ظهره او بشماله فان قيل اليس انه تعالى قال في سورة الحاقة
واما من اوتي كتابه بشماله وقال هنا من وراء ظهره **قوله تعالى** فسوف يدعو ثبورا اي ينادي بالويل والثبور الهلاك
اذا قرا كتابه يقول يا ويلاه يا ثبوراه كقوله تعالى دعوا هنالك ثبورا **قوله تعالى** ويصلى سعيرا قرا ابو عمرو وحمزة
وعاصم بفتح الياء وسكون الصاد وتخفيف اللام والباقون بضم الياء وفتح اللام والتثقيل وقد تقدم تخريج القراءتين
في سورة النساء عند قوله تعالى وسيصلون سعيرا وقرا ابو الاشهب ونافع وعاصم وابو عمرو وفي رواية عنهم يصلى بضم الياء وسكون
الصاد من اصلى **قوله تعالى** انه كان في اهله مسرورا قال القفال اي منعما مستريحا من التعب باداء العبادات واحتمال
مشقة الفرائض من الصلاة والجهاد مقدما على المعاصي امنا من الحساب والثواب والعقاب لا يخاف الله تعالى ولا يرجوه
فابدله الله بذلك السرور غما باقيا لا ينقطع وقيل انه قوله انه كان في اهله مسرورا كقوله تعالى واذا انقلبوا الى اهلهم
انقلبوا فكهين اي متنعمين في الدنيا معجبين بما هم عليه من الكفر بالله والتكذيب بالبعث يضحك ممن امن بالله وصدق
بالحساب كما قال صلى الله عليه وسلم الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر **قوله تعالى** انه ظن ان لن يحور معنى يحور اي يرجع يقال حار يحور
حورا قال لبيد * وما المرء الا كالشهاب وضوئه * يحور رمادا بعد اذ هو ساطع * ويستعمل بمعنى صار فيرفع الاسم وينصب الخبر
عند بعضهم مستدلا بهذا البيت ومن منع نصب رمادا على الحال وقال الراغب الحور التردد في الامر ومنه نعوذ بالله من الحور
بعد الكور اي من التردد في الامر بعد المضي فيه ومحاورة الكلام مراجعته والمحور العود الذي يجري فيه البكرة لترددها عليه
والمحار المرجع والمصير وعن ابن عباس رضي الله عنه ما كنت ادري ما معنى يحور حتى سمعت اعرابيا يقول لابنته حوري اي ارجعي
وقال عكرمة وداود بن ابي هند يحور كلمة بالحبشية ومعناها يرجع قال القرطبي ويجوز ان يتفق الكلمتان فانهما
كلمة اشتقاق ومنه الخبز الحواري لانه يرجع الى البياض والحور ايضا الهلاك قال الراجز * في بئر لا حور سرى وما شعر * وقوله
تعالى ان لن هذه ان المخففة كالتي في اول سورة القيمة وهي سادة مسد المفعولين او احدهما على الخلاف وقوله بلى
جواب للنفي في لن وانه جواب قسم مقدر والمعنى انه ظن ان لن يرجع الينا ولن يبعث ثم قال بلى اي ليس كما ظن بل يحور الينا و
اي يبعث ان ربه كان به بصيرا قال الكلبي بصيرا به من يوم خلقه الى ان بعثه وقال عطاء بصيرا بما سبق عليه في ام الكتاب من الشقاء
قوله تعالى فلا اقسم بالشفق اي فاقسم ولا صلة بالشفق اي بالحمرة التي تكون عند غروب الشمس حتى تاتي صلاة العشاء الاخرة
قال الراغب الشفق هو اختلاط ضوء النهار بسواد الليل عند غروب الشمس والاشفاق عناية مختلطة بخوف لان المشفق
يحب المشفق عليه ويخاف ما يلحقه فاذا عدي بمن فمعنى الخوف فيه اظهر واذا عدي بعلى فمعنى العناية فيه اظهر وقال الزمخشري

الشفق الحمرة التي ترى في المغرب بعد سقوط الشمس وبسقوطه يخرج وقت المغرب ويدخل وقت العتمة عند عامة
العلماء الا ما روي عن ابي حنيفة في احدى الروايتين انه البياض وروى اسد بن عمرو انه رجع عنه سمي شفقا لرقته ومنه
الشفقة على الانسان رقة القلب عليه انتهى والشفق شفقان الشفق الاحمر والاخر الابيض والشفق والشفقة اسمان للاشفاق
وقال الشاعر * تهوى حياتي واهوى موتها شفقا * والموت اكرم نزال على الحرم * تقدم اختلاف العلماء في القسم
بهذه الاشياء هل هو قسم بها او بخالقها وان المتكلمين ذهبوا الى ان القسم واقع برب الشفق وان كان محذوفا لان ذلك
معلوم من حيث ورود الحظر بان يقسم بغير الله تعالى واعلم ان الصحيح في الشفق انه الحمرة لان اكثر الصحابة والتابعين والفقهاء
عليه وشواهد كلام العرب والاشتقاق والسنة تشهد له قال الفراء سمعت بعض العرب يقول لثوب مصبوغ احمر كانه الشفق
قال الشاعر * احمر اللون كحمرة الشفق * وقال اخر * قم يا غلام اعني غير مرتبك * على الزمان بكاس حشوها شفق *
ويقال للمغرة الشفق وفي الصحاح الشفق بقية ضوء الشمس وحمرتها اول الليل الى قريب من العتمة وقال الخليل الشفق الحمرة
من غروب الشمس الى وقت العشاء الاخيرة اذا ذهب قيل غاب الشفق واصل الكلمة من رقة الشيء يقال شيء شفق اي لا تماسك له
لرقته واشفق عليه اي رق قلبه عليه والشفقة الاسم من الاشفاق وهو رقة القلب وكذلك الشفق فكان تلك الرقة عن ضوء
الشمس وزعم الحكماء ان البياض لا يغيب اصلا وقال الخليل صعدت منارة الاسكندرية فرمقت البياض فرايته يتردد من افق
الى افق ولم اره يغيب وقال ابن ابي اويس رايته يتمادى الى طلوع الفجر وكلما يتجدد وقته سقط اعتباره وروى النعمان بن بشير
قال انا اعلمكم بوقت صلاة العشاء الاخرة كان النبي صلى الله عليه وسلم يصليها لسقوط القمر لثالثة وهذا تحديد وقال مجاهد
الشفق النهار كله لانه عطف عليه الليل وما وسق فوجب ان يكون الاول هو النهار فعلى هذا يكون القسم واقعا بالليل
والنهار اللذين احدهما معاش والثاني سكن والشفق ايضا الرديء من الاشياء يقال عطاء مشفق اي مقلل قال الكميت
* ملك اعز من الملوك تحلبت * للسائلين يداه غير مشفق * **قوله تعالى** والليل وما وسق اي جمع وضم ولف ومنه
الوسق وهو الطعام المجتمع الذي يكال او يوزن وهو ستون صاعا ثم صار اسما واستوسقت الابل اذا اجتمعت وانضمت
والراعي وسقها اي جمعها قال الشاعر * ان لنا قلائصا حقائقا * مستوسقات لو يجدن سائقا * والوسق بالكسر
الاسم وبالفتح المصدر وطعام موسوق اي مجموع ويقال وسقه فاتسق واستوسق ونظيره في وقوع افتعل واستفعل
مطاوعين اتسع واستوسع ومنه قولهم وسق اي عمل فيه قال الشاعر * فيوما ترانا صالحين وتارة * تقوم بنا كالواسق
المتلبب * **فصل** قال عكرمة رضي الله عنه وما وسق اي وما ساق من شيء الى حيث ياوي فالوسق بمعنى الطرد
ومنه قيل للطريدة من الابل والغنم والحمر وسيقة وعن ابن عباس رضي الله عنه وما وسق وما حوى وما جن وستر وعنه ايضا
وما حمل ووسقت الناقة تسق وسقا اي حملت واغلقت رحمها على الماء فهي ناقة واسق ونوق وساق مثل نائم ونيام وصاحب
وصحاب ومواسيق ايضا واوسقت البعير حملته حمله واوسقت النخلة كثر حملها وقال يمان والضحاك ومقاتل بن سليمان حمل
من الظلمة وقال مقاتل حمل من الكواكب وقال ابن جبير وما وسق اي وما عمل فيه من التهجد والاستغفار بالاسحار **قوله تعالى**
والقمر اذا اتسق اي امتلا قال الفراء وهو امتلاؤه واستواؤه ليالي البدر وهو افتعل من الوسق وهو الضم والجمع كما تقدم وامر
فلان متسق اي مجتمع على ما يسر من الصلاح منتظم ويقال اتسق الشيء اذا تتابع قال ابن عباس رضي الله عنه اذا اتسق اي استوى
واجتمع وتكامل وتم واستدار **قوله تعالى** لتركبن طبقا عن طبق هذا جواب القسم وقرا الاخوان وابن كثير وابو عمرو وابن مسعود
وابن عباس وابو العالية ومسروق وابو وائل ومجاهد والنخعي والشعبي وابن جبير بفتح الباء على خطاب الواحد والباقون بضمها
على خطاب الجمع فالقراءة الاولى روعي فيها اما خطاب الانسان المتقدم ذكره في قوله تعالى يا ايها الانسان واما خطاب غيره
فقيل خطاب للرسول عليه الصلاة والسلام اي لتركبن يا محمد مع الكفار وجهادهم او لتبدلن انصارا مسلمين من قولهم الناس
طبقات ولتركبن سماء بعد سماء ودرجة بعد درجة ورتبة بعد رتبة في القرب من الله تعالى وقيل التاء للتانيث والفعل
مسندا لضمير السماء قال ابن مسعود لتركبن السماء حالا بعد حال تكون كالمهل وكالدهان وتنفطر وتنشق والقراءة الثانية
روعي فيها معنى الانسان اذ المراد به الجنس اي لتركبن ايها الانسان حالا بعد حال من كونه نطفة ثم مضغة ثم حيا ثم ميتا
وغنيا وفقيرا واختاره ابو عبيد وابو حاتم قال لان المعنى بالناس اشبه بالنبي صلى الله عليه وسلم لما ذكر قبل هذه الاية
فيمن يؤتى كتابه بيمينه ومن يؤتى كتابه وراء ظهره وقوله بعد ذلك فما لهم لا يؤمنون اي لتركبن حالا بعد حال من شدائد يوم القيمة
او لتركبن سنة من كان قبلكم في التكذيب والاختلاف على الانبياء وقال مقاتل يعني الموت ثم الحياة وعن ابن عباس يعني الشدائد
والاهوال والموت ثم البعث ثم العرض وقال عكرمة رضيع ثم فطيم ثم غلام ثم شاب ثم شيخ قال ابن الخطيب ويصلح ان يكون
هذا خطاب للمسلمين بتعريف نقل احوالهم بنصرهم ومصيرهم الى الظفر بعدوهم بعد الشدة يلقونها منهم كما قال تعالى لتبلون في
اموالكم وانفسكم وقرا عمر لتركبن بياء الغيبة وضم الباء على الاخبار عن الكفار وقرا عمر ايضا وابن عباس رضي الله عنهما بالغيبة

وفتح الباء اي لتركبن الانسان وقيل لتركبن القمر احوالا من سرار واستهلال وابدار وقرا عبد الله وابن عباس لتركبن بكسر حرف المضارعة وقد تقدم في الفاتحة وقرا بعضهم بفتح حرف المضارعة وكسر الباء على اسناد الفعل للنفس اي لتركبن انت يا نفس قوله تعالى طبقا مفعول به او حال والطبق قال الزمخشري ما طابق غيره يقال هذا يطابق كذا اي لا يطابقه ومنه قيل للغطا الطبق واطباق الثري ما تطابق منه ثم قيل للحال المطابقة لغيرها طبق ومنه قوله تعالى طبقا عن طبق اي حالا بعد حال كل واحدة مطابقة لاختها في الشدة والهول ويجوز ان يكون جمع طبقة وهي المرتبة من قولهم هم على طبقات ومنه طبقات الظهر لفقاره الواحدة طبقة على معنى لتركبن احوالا بعد احوال هي طبقات في الشدة بعضها ارفع من بعض وهي الموت وما بعده من مواطن القيامة انتهى وقيل المعنى لتركبن هذه الاحوال امة بعد امة ومنه قول العباس فيه صلى الله عليه وسلم • تنقل من صالب الى رحم • اذا مضى عالم بدا طبق • يريد بدا عالم آخر فعلى هذا التفسير يكون طبقا حالا لا مفعولا به كانه قيل امة بعد امة واما قول الاقرع حيث قال الى امرء قد حلبت الدهر اشطره • وساقني طبقا منه الى طبق • فيحتمل الامرين اي ساقني من حالة الى اخرى او ساقني من امة وناس الى امة وناس آخرين ويكون نصب طبقا على المعنيين على التشبيه بالظرف او الحال اي متنقلا والطبق ايضا ما طابق الشيء اي ساواه ومنه دلالة المطابقة وقال امرؤ القيس ديمة هطلاء • والطبق من الجراد اي جماعة قوله تعالى عن طبق في وجهان احدهما انها في محل نصب على الحال من فاعل تركبن والثاني انها صفة لطبقا قال الزمخشري فان قلت ما محل عن طبق قلت النصب على انه صفة لطبقا اي طبقا مجاوزا لطبق ومجاوزه على حسب القراءة وقال ابو البقا وعن بمعنى بعد قال الشاعر ما زلت اقطع منهلا عن منهل • حتى انخت بباب عبد الواحد • لان الانسان اذا صار من شيء الى شيء يكون الثاني بعد الاول فصلحت بعد وعن للمجاوزة والصحيح انها على بابها وهي صفة اي طبقا حاصلا عن طبق اي حالا عن حال وقيل جيلا عن جيل انتهى يعني الخلاف المتقدم في الطبق ما المراد به هل هو الحال او الجيل او الامة كما تقدم نقله وحينئذ فلا يعرف طبقا مفعولا به بل حالا الا كما تقدم لكنه لم يذكر في طبق غير المفعول به وفيه نظر لما تقدم من استحالته معنى اذ يصير التقدير لتركبن امة بعد امة فتكون الامة مركوبة لهم وان كان يصح على تاويل بعيد جدا وهو حذف مضاف اي لتركبن سنن او طريقة طبق بعد طبق **فصل** هذا اول دليل على حدوث العالم واثبات الصانع قالت الحكما من كان اليوم على حالة اخرى فليعلم ان تدبيره الى سواه وقيل لابي بكر الوراق ما الدليل على ان لهذا العالم صانعا فقال تحويل الحالات وعجز القوة وضعف الاركان وقهر المنة وفسخ العزيمة قوله تعالى فما لهم لا يؤمنون نعت اي شيء يمنعهم من الايمان بعدما وضحت لهم الآيات والدلالات وهذا استفهام انكار وقيل تعجب اي اعجبوا منهم في ترك الايمان مع هذه الآيات وقوله تعالى لا يؤمنون حال قال ابن الخطيب فما لهم لا يؤمنون بالبعث والقيمة وهو استفهام انكار وهو انما يحسن عند ظهور الحجة وذلك انه تعالى اقسم بتغييرات واقعة في الافلاك والعناصر فان الشفق حالة مخالفة لما قبلها وهو ضوء النهار ولما بعدها وهو ظلمة الليل وكذا قوله والليل وما وسق فانه يدل على حدوث ظلمة بعد نور وعلى تغير احوال الحيوانات من اليقظة الى النوم وكذا قوله تعالى والقمر اذا اتسق فانه يدل على حصول كمال القمر بعد نقصانه ثم انه تعالى اقسم بهذه الاحوال المتغيرة على تغير احوال الخلق وهذا يدل قطعا على صحة القول بالبعث لان القادر على تغير الاحوال العلوية والسفلية من حال الى حال بحسب المصالح لا بد وان يكون قادرا ومن كان كذلك لا محالة قادر على البعث والقيامة فلما كانت هذه الآية كالدلالة العقلية القاطعة بصحة البعث لا جرم قال تعالى على سبيل الاستبعاد فما لهم لا يؤمنون **فصل** قال القرطبي لا يجوز ان يقول الحكيم لمن كان عاجزا عن الايمان فما لهم لا يؤمنون وهذا يدل على كونهم قادرين وهذا يقتضي ان تكون الاستطاعة قبل الفعل وان يكونوا موجدين لافعالهم وان لا يكون تعالى خالقا للكفر فيهم فهذه الآية من المحكمات التي لا احتمال فيها البتة وجوابه تقدم قوله تعالى واذا قرئ شرط جوابه لا يسجدون وهذه الجملة الشرطية في محل نصب على الحال ايضا نسقا على ما قبلها اي فما لهم اذا قرئ عليهم القرآن لا يسجدون اي لا يصلون قاله ابن عباس والحسن وعطا والكلبي ومقاتل وقال ابو مسلم المراد الخضوع والاستكانة وقيل المراد نفس السجود لما روى ابو هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سجد فيها وقال مالك انها ليست من عزائم السجود لان المعنى لا يذعنون ولا يطيعون قوله تعالى بل الذين كفروا يكذبون وفتح الكاف وتشديد الذال والضحاك وابن ابي عبلة بالفتح والاسكان والتخفيف وتقدمت هاتان القراءتان اول البقرة والمعنى يكذبون بمحمد صلى الله عليه وسلم وما جاء به قال مقاتل نزلت في بني عمرو بن عمير وكانوا اربعة فاسلم اثنان منهم وقيل هو في جميع الكفار قوله تعالى والله اعلم بما يوعون هذه هي العامة من اوعى يوعي اي بما يسرون في انفسهم من التكذيب رواه الضحاك عن ابن عباس وقال مجاهد يكتمون من افعالهم وقال ابن زيد يجمعون من الاعمال الصالحة ماخوذ من الوعا الذي يجمع فيه يقال وعيت الزاد اذا جعلته في وعاء وقال الشاعر الخير يبقى وان طال الزمان به • والشر اخبث ما اوعيت من زاد • وقرا ابو رجا يعون من وعى يعي يقال وعاه اي حفظه

تعالى وعيت الحديث اعيه وعيا واذن واعية وقد تقدم قوله تعالى فبشرهم بعذاب اليم اي مولم في جهنم على تكذيبهم وكفرهم اي اجعل ذلك بمنزلة البشارة قوله تعالى الا الذين آمنوا يجوز ان يكون متصلا وان يكون منقطعا هذا اذا كانت الجملة من قوله لهم اجر مستانفة او حالية اما اذا كان الموصول مبتدا والجملة خبره فالاستثنا ليس من قبيل استثناء المفردات ويكون من قسم المنقطع اي لكن الذين آمنوا لهم كيت وكيت وتقدم معنى الممنون في حم السجدة وان معناه غير منقوص ولا مقطوع ويقال منت الحبل اذا قطعته وسال نافع بن الازرق ابن عباس رضي الله عنه عن قوله لهم اجر غير ممنون فقال غير مقطوع فقلت هل تعرف ذلك العرب فقال نعم قد عرفه اخو يشكر حيث يقول • فترى خلفهن من سرعة الرجع منينا كانه اهبا • قال المبرد المنين الغبار لانه تقطعه وراءها وكل ضعيف منين وممنون وقيل غير ممنون لا يمن عليهم به وقال بعضهم ليس هنا استثنا وانما هو بمعنى الواو كانه قال والذين آمنوا وقد مضى القول فيه في سورة البقرة والله تعالى اعلم روى الثعلبي عن ابي رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا اذا السماء انشقت اعاذه الله تعالى ان يعطيه كتابه وراء ظهره وحسبنا الله ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم

سورة البروج مكية

وهي اثنان وعشرون آية ومائة وتسع كلمات واربعمائة وثمانية وخمسون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى والسماء ذات البروج هذا قسم اقسم الله تعالى به وفي البروج اقوال قيل والسماء ذات النجوم قاله الحسن ومجاهد وقتادة والضحاك وقال ابن عباس وعكرمة ومجاهد هي قصور في السماء وقال مجاهد ايضا هي البروج الاثنا عشر وهو قول ابي عبيدة ويحيى بن سلام وقيل هي منازل القمر قوله تعالى واليوم الموعود وهو يوم القيمة وهذا قسم آخر قال ابن عباس رضي الله عنه وعد اهل السماء واهل الارض ان يجتمعوا فيه قال القفال يحتمل ان يكون المراد واليوم الموعود لانشقاق السماء وبنائها وبطلان بروجها وقوله تعالى الموعود اي الموعود به قال مكي الموعود نعت لليوم وثم ضمير محذوف به تم الموعود به ولولا ذلك لما صحت الصفة اذ لا ضمير على الموصوف من صفته انتهى وكانه يعني ان اليوم موعود به غيره من الناس فلا بد من ضمير يرجع اليه لانه موعود به لا موعود وهذا لا موعود وهذا لا يحتاج اليه اذ يجوز ان يكون قد تجوز بان اليوم قد وعد بكذا فيصح ذلك ويكون ضميرا قائما عليه قوله تعالى وشاهد ومشهود قال علي وابن عباس وابن عمر وابو هريرة رضي الله عنهم الشاهد يوم الجمعة والمشهود يوم عرفة وهو قول الحسن ورواه ابو هريرة مرفوعا عن النبي صلى الله عليه وسلم اليوم الموعود يوم القيمة واليوم المشهود يوم عرفة والشاهد يوم الجمعة خرجه الترمذي في جامعه قال القشيري فيوم الجمعة يشهد على عامل بما عمل فيه قال القرطبي وكذلك سائر الايام والليالي لما روى ابو نعيم الحافظ عن معاوية بن قرة عن معقل بن يسار عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ليس من يوم ياتي على العبد الا ينادي فيه يا ابن آدم انا خلق جديد وانا فيما تعمل عليك شهيد فاعمل في خيرا اشهد لك به غدا فاني لو قد مضيت لم ترني ابدا ويقول الليل مثل ذلك حديث غريب وحكى القشيري عن ابن عمر وابن الزبير ان الشاهد يوم الاضحى وقال سعيد بن المسيب الشاهد يوم التروية والمشهود يوم عرفة وروي عن علي رضي الله عنه الشاهد يوم عرفة والمشهود يوم النحر وعن ابن عباس والحسين بن علي رضي الله عنهما المشهود يوم القيمة لقوله تعالى ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود وعلى هذا فقيل الشاهد هو الله تعالى وهو مروي عن ابن عباس والحسن وسعيد بن جبير لقوله تعالى وكفى بالله شهيدا وقوله تعالى قل اي شيء اكبر شهادة قل الله شهيد وعن ابن عباس رضي الله عنه الشاهد محمد صلى الله عليه وسلم لقوله تعالى انا ارسلناك شاهدا وقوله تعالى فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا وقوله تعالى ويكون الرسول عليكم شهيدا وقيل الانبياء عليهم الصلاة والسلام يشهدون على اممهم لقوله تعالى فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وقيل آدم عليه السلام وقيل عيسى ابن مريم عليه السلام لقوله تعالى وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم والمشهود امته وعن ابن عباس ومحمد بن كعب الشاهد الانسان لقوله تعالى كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا وقال مقاتل اعضاء الانسان لقوله تعالى يوم تشهد عليهم السنتهم وايديهم وارجلهم بما كانوا يعملون وقال الحسين بن الفضل الشاهد هذه الامة والمشهود سائر الامم لقوله تعالى وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس وقيل الشاهد الحفظة والمشهود بنو آدم وقيل غير ذلك قوله تعالى قتل هذا جواب القسم على المختار وانما حذفت اللام والاصل لقتل كقوله • حلفت لها بالله حلفة فاجر • لناموا فما ان من حديث ولا صال • وانما حسن حذفها للطول كما سياتي ان شاء الله تعالى في قوله جل وعلا قد افلح من زكاها وقيل تقديره لقد قتل فحذف اللام وقد وعلى هذا فقوله قتل خبر لا دعا وقيل بل هي دعا فلا يكون جوابا وفي الجواب حينئذ وجهان احدهما انه قوله تعالى ان الذين فتنوا

قوله إن بطش ربك لشديد قاله المبرد الثالث أنه مقدر فقال الزمخشري ولم يذكر غيره هو محذوف يدل عليه قتل
أصحاب الأخدود كأنه قيل أقسم بهذه الأشياء أن كفار قريش ملعونون كما لعن أصحاب الأخدود ثم قال وقتل دماء عليهم
كقوله تعالى قتل الإنسان وقيل التقدير لتبعثن وقيل فيه تقديم وتأخير أي قتل أصحاب الأخدود والسماء ذات البروج قاله
أبو حاتم قال ابن الأنباري وهذا غلط لأنه لا يجوز لقائل أن يقول والله قام زيد على معنى قام زيد والله وقرأ الحسن وابن مقسم
قتل بتشديد التاء مبالغة أو تكثيرا **قوله تعالى** أصحاب الأخدود أي لعن أصحاب الأخدود وقال ابن عباس رضي الله عنه كل شيء
في القرآن قتل فهو لعن والأخدود الشق العظيم المستطيل الغامض في الأرض قال الزمخشري والأخدود الخد في الأرض وهو الشق
ونحوهما بناء ومعنى الحق والأحقوق ومنه فساخت قوائمه في أخاقيق جرذان انتهى فالخد في الأصل مصدر وقد يقع
على المفعول وهو الشق نفسه وأما الأخدود فاسم له فقط وقال الراغب الخد والأخدود شق في الأرض مستطيل غامض وأصل
ذلك من خدي الإنسان وهما ما اكتنفا الأنف عن اليمين والشمال فالخد يستعار للأرض ونحوها كاستعارة الوجه وتخدد اللحم
زواله عن وجه الجسم ثم يعبر بالمتخدد عن المهزول والخداديم في الخد وقال غيره سمي الخد خدا لأن الدموع تخد فيه أخاديد أي مجاري
وجمع الأخدود أخاديد والخد لأن الخد يوضع عليها ويقال تخدد وجه الرجل إذا صارت فيه أخاديد من جراح **فصل**
هذه السورة وردت في تثبيت المؤمنين وتصبيرهم على أذى المشركين وتذكيرهم بما جرى على من تقدمهم من التعذيب على الإيمان
حتى يصبروا ويعلموا أن كفارهم عند الله تعالى بمنزلة الأمم السالفة وكان من حديث أصحاب الأخدود أنه كان لبعض
الملوك ساحر فلما كبر ضم إليه غلاما ليعلمه السحر وكان في طريق الغلام راهب فمال قلب الغلام إلى ذلك الراهب ثم رأى في طريقه
ذات يوم حية قد حبست الناس فقال اللهم إن كان هذا الراهب أحب إليك من الساحر فقوني على قتل هذه الحية وأخذ حجرا ورماها به
فقتلها فأعرض الغلام عن تعليم السحر واشتغل بطريقة الراهب ثم صار إلى حيث يبرئ الأكمه والأبرص ويشفي من الأدواء واتفق أن
عمي جليس الملك فأتاه بهدايا كثيرة وقال له إن شفيتني فهي لك أجمع فقال الغلام إني لا أشفي أحدا إنما يشفي الله تعالى
فإن آمنت بالله دعوت الله تعالى أن يشفيك فآمن بالله فشفاه الله فأبراه فلما رآه الملك قال له من رد عليك بصرك قال ربي فغضب
الملك وقال له هل لك رب غيري فعذبه فدل على الغلام فجيء بالغلام فقال له الملك يا بني قد بلغ من سحرك ما يبرئ الأكمه والأبرص
وتفعل وتفعل فقال إني لا أشفي أحدا إنما يشفي الله تعالى فأخذه فلم يزل يعذبه حتى دل على الراهب فجيء بالراهب فقيل له ارجع عن دينك
فأبى فوضع المنشار في مفرق رأسه فشقه حتى وقع شقاه ثم جيء بالغلام فقيل له ارجع عن دينك فأبى فدفعه إلى نفر من أصحابه
فقال اذهبوا به إلى جبل كذا وكذا فإن رجع عن دينه وإلا فاطرحوه من ذروته فذهبوا به وصعدوا الجبل فقال الغلام اللهم
اكفنيهم بما شئت فرجف بهم الجبل فسقطوا وجاء يمشي إلى الملك فقال الملك ما فعل أصحابك فقال كفانيهم الله فدفعه إلى نفر من أصحابه
وقال احملوه في سفينة وتوسطوا به البحر فإن رجع عن دينه وإلا فاقذفوه فذهبوا به فقال اللهم اكفنيهم بما شئت فانكفأت بهم السفينة
فغرقوا وجاء يمشي إلى الملك فقال له الملك ما فعل أصحابك فقال كفانيهم الله تعالى وقال للملك لست بقاتلي حتى تجمع الناس في صعيد
وتصلبني على جذع نخلة ثم تأخذ سهما من كنانتي ثم ضع السهم في كبد القوس ثم قل بسم الله رب الغلام ثم ارمني به فإنك إذا فعلت
ذلك قتلتني فجمع الناس في صعيد واحد وصلبه على جذع ثم أخذ سهما من كنانته فوضعه في القوس ثم قال بسم الله رب الغلام
ورماه به فوقع السهم في صدغه فوضع يده على صدغه فمات فقال الناس آمنا برب الغلام فقيل للملك نزل بك ما كنت تحذر فأمر
بأخاديد في أفواه السكك وأوقدت فيها النيران فمن لم يرجع منهم طرحه فيها حتى جاءت امرأة ومعها صبي فتقاعست أن تقع فيها
فقال لها الصبي يا أماه اصبري فإنك على الحق فصبرت على ذلك وفي رواية أن الدابة التي حبست الناس كانت أسدا وأن الغلام
دفن فقيل إنه أخرج في زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأصبعه على صدغه كما وضعها حين قتل وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن النار
ارتفعت من الأخدود فصارت فوق الملك وأصحابه أربعين ذراعا فأحرقتهم وقال الضحاك هم قوم من النصارى باليمن قبل مبعث
رسول الله صلى الله عليه وسلم بأربعين سنة أخذهم يوسف بن شراحيل بن تبع الحميري وكانوا نيفا وثمانين رجلا وحفر لهم
أخدودا وحرقهم حكاه الماوردي وروي غير ذلك قال مقاتل أصحاب الأخدود ثلاثة واحد بنجران والآخر بالشام والآخر
بفارس أما الذي بالشام فأنطيانوس الرومي والذي بفارس بختنصر والذي بأرض العرب يوسف بن ذي نواس فلم ينزل الله
في الذي بفارس والشام قرآنا وأنزل قرآنا في الذي كان بنجران قال الكلبي هم نصارى بنجران أخذوا بها قوما مؤمنين فخدوا لهم
سبعة أخاديد كل أخدود أربعين ذراعا وعرضه اثني عشر ذراعا ثم طرحوا فيه النفط والحطب ثم عرضوهم عليها فمن أبى قذفوه فيها
فصل قال ابن الخطيب يمكن أن يكون المراد بأصحاب الأخدود القاتلين ويمكن أن يكون المراد بهم المقتولين والمشهور
أن المقتولين هم المؤمنون وروي أن المقتولين هم الجبابرة روي أنهم لما ألقوا المؤمنين في النار عادت النار على الكفرة فأحرقتهم
ونجى الله تعالى المؤمنين منها سالمين وإلى هذا القول ذهب الربيع بن أنس والواحدي وتأولوا قوله تعالى فلهم عذاب جهنم أي في الآخرة
ولهم عذاب الحريق في الدنيا فإن فسرنا أصحاب الأخدود بالقاتلين فيكون قوله قتل أصحاب الأخدود دعاء عليهم أي لعن أصحاب

الأخدود كقوله تعالى قتل الإنسان ما أكفره قتل الخراصون أو يكون المعنى قتلوا بالنار لما أرادوا قتل المؤمنين
بالنار عادت النار عليهم فقتلتهم وإن فسرنا أصحاب الأخدود بالمقتولين كان المعنى أن المؤمنين قتلوا بالإحراق بالنار فيكون
ذلك خبرا لا دعاء **فصل** المقصود من هذه الآية تثبيت قلوب المؤمنين بإخبارهم بما كان يلقاه من كان قبلهم
من الشدائد وذكر لهم النبي صلى الله عليه وسلم قصة الغلام ليصبروا على ما يلقون من أذى الكفار ليتأسوا بهذا الغلام في صبره
على الأذى والصلب وبذله نفسه في إظهار دعوته ودخول الناس في الدين مع صغر سنه وكذلك صبر الراهب على التمسك بالحق
حتى نشر بالمنشار وكذلك أكثر الناس لما آمنوا بالله تعالى **قوله تعالى** النار ذات الوقود العامة على جرها وفيها أوجه أحدها أنه بدل
من الأخدود بدل اشتمال لأن الأخدود مشتمل عليها وحينئذ فلا بد من الضمير فقال البصريون مقدر تقديره النار فيه
وقال الكوفيون قائمة مقام الضمير تقديره ناره ثم حذف الضمير وعوض عنه أل وتقدم البحث معهم في ذلك الثاني أنه بدل
كل من كل ولا بد حينئذ من حذف مضاف تقديره أخدود النار الثالث أن التقدير ذي النار لأن الأخدود هو الشق في الأرض
حكاه أبو البقاء وهذا يوهم أن النار خفض بالإضافة لتلك الصفة المحذوفة فلما حذف المضاف قام المضاف إليه مقامه في
الإعراب واتفق أن المحذوف كان مجرورا وفيه لأن الأخدود هو الشق تقليل لصحة كونه صاحب نار الرابع أن النار خفض على
الجوار نقله مكي عن الكوفيين وهذا يقتضي أن النار كانت مستحقة لغير الجر فعدل عنه إلى الجر للجوار والذي يقتضي الحال أنه عدل
من الرفع ويدل على ذلك أنه قد قرئ في الشاذ النار رفعا والرفع على خبر ابتداء مضمر تقديره قتلتهم النار وقيل بل هي مرفوعة
على الفاعلية تقديره قتلتهم النار أي أحرقتهم والمراد حينئذ بأصحاب الأخدود المؤمنون وقرأ العامة الوقود بفتح الواو
والحسن وأبو رجاء وأبو حيوة وعيسى بضمها وتقدمت القراءتان في أول البقرة **قوله تعالى** إذ هم عليها قعود العامل
في إذ إما قتل أصحاب الأخدود أي قتلوا في هذا الوقت وقيل اذكر مقدرا فيكون مفعولا به ومعنى قعودهم عليها
أي على ما تقرب منها كحافتها ومنه قول الأعشى: تشب لمقرورين يصطليانها * وبات على النار الندى والمحلق * وقال
القرطبي ومعنى عليها أي عندها وعلى بمعنى عند والضمير في هم يجوز أن يكون للمؤمنين وأن يكون للكافرين **قوله تعالى** وهم
على ما يفعلون بالمؤمنين شهود أي حضور يعني الكفار كانوا يعرضون الكفر على المؤمنين فمن أبى ألقوه في النار وقيل على
بمعنى مع أي وهم مع ما يفعلون بالمؤمنين شهود قال ابن الخطيب وعلى بمعنى عند كقوله تعالى ولهم علي ذنب أي عندي
وقوله شهود إما أن يكون حضورا قاسية قلوبهم لا يرقون على المؤمنين وهم مجدون في ذلك لا يخطر لهم إلا أنه حق ويكون المراد
وصف المؤمنين بالتصلب في دينهم والثبات عليه وأنه لم يؤثر فيهم حضور هؤلاء ولا استحيوا من مخالفتهم وإما أن يكون
المراد بشهودهم شهادة الدعوى أي يشهد بعضهم لبعض عند الملك بما فعلوا بالمؤمنين وإما أنهم مثبتون في فعلهم مبصرون
فيه كما يفعل الشهود ثم لا يرحمونهم مع ذلك **قوله تعالى** وما نقموا العامة على فتح القاف وزيد بن علي وأبو حيوة
وابن أبي عبلة بكسرها والفصيح الفتح وقد تقدم ذلك في سورة المائدة وبراءة والمعنى ما نقم الملك وأصحابه من الذين
حرقهم إلا أن يؤمنوا أي إلا أن صدقوا بالله كقوله: ولا عيب فيها غير شكلة عينها * كذاك عتاق الطير شكلا عيونها * وكقول
ابن الرقيات: ما نقموا من بني أمية إلا أنهم يحلمون إن غضبوا * يعني أنهم جعلوا أحسن الأشياء قبيحا وتقدم الكلام على محل أن
أيضا في سورة المائدة وقوله تعالى أن يؤمنوا أتى بالفعل المستقبل تنبيها على أن التعذيب إنما كان لأجل إيمانهم في المستقبل
لو عذبوا على ما مضى من الإيمان فكأنه قيل إلا أن يدوموا على إيمانهم والعزيز هو الغالب المنيع الحميد المحمود في كل حال
الذي له ملك السموات والأرض لا شريك له فيهما والله على كل شيء شهيد أي عالم بأعمال خلقه لا يخفى عليه خافية وهذا
وعد عظيم للمطيعين ووعيد للمجرمين **قوله تعالى** إن الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات لما ذكر قصة أصحاب الأخدود
أتبعها بما يتفرع من أحكام الثواب والعقاب فقال تعالى إن الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات أي حرقوهم بالنار والعرب
يقولون فتن فلان الدرهم والدينار إذا أدخله الكور لينظر جودته ودينار مفتون ويسمى الصائغ الفتان وكذلك الشيطان
وورق فتين أي فضة محرقة ويقال للحرة فتين وهي الأرض التي ركبتها حجارة سود أي كأنما أحرقت حجارتها بالنار لسوادها
وقال ابن الخطيب أن يكون المراد بالذين فتنوا كل من فعل ذلك لأن اللفظ عام والحكم عام وقوله تعالى ثم لم يتوبوا
أي من قبيح صنيعهم وهذا يدل على أنهم لو تابوا لخرجوا عن هذا الوعيد وذلك يدل على القطع بأن الله تبارك وتعالى
يقبل التوبة فدل على أن توبة القاتل عمدا مقبولة **قوله تعالى** فلهم عذاب جهنم هو خبر إن الذين ودخلت الفاء لما تضمنه
المبتدأ من معنى الشرط ولا يضر نسخه بإن خلافا للأخفش وارتفاع عذاب يجوز على الفاعلية بالجار قبله لوقوعه خبرا
وهو الأحسن وأن يرتفع بالابتداء والمعنى لهم عذاب جهنم لكفرهم وقيل ولهم عذاب الحريق أي ولهم في الآخرة عذاب
زائد على عذاب كفرهم بإحراقهم المؤمنين وقيل لهم عذاب الجحيم وعذاب الحريق والحريق اسم من أسماء جهنم كالسعير والنار
دركات وأنواع ولها أسماء وكانوا يعذبون بالزمهرير في جهنم ثم يعذبون بعذاب الحريق فالأول عذاب ببردها

والنار في عذاب بجرها قوله تعالى ان الذين امنوا وعملوا الصالحات اي هولاء الذين كانوا امنوا بالله اي صدقوا به وبرسله وعملوا الصالحات لهم جنات اي بساتين تجري من تحتها الانهار لما ذكر تعالى وعيد المجرمين ذكر وعد المومنين ذلك الفوز الكبير اي العظيم الذي لا فوز يشبهه وقال ذلك الفوز ولم يقل تلك لان ذلك اشارة الى اخبار الله تعالى بحصول الجنات وتلك اشارة الى الجنة الواحدة واخبار الله تعالى يدل على كونه راضيا والفوز الكبير هو رضي الله تعالى لا دخول الجنة قوله تعالى ان بطش ربك لشديد اي اخذه الجبابرة والظلمة كقوله تعالى وكذلك اخذ ربك اذا اخذ القرى وهي ظالمة ان اخذه اليم شديد قال المبرد ان بطش ربك جواب القسم وقد تقدم ذلك والبطش الاخذ بعنف فاذا وصف بالشدة فقد تضاعف قوله تعالى انه هو يبدي ويعيد يعني الخلق عند اكثر العلماء يخلقهم ابتداء ثم يعيدهم عند البعث وروي عكرمة قال عجب الكفار من احيائه تعالى الاموات وقال ابن عباس رضي الله عنه يبدي لهم عذاب الحريق في الدنيا ثم يعيده عليهم في الاخرة وهذا اختيار الطبري قوله تعالى وهو الغفور الودود اي الغفور اي الستور لعباده المومنين والودود مبالغ في الود قال ابن عباس رضي الله عنه هو المتودد لعباده بالمغفرة وعن المبرد هو الذي لا ولد له وانشد • واركب في الروع عريانة • ذلول الجماع لقاحا ودودا • اي لا ولد لها تحن اليه وقيل هو فعول بمعنى مفعول كالركوب والحلوب اي يوده عباده الصالحون قوله تعالى ذو العرش المجيد قرا الكوفيون الا عاصما المجيد بالجر فقيل نعتا للعرش وقيل لربك في قوله ان بطش ربك قاله مكي وقيل لا يجوز ان يكون نعتا للعرش لانه من صفات الله تعالى وقرا الباقون بالرفع على انه خبر بعد خبر وقيل هو نعت لذو واستدل بعضهم على تعدد الخبر بهذه الاية ومن منع قال لانها في معنى خبر واحد اي جامع بين هذه الاوصاف الرفيعة او كل منها خبر لمبتدا مضمر والمجد هو النهاية في الكرم والفضل والله تبارك وتعالى هو المنعوت بذلك وان كان قد وصف عرشه بالكريم في اخر المومنين ومعنى ذو العرش اي ذو الملك والسلطان كما يقال فلان على سرير ملكه وان لم يكن على سرير ويقال ثل عرشه اي ذهب سلطانه قوله تعالى فعال لما يريد اي لا يمتنع عليه شيء يريده قال الزمخشري فعال خبر مبتدا محذوف وانما قيل فعال لان ما يريد ويفعل في غاية الكثرة وقال الفرا هو رفع على التكرير والاستيناف لانه نكرة محضة وقال الطبري رفع فعال وهو نكرة محضة على وجه الاتباع لاعراب الغفور الودود وعن ابي السفر قال دخل ناس من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على ابي بكر رضي الله عنه يعودونه فقالوا الا ناتيك بطبيب قال رضي الله عنه قد راني قالوا فما قال لك قال قال اني فعال لما اريد **فصل** دلت هذه الاية على خلق الافعال لانه تعالى يريد الايمان فوجب ان يكون فاعلا للايمان واذا كان فاعلا للايمان وجب ان يكون فاعلا للكفر ضرورة انه لا قايل بالفرق **فصل** قال القفال فعال لما يريد اي يفعل ما يريد على ما لا يعترض عليه ولا يغلبه غالب فيدخل اولياءه الجنة لا يمنعه مانع ويدخل اعداءه النار لا ينصرهم منه ناصر ويمهل العصاة على ما يشاء الى ان يجازيهم ويعاجل بعضهم بالعقوبة اذا شاء فهو يفعل ما يريد قوله تعالى هل اتاك حديث الجنود اي قد اتاك يا محمد خبر الجموع الكافرة المكذبة لانبيائهم يسليه بذلك ثم بينهم فقال تعالى فرعون وثمود يجوز ان يكون بدلا من الجنود وحينئذ فكان ينبغي ان ياتي البدل مطابقا للمبدل منه في الجمعية فقيل هو على حذف مضاف اي جنود فرعون وقيل المراد فرعون وقومه واستغنى بذكره عن ذكرهم لانهم اتباعه ويجوز ان يكون منصوبا باضمار اعني لانه لما لم يطابق ما قبله وجب قطعه والمعنى انك قد عرفت ما فعل بهم حين كذبوا بانبيائهم ورسلهم قوله تعالى بل الذين كفروا في تكذيب اي من هولاء الذين لا يومنون بك في تكذيب لك كدابهم فلم وانما خص فرعون وثمود لان ثمود في بلاد العرب وقصتهم عندهم مشهورة وان كانوا من المتقدمين وامر فرعون كان مشهورا عند اهل الكتاب وغيرهم وكان من المتاخرين في الهلاك فدل بهما على امثالهما والله اعلم قوله تعالى والله من ورايهم محيط اي يقدر على ان ينزل بهم ما انزل بفرعون والمحاط به كالمحصور وقيل والله اعلم بهم فيجازيهم قوله تعالى بل هو قران مجيد العامة على تبعية مجيد للقران وقرا ابن السميقع باضافة قران لمجيد فقيل على حذف مضاف اي قران رب مجيد كقوله • ولكن الغنى رب غفور • اي غنى رب غفور وقيل بل هو من اضافة الموصوف الى صفته فيتحد القران ولكن البصريون لا يجيزون هذا لانه يلزم اضافة الشيء الى نفسه ويتاولون ما ورد ومعنى مجيدا اي متناه في الشرف والكرم والبركة وقيل مجيد اي غير مخلوق قوله تعالى في لوح محفوظ قرا نافع برفع محفوظ نعتا للقران والباقون بالجر نعتا للوح والعامة على فتح اللام وقرا ابن السميقع وابن يعمر بضمها قال الزمخشري يعني اللوح فوق السماء السابعة الذي فيه اللوح المحفوظ من وصول الشياطين اليه وقال ابو الفضل اللوح الهوا وتفسير الزمخشري انسب بالمعنى وهو الذي اراده ابن خالويه قال القرطبي في لوح محفوظ اي مكتوب في لوح وهو محفوظ عند الله تعالى من وصول الشياطين اليه وقيل هو ام الكتاب ومنه انتسخ القران والكتب وقال بعض المتكلمين اللوح شيء يلوح للملايكة فيقرونه وفي الصحاح لاح الشيء يلوح لوحا او لوحا عطش وكل عظم عريض واللوح الذي يكتب فيه واللوح بالضم الهوا بين السماء والارض وانشد ابن دريد

عقاب لوح الجو اعلى منشما • قال ابن الخطيب فالمراد في لوح محفوظ عند الله تعالى من وصول الشياطين اليه وقال تعالى في اية اخرى انه لقران كريم في كتاب مكنون فيحتمل ان يكون الكتاب المكنون هو اللوح المحفوظ ثم كونه محفوظا يحتمل ان يكون المراد محفوظا عن ان يمسه الا المطهرون ويحتمل ان يكون كونه محفوظا عن اطلاع الخلق عليه سوى الملايكة المقربين ويحتمل ان يكون المراد لا يتغير ولا يتبدل والله اعلم وروى الثعلبي عن ابي رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا والسماء ذات البروج اعطاه الله تعالى بعدد كل يوم جمعة وكل يوم عرفة تكون في دار الدنيا عشر حسنات ••

سورة الطارق مكية

وهي سبع عشرة اية واثنان وسبعون كلمة ومايتان واحدى وسبعون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى والسماء والطارق السماء قسم والطارق قسم والطارق هو النجم الثاقب كما بينه الله تعالى بقوله وما ادراك ما الطارق النجم الثاقب والطارق في الاصل اسم فاعل من طرق يطرق طروقا اي جاء ليلا قال امرؤ القيس • فمثلك حبلى قد طرقت ومرضعا فالهيتها عن ذي تمايم محول • واصله من الضرب والطارق بالحصا الضارب قال الشاعر • لعمرك ما تدري الطوارق بالحصا ولا زاجرات الطير ما الله صانع • ثم اتسع فقيل لكل من اتى ليلا طارق سواء كان كوكبا او غيره ولا يكون الطارق نهارا وروي انه صلى الله عليه وسلم نهى ان ياتي الرجل اهله طروقا وقوله النجم الثاقب قال محمد بن الحسين هو زحل وقال ابن زيد هو الثريا وعنه ايضا انه زحل وعن ابن عباس هو الجدي وعنه ايضا انه زحل وعن ابن عباس هو الجدي وعنه ايضا وعن علي بن ابي طالب والفرا النجم الثاقب نجم في السماء السابعة لا يسكنها غيره من النجوم فاذا اخذت النجوم امكنتها من السماء هبط فكان معها ثم رجع الى مكانه من السماء السابعة وهو زحل فهو طارق حين ينزل وحين يهبط وفي الصحاح الطارق النجم الذي يقال له كوكب الصبح ومنه قول هند • نحن بنات طارق • نمشي على النمارق • وقيل هو اسم جنس فيدخل فيه سائر الكواكب وسمي ثاقبا لانه يثقب الظلام بضوئه اي ينفذ فيه ويرمي الشيطان به ويحرقه قال الماوردي واصل الطرق الدق ومنه سميت المطرقة فسمي قاصد الليل طارقا لاحتياجه في الوصول الى الدق روي ان ابا طالب اتى النبي صلى الله عليه وسلم بخبز ولبن فبينما هو جالس ياكل اذا انحط نجم فامتلات الارض نورا ففزع ابو طالب وقال اي شيء هذا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا نجم رمي به وانه من ايات الله فعجب ابو طالب ونزلت السورة وقال مجاهد الثاقب المتوهج وقوله تعالى وما ادراك تفخيما لشان هذا المقسم به قوله تعالى ان كل نفس لما عليها حافظ قد تقدم في سورة هود التخفيف والتشديد في لما فمن خففها هنا كانت ان هنا مخففة من الثقيلة وكل مبتدا فارقة وعليها خبر مقدم وحافظ مبتدا موخر والجملة خبر كل وما مزيدة بعد اللام الفارقة ويجوز ان يكون عليها هو الخبر وحده وحافظ فاعل به هو احسن ويجوز ان يكون كل مبتدا وحافظ خبره وعليها متعلق به وما مزيدة ايضا هذا كله تفريع على قول البصريين وقال الكوفيون ان هنا نافية واللام بمعنى الا ايجابا بعد النفي وما مزيدة وتقدم الكلام في هذا مستوفى قال الفارسي وتستعمل لما بمعنى الا في موضعين احدهما هذا والاخر في باب القسم تقول سالتك لما فعلت وروي عن الاخفش والكسائي وابي عبيدة انهم قالوا لم نجد لما بمعنى الا في كلام العرب واما قراة التشديد فان نافية ولما بمعنى الا وتقدمت شواهد ذلك في سورة هود وحكى هرون انه قرئ ان بالتشديد كل بالنصب على انه اسمها واللام هي الداخلة في الخبر وما مزيدة وحافظ خبرها وعلى كل تقدير فان وما في حيزها جواب القسم سواء جعلها مخففة او نافية وقيل الجواب انه على رجعه وما بينهما اعتراض وفيه بعد **فصل** قال قتادة حافظ اي حفظة يحفظون عليك رزقك وعملك واجلك قال تعالى ويرسل عليكم حفظة وقال تعالى وان عليكم لحافظين كراما كاتبين وقال تعالى له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من امر الله وقيل الحافظ هو الله تعالى وقيل الحافظ هو العقل يرشد الانسان الى مصالحه ويكفه عن مضاره قال القرطبي العقل وغيره وسايط والحافظ في الحقيقة هو الله تعالى قال تعالى فالله خير حافظا وقال تعالى قل من يكلوكم بالليل والنهار من الرحمن قال ابن الخطيب المعنى لما كانت كل نفس عليها حافظ وجب ان يجتهد كل احد ويشتغل بالمهم واهم الاشيا معرفة المبدا والمعاد والمبدا تقدم قوله تعالى فلينظر الانسان اي ابن ادم مم خلق وجه الاتصال بما قبله وصية الانسان بالنظر في اول امره حتى يعلم ان من انشاه قادر على اعادته وجزائه فليعمل ليوم الاعادة والحشر والجزاء ولا يملي على حافظه الا ما يسره في عاقبة امره وقوله تعالى مم خلق استفهام اي من اي شيء خلق وهو جواب الاستفهام قوله تعالى من ماء دافق فيل فاعل بمعنى مفعول كعكسه في قولهم سيل مفعم وقوله تعالى حجابا مستورا على مجر وقيل دافق على النسب اي ذي دفق واندفاق وقال ابن عطية يصح ان يكون الماء دافقا لان بعضه

يدفق بعضا اي يدفقه فمنه دافق ومنه مدفوق فانتهى والدفق الصب وفعله متعد وقرا زيد بن علي مدفوق وكانه
فسر المعنى قال القرطبي الدفق صب الماء دفقت الماء ادفقه دفقا اي صببته فهو ماء دافق اي مدفوق كما قالوا سر كاتم اي
مكتوم لانه من قولك دفق الماء على ما لم يسم فاعله ولا يقال دفق الماء ويقال دفق الله روحه اذا دعا عليه بالموت قال
الفراء والاخفش ماء دافق اي مصبوب في الرحم قال الزجاج من ماء ذي اندفاق يقال دارع وفارس ونابل اي ذو فرس
ودرع ونبل وهذا مذهب سيبويه فالدافق هو المندفق بشدة قوته واراد ماءين ماء الرجل وماء المراة لان الانسان مخلوق
منهما لكن جعلهما ماء واحدا لامتزاجهما وعن ابن عباس دافق لزج قوله تعالى يخرج من بين الصلب اي هذا الماء من بين الصلب
اي الظهر وقرا العامة يخرج مبنيا للفاعل وابن ابي عبلة وابن مقسم مبنيا للمفعول وقرا ايضا واهل مكة الصلب بضم الصاد
واللام وقرا اليماني بفتحهما وقول العجاج • في صلب مثل العنان المؤدم • وتقدمت لغاته في سورة النساء عند قوله تعالى الذين
من اصلابكم واعرفها صالب كقول العباس رضي الله عنه تنقل من صالب الى رحم والترائب جمع تريبة وهي موضع القلادة من
عظام الصدر لان الولد مخلوق من مائهما فماء الرجل في صلبه وماء المراة في ترائبها وهو معنى قوله تعالى من نطفة امشاج
وقال امرؤ القيس • مهفهفة بيضاء غير مفاضة • ترائبها مصقولة كالسجنجل • وقال اخر • والزعفران على ترائبها •
شرقت به اللبات والنحر • وقال ابو عبيدة جمع التريبة تريب قال المثقب العبدي • ومن ذهب يذوب على تريب •
كلون العاج ليس بذي غضون • وقال الشاعر • اشرف ثدياها على التريب • وعن ابن عباس وعكرمة الترائب
ما بين ثدييها وقيل الترائب التراقي وقيل اضلاع الرجل التي اسفل الصلب وحكى الزجاج ان الترائب اربعة اضلاع من يمنة
الصدر واربعة اضلاع من يسرة الصدر وعن ابن عباس اطراف المرء يداه ورجلاه وعيناه وهو قول الضحاك وقيل
عصارة القلب وهو قول معمر بن ابي حنيفة قال ابن عطية وفي هذه الاقوال تحكم على اللغة وقال سعيد بن جبير هو الجيد
وقال مجاهد ما بين المنكبين والصدر وعنه الصدر قال القرطبي والمشهور من كلام العرب انها عظام الصدر والنحر وجاء
في الحديث ان الولد مخلوق من ماء الرجل يخرج من صلبه العظم والعصب وماء المراة الذي يخرج من ترائبها اللحم والدم وحكى
القرطبي ان ماء الرجل ينزل من الدماغ ثم يجتمع في الانثيين وهذا لا يعارض قوله من بين الصلب والترائب لانه ان نزل من
الدماغ فانما يمر بين الصلب والترائب وقال قتادة المعنى يخرج من صلب الرجل وترائب المراة وحكى الفراء ان مثل هذا ياتي عن العرب
فيكون معنى من بين الصلب من الصلب والمعنى من صلب الرجل وترائب المراة ثم انا نعلم ان النطفة من جميع اجزاء البدن ولذلك يشبه
الرجل والديه كثيرا وهذه الحكمة في غسل جميع الجسد من خروج المني وايضا فالمكثر من الجماع يجد وجعا في صلبه وظهره وليس ذلك
الا لخلو صلبه عما كان محتبسا من الماء قال المهدوي ومن جعل المعنى يخرج من بين صلب الرجل وترائبه فالضمير في يخرج للماء
ومن جعله من صلب الرجل وترائب المراة فالضمير للانسان قوله تعالى انه الضمير للخالق المدلول عليه بقوله تعالى خلق لانه
معلوم ان لا خالق سواه سبحانه قوله تعالى على رجعه في الهاء وجهان احدهما انه ضمير الانسان اي على بعثه بعد موته وهو
قول ابن عباس وقتادة والحسن وعكرمة وهو اختيار الطبري لقوله تعالى يوم تبلى السرائر والثاني انه ضمير الماء اي يرجع
المني في الاحليل او الصلب قاله الضحاك ومجاهد والاول قول الضحاك ايضا وعكرمة وعن الضحاك ايضا ان المعنى انه على
رد الانسان من الكبر الى الشباب ومن الشباب الى الكبر حكاه المهدوي وفي رواية الماوردي والثعلبي الى الصبا ومن الصبا الى
النطفة وقال ابن زيد انه على حبس ذلك الماء حتى لا يخرج لقادر وقال الماوردي ويحتمل انه على ان يعيده الى الدنيا بعد بعثه
الى الاخرة لان الكفار يسالون فيها الرجعة والرجع مصدر رجعت الشيء اي رددته قوله تعالى يوم تبلى السرائر وفيه اوجه
وقد نبها ابو البقاء على الخلاف في الضمير فقال على القول بكون الضمير للانسان فيه اوجه احدها انه معمول لقادر الا ان
ابن عطية قال بعد ان حكى اوجها عن النحاة قال وكل هذه الفرق فرت من ان يكون العامل لقادر لئلا يظهر من ذلك
تخصيص القدرة بذلك اليوم وحده ثم قال واذا تؤمل المعنى وما يقتضيه فصيح كلام العرب جاز ان يكون العامل
لقادر لانه اذا قدر على ذلك في هذا الوقت كان في غيره اقدر بطريق الاولى الثاني ان العامل مضمر على التبيين اي يرجعه يوم
تبلى الثالث تقديره اذكر فيكون مفعولا به وعلى عوده على الماء يكون العامل فيه اذكر انتهى ملخصا وجوز بعضهم ان يكون العامل
فيه ناصر وهو فاسد لان ما بعد ما النافية وما بعد الفاء لا يعمل فيهما قبلهما وقيل العامل رجعه وهو فاسد لانه
قد فصل بين المصدر ومعموله باجنبي وهو خبر ان وبعضهم يغتفره في الظرف قوله تعالى تبلى تختبر وتعرف قال الراجز

• قد كنت قبل اليوم تزدريني • فاليوم ابلوك وتبتليني •

اي اعرفك وتعرفني وقيل تبلى السرائر اي تخرج من مخبآتها وتظهر وهو كل ما استسره الانسان من خير او شر واضمره من ايمان
او كفر قال ابن الخطيب والسرائر ما اسر في القلوب والمراد هنا عرض الاعمال ونشر الصحف والمعنى اختبارها وتمييز الحسن
منها من القبيح لترتب الثواب والعقاب وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ائتمن الله تعالى خلقه على اربع على الصلاة والزكاة

والصيام

والصيام والغسل وهي السرائر التي يختبرها الله يوم القيمة ذكره المهدوي وروى الماوردي عن زيد بن اسلم قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم الامانة ثلاث الصوم والصلاة والجنابة استامن الله تعالى ابن ادم على الصلاة فان شاء قال
صليت ولم يصل واستامن الله تعالى ابن ادم على الصوم فان شاء قال صمت ولم يصم واستامن الله تعالى ابن ادم على الجنابة
فان شاء قال اغتسلت ولم يغتسل اقرءوا ان شئتم يوم تبلى السرائر وقال مالك رضي الله عنه الوضوء من السرائر ومن السرائر
ما في القلوب يجزي الله تعالى به العباد وقال ابن العربي قال ابن مسعود رضي الله عنه يغفر للشهيد الا الامانة والوضوء من الامانة
والصلوة والزكوة من الامانة والوديعة من الامانة واشد ذلك الوديعة تمثل له على هيئتها يوم اخذها فيرمى بها في قعر جهنم فيقال
له اخرجها فيتبعها فيجعلها في عنقه فاذا اراد ان يخرج بها زلت فيتبعها فهو كذلك دهر الداهرين وقال ابي بن كعب من الامانة
ان ائتمنت المراة فرجها وقال سفيان الحيضة والحمل من الامانة ان قالت لم احض وانا حامل صدقت ما لم تات بما تعرف فيه انها
كاذبة قوله تعالى فما له من قوة ولا ناصر اي فما للانسان من قوة اي منعة يمنعه ولا ناصر ينصره مما نزل به قال ابن الخطيب
ويمكن ان يتمسك بهذه الاية في نفي الشفاعة لقوله تعالى واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا الاية والجواب ما تقدم
قوله تعالى والسماء ذات الرجع قيل الرجع مصدر بمعنى رجوع الشمس والقمر اليها والنجوم تطلع من ناحية وتغيب في
اخرى وقيل الرجع المطر قال المتنخل يصف سيفا شبهه بالماء • ابيض كالرجع رسوب • اذا ما ثاخ في محتفل يختلي •
كما سمي اوبا كقوله • ربا سماء الاباء وي لقلبها • الا السحاب والا الاوب والسبل • قال الخليل الرجع المطر نفسه
وهذا قول الزجاج قال ابن الخطيب واعلم ان كلام الزجاج وسائر ائمة اللغة صريح في ان الرجع ليس اسما موضوعا للمطر بل سمي
رجعا مجازا وحسن هذا المجاز وجوه احدها قال القفال كانه من ترجيع الصوت وهو اعادته ووصل الحروف به وكذا المطر
لكونه يعود مرة بعد اخرى سمي رجعا وثانيها ان العرب كانوا يزعمون ان السحاب يحمل الماء من بحار الارض ثم يرجعه الى الارض
والرجع ايضا نبات الربيع وقيل ذات الرجع اي ذات النفع وقيل ذات الملائكة لرجوعهم فيها باعمال العباد وهذا قسم
والارض ذات الصدع قسم اخر اي تتصدع عن النبات والشجر والثمار والانهار نظيره ثم شققنا الارض الاية والصدع
بمعنى الشق لانه يصدع الارض فتنصدع به وكانه قال والارض ذات النبات لان النبات صادع للارض وقال مجاهد الارض
ذات الطرق التي تصدعها المشاة وقيل ذات الحرث لانه يصدعها وقيل ذات الاموات لانصداعها عنهم للنشور وقيل هما
الجبلان بينهما شق وطريق نافذ لقوله تعالى وجعلنا فيها فجاجا سبلا قال ابن الخطيب واعلم انه تعالى كما جعل كيفية خلقة
الحيوان دليلا على معرفة المبدا والمعاد ذكر في هذا القسم كيفية خلقة النبات فقال تعالى والسماء ذات الرجع اي كالاب
والارض ذات الصدع كالام وكلاهما من النعم العظام لان نعم الدنيا موقوفة على ما ينزل من السماء متكررا وعلى ما ينبت من الارض
كذلك ثم اردف هذا القسم بالمقسم عليه وهو قوله تعالى انه لقول فصل وهذا جواب القسم والضمير في انه للقران اي القران
يفصل بين الحق والباطل وقال القفال يعود الى الكلام المتقدم والمعنى ان ما اخبرتكم به من قدرتي على احيائكم يوم تبلى
سرائركم قول فصل وحق والفصل الحكم الذي ينفصل به الحق عن الباطل ومنه فصل الخصومات وهو قطعها
بالحكم الجزم ويقال هذا فصل قاطع للشر والنزاع وقيل معناه جد لقوله تعالى وما هو بالهزل اي باللعب والهزل
ضد الجد والتشمير في الامر قال الكميت • يجد بنا في كل يوم ونهزل • ويقال هزل يهزل قوله تعالى انهم يكيدون كيدا
اي ان اعداء الله يكيدون كيدا اي يمكرون بمحمد عليه الصلاة والسلام واصحابه مكرا قيل فالقوا الشبهات كقولهم
ان هي الا حياتنا الدنيا من يحيي العظام وهي رميم اجعل الالهة الها واحدا لولا نزل هذا القران على رجل من القريتين
عظيم فهي تملى عليه بكرة واصيلا وقيل الطعن فيه بكونه ساحرا او شاعرا او مجنونا حاشاه من ذلك صلى الله عليه وسلم
وقيل قصدهم قتله لقوله تعالى واذ يمكر بك الذين كفروا الاية واما قوله تعالى واكيد كيدا اي اجازيهم جزاء كيدهم
وقيل هو ما اوقع الله تعالى بهم يوم بدر من القتل والاسر وقيل استدراجهم من حيث لا يعلمون وقيل كيد الله تعالى بنصره
واعلاء درجته صلى الله عليه وسلم تسمية لاحد المتقابلين باسم الاخر كقوله تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها وقول الشاعر

• الا لا يجهلن احد علينا • فنجهل فوق جهل الجاهلينا •

وكقوله تعالى نسوا الله فنسيهم يخادعون الله وهو خادعهم قوله تعالى فمهل الكافرين اي لا تدع بهلاكهم
ولا تستعجل وارض بما نريده في امورهم ثم نسخت بقوله تعالى اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم امهلهم هذه قراءة العامة
لما كرر الامر توكيدا خالف بين اللفظين وعن ابن عباس رضي الله عنهما مهلهم كالاول ومهل وامهل بمعنى مثل نزل وانزل
والامهال والتمهيل الانتظار يقال امهلتك كذا اي انتظرتك لتفعله والمهلة انتظره ومهله تمهيلا والاسم المهلة
والاستمهال الاستنظار والمهل الرفق والتؤدة وتمهل في امره اي اتاه وامهل تمهيلا اعتدل وانتصب والامهال
ايضا سكون وفتور ويقال مهلا يا فلان اي رفقا وسكونا قوله تعالى رويدا مصدر مؤكد لمعنى العامل وهو

تصغير ارواد على الترخيم وقيل بل هو تصغير رود كذا قال ابو عبيدة وانشد • كانها ثمل يمشي على رود • اي على مهل
واعلم ان رويدا استعمل مصدرا بدلا من اللفظ بفعله فيضاف تارة كقوله تعالى فضرب الرقاب ولا يضاف اخرى نحو رويدا
اي سيرا رويدا ونحو رويد زيدا وينعت به حالا نحو ساروا رويدا اي متمهلين وينعت المصدر نحو ساروا رويدا اي سيرا رويدا
وتفسير رويدا امهالا وتفسير رويد امهل لان الكاف انما كان تدخله اذا كان بمعنى افعل دون غيره وانما حركت الدال
لالتقاء الساكنين ونصب نصب المصادر وهو مصغر مامور به لانه تصغير الترخيم من ارواد وهو مصدر ارود يرود
وله اربعة اوجه اسم للفعل وصفة وحال ومصدر وقد تقدم ذكرها آنفا قال ابن عباس رضي الله عنه رويدا اي قريبا
وقال قتادة قليلا وقيل امهلهم رويدا الى يوم القيمة وانما صغر ذلك من حيث ان كل ما هو آت قريب وقيل امهلهم رويدا
الى يوم بدر روى الثعلبي عن ابي بن كعب رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا والسماء والطارق
اعطاه الله تعالى من الاجر بعدد كل نجم في السماء عشر حسنات والله تعالى اعلم بالصواب واليه المرجع والماب •

سورة الاعلى مكية

في قول الجمهور وقال الضحاك مدنية وهي تسع عشرة آية واثنتان وسبعون كلمة ومائتان واربعة وثمانون حرفا بسم الله
الرحمن الرحيم قوله تعالى سبح اسم ربك الاعلى يستحب للقاري اذا قرا سبح اسم ربك الاعلى ان يقول عقبه سبحان ربي
الاعلى كذا جاء في الحديث وقاله جماعة من الصحابة والتابعين رضي الله عنهم قال ابن عباس والسدي معنى سبح اسم ربك
الاعلى اي عظم ربك الاعلى والاسم صلة قصد بها تعظيم المسمى كقول لبيد • الى الحول ثم اسم السلام عليكما • وقيل
نزه ربك عن السوء وعما يقوله الملحدون وذكر الطبري ان المعنى نزه اسم ربك الاعلى عن ان تسمي به احدا سواه وقيل المعنى
نزه تسمية ربك وذكرك اياه ان تذكره الا وانت خاشع معظم لذكره وجعلوا الاسم بمعنى التسمية قال ابن الخطيب معنى سبح
اسم ربك الاعلى اي نزهه عن كل ما لا يليق به في ذاته وفي صفاته وفي افعاله وفي اسمائه وفي احكامه اما في ذاته فان تعتقد
انها ليست من الجواهر والاعراض واما في صفاته فان تعتقد انها ليست محدثة ولا متناهية ولا ناقصة واما في افعاله فان
تعتقد انه سبحانه لا يفعل القبيح ولا يرضى به واما في اسمائه فان لا تذكره سبحانه وتعالى الا بالاسماء التي لا توهم نقصا
بوجه من الوجوه سواء ورد الاذن فيها او لم يرد واما في احكامه سبحانه فهو ان تعلم ان ما كلفنا لنفع يعود اليه بل لمحض المالكية
على قولنا او لرعاية مصالح العباد على قول المعتزلة **فصل** قال ابن الخطيب تمسك بهذه الآية في ان الاسم نفس المسمى واقول
ان الخوض في هذه المسئلة لا يمكن الا بعد الكشف عن محل النزاع فيقول ان كان الاسم عبارة عن اللفظ والمسمى عبارة عن الذات
فليس الاسم المسمى بالضرورة فكيف يمكن الاستدلال على ما علم بالضرورة نعم هنا نكتة وهي ان الاسم هو اللفظ الدال على معنى
في نفسه من غير زمن والاسم كذلك فيكون اسما لنفسه فالاسم هنا نفس المسمى فلعل هذا مراد من اطلق ذلك لان الحكم
بالتعميم خطا والمراد الذي يدل على ان الاسم نفس المسمى هو ان احدا لا يقول سبحان اسم الله وسبحان اسم ربنا فمعنى سبح
اسم ربك والرب ايضا فلو كان غير المسمى لم يجز ان يقع التسبيح عليه وهذا الاستدلال ضعيف لما بينا انه يمكن ان يكون الامر
والمراد بتسبيح الاسم ويمكن ان يكون المراد سبح المسمى وذكر الاسم صلة فيه ويكون المراد سبح باسم ربك كما قال تعالى فسبح
باسم ربك العظيم ويكون المعنى سبح بذكر اسمائه **فصل** روى ابو صالح عن ابن عباس رضي الله عنه صل بامر ربك
الاعلى قال وهو ان يقول سبحان ربي الاعلى وروي عن علي رضي الله عنه وابن عباس وابن عمر وابن الزبير وابي موسى وعبد الله
بن مسعود رضي الله عنهم كانوا اذا افتتحوا قراءة هذه السورة قالوا سبحان ربي الاعلى امتثالا لامره في ابتدائها فيختار الاقتداء
بهم في قراءتهم لا ان سبحان ربي الاعلى من القرآن كما قاله بعض اهل الزيغ وقيل في قراءة ابي سبحان ربي الاعلى وروى ابن
الانباري باسناده الى عيسى بن عمر عن ابيه قال قرا علي بن ابي طالب رضي الله عنه في الصلاة سبح اسم ربك الاعلى ثم قال سبحان ربي
الاعلى فلما انقضت الصلاة قيل له يا امير المؤمنين اتزيد هذا في القرآن قال هو قال سبحان ربي الاعلى قال انما امرنا
بشيء فقلته وعن عقبة بن عامر الجهني قال لما نزلت سبح اسم ربك الاعلى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اجعلوها في
سجودكم قال القرطبي وهذا كله يدل على ان الاسم هو المسمى لانهم لم يقولوا سبحان اسم ربي وقيل معناه ارفع صوتك
بذكر ربك قال جرير قبح الاله وجوه تغلب كلما • سبح الحجيج وكبروا تكبيرا • قوله تعالى الاعلى يجوز جره صفة لربك ونصبه
صفة لاسم الا ان هذا يمنع ان يكون الذي صفة لربك بل يتعين جعله نعتا للاسم او مقطوعا لئلا يلزم الفصل بين الصفة
والموصوف بصفة غيره او بتغيير التركيب مثل قولك جاءني غلام هند العاقل الحسنة فيفصل بالعاقل بين هند وبين صفتها

وتقدم الكلام في اضافة الاسم الى المسمى قوله تعالى الذي خلق فسوى قال ابن الخطيب يحتمل ان يريد الناس خاصة ويحتمل
ان يريد الحيوان ويحتمل ان يريد كل شيء خلقه الله تعالى فمن حمله على الانسان ذكر للتسوية وجوها احدها اعتدال
قامته وحسن خلقته على ما قال تعالى لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم واثنى على نفسه بسبب خلقه اياه بقوله تعالى
فتبارك الله احسن الخالقين وثانيها ان كل حيوان مستعد لنوع واحد من الاعمال فقط واما الانسان فانه خلق
بحيث يمكنه ان ياتي بجميع الاعمال بواسطة الآلات وثالثها انه تعالى هياه للتكليف والقيام باداء العبادات قال
بعضهم خلق في اصلاب الآباء وسوى في ارحام الامهات ومن حمله على جميع الحيوانات فمعناه انه اعطى كل حيوان ما يحتاج
اليه من آلات واعضاء ومن حمله على جميع المخلوقات كان المراد من التسوية هو انه تعالى قادر على كل الممكنات عالم بجميع المعلومات
خلق ما اراد على وفق ارادته موصوفا بالاحكام والاتقان مبرا عن النقص والاضطراب قوله تعالى والذي قدر فهدى
قرا الكسائي وعلي رضي الله عنه والسلمي قدر بتخفيف الدال والباقون بالتشديد والمعنى قدر كل شيء بمقدار معلوم ومن
خفف قال القفال معناه ملك فهدى وتاويله انه تعالى خلق كل شيء فسوى وملك ما خلق اي تصرف فيه كيف شاء واراد
هذا هو الملك فهداه لمنافعه ومصالحه ومنهم من قال انهما لغتان بمعنى واحد وعليه قوله تعالى فقدرنا فنعم القادرون
بالتشديد والتخفيف وقد تقدم **فصل** قال مجاهد قدر الشقاوة والسعادة وهدى للرشد والضلال وعنه
هدى الانسان للسعادة وهدى الانعام لمراعيها وقيل قدر اقواتهم وارزاقهم وهداهم لمعاشهم ان كانوا اناسا ولمراعيهم
ان كانوا وحوشا وعن ابن عباس والسدي ومقاتل والكلبي في قوله تعالى فهدى قال عرف خلقه كيف ياتي الذكر الانثى كما قال
في سورة طه اعطى كل شيء خلقه ثم هدى اي الذكر للانثى وقال عطا جعل لكل دابة ما يصلحها وهداها له وقيل قدر فهدى
قدر لكل حيوان ما يصلحه فهداه اليه وعرفه وجه الانتفاع به يقال ان الافعى اذا اتت عليها الف سنة عميت وقد الهمها
الله تعالى ان مسح العينين بورق الرازيانج الغض يرد اليها بصرها فربما كانت في برية بينها وبين الريف مسيرة ايام فتطوي
تلك المسافة على طولها وعماها حتى تهجم في بعض البساتين على شجرة الرازيانج لا تخطئها فتحك بها عينيها فترجع باصرة باذن الله
تعالى وهدايات الانسان الى مصالحه من اغذيته وادويته وامور دنياه ودينه والهامات البهائم والطيور وهوام الارض باب
واسع فسبحان ربي الاعلى وقال السدي قدر مدة الجنين في الرحم ثم هداه الى الخروج من الرحم وقال الفراء قدر فهدى واضل
فاكتفى بذكر احدهما كقوله تعالى سرابيل تقيكم الحر ويحتمل ان يكون بمعنى دعا الى الايمان كقوله تعالى وانك لتهدي الى صراط
مستقيم اي لتدعو وقد دعا الكل الى الايمان وقيل فهدى اي دلهم بافعاله على توحيده وكونه عالما قادرا واعلم ان الاستدلال
بالخلق وبالهداية هي معتمد الانبياء قال ابراهيم عليه السلام الذي خلقني فهو يهدين وقال موسى عليه السلام لفرعون
ربنا الذي اعطى كل شيء خلقه ثم هدى وقال هنا ذلك وانما خصت هذه الطريقة لوضوحها وكثرة عجائبها قوله تعالى
والذي اخرج المرعى اي النبات لما ذكر سبحانه ما يختص بالناس اتبعه ما يختص بسائر الحيوان من النعم اي هو القادر على انبات
العشب لا كالاصنام التي عبدتها الكفرة والمرعى ما يخرجه الارض من النبات والثمار والزرع والحشيش قال ابن عباس
رضي الله عنه المرعى الكلا الاخضر قوله تعالى فجعله غثاء احوى غثاء اما مفعول ثان واما حال والغثاء بتشديد الثاء
وتخفيفها وهو الفصيح ما يقذف السيل على جوانب الوادي من النبات ونحوه قال امرؤ القيس • كان ذرى راس المجيمر غدوة
من السيل والاغثاء فلكة مغزل • وروى الغثاء والاغثاء على الجمع وفيه غرابة من حيث جمع فعال على افعال وقوله تعالى احوى
فيه وجهان اظهرهما انه نعت لغثاء والثاني انه حال من المرعى قال ابو البقاء فقدم بعض الصلة يعني ان الاصل اخرج المرعى
احوى فجعله غثاء قال شهاب الدين ولا يسمى هذا تقديما لبعض الصلة والاحوى افعل من الحوة وهي سواد يضرب الى الخضرة
قال ذو الرمة • لمياء في شفتيها حوة لعس • وفي اللثات وفي انيابها شنب • وقد تقدم ان بعض النحاة استدل على
وجود بدل الغلط بهذا البيت وقيل خضرة عليها سواد والاحوى الظبي لان في ظهره خطين قال الشاعر •

• وفي الحي احوى ينفض المرد شادن • مظاهر سمطي لؤلؤ وزبرجد •

ويقال رجل احوى وامراة حواء وجمعهما حو نحو احمر وحمراء وحمر قال القرطبي وفي الصحاح الحوة حمرة الشفة وقد حوي
وبعير احوى اذا خالط خضرته سواد وصفرة وتصغير احوى احيو في لغة من قال اسيود وقال عبد الرحمن بن زيد هذا مثل
ضربه الله تعالى للكفار لذهاب الدنيا بعد نضارتها والمعنى انه صار كذلك بعد خضرته قال ابو عبيدة فجعله اسود من احتراقه
وقدمه والرطب اذا يبس اسود قوله تعالى سنقرئك فلا تنسى قال الواحدي سنقرئك اي سنجعلك قارئا اي نؤهلك
للقراءة فلا تنسى ما تقرؤه اي نجعلك قارئا للقرآن فتحفظه فهو نفي اخبر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم لا نهي وقيل
نهي والالف للاشباع وقد تقدم نحو من هذا في سورة يوسف وطه ومنع مكي ان يكون نهيا لانه لا ينهى عما ليس باختياره
وهذا غير لازم اذ المعنى النهي عن تعاطي اسباب النسيان وهو شائع وقيل هذا بشرى من الله تعالى بشره الله تعالى بان جبريل

عليه السلام لا يفرغ من آخر الوحي حتى يتكلم هو بأوله مخافة النسيان فنزلت هذه الآية فلا تنسى بعد ذلك شيئا
قوله تعالى الا ما شاء الله فيه أوجه أحدها انه مفرغ اي الا ما شاء الله ان ينسيكه فانك تنساه والمراد رفع تلاوته وفي الحديث
انه كان يصبح فينسى الآيات لقوله تعالى ما ننسخ من آية او ننسها وقيل ان المعنى بذلك القلة والندرة قال ابن الخطيب
ويشترط ان لا يكون ذلك القليل من الواجبات بل من الآداب والسنن فانه لو نسي من الواجبات ولم يتذكره ادى ذلك الى
الخلل في الشرع وهو غير جائز كما روي انه صلى الله عليه وسلم اسقط آية في صلوته فحسب ابي انها نسخت فسأله فقال صلى الله
عليه وسلم نسيتها وقال الزمخشري الغرض نفي النسيان رأسا كما يقول الرجل لصاحبه انت سهيمي فيما املك الا ما شاء الله ولم
يقصد استثناء شيء وهو من استعمال القلة في معنى النفي انتهى وهذا القول سبقه اليه الفراء ومكي قال الفراء وجماعة معه هذا
الاستثناء صلة في الكلام على سنة الله تعالى في الاستثناء وليس شيء ابيح استثناؤه قال ابو حيان هذا لا ينبغي ان يكون في
كلام الله تعالى ولا في كلام فصيح وكذلك القول بأن لا للنفي والالف فاصلة انتهى وهذا الذي قاله ابو حيان لم يقصده القائل
بكونه زائدا محضا بل بالمعنى الذي ذكره وهو المبالغة في نفي النسيان او النهي عنه وقال مكي وقيل معنى ذلك الا ما شاء الله وليس
يشاء الله ان ينسى شيئا فهو بمنزلة قوله تعالى في سورة هود في الموضعين خالدين فيها ما دامت السموات والارض الا ما شاء ربك
وليس تعالى ترك شيئا من الخلود لتقدم مشيئته بخلودهم كما روي عن ابن عباس رضي الله عنه فلم ينس بعد نزول هذه الآية حتى مات
صلى الله عليه وسلم وقيل هو استثناء من قوله تعالى فجعله غثاء احوى نقله مكي فالمعنى ما شاء الله ان يناله بنو آدم والبهائم
فانه لا يصير كذلك قال الشهاب الدين وهذا ينبغي ان لا يجوز البتة قال القرطبي وقيل الا ما شاء الله ان تنسى ثم تذكر بعد ذلك
فاذا قد نسي ولكنه يتذكر ولا ينسى نسيانا كليا وقيل هذا النسيان بمعنى النسخ اي الا ما شاء الله ان ينسخه والاستثناء نوع من النسخ
وقيل النسيان بمعنى الترك اي نعصمك من ان تترك العمل الا ما شاء الله ان تتركه لنسخه اياه فهذا في نسخ العمل والاول في نسخ
القراءة ولا للنفي لا للنهي وقيل للنهي وانما اثبتت الياء لرؤوس الآي والمعنى لا تغفل عن قراءته وتكراره فتنساه الا ما شاء الله ان
ينسيكه برفع تلاوته للمصلحة والاول هو المختار لان الاستثناء من النهي لا يكاد يكون الا موقتا معلوما وايضا فان الياء مثبتة
في جميع المصاحف وعليها القراء وقيل معناه الا ما شاء الله ان يؤخر انزاله **فصل** ذكر في كيفية هذا التعليم
والاقراء وجوها الاول ان جبريل عليه السلام سيقرأ عليك القرآن مرات حتى تحفظه حفظا لا تنساه وثانيها انا نشرح صدرك
ونقوي خاطرك حتى تحفظه بالمرة الواحدة حفظا لا تنساه وثالثها انه تعالى لما امره صلى الله عليه وسلم في اول السورة
بالتسبيح فكانه تعالى قال واظب على ذلك ودم عليه فانا سنقرئك القرآن الجامع لعلوم الاولين والآخرين ويكون فيه
ذكرك وذكر قومك ونجمعه في قلبك ونيسرك لليسرى وهو العمل به **فصل** هذه الآية تدل على المعجزة من
وجهين الاول انه صلى الله عليه وسلم كان رجلا اميا فحفظه لهذا الكتاب المطول من غير دراسة ولا تكرار ولا كتابة خارقا
للعادة فانه اخبار عن الوقوع في المستقبل وقد وقع فكان هذا اخبارا عن الغيب فيكون معجزا **فصل** قال بعضهم
المراد بقوله تعالى الا ما شاء الله امور اولها التبرك بهذه الكلمة لقوله تعالى ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غدا الا ان
يشاء الله فكانه تعالى يقول اني عالم بجميع المعلومات وعالم بعواقب الامور على التفصيل ومع ذلك لا اخبر عن وقوع شيء
في المستقبل الا مع هذه الكلمة فانت وامتك يا محمد اولى بها وهذا بناء على ان الاستثناء غير حاصل في الحقيقة وانه صلى الله
عليه وسلم لم ينس بعد ذلك شيئا كما قاله ابن عباس والكلبي وغيرهما وثانيها قال الفراء انه تعالى ما شاء ان ينسى محمد صلى الله
عليه وسلم شيئا الا ان المقصود من ذكر هذا الاستثناء بيان انه تعالى لو اراد ان يصير ناسيا لذلك لقدر عليه لقوله تعالى ولئن
شئنا لنذهبن بالذي اوحينا اليك ثم انا نقطع انه تعالى ما شاء ذلك ونظيره قوله تعالى لئن اشركت ليحبطن عملك مع انه
صلى الله عليه وسلم ما اشرك البتة ففائدة هذا الاستثناء ان الله تبارك وتعالى يعرفه قدرته حتى يعلم ان عدم النسيان
من فضل الله واحسانه لا من قوته وثالثها ان الله تعالى لما ذكر هذا الاستثناء جوز رسول الله صلى الله عليه وسلم في كل ما
ينزل عليه من الوحي ان يكون ذلك هو المستثنى فلا جرم كان يبالغ في التثبت والتحفظ في جميع المواضع فكان المقصود من ذكر
هذا الاستثناء بقاءه صلى الله عليه وسلم على التيقظ في جميع الاحوال **قوله تعالى** انه يعلم الجهر وما يخفى الجهر الاعلان
من القول والعمل وما يخفى من السر عن ابن عباس رضي الله عنه ما في قلبك ونفسك وقال محمد بن حاتم يعلم اعلان الصدقة واخفاها
وقيل الجهر ما حفظته من القرآن في صدرك وما يخفى هو ما نسخ من صدرك **فصل** ما اسمية ولا يجوز ان تكون
مصدرية لئلا يلزم خلو الفعل من فاعل ولولا ذلك لكان المصدرية احسن لتعطف مصدرا مؤولا على مثله صريح **قوله تعالى**
ونيسرك لليسرى عطف على سنقرئك فهو داخل في حيز التنفيس وما بينهما من الجملة اعتراض واليسرى هي الطريقة اليسرى
وهي اعمال الخير والتقدير سنقرئك فلا تنسى ونوفقك للطريقة التي هي اسهل واليسر يعني في حفظ القرآن وقال ابن
مسعود اليسرى الجنة اي نيسرك للعمل المؤدي الى الجنة وقيل نهون عليك الوحي حتى تحفظه وتعمل به وقيل نوفقك للشريعة

اليسرى وهي الحنيفية السهلة السمحة قاله الضحاك فان قيل المعهود في الكلام ان يقال يسر الامر لفلان ولا يقال يسر فلان
للامر فالجواب ان هذه العبارة كما انها اختيار القرآن هنا وفي سورة والليل فكذا هي اختيار الرسول صلى الله عليه وسلم
في قوله اعملوا فكل ميسر لما خلق له وفيه لطيفة وهي ان الفاعل لا يترجح عنده الفعل على الترك ولا عكسه الا لمرجح وعند ذلك
المرجح يجب الفعل فالفاعل اذن ميسر للفعل لا ان الفعل ميسر للفاعل فذلك الرجحان هو المسمى بالتيسير **قوله تعالى**
فذكر ان نفعت الذكرى اي فعظ قومك يا محمد بالقرآن ان نفعت الذكرى اي الموعظة وان شرطية وفيه استبعاد لتذكرهم ومنه
قوله لقد اسمعت لو ناديت حيا • ولكن لا حياة لمن تنادي وقيل ان بمعنى اذ كقوله تعالى وانتم الاعلون ان كنتم مؤمنين
اي اذ كنتم وقيل هي بمعنى قد ذكره ابن خالويه وهو بعيد وقيل بعده شيء محذوف تقديره ان نفعت الذكرى وان لم تنفع
كقوله تعالى سرابيل تقيكم الحر قاله الفراء والنحاس والجرجاني والزهراوي وقيل انه مخصوص في قوم باعيانهم وقيل ان
بمعنى ما اي فذكر ما نفعت الذكرى فتكون ان بمعنى ما لا بمعنى الشرط لان الذكرى نافعة بكل حال قاله ابن شجرة **فصل**
قال ابن الخطيب انه صلى الله عليه وسلم كان مبعوثا الى الكل فيجب عليه تذكيرهم ان نفعتهم الذكرى والجواب من وجوه اما
ان يكون المراد منه التنبيه على اشرف الحالين وهي وجود النفع الذي لاجله شرعت الذكرى قال والمعلق بان على الشيء
لا يلزم ان يكون عدما عند عدم ذلك الشيء ويدل عليه آيات منها هذه الآية ومنها قوله تعالى واشكروا الله ان كنتم اياه تعبدون
ومنها قوله تعالى ولا جناح عليكم ان تقصروا من الصلاة ان خفتم فان القصر جائز عند الخوف وعدمه ومنها قوله تعالى
فلا جناح عليهما ان يتراجعا ان ظنا ان يقيما حدود الله والمراجعة جائزة بدون هذا الظن واذا كان كذلك فهذا الشرط
فيه فوائد منها ما تقدم ومنها البعث على الانتفاع بالذكرى كما يقول الرجل لمن يرشده قد اوضحت لك ان كنت تعقل
وهو تنبيه للنبي صلى الله عليه وسلم على انه لا تنفعهم الذكرى كما يقول الرجل ويكون هذا في تكرير الدعوة فاما الدعاء
الاول فعام فان قيل انه تعالى عالم بعواقب الامور وبمن يؤمن وبمن لا يؤمن والتعليق بالشرط انما يحسن في حق من لا يعلم
فالجواب ان امر البعثة والدعوة شيء وعلمه تعالى بالمغيبات وعواقب الامور شيء ولا يبنى احدهما على الآخر
كقوله تعالى لموسى وهرون عليهما السلام فقولا له قولا لينا لعله يتذكر او يخشى وهو تعالى عالم بانه لا يتذكر ولا يخشى فان قيل
التذكير المأمور به هل هو مضبوط بعدد او لا وكيف يكون الخروج عن عهدة التذكير فالجواب ان المعتبر في التذكير والتكرير
هو العرف **قوله تعالى** سيذكر من يخشى اي يتقي الله ويخافه قال ابن عباس رضي الله عنه نزلت في ابن ام مكتوم وقيل في عثمان
بن عفان رضي الله عنه نزلت في ابن ام مكتوم قال الماوردي وقد يتذكر من يرجوه الا ان تذكرة الخاشي ابلغ من تذكرة الراجي
فلذلك علقها بالخشية دون الرجا وان تعلقت بالخشية والرجا وقيل المعنى عمم انت التذكير والوعظ وان كان الوعظ
انما ينفع من يخشى ولكن يحصل لك ثواب الدعاء حكاه القشيري فان قيل التذكر انما يكون بشيء قد علم وهؤلاء لم يزالوا
كفارا معاندين فالجواب ان ذلك لظهوره وقوة دليله كانه معلوم لكنه يزول بسبب التقليد والعناد فلذلك سمي
بالتذكير والسين في قوله تعالى سيذكر يحتمل ان يكون بمعنى سوف وسوف من الله تعالى واجب كقوله تعالى سنقرئك فلا
تنسى ويحتمل ان يكون المعنى ان من خشي فانه يتذكر وان كان بعد حين بما يستعمله من التدبر والنظر **قوله تعالى** ويتجنبها
اي الذكرى يتباعد عنها الاشقى اي الشقي في علم الله تعالى لما بين من ينتفع بالذكرى بين بعده من لا ينتفع بها وهو الكافر
الاشقى قيل نزلت في الوليد بن المغيرة وعتبة بن ربيعة الذي يصلى النار الكبرى اي العظمى وهي السفلى من اطباق النار
قاله الفراء وعن الحسن الكبرى نار جهنم والصغرى نار الدنيا وقيل في الآخرة نيران ودركات متفاضلة كما في الدنيا ذنوبا
ومعاصي متفاضلة فكما ان الكفار اشقى العصاة فلذلك يصلى اعظم النيران فان قيل لفظ الاشقى يستدعي وجود الشقي
فكيف حال هذا القسم فالجواب ان لفظ الاشقى لا يستدعي وجود الشقي اذ قد يرد هذا اللفظ من غير مشاركة كقوله تعالى
اصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا واحسن مقيلا ويتجنبها الاشقى كقوله تعالى وهو اهون عليه وقال ابن الخطيب الفرق
ثلاث العارف والمتوقف والمعاند فالسعيد هو العارف والمتوقف له بعض الشقا والاشقى هو المعاند **قوله تعالى** ثم لا
يموت فيها ولا يحيى لا يموت فيستريح ولا يحيى حياة تنفعه كقوله تعالى لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها
فان قيل هذه الآية تقتضي ان ثم حالة غير الحياة والموت وذلك غير معقول فالجواب قال بعضهم هذا كقول العرب للمبتلى بالبلاء
الشديد لا هو حي ولا هو ميت وقيل ان نفس احدهم في النار تمر في حلقه فلا تخرج للموت ولا ترجع الى موضعها من الجسم
فيحيى وقيل حياتهم كحياة المذبوح وحركته قبل مفارقة الروح فلا هو حي لان الروح لم تفارقه بعد ولا هو ميت لان الميت
هو الذي تفارق روحه جسده وثم للتراخي بين الرتب في الشدة **قوله تعالى** قد افلح من تزكى اي صادف البقاء في الجنة اي من
تطهر من الشرك بالايمان قاله ابن عباس وعطاء وعكرمة وقال الحسن والربيع من كان عمله زاكيا ناميا وهو قول الزجاج وقال
قتادة تزكى اي عمل صالحا وعن عطاء وابي العالية نزلت في صدقة الفطر قال ابن سيرين قد افلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى

قال الخرج فصلى بعد ما ادى والاول اظهر لان اللفظ المعتاد ان يقال في المال زكى ولا يقال تزكى قال تعالى ومن تزكى
فانما يتزكى لنفسه وقال الاحوص وعطا المراد بالاية زكوة الاموال كلها قال بعضهم لا ادري ما وجه هذا التاويل لان هذه
السورة مكية ولم يكن بمكة عيد ولا زكاة فطر قال البغوي يجوز ان يكون النزول سابقا على الحكم كقوله تعالى وانت حل بهذا
البلد والسورة مكية وظهر امر الحل يوم الفتح قال صلى الله عليه وسلم احلت لي ساعة من نهار وقيل هذا زكوة الاعمال لا زكوة
الاموال اي زكى اعماله من الريا والتقصير وروى جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد افلح
من تزكى اي شهد ان لا اله الا الله وخلع الانداد وشهد اني رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا مروي عن ابن عباس رضي الله
عنه ايضا وروي عن عطا عن ابن عباس قال نزلت في عثمان بن عفان رضي الله عنه قال كان بالمدينة منافق له نخلة بالمدينة
مايلة في دار رجل من الانصار اذا هبت الرياح اسقطت البسر والرطب في دار الانصاري فياكل هو وعياله فخاصم المنافق
فشكاه الانصاري الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فارسل الى المنافق وهو لا يعلم بنفاقه فقال ان اخاك الانصاري ذكر
ان بسرك ورطبك يقع الى منزله فياكل هو وعياله فهل لك ان اعطيك نخلة في الجنة بدلها فقال ابيع عاجلا باجل
لا افعل فذكروا ان عثمان بن عفان رضي الله عنه اعطاه حايطا من نخل بدل نخلته ففيه نزلت قد افلح من تزكى ونزلت في
المنافق ويتجنبها الاشقى وقال الضحاك نزلت في ابي بكر الصديق رضي الله عنه **قوله تعالى** وذكر اسم ربه فصلى قال ابن عباس
والضحاك وذكر اسم ربه في طريق المصلى فصلى صلوة العيد قال القرطبي والسورة مكية في قول الجمهور ولم يكن بمكة عيد
قال القشيري ولا يبعد ان يكون اثنى على من يمتثل امره في صدقة الفطر وصلوة العيد فيما يامر به في المستقبل وذكر اسم
ربه اي ذكر ربه وعن ابن عباس رضي الله عنه معناه ذكر معاده وموقفه بين يدي الله تعالى فعبده وصلى له وقيل ذكر
اسم ربه التكبير في اول الصلاة لانها لا تنعقد الا بذكره وهو قوله الله اكبر وبه يحتج على وجوب تكبيرة الاحرام وعلى انها
ليست من الصلاة لان الصلاة معطوفة عليها وفيه حجة لمن قال ان الافتتاح جايز بكل اسم من اسماء الله تعالى قال ابن عباس
رضي الله عنه هذا في الصلوات المفروضة روي عن عبد الله رضي الله عنه من اقام الصلوة ولم يوت الزكوة فلا صلوة له
قوله تعالى بل تؤثرون الحيوة الدنيا قرا ابو عمرو بالغيبة والباقون بالخطاب ويؤيده قراءة ابي انتم تؤثرون وعلى الاول
معناه بل تؤثرون ايها المسلمون الاستكثار من الدنيا على الاستكثار من الثواب وعن ابن مسعود رضي الله عنه انه قرا هذه
الاية فقال اتدرون لم آثرنا الحيوة الدنيا على الاخرة قال لان الدنيا حضرت وعجلت لنا طيباتها وطعامها وشرابها
ولذاتها وبهجتها والاخرى غيبت عنا فاخذنا العاجل وتركنا الاجل **قوله تعالى** والاخرة خير وابقى اي والدار الاخرة خير
وابقى اي ادوم من الدنيا **قوله تعالى** ان هذا لفي الصحف الاولى قرا ابو عمرو في رواية الاعمش وهرون بسكون الحاء في الحرفين
واختلفوا في المشار اليه بهذا فقيل جميع السورة وهو رواية عكرمة عن ابن عباس وقال الضحاك ان هذا القران لفي الصحف
الاولى اي الكتب الاولى صحف ابرهيم وموسى يعني الكتب المنزلة عليهما ولم يرد ان هذه الالفاظ بعينها في تلك الصحف وانما
معناه ان معنى هذا الكلام في تلك الصحف وقال قتادة وابن زيد المشار اليه هو قوله تعالى والاخرة خير وابقى وقال الا تسمعا
كتب الله تعالى كما تسمعون ان الاخرة خير وابقى من الدنيا وقال الحسن ان هذا لفي الصحف الاولى يعني من قوله تعالى قد افلح من تزكى
الى اخر السورة لما روى ابو ذر رضي الله عنه قال قلت يا رسول الله هل في الدنيا شي مما كان في صحف ابرهيم وموسى قال صلى الله
عليه وسلم نعم اقرا يا ابا ذر قد افلح من تزكى الى اخر السورة وروى ابو ذر انه سال رسول الله صلى الله عليه وسلم كم انزل الله من كتاب
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مائة واربع كتب على ادم عشر صحف وعلى شيث خمسين صحيفة وعلى ادريس ثلثين صحيفة وعلى ابرهيم
عشر صحايف والتوراة والانجيل والزبور والفرقان **قوله تعالى** صحف ابرهيم قرا العامة بالالف بعد الراء وياء بعد الهاء
وابو رجاء بحذفهما والهاء مفتوحة ومكسورة بغير الف وابو موسى وابن الزبير بالف بعد الباء وكذا في كل القران ومالك بن دينار بالف
بعد الراء فقط والهاء مفتوحة وعبد الرحمن بن ابي بكرة وابرهيم بحذف الالف وكسر الهاء وقال ابن خالويه وقد جاء ابرهيم يعني بالف
وضم الهاء وقد تقدم الكلام على هذا الاسم ولغاته مستوفى في سورة البقرة ولله الحمد على كل حال روى الثعلبي عن ابي رضي الله
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الاعلى اعطاه الله تعالى من الاجر عشر حسنات بعدد كل حرف انزله الله
تعالى على محمد وابرهيم وموسى وعيسى ومحمد صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين والحمد لله رب العالمين

سورة الغاشية

وهي ست وعشرون اية واثنتان وتسعون كلمة وثلثمايه واحدى وثمانون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم **قوله تعالى**

هل اتيك حديث الغاشية هل بمعنى قد كقوله تعالى هل اتى على الانسان قاله قطرب اي قد جاءك يا محمد حديث الغاشية
وهي القيامة لانها تغشى الخلايق باهوالها وقيل هو استفهام على بابه وتسميه اهل البيان التشويق والمعنى ان لم يكن
اتاك حديث الغاشية فقد اتاك وهو معنى قول الكلبي وقال سعيد بن جبير ومحمد بن كعب الغاشية النار تغشى وجوه الكفار
ورواه ابو صالح عن ابن عباس لقوله تعالى تغشى وجوههم النار وقيل المراد النفخة الثانية للبعث لانها تغشى الخلق وقيل
الغاشية اهل النار يغشونها ويقتحمون فيها وقيل معنى هل اتاك اي هذا لم يكن من علمك ولا من علم قومك قال ابن عباس
لم يكن اتاه قبل ذلك على التفصيل المذكور **قوله تعالى** وجوه يومئذ قد تقدم نظيره في سورة القيامة وفي النازعات
والتنوين في يومئذ عوض من جملة مدلول عليها باسم الفاعل من الغاشية تقديره يوم اذ غشيت الناس اذ لا تتقدم جملة
مصرح بها وخاشعة وما بعده صفة **فصل** قال ابن عباس رضي الله عنه لم يكن اتاه حديثهم
فاخبر عنهم فقال تعالى وجوه يومئذ اي يوم القيمة خاشعة قال سفيان اي ذليلة بالعذاب وكل متضائل ساكن
خاشع يقال خشع في صلاته اذا تذلل ونكس راسه وخشع الصوت اذا خفي قال تعالى وخشعت الاصوات للرحمن والمراد
بالوجوه اصحاب الوجوه قال قتادة وابن زيد خاشعة اي في النار والمراد بالوجوه الكفار كلهم قاله يحيى بن سلام وقال
ابن عباس اراد وجوه اليهود والنصارى **قوله تعالى** عاملة ناصبة هذا في الدنيا لان الاخرة ليست دار عمل فالمعنى وجوه
عاملة ناصبة في الدنيا خاشعة في الاخرة قال اهل اللغة يقال للرجل اذا دأب في سيره قد عمل يعمل عملا ويقال للسحاب اذا دام
برقه قد عمل يعمل عملا وقوله ناصبة اي تعبة يقال نصب بالكسر ينصب نصبا اذا تعب ونصبه ايضا وانصبه غيره قال ابن عباس
هم الذين انصبوا انفسهم في الدنيا على معصية الله تعالى على الكفر مثل عبدة الاوثان والرهبان وغيرهم لا يقبل الله
تعالى منهم الا ما كان خالصا له وعن علي رضي الله عنه انهم الخوارج الذين ذكرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال تحقرون
صلاتكم مع صلوتهم وصيامكم مع صيامهم واعمالكم مع اعمالهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية الحديث وروى سعيد
عن قتادة عاملة ناصبة قال تكبرت في الدنيا عن طاعة الله فاعملها الله وانصبها في النار بجر السلاسل الثقال وحمل الاغلال
والوقوف حفاة عراة في العرصات في يوم كان مقداره خمسين الف سنة قال الحسن وسعيد بن جبير لم تعمل لله في الدنيا ولم تنصب
له فاعملها وانصبها في جهنم وقرا ابن كثير في رواية وابن محيصن وعيسى وحميد ناصبة بالنصب على الحال وقيل على الذم
والباقون بالرفع على الصفة او على اضمار مبتدا فيوقف على خاشعة ومن جعل المعنى في الاخرة جاز ان يكون خبرا بعد خبر
عن وجوه فلا يوقف على خاشعة وقيل عاملة ناصبة اي عاملة في الدنيا ناصبة في الاخرة وعلى هذا الحمل وجوه يومئذ عاملة
في الدنيا ناصبة في الاخرة خاشعة وروى الحسن قال لما قدم عمر بن الخطاب رضي الله عنه الشام اتاه راهب شيخ كبير عليه سواد
فلما راه عمر رضي الله عنه بكى فقيل له يا امير المؤمنين ما يبكيك قال هذا المسكين طلب امرا فلم يصبه ورجا رجاء فاخطاه وقرا قوله
تعالى وجوه يومئذ خاشعة عاملة ناصبة **قوله تعالى** تصلى هذا هو الخبر قرا ابو عمرو وابو بكر ويعقوب رضي الله عنهم
بضم التاء على ما لم يسم فاعله والباقون بالفتح على تسمية الفاعل والضمير على كلتا القراءتين للوجوه وقرا ابو رجاء بضم التاء
وفتح الصاد وتشديد اللام وقد تقدم معنى ذلك كله في سورة الانشقاق والنساء **فصل** والمعنى يصيبها
صلاؤها وحرها حامية شديدة الحر اي قد اوقدت واحميت مدة طويلة ومنه حمي النهار بالكسر وحمي التنور حميا اي اشتد حره
وحكى الكسائي اي اشتد حمي الشمس وحموها بمعنى قال صلى الله عليه وسلم اوقد عليها الف سنة حتى احمرت ثم اوقد عليها
الف سنة حتى ابيضت ثم اوقد عليها الف سنة حتى اسودت فهي سوداء مظلمة قال الماوردي فان قيل فما معنى وصفها
بالحمى وهي لا تكون الا حامية وهو اقل احوالها فما وجه المبالغة بهذه الصفة الناقصة قيل قد اختلف في المراد بالحامية
هنا فقيل المراد انها دايمة الحمى وليست كنار الدنيا التي ينقطع حميها بانطفايها وقيل المراد بالحامية انها حمى من ارتكاب
المحظورات وانتهاك المحارم كقول النبي صلى الله عليه وسلم ان لكل ملك حمى وان حمى الله محارمه ومن يرتع حول الحمى يوشك
ان يقع فيه وقيل انها تحمي نفسها عن ان تطاق ملامستها او ترام مماستها كما يحمي الاسد عرينه كقول الشاعر

تعدو الذياب على من لا كلاب له • وتتقي صولة المستاسد الحامي •

وقيل المراد انها حامية حمى غيظ وغضب مبالغة في شدة الانتقام كقوله تعالى تكاد تميز من الغيظ **قوله تعالى** تسقى من
عين انية اي حارة اي التي انتهى حرها كقوله تعالى وبين حميم آن وآنية صفة لعين واما الهاء فهشام لان الالف غير منقلبة
عن شي بل هي اصل بنفسها وهذا بخلاف آنية في سورة الانسان فان الالف هناك بدل من همزة اذ هو جمع اناء فوزنها افعلة
وهناك افعلة فاتحد اللفظ واختلف التعريف وهذا من محاسن علم التصريف قال القرطبي والاني الذي انتهى حره من الايناء
بمعنى التاخير يقال اناه يونيه ايناء اي اخره وحبسه نظيره قوله تعالى يطوفون بينها وبين حميم آن روي انه لو وقعت
منها قطرة على جبال الدنيا لذابت **قوله تعالى** ليس لهم طعام الا من ضريع لما ذكر شرابهم ذكر طعامهم والضريع نبت في النار ذو شوك

لاصق بالارض تسميه قريش الشبرق اذا كان رطبا فاذا يبس فهو الضريع لا تقربه دابة ولا بهيمة ولا ترعاه وهو سم
قاتل قاله عكرمة ومجاهد واكثر المفسرين وروى الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنه قال شيء يرمي به البحر يسمى الضريع من اقوات
الانعام لا الناس فاذا وقعت فيه الابل لم تشبع وهلكت هزلا والصحيح الاول قال ابو ذويب • رعى الشبرق الريان حتى اذا ذوى
وعاد ضريعا بان عنه النحايص • وقال الهذلي يذكر ابلا وسوء مرعاها • وحبسن في هزم الضريع وكلها • قرباء دامية
اليدين جرود • وقال الخليل الضريع نبات اخضر منتن الريح يرمي به البحر وقال ايضا ويقال للجلدة التي على العظم تحت
اللحم هي الضريع فكانه تعالى وصفه بالقلة فلا جرم لا يسمن ولا يغني من جوع وعن ابن عباس رضي الله عنه شجر من نار ولو كان
في الدنيا لاحرقت الارض وما عليها وقيل هو الزقوم وقيل يابس العرفج اذا تحطم وقيل نبت يشبه العوسج وقال سعيد بن
جبير وعكرمة هو حجارة من نار قال القرطبي والاظهر انه شجر ذو شوك حسب ما هو في الدنيا وعن ابن عباس رضي الله عنه
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الضريع شيء يكون في النار يشبه الشوك اشد مرارة من الصبر وانتن من الجيفة واحر من النار
سماه الله تعالى ضريعا شيء يكون في النار يشبه الشوك قال القتيبي ويجوز ان يكون الضريع وشجر الزقوم نبتان من النار او من
جوهر لا تاكله النار وكذلك سلاسل النار واغلالها وعقاربها وحياتها ولو كانت على ما نعلم لما بقيت على النار وانما دلنا
الله تعالى على الغايب عنده بالحاضر عندنا فالاسما متفقة الدلالة والمعاني مختلفة وكذلك ما في الجنة من شجرها وفرشها
وزعم بعضهم ان الضريع ليس هو نبت في النار ولا انهم ياكلونه لان الضريع من اقوات الانعام لا من اقوات الناس واذا وقعت
الابل فيه لم تشبع وهلكوا هزلا فاراد ان هولاء يقتاتون ما لا يشبعهم وضرب الضريع له مثلا والمعنى انهم يعذبون بالجوع
كما يعذب من قوته الضريع قال الحكيم الترمذي وهذا نظر سقيم من اهله يدل على انهم تحيروا في قدرة الله تعالى وان الذي
انبت في هذا التراب الضريع قادر على ان ينبته في حريق النار كما جعل سبحانه وتعالى لنا في الدنيا من الشجر الاخضر نارا فاذا انتم
منه توقدون وكما قال تعالى ونحشرهم يوم القيمة على وجوههم عميا قالوا يا رسول الله وكيف يمشون على وجوههم فقال
عليه الصلوة والسلام الذي امشاهم على ارجلهم قادر فلا يتحير في مثل هذا الا ضعيف القلب وليس قد اخبرنا انه كلما نضجت
جلودهم بدلناهم جلودا غيرها وقال تعالى سرابيلهم من قطران وعن الحسن لا ادري ما الضريع ولم اسمع فيه من الصحابة شيئا
قال ابن كيسان هو طعام يضرعون عنده ويذلون ويتضرعون منه الى الله تعالى طلبا للخلاص منه فسمي بذلك لان اكله يضرع
في ان يعفى منه لكراهته والضراعة الذلة والاستكانة ومعنى الضريع المضرع كالبديع اي يحملهم على ان يضرعوا ويذلوا عند
تناوله قال ابو جعفر النحاس قد يكون مشتقا من الضارع وهو الذليل اي ذو ضراعة اي من شربه ذليل تلحقه ضراعة فان قيل
قد قال تعالى في موضع اخر فليس له اليوم ههنا حميم ولا طعام الا من غسلين وقال تعالى ههنا الا من ضريع وهو غير الغسلين
فما وجه الجمع فالجواب ان النار دركات فمنهم من طعامه الزقوم ومنهم من طعامه الغسلين ومنهم من طعامه
الضريع ومنهم من شرابه الحميم ومنهم من شرابه الصديد قال الكلبي الضريع في درجة ليس فيها غيره والزقوم في درجة اخرى
لا يسمن قال الزمخشري مرفوع المحل او مجرور على وصف طعام او ضريع قال ابو حيان اما وصفه لضريع فيصح لانه منفي
عنه السمن والاغناء من الجوع واما رفعه على وصفه لطعام فلا يصح لان الطعام منفي ويسمن منفي فلا يصح تركيبه لانه يصير
التقدير ليس لهم طعام لا يسمن ولا يغني من جوع الا من ضريع فيصير المعنى ان لهم طعاما يسمن ويغني من جوع من غير الضريع كما
تقول ليس لزيد مال لا ينتفع به الا من مال عمرو فمعناه ان له مالا ينتفع به من غير مال عمرو قال شهاب الدين وهذا لا يرد لانه على
تقدير تسليم القول بالمفهوم وقد منع منه مانع كالسياق في الاية الكريمة ثم قال ابو حيان ولو قيل الجملة في موضع رفع صفة
للمحذوف المقدر في الا من ضريع كان صحيحا لانه في موضع رفع على انه بدل من اسم ليس لهم طعام الا كائن من ضريع او الا طعام من
ضريع غير مسمن ولا مغن من جوع وهذا تركيب صحيح ومعنى واضح وقال الزمخشري ايضا او اريد ان لا طعام لهم اصلا
لان الضريع ليس بطعام للبهائم فضلا عن الانس لان الطعام ما اشبع او اسمن وهو عنهما بمعزل كما تقول ليس لفلان
ظل الا الشمس تريد نفي الظل على التوكيد قال ابو حيان فعلى هذا يكون استثناء منقطعا اذ لم يندرج الكائن من الضريع
تحت لفظ طعام اذ ليس بطعام والظاهر الاتصال فيه وفي قوله تعالى ولا طعام الا من غسلين قال شهاب الدين وهي
قول الزمخشري لا يلزم ان يكون منقطعا اذ المراد نفي الشيء بدليله اي ان كان لهم طعام فليس الا هذا الذي لا يعده
احد طعاما ومثله ليس لفلان ظل الا الشمس وقد مضى تحقيق هذا عند قوله تعالى لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الاولى وقوله
ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم • ومثله كثير فصـل المعنى ان طعامهم ليس من جنس مطاعم الانس لانه نوع من انواع
الشوك والشوك مما ترعاه الابل وهذا النوع مما تنفر منه الابل فاذا منفعتا الغذا منتفيتان عنه وهما اماطة الجوع وافادة
القوة والسمن في البدن او يكون المعنى ليس لهم طعام اصلا لان الضريع ليس بطعام للبهائم فضلا عن الانسان لان الطعام
ما اشبع او اسمن قال المفسرون لما نزلت هذه الاية قال المشركون ان ابلنا لتسمن بالضريع فنزلت لا يسمن ولا يغني

من جوع وكذبوا فان الابل انما ترعاه رطبا فاذا يبس لم تاكله وقيل اشتبه عليهم امره فظنوه انه كغيره من النبت النافع لان
المضارعة المشابهة فوجدوه لا يسمن ولا يغني من جوع فيكون المعنى ان طعامهم من ضريع ليس من جنس ضريعكم انما هو من ضريع غير
مسمن ولا مغن من جوع قوله تعالى وجوه يوميذ ناعمة اي ذات نعمة وهي وجوه المومنين نعمت بما عاينت من عاقبة امرها لما ذكر
تعالى وعيد الكفار اتبعه بشرح احوال المومنين وقيل ذات بهجة وحسن لقوله تعالى تعرف في وجوههم نضرة النعيم اي متنعمة
لسعيها اي لعملها التي عملته في الدنيا راضية في الاخرة حين اعطيت الجنة بعملها وفيها واو مضمرة والتقدير ووجوه يوميذ لتفصل
بينها وبين الوجوه المتقدمة والوجوه عبارة عن الانفس في جنة عالية اي مرتفعة لانها فوق السموات وقيل عالية القدر
لان فيها ما تشتهي الانفس وتلذ الاعين قوله تعالى لا تسمع فيها لاغية قرا ابن كثير وابو عمرو يسمع بالياء من تحت مضمومة
على ما لم يسم فاعله لاغية رفعا لقيامه مقام الفاعل وقرا نافع كذلك الا انه بالتاء من فوق والتذكير والتانيث واضحان لان
التانيث مجازي وقرا الباقون بفتح التاء من فوق ونصب لاغية فيجوز ان تكون التاء للخطاب اي لا تسمع انت وان تكون للتانيث
اي لا تسمع الوجوه وقرا الفضل والجحدري لا يسمع بياء الغيبة مفتوحة لاغية نصبا اي لا يسمع فيها احد ولاغية يجوز ان تكون
صفة لكلمة على معنى النسب اي ذات لغو او على اسناد اللغو اليها مجازا وان تكون صفة لجماعة اي جماعة لاغية وان تكون مصدرا
كالعاقبة والعافية كقوله تعالى لا يسمعون فيها لغوا ولا تاثيما واللغو واللغا واللاغية بمعنى واحد قال الشاعر •
عن اللغا ورفث التكلم • قال الفرا والاخفش اي لا تسمع فيها كلمة لغو والمراد باللغو قيل الكذب والبهتان والكفر بالله
قاله ابن عباس وقال قتادة لا باطل ولا اثم وقال الحسن ومجاهد الشتم وقال الفرا الحلف الكاذب وقال الكلبي لا يسمع
في الجنة حالف بيمين برة ولا فاجرة وقيل لا تسمع في كلامهم كلمة تلغى لان اهل الجنة لا يتكلمون الا بالحكمة وحمد الله تعالى
على ما رزقهم من النعيم الدايم قال الفرا وهو احسن الاقوال قاله القفال والزجاج قوله تعالى فيها عين جارية اي ماء
مندفق وانواع الاشربة اللذيذة على وجه الارض من غير اخدود وقال الزمخشري يريد عيونا في غاية الكثرة كقوله تعالى
علمت نفس قوله تعالى فيها سرر مرفوعة اي عالية في الهوى واكواب موضوعة والاكواب الكيزان التي لا عرى لها والابريق
هو ما له عروة وخرطوم والكوب ما ليس له عروة ولا خرطوم وقوله تعالى موضوعة اي معدة لاهلها وقيل موضوعة على حافات
العين الجارية وقيل موضوعة بين ايديهم لاستحسانهم اياها لكونها من ذهب وفضة وجوهر وتلذذهم بالشرب
منها وقيل موضوعة من حد الكبر اي هي اوساط بين الصغر والكبر لقوله تعالى قدروها تقديرا قوله تعالى ونمارق مصفوفة
النمارق جمع نمرقة وهي الوسادة قالت • نحن بنات طارق • نمشي على النمارق • مصفوفة اي واحدة الى جنب اخرى قال الشاعر
كهولا وشبانا حسانا وجوههم • لهم سرر مصفوفة ونمارق •
والنمرق والنمرقة وسادة صغيرة والنمروق بضم النون وكسرها لغتان اشهرهما الاولى قوله تعالى وزرابي جمع زربية
بفتح الزاي وكسرها لغتان مشهورتان وهي البسط العراض وقيل ما له منها خملة قال ابو عبيدة الزرابي الطنافس التي لها خمل
رقيق واحدها زربية وهو قول الكلبي والفرا المبثوثة المبسوطة قاله قتادة وقال عكرمة بعضها فوق بعض وقال الفرا
كثيرة وقال القتيبي متفرقة في المجالس قال القرطبي وهذا اصح فهي كثيرة متفرقة ومنه قوله تعالى وبث فيها من كل دابة
وقال ابو بكر بن الانباري وحدثنا عمار بن محمد قال صليت خلف منصور بن المعتمر فقرا هل اتاك حديث الغاشية وقرا فيها
وزرابي مبثوثة متكئين فيها ناعمين قوله تعالى افلا ينظرون الى الابل كيف خلقت لما ذكر الله سبحانه وتعالى امر الدارين
تعجب الكفار من ذلك فكذبوا وانكروا فذكرهم الله تعالى صنعته وقدرته وانه تعالى قادر على كل شيء كما خلق الحيوانات
والسماء والارض وذكر الابل اولا لانها كثيرة في بلاد العرب ولم يروا الفيلة فنبههم تعالى على عظيم من خلقه وقد ذلله للصغير
يقوده وينيخه وينهضه ويحمل عليه الثقيل من الاحمال وهو بارك فينهض بثقيل حمله وليس ذلك في شيء من الحيوان غيره
فاراهم عظيما من خلقه يدلهم بذلك على توحيده وعظيم قدرته تعالى وعن بعض الحكما انه حدث عن البعير وبديع خلقه
ولم يكن نشا في بلاد الابل ففكر ثم قال يوشك ان يكون طول الاعناق قال ابن الخطيب الابل لها خواص منها انه تعالى
جعل الحيوان الذي يقتنى انواعا فتارة يقتنى ليوكل لحمه وتارة ليشرب لبنه وتارة ليحمل الناس في الاسفار وتارة لنقل
المتاع من بلد الى بلد وتارة للزينة والجمال وهذه المنافع باسرها حاصلة في الابل ثم انها فاقت في كل خصلة من هذه الخصال
غيرها من الحيوان المختص ببعضها مع صبرها على العطش وقطع المفاوز بالاحمال الثقيلة وقناعتها في العلف ببنات البر
ولقد ضللنا الطريق في مفازة فقدموا جملا واتبعوه فهداهم للطريق بعد زمان طويل مع كثرة المعاطف والتلول فانظر
كيف ثبت واهتدى على ما عجز عنه ذوو العقول ومنها انها في غاية القوة والصبر على العمل ومنها انها مع كونها كذلك منقادة
للصبي الصغير ومنها انها تحمل وهي باركة ثم تقوم بحملها وهذه الصفات توجب على العاقل ان ينظر في خلقها وتركيبها ويستدل
بذلك على وجوب الصانع الحكيم جلت قدرته تعالى فصـل قال قتادة ومقاتل وغيرهما لما ذكر الله تعالى

المسن المرفوعة قالوا كيف نصعدها فانزل الله تعالى هذه الاية وبين ان الابل تبرك حتى يحمل عليها ثم تقوم فكذلك تلك السرر
تطامن ثم ترتفع وقال المبرد الابل هنا القطع العظيمة من السحاب قال الثعلبي ولم اجد لذلك اصلا في كتب الائمة قال القرطبي
قد ذكر الاصمعي ابو سعيد عبد الملك بن قريب قال ابو عمرو من قراها افلا ينظرون الى الابل كيف خلقت عنى به البعير لانه من ذوات الاربع
يبرك فيحمل عليه الحمولة وغيره من ذوات الاربع لا يحمل عليه الا وهو قائم ومن قراها بالتثقيل فقال الابل عنى بها السحاب
التي تحمل الماء للمطر وقال الماوردي وفي الابل وجهان اظهرهما انها الابل والثاني انها السحاب فان كان المراد بها السحاب فلما
فيها من الايات والدلالات الدالة على قدرته تعالى وعلى المنافع العامة لجميع خلقه وان كان المراد بها الابل من النعم فلان الابل اجمع
للمنافع من سائر الحيوانات لان ضروبه اربعة حلوبة * وركوبة * واكولة * وحمولة * والابل تجمع هذه الخلال الاربع فكانت
النعمة بها اعم وظهور القدرة فيها اتم وقيل الحسن اعظم في الاعجوبة فقال العرب بعيدة العهد بالفيل ثم هو لا يوكل لحمه
ولا يركب ظهره ولا يحلب دره **فصل** الابل اسم جمع واحده بعير وناقة وجمل ولا واحد لها من لفظها وهو مؤنث
ولذلك تدخل عليه تاء التانيث حال تصغيره فيقال ابيلة قال القرطبي لا واحد لها من لفظها اذا كانت لغير الادميين فالتانيث
لها لازم وربما قالوا للابل ابل بسكون الباء للتخفيف والجمع ابال واشتقوا من لفظه فقالوا ابل زيد اي كثرت ابله وتعجبوا من هذا
فقالوا ما ابله اي ما اكثر ابله وتقدم في سورة الانعام **قوله تعالى** كيف منصوب بخلقت على حد نصبها في قوله تعالى كيف
تكفرون والجملة بدل من الابل بدل اشتمال فيكون في محل جر وهي في الحقيقة معلقة للنظر وقد دخلت الى على كيف في قولهم انظر الى كيف
يصنع وقد تبدل الجملة المشتملة على استفهام من اسم ليس فيه استفهام كقولهم عرفت زيدا ابو من هو على خلاف بين النحويين وقرا العامة
خلقت ورفعت ونصبت وسطحت مبنيا للمفعول والتاء ساكنة للتانيث وقرا امير المومنين وابن ابي عبلة وابو حيوة قال القرطبي
وابن السميفع وابو العالية خلقت وما بعده بتاء المتكلم مبنيا للفاعل والعامة على سطحت مخففا وقرا الحسن وابو حيوة وابو رجا
سطحت بتشديد الطاء واسكان التاء قال القرطبي وقدم الابل في الذكر ولو قدم غيرها لجاز قال القشيري وليس هذا مما يطلب فيه
نوع حكمة **قوله تعالى** والى السماء كيف رفعت اي رفعت عن الارض بلا عمد بعيدة المدى وقيل رفعت فلا ينالها شيء والى الجبال
كيف نصبت نصبا ثابتا راسخا لا تميل ولا تزول وذلك ان الارض لما دحيت مادت فارساها بالجبال كما قال تعالى وجعلنا في
الارض رواسي ان تميد بكم والى الارض كيف سطحت مهدت اي بسطت ومدت واستدل بعضهم بهذا على ان الارض ليست بكرة قال ابن
الخطيب وهو ضعيف لان الكرة اذا كانت في غاية العظمة تكون كل قطعة منها كالسطح فان قيل ما المناسبة بين هذه الاشيا
فالجواب قال الزمخشري من فسر الابل بالسحاب فالمناسبة ظاهرة وذلك تشبيه ومجاز ومن حملها على الابل فالمناسبة بينها
وبين السماء والارض والجبال من وجهين الاول ان القران نزل على العرب وكانوا يسافرون كثيرا وكانوا يسيرون عليها في المهامه
القفار مستوحشين منفردين عن الناس فالانسان اذا انفرد اقبل على التفكر في الاشيا لانه ليس معه من يحادثه وليس هناك من
يشتغل به سمعه وبصره فلا بد من ان يجعل دابه الفكر فاذا افكر في تلك الحال فاول ما يقع بصره على الجمل الذي هو راكبه فيرى منظرا
عجيبا وان نظر الى فوق لم ير غير السما واذا نظر يمينا وشمالا لم ير غير الجبال واذا نظر الى ما تحت لم ير غير الارض فكانه سبحانه وتعالى
امره بالنظر وقت الخلوة والانفراد حتى لا تحمله داعية الكبر والحسد على ترك النظر الثاني ان جميع المخلوقات دالة على الصانع
جلت قدرته الا انها قسمان منها ما للشهوة فيه حظ كالوجه الحسن والبساتين النزهة والذهب والفضة ونحوها فهذه مع دلالتها
على الصانع قد يمنع استحسانها عن كمال النظر ومنها ما لا حظ فيه للشهوة كهذه الاشيا فامر بالنظر فيها اذ لا مانع من كمال النظر فيها
قوله تعالى فذكر اي فعظهم يا محمد وخوفهم انما انت مذكر واعظ لست عليهم بمسيطر اي بمسلط فتقتلهم ثم نسختها اية السيف وقرا العامة
بمصيطر بالصاد وقنبل في بعض طرقه وهشام بالسين وخلف باشمام الصاد زايا بلا خلاف وعن خلاد وجهان وقرا هارون الاعور
بمصيطر بفتح الطاء اسم مفعول لان سيطر عنده متعد ويدل على ذلك فعل مطاوعه وهو تسيطر ولم يجي اسم فاعل
ويمكن ان يكون اصلهما [illegible] وقد تقدم ان بعضهم جعل مهيمنا مصغرا وتقدم انه خطأ عظيم ورد ذلك
في سورة المائدة قال القرطبي وفي الصحاح المسيطر والمصيطر المسلط على الشيء ليشرف عليه ويتعهد احواله ويكتب عمله واصله
من السطر لان من معنى السطر ان لا يتجاوز فالكتاب مسطر والذي يفعله مسطر ومسيطر يقال سيطرت علينا قال تعالى لست عليهم
بمسيطر ومصدره اي صرعه **قوله تعالى** الا من تولى وكفر استثنا منقطع اي لكن من تولى عن الوعظ والتذكير
فيعذبه الله العذاب الاكبر وهو جهنم الدائم عذابها وانما قال الاكبر لانهم عذبوا في الدنيا بالجوع والقحط والاسر والقتل
ويويد هذا التاويل قراءة ابن مسعود الا من تولى وكفر فانه يعذبه الله وقيل هو استثنا متصل والمعنى لست بمسلط الا على
من تولى وكفر فانت مسلط عليه بالجهاد والله تعالى يعذبه ذلك العذاب الاكبر فلا نسخ في الاية على هذا التقدير وقرا ابن عباس
وزيد بن علي وزيد بن اسلم وقتادة الا حرف استفتاح وتنبيه كقول امرئ القيس * الا رب يوم لك منهن صالح * ومن على هذا شرط
فالجملة معنى شرطية والجواب فيعذبه الله والمبتدا بعد الفاء مضمر والتقدير فهو يعذبه الله لانه لو اريد الجواب بالفعل الذي بعد الفا

لكان الا من تولى وكفر يعذبه الله قال شهاب الدين او موصولة مضمن معناه **قوله تعالى** ان الينا ايابهم اي رجوعهم بعد الموت والعامة
على تخفيف الياء مصدر آب يؤوب ايابا اي رجع كقام يقوم قياما قال عبيد * وكل ذي غيبة يؤوب * وغائب الموت لا يؤوب *
وقرا ابو جعفر وشيبة بتشديدها قال ابو حاتم لا يجوز التشديد ولو جاز مثله في الصيام والقيام وقيل لغتان بمعنى قال
شهاب الدين وقد اضطربت فيها اقوال التصريفيين فقيل هو مصدر لايب على وزن فيعل كبيطر يبيطر والمعنى ايب يؤيب ايابا
والاصل ايوب يؤيوب ايوابا كبيطر بيطارا فاجتمعت الياء والواو في جميع ذلك وسبقت احديهما بالسكون فقلبت الواو ياء
وادغمت الياء الزايدة فيها فاياب على هذا فيعال وقيل بل هو مصدر لاوب بزنة فوعل كحوقل والاصل اواب بواوين الاولى
زايدة والثانية عين الكلمة فسكنت الاولى بعد كسرة فقلبت ياء فصار ايوابا فاجتمعت ياء وواو وسبقت احديهما بالسكون
فقلبت الواو ياء وادغمت في الياء بعدها فوزنه فيعال كحيقال وقيل بل هو مصدر لاوب على وزن فعول كجهور
والاصل اوواب على وزن فعوال كجهوار الاولى عين الكلمة والثانية زايدة وفعل به ما فعل بما قبله من القلب والادغام للعلل
المتقدمة وهي مفهومة مما مر فان قيل الادغام مانع من قلب الواو ياء قيل انما يمنع اذا كانت الواو والياء مثنيا وقد عرفت
ان الياء في فيعل والواو في فوعل وفعول زايدتان وقيل بل هو مصدر لاوب بزنة فعل نحو كذب كذابا والاصل اواب ثم
قلبت الواو الاولى ياء لانكسار ما قبلها فقيل ايوابا قال الزمخشري كديوان في دوان ثم فعل به ما فعل بسيد يعني ان اصله سيود
فقلبت وادغم والى هذا نحا ابو الفضل ايضا الا ان ابا حيان رده قال لانهم نصوا على ان الواو الموضوعة على الادغام
لا تقلب الاولى ياء وان انكسر ما قبلها قال ومثلوا بنفس اواب مصدر اوب مشددا وباخرواط مصدر اخروط قال واما
تشبيه الزمخشري بديوان فليس بجيد لانهم لم ينطقوا بها في الوضع مدغمة فلم يقولوا دوان ولولا الجمع على دواوين لم يعلم
ان اصل هذه الياء واو وقد نصوا على شذوذ ديوان فلا يقاس عليه غيره قال شهاب الدين اما كونهم لم ينطقوا بدوان فلا يلزم
منه رد ما قاله الزمخشري وقد نص النحاة على ان اصل ديوان دوان وقراط قراط بدليل الجمع على دواوين وقراريط وكونه شاذا لا يقدح
لانه لم يجعله مقيسا عليه بل منظرا به وقد ذهب مكي الى نحو من هذا فقال واصل الياء واو ولكن انقلبت ياء لانكسار ما قبلها وكان
يلزم من شدد ان يقول اوابهم لانه من الواو ويقول ايوابهم فيبدل من اول المشدد ياء كما قالوا ديوان والاصل دوان انتهى
وقيل هو مصدر لاوب بزنة اكرم من الاوب والاصل اواب كاكرام فابدلت الهمزة الثانية بالسكون بعد همزة مكسورة
فصار اللفظ ايوابا فاجتمعت الياء والواو على ما تقدم فقلبت وادغم ووزنه افعال وهذا اوضح وقال ابن عطية في هذا
الوجه سهلت الهمزة وكان الادغام يردها اوابا لكن استحسنت فيه الياء على غير قياس انتهى وهذا ليس بجيد لما عرف من انه لما
قلبت الهمزة ياء فالقياس ان يفعل ما تقدم من قلب الواو الى الياء من دون عكس قال شهاب الدين وانما ذكرت هذه الاوجه مشروحة
لصعوبتها وعدم من يمعن النظر في مثل هذه المواضع المغلقة وقدم الخبر في قوله الينا وعلينا مبالغة في التشديد في الوعيد
والله اعلم روى الثعلبي في تفسيره عن ابي رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الغاشية حاسبه الله حسابا يسيرا

سورة الفجر مكية

وهي ثلاثون اية ومائة وتسع وثلاثون كلمة وخمسمائة وسبعة وسبعون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم **قوله تعالى**
والفجر قيل جواب القسم مذكور وهو قوله تعالى ان ربك لبالمرصاد قاله ابن الانباري وقيل محذوف لدلالة المعنى عليه
اي لنجازين كل احد بما عمل بدليل تقريره ما فعل بالقرون الماضية وقدره الزمخشري لنعذبن قال يدل عليه قوله تعالى الم تر الى
قوله فصب وقدره ابو حيان بما دلت عليه خاتمة السورة قبلها اي لايابهم الينا وحسابهم علينا وقال مقاتل هل هنا في موضع ان
تقديره ان في ذلك قسما لذي حجر فهل على هذا في موضع جواب القسم انتهى وهذا قول باطل لانه لا يصلح ان يكون مقسما عليه
على تقدير تسليم ان التركيب هكذا وانما ذكرناه للتنبيه على سقوطه وقيل ثم مضاف محذوف اي وصلاة الفجر او ورب الفجر
والعامة على عدم التنوين في الفجر والوتر ويسر وابو الدينار الاعرابي بتنوين الثلاثة قال ابن خالويه هذا ما روي عن بعض العرب
انه يقف على اخر القوافي وان كان فعلا وان كان فيه الالف واللام قال الشاعر * اقلي اللوم عاذل والعتابن *
وقولي ان اصبت لقد اصابن * يعني بهذا تنوين الترنم وهو ان العرب اذا ارادت ترك الترنم وهو مد الصوت نونت الكلمة وانما
يكون في الروي المطلق وقد عاب بعضهم النحويين بتنوين الترنم وقال بل ينبغي ان يسموه بتنوين تركه ولهذا التنوين قسيم اخر
يسمى التنوين الغالي وهو ما لحق الروي المقيد كقوله * وقاتم الاعماق خاوي المخترقن * على ان بعض العروضيين انكروا وجوده ولهذين
التنوينين احكام مخالفة لحكم التنوين مذكورة في علم النحو والحاصل ان هذا القاري اجرى الفواصل مجرى القوافي وله نظاير

من منها الرسولا والسبيلا والظنونا في الاحزاب والمتعال في سورة الرعد ويسر هنا قال الزمخشري فالها منكرة من بين ما اقسم به قلت لانها ليال مخصوصة من بين جنس الليالي العشر بعض منها او مخصوصة بفضيلة ليست في غيرها فان قلت هلا عرفت بلام العهد لانها ليال معلومة قلت لو فعل ذلك لم يستقل بمعنى الفضيلة التي في التنكير ولان الاحسن ان تكون اللامات متجانسة ليكون الكلام ابعد من الالغاز والتعمية يعني تجانس اللامات ان تكون كلها اما للجنس واما للعهد والغرض ان الظاهر ان اللامات في الفجر وما معه للجنس فلو جي بالليالي معرفة بلام العهد لفات التجانس **فصل** اقسم سبحانه بالفجر وليال عشر والشفع والوتر والليل اذا يسر اقسام خمسة واختلف في الفجر فقال علي وابن الزبير وابن عباس رضي الله عنهم الفجر هنا انفجار الظلمة عن النهار من كل يوم قال ابن الخطيب اقسم الله تعالى بما يحصل فيه من ظهور النور وانتشار الناس وسائر الحيوان في طلب الارزاق وذلك مشاكل لنشور الموتى وفيه عبرة لمن تامل كقوله تعالى والصبح اذا تنفس يمدح بكونه خالقه فقال سبحانه فالق الاصباح وعن ابن عباس رضي الله عنه انه النهار كله وعبر عنه بالفجر لانه اوله وروى ابن محيصن عن عطية عن ابن عباس يعني فجر المحرم قال قتادة هو فجر اول يوم من المحرم منه تنفجر السنة وعنه ايضا صلاة الصبح وروى ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس قال يريد صبيحة يوم النحر لان الله تعالى جعل لكل يوم ليلة قبله الا يوم النحر لم يجعل له ليلة قبله ولا ليلة بعده لان يوم عرفة له ليلتان ليلة قبله وليلة بعده فمن ادرك الموقف الليلة التي بعد عرفة فقد ادرك الحج الى طلوع فجر يوم النحر وهذا قول مجاهد وقال عكرمة والفجر قال انشقاق الفجر يوم جمع وعن محمد بن كعب القرظي والفجر قال اخر ايام العشر اذا دفعت من جمع وقال الضحاك فجر ذي الحجة لان الله تعالى قرن به الايام فقال تعالى وليال عشر اي ليال عشر من ذي الحجة وقيل هي العيون التي تنفجر منها المياه **قوله تعالى** وليال عشر العامة على ليال بالتنوين عشر صفة لها وقرا ابن عباس وليال عشر بالاضافة فبعضهم قال ليال بالتنوين عشر صفة لها وبعضهم قال ليال في هذه القراءة دون يا وبعضهم قال وليالي عشر بالياء لاضافة وهو القياس قيل والمراد ليالي ايام عشر وكان من حقه على هذا ان يقال عشرة لان المعدود مذكر ويجاب عنه بانه اذا حذف المعدود جاز الوجهان ومنه واتبعه بست من شوال وسمع الكسائي صمنا من الشهر خمسا **فصل** قال ابن عباس ومجاهد والسدي والكلبي هو عشر ذي الحجة وقال مسروق هي العشر المذكورة في قوله تعالى في قصة موسى عليه السلام واتممناها بعشر وهي افضل ايام السنة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من ايام العمل الصالح فيهن احب الى الله تعالى من عشر ذي الحجة ولان ليلة يوم النحر داخلة فيه اذ خصها الله تعالى موقفا لمن لم يدرك الوقوف يوم عرفة وعن ابن عباس ايضا هي العشر الاواخر من رمضان وقال الضحاك اقسم الله تعالى بها لشرفها بليلة القدر وكان صلى الله عليه وسلم اذا دخل العشر الاواخر من رمضان شد المئزر وايقظ اهله للتهجد وعن ابن عباس رضي الله عنه وعن يمان والطبري هو العشر الاول من المحرم لان اخرها يوم عاشورا ولصومه فضل عظيم **قوله تعالى** والشفع والوتر قرا الاخوان بكسر الواو من الوتر والباقون بفتحها وهما لغتان كالحبر والحبر والفتح لغة قريش ومن والاها والكسر لغة تميم وهاتان اللغتان في الوتر مقابل الشفع فاما في الوتر بمعنى الترة اي الذحل فبالكسر وحده قال الزمخشري ونقل الاصمعي فيه اللغتين ايضا وقرا ابو عمرو في رواية يونس عنه بفتح الواو وكسر التاء فيحتمل ان تكون لغة ثالثة وان يكون نقل كسرة الراء الى التاء اجراء للوصل مجرى الوقف **فصل** قال ابن الخطيب الشفع والوتر هو الذي تسميه العرب الخسا والزكا وتسميه العامة الزوج والفرد قال يونس اهل العالية يقولون الوتر بالفتح في العدد والوتر بالكسر في الذحل وتميم يقولون بكسر الواو فيهما ويقول اوترت اوتر ايتارا اي جعلته وترا ومنه قوله صلى الله عليه وسلم من استجمر فليوتر واختلف في الشفع والوتر فروى عمران بن حصين رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الشفع والوتر الصلاة منها شفع ومنها وتر وقال جابر بن عبد الله قال النبي صلى الله عليه وسلم والفجر وليال عشر قال هو الصبح وعشر النحر والوتر يوم عرفة والشفع يوم النحر وهو قول ابن عباس وعكرمة واختاره النحاس وقال حديث ابي الزبير عن جابر هو الذي صح عن النبي صلى الله عليه وسلم وهو اصح اسنادا من حديث عمران بن حصين فيوم عرفة وتر لانه تاسعها ويوم النحر شفع لانه عاشرها وعن ابي ايوب قال سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن قوله تعالى والشفع والوتر قال الشفع يوم عرفة ويوم النحر والوتر ليلة يوم النحر وقال مجاهد وابن عباس الشفع خلقه قال تعالى وخلقناكم ازواجا والوتر هو الله تعالى فقيل لمجاهد ارويته عن احد قال نعم عن ابي سعيد الخدري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحوه قال محمد بن سيرين ومسروق وابو صالح وقتادة قالوا الشفع الخلق قال تعالى ومن كل شي خلقنا زوجين الكفر والايمان والشقاوة والسعادة والهدى والضلال والنور والظلمة والليل والنهار والحر والبرد والشمس والقمر والصيف والشتاء والسماء والارض والجن والانس والوتر هو الله تعالى قال تعالى قل هو الله احد الله الصمد وقال صلى الله عليه وسلم ان لله تسعة وتسعين اسما والله وتر يحب الوتر وعن ابن عباس رضي الله عنه الشفع صلاة الصبح والوتر صلاة المغرب فالشفع منها وقال الربيع بن انس وابو العالية هي صلاة المغرب فالشفع منها الركعتان الاوليان والوتر الثالثة وقال ابن الزبير الشفع الحادي عشر والثاني عشر من ايام منى والوتر اليوم الثالث عشر قال تعالى فمن تعجل في يومين فلا اثم عليه ومن تاخر فلا اثم عليه وقال عطاء والضحاك الشفع عشر ذي الحجة والوتر ايام منى الثلاثة وقيل الشفع والوتر آدم عليه السلام كان وترا فشفع

بزوجته حوى رواه ابن ابي نجيح وحكاه القشيري عن ابن عباس رضي الله عنه وفي رواية الشفع آدم وحوى والوتر هو الله تعالى وقيل الشفع درجات الجنة ثمان والوتر دركات النار وهي سبعة كانه اقسم بالجنة والنار قاله الحسين بن الفضل وقيل الشفع الصفا والمروة والوتر الكعبة وقال مقاتل وابن حبان الشفع الايام والليالي والوتر الذي لا ليلة بعده وهو يوم القيمة وقيل غير ذلك قال ابن الخطيب وكل هذه الوجوه محتملة والظاهر لا اشعار له بشي من هذه الاشيا على التعيين فان ثبت في شي منها خبر عن الرسول عليه الصلاة والسلام او اجماع من اهل التاويل حكم بانه المراد وان لم يثبت وجب ان يكون الكلام على طريقة الجواز لا على القطع ولقائل ان يقول اني احمل الكلام على الكل لان الالف واللام في الشفع والوتر يفيد العموم **قوله تعالى** والليل اذا يسر هذا قسم خامس بعد ما اقسم بالليالي العشر على الخصوص اقسم بالليل على العموم ومعنى يسر اي يسرى فيه كما يقال ليل نائم ونهار صائم قال الشاعر

لقد لمتنا يا ام غيلان في السرى ونمت وما ليل المطي بنائم

ومنه قوله تعالى بل مكر الليل والنهار هذا قول اكثر اهل المعاني وهو قول القتيبي والاخفش وقال اكثر المفسرين معنى يسري سار فذهب وقال قتادة وابو العالية جاء واقبل وقيل المراد ينقص كقوله اذا دبر اذا عسعس ويسر منصوب بمحذوف هو فعل القسم اي اقسم به وقت سراه وحذف يا يسري وقفا واثبتها وصلا نافع وابو عمرو واثبتها في الحالين ابن كثير وحذفها في الحالين الباقون لسقوطها في خط المصحف الكريم واثباتها هو الاصل لانها لام فعل مضارع مرفوع وحذفها لموافقة المصحف وموافقة رؤوس الاي وجريا للفواصل مجرى القوافي ومن فرق بين حالتي الوقف والوصل فلانه لو قف محل استراحة قال الزمخشري وياء يسري تحذف في الدرج اكتفاء عنها بالكسرة واما في الوقف فيحذف مع الكسرة وهذه الاسماء كلها مجرورة بالقسم والجواب محذوف وهو ليعذبن بدليل قوله تعالى الم تر كيف فعل ربك بعاد الى قوله فصب عليهم ربك سوط عذاب وقد تقدم الكلام على ذلك **قوله تعالى** هل في ذلك قسم لذي حجر قيل هل على بابها من الاستفهام الذي معناه التقرير كقولك الم انعم عليك اذا كنت قد انعمت وقيل المراد بذلك التوحيد لما اقسم به واقسم عليه والمعنى بل في ذلك مقنع لذي حجر ومعنى لذي حجر اي لذي لب وعقل قال الشاعر

وكيف يرجى ان يتوب وانما يرجى من كان ذا حجر

وقال ابو مالك لذي حجر اي لذي ستر من الناس وقال الحسن لذي حلم قال الفراء الكل يرجع الى معنى واحد لذي حجر ولذي عقل ولذي حلم ولذي ستر الكل بمعنى العقل واصل الحجر المنع يقال لمن ملك نفسه ومنعها انه لذو حجر ومنه سمي الحجر المنع لامتناعه بصلابته ومنه حجر الحاكم على فلان اي منعه عن التصرف ولذلك سميت الحجرة حجرة لامتناع ما فيها بها وقال الفراء العرب تقول انه لذو حجر اذا كان قاهرا لنفسه ضابطا لها كانه اخذ من حجرت على الرجل **فصل** والمعنى ان كل ذلك دال على ان كلما اقسم الله تعالى به من هذه الاشيا فيه عجائب ودلائل على التوحيد والربوبية فهو حقيق بان يقسم به لدلالته على خالقه قال القاضي وهذه الاية تدل على ان القسم واقع برب هذه الامور لان الاية دالة على ان هذه مبالغة في القسم والمبالغة لا تحصل الا في القسم بالله تعالى ولان النهي قد ورد بان يحلف العاقل بغير الله تعالى **قوله تعالى** الم تر كيف فعل ربك بعاد ارم قرا العامة بعاد مصروفا وارم بكسر الهمزة وفتح الراء والميم فعاد اسم لرجل في الاصل ثم اطلق على القبيلة او الحي وقد تقدم الكلام عليه واما ارم فقيل هو اسم قبيلة وقيل اسم مدينة واختلفوا في تعيينها فقيل اسكندرية وقيل دمشق وهذان القولان ضعيفان لان منازل قوم عاد كانت من عمان الى حضرموت وهي بلاد الرمال والاحقاف واما اسكندرية ودمشق فليستا من بلاد الرمال فان كانت اسم قبيلة كانت بدلا او عطف بيان او منصوبة باضمار اعني وان كانت اسم مدينة فتعلق الاعراب من عاد وتخريجه على حذف مضاف كانه قيل بعاد اهل ارم قال الزمخشري وهو حسن ويبعد ان يكون بدلا من عاد بدل اشتمال اذ لا ضمير وتقديره فيه وقد يقال انه لما كان المعنى بعاد مدينتهم لان ارم قائمة مقام ذلك صح البدل وارم اسم جد عاد وهو عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح عليه السلام قال زهير

واخرين بني المليك هدمهم من نسج داود وما اورثت ارم

وقال قيس الرقيات

مجدا تليدا بناه اوله ادرك عادا وقبل ارما

وقرا الحسن عاد غير مصروف قال ابو حيان مضافا الى ارم فجاز ان يكون ارم ابا او جدا او مدينة قال شهاب الدين يتعين ان يكون في قراءة الحسن غير مضاف بل يكون كما كان منونا ويكون ارم بدلا او بيانا او منصوبا باضمار اعني ولو كان مضافا لوجب صرفه وانما منع عادا اعتبارا بمعنى القبيلة او جاء على احد الجائزين في هند وبابه وقرا الضحاك في رواية بعاد ارم ممنوع الصرف وفتح الهمزة من ارم كما قال مجاهد من قرا بفتح الهمزة شبههم بالارام التي هي الاعلام وعنه ايضا بفتح الهمزة وسكون الراء وهو تخفيف ارم بكسر الراء وهي لغة في اسم المدينة كما قرئ بورقكم وهي قراءة ابن الزبير وعنه في عاد مع هذه القراءة الصرف وتركه وعنه ايضا وعن ابن عباس ارم بفتح الهمزة والراء والميم مشددة جعلاه فعلا ماضيا يقال ارم العظم اي بلي وارمه ايضا وارمه غيره فافعل يكون لازما ومتعديا في هذا وذات على هذه القراءة مجرورة صفة لعاد ويكون قد راعى لفظها تارة في قوله ارم فلم يلحق علامة تانيث ويكون ارم معترضا بين الصفة والموصوف اي ارمت هي بمعنى رمت وبليت وهو دعاء

عليهم ويجوز ان يكون فاعل ارم ضمير الباري تعالى والمفعول محذوف اي ارمها الله تعالى والجملة الدعائية معترضة
ايضا وراعي معناها اخرى في ذات فانث وروي عن ابن عباس رضي الله عنه ذات بالنصب على انها مفعول بارم وفاعل
ارم ضمير يعود على الله تعالى اي ارمها الله ويكون ارم بدلا من فعل ربك وتبيينا له وقرا ابن الزبير بعاد ارم باضافة
عاد الى ارم مفتوح الهمزة مكسور الراء وقد تقدم انه اسم المدينة وقرئ ارم ذات باضافة ارم الى ذات وروي عن مجاهد ارم
بفتحتين مصدر ارم يارم اي هلك فعلى هذا يكون منصوبا بفعل ربك نصب المصدر التشبيهي والتقدير كيف اهلك
ربك عادا اهلاك ذات العماد وهذا اغرب الاقوال وذات العماد ان كان صفة لقبيلة فمعناه انهم اصحاب خيام لها اعمدة يظعنون
بها او هو كناية عن طول ابدانهم كقولهم رفيع العماد طويل النجاد قال ابن عباس رضي الله عنه وان كان صفة للمدينة فمعناه
انها ذات عمد الحجارة **قوله تعالى** التي لم يخلق يجوز ان يكون تابعا وان يكون مقطوعا رفعا ونصبا والعامة على يخلق
مبنيا للمفعول مثلها مرفوع على ما لم يسم فاعله وعن ابن الزبير يخلق مبنيا للفاعل مثلها منصوبا وعنه ايضا نخلق
بنون العظمة **فصل** قال القرطبي من لم يضف جعل ارم اسم عاد ولم يصرفه لانه جعل عادا اسم ابيهم واسم
بلدتهم وتقديره بعاد اهل ارم كقوله تعالى واسئل القرية ولم يصرف قبيلة كانت او ارضا للتعريف والتانيث والادم
العلم اي بعاد ذات اهل العلم وهذه الرؤية رؤية القلب والخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد عام وكان امر عاد وثمود عندهم
مشهورا اذ كانوا في بلاد العرب وحجر ثمود موجود اليوم وامر فرعون كانوا يسمعونه من جيرانهم من اهل الكتاب واستفاضت به الاخبار
وبلاد فرعون متصلة بارض العرب وقوله بعاد اي بقوم هود قال ابو هريرة كان الرجل من قوم عاد ليتخذ المصراع من حجارة لو اجتمع
عليه خمسمائة من هذه الامة لم يستطيعوا ان يقلوه وارم قال ابو اسحق هو سام بن نوح عليه السلام وعن ابن عباس وابي اسحق ايضا قال
عاد بن ارم بن عوص بن سام بن نوح عليه السلام قال ابن اسحق كان سام بن نوح له اولاد منهم ارم بن سام وارفخشد بن سام فمن ولد
ارم بن سام العمالقة والفراعنة والجبابرة والملوك الطغاة والعصاة وقال مجاهد ارم امة من الامم وعنه ايضا ان معنى ارم القديمة
وعنه ايضا القوية وقال قتادة هي قبيلة من عاد وقيل هما عادان فالاول هي ارم قال تعالى وانه اهلك عادا الاولى فقيل لعقب
عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح عاد كما يقال لبني هاشم هاشم ثم قيل للاولين منهم عاد الاولى وارم تسمية لهم باسم جدهم ولمن
بعدهم عاد الاخرى قال ابن الرقيات • مجدا تليدا بناه اوله • ادرك عادا وقبله ارما • وقال معمر ارم اليه مجمع عاد وثمود وكانت
القبائل تنتسب الى ارم ذات العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد قال ابن عباس في رواية عطا كان الرجل منهم طوله خمسمائة ذراع والقصير
منهم طوله ثلاثمائة ذراع بذراع نفسه وعن ابن عباس ايضا ان طول الرجل منهم كان سبعون ذراعا قال ابن العربي وهو باطل لان
في الصحيح ان الله تعالى خلق آدم عليه السلام طوله ستون ذراعا في الهوى فلم يزل الخلق ينقص الى الآن وزعم قتادة ان طول الرجل منهم
اثني عشر ذراعا قال ابو عبيدة ذات العماد ذات الطول يقال رجل معمد اذا كان طويلا ونحوه عن ابن عباس ومجاهد وعن قتادة
كانوا اهل خيام واعمدة وكانوا عمادا لقومهم يقال فلان عميد القوم وعمودهم اي سيدهم وعنه ايضا كانوا اهل خيام واعمدة
ينتجعون الغيوث ويطلبون الكلاء ثم يرجعون الى منازلهم وقيل المعنى ذات الابنية المرفوعة على العمد وكانوا ينصبون الاعمدة
فيبنون عليها القصور وقال ابن زيد ذات العماد يعني احكام البنيان بالعمد قال الجوهري العماد الابنية الرفيعة يذكر ويؤنث
والواحدة عمادة وقال الضحاك ذات العماد اي ذات الشدة والقوة ماخوذ من قوة الاعمدة بدليل قوله تعالى وقالوا من اشد منا قوة
فصل والضمير في مثلها راجع الى القبيلة اي لم يخلق مثل القبيلة في البلاد قوة وشدة وعظم اجساد وعن الحسن
وغيره وفي حرف عبد الله التي لم يخلق مثلهم في البلاد وقيل يرجع الى المدينة وقيل يرجع الى العماد وعلى هذا فالعماد جمع عمد وهي
الاساطين والاول اظهر وعليه الاكثر **فصل** قال القرطبي روي عن مالك رضي الله عنه ان كتابا وجد بالاسكندرية
فلم يدر ما فيه فاذا فيه انا شداد بن عاد الذي رفع العماد بنيتها حين لا شيب ولا موت قال مالك ان كان لتمر بهم مائة سنة
لا يرون فيها جنازة وروي انه كان لعاد ابنان شداد وشديد فملكا وقهرا ثم مات شديد وخلص الامر لشداد فملك الدنيا
ودانت له ملوكها فسمع بذكر الجنة فقال ابني مثلها فبنى ارم في بعض صحاري عدن في ثلاثمائة سنة وهي مدينة عظيمة قصورها
من الذهب والفضة واساطينها من الزبرجد والياقوت وفيها اصناف الاشجار والانهار فلما تم بناها سار اليها باهل مملكته
فلما كان منها على مسيرة يوم وليلة بعث الله تعالى عليهم صيحة من السماء فهلكوا وعن عبد الله بن قلابة انه خرج في طلب ابل له فوقع عليها
فحمل ما قدر عليه مما هناك وبلغ خبره معاوية فاستحضره فقص عليه فبعث الى كعب فساله فقال ارم ذات العماد وسيدخلها رجل
من المسلمين في زمانك احمر اشقر قصير على حاجبه خال وعلى عقبه خال يخرج في طلب ابل له ثم التفت فابصر ابن قلابة فقال وهذا
والله ذلك الرجل **فصل** ذكر الله تعالى ههنا قصة ثلاث فرق من الكفار المتقدمين وهم عاد وثمود وقوم فرعون
على سبيل الاجمال حيث قال تعالى فصب عليهم ربك سوط عذاب ولم يبين كيفية ذلك العذاب وبين في سورة الحاقة ما ابهم
في هذه السورة فقال تعالى فاما ثمود فاهلكوا بالطاغية واما عاد فاهلكوا بريح صرصر عاتية الى قوله وجاء فرعون ومن قبله

والمؤتفكات بالخاطئة **قوله تعالى** وثمود قرا العامة بمنع الصرف وابن وثاب بصرفه كما تقدم والذي يجوز فيه
ما تقدم في التي لم يخلق وجابوا اي قطعوا ومنه فلان يجوب البلاد اي يقطعها سيرا قال الشاعر

• ولا رأيت قلوصا قبلها حملت • ستين وسقا ولا جابت به بلدا •

وجاب المشي يجوبه اي قطعه ومنه سمي جيب القميص لانه جيب اي قطع وخرق جوبا **قوله تعالى** بالواد متعلق اما بجابوا
اي فيه واما بمحذوف على انه حال من الصخر او من الفاعلين واثبت في الحالين ابن كثير وورش بخلاف عن قنبل فروي عنه اثباتها
في الحالين وروي عنه اثباتها في الوصل خاصة وحذفها الباقون في الحالين موافقة لخط المصحف ومراعاة للفواصل
كما تقدم في يسر **فصل** قال ابن عباس كانوا يجوبون البلاد ويجعلون من الجبال بيوتا لقوله تعالى وتنحتون
من الجبال بيوتا قيل اول من نحت من الجبال والصخور والرخام ثمود وبنوا الفا وسبعمائة مدينة كلها من الحجارة وقوله تعالى
بالواد قال مقاتل بواد القرى وهو على قربه اسفر فقال اسرعوا السير فانكم في واد ملعون وقيل الوادي بين جبال وكل
منفرج بين جبال وتلال يكون مسلكا للسيل ومنفذا فهو واد **قوله تعالى** وفرعون ذي الاوتاد اي الجنود والعساكر
والجموع قال ابن عباس وسمي ذا الاوتاد لكثرة مضاربهم التي كانوا يضربونها اذا نزلوا وقيل ذي الاوتاد اي ذي الملك الثابت
كقوله • في ظل ملك راسخ الاوتاد • وقيل كان يشد الناس بالاوتاد الى ان يموتوا تجبرا منه وعتوا كما فعل بامراته
آسية وماشطتها قال عبد الرحمن ابن زيد كانت له صخرة ترفع بالبكرات ثم يؤخذ الانسان فيوتد له اوتاد الحديد ثم يرسل
تلك الصخرة عليه وروي قتادة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ان تلك الاوتاد كانت ملاعب يلعبون تحتها **قوله تعالى**
الذين طغوا يجوز فيه ما جاز في الذين قبله من الاتباع والقطع على الذم قال ابن الخطيب يحتمل ان يرجع الضمير الى فرعون خاصة
لانه يليه ويحتمل ان يرجع الى جميع ما تقدم ذكرهم وهو الاقرب واحسن الوجوه في اعرابه ان يكون في محل النصب على الذم ويجوز
ان يكون مرفوعا على هم الذين طغوا او مجرورا على وصف المذكورين عاد وثمود وفرعون **قوله تعالى** الذين طغوا يعني
عادا وثمودا وفرعون طغوا اي تمردوا وعتوا وتجاوزوا القدر في الظلم والعدوان ثم فسر تعالى طغيانهم بقوله فاكثروا فيها
الفساد قال الكلبي القتل والمعصية لله تعالى قال القفال والجملة ان الفساد ضد الصلاح فكما ان الصلاح يتناول جميع اقسام
الاثم فمن عمل بغير امر الله وحكم في عباده بالظلم فهو مفسد **قوله تعالى** فصب عليهم ربك سوط عذاب صب اي افرغ عليهم والقي
يقال صب على فلان خلعة اي القاها عليه قال النابغه • فصب عليه الله احسن صبغة • وكان له بين البرية ناصر •
وقوله تعالى سوط عذاب اي نصيب عذاب وقيل شدته لان السوط كان عندهم نهاية ما يعذب به قال الشاعر

• الم تر ان الله اظهر دينه • وصب على الكفار سوط عذاب •

والسوط هو الآلة المعروفة وقيل سمي سوطا لانه يساط به اللحم عند الضرب اي يختلط قال كعب بن زهير

• لكنها خلة قد سيط من دمها • فجع وولع واخلاف وتبديل •

وقال آخر • احارث انا لو تساط دماؤنا • تزايلن حتى لا يمس دم دما • وقيل هو في الاصل
مصدر ساطه يسوطه سوطا ثم سميت به الآلة وقال ابو زيد اموالهم بينهم سويطة اي مختلطة فهو سايط فالسوط
خلط الشيء بعضه ببعض ومنه سمي المسواط وسوطه اي خلطه ويقال سوط فلان امره قال الشاعر

• فسطها ذميم الراي غير موفق • فلست على تسويطها بمعان •

وقال الفراء هي كلمة تقولها العرب لكل نوع من انواع العذاب واصل ذلك ان السوط هو عذابهم الذي يعذبون به
فجرى لكل عذاب اذ كان فيه غاية العذاب وقال الزجاج اي جعل سوطهم الذي ضربهم به العذاب يقال ساط دابته
يسوطها اي ضربها بسوطه وعن عمرو بن عبيد كان الحسن اذا اتى على هذه الاية قال ان لله تعالى عنده اسواطا كثيرة فاخذهم
بسوط منها وقال قتادة كل شيء عذب الله تعالى به فهو سوط عذاب واستعمال الصب في السوط استعارة بليغة شائعة في كلامهم
قال القاضي وشبه بصب السوط الذي يتواتر على المضروب فيهلكه **قوله تعالى** ان ربك لبالمرصاد اي يرصد
عمل كل انسان حتى يجازيه به قاله الحسن وعكرمة والمرصاد كالمرصد وهو المكان الذي يترقب فيه الرصد جمع راصد
كحرس فالمرصاد مفعال من رصده كميقات من وقته قال الزمخشري وجوز ابن عطية في المرصاد ان يكون اسم فاعل
قال كانه قيل لبالمرصاد فعبر ببناء المبالغة ورده ابو حيان بانه لو كان كذلك لم تدخل عليه الباء اذ ليس هو في موضع
دخولها لا زائدة ولا غير زائدة قال شهاب الدين قد وردت زيادتها في خبر ان كهذه الاية وفي قول امرئ القيس فانك
مما احدثت بالمجرب • الا ان هذه ضرورة لا يقاس عليه الكلام فضلا عن افصحه **فصل** تقدم الكلام
في المرصاد عند قوله تعالى كانت مرصادا وهذا مثل لارصاده العصاة بالعقاب بانهم لا يفوتونه كما قيل لبعض العرب
اين ربك فقال بالمرصاد وقال الفراء معناه اليه المصير وقال الزجاج يرصد من كفر به وعدل عن طاعته بالعذاب وقال

الضحاك يرصد اهل الظلم والمعصية **قوله تعالى** فاما الانسان اما مبتدا وفي خبرها وجهان اصحهما انه الجملة من قوله
فيقول كقوله تعالى فاما الذين آمنوا فيعلمون كما تقدم والظرف حينئذ منصوب بالخبر لانه في نية التاخير ولا يمنع الفا
من ذلك قاله الزمخشري وغيره والثاني اذا شرطية وجوابها فيقول وقوله تعالى فاكرمه معطوف على ابتلاه
والجملة الشرطية خبر الانسان قاله ابو البقا وفيه نظر لان اما تلزم الفا في الجملة الواقعة خبرا عما بعدها ولا تحذف
الا مع قول مضمر كقوله تعالى واما الذين اسودت كما تقدم الا في ضرورة قال الزمخشري فان قلت بم اتصل قوله تعالى
فاما الانسان قلت بقوله ان ربك لبالمرصاد فكانه قيل ان الله تعالى لا يريد من الانسان الا الطاعة فاما الانسان فلا
يريد ذلك ولا يهمه الا العاجلة انتهى يعني بالتعليق من حيث المعنى وكيف عطفت هذه الجملة التفصيلية على ما قبلها مترتبة
عليه وقوله لا يريد الا الطاعة على مذهب ومذهب اهل السنة ان الله تعالى يريد الطاعة وغيرها ولولا ذلك لم يقع
نعم من لا يدخل في ملكه ما لا يريد واصلح العبارة ان تقول ان الله يريد من العبد والانسان من غرضه ثم قال فان قلت
فكيف توازن قوله تعالى فاما الانسان اذا ما ابتلاه ربه وقوله تعالى واما اذا ما ابتلاه وحق التوازن ان يتقابل الواقعان
بعد اما واما تقول اما الانسان فكفور واما الملك فشكور اما اذا احسنت الى زيد فهو محسن اليك واما اذا اسات اليه
فهو مسيء اليك قلت هما متوازنان من حيث ان التقدير واما هو اذا ما ابتلاه وذلك ان قوله فيقول ربي اكرمن خبر المبتدا
الذي هو الانسان ودخول الفا في اما من معنى الشرط والظرف المتوسط بين المبتدا والخبر في نية التاخير كانه قال فاما
الانسان فقائل ربي اكرمني وقت الابتلاء فوجب ان يكون فيقول الثاني خبر المبتدا واجب تقديره **فصل**
قال ابن عباس المراد بالانسان عتبة بن ربيعة وابا حذيفة بن المغيرة وقيل امية بن خلف وقيل ابي بن خلف اذا ما ابتلاه
ربه امتحنه واختبره بالنعمة وما زائدة صلة فاكرمه بالمال ونعمه بما اوسع عليه فيقول ربي اكرمن فيفرح بذلك
ولا يحمده واما اذا ما ابتلاه اي امتحنه بالفقر واختبره فقدر اي ضيق عليه رزقه على مقدار البلغة فيقول ربي اهانن
اولاني هوانا وهذه صفة الكافر الذي لا يؤمن بالبعث وانما الكرامة عنده والهوان بكثرة الحظ وقلته في الدنيا فاما المؤمن فالكرامة عنده ان يكرمه
الله تعالى بطاعته وتوفيقه المؤدي الى حظ الآخرة وان وسع عليه في الدنيا حمده وشكره قال القرطبي الآية صفة كل كافر
وكثير من المسلمين يظن ان ما اعطاه الله لكرامته وفضيلته عند الله وربما يقول بجهله لو لم استحق هذا لم يعطني الله وكذا ان
قتر عليه يظن ان ذلك لهوانه على الله **قوله تعالى** فقدر عليه قرا ابن عامر بتشديد الدال والباقون بتخفيفها وهما
لغتان بمعنى واحد ومعناهما التضييق قال القرطبي والاختيار التخفيف لقوله تعالى ومن قدر عليه رزقه وقوله تعالى
الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر وقال ابو عمرو وقدر بالتخفيف اي قتر ومشددا هو ان يعطيه ما يكفيه ولو فعل به ذلك
ما قال ربي اهانن **قوله تعالى** اكرمن واهانن قرا نافع باثبات يائهما وصلا وحذفهما وقفا من غير خلاف عنه والبزي
عن ابن كثير وابن محيصن ويعقوب اثباتهما في الحالين لانهما اسم فلا يحذف واختلف عن ابي عمرو في الوصل وروي عنه
الاثبات والحذف والباقون بحذفهما في الحالين وعلى الحذف قوله • ومن كاشح ظاهر غمره • اذا ما انتسبت له انكرن
يريد انكرني ولانها وقعت في الموضعين بغير ياء والسنة لا يخالف خط المصحف لانه اجماع الصحابة رضي الله عنهم وقال
الزمخشري فان قلت هلا قال فاهانه وقدر عليه رزقه كما قال فاكرمه ونعمه قلت لان البسط اكرام من الله لعبده بانعامه
متفضلا من غير سابقة واما التقدير فليس باهانة له لان الاخلال بالتفضل لا يكون اهانة كما اذا اهدى لك زيد
هدية تقول اكرمني فاذا لم يهد لك شيا لا يكون مهينا لك واجاب ابن الخطيب عن هذا السؤال بانه في قوله اكرمن صادق
وفي قوله اهانن غير صادق فهو ظن ان قلة الدنيا وتعسرها اهانة وهذا جهل واعتقاد فاسد فكيف يحكي الله تعالى ذلك
عنه فان قيل لما قال فاكرمه فقد صح انه اكرمه ثم انه لما حكى عنه انه قال ربي اكرمن ذمه عليه فكيف الجمع بينهما فالجواب
ان كلمة الانكار كلا فلم لا يجوز ان يقال انها مختصة بقوله تعالى ربي اهانن سلمنا ان الانكار عائد اليهما معا لكن يمكن
ان يكون الذم لانه اعتقد ان ذلك الاكرام بالاستحقاق او انه لما لم يعترف الا عند سعة الدنيا مع سبق النعم عليه من الصحة
والعقل دل على ان غرضه من ذلك الشكر ليس نفس الشكر بل محبة الدنيا والتكثير بالاموال والاولاد او لانه كلامه يقتضي
الاعراض عن الآخرة وانكار البعث كما حكى الله تعالى بقوله تعالى ودخل جنته وهو ظالم لنفسه قال ما اظن ان تبيد هذه
ابدا الى قوله اكفرت بالذي خلقك من تراب ثم من نطفة **قوله تعالى** كلا ردع الانسان عن تلك المقالة قال ابن عباس
رضي الله عنه المعنى لم ابتله بالغنى لكرامته علي ولم ابتله بالفقر لهوانه علي بل ذلك لمحض القضا والقدر والمشيئة والحكم
المنزه عن التعليل وهذا مذهب اهل السنة واما على مذهب المعتزلة فلمصالح خفية لا يطلع عليها الا هو سبحانه فقد
يوسع على الكافر لا لكرامته ويقتر على المؤمن لا لهوانه وقال الفرا في هذا الموضع بمعنى لم يكن للعبد ان يكون هكذا
ولكن يحمد الله تعالى على الغنى والفقر **قوله تعالى** بل لا تكرمون اليتيم قرا ابو عمرو يكرمون بياء الغيبة حملا على معنى الانسان

المتقدم اذ المراد به الجنس والجنس في معنى الجمع والباقون بالتاء في الجميع خطابا للانسان المراد به الجنس على طريقة الالتفات
فصل لما حكى اقوالهم فكانه قال بل لهم فعل اشر من هذا القول وهو ان الله تعالى يكرمهم بكثرة المال فلا يؤدون
ما يلزمهم فيه من اكرام اليتيم فقرعهم بذلك ووبخهم واما ترك اكرام اليتيم فبدفعه عن حقه واكل ماله قال مقاتل نزلت في قدامة
بن مظعون وكان يتيما في حجر امية بن خلف وكان يدفعه عن حقه **قوله تعالى** ولا تحضون على طعام المسكين قرا الكوفيون
تحاضون والاصل تتحاضون بحذف احدى التاءين اي لا يحض بعضكم بعضا وروي عن الكسائي تحاضون بضم التاء وهي قراءة
زيد بن علي وعلقمة اي تحاضون انفسكم والباقون يحضون من حضه على كذا اي اغراه به ومفعوله محذوف اي لا تحضون انفسكم
ولا غيرها ويجوز ان لا يقدر اي لا توقعون الحض **قوله تعالى** على طعام متعلق بتحضون وطعام يجوز ان يكون على اصله من كونه
اسما للمطعوم ويكون على حذف مضاف اي على بذل او على اعطاء الطعام وان يكون اسم مصدر بمعنى الاطعام كالعطا بمعنى
الاعطا فلا حذف حينئذ **فصل** اعلم ان ترك اكرام اليتيم على وجوه احدها ترك بره واليه الاشارة بقوله تعالى
ولا تحضون على طعام المسكين والثاني دفعه عن حقه واكل ماله واليه الاشارة بقوله تعالى وتاكلون التراث اكلا لما
وتحبون المال حبا جما **قوله تعالى** وياكلون التراث اكلا لما التاء في التراث بدل من الواو لانه من الوراثة ومثله تجاه وتوراه
وتخمة وقد تقدم كما قالوا تجاه وتخمة وتكاه وتالله ونحو ذلك والتراث ميراث اليتامى وقوله تعالى اكلا لما اللم الجمع
الشديد يقال لممت الشيء لما اي جمعته جمعا قال الحطيئة • اذا كان لما يتبع الذم ربه • فلا قدس الرحمن تلك الطواحنا • ولمت
شعثه من ذلك قال النابغة • ولست بمستبق اخا لا تلمه • على شعث اي الرجال المهذب • واللم الكثير ومنه جمة اللما قال زهير
فلما وردن الماء زرقا جمامه • ومنه لمة الشعر وقولهم جاء الجما الغفير ذلك وكتيبة ملمومة وحجر ملموم وقولهم ان دارا كلوم
اي يلم الناس ويجمعهم والاكل يلم الثريد فيجمعه لقما ثم ياكله قال الحسن ياكلون نصيبهم ونصيب صاحبهم فيجمعون
نصيب غيرهم الى نصيبهم وقيل ان المال الذي يخلفه الميت بعضه حلال وبعضه حرام وبعضه شبهة فالوارث يلم الكل اي
يجمع البعض الى البعض وياخذ الكل وياكله قال الزمخشري يجوز ان يكون الذم متوجها الى الوارث الذي ظفر بالمال سهلا
مهلا من غير ان يعرق فيه جبينه ويسرف في انفاقه وياكله اكلا لما جامعا بين الوان المشتهيات وقال ابن زيد كان اهل الشرك
لا يورثون النساء ولا الصبيان بل ياكلون ميراثهم وتراثهم مع تراثهم **قوله تعالى** ويحبون المال حبا جما اي كثيرا حلاله
وحرامه والجم الكثير يقال جم الشيء يجم جموما فهو جم وجام ومنه جم الماء في الحوض اذا اجتمع وكثر والجمة المكان الذي يجتمع
فيه ماؤه والجموم البئر الكثيرة الماء والجموم بالضم المصدر يقال جم الماء يجم جموما اذا كثر في البئر واجتمع والمعنى يحبون المال
كثيرا شديدا **قوله تعالى** كلا ردع لهم عن ذلك وانكار لفعلهم اي ما هكذا ينبغي ان يكون الامر فهو ردع لانكبابهم على الدنيا وجمعهم
لها **قوله تعالى** اذا دكت الارض دكا دكا في دكا وجهان احدهما انه مصدر مؤكد ودكا الثاني تاكيد للاول تاكيدا
لفظيا كذا قاله ابن عصفور وليس المعنى على ذلك والثاني انه نصب على الحال والمعنى مكررا عليها الدك كعلمته الحساب بابا بابا
وعلمته حرفا حرفا وهذا ظاهر قول الزمخشري وكذلك صفا صفا حال ايضا اي مصطفين او ذوي صفوف كثيرة قال
الخليل الدك كسر الحائط والجبل والدكداك رمل متلبد ورجل مدك شديد الوطء على الارض وقال المبرد الدك حط المرتفع
بالبسط واندك سنام البعير اذا انفرش في ظهره وناقة دكاء كذلك ومنه الدكان لاستوائه في الانفراش فمعنى الدك على
قول الخليل كسر شيء على وجه الارض من جبل او حجر حين زلزلت فلم يبق على ظهرها شيء وعلى قول المبرد معناه انها استوت
في الانفراش فذهبت دورها وقصورها حتى صارت كالصخرة الملساء وهذا معنى قول ابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهما
تمد الارض يوم القيامة مد الاديم قال ابن الخطيب وهذا التدكدك لا بد وان يكون متاخرا عن الزلزلة زلزلة بعد زلزلة
فتكسر الجبال وتنهدم وتمتلي الاغوار وتصير ملسا وذلك عند انقضاء الدنيا **قوله تعالى** وجاء ربك والملك صفا صفا
اي جاء امره وقضاؤه قاله الحسن وهو من باب حذف المضاف وقيل جاءهم الرب بالآيات كقوله تعالى الا ان ياتيهم الله
في ظلل من الغمام اي بظلل وقيل جعل مجيء الآيات مجيئا له تفخيما لشان تلك الآيات كقوله تعالى في الحديث يا ابن آدم
مرضت فلم تعدني واستسقيتك فلم تسقني واستطعمتك فلم تطعمني وقيل زالت الشبه وارتفعت الشكوك وصارت المعارف
ضرورية كما تزول الشبه والشكوك عند مجيء الشيء الذي كان يشك فيه وقيل جاء قهر ربك كما تقول جاءتنا بنو امية اي قهرهم
قال اهل الاشارة ظهرت قدرته واستوت والله تعالى لا يوصف بالتحول من مكان الى مكان وانى له التحول والانتقال
ولا مكان له ولا اوان ولا يجري عليه وقت ولا زمان لان في جريان الوقت على الشيء فوت الاوقات ومن فاته
الشيء فهو عاجز واما قوله تعالى والملك صفا صفا اي والملائكة صفا بعد صف محدقين بالجن والانس **قوله تعالى** وجيء
يومئذ بجهنم يومئذ منصوب بجيء والقائم مقام الفاعل بجهنم وجوز مكي ان يكون يومئذ قائما مقام الفاعل واما
يومئذ الثاني فقيل بدل من اذا دكت والعامل فيهما يتذكر قاله ابو البقا **فصل** قال ابن مسعود ومقاتل

تقاد جهنم بسبعين الف زمام كل زمام معه سبعون الف ملك يجرونها حتى تنصب عن يسار العرش لها تغيظ وزفير
رواه مسلم في صحيحه عن عبد الله بن مسعود مرفوعا وقال ابو سعيد الخدري لما نزلت وجيء يومئذ بجهنم تغير لون رسول الله صلى الله
عليه وسلم وعرف في وجهه حتى اشتد على اصحابه فقال اقراني جبريل عليه السلام كلا اذا دكت الارض دكا دكا الاية وجيء يومئذ
بجهنم قال علي رضي الله عنه قلت يا رسول الله كيف يجاء بها قال يؤتى بها تقاد بسبعين الف زمام يقود بكل زمام سبعون
الف ملك فتشرد شردة لو تركت لاحرقت الجميع ثم تعرض لي جهنم فتقول ما لي ولك يا محمد ان الله تعالى قد حرم لحمك علي
فلا يبقى احد الا قال نفسي نفسي الا محمد صلى الله عليه وسلم فانه يقول رب امتي امتي وقال ابن الخطيب قال الاصوليون
معلوم ان جهنم لا تنتقل من مكانها ومعنى برزت واظهرت حتى راها الخلق وعلم الكافر ان مصيره اليها **قوله تعالى** يومئذ
يتذكر الانسان تقدم الكلام في اعراب يومئذ والمعنى يتعظ الكافر ويتوب او من همته الدنيا وقيل يتذكر ان ذلك حلالا
وانى له الذكرى اي ومن اين له الاتعاظ والتوبة وقد فرط فيهما في الدنيا وقيل ومن اين له منفعة الذكرى فلا بد من تقدير
حذف مضاف والا فبين يوم يتذكر وبين انى له الذكرى تناف قاله الزمخشري **قوله تعالى** وانى خبر مقدم والذكرى
مبتدا موخر وله متعلق بما تعلق به الظرف **قوله تعالى** يقول يا ليتني قدمت لحيوتي اي في حياتي فاللام بمعنى في وقيل
اي قدمت عملا صالحا لحياتي اي لحيوة لا موت فيها وقيل حيوة اهل النار ليست هنية فكانهم لا حيوة لهم فالمعنى يا ليتني
قدمت من الخير لحياتي في النار فاكون ممن له حيوة هنية **فصل** استدل المعتزلة بهذه الاية على ان الاختيار
كان في ايديهم وقصدهم وارادتهم وانهم ما كانوا محجوبين عن الطاعات مجبرين على المعاصي والجواب ان فعلهم
كان معلقا بقصد الله تعالى فبطل قولهم **قوله تعالى** فيومئذ لا يعذب عذابه احد قرا الكسائي لا يعذب ولا يوثق
مبنيين للمفعول ورواه ابو قلابة عن النبي صلى الله عليه وسلم بفتح الذال والثاء والباقون قراوهما مبنيين للفاعل
فاما قراءة الكسائي فاسند الفعل فيها الى احد وحذف الفاعل للعلم به وهو الله تعالى والزبانية المتولون العذاب
بامر الله تعالى واما عذابه ووثاقه فيجوز ان يكون المصدر ان مضافين للفاعل والضمير لله تعالى او مضافين
للمفعول والضمير للانسان ويكون عذاب واقعا موقع تعذيب والمعنى لا يعذب احد تعذيبا مثل تعذيب الله تعالى
هذا الكافر ولا يوثق احد توثيقا مثل ايثاق الله اياه بالسلاسل والاغلال او لا يعذب احد مثل تعذيب الكافر ولا
يوثق مثل ايثاقه لكفره وعناده والوثاق بمعنى الايثاق كالعطا بمعنى الاعطا الا ان في اعمال اسم المصدر عمل مسماه
خلافا مضطربا فنقل عن البصريين المنع وعن الكوفيين الجواز ونقل العكس عن الفريقين ومن الاعمال قوله •

• اكفرا بعد رد الموت عني • وبعد عطائك المائة الرتاعا •

ومن منع نصب المائة بفعل مضمر واوضح من هذا قوله • فان كلا منهما شفاء لما بيا • وقيل المعنى ولا يحمل عذاب
الانسان احد كقوله تعالى ولا تزر وازرة وزر اخرى قاله الزمخشري واما قراءة الباقين فانه اسند الفعل لفاعله
والضمير في عذابه ووثاقه يحتمل عوده على الباري تعالى بمعنى انه لا يعذب في الدنيا مثل عذاب الله تعالى يومئذ احد
اي ان عذاب من يعذب في الدنيا ليس كعذاب الله تعالى يوم القيامة كذا قاله ابو عبد الله وفيه نظر من حيث انه يلزم ان
يكون يومئذ معمولا للمصدر التشبيهي وهو ممتنع لتقدمه عليه الا ان يقال يتوسع فيه وقيل المعنى لا يكل عذابه
ولا وثاقه لاحد لان الامر لله تعالى وحده في ذلك وقيل المعنى لا يكل عذابه ولا وثاقه لاحد لان الامر كله لله تعالى
وقيل المعنى انه في الشدة والفضاعة في حيز لم يعذب احد قط في الدنيا مثله ورد هذا بان لا اذا دخلت على
المضارع صيرته مستقبلا واذا كان مستقبلا لم يطابق هذا المعنى ولا يطلق على الماضي الا بمجاز بعيد وبان يومئذ
المراد به يوم القيمة لا دار الدنيا وقيل المعنى انه لا يعذب احد في الدنيا مثل عذاب الله الكافر فيها الا ان هذا مردود
بما رد ما قبله ويحتمل عوده على الانسان بمعنى لا يعذب احد من زبانية العذاب مثل ما يعذبون هذا الكافر
او يكون المعنى لا يحمل احد عذاب الانسان لقوله تعالى ولا تزر وازرة وزر اخرى وهذه الاوجه صعبة المرام على طالبها
من هذا الكتاب وقرانا فع في رواية وابو جعفر وشيبة بخلاف عنهما وثاقه بكسر الواو والمراد بهذا الكافر المعذب
قيل ابليس لعنه الله عليه لانه اشد الناس عذابا وقال الفرا هو امية بن خلف **قوله تعالى** يا ايتها النفس المطمئنة قرا العامة
يا ايتها بتاء التانيث وقرا زيد بن علي يا ايها كنداء المذكر ولم يجوز ذلك احد الا صاحب البديع وهذه شاهدة
لذلك وجه وهو انها كما لم تطابق في صفتها تثنية وجمعا جاز ان لا يطابقها تانيثا تقول يا ايتها الرجلان يا ايها الرجال
فصل لما وصف حال من اطمان الى الدنيا وصف حال من اطمان الى معرفته وعبوديته وسلم امره الى الله
تعالى فقيل هذا كلام الباري تعالى اكراما له كما كلم موسى عليه السلام وقيل هو من قول الملائكة لاولياء الله قال
مجاهد وغيره المطمئنة الساكنة الموقنة ايقنت ان الله تعالى ربها فاخبتت لذلك وقال ابن عباس المطمئنة بثواب الله

وعن الحسن رضي الله عنه المؤمنة الموقنة وعن مجاهد ايضا الراضية بقضاء الله وقال مقاتل الامنة من عذاب الله
وفي حرف ابي بن كعب يا ايتها النفس الامنة المطمئنة وقيل التي عملت على يقين بما وعد الله تعالى في كتابه وقال ابن
كيسان المطمئنة هنا المخلصة وقيل المطمئنة بذكر الله لقوله تعالى الذين امنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله وقيل المطمئنة
بالايمان المصدقة بالبعث والثواب وقال ابن زيد المطمئنة التي بشرت بالجنة عند الموت وعند البعث ويوم الجمع **قوله تعالى**
ارجعي الى ربك راضية مرضية اي ارجعي الى صاحبك وجسدك قاله ابن عباس وعكرمة وعطا واختاره الطبري يدل عليه
قراءة ابن عباس فادخلي في عبدي على التوحيد وقال الحسن ارجعي الى ثواب ربك وقال ابو صالح ارجعي الى الله وهذا عند الموت
وقوله تعالى راضية مرضية حالان اي جامعة بين الوصفين لانه لا يلزم من احدهما الاخر والمعنى راضية بالثواب مرضيا
عنك في الاعمال التي عملتها في الدنيا **فصل** قال القفال هذا وان كان امرا في الظاهر فهو خبر في المعنى
والتقدير ان النفس اذا كانت مطمئنة رجعت الى الله تعالى وقال الله تعالى لها فادخلي في عبادي وادخلي جنتي قال
ومجيء الامر بمعنى الخبر كثير في كلامهم كقولهم اذا لم تستحي فاصنع ما شئت **فصل** قال سعيد بن زيد قرا
رجل عند النبي صلى الله عليه وسلم يا ايتها النفس المطمئنة فقال ابو بكر رضي الله عنه ما احسن هذا يا رسول الله فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الملك سيقولها لك يا ابا بكر وقال سعيد بن جبير مات ابن عباس بالطايف فجاء طاير
لم ير على خلقته طاير قط فدخل نعشه ثم لم ير خارجا منه فلما دفن تليت هذه الاية على شفير القبر لا يدرى من تلاها يا ايتها
النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية وروى الضحاك انها نزلت في عثمان بن عفان رضي الله عنه حين وقف
بير رومة وقيل نزلت في خبيب بن عدي الذي صلبه اهل مكة وجعلوا وجهه الى المدينة فحول الله وجهه للقبلة
قوله تعالى فادخلي في عبادي يجوز ان يكون في جسد عبادي ويجوز ان يكون المعنى في زمرة عبادي وقرا ابن عباس
وعكرمة وجماعة في عبدي والمراد الجنس وتعدي الفعل الاول بفي لان الظرف ليس بحقيقي نحو دخلت في غمار الناس
وتعدي الثاني بنفسه لان الظرفية متحققة كذا قيل وهذا انما ياتي على احد الوجهين وهو ان المراد بالنفس بعض المؤمنين
وانه امر بالدخول في زمرة عباده واما اذا كان المراد بالنفس الروح وانها مامورة بدخولها في الاجساد فالظرفية متحققة
فيه ايضا **فصل** قال ابن عباس هذا يوم القيمة وهو قول الضحاك والجمهور على ان المراد بالجنة دار الخلود
التي هي سكن الابرار ودار الصالحين والاخيار ومعنى في عبادي اي في الصالحين كقوله تعالى لندخلنهم في الصالحين
قال ابن الخطيب ولما كانت الجنة الروحانية غير متراخية عن الموت في حق السعدا لا جرم قال تعالى فادخلي في عبادي
بفاء التعقيب ولما كانت الجنة الجسمانية لا يحصل الكون فيها الا بعد قيام القيمة الكبرى لا جرم قال تعالى وادخلي جنتي
بالواو والله تعالى اعلم روى الثعلبي عن ابي رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة والفجر وليال عشر
غفر الله تعالى له ذنوبه ومن قراها في ساير الايام كانت له نورا يوم القيامة

سورة البلد مكية

وهي عشرون اية واثنان وثمانون كلمة وثلثمائة وعشرون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم **قوله تعالى**
لا اقسم بهذا البلد يجوز ان تكون لا زايدة كما تقدم في لا اقسم بيوم القيمة قاله الاخفش اي اقسم لانه قال بهذا البلد
وقد اقسم في قوله تعالى وهذا البلد الامين فكيف يجحد القسم وقد اقسم به سبحانه قال الشاعر •

• تذكرت ليلى فاعترتني صبابة • وكاد صميم القلب لا يتقطع •

اي يتقطع ودخل حرف لا صلة كقوله تعالى ما منعك ان لا تسجد وقد قال تعالى في سورة ص ما منعك ان تسجد وقرا
الحسن والاعمش وابن كثير لاقسم من غير الف بعد اللام اثباتا واجاز الاخفش ايضا ان تكون بمعنى الا وقيل ليست نفي
القسم وانما كقول العرب لا والله لا فعلت كذا ولا والله ما كان كذا ولا والله لافعلن كذا وقيل هي نفي صحيح والمعنى
لا اقسم بهذا البلد اذا لم تكن فيه بعد خروجك منه حكاه مكي ورواه ابن ابي نجيح عن مجاهد قال لا رد عليهم وهذا
اختيار ابن العربي لانه قال واما من قال انها رد فهو قول ليس له رد لانه يصح به المعنى ويتمكن اللفظ والمراد فهو رد الكلام
من انكر البعث ثم ابتدا القسم وقال القشيري قوله لا رد لما توهم الانسان المذكور في هذه السورة المغرور بالدنيا
اي ليس الامر كما يحسبه من انه لم يقدر عليه احد ثم ابتدا القسم واجمعوا على ان المراد بالبلد مكة المشرفة اي اقسم بالبلد الحرام
الذي انت فيه لكرامتك علي وحبي لك **قوله تعالى** وانت حل بهذا البلد فيه وجهان احدهما ان الجملة اعتراضية على احد

معنيين اما على معنى انه تعالى اقسم بهذا البلد وما بعده على ان الانسان في كبد واعترض بينهما بهذه الجملة يعني ومن المكابدة
ان مثلك على عظم حرمتك يستحل بهذا البلد كما يستحل الصيد في غير الحرم واما على معنى انه اقسم ببلده على ان الانسان لا يخلو من
مقاساة الشدائد واعترض بان وعده فتح مكة تتميما للتسلية فقال تعالى وانت حل به فيما يستقبل تصنع فيه ما تريد من القتل
والاسر فحل بمعنى حلال قال معناه الزمخشري ثم قال فان قلت اين نظير قوله تعالى وانت حل في معنى الاستقبال قلت قوله تعالى
انك ميت وانهم ميتون ومثله واسع في كلام العباد يقول لمن تعده الاكرام والحبا انت مكرم محبو وهو في كلام الله تعالى اوسع لان
الاحوال المستقبلة عنده كالحاضرة المشاهدة وكفاك دليلا قاطعا على انه للاستقبال وان تفسيره بالحال محال ان السورة بالاتفاق
مكية واين الهجرة وقت نزولها فما بال الفتح الثاني من الوجهين الاول ان الجملة حالية اي لا اقسم بهذا البلد وانت حال بها
لعظم قدرك اي لا تقسم بشيء وانت احق بالاقسام بك منه وقيل المعنى لا اقسم به وانت مستحل فيه اي مستحل اذاك ٥

فصل اجمع المفسرون على ان ذلك البلد مكة وفضلها معروف فانه تعالى جعله حرما آمنا وقال تعالى ومن
دخله كان آمنا وجعل مسجده قبلة لاهل المشرق والمغرب وقال تعالى وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره وامر الناس بحج
البيت فقال ولله على الناس حج البيت وقال تعالى واذ جعلنا البيت مثابة للناس وامنا وقال تعالى واذ بوانا لابراهيم
مكان البيت وقال تعالى يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق وشرف مقام ابرهيم عليه السلام بقوله تعالى واتخذوا
من مقام ابرهيم مصلى وحرم صيده وجعل البيت المعمور بازائه ودحيت الارض من تحته فهذه الفضائل واكثر منها لما اجتمعت في مكة
لا جرم اقسم الله تعالى بها

فصل روى منصور عن مجاهد وانت حل قال ما صنعت فيه من شيء فانت في حل وكذا
قال ابن عباس احل له يوم دخل مكة ان يقتل كل من شاء فقتل ابن خطل ومقيس بن صبابة وغيرهما ولم يحل لاحد من الناس ان
يقتل بها احد بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال السدي انت في حل ممن قاتلك ان تقتله وروى ابو صالح عن ابن عباس قال
احلت له ساعة من النهار ثم حرمت الى يوم القيمة وذلك فتح مكة قال ابن زيد لم يكن بها احد حلالا غير النبي صلى الله عليه وسلم
وقيل معناه وانت مقيم فيه وهو محلك اي من اهل مكة نشأت بينهم ويعرفون فضلك وطهارتك كقوله تعالى لقد جاءكم
رسول من انفسكم وقيل انت فيه محسن وانا عنك فيه راض وذكر اهل اللغة انه يقال رجل حل وحلال ومحل ورجل حرم وحرام
ومحرم وقال قتادة وانت حل به اي لست باثم وقيل معناه انك غير مرتكب في هذا البلد ما يحرم عليك ارتكابه معرفة منك
بحق هذا البيت لا كالمشركين الذين يرتكبون الكفر بالله فيه وقال شرحبيل بن سعيد وانت حل بهذا البلد اي حلال اي يحرمون مكة
ان يقتلوا بها صيدا او يعضدوا بها شجرا ثم مع هذا يستحلون اخراجك وقتلك ففيه تعجب من جرائتهم وشدة عداوتهم قوله تعالى
ووالد وما ولد قيل ما بمعنى الذي وقيل مصدرية اقسم بالشخص وفعله وقال الزمخشري فان قلت هلا قيل ومن ولد
قلت فيه ما في قوله والله اعلم بما وضعت اي باي شيء وضعت اي موضوعا عجيب الشان وقيل ما نافية فيحتاج الى اضمار موصول
يصح الكلام تقديره والذي ما ولد اذ المراد بالوالد من يولد له وبالذي لم يلد العاقر قال معناه ابن عباس وتلميذاه ابن جبير
وعكرمة

فصل هذا معطوف على قوله لا اقسم بهذا البلد وقوله تعالى وانت حل بهذا البلد معترض بين المعطوف
والمعطوف عليه قال ابن عباس ومجاهد وقتادة والضحاك والحسن وابو صالح والطبري المراد بالوالد آدم عليه السلام
وما ولد اي وما تناسل من ولده اقسم بهم لانهم اعجب ما خلق الله تعالى على وجه الارض لما فيهم من البيان والنطق والتدبير
واخراج العلوم وفيهم الانبيا والدعاة الى الله تعالى والانصار لدينه وامر الملائكة بالسجود لادم عليه السلام وعلمه
الاسماء كلها وقد قال تعالى ولقد كرمنا بني آدم وقيل هو اقسام بالصالحين من ذرية آدم واما الطالحون فكانهم بهايم كما
قال تعالى ان هم الا كالانعام بل هم اضل صم بكم عمي فهم لا يرجعون وقيل الوالد ابرهيم عليه السلام وما ولد ذريته وقيل
الوالد ابرهيم واسمعيل وما ولد محمد صلى الله عليه وسلم لانه اقسم بمكة وابرهيم قال الفرا وصلح ما للناس كقوله ما طاب لكم وقوله
تعالى وما خلق الذكر والانثى وهو الخالق للذكر والانثى قال الماوردي ويحتمل ان الوالد النبي صلى الله عليه وسلم لتقدم ذكره
وما ولد امته لقوله عليه الصلوة والسلام انما انا لكم بمنزلة الوالد اعلمكم فاقسم به وبامته بعد ان اقسم ببلده مبالغة في تشريفه
عليه الصلوة والسلام قوله تعالى لقد خلقنا الانسان في كبد هذا هو المقسم عليه والكبد المشقة قال الزمخشري واصله
من كبد الرجل كبدا فهو اكبد اذا وجعت كبده فاتسع فيه حتى استعمل في كل تعب ومشقة ومنه اشتقت المكابدة كما قيل كبته
بمعنى اهلكه واصله كبده اي اصاب كبده قال لبيد • يا عين هلا بكيت اربد اذ • قمنا وقام الخصوم في كبد •
اي في شدة الامر وصعوبة الخطب وقال ابو الاصبع • لي ابن عم لو ان الناس في كبد • لظل محتجزا بالنبل يرميني •
قال القرطبي ومنه تكبد اللبن غلظ وخثر واشتد ومنه الكبد لانه تغلظ واشتد ويقال كابدت هذا الامر قاسيت
شدته

فصل الانسان هنا ابن آدم قال ابن عباس والحسن رضي الله عنهما في كبد اي شدة ونصب وعن ابن عباس
ايضا في شدة من حمله وولادته ورضاعه ونبت اسنانه وما يزاوله وروى عكرمة عنه قال منتصبا في بطن امه

والكبد الاستوا والاستقامة فهذا امتنان عليه في الحقيقة ولم يخلق الله تعالى دابة في بطن امها الا منكبة على وجهها
الا ابن آدم فانه منتصب انتصابا وهو قول النخعي ومجاهد وغيرهما قال ابن كيسان منتصبا في بطن امه فاذا اراد الله
تعالى ان يخرجه من بطن امه قلب راسه الى رجل امه وقال الحسن كابد مصائب الدنيا وشدائد الاخرة وقال يمان لم يخلق
الله تعالى خلقا يكابد ما يكابد ابن آدم وهو مع ذلك اضعف الخلق قال بعض العلما اول ما يكابد قطع سرته ثم اذا قمط
قماطا وشد رباطا يكابد الضيق والتعب ثم يكابد الارتضاع ولو فاته ضاع ثم يكابد نبت اسنانه ثم يكابد الفطام الذي
هو اشد من اللطام ثم يكابد الختان والاوجاع ثم المعلم وصولته والمؤدب وسياسته والاستاد وهيبته ثم يكابد شغل
التزويج وشغل الاولاد والخدم وشغل المسكن ثم الكبر والهرم وضعف الركب والقدم في مصائب يكثر تعدادها من صداع
الراس ووجع الاضراس ورمد العين وهم الدين ووجع السن والم الاذن ويكابد محنا في المال والنفس من الضرب والحبس
ولا يمضي عليه يوم الا يقاسي فيه شدة ثم يكابد بعد ذلك مشقة الموت ثم بعده مسائلة الملك وضغطة القبر وظلمته
ثم البعث والعرض على الله تعالى الى ان يستقر به القرار اما في الجنة واما في النار قال الله تعالى لقد خلقنا الانسان في كبد
فلو كان الامر اليه ما اختار هذه الشدائد ودل هذا على ان له خالقا دبره وقضى عليه بهذه الاحوال فليمتثل امره وقال
ابن زيد المراد بالانسان هنا آدم عليه السلام وقوله تعالى في كبد اي في وسط السما وقال الكلبي نزل هذا في رجل من بني جمح
يقال له ابو الاشدين واسمه اسيد بن كلدة بن جمح وكان شديدا قويا يأخذ الاديم العكاظي فيجعله تحت قدميه ويقول من
ازالني عنه فله كذا فيجذبه عشرة حتى يتمزق الاديم ولا يزول قدماه وكان من اعداء النبي صلى الله عليه وسلم وفيه نزل ايحسب
ان لن يقدر عليه احد لقوته وقال الترمذي في كبد مضيعا ما يعنيه مشتغلا بما لا يعنيه قوله تعالى ايحسب ان لن يقدر عليه احد
اي ايظن ابن آدم ان لن يعاقبه الله تعالى قال ابن الخطيب ان فسرنا الكبد بالشدة والقوة فالمعنى ايحسب الانسان الشديد ان
شدته لا يقدر عليه احد وان فسرناه بالمحنة والبلا كان المعنى ان الانسان كان في النعمة والقدرة افيظن انه في تلك الحالة
لا يقدر عليه احد هو استفهام على سبيل الانكار قوله تعالى يقول اهلكت يجوز ان يكون مستأنفا وان يكون حالا وقرا
العامة لبدا بضم اللام وفتح البا وشدد ابو جعفر البا جمع لابد مثل راكع وركع وساجد وسجد وشاهد
وشهد وعنه ايضا سكونها ومجاهد وابن ابي الزناد بضمتين وتقدم الكلام على هذه اللفظة في سورة الجن قال ابو عبيدة لبد
فعل من التلبيد وهو المال الكثير بعضه على بعض قال الزجاج فعل للكثرة يقال رجل حطم اذا كان كثير الحطم قال الفرا واحدته
لبدة ولبد جمع وجعل بعضهم واحدا كقثم وحطم وهو في الوجهين للكثرة والمعنى انفقت مالا كثيرا مجتمعا لان اهل الجاهلية
يدعونه مكارم ومفاخر قوله تعالى ايحسب ان لم يره احد اي ايظن ان لم يعاينه احد بل علم الله ذلك منه وكان كاذبا في
قوله اهلكت وقال ايظن ان لم يره ولا يسأله عن ماله من اين كسبه واين انفقه وقال ابن عباس كان ابو الاشدين يقول
انفقت في عداوة محمد مالا كثيرا وهو في ذلك كاذب وقال مقاتل نزلت في الحرث بن عامر بن نوفل اذنب فاستفتى النبي صلى الله
عليه وسلم فامره ان يكفر فقال لقد ذهب مالي في الكفارات والنفقات منذ دخلت في دين محمد صلى الله عليه وسلم وهذا القول
منه يحتمل ان يكون استطالة بما انفق فيكون طغيانا منه او اسفا عليه فيكون ندما منه قال القرطبي روي عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه كان يقرا ايحسب بضم السين في الموضعين وقال الحسن يقول اتلفت مالا كثيرا فمن يحاسبني به لم يعلم بان الله تعالى قادر على
محاسبته وان الله يرى صنعه ثم عدد عليه نعمه فقال تعالى الم يعلم بان الله يرى الم نجعل له عينين يبصر بهما ولسانا ينطق
به وشفتين يستر بهما ثغره والمعنى نحن فعلنا ذلك ونحن نقدر على ان نبعثه ونحصي عليه عمله قوله تعالى وشفتين الشفة محذوفة
اللام والاصل شفهة بدليل تصغيرها على شفيهة وجمعها على شفاه ونظيره شفه في احدى وشافهته اي كلمته من فمي واسطة
ولا يجمع بالالف والتا استغنا بتكسيرها عن تصحيحها قال القرطبي ويقال شفهات وشفوات والها اقيس والواو اعم تشبيها
بالسنوات قال الازهري يقال هذه شفة في الوصل وشفه بالها والتا قوله تعالى وهديناه النجدين يعني الطريقين
طريق الخير وطريق الشر روى قتادة قال ذكر لنا ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول يا ايها الناس انما هو النجدان
نجد الخير ونجد الشر فلم تجعل نجد الشر احب اليكم من نجد الخير فكانه لما وضحت الدلائل جعلت كالطريق المرتفعة العالية لكونها
واضحة المعقول لوضوح الطريق العالي للابصار ونظيره قوله تعالى انا هديناه السبيل اما شاكرا واما كفورا بعد
قوله فجعلناه سميعا بصيرا وروى عكرمة قال النجدين الثديان وهو قول سعيد بن المسيب والضحاك وروي عن ابن عباس
وعلي رضي الله عنهما لانهما كالطريقين لحياة الولد فقوله النجدين اما ظرف واما على حذف الجار اي ربيناه الثديين والنجد
في الاصل العنق لارتفاعه وقيل الطريق العالي قال امرؤ القيس • فريقان منهم قاطع بطن نخلة • واخرى منهم جازع نجد كبكب •
ومنه سميت نجد لعلوها عن انخفاض تهامة قوله تعالى فلا اقتحم العقبة قال الفرا والزجاج ذكر لا مرة واحدة والعرب
لا تكاد تفرد لا مع الفعل الماضي حتى يعيد لا كقوله تعالى فلا صدق ولا صلى وانما افردها لدلالة آخر الكلام على معناه

فيجوز ان يكون قوله تعالى ثم كان من الذين آمنوا قائما مقام التكرير كانه قال فلا اقتحم العقبة ولا آمن وقال
الزمخشري هي متكررة في المعنى لان معنى فلا اقتحم العقبة فلا فك رقبة ولا اطعم مسكينا الا ترى انه فسر اقتحام العقبة
بذلك قال ابو حيان ولا يتم له هذا الا على قراءة فك فعلا ماضيا وقال الزجاج والمبرد وابو علي وذكره البخاري عن
مجاهد ان قوله تعالى ثم كان من الذين آمنوا يدل على ان لا بمعنى لم ولا يلزم التكرير مع لم فان كررت لا كقوله فلا صدق
ولا صلى فهو كقوله تعالى لم يسرفوا ولم يقتروا **فصل** المعنى فهلا انفق ماله الذي يزعم انه انفقه في عداوة
محمد صلى الله عليه وسلم هلا انفقه في اقتحام العقبة فيامن والاقتحام الرمي بالنفس في شيء من غير روية يقال منه قحم
في الامر قحوما اي رمى بنفسه من غير روية يقال منه وقحم الفرس فارسه تقحيما على وجهه اذا رماه وتقحيم النفس في
الشيء ادخالها فيه من غير روية والقحمة بالضم المهلكة والسنة الشديدة يقال اصابت الاعراب القحمة اذا اصابهم
قحط فدخلوا الريف والقحم صعاب الطريق قال عطا يريد عقبة جهنم وقال مجاهد والضحاك هي الصراط قال الواحدي
وهذا فيه نظر لان من المعلوم ان هذا الانسان وغيره لم يقتحموا عقبة جهنم ولا جاوزوها وقال ابن العربي قال مجاهد
اقتحام العقبة في الدنيا لانه فسره بعد ذلك بقوله فك رقبة او اطعم في يوم يتيما او مسكينا وهذه الاعمال انما تكون في
الدنيا وقال الحسن ومقاتل هذا مثل ضربه الله تعالى لمجاهدة النفس والشيطان في اعمال البر قال القفال قوله تعالى فلا اقتحم
العقبة دعا اي فلا نجا ولا سلم من لم ينفق ماله في كذا وكذا وقيل شبه عظيم الذنوب وثقلها بعقبة فاذا اعتق رقبة
او عمل صالحا كان مثله كمثل من اقتحم العقبة وهي الذنوب تضره وتؤذيه وتثقله ثم قال تعالى وما ادراك ما العقبة
قال سفيان بن عيينة كل شيء قال فيه وما ادراك فانه اخبر به وكل شيء قال فيه وما يدريك فانه لم يخبر به والمعنى
وما ادراك ما اقتحام العقبة وهذا تعظيم لالتزام امر الدين والخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم ليعلم اقتحام العقبة
ثم انه تعالى فسر العقبة **قوله تعالى** فك رقبة قرا ابو عمرو وابن كثير والكسائي فك فعلا ماضيا ورقبة نصبا على او اطعم فعلا ماضيا
والباقون فك برفع الكاف واسما ورقبة خفض بالاضافة او اطعام اسم مرفوع ايضا فالقراءة الاولى الفعل فيها بدل من قوله
اقتحم فهو بيان له كانه قيل فلا فك رقبة ولا اطعم والثانية ترتفع فيها فك على اضمار مبتدأ اي هو فك رقبة او اطعام على معنى
الاباحة وفي الكلام حذف مضاف دل عليه فلا اقتحم تقديره وما ادراك ما اقتحام العقبة فالتقدير اقتحام العقبة
فك رقبة او اطعام وانما احتيج الى تقدير هذا المضاف ليطابق المفسر والمفسر الا ترى ان المفسر بكسر السين مصدر والمفسر
بفتح السين وهو العقبة غير مصدر فلو لم تقدر مضافا لكان المصدر وهو فك مفسرا للعين وهي العقبة وقرا امير المؤمنين وابو رجا
فك او اطعم فعلين كما تقدم الا انهما نصبا ذا بالالف وقرا الحسن اطعام وذا بالالف ايضا وهو على هاتين القراءتين
مفعول اطعم او اطعام ويتيما حينئذ بدل منه او نعت له وهو في قراءة العامة ذي بالياء نعتا ليوم على سبيل المجاز وصف اليوم
بالجوع مبالغة كقولهم ليلك قائم ونهارك صائم والفاعل لاطعام محذوف وهذا احد المواضع التي يطرد فيها حذف الفاعل
وحده عند البصريين **فصل** بين وجوها من القرب المالية وقال ابن زيد وجماعة من المفسرين معنى الكلام
الاستفهام على معنى الانكار تقديره هلا اقتحم العقبة تقول هلا انفق ماله في فك الرقاب واطعام السغبان فيكون
خيرا له من انفاقه في عداوة محمد عليه الصلوة والسلام **فصل** الفك التفريق ومنه فك القيد والغل وفك
الرقبة فرق بينها وبين صفة الرق بايجاد الحرية وابطال العبودية ومنه فك الرهن وهو ازالته عن المرتهن قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ايما امرء مسلم اعتق امرأ مسلما كان فكاكه من النار يجزي كل عضو منه عضوا منه الحديث وسمي المرقوق رقبة
لانه بالرق كالاسير المربوط في رقبته وسمي عتقها فكا كفك الاسير من الاسر قال • كم من اسير فككناه بلا ثمن • وجز ناصية كنا مواليها •
قال الماوردي ويحتمل انه اراد فك رقبة وخلاص نفسه باجتناب المعاصي وفعل الطاعات ولا يمنع الخبر من هذا التاويل وهو اشبه
بالصواب **فصل** قال ابو حنيفة رحمه الله العتق افضل من الصدقة لانه قدم العتق في الاية على الصدقة وقال
صاحباه الصدقة افضل **قوله تعالى** او اطعم في يوم ذي مسغبة اي مجاعة والسغب الجوع والساغب الجائع قال الشهاب
الدين والمسغبة الجوع مع التعب وربما قيل في العطش مع التعب قال الراغب يقال منه سغب الرجل يسغب سغبا وسغوبا فهو
ساغب وسغبان والمسغبة مفعلة منه وانشد ابو عبيدة • فلو كنت جارا يا ابن قيس بن عاصم • لما بت شبعانا وجارك ساغبا •
فصل اطعام الطعام فضيلة وهو مع السغب الذي هو الجوع افضل وقال النخعي في قوله تعالى في يوم ذي مسغبة
قال في يوم عزيز فيه الطعام **قوله تعالى** يتيما ذا مقربة اي قرابة قال الزمخشري المسغبة والمقربة والمتربة مفعلات من سغب
اذا جاع وقرب في النسب يقال فلان ذو قرابتي وذو مقربتي وترب اذا افتقر وهذه الاية تدل على ان الصدقة على القرابة افضل
منها على الاجانب واليتيم قال بعضهم اليتيم في الناس من قبل الاب وفي البهائم من قبل الامهات وقال بعضهم اليتيم الذي يموت
ابواه قال قيس بن الملوح • الى الله اشكو فقد ليلى كما شكى • الى الله فقد الوالدين يتيم • ويقال ايتم الرجل يتما اذا ضعف **قوله تعالى**

او مسكينا ذا متربة اي لا شيء له حتى كانه قد لصق بالتراب من الفقر يقال ترب اي افتقر حتى لصق جلده بالتراب فاما اترب
بالالف فانه بمعنى استغنى نحو اثرى كالتراب وكالثرى قال المفسرون هو الذي ليس ماوى له الا التراب وقال ابن عباس هو
المطروح على الطريق الذي لا بيت له وقال مجاهد الذي لا يقيه من التراب لباس ولا غيره وقال قتادة انه ذو العيال
وقال عكرمة عن ابن عباس ذو المتربة هو البعيد عن وطنه **فصل** احتجوا بهذه الاية على ان المسكين قد
يملك شيئا لانه لو كان المسكين هو الذي لا يملك شيئا البتة لكان تقييده بقوله ذا متربة تكريرا **قوله تعالى** ثم كان من الذين
آمنوا للتراخي للايمان وتباعده في الرتبة والفضيلة عن العتق والصدقة لا في الوقت لان الايمان هو السابق ولا يثبت
عمل الا به قال الزمخشري وقيل المعنى ثم كان في عاقبة امره من الذين وافوا الموت على الايمان لان الموافاة عليه شرط
في الانتفاع بالطاعات وقيل التراخي في الذكر قال المفسرون معناه انه لا يقتحم العقبة من فك رقبة او اطعم في يوم
ذي مسغبة حتى يكون من الذين آمنوا اي صدقوا فان شرط قبول الطاعات الايمان بالله تعالى فالايمان بعد الانفاق لا ينفع
قال تعالى في المنافقين وما منعهم ان تقبل منهم نفقاتهم الا انهم كفروا بالله وقيل ثم كان من الذين آمنوا اي فعل هذه
الاشياء وهو مؤمن ثم بقي على ايمانه حتى الموافاة فيكون المعنى ثم كان مع تلك الطاعات من الذين آمنوا ونظيره قوله تعالى واني لغفار
لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى وقيل المعنى ثم كان من الذين يؤمنون بان هذا نافع لهم عند الله تعالى وقيل اتى بهذه
القرب لوجه الله تعالى ثم آمن بمحمد صلى الله عليه وسلم وقيل ان ثم بمعنى الواو اي وكان هذا المعتق للرقبة والمطعم في المسغبة
من الذين آمنوا **قوله تعالى** وتواصوا بالصبر اي وصى بعضهم بعضا على طاعة الله تعالى وعن معاصيه وعلى ما اصابهم
من البلاء والمصائب وتواصوا بالمرحمة اي بالرحمة على الخلق فانهم اذا فعلوا ذلك رحموا اليتيم والمسكين ثم انه تعالى بينهم فقال
تعالى اولئك اصحاب الميمنة اي الذين يؤتون كتبهم بايمانهم قاله محمد بن كعب وقال يحيى بن سلام لانهم ميامين على انفسهم
وقال ابن زيد لانهم اخذوا من شق آدم الايمن وقال ميمون بن مهران لان منزلتهم عن اليمين **قوله تعالى** والذين كفروا
بآياتنا اي القرآن هم اصحاب المشأمة اي يأخذون كتبهم بشمائلهم قاله محمد بن كعب وقال يحيى بن سلام لانهم مشائيم على انفسهم
وقال ابن زيد لانهم اخذوا من شق آدم الايسر وقال ميمون لان منزلتهم على اليسار قال القرطبي ويجمع هذه الاقوال اصحاب
الميمنة هم اصحاب الجنة واصحاب المشأمة اصحاب النار **قوله تعالى** عليهم نار مؤصدة قرا ابو عمرو وحمزة وحفص بالهمز والباقون
بالواو وكذا في الهمزة فالقراءة الاولى من آصدت الباب اي اغلقته اوصده فهو موصد وقيل ويحتمل ان يكون من اوصدت ولكن
همز الواو الساكنة لضمة ما قبلها كما همز بالسؤق والاسؤق كما تقدم والقراءة الثانية ايضا تحتمل المادتين وقد خفف الهمزة
لسكونها بعد ضمة وعن نقل القراء عن السوسي الذي قاعدته ابدال مثل هذه الهمزة انه لا يبدل هذه وعللوا ذلك بالالباس وابقى
انه قد قرا موصدة بالواو ومن قاعدته تحقيق الهمزة والظاهر ان القراءتين من مادتين الاولى من اصد يوصد كاكرم يكرم والثانية
من اوصد يوصد مثل اوصل يوصل وقال الشاعر • تحن الى اجبال مكة ناقتي • ومن دونها ابواب صنعاء مؤصدة •
اي مغلقة وقال اخر • قوم يعالج قملا ابناؤهم • وسلاسلا حلقا وبابا موصدا • وكان ابو بكر
راوي عاصم يكره الهمز في هذا الحرف وقال لنا امامنا يهمز مؤصدة فاشتهي ان اسد اذني اذا سمعته قال شهاب الدين وكانه
لم يحفظ عن شيخه الا ترك الهمز مع حفظ حفص اياه عنه وهو اضبط لحرفه من ابي بكر على ما نقله القراء وان كان ابو بكر اكبر واتقن
واوثق عند اهل الحديث قال القرطبي واهل اللغة يقولون اوصدت الباب وآصدته اي اغلقته فمن قال اوصدت
فالاسم الوصاد ومن قال آصدت فالاسم الاصاد وقال الفراء ويقال من هذا الاصيد وهو الباب المطبق ومعنى مؤصدة
اي مطبقة مغلقة وقيل مبهمة لا يدرى ما داخلها وقوله تعالى عليهم نار يجوز ان تكون جملة مستانفة وان تكون خبرا
ثانيا وان يكون الخبر وحده عليهم ونار فاعل به وهو الاحسن وقيل معنى عليهم نار اي احاطت النار بهم كقوله تعالى احاط بهم
سرادقها والله اعلم روى الثعلبي عن ابي رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا لا اقسم بهذا
البلد اعطاه الله الامن من غضبه يوم القيمة والله اعلم بالصواب واليه المرجع والمآب

سورة الشمس

وهي مكية وهي خمس عشرة آية واربع وخمسون كلمة ومائتان وسبعون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم **قوله تعالى**
والشمس وضحاها قد تقدم ان جماعة من اهل الاصول قالوا التقدير ورب الشمس ورب سائر ما ذكر الى تمام القسم
واحتج قوم على بطلان هذا القول بان في جملة هذا القسم والسماء وما بناها وذلك هو الله تعالى لا يجوز ان يكون

المراد منه تعالى أن يقدم قسمه بغيره على قسمه بنفسه فاذن لا بد من التأويل وهو أن ما مع ما بعدها في حكم المصدر فيكون
التقدير والسماء وبنائها واعترض الزمخشري عليه فقال لو كان الأمر على هذا الوجه لزم من عطف قوله فألهمها عليه فساد
النظم **قوله تعالى** وضحاها تقدم الكلام على هذه المادة في سورة طه قال المبرد إن الضحى والضحوة مشتقان من الضح وهو النور
فأبدلت الألف والواو من الحاء تقول ضحوة وضحوات وضحى فالواو من ضحوة مقلوبة عن الحاء الثانية والألف في ضحى مقلوبة عن
الواو وقال أبو الهيثم الضح نقيض الظل وهو نور الشمس على وجه الأرض وأصله الضحى فاستثقلوا الياء مع سكون الواو فقلبوها ألفا
والضحى مؤنثة يقال ارتفعت الضحى فوق الضحو وقد تذكر فمن أنث ذهب إلى أنها جمع ضحوة ومن ذكر ذهب إلى أنه اسم على فعل نحو صرد
ونغر وهو ظرف غير متمكن مثل سحر تقول لقيته ضحى وضحى إذا أردت به ضحى يومك لم تنونه وقال الفراء الضحى هو النهار كقول
قتادة والمعروف عند العرب أن الضحى إذا طلعت الشمس وبعيد ذلك قليلا فإذا زاد فهو الضحاء بالمد ومن قال الضحى النهار كله
فذلك لدوام نور الشمس ومن قال إنه نور الشمس أو حر الشمس فنور الشمس لا يكون مع حر الشمس واستدل من قال إن الضحى حر الشمس بقوله
تعالى ولا تضحى أي لا يؤذيك الحر **فصل** قال مجاهد وضحاها أي ضوءها وإشراقها وأضاف الضحى إلى الشمس لأنه إنما
يكون بارتفاع الشمس وقال قتادة نهارها وقال السدي حرها وقال اليزيدي انبساطها وقيل ما ظهر بها من كل مخلوق فيكون
القسم بها وبكل مخلوق في الأرض حكاه الماوردي قال ابن الخطيب إنما أقسم بالشمس وضحاها لكثرة ما يتعلق به من المصالح فإن
أهل العالم كانوا كالأموات في الليل فلما ظهر الصبح في المشرق صار ذلك الضوء كالروح الذي ينفخ فيه الحياة فصارت الأموات
أحياء ولا تزال تلك الحياة في القوة والزيادة إلى غاية كمالها وقت الضحوة وذلك يشبه استقرار أهل الجنة
قوله تعالى والقمر إذا تلاها أي تبعها وذلك إذا سقطت رؤي الهلال قال الليث يقال تلوت فلانا إذا تبعته وقال ابن
زيد إذا غربت الشمس في النصف الأول من الشهر تلاها القمر بالطلوع وفي آخر الشهر يتلوها بالغروب قال الفراء تلاها أخذ منها
يعني أن القمر يأخذ من ضوء الشمس وقال الزجاج إذا تلاها أي حين استوى واستدار وكان مثلها في الضياء والنور وقال قتادة
والكلبي معناه أن الشمس إذا غربت فالقمر يتبعها ليلة الهلال في الغروب وقيل يتلوها في كبر الجرم بحسب الحس في ارتباط مصالح
هذا العالم بحركته **قوله تعالى** والنهار إذا جلاها الفاعل ضمير النهار وقيل عائد على الله تعالى والضمير المنصوب إما للشمس
وإما للظلمة وإما للأرض ومعنى جلاها أي كشفها فمن قال هي الشمس فالمعنى أنه يبين بضوئه جرمها ومن قال هي الظلمة فهي
وإن لم يجر لها ذكر كقولك أصبحت باردة أصبحت غداتنا باردة وهو قول الفراء والكلبي وغيرهما ومن قال هي الدنيا والأرض
وإن لم يجر لهما ذكر كقوله تعالى حتى توارت بالحجاب **قوله تعالى** إذا تلاها وما بعده فيه إشكال لأنه إن جعل شرطا اقتضى جوابا
ولا جواب لفظا وتقديره غير صالح وإن جعل محضا استدعى عاملا وليس هنا عامل إلا فعل القسم وإعماله مشكل لأن
فعل القسم حال لأنه إنشاء وإذا ظرف مستقبل والحال لا يعمل في المستقبل وسيأتي جوابه قريبا إن شاء الله تعالى وفي
إذا جلاها وما بعدها إشكال آخر ذكره الزمخشري قال فإن قلت الأمر في نصب إذا معضل لأنك لا تخلو إما أن تجعل الواو
عاطفة فتنصب بها وتجر فتقع في العطف على عاملين وفي نحو قولك مررت أمس بزيد واليوم عمرو وإما أن تجعلهن للقسم
فتقع فيما اتفق الخليل وسيبويه على استكراهه قلت الجواب فيه أن واو القسم مطرح معها إبراز الفعل اطراحا كليا فكان لها
شأن خلاف شأن الباء حيث أبرز معها الفعل وأضمر فكانت قائمة مقام الفعل والباء سادة مسدهما والواوات العواطف
نوائب هذه الواو فحقهن أن يكن عوامل على الفعل والجار جميعا كما تقول ضرب زيد عمرا وبكر خالدا فترفع بالواو وتنصب لقيامها
مقام ضرب الذي هو عاملهما انتهى قال أبو حيان أما قوله في واوات العطف فتنصب وتجر فليس هذا بالمختار على أن يكون
حرف العطف عاملا لقيامه مقام العامل بل المختار أن العمل إنما هو للعامل في المعطوف عليه ثم إنا لا نسامحه في ذلك وقوله
فيقع في العطف على عاملين ليس ما في الآية من العطف على عاملين وإنما هو من باب عطف اسمين مجرور ومنصوب على اسمين
مجرور ومنصوب فحرف العطف لم ينب مناب عاملين وذلك نحو قولك امرر بزيد قائما وعمرو جالسا وأنشد سيبويه
في كتابه • فليس بمعروف لنا أن نردها • صحاحا ولا مستنكر أن تعقرا •
فهذا من عطف مجرور ومرفوع على مجرور ومرفوع والعطف على عاملين فيه أربعة مذاهب وينسب الجواز إلى سيبويه وقوله في
وقولك مررت أمس بزيد واليوم عمرو وهذا المثال مخالف لما في الآية بل وزان ما في الآية مررت بزيد أمس وعمرو اليوم ونحن
نجيز هذا وأما قوله على استكراه فليس كما ذكر بل كلام الخليل على المنع قال الخليل في قوله تعالى والليل إذا يغشى والنهار إذا تجلى
وما خلق الذكر والأنثى الواوان الأخيرتان ليستا بمنزلة الأولى ولكنهما الواوان اللتان يضمان الأسماء إلى الأسماء
في قولكم مررت بزيد وعمرو والأولى بمنزلة الباء والتاء وأما قوله إن واو القسم مطرح معها إبراز الفعل اطراحا كليا
فليس هذا الحكم مجمعا عليه بل أجاز ابن كيسان التصريح بفعل القسم مع الواو فتقول أقسم أو أحلف والله لزيد قائم
وأما قوله والواوات العواطف نوائب عن هذا إلى آخره فمبني على أن حرف العطف عامل لنيابته مناب العامل وليس هذا

بالمختار

بالمختار وقال والذي يقول إن المنفصل من تقدير العامل في إذا بعد الأقسام كقوله تعالى والنجم إذا هوى والليل إذا أدبر والصبح
إذا أسفر والقمر إذا تلاها والنهار إذا جلاها والليل إذا يغشى وما أشبهها فإذا ظرف مستقبل لا جائز أن يكون العامل فيه
فعل القسم المحذوف لأنه فعل إنشائي فهو في الحال ينافي أن يعمل في المستقبل لاختلاف زمان العامل وزمان المعمول ولا جائز أن
يكون ثم مضاف محذوف أقيم المقسم به مقامه أي وطلوع النجم ومجيء الليل لأنه معمول لذلك الفعل فالطلوع حال ولا يعمل
في المستقبل ضرورة أن زمان العامل زمان المعمول ولا جائز أن يعمل فيه نفس المقسم به لأنه ليس من قبيل ما يعمل لا سيما إن كان
جرما ولا جائز أن يكون ثم مضاف محذوف أقيم المقسم به مقامه أي وطلوع النجم ومجيء الليل لأنه معمول لذلك الفعل ولا جائز أن
يقدر محذوف قبل الظرف فيكون قد عمل فيه ويكون ذلك العامل في موضع الحال وتقديره والنجم كائنا إذا هوى والليل كائنا
إذا يغشى لأنه يلزم كائنا أن لا يكون منصوبا بعامل ولا يصح أن يكون معمولا لشيء مما فرضناه أن يكون عاملا وأيضا فقد يكون
المقسم به جثة وظروف الزمان لا تكون أحوالا عن الجثث كما لا تكون أخبارا انتهى ما رد به أبو حيان وما استشكله من أمر
العامل في إذا قال شهاب الدين إن المختار أن حرف العطف لا يعمل لقيامه مقام العامل فلا يلزم ما ألزمه أبو القاسم لأنه يختار القول
الآخر وقوله ليس ما في الآية من العطف على عاملين ممنوع بل فيه العطف على عاملين ولكنه فيه غموض وبيان أنه من العطف على عاملين
أن قوله والنهار إذا جلاها هنا معمولان أحدهما مجرور وهو النهار والآخر منصوب وهو الظرف عطفا على معمولي عاملين
والعاملان هما فعل المقسم به الناصب لإذا الأولى وواو القسم الجارة فقد تحقق معك عاملان لهما معمولان فإذا عطفت
مجرورا على مجرور وظرفا على ظرف معمولين لعاملين لزم ما قال أبو القاسم وكيف يجهل هذا مع التأمل والتحقيق وأما قوله وأنشد
سيبويه إلى آخره فهو اعتراف منه بأن العطف على عاملين غاية ما في الباب أنه استند إلى جوازه سيبويه وأما قوله أجاز ابن كيسان
فلا يلزمه مذهبه وأما قوله فالمثال ليس كالآية بل وزانها إلى آخره فصحيح لما فيه من تقديم الظرف على المجرور المعطوف
والآية الظرف فيها متأخر وإنما مراد الزمخشري وجود معمولي عاملين وهو موجود في المثال المذكور إلا أن فيه إشكالا آخر
وهو أنه كالتكرير للمسألة وأما قوله بل كلام الخليل يدل على المنع إلى آخره فليس فيه رد عليه بالنسبة إلى ما قصده بل فيه تقوية
لما قاله غاية ما في الباب أنه عبر بالاستكراه عن المنع ولم يفهم المنع وقوله ولا جائز أن يكون ثم مضاف محذوف إلى آخره فأقول
بل يجوز تقديره وهو العامل ولا يلزم ما قال من اختلاف الزمانين لأنه يجوز أن نقسم الآن بطلوع النجم في المستقبل فالقسم
في الحال والطلوع في المستقبل ويجوز أن نقسم بالشيء الذي سيوجد وقوله ولا جائز أن يقدر محذوف قبل الظرف فيكون
قد عمل فيه إلى آخره ليس بممنوع بل يجوز ذلك ويكون حالا مقدرة وقوله يلزم أن لا يكون له عامل ليس كذلك بل له عامل وهو
فعل القسم ولا يضر كونه إنشائيا لأن الحال مقدرة كما تقدم وقوله وقد يكون المقسم به جثة جوابه تقدير حينئذ حدث يكون
الظرف الزماني حالا عنه وسئل ابن الحاجب عن هذه المسألة فأجاب بنحو ما ذكرناه والله أعلم ولا يخلو الكلام فيها من بحث
قوله تعالى والليل إذا يغشاها المفعول للشمس أي يغشى الشمس فيذهب بضوئها عند سقوطها قاله مجاهد وقيل الأرض أي
يغشى الدنيا بالظلم فتظلم الآفاق فالكناية ترجع إلى غير مذكور وجيء بيغشاها مضارعا دون ما قبله وما بعده مراعاة للفواصل
إذ لو أتى به ماضيا لكان التركيب إذا غشيها فتفوت المناسبة اللفظية بين الفواصل والمقاطع **قوله تعالى** والسماء وما
بناها في ما هذه وجهان أحدهما أنها موصولة بمعنى الذي وبه استشهد من يجوز وقوعها على العقلاء لأن المراد به الباري تعالى
وإليه ذهب الحسن ومجاهد وأبو عبيدة واختاره ابن جرير والثاني مصدرية أي وبنائها وإليه ذهب الزجاج والمبرد وهذا منهما
بناء على أنها مختصة بغير العقلاء واعترض على هذا القول بأنه يلزم أن يكون القسم بنفس المصادر بناء السماء وطحو الأرض وتسوية
النفس وليس المقصود إلا القسم بفاعل هذه الأشياء وهو الرب تعالى وأجيب عنه بوجهين أحدهما يكون على حذف مضاف
أي ورب أي وباني بناء السماء ونحوه والثاني أنه لا غرو في الإقسام بهذه الأشياء كما أقسم سبحانه وتعالى بالصبح ونحوه وقال
الزمخشري جعلت مصدرية وليس بالوجه لقوله تعالى فألهمها وما يؤدي إليه من فساد النظم والوجه أن تكون موصولة
وإنما أوثرت على من لإرادة معنى الوصفية كأنه قيل والسماء والقادر العظيم الذي بناها ونفس والحكيم الباهر الحكمة الذي سواها
وفي كلامهم سبحان ما سخركن لنا انتهى يعني أن الفاعل في فألهمها عائد على الله تعالى فليكن في بناها كذلك وحينئذ يلزم عوده
على شيء وليس هنا ما يمكن عوده عليه غير ما فتعين أن تكون موصولة قال أبو حيان أما قوله وليس بالوجه لقوله تعالى فألهمها
يعني من عود الضمير في فألهمها على الله تعالى فيكون قد عاد على مذكور وهو ما المراد به الذي قال ولا يلزم ذلك لأنا إذا جعلناها
مصدرية عاد الضمير على ما يفهم من سياق الكلام ففي بناها ضمير عائد على الله تعالى أي وبناها هو أي الله تعالى كما إذا رأيت زيدا
قد ضرب عمرا فتقول عجبت مما ضرب عمرا تقديره من ضرب عمرو هو كان حسنا فصيحا جائزا وعود الضمير على ما يفهم من سياق الكلام
كثير وقوله وما يؤدي إليه من فساد النظم ليس كذلك ولا يؤدي جعلها مصدرية إلى ما ذكر وقوله وإنما أوثرت إلى آخره لا يراد بما ولا من
الموصولتين معنى الوصفية لأنهما لا يوصف بهما وما دون من وقوله وفي كلامهم إلى آخره تأوله أصحابنا على أن سبحان علم وما مصدرية

ظرفية انتهى قال شهاب الدين اما ما رد به عليه من كونه يعود على ما يفهم من السياق فليس يصلح ردا لانه اذا دار الامر بين عوده على ملفوظ به وبين غير ملفوظ به فعوده على الملفوظ به اولى لانه الاصل واما قوله فلا ينفرد به مادون من فليس مراد الزمخشري انها توصف بها وصفا صريحا بل مراده انها تقع على نوع من يعقل وعلى صفته ولذلك مثل النحويون بقوله تعالى فانكحوا ما طاب لكم وقالوا التقدير فانكحوا الطيب من النسا ولا شك ان هذا الحكم تنفرد به ما دون من **قوله تعالى** والارض وما طحاها اي وطحوها وقيل ومن طحاها اي بسطها كذا قاله عامة المفسرين اي دحاها قال مجاهد والحسن وغيرهما طحاها ودحاها واحد اي من كل جانب والطحو البسط طحا يطحو طحوا وطحي يطحى طحيا وطحيت اضطجعت عن ابي عمرو وعن ابن عباس طحاها اي قسمها او قيل خلقها قال الشاعر

وما تدري جذيمة من طحاها ... ولا من ساكن العرش الرفيع

قال الماوردي ويحتمل انه ما خرج منها من نبات وعيون وكنوز لانه حياة للمخلوق عليها ويقال في بعض ايمان العرب لا والقمر الطاحي اي المشرق المرتفع قال ابو عمرو وطحا الرجل اذا ذهب في الارض يقال ما ادري اين طحا ويقال طحا به قلبه اذا ذهب به في كل شي قال علقمة

طحا بك قلب في الحسان طروب

قال ابن الخطيب واعلم ان هذا عن قوله تعالى والسماء وما بناها لقوله تعالى والارض بعد ذلك دحاها **قوله تعالى** ونفس وما سواها قيل المعنى وتسويتها فما مصدرية وقيل المعنى ومن سواها وهو الله تعالى قيل المراد بالنفس آدم عليه السلام وقيل كل نفس منفوسة في التنكير للتعظيم اي نفس عظيمة وهي نفس آدم عليه السلام وما للتكثير كقوله تعالى علمت نفس وسوى بمعنى هيا وقال مجاهد سوى خلقها وعدل وهذه الاسما كلها مجرورة على القسم اقسم الله تعالى بخلقه لما فيه من عجايب الصنعة الدالة عليه سبحانه وتعالى **قوله تعالى** فالهمها فجورها اي عرفها طريق الفجور والتقوى قاله ابن عباس ومجاهد وعن مجاهد ايضا عرفها الطاعة والمعصية وعن محمد بن كعب رضي الله عنه اذا اراد الله تعالى بعبده خيرا الهمه الخير فعمل به واذا اراد به الشر الهمه الشر فعمل به وعن ابن عباس رضي الله عنه قال الهم المومن التقي تقواه والهم الكافر فجوره وعن قتادة بين لها فجورها وتقواها والفجور والتقوى مصدران في موضع المفعول قال الواحدي الالهام هو ان يوقع الله تعالى في قلب العبد شيا واذا اوقع في قلبه شيا فقد الزمه اياه من قولهم لهم الشي والتهمه اذا ابتلعه والهمته ذلك الشي اي ابلغته هذا هو الاصل ثم استعمل ذلك فيما يقذفه الله تعالى في قلب العبد لانه كالابلاغ **قوله تعالى** قد افلح فيه وجهان احدهما انه جواب القسم والاصل لقد وانما حذفت لطول الكلام والثاني انه ليس بجواب وانما جي به تابعا لقوله تعالى فالهمها فجورها وتقواها على سبيل الاستطراد وليس من جواب القسم في شي فالجواب محذوف تقديره ليدمدمن الله عليهم اي على اهل مكة لتكذيبهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كما دمدم على ثمود لتكذيبهم صالحا عليه السلام قال معناه الزمخشري وقدره غيره لتبعثن وقيل هو على التقديم والتاخير بغير حذف والمعنى قد افلح من زكاها وقد خاب من دسيها والشمس وضحاها وفاعل زكاها ودساها الظاهر انه ضمير من وقيل ضمير الباري تعالى اي افلح فان من زكاها بالطاعة وقد خاب من دسيها اي خسرت نفس دسيها الله بالمعصية والحق الزمخشري على صاحب هذا القول لمنافرته مذهبه قال شهاب الدين والحق انه خلاف الظاهر لا لما قال الزمخشري بل لمنافرة نظمه للاحتياج الى عود الضمير على النفس مقيدة باضافتها الى ضمير من وقال ابن عباس خابت نفس اضلها الله واغواها وقيل افلح من زكا نفسه بطاعة الله وخاب وخسر من دس نفسه في المعاصي قاله قتادة واصل الزكوة النمو والزيادة ومنه زكى الزرع اذا كثر ريعه ومنه تزكية القاضي للشاهد لانه يرفعه بالتعديل وقيل دساها اغواها قال الشاعر

وانت الذي دسست عمروا فاصبحت ... حلايله منه اراملا ضيعا

واصله دسسها من التدسيس فكثرت الامثال فابدل من ثالثها حرف علة كما قالوا قصيت اظفاري واصله قصصت وتقضي البازي والتدسية الاخفا يعني اخفاها بالفجور وقد نطق بالاصل الشاعر المتقدم وقال اخر

ودسست عمروا في التراب فاصبحت

وقال ابن الاعرابي وقد خاب من دسيها اي دس نفسه في جملة الصالحين وليس منهم قال الواحدي فكانه تعالى اقسم على فلاح من طهره وخسارة من خذله لئلا يظن ان المرء يتولى ذلك من غير قضا سابق فقوله تعالى قد افلح هو جواب القسم **قوله تعالى** كذبت ثمود بطغواها في هذه البا ثلاثة اوجه احدها انها للاستعانة مجازا كقولك كتبت بالقلم وبه بدا الزمخشري يعني فعلت التكذيب بطغيانها كقولك ظلمني بجراته على الله تعالى الثاني انها للتعدية اي كذبت بما اوعدت به من عذابها ذي الطغيان كقوله تعالى فاهلكوا بالطاغية قال ابن عباس رضي الله عنه وكان اسم العذاب الذي جاءها الطغوى لانه طغى عليهم قال ابن الخطيب وهذا لا يبعد لان الطغيان مجاوزة الحد فسمي عذابهم طغوى لانه كان صيحة مجاوزة للقدر المعتاد الثالث انها للسببية اي بسبب طغيانها وهو خروجها عن الحد في العصيان قاله مجاهد وقتادة وغيرهما وقال محمد بن كعب باجمعها وقيل مصدر وخرج على هذا المخرج لانه اشكل برءوس الاي وقيل الاصل بطغيانها الا ان فعلى اذا كانت من ذوات اليا ابدلت في الاسم واوا للفصل بين الاسم والوصف وقرا العامة بطغواها بفتح الطا وهو مصدر بمعنى الطغيان وانما قلبت اليا واوا لما تقدم من الفرق بين الاسم والصفة يعني انهم يغيرون يا فعلى بالفتح صفة نحو خزيا وصديا ويقلبونها

في الاسم

في الاسم نحو تقوى وشروى وكان الابقا في الوصف لانه اثقل من الاسم قال لانه اخف من الواو فلذلك جعلت في الاثقل وقرا الحسن ومحمد بن كعب والجحدري وحماد بضم الطا وهو ايضا مصدر كالرجعى والحسنى الا ان هذا شاذ اذا كان من حقه بقا اليا على حالها كالسقيا وبابها هذا كله عند من يقول طغيت طغيانا باليا فاما من يقول طغوت طغيانا بالواو فالواو اصل عنده قاله ابو البقا وقد تقدم الكلام على اللغتين في البقرة **قوله تعالى** اذ انبعث اشقاها يجوز في اذ وجهان احدهما ان يكون ظرفا لكذبت والثاني ان يكون ظرفا للطغوى وانبعث مطاوع بعثت فلانا على الامر فانبعث له واشقاها فاعل انبعث بمعنى والانبعاث الاسراع وفيه وجهان احدهما ان يراد به شخص معين روي ان اسمه قدار بن سالف والثاني ان يراد به جماعة قال الزمخشري ويجوز ان يكون جماعة للتسوية في افعل التفضيل اذا اضيف بين الواحد والجمع والمذكر والمونث وكان يجوز ان يقول اشقوها وكان ينبغي ان يقول ويقول اذا اضيف الى معرفة لان المضاف الى النكرة حكمه الافراد والتذكير مطلقا كالمقرون بمن **فصل** قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ انبعث اشقاها انبعث لها رجل عزيز عارم منيع في اهله مثل ابي زمعة روي عن علي رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال له اتدري من اشقى الاولين والاخرين قلت الله ورسوله اعلم قال عليه الصلاة والسلام اشقى الاولين عاقر الناقة ثم قال اتدري من اشقى الاخرين قلت الله ورسوله اعلم قال عليه الصلاة والسلام قاتلك **قوله تعالى** فقال لهم ان كان المراد باشقاها جماعة فعود الضمير من لهم عليهم واضح وان كان المراد به علما بعينه فالضمير من لهم يعود على ثمود والمراد برسول الله يعني صالحا وقوله تعالى ناقة الله منصوب على التحذير اي احذروا ناقة الله فلا تقربوها واضمار الناصب هنا واجب لمكان العطف فان اضمار الناصب يجب في ثلاثة مواضع احدها ان يكون المحذر نفس اياك وبابه الثاني ان يوجد فيه عطف الثالث ان يوجد فيه تكرار نحو الاسد الاسد والصبي الصبي والحذر الحذر وقيل ذروا ناقة الله كقوله تعالى فذروها تاكل في ارض الله ولا وقرا زيد بن علي ناقة الله رفعا على اضمار مبتدا مضمر اي هذه ناقة الله فلا تتعرضوا لها **قوله تعالى** وسقياها اي ذروها وشربها فانهم لما اقترحوا الناقة واخرجها لهم من الصخرة جعل لهم شرب يوم من بيرهم ولها شرب يوم مكان ذلك فشق عليهم فكذبوه يعني صالحا عليه السلام في وعيدهم بالعذاب ان عقروها فعقروها اي عقرها الاشقى واضيف الى الكل لانهم رضوا بفعله قال قتادة بلغنا انه لم يعقرها حتى تابعه صغيرهم وكبيرهم واناثهم وذكرهم وقال الفرا عقرها اثنان والعرب تقول هذان افضل الناس وهذان خير الناس وهذه المراة اشقى القوم ولهذا لم يقل اشقياها **قوله تعالى** فدمدم الدمدمة قيل الاطباق يقال دمدمت عليه القبر اي اطبقته عليه اي اهلكهم واطبق عليهم العذاب بذنبهم الذي هو الكفر والتكذيب والعقر وقال المورج الدمدمة الاهلاك باستيصال وروى الضحاك عن ابن عباس دمدم عليهم دمر عليهم ربهم بذنبهم اي بجرمهم وقال الفرا دمدم اي ارجف وحقيقة الدمدمة تضعيف العذاب وترديده يقال دمدمت على الشي اي اطبقت عليه فاذا كررت الاطباق قلت دمدمت وفي الصحاح دمدمت الشي اذا الزقته بالارض وطحطحته قال القشيري وقيل دمدمت على الميت التراب اي سويته عليه فالمعنى على هذا فجعلهم تحت التراب فسواها اي فسوى عليهم الارض وعلى الاول فسواها اي فسوى الدمدمة وقيل الدمدمة حكاية صوت الهرة وذلك ان الصيحة اهلكتهم فاتت على صغيرهم وكبيرهم وقال ابن الانباري دمدم اي غضب والدمدمة الكلام الذي يزعج الرجل ودمدمت الثوب طليته بالصبغ والبا في بذنبهم للسببية وقرا ابن الزبير فدهدم بها بين الدالين بدل الميم وهي بمعنى القراة المشهورة قال القرطبي وهما لغتان كقولهم امتقع لونه واهتقع **قوله تعالى** فسواها الضمير المنصوب يجوز عوده على ثمود باعتبار القبيلة كما اعاده في قوله تعالى بطغواها ويجوز عوده على الدمدمة والعقوبة اي سواها بينهم فلم يفلت منهم احد **قوله تعالى** ولا يخاف عقباها قرا نافع وابن عامر فلا بالفا والباقون بالواو ورسمت في مصاحف المدينة والشام بالفا وفي غيرها بالواو فقد قرا كل بما يوافق رسم مصحفه وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقرا ولم يخف وهي مويدة لقراة الواو وذكر الزمخشري فالفا تقتضي التعقيب وهو ظاهر والواو يجوز ان تكون للحال وان تكون لاستيناف الاخبار قال القرطبي وروى ابن وهب وابن القسم قالا اخرج الينا مالك رضي الله عنه مصحفا لجده وزعم انه كتبه في ايام عثمان بن عفان رضي الله عنه حين كتب المصاحف وفيه ولا يخاف بالواو وكذا هي في مصاحف اهل مكة والعراق بالواو واختاره ابو عبيدة وابو حاتم وضمير الفاعل في يخاف الاظهر عوده على الرب تبارك وتعالى لانه اقرب مذكور وهو قول ابن عباس والحسن وقتادة ومجاهد والها في عقباها ترجع الى الفعلة وذلك لانه تعالى يفعل ذلك بحق وكل من فعل فعلا بحق فانه لا يخاف عاقبة فعله وقيل المراد تحقيق ذلك الفعل والله تعالى اجل من ان يوصف بذلك وقيل المعنى انه بالغ في الاعذار اليهم مبالغة من لا يخاف عاقبة عذابهم وقيل يرجع الى رسول الله اي لا يخاف صالح عليه السلام عقبى هذه العقوبة لانذاره اياهم ونجاه الله تعالى حين اهلكهم وقال السدي والضحاك والكلبي ان الضمير يرجع الى اشقاها اي انبعث لعقرها والحال انه غير خايف عاقبة هذه الفعلة الشنعا وهو مروي عن ابن عباس رضي الله عنه ايضا وفي الكلام تقديم وتاخير اي اذ انبعث اشقاها ولا يخاف عقباها وعقبى الشي خاتمته روى الثعلبي عن ابي رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

من قرأ سورة والشمس وضحاها فكأنما تصدّق بكل شيء طلعت عليه الشمس والقمر والله أعلم بالصواب

سورة والليل

مكية وقيل مدنية وهي إحدى وعشرون آية وإحدى وسبعون كلمة وثلاثمائة وعشرة أحرف بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى والليل إذا يغشى أي يغطي ولم يذكر مفعولاً للعلم به وقيل يغشى النهار وقيل الأرض وقيل الخلائق وقيل يغشى كل شيء بظلمته قال قتادة أول ما خلق الله تعالى النور والظلمة ثم ميّز بينهما فجعل الظلمة ليلاً أسود مظلماً والنور نهاراً مضيئاً مبصراً قال ابن الخطيب أقسم بالليل الذي يأوي فيه كل حيوان إلى مأواه وتسكن الخلق عن الاضطراب ويجيئهم النوم الذي جعله الله تعالى راحة لأبدانهم وغذاء لأرواحهم ثم أقسم تعالى بالنهار إذا تجلى لأن النهار إذا انكشف بضوئه ما كان في الدنيا من الظلمة جاء الوقت الذي تتحرك فيه الناس لمعاشهم والطير والهوام من مكامنها فلو كان الدهر كله ليلاً لتعذر المعاش ولو كان كله نهاراً لبطلت الراحة لكن المصلحة في تعاقبهما كما قال تعالى وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة وقال تعالى وسخر لكم الليل والنهار قوله تعالى والنهار إذا تجلى أي انكشف وظهر وبان بضوئه عن ظلمة الليل وقرأ العامة تجلى فعلاً ماضياً وفاعله ضمير عائد على النهار وعبد الله بن عمير تتجلى بتاءين أي الشمس وقرئ تُجلي بضم التاء وسكون الجيم أي الشمس أيضاً ولا بد من عائد على النهار محذوف أي تتجلى أو تجلى فيه قوله تعالى وما خلق يجوز في ما أن تكون بمعنى من على ما تقدم في سورة والشمس قال الحسن معناه والذي خلق فيكون قد أقسم بنفسه تعالى وقيل مصدرية وقال الزمخشري والقادر العظيم القدرة الذي قدر على خلق الذكر والأنثى من ماء واحد وقد تقدم هذا القول في الاعتراض عليه والجواب عنه في السورة التي قبلها وقرأ أبو الدرداء والذكر والأنثى وقرأ عبد الله والذي خلق وقرأ الكسائي ونقلها ثعلب عن بعض السلف وما خلق الذكرِ بجر الذكر قال الزمخشري على أنه بدل من محل ما خلق بمعنى وما خلقه أي ومخلوق الله الذكر وجاز إضمار الله تعالى لأنه معلوم بانفراده بالخلق وقيل المعنى وما خلق من الذكر والأنثى فتكون من مضمرة وتكون القسم منه بأهل طاعته من أوليائه وأنبيائه ويكون قسمه بهم تكريماً لهم وتشريفاً وقال أبو حيان وقد يخرج على توهم المصدر أي وخلق الذكر كقوله • يطوف العفاة بأبوابه • كما طاف بالبيعة الراهب • بجر الراهب على توهم النطق بالمصدر أي كطواف الراهب • والذي يظهر في تخريج البيت أن أصله الراهبي بياء النسب نسبة إلى الصفة ثم خفف وهو قليل كقولهم أحمري ودواري وهذا التخريج بعينه في قول العرب القيس • فقل في مقيل نحسه متغيب • لما استشهد به الكوفيون على تقديم الفاعل وروي عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه كان يقرأ والنهار إذا تجلى والذكر والأنثى ويسقط وما خلق وفي صحيح مسلم عن علقمة قال قدمنا الشام فأتانا أبو الدرداء فقال فيكم أحد يقرأ على قراءة عبد الله فقرأت هذه الآية والليل إذا يغشى قال سمعته يقرأ والليل إذا يغشى والنهار إذا تجلى والذكر والأنثى قال وأنا والله هكذا سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرؤها ولكن لا يريدون أن أقرأ وما خلق فلا أتابعهم وقال ابن الأنباري حدثنا أحمد بن يحيى المروزي بسنده إلى عبد الله قال أقرأني رسول الله صلى الله عليه وسلم إني أنا الرزاق ذو القوة المتين قال ابن الأنباري كل من هذين الحديثين مردود بخلاف الإجماع له وأن حمزة وعاصماً يرويان عن عبد الله بن مسعود فيما عليه جماعة من المسلمين وموافقة الإجماع أولى من الأخذ بقول واحد يخالف الإجماع

فصل قيل المراد بالذكر والأنثى آدم وحواء عليهما السلام قاله ابن عباس والحسن والكلبي وقيل جميع الذكور والإناث من جميع الحيوان وقيل كل ذكر وأنثى من الآدميين فقط لاختصاصهم بولاية الله تعالى وطاعته قوله تعالى إن سعيكم لشتى هذا جواب القسم والمعنى أن أعمالكم لمختلفة ويجوز أن يكون محذوفاً كما قيل في نظائره المتقدمة وشتى واحده شتيت مثل مريض ومرضى وإنما قيل للمختلف شتى لتباعد ما بين بعضه وبعضه أي أن عملكم المتباعد بعضه من بعض لشتى أي لمختلف لأن بعضه ضلال وبعضه هدى أي فمنكم مؤمن وبر وكافر وفاجر ومطيع وعاص وقيل لشتى أي لمختلف الجزاء فمنكم مثاب بالجنة ومعاقب بالنار وقيل لمختلف الأخلاق فمنكم راحم وقاس وحليم وطائش وجواد وبخيل قال المفسرون نزلت هذه الآية في أبي بكر رضي الله عنه وأبي سفيان قوله تعالى فأما من أعطى قال ابن مسعود رضي الله عنه يعني أبا بكر رضي الله عنه وعن ابن عباس رضي الله عنه في قوله تعالى فأما من أعطى أي بذل واتقى محارم الله التي نهى عنها وصدق بالحسنى أي بالخلف من الله تعالى على عطائه فسنيسره لليسرى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من يوم غربت شمسه إلا وبعث بجنبيها ملكان يناديان يسمعهما خلق الله تعالى كلهم إلا الثقلين اللهم أعط منفقاً خلفاً وأعط ممسكاً تلفاً وأنزل الله تعالى فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى الآيات فصل حذف مفعول أعطى ومفعول اتقى ومفعول صدق الجر وبعلى لأن الغرض ذكر هذه الأحداث دون متعلقاتها وكذلك متعلقا البخل والاستغناء وقوله تعالى فسنيسره للعسرى إما من باب المقابلة كقوله فسنيسره

واما نيسره بمعنى نهيئه والتهيئة تكون في العسر واليسر فصل قال المفسرون فأما من أعطى المعسرين وقال قتادة أعطى حق الله الواجب وقال الحسن أعطى الصدق من قلبه وصدق بالحسنى أي بلا إله إلا الله وهو قول ابن عباس والضحاك والسلمي رضي الله عنهم وقال مجاهد بالجنة لقوله تعالى للذين أحسنوا الحسنى وقال زيد بن أسلم بالصلاة والزكاة والصوم وقوله تعالى فسنيسره لليسرى أي نرشده لأسباب الخير والصلاح حتى يسهل عليه فعلها وقال زيد بن أسلم لليسرى للجنة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من نفس منفوسة إلا كتب الله تعالى مدخلها فقال القوم يا رسول الله أفلا نتكل على كتابنا فقال عليه الصلاة والسلام بل اعملوا فكل ميسر أما من كان من أهل السعادة فإنه ميسر لعمل أهل السعادة ومن كان من أهل الشقاوة فإنه ميسر لعمل أهل الشقاوة ثم قرأ فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى قوله تعالى وأما من بخل واستغنى أي ضن بما عنده فلم يبذل خيراً وروي عن ابن عباس رضي الله عنه في قوله فسنيسره للعسرى قال سوف أحول بينه وبين الإيمان بالله وبرسوله وعن ابن عباس رضي الله عنه قال نزلت في أمية بن خلف وعن ابن عباس وأما من بخل واستغنى أي بخل بماله واستغنى عن ربه وكذب بالحسنى أي بالخلف الذي وعده الله تعالى في قوله سبحانه وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه وقال مجاهد وكذب بالحسنى أي بالجنة وعنه بلا إله إلا الله فسنيسره للعسرى أي نسهل عليه طريق العسرى أي للشر وعن ابن مسعود أي للنار قوله تعالى فسنيسره لليسرى وقوله تعالى فسنيسره للعسرى يدل على أن التوفيق والخذلان من الله تعالى لأن السعي يدل على الرجحان لزم الوجوب لأنه لا واسطة بين الفعل والترك ومع الاستواء لا ترجيح فحال المرجوحية أولى بالامتناع ومتى امتنع أحد الطرفين وجب الآخر إذ لا خروج من النقيضين أجاب القفال أنه من باب تسمية أحد الضدين باسم الآخر كقوله تعالى وجزاء سيئة سيئة فسمى الله تعالى ألطاف الداعية إلى الطاعة تيسيراً لليسرى وسمى ترك هذه الألطاف تيسيراً للعسرى أو هو من باب إضافة الفعل إلى السبب دون الفاعل كقوله تعالى إنهن أضللن كثيراً أو يكون على سبيل الحكم والإخبار عنه وأجيب بأن هذا كله عدول عن الظاهر والظاهر مرجحنا وهو المقصود من الحديث المتقدم ما من نفس منفوسة قال القفال معنى الحديث أن الناس خلقوا للعبادة قال تعالى وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون وهذا ضعيف لأن هذا جواب عن قولهم لا نتكل فقال اعملوا فكل ميسر لما وافق معلوم الله تعالى فصل التأنيث في اليسرى والعسرى إن أريد جماعة الأعمال فظاهر وإن أريد عمل من الأعمال باعتبار الخصلة أو الفعلة أو الطريقة فمن فسر اليسرى بالجنة فتيسيرها دخولها بإكرام وسهولة ومن فسرها بالخير فتيسيره خفته عليه ونشاطه له بخلاف المنافق والمرائي ودخلت السين في فسنيسره بمعنى الترجي وهذا يفيد القطع من الله تعالى أو لأن الأعمال بالخواتيم فقد يعصي المطيع وبالعكس أو لأن أكثر الثواب يكون في الآخرة وهي متأخرة قوله تعالى وما يغني يجوز أن تكون ما نافية أي لا يغني عنه ماله شيئاً وأن تكون استفهاماً إنكارياً أي أي شيء يغني عنه ماله إذا هلك ووقع في جهنم وتردى تفعّل من الهلاك يقال ردي الرجل يردى ردى إذا هلك قال الشاعر • صرفت الهوى عنهن من خشية الردى • وقال أبو صالح وزيد بن أسلم تردى أي سقط في جهنم ومنه المتردية ويقال ردي من في البئر وتردى إذا سقط في بئر أو نهر أو من جبل ويقال ما أدري أين ردي أي أين ذهب ويحتمل أن يكون من تردى بأكفانه وهو كناية عن الموت كقوله • وخطا بأطراف الأسنة مضجعي • وردوا على عيني فضل ردائيا • وقول الآخر • نصيبك مما تجمع الدهر كله • رداءان تلوى فيهما وحنوط • قوله تعالى إن علينا للهدى أي علينا أن نبين طريق الهدى من طريق الضلال فالهدى بمعنى بيان الأحكام قاله الزجاج أي على الله تعالى بيان حلاله وحرامه وطاعته ومعصيته وهو قول قتادة وقال الفراء من سلك الهدى فعلى الله سبيله كقوله تعالى وعلى الله قصد السبيل وقيل معناه أن علينا للهدى والإضلال فترك الإضلال كقوله تعالى بيدك الخير وبيده كل شيء وقوله تعالى تقيكم الحر وهي تقي البرد قاله الفراء أيضاً وهو مروي عن ابن عباس رضي الله عنه فصل لما عرفهم سبحانه أن سعيهم شتى وبين ما للمحسنين من اليسرى وللمسيئين من العسرى أخبرهم أنه قد مضى ما عليه من البيان والدلالة والترغيب والترهيب أي أن الذي يجب علينا في الحكمة إذ خلقنا الخلق للعبادة أن نبين لهم وجوه التعبد ونبين المتعبد به قالت المعتزلة إزاحة الأعذار تقتضي أنه تعالى كلفهم بما فيه وسعهم وطاقتهم وأيضاً فكلمة على للوجوب وأيضاً فلو لم يستقل العبد بالإيجاد لم يكن في نصب الأدلة فائدة وجوابهم قد تقدم وذكر الواحدي أن الفراء قال معناه أن علينا للهدى والإضلال فحذف المعطوف كقوله تعالى سرابيل تقيكم الحر وهو معنى قول ابن عباس رضي الله عنه يريد أرشد أوليائي للعمل بطاعتي وأحول بين أعدائي أن يعملوا بطاعتي وهو معنى الإضلال ورد المعتزلة هذا التأويل بقوله تعالى وعلى الله قصد السبيل ومنها جائر وتقدم جوابهم قوله تعالى وإن لنا للآخرة والأولى أي لنا كل ما في الدنيا والآخرة فلا يضرنا ترككم الاهتداء بهدانا ولا يزيد في ملكنا اهتداؤكم بل نفع ذلك وضره عائدان عليكم ولو شئنا لمنعناكم عن المعاصي لكن ذلك يخل بالتكليف بل نمنعكم بالبيان والتعريف والوعد والوعيد ويكون نحن نملك الدارين فليطلب منا سعادة الدارين فالأول أوفق لقول المعتزلة والثاني

او فوق لقولنا روى ابو صالح عن ابن عباس رضي الله عنه قال ثواب الدنيا والآخرة وهو كقوله تعالى من كان يريد ثواب الدنيا فعند الله
ثواب الدنيا والآخرة فمن طلبهما من غيره اكرمهما فقد اخطأ الطريق **قوله تعالى** فانذرتكم نارا تلظى قد تقدم في البقرة ان البزي
يشدد مثل هذه التاء والتشديد فيها عسر لالتقاء الساكنين فيها على غير حدهما وهو نظير قوله تعالى اذ تلقونه وقد تقدم وقال ابو البقاء
يقرأ بكسر النون وتشديد التاء وقد ذكر وجهه ولا يثبت الجيم انتهى وهذه قراءة غريبة ولكنها موافقة للقياس من حيث انه لم يلتق
فيها ساكنان وقوله تعالى وقد ذكر وجهه اي الذي قاله في البقرة ولا يفيد هنا شيئا البتة فانه قال هناك وتقرا بتشديد التاء
وقبله الف وهو جمع بين ساكنين وانما سوغ ذلك المد الذي في الالف وقرا ابن الزبير وسفيان وزيد بن علي وطلحة تتلظى بتاءين وهو
الاصل قال القرطبي وهي قراءة عبيد بن عمير ويحيى بن يعمر **فصل** المعنى حذرتكم وخوفتكم نارا تلظى اي تلهب وتوقد
وتتوهج يقال تلظت النار تلظيا ومنه سميت جهنم لظى **قوله تعالى** لا يصلاها اي لا يجد صلاها وهو حرها الا الاشقى قيل
الاشقى والاتقى بمعنى الشقي والتقي ولا تفضيل فيهما لان النار مختصة بالاكثر شقاء وتجنبها ليس مختصا بالاكثر تقوى وقيل بل هما
على بابهما واليه ذهب الزمخشري فقال فان قلت كيف قال لا يصلاها الا الاشقى وسيجنبها الاتقى وقد علم ان كل شقي يصلاها
وكل تقي يجنبها لا يختص بالصلي اشقى الاشقياء ولا بالنجاة اتقى الاتقياء وان زعمت انه نكر النار فاراد نارا بعينها مخصوصة بالاشقى
فما تصنع بقوله وسيجنبها الاتقى فقد علم ان افسق المسلمين يجنب تلك النار المخصوصة لا الاتقى منهم خاصة قلت الآية واردة
في الموازنة بين حالتي عظيم من المشركين وعظيم من المؤمنين فاريد ان يبالغ في صفتيهما المتناقضتين فقيل الاشقى وجعل مختصا بالصلي
كان النار لم تخلق الا له وقيل الاتقى وجعل مختصا بالنجاة كان الجنة لم تخلق الا له وقيل ابو جهل وامية بن خلف وابو بكر رضي الله عنه
انتهى فالجواب الى ان المراد بهما شخصان معينان **فصل** قال المفسرون المراد بالاشقى والشقي الذي كذب نبي الله صلى
الله عليه وسلم وتولى اي اعرض عن الايمان وقال الفراء معناه الا من كان شقيا في علم الله تعالى قال بعضهم الاشقى بمعنى الشقي كقوله
لست فيها باوحد اي بواحد ووحيد ويوضع افعل بمعنى موضع فعيل نحو قولهم الله اكبر بمعنى كبير وهو اهون عليه بمعنى هين قالت المرجئة
الآية تدل على ان الوعيد مختص بالكافر والجواب المعارضة بآيات الوعيد وايضا فهذا اغراء بالمعاصي وايضا فقوله تعالى بعده
وسيجنبها الاتقى يدل على ترك هذا الظاهر لان الفاسق ليس بالاتقى والمراد بقوله تعالى نارا تلظى انها مخصوصة من بين النيران
لان النار دركات ولا يلزم من هذا ان الفاسق لا يدخل النار اصلا او المراد لا يصلاها بعد الاستحقاق واجاب الواحدي بان
معنى لا يصلاها لا يلزمها وهذه الملازمة لا تثبت الا للكافر **قوله تعالى** وسيجنبها الاتقى اي يبعد عنها الاتقى التقي الخائف
قال ابن عباس هو ابو بكر رضي الله عنه ثم وصف الاتقى فقال سبحانه الذي يؤتي ماله يتزكى اي يطلب ان يكون عند الله زاكيا ولا يطلب
بذلك رياء ولا سمعة بل يتصدق به مبتغيا به وجه الله تعالى **قوله تعالى** يتزكى قرا العامة يتزكى مضارع تزكى والحسن بن علي بن الحسين
بن علي بن ابي طالب رضي الله عنهم يزكى بادغام التاء في الزاي وفي هذه الجملة وجهان احدهما انها في موضع الحال من فاعل يؤتي اي
يؤتيه متزكيا به والثاني انها لا موضع لها من الاعراب على انها بدل من صلة الذي ذكرهما الزمخشري **قوله تعالى** وما لاحد عنده من
نعمة تجزى اي ليس يتصدق ليجازي على نعمة وانما يبتغي وجه ربه الاعلى اي المتعالي وتجزى صفة لنعمة اي يجزي الانسان وانما جيء به
مضارعا مبنيا للمفعول لاجل الفواصل اذ الاصل يجزيها اياه او يجزيه اياها **قوله تعالى** الا ابتغاء في نصبه وجهان احدهما
انه مفعول له قال الزمخشري ويجوز ان يكون مفعولا له على المعنى لان المعنى لا يؤتي ماله الا ابتغاء وجه ربه لا لمكافاة نعمة
وهذا اخذه من قول الفراء فانه قال ونصب على التاويل ما اعطيتك ابتغاء جزائك بل ابتغاء وجه الله تعالى والثاني انه منصوب على
الاستثناء المنقطع اذ لم يندرج تحت جنس من نعمة وهذه قراءة العامة اعني النصب والمد وقرا يحيى بن يعمر ممدودا على البدل من محل نعمة
لان محلها الرفع اما على الفاعلية واما على الابتداء ومن زائدة في الوجهين والبدل لغة تميم لانهم يجرون المنقطع في غير الايجاب مجرى المتصل
وانشد الزمخشري بالوجهين النصب والبدل قول بشر بن ابي خازم • اضحت قفارا خلاء لا انيس بها • الا الجآذر والظلمان تختلف •
وقول القائل في الرفع • وبلدة ليس بها انيس • الا اليعافير والا العيس • وفي التنزيل ما فعلوه الا قليل منهم وقال مكي واجاز
الفراء الرفع في ابتغاء على البدل من موضع نعمة وهو بعيد قال شهاب الدين كانه لم يطلع عليها قراءة واستبعاده هو البعيد
فانها لغة فاشية وقرا ابن ابي عبلة ابتغا بالقصر **فصل** روى عطاء والضحاك عن ابن عباس قال عذب المشركون
بلالا وبلال يقول احد احد فمر به النبي صلى الله عليه وسلم فقال احد يعني الله تعالى ينجيك ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لابي بكر رضي الله عنه يا ابا بكر ان بلالا يعذب في الله تعالى فعرف ابو بكر الذي يريد رسول الله صلى الله عليه وسلم فانصرف
الى منزله فاخذ رطلا من ذهب ومضى به الى امية بن خلف فقال له اتبيعني بلالا قال نعم فاشتراه فاعتقه ابو بكر رضي الله عنه لانه لا يد
كانت له عنده فنزلت وما لاحد عنده اي عند ابي بكر من نعمة اي من يد ومنة تجزى بل ابتغى بما فعل وجه ربه الاعلى قال بعضهم المراد
ابتغاء ثوابه وكرامته لان ابتغاء ذاته محال وقال بعضهم لا حاجة الى هذا الاضمار بل حقيقة هذه المسألة ترجع الى ان العبد
هل يمكن ان يحب ذات الله او المراد من هذه المحبة ثوابه وكرامته ذكره ابن الخطيب والاعلى من نعت الرب الذي استحق صفات العلو

ويجوز ان يكون ابتغاء وجه ربه لا لمكافاة نعمة **قوله تعالى** ولسوف يرضى هذا جواب قسم مضمر والعامة على يرضى مبنيا للفاعل
وقرئ ببنائه للمفعول من ارضاه الله تعالى وهو قريب من قوله تعالى في آخر سورة طه لعلك ترضى وترضى ومعنى الآية سوف يعطيه
في الجنة ما يرضى بان يعطيه اضعاف ما انفق قال ابن الخطيب وعندي فيه وجه آخر وهو ان المراد انه ما طلب رضوان الله تعالى وليس
رضي الله عنه قال وهذا اعظم من الاول لان رضى الله اكمل للعبيد من رضاه من ربه والله اعلم روى الثعلبي عن ابي رضي الله عنه قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة والليل اعطاه الله تعالى حتى يرضى وعافاه الله من العسر ويسر له اليسر قال الثعلبي
واذا ثبت نزولها بمكة ضعف تاويلها بقصة ابي الدحداح وقوي تاويلها بنزولها في حق ابي بكر رضي الله عنه لانه كان بمكة وانفاقه
بمكة وقصة ابي الدحداح كانت بالمدينة والله اعلم روي عن علي رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله ابا بكر
زوجني ابنته وحملني الى دار الهجرة واعتق بلالا من ماله والله اعلم بالصواب واليه المرجع والمآب

سورة والضحى

مكية وهي احدى عشرة آية واربعون كلمة ومائة وسبعون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم **قوله تعالى** والضحى
والليل اذا سجى تقدم الكلام في الضحى والمراد به هنا النهار لمقابلته بقوله والليل اذا سجى ولقوله تعالى افامن اهل القرى ان ياتيهم
باسنا بياتا وهم نائمون اوامن اهل القرى ان ياتيهم باسنا ضحى وهم يلعبون اي نهارا وقال قتادة ومقاتل وجعفر الصادق
اقسم بالضحى الذي كلم الله تعالى فيه موسى عليه السلام وبليلة المعراج وقيل الضحى هي الساعة التي خر فيها السحرة سجدا لقوله تعالى
وان يحشر الناس ضحى وقال القرطبي يعني عبادة الذين يعبدونه في وقت الضحى وعبادة الذين يعبدونه بالليل اذا اظلم وقيل
الضحى نور الجنة والليل ظلمة النار وقيل الضحى نور قلوب العارفين كهيئة النهار والليل سواد قلوب الكافرين كهيئة الليل اقسم
تعالى بهذه الاشياء وقال اهل المعاني فيه وفي امثاله اضمار مجاز ورب الضحى وسجى معناه سكن قاله قتادة ومجاهد وابن زيد
وعكرمة يقال ليلة ساجية اي ساكنة ويقال للعين اذا سكن طرفها ساجية يقال سجى الشيء يسجو سجوا اذا سكن وسجا البحر يسجو سجوا
اي سكنت امواجه وطرف ساج اي فاتر ومنه استعير تسجية الميت اي تغطيته بالثوب قال الراغب وقال الاعشى شعر
• وما ذنبنا ان جاش بحر ابن عمكم • وبحرك ساج لا يواري الدعامصا •
وقال الفراء اظلم وقال ابن الاعرابي اشتد ظلامه وقال الشاعر • يا حبذا القمراء والليل الساج • وطرق مثل ملاء النساج •
وقال الضحاك يغطي كل شيء قال الاصمعي سجو الليل تغطيته النهار مثل ما يسجى الرجل بالثوب وعن ابن عباس سجى ادبر وعنه اظلم
وقال سعيد بن جبير اقبل وعن مجاهد سجى استوى والقول الاول اشهر في اللغة اي سكن الناس فيه كما يقال نهار صائم وليل قائم
وقيل سكونه استقرار ظلامه واستواؤه وهو من ذوات الواو وانما اميل لموافقة رؤوس الآي كالضحى فانه من ذوات الواو ايضا
فصل قال ابن الخطيب وقدم هنا الضحى وفي السورة التي قبلها قدم الليل اما لان كلا منهما له اثر عظيم في صلاح
العالم والليل فضيلة السبق لقوله تعالى وجعل الظلمات والنور وللنهار فضيلة النور فقدم سبحانه هذا تارة وقدم هذا
تارة كالركوع والسجود في قوله تعالى اركعوا واسجدوا وقوله واسجدي واركعي مع الراكعين وقيل قدم الليل في سورة ابي بكر رضي الله
عنه لان ابا بكر سبقه كفر وقدم الضحى في سورة محمد عليه الصلاة والسلام لانه نور محض ولم يتقدمه ذنب وقيل لما كانت سورة
الليل سورة ابا بكر رضي الله عنه وسورة الضحى سورة محمد صلى الله عليه وسلم لم يجعل بينهما واسطة ليعلم انه لا واسطة بين محمد
صلى الله عليه وسلم وابي بكر رضي الله عنه **فصل** قال ابن الخطيب وذكر الضحى وهو ساعة وذكر الليل بجملته
اشارة الى ان ساعة من النهار توازي جميع الليل كما ان محمدا صلى الله عليه وسلم يوازي جميع الانبياء عليهم السلام وايضا فالضحى
وقت السرور والليل وقت الوحشة ففيه اشارة الى ان سرور الدنيا اقل من شرورها وان هموم الدنيا ادوم من سرورها
فان الضحى ساعة والليل ساعات يروى ان الله تعالى لما خلق العرش اظلت غمامة سوداء ونادت ماذا امطر فاجيبت ان
امطري الهموم والاحزان مائة سنة ثم انكشفت فامرت مرة اخرى بذلك وهكذا الى ثلاثة مائة سنة ثم بعد ذلك اظلت
من يمين العرش غمامة بيضاء ونادت ماذا امطر فاجيبت ان امطري السرور ساعة فلهذا ترى الهموم والاحزان دائمة
والسرور قليلا ونادرا وقدم ذكر الضحى لانه يشبه الحياة واخر الليل لانه يشبه الموت **قوله تعالى** ما ودعك هذا
جواب القسم والعامة على تشديد الدال من التوديع وقرا عروة بن الزبير وابنه هاشم وابن ابي عبلة وابو حيوة بتخفيفها
من قولهم ودعه اي تركه والمشهور في اللغة الاستغناء عن ودع ووذر واسم فاعلهما واسم مفعولهما ومصدرهما بترك
وما تصرف منه وقد جاء ودع ووذر قال الشاعر • سل اميري ما الذي غيره • عن وصالي اليوم حتى ودعه •

وقال الآخر • وثم ودعنا آل عمرو وعامر • فرائس أطراف المثقفة السمر • قيل والتوديع مبالغة في الودع لأن من ودعك مفارقًا فقد تركك قال القرطبي واستعماله قليل يقال هو يدع كذا أي يتركه قال المبرد لا يكادون يقولون ودع ولا وذر لضعف الواو إذا قدمت واستغنوا عنها بترك **قوله تعالى** وما قلى أي ما أبغضك يقال قلاه يقليه بكسر العين في المضارع يقول قلا يقلاه بالفتح قال الشاعر • أيام أم لست أنساه ولا وأقلاه • كلا الله علي ذلك كل ذلك • وحذف قلا مراعاة للفواصل مع العلم به وكذا بعد فآوى وما بعده **فصل** القلى البغض أي ما أبغضك منذ أحبك فإن فتحت القاف مددت تقول قلاه يقليه قلًى وقلاءً كما تقول قريت الضيف أقريه قرًى وقراءً ويقلاه لغة طي وأنشد ثعلب يا رب أم العمر لا تقلها • أي لا تبغضها ويقلى أي يبغض وقال الشاعر • أسيئي بنا أو أحسني لا ملومة • لدينا ولا مقلية إن تقلت • وقال امرؤ القيس • ولست بمقلي الخلال ولا قالي ومعنى الآية ما ودعك وما قلاك فترك الكاف لأنه رأس آية كقوله تعالى والذاكرين الله كثيرًا والذاكرات الله **فصل** قال المفسرون احتبس الوحي عن النبي صلى الله عليه وسلم اثني عشر يومًا وقال ابن عباس خمسة عشر يومًا وقيل خمسة وعشرين يومًا وقال مقاتل أربعين يومًا فقال المشركون إن محمدًا صلى الله عليه وسلم قلاه ربه وودعه ولو كان أمره من الله تعالى لتتابع عليه كما كان يفعل بمن كان قبله من الأنبياء فنزلت هذه الآية وروى البخاري عن جندب بن سفيان قال اشتكى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يقم ليلتين أو ثلاثًا فجاءت أم جميل امرأة أبي لهب لعنة الله عليها فقالت يا محمد إني لأرجو أن يكون شيطانك قد تركك لم أره قربك منذ ليلتين أو ثلاث فأنزل الله تعالى والضحى والليل إذا سجى ما ودعك ربك وما قلى وروى أبو عمرو الجوني قال أبطأ جبرائيل عليه السلام على النبي صلى الله عليه وسلم حتى شق عليه مجيئه وهو واضع جبهته على الكعبة يدعو فنكت بين كتفيه وأنزل عليه ما ودعك ربك وما قلى وروي أن خولة كانت تخدم النبي صلى الله عليه وسلم فقالت إن جروًا دخل البيت فدخل تحت السرير فمات فمكث نبي الله صلى الله عليه وسلم أيامًا لا ينزل عليه الوحي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا خولة ما حدث في بيتي إن جبريل لا يأتيني قالت لو هيأت البيت وكنسته فأهويت بالمكنسة تحت السرير فإذا جرو ميت فأخذته فألقيته خلف الجدار فجاء نبي الله صلى الله عليه وسلم ترعد لحياه وكان إذا نزل عليه الوحي استقبلته الرعدة فقال يا خولة دثريني فأنزل الله تعالى هذه السورة ولما نزل جبريل عليه السلام سأله النبي صلى الله عليه وسلم عن التأخر فقال أما علمت أنا لا ندخل بيتًا فيه كلب ولا صورة ولما سألته اليهود عن الروح وذي القرنين وأصحاب الكهف قال صلى الله عليه وسلم سأخبركم غدًا ولم يقل إن شاء الله تعالى فاحتبس عنه الوحي إلى أن نزل جبريل عليه السلام بقوله تعالى ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غدًا إلا أن يشاء الله فأخبره بما سئل عنه وفي هذه القصة نزلت ما ودعك ربك وما قلى **قوله تعالى** وللآخرة الظاهر في هذه اللام أنها جواب القسم وكذلك في ولسوف فأقسم الله تعالى على أربعة أشياء اثنان منفيان وهما توديعه وقلاه واثنان مثبتان مؤكدان وهما كون الآخرة خيرًا له من الدنيا وأنه سوف يعطيه ما يرضيه وقال الزمخشري فإن قلت ما هذه اللام الداخلة على سوف قلت هي لام الابتداء المؤكدة لمضمون الجملة والمبتدأ محذوف تقديره ولأنت سوف يعطيك كما ذكرنا في لا أقسم أن المعنى لأنا أقسم وذلك أنها لا تخلو من أن تكون لام قسم أو ابتداء فلام القسم لا تدخل على المضارع إلا مع نون التوكيد هذا استثنى النحاة منه موضعين أحدهما أن لا يفصل بينها وبين الفعل حرف تنفيس كهذه الآية وكقولك والله لسأعطيك والثاني أن لا يفصل بينهما بمعمول الفعل كقوله تعالى لإلى الله تحشرون ويدل لما قلته ما قال الفارسي ليست هذه اللام هي التي في قولك إن زيدًا لقائم بل هي التي في قولك لأقومن ونابت سوف عن إحدى نوني التأكيد فكأنه قال ولنعطينك وقوله خلع منها دلالتها على الحال يعني أن لام الابتداء الداخلة على المضارع تخلصه للحال وهنا لا يمكن ذلك لأجل حرف التنفيس ولذلك خلعت الحالية منها وقال أبو حيان واللام في وللآخرة لام ابتداء أكدت مضمون الجملة ثم حكى بعض ما تقدم عن الزمخشري وأبي علي ثم قال ويجوز عندي أن تكون اللام في وللآخرة وفي ولسوف يعطيك اللام التي يتلقى بها القسم عطفها على جواب القسم وهو قوله ما ودعك فيكون قد أقسم على هذه الثلاثة انتهى فظاهره أن اللام في وللآخرة لام ابتداء غير متلقى بها القسم بدليل قوله ثانيًا ويجوز عندي ولا يظهر انقطاع هذه الجملة عن جملة القسم البتة وكذلك في ولسوف وتقدير الزمخشري مبتدأ بعدها لا ينافي كونها جوابًا للقسم إنما منع أن يكون جوابًا كونها داخلة على المضارع لفظًا وتقديرًا وقال ابن الخطيب فإن قيل ما معنى الجمع بين حرفي التأكيد والتأخير قلنا معناه أن العطاء كائن لا محالة وإن تأخر لما في التأخير من المصلحة **فصل** قال ابن إسحاق معنى قوله وللآخرة خير لك من الأولى أي ما عندي في مرجعك إلي يا محمد خير لك مما عجلت لك في الدنيا من الكرامة روى علقمة عن عبد الله رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إنا أهل بيت اختار الله تعالى لنا الآخرة على الدنيا وقوله تعالى ولسوف يعطيك ربك فترضى روى عطاء عن ابن عباس رضي الله عنه هو الشفاعة في أمته حتى يرضى وهو قول علي والحسن وعن عبد الله بن عمرو بن العاص أن النبي صلى الله عليه وسلم تلا قول الله تعالى في إبراهيم عليه السلام فمن تبعني فإنه مني ومن عصاني فإنك غفور رحيم وقول عيسى عليه السلام إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم الآية فرفع يديه وقال اللهم أمتي أمتي وبكى فقال الله تبارك وتعالى الله أكبر يا جبريل اذهب إلى محمد صلى الله عليه

وسلم فقل إنا سنرضيك في أمتك ولا نسوءك وقال حرب بن شريح سمعت أبا جعفر محمد بن علي يقول إنكم يا معشر أهل العراق تقولون أرجى آية في القرآن الكريم يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله وإنا أهل البيت نقول أرجى آية في كتاب الله ولسوف يعطيك ربك فترضى وقيل يعطيك ربك من الثواب وقيل من النصر فترضى وقيل الحوض والشفاعة **فصل** وجه النظم كأنه قيل له انقطاع الوحي لا يكون عن الأمر النبوة بل غايته أنه أمارة الموت للاستغناء عن الرسالة فإن فهمت منه قرب الموت فالموت خير لك من الأولى وفهم صلى الله عليه وسلم من الخطاب بقوله ما ودعك ربك وما قلى تشريفًا عظيمًا فقيل له وللآخرة خير لك من الأولى أي أن الأحوال الآتية خير لك من الماضية فهو وعد بأنه سيزيده عزًا إلى عزه وبيان أن الآخرة خير لأنه صلى الله عليه وسلم يفعل فيها ما يريد ولأنها اشتراها فهي ملكه وملكه خير مما لا يكون ملكه أو لأن الكفار يؤذونك ولعنتك في الدنيا وأما في الآخرة فهم شهداء على الناس أو لأن خيرات الدنيا قليلة مقطوعة ولم يقل خير لكم لأن فيهم من الآخرة شر له فلو عمهم لافتضحوا ثم أخبر الله تعالى عن حالته التي كان عليها قبل الوحي وذكر نعمه فقال **قوله تعالى** ألم يجدك يتيمًا فآوى العامة على آوى بألف بعد الهمزة رباعيًا من آواه يؤويه وأبو الأشهب فأوى ثلاثيًا قال الزمخشري وهو على معنيين إما من أواه بمعنى آواه سمع بعض الرعاة يقول أين آوي هذه وإما من أوى له إذا رحمه انتهى وعلى الثاني قوله تعالى ولا كفران لله آية لنفسي فقد طالبت غير منيل أي رحمة لنفسي ووجه الدلالة من قوله أيًا وهذه لأنه لو كان من الرباعي المضموم هي حرف المضارعة والثانية هي فاء الكلمة وأما همزة أفعل فمحذوفة على القاعدة ولم تبدل هذه الهمزة كما أبدلت في أومن لئلا تثقل بالإدغام ولذلك عاب بعض القراء على من يؤوي من قوله تعالى وفصيلته التي تؤويه لا يجوز إبدالها للثقل **فصل** قال ابن الخطيب يجدك من الوجود الذي بمعنى العلم والمنصوبان مفعولا وجدك والوجود من الله العلم والمعنى ألم يعلمك الله يتيمًا فآوى قال القرطبي يتيمًا لا أب لك قد مات أبوك فآوى أي جعل لك مأوى تأوي إليه عند عمك أبي طالب فكفلك وقيل لجعفر بن محمد الصادق لم أوتم النبي صلى الله عليه وسلم من أبويه فقال لئلا يكون لمخلوق عليه حق وقال مجاهد هو من قول العرب درة يتيمة إذا لم يكن لها نظير فالمعنى ألم يجدك يتيمًا واحدًا في شرفك لا نظير لك فآواك الله بأصحاب يحفظونك ويحوطونك **فصل** أورد ابن الخطيب هنا سؤالًا وهو أنه كيف يحسن من الجواد أن يمن بنعمه فيقول ألم يجدك يتيمًا فآوى ويؤكد هذا السؤال أن الله تعالى حكى عن فرعون قوله لموسى عليه السلام ألم نربك فينا وليدًا في معرض الذم لفرعون فما كان مذمومًا من فرعون كيف يحسن من الله تعالى قال والجواب أن ذلك يحسن إذا قصد بذلك تقوية قلبه ووعده بدوام النعمة وبهذا ظهر الفرق بين هذا الامتنان وبين امتنان فرعون لأن امتنان فرعون معناه فما بالك لا تخدمني وامتنان الله تعالى زيادة نعمه كما تقول ما لك تقطع عني رجاءك ألست شرعت في تربيتك أتظنني تاركًا لما صنعته بل لا بد وأن أتم النعمة كما قال تعالى ولأتم نعمتي عليكم فإن قيل إن الله تعالى من عليه بثلاثة أشياء ثم أمره بأن يذكر نعمة ربه فما وجه المناسبة فالجواب وجه المناسبة أن يقول قضاء الدين واجب والدين نوعان مالي وإنعامي والإنعامي أقوى وجوبًا لأن المالي قد يسقط بالإبراء والإنعامي يتأكد بالإبراء والمالي يقضى مرة فينجو منه الإنسان والإنعامي يجب عليه قضاؤه طول عمره فإذا تعذر قضاء النعمة القليلة ممن هو مملوك فكيف حال النعمة العظيمة من المنعم المالك فكان العبد يقول إلهي أخرجتني من العدم إلى الوجود بشرًا سويًا طاهر الظاهر نجس الباطن بستارة منك تسترني على ذنوبي بستر عفوك كما سترت نجاستي بالجلد الظاهر فكيف يمكنني قضاء نعمك التي لا أحصرها فيقول تبارك وتعالى الطريق إلى ذلك أن تفعل في حق عبيدي ذلك وكنت عائلًا فأغنيتك فافعل في حق الأيتام ذلك ثم إذا فعلت كل ذلك فاعلم إنما فعلته بتوفيقي ولطفي وإرشادي فكن أبدًا ذاكرًا لهذه النعم **قوله تعالى** ووجدك ضالًا فهدى أي غافلًا عما يفعل بك من أمر النبوة فهداك أي أرشدك والضلال هنا بمعنى الغفلة لقوله تعالى لا يضل ربي ولا ينسى أي لا يغفل وقال في حق نبيه صلى الله عليه وسلم وإن كنت من قبله لمن الغافلين وقيل معنى قوله تعالى ضالًا لم تكن تدري القرآن وشرائع الإسلام قاله الضحاك وشهر بن حوشب وغيرهما قال تعالى ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان على ما تقدم في حم الشورى وقال السدي والكلبي والفراء وجدك ضالًا عن الهجرة فهداك إليها وقيل ضالًا أي ناسيًا شأن الاستثناء حين سئلت عن أصحاب الكهف وذي القرنين والروح فأذكرك لقوله تعالى أن تضل إحداهما وقيل ووجدك طالبًا للقبلة فهداك إليها لقوله تعالى قد نرى تقلب وجهك في السماء الآية ويكون الضلال بمعنى الطلب لأن الضال طالب وقيل ووجدك ضائعًا في قومك فهداك إليه ويكون الضلال بمعنى المحبة قال تعالى قالوا تالله إنك لفي ضلالك القديم أي في محبتك قال الشاعر

• هذا الضلال أشاب مني المفرقا • والعارضين ولم أكن متحققا •

• عجبًا لعزة في اختيار قطيعتي • بعد الضلال فحبلها قد أخلقا •

وقيل ضالًا في شعاب مكة فهداك وردك إلى جدك عبد المطلب وقال كعب رضي الله عنه إن حليمة لما قضت حق الرضاع جاءت برسول الله صلى الله عليه وسلم لترده على عبد المطلب فسمعت عند باب مكة هنيئًا لك يا بطحاء مكة اليوم يرد إليك النور والدين والبهاء

والجمال قالت فوصفته لاصلح شانه فسمعت هدة شديدة فالتفت فلم اره فقلت معشر الناس ابن الصبي فقالوا لم نر شيئا فصحت واحمداه فاذا شيخ فان يتوكأ على عصى فقال اذهبي الى الصنم الاعظم فان شاء ان يرده اليك فعل ثم طاف الشيخ بالصنم وقبل راسه وقال يا رب لم تزل منتك على قريش وهذه السعدية تزعم ان ابنها قد ضل فرده ان شئت فانكب هبل على وجهه وتساقطت الاصنام وقالت اليك عنا ايها الشيخ فهلاكنا على يدي محمد فالقى الشيخ عصاه وارتعد وقال ان لابنك ربا لا يضيعه فاطلبيه على مهل فانحشرت قريش الى عبد المطلب وطلبوه في جميع مكة فلم يجدوه فطاف عبد المطلب بالكعبة سبعا وتضرع الى الله تعالى ان يرده وقال

• يا رب رد ولدي محمدا • اردده ربي واصطنع عندي يدا •

فسمعوا مناديا ينادي من السماء معاشر الناس لا تضجوا فان لمحمد ربا لا يخذله ولا يضيعه وان محمدا بوادي تهامة عند شجرة السمر صلى الله عليه وسلم فسار عبد المطلب هو وورقة بن نوفل فاذا النبي صلى الله عليه وسلم قائم تحت شجرة يلعب بالاغصان وبالورق وفي رواية فما زال عبد المطلب يردد البيت حتى اتاه ابو جهل على ناقة ومحمد صلى الله عليه وسلم بين يديه وهو يقول لا تدري ماذا جرى من ابنك فقال عبد المطلب ولم قال اني انخت الناقة واركبته خلفي فابت الناقة ان تقوم فلما اركبته امامي قامت الناقة قال ابن عباس رضي الله عنه رده الله تعالى الى جده بيد عدوه كما فعل بموسى عليه السلام حين حفظه عند فرعون وقال سعيد بن جبير خرج النبي صلى الله عليه وسلم مع عمه ابي طالب في سفر فاخذ ابليس بزمام ناقته في ليلة ظلما فعدل بها عن الطريق فجاء جبريل عليه السلام فنفخ ابليس نفخة وقع منها الى ارض الهند ورده الى القافلة صلى الله عليه وسلم مع عمه ابي طالب وقيل ووجدك ضالا ليلة المعراج حين انصرف عنك جبريل وانت لا تعرف الطريق فهداك الى ساق العرش وقال بعض المتكلمين اذا وجدت العرب شجرة منفردة في فلاة من الارض لا شجرة معها سموها ضالة فيهتدى بها على الطريق فقال تعالى للنبي صلى الله عليه وسلم ووجدك ضالا اي لا احد على دينك بل انت وحيد ليس معك احد فهديت بك الخلق الي وقال بعضهم ووجدك مغمورا في اهل الشرك فميزك منهم يقال ضل الماء في اللبن ومنه اذا ضللنا في الارض اي لحقنا بالتراب عند الدفن حتى كانا لا نتميز من جملته وقيل ضالا عن معرفة الله حين كنت طفلا صغيرا كقوله تعالى والله اخرجكم من بطون امهاتكم لا تعلمون شيئا فخلق فيك العقل والهداية والمعرفة فالمراد من الضال الخالي عن العلم لا الموصوف بالاعتقاد وقيل يخاطب النبي صلى الله عليه وسلم والمراد قومه فقوله تعالى ووجدك ضالا فهدى اي وجد قومك ضلالا فهداهم بك وقيل انه كان على ما كان القوم عليه لا يظهر لهم في الظاهر الحال فاما الشرك فلا يظن به على مواسم القوم في الظاهر اربعين سنة وقال الكلبي والسدي اي وجدك كافرا في قوم كفار فهداك وقد مضى الرد على هذا القول في سورة الشورى **قوله تعالى** ووجدك عائلا فاغنى العائل الفقير وهذه قراءة العامة يقال عال زيد اي افتقر قال جرير

• الله انزل في الكتاب فريضة • لابن السبيل وللفقير العائل •

واعال كثرت عياله قال الشاعر

• وما يدري الفقير متى غناه • وما يدري الغني متى يعيل •

وقرا اليماني عيلا كسر الياء المشددة كسيد وقال ابن الخطيب العائل ذو العيلة ثم اطلق على الفقير وان لم يكن له عيال والمشهور ان المراد به الفقير ويؤيده ما روي في مصحف عبد الله ووجدك عديما وقوله تعالى فاغنى اي اغناك بخديجة وتربية ابي طالب ولما اختل ذلك اغناه بمال ابي بكر رضي الله عنه ثم امره بالهجرة واغناه باعانة الانصار رضي الله عنهم ثم امره بالجهاد واغناه صلى الله عليه وسلم بالغنائم وقال مقاتل اغناك بما اعطاك من الرزق وقال عطاء وجدك فقير النفس فاغنى قلبك وقيل من الحجج والبراهين فاغناك بها **قوله تعالى** فاما اليتيم فلا تقهر اليتيم منصوب بتقهر وبه استدل ابن مالك على انه لا يلزم من تقديم المعمول تقديم العامل الا ترى ان اليتيم منصوب بالمجزوم وقد تقدم على الجازم ولو قدم على لا لامتنع لان المجزوم لا يتقدم على جازمه كالمجرور لا يتقدم على جاره وتقدم ذلك في سورة هود عليه السلام عند قوله تعالى الا يوم ياتيهم ليس مصروفا عنهم وقرا العامة تقهر بالقاف من الغلبة وابن مسعود والشعبي وابراهيم النخعي والاشهب العقيلي بالكاف يقال الكهر في وجهه اي عبس وفلان ذو كهرة اي عابس الوجه ومنه الحديث فبابي وامي ما كهرني وقال ابو حيان وهي لغة بمعنى قراءة الجمهور انتهى والكهر في الاصل ارتفاع النهار مع شدة الحر وقيل القهر الغلبة والكهر الزجر والمعنى لا تسلط عليه بالظلم بل ادفع عليه حقه واذكر يتمك قاله الاخفش وقال مجاهد لا تحتقر وخص اليتيم لانه لا ناصر له غير الله تعالى فغلظ في تاثير العقوبة على ظالمه والمعنى عامله بمثل ما عاملناك به ونظيره واحسن كما احسن الله اليك وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله الله فيمن ليس له الا الله

فصل

دلت الاية على اللطف باليتيم وبره والاحسان اليه قال قتادة كن لليتيم كالاب الرحيم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا وكافل اليتيم كهاتين واشار بالسبابة والوسطى وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ضم يتيما وكان في نفقته وكفاه مؤنته كان له حجابا من النار يوم القيامة وقال النبي صلى الله عليه وسلم من مسح براس يتيم كان له بكل شعرة حسنة

فصل

قال ابن الخطيب والحكمة في ان الله تعالى اختار لنبيه اليتم ان يعرف حرارة اليتم فيرفق باليتيم وايضا ليشاركه في الاسم فيكرمه لاجل ذلك لقوله عليه الصلاة والسلام اذا سميتم الولد محمدا فاكرموه ووسعوا له في المجلس وايضا ليعتمد من اول عمره على الله تعالى فيشبه

ابراهيم عليه السلام في قوله حسبي من سؤالي علمه بحالي وايضا فالغالب ان اليتيم تظهر عيوبه فلما لم يجدوا فيه عيبا لم يجدوا فيه مطعنا وايضا جعله يتيما ليعلم كل احد فضيلته ابتداء من الله تعالى لا من التعليم لان من له اب فان اباه يعلمه ويؤدبه وايضا فاليتم والفقر نقص في العادة فكونه صلى الله عليه وسلم مع هذين الوصفين من اكرم الخلق كان ذلك قلبا للعادة فكان معجزة ظاهرة **قوله تعالى** واما السائل فلا تنهر اي فلا تزجره يقال نهره وانتهره اذا زجره واغلظ له القول ولكن يرده ردا جميلا قال ابراهيم بن ادهم نعم القوم السؤال يحملون زادنا الى الاخرة وقال ابراهيم النخعي السائل يريد الاخرة يجيء الى باب احدكم فيقول هل تبعثون الى اهليكم بشيء وقيل المراد هنا بالسائل الذي يسال عن الدين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سالت ربي مسالة وددت اني لم اسالها قلت يا رب اتخذت ابراهيم خليلا وكلمت موسى تكليما وسخرت مع داود الجبال يسبحن واعطيت فلانا كذا فقال الله تعالى الم اجدك يتيما فاويتك الم اجدك ضالا فهديتك الم اجدك عائلا فاغنيتك الم اشرح لك صدرك الم اوتك ما لم اوت احدا قبلك خواتيم سورة البقرة الم اتخذك خليلا كما اتخذت ابراهيم خليلا قلت بلى يا رب **قوله تعالى** واما بنعمة ربك فحدث الجار متعلق بحدث والفاء غير مانعة من ذلك قال مجاهد تلك النعمة هي القران والحديث فيه ان يقرا ويقرا غيره وعن مجاهد ايضا تلك النعمة هي النبوة اي بلغ ما انزل اليك من ربك وقيل تلك النعمة هي ان وفقك الله تعالى فراعيت حق اليتيم والسائل فحدث بها ليقتدي بك غيرك وعن الحسن بن علي رضي الله عنه قال اذا عملت خيرا فحدث اخوانك ليقتدوا بك الا ان هذا لا يحسن الا اذا لم يتضمن رياء وظن ان غيره يقتدي به وروي مالك بن نضلة الجشمي قال كنت جالسا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فراني رث الثياب فقال لي صلى الله عليه وسلم الك مال قلت نعم يا رسول الله قال اذا اتاك الله مالا فلير اثره عليك وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى جميل يحب الجمال ويحب ان يرى اثر النعمة على عبده فان قيل ما الحكمة في ان الله تعالى اخر حق نفسه عن حق اليتيم والسائل فالجواب كانه سبحانه وتعالى يقول انا غني وهما محتاجان وحق المحتاج اولى بالتقديم واختار قوله فحدث على قوله فخبر ليكون ذلك حديثا عنده لا ينساه ويعيده مرة اخرى

فصل

روي عن مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنه وروي البزي عن ابن كثير بكير القاري عقيب الضحى وروي ابي بن كعب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان اذا بلغ اخر الضحى قرن بين كل سورتين بتكبيرة الى ان يختم القران ويفصل بينهما بسكتة وكان المعنى في ذلك ان الوحي تاخر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اياما فقال ناس من المشركين قد ودعه صاحبه وقلاه فنزلت هذه السورة فقال الله اكبر قال مجاهد قرات على ابن عباس رضي الله عنه فامرني به واخبره به رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يكبر في قراءة الباقين لانها ذريعة الى الزيادة في القران قال القرطبي القران ثبت نقله بالتواتر سوره واياته وحروفه لا زيادة ولا نقصان وعلى هذا فالتكبير ليس بقران روى الثعلبي عن ابي بن كعب رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة والضحى كان فيمن يرضاه الله تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم ان يشفع له وكتب الله تعالى له من الحسنات بعدد كل يتيم وسائل والله تعالى اعلم بالصواب •••

سورة الانشراح

مكية وهي ثمان ايات وتسع وعشرون كلمة ومائة وثلاثة احرف بسم الله الرحمن الرحيم **قوله تعالى** الم نشرح لك صدرك الاستفهام اذا دخل على النفي قرره فصار المعنى قد شرحنا لك ولذلك عطف عليه الماضي ومثله الم نربك فينا وليدا ولبثت والعامة على جزم الحاء بلم وقرا ابو جعفر المنصور بفتحها فقال الزمخشري وقالوا لعله بين الحاء واشبعها في مخرجها فظن السامع انه فتحها وقال ابن عطية ان الاصل الم نشرحن بالنون الخفيفة ثم ابدلها الفا ثم حذفها تخفيفا كما انشد ابو زيد

• من اي يومي من الموت افر • ايوم لم يقدر ام يوم قدر •

بفتح راء لم يقدر وكقوله

• اضرب عنك الهموم طارقها • ضربك بالسيف قونس الفرس •

بفتح باء اضرب انتهى وهذا مبني على جواز توكيد المجزوم بلم وهو قليل جدا كقوله

• يحسبه الجاهل ما لم يعلما • شيخا على كرسيه معمما •

فتركب هذه القراءة من ثلاثة اصول كلها ضعيفة لان توكيد المجزوم بلم ضعيف وابدالها الفا انما هو في الوقف فاجراء الوصل مجرى الوقف خلاف الاصل وحذف الالف ضعيف لانه خلاف الاصل وخرجها ابو حيان على لغة حرجها اللحياني في نوادره عن بعض العرب وهو الجزم بلن والنصب بلم عكس المعروف عند الناس وجعله احسن مما تقدم وانشد قول عائشة بنت الاعجم تمدح المختار صلى الله عليه وسلم تطلب ثار الحسين بن علي رضي الله عنهما وعن بقية الصحابة اجمعين

• قد كان سمك الهدى ينهد قائمه • حتى اتيح له المختار فانعمدا •
• في كل ما هم امضى رايه قدما • ولم يشاور في اقدامه احدا •

بحسب رأيه يشاور وجعله محتملاً للتحريج بين شرح الصدر فتحه أي ألم نفتح صدرك للإسلام وقال ابن عباس ألم نلين قلبك
وعن الحسن في قوله ألم نشرح لك صدرك قال ملئ حلماً وعلماً وروي أن جبريل عليه السلام أتاه وشق صدره وأخرج قلبه وغسله
وأنقاه من المعاصي ثم ملأه علماً وإيماناً ووضعه في صدره وطعن القاضي في هذه الرواية من وجوه أحدها أن هذه الواقعة إنما وقعت
حال صغره صلى الله عليه وسلم وذلك من المعجزات فلا يجوز أن يتقدم نبوته وثانيها أن تأثير الغسل في إزالة الأجسام والمعاصي ليست
بأجرام فلا يؤثر الغسل فيها وثالثها أنه لا يصح أن يملأ القلب علماً بل الله تبارك وتعالى يخلق فيه العلوم وأجيب عن الأول بأن تقديم المعجز
على زمان البعثة جائز وهو المسمى بالإرهاص ومثله في حق الرسول صلى الله عليه وسلم كثير وعن الثاني والثالث لا يبعد أن يكون حصول
ذلك الدم الأسود الذي غسلوه من قلب الرسول صلى الله عليه وسلم لميل القلب إلى المعاصي وإحجامه عن الطاعات فإذا أزالوه عنه
كان ذلك علامة لمواظبة صاحبه على الطاعات واحترازه عن الشبهات فكان ذلك كالعلامة للملائكة على عصمة صاحبه على الطاعات
وأيضاً فإن الله تبارك وتعالى يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنهم قالوا يا رسول الله أينشرح الصدر
قال نعم قالوا وما علامته قال صلى الله عليه وسلم التجافي عن دار الغرور والإنابة إلى دار الخلود والإعداد للموت قبل نزوله
قال القرطبي معنى ألم نشرح قد شرحنا ولم يجحد وفي الاستفهام طرف من الجحد وإذا وقع جحد على جحد رجع إلى التحقيق كقوله تعالى
أليس الله بأحكم الحاكمين ومعناه الله أحكم الحاكمين وقوله تعالى أليس الله بكاف عبده وقول جرير يمدح عبد الملك بن مروان قوله

• ألستم خير من ركب المطايا • وأندى العالمين بطون راح •

المعنى أنتم كذا فإن قيل لم قال عز وجل ألم نشرح لك صدرك ولم ذكر الصدر ولم يذكر القلب فالجواب لأن محل الوسوسة
هو الصدر على ما قال تعالى يوسوس في صدور الناس فإزالة تلك الوسوسة بدواعي الخير هو الشرح فلذلك خص الشرح
بالصدر دون القلب وقيل الصدر حصن القلب فيقصده الشيطان فإن وجد مسلكاً أغار فيه وبث جنده فيه وبث فيه الهموم
والغموم والحرص فيقسو القلب حينئذ ولا يجد للطاعة لذة ولا للإسلام حلاوة فإذا طرد في الابتداء حصل الأمن وانشرح
الصدر فإن قيل قال ألم نشرح لك صدرك ولم يقل ألم نشرح صدرك فالجواب كأنه تعالى يقول اللام باللام فأنت إنما
تفعل الطاعات لأجلي وأنا أيضاً جميع ما أفعله لأجلك **فصل** روي عن طاوس وعمر بن عبد العزيز أنهما كانا يقولان
والضحى وألم نشرح سورة واحدة وكانا يقرآنهما في ركعة واحدة ولا يفصلان بينهما ببسم الله الرحمن الرحيم وذلك لأنهما
رأيا أن أولها يشبه قوله تعالى ألم يجدك يتيماً وليس كذلك لأن ذلك حالة اغتمامه صلى الله عليه وسلم بإيذاء الكفار فهي حالة محنة
وضيق وهذه حالة انشراح الصدر وتطييب القلب فكيف يجتمعان **قوله تعالى** ووضعنا عنك وزرك أي حططنا عنك ذنبك
وقرأ أنس رضي الله عنه وحللنا وحططنا وقرأ ابن مسعود وحللنا عنك وقرك وهذه الآية مثل قوله تعالى ليغفر لك الله ما تقدم
من ذنبك وما تأخر قيل الجميع كان قبل النبوة والوزر الذنب أي وضعنا عنك ما كنت فيه من أمر الجاهلية لأنه كان صلى الله عليه
وسلم في كثير من مذاهب قومه وإن لم يكن عبد صنماً ولا وثناً **قوله تعالى** الذي أنقض ظهرك أي حمله على النقيض وهو صوت الانتقاض
والانفكاك لثقله مثل لما كان يثقله صلى الله عليه وسلم قال أهل اللغة أنقض الحمل ظهر الناقة إذا سمعت له صريراً من شدة الحمل
وسمعت نقيض الرحل أي صريره قال العباس بن مرداس • وأنقض ظهري ما تطويت منهم • وكنت عليهم مشفقاً متحنناً •
وقال جميل • وحتى تداعت بالنقيض حباله • وهمت بواني زوره أن تحطما • والمعنى أثقل ظهرك حتى سمع نقيضه
أي صوته والوزر الحمل الثقيل قال النحاس يعني ثقل الوزر لو لم يعف الله عنه قال وإنما وصفت ذنوب الأنبياء عليهم السلام
بهذا الثقل مع كونها مغفورة لشدة اهتمامهم بها وندمهم فيها وتحسرهم عليها وقال الحسين بن الفضل يعني الخطأ والسهو
وقيل ذنوب أمتك أضافها إليه لاشتغال قلبه بها وقال عبد العزيز بن يحيى وأبو عبيدة خففنا عنك أعباء النبوة والقيام
بها حتى لا تثقل عليك وقيل كان في الابتداء يثقل عليه الوحي حتى كاد يرمي نفسه من شاهق الجبل إلى أن جاءه جبريل عليه السلام
وأراه نفسه وأزال عنه ما كان يخاف من تغير العقل صلى الله عليه وسلم وقيل عصمناك من احتمال الوزر وحفظناك قبل النبوة في الأربعين
من الأدناس حتى نزل عليك الوحي وأنت مطهر **قوله تعالى** ورفعنا لك ذكرك قال مجاهد يعني بالتأذين وروى الضحاك
عن ابن عباس رضي الله عنه قال يقول الله عز وجل لا ذكرت إلا ذكرت معي في الأذان والإقامة والتشهد ويوم الجمعة على المنابر
ويوم الفطر ويوم الأضحى ويوم عرفة وأيام التشريق وعند الجمار وعلى الصفا والمروة وفي خطبة النكاح وفي مشارق الأرض
ومغاربها ولو أن رجلاً عبد الله تعالى وصدق بالجنة والنار وكل شيء ولم يشهد أن محمداً رسول الله لم ينتفع بشيء وكان كافراً
وقيل أعلينا ذكرك فذكرناك في الكتب المنزلة على الأنبياء قبلك وأمرناهم بالبشارة بك ولا دين إلا ودينك يظهر عليه
وقيل رفعنا ذكرك عند الملائكة في السماء وفي الأرض عند المؤمنين ونرفع في الآخرة ذكرك بما نعطيك من المقام المحمود
وكرائم الدرجات وقيل عام في كل ما ذكروا **قوله تعالى** فإن مع العسر يسراً العامة على سكون السين في الكلم الأربع
وابن وثاب وأبو جعفر وعيسى بضمها وفيه خلاف هل هو أصل أو منقول من المسكن فالألف واللام في العسر الأول

لتعريف الجنس وفي الثاني للعهد وكذلك روي عن ابن عباس رضي الله عنه لن يغلب عسر يسرين وروي أيضاً مرفوعاً أنه صلى
الله عليه وسلم خرج يضحك يقول لن يغلب عسر يسرين والسبب فيه أن العرب إذا أتت باسم ثم أعادته مع الألف واللام كان هو الأول
نحو جاء رجل فأكرمت الرجل وقوله تعالى كما أرسلنا إلى فرعون رسولاً فعصى فرعون الرسول ولو أعادته بغير ألف ولام كان غير الأول
فقوله تعالى إن مع العسر يسراً لما أعاد العسر الثاني أعاده بأل ولما كان اليسر الثاني غير الأول لم يعده بأل وقال الزمخشري فإن
قلت ما معنى قول ابن عباس وذكر ما تقدم قلت هذا عمل على الظاهر وبناء على قوة الرجاء وأن موعد الله تعالى لا يحمل إلا على أوفى ما
يحتمله اللفظ وأبلغه والقول فيه أنه يحتمل أن تكون الجملة الثانية تكريراً للأولى كما كرر قوله تعالى ويل يومئذ للمكذبين لتقرير معناها في النفوس
وتمكينها في القلوب وكما يكرر المفرد في قولك جاء زيد زيد وأن تكون الأولى عدة مستأنفة بأن العسر متبوع بيسر فهما يسران على تقدير
الاستئناف وإنما كان العسر واحداً لأنه لا يخلو إما أن يكون تعريفه للعهد وهو العسر الذي كانوا فيه فهو هو لأن حكمه حكم زيد
في قولك إن مع زيد مالاً إن مع زيد مالاً وإما أن يكون للجنس الذي يعلمه كل أحد فهو هو أيضاً وأما اليسر فمنكر متناول لبعض الجنس
وإذا كان الكلام الثاني مستأنفاً غير مكرر فقد تناول بعضاً غير البعض الأول بغير إشكال وقال أبو البقاء العسر في الموضعين واحد
لأن الألف واللام توجب تكرير الأول وأما يسراً في الموضعين فاثنان لأن النكرة إذا أريد تكريرها جيء بضميرها أو بالألف واللام
ومن هنا قيل لن يغلب عسر يسرين وقال الزمخشري أيضاً فإن قلت إن مع للصحبة فما معنى اصطحاب اليسر والعسر قلت أراد أن الله تبارك
وتعالى يصيبهم بيسر بعد العسر الذي كانوا فيه بزمان قريب فقرب اليسر المترقب حتى جعله كالمقارن للعسر زيادة في التسلية
وتقوية للقلوب وقال أيضاً فإن قلت ما معنى هذا التنكير قلت التفخيم كأنه قيل إن مع العسر يسراً عظيماً وأي يسر وهو في مصحف
ابن مسعود مرة واحدة فإن قلت فإذا ثبت في قراءته غير مكرر فلم قال والذي نفسي بيده لو كان العسر في جحر لطلبه اليسر حتى يدخل عليه
لن يغلب عسر يسرين قلت كأنه قصد باليسرين ما في قوله يسراً من معنى التفخيم فتأوله بيسر الدارين وذلك يسران في الحقيقة
فصل تعلق هذه الآية بما قبلها هو أن الله تعالى بعث نبيه صلى الله عليه وسلم فعيره المشركون بفقره حتى قالوا
نجمع لك مالاً فاغتم لذلك وظن أنهم إنما رغبوا عن الإسلام لكونه فقيراً حقيراً عندهم فعدد الله تعالى عليه نعمه ومننه بقوله تعالى
ألم نشرح لك صدرك ووضعنا عنك وزرك أي ما كنت فيه من أمر الجاهلية ثم وعده بالغنى في الدنيا ليزيل عن قلبه ما حصل فيه
من التأذي بكونهم عيروه بالفقر فقال تعالى فإن مع العسر يسراً وعطفه بالفاء أي لا يحزنك ما عيروك به من الفقر فإن مع ذلك يسراً
عاجلاً أي في الدنيا فأنجز له ما وعده فلم يمت حتى فتح عليه الحجاز واليمن ووسع ذات يده حتى كان يعطي الرجل المائتين من الإبل
ويهب الهبات السنية ويعد لأهله قوت سنة وهذا وإن كان خاصاً بالنبي صلى الله عليه وسلم فقد يدخل فيه بعض أمته
صلى الله عليه وسلم إن شاء الله تعالى ثم ابتدأ فصلاً آخر من أمر الآخرة فقال إن مع العسر يسراً فهو شيء آخر والدليل على ابتدائه
تعريته من فاء أو واو أو غيرهما من حروف النسق التي تدخل على العطف فهذا وعد عام لجميع المؤمنين أن مع العسر يسراً للمؤمنين يسراً
في الآخرة لا محالة وربما اجتمع يسر الدنيا ويسر الآخرة **قوله تعالى** فإذا فرغت العامة على فتح الراء من فرغت وهي الفصحى
وقرأها أبو السمال مكسورة وهي لغة فيه قال الزمخشري وليست بالفصيحة وقال الزمخشري فإن قلت كيف تعلق قوله تعالى
فإذا فرغت فانصب بما قبله قلت لما عدد عليه نعمه السالفة ووعده نعمه الآنفة بعثه على الشكر والاجتهاد في العبادة عن ابن عباس رضي الله عنهما
فإذا فرغت من صلاتك فانصب في الدعاء والعامة على فتح الصاد وسكون الباء أمراً من النصب وقرئ بتشديد الباء مفتوحة أمراً
من الإنصاب وكذا قرئ بكسر الصاد ساكنة الباء أمراً من النصب بسكون الصاد قال الشهاب الديني ولا أظن الأولى إلا تصحيفاً
ولا الثانية إلا تحريفاً فإنها تروى عن الإمامية وتفسيرها فإذا فرغت من النبوة فانصب الخليفة قال ابن عطية وهي قراءة ضعيفة
شاذة لم تثبت عن عالم وقال الزمخشري ومن البدع ما روي عن بعض الرافضة أنه قرأ فانصب بكسر الصاد أي انصب علياً للإمامة
ولو صح هذا للرافضي لصح للناصبي أن يقرأ هكذا ويجعله أمراً بالنصب الذي هو بغض علي وعداوته قال ابن مسعود إذا فرغت من الفرائض
فانصب في قيام الليل وقال الكلبي إذا فرغت من تبليغ الرسالة فانصب أي استغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات وقال الحسن وقتادة
فإذا فرغت من جهاد عدوك فانصب لعبادة ربك **قوله تعالى** وإلى ربك فارغب من الرغبة وقرأ زيد بن علي وابن أبي عبلة
فرغّب بتشديد الغين أمراً من رغبه بالتشديد أي فرغّب الناس إلى طلب ما عنده عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول من قرأ ألم نشرح لك صدرك فكأنما جاءني وأنا مغتم ففرج عني والله أعلم • • • • • •

سورة والتين

وقال ابن عباس وقتادة مدنية وهي ثمان آيات وأربع وثلاثون كلمة ومائة وخمسون حرفاً بسم الله الرحمن الرحيم **قوله تعالى**

والتين والزيتون قال ابن عباس والحسن ومجاهد وعكرمة وابرهيم النخعي وعطا بن ابي رباح وجابر بن زيد ومقاتل والكلبي هو تينكم الذي تاكلون وزيتونكم الذي تعصرون منه الزيت قال تعالى وشجرة تخرج من طور سيناء تنبت بالدهن وصبغ للآكلين ومن خواص التين انه غذاء فاكهة وهو سريع الهضم لا يمكث في المعدة ويحلل البلغم ويطهر الكليتين ويزيل ما في المثانة من الرمل ويسمن البدن ويفتح مسام الكبد والطحال وروى ابو ذر رضي الله عنه انه اهدي للنبي صلى الله عليه وسلم سل من تين فاكل منه وقال لاصحابه كلوا فلو قلت ان فاكهة نزلت من الجنة لقلت هذه لان فاكهة الجنة بلا عجم فكلوا فانها تقطع البواسير وتنفع من النقرس وعن علي بن موسى الرضا التين يزيل نكهة الفم ويطول الشعر وهو امان من الفالج واما الزيتون فشجرة هي الشجرة المباركة وعن معاذ رضي الله عنه انه استاك بقضيب من زيتون وقال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول نعم السواك الزيتون من الشجرة المباركة يطيب الفم ويذهب الحفر وهي سواكي وسواك الانبياء من قبلي وعن ابن عباس رضي الله عنه التين مسجد نوح عليه السلام الذي بني على الجودي والزيتون بيت المقدس وقال الضحاك التين المسجد الحرام والزيتون المسجد الاقصى وقال ابن زيد التين مسجد دمشق والزيتون مسجد بيت المقدس وقال قتادة التين الجبل الذي عليه دمشق والزيتون الجبل الذي عليه بيت المقدس وقال محمد بن كعب رضي الله عنه التين مسجد اصحاب الكهف والزيتون مسجد ايليا وقال عكرمة وابن زيد التين دمشق والزيتون بيت المقدس وهذا اختيار الطبري وقيل هما جبلان بالشام يقال لهما طور تينا وطور زيتا بالسريانية سميا بذلك لانهما ينبتان التين والزيتون قال القرطبي والصحيح الاول لانه الحقيقة فلا يعدل عنه الى المجاز الا بدليل **قوله تعالى** وطور سينين الطور جبل وسينين اسم مكان فاضيف الجبل الى المكان الذي هو به قال الزمخشري ونحو سينون بيرون في جواز الاعراب بالواو والياء والاقرار على الياء وتحريك النون بحركات الاعراب وقال ابو البقاء هو لغة في سينا انتهى وقرا العامة بكسر السين وابن اسحق وعمرو بن ميمون وابو رجاء بفتحها وهي لغة بكر وتميم وقرا عمر بن الخطاب وعبد الله والحسن وطلحة سينا بالكسر والمد وعمر ايضا وزيد بن علي بفتحها والمد قال عمرو بن ميمون صليت مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه العشاء بمكة فقرا والتين والزيتون وطور سينا وهذا البلد قال وهكذا في قراءة عبد الله ورفع صوته تعظيما للبيت وقرا في الثانية الم تر كيف فعل ربك ولايلاف قريش جمع بينهما ذكره ابن الانباري وقد تقدم في المومنين وهذه لغات اختلفت في هذا الاسم السرياني على عادة العرب في تلاعبها بالاسماء الاعجمية وقال الاخفش سينين شجر الواحدة سينينة وهو غريب جدا غير معروف عند اهل التفسير وعن مجاهد وطور جبل سينين اي مبارك بالسريانية وهو قول قتادة والحسن وعن ابن عباس سينين اي حسن بلغة الحبشة وعن عكرمة قال هو الجبل الذي نادى الله تعالى منه موسى عليه السلام وقال مقاتل والكلبي سينين كل جبل فيه شجر مثمر فهو سينين وسينا بلغة النبط قال ابو علي سينين فعليل فكررت اللام التي هي نون فيه كما كررت في خليل للمكان الزلق وكرديد للقطعة من التمر وخنذيذ للطويل ولم ينصرف سينين كما لا ينصرف سينا لانه جعل اسما للبقعة او ارض ولو جعل اسما للمكان او للمنزل او اسم مذكر لانصرف لانك سميت مذكرا بمذكر وانما اقسم بهذا الجبل لانه بالشام والارض المقدسة وقد بارك الله تعالى فيهما قال تعالى الى المسجد الاقصى الذي باركنا حوله ولا يجوز ان يكون سينين نعتا للطور لاضافته اليه **قوله تعالى** وهذا البلد الامين يعني مكة والامين هذا فعيل للمبالغة اي آمن من فيه ومن دخله من انسي وطير وحيوان ويجوز ان يكون من امن الرجل بضم الميم امانة فهو امين وامانته حفظه من دخله كما يحفظ الامين ما يؤتمن عليه ويجوز ان يكون بمعنى مفعول من امنه لانه مامون الغوائل كما وصف بالامن في قوله تعالى حرما آمنا يعني ذا امن قال القرطبي اقسم الله تعالى بجبل دمشق لانه ماوى عيسى عليه السلام وبجبل بيت المقدس لانه مقام الانبياء وبمكة لانها اثر ابرهيم ودار محمد عليه الصلوة والسلام **قوله تعالى** لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم هذا جواب القسم واراد بالانسان الكافر قيل هو الوليد بن المغيرة وقيل كلدة بن اسيد فعلى هذا نزلت في منكري البعث وقيل المراد بالانسان آدم عليه السلام وذريته قوله تعالى في احسن تقويم صفة لمحذوف اي في تقويم احسن تقويم وقال ابو البقاء في تقويم في موضع الحال من الانسان واراد بالتقويم القوام لان التقويم فعل وذلك وصف الخالق لا المخلوق ويجوز ان يكون التقدير في احسن قوام التقويم فحذف المضاف ويجوز ان يكون في زائدة اي قومناه احسن تقويم انتهى **فصل** قال المفسرون احسن تقويم هو اعتداله واستواء شبابه لانه خلق كل شيء منكبا على وجهه وخلقه هو مستويا وله لسان ذلق ويد واصابع يقبض بها قال ابن العربي ليس لله تعالى خلق احسن من الانسان فان الله تعالى خلقه حيا عالما قادرا مريدا متكلما سميعا بصيرا مدبرا حكيما وهذه صفات الله تعالى جل قدره سبحانه وتعالى وعبر عنها بعض العلماء ووقع البيان بقوله ان الله تعالى خلق آدم عليه السلام على صورته يعني على صفاته المتقدم ذكرها وفي رواية على صورة الرحمن ومن اين تكون للرحمن صورة متشخصة فلم يبق الا ان يكون معاني روي ان عيسى بن موسى الهاشمي كان يحب زوجته حبا شديدا فقال لها يوما انت طالق ثلاثا ان لم تكوني احسن من القمر فنهضت واحتجبت عنه وقالت طلقتني وبات بليلة عظيمة فلما اصبح غدا الى دار المنصور فاخبره الخبر فاستحضر الفقهاء واستفتاهم فقال جميع من حضر قد طلقت الا رجلا واحدا من اصحاب ابي حنيفة فانه كان ساكتا فقال له المنصور ما لك لا تتكلم فقال له الرجل بسم الله الرحمن الرحيم والتين والزيتون وطور سينين

وهذا البلد الامين لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم يا امير المومنين فالانسان احسن الاشياء ولا شيء احسن منه فقال المنصور لعيسى بن موسى الامر كما قال الرجل فاقبل على زوجتك وارسل المنصور الى زوجته ان اطيعي زوجك فما طلقك وهذا يدل على ان الانسان احسن خلق الله تعالى ولذلك قال الفلاسفة انه العالم الاصغر اذ كل ما في المخلوقات جمع فيه **قوله تعالى** ثم رددناه اسفل سافلين وقرا عبد الله السافلين معرفا **فصل** قال ابن عباس رضي الله عنه يريد ارذل العمر وهو الهرم بعد الشباب والضعف بعد القوة قال ابن قتيبة السافلون هم الضعفاء الزمنى ومن لا يستطيع حيلة تقول سفل يسفل فهو سافل وهم سافلون كما يقال علا يعلو فهو عال وهم عالون وعن مجاهد وابي العالية اسفل سافلين الى النار يعني الكافر قال علي رضي الله عنه ابواب جهنم بعضها اسفل من بعض فيبدأ بالاسفل فيملأ وهو اسفل سافلين وعلى هذا التقدير ثم رددناه الى اسفل او في اسفل سافلين **قوله تعالى** الا الذين آمنوا فيه وجهان متصل على ان المعنى رددناه اسفل من سفل خلقا وتركيبا يعني اقبح من اقبح خلقه واشوهه صورة وهم اهل النار فالاتصال على هذا واضح والثاني انه منقطع على ان المعنى ثم رددناه بعد ذلك التقويم التحسين اسفل من سفل في الحسن والصورة والشكل حيث نكسناه في خلقه فقوس ظهره وضعف بصره وسمعه والمعنى ولكن الذين كانوا صالحين من الهرمى فلهم ثواب دائم على طاعتهم وصبرهم على الابتلاء بالشيخوخة ومشاق العبادة قاله الزمخشري ملخصا وقال اسفل سافلين على الجمع لان الانسان في معنى جمع قال الفراء ولو قال اسفل سافل جاز لان لفظ الانسان واحد ويقول هذا افضل قائم ويقول افضل قائمين لانك تضمر لواحد فان كان الواحد غير مضمور له رجع اسمه بالتوحيد والجمع كقوله تعالى والذي جاء بالصدق وصدق به اولئك هم المتقون وقوله تعالى واذا اذقنا الانسان منا رحمة فرح بها وان تصبهم **قوله تعالى** فلهم اجر غير ممنون قال الضحاك اجر بغير عمل وقيل غير مقطوع اي لا يمن به عليهم **قوله تعالى** فما يكذبك بعد بالدين ما استفهامية في محل رفع بالابتداء والخبر الفعل بعدها والمخاطب الانسان على طريقة الالتفات توبيخا والزاما للحجة والمعنى فما يجعلك كاذبا بسبب الدين وانكاره وقد خلقناك في احسن تقويم وانه يردك الى اسفل العمر او ينقلك من حال الى حال فما الذي يحملك بعد هذا الدليل يعني انك لن تكذب اذا كذبت بالجزاء لان كل مكذب بالحق كاذب فاي شيء يضطرك الى ان تكون كاذبا بسبب الجزاء والباء مثلها في قوله تعالى على الذين يتولونه والذين هم به مشركون وقيل المخاطب رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى هذا يكون المعنى فما الذي يكذبك فيما تخبر به من الجزاء والبعث وهو الدين بعد هذه العبر التي توجب النظر فيها صحة ما قلت قاله الفراء والاخفش **قوله تعالى** أليس الله باحكم الحاكمين اي اتقن الحاكمين صنعا في كل ما خلق واذا اثبت القدرة والحكمة بهذه الدلائل صح القول بامكان الحشر ووقوعه اما الامكان فبالنظر الى القدرة واما الوقوع فبالنظر الى الحكمة لان عدم ذلك يقدح في الحكمة كما قال تعالى وما خلقنا السموات والارض وما بينهما باطلا وقيل احكم الحاكمين هنا بالحق وعدلا بين الخلق والف الاستفهام اذا دخلت على النفي في الكلام صار ايجابا كقوله رحمة الله عليه الستم خير من ركب المطايا قيل هذه الآية منسوخة باية السيف وقيل هي ثابتة لانه لا تنافي بينهما وكان ابن عباس وعلي بن ابي طالب رضي الله عنهما اذا قرا أليس الله باحكم الحاكمين قالا بلى وانا على ذلك من الشاهدين وعن ابي هريرة رضي الله عنه من قرا سورة والتين والزيتون فقرا أليس الله باحكم الحاكمين فليقل بلى وانا على ذلك من الشاهدين قال القاضي هذه الآية من اقوى الدلائل على الله تعالى لا يفعل القبيح ولا يخلق افعال العباد مع ما فيها من السفه والظلم لانه تعالى احكم الحكماء فلا يفعل افعال السفهاء واجيب بالمعارضة بالعلم والداعي ثم نقول السفيه من قام السفه به لا من خلق السفاهة به كما ان المتحرك من قامت الحركة به لا من خلقها اللهم اغننا بفضلك يا رب العالمين

سورة العلق مكية

وهي اول ما نزل من القرآن في قول ابي موسى وعائشة رضي الله عنهما وقيل اول ما نزل الفاتحة ثم سورة

العلق وهي عشرون آية واثنتان وسبعون كلمة ومائتان وسبعون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى اقرا العامة على سكون الهمزة امرا من القراءة وقرا عاصم في رواية الاعشى براء مفتوحة وكانه قلب الهمزة الفا كقولهم قرابصرا بخو سعى يسعى فلما امر منه حذف الالف على حد حذفها من اسع واخشى كقول زهير والاسد بالظلم يظلم قد تقدم تحريره قوله تعالى باسم ربك يجوز فيه اوجه احدها ان تكون البا للحال اي اقرا مستفتحا باسم ربك قل بسم الله الرحمن الرحيم ثم اقرا قاله الزمخشري الثاني ان البا مزيدة والتقدير اقرا باسم ربك كقوله سود المحاجر لا يقران بالسور وقيل الاسم صفة اي اذكر ربك قالهما ابو عبيدة الثالث ان البا للاستعانة والمفعول محذوف تقديره اقرا ما يوحى اليك مستعينا باسم ربك الرابع انها بمعنى على اي اقرا على اسم ربك كما في قوله تعالى وقال اركبوا فيها بسم الله قاله الاخفش وقد تقدم في اول الكتاب كيف قدم هذا الفعل على الجار وقدر متاخرا في بسم الله الرحمن الرحيم وتخريج الناس له فاغنى عن اعادته فصل قال المفسرون هذه السورة اول ما نزل من القران نزل بها جبريل عليه الصلاة والسلام على النبي صلى الله عليه وسلم وهو قايم على حرا فعلمه خمس ايات من هذه السورة وقال جابر بن عبد الله اول ما نزل يا ايها المدثر فقال ابو ميسرة الهمداني اول ما نزل فاتحة الكتاب وقال علي بن ابي طالب كرم الله وجهه اول ما نزل من القران قل تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم قال القرطبي والصحيح الاول قالت عايشة رضي الله عنها اول ما بدي به رسول الله صلى الله عليه وسلم الرويا الصالحة فجاءه الملك فقال اقرا باسم ربك الذي خلق خرجه البخاري وروت عايشة رضي الله عنها انها اول سورة نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم بعدها ن والقلم ثم بعدها يا ايها المدثر ثم بعدها والضحى ذكره الماوردي ومعنى قوله اقرا اي اقرا على اسم ربك على ما تقدم من الاعراب قوله تعالى الذي خلق خلق الانسان يجوز ان يكون خلق الثاني تفسيرا للخلق الاول يعني ابهمه اولا ثم فسره ثانيا بخلق الانسان تفخيما وخلق الانسان ويجوز ان يكون خلق الثاني تفسير الخلق الاول الانسان ويجوز ان يكون حذف المفعول من الاول تقديره خلق كل شي لانه مطلق فيتناول كل مخلوق وقوله تعالى خلق الانسان تخصيص له بالذكر من بين ما يتناوله الخلق لان التنزيل اليه ويجوز ان يكون تاكيدا لفظيا فيكون قد اكد الصلة وحدها كقولك الذي قام قام زيد والمراد بالانسان الجنس ولذلك قال تعالى من علق جمع علقة لان كل واحد مخلوق من علقة كما في الاية الاخرى والعلقة الدم الجامد واذا جرى فهو المسفوح وذكر العلق لانه اراد بالانسان الجمع وكلهم خلقوا من علق بعد النطفة والعلقة قطعة من دم رطب سميت بذلك لانها تعلق لما تمر عليه لرطوبتها فاذا جفت لم تكن علقة وخص الانسان بالذكر تشريفا له وقيل اراد ان يبين قدر نعمته عليه بان خلقه من علقة مهينة حتى صار بشرا سويا عاقلا مميزا وقوله تعالى الذي علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم قريب من قوله خلق خلق الانسان فاغنى عن اعادته فصل قال ابن الخطيب فان قيل فما وجه شرعية التسمية في المباح كالاكل فالجواب انه اضيف ذلك الى الله تعالى ليندفع بتركتا سمه الاذى والضرر او ليندفع شركة الشيطان ولانه ربما استعان بذلك المباح على الطاعة فيصير طاعة وقال هنا باسم ربك وفي التسمية المعروفة بسم الله الرحمن الرحيم لان الرب من صفات الفعل وهي تستوجب العبادة بخلاف صفة الذات فافاد الرب هنا معنيين احدهما اني ربيتك فلزمتك العقل فلا تتكاسل والثاني ان الشروع مستلزم للاتمام وقد ربيتك منذ كنت علقة الى الان فلم اضيعك حين كنت علقة فكيف فقد صرت خلقا نفيسا عارفا موحدا كيف اضيعك وقال هنا ربك وقال في موضع اخر الذي اسرى بعبده كانه قال يقول سبحانه هو لي وانا له كقوله صلى الله عليه وسلم علي مني وانا منه لان النعم واصلة مني اليك ولم يصل الي منك خدمة فاقول انا لك ثم لما اتى بالعبادات وشكر بالطاعات قال سبحان الذي اسرى بعبده فقوله تعالى الذي خلق الدليل على الربوبية كانه تعالى يقول الدليل على اني ربك انك لما كنت معدوما بذاتك وصفاتك وخلقتك وربيتك ويحتمل ان يكون المعنى الذي حصل منه الخلق قوله تعالى اقرا وربك الاكرم فقوله تعالى اقرا تاكيدا وتم الكلام ثم استانف فقال تعالى وربك الاكرم اي الكريم وقال الكلبي يعني الحليم عن جهل العباد فلم يعجل بعقوبتهم وقيل امرا اولا لنفسك والثاني للتبليغ او الاول للتعلم من جبريل عليه الصلاة والسلام والثاني للتعليم

او اقرا في صلاتك وقيل اقرا وربك اي اقرا يا محمد وربك يعينك ويفهمك وان كنت غير قاري قوله تعالى الذي علم بالقلم يعني الخط والكتابة اي علم الانسان الخط بالقلم قال قتادة القلم نعمة من الله تعالى عظيمة ولولا ذلك لم يقم دين ولم يصلح عيش فدل على كمال كرمه سبحانه وتعالى بانه علم عباده ما لم يعلموا ونقلهم من ظلمة الجهل الى نور العلم ونبه على فضل علم الكتابة لما فيه من المنافع العظيمة التي لا يحيط بها الا هو وما دونت العلوم وما قيدت الحكم ولا ضبطت اخبار الاولين ولا كتب الله المنزلة الا بالكتابة وسمي قلما لانه يقلم ومنه تقليم الظفر وروى عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال قلت يا رسول الله اكتب ما اسمع منك من الحديث قال نعم قال فان الله تعالى علم بالقلم وروي ان سليمان عليه الصلاة والسلام سال عفريتا عن الكلام فقال ريح لا يبقى قال فما قيده قال الكتابة وروي عن ابن عمر رضي الله عنهما قال خلق الله اربعة اشيا بيده ثم قال لساير الحيوان كن فكان القلم والعرش وجنة عدن وادم عليه الصلاة والسلام وفيمن علمها القلم ثلاثة اقوال قال كعب الاحبار اول من كتب بالقلم ادم عليه الصلوة والسلام وثانيها قال الضحاك اول من كتب ادريس عليه الصلاة والسلام الثالث انه جميع من كتب بالقلم لانه ما علم الا بتعليم الله تعالى قال القرطبي الاقلام ثلاثة في الاصل القلم الاول الذي خلقه الله تعالى بيده وامره ان يكتب الثاني قلم الملايكة الذين يكتبون به المقادير والكواين والاعمال والقلم الثالث اقلام الناس يكتبون بها كلامهم ويصلون بها الى مارتبهم وروى عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تسكنوا نساءكم الغرف ولا تعلموهن الكتابة قال بعض العلماء وانما حذر النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك لان في اسكانهن الغرف مطلعا على الرجال وليس في ذلك تحصين لهن ولا تستر وذلك انهن لا يملكن انفسهن حين يشرفن على الرجال فيحدث الفتنة فحذر من ان يجعلوا لهن ذريعة الى الفتنة لقوله عليه الصلاة والسلام ليس للنساء خير لهن من ان لا يراهن الرجال ولا يرون الرجال وذلك انها خلقت من اصل الرجل فهمها في الرجل والرجل خلقت فيه الشهوة وجعلت سكنا له وكل واحد منهما غير مامون على صاحبه وكذلك تعليم الكتابة ربما كانت سببا للفتنة لانها اذا علمت الكتابة كتبت الى من تهوى والكتابة عين من العيون بها يبصر الشاهد الغايب والخط اثار يده وفيها تعبير عن الضمير بما لا ينطق باللسان فهما بلغ من اللسان فاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يقطع عنهن اسباب الفتنة تحصينا لهن وطهارة لقلوبهن قوله تعالى علم الانسان ما لم يعلم قيل الانسان هنا ادم عليه الصلاة والسلام علمه اسماء كل شي قال تعالى وعلم ادم الاسماء كلها وقيل الانسان هنا الرسول عليه الصلاة والسلام لقوله تعالى وعلمك ما لم تكن تعلم وعلى هذا فالمراد بعلم المستقبل لان السورة من اول ما نزل ثم نزل البقية في شان ابي جهل وامر النبي صلى الله عليه وسلم بضم ذلك الى اول السورة لان تاليف السور انما كان بامر الله تعالى الا ترى ان قوله تعالى واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله اخر ما نزل ثم هو مضموم الى ما نزل قبله بزمان طويل وكلا بمعنى حقا قاله الجرجاني لانه ليس قبله ولا بعده شي يكون كلا ردا له كما قالوا في كلا والقمر لانهم قالوا معناه اي والقمر وقيل انه ردع وزجر لمن كفر نعمة الله لطغيانه وان لم يذكر لدلالة الكلام عليه وقال مقاتل معناه كلا لا يعلم الانسان ان الله هو الذي خلقه من العلقة وعلمه بعد الجهل لانه عند صيرورته غنيا يطغى ويتكبر ويصير مستغرق القلب في حب الدنيا فلا يتفكر في هذه الاحوال ولا يتامل فيها قوله تعالى ان راه انه مفعول له اي لرويته نفسه مستغنيا وتعدى المفعول الى ضميره المتصلين لان هذا من خواص هذا الباب قال الزمخشري بمعنى الروية العلم ولو كان بمعنى الابصار لامتنع في فعلها الجمع بين الضميرين واستغنى المفعول الثاني قال شهاب الدين والمسالة فيها خلاف ذهب جماعة الى ان راي البصرية تعطى حكم العلمية وجعل من ذلك قول عايشة رضي الله عنها قد رايتنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وما لنا طعام الا الاسودان وانشد ولقد اراني للرماح دريئة من عن يميني تارة وامامي وتقدم تحقيقه وقرا قنبل بخلاف عنه راه دون الف بعد الهمزة وهو مقصور من راه في قراءة العامة ولا شك ان الحذف في مثله جاء قليلا كقولهم اصاب الناس جهد ولو تر اهل مكة

بحذف لام لترى وقولنا لاخر والثاني العجاج فيا وصى يريد فيا وصاة ولما روى ابن مجاهد هذه القراءة
عن قنبل وقال قرأت بها عليه نسبه فيها الى الغلط فلا ينبغي ان يقدم على تغليطه **فصل**
قال ابن عباس رضي الله عنهما في رواية ابي صالح لما نزلت هذه الاية وسمع بها المشركون اتاه ابو جهل فقال
يا محمد ازعمت انه من استغنى طغى فاجعل لنا جبال مكة ذهبا لعلنا ناخذ منها فنطغى فندع ديننا ونتبع دينك
قال فاتاه جبريل عليه السلام فقال يا محمد خيرهم في ذلك فان شاؤا فعلنا بهم ما ارادوه فان لم يفعلوا فعلنا
بهم كما فعلنا باصحاب المائدة فعلم رسول الله صلى الله عليه وسلم انهم لا يقبلون فكف عنهم اشفاقا
عليهم وقيل ان رآه استغنى بالعشيرة والانصار والاعوان وحذف اللام من رآه كما يقال انكم لتطغون ان رايتم غناكم
قوله تعالى ان الى ربك الرجعى هذا الكلام واقع على طريقة الالتفات الى الانسان تهديدا له وتحذيرا من عاقبة الطغيان
والمعنى ان مرجع من هذا وصفه الى الله فيجازيه والرجعى والمرجع والرجوع مصادر يقال رجع اليه رجوعا ومرجعا
ورجعى على وزن فعلى **قوله تعالى** ارأيت الذي ينهى عبدا اذا صلى تقدم الكلام على ارأيت الذي ينهى مع الجملة الشرطية
وهما في موضع المفعولين فان قلت فاين جواب الشرط قلت محذوف تقديره ان كان على الهدى او امر بالتقوى ارأيت
الم يعلم بان الله يرى جوابا للشرط قلت كما صح في قولك ان اكرمتك اتكرمني وان احسن اليك زيد هل تحسن اليه
فان قلت فما ارأيت الثانية وتوسطها بين مفعولي ارأيت قلت هي زائدة مكررة للتوكيد قال شهاب الدين اعلم ان ارأيت
لا يكون مفعولها الثاني الا جملة استفهامية كقوله تعالى قل ارأيتم ان اتاكم عذاب الله الى اخرها ومثله كثير
وهنا ارأيت ثلاث مرات وقد صرح بعد الثالثة منها بجملة استفهامية فيكون في موضع الاستفهام المفعول
الثاني لها ومفعولها الاول محذوف وهو ضمير يعود على الذي ينهى عبدا الواقع مفعولا اول لارأيت الاولى
ومفعول ارأيت الاولى الذي هو الثاني محذوف وهو جملة استفهامية كالجملة الواقعة بعد ارأيت الثالثة واما
ارأيت الثانية فلم يذكر لها مفعول لا اول ولا ثان حذف الاول لدلالة المفعول من ارأيت الاولى عليه وحذف الثاني
لدلالة مفعول ارأيت الثالث عليه فقد حذف الثاني من الاول والاول من الثالثة والاثنان من الثانية وليس طلب كل من
ارأيت الجملة الاستفهامية على سبيل التنازع لانه يستدعي اضمارا والجمل لا تضمر انما تضمر المفردات وانما ذلك من باب
الحذف للدلالة وانما الكلام على الشرط مع ارأيت هذه فقد تقدم في الانعام وتجويز الزمخشري وقوع جواب
الشرط استفهاما بنفسه لا يجوز بل نصوا على وجوب ذكر الفاء مثله وان ورد شيء فهو ضرورة قال القرطبي وقيل كل
واحد من ارأيت بدل من الاول والم يعلم بان الله الخبر **فصل** قال المفسرون الذي ينهى ابو جهل وقوله تعالى عبدا
يعني محمدا صلى الله عليه وسلم فان ابا جهل قال لان رأيت محمدا لاطان على عنقه ثم انه راى رسول الله صلى الله عليه وسلم
في الصلاة فنكص على عقبيه فقالوا له ما لك يا ابا الحكم فقال ان بيني وبينه لخندقا من نار وهولا شديدا قال ابو هريرة
رضي الله عنه فانزل الله هذه الايات تعجبا منه وعن الحسن رضي الله عنه انه امية بن خلف كان ينهى سلمان عن الصلاة فقيل
في الكلام حذف والمعنى من هذا الناهي عن الصلاة من العقوبة **قوله تعالى** ارأيت ان كان على الهدى او امر
بالتقوى يعني ارأيت يا ابا جهل ان كان محمد عليه السلام على هذه الصفة اليس ناهيه عن الصلاة والتقوى هالكا **قوله**
تعالى ارأيت ان كذب وتولى يعني ابا جهل كذب بكتاب الله واعرض عن الايمان وقال الفراء ارأيت الذي ينهى عبدا اذا
صلى وهو على الهدى امر بالتقوى والناهي مكذب متول عن الذكر فما اعجب هذا ثم يقول ويله الم يعلم ابو جهل وان الله
يرى اي يراه ويعلم فعله فهو تقريع وتوبيخ قال ابن الخطيب هذا خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم على سبيل التعجب وفي
وجه هذا التعجب وجوه احدها انه صلى الله عليه وسلم قال اللهم اعز الاسلام اما بابي جهل او بعمر فقيل المثل هذا
يعز الاسلام وهو ينهى عبدا اذا صلى الثاني انه كان يلقب بابي الحكم فقيل ايلقب بهذا وهو ينهى عن الصلاة الثالث انه كان
يامر وينهى ويعتقد وجوب طاعته ثم انه ينهى عن طاعة الرب تبارك وتعالى وهذا عين الحماقة والتنكير في عبدا يدل
على التعظيم كانه قيل ينهى اشد الخلق عبودية عن العبادة وهذا عين الجهل ولهذا ذكره باللفظ وايضا فان هذا يدل على ان
هذه عادته ودابه فهو ابلغ في الذم وايضا فهذا عام في كل من نهى عن الصلاة روي عن علي رضي الله عنه انه رأى اقواما
يصلون قبل صلاة العيد فقال ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل ذلك فقيل له الا تنهاهم فقال اخشى ان ادخل في
قوله تعالى ارأيت الذي ينهى عبدا اذا صلى فلم يصرح بالنهي عن الصلاة وايضا فيه اجلال لمنصب رسول الله صلى الله عليه

ان

لانهما

بان نهاه رجل مثل هذا **قوله تعالى** كلا ردع لابي جهل ومنع له عن نهيه عن عبادة الله تعالى وكلا
لن يصل الى ان يقتل محمدا صلى الله عليه وسلم ويطأ عنقه فقال مقاتل كلا لا يعلم ان الله يرى وان كان يعلم
لكن اذا كان لا ينتفع به فكانه لم يعلم لنسفعن بناصيته يوم القيامة ولنسحبنه بها الى النار كقوله تعالى فيؤخذ بالنواصي والاقدام
فالاية وان كانت في ابي جهل فهي عظة للناس وتهديد لمن يمنع غيره عن الطاعة لنسفعن الوقف على هذه
النون بالالف تشبيها لها بالتنوين ولذلك تحذف بعد الضمة والكسرة وقفا وكتبت هنا الفا اشباعا
للوقف وروي عن ابي عمرو لنسفعن بالنون الثقيلة والسفع الاخذ والقبض على الشيء بشدة وجذبه
يقال سفع بناصية فرسه قال سعد بن معدي كرب رضي الله عنه ❊ قوم اذا سمعوا الصريخ رايتهم
ما بين ملجم مهره او سافع ❊ وقيل هو الاخذ بلغة قريش وقال الراغب السفع الاخذ بسفعة الفرس
اي لسواد ناصيته وباعتبار السواد وقيل للاثافي سفع وبه سفعة غضب اعتبارا بما يعلو من اللون الدخاني
وجه من اشتد به الغضب وقيل للصقر اسفع لما فيه من لمع السواد وامرأة سفعاء اللون انتهى وفي الحديث
فقامت امرأة سفعاء الخدين وقيل هو ماخوذ من سفعت النار والشمس اذا غيرت وجهه الى حال تسويد
قال الشاعر ❊ اما في سفعاء في مفوش مرحل ❊ ونوى كجذم الحوض ثلم خاشع ❊ قال القرطبي وقيل
السفع الضرب اي لنلطمن وجهه وكله متقارب المعنى يجمع عليه الضرب عند الاخذ ثم يجر الى جهنم وقرا ابن مسعود
لاسفعن اي يقول الله تعالى يا محمد انا الذي اتولى اهانته كقوله هو الذي ايدك بنصره هو الذي انزل السكينة
والناصية شعر مقدم الراس قد يعبر بها عن جملة الانسان وخص الناصية بالذكر على عادة العرب فيمن ارادوا
اذلاله واهانته اخذوا بناصيته ناصية بدل من الناصية بدل النكرة من معرفة قال الزمخشري جاز بدلها
من المعرفة وهي نكرة لانها وصفت فاستقلت بفائدة قال شهاب الدين هذا مذهب الكوفيين لا يجيزون
ابدال النكرة من غيرها الا بشرط وصفها او كونها بلفظ الاول ومذهب البصريين لا يشترط شيء وانشدوا
فلا وابيك خير منك اني ❊ ليؤذيني التحمحم والصهيل ❊ وقرا ابو حيوة وابن ابي عبلة وزيد بن علي بنصب
ناصية كاذبة خاطئة على الشتم وقرا الكسائي في رواية بالرفع على اضمار هي ناصية ونسب الكذب
والخطا اليها مجاز والالف واللام في الناصية قيل عوض من الاضافة اي بناصيته وقيل الضمير محذوف
اي الناصية منه **فصل** المعنى لناخذن بناصية ابي جهل كاذبة في قولها خاطئة في فعلها
والخاطئ معاقب ماخوذ والمخطئ غير ماخوذ ووصف الناصية بالكاذبة والخاطئة كوصف الوجوه بالنظر في
قوله تعالى الى ربها ناظرة وقيل ان صاحبها كاذب خاطئ كما يقال نهاره صائم وليله قائم اي صائم
بالنهار وقائم في الليل وانما وصف الناصية بالكاذبة لانه كان كاذبا على الله تعالى في انه لم يرسل
محمدا صلى الله عليه وسلم وكاذبا على رسوله صلى الله عليه وسلم في انه ساحر او كاذب وليس
بنبي ووصف الناصية بانها خاطئة لان صاحبها يتمرد على الله تعالى كما قال تعالى لا ياكله الا الخاطئون
قوله تعالى فليدع ناديه اما ان يكون على حذف مضاف اي اهل ناديه او على التجوز في نداء النادي
لاشتماله على الناس كقوله سبحانه وتعالى واسأل القرية والنادي والندي المجلس المتخذ للحديث
قال زهير ❊ وفيهم مقامات حسان وجوههم ❊ واندية ينتابها القول والفعل ❊ وقالت
اعرابية هو سيد ناديه وثمال عافيه وقال تعالى وتاتون في ناديكم المنكر قال ابو عبيدة ناديه اهل مجلسه
ولا يسمى المكان ناديا حتى يكون فيه اهله المعنى هل يدع عشيرته فليستنصر بهم **قوله تعالى** سندع
الزبانية ❊ قال الزمخشري الزبانية في كلام العرب الشرط الواحد زبنية كعفرية من الزبن وهو الدفع
وقيل زبني كانه نسب الى الزبن ثم غير للنسب كقولهم امسي واصله زباني فقيل زبانية على التعويض
وقال عيسى بن عمر والاخفش واحدهم زابن وقيل هو اسم جمع لا واحد له من لفظه كعباديد وشماطيط
وابابيل والحاصل ان المادة تدل على الرفع قال مطاعين في الهيجا مطاعين في الوغى زبانية غلب
عظام حلومها ❊ وقال اخر ومستعجب مما يرى من اناتنا ❊ ولو زبنته الحرب لم يترمرم ❊ وقال عتبة
وقد زبنتنا الحرب وزبناها ومنه الزبون لانه يدفع من باع الى اخر وقال ابو الليث السمرقندي رحمه الله
ومنه المزابنة في البيع لانهم يعملون بارجلهم كما يعملون بايديهم وقرا العامة سندع بنون العظمة ولم يرسم
بالواو وقد تقدم نظيره في يوم يدع الداع وقرا ابن ابي عبلة سيدعى الزبانية مبنيا للمفعول ورفع الزبانية
لقيامها مقام الفاعل **فصل** قال ابن عباس رضي الله عنهما الملائكة الغلاظ الشداد وروي ان النبي صلى
الله عليه وسلم لما قرا هذه السورة وبلغ الى قوله تعالى لنسفعا بالناصية قال ابو جهل انا ادعو قومي حتى يمنعوا

خاني

عن ربك قال الله تعالى فليدع ناديه سندع الزبانية فلما ذكر الزبانية رجع فزعا فقيل له خشيت منه قال لا ولكن رايت عنده فارسا فهددني بالزبانية فلا ادري ما الزبانية ومال الى الفارس فخشيت منه ان ياكلني قال ابن عباس رضي الله عنهما والله لو دعا ناديه لاخذته ملائكة العذاب من ساعته خرجه الترمذي بمعناه قوله تعالى كلا اي ليس الامر على ما يظنه ابو جهل لا تطعه فيما دعاك اليه من ترك الصلاة واسجد اي صل لله واقترب اي تقرب الى الله تعالى بالطاعة والعبادة وقيل المعنى اذا سجدت اقترب من الله بالدعا قال صلى الله عليه وسلم اما الركوع فعظموا فيه الرب تعالى واما السجود فاجتهدوا في الدعاء فقمن ان يستجاب لكم وقال صلى الله عليه وسلم اقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فالسجود في قوله تعالى واسجد اي صل لله واقترب اي تقرب الى الله تعالى بالطاعة يحتمل ان يكون بمعنى السجود في الصلاة ويحتمل ان يكون سجود التلاوة في هذه السورة وقال ابن العربي الظاهر ان سجود الصلاة لقوله تعالى ارايت الذي ينهى عبدا اذا صلى الى قوله كلا لا تطعه واسجد واقترب لولا ما ثبت في صحيح مسلم عن ابي هريرة رضي الله عنه قال سجدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في اذا السماء انشقت وفي اقرا باسم ربك الذي خلق سجدتين وهذا نص ان المراد سجود التلاوة روى الثعلبي عن ابي رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة اقرا باسم ربك فكانما قرا المفصل كله والله سبحانه وتعالى اعلم اللهم اختم لنا منك بخير ٥

سورة القدر وهي مكية

في قول اكثر المفسرين وحكى الماوردي عكسه وذكر الواقدي انها اول سورة نزلت بالمدينة وهي خمس ايات وكلماتها ثلاثون كلمة ومائة واثنا عشر حرفا بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى انا انزلناه اي القران اضمر للعلم به وفي ليلة القدر يجوز ان يكون ظرفا للانزال والقران كله كالسورة الواحدة وقال تعالى شهر رمضان الذي انزل فيه القران وقال تعالى انا انزلناه في ليلة مباركة يريد ليلة القدر وقال الشعبي ابتدانا انزاله في ليلة القدر من اللوح المحفوظ الى سماء الدنيا الى بيت العزة واملاه جبريل على السفرة ثم كان جبريل ينزله على النبي صلى الله عليه وسلم منجما وكان بين اوله واخره ثلاث وعشرون سنة وحكى الماوردي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال نزل القران في شهر رمضان وفي ليلة القدر وفي ليلة مباركة جملة واحدة من عند الله من اللوح المحفوظ الى السفرة الكرام الكاتبين في السماء الدنيا فنجمه السفرة على جبريل عشرين سنة ونجمه جبريل عليه الصلاة والسلام على النبي صلى الله عليه وسلم عشرين سنة قال ابن العربي رحمه الله وهذا باطل ليس بين جبريل عليه الصلاة والسلام وبين الله واسطة ولا بين جبريل عليه الصلاة والسلام ومحمد صلى الله عليه وسلم واسطة وقيل المعنى انزل في شانها وفضلها فليستطرد كقول عمر رضي الله عنه خشيت ان ينزل في قران وقول عائشة رضي الله عنها لانا احقر في نفسي ان ينزل في قران وسميت ليلة القدر اما للتقدير لان الله تعالى يقدر فيها ما يشاء من امره الى السنة القابلة من امر الموت والاجل والرزق وغيره ويسلمه الى مدبرات الامور وهم اسرافيل وميكائيل وعزرائيل وجبريل عليهم الصلاة والسلام وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان الله تعالى يقضي الاقضية في ليلة نصف شعبان ويسلمها الى اربابها في ليلة القدر واما لضيقها بالملائكة قال الخليل رحمه الله لان الارض تضيق فيها بالملائكة لقوله تعالى ومن قدر عليه رزقه وقيل سميت بذلك لعظمها وشرفها وقدرها من قولهم لفلان قدر اي شرف ومنزلة قاله الزهري وغيره وقيل سميت بذلك لان للطاعة فيها قدرا عظيما وثوابا جزيلا وقيل لانه انزل فيها كتابا ذا قدر على رسول ذي قدر على امة ذات قدر والقدر مصدر والمراد ما يمضيه الله تعالى من الامور قال تعالى انا كل شيء خلقناه بقدر وهو بمعنى القدر الا انه بالتسكين مصدر وبالفتح اسم قوله تعالى وما ادراك ما ليلة القدر تقدم الكلام في نظير قوله وما ادراك ما ليلة القدر ليلة القدر خير من الف شهر بين فضلها وعظمها وفضيلة الزمان انما تكون بفضيلة ما يقع فيه من الفضائل في تلك الليلة تقسم الخير الكثير الذي لا يوجد مثله في الف شهر بل جميع الدهر لان العرب تذكر الالف لا تريد حقيقتها وانما تريد المبالغة في الكثرة كقوله يود احدهم لو يعمر الف سنة يعني جميع الدهر وقيل ان العابد فيما مضى كان لا يسمى عابدا حتى يعبد الله تعالى الف شهر فجعل الله تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم عبادة ليلة خيرا من الف شهر كانوا يعبدونها وقال ابو بكر الوراق كان ملك سليمان عليه

الصلاة والسلام خمسمائة شهر وذو القرنين خمسمائة شهر فصار ملكهما الف شهر فجعل الله تعالى العمل في مدة الليلة لمن ادركها خيرا من ملكهما وقال ابن مسعود رضي الله تعالى عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم ذكر رجلا من بني اسرائيل لبس السلاح الف شهر فعجب المسلمون من ذلك فنزلت هذه الاية يعني خير من الف شهر التي لبس السلاح فيها في سبيل الله ونحوه عن ابن عباس رضي الله عنهما وقال مالك بن انس رضي الله تعالى عنهما ارى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستصغر اعمار امته فخاف ان لا يبلغوا من العمل مثل ما بلغ غيرهم في طول العمر فاعطاه الله تعالى ليلة القدر وجعلها خيرا من الف شهر لسائر الامم وقال عكرمة وعروة ذكر النبي صلى الله عليه وسلم اربعة من بني اسرائيل فقال عبدوا الله تعالى ثمانين سنة لم يعصوا الله تعالى طرفة عين ايوب وزكريا وحزقيل ابن العجوز ويوشع بن نون فعجب اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم من ذلك فاتاه جبريل عليه الصلاة والسلام فقال يا محمد عجبت امتك من عبادة هؤلاء النفر الذين لم يعصوا الله طرفة عين فقد انزل الله تعالى عليك خيرا من ذلك ثم قرا انا انزلناه في ليلة القدر الايات فسر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله تعالى تنزل الملائكة اي تهبط من كل سماء الى الارض ويؤمنون على دعاء الناس الى وقت طلوع الفجر قوله تعالى والروح فيها يجوز ان يرتفع الروح بالابتداء والجار بعده الخبر وان يرتفع بالفاعلية عطفا على الملائكة وفيها متعلق بتنزل والمراد بالروح جبريل عليه الصلاة والسلام وحكى القشيري ان الروح صنف من الملائكة جعلوا حفظة على سائرهم وان الملائكة لا يرونهم كما لا نرى نحن الملائكة وقال مقاتل هم اشرف الملائكة واقربهم من الله تعالى وقيل هم جند من جند الله تعالى غير الملائكة رواه ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعا حكاه الماوردي وقيل الروح خلق عظيم يقوم صفا والملائكة صفا وقيل الروح الرحمة ينزل بها جبريل عليه الصلاة والسلام مع الملائكة في هذه الليلة على اهلها بدليل قوله تعالى ينزل الملائكة بالروح من امره على من يشاء من عباده اي بالرحمة فيها اي في ليلة القدر قوله تعالى باذن ربهم من كل امر يجوز ان يتعلق بتنزل وان يتعلق بمحذوف على انه حال من المرفوع بتنزل اي ملتبسين باذن ربهم اي بامره وقوله تعالى من كل امر يجوز في من وجهان احدهما انه بمعنى اللام ويتعلق بتنزل اي تتنزل من اجل كل امر قضي الى العام القابل الثاني انها بمعنى الباء اي تتنزل بكل امر فهي للتعدية قاله ابو حاتم وقرا العامة امر واحد الامور وقرا ابن عباس وعكرمة امرئ من كل امرئ مذكر امراة اي من اجل كل انسان وقال القرطبي من اجل كل ملك وهو بعيد وقيل من كل امر ليس متعلقا بتنزل وانما هو متعلق بما بعده اي هي سلام من كل امر مخوف وهذا لا يتم على ظاهره لان سلام مصدر لا يتقدم عليه معموله وانما المراد انه متعلق بمحذوف يدل عليه هذا المصدر قوله تعالى سلام هي فيه وجهان احدهما ان هي ضمير الملائكة وسلام بمعنى التسليم اي الملائكة ذات تسليم على المؤمنين من مغيب الشمس حتى مطلع الفجر وقيل الملائكة يسلم بعضهم على بعض فيها الثاني انها ضمير ليلة القدر وسلام بمعنى سلامة اي ليلة القدر ذات سلامة من شيء مخوف اي ليلة سلامة وخير كلها لا شر فيها حتى يطلع الفجر قال الضحاك لا يقدر الله تعالى في تلك الليلة الا السلامة وقيل هي ذات سلامة من ان يؤثر فيها شيطان في مؤمن ومؤمنة قاله مجاهد وعلى التقديرين يجوز ان يرتفع سلام على انه خبر مقدم وهي مبتدا مؤخر وهذا هو المشهور ويجوز ان يرتفع بالابتداء وهي فاعل عند الاخفش لانه لا يشترط الاعتماد في عمل الوصف وقد تقدم ان بعضهم يجعل الكلام تاما على قوله باذن ربهم ويتعلق قوله من كل امر بما بعده وتقدم تاويله وقال ابو الفضل وقيل المعنى هي سلام من كل امرئ ومن كل امرئ اي سالمة مسلمة منه ولا يجوز ان يكون سلام هذه اللفظة الظاهرة التي هي المصدر عاملا فيما قبله لامتناع تقدم معمول المصدر على المصدر كما ان الصلة كذلك لا يجوز تقدمها على الموصول انتهى وقد تقرر ان معنى ذلك عند هذا القائل ان يتعلق بمحذوف مدلول عليه بسلام فهو تفسير معنى لا تفسير اعراب وما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما ان الكلام تم عند قوله تعالى سلام ويبتدا هي على انها خبر مبتدا والاشارة بذلك على انها ليلة السابع والعشرين لان لفظة هي سابعة وعشرون من كلم هذه السورة فلا ينبغي ان يعتقد صحته لانه الغاز وتغيير لنظم افصح الكلام قوله تعالى حتى مطلع الفجر متعلق بتنزل او بسلام وفيه اشكال الفصل بين المصدر ومعموله بالمبتدا الا ان يتوسع في الجار وقرا الكسائي وابن محيصن مطلع بكسر اللام والباقون بالفتح والفتح هو القياس والكسر سماع وله اخوات حفظ فيها الكسر مما ضم مضارعه او فتح نحو المشرق والمغرب والمسكن والمنسك والمحشر والمسقط قال القرطبي حكي في ذلك الكسر

والفتح وهل بها مصدر ان او المفتوح مصدر والمكسور مكان خلاف وعلى كل تقدير فالقياس في الفعل مطلقا
ما ضمت عين مضارعه او فتحت فتح العين وانما يقع الفرق في المكسور العين الصحيح نحو يضرب **فصل**
اختلفوا في تفسير ليلة القدر فالاكثرون على انها ليلة سبع وعشرين لحديث ابي بن كعب انها في العشر
الاواخر وانها ليلة سبع وعشرين وقال ابي بن كعب سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ليلة القدر
ليلة سبع وعشرين • وقال ابو بكر الوراق كرر ذكرها ثلاث مرات وهي تسعة احرف فتكون سبعة وعشرين
وقال عبيد بن عمير كنت ليلة السابع والعشرين في البحر فاخذت من مائه فوجدته عذبا سلسا وقال
ابو هريرة وغيره هي في ليالي السنة وغيرها واليه ذهب ابو حنيفة رضي الله تعالى عنه وعنه انها رفعت
وانها انما كانت مرة واحدة قال الخليل من قال لان فضلها لنزول القرآن يقول انقطعت والجمهور على انها في كل
عام من رمضان ثم اختلفوا فقيل هي ليلة احدى وعشرين واليه مال الشافعي رحمه الله لحديث الماء والطين
وقيل ليلة الثالث والعشرين لما روى ابن عمر رضي الله عنهما ان رجلا قال يا رسول الله اني رايت ليلة في سابعة تبقى
فقال النبي صلى الله عليه وسلم ارى رؤياكم قد تواطات على ثلاث وعشرين فمن اراد ان يقوم من الشهر شيئا فليقم
ليلة ثلاث وعشرين • وقيل ليلة خمس وعشرين لما روى مسلم عن ابي سعيد ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال التمسوها في العشر الاواخر في تاسعة تبقى في سابعة تبقى في خامسة تبقى قال مالك رضي
الله تعالى عنه يريد بالتاسعة ليلة احدى وعشرين وبالسابعة ليلة ثلاث وعشرين بالخامسة ليلة خمس وعشرين
وقيل سبع وعشرين وقد تقدم وقيل ليلة تسع وعشرين لقول ابن عباس رضي الله عنهما النبي صلى الله عليه وسلم
ليلة القدر التاسعة والعشرون او السابعة والعشرون • وقال الحسن رضي الله تعالى عنه ارتقبت الشمس ليلة
ليلة اربع وعشرين عشرين سنة فرايتها تطلع بيضا لا شعاع لها يعني من كثرة الانوار تلك الليلة • وروى عن
ابي بكر رضي الله عنه انها في ليالي الافراد من العشر الاخير من شهر رمضان منتقلة في ليالي الجمع • ونظمها محمد الابري

ثلاث شروط هن في ليلة القدر كذا قال شيخ العرب فيها ابو بكر
فاولها وتر وليلة جمعة • وثانيها النصف الاخير من الشهر

وقيل هي تنتقل في جميع السنة • قالوا والحكمة في اخفائها ليجتهد الناس في احياء جميع الليالي كما اخفى رضاه
بالطاعات حتى يرغبون في الكل • واخفى ساعة الاجابة بالدعاء ليبالغوا في كل الساعات • واخفى الاسم
الاعظم ليعظموا كل الاسماء • واخفى الصلوة الوسطى ليحافظوا على الكل • واخفى قبول التوبة ليواظبوا على جميع
اقسام التوبة • واخفى وقت الموت ليخاف الموت المكلف • وكذا اخفى هذه الليلة ليعظموا جميع ليالي رمضان
فصل نقل القرطبي عن بعض العلماء من علق طلاق امراته او عتق عبده بليلة القدر
لم يقع الطلاق والعتق الى مضي سنة من يوم حلف لانه لا يجوز ايقاع الطلاق بالشك ولم يثبت
اختصاصها بوقت فلا ينبغي وقوع الطلاق الا بمضي حول وفي هذا نظر لانه تقدم عن ابي حنيفة في احد قوليه انها
رفعت فعلى هذا لا ينبغي ان يقع شيء اصلا لوجود الخلاف في بقائها روى الثعلبي

من يوم حلف لانه لا يجوز ايقاع الطلاق بالشك ولم يثبت اختصاصها بوقت فلا ينبغي وقوع الطلاق الا بمضي حول وفي
هذا نظر لانه تقدم عن ابي حنيفة في احد قوليه انها رفعت فعلى هذا لا ينبغي ان يقع شيء اصلا لوجود الخلاف في بقائها روى الثعلبي
عن ابي رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة القدر كان كمن صام رمضان واحيا ليلة القدر

سورة البينة

مكية في قول يحيى بن سلام ومدنية في قول الجمهور وهي ثمان آيات واربع وتسعون كلمة وثلثمائة وتسعون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم
قوله تعالى لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين هذه قراءة العامة وخط المصحف وقرا ابن مسعود رضي الله عنه
لم يكن المشركون واهل الكتاب منفكين وهذه قراءة على التفسير قال ابن العربي وهي جائزة في معرض البيان لا في معرض التلاوة فقد
قرا النبي صلى الله عليه وسلم في الصحيح فطلقوهن لقبل عدتهن وهو تفسير فان التلاوة هو ما كان في خط المصحف وقرئ والمشركون
بالواو نسقا على الذين كفروا **قوله تعالى** منفكين خبر يكون ومنفكين اسم فاعل من انفك وهي هنا التامة فلذلك لم يحتج
الى خبر وزعم بعضهم انها هنا ناقصة وان الخبر مقدر تقديره منفكين عارفين محمدا صلى الله عليه وسلم قال ابو حيان وحذف خبر كان
لا يجوز اقتصارا ولا اختصارا وجعلوا قوله • يبغي جوارك حين ليس مجير • اي في الدنيا ضرورة ووجه من منع من ذلك انه قال
صار الخبر مطلوبا من جهتين من جهة كونه مخبرا به فهو احد جزئي الاسناد ومن حيث كونه منصوبا بالفعل وهذا منتقض بمفعولي ظن
فان كلا منهما فيه المعنيان المذكوران ومع ذلك يحذفان او احدهما اختصارا واما الاقتصار ففيه خلاف وتفصيل تقدم ذكره
قوله تعالى حتى تاتيهم متعلقة بلم يكن او بمنفكين **فصل** قال الواحدي هذه الاية من اصعب ما في القرآن نظما وتفسيرا
ولم يبين كيفية الاشكال قال ابن الخطيب ووجه الاشكال ان تقدير الاية لم يكن الذين كفروا الى ان تاتيهم البينة التي هي الرسول
ثم انه تعالى لم يذكر الشيء المنفك عنه والظاهر ان المراد لم ينفكوا عن كفرهم حتى تاتيهم البينة التي هي الرسول فانفكوا عنه لان حتى
لانتهاء الغاية فهذه الاية تقتضي انهم صاروا منفكين عن كفرهم عند اتيان الرسول لكن قوله تعالى وما تفرق الذين اوتوا الكتاب يقتضي
زيادة كفرهم عند مجيء الرسول عليه الصلاة والسلام فحينئذ يحصل التناقض والجواب من وجوه احدها وهو احسنها ما لخصه الزمخشري
ان الاول حكاية ما كانوا يقولونه من انه صلى الله عليه وسلم الموعود به لا ننفك عما نحن عليه من ديننا والثاني اخبار عن الواقع يعني انهم
كانوا يعدون الاتفاق على الحق اذا جاءهم الرسول صلى الله عليه وسلم والمعنى ان الذي وقع كان خلاف ما ادعوا وثانيها المعنى
لم يكونوا منفكين عن كفرهم وان جاءتهم البينة ذكره القاضي الا ان جعل حتى بمعنى ان بعيد في اللغة ورابعها المعنى لم يكونوا
منفكين عن ذكر محمد صلى الله عليه وسلم بالمناقب والفضائل حتى اتتهم البينة والمضارع هنا بمعنى الماضي كقوله تعالى واتبعوا ما
تتلوا الشياطين اي تلت اي ما كانوا منفكين عن ذكر مناقبه ثم لما جاءهم محمد تفرقوا وخطئوه فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به وخامسها
انهم كانوا منفكين على الكفر قبل البينة فلما جاءت البينة تفرقوا وتكفي هذه المغايرة وسادسها هي كقوله تعالى
كان الناس امة واحدة فبعث الله النبيين الاية اي كان كل منهم جازما بمذهبه ودينه فلما بعث محمد صلى الله عليه وسلم شكوا في اديانهم
لان قوله تعالى منفكين مشعر بهذا لان الانفكاك من الشيء هو الانفصال عنه فمعناه ان قلوبهم ما خلت عن تلك العقايد
وما انفصلت عن الجزم بصحتها ثم ان بعد المبعث لم يبق الامر على تلك الحالة **فصل** قال ابن عباس رضي الله عنه اهل
الكتاب الذين كانوا بيثرب وهم قريظة والنضير وبنو قينقاع والمشركون الذين كانوا بمكة وحولها والمدينة وهم مشركو قريش
وقوله تعالى منفكين اي منتهين عن كفرهم حتى تاتيهم البينة يعني محمدا صلى الله عليه وسلم وقيل الانتهاء بلوغ الغاية اي لم
يكونوا ليبلغوا نهاية اعمارهم فيموتوا حتى تاتيهم البينة وقيل منفكين اي زائلين لم تكن مدتهم لتزول حتى ياتيهم رسول الله صلى الله
عليه وسلم والعرب تقول ما انفككت افعل كذا اي ما زلت وما انفك فلان قائما اي ما زال قائما واصل الفك الفتح ومنه فك
الكتاب وفك الخلخال وقيل منفكين بارحين اي لم يكونوا ليبرحوا اي يفارقوا الدنيا حتى تاتيهم البينة وقال ابن كيسان اي لم
يكن اهل الكتاب تاركين صفة محمد صلى الله عليه وسلم ويسمونه الامين في كتابهم حتى بعث صلى الله عليه وسلم فلما بعث صلى الله
عليه وسلم حسدوه وجحدوه كقوله تعالى فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به ولهذا قال تعالى وما تفرق الذين اوتوا الكتاب الا
من بعد ما جاءتهم البينة فعلى هذا قوله تعالى والمشركين اي ما كانوا يقولون في محمد صلى الله عليه وسلم ويسمونه الامين حتى اتاهم
البينة على لسانه وبعث اليهم صلى الله عليه وسلم فحينئذ عادوه وقال بعض اللغويين منفكين اي هالكين من قولك انفك صلا
المراة عند الولادة وهو ان ينفصل فلا يلتئم فتهلك والمعنى لم يكونوا معذبين ولا هالكين الا بعد قيام الحجة عليهم بارسال الرسل
وانزال الكتب **فصل** قال قوم المراد بالمشركين من اهل الكتاب فمن اليهود من قال عزير ابن الله ومن النصارى من قال

عيسى هو الله ومنهم من قال هو ابنه ومنهم من قال هو ثالث ثلاثة كذبوا فيما قالوا عن الله تعالى فان الله سبحانه وتعالى واحد
لا شريك له ولا والد له ولا مثل له ولا ضد له ولا ند له ولا شبيه له ولا صاحبة له ولا زوجة له ولا وزير له ولا حاجب له ولا بواب له
وهو سبحانه كما قال تعالى في كتابه المنزل على نبيه صلى الله عليه وسلم قل هو الله احد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد
وقيل المشركون وصفوا اهل الكتاب ايضا لانهم لم ينتفعوا بكتابهم وتركوا التوحيد فالنصارى مثلثة وعامة اليهود مشبهة والكل
شرك وهو كقولك جاءني العقلاء والظرفاء وانت تريد اقواما بعينهم تصفهم بالامرين قال تعالى الراكعون الساجدون الامرون
بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله وهذا وصف للطائفة الواحدة فالمعنى على هذا من اهل الكتاب المشركين وقيل
اهل الكتاب كانوا مؤمنين ثم كفروا بعد انبيائهم والمشركون ولدوا على الفطرة ثم كفروا حين بلغوا قالوا المشركين وقيل الكفر هنا
هو الكفر بالنبي صلى الله عليه وسلم اي لم يكن الذين كفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم من اليهود والنصارى الذين هم اهل الكتاب
ولم يكن المشركون الذين هم عبدة الاوثان من العرب وغيرهم وهم الذين ليس لهم كتاب منفكين قال القشيري وفيه بعد لان
الظاهر من قوله تعالى حتى تاتيهم البينة رسول من الله ان هذا الرسول هو محمد صلى الله عليه وسلم فيبعد ان يقال ان لم يكن الذين
كفروا الان بمحمد صلى الله عليه وسلم منفكين حتى ياتيهم محمد رسول الله الا ان يقال اراد لم يكن الذين كفروا الان بمحمد صلى الله عليه وسلم
وقد كانوا من قبل معظمين له منتهين عن هذا الكفر الى ان بعث الله تعالى لهم محمدا وبين لهم الايات فحينئذ يؤمن قوم وقرا الاعمش
وابراهيم والمشركون رفعا عطفا على الذين كفروا قال القرطبي والقراءة الاولى ابين لان الرفع يصير فيه الصنفان كانهم من غير اهل الكتاب
وفي حرف ابي فما كان الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين منفكين قال ابن الخطيب فان قيل لم قال كفروا بلفظ الفعل وذكر
المشركين باسم الفاعل فالجواب ان اهل الكتاب ما كانوا كافرين من اول الامر لانهم كانوا مصدقين بالتوراة والانجيل ومبعث
محمد صلى الله عليه وسلم بخلاف المشركين فانهم ولدوا على عبادة الاوثان وذلك يدل على الثبات على الكفر **قوله تعالى** حتى تاتيهم
البينة قيل المراد بالبينة محمد صلى الله عليه وسلم لانه في نفسه بينة وحجة ولذلك سماه الله تعالى سراجا منيرا ولقوله تعالى
رسول من الله وهو رفع على البدل من البينة ولان اللام في البينة للتعريف اي هو الذي سبق ذكره في التوراة والانجيل على لسان
موسى وعيسى وقد يكون التعريف للتفخيم اذ هو البينة التي لا مزيد عليها او البينة كل البينة وكذا التنكير وقد جمعها الله تعالى ههنا
في حق الرسول اي هو رسول واي رسول صلى الله عليه وسلم ونظيره قوله تعالى حين اثنى على نفسه فقال سبحانه وتعالى ذو العرش
المجيد ثم قال سبحانه فعال لما يريد فنكر بعد التعريف وقال ابو مسلم المراد من البينة مطلق الرسل فقوله تعالى حتى تاتيهم البينة اي تاتيهم
رسل من ملائكة الله تتلو عليهم صحفا مطهرة نظيره بل يريد كل امرئ منهم ان يؤتى صحفا منشرة وقال قتادة وابن زيد البينة
هي القران كقوله تعالى اولم تاتهم بينة ما في الصحف الاولى **قوله تعالى** رسول العامة على رفعه بدلا من البينة اما بدل اشتمال
واما بدل كل من كل على سبيل المبالغة جعل الرسول صلى الله عليه وسلم نفس البينة او على حذف مضاف اي بينة رسول وقال الفراء
رفع على خبر ابتداء مضمر اي هي رسول او هو رسول من الله لان البينة قد تذكر فيقال بينتي فلان وقرا عبد الله وابي رسولا على الحال من البينة
وقال القرطبي بالنصب على القطع وقوله من الله يجوز تعلقه بنفس رسول او بمحذوف على انه صفة لرسول وجوز ابو البقاء انه يجوز ان
يكون حالا من صحفا والتقدير يتلو صحفا مطهرة منزلة من الله تعالى يعني كانت صفة في الاصل للنكرة فلما تقدمت عليها نصبت
حالا **قوله تعالى** يتلو يجوز ان يكون صفة لرسول وان يكون حالا من الضمير في الجار قبله اذا جعل صفة لرسول ويتلو اي يقرا
يقال تلا يتلو تلاوة صحفا جمع صحيفة وهي ظرف المكتوب مطهرة قال ابن عباس من الزور والشك والنفاق والضلالة وقال
قتادة من الباطل وقيل من الكذب والشبهات والمعنى واحد اي يقرا ما تتضمن الصحف من المكتوب بدليل انه كان يتلو عن ظهر قلبه
لا عن كتاب لانه كان اميا لا يكتب ولا يقرا ومطهرة من نعت الصحف كقوله تعالى في صحف مكرمة مرفوعة مطهرة فالمطهرة
نعت للصحف في الظاهر وهو نعت لما في الصحف من القران وقيل مطهرة اي لا يمسها الا المطهرون كما تقدم في سورة الواقعة
وقيل الصحف المطهرة هي التي عند الله تعالى في ام الكتاب الذي منه نسخ ما انزل على الانبياء صلوات الله عليهم من الكتب لقوله تعالى
بل هو قران مجيد في لوح محفوظ **قوله تعالى** فيها كتب يجوز ان يكون جملة صفة لصحفا او حالا من ضمير مطهرة وان يكون الوصف
او الحال الجار والمجرور فقط وكتب فاعل به وهو الاحسن والمراد بالكتب الايات المكتوبة في الصحف والقيمة المستقيمة المحكمة
من قول العرب قام يقوم اذا استوى وصح وقال صاحب النظم الكتب بمعنى الحكم كقوله تعالى لاغلبن انا ورسلي ومنه حديث
العسيف لاقضين بينكما بكتاب الله ثم قضى بالرجم وليس ذكر الرجم مسطورا في الكتاب وقيل الكتب القيمة هي القران سمي كتبا
لانه يشتمل على انواع من البيان **قوله تعالى** وما تفرق الذين اوتوا الكتاب اي من اليهود والنصارى خص اهل الكتاب بالتفريق
دون غيرهم وان كانوا مجموعين مع الكافرين لانهم يظنون بهم علم فاذا تفرقوا كان غيرهم ممن لا كتاب له ادخل في هذا الوصف وقوله
تعالى الا من بعد ما جاءتهم البينة اي اتتهم البينة الواضحة والمعنى محمد صلى الله عليه وسلم اي بالقران موافقا للذي في ايديهم من الكتاب
بنعته وصفته وذلك انهم كانوا مجتمعين على نبوته فلما بعث صلى الله عليه وسلم جحدوا نبوته وتفرقوا فمنهم من كفر بغيا وحسدا ومنهم من امن

كقوله تعالى وما تفرقوا الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم وقيل البينة البيان الذي في كتبهم انه نبي مرسل قال العلماء من اول
السورة الى قوله تعالى فيها كتب قيمة حكمها فيمن امن من اهل الكتاب والمشركين وقوله تعالى وما تفرق حكم فيمن لم يؤمن من اهل الكتاب
بعد قيام الحجج **قوله تعالى** وما امروا يعني هؤلاء الكفار في التوراة والانجيل الا ليعبدوا الله اي يوحدوه واللام
في ليعبدوا بمعنى ان كقوله تعالى يريد الله ليبين لكم اي ان يبين ويريدون ليطفئوا نور الله **قوله تعالى** مخلصين له الدين العامة
على كسر اللام اسم فاعل وانتصب به الدين والحسن بفتحها على انهم يخلصون هم انفسهم في شانهم وانتصب الدين على احد وجهين
اما اسقاط الخافض اي في الدين واما على المصدر من معنى ليعبدوا كانه قيل ليدينوا الدين او ليعبدوا العبادة فالتجوز اما
في الفعل واما في المصدر وانتصاب مخلصين على الحال من فاعل يعبدوا **قوله تعالى** حنفاء حال ثانية او حال من الحال قبلها اي من
الضمير المستكن فيها وقوله وما امروا اي ما امروا الا لكذا وما امروا الا ان يعبدوا اي بان يعبدوا وتقدم تحرير مثله في قوله
تعالى وامرنا لنسلم لرب العالمين في سورة الانعام **فصل** قال المفسرون المعنى وما امر هؤلاء الكفار في التوراة
والانجيل الا ليعبدوا الله اي يوحدونه واللام بمعنى ان كقوله تعالى يريد الله ليبين لكم ومنه قوله تعالى قل اني امرت ان اعبد
الله مخلصا له الدين اي العبادة وفي هذا دليل على وجوب النية في العبادات فان الاخلاص من عمل القلب وهو ان يراد به وجه
الله لا غير الله وقوله تعالى حنفاء اي مائلين عن الاديان كلها الى دين الاسلام وكان ابن عباس رضي الله عنه يقول حنفاء على دين
ابراهيم عليه السلام ويقال الحنيف من اختتن وحج قاله سعيد بن جبير وقال اهل اللغة اصله انه تحنف الى الاسلام اي مال اليه
قوله تعالى ويقيموا الصلاة اي يصلوها في وقتها ويؤتوا الزكاة اي يعطوها عند محلها **قوله تعالى** وذلك دين القيمة اي
الامة والملة القيمة اي المستقيمة والقيمة نعت لموصوف محذوف وقيل وذلك اشارة الى الدين اي ذلك الدين الذي امروا به الدين
المستقيم ويقال دين الامة القيمة بالحق اي القائمة بالحق وقال محمد بن الاشعث الطالقاني الكتب القيمة لانها قد تقدمت في الذكر قال
تعالى فيها كتب قيمة فلما اعادها اعادها مع ال العهدية كقوله تعالى فعصى فرعون الرسول وهو حسن وقرا عبد الله وذلك الدين
القيمة والتانيث حينئذ اما على تاويل الدين بالملة كقوله سائل بني اسد ما هذه الصوت بتاويل الصيحة واما على انها تاء المبالغة
كعلامة وقال الخليل القيمة جمع القيم والقيم والقائم واحد وقال الفراء اضاف الدين الى القيمة وهو نعته لاختلاف اللفظين وعنه ايضا
هو من باب اضافة الشيء الى نفسه ودخلت الهاء للمدح **قوله تعالى** ان الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين كما مر في اول السورة وقوله تعالى
في نار جهنم هو الخبر وخالدين حال من الضمير المستكن في الخبر اولئك هم شر البرية قرا نافع وابن ذكوان البريئة بالهمز في الحرفين والباقون
بياء مشددة واختلف في ذلك الهمز فقيل هو الاصل من برا الله الخلق ابتداه واخترعه قال تعالى من قبل ان نبراها فهي فعيلة بمعنى
مفعولة وانما خففت والتزم تخفيفها عند عامة العرب وقد تقدم ان العرب التزمت غالبا تخفيف الفاظ منها البرية والخابية
والذرية قال القرطبي وتشديد الياء عوض من الهمز وقيل البرية دون همز مشتقة من البراء وهو التراب فهي اصل بنفسها فالقراءتان
مختلفتا الاصل متفقتا المعنى الا ان ابن عطية ضعف من هذا فقال وهذا الاشتقاق يجعل الهمز خطا وهو اشتقاق غير مرضي يعني انه
اذا قيل انها مشتقة من البراء وهو التراب فمن اين يجيء الهمز في القراءة الاخرى قال انها غالب الدين وهذا غير لازم لانهما قراءتان مستقلتان
لكل منهما اصل مستقل فتلك من برا اي خلق وهذه من البراء لانهم خلقوا منه والمعنى بالقراءتين شيء واحد وهو جميع الخلق ولا يلتفت
الى من ضعف الهمز من النحاة والقراء لثبوته متواترا قال القشيري ومن قال البرية من البراء وهو التراب قال لا تدخل الملائكة تحت هذه
اللفظة وقيل البرية من بريت القلم اي قدرته فتدخل فيه الملائكة ولكنه قول ضعيف لانه يجب منه تخطئة من همز وقوله تعالى شر البرية
اي شر الخليقة فقيل يحتمل ان يكون على التعميم وقيل هم شر البرية الذين كانوا في عصر النبي صلى الله عليه وسلم واني فضلتكم على العالمين
اي عالمي زمانهم ولا يبعد ان يكون في كفار الامم قبل من هو شر منهم مثل فرعون وعاقر ناقة صالح وكذا قوله تعالى خير البرية اما على
التعميم وخير برية عصر هم وقد استدل بقراءة الهمز من فضل بني ادم على الملائكة وقال ابو هريرة رضي الله عنه المؤمن اكرم على الله تعالى
من بعض الملائكة الذين عنده وقرا العامة خير البرية مقابلا لشر وعامر بن عبد الواحد خيار البرية وهو جمع خير نحو جياد وطياب
في جمع جيد وطيب قاله الزمخشري قال ابن الخطيب وقدم الوعيد على الوعد لانه كالدواء والوعد كالغذاء والدواء فاذا بقي البدن
استعمل الغذاء فينتفع به البدن ولان الانسان اذا وقع في شدة رجع الى الله تعالى فاذا نال الدنيا اعرض **قوله تعالى** جزاؤهم
عند ربهم اي ثوابهم عند خالقهم ومالكهم جنات عدن قال ابن الخطيب قال بعض الفقهاء من قال لا شيء لي على فلان انتفى الدين
ولم ان يدعي الوديعة وان قال لا شيء لي عنده انصرف الى الوديعة دون الدين وان قال لا شيء لي قبله انصرف اليهما معا
فقوله تعالى عند ربهم يفيد انها اعيان مودعة عنده والعين اشرف من الدين والضمان انما يرغب فيه خوف الهلاك وهو محال
في حقه تعالى وتقدم الكلام على نظيره **قوله تعالى** تجري من تحتها الانهار والجنات البساتين والعدن الاقامة يقال
عدن بالمكان يعدن عدونا اي اقام ومعدن الشيء مركزه ومستقره وقيل جنات عدن بطنان الجنة اي وسطها **قوله تعالى**
خالدين فيها حال عاملها محذوف اي ادخلوها واعطوها ولا يجوز ان يكون حالا من هم في جزاؤهم لئلا يلزم الفصل بين المصدر

ومعمول باجتنى على أن بعضهم أجازه منهم واعتذر بأن المصدر هنا غير مقدر بحرف مصدري قال أبو البقاء وهو بعيد وأما عند فيجوز أن يكون حالا من جزاؤهم وأن يكون ظرفا له وأبدا ظرف زمان منصوب بخالدين أي لا ينقطعون ولا يموتون **قوله تعالى** رضي الله عنهم يجوز أن يكون دعاء مستأنفا وأن يكون خبرا ثانيا وأن يكون حالا بإضمار قد عند من يلتزم ذلك قال ابن عباس رضي الله عنه ورضوا عنه أي رضوا بثواب الله تعالى **قوله تعالى** ذلك لمن خشي ربه أي ذلك المذكور من استقرار الجنة مع الخلود ورضي الله عنه لمن خشي ربه أي خافه فانتهى عن معصيته روى أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لأبي بن كعب إن الله تعالى أمرني أن أقرأ عليك لم يكن الذين كفروا قال وسماني لك قال عليه الصلاة والسلام نعم فبكى خرجه البخاري ومسلم قال القرطبي وفيه من الفقه قراءة العالم على المتعلم قال بعضهم إنما قرأ النبي صلى الله عليه وسلم على أبي ليعلم الناس التواضع لئلا يأنف أحد من التعلم والقراءة على من دونه في المنزلة وقيل لأن أبيا كان أسرع أخذا لألفاظ رسول الله صلى الله عليه وسلم فأراد بقراءته عليه أن يأخذ ألفاظه ويقرأ كما سمع منه صلى الله عليه وسلم ويعلم غيره وفيه فضيلة عظيمة لأبي رضي الله عنه إذ أمر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم أن يقرأ عليه رضي الله تعالى عنه وعن بقية الصحابة أجمعين

سورة الزلزال

مكية في قول ابن مسعود وعطاء وجابر وهي ثمان آيات وخمس وثلاثون كلمة ومائة وتسع وأربعون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم **قوله تعالى** إذا زلزلت الأرض زلزالها إذا شرط وجوابه تحدث وهو الناصب لها عند الجمهور وجوز أبو البقاء أن يكون العامل فيها مصدر وغيرهم يجعل العامل فيها ما بعدها وإن كان معمولا لها بالإضافة تقديرا واختاره مكي وجعل ذلك نظير من وما يعني أنهما يعملان فيما بعدهما الجزم وما بعدهما يعمل فيهما النصب ولو مثل بأي لكان أوضح وقيل العامل فيها مقدر أي يحشرون وقيل اذكر وحينئذ يخرج عن الظرفية والشرط **فصل** وجه المناسبة بين أول هذه السورة وآخر السورة المتقدمة أنه تعالى لما قال جزاؤهم عند ربهم فكأن المكلف قال ومتى يكون ذلك فقيل له إذا زلزلت الأرض فالعاملون كلهم يكونون في الخوف وأنت في ذلك الوقت تنال الجزاء وتكون آمنا لقوله تعالى وهم من فزع يومئذ آمنون وقيل لما ذكر في السورة المتقدمة وعيد الكافر ووعد المؤمن أراد أن يزيد في وعيد الكافر فقال أجازيه حين يقول الكافر السابق ذكره ما للأرض تزلزل نظيره يوم تبيض وجوه فذكر سبحانه الطائفتين وذكر ما لكل طائفة ثم جمع بينهما في آخر السورة بذكر الذرة من الخير فإن قيل إذا للوقت فكيف وجه البداية بها في السورة فالجواب أنهم كانوا يسألونه عن الساعة فقال تعالى إذا زلزلت الأرض زلزالها فإنه تعالى يقول لا سبيل إلى تعيينه بحسب وقته ولكن أعينه بحسب علاماته أو أنه تعالى أراد أن يخبر المكلف أن الأرض تحدث وتشهد يوم القيامة مع أنها في هذه الساعة جماد فكأنه لما قيل متى يكون ذلك فقال تعالى إذا زلزلت الأرض **فصل** روى عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه كان يقول النفخة الأولى تزلزلها وهو قول مجاهد لقوله تعالى يوم ترجف الراجفة تتبعها الرادفة ثم تزلزل ثانية فتخرج موتاها وهي الأثقال وذكر المصدر للتأكيد ثم أضيف إلى الأرض كقولك لأعطينك عطيتك أي عطيتي لك وحسن ذلك موافقة رؤوس الآي وهو مصدر مضاف لفاعله والمعنى زلزالها الذي تستحقه ويقتضيه جرمها وعظمها قال الزمخشري ونحوه أكرم التقي إكرامه وأهن الفاسق إهانته وزلزالها كلمة بكسر الزاي من الزلزال والجحدري وعيسى بفتحها فقيل هما مصدران بمعنى وقيل المكسور مصدر والمفتوح اسم قال الزمخشري وليس في الأبنية فعلال بفتح الفاء إلا في المضاعف وزاد فخر قال القرطبي والزلزال بالفتح مصدر كالوسواس والقلقال والجرجار **قوله تعالى** وأخرجت الأرض أثقالها قال أبو عبيدة والأخفش إذا كان الميت في بطن الأرض فهو ثقل لها وإذا كان فوقها فهو ثقل عليها وقال ابن عباس ومجاهد أثقالها موتاها يخرجهم في النفخة الثانية ومنه قيل للإنس والجن الثقلان وقيل أثقالها كنوزها ومنه الحديث تلقي الأرض أفلاذ كبدها أمثال الأسطوان من الذهب والفضة **قوله تعالى** وقال الإنسان أي ابن آدم الكافر وقال ابن عباس هو الأسود بن عبد الأسد وقيل أراد كل إنسان يشاهد ذلك عند قيام الساعة في النفخة الأولى من مؤمن وكافر **قوله تعالى** ما لها ابتداء وخبر وهذا يرد قول من قال إن الحال في نحو قوله تعالى فما لهم عن التذكرة معرضين لازمة لئلا يصير الكلام غير مفيد فإنه لا حال هنا ومعنى ما لها أي ما لها زلزلت وقيل ما لها أخرجت أثقالها وهي كلمة تعجب أي لأي شيء زلزلت ويجوز أن يحيي الله الموتى بعد وقوع النفخة الأولى ثم تتحرك الأرض فتخرج الموتى وقد رأوا الزلزلة وانشقاق الأرض عن الموتى أحياء فيقولون من الهول ما لها كأنهم يخاطبون أنفسهم تعجبا **قوله تعالى** يومئذ أي يوم إذ زلزلت والعامل في يومئذ تحدث إن جعلت إذا منصوبة بما بعدها أو بمحذوف وإن جعلت العامل فيها تحدث كان يومئذ بدلا منها فالعامل فيها أو شيء آخر لأنه على نية تكرار العامل وهو خلاف مشهور **فصل** معنى تحدث أي تخبر الأرض بما عمل عليها من خير أو شر يومئذ

ثم قيل هو من قول الله تعالى وقيل من قول الإنسان أي يقول الإنسان ما لها تحدث أخبارها متعجبا روى الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية يومئذ تحدث أخبارها قال أتدرون ما أخبارها قالوا الله ورسوله أعلم قال فإن أخبارها أن تشهد على كل عبد وأمة بما عمل على ظهرها تقول عمل يوم كذا وكذا كذا قال فهذه أخبارها قال الماوردي قوله تعالى تحدث أخبارها فيه ثلاثة أقاويل أحدها تحدث أخبارها بأعمال العباد على ظهرها قاله أبو هريرة رضي الله عنه ورواه مرفوعا وهو قول من زعم أنها زلزلة القيامة الثاني قال يحيى بن سلام تحدث أخبارها بما أخرجت من أثقالها وهو قول من زعم أنها زلزلة أشراط الساعة الثالث قال ابن مسعود إنها تحدث بقيام الساعة إذا قال الإنسان ما لها فيخبر أن أمر الدنيا قد انقضى وأمر الآخرة قد أتى فيكون ذلك جوابا منها لهم عند سؤالهم ووعيدا للكافر وإنذارا للمؤمن وفي حديثها بأخبارها ثلاثة أقوال الأول أن الله تعالى يقلبها حيوانا ناطقا فتتكلم بذلك الثاني أن الله تعالى يحدث فيها الكلام الثالث أنه يكون فيها بيان يقوم مقام الكلام قال الطبري تبين أخبارها بالرجفة والزلزلة وإخراج الموتى **قوله تعالى** بأن ربك متعلق بتحدث أي تحدث ويجوز أن يتعلق بنفس أخبارها وقيل الباء زائدة وأن وما في حيزها بدل من أخبارها وقيل الباء سببية أي بسبب إيحاء الله إليها وقال الزمخشري أين مفعولا تحدث قلت حذف أولهما والثاني أخبارها وأصله تحدث الخلق أخبارها إلا أن المقصود ذكر تحديثها الأخبار لا ذكر الخلق تعظيما لليوم فإن قلت بم تعلقت الباء في قوله بأن ربك قلت بتحدث لأن معناه تحدث أخبارها بسبب إيحاء ربك ويجوز أن يكون المعنى تحدث ربك بتحديث أن ربك أوحى لها لأنك تقول أخبارها على أن تحديثها بأن ربك أوحى لها تحدث بأخبارها كما تقول نصحتني كل نصيحة بأن نصحتني في الدين قال أبو حيان وهو كلام فيه عفش ينزه القرآن عنه قال شهاب الدين وأي عفش فيه مع صحته وفصاحته وكأنه لما طال التقدير من جهة إفادة هذا المعنى الحسن جعله عفشا وحاشاه ثم قال الزمخشري ويجوز أن يكون بأن ربك بدلا من أخبارها كأنه قيل يومئذ تحدث بأخبارها بأن ربك أوحى لها لأنك تقول حدثته كذا وحدثته بكذا قال أبو حيان وإذا كان الفعل يتعدى تارة بحرف جر وتارة يتعدى بنفسه وحرف الجر ليس بزائد فلا يجوز في تابعه إلا الموافقة في الإعراب فلا يجوز استغفرت الذنب العظيم بنصب الذنب وجر العظيم لجواز أنك تقول استغفرت من الذنب العظيم بنصب العظيم وكذلك اخترت فلو كان حرف الجر زائدا جاز الإتباع على موضع الاسم بشروط مذكورة في كتب النحو تقول ما رأيت من رجل عاقل لأن من زائدة ومن رجل عاقل على اللفظ ولا يجوز نصب رجل وجر عاقل على جواز مراعاة دخول من وإن ورد شيء من ذلك فبابه الشعر انتهى قال شهاب الدين ولا أدري كيف يلزم الزمخشري ما ألزمه به من جميع المسائل التي ذكرها فإن الزمخشري يقول إن هذا بدل مما قبله ثم ذكر مسوغ دخول الباء في البدل وهو أن المبدل منه يجوز دخول الباء عليه فلو حل البدل محل المبدل منه ومعه الباء لكان جائزا لأن العامل يتعدى به وذكر مسوغا لخلو المبدل منه من الباء فقال لأنك تقول حدثته كذا وحدثته بكذا وأما كونه يمتنع أن تقول استغفرت الذنب العظيم بنصب الذنب وجر العظيم إلى آخره فليس في كلام الزمخشري شيء منه البتة ونظير ما قاله الزمخشري في باب استغفر أن تقول استغفرت الله ذنبا من شتمي زيدا فقولك من شتمي بدل من الذنب وهذا جائز لا محالة **قوله تعالى** أوحى لها في هذه اللام أوجه أحدها أنها بمعنى إلى وإنما أوثرت على إلى لموافقة الفواصل والمعنى أوحى إليها أنها تحدث أخبارها بوحيه تعالى لها أي إليها والعرب تضع لام الصفة موضع إلى قال العجاج يصف الأرض * أوحى لها القرار فاستقرت * وشدها بالراسيات الثبت * قاله أبو عبيدة الثاني على أصلها وأوحى يتعدى باللام تارة وبإلى أخرى ومنه البيت * الثالث أن اللام على بابها من العلة والموحى إليه محذوف وهو الملائكة تقديره أوحى إلى الملائكة لأجل الأرض أي لأجل ما يفعلون فيها قال الثوري تحدث أخبارها بما كان عليها من الطاعات والمعاصي وما عمل على ظهرها من خير وشر **قوله تعالى** يومئذ إما بدل من يومئذ قبله وإما منصوب بيصدر وإما منصوب باذكر مقدرا وقوله تعالى أشتاتا حال من الناس وهو جمع شت أي متفرقين في الأمن والخوف والبياض والسواد والصدر ضد الورود يقال للوارد الجائي وللصادر المنصرف ومنه طواف الصدر وقيل يصدرون عن موضع الحساب فريق إلى جهة اليمين إلى الجنة وفريق إلى جهة الشمال إلى النار لقوله تعالى يومئذ يتفرقون يومئذ يصدعون وعن ابن عباس رضي الله عنه أشتاتا متفرقين على قدر أعمالهم أهل الإيمان على حدة وأهل كل دين على حدة وقيل هذا الصدر إنما هو عند النشور يصدرون أشتاتا من القبور إلى موقف الحساب ليروا أعمالهم في كتبهم أو ليروا جزاء أعمالهم فإنهم وردوا القبور فدفنوا فيها ثم صدروا عنها وقوله تعالى أشتاتا أي يبعثون من أقطار الأرض فعلى هذا قوله تعالى ليروا متعلق بيصدر وعلى القول الأول فيه تقديم وتأخير أي تحدث أخبارها بأن ربك أوحى لها ليروا أعمالهم واعترض قوله يومئذ يصدر الناس أشتاتا متفرقين عن موقف الحساب وعلى هذا يتعلق بأوحى وقرأ العامة ليروا بضم الياء مبنيا للمفعول وهو من رؤية البصر فتعدى بالهمزة إلى ثان وهو أعمالهم أي ليريهم الله أعمالهم وقرأ الحسن والأعرج وقتادة وحماد بن سلمة ونصر بن عاصم وطلحة ويروى عن نافع بفتحها قال الزمخشري وهي قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم مبنيا للفاعل والمعنى جزاء أعمالهم **قوله تعالى** فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره قال ابن عباس رضي الله عنه من يعمل من الكفار خيرا يره في الدنيا ولا يثاب عليه في الآخرة ومن يعمل مثقال ذرة من شر عوقب عليه في الآخرة مع عقاب الشرك

ومن يعمل مثقال ذرة من شر من المؤمنين يره في الدنيا ولا يعاقب عليه في الآخرة اذا مات ويتجاوز عنه وان عمل مثقال ذرة من خير
تقبل منه ويضاعف في الآخرة وفي بعض الحديث ان الذرة لا زنة لها وهذا مثل ضربه الله تعالى انه لا يغفل عن عمل ابن آدم صغيرة
ولا كبيرة وهو كقوله تعالى ان الله لا يظلم مثقال ذرة وقد تقدم ان الذر لا وزن له وذكر بعض اهل اللغة ان الذر ان يضرب الرجل
بيده الارض فما علق من التراب فهو الذر وكذا قال ابن عباس رضي الله عنه اذا وضعت يدك على الارض ورفعتها فكل واحد مما لزق من التراب
ذرة وقيل الذرة نملة الصغيرة واصغر ما يكون اذا مضى عليها حول قال امرؤ القيس • من القاصرات الطرف لو دب محول
من الذر فوق الاتب منها لاثرا • وقال محمد بن كعب القرظي فمن يعمل مثقال ذرة من خير من كافر يرى ثوابه في الدنيا في نفسه وماله
واهله وولده حتى يخرج من الدنيا وليس له عند الله خير ومن يعمل مثقال ذرة من شر من مؤمن يرى عقوبته في الدنيا في ماله ونفسه واهله
وولده حتى يخرج من الدنيا وليس له عند الله شر ودليله ما روى انس رضي الله عنه ان هذه الآية نزلت على النبي صلى الله عليه وسلم
وانا لنرى ما عملنا من خير وشر قال النبي صلى الله عليه وسلم يا ابا بكر ما رأيت في الدنيا مما تكره فمثاقيل ذر الشر ويدخر لكم مثاقيل ذر الخير
حتى تعطوه يوم القيمة قال ابو ادريس ان مصداقه من كتاب الله وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم ويعفو عن كثير وقال مقاتل
نزلت في رجلين وذلك انه لما نزل ويطعمون الطعام على حبه كان احدهما ياتيه السائل فيستقل ان يعطيه التمرة والكسرة والجوزة
وكان الآخر يتهاون بالذنب اليسير كالكذبة والغيبة والنظرة ويقول انما اوعد الله تعالى النار على الكبائر فنزلت هذه الآية
ترغيبهم في القليل من الخير يعطوه فانه يوشك ان يكثر ويحذرهم اليسير من الذنب فانه يوشك ان يكثر ويحذرهم اليسير من الذنب ولهذا
قال النبي صلى الله عليه وسلم اتقوا النار ولو بشق تمرة فمن لم يجد فبكلمة طيبة قوله تعالى يره جواب الشرط في الموضعين وقرا هشام
بسكون هاء يره وصلا في الحرفين وباقي السبعة بضمها موصولة بواو وصلا وساكنة وقفا كسائر هاء الكناية ونقل ابو حيان
عن هشام وابي بكر سكونها وعن ابي عمرو ضمها مشبعة وباقي السبعة باشباع الاول وسكون الثانية انتهى وكان ذلك لاجل الوقف
على آخر السورة غالبا اما لو وصلوا آخرها باول العاديات كان الحكم الاشباع هذا مقتضى اصولهم وهو المنقول وقرا العلماء يره مبنيا
للفاعل فيهما وقرا ابن عباس والحسن والحسين ابنا علي بن ابي طالب وزيد بن علي وابو حيوة وعاصم والكسائي في رواية الجحدري والسلمي
وعيسى وابن عمر رضي الله عنهم بضم الياء اي يريه الله اياه قال القرطبي والاول الاختيار لقوله تعالى يوم تجد كل نفس ما عملت من خير
محضرا الآية وقرا عكرمة يراه بالالف اما على تقدير الجزم بحذف الحركة المقدرة واما على توهم ان من موصولة ونقل هذا في اواخر
يوسف ومعنى يره اي يرى جزاءه لان ما عمله قد مضى وعدم وحكى الزمخشري ان اعرابيا قرا اخيرا يره فقيل له قدمت واخرت
فانشد • خذا بطن هرشى او قفاها فانه • كلا جانبي هرشى لهن طريق • انتهى يريد ان التقديم والتاخير سواء وهذا لا يجوز
البتة فانه خطأ فلا يعتد به قراءة وفي نصب خيرا وشرا وجهان اظهرهما انهما تمييز والثاني انهما بدلان من مثقال **فصل**
قال ابن مسعود رضي الله عنه هذه احكم آية في القرآن واصدق وقد اتفق العلماء على عموم هذه الآية القائلون بالعموم ومن لم يقل به قال
كعب الاحبار رضي الله عنه لقد انزل الله تعالى على محمد صلى الله عليه وسلم آيتين احصتا ما في التوراة والانجيل والزبور والصحف
فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره وكان النبي صلى الله عليه وسلم يسمي هذه الآية الجامعة الفاذة روى
مالك في الموطأ ان مسكينا استطعم عائشة رضي الله عنها وبين يديها عنب فقالت لانسان خذ حبة فاعطه اياها فجعل ينظر اليها
ويتعجب فقالت عائشة اتعجب كم ترى في هذه الحبة من مثقال ذرة روى الترمذي عن انس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم من قرا اذا زلزلت عدلت له بنصف القرآن ومن قرا قل هو الله احد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد عدلت له
ثلث القرآن وعن علي رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا اذا زلزلت اربع مرات كان كمن قرا القرآن كله والله تعالى اعلم

سورة العاديات

مكية في قول ابن مسعود وجابر والحسن وعكرمة وعطاء ومدنية في قول ابن عباس وانس بن مالك وقتادة وهي احدى عشرة آية
واربعون كلمة ومائة وثلاثة وستون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم **قوله تعالى** والعاديات جمع عادية وهي الجارية
بسرعة من العدو وهو المشي بسرعة والياء عن واو لكسر ما قبلها نحو الغازيات من الغزو ويقال عدا يعدو عدوا فهو عاد وهي عادية
وقد تقدم هذا في سورة المؤمنين قال عامة المفسرين يريد الافراس تعدو في سبيل الله تعالى **قوله تعالى** ضبحا فيه اوجه احدها
انه مصدر مؤكد لاسم الفاعل فان الضبح نوع من السير والعدو كالضبع يقال ضبح الفرس وضبع اذا عدا بشدة اخذا من الضبع
وهو الذراع لانه يمد عند العدو وكان الحابل له العين والهاء ذهب ابو عبيدة والمبرد قالا الضبح من اضباعها في السير وقال
عنترة • والخيل تكدح في حياض الموت ضبحا • الثاني انه مصدر في موضع الحال اي ضابحات او ذوي ضبح والضبح صوت يسمع من صدور

عند العدو

عند العدو وليس بصهيل وعن ابن عباس رضي الله عنه انه حكاه فقال اح اح وقال قتادة تضبح اذا عدت اي تحمحم وقال الفراء
الضبح صوت انفاس الخيل اذا عدون وقيل كانت تكعم لئلا تصهل فيعلم العدو بهم فكانت تتنفس في هذه الحال بقوة ونقل
عن ابن عباس رضي الله عنه انه لم يضبح من الحيوان غير الخيل والكلب والثعلب وهذا ينبغي ان لا يصح عنه لانه روي عنه انه قال سئلت عنها
ففسرتها بالخيل وكان علي رضي الله عنه تحت سقاية زمزم فساله فذكرت ما قلت فدعاني فلما وقفت على راسه قال تفتي الناس
بغير علم والله انها لاول غزوة في الاسلام وهي بدر ولم يكن معنا الا فرسان فرس للمقداد وفرس للزبير فكيف يكون العاديات
ضبحا انما العاديات ضبحا الابل والله ان كانت الابل من عرفة الى مزدلفة ومن مزدلفة الى منى يعني ابل الحاج قال ابن عباس فرجعت الى
قول علي رضي الله عنه وقال ابن مسعود وعبيد بن عمير ومحمد بن كعب والسدي رضي الله عنهم ومنه قول صفية بنت عبد المطلب

• فلا والعاديات غداة جمع • بايديها اذا سطع الغبار •

الا ان الزمخشري قال بعد ذلك فان صحت الرواية فقد استعير الضبح للابل كما استعير المشافر والحافر للانسان والشفتان للمهر
ونقل غيره ان الضبح يكون في الابل والاسود من الحيات والبوم والصدى والارنب والثعلب والفرس وانشد ابو حنيفة رحمه الله

• حنانة من نشم او تالب • تضبح في الكف ضباح الثعلب •

قال شهاب الدين وهذا عندي من الاستعارة ونقل اهل اللغة ان اصل الضبح في الثعلب فاستعير للخيل وهو من ضبحته النار اذا
غيرت لونه ولم تبالغ فيه والضبح لون يغير الى السواد قليلا والضبح ايضا الرماد الثالث من اوجه النصب ان يكون منصوبا بفعل مقدر
اي يضبح ضبحا وهذا الفعل حال من العاديات الرابع انه منصوب بالعاديات وان كان المراد به الصوت قال الزمخشري كانه قيل
والضابحات لان الضبح يكون مع العدو وقال ابو حيان واذا كان الضبح مع العدو فلا يكون معنى والعاديات والضابحات
فلا ينبغي ان يفسر به انتهى قال شهاب الدين لم يقل الزمخشري ان معناه وانما جعله منصوبا به لانه لازم له لا يفارقه فكانه
ملفوظ به وقوله كانه قيل تفسير لملازمه لا انه هو هو **فصل** قال ابن العربي اقسم الله تعالى بمحمد صلى الله عليه وسلم
فقال يس والقرآن الحكيم واقسم بحياته فقال تعالى لعمرك انهم لفي سكرتهم يعمهون واقسم بخيله وصهيلها وغبارها وقدح حوافرها
النار من الحجر فقال عز وجل والعاديات ضبحا وقال الشعبي تمارى علي وابن عباس رضي الله عنهما في العاديات فقال علي هي الابل تعدو
في الحج وقال ابن عباس هي الخيل الا تراه يقول فاثرن به نقعا فهل تثير الا بحوافرها وهل تضبح الابل فقال علي رضي الله عنه ليس كما
قلت لقد رأيتنا يوم بدر وما معنا الا فرس ابلق للمقداد وفرس لمرثد بن ابي مرثد وعلى هذا القول فالموريات قدحا اي الحاملات ترمي
بالحجر من شدة العدو فتضرب به حجارة اخرى فتوري النار او يكون المعنى الذين يركبون الابل وهم الحجيج اذا اوقدوا نيرانهم بالمزدلفة
وقوله تعالى فالمغيرات صبحا والاغارة سرعة السير وهم يندفعون صبيحة يوم النحر مسرعين الى منى فوسطن به جمعا يعني مزدلفة
لانها تسمى جمعا لاجتماع الحج بها وعلى هذا التقدير وجه القسم بها ما تقدم ذكره من المنافع الكثيرة في قوله تعالى افلا ينظرون
الى الابل كيف خلقت وايضا الغرض بذكر ابل الحج الترغيب في الحج كانه تعالى يقول جعلت الابل مقسما بها فكيف اضيع عملك وفيه تعريض
لمن رغب عن الحج فان الكنود هو الكفور والذي لم يحج بعد الوجوب موصوف بذلك كما في قوله تعالى ولله على الناس حج البيت من
استطاع اليه سبيلا ومن كفر فان الله غني عن العالمين ومن قال هي الخيل وهو قول ابن عباس ومجاهد وقتادة والضحاك وعطاء
واكثر المحققين ان النبي صلى الله عليه وسلم بعث سرية الى اناس من بني كنانة فابطا عليه خبرها وكان استعمل عليها المنذر بن عمرو
الانصاري وكان احد النقباء فقال المنافقون انهم قتلوا فنزلت هذه السورة اخبارا للنبي صلى الله عليه وسلم بسلامتها وبشارة له
باغارتها على القوم فالمراد الخيل التي تغزو واهلها المؤمنون وفي الخبر من لم يعرف حرمة فرس الغازي ففيه شعبة من النفاق
وعلى هذا القول فالسورة مدنية لان الاذن في القتال انما كان بالمدينة **قوله تعالى** فالموريات قدحا قال عكرمة وعطاء
والضحاك هي الخيل حين توري النار بحوافرها وهي سنابكها وقدحا يجوز ان يكون مصدرا مؤكدا لان الايراء هو القدح يقال
قدح فاورى وقدح فاصلد ويجوز ان يكون حالا فالمعنى قادحات اي صاكات بحوافرها ما يوري النار يقال قدحت الحجر
بالحجر اي صككته به وقال الزمخشري انتصب بما انتصب به ضبحا وكان جوز في نصبه ثلاثة اوجه النصب باضمار فعل
والنصب باسم الفاعل قبله لانه ملازمه والنصب على الحال وتسمى تلك النار التي تخرج من الحوافر نار الحباحب **فصل**
روي عن ابن عباس رضي الله عنه اورت بحوافرها غبارا وهذا يخالف سائر ما روي عنه في قدح النار وانما هذا في الابل وروى
ابن ابي نجيح عن ابن عباس رضي الله عنه في قوله تعالى فالموريات قدحا قال هي في القتال وهي في الحج قال ابن مسعود هي الابل
تطأ الحصى فيخرج منها النار واصل القدح الاستخراج ومنه قدحت العين اذا اخرجت منها الماء الفاسد واقتدحت الزند
واقتدحت المرق غرفته وركي قدوح تغرف باليد والقديح ما يبقى في اسفل القدر فيغرف بجهد والمقدحة ما يخرج به
النار والقداحة الحجر الذي يوري النار يقال ورى الزند بالفتح يري وريا اذا خرجت ناره وفيه لغة اخرى وري الزند بالكسر
يري فيهما وقد مضى في سورة الواقعة وقيل هذه الآيات في الخيل ولكن ايراؤها ان يهيج الحرب بين اصحابها وبين عدوهم كما قال تعالى

كلما اوقدوا نارا للحرب اطفأها الله ومنه يقال للحرب اذا التحمت حمي الوطيس وروي معناه عن ابن عباس رضي الله عنه
وعن قتادة وابن عباس ان الموريات قدحا مكر الرجال في الحرب وهو قول مجاهد وزيد بن اسلم والعرب تقول اذا ارادوا ان
الرجل يمكر بصاحبه والله لامكرن بك ثم لاورين لك وعن ابن عباس ايضا هم الذين يغزون فيورون نيرانهم بالليل لحاجتهم
وطعامهم وعنه ايضا انها نيران المجاهدين اذا كثرت نارها ارهابا ليظنهم العدو كثيرا وقيل هي افكار الرجال تورى النار من عظيم
ما تتكلم به ويظهر بها من الحجج واقامة الدلايل وايضاح الحق وابطال الباطل قال القرطبي وهذه الاقوال مجاز كقولهم فلان يوري
نار الضلالة والاول الحقيقة وان الخيل من شدة عدوها تقدح النار بحوافرها قال مقاتل تسمى تلك النار نار ابي حباحب وابو حباحب
شيخ من مضر في الجاهلية من ابخل الناس وكان لا يوقد نار الخبز ولا غيره حتى تنام العيون فيوقد نويرة تقد مرة وتخمد اخرى
فان استيقظ لها احد اطفاها كراهية ان ينتفع بها احد فشبهت العرب هذه النار بناره لانه لا ينتفع بها وكذلك اذا وقع السيف
على البيضة فاقتدحت نارا فكذلك يسمونها قال النابغة • ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم • بهن فلول من قراع الكتايب •
تقد السلوقي المضاعف نسجه • ويوقد بالصفاح نار الحباحب قوله تعالى فالمغيرات صبحا صبحا ظرف اي التي تغير وقت الصبح
يقال اغار يغير اغارة اذا باغت عدوه لنهب او قتل او اسر قال • فليت لي بهم قوما اذا ركبوا • شنوا الاغارة فرسانا وركبانا •
وغار لغة واغار وغار ايضا نزل الغور وهو المنخفض من الارض قوله تعالى فاثرن عطف الفعل على الاسم لان الاسم في تاويل
الفعل لوقوعه صلة لال قال الزمخشري معطوف على الفعل الذي وضع اسم الفاعل موضعه يعني في الاصل اذ الاصل واللاتي
عدون فاورين فاغرن فاثرن قوله تعالى به في الها اوجه احدها انها ضمير الصبح اي فاثرن في وقت الصبح غبارا وهذا احسن
لانه مذكور بالصريح الثاني انه عايد على المكان وان لم يجر له ذكر لان الاشارة لابد لها من مكان والسياق والعقل يدل عليه
واذا علم المعنى جاز ان يكنى عما لم يجر له ذكر بالتصريح كقوله تعالى حتى توارت بالحجاب وفي عبارة الزمخشري وقيل الضمير لمكان الغارة
وهذا على تلك اللغية والا فالفصيح ان يقول الاغارة الثالث انه ضمير العدو الذي دل عليه والعاديات وقرا العامة بتخفيف الثا
اثار كذا اذا نشره وقرىء مع ارتفاع وقرا ابو حيوة وابن ابي عبلة بتشديدها وخرجه الزمخشري على وجهين الاول بمعنى فاظهرن
به غبارا لان التاثير فيه معنى الاظهار والثاني انه قلب ثورن الى وثرن وقلب الواو همزة انتهى يعني الاصل ثورن من ثور يثور
بالتشديد عداه بالتضعيف كما تعدى بالهمزة في قولك اثاره ثم قلب الكلمة بان جعل العين وهي الواو موضع الفاء وهي الثا
فصار وثرن ووزنها حينئذ عفلن ثم قلب الواو همزة فصار اثرن وهذا بعيد جدا وعلى تقدير التسليم فقلب الواو المفتوحة
همزة لا ينقاس انما جاءت منه الفاظ كاحد واناة والنقع الغبار قال الشاعر •
• يخرجن من مستطار النقع دامية • كان اذنابها اطراف اقلام • العيون
وقال ابن رواحه • عدمت بنيتي ان لم تروها • تثير النقع من كنفي كداء • وقال ابو عبيدة النقع رفع
قال لبيد • فمتى ينقع صراخ صادق • يحلبوها ذات جرس وزجل • ويروى يجلبوها تقول حتى
سمعوا صراخا اجلبوا الحرب اي جمعوا لها وقوله ينقع صراخ يعني رفع الصوت قال الزمخشري ويجوز ان يراد بالنقع الصياح
من قول عمر رضي الله عنه ما لم يكن نقع ولا لقلقة وقول لبيد • فمتى ينقع صراخ صادق • اي هيجن في المغار عليهم صياحا قال ابو عبيدة وعلى هذا
رايت قول اكثر اهل العلم انتهى فعلى هذا يكون الباء بمعنى في ويعود الضمير على المكان الذي فيه الاغارة كما تقدم وقال الكسائي
قوله نقع ولا لقلقة النقع صنعة الطعام يعني في الماتم يقال منه نقعت انقع نقعا قال ابو عبيدة ذهب بالنقع الى النقيعة وانما
النقيعة عند غيره من العلما صنعة الطعام عند القدوم من سفر لا في الماتم وقال بعضهم يريد بالنقع وضع التراب على الراس فذهب الى
ان النقع هو التراب قال القرطبي ولا احسب عمر ذهب الى هذا ولا خافه منهن وكيف يبلغ خوفه ذا وهو يكره لهن القيام فقال يسفكن
من دموعهن وهن جلوس • وقال بعضهم النقع شق الجيوب قال وهو الذي لا ادري ما هو من الحديث ولا اعرفه وليس النقع عندي
في هذا الحديث الا الصوت الشديد واما اللقلقة فشدة الصوت ولم اسمع فيه اختلافا وقال محمد بن كعب القرظي النقع ما بين مزدلفة
الى منى وقيل انه طريق الوادي ولعله يرجع الى الغبار المثار من هذا الموضع وفي الصحاح النقع الغبار والجمع نقاع والنقع محبس الما
وكذلك ما اجتمع في البير منه وفي الحديث انه نهى ان يمنع نقع البير والنقع الارض الحرة الطين يستنقع فيها الما والجمع نقاع وانقع
مثل بحار وابحر قوله تعالى فوسطن العامة على تخفيف السين اي توسطن وفي الها في به اوجه احدها انها للصبح والثاني
انها للنقع اي وسطن بالنقع الجمع اي جعلن الغبار وسط الجمع فالبا للتعدية وعلى الاول هي ظرفية الثالث البا للحالية اي فتوسطن
ملتبسات بالنقع اي بالغبار جمعا من جموع الاعداء وقيل البا مزيدة نقله ابو البقا وجمعا على هذه الاوجه مفعول به الرابع
ان المراد جمع المزدلفة وهي تسمى جمعا والمراد ان الابل توسط جمعا الذي هو المزدلفة كما مر عن امير المومنين رضي الله عنه فالمراد بالجمع
مكان لا جماعة الناس كقول صفية والعاديات من جمع وقول بشر بن ابي خازم • فوسطن جمعهم وافلت حاجب • تحت العجاجة
في الغبار الاقتم • وجمعا على هذا منصوب على الظرف وعلى هذا فيكون الضمير في به اما للوقت اي في وقت الصبح واما للنقع

وتكون البا للحال اي ملتبسات بالنقع الا انه يشكل نصب الظرف المختص اذ كان حقه ان يتعدى اليه بفي وقال ابو البقا
ان جمعا حال وسبقه اليه مكي وفيه بعد اذ المعنى على ان الخيل توسطت جمع الناس وقرا علي وزيد بن علي وقتادة وابن ابي ليلى
بتشديد السين وهما لغتان بمعنى واحد وقال الزمخشري التشديد للتعدية والبا مزيدة للتاكيد كقوله تعالى واتوا به متشابها
وهي مبالغة في وسطن انتهى وقوله وهي مبالغة تناقض قوله اولا للتعدية لان التشديد للمبالغة لا يكسب الفعل مفعولا اخر
تقول ذبحت الغنم مخففا ثم تبالغ فتقول ذبحتها مثقلا وهذا على رايه قد جعله متعديا بنفسه بدليل جعله البا مزيدة فلا
يكون للمبالغة فصل المعنى فوسطن بركبانهن العدو اي الجمع الذي اغاروا عليهم وقال ابن مسعود فوسطن جمعا
يعني مزدلفة وسميت جمعا لاجتماع الناس بها ويقال وسطت القوم اسطهم وسطا وسطة اي صرت وسطهم وقد اكثر الناس
في وصف الخيل وهذا الذي ذكره الله تعالى احسن وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الخيل معقود بنواصيها الخير وقال
ابطنها حرز وظهورها كنز وروي ان ابنة امرء القيس اتت النبي صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله هل انزل عليك ربك
في صفة الخيل كلاما افصح مما قال جدي فقال عليه الصلاة والسلام وما قال جدك فقالت •
• مكر مفر مقبل مدبر معا • كجلمود صخر حطه السيل من عل •
فقال عليه الصلاة والسلام والعاديات ضبحا الايات فاسلمت قوله تعالى ان الانسان لربه لكنود هذا هو المقسم عليه
ولربه متعلق بالخبر وقدم للفواصل والكنود الجحود وقيل الكفور للنعمة وانشد الشاعر •
• كنود لنعماء الرجال ومن يكن • كنودا لنعماء الرجال يبعد •
وعن ابن عباس رضي الله عنه هو بلسان كندة وحضرموت العاصي وبلسان ربيعة ومضر الكفور وبلسان كنانة البخيل وانشد ابو زيد
• ان نفسي لم تطب منك نفسا • غير اني امنى بدهر كنود •
وقيل اللسان الجاحد للحق وقيل انما سميت كندة لانها جحدت اباها وقيل الكنود من كند اذا قطع كانه يقطع ما ينبغي ان يوصله
من الشكر ويقال كند الحبل اذا قطعه قال الاعشى • تعنبطي غيظا بصلت الفواد • وصول حبال وكنادها • فهذا يدل
على القطع ويقال كند يكند كنودا اي كفر النعمة وجحدها فهو كنود وامراة كنود ايضا وكند مثله قال الاعشى •
• احدث لها تحدث لوصلك انها • كند لوصل الزاير المعتاد •
اي كفور للمواصلة وروى ابو امامة الباهلي رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الكنود الذي ياكل وحده
ويمنع رفده ويضرب عبده خرجه الحكيم الترمذي في نوادر الاصول وقال الحسن الكنود اللوام لربه يعد المحن والمصايب
وينسى النعم والراحات وهو كقوله تعالى واما اذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول ربي اهانن كلا واعلم ان الكنود لا يخرج
ان يكون كفرا او فسقا وكيفما كان فلا يمكن حمله على كل الناس فلا بد من صرفه الى كافر معين وان حملناه على الكل فالمعنى ان طبع
الانسان يحمله على ذلك الا اذا عصمه الله بلطفه وتوفيقه قال ابن عباس رضي الله عنه الانسان هنا الكافر يقول انه لكنود
ومنه الارض الكنود التي لا تنبت شيئا وقال الضحاك نزلت في الوليد بن المغيرة وقال ابو بكر الواسطي الكنود الذي ينفق نعم الله
في معاصي الله وقال ذو النون المصري الهلوع والكنود هو الذي اذا مسه الشر جزوعا واذا مسه الخير منوعا وقيل هو الحقود
الحسود قال القرطبي وكل هذه الاقوال ترجع الى معنى الكفران والجحود وقال ابن عباس رضي الله عنه نزلت في قرط بن عبد الله
بن عمرو بن نوفل القرشي وكقوله افلا يعلم اذا بعثر ما في القبور لا يليق الا بالكافر المنكر لذلك قوله تعالى وانه على ذلك
لشهيد اي وان الله تعالى على ذلك لشهيد قاله ابن عباس ومجاهد واكثر المفسرين وقال الحسن وقتادة ومحمد بن كعب وانه اي ان
الانسان لشاهد على نفسه بما يصنع كقوله تعالى بعد ذلك وانه لحب الخير لشديد والاول اولى لانه كالوعيد والزجر عن المعاصي
قوله تعالى وانه لحب الخير اللام متعلقة بشديد وفيه وجهان احدهما انها المعدية والمعنى وانه لقوي مطيق لحب الخير اي المال
يقال هو شديد لهذا الامر اي مطيق له ويقال الشديد اي بخيل ويقال للبخيل شديد ومتشدد قال طرفة
• ارى الموت يعتام الكرام ويصطفي • عقيلة مال الفاحش المتشدد •
يقال اعتامه واعتماه اي اختاره والفاحش البخيل ايضا قال تعالى ويامركم بالفحشاء اي البخل قال ابن زيد سمى الله تعالى
المال خيرا وعسى ان يكون شرا وحراما ولكن الناس يعدونه خيرا فسماه الله تعالى خيرا لذلك قال تعالى ان ترك خيرا كما سمى
الجهاد سوءا فقال تعالى فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء على ما تسميه الناس الثاني ان اللام للعلة اي وانه لاجل
حب المال لبخيل وقيل اللام بمعنى على وقال الفرا اصل نظم الاية ان يقال وانه لشديد الحب للخير فلما قدم الحب قال لشديد
وحذف من اخره ذكر الحب لانه قد جرى ذكره ولرؤوس الاي كقوله تعالى في يوم عاصف والعصوف للريح لا لليوم كانه قال في يوم
عاصف الريح قوله تعالى افلا يعلم الاية تعليم لما عد عليه قبايح افعاله خوفه فقال تعالى افلا يعلم اذا بعثر ما في القبور اي اذا اثير
احدها بعثر نقله مكي عن المبرد وتقدم تحريره في السورة قبلها قال القرطبي العامل في اذا لا يعمل فيه خبير وان فصل اللام

بينهما لان موضع اللام لابتدا وانما دخلت في الخبر ان على المبتدا والثاني انه ما دل عليه خبران اي اذا بعثر جوزوا في الثالث انه يعلم واليه ذهب الحوفي وابو البقا ورده مكي قال لان الانسان لا يراد منه العلم والاعتبار ذلك الوقت وانما يعتبر في الدنيا ويعلم قال ابو حيان وليس بمتضح لان المعنى افلا يعلم الان وكان قال قبل ذلك ومفعول يعلم محذوف وهو العامل في الظرف اي فلا يعلم ما له اذا بعثر انتهى فجعلها متعدية في ظاهر قوله الى واحد وعلى هذا فقد يقال انها عاملة في اذا على جعل ان اذا مفعولة لا ظرف فاذا التقدير افلا يعرف اذا وقت بعثرة القبور يعني ان يقر بالبعث ووقته واذا قد تصرفت وخرجت عن الظرفية ولذلك شواهد تقدم ذكرها الرابع ان العامل فيها محذوف وهو مفعول يعلم كما تقدم وقرا العامة بعثر بالعين مبنيا للمفعول والموصول قائم مقام الفاعل وابن مسعود بالحا قال الفرا سمعت بعض اعراب بني اسد يقرا بحثر بالحا وحكى الماوردي عن ابن مسعود وقرا الاسود بن زيد ومحمد بن معدان بحثر البحث ونصر بن عاصم بعثر مبنيا للفاعل وهو الله او الملك

فصل المعنى افلا يعلم ابن آدم اذا بعثر اي اثير وقلب وبحث فاخرج ما فيها قال ابو عبيدة بعثرت المتاع جعلت اسفله اعلاه قال محمد بن كعب ذلك حين يبعثون فان قيل لم قال بعثر ما في القبور ولم يقل من في القبور ثم انه تعالى لما قال ما في القبور فلم قال ان ربهم بهم يومئذ لخبير فالجواب عن الاول ان ما في الارض غير المكلفين اكثر فاخرج الكلام على الاغلب او انهم حال ما يبعثون لا يكونون احيا عقلا بل يصيرون كذلك بعد البعث فلذلك كان ضمير الاول ضمير غير العقلا والضمير الثاني ضمير العقلا **قوله تعالى** وحصل ما في الصدور وقرا العامة حصل مبنيا للمفعول وروي عن ابن يعمر وعبيد بن عمير وسعيد بن جبير ونصر ايضا حصل خفيف الصاد مبنيا للفاعل بمعنى جمع ما في الصحف محصلا والتحصيل جمع الشيء والحصول اجتماعه والاسم الحصيلة قال لبيد • وكل امري يوما سيعلم سعيه • اذا حصلت عند الاله الحواصل • التحصيل التمييز ومنه قيل للمنخل محصل وحصل الشيء مخففا ظهر واستبان وعليه القراءة الاخيرة وقال المفسرون وحصل ما في الصدور اي ميز ما فيها من خير وشر وقال ابن عباس ابرز قال ابن الخطيب وخص اعمال القلوب بالذكر دون اعمال الجوارح لان اعمال الجوارح تابعة لاعمال القلوب لانه لولا البواعث والارادات لما حصلت اعمال الجوارح **قوله تعالى** ان ربهم بهم العامة على كسر الهمزة لوجود اللام في خبرها والظاهر انها معلقة ليعلم فهي في محل نصب ولكن لا يعمل في اذا خبرها لما تقدم بل يقدر له عامل من معناه كما تقدم ويدل على انها معلقة للعلم لا مستانفة قراءة ابي السماك وغيره ان ربهم بهم يومئذ خبير بالفتح واسقاط اللام فانها في هذه القراءة سادة مسد مفعولها ويحكى عن الحجاج الخبيث الروح انه لما فتح همزة ان استدرك على نفسه فتعمد سقوط اللام وهذا ان صح كفر ولا يقال انها قراءة ثابتة كما نقل عن ابي السماك فلا يكفر لانه لو قراها كذلك ناقلا لها لم يمنع منه ولكنه اسقط اللام عمدا اصلاحا للسانه واجمعت العلما على ان من زاد حرفا في القران او نقصه عمدا فهو كافر قال شهاب الدين وانما قلت ذلك لاني رايت ابا حيان قال وقرا ابو السماك والحجاج ولا يحفظ عن الحجاج هذا الا في سوء والثاني ينقلونه عنه كذلك وهو اقل من ان ينقل عنه وبهم ويومئذ متعلقان بالخبر واللام غير مانعة من ذلك وقدما لاجل الفاصلة ومعنى خبير اي عالم لا يخفى عليه منهم خافية وهو عالم بهم في ذلك اليوم وفي غيره ولكن المعنى انه يجازيهم في ذلك اليوم روى الثعلبي عن ابي رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة والعاديات اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد من بات بالمزدلفة وشهد جمعا والله تعالى اعلم وهو حسبي وكفى

سورة القارعة

مكية وهي احدى عشرة اية وست وثلاثون كلمة ومائة واثنان وخمسون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم **قوله تعالى** القارعة ما القارعة كقوله تعالى الحاقة ما الحاقة وكقوله واصحاب اليمين ما اصحاب اليمين وقد تقدم ما نقله مكي انه يجوز رفع القارعة بفعل مضمر ناصب ليوم وقيل ستاتيكم القارعة وقيل القارعة مبتدا وما بعده الخبر وقيل معنى الكلام على التحذير قال الزجاج والعرب تحذر وتغري بالرفع كالنصب وانشد • لجديرون بالوفا اذا • قال اخو النجدة السلاح السلاح • وقد تقدم ذلك في قوله تعالى ناقة الله فيمن رفعه ويدل على ذلك قراءة عيسى القارعة ما القارعة باضمار فعل اي احذروا القارعة وما زائدة والقارعة الثانية تاكيدا للاولى تاكيدا لفظيا والقرع الضرب بشدة واعتماد والمراد بالقارعة القيامة لانها تقرع الخلايق باهوالها وافزاعها واهل اللغة يقولون تقول العرب قرعتهم القارعة وفقرتهم الفاقرة اذا وقع بهم امر فضيع قال تعالى ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة وهي الشديدة من شدايد الدهر وقوله تعالى ما القارعة استفهام على جهة التعظيم والتفخيم لشانها كقوله تعالى الحاقة ما الحاقة واختلفوا

في سبب تسمية القيامة بالقارعة فقيل المراد بالقارعة الصيحة التي يموت منها الخلايق لانها تقرع اسماعهم وقيل ان الاجرام العلوية والسفلية يصطكان فيموت العالم بسبب تلك القرعة فلذلك سميت القيامة بالقارعة وقيل تقرع الناس بالاهوال كانشقاق السموات وانفطارها وتكوير الشمس والقمر وانتثار الكواكب ودك الجبال ونسفها وطي الارض وقيل لانها تقرع اعدا الله بالعذاب **قوله تعالى** وما ادراك ما القارعة اي لا علم لك بكنهها لانها في الشدة بحيث لا يبلغها وهم احد وعلى هذا يكون اخر السورة مطابقا لاولها فان قيل هاهنا قال وما ادراك ما القارعة وقال تعالى في اخر السورة فامه هاوية وما ادراك ما هيه ولم يقل وما ادراك ما هاوية فالجواب ان الفرق ان كونها قارعة امر محسوس وكونها هاوية ليس كذلك فظهر الفرق **قوله تعالى** يوم يكون الناس كالفراش في ناصب يوم اوجه احدها مضمر يدل عليه القارعة اي تقرعهم يوم يكون وقيل تقديره تاتي القارعة يوم الثاني انه اذكر مقدرا فهو مفعول به لا ظرف الثالث انه القارعة قاله ابن عطية وابو البقا ومكي قال ابو حيان فان كان عنى ابن عطية اللفظ الاول فلا يجوز للفصل بين العامل وهو في صلة ال والمعمول باجنبي وهو الخبر وان جعل القارعة علما للقيامة فلا يعمل ايضا وان عنى الثاني والثالث فلا يلتيم معنى الظرفية معه الرابع انه فعل مقدر رافع للقارعة الاولى كانه قيل تاتي القارعة يوم يكون قاله مكي وعلى هذا فيكون ما بينهما اعتراضا وهو بعيد جدا منافر لنظم الكلام وقرا زيد بن علي يوم بالرفع خبر المبتدا محذوف اي وقتها يوم يكون **قوله تعالى** كالفراش يجوز ان يكون خبرا للناقصة وان يكون حالا من فاعل التامة اي يوجدون ويحشرون شبه الفراش وهو طاير معروف قال قتادة الفراش الطير الذي يتساقط في النار والسراج الواحدة فراشة وقال الفرا هو الهمج من البعوض والجراد وغيرهما وبه يضرب المثل في الطيش والهوج يقال اطيش من فراشة وانشد • فراشة الحلم فرعون العذاب وان • يطلب نداه فكلب دونه كلب •

وقال اخر • وقد كان اقوام رددت قلوبهم • عليهم وكانوا كالفراش من الجهل •

وقال اخر • طويش من نفر اطيا شي • اطيش من طاير الفراش •

والفراشة الماء القليل في الانا وفراشة القفل لشبهها بالفراشة وروى مسلم عن جابر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثلي ومثلكم كمثل رجل اوقد نارا فجعل الجنادب والفراش يقعن فيها وهو يذبهن عنها وانا اخذ بحجزكم عن النار وانتم تفلتون من يدي وفي تشبيه الناس بالفراش مبالغات شتى منها الطيش الذي يلحقهم وانتشارهم في الارض وركوب بعضهم بعضا والكثرة والضعف والذلة والمجي من غير ذهاب والقصد الى الداعي من كل جهة والتطاير الى النور قال جرير

• ان الفرزدق ما علمت وقومه • مثل الفراش غشين نار المصطلي •

والمبثوث المتفرق وقال تعالى في موضع اخر كانهم جراد منتشر فاول حالهم كالفراش لا وجه له يتحير في كل وجه ثم يكونون كالجراد لان لها وجها تقصده والمبثوث المتفرق المنتشر وانما ذكر على اللفظ كقوله تعالى اعجاز نخل منقعر ولو قال المبثوثة فهو كقوله تعالى اعجاز نخل خاوية قال ابن عباس والفرا كالفراش المبثوث كغوغا الجراد يركب بعضهم بعضا يجول بعضهم في بعض اذا بعثوا فان قيل كيف يشبه الشي الواحد بالصغير والكبير معا لانه شبههم بالجراد المنتشر والفراش المبثوث فالجواب اما التشبيه بالفراش فبذهاب كل واحد الى غير جهة الاخر واما التشبيه بالجراد فبالكثرة والتتابع ويكون كبارا ثم يصيرون صغارا **قوله تعالى** وتكون الجبال كالعهن المنفوش اي الصوف الذي ينفش باليد اي يصير هباء ويزول كقوله تعالى في موضع اخر هباء منبثا قال اهل اللغة العهن الصوف المصبوغ وقد تقدم **قوله تعالى** فاما من ثقلت موازينه فهو في عيشة راضية في الموازين قولان احدهما انه جمع موزون وهو العمل الذي له وزن وخطر عند الله تعالى وهذا قول الفرا ونظيره قولك له عندي درهم بميزان درهمك وداري بميزان دارك ووزن دارك اي حذاوها والثاني قال ابن عباس انه جمع ميزان له لسان وكفتان لا يوزن فيه الا الاعمال وقد تقدم القول في الميزان في سورة الاعراف والكهف والانبيا وانه له كفة ولسان يوزن فيهما الصحف المكتوب فيها الحسنات والسيئات ثم قيل انه ميزان واحد بيد جبريل عليه السلام يزن به اعمال بني آدم فعبر عنه بلفظ الجمع وقيل موازين لكل حادثة ميزان وقيل الموازين الحجج والدلايل قاله عبد العزيز بن يحيى واستشهد بقول الشاعر

• قد كنت قبل لقايكم ذا مرة • عندي لكل مخاصم ميزانه •

ومعنى عيشة راضية اي عيش مرضي يرضاه صاحبه وقيل عيشة راضية اي فاعلة للرضى وهو اللين والانقياد فالعيشة كلمة تجمع النعم التي في الجنة فهي فاعلة للرضى كالفرش المرفوعة وارتفاعها مقدار مائة عام فاذا دنا منها ولي الله اتضعت حتى يستوي عليها ثم ترتفع وكذلك فروع الشجرة تتدلى من ارتفاعها للولي فاذا تناول من ثمرها ترتفع لقوله تعالى قطوفها دانية وحيث ما مشى من مكان الى مكان جرى معه نهر حيث شاء **قوله تعالى** واما من خفت موازينه اي رجحت سيئاته على حسناته قال مقاتل بن حيان انما رجحت الحسنات لان الحق ثقيل والباطل خفيف **قوله تعالى** فامه هاوية اي هالكة وهذا مثل يقولون لمن هلك هوت امه لانه اذا هلك سقطت امه ثكلا وحزنا وعليه قوله • هوت امه ما يبعث الصبح غاديا • وماذا يرد الصبح حين يووب •

لكانه تعالى قال ومن خفت موازينه فقد هلك وقيل الهاوية من اسماء النار وكانها النار العميقة يهوي اهل النار فيها
والمعنى فمأواه النار وقيل المهوي ام على سبيل التشبيه بالام كما يأوي الولد الى امه قال ابن زيد ومنه قول ابن ابي الصلت حيث قال •
• فالارض معقلنا وكانت امنا • فيها مقابرنا وفيها نولد •
ويروى ان الهاوية اسم الباب الاسفل من النار وقال عكرمة لانه يهوي فيها على ام راسه وذكره الاخفش والكلبي وقتادة
والمهوى والمهواة ما بين الجبلين ونحو ذلك وتهاوى القوم في المهواة اذا سقط بعضهم في اثر بعض وقرا طلحة فامه بكسر الهمزة
نقل ابن خالويه عن ابن دريد انها لغة والنحويون لا يجيزون ذلك الا اذا تقدمها كسرة او يا وقد تقدم تحقيق ذلك في سورة
النسا **قوله تعالى** وما ادراك ما هيه الاصل ما هي فدخلت الها للسكت وقرا حمزة والكسائي ويعقوب وابن محيصن ما هي
بغيرها في الوصل ووقفوا بها وقد تقدم في سورة الحاقة وما هي مبتدا وخبر سادان مسد المفعولين لادراك وهو من التعليق
وهي ضمير الهاوية ان كانت الهاوية كما قيل اسما للدركة من دركات النار والا عادت على الداهية المفهومة من الهاوية **قوله تعالى**
نار حامية نار خبر مبتدا مضمر اي نار شديدة الحر روى مسلم عن ابي هريرة رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ناركم
هذه التي يوقد منها ابن آدم جزء من سبعين جزءا من حر جهنم قالوا والله ان كانت لكافية يا رسول الله قال عليه الصلاة والسلام فانها
فضلت عليها بتسعة وستين جزءا كلها مثل حرها وروى الثعلبي عن ابي رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا
سورة القارعة ثقل الله موازينه يوم القيمة والله تعالى اعلم بالصواب

سورة التكاثر

مكية في قول الجميع وروى البخاري انها مدنية وهي ثمان ايات بسم الله الرحمن الرحيم **قوله تعالى**
الهاكم التكاثر الهاكم شغلكم قال امرؤ القيس • فالهيتها عن ذي تمائم محول • اي شغلكم المباهاة بكثرة الاموال والعدد
عن طاعة الله تعالى حتى متم والالهاء الصرف الى اللهو واللهو الانصراف الى ما يدعو اليه الهوى وقيل الهاكم اي انساكم
التكاثر اي من الاموال والاولاد وقاله ابن عباس والحسن وقال قتادة اي التفاخر بالقبائل والعشائر وقال الضحاك الهاكم
التشاغل بالمعاش والتجارة يقال لهيت عن كذا بالكسر لهيا ولهيانا اذا سلوت عنه وتركت ذكره والهاه اي شغله ولهاه
به يلهيه اي علله والتكاثر والمكاثرة قال قتادة ومقاتل وغيرهما نزلت في اليهود حين قالوا نحن اكثر من بني فلان وبنو فلان
اكثر من بني فلان الهاهم ذلك حتى ماتوا ضلالا وقال ابن زيد نزلت في فخذ من الانصار وقال ابن عباس ومقاتل والكلبي نزلت
في حيين من قريش بني عبد مناف وبني سهم تعادوا وتكاثروا بالسادة والاشراف في الاسلام فقال كل حي منهم نحن اكثر سيدا
واعز عزا واعظم نفرا فكثر بنو عبد مناف سهما ثم تكاثروا بالاموات فكثرتهم سهم فنزلت الهاكم التكاثر بالاحياء فلم ترضوا
حتى زرتم المقابر مفتخرين بالاموات وعن عمرو بن دينار حلف ان هذه السورة نزلت في التجار وعن قتادة نزلت في اهل الكتاب
والاية تعم جميع ما ذكروه وروى ابن شهاب عن انس بن مالك رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لو ان لابن آدم
واديا من ذهب لاحب ان يكون له واديان ولن يملا فاه الا التراب ويتوب الله على من تاب قال ثابت عن انس قال كنا نرى هذا
من القران حتى نزلت الهاكم التكاثر رواه البخاري قال ابن العربي وهذا نص صحيح غاب عن اهل التفسير وقرا ابن عباس الهاكم على
الاستفهام للتقريع والانكار ونقل في هذا المدمع التهويل ونقل فيه تحقيق الهمزتين عن غير حمد **قوله تعالى** حتى زرتم حتى غاية لقوله
الهاكم وهو عطف عليه والمعنى حتى اتاكم الموت فصرتم في المقابر زوارا ترجعون منها كرجوع الزائر الى منزله من جنة او نار ويقال
لمن مات قد زار قبره وقيل الهاكم التكاثر حتى عددتم الاموات كما تقدم وقيل هذا وعيد اي اشتغلتم بمفاخرة الدنيا حتى تزوروا
المقابر فترون ما ينزل بكم من عذاب الله والمقابر جمع مقبرة ومقبرة بفتح البا وضمها والقبور جمع القبر وسمي سعيد المقبري لانه كان
يسكن المقابر وقبرت الميت اقبره واقبره قبرا اي دفنته واقبرته اي امرت بان يقبر **فصل** قال المفسرون معنى الاية
الهاكم حرصكم على تكثير اموالكم عن طاعة ربكم حتى اتاكم الموت وانتم على ذلك قال ابن الخطيب فان قيل شان الزائر ان سينصرف
قريبا والاموات ملازمون القبور فكيف يقال انهم زاروا القبور وايضا فقوله جل ذكره حتى زرتم المقابر اخبار عن الماضي فكيف
يحمل على المستقبل فالجواب عن الاول ان سكان القبور لا بد ان ينصرفوا منها وعن الثاني اما ان المراد من كان منهم قد اتى الموت
لكبر او غيره كما يقال انه على شفير قبره واما ان المراد من تقدمهم كقوله تعالى ويقتلون النبيين وقال ابو مسلم ان الله تعالى يتكلم
بهذه السورة يوم القيمة تعيير للكفار وهم في ذلك الوقت قد تقدمت منهم زيارة القبور **فصل** قال القرطبي
لم يات في التنزيل ذكر المقابر الا في هذه السورة وفيه نظر لانه تعالى قال في سورة اخرى ثم اماته فاقبره واعلم ان زيارة القبور

من اعظم الادوية للقلب القاسي لانها تذكر الموت والاخرة وذلك يحمل على قصر الامل والزهد في الدنيا وترك الرغبة فيها
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فانها تزهد في الدنيا وتذكر الاخرة وروى
ابو هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن زوارات القبور وقال بعض اهل العلم كان هذا قبل ان يرخص
في زيارة القبور فلما رخص دخل في الرخصة الرجال والنسا وقال بعضهم انما كره زيارة القبور للنسا لقلة صبرهن وكثرة جزعهن
وقال بعضهم زيارة القبور للرجال متفق عليه واما النسا فمختلف فيه واما الشواب فحرام عليهن الخروج واما القواعد
فيباح لهن ذلك وجائز لجميعهن ذلك اذا انفردن بالخروج عن الرجال بغير خلاف لعدم خشية الافتتان **فصل**
ينبغي لمن زار القبور ان يتادب بادابها ويحضر قلبه في اتيانها ولا يكون حظه منها التطواف فقط فان هذه حالة تشاركه فيها
البهيمة بل يقصد بزيارته وجه الله تعالى واصلاح فساد قلبه ونفع الميت بما يكون عنده من القران والدعاء ويجتنب المشي
على القبور والجلوس عليها ويسلم اذا دخل المقابر واذا وصل الى قبر ميته الذي يعرفه سلم عليه ايضا واتاه من تلقاء وجهه لانه في
زيارته كمخاطبته حيا ثم يعتبر بمن صار تحت التراب وانقطع عن الاهل والاحباب ويتامل الزائر حال من مضى من اخوانه كيف
انقطعت امالهم ولم تغن عنهم اموالهم ومحى التراب محاسن وجوههم وتفرقت في القبور اجزاؤهم وترمل من بعدهم نساؤهم
وشمل ذل اليتم اولادهم وانه لا بد صائر الى مصيرهم وان حاله كحالهم ومآله كمآلهم **قوله تعالى** كلا قال الفراء اي ليس الامر على
ما انتم عليه من التفاخر والتكاثر والتمام على هذا كلا سوف تعلمون اي سوف تعلمون عاقبة هذا **قوله تعالى** ثم كلا سوف تعلمون
جعله ابن مالك من التوكيد مع توسط حرف العطف وقال الزمخشري والتكرير تاكيد للردع والرد عليهم وثم دالة على ان الانذار
الثاني ابلغ من الاول واشد كما تقول للمنصوح اقول لك ثم اقول لك لا تفعل انتهى ونقل عن علي رضي الله عنه كلا سوف تعلمون في الدنيا
ثم كلا سوف تعلمون في الاخرة فعلى هذا يكون غير مكرر لحصول التغاير بينهما لاجل تغاير المتعلقين وثم على بابها من المهلة وحذف متعلق العلم
في الافعال الثلاثة لان الغرض الفعل لا متعلقه وقال الزمخشري والمعنى لو تعلمون الخطا فيما انتم عليه اذا عاينتم ما امامكم
انتهى فقدر له مفعولا واحدا كانه جعله بمعنى عرف **فصل** قال ابن عباس كلا سوف تعلمون ما ينزل بكم من العذاب في القبور
ثم كلا سوف تعلمون في الاخرة اذا حل بكم العذاب فالتكرار للحالتين وروى زر بن حبيش عن علي رضي الله عنه قال كنا نشك في
عذاب القبر حتى نزلت هذه السورة فاشار الى ان قوله تعالى كلا سوف تعلمون في القبور وقيل كلا سوف تعلمون اذا نزل بكم
الموت وجاءتكم رسل ربكم بنزع ارواحكم ثم كلا سوف تعلمون في القيامة انكم معذبون وعلى هذا تضمنت احوال القيامة من بعث
وحشر وعرض وسوال الى غير ذلك من اهوال القيامة وقال الضحاك كلا سوف تعلمون ايها الكافرون وكذلك كان يقراها الاولى بالتاء
والثانية بالياء فالاول وعيد والثاني وعد **قوله تعالى** كلا لو تعلمون جواب لو محذوف اي لو تعلمون ما يوصف وقيل التقدير
لرجعتم عن كفركم قال ابن الخطيب وجواب لو محذوف وليس لترون جوابها لان هذا مثبت وجواب لو يكون منفيا ولانه عطف عليه
قوله ثم لتسالن وهو مستقبل لا بد من وقوعه وحذف جواب لو كثير قال الاخفش التقدير لو تعلمون علم اليقين ما الهاكم وقيل لو تعلمون
ماذا خلقتم له لاشتغلتم به وحذف الجواب افخم لانه يذهب الوهم معه كل مذهب قال تعالى لو يعلم الذين كفروا حين لا يكفون
وقال تعالى ولو ترى اذ وقفوا على ربهم واعاد كلا وهو زجر وتنبيه لانه عقب كل واحد بشي آخر كانه قال لا تفعلوا انكم ستندمون
لا تفعلوا فانكم تستوجبون العقاب وعلم اليقين مصدر قيل واصله العلم اليقين فاضيف الموصوف الى صفته وقيل الاضافة
الى ذلك لان العلم يكون يقينا وغير يقين فاضيف اليه اضافة العام للخاص وهذا يدل على ان اليقين اخص **فصل**
قال المفسرون اضاف العلم الى اليقين كقوله تعالى لهو حق اليقين قال قتادة اليقين هنا الموت وعنه ايضا البعث
لانه اذا جاء زال الشك اي لو تعلمون علم البعث او علم الموت فعبر عن الموت باليقين كقولك علم الطب وعلم الحساب والعلم اشد
من البواعث على العمل فاذا كان بحيث يمكن العمل كان تذكرة وموعظة وان كان بعد فوات العمل كان حسرة وندامة وفيها
تهديد عظيم للعلماء الذين لا يعملون بعلمهم **قوله تعالى** لترون الجحيم جواب قسم مضمر اي لترون الجحيم في الاخرة والخطاب
للكفار وقيل عام كقوله تعالى وان منكم الا واردها فهو للكفار مقر وللمومنين ممر وقرا ابن عامر والكسائي لترون مبنيا للمفعول
وهي منقولة من رأى الثلاثي الى راى اي رايته الشي فاكتسب مفعولا آخر فقام الاول مقام الفاعل وبقي الثاني منصوبا
والباقون مبنيا للفاعل جعلوه غير منقول فتعدى لواحد فقط فان الروية بصرية وامير المومنين وعاصم وابن كثير في رواية
عنهما بالفتح في الاولى والضم في الثانية يعني لترونها ومجاهد وابن ابي عبلة والاشهب بضمهما فيهما والعامة على ان الواوين
لا يهمزان لان حركتهما عارضة وقد نص مكي وابو البقاء على عدم جوازه وعلله الابعد من الحركة وقرا الحسن وابو عمرو بخلاف عنهما
بهمز الواوين استثقالا لضمة الواو وقال الزمخشري وهي مستكرهة يعني بعروض الحركة عليها الا انهم قد همزوا ما هو اولى
بعدم الهمز من هذه الواو نحو اشتروا الضلالة همزوا واشتروا بعضهم مع ان حركته عارضة وتزول في الوقف وحركة هذه الواو
وان كانت عارضة الا انها غير زائلة في الوقف فهي اولى بهمزها وقوله ثم لترونها عين اليقين هذا مصدر موكد كانه قيل رؤية اليقين

نفيا لتوهم المجاز في الرؤية الاولى وقال ابو البقا لان راي وعاين بمعنى **فصل** معنى الكلام لترون الجحيم
بابصاركم على البعد ثم لترونها عين اليقين اي مشاهدة وقيل هو اخبار عن دوام مقامهم في النار اي هي رؤية دائمة
متصلة والخطاب للكفار وقيل لو تعلمون علم اليقين معناه لو تعلمون اليوم في الدنيا علم اليقين بما امامكم مما وصفت
لترون الجحيم بعيون قلوبكم فان علم اليقين يريك الجحيم بعين فؤادك وهو ان تتصور لك نار القيامة ثم لترونها عين اليقين اي
عند المعاينة بعين الراس فتراها يقينا لا تغيب عن عينك ثم لتسألن يومئذ عن النعيم في موقف السؤال والعرض قال الحسن
لا يسأل عن النعيم الا اهل النار لان ابا بكر رضي الله عنه لما نزلت هذه الاية قال يا رسول الله صلى الله عليك ارأيت اكلة اكلتها
معك في بيت ابي الهيثم بن التيهان من خبز شعير ولحم وبسر وماء عذب أيكون من النعيم الذي نسأل عنه فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم انما ذلك للكفار ثم قرا عليه الصلاة والسلام وهل نجازي الا الكفور ولان ظاهر الاية يدل على ذلك لان الكفار
الهاهم التكاثر بالدنيا والتفاخر بلذاتها عن طاعة الله تعالى والاشتغال بشكره فالله تعالى يسألهم عنها يوم القيامة
حتى يظهر لهم ان الذي ظنوه لسعادتهم كان من اعظم الاسباب لشقاوتهم وقيل السؤال عام في حق المؤمن والكافر لقوله صلى
الله عليه وسلم اول ما يسأل العبد يوم القيامة عن النعيم فيقال له الم نصحح جسمك المرض ونروك من الماء البارد وقيل الزائد عما لا بد
منه وقيل غير ذلك قال ابن الخطيب والاولى على جميع النعم لان الالف واللام تفيد الاستغراق وليس صرف اللفظ الى البعض اولى
من صرفه الى الباقي فيسأل عنها هل شكرها ام كفرها واذا قيل ان هذا السؤال للكفار فقيل السؤال في موقف الحساب وقيل بعد
دخول النار يقال لهم انما حل بكم هذا العذاب لاشتغالكم في الدنيا بالنعيم عن العمل الذي ينجيكم من هذه النار ولو صرفتم عمركم
الى طاعة ربكم لكنتم اليوم من اهل النجاة والله اعلم

سورة والعصر

مكية وروي عن ابن عباس وقتادة انها مدنية وهي ثلاث ايات واربع عشرة كلمة وثمانية وستون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم
قوله تعالى والعصر قرأ العامة بسكون الصاد وسلام والعصر بكسرها والصبر بكسر البا قال ابن عطية وهذا لا يجوز الا في الوقف
على نقل الحركة وروي عن ابي عمرو بالصبر بسكون البا اشماما وهذا ايضا لا يجوز الا في الوقف انتهى ونقل هذه القراءة جماعة
كالهذلي وابي الفضل الرازي وابن خالويه قال الهذلي والعصر والصبر والفجر والوتر بكسر ما قبل الساكن في هذه كلها هارون
وابن موسى عن ابي عمرو والباقون بالاسكان كالجماعة انتهى فهذا اطلاق منه لهذه القراءة في حالتي الوقف والوصل وقال ابن خالويه
والصبر بنقل حركة الراء الى الباء ليكون فيحتاج ان ياتي ببعض الحركة في الوقف ولا الى ان يسكن فيجمع بين ساكنين وذلك لغة شائعة
وليست بشاذة بل مستفيضة وذلك دلالة على الاعراب وانفصال من التقاء الساكنين وتادية حق الموقوف عليه من السكون
انتهى فهذا يؤذن بما ذكر ابن عطية انه كان ينبغي وانشدوا على ذلك واصطفقا بالرجل • يريد بالرجل وقال آخر
انا جرير كنيتي ابو عمر • اضرب بالسيف وسعد بالقصر • والنقل جائز في الضمة كقوله اوجد البصر وله شروط والعصر
الليلة واليوم قال • وان يلبث العصران يوم وليلة • اذا طلبا ان يدركا ما تيمما • قال ابن عباس وغيره والعصر الدهر
ومنه قول الشاعر • سبيل الهوى وعر وبحر الهوى غمر • ويوم الهوى شهر وشهر الهوى دهر •
اقسم الله تعالى بالعصر لما فيه من الاعتبار للناظر بتصرف الاحوال وتبدلها وما فيها من الادلة على الصانع والعصران ايضا
الغداة والعشي قال الشاعر • وامطله العصرين حتى يملني • ويرضى بنصف الدين والانف راغم •
يقول اذا جاءني اول النهار وعدته آخره وقيل انه العشي وهو ما بين الزوال والغروب قاله الحسن وقتادة ومنه قول
الشاعر • تروح بنا عمرو وقد قصر العصر • وفي الروحة الاولى الغنيمة والاجر • • • • • •
وعن قتادة هو آخر ساعة من النهار فاقسم سبحانه باحد طرفي النهار كما اقسم بالضحى وهو احد طرفي النهار قاله ابو مسلم
وقيل اقسم تعالى بصلاة العصر وهي الوسطى لانها افضل الصلوات قاله مقاتل يقال اذن للعصر اي لصلاة العصر وصليت
العصر اي صلاة العصر وقال صلى الله عليه وسلم الصلاة الوسطى صلاة العصر وقيل اقسم بعصر النبي صلى الله عليه وسلم
لفضله بتجديد النبوة فيه وقيل معناه ورب العصر **فصل** قال مالك رضي الله عنه من حلف ان لا يكلم الرجل عصرا
لم يكلمه سنة قال ابن العربي انما حمل مالك رحمه الله يمين الحالف ان لا يكلم الرجل عصرا على السنة لانه اكثر ما قيل فيه وذلك على اصله
في تغليظ المعنى في الايمان وقال الشافعي رحمه الله يبر بساعة الا ان يكون له نية وبه اقول الا ان يكون الحالف عربيا فيقال له ما اردت
فاذا فسره بما يحتمله قبل منه الا ان يكون الاقل **قوله تعالى** ان الانسان لفي خسر هذا جواب القسم والمراد به العموم بدليل
الاستثناء منه وهو من جملة ادلة العموم وقال ابن عباس في رواية ابي صالح المراد به الكافر وقال في رواية الضحاك يريد جماعة
من المشركين الوليد بن المغيرة والعاص بن وائل والاسود بن عبد المطلب بن اسد بن عبد العزى والاسود بن عبد يغوث وقوله تعالى لفي خسر
اي لفي غبن وقال الاخفش لفي هلكة وقال الفراء لفي عقوبة ومنه قوله تعالى وكان عاقبة امرها خسرا وقال ابن زيد لفي شر وقيل
لفي نقص وقرأ العامة لفي خسر بسكون السين وزيد بن علي وابن هرمز وعاصم في رواية وزاد القرطبي والاعرج وطلحة وعيسى الثقفي
بضمها وهي كالعسر واليسر وقد تقدم في البقرة والوجه فيها الاتباع وقيل خسر وخسر مثل عسر وعسر وكان علي رضي الله
عنه يقرؤها والعصر ونوائب الدهر ان الانسان لفي خسر وانه فيه الى آخر الدهر وقال ابراهيم ان الانسان اذا عمر في الدنيا وهرم لفي نقص
وضعف وتراجع الا المؤمنين فانه يكتب لهم اجورهم التي كانوا يعملونها في حال شبابهم ونظيره قوله تعالى ولقد خلقنا الانسان
في احسن تقويم ثم رددناه اسفل سافلين قال وقراءتنا والعصر ان الانسان لفي خسر وانه في آخر الدهر والصحيح ما عليه الامة
والمصاحف وقيل المعنى ان الانسان لا ينفك من تضييع عمره لان كل ساعة تمر بالانسان فان كانت في معصية فالخسر ظاهر وكذلك
ان مرت في مباح وان صرفت في طاعة فكان يمكن ان ياتي بها على وجه اكمل اي من الخشوع والاخلاص وترك الاعلى والاتيان بالادنى
نوع خسران والخسر والخسران مصدران وتنكير الخسر اما للتعظيم واما للتحقير بالنسبة الى خسر الشياطين والاول اظهر
وافراد الخسر مع كثرة انواعه لان الخسر الحقيقي هو حرمانه عن خدمة ربه سبحانه وما عدا ذلك فكالعدم وفيه مبالغات دخول ان
واللام واحاطة الخسر به اي هو في طريق خسر او سبب خسر **قوله تعالى** الا الذين آمنوا استثناء من الانسان اذ المراد به الجنس
على الصحيح وعملوا الصالحات اي ادوا الفرائض المفترضة عليهم وهم اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابي بن كعب رضي الله عنه
قرأت على رسول الله صلى الله عليه وسلم والعصر ثم قلت ما تفسيرها يا نبي الله صلى الله عليك وسلم قال والعصر قسم من الله اقسم
ربكم بآخر النهار ان الانسان لفي خسر ابو جهل الا الذين آمنوا ابو بكر وعملوا الصالحات عمر وتواصوا بالحق عثمان وتواصوا بالصبر علي
رضي الله عنهم اجمعين وهكذا خطب ابن عباس على المنبر موقوفا عليه ومعنى تواصوا اي تحابوا اوصى بعضهم بعضا وحث بعضهم بعضا
بالحق اي بالتوحيد كذا روى الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنه وقال قتادة بالحق اي بالقرآن وقال السدي الحق هنا الله تعالى وتواصوا
بالصبر على طاعة الله والصبر عن معاصيه روى الثعلبي عن ابي رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة والعصر
ختم الله له بالصبر وكان مع اصحاب الحق يوم القيامة والله تعالى اعلم بالصواب واليه المرجع والمآب

سورة الهمزة

مكية وهي تسع آيات وثلاث وثلاثون كلمة ومائة وثلاثون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم **قوله تعالى** ويل لكل همزة لمزة
الويل لفظ الذم والسخط وهي كلمة كل مكروب وقد تقدم الكلام في الويل ومعناه الخزي والعذاب والهلكة وقيل واد في جهنم
لكل همزة اي كثير الهمز وكذلك اللمزة الكثير اللمز وتقدم معنى الهمز في سورة نون واللمز في سورة براءة والعامة على فتح ميمهما على ان المراد
الشخص الذي كثر منه ذلك الفعل قال زياد الاعجم • تدلي بودي اذا لاقيتني كذبا • وان اغيب فانت الهامز اللمزه • وقرأ ابو جعفر
والاعرج بالسكون وهو الذي يهمز ويلمز اي ياتي بما يهمز به ويلمز كالضحكة لمن يكثر ضحكه والضحكة لمن ياتي بما يضحك منه وهو
مطرد يعني ان فعله بفتح العين لمن يكثر منه الفعل وبسكونها لمن يكون الفعل بسببه قال ابن عباس هم المشاؤون بالنميمة المفرقون
بين الاحبة الباغون للبرآء العيب فعلى هذا هما بمعنى وقال صلى الله عليه وسلم شرار عباد الله تعالى المشاؤون بالنميمة المفرقون
بين الاحبة الباغون للبرآء العيب وعن ابن عباس رضي الله عنه القتات واللمزة المغتاب القتات هو النمام يقال قت الحديث يقته
اذا زوره وهيأه وسواه وقيل النمام الذي يكون مع القوم يتحدثون فينم عليهم والقتات الذي يتسمع على القوم وهم
لا يعلمون ثم ينم والقتات الذي يسأل عن الاخبار ثم ينمها نقله ابن الاثير وقال ابو العالية والحسن ومجاهد وعطاء بن ابي
رباح الهمزة الذي يغتاب ويطعن في وجه الرجل واللمزة الذي يغتابه من خلفه وهذا اختيار النحاس قال ومنه قوله تعالى ومنهم
من يلمزك في الصدقات وقال مقاتل ضد هذا القول ان الهمزة الذي يغتاب بالغيبة واللمزة الذي يغتاب في الوجه وقال
قتادة ومجاهد الهمزة الطعان في انسابهم وقال ابن زيد الهامز الذي يهمز الناس بيده ويضربهم واللماز الذي يلمزهم بلسانه
ويلمز بعينه وقال ابن كيسان الهمزة الذي يؤذي جلساءه بسوء اللفظ واللمزة الذي يكسر عينه ويشير بعينه وراسه وبحاجبيه
وقرأ عبد الله بن مسعود وابو وائل والنخعي والاعمش ويل للهمزة اللمزة واصل الهمز الكسر والعض على الشيء بعنف ومنه همز الحرف
وهمز راسه وهمزت الجوز بكفي كسرته وقيل اصل الهمز واللمز الدفع والضرب لمزه يلمزه لمزا اذا ضربه ودفعه وكذلك همزه
اي دفعه وضربه قال الراجز • ومن همزنا عزه تبركعا • على استه زوبعة او زوبعا • البركعة القيام على اربع وبركعه

فتبركم اي صرعه فوقع على استه قاله في الصحاح **فصل** روى الضحاك عن ابن عباس انها نزلت في الاخنس بن شريق كان يلمز الناس ويعيبهم مقبلين ومدبرين وقال ابن جريج نزلت في الوليد بن المغيرة كان يغتاب النبي صلى الله عليه وسلم من ورائه ويقدح فيه في وجهه وقيل نزلت في ابي بن خلف وقيل في جميل بن عامر الثقفي وقيل انها عامة من غير تخصيص وهو قول الاكثر وقال مجاهد ليست بخاصة لاحد بل لكل من كانت هذه صفته وقال الفراء يجوز ان يذكر الشيء العام ويقصد به الخاص اذ قال لا ازورك ابدا فيقول من لم يزرني فلست بزائره يعني ذلك القائل **فصل** قال ابن الخطيب فان قيل لم قال ههنا ويل منكرا وفي موضع اخر ولكم الويل معرفا فالجواب لان ثمة قالوا يا ويلنا انا كنا ظالمين فقال ولكم الويل معرفا وههنا نكر حتى لا يعلم كنهه الا الله تعالى وقيل في ويل انها كلمة تقبيح وويس استصغار وويح ترحم فنبه بهذا على قبح هذا الفعل **قوله تعالى** الذي جمع قرا ابن عامر والاخوان بتشديد الميم على المبالغة والتكثير ولانه يوافق عدده والباقون مخففا وهي محتملة للتكثير وعدمه وقوله تعالى وعدده العامة على تثقيل الدال الاولى وهي ايضا للمبالغة وقرا الحسن والكلبي بتخفيفها وفيه اوجه احدها ان المعنى جمع مالا وعدد ذلك المال اي وجمع عدده اي احصاه والثاني ان المعنى وجمع عدد نفسه من عشيرته واقاربه وعدده على هذين التاويلين اسم معطوف على مالا اي وجمع عدد المال او عدد نفسه الثالث ان عدده فعل ماض بمعنى عده الا انه شذ في اظهاره كما شذ في قوله • اني اجود لاقوام وان ضنوا • اي ضنوا وبخلوا فاظهر التضعيف والذي بدل من كل او نصب على الذم وانما وصفه تعالى بهذا الوصف لانه يجري مجرى السبب والعلة في الهمز واللمز وهو اعجابه بما جمع من المال وظنه ان الفضل فيه فلاجل ذلك يستنقص غيره **فصل** قال المفسرون جمع مالا وعدده اي اعده لنوايب الدهر مثل كرم واكرم وقيل احصى عدده قاله السدي وقال الضحاك اي اعد ما له لمن يرثه من اولاده وقيل فاخر بعدده وكثرته والمقصود الذم على امساك المال على سبيل الطاعة كقوله تعالى مناع للخير وقوله تعالى وجمع فاوعى **قوله تعالى** يحسب يجوز ان تكون مستانفة وان تكون حالا من فاعل جمع واخلده بمعنى يخلده فاوقع الماضي موقع المضارع وقيل هو على اصله اي اطال عمره قال السدي اي يظن ان ماله اخلده اي يبقيه حيا لا يموت وقال عكرمة اي يزيد في عمره وقيل احياه فيما مضى وهو ماض بمعنى المستقبل يقال هلك والله فلان ودخل النار اي يدخل النار **قوله تعالى** كلا ردع لما توهم الكفار اي لا يخلد ولا يبقى له مال وقيل حقا لينبذن **قوله تعالى** لينبذن جواب قسم مقدر وقرا علي والحسن رضي الله عنهما بخلاف عنه ومحمد بن كعب ونصر بن عاصم ومجاهد وحميد وابن محيصن وابو عمرو في رواية لينبذان بالف التثنية اي لينبذان اي هو وماله وعن الحسن ايضا لينبذن بضم الذال وهو مسند لضمير جماعة اي ليطرحن الهمزة وانصاره واللمزة والمال وجامعه جميعا وقرا الحسن ايضا لينبذنه على معنى لينبذن ماله وعنه ايضا بالنون اي لننبذنه على اخبار الله تعالى عن نفسه انه ينبذ صاحب المال في الحطمة وفي الحطمة سميت بذلك لانها تكسر كل ما يلقى فيها وتحطمه وتهشمه والحطمة الكثير الحطم ويقال رجل حطمة اي اكول وحطمته كسرته والحطام منه قال الشاعر • قد لفها الليل بسواق حطم • وقال اخر • انا حطمنا بالقضيب مصعبا • يوم كسرنا انفه ليغضبا • حكى الماوردي عن الكلبي ان الحطمة هي الطبقة السادسة من طبقات جهنم وحكى القشيري عنه الحطمة الدرجة الثانية من درج النار وقال الضحاك هي الدرك الرابع وقال ابن زيد اسم من اسماء جهنم **قوله تعالى** وما ادراك ما الحطمة تعظيم لشانها وتفخيم لامرها ثم فسرها ما هي فقال نار الله الموقدة اي هي نار الله التي اوقد عليها الف عام حتى احمرت والف عام حتى ابيضت والف عام حتى اسودت **قوله تعالى** التي تطلع يجوز ان تكون تابعة لنار الله وان تكون مقطوعة قال محمد بن كعب تاكل النار جميع اجسادهم حتى اذا بلغت الفؤاد خلقوا خلقا جديدا فرجعت تاكلهم وكذا روى خالد بن ابي عمران عن النبي صلى الله عليه وسلم ان النار تاكل اهلها حتى اذا اطلعت على افئدتهم انتهت ثم اذا صدروا تعود فذلك قوله تعالى نار الله الموقدة التي تطلع على الافئدة وخص الافئدة لان الالم اذا صار الى الفؤاد مات صاحبه اي انهم في حال من يموت ولا يموتون كقوله تعالى لا يموت فيها ولا يحيى فهم احياء في معنى الاموات وقيل معنى تطلع على الافئدة اي تعلم مقدار ما يستحقه كل واحد منهم من العذاب يقال اطلع فلان على كذا اي علمه **قوله تعالى** انها عليهم مؤصدة اي مطبقة عليهم قاله الحسن والضحاك وقد تقدم في سورة البلد وقيل مغلقة بلغة قريش يقولون اصدت الباب اذا اغلقته قاله مجاهد ومنه قول عبد الله بن قيس الرقيات

• ان في القصر لو دخلنا غزالا • مصفقا موصدا عليه الحجاب •

قوله تعالى في عمد قرا الاخوان وابو بكر بضمتين جمع عمود نحو رسول ورسل وقيل جمع عماد نحو كتاب وكتب وروي عن ابي عمرو الضم والسكون وهو تخفيف لهذه القراءة والباقون عمد بفتحتين فقيل اسم جمع لعمود وقيل بل هو جمع له قاله الفراء كاديم وادم وقال ابو عبيدة وهو جمع عماد وفي عمد يجوز ان يكون حالا من الضمير في عليهم اي موثقين وان يكون خبر المبتدا مضمر اي هي في عمد وان يكون صفة لموصدة قاله ابو البقاء فتكون النار داخل العمد وقال القرطبي الفاء بمعنى الباء اي موصدة بعمد ممددة قاله ابن مسعود وهي في قراءته بعمد ممددة قال الجوهري العمد جمع عمود البيت وجمع القلة اعمدة وجمع الكثرة عمد وعمد وقرئ بهما

في قوله تعالى في عمد ممددة وقال ابو عبيدة العمد كل مستطيل من خشب او حديد وقيل اصل البناء مثل العماد عمد السقف فالمعنى اي فاتمه بعماد يعتمد عليه واعمدت جعلت تحته عمدا **فصل** قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تبارك وتعالى يبعث عليهم ملائكة باطباق من نار ومسامير من نار وعمد من نار فتطبق عليهم بتلك الاطباق وتسد تلك المسامير وتمد بتلك العمد فلا يبقى فيها خلل يدخل منه روح ولا يخرج منه غم فيكون كلامهم فيها زفير وشهيق فذلك قوله تعالى انها عليهم مؤصدة في عمد ممددة وقال قتادة عمد يعذبون بها واختاره الطبري وقال ابن عباس ان العمد الممددة اغلال في اعناقهم وقال ابو صالح قيود في ارجلهم وقال القشيري العمد اوتاد الاطباق وقيل المعنى في دهور ممدودة لا انقطاع لها قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا ويل لكل همزة اعطي من الاجر حسنات بعدد من استهزا بمحمد صلى الله عليه وسلم

سورة الفيل

مكية وهي خمس ايات وعشرون كلمة وستة وتسعون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم **قوله تعالى** الم تر كيف فعل ربك باصحاب الفيل هذه قراءة الجمهور على فتح الراء وحذف الالف للجزم وقرا السلمي بسكون الراء كانه لم يعتد بحذف الالف كقولهم لم ابله وقرا ايضا ترء بسكون الراء وهمزة مفتوحة وهو الاصل وكيف معلقة للرؤية وهي منصوبة بفعل بعدها لا بالم تر لان كيف من معنى الاستفهام **فصل** المعنى الم تخبر وقيل الم تعلم وقال ابن عباس الم تسمع واللفظ استفهام والمعنى تقرير والخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم ولكنه عام اي الم تروا ما فعلت باصحاب الفيل اي قد رايتم ذلك وعرفتم موضع منتي عليكم فما لكم لا تؤمنون **فصل** الفيل معروف والجمع افيال وفيول وفيلة قال ابن السكيت ولا يقال افيلة وصاحبه فيال قال سيبويه يجوز ان يكون اصل فيل فعل فكسر من اجل الياء كما قالوا ابيض وبيض وقال الاخفش هذا لا يكون في الواحد انما يكون في الجمع ورجل فيل الراي اي ضعيف الراي والجمع افيال ورجل فال اي ضعيف الراي مخطي الفراسة وقد فال الراي يفيل فيولة وفيل رايه تفييلا اي ضعف فهو فيل الراي **فصل** روي ان ابرهة بن الصباح الاشرم ملك اليمن بنى كنيسة بصنعاء لم ير مثلها وسماها القليس واراد ان يصرف اليها الحاج فخرج رجل من بني كنانة مختفيا وجعل يبول ويتغوط في تلك الكنيسة ليلا فاغضبه لذلك وقيل اجج نارا فحملتها الريح فاحرقتها فقال من صنع هذا فقيل له رجل من اهل البيت الذي يحج العرب اليه فحلف ليهدمن الكعبة فخرج بجيشه ومعه فيل اسمه محمود وكان قويا عظيما وثمانية اخرى وقيل اثنا عشر وقيل الف وبعث رجلا الى بني كنانة يدعوهم الى حج تلك الكنيسة فقتلت بنو كنانة ذلك الرجل فزاد ذلك ابرهة غضبا وحنقا فسار ليهدم الكعبة فلما بلغ قريبا من مكة خرج اليه عبد المطلب وعرض عليه ثلث اموال تهامة ليرجع فابى وقدم الفيل فكانوا كلما وجهوه الى الحرم برك واذا وجهوه الى اليمن او الى سائر الجهات هرول ثم ان ابرهة اخذ لعبد المطلب مائتي بعير فخرج اليهم بسببها فلما راه ابرهة عظم في عينه وكان رجلا جسيما وقيل له هذا سيد قريش وصاحب عير مكة فنزل ابرهة عن سريره وجلس معه على بساط ثم قال لترجمانه قل له ما حاجتك فلما ذكر حاجته قال له سقطت من عيني جئت لاهدم البيت الذي هو دينك ودين ابائك لا تكلمني فيه والهاك عنه ذود لك اصبتها فقال له عبد المطلب انا رب الابل وان للبيت ربا سيمنعه ثم رجع واتى البيت فاخذ بحلقة باب الكعبة وقام معه نفر من قريش يدعون الله تبارك وتعالى ويستنصرونه على ابرهة وجنده فقال عبد المطلب

• لاهم ان العبد يمنع رحله فامنع حلالك •
• لا يغلبن صليبهم ومحالهم عدوا محالك •
• ان يدخلوا البيت الحرام فامر ما قد بدا لك •

• يا رب لا ارجو لهم سواكا • يا رب فامنع منهم حماكا • ان عدو البيت من عاداكا • انهم لن يقهروا قواكا •

فالتفت وهو يدعو فاذا هو بطير من ناحية اليمن فقال انها والله لطير غريبة ما هي بنجدية ولا تهامية وكان مع كل طير حجر في منقاره وحجران في رجليه اكبر من العدسة واصغر من الحمصة قال الراوي فارسل عبد المطلب حلقة باب الكعبة ثم انطلق هو ومن معه من قريش الى شعف الجبال فتحرزوا فيها ينتظرون ما يفعل ابرهة اذ دخل مكة فارسل الله عليهم طيرا من البحر امثال الخطاطيف والبلسان مع كل طائر منها ثلاثة احجار فكان الحجر يقع على راس الرجل فيخرج من دبره وعلى كل حجر اسم من يقع عليه فهلكوا في كل طريق ومنهل روي عن ابن عباس رضي الله عنه انه راى من تلك الاحجار عند ام هانئ نحو قفيز مخططة بحمرة كالجزع الظفاري قال الراوي وليس كلهم اصابت وخرجوا هاربين يبتدرون الطريق التي منها جاءوا وروي ان ابرهة تساقطت انامله وما مات حتى انصدع صدره عن قلبه وانقلب هو ووزيره ابو يكسوم وطائر يحلق فوقه حتى قدم صنعاء وهو مثل

فرخ الطاير وقيل هو من اهل النجاشي فقص عليه القصه فلما انتهى وقع عليه الحجر فخر ميتا بين يديه **فصل** حكى الماوردي
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ولدت عام الفيل وروي انه صلى الله عليه وسلم قال يوم الفيل وقال في اعلام النبوة ولد رسول الله صلى الله
عليه وسلم يوم الاثنين الثاني عشر من ربيع الاول وكان بعد الفيل بخمسين يوما ووافق من شهور الروم العشرين من شباط في السنة الثانية
عشر من ملك هرمز بن نوشروان قال وحكى ابو جعفر الطبري ان مولده صلى الله عليه وسلم كان لاثنين واربعين سنة من ملك انوشروان
وقد قيل انه صلى الله عليه وسلم حملت به امه آمنة في يوم عاشوراء من شهر المحرم حكاه ابن شاهين ابو حفص في فضائل يوم عاشوراء وولد
يوم الاثنين لاثني عشر ليلة خلت من شهر رمضان فكانت مدة حمله صلى الله عليه وسلم ثمانية اشهر كاملة ويومين من التاسع وقال ابن
العربي قال ابن وهب عن مالك ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفيل وقال قيس بن مخرمة ولدت انا ورسول الله صلى الله
عليه وسلم عام الفيل وقال عبد الملك بن مروان لقباث بن اشيم انت اكبر ام النبي صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم اكبر مني
وانا اسن منه ولد النبي صلى الله عليه وسلم عام الفيل وانا ادركت سابقه وقايده اعميين مقعدين يستطعمان الناس **فصل**
قال بعض العلما كانت قصة الفيل مما يعد من معجزاته صلى الله عليه وسلم وان كانت قبله وقبل التحدي لانها كانت
توكيدا لامره وتمهيدا لشانه ولما تلى عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه السورة كان بمكة عدد كثير ممن شهد تلك الواقعة
ولهذا قال الم تر ولم يكن بمكة احد الا وقد راى قايد الفيل وسايقه اعميين يتكففان الناس قالت عايشة رضي الله عنها
مع حداثة سنها لقد رايت قايد الفيل وسايقه اعميين يستطعمان **قوله تعالى** الم يجعل كيدهم في تضليل اي في ابطال و
تضييع والكيد هو ارادة مضر بالغير لانهم ارادوا ان يكيدوا قريشا بالقتل والسبي والبيت بالتخريب والهدم قالت المعتزلة
اضافة الكيد اليهم دليل على انه تعالى لا يرضى بالقبيح اذ لو رضي لاضافه الى ذاته **قوله تعالى** وارسل عليهم طيرا ابابيل قال النحاة
ابابيل نعت لطير لانه اسم جمع وابابيل قيل لا واحد له كاساطير وعباديد وقيل واحده ابول كعجول وقيل ابال وقيل ابيل مثل
سكين وحكى الرقاشي انه جمع ابالة بالتشديد وحكى الفرا ابالة بالمخففة **فصل** الابابيل الجماعات شيا بعد شي قال
• طريق وصاروا صوله • عليه ابابيل من الطير [illegible] •
وقد يستعار لغير الطير كقوله • كادت تهد من الاصوات راحلتي • اذ سالت الارض بالجرد الابابيل • قال ابو عبيدة ابابيل جماعات
في تفرقة يقال جاءت الخيل ابابيل من هاهنا وهاهنا قال سعيد بن جبير كانت طيرا من السماء لم ير مثلها وروى الضحاك عن ابن عباس
رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انها طير بين السماء والارض تعشعش وتفرخ وعن ابن عباس رضي الله عنه
كان لها خراطيم كخراطيم الفيلة واكف كاكف الكلاب وقال عكرمة كانت طيرا خضرا خرجت من البحر لها رؤوس كرؤوس السباع ولم تر قبل
ذلك ولا بعده وقالت عايشة رضي الله عنها هي اشبه شي بالخطاطيف وقيل بل كانت اشبه بالوطاويط وقيل انها العنقا التي
تضرب بها الامثال قال النحاس وهذه الاقوال متفقة المعنى لان حقيقة المعنى انها جماعات عظام يقال فلان يؤبل على فلان
اي يعظم عليه ويكثر وهو مشتق من الابل **فصل** قال ابن الخطيب هذه الاية رد على الملحدين جدا لانهم ذكروا في
الزلازل والرياح والصواعق والخسف وساير الاشياء التي عذب الله تعالى بها الامم اعذارا ضعيفة اما هذه الواقعة فلا يجري
فيها تلك الاعذار ولا في شي من الطبايع والحيل ان تقصد طير معها حجارة فتقصد قوما دون قوم فتقتلهم ولا يمكن ان يقال انه
كساير الاحاديث الضعيفة لانه لم يكن بين عام الفيل ومبعث الرسول الا نيف واربعون سنة ويوم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم
هذه الاية كان قد بقي جمع شاهدوا تلك الواقعة فلا يجري فيها تلك الاعذار ولو كان النقل ضعيفا لكذبوه فعلمنا انه لا سبيل
للطعن فيه **قوله تعالى** ترميهم بحجارة ترميهم صفة لطير وقرا العامة ترميهم بالتاء وابو حنيفة وابو عمرو وعيسى وطلحة بالياء من اسفل
وهما واضحتان لان اسم الجمع يذكر ويؤنث ومن التانيث قوله • كالطير ينجو من الشؤبوب ذي البرد • وقيل الضمير لربك اي يرميهم
ربك بحجارة من سجيل صفة لحجارة والسجيل قال الجوهري قالوا حجارة من طين طبخت بنار جهنم مكتوب فيها اسماء القوم لقوله تعالى
لنرسل عليهم حجارة من طين وقال عبد الرحمن بن ابزى من سجيل اي من السماء وهي الحجارة التي نزلت على قوم لوط وقيل من الجحيم وهي
سجين ثم ابدلت اللام نونا كما قالوا اصيلال واصيلان قال ابن مقبل • ضربا تواصت به الابطال سجيلا • وانما هو سجينا
وقال الزجاج من سجيل اي مما كتب عليهم ان يعذبوا به مشتقا من السجل وقد تقدم القول في السجيل في سورة هود قال عكرمة
كانت اذا اصابت احدهم الحجر خرج منه الجدري ولم ير قبل ذلك اليوم وقال ابن عباس رضي الله عنه كان الحجر اذا وقع على احدهم نفط
جلده فكان ذلك اول الجدري قال يونس وابو عبيدة والسجيل عند العرب الشديد الصلب قال وزعم بعض المفسرين انهما كلمتان
بالفارسية جعلتهما العرب كلمة واحدة وانما هو سنج وجيل فالسنج الحجر والجيل الطين اي من هذين الجنسين الحجر والطين قال ابو اسحق
وحدثني يعقوب بن عتبة انه قال اول ما رايت الحصبة بارض العرب ذلك وانه اول ما رايت بها مرائر الشجر الحرمل والحنظل والعشار
ذلك العام **قوله تعالى** فجعلهم كعصف ماكول كعصف هو المفعول الثاني لجعل بمعنى التصيير ومن مبالغة حسنة وهو انه لم يكفهم
ان جعلهم اهون شي من الزرع وهو ما لا يجدي طائلا حتى جعلهم رجيعا والمعنى جعل الله تعالى اصحاب الفيل كورق الزرع اذا اكله

الدواب فرمت به من اسفل قاله ابن زيد وغيره والعصف جمع واحده عصفة وعصافة وعصيفة وادخل الكاف في كعصف للتشبيه
مع مثل كقوله تعالى ليس كمثله شي ومعنى ماكول ان المراد به قشر البر يعني الغلاف الذي يكون فيه حبة القمح وروي ان الحجر كان يقع
على احدهم فيخرج كل ما في جوفه فيبقى كقشر الحنطة اذا خرجت منه الحبة قال ابن اسحق لما رد الله تعالى الحبشة عن مكة عظمت
العرب قريشا وقالوا اهل الله قاتل الله عنهم وكفاهم مؤنة عدوهم فكان ذلك نعمة من الله عليهم روى الثعلبي عن ابي
رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الفيل عافاه الله تعالى ايام حياته من المسخ والقذف والله اعلم

سورة قريش

مكية في قول الجمهور مدنية في قول الضحاك والكلبي وهي اربع ايات وسبع عشرة كلمة وثلاث وسبعون حرفا بسم الله
الرحمن الرحيم **قوله تعالى** لايلاف قريش في متعلق هذه الاية اوجه احدها انه ما في السورة قبلها من قوله تعالى فجعلهم كعصف
قال الزمخشري وهذا بمنزلة التضمين في الشعر وهو ان يتعلق معنى البيت بالذي قبله تعلقا لا يصح الا به وهما في مصحف ابي
سورة واحدة بلا فصل وعن عمر رضي الله عنه انه قراهما في الثانية من صلاة المغرب وفي الاولى بسورة التين انتهى والى هذا ذهب
الاخفش الا ان الحوفي وجماعة ردوا هذا القول بانه لو كان كذا لكان لايلاف بعض سورة الم تر وفي اجماع الجميع على الفصل بينهما
ما يدل على عدم ذلك الثاني انه مضمر تقديره فعلنا ذلك اي اهلكنا اصحاب الفيل لايلاف قريش اي لتالف قريش او لتتفق قريش او لكي
تامن قريش فتولف رحلتيها وقيل تقديره اعجبوا الثالث انه قوله تعالى فليعبدوا لايلافهم فانها اظهر نعمة عليهم قال الزمخشري
وهو قول الخليل قبله وقراءة ابن عامر لالاف دون يا قبل اللام الثانية والباقون لايلاف بيا قبلها واجمع الكل على اثبات
اليا في الثاني وهو ايلافهم ومن غريب ما اتفق في هذين الحرفين ان القرا اختلفوا في سقوط اليا وثبوتها في الاول مع اتفاق المصاحف
على اثباتها خطا واتفقوا على اثبات اليا في الثاني مع اتفاق المصاحف على سقوطها فيه خطا وهذا دليل على ان القرا متبعون
الاثر والرواية لا مجرد الخط فاما قراءة ابن عامر ففيها وجهان احدهما انه مصدر لالف ثلاثيا يقال الفته الافا نحو كتبته كتابا
يقال الفته الفا والافا وقد جمع الشاعر بينهما في قوله • زعمتم ان اخوتكم قريش • لهم الف وليس لكم الاف •
والثاني انه مصدر لالف رباعيا نحو قاتل قتالا وقال الزمخشري اي لمؤالفة قريش واما قراءة الباقين فمصدر الف رباعيا
بزنة اكرم يقال الفته اولفه ايلافا قال الشاعر • من المؤلفات الرمل ادماء حرة • شعاع الضحى في متنها يتوضح •
وقرا عاصم في رواية ائلافهم بهمزتين الاولى مكسورة والثانية مكسورة وهي شاذة لانه يجب في مثله ابدال الثانية حرفا
مجانسا كايمان وروي عنه ايضا بهمزتين مكسورتين بعدهما يا ساكنة وخرجت على انه اشبع كسر الهمزة الثانية فتولد منها يا
وهذه اشذ من الاولى ونقل ابو البقا اشذ منها فقال بهمزة مكسورة بعدها يا ساكنة بعدها همزة مكسورة وهو بعيد ووجهها
انه اشبع الكسرة فنشات اليا وقصد بذلك الفصل بين الهمزتين كالالف في ءانذرتهم وقرا ابو جعفر لالف قريش بزنة قرد وقد
تقدم انه مصدر لالف كقوله • لهم الف وليس لكم الاف • وعنه ايضا وعن ابن كثير الفهم وهي ساكنة اللام بغير يا وهي قراءة
مجاهد وحميد وروت اسماء رضي الله عنها انها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرا الفهم وهو مروي ايضا عن ابن عباس رضي الله
عنهما وغيره وعنه ايضا وعن ابن عامر الاهم مثل كتابهم وعنه ايضا ليلاف بياء ساكنة بعد اللام وذلك انه لما ابدل الثانية حذف الاولى
على غير قياس وقرا عكرمة ليالف قريش بفعل مضارع وعنه ليالف على الامر واللام مكسورة وعنه فتحها مع الامر وهي لغة **فصل**
قد تقدم ان هذه السورة متصلة بما قبلها في المعنى اي اهلكنا اصحاب الفيل لايلاف قريش اي لتالف قريش او لتتفق قريش او لتامن
قريش فتولف رحلتيها قال ابن الخطيب فان قيل انما كان الاهلاك لكفرهم فلما جزاء الكفر فسيكون يوم القيمة تجزى كل نفس بما
كسبت ولان كفرهم مشترك بينهم وبين غيرهم سلمناه لكن لا يمتنع ان يكون للامرين معا سلمناه لكن تكون اللام لام العاقبة
او يكون المعنى الم تر كيف فعل ربك باصحاب الفيل لايلاف قريش اي كل ما تضمنته السورة لايلافهم او تكون اللام بمعنى الى اي فعلنا
هذه النعم مضافا الى نعمة ايلافهم قريش وقال الكسائي والاخفش اللام في قوله تعالى لايلاف قريش لام التعجب اي اعجبوا لايلاف قريش
نقله القرطبي قال الفرا هذه السورة متصلة بالسورة الاولى لانه ذكر اهل مكة نعمته عليهم فيما فعل بالحبشة ثم قال جل وعلا
لايلاف قريش اي فعلنا ذلك باصحاب الفيل نعمة منا على قريش وذلك ان قريشا كانت تخرج في تجارتها فلا يغار عليها في الجاهلية
يقولون هم اهل بيت الله حتى جاء صاحب الفيل ليهدم الكعبة فاهلكه الله تعالى فذكرهم نعمته اي فجعل الله تعالى ذلك لايلاف قريش
ليالفوا الخروج ولا يجترا عليهم قاله مجاهد وابن عباس في رواية سعيد بن جبير عنه قال ابن عباس لايلاف قريش قال نعمتي على قريش ايلافهم
رحلة الشتا والصيف قال كانوا يشتون بمكة ويصيفون بالطايف وعلى هذا القول يجوز الوقف على رؤوس الاي وان لم يكن الكلام

تماما قال ابن الخطيب والمشهور انهما سورتان ولا يلزم من التعلق الاتحاد لان القران كسورة واحدة وقال الخليل الهمزة متصلة كانه قال الف الله قريشا ايلافا فليعبدوا رب هذا البيت واللام متعلقة بقوله تعالى فليعبدوا اي فليعبدوا رب هذا البيت لايلافهم رحلة الشتاء والصيف للامتياز وجعل ما بعد الفا على ما قبلها لانها زائدة غير عاطفة كقولك زيدا فاضرب واما مصحف ابي فيعارض باطباق الكل على الفصل بينهما واما قراءة عمر رضي الله عنه فالامام قد يقرا سورتين قال ابن العربي وليست المواقف التي سترع بها القران عام وبا وانما ارادوا به تعليم الطلبة المعاني فاذا علموها وقفوا حيث شاؤا ولا دليل على ما قالوه بحال ولكن اعتمدوا الوقف على التمام كراهية الخروج عنهم قال القرطبي رحمه الله واجمع المسلمون على ان الوقف عند قوله تعالى كعصف ماكول ليس بقبيح وكيف يقال بقبحه وهذه السورة تقرا في الركعة الاولى والتي بعدها في الركعة الثانية ولا يمنع الوقف على اعجاز الايات سواء تم الكلام ام لا **فصل** قريش اسم القبيلة قيل هم ولد النضر بن كنانة وكل من ولد النضر فهو قرشي دون كنانة وهو الصحيح وقيل هم ولد فهر بن مالك بن النضر بن كنانة فمن لم يلده فهر فليس بقرشي فوقع الوفاق على ان بني فهر قرشيون وعلى ان كنانة ليسوا بقرشيين ووقع الخلاف في النضر ومالك واختلف في اشتقاقه على وجوه احدها انه من التقرش وهو التجمع سموا بذلك لاجتماعهم بعد افتراقهم قال الشاعر • ابونا قصي كان يدعى مجمعا • به جمع الله القبائل من فهر • والثاني انه من القرش وهو الكسب كانت قريش تجارا يقال قرش يقرش اي كسب الثالث انه من التفتيش يقال قرش يقرش عني اي فتش وكانت قريش يفتشون على ذوي الخلات فيسدوا خلتهم قال الشاعر

• ايها الشامت المقرش عنا • عند عمرو فهل له ابقاء •

الرابع ان معوية سال ابن عباس لم سميت قريش قريشا فقال سميت بدابة في البحر يقال لها القرش من اقوى دوابه تاكل ولا توكل وتعلو ولا تعلى وانشد قول تبع حيث قال

• وقريش هي التي تسكن البحر	• وبه سميت قريش قريشا •
• تاكل الغث والسمين ولا	• تترك لذي الجناحين ريشا •
• هكذا في البلاد حي قريش	• ياكلون البلاد كميشا •
• ولهم اخر الزمان نبي	• يكثر القتل فيهم والخموشا •

ثم قريش اما ان يكون مصغرا من مزيد على الثلاثة فيكون تصغير ترخيم فقيل الاصل مقرش وقيل قارش واما ان يكون مصغرا من ثلاثي نحو القرش واجمعوا على صرفه هنا مرادا به الحي ولو اريد به القبيلة لامتنع من الصرف كقوله

• غلب المساميح الوليد سماحة • وكفى قريش المعضلات وسادها •

قال سيبويه في معد وقريش وثقيف وكينونة هذه للاحيا اكثر وان جعلتها اسما للقبائل فهو جائز حسن **قوله تعالى** ايلافهم مؤكد للاول تاكيدا لفظيا واعربه ابو البقا بدلا **قوله تعالى** رحلة مفعول به بالمصدر والمصدر مضاف لفاعله اي لان الفوا رحلة والاصل رحلتي الشتاء والصيف ولكنه افرد لامن اللبس كقوله • كلوا في بعض بطنكم تعفوا • قاله الزمخشري وفيه نظر لان سيبويه يجعل هذا ضرورة كقوله • حمامة بطن الواديين ترنمي • قال الليث الرحلة اسم لارتحال القوم للمسير وقيل رحلة اسم جنس وكانت لهم اربع رحل وجعله بعضهم غلطا وليس كذلك قال القرطبي ورحلة نصب على المصدر اي ارتحالهم رحلة او بوقوع ايلافهم عليه او على الظرف بجعلها في محل الرفع على معنى هما رحلتان الشتاء والصيف والجار وقرا العامة بكسر الرا وهي مصدر وابو السماك بضمها وهي الجهة التي يرحل اليها والشتاء لامه واو لقولهم الشتوة وشتا يشتو وشذوا في النسب اليه فقالوا فيه شتوي والقياس شتاي او شتاوي ككساي وكساوي **فصل** قال مجاهد في قوله تعالى ايلافهم رحلة الشتاء والصيف قال لا يشق عليه رحلة الشتاء والصيف منة منه على قريش وقال الهروي وغيره كان اصحاب الايلاف اربعة اخوة • هاشم • وعبد شمس • والمطلب • ونوفل • بنو عبد مناف فاما هاشم فانه كان يؤلف ملك الشام اي اخذ منه عهدا يامن به في تجارته الى الشام واخوه عبد شمس كان يؤلف الى الحبشة والمطلب الى اليمن ونوفل الى فارس ومعنى يؤلف يجير فكان هؤلاء الاخوة يسمون المجيرين فكان تجار قريش يختلفون الى الامصار بحبل هؤلاء فلا يتعرض لهم قال الازهري الايلاف شبه الاجارة بالخفارة يقال الف يؤلف والف يؤلف اذا اجار الحمايل بالخفارة والحمايل جمع حمولة والمعنى ان قريشا كانوا سكان الحرم ولم يكن زرع ولا ضرع وكانوا يميرون في الشتاء والصيف امنين والناس يتخطفون من حولهم فكانوا اذا عرض لهم عارض قالوا نحن حرم الله فلا يتعرض لهم احد وكانت احدى الرحلتين الى اليمن في الشتاء لانها بلاد حامية والرحلة الاخرى في الصيف الى الشام لانها بلاد باردة وقال ابن عباس كانوا يشتون بمكة لدفائها ويصيفون بالطائف لهوائها وهذا من اجل النعم ان يكون للقوم ناحية حر تدفع عنهم برد الشتاء وناحية باردة تدفع عنهم حر الصيف فذكرهم الله تعالى هذه النعمة **فصل** قال مالك رضي الله عنه الشتاء نصف السنة والصيف نصفها وقال قوم اخرون الزمان اربعة

اقسام

اقسام شتاء وربيع وصيف وخريف وقيل شتاء وصيف وقيظ وخريف قال القرطبي والذي قال مالك اصح لان الله تعالى قسم الزمان قسمين ولم يجعل لهما ثالثا **قوله تعالى** فليعبدوا رب هذا البيت امرهم تعالى بعبادته وتوحيده لاجل ايلافهم رحلتين وتقدم الكلام على الفا والبيت هو الكعبة وفي تعريف نفسه لهم بانه تعالى رب هذا البيت وجهان احدهما لانه كانت لهم اوثان فميز نفسه تعالى عنها الثاني لانهم شرفوا بالبيت على ساير العرب فذكرهم ذلك تذكيرا لنعمه وقيل المعنى فليعبدوا رب هذا البيت اي ليالفوا عبادة رب هذا البيت كما كانوا يالفون الرحلتين **قوله تعالى** الذي اطعمهم من جوع اي من اجل جوع وامنهم من اجل خوف والتنكير للتعظيم اي من جوع عظيم وخوف عظيم وقال ابو البقا ويجوز ان يكون في موضع الحال من مفعول اطعمهم واخفى نون من في الخا نافع في رواية وكذلك في العين وهي لغة حكاها سيبويه **فصل** قال ابن عباس رضي الله عنه بدعوة ابراهيم عليه السلام حيث قال رب اجعل هذا البلد امنا وارزقهم من الثمرات وقال ابن زيد كانت العرب يغير بعضها على بعض ويسبي بعضهم بعضا فامنت قريش من ذلك لمكان الحرم وقيل شق عليهم السفر في الشتاء والصيف فالقى الله تعالى في قلوب الحبشة ان يحملوا اليهم طعاما في السفن فخاف قريش منهم وظنوا انهم قدموا لحربهم فخرجوا اليهم متحرزين فاذا هم قد جلبوا لهم الطعام واعانوهم بالاقوات فكان اهل مكة يخرجون الى جدة بالابل والحمر فيشترون الطعام على مسيرة ليلتين وقيل ان قريشا لما كذبوا النبي صلى الله عليه وسلم دعا عليهم فقال اللهم اجعلها عليهم سنين كسني يوسف عليه السلام فاشتد القحط فقالوا يا محمد ادع الله لنا فانا مؤمنون فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخصبت تبالة وجرش من بلاد اليمن فحملوا الطعام الى مكة واخصب اهلها وقال الضحاك والربيع وشريك وسفيان وامنهم من خوف اي من خوف الحبشة مع الفيل وقال علي رضي الله عنه وامنهم من ان تكون الخلافة الا فيهم وقيل كفاهم اخذ الايلاف من الملوك روى الثعلبي عن ابي بن كعب رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة لايلاف قريش اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد من طاف بالكعبة واعتكف بها والله تعالى اعلم بالصواب واليه المرجع والماب

سورة الماعون

وتسمى الماعون مكية في قول عطا وجابر واحد قولي ابن عباس رضي الله عنه ومدنية في قوله الاخر وقول قتادة وغيره وهي سبع ايات وخمس وعشرون كلمة ومائة وثلاثة وعشرون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم **قوله تعالى** ارايت الذي يكذب بالدين اي بالجزاء والحساب قرا الكسائي اريت بسقوط الهمزة وتقدم تحقيقه في الانعام وقال الزمخشري وليس بالاختيار لان حذفها مختص بالمضارع ولم يصح عن العرب ريت او سمعت راء رد في الضرع ما زي في الصلاب وفي رايت هذه وجهان احدهما انها بصرية فتتعدى لواحد وهو الموصول كانه قال ابصرت المكذب والثاني انها بمعنى اخبرني فتتعدى لاثنين فقدره الحوفي اليس مستحقا للعذاب والزمخشري من هو ويدل على ذلك قراءة عبد الله ارايتك بكاف الخطاب والكاف لا تلحق البصرية قال القرطبي في الكلام حذف والمعنى ارايت الذي يكذب بالدين امصيب هو او مخطئ **فصل** نقل ابو صالح عن ابن عباس رضي الله عنه قال نزلت في العاص بن وايل السهمي وهو قول الكلبي ومقاتل وروى الضحاك عنه قال نزلت في رجل من المنافقين وقال السدي نزلت في الوليد ابن المغيرة وقيل في ابي جهل وعن الضحاك في عمرو بن عايذ وقال ابن جريج في ابي سفيان وكان ينحر في كل اسبوع جزورا فطلب منه يتيم شيئا فقرعه بعصاه فانزل الله تعالى هذه السورة قال ابن الخطيب وقيل انه عام في كل مكذب بيوم الدين **قوله تعالى** فذلك فيه وجهان احدهما ان الفا جواب شرط مقدر اي ان تاملته او طلبت علمه فذلك والثاني انها عاطفة فذلك على الذي يكذب اما عطف ذات على ذات او صفة على صفة ويكون جواب ارايت محذوفا لدلالة ما بعده عليه كانه قيل اخبرني وما تقول فيمن يكذب بالجزاء وفيمن يؤذي اليتيم ولا يطعم المسكين انعم ما يصنع فعلى الاول يكون اسم الاشارة في محل رفع بالابتداء والخبر الموصول بعده واما على انه خبر لمبتدا مضمر اي فهو ذلك والموصول نعته على الثاني يكون منصوبا للنسق على ما هو منصوب الا ان ابا حيان رد الثاني فقال فجعل ذلك في موضع نصب عطفا على المفعول وهو تركيب غريب كقولك اكرمت الذي يزورنا فذلك الذي يحسن الينا فالمتبادر الى الذهن فذلك مرفوع بالابتداء وعلى تقدير النصب يكون التقدير اكرمت الذي يزورنا فاكرمت ذلك الذي يحسن الينا فاسم الاشارة في هذا التقدير غير متمكن تمكن ما هو فصيح اذ لا حاجة الى ان يشار الى الذي يزورنا بل الفصيح اكرم الذي يزورنا فالذي يحسن الينا واما قوله فذلك اما عطف ذات على ذات فلا يصح لان فذلك اشارة الى الذي يكذب فليسا بذاتين لان المشار اليه

بذلك واحد واما نقريره انعم ما يصلح همزة الاستفهام لا نعلم دخولها على نعم ولا بئس لانهما انشاء والاستفهام
لا يدخل الا على الخبر انتهى والجواب عن قوله فاسم الاشارة غير متمكن الى اخره ان الفرق بينهما في الاية الكريمة استفهاما
ومواليه يحسن ان يفسر ذلك المستفهم عنه بخلاف المثال الذي مثل به فمن ثم حسن التركيب المذكور وعن قوله لان
فذلك اشارة الى القائم لا الى زيد وان كان يجوز ان يكون اشارة اليه وعن قوله لان فذلك اشارة الى القائم فلا يسمى
جوابا ان النحاة يقولون جواب الاستفهام وهذا قد تقدمه استفهام فحسن ذكره وقوله والاستفهام لا يدخل الا
على الخبر بالمعارضة بقوله فهل حسبتم فان عنى انشاء فما كان جوابا له فهو جواب لنا **فصل** قال ابن الخطيب
هذا اللفظ وان كان في صورة الاستفهام لكن الغرض عنه المبالغة في التعجب كقولك ارايت فلانا ماذا ارتكب ثم
قيل انه خطاب للرسول عليه الصلاة والسلام وقيل خطاب لكل عاقل **قوله تعالى** يدع اليتيم قرا العامة بضم الدال
وتشديد العين من دع اي دفعه وامير المؤمنين والحسن وابو رجا يدع بفتح الدال وتخفيف العين اي يترك
ويهمل **فصل** قال الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنه فذلك الذي يدع اليتيم اي دفعه عن حقه قال تعالى
يوم يدعون الى نار جهنم دعا وقال قتادة يقهره ويظلمه وقد تقدم في سورة النسا انهم كانوا لا يورثون النساء
ولا الصغار ويقولون انما يحوز المال من يطعن بالسنان ويضرب بالحسام وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ضم يتيما
من المسلمين حتى يستغني فقد وجبت له الجنة **قوله تعالى** ولا يحض على طعام المسكين اي لا يامر به من اجل بخله وتكذيبه
بالجزا والحساب وقرا زيد بن علي ولا يحاض من المحاضة وقد تقدم في الفجر قال القرطبي وليس الذم عاما حتى يتناول من تركه
عجزا ولكنهم كانوا يبخلون ويعتذرون لانفسهم يقولون انطعم من لو يشا الله اطعمه فنزلت هذه الاية فيهم فيكون معنى
الاية لا يفعلون به ان قدروا ولا يحضون عليه ان عجزوا **قوله تعالى** فويل معبدا ومعناه عذاب لهم وقوله للمصلين
خبر والفا للتسبب اي تسبب عن هذه الصفات الذميمة الدعا عليهم بالويل قال الزمخشري بعد قوله كانه قيل اخبرني
وما تقول فيمن يكذب بالدين انعم ما يصنع ثم قال الله تعالى فويل للمصلين اي اذا علم انه مسيء فويل للمصلين على معنى
فويل لهم الا انه وضع صفتهم موضع ضميرهم لانهم كانوا مع التكذيب وما اضيف اليهم ساهين عن الصلوة مرائين غير
مزكين اموالهم فان قلت معناه الجمع لان المراد به الجنس قال ابو حيان واما وضعه المصلين موضع الضمير وان
المصلين جمع لان ضمير الذي يكذب معناه الجمع فتكلف واضح ولا ينبغي ان يحمل القران الا على ما عليه الظاهر
وعادة هذا الرجل تكلف اشيا في فهم القران ليست بواضحة قال شهاب الدين وعادة هذا الرجل التحامل على الزمخشري
حتى يجعل حسنه قبيحا وكيف يرد ما له وفيه ارتباط الكلام بعضه ببعض وجعله شيا واحدا وما تضمنه من المبالغة
في الوعيد في ابراز وصفهم الشنيع ولا شك ان الظاهر من الكلام ان السورة كلها في وصف قوم جمعوا بين هذه الاوصاف
كلها من التكذيب بالدين ودفع اليتيم وعدم الحض على طعام المسكين والسهو في الصلاة والمراآة ومنع الخير **قوله تعالى**
الذين هم يجوز ان يكون مرفوع المحل وان يكون منصوبه وان يكون مجرورة تابعا او بدلا او بيانا وكذلك الموصول الثاني
الا انه يحتمل ان يكون تابعا للمصلين وان يكون تابعا للموصول الاول وقوله يراؤن اصله يرائيون كيقاتلون ومعنى
المراآة ان المرائي يري الناس عمله وهم يرون الثنا عليه والمفاعلة فيها واضحة وقد تقدم تحقيقه **فصل**
في اتصال هذه الاية بما قبلها وجوه الاول انه لما كان ايذاء اليتيم والبخل المنع من بذل طعام المسكين دليلا على النفاق
لان هاتين الخصلتين معاملة مع المخلوق اما الصلاة فانها معاملة مع الخالق الثاني انه تعالى لما ذكر هذين الخصلتين
مع التكذيب بيوم الدين قال النبي الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر فقال الويل لمن هذه الصلاة كيف لا تنهاه عن هذه
الافعال المنكرة الثالث كانه يقول اقدامه على ايذاء اليتيم وترك الحث على طعام المسكين تقصير في الشفقة على خلق الله عز
وجل وسهوه في الصلاة تقصير في التعظيم لامر الله تعالى فلما وقع التقصير في الامرين كملت شقاوته **فصل**
قال ابن عباس هو المصلي الذي اذا صلى لم يرج لها ثوابا وان تركها لم يخش عليها عقابا وعنه ايضا قال الذين يؤخرونها
عن اوقاتها قال سعد بن ابي وقاص رضي الله عنه قال النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون
قال النبي صلى الله عليه وسلم الذين يؤخرون الصلوة عن وقتها تهاونا بها وقيل لا يتمون ركوعها ولا سجودها وقال ابرهيم
هو الذي يلتفت في سجوده وقال قطرب هو ان لا يقرا ولا يذكر الله وفي قراءة عبد الله الذين هم عن صلاتهم لاهون وعن ابن عباس
ايضا هم المنافقون يتركون الصلاة سرا ويصلونها علانية واذا قاموا الى الصلاة قاموا كسالى الاية وهذا يدل على
انها في المنافقين قوله الذين هم يراؤن ورواه ابن وهب عن مالك رضي الله عنه **فصل** قال ابن عباس ولو قال
في صلاتهم ساهون لكانت في المؤمنين وقال عطا الحمد لله الذي قال عن صلاتهم ساهون ولم يقل في صلاتهم فدل على ان الاية

في المنافقين

٨٥٧

في المنافقين قال الزمخشري فان قلت اي فرق بين قوله تعالى عن صلاتهم وبين قولك في صلاتهم قلت معناه انهم ساهون
عنها سهو ترك لها وقلة التفات اليها وذلك فعل المنافقين او الفسقة الشطار من المسلمين ومعنى في ان السهو
يعتريهم فيها بوسوسة شيطان او حديث نفس وذلك لا يكاد يخلو منه انسان وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقع له السهو
في صلاته فضلا عن غيره قال ابن الخطيب قال كثير من العلما انه صلى الله عليه وسلم ما سهى لكن اذن الله تعالى له في ذلك الفعل
بيانا للتشريع وفعل الساهي ثم بتقدير وقوع السهو منه فالسهو على اقسام احدها سهو الرسول صلى الله عليه وسلم
واصحابه وذلك يجبر بالسنن تارة وبالسنن والنوافل تارة والثاني ما يكون في الصلاة من الغفلة وعدم استحضار النية
وهذا يقع كثيرا الثالث ترك الصلاة لا الى قضاء والاخراج عن الوقت ومن ذلك صلاة المنافق لانه يستهزئ بالدين والفرق
بين المنافق والمرائي يكون صلاته عند الناس قال ابن العربي السلامة عن السهو محال **قوله تعالى** الذين هم يراؤن اي يري
الناس انه طاعة وهو يصلي تقية كالفاسق يري انه يصلي عبادة وهو يصلي ليقال انه يصلي وحقيقة الريا طلب ما في الدنيا
بالعبادة واصله المنزلة في قلوب الناس وهي من وجوه اولها تحسين السمت ويريد بذلك الجاه والثنا وثانيها الريا بالثياب القصار
والخشنة ليتشبه بالزهاد وثالثها اظهار السخط على الدنيا واظهار الوعظ والتاسف على فوات الخير والطاعة ورابعها
اظهار الصلوة والصدقة وتحسين الصلاة لاجل رؤية الناس وغير ذلك مما يطول ذكره **فصل** لا يكون الرجل
مرائيا باظهار العمل المفروض لان حق الفرائض الاعلان واشهارها لقوله صلى الله عليه وسلم ولا غمة في فرائض الله تعالى لانها
اعلام الاسلام وشرائع الدين ويستحق تاركها الذم والمقت فوجب اماطة التهمة باظهارها واما التطوع فحقه ان يخفى
لانه مما لا يلام بتركه ولا تهمة فيه فان اظهره قاصدا للاقتدا به كان جميلا وان قصد باظهاره ان تراه الاعين ويثنى عليه بالصلاح
فهو الريا **قوله تعالى** ويمنعون الماعون في الماعون اوجه احدها فاعول من المعن وهو الشي القليل يقال ما له معنة اي قليل
قاله قطرب الثاني انه اسم مفعول من اعانه يعينه والاصل معوون وكان من حقه على هذا ان يقال معون كمقول ومصون
اسم مفعول من قال وصان ولكنه قلبت الكلمة بان قدمت عينها قبل فائها فصار موعون ثم قلبت الواو الاولى الفا كقولهم
تابه وصامه في توبه وصومه فوزنه الان مفعول وفي هذا الوجه شذوذ من ثلاثة اوجه اولها كون مفعول جا من افعل وحقه
ان يكون على مفعل كمكرم فيقال معان كمقام واما مفعول فاسم مفعول الثلاثي الثاني القلب وهو خلاف الاصل
الثالث قلب حرف العلة الفا وان لم يتحرك وقياسه على تابه وصامه بعيد لشذوذ المقيس عليه وقد يجاب عن الثالث
بان الواو متحركة في الاصل قبل القلب فانه بزنة معوون لوجل الثالث ان اصله معونة والالف عوض من الها ووزنه
مفعل كملوم ووزنه بعد الزيادة ما فعل **فصل** اختلف اقوال المفسرين في الماعون واحسنها انه كل ما
يستعان به وينتفع به كالفاس والدلو والقدح قال الاعشى ۞ باجود منه بماعونه ۞ اذا ما سماؤهم لم تغم ۞
ولم يذكر المفعول الاول للمنع اما للعلم به اي يمنعون الناس او الطالبين واما لان الغرض ذكر ما يمنعونه لا من يمنعونه
تنبيها على خساستهم وصفتهم بالاشيا التافهة المستقبح منعها عند كل احد فان قيل هذه الاية تدل على التهديد
العظيم بالسهو عن الصلاة والريا ومنع الماعون وذلك من باب الذنوب ولا يصير المرء به منافقا فلم حكم الله تعالى
بمثل هذا الوعيد على هذا الفعل فالجواب من وجوه الاول قال ابن الخطيب المراد بالمصلين هنا المنافقون الذين
ياتون بهذه الافعال وعلى هذا التقدير فدلت الاية على ان الكافر له مزيد عقوبة على فعل محظورات الشرع وترك واجبات
الشرع وذلك يدل على ان الكفار مخاطبون بفروع الاسلام الثاني قيل لعكرمة من منع شيا من المتاع كان له الويل
فقال لا ولكن من جمع ثلاثهن فله الويل يعني ترك الصلوة وفعل الريا والبخل بالماعون روى الثعلبي عن ابي رضي الله عنه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة ارايت الذي يكذب بالدين غفر الله تعالى له ان كان مؤديا للزكاة

سورة الكوثر

مكية في قول ابن عباس والكلبي ومقاتل ومدنية في قول الحسن وعكرمة ومجاهد وقتادة وهي ثلاث ايات وعشر كلمات
واثنان واربعون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم **قوله تعالى** انا اعطيناك الكوثر قرا الحسن وابن محيصن
وطلحة والزعفراني انطيناك بالنون قال الرازي والتبريزي ابدل من العين نونا فان عنيت البدل الصناعي فليس
بمسلم لان كل مادة مستقلة بنفسها بدليل كمال التصرف فيها وان عنينا بالبدل ان هذه وقعت موقع هذه لغة فقريب
ولا اشكال انها لغة ثابتة قال التبريزي هي لغة العرب العاربة من اولي قريش وفي الحديث عنه صلى الله عليه وسلم اليد العليا

المنطية واليد السفلى المنطاه وقال الاعشى • جياد كخيرجياد الملوك • نصان الحلال وسطى الحلولا • قال القرطبي ورويناه سلمة عن النبي صلى الله عليه وسلم قراءة وهي لغة في العطا انطيته اعطيته والكوثر فوعل من الكثرة وصف مبالغة في المفرط الكثرة مثل النوفل من النفل والجوهر من الجهر والعرب تسمي كل كثير في العدد والقدر والخطر كوثرا قال الشاعر • وانت كثير يا ابن مروان طيب • وكان ابوك ابن العقايل كوثرا • قيل لعجوز رجع ابنها من السفر بم آب ابنك فقالت آب بكوثر اي بخير كثير والكوثر من الرجال السيد الكثير الخير والكوثر العدد الكثير من الاصحاب والاشياع والكوثر من الغبار الكثير وقد تكوثر وقال الشاعر • وقد ثار نقع الموت حتى تكوثرا • • •

فصل اختلفوا في الكوثر الذي اعطيه النبي صلى الله عليه وسلم فقيل نهر في الجنة رواه البخاري وغيره وروى الترمذي عن ابن عمر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الكوثر نهر في الجنة حافتاه من ذهب ومجراه على الدر والياقوت وتربته اطيب من المسك وماؤه احلى من العسل وابيض من الثلج وقال عطاء هو حوض النبي صلى الله عليه وسلم في الموقف وفيه احاديث كثيرة وقال عكرمة الكوثر النبوة والكتاب وقال الحسن هو القران وقال المغيرة الاسلام وقال الحسين بن الفضل هو تيسير القران وتخفيف الشرايع وقال ابو بكر بن عياش ويمان بن رئاب هو كثرة الاصحاب والاتباع والامة وقال ابن كيسان هو الايثار وحكى الماوردي انه رفعة الذكر وقيل الشفاعة وقال هلال بن يساف هو لا اله الا الله محمد رسول الله وقيل الصلوات الخمس وقيل الفقه في الدين وقيل غير ذلك قال القرطبي واصح الاقوال الاول والثاني لانه ثابت عن النبي صلى الله عليه وسلم نص في الكوثر

فصل قال ابن الخطيب هذه السورة كالمقابلة للتي قبلها فانه ذكر في الاولى البخل وترك الصلوة والريا ومنع الماعون وذكر هنا في مقابلة البخل انا اعطيناك الكوثر وفي مقابلة ترك الصلوة قوله تعالى فصل اي دم على الصلوة وفي مقابلة الريا قوله تعالى لربك اي لرضا ربك لا للناس وفي مقابلة منع الماعون قوله وانحر اي تصدق بلحم الاضاحي ثم ختم السورة سبحانه وتعالى بقوله ان شانئك هو الابتر اي ان المنافق الذي اتى بتلك الافعال القبيحة سيموت ولا يبقى له اثر واما انت فيبقى لك في الدنيا الذكر الجميل وفي الاخرة الثواب الجزيل قوله تعالى فصل لربك وانحر قال ابن عباس رضي الله عنهما قم الصلاة المفروضة عليك وقال قتادة وعطا وعكرمة فصل لربك صلاة العيد يوم النحر وانحر نسكك وقال انس رضي الله عنه كان النبي صلى الله عليه وسلم ينحر ثم يصلي فامر ان يصلي ثم ينحر وقال سعيد بن جبير صل لربك صلاة الصبح المفروضة بجمع وانحر البدن بمنى وقال سعيد بن جبير ايضا نزلت في الحديبية حين حصر النبي صلى الله عليه وسلم عن البيت فامره الله تعالى ان يصلي وينحر البدن وينصرف قال ابن العربي اما من قال ان المراد بقوله تعالى فصل الصلوات الخمس فلانها ركن العبادات وقاعدة الاسلام واعظم دعايم الدين واما من قال انها صلاة الصبح بالمزدلفة فلانها مقرونة بالنحر وهو في ذلك اليوم ولا صلوة فيه قبل النحر فخصها من جملة الصلوة لاقترانها بالنحر قال القرطبي واما من قال انها صلاة العيد فذلك بغير مكة اذ ليس بمكة صلوة عيد باجماع فيما حكاه ابو بكر رضي الله عنه

فصل الفا في قوله فصل للتعقيب والتسبيب اي تسبب عن هذه المنة العظيمة وعقبها امرك بالتخلي لعبادة المنعم عليك وقصدك اليه بالنحر لا كما تفعل قريش من صلاتها ونحرها للاصنام واما قوله جل ذكره وانحر قال علي رضي الله عنه ومحمد بن كعب القرظي المعنى ضع اليمنى على اليسرى حذاء النحر في الصلاة وعن علي رضي الله عنه ايضا ان معناه ان يرفع يديه في التكبير الى نحره وهو مروي عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن ابن عباس رضي الله عنه قال استقبل القبلة بنحرك وهو قول الفراء والكلبي وابي الاحوص قال الفراء سمعت بعض العرب يقول منازلنا تتناحر اي تتقابل نحر هذا اي قبالته وقال ابن الاعرابي هو انتصاب الرجل في الصلاة بازاء المحراب من قولهم منازلهم تتناحر اي تتقابل وعن عطا انه امره ان يستوي بين السجدتين جالسا حتى يبدو نحره وقال محمد بن كعب القرظي يقول ان ناسا يصلون لغير الله وينحرون لغير الله تعالى وقد اعطيناك الكوثر فلا يكن صلاتك ولا نحرك الا لله تعالى والنحر في الابل بمنزلة الذبح في البقر والغنم قوله تعالى ان شانئك هو الابتر يجوز ان يكون هو مبتدا والابتر خبره والجملة خبران وان يكون فصلا وقال ابو البقا او توكيد وهو غلط لان المظهر لا يوكد بالمضمر والابتر الذي لا عقب له وهو في الاصل الشيء المقطوع من بتره اي قطعه وحمار ابتر لا ذنب له ورجل اباتر بضم الهمزة قاطع رحمه قال الشاعر

• لئيم بدت في انفه خنزوانه • على قطع ذي القربى احذ اباتر •

وبتر هو بالكسر انقطع ذنبه قال اهل اللغة الابتر من الرجال من لا ولد له ومن الدواب الذي لا ذنب لها وكل امر انقطع من الخير اثره فهو ابتر فالبتر القطع بترت الشيء بترا قطعته قبل الاتمام والانبتار الانقطاع والباتر السيف القاطع وفي الحديث ما هذه البتيرا وتر بركعة فانكر عليه مسعود رضي الله عنه وخطب زياد خطبة بترا لم يذكر الله عز وجل ولا صلى على النبي صلى الله عليه وسلم وكان للنبي صلى الله عليه وسلم درع يقال لها البترا سميت بذلك لقصرها وقال الى السكيت

الابتر ان العرو العد سميا بذلك لعلة والبتورية فرقة من الزيدية نسبوا الى المغيرة بن سعد ولقبه الابتر وقرا العامة شانئك بالالف اسم فاعل بمعنى الحال والاستقبال او الماضي وقرا ابن عباس شنئك بغير الف فقيل يجوز ان يكون بنا مبالغة كفعال ومفعال وقد انشد سيبويه • حذار امورا لا تضير وامن • ما ليس منجيه من الاقدار • وقول زيد الخيل • اتاني انهم مزقون عرضي • جحاش الكرميين لها فديد • فان كان بمعنى الحال والاستقبال فاضافته لفظية لمفعوله من نصب وان كان بمعنى المضي فهي لا من نصب وقيل يجوز ان يكون مقصورا من فاعل كقولهم بر وبار وبرد وبارد

فصل اختلف المفسرون في المراد بقوله تعالى ان شانئك هو الابتر فقيل هو العاص بن وايل وكانت العرب تسمي من له بنون وبنات ثم مات البنون وبقي البنات ابتر فقيل ان العاص وقف مع النبي صلى الله عليه وسلم يكلمه فقال له جمع من صناديد قريش مع من كنت واقفا فقال مع ذلك الابتر وكان قد توفي قبل ذلك عبد الله بن رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان من خديجة رضي الله عنها فانزل الله عز وجل ان شانئك هو الابتر اي المقطوع ذكره من خير الدنيا والاخرة وعن ابن عباس رضي الله عنه قال كان اهل الجاهلية اذا مات ابن الرجل قالوا بتر فلان فلما توفي ابرهيم ابن النبي صلى الله عليه وسلم خرج ابو جهل الى اصحابه فقال بتر محمد فانزل الله عز وجل ان شانئك هو الابتر يعني ابا جهل وقال شهر بن عطية هو عقبة بن ابي معيط وقال السدي وابن زيد ان قريشا كانوا يقولون لمن مات ذكور ولده قد بتر فلان فلما مات لرسول الله صلى الله عليه وسلم القسم بمكة وابرهيم بالمدينة قالوا بتر محمد فليس له من يقوم بامره من بعده فنزلت هذه الاية وقيل لما اوحى الله تعالى الى رسوله صلى الله عليه وسلم دعا قريشا الى الايمان قالوا ابتر منا محمد اي خالفنا وانقطع عنا فاخبر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم انهم هم المبترون قاله عكرمة وشهر بن حوشب

فصل قال اهل العلم قد احتوت هذه السورة على كونها اقصر سورة في القران على معان بليغة واساليب بديعة منها دلالة استهلال السورة على انه تعالى اعطاه كثيرا من كثير ومنها اسناد الفعل للمتكلم المعظم نفسه ومنها ايراده بصيغة الماضي تحقيقا لوقوعه كاتى امر الله ومنها تاكيد الجملة بان ومنها بنا الفعل على الاسم ليفيد بالاسناد مرتين ومنها الاتيان بصيغة تدل على مبالغة الكثرة ومنها حذف الموصوف بالكوثر لان في حذفه من فرط الشياع والابهام ما ليس في اثباته ومنها تعريفه بال الجنسية الدالة على الاستغراق ومنها فاء التعقيب الدالة على التسبب كما تقدم فان الانعام سبب للشكر والعبادة ومنها التعريض بمن كانت صلاته ونحره لغير الله تعالى ومنها ان الامر بالصلاة اشارة الى الاعمال الدينية التي الصلاة قوامها وافضلها والامر بالنحر اشارة الى الاعمال البدنية التي النحر اسناها ومنها حذف متعلق انحر اذ التقدير فصل لربك وانحر له ومنها مراعاة السجع فانه من صناعة البديع العاري عن التكليف ومنها قوله لربك في الاتيان بهذه الصفة دون سائر صفاته الحسنى دلالة على انه المربي والمصلح بنعمه فلا يلتمس كل خير الا منه ومنها الالتفات من ضمير المتكلم الى الغايب في قوله تعالى لربك ومنها جعل الامر بترك الاحتفال بشانئه للاستيناف وجعله خاتمة للاعراض عن الشانئ ولم يسمه ليشمل كل من اتصف والعياذ بالله بهذه الصفة القبيحة وان كان المراد به شخصا معينا يعينه الله تعالى ومنها التنبيه بذكر هذه الصفة القبيحة على انه لم يتصف الا بمجرد قيام الصفة به من غير ان يوثر في من يشنوه شيئا البتة لان من يشنا شخصا قد يوثر فيه شناه شيئا ومنها تاكيد الجملة بان المؤذنة بتاكيد الخبر ولذلك يتلقى بها القسم وتقديره لقسم يصلح ههنا ومنها الاتيان بضمير الفصل المؤذن بالاختصاص والتاكيدات ان جعلنا هو فصلا وان جعلناه مبتدا فكذلك يفيد التاكيد اذ يصير الاسناد مرتين ومنها تعريف الابتر بال المؤذنة بالخصوصية بهذه الصفة كانه قيل الكامل في هذه الصفة ومنها اقباله عز وجل على رسوله صلى الله عليه وسلم بالخطاب من اول السورة الى اخرها روى الثعلبي عن ابي رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا انا اعطيناك الكوثر سقاه الله تعالى من انهار الجنة واعطي من الاجر عشر حسنات بعدد كل قربان قربه العباد في كل عيد ويقربون من اهل الكتاب والمشركين وعن مكحول رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا انا اعطيناك الكوثر كان له ما بين المشرق والمغرب بعرض على كل بعير كراديس كل كراسة مثل الدنيا وما فيها كتب له بدقة الشعر ليس فيها الا صفرة قصوره ومنازله في الجنة

سورة الكافرون

مكية في قول ابن مسعود والحسن وعكرمة ومدنية في احد قولي ابن عباس وقتادة والضحاك وهي ست ايات وستة وعشرون كلمة واربعة وتسعون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى قل يا ايها الكافرون قال ابن الخطيب هذه السورة تسمى سورة المنابذة وسورة الاخلاص والمقشقشة روى الترمذي من حديث انس رضي الله عنه انها تعدل

ثلث القران وروى ابن الانباري عن انس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قل يا ايها الكافرون تعدل ربع
القران وخرج الحافظ عبد الغني بن سعيد عن ابن عمر رضي الله عنهما قال صلى النبي صلى الله عليه وسلم باصحابه صلاة الفجر في سفر فقرا قل
يا ايها الكافرون وقل هو الله احد ثم قال صلى الله عليه وسلم قرات بكم ثلث القران وربعه قال ابو الله كنت عن كثير المال اذا سافرت
اكون ابذلهم واقلهم زادا فمنذ قراتهن صرت من احسنهم هيئة واكثرهم زادا حتى ارجع قال ابن الخطيب والوجه في انها تعدل
ربع القران هو ان القران يشتمل على الامر بالمامورات والنهي عن المحظورات وكل واحد منهما ينقسم الى ما يتعلق بالقلوب والى
ما يتعلق بالجوارح وهذه السورة مشتملة على النهي عن المحرمات المتعلقة بافعال القلوب فيكون ربع القران وخرج ابن الانباري
عن نوفل بن فروة الاشجعي قال جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال اوصني قال اقرا عند منامك قل يا ايها الكافرون
فانها براءة من الشرك وقال ابن عباس رضي الله عنه ليس في القران اشد غيظا لابليس لعنه الله عليه منها لانها توحيد وبراءة
من الشرك وقال الاصمعي كان يقال لقل يا ايها الكافرون وقل هو الله احد الله الصمد المقشقشتان اي انهما يبريان من النفاق
وقال ابو عبيدة رضي الله عنه كما يقشقش الهنا الجرب فيبريه قال ابن السكيت يقال للقرح والجدري اذا يبس وتقرف وللجرب
في الابل اذا قفل قد توسف جلده وتقشر جلده وتقشقش فان قيل قال ابن عباس رضي الله عنه سبب نزولها ان الوليد بن
المغيرة والعاص بن وايل والاسود بن عبد المطلب وامية بن خلف لقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا محمد
فلنعبد ما تعبد وتعبد ما نعبد ونشترك نحن وانت في امرنا كله فان كان الذي جئت به خيرا مما بايدينا كنا قد شركناك
فيه واخذنا بحظنا منه وان كان الذي بايدينا خيرا مما بيدك كنت قد شركتنا في امرنا واخذت بحظك منه فانزل الله تعالى
قل يا ايها الكافرون ونزل قوله تعالى قل افغير الله تامروني اعبد ايها الجاهلون فغدا رسول الله صلى الله عليه وسلم
الى المسجد الحرام وفيه الملا من قريش فقام صلى الله عليه وسلم فقراها عليهم حتى فرغ من السورة فايسوا منه عند ذلك
وروى ابو صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما انهم قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم لو استلمت بعض هذه الالهة
لصدقناك فنزل جبريل عليه السلام على النبي صلى الله عليه وسلم بهذه السورة فيئسوا منه وآذوه وآذوا اصحابه فان قيل
لم وصفهم في هذه السورة بالكافرين وفي السورة الاخرى بالجاهلين كما تقدم فالجواب لان هذه السورة بتمامها
نزلت فيهم فتكون المبالغة فيها اشد فبولغ فيها بالوصف الاشنع وهو الكفر لانه مذموم مطلقا والجهل كالشجرة والكفر كالثمرة
فقد لا يذم عند التقييد كقوله صلى الله عليه وسلم علم الانسان علم لا ينفع وجهل لا يضر فان قيل قال في سورة التحريم يا
ايها الذين كفروا بغير قل وهاهنا جل وعز ذكر قل وذكره باسم الفاعل فالجواب انه في سورة التحريم انما يقال لهم
يوم القيمة وثم لا يكون رسولا اليهم فازال الواسطة ويكونون في ذلك الوقت مطيعين لا كافرين فلذلك ذكره بلفظ
الماضي واما هاهنا فكانوا موصوفين بالكفر وكان الرسول صلى الله عليه وسلم رسولا اليهم فقال تعالى قل يا ايها
الكافرون فان قيل هذا الخطاب مع الكل وكان فيهم من يعبد الله تعالى كاليهود والنصارى فلا يجوز ان يقال لهم
لا اعبد ما تعبدون ولا يجوز ايضا ان يكون قوله ولا انتم عابدون ما اعبد خطابا مع الكل لان في الكفار من آمن وعبد الله
فالجواب ان هذا الخطاب مشافهة مع اقوام مخصوصين وهم الذين قالوا نعبد الهك سنة وتعبد الهتنا سنة
وايضا لو حملنا الخطاب على العموم دخله التخصيص واذا حملناه على خطاب المشافهة لم يلزم ذلك **فصل**
قال القرطبي الالف واللام ترجع الى معنى المعهود وان كانت للجنس من حيث كانت لاي لانها مخاطبة لما سبق في علم الله
تعالى انه سيموت على كفره فهي من الخصوص الذي جاء بلفظ العموم ونحوه عن الماوردي نزلت جوابا وعنى بالكافرين
معينين لا جميع الكافرين لان منهم من آمن فعبد الله تعالى ومنهم من مات على كفره وهم المخاطبون بهذا القول وهم
المذكورون **فصل** قال ابن الانباري وقرا من طعن في القران قل للذين كفروا لا اعبد ما تعبدون
وزعم ان ذلك هو الصواب وذلك افتراء على رب العالمين وتضعيف لمعنى هذه السورة وابطال ما قصد الله من ان يذل
نبيه المشركين بخطابه اياهم بهذا الخطاب الزري والزامهم ما يانف منه كل ذي لب وحجى وذلك ان الذي يدعيه
من اللفظ الباطل قراءتنا تشتمل عليه في المعنى وتزيد تاويلا ليس عندهم في باطلهم وتحريفهم فمعنى قراءتنا قل للذين كفروا
يا ايها الكافرون دليل صحة هذا ان العربي اذا قال لمخاطبه قل لزيد اقبل الينا فمعناه قل لزيد يا زيد اقبل الينا
فمعناه قل لزيد يا زيد اقبل الينا فقراءتنا احسن لفظا وابلغ معنى اذ كان الرسول صلى الله عليه وسلم يعتمدهم في
ناديهم فيقول لهم يا ايها الكافرون وهو يعلم انهم يغضبون من ان ينسبوا الى الكفر ويدخلوا في جملة اهله الا وهو
محروس ممنوع من ان ينبسط عليه صلى الله عليه وسلم بيد او يقع به من جهتهم اذية فمن لم يقرا قل يا ايها الكافرون كما انزلها الله
اسقط آية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وسبيل اهل الاسلام ان يسارعوا الى مثلها ولا يعتمدوا نفيهم باختزال الفضل
عند الذي منحه الله تعالى وشرفه بها **فصل** قال ابن الخطيب روي عن علي رضي الله عنه ان يا

ندا النفس

ندا النفس واي ندا القلب وها ندا الروح وقيل يا ندا الغايب واي للحاضر وها للتنبيه كانه عز وجل يقول ادعوك
ثلاثا ولا تجيبني مرة **قوله تعالى** لا اعبد ما تعبدون ما في هذه السورة يجوز فيها وجهان احدهما بمعنى الذي فان
كان المراد الاصنام كما في الاولى والثانية فالامر واضح لانهم غير عقلا وما اصلها ان تكون لغير العقلا واذا اريد بها
الباري تعالى كما في الثانية والرابعة فاستدل به من جوز وقوعها على اولي العلم ومن منع جعلها مصدرية والتقدير ولا
انتم عابدون عبادتي اي مثل عبادتي وقال ابو مسلم ما في الاوليين بمعنى الذي والمقصود المعبود وما في الاخريين
مصدرية اي لا اعبد عبادتكم المبنية على الشك وترك النظر ولا انتم تعبدون مثل عبادتي المبنية على اليقين فتحصل
من مجموع ذلك ثلاثة اقوال انها كلها بمعنى الذي او مصدرية او الاوليان بمعنى الذي والثانية والرابعة مصدرية لكان
حسنا لاحتى لا يلزم وقوع ما على اولي العلم وهو مقتضى قول من منع وقوعها على اولي العلم كما تقدم **فصل**
اختلفوا في التكرار هاهنا هل هو للتاكيد ام لا واذا لم يكن للتاكيد فقوله ولا انا عابد ما عبدتم تاكيد لقوله لا اعبد
ما تعبدون وقوله ولا انتم عابدون ما اعبد ثانيا ومثله فباي آلاء ربكما تكذبان وويل يومئذ للمكذبين في سورتيهما
وكلا سوف تعلمون ثم كلا سوف تعلمون وكلا سيعلمون ثم كلا سيعلمون وفي الحديث فلا اذن ثم لا اذن انما فاطمة
بضعة مني وقول الشاعر • هلا سالت جموع كندة • يوم ولوا اين اينا ••

وقوله • يا علقمة يا علقمة يا علقمة • خير تميم كلها واكرمه •
وقوله • يا اقرع بن حابس يا اقرع • انك ان يصرع اخوك تصرع •
وقوله • الا يا اسلمي ثم اسلمي ثمت اسلمي • ثلاث تحيات وان لم تكلم •
وقوله • يا جعفر يا جعفر يا جعفر • ان اك دحداحا فانت اقصر •
وقوله • يا آل بكر انشروا لي كليبا • يا آل بكر اين اين الفرار •

قالوا والقران جاء على اساليب كلام العرب وفائدة التاكيد هنا قطع اطماع الكفار وتحقيق الاخبار بموافاتهم
على الكفر وانهم لا يسلمون ابدا وقيل هذا مطابقة لقولهم تعبد الهتنا ونعبد الهك ثم تجري على هذا ابدا سنة وسنة
فاجيبوا عن كل ما قالوه بضده اي ان هذا لا يكون ابدا وقال جماعة ليس للتوكيد فقال الاخفش لا اعبد الساعة
ما تعبدون ولا انتم عابدون الساعة ما اعبد ولا انا عابد في المستقبل ما عبدتم ولا انتم عابدون في المستقبل
ما اعبد فزال التوكيد اذ قد تقيدت كل جملة بزمان غير الزمان الاخر انتهى وفيه نظر كيف يقيد رسول الله صلى الله
عليه وسلم نفي عبادته لما يعبدون بزمان هذا مما لا يصح وفي اسباب النزول انهم سالوه ان يعبد الهتهم سنة فنزلت
فكيف يستقيم هذا وجعل ابو مسلم التغاير بما تقدم عنه وهو كون ما في الاوليين بمعنى الذي وفي الاخريين مصدرية
وفيه نظر ايضا من حيث ان التكرار انما هو من حيث المعنى وهذا موجود كيف قدرتها وقال ابن عطية لما كان قوله لا اعبد
محتملا ان يراد به الان ويبقى المستقبل منتظرا ما يكون فيه جاء البيان بقوله ولا انا عابد ما عبدتم ابدا وما حييت
ثم جاء قوله ولا انتم عابدون ما اعبد الثاني حتما عليهم انهم لا يؤمنون ابدا كالذي كشف الغيب كما قيل لنوح عليه السلام
انه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن فهذا معنى الترديد في هذه السورة وهو بارع الفصاحة وليس بتكرار فقط بل فيه
ما ذكرته وقال الزمخشري لا اعبد اريد به العبادة فيما يستقبل لان لا لا تدخل الا على المضارع في معنى الا
ستقبال كما ان ما لا تدخل الا على مضارع في معنى الحال والمعنى لا افعل في المستقبل ما تطلبونه مني من عبادة الهتكم
ولا انتم عابدون فيه ما اطلبه منكم من عبادة الهي ولا انا عابد ما عبدتم اي وما كنت قط عابدا في ما سلف فيما
عبدتم فيه يعني ما عهد مني قط عبادة صنم في الجاهلية فكيف يرجى مني في الاسلام ولا انتم عابدون ما اعبد
اي وما عبدتم في وقت ما انا على عبادته فان قلت فهلا قيل ما عبدتم قلت لانهم كانوا يعبدون الاصنام قبل
المبعث وهو لم يكن يعبد الا الله تعالى في ذلك الوقت فان قلت فلم جاء على ما دون من قلت لان المراد الصفة
كانه قيل لا اعبد الباطل ولا تعبدون الحق وقيل ان ما مصدرية اي لا اعبد عبادتكم ولا تعبدون عبادتي
انتهى يعني بقوله لان المراد الصفة يعني انه اريد بما الوصف وقد تقدم تحقيق هذا في سورة والشمس وضحاها واعترض ابو حيان
عليه والجواب عنه واصله في سورة النسا عند قوله تعالى فانكحوا ما طاب لكم من النسا وناقشه ابو حيان هنا فقال
اما حصره في قوله لان لا لا تدخل وفي قوله لان ما لا تدخل فليس بصحيح بل ذلك غالب فيهما لا متحتم وقد ذكر النحاة
دخول لا على المضارع يراد به الحال ودخول ما على المضارع يراد به الاستقبال وذلك مذكور في المبسوطات
من كتب النحو ولذلك لم يذكر سيبويه ذلك باداة الحصر انما قال وتكون لا نفيا لقوله يفعل ولم يقع الفعل وقال ايضا
ما هي نفي لقوله هو يفعل اذا كان في حال الفعل فذكر الغالب فيهما واما ما في قوله تعالى ولا انا عابد ما عبدتم

اي وما كنت قط عابدا فيما سلف ما عبدتم فيه فلا يستقيم لان عابد اسم فاعل وقد عمل فيما عبدتم فلا يفسر
بالماضي انما يفسر بالحال او الاستقبال وليس مذهبه في اسم الفاعل مذهب الكسائي وهشام من جواز اعماله ماضيا
واما قوله ولا انتم عابدون ما اعبد اي وما عبدتم في وقت ما انا على عبادته فعابدون قد عمل فيما اعبد فلا
يفسر بالماضي واما قوله وهو لم يكن الى آخره فسوء ادب على منصب النبوة وغير صحيح لانه صلى الله عليه وسلم لم يزل
موحدا لله تعالى منزها له عن كل ما لا يليق بجلاله سبحانه يقف على مشاعر ابرهيم عليه السلام ويحج البيت
وهذه عبادة واي عبادة اعظم من توحيد الله تعالى ونبذ اصنامهم ومعرفة الله تعالى اعظم العبادات قال الله تعالى
وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون قال المفسرون الا ليعرفون فسمى المعرفة بالله تعالى عبادة انتهى قال ابن عادل
الدين ويجاب من الاول انه بنى امره على الغالب فلذلك اتى بالحصر واما ما حكاه عن سيبويه فظاهره معه حتى يقوم
دليل على غيره وعن اعمال اسم الفاعل مفسرا له بالماضي بانه على حكاية الحال كقوله تعالى وكلبهم باسط ذراعيه
وقوله تعالى والله مخرج ما كنتم تكتمون ونحوه واما قوله كان صلى الله عليه وسلم موحدا منزها لله تعالى فمسلم ذلك
وقوله وهذه اعظم العبادات فمسلم ايضا ولكن المراد في الاية عبادة مخصوصة وهي الصلاة المخصوصة لانها مقابل
بها ما كان المشركون يفعلونه من سجودهم لاصنامهم وصلاتهم لها فقابل هذا صلى الله عليه وسلم بصلاته لله تبارك
وتعالى ولكن يبقى كلام الزمخشري يفهم انه صلى الله عليه وسلم لم يكن متعبدا قبل المبعث وهو مذهب ساقط
الاعتبار لان الاحاديث الصحيحة ترده وهي كان يتحنث كان يتعبد كان يصوم كان يطوف كان يقف صلى الله
عليه وسلم ولم ينقل بخلافه الا شذوذ من الناس وفي الجملة فالمسئلة خلافية واذا كان متعبدا فبأي شرع كان
يتعبد به قيل شريعة نوح عليه السلام وقيل ابرهيم عليه السلام وقيل موسى وقيل عيسى صلوات الله وسلامه
عليهم اجمعين وذلك مذكور في الاصول ثم قال ابو حيان والذي اختاره في هذه الجمل انه نفى عبادته في المستقبل لان
الغالب في لا ان تنفي المستقبل ثم عطف عليه ولا انتم عابدون ما اعبد نفيا للمستقبل على سبيل المقابلة
ثم قال صلى الله عليه وسلم ولا انا عابد ما عبدتم نفيا للحال لان اسم الفاعل العامل الحقيقة فيه دلالته على
الحال ثم عطف عليه ولا انتم عابدون ما اعبد نفيا للحال على سبيل المقابلة فانتظم المعنى انه صلى الله عليه وسلم
لا يعبد ما يعبدون حالا ولا مستقبلا وهم كذلك اذ حتم الله تعالى بموافاتهم على الكفر ولما قال صلى الله عليه
وسلم لا اعبد ما تعبدون فاطلق ما على الاصنام قابل الكلام بما في قوله ما اعبد وان كان المراد الله تعالى
لان المقابلة يسوغ فيها ما لا يسوغ في الانفراد وهذا على مذهب من يقول ان ما لا يقع على احاد اولي العلم
اما من يجوز ذلك وهو مذهب سيبويه فلا يحتاج الى الاعتذار بالتقابل قال القرطبي كانوا يعبدون الاوثان
فاذا ملوا وثنا وسئموا العبادة له رفضوه ثم اخذوا وثنا غيره لشهوة نفوسهم فاذا مروا بحجارة تعجبهم القوا هذه
ورفعوا تلك فعظموها ونصبوها الها يعبدونها فامران يقول لا اعبد ما تعبدون اليوم من هذه الالهة التي
بين ايديكم ثم قال صلى الله عليه وسلم ولا انتم عابدون ما اعبد انما تعبدون الوثن الذي اتخذتموه وهو عندكم
الان ولا انا عابد ما عبدتم بالامس من الالهة التي رفضتموها واقبلتم على هذه ولا انتم عابدون ما اعبد فاني اعبد
الهي **قوله تعالى** لكم دينكم ولي دين اي بها بين الجملتين الا انه بين بعد جملة منفية لانه لما كان الاهم انتفاؤه
صلى الله عليه وسلم من دينهم بدا في النفي في الجمل السابقة بالمنسوب اليه فلما تحقق النفي رجع صلى الله عليه وسلم
الى الخطاب بقوله لكم دينكم ولي دين مهادنة لهم ثم نسخ ذلك الامر بالقتال وفتح الياء من لي نافع وهشام وحفص
والبزي بخلاف عنه واسكنها الباقون وحذف بالاضافة من ديني وقفا ووصلا السبعة وجمهور القراء واثبتها
في الحالين سلام ويعقوب قالوا لانها اسم مثل الكاف في دينكم والتاء في قمت وتقدم ايضاحه **فصل**
في الكلام معنى التهديد كقوله تعالى لنا اعمالنا ولكم اعمالكم اي ان رضيتم بدينكم فقد رضينا بديننا ونسخ هذا
بالامر بالقتال وقيل السورة منسوخة وقيل ما نسخ منها شيء لانها خبر ومعنى لكم دينكم اي جزاء دينكم ولي جزاء
ديني وسمى دينهم دينا لانهم اعتقدوه وقيل المعنى لكم جزاؤكم ولي جزائي لان الدين الجزاء وقيل الدين العقوبة
لقوله تعالى ولا تأخذكم بهما رافة في دين الله والمعنى لكم العقوبة من ربي ولي العقوبة من اصنامكم فانا لا اخشى
عقوبة الاصنام لانها جمادات واما انتم فيجوز عليكم حملا ان تخافوا عقوبة جبار السموات والارض وقيل
الدين الدعاء لقوله تعالى فادعوا الله مخلصين له الدين اي لكم دعاؤكم وما دعاء الكافرين الا في ضلال
واما ربي فيقول سبحانه وتعالى ادعوني استجب لكم اجيب دعوة الداع اذا دعان وقيل الدين العادة
قال الشاعر • يقول لها ادرت وضيني اهذا دينه ابدا وديني • والمعنى لكم عادتكم المأخوذة من

اسلام كم

سلافكم ومن الشيطان ولي عادتي من ربي **فصل** قال ابن الخطيب جرت العادة بان يتمثلوا
بهذه الاية عند المتاركة وذلك غير جائز لانه ما انزل القرآن ليتمثل به بل ليتدبر فيه ويعمل بموجبه والله تعالى اعلم

سورة النصر

مدنية بالاجماع وتسمى سورة التوديع وهي ثلاث آيات وست عشرة كلمة وتسعة وسبعون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم
قوله تعالى اذا جاء نصر الله والفتح عليك وعلى امتك والمقصود اذا جاء هذان الفعلان من غير نظر الى متعلقهما
كقوله تعالى امات واحيا وال في الفتح عوض من الاضافة اي وفتحه عند الكوفيين والعائد محذوف عند البصريين
اي والفتح منه للدلالة على ذلك والعامل في اذا اما جاء وهو قول مكي واليه ذهب ابو حيان ونصره في مواضع وقد
تقدم ذلك واما فسبح واليه نحا الزمخشري والحوفي والتقدير فسبح بحمد ربك اذا جاء ورده ابو حيان بان ما بعد
فاء الجواب لا يعمل فيما قبلها وفيه بحث تقدم بعضه في سورة والضحى **فصل** النصر العون مأخوذ من
قولهم قد نصر الغيث الارض اذا اعان على نباتها قال الشاعر • اذا انسلخ الشهر الحرام فودعي •
بلاد تميم وانصري ارض عامر • ويروى • اذا دخل الشهر الحرام فودعي • بلاد تميم وانصري ارض عامر •
يقال نصره على عدوه ينصره نصرا اي اعانه والاسم النصرة واستنصره على عدوه اي ساله ان ينصره عليه وتناصروا
ونصر بعضهم بعضا ثم قيل المراد بهذا النصر نصر الرسول صلى الله عليه وسلم على قريش قاله الطبري وقيل
نصره على من قاتله من الكفار وان عاقبة النصر كانت له واما الفتح فهو فتح مكة قاله الحسن ومجاهد وغيرهما وقال ابن
عباس وسعيد بن جبير هو فتح المدائن والقصور وقيل فتح سائر البلاد وقيل ما فتحه عليه من العلوم واذا بمعنى قد جاء
نصر الله لان نزولها بعد الفتح ويجوز ان يكون بمعناه اذا يجيئك **فصل** قال ابن الخطيب الفرق بين النصر
والفتح ان الفتح هو تحصيل المطلوب الذي كان متعلقا والنصر كالسبب للفتح فلهذا بدأ بذكر النصر وعطف الفتح
عليه او يقال النصر كمال الدين والفتح اقبال الدنيا الذي هو تمام النعمة كقوله تعالى اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم
نعمتي او النصر الظفر في الدنيا والفتح بالجنة **فصل** قال ابن الخطيب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
كان ابدا منصورا بالدلائل والمعجزات فما المعنى بتخصيص لفظ النصر بفتح مكة والجواب ان المراد من هذا النصر هو النصر
الموافق للطبع فان قيل النصر لا يكون الا من الله تعالى قال جل ذكره وما النصر الا من عند الله فما فائدة التقييد بقوله تعالى
نصر الله فالجواب معناه لا يليق الا بالله كما يقال هذه صنعة زيد اذا كان مشهورا فالمراد هذا هو الذي سألتموه
فان قيل لم وصف النصر بالمجيء وحقيقته اذا وقع نصر الله فما الفائدة في ترك الحقيقة وذكر المجاز فالجواب ان الامور مرتبطة
باوقاتها وانه سبحانه قدر لحدوث كل محدث اسبابا معينة واوقاتا مقدرة يستحيل فيها التقدم والتأخر والتبديل
والتغيير فاذا حضر ذلك الوقت وجاء ذلك الزمان حضر معه ذلك الاثر واليه الاشارة بقوله تعالى وما ننزله
الا بقدر معلوم فان قيل الذين اعانوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على فتح مكة هم الصحابة رضي الله عنهم ثم انه تعالى
سمى نصرتهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم نصر الله فما السبب في اضافة النصر اليه فالجواب ان النصر وان كان على يد
الصحابة لكن لا بد له من داع وباعث وهو من الله تعالى فان قيل فعلى هذا التقدير الذي ذكرتم يكون فعل العبد
متفرعا على فعل الله وهو خلاف قوله تعالى ان تنصروا الله ينصركم فجعل نصر العبد مقدما على نصره لنا فالجواب
انه لا امتناع في ان يكون فعل العبد سببا لفعل آخر يصدر عن الله تعالى فان اسباب الحوادث ومسبباتها على ترتيب
عجيب يعجز عن ادراكها العقول البشرية **قوله تعالى** ورايت الناس يدخلون رايت يحتمل ان يكون بمعنى ابصرت
وان يكون بمعنى علمت فان كان بمعنى ابصرت كان يدخلون في محل النصب على الحال والتقدير ورايت الناس
يدخلون حال دخولهم في دين الله افواجا وان كان معناه علمت كان يدخلون مفعولا ثانيا لعلمت والتقدير علمت الناس
داخلين في دين الله وفي عبارة الزمخشري ان كان بمعنى ابصرت او عرفت وناقشه ابو حيان بان رايت لا يعرف
كونها بمعنى عرفت قال فيحتاج في ذلك الى استثبات وقرا العامة يدخلون مبنيا للفاعل وابن كثير في رواية مبنيا للمفعول
وفي دين ظرف مجازي وهو مجاز فصيح بليغ هنا **قوله تعالى** افواجا حال من فاعل يدخلون قال مكي وقياسه افوج
الا ان الضمة تستثقل في الواو فشبهوا فعلا بفعل العين بالسكون يفعل العين بالفتح فجمعوه جمعه انتهى اي ان فعلا بالسكون
قياسه افعل كفلس وافلس لا انه استثقلت الضمة على الواو فجمعوه جمع فعل بالتحريك نحو جمل واجمال لان فعلا بالسكون

على افعال النبي بقياس اذا كان نعل محيحا نحو فرح وافراح وزيد وازياد وورد مثل الفاظ كثيرة ومع ذلك فلم يقيس
ه وقد قال الحوفي شيا من هذا **فصل** ظاهر لفظ الناس للعموم فيدخل كل الناس افواجا اي جماعات فوجا بعد فوج
وذلك لما فتحت مكة قالت العرب اما اذا ظفر محمد صلى الله عليه وسلم باهل الحرم وقد كان الله تعالى اجارهم من اصحاب الفيل
فليس لكم به يدان فكانوا يسلمون افواجا افواجا امة بعد امة قال الضحاك والامة اربعون رجلا وقال عكرمة ومقاتل اراد بالناس
اهل اليمن وذلك انه ورد من اليمن سبع مائة انسان مومنين طايعين بعضهم يوذنون وبعضهم يقرون القران وبعضهم يهللون
فسر النبي صلى الله عليه وسلم بذلك وبكى عمر وابن عباس رضي الله عنهما وروى عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قرا اذا جاء نصر الله والفتح وجاء اهل اليمن رقيقة افيدتهم لينة طباعهم سجية قلوبهم عظيم خشيتهم فدخلوا في دين
الله افواجا وروى مسلم عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتاكم اهل اليمن هم اضعف
قلوبا وارق افيدة الفقه يمان والحكمة يمانية وقال صلى الله عليه وسلم اني لاجد نفس الرحمن من قبل اليمن وفيه تاويلان احدهما
انه الفرج لتتابع اسلامهم افواجا الثاني ان الله تعالى نفس الكرب عن نبيه صلى الله عليه وسلم باهل اليمن وهم الانصار
وروى جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الناس دخلوا في دين الله افواجا
وسيخرجون منه افواجا ذكره الماوردي قال ابن الخطيب كانت تدخل فيه القبيلة باسرها بعد ما كانوا يدخلون واحدا
واحدا واثنين اثنين **فصل** ودين الله هو الاسلام لقوله تعالى ان الدين عند الله الاسلام ومن يبتغ غير الاسلام
دينا فلن يقبل منه واضافة الدين الى الاسم الدال على الالهية اشارة الى انه يجب ان يعبد لكونه الها وللدين اسماء اخر
قال تعالى فاخرجنا من كان فيها من المومنين فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين ومنها الصراط قال تعالى صراط الله الذي
له ما في السموات وما في الارض ومنها كلمة الله ومنها النور يريدون ليطفوا نور الله ومنها الهدى قال تعالى هدى الله يهدي
به من يشاء ومنها العروة الوثقى ومن يومن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى ومنها الحبل الوثيق واعتصموا بحبل الله
ومنها صبغة الله ومنها فطرة الله **فصل** قال جمهور الفقهاء واكثر المتكلمين ايمان المقلد صحيح واحتجوا بهذه
الاية قالوا انه تعالى حكم بصحة ايمان اولئك الافواج وجعله من اعظم المنن على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ولولم يكن ايمانهم
صحيحا لما ذكره في هذا المعرض ثم انا نعلم قطعا انهم ما كانوا يعرفون حدوث الاجسام بالدليل واثبات كونه تعالى منزها
عن الجسمية والمكان والحيز ولا اثبات كونه تعالى عالما بجميع المعلومات التي لا نهاية لها ولا اثبات الصفات والتنزيه بالدليل
والعلم بان اولئك الاعراب ما كانوا عالمين بهذه الدقايق ضروري فعلمنا ان الايمان المقلد صحيح لا يقال انهم كانوا عالمين
باصول دلايل هذه المسايل لان اصول هذه الدلايل ظاهرة بل كانوا جاهلين بالتفاصيل لانا نقول ان الدليل لا يقبل الزيادة
والنقصان فان الدليل اذا كان مركبا من عشر مقدمات فمن علم تسعة منها وكان في المقدمة العاشرة مقلدا كان في النتيجة
مقلدا لا محالة **قوله تعالى** فسبح بحمد ربك واستغفره بحمد ربك حال اي ملتبسا بحمده وتقدم تحقيق ذلك في البقرة
عند قوله تعالى ونحن نسبح بحمدك قال ابن الخطيب انه تعالى امره صلى الله عليه وسلم بالتسبيح ثم بالحمد ثم بالاستغفار والفايدة
فيه ان تاخير النصر سنين مع ان محمدا صلى الله عليه وسلم كان على الحق مما يثقل على القلب ويقع في القلب اني اذ كنت على الحق فلم
لا تنصرني ولم سلطت علي هولاء الكفار فلاجل الاعتذار عن هذا الخاطر امر بالتسبيح اما على قولنا فالمراد من هذا التنزيه
انه تعالى منزه عن ان يستحق عليه احد شيا بل كل ما يفعله فانما يفعله بحكم المشية الالهية فله ان يفعل ما يشاء كما يشاء
ففايدة التسبيح تنزيه الله تعالى عن ان يستحق عليه احد شيا واما على قول المعتزلة ففايدة التنزيه هو ان يعلم العبد
ان تنزيه الله تعالى عن ان يستحق عليه احد شيا واما على قول المعتزلة ففايدة التنزيه هو ان يعلم العبد ان تنزيه الله
عما لا ينبغي بسبب المصلحة لا بسبب ترجيح الباطل على الحق ثم اذا فرغ العبد من تنزيه الله عز وجل فحينيذ يشتغل بحمده
على ما اعطاه من الاحسان والبر ثم حينيذ يشتغل بالاستغفار لذنوب نفسه **فصل** قال المفسرون
فسبح بحمد ربك واستغفره انما اذا صليت فاكثر من ذلك وقيل بمعنى سبح صل قال ابن عباس رضي الله عنه وقوله بحمد ربك
حامدا له على ما اتاك من الظفر والفتح واستغفره اي سل الله الغفران وقيل معنى فسبح المراد به التنزيه اي نزهه عما لا
لا يجوز عليه مع شكرك له وبالاستغفار مداومة الذكر وروى في الصحيحين عن عايشة رضي الله عنها قالت ما صلى رسول
الله صلى الله عليه وسلم صلاة بعد ان نزلت عليه سورة اذا جاء نصر الله والفتح الا يقول فيها سبحانك اللهم وبحمدك
اللهم اغفر لي وقالت ام سلمة رضي الله عنها كان النبي صلى الله عليه وسلم اخر امره لا يقوم ولا يقعد ولا يجي ولا يذهب
الا قال سبحان الله وبحمده استغفر الله واتوب اليه قال فاني امرت بها ثم قرا اذا جاء نصر الله والفتح الى اخرها وقال عكرمة
رضي الله عنه لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم قط اشد اجتهادا في امور الاخرة ما كان عند نزولها وقال مقاتل لما نزلت
قراها النبي صلى الله عليه وسلم على اصحابه وفيهم ابو بكر وعمر وسعد بن ابي وقاص رضي الله عنهم ففرحوا واستبشروا وبكى العباس

فقال له

فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ما يبكيك يا عم قال نعيت اليك نفسك قال انه لكما قلت فعاش بعدها ستين يوما ما روي
فيها ضاحكا مستبشرا وقيل نزلت في منى بعد ايام التشريق في حجة الوداع فبكى عمر وعباس رضي الله عنهما فقيل لهما هذا يوم
فرح فقالا بل فيه نعي النبي صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم صدقتما نعيت الي نفسي وروى البخاري وغيره
عن ابن عباس قال كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه ياذن لاهل بدر ويأذن لي معهم قال فوجد بعضهم من ذلك فقالوا ياذن
لهذا الفتى معنا ومن ابنائنا من هو مثله فقال عمر رضي الله عنه لهم انه من قد علمتم قال فاذن لهم ذات يوم واذن لي معهم
فسالهم عن هذه السورة اذا جاء نصر الله والفتح فقالوا امر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم اذا فتح عليه ان يستغفره
وان يتوب عليه فقال ما تقول يا ابن عباس قلت ليس كذلك بل اخبر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بحضور اجله فقال اذا
جاء نصر الله والفتح فذلك علامة موتك فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا فقال عمر رضي الله عنه تلوموني عليه
وفي رواية فقال عمر رضي الله عنه اني لا اعلم منها الا ما تقول **فصل** فان قيل فماذا يغفر للنبي صلى الله عليه
وسلم حتى يومر بالاستغفار فالجواب كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول في دعايه رب اغفر لي خطيتي وجهلي واسرافي
في امري كله وما انت اعلم به مني اللهم اغفر لي خطيتي وجهلي ما قدمت وما اخرت وما اعلنت وما اسررت انت المقدم
وانت الموخر انك على كل شي قدير وكان صلى الله عليه وسلم يستقصر لنفسه لعظم ما انعم الله عليه ويرى قصوره عن
القيام بحق ذلك وقيل حسنات الابرار سيات المقربين وقيل يحتمل ان يكون المعنى كن متعلقا به سايلا راغبا متضرعا على
روية التقصير في اداء الحقوق وقيل الاستغفار تعبد يجب اتيانه لا للمغفرة بل تعبدا وقيل معنى واستغفره اي استغفر
لامتك انه كان توابا على المسبحين والمستغفرين يتوب عليهم ويرحمهم ويقبل توبتهم واذا كان عليه الصلاة والسلام
وهو معصوم يومر بالاستغفار فما ذا ظنك بغيره **فصل** قد مر تفسير الحمد واما تفسير قوله تعالى فسبح
بحمد ربك ففيه وجوه الاول قال الزمخشري اي قل سبحان الله والحمد لله تعجبا مما اراك من عجيب نعامه اي اجمع بينهما كقولك
الماء باللبن اي اجمع بينهما خلطا وتربا الثاني ان التسبيح داخل في الحمد لانك اذا حمدت الله تعالى فقد سبحته بواسطة لان
الثناء عليه والشكر له يتضمن تنزيهه عن النقايص ولذلك جعل الحمد مفتاح القران فمعنى سبح بحمد ربك اي سبحه بواسطة ان
تحمده اي سبحه بهذا الطريق الثالث ان يكون حالا اي سبحه مقدرا ان تحمد التسبيح كانك تقول لا يتاتي لك الجمع بينهما لفظا
فاجمعهما نية كما تنوي الصلوة بنية النحر مقدرا انك تنحر بعدها فيجتمع لك الثواب في تلك الحالة كذا ههنا الرابع انه لما
كفي في قولك فعلت هذا بفضل الله اي بحمد الله اي انه الذي هداك الذي عندك لا بجهد غيرك كقوله صلى الله عليه وسلم الحمد لله على الحمد
الخامس قال السدي بحمد ربك اي بامر ربك السادس ان تكون الباء زايدة والتقدير سبح حمد ربك اي طهر محامد ربك عن الريا
والسمعة واختر له اطهر المحامد وازكاها واحسنها وابدا بالتسبيح بدلا من الحمد الواجب عليك لان الحمد انما يجب في مقابلة النعم
ونعم الله تعالى علينا هيبة فحمدها لا يكون في وسع البشر فكانه تعالى يقول انت عاجز عن الحمد فات بالتسبيح والتنزيه
بدلا من الحمد السابع فيه اشارة الى ان التسبيح والحمد لا يتاخر احدهما عن الاخر ولا يمكن ان يوتى بهما معا ونظيره من ثبت له
حق الشفعة وحق الرد بالعيب وجبانه يقول اخترت الشفعة بردي ذلك البيع كذا ههنا قال فسبح بحمد ربك ليقع معا
فيصير حامدا مسبحا في وقت واحد معا فان قيل التوبة مقدمة على جميع الطاعات ثم الحمد مقدم على التسبيح لان الحمد
على النعم والنعم سابقة فالاستغفار سابق ثم التسبيح فالجواب لعله بدا بالاشرف تنبيها على ان النزول من الخالق الى الخلق
اشرف من الصعود من الخلق الى الخالق او نبه بذلك على التسبيح والحمد الصادرين عن العبد اذا قابلا بالجلال الحق وعزته استوجبا
الاستغفار او لان التسبيح والحمد اشارة الى تعظيم امر الله والاستغفار اشارة الى الشفقة على خلق الله تعالى فالاول
كالصلوة والثاني كالزكوة وكما ان الصلاة مقدمة على الزكوة فكذا ههنا فان قيل قوله تعالى كان توابا يدل على الماضي
وحاجتنا الى قبوله في المستقبل وايضا هلا قال سبحانه غفارا كما قال تعالى في سورة نوح عليه السلام وايضا قال تعالى
نصر الله وقال في دين الله وقال بحمد ربك ولم يقل بحمد الله فالجواب عن الاول ان هذا ابلغ كانه يقول الست على زجر وفتح
فعلا منهم كاليهود فانهم بعد ظهور المعجزات العظيمة كفلق البحر ونتق الجبل ونزول المن والسلوى عصوا ربهم واتوا بالقبايح
ولما تابوا قبلت توبتهم فاذا كنت قابلا التوبة اولئك فهم دونكم فلا اقبل توبتكم وانتم خير امة اخرجت للناس اولاني زرعت
في توبة العصاة والزروع ملونة وهو اشارة الى تخفيف جنايتهم اي لستم اول من جنى والمصيبة اذا عمت خفت اوكما قيل
كما احسن الله فيما مضى كذلك يحسن فيما بقي والجواب عن الثاني لعله خص هذه الامة بمزيد الشرف لانه لا يقال في صفات
العبد غفار ويقال تواب اذا كان اتيا بالتوبة فكانه تعالى يقول كنت لي سميا من اول الامر انت مومن وانا مومن وان
اختلف المعنى فصرت سميا في اخر الامر فانت تواب وانا تواب ثم التواب في حق الله تعالى انه يقبل التوبة
كثيرا فيجب على العبد ان يكون اتيانه بالتوبة كثيرا لانه انما قال توابا لان القابل قد يقول استغفر الله وليس بتايب لقوله

المستغفر بلسانه المصر بقلبه كالمستهزئ فان قيل قد يقول اتوب وليس بتائب قلنا فاذا يكون كاذبا فيه لان التوبة اسم للرجوع او الندم بخلاف الاستغفار فانه لا يكون كاذبا فيه فيكون تقدير الكلام واستغفره بالتوبة وفيه تنبيه على ان خواتيم الاعمال يجب ان تكون بالتوبة والاستغفار فكذا خواتيم الاعمال والجواب عن الثالث انه راعى العدل فذكر اسم الذات مرتين وذكر اسم الفعال مرتين احدهما الرب والثاني التواب فلما كانت التربية تحصل اولا والتوبة اخرا لاجرم ذكر اسم الرب اولا واسم التوبة اخرا **فصل** قال ابن عمر رضي الله عنه نزلت هذه السورة بمنى في حجة الوداع ثم نزلت اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي فعاش بعدها صلى الله عليه وسلم ثمانين يوما ثم نزل لقد جاءكم رسول من انفسكم فعاش بعدها صلى الله عليه وسلم خمسة وثلاثين يوما ثم نزلت واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله فعاش بعدها صلى الله عليه وسلم احد وعشرين يوما وقال مقاتل سبعة ايام وقيل غير ذلك **فصل** قال ابن الخطيب اتفق الصحابة رضي الله عنهم على ان هذه السورة دلت على نعي رسول الله صلى الله عليه وسلم فان قيل كيف دلت السورة على هذا المعنى فالجواب من وجوه احدها قال بعضهم انما عرفوا ذلك لما روي انه صلى الله عليه وسلم خطب عقيب السورة وذكر التخيير وثانيها انه لما ذكر حصول النصر والفتح ودخول الناس في الدين افواجا دل ذلك على حصول التمام والكمال وذلك يستعقبه الزوال كما قيل

• اذا تم شيء بدا نقصه • توقع زوالا اذا قيل تم •

وثالثها انه جل ذكره امره بالتسبيح والحمد والاستغفار مطلقا واشتغاله صلى الله عليه وسلم بذلك يمنعه من الاشتغال بامر الامة فكان هذا كالتنبيه على ان امر التبليغ قد تم وكمل وذلك يوجب الموت لو بقي صلى الله عليه وسلم بعد ذلك لكان كالمعزول عن الرسالة وانه غير جائز ورابعها قوله تعالى واستغفره تنبيه على قرب الاجل كانه يقول قرب الاجل ودنا الرحيل فتاهب للامر ونبهه على ان سبيل العاقل اذا قرب اجله ان يستكثر من التوبة وخامسها كانه قيل كان منتهى مطلوبك في الدنيا هذا الذي وجدته وهو النصر والفتح والاستيلاء والله تعالى وعدك بقوله تعالى وللاخرة خير لك من الاولى فلما وجدت اقصى مرادك في الدنيا فانتقل الى الاخرة لتفوز بتلك السعادات العالية روى الثعلبي عن ابي رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة النصر فكانما شهد مع محمد صلى الله عليه وسلم فتح مكة والله تعالى اعلم بالصواب واليه المرجع والماب

سورة ابي لهب

مكية وهي خمس ايات وثلاث وعشرون كلمة وسبعة وسبعون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم **قوله تعالى** تبت يدا ابي لهب وتب اي خسرت وتقدم تفسير هذه المادة في سورة غافر عند قوله الا في تباب واسند الفعل الى اليدين مجازا لان اكثر الافعال تزاول بهما وان كان المراد جملة المدعو عليه وقوله وتب دعاء وتب اخبار اي قد وقع ما دعي به عليه كقول الشاعر

• جزاني جزاه الله شر جزائه • جزاء الكلاب العاويات وقد فعل •

ويؤيده قراءة عبد الله وقد تب والظاهر ان كليهما دعا ويكون في هذا شبه من مجيء العام بعد الخاص لان اليدين بعض وان كان حقيقة اليدين غير مراد وقيل كلاهما اخبار اراد بالاول هلاك عمله وبالثاني هلاك نفسه وانما عبر باليدين لان الاعمال غالبا تزاول بهما وقيل المراد باليدين نفسه وقد يعبر باليدين عن النفس كقوله تعالى بما قدمت يداك اي نفسك وهذا مهيع كلام العرب يعبر ببعض الشيء عن كله يقولون اصابته يد الدهر ويد المنايا والرزايا اي اصابه كل ذلك قال الشاعر

• لما اكبت يد الرزايا • عليه نادى الا مجير ••

وقال ابن الخطيب وباليدين اما لانه كان يرمي النبي صلى الله عليه وسلم بالحجارة وقيل المراد دينه ودنياه واولاه وعقباه او المراد باحدهما جر المنفعة وبالاخرى دفع المضرة او لان اليمين سلاح والاخرى جنة وقيل بمعنى ماله وبنيه وتب هو بنفسه وقيل تب من ولده عتبة وهو الذي دعا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اللهم سلط عليه كلبا من كلابك لشدة عداوته فافترسه الاسد وقرا العامة لهب بفتح الهاء وابن كثير باسكانها فقيل لغتان بمعنى نحو النهر والنهر والشعر والشعر والنفر والنفر والضجر والضجر وقال الزمخشري وهو من تغيير الاعلام كقوله شمس بن مالك بالضم يعني ان الاصل بفتح الشين فغيرت الى الضم ويشير بذلك لقول الشاعر

• واني لمهد من ثنائي فقاصد • به لابن عم الصدق شمس بن مالك •

وجوز ابو حيان في شمس ان يكون منقولا من شمس الجمع في قولهم اذناب خيل شمس فلا يكون من التغيير في شيء وكني بذلك ابو لهب اما للتهاب وجنتيه وكان مشرق الوجه احمر واما لما يؤول اليه من لهب جهنم كقولهم ابو الخير وابو الشر لصدورهما منه

واما لان الكنية اغلب من الاسم او لانها انقص منه ولذلك ذكر الانبياء عليهم السلام باسمائهم دون كناهم او لقبح اسمه لان اسمه عبد العزى فعدل عنه الى الكنية لان الله تعالى لم يضفه الى العبودية في كتابه الى صنم وقيل اسمه ابو لهب كما سمي ابو سفيان وابو طالب وقال الزمخشري فان قلت لم كناه والكنية تكرمة ثم ذكر ثلاثة احوال اما لشهرته بكنيته واما لقبح اسمه كما تقدم واما للتجانس قوله نارا ذات لهب لان ماله الى لهب جهنم انتهى وهذا يقتضي ان الكنية اشرف واكمل لا انقص وهو عكس قول المتقدم انفا وقرئ يدا ابو لهب بالواو في مكان الجر قال الزمخشري كما قيل علي بن ابو طالب ومعوية بن ابو سفيان لئلا يتغير منه شيء فيشكل على السامع وقيل كان لابن عاصم امرمكة ابنان احدهما عبد الله بالجر والاخر عبد الله بالنصب ولم يختلف القراء في قوله ذات لهب انها بالفتح والفرق انها فاصلة فلو سكنت زال التشاكل **فصل** قال قتادة تبت خسرت وقال ابن عباس خابت وقال عطاء ضلت وقال ابن جبير هلكت وقال يمان بن رباب صفرت من كل خير وحكى الاصمعي عن ابي عمرو بن العلاء انه لما قتل عثمان بن عفان رضي الله عنه سمع الناس هاتفا يقول هذه الابيات •

• لقد خلوك وانصرفوا • فما ابوا ولا رجعوا •

• ولم يوفوا بنذرهم • فيا تبا للذي صنعوا •

فصل روى البخاري ومسلم عن ابن عباس رضي الله عنه قال لما نزلت وانذر عشيرتك الاقربين خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى صعد الصفا فهتف يا صباحاه فقالوا من هذا الذي يهتف فقالوا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجتمعوا اليه فقال صلى الله عليه وسلم يا بني فلان يا بني فلان يا بني عبد مناف يا بني عبد المطلب فاجتمعوا اليه فقال عليه الصلاة والسلام ارايتم لو اخبرتكم ان خيلا تخرج بسفح هذا الجبل اكنتم مصدقي قالوا ما جربنا عليك كذبا قال فاني نذير لكم بين يدي عذاب شديد فقال ابو لهب تبا لك اما جمعتنا الا لهذا ثم قام فنزلت هذه السورة وفي رواية لما سمعت امراته ما نزل في زوجها وفيها من القران اتت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس في المسجد عند الكعبة ومعه ابو بكر رضي الله عنه وفي يدها فهر من حجارة فلما وقفت عليه اخذ الله تعالى ببصرها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا ترى الا ابا بكر فقالت يا ابا بكر ان صاحبك قد بلغني عنه انه يهجوني والله لو وجدته لضربت بهذا الفهر فاه والله اني شاعرة

• مذمما عصينا • وامره ابينا • ودينه قلينا •

ثم انصرفت فقال ابو بكر يا رسول الله اما تراها رأتك قال صلى الله عليه وسلم ما راتني لقد اخذ الله تعالى ببصرها عني وكانت قريش انما تسمي رسول الله صلى الله عليه وسلم مذمما ثم يسبونه وكان صلى الله عليه وسلم يقول الا تعجبون لما صرف الله تعالى عني من اذى كفار قريش يسبون ويهجون مذمما وانا محمد رسول الله وحكى ابو عبد الرحمن بن زيد ان ابا لهب اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال ماذا اعطى ان امنت بك يا محمد فقال صلى الله عليه وسلم كما يعطى المسلمون فقال ما لي عليهم فضل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم واي شيء تبتغي قال تبا لهذا من دين اكون انا وهؤلاء سواء فانزل الله تعالى فيه تبت يدا ابي لهب وحكى عبد الرحمن بن كيسان كان اذا وفد على النبي صلى الله عليه وسلم وفد انطلق اليهم ابو لهب فيسالونه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقولون انت اعلم به منا فيقول لهم ابو لهب انه كذاب ساحر فيرجعون عنه ولا يلقونه فاتى وفد ففعل مثل ذلك فقالوا لا ننصرف حتى نراه ونسمع كلامه فقال لهم ابو لهب انا لم نزل نعالجه فتبا له وتعسا فاخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فاكتاب لذلك فنزلت هذه السورة وقيل ان ابا لهب اراد ان يرمي النبي صلى الله عليه وسلم بحجر فمنعه الله تعالى من ذلك فنزلت تبت يدا ابي لهب للمنع الذي وقع به **فصل** قال ابن الخطيب من فسر التب بالهلاك فلقوله تعالى وما كيد فرعون الا في تباب اي في هلاك ومن فسره بالخسران فلقوله تعالى وما زادوهم غير تتبيب اي تخسير ومن فسره بالخيبة قال ابن عباس رضي الله عنه لانه كان يدفع القوم عنه صلى الله عليه وسلم بانه ساحر فينصرفون عنه قبل لقائه لانه كان شيخ القبيلة اتعسه الله فكان لا يتهم فلما نزلت هذه السورة وسمع بها غضب واظهر العداوة الشديدة وصار متهما فلم يقبل قوله في الرسول صلى الله عليه وسلم بعد ذلك فكانه قد خاب سعيه ولعله انما ذكر اليد لانه كان يضرب بيده على يد الوافد عليه فيقول انصرف راشدا فانه مجنون فان المعتاد ان من يصرف انسانا يضع يده على كتفه ويدفعه عن ذلك الموضع ومن فسر التب بقوله خابت فلانه كان يعتقد ان يده العليا وانه يخرجه من مكة ويذله ومن فسره بصفرت فلانه بيده خلت من كل خير **فصل** ابو لهب اسمه عبد العزى بن عبد المطلب عم النبي صلى الله عليه وسلم وامراته العوراء ام جميل اخت ابي سفيان بن حرب وكلاهما كانا شديدي العداوة للنبي صلى الله عليه وسلم قال طارق بن عبد الله المحاربي اني بسوق ذي المجاز اذا انا بانسان يقول يا ايها الناس قولوا لا اله الا الله تفلحوا واذا رجل خلفه يرميه قد ادمى ساقيه وعرقوبيه ويقول انه كذاب فلا تصدقوه فقلت من هذا فقالوا محمد زعم انه نبي وهذا عمه ابو لهب يزعم انه كذاب وروى عطاء عن ابن عباس رضي الله عنه قال قال ابو لهب سحركم محمد ان احدنا لياكل الجذعة ويشرب العس من اللبن

ولا يشبع وان محمدا قد اشبعكم من لحم شاة فاروا كم من عس لبن **قوله تعالى** ما اغنى فيجوز في ما النفي والاستفهام فعلى الاستفهام تكون منصوبة المحل بما بعدها التقدير اي شيء اغنى المال وقدم لكونه له صدر الكلام وقوله تعالى وما كسب يجوز في ما هذه ان تكون بمعنى الذي فالعائد محذوف وان تكون مصدرية اي وكسبه وان تكون استفهامية بمعنى واي شيء كسب اي لم يكسب شيئا قال ابو حيان فجعل الاستفهام بمعنى النفي فعلى هذا يجوز ان تكون نافية ويكون المعنى على ما ذكروه عن ظاهره وقرا ابن مسعود والاعمش وما اكتسب **فصل** المعنى ما دفع عنه عذاب الله ما جمع من المال ولا ما كسب من جاه وقال مجاهد وما كسب من ولد وولد الرجل من كسبه وقال ابو الطفيل جاء بنو ابي لهب يختصمون عند ابن عباس رضي الله عنه فاقتتلوا فقام ليحجز بينهم فدفعه بعضهم فوقع على الفراش فغضب ابن عباس وقال اخرجوا عني الكسب الخبيث يعني ولد ابي لهب وقال صلى الله عليه وسلم ان اطيب ما اكل الرجل من كسبه وقال ابن عباس رضي الله عنه لما انذر رسول الله صلى الله عليه وسلم عشيرته بالنار قال ابو لهب ان كان ما يقول ابن اخي حقا فاني افدي نفسي ومالي وولدي فنزل ما اغنى عنه ماله وما كسب وقال الضحاك ما ينفعه ماله وعمله الخبيث يعني كيده وعداوته رسول الله صلى الله عليه وسلم **قوله تعالى** سيصلى نارا ذات لهب قرا العامة سيصلى بفتح الياء واسكان الصاد وتخفيف اللام اي يصلى هو بنفسه وابو حيوة وابن مقسم وعباس في اختياره قال القرطبي والاشهب العقيلي وابو السمال العدوي ومحمد بن السميفع بضم الياء وفتح الصاد والتشديد والمعنى سيصليه الله عز وجل من قوله سيصليه نارا وقرا الحسن وابن ابي اسحق وابو رجاء والاعمش ورواها محبوب عن اسمعيل عن ابي رضي الله عنه وعن ابي بكر عن عاصم بضم الياء ومعنى ذات لهب اي ذات اشتعال وتلهب وقد تقدم القول فيه في سورة والمرسلات **قوله تعالى** وامراته حمالة الحطب قرا العامة بالرفع على انها جملة من مبتدا وخبر سيقت للاخبار بذلك وقيل وامراته عطف على الضمير في سيصلى سوغه الفصل بالمفعول وحمالة الحطب على هذا فيها اوجه كونها نعتا لامراته وجاز ذلك لان الاضافة حقيقية اذ المراد المضي وكونها بيانا وكونها بدلا لانها قريب من الجوامد لتمحض اضافتها وكونها خبرا لمبتدا مضمر اي هي حمالة وقرا عباس ومرتبته ومريئته على التصغير الا انه اقر الهمزة تارة وابدلها ياء وادغم فيها اخرى وقرا العامة حمالة بالرفع وعاصم بالنصب فقيل على الشتم وقد اتى بجميل من سب ام جميل قال الزمخشري وكانت تكنى ام جميل لعنها الله وقيل نصب على الحال من امراته اذا جعلناها مرفوعة بالعطف على الضمير ويضعف جعلها حالا عند الجمهور من الضمير في الجار بعدها اذا جعلناها لامراته لتقدمها على العامل المعنوي واستشكل بعضهم الحالية لما تقدم من ان المراد به المضي فيتعرف بالاضافة فكيف يكون حالا عند الجمهور ثم اجاب بان المراد الاستقبال لانه ورد انها تحمل يوم القيمة حزمة من حطب النار كما كانت تحمل الحطب في الدنيا وفي قوله تعالى حمالة الحطب قولان احدهما هو حقيقة قال قتادة كانت تعير النبي صلى الله عليه وسلم بالفقر ثم كانت مع كثرة مالها تحمل الحطب على ظهرها لشدة بخلها فعيرت بالبخل وقال ابن زيد والضحاك كانت تحمل العضاه والشوك بالليل فتطرحه على طريق النبي صلى الله عليه وسلم فكان النبي صلى الله عليه وسلم يطاه كما يطا الحرير وقال مرة الهمداني كانت ام جميل لعنها الله تاتي في كل يوم بابالة من الحسك فتطرحها على طريق المسلمين فبينما هي ذات ليلة حاملة حزمة عييت فقعدت على حجر لتستريح فجذبها الملك من خلفها فاهلكها القول الثاني انه مجاز عن المشي بالنميمة ورمي الفتن بين الناس قال الشاعر

ان بني الادرم حمالو الحطب • هم الوشاة في الرضى وفي الغضب •
• عليهم اللعنة تترى والحرب •

وقال اخر • من البيض لم يصطد على ظهر لامة • ولم يمش بين الحي بالحطب الرطب •

وجعله رطبا تنبيها على تدخينه وهو قريب من ترشيح المجاز يعني لم يمش بالنمام وقال سعيد بن جبير حمالة الخطايا والذنوب من قولهم فلان يحتطب على ظهره قال تعالى يحملون اوزارهم على ظهورهم وقرا ابو قلابة حاملة الحطب على وزن فاعلة وهي محتملة لقراءة العامة وقرا ابن عباس حمالة للحطب بالتنوين وجر المفعول بلام زائدة تقوية للعامل كقوله تعالى فعال لما يريد وابو عمرو في رواية وامراته باختلاس الهاء دون اشباع **قوله تعالى** في جيدها حبل يجوز ان يكون في جيدها خبرا لامراته وحبل فاعلا به وان يكون حالا من امراته على كونها فاعلة وحبل مرفوع به ايضا وان يكون خبرا مقدما وحبل مبتدا مؤخر والجملة حالية او خبر ثان والجيد العنق ويجمع على اجياد قال امرؤ القيس • وجيد كجيد الريم ليس بفاحش • اذا هي نصته ولا بمعطل • ومن مسد صفة لحبل والمسد ليف المقل وقيل الليف مطلقا وقيل الحبل المجدول بين قال النابغة • مقذوفة بدخيس النحض بازلها • له صريف صريف القعو بالمسد •

وقد يكون من جلود الابل واوبارها قال الشاعر • ومسد امر من ايانق • ليس بانياب ولا حقائق • وجمع المسد امساد وقال ابو عبيدة هو حبل يكون من صوف وقال الحسن هي حبال من شجر تنبت باليمن تسمى المسد وكانت تفتل **فصل** قال الضحاك وغيره هذا في الدنيا وكانت تعير النبي صلى الله عليه وسلم بالفقر وهي تحتطب في حبل تجعله في جيدها من ليف فخنقها الله تعالى به فاهلكها وهو في الاخرة حبل من نار وعن ابن عباس حبل من مسد قال سلسلة ذرعها سبعون ذراعا وهو قول مجاهد وعروة بن الزبير تدخل فيها وتخرج من اسفلها وتلوى سائرها على عنقها وقال قتادة حبل من مسد قال قلادة من ودع وقال الحسن انما كان خرزا في عنقها وقال سعيد بن المسيب كانت لها قلادة فاخرة من جوهر فقالت واللات والعزى لانفقنها في عداوة محمد ويكون ذلك عذابا في جيدها يوم القيمة وقيل ان ذلك اشارة الى الخذلان تعني انها مربوطة عن الايمان بما سبق لها من الشقاء كالمربوط في جيده بحبل من مسد والمسد الفتل يقال مسد حبله يمسده مسدا اي اجاد فتله قال يمسد اعلى لحمه ويارمه يقول انا البقل يقوي ظهر هذا الحمار وقال ابن الخطيب وقيل المسد يكون من الحديد وظن من ظن ان المسد لا يكون من الحديد خطا لان المسد هو المفتول سواء كان من الحديد او من غيره ورجل ممسود اي مجدول الخلق وجارية حسنة المسد والعصب والجدل والارم وهي ممسودة ومعصوبة ومجدولة ومارومة والمساد على فعال لغة في المساب وهو نحي السمن وسقاء العسل قال كل ذلك الجوهري فان قيل ان كان ذلك حبلها فكيف يبقى ابدا في النار **فصل** تضمنت هذه الايات الاخبار عن الغيب من ثلاثة اوجه احدها الاخبار عنه بالتباب والخسار وقد كان ذلك وثانيها الاخبار عنه بعدم الانتفاع بماله وولده وقد كان ذلك وثالثها الاخبار بانه من اهل النار وقد كان ذلك لانه مات على الكفر هو وامراته ففي ذلك معجزة للنبي صلى الله عليه وسلم فامراته خنقها الله تعالى بحبلها لعنها الله وابو لهب رماه الله في الليالي بالعدسة بعد وقعة بدر بسبع ليال فمات واقام ثلاثة ايام لم يدفن حتى انتن ثم ان ولده غسلوه بالماء قذفا من بعيد مخافة عدوى العدسة وكانت قريش تتقيها كما تتقى الطاعون ثم احتملوه الى اعلى مكة فاسندوه الى جدار ثم رضموا عليه الحجارة **فصل** احتج اهل السنة على تكليف ما لا يطاق بانه تعالى كلف ابا لهب بالايمان بتصديق الله تعالى في كل ما اخبر عنه ومما اخبر عنه انه لا يؤمن وانه من اهل النار فقد صار مكلفا بانه لا يؤمن وهذا تكليف بالجمع بين النقيضين وهو محال وذلك مذكور في اصول الفقه ذكر الثعلبي عن ابي رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة تبت رجوت ان لا يجمع الله تعالى بينه وبين ابي لهب في دار واحدة والله اعلم • • •

سورة الاخلاص

مكية في قول ابن مسعود والحسن وعطاء وعكرمة وجابر ومدنية في احد قولي ابن عباس وقتادة والضحاك والسدي رضي الله عنهم وهي اربع ايات وخمس عشرة كلمة وسبعة واربعون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم **قوله تعالى** قل هو الله احد في هو وجهان احدهما انه ضمير عائد على ما يفهم من السياق فانه يروى في سبب النزول انهم قالوا صف لنا ربك وانسبه وقيل قالوا له اخالص هو ام حديد فنزلت وحينئذ يجوز ان يكون الله مبتدا واحد خبره والجملة خبر الاول ويجوز ان يكون الله بدلا واحد الخبر ويجوز ان يكون الله خبرا اول واحد خبرا ثانيا ويجوز ان يكون احد خبر المبتدا محذوف اي هو احد والثاني ضمير الشان لانه موضع تعظيم الجملة بعده خبره مفسرة وهمزة احد بدل عن واو لانه من الوحدة وابدال الهمزة من الواو المفتوحة قليل منه امراة اناة من الونا وهو الفتور وتقدم الفرق بين احد هذا واحد المراد به العموم فان همزة ذاك اصل بنفسها ونقل ابو البقاء ان همزة احد هذا غير مقلوبة بل اصل بنفسها كالمراد به العموم والاول هو المعروف وفرق ثعلب بين واحد وبين احد بان الواحد يدخله العدد والجمع والاثنان واحد لا يدخله ذلك ويقال الله احد ولا يقال زيد احد لان لله تعالى هذه الخصوصية وزيد له حالات شتى ورد عليه ابو حيان بانه يقال احد وعشرون ونحوه فقد دخله العدد انتهى وقال مكي ان احدا اصله واحد فابدلت الواو همزة فاجتمع الفان لان الهمزة تشبه الالف فحذفت احداهما تخفيفا وقرا عبد الله وابي الله احد دون قل وقرا النبي صلى الله عليه وسلم الله احد بغير قل هو وقرا الاعمش قل هو الله الواحد وقرا العامة بتنوين احد وهو الاصل وزيد بن علي وابان بن عثمان وابن ابي اسحق والحسن وابو السمال وابو عمرو في رواية في عدد كثير بحذف التنوين للخفة ولالتقاء الساكنين كقوله • عمرو الذي هشم الثريد لقومه • ورجال مكة مسنتون عجاف • • • وقوله • ولا ذاكر الله الا قليلا • **قوله تعالى** الصمد الذي يصمد اليه في الحاجات والصمد فعل بمعنى مفعول كالقبض والنقض وهو السيد الذي يصمد اليه اي يقصد في الحوائج ولا يقدر على قضائها الا هو وانشد •

الابكر الناعي بخير بني اسد • بعمرو بن مسعود وبالسيد الصمد • وقال اخر • علوته بحسام ثم قلت له • خذها حزيت
فانت السيد الصمد • وقيل الصمد الذي لا جوف له ومنه قوله • شهاب حروب لا تزال جياده • عوابس يعلكن الشكيم المصمدا
وقال ابي بن كعب رضي الله عنه تفسيره ما بعده من قوله عز وجل لم يلد ولم يولد وهذا يشبه ما قالوه في تفسير الهلوع والاحسن
في هذه الجملة ان تكون مستقلة بفايدة هذا الخبر ويجوز ان يكون الصمد صفة والخبر في الجملة بعده كذا قيل وهو ضعيف من
حيث السياق فان السياق يقتضي الاستقلال باخبار كل جملة قال القرطبي رحمه الله لانه ليس كل شي يولد الا يموت وليس شي يموت
الا يورث وقيل الصمد الدايم الباقي الذي لم يزل ولا يزال وقال ابو هريرة رضي الله عنه انه المستغني عن كل احد والمحتاج
اليه كل احد وقال السدي انه المقصود في الرغبات والمستعان به في المصايب وقال الحسين بن الفضل انه الذي يفعل ما يشاء
ويحكم ما يريد وقال مقاتل رضي الله عنه انه الكامل الذي لا عيب فيه قال القرطبي والصحيح من هذه الاقوال ما شهد له الاشتقاق
وهو القول الاول ذكره الخطابي **فصل** قال ابن الخطيب ونكر لفظ احد لان الذي يعرفه الخلق من الموجودات
محسوس وكل محسوس منقسم فاما ما لا ينقسم فلا يعرف وعرف الصمد لانه الذي يقصد في الحوايج وذلك معلوم عند الخلق
وقدم لم يلد وان كان العرف سبق المولود به لانه الاهم لقولهم ولد الله وقوله جل ذكره ولم يولد كالحجة على انه لم يلد وجاء
هنا لم يلد وفي سورة الاسرا لم يتخذ ولدا لان من النصارى من يقول عيسى ولد الله حقيقة ومنهم من يقول ان الله اتخذه
ولدا تشريفا فنفى الامرين **فصل** قال القرطبي وقد اسقط من هذه السورة من ابعده الله واخزاه وقرا الله
الواحد الصمد في الصلاة والناس يسمعون فاسقط قل هو وزعم انه ليس من القران وغير لفظ احد وادعى ان هذا هو
الصواب والذي عليه الناس هو الباطل فابطل معنى الاية لان اهل التفسير قالوا نزلت جوابا لاهل الشرك لما قالوا
لرسول الله صلى الله عليه وسلم صف لنا ربك امن ذهب ام من نحاس ام من حديد فقال الله تعالى ردا عليهم قل هو الله احد ففي
قوله تعالى هو دلالة على موضع الرد ومكان الجواب فاذا سقط بطل معنى الاية وصح الافترا على الله تعالى والتكذيب
لرسول الله صلى الله عليه وسلم وروى الترمذي عن ابي بن كعب رضي الله عنه ان المشركين قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم
انسب لنا ربك فانزل الله تعالى قل هو الله احد الله الصمد والصمد الذي لم يلد ولم يولد لانه ليس شي يولد الا سيموت
وليس شي يموت الا يورث وان الله تعالى لا يموت ولا يورث ولم يكن له كفوا احد قال لم يكن له شبه ولا عدل ليس كمثله
شي وروى ابو العالية ان النبي صلى الله عليه وسلم ذكر الهتهم فقالوا انسب لنا ربك فاتاه جبريل عليه السلام بهذه
السورة قل هو الله احد قال الترمذي وهذا اصح قال القرطبي ففي هذا الحديث اثبات لفظ قل هو الله احد وعن عكرمة نحوه
وقال ابن عباس لم يلد كما ولدت مريم ولم يولد كما ولد عيسى وعزير وهو رد على النصارى وعلى من قال عزير ابن الله ولم يكن
له كفوا احد ولم يكن له مثل وفيه تقديم وتاخير ولم يكن له كفوا احد فقدم خبر كان على اسمها لينساق اواخر الاي **فصل**
قوله تعالى قال ابن الخطيب دل العقل على استحالة كونه تعالى والدا ومولودا وذكرهما بعدهما كما ذكر النتيجة بعد الدليل
ولم يكن له كفوا احد في نصب كفوا وجهان احدهما انه خبر يكن واحد اسمها وله متعلق بالخبر اي ولم يكن كفوا له كما تقدم ورد
المبرد على سيبويه بهذه الاية من حيث انه يزعم انه اذا تقدم الظرف كان هو الخبر وهذا لم يجعله خبرا مع تقدمه وقد رد على المبرد
بوجهين احدهما ان سيبويه لم يحتم ذلك بل جوزه والثاني انا لا نسلم ان الظرف هنا ليس بخبر بل هو خبر ونصب كفوا
على الحال على ما سياتي بيانه وقال الزمخشري الكلام العربي الفصيح ان يوخر الظرف الذي هو لغو غير مستقر ولا يقدم
وقد نص سيبويه في كتابه على ذلك فما باله مقدما في افصح كلام واعربه قلت هذا الكلام انما سيق لنفي المكافاة
عن ذات الباري وهذا المعنى مصبه ومركزه هو الظرف فكان ذلك اهم شي واعناه واحقه بالتقدم واحراه والثاني ان
ينصب على الحال من احد لانه كان صفة فلما تقدم عليه نصب حالا وله هو الخبر قاله مكي وابو البقا وغيرهما ويجوز ان يكون
حالا من الضمير المستكن في الجار لوقوعه خبرا قال ابو حيان بعد ان حكى كلام الزمخشري ومكي وهذه الجملة ليست من هذا الباب
وذلك ان قوله تعالى لم يكن له كفوا احد ليس الجار والمجرور فيه تاما انما هو ناقص لا يصلح ان يكون خبر المكان بل هو متعلق بكفوا
وتقدم على كفوا للاهتمام به اذ فيه ضمير الباري تعالى وتوسط الخبر وان كان الاصل التاخير لان تاخير الاسم هو فاصلة
فحسن ذلك وعلى هذا الذي قررناه يبطل اعراب مكي وغيره ان له الخبر وكفوا حال من احد لانه ظرف ناقص ولا يصلح ان يكون خبرا
وبذلك يبطل سوال الزمخشري وجوابه وسيبويه انما تكلم في الظرف الذي يصلح ان يكون خبرا وان لا يكون قال سيبويه
وتقول ما كان فيها احد خير منك وما كان منك فيها وليس احد فيها خير منك اذا جعلت فيها مستقرا ولم تجعله على قولك فيها
زيد قايم اجريت الصفة على الاسم فان جعلته على فيها قايم نصبت فتقول ما كان فيها احد خيرا منك فيها الا انك اذا اردت
الالغا فكلما اخرت الملغى فهو احسن واذا اردت ان يكون مستقرا فكلما قدمته كان احسن والتقديم والتاخير والالغا والا
ستقرار عربي جيد كثير قال تعالى ولم يكن له كفوا احد وقال الشاعر • ما دام فيهن فصيل حيا ••

انتهى

فهي كلام سيبويه قال ابو حيان فانت ترى كلامه وتمثيله بالظرف الذي لا يصلح ان يكون خبرا ومعنى قوله مستقرا اي خبرا
للمبتدا او لكان فان قلت قد مثل بالاية قلت هذا الذي اوقع مكيا والزمخشري وغيرهما فيما وقعوا فيه وانما اراد سيبويه
ان الظرف التام وهو في قوله • ما دام فيهن فصيل حيا • اجري فضيل فصله لا خبرا كما انه في الاية اجري فصله فجعل الظرف القابل
ان يكون خبرا كالظرف الناقص في كونه لم يستعمل خبرا ولا يشك من له ذهن صحيح انه لا ينعقد كلام من له احد بل لو تاخر كفوا
وارتفع على الصفة وجعل له خبرا لم ينعقد منه كلام بل انت ترى ان النفي لم يتسلط الا على الخبر الذي هو كفوا والمعنى لم يكن له
احد مكافيه انتهى ما قاله ابو حيان قال شهاب الدين قوله ولا يشك الى اخره تهويل على الناظر والا فقوله هذا الظرف ناقص
ممنوع لان الظرف الناقص عبارة عما لم يكن في الاخبار به فايدة كالمقطوع عن الاضافة ونحو في دار رجل وقد نقل سيبويه
الامثلة المتقدمة نحو ما كان فيها احد خير منك وما الفرق بين هذا وبين الاية الكريمة وكيف يقول هذا وقد قال سيبويه
في اخر كلامه والتقديم والتاخير والالغا والاستقرار عربي جيد كثير **فصل** قرا العامة كفوا بضم الكاف والفا
وسهل الهمزة الاعرج وسيبويه ونافع في رواية واسكن الفا حمزة وابدل الهمزة واوا وقفا خاصة وابدلها حفص واوا مطلقا
والباقون بالهمز مطلقا قال القرطبي وتقدم في البقرة ان كل اسم على ثلاثة احرف اوله مضموم فانه يجوز في عينه الضم والاسكان
الا قوله تعالى تتخذنا هزوا وقرا سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس كفا بالكسر والمد اي لا مثل له وانشد النابغة
لا تقذفني بركن لا كفا له • وقرا نافع في رواية كفا بالكسر وفتح الفا من غير مد كانه نقل حركة الهمزة وحذفها والكفو
النظير تقول هذا كفوك اي نظيرك والاسم الكفاءة بالفتح قال ابن الخطيب والتحقيق انه تعالى لما اثبت الاحدية
والصمدية ونفى الوالدية والمولودية ختم السورة بان شيا من الموجودات يمتنع ان يساويه في شي من صفات الجلال والعظمة
لانفراده سبحانه بوجوب الوجود **فصل** روى ابو هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول الله تعالى كذبني ابن ادم ولم يكن له ذلك وشتمني ولم يكن له ذلك فاما تكذيبه اياي فقوله لن يعيدني كما بداني وليس
باول الخلق باهون علي من اعادته واما شتمه اياي فقوله اتخذ الله ولدا وانا الاحد الصمد لم الد ولم اولد ولم يكن لي كفوا احد
فصل في فضايل هذه السورة روى البخاري عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه ان رجلا سمع رجلا
يقرا قل هو الله احد يرددها فلما اصبح جا النبي صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
والذي نفسي بيده انها لتعدل ثلث القران لان القران انزل اثلاثا ثلثا احكام وثلثا وعد ووعيد وثلثا اسما وصفات
وجمعت هذه السورة احد الاثلاث وهو الاسما والصفات وقيل لان اسم الصمد لا يوجد في غيرها من القران وروى
مسلم عن عايشة رضي الله عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم بعث رجلا على سرية فكان يقرا في صلاتهم فيختم بقل هو الله
احد فلما رجعوا ذكروا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال سلوه لاي شي يصنع ذلك فسالوه فقال لانها صفة الرحمن
عز وجل فانا احب ان اقراها فقال النبي صلى الله عليه وسلم اخبروه ان الله تعالى يحبه وروى الترمذي عن انس بن مالك
رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع رجلا يقرا قل هو الله احد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وجبت قلت
ما وجبت قال الجنة وروى انس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا قل هو الله احد خمسين مرة
غفرت ذنوبه وروى سعيد بن المسيب رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قرا قل هو الله احد عشر مرة
بنى الله تعالى له قصرا في الجنة ومن قراها عشرين مرة بنى الله له قصرين في الجنة ومن قراها ثلاثين مرة بنى الله له ثلاث قصور
في الجنة فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه اذن نكثر قصورنا فقال عليه الصلاة والسلام اوسع من ذلك وقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم من قرا قل هو الله احد في مرضه الذي يموت فيه لم يفتن في قبره وامن من ضغطة القبر وحملته الملايكة يوم
القيمة باكفها حتى يجيزه من الصراط الى الجنة **فصل** في اسمايها قال ابن الخطيب • سورة التفريد • وسورة التجريد •
وسورة التوحيد • وسورة الاخلاص • وسورة النجاة • وسورة الولاية • وسورة النسبة • لقولهم انسب لنا ربك • وسورة المعرفة •
وسورة الجمال • وسورة البر لانها تبري من النفاق • وسورة الاساس • وسورة المحضر لان الملايكة تحضر استماعها • وسورة المانعة •
والمنفرة لانها تنفر الشيطان • وسورة النور لانها تنور القلب • والله نور السموات والارض • والله تعالى اعلم وحسبنا الله ونعم الوكيل •

سورة الفلق

مكية في قول الحسن وعكرمة وعطا وجابر ومدنية في قول ابن عباس وقتادة وهي خمس ايات وثلاثة وعشرون كلمة
واربعة وسبعون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم **قوله تعالى** قل اعوذ برب الفلق هذه السورة وسورة الناس والاخلاص

نزلتا على رسول الله صلى الله عليه وسلم حين سحرته اليهودية وقيل ان المعوذتين يقال لهما المقشقشتان اي تبريان من النفاق وزعم ابن مسعود رضي الله عنه انهما دعاء وليستا من القران وخالف به الاجماع من الصحابة واهل البيت قال ابن قتيبة لم يكتب عبد الله بن مسعود في مصحفه المعوذتين لانه كان يسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يعوذ الحسن والحسين رضي الله عنهما بهما فقدر انهما بمنزلة اعوذ بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة قول البشر وكلام الخالق الذي هو اية ومعجزة لمحمد صلى الله عليه وسلم على جميع الكافرين لا يلتبس بكلام الادميين على مثل عبد الله بن مسعود الفصيح اللسان العالم باللغة العارف باجناس الكلام وقال بعض الناس لم يكتب عبد الله المعوذتين لانه امن عليهما من النسيان فاسقطهما وهو يحفظهما كما اسقط فاتحة الكتاب من مصحفه وما يشك في حفظه واتقانه لهما فرد هذا القول على قائله واحتج عليه بانه قد كتب اذا جاء نصر الله والفتح وانا اعطيناك الكوثر وقل هو الله احد وهن يجرين مجرى المعوذتين في انهما غير طوال والحفظ اليهن اسرع والنسيان مأمون وكلهن يخالف فاتحة الكتاب اذ الصلوة لا تتم الا بقراءتها وسبيل كل ركعة ان تكون المقدمة فيها قبل قراءة ما بعدها فاسقاط فاتحة الكتاب من المصحف على معنى الثقة ببقاء حفظها والامن من نسيانها صحيح وليس من السور ما يجري في هذا المعنى مجراها ولا يسلك به طريقها **فصل** تقدم الكلام في الاستعاذة والفلق هو الصبح وهو فعل بمعنى مفعول كالقبض اي مفلوق وفي حديث الرؤيا مثل فلق الصبح قال الشاعر • يا ليلة لم اعهاب مرتقبا • ارعى النجوم الى ان نور الفلق • •

وقال ذو الرمة • حتى اذا ما انجلى في وجهه فلق • هاديه في اخريات الليل منتصب • • يصف الثور الوحشي يعني بالفلق هنا الصبح بعينه وقيل هو جب في جهنم وقيل المطمئن من الارض وجمعه فلقان مثل خلق وخلقان وربما قالوا ذلك بفالق كذا وكذا يريدون المكان المنحدر بين الربوتين وقيل الفلق الجبال الصخر تنفلق بالمياه اي تنشق وقيل هو التفليق بين الجبال لانها تنشق من خوف الله تعالى قال زهير

• ما زلت ارمقهم حتى اذا هبطت • ايدي الركاب بهم من راكس فلقا •

الراكس بطن الوادي وكذلك هو في قول النابغة • وعيد ابي راكس فالضواجع • والراكس ايضا الهادي وهو الثور وسط البيدر يدور عليه الثيران في الدياسة وقيل الفلق الرحم تنفلق بالحيوان وقيل انه كل ما انفلق عن جميع ما خلق من الحيوان كله قال الشاعر • وسوس يدعو مخلصا رب الفلق سرا • وقد اذن بادمن عقرم ذهب • قال القرطبي وهذا قول يشهد له الاشتقاق فان الفلق الشق فلقت الشيء فلقا شققته والتفليق مثله يقال فلقته فانفلق وتفلق فكل ما انفلق من شيء من حيوان وصبح وحب ونوى فهو فلق قال تعالى فالق الاصباح وقال فالق الحب والنوى والفلق ايضا مقطرة السحاب فاما الفلق بكسر اللام فالداهية والامر العجيب يقال منه افلق الرجل وافتلق وشاعر مفلق وقد جاء بالفلق قال الشاعر • واعجبا من هذه الفليقه • هل يذهبن الغر بالريقه •

والفلق ايضا القضيب يشق باثنين فيعمل منه قوسان يقال لكل منهم فلق وقولهم جاء بعلق فلق وهي الداهية لا تجري يقال منه افلقت واعلقت اي جئت بعلق فلق ومر يفتلق في عدوه اي ياتي بالعجب من شدته **قوله تعالى** من شر ما خلق متعلق باعوذ والعامة على اضافة شر الى ما وقرا عمرو بن فايد بتنوينه وقال ابن عطية عمرو بن عبيد وبعض المعتزلة الذين يرون ان الله تعالى لم يخلق الشر من شر بالتنوين ما خلق على النفي وهي قراءة مردودة مبنية على مذهب باطل انتهى ولا يتعين ان تكون ما نافية بل يجوز ان تكون موصولة بدلا من شر على حذف مضاف اي من شر ما خلق عمم ولا انه خصص ثانيا وقال ابو البقا وما على هذا بدل من شر او زائدة ولا يجوز ان تكون نافية لان النافية لا يتقدم عليها ما في حيزها فلذلك لم يجز ان يكون التقدير ما خلق من شر ثم هو فاسد المعنى وهو رد حسن صناعي ولا يقال ان من شر متعلق باعوذ وحذف مفعول خلق لانه خلاف الاصل وقد انحا مكي هذا القائل برده بما تقدم وما مصدرية او بمعنى الذي **فصل** روي عطاء عن ابن عباس يريد ابليس خاصة لان الله تبارك وتعالى لم يخلق اشر منه وان السورة انما في الاستعاذة من السحر وذلك انما يتم بابليس وجنوده لعنهم الله وقيل جهنم وما خلق فيها وقيل عام اي من شر كل ذي شر خلقه الله وقيل ما خلق الله من الامراض والاسقام والقحط وانواع المحن قال الجبائي والقاضي هذا التقييد باطل لان فعل الله تعالى لا يجوز ان يوصف بكونه شرا لان الذي امر بالتعوذ منه هو الذي امر به وذلك متناقض ولان افعاله تعالى كلها حكمة وصواب فلا يجوز ان يقال انها شر وايضا فلان فعل الله تعالى لو كان شرا لوصف فاعله بانه شر تعالى الله عن ذلك **والجواب** عن الاول انه لا امتناع في قوله اعوذ بك منك كما ورد وعن الثاني ان الايضان لما تالم وصف بالالم شرا كقوله تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها وقوله تعالى فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم ويعني ان النار اعتمادا لله تعالى توقيفيه لا اصطلاحية ومما يدل على جواز تسمية الامراض والاسقام بانها شرور قوله تعالى اذا مسه الشر جزوعا **قوله تعالى** ومن شر غاسق اذا وقب الغاسق اذا امتصب باعوذ اي اعوذ بالله من هذا في وقت كذا

وكذا قيل الليل والغسق هو اول ظلمة الليل يقال منه غسق الليل يغسق اي يظلم قال قيس بن الرقيات •

• ان هذا الليل قد غسقا • واشتكيت الهم والارقا •

وهذا قول ابن عباس والضحاك وقتادة والسدي وغيرهم ووقب على هذا اظلم وقال قتادة ذهب وقال يمان ابن رباب سكن وقيل دخل ووقب العذاب على الكافرين نزل قال الشاعر

• وقب العذاب عليهم فكانهم • لحقتهم نار السموم فاحصدوا •

وقال الزجاج قيل لليل غاسق لانه ابرد من النهار والغاسق البارد والغسق البرد ولان في الليل تخرج السباع من اجامها والهوام من اماكنها وتنبعث اهل الشر على العبث والفساد فاستعيذ من الليل قال الشاعر

• يا طيف هند لقد ابقيت لي ارقا • اذ جئتنا طارقا والليل قد غسقا •

اي اظلم واعتكر وقيل الغاسق الثريا لانها اذا سقطت كثرت الاسقام والطواعين واذا طلعت ارتفع ذلك قاله عبد الرحمن بن زيد وقال ابن شهاب هو الشمس اذا غربت وقال القتبي هو القمر اذا وقب اذا دخل في ساهوره وهو كالغلاف اي اذا خسف به وكل شيء اسود فهو غاسق قال قتادة اذا وقب اذا غاب قال القرطبي وهو اصح لما روى الترمذي عن عائشة رضي الله عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم نظر الى القمر فقال يا عائشة استعيذي بالله من شر هذا فان هذا هو الغاسق اذا وقب حديث صحيح وقيل الغاسق الحية اذا لدغت وكان الغاسق نابها لان السم يغسق منه اي يسيل يقال غسقت العين تغسق غسقا اذا سالت بالماء وسمي الليل غاسقا لانصباب ظلامه على الارض وقيل الغاسق كل هاجم يضر كائنا ما كان من قولهم غسقت القرحة اذا جرى صديدها قال ابن الخطيب وعندي فيه وجه اخر انه صح ان القمر في جرمه غير مستنير بل هو مظلم فهذا هو المراد من كونه غاسقا واما وقوبه فهو المحاق في اخر الشهر والمنجمون يقولون انه في اخر الشهر منحوس قليل القوة لانه لا يزال نوره يبيب ذلك يزداد نحوسة فان السحرة انما يشتغلون بالسحر المورث للتمريض في هذا الوقت وهذا مناسبة لسبب نزول السورة فانها نزلت لاجل انهم سحروا النبي صلى الله عليه وسلم للتمريض **قوله تعالى** ومن شر النفاثات في العقد النفاثات جمع نفاثة مثال المبالغة من نفث اي نفخ واختلف فيه فقال ابو الفضل شبه النفخ من الفم بالرقية ولا شيء معه فاذا كان بريق فهو التفل وانشد عنترة يغرك • فان يبرأ فلم انفث عليه • وان يفقد فحق له الفقود •

وقال الزمخشري نفخ بريق معه وقرا الحسن النفاثات بضم النون وهو اسم كالنفاخة ويعقوب وعبد الرحمن بن سابط وعيسى بن عمرو وعبد الله بن القاسم النافثات وهي محتملة لقراءة العامة والحسن ايضا وابو الربيع والنفاثات دون الف كحاذر وحذر ونكر غاسق وحاسدا لانه قد يتخلف الضرر فيهما فالتنكير للتبعيض وعرف النفاثات اما للعهد كما يروى في التفسير واما للمبالغة في الشر **فصل** قال المفسرون يعني الساحرات اللاتي ينفثن في عقد الخيط حين يرقين عليها قال ابو عبيدة النفاثات من بنات لبيد بن اعصم اليهودي سحرن النبي صلى الله عليه وسلم شبه النفخ كما يفعل من يرقي قال الشاعر • اعوذ بربي من النافثات • ومن عضه العاضه المعضه •

وقال تميم بن نويرة • نفثت في الخيط شبيه الرقى • من خشية الجنة والحاسد • **فصل** روى النسائي عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من عقد عقدة ثم نفث فيها فقد سحر ومن سحر فقد اشرك ومن تعلق شيئا وكل اليه واختلف في النفث عند الرقى فمنعه قوم واجازه اخرون قال عكرمة لا ينبغي للراقي ان ينفث ولا يمسح ولا يعقد وقال ابرهيم كانوا يكرهون النفث في الرقى والصحيح الجواز فان النبي صلى الله عليه وسلم كان ينفث في الرقية وروى محمد بن حاطب ان يده احترقت فاتت به النبي صلى الله عليه وسلم فجعل ينفث عليها ويتكلم بكلام زعم انه لم يحفظ وروي ان قوما لدغ رجل منهم فاتوا اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا هل فيكم من راق فقالوا لا حتى تجعلوا لنا شيئا فجعلوا لهم قطيعا من الغنم فجعل رجل منهم يقرا فاتحة الكتاب ويرقي ويتفل حتى برا فاخذوا فلما رجعوا ذكروا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال وما يدريكم انها رقية خذوا واضربوا لي معكم بسهم واما ما روي عن عكرمة فكانه ذهب فيه الى ان النفث في العقد مما يستعاذ منه بخلاف النفث بلا عقد قال ابن الخطيب هذه الصناعة انما تعرف بالنسا لانهن يعقدن في الخيط وينفثن وذلك لان الاصل الاعظم ربط القلب بذلك الامر واحكام الهمة والوهم فيه وذلك انما يتاتى من النسا لقلة علمهن وشدة شهوتهن فلا جرم كان هذا العمل منهن اقوى **قوله تعالى** ومن شر حاسد اذا حسد قد تقدم في معنى الحسد وانه تمني زوال نعمة المحسود وهي الغبطة قال ابن عباس وعائشة رضي الله عنهما كان غلام من اليهود يخدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فدنت اليه اليهود فلم يزالوا حتى اخذ مشاطة راس النبي صلى الله عليه وسلم وعدة اسنان من مشطه فاعطاه اليهود فسحروه فيها صلى الله عليه وسلم وتولى ذلك لبيد بن الاعصم رجل من اليهود **فصل** هذه السورة دالة على ان الله تعالى خلق كل شر وامر نبيه صلى الله عليه وسلم ان يتعوذ من جميع الشرور فقال عز وجل من شر ما خلق وذلك خاتمة ذلك الحسد

بينهما على عظمه وكثره صنوعه والحاسد عدو نعم الله تعالى قال بعض الحكما الحاسد بارز ربه من خمسة اوجه احدها انه ابغض كل نعمة ظهرت على غيره وثانيها انه ساخط لقسمة ربه كانه يقول لم قسمت لي هذه القسمة وثالثها انه ضاد فعل الله تعالى اي ان فضل الله يؤتيه من يشاء وهو يبخل بفضل الله ورابعها انه خذل اولياء الله تعالى او يريد خذلانهم وزوال النعمة عنهم وخامسها انه اعان عدو الله ابليس وقيل الحاسد لا ينال في المجالس الا ندامة ولا ينال عند الملائكة الا لعنة وبغضا ولا ينال في الخلوة الا جزعا ولا ينال في الاخرة الا حزنا واحتراقا ولا ينال من الله العظيم الا بعدا ومقتا وقال صلى الله عليه وسلم ثلاثة لا يستجاب دعاؤهم اكل الحرام ومكثر الغيبة ومن كان في قلبه غل او حسد للمسلمين روى الثعلبي عن ابي رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا المعوذتين فكانما قرا الكتب التي انزلها الله تعالى كلها وعن عقبة بن عامر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الا اخبرك بافضل ما تعوذ به المتعوذون قلت بلى يا رسول الله قال قل اعوذ برب الفلق وقل اعوذ برب الناس والله تعالى اعلم بالصواب واليه المرجع والماب

سورة الناس

مكية وهي ست ايات وعشرون كلمة وتسعة وسبعون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى قل اعوذ برب الناس قرئ قل اعوذ بحذف الهمزة ونقلها الى اللام ونظيره فخذ اربعة واجمع القرا على ترك الامالة في الناس وروي عن الكسائي الامالة في الناس اذا كان في موضع الخفض ومعنى رب الناس اي مالكهم ومصلح امورهم وانما ذكر لفظ رب الناس وان كان ربا لجميع الخلق لامرين احدهما لان الناس معظمون فاعلم بذكرهم انه رب لهم وان عظموا والثاني لانه امر بالاستعاذة من شرهم فاعلم بذكرهم انه هو الذي يعيذ منهم وانما قال سبحانه ملك الناس اله الناس لان في الناس ملوكا فذكر تعالى انه ملكهم وفي الناس من يعبد غيره فذكر انه الههم ومعبودهم وانه الذي يجب ان يستعاذ به ويلجا اليه دون الملوك والعظما قوله تعالى ملك الناس اله الناس يجوز ان يكونا وصفين لرب الناس وان يكونا بدلين وان يكون عطف بيان كقولك سيرة ابي حفص عمر الفاروق بين الذي يملك الناس ثم زيد بيانا لانه قد يقال لغيره رب الناس لقوله تعالى اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله وقد يقال ملك الناس ثم الملك قد يكون الها وقد لا يكون فلاجرم بينه بقوله تعالى اله الناس لان الاله خاص لا شركة فيه فجعل غاية البيان واعترض ابو حيان بان البيان بالجوامد ويجاب عنه بان هذا جار مجرى الجوامد وقد تقدم في الرحمن الرحيم اول الفاتحة تقريره وقال الزمخشري فان قلت لم قيل برب الناس مضافا اليهم خاصة قلت لان الاستعاذة وقعت من شر الموسوس في صدور الناس فكانه قيل اعوذ من شر الموسوس الى الناس بربهم الذي يملك امرهم ثم قال فان قلت فهلا اكتفي باظهار المضاف اليه مرة واحدة قلت لان عطف البيان يحتاج الى مزيد الاظهار ولان التكرير يقتضي مزيد تشريف الناس وانهم اشرف مخلوقاته وقال ابن الخطيب انما بدا بذكر الرب تعالى وانه اسم لمن قام بتدبيره واصلاحه من اوائل نعمه الى ان رباه واعطاه العقل فحينئذ عرف بالدليل انه مملوك وهو ملك فثنى بذكر الملك ثم لما علم ان العبادة لازمة له وعرف انه معبود مستحق لتلك العبادة عرف بانه اله فلهذا ختم به قال ابن الخطيب ولم يقرا في المشهور هنا مالك بالالف كما قرئ في الفاتحة لان معنى المالك هو الرب فيلزم التكرار وقرئ به في الفاتحة لاختلاف المضافين فلا تكرار قوله تعالى من شر الوسواس قال الزمخشري اسم بمعنى الوسوسة كالزلزال بمعنى الزلزلة واما الوسواس مصدر وسواس بالكسر كالزلزال والمراد به شيطان سمي بالمصدر كانه وسوسة في نفسه لانها صنعته وشغله او اريد ذو الوسواس انتهى وقد مضى الكلام معه في ان المكسور مصدر والمفتوح اسم في الزلزلة فليراجع والوسوسة حديث النفس يقال وسوست اليه نفسه وسوسة ووسوسة بكسر الواو قال القرطبي ويقال لهمس الصائد والكلاب واصوات الحلي وسواس قال ذو الرمة

• فبات يشئزه ثاد ويسهره • تذوب الريح والوسواس والهضب •

وقال الاعشى • تسمع للحلي وسواسا اذا انصرفت • كما استعان بريح عشرق زجل •

قوله تعالى الخناس الرجاع لانه اذا ذكر الله تعالى خنس وهو مثال مبالغة من الخنوس قال القرطبي ووصف بالخناس لانه كثير الاختفاء ومنه قوله تعالى فلا اقسم بالخنس يعني النجوم لاختفائها بعد ظهورها وقيل لانه يخنس اذا ذكر الله تعالى اي يتاخر في الخبر ان الشيطان جاثم على قلب ابن آدم فاذا غفل وسوس واذا ذكر الله تعالى خنس اي تاخر يقال خنسته فخنس اي اخرته فتاخر واخنسته ايضا وتقدم الكلام على هذه المادة في سورة اذا الشمس كورت قوله تعالى الذي يوسوس يجوز جره نعتا وبدلا وبيانا لجريانه مجرى الجوامد ونصبه ورفعه على القطع فصل قال مقاتل ان الشيطان

في صورة خنزير يجري من ابن آدم مجرى الدم في عروقه سلطه الله على ذلك فذلك قوله تعالى الذي يوسوس في صدور الناس وقال صلى الله عليه وسلم ان الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم رواه البخاري ومسلم قال القرطبي ووسوسته هو الدعا الى طاعته حتى يصل مفهومه الى القلب من غير سماع صوت قوله تعالى من الجنة فيه اوجه احدها انه بدل من شر باعادة العامل اي من شر الجنة الثاني انه بدل من ذي الوسواس لان الموسوس من الجن والانس الثالث انه حال من الضمير في يوسوس حال كونه من هذين الجنسين الرابع انه بدل من الناس وجعل من تبيينا واطلق على الجن اسم الناس لانهم يتحركون في مرادهم قال ابو البقاء الا ان الزمخشري ابطله فقال بعد ان حكاه واستدلوا بنفر ورجال وما احقه لان الجن سموا جنا لاجتنانهم والناس ناسا لظهورهم من الايناس وهو الابصار كما سموا بشرا ولو كان يقع الناس على القبيلين وصح وثبت لم يكن مناسبا لفصاحة القران وبعده من التصنع واجود منه ان يراد بالناس الناسي كقوله يوم يدع الداع كما قرئ من حيث افاض الناس ثم بين بالجنة والناس لان الثقلين هما النوعان الموصوفان بنسيان حق الله تعالى يعني انه اجتزا بالكسرة عن الياء والمراد اسم الفاعل وتقدم تحقيق هذا في البقرة الخامس انه بيان للذي يوسوس على ان الشيطان ضربان جني وانسي كما قال شياطين الجن والانس وعن ابي ذر انه قال لرجل هل استعذت من شياطين الانس السادس ان تتعلق بيوسوس ومن لابتداء الغاية اي يوسوس في صدورهم من جهة الجن ومن جهة الانس والسابع ان والناس عطف على الوسواس اي من شر الوسواس والناس ولا يجوز عطفه على الجنة لان الناس لا يوسوسون في صدور الناس انما يوسوس الجن فلما استحال المعنى حمل العطف على الوسواس قاله مكي وفيه بعد كبير للبس الحاصل وقد تقدم ان الناس يوسوسون ايضا بمعنى يليق بهم الثامن ان من الجنة حال من الناس اي كائنين من القبيلتين قاله ابو البقاء ولم يبين ان الناس المتقدم انه صاحب الحال وعلى كل تقدير فلا يصح معنى الحالية في شيء منها الا الاول والا ما بعده ثم قال وقيل هو معطوف على الجنة يريد والناس الاخير معطوف على الجنة وهذا الكلام يستدعي تقدير شيء قبله وهو ان يكون الناس عطفا على غير الجنة وفي الجملة فهو كلام يتسامح فيه فصل قال الحسن هما شيطانان لنا اما شيطان الجن فيوسوس في صدور الناس واما شيطان الانس فياتي علانية وقال قتادة ان من الجن شياطين وان من الانس شياطين فنعوذ بالله من شياطين الجن والانس وعن ابي ذر انه قال لرجل هل تعوذت بالله من شيطان الانس فقال او من الانس شياطين قال نعم لقوله تعالى وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الانس والجن الاية فنعوذ بالله من شياطين الجن والانس وذهب قوم ان المراد بالناس هنا الجن سموا بذلك ناسا كما سموا رجالا في قوله تعالى قل اوحي الي انه استمع نفر من الجن واذ صرفنا اليك نفرا من الجن وكما سموا قوما ونفرا ونقل الفراء عن بعض العرب انه قال وهو يحدث جاء قوم من الجن فوقفوا فقيل من انتم فقالوا ناس من الجن فعلى هذا يكون والناس عطفا على الجنة كما تقدم ويكون التكرير لاختلاف اللفظين والجنة جمع جني كما يقال انس وانسي والهاء لتانيث الجماعة وقيل ان ابليس يوسوس في صدور الجن كما يوسوس في صدور الناس فعلى هذا يكون في صدور الناس عام في الجميع ومن الجنة والناس بيان لما يوسوس في صدوره وقيل معنى من شر الوسواس اي الوسوسة التي تكون من الجنة والناس وهو حديث النفس قال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل تجاوز لامتي عما حدثت به انفسها ما لم تعمل او تتكلم به والله اعلم بالصواب واليه المرجع والماب

• تم الجزء الاول والثاني من كتاب اللباب في علوم الكتاب تفسير الامام الجليل
• ابن عادل الحنبلي تغمده الله برحمته على يد كاتبه اذل عبيد الله وافقرهم واحوجهم
• الى رحمة ربه العلي الفقير ملا علي بن فتح الله السليماني
• الخالدي غفر الله له ولوالديه ولمن دعا له
• بالخير وكان الفراغ منه في يوم الجمعة
• ثالث عشر ربيع الثاني من شهور
• سنة ثمانية وعشرين
• بعد الالف
• وحسبنا الله
• ونعم
• الوكيل